مختصر تفسير الطبري

قال الشيخ السعد:
لعله بصنيعه هذا يكون
من أحسن من اختصر هذا الكتاب

تأليف
إسلام بن منصور بن عبد الحميد

قدم له فضيلة الشيخ المحدث العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

طبعة مزيدة ومنقحة

المجلد الأول

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر

تفسير الطبري

١

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الكويت، حولي ، شارع المثنى، مجمع البدري

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤

فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤

فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨

ص. ب: ١٠٧٥ ٠ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت

المملكة العربية السعودية - الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨

الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩

E - mail: z.zahby74@yahoo.com

imamzahby

بين يدي مقدمة سماحة الشيخ
المحدث العلامة/ عبد الله السعد

الحمد لله، وبعد..

فلقد بذل فضيلة الشيخ حفظه الله جهدًا كبيرًا في كتابة هذه المقدمة، وقد أولاها بالعناية، حتىٰ أنَّه قدَّمها علىٰ أعمال كثيرة مهمة..

ولقد أولاني بمزيد رعاية، وعناية، وسماحة، لم أجدها عند أحد غيره، مع علو شأنه وقدره وعلمه..

ولا أظن أنني أوفيه حقَّه وقدره مهما بذلتُ له من معاني الشكر..

إلا أنني أشكر الله ﷻ وحده أن وفقني له..

وأسأله سبحانه أن يديم صحبتنا، ومحبتنا، واللقاء علىٰ طاعته..

اللهم آمين.



مقدمة سماحة الشيخ المحدث العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله..

القائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وقائل: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقائل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وقائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وأصلي وأسلم علىٰ عبده المصطفىٰ ونبيه المجتبىٰ...

القائل فيما أخرجه الشيخان[1]: من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَوْلَىٰ بَنِي زُهْرَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ»** قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً حَتَّىٰ قَالَ: **«فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ»**. وهذا لفظ البخاري.

وفي صحيح البخاري[2]: من طريق مُغِيرَةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه... الحديثَ، وفيه قال ﷺ: **«وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً...»**.اهـ

قال أبو عبدالله البخاري بعد هذا الحديث: (وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلاَثٍ وَفِي خَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَىٰ سَبْعٍ). اهـ

والحِكْمَةُ فِي هَذَا النَّهْي..

حَتَّىٰ يَتَدَبَّرَ القارئُ القرآنَ، وَيَفْهَمَ مَعَانِيَهَ..

كما في جامع الترمذي[3]، والنسائي في الكبرىٰ[4]، وابن ماجه[5]: من طريق شُعْبَةَ، عَنْ

---

(١) [خ/ ٥٠٥٤]، [م/ ١١٥٩].
(٢) [٥٠٥٢].
(٣) [٢٩٤٩].
(٤) [٨٠١٣].
(٥) [١٣٤٧].

قَتَادَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**». قال أبو عيسىٰ: (**هذا حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ**).

وأخرجه أيضًا أبو داود[(١)]: من طريق همام وسعيد عن قتادة به.

ولهذا بَوَّبَ البخاريُّ فَقَالَ: (**بَابُ التَّرْتِيلِ فِي القِرَاءَةِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾** [المزمل: ٤]، **وَقَوْلِهِ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾** [الإسراء: ١٠٦]، **وَمَا يُكْرَهُ أَنْ يُهَذَّ كَهَذِّ الشِّعْرِ، ﴿يُفْرَقُ﴾** [الدخان: ٤]: **يُفَصَّلُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾** [الإسراء: ١٠٦]: **فَصَّلْنَاهُ**).

ثم روىٰ[(٢)]: من طريق وَاصِل، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: (**غَدَوْنَا عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ البَارِحَةَ، فَقَالَ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا القِرَاءَةَ..**).

وأخرج البيهقي في الشعب[(٣)]: عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: (**إِنِّي سَرِيعُ الْقُرْآنِ، إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ، قَالَ: لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ فِي لَيْلَةٍ أَتَدَبَّرُهَا، وَأُرَتِّلُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ أَقْرَأَهُ كَمَا تَقْرَأُ**)..

وفي رواية أخرىٰ في الشعب[(٤)]: (**إِنِّي أُهَذْرِمُ الْقُرْآنَ هَذْرَمَةً...**).

وأخرج ابن المبارك في الزهد[(٥)]، وعبدالرزاق[(٦)]، وأبو عبيد في فضائل القرآن[(٧)]، واللفظ له: عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ، قَالَ: قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ: رَجُلٌ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَرَجُلٌ قَرَأَ الْبَقَرَةَ؛ قِيَامُهُمَا وَاحِدٌ، وَرُكُوعُهُمَا وَاحِدٌ، وَسُجُودُهُمَا وَاحِدٌ، وَجُلُوسُهُمَا وَاحِدٌ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (**الَّذِي قَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾** [الإسراء: ١٠٦]).

قلت: وهذه صفة قراءة رسول الله ﷺ ومنه أخذ ذلك الصحابة رضي الله عنهم ومن أتىٰ من بعدهم..

كما أخرجه مسلم في صحيحه[(٨)]: من طريق صِلَةَ بْنِ زُفَرَ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: (**صَلَّيْتُ مَعَ**

---

(١) [١٣٩٠، ١٣٩٤].
(٢) [٥٠٤٣].
(٣) [١٨٨٢].
(٤) [١٩٧١].
(٥) [١٢٨٥].
(٦) [٤١٨٨].
(٧) [٢٠٢].
(٨) [٧٧٢].

النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ....» الحديث.

وبهذا أمره ربهُ عَزَّوَجَلَّ فقال: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قال ابن جرير الطبري(١): (لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ تُؤَدَةٍ، فَتُرَتِّلَهُ، وَتُبَيِّنَهُ، وَلَا تَعْجَلْ فِي تِلَاوَتِهِ، فَلَا يُفْهَمْ عَنْكَ).اهـ

ويؤكد هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ١٠٦﴾، أي شيئًا فشيئًا، لأنه لو نزل مرة واحدة لصعب فهمه عليهم.

وكما أُمر بترتيله عليهم أمر بتفسيره لهم:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤].

(فَالدِّينُ الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ اجْتِمَاعًا ظَاهِرًا مَعْلُومًا هُوَ مَنْقُولٌ عَنْ نَبِيِّهِمْ نَقْلًا مُتَوَاتِرًا، نَقَلُوا الْقُرْآنَ وَنَقَلُوا سُنَّتَهُ، وَسُنَّتُهُ مُفَسِّرَةٌ لِلْقُرْآنِ مُبَيِّنَةٌ لَهُ كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ - لَهُ: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤]، فَبَيَّنَ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَفْظَهُ وَمَعْنَاهُ، فَصَارَ مَعَانِي الْقُرْآنِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ اتِّفَاقًا ظَاهِرًا مِمَّا تَوَارَثَتْهُ الْأُمَّةُ عَنْ نَبِيِّهَا، كَمَا تَوَارَثَتْ عَنْهُ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ، فَلَمْ يَكُنْ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - فِيمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ شَيْءٌ مُحَرَّفٌ مُبَدَّلٌ مِنَ الْمَعَانِي، فَكَيْفَ بِأَلْفَاظِ تِلْكَ الْمَعَانِي؟!

فَإِنَّ نَقْلَهَا وَالِاتِّفَاقَ عَلَيْهَا أَظْهَرُ مِنْهُ فِي الْأَلْفَاظِ، فَكَانَ الدِّينُ الظَّاهِرُ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِي اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِمَّا نَقَلُوهُ عَنْ نَبِيِّهِمْ، لَفْظَهُ وَمَعْنَاهُ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ تَحْرِيفٌ وَلَا تَبْدِيلٌ، لَا لِلَّفْظِ وَلَا لِلْمَعْنَىٰ، بِخِلَافِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَإِنَّ مِنْ أَلْفَاظِهَا مَا بَدَّلَ مَعَانِيَهُ وَأَحْكَامَهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ أَوْ مَجْمُوعُهُمَا، تَبْدِيلًا ظَاهِرًا مَشْهُورًا فِي عَامَّتِهِمْ)(٢).

قلت: وهذا ظاهر، ومع ذلك فقد اعترض بعض أهل العلم، فقال: إن الأحاديث التي نقلت في التفسير قليلة.

---

(١) [١٧/ ١٧٥].

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح [٣/ ١٧].

والجواب عن ذلك: أن الآية المتقدمة نصٌّ في المسألة، فلا شك أن الرسول ﷺ بيَّنَ للأمَّةِ مَعَانِيَ الآيَاتِ وَفَسَّرَهَا لَهُمْ، فَمَثَلًا الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ، وهي كثيرةُ الدورانِ فِي القرآنِ الكريمِ، بَيَّنَ المقصودَ مِنْهَا كما في حديث جبريل قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

وهكذا الصلاةُ: فبيَّنَ ﷺ شُروطَهَا وفَرائضَهَا وسُنَنَها، وكيفيةَ أقامَتِها.

ومِثْلُهَا: الزَّكاةُ، والصِّيامُ، والحَجُّ، وغيرُ ذِلِكَ..

فسنَّتُه، وسَيرَتُه مُفَسِّرَةٌ لِهَذَا القرآنِ.

ولما سُئِلَتْ عائشةُ ﵂ عن خُلِقِه، فَقَالتْ: (**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ**)(٢).

ولذا قال ابن مسعود فيما رواه ابن جرير الطبري(٣): من طريق الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قال: (**كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّىٰ يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ**). وإسناده جيد.

وأخرج أحمد(٤): من طريق عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: (**حَدَّثنا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلاَ يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَىٰ، حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ**).وإسناده جيد.

ولذا قَالَ أبو حامِدٍ الغَزالي: (والتفصيل في مقدار القراءة، أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل، فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع، وإن كان من السالكين

---

(١) صحيح مسلم [٨].

(٢) مسند أحمد [٢٥٢٤٠].

(٣) [١/ ٨٠].

(٤) [٢٣٨٧٨].

بأعمال القلب وضروب الفكر، أو من المشتغلين بنشر العلم، فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن، فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل)[1].

وقال أبو العباس ابن تيمية في مقدمة التفسير: (وَحَاجَةُ الْأُمَّةِ مَاسَّةٌ إِلَىٰ فَهْمِ الْقُرْآنِ)[2].

وقال محمد بن علي الموزعي المعروف بابن الخطيب في تيسير البيان[3]: (واعلموا أن الله تَعَالىٰ أَوْجَبَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ بَيَانَ مَا أَنْزَلَ عَلَيهِ، وَجَعَلَ بَيَانَ ذَلكَ إليهِ وخصَّه بِهَذا المنصبِ الشريفِ... قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤]، ثم اعلموا أن بيانه لأمته من ثلاثة أوجه، فوجهان متفق عليهما وفي الثالث اختلاف عندهم: الأول: ما نص اللهُ جل جلاله عليه وأحكم فَرْضَه وبَيَّنَه بأوضح بيانٍ، ثم بيَّنَه النَّبيُّ ﷺ، إما بقولٍ أو فعلٍ، كما بيَّنَه اللهُ، الثاني: ما نصَّ اللهُ تعالىٰ عليه جُمْلةً، وأَحْكَمَ فَرْضَهُ، وَجَعَلَ إِلىٰ نَبِيِّه ﷺ بَيَانَ تِلْكَ الجُمْلَةِ، فَبَيَّنَ مَوَاقِيْتَهَا وَأَحْوَالَهَا وَفَرَائِضَهَا وَآدَابَهَا وَمُقَدِّمَاتِهَا وَلَوَاحِقَهَا، وَبَيَّنَ عَمَّنْ تَجِبْ، وَعَمَّنْ تَسْقُطْ، وَكَيْفَ يَأْتِي بِهَا العَبْدُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الأَحْوَالِ، الثالث: ما سنَّ رسول الله ﷺ مما لم يَرِدْ فِيْهِ كِتَابٌ، فَهَذَا المُخْتَلَفُ فِيْهِ، فَمِنْهُم مَنْ قَالَ: جَعَلَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ لِمَا خَصَّهُ مِنْ وُجُوْبِ طَاعَتِهِ وَتَوفيقِهِ لِمَا يَرضَاه، وعِصمَتِه عن الخطأ أَنْ يَسِنَّ فيما لم يَرِدْ فِيه كِتَابٌ، وَإليهِ مَيْلُ الإمامِ الشافعي، ومنهم من قال لم يَسِنَّ سُنةً قط إِلَّا وَلَها أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللهِ).اهـ

ولا يخفىٰ أهمية تدبر القران ومعرفة تفسيره ومعانيه، في اعتقاد ما دلَّ عليه والعمل بأحكامه، وفي زيادة إيمان العبد وقوة يقينه، والتحقق بظهور إعجازه له.

ولذا كم من شخصٍ لا يعرف لغة القران -لكونه أعجمي- عندما قرأ معاني القران بلغتهِ قادهُ هذا إلىٰ الإسلام والإيمان.

وأخرج ابن جرير في تفسيره[4]: من طريق أبي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: **(اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَىٰ الْحَجِّ، قَالَ: فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً، لَوْ سَمِعَهَا التُّرْكُ وَالرُّومُ**

---

(١) إحياء علوم الدين [٢/ ٣٥].

(٢) [مجموع الفتاوىٰ/ ١٣/ ٣٣٠].

(٣) [١/ ١١].

(٤) [١/ ٨١].

لَأَسْلَمُوا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا).اهـ

وجاء عند الحاكم من نفس الطريق بلفظ[1]: **(خَطَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَلَىٰ الْمَوْسِمِ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيُفَسِّرُ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ كَلَامَ رَجُلٍ مِثْلَهُ، لَوْ سَمِعَتْهُ فَارِسٌ وَالرُّومُ لَأَسْلَمَتْ)**.اهـ

وأخرجه أيضًا أبو عبيد في فضائل القرآن[2]، وابن جرير[3]، واللفظ له: من طريق الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: **(قرأ ابنُ عباسٍ سورة البقرة، فجعل يُفسِّرها، فقال رجل: لو سمعتْ هذا الديلمُ لأسلمتْ)**[4].

ولذا قال ابن جرير، في ما رواه أبو بكر محمد بن مجاهد، قال: سمعت أبا جعفر يقول: **(إني أعجب ممن قرأ القرآن، ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته؟)**[5].



فصلٌ فِي حُكْمِ تَدَّبُرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ

تَبَيَّنَ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَمَا سَوْفَ يَأْتِي، أَنَّ تَدَّبُرَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ حَيْثُ الجُمْلَةِ..

وأمَّا من حيث التفصيل -أي: جميع القرآن- فهو فرض كفاية علىٰ الأمة..

والدليل علىٰ ذلك -غيرُ ما تقدَّمَ-: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَمَّ مَنْ لَمْ يَتَدَّبَرَ كِتَابَه، وأَنَّ المُتَصِفِيْنَ بِذَلِكَ هَم الكفَّارُ والمُنَافِقُون.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالىٰ: (باب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه والتغليظ علىٰ من ترك ذلك.. وقول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ﴾.. وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢].. وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] الآية.. عَنْ أَبِي

(١) [٣/ ٦١٨/ ٦٢٩٠].
(٢) [٢٥٠].
(٣) [١/ ٨١].
(٤) صححه ابن حجر في الفتح (٧/ ١٠٠)، وينظر: المعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٥).
(٥) معجم الأدباء (٢/ ٢٤٥٣).

مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» أخرجاه(١).. عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رسولَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» رواه أحمد(٢).. باب الخوف علىٰ من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين.. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ [محمد: ١٦] الآية.. وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الآية.. عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا، مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، يُؤْتَىٰ أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ - لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ: نَمْ صالحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ، فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُهُ» أخرجاه(٣).. وفي حديث البراء في الصحيح: «أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»(٤).)(٥). اهـ

---

(١) البخاري (٧٩)، مسلم (٢٢٨٢).

(٢) مسند أحمد (٦٣٦٤).

(٣) البخاري (٨٦)، مسلم (٥٨٤).

(٤) مسند أحمد (١٨٥٣٤)، سنن أبي داود (٤٧٥٣)، التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٧٥)،و الإيمان لابن منده (١٠٦٤)، المستدرك (١٠٧) كلهم من حديث الأعمش، عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب.اهـ

قال البيهقي في الشعب (٣٩٥): هذا حديث صحيح الإسناد.

وقال ابن منده في الإيمان (٢/ ٩٦٥): «هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة، عن البراء، وكذلك رواه عِدَّةٌ، عن الأعمش، وعن المنهال بن عمرو، والمنهال أخرج عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت علىٰ رسم الجماعة. وروي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة».

وأصل حديث البراء افي صحيح البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١) من طريق شعبة، عن علقمة ابن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب.

(٥) فضائل القرآن ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ٧٧٣).

قلت: الأدلةُ التي أوردها -رحمه الله تعالىٰ- ظاهِرَةٌ علىٰ ما بوَّب عليه، ولذا يجب علىٰ كل مكلف أقلُّ ما يتدبر سورة الفاتحة، وهذا ما عنيتُه بقولي أنه فرض علىٰ كلِّ مكلَّفٍ في الجملة.

لذا قال أبو محمد بن حزم: (**تدبر القرآن فرض**)[1].

وقال أبو عبدالله القرطبي في الجامع[2]: (دل قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، علىٰ وجوب التدبر في القرآن).اهـ

وقال الشنقيطي في هذه الآية وغيرها[3]: (وهذه الآيات المذكورة تدل علىٰ أن تدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به، أمر لا بد منه للمسلمين)[4].

ومن الأدلة علىٰ ذلك غير ما تقدم أن قراءتها فرض في كل صلاة كما في الصحيحين[5]: من حديث الزُّهْرِيِّ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**».

وفي حديث الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّىٰ صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلاَثًا غَيْرُ تَمَامٍ**»[6].

وهذه الأحاديث كما دلت علىٰ وجوب قراءتها ففيها أيضًا دليل علىٰ وجوب تدبرها؛ لأنَّ القرآنَ إنما أُنزِلَ ليُتَدَّبر، ويُعْلَم فيُعْمَل بِهِ.

والقراءة بلا تدبر ولا فهم للمعنىٰ لا يحصل منها المقصودُ والمرادُ.

قال الإمام بن تيمية: (وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وَتَدَبُّرُ الْكَلَامِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ لَا يُمْكِنُ، وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]، وَعَقْلُ الْكَلَامِ مُتَضَمِّنٌ لِفَهْمِهِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ

---

(١) رسائله (٣/ ١٩٨).

(٢) (٥/ ٢٩٠)

(٣) (٧/ ٤٥٨).

(٤) انظر بيان أن ترك التدبر من هجر القرآن: الفوائد لابن القيم (٨٢)، تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٨).

(٥) (خ٧٢٣) (م٣٩٤).

(٦) أخرجه مسلم (٣٩٥).

فَهْمُ مَعَانِيهِ دُونَ مُجَرَّدِ أَلْفَاظِهِ، فَالْقُرْآنُ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ، وَأَيْضًا فَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِنْ الْعِلْمِ كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَلَا يستشرحوه، فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللهِ الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ وَبِهِ نَجَاتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ وَقِيَامُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ)[1].

فَلا بدَّ علىٰ المُصَلِّي أَنْ يَعْقِلَ وَيَفْهَمَ:

معنىٰ اللهِ، وَأَنَّهُ هو المألُوه، أي: المعبود..

ومعنىٰ رب العالمين، أي: الذي خلقهم من العدم ورباهم بالنعم..

وأنه هو الرحمن الرحيم الذين وسعت رحمته كل شيء..

وهو مالك يوم الدين، وهو يوم الحساب للخلق أجمعين علىٰ ما عملوه، إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشرٌ علىٰ من فعله..

وأنه هو المختص بالعبادة والاستعانة وحده لا شريك له..

وأن علىٰ العبد أن يسأل ربه الهداية إلىٰ صراطه المستقيم الذي تقدم ذكره، وهو ما كان عليه المنعم عليهم من النبيين وعلىٰ رأسهم نبينا محمد ﷺ، وسائر عباد الله الصالحين، المباين لصراط المغضوب عليهم من اليهود والنصارىٰ وسائر الكافرين.

فَصْلٌ فِي كَيْفِيَّةِ القِرَاءَةِ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ

القُرَّاءُ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ يَخْتَلِفُوْنَ كُلٌّ بِحَسِبِ مَقْصِدِهِ:

١- فإما أن يقصد قراءة تفسير القران كاملًا

٢- وإما أن يقرأ تفسير بعض الآيات والسور.

٣- وإما يريد معرفة لفظة وردت، أو حكمٍ من الأحكام، أو موضوع من الموضوعات التي ذُكِرَت في القرآن كمعرفة قصة من القصص الواردة في الكتاب العزيز كقصة ابراهيم ويوسف عليهما السلام، وغيرهم.

أما الأُولىٰ: فهي الطريقة المثلىٰ لفهم الكتاب العزيز، وذلك بقراءة تفسيره من أوله إلىٰ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٣٢).

آخره؛ لأن القران بعضه يفسر بعضًا، فما أُجمل في مكان بُيِّنَ في مكان آخر، وما اختُصِرَ في موضع بُسِطَ في موضع آخر..

كما قال تعالىٰ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [سورة القيامة: ١٧-١٩]، فالحالة الأولىٰ: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه.

قال ابن عباس وعطية العوفي في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: ١٩] **(تبيين حلاله وحرامه)**، وكذا قال قتادة(١).

ولذا ألف بعض أهل العلم تفسيرًا واعتمد فيه علىٰ تفسير الآيات بعضها للبعض الآخر، وسماه: **(إيضاح القران بالقران)**.

وأما الثانية: وهي عندما يراد معرفة تفسير آية بعينها أو آيات أو سورة من السور، ولا شكَّ في فائدة ذلك، ولكنَّها ليست مثل الأولىٰ أو الحالة التالية.

الحالة الثالثة: وهي أخص من الأولىٰ وأعم من الثانية فمن أراد معرف معنىٰ ما ورد في كتاب الله فالأولىٰ به أن يتتبعه في جميع القرآن حتىٰ يتضح له جميع معانيهِ ومراد الله فيهِ، ويتضح هذا أكثر..

عندما يريد مثلًا معرفة مقصود الله عَزَّوَجَلَّ من إقامة الصلاة وكيفية ذلك، ومن المعلوم أنه لم يأتِ في القران الأمر بأدائها وإنما الأمر بإقامتها فسوف تجد:

أولًا: الأمر بأدائها في قوله تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه: ١٣٢]..

ثانيًا: أداؤها في وقتها كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣]..

ويسبق ذلك التطهر لها، في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ٢٧٩).

﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٧].

واستقبال القبلة في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وأخذ الزينة لها في قوله تعالىٰ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ثالثًا: ذم الله عَزَّوَجَلَّ المنافقين الذين يستعجلون في صلاتهم ولا يطمئنون فيها ولا يفعلونها إلا مراءاة للناس..

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]، وهذا فيه دليل علىٰ أن من إقامتها الإتيان بأركانها وواجباتها وتكميل ذلك بمستحباتها..

ولذا قال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥]..

قال أبو العالية: (لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها)[١]..

وقال أبو العالية أيضًا: (هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتًا)[٢]..

وقال القرطبي في الجامع[٣]: (ويدل علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم: ٥٩].. وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُخَيْمِرَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ إِضَاعَةُ أَوْقَاتِهَا، وَعَدَمُ الْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا، وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَأَنَّهَا إِذَا صُلِّيَتْ مُخَلًّىٰ بِهَا لا تَصِحُّ وَلا تُجْزِئُ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِلرَّجُلِ الَّذِي صَلَّىٰ وَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ)[٤].

رابعًا: وهذا يؤدي إلىٰ الخشوع فيها، ولذا مدح الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين المتصفين بذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [سورة المؤمنون: ١-٢] الآية، وهذا من القنوت الذي جاء في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) الكشف والبيان (٣٠/ ٣٣٦).

(٢) الكشف والبيان (٣٠/ ٣٣٦)، وجاء في غيره كالجامع للقرطبي (٢٠/ ٢١١)، والبحر المحيط (٨/ ٥١٨)، منسوبًا لإبراهيم النخعي.

(٣) [٢٠/ ١٩٤].

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١١ / ١١٢).

قال الإمام ابن تيمية: (وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ هَلْ الْأَفْضَلُ طُولُ الْقِيَامِ؟ أَمْ كَثْرَةُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؟ أَوْ كِلَاهُمَا سَوَاءٌ؟ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَصَحُّهَا أَنَّ كِلَيْهِمَا سَوَاءٌ فَإِنَّ الْقِيَامَ اخْتَصَّ بِالْقِرَاءَةِ وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالسُّجُودُ نَفْسُهُ أَفْضَلُ مِنْ الْقِيَامِ فَيَنْبَغِي أَنَّهُ إذَا طَوَّلَ الْقِيَامَ أَنْ يُطِيلَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَهَذَا هُوَ طُولُ الْقُنُوتِ الَّذِي أَجَابَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا قِيلَ لَهُ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ» فَإِنَّ الْقُنُوتَ هُوَ إدَامَةُ الْعِبَادَةِ سَوَاءٌ كَانَ فِي حَالِ الْقِيَامِ أَوْ الرُّكُوعِ أَوْ السُّجُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر: ٩]، فَسَمَّاهُ قَانِتًا فِي حَالِ سُجُودِهِ كَمَا سَمَّاهُ قَانِتًا فِي حَالِ قِيَامِهِ)(١).اهـ.

خامسًا: والأمر بها جماعة كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية، وهذا في حال الحرب فكيف في حال السلم، ولذا ذكر الله عزوجل بعد ذلك الأمر بإقامة الصلاة، فقال: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣].

سادسًا: الإخلاص فيها وترك مراءاة الخلق كما تقدَّم في قوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢] الآية، وكما في سورة الماعون: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٦، ٧].

سابعًا: مع المداومة علىٰ ذلك كله والمحافظة عليه قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣]، قال صاحب الكشاف: (**فإن قلت: كيف قال:** ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] **ثم علىٰ صلاتهم يحافظون؟**)(٢).اهـ.

قلت: معنىٰ دوامهم عليها أن يواظبوا علىٰ أدائها لا يخلون بها، ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، كما روي عن النبي ﷺ: «**أفضلَ العملِ أَدْوَمُه وَإِنْ قَلَّ**»، وقول عائشة: (**كانَ عَمَلُهُ دِيمَةً**).. ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسنتها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم، فالدوام يرجع إلىٰ أنفس الصلوات والمحافظة إلىٰ أحوالها.

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٢/ ١٢٠)، وينظر: مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٦٩).
(٢) [٤/ ٦١٢].

وإذا ضممت إلىٰ هذا ما جاء في السنة النبوية من تفصيل شروطها وأركانها وواجباتها وسننها وكيفية أدائها، وصفة ذلك كما جاء وصف الصلاة عن رسول الله ﷺ، تبيَّنَ لكَ هذا أكثر.



وأما كتب التفسير التي ينبغي الرجوع إليها لفهم القرآن العظيم

فأولاها بالعناية: الكتب التي تفسر القرآن بالقرآن والسنة النبوية ثم بما جاء عن الصحابة والتابعين.

قال أبو العباس ابن تيمية: **(والتفاسير المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين مثل: تفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير عبدالرحمن بن إبراهيم المعروف بدحيم، وتفسير عبدالرحمن بن أبي حاتم، وتفسير أبي بكر بن المنذر، وتفسير أبي بكر عبدالعزيز، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني، وتفسير أبي بكر بن مردويه، وما قبل هؤلاء التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وغيرهم، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير سنيد وتفسير عبدالرازق ووكيع بن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصىٰ، وكذلك الكتب المصنَّفة في السنة التي فيها آثار النبي ﷺ والصحابة التابعين)**[1]..

قلت: وهذا متعين؛ لأنه لا يخفىٰ أن عددًا من المفسرين ينقلون تأويلات أهل الابتداع، وتحرف معاني الآيات، ومن ذلك تأويل آيات الصفات، وغير ذلك.

ثانيًا: إنَّ بعض كتب التفسير فيها توسع كبير واستطراد واسع وهذا قد يصد القارئ عن تفهم وتدبر بعض الآيات، وقد قيل عن بعض كتب التفسير: فيها كل شيء إلا التفسير.

قال أبو حيان في البحر المحيط[2]: **(وَهَكَذَا جَرَتْ عَادَتُنَا: أَنَّ كُلَّ قَاعِدَةٍ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ يُرْجَعُ فِي تَقْرِيرِهَا إِلَىٰ ذَلِكَ الْعِلْمِ، وَنَأْخُذُهَا فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ مُسَلَّمَةً مِنْ ذَلِكَ الْعِلْمِ، وَلَا نُطَوِّلُ بِذِكْرِ ذَلِكَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ، فَنَخْرُجَ عَنْ طَرِيقَةِ التَّفْسِيرِ، كَمَا فَعَلَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بن عمر الرَّازِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ خَطِيبِ الرَّيِّ، فَإِنَّهُ جَمَعَ فِي كِتَابِهِ فِي التَّفْسِيرِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً طَوِيلَةً، لَا**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢ / ٢١).

(٢) [١/ ٥٤٧].

حَاجَةَ بِهَا فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ. وَلِذَلِكَ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَطَرِّفِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ: فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّفْسِيرَ. وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْخُطْبَةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِلْمُ التَّفْسِيرِ. فَمَنْ زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَهُوَ فُضُولٌ فِي هَذَا الْعِلْمِ، وَنَظِيرُ مَا ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وَغَيْرُهُ، أَنَّ النَّحْوِيَّ مَثَلًا يَكُونُ قَدْ شَرَعَ فِي وَضْعِ كِتَابٍ فِي النَّحْوِ، فَشَرَعَ يَتَكَلَّمُ فِي الْأَلِفِ الْمُنْقَلِبَةِ، فَذَكَرَ أَنَّ الْأَلِفَ فِي اللهِ، أَهِيَ مُنْقَلِبَةٌ مِنْ يَاءٍ أَوْ وَاوٍ؟ ثُمَّ اسْتَطْرَدَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ الْكَلَامِ فِي اللهِ تَعَالَىٰ، فِيمَا يَجِبُ لَهُ وَيَجُوزُ عَلَيْهِ وَيَسْتَحِيلُ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ إِلَىٰ جَوَازِ إِرْسَالِ الرُّسُلِ مِنْهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ النَّاسِ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ إِلَىٰ أَوْصَافِ الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ إِعْجَازِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ وَصِدْقِ مَا تَضَمَّنَهُ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ إِلَىٰ أَنَّ مِنْ مَضْمُونِهِ الْبَعْثَ وَالْجَزَاءَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، ثُمَّ الْمُثَابُونَ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهُمْ، وَالْمُعَاقَبُونَ فِي النَّارِ لَا يَنْقَطِعُ عَذَابُهُمْ. فَبَيْنَا هُوَ فِي عِلْمِهِ يَبْحَثُ فِي الْأَلِفِ الْمُنْقَلِبَةِ، إِذَا هُوَ يَتَكَلَّمُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَنْ هَذَا سَبِيلُهُ فِي الْعِلْمِ، فَهُوَ مِنَ التَّخْلِيطِ وَالتَّخْبِيطِ فِي أَقْصَىٰ الدَّرَجَةِ، وَكَانَ أُسْتَاذُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إبراهيم بْنِ الزُّبَيْرِ الثَّقَفِيُّ، قَدَّسَ اللهُ تُرْبَتَهُ، يَقُولُ مَا مَعْنَاهُ: مَتَىٰ رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِلُ مِنْ فَنٍّ إِلَىٰ فَنٍّ فِي الْبَحْثِ أَوِ التَّصْنِيفِ، فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ، إِمَّا لِقُصُورِ عِلْمِهِ بِذَلِكَ الْفَنِّ، أَوْ لِتَخْلِيطِ ذِهْنِهِ وَعَدَمِ إِدْرَاكِهِ، حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّ الْمُتَغَايِرَاتِ مُتَمَاثِلَاتٌ، وَإِنَّمَا أَمْعَنْتُ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْفَصْلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ، وَلِئَلَّا يَعْتَقِدَ أَنَّا لَمْ نَطَّلِعْ عَلَىٰ مَا أَوْدَعَهُ النَّاسُ فِي كُتُبِهِمْ فِي التَّفْسِيرِ، بَلْ إِنَّمَا تَرَكْنَا ذَلِكَ عَمْدًا، وَاقْتَصَرْنَا عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ).اهـ..

قلت: ولذا قد تستفيد من الكتب المختصرة في التفسير وغيره أكثر من الكتب المطولة، وذلك لأنك تقف علىٰ معنىٰ الآية مباشرة بلا تطويل فتستفيد معناها أكثر من بعض المطولات التي تشتت القارئ.. كما أن الأولىٰ تجنب الكتب المختصرة جدًا والتي تقتصر علىٰ معاني الكلمات فقط، كتفسير الجلالين.. نعم، لاشك أنه مفيد ولكن فائدته محدودة.

ثالثًا: يستحسن أن يراجع أكثر من تفسير خاصة إذا كان من أهل العلم لأن هذا يساعده علىٰ تدبر الآيات وفهمها لآن كتب التفسير بعضها يكمل بعضا خاصة المنقولة عن السلف.

وقد كان الإمام ابن تيمية يرجع إلىٰ كثير من كتب التفسير في المسالة، قال رَحِمَهُ اللهُ: (**وَقَدْ طَالَعْت التَّفَاسِيرَ الْمَنْقُولَةَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَمَا رَوَوْهُ مِنْ الْحَدِيثِ وَوَقَفْت مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ الْكُتُبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تَفْسِيرٍ**)[1].اهـ..

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٣٩٤).

قلت: وخاصة الكتب التي تعتني باستنباط الفوائد والأحكام من الآيات.

رابعًا: وإذا جمع إلىٰ هذا تدبره للآيات بنفسه ومحاولة معرفة ما دلت عليه مع ما تقدم فإن هذا مفيد جدًا خاصة إذا تدارسه مع غيره..

كما جاء في الحديث الصحيح «.. **وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ....**» الحديث[١]..

ولا يخفىٰ أن كتب التفسير لا تذكر كل شيء وكتاب الله عَزَّوَجَلَّ كنز لا ينضب..

ولذا ذكر ابن القيم أن في سورة يوسف ألف فائدة، حيث قال في الداء والدواء[٢]: (**وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْفَوَائِدِ وَالْحِكَمِ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ الْأَلْفِ فَائِدَةٍ، لَعَلَّنَا إِنْ وَفَّقَ اللهُ أَنْ نُفْرِدَهَا فِي مُصَنَّفٍ مُسْتَقِلٍّ**). اهـ

وقد ذكر أهل العلم في التفسير كثير من هذه الفوائد ومما لم يذكر، فيما أعلم:

أن في سجود يعقوب بن إسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وهو نبي كريم ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ دليل علىٰ علو مكانته..

خاصة أن هذا السجود هو لابنه، فيعقوب هو الوالد، والأصل أن التعظيم يكون من الابن للوالد، فلما كان من الوالد للولد فهذا دليل آخر علىٰ مكانة هذا الولد..

هذا مع سجود باقي إخوته، خاصة إذا قيل بنبوتهم[٣]..

هذا مع ما جرىٰ عليه من الابتلاء العظيم..

وإذا ضُمَّ هذا مع ما جاء في السنة النبوية، وأعني: حديثَ أبي هريرةَ الَّذِي خَرَّجَهُ البخاري[٤]، ومسلم[٥]، من طريق: عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ «**أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَخِيَارُكُمْ فِي**

(١) مسلم (٢٦٩٩) من طريق الاعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة ابه.

(٢) [١/ ٤٨٧].

(٣) وهذا قول ضعيف.

(٤) (٣٣٧٤)

(٥) (٢٣٧٨)

الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا».. وفي رواية عبدة، عن عبيد الله: «**أي الناس أكرم**»..

ووجه الاستدلال من الحديث: قوله ﷺ: إِنَّ يوسف هو أكرم الناس، وهو مقابل قوله ﷺ جوابًا لسؤالهم عن أكرم الناس، فقال: اتقاهم، فعندما قالوا: ليس عن هذا نسألك، فظن ﷺ أنهم يريدون أن يُعَيِّنَ لهم شَخْصًا، فقال: يوسف، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، فظاهر هذا النص أن يوسف ﷺ أفضل الناس، ويخص من هذا أولي العزم بالإجماع..

قال ابن حجر: (**وَإِنَّمَا أَطْلَقَ عَلَىٰ يُوسُفَ أَكْرَمَ النَّاسِ؛ لِكَوْنِهِ رَابِعَ نَبِيٍّ فِي نَسَقٍ، وَلَمْ يَقَعْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ، فَإِنَّهُ اجْتَمَعَ لَهُ الشَّرَفُ فِي نَسَبِهِ مِنْ وَجْهَيْنِ**)[(١)].. وقال أيضًا في الفتح[(٢)]: (**وَمَعْنَىٰ قَوْلُهُ أَكْرَمُ النَّاسِ أَيْ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ مُطْلَقًا**)..

قلت: وهذا فيه نظر، وذلك أن الرسول ﷺ ظن أنهم يسألون عن أفضل الناس، فقال أتقاهم، ثم لما قالوا ليس عن هذا نسألك، ظن أنهم يريدون التعيين والتسمية، فقال: يوسف، ثم لما علم أنهم يريدون شرف النسب بين لهم، فقال: خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام، فجوابه الأول لم يكن عن شرف النسب.

والقول بهذا متوقف علىٰ النَّصِّ عليه من قِبَلِ أهل العلم، وإلا يتوقف فيه، والله تعالىٰ أعلم.

ومن تدبر القرآن أيضًا يعلم أن إسماعيل أفضل من إسحاق ﷺ، والدليل علىٰ ذلك:

أن الله تعالىٰ لم يذكر إسماعيل وإسحاق إلا وبدأ بإسماعيل أولًا، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣]..

وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]..

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥٢٨).
(٢) (٨/ ٣٦١)

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٠﴾ [البقرة: ١٤٠]..

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]..

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣]..

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ [إبراهيم: ٣٩]..

وذلك أن طريقة القرآن لا تقدم الشخص إلا لأمر، إما لكونه الأفضل وإما لكونه أقدم زمنا وهذا في الغالب..

ولذا ما ذُكِرَ موسىٰ وهارونُ عليهما السلام إلا وقدَّم موسىٰ عليه السلام، إلا ما جاءَ في سورةِ طه قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ٦٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ [سورة طه: ٦٥-٧٠]، وهذا من أجل تناسق أواخر الآيات، كما في قوله ﴿ألقىٰ، تسعىٰ، الأعلىٰ، أتىٰ، موسىٰ﴾..

وأما ما أخرج الترمذي في جامعه(١)، قال: حَدَّثَنَا خَلاَّدُ بْنُ أَسْلَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»**. قَالَ أَبو عيسىٰ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.اهـ..

---

(١) [٣٦٠٥].

قلت: وأنا أذهب إلىٰ ما ذهب إليه أبو عيسىٰ من صحة هذا الحديث، إلا لفظة: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ**»، فإن هذه الزيادة تفرد بها محمد بن مصعب، وهو منكر الحديث، ولكن يكتب حديثه، وذلك أنه أُتي من سوء حفظه، وعدم ضبطه، وكان من أهل الصلاح والخير..

وقد جاء هذا الحديث من طرق، وليس فيه هذه اللفظة فأخرجه مسلم(١)، من طريق: الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»..

ورواه أبو المغيرة، وبشر بن بكر، ومحمد بن بشر التنيسي، ومحمد بن كثير، ويزيد بن يوسف -وهو متروك- جميعهم عن الأوزاعي عنه به بهذا اللفظ..

فتبين أن هذه الزيادة منكرة، ولم يُتابع عليها محمد بن مصعب.

ومن ذلك: ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤**﴾ [التحريم: ٤].

فيلاحظ أن الله تعالىٰ بعد أن ذكر ذاته المقدسة ابتدأ بجبريل ﷺ، ثم صالح المؤمنين وهم الصحابة ﷺ، ثم ذكر بعد ذلك الملائكة ﷺ، وتقديم جبريل علىٰ غيره يدل علىٰ علو مكانته، وأنه أفضل ممن ذُكِرَ بَعْدَه، ويؤيد هذا أن الله ﷻ ذكر صالح المؤمنين بينه وبين الملائكة ولم يعطف الملائكة علىٰ جبريل والأصل أن يذكروا معه كما في قوله تعالىٰ: ﴿**يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ**﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿**تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا**﴾ [القدر: ٤].

فتبين مما تقدم تميزه ومكانته علىٰ غيره..

ويؤيد هذا ما جاء في غير ما موضع من كتاب الله المبين، منها قوله تعالىٰ: ﴿**ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ**﴾ [الحج: ٧٥].

ولا يخفىٰ أن جبريل ﷺ هو أمينه علىٰ وحيه ورسوله بينه سبحانه وبين أنبيائه من خلقه وهو كبير ملائكته..

---

(١) [٥٨].

كما أخرج أبو داود(١)، وابن خزيمة في التوحيد(٢)، وابن حبان(٣)، وغيرهم من طريق: أَبِي مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**» قَالَ: «**فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ**».

وقد رجح الدارقطني والخطيب البغدادي وقفه(٤)، وهو ظاهر صنيع البخاري حيث علقه مجزومًا به - قبل حديث [٧٤٨١] - عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله، لكن له حكم الرفع.

وفي هذا الخبر رجوع الملائكة إلىٰ جبريل عليه السلام في هذا الأمر العظيم.

وقد جاء النص علىٰ هذا صراحة في خبر آخر، ولكنه لا يصح.

أخرجه ابن أبي عاصم(٥)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة(٦)، وابن جرير(٧)، وابن خزيمة(٨)، وغيرهم، كلهم من طريق: نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، حَدَّثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زَكَرِيَّا، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرٍ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ مِنْ خَوْفِ اللهِ عز وجل، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، صُعِقُوا وَخَرُّوا سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، فَيَنْتَهِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ قَالَ أَهْلُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ بِهِمْ جِبْرِيلُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»(٩).

---

(١) [٤٧٣٨].

(٢) [١/ ٣٥٠].

(٣) [٣٧].

(٤) العلل (٨٥٢)، تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٢). وينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٤٣٤)، وفتح الباري تحت حديث (٧٤٨١).

(٥) [٥١٥].

(٦) [٢١٦].

(٧) [٢٠/ ٣٩٧].

(٨) [١/ ٣٤٨].

(٩) قال أبو زرعة الدمشقي بعد أن رواه: عرضت هذا الحديث علىٰ دحيم فقال: لا أصل له. =

ومن المعلوم مكانة الرسل وعلو منزلتهم، وجبريل أحدهم كما تقدم، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة من الكتاب والسنة.

وكما أن هذه الآية فيها تقديم صالح المؤمنين علىٰ بقية الملائكة، ففيها دليل لمن يقول بتفضيل صالح المؤمنين علىٰ الملائكة والخلاف في هذه المسألة معلوم.

تنبيه:

بعض الناس يقول عن رسول الله ﷺ بأنه أفضل الخلق، والذي ثبت في السنة قوله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم...»** أخرجه مسلم(١)، من طريق أبي عمار، قال: حدثني عبدالله بن فروخ، حدثني أبو هريرة ا فذكره، فرسول الله ﷺ لاشك أنه أفضل البشر، وأما كونه أفضل الخلق فهذا لم يأتِ النص عليه، والله تعالىٰ أعلم.

والله ﷻ عندما يذكر في كتابه العظيم (إسماعيل) و(إسحاق) في آية واحدة، فإنه يبدأ بذكر إسماعيل أولًا، وقد استُفيد من هذا أمران:

الأول: أن إسماعيل هو الأكبر، ويدل علىٰ ذلك أن الله ﷻ غالبًا يذكر قصة نوح بعد آدم، وأنه عندما يذكر أولي العزم يبدأ بنوح، وذلك لتقدمه عليهم من حيث الزمان، ولذا فإن القول المجزوم به أن إدريس بعد نوح، وليس العكس، حتىٰ قيل أن إدريس من آباء نوح، كما ذهب إلىٰ هذا جمع من أهل العلم، وهو قول أهل الكتاب، والصواب خلاف ذلك لبضعة عشر دليل ذكرتها في غير هذا الموضع(٢).

وأيضًا فإنه سبحانه عندما يذكر هودًا يذكر بعده صالح، ولا يقدم صالحًا عليه، وذلك لتقدمه زمنًا، ويعقوب يُذكر بعد إسحاق، ولهذا نظائر، ويؤكد ذلك ما في سورة الصافات في قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾ [سورة الصافات: ١٠٠-١٠١] إلىٰ أن قال: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣

= ينظر: تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ١٦١).

وعد المزي في التهذيب (٩/ ١٥٢) رواية رجاء بن حيوة، عن النَّوَّاس إنما هي من وجهٍ ضعيف.

ونص المعلمي علىٰ أنه منكر سندًا، لا متنًا.

ينظر: التنكيل ترجمة (٢٥٨) حديث رقم (٣).

(١) [٢٢٧٨].

(٢) انظر: رسالة الأدلة الصائبة علىٰ تقدم نوح علىٰ إدريس.

وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة الصافات: ١٠٣-١١٣]، **والشاهد من هذا:** أن الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن ذكر قصة الذبح قال سبحانه: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ فدل هذا على أن الذي تقدم ذكره ليس بإسحاق، فيكون هو إسماعيل[1].

الثاني: أن إسماعيل أفضل من إسحاق، ويدل على هذا أنه سبحانه لم يذكر موسى وهارون إلا ويقدم موسى، وذلك لأنه هو الأفضل، إلا في موضع واحد في القرآن، مع أن هارون أكبر سنًّا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره[2]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾، قال: **(كان هارون أكبر من موسى، ولكن إنما وهب له نبوته).**

وقال في موضع آخر[3]: حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن عيسى، ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبدالله بن أبي نجيح، عن مجاهد قال: **(لقد ذكر لي أنه كان ليأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار، ثم يصف بعضه إلى بعض، ثم يؤتى بحبالى من بني إسرائيل، فيوقفن عليه، فيجز أقدامهن، حتى إن المرأة منهن لتمصع بولدها فيقع بين رجليها، فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها، حتى أسرف في ذلك وكاد يفنيهم، فقيل له: أفنيت الناس وقطعت النسل، وإنما هو خولك وعمالك فتأمر بأن يقتل الغلمان عامًا، ويستحيوا عامًا فولد هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ في السنة التي يستحي فيها الغلمان، وولد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في السنة التي فيها يذبحون وكان هارون أكبر منه بسنة).اهـ**

---

(١) ينظر: الزهد لابن أبي عاصم (٣٩١)، تفسير ابن جرير (٢١/ ٨٦)، أخبار مكة (٥/ ١٢٦)، الذخيرة (٤/ ١٦٠)، مجموع الفتاوي (٤/ ٣٣١)، منهاج السنة (٥/ ٣٥٣)، الرد على المنطقيين (٥١٧)، مختصر الفتاوى المصرية (٥٢٣)، فتاوى السبكي (١٠٢)، زاد المعاد (١/ ٧١)، إغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٤)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢)، فتح الباري (٢/ ٣٧٨)، الفروع (٦/ ٢٨٨)، الإنصاف (١٠/ ٤١٠)، كتاب الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح وهو كتاب قيم، وقد استوفى أدلة القول الراجح.

(٢) [١٤٢٠٦].

(٣) [١٦٦٧٤].

وقال ابن جرير[(١)]: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝﴾ [مريم: ٥٣] قال: (**كان هارون أكبر من موسىٰ، ولكن أراد وهب له نبوَّته**)[(٢)].

ومن أمثلة تدبر القرآن أيضًا ما يتعلق بذي القرنين، هل هو نبي أو رجل صالح؟

علىٰ قولين لأهل العلم، وظاهر القرآن العظيم يدل علىٰ أنه نبي، وذلك في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝﴾ [الكهف: ٨٨].

وجه الاستدلال في الآية من جهتين:

الجهة الأولى: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ وهذا وحي، لأن الله عَزَّوَجَلَّ أوحىٰ إليه، فقال له: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ.....﴾، ولا يخفىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أوحىٰ إلىٰ شخص فهذا دليل علىٰ نبوته، ويؤيد هذا أن الله عَزَّوَجَلَّ قد خيره بتعذيب هؤلاء أو بتركهم، وظاهر هذا أنه قد أوحي إليه بشرع، والشرع لا يكون إلا للنبي أو الرسول.

الجهة الثانية: ظاهر التخيير أنه شرع.

الموضع الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝﴾ [الكهف: ٩٨].

وجه الدلالة: أَنَّ ذي القرنين أخبر عن شيء يقع في المستقبل، وهو أن من خلف هذا السد لا يستطيعون علىٰ الخروج منه بنقبه حتىٰ يأتي الموعد الذي حدده الله تعالىٰ، وهذا الأمر الغيبي لا يكون إلا بوحي؛ لأنه لم يقل مثلًا: (**أرجو أن لا يستطيعوا نقبه**)، أو (**لعل**)، وإنما جزم ببقاء هذا السد حتىٰ يأتي موعود الله.

الموضع الثالث: ما أعطاه الله تعالىٰ من القدرات، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝﴾ [الكهف: ٨٤]، ثم لم يقتصر علىٰ هذا الأمر فقط بالنسبة لذي القرنين، بل يضاف إلىٰ ذلك إقدار الله تعالىٰ له علىٰ بناء هذا السد العظيم، وتسليط الله له علىٰ من كان في شرق الأرض وغربها بدعوتهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ..

---

(١) [١٨/ ٢١١].

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٩٣)، وغيره.

وقد يقول قائل: إن بلقيس أوتيت من كل شيء، ولم يقل أحد أنها نبيه!، فأقول وبالله التوفيق: إن الله تعالىٰ قال عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ [النمل: ٢٣] بصيغة المبني للمجهول، بخلاف ذي القرنين، فإن الله أسند هذا لنفسه، والله أعلم.

وقد قال القرطبي في تفسيره[1]: (قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ﴾ [الكهف: ٨٦] قال **القشيري أبو نصر: إن كان نبيًا فهو وحي، وإن لم يكن نبيًا فهو إلهام من الله تعالىٰ**).

قلت: والصواب أنه وحي لأن هذا هو نص القرآن، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا﴾، ثم من المعلوم أنه لا يجوز للإنسان أن يقتل بمجرد إلهام، لأنه ما الذي يدريه لعل هذا أن يكون إلهامًا من الشيطان!.

ثم قال أبو عبدالله القرطبي: (﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]، قال **إبراهيم ابن السري: خيره بين هذين كما خير محمدًا ﷺ فقال: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢]، ونحوه.. وقال أبو إسحاق الزجاج: المعنىٰ أن الله تعالىٰ خيره بين هذين الحكمين.. قال النحاس: وردّ علي بن سليمان عليه قوله، لأنه لم يصح أن ذا القرنين نبي فيخاطب بهذا، فكيف يقول لربه عز وجل: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ٨٧]؟، وكيف يقول: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ [الكهف: ٨٧] فيخاطب بالنون؟ قال: التقدير، قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين**).اهـ

قلت: وهذا تأويل وخروج عن ظاهر النص فلا يلتفت إليه.

قال القرطبي: (أما قوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ﴾ [الكهف: ٨٦] **فيجوز أن يكون الله عز وجل خاطبه علىٰ لسان نبي في وقته، ويجوز أن يكون قال له هذا كما قال لنبيه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]**).

قلت: والثاني هو الصحيح كما تقدم؛ لأن نص القرآن هو أنه خاطبه مباشرة، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا﴾.

وقد يقول قائل: هناك من أوحىٰ الله عز وجل إليهم ومع ذلك فهم ليسوا بأنبياء، بل إن هناك من نزل عليهم جبريل وهم ليسوا بأنبياء، فما الجواب عن هذا؟

فأقول وبالله تعالىٰ التوفيق: أما الأول فالمقصود به أم موسىٰ عليه السلام، وذلك بقوله تعالىٰ:

---

(١) [١١/ ٥٢].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، فالجواب عن ذلك أنه قد نُقل الإجماع على أن الأنبياء لا يكونون إلا رجالًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩]، ولم يخالف في ذلك إلا قلة، كأبي محمد ابن حزم، وقد أخطأ[١].

ثانيًا: أن هذا الوحي لأم موسىٰ إنما هو في أمر خاص، وذلك في إلقاء موسىٰ عليه السلام في اليم، بخلاف ما حصل لذي القرنين فهو في أمر عام، وبهذا يجاب أيضًا عن الذي حصل لمريم، فإن جبريل إنما نزل عليها لأمر يختص بها، وبالله التوفيق.



---

(١) حيث ذهب أبو بكر التجيبي القبري - جد الباجي - وأبو محمد ابن حزم و أبو العباس وأبو عبدالله القرطبيان إلىٰ وقوع النبوة في جنس النساء، ولم يختلفوا في نبوة مريم، ومنهم من حصرهن في ست: حواء، وسارة، وهاجر، وأم موسىٰ، وآسية، ومريم، ومنهم من أخرج سارة وهاجر.

وهذا قول ضعيف، وقد ذكر النووي في الأذكار (١١٩) عن أبي المعالي الجويني أنَّه نقل الإجماع علىٰ أنَّ مريم ليست نبية.

وبعضهم نسبه إلىٰ أبي الحسن الأشعري، ولا أظنه يثبت عنه، إذ قال أبو العباس ابن تيمية في الصفدية (١/ ١٩٨): (وقد حكىٰ الإجماع علىٰ انه لم يكن في النساء نبية غير واحد كالقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلىٰ وأبي المعالي الجويني وخلاف ابن حزم شاذ مسبوق بالإجماع فإن دعواه أن أم موسىٰ كانت نبية هي ومريم قول لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة).

وذكر تلميذه العماد ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٥٩): «والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيًّا إلا من الرِّجال قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٩]. وقد حكىٰ الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع علىٰ ذلك».

وقال أيضًا (٤/ ٤٢٣): (الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبيةٌ، وإنما فيهن صدِّيقاتٌ).

وجاء في تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٤٢)، والتفسير البسيط (٢/ ٦٣٨) عن الحسن البصري: (لم يبعث الله من نبيا من أهل البادية).

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٩٣)، الوجيز للواحدي (١/ ٥٦٢)، النكت والعيون (٣/ ٨٨)، المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (٦/ ٣١٥)، الفصل في الملل والنحل (٥/ ١٢)، المحرر الوجيز (١/ ٤٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٢)، مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٩٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٩٧)، أنوار التنزيل (٢/ ١٦)، البحر المحيط (٢/ ٤٥٦)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٨)، فتح الباري (٦/ ٤٤٦)، اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٢١٤)، إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٥)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٦)، فيص القدير (٢/ ٥٣)، فتح القدير (٣/ ٨٢)، التحرير والتنوير (١٧/ ١٣٧).

فَصْلٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيْرِ الَّتِي يُسْتَعَانُ بِهَا عَلى تَدَّبُرِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ

من أحسن كتب التفسير التي تعين علىٰ ذلك تفسير محمد بن جرير الطبري.

قال الإمام أبو العباس ابن تيمية: **(وَأَمَّا التَّفَاسِيرُ الَّتِي فِي أَيْدِي النَّاسِ فَأَصَحُّهَا تَفْسِيرُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطبري، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ مَقَالَاتِ السَّلَفِ بِالْأَسَانِيدِ الثَّابِتَةِ، وَلَيْسَ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَا يَنْقُلُ عَنْ الْمُتَّهَمِينَ كَمُقَاتِلِ بْنِ بَكِيرٍ وَالْكَلْبِيِّ)**[1].

وهذا الذي ذكره يكاد يكون محل اتفاق بين أهل العلم إلا ما جاء عن أبي محمد بن حزم فقد قدَّم تفسير بقي بن مخلد علىٰ ابن جرير، فقال: **(وَفِي تَفْسِير الْقُرْآن كتاب أبي عبد الرَّحْمَن بَقِي بن مخلد فَهُوَ الْكتاب الَّذِي اقْطَعْ قطعا لَا اسْتثْنِي فِيهِ أَنه لم يؤلف فِي الْإِسْلَام تَفْسِير مثله وَلَا تَفْسِير مُحَمَّد بن جرير الطَّبَرِيّ وَلَا غَيره)**[2].

قلتُ: قد قال هذا أيضًا في تقديم مسند بقي علىٰ غيره، فقال: **(وَمِنْهَا فِي الحَدِيث مُصَنفه الْكَبِير الَّذِي رتبه علىٰ أسماء الصَّحَابَة رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنْهُم، فَرُوِيَ فِيهِ ألف وثلثمائة صَاحب ونيف، ثمَّ رتب حَدِيث كل صَاحب علىٰ أسماء الْفِقْه وأبواب الْأَحْكَام فَهُوَ مُصَنف ومسند، وَمَا أعْلَمُ هَذِه الرُّتْبَة لأحد قبله مَعَ ثقته وَضَبطه وإتقانه واحتفاله فِي الحَدِيث وجودة شُيُوخه، فَإِنَّهُ روىٰ عَن مِائَتي رجل وأربعة وَثَمَانِينَ رجلا لَيْسَ فيهم عشرَة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير)**[3].

وقال هذا أيضًا في تقديم مصنف بقي علىٰ غيره، فقال: **(وَمِنْهَا مُصَنفه فِي فضل الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَمن دونهم الَّذِي أربىٰ فِيهِ علىٰ مُصَنف أبي بكر بن أبي شيبَة ومصنف عبد الرَّزَّاق بن همام ومصنف سعيد بن مَنْصُور وَغَيرهَا وانتظم علما عَظِيما لم يَقع فِي شَيْء من هَذِه فَصَارَت تآليف هَذَا الامام الْفَاضِل قَوَاعِد الْإِسْلَام لَا نَظِير لَهَا وَكَانَ متخيرا لَا يُقَلِّدُ أحدًا)**[4].

قلت: وهذا فيه نظر، أما ما يتعلق بمسند بقي فقد قال ابن كثير في البداية والنهاية[5]: **(وَقَدْ فَضَّلَهُ ابْنُ حَزْمٍ عَلَىٰ مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَعِنْدِي فِي ذَلِكَ نَظَرٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مُسْنَدَ أَحْمَدَ أَجْوَدُ**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٨٤).

(٢) فضائل الأندلس وأهلها (١/ ١٢).

(٣) فضائل الأندلس وأهلها (١/ ١٣).

(٤) فضائل الأندلس وأهلها (١/ ١٣).

(٥) [١٤/ ٦٢١].

مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ هُوَ بِبِلَادِهِمْ، وَلَا وَقَعَ لَهُمْ رِوَايَتُهُ، وَلَوِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ وَوَقَفَ عَلَىٰ مَا فِيهِ لِمَا فَضَّلَ عَلَيْهِ مُسْنَدًا مِنَ الْمُسْنَدَاتِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَقِيٌّ قَدْ سَمِعَ مِنْ أَحْمَدَ جَمِيعَ الْمُسْنَدِ، وَزَادَ عَلَيْهِ، كَمَا قَدْ يَسَّرَ اللهُ مِنَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي أَلْحَقْنَاهَا بِمُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ).اهـ

قلت: وأنا أذهب إلىٰ هذا وقد تكلمت بشيء من التفصيل علىٰ ذلك في مقدمة الأربعين الثلاثية من المسند(١).

قال أبو الحسن ابن عساكر: **(فكان أكبر الكتب التي جمعت فيه مما وقع إلينا وأعلاها سندًا إلىٰ مصنفه مما حصل لدينا مسند أبي عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ...)**(٢).

وأما تقديمه لمصنفه في فضائل الصحابة علىٰ مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف عبدالرزاق بن همام، ومصنف سعيد بن منصور، فهذا فيه نظر أيضًا، وإن لم أقف علىٰ كتاب بقي.

والدليل علىٰ ذلك أن أبا محمد بن حزم لم يعتمد في كتابه المحلىٰ ولا غيره -علىٰ ما وصل إلينا- علىٰ كتب بقي، وإنما في الغالب يعتمد علىٰ كتاب البخاري ومسلم والنسائي، ومثله أبو عمر بن عبد البر، فأين كتب بقي التي أربت علىٰ غيرها؟.

وما قيل هنا: يقال أيضًا في تقديمه تفسير بقي علىٰ تفسير ابن جرير، ولولا أن ابن حزم ذكره - أي تفسير بقي - لما عُلم أصلًا أن بقي له تفسير، وذلك لعدم النقل عنه، واستفادة الأمة منه، وعلىٰ رأسهم ابن حزم..

والذي يظهر والله أعلم أن تفسير ابن جرير يقدَّم عليه، ولعل ابن حزم يقصد بالتقديم قوة أسانيده وأنها راجحة علىٰ أسانيد ابن جرير وهذا ممكن، ولكن تبقىٰ هذه جزئية، فالخصائص التي تميز بها تفسير ابن جرير كثيرة، والله تعالىٰ أعلم.

وبناء علىٰ ما تقدم يحسن الرجوع إلىٰ هذا التفسير في تدبر كلام الله، ومعرفة معانيه، ولكن هناك بعض العوائق التي قد تُصعب الرجوع إليه، منها كبر حجمه(٣).

---

(١) مقدمة الأربعين الثلاثية (٦٣).

(٢) ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد في المسند [٢٩].

(٣) مع أن المصنف قد اختصره، حيث أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلىٰ وقتنا؟، قالوا: كم قدره؟، فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنىٰ الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم، فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي التفسير قال لهم نحوًا من ذلك، ثم أملاه علىٰ نحو من قدر التاريخ. ينظر: سير أعلام النبلاء [١٢/ ٢٧٤].

ومنها ما ذكره الأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تحقيقه[1]، بقوله: (**كان يستوقفني في القراءةِ، كثرةُ الفُصُول في عبارته، وتباعُد أطراف الجُمَل، فلا يسلم لي المعنىٰ حتىٰ أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثًا، وكان سبب ذلك أنَّنا أَلِفنَا نهجًا من العبارة غيرَ الذي انتهج أبو جعفر، ولكن تبيَّن لي أيضًا أن قليلًا من الترقيم في الكتابِ خليقٌ أن يجعَل عبارته أبينَ، فلما فعلتُ ذلك في أنحاءٍ متفرقة من نسختي، وعدتُ بعدُ إلىٰ قراءتِها، وجدتُها قد ذهب عنها ما كنت أجد من المشقَّة**).اهـ

قلت: وهذا ما جعل جمعًا من أهل العلم في القديم والحديث إلىٰ محاولة اختصار هذا التفسير لتقريبه للناس..

ومنهم الابن: إسلام بن منصور بن عبد الحميد، فقام باختصاره وذلك بتجريد التفسير من كل ما فيه سوىٰ كلام ابن جرير، وضم بعضه إلىٰ البعض الآخر، مع المحافظة علىٰ عبارته ولفظه.

ولعله بصنيعهِ هذا يكون من أحسن من اختصر هذا الكتاب فجزاه الله خيرًا وبارك فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

وأخيرًا: فإني أشكر..

الدكتور: فَيْحَان بْن نايف البُصَيِّص، والشيخ: مُضْحِي بن عبيد الشَّمْرِي..

فقد أمليت عليهما كتابةَ هذه المقدمة.. وبالله التوفيق.

أملاه:

عبد الله بن عبد الرحمن السعد

١٠/ ٤/ ١٤٣٧هـ



(١) [١/ ١١].

مقدِّمةُ المؤلِّف (المُخْتَصِر)

الحمدُ للهِ القائلُ في كتابِهِ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: ٧٨]..

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، القائلِ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ**»، وجاءَ من طُرُقٍ ضَعيفةٍ «**واختُصِر لي الحديثُ اختصارًا**»..

يعني: أنَّ اللهَ ﷻ جَمَعَ له المعانيَ الكثيرةَ فِي الألفاظِ القليلةِ..

وهذا في الوحْيَيْنِ علىٰ السَّواءِ، القرآنِ والسُّنَّةِ..

وَمِنْ هُنَا اجْتَهَد العُلماءُ في بَيانِ هذهِ المعاني والفوائدِ التي يَدُلُّ عليها نَصُّ الوَحيين..

وقد كَثُرَتْ هذه المعاني كثرةً عظيمةً موزعةً بين العلوم الشرعية، أُصُوْلِهَا وَفُرُوعِهَا..

مِنْ معانٍ عقديةٍ وفقهيةٍ، إلىٰ معانٍ أُصوليةٍ ولُغويةٍ، إلىٰ غيرِ ذلكَ من المعاني في مختلَفِ العُلُومِ الشَّرعيَّةِ..

إلَّا أنَّ طالبَ العِلمِ المُنتهي، بل والمبتدي، بل والمسلمُ، لا يَسَعْهُ إلا أنْ يعلمَ أصولَ هذهِ المعاني..

أعني الحدَّ الأدنىٰ الذي ينبغي أنْ يقفَ عليه كلُّ مُسْلِمٍ من معاني الوحيين..

إلا أنَّ هذا الحدَّ الأدنىٰ المتعلِّقَ بمعاني القرآنِ قد غَرَقَ في بِحَارِ علومِ القرآنِ وكتبِ التفسيرِ المختلِفَةِ..

وَمِن هُنَا كانتِ الحَاجَةُ إلىٰ الغَوصِ في هِذِه الكتبِ لِإتْيانِ مَا لَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَعْرِفَتِهِ كلُّ مُسْلِمٍ مِنْ مَعَانٍ لا يسعُ المُكَلَّف أَنْ يَجْهَلَهَا..

وقدْ اجتهَدَ العلماءُ في مختلَفِ عصورِ الإسلامِ إلىٰ وقتِنا هذا في تَحقيقِ هذهِ الغايَةِ..

إلا أنَّ الحَاجَةَ لا تزالُ ملحةٌ رَغْمَ كَثْرَةِ التَّجارِبِ في هذا المَجَالِ..

وحتىٰ يتضحَ مَدَىٰ هَذِهِ الحاجةُ فَلابُدَّ مِنْ بَيَانِ مفهومِ الاختصارِ، وأسبابِه، وأنواعِه، وشروطِه، وفوائِدِه، وعيوبِه، وآثارِه..

ثمَّ بيانِ فائدةِ اختصارِ تفسير الطبري والحاجةِ الماسَّةِ لِذَلِكَ..

ثم بيانِ فائدةِ مختصرات الطبري الذي بين أيدينا، وخاصةً هذا المختَصَر، وَمَا الَّذي يُمَيِّزَه عَن هَذِهِ المختصراتِ، والمنهجِ الَّذي سلكتُه فِيهِ..

ولتحقيقِ بعضِ هذِه المقاصِدِ وغيرِها اطَّلعتُ علىٰ كِتابين مِن أَنفسِ ما كُتِبَ في هَذَا المَوضوعِ وهُمَا:

(**الاختصارُ في التَّفسيرِ**)، للشيخ علي بن سعيد بن محمد العَمري.

و(**التفاسير المختصرة**)، للدكتور محمد بن راشد بن محمد البَرَكَة.

وبعد الاطِّلاع عليهِمَا استخلصْتُ مِنْهُمَا بعضَ المسائلِ جَمَعْتُهَا إِلىٰ غَيرِهَا مما يتعلَّقُ بمقدِّمةِ هِذِا الكِتَابِ..

وقبل بيان هذه المسائل أود أن أنبه علىٰ أمر هام..

إن هذا الكتاب (**مختصر تفسير الطبري**) هو عملي الثالث في خدمتي لـ(**تفسير الطبري**)، وهي بحسب تاريخ التأليف:

- **الأول:** تخريج آثار تفسير الطبري كاملة، مع الحكم عليها صحةً وضعفًا، وقد نشرته دار الحديث بالقاهرة، في ١٢ مجلد.

- **الثاني:** هذا المختصر، ويقع في ثلاثة مجلدات، وفيها خلاصة التفسير.

- **الثالث:** (نوادر وفوائد من تفسير الطبري) في مجلد صغير، وفيه فوائد نادرة من التفسير، أفردتها في مصنف مرتبة علىٰ الأبواب.

وهذه الكتب الثلاثة، هي عبارة عن تدرج لقراءة تفسير الطبري، علىٰ عكس تاريخ التأليف..

فيُبدأ أولًا بـ (نوادر الفوائد)، ثم بـ (المختصر)، ثم بـ (التفسير الأصل).

والآن..إلىٰ مسائل هذه المقدمة..



الأولى: ترجمة مختصرة للإمام الطبري

لقد ترجمت للإمام ترجمة مطولة في مقدمتي ضمن خدمتي لتفسيره نشرة دار الحديث..

والآن يتناسب ذكر ترجمة مختصرة لهذا المختصَر، اختصرتها من سير أعلام النبلاء، ولمن أراد المزيد فليرجع إلىٰ الأصل.

هو مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرِ بنِ يَزِيْدَ بنِ كَثِيْرٍ الطَّبَرِيُّ..

الإِمَامُ، العَلَمُ، المجتهدُ، عَالِمُ العَصر، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَة، مِنْ أَهْلِ آمُل طَبَرِسْتَان..

مَوْلِدُه: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ (٢٢٤هـ)..

وَطَلَبَ العِلْمَ بَعْد الأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ(٢٤٠هـ) وَأَكْثَرَ التَّرحَال، وَلقِي نُبَلاَءَ الرِّجَال، وَكَانَ مِنْ أَفرَاد الدَّهْر عِلْمًا، وَذكَاءً، وَكَثْرَةَ تَصَانِيْف، قلَّ أَنْ تَرَىٰ العُيُونُ مثلَه، وَاستقرَّ فِي أَوَاخِرِ أَمره بِبَغْدَادَ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أَئِمَّةِ الاجْتِهَاد...

كتبَ بِمِصْرَ، وَرَجَعَ إِلَىٰ بَغْدَادَ، وَصَنَّفَ تَصَانِيْف حسنَةً تَدُلُّ عَلَىٰ سَعَة عِلْمِهِ..

وَقَالَ الخَطِيْبُ: مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرِ بنِ يَزِيْدَ بنِ كَثِيْرِ بنِ غَالِب: كَانَ أَحَدُ أَئِمَّةِ العُلَمَاء، يُحكم بِقَوله، وَيُرجع إِلَىٰ رأَيِه لِمَعْرِفَتِهِ وَفَضْله، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُوم مَا لَمْ يُشَارِكْهُ فِيْهِ أَحد مِنْ أَهْلِ عَصْره، فكَانَ حَافِظًا لكتَاب الله، عَارِفًا بِالقِرَاءات، بَصِيْرًا بِالمَعَانِي، فَقِيْهًا فِي أَحْكَام القُرْآن، عَالِمًا بِالسُّنَنِ وَطُرُقِهَا، صَحيحِهَا وَسَقيمِهَا، وَنَاسِخِهَا وَمَنْسوخِهَا، عَارِفًا بِأَقوَال الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْنَ، عَارِفًا بِأَيَّام النَّاس وَأَخْبَارهم، وَلَهُ الكِتَابُ المَشْهُوْرُ فِي **(أَخْبَار الأُمَم وَتَارِيْخهِم)** وَلَهُ كِتَاب **(التَّفْسِيْر)** لَمْ يصَنّف مثلُه، وَكِتَاب سَمَّاهُ **(تَهْذِيْب الآثَار)** لَمْ أَرَ سِوَاهُ فِي مَعْنَاهُ، لَكِن لَمْ يُتِمَّه، وَلَهُ فِي أُصُوْل الفِقْه وَفُرُوْعِهِ كتبٌ كَثِيْرَةٌ مِنْ أَقَاوِيل الفُقَهَاء، وَتَفَرَّدَ بِمَسَائِلَ حُفِظَت عَنْهُ..

قُلْتُ -يعني: الذهبي-: كَانَ ثِقَةً، صَادِقًا، حَافِظًا، رَأْسًا فِي التَّفْسِيْر، إِمَامًا فِي الفِقْه، وَالإِجْمَاع وَالاخْتِلاَف، عَلاَّمَةٌ فِي التَّارِيْخ وَأَيَّام النَّاس، عَارِفًا بِالقِرَاءات وَبِاللُّغَة، وَغَيْر ذَلِكَ..

قَرَأَ القُرْآنَ بِبَيْرُوْت عَلَىٰ العَبَّاسِ بنِ الوَلِيْدِ..

وَالتمسَ مِنْهُ الوَزِيْرُ أَنْ يعملَ لَهُ كِتَابًا فِي الفِقْه، فَأَلَّف لَهُ كِتَاب **(الخَفِيْف)** فَوجَّه إِلَيْهِ بِأَلفِ دِيْنَار، فَرَدَّهَا.

وَأَسْنَدَ الخَطِيْبُ عن أَبِي العَبَّاسِ البَكْرِيِّ قَالَ: جَمعتِ الرِّحلَةُ بَيْنَ ابْنِ جَرِيْرٍ، وَابْن خُزَيْمَةَ، وَمُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ المَرْوَزِيّ، وَمُحَمَّدِ بنِ هَارُوْنَ الرُّويَانِي بِمِصْرَ، فَأَرملُوا وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُم مَا يَقُوتُهُم، وَأَضَرَّ بِهِم الْجُوعِ، فَاجْتَمَعُوا لَيْلَةً فِي مَنْزِلٍ كَانُوا يَأْوونَ إِلَيْهِ، فَاتَّفَقَ رأَيُهُم عَلَىٰ أَنْ يَسْتَهِمُوا وَيضربُوا القُرْعَة، فَمَنْ خَرجتْ عَلَيْهِ القُرعَةُ سَأَلَ لأَصْحَابِهِ الطَّعَام، فَخَرَجت القرعَة عَلَىٰ ابْنِ خُزَيْمَة، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: أَمْهِلونِي حَتَّىٰ أُصَلِّي صَلاَة الخِيرَة. قَالَ: فَاندفعَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِذَا هُم بِالشُّموع وَخَصِيٍّ مِنْ قِبَلِ وَالِي مِصْر يَدَقُّ البَاب، فَفَتَحُوا، فَقَالَ: أَيُّكُم مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ؟ فَقِيْلَ: هُوَ ذَا. فَأَخْرَجَ صرَّةً فِيْهَا خَمْسُوْنَ دِيْنَارًا، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَيُّكُم مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرٍ؟ فَأَعطَاهُ خَمْسِيْنَ دِيْنَارًا، وَكَذَلِكَ للرُّويَانِي، وَابْن خُزَيْمَةَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الأَمِيْرَ كَانَ قَائِلًا بِالأَمس، فَرَأَىٰ فِي المَنَام أَنَّ المَحَامِدَ جِيَاعٌ قَدْ طَوَوْا كَشْحَهُم، فَأَنفذَ إِلَيْكُم هَذِهِ الصُّرَر، وَأَقسمَ عَلَيْكُم: إِذَا نفدَتْ، فَابْعَثُوا إِلَيَّ أَحَدَكُم.

قَالَ الخَطِيْبُ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ عبيدِ اللهِ اللُّغَوِيَّ يَحْكِي: أَنَّ مُحَمَّدَ بنَ جَرِيْر مكثَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَكْتُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا أَرْبَعِيْنَ وَرقَة.

قَالَ الخَطِيْبُ: وَبلغَنِي عَنْ أَبِي حَامِد أَحْمَدَ بنِ أَبِي طَاهِرٍ الإِسْفَرَايينِيُّ الفَقِيْه أَنَّهُ، قَالَ: لَوْ سَافرَ رَجُلٌ إِلَىٰ الصِّينِ حَتَّىٰ يحصِّلَ تَفْسِيْرَ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ لَمْ يَكُنْ كَثِيْرًا.

قَالَ الحَاكِمُ: سَمِعْتُ حُسَيْنَك بنَ عَلِيٍّ يَقُوْلُ: أَوَّل مَا سَأَلَنِي ابْنُ خُزَيْمَةَ فَقَالَ لِي: كتبتَ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيّ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قُلْتُ: لأَنَّه كَانَ لاَ يَظهر، وَكَانَتِ الحَنَابِلَةُ تمنعُ مِنَ الدُّخول عَلَيْهِ، قَالَ: بِئْس مَا فَعَلْتَ، ليتَكَ لمْ تَكْتُبْ عَنْ كُلِّ مَنْ كتبتَ عَنْهُم، وَسَمِعْتَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ.

قَالَ الحَاكِمُ: وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بنَ بَالُويه يَقُوْلُ: قَالَ لِي: أَبُو بَكْرِ بنُ خُزَيْمَة: بَلَغَنِي أَنَّك كتبتَ التَّفْسِيْرَ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، كتبتُه عَنْهُ إِمْلاَءً. قَالَ: كُلَّه؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فِي أَي سَنَة؟ قُلْتُ: مِنْ سَنَةِ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ إِلَىٰ سَنَةِ تِسْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ. قَالَ: فَاسْتعَارَهُ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ رَدَّهُ بَعْد سِنِيْنَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ نظرتُ فِيْهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِره، وَمَا أَعْلَمُ عَلَىٰ أَديمِ الأَرْضِ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ، وَلَقَدْ ظَلَمَتْهُ الحَنَابِلَة.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: تَمَّ مِنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ كِتَاب (التَّفْسِيْر) الَّذِي لَوِ ادَّعَىٰ

عَالِمٌ أَنْ يصَنِّف مِنْهُ عَشْرَة كُتُبْ، كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا يَحْتوِي عَلَىٰ عِلْمٍ مفرَد مستقصَىً لفعل. وَتَمَّ مِنْ كُتُبِهِ كِتَاب (**التَّارِيْخ**) إِلَىٰ عصره، وَتمَّ أَيْضًا كِتَاب (**تَارِيْخ الرِّجَال**) مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَإِلَىٰ شُيُوْخه الَّذِيْنَ لَقِيَهُم، وَتمَّ لَهُ كِتَاب (**لطيف القَوْل فِي أَحْكَام شرَائِع الإِسْلاَم**) وَهُوَ مَذْهَبُهُ الَّذِي اختَاره، وَجَوَّدَهُ، وَاحتجَّ لَهُ، وَهُوَ ثَلاَثَةٌ وَثَمَانُوْنَ كِتَابًا، وَتمَّ لَهُ كِتَاب (**القرَاءات وَالتنزِيْل وَالعدد**)، وَتمَّ لَهُ كِتَاب (**اخْتِلاَف عُلَمَاء الأَمصَار**)، وَتم لَهُ كِتَاب (**الخَفِيْف فِي أَحْكَام شرَائِع الإِسْلاَم**) وَهُوَ مُخْتَصَر لطيف، وَتمَّ لَهُ كِتَاب (**التبصير**) وَهُوَ رسَالَةٌ إِلَىٰ أَهْل طَبَرِسْتَان، يشرحُ فِيْهَا مَا تقلَّده مِنْ أُصُوْل الدِّيْنِ، وَابتدأَ بِتَصْنِيف كِتَاب (**تَهْذِيْب الآثَار**) وَهُوَ مِنْ عجَائِب كتبه، ابْتِدَاء بِمَا أَسنده الصِّدِّيْق مِمَّا صَحَّ عِنْدَهُ سَنَدُهُ، وَتكلَّم عَلَىٰ كُلِّ حَدِيْثٍ مِنْهُ بِعِلَلِهِ وَطُرُقه، ثُمَّ فِقْهه، وَاخْتِلاَف العُلَمَاء وَحججهُم، وَمَا فِيْهِ مِنَ المَعَانِي وَالغَرِيب، وَالرَّدّ عَلَىٰ المُلْحِدين، فَتَمَّ مِنْهُ مسندُ العشَرَةِ وَأَهْل البَيْت وَالموَالِي، وَبَعْض (**مُسْند ابْن عَبَّاسٍ**)، فَمَاتَ قَبْلَ تَمَامِه.

وَكَانَ مِمَّنْ لاَ تَأْخُذُه فِي اللهِ لومَةُ لاَئِم مَعَ عَظِيْم مَا يلحَقُه مِنَ الأَذَىٰ وَالشَّنَاعَات، مِنْ جَاهِل، وَحَاسد، وَمُلحد، فَأَمَّا أَهْلُ الدِّين وَالعِلْم، فغيرُ منكرينَ علمَه، وَزهدَه فِي الدُّنْيَا، وَرفضَهُ لَهَا، وَقنَاعته رَحِمَهُ اللهُ بِمَا كَانَ يردُ عَلَيْهِ مِنْ حصَّةٍ مِنْ ضَيعَةٍ خلَّفهَا لَهُ أَبُوْهُ بطَبَرِسْتَان يَسِيْرَة.

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: اسْتخرتُ اللهَ وَسأَلتهُ العُوْنَ عَلَىٰ مَا نويتُهُ مِنْ تصنيفِ التَّفْسِيْر قَبْلَ أَنْ أَعْمَلَهُ ثَلاَث سِنِيْنَ، فَأَعَانَنِي.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ كَامِلٍ القَاضِي: أَرْبَعَةٌ كُنْتُ أُحِبُّ بَقَاءهُم: أَبُو جَعْفَرِ بنُ جَرِيْرٍ، وَالبَرْبَرِي، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، وَالمَعْمَرِيّ، فَمَا رَأَيْتُ أَفهَمَ مِنْهُم وَلاَ أَحْفَظ.

قَالَ الفَرغَانِي: وَحَدَّثَنِي هَارُوْنُ بنُ عَبْدِ العَزِيْز: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيّ: أَظهرتُ مَذْهَبَ الشَّافِعِيّ، وَاقتديتُ بِهِ بِبَغْدَادَ عشرَ سِنِيْنَ، وَتلقَّاهُ مِنِّي ابْنُ بَشَّار الأَحْوَل أُسْتَاذ ابْنِ سُرَيْج. قَالَ هَارُوْنُ: فَلَمَّا اتَّسَعَ علمُه أَدَّاهُ اجْتِهَادُه وَبحثُه إِلَىٰ مَا اختَارَهُ فِي كُتُبِهِ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الدِّيْنَورِيّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ وَقتُ صَلاَة الظُّهر مَنْ يَوْم الاثْنَيْنِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيْهِ - فِي آخِره - ابْنُ جَرِيْرٍ طلبَ مَاءً لِيُجَدِّدَ وُضوءهُ، فَقِيْلَ لَهُ: تُؤخِّر الظُّهر تجمع بينهَا وَبَيْنَ العَصْر. فَأَبَىٰ وَصَلَّىٰ الظُّهر مفردَة، وَالعصرَ فِي وَقتهَا أَتمَّ صَلاَة وَأَحسَنَهَا. وحضرَ وَقتَ مَوْتِه جَمَاعَةٌ مِنْهُم: أَبُو بَكْرِ بنُ كَامِلٍ فَقِيْلَ لَهُ قَبْلَ خُرُوْج روحه: يَا أَبَا

جَعْفَرِ! أَنْتَ الحجَّة فِيْمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الله فِيْمَا نَدِينُ بِهِ، فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ توصينَا بِهِ مِنْ أَمر دِيْنِنَا، وَبيِّنَةٍ لَنَا نَرْجُو بِهَا السَّلاَمَة فِي مَعَادِنَا؟ فَقَالَ: الَّذِي أَدينُ الله بِهِ وَأُوصِيْكُم هُوَ مَا ثَبَّتُّ فِي كُتُبِي، فَاعمَلُوا بِهِ وَعَلَيْهِ. وَكَلاَمًا هَذَا مَعْنَاهُ، وَأَكْثَرَ مِنَ التشهّد وَذَكَرَ الله عَزَّوَجَلَّ ومسحَ يَدَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَغَمَّضَ بصَرَهُ بِيَدِهِ، وَبَسَطَهَا وَقَدْ فَارقَتْ روحُهُ الدُّنْيَا.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ كَامِلٍ: تُوُفِّي ابْنُ جَرِيْرِ عَشِيَّة الأَحَدِ لِيَوْمَيْنِ بَقِيَا مِنْ شَوَّال سَنَةَ عَشْرٍ وَثَلاَثِ مائَةٍ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بِرَحْبَةِ يَعْقُوْب - يَعْنِي: بِبَغْدَادَ -. وَلَمْ يُغَيِّر شَيْبَه، وَكَانَ السَّوَادُ فِيْهِ كَثِيْرًا، وَكَانَ أَسمر إِلَىٰ الأُدْمَةِ، أَعْيَنَ، نَحِيْفَ الجِسْمِ، طَوِيْلًا، فَصِيْحًا، وَشَيَّعَهُ مَنْ لاَ يُحْصِيْهُم إِلاَّ اللهُ تَعَالَىٰ، وَصُلِّيَ عَلَىٰ قَبْره عِدَّة شهورٍ ليلًا وَنهَارًا إِلَىٰ أَنْ قَالَ: وَرثَاهُ خلقٌ مِنَ الأدباء وَأَهْل الدِّين.

وَهَذَا (تَفْسِيْرُ) هَذَا الإِمَام مشحونٌ فِي آيَات الصِّفَاتِ بِأَقوَالِ السَّلَفِ عَلَىٰ الإِثْبَات لَهَا، لاَ عَلَىٰ النَّفِي وَالتَّأْوِيل، وَأَنَّهَا لاَ تُشْبِهُ صِفَاتِ المَخْلُوْقينَ أَبَدًا.

الثانية: الغاية من التأليف

لقد ذكرَ ابنُ حزمٍ ومِن بَعدِهِ ابنُ خُلدون سبعَ غاياتٍ ومقاصدَ للتأليفِ، كانَ مِنْهَا الاختصارُ لشيءٍ طويلٍ دونَ أنْ يخلَّ بشيءٍ مِنْ معانِيهِ..

وَسَأقتصِرُ بِذِكْرِ كلامِ الأوَّلِ دونَ كلامِ الثَّاني؛ لإجمالِه مع تحقيق الغرضِ منه، وأنَّ الثاني قد فصَّل وبيَّن ما أجملَه الأوَّلُ..

إلَّا أنَّنِي سآتِي بكلامِ الثاني في ما يَتَعلَّقُ بالاختصارِ لأهميَّتِه في مَا يتعلَّق بموضُوعِنَا..

فقال: وَإنَّما ذكَرْنَا التَّآليفَ المستحقَّةِ للذِّكرِ، والَّتِي تَدْخُلُ تَحْتَ الأقسامِ السَّبعةِ التي لا يُؤَلِّفُ عاقلٌ إلَّا في أحدِهَا، وهي:

إما شيء لم يُسبق إليه يَخترعه..

أو شيء ناقصٌ يُتِمَّه..

أو شيء مُسْتَغْلِقٌ يَشْرَحُهُ..

أو شيءٌ طويلٌ يختَصِرُه دونَ أنْ يُخِلَّ بشيءٍ من مَعَانِيه..

أو شيء متفرق يجمعه..

أو شيء مختلِطٌ يرتبه..

أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه[١]. اهـ

وقال ابنُ خلدون مفصِّلًا غرضَ التأليفِ من أجلِ الاختصار:

إنَّ الناس حصروا مقاصدَ التأليف التي ينبغي اعتمادُها وإلغاءُ ما سواها، فعدُّوها سبعةً:...

وسابعها: أن يكون الشيء من التآليف التي هي أمهاتٌ للفنون مطوَّلًا مسهبًا فيُقصَدُ بالتأليفِ تلخيصُ ذلك بالاختصارِ والإيجازِ وحذفِ المتكَرِر إن وقع، مع الحذَرِ من حذفِ الضروري؛ لِئَلا يخل بمقصد المؤلِّف الأوَّل[٢]. اهـ

ومن ذلك نعلم:

بأنَّ الاختصارَ هو نوعٌ من أنواعِ التأليفِ السَّبعةِ، وغايةٌ من غاياتِه، وأنَّ المختَصِرَ مؤلِّفٌ، وأنَّ الاختصارَ له تعريفٌ وضوابطٌ وشروطٌ.



الثالثة: تعريفُ الاختصارِ والمرادُ به

الاختصار: هو ما قلَّ لفظه وكثر معناه.. أو هو تجريد اللفظ اليسير من اللفظ الكثير مع بقاء المعنىٰ[٣].

والتفسير المختصَر: هو بيان معاني القرآن الكريم بعبارة وجيزة، وألفاظ قليلة.

ومن ذلك نعلم بأنَّ الاختصارَ لابدَّ فيه من شيئين:

الأول: هو تقليل الألفاظ، أو المباحث، والمسائل.

الثاني: مراعاة المعنىٰ الأساسي واستيفاؤه عند الاختصار.

وهاذين الأمرين ينبغي أن يكونا أمام عين المختصِر لأي كتاب، وهو ما اجتهدت فيه أثناء عملي في هذا المؤلَّف..

---

(١) [رسائل ابن حزم ٢/ ١٨٦-المؤسسة العربية].

(٢) مقدمة ابن خلدون (٣٤١).

(٣) انظر: حاشية الروض المربع (١/ ٤٥)، وحاشية إعانة الطالبين (١/ ٢٣)، والمغني لابن قدامة (١/ ٤).

وقد اشْتُهِرَ أحدُ المختصراتِ لتفسير الطبري في وقت من الأوقات، نبَّه العلماءُ علىٰ أنَّ فيه خللٌ كبيرٌ، لا يخرج هذا الخلل عن عدم تحقيق هاذين الشرطين، بالإضافة إلىٰ تحريف النص إلىٰ غير ما أراده المصنف، وغير ذلك مما سيأتي الحديث عنه أكثر إن شاء الله تعالىٰ.

الرابعة: الفرق بين الاختصار والتلخيص

يأتي التلخيص بمعنىٰ الاختصار، بل إنَّه لا يكاد يوجد في مصنفات المتأخرين إلا بهذا المعنىٰ، مع ملاحظة قلة استخدامهم التعبير بالتلخيص، حيث أن أكثر ما يستعملون هو مصطلح الاختصار..

ومثال ذلك في كتب السابقين: (**تلخيص صحيح مسلم**)، لأحمد بن عمر القرطبي، صحاب (**المفهم في شرح صحيح مسلم**).

وقد أتي في كتب السابقين بمعنىٰ آخر وهو الشرح والبيان والبسط، وقد جمع بين المعنيين الحافظ ابن حجر في (**التلخيص الحبير**)، حيث أنه مختصر من كتاب (**البدر المنير**) لشيخه ابن الملقن، حيث اختصره في ثلث حجمه، ومع ذلك فهو قد حوىٰ أيضًا شرحًا وتفصيلًا وفوائد كثيرة.

إلا أنَّ الأشهر والأكثر علىٰ أن التلخيص بمعنىٰ الاختصار.

الخامسة: الفرق بين الاختصار والتهذيب

أصل التهذيب هو تنقية كل شيء وإصلاحه وتخليصه من الشوائب أو الزوائد، وهو بهذا المعنىٰ اللغوي يتفق مع معنىٰ الاختصار..

إلا أنَّ المشهور من فعل السابقين أنهم يريدون به مع ذلك شرح بعض المواضع، وتغيير ما يلزم تغييره، بل والزيادة علىٰ الأصل، وهو بهذا المعنىٰ يتفق مع التلخيص، فكأنهم استعاضوا عن كلمة التلخيص بالتهذيب، ومثال ذلك (**تهذيب الكمال**) للحافظ المزي، وهو يزيد عن الأصل بأكثر من الضعف، مع تغيير طريقة ترتيب الكتاب، ثم جاء الحافظ ابن حجر فألف (**تهذيب**

التهذيب) اختصر فيه كتاب المزي بحذف نحو ثلثيه، وأضاف إليه إضافاتٍ وتنقيحاتٍ.

ومن هذه الكتب التي اعتنت بتفسير الطبري، وصرح صاحبها بأنها تهذيبًا وليس اختصارًا، هو كتاب (**تفسير الطبري تقريب وتهذيب**) للدكتور صلاح الخالدي، وسيأتي الكلام عليه.

أما كتابنا (**مختصر تفسير الطبري**) فهو ليس بتهذيب، بل هو اختصار بالمعنىٰ المتقدم للاختصار دون زيادة أو نقص، وسيأتي بيان منهجي فيه إن شاء الله.



السادسة: الفرق بين الاختصار وتفسير كلمات القرآن

تفسير كلمات القرآن، وإن كانَ جزءًا من تفسيره، إلا أنَّ فيه نقصًا؛ لِأنه لا يشمل بيان ما يحتاج إلىٰ بيان، من تراكيبه وجمله..

وتفسير القرآن -وإن كان مختصرًا- لابد أن يشمل علىٰ بيان معاني الألفاظ والتراكيب..

وعليه: فإن هذا النوع من المؤلفات لا ينطبق عليها معنىٰ التفاسير المختصرة، وربما كانت أكثر شبهًا بكتب (**غريب القرآن**)..

ومن هذه الكتب التي تُحسب علىٰ أنها مختصرٌ لتفسير الطبري، (**مختصر من تفسير الإمام الطبري**) لمحمد بن صمادح التجيبي (ت٤١٩هـ)، وهو أقرب إلىٰ بيان بعض المفردات وغريب القرآن عن كونه مختصرًا لتفسير الطبري، وسيأتي الكلام عنه بالتفصيل إن شاء الله.



السابعة: الفرق بين الاختصار والانتقاء

الانتقاء هو اختيار أجود مادة الكتاب، وذلك من أغراض الاختصار، ولذلك فإني وجدت بعض السابقين يجعلونهما بمعنىٰ واحد..

ومن أمثلة هؤلاء الإمام الذهبي في كتاب (**المنتقىٰ من منهاج الاعتدال**) وهو انتقاء من كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية (**منهاج السنة**)، يقول الذهبي: فَهَذِهِ فَوَائِد ونفائس اخترتها من كتاب منهاج الاعتدال فِي نقض كَلَام أهل الرَّفْض والاعتزال تأليف شَيخنَا الإِمَام الْعَالم أبي

الْعَبَّاس أَحْمد بن تَيْمِية رَحمَه الله تَعَالَىٰ[1]. اهـ

وقد اجتهدتُ بالسير علىٰ منهج في هذا الاختصار يجعله منتقىٰ، أسأل الله أن أكون قد وُفِقْتُ لذلك..

الثامنة: صور الاختصار وأشكاله

صور الاختصار في التفسير علىٰ نوعين:

الأول: التفاسير المختصرة من غيرها، بأن يعمد العالم أو المؤلف إلىٰ كتاب مطوَّل في فن من الفنون، فيقوم باختصاره بأن يحذف المكرر منه، أو ما يرىٰ أنه لا فائدة منه كبيرة، ويقلل مادته، وقد يُصلِح ما يرىٰ أنه يتعين إصلاحه وتغييره، وهذا هو الغالب من صور الاختصار في كتب التفسير، وهذا المختصر الذي بين أيدينا من ذلك.

الثاني: التفاسير المختصرة ابتداءً، وقد يكون الاختصار لا علاقة له بكتاب آخر، وإنما ألفه مصنفه ابتداءً، وهذا الشكل من أشكال الاختصار يختلف باختلاف الهدف من تصنيفه، ومن أمثلة هذا النوع كتاب الوجيز للواحدي، وتفسير الجلالين، والمنتخب..

بل ويدخل في ذلك كتاب تفسير الطبري نفسه، أصل هذا المختصر الذي بين أيدينا، فقد عمد مصنفه إلىٰ وضعه مختصرًا مما هو عنده من الآثار والأسانيد، مقتصرًا علىٰ بعضها، ومع ذلك وقع في هذا الحجم الكبير..

فقد قال الطبري لأَصْحَابِهِ: هَلْ تَنْشَطُوْنَ لتَارِيْخِ العَالَمْ مِنْ آدم إِلَىٰ وَقْتِنَا؟ قَالُوا: كم قدرُه؟ فَذكر نَحْو ثَلاَثِيْنَ أَلفِ وَرقَة، فَقَالُوا: هَذَا مِمَّا تَفْنَىٰ الأَعْمَارُ قَبْل تمَامِه! فَقَالَ: إِنَّا للهِ! مَاتَتِ الهِمَم. فَاختصرَ ذَلِكَ فِي نَحْوِ ثَلاَثَةِ آلاَفِ وَرقَة، وَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يُمْلِي التَّفْسِيْرَ قَالَ لَهُم نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَملاَهُ عَلَىٰ نَحْوِ مِنْ قدر (التَّارِيْخ)[2]. اهـ

ومثل هذا الاختصار الذي فعله الطبري، فعله البخاري، ومسلم وغيرهم، ومع ذلك فقد جاء من بعدهم واختصروا صحيح البخاري، ومسلم، وغيرهما..

---

(١) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال (١٧).

(٢) سير أعلام النبلاء(١٤/ ٢٧).

وهذا فيه رد علىٰ من أنكر فكرة اختصار تفسير الطبري، لأنه أصلًا وضعه علىٰ الاختصار..

ويرد علىٰ هذا الزعم أيضًا بما قاله أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: تَمَّ مِنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ كِتَابُ (التَّفْسِيْرِ) الَّذِي لَوِ ادَّعَىٰ عَالِمٌ أَنْ يصَنِّف مِنْهُ عَشْرَة كُتُبْ، كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا يَحْتوِي عَلَىٰ عِلْمٍ مُفرَدٍ مستقصَىً لفعل[1].اهـ



التاسعة: أقوال العلماء في الاختصار بين المجيز، والمانع، والراجح في ذلك

اختلف آراءُ العلماء والمصنفين في الاختصار بين مؤيد ورافض..

فذهب الأكثرون إلىٰ جواز الاختصار..

ويظهر ذلك في كثرة المختصرات المصنفة في شتىٰ العلوم والمعارف علىٰ مر العصور، بل إن بعض مشاهير المصنفين له ولع كبير بالاختصار:

كابن منظور صاحب (**لسان العرب**) فقد ذُكر في ترجمته أن الكتب التي علقها بخطه من مختصراته خمسمائة مجلد، فلا يُعرف كتاب مطوَّل في الأدب وغيره إلا وقد اختصره[2].

ومن المكثرين من ذلك في هذا الباب الإمام الحافظ الذهبي، حيث اختصر أكثر من خمسين كتابًا معظمها من الكتب المهمة المشهورة[3].

وقد تقدم معنا قول ابن حزم وابن خلدون، اللَّذَين تحدثا عن مقاصد التأليف التي لا يؤلف عاقل إلا فيها، عَدُّوا الاختصار أحد هذه المقاصد، مع اشتراطهم ألا يخل بمقصد المؤلف الأول..

ولا شك أن هذا القول لا يدعو أبدًا إلىٰ ترك ابتداء التأليف، بل هو مقصد من المقاصد كما تقدم.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٣).

(٢) الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٣).

(٣) سير أعلام النبلا (١/ ٤٦).

أما المانعون من الاختصار:

فإن بعضهم يرىٰ أن الاختصار هو اعتداء علىٰ الكتاب الأصلي وتشويه لجماله، وَكأنَّ المختَصِر سيذهب إلىٰ كل نسخة من الكتاب الأصل، فيختصرها في نفسها وفي نفس أوراقها، ثم يمزق باقي الكتاب، أو يحرقها، كما فعل عثمان رضي الله عنه في المصاحف، وجمعَ الناسَ علىٰ مصحف واحد، فاندثرت تلك المصاحف، ولم يبق إلا مصحف عثمان رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين، وممن يرىٰ ذلك الجاحظ، وياقوت الحموي.

وبعض المانعين للاختصار يعتبر الاختصار دليلًا علىٰ جمود الفكر والتخلف وانعدام الإبداع، فحينما عجز هؤلاء المختصرون عن التجديد والابتكار والاستنباط توجهوا إلىٰ كتب من سبقهم، وأخذوا يختصرونها، وكأن المختصر ليس له ما كتبه ابتداءً، أو أن الاختصار ليس مقصدًا من مقاصد التأليف لدىٰ العقلاء كما تقدَّم من كلام ابن حزم، وابن خلدون..

وبعض المانعين وجَّهُوا انتقادهم إلىٰ ظاهرة المتون، كاختصار المطولات، ثم جاء من بعدهم فوضع علىٰ المتون الحواشي، ثم يأتي من يشرح الحواشي، وهذا كله بسبب استغلاق المتن علىٰ المبتدئين، وهذا ليس له علاقة بموضوع اختصار التفسير، فليس لي حاجة لمناقشته هنا، إلا أني أقول: إن بعض هؤلاء استدل بكلام ابن خلدون في ذم المختصرات، وهو نفسه الذي جعل المختصرات مقصدًا وغايةً من غايات التأليف، وإنما قصد ابن خلدون بذم المختصرات كثرتها بحيث يكون إليها المنتهىٰ، والانصراف عن تفاصيل المسائل، والاستغناء بالمختصرات عنها، وكذلك يقصد ما فيها من استغلاق يشغل طالب العلم بتتبع ألفاظها وغرائبها العويصة فتتزاحم المعاني عليه..

ويذهب بعض الباحثين إلىٰ منع الاختصار الذي انتشر في العصر الحديث، ولا يشمل ذلك المختصرات القديمة التي قام بها علماء أحسنوا في الاختصار، وأنه لا يوجد في المعاصرين من يملك المؤهلات التي كان يتمتع بها هؤلاء، ومثل هؤلاء الباحثين المانعين كمثل من منع الاجتهاد بسبب فوضىٰ الفتوىٰ، فبدلًا من أن يضبط شروط المفتي منعه من الاجتهاد، فضيَّق الواسع من أجل الفوضىٰ المتسعة لأهل هذا الزمان..

والأولىٰ بالصواب هو أن الاختصار مشروع بشروط وضوابط.

العاشرة: شروط الاختصار وضوابطه

هذه الشروط والضوابط لابد منها؛ كي تتحقق السلامة من الخلل قدر الإمكان، وكلما تحققت تلك الشروط والضوابط كان الاختصار أقرب إلىٰ الاتقان والجودة، وكان القبول من حظه ونصيبة..

وأهم هذه الشروط والضوابط[(١)]:

١- الإخلاص، ومما احتسبتُه في هذا المختصر أن أُذيب هذا الحاجز الذي بين طلبة العلم وبين هذا التفسير الموسوعي الضخم، فيفتح الله بسببه كنوز هذا الكتاب، فيكون لي أجرهم يوم القيامة.

٢- الأمانة العلمية، فلا ينسب قولًا لغير قائله، ولا يُحرِّف كلامَ المصنف أو يُقوِّله ما لم يقله، ولا يحمل النص ما لا يحتمل، وأن ينسب الكتاب الأصل إلىٰ مصنفه.

٣- الكفاءة في المختصِر، فيعرض عملَه علىٰ أهل العلم لينصحوه ويقوموه، حتىٰ يكون أهلًا لذلك.

٤- حسن اختيار الكتاب الذي سوف يختصره، فيقصد إلىٰ الكتب المهمة التي تعظم الفائدة باختصارها، فليس كل كتاب جدير بالاختصار.

٥- أن يحدد المختصِر ضوابط عمله وطريقته في الاختصار، ويوضح ذلك في مقدمة كتابة، حتىٰ يمكن الحكم علىٰ عمله وتقييمه، وقد أفردت مسألة خاصة في هذه المقدمة لبيان منهجي في هذا المختصر.

٦- الإلمام بمسائل الكتاب الأصل وأفكاره الأساسية، وطريقة مؤلفه، ومنهجه، وأذكر هنا أنني كنتُ أقرأ تفسير الآية الواحدة أكثر من عشرين مرة أحيانًا قبل أن أختصره، وهذا بعد أن جردتُ قراءة الكتابَ كلَّه قبل ذلكَ أثناء تخريجي له.

٧- حذف الانحرافات الموجودة في الكتاب الأصل أو التنبيه عليها إن وجدت.

٨- إيضاح المشكل وإزالة الإبهام إن وُجِد.

٩- عدم تغيير ترتيب الكتاب المختصَر وسياقة دون حاجة لذلك.

---

(١) انظرها في مجلة البحوث الإسلامية/ قواعد الاختصار المنهجي عدد (٥٩)، (ص٣٧٦).

١٠- الاجتهاد في تكميل النقص الذي قد يكون موجودًا في أصل الكتاب، مع الإشارة إلىٰ ذلك التكميل والزيادة.

١١- البعد عن تنقص مصنف الكتاب المختصَر، أو الاستخفاف به أو بمنهجه الذي سلكه في تصنيف كتابه.

١٢- الحذر من المبالغة في الاختصار، حتىٰ لا يقود ذلك إلىٰ الغموض وعدم فهم المقصود، ونفور الناس من ذلك المختصَر.



الحادية عشر: أسباب الاختصار

هناك أسباب عامة ذات طابع شمولي يصح اعتبار كثير من المختصرات داخل ضمن دائرتها، وهناك أساب خاصة تتعلق بكل مختصر بذاته..

أما الأسباب العامة للاختصار:

١-ميل أكثر النفوس إلىٰ الإيجاز والاختصار.

٢-اختلاف العصور وما يناسب كل عصر.

وأما الأسباب الخاصة بكتاب تفسير الطبري:

١- طول الكتاب جدًا؛ لأنه موسوعة في علوم القرآن، ومعاني القرآن وبيانها ما هو إلا جزء من هذه الموسوعة، تحتاج إلىٰ استخراج، ولذلك قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: تَمَّ مِنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ كِتَاب (التَّفْسِيْر) الَّذِي لَوِ ادَّعَىٰ عَالِمٌ أَنْ يصَنِّف مِنْهُ عَشْرَة كُتُبْ، كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا يَحْتوِي عَلَىٰ عِلْمٍ مفرَد مستقصَىً لفعل[1].

٢- لقد اشتمل تفسير الطبري علىٰ عدد ضخم من الآثار الصحيحة والضعيفة والمكررة، ولم يميِّز بين ذلك كله، ولقد منَّ الله عليَّ بتخريج كل آثاره في طبعة دار الحديث بالقاهرة، والتي بلغت (٣٨٤٩٩) أثرًا، وحكمتُ عليها صحةً وضعفًا، وكان ذلك تمهيدًا لهذا الاختصار بحسب المنهج الذي سيأتي ذكره.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٣).

٣- اشتمل تفسير الطبري علىٰ خلاف أهل التأويل، واللغة، والقراءات، وغيرها من علوم القرآن، مما أثقله علىٰ كثير من طلبة العلم، وانصرافهم عنه، فضلًا عن غيرهم من المسلمين، مما تسبب في حرمانهم من كنوز هذا التفسير، فاحتيج إلىٰ عرضه بدون خلاف بحسب منهجية علمية سيأتي ذكرها.

٤- أردتُ أن يكون هناك مدخل لقراءة تفسير الطبري الأصل، فجاء هذا المختصَر من موسوعة تفسير الطبري وبألفاظه السهلة، يستطيع عوام الناس فهمَه، فيذوب بقراءته الحاجزُ الذي بينهم وبينه.

٥- النقص والنقد الشديد الذي اعترىٰ مختصرات تفسير الطبري علىٰ قلتها، كما سيأتي الحديثُ عنها.



الثانية عشر: أنواع الاختصار

الاختصار من المطولات علىٰ ثلاثة أنواع:

الأول: اختصارٌ يجمعه المؤلف من عدة كتب، يقوم المصنف بالأخذ عن كل واحد في الجانب الذي أحسن فيه، ومثال ذلك تفسير البيضاوي.

الثاني: اختصار كتاب معين، وهو علىٰ ضربين:

١- أن يضيف المختصِر بعض المسائل والفوائد.

٢- ألا يتجاوز الكتاب المختصِر الأصلَ إلىٰ غيره، فلا يضيف شيئًا من غير هذا الكتاب، وهذا ما فعلته هنا؛ فإن الهدف من هذا الاختصار هو استخراج فوائد تفسير الطبري، وفيها الكفاية.

الثالث: ما يكون من باب الانتقاء والاختيار لمسائل معينة من كتاب، فيفردها بالتصنيف، مثال ذلك (**مختصر ابن صمادح التجيبي**) من تفسير الطبري، حيث اقتصر علىٰ معاني بعض الألفاظ الغريبة، وَسيأتي الحديث عنه إن شاء الله.



الثالثة عشر: أصناف المختصرين

فقد يكون المختصِر هو المؤلف نفسه، كما هو حال المهدوي الذي اختصر كتابه في التفسير (**التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**) وسماه (**التحصيل من التفصيل**)، ومن أشهر الكتب في هذا الباب (**الدر المنثور**)، فقد اختصره السيوطي من كتابه الضخم (**ترجمان القرآن**)، وهذا النوع من المختصرات هو أفضل الأنواع وأجودها؛ لأن المؤلف هو أعلم بمقاصده، وبمواطن القوة والضعف فيه.

وقد يكون تلميذ المؤلف، أو أحد معاصريه، وهو في المرتبة التالية للذي قبله من حيث الإتقان، والجودة ومقاربة الأصل، مثال ذلك (**مدار التنزيل وحقائق التأويل**) للإمام النسفي، اختصره من تفسير معاصره الإمام البيضاوي، ومن تفسير الزمخشري، وكذلك (**الدر اللقيط**) لتاج الدين أحمد بن عبد القادر الحنفي، اختصره من كتاب (**البحر المحيط**) لشيخه أبي حيان الأندلسي.

وقد يكون المختصِر متأخرًا عن زمن المؤلف، مقاربًا لزمنه، مثال ذلك: تفسير هود بن محكم الهواري، اختصره من تفسير يحيىٰ بن سلام، وكذلك تفسير الإمام البغوي، اختصره من تفسير الإمام الثعالبي.

وقد يكون المختصِرُ متأخرًا عن زمن المؤلف كثيرًا، كحالي في هذا التفسير، وحال أغلب المختصرات في هذا العصر، وهي في المجموع أقلها جودة، بل أكثرها ليس بجيد، بل يُحذَّر منه، وما ذلك إلا أثر من آثار انحراف هذا الأمة، واعتلالها، وغيبوبتها التي طالت، واسأل الله أن يكون هذا المختصر لحظة من لحظات إفاقة هذه الأمة من غيبوبتها.



الرابعة عشر: فوائد الاختصار

لا شك أن للاختصار فوائدَ كثيرةً، إذا أُحْسِنَتْ عمليَّةُ الاختصار، وتوفَّرت الشروط والضوابط في القائم بالاختصار، وفي الكتاب المختصَر..

ومن الفوائد التي يمكن إيرادُها لاختصار تفسير الطبري غيرِ ما تقدَّم ما يلي:

١- **الإبقاءُ علىٰ الأهم**، نعم كل ما في تفسير الطبري مهم، ولكن **كان للطبري هدف وغاية من هذا السِفْر العظيم**، حاولت أن أتتبعه وأزيلَ ما يُخفيه وسطَ باقي العلوم في هذه الموسوعة،

وكان هدف الطبري وغايته في هذا الكتاب هو بيان المعاني لهذا القرآن وتفسيره، دون باقي علوم القرآن، وأنه ما أدخل باقي هذه العلوم إلا لخدمة هذا الهدف، وهذا يظهر جليًّا في تسمية الكتاب (**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**)، ولقد عبَّر الإمام الطبري عن هذا الهدف في أكثر من موطن..

فقال: **الَّذِي قَصَدْنَا لَهُ فِي كِتَابِنَا هَذَا، الْبَيَانُ عَنْ وجُوهِ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ**، دُونَ وجُوهِ قِرَاءَتِهَا. اهـ

وقال: **وَإِنْ كَانَ قَصْدُنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْكَشْفَ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ**، لِمَا فِي اخْتِلَافِ وُجُوهِ إِعْرَابِ ذَلِكَ مِنَ اخْتِلَافِ وُجُوهِ تَأْوِيلِهِ، **فَاضْطَرَّتْنَا الْحَاجَةُ إِلَىٰ كَشْفِ وُجُوهِ إِعْرَابِهِ، لِتَنْكَشِفَ لِطَالِبِ تَأْوِيلِهِ وُجُوهُ تَأْوِيلِهِ** عَلَىٰ قَدْرِ اخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي تَأْوِيلِهِ وَقِرَاءَتِهِ. اهـ

وقال: وَأَمَّا مَا يُلْزِمُ بِالْخَطَأِ قَائِلَهُ، فَقَدْ بَيَّنَّا الْقَوْلَ فِيهِ فِي كِتَابِنَا (**كِتَابُ لَطِيفُ الْقَوْلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ**) بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مَوْضِعَ ذِكْرِهِ، **لِأَنَّ قَصْدَنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْإِبَانَةُ عَنْ تَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ**، وَلَيْسَ فِي التَّنْزِيلِ لِلْخَطَإِ ذِكْرٌ فَنَذْكُرُ أَحْكَامَهُ. اهـ

وقال: وَلِأَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَسَائِلُ فِيهَا تَلْبِيسٌ كَرِهْنَا ذِكْرَهَا وَإِطَالَةَ الْكِتَابِ بِهَا وَبِالْجَوَابِ عَنْهَا، **إِذْ لَمْ يَكُنْ قَصْدُنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا قَصْدَ الْكَشْفِ عَنْ تَمْوِيهَاتِهِمْ، بَلْ قَصْدُنَا فِيهِ الْبَيَانُ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْفُرْقَانِ**. اهـ

وقال: وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مِنْ مَوَاضِعِ الْإِكْثَارِ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ الْمِيزَانَ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ، **إِذْ كَانَ قَصْدُنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْبَيَانَ عَنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ دُونَ غَيْرِهِ**، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَرَنَّا إِلَىٰ مَا ذَكَرْنَا نَظَائِرَهُ، وَفِي الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ. اهـ

٢- حَذْفُ كلِّ الآثارِ الضَّعِيفَةِ، والمكررة، والأقوال المرجوحة التي أنكرها الطبري رحمه الله تعالىٰ.

٣- سبكُ عبارة الطبري كما هي مع جمل وكلمات الآيات، بطريقة السرد، مما يسهل وييسر علىٰ القارئ الفهم، ويقرب له المعنىٰ، إن شاء الله.

٤- ذكر بعض الآثار الصحيحة غير المكررة منسوبة إلىٰ صاحبها، ولم أحتج إلىٰ تخريجها، فقد خرجتها في الأصل.

٥- تصغير حجم الكتاب وتقليله، فقد وقع هذا المختصر في ثلاثة مجلدات فقط، والأصل يقع في إحدىٰ عشر مجلدًا، غير مجلد للفهارس، يعني: أن هذا المختصر وقع في ربع الكتاب الأصل.

٦- المساعدة علىٰ نشر الكنوز التي في تفسير الطبري.
٧- أن يكون هذا المختصَر مستوىً من مستويات التدرج في قراءة كتب التفسير، وخآصة تفسير الطبري نفسه.
٨- هذا المختصَر هو حفظٌ لأصل الكتاب، وليس هدرًا له، فمن قرئه فإنما يقرأ جزءًا من الكتاب الأصل، بل هو أهم جزء في الكتاب الأصل.

الخامسة عشر: عيوب الاختصار وسلبياته

الاختصار للكتب كما أنَّ له فوائد، كذلك له عيوب وسلبيات، حاولت قدر الوسع تجنبها في هذا المختصَر..

فالاختصار قد يؤدي إلىٰ تغييب الكتاب الأصل، وقد حاولت تجنب ذلك بخدمة الكتاب الأصل، فضلًا أنني علىٰ يقين بأنَّ هذا المختصَر لن يطفيء شمس الكتاب الأصل، بل أرجو من الله تعالىٰ أن يكون سببًا في انتشاره أكثر مما هو عليه الآن.

كذلك الاختصار في الآثار والأسانيد، قد يؤدي إلىٰ دخول المعلول في الصحيح، لأنه صحيح عند المختصِر، وقد يكونُ ضَعيفًا عند غيره، وقد حاولت تجنبَ ذلك بأنني تشددت جدًا في اختيار الآثار التي أذكرها بعد أن درستُها في الكتاب الأصل، وبهذا أكون قد قللتُ الاختلاف جدًا الذي قد يقع بيني وبين غيري.

السادسة عشر: آثار الاختصار، ومنهجي في هذا المختصَر

يختلف الأثر التفسيري للاختصار بحسب طريقة المختصِر ومنهجه، وقد كان لمنهجي في هذا المختصَر أثرٌ كبير في مادة تفسير الطبري، ولذلك كان لابد من توضيح ذلك المنهج بشيء من التفصيل، وهذا ما قد حان أوانه، فأقول مستعينًا بالله في نقاط محدده:

المنهج العام في تأليف هذا المختصر:

كان المنهج العام في تأليف هذا المختصَر هو السرد، أو كما يسميه البعض طريقة تداخل الآيات في المعنىٰ، وهذه الطريقة وإن كانت تصلح لاختصار تفسير الطبري، وكذلك تفسير ابن كثير، فهي لا تصلح لغيره، كالقرطبي والرازي مثلًا؛ وذلك لأنها لا تكون إلا مع بيان المعاني والألفاظ باختصار، ولا تصلح لسرد الأحكام والفوائد الكثيرة، كما هي طبيعة تفسير القرطبي والرازي..

وطريقة السرد طريقة سهلة يسيرة جدًا، انتفعت بها أثناء قراءتي لكثير من الكتب التي سَلَكَتْهَا، سواء كانت كتب في شرح المتون الفقهية، كالروض المربع علىٰ زاد المستقنع، أو شرح المتون الحديثية، كالقسطلاني في شرحه لصحيح البخاري، أو في التفسير، كالطبري نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ..

فطريقة السرد هي نفس الطريقة التي سلكها الطبري نفسه في جُلِّ تفسيره، حينما يورد كلامَه الذي يبين به المعنىٰ قبل أن يسند الآثار التي تدل عليه، أو عباراته التي يرجح بها الخلاف الذي يحكيه عن أهل التأويل، أو علماء اللغة، أو القراءات...

فإنني علىٰ منهج الطبري نفسه سرت، بل طريقته ساعدتني كثيرًا، وكانت طريقة الطبري ملهمة لي لوضع هذا المنهج في الاختصار..

إلا أنني أعدت سبك ذلك بطريقة تسهل علىٰ قراء اليوم، وكان ذلك من خلال تنسيق الفقرات أكثر، وترتيب العبارات، ووضع الجمل من الآيات قبل معناها المراد، دون تغيير كلام الطبري نهائيًا..

ولا شك أنَّني أحيانًا أحتاج إلىٰ تغيير علامة الإعراب من «**ياء ونون**» أو «**واو ونون**» أو غير ذلك مما يقتضي سبك العبارة..

وفي كثير من الأحيان قد لا تنسبك عبارة التفسير تمامًا مع جملة القرآن المفسَّرة، ومن ثمَّ قد لا تنسبك إطلاقًا من جهة الإعراب مع الجملة القرآنية المفسَّرة، وهذا لا أعلمه شرطًا في طريقة السرد هذه، ولا أعلم أحدًا التزمَ بِها، بل لو أراد أحدٌ أن يفعل ذلك لأعجزه، ولن يستطيع؛ فإن تفسير كلام الله ليس جزءًا من كلام الله الموحىٰ به حتىٰ يكون كلا منهما منسبكًا مع الآخر تمامًا بتمام من جهة الإعراب والمعنىٰ.. وكذلك كل متن مع شرحه..

ثم جعلت فاصلة النقطتين هذه (..) في نهاية تفسير كل جملة، وجعلت كل جملة في فقرة بمفردها، فإذا انتهت الآية كانت الفاصلة المنقوطة(.)..

فإن كان هناك من فوائد زائدة علىٰ المعنىٰ، جعلتُ قبلها كذلك فاصلة النقطتين هكذا (..).

ولا أحكي ذكر خلاف في المعنىٰ إلا ما كان فيه فائدة توثيق ما رجحه الطبري وصوَّبه؛ فبالضد تتبين الأشياء..

وكذلك فإن طريقة الطبري في ذكر أدلة ما ذهب إليه ورجحه طريقة فذة ممتعة، وهي مع ذلك سهلة، فلا ينبغي أن أحرم نفسي وإخواني منها في هذا المختصر..

ولا أحكي كذلك ذكر الخلاف في المعنىٰ إن كان هذا الخلاف في معني الآية مما جعله الطبري تحتمله الآية مع ترجيح غيره عليه..

أو كانت هذا المعاني مما احتملها الطبري كلَّها، وجعلها أقوالًا تعود كلها إلىٰ المعنىٰ اللغوي، وهي غير متعارضة، بل تتداخل كلها في أصل المعنىٰ اللغوي عند العرب.

وإن أشار الطبري إلىٰ أنَّ المعنىٰ قد تقدم من قبل ولم يذكره:

حذفت هذه الإشارة غالبا، واعتمدت علىٰ أن القاريء لن يصل إلىٰ هذا الموطن المتأخر إلا وقد قرأ هذا الموطن المتقدم المشار إليه، وعرف المعنىٰ لهذه الكلمة المكررة، ثم إنني لم أرد أن أثقل الكتاب بأي هامش نهائيًا..

ومع ذلك فإني أنبه القارئ هنا، أن الطبري لم يترك كلمة واحده في كتاب الله إلا وقد بيَّن معناها، فإن طريقة الطبري ليست الطريقة الإجمالية في التفسير، بل هي الطريقة التفصيلية، وهذا هو الغالب، والنادر لا حكم له، فإذا وجد القارئ في هذا المختصر آيةً لم تدخل تحت هذا العموم، فإما أن يكون من النادر الذي تركه الطبري، وإما أن يكون مما أشار إليه الطبري أنه تقدم وأنا حذفت إشارته، وليس لهما ثالث..

وبإمكان القاريء أن يعود لما تقدم بسهولة، إذا كانت الكلمة قد تقدمت من قبل في القرآن قبل الموضع المتأخِر، وهذا يعرفه كثير من الناس..

وأما إن كان القارئ لم يبلغ هذه المنزلة، فأسأله أن يسامحني علىٰ هذا التقصير الذي اقتضاه منهجي في الاختصار ألا يكون هناك أيُّ هامش نهائيًا أشغل به القارئ وهو يستمتع بقراءة هذا المختصر، ولا شك أنه ما من منهج أو طريقة يخترعها البشر مهما كانت حسنة، إلا

ولابد أن يعتريها بعض القصور، وكلما ذهب الإنسان ليصلحه فلابد أن يكون علىٰ حساب تقصير في شيء غيره، فلا يجد إلا أن يسلِّم ببعض التقصير الذي لابد منه علىٰ قلته، في مقابل الأحسن الذي لابد منه علىٰ كثرته، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا..

ثم إن عليك أخي الحبيب أن تقرأ الكتاب أكثر من مرة، ويكون لك ورد فيه دائمًا حتىٰ تستقر المعاني القرآنية في قلبك، وحين ذلك لن تعاني من هذه المسألة..

وهي علىٰ العموم نادرة جدًا كما تقدَّم، فلا عليك.

الفوائد العقدية:

لقد تعددت الفوائد في هذا التفسير، فهو كما سبق موسوعة، إلا أن الفوائد العقدية في هذا التفسير كانت بارزة، فما تجد آية إلا ويُبرز الطبري ما فيها مما ينبغي أن يعتقده المكلَّف، فهو تفسير عقدي من الدرجة الأولىٰ، وقد جمعت بعضها في كتاب (نوادر الفوائد من تفسير الطبري). وأنصح بقراءته قبل قراءة هذا المختصر.

وأنبه هنا أنني ما تركت فائدةً واحدةً من هذه الفوائد العقدية إلا وقد حرصت أن أذكرها في موطنها المشار إليه، دون أي تغير -كالعادة - في عبارة الطبري، فإن عبارته رَحِمَهُ اللَّهُ مختصرة، وواضحة، وقوية، ومفهومة، ولا تحتمل التأويل، وهذه الخصائص والميزات في كل عباراته، وليست في هذه الفوائد العقدية فقط، ولكن عندما اختلطت هذه الميزات بخصائص مسائل العقيدة التي تتسم كذلك بالوضوح والقوة وسهولة الفهم، لا يجد الإنسان نفسه إلا مشدوهًا مِمَّا يقرأ.

الشواهد القرآنية:

اجتهدت ألا أترك شاهدًا واحدًا استدل به الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ معنىٰ أراده وقرره إلا ذكرته، ويدخل في ذلك الاستدلال بسياق الآيات.

القراءات:

أما القراءات: فإن رجَّح الطبري ما يوافق رواية حفص فَبِها وَنِعْمَتْ..

وإن رجَّح غيرَ قراءةِ حفصٍ عليها:

- ذكرتُ كلامَه مع إشارة إلىٰ ذلك من كلامِه أيضًا دون أيِّ تدخل مني، إلا ما كان من ترتيبٍ وتنسيقٍ وسبكِ الجُمَلِ والعِباراتِ، بما يتوافقُ مع مقصدِ المصنِّف رحمه الله تعالىٰ..

- أو أنني لم أشر إلىٰ كلامه مطلقًا -وهذا نادرٌ جدًا- إذا كان يتعلق بالأعلام، وما شابهها، بما لا يترتب عليه أيُّ خلافٍ في المعنىٰ أو الحُكْم بحسب كلام الطبري طبعًا، ومثال الأوَّل (ياجوج وماجوج) بدون همز، ومثال الثاني قوله (وأرجلِكم) [المائدة: ٦].

فإن لم يكن ترجيح بينهما، وكانت كلتا القراءتين صحيحتان عنده بأيهما قرأ القاريء فصواب:

- فإما أن أكتفي بقراءة حفص مع الإشارة لغيرها، وذلك إن لم يشر الطبري لفائدة فيها.
- وقد لا أذكر وجه الخلاف أصلًا ؛ لأن الطبري نفسه جعلهما متطابقتين في المعنىٰ.
- أو أذكرهما كما ذكرهما الطبري وكما وجههما، مع سلوك نفس المنهج العام للاختصار، بما لا يخل بمقصد المصنف في تفسيره، وخآصة إذا كانت لكلا القراءتين معنىٰ خاص فيه فائدة لا يتعارض مع ما دلت عليه الأخرىٰ، وهذا المسلك الأخير هو الغالب.

الآثار:

قصدتُ منها الصحيحَ دون الضعيف، معتمدًا علىٰ دراستي السابقة في تخريجي لكل آثار تفسير الطبري، ونشرته دار الحديث بالقاهرة في أحد عشر مجلدًا، مع آخر للفهارس.

ثم قصدتُ مِن الصحيحِ ما يُفَصِّلُ كلامَ الطبري ويوضِّحه ويُبَيِّنَه، دون ما يكون لفظُه بنحوه أو بِمثله من لفظ الطبري..

ثم اخترت مِن ذلكَ بعضَه إنْ كانَ مكررًا..

ثم حذفتُ سَنَدَه كلَّه إلا رأْسَه وصاحبَه..

ثم أدخلتُه في سَبِيْكَةِ المُخْتَصَر..

ويَدْخُلُ فِي هِذِه الآثَارِ المختارةِ مَا اكْتَفَىٰ بِها الطَّبَري عَلىٰ بَيانِ المَعْنىٰ دَوْنَ تَعْليقٍ مِنْه رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ يَكُوْنُ في هذا الأخيرِ مَا ضَعُفَ سَنَدُه، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ قولُ الطبري نفسُه وَلَكِن سَاقَه بِسَنَدِه عَن غَيْرِهِ.

المسائل النحوية واللغوية:

ذكرت منه كلَّ ما يُفِيدُ المعنىٰ وضوحًا، ونادرًا ما أحذف شيئًا من ذلك، بعد تعديل ما يلزم التعديل بحسب منهج الاختصار العام.

الاستدلالات بالشواهد الشعرية:

حذفت ذلك كله، ولم أذكر منه شيئًا؛ فهي الأدلة علىٰ المعاني، فاكتفيت بالمقصود وهو المعنىٰ دون أدلته من هذه الشواهد الشعرية المفيدة، ولم أجد الشواهد الشعرية تتناسب مع هذا المختصَر بوجه من الوجوه.

الأحكام الفقهية:

سلكت فيها ما سلكته في ذكر المختلَف فيه من المعاني، وزدتُ فيه أحيانًا حكاية من ذهب إلىٰ مذهب الطبري مما ذكره الطبري نفسُه، وصحَّ سَندُه، أو حكاه عن أصحاب المذاهب الأربعة وعن غيرهم بدون إسناد.

آثار أسباب النزول:

سلكت فيها المسلك الذي ذكرته في الآثار، إلا أنني جعلتها بطريقة سرد المعنىٰ لا بطريقة ذكر الأثر، وهذا ما كان يفعله الطبري نفسُه في بعض الأحيان، فجعلتُ ذلك في المختصر فِي كلِّ الأحيان.

المفردات وبيان الغريب:

جعلت ذلك جزءًا من المعنىٰ، ودمجته فيه إن كان فيه زيادة علىٰ ما ذكره الطبري، وإلا فالطبري يذكر المفردات متداخله في المعنىٰ، فإن كان في ذكر المفردات زيادة بيان وإيضاح ذكرته وسبكته في المعنىٰ، وإلا فلا.

ضبط النص:

لقد بذلت جهدي في ضبط النص بالحركات، حتىٰ يتيسر لكل قاريء أن يقرأ الكتاب قراءة صحيحة، والله وحده يعلم قدر الجهد المبذول في ضبط هذا المختصر، ومع ذلك فلابد من الخطأ في العمل البشري، ومن أجله جعل الله النصح والتناصح، وإني استنصح إخواني أن يراسلوني من خلال قنوات الاتصال المذكورة في آخر هذه المقدمة، بخصوص أي ملاحظة تتعلق بهذا الكتاب، من أجل إصلاحها في الطبعات القادمة، بإذن الله ﷻ.



السابعة عشر: جهود العلماء في اختصار تفسير الطبري

نظرًا لضخامة هذا التفسير، واتساع مباحثه، وتنوع معلوماته -مع مكانته وإمامة مؤلفه- فقد رغب بعض أهل العلم في تقريب هذا السِّفر الضخم، فعمد إلىٰ اختصاره وتهذيبه، مع أنَّ ابن جريرٍ نفسه قد ألفه مختصَرًا كما تقدَّمت الإشارة إلىٰ ذلك..

وقد ذكر ابن النديم (ت٣٨٠ هـ)[١] -وهو من أقدم المصنفين في رصد حركة التأليف- عن تفسير الطبري بأنه اختصره جماعه، ولكنه لم يذكر منهم سوىٰ ابن الإخشيد، الآتي ذكره.

بل قد تمنىٰ العالم المتفنن جلال الدين السيوطي أن يقوم باختصاره، حيث قال: قد منَّ الله عليَّ بإدامة مطالعته والاستفادة منه، وأرجو أن أصرف العناية إلىٰ اختصاره وتهذيبه، ليسهل علىٰ كلِّ أحدٍ تناوله، إن شاء الله تعالىٰ[٢].اهـ

لكن يبدو أن أمنيته هذه لم تتحقق، والعلم عند الله تعالىٰ.

أما من قام باختصار تفسير الطبري - قَبْلِي- فعلًا فهم أحد عشر وهي:

مختصرات أربعة مطبوعة متداولة، ومختصران مخطوطان، والخمسة الباقية في حكم المفقود..

أما المخطوطان فهما:

١- تحبير التحرير في اختصار تفسير الإمام ابن جرير، لمحمد بن إسحاق بن الزبير بن محمد الأنصاري الخزرجي المدني التنبكتي، وهو سلفي العقيدة، مالكي المذهب (ت١٣٦٣هـ)، وقدر ذكر الزركلي عن مختصره هذا بأنه هيء للطبع[٣].

٢- مختصر تفسير الطبري، لخالد بن عبد الرحمن العك، وهو معدود ضمن آثار المؤلف، وفي آخر كتابه (**أصول التفسير وقواعده**)، وكتب أمامه: (**قيد الطبع**)[٤]، وقد افاد الدكتور صلاح الخالدي في مقدمة تهذيبه لتفسير الطبري بأنه لم يطبع حتىٰ الآن[٥].

---

(١) انظر (الفهرست/ ٤٩٢).

(٢) طبقات المفسرين (٩٦).

(٣) انظر الإعلام للزركلي (٦/ ١٧٨/ ١٧٩).

(٤) (ص٤٨٩).

(٥) تفسير الطبري تقريب وتهذيب: (١/ ١٠).

أما المختصرات الخمسة التي في حكم المفقود فهي:

١- اختصار تفسير الطبري: لأحمد بن علي بن بيغجور، المعروف بابي بكر ابن الإخشيد، وهو من رؤساء المعتزلة وزهادهم (ت٣٢٦)(١)، وبناء علىٰ ذلك يكون هو أول من اختصر تفسير الطبري.

٢- اختصار تفسير القرآن للطبري: لابي بكر أحمد بن عبد الله بن أيوب الأموي الذهبي القرطبي، من علماء القرن الرابع، ذكره ابن بشكوال في ترجمته، ووصفه بالحسن(٢).

٣- اختصار تفسير القرآن للطبري: لابي عبد الله محمد بن أحمد بن مطرِّف الطَّرفي الكناني (ت٤٥٤هـ)(٣).

٤- مختصر تفسير الطبري: لابي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله المرِّي، المعروف بابن اللجالش (ت٤٩٠هـ)(٤)، وقد اعتمد عليه الثعالبي في نقل كلام الطبري، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، ووصفه بأنه اعتنىٰ بتهذيبه(٥).

٥- مختصر تفسير الطبري: لعلاء الدين ابي المحاسن علىٰ بن عثمان بن محاسن الدمشقي الشافعي (ت٧٣٩هـ)(٦).

أما المختصرات الأربعة المطبوعة فهو موضوع المسألة التي بعدها.



الثامنة عشر: التعريف بمختصرات الطبري المطبوعة ومؤلفيها

سيكون الكلام عليها وفقًا للترتيب الزمني، وهي كالتالي:

١ - مختصر تفسير الإمام الطبري: لمحمد بن صمادح التجيبي (ت٤١٩هـ).

وقد اعتنىٰ فيه ببيان بعض ألفاظ الغريب، فهو أقرب إلىٰ كتب الغريب، ولذلك فإنه

---

(١) الفهرست لابن النديم (٣٦٨).

(٢) الصلة لابن بشكوال (١/ ٢٤).

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي (٦/ ٢٥٨)، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٦/ ٢٢).

(٤) انظر الصلة لابن بشكوال (٢/ ٥٦٣)، وعجم المؤلفين لكحالة (٤/ ٧٧)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٢/ ٤٧٦)، وجامع الشروح والحواشي للحبشي (٣/ ٦١٤).

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (١/ ١١٨).

(٦) انظر الوافي بالوفيات (٢١/ ٣٠٧).

مطبوع علىٰ هامش المصحف، وقد ذُكِرَ ضمن مخطوطات غريب القرآن في «**معجم الدراسات القرآنية**»، وقال هو نفسه في مقدمته: إني قصدت بما جمعته في هذا الكتاب من تفسير غريب القرآن وتأويله، غلىٰ الاقتصار علىٰ الاختصار، وتفسير اللفظة الجارية علىٰ ألسنة الناس كافة، ولا المتعارفة بين أكثرهم، وتجاوزت المستعملة الفاشية التي لا تكاد يجهلها إلا من لم يؤت حظًا من علم، ولا شيئًا من معرفة.اهـ..

أما كون اسمه (**مختصر تفسير الإمام الطبري**) فليس من وضعه، وليس هناك ما يدل علىٰ أنه سماه في مقدمته بهذا.

وبهذا يتضح أنَّه بعيد عن موضوع مختصرات تفسير الطبري وإن دخل فيها باسم أُطلِق عليه ليس من وضع مؤلفه.

٢- **مختصر تفسير الطبري: لمحمد بن علي الصابوني، وصالح أحمد رضا**..

صدر الكتاب عن دار القرآن الكريم ببيروت عام (١٤٠٣هـ) في مجلدين اثنين، وجعل نص الآيات في أعلىٰ الصفحات، والتفسير في الأسفل، وذكر الصابوني في خاتمة الكتاب أنه تم الفراغ منه في: ٢٤/ ربيع الأول/ ١٤٠٢هـ..

وقد وجهت له ولغيره من مؤلفات الصابوني في التفسير انتقادات عديدة، منهجية وتفصيلية، وكُتبت عليها بعض الردود، من قبل عدد من العلماء وطلبة العلم، أوصلها الشيخ الفقيه المحدث العلامة بكر أبو زيد في رسالة له بعنوان (**التحذير من مختصرات محمد علىٰ الصابوني في التفسير**) إلىٰ (٢٢) ردًا، وأكثر هذه الردود تخص كتابه (**صفوة التفاسير**)، وبعضها علىٰ مختصريه للطبري، وابن كثير..

وقد صنف الشيخ بكر أبو زيد الأخطاء التي فيها، وكُتبت تلك الردود لإيضاحها والرد عليها، ثلاثة أصناف:

الأول: الإخلال بالأمانة العلمية.

الثاني: مسَّه عقيدة التوحيد بما ينابذها.

الثالث: جهالاته بالسنة النبوية.

وها هنا حقيقة هامة نبه عليها الشيخ بكر أبو زيد، وهي قوله: وبناء علىٰ ما تقدَّم صدر التعميم المذكور بمصادرة (**صفوة التفاسير**)، كما أوقف توزيع المختصرين. اهـ

وهذه الردود وإن كان بعضها محل نقاش، وكتب الصابوني نفسه ردًا علىٰ بعضها..

فلا ينبغي أن نبخس الرجل حقه، وأن ننكر كلَّ الجهد الذي بذله، ولكن يجب الانتباه لتلك الملحوظات والأخطاء، خصوصًا ما يتعلق بالعقيدة.

٣- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن: هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد، وعصام فارس الحرستاني.

وقد صدر في سبعة مجلدات عن مؤسسة الرسالة ببيروت سنة (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) ولا أعرف له سوىٰ هذه الطبعة.. ولم يعد الكتاب الآن موجودًا يباع، فكانت هذه هي الطبعة الوحيدة الأولىٰ والأخيرة للكتاب.

وقد أشار الدكتور بشار في مقدمته إلىٰ الجهد المبذول فيه جزاه الله خيرا علىٰ ما قدَّم وخدم به هذا الكتاب..

إلا أنَّ هناك وقفات مهمة لابد من الوقوف عندها من خلال كلامه في مقدمة الكتاب واسمه الذي سماه به، وكذلك من خلال الاطلاع علىٰ الكتاب نفسه، ومدىٰ مطابقته لِما ذُكِر في المقدمة..

قال حفظه الله في تسميته للكتاب:

تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه...اهـ

فهو يصرح حفظه الله بأن عمله (**تهذيب**) وليس اختصارًا، وقد تقدَّم معنىٰ الفرق بينهما..

وعند التدقيق في الكتاب نجد أنه لم يغير لفظ الطبري في ما انتقاه منه إلا نادرًا في ما يقتضي طبيعة هذا النوع من التأليف، فهو من حيث التطبيق اختصارٌ وليس تهذيبًا.

قال حفظه الله في بيان منهجه العام في اختصاره:

ثم أنبهني بعض أصدقائي من محبي العلم إلىٰ الفائدة العظيمة من تقديم تفسير الطبري وحده مما ورد في جامع البيان دون الآراء والأحاديث والأشعار والقراءات التي استدل بها مخالفوه أو استدل بها هو نفسه في الرد عليهم أو تقوية رأيه. اهـ

فهو يريد -حفظه الله- فصل كلام الطبري عن كَلام غيره، ثم أطلق عليه اسم (**تفسير الطبري**)، مع عدم النظر إلىٰ غرض ومقصد الطبري نفسه من تفسيره.. والصواب أن كل ما

كتبه الطبري هو تفسير الطبري سواء كان كلامه هو أو نقله عن غيره أو أسنده، وعندما ننظر إلىٰ تطبيق ذلك عمليًا في مختصر الدكتور بشار، نجد أنَّه ذكر كلام الطبري بغض النظر عن فائدة ذلك وخدمته لغرض الكتاب الذي هو مقصد الطبري نفسه، وكأن الهدف من هذا المختصر هو فصل كلام الطبري عن الأدوات والوسائل التي خدمت هذا الكلام، بعيدًا عن غرض المصنف في تأليف الكتاب الذي تقدَّم ذكره، ولم أجد الإشارة إليه من كلام الدكتور بشار في مقدمته ولا في ثنايا الكتاب.

كذلك يشير الدكتور بشار حفظه الله إلىٰ أنَّ من منهجه العام في هذا المختصر حذف كلِّ الآراء والأحاديث والأشعار والقراءات التي أستدل بها الطبري نفسه أو استدل بها مخالفوه..

وبالنظر عمليًا إلىٰ تطبيق ذلك في كتابه، وجدتُ أنه يذكر رأي الطبري وغيره دون ذكر الأدلة، لأنه اعتبر ذلك من كلام الطبري، والأدلة ليست من كلامه، وكان الأولىٰ بالاختصار المناسب لغرض الطبري في تأليفه لهذا الكتاب، هو الاقتصار علىٰ ما رجحه الطبري فقط، مع ذكر شيء من دليله عليه، وشيء من الرد علىٰ مخالفه، فبالضد تتبيَّن الأشياء، ولكن هذا الخلل نشأ عن عدم الانتباه لغرض الطبري في التفسير، وإن فكرة مختصر الدكتور بشار قائمة علىٰ اعتبار أن كل ما نقله الطبري عن غيره ليس من تفسيره، وأن تفسيره هو ما قاله بنفسه، وفصل ذلك عن غرض ومقصد الطبري من التفسير.

كذلك لم يتعرض الدكتور بشار إلىٰ منهجه في ما يكون من اختلاف التنوع في هذا التفسير، وهو كثير، وبالاطلاع علىٰ الكتاب وجدته لا يفرق بين ما ذكره الطبري من اختلاف التنوع أو اختلاف التضاد في المعاني والقراءات واللغة وغيرها، وأنه يذكر ذلك كلَّه بدون أي اختصار طالما أنه من كلام الطبري.

قال الدكتور بشار حفظه الله في بيان سبب إقباله علىٰ هذا المختصر:

وقد شجعني علىٰ المضي في هذا العمل ما رأيته من صنيع بعض من اختصر الكتاب وهذبه في إبقائه علىٰ الآراء المختلفة والاقتصار علىٰ اختصار الاسانيد وبعض الاشعار، أو اختصاره اختصارًا مجحفًا أخرجه عن قصده. اهـ

فهو يبين أنَّ سبب اختصاره لتفسير الطبري عدم إيفاء المختصرين له من قبل وخروجهم عن مقصود الكتاب..

ولكنه لم يذكر المقصود من الكتاب، وكيف سيحققه في هذا المختصر، كما أنه لم يذكر شيئًا من المختصرين لهذا الكتاب قبله غير هذا.

قال حفظه الله في بيان شيء من التفصيل أكثر في منهجه:

من هنا أزمعت علىٰ تقديم (**تفسير الطبري**) وحده بعيدًا عن الآراء والاستشهادات الكثيرة المتباينة في التفسير، وعُنيت بهذا الأمر عناية شديدة بحيث يأتي الكتاب لطيفًا في حجمه، مستوعبًا لجميع ما توصل إليه المؤلف من تأويل. اهـ

وهنا يصر حفظه الله ويؤكد علىٰ اعتبار أن كل ما نقله الطبري ليس من كلامه، وأنَّ عمله في هذه الاختصار هو فصل كلام الطبري بعيدًا عن أي شيء آخر.

اعتبر كذلك أنَّ كلَّ ما سيذكره الطبري من الآراء متباينة، أو علىٰ الأقل لم يذكر ما الذي سيفعله في الآراء المتنوعة الكثيرة التي ترجع إلىٰ قولٍ واحد، وهذا -والله أعلم- مبني علىٰ الخطأ الأول المشار إليه من قبل، وهو الفكرة التي قامت عليها هذا المختصر، البعيدة من غاية ومقصد الطبري في مصنَّفِهِ.

ثم وصف حجم الكتاب بأنه لطيف، مع كونه في سبع مجلدات، وأصل تفسير الكتاب كما في طبعة دار الحديث التي خدمتُها أحد عشر مجلدًا بدون مجلد الفهارس، مع أنه كما ذكر في مقدمته اقتصر علىٰ كلام الطبري فقط، ولكنَّ كلام الطبري نفسه بحسب مصطلح الدكتور بشار يحتاج لاختصار.

ثم قال حفظه الله مبينًا منهجه في تعامله مع ما لم يرجحه الطبري فقال:

لذلك حذفت التفاسير التي نقلها ولم يرضها وتوصل إلىٰ ما يخالفها، واسقطت معظم ما استشهد به هو أو مخالفوه من الشواهد الشعرية واللغوية.. اهـ

فلم يبين حفظه الله منهج هذا الحذف، ولكن بالنظر في الكتاب وجدت بأنه لا يحذف شيئًا من ذلك طالما أنَّه من كلام الطبري، ويحذف كل ما دون ذلك طالما أنه ليس من كلام الطبري مباشرة ولكنه نقله أو أسنده، يعني أنه يذكر الأقوال الأخرىٰ كلَّها التي خالفها الطبري وجعلها مرجوحة، ولكنه حذف أدلتهم، وأدلة الطبري التي اعتمد عليها في الترجيح.

كذلك لم يبين متىٰ سُيبقي علىٰ الشواهد الشعرية، ومتىٰ سيحذفها، فلم يبين منهجه في هذا الانتقاء..

إلا أنه بالنظر في الكتاب وجدته سلك منهجًا تنازليًا، كلَّما اقترب من نهاية الكتاب قلَّت الشواهد والتعليقات، حتىٰ كأنها انعدمت في نهاية الكتاب.

وقال حفظه الله مبيِّنًا منهجه في ما يتعلق بالأحاديث والآثار:

وأهملت معظم ما استند إليه من الأحاديث والآثار إذ أن في كلامه الذي ارتضاه خلاصة لها، إلا في القليل النادر الصحيح منها، وإلا فإن الغالب علىٰ ما ساقه من الأسانيد عدم الارتقاء إلىٰ مراتب الصحة القاطعة. اهـ

وتتلخص هذه الفقرة في:

- إهماله لمعظم الاثار استغناءً بكلام الطبري في خلاصتها، ولم يذكر ما الذي سيفعله في الآثار التي استغنىٰ بها الطبري عن الكلام، وبالنظر إلىٰ المختصر وجدت أنه لم يشر إلىٰ ذلك، ويحذف الأثر.

- استثنىٰ من عدم حذف الآثار القليل النادر الصحيح منها، ولم يبين المستثنىٰ منه، ولم يوضحه، ولم يبين منهجه في ذكرها، فلا أدري هل معناه أنه سيذكر كلَّ الصحيح، أم سيذكر بعضه، وبالنظر إلىٰ المختصر وجدته يذكر بعضه نادرًا ويقتصر في ذلك علىٰ المرفوع دون غيره.

- قرر حفظه الله أن الآثار الصحيحة في كتاب الطبري نادرة جدًا، وأتىٰ بعبارة لم أفهم معناها، وهي (**عدم ارتقائها إلىٰ مراتب الصحة القاطعة**)، فلا أدري ما الذي يعنيه بقوله (**الصحة القاطعة**)، فهل يعني بذلك الصحيح بيقين، وأراد أن يخرج بذلك الآحاد؟ أم أراد بذلك ما لا نستطيع أن نحكم بصحته قطعًا؟ فلعل الثاني هو الأقرب..

أما اعتبار أنَّ الآثار الصحيحة في الطبري نادرة، فهو قول لا شك في أنه غير صائب، فقد بلغت مجموع آثار الطبري كلها (٣٨٤٩٩) بحسب طبعة دار الحديث التي خدمتُ تفسيرَ الطبري الأصل من خلالها، كان عدد الآثار الضعيفة (١٧٤٨٥)، وكان عدد الآثار الصحيحة (٢١٠١٤)، وهذا مع أنني ضعفت آثار ابن عباس من طرق صححها غيري وهي كثيرة، وضعفت آثار السدي لأنها من طريق أسباط، وهي كثيرة أيضًا، وضعفت آثار ابن إسحاق التي ليست في ابن هشام أو في سيرته هو؛ لأنها من طريق ابن حميد شيخ الطبري، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية صريح في أن تفسير الطبري هو أصح التفاسير، فكيف يكون الصحيح فيه نادرًا؟!

ثم نقل اتِّبَاعه للعلامة المحقق الجليل الاستاذ محمود شاكر في ما توصَّل إليه اجتهاده في سبب إيراد الطبري للأسانيد الواهية فقال:

إنَّ استدلال الطبري بالآثار الواهية التي يرويها بأسانيدها لا يراد بها إلا تحقيق معنىٰ لفظ أو بيان سياق عبارة.. من أجل هذا الاستدلال لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه، فهو لم يسقها لتكون ميهمنة علىٰ تفسير آيا لتزيل. اهـ

وتتلخص هذه الفقرة في:

- أن العلامة المحقق محمود شاكر اجتهد في بيان سبب ذكر الإمام الطبري للآثار الضعيفة في التفسير، وإسناد هذا للمحقق محمود شاكر صحيح بلا شك، وهو موجود بنصه في مقدمته علىٰ التفسير، ولكن الدكتور بشار نقله بمعناه، فاخطأ في بعضه وأصاب في بعضه، كما سيأتي بيانه.

- ذَكَر الدكتور بشار أنَّه متَّبِع للمحقق محمود شاكر أن سببَ إيراد الإمام الطبري الآثار الضعيفة هو أنَّه يستدل بها علىٰ تحقيق معنىٰ لفظ أو بيان سياق عبارة كاستدلال المستدل بالشعر..

وهذا يرد عليه أمور كثيرة، منها:

أنَّ الطبري لا يستدل بالآثار غير المرفوعة أصلًا، لا بصحيحها ولا بضعيفها؛ لأنَّ الحجة ليس في قول أحد غير الوحي بشقيه القرآن والسنة، ومنه نعلم خطأ قول المحقق محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مقدمته بنصه: (**أحببت أن أكشف عن طريقه الطبري في الاستدلال بهذه الروايات**)..

فإن قيل: فما الذي أراده الطبري من ذكر الآثار؟

أجيب: بأن الطبري يذكر الآثار غير المرفوعة وأكثرها صحيح -كما تقدَّم في الإحصاء الناتج عن دراسة لكل آثار الطبري- من أجل نسبة الأقوال لقائليها، ولذلك يقول: ذكر من قال بهذا القول، ثم يذكر الآثار، ولم يقل: ذكر أدلة من قال بهذا القول، فهذه الآثار ليست أدلة كالشعر، بل الشعر في ذاته دليل، أما الأثر الغير مرفوع فهو دليل علىٰ نسبة هذا القول لقائله فقط، ثم يبقىٰ بعد ذلك البحث في قول هذا القائل حجة أم لا؟ فإن كان هذا الأثر صحيحًا ينظر بعد ذلك لقائله، فإن كان قائله النبي ﷺ، نظر في الاستدلال به، وهو حجة في عمومه، لأنه وحي، ويبقىٰ الخلاف في الاستدلال به علىٰ الآية، هل يصح الاستدلال به أو لا يصح، وإن كان

هذا الأثر صحيحًا وليس هو من قول النبي ﷺ، فهو منسوب لقائله، حتىٰ وإن لم يكن حجة..

فإن قيل: فما فائدة تلك الآثار غير المرفوعة الدالة علىٰ نسبة الأقوال لقائليها إذا كانت ليست بحجة؟

قيل: هي ليست بحجة من وجه، وهي حجة من وجه آخر..

فهي حجة لكونها لا يجوز الخروج عن أقوال قائليها إلىٰ قول يخالفهم، فإن اختلفوا علىٰ قولين فلا يجوز إحداث ثالث يخالفهم، وإن اختلفوا علىٰ ثلاثة أقوال فلا يجوز إحداث قول رابع يخالفهم، وهكذا.. والطبري مهما ذكر من أقوال مسندة لقائليها فلا يخرج في ترجيحه عن أحدها، أو يرجحها جميعًا إن كانت ترجع لأصل واحد ويَعُدُّهَا من اختلاف التنوع..

وفي نفس الوقت هي ليست بحجة، يعني أنَّه ليس أحد القائلين المسند إليهم هذه الأقوال حجة علىٰ صاحبه، ولكن الحجة فيهم جميعًا، لأن اختلافهم إجماع، لا يجوز الخروج عن أقوالهم، لأنهم مع اختلافهم قد اجتمعوا علىٰ خلاف غيرهم..

وهذه المسألة محلها كتب الإجماع، ولكنني بيَّنت هنا ما أراه كافيًا في بيان المسألة، ومن أراد التفصيل والاستزادة فليرجع إلىٰ كتاب الإجماع في التفسير لعمار بن محمد الجماعي، وكتاب آخر بنفس العنوان للدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري.

- ذكر الدكتور بشار نقلًا عن المحقق الشيخ محمود شاكر: أن الطبري لم يبال بما في الإسناد من وهن.. وهذا النقل بالمعنىٰ لم أجد له ما يستدل به علىٰ نسبته للشيخ المحقق رَحِمَهُ اللَّهُ..

وكلمة **(لم يبال بما في الإسناد)** يرد عليها ما تقدَّم من توضيح بأنَّ أكثر الآثار في الطبري صحيحة، وإن كان الضعيف فيه أيضًا كثير، وأنَّ كلَّ أثر في الطبري سواء كان صحيحًا أو ضعيفًا له أهميته في نسبة القول لقائله الذي هو حجة بوجه وغير حجة بوجه كما تقدَّم، فكيف يقال علىٰ الطبري أنَّه **(لم يبال بما في الإسناد من وهن)**؟!

والمتدبر المتطلع علىٰ تفسير الطبري جيدًا يجد أن الطبري وإن كان لا يتكلم علىٰ رواية رواية في التفسير، إلا أنَّ أهل النقد يعرفون ذلك بسهولة وخاصة في زمنه، بالإضافة إلىٰ أنَّه قد يقف علىٰ بعض الروايات ويبين علَّتها وخاصة إذا كان الأثر مرفوعًا.

- تقريره بأن أسانيد الآثار الضعيفة الموجودة في تفسير الطبري ليست مهيمنه علىٰ آي

التنزيل الكريم.. والحقيقة أنه ليست الآثار الضعيفة ولا الصحيحة مهيمنه علىٰ الوحي بقسمية القرآن والسنة، ولم يقل أحدٌ بذلك من أهل العلم، وهذا الكلام ليس هذا محله أصلًا؛ لما تقدَّم.

ثم قال الدكتور بشار حفظه الله:

وهذا المنهج الذي انتهجته هو الذي حدا بي إلىٰ وسم هذا الاختصار بـ(**تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن**) ليكون دالا علىٰ اقتصاره علىٰ كلام الطبري وما ارتضاه من تأويل لكل آية.اهـ

ولكن الدكتور بشار في طريقة عرض التفسير وسرده في المختصر لم يسلك منهجًا واحدًا، فمره يعرض تفسير بعض آية، بعد أن يضعها أولًا بخط مميز، وأحيانًا يذكر آية واحدة، وأحيانًا كثيرة يذكر عدة آيات جملة واحدة، ثم يذكر تحتها التفسير إجمالا في جملة واحدة.

ثم قال الدكتور بشار في ما يتعلق بالقراءات:

وحذفنا الاستدلالات التي ساقها المؤلف لإثبات صحة قراءة عاصم... وفي الوقت نفسه أبقينا علىٰ القراءات التي رجحها الطبري علىٰ هذه القراءة وما استدل به من الاستدلالات العلمية النفيسة في إثبات رجحانها. اهـ

- يقرر هنا حفظه الله أنه حذف الاستدلالات التي ساقها المؤلف لإثبات صحة قراءة عاصم.
- يقرر كذلك أنه أبقىٰ علىٰ القراءات التي رجحها الطبري مع أدلته.

والحقيقة أن ثبوت قراءة عاصم أو غيرها من أصحاب القراءات لا تحتاج لإثبات أكثر من مجرد نسبتها إليهم بالأسانيد المعروفة لدىٰ القراء، وهذا لا يورده الطبري أصلًا في تفسيره حتىٰ يُحذف، بل الذي يورده أنَّ هذه القراءة قرأ بها فلان وفلان، وهذا لا يحتاج لدليل حتىٰ يورده، فلا أدري ما المقصود بحذف أدلة قراءة عاصم أو غيرها؟!

ولم يشر الدكتور حفظه الله ما الذي سيفعله عند ترجيح الطبري لغير رواية عاصم، أو عندما يساوي الطبري بين كل الروايات ويجعل كلَّ قارئ لأي من هذه القراءات مصيب..

وهذا الكلام الذي ذكره الدكتور كله يتعارض مع تقريره أولًا أنه سيحذف ما يتعلق بالقراءات..

إلا أنه بالرجوع إلىٰ المختصر وجدت نفس الأمر القائم علىٰ القاعدة الرئيسية في هذا المختصر وهو ذكر ما قاله الطبري بنفسه وحذف ما دون ذلك، وهذا جعله يذكر أشياء كثيرة متعلقة بالقراءات وتوجيهها تخرج بالمختصر عن مقصوده.

ثم ذكر الدكتور بشار قبل خاتمة المقدمة شيئا يتعلق بالناسخ والمنسوخ فقال:

ولأبي جعفر آراء سديدة في مسائل الناسخ والمنسوخ، إذ هو من الذين لا يرتضون القول بالنسخ إلا بدليل واضح بين... لذا رأينا من المفيد النافع الإبقاء علىٰ كثير مما أثبته ودلل عليه في هذا الشأن لما فيه من الفوائد والعوائد. اهـ

ولم يذكر كذلك منهجه في ذلك، وما الذي سيبقيه أو سيحذفه، ولكن يفهم منه أنَّه سيشير إلىٰ قول الطبري في أن هذه الآية منسوخه، مع أنَّ هذا يدخل ضمن كلام الطبري الذي نبه أنه سيقتصر عليه في مختصره، وبالرجوع إلىٰ تفسير الطبري الأصل، وبالنظر إلىٰ تفسير كثير من الآيات في مختصر الدكتور لم أجده أشار إلىٰ شيء من ذلك، وانظر علىٰ سبيل المثال تفسير الآية رقم (١٩٤) من سورة البقرة، فقد صرح هناك الطبري بأن قوله تعالىٰ ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ منسوخة، ولم أجد الدكتور أشار إلىٰ ذلك مطلقًا.

وأخيرًا أشار الدكتور إلىٰ عمل صاحبه في المختصر فقال:

وقد رأيت من المفيد لهذا الكتاب أن يشاركني في العمل به صديقي الفاضل الأستاذ عصام فارس الحرستاني.. اهـ

ولم يذكر ما الذي قام به هذا الأستاذ الفاضل في هذا المختصر.

وأخيرًا فإني أنبه علىٰ:

أنَّ الجهد المبذول في هذا المختصر في الوقت الذي كُتِب فيه جهدٌ مشكورٌ لا يُنكر.

٤- تفسير الطبري تقريب وتهذيب.

للدكتور صلاح بن عبد الفتاح الخالدي، وقد صدر عن دار القلم بدمشق سنة (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م) في سبعة مجلدات ضخمة..

وهذا الكتاب قد صرح مؤلفه تصريحا واضحًا بأنه تهذيب، قرأ تفسير الطبري ثم عبر عن ذلك بأسلوبه هو..

فهو ليس محلًّا للنقد هنا، لأنه ليس بمختصر لتفسير الطبري، بل هو كتاب جديد احتوىٰ علىٰ ما في تفسير الطبري، ولكن بصياغة جديدة بحسب ما فهمه المؤلف من كلام الطبري...

ومحل النقد لهذا هو النقد لفكرة التهذيب، وهذا ليس له علاقة بالمختصر.

والحاصل بعد هذا العرض:

أنَّ هذه الكتب الأربعة الأخيرة قد بَذَل صانعوها جهدًا يحمدون عليه، إلا أنَّ التقصير والجمود من طبيعة البشر، والتوفيق والهداية والرشاد إنما هو من الله وحده، وما أبريء نفسي.



التاسعة عشر: إسنادي المتصل للإمام الطبري.

لقد أجازني سماحة الشيخ المحدث عبد الله بن عبد الرحمن السعد -حفظه الله- بالإسناد المتصل إلىٰ الطبري، وكذلك الشيخ المحقق نظر الفاريابي، حفظهما الله..

وهذه صورة إجازة سماحة الشيخ المحدث عبد الله السعد، مختومة بختمه، وهي أعلىٰ من سند الشيخ نظر باثنين، ثم يتصل الإسنادان عند زين الدين، الراوي عن ابن حجر.

الإسناد (١)

إلى تفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى

من طريق فضيلة الشيخ العلامة المحدث/ عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد حفظه الله تعالى

يروي فضيلة شيخنا المحدث عبد الله بن عبد الرحمن السعد (تفسير الإمام أبي جعفر الطبري) رحمه الله تعالى إجازة عن المشايخ إسماعيل الأنصاري وحماد الأنصاري وعبد الله ابن عقيل وغيرهم ثلاثتهم، عن عبد الحق الهاشمي، عن أحمد بن عبد الله البغدادي، عن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

(ح) ويرويه شيخنا عبد الله السعد إجازة عن الشيخ: حمود التويجري، عن عبد الله العنقري، عن حمد بن فارس، عن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عن جده، عن عبد الله بن إبراهيم بن سيف، عن أبي المواهب الحنبلي، عن النجم الغزي، عن أبيه البدر الغزي عن زكريا الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر قال: أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المهدوي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي الحسن علي بن محمود ابن الصابوني وأبي القاسم عبد الرحمن بن مكي في آخرين قالوا أنبأنا أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي إجازة مشافهة أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن الحطاب الرازي إذنا عن أبي الفضل محمد بن أحمد السعدي عن الخصيب بن عبد الله بن الخصيب سماعا عن أبي محمد عبد الله بن محمد الفرغاني أنبأنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري به.

(ح) وقال ابن حجر: وبه عن عبد الرحمن بن مكي عن أبي القاسم بن بشكوال أنبأنا عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أنبأنا أبي أنبأنا أبو المظفر عبد الرحمن بن مروان القنازعي أنبأنا أبو الطيب أحمد بن سليمان الجريري أنبأنا الطبري به.

نص الإجازة

هذا وقد أجزتُ الشيخ: (إسلام بن منصور بن عبد الحميد) بما (طلبه) خاصة، وبكل ما تصح لي روايته إجازة عامة وبجميع مؤلفاتي، وأثباتي بشرطها المعتبر عند أهل الحديث والأثر، ولا أسمح لأحد أن يروي عني كتب أهل البدع، وأبرأ إلى الله من رواية كتبهم. وإني لأوصي نفسي والمجاز بتقوى الله في السر والعلن والتمسك بالكتاب والسنة الصحيحة بفهم سلف هذه الأمة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجيز

عبد الله بن عبد الرحمن السعد

وكتب بمدينة الرياض يوم ٢٢ / ٤ / ١٤٢٧

شهد على صحة الإجازة أحمد بن عبد الرزاق بن محمد آل إبراهيم العنقري ٢٢/٤/١٤٢٧هـ

(١) حرره أحمد بن عبد الرزاق آل إبراهيم العنقري :و قال محرره: هذا يسمى وصل الإسناد إلى نقطة التلاقي مع راوي النسخة وليس يسمى إسناد النسخة كاملا. وقد يصل لنا الكتاب بالسماع الكامل إلى يومنا هذا كصحيح البخاري وغيره، وقد يكون لبعضه ووصله بالإجازة، والرواية قد تكون ممن سمع من راوي النسخة فنوصل الإسناد من خلاله عن راوي النسخة. وإذا لم يسمع فنوصل بإجازة راوي النسخة لتلامذته، وإذا لم نعثر على تلامذة راوي النسخة وصلنا الإسناد من طرق أخرى تلتقي مع المصنف. كما لا يخفى على أهل الحديث ممن اشتغل بذلك.

وإني أشكر الأخ الكريم الأستاذ: **أحمد بن إبراهيم العنقري**؛ فقد كان شاهدًا علىٰ هذه الإجازة، وغيرها من إجازات الشيخ عبد الله السعد لي، فجزاه الله خيرًا، وجعل ما يبذل من خدمة إخوانه في ميزان حسناته.

وهذا إسنادي من طريق الشيخ نظر حفظه الله

١- فإني أروي تفسير الطبري عن الشيخ محمد بن نظر الفاريابي إجازة مكتوبةً لي خاصة قال فيها:

٢- أرويه عن شيخي وأستاذي العلامة، مؤرخ اليمن وعلم من أعلامها فضيلة الشيخ القاضي إسماعيل بن عليّ الأكوع رَحِمَهُ اللَّهُ وأدخله في جنات الفردوس..

٣- عن شيخه ثابت بن سعد بهران اليمنيّ (ت١٤٠٠هـ).

٤- عن حسين بن عليّ العُمَريّ الصنعانيّ (ت١٣٦١هـ).

٥- عن إسماعيل بن محسن بن عبد الكريم اليمنيّ (ت١٣٠١هـ).

٦- عن محمّد بن عليّ بن محمّد الشَّوكانيّ (ت١٢٥٠هـ).

٧- عن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكَوْكَبانيّ، اليمنيّ (ت١٢٠٧هـ).

٨- عن السيد سليمان بن يحيىٰ بن عُمَر الأهدل (ت١١٩٧هـ).

٩- عن محمد حياة بن إبراهيم السِّنديّ، المدنيّ (ت١١٦٣هـ).

١٠- عن جمال الدين عبد الله بن سالم البصريّ، المكيّ (ت١١٣٤هـ).

١١- عن محمّد بن علاء الدين صالح بن عليّ البابليّ، القاهريّ (ت١٠٧٧هـ).

١٢- عن سالم بن محمّد السّنهوريّ (ت١٠١٥هـ).

١٣- عن زين الدين زكريا بن محمّد الأنصاريّ القاهريّ (ت٩٢٦هـ).

١٤- عن شهاب الدين أحمد بن عليّ ابن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ).

١٥- عن أبي عليّ محمد بن أحمد ابن أبي الحسن عليّ بن عبد العزيز المَهْدَويّ الأصل، المعروف بابن المُطَرِّز البَزَّاز (ت٧٩٧هـ).

١٦- عن يونس بن إبراهيم بن عبد القويِّ، الكَنانيِّ، العَسقلانيِّ (ت٧٢٩هـ).

١٧- عن علم الدين أبي الحسن عليّ بن محمود بن أحمد بن عليّ المحموديّ، العراقي المعروف بابن الصابونيّ (ت٦٤٠هـ). وأبو القاسم عبد الرحمن بن مكيّ بن حمزة بن مُوَقّا الأنصاريّ ابن علاّس (ت٥٩٩هـ) في آخرين: قالوا:

١٨- أنبأنا أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمّد بن أحمد السِّلفيُّ الأصبهانيُّ (ت٥٧٦هـ) إجازة مشافهةً.

١٩- أنبأنا أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازيّ، ثمّ المصريّ، الشّروطيّ المُعدَّل، المعروف بابن الحطّاب (ت٥٢٥هـ) إذنًا.

٢٠- عن أبي الفضل محمّد بن أحمد بن عيسىٰ بن عبد الله بن بن عبد الوهاب السَّعديِّ، البغداديِّ (ت٤٤١هـ).

٢١- عن الْخَصِيب بن عبد الله بن محمّد بن الحُسَين بن الْخَصِيب أبي الحَسَن المصريِّ (ت٤١٠هـ) سَماعًا.

٢٢- عن أبي محمّد عبد الله بن محمّد الفَرْغَانيّ.

٢٣-أنبأنا أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريُّ.

١٦- وبه: عن أبي القاسم عبد الرحمن بن مكيّ بن حمزة بن مُوَقّا الأنصاريّ ابن علاّس (ت٥٩٩هـ).

١٧- عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مَسْعُود بن بَشْكُوّال (ت٥٧٨هـ).

١٨- أنبأنا أبي محمّد عبد الرحمن بن محمّد بن عتّاب بن مُحْسن القُرطبيُّ (ت٥٢٥هـ).

١٩- أنبأنا والدي محمّد بن عتَّاب بن مُحْسِن مولىٰ عبد الملك بن أبي عتَّاب الجُذَاميُّ، أبو عبد الله مفتي قُرطبة (ت٤٦٢هـ).

٢٠- أنبأنا أبو الْمُطَرِّف عبد الرحمن بن مَرْوان بن عبد الرحمن الأنصاريُّ، القُرطبيُّ، القَنَازِعيُّ (ت٤١٣هـ).

٢١- أنبأنا أبو الطَّيِّب أحمد بن سُليمان بن محمّد بن عَمْرو الجَرِيريُّ - نسبة إلىٰ مذهب ابن جرير الطَّبريِّ - ثمَّ الحَرِيريُّ - نسبة إلىٰ بيع الحَرِير، اجتمعت فيه النسبتان - (ت٣٥٢هـ).

٢٢- أنبأنا أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه فسيح جناته، آمين.



العشرون: إهداء

إلىٰ كل الموحدين في زمن الغربة..

إلىٰ كل المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في نصرة الإسلام ورفع رايته..

إلىٰ كل طلبة العلم المبتغين به وجه الله..

إلىٰ زوجتي الحبيبة العزيزة الغالية..

إليكم جميعًا أهدي هذا الكتاب



رسالتي لكل من وقف على هذا (المختصر)

أرجو كلَّ مَنْ وقف علىٰ نسخة من هذا (المختصر لتفسير الطبري)..

لا تقف بهذا الكتاب عندك..

اقرأه علىٰ كل من لك ولايةٌ عليه، بعد الصلوات الجهرية، أو حتىٰ بعد صلاة واحدة تختارها، وحبذا لو كانت صلاةَ الفجر..

اقرأ عليهم تفسير الآيات التي سمعوها في صلاتهم..

وإن كنت تستطيع أن تصل بنسخة أو أكثر لغيرك فافعل.

وأُبشر العلماءَ وطلبةَ العلم وغيرَهم من المسلمين ممن لم أستطع أن أصل إليهم بنسخة من هذا الكتاب قبل نشره أنني سأستقبل نصحهم لي بما يرونه يُصلح من شأن هذا الكتاب في الطبعات القادمة.

وأوصي بأن يُقرأ أولًا قبل هذا الكتاب كتابُ (**نوادر الفوائد من تفسير الطبري**)، فقد استخلصته من هذا (**المختصر**)، إلا أنه جَمَعَ نوادرَ الفوائد التي ذكرها الطبري في تفسيره مرتبةً، بحسب الموضوعات، ووضعت لها تراجم وعناوين من كلام الطبري نفسه، أو بتقريب عبارته أحيانًا، وهو كالمدخل أو التمهيد بين يدي هذا (**المختصر**)..

وليس شرطًا في قراءة (**المختصر**) أن تقرأ (**النوادر**)، إلا أن القارئ (**للنوادر**) قبل (**المختصر**) سيقف - إن شاء الله - علىٰ كنوز قد يغفل عنها أثناء قرائته (**للمختصر**)، كما أن القارئ (**للمختصر**) سيقف - إن شاء الله - علىٰ كنوز قد يغفل عنها أثناء قرائته في التفسير الأصلي.

أسأل الله أن ينفع بهذا (**المختصر**) و(**أصله**) و(**نوادر فوائده**) كلَّ المكلفين، وصلِّ اللهُ علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

إسلام بن منصور بن عبد الحميد

حرره مساء الأحد ٢٧ ربيع ثانٍ ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦/٢/٧م

ima101277@gmail.com

٠٠٢ /٠١٠٦١٥٠٥٣٢٩

اختِصَارُ مُقَدِّمَةِ المُؤَلِّفِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي حَجَّتِ الأَلْبَابَ بَدَائِعُ حِكَمِهِ، وَخَصَمَتِ العُقُولَ لَطَائِفُ حُجَجِهِ، وَقَطَعَتْ عُذْرَ المُلحِدِينَ عَجَائِبُ صُنْعِهِ، وَهَتَفَتْ فِي أَسْمَاعِ العَالَمِينَ أَلْسُنُ أَدِلَّتِهِ، شَاهِدَةً أَنَّهُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..

الَّذِي لَا عِدْلَ لَهُ مُعَادِلٌ وَلَا مِثْلَ لَهُ مُمَاثِلٌ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ مُظَاهِرٌ، وَلَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا كُفُوًا أَحَدٌ..

وَأَنَّهُ الجَبَّارُ الَّذِي خَضَعَتْ لِجَبَرُوتِهِ الجَبَابِرَةُ..

وَالعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ المُلُوكُ الأَعِزَّةُ، وَخَشَعَتْ لِمَهَابَةِ سَطْوَتِهِ ذَوُو المَهَابَةِ، وَأَذْعَنَ لَهُ جَمِيعُ الخَلقِ بِالطَّاعَةِ طَوْعًا وَكَرْهًا، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرَّعْد: ١٥]..

فَكُلُّ مَوْجُودٍ إِلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ دَاعٍ، وَكُلُّ مَحْسُوسٍ إِلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ هَادٍ، بِمَا وَسَمَهُمْ بِهِ مِنْ آثَارِ الصَّنْعَةِ، مِنْ نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ، وَعَجْزٍ وَحَاجَةٍ، وَتَصَرُّفٍ فِي عَاهَاتٍ عَارِضَةٍ، وَمُقَارَنَةِ أَحْدَاثٍ لَازِمَةٍ، لِتَكُونَ لَهُ الحُجَّةُ البَالِغَةُ..

ثُمَّ أَرْدَفَ مَا شَهِدَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَدِلَّتُهُ، وَأَكَّدَ مَا اسْتَنَارَتْ فِي القُلُوبِ مِنْهُ بَهْجَتُهُ، بِرُسُلٍ ابْتَعَثَهُمْ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ..

دُعَاةً إِلَىٰ مَا اتَّضَحَتْ لَدَيْهِمْ صِحَّتُهُ، وَثَبَتَتْ فِي العُقُولِ حُجَّتُهُ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النِّسَاءِ: ١٦٥]، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو النُّهَىٰ وَالحِلمِ..

فَأَمَدَّهُمْ بِعَوْنِهِ، وَأَبَانَهُمْ مِنْ سَائِرِ خَلقِهِ، بِمَا دَلَّ بِهِ عَلَىٰ صِدْقِهِم مِنَ الأَدِلَّةِ، وَأَيَّدَهُمْ بِهِ مِنَ الحُجَجِ البَالِغَةِ، وَالآيِ المُعْجِزَةِ، لِئَلَّا يَقُولَ القَائِلُ مِنْهُمْ ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٣٣ - ٣٤]..

فَجَعَلَهُمْ سُفَرَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلقِهِ، وَأُمَنَاءَهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَاخْتَصَّهُمْ بِفَضْلِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ -فِيمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ مَوَاهِبِهِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَرَامَاتِهِ- مَرَاتِبَ مُخْتَلِفَةً، وَمَنَازِلَ مُفْتَرِقَةً..

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، مُتَفَاضِلَاتٍ مُتَبَايِنَاتٍ، فَكَرَّمَ بَعْضَهُمْ بِالتَّكْلِيمِ وَالنَّجْوَىٰ، وَأَيَّدَ بَعْضَهُمْ بِرُوحِ القُدُسِ، وَخَصَّهُ بِإِحْيَاءِ المَوْتَىٰ، وَإِبْرَاءِ أُولِي العَاهَةِ وَالعَمَىٰ..

وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ، مِنَ الدَّرَجَاتِ بِالعُلْيَا، وَمِنَ المَرَاتِبِ بِالعُظْمَىٰ، فَحَبَاهُ مِنْ أَقْسَامِ كَرَامَتِهِ بِالقِسْمِ الأَفْضَلِ وَخَصَّهُ مِنْ دَرَجَاتِ النُّبُوَّةِ بِالحَظِّ الأَجْزَلِ، وَمِنَ الأَتْبَاعِ وَالأَصْحَابِ بِالنَّصِيبِ الأَوْفَرِ..

وَابْتَعَثَهُ بِالدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالرِّسَالَةِ العَامَّةِ، وَحَاطَهُ وَحِيدًا، وَعَصَمَهُ فَرِيدًا، مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَانِدٍ، وَكُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ..

حَتَّىٰ أَظْهَرَ بِهِ الدِّينَ، وَأَوْضَحَ بِهِ السَّبِيلَ، وَأَنْهَجَ بِهِ مَعَالِمَ الحَقِّ، وَمَحَقَ بِهِ مَنَارَ الشِّرْكِ، وَزَهَقَ بِهِ البَاطِلُ، وَاضْمَحَلَّ بِهِ الضَّلَالُ وَخُدَعُ الشَّيْطَانِ وَعِبَادَةُ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ، مُؤَيَّدًا بِدَلَالَةٍ عَلَىٰ الأَيَّامِ بَاقِيَةٍ، وَعَلَىٰ الدُّهُورِ وَالأَزْمَانِ ثَابِتَةٍ، وَعَلَىٰ مَرِّ الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ دَائِمَةٍ، يَزْدَادُ ضِيَاؤُهَا عَلَىٰ كَرِّ الدُّهُورِ إِشْرَاقًا، وَعَلَىٰ مَرِّ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ ائْتِلَاقًا، خِصِّيصَىٰ مِنَ اللهِ لَهُ بِهَا دُونَ سَائِرِ رُسُلِهِ -الَّذِينَ قَهَرَتْهُمُ الجَبَابِرَةُ، وَاسْتَذَلَّتْهُمُ الأُمَمُ الفَاجِرَةُ، فَتَعَفَّتْ بَعْدَهُمْ مِنْهُمُ الآثَارُ، وَأَخْمَلَتْ ذِكْرَهُمُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ- وَدُونَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُرْسَلًا إِلَىٰ أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، وَخَاصَّةٍ دُونَ عَامَّةٍ، وَجَمَاعَةٍ دُونَ كَافَّةٍ..

فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي كَرَّمَنَا بِتَصْدِيقِهِ، وَشَرَّفَنَا بِاتِّبَاعِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الإِقْرَارِ وَالإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا دَعَا إِلَيْهِ وَجَاءَ بِهِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أَزْكَىٰ صَلَوَاتِهِ، وَأَفْضَلَ سَلَامِهِ، وَأَتَمَّ تَحِيَّاتِهِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ..

فَإِنَّ مِنْ جَسِيمِ مَا خَصَّ اللهُ بِهِ أُمَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الفَضِيلَةِ، وَشَرَّفَهُمْ بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ مِنَ المَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ، وَحَبَاهُمْ بِهِ مِنَ الكَرَامَةِ السَّنِيَّةِ، حِفْظَهُ مَا حَفِظَ عَلَيْهِمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- مِنْ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ..

الَّذِي جَعَلَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ دَلَالَةً..

وَعَلَىٰ مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الكَرَامَةِ عَلَامَةً وَاضِحَةً، وَحُجَّةً بَالِغَةً..

أَبَانَهُ بِهِ مِنْ كُلِّ كَاذِبٍ وَمُفْتَرٍ..

وَفَصَلَ بِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُلِّ جَاحِدٍ وَمُلْحِدٍ..

وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُلِّ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ..

الَّذِي لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا، مِنْ جِنِّهَا وَإِنْسِهَا وَصَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ لَمْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا..

فَجَعَلَهُ لَهُمْ فِي دُجَىٰ الظُّلَمِ نُورًا سَاطِعًا، وَفِي سُدَفِ الشُّبَهِ شِهَابًا لَامِعًا وَفِي مَضَلَّةِ المَسَالِكِ دَلِيلًا هَادِيًا، وَإِلَىٰ سُبُلِ النَّجَاةِ وَالحَقِّ حَادِيًا، ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المَائِدَة: ١٦]..

حَرَسَهُ بِعَيْنٍ مِنْهُ لَا تَنَامُ، وَحَاطَهُ بِرُكْنٍ مِنْهُ لَا يُضَامُ، لَا تَهِي عَلَىٰ الأَيَّامِ دَعَائِمُهُ، وَلَا تَبِيدُ عَلَىٰ طُولِ الأَزْمَانِ مَعَالِمُهُ، وَلَا يَجُوزُ عَنْ قَصْدِ المَحَجَّةِ تَابِعُهُ وَلَا يَضِلُّ عَنْ سُبُلِ الهُدَىٰ مُصَاحِبُهُ..

مَنِ اتَّبَعَهُ فَازَ وَهُدِيَ، وَمَنْ حَادَ عَنْهُ ضَلَّ وَغَوَىٰ..

فَهُوَ مَوْئِلُهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ يَئِلُونَ، وَمَعْقِلُهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ فِي النَّوَازِلِ يَعْقِلُونَ وَحِصْنُهُمُ الَّذِي بِهِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ يَتَحَصَّنُونَ، وَحِكْمَةُ رَبِّهِمُ الَّتِي إِلَيْهَا يَحْتَكِمُونَ، وَفَصْلُ قَضَائِهِ بَيْنَهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ يَنْتَهُونَ، وَعَنِ الرِّضَىٰ بِهِ يَصْدُرُونَ، وَحَبْلُهُ الَّذِي بِالتَّمَسُّكِ بِهِ مِنَ الهَلَكَةِ يَعْتَصِمُونَ.

اللهُمَّ فَوَفِّقْنَا لِإِصَابَةِ صَوَابِ القَوْلِ فِي مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَعَامِّهِ وَخَاصِّهِ، وَمُجْمَلِهِ وَمُفَسَّرِهِ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَتَأْوِيلِ آيِهِ وَتَفْسِيرِ مُشْكِلِهِ..

وَأَلْهِمْنَا التَّمَسُّكَ بِهِ وَالِاعْتِصَامَ بِمُحْكَمِهِ، وَالثَّبَاتَ عَلَىٰ التَّسْلِيمِ لِمُتَشَابِهِهِ..

وَأَوْزِعْنَا الشُّكْرَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَالعِلْمِ بِحُدُودِهِ. إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ قَرِيبُ الإِجَابَةِ..

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، رَحِمَكُمُ اللهُ..

أَنَّ أَحَقَّ مَا صُرِفَتْ إِلَىٰ عِلْمِهِ العِنَايَةُ، وَبَلَغَتْ فِي مَعْرِفَتِهِ الغَايَةُ، مَا كَانَ للهِ فِي العِلْمِ بِهِ رِضًىٰ، وَلِلعَالِمِ بِهِ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ هُدًىٰ..

وَأَنَّ أَجْمَعَ ذَلِكَ لِبَاغِيهِ كِتَابُ اللهِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، وَتَنْزِيلُهُ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، الفَائِزُ بِجَزِيلِ الذُّخْرِ وَسَنِيِّ الأَجْرِ تَالِيهِ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ..

وَنَحْنُ -فِي شَرْحِ تَأْوِيلِهِ، وَبَيَانِ مَا فِيهِ مِنْ مَعَانِيهِ-..

مُنْشِئُونَ -إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ- كِتَابًا مُسْتَوْعِبًا لِكُلِّ مَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ الحَاجَةُ مِنْ عِلْمِهِ جَامِعًا، وَمِنْ سَائِرِ الكُتُبِ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ كَافِيًا..

وَمُخْبِرُونَ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِمَا انْتَهَىٰ إِلَيْنَا مِنَ اتِّفَاقِ الحُجَّةِ فِيمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَاخْتِلَافِهَا فِيمَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ مِنْهُ، وَمُبَيِّنُو عِلَلِ كُلِّ مَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَمُوَضِّحُو الصَّحِيحِ لَدَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، بِأَوْجَزِ مَا أَمْكَنَ مِنَ الإِيجَازِ فِي ذَلِكَ، وَأَخْصَرِ مَا أَمْكَنَ مِنَ الاخْتِصَارِ فِيهِ..

وَاللهَ نَسْأَلُ عَوْنَهُ وَتَوْفِيقَهُ لِمَا يُقَرِّبُ مِنْ مَحَابِّهِ، وَيُبْعِدُ مِنْ مَسَاخِطِهِ..

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ صَفْوَتِهِ مَنْ خَلقِهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ مِنَ القِيلِ فِي ذَلِكَ:

الإِبَانَةُ عَنِ الأَسْبَابِ الَّتِي البِدَايَةُ بِهَا أَوْلَىٰ، وَتَقْدِيمُهَا قَبْلَ مَا عَدَاهَا أَحْرَىٰ..

وَذَلِكَ: البَيَانُ عَمَّا فِي آيِ القُرْآنِ مِنَ المَعَانِي، الَّتِي مِنْ قِبَلِهَا يَدْخُلُ اللَّبْسُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُعَانِ رِيَاضَةَ العُلُومِ العَرَبِيَّةِ، وَلَمْ تَسْتَحْكِمْ مَعْرِفَتُهُ بِتَصَارِيفِ وُجُوهِ مَنْطِقِ الأَلْسُنِ السَّلِيقِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ.



(القَوْلُ فِي البَيَانِ عَنِ اتِّفَاقِ مَعَانِي آيِ القُرْآنِ، وَمَعَانِي مَنْطِقِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ القُرْآنُ مِنْ وَجْهِ البَيَانِ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- هُوَ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ، مَعَ الإِبَانَةِ عَنْ فَضْلِ المَعْنَى الَّذِي بِهِ بَايَنَ القُرْآنُ سَائِرَ الكَلَامِ)

إِنَّ مَنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَجَسِيمِ مِنَّتِهِ عَلَىٰ خَلقِهِ، مَا مَنَحَهُمْ مِنْ فَضْلِ البَيَانِ:
الَّذِي بِهِ عَنْ ضَمَائِرِ صُدُورِهِمْ يُبِينُونَ..
وَبِهِ عَلَىٰ عَزَائِمِ نُفُوسِهِمْ يَدُلُّونَ..
فَذَلَّلَ بِهِ مِنْهُمُ الأَلْسُنَ..
وَسَهَّلَ بِهِ عَلَيْهِمُ المُسْتَصْعَبَ..
فَبِهِ إِيَّاهُ يُوَحِّدُونَ..
وَإِيَّاهُ بِهِ يُسَبِّحُونَ وَيُقَدِّسُونَ..
وَإِلَىٰ حَاجَاتِهِمْ بِهِ يَتَوَصَّلُونَ..
وَبِهِ بَيْنَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ..
فَيَتَعَارَفُونَ وَيَتَعَامَلُونَ.

ثُمَّ جَعَلَهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنْ ذَلِكَ طَبَقَاتٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ..

فَبَيْنَ خَطِيبٍ مُسْهِبٍ، وَذَلِقِ اللِّسَانِ مُهْذِبٍ، وَمُفْحَمٍ عَنْ نَفْسِهِ لَا يُبِينُ، وَعَيٍّ عَنْ ضَمِيرِ قَلبِهِ لَا يُعَبِّرُ..

وَجَعَلَ أَعْلَاهُمْ فِيهِ رُتْبَةً، وَأَرْفَعَهُمْ فِيهِ دَرَجَةً، أَبْلَغَهُمْ فِيمَا أَرَادَ بِهِ بَلَاغًا، وَأَبْيَنَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ بِهِ بَيَانًا..

ثُمَّ عَرَّفَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ وَمُحَكَمِ آيِ كِتَابِهِ فَضْلَ مَا حَبَاهُمْ بِهِ مِنَ البَيَانِ، عَلَىٰ مَنْ فَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ ذِي البَكَمِ وَالمُسْتَعْجِمِ اللِّسَانِ فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾ [الزُّخْرُف: ١٨]..

فَقَدْ وَضَحَ إِذًا لِذَوِي الأَفْهَامِ، وَتَبَيَّنَ لِأُولِي الأَلْبَابِ، أَنَّ فَضْلَ أَهْلِ البَيَانِ عَلَىٰ أَهْلِ البَكَمِ وَالمُسْتَعْجِمِ اللِّسَانِ، بِفَضْلِ اقْتِدَارِ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ عَلَىٰ إِبَانَةِ مَا أَرَادَ إِبَانَتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِبَيَانِهِ، وَاسْتِعْجَامِ لِسَانِ هَذَا عَمَّا حَاوَلَ إِبَانَتَهُ بِلِسَانِهِ..

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ -وَكَانَ المَعْنَىٰ الَّذِي بِهِ بَايَنَ الفَاضِلُ المَفْضُولَ فِي ذَلِكَ، فَصَارَ بِهِ

فَاضِلًا وَالآخَرُ مَفْضُولًا، هُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ فَضْلِ إِبَانَةِ ذِي البَيَانِ، عَمَّا قَصَّرَ عَنْهُ المُسْتَعْجِمُ اللِّسَانِ، وَكَانَ ذَلِكَ مُخْتَلِفَ الأَقْدَارِ، مُتَفَاوِتَ الغَايَاتِ وَالنِّهَايَاتِ-..

فَلَا شَكَّ أَنَّ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ البَيَانِ دَرَجَةً، وَأَسْنَىٰ مَرَاتِبِهِ مَرْتَبَةً، أَبْلَغُهُ فِي حَاجَةِ المُبِينِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَبْيَنُهُ عَنْ مُرَادِ قَائِلِهِ، وَأَقْرَبُهُ مِنْ فَهْمِ سَامِعِهِ..

فَإِنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ المِقْدَارَ، وَارْتَفَعَ عَنْ وُسْعِ الأَنَامِ، وَعَجَزَ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ العِبَادِ، كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لِرُسُلِ الوَاحِدِ القَهَّارِ..

كَمَا كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لَهَا إِحْيَاءُ المَوْتَىٰ وَإِبْرَاءُ الأَبْرَصِ وَذَوِي العَمَىٰ، بِارْتِفَاعِ ذَلِكَ عَنْ مَقَادِيرِ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ طِبِّ المُتَطَبِّبِينَ وَأَرْفَعِ مَرَاتِبِ عِلَاجِ المُعَالِجِينَ، إِلَىٰ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ جَمِيعُ العَالَمِينَ..

وَكَالَّذِي كَانَ لَهَا حُجَّةً وَعَلَمًا قَطْعُ مَسَافَةِ شَهْرَيْنِ فِي اللَّيْلَةِ الوَاحِدَةِ، بِارْتِفَاعِ ذَلِكَ عَنْ وُسْعِ الأَنَامِ، وَتَعَذُّرِ مِثْلِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ العِبَادِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ قَطْعِ القَلِيلِ مِنَ المَسَافَةِ قَادِرِينَ، وَلِلْيَسِيرِ مِنْهُ فَاعِلِينَ..

فَإِذًا كَانَ مَا وَصَفْنَا مِنْ ذَلِكَ كَالَّذِي وَصَفْنَا..

فَبَيِّنٌ أَنْ لَا بَيَانَ أَبْيَنُ، وَلَا حِكْمَةَ أَبْلَغُ، وَلَا مَنْطِقَ أَعْلَىٰ، وَلَا كَلَامَ أَشْرَفُ، مِنْ بَيَانٍ وَمَنْطِقٍ تَحَدَّىٰ بِهِ امْرُؤٌ قَوْمًا فِي زَمَانٍ هُمْ فِيهِ رُؤَسَاءُ صِنَاعَةِ الخُطَبِ وَالبَلَاغَةِ، وَقِيلِ الشِّعْرِ وَالفَصَاحَةِ، وَالسَّجْعِ وَالكِهَانَةِ، عَلَىٰ كُلِّ خَطِيبٍ مِنْهُمْ وَبَلِيغٍ، وَشَاعِرٍ مِنْهُمْ وَفَصِيحٍ، وَكُلِّ ذِي سَجْعٍ وَكِهَانَةٍ..

فَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ، وَقَصَّرَ بِعُقُولِهِمْ وَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ، وَدَعَا جَمِيعَهُمْ إِلَىٰ اتِّبَاعِهِ وَالقَبُولِ مِنْهُ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَالإِقْرَارِ بِأَنَّهُ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ..

وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ دَلَالَتَهُ عَلَىٰ صِدْقِ مَقَالَتِهِ، وَحُجَّتَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ البَيَانِ، وَالحِكْمَةِ وَالفُرْقَانِ، بِلِسَانٍ مِثْلِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَمَنْطِقٍ مُوَافِقَةٍ مَعَانِيهِ مَعَانِيَ مَنْطِقِهِمْ..

ثُمَّ أَنْبَأَ جَمِيعَهُمْ أَنَّهُمْ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ بَعْضِهِ عَجَزَةٌ، وَمِنَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ نَقَصَةٌ، فَأَقَرَّ جَمِيعُهُمْ بِالعَجْزِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالتَّصْدِيقِ، وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالنَّقْصِ..

إِلَّا مَنْ تَجَاهَلَ مِنْهُمْ وَتَعَامَىٰ، وَاسْتَكْبَرَ وَتَعَاشَىٰ، فَحَاوَلَ تَكَلُّفَ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ عَنْهُ عَاجِزٌ، وَرَامَ مَا قَدْ تَيَقَّنَ أَنَّهُ عَلَيْهِ غَيْرُ قَادِرٍ، فَأَبْدَىٰ مِنْ ضَعْفِ عَقْلِهِ مَا كَانَ مُسْتَتِرًا، وَمِنْ عِيِّ لِسَانِهِ مَا كَانَ مَصُونًا، فَأَتَىٰ بِمَا لَا يَعْجِزُ عَنْهُ الضَّعِيفُ الأَخْرَقُ، وَالجَاهِلُ الأَحْمَقُ، فَقَالَ: (وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا، وَالعَاجِنَاتِ عَجْنًا، فَالخَابِزَاتِ خُبْزًا، وَالثَّارِدَاتِ ثَرْدًا، وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا)! وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الحَمَاقَاتِ المُشْبِهَةِ دَعْوَاهُ الكَاذِبَةَ.

فَإِذْ كَانَ تَفَاضُلُ مَرَاتِبِ البَيَانِ، وَتَبَايُنُ مَنَازِلِ دَرَجَاتِ الكَلَامِ، بِمَا وَصَفْنَا قَبْلُ..

وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، أَحْكَمَ الحُكَمَاءِ، وَأَحْلَمَ الحُلَمَاءِ..

كَانَ مَعْلُومًا أَنْ أَبْيَنَ البَيَانِ بَيَانُهُ، وَأَفْضَلَ الكَلَامِ كَلَامُهُ، وَأَنَّ قَدْرَ فَضْلِ بَيَانِهِ، جَلَّ ذِكْرُهُ، عَلَىٰ بَيَانِ جَمِيعِ خَلقِهِ، كَفَضْلِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ عِبَادِهِ..

فَإِذْ كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرَ مُبِينٍ مِنَّا عَنْ نَفْسِهِ مَنْ خَاطَبَ غَيْرَهُ بِمَا لَا يَفْهَمُهُ عَنْهُ المُخَاطَبُ، **كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخَاطِبَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَحَدًا مَنْ خَلقِهِ إِلَّا بِمَا يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ**، وَلَا يُرْسِلُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ رَسُولًا بِرِسَالَةٍ إِلَّا بِلِسَانٍ وَبَيَانٍ يَفْهَمُهُ المُرْسَلُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ المُخَاطَبَ وَالمُرْسَلَ إِلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَا خُوطِبَ بِهِ وَأُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِ، فَحَالُهُ قَبْلَ الخِطَابِ وَقَبْلَ مَجِيءِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِ وَبَعْدَهُ سَوَاءٌ، إِذْ لَمْ يُفِدْهُ الخِطَابُ وَالرِّسَالَةُ شَيْئًا كَانَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ جَاهِلًا..

وَاللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ يَتَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يُخَاطِبَ خِطَابًا أَوْ يُرْسِلَ رِسَالَةً لَا تُوجِبُ فَائِدَةً لِمَنْ خُوطِبَ أَوْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ فِينَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ النَّقْصِ وَالعَبَثِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ مُتَعَالٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤]، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ بِهِ مُهْتَدِيًا، مَنْ كَانَ بِمَا يُهْدَىٰ إِلَيْهِ جَاهِلًا..

فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذًا - بِمَا عَلَيْهِ دَلَلنَا مِنَ الدَّلَالَةِ - أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ للهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَرْسَلَهُ إِلَىٰ قَوْمٍ، فَإِنَّمَا أَرْسَلَهُ بِلِسَانِ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، وَكُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيٍّ، وَرِسَالَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَىٰ أُمَّةٍ، فَإِنَّمَا أَنْزَلَهُ بِلِسَانِ مَنْ أَنْزَلَهُ أَوْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ..

فَاتَّضَحَ بِمَا قُلنَا وَوَصَفْنَا، أَنَّ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَإِذْ كَانَ لِسَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَرَبِيًّا، فَبَيِّنٌ أَنَّ القُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَبِذَلِكَ أَيْضًا نَطَقَ مُحْكَمُ تَنْزِيلِ رَبِّنَا، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢]، وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]..

وَإِذْ كَانَتْ وَاضِحَةً صِحَّةُ مَا قُلنَا - بِمَا عَلَيْهِ اسْتَشْهَدْنَا مِنَ الشَّوَاهِدِ، وَدَلَّلنَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ - فَالوَاجِبُ أَنْ تَكُونَ مَعَانِي كِتَابِ اللهِ المُنَزَّلِ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، لِمَعَانِي كَلَامِ العَرَبِ مُوَافِقَةً، وَظَاهِرُهُ لِظَاهِرِ كَلَامِهَا مُلَائِمًا، وَإِنْ بَايَنَهُ كِتَابُ اللهِ بِالفَضِيلَةِ الَّتِي فَضَلَ بِهَا سَائِرَ الكَلَامِ وَالبَيَانِ، بِمَا قَدْ تَقَدَّمَ وَصْفُنَاهُ..

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبَيِّنٌ -إِذْ كَانَ مَوْجُودًا فِي كَلَامِ العَرَبِ الإِيجَازُ وَالِاخْتِصَارُ،

وَالِاجْتِزَاءُ بِالإِخْفَاءِ مِنَ الإِظْهَارِ، وَبِالقِلَّةِ مِنَ الإِكْثَارِ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ، وَاسْتِعْمَالُ الإِطَالَةِ وَالإِكْثَارِ، وَالتَّرْدَادِ وَالتَّكْرَارِ، وَإِظْهَارُ المَعَانِي بِالأَسْمَاءِ دُونَ الكِنَايَةِ عَنْهَا، وَالإِسْرَارُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ، وَالخَبَرُ عَنِ الخَاصِّ فِي المُرَادِ بِالعَامِّ الظَّاهِرِ، وَعَنِ العَامِّ فِي المُرَادِ بِالخَاصِّ الظَّاهِرِ، وَعَنِ الكِنَايَةِ وَالمُرَادُ مِنْهُ المُصَرَّحُ، وَعَنِ الصِّفَةِ وَالمُرَادُ المَوْصُوفُ، وَعَنِ المَوْصُوفِ وَالمُرَادُ الصِّفَةُ، وَتَقْدِيمُ مَا هُوَ فِي المَعْنَىٰ مُؤَخَّرٌ، وَتَأْخِيرُ مَا هُوَ فِي المَعْنَىٰ مُقَدَّمٌ، وَالِاكْتِفَاءُ بِبَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ، وَبِمَا يَظْهَرُ عَمَّا يُحْذَفُ، وَإِظْهَارُ مَا حَظُّهُ الحَذْفُ- أَنْ يَكُونَ مَا فِي كِتَابِ اللهِ المُنَزَّلِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، فِي كُلِّ ذَلِكَ لَهُ نَظِيرًا، وَلَهُ مِثْلًا وَشَبِيهًا..

وَنَحْنُ مُبَيِّنُو جَمِيعِ ذَلِكَ فِي أَمَاكِنِهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ وَأَمَدَّ مِنْهُ بِعَوْنٍ وَقُوَّةٍ.



(الْقَوْلُ فِي الوُجُوهِ الَّتِي مِنْ قِبَلِهَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَةِ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ)

قَدْ قُلنَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ كُلَّهُ عَرَبِيٌّ..

وَأَنَّهُ نَزَلَ بِأَلسُنِ بَعْضِ العَرَبِ دُونَ أَلسُنِ جَمِيعِهَا..

وَأَنَّ قِرَاءَةَ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ -وَمَصَاحِفَهُمُ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ- بِبَعْضِ الأَلسُنِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا القُرْآنُ دُونَ جَمِيعِهَا..

وَقُلنَا -فِي البَيَانِ عَمَّا يَحْوِيهِ القُرْآنُ مِنَ النُّورِ وَالبُرْهَانِ، وَالحِكْمَةِ وَالتِّبْيَانِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللهُ إِيَّاهُ، مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَطَائِفِ حِكَمِهِ- مَا فِيهِ الكِفَايَةُ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ.

وَنَحْنُ قَائِلُونَ فِي البَيَانِ عَنْ وُجُوهِ مَطَالِبِ تَأْوِيلِهِ..

قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّحل: ٤٤]..

وَقَالَ أَيْضًا جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النَّحل: ٦٤]..

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آلِ عِمْرَان: ٧]..

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِبَيَانِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، أَنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ القُرْآنِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، مَا لَا يُوصَلُ إِلَىٰ عِلمِ تَأْوِيلِهِ إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ..

وَذَلِكَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ مَا فِيهِ، مِنْ وُجُوهِ أَمْرِهِ -وَاجِبِهِ وَنَدْبِهِ وَإِرْشَادِهِ- وَصُنُوفِ نَهْيِهِ، وَوَظَائِفِ حُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ، وَمَبَالِغِ فَرَائِضِهِ، وَمَقَادِيرِ اللَّازِمِ بَعْضَ خَلقِهِ لِبَعْضٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ آيِهِ، الَّتِي لَمْ يُدْرَكْ عِلمُهَا إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ..

وَهَذَا وَجْهٌ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ القَوْلُ فِيهِ، إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ تَأْوِيلَهُ بِنَصٍّ مِنْهُ عَلَيْهِ، أَوْ بِدَلَالَةٍ قَدْ نَصَبَهَا، دَالَّةٍ أُمَّتَهُ عَلَىٰ تَأْوِيلِهِ.

وَأَنَّ مِنْهُ مَا لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ..

وَذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الخَبَرِ عَنْ آجَالٍ حَادِثَةٍ، وَأَوْقَاتٍ آتِيَةٍ، كَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ تِلكَ أَوْقَاتٌ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ حُدُودَهَا، وَلَا

يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ تَأْوِيلِهَا إِلَّا الْخَبَرَ بِأَشْرَاطِهَا، لِاسْتِئْثَارِ اللهِ بِعِلمِ ذَلِكَ عَلَىٰ خَلقِهِ..

وَبِذَلِكَ أَنْزَلَ رَبُّنَا مُحْكَمَ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]..

وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ إِذَا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَشْرَاطِهِ دُونَ تَحْدِيدِهِ بِوَقْتِهِ كَالَّذِي رَوَىٰ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ، إِذْ ذُكِرَ الدَّجَّالُ: «إِنْ يُخْرَجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ»..

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَخْبَارِ -الَّتِي يَطُولُ بِاسْتِيعَابِهَا الكِتَابُ- الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلمُ أَوْقَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ بِمَقَادِيرِ السِّنِينَ وَالأَيَّامِ، وَأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا كَانَ عَرَّفَهُ مَجِيئَهُ بِأَشْرَاطِهِ، وَوَقَّتَهُ بِأَدِلَّتِهِ.

وَأَنَّ مِنْهُ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ كُلُّ ذِي عِلمٍ بِاللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ..

وَذَلِكَ إِقَامَةُ إِعْرَابِهِ، وَمَعْرِفَةُ المُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ المُشْتَرَكِ فِيهَا، وَالمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الخَاصَّةِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ..

وَذَلِكَ كَسَامِعٍ مِنْهُمْ لَوْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١- ١٢]، لَمْ يَجْهَل أَنَّ مَعْنَىٰ الإِفْسَادِ هُوَ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مِمَّا هُوَ مَضَرَّةٌ، وَأَنَّ الإِصْلَاحَ هُوَ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ مِمَّا فِعْلُهُ مَنْفَعَةٌ، وَإِنْ جَهِلَ المَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ إِفْسَادًا، وَالمَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ إِصْلَاحًا..

فَالَّذِي يَعْلَمُهُ ذُو اللِّسَانِ -الَّذِي بِلِسَانِهِ نَزَلَ القُرْآنُ- مِنْ تَأْوِيلِ القُرْآنِ، هُوَ مَا وَصَفْتُ مِنْ مَعْرِفَةِ أَعْيَانِ المُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ المُشْتَرَكِ فِيهَا، وَالمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الخَاصَّةِ، دُونَ الوَاجِبِ مِنْ أَحْكَامِهَا وَصِفَاتِهَا وَهَيْئَاتِهَا الَّتِي خَصَّ اللهُ بِعِلمِهَا نَبِيَّهُ ﷺ، فَلَا يُدْرَكُ عِلمُهُ إِلَّا بِبَيَانِهِ، دُونَ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلمِهِ دُونَ خَلقِهِ..

وَبِمِثْلِ مَا قُلنَا مِنْ ذَلِكَ رُوِيَ الخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (**التَّفْسِيرُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ العَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ العُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ**)..

وَهَذَا الوَجْهُ الرَّابِعُ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، **مَعْنًىٰ غَيْرُ الإِبَانَةِ عَنْ وُجُوهِ مَطَالِبِ تَأْوِيلِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ أَنَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الجَهْلُ بِهِ.**

(النَّهْيُ عَنِ القَوْلِ فِي تَأْوِيلِ القُرْآنِ بِالرَّأْيِ)

مَا كَانَ مِنْ تَأْوِيلِ آيِ القُرْآنِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِنَصِّ بَيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ بِنَصْبِهِ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ القِيلُ فِيهِ بِرَأْيِهِ..

بَلِ القَائِلُ فِي ذَلِكَ بِرَأْيِهِ -وَإِنْ أَصَابَ الحَقَّ فِيهِ- فَمُخْطِئٌ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِهِ، بِقِيلِهِ فِيهِ بِرَأْيِهِ، لِأَنَّ إِصَابَتَهُ لَيْسَتْ إِصَابَةَ مُوقِنٍ أَنَّهُ مُحِقٌّ، وَإِنَّمَا هُوَ إِصَابَةُ خَارِصٍ وَظَانٍّ..

وَالقَائِلُ فِي دِينِ اللهِ بِالظَّنِّ، قَائِلٌ عَلَىٰ اللهِ مَا لَمْ يَعْلَمْ..

وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأَعْرَاف: ٣٣]..

فَالقَائِلُ فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللهِ، الَّذِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي جَعَلَ اللهُ إِلَيْهِ بَيَانَهُ، قَائِلٌ بِمَا لَا يَعْلَمُ وَإِنْ وَافَقَ قِيلُهُ ذَلِكَ فِي تَأْوِيلِهِ، مَا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِنْ مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّ القَائِلَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، قَائِلٌ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.



(ذِكْرُ الأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ فِي الحَضِّ عَلَى العِلمِ بتَفْسِيرِ القُرْآنِ، وَمَنْ كَانَ يُفَسِّرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ)

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالعَمَلَ بِهِنَّ).

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُلَمِيُّ: (حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُخَلِّفُوهَا حَتَّىٰ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ العَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا القُرْآنَ وَالعَمَلَ جَمِيعًا).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعود: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تَنَالُهُ المَطَايَا لَأَتَيْتُهُ).

وَقَالَ شَقِيقُ بنُ سَلَمَةَ: (اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَىٰ الحَجِّ، فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً، لَوْ سَمِعَهَا التُّرْكُ وَالرُّومُ لَأَسْلَمُوا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا).

وَقَال شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ: (قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ سُورَةَ البَقَرَةِ، فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ سَمِعَتْ هَذَا الدَّيْلَمُ لَأَسْلَمَتْ).

وَفِي حَثِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ عَلَىٰ الاِعْتِبَارِ بِمَا فِي آيِ القُرْآنِ مِنَ المَوَاعِظِ وَالبَيِّنَاتِ بِـ..

قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩]..

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ [الزُّمَر: ٢٧-٢٨]..

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ آيِ القُرْآنِ، الَّتِي أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ وَحَثَّهُمْ فِيهَا عَلَىٰ الاِعْتِبَارِ بِأَمْثَالِ آيِ القُرْآنِ، وَالاِتِّعَاظِ بِمَوَاعِظِهِ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةَ تَأْوِيل مَا لَمْ يُحْجَبْ عَنْهُمْ تَأْوِيلُهُ مِنْ آيِهِ؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَا يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ وَلَا يَعْقِلُ تَأْوِيلَهُ: اعْتَبِرْ بِمَا لَا فَهْمَ لَكَ بِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ مِنَ القِيلِ وَالبَيَانِ وَالكَلَام، إِلَّا عَلَىٰ مَعْنَىٰ الأَمْرِ بِأَنْ يَفْهَمَهُ وَيَفْقَهَهُ، ثُمَّ يَتَدَبَّرَهُ وَيَعْتَبِرَ بِهِ، فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَمُسْتَحِيلٌ أَمْرُهُ بِتَدَبُّرِهِ وَهُوَ بِمَعْنَاهُ جَاهِلٌ..

كَمَا مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِبَعْضِ أَصْنَافِ الأُمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ كَلَامَ العَرَبِ وَلَا يَفْهَمُونَهُ، لَوْ أُنْشِدَ قَصِيدَةَ شِعْرٍ مِنْ أَشْعَارِ بَعْضِ العَرَبِ ذَاتَ أَمْثَالٍ وَمَوَاعِظَ وَحِكَمٍ: اعْتَبِرْ بِمَا فِيهَا مِنَ الأَمْثَالِ وَادَّكِرْ بِمَا فِيهَا مِنَ المَوَاعِظِ، إِلَّا بِمَعْنَىٰ الأَمْرِ لَهَا بِفَهْمِ كَلَامِ العَرَبِ وَمَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ الاِعْتِبَارِ بِمَا

نَبَّهَهَا عَلَيْهِ مَا فِيهَا مِنَ الحِكَمِ، فَأَمَّا وَهِيَ جَاهِلَةٌ بِمَعَانِي مَا فِيهَا مِنَ الكَلَامِ وَالمَنْطِقِ، فَمُحَالٌ أَمْرُهَا بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مَعَانِي مَا حَوَتْهُ مِنَ الأَمْثَالِ وَالعِبَرِ، بَل سَوَاءٌ أَمْرُهَا بِذَلِكَ وَأَمْرُ بَعْضِ البَهَائِمِ بِهِ، إِلَّا بَعْدَ العِلمِ بِمَعَانِي المَنْطِقِ وَالبَيَانِ الَّذِي فِيهَا..

فَكَذَلِكَ مَا فِي آيِ كِتَابِ اللهِ مِنَ العِبَرِ وَالحِكَمِ وَالأَمْثَالِ وَالمَوَاعِظِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: (اعْتَبِرْ بِهَا) إِلَّا لِمَنْ كَانَ بِمَعَانِي بَيَانِهِ عَالِمًا، وَبِكَلَامِ العَرَبِ عَارِفًا، وَإِلَّا بِمَعْنَىٰ الأَمْرِ -لِمَنْ كَانَ بِذَلِكَ مِنْهُ جَاهِلًا- أَنْ يَعْلَمَ مَعَانِيَ كَلَامِ العَرَبِ، ثُمَّ يَتَدَبَّرَهُ بَعْدُ، وَيَتَّعِظَ بِحِكَمِهِ وَصُنُوفِ عِبَرِهِ..

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِتَدَبُّرِهِ وَحَثَّهُمْ عَلَىٰ الِاعْتِبَارِ بِأَمْثَالِهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ آيُهُ جَاهِلًا..

وَإِذْ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا وَهُمْ بِمَا يَدُلُّهُمْ عَلَيْهِ عَالِمُونَ، صَحَّ أَنَّهُمْ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ يُحْجَبْ عَنْهُمْ عِلمُهُ مِنْ آيِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلمِهِ مِنْهُ دُونَ خَلقِهِ -الَّذِي قَدْ قَدَّمْنَا صِفَتَهُ آنِفًا- عَارِفُونَ..

وَإِذْ صَحَّ ذَلِكَ فَسَدَ قَوْلُ مَنْ أَنْكَرَ تَفْسِيرَ المُفَسِّرِينَ -مِنْ كِتَابِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ- مَا لَمْ يَحْجُبْ عَنْ خَلقِهِ تَأْوِيلَهُ.



(ذِكْرُ بَعْضِ الأَخْبَارِ الَّتِي غَلِطَ فِي تَأْوِيلِهَا مُنْكِرُو القَوْلِ فِي تَأْوِيلِ القُرْآنِ)

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا..

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: (لَقَدْ أَدْرَكْتُ فُقَهَاءَ المَدِينَةِ، وَإِنَّهُمْ لَيُغْلِظُونَ القَوْلَ فِي التَّفْسِيرِ، مِنْهُمْ: سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَالقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، وَنَافِعٌ).

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ: (سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْأَلُ سَعِيدَ بْنَ المُسَيَّبِ عَنْ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ، فَقَالَ: لَا أَقُولُ فِي القُرْآنِ شَيْئًا).

وقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعَتُ اللَّيْثَ يُحَدِّثُ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ: (أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِي المَعْلُومِ مِنَ القُرْآنِ).

وَقَالَ ابْنُ سِيرِيْنَ: سَأَلتُ عُبَيْدَةَ السَّلمَانِيَّ عَنْ آيَةٍ، قَالَ: (عَلَيْكَ بِالسَّدَادِ، فَقَدْ ذَهَبَ الَّذِينَ عَلِمُوا فِيمَ أُنْزِلَ القُرْآنُ).

وَقَالَ ابْنُ سِيرِيْنَ: سَأَلتُ عُبَيْدَةَ عَنْ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ فَقَالَ: (ذَهَبَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ فِيمَ أُنْزِلَ القُرْآنُ، اتَّقِ اللهَ وَعَلَيْكَ بِالسَّدَادِ).

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَخْبَارِ؟

قِيلَ لَهُ:

الأَخْبَارُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَمَّنْ ذَكَرْنَاهَا عَنْهُ مِنَ التَّابِعِينَ، بِإِحْجَامِهِ عَنِ التَّأْوِيلِ، فَإِنَّ فِعْلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، كَفِعْلِ مَنْ أَحْجَمَ مِنْهُمْ عَنِ الفُتْيَا فِي النَّوَازِلِ وَالحَوَادِثِ..

مَعَ إِقْرَارِهِ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ إِلَيْهِ، إِلَّا بَعْدَ إِكْمَالِ الدِّينِ بِهِ لِعِبَادِهِ، وَعِلْمِهِ بِأَنَّ للهِ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ وَحَادِثَةٍ حُكْمًا مَوْجُودًا بِنَصٍّ أَوْ دَلَالَةٍ..

فَلَمْ يَكُنْ إِحْجَامُهُ عَنِ القَوْلِ فِي ذَلِكَ إِحْجَامَ جَاحِدٍ أَنْ يَكُونَ للهِ فِيهِ حُكْمٌ مَوْجُودٌ بَيْنَ أَظْهُرِ عِبَادِهِ..

وَلَكِنْ إِحْجَامُ خَائِفٍ أَنْ لَا يَبْلُغَ فِي اجْتِهَادِهِ مَا كَلَّفَ اللهُ العُلَمَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فِيهِ..

فَكَذَلِكَ مَعْنَى إِحْجَامِ مَنْ أَحْجَمَ عَنِ القِيلِ فِي تَأْوِيلِ القُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ مِنَ العُلَمَاءِ السَّلَفِ، **إِنَّمَا كَانَ إِحْجَامُهُ عَنْهُ حِذَارًا أَنْ لَا يَبْلُغَ أَدَاءَ مَا كُلِّفَ مِنْ إِصَابَةِ صَوَابِ القَوْلِ فِيهِ، لَا عَلَى أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ مَحْجُوبٌ عَنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ، غَيْرُ مَوْجُودٍ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.**



(ذِكْرُ الأَخْبَارِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قُدَمَاءِ المُفَسِّرِينَ مَحْمُودًا عِلْمُهُ بِالتَّفْسِيرِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَذْمُومًا عِلْمُهُ بِهِ)

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: (نِعْمَ تَرْجُمَانُ القُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: (رَأَيْتُ مُجَاهِدًا يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، وَمَعَهُ أَلْوَاحُهُ، فَيَقُولُ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: اكْتُبْ، حَتَّى سَأَلَهُ عَنِ التَّفْسِيرِ كُلِّهِ).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (عَرَضْتُ المُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا).

وَقَالَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيُّ: (إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ).

وَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ: (لَمْ يَلْقَ الضَّحَّاكُ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَإِنَّمَا لَقِيَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ بِالرَّيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ التَّفْسِيرَ).

وقَالَ زَكَرِيَّا: (كَانَ الشَّعْبِيُّ يَمُرُّ بِأَبِي صَالِحٍ بَاذَانَ، فَيَأْخُذُ بِأُذُنِهِ فَيَعْرُكُهَا وَيَقُولُ: تُفَسِّرُ القُرْآنَ وَأَنْتَ لَا تَقْرَأُ القُرْآنَ!).

قَدْ قُلْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا فِي وُجُوهِ تَأْوِيلِ القُرْآنِ، وَأَنَّ تَأْوِيلَ جَمِيعِ القُرْآنِ عَلَى

أَوْجُهٍ ثَلَاثَةٍ:

أَحَدُهَا: لَا سَبِيلَ إِلَىٰ الوُصُولِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، وَحَجَبَ عِلْمَهِ عَنْ جَمِيعِ خَلقِهِ، وَهُوَ أَوْقَاتُ مَا كَانَ مِنْ آجَالِ الأُمُورِ الحَادِثَةِ، الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهَا كَائِنَةٌ، مِثْلَ: وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَوَقْتِ نُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَوَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

وَالوَجْهُ الثَّانِي: مَا خَصَّ اللهُ بِعِلمِ تَأْوِيلِهِ نَبِيَّهُ ﷺ دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ، وَهُوَ مَا فِيهِ مِمَّا بِعِبَادِهِ إِلَىٰ عِلمِ تَأْوِيلِهِ الحَاجَةُ، فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَىٰ عِلمِ ذَلِكَ إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ..

وَالثَّالِثُ مِنْهَا: مَا كَانَ عِلمُهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ، وَذَلِكَ عِلمُ تَأْوِيلِ عَرَبِيَّتِهِ وَإِعْرَابِهِ، لَا يُوصَلُ إِلَىٰ عِلمِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمْ..

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ..

فَأَحَقُّ المُفَسِّرِينَ بِإِصَابَةِ الحَقِّ فِي تَأْوِيلِ القُرْآنِ الَّذِي إِلَىٰ عِلمِ تَأْوِيلِهِ لِلعِبَادِ السَّبِيلُ:

أَوْضَحُهُمْ حُجَّةً فِيمَا تَأَوَّلَ وَفَسَّرَ، مِمَّا كَانَ تَأْوِيلُهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ **الثَّابِتَةِ عَنْهُ، إِمَّا مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ المُسْتَفِيضِ**، فِيمَا وُجِدَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُ النَّقْلُ المُسْتَفِيضُ، **وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ نَقْلِ العُدُولِ الأَثْبَاتِ**، فِيمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَنْهُ النَّقْلُ المُسْتَفِيضُ، **أَوْ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ المَنْصُوبَةِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ..**

وَأَصَحُّهُمْ بُرْهَانًا -فِيمَا تَرْجَمَ وَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ- مِمَّا كَانَ مُدْرَكًا عِلمُهُ مِنْ جِهَةِ اللِّسَانِ: **إِمَّا بِالشَّوَاهِدِ** مِنْ أَشْعَارِهِمُ السَّائِرَةِ، **وَإِمَّا مِنْ مَنْطِقِهِمْ** وَلُغَاتِهِمُ المُسْتَفِيضَةِ المَعْرُوفَةِ..

كَائِنًا مَنْ كَانَ ذَلِكَ المُتَأَوِّلُ وَالمُفَسِّرُ، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونَ خَارِجًا تَأْوِيلُهُ وَتَفْسِيرُهُ مَا تَأَوَّلَ وَفَسَّرَ مِنْ ذَلِكَ، عَنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالأَئِمَّةِ، **وَالخَلَفِ** مِنَ التَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ الأُمَّةِ.

(القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ أَسْمَاءِ القُرْآنِ وَسُوَرِهِ وَآيِهِ)

إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ سَمَّىٰ تَنْزِيلَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَسْمَاءً أَرْبَعَةً:

مِنْهُنَّ القُرْآنُ: فَقَالَ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يُوسُف: ٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [النَّمل: ٧٦]..

وَمِنْهُنَّ الفُرْقَانُ: قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي وَحْيِهِ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ يُسَمِّيهِ بِذَلِكَ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرْقَان: ١].

وَمِنْهُنَّ الكِتَابُ: قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكَهْف: ١]..

وَمِنْهُنَّ الذِّكْرُ: قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجْر: ٩].

وَلِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الأَرْبَعَةِ فِي كَلَامِ العَرَبِ، مَعْنًىٰ وَوَجْهٌ غَيْرُ مَعْنَىٰ الآخَرِ وَوَجْهِهِ:

فَأَمَّا القُرْآنُ: فَإِنَّ المُفَسِّرِينَ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، وَالوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ عَلَىٰ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنَ التِّلَاوَةِ وَالقِرَاءَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مِنْ قَوْلِ القَائِلِ: قَرَأْتُ، كَقَوْلِكَ الخُسْرَانُ، مِنْ خَسِرْتُ، والغُفْرَانُ، مِنْ غَفَرَ اللهُ لَكَ، والكُفْرَانُ، مِنْ كَفَرْتُكَ، وَالفُرْقَانُ، مِنْ فَرَقَ اللهُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ الَّذِي هُوَ فُرْقَانٌ: فَإِنَّ تفسِيرَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ جَاءَ فِي ذَلِكَ بِأَلفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ، هِيَ فِي المَعَانِي مُؤْتَلِفَةٌ.. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ النَّجَاةُ، وَكَذَلِكَ كَانَ السُّدِّيُّ يَتَأَوَّلُهُ.. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: الفُرْقَانُ المَخْرَجُ، وَكَذَلِكَ كَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي تَأْوِيلِهِ بِذَلِكَ.. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأَنْفَال: ٤١] يَوْمٌ فَرَّقَ اللهُ فِيهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.. وَكُلُّ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ فِي مَعْنَىٰ الفُرْقَانِ -عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِهَا- مُتَقَارِبَاتُ المَعَانِي؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ جُعِلَ لَهُ مَخْرَجٌ مِنْ أَمْرٍ كَانَ فِيهِ.. فَقَدْ جُعِلَ لَهُ ذَلِكَ المَخْرَجُ مِنْهُ نَجَاةً.. وَكَذَلِكَ إِذَا نُجِّيَ مِنْهُ، فَقَدْ نُصِرَ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُ فِيهِ سُوءًا، وَفُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَاغِيهِ السُّوءَ.. فَجَمِيعُ مَا رَوَيْنَا -عَمَّنْ رُوِّينَا عَنْهُ- فِي مَعْنَىٰ الفُرْقَانِ، قَوْلٌ صَحِيحُ المَعَانِي، لِاتِّفَاقِ مَعَانِي أَلْفَاظِهِمْ فِي ذَلِكَ..

وَأَصْلُ الفُرْقَانِ -عِنْدَنَا- الفَرْقُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَالفَصْلُ بَيْنَهُمَا، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِقَضَاءٍ، وَاسْتِنْقَاذٍ، وَإِظْهَارِ حُجَّةٍ، وَنَصْرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَعَانِي المُفَرِّقَةِ بَيْنَ المُحِقِّ وَالمُبْطِلِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ القُرْآنَ سُمِّيَ فُرْقَانًا لِفَصْلِهِ -بِحُجَجِهِ وَأَدِلَّتِهِ وَحُدُودِ فَرَائِضِهِ وَسَائِرِ مَعَانِي حُكْمِهِ- بَيْنَ المُحِقِّ وَالمُبْطِلِ، وَفُرْقَانُهُ بَيْنَهُمَا بِنَصْرِهِ المُحِقَّ، وَتَخْذِيلِهِ المُبْطِلَ، حُكْمًا وَقَضَاءً.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ الَّذِي هُوَ كِتَابٌ: فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ كَتَبْتُ كِتَابًا، كَمَا تَقُولُ: قُمْتُ قِيَامًا، وَحَسَبْتُ الشَّيْءَ حِسَابًا، وَالكِتَابُ: هُوَ خَطُّ الكَاتِبِ حُرُوفَ المُعْجَمِ مَجْمُوعَةً وَمُفْتَرِقَةً، وَسُمِّيَ كِتَابًا، وَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُوبٌ.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ الَّذِي هُوَ ذِكْرٌ: فَإِنَّهُ مُحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنَّهُ ذِكْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ،

ذَكَّرَ بِهِ عِبَادَهُ، فَعَرَّفَهُمْ فِيهِ حُدُودَهُ وَفَرَائِضَهُ، وَسَائِرَ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ حِكَمِهِ.. **وَالآخَرُ**: أَنَّهُ ذِكْرٌ وَشَرَفٌ وَفَخْرٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِمَا فِيهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزُّخْرُف: ٤٤]، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ شَرَفٌ لَهُ وَلِقَوْمِهِ.

(أَسْمَاءُ سُوَرِ الْقُرْآنِ)

فَالسَّبْعُ الطُّوَلُ: البَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ، وَالمَائِدَةُ، وَالأَنْعَامُ، وَالأَعْرَافُ، وَيُونُسُ.. فِي قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مُوَافَقَتِهِ قَوْلَ سَعِيدٍ هَذَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَىٰ الأَنْفَالِ، وَهِيَ مِنَ المَثَانِي، وَإِلَىٰ بَرَاءَةٌ وَهِيَ مِنَ المِئِينَ، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا سَطْرًا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ؟ مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تُنَزَّلُ عَلَيْهِ السُّورُ ذَوَاتُ العَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بِبَعْضِ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتِ الأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِالمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ القُرْآنِ نُزُولًا، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُهُمَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ).. فَهَذَا الخَبَرُ يُنْبِئُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الأَنْفَالَ وَبَرَاءَةٌ مِنَ السَّبْعِ الطُّوَلِ، وَيُصَرِّحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَىٰ ذَلِكَ مِنْهَا.. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّوَرُ السَّبْعَ الطُّوَلَ، لِطُولِهَا عَلَىٰ سَائِرِ سُوَرِ القُرْآنِ..

وَأَمَّا المِئُونُ: فَهِيَ مَا كَانَ مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ عَدَدُ آيِهِ مِائَةُ آيَةٍ، أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا شَيْئًا أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا يَسِيرًا..

وَأَمَّا المَثَانِي: فَإِنَّهَا مَا ثَنَّىٰ المِئِينَ فَتَلَاهَا، وَكَانَ المِئُونَ لَهَا أَوَائِلَ، وَكَانَ المَثَانِي لَهَا ثَوَانِيَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ المَثَانِي سُمِّيَتْ مَثَانِيَ، لِتَثْنِيَةِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيهَا الأَمْثَالَ وَالخَبَرَ وَالعِبَرَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنُ عَبَّاسٍ.. وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِأَنَّهَا ثُنِّيَتْ فِيهَا الفَرَائِضُ وَالحُدُودُ.. وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ يَكْثُرُ تَعْدَادُهُمْ: القُرْآنُ كُلُّهُ مَثَانٍ. ، وَقَالَ جَمَاعَةٌ أُخْرَىٰ: بَلِ المَثَانِي فَاتِحَةُ الكِتَابِ، لِأَنَّهَا تُثَنَّىٰ قِرَاءَتُهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ.. وَسَنَذْكُرُ أَسْمَاءَ قَائِلِي ذَلِكَ وَعِلَلَهُمْ، وَالصَّوَابَ مِنَ القَوْلِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَىٰ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ

سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحِجر: ٨٧] إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ..

وَبِمِثْلِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ فِي أَسْمَاءِ سُوَرِ القُرْآنِ الَّتِي ذُكِرَتْ، جَاءَ شِعْرُ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّوَاتِي طُوِّلَتْ ... وَبِمِئِينَ بَعْدَهَا قَدْ أُمْئِيَتْ

وَبِمَثَانٍ ثُنِّيَتْ فَكُرِّرَتْ ... وَبِالطَّوَاسِينِ الَّتِي قَدْ ثُلِّثَتْ

وَبِالحَوَامِيمِ اللَّوَاتِي سُبِّعَتْ ... وَبِالمُفَصَّلِ اللَّوَاتِي فُصِّلَتْ

وَهَذِهِ الأَبْيَاتُ تَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلْنَاهُ فِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ.

وَأَمَّا المُفَصَّلُ: فَإِنَّهَا سُمِّيَتْ مُفَصَّلًا لِكَثْرَةِ الفُصُولِ الَّتِي بَيْنَ سُوَرِهَا بِـ(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

(تُسَمَّى كُلُّ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ سُورَةً)

وَتُجْمَعُ سُوَرًا، عَلَىٰ تَقْدِيرِ خُطْبَةٍ وَخُطَبٍ، وَغُرْفَةٍ وَغُرَفٍ.

وَالسُّورَةُ، بِغَيْرِ هَمْزٍ: المَنْزِلَةُ مِنْ مَنَازِلِ الِارْتِفَاعِ، وَمِنْ ذَلِكَ سُوَرُ المَدِينَةِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ الحَائِطُ الَّذِي يَحْوِيهَا، لِارْتِفَاعِهِ عَلَىٰ مَا يَحْوِيهِ، غَيْرَ أَنَّ السُّورَةَ مِنْ سُوَرِ المَدِينَةِ لَمْ يُسْمَعْ فِي جَمْعِهَا (سُوَرٌ)، كَمَا سُمِعَ فِي جَمْعِ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ (سُوَرٌ).. وَقَدْ هَمَزَ بَعْضُهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، وَتَأْوِيلُهَا فِي لُغَةِ مَنْ هَمَزَهَا، القِطْعَةُ الَّتِي قَدْ أُفْضِلَتْ مِنَ القُرْآنِ عَمَّا سِوَاهَا وَأُبْقِيَتْ، وَذَلِكَ أَنَّ سُؤْرَ كُلِّ شَيْءٍ البَقِيَّةُ مِنْهُ تَبْقَىٰ بَعْدَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الفَضْلَةُ مِنْ شَرَابِ الرَّجُلِ -يَشْرَبُهُ ثُمَّ يُفْضِلُهَا فَيُبْقِيهَا فِي الإِنَاءِ- سُؤْرًا.

(الآيَةُ مِنْ آيِ القُرْآنِ)

فَإِنَّهَا تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فِي كَلَامِ العَرَبِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ آيَةً، لِأَنَّهَا عَلَامَةٌ يُعْرَفُ بِهَا تَمَامُ مَا قَبْلَهَا وَابْتِدَاؤُهَا، كَالآيَةِ الَّتِي تَكُونُ دَلَالَةً عَلَىٰ الشَّيْءِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [المَائِدَة: ١١٤] أَيْ عَلَامَةً مِنْكَ لِإِجَابَتِكَ دُعَاءَنَا وَإِعْطَائِكَ إِيَّانَا سُؤْلَنَا..

وَالآخَرُ مِنْهُمَا: القِصَّةُ.. فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الآيَاتِ: القِصَصُ، قِصَّةٌ تَتْلُو قِصَّةً، بِفُصُولٍ وَوُصُولٍ.

القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ الاسْتِعَاذَةِ

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ أَسْتَجِيرُ بِاللهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلقِهِ.. والِاسْتِعَاذَةُ: الِاسْتِجَارَةُ..

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ حَقٍّ يَلزَمُنِي لِرَبِّي.. وَالشَّيْطَانُ فِي كَلَامِ العَرَبِ: كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالدَّوَابِّ وَكُلِّ شَيْءٍ؛ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأَنْعَام: ١١٢]، فَجَعَلَ مِنَ الإِنْسِ شَيَاطِينَ، مِثْلَ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الجِنِّ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ المُتَمَرِّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْطَانًا، لِمُفَارَقَةِ أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ أَخْلَاقَ سَائِرِ جِنْسِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَبُعْدِهِ مِنَ الخَيْرِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ أُخِذَ مِنْ قَوْلِ القَائِلِ: (شَطَنَتْ دَارِي مِنْ دَارِكَ) يُرِيدُ بِذَلِكَ: بَعُدَتْ..

﴿الرَّجِيمِ﴾ المَلعُونِ المَشْتُومِ، وَكُلُّ مَشْتُومٍ بِقَوْلٍ رَدِيءٍ أَوْ سَبٍّ فَهُوَ مَرْجُومٌ، وَأَصْلُ الرَّجْمِ الرَّمْيُ، بِقَوْلٍ كَانَ أَوْ بِفِعْلٍ، وَمِنَ الرَّجْمِ بِالقَوْلِ قَوْلُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مَرْيَم: ٤٦]، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لِلشَّيْطَانِ رَجِيمٌ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ طَرَدَهُ مِنْ سَمَاوَاتِهِ، وَرَجَمَهُ بِالشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَدَّبَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِتَعْلِيمِهِ تَقْدِيمَ ذِكْرِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ أَمَامَ جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي وَصْفِهِ بِهَا قَبْلَ جَمِيعِ مُهِمَّاتِهِ، وَجَعَلَ مَا أَدَّبَهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَّمَهُ إِيَّاهُ، مِنْهُ لِجَمِيعِ خَلقِهِ سُنَّةً يَسْتَنُّونَ بِهَا، وَسَبِيلًا يَتَّبِعُونَهُ عَلَيْهَا، فَبِهِ افْتِتَاحُ أَوَائِلِ مَنْطِقِهِمْ، وَصُدُورُ رَسَائِلِهِمْ وَكُتُبِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ..

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، ولِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُمَا مَعْنًى لا تُؤَدِّي الأُخْرَىٰ مِنْهُمَا عَنْهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ المَعْنَىٰ الَّذِي فِي تَسْمِيَةِ اللهِ بِالرَّحْمَنِ، دُونَ الَّذِي فِي تَسْمِيَتِهِ بِالرَّحِيمِ: هُوَ أَنَّهُ بِالتَّسْمِيَةِ بِالرَّحْمَنِ مَوْصُوفٌ بِعُمُومِ الرَّحْمَةِ جَمِيعَ خَلقِهِ، وَأَنَّهُ بِالتَّسْمِيَةِ بِالرَّحِيمِ مَوْصُوفٌ بِخُصُوصِ الرَّحْمَةِ بَعْضَ خَلقِهِ.. فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَحْمَنُ جَمِيعِ خَلقِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَرَحِيمُ المُؤْمِنِينَ خَاصَّةً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.. فَإِذَا كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ خَصَّ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِمَا لَطَفَ بِهِمْ مِنْ تَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لِطَاعَتِهِ، وَالإِيمَانِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، مِمَّا خُذِلَ عَنْهُ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ، وَكَفَرَ وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَرَكِبَ مَعَاصِيَهُ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ جَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا أَعَدَّ فِي آجِلِ الآخِرَةِ فِي جَنَّاتِهِ مِنَ النَّعِيمِ المُقِيمِ وَالفَوْزِ المُبِينِ، لِمَنْ آمَنَ

بِهِ، وَصَدَّقَ رُسُلَهُ، وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ، خَالِصًا، دُونَ مَنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ بِهِ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ اللهَ قَدْ خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، مَعَ مَا قَدْ عَمَّهُمْ بِهِ وَالكُفَّارَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الإِفْضَالِ وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، فِي البَسْطِ فِي الرِّزْقِ، وَتَسْخِيرِ السَّحَابِ بِالغَيْثِ، وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الأَرْضِ، وَصِحَّةِ الأَجْسَامِ وَالعُقُولِ، وَسَائِرِ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ، الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالكَافِرُونَ.. **فَأَمَّا الَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ رَحْمَتِهِ فَكَانَ رَحْمَانًا لَهُمْ بِهِ**، فَمَا ذَكَرْنَا مَعَ نَظَائِرِهِ الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَىٰ إِحْصَائِهَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلقِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ**﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٤]، و[النَّحْلِ: ١٨].. **وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ، فَالَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ بِهِ فِيهَا مِنْ رَحْمَتِهِ، فَكَانَ لَهُمْ رَحْمَانًا**، تَسْوِيَتُهُ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي عَدْلِهِ وَقَضَائِهِ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا، وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ عُمُومِهِ فِي الآخِرَةِ جَمِيعَهُمْ بِرَحْمَتِهِ، الَّذِي كَانَ بِهِ رَحْمَانًا فِي الآخِرَةِ.. **وَأَمَّا مَا خَصَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ رَحْمَتِهِ، الَّذِي كَانَ بِهِ رَحِيمًا لَهُمْ فِيهَا**، كَمَا قَالَ جُلَّ ذِكْرِهِ: ﴿**وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣**﴾ [الأَحْزَابِ: ٤٣] فَمَا وَصَفْنَا مِنَ اللُّطْفِ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ، فَخَصَّهُمْ بِهِ، دُونَ مَنْ خَذَلَهُ مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ بِهِ.. **وَأَمَّا مَا خَصَّهُمْ بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَكَانَ بِهِ رَحِيمًا لَهُمْ دُونَ الكَافِرِينَ**، فَمَا وَصَفْنَا آنِفًا مِمَّا أَعَدَّ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّعِيمِ، وَالكَرَامَةِ الَّتِي تَقْصُرُ عَنْهَا الأَمَانِيُّ.



القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]

﴿الحَمْدُ للهِ﴾ الشُّكْرُ خَالِصًا للهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلقِهِ، **بِمَا أَنْعَمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ** مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا العَدَدُ، وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ، **فِي تَصْحِيحِ الآلَاتِ لِطَاعَتِهِ**، وَتَمْكِينِ جَوَارِحِ أَجْسَامِ المُكَلَّفِينَ لِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، **مَعَ مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ** مِنَ الرِّزْقِ، وَغَذَّاهُمْ بِهِ مِنْ نَعِيمِ العَيْشِ، **مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ** لِذَلِكَ عَلَيْهِ، **وَمَعَ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ الأَسْبَابِ المُؤَدِّيَةِ إِلَىٰ دَوَامِ الخُلُودِ فِي دَارِ المُقَامِ فِي النَّعِيمِ المُقِيمِ**، فَلِرَبِّنَا الحَمْدُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا.. **فَحَمِدَ نَفْسَهُ** جَلَّ ذِكْرُهُ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهَا بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، **ثُمَّ عَلَّمَ ذَلِكَ عِبَادَهُ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ تِلَاوَتَهُ، اخْتِبَارًا مِنْهُ لَهُمْ وَابْتِلَاءً**، فَقَالَ لَهُمْ قُولُوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، وَقُولُوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فَقَوْلُهُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مِمَّا عَلَّمَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يَقُولُوهُ وَيَدِينُوا لَهُ بِمَعْنَاهُ، وَذَلِكَ مَوْصُولٌ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، وَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا هَذَا وَهَذَا..

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ١] الرَّبُّ فِي كَلَامِ العَرَبِ مُنْصَرِفٌ عَلَىٰ مَعَانٍ: **فَالسَّيِّدُ المُطَاعُ** فِيهَا يُدْعَىٰ رَبًّا.. **وَالرَّجُلُ المُصْلِحُ** لِلشَّيْءِ يُدْعَىٰ رَبًّا، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: إِنَّ فُلَانًا يَرُبُّ صَنِيعَتَهُ عِنْدَ فُلَانٍ؛ إِذَا كَانَ يُحَاوِلُ إِصْلَاحَهَا وَإِدَامَتَهَا.. **وَالمَالِكُ** لِلشَّيْءِ يُدْعَىٰ رَبَّهُ.. وَقَدْ يَتَصَرَّفُ أَيْضًا مَعْنَىٰ (الرَّبِّ) فِي وُجُوهٍ غَيْرِ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهَا تَعُودُ إِلَىٰ بَعْضِ هَذِهِ الوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ.. **فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: السَّيِّدُ** الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا مِثْلَ فِي سُؤْدُدِهِ، **وَالمُصْلِحُ** أَمْرَ خَلقِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، **وَالمَالِكُ** الَّذِي لَهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ.. **وَالعَالَمُونَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَالعَالَمُ: جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ**، كَالأَنَامِ وَالرَّهْطِ وَالجَيْشِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي هِيَ مَوْضُوعَاتٌ عَلَىٰ جِمَاعٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.. **وَالعَالَمُ اسْمٌ لِأَصْنَافِ الأُمَمِ**، وَكُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا عَالَمٌ، **وَأَهْلُ كُلِّ قَرْنٍ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا عَالَمُ ذَلِكَ القَرْنِ وَذَلِكَ الزَّمَانِ**، فَالإِنْسُ عَالَمٌ، وَكُلُّ أَهْلِ زَمَانٍ مِنْهُمْ عَالَمُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَالجِنُّ عَالَمٌ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَجْنَاسِ الخَلقِ، كُلُّ جِنْسٍ مِنْهَا عَالَمُ زَمَانِهِ، **وَلِذَلِكَ جُمِعَ فَقِيلَ: عَالَمُونَ، وَوَاحِدُهُ جَمْعٌ**، لِكَوْنِ عَالَمِ كُلِّ زَمَانٍ مِنْ ذَلِكَ عَالَمَ ذَلِكَ الزَّمَانِ.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣]

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٢] قَدْ مَضَىٰ البَيَانُ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، فِي تَأْوِيلِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.. وَلَمْ نَحْتَجْ إِلَىٰ الإِبَانَةِ عَنْ وَجْهِ تَكْرِيرِ ذَلِكَ فِي هَذَا المَوْضِعِ، إِذْ كُنَّا لا نَرَىٰ أَنَّ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ مِنْ فَاتِحَةِ الكِتَابِ آيَةٌ.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] القُرَّاءُ مُخْتَلِفُونَ فِي تِلَاوَةِ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ).. فَبَعْضُهُمْ يَتْلُوهُ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وَبَعْضُهُمْ يَتْلُوهُ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ).. وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِلُغَاتِ العَرَبِ، أَنَّ المَلِكَ مِنَ (المُلْكِ) مُشْتَقٌّ، وَأَنَّ المَالِكَ مِنَ (المِلْكِ) مَأْخُوذٌ.. فَتَأْوِيلُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، أَنَّ للهِ المُلْكَ يَوْمَ الدِّينِ خَالِصًا دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مُلُوكًا جَبَابِرَةً يُنَازِعُونَهُ المُلْكَ، وَيُدَافِعُونَهُ الِانْفِرَادَ بِالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ وَالجَبْرِيَّةِ، فَأَيْقَنُوا بِلِقَاءِ اللهِ يَوْمَ الدِّينِ أَنَّهُمُ الصَّغَرَةُ الأَذِلَّةُ، وَأَنَّ لَهُ - مِنْ دُونِهِمْ، وَدُونَ غَيْرِهِمْ - المُلْكَ وَالكِبْرِيَاءَ، وَالعِزَّةَ وَالبَهَاءَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: ١٦] فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ المُنْفَرِدُ يَوْمَئِذٍ بِالمُلْكِ دُونَ مُلُوكِ الدُّنْيَا، الَّذِينَ صَارُوا يَوْمَ الدِّينِ مِنْ مُلْكِهِمْ إِلَىٰ ذِلَّةٍ وَصَغَارٍ، وَمِنْ دُنْيَاهُمْ فِي المَعَادِ إِلَىٰ خَسَارٍ.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، أَنَّهُ لا يَمْلِكُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مَعَهُ حُكْمًا كَمِلْكِهِمْ فِي الدُّنْيَا، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ۝٣٨﴾ [النَّبَأ: ٣٨] وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ بِالآيَةِ، وَأَصَحُّ القِرَاءَتَيْنِ فِي التِّلَاوَةِ عِنْدِي، التَّأْوِيلُ الأَوَّلُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ (مَلِكِ) بِمَعْنَىٰ (المُلْكِ)؛ لِأَنَّ فِي الإِقْرَارِ لَهُ بِالِانْفِرَادِ بِالمُلْكِ، إِيجَابًا لِانْفِرَادِهِ بِالمِلْكِ، وَفَضِيلَةَ زِيَادَةِ المِلْكِ عَلَىٰ المَالِكِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنْ لا مَلِكَ إِلَّا وَهُوَ مَالِكٌ، وَقَدْ يَكُونُ المَالِكُ لَا مَلِكًا.. وقَدْ أَخْبَرَ عِبَادَهُ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَ قَوْلِهِ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أَنَّهُ مَالِكُ جَمِيعِ العَالَمِينَ وَسَيِّدُهُمْ، وَمُصْلِحِهِمْ، وَالنَّاظِرُ لَهُمْ، وَالرَّحِيمُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، وَإِذْ كَانَ جَلَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَنْبَأَهُمْ عَنْ مِلْكِهِ إِيَّاهُمْ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فَأَوْلَىٰ الصِّفَاتِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يَتْبَعَ ذَلِكَ مَا لَمْ يَحْوِهِ قَوْلُهُ ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، مَعَ قُرْبِ مَا بَيْنَ الآيَتَيْنِ مِنَ المُوَاصَلَةِ وَالمُجَاوَرَةِ، إِذْ كَانَتْ حِكْمَتُهُ الحِكْمَةَ الَّتِي لَا تُشْبِهُهَا حِكْمَةٌ، وَكَانَ فِي إِعَادَةِ وَصْفِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بِأَنَّهُ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، إِعَادَةُ مَا قَدْ مَضَىٰ مِنْ وَصْفِهِ بِهِ فِي قَوْلِهِ (رَبِّ العَالَمِينَ)، مَعَ تَقَارُبِ الآيَتَيْنِ وَتَجَاوُزِ الصِّفَتَيْنِ، وَكَانَ فِي إِعَادَةِ ذَلِكَ تَكْرَارُ أَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ

بِمَعَانٍ مُتَّفِقَةٍ، لا تُفِيدُ سَامِعَ مَا كُرِّرَ مِنْهُ فَائِدَةً بِهِ إِلَيْهَا حَاجَةٌ، وَالَّذِي لَمَّ يَحْوِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، المَعْنَىٰ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وَهُوَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ المَلِكُ.. فَبَيِّنٌ إِذًا أَنَّ أَوْلَىٰ القِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ، وَأَحَقُّ التَّأْوِيلَيْنِ بِالكِتَابِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، بِمَعْنَىٰ إِخْلَاصِ المُلْكِ لَهُ يَوْمَ الدِّينِ، دُونَ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ الَّذِي بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَمْلِكُ الحُكْمَ بَيْنَهُمْ وَفَصْلَ القَضَاءِ، مُتَفَرِّدًا بِهِ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ.. وأما قِرَاءَةُ: (مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ) فَمَحْظُورَةٌ غَيْرُ جَائِزَةٍ، لِإِجْمَاعِ جَمِيعِ الحُجَّةِ مِنَ القُرَّاءِ وَعُلَمَاءِ الأُمَّةِ عَلَىٰ رَفْضِ القِرَاءَةِ بِهَا.. وَالدِّينُ فِي هَذَا المَوْضِعِ، بِتَأْوِيلِ الحِسَابِ وَالمُجَازَاةِ بِالأَعْمَالِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ - يَعْنِي: بِالجَزَاءِ - ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفطار: ٩، ١٠] يُحْصُونَ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٦﴾ [الواقعة: ٨٦]، يَعْنِي غَيْرَ مَجْزِيِّينَ بِأَعْمَالِكُمْ وَلَا مُحَاسَبِينَ.. وَلِلدِّينِ مَعَانٍ فِي كَلَامِ العَرَبِ، غَيْرُ مَعْنَىٰ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ، سَنَذْكُرُهَا فِي أَمَاكِنِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ.. وَبِمَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ جَاءَتِ الآثَارُ عَنِ السَّلَفِ مِنَ المُفَسِّرِينَ، قال قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾: (يَوْمَ يَدِينُ اللهُ العِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ).

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ لَكَ اللهُمَّ نَخْشَعُ وَنَذِلُّ وَنَسْتكِينُ، إِقْرَارًا لَكَ يَا رَبَّنَا بِالرُّبُوبِيَّةِ لَا لِغَيْرِكَ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا البَيَانَ عَنْ تَأْوِيلِهِ بِأَنَّهُ بِمَعْنَىٰ نَخْشَعُ وَنَذِلُّ وَنَسْتَكِينُ، دُونَ البَيَانِ عَنْهُ بِأَنَّهُ بِمَعْنَىٰ نَرْجُو وَنَخَافُ -وَإِنْ كَانَ الرَّجَاءُ وَالخَوْفُ لَا يَكُونَانِ إِلَّا مَعَ ذِلَّةٍ- لِأَنَّ العُبُودِيَّةَ، عِنْدَ جَمِيعِ العَرَبِ أَصِلُهَا الذِّلَّةُ، وَأَنَّهَا تُسَمَّىٰ الطَّرِيقَ المُذَلَّلَ الَّذِي قَدْ وَطِئَتْهُ الأَقْدَامُ، وَذَلَّلَتْهُ السَّابِلَةُ: مُعَبَّدًا، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلبَعِيرِ المُذَلَّلِ بِالرُّكُوبِ فِي الحَوَائِجِ: مُعَبَّدٌ، وَمِنْهُ سُمِّيَ العَبْدُ عَبْدًا لِذِلَّتِهِ لِمَوْلَاهُ، وَالشَّوَاهِدُ عَلَىٰ ذَلِكَ - مِنْ أَشْعَارِ العَرَبِ وَكَلَامِهَا - أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ..

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] وَإِيَّاكَ رَبَّنَا نَسْتَعِينُ عَلَىٰ عِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَطَاعَتِنَا لَكَ، وَفِي أُمُورِنَا كُلِّهَا، لَا أَحَدًا سِوَاكَ؛ إِذْ كَانَ مَنْ يَكْفُرُ بِكَ يَسْتَعِينُ فِي أُمُورِهِ مَعْبُودَهُ الَّذِي يَعْبُدُهُ مِنَ الأَوْثَانِ دُونَكَ، وَنَحْنُ بِكَ نَسْتَعِينُ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا مُخْلِصِينَ لَكَ العِبَادَةَ.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦] وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَىٰ مَا ارْتَضَيْتَهُ وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ لِمَا وُفِّقَ لَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، فَقَدْ وُفِّقَ لِلإِسْلَامِ، وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالكِتَابِ، وَالعَمَلِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مَنْهَجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهَاجِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَكُلِّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ.. وَمَعْنَاهُ نَظِيرُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، فِي أَنَّهُ مَسْأَلَةُ العَبْدِ رَبَّهُ التَّوْفِيقَ لِلثَّبَاتِ عَلَىٰ العَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَإِصَابَةِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ، فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ عُمُرِهِ، دُونَ مَا قَدْ مَضَىٰ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَتَقَضَّىٰ فِيمَا سَلَفَ مِنْ عُمُرِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، مَسْأَلَةٌ مِنْهُ رَبَّهُ المَعُونَةَ عَلَىٰ أَدَاءِ مَا قَدْ كَلَّفَهُ مِنْ طَاعَتِهِ، فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ، فَكَانَ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: اللهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، مُخْلِصِينَ لَكَ العِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاكَ مِنَ الآلِهَةِ وَالأَوْثَانِ، فَأَعِنَّا عَلَىٰ عِبَادَتِكَ، وَوَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، مِنَ السَّبِيلِ وَالمِنْهَاجِ.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] إِبَانَةٌ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، أَيُّ الصِّرَاطِ هُوَ؟ إِذْ كَانَ كُلُّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الحَقِّ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، فَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: اهْدِنَا يَا رَبَّنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ، مِنْ مَلَائِكَتِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.. وَذَلِكَ نَظِيرُ مَا قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النِّسَاء: ٦٦ - ٦٩]، فَالَّذِي أُمِرَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ أَنْ يَسْأَلُوا رَبَّهُمْ مِنَ الهِدَايَةِ لِلطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ، هِيَ الهِدَايَةُ لِلطَّرِيقِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُ، وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فِي تَنْزِيلِهِ، وَوَعَدَ مَنْ سَلَكَهُ فَاسْتَقَامَ فِيهِ طَائِعًا للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، أَنْ يُورِدَهُ مَوَارِدَهُمْ، وَاللهُ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ.. قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: (﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ النَّبِيُّونَ).. وَقَالَ وَكِيعٌ: (﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ المُسْلِمِينَ).. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: (﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ).. وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ طَاعَةَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَنَالُهَا المُطِيعُونَ إِلَّا بِإِنْعَامِ اللهِ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لَهَا، أَوَ لَا يَسْمَعُونَهُ يَقُولُ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فَأَضَافَ كُلَّ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ اهْتِدَاءٍ وَطَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ إِلَىٰ أَنَّهُ إِنْعَامٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ؟!

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]

﴿غَيۡرِ﴾ القَرَأَةُ مُجْمِعَةٌ عَلَىٰ قِرَاءَةِ ﴿غَيۡرِ﴾ بِجرِّ الرَّاءِ مِنْهَا، وَالخفْضُ يَأْتِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ: **أَحَدُهُمَا:** أَنْ يَكُونَ ﴿غَيۡرِ﴾ صِفَةً لِـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وَنَعْتًا لَهُمْ فَتَخْفِضَهَا؛ إِذْ كَانَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خَفْضًا، وَهِيَ لَهُمْ نَعْتٌ وَصِفَةٌ.. **وَالوَجْهُ الآخَرُ مِنْ وَجْهَي الخفْضِ فِيهَا:** أَنْ يَكُونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بِمَعْنَىٰ المَعْرِفَةِ المُؤَقَّتَةِ، وَإِذَا وُجِّهَ إِلَىٰ ذَلِكَ، كَانَتْ ﴿غَيۡرِ﴾ مَخْفُوضَةً بِنِيَّةِ تَكْرِيرِ ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ الَّذِي خُفِضَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ عَلَيْهَا، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، صِرَاطَ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ).. وَهَذَانَ التَّأْوِيلَانِ وَإِنِ اخْتَلَفَا بِاخْتِلَافِ مُعْرِبِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا يَتَقَارَبُ مَعْنَاهُمَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ **مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ فَهَدَاهُ لِدِينِهِ الحَقِّ، فَقَدْ سَلِمَ مَنْ غَضَبِ رَبِّهِ وَنَجَا مِنَ الضَّلَالِ فِي دِينِهِ..**

﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ فَقَالَ: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [المائدة: ٦٠]، **فَأَعْلَمَنَا** جَلَّ ذِكْرُهُ ثَمَّةَ مَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، **ثُمَّ عَلَّمَنَا** -مِنَّةً مِنْهُ عَلَيْنَا- وَجْهَ السَّبِيلِ إِلَىٰ النَّجَاةِ مِنْ أَنْ يَحِلَ بِنَا مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ مِنَ المَثُلَاتِ، وَرَأْفَةً مِنْهُ بِنَا.. **فَإِنْ قِيلَ: وَمَا الدَّلِيلُ** عَلَىٰ أَنَّهُمْ أُولَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ وَذَكَرَ نَبَأَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ؟ **قِيلَ: ما جَاءَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ**، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، اليَهُودُ».. **وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ:** أَنَّ رُجُلًا أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُحَاصِرٌ وَادِيَ القُرَىٰ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُحَاصِرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هَؤُلَاءِ المَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، اليَهُودُ».. **وَاخْتُلِفَ فِي صِفَةِ الغَضَبِ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ:** غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ مِنْ خَلقِهِ، إِحْلَالُ عُقُوبَتِهِ بِمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ، إِمَّا فِي دُنْيَاهُ، وَإِمَّا فِي آخِرَتِهِ، كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥﴾ [الزُّخرُف: ٥٥]، وَكَمَا قَالَ: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ [المَائِدَة: ٦٠].. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، ذَمٌّ مِنْهُ لَهُمْ وَلِأَفْعَالِهِمْ، وَشَتْمٌ لَهُمْ مِنْهُ بِالقَوْلِ.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** الغَضَبُ مِنْهُ مَعْنًىٰ مَفْهُومٌ، كَالَّذِي يُعْرَفُ مِنْ مَعَانِي الغَضَبِ، غَيْرَ أَنَّهُ - وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الإِثْبَاتِ - فَمُخَالِفٌ مَعْنَاهُ مِنْهُ مَعْنَىٰ مَا يَكُونُ مِنْ غَضَبِ الآدَمِيِّينَ الَّذِينَ يُزْعِجُهُمْ وَيُحَرِّكُهُمْ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ وَيُؤْذِيهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا تَحِلُّ ذَاتَهُ الآفَاتُ، وَلَكِنَّهُ لَهُ صِفَةٌ، كَمَا العِلمُ لَهُ صِفَةٌ، وَالقُدْرَةُ لَهُ صِفَةٌ، عَلَىٰ مَا يُعْقَلُ مِنْ جِهَةِ الإِثْبَاتِ، وَإِنْ خَالَفَتْ مَعَانِي ذَلِكَ مَعَانِي عُلُومِ العِبَادِ، الَّتِي هِيَ مَعَارِفُ القُلُوبِ، وَقُوَاهُمُ الَّتِي

تُوجَدُ مَعَ وُجُودِ الأَفْعَالِ وَتُعْدَمُ مَعَ عَدَمِهَا..

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ فِي تَنْزِيلِهِ فَقَالَ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المَائِدَة: ٧٧].. فَإِنْ قَالَ: وَمَا بُرْهَانُكَ عَلَىٰ أَنَّهُمْ أُولَاءِ؟ قِيلَ: قَوْلُهُ ﷺ: «النَّصَارَىٰ هُمُ الضَّالُّونَ».. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قوله ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: (وَغَيْرِ طَرِيقِ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللهُ بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ، فَأَلْهِمْنَا دِينَكَ الحَقَّ، وَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَتَّىٰ لَا تَغْضَبَ عَلَيْنَا كَمَا غَضِبْتَ عَلَىٰ اليَهُودِ، وَلَا تُضِلَّنَا كَمَا أَضْلَلْتَ النَّصَارَىٰ فَتُعَذِّبَنَا بِمَا تُعَذِّبُهُمْ بِهِ، امْنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ بِرِفْقِكَ وَرَحْمَتِكَ وَقُدْرَتِكَ).. فَكُلُّ حَائِدٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَسَالِكٍ غَيْرَ المَنْهَجِ القَوِيمِ، فَضَالٌّ عِنْدَ العَرَبِ، لِإِضْلَالِهِ وَجْهَ الطَّرِيقِ، فَلِذَلِكَ سَمَّىٰ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ النَّصَارَىٰ ضُلَّالًا لِخَطَئِهِمْ فِي الحَقِّ مَنْهَجَ السَّبِيلِ، وَأَخْذِهِمْ مِنَ الدِّينِ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ صِفَةِ اليَهُودِ؟ قِيلَ: بَلَىٰ! فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ خَصَّ النَّصَارَىٰ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَخَصَّ اليَهُودَ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ؟ قِيلَ: كِلَا الفَرِيقَيْنِ ضُلَّالٌ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَسَمَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَنْ صِفَتِهِ لِعِبَادِهِ بِمَا يَعْرِفُونَهُ بِهِ، إِذَا ذَكَرَهُ لَهُمْ أَوْ أَخْبَرَهُمْ عَنْهُ، وَلَمْ يُسَمِّ وَاحِدًا مِنَ الفَرِيقَيْنِ إِلَّا بِمَا هُوَ لَهُ صِفَةٌ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الذَّمِّ زِيَادَاتٌ عَلَيْهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ العَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾، قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قَالَ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي. فَهَذَا لِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ إِلَىٰ أَنْ يَخْتِمَ السُّورَةَ، قَالَ: فَذَاكَ لَهُ».

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ (٢) وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَثَمَانُونَ وَمِائَتَانِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ

﴿الٓمٓ ①﴾ [البقرة: ١]

﴿الٓمٓ ①﴾ [البقرة: ١] **جَعَلَهَا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُه حُرُوفًا مُقَطَّعَةً، وَلَمْ يَصِلْ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ فَيَجْعَلُهَا** كَسَائِرِ الكَلَامِ المُتَّصِلِ الحُرُوفِ؛ **لِأَنَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ أَرَادَ بِلَفْظِهِ الدَّلَالَةَ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَلَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، لَا عَلَىٰ مَعْنًىٰ وَاحِدٍ..** فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَرْفٌ وَاحِدٌ شَامِلًا الدَّلَالَةَ عَلَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؟ **قِيلَ**: كَمَا جَازَ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، كَقَوْلِهِمْ لِلجَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ: أُمَّةٌ، وَلِلحِينِ مِنَ الزَّمَانِ: أُمَّةٌ، وَلِلرَّجُلِ المُتَعَبِّدِ المُطِيعِ للهِ: أُمَّةٌ، وَلِلدِّينِ وَالمِلَّةِ: أُمَّةٌ، وَكَقَوْلِهِمْ لِلجَزَاءِ وَالقِصَاصِ: دِينٌ، وَلِلسُّلطَانِ وَالطَّاعَةِ: دِينٌ، وَلِلتَّذَلُّلِ: دِينٌ، وَلِلحِسَابِ: دِينٌ، فِي أَشْبَاهٍ لِذَلِكَ كَثِيرَةٍ يَطُولُ الكِتَابُ بِإِحْصَائِهَا مِمَّا يَكُونُ مِنَ الكَلَامِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿الٓمٓ ①﴾، و﴿الٓر﴾، و﴿الٓمٓصٓ ①﴾ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ حُرُوفِ المُعْجَمِ الَّتِي هِيَ فَوَاتِحُ أَوَائِلِ السُّوَرِ، **كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا دَالٌّ عَلَىٰ مَعَانٍ شَتَّىٰ، شَامِلٌ جَمِيعُهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **وَصِفَاتِهِ** مَا قَالَهُ المُفَسِّرُونَ، كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِم: (أَنَا اللهُ أَعْلَمُ)، وعَنْ بَعْضِهِم: (الأَلِفُ: مِفْتَاحُ اسْمِهِ اللهُ، وَاللَّامُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ لَطِيفٌ، وَالمِيمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ مَجِيدٌ، وَالأَلِفُ آلَاءُ اللهِ، وَاللَّامُ لُطْفُهُ، وَالمِيمُ: مَجْدُهُ).. **وَهُنَّ مَعَ ذَلِكَ فَوَاتِحُ السُّوَرِ**، وَلَيْسَ كَوْنُ ذَلِكَ مِنْ حُرُوفِ أَسْمَاءِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَصِفَاتِهِ بِمَانِعِهَا أَنْ تَكُونَ لِلسُّوَرِ فَوَاتِحَ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدِ افْتَتَحَ كَثِيرًا مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ بِالحَمْدِ لِنَفْسِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهَا، وَكَثِيرًا مِنْهَا بِتَمْجِيدِهَا وَتَعْظِيمِهَا، فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يَبْتَدِئَ بَعْضَ ذَلِكَ بِالقَسَمِ بِهَا.. **وَهُنَّ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِنَّ**، لِأَنَّ أَحَدَ مَعَانِيهِنَّ أَنَّهُنَّ مِنْ حُرُوفِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَا شَكَّ فِي صِحَّةِ مَعْنَىٰ القَسَمِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.. **وَهُنَّ لِلسُّوَرِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهِنَّ شِعَارٌ وَأَسْمَاءٌ**، فَذَلِكَ يَحْوِي مَعَانِيَ جَمِيعِ مَا وَصَفْنَا.. **وَقَالَ آخَرُونَ**: بَلِ ابْتُدِئَتْ بِذَلِكَ أَوَائِلُ السُّوَرِ لِيَفْتَحَ لِاسْتِمَاعِهِ أَسْمَاعَ المُشْرِكِينَ -إِذْ تَوَاصَوْا بِالإِعْرَاضِ عَنِ القُرْآنِ- حَتَّىٰ إِذَا اسْتَمَعُوا لَهُ، تُلِيَ عَلَيْهِمُ المُؤَلَّفُ مِنْهُ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ②﴾ [البقرة: ٢]

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَبَيَّنْتُهُ لَكَ الكِتَابُ..

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ.. وَالهَاءُ الَّتِي فِي ﴿فِيهِ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الكِتَابِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ الكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُدًى لِلمُتَّقِينَ..

﴿هُدًى﴾ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، كما قال الشعبي.. ونُورٌ لِلمُتَّقِينَ، كَمَا رُوِي عن ابن عباس.. وَالهُدَىٰ فِي هَذَا المَوْضِعِ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ: (هَدَيْتُ فُلَانًا الطَّرِيقَ) إِذَا أَرْشَدْتَهُ إِلَيْهِ، وَدَلَلْتَهُ عَلَيْهِ، وَبَيَّنْتَهُ لَهُ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: أَوَ مَا كِتَابُ اللهِ نُورًا إِلَّا لِلمُتَّقِينَ، وَلَا رَشَادًا إِلَّا لِلمُؤْمِنِينَ؟ قِيلَ: ذَلِكَ كَمَا وَصَفَهُ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ، وَلَوْ كَانَ نُورًا لِغَيْرِ المُتَّقِينَ، وَرَشَادًا لِغَيْرِ المُؤْمِنِينَ، لَمْ يَخْصُصِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المُتَّقِينَ بِأَنَّهُ لَهُمْ هُدًى، بَل كَانَ يَعُمُّ بِهِ جَمِيعَ المُنْذَرِينَ، وَلَكِنَّهُ هُدًى لِلمُتَّقِينَ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي صُدُورِ المُؤْمِنِينَ، وَوَقْرٌ فِي آذَانِ المُكَذِّبِينَ، وَعَمًى لِأَبْصَارِ الجَاحِدِينَ، وَحُجَّةٌ للهِ بَالِغَةٌ عَلَىٰ الكَافِرِينَ، فَالمُؤْمِنُ بِهِ مُهْتَدٍ، وَالكَافِرُ بِهِ مَحْجُوجٌ..

﴿لِلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] اتَّقَوْا مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّوْا مَا افْتُرِضَ عَلَيْهِمْ، وهو يروىٰ عن الحسن.. ورُوِيَ عن ابن عباس: (الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عُقُوبَتَهُ، فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الهُدَىٰ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ بِالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ).. وَهُمُ المُؤْمِنُونَ، كَمَا رُوِي عن ابن مسعود.. وقال أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: (سَأَلَنِي الأَعْمَشُ عَنِ ﴿المُتَّقِينَ﴾، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ لِي: سَل عَنْهَا الكَلْبِيَّ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ الأَعْمَشِ، فَقَالَ: نَرَىٰ أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ).. ويُروىٰ عن قَتَادة: (هُمْ مَنْ نَعَتَهُمْ وَوَصَفَهُمْ فَأَثْبَتَ صِفَتَهُمْ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾).. ورُوِي عن ابن عباس: (المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الشِّرْكَ بِي، وَيَعْمَلُونَ بِطَاعَتِي).. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، تَأْوِيلُ مَنْ وَصَفَ القَوْمَ بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي رُكُوبِ مَا نَهَاهُمْ عَنْ رُكُوبِهِ، فَتَجَنَّبُوا مَعَاصِيَهُ، وَاتَّقَوْهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَأَطَاعُوهُ بِأَدَائِهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَفَهُمْ بِالتَّقْوَىٰ، فَلَمْ يَحْصُرْ تَقْوَاهُمْ إِيَّاهُ عَلَىٰ بَعْضٍ مَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنْهُمْ دُونَ بَعْضٍ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْصُرَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ وَصْفِهِمْ بِشَيْءٍ مِنْ تَقْوَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ دُونَ شَيْءٍ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ القَوْمِ لَوْ كَانَ مَحْصُورًا عَلَىٰ خَاصٍّ مِنْ مَعَانِي التَّقْوَىٰ دُونَ العَامِّ مِنْهَا لَمْ يَدَعِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيَانَ ذَلِكَ لِعِبَادِهِ: إِمَّا فِي كِتَابِهِ، وَإِمَّا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي العَقْلِ دَلِيلٌ عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ وَصْفِهِمْ بِعُمُومِ التَّقْوَىٰ.. فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذًا بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ: الَّذِينَ اتَّقَوُا الشِّرْكَ وَبَرِئُوا مِنَ النِّفَاقِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ كَذَلِكَ، وَهُوَ فَاسِقٌ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ - عِنْدَ قَائِلِ هَذَا القَوْلِ - مَعْنَىٰ النِّفَاقِ: رُكُوبُ الفَوَاحِشِ الَّتِي

حَرَّمَهَا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَضْيِيعُ فَرَائِضِهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ العِلمِ قَدْ كَانَتْ تُسَمِّي مَنْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مُنَافِقًا، **فَيَكُونُ -وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا فِي تَسْمِيَتِهِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ بِهَذَا الِاسْمِ- مُصِيبًا** تَأْوِيلَ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣]

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ، كَمَا رُوِي عن ابن عباس، وابن مسعود.. ورُوي عن الرَّبيعِ: (يَخْشَوْنَ).. وقَالَ الزُّهرِيُّ: (الإِيمَانُ العَمَلُ).. **وَمَعْنَى الإِيمَانِ عِنْدَ العَرَبِ**: التَّصْدِيقُ، فَيُدْعَى المُصَدِّقُ بِالشَّيْءِ قَوْلًا مُؤْمِنًا بِهِ، وَيُدْعَى المُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعْلِهِ، مُؤْمِنًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [يُوسُف: ١٧]، يَعْنِي: وَمَا أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ لَنَا فِي قَوْلِنَا.. **وَقَدْ تَدْخُلُ الخَشْيَةُ للهِ فِي** مَعْنَى الإِيمَانِ، الَّذِي **هُوَ تَصْدِيقُ القَوْلِ بِالعَمَلِ.. وَالإِيمَانُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِلإِقْرَارِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتَصْدِيقِ الإِقْرَارِ بِالفِعْلِ**.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، **فَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الآيَةِ، وَأَشْبَهُ بِصِفَةِ القَوْمِ: أَنْ يَكُونُوا مَوْصُوفِينَ بِالتَّصْدِيقِ بِالغَيْبِ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا وَعَمَلًا**؛ إِذْ كَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَحْصُرْهُمْ مِنْ مَعْنَى الإِيمَانِ عَلَى مَعْنًى دُونَ مَعْنًى، بَل أَجْمَلَ وَصْفَهُمْ بِهِ مِنْ غَيْرِ خُصُوصِ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِيهِ أَخْرَجَهُ مِنْ صِفَتِهِمْ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ..

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ مَا غَابَ عَنِ العِبَادِ مِنْ أَمْرِ الجَنَّةِ وَأَمْرِ النَّارِ، وَمَا ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي القُرْآنِ، لَمْ يَكُنْ تَصْدِيقُهُمْ بِذَلِكَ - يَعْنِي: المُؤْمِنِينَ مِنَ العَرَبِ- مِنْ قِبَلِ أَصْلِ كِتَابٍ أَوْ عِلمٍ كَانَ عِنْدَهُمْ.. **وَأَصْلُ الغَيْبِ**: كُلُّ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ شَيْءٍ.. **وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي أَعْيَانِ القَوْمِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مَنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ فِيهِمْ، وَفِي نَعْتِهِمْ وَصِفَتِهِمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ بِهَا، مِنْ إِيمَانِهِمْ بِالغَيْبِ، وَسَائِرِ المَعَانِي الَّتِي حَوَتْهَا الآيَتَانِ مِنْ صِفَاتِهِمْ غَيْرَهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُمْ مُؤْمِنُو العَرَبِ خَاصَّةً، دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الكِتَابِ، **وَاسْتَدَلُّوا عَلَى صِحَّةِ** قَوْلِهِمْ ذَلِكَ وَحَقِيقَةِ تَأْوِيلِهِمْ، بِالآيَةِ الَّتِي تَتْلُو هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، قَالُوا: فَلَمْ يَكُنْ لِلعَرَبِ كِتَابٌ قَبْلَ الكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، تَدِينُ بِتَصْدِيقِهِ وَالإِقْرَارِ وَالعَمَلِ بِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ الكِتَابُ لِأَهْلِ الكِتَابَيْنِ غَيْرِهَا، قَالُوا: فَلَمَّا قَصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَبَأَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ - بَعْدَ اقْتِصَاصِهِ نَبَأَ المُؤْمِنِينَ بِالغَيْبِ- عَلِمْنَا أَنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ غَيْرُ الصِّنْفِ الآخَرِ، وَأَنَّ المُؤْمِنِينَ بِالغَيْبِ نَوْعٌ غَيْرُ النَّوْعِ المُصَدِّقِ بِالكِتَابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحَدُهُمَا مُنَزَّلٌ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالآخَرُ مِنْهُمَا عَلَى مَنْ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ، **قَالُوا: وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، صَحَّ مَا قُلنَا مِنْ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى**: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾، **إِنَّمَا هُمُ** الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا غَابَ عَنْهُمْ مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالبَعْثِ، وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَمِيعِ مَا كَانَتِ العَرَبُ لَا تَدِينُ بِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا، مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الدَّيْنُونَةَ بِهِ - دُونَ غَيْرِهِمْ.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: بَل نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ الأَرْبَعُ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الكِتَابِ خَاصَّةً.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: بَلِ الآيَاتُ الأَرْبَعُ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ بِوَصْفِ جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ذَلِكَ صِفَتُهُمْ مِنَ العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَأَهْلِ الكِتَابَيْنِ وَسِوَاهُمْ، وهو قول مُجَاهِدٍ، ورُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ.. **وَأَوْلَىٰ القَوْلَيْنِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهُهُمَا بِتَأْوِيلِ الكِتَابِ، القَوْلُ الأَوَّلُ**، وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالإِيمَانِ بِالغَيْبِ، **وَبِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي الآيَتَيْنِ الأَوَّلَتَيْنِ**، غَيْرُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِالإِيمَانِ بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، لِمَا ذَكَرْتُ مِنَ العِلَلِ قَبْلُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ.. **وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ عَلَىٰ صِحَّةِ هَذَا القَوْلِ**، أَنَّهُ جَنَّسَ -بَعْدَ وَصْفِ المُؤْمِنِينَ بِالصِّفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَصَفَ، وَبَعْدَ تَصْنِيفِهِ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ مَا صَنَّفَ الكُفَّارَ- جِنْسَيْنِ: فَجَعَلَ أَحَدَهُمَا مَطْبُوعًا عَلَىٰ قَلبِهِ، مَخْتُومًا عَلَيْهِ، مَأْيُوسًا مِنْ إِيمَانِهِ، وَالآخَرَ مُنَافِقًا، يُرَائِي بِإِظْهَارِ الإِيمَانِ فِي الظَّاهِرِ، وَيَسْتَسِرُّ النِّفَاقَ فِي البَاطِنِ، فَصَيَّرَ الكُفَّارَ جِنْسَيْنِ، كَمَا صَيَّرَ المُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ جِنْسَيْنِ، ثُمَّ عَرَّفَ عِبَادَهُ نَعْتَ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ وَصِفَتَهُمْ، وَمَا أَعَدَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ، وَذَمَّ أَهْلَ الذَّمِّ مِنْهُمْ، وَشَكَرَ سَعْيَ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ..

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَإِقَامَتُهَا: **أَدَاؤُهَا بِحُدُودِهَا وَفُرُوضِهَا وَالوَاجِبِ فِيهَا عَلَىٰ مَا فُرِضَتْ عَلَيْهِ**، كَمَا يُقَالُ: أَقَامَ القَوْمُ سُوقَهُمْ، إِذَا لَمْ يُعَطِّلُوهَا مِنَ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ فِيهَا.. **وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهَا فِي كَلَامِ العَرَبِ الدُّعَاءُ**.. وَأُرَىٰ **أَنَّ الصَّلَاةَ المَفْرُوضَةَ سُمِّيَتْ (صَلَاةً)**، **لِأَنَّ** المُصَلِّيَ مُتَعَرِّضٌ لِاسْتِنْجَاحِ طَلِبَتِهِ مِنْ ثَوَابِ اللهِ بِعَمَلِهِ، مَعَ مَا يَسْأَلُ رَبَّهُ مِنْ حَاجَاتِهِ، تَعَرُّضَ الدَّاعِي بِدُعَائِهِ رَبَّهُ اسْتِنْجَاحَ حَاجَاتِهِ وَسُؤْلَهُ..

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: ٣] **قَالَ بَعْضُهُمْ**: **يُؤْتُونَ** زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ احْتِسَابًا بِهَا، كَمَا رُوِي عن ابن عباس، ورُوِيَ عن الضَّحَّاكِ: (كَانَتِ النَّفَقَاتُ قُرُبَاتٌ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ قَدْرِ مَيْسُورِهِمْ وَجُهْدِهِمْ، حَتَّىٰ نَزَلَتْ فَرَائِضُ الصَّدَقَاتِ، سَبْعُ آيَاتٍ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ، مِمَّا يَذْكُرُ فِيهِنَّ الصَّدَقَاتِ، هُنَّ المُثْبَتَاتُ النَّاسِخَاتُ).. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هِيَ نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الزَّكَاةُ، كَمَا رُوِي عنِ ابن عباس، وابنِ مسعود.. **وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالآيَةِ وَأَحَقُّهَا بِصِفَةِ القَوْمِ**: أَنْ يَكُونُوا كَانُوا لِجَمِيعِ اللَّازِمِ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ مُؤَدِّينَ، زَكَاةً كَانَ ذَلِكَ أَوْ نَفَقَةَ مَنْ لَزِمَتْهُ نَفَقَتُهُ، مِنْ أَهْلٍ وَعِيَالٍ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ تَجِبُ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُ بِالقَرَابَةِ وَالمِلكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ

جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّ وَصَفَهُمْ إِذْ وَصَفَهُمْ بِالإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمْ، فَمَدَحَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِمْ، فَكَانَ مَعْلُومًا -أَنَّهُ إِذْ لَمْ يَخْصُصْ مَدْحَهُمْ وَوَصْفَهُمْ بِنَوْعٍ مِنَ النَّفَقَاتِ المَحْمُودِ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا دُونَ نَوْعٍ بِخَبَرٍ وَلَا غَيْرِهِ- أَنَّهُمْ مَوْصُوفُونَ بِجَمِيعِ مَعَانِي النَّفَقَاتِ المَحْمُودِ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا مَنْ طِيبِ مَا رَزَقَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَمْلَاكِهِمْ، وَذَلِكَ الحَلَالُ مِنْهُ الَّذِي لَمْ يَشُبْهُ حَرَامٌ.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾ [البقرة: ٤]

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يُصَدِّقُونَكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَمَا جَاءَ بِهِ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَا يَجْحَدُونَ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، كَمَا رُوِي عن ابن عباس.. ورُوِيَ عنه وابن مسعود: (هَؤُلَاءِ المُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ)..

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾ [البقرة: ٤] **أَمَّا الآخِرَةُ فَإِنَّهَا صِفَةٌ لِلدَّارِ**، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ⑥④﴾ [العَنكبُوت: ٦٤]، **وَإِنَّمَا وُصِفَتْ بِذَلِكَ لِمَصِيرِهَا آخِرَةً لِأُولَىٰ كَانَتْ قَبْلَهَا**، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: (أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، فَلَمْ تَشْكُرْ لِي الأُولَىٰ وَلَا الآخِرَةَ)، وَإِنَّمَا صَارَتْ آخِرَةً لِلأُولَىٰ، لِتَقَدُّمِ الأُولَىٰ أَمَامَهَا، فَكَذَلِكَ الدَّارُ الآخِرَةُ، **سُمِّيَتْ آخِرَةً لِتَقَدُّمِ الدَّارِ الأُولَىٰ أَمَامَهَا**، فَصَارَتِ التَّالِيَةُ لَهَا آخِرَةً، **وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ آخِرَةً لِتَأَخُّرِهَا عَنِ الخَلْقِ**، كَمَا سُمِّيَتِ الدُّنْيَا (دُنْيَا) لِدُنُوِّهَا مِنَ الخَلْقِ.. وَأَمَّا الَّذِي وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِ المُؤْمِنِينَ -بِمَا أَنْزَلَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَنْزَلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ المُرْسَلِينَ- مِنْ إِيقَانِهِمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ، **فَهُوَ إِيقَانُهُمْ بِمَا كَانَ المُشْرِكُونَ بِهِ جَاحِدِينَ**، مِنَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالحِسَابِ وَالمِيزَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَعَدَّ اللهُ لِخَلْقِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾ أَيْ بِالبَعْثِ وَالقِيَامَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالحِسَابِ وَالمِيزَانِ، أَيْ: لَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا كَانَ قَبْلَكَ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ).. وَهَذَا التَّأْوِيلُ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَدْ صَرَّحَ عَنْ أَنَّ **السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا** -وَإِنْ كَانَتِ الآيَاتُ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا مِنْ نَعْتِ المُؤْمِنِينَ- **تَعْرِيضٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِذَمِّ كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ** بِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ مُصَدِّقُونَ، وَهُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ مُكَذِّبُونَ، وَلِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ جَاحِدُونَ، وَيَدَّعُونَ مَعَ جُحُودِهِمْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، وَأَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، **فَأَكْذَبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ مِنْ قِيلِهِمْ بِقَوْلِهِ**: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾، وَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ: أَنَّ هَذَا الكِتَابَ هُدًى لِأَهْلِ

الإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، المُصَدِّقِينَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ رُسُلِهِ مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَىٰ خَاصَّةً، دُونَ مَنْ كَذَّبَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَادَّعَىٰ أَنَّهُ مُصَدِّقٌ بِمَنْ قَبْلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الرُّسُلِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الكُتُبِ، ثُمَّ أَكَّدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمْرَ المُؤْمِنِينَ مِنَ العَرَبِ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ المُصَدِّقِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ بِقَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ **فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الهُدَىٰ وَالفَلَاحِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ**، وَأَنَّ غَيْرَهُمْ هُمْ أَهْلُ الضَّلَالِ وَالخَسَارِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٥]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ **قَالَ بَعْضُهُمْ**: عَنَىٰ بِذَلِكَ أَهْلَ الصِّفَتَيْنِ المُتَقَدِّمَتَيْنِ، أَعْنِي: المُؤْمِنِينَ بِالغَيْبِ مِنَ العَرَبِ، وَالمُؤْمِنِينَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَإِيَّاهُمْ جَمِيعًا وَصَفَ بِأَنَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ هُمُ المُفْلِحُونَ، كَمَا رُوِيَ عن ابن عباس، وابن مسعود.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: بَل عَنَىٰ بِذَلِكَ المُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ.. **وَقَالَ آخَرُونَ**: بَل عَنَىٰ بِذَلِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ، وَهُمْ مُؤْمِنُو أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلُ بِسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالكُتُبِ.. **وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ عِنْدِي بِقَوْلِهِ** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ مَا ذَكَرْتُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنْ تَكُونَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ **إِشَارَةً إِلَىٰ الفَرِيقَيْنِ**، أَعْنِي: المُتَّقِينَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، **وَتَكُونُ** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ **مَرْفُوعَةً بِالعَائِدِ** مِنْ ذِكْرِهِمْ **فِي قَوْلِهِ** ﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾، وَأَنْ تَكُونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثَّانِيَةُ مَعْطُوفَةً عَلَىٰ مَا قَبْلُ مِنَ الكَلَامِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّاهُ.. **وَإِنَّمَا رَأَيْنَا أَنَّ ذَلِكَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالآيَةِ؛ لِأَنَّ** اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَعَتَ الفَرِيقَيْنِ بِنَعْتِهِمُ المَحْمُودِ، ثُمَّ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ عَزَّ وَجَلَّ لِيَخُصَّ أَحَدَ الفَرِيقَيْنِ بِالثَّنَاءِ، مَعَ تَسَاوِيهِمَا فِيمَا اسْتَحَقَّا بِهِ الثَّنَاءَ مِنَ الصِّفَاتِ، **كَمَا غَيْرُ جَائِزٍ فِي** عَدْلِهِ أَنْ يَتَسَاوَيَا فِيمَا يَسْتَحِقَّانِ بِهِ الجَزَاءَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَيَخُصَّ أَحَدَهُمَا بِالجَزَاءِ دُونَ الآخَرِ، وَيَحْرِمُ الآخَرَ جَزَاءَ عَمَلِهِ، فَكَذَلِكَ سَبِيلُ الثَّنَاءِ بِالأَعْمَالِ، لِأَنَّ الثَّنَاءَ أَحَدُ أَقْسَامِ الجَزَاءِ..

﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ **عَلَىٰ نُورٍ** مِنْ رَبِّهِمْ **وَبُرْهَانٍ وَاسْتِقَامَةٍ وَسَدَادٍ، بِتَسْدِيدِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَتَوْفِيقِهِ لَهُمْ**، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٥] أَيْ: أُولَئِكَ هُمُ المُنْجِحُونَ المُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ **بِأَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ** بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، مِنَ الفَوْزِ بِالثَّوَابِ، وَالخُلُودِ فِي الجِنَانِ، وَالنَّجَاةِ مِمَّا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَعْدَائِهِ مِنَ العِقَابِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ **جَحَدُوا** نُبُوَّتَكَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودِ المَدِينَةِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهَا، **وَكَتَمُوا** بَيَانَ أَمْرِكَ لِلنَّاسِ بِأَنَّكَ رَسُولِي إِلَىٰ خَلْقِي، **وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ أَنْ لَا يَكْتُمُوا** ذَلِكَ، وَأَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ، **وَيُخْبِرُوهُمْ** أَنَّهُمْ يَجِدُونَ صِفَتَكَ فِي كُتُبِهِمْ.. **وَأَصْلُ الكُفْرِ عِنْدَ العَرَبِ**: تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ، وَلِذَلِكَ سَمَّوُا اللَّيْلَ (كَافِرًا)، لِتَغْطِيَةِ ظُلْمَتِهِ مَا لَبِسَتْهُ.. **فَكَذَلِكَ الأَحْبَارُ مِنَ اليَهُودِ غَطَّوْا أَمْرَ مُحَمَّدٍ** ﷺ وَكَتَمُوهُ النَّاسَ - مَعَ عِلْمِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ، وَوُجُودِهِمْ صِفَتَهُ فِي كُتُبِهِمْ- فَقَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾ [البَقَرَة: ١٥٩]، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾..

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ مُعْتَدِلٌ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ..

﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦] وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ الحَقِّ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الأَحْبَارَ مِنْ يَهُودِ المَدِينَةِ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَسَتَرُوهُ عَنِ النَّاسِ، وَكَتَمُوا أَمْرَهُ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ..

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة: ٧]

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ أَصْلُ الخَتْمِ: الطَّبْعُ، **وَالخَاتَمُ هُوَ الطَّابَعُ**، يُقَالُ مِنْهُ: خَتَمْتُ الكِتَابَ، إِذَا طَبَعْتَهُ..

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ فَإِنَّ قُلُوبَ العِبَادِ أَوْعِيَةٌ لِمَا أُودِعَتْ مِنَ العُلُومِ، وَظُرُوفٌ لِمَا جُعِلَ فِيهَا مِنَ المَعَارِفِ بِالأُمُورِ، فَمَعْنَىٰ الخَتْمِ عَلَيْهَا وَعَلَىٰ الأَسْمَاعِ -الَّتِي بِهَا تُدْرَكُ المَسْمُوعَاتُ، وَمِنْ قِبَلِهَا يُوصَلُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ الأَنْبَاءِ عَنِ المُغَيَّبَاتِ- نَظِيرُ مَعْنَىٰ الخَتْمِ عَلَىٰ سَائِرِ الأَوْعِيَةِ وَالظُّرُوفِ.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: فَهَل لِذَلِكَ مِنْ صِفَةٍ تَصِفُهَا لَنَا فَنَفْهَمَهَا؟ أَهِيَ مِثْلُ الخَتْمِ الَّذِي يُعْرَفُ لِمَا ظَهَرَ لِلأَبْصَارِ، أَمْ هِيَ بِخِلَافِ ذَلِكَ؟ قِيلَ: الحَقُّ فِي ذَلِكَ عِنْدِي مَا صَحَّ بِنَظِيرِهِ الخَبَرُ، وَهُوَ قولُه ﷺ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صَقَلَتْ قَلْبَهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّىٰ تُغْلِقَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ**: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤﴾ [المُطَفِّفِين: ١٤]».. فَأَخْبَرَ ﷺ **أَنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَىٰ القُلُوبِ أَغْلَقَتْهَا**، وَإِذَا أَغْلَقَتْهَا أَتَاهَا حِينَئِذٍ الخَتْمُ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَالطَّبْعُ، **فَلَا يَكُونُ لِلإِيمَانِ إِلَيْهَا مَسْلَكٌ، وَلَا لِلكُفْرِ مِنْهَا مَخْلَصٌ، فَذَلِكَ هُوَ الطَّبْعُ، وَالخَتْمُ** الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي

قَوْلِهِ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾، نَظِيرُ الطَّبْعِ وَالخَتْمِ عَلَىٰ مَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ مِنَ الأَوْعِيَةِ وَالظُّرُوفِ، الَّتِي لَا يُوصَلُ إِلَىٰ مَا فِيهَا إِلَّا بِفَضِّ ذَلِكَ عَنْهَا ثُمَّ حَلِّهَا، فَكَذَلِكَ لَا يَصِلُ الإِيمَانُ إِلَىٰ قُلُوبِ مَنْ وَصَفَ اللهُ أَنَّهُ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، إِلَّا بَعْدَ فَضِّهِ خَاتَمَهُ وَحَلِّهِ رِبَاطَهُ عَنْهَا.. **وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَوْضَحِ الدَّلِيلِ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ المُنْكِرِينَ تَكْلِيفَ مَا لَا يُطَاقُ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ**، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِ صِنْفٍ مِنْ كُفَّارِ عِبَادِهِ وَأَسْمَاعِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يُسْقِطِ التَّكْلِيفَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَضَعْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَرَائِضَهُ، **وَلَمْ يَعْذِرْهُ فِي شَيْءٍ** مِمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ خِلَافِ طَاعَتِهِ، بِسَبَبِ مَا فَعَلَ بِهِ مِنَ الخَتْمِ وَالطَّبْعِ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ، بَلْ أَخْبَرَ أَنَّ لِجَمِيعِهِمْ مِنْهُ عَذَابًا عَظِيمًا عَلَىٰ تَرْكِهِمْ طَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، مَعَ حَتْمِهِ القَضَاءَ عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ، **بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**..

﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ فَإِنَّ الخَتْمَ غَيْرُ مَوْصُوفَةٍ بِهِ العُيُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَا فِي خَبَرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَوْجُودٌ فِي لُغَةِ أَحَدٍ مِنَ العَرَبِ، وَقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةٍ أُخْرَىٰ: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فَلَمْ يُدْخِلِ البَصَرَ فِي مَعْنَىٰ الخَتْمِ، وَذَلِكَ هُوَ المَعْرُوفُ فِي كَلَامِ العَرَبِ، فَلَمْ يَجُزْ لَنَا وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ القِرَاءَةُ بِنَصْبِ (الغِشَاوَةِ)، لِمَا وَصَفْتُ مِنَ العِلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْتُ.. **وَالغِشَاوَةُ** فِي كَلَامِ العَرَبِ: **الغِطَاءُ**.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ، أَنَّهُ قَدْ **خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَطَبَعَ عَلَيْهَا**، فَلَا يَعْقِلُونَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَوْعِظَةً وَعَظَهُمْ بِهَا، فِيمَا آتَاهُمْ مِنْ عِلْمِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ كُتُبِهِ، وَفِيمَا حَدَّدَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَوْحَاهُ وَأَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، **وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ** فَلَا يَسْمَعُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ اللهِ تَحْذِيرًا وَلَا تَذْكِيرًا وَلَا حُجَّةً أَقَامَهَا عَلَيْهِمْ بِنُبُوَّتِهِ، فَيَتَذَكَّرُوا وَيَحْذَرُوا عِقَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ وَصِحَّةِ أَمْرِهِ، وَأَعْلَمَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ **عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً** عَنْ أَنْ يُبْصِرُوا سَبِيلَ الهُدَىٰ، فَيَعْلَمُوا قُبْحَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَىٰ..

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة: ٧] وَلَهُمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِكَ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لَمَّا جَمَعَ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَمْرَهُ فِي دَارِ هِجْرَتِهِ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا قَرَارُهُ، وَأَظْهَرَ اللهُ بِهَا كَلِمَتَهُ، وَفَشَا فِي دُورِ أَهْلِهَا الإِسْلَامُ، وَقَهَرَ بِهَا المُسْلِمُونَ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ، وَذَلَّ بِهَا مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، **أَظْهَرَ أَحْبَارُ يَهُودِهَا** لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الضَّغَائِنَ، وَأَبْدَوْا لَهُ العَدَاوَةَ وَالشَّنَآنَ، حَسَدًا وَبَغْيًا، **إِلَّا نَفَرًا مِنْهُمْ هَدَاهُمُ اللهُ لِلإِسْلَامِ** فَأَسْلَمُوا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ

﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البَقَرَة: ١٠٩]، وَطَابَقَهُمْ سِرًّا عَلَىٰ مُعَادَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَبَغْيِهِمُ الغَوَائِلَ، قَوْمٌ مِنْ أَرَاهِطِ الأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنَصَرُوهُ، وَكَانُوا قَدْ عَسَوْا فِي شِرْكِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ، وَظَاهَرُوهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ فِي خَفَاءٍ غَيْرِ جِهَارٍ، حِذَارَ القَتْلِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَالسِّبَاءِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَرُكُونًا إِلَىٰ اليَهُودِ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَسُوءِ البَصِيرَةِ بِالإِسْلَامِ، فَكَانُوا إِذَا لَقُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَهْلَ الإِيمَانِ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالُوا لَهُمْ - حِذَارًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ -: إِنَّا مُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِالبَعْثِ، وَأَعْطَوْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَلِمَةَ الحَقِّ، لِيَدْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ حُكْمَ اللهِ فِيمَنِ اعْتَقَدَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشِّرْكِ، لَوْ أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا هُمْ مُعْتَقِدُوهُ مِنْ شِرْكِهِمْ، وَإِذَا لَقُوا إِخْوَانَهُمْ مِنَ اليَهُودِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، فَخَلَوْا بِهِمْ قَالُوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾، فَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾، يَعْنِي بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ خَبَرًا عَنْهُمْ: آمَنَّا بِاللهِ -: وَصَدَّقْنَا بِاللهِ.. فقد أَجْمَعَ جَمِيعُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ أَنَّ هَٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، وَأَنَّ هَٰذِهِ الصِّفَةَ صِفَتُهُمْ، قالَ مُجَاهِدٌ: (هَٰذِهِ الآيَةُ إِلَىٰ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فِي نَعْتِ المُنَافِقِينَ)..

﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يَعْنِي: بِالبَعْثِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمُ القِيَامَةِ (اليَوْمَ الآخِرَ)، لِأَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ، لَا يَوْمَ بَعْدَهُ سِوَاهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ لَا يَكُونُ بَعْدَهُ يَوْمٌ، وَلَا انْقِطَاعَ لِلآخِرَةِ وَلَا فَنَاءَ، وَلَا زَوَالَ؟ قِيلَ: إِنَ اليَوْمَ عِنْدَ العَرَبِ إِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمًا بِلَيْلَتِهِ الَّتِي قَبْلَهُ، فَإِذَا لَمْ يَتَقَدَّمِ النَّهَارَ لَيْلٌ لَمْ يُسَمَّ يَوْمًا، فَيَوْمُ القِيَامَةِ يَوْمٌ لَا لَيْلَ بَعْدَهُ، سِوَىٰ اللَّيْلَةِ الَّتِي قَامَتْ فِي صَبِيحَتِهَا القِيَامَةُ، فَذَلِكَ اليَوْمُ هُوَ آخِرُ الأَيَّامِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (اليَوْمُ الآخِرُ)، وَنَعَتَهُ بِالعَقِيمِ، وَوَصَفُهُ بِأَنَّهُ يَوْمٌ عَقِيمٌ، لِأَنَّهُ لَا لَيْلَ بَعْدَهُ..

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨] يَعْنِي: بِمُصَدِّقِينَ فِيمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِهِ مُصَدِّقُونَ.. وَنَفْيُهُ عَنْهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ اسْمَ الإِيمَانِ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ: آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا عَنِ اعْتِقَادِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ وَالإِقْرَارِ بِالبَعْثِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ الَّذِي يُبْدُونَهُ لَهُ بِأَفْوَاهِهِمْ خِلَافُ مَا فِي ضَمَائِرِ قُلُوبِهِمْ، وَضِدُّ مَا فِي عَزَائِمِ نُفُوسِهِمْ.. وَفِي هَٰذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ بُطُولِ مَا زَعَمَتْهُ الجَهْمِيَّةُ: مِنْ أَنَّ الإِيمَانَ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالقَوْلِ، دُونَ سَائِرِ المَعَانِي غَيْرِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، ثُمَّ نَفَىٰ عَنْهُمْ أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، إِذْ كَانَ اعْتِقَادُهُمْ غَيْرَ مُصَدِّقٍ قِيلَهُمْ ذَلِكَ.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩]

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَخِدَاعُ المُنَافِقِ رَبَّهُ وَالمُؤْمِنِينَ، إِظْهَارُهُ بِلِسَانِهِ مِنَ القَوْلِ وَالتَّصْدِيقِ، خِلَافَ الَّذِي فِي قَلبِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، لِيَدْرَأَ عَنْ نَفْسِهِ بِمَا أَظْهَرَ بِلِسَانِهِ حُكْمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ -اللَّازِمَ مَنْ كَانَ بِمِثْلِ حَالِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ، لَوْ لَمْ يُظْهِرْ بِلِسَانِهِ مَا أَظْهَرَ مِنَ التَّصْدِيقِ وَالإِقْرَارِ- مِنَ القَتْلِ وَالسِّبَاءِ، فَذَلِكَ خِدَاعُهُ رَبَّهُ وَأَهْلَ الإِيمَانِ بِاللهِ.. **وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَوْضَحِ الدَّلِيلِ عَلَىٰ تَكْذِيبِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الزَّاعِمِينَ: أَنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِهِ عِنَادًا**، بَعْدَ عِلمِهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبَعْدَ تَقَرُّرِ صِحَّةِ مَا عَانَدَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَالإِقْرَارِ بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنَ النِّفَاقِ، وَخِدَاعِهِمْ إِيَّاهُ وَالمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مُبْطِلُونَ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ البَاطِلِ مُقِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ بِخِدَاعِهِمُ -الَّذِي يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِهِ يُخَادِعُونَ رَبَّهُمْ وَأَهْلَ الإِيمَانِ بِهِ- مَخْدُوعُونَ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا بِتَكْذِيبِهِمْ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ مِنْ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَاعْتِقَادِ الكُفْرِ بِهِ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ عَلَىٰ الكُفْرِ مُصِرُّونَ..

﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ **إِنْ قَالَ قَائِلٌ**: أَوَ لَيْسَ المُنَافِقُونَ قَدْ خَدَعُوا المُؤْمِنِينَ -بِمَا أَظْهَرُوا بِأَلسِنَتِهِمْ مِنْ قِيلِ الحَقِّ- عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ حَتَّىٰ سَلِمَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ كَانُوا مَخْدُوعِينَ فِي أَمْرِ آخِرَتِهِمْ؟ **قِيلَ: خَطَأٌ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمْ خَدَعُوا المُؤْمِنِينَ**؛ لِأَنَّا إِذَا قُلنَا ذَلِكَ، أَوْجَبْنَا لَهُمْ حَقِيقَةَ خُدْعَةٍ جَازَتْ لَهُمْ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ، كَمَا أَنَّا لَوْ قُلنَا: قَتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا، أَوْجَبْنَا لَهُ حَقِيقَةَ قَتْلٍ كَانَ مِنْهُ لِفُلَانٍ، **وَلَكِنَّا نَقُولُ: خَادَعَ المُنَافِقُونَ رَبَّهُمْ وَالمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَخْدَعُوهُمْ بَل خَدَعُوا أَنْفُسَهُمْ** -كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ- دُونَ غَيْرِهَا، نَظِيرَ مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَاتَلَ آخَرَ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَقْتُل صَاحِبَهُ: قَاتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا فَلَمْ يَقْتُل إِلَّا نَفْسَهُ، فَتُوجِبُ لَهُ مُقَاتَلَةَ صَاحِبِهِ، وَتَنْفِي عَنْهُ قَتْلَهُ صَاحِبَهُ، وَتُوجِبُ لَهُ قَتْلَ نَفْسِهِ، فَكَذَلِكَ تَقُولُ: **خَادَعَ المُنَافِقُ رَبَّهُ وَالمُؤْمِنِينَ فَلَمْ يَخْدَعْ إِلَّا نَفْسَهُ**، فَتُثْبِتُ مِنْهُ مُخَادِعَةَ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنِينَ، وَتَنْفِي عَنْهُ أَنْ يَكُونَ خَدَعَ غَيْرَ نَفْسِهِ؛ **لِأَنَّ الخَادِعَ هُوَ الَّذِي قَدْ صَحَّتِ الخَدِيعَةُ لَهُ، وَوَقَعَ مِنْهُ فِعْلُهَا**، فَالمُنَافِقُونَ لَمْ يَخْدَعُوا غَيْرَ أَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَأَهْلٍ، فَلَمْ يَكُنِ المُسْلِمُونَ مَلَكُوهُ عَلَيْهِمْ، فِي حَالِ خِدَاعِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنْهُ بِنِفَاقِهِمْ وَلَا قَبْلَهَا، فَيَسْتَنْقِذُوهُ بِخِدَاعِهِمْ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا دَافَعُوا عَنْهُ بِكَذِبِهِمْ وَإِظْهَارِهِمْ بِأَلسِنَتِهِمْ غَيْرَ الَّذِي فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَيَحْكُمُ اللهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَذَرَّارِيهِمْ فِي ظَاهِرِ أُمُورِهِمْ بِحُكْمِ مَا انْتَسَبُوا إِلَيْهِ مِنَ المِلَّةِ، وَاللهُ بِمَا يُخْفُونَ مِنْ أُمُورِهِمْ عَالِمٌ، **وَإِنَّمَا**

الْخَادِعُ مَنْ خَتَلَ غَيْرَهُ عَنْ شَيْئِهِ، وَالْمَخْدُوعُ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَوْضِعِ خَدِيعَةِ خَادِعِهِ، فَأَمَّا وَالْمُخَادَعُ عَارِفٌ بِخِدَاعِ صَاحِبِهِ إِيَّاهُ غَيْرُ لَاحِقِهِ مِنْ خِدَاعِهِ إِيَّاهُ مَكْرُوهٌ، بَلْ إِنَّمَا يَتَجَافَىٰ لِلظَّانِّ بِهِ أَنَّهُ لَهُ مُخَادِعٌ اسْتِدْرَاجًا، لِيَبْلُغَ غَايَةً يَتَكَامَلُ لَهُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ لِلْعُقُوبَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا مُوقِعٌ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِيَّاهَا، وَالْمُسْتَدْرَجُ غَيْرُ عَالِمٍ بِحَالِ نَفْسِهِ عِنْدَ مُسْتَدْرِجِهِ، وَلَا عَارِفٍ بِاطِّلَاعِهِ عَلَىٰ ضَمِيرِهِ، وَأَنَّ إِمْهَالَ مُسْتَدْرِجِهِ إِيَّاهُ، تَرْكُهُ مُعَاقَبَتَهُ عَلَىٰ جُرْمِهِ لِيَبْلُغَ الْمُخَاتِلُ الْمُخَادِعُ مِنِ اسْتِحْقَاقِهِ عُقُوبَةَ مُسْتَدْرِجِهِ، بِكَثْرَةِ إِسَاءَتِهِ، وَطُولِ عِصْيَانِهِ إِيَّاهُ، وَكَثْرَةِ صَفْحِ الْمُسْتَدْرِجِ، وَطُولِ عَفْوِهِ عَنْهُ أَقْصَىٰ غَايَةٍ فَإِنَّمَا هُوَ خَادِعٌ نَفْسَهُ لَا شَكَّ، دُونَ مَنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَنَّهُ لَهُ مُخَادِعٌ، **وَلِذَلِكَ نَفَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْمُنَافِقِ أَنْ يَكُونَ خَدَعَ غَيْرَ نَفْسِهِ،** إِذْ كَانَتِ الصِّفَةُ الَّتِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩] وَمَا يَدْرُونَ.. فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ: **أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّ اللهَ خَادِعُهُمْ، بِإِمْلَائِهِ لَهُمْ وَاسْتِدْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ، الَّذِي هُوَ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِبْلَاغٌ إِلَيْهِمْ فِي الْحُجَّةِ وَالْمَعْذِرَةِ، وَمِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ خَدِيعَةٌ،** وَلَهَا فِي الْآجِلِ مَضَرَّةٌ.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: ١٠]

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أَصْلُ الْمَرَضِ: السَّقَمُ، ثُمَّ يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْأَجْسَادِ وَالْأَدْيَانِ.. فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ مَرَضًا.. **وَإِنَّمَا عَنَىٰ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِخَبَرِهِ عَنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ، الْخَبَرَ عَنْ مَرَضِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الِاعْتِقَادِ،** وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا بِالْخَبَرِ عَنْ مَرَضِ الْقَلْبِ **أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ مَرَضُ مَا هُمْ مُعْتَقِدُوهُ** مِنَ الِاعْتِقَادِ اسْتَغْنَىٰ بِالْخَبَرِ عَنِ الْقَلْبِ بِذَلِكَ وَالْكِفَايَةِ عَنْ تَصْرِيحِ الْخَبَرِ عَنْ ضَمَائِرِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: (يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي)، يُرَادُ: يَا أَصْحَابَ خَيْلِ اللهِ ارْكَبُوا، وَالشَّوَاهِدُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا كِتَابٌ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، إِنَّمَا يَعْنِي: **فِي اعْتِقَادِ قُلُوبِهِمُ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ فِي الدِّينِ،** وَالتَّصْدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مَرَضٌ وَسُقْمٌ، فَاجْتَزَأَ بِدَلَالَةِ الْخَبَرِ عَنْ قُلُوبِهِمْ عَلَىٰ مَعْنَاهُ، عَنْ تَصْرِيحِ الْخَبَرِ عَنِ اعْتِقَادِهِمْ.. **وَالْمَرَضُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ فِي اعْتِقَادِ قُلُوبِهِمُ الَّذِي وَصَفْنَاهُ: هُوَ شَكُّهُمْ فِي أَمْرِ** مُحَمَّدٍ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، **وَتَحَيُّرُهُمْ فِيهِ،** فَلَا هُمْ بِهِ مُوقِنُونَ إِيقَانَ إِيمَانٍ، وَلَا هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ إِنْكَارَ إِشْرَاكٍ، وَلَكِنَّهُمْ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، **مُذَبْذَبُونَ** بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ، وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، تَظَاهَرَ الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِهِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ..

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ قَدْ دَلَّلْنَا آنِفًا عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَ الْمَرَضِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ، هُوَ الشَّكُّ فِي اعْتِقَادَاتِ قُلُوبِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ -فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ

رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَمْرِ نُبُوَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ- مُقِيمُونَ، فَالمَرَضُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ زَادَهُمْ عَلَىٰ مَرَضِهِمْ، نَظِيرَ مَا كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الشَّكِّ وَالحَيْرَةِ قَبْلَ الزِّيَادَةِ، فَزَادَهُمُ اللهُ بِمَا أَحْدَثَ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ -الَّتِي لَمْ يَكُنْ فَرَضَهَا قَبْلَ الزِّيَادَةِ الَّتِي زَادَهَا المُنَافِقِينَ- مِنَ الشَّكِّ وَالحَيْرَةِ، إِذْ شَكُّوا وَارْتَابُوا فِي الَّذِي أَحْدَثَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ المَرَضِ وَالشَّكِّ الَّذِي كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فِي السَّالِفِ، مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي كَانَ فَرَضَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، كَمَا زَادَ المُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَىٰ إِيمَانِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ، بِالَّذِي أَحْدَثَ لَهُمْ مِنَ الفَرَائِضِ وَالحُدُودِ إِذْ آمَنُوا بِهِ، إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِالسَّالِفِ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ إِيمَانًا، كَالَّذِي قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التَّوْبَة: ١٢٤، ١٢٥]، فَالزِّيَادَةُ الَّتِي زِيدَهَا المُنَافِقُونَ مِنَ الرَّجَاسَةِ إِلَىٰ رَجَاسَتِهِمْ، هُوَ مَا وَصَفْنَا، وَالَّتِي زِيدَهَا المُؤْمِنُونَ إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ، هُوَ مَا بَيَّنَّا، وَذَلِكَ هُوَ التَّأْوِيلُ المُجْمَعُ عَلَيْهِ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ وَالأَلِيمُ: هُوَ المُوجِعُ، وَمَعْنَاهُ: وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ، بِصَرْفِ (مُؤْلِمٍ) إِلَىٰ ﴿أَلِيمٌۢ﴾ كَمَا يُقَالُ: ضَرْبٌ وَجِيعٌ، بِمَعْنَىٰ مُوجِعٍ، وَاللهُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، بِمَعْنَىٰ مُبْدِعٍ.. وَإِنَّمَا الأَلِيمُ صِفَةٌ لِلعَذَابِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الأَلَمِ، و(الأَلَمُ) الوَجَعُ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠] اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، وَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ كَذَبَةٌ، لِاسْتِسْرَارِهِمُ الشَّكَّ وَالمَرَضَ فِي اعْتِقَادَاتِ قُلُوبِهِمْ فِي أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ.. فَوَعِيدُ اللهِ المُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الآيَةِ العَذَابَ الأَلِيمَ عَلَىٰ الكَذِبِ الجَامِعِ مَعْنَىٰ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [المُنَافِقُون: ١- ٢]، وَالآيَةُ الأُخْرَىٰ فِي المُجَادَلَةِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ [المُجَادَلَة: ١٦]، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ المُنَافِقِينَ - بِقِيلِهِمْ مَا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَ اعْتِقَادِهِمْ فِيهِ مَا هُمْ مُعْتَقِدُونَ- كَاذِبُونَ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ العَذَابَ المُهِينَ لَهُمْ، عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ كَذِبِهِمْ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نَزَلَتْ فِي المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

وَإِنْ كَانَ مَعْنِيًّا بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ بِمِثْلِ صِفَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ صِفَةُ مَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ -عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ- مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيهِمْ نَزَلَتْ.. **وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ: الْعَمَلُ فِيهَا بِمَا نَهَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُ، وَتَضْيِيعُ مَا أَمَرَ اللهُ بِحِفْظِهِ، فَذَلِكَ جُمْلَةُ الْإِفْسَادِ**، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مَلَائِكَتِهِ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]، يَعْنُونَ بِذَلِكَ: أَتَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَعْصِيكَ وَيُخَالِفُ أَمْرَكَ؟ **فَكَذَلِكَ صِفَةُ أَهْلِ النِّفَاقِ: مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَعْصِيَتِهِمْ فِيهَا رَبَّهُمْ**، وَرُكُوبِهِمْ فِيهَا مَا نَهَاهُمْ عَنْ رُكُوبِهِ، **وَتَضْيِيعِهِمْ فَرَائِضَهُ، وَشَكِّهِمْ** فِي دِينِ اللهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ عَمَلًا إِلَّا بِالتَّصْدِيقِ بِهِ وَالْإِيقَانِ بِحَقِيقَتِهِ، **وَكَذِبِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ** بِدَعْوَاهُمْ غَيْرَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ، **وَبِمُظَاهَرَتِهِمْ أَهْلَ التَّكْذِيبِ** بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللهِ، إِذَا وَجَدُوا إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا، **فَذَلِكَ إِفْسَادُ الْمُنَافِقِينَ فِي أَرْضِ اللهِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ مُصْلِحُونَ فِيهَا، فَلَمْ يُسْقِطِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ عُقُوبَتَهُ**، وَلَا خَفَّفَ عَنْهُمْ أَلِيمَ مَا أَعَدَّ مِنْ عِقَابِهِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ بِحُسْبَانِهِمْ أَنَّهُمْ فِيمَا أَتَوْا مِنْ مَعَاصِي اللهِ مُصْلِحُونَ، بَلْ أَوْجَبَ لَهُمُ الدَّرْكَ الْأَسْفَلَ مِنْ نَارِهِ، وَالْأَلِيمَ مِنْ عَذَابِهِ، وَالْعَارَ الْعَاجِلَ بِسَبِّ اللهِ إِيَّاهُمْ وَشَتْمِهِ لَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾، وَذَلِكَ مِنْ حُكْمِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ، **أَدَلُّ الدَّلِيلِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ تَعَالَىٰ قَوْلَ الْقَائِلِينَ: إِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا الْمُعَانِدُ رَبَّهُ فِيمَا لَزِمَهُ مِنْ حُقُوقِهِ وَفُرُوضِهِ، بَعْدَ عِلْمِهِ وَثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَتِهِ بِلُزُومِ ذَلِكَ إِيَّاهُ**..

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾ [البقرة: ١١] وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ كَالَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فيما رُوي عنه: (قَالُوا: إِنَّمَا نُرِيدُ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ).. وَخَالَفَهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ كالذي رُوِي عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: (إِذَا رَكِبُوا مَعْصِيَةَ اللهِ فَقِيلَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا كَذَا وَكَذَا، قَالُوا: إِنَّمَا نَحْنُ عَلَىٰ الْهُدَىٰ مُصْلِحُونَ).. وَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ كَانَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ، أَعْنِي فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ، فَهُمْ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ فِيمَا أَتَوْا مِنْ ذَلِكَ مُصْلِحُونَ، فَسَوَاءٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ كَانَتْ دَعْوَاهُمُ الْإِصْلَاحَ، أَوْ فِي أَدْيَانِهِمْ وَفِيمَا رَكِبُوا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَكَذِبِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَظْهَرُوا لَهُمْ مِنَ الْقَوْلِ وَهُمْ لِغَيْرِ مَا أَظْهَرُوا مُسْتَبْطِنُونَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مُحْسِنِينَ، وَهُمْ عِنْدَ اللهِ مُسِيئُونَ، وَلِأَمْرِ اللهِ مُخَالِفُونَ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ كَانَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ عَدَاوَةَ الْيَهُودِ وَحَرْبَهُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَلْزَمَهُمُ التَّصْدِيقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَالَّذِي أَلْزَمَ مِنْ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ لِقَاؤُهُمُ الْيَهُودَ -عَلَىٰ وَجْهِ الْوِلَايَةِ مِنْهُمْ لَهُمْ- وَشَكُّهُمْ فِي نُبُوَّةِ

رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِيمَا جَاءَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ- أَعْظَمَ الفَسَادِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَهُمْ إِصْلَاحًا وَهُدًىٰ فِي أَدْيَانِهِمْ أَوْ فِيمَا بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وَاليَهُودِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ دُونَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ عَنِ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢]

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ وَهَذَا القَوْلُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ **تَكْذِيبٌ لِلْمُنَافِقِينَ فِي دَعْوَاهُمْ**؛ إِذَا أُمِرُوا بِطَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَنُهُوا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِيمَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ، قَالُوا: **إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ لَا مُفْسِدُونَ**، وَنَحْنُ عَلَىٰ رُشْدٍ وَهُدًىٰ -فِيمَا أَنْكَرْتُمُوهُ عَلَيْنَا- دُونَكُمْ، لَا ضَالُّونَ، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ ﷻ فِي ذَلِكَ مِنْ قِيلِهِمْ فَقَالَ: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ المُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ ﷻ، المُتَعَدُّونَ حُدُودَهُ، الرَّاكِبُونَ مَعْصِيَتَهُ، التَّارِكُونَ فُرُوضَهُ، **لَا الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالقِسْطِ مِنَ المُؤْمِنِينَ**، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعَاصِي اللهِ فِي أَرْضِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ..

﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢] وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَدْرُونَ أَنَّهُمْ كَذَلِكَ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ وَنَعَتَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾..

﴿ءَامِنُوا۟﴾ صَدِّقُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ كَمَا صَدَّقَ بِهِ النَّاسُ، وَيَعْنِي بِـ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ وَنُبُوَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.. وَإِنَّمَا أُدْخِلَتِ الأَلِفُ وَاللَّامُ فِي ﴿ٱلنَّاسُ﴾ وَهُمْ بَعْضُ النَّاسِ لَا جَمِيعُهُمْ؛ **لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَعْرُوفِينَ** عِنْدَ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذِهِ الآيَةِ بِأَعْيَانِهِمْ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ الَّذِينَ تَعْرِفُونَهُمْ مِنْ أَهْلِ اليَقِينِ وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، فَلِذَلِكَ أُدْخِلَتِ الأَلِفُ وَاللَّامُ فِيهِ، كَمَا أُدْخِلَتَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ **لِأَنَّهُ** أُشِيرَ بِدُخُولِهَا إِلَىٰ نَاسٍ مَعْرُوفِينَ عِنْدَ مَنْ خُوطِبَ بِذَلِكَ..

﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ﴾ وَالسُّفَهَاءُ جَمْعُ سَفِيهٍ، كَمَا العُلَمَاءُ جَمْعُ عَلِيمٍ، وَالحُكَمَاءُ جَمْعُ حَكِيمٍ.. وَالسَّفِيهُ: **الجَاهِلُ، الضَّعِيفُ الرَّأْيِ، القَلِيلُ المَعْرِفَةِ بِمَوَاضِعِ المَنَافِعِ وَالمَضَارِّ**،

وَلِذَلِكَ سَمَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ سُفَهَاءَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النِّسَاءِ: ٥]، فَقَالَ عَامَّةُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: هُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، لِضَعْفِ آرَائِهِمْ، وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَوَاضِعِ الْمَصَالِحِ وَالْمَضَارِّ الَّتِي تُصْرَفُ إِلَيْهَا الأَمْوَالُ.. **وَإِنَّمَا عَنَىٰ الْمُنَافِقُونَ بِقِيلِهِمْ:** ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ - إِذْ دُعُوا إِلَىٰ التَّصْدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالإِقْرَارِ بِالبَعْثِ فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ - **أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَأَتْبَاعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِهِ**، مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ، وَبِمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَفِي كِتَابِهِ، وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، **فَقَالُوا إِجَابَةً لِقَائِلِ ذَلِكَ لَهُمْ:** أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ أَهْلُ الْجَهْلِ، وَنُصَدِّقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا صَدَّقَ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَلَا أَفْهَامَ؟!.. كَالَّذِي رُوِي عن ابن عباس، وابن مسعود، والربيع بن أنس، وقاله عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ..

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَنِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ نَعْتُهُ لَهُمْ، وَوَصْفُهُ إِيَّاهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، **أَنَّهُمْ هُمُ الْجُهَّالُ فِي أَدْيَانِهِمْ، الضُّعَفَاءُ الآرَاءِ فِي اعْتِقَادَاتِهِمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمُ الَّتِي اخْتَارُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ**، مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ فِي أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ وَأَمْرِ نُبُوَّتِهِ، وَفِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَمْرِ الْبَعْثِ؛ لِإِسَاءَتِهِمْ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِمَا أَتَوْا مِنْ ذَلِكَ.. وَأَمَّا وَجْهُ دُخُولِ الأَلِفِ وَاللَّامِ فِي ﴿السُّفَهَاءِ﴾ فَشَبِيهٌ بِوَجْهِ دُخُولِهِمَا فِي ﴿النَّاسِ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾، وَقَدْ بَيَّنَّا الْعِلَّةَ فِي دُخُولِهِمَا هُنَالِكَ، وَالْعِلَّةُ فِي دُخُولِهِمَا فِي ﴿السُّفَهَاءِ﴾ نَظِيرَتُهَا فِي دُخُولِهِمَا فِي ﴿النَّاسِ﴾ هُنَالِكَ، سَوَاءٌ..

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [البقرة: ١٣] وَهُمْ **يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا يُحْسِنُونَ، وَذَلِكَ هُوَ عَيْنُ السَّفَهِ**؛ لِأَنَّ السَّفِيهَ إِنَّمَا يُفْسِدُ مِنْ حَيْثُ يَرَىٰ أَنَّهُ يُصْلِحُ، وَيُضَيِّعُ مِنْ حَيْثُ يَرَىٰ أَنَّهُ يَحْفَظُ، فَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، **يَعْصِي رَبَّهُ مِنْ حَيْثُ يَرَىٰ أَنَّهُ يُطِيعُهُ، وَيَكْفُرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ يَرَىٰ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِهِ، وَيُسِيءُ إِلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ يَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهَا**، كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ رَبُّنَا جَلَّ ذِكْرُهُ، فَقَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾، وَقَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ، وَبِرَسُولِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾، وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الآيَةَ.. **وَالدَّلَالَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ** مِنْ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْعُقُوبَةَ مِنَ اللهِ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا الْمُعَانِدُ رَبَّهُ، بَعْدَ عِلْمِهِ بِصِحَّةِ مَا عَانَدَهُ فِيهِ **نَظِيرُ دَلَالَةِ الآيَاتِ الأُخَرِ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا تَأْوِيلَهَا فِي قَوْلِهِ** ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة: ١٤]

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا﴾ وَهَذِهِ الآيَةُ نَظِيرَةُ الآيَةِ الأُخْرَىٰ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهَا عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِخِدَاعِهِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، ثُمَّ أَكْذَبَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾، وَأَنَّهُمْ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ يخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا.. وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ - لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِاللهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ - بِأَلْسِنَتِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا﴾ وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، **خِدَاعًا عَنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ**، وَدَرْءًا لَهُمْ عَنْهَا..

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ وَأَنَّهُمْ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ مَرَدَتِهِمْ وَأَهْلِ الْعُتُوِّ وَالشَّرِّ وَالْخُبْثِ مِنْهُمْ وَمِنْ سَائِرِ أَهْلِ الشِّرْكِ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ.. كالَذي رُوي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وابْنِ مَسْعُودٍ: (**أَمَّا شَيَاطِينُهُمْ، فَهُمْ رُءُوسُهُمْ فِي الْكُفْرِ**).. وقال قَتَادَةُ: (**قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أَيْ: رُؤَسَائِهِمْ فِي الشَّرِّ**).. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (**شَيَاطِينُهُمْ: أَصْحَابُهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ**).. ورُوِي عن ابْنِ جُرَيْجٍ: (**إِذَا أَصَابَ الْمُؤْمِنِينَ رَخَاءٌ قَالُوا: إِنَّا نَحْنُ مَعَكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَانُكُمْ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمُ اسْتَهْزَءُوا بِالْمُؤْمِنِينَ**)..

﴿قَالُوٓا﴾ لَهُمْ..

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أَيْ إِنَّا مَعَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، وَظُهَرَاؤُكُمْ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَكُمْ فِيهِ، وَأَوْلِيَاؤُكُمْ دُونَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة: ١٤] بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ.. وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا -لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ- عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤﴾: إِنَّمَا نَحْنُ سَاخِرُونَ.. **فَمَعْنَىٰ الكَلَامِ إِذًا**: وَإِذَا انْصَرَفَ الْمُنَافِقُونَ خَالِينَ إِلَىٰ مَرَدَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَمُعَادَاتِهِ وَمُعَادَاةِ أَتْبَاعِهِ، **إِنَّمَا نَحْنُ سَاخِرُونَ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِقِيلِنَا لَهُمْ إِذَا لَقِينَاهُمْ: آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ**.. كَمَا رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ والرَّبِيعِ، وَقَالَهُ قَتَادَةُ.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥﴾ [البقرة: ١٥]

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ اخْتُلِفَ فِي صِفَةِ اسْتِهْزَاءِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ فَاعِلُهُ بِالْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ:

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتِهْزَاؤُهُ بِهِمْ، كَالَّذِي أَخْبَرَنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ أَنَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الحَدِيد: ١٣، ١٤] الآيَةَ، وَكَالَّذِي أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فَعَلَ بِالكُفَّارِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٧٨]، فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ اسْتِهْزَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ وَسُخْرِيَتِهِ وَمَكْرِهِ وَخَدِيعَتِهِ لِلمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ - عِنْدَ قَائِلِي هَذَا القَوْلِ، وَمُتَأَوِّلِي هَذَا التَّأْوِيلِ-..

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ اسْتِهْزَاؤُهُ بِهِمْ، تَوْبِيخُهُ إِيَّاهُمْ وَلَوْمُهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا رَكِبُوا مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَالكُفْرِ بِهِ -كَمَا يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا لَيُهْزَأُ مِنْهُ مُنْذُ اليَوْمِ وَيُسْخَرُ مِنْهُ، يُرَادُ بِهِ تَوْبِيخُ النَّاسِ إِيَّاهُ وَلَوْمُهُمْ لَهُ- أَوْ إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ وَتَدْمِيرُهُ بِهِمْ، قَالُوا: فَكَذَلِكَ اسْتِهْزَاءُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَنِ اسْتَهْزَأَ بِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالكُفْرِ بِهِ، إِمَّا إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ وَتَدْمِيرُهُ بِهِمْ، وَإِمَّا إِمْلَاؤُهُ لَهُمْ لِيَأْخُذَهُمْ فِي حَالِ أَمْنِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ بَغْتَةً، أَوْ تَوْبِيخُهُ لَهُمْ وَلَائِمَتُهُ إِيَّاهُمْ، قَالُوا: وَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ المَكْرِ مِنْهُ وَالخَدِيعَةِ وَالسُّخْرِيَةِ..

وَقَالَ آخَرُونَ: قَوْلُهُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢] عَلَىٰ الجَوَابِ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِمَنْ كَانَ يَخْدَعُهُ إِذَا ظَفِرَ بِهِ: (أَنَا الَّذِي خَدَعْتُكَ) وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ خَدِيعَةٌ، وَلَكِنْ قَالَ ذَلِكَ إِذْ صَارَ الأَمْرُ إِلَيْهِ، قَالُوا: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [آلِ عِمْرَان: ٥٤]، و﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عَلَىٰ الجَوَابِ، وَاللهُ لَا يَكُونُ مِنْهُ المَكْرُ وَلَا الهُزْءُ، وَالمَعْنَىٰ أَنَّ المَكْرَ وَالهُزْءَ حَاقَ بِهِمْ..

وَقَالَ آخَرُونَ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ٧٩]، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ٦٧]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ أَنَّهُ مُجَازِيهِمْ جَزَاءَ الِاسْتِهْزَاءِ، وَمُعَاقِبُهُمْ عُقُوبَةَ الخِدَاعِ، فَأَخْرَجَ خَبَرَهُ عَنْ جَزَائِهِ إِيَّاهُمْ وَعِقَابِهِ لَهُمْ مَخْرَجَ خَبَرِهِ عَنْ فِعْلِهِمُ الَّذِي عَلَيْهِ اسْتَحَقُّوا العِقَابَ فِي اللَّفْظِ، وَإِنِ اخْتَلَفَ المَعْنَيَانِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشُّورَىٰ: ٤٠]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الأُولَىٰ مِنْ صَاحِبِهَا سَيِّئَةٌ، إِذْ كَانَتْ مِنْهُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَعْصِيَةٌ، وَأَنِ الأُخْرَىٰ عَدْلٌ؛ لِأَنَّهَا مِنَ اللهِ جَزَاءٌ لِلعَاصِي عَلَىٰ المَعْصِيَةِ، فَهُمَا - وَإِنِ اتَّفَقَ لَفْظَاهُمَا - مُخْتَلِفَا المَعْنَىٰ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٤]، فَالعُدْوَانُ الأَوَّلُ ظُلْمٌ، وَالثَّانِي جَزَاءٌ لَا ظُلْمٌ، بَلْ هُوَ عَدْلٌ؛ لِأَنَّهُ عُقُوبَةٌ لِلظَّالِمِ عَلَىٰ ظُلْمِهِ، وَإِنْ وَافَقَ لَفْظُهُ لَفْظَ الأَوَّلِ، وَإِلَىٰ هَذَا المَعْنَىٰ وَجَّهُوا كُلَّ مَا فِي القُرْآنِ مِنْ نَظَائِرِ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ خَبَرٌ عَنْ مَكْرِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ بِقَوْمٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ عَنِ المُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ

مَرَدَتِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ فِي تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَإِنَّمَا نَحْنُ بِمَا نُظْهِرُ لَهُمْ -مِنْ قَوْلِنَا لَهُمْ: صَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا جَاءَ بِهِ- مُسْتَهْزِئُونَ، يَعْنُونَ: إِنَّا نُظْهِرُ لَهُمْ مَا هُوَ عِنْدَنَا بَاطِلٌ لَا حَقٌّ وَلَا هُدًى، قَالُوا: وَذَلِكَ هُوَ مَعْنًى مِنْ مَعَانِي الِاسْتِهْزَاءِ، فَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ **فَيُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ أَحْكَامِهِ فِي الدُّنْيَا خِلَافَ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الآخِرَةِ**، كَمَا أَظْهَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ فِي الدِّينِ مَا هُمْ عَلَىٰ خِلَافِهِ فِي سَرَائِرِهِمْ..

وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مِنَ القَوْلِ وَالتَّأْوِيلِ عِنْدَنَا: أَنَّ مَعْنَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ فِي كَلَامِ العَرَبِ: إِظْهَارُ المُسْتَهْزِئِ لِلْمُسْتَهْزَأِ بِهِ مِنَ القَوْلِ وَالفِعْلِ مَا يُرْضِيهِ ظَاهِرًا، وَهُوَ بِذَلِكَ مِنْ قِيلِهِ وَفِعْلِهِ بِهِ مُورِثُهُ مَسَاءَةً بَاطِنًا، وَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ الخِدَاعِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالمَكْرِ، **فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ جَعَلَ لِأَهْلِ النِّفَاقِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الأَحْكَامِ** بِمَا أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، مِنَ الإِقْرَارِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، المُدْخِلِهِمْ فِي عِدَادِ مَنْ يَشْمَلُهُ اسْمُ الإِسْلَامِ، وَإِنْ كَانُوا لِغَيْرِ ذَلِكَ مُسْتَبْطِنِينَ، **أَحْكَامَ المُسْلِمِينَ** المُصَدِّقِينَ إِقْرَارَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِذَلِكَ بِضَمَائِرِ قُلُوبِهِمْ، وَصَحَائِحِ عَزَائِمِهِمْ، **وَحَمِيدِ أَفْعَالِهِمُ المُحَقِّقَةِ لَهُمْ صِحَّةَ إِيمَانِهِمْ**، مَعَ عِلمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِكَذِبِهِمْ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَىٰ خُبْثِ اعْتِقَادِهِمْ، وَشَكِّهِمْ فِيمَا ادَّعَوْا بِأَلْسِنَتِهِمْ أَنَّهُمْ بِهِ مُصَدِّقُونَ، **حَتَّىٰ ظَنُّوا فِي الآخِرَةِ إِذْ حُشِرُوا فِي عِدَادِ مَنْ كَانُوا فِي عِدَادِهِمْ فِي الدُّنْيَا، أَنَّهُمْ وَارِدُونَ مَوْرِدَهُمْ**، وَدَاخِلُونَ مُدْخَلَهُمْ، وَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ، مَعَ إِظْهَارِهِ مَا قَدْ أَظْهَرَ لَهُمْ مِنَ الأَحْكَامِ المُلْحِقَتِهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ، إِلَىٰ حَالِ تَمْيِيزِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ، وَتَفْرِيقِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، مُعِدٌّ لَهُمْ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ وَنَكَالِ عَذَابِهِ، مَا أَعَدَّ مِنْهُ لِأَعْدَىٰ أَعْدَائِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، حَتَّىٰ مَيَّزَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ، فَأَلْحَقَهُمْ مِنْ طَبَقَاتِ جَحِيمِهِ بِالدَّرْكِ الأَسْفَلِ، **كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ بِهِمْ**، وَإِنْ كَانَ جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمْ، وَعَدْلًا مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِهِمْ لِاسْتِحْقَاقِهِمْ إِيَّاهُ مِنْهُ بِعِصْيَانِهِمْ لَهُ، كَانَ بِهِمْ بِمَا أَظْهَرَ لَهُمْ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لَهُمْ: **مِنْ إِلْحَاقِهِ أَحْكَامَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَحْكَامِ أَوْلِيَائِهِ وَهُمْ لَهُ أَعْدَاءٌ، وَحَشْرِهِ إِيَّاهُمْ فِي الآخِرَةِ مَعَ المُؤْمِنِينَ وَهُمْ بِهِ مِنَ المُكَذِّبِينَ إِلَىٰ أَنْ مَيَّزَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مُسْتَهْزِئًا، وَبِهِمْ سَاخِرًا**، وَلَهُمْ خَادِعًا، وَبِهِمْ مَاكِرًا؛ إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالمَكْرِ وَالخَدِيعَةِ مَا وَصَفْنَا قَبْلُ، دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي حَالٍ فِيهَا المُسْتَهْزِئُ بِصَاحِبِهِ لَهُ ظَالِمٌ، أَوْ عَلَيْهِ فِيهَا غَيْرُ عَادِلٍ، بَل ذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ إِذَا وُجِدَتِ الصِّفَاتُ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي مَعْنَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ نَظَائِرِهِ.. وَبِنَحْوِ مَا قُلنَا فِيهِ رُوِيَ الخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..

وَأَمَّا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ وَجْهِ الجَوَابِ،

وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ اللهِ اسْتِهْزَاءٌ وَلَا مَكْرٌ وَلَا خَدِيعَةٌ، **فَنَافُونَ عَنِ اللهِ** ﷻ **مَا قَدْ أَثْبَتَهُ اللهُ** ﷻ **لِنَفْسِهِ**، وَأَوْجَبَهُ لَهَا، **وَسَوَاءٌ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ يَكُنْ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ اسْتِهْزَاءٌ** وَلَا مَكْرٌ وَلَا خَدِيعَةٌ وَلَا سُخْرِيَةٌ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ وَيَسْخَرُ وَيَمْكُرُ بِهِ، **أَوْ قَالَ: لَمْ يَخْسِفِ اللهُ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَسَفَ بِهِ** مِنَ الأُمَمِ، وَلَمْ يُغْرِقْ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَغْرَقَهُ مِنْهُمْ، **وَيُقَالُ لِقَائِلِ ذَلِكَ**: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ مَكَرَ بِقَوْمٍ مَضَوْا قَبْلَنَا لَمْ نَرَهُمْ، وَأَخْبَرَ عَنْ آخَرِينَ أَنَّهُ خَسَفَ بِهِمْ، وَعَنْ آخَرِينَ أَنَّهُ أَغْرَقَهُمْ، فَصَدَّقْنَا اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ نُفَرِّقْ بَيْنَ شَيْءٍ مِنْهُ، **فَمَا بُرْهَانُكَ عَلَىٰ تَفْرِيقِكَ مَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُ، بِزَعْمِكَ**: أَنَّهُ قَدْ أَغْرَقَ وَخَسَفَ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَغْرَقَ وَخَسَفَ بِهِ، وَلَمْ يَمْكُرْ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ مَكَرَ بِهِ؟ ثُمَّ نَعْكِسُ القَوْلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَلَنْ يَقُولَ فِي أَحَدِهِمَا شَيْئًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الآخَرِ مِثْلَهُ، **فَإِنْ لَجَأَ إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ**: إِنَّ الِاسْتِهْزَاءَ عَبَثٌ وَلَعِبٌ، وَذَلِكَ عَنِ اللهِ ﷻ مَنْفِيٌّ، **قِيلَ لَهُ**: إِنْ كَانَ الأَمْرُ عِنْدَكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ مِنْ مَعْنَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ، أَفَلَسْتَ تَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ و(مَكَرَ اللهُ بِهِمْ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ اللهِ عِنْدَكَ هَزْءٌ وَلَا سُخْرِيَةٌ؟ **فَإِنْ قَالَ**: (لَا) كَذَّبَ بِالقُرْآنِ، وَخَرَجَ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلَامِ، **وَإِنْ قَالَ**: (بَلَىٰ) قِيلَ لَهُ: أَفَتَقُولُ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي قُلْتَ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ - (يَلْعَبُ اللهُ بِهِمْ) و(يَعْبَثُ) - وَلَا لَعِبَ مِنَ اللهِ وَلَا عَبَثَ؟ **فَإِنْ قَالَ**: (نَعَمْ)! وَصَفَ اللهَ بِمَا قَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَىٰ نَفْيِهِ عَنْهُ، وَعَلَىٰ تَخْطِئَةِ وَاصِفِهِ بِهِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَا قَدْ قَامَتِ الحُجَّةُ مِنَ العُقُولِ عَلَىٰ ضَلَالِ مُضِيفِهِ إِلَيْهِ، **وَإِنْ قَالَ**: (لَا أَقُولُ): (يَلْعَبُ اللهُ بِهِمْ) وَلَا (يَعْبَثُ) وَقَدْ أَقُولُ ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ و(يَسْخَرُ مِنْهُمْ)، **قِيلَ**: فَقَدْ فَرَّقْتَ بَيْنَ مَعْنَىٰ اللَّعِبِ وَالعَبَثِ، وَالهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ، وَالمَكْرِ وَالخَدِيعَةِ، وَمِنَ الوَجْهِ الَّذِي جَازَ قِيلُ هَذَا، وَلَمْ يَجُزْ قِيلُ هَذَا، افْتَرَقَ مَعْنَيَاهُمَا، فَعُلِمَ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنًى غَيْرَ مَعْنَىٰ الآخَرِ.. وَلِلْكَلَامِ فِي هَذَا النَّوْعِ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا، كَرِهْنَا إِطَالَةَ الكِتَابِ بِاسْتِقْصَائِهِ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ..

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يَزِيدُهُمْ، **عَلَىٰ وَجْهِ الإِمْلَاءِ وَالتَّرْكِ لَهُمْ فِي عُتُوِّهِمْ** وَتَمَرُّدِهِمْ، كَمَا وَصَفَ رَبُّنَا أَنَّهُ فَعَلَ بِنُظَرَائِهِمْ فِي قَوْلِهِ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأَنْعَام: ١١٠]، يَعْنِي نَذَرُهُمْ وَنَتْرُكُهُمْ فِيهِ، وَنُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا إِلَىٰ إِثْمِهِمْ..

﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ الطُّغْيَانُ مِنْ قَوْلِكَ: (طَغَىٰ فُلَانٌ يَطْغَىٰ طُغْيَانًا) إِذَا تَجَاوَزَ فِي الأَمْرِ حَدَّهُ فَبَغَىٰ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العَلَق: ٦، ٧]، أَيْ يَتَجَاوَزُ حَدَّهُ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾، أَنَّهُ يُمْلِي لَهُمْ، وَيَذَرُهُمْ يَبْغُونَ فِي ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ حَيَارَىٰ يَتَرَدَّدُونَ.. كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وابْنِ مَسْعُودٍ، والرَّبِيعِ، وَكَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وابْنُ زَيْدٍ..

﴿يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ [البقرة: ١٥] وَالعَمَهُ نَفْسُهُ الضَّلَالُ، يُقَالُ مِنْهُ: عَمِهَ فُلَانٌ، إِذَا ضَلَّ.. و(العُمَّهُ) جَمْعُ عَامِهٍ، وَهُمُ الَّذِينَ يَضِلُّونَ فِيهِ فَيَتَحَيَّرُونَ، فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ إِذًا: ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾: فِي ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمُ الَّذِي قَدْ غَمَرَهُمْ دَنَسُهُ، وَعَلَاهُمْ رِجْسُهُ، يَتَرَدَّدُونَ حَيَارَىٰ ضُلَّالًا، لَا يَجِدُونَ إِلَىٰ المَخْرَجِ مِنْهُ سَبِيلًا؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَخَتَمَ عَلَيْهَا، فَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ عَنِ الهُدَىٰ وَأَغْشَاهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ رُشْدًا وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا.. وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي (العَمَهِ) جَاءَ تَأْوِيلُ المُتَأَوِّلِينَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة: ١٦]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ إِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ اشْتَرَىٰ هَؤُلَاءِ القَوْمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ، وَإِنَّمَا كَانُوا مُنَافِقِينَ لَمْ يَتَقَدَّمْ نِفَاقَهُمْ إِيمَانٌ فَيُقَالُ فِيهِمْ: بَاعُوا هُدَاهُمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ بِضَلَالَتِهِمْ حَتَّىٰ اسْتَبْدَلُوهَا مِنْهُ؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَىٰ الشِّرَاءِ المَفْهُومِ: اعْتِيَاضُ شَيْءٍ بِبَذْلِ شَيْءٍ مَكَانَهُ عِوَضًا مِنْهُ، وَالمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، لَمْ يَكُونُوا قَطُّ عَلَىٰ هُدًى فَيَتْرُكُوهُ وَيَعْتَاضُوا مِنْهُ كُفْرًا وَنِفَاقًا؟ قِيلَ: قَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الهُدَىٰ)، وقال قَتَادَةُ: (اسْتَحَبُّوا الضَّلَالَةَ عَلَىٰ الهُدَىٰ)، وقالَ مُجَاهِدٌ: (آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا).. فَكَأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ: (أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الهُدَىٰ) وَجَّهُوا مَعْنَىٰ الشِّرَاءِ إِلَىٰ أَنَّهُ أَخَذَ المُشْتَرَىٰ مَكَانَ الثَّمَنِ المُشْتَرَىٰ بِهِ، فَقَالُوا: كَذَلِكَ المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، قَدْ أَخَذَا مَكَانَ الإِيمَانِ الكُفْرَ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا شِرَاءً لِلْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ اللَّذَيْنِ أَخَذَاهُمَا بِتَرْكِهِمَا مَا تَرَكَا مِنَ الهُدَىٰ، وَكَانَ الهُدَىٰ الَّذِي تَرَكَاهُ هُوَ الثَّمَنُ الَّذِي جَعَلَاهُ عِوَضًا مِنَ الضَّلَالَةِ الَّتِي أَخَذَاهَا.. وَأَمَّا الَّذِينَ تَأَوَّلُوا أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: (اسْتَحَبُّوا)، فَإِنَّهُمْ لَمَّا وَجَدُوا اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ وَصَفَ الكُفَّارَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَنَسَبَهُمْ إِلَىٰ اسْتِحْبَابِهِمُ الكُفْرَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، فَقَالَ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ١٧]، صَرَفُوا قَوْلَهُ: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَقَالُوا: قَدْ تَدْخُلُ (البَاءُ) مَكَانَ (عَلَىٰ) و(عَلَىٰ) مَكَانَ (البَاءِ) كَمَا يُقَالُ: مَرَرْتُ بِفُلَانٍ، وَمَرَرْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ، بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، وَكَقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ [آلِ عِمْرَان: ٧٥]، أَيْ عَلَىٰ قِنْطَارٍ.. فَكَانَ تَأْوِيلُ الآيَةِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ هَؤُلَاءِ: أُولَئِكَ الَّذِينَ اخْتَارُوا الضَّلَالَةَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، وَأُرَاهُمْ وَجَّهُوا مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ إِلَىٰ مَعْنَىٰ اخْتَارُوا؛ لِأَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: اشْتَرَيْتُ كَذَا عَلَىٰ كَذَا، وَاسْتَرَيْتُهُ - يَعْنُونَ اخْتَرْتُهُ عَلَيْهِ.. وَهَذَا، وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مِنَ التَّأْوِيلِ، فَلَسْتُ لَهُ بِمُخْتَارٍ؛ لِأَنَّ اللهَ

جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾، فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ مَعْنَىٰ الشِّرَاءِ الَّذِي يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ، مِنَ اسْتِبْدَالِ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ، وَأَخْذِ عِوَضٍ عَلَىٰ عِوَضٍ.. وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَكَفَرُوا، فَإِنَّهُ لَا مُؤْنَةَ عَلَيْهِمْ، لَوْ كَانَ الأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفُوا بِهِ الْقَوْمَ؛ لِأَنَّ الأَمْرَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ تَرَكُوا الإِيمَانَ، وَاسْتَبْدَلُوا بِهِ الكُفْرَ عِوَضًا مِنَ الهُدَىٰ، وَذَلِكَ هُوَ المَعْنَىٰ المَفْهُومُ مِنْ مَعَانِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ، وَلَكِنَّ دَلَائِلَ أَوَّلِ الآيَاتِ فِي نُعُوتِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهَا، دَالَّةٌ عَلَىٰ أَنَّ القَوْمَ لَمْ يَكُونُوا قَطُّ اسْتَضَاءُوا بِنُورِ الإِيمَانِ، وَلَا دَخَلُوا فِي مِلَّةِ الإِسْلَامِ، أَوَمَا تَسْمَعُ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ لَدُنِ ابْتَدَأَ فِي نَعْتِهِمْ، إِلَىٰ أَنْ أَتَىٰ عَلَىٰ صِفَتِهِمْ، إِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِإِظْهَارِ الكَذِبِ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِدَعْوَاهُمُ التَّصْدِيقَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، خِدَاعًا للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ، وَاسْتِهْزَاءً فِي نُفُوسِهِمْ بِالمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ لِغَيْرِ مَا كَانُوا يُظْهِرُونَ مُسْتَبْطِنُونَ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾، ثُمَّ اقْتَصَّ قَصَصَهُمْ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾؟ فَأَيْنَ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَكَفَرُوا؟ فَإِنَّ كَانَ قَائِلُ هَذِهِ المَقَالَةِ ظَنَّ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ القَوْمَ قَدْ كَانُوا عَلَىٰ الإِيمَانِ فَانْتَقَلُوا عَنْهُ إِلَىٰ الكُفْرِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُمْ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ تَأْوِيلٌ غَيْرُ مُسَلَّمٍ لَهُ؛ إِذْ كَانَ الِاشْتِرَاءُ عِنْدَ مُخَالِفِيهِ قَدْ يَكُونُ أَخْذَ شَيْءٍ بِتَرْكِ آخَرَ غَيْرِهِ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَىٰ الِاخْتِيَارِ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَعَانِي، وَالكَلِمَةُ إِذَا احْتَمَلَتْ وُجُوهًا، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ صَرْفُ مَعْنَاهَا إِلَىٰ بَعْضِ وُجُوهِهَا دُونَ بَعْضٍ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.. وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ عِنْدِي بِتَأْوِيلِ الآيَةِ، مَا رَوَيْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الهُدَىٰ)؛ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ بِاللهِ فَإِنَّهُ مُسْتَبْدِلٌ بِالإِيمَانِ كُفْرًا، بِاكْتِسَابِهِ الكُفْرَ الَّذِي وُجِدَ مِنْهُ، بَدَلًا مِنَ الإِيمَانِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، أَوَمَا تَسْمَعُ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ فِيمَنِ اكْتَسَبَ كُفْرًا بِهِ مَكَانَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ [البَقَرَة: ١٠٨] وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَىٰ الشِّرَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مُشْتَرٍ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَسْتَبْدِلُ مَكَانَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ مِنَ البَدَلِ آخَرَ بَدِيلًا مِنْهُ، فَكَذَلِكَ المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، اسْتَبْدَلَا بِالهُدَىٰ الضَّلَالَةَ وَالنِّفَاقَ، فَأَضَلَّهُمَا اللهُ، وَسَلَبَهُمَا نُورَ الهُدَىٰ، فَتَرَكَ جَمِيعَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ..

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ المُنَافِقِينَ بِشِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ خَسِرُوا وَلَمْ يَرْبَحُوا؛ لِأَنَّ الرَّابِحَ مِنَ التُّجَّارِ المُسْتَبْدِلُ مِنْ سِلْعَتِهِ المَمْلُوكَةِ عَلَيْهِ بَدَلًا هُوَ أَنْفَسُ مِنْ سِلْعَتِهِ المَمْلُوكَةِ أَوْ أَفْضَلُ مِنْ ثَمَنِهَا الَّذِي يَبْتَاعُهَا بِهِ، فَأَمَّا المُسْتَبْدِلُ مِنْ سِلْعَتِهِ بَدَلًا دُونَهَا وَدُونَ الثَّمَنِ الَّذِي ابْتَاعَهَا بِهِ، فَهُوَ الخَاسِرُ فِي تِجَارَتِهِ لَا شَكَّ، فَكَذَلِكَ الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ؛ لِأَنَّهُمَا اخْتَارَا الحَيْرَةَ

وَالعَمَىٰ عَلَىٰ الرَّشَادِ وَالهُدَىٰ، وَالخَوْفَ وَالرُّعْبَ عَلَىٰ الحِفْظِ وَالأَمْنِ، وَاسْتَبْدَلَا فِي العَاجِلِ بِالرَّشَادِ الحَيْرَةَ، وَبِالهُدَىٰ الضَّلَالَةَ، وَبِالحِفْظِ الخَوْفَ، وَبِالأَمْنِ الرُّعْبَ، مَعَ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُمَا فِي الآجِلِ مِنَ أَلِيمِ العِقَابِ وَشَدِيدِ العَذَابِ، فَخَابَا وَخَسِرَا، ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (**قَدْ وَاللهِ رَأَيْتُمُوهُمْ خَرَجُوا مِنَ الهُدَىٰ إِلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَمِنَ الجَمَاعَةِ إِلَىٰ الفُرْقَةِ، وَمِنَ الأَمْنِ إِلَىٰ الخَوْفِ، وَمِنَ السُّنَّةِ إِلَىٰ البِدْعَةِ**)..

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾ [البقرة: ١٦] مَا كَانُوا رُشَدَاءَ فِي اخْتِيَارِهِمُ الضَّلَالَةَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، وَاسْتِبْدَالِهِمُ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ، وَاشْتِرَائِهِمُ النِّفَاقَ بِالتَّصْدِيقِ وَالإِقْرَارِ.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾ [البقرة: ١٧]

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ مَثَلُ اسْتِضَاءَةِ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ فِي إِظْهَارِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِلمُؤْمِنِينَ بِأَلسِنَتِهِمْ -مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَهُمْ لِلكُفْرِ مُسْتَبْطِنُونَ- فِيمَا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ مِثْلَ اسْتِضَاءَةِ مُوقِدِ نَارٍ بِنَارِهِ..

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَقَ بِضِيَائِهَا، وَأَبْصَرَ مَا حَوْلَهُ مُسْتَضِيئًا بِنُورِهِ مِنَ الظُّلْمَةِ..

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾ [البقرة: ١٧] خَمَدَتِ النَّارُ وَانْطَفَأَتْ، فَذَهَبَ نُورُهُ، وَعَادَ المُسْتَضِيءُ بِهِ فِي ظُلْمَةٍ وَحَيْرَةٍ، **فَكَذَلِكَ المُنَافِقُونَ**، ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ بَعْدَ **الضِّيَاءِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا كَانُوا يُظْهِرُونَ بِأَلسِنَتِهِمْ مِنَ الإِقْرَارِ بِالإِسْلَامِ وَهُمْ لِغَيْرِهِ مُسْتَبْطِنُونَ كَمَا ذَهَبَ ضَوْءُ نَارِ هَذَا المُسْتَوْقِدِ**، بِانْطِفَاءِ نَارِهِ وَخُمُودِهَا، فَبَقِيَ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُ..

﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٨]

تأييس المُؤْمِنِينَ مِنَ تَوبَةِ المُنَافِقِيْنَ، كَمَا آيَسَهُم مِنْ تَوْبَةِ قَادَةِ كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ

﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ المُنَافِقِينَ: أَنَّهُمْ بِاشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ لَمْ يَكُونُوا **لِلهُدَىٰ وَالحَقِّ** مُهْتَدِينَ، بَل **هُمْ صُمٌّ عَنْهُمَا** فَلَا يَسْمَعُونَهُمَا، لِغَلَبَةِ خِذْلَانِ اللهِ عَلَيْهِمْ، **بُكْمٌ عَنِ القِيلِ بِهِمَا** فَلَا يَنْطِقُونَ بِهِمَا، وَالبُكْمُ: الخُرْسُ، وَهُوَ جِمَاعُ أَبْكَمَ، **عُمْيٌ عَنْ أَنْ يُبْصِرُوهُمَا فَيَعْقِلُوهُمَا**، لِأَنَّ اللهَ قَدْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ بِنِفَاقِهِمْ فَلَا يَهْتَدُونَ.. وَبِمَثَلِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ **عَنِ الخَيْرِ**)، وَعنه: (﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾: **لَا يَسْمَعُونَ الهُدَىٰ وَلَا يُبْصِرُونَهُ وَلَا يَعْقِلُونَهُ**)، وعنه وعن ابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿بُكْمٌ﴾ **هُمُ الخُرْسُ**)، وقالَ

قَتَادَةُ: (صُمٌّ عَنِ الحَقِّ فَلَا يَسْمَعُونَهُ، عُمْيٌ عَنِ الحَقِّ فَلَا يُبْصِرُونَهُ، بُكْمٌ عَنِ الحَقِّ فَلَا يَنْطِقُونَ بِهِ)..

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٨] إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ نَعَتَهُمُ اللهُ بِاشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ، وَصَمَمِهِمْ عَنْ سَمَاعِ الخَيْرِ وَالحَقِّ، وَبَكَمِهِمْ عَنِ القِيلِ بِهِمَا، وَعَمَاهُمْ عَنْ إِبْصَارِهِمَا، أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ الإِقْلَاعِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ، وَلَا يَتُوبُونَ إِلَىٰ الإِنَابَةِ مِنْ نِفَاقِهِمْ، فَآيَسَ المُؤْمِنِينَ مِنَ أَنْ يُبْصِرَ هَؤُلَاءِ رُشْدًا، أَوْ يَقُولُوا حَقًّا، أَوْ يَسْمَعُوا دَاعِيًا إِلَىٰ الهُدَىٰ، أَوْ أَنْ يَذَّكَّرُوا فَيَتُوبُوا مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، كَمَا آيَسَ مِنْ تَوْبَةِ قَادَةِ كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ وَأَحْبَارِهِمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُ قَدْ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَغَشَّىٰ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ.. وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: قال قَتَادَةُ: (﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝﴾ أَيْ: لَا يَتُوبُونَ وَلَا يَذَّكَّرُونَ)، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝﴾ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ).

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ [البقرة: ١٩]

﴿أَوْ﴾ وَإِنْ كَانَتْ فِي بَعْضِ الكَلَامِ تَأْتِي بِمَعْنَىٰ الشَّكِّ، فَإِنَّهَا قَدْ تَأْتِي دَالَّةً عَلَىٰ مِثْلِ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الوَاوُ، إِمَّا بِسَابِقٍ مِنَ الكَلَامِ قَبْلَهَا، وَإِمَّا بِمَا يَأْتِي بَعْدَهَا، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لمَّا كَانَ مَعْلُومًا أَنْ ﴿أَوْ﴾ دَالَّةٌ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانَتْ تَدُلُّ عَلَيْهِ (الوَاوُ) لَوْ كَانَتْ مَكَانَهَا، كَانَ سَوَاءً نُطِقَ فِيهِ بِـ ﴿أَوْ﴾ أَوْ بِـ (الوَاوِ) وَكَذَلِكَ وَجْهُ حَذْفِ (المَثَلِ) مِنْ قَوْلِهِ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾، لَمَّا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ دَالًّا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: كَمَثَلِ صَيِّبٍ، حَذَفَ (المَثَلَ) وَاكْتَفَىٰ بِدَلَالَةِ مَا مَضَىٰ مِنَ الكَلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَوْ كَمَثَلِ صَيِّبٍ، مِنْ إِعَادَةِ ذِكْرِ المَثَلِ؛ طَلَبَ الإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ..

﴿كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ مَثَلُ اسْتِضَاءَةِ المُنَافِقِينَ بِضَوْءِ إِقْرَارِهِمْ بِالإِسْلَامِ مَعَ اسْتِسْرَارِهِمُ الكُفْرَ مَثَلُ إِضَاءَةِ مُوقِدِ نَارٍ بِضَوْءِ نَارِهِ، عَلَىٰ مَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ صِفَتِهِ، أَوْ كَمَثَلِ مَطَرٍ مُظْلِمٍ وَدْقُهُ، تَحَدَّرَ مِنَ السَّمَاءِ، تَحْمِلُهُ مُزْنَةٌ ظَلْمَاءُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَذَلِكَ هُوَ الظُّلُمَاتُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهَا فِيهِ.. وَالصَّيِّبُ مِنْ قَوْلِكَ: صَابَ المَطَرُ يَصُوبُ صَوْبًا، إِذَا انْحَدَرَ وَنَزَلَ..

﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ كَمَثَلِ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ يَحْدُوهَا رَعْدٌ، وَيَسْتَطِيرُ فِي حَافَّاتِهَا بَرْقٌ شَدِيدٌ لَمَعَانُهُ، كَثِيرٌ خَطَرَانُهُ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ، وَيَخْتَطِفُهَا مِنْ شِدَّةِ ضِيَائِهِ وَنُورِ شُعَاعِهِ، وَيَنْهَبِطُ مِنْهَا تَارَاتٍ صَوَاعِقُ، تَكَادُ تَدَعُ النُّفُوسَ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهَا زَوَاهِقَ.. فَالصَّيِّبُ مَثَلٌ لِظَاهِرِ مَا أَظْهَرَ المُنَافِقُونَ

بِأَلسِنَتِهِمْ مِنَ الإِقْرَارِ وَالتَّصْدِيقِ، **وَالظُّلُمَاتُ الَّتِي هِيَ فِيهِ** لِظُلُمَاتِ مَا هُمْ مُسْتَبْطِنُونَ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ وَمَرَضِ القُلُوبِ، **وَأَمَّا الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ**، فَلِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الوَجَلِ مِنْ وَعِيدِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فِي آيِ كِتَابِهِ -إِمَّا فِي العَاجِلِ وَإِمَّا فِي الآجِلِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ، مَعَ شَكِّهِمْ فِي ذَلِكَ: هَل هُوَ كَائِنٌ أَمْ غَيْرُ كَائِنٍ؟ وَهَل لَهُ حَقِيقَةٌ أَمْ ذَلِكَ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ؟ - مَثَلٌ، فَهُمْ مِنْ وَجَلِهِمْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَقًّا، يَتَّقُونَهُ بِالإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَلسِنَتِهِمْ، مَخَافَةً عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الهَلَاكِ وَنُزُولِ النَّقِمَاتِ، وَذَلِكَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾..

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: يَتَّقُونَ وَعِيدَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، بِمَا يُبْدُونَهُ بِأَلسِنَتِهِمْ مِنْ ظَاهِرِ الإِقْرَارِ، كَمَا يَتَّقِي الخَائِفُ أَصْوَاتَ الصَّوَاعِقِ بِتَغْطِيَةِ أُذُنَيْهِ وَتَصْيِيرِ أَصَابِعَهُ فِيهَا، حَذَرًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْهَا.. **وَإِنَّمَا جَعَلَ اللهُ إِدْخَالَهُمْ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مَثَلًا** لِاتِّقَائِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ يَتَّقُونَهُمْ بِهِ، كَمَا يَتَّقِي سَامِعُ صَوْتِ الصَّاعِقَةِ بِإِدْخَالِ أَصَابِعِهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَذَلِكَ مِنَ المَثَلِ نَظِيرُ تَمْثِيلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا أَنْزَلَ فِيهِمْ مِنَ الوَعِيدِ فِي آيِ كِتَابِهِ بِأَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ، **وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ** ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ **جَعَلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَثَلًا** لِخَوْفِهِمْ وَإِشْفَاقِهِمْ مِنْ حُلُولِ عَاجِلِ العِقَابِ المُهْلِكِهِمُ الَّذِي تُوُعِّدُوهُ بِسَاحَتِهِمْ كَمَا يَجْعَلُ سَامِعُ أَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ، حَذَرَ العَطَبِ وَالمَوْتِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، أَنْ تَزْهَقَ مِنْ شِدَّتِهَا.. **ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ المُنَافِقِينَ -الَّذِينَ نَعَتَهُمُ اللهُ النَّعْتَ الَّذِي ذَكَرَ- وَضَرَبَ لَهُمُ الأَمْثَالَ الَّتِي وَصَفَ، وَإِنِ اتَّقَوْا عِقَابَهُ**، وَأَشْفَقُوا عَذَابَهُ إِشْفَاقَ الجَاعِلِ فِي أُذُنَيْهِ أَصَابِعَهُ حَذَارِ حُلُولَ الوَعِيدِ الَّذِي تَوَعَّدَهُمْ بِهِ فِي آيِ كِتَابِهِ، **غَيْرُ مُنْجِيهِمْ ذَلِكَ مِنْ نُزُولِهِ بِعَقْوَتِهِمْ**، وَحُلُولِهِ بِسَاحَتِهِمْ، إِمَّا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا آجِلًا فِي الآخِرَةِ، لِلَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ مَرَضِهَا، وَالشَّكِّ فِي اعْتِقَادِهَا، فَقَالَ..

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [البقرة: ١٩] بِمَعْنَىٰ جَامِعُهُمْ، فَمُحِلٌّ بِهِمْ عُقُوبَتَهُ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَتَأَوَّلُ: (جَامِعُهُمْ فِي جَهَنَّمَ)، وَأَمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ فَرُوِيَ عَنْهُ: (اللهُ مُنْزِلُ ذَلِكَ بِهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ).. **ثُمَّ عَادَ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَىٰ نَعْتِ إِقْرَارِ المُنَافِقِينَ بِأَلسِنَتِهِمْ، وَالخَبَرِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَعَنْ نِفَاقِهِمْ، وَإِتْمَامِ المَثَلِ الَّذِي ابْتَدَأَ ضَرْبَهُ لَهُمْ** وَلِشَكِّهِمْ وَمَرَضِ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ..

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٠﴾ [البقرة: ٢٠]

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ يَعْنِي بِالبَرْقِ الإِقْرَارَ الَّذِي أَظْهَرُوهُ بِأَلسِنَتِهِمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَجَعَلَ البَرْقَ لَهُ مَثَلًا عَلَىٰ مَا قَدَّمْنَا صِفَتَهُ..

﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يَذْهَبُ بِهَا وَيَسْتَلِبُهَا وَيَلْتَمِعُهَا مِنْ شِدَّةِ ضِيَائِهِ وَنُورِ شُعَاعِهِ.. وَالخَطْفُ السَّلْبُ، وَمِنْهُ الخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «**نَهَى عَنِ الخَطْفَةِ**»، يَعْنِي بِهَا النُّهْبَةَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلخُطَّافِ الَّذِي يُخْرَجُ بِهِ الدَّلْوُ مِنَ البِئْرِ خُطَّافٌ، لِاخْتِطَافِهِ وَاسْتِلَابِهِ مَا عَلِقَ بِهِ.. **فَجَعَلَ ضَوْءَ البَرْقِ وَشِدَّةَ شُعَاعِ نُورِهِ، كَضَوْءِ إِقْرَارِهِمْ بِأَلسِنَتِهِمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ** وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَشُعَاعِ نُورِهِ، مَثَلًا..

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ يَعْنِي أَنَّ البَرْقَ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ، وَجَعَلَ البَرْقَ لِإِيمَانِهِمْ مَثَلًا، **وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمُ الإِيمَانُ، وَإِضَاءَتُهُ لَهُمْ أَنْ يَرَوْا فِيهِ مَا يُعْجِبُهُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ**، مِنَ النُّصْرَةِ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَإِصَابَةِ الغَنَائِمِ فِي المُغَازِي، وَكَثْرَةِ الفُتُوحِ، وَمَنَافِعِهَا، وَالثَّرَاءِ فِي الأَمْوَالِ، وَالسَّلَامَةِ فِي الأَبْدَانِ وَالأَهْلِ وَالأَوْلَادِ، فَذَلِكَ إِضَاءَتُهُ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُظْهِرُونَ بِأَلسِنَتِهِمْ مَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الإِقْرَارِ، ابْتِغَاءَ ذَلِكَ، وَمُدَافَعَةً عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، وَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١]..

﴿مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ مَشَوْا فِي ضَوْءِ البَرْقِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ لِإِقْرَارِهِمْ عَلَى مَا وَصَفْنَا، **فَمَعْنَاهُ: كُلَّمَا رَأَوْا فِي الإِيمَانِ مَا يُعْجِبُهُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ عَلَى مَا وَصَفْنَا، ثَبَتُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ**، كَمَا يَمْشِي السَّائِرُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَظُلْمَةِ الصَّيِّبِ الَّذِي وَصَفَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، إِذَا بَرَقَتْ فِيهَا بَارِقَةٌ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ فِيهَا..

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ ذَهَبَ ضَوْءُ البَرْقِ عَلَى السَّائِرِينَ فِي الصَّيِّبِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ لِلْمُنَافِقِينَ مَثَلٌ، **وَمَعْنَى إِظْلَامِ ذَلِكَ أَنَّ المُنَافِقِينَ كُلَّمَا لَمْ يَرَوْا فِي الإِسْلَامِ مَا يُعْجِبُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ** عِنْدَ ابْتِلَاءِ اللهِ مُؤْمِنِي عِبَادِهِ بِالضَّرَّاءِ، وَتَمْحِيصِهِ إِيَّاهُمْ بِالشَّدَائِدِ وَالبَلَاءِ، مِنْ إِخْفَاقِهِمْ فِي مَغْزَاهُمْ، وَإِنَالَةِ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ، أَوْ إِدْبَارٍ مِنْ دُنْيَاهُمْ عَنْهُمْ، **أَقَامُوا عَلَى نِفَاقِهِمْ**، وَثَبَتُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، كَمَا قَامَ السَّائِرُ فِي الصَّيِّبِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ذِكْرُهُ إِذَا أَظْلَمَ وَخَفَتَ ضَوْءُ البَرْقِ، فَحَارَ فِي طَرِيقِهِ، فَلَمْ يَعْرِفْ مَنْهَجَهُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ **وَإِنَّمَا خَصَّ جَلَّ ذِكْرُهُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ** بِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَذْهَبَهَا مِنَ المُنَافِقِينَ دُونَ سَائِرِ أَعْضَاءِ أَجْسَامِهِمْ؛ **لِلَّذِي جَرَى مِنْ ذِكْرِهَا فِي الآيَتَيْنِ**، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾، وَقَوْلَهُ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾، فَجَرَى ذِكْرُهَا فِي الآيَتَيْنِ عَلَى وَجْهِ المَثَلِ، ثُمَّ عَقَّبَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذِكْرَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَذْهَبَهُ مِنَ المُنَافِقِينَ **عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى نِفَاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ**، وَعِيدًا مِنَ اللهِ لَهُمْ، كَمَا تَوَعَّدَهُمْ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾ وَاصِفًا بِذَلِكَ جَلَّ ذِكْرُهُ نَفْسَهُ أَنَّهُ المُقْتَدِرُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى

جَمْعِهِمْ لِإِحْلَالِ سَخَطِهِ بِهِمْ، وَإِنْزَالِ نِقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَمُحَذِّرَهُمْ بِذَلِكَ سَطْوَتَهُ، وَمُخَوِّفَهُمْ بِهِ عُقُوبَتَهُ، لِيَتَّقُوا بَأْسَهُ، وَيُسَارِعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ لِمَا تَرَكُوا مِنَ الحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ)..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة: ٢٠] وَإِنَّمَا وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِالقُدْرَةِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا المَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُ حَذَّرَ المُنَافِقِينَ بَأْسَهُ وَسَطْوَتَهُ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ بِهِمْ مُحِيطٌ، وَعَلَىٰ إِذْهَابِ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ قَدِيرٌ، ثُمَّ قَالَ: فَاتَّقُونِي أَيُّهَا المُنَافِقُونَ، وَاحْذَرُوا خِدَاعِي وَخِدَاعَ رَسُولِي وَأَهْلِ الإِيمَانِ بِي، لَا أُحِلَّ بِكُمْ نِقْمَتِي، فَإِنِّي عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الأَشْيَاءِ قَدِيرٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ فَأَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الفَرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ أَحَدِهِمَا أَنَّهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرُوا أَمْ لَمْ يُنْذَرُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، لِطَبْعِهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ، وَعَنِ الآخَرِ أَنَّهُ يُخَادِعُ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يُبْدِي بِلِسَانِهِ مِنْ قِيلِهِ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، مَعَ اسْتِبْطَانِهِ خِلَافَ ذَلِكَ، وَمَرَضِ قَلْبِهِ وَشَكِّهِ فِي حَقِيقَةِ مَا يُبْدِي مِنْ ذَلِكَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ المُكَلَّفِينَ، بِالِاسْتِكَانَةِ وَالخُضُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَإِفْرَادِ الرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَالعِبَادَةِ دُونَ الأَوْثَانِ وَالأَصْنَامِ وَالآلِهَةِ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ..

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ، وَخَالِقُ أَصْنَامِهِمْ وَأَوْثَانِهِمْ وَآلِهَتِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ: فَالَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ وَأَجْدَادَكُمْ وَسَائِرَ الخَلْقِ غَيْرَكُمْ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ ضُرِّكُمْ وَنَفْعِكُمْ، أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ لَكُمْ عَلَىٰ نَفْعٍ وَلَا ضُرٍّ.. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِيمَا رُوِيَ لَنَا عَنْهُ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ نَظِيرَ مَا قُلْنَا فِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾: (وَحِّدُوا رَبَّكُمْ).. وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ العِبَادَةِ: الخُضُوعُ للهِ بِالطَّاعَةِ، وَالتَّذَلُّلُ لَهُ بِالِاسْتِكَانَةِ.. وَالَّذِي أَرَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ - إِنْ شَاءَ اللهُ - بِقَوْلِهِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ وَحِّدُوهُ، أَيْ أَفْرِدُوا الطَّاعَةَ وَالعِبَادَةَ لِرَبِّكُمْ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ.. وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ تَكْلِيفَ مَا لَا يُطَاقُ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ غَيْرُ جَائِزٍ، إِلَّا بَعْدَ إِعْطَاءِ اللهِ المُكَلَّفَ المَعُونَةَ عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَمَرَ مَنْ وَصَفْنَا، بِعِبَادَتِهِ وَالتَّوْبَةِ مِنْ كُفْرِهِ، بَعْدَ إِخْبَارِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَأَنَّهُمْ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١] بِعِبَادَتِكُمْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، وَإِفْرَادِكُمْ لَهُ العِبَادَةَ لِتَتَّقُوا سَخَطَهُ وَغَضَبَهُ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُوا مِنَ المُتَّقِينَ الَّذِينَ رَضِيَ عَنْهُمْ رَبُّهُمْ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾: (تُطِيعُونَ)،

وَالَّذِي أَظُنُّ أَنَّ مُجَاهِدًا أَرَادَ بِقَوْلِهِ هَذَا: لَعَلَّكُمْ أَنْ تَتَّقُوا رَبَّكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَإِقْلَاعِكُمْ عَنْ ضَلَالَتِكُمْ.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ:** فَكَيْفَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾؟ أَوَ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ إِذَا هُمْ عَبَدُوهُ وَأَطَاعُوهُ، حَتَّىٰ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَنْ تَتَّقُوا، فَأَخْرَجَ الخَبَرَ عَنْ عَاقِبَةِ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ مَخْرَجَ الشَّكِّ؟ **قِيلَ لَهُ:** ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ المَعْنَىٰ الَّذِي تَوَهَّمْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، **لِتَتَّقُوهُ بِطَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَإِفْرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالعِبَادَةِ.**

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ مَرْدُودٌ عَلَىٰ ﴿ٱلَّذِى﴾ الأُولَىٰ فِي قَوْلِهِ ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ وَهُمَا جَمِيعًا مِنْ نَعْتِ ﴿رَبَّكُمُ﴾ فَكَأَنَّهُ قَالَ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ الخَالِقَكُمْ وَالخَالِقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، الجَاعِلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مِهَادًا مُوَطًّأً وَقَرَارًا يُسْتَقَرُّ عَلَيْهَا.. **يُذَكِّرُ رَبُّنَا** جَلَّ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ مِنْ قِيلِهِ **عِبَادَهُ نِعَمَهُ** عِنْدَهُمْ وَآلَاءَهُ لَدَيْهِمْ **لِيَذْكُرُوا أَيَادِيَهُ** عِنْدَهُمْ، **فَيُنِيبُوا إِلَىٰ** طَاعَتِهِ، **تَعَطُّفًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ**، وَرَأْفَةً مِنْهُ بِهِمْ، وَرَحْمَةً لَهُمْ، **مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَىٰ عِبَادَتِهِمْ**، وَلَكِنْ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ..

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ وَإِنَّمَا ذَكَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ فِيمَا عَدَّدَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ؛ **لِأَنَّ مِنْهُمَا أَقْوَاتَهُمْ وَأَرْزَاقَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ**، وَبِهِمَا قِوَامُ دُنْيَاهُمْ، **فَأَعْلَمَهُمْ** أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَخَلَقَ جَمِيعَ مَا فِيهِمَا وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، هُوَ المُسْتَحِقُّ عَلَيْهِمُ الطَّاعَةَ، وَالمُسْتَوْجِبُ مِنْهُمُ الشُّكْرَ وَالعِبَادَةَ، دُونَ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ، الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ..

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ المَطَرِ مِمَّا أَنْبَتُوهُ فِي الأَرْضِ مِنْ زَرْعِهِمْ وَغَرْسِهِمْ ثَمَرَاتٍ رِزْقًا لَهُمْ، غِذَاءً وَأَقْوَاتًا، **فَنَبَّهَهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَذَكَّرَهُمْ بِهِ آلَاءَهُ لَدَيْهِمْ**، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ وَيَكْفُلُهُمْ، **دُونَ مَنْ جَعَلُوهُ لَهُ نِدًّا وَعِدْلًا مِنَ الأَوْثَانِ وَالآلِهَةِ**، ثُمَّ زَجَرَهُمْ عَنْ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُ نِدًّا، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ وَلَا عِدْلَ، وَلَا لَهُمْ نَافِعٌ وَلَا ضَارٌّ وَلَا خَالِقٌ وَلَا رَازِقٌ سِوَاهُ..

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وَالأَنْدَادُ جَمْعُ نِدٍّ، وَالنِّدُّ: العِدْلُ وَالمِثْلُ، **فَنَهَاهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**، وَأَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ، أَوْ يَتَّخِذُوا لَهُ نِدًّا وَعِدْلًا فِي الطَّاعَةِ، **فَقَالَ: كَمَا لَا شَرِيكَ لِي فِي خَلْقِكُمْ وَفِي**

رِزْقِكُمُ الَّذِي أَرْزُقُكُمْ وَمِلكِي إِيَّاكُمْ وَنِعَمِي الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْكُمْ، فَكَذَلِكَ فَأَفْرِدُوا لِيَ الطَّاعَةَ، وَأَخْلِصُوا لِيَ العِبَادَةَ، وَلَا تَجْعَلُوا لِي شَرِيكًا وَنِدًّا مِنْ خَلقِي، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ عَلَيْكُمْ فَمِنِّي..

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢] رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (أَيْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْدَادِ الَّتِي لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الحَقُّ لا شَكَّ فِيهِ)، وقال قَتَادَةُ: (أَيْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، ثُمَّ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا).. يَعْنِي بِذَلِكَ كُلَّ مُكَلَّفٍ عَالِمٍ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَأَنَّهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلقِهِ، يُشْرِكُ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَهُ، كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ، عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ أَعْجَمِيًّا، كَاتِبًا أَوْ أُمِّيًّا، وَإِنْ كَانَ الخِطَابُ لِكُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ دَارِ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِ النِّفَاقِ مِنْهُمْ، وَمِمَّنْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ مِمَّنْ كَانَ مُشْرِكًا فَانْتَقَلَ إِلَى النِّفَاقِ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هَذَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ احْتِجَاجٌ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى مُشْرِكِي قَوْمِهِ مِنَ العَرَبِ وَمُنَافِقِيهِمْ، وَكُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ وَضُلَّالِهِمُ الَّذِينَ افْتَتَحَ بِقَصَصِهِمْ قَوْلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، وَإِيَّاهُمْ يُخَاطِبُ بِهَذِهِ الآيَاتِ، وَضُرَبَاءَهُمْ يَعْنِي بِهَا.. قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَإِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا المُشْرِكُونَ مِنَ العَرَبِ وَالكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابَيْنِ فِي شَكٍّ -وَهُوَ الرَّيْبُ- مِمَّا نَزَّلنَا عَلَى عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ النُّورِ وَالبُرْهَانِ وَآيَاتِ الفُرْقَانِ: أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي، وَأَنِّي الَّذِي أَنْزَلتُهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَلَمْ تُصَدِّقُوهُ فِيمَا يَقُولُ..

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ فَأْتُوا بِحُجَّةٍ تَدْفَعُ حُجَّتَهُ؛ لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حُجَّةَ كُلِّ ذِي نُبُوَّةٍ عَلَى صِدْقِهِ فِي دَعْوَاهُ النُّبُوَّةَ أَنْ يَأْتِيَ بِبُرْهَانٍ يَعْجِزُ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ الخَلقِ، وَمِنْ حُجَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى صِدْقِهِ، وَبُرْهَانِهِ عَلَى حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِي، عَجْزُ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ مَنْ تَسْتَعِينُونَ بِهِ مِنْ أَعْوَانِكُمْ وَأَنْصَارِكُمْ عَنْ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَإِذَا عَجَزْتُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ أَهْلُ البَرَاعَةِ فِي الفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ غَيْرَكُمْ عَمَّا عَجَزْتُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ أَعْجَزُ، كَمَا كَانَ بُرْهَانُ مَنْ سَلَفَ مِنْ رُسُلِي وَأَنْبِيَائِي عَلَى صِدْقِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَى نُبُوَّتِهِ مِنَ الآيَاتِ، مَا يَعْجِزُ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ خَلقِي، فَيَتَقَرَّرُ حِينَئِذٍ عِنْدَكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَتَقَوَّلْهُ وَلَمْ يَخْتَلِقْهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِنْهُ اخْتِلَاقًا وَتَقَوُّلًا لَمْ تَعْجِزُوا وَجَمِيعُ خَلقِي عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ

لَمْ يَعْدُ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ، وَفِي مِثْلِ حَالِكُمْ فِي الجِسْمِ وَبَسْطَةِ الخَلقِ وَذَرَابَةِ اللِّسَانِ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُظَنَّ بِهِ اقْتِدَارٌ عَلَىٰ مَا عَجَزْتُمْ عَنْهُ، أَوْ يُتَوَهَّمَ مِنْكُمْ عَجْزٌ عَمَّا اقْتَدَرَ عَلَيْهِ؟!.. **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ:** إِنَّكَ ذَكَرْتَ أَنَّ اللهَ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مِنْ مِثْلِ هَذَا القُرْآنِ، فَهَل لِلقُرْآنِ مِنْ مِثْلٍ فَيُقَالُ: ائتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ؟ قِيلَ: **إِنَّهُ لَمْ يَعْنِ بِهِ: ائْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مَثْلِهِ فِي التَّأْلِيفِ وَالمَعَانِي الَّتِي** بَايَنَ بِهَا سَائِرَ الكَلَامِ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ: **ائْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فِي البَيَانِ، لِأَنَّ** القُرْآنَ أَنْزَلَهُ اللهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ، فَكَلَامُ العَرَبِ لَا شَكَّ لَهُ مِثْلٌ فِي مَعْنَىٰ العَرَبِيَّةِ، فَأَمَّا فِي المَعْنَىٰ الَّذِي بَايَنَ بِهِ القُرْآنُ سَائِرَ كَلَامِ المَخْلُوقِينَ، فَلَا مِثْلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الوَجْهِ وَلَا نَظِيرَ وَلَا شَبِيهَ.. **وَإِنَّمَا احْتَجَّ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِمْ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِمَا احْتَجَّ بِهِ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ القُرْآنِ؛ إِذْ ظَهَرَ عَجْزُ القَوْمِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فِي البَيَانِ، إِذْ كَانَ القُرْآنُ بَيَانًا مِثْلَ بَيَانِهِمْ، وَكَلَامًا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ،** فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ أَنَّ مَا أَنْزَلتُ عَلَىٰ عَبْدِي مِنَ القُرْآنِ مِنْ عِنْدِي، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ كَلَامِكُمُ الَّذِي هُوَ مِثْلُهُ فِي العَرَبِيَّةِ، إِذْ كُنْتُمْ عَرَبًا، وَهُوَ بَيَانٌ نَظِيرُ بَيَانِكُمْ، وَكَلَامٌ شَبِيهُ كَلَامِكُمْ.. **فَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ الَّذِي هُوَ نَظِيرُ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ،** فَيَقْدِرُوا أَنْ يَقُولُوا: كَلَّفْتَنَا مَا لَوْ أَحْسَنَّاهُ أَتَيْنَا بِهِ، وَإِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَىٰ الإِتْيَانِ بِهِ لِأَنَّا لَسْنَا مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي كَلَّفْتَنَا الإِتْيَانَ بِهِ، فَلَيْسَ لَكَ عَلَيْنَا بِهَذَا حُجَّةٌ؛ لِأَنَّا وَإِنْ عَجَزْنَا عَنْ أَنْ نَأْتِيَ بِمِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ أَلْسِنَتِنَا لِأَنَّا لَسْنَا مِنْ أَهْلِهِ، فَفِي النَّاسِ خَلقٌ كَثِيرٌ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ لِسَانِنَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ مِنَ اللِّسَانِ الَّذِي كَلَّفْتَنَا الإِتْيَانَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ لَهُمْ: ائتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، لِأَنَّ مِثْلَهُ مِنَ الأَلْسُنِ أَلسُنُكُمْ، **وَأَنْتُمْ -إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ اخْتَلَقَهُ وَافْتَرَاهُ- إِذَا اجْتَمَعْتُمْ وَتَظَاهَرْتُمْ عَلَىٰ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ مِنْ لِسَانِكُمْ وَبَيَانِكُمْ أَقْدَرُ عَلَىٰ اخْتِلَاقِهِ وَرَصْفِهِ وَتَأْلِيفِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ،** وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَقْدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَلَنْ تَعْجِزُوا -وَأَنْتُمْ جَمِيعٌ- عَمَّا قَدَرَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ وَحِيدٌ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَزَعْمِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ وَاخْتَلَقَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِي..

﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي: **أَعْوَانَكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**).. وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ لِمَنْ شَكَّ مِنَ الكُفَّارِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَوْلُهُ ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ يَعْنِي: اسْتَنْصِرُوا وَاسْتَغِيثُوا.. **وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ فَإِنَّهَا جَمْعُ شَهِيدٍ،** كَمَا الشُّرَكَاءُ جَمْعُ شَرِيكٍ، وَالخُطَبَاءُ جَمْعُ خَطِيبٍ، **وَالشَّهِيدُ يُسَمَّىٰ بِهِ الشَّاهِدُ عَلَىٰ الشَّيْءِ لِغَيْرِهِ** بِمَا يُحَقِّقُ دَعْوَاهُ، **وَقَدْ يُسَمَّىٰ بِهِ المُشَاهِدُ لِلشَّيْءِ،** كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ جَلِيسُ فُلَانٍ، يَعْنِي بِهِ: مُجَالِسَهُ، وَنَدِيمَهُ يَعْنِي بِهِ مُنَادِمَهُ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ: شَهِيدُهُ يَعْنِي بِهِ مُشَاهِدَهُ.. فَإِذَا كَانَتِ الشُّهَدَاءُ مُحْتَمِلَةً أَنْ

تكُونَ جَمْعَ الشَّهِيدِ الَّذِي هُوَ مُنْصَرِفٌ لِلمَعْنَيَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ، فَأَوْلَىٰ وَجْهَيْهِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَاسْتَنْصِرُوا -عَلَىٰ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ- أَعْوَانَكُمْ وَشُهَدَاءَكُمْ، الَّذِينَ يُشَاهِدُونَكُمْ وَيُعَاوِنُونَكُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِكُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُظَاهِرُونَكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ وَنِفَاقِكُمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ، أَنَّ مِثْلَ القُرْآنِ لَا يَأْتِي بِهِ الجِنُّ وَالإِنْسُ، وَلَوْ تَظَاهَرُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الإِتْيَانِ بِهِ، وَتَحَدَّاهُمْ بِمَعْنَىٰ التَّوْبِيخِ لَهُمْ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ فِي صِدْقِ مُحَمَّدٍ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَلْيَسْتَنْصِرْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣] إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي جُحُودِكُمْ أَنَّ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ اخْتِلَاقٌ وَافْتِرَاءٌ، لِتَمْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ وَغَيْرَكُمْ، هَل تَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَيَقْدِرَ مُحَمَّدٌ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بِجَمِيعِهِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ اخْتِلَاقًا؟!

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

[البقرة: ٢٤]

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ إِنْ لَمْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَقَدْ تَظَاهَرْتُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ عَلَيْهِ وَأَعْوَانُكُمْ، فَتَبَيَّنَ لَكُمْ بِامْتِحَانِكُمْ وَاخْتِبَارِكُمْ عَجْزُكُمْ وَعَجْزُ جَمِيعِ خَلْقِي عَنْهُ، وَعَلِمْتُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي، ثُمَّ أَقَمْتُمْ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ بِهِ..

﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ لَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ أَبَدًا، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (أَيْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا تُطِيقُونَهُ)، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ فَقَدْ بُيِّنَ لَكُمُ الحَقُّ)..

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ فَاتَّقُوا أَنْ تَصْلَوُا النَّارَ بِتَكْذِيبِكُمْ رَسُولِي بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي أَنَّهُ مِنْ وَحْيِي وَتَنْزِيلِي، بَعْدَ تَبَيُّنِكُمْ أَنَّهُ كِتَابِي وَمِنْ عِنْدِي، وَقِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْكُمْ بِأَنَّهُ كَلَامِي وَوَحْيِي، بِعَجْزِكُمْ وَعَجْزِ جَمِيعِ خَلْقِي عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ النَّارَ الَّتِي حَذَّرَهُمْ صِلِيَّهَا فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ النَّاسَ وَقُودُهَا، وَأَنَّ الحِجَارَةَ وَقُودُهَا، فَقَالَ..

﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَقُودُهَا﴾ حَطَبُهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ خُصَّتِ الحِجَارَةُ فَقُرِنَتْ بِالنَّاسِ، حَتَّىٰ جُعِلَتْ لِنَارِ جَهَنَّمَ حَطَبًا؟ قِيلَ: إِنَّهَا حِجَارَةُ الكِبْرِيتِ، وَهِيَ أَشَدُّ الحِجَارَةِ -فِيمَا بَلَغَنَا- حَرًّا إِذَا أُحْمِيَتْ، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ

كِبْرِيتٍ، خَلَقَهَا اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يُعِدُّهَا لِلْكَافِرِينَ)..

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾ [البقرة: ٢٤] قَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، عَلَىٰ أَنَّ (الْكَافِرَ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ السَّاتِرُ شَيْئًا بِغِطَاءٍ، وَأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا سَمَّىٰ الْكَافِرَ كَافِرًا لِجُحُودِهِ آلَاءَهُ عِنْدَهُ، وَتَغْطِيَتِهِ نَعْمَاءَهُ قِبَلَهُ.. فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ إِذًا: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾ أُعِدَّتِ النَّارُ لِلْجَاحِدِينَ أَنَّ اللهَ رَبُّهُمُ الْمُتَوَحِّدُ بِخَلْقِهِمْ وَخَلْقِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، الَّذِي جَعَلَ لَهُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَهُمْ، الْمُشْرِكِينَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ الأَنْدَادَ وَالآلِهَةَ، وَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ لَهُمْ بِالإِنْشَاءِ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِالأَقْوَاتِ وَالأَرْزَاقِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَيْ لِمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ).

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥]

﴿وَبَشِّرِ﴾ يَعْنِي: أَخْبِرْهُمْ، وَالْبِشَارَةُ أَصْلُهَا الْخَبَرُ بِمَا يُسَرُّ بِهِ الْمُخْبَرُ، إِذَا كَانَ سَابِقًا بِهِ كُلَّ مُخْبِرٍ سِوَاهُ، وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِإِبْلَاغِ بِشَارَتِهِ خَلْقَهُ..

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِهِ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَصَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ ذَلِكَ وَإِقْرَارَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، بَشِّرْ مَنْ صَدَّقَكَ أَنَّكَ رَسُولِي، وَأَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ فَمِنْ عِنْدِي، وَحَقَّقَ تَصْدِيقَهُ ذَلِكَ قَوْلًا بِأَدَاءِ الصَّالِحِ مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي افْتَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، وَأَوْجَبْتُهَا فِي كِتَابِي عَلَىٰ لِسَانِكَ عَلَيْهِ..

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ أَنَّ لَهُ خَاصَّةً، دُونَ مَنْ كَذَّبَ بِكَ وَأَنْكَرَ مَا جِئْتَهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِي، وَعَانَدَكَ، وَدُونَ مَنْ أَظْهَرَ تَصْدِيقَكَ، وَأَقَرَّ أَنَّ مَا جِئْتَهُ بِهِ فَمِنْ عِنْدِي قَوْلًا وَجَحَدَهُ اعْتِقَادًا، وَلَمْ يُحَقِّقْهُ عَمَلًا، فَإِنَّ لِأُولَئِكَ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، مُعَدَّةً عِنْدِي..

﴿جَنَّاتٍ﴾ وَالْجَنَّاتُ: جَمْعُ جَنَّةٍ، وَالْجَنَّةُ الْبُسْتَانُ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ: مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَشْجَارِهَا وَثِمَارِهَا وَغُرُوسِهَا، دُونَ أَرْضِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ..

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْخَبَرَ عَنْ مَاءِ أَنْهَارِهَا أَنَّهُ جَارٍ تَحْتَ أَشْجَارِهَا وَغُرُوسِهَا وَثِمَارِهَا، لَا أَنَّهُ جَارٍ تَحْتَ أَرْضِهَا، لِأَنَّ الْمَاءَ إِذَا كَانَ جَارِيًا تَحْتَ الأَرْضِ، فَلَا حَظَّ فِيهَا لِعُيُونٍ مِنْ فَوْقِهَا إِلَّا بِكَشْفِ السَّاتِرِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي تُوصَفُ بِهِ

أَنْهَارُ الجَنَّةِ أَنَّهَا جَارِيَةٌ فِي غَيْرِ أَخَادِيدَ، كَمَا قَالَ مَسْرُوقٌ: (نَخْلُ الجَنَّةِ نَضِيدٌ مِنْ أَصْلِهَا إِلَىٰ فَرْعِهَا، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ القِلَالِ، كُلَّمَا نُزِعَتْ ثَمَرَةٌ عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَىٰ، وَمَاؤُهَا يَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ).. فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فِي أَنَّ أَنْهَارَهَا جَارِيَةٌ فِي غَيْرِ أَخَادِيدَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي أُرِيدَ بِالجَنَّاتِ أَشْجَارُ الجَنَّاتِ وَغُرُوسُهَا وَثِمَارُهَا دُونَ أَرْضِهَا؛ إِذْ كَانَتْ أَنْهَارُهَا تَجْرِي فَوْقَ أَرْضِهَا وَتَحْتَ غُرُوسِهَا وَأَشْجَارِهَا، عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ مَسْرُوقٌ، وَذَلِكَ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الجَنَّةِ مِنْ أَنْ تَكُونَ أَنْهَارُهَا جَارِيَةً تَحْتَ أَرْضِهَا.. وَإِنَّمَا رَغَّبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذِهِ الآيَةِ عِبَادَهُ فِي الإِيمَانِ، وَحَضَّهُمْ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ عِنْدَهُ، كَمَا حَذَّرَهُمْ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا بِمَا أَخْبَرَ مِنْ إِعْدَادِهِ مَا أَعَدَّ لِأَهْلِ الكُفْرِ بِهِ -الجَاعِلِينَ مَعَهُ الآلِهَةَ وَالأَنْدَادَ- مِنْ عِقَابِهِ عَنْ إِشْرَاكِ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالتَّعَرُّضِ لِعُقُوبَتِهِ بِرُكُوبِ مَعْصِيَتِهِ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ..

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ مِنَ الجَنَّاتِ، وَالهَاءُ رَاجِعَةٌ عَلَىٰ الجَنَّاتِ، وَإِنَّمَا المَعْنِيُّ أَشْجَارُهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْ أَشْجَارِ البَسَاتِينِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلَّذِينِ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِهِ..

﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ مِنْ ثِمَارِهَا..

﴿رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلِ هَذَا فِي الدُّنْيَا، كما رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وقاله قتادةُ، ومجاهدٌ، وابنُ زيد.. فَإِنْ سَأَلَنَا سَائِلٌ، فَقَالَ: وَكَيْفَ قَالَ القَوْمُ: هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، وَالَّذِي رُزِقُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ عُدِمَ بِأَكْلِهِمْ إِيَّاهُ؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ أَهْلُ الجَنَّةِ قَوْلًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ؟ قِيلَ: إِنَّ الأَمْرَ عَلَىٰ غَيْرِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: هَذَا مِنَ النَّوْعِ الَّذِي رُزِقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا، مِنَ الثِّمَارِ وَالرِّزْقِ، كَالرَّجُلِ يَقُولُ لِآخَرَ: قَدْ أَعَدَّ لَكَ فُلَانٌ مِنَ الطَّعَامِ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَلْوَانِ الطَّبِيخِ وَالشِّوَاءِ وَالحَلْوَىٰ، فَيَقُولُ المَقُولُ لَهُ ذَاكَ: هَذَا طَعَامِي فِي مَنْزِلِي، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ النَّوْعَ الَّذِي ذَكَرَ لَهُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لَهُ مِنَ الطَّعَامِ هُوَ طَعَامُهُ، لَا أَنَّ أَعْيَانَ مَا أَخْبَرَهُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ قَدْ أَعَدَّهُ لَهُ، هُوَ طَعَامُهُ، بَلْ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ لِسَامِعٍ سَمِعَهُ يَقُولُ ذَلِكَ، أَنْ يَتَوَهَّمَ أَنَّهُ أَرَادَهُ أَوْ قَصَدَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ مَخْرَجِ كَلَامِ المُتَكَلِّمِ، وَإِنَّمَا يُوَجَّهُ كَلَامُ كُلِّ مُتَكَلِّمٍ إِلَىٰ المَعْرُوفِ فِي النَّاسِ مِنْ مَخَارِجِهِ، دُونَ المَجْهُولِ مِنْ مَعَانِيهِ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ إِذْ كَانَ مَا كَانُوا رُزِقُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ فَنِيَ وَعُدِمَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ عَنَوْا بِذَلِكَ: هَذَا مِنَ النَّوْعِ الَّذِي رُزِقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ، وَمِنْ جِنْسِهِ فِي السِّمَاتِ وَالأَلْوَانِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا مِنَ القَوْلِ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا هَذَا..

﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ الهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الرِّزْقِ، فَتَأْوِيلُهُ: وَأُتُوا بِالَّذِي رُزِقُوا مِنْ ثِمَارِهَا مُتَشَابِهًا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: تَشَابُهُهُ أَنَّ كُلَّهُ خِيَارٌ لَا رَذْلَ فِيهِ، وهو قول الحسن، وقتادة.. وَقَالَ

بَعْضُهُمْ: تَشَابُهُهُ فِي اللَّوْنِ وَهُوَ مُخْتَلِفٌ فِي الطَّعْمِ، وهو يُروىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، والربيع، وقاله مجاهد.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** تَشَابُهُهُ فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ، قاله مجاهد.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** تَشَابُهُهُ، تُشَابُهُ ثَمَرِ الجَنَّةِ وَثَمَرِ الدُّنْيَا فِي اللَّوْنِ، وَإِنِ اخْتَلَفَ طَعُومُهُمَا، وهو قول قتادة، ويُروىٰ عن عكرمة.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** لَا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا الأَسْمَاءَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**لَا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا الأَسْمَاءَ**)، وَقَالَ: (**لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الجَنَّةِ إِلَّا الأَسْمَاءُ**)، وقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: (**يَعْرِفُونَ أَسْمَاءَهُ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، التُّفَّاحَ بِالتُّفَّاحِ وَالرُّمَّانَ بِالرُّمَّانِ، قَالُوا فِي الجَنَّةِ:** ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ **فِي الدُّنْيَا** ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ **يَعْرِفُونَهُ، وَلَيْسَ هُوَ مِثْلَهُ فِي الطَّعْمِ**).. **وَأَوْلَىٰ هَذِهِ التَّأْوِيلاتِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ،** تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ: وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ وَالمَنْظَرِ وَالطَّعْمُ مُخْتَلِفٌ، يَعْنِي بِذَلِكَ اشْتِبَاهَ ثَمَرِ الجَنَّةِ وَثَمَرِ الدُّنْيَا فِي المَنْظَرِ وَاللَّوْنِ، مُخْتَلِفًا فِي الطَّعْمِ وَالذَّوْقِ، لِمَا قَدَّمْنَا مِنَ العِلَّةِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: كُلَّمَا رُزِقُوا مِنَ الجِنَانِ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ ثِمَارِهَا رِزْقًا قَالُوا: هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلِ هَذَا فِي الدُّنْيَا: فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ، وَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ أُتُوا بِمَا أُتُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ فِي الجَنَّةِ مُتَشَابِهًا، يَعْنِي بِذَلِكَ تَشَابُهَ مَا أُتُوا بِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ، وَالَّذِي كَانُوا رُزِقُوهُ فِي الدُّنْيَا، فِي اللَّوْنِ وَالمَرْأَىٰ وَالمَنْظَرِ، وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي الطَّعْمِ وَالذَّوْقِ فَتَبَايَنَا، فَلَمْ يَكُنْ لِشَيْءٍ مِمَّا فِي الجَنَّةِ مِنْ ذَلِكَ نَظِيرٌ فِي الدُّنْيَا.. وَكَانَ أَبُو مُوسَىٰ الأَشْعَرِيُّ يَقُولُ: (**إِنَّ اللهَ لَمَّا أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الجَنَّةِ زَوَّدَهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ كُلِّ شَيْءٍ، فَثِمَارُكُمْ هَذِهِ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ تَغَيَّرُ وَتِلْكَ لَا تَغَيَّرُ**)..

﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ وَالهَاءُ وَالمِيمُ اللَّتَانِ فِي ﴿وَلَهُمْ﴾ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.. وَالهَاءُ وَالأَلِفُ اللَّتَانِ فِي ﴿فِيهَآ﴾ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ الجَنَّاتِ.. وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ.. وَالأَزْوَاجُ جَمْعُ زَوْجٍ، وَهِيَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ، يُقَالُ: فُلَانَةٌ زَوْجُ فُلَانٍ وَزَوْجَتُهُ.. **وَأَمَّا قَوْلُهُ:** ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ **فَإِنَّ تَأْوِيلَهُ أَنَّهُنَّ طُهِّرْنَ مِنْ كُلِّ أَذًىٰ وَقَذًىٰ وَرِيبَةٍ، مِمَّا يَكُونُ فِي نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا،** مِنَ الحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَالغَائِطِ وَالبَوْلِ وَالمُخَاطِ وَالبُصَاقِ وَالمَنِيِّ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَذَىٰ وَالأَدْنَاسِ وَالرِّيَبِ وَالمَكَارِهِ..

﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الجَنَّاتِ خَالِدُونَ.. وَالهَاءُ وَالمِيمُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَهُمْ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.. وَالهَاءُ وَالأَلِفُ فِي ﴿فِيهَا﴾ عَلَىٰ الجَنَّاتِ.. وَخُلُودُهُمْ فِيهَا دَوَامُ بَقَائِهِمْ فِيهَا عَلَىٰ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ فِيهَا مِنَ الحَبْرَةِ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ.

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦]

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (لَمَّا ضَرَبَ اللهُ هَذَيْنِ المَثَلَيْنِ لِلْمُنَافِقِينَ -يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وَقَوْلَهُ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيَاتِ الثَّلَاثَ- قَالَ المُنَافِقُونَ: اللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَضْرِبَ هَذِهِ الأَمْثَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: (هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلدُّنْيَا، إِنَّ البَعُوضَةَ تَحْيَا مَا جَاعَتْ، فَإِذَا سَمِنَتْ مَاتَتْ، وَكَذَلِكَ مَثَلُ هَؤُلَاءِ القَوْمِ الَّذِينَ ضَرَبَ اللهُ لَهُمْ هَذَا المَثَلَ فِي القُرْآنِ: إِذَا امْتَلَأُوا مِنَ الدُّنْيَا رِيًّا أَخَذَهُمُ اللهُ عِنْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَلَا ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا قَالَ قتادة: (إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ أَنْ يَذْكُرَ مِنْهُ شَيْئًا مَا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ، إِنَّ اللهَ حِينَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الذُّبَابَ وَالعَنْكَبُوتَ قَالَ أَهْلُ الضَّلَالَةِ: مَا أَرَادَ اللهُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾).. وَقَدْ ذَهَبَ كُلُّ قَائِلٍ مِمَّنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ، وَفِي المَعْنَىٰ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، مَذْهَبًا، غَيْرَ أَنَّ أَوْلَىٰ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ وَأَشْبَهَهُ بِالحَقِّ، مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا، عُقَيْبَ أَمْثَالٍ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، ضَرَبَهَا لِلْمُنَافِقِينَ، دُونَ الأَمْثَالِ الَّتِي ضَرَبَهَا فِي سَائِرِ السُّوَرِ غَيْرِهَا، فَلِأَنْ يَكُونَ هَذَا القَوْلُ -عْنِي قَوْلَهُ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾- جَوَابًا لِنَكِيرِ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ مَا ضُرِبَ لَهُمْ مِنَ الأَمْثَالِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جَوَابًا لِنَكِيرِهِمْ مَا ضَرَبَ لَهُمْ مِنَ الأَمْثَالِ فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّمَا أَوْجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جَوَابًا لِنَكِيرِهِمْ مَا ضَرَبَ مِنَ الأَمْثَالِ فِي سَائِرِ السُّوَرِ؛ لِأَنَّ الأَمْثَالَ الَّتِي ضَرَبَهَا اللهُ لَهُمْ وَلِآلِهَتِهِمْ فِي سَائِرِ السُّوَرِ أَمْثَالٌ مُوَافِقَةُ المَعْنَىٰ لِمَا أَخْبَرَ عَنْهُ: أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَهُ مَثَلًا؛ إِذْ كَانَ بَعْضُهَا تَمْثِيلًا لِآلِهَتِهِمْ بِالعَنْكَبُوتِ، وَبَعْضُهَا تَشْبِيهًا لَهَا فِي الضَّعْفِ وَالمَهَانَةِ بِالذُّبَابِ، وَلَيْسَ ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بِمَوْجُودٍ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا.. فَإِنَّ ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ فِي الحَقِّ مِنَ الأَمْثَالِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ابْتِلَاءً بِذَلِكَ عِبَادَهُ، وَاخْتِبَارًا مِنْهُ لَهُمْ، لِيُمَيِّزَ بِهِ أَهْلَ الإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالكُفْرِ بِهِ، إِضْلَالًا مِنْهُ بِهِ لِقَوْمٍ، وَهِدَايَةً مِنْهُ بِهِ لِآخَرِينَ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾: (**يَعْنِي الأَمْثَالَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، يُؤْمِنُ بِهَا المُؤْمِنُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيَهْدِيهِمُ اللهُ بِهَا وَيُضِلُّ بِهَا الفَاسِقِينَ، يَعْرِفُهُ المُؤْمِنُونَ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْرِفُهُ الفَاسِقُونَ فَيَكْفُرُونَ بِهِ**)، لَا أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ قَصَدَ الخَبَرَ عَنْ عَيْنِ البَعُوضَةِ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ ضَرْبِ المَثَلِ بِهَا، وَلَكِنَّ البَعُوضَةَ لَمَّا كَانَتْ أَضْعَفَ الخَلْقِ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (**البَعُوضَةُ أَضْعَفُ مَا خَلَقَ اللهُ**)، خَصَّهَا اللهُ بِالذِّكْرِ فِي القِلَّةِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ أَقَلَّ الأَمْثَالِ فِي الحَقِّ وَأَحْقَرَهَا وَأَعْلَاهَا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ فِي الِارْتِفَاعِ، جَوَابًا مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لِمَنْ أَنْكَرَ مِنْ مُنَافِقِي خَلْقِهِ مَا ضَرَبَ لَهُمْ مِنَ المَثَلِ بِمُوقِدِ النَّارِ وَالصَّيِّبِ مِنَ السَّمَاءِ، عَلَىٰ مَا نَعَتَهُمَا بِهِ مِنْ نَعْتِهِمَا.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: وَأَيْنَ ذِكْرُ نَكِيرِ المُنَافِقِينَ الأَمْثَالَ الَّتِي وَصَفْتَ، الَّذِي هَذَا الخَبَرُ جَوَابُهُ، فَنَعْلَمَ أَنَّ القَوْلَ فِي ذَلِكَ مَا قُلْتَ؟ **قِيلَ**: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ بَيِّنَةٌ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ وَإِنَّ القَوْمَ الَّذِينَ ضَرَبَ لَهُمُ الأَمْثَالَ فِي الآيَتَيْنِ المُقَدَّمَتَيْنِ -اللَّتَيْنِ مَثَّلَ مَا عَلَيْهِ المُنَافِقُونَ مُقِيمُونَ فِيهِمَا بِمُوقِدِ النَّارِ وَبِالصَّيِّبِ مِنَ السَّمَاءِ، عَلَىٰ مَا وَصَفَ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ - قَدْ أَنْكَرُوا المَثَلَ وَقَالُوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ فَأَوْضَحَ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَطَأَ قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَقَبَّحَ لَهُمْ مَا نَطَقُوا بِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِحُكْمِهِمْ فِي قِيلِهِمْ مَا قَالُوا مِنْهُ، وَأَنَّهُ ضَلَالٌ وَفُسُوقٌ، وَأَنَّ الصَّوَابَ وَالهُدَىٰ مَا قَالَهُ المُؤْمِنُونَ دُونَ مَا قَالُوهُ..

﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ أَنْ يُبَيِّنَ وَيَصِفَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الرُّوم: ٢٨]، بِمَعْنَىٰ وَصْفٍ لَكُمْ، وَالمَثَلُ: الشَّبَهُ، يُقَالُ: هَذَا مَثَلُ هَذَا وَمِثْلُهُ، كَمَا يُقَالُ: شَبَهُهُ وَشِبْهُهُ، فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَخْشَىٰ أَنْ يَصِفَ شَبَهًا لِمَا شَبَّهَ بِهِ..

﴿مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ مَا بِمَعْنَىٰ الَّذِي؛ **لِأَنَّ مَعْنَىٰ الكَلَامِ**: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ الَّذِي هُوَ بَعُوضَةٌ فِي الصِّغَرِ وَالقِلَّةِ فَمَا فَوْقَهَا مَثَلًا.. **أَوْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ الكَلَامِ**: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَيْنَ بَعُوضَةٍ إِلَىٰ مَا فَوْقَهَا، ثُمَّ حَذَفَ ذِكْرَ (بَيْنَ) و(إِلَىٰ)؛ إِذْ كَانَ فِي نَصْبِ البَعُوضَةِ وَدُخُولِ الفَاءِ فِي (مَا) الثَّانِيَةِ، دَلَالَةٌ عَلَيْهِمَا.. **وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ** ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: فَمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا -عِنْدِي- لِمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ مِنْ قَوْلِ قَتَادَةَ: أَنَّ البَعُوضَةَ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ، فَإِذْ كَانَتْ

أَضْعَفَ خَلقِ اللهِ فَهِيَ نِهَايَةٌ فِي القِلَّةِ وَالضَّعْفِ، وَإِذْ كَانَتْ كَذَلِكَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مَا فَوْقَ أَضْعَفِ الأَشْيَاءِ لَا يَكُونُ إِلَّا أَقْوَىٰ مِنْهُ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المَعْنَىٰ -عَلَىٰ مَا قَالَ قتادةُ - فَمَا فَوْقَهَا فِي العِظَمِ وَالكِبَرِ؛ إِذْ كَانَتِ البَعُوضَةُ نِهَايَةً فِي الضَّعْفِ وَالقِلَّةِ.. وَقِيلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فِي الصِّغَرِ وَالقِلَّةِ، كَمَا يُقَالُ فِي الرَّجُلِ يُذَكِّرُهُ الذَّاكِرُ فَيَصِفُهُ بِاللُّؤْمِ وَالشُّحِّ، فَيَقُولُ السَّامِعُ: نَعَمْ، وَفَوْقَ ذَاكَ، يَعْنِي فَوْقَ الَّذِي وَصَفَ فِي الشُّحِّ وَاللُّؤْمِ، وَهَذَا قَوْلٌ خِلَافُ تَأْوِيلِ أَهْلِ العِلمِ الَّذِينَ تُرْتَضَىٰ مَعْرِفَتُهُمْ بِتَأْوِيلِ القُرْآنِ.. فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذًا، بِمَا وَصَفْنَا، أَنَّ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَصِفَ شَبَهًا لِمَا شَبَّهَ بِهِ الَّذِي هُوَ مَا بَيْنَ بَعُوضَةٍ إِلَىٰ مَا فَوْقَ البَعُوضَةِ..

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ فَيَعْرِفُونَ أَنَّ المَثَلَ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ، لِمَا ضَرَبَهُ لَهُ مَثَلٌ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: (يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا المَثَلَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ وَمِنْ عِنْدِهِ)، وقالَ قتادَةُ: (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَلَامُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّهُ الحَقُّ مِنَ اللهِ)..

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يَعْنِي الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ، وَأَنْكَرُوا مَا عَرَفُوا، وَسَتَرُوا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ حَقٌّ، وَذَلِكَ صِفَةُ المُنَافِقِينَ، وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ -وَمَنْ كَانَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ وَشُرَكَائِهِمْ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ- بِهَذِهِ الآيَةِ..

﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ مِنَ الخَبَرِ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: (يُؤْمِنُ بِهَا المُؤْمِنُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيَهْدِيهِمُ اللهُ بِهَا، وَيَضِلُّ بِهَا الفَاسِقُونَ، يَعْرِفُهُ المُؤْمِنُونَ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْرِفُهُ الفَاسِقُونَ فَيَكْفُرُونَ بِهِ).. وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ مَا الَّذِي أَرَادَ اللهُ بِهَذَا المَثَلِ مَثَلًا، فَـ (ذَا) الَّذِي مَعَ (مَا) فِي مَعْنَىٰ (الَّذِي) وَأَرَادَ صِلَتَهُ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ المَثَلِ..

﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ يُضِلُّ اللهُ بِهِ كَثِيرًا مِنْ خَلقِهِ، وَالهَاءُ فِي ﴿بِهِۦ﴾ مِنْ ذِكْرِ المَثَلِ، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُبْتَدَأٌ، وَمَعْنَىٰ الكَلَامِ: أَنَّ اللهَ يُضِلُّ بِالمَثَلِ الَّذِي يَضْرِبُهُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالكُفْرِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ يَعْنِي: المُنَافِقِينَ، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ يَعْنِي: المُؤْمِنِينَ، فَيَزِيدُ هَؤُلَاءِ ضَلَالًا إِلَىٰ ضَلَالِهِمْ؛ لِتَكْذِيبِهِمْ بِمَا قَدْ عَلِمُوهُ حَقًّا يَقِينًا مِنَ المَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ لِمَا ضَرَبَهُ لَهُ، وَأَنَّهُ لِمَا ضَرَبَهُ لَهُ مُوَافِقٌ، فَذَلِكَ إِضْلَالُ اللهِ إِيَّاهُمْ بِهِ، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ﴾ يَعْنِي بِالمَثَلِ: كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ، فَيَزِيدُهُمْ هُدًىٰ إِلَىٰ هُدَاهُمْ وَإِيمَانًا إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ؛ لِتَصْدِيقِهِمْ بِمَا قَدْ عَلِمُوهُ حَقًّا يَقِينًا

أَنَّهُ مُوَافِقٌ مَا ضَرَبَهُ اللهُ لَهُ مَثَلًا وَإِقْرَارِهِمْ بِهِ، وَذَلِكَ هِدَايَةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ بِهِ).. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِمَثَلٍ لَا يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ، يَضِلُّ بِهِ هَذَا وَيَهْدِي بِهِ هَذَا، ثُمَّ اسْتُؤْنِفَ الكَلَامُ وَالخَبَرُ عَنِ اللهِ، فَقَالَ اللهُ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾، وَفِيمَا فِي سُورَةِ المُدَّثِّرِ -مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ - مَا يُنَبِّئُ عَنْ أَنَّهُ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ كَذَلِكَ مُبْتَدَأٌ، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ﴾..

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦] وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ هُمُ الْمُنَافِقُونَ)، وقالَ قَتَادَةُ: (﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ فَسَقُوا فَأَضَلَّهُمُ اللهُ عَلَىٰ فِسْقِهِمْ)، ورُوِي عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: (﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ هُمْ أَهْلُ النِّفَاقِ).. وَأَصْلُ الفِسْقِ فِي كَلَامِ العَرَبِ: الخُرُوجُ عَنِ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ، إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قِشْرِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ سُمِّيَتِ الفَأْرَةُ فُوَيْسِقَةً، لِخُرُوجِهَا عَنْ جُحْرِهَا، فَكَذَلِكَ المُنَافِقُ وَالكَافِرُ سُمِّيَا فَاسِقَيْنِ، لِخُرُوجِهِمَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمَا، وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي صِفَةِ إِبْلِيسَ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، يَعْنِي بِهِ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: (أَيْ: بِمَا بَعُدُوا عَنْ أَمْرِي).. فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الفَاسِقِينَ﴾ وَمَا يُضِلُّ اللهُ بِالمَثَلِ الَّذِي يَضْرِبُهُ لِأَهْلِ الضَّلَالِ وَالنِّفَاقِ، إِلَّا الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَالتَّارِكِينَ اتِّبَاعَ أَمْرِهِ، مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ بِهِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَأَهْلِ الضَّلَالِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧]

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ هَذَا وَصْفٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ الفَاسِقِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُضِلُّ بِالمَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ لِأَهْلِ النِّفَاقِ غَيْرَهُمْ، فَقَالَ: وَمَا يُضِلُّ اللهُ بِالمَثَلِ الَّذِي يَضْرِبُهُ -عَلَىٰ مَا وَصَفَ قَبْلُ فِي الآيَاتِ المُتَقَدِّمَةِ- إِلَّا الفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ.. ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ المَعْرِفَةِ فِي مَعْنَىٰ العَهْدِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ هَؤُلَاءِ الفَاسِقِينَ بِنَقْضِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ وَصِيَّةُ اللهِ إِلَىٰ خلقِهِ، وَأَمْرُهُ إِيَّاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَنَهْيِهِ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فِي كُتُبِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ العَمَلَ بِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ فِي كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ، وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ

ﵟٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡﵞ، وبِقَوْلِهِ: ﵟوَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِﵞ فكُلُّ مَا فِي هَذِهِ الآيَاتِ، فَعَذْلٌ لَهُمْ وَتَوْبِيخٌ إِلَىٰ انْقِضَاءِ قَصَصِهِمْ، قَالُوا: فَعَهْدُ اللهِ الَّذِي نَقَضُوهُ بَعْدَ مِيثَاقِهِ، هُوَ مَا أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ، مِنَ العَمَلِ بِمَا فِيهَا، وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ هُوَ جُحُودُهُمْ بِهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَتِهِ، وَإِنْكَارِهِمْ ذَلِكَ، وَكِتْمَانِهِمْ عِلمَ ذَلِكَ النَّاسَ، بَعْدَ إِعْطَائِهِمُ اللهَ مِنْ أَنْفُسِهِمُ المِيثَاقَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ، فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ اللهَ عَنَىٰ بِهَذِهِ الآيَةِ جَمِيعَ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَعَهْدُهُ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ فِي تَوْحِيدِهِ: مَا وَضَعَ لَهُمْ مِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ، وَعَهْدُهُ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ: مَا احْتَجَّ بِهِ لِرُسُلِهِ مِنَ المُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرُهُمْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا، الشَّاهِدَةِ لَهُمْ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، قَالُوا: وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ الإِقْرَارَ بِمَا قَدْ تَبَيَّنَتْ لَهُمْ صِحَّتُهُ بِالأَدِلَّةِ، وَتَكْذِيبُهُمُ الرُّسُلَ وَالكُتُبَ، مَعَ عِلمِهِمْ أَنَّ مَا أُتُوا بِهِ حَقٌّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: العَهْدُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ، هُوَ العَهْدُ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ صُلبِ آدَمَ، الَّذِي وَصَفَهُ فِي قَوْلِهِ: ﵟوَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣ﵞ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣] وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ الوَفَاءَ بِهِ.. وَأَوْلَىٰ الأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِي كُفَّارِ أَحْبَارِ اليَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَمَا قَرُبَ مِنْهَا مِنْ بَقَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ شِرْكِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ قَدْ بَيَّنَّا قِصَصَهُمْ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، وَقَدْ دَلَّلنَا عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﵟإِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡﵞ، وَقَوْلَهُ: ﵟوَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِﵞ فِيهِمْ أُنْزِلَتْ، وَفِيمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ.. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ عِنْدِي، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِمْ نَزَلَتْ، فَإِنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ، وَمَعْنِيٌّ بِمَا وَافَقَ مِنْهَا صِفَةَ المُنَافِقِينَ خَاصَّةً، جَمِيعُ المُنَافِقِينَ، وَبِمَا وَافَقَ مِنْهَا صِفَةَ كُفَّارِ أَحْبَارِ اليَهُودِ، جَمِيعُ مَنْ كَانَ لَهُمْ نَظِيرًا فِي كُفْرِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَعُمُّ أَحْيَانًا جَمِيعَهُمْ بِالصِّفَةِ، لِتَقْدِيمِهِ ذِكْرَ جَمِيعِهِمْ فِي أَوَّلِ الآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَتْ قَصَصَهُمْ، وَيَخُصُّ أَحْيَانًا بِالصِّفَةِ بَعْضَهُمْ، لِتَفْصِيلِهِ فِي أَوَّلِ الآيَاتِ بَيْنَ فَرِيقَيْهِمْ، أَعْنِي: فَرِيقَ المُنَافِقِينَ مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَفَرِيقَ كُفَّارِ أَحْبَارِ اليَهُودِ.. فَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ، هُمُ التَّارِكُونَ مَا عَهِدَ اللهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الإِقْرَارِ

بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَتَبْيِينَ نُبُوَّتِهِ لِلنَّاسِ، الكَاتِمُونَ بَيَانَ ذَلِكَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَبِمَا قَدْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٨٧]، وَنَبْذُهُمْ ذَلِكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ هُوَ نَقْضُهُمُ العَهْدَ الَّذِي عُهِدَ إِلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ وَتَرْكُهُمُ العَمَلَ بِهِ.. وَإِنَّمَا قُلْتُ: **إِنَّهُ عَنَىٰ بِهَذِهِ الآيَاتِ مَنْ قُلْتُ إِنَّهُ عَنَىٰ بِهَا، لِأَنَّ الآيَاتِ -مِنْ مُبْتَدَأِ الآيَاتِ الخَمْسِ وَالسِّتِّ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ- فِيهِمْ نَزَلَتْ، إِلَىٰ تَمَامِ قِصَصِهِمْ**، وَفِي الآيَةِ الَّتِي بَعْدَ الخَبَرِ عَنْ خَلْقِ آدَمَ وَبَيَانِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٠]، وَخِطَابُهُ إِيَّاهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِالوَفَاءِ فِي ذَلِكَ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ البَشَرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ **مَقْصُودٌ بِهِ كُفَّارُهُمْ وَمُنَافِقُوهُمْ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي عَبَدَةِ الأَوْثَانِ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ.. غَيْرَ أَنَّ الخِطَابَ -وَإِنْ كَانَ لِمَنْ وَصَفْتُ مِنَ الفَرِيقَيْنِ- فَدَاخِلٌ فِي أَحْكَامِهِمْ، وَفِيمَا أَوْجَبَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الوَعِيدِ وَالذَّمِّ وَالتَّوْبِيخِ، كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ سَبِيلِهِمْ وَمِنْهَاجِهِمْ** مِنْ جَمِيعِ الخَلْقِ وَأَصْنَافِ الأُمَمِ المُخَاطَبِينَ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ.. **فَمَعْنَىٰ الآيَةِ إِذًا:** وَمَا يُضِلُّ بِهِ **إِلَّا التَّارِكِينَ طَاعَةَ اللهِ، الخَارِجِينَ عَنِ اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ**، النَّاكِثِينَ عُهُودَ اللهِ الَّتِي عَهِدَهَا إِلَيْهِمْ، فِي الكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ رُسُلِهِ وَعَلَىٰ أَلْسُنِ أَنْبِيَائِهِ، بِاتِّبَاعِ أَمْرِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَطَاعَةَ اللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ تَبْيِينِ أَمْرِهِ لِلنَّاسِ، وَإِخْبَارِهِمْ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُفْتَرَضَةٌ طَاعَتُهُ، وَتَرْكُ كِتْمَانِ ذَلِكَ لَهُمْ، **وَنَكْثُهُمْ ذَلِكَ وَنَقْضُهُمْ إِيَّاهُ هُوَ** مُخَالَفَتُهُمُ اللهَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِمْ -فِيمَا وَصَفْتُ أَنَّهُ عَهِدَ إِلَيْهِمْ- بَعْدَ إِعْطَائِهِمْ رَبَّهُمُ المِيثَاقَ بِالوَفَاءِ بِذَلِكَ، كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ رَبُّنَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦٩]..

﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ تَوَثُّقِ اللهِ فِيهِ، بِأَخْذِ عُهُودِهِ بِالوَفَاءِ لَهُ، بِمَا عُهِدَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.. غَيْرَ أَنَّ التَّوَثُّقَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ: تَوَثَّقْتُ مِنْ فُلَانٍ تَوَثُّقًا، وَالمِيثَاقُ اسْمٌ مِنْهُ، وَالهَاءُ فِي المِيثَاقِ عَائِدَةٌ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ.. **وَقَدْ يَدْخُلُ فِي حُكْمِ هَذِهِ الآيَةِ** كُلُّ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا هَؤُلَاءِ الفَاسِقِينَ مِنَ المُنَافِقِينَ وَالكُفَّارِ، فِي نَقْضِ العَهْدِ وَقَطْعِ الرَّحِمِ وَالإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (**فَإِيَّاكُمْ وَنَقْضَ هَذَا المِيثَاقِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَرِهَ نَقْضَهُ وَأَوْعَدَ فِيهِ، وَقَدَّمَ فِيهِ فِي آيِ القُرْآنِ حُجَّةً وَمَوْعِظَةً وَنَصِيحَةً، وَإِنَّا لَا نَعْلَمُ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَوْعَدَ فِي ذَنْبٍ مَا أَوْعَدَ فِي نَقْضِ المِيثَاقِ، فَمَنْ أَعْطَىٰ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهِ فَلْيَفِ بِهِ لِلهِ**)، وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ: (**سِتُّ خِلَالٍ فِي أَهْلِ النِّفَاقِ، إِذَا كَانَتْ لَهُمُ الظَّهَرَةُ، أَظْهَرُوا هَذِهِ الخِلَالَ**

السِّتَّ جَمِيعًا: إِذَا حَدَّثُوا كَذَبُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اؤْتُمِنُوا خَانُوا، وَنَقَضُوا عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَأَفْسَدُوا فِي الأَرْضِ، وَإِذَا كَانَتْ عَلَيْهِمُ الظَّهَرَةُ، أَظْهَرُوا الخِلَالَ الثَّلَاثَ إِذَا حَدَّثُوا كَذَبُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اؤْتُمِنُوا خَانُوا)..

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وَالَّذِي رَغَّبَ اللهُ فِي وَصْلِهِ وَذَمَّ عَلَىٰ قَطْعِهِ فِي هَذِهِ الآيَةِ: الرَّحِمُ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [مُحَمَّد: ٢٢]، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالرَّحِمِ، أَهْلَ الرَّحِمِ الَّذِينَ جَمَعَتْهُمْ وَإِيَّاهُ رَحِمٌ وَالِدَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقَطْعُ ذَلِكَ: ظُلْمُهُ فِي تَرْكِ أَدَاءِ مَا أَلْزَمَ اللهُ مِنْ حُقُوقِهَا، وَأَوْجَبَ مِنْ بِرِّهَا، وَوَصْلُهَا: أَدَاءُ الوَاجِبِ لَهَا إِلَيْهَا مِنْ حُقُوقِ اللهِ الَّتِي أَوْجَبَ لَهَا، وَالتَّعَطُّفُ عَلَيْهَا بِمَا يَحِقُّ التَّعَطُّفُ بِهِ عَلَيْهَا.. وَ﴿أَن﴾ الَّتِي مَعَ ﴿يُوصَلَ﴾ فِي مَحَلِّ خَفْضٍ، بِمَعْنَىٰ رَدِّهَا عَلَىٰ مَوْضِعِ الهَاءِ الَّتِي فِي ﴿بِهِۦٓ﴾، فَكَانَ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: وَيَقْطَعُونَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِأَنْ يُوصَلَ، وَالهَاءُ الَّتِي فِي ﴿بِهِۦٓ﴾ هِيَ كِنَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ ﴿أَن يُوصَلَ﴾.. وَبِمَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وَأَنَّهُ الرَّحِمُ، كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (فَقَطَعَ وَاللهِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ بِقَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالقَرَابَةِ).. وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ذَمَّهُمْ بِقَطْعِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ بِهِ وَأَرْحَامَهُمْ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِعُمُومِ ظَاهِرِ الآيَةِ، وَأَنْ لَا دَلَالَةَ عَلَىٰ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهَا بَعْضُ مَا أَمَرَ اللهُ وَصْلَهُ دُونَ بَعْضٍ، وَهَذَا مَذْهَبٌ مِنْ تَأْوِيلِ الآيَةِ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الصَّوَابِ، وَلَكِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ ذَكَرَ المُنَافِقِينَ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَوَصَفَهُمْ بِقَطْعِ الأَرْحَامِ، فَهَذِهِ نَظِيرَةُ تِلْكَ، غَيْرَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ كَذَلِكَ فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَىٰ ذَمِّ اللهِ كُلَّ قَاطِعٍ قَطَعَ مَا أَمَرَ اللهُ بِوَصْلِهِ، رَحِمًا كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا..

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَفَسَادُهُمْ فِي الأَرْضِ هُوَ مَا تَقَدَّمَ وَصَفْنَاهُ قَبْلُ مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، وَجَحْدِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَإِنْكَارِهِمْ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِهِ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧] وَالخَاسِرُونَ جَمْعُ خَاسِرٍ، وَالخَاسِرُونَ: النَّاقِصُونَ أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا -بِمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ- مِنْ رَحِمَتِهِ، كَمَا يَخْسَرُ الرَّجُلُ فِي تِجَارَتِهِ، بِأَنْ يُوضَعَ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ فِي بَيْعِهِ، فَكَذَلِكَ الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ، خَسِرَ بِحِرْمَانِ اللهِ إِيَّاهُ رَحْمَتَهُ الَّتِي خَلَقَهَا لِعِبَادِهِ فِي القِيَامَةِ، أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَىٰ رَحْمَتِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: خَسِرَ الرَّجُلُ يَخْسَرُ خَسْرًا وَخُسْرَانًا وَخَسَارًا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أُولَئِكَ هُمُ الهَالِكُونَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَائِلُ ذَلِكَ أَرَادَ مَا قُلْنَا مِنْ هَلَاكِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ بِهَا فِي هَذِهِ الآيَةِ، بِحِرْمَانِ اللهِ إِيَّاهُ مَا حَرَمَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ وَكُفْرِهِ بِهِ، فَحَمَلَ تَأْوِيلَ الكَلَامِ عَلَىٰ مَعْنَاهُ، دُونَ البَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ عَيْنِ الكَلِمَةِ بِعَيْنِهَا، فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ رُبَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ

تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ بِمَا رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (كُلُّ شَيْءٍ نَسَبَهُ اللهُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِ الإِسْلَامِ مِنَ اسْمٍ مِثْلِ خَاسِرٍ، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الكُفْرَ، وَمَا نَسَبَهُ إِلَىٰ أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الذَّنْبَ).

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨]

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ وَهَذِهِ الآيَةُ تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلقَائِلِينَ: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مَعَ قِيلِهِمْ ذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ، غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ خِداعًا للهِ وَلِلمُؤْمِنِينَ، فَعَذَلَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾، وَوَبَّخَهُمْ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ -فِي نَكِيرِهِمْ مَا أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ وَجُحُودِهِمْ مَا جَحَدُوا بِقُلُوبِهِمُ المَرِيضَةِ- فَقَالَ: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ فَتَجْحَدُونَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ إِمَاتَتِكُمْ، لِبَعْثِ القِيَامَةِ، وَمُجَازَاةِ المُسِيءِ مِنْكُمْ بِالإِسَاءَةِ وَالمُحْسِنِ بِالإِحْسَانِ.. وَ﴿كَيْفَ﴾ بِمَعْنَىٰ التَّعَجُّبِ وَالتَّوْبِيخِ، لَا بِمَعْنَىٰ الاسْتِفْهَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيْحَكُمْ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التَّكْوِير: ٢٦]..

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ وَقَدْ كُنْتُمْ نُطَفًا، أَمْوَاتَ الذِّكْرِ، خُمُولًا فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ، لَا تُعْرَفُونَ وَلَا تُذْكَرُونَ.. وَحَلَّ قَوْلُهُ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ مَحَلَّ الحَالِ، وَفِيهِ ضَمِيرُ (قَدْ)، وَلَكِنَّهَا حُذِفَتْ لِمَا فِي الكَلَامِ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنْ (فَعَلَ) إِذَا حَلَّتْ مَحَلَّ الحَالِ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهَا مُقْتَضِيَةٌ (قَدْ) كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النِّسَاء: ٩٠]، بِمَعْنَىٰ: قَدْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ، وَكَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: أَصْبَحْتَ كَثُرَتْ مَاشِيَتُكَ، تُرِيدُ: قَدْ كَثُرَتْ مَاشِيَتُكَ..

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بِإِنْشَائِكُمْ بَشَرًا سَوِيًّا حَتَّىٰ ذُكِرْتُمْ وَعُرِفْتُمْ وَحَيِيتُمْ..

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ وَإِعَادَتِكُمْ رُفَاتًا، لَا تُعْرَفُونَ وَلَا تُذْكَرُونَ، فِي البَرْزَخِ إِلَىٰ يَوْمِ تَبْعَثُونَ..

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بَعْدَ ذَلِكَ بِنَفْخِ الأَرْوَاحِ فِيكُمْ؛ لِبَعْثِ السَّاعَةِ وَصَيْحَةِ القِيَامَةِ..

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨] بَعْدَ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُحْيِيهِمْ فِي قُبُورِهِمْ قَبْلَ حَشْرِهِمْ، ثُمَّ يَحْشُرُهُمْ لِمَوْقِفِ الحِسَابِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المَعَارِج: ٤٣]، وَقَالَ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١].. فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ، غَيْرُ مُعْجِزِهِ -بِالقُدْرَةِ الَّتِي فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ- إِحْيَاؤُكُمْ بَعْدَ إِمَاتَتِكُمْ، وَإِعَادَتُكُمْ بَعْدَ إِفْنَائِكُمْ، وَحَشْرُكُمْ إِلَيْهِ لِمُجَازَاتِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ..

ثُمَّ عَدَّدَ رَبُّنَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ -الَّذِينَ جَمَعَ بَيْنَ قِصَصِهِمْ وَقِصَصِ المُنَافِقِينَ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيِ هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي افْتَتَحَ الخَبَرَ عَنْهُمْ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ - نِعَمَهُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ آبَائِهِمْ، الَّتِي عَظُمَتْ مِنْهُمْ مَوَاقِعُهَا، ثُمَّ سَلَبَ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَثِيرًا مِنْهَا، بِمَا رَكِبُوا مِنَ الآثَامِ، وَاجْتَرَمُوا مِنَ الأَجْرَامِ، وَخَالَفُوا مِنَ الطَّاعَةِ إِلَىٰ المَعْصِيَةِ، مُحَذِّرَهُمْ بِذَلِكَ تَعْجِيلَ العُقُوبَةِ لَهُمْ، كَالَّتِي عَجَّلَهَا لِلأَسْلَافِ وَالأَفْرَاطِ قَبْلَهُمْ، وَمُخَوِّفَهُمْ حُلُولَ مَثُلَاتِهِ بِسَاحَتِهِمْ كَالَّذِي أَحَلَّ بِأَوَّلِيهِمْ، وَمُعَرِّفَهُمْ مَا لَهُمْ مِنَ النَّجَاةِ فِي سُرْعَةِ الأَوْبَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْجِيلِ التَّوْبَةِ، مِنَ الخَلَاصِ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ العِقَابِ، فَبَدَأَ بَعْدَ تَعْدِيدِهِ عَلَيْهِمْ مَا عَدَّدَ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي هُمْ فِيهَا مُقِيمُونَ، بِذِكْرِ أَبِينَا وَأَبِيهِمْ آدَمَ أَبِي البَشَرِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، وَمَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ كَرَامَتِهِ إِلَيْهِ، وَآلَائِهِ لَدَيْهِ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ وَبِعَدُوِّهِ إِبْلِيسَ مِنْ عَاجِلِ عُقُوبَتِهِ بِمَعْصِيَتِهِمَا الَّتِي كَانَتْ مِنْهُمَا، وَمُخَالَفَتِهِمَا أَمْرَهُ الَّذِي أَمَرَهُمَا بِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ تَغَمُّدِهِ آدَمَ بِرَحْمَتِهِ إِذْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ إِحْلَالِهِ بِإِبْلِيسَ مِنْ لَعْنَتِهِ فِي العَاجِلِ، وَإِعْدَادِهِ لَهُ مَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ العَذَابِ المُقِيمِ فِي الآجِلِ، إِذِ اسْتَكْبَرَ وَأَبَىٰ التَّوْبَةَ إِلَيْهِ وَالإِنَابَةَ، مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِهِ فِي المُنِيبِينَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، وَقَضَائِهِ فِي المُسْتَكْبِرِينَ عَنِ الإِنَابَةِ، إِعْذَارًا مِنَ اللهِ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْذَارًا لَهُمْ، لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ مِنْهُمْ أُولُو الأَلْبَابِ، وَخَاصًّا أَهْلَ الكِتَابِ -بِمَا ذَكَرَ مِنْ قَصَصِ آدَمَ وَسَائِرِ القَصَصِ الَّتِي ذَكَرَهَا مَعَهَا وَبَعْدَهَا، مِمَّا عَلِمَهُ أَهْلُ الكِتَابِ وَجَهِلَتْهُ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ مِنْ مُشْرِكِي عَبَدَةِ الأَوْثَانِ- بِالِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ -دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الأُمَمِ، الَّذِينَ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لِيَعْلَمُوا بِإِخْبَارِهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، أَنَّهُ للهِ رَسُولٌ مَبْعُوثٌ، وَأَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ، إِذْ كَانَ مَا اقْتَصَّ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ القِصَصِ، مِنْ مَكْنُونِ عُلُومِهِمْ، وَمَصُونِ مَا فِي كُتُبِهِمْ، وَخَفِيِّ أُمُورِهِمُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَدَّعِي مَعْرِفَةَ عِلْمِهَا غَيْرُهُمْ وَغَيْرُ مَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ وَقَرَأَ كُتُبَهُمْ، وَكَانَ مَعْلُومًا مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ كَاتِبًا، وَلَا لِأَسْفَارِهِمْ تَالِيًا، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مُصَاحِبًا وَلَا مُجَالِسًا، فَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يَدَّعُوا أَنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ أَوْ عَنْ بَعْضِهِمْ.. فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ - فِي تَعْدِيدِهِ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ فِيهِ مُقِيمُونَ مِنْ نِعَمِهِ، مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَرْكِهِمْ شُكْرَهُ عَلَيْهَا بِمَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ [البقرة: ٢٩]

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فَأَخْبَرَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ خَلَقَ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ

جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الأَرْضَ وَجَمِيعَ مَا فِيهَا لِبَنِي آدَمَ مَنَافِعُ، **أَمَّا فِي الدِّينِ**: فَدَلِيلٌ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِمْ، **وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا**: فَمَعَاشٌ وَبَلَاغٌ لَهُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ.. وَقَوْلُهُ: ﴿**هُوَ**﴾ مَكْنِيٌّ مِنَ اسْمِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَائِدٌ عَلَىٰ اسْمِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾.. وَمَعْنَىٰ خَلْقِهِ مَا خَلَقَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، إِنْشَاؤُهُ عَيْنَهُ، وَإِخْرَاجُهُ مِنْ حَالِ العَدَمِ إِلَىٰ الوُجُودِ.. وَ﴿مَّا﴾ بِمَعْنَىٰ (الَّذِي).. **فَمَعْنَىٰ الكَلَامِ إِذًا**: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ نُطَفًا فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ فَجَعَلَكُمْ بَشَرًا أَحْيَاءً، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ هُوَ مُحْيِيكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَبَاعِثُكُمْ يَوْمَ الحَشْرِ لِلثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَهُوَ المُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِمَا خَلَقَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ مَعَايِشِكُمْ وَأَدِلَّتِكُمْ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ..

﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ**﴾ **قَالَ بَعْضُهُمْ**: مَعْنَىٰ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ، أَقْبَلَ عَلَيْهَا، كَمَا تَقُولُ: كَانَ فُلَانٌ مُقْبِلًا عَلَىٰ فُلَانٍ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَيَّ يُشَاتِمُنِي، وَاسْتَوَىٰ إِلَيَّ يُشَاتِمُنِي، بِمَعْنَىٰ: أَقْبَلَ عَلَيَّ وَإِلَيَّ يُشَاتِمُنِي.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بِتَحَوُّلٍ، وَلَكِنَّهُ بِمَعْنَىٰ فِعْلِهِ، كَمَا تَقُولُ: كَانَ الخَلِيفَةُ فِي أَهْلِ العِرَاقِ يُوَالِيهِمْ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَىٰ الشَّامِ، إِنَّمَا يُرِيدُ: تَحَوَّلَ فِعْلِهِ.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ**﴾ يَعْنِي بِهِ: اسْتَوَتْ.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ**﴾ عَمَدَ لَهَا، وَقَالَ: بَلْ كُلُّ تَارِكٍ عَمَلًا كَانَ فِيهِ إِلَىٰ آخَرَ فَهُوَ مُسْتَوٍ لِمَا عَمَدَ لَهُ، وَمُسْتَوٍ إِلَيْهِ.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: الِاسْتِوَاءُ هُوَ العُلُوُّ، وَالعُلُوُّ هُوَ الِارْتِفَاعُ، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.. ثُمَّ اخْتَلَفَ مُتَأَوِّلُو الِاسْتِوَاءِ بِمَعْنَىٰ العُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ، فِي الَّذِي اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ: **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: الَّذِي اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَعَلَا عَلَيْهَا، هُوَ خَالِقُهَا وَمُنْشِئُهَا، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: بَلِ العَالِي عَلَيْهَا: الدُّخَانُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لِلأَرْضِ سَمَاءً.. **وَالِاسْتِوَاءُ فِي كَلَامِ العَرَبِ مُنْصَرِفٌ عَلَىٰ وُجُوهٍ**: **مِنْهَا**: انْتِهَاءُ شَبَابِ الرَّجُلِ وَقُوَّتِهِ، فَيُقَالُ، إِذَا صَارَ كَذَلِكَ: قَدِ اسْتَوَىٰ الرَّجُلُ، **وَمِنْهَا**: اسْتِقَامَةُ مَا كَانَ فِيهِ أَوَدٌ مِنَ الأُمُورِ وَالأَسْبَابِ، يُقَالُ مِنْهُ: اسْتَوَىٰ لِفُلَانٍ أَمْرُهُ، إِذَا اسْتَقَامَ بَعْدَ أَوَدٍ، **وَمِنْهَا**: الإِقْبَالُ عَلَىٰ الشَّيْءِ، يُقَالُ: اسْتَوَىٰ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ بِمَا يَكْرَهُهُ وَيَسُوءُهُ بَعْدَ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ، **وَمِنْهَا**: الِاحْتِيَازُ وَالِاسْتِيلَاءُ، كَقَوْلِهِمْ: اسْتَوَىٰ فُلَانٌ عَلَىٰ المَمْلَكَةِ، بِمَعْنَىٰ احْتَوَىٰ عَلَيْهَا وَحَازَهَا، **وَمِنْهَا**: العُلُوُّ وَالِارْتِفَاعُ، كَقَوْلِ القَائِلِ، اسْتَوَىٰ فُلَانٌ عَلَىٰ سَرِيرِهِ، يَعْنِي بِهِ عُلُوَّهُ عَلَيْهِ.. **وَأَوْلَىٰ المَعَانِي بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ**: ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ**﴾ **عَلَا عَلَيْهِنَّ وَارْتَفَعَ، فَدَبَّرَهُنَّ بِقُدْرَتِهِ، وَخَلَقَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.. وَالعَجَبُ مِمَّنْ أَنْكَرَ المَعْنَىٰ المَفْهُومَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهِ**: ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ**﴾ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ العُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ، هَرَبًا عِنْدَ نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يُلْزِمَهُ بِزَعْمِهِ -إِذَا تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَاهُ المُفْهِمِ كَذَلِكَ- أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا عَلَا وَارْتَفَعَ بَعْدَ أَنْ كَانَ تَحْتَهَا، إِلَىٰ أَنْ تَأَوَّلَهُ

بِالمَجْهُولِ مِنْ تَأْوِيلِهِ المُسْتَنْكَرِ، ثُمَّ لَمَّ يَنْجُ مِمَّا هَرَبَ مِنْهُ! **فَيُقَالُ لَهُ**: زَعَمْتَ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أَقْبَلَ، أَفَكَانَ مُدْبِرًا عَنِ السَّمَاءِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا؟ **فَإِنْ زَعَمَ** أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِإِقْبَالِ فِعْلٍ، وَلَكِنَّهُ إِقْبَالُ تَدْبِيرٍ، **قِيلَ لَهُ**: فَكَذَلِكَ فَقُلْ: عَلَا عَلَيْهَا عُلُوَّ مُلْكٍ وَسُلْطَانٍ، لَا عُلُوَّ انْتِقَالٍ وَزَوَالٍ، ثُمَّ لَنْ يَقُولَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الآخَرِ مِثْلَهُ، وَلَوْلَا أَنَّا كَرِهْنَا إِطَالَةَ الكِتَابِ بِمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ، لَأَنْبَأْنَا عَنْ فَسَادِ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ قَالَ فِي ذَلِكَ قَوْلًا لِقَوْلِ أَهْلِ الحَقِّ فِيهِ مُخَالِفًا، وَفِيمَا بَيَّنَّا مِنْهُ مَا يُشْرِفُ بِذِي الفَهْمِ عَلَىٰ مَا فِيهِ لَهُ الكِفَايَةُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.. **وَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: أَخْبِرْنَا عَنِ اسْتِوَاءِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، كَانَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ أَمْ بَعْدَهُ؟ **قِيلَ**: بَعْدَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يُسَوِّيَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فُصِّلَت: ١١]، وَالِاسْتِوَاءُ كَانَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَهَا دُخَانًا، وَقَبْلَ أَنْ يُسَوِّيَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: إِنَّمَا قَالَ: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وَلَا سَمَاءَ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِآخَرَ: اعْمَلْ هَذَا الثَّوْبَ، وَإِنَّمَا مَعَهُ غَزْلٌ..

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ هَيَّأَهُنَّ وَخَلَقَهُنَّ وَدَبَّرَهُنَّ وَقَوَّمَهُنَّ، **وَالتَّسْوِيَةُ فِي كَلَامِ العَرَبِ** التَّقْوِيمُ وَالإِصْلَاحُ وَالتَّوْطِئَةُ، كَمَا يُقَالُ: سَوَّىٰ فَلَانٌ لِفُلَانٍ هَذَا الأَمْرَ، إِذَا قَوَّمَهُ وَأَصْلَحَهُ وَوَطَّأَهُ لَهُ، **فَكَذَلِكَ تَسْوِيَةُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَمَاوَاتِهِ**: تَقْوِيمُهُ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ مَشِيئَتِهِ، وَتَدْبِيرُهُ لَهُنَّ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ، وَتَفْتِيقُهُنَّ بَعْدَ ارْتِتَاقِهِنَّ.. **فَمَعْنَىٰ الكَلَامِ إِذًا**: هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ، فَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَسَخَّرَهُ لَكُمْ تَفَضُّلًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، لِيَكُونَ لَكُمْ بَلَاغًا فِي دُنْيَاكُمْ وَمَتَاعًا إِلَىٰ مُوَافَاةِ آجَالِكُمْ، **وَدَلِيلًا لَكُمْ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ**، ثُمَّ عَلَا إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَهِيَ دُخَانٌ، فَسَوَّاهُنَّ وَحَبَكَهُنَّ، وَأَجْرَىٰ فِي بَعْضِهِنَّ شَمْسَهُ وَقَمَرَهُ وَنُجُومَهُ، وَقَدَّرَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَا قَدَّرَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ [البقرة: ٢٩] يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَهُوَ﴾ نَفْسَهُ، وَبِقَوْلِهِ: ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ إِنَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَسَوَّىٰ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ بِمَا فِيهِنَّ فَأَحْكَمَهُنَّ مِنْ دُخَانِ المَاءِ، وَأَتْقَنَ صُنْعَهُنَّ، **لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ -أَيُّهَا المُنَافِقُونَ وَالمُلْحِدُونَ الكَافِرُونَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ- مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ**، وَإِنْ أَبْدَىٰ مُنَافِقُوكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ قَوْلَهُمْ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، وَهُمْ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ بِهِ مُنْطَوُونَ، وَكَذَّبَتْ أَحْبَارُكُمْ بِمَا أَتَاهُمْ بِهِ رَسُولِي مِنَ الهُدَىٰ وَالنُّورِ، وَهُمْ بِصِحَّتِهِ عَارِفُونَ، وَجَحَدُوهُ وَكَتَمُوا مَا قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمْ -بِبَيَانِهِ لِخَلْقِي مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ وَنُبُوَّتِهِ- المَوَاثِيقَ وَهُمْ بِهِ عَالِمُونَ، بَلْ أَنَا عَالِمٌ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ غَيْرِكُمْ، إِنِّي بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.. وَقَوْلُهُ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَعْنَىٰ عَالِمٍ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (**هُوَ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عِلْمِهِ**).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَضَىٰ: أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَاطَبَ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ بِهَذِهِ الآيَاتِ وَالَّتِي بَعْدَهَا، مُوَبِّخَهُمْ، مُقَبِّحًا إِلَيْهِمْ سُوءَ فِعَالِهِمْ وَمُقَامِهِمْ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ، مَعَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَسْلَافِهِمْ، وَمُذَكِّرَهُمْ -بِتَعْدِيدِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَسْلَافِهِمْ- بَأْسَهُ، أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ مَنْ هَلَكَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ فِي مَعْصِيَتِهِ، فَيَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ فِي عُقُوبَتِهِ، وَمُعَرِّفَهُمْ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَعَطُّفِهِ عَلَىٰ التَّائِبِ مِنْهُمْ، اسْتِعْتَابًا مِنْهُ لَهُمْ، فَكَانَ مِمَّا عَدَّدَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ خَلَقَ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَسَخَّرَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ شَمْسِهَا وَقَمَرِهَا وَنُجُومِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِهَا الَّتِي جَعَلَهَا لَهُمْ وَلِسَائِرِ بَنِي آدَمَ مَعَهُمْ مَنَافِعَ، فَكَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ مَعْنَىٰ (اذْكُرُوا) نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، (إِذْ) خَلَقْتُكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، وَخَلَقْتُ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَسَوَّيْتُ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ عَطَفَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ عَلَىٰ المَعْنَىٰ المُقْتَضَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ إِذْ كَانَ مُقْتَضِيًا مَا وَصَفْتُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ﴾ (إِذْ) فَعَلْتُ بِكُمْ وَفَعَلْتُ، و(اذْكُرُوا) فِعْلِي بِأَبِيكُمْ آدَمَ (إِذْ) قُلْتُ ﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فَلَمَّا كَانَتِ الأُولَىٰ مُقْتَضِيَةً ﴿إِذْ﴾ عَطَفَ بِـ ﴿إِذْ﴾ عَلَىٰ مَوْضِعِهَا فِي الأُولَىٰ..

﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ جَمْعُ مَلأَكٍ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمْ بِغَيْرِ الهَمْزِ أَكْثَرُ وَأَشْهَرُ فِي كَلَامِ العَرَبِ مِنْهُ بِالهَمْزِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي وَاحِدِهِمْ: مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَأَصْلُ المَلأَكِ: الرِّسَالَةُ، فَسُمِّيَتِ المَلَائِكَةُ مَلَائِكَةً بِالرِّسَالَةِ؛ لِأَنَّهَا رُسُلُ اللهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ، وَمَنْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنِّي فَاعِلٌ، رُوِي عن الحسنِ وقتادة.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنِّي خَالِقٌ، رُوِي عَنْ أَبِي رَوْقٍ عَطِيَّةَ بْنِ الحارثِ.. وَالصَّوَابُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أَيْ: مُسْتَخْلِفٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، وَمُصَيِّرٌ فِيهَا خُلَفَاءَ، وَذَلِكَ أَشْبَهُ بِتَأْوِيلِ قَوْلِ الحَسَنِ وَقَتَادَةَ..

﴿خَلِيفَةً﴾ وَالخَلِيفَةُ الفَعِيلَةُ، مِنْ قَوْلِكَ: خَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا فِي هَذَا الأَمْرِ، إِذَا قَامَ مَقَامَهُ فِيهِ بَعْدَهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يُونُس: ١٤]، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ أَبْدَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مِنْهُمْ، فَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ بَعْدَهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلسُّلطَانِ الأَعْظَمِ: خَلِيفَةٌ؛ لِأَنَّهُ خَلَفَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، فَقَامَ بِالأَمْرِ مَقَامَهُ، فَكَانَ مِنْهُ خَلَفًا.. وروي

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يَقُولُ: (سَاكِنًا وَعَامِرًا يَسْكُنُهَا وَيَعْمُرُهَا خَلَفًا، لَيْسَ مِنْكُمْ).. وَلَيْسَ الَّذِي قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي مَعْنَىٰ الخَلِيفَةِ بِتَأْوِيلِهَا -وَإِنْ كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ مَلَائِكَتَهُ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً يَسْكُنُهَا- وَلَكِنَّ مَعْنَاهَا مَا وَصَفْتُ قَبْلُ..

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَتِ المَلَائِكَةُ لِرَبِّهَا إِذْ أَخْبَرَهَا أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ وَلَمْ يَكُنْ آدَمُ بَعْدُ مَخْلُوقًا وَلَا ذُرِّيَّتُهُ، فَيَعْلَمُوا مَا يَفْعَلُونَ عِيَانًا؟ أَعَلِمَتِ الغَيْبَ فَقَالَتْ ذَلِكَ؟ أَمْ قَالَتْ مَا قَالَتْ مِنْ ذَلِكَ ظَنًّا؟ فَذَلِكَ شَهَادَةٌ مِنْهَا بِالظَّنِّ وَقَوْلٌ بِمَا لَا تَعْلَمُ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهَا، أَمْ مَا وَجْهُ قِيلِهَا ذَلِكَ لِرَبِّهَا؟ **قِيلَ**: قَدْ قَالَتِ العُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ أَقْوَالًا، **وَأَوْلَىٰ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ** بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، مُخْبِرًا عَنْ مَلَائِكَتِهِ قِيلَهَا لَهُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ **مِنْهَا اسْتِخْبَارٌ لِرَبِّهَا**، بِمَعْنَىٰ: أَعْلِمْنَا يَا رَبَّنَا أَجَاعِلٌ أَنْتَ فِي الأَرْضِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَتَارِكٌ أَنْ تَجْعَلَ خُلَفَاءَكَ مِنَّا، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، **لَا إِنْكَارَ مِنْهَا لِمَا أَعْلَمَهَا رَبُّهَا أَنَّهُ فَاعِلٌ**، وَإِنْ كَانَتْ قَدِ اسْتَعْظَمَتْ لَمَّا أُخْبِرَتْ بِذَلِكَ، أَنْ يَكُونَ للهِ خَلْقٌ يَعْصِيهِ.. **وَأَمَّا دَعْوَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كَانَ أَذِنَ لَهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ ذَلِكَ فَسَأَلَتْهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّعَجُّبِ**، فَدَعْوَىٰ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهَا فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَلَا خَبَرَ بِهَا مِنَ الحُجَّةِ يَقْطَعُ العُذْرَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللهِ بِمَا لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الوُجُوهِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الحُجَّةُ.. **وَأَمَّا وَصْفُ المَلَائِكَةِ مَنْ وَصَفَتْ -فِي اسْتِخْبَارِهَا رَبَّهَا عَنْهُ- بِالفَسَادِ فِي الأَرْضِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ**، فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِيهِ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنَ القَوْلِ الَّذِي رَوَاهُ السُّدِّيُّ، وَوَافَقَهُمَا عَلَيْهِ قَتَادَةُ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ **أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي** الأَرْضِ خَلِيفَةً تَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ اسْتِخْبَارِهَا**، وَالأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ، مِنْ **أَنَّهَا قَدْ أُخْبِرَتْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ؟ قِيلَ**: وَجْهُ اسْتِخْبَارِهَا حِينَئِذٍ يَكُونُ **عَنْ حَالِهِمْ عِنْدَ وُقُوعِ ذَلِكَ، وَهَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ؟** وَمَسْأَلَتُهُمْ رَبَّهُمْ أَنْ يَجْعَلَهُمُ الخُلَفَاءَ فِي الأَرْضِ حَتَّىٰ لَا يَعْصُوهُ.. وَغَيْرُ فَاسِدٍ أَيْضًا مَا رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، مِنْ أَنَّ المَلَائِكَةَ قَالَتْ ذَلِكَ لِمَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ عِلْمِ سُكَّانِ الأَرْضِ -قَبْلَ آدَمَ- مِنَ الجِنِّ، فَقَالَتْ لِرَبِّهَا: أَجَاعِلٌ فِيهَا أَنْتَ مِثْلَهُمْ مِنَ الخَلْقِ يَفْعَلُونَ مِثْلَ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ؟ **عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِعْلَامِ مِنْهُمْ لِرَبِّهِمْ، لَا عَلَىٰ وَجْهِ الإِيجَابِ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ كَذَلِكَ**، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْهَا إِخْبَارًا عَمَّا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ.. وَغَيْرُ خَطَأٍ أَيْضًا مَا قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ قِيلُ المَلَائِكَةِ مَا قَالَتْ مِنْ ذَلِكَ، **عَلَىٰ وَجْهِ التَّعَجُّبِ مِنْهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ للهِ خَلْقٌ يَعْصِي خَالِقَهُ**..

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ يَعْنِي: إِنَّا نُعَظِّمُكَ بِالحَمْدِ لَكَ وَالشُّكْرِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النَّصر: ٣]، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشُّورَىٰ: ٥]، وَكُلُّ ذِكْرٍ للهِ عِنْدَ العَرَبِ فَتَسْبِيحٌ وَصَلَاةٌ، يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: قَضَيْتُ سُبْحَتِي مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّسْبِيحَ صَلَاةُ المَلَائِكَةِ.. وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَيُّ الكَلَامِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ فَقَالَ: «مَا اصْطَفَىٰ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ».. وَأَصْلُ التَّسْبِيحِ للهِ عِنْدَ العَرَبِ: التَّنْزِيهُ لَهُ مِنْ إِضَافَةِ مَا لَيْسَ مِنْ صِفَاتِهِ إِلَيْهِ، وَالتَّبْرِئَةُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ فِي هَذَا المَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَوْلُهُمْ ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نُصَلِّي لَكَ، رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ التَّسْبِيحُ المَعْلُومُ، قَالَهُ قَتَادَةُ..

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وَالتَّقْدِيسُ هُوَ التَّطْهِيرُ وَالتَّعْظِيمُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ) يُعْنَىٰ بِقَوْلِهِمْ: (سُبُّوحٌ) تَنْزِيهٌ للهِ، وَبِقَوْلِهِمْ: (قُدُّوسٌ) طَهَارَةٌ لَهُ وَتَعْظِيمٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلأَرْضِ: (أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ) يُعْنَىٰ بِذَلِكَ المُطَهَّرَةُ.. فَمَعْنَىٰ قَوْلِ المَلَائِكَةِ إِذًا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نُنَزِّهُكَ وَنُبَرِّئُكَ مِمَّا يُضِيفُهُ إِلَيْكَ أَهْلُ الشِّرْكِ بِكَ، وَنُصَلِّي لَكَ، ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، نَنْسُبُكَ إِلَىٰ مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِكَ، مِنَ الطَّهَارَةِ مِنَ الأَدْنَاسِ، وَمَا أَضَافَ إِلَيْكَ أَهْلُ الكُفْرِ بِكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَقْدِيسَ المَلَائِكَةِ لِرَبِّهَا صَلَاتُهَا لَهُ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نُعَظِّمُكَ وَنُمَجِّدُكَ، قاله أَبُو صَالِحٍ، ومُجَاهِدٌ.. وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَ التَّقْدِيسَ الصَّلَاةُ أَوِ التَّعْظِيمُ، فَإِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَىٰ المَعْنَىٰ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّطْهِيرِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ صَلَاتَهَا لِرَبِّهَا تَعْظِيمٌ مِنْهَا لَهُ، وَتَطْهِيرٌ مِمَّا يَنْسُبُهُ إِلَيْهِ أَهْلُ الكُفْرِ بِهِ..

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠] قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ مِمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ إِبْلِيسَ، وَإِضْمَارِهِ المَعْصِيَةَ للهِ وَإِخْفَائِهِ الكِبْرَ، مِمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهُ وَخَفِي عَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ، كما رُوي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وابْنِ مَسْعُودٍ، وابنِ إسحاقٍ، وقاله مجاهدٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ مِنْ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الخَلِيفَةِ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالوِلَايَةِ للهِ، قَالَ قَتَادَةُ: (فَكَانَ فِي عِلمِ اللهِ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الخَلِيفَةِ أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ وَقَوْمٌ صَالِحُونَ وَسَاكِنُو الجَنَّةِ).. وَهَذَا الخَبَرُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ المَلَائِكَةَ الَّتِي قَالَتْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ اسْتَفْظَعَتْ أَنْ يَكُونَ للهِ خَلْقٌ يَعْصِيهِ، وَعَجِبَتْ مِنْهُ إِذْ أُخْبِرَتْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ [البقرة: ٣١]

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (بَعَثَ رَبُّ العِزَّةِ مَلَكَ المَوْتِ فَأَخَذَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، مِنْ عَذْبِهَا وَمَالِحِهَا، فَخَلَقَ مِنْهُ آدَمَ، وَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ آدَمَ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ)، ورُوِي عَنْ عَلِيٍّ: (إِنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، فِيهِ الطَّيِّبُ وَالصَّالِحُ وَالرَّدِيءُ، فَكُلُّ ذَلِكَ أَنْتَ رَاءٍ فِي وَلَدِهِ، الصَّالِحُ وَالرَّدِيءُ)، وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (خُلِقَ آدَمُ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، فَسُمِّيَ آدَمَ)، ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَنَّ مَلَكَ المَوْتِ لَمَّا بُعِثَ لِيَأْخُذَ مِنَ الأَرْضِ تُرْبَةَ آدَمَ، أَخَذَ مِنْ وَجْهِ الأَرْضِ وَخَلَطَ، فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَأَخَذَ مِنْ تُرْبَةٍ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ بَنُو آدَمَ مُخْتَلِفِينَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ آدَمَ، لِأَنَّهُ أُخِذَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ)، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَبَرٌ يُحَقِّقُ مَا قَالَ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ فِي مَعْنَى آدَمَ، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ وَالأَبْيَضُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ، وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ).. فَعَلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلَ ﴿ءَادَمَ﴾ مَنْ تَأَوَّلَهُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ ﴿ءَادَمَ﴾ فِعْلًا سُمِّيَ بِهِ أَبُو البَشَرِ، كَمَا سُمِّيَ (أَحْمَدُ) بِالفِعْلِ مِنَ الإِحْمَادِ، و(أَسْعَدُ) مِنَ الإِسْعَادِ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُجَرَّ.. وَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: آدَمَ المَلَكُ الأَرْضَ، يَعْنِي بِهِ بَلَغَ أَدَمَتَهَا، وَأَدَمَتُهَا: وَجْهُهَا الظَّاهِرُ لِرَأْيِ العَيْنِ، كَمَا أَنَّ جِلْدَةُ كُلِّ ذِي جِلْدَةٍ لَهُ أَدَمَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ سُمِّيَ الإِدَامُ إِدَامًا، لِأَنَّهُ صَارَ كَالجِلْدَةِ العُلْيَا مِمَّا هِيَ مِنْهُ، ثُمَّ نُقِلَ مِنَ الفِعْلِ فَجُعِلَ اسْمًا لِلشَّخْصِ بِعَيْنِهِ..

﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (عَلَّمَ اللهُ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَهِيَ هَذِهِ الأَسْمَاءُ الَّتِي يَتَعَارَفُ بِهَا النَّاسُ: إِنْسَانٌ وَدَابَّةٌ، وَأَرْضٌ وَسَهْلٌ وَبَحْرٌ وَجَبَلٌ وَحِمَارٌ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنَ الأُمَمِ وَغَيْرِهَا)، وقالَ مُجَاهِدُ، ورُوِي عن الرَّبِيعِ: (عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ)، وقالَ قَتَادَةَ: (أَنْبَأَ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ الخَلْقِ بِاسْمِهِ، وَأَلْجَأَهُ إِلَى جِنْسِهِ)، وقَالَ أَيضًا: (عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ، هَذَا جَبَلٌ، وَهَذَا بَحْرٌ، وَهَذَا كَذَا وَهَذَا كَذَا، لِكُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ عَرَضَ تِلْكَ الأَشْيَاءَ عَلَى المَلَائِكَةِ فَقَالَ: أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).. وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، أَسْمَاءَ المَلَائِكَةِ، كما رُوِي عَنِ الرَّبِيعِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ كُلَّهَا، قالَه ابْنُ زَيْدٍ.. وَأَوْلَى هَذِهِ الأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهُهَا بِمَا دَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ ظَاهِرُ التِّلَاوَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ إِنَّهَا أَسْمَاءُ ذُرِّيَّتِهِ

وَأَسْمَاءُ المَلَائِكَةِ، دُونَ أَسْمَاءِ سَائِرِ أَجْنَاسِ الخَلْقِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: (ثُمَّ عَرَضَ (هُمْ) عَلَى المَلائِكَةِ) يَعْنِي بِذَلِكَ أَعْيَانَ المُسَمَّيْنَ بِالأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَّمَهَا آدَمَ، وَلَا تَكَادُ العَرَبُ تُكَنِّي بِالهَاءِ وَالمِيمِ إِلَّا عَنْ أَسْمَاءِ بَنِي آدَمَ وَالمَلَائِكَةِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَنْ أَسْمَاءِ البَهَائِمِ وَسَائِرِ الخَلْقِ سِوَىٰ مَنْ وَصَفْنَاهَا، فَإِنَّهَا تُكَنِّي عَنْهَا بِالهَاءِ وَالأَلِفِ أَوْ بِالهَاءِ وَالنُّونِ، فَقَالَتْ: (عَرَضَهُنَّ) أَوْ (عَرَضَهَا) وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ إِذَا كَنَّتْ عَنْ أَصْنَافٍ مِنَ الخَلْقِ كَالبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَسَائِرِ أَصْنَافِ الأُمَمِ وَفِيهَا أَسْمَاءُ بَنِي آدَمَ وَالمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهَا تُكَنِّي عَنْهَا بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الهَاءِ وَالنُّونِ أَوِ الهَاءِ وَالأَلِفِ.. وَرُبَّمَا كَنَّتْ عَنْهَا، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ بِالهَاءِ وَالمِيمِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النُّور: ٤٥]، فَكَنَّىٰ عَنْهَا بِالهَاءِ وَالمِيمِ، وَهِيَ أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ فِيهَا الآدَمِيُّ وَغَيْرُهُ، وَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا، فَإِنَّ الغَالِبَ المُسْتَفِيضَ فِي كَلَامِ العَرَبِ مَا وَصَفْنَا، مِنْ إِخْرَاجِهِمْ كِنَايَةَ أَسْمَاءِ أَجْنَاسِ الأُمَمِ -إِذَا اخْتَلَطَتْ- بِالهَاءِ وَالأَلِفِ أَوِ الهَاءِ وَالنُّونِ، فَلِذَلِكَ قُلْتُ: أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ أَنْ تَكُونَ الأَسْمَاءُ الَّتِي عَلَّمَهَا آدَمَ أَسْمَاءَ أَعْيَانِ بَنِي آدَمَ وَأَسْمَاءَ المَلَائِكَةِ.. وَإِنْ كَانَ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ جَائِزًا عَلَىٰ مِثَالِ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ الآيَةَ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهَا فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (ثُمَّ عَرَضَهُنَّ) وَأَنَّهَا فِي حَرْفِ أُبَيٍّ: (ثُمَّ عَرَضَهَا).. وَلَعَلَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَأَوَّلَ مَا تَأَوَّلَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ أُبَيٍّ، فَإِنَّهُ فِيمَا بَلَغَنَا كَانَ يَقْرَأُ قِرَاءَةَ أُبَيٍّ، وَتَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ -عَلَىٰ مَا حُكِيَ عَنْ أُبَيٍّ مِنْ قِرَاءَتِهِ- غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ، بَل هُوَ صَحِيحٌ مُسْتَفِيضٌ فِي كَلَامِ العَرَبِ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ وَصْفِي ذَلِكَ..

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِالآيَةِ، عَلَىٰ قِرَاءَتِنَا وَرَسْمِ مُصْحَفِنَا، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ بِالدَّلَالَةِ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ وَالمَلَائِكَةِ، أَوْلَىٰ مِنْهُ بِالدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَجْنَاسِ الخَلْقِ كُلِّهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ فَاسِدٍ أَنْ يَكُونَ دَالًّا عَلَىٰ جَمِيعِ أَصْنَافِ الأُمَمِ، لِلعِلَلِ الَّتِي وَصَفْنَا، وَيَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ ثُمَّ عَرَضَ أَهْلَ الأَسْمَاءِ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ..

﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى﴾ أَخْبِرُونِي، كما رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..

﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قالَ مُجَاهِدٌ: (بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الَّتِي حَدَّثْتُ بِهَا آدَمَ)..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ [البقرة: ٣١] رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لِمَ أَجْعَلُ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً).. ورُوي عنه وابْنِ مَسْعُودٍ: (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّ بَنِي آدَمَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ).. ورُوِي عَنِ الحَسَنِ وَقَتَادَةَ: (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ خَلقًا إِلَّا كُنْتُمْ أَعْلَمَ مِنْهُ، فَأَخْبِرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الأَقْوَالِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ، تَأْوِيلُ

ابْنِ عَبَّاسٍ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ.. **وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ**: فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ مَنْ عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ أَيَّتُهَا المَلَائِكَةُ القَائِلُونَ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ مَنْ غَيْرِنَا، أَمْ مِنَّا؟ فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ **إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قِيلِكُمْ أَنِّي إِنْ جَعَلتُ خَلِيفَتِي فِي الأَرْضِ مِنْ غَيْرِكُمْ عَصَانِي ذُرِّيَّتُهُ** وَأَفْسَدُوا فِيهَا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، **وَإِنْ جَعلتُكُمْ فِيهَا أَطَعْتُمُونِي**، وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي بِالتَّعْظِيمِ لِي وَالتَّقْدِيسِ، **فَإِنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَضْتُهُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ خَلقِي، **وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَوْجُودُونَ** تَرَوْنَهُمْ وَتُعَايِنُونَهُمْ، **وَعَلِمَهُ غَيْرُكُمْ بِتَعْلِيمِي إِيَّاهُ، فَأَنْتُمْ بِمَا هُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ** مِنَ الأُمُورِ الكَائِنَةِ الَّتِي لَمْ تُوجَدْ بَعْدُ، وَبِمَا هُوَ مُسْتَتِرٌ مِنَ الأُمُورِ -الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ- عَنْ أَعْيُنِكُمْ **أَحْرَىٰ أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ عَالِمِيْنِ، فَلَا تَسْأَلُونِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلمٌ**، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُصْلِحُ خَلقِي.. **وَهَذَا الفِعلُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَلَائِكَتِهِ**، الَّذِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ **مِنْ جِهَةِ عِتَابِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ إِيَّاهُمْ، نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ لِنَبِيِّهِ نُوحٍ** صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ [هُودٍ: ٤٥]، ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ [هُودٍ: ٤٦]، **فَكَذَلِكَ** المَلَائِكَةُ سَأَلَتْ رَبَّهَا أَنْ تَكُونَ خُلَفَاءَهُ فِي الأَرْضِ لِيُسَبِّحُوهُ وَيُقَدِّسُوهُ فِيهَا، إِذْ كَانَ ذُرِّيَّةُ مَنْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ جَاعِلُهُ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، يُفْسِدُونَ فِيهَا وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ، **فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ**: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَكُمْ فَاتِحُ المَعَاصِي وَخَاتِمُهَا، وَهُوَ إِبْلِيسُ، مُنْكِرًا بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَوْلَهُمْ، **ثُمَّ عَرَّفَهُمْ مَوْضِعَ هَفْوَتِهِمْ فِي قِيلِهِمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، بِتَعْرِيفِهِمْ قُصُورَ عِلمِهِمْ عَمَّا هُمْ لَهُ شَاهِدُونَ عِيَانًا، فَكَيْفَ بِمَا لَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يُخْبَرُوا عَنْهُ؟** بِعَرْضِهِ مَا عَرَض عَلَيْهِمْ مِنْ خَلقِهِ المَوْجُودِينَ يَوْمَئِذٍ، وَقِيلِهِ لَهُمْ: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ أَنَّكُمْ إِنِ اسْتَخْلَفْتُكُمْ فِي أَرْضِي سَبَّحْتُمُونِي وَقَدَّسْتُمُونِي، وَإِنِ اسْتَخْلَفْتُ فِيهَا غَيْرَكُمْ عَصَانِي ذُرِّيَّتُهُ وَأَفْسَدُوا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ.. **فَلَمَّا اتَّضَحَ لَهُمْ مَوْضِعَ خَطَأَ قِيلِهِمْ، وَبَدَتْ لَهُمْ هَفْوَةَ زَلَّتِهِمْ، أَنَابُوا إِلَىٰ اللهِ بِالتَّوْبَةِ** فَقَالُوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ﴾ فَسَارَعُوا الرَّجْعَةِ مِنَ الهَفْوَةِ، وَبَادَرُوا الإِنَابَةَ مِنَ الزَّلَّةِ، كَمَا قَالَ نُوحٌ حِينَ عُوتِبَ فِي مَسْأَلَتِهِ فَقِيلَ لَهُ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ﴾، ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هُودٍ: ٤٧].. **وَكَذَلِكَ فِعْلُ كُلِّ مُسَدَّدٍ لِلحَقِّ مُوَفَّقٍ لَهُ، سَرِيعَةٌ إِلَىٰ الحَقِّ إِنَابَتُهُ، قَرِيبَةٌ إِلَيْهِ أَوْبَتُهُ.**

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾ [البقرة: ٣٢]

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ **عَنْ مَلَائِكَتِهِ، بِالأَوْبَةِ إِلَيْهِ،**

وَتَسْلِيمِ عِلمِ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ لَهُ، وَتَبَرِّيهِمِ مِنْ أَنْ يَعْلَمُوا أَوْ يَعْلَمَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فَهُوَ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا للهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرُهُ، تُبْنَا إِلَيْكَ ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾، تَبَرِّيًا مِنْهُمْ مِنْ عِلمِ الغَيْبِ، ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ كَمَا عَلَّمْتَ آدَمَ).. وَسُبْحَانَ مُصْدَرٌ لَا تَصَرُّفَ لَهُ، وَمَعْنَاهُ: نُسَبِّحُكَ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: نُسَبِّحُكَ تَسْبِيحًا، وَنُنَزِّهُكَ تَنْزِيهًا، وَنُبَرِّئُكَ مِنْ أَنْ نَعْلَمَ شَيْئًا غَيْرَ مَا عَلَّمْتَنَا..

وَفِي هَذِهِ الآيَاتِ الثَّلَاثِ: العِبْرَةُ لِمَنِ اعْتَبَرَ، وَالذِّكْرَىٰ لِمَنِ ادَّكَرَ، وَالبَيَانُ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، عَمَّا أَوْدَعَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ آيَ هَذَا القُرْآنِ مِنْ لَطَائِفِ الحِكَمِ الَّتِي تَعْجِزُ عَنْ أَوْصَافِهَا الأَلْسُنُ؛ **وَذَلِكَ:**

أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ احْتَجَّ فِيهَا لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ مَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بِإِطْلَاعِهِ إِيَّاهُ مِنْ عُلُومِ الغَيْبِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَطْلَعَ عَلَيْهَا مِنْ خَلقِهِ إِلَّا خَاصًّا، وَلَمْ يَكُنْ مُدْرَكًا عِلمُهُ إِلَّا بِالإِنْبَاءِ وَالإِخْبَارِ، **لِتَتَقَرَّرَ عِنْدَهُمْ صِحَّةُ نُبُوَّتِهِ**، وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَتَاهُمْ بِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ..

وَدَلَّ فِيهَا عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ مُخْبِرٍ خَبَرًا عَمَّا قَدْ كَانَ، أَوْ عَمَّا هُوَ كَائِنٌ مِمَّا لَمْ يَكُنْ، وَلَمْ يَأْتِهِ بِهِ خَبَرٌ، وَلَمْ يُوضَعْ لَهُ عَلَىٰ صِحَّتِهِ بِرهَانٌ، فَمُتَقَوِّلٌ مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ مِنْ رَبِّهِ العُقُوبَةَ، أَلَّا تَرَىٰ أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ رَدَّ عَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ قِيلَهُمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾، وَعَرَّفَهُمْ أَنْ قِيلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ جَائِزًا لَهُمْ، بِمَا عَرَّفَهُمْ مِنْ قُصُورِ عِلمِهِمْ عِنْدَ عَرْضِهِ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الأَسْمَاءِ، فَقَالَ: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَفْزَعٌ إِلَّا الإِقْرَارُ بِالعَجْزِ، وَالتَّبَرِّي إِلَيْهِ أَنْ يَعْلَمُوا إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ، بِقَوْلِهِمْ: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فَكَانَ فِي ذَلِكَ أَوْضَحُ الدَّلَالَةِ وَأَبْيَنُ الحُجَّةِ، عَلَىٰ كَذِبِ مَقَالَةِ كُلِّ مَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عُلُومِ الغَيْبِ مِنَ الحُزَاةِ وَالكَهَنَةِ وَالعَافَةِ وَالمُنَجِّمَةِ..

وَذَكَّرَ بِهَا الَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، سَوَالِفَ نِعَمِهِ عَلَىٰ آبَائِهِمْ، وَأَيَادِيَهُ عِنْدَ أَسْلَافِهِمْ، عِنْدَ إِنَابَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَإِقْبَالِهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، **مُسْتَعْطِفَهُمْ بِذَلِكَ إِلَىٰ الرَّشَادِ، وَمُسْتَعْتِبَهُمْ بِهِ إِلَىٰ النَّجَاةِ..**

وَحَذَّرَهُمْ بِالإِصْرَارِ وَالتَّمَادِي فِي البَغْيِ وَالضَّلَالِ، حُلُولَ العِقَابِ بِهِمْ، نَظِيرَ مَا أَحَلَّ بِعَدُوِّهِ إِبْلِيسَ، إِذْ تَمَادَىٰ فِي الغَيِّ وَالخَسَارِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾ [البقرة: ٣٢] وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ: أَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبَّنَا **العَلِيمُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ،** بِجَمِيعِ مَا قَدْ كَانَ وَمَا وَهُوَ كَائِنٌ، وَالعَالِمُ لِلغُيُوبِ دُونَ جَمِيعِ خَلقِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَفَوْا عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عِلمٌ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ رَبُّهُمْ، وَأَثْبَتُوا مَا نَفَوْا

عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ ذَلِكَ لِرَبِّهِمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ يَعْنُونَ بِذَلِكَ العَالِمَ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ؛ إِذْ كَانَ مَنْ سِوَاكَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا بِتَعْلِيمِ غَيْرِهِ إِيَّاهُ.. **وَالحَكِيمُ**: هُوَ ذُو الحِكْمَةِ.. كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (العَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلمِهِ، والحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حُكْمِهِ).. **وَقَدْ قِيلَ**، إِنَّ مَعْنَىٰ الحَكِيمِ: الحَاكِمُ، كَمَا أَنَّ العَلِيمَ بِمَعْنَىٰ العَالِمِ، وَالخَبِيرَ بِمَعْنَىٰ الخَابِرِ.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: ٣٣]

إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ **عَرَّفَ مَلَائِكَتَهُ** -الَّذِينَ سَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَهُمُ الخُلَفَاءَ فِي الأَرْضِ، وَوَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَالخُضُوعِ لِأَمْرِهِ، دُونَ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِيهَا وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ- **أَنَّهُمْ مِنَ الجَهْلِ بِمَوَاقِعِ تَدْبِيرِهِ وَمَحَلِّ قَضَائِهِ**، قَبْلَ إِطْلَاعِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ، **عَلَىٰ نَحْوِ جَهْلِهِمْ بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَضَهُمْ عَلَيْهِمْ**، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُعَلِّمْهُمْ فَيَعْلَمُوهُ، **وَأَنَّهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ العِبَادِ لَا يَعْلَمُونَ مِنَ العِلمِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ إِيَّاهُ رَبُّهُمْ**، وَأَنَّهُ يَخُصُّ بِمَا شَاءَ مِنَ العِلمِ مَنْ شَاءَ مِنَ الخَلقِ، وَيَمْنَعُهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ، **كَمَا عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَ مَا عَرَضَ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، وَمَنَعَهُمْ عِلمَهَا إِلَّا بَعْدَ تَعْلِيمِهِ إِيَّاهُمْ**..

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ **فَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ**: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم﴾ يَقُولُ: أَخْبِرِ المَلَائِكَةَ، وَالهَاءُ وَالمِيمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ.. **وَقَوْلُهُ**: ﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ يَعْنِي بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، وَالهَاءُ وَالمِيمُ اللَّتَانِ فِي (أَسْمَائِهِمْ) كِنَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾..

﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ فَلمَّا أَخْبَرَ آدَمُ المَلَائِكَةَ بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَضَهُمْ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَهُمْ، وَأَيْقَنُوا خَطَأَ قِيلِهِمْ: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ وَأَنَّهُمْ قَدْ هَفَوْا فِي ذَلِكَ وَقَالُوا مَا لَا يَعْلَمُونَ كَيْفِيَّةَ وُقُوعِ قَضَاءِ رَبِّهِمْ فِي ذَلِكَ لَوْ وَقَعَ، عَلَىٰ مَا نَطَقُوا بِهِ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ **وَالغَيْبُ**: هُوَ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ فَلَمْ يُعَايِنُوهُ، **تَوْبِيخًا مِنَ اللهِ** جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ بِذَلِكَ، عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ قِيلِهِمْ، وَفَرْطِ مِنْهُمْ مِنْ خَطَأِ مَسْأَلَتِهِمْ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾، يَقُولُ: أَخْبِرْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾، أَيُّهَا المَلَائِكَةُ خَاصَّةً ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وَلَا يَعْلَمُهُ غَيْرِي)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قِصَّةِ المَلَائِكَةِ وَآدَمَ: (فَقَالَ اللهُ

لِلمَلَائِكَةِ: كَمَا لَمْ تَعْلَمُوا هَذِهِ الأَسْمَاءَ فَلَيْسَ لَكُمْ عِلمٌ أَنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهُمْ لِيُفْسِدُوا فِيهَا، هَذَا عِنْدِي قَدْ عَلِمْتُهُ، فَكَذَلِكَ أَخْفَيْتُ عَنْكُمْ أَنِّي أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَعْصِينِي وَمَنْ يُطِيعُنِي، وَسَبَقَ مِنَ اللهِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود: ١١٩]، و[السَّجْدَة: ١٣]، وَلَمْ تَعْلَمِ المَلَائِكَةُ ذَلِكَ وَلَمْ يَدْرُوهُ، فَلمَّا رَأَوْا مَا أَعْطَىٰ اللهُ آدَمَ مِنَ العِلمِ أَقَرُّوا لِآدَمَ بِالفَضْلِ)..

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣٣]

رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: مَا تُظْهِرُونَ، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: أَعْلَمُ السِّرَّ كَمَا أَعْلَمُ العَلَانِيَةَ، يَعْنِي: مَا كَتَمَ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الكِبْرِ وَالاغْتِرَارِ)، ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، قَوْلُهُمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، فَهَذَا الَّذِي أَبْدَوْا، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، يَعْنِي: مَا أَسَرَّ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الكِبْرِ)، ورُوي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾: مَا أَسَرَّ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ)، وقال سُفْيَانُ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ مَا أَسَرَّ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الكِبْرِ أَلَّا يَسْجُدَ لِآدَمَ)..

ورُوي عن مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ بْنَ دِينَارٍ قَالَ لِلحَسَنِ -وَنَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَهُ فِي مَنْزِلِهِ-: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ لِلمَلَائِكَةِ: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ مَا الَّذِي كَتَمَتِ المَلَائِكَةُ؟ فَقَالَ الحَسَنُ: (إِنَ اللهَ لمَّا خَلَقَ آدَمَ رَأَتِ المَلَائِكَةُ خَلقًا عَجِيبًا، فَكَأَنَّهُمْ دَخَلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَأَسَرُّوا ذَلِكَ بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: وَمَا يُهِمُّكُمْ مِنْ هَذَا المَخلُوقِ! إِنَّ اللهَ لَنْ يَخلُقَ خَلقًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ)، وقال قَتَادَةُ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، أَسَرُّوا بَيْنَهُمْ فَقَالُوا: يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ أَنْ يَخْلُقَ، فَلَنْ يَخلُقَ خَلقًا إِلَّا وَنَحْنُ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ)، ورُوي عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فَكَانَ الَّذِي أَبْدَوْا حِينَ قَالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، وَكَانَ الَّذِي كَتَمُوا بَيْنَهُمْ قَوْلَهُمْ: لَنْ يَخلُقَ رَبُّنَا خَلقًا إِلَّا كُنَّا نَحْنُ أَعْلَمَ مِنْهُ وَأَكْرَمَ، فَعَرَفُوا أَنَّ اللهَ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ آدَمَ فِي العِلمِ وَالكَرَمِ)..

وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الأَقْوَالِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ وَأَعْلَمُ -مَعَ عِلمِي غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ- مَا تُظْهِرُونَ بِأَلسِنَتِكُمْ، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وَمَا كُنْتُمْ تُخفُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، فَلَا يَخفَىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ، سَوَاءٌ عِنْدِي سَرَائِرُكُمْ وَعَلَانِيَتُكُمْ.. **وَالَّذِي أَظْهَرُوهُ بِأَلسِنَتِهِمْ** مَا أَخبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، **وَالَّذِي كَانُوا يَكْتُمُونَهُ**، مَا كَانَ مُنْطَوِيًا عَلَيْهِ إِبْلِيسُ مِنَ الخِلَافِ عَلَىٰ اللهِ فِي أَمْرِهِ، وَالتَّكَبُّرِ عَنْ طَاعَتِهِ؛ **لِأَنَّهُ** لَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ

أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ أَحَدِ الوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ، وَهُوَ مَا قُلْنَا، وَالآخَرُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِ الحَسَنِ وَقَتَادَةَ، وَمَنْ قَالَ إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ كِتْمَانُ المَلَائِكَةِ بَيْنَهُمْ لَنْ يَخْلُقَ اللهُ خلقًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَإِذْ كَانَ لَا قَوْلَ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ إِلَّا أَحَدُ القَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ، ثُمَّ كَانَ أَحَدُهُمَا غَيْرَ مَوْجُودَةٍ عَلَىٰ صِحَّتِهِ الدَّلَالَةُ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، صَحَّ الوَجْهُ الآخَرُ، **فَالَّذِي حُكِيَ عَنِ الحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، غَيْرُ مَوْجُودَةٍ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ صِحَّتِهِ** مِنَ الكِتَابِ، وَلَا مِنْ خَبَرٍ يَجِبُ بِهِ حُجَّةٌ، وَالَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ خَبَرُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ إِبْلِيسَ وَعِصْيَانِهِ إِيَّاهُ، إِذْ دَعَاهُ إِلَىٰ السُّجُودِ لِآدَمَ فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ، وَإِظْهَارِهِ لِسَائِرِ المَلَائِكَةِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَكِبْرِهِ، مَا كَانَ لَهُ كَاتِمًا قَبْلَ ذَلِكَ..

فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الخَبَرَ عَنْ كِتْمَانِ المَلَائِكَةِ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ، لَمَّا كَانَ خَارِجًا مَخْرَجَ الخَبَرِ عَنِ الجَمِيعِ، كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مَا رُوِيَ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ: مِنْ أَنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ عَنْ كِتْمَانِ إِبْلِيسَ الكِبْرَ وَالمَعْصِيَةَ- صَحِيحًا، **فَقَدْ ظَنَّ غَيْرَ الصَّوَابِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ شَأْنِ العَرَبِ، إِذَا أَخْبَرَتْ خَبَرًا عَنْ بَعْضِ جَمَاعَةٍ بِغَيْرِ تَسْمِيَةِ شَخْصٍ بِعَيْنِهِ، أَنَّ تُخْرِجَ الخَبَرَ عَنْهُ مَخرجَ الخَبَرِ عَنْ جَمِيعِهِمْ**، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: قُتِلَ الجَيْشُ وَهُزِمُوا، وَإِنَّمَا قُتِلَ الوَاحِدُ أَوِ البَعْضُ مِنْهُمْ، وَهُزِمَ الوَاحِدُ أَوِ البَعْضُ، فَتُخْرِجُ الخَبَرَ عَنِ المَهْزُومِ مِنْهُ وَالمَقْتُولِ مُخْرَجَ الخَبَرِ عَنْ جَمِيعِهِمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحُجُرَات: ٤]، ذُكِرَ أَنَّ الَّذِي نَادَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ -فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيهِ- كَانَ رَجُلًا مِنْ جَمَاعَةِ بَنِي تَمِيمٍ، كَانُوا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْرَجَ الخَبَرُ عَنْهُ مَخرجَ الخَبَرِ عَنِ الجَمَاعَةِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أَخْرَجَ الخَبَرَ مَخرجَ الخَبَرِ عَنِ الجَمِيعِ، وَالمُرَادُ بِهِ الوَاحِدُ مِنْهُمْ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ لِلْيَهُودِ -الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، **مُعَدِّدًا عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ**، وَمُذَكِّرَهُمْ آلَاءَهُ، عَلَىٰ نَحْوِ الَّذِي وَصَفْنَا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ-: اذْكُرُوا فِعْلِي بِكُمْ إِذْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، فَخَلَقْتُ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَإِذْ قُلْتُ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، فَكَرَّمْتُ أَبَاكُمْ آدَمَ بِمَا آتَيْتُهُ مِنْ عِلْمِي وَفَضْلِي وَكَرَامَتِي، **وَإِذْ أَسْجَدْتُ لَهُ مَلَائِكَتِي فَسَجَدُوا لَهُ**..

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ اسْتَثْنَىٰ مِنْ جَمِيعِهِمْ إِبْلِيسَ، **فَدَلَّ بِاسْتِثْنَائِهِ أَنَّهُ مِمَّنْ قَدْ أُمِرَ بِالسُّجُودِ مَعَهُمْ**،

كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ [الأعراف: ١١ - ١٢]، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ إِبْلِيسَ فِيمَنْ أَمَرَهُ مِنَ المَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، ثُمَّ اسْتَثْنَاهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُمْ بِهَا مِنَ الطَّاعَةِ لِأَمْرِهِ، وَنَفَىٰ عَنْهُ مَا أَثْبَتَهُ لِمَلَائِكَتِهِ مِنَ السُّجُودِ لِعَبْدِهِ آدَمَ.. وَإِبْلِيسُ (إِفْعِيلُ) مِنَ الإِبْلَاسِ، وَهُوَ الإِيَاسُ مِنَ الخَيْرِ، وَالنَّدَمُ، وَالحُزْنُ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (إِبْلِيسُ، أَبْلَسَهُ اللهُ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ، وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا عُقُوبَةً لِمَعْصِيَتِهِ).. وَكَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ۝٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤]، يَعْنِي بِهِ: أَنَّهُمْ آيِسُونَ مِنَ الخَيْرِ، نَادِمُونَ حُزْنًا..

﴿أَبَىٰ﴾ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ إِبْلِيسَ، أَنَّهُ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ فَلَمْ يَسْجُدْ لَهُ..

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ تَعَظَّمَ وَتَكَبَّرَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ فِي السُّجُودِ لِآدَمَ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَبَرًا عَنْ إِبْلِيسَ، **فَإِنَّهُ تَقْرِيعٌ لِضُرَبَائِهِ مِنْ خَلْقِ اللهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنِ الخُضُوعِ لِأَمْرِ اللهِ**، وَالِانْقِيَادِ لِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ فِيمَا أَوْجَبَ لِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ الحَقِّ.. **وَكَانَ مِمَّنْ تَكَبَّرَ عَنِ الخُضُوعِ لِأَمْرِ اللهِ**، وَالتَّذَلُّلِ لِطَاعَتِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِقَضَائِهِ فِيمَا أَلْزَمَهُمْ مِنْ حُقُوقِ غَيْرِهِمْ، **اليَهُودُ** الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، **وَأَحْبَارُهُمُ** الَّذِينَ كَانُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَصِفَتِهِ عَارِفِينَ، وَبِأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ عَالَمَيْنِ، ثُمَّ اسْتَكْبَرُوا - مَعَ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ- عَنِ الإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِهِ، وَالإِذْعَانِ لِطَاعَتِهِ، بَغْيًا مِنْهُمْ لَهُ وَحَسَدًا، **فَقَرَّعَهُمُ اللهُ بِخَبَرِهِ عَنْ إِبْلِيسَ** الَّذِي فَعَلَ فِي اسْتِكْبَارِهِ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ حَسَدًا لَهُ وَبَغْيًا، نَظِيرَ فِعْلِهِمْ فِي التَّكَبُّرِ عَنِ الإِذْعَانِ لِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَنُبُوَّتِهِ، إِذْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ حَسَدًا وَبَغْيًا.. ثُمَّ وَصَفَ إِبْلِيسَ بِمِثْلِ الَّذِي وَصَفَ بِهِ الَّذِينَ ضَرَبَهُ لَهُمْ مَثَلًا فِي الِاسْتِكْبَارِ وَالحَسَدِ وَالِاسْتِنْكَافِ عَنِ الخُضُوعِ لِمَنْ أَمَرَهُ اللهُ بِالخُضُوعِ لَهُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَكَانَ﴾ يَعْنِي: إِبْلِيسَ..

﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة: ٣٤] مِنَ الجَاحِدِينَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ وَأَيَادِيَهُ عِنْدَهُ، بِخِلَافِهِ عَلَيْهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، **كَمَا كَفَرَتِ اليَهُودُ** نِعَمَ رَبِّهَا الَّتِي آتَاهَا وَآبَاءَهَا قَبْلُ، مِنْ إِطْعَامِ اللهِ أَسْلَافَهُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَىٰ، وَإِظْلَالِ الغَمَامِ عَلَيْهِمْ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ، خُصُوصًا مَا خَصَّ الَّذِينَ أَدْرَكُوا مُحَمَّدًا ﷺ بِإِدْرَاكِهِمْ إِيَّاهُ، وَمُشَاهَدَتِهِمْ حُجَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَجَحَدَتْ نُبُوَّتَهُ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ حَسَدًا وَبَغْيًا.. **فَنَسَبَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فَجَعَلَهُ مِنْ عِدَادِهِمْ فِي الدِّينِ وَالمِلَّةِ، وَإِنْ خَالَفَهُمْ فِي الجِنْسِ وَالنِّسْبَةِ**، كَمَا جَعَلَ

أَهْلَ النِّفَاقِ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، لِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ النِّفَاقِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَنْسَابُهُمْ وَأَجْنَاسُهُمْ، فَقَالَ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التَّوْبَة: ٦٧] يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي النِّفَاقِ وَالضَّلَالِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي إِبْلِيسَ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾، كَانَ مِنْهُمْ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ وَمُخَالَفَتِهِ أَمْرَهُ، وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا جِنْسُهُ أَجْنَاسَهُمْ وَنَسَبُهُ نَسَبَهُمْ، وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ أَنَّهُ كَانَ - حِينَ أَبَىٰ عَنِ السُّجُودِ- مِنَ الكَافِرِينَ حِينَئِذٍ.. وَكَانَ **سُجُودُ المَلَائِكَةِ لِآدَمَ تَكْرِمَةً لِآدَمَ وَطَاعَةً للهِ، لَا عِبَادَةً لِآدَمَ**، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ فَكَانَتِ الطَّاعَةُ للهِ، وَالسَّجْدَةُ لِآدَمَ، أَكْرَمَ اللهُ آدَمَ أَنَّ أَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ).

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة: ٣٥]

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ خَبَرٌ يُنْبِئُ أَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ بَعْدَ أَنْ سَكَنَ آدَمُ الجَنَّةَ، فَجُعِلَتْ لَهُ سَكَنًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَل خُلِقَتْ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَ آدَمُ الجَنَّةَ.. وَيُقَالُ لِامْرَأَةِ الرَّجُلِ: زَوْجُهُ وَزَوْجَتُهُ، وَالزَّوْجَةُ بِالهَاءِ أَكْثَرُ فِي كَلَامِ العَرَبِ مِنْهَا بِغَيْرِ الهَاءِ..

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أَمَّا الرَّغَدُ، فَإِنَّهُ الوَاسِعُ مِنَ العَيْشِ، الهَنِيءُ الَّذِي لَا يُعَنِّي صَاحِبَهُ، يُقَالُ: أَرْغَدَ فُلَانٌ، إِذَا أَصَابَ وَاسِعًا مِنَ العَيْشِ الهَنِيءِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (الرَّغْدُ، الهَنِيءُ).. وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ ﴿رَغَدًا﴾: (لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ).. وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (الرَّغَدُ: سَعَةُ المَعِيشَةِ).. **فَمَعْنَىٰ الآيَةِ**: وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ، وَكُلَا مِنَ الجَنَّةِ رِزْقًا وَاسِعًا هَنِيئًا مِنَ العَيْشِ حَيْثُ شِئْتُمَا، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (قَوْلُهُ ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ثُمَّ أَتَىٰ البَلَاءُ الَّذِي كُتِبَ عَلَىٰ الخَلْقِ عَلَىٰ آدَمَ، كَمَا ابْتُلِيَ الخَلْقُ، أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَلَّ لَهُ مَا فِي الجَنَّةِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءَ، غَيْرَ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ نُهِيَ عَنْهَا، فَمَا زَالَ بِهِ البَلَاءُ حَتَّىٰ وَقَعَ بِالَّذِي نُهِيَ عَنْهُ)..

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَإِنَّكُمَا إِنْ قَرِبْتُمَاهَا كُنْتُمَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَصَارَ الثَّانِي فِي مَوْضِعِ جَوَابِ الجَزَاءِ.. **وَالشَّجَرُ فِي كَلَامِ العَرَبِ**: كُلُّ مَا قَامَ عَلَىٰ سَاقٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرَّحْمَن: ٦]، يَعْنِي بِالنَّجْمِ مَا نَجَمَ مِنَ الأَرْضِ مِنْ نَبْتٍ، وَبِالشَّجَرِ مَا اسْتَقَلَّ عَلَىٰ سَاقٍ.. **ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي عَيْنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَ عَنْ أَكْلِ ثَمَرِهَا آدَمُ:**

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ السُّنْبُلَةُ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِن غَيْرِ وَجْهٍ، وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ اليَمَانِيِّ، وَمُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، وَالحَسَنِ، وَقَالَهُ أَبُو مَالِكٍ غَزْوَانُ الغِفَارِي، وَعَطِيَّةُ العُوفِي، وَقَتَادَةُ.. **وَقَالَ**

آخَرُونَ: هِيَ الكَرْمَةُ، رُوي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ورُوي عنه، وابْنِ مَسْعُودٍ: (هِيَ الكَرْمَةُ، وَتَزْعُمُ اليَهُودُ أَنَّهَا الحِنْطَةُ)، ورُوي عن جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، وَقَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، والسُّدِّيُّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ التِّينَةُ.. وَالقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخبرَ عِبَادَهُ أَنَّ آدَمَ وَزَوْجَهُ أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا رَبُّهُمَا عَنِ الأَكْلِ مِنْهَا، فَأَتَيَا الخَطِيئَةَ الَّتِي نَهَاهُمَا عَنْ إِتْيَانِهَا بِأَكْلِهِمَا مَا أَكَلَا مِنْهَا، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمَا عَيْنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا عَنِ الأَكْلِ مِنْهَا، وَأَشَارَ لَهُمَا إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، وَلَمْ يَضَعِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ المُخَاطَبِينَ بِالقُرْآنِ، دَلَالَةً عَلَىٰ أَيِّ أَشْجَارِ الجَنَّةِ كَانَ نَهْيُهُ آدَمَ أَنْ يَقْرَبَهَا، بِنَصٍّ عَلَيْهَا بِاسْمِهَا، وَلَا بِدَلَالَةٍ عَلَيْهَا، وَلَوْ كَانَ للهِ فِي العِلمِ بِأَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ رِضًا، لَمْ يُخَلِّ عِبَادَهُ مِنْ نَصْبِ دَلَالَةٍ لَهُمْ عَلَيْهَا يَصِلُونَ بِهَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ عَيْنِهَا، لِيُطِيعُوهُ بِعِلمِهِمْ بِهَا، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَا بِالعِلمِ بِهِ لَهُ رِضًا، فَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَهَىٰ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ عَنْ أَكْلِ شَجَرَةٍ بِعَيْنِهَا مِنْ أَشْجَارِ الجَنَّةِ دُونَ سَائِرِ أَشْجَارِهَا، فَخَالَفَا إِلَىٰ مَا نَهَاهُمَا اللهُ عَنْهُ، فَأَكَلَا مِنْهَا كَمَا وَصَفَهُمَا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِ، وَلَا عِلمَ عِنْدِنَا أَيُّ شَجَرَةٍ كَانَتْ عَلَىٰ التَّعْيِينِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ لِعِبَادِهِ دَلِيلًا عَلَىٰ ذَلِكَ فِي القُرْآنِ، وَلَا فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَأَنَّىٰ يَأْتِي ذَلِكَ؟! وَقَدْ قِيلَ: كَانَتْ شَجَرَةَ البُرِّ، وَقِيلَ: كَانَتْ شَجَرَةَ العِنَبِ، وَقِيلَ: كَانَتْ شَجَرَةَ التِّينِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا، وَذَلِكَ عِلمٌ إِذَا عُلِمَ لَمْ يَنْفَعِ العَالِمَ بِهِ عِلمُهُ، وَإِنْ جَهِلَهُ جَاهِلٌ لَمْ يَضُرَّهُ جَهْلُهُ بِهِ..

﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة: ٣٥] وَفِي قَوْلِهِ ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ﴿فَتَكُونَا﴾ فِي نِيَّةِ العَطْفِ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَلَا تَكونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ: لَا تُكَلِّمْ عَمْرًا وَلَا تُؤْذِهِ، كَأَنَّهُ كَرَّرَ النَّهْيَ.. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ بِمَعْنَىٰ جَوَابِ النَّهْيِ، فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَإِنَّكُمَا إِنْ قَرَبْتُمَاهَا كُنْتُمَا مِنَ الظَّالِمِينَ، كَمَا تَقُولُ: لَا تَشْتُمْ عَمْرًا فَيَشْتُمَكَ، مُجَازَاةً.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ فتكونا مِنَ المُتَعَدِّينَ إِلَىٰ غَيْرِ مَا أُذِنَ لَهُمْ وَأُبِيحَ لَهُمْ فِيهِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّكُمَا إِنْ قَرُبْتُمَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، كُنْتُمَا عَلَىٰ مِنْهَاجِ مَنْ تَعَدَّىٰ حُدُودِي، وَعَصَىٰ أَمْرِي، وَاسْتَحَلَّ مَحَارِمِي، لِأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَاللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ.. وَأَصْلُ (الظُّلم) فِي كَلَامِ العَرَبِ، وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.. وَقَدْ يَتَفَرَّعُ الظُّلمُ فِي مَعَانٍ يَطُولُ بِإِحْصَائِهَا الكِتَابُ، وَسَنُبَيِّنُهَا فِي أَمَاكِنِهَا إِذَا أَتَيْنَا عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا وَصَفْنَا مِنْ وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.. وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ أُخْرِجَ مِنَ الجَنَّةِ بَعْدَ الِاسْتِكْبَارِ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ، وَأُسْكِنَهَا آدَمُ

قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ إِبْلِيسُ إِلَىٰ الأَرْضِ، أَلَّا تَسْمَعُونَ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ إِبْلِيسَ إِنَّمَا أَزَلَّهُمَا عَنْ طَاعَةِ اللهِ بَعْدَ أَنْ لُعِنَ وَأَظْهَرَ التَّكَبُّرَ، لِأَنَّ سُجُودَ المَلَائِكَةِ لِآدَمَ كَانَ بَعْدَ أَنْ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، وَحِينَئِذٍ كَانَ امْتِنَاعُ إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ، وَعِنْدَ الِامْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ حَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ **أَقْسَمَ بِعِزَّةِ اللهِ لَيُغْوِيَنَّ** آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ وَزَوْجَهُ، إِلَّا عِبَادَهُ المُخْلَصِينَ مِنْهُمْ، **بَعْدَ أَنْ لَعَنَهُ اللهُ، وَبَعْدَ أَنْ أُخْرِجَ مِنَ الجَنَّةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ**، وَعَلَّمَ اللهُ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: (لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنْ إِبْلِيسَ وَمُعَاتَبَتِهِ، وَأَبَىٰ إِلَّا المَعْصِيَةَ وَأَوْقَعَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةَ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنَ الجَنَّةِ، أَقْبَلَ عَلَىٰ آدَمَ وَقَدْ عَلَّمَهُ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، فَقَالَ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾).

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾ [البقرة: ٣٦]

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّتُهُمْ، ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ **بِتَشْدِيدِ اللَّامِ، بِمَعْنَىٰ: اسْتَزَلَّهُمَا**، مِنْ قَوْلِكَ: زَلَّ الرَّجُلَ فِي دِينِهِ، إِذَا هَفَا فِيهِ وَأَخْطَأَ، فَأَتَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ إِتْيَانُهُ فِيهِ، **وَأَزَلَّهُ غَيْرُهُ**: إِذَا سَبَّبَ لَهُ مَا يَزِلُّ مِنْ أَجْلِهِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ، **وَلِذَلِكَ أَضَافَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرَهُ إِلَىٰ إِبْلِيسَ خُرُوجَ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ مِنَ الجَنَّةِ**، فَقَالَ: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ يَعْنِي إِبْلِيسَ ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ لِأَنَّهُ كَانَ الَّذِي سَبَّبَ لَهُمَا الخَطِيئَةَ الَّتِي عَاقَبَهُمَا اللهُ عَلَيْهَا بِإِخْرَاجِهِمَا مِنَ الجَنَّةِ.. **وَقَرَأَهُ آخَرُونَ: (فَأَزَالَهُمَا) بِمَعْنَىٰ إِزَالَةِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ**، وَذَلِكَ تَنْحِيَتُهُ عَنْهُ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: (أَغْوَاهُمَا).. **وَأَوْلَىٰ القِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ: قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾**؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَخْبَرَ فِي الحَرْفِ الَّذِي يَتْلُوهُ بِأَنَّ إِبْلِيسَ ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ (فَأَزَالَهُما) فَلَا وَجْهَ -إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الإِزَالَةِ مَعْنَىٰ التَّنْحِيَةِ وَالإِخْرَاجِ- أَنْ يُقَالَ: فَأَزَالَهُما الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، فَيَكُونُ كَقَوْلِهِ: فَأَزَالَهُما الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَزَالَهُما مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَلَكِنَّ المَفْهُومَ أَنْ يُقَالَ: فَاسْتَزَلَّهُما إِبْلِيسُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وَقَرَأَتْ بِهِ القُرَّاءُ، فَأَخْرَجَهُمَا بِاسْتِزْلَالِهِ إِيَّاهُمَا مِنَ الجَنَّةِ..

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فَأَخْرَجَ الشَّيْطَانُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ، مِمَّا كَانَ فِيهِ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ مِنْ رَغَدِ العَيْشِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعَةِ نَعِيمِهَا الَّذِي كَانَا فِيهِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ **إِنَّمَا أَضَافَ إِخْرَاجَهُمَا مِنَ الجَنَّةِ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ -وَإِنْ كَانَ اللهُ هُوَ المُخْرِجُ لَهُمَا- لِأَنَّ خُرُوجَهُمَا مِنْهَا كَانَ عَنْ سَبَبٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأُضِيفُ ذَلِكَ إِلَيْهِ لِتَسْبِيبِهِ إِيَّاهُ**، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ لِرَجُلٍ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهُ أَذًىٰ حَتَّىٰ تَحَوَّلَ

مِنْ أَجْلِهِ عَنْ مَوْضِعٍ كَانَ يَسْكُنُهُ: مَا حَوَّلَنِي مِنْ مَوْضِعِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ لَهُ تَحْوِيلٌ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ تَحَوُّلُهُ عَنْ سَبَبٍ مِنْهُ، جَازَ لَهُ إِضَافَةُ تَحْوِيلِهِ إِلَيْهِ..

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يُقَالُ هَبَطَ فَلَانٌ أَرْضَ كَذَا وَوَادِيَ كَذَا، إِذَا حَلَّ ذَلِكَ.. وَقَدْ أَبَانَ هَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْمُخْرِجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ هُوَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَأَنَّ إِضَافَةَ اللهِ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ مِنْ إِخْرَاجِهِمَا، كَانَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا.. وَدَلَّ بِذَلِكَ أَيْضًا عَلَىٰ أَنَّ هُبُوطَ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ وَعَدُوِّهِمَا إِبْلِيسَ، كَانَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، بِجَمْعِ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الْخَبَرِ عَنْ إِهْبَاطِهِمْ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْ خَطِيئَةِ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ، وَتَسَبُّبِ إِبْلِيسَ ذَلِكَ لَهُمَا، عَلَىٰ مَا وَصَفَهُ رَبُّنَا جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ.. أَمَّا عَدَاوَةُ إِبْلِيسَ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، فَحَسَدُهُ إِيَّاهُ، وَاسْتِكْبَارُهُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ فِي السُّجُودِ لَهُ حِينَ قَالَ لِرَبِّهِ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ٧٦﴾ [ص: ٧٦].. وَأَمَّا عَدَاوَةُ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ إِبْلِيسَ، فَعَدَاوَةُ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ لِكُفْرِهِ بِاللهِ وَعِصْيَانِهِ لِرَبِّهِ فِي تَكَبُّرِهِ عَلَيْهِ وَمُخَالَفَتِهِ أَمْرَهُ، وَذَلِكَ مِنْ آدَمَ وَمُؤْمِنِي ذُرِّيَّتِهِ إِيمَانٌ بِاللهِ، وَأَمَّا عَدَاوَةُ إِبْلِيسَ آدَمَ فَكُفْرٌ بِاللهِ..

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا رُوِي عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: (هُوَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البَقَرَة: ٢٢])، وَرُوِي عَنِ الرَّبِيعِ: (هُوَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غَافِر: ٦٤]).. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ قَرَارٌ فِي الْقُبُورِ، رُوِي عن السُّدِّيِّ، وَقَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (مَقَامُهُمْ فِيهَا).. وَالْمُسْتَقَرُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، هُوَ مَوْضِعُ الِاسْتِقْرَارِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَحَيْثُ كَانَ مَنْ فِي الأَرْضِ مَوْجُودًا حَالًّا فَذَلِكَ الْمَكَانُ مِنَ الأَرْضِ مُسْتَقَرُّهُ.. إِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ: أَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمَنْزِلًا بِأَمَاكِنِهِمْ وَمُسْتَقَرِّهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالسَّمَاءِ.. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ يَعْنِي بِهِ: أَنَّ لَهُمْ فِيهَا مَتَاعًا بِمَتَاعِهِمْ فِي الْجَنَّةِ..

﴿إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾ [البقرة: ٣٦] قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَكُمْ فِيهَا بَلَاغٌ إِلَىٰ الْمَوْتِ، كما رُوِي عن السُّدِّيِّ، وَقَالَهُ ابنُ عباس.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، كما رُوِي عَنْ مُجَاهِدٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِلَىٰ أَجَلٍ، كما رُوِي عَنِ الرَّبِيعِ.. وَالْمَتَاعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: كُلُّ مَا اسْتُمْتِعَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ، مِنْ مَعَاشٍ اسْتُمْتِعَ بِهِ، أَوْ رِيَاشٍ أَوْ زِينَةٍ أَوْ لَذَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ جَعَلَ حَيَاةَ كُلِّ حَيٍّ مَتَاعًا لَهُ يَسْتَمْتِعُ بِهَا أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَجَعَلَ الأَرْضَ لِلإِنْسَانِ مَتَاعًا أَيَّامَ حَيَاتِهِ، بِقَرَارِهِ عَلَيْهَا، وَاغْتِذَائِهِ بِمَا أَخْرَجَ اللهُ مِنْهَا مِنَ الأَقْوَاتِ وَالثِّمَارِ، وَالتِذَاذِهِ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْمَلَاذِّ، وَجَعَلَهَا مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ لِجُثَّتِهِ كِفَاتًا، وَلِجِسْمِهِ مَنْزِلًا وَقَرَارًا، وَكَانَ اسْمُ الْمَتَاعِ يَشْمَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ.. كَانَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالآيَةِ -إِذْ لَمْ يَكُنِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَضَعَ دَلَالَةً دَالَّةً عَلَىٰ أَنَّهُ قَصَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ،

وَخَاصًّا دُونَ عَامٍّ فِي عَقْلٍ وَلَا خَبَرٍ-: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي مَعْنَىٰ العَامِّ، وَأَنْ يَكُونَ الخَبَرُ أَيْضًا كَذَلِكَ، إِلَىٰ وَقْتٍ يَطُولُ اسْتِمْتَاعُ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ بِهَا، وَذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالآيَةِ لِمَا وَصَفْنَا، فَالوَاجِبُ إِذًا أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُ الآيَةِ: وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مَنَازِلُ وَمَسَاكِنُ تَسْتَقِرُّونَ فِيهَا اسْتِقْرَارَكُمْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَفِي الجِنَانِ فِي مَنَازِلِكُمْ مِنْهَا، وَاسْتِمْتَاعٌ مِنْكُمْ بِهَا وَبِمَا أَخْرَجْتُ لَكُمْ مِنْهَا، وَبِمَا جَعَلْتُ لَكُمْ فِيهَا مِنَ المَعَاشِ وَالرِّيَاشِ وَالزِّيْنِ وَالمَلَاذِّ، وَبِمَا أَعْطَيْتُكُمْ عَلَىٰ ظَهْرِهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ وَمِنْ بَعْدِ وَفَاتِكُمْ لِأَرْمَاسِكُمْ وَأَجْدَاثِكُمْ تُدْفَنُونَ فِيهَا، وَتَبْلُغُونَ بِاسْتِمْتَاعِكُمْ بِهَا إِلَىٰ أَنْ أُبْدِلَكُمْ بِهَا غَيْرَهَا.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: ٣٧]

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أَخَذَ وَقَبِلَ، وَأَصْلُهُ التَّفَعُّلُ مِنَ اللِّقَاءِ، كَمَا يَتَلَقَّىٰ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مُسْتَقْبِلَهُ عِنْدَ قُدُومِهِ مِنْ غَيْبَتِهِ أَوْ سَفَرِهِ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ كَأَنَّهُ اسْتَقْبَلَهُ فَتَلَقَّاهُ بِالقَبُولِ حِينَ أُوحِيَ إِلَيْهِ أَوْ أُخْبِرَ بِهِ.. فَمَعْنَىٰ ذَلِكَ إِذًا: فَلَقَّىٰ اللهُ آدَمَ كَلِمَاتِ تَوْبَةٍ، فَتَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ وَأَخَذَهَا عَنْهُ تَائِبًا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ بِقِيلِهِ إِيَّاهَا، وَقَبُولِهِ إِيَّاهَا مِنْ رَبِّهِ..

كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَقَّاهُمَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣]).. وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللهِ، أَنَّ الكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهُنَّ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ، هُنَّ الكَلِمَاتُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَهَا مُتَنَصِّلًا بِقِيلِهَا إِلَىٰ رَبِّهِ، مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾.. وَهَذَا الخَبَرُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْ آدَمَ -مِنْ قِيلِهِ الَّذِي لَقَّاهُ إِيَّاهُ فَقَالَهُ تَائِبًا إِلَيْهِ مِنْ خَطِيئَتِهِ- تَعْرِيفٌ مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ جَمِيعَ المُخَاطَبِينَ بِكِتَابِهِ، كَيْفِيَّةَ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَنْبِيهٌ لِلْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، عَلَىٰ مَوْضِعِ التَّوْبَةِ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ بِاللهِ، وَأَنَّ خَلَاصَهُمْ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ نَظِيرُ خَلَاصِ أَبِيهِمْ آدَمَ مِنْ خَطِيئَتِهِ، مَعَ تَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ بِهِ السَّالِفَ إِلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي خَصَّ بِهَا أَبَاهُمْ آدَمَ وَغَيْرَهُ مِنْ آبَائِهِمْ..

﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ يَعْنِي: عَلَىٰ آدَمَ، وَالهَاءُ الَّتِي فِي ﴿عَلَيْهِۚ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ ﴿ءَادَمُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ يَعْنِي رَزَقَهُ التَّوْبَةَ مِنْ خَطِيئَتِهِ، وَالتَّوْبَةُ مَعْنَاهَا الإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ، وَالأَوْبَةُ إِلَىٰ طَاعَتِهِ مِمَّا يَكْرَهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ التَّوَّابُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ المُذْنِبِينَ مِنْ ذُنُوبِهِ، التَّارِكُ مَجَازَاتِهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِ بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ.. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مَعْنَىٰ

التَّوْبَةِ مِنَ العَبْدِ إِلَىٰ رَبِّهِ، إِنَابَتُهُ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَأَوْبَتِهِ إِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ بِتَرْكِهِ مَا يُسْخِطُهُ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا مُقِيمًا مِمَّا يَكْرَهُهُ رَبُّهُ، فَكَذَلِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ، هُوَ أَنْ يَرْزُقَهُ ذَلِكَ، وَيُؤَوِّبُ لَهُ مِنْ غَضَبِهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ الرِّضَا عَنْهُ، وَمِنَ العُقُوبَةِ إِلَىٰ العَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْهُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة: ٣٧] يَعْنِي أَنَّهُ المُتَفَضِّلُ عَلَيْهِ مَعَ التَّوْبَةِ بِالرَّحْمَةِ.. وَرَحْمَتُهُ إِيَّاهُ: إِقَالَتُهُ عَثْرَتِهِ، وَصَفْحُهُ عَنْ عُقُوبَةِ جُرْمِهِ.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨﴾ [البقرة: ٣٨]

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ﴾ قَدْ ذَكَرْنَا القَوْلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ﴾ فِيمَا مَضَىٰ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ إِعَادَتِهِ، إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا المَوْضِعِ، هُوَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ..

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ فَإِنْ يَأْتِكُمْ.. و(مَا) الَّتِي مَعَ (إِنْ) تَوْكِيدٌ لِلكَلَامِ.. وَلِدُخُولِهَا مَعَ (إِنْ) أُدْخِلَتِ النُّونُ المُشَدَّدَةُ فِي ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تَفْرِقَةً بِدُخُولِهَا بَيْنَ (مَا) الَّتِي تَأْتِي بِمَعْنَىٰ تَوْكِيدِ الكَلَامِ - الَّتِي تُسَمِّيهَا أَهْلُ العَرَبِيَّةِ صِلَةً وَحَشْوًا- وَبَيْنَ (مَا) الَّتِي تَأْتِي بِمَعْنَىٰ (الَّذِي).. فَتُؤْذِنُ بِدُخُولِهَا فِي الفِعْلِ، أَنَّ (مَا) الَّتِي مَعَ (إِنْ) الَّتِي بِمَعْنَىٰ الجَزَاءِ تَوْكِيدٌ، وَلَيْسَتْ (مَا) الَّتِي بِمَعْنَىٰ (الَّذِي)..

﴿مِّنِّي هُدًى﴾ وَالهُدَىٰ، فِي هَذَا المَوْضِعِ، البَيَانُ وَالرَّشَادُ، كَمَا قَالَ أَبو العَالِيَةِ: (الهُدَىٰ: الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالبَيَانُ).. فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ أَبُو العَالِيَةِ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ، فَالخِطَابُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ وَإِنْ كَانَ لِآدَمَ وَزَوْجَتِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَذُرِّيَّتُهُمَا.. فَيَكُونُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ نَظِيرَ قَوْلِهِ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ [فُصِّلَتْ: ١١]، بِمَعْنَىٰ أَتَيْنَا بِمَا فِينَا مِنَ الخَلْقِ طَائِعِينَ، وَنَظِيرَ قَوْلِهِ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسَلِّمَةً لَكَ وَأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ) [البَقَرَة: ١٢٨]، فَجَمَعَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ذُرِّيَّةً، وَهُوَ فِي قِرَاءَتِنَا: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، وَكَمَا يَقُولُ القَائِلُ لِآخَرَ: (كَأَنَّكَ قَدْ تَزَوَّجْتَ وَوُلِدَ لَكَ، وَكَثُرْتُمْ وَعَزَزْتُمْ)، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الكَلَامِ.. وَإِنَّمَا قُلنَا إِنَّ ذَلِكَ هُوَ الوَاجِبُ عَلَىٰ التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ أَبِي العَالِيَةِ؛ لِأَنَّ آدَمَ كَانَ هُوَ النَّبِيَّ أَيَّامَ حَيَاتِهِ بَعْدَ أَنْ أُهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَالرَّسُولَ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ وَلَدِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا - وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ- بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ خِطَابًا لَهُ وَلِزَوْجَتِهِ، فَإِمَّا يَأْتِينكُمْ مِنِّي أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ، إِلَّا عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ مِنَ التَّأْوِيلِ.. وَقَوْلُ أَبِي العَالِيَةِ فِي ذَلِكَ -وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مِنَ التَّأْوِيلِ تَحْتَمِلُهُ الآيَةُ- فَأَقْرَبُ إِلَىٰ الصَّوَابِ مِنْهُ عِنْدِي وَأَشْبَهُ بِظَاهِرِ التِّلَاوَةِ، أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهَا: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ مَنْ أُهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ مِنْ

سَمَائِي، وَهُوَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَإِبْلِيس -كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا- إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي بَيَانٌ مِنْ أَمْرِي وَطَاعَتِي، وَرَشَادٌ إِلَىٰ سَبِيلِي وَدِينِي، فَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْكُمْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَلَفَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَيَّ مَعْصِيَةٌ وَخِلَافٌ لِأَمْرِي وَطَاعَتِي.. يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ التَّائِبُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَالرَّحِيمُ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾.. وَذَلِكَ: أَنَّ ظَاهِرَ الخِطَابِ بِذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلَّذِينِ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ وَالَّذِينَ خُوطِبُوا بِهِ هُمْ مَنْ سَمَّيْنَا فِي قَوْلِ الحُجَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ قَدْ قَدَّمْنَا الرِّوَايَةَ عَنْهُمْ.. وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ خِطَابًا مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ لِمَنْ أُهْبِطَ حِينَئِذٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَهُوَ سُنَّةُ اللهِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ بِذَلِكَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ بِمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾ [البَقَرَة: ٦]، وَفِي قَوْلِهِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾ [البَقَرَة: ٨]، وَأَنَّ حُكْمَهُ فِيهِمْ -إِنْ تَابُوا إِلَيْهِ وَأَنَابُوا وَاتَّبَعُوا مَا أَتَاهُمْ مِنَ البَيَانِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ- أَنَّهُمْ عِنْدَهُ فِي الآخِرَةِ مِمَّنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَأَنَّهُمْ إِنْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ قَبْلَ الإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، كَانُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ المُخَلَّدِينَ فِيهَا..

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فَمَنِ اتَّبَعَ بَيَانِي الَّذِي آتَيْتُهُ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِي، أَوْ مَعَ رُسُلِي، كَمَا قَال أبو العَالِيَةِ: (﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ يَعْنِي بَيَانِي)..

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فَهُمْ آمِنُونَ فِي أَهْوَالِ القِيَامَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ، غَيْرُ خَائِفِينَ عَذَابَهُ، بِمَا أَطَاعُوا اللهَ فِي الدُّنْيَا وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَهُدَاهُ وَسَبِيلَهُ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: ٣٨] يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا بَعْدَ وَفَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ أَمَامَكُمْ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ فِي صَدْرِ الَّذِي يَمُوتُ مِمَّا بَعْدَ المَوْتِ، فَأَمَّنَهُمْ مِنْهُ وَسَلَّاهُمْ عَنِ الدُّنْيَا فَقَالَ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾).

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: ٣٨]

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ قَدْ ذَكَرْنَا القَوْلَ فِي تَأْوِيلِهِ فِيمَا مَضَىٰ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ إِعَادَتِهِ؛ إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا المَوْضِعِ، هُوَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ..

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ فَإِنْ يَأْتِكُمْ، وَ﴿مَا﴾ الَّتِي مَعَ (إِنْ) تَوْكِيدٌ لِلْكَلَامِ، وَلَيْسَتْ ﴿مَا﴾ الَّتِي بِمَعْنَىٰ (الَّذِي)..

﴿مِّنِّى هُدًى﴾ الهُدَىٰ، فِي هَذَا المَوْضِعِ، البَيَانُ وَالرَّشَادُ، كَمَا قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: (الهُدَىٰ: الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالبَيَانُ)، فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ أَبُو العَالِيَةِ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ، فَالخِطَابُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ وَإِنْ كَانَ لِآدَمَ وَزَوْجَتِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَذُرِّيَّتُهُمَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ نَظِيرَ قَوْلِهِ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فُصِّلَت: ١١]، بِمَعْنَىٰ أَتَيْنَا بِمَا فِينَا مِنَ الخُلُقِ طَائِعِينَ، وَنَظِيرَ قَوْلِهِ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (رَبَّنَا وَاجْعَلنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسَلَّمَةً لَكَ وَأَرِهِم مَنَاسِكَهُمْ) [البَقَرَة: ١٢٨]، فَجَمَعَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ذُرِّيَّةً، وَهُوَ فِي قِرَاءَتِنَا: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، وَكَمَا يَقُولُ القَائِلُ لِآخَرَ: كَأَنَّكَ قَدْ تَزَوَّجْتَ وَوُلِدَ لَكَ، وَكَثُرْتُمْ وَعَزَزْتُمْ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الكَلَامِ، وَإِنَّمَا قُلنَا إِنَّ ذَلِكَ هُوَ الوَاجِبُ عَلَىٰ التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ أَبِي العَالِيَةِ؛ لِأَنَّ آدَمَ كَانَ هُوَ النَّبِيَّ أَيَّامَ حَيَاتِهِ بَعْدَ أَنْ أُهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَالرَّسُولَ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ وَلَدِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا -وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ- بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ خِطَابًا لَهُ وَلِزَوْجَتِهِ، فَإِمَّا يَأْتِينكُمْ مِنِّي أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ، إِلَّا عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ مِنَ التَّأْوِيلِ.. وَقَوْلُ أَبِي العَالِيَةِ فِي ذَلِكَ -وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مِنَ التَّأْوِيلِ تَحْتَمِلُهُ الآيَةُ- فَأَقْرَبُ إِلَىٰ الصَّوَابِ مِنْهُ عِنْدِي وَأَشْبَهُ بِظَاهِرِ التِّلَاوَةِ، أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهَا: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ مَنْ أُهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ مِنْ سَمَائِي، وَهُوَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَإِبْلِيسُ -كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا- إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي بَيَانٌ مِنْ أَمْرِي وَطَاعَتِي، وَرَشَادٌ إِلَىٰ سَبِيلِي وَدِينِي، فَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْكُمْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَلَفَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَيَّ مَعْصِيَةٌ وَخِلَافٌ لِأَمْرِي وَطَاعَتِي، يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ التَّائِبُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَالرَّحِيمُ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾؛ وَذَلِكَ أَنَّ ظَاهِرَ الخِطَابِ بِذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلَّذِينِ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾، وَالَّذِينَ خُوطِبُوا بِهِ هُمْ مَنْ سَمَّيْنَا فِي قَوْلِ الحُجَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ قَدْ قَدَّمْنَا الرِّوَايَةَ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ خِطَابًا مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ لِمَنْ أُهْبِطَ حِينَئِذٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَهُوَ سُنَّةُ اللهِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ بِذَلِكَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ بِمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾ [البَقَرَة: ٦]، وَفِي قَوْلِهِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾ [البَقَرَة: ٨]، وَأَنَّ حُكْمَهُ فِيهِمْ -نْ تَابُوا إِلَيْهِ وَأَنَابُوا وَاتَّبَعُوا مَا أَتَاهُمْ مِنَ البَيَانِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ- أَنَّهُمْ عِنْدَهُ فِي الآخِرَةِ مِمَّنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَأَنَّهُمْ إِنْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ قَبْلَ الإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، كَانُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ المُخَلَّدِينَ فِيهَا..

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ فَمَنِ اتَّبَعَ بَيَانِي الَّذِي آتَيْتُهُ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِي، أَوْ مَعَ رُسُلِي..

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فَهُمْ آمِنُونَ فِي أَهْوَالِ القِيَامَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ، غَيْرُ خَائِفِينَ عَذَابَهُ، بِمَا

أَطَاعُوا اللهَ فِي الدُّنْيَا وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَهُدَاهُ وَسَبِيلَهُ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨﴾ [البقرة: ٣٨] يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا بَعْدَ وَفَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ أَمَامَكُمْ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ فِي صَدْرِ الَّذِي يَمُوتُ مِمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَأَمَّنَهُمْ مِنْهُ وَسَلَّاهُمْ عَنِ الدُّنْيَا).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: ٣٩]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِي وَكَذَّبُوا رُسُلِي.. وَآيَاتُ اللهِ: حُجَجُهُ وَأَدِلَّتُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الأَعْلَامِ وَالشَّوَاهِدِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، وَعَلَىٰ صِدْقِهَا فِيمَا أَنْبَأَتْ عَنْ رَبِّهَا.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ الكُفْرِ التَّغْطِيَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ..

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يَعْنِي: أَهْلُهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: ٣٩] الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، المُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدًا إِلَىٰ غَيْرِ أَمَدٍ وَلَا نِهَايَةٍ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنَّ أَقْوَامًا أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِخَطَايَاهُمْ أَوْ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ».

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: ٣٩]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِي، وَكَذَّبُوا رُسُلِي، وَآيَاتُ اللهِ: حُجَجُهُ وَأَدِلَّتُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الأَعْلَامِ وَالشَّوَاهِدِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، وَعَلَىٰ صِدْقِهَا فِيمَا أَنْبَأَتْ عَنْ رَبِّهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ الكُفْرِ التَّغْطِيَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ..

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يَعْنِي: أَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: ٣٩] المُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدًا إِلَىٰ غَيْرِ أَمَدٍ وَلَا نِهَايَةٍ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنَّ أَقْوَامًا أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِخَطَايَاهُمْ أَوْ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ».

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝٤٠﴾

[البقرة: ٤٠]

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يَعْنِي: وَلَدَ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَٰنِ، وَكَانَ يَعْقُوبُ يُدْعَىٰ إِسْرَائِيلُ، بِمَعْنَىٰ عَبْدِ اللهِ وَصَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَ(إِيلُ) هُوَ اللهُ، وَ(إِسْرَا) هُوَ العَبْدُ، كَمَا قِيلَ:

(جِبْرِيلُ) بِمَعْنَىٰ عَبْدِ اللهِ.. وَإِنَّمَا خَاطَبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أَحْبَارَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَسَبَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَىٰ يَعْقُوبَ، كَمَا نَسَبَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ إِلَىٰ آدَمَ، فَقَالَ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا خَصَّهُمْ بِالْخِطَابِ فِي هَذِهِ الآيَةِ وَالَّتِي بَعْدَهَا مِنَ الآيِ الَّتِي ذَكَّرَهُمْ فِيهَا نِعَمَهُ -وَإِنْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ مَا أَنْزَلَ فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، مَا قَدْ تَقَدَّمَ- أَنَّ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالآيَاتِ الَّتِي فِيهَا أَنْبَاءُ أَسْلَافِهِمْ، وَأَخْبَارُ أَوَائِلِهِمْ، وَقَصَصُ الأُمُورِ الَّتِي هُمْ بِعِلْمِهَا مَخْصُوصُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ، لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، إِلَّا لِمَنِ اقْتَبَسَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَعَرَّفَهُمْ بِإِطْلَاعِ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ عِلْمِهَا، مَعَ بُعْدِ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَقِلَّةِ مُزَاوَلَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِرَاسَةَ الْكُتُبِ الَّتِي فِيهَا أَنْبَاءُ ذَلِكَ، أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ عِلْمِ ذَلِكَ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ وَتَنْزِيلٍ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ عِلْمِ صِحَّةِ ذَلِكَ بِمَحَلٍّ لَيْسَ بِهِ مِنَ الأُمَمِ غَيْرُهُمْ، فَلِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خِطَابَهُمْ كَمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، لِلأَحْبَارِ مَنْ يَهُودَ)..

﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ وَنِعْمَتُهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَلَّ ذِكْرُهُ، اصْطِفَاؤُهُ مِنْهُمُ الرُّسُلَ، وَإِنْزَالُهُ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَاسْتِنْقَاذُهُ إِيَّاهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالضَّرَّاءِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، إِلَىٰ التَّمْكِينِ لَهُمْ فِي الأَرْضِ، وَتَفْجِيرِ عُيُونِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ، وَإِطْعَامِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ، فَأَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَعْقَابَهُمْ أَنْ يَكُونَ مَا سَلَفَ مِنْهُ إِلَىٰ آبَائِهِمْ عَلَىٰ ذِكْرٍ، وَأَنْ لَا يَنْسَوْا صَنِيعَهُ إِلَىٰ أَسْلَافِهِمْ وَآبَائِهِمْ، فَيَحِلَّ بِهِمْ مِنَ النِّقَمِ مَا أَحَلَّ بِمَنْ نَسِيَ نِعَمَهُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ وَكَفَرَهَا، وَجَحَدَ صَنَائِعَهُ عِنْدَهُ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: (نِعَمُهُ عَامَّةٌ، وَلَا نِعْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ الإِسْلَامِ، وَالنِّعَمُ بَعْدُ تَبَعٌ لَهَا، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات: ١٧].. وَتَذْكِيرُ اللهِ الَّذِينَ ذَكَّرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذِهِ الآيَةِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَظِيرُ تَذْكِيرِ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ أَسْلَافَهُمْ عَلَىٰ عَهْدِهِ، الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠﴾ [المائدة: ٢٠]..

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا فِيمَا مَضَىٰ عَنْ مَعْنَىٰ الْعَهْدِ، مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، وَاخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي تَأْوِيلِهِ، وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: عَهْدُ اللهِ وَوَصِيَّتُهُ الَّتِي أَخَذَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَاةِ، أَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ رَسُولٌ، وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وَعَهْدُهُ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المَائِدَة: ١٢]، وَكَمَا قَالَ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأَعْرَاف: ١٥٦ - ١٥٧].. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (أَوْفُوا بِأَمْرِي أُوفِ بِالَّذِي وَعَدْتُكُمْ، وَقَرَأَ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التَّوْبَة: ١١١]، هَذَا عَهْدُهُ الَّذِي عَهِدَهُ لَهُمْ)..

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠] وَإِيَّايَ فَاخْشَوْا، وَاتَّقُوا أَيُّهَا المُضَيِّعُونَ عَهْدِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالمُكَذِّبُونَ رَسُولِيَ الَّذِي أَخَذْتُ مِيثَاقَكُمْ فِيمَا أَنْزَلْتُ مِنَ الكُتُبِ عَلَىٰ أَنْبِيَائِي -أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَّبِعُوهُ- أَنْ أُحِلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِي، إِنْ لَمْ تُنِيبُوا وَتَتُوبُوا إِلَيَّ بِاتِّبَاعِهِ وَالإِقْرَارِ بِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْهِ، مَا أَحْلَلْتُ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَكَذَّبَ رُسُلِي مِنْ أَسْلَافِكُمْ، كَمَا رُوِي عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنْ أُنْزِلَ بِكُمْ مَا أَنْزَلْتُ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ مِنَ النَّقِمَاتِ الَّتِي قَدْ عَرَفْتُمْ، مِنَ المَسْخِ وَغَيْرِهِ).

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: ٤١]

﴿وَءَامِنُوا۟﴾ صَدِّقُوا، كَمَا قَدْ قَدَّمْنَا البَيَانَ عَنْهُ قَبْلُ..

﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ مَا أَنْزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ القُرْآنِ..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أَنَّ القُرْآنَ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَ اليَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَأَمَرَهُمْ بِالتَّصْدِيقِ بِالقُرْآنِ، وَأَخْبَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ فِي تَصْدِيقِهِمْ بِالقُرْآنِ تَصْدِيقًا مِنْهُمْ لِلتَّوْرَاةِ؛ لِأَنَّ الَّذِي فِي القُرْآنِ مِنَ الأَمْرِ بِالإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ، نَظِيرُ الَّذِي مِنْ ذَلِكَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ فَفِي تَصْدِيقِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ تَصْدِيقٌ مِنْهُمْ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَفِي تَكْذِيبِهِمْ بِهِ تَكْذِيبٌ مِنْهُمْ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ..

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾ يَا مَعْشَرَ أَحْبَارِ أَهْلِ الكِتَابِ، صَدِّقُوا بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ القُرْآنِ المُصَدِّقِ كِتَابَكُمْ، وَالَّذِي عِنْدَكُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، المَعْهُودِ إِلَيْكُمْ فِيهِمَا أَنَّهُ رَسُولِي وَنَبِيِّي المَبْعُوثُ بِالحَقِّ، وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ أُمَّتِكُمْ كَذَّبَ بِهِ وَجَحَدَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي، وَعِنْدَكُمْ مِنَ العِلمِ بِهِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكُمْ، وَكُفْرُهُمْ بِهِ: جُحُودُهُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالهَاءُ الَّتِي فِي ﴿بِهِۦۖ﴾ مِنْ ذِكْرِ ﴿مَا﴾ الَّتِي مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾..

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: (لَا تَأْخُذُوا عَلَيْهِ أَجْرًا، هُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُمْ فِي الكِتَابِ الأَوَّلِ: يَا ابْنَ آدَمَ، عَلِّمْ مَجَّانًا كَمَا عُلِّمْتَ مَجَّانًا).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: (لَا تَأْخُذُوا طَمَعًا قَلِيلًا، وَتَكْتُمُوا اسْمَ اللهِ، وَذَلِكَ الثَّمَنُ هُوَ الطَّمَعُ).. **فَتَأْوِيلُ الآيَةِ إِذًا:** لَا تَبِيعُوا مَا آتَيْتُكُمْ مِنَ العِلمِ بِكِتَابِي وَآيَاتِهِ بِثَمَنٍ خَسِيسٍ وَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، وَبَيْعُهُمْ إِيَّاهُ -تَرْكُهُمْ إِبَانَةَ مَا فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلنَّاسِ، وَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِيهِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ- بِثَمَنٍ قَلِيلٍ، وَهُوَ رِضَاهُمْ بِالرِّيَاسَةِ عَلَىٰ أَتْبَاعِهِمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ وَدِينِهِمْ، وَأَخْذُهُمُ الأَجْرَ مِمَّنْ بَيَّنُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا بَيَّنُوا لَهُ مِنْهُ، **وَإِنَّمَا قُلنَا بِمَعْنَىٰ ذَلِكَ: (لَا تَبِيعُوا)**، لِأَنَّ مُشْتَرِيَ الثَّمَنِ القَلِيلِ بِآيَاتِ اللهِ بَائِعُ الآيَاتِ بِالثَّمَنِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّمَنِ وَالمُثَمَّنِ مَبِيعٌ لِصَاحِبِهِ، وَصَاحِبُهُ بِهِ مُشْتَرٍ، **وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا تَأَوَّلَهُ أَبُو العَالِيَةِ**، بَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا تَبْتَغُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَجْرًا، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ نَهْيُهُ عَنْ أَخْذِ الأَجْرِ عَلَىٰ تَبْيِينِهِ، هُوَ النَّهْيُ عَنْ شِرَاءِ الثَّمَنِ القَلِيلِ بِآيَاتِهِ..

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة: ٤١] فِي بَيْعِكُمْ آيَاتِي بِالخَسِيسِ مِنَ الثَّمَنِ، وَشِرَائِكُمْ بِهَا القَلِيلَ مِنَ العَرَضِ، وَكُفْرِكُمْ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي وَجُحُودِكُمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّي، أَنْ أُحِلَّ بِكُمْ مَا أَحْلَلْتُ بِأَسْلَافِكُمَ الَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَكُمْ مِنَ المَثُلَاتِ وَالنِّقْمَاتِ.

﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢﴾ [البقرة: ٤٢]

﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ﴾ لَا تَخْلِطُوا، وَاللَّبْسُ هُوَ الخَلطُ، يُقَالُ مِنْهُ: لَبَسْتُ عَلَيْهِ هَذَا الأَمْرَ أَلْبِسُهُ لَبْسًا: إِذَا خَلَطْتُهُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا اللُّبْسُ، فَإِنَّهُ يُقَالُ مِنْهُ: لَبِسْتُهُ أَلْبَسُهُ لُبْسًا وَمَلْبَسًا، وَذَلِكَ الكُسْوَةُ يَكْتَسِيهَا فَيَلْبَسُهَا، وَمِنَ اللَّبْسِ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩]..

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ كَانُوا يُلبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَهُمْ كُفَّارٌ؟ وَأَيُّ حَقٍّ كَانُوا عَلَيْهِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللهِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مُنَافِقُونَ مِنْهُمْ، يُظْهِرُونَ التَّصْدِيقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَسْتَبْطِنُونَ الكُفْرَ بِهِ، وَكَانَ عُظْمُهُمْ يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، إِلَّا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ غَيْرِنَا، **فَكَانَ لَبْسُ المُنَافِقِ مِنْهُمُ** الحَقَّ بِالبَاطِلِ، إِظْهَارَهُ الحَقَّ بِلِسَانِهِ، وَإِقْرَارَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ جِهَارًا، وَخَلطَهُ ذَلِكَ الظَّاهِرَ مِنَ الحَقِّ بِمَا يَسْتَبْطِنُهُ، **وَكَانَ**

لَبْسُ المُقِرِّ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، الجَاحِدِ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِمْ، إِقْرَارَهُ بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، وَهُوَ الحَقُّ، وَجُحُودَهُ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ البَاطِلُ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ الخَلْقِ كَافَّةً. فَذَلِكَ خَلْطُهُمُ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَلَبْسُهُمْ إِيَّاهُ بِهِ، كَمَا رُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (لَا تَخْلِطُوا الصِّدْقَ بِالكَذِبِ)، وقالَ أَبو العَالِيَةِ: (لَا تَخْلِطُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَأَدُّوا النَّصِيحَةَ لِعِبَادِ اللهِ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ)، وقَالَ مُجَاهِدٌ: (﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ اليَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بِالإِسْلَامِ)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (الحَقُّ التَّوْرَاةُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، وَالبَاطِلُ: الَّذِي كَتَبُوهُ بِأَيْدِيهِمْ)..

﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَكْتُمُوا الحَقَّ، كَمَا نَهَاهُمْ أَنْ يَلبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ، فَيَكُونُ تَأْوِيلُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ: وَلَا تَلبَسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَلَا تَكْتُمُوا الحَقَّ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَتَكْتُمُواْ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ مَجْزُومًا بِمَا جُزِمَ بِهِ ﴿تَلْبِسُواْ﴾ عَطْفًا عَلَيْهِ.. **وَالوَجْهُ الآخَرُ مِنْهُمَا**: أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ عَنْ أَنْ يَلبَسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ خَبَرًا مِنْهُ عَنْهُمْ بِكِتْمَانِهِمُ الحَقَّ الَّذِي يَعْلَمُونَهُ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَتَكْتُمُواْ﴾ حِينَئِذٍ مَنْصُوبًا لِانْصِرَافِهِ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ إِذْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ﴾ نَهْيًا، وَقَوْلُهُ ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ خَبَرًا مَعْطُوفًا عَلَيْهِ، غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يُعَادَ عَلَيْهِ مَا عَمِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَلْبِسُواْ﴾ مِنَ الحَرْفِ الجَازِمِ.. **فَأَمَّا الوَجْهُ الأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَا أَنَّ الآيَةَ تَحْتَمِلُهُمَا، فَهُوَ عَلَىٰ مَذْهَبِ ابْنِ عَبَّاسٍ** الَّذِي رُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (وَلَا تَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، ورُوِي عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ أَيْ: وَلَا تَكْتُمُوا الحَقَّ).. **وَأَمَّا الوَجْهُ الثَّانِي مِنْهُمَا، فَهُوَ عَلَىٰ مَذْهَبِ أَبِي العَالِيَةِ وَمُجَاهِدٍ**، قَالَا: (كَتَمُوا بَعْثَ مُحَمَّدٍ ﷺ).. **وَأَمَّا تَأْوِيلُ الحَقِّ الَّذِي كَتَمُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَهُ، فَهُوَ** مَا رُوِي عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (لَا تَكْتُمُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ المَعْرِفَةِ بِرَسُولِي وَمَا جَاءَ بِهِ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِيمَا تَعْلَمُونَ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي بِأَيْدِيكُمْ)، ورُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ)، وقال مُجَاهِدٌ: (يَكْتُمُ أَهْلُ الكِتَابِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)، وقال أيضًا: (تَكْتُمُونَ مُحَمَّدًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)، ورُوِي عَنِ السُّدِّيِّ: (الحَقُّ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ)، وقالَ أَبُو العَالِيَةِ: (كَتَمُوا بَعْثَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ)..

فَتَأْوِيلُ الآيَةِ إِذًا: وَلَا تَخْلِطُوا عَلَىٰ النَّاسِ -أَيُّهَا الأَحْبَارُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ- فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَتَزْعُمُوا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ بَعْضِ أَجْنَاسِ الأُمَمِ دُونَ بَعْضٍ، أَوْ تُنَافِقُوا فِي أَمْرِهِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ الأُمَمِ غَيْرِكُمْ، فَتَخْلِطُوا بِذَلِكَ الصِّدْقَ

بِالكَذِبِ، وَتَكْتُمُوا بِهِ مَا تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ مِنْ نَعْتِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَنَّهُ رَسُولِي إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً..

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٤٢] أَنَّهُ رَسُولِي، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ إِلَيْكُمْ فَمِنْ عِنْدِي، وَتَعْرِفُونَ أَنَّ مِنْ عَهْدِي -الَّذِي أَخَذْتُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ- الإِيمَانَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَالتَّصْدِيقَ بِهِ.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝﴾ [البقرة: ٤٣]

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ أَحْبَارَ اليَهُودِ وَالمُنَافِقِينَ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَلَا يَفْعَلُونَهُ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ مَعَ المُسْلِمِينَ المُصَدِّقِينَ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَإِيتَاءِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَهُمْ، وَأَنْ يَخْضَعُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ كَمَا خَضَعُوا.. **وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ** فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، فَكَرِهْنَا إِعَادَتَهُ، **أَمَّا إِيتَاءُ الزَّكَاةِ**، فَهُوَ أَدَاءُ الصَّدَقَةِ المَفْرُوضَةِ، **وَأَصْلُ الزَّكَاةِ**، نَمَاءُ المَالِ وَتَثْمِيرُهُ وَزِيَادَتُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: زَكَا الزَّرْعُ، إِذَا كَثُرَ مَا أَخْرَجَ اللهُ مِنْهُ، وَزَكَتِ النَّفَقَةُ، إِذَا كَثُرَتْ، وَقِيلَ زَكَا الفَرْدُ، إِذَا صَارَ زَوْجًا بِزِيَادَةِ الزَّائِدِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ صَارَ بِهِ شَفْعًا.. **وَإِنَّمَا قِيلَ لِلزَّكَاةِ زَكَاةٌ**، وَهِيَ مَالٌ يَخْرُجُ مِنْ مَالٍ، لِتَثْمِيرِ اللهِ -بِإِخْرَاجِهَا مِمَّا أُخْرِجَتْ مِنْهُ- مَا بَقِيَ عِنْدَ رَبِّ المَالِ مِنْ مَالِهِ، **وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ زَكَاةً**، لِأَنَّهَا تَطْهِيرٌ لِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ، وَتَخْلِيصٌ لَهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِيهِ مَظْلَمَةٌ لِأَهْلِ السُّهْمَانِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤]، يَعْنِي بَرِيئَةً مِنَ الذُّنُوبِ طَاهِرَةً، وَكَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ: هُوَ عَدْلٌ زَكِيٌّ، لِذَلِكَ المَعْنَىٰ، **وَهَذَا الوَجْهُ أَعْجَبُ إِلَيَّ -فِي تَأْوِيلِ زَكَاةِ المَالِ- مِنَ الوَجْهِ الأَوَّلِ**، وَإِنْ كَانَ الأَوَّلُ مَقْبُولًا فِي تَأْوِيلِهَا.. **وَإِيتَاؤُهَا**: إِعْطَاؤُهَا أَهْلَهَا..

﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝﴾ [البقرة: ٤٣] وَأَمَّا تَأْوِيلُ الرُّكُوعِ، فَهُوَ الخُضُوعُ للهِ بِالطَّاعَةِ. يُقَالُ مِنْهُ: رَكَعَ فُلَانٌ لِكَذَا وَكَذَا، إِذَا خَضَعَ لَهُ.. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ -لِمَنْ ذَكَرَ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُنَافِقِيهَا- بِالإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَبِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، **وَالدُّخُولِ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي الإِسْلَامِ**، وَالخُضُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَنَهْيٌ مِنْهُ لَهُمْ عَنْ كِتْمَانِ مَا قَدْ عَلِمُوهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَعْدَ تَظَاهُرِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، بِمَا قَدْ وَصَفْنَا قَبْلُ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، وَبَعْدَ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ وَالإِنْذَارِ، وَبَعْدَ تَذْكِيرِهِمْ نِعَمَهُ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ أَسْلَافِهِمْ تَعَطُّفًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِبْلَاغًا فِي المَعْذِرَةِ.

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [البقرة: ٤٤]

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ البِرِّ الَّذِي كَانَ المُخَاطَبُونَ بِهَذِهِ الآيَةِ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِهِ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، بَعْدَ إِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ طَاعَةٍ للهِ

فَهِيَ تُسَمَّىٰ (بِرًّا).. **فَرُوِيَ** عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (تَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الكُفْرِ بِمَا عِنْدَكُمْ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالعُهْدَةِ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَتَتْرُكُونَ أَنْفُسَكُمْ: أَيْ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ عَهْدِي إِلَيْكُمْ فِي تَصْدِيقِ رَسُولِي، وَتَنْقُضُونَ مِيثَاقِي، وَتَجْحَدُونَ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ كِتَابِي)، ورُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالدُّخُولِ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ).. **وَقَالَ آخَرُونَ بِـ**: مَا رُوِي عَنِ السُّدِّيِّ: (كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللهِ وَبِتَقْوَاهُ وَهُمْ يَعْصُونَهُ)، وقال قَتَادَةُ: (كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللهِ وَبِتَقْوَاهُ وَبِالبِرِّ وَيُخَالِفُونَ، فَعَيَّرَهُمُ اللهُ)، ورُوِي عن ابْنِ جُرَيْجٍ: (أَهْلُ الكِتَابِ وَالمُنَافِقُونَ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَيَدَعُونَ العَمَلَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ النَّاسَ، فَعَيَّرَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ أَمَرَ بِخَيْرٍ فَلْيَكُنْ أَشَدَّ النَّاسِ فِيهِ مُسَارَعَةً).. **وَقَالَ آخَرُونَ بِـ**: مَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (هَؤُلَاءِ اليَهُودُ كَانَ إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَسْأَلُهُمْ مَا لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ وَلَا رِشْوَةٌ وَلَا شَيْءٌ، أَمَرُوهُ بِالحَقِّ، فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾)، ورُوِي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: (لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الفِقْهِ حَتَّىٰ يَمْقُتَ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللهِ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا).. **وَجَمِيعُ الَّذِي قَالَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الآيَةِ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مُتَقَارِبُ المَعْنَىٰ**؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنِ اخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ (البِرِّ) الَّذِي كَانَ القَوْمُ يَأْمُرُونَ بِهِ غَيْرَهُمْ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ، فَهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِمَا للهِ فِيهِ رِضًا مِنَ القَوْلِ أَوِ العَمَلِ، وَيُخَالِفُونَ مَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِأَفْعَالِهِمْ.. **فَالتَّأْوِيلُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ ظَاهِرُ التِّلَاوَةِ إِذًا**: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللهِ وَتَتْرُكُونَ أَنْفُسَكُمْ تَعْصِيهِ؟! فَهَلَّا تَأْمُرُونَهَا بِمَا تَأْمُرُونَ بِهِ النَّاسَ مِنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ؟ **مُعَيِّرُهُمْ بِذَلِكَ، وَمُقَبِّحًا إِلَيْهِمْ مَا أَتَوْا بِهِ.. وَمَعْنَىٰ (نِسْيَانِهِمْ أَنْفُسَهُمْ)** فِي هَذَا المَوْضِعِ نَظِيرُ النِّسْيَانِ الَّذِي قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ﴾ [التَّوْبَة: ٦٧] بِمَعْنَىٰ: تَرَكُوا طَاعَةَ اللهِ فَتَرَكَهُمُ اللهُ مِنْ ثَوَابِهِ..

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: (تَتْلُونَ): تَدْرُسُونَ وَتَقْرَءُونَ، كَمَا رُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (تَدْرُسُونَ الكِتَابَ بِذَلِكَ).. وَيَعْنِي بِالكِتَابِ: التَّوْرَاةَ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤] أَفَلَا تَفْقَهُونَ وَتَفْهَمُونَ قُبْحَ مَا تَأْتُونَ مِنْ مَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمُ الَّتِي تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِخِلَافِهَا وَتَنْهَوْنَهُمْ عَنْ رُكُوبِهَا وَأَنْتُمْ رَاكِبُوهَا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَالإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، مِثْلُ الَّذِي عَلَىٰ مَنْ تَأْمُرُونَهُ بِاتِّبَاعِهِ، كَمَا رُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يَقُولُ: أَفَلَا تَفْهَمُونَ؟ فَنَهَاهُمْ عَنْ هَذَا الخُلُقِ القَبِيحِ).. **وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا** مِنْ أَمْرِ أَحْبَارِ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَيْرَهُمْ بِاتِّبَاعِ

مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: هُوَ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ غَيْرِنَا! كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ.

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة: ٤٥]

﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾ عَلَىٰ الوَفَاءِ بِعَهْدِي الَّذِي عَاهَدْتُمُونِي فِي كِتَابِكُمْ مِنْ طَاعَتِي وَاتِّبَاعِ أَمْرِي، وَتَرْكِ مَا تَهْوَوْنَهُ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَحُبِّ الدُّنْيَا إِلَىٰ مَا تَكْرَهُونَهُ مِنَ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِي، وَاتِّبَاعِ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ عَلَيْهِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ (الصَّبْرِ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الصَّوْمُ، وَالصَّوْمُ بَعْضُ مَعَانِي الصَّبْرِ، وَتَأْوِيلُ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا كَرِهَتْهُ نُفُوسُهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَتَرْكِ مَعَاصِيهِ، **وَأَصْلُ الصَّبْرِ**: مَنْعُ النَّفْسِ مَحَابَّهَا، وَكَفُّهَا عَنْ هَوَاهَا؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلصَّابِرِ عَلَىٰ الْمُصِيبَةِ: صَابِرٌ، لِكَفِّهِ نَفْسَهُ عَنِ الجَزَعِ ؛ وَقِيلَ لِشَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ الصَّبْرِ، لِصَبْرِ صَائِمِيهِ عَنِ المَطَاعِمِ وَالمَشَارِبِ نَهَارًا، وَصَبْرُهُ إِيَّاهُمْ عَنْ ذَلِكَ: حَبْسُهُ لَهُمْ، وَكَفُّهُ إِيَّاهُمْ عَنْهُ، كَمَا تُصَبِّرُ الرَّجُلَ المُسِيءَ لِلقَتْلِ فَتَحْبِسُهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْتُلَهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: قَتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا صَبْرًا، يَعْنِي بِهِ: حَبَسَهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ قَتَلَهُ، فَالمَقْتُولُ مَصْبُورٌ، وَالقَاتِلُ صَابِرٌ..

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: قَدْ عَلِمْنَا مَعْنَىٰ الأَمْرِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الوَفَاءِ بِالعَهْدِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، **فَمَا مَعْنَىٰ الأَمْرِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ**، وَتَرْكِ مَعَاصِيهِ، وَالتَّعَرِّي عَنِ الرِّيَاسَةِ، وَتَرْكِ الدُّنْيَا؟ قِيلَ: إِنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا تِلَاوَةُ كِتَابِ اللهِ، الدَّاعِيَةُ آيَاتُهُ إِلَىٰ رَفْضِ الدُّنْيَا وَهَجْرِ نَعِيمِهَا، المُسَلِّيَةُ النُّفُوسَ عَنْ زِينَتِهَا وَغُرُورِهَا، المُذَكِّرَةُ الآخِرَةَ وَمَا أَعَدَّ اللهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا، فَفِي الِاعْتِبَارِ بِهَا المَعُونَةُ لِأَهْلِ طَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ الجِدِّ فِيهَا، كَمَا رُوِيَ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ.. فَأَمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ وَصَفَ أَمْرَهُمْ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَجْعَلُوا مَفْزَعَهُمْ فِي الوَفَاءِ بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي عَاهَدُوهُ إِلَىٰ الِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ كَمَا أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝١٣٠﴾ [طه: ١٣٠] فَأَمَرَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي نَوَائِبِهِ بِالفَزَعِ إِلَىٰ الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، وَقَدْ نُعِيَ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخُوهُ قُثَمٌ، وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ تَنَحَّىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، فَأَنَاخَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ أَطَالَ فِيهِمَا الجُلُوسَ، ثُمَّ قَامَ يَمْشِي إِلَىٰ رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾، وَأَمَّا أَبُو العَالِيَةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَىٰ مَرْضَاةِ اللهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُمَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ)، ورُوِي عَن بْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: (إِنَّهُمَا مَعُونَتَانِ عَلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (قَالَ المُشْرِكُونَ: وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَتَدْعُونَا إِلَىٰ أَمْرٍ كَبِيرٍ! إِلَىٰ الصَّلَاةِ وَالإِيمَانِ بِاللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ)..

﴿وَإِنَّهَا﴾ وَإِنَّ الصَّلَاةَ..

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ لَشَدِيدَةٌ ثَقِيلَةٌ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة: ٤٥] إِلَّا عَلَىٰ الخَاضِعِينَ لِطَاعَتِهِ، الخَائِفِينَ سَطَوَاتِهِ، المُصَدِّقِينَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، قالَ مُجَاهِدٌ: (﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ المُؤْمِنِينَ حَقًّا)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (الخُشُوعُ: الخَوْفُ وَالخَشْيَةُ للهِ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشُّورَىٰ: ٤٥] قَالَ: قَدْ أَذَلَّهُمُ الخَوْفُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، وَخَشَعُوا لَهُ).. **وَأَصْلُ الخُشُوعِ**: التَّوَاضُعُ وَالتَّذَلُّلُ وَالِاسْتِكَانَةُ.. **فَمَعْنَىٰ الآيَةِ**: وَاسْتَعِينُوا أَيُّهَا الأَحْبَارُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ بِحَبْسِ أَنْفُسِكُمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَكَفِّهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَبِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ المَانِعَةِ مِنَ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، المُقَرِّبَةِ مِنْ مَرَاضِي اللهِ، العَظِيمَةِ إِقَامَتُهَا إِلَّا عَلَىٰ المُتَوَاضِعِينَ للهِ، المُسْتَكِينِينَ لِطَاعَتِهِ، المُتَذَلِّلِينَ مِنْ مَخَافَتِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ [البقرة: ٤٦]

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ **إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: وَكَيْفَ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّنْ قَدْ وَصَفَهُ بِالخُشُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، أَنَّهُ (يَظُنُّ) أَنَّهُ مُلَاقِيهِ، وَالظَّنُّ: شَكٌّ، وَالشَّاكُّ فِي لِقَاءِ اللهِ عِنْدَكَ بِاللهِ كَافِرٌ؟ **قِيلَ لَهُ**: إِنَّ العَرَبَ قَدْ تُسَمِّي اليَقِينَ (ظَنًّا)، وَالشَّكَّ (ظَنًّا)، نَظِيرَ تَسْمِيَتِهِمُ الظُّلْمَةَ (سُدْفَةً)، وَالضِّيَاءَ (سُدْفَةً)، وَالمُغِيثَ (صَارِخًا)، وَالمُسْتَغِيثَ (صَارِخًا)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي تُسَمِّي بِهَا الشَّيْءَ وَضِدَّهُ.. وَالشَّوَاهِدُ مِنْ أَشْعَارِ العَرَبِ وَكَلَامِهَا عَلَىٰ أَنَّ (الظَّنَّ) فِي مَعْنَىٰ اليَقِينِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ.. وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكَهْفِ: ٥٣] وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَ تَفْسِيرُ المُفَسِّرِينَ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: (لِأَنَّهُمْ لَمْ يُعَايِنُوا، فَكَانَ ظَنُّهُمْ يَقِينًا، وَلَيْسَ ظَنًّا فِي شَكٍّ، وَقَرَأَ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾)..

﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ وَاسْتَعِينُوا عَلَىٰ الوَفَاءِ بِعَهْدِي بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّ الصَّلَاةَ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَىٰ الخَائِفِينَ عِقَابِي، المُتَوَاضِعِينَ لِأَمْرِي، المُوقِنِينَ بِلِقَائِي وَالرُّجُوعِ إِلَيَّ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ.. **وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الصَّلَاةَ كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ غَيْرَ مُوقِنٍ بِمِعَادٍ وَلَا مُصَدِّقٍ بِمَرْجِعٍ وَلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ، فَالصَّلَاةُ عِنْدَهُ عَنَاءٌ وَضَلَالٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو** بِإِقَامَتِهَا إِدْرَاكَ نَفْعٍ وَلَا دَفْعَ ضُرٍّ، وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ كَبِيرَةً، وَإِقَامَتُهَا عَلَيْهِ ثَقِيلَةً، وَلَهُ فَادِحَةً، **وَإِنَّمَا خَفَّتْ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ المُصَدِّقِينَ بِلِقَاءِ اللهِ، الرَّاجِينَ عَلَيْهَا جَزِيلَ ثَوَابِهِ، الخَائِفِينَ بِتَضْيِيعِهَا أَلِيمَ عِقَابِهِ، لِمَا يَرْجُونَ بِإِقَامَتِهَا فِي مَعَادِهِمْ مِنَ الوُصُولِ إِلَىٰ مَا وَعَدَ اللهُ عَلَيْهَا أَهْلَهَا**، وَلِمَا يَحْذَرُونَ بِتَضْيِيعِهَا مَا أَوْعَدَ مُضَيِّعَهَا، فَأَمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحْبَارَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الآيَاتِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ مُقِيمِيهَا الرَّاجِينَ ثَوَابَهَا إِذَا كَانُوا أَهْلَ يَقِينٍ بِأَنَّهُمْ إِلَىٰ اللهِ رَاجِعُونَ، وَإِيَّاهُ فِي الْقِيَامَةِ مُلَاقُونَ..

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝٤٦﴾ [البقرة: ٤٦] وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَىٰ الخَاشِعِينَ المُوقِنِينَ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، ثُمَّ اخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِ (الرُّجُوعِ).. **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**، بِمَا قَالَ أبو العَالِيَةِ: (يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ).. **وَقَالَ آخَرُونَ**: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ بِمَوْتِهِمْ.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ بِالآيَةِ، القَوْلُ الَّذِي قَالَهُ أَبُو العَالِيَةِ ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، قَالَ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ نَشْرِهِمْ وَإِحْيَائِهِمْ مِنْ مَمَاتِهِمْ، وَذَلِكَ لَا شَكَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝٤٦﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البقرة: ٤٧]

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الآيَةِ نَظِيرُ تَأْوِيلِهِ فِي الَّتِي قَبْلَهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ هُنَالِكَ..

﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البقرة: ٤٧] وَهَذَا أَيْضًا مِمَّا ذَكَّرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ آلَائِهِ وَنِعَمِهِ عِنْدَهُمْ.. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾: أَنِّي فَضَّلْتُ أَسْلَافَكُمْ، **فَنَسَبَ نِعَمَهُ عَلَىٰ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ إِلَىٰ أَنَّهَا نِعَمٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانَتْ مَآثِرُ الآبَاءِ مَآثِرَ لِلأَبْنَاءِ، وَالنِّعَمُ عِنْدَ الآبَاءِ نِعَمًا عِنْدَ الأَبْنَاءِ**، لِكَوْنِ الأَبْنَاءِ مِنَ الآبَاءِ.. وَأَخْرَجَ جَلَّ ذِكْرُهُ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ **مَخْرَجَ العُمُومِ، وَهُوَ يُرِيدُ بِهِ خُصُوصًا**؛ لِأَنَّ المَعْنَىٰ: وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ عَالَمِ مَنْ كُنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِ وَفِي زَمَانِهِ، كَالَّذِي قَالَ قَتَادَةُ: (فَضَّلَهُمْ عَلَىٰ عَالَمِ ذَلِكَ الزَّمَانِ)، وقَالَ أَبُو العَالِيَةِ: (﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ بِمَا أُعْطُوا مِنَ المُلْكِ وَالرُّسُلِ وَالكُتُبِ، عَلَىٰ عَالَمِ مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمًا)، وقَالَ مُجَاهِدٌ: (عَلَىٰ مَنْ هُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ)، وقَالَ: ابْنُ وَهْبٍ: سَأَلْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾، قَالَ: (عَالَمُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٢﴾ [الدُّخَانِ: ٣٢] قَالَ: هَذِهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمُ القِرَدَةُ، وَهُمْ أَبْغَضُ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، وَقَالَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٠] قَالَ: هَذِهِ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ).. وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ عَلَىٰ الخُصُوصِ الَّذِي وَصَفْنَا مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّكُمْ وَفَّيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا، وأَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ»، فَقَدْ أَنْبَأَ هَذَا الخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ بَنِي

إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُونُوا مُفَضَّلِينَ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الجاثية: ١٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا مِنْ تَأْوِيلِهِ، وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَىٰ بَيَانِ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: (العَالَمِينَ) بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨]

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ وَاتَّقُوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، وَجَائِزٌ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ: وَاتَّقُوْا يَوْمًا لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، فَحُذِفَتْ (الهَاءُ) الرَّاجِعَةُ عَلَىٰ (اليَوْمِ)، إِذْ فِيهِ اجْتِزَاءٌ بِمَا ظَهَرَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ الدَّالِّ عَلَىٰ المَحْذُوفِ مِنْهُ عَمَّا حُذِفَ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا مَعْنَاهُ.. وَأَمَّا المَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ فَإِنَّهُ تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ، عُقُوبَتَهُ أَنْ تَحُلَّ بِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، وَلَا يَجْزِي فِيهِ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا.. **وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ:** ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ **فَإِنَّهُ يَعْنِي: لَا تُغْنِي.. وَأَصْلُ (الجَزَاءِ) فِي كَلَامِ العَرَبِ: القَضَاءُ وَالتَّعْوِيضُ،** يُقَالُ: جَزَيْتُهُ قَرْضَهُ وَدَيْنَهُ أَجْزِيهِ جَزَاءً، بِمَعْنَىٰ: قَضَيْتُهُ دَيْنَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: جَزَىٰ اللهُ فُلَانًا عَنِّي خَيْرًا أَوْ شَرًّا، بِمَعْنَىٰ: أَثَابَهُ عَنِّي وَقَضَاهُ عَنِّي مَا لَزِمَنِي لَهُ بِفِعْلِهِ الَّذِي سَلَفَ مِنْهُ إِلَيَّ.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ:** وَمَا مَعْنَىٰ لَا تَقْضِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ، وَلَا تُغْنِي عَنْهَا غِنًىٰ؟ **قِيلَ:** هُوَ أَنَّ أَحَدَنَا اليَوْمَ رُبَّمَا قَضَىٰ عَنْ وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِهِ أَوْ ذِي الصَّدَاقَةِ وَالقَرَابَةِ دَيْنَهُ، وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَإِنَّهُ فِيمَا أَتَتْنَا بِهِ الأَخْبَارُ عَنْهَا، يَسُرُّ الرَّجُلَ أَنْ يَبْرُدَ لَهُ عَلَىٰ وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِهِ حَقٌّ، **وَذَلِكَ أَنَّ قَضَاءَ الحُقُوقِ فِي القِيَامَةِ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،** كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذُوا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ»، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ يَعْنِي: أَنَّهَا لَا تَقْضِي عَنْهَا شَيْئًا لَزِمَهَا لِغَيْرِهَا؛ لِأَنَّ القَضَاءَ هُنَالِكَ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا، وَكَيْفَ يَقْضِي عَنْ غَيْرِهِ مَا لَزِمَهُ مَنْ كَانَ يَسُرُّهُ أَنْ يَثْبُتَ لَهُ عَلَىٰ وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِهِ حَقٌّ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَلَا يَتَجَافَىٰ لَهُ عَنْهُ..

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ الشَّفَاعَةُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الرَّجُلِ: شَفَعَ لِي فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ شَفَاعَةً، وَهُوَ طَلَبُهُ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلشَّفِيعِ شَفِيعٌ وَشَافِعٌ؛ لِأَنَّهُ ثَنَّىٰ المُسْتَشْفَعَ بِهِ، فَصَارَ بِهِ شَفْعًا فَكَانَ ذُو الحَاجَةِ -قَبْلَ اسْتِشْفَاعِهِ بِهِ فِي حَاجَتِهِ- فَرْدًا، فَصَارَ صَاحِبُهُ لَهُ فِيهَا شَافِعًا، وَطَلَبُهُ فِيهِ وَفِي

حَاجَتِهِ شَفَاعَةً، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الشَّفِيعُ فِي الدَّارِ وَفِي الأَرْضِ (شَفِيعًا) لِمَصِيرِ البَائِعِ بِهِ شَفْعًا، فَتَأْوِيلُ الآيَةِ إِذًا: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَقْضِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ حَقًّا لَزِمَهَا للهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَلَا لِغَيْرِهِ، **وَلَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهَا شَفَاعَةَ شَافِعٍ**، فَيَتْرُكَ لَهَا مَا لَزِمَهَا مِنْ حَقٍّ.. وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ **خَاطَبَ أَهْلَ هَذِهِ الآيَةِ بِمَا خَاطَبَهُمْ بِهِ فِيهَا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وَأَوْلَادُ أَنْبِيَائِهِ،** وَسَيَشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ آبَاؤُنَا، فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّ نَفْسًا لَا تَجْزِي عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا فِي القِيَامَةِ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةُ أَحَدٍ فِيهَا حَتَّىٰ يُسْتَوْفَىٰ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ مِنْهَا حَقُّهُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الجَمَّاءَ لَتَقْتَصُّ مِنَ القَرْنَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا**﴾ [الأنبياء: ٤٧]»، فَآيَسَهُمُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ مِمَّا كَانُوا أَطْمَعُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ - مَعَ تَكْذِيبِهِمْ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ وَخِلَافِهِمْ أَمْرَ اللهِ فِي اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ- بِشَفَاعَةِ آبَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ؛ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعِهِمْ عِنْدَهُ إِلَّا التَّوْبَةَ إِلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَالإِنَابَةَ مِنْ ضَلَالِهِمْ، وَجَعَلَ مَا سَنَّ فِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ إِمَامًا لِكُلِّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مِنْهَاجِهِمْ لِئَلَّا يَطْمَعَ ذُو إِلْحَادٍ فِي رَحْمَةِ اللهِ.. **وَهَذِهِ الآيَةُ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهَا عَامًّا فِي التِّلَاوَةِ، فَإِنَّ المُرَادَ بِهَا خَاصٌّ فِي التَّأْوِيلِ** لِتَظَاهُرِ الأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، وَأَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ دَعْوَةً، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»، فَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ يَصْفَحُ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ -بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لَهُمْ- عَنْ كَثِيرٍ مِنْ عُقُوبَةِ إِجْرَامِهِمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ**﴾ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ مَاتَ عَلَىٰ كُفْرِهِ غَيْرَ تَائِبٍ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ الإِطَالَةِ فِي القَوْلِ فِي الشَّفَاعَةِ وَالوَعْدِ وَالوَعِيدِ، فَنَسْتَقْصِي الحِجَاجَ فِي ذَلِكَ، وَسَنَأْتِي عَلَىٰ مَا فِيهِ الكِفَايَةُ فِي مَوَاضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ..

﴿**وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ**﴾ العَدْلُ فِي كَلَامِ العَرَبِ -بِفَتْحِ العَيْنِ- الفِدْيَةُ، كَمَا قَالَ أَبو العَالِيَةِ، ورُوِي عَنِ السُّدِّيِّ: (لَوْ جَاءَتْ بِمِلْءِ الأَرْضِ ذَهَبًا تَفْتَدِي بِهِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهَا)، وقال قَتَادَةُ: (لَوْ جَاءَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يُقْبَل مِنْهَا)، ورُوِي عَنِ ابْنُ عَبَّاسٍ: (﴿**وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ**﴾ بَدَلٌ، وَالبَدَلُ: الفِدْيَةُ)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَوْ أَنَّ لَهَا مِلءَ الأَرْضِ ذَهَبًا لَمْ يُقْبَل مِنْهَا فِدَاءٌ قَالَ: وَلَوْ جَاءَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يُقْبَل مِنْهَا).. **وَإِنَّمَا قِيلَ لِلفِدْيَةِ مِنَ الشَّيْءِ وَالبَدَلِ مِنْهُ (عَدْلٌ)، لِمُعَادَلَتِهِ إِيَّاهُ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ ؛ وَمَصِيرِهِ لَهُ مَثَلًا مِنْ وَجْهِ الجَزَاءِ، لَا مِنْ وَجْهِ المُشَابَهَةِ فِي الصُّورَةِ وَالخِلقَةِ**، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿**وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ**﴾ [الأنعام: ٧٠] بِمَعْنَىٰ: وَإِنْ تَفْدِ كُلَّ فِدْيَةٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا، يُقَالُ مِنْهُ: هَذَا عَدْلُهُ وَعَدِيلُهُ، وَأَمَّا (العِدْلُ) بِكَسْرِ العَيْنِ، فَهُوَ مِثْلُ الحِمْلِ المَحْمُولِ عَلَىٰ الظَّهْرِ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: (عِنْدِي غُلَامٌ عِدْلُ غُلَامِكَ، وَشَاةٌ عِدْلُ شَاتِكَ) بِكَسْرِ العَيْنِ، إِذَا كَانَ

غُلَامٌ يَعْدِلُ غُلَامًا، وَشَاةٌ تَعْدِلُ شَاةً، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَثَلٍ لِلشَّيْءِ مِنْ جِنْسِهِ، فَإِذَا أُرِيدَ أَنَّ عِنْدَهُ قِيمَتَهُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ نُصِبَتِ العَيْنُ فَقِيلَ: عِنْدِي عَدْلُ شَاتِكَ مِنَ الدَّرَاهِمِ..

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾ [البقرة: ٤٨] يَعْنِي أَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَا يَنْصُرُهُمْ نَاصِرٌ، كَمَا لَا يَشْفَعُ لَهُمْ شَافِعٌ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عَدْلٌ وَلَا فِدْيَةٌ، **بَطَلَتْ هُنَالِكَ المُحَابَاةُ وَاضْمَحَلَّتِ الرُّشَىٰ وَالشَّفَاعَاتُ، وَارْتَفَعَ بَيْنَ القَوْمِ التَّعَاوُنُ وَالتَّنَاصُرُ**، وَصَارَ الحُكْمُ إِلَىٰ العَدْلِ الجَبَّارِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ لَدَيْهِ الشُّفَعَاءُ وَالنُّصَرَاءُ، فَيَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَبِالحَسَنَةِ أَضْعَافَهَا، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦﴾ [الصَّافَّاتِ: ٢٤ - ٢٦].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾ [البقرة: ٤٩]

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ عُطِفَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾، فَكَأَنَّهُ قَالَ: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، وَاذْكُرُوا إِنْعَامَنَا عَلَيْكُمْ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ بِإِنْجَائِنَاكُمْ مِنْهُمْ.. **وَأَمَّا آلُ فِرْعَوْنَ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ دِينِهِ وَقَوْمُهُ وَأَشْيَاعُهُ.. وَأَصْلُ (آلِ) أَهْلُ**، أُبْدِلَتِ الهَاءُ هَمْزَةً.. **وَأَحْسَنُ أَمَاكِنِ (آلِ) أَنْ يُنْطَقَ بِهِ مَعَ الأَسْمَاءِ المَشْهُورَةِ**، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: آلُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَآلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَبَّاسٍ، وَآلُ عَقِيلٍ، **وَغَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ المَجْهُولِ، وَفِي أَسْمَاءِ الأَرْضِينَ** وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ غَيْرُ حَسَنٍ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بِلِسَانِ العَرَبِ أَنْ يُقَالَ: رَأَيْتُ آلَ الرَّجُلِ، وَرَآنِي آلُ المَرْأَةِ، وَلَا: رَأَيْتُ آلَ البَصْرَةِ، وَآلَ الكُوفَةِ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ العَرَبِ سَمَاعًا أَنَّهَا تَقُولُ: رَأَيْتُ آلَ مَكَّةَ وَآلَ المَدِينَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ بِالفَاشِي المُسْتَعْمَلِ.. وَأَمَّا **(فِرْعَوْنُ) فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ اسْمٌ كَانَتْ مُلُوكُ العَمَالِقَةِ بِمِصْرَ تُسَمَّىٰ بِهِ**، كَمَا كَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ يُسَمَّىٰ بَعْضُهُمْ (قَيْصَرُ)، وَبَعْضُهُمْ (هِرَقْلُ)، وَكَمَا كَانَتْ مُلُوكُ فَارِسٍ تُسَمَّىٰ (الأَكَاسِرَةُ) وَاحِدُهُمْ (كِسْرَىٰ)، وَمُلُوكُ اليَمَنِ تُسَمَّىٰ (التَّبَابِعَةُ)، وَاحِدُهُمْ (تُبَّعٌ).. **وَأَمَّا (فِرْعَوْنُ مُوسَىٰ)** الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ نَجَّاهُمْ مِنْهُ **فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ اسْمَهُ الوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ الرَّيَّانِ**.. وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، وَالخِطَابُ بِهِ لِمَنْ لَمْ يُدْرِكْ فِرْعَوْنَ وَلَا المُنَجَّيْنَ مِنْهُ، لِأَنَّ المُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ كَانُوا أَبْنَاءَ مَنْ نَجَّاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، **فَأَضَافَ مَا كَانَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَىٰ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ**، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ آبَائِهِمْ عَلَىٰ وَجْهِ الإِضَافَةِ، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ لِآخَرَ: فَعَلْنَا بِكُمْ كَذَا، وَفَعَلْنَا بِكُمْ كَذَا، وَقَتَلْنَاكُمْ وَسَبَيْنَاكُمْ، وَالمُخْبِرُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ يَعْنِي قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ بِذَلِكَ، أَوْ أَهْلَ بَلَدِهِ وَوَطَنِهِ، كَانَ المَقُولُ لَهُ ذَلِكَ أَدْرَكَ مَا فُعِلَ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يُدْرِكْهُ، **فَكَذَلِكَ** خِطَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ

خَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ لمَّا كَانَ فِعْلُهُ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِقَوْمِ مَنْ خَاطَبَهُ بِالآيَةِ وَآبَائِهِمْ، أَضَافَ فِعلَهُ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ بِآبَائِهِمْ إِلَىٰ المُخَاطَبِينَ بِالآيَةِ وَقَوْمِهِمْ..

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: (يَسُومُونَكُمْ) وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ، **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ خَبَرًا مُسْتَأْنَفًا عَنْ فِعْلِ فِرْعَوْنَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ حِينَئِذٍ: وَاذْكُرُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ إِذْ نَجَّيْتُكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ تَأْوِيلَهُ كَانَ مَوْضِعُ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ رَفعًا.. **وَالوَجْهُ الثَّانِي**: أَنْ يَكُونَ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ **حَالًا**، فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ سَائِمِيكُمْ سُوءَ العَذَابِ، فَيَكُونُ حَالًا مَنْ آلِ فِرْعَوْنَ.. **وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ**: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ **فَإِنَّهُ: يُورِدُونكُمْ، وَيُذِيقُونكُمْ، وَيُوَلُّونكُمْ**، يُقَالُ مِنْهُ: سَامَهُ خُطَّةَ ضَيْمٍ، إِذَا أَوْلَاهُ ذَلِكَ وَأَذَاقَهُ.. **فَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ**: ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ **فَإِنَّهُ يَعْنِي**: مَا سَاءَهُمْ مِنَ العَذَابِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: أَشَدَّ العَذَابِ؛ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ لَقِيلَ: أَسْوَأَ العَذَابِ.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: وَمَا ذَلِكَ العَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَسُومُونَهُمُ الَّذِي كَانَ يَسُوؤُهُمْ؟ **قِيلَ**: هُوَ مَا وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾..

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ **أَضَافَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا كَانَ مِنْ فِعْلِ آلِ فِرْعَوْنَ** بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سَوْمِهِمْ إِيَّاهُمْ سُوءَ العَذَابِ، وَذَبْحِهِمْ أَبْنَاءَهُمْ، وَاسْتِحْيَائِهِمْ نِسَاءَهُمْ **إِلَيْهِمْ، دُونَ فِرْعَوْنَ** -وَإِنْ كَانَ فِعْلُهُمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ كَانَ بِقُوَّةِ فِرْعَوْنَ، وَعَنْ أَمْرِهِ- **لِمُبَاشَرَتِهِمْ ذَلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ**، فَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ **كُلَّ مُبَاشِرٍ قَتْلَ نَفْسٍ أَوْ تَعْذِيبَ حَيٍّ بِنَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ أَمْرِ غَيْرِهِ، فَفَاعِلُهُ المُتَوَلِّي ذَلِكَ هُوَ المُسْتَحِقُّ إِضَافَةَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الآمِرُ قَاهِرًا الفَاعِلَ المَأْمُورَ** بِذَلِكَ، سُلْطَانًا كَانَ الآمِرُ، أَوْ لِصًّا خَارِبًا، أَوْ مُتَغَلِّبًا فَاجِرًا، كَمَا أَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَبْحَ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِحْيَاءَ نِسَائِهِمْ إِلَىٰ آلِ فِرْعَوْنَ دُونَ فِرْعَوْنَ، وَإِنْ كَانُوا بِقُوَّةِ فِرْعَوْنَ وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، فَعَلُوا مَا فَعَلُوا، مَعَ غَلَبَتِهِ إِيَّاهُمْ وَقَهْرِهِ لَهُمْ، فَكَذَلِكَ كُلُّ قَاتِلٍ نَفْسًا بِأَمْرِ غَيْرِهِ ظُلْمًا، فَهُوَ المَقْتُولُ عِنْدَنَا بِهِ قِصَاصًا، وَإِنْ كَانَ قَتْلُهُ إِيَّاهَا بِإِكْرَاهِ غَيْرِهِ لَهُ عَلَىٰ قَتْلِهِ.. **وَأَمَّا تَأْوِيلُ ذَبْحِهِمْ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاسْتِحْيَائِهِمْ نِسَاءَهُمْ**، فَإِنَّهُ كَانَ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ: (تَذَاكَرَ فِرْعَوْنُ وَجُلَسَاؤُهُ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا وَائْتَمَرُوا، وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رِجَالًا مَعَهُمُ الشِّفَارُ يَطُوفُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْلُودًا ذَكَرًا إِلَّا ذَبَحُوهُ، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الكِبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمُوتُونَ بِآجَالِهِمْ، وَأَنَّ الصِّغَارَ يُذْبَحُونَ، قَالَ: تُوشِكُونَ أَنْ تُفْنُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَتَصِيرُوا إِلَىٰ أَنْ تُبَاشِرُوا مِنَ الأَعْمَالِ وَالخِدْمَةِ مَا كَانُوا

يَكْفُونَكُمْ، فَاقْتُلُوا عَامًا كُلَّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ فَتَقِلَّ أَبْنَاؤُهُمْ، وَدَعُوا عَامًا، فَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَىٰ بِهَارُونَ فِي العَامِ الَّذِي لَا يُذْبَحُ فِيهِ الغِلْمَانُ، فَوَلَدَتْهُ عَلَانِيَةً آمِنَةً، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ القَابِلُ حَمَلَتْ بِمُوسَىٰ)، وقالَ أَبُو العَالِيَةِ: (إِنَّ فِرْعَوْنَ مَلَكَهُمْ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ، فَقَالَتِ الكَهَنَةُ: إِنَّهُ سَيُولَدُ العَامَ بِمِصْرَ غُلَامٌ يَكُونُ هَلَاكُكَ عَلَىٰ يَدَيْهِ، فَبَعَثَ فِي أَهْلِ مِصْرَ نِسَاءً قَوَابِلَ فَإِذَا وَلَدَتِ امْرَأَةٌ غُلَامًا أُتِيَ بِهِ فِرْعَوْنُ فَقَتَلَهُ، وَيَسْتَحْيِي الجَوَارِيَ).. **فَالَّذِي قَالَهُ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ** مِنْ أَهْلِ العِلمِ كَانَ ذَبْحَ آلِ فِرْعَوْنَ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِحْيَاؤُهُمْ نِسَاءَهُمْ، **فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ إِذًا** عَلَىٰ مَا تَأَوَّلَهُ الَّذِينَ ذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، يَسْتَبْقُونَهُنَّ فَلَا يَقْتُلُونَهُنَّ.. **وَقَدْ يَجِبُ عَلَىٰ تَأْوِيلِ مَنْ قَالَ بِالقَوْلِ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي العَالِيَةِ** فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، أَنَّهُ تَرْكُهُمُ الإِنَاثَ مِنَ القَتْلِ عِنْدَ وِلَادَتِهِنَّ إِيَّاهُنَّ، **أَنْ يَكُونَ جَائِزًا أَنْ يُسَمَّىٰ الطِّفْلُ مِنَ الإِنَاثِ فِي حَالِ صِبَاهَا وَبَعْدَ وِلَادِهَا (امْرَأَةً)، وَالصَّبَايَا الصِّغَارُ وَهُنَّ أَطْفَالٌ: (نِسَاءً)؛** لِأَنَّهُمْ تَأَوَّلُوا قَوْلَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، يَسْتَبْقُونَ الإِنَاثَ مِنَ الوِلْدَانِ عِنْدَ الوِلَادَةِ فَلَا يَقْتُلُونَهُنَّ..

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾ [البقرة: ٤٩] يَعْنِي: وَفِي الَّذِي فَعَلْنَا بِكُمْ مِنْ إِنْجَائِنَاكُمْ -مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ إِيَّاكُمْ، عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ- بَلَاءٌ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ.. **وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ (بَلَاءٌ): نِعْمَةٌ**، كَمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، والسُّدِّيِّ، وقاله مُجَاهِدٌ.. **وَأَصْلُ (البَلَاءِ) فِي كَلَامِ العَرَبِ الاخْتِبَارُ وَالامْتِحَانُ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ**، لِأَنَّ الامْتِحَانَ وَالاخْتِبَارَ قَدْ يَكُونُ بِالخَيْرِ كَمَا يَكُونُ بِالشَّرِّ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٦٨﴾ [الأَعْرَافِ: ١٦٨]، يَقُولُ: اخْتَبَرْنَاهُمْ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأَنْبِيَاءِ: ٣٥]، ثُمَّ تُسَمِّي العَرَبُ الخَيْرَ (بَلَاءً)، وَالشَّرَّ (بَلَاءً)، غَيْرَ أَنَّ الأَكْثَرَ فِي الشَّرِّ أَنْ يُقَالَ: (بَلَوْتُهُ أَبْلُوهُ بَلَاءً)، وَفِي الخَيْرِ: (أَبْلَيْتُهُ أُبْلِيهِ إِبْلَاءً وَبَلَاءً).

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ [البقرة: ٥٠]

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾، بِمَعْنَىٰ: وَاذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَاذْكُرُوا إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ.. وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ﴾: فَصَلْنَا بِكُمُ البَحْرَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا، فَفَرَقَ البَحْرَ اثْنَيْ عَشَرَ طَرِيقًا، فَسَلَكَ كُلُّ سِبْطٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا مِنْهَا، فَذَلِكَ فَرْقُ اللهِ بِهِمْ عَزَّوَجَلَّ البَحْرَ، وَفَصْلُهُ بِهِمْ، بِتَفْرِيقِهِمْ فِي طُرُقِهِ الاثْنَيْ عَشَرَ، كَمَا رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: (لَمَّا أَتَىٰ مُوسَىٰ البَحْرَ كَنَّاهُ (أَبَا خَالِدٍ)، وَضَرَبَهُ فَانْفَلَقَ، فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ، فَدَخَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ فِي البَحْرِ اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا فِي كُلِّ

طَرِيقٍ سِبْطٌ).. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي البَصْرَةِ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾، فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ المَاءِ، يُرِيدُ بِذَلِكَ: فَصَلنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، وَحَجَزْنَاهُ حَيْثُ مَرَرْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ خِلَافُ مَا فِي ظَاهِرِ التِّلَاوَةِ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ فَرَقَ البَحْرَ بِالقَوْمِ، وَلَمْ يُخْبِرْ أَنَّهُ فَرَقَ بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ البَحْرِ، فَيَكُونُ التَّأْوِيلُ مَا قَالَهُ قَائِلُو هَذِهِ المَقَالَةِ، وَفَرْقُهُ البَحْرَ بِالقَوْمِ، إِنَّمَا هُوَ تَفْرِيقُهُ البَحْرَ بِهِمْ، عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا مِنِ افْتِرَاقِ سَبِيلِهِ بِهِمْ، عَلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الآثَارُ..

﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قال عَمْرو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ: (لَمَّا خَرَجَ مُوسَىٰ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، بَلَغَ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ فَقَالَ: لَا تَتْبَعُوهُمْ حَتَّىٰ يَصِيحَ الدِّيكُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا صَاحَ لَيْلَتَئِذٍ دِيكٌ حَتَّىٰ أَصْبَحُوا، فَدَعَا بِشَاةٍ فَذُبِحَتْ، ثُمَّ قَالَ: لَا أَفْرَغُ مِنْ كَبِدِهَا حَتَّىٰ يَجْتَمِعَ إِلَيَّ سِتُّمِائَةِ أَلفٍ مِنَ القِبْطِ، فَلَمْ يَفْرَغْ مِنْ كَبِدِهَا حَتَّىٰ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ سِتُّمِائَةِ أَلفٍ مِنَ القِبْطِ، ثُمَّ سَارَ، فَلَمَّا أَتَىٰ مُوسَىٰ البَحْرَ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ: أَيْنَ أَمَرَكَ رَبُّكَ يَا مُوسَىٰ؟ قَالَ: أَمَامَكَ، يُشِيرُ إِلَىٰ البَحْرِ، فَأَقْحَمَ يُوشَعُ فَرَسَهُ فِي البَحْرِ حَتَّىٰ بَلَغَ الغَمْرَ، فَذَهَبَ بِهِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: أَيْنَ أَمَرَكَ رَبُّكَ يَا مُوسَىٰ؟ فَوَاللهِ مَا كَذَبْتَ وَلَا كُذِّبْتَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَوْحَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٦٣] - يَقُولُ: مِثْلَ جَبَلٍ - قَالَ: ثُمَّ سَارَ مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ وَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ فِي طَرِيقِهِمْ، حَتَّىٰ إِذَا تَتَامُّوا فِيهِ أَطْبَقَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾) قَالَ مَعْمَرٌ، قَالَ قَتَادَةُ: (كَانَ مَعَ مُوسَىٰ سِتُّمِائَةُ أَلفٍ، وَأَتْبَعَهُ فِرْعَوْنُ عَلَىٰ أَلفِ أَلفٍ وَمِائَةِ أَلفِ حِصَانٍ).. وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَمَّا أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ الأَرْضَ إِلَىٰ البَحْرِ، قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: قُولُوا لَهُمْ يَدْخُلُونَ البَحْرَ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَصْحَابُ مُوسَىٰ قَالُوا: إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ: كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ، فَقَالَ مُوسَىٰ لِلبَحْرِ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: وَتَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَ بِهِمْ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: أَتَعْلَمُ أَنَّ هَذَا عَدُوُّ اللهِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَافْرُقْ لِي طَرِيقًا وَلِمَنْ مَعِي، قَالَ: يَا مُوسَىٰ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، لَيْسَ لِي أَمْرٌ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَنِي اللهُ تَعَالَىٰ، فَأَوْحَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ البَحْرِ: إِذَا ضَرَبَكَ مُوسَىٰ بِعَصَاهُ فَانْفَرِقْ، وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ يَضْرِبَ البَحْرَ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طَه: ٧٧]، وَقَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدُّخَانِ: ٢٤] - سَهْلًا لَيْسَ فِيهِ نُقَرٌ - فَانْفَرَقَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً، فَسَلَكَ كُلُّ سِبْطٍ فِي طَرِيقٍ، قَالَ: فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: إِنَّهُمْ قَدْ دَخَلُوا البَحْرَ، قَالَ: ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَجِبْرِيلُ فِي آخِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ لَهُمْ: لِيَلحَقْ آخِرُكُمْ أَوَّلَكُمْ، وَفِي أَوَّلِ آلِ فِرْعَوْنَ يَقُولُ لَهُمْ:

رُوَيْدًا يَلحَقُ آخِرُكُم أَوَّلَكُمْ، فَجَعَلَ كُلُّ سِبْطٍ فِي البَحْرِ يَقُولُونَ لِلسِّبْطِ الَّذِينَ دَخَلُوا قَبْلَهُمْ: قَدْ هَلَكُوا، فَلَمَّا دَخَلَ ذَلِكَ قُلُوبَهُمْ أَوْحَىٰ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ إِلَىٰ البَحْرِ فَجُعِلَ لَهُمْ قَنَاطِرَ، يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا خَرَجَ آخِرُ هَؤُلَاءِ وَدَخَلَ آخَرُ هَؤُلَاءِ أَمَرَ اللهُ البَحْرَ فَأَطْبَقَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ)..

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٠] أَيْ تَنْظُرُونَ إِلَىٰ فَرْقِ اللهِ لَكُمُ البَحْرَ، وَإِهْلَاكِهِ آلَ فِرْعَوْنَ فِي المَوْضِعِ الَّذِي نَجَّاكُمْ فِيهِ، وَإِلَىٰ عَظِيمِ سُلطَانِهِ فِي الَّذِي أَرَاكُمْ مِنْ طَاعَةِ البَحْرِ إِيَّاهُ، مِنْ مَصِيرِهِ رُكَامًا فِلَقًا كَهَيْئَةِ الأَطْوَادِ الشَّامِخَةِ، غَيْرَ زَائِلٍ عَنْ حَدِّهِ، انْقِيَادًا لِأَمْرِ اللهِ وَإِذْعَانًا لِطَاعَتِهِ، وَهُوَ سَائِلٌ ذَائِبٌ قَبْلَ ذَلِكَ، يُوقِفُهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، وَيُذَكِّرُهُمْ آلَاءَهُ عِنْدَ أَوَائِلِهِمْ، وَيُحَذِّرُهُمْ -فِي تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ- أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِفِرْعَوْنَ وَآلِهِ، فِي تَكْذِيبِهِمْ مُوسَىٰ ﷺ.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥١]

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ اخْتَلَفَتِ القَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ: فَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ بِمَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَاعَدَ مُوسَىٰ مُوَافَاةَ الطُّورِ لِمُنَاجَاتِهِ، فَكَانَتِ المُوَاعَدَةُ مِنَ اللهِ لِمُوسَىٰ، وَمِنْ مُوسَىٰ لِرَبِّهِ، وَكَانَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَىٰ اخْتِيَارِهِمْ قِرَاءَةَ ﴿وَٰعَدْنَا﴾ عَلَىٰ (وَعَدْنَا) أَنْ قَالُوا: كُلُّ اتِّعَادٍ كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ لِلِالتِقَاءِ وَالِاجْتِمَاعِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُوَاعِدٌ صَاحِبَهُ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ -زَعَمُوا- وَجَبَ أَنْ يُقْضَىٰ لِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿وَٰعَدْنَا﴾ بِالِاخْتِيَارِ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ (وَعَدْنَا).. وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: (وَعَدْنَا) بِمَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ الوَاعِدُ وَالمُنْفَرِدُ بِالوَعْدِ دُونَهُ، وَكَانَ مِنْ حُجَّتِهِمْ فِي اخْتِيَارِهِمْ ذَلِكَ أَنْ قَالُوا: إِنَّمَا تَكُونُ المُوَاعَدَةُ بَيْنَ البَشَرِ، فَأَمَّا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَإِنَّهُ المُنْفَرِدُ بِالوَعْدِ وَالوَعِيدِ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَالُوا: وَبِذَلِكَ جَاءَ التَّنْزِيلُ فِي القُرْآنِ كُلِّهِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وَقَالَ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]. قَالُوا: فَكَذَلِكَ الوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ المُنْفَرِدُ بِالوَعْدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾.. وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ القَوْلِ: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ قَدْ جَاءَتْ بِهِمَا الأُمَّةُ وَقَرَأَتْ بِهِمَا القَرَأَةُ، وَلَيْسَ فِي القِرَاءَةِ بِإِحْدَاهُمَا إِبْطَالُ مَعْنَىٰ الأُخْرَىٰ.. وَإِنْ كَانَ فِي إِحْدَاهُمَا زِيَادَةُ مَعْنًىٰ عَلَىٰ الأُخْرَىٰ مِنْ جِهَةِ الظَّاهِرِ وَالتِّلَاوَةِ: فَأَمَّا مِنْ جِهَةِ المَفْهُومِ بِهِمَا فَهُمَا مُتَّفِقَتَانِ، وَذَلِكَ: أَنَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ شَخْصٍ أَنَّهُ وَعَدَ غَيْرَهُ اللِّقَاءَ بِمَوْضِعٍ مِنَ المَوَاضِعِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ المَوْعُودَ ذَلِكَ وَاعِدٌ صَاحِبَهُ مِنْ لِقَائِهِ بِذَلِكَ المَكَانِ، مِثْلَ الَّذِي وَعَدَهُ مِنْ ذَلِكَ صَاحِبُهُ، إِذَا كَانَ وَعْدُهُ مَا وَعَدَهُ إِيَّاهُ مِنْ ذَلِكَ عَنِ اتِّفَاقٍ مِنْهُمَا عَلَيْهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لَمْ يَعِدْهُ رَبُّهُ الطُّورَ إِلَّا عَنْ رِضَا مُوسَىٰ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ مُوسَىٰ غَيْرَ مَشْكُوكٍ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ بِكُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ رَاضِيًا، وَإِلَىٰ مَحَبَّتِهِ فِيهِ مُسَارِعًا، وَمَعْقُولٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَعِدْ مُوسَىٰ

ذَلِكَ، إِلَّا وَمُوسَىٰ إِلَيْهِ مُسْتَجِيبٌ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ كَانَ وَعَدَ مُوسَىٰ الطُّوْرَ، وَوَعَدَهُ مُوسَىٰ اللِّقَاءَ، فَكَانَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِمُوسَىٰ وَاعِدًا مُوَاعِدًا لَهُ المُنَاجَاةَ عَلَىٰ الطُّوْرِ، وَكَانَ مُوسَىٰ وَاعِدًا لِرَبِّهِ مُوَاعِدًا لَهُ اللِّقَاءَ.. فَبِأَيِّ القِرَاءَتَيْنِ مِنْ (وَعَدَ) و(وَاعَدَ) قَرَأَ القَارِئُ، فَهُوَ لِلحَقِّ فِي ذَلِكَ - مِنْ جِهَةِ التَّأْوِيلِ وَاللُّغَةِ - مُصِيبٌ، لِمَا وَصَفْنَا مِنَ العِلَلِ قَبْلُ..

وَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ القَائِلِ: إِنَّمَا تَكُونُ المُوَاعَدَةُ بَيْنَ البَشَرِ، وَأَنَّ اللهَ بِالوَعْدِ وَالوَعِيدِ مُنْفَرِدٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَذَلِكَ: أَنَّ انْفِرَادَ اللهِ بِالوَعْدِ وَالوَعِيدِ فِي الثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَالخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالنَّفْعِ وَالضُّرِّ -الَّذِي هُوَ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ دُونَ سَائِرِ خَلقِهِ- لَا يُحِيلُ الكَلَامُ الجَارِي بَيْنَ النَّاسِ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ عَنْ وُجُوهِهِ، وَلَا يُغَيِّرُهُ عَنْ مَعَانِيهِ، وَالجَارِي بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الكَلَامِ المَفْهُومِ مَا وَصَفْنَا، مِنْ أَنَّ كُلَّ اتِّعَادٍ كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، فَهُوَ وَعْدٌ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَمُوَاعَدَةٌ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاعَدَ صَاحِبَهُ مُوَاعِدٌ، وَأَنَّ الوَعْدَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الِانْفِرَادُ مِنَ الوَاعِدِ دُونَ المَوْعُودِ، إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ بِمَعْنَىٰ (الوَعْدِ) الَّذِي هُوَ خِلَافُ (الوَعِيدِ)..

﴿مُوسَىٰ﴾ وَمُوسَىٰ - فِيمَا بَلَغَنَا - بِالقِبْطِيَّةِ كَلِمَتَانِ، يُعْنَىٰ بِهِمَا: مَاءٌ وَشَجَرٌ؛ فَـ (مُو)، هُوَ المَاءُ، و(شَا) هُوَ الشَّجَرُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ - فِيمَا بَلَغنَا-؛ لِأَنَّ أُمَّهُ لَمَّا جَعلَتْهُ فِي التَّابُوتِ - حِينَ خَافَتْ عَلَيْهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَلقَتْهُ فِي اليَمِّ، كَمَا أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهَا، وَقِيلَ: إِنَّ اليَمَّ الَّذِي أَلقَتْهُ فِيهِ هُوَ النِّيلُ- دَفَعَتْهُ أَمْوَاجُ اليَمِّ حَتَّىٰ أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ أَشْجَارٍ عِنْدَ بَيْتِ فِرْعَوْنَ، فَخَرَجَ جَوَارِي آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ يَغْتَسِلنَ، فَوَجَدْنَ التَّابُوتَ فَأَخَذْنَهُ، فَسُمِّيَ بِاسْمِ المَكَانِ الَّذِي أُصِيبَ فِيهِ، كَانَ ذَلِكَ بِمَكَانٍ فِيهِ مَاءٌ وَشَجَرٌ، فَقِيلَ: مُوسَىٰ، مَاءٌ وَشَجَرٌ..

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ **وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ:** وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بِتَمَامِهَا، فَالأَرْبَعُونَ لَيْلَةً كُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي المِيعَادِ..

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ فِي أَيَّامِ مُوَاعَدَةِ مُوسَىٰ العِجْلَ إِلَهًا، مِنْ بَعْدِ أَنْ فَارَقَكُمْ مُوسَىٰ مُتَوَجِّهًا إِلَىٰ المَوْعِدِ.. و(الهَاءُ) فِي قَوْلِهِ (مِنْ بَعْدِهِ) عَائِدَةٌ عَلَىٰ ذِكْرِ مُوسَىٰ..

فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ المُخَالِفِينَ نَبِيَّنَا ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، المُكَذِّبِينَ بِهِ المُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الآيَةِ، عَنْ فِعْلِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَخِلَافِهِمْ أَنْبِيَاءَهُمْ، مَعَ تَتَابُعِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَشُيُوعِ آلَائِهِ لَدَيْهِمْ، مُعَرِّفَهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ -مِنْ خِلَافِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَكْذِيبِهِمْ بِهِ، وَجُحُودِهِمْ لِرِسَالَتِهِ، مَعَ عِلمِهِمْ بِصِدْقِهِ- عَلَىٰ مِثْلِ مِنْهَاجِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، وَمُحَذِّرَهُمْ مِنْ نُزُولِ سَطْوَتِهِ بِهِمْ بِمُقَامِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ مَا نَزَلَ بِأَوَائِلِهِمُ المُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ، مِنَ المَسْخِ وَاللَّعْنِ

وَأَنْوَاعِ النَّقِمَاتِ.. وَكَانَ سَبَبُ اتِّخَاذِهِمُ العِجْلَ، مَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ: (حُلِيٌّ اسْتَعَارُوهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: أَخْرِجُوهُ فَتَطَهَّرُوا مِنْهُ وَأَحْرِقُوهُ. وَكَانَ السَّامِرِيُّ قَدْ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ فَطَرَحَهُ فِيهِ، فَانْسَبَكَ، فَكَانَ لَهُ كَالجَوْفِ تَهْوِي فِيهِ الرِّيَاحُ)..

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١﴾ [البقرة: ٥١] وَأَنْتُمْ وَاضِعُو العِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا؛ لِأَنَّ العِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا للهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعَبَدْتُمْ أَنْتُمُ العِجْلَ ظُلْمًا مِنْكُمْ، وَوَضْعًا لِلعِبَادَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَقَدْ دَلَّلْنَا -فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ مِمَّا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا- أَنَّ أَصْلَ كُلِّ ظُلْمٍ، وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾ [البقرة: ٥٢]

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ تَرَكْنَا مُعَاجَلَتَكُم بِالعُقُوبَةِ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ مِنْ بَعْدِ اتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ إِلَهًا، كَمَا أَبُو العَالِيَةِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾ [البقرة: ٥٢] لِتَشْكُرُونِي عَلَىٰ عَفْوِي عَنْكُمْ، إِذْ كَانَ العَفْوُ يُوجِبُ الشُّكْرَ عَلَىٰ أَهْلِ اللُّبِّ وَالعَقْلِ.. وَمَعْنَىٰ (لَعَلَّ) فِي هَذَا المَوْضِعِ مَعْنَىٰ (كَيْ).

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾ [البقرة: ٥٣]

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا إِذْ..

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ وَيَعْنِي بِـ (الكِتَابِ): التَّوْرَاةَ، وَبِـ (الفُرْقَانِ): الفَصْلَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، كَمَا قَالَ أَبُو العَالِيَةِ، ومجاهد، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (الفُرْقَانُ: جِمَاعُ اسْمِ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (أَمَّا الفُرْقَانُ فَذَلِكَ يَوْمُ بَدْرٍ، يَوْمَ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالقَضَاءُ الَّذِي فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، فَكَذَلِكَ أَعْطَىٰ اللهُ مُوسَىٰ الفُرْقَانَ، فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُمْ، وَسَلَّمَهُ وَأَنْجَاهُ، فَرَّقَ بَيْنَهُمْ بِالنَّصْرِ، فَكَمَا جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالمُشْرِكِينَ، فَكَذَلِكَ جَعَلَهُ بَيْنَ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ).. **وَأَوْلَىٰ هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ**، مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي العَالِيَةِ وَمُجَاهِدٍ، مِنْ أَنَّ الفُرْقَانَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ آتَاهُ مُوسَىٰ فِي هَذَا المَوْضِعِ، هُوَ الكِتَابُ الَّذِي فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَهُوَ نَعْتٌ لِلتَّوْرَاةِ وَصِفَةٌ لَهَا، فَيَكُونُ تَأْوِيلُ الآيَةِ حِينَئِذٍ: وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ الَّتِي كَتَبْنَاهَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ وَفَرَّقْنَا بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، فَيَكُونُ (الكِتَابُ) نَعْتًا لِلتَّوْرَاةِ أُقِيمَ مَقَامَهَا، اسْتِغْنَاءً بِهِ عَنْ ذِكْرِ التَّوْرَاةِ، ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهِ بِـ (الفُرْقَانِ)، إِذْ كَانَ مِنْ نَعْتِهَا.. **وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا التَّأْوِيلُ أَوْلَىٰ بِالآيَةِ، وَإِنْ كَانَ مُحْتَمِلًا غَيْرَهُ مِنَ**

التَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ (الكِتَابِ)، وَأَنَّ مَعْنَىٰ (الفُرْقَانِ) الفَصْلَ، فَإِلحَاقُهُ -إِذْ كَانَ كَذَلِكَ- بِصِفَةِ مَا وَلِيَهُ أَوْلَىٰ مِنْ إِلحَاقِهِ بِصِفَةِ مَا بَعُدَ مِنْهُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٣] نَظِيرُ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾، وَمَعْنَاهُ لِتَهْتَدُوا، كَأَنَّهُ قَالَ: وَاذْكُرُوا أَيْضًا إِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ لِتَهْتَدُوا بِهَا، وَتَتَّبِعُوا الحَقَّ الَّذِي فِيهَا، لِأَنِّي جَعَلْتُهَا كَذَلِكَ هُدًى لِمَنِ اهْتَدَىٰ بِهَا وَاتَّبَعَ مَا فِيهَا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾

[البقرة: ٥٤]

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ وَظُلْمُهُمْ إِيَّاهَا كَانَ فِعْلَهُمْ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ بِهَا، مِمَّا أَوْجَبَ لَهُمُ العُقُوبَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فَاعِلٍ فِعْلًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ العُقُوبَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ بِإِيجَابِهِ العُقُوبَةَ لَهَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَانَ الفِعْلُ الَّذِي فَعَلُوهُ فَظَلَمُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، هُوَ مَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ: مِنِ ارْتِدَادِهِمْ بِاتِّخَاذِهِمُ العِجْلَ رَبًّا بَعْدَ فِرَاقِ مُوسَىٰ إِيَّاهُمْ.. ثُمَّ أَمَرَهُمْ مُوسَىٰ بِالمُرَاجَعَةِ مِنْ ذَنْبِهِمْ، وَالإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ مِنْ رِدَّتِهِمْ، بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ. وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ تَوْبَتَهُمْ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي رَكِبُوهُ قَتْلُهُمْ أَنْفُسَهُمْ.. وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ (التَّوْبَةِ): الأَوْبَةُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ مِنْ طَاعَتِهِ.. فَاسْتَجَابَ القَوْمُ لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنَ التَّوْبَةِ مِمَّا رَكِبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، عَلَىٰ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي: (عَمَدُوا إِلَىٰ الخَنَاجِرِ، فَجَعَلَ يَطْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، وقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ: (قَامَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ بِالخَنَاجِرِ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَا يَحِنُّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَجُلٍ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ، حَتَّىٰ أَلْوَىٰ مُوسَىٰ بِثَوْبِهِ، فَطَرَحُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، فَتُكُشِّفَ عَنْ سَبْعِينَ أَلفِ قَتِيلٍ، وَإِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ: أَنْ حَسْبِي فَقَدِ اكْتَفَيْتُ، فَذَلِكَ حِينَ أَلْوَىٰ بِثَوْبِهِ)، وقَالَ مُجَاهِدٌ: (كَانَ مُوسَىٰ أَمَرَ قَوْمَهُ -عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ- أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالخَنَاجِرِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ أَبَاهُ وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ)، وقَالَ الزُّهْرِيُّ وَقَتَادَةُ، وابْنُ جُرَيْجٍ: (قَامُوا صَفَّيْنِ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّىٰ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا)، قَالَ قَتَادَةُ، وابْنُ جُرَيْجٍ: (كَانَتْ شَهَادَةً لِلمَقْتُولِ وَتَوْبَةً لِلحَيِّ)، وقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ:

(وَكَانَ قَتْلُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَنَّ اللهَ عَلِمَ أَنَّ نَاسًا مِنْهُمْ عَلِمُوا أَنَّ العِجْلَ بَاطِلٌ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ أَنْ يُنْكِرُوا عَلَيْهِمْ إِلَّا مَخَافَةَ القِتَالِ، فَلِذَلِكَ أَمَرَ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ، وَكَانَ سَبْعُونَ رَجُلًا قَدِ اعْتَزَلُوا مَعَ هَارُونَ العِجْلَ لَمْ يَعْبُدُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَوْعِدِ رَبِّكُمْ، فَقَالُوا: يَا مُوسَىٰ، أَمَا مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ! ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ الآيَةُ، فَاخْتَرَطُوا السُّيُوفَ وَالجِرَزَةَ وَالخَنَاجِرَ وَالسَّكَاكِينَ، وَبُعِثَ عَلَيْهِمْ ضَبَابَةٌ، فَجَعَلُوا يَتَلَامَسُونَ بِالأَيْدِي، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَلْقَىٰ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ فَيَقْتُلُهُ وَلَا يَدْرِي، وَيَتَنَادَوْنَ فِيهَا: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا صَبَرَ نَفْسَهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ اللهُ رِضَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ٣٣﴾ [الدُّخَان: ٣٣]، فَقَتْلَاهُمْ شُهَدَاءُ، وَتِيبَ عَلَىٰ أَحْيَائِهِمْ، وَقَرَأَ: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾).. فَالَّذِي ذَكَرْنَا عَمَّنْ رَوَيْنَا عَنْهُ الأَخْبَارَ الَّتِي رَوَيْنَاهَا كَانَ تَوْبَةَ القَوْمِ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي أَتَوْهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، بِعِبَادَتِهِمُ العِجْلَ مَعَ نَدَمِهِمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَةِ خَالِقِكُمْ، وَإِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ.. قال أَبُو العَالِيَةِ: (﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾، أَيْ: إِلَىٰ خَالِقِكُمْ).. وَهُوَ مِنْ بَرَأَ اللهُ الخَلقَ يَبْرَؤُهُ فَهُوَ بَارِئٌ.. وَالبَرِيَّةُ: الخَلقُ، وَهِيَ (فَعِيلَةٌ) بِمَعْنَىٰ (مَفْعُولَةٍ)، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تُهْمَزُ، كَمَا لَا يُهْمَزُ (مَلَكٌ) وَهُوَ مِنْ (لَأَكَ)، لَكِنَّهُ جَرَىٰ بِتَرْكِ الهَمْزَةِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ (البَرِيَّةَ) إِنَّمَا لَمْ تُهْمَزْ لِأَنَّهَا (فَعِيلَةٌ) مِن (البَرَىٰ)، وَالبَرَىٰ: التُّرَابُ، فَكَأَنَّ تَأْوِيلَهُ عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ تَأَوَّلَهُ كَذَلِكَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنَ التُّرَابِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا أُخِذَتِ (البَرِيَّةُ) مِنْ قَوْلِكَ (بَرَيْتُ العُودَ)، فَلِذَلِكَ لَمْ يُهْمَزْ.. وَتَرْكُ الهَمْزِ مِنْ (بَارِئِكُمْ) جَائِزٌ، وَالإِبْدَالُ مِنْهَا جَائِزٌ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا فِي (بَارِيكُمْ) فَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ تَكُونَ (البَرِيَّةُ) مِنْ: (بَرَىٰ اللهُ الخَلقَ) بِتَرْكِ الهَمْزَةِ..

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ: تَوْبَتُكُمْ بِقَتْلِكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَطَاعَتِكُمْ رَبَّكُمْ..

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ لِأَنَّكُمْ تَنْجُونَ بِذَلِكَ مِنْ عِقَابِ اللهِ فِي الآخِرَةِ عَلَىٰ ذَنْبِكُمْ، وَتَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الثَّوَابَ مِنْهُ..

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ بِمَا فَعَلْتُمْ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ قَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا.. وَهَذَا مِنَ المَحْذُوفِ الَّذِي اسْتَغْنَىٰ بِالظَّاهِرِ مِنْهُ عَنِ المَتْرُوكِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ، فَتُبْتُمْ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ، فَتَرَكَ ذِكْرَ قَوْلِهِ: (فَتُبْتُمْ)، إِذْ كَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَىٰ اقْتِضَاءِ الكَلَامِ (فَتُبْتُمْ).. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ رَجَعَ لَكُمْ رَبُّكُمْ

إِلَىٰ مَا أَحْبَبْتُمْ مِنَ العَفْوِ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَعَظِيمِ مَا رَكِبْتُمْ، وَالصَّفْحِ عَنْ جُرْمِكُمْ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ الرَّاجِعُ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّ مِنَ العَفْوِ عَنْهُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥٤﴾ [البقرة: ٥٤] العَائِدِ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ المُنْجِيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾

[البقرة: ٥٥]

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا إِذْ..

﴿قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ قُلتُمْ: يَا مُوسَىٰ لَنْ نُصَدِّقَكَ، وَلَنْ نُقِرَّ بِمَا جِئْتَنَا بِهِ..

﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عِيَانًا بِرَفْعِ السَّاتِرِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَكَشْفِ الغِطَاءِ دُونَنَا وَدُونَهُ، حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَيْهِ بِأَبْصَارِنَا.. فَذَكَّرَهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ذِكْرُهُ اخْتِلَافَ آبَائِهِمْ، وَسُوءَ اسْتِقَامَةِ أَسْلَافِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ، مَعَ كَثْرَةِ مُعَايَنَتِهِمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَعِبَرِهِ مَا تَثْلَجُ بِأَقَلِّهَا الصُّدُورُ، وَتَطْمَئِنُّ بِالتَّصْدِيقِ مَعَهَا النُّفُوسُ، وَذَلِكَ مَعَ تَتَابُعِ الحُجَجِ عَلَيْهِمْ، وَسُبُوغِ النِّعَمِ مِنَ اللهِ لَدَيْهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مَرَّةً يَسْأَلُونَ نَبِيَّهُمْ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللهِ، وَمَرَّةً يَعْبُدُونَ العِجْلَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَمَرَّةً يَقُولُونَ: لَا نُصَدِّقُكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً، وَأُخْرَىٰ يَقُولُونَ لَهُ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ القِتَالِ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾، وَمَرَّةً يُقَالُ لَهُمْ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيَٰٓـٰتِكُمْ﴾، فَيَقُولُونَ: حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ، وَيَدْخُلُونَ البَابَ مِنْ قِبَلِ أَسْتَاهِهِمْ، مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي آذَوْا بِهَا نَبِيَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّتِي يَكْثُرُ إِحْصَاؤُهَا، فَأَعْلَمَ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الآيَاتِ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ لَنْ يَعْدُوا أَنْ يَكُونُوا -فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَتَرْكِهِمُ الإِقْرَارَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ- كَأَسْلَافِهِمْ وَآبَائِهِمُ الَّذِينَ فَصَّلَ عَلَيْهِمْ قَصَصَهُمْ فِي ارْتِدَادِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، وَتَوَثُّبِهِمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ تَارَةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، مَعَ عَظِيمِ بَلَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ عِنْدَهُمْ، وَسُبُوغِ آلَائِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ الصَّاعِقَةِ الَّتِي أَخَذَتْهُمْ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا قَالَ قَتَادَةُ: (مَاتُوا)، وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ: (سَمِعُوا صَوْتًا فَمَاتُوا).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: (الصَّاعِقَةُ: نَارٌ).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: (أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ، وَهِيَ الصَّاعِقَةُ، فَمَاتُوا جَمِيعًا).. وَأَصْلُ الصَّاعِقَةِ كُلُّ أَمْرٍ هَائِلٍ رَآهُ المَرْءُ أَوْ عَايَنَهُ أَوْ أَصَابَهُ -حَتَّىٰ

يَصِيرَ مِنْ هَوْلِهِ وَعَظِيمِ شَأْنِهِ إِلَىٰ هَلَاكٍ وَعَطَبٍ، وَإِلَىٰ ذَهَابِ عَقْلٍ وَغُمُورِ فَهْمٍ، أَوْ فَقْدِ بَعْضِ آلَاتِ الجِسْمِ- صَوْتًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ نَارًا، أَوْ زَلْزَلَةً، أَوْ رَجْفًا، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَصْعُوقًا وَهُوَ حَيٌّ غَيْرُ مَيِّتٍ، قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يَعْنِي مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَقَدْ عُلِمَ أَنَّ مُوسَىٰ لَمْ يَكُنْ حِينَ غُشِيَ عَلَيْهِ وَصُعِقَ مَيِّتًا، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا أَفَاقَ قَالَ: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]..

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٥] إِلَىٰ الصَّاعِقَةِ الَّتِي أَصَابَتْكُمْ، يَقُولُ: أَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ عِيَانًا جِهَارًا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهَا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٦]

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم﴾ ثُمَّ أَحْيَيْنَاكُمْ.. وَأَصْلُ (البَعْثِ) إِثَارَةُ الشَّيْءِ مِنْ مَحَلِّهِ، وَمِنْهُ قِيلَ: (بَعَثَ فُلَانٌ رَاحِلَتَهُ) إِذَا أَثَارَهَا مِنْ مَبْرَكِهَا لِلسَّيْرِ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: (بَعَثْتُ فُلَانًا لِحَاجَتِي)، إِذَا أَقَمْتُهُ مِنْ مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ لِلتَّوَجُّهِ فِيهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ: (يَوْمُ البَعْثِ)، لِأَنَّهُ يَوْمٌ يُثَارُ النَّاسُ فِيهِ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الحِسَابِ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بِالصَّاعِقَةِ الَّتِي أَهْلَكَتْكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٦] فَعَلْنَا بِكُمْ ذَلِكَ لِتَشْكُرُونِي عَلَىٰ مَا أَوْلَيْتُكُمْ مِنْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ، بِإِحْيَائِي إِيَّاكُمْ، اسْتِبْقَاءً مِنِّي لَكُمْ، لِتُرَاجِعُوا التَّوْبَةَ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبِكُمْ، بَعْدَ إِحْلَالِي العُقُوبَةَ بِكُمْ بِالصَّاعِقَةِ الَّتِي أَحْلَلْتُهَا بِكُمْ، فَأَمَاتَتْكُمْ بِعَظِيمِ خَطَئِكُمُ الَّذِي كَانَ مِنْكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ.. وَهَذَا القَوْلُ عَلَىٰ تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ) ثُمَّ أَحْيَيْنَاكُمْ..

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ)، أَيْ بَعَثْنَاكُمْ أَنْبِيَاءَ، كما رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ، وَتَأْوِيلُ الكَلَامِ عَلَىٰ مَا تَأَوَّلَهُ السُّدِّيُّ: فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ، ثُمَّ أَحْيَيْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَىٰ إِحْيَائِنَا إِيَّاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ أَنْبِيَاءَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَزَعَمَ السُّدِّيُّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ المُقَدَّمِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّأْخِيرُ، وَالمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ يَدُلُّ ظَاهِرُ التِّلَاوَةِ عَلَىٰ خِلَافِهِ، مَعَ إِجْمَاعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ تَخْطِئَتِهِ، وَالوَاجِبُ عَلَىٰ تَأْوِيلِ السُّدِّيِّ الَّذِي حَكَيْنَاهُ عَنْهُ، أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، تَشْكُرُونِي عَلَىٰ تَصْيِيرِي إِيَّاكُمْ أَنْبِيَاءَ..

وَكَانَ سَبَبُ قِيلِهِمْ لِمُوسَىٰ مَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ لَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، مَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ لَمَّا -رَجَعَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِالأَلْوَاحِ، قَدْ

كُتِبَ فِيهَا التَّوْرَاةُ، فَوَجَدَهُمْ يَعْبُدُونَ العِجْلَ، فَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ -: إِنَّ هَذِهِ الأَلْوَاحَ فِيهَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ أَمْرُهُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهْيُهُ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ. فَقَالُوا: وَمَنْ يَأْخُذُهُ بِقَوْلِكَ أَنْتَ! لَا وَاللهِ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً، حَتَّىٰ يَطَّلِعَ اللهُ إِلَيْنَا فَيَقُولُ: هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ، فَمَا لَهُ لَا يُكَلِّمُنَا كَمَا كَلَّمَكَ أَنْتَ يَا مُوسَىٰ، فَيَقُولُ: هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ؟ وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، قَالَ: فَجَاءَتْ غَضْبَةٌ مِنَ اللهِ، فَجَاءَتْهُمْ صَاعِقَةٌ بَعْدَ التَّوْبَةِ، فَصَعَقَتْهُمْ فَمَاتُوا أَجْمَعُونَ. قَالَ: ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: خُذُوا كِتَابَ اللهِ. فَقَالُوا: لَا، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَصَابَكُمْ؟ قَالُوا: أَصَابَنَا أَنَّا مِتْنَا ثُمَّ حَيِينَا، قَالَ: خُذُوا كِتَابَ اللهِ، قَالُوا: لَا، فَبَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ مَلَائِكَةً فَنَتَقَتِ الجَبَلَ فَوْقَهُمْ).. وقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: (أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ، ثُمَّ بَعَثَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ لِيُكْمِلُوا بَقِيَّةَ آجَالِهِمْ).. ورُوِي عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: (هُمُ السَّبْعُونَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ مُوسَىٰ فَسَارُوا مَعَهُ. قَالَ: فَسَمِعُوا كَلَامًا، فَقَالُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. قَالَ: فَسَمِعُوا صَوْتًا فَصُعِقُوا - يَقُولُ: مَاتُوا - فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، فَبُعِثُوا مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ، لِأَنَّ مَوْتَهُمْ ذَاكَ كَانَ عُقُوبَةً لَهُمْ، فَبُعِثُوا لِبَقِيَّةِ آجَالِهِمْ)..

فَهَذَا مَا رُوِيَ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وَلَا خَبَرَ عِنْدَنَا بِصِحَّةِ شَيْءٍ مِمَّا قَالَهُ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ فِي سَبَبِ قِيلِهِمْ ذَلِكَ لِمُوسَىٰ، تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فَيُسَلَّمُ لَهُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْضَ مَا قَالُوهُ، فَإِذْ كَانَ لَا خَبَرَ بِذَلِكَ تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ..

فَالصَّوَابُ مِنَ القَوْلِ فِيهِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِذَلِكَ عَنْهُمُ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذِهِ الآيَاتِ، تَوْبِيخًا لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ قَامَتْ حُجَّتُهُ عَلَىٰ مَنِ احْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا حَاجَةَ لِمَنِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ السَّبَبِ الدَّاعِي لَهُمْ إِلَىٰ قِيلِ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ الَّذِينَ أَخْبَرَنَا عَنْهُمُ الأَقْوَالَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهَا حَقًّا كَمَا قَالَ.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٧﴾ [البقرة: ٥٧]

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، فَتَأْوِيلُ الآيَةِ: ﴿ثُمَّ

بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ -وَعَدَّدَ عَلَيْهِمْ سَائِرَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ- ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾.. و(الغَمَامُ) جَمْعُ (غَمَامَةٍ)، كَمَا (السَّحَابُ) جَمْعُ سَحَابَةٍ.. (وَالغَمَامُ) هُوَ مَا غَمَّ السَّمَاءَ فَأَلْبَسَهَا مِنْ سَحَابٍ وَقَتَامٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتُرُهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ، وَكُلُّ مُغَطًّى فَالعَرَبُ تُسَمِّيهِ مَغْمُومًا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الغَمَامَ الَّتِي ظَلَّلَهَا اللهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ تَكُنْ سَحَابًا، قال مُجَاهِدٌ: (﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ لَيْسَ بِالسَّحَابِ هُوَ الغَمَامُ الَّذِي يَأْتِي اللهُ فِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا لَهُمْ، هُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّحَابِ)، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ هُوَ غَمَامٌ أَبْرَدُ مِنْ هَذَا وَأَطْيَبُ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠]، وَهُوَ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ المَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ فِي التِّيهِ).. وَإِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الغَمَامُ مَا وَصَفْنَا، مِمَّا غَمَّ السَّمَاءَ مِنْ شَيْءٍ يُغَطِّي وَجْهَهَا عَنِ النَّاظِرِ إِلَيْهَا، فَلَيْسَ الَّذِي ظَلَّلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ -فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَانَ غَمَامًا- بِأَوْلَىٰ بِوَصْفِهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ سَحَابًا مِنْهُ بِأَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا أَلْبَسَ وَجْهَ السَّمَاءِ مِنْ شَيْءٍ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مَا ابْيَضَّ مِنَ السَّحَابِ..

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ ﴿المَنِّ﴾: فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: المَنُّ صَمْغَةٌ، وقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ المَنُّ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ الثَّلجِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ شَرَابٌ، قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: المَنُّ شَرَابٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ العَسَلِ، فَيَمْزُجُونَهُ بِالمَاءِ، ثُمَّ يَشْرَبُونَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: المَنُّ عَسَلٌ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: المَنُّ عَسَلٌ كَانَ يَنْزِلُ لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ، ورُوِي عَنِ الشَّعْبِي: عَسَلُكُمْ هَذَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ المَنِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: المَنُّ الخُبْزُ الرُّقَاقُ، قَالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ وَسُئِلَ: مَا المَنُّ؟ قَالَ: خُبْزُ الرُّقَاقِ، مِثْلُ الذُّرَةِ، وَمِثْلُ النَّقِيِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: المَنُّ، الزَّنْجَبِيلُ، رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: المَنُّ كَانَ يَسْقُطُ عَلَىٰ شَجَرِ الزَّنْجَبِيلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: المَنُّ هُوَ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَىٰ الشَّجَرِ الَّذِي يَأْكُلُهُ النَّاسُ، رُوِي عَنْ عَامِرٍ: المَنُّ الَّذِي يَقَعُ عَلَىٰ الشَّجَرِ، ورُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: المَنُّ الَّذِي يَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَىٰ الشَّجَرِ فَتَأْكُلُهُ النَّاسُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ المَنَّ هُوَ التَّرَنْجَبِينُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المَنُّ، هُوَ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَىٰ الثُّمَامِ وَالعُشَرِ، وَهُوَ حُلوٌ كَالعَسَلِ، وَتَظَاهَرَتِ الأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلعَيْنِ».. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المَنُّ، شَرَابٌ حُلوٌ كَانُوا يَطْبُخُونَهُ فَيَشْرَبُونَهُ.. وَأَمَّا أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلتِ، فَإِنَّهُ جَعَلَهُ فِي شِعْرِهِ عَسَلًا..

﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ اسْمُ طَائِرٍ يُشْبِهُ السُّمَانَىٰ، وَاحِدُهُ وَجِمَاعُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، كَذَلِكَ السُّمَانَىٰ لَفْظُ جِمَاعِهَا وَوَاحِدِهَا سَوَاءٌ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ وَاحِدَةَ السَّلْوَىٰ سَلْوَاةٌ..

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ وَهَذَا مِمَّا اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ عَلَىٰ مَا تُرِكَ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ تَأْوِيلَ الآيَةِ: وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَىٰ، وَقُلْنَا لَكُمْ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، فَتُرِكَ ذِكْرُ قَوْلِهِ: (وَقُلْنَا لَكُمْ)، لِمَا بَيَّنَّا مِنْ دَلَالَةِ الظَّاهِرِ فِي الخِطَابِ عَلَيْهِ.. وَعَنَىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: كُلُوا مِنْ شَهِيَّاتِ رِزْقِنَا الَّذِي رَزَقْنَاكُمُوهُ.. وَقَدْ قِيلَ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: مِنْ حَلَالِهِ الَّذِي أَبَحْنَاهُ لَكُمْ فَجَعَلْنَاهُ لَكُمْ رِزْقًا.. وَالأَوَّلُ مِنَ القَوْلَيْنِ أَوْلَىٰ بِالتَّأْوِيلِ، لِأَنَّهُ وَصَفَ مَا كَانَ القَوْمُ فِيهِ مِنْ هَنِيءِ العَيْشِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ، فَوَصْفُ ذَلِكَ بِـ (الطَّيِّبِ)، الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ اللَّذَّةِ، أَحْرَىٰ مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ حَلَالٌ مُبَاحٌ.. و﴿مَا﴾ الَّتِي مَعَ ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾، بِمَعْنَىٰ ﴿الَّذِي﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ الرِّزْقِ الَّذِي رَزَقْنَاكُمُوهُ..

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾ [البقرة: ٥٧] وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الَّذِي اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ عَلَىٰ مَا تُرِكَ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ فَخَالَفُوا مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ وَعَصَوْا رَبَّهُمْ، ثُمَّ رَسُولَنَا إِلَيْهِمْ، و﴿مَا ظَلَمُونَا﴾، فَاكْتَفَىٰ بِمَا ظَهَرَ عَمَّا تَرَكَ.. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يَقُولُ: وَمَا ظَلَمُونَا بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ وَمَعْصِيَتِهِمْ، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾.. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، وَمَا وَضَعُوا فِعْلَهُمْ ذَلِكَ وَعِصْيَانَهُمْ إِيَّانَا مَوْضِعَ مَضَرَّةٍ عَلَيْنَا وَمَنْقَصَةٍ لَنَا، وَلَكِنَّهُمْ وَضَعُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَوْضِعَ مَضَرَّةٍ عَلَيْهَا وَمَنْقَصَةٍ لَهَا.. وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ، عَلَىٰ أَنَّ أَصْلَ (الظُّلْمِ) وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ.. وَكَذَلِكَ رَبُّنَا جَلَّ ذِكْرُهُ، لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ عَاصٍ، وَلَا يَتَحَيَّفُ خَزَائِنَهُ ظُلْمُ ظَالِمٍ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مُطِيعٍ، وَلَا يَزِيدُ فِي مِلْكِهِ عَدْلُ عَادِلٍ، بَل نَفْسَهُ يَظْلِمُ الظَّالِمُ، وَحَظَّهَا يَبْخَسُ العَاصِي، وَإِيَّاهَا يَنْفَعُ المُطِيعُ، وَحَظَّهَا يُصِيبُ العَادِلُ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ [البقرة: ٥٨]

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ وَالقَرْيَةُ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَدْخُلُوهَا، فَيَأْكُلُوا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءُوا -فِيمَا ذُكِرَ لَنَا-: بَيْتُ المَقْدِسِ.. كما قَالَ قَتَادَةُ وابنُ زيد، وروي عَنِ السُّدِّيِّ، والرَّبِيعِ بن أنس: (﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، يَعْنِي بَيْتَ المَقْدِسِ).

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ فَكُلُوا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ حَيْثُ شِئْتُمْ عَيْشًا هَنِيًّا وَاسِعًا بِغَيْرِ حِسَابٍ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ (الرَّغَدِ) فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا، وَذَكَرْنَا أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ..

﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ أَمَّا البَابُ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوهُ.. فَإِنَّهُ قِيلَ: هُوَ بَابُ الحِطَّةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ، قاله مُجَاهِدٌ، ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.. وَأَمَّا قَوْلُهُ: (سُجَّدًا) فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَتَأَوَّلُهُ بِمَعْنَىٰ الرُّكَّعِ.. وَأَصْلُ (السُّجُودِ) الِانْحِنَاءُ لِمَنْ سُجِدَ لَهُ مُعَظَّمًا بِذَلِكَ، فَكُلُّ مُنْحَنٍ لِشَيْءٍ تَعْظِيمًا لَهُ فَهُوَ (سَاجِدٌ)، فَلِذَلِكَ تَأَوَّلَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: (سُجَّدًا) رُكَّعًا، لِأَنَّ الرَّاكِعَ مُنْحَنٍ، وَإِنْ كَانَ السَّاجِدُ أَشَدَّ انْحِنَاءً مِنْهُ..

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ وَقُولُوا: دُخُولُنَا ذَلِكَ سُجَّدًا حِطَّةٌ لِذُنُوبِنَا..

﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ نَتَغَمَّدْ لَكُمْ بِالرَّحْمَةِ خَطَايَاكُمْ، وَنَسْتُرْهَا عَلَيْكُمْ، فَلَا نَفْضَحُكُمْ بِالعُقُوبَةِ عَلَيْهَا.. وَأَصْلُ (الغَفْرِ) التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ، فَكُلُّ سَاتِرٍ شَيْئًا فَهُوَ غَافِرُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلبَيْضَةِ مِنَ الحَدِيدِ الَّتِي تُتَّخَذُ جُنَّةً لِلرَّأْسِ (مِغْفَرٌ)، لِأَنَّهَا تُغَطِّي الرَّأْسَ وَتُجِنُّهُ، وَمِثْلُهُ (غِمْدُ السَّيْفِ)، وَهُوَ مَا تَغَمَّدَهُ فَوَارَاهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِزِئْبِرِ الثَّوْبِ: (غَفْرَةٌ)، لِتَغْطِيَتِهِ الثَّوْبَ، وَحَوْلِهِ بَيْنَ النَّاظِرِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ.. و(الخَطَايَا) جَمْعُ (خَطِيَّةٍ) بِغَيْرِ هَمْزٍ، كَمَا (المَطَايَا) جَمْعُ (مَطِيَّةٍ)، وَالحَشَايَا جَمْعُ حَشِيَّةٍ..

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [البقرة: ٥٨] وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ لَنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا زِيدَ فِي إِحْسَانِهِ، وَمَنْ كَانَ مُخْطِئًا نَغْفِرُ لَهُ خَطِيئَتَهُ).. فَتَأْوِيلُ الآيَةِ: وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ مُبَاحًا لَكُمْ كُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، مُوَسَّعًا عَلَيْكُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛ وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا، وَقُولُوا: سُجُودُنَا هَذَا لِلهِ حِطَّةٌ مِنْ رَبِّنَا لِذُنُوبِنَا يَحُطُّ بِهِ آثَامَنَا، نَتَغَمَّدُ لَكُمْ ذُنُوبَ المُذْنِبِ مِنْكُمْ فَنَسْتُرُهَا عَلَيْهِ، وَنَحُطُّ أَوْزَارَهُ عَنْهُ، وَسَنَزِيدُ المُحْسِنَ مِنْكُمْ -إِلَىٰ إِحْسَانِنَا السَّالِفِ عِنْدَهُ- إِحْسَانًا.. ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ عَظِيمِ جَهَالَتِهِمْ، وَسُوءِ طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ وَعِصْيَانِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِرُسُلِهِ، مَعَ عَظِيمِ آلَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَهُمْ، وَعَجَائِبِ مَا أَرَاهُمْ مِنْ آيَاتِهِ وَعِبَرِهِ، مُوَبِّخًا بِذَلِكَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذِهِ الآيَاتِ، وَمُعَلِّمَهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ تَعَدَّوْا فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، مَعَ عَظِيمِ إِحْسَانِ اللهِ بِمَبْعَثِهِ فِيهِمْ إِلَيْهِمْ، وَعَجَائِبِ مَا أَظْهَرَ عَلَىٰ يَدِهِ مِنَ الحُجَجِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، أَنْ يَكُونُوا كَأَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَقَصَّ عَلَيْنَا أَنْبَاءَهُمْ فِي هَذِهِ الآيَاتِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيَةَ.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩﴾ [البقرة: ٥٩]

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فَغَيَّرَ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِعْلُهُ..

﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ بَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوهُ، فَقَالُوا خِلَافَهُ، وَذَلِكَ هُوَ التَّبْدِيلُ وَالتَّغْيِيرُ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ، وَكَانَ تَبْدِيلُهُمْ -بِالقَوْلِ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا- قَوْلًا غَيْرَهُ، مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ﴾، فَبَدَّلُوا وَدَخَلُوا البَابَ يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ»..

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ عَلَىٰ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِعْلُهُ، مِنْ تَبْدِيلِهِمُ القَوْلَ - الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يَقُولُوهُ - قَوْلًا غَيْرَهُ، وَمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَبِرُكُوبِهِمْ مَا قَدْ نَهَاهُمْ عَنْ رُكُوبِهِ..

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وَالرِّجْزُ فِي لُغَةِ العَرَبِ، العَذَابُ، وَهُوَ غَيْرُ الرُّجْزِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّجْزَ: البَثْرُ، وَمِنْهُ الخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الطَّاعُونِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الأُمَمِ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ».. وَبِمَثَلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، كـ قتادة، وابي العالية، وابن زيد، ورُوي عن ابن عباس.. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَ (الرِّجْزِ) العَذَابُ، وَعَذَابُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَىٰ الَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمُ الرِّجْزَ مِنَ السَّمَاءِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ طَاعُونًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُ، وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ القُرْآنِ وَلَا فِي أَثَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ثَابِتٌ، أَيَّ أَصْنَافِ ذَلِكَ كَانَ.. فَالصَّوَابُ مِنَ القَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِفِسْقِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُ يَغْلُبُ عَلَىٰ النَّفْسِ صِحَّةُ مَا قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، لِلخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي إِخْبَارِهِ عَنِ الطَّاعُونِ أَنَّهُ رِجْزٌ، وَأَنَّهُ عُذِّبَ بِهِ قَوْمٌ قَبْلَنَا، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَقِينًا، لِأَنَّ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا بَيَانَ فِيهِ أَيُّ أُمَّةٍ عُذِّبَتْ بِذَلِكَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ عُذِّبُوا بِهِ، كَانُوا غَيْرَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾..

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ [البقرة: ٥٩] الفِسْقُ: الخُرُوجُ مِنَ الشَّيْءِ.. فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ إِذًا: بِمَا كَانُوا يَتْرُكُونَ طَاعَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَخْرُجُونَ عَنْهَا إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ قَبْلَنَا، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَقِينًا؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا بَيَانَ فِيهِ أَيُّ أُمَّةٍ عُذِّبَتْ بِذَلِكَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ عُذِّبُوا بِهِ كَانُوا غَيْرَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]..

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ [البقرة: ٥٩] بِمَا كَانُوا يَتْرُكُونَ طَاعَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَخْرُجُونَ عَنْهَا إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞﴾ [البقرة: ٦٠].

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ سَأَلَنَا أَنْ نَسْقِيَ قَوْمَهُ مَاءً.. وَإِنَّمَا اسْتَسْقَىٰ لَهُمْ رَبَّهُ الْمَاءَ فِي الْحَالِ الَّتِي تَاهُوا فِيهَا فِي التِّيهِ..

﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وَقَوْمُ مُوسَىٰ هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فَضَرَبَهُ..

﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ جَعَلَ لِكُلِّ سِبْطٍ مِنَ الْأَسْبَاطِ الِاثْنَيْ عَشَرَ عَيْنًا مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، يَشْرَبُ مِنْهَا دُونَ سَائِرِ الْأَسْبَاطِ غَيْرِهِ، لَا يَدْخُلُ سِبْطٌ مِنْهُمْ فِي شِرْبِ سِبْطٍ غَيْرِهِ..

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ مَشْرَبَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ كَانَ جَعَلَ لِكُلِّ عَيْنٍ مِنْ تِلْكَ الْعُيُونِ الِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَوْضِعًا مِنَ الْحَجَرِ قَدْ عَرَفَهُ السِّبْطُ الَّذِي مِنْهُ شِرْبُهُ؛ فَلِذَلِكَ خَصَّ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هَؤُلَاءِ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ أَنَّ كُلَّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ كَانُوا عَالِمِينَ بِمَشْرَبِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، إِذْ كَانَ غَيْرُهُمْ فِي الْمَاءِ الَّذِي لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ شُرَكَاءَ فِي مَنَابِعِهِ وَمَسَايِلِهِ، وَكَانَ كُلُّ سِبْطٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مُفْرَدًا بِشِرْبِ مَنْبَعٍ مِنْ مَنَابِعِ الْحَجَرِ دُونَ سَائِرِ مَنَابِعِهِ، خَاصٍّ لَهُمْ دُونَ سَائِرِ الْأَسْبَاطِ غَيْرِهِمْ، فَلِذَلِكَ خُصُّوا بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ أَنَّ كُلَّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ قَدْ عَلِمُوا مَشْرَبَهُمْ.. فَقِيلَ لَهُمْ..

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ أَمَرَهُمْ بِأَكْلِ مَا رَزَقَهُمْ فِي التِّيهِ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ، وَبِشُرْبِ مَا فَجَّرَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي لَا قَرَارَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا لِمَالِكِيهِ، يَتَدَفَّقُ بِعُيُونِ الْمَاءِ وَيَزْخَرُ بِيَنَابِيعِ الْعَذْبِ الْفُرَاتِ، بِقُدْرَةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.. ثُمَّ تَقَدَّمَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- إِلَيْهِمْ مَعَ إِبَاحَتِهِمْ مَا أَبَاحَ وَإِنْعَامِهِ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَيْشِ الْهَنِيءِ، بِالنَّهْيِ عَنِ السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَالْعَثَا فِيهَا اسْتِكْبَارًا، فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَهُمْ..

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞﴾ [البقرة: ٦٠] ولَا تَطْغَوْا، وَلا تَسعَوْا في الأرضِ مفسِدِين.. وَأَصْلُ الْعَثَا شِدَّةُ الْإِفْسَادِ، بَلْ هُوَ أَشَدُّ الْإِفْسَادِ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وَاذْكُرُوا يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قُلْتُمْ..

﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ﴾ لَنْ نُطِيقَ حَبْسَ أَنْفُسِنَا..

﴿عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ من المنِّ والسلوىٰ..

﴿فَٱدْعُ﴾ فَاسْأَلْ..

﴿لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا﴾ من بَعْضِ مَا..

﴿تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾ هُوَ مَا قَدْ عَرَفَهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَحَبِّهَا..

﴿وَفُومِهَا﴾ ذُكِرَ أَنَّ تَسْمِيَةَ الْحِنْطَةِ وَالْخُبْزِ جَمِيعًا فُومًا مِنَ اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ، حُكِيَ سَمَاعًا: فَوِّمُوا لَنَا، بِمَعْنَىٰ اخْتَبِزُوا لَنَا.. وقال بعضهم: فومها: ثُومِها، وَذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (وَثُومِهَا) بِالثَّاءِ..

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ﴾ لَهُمْ مُوسَىٰ..

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾ أَتَأْخُذُونَ..

﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ الَّذِي هُوَ أَخَسُّ خَطَرًا وَقِيمَةً وَقَدْرًا مِنَ الْعَيْشِ بَدَلًا.. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنِ اسْتَبْدَلَ بِالْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ، الْبَقْلَ وَالْقِثَّاءَ وَالْعَدَسَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ، فَقَدِ اسْتَبْدَلَ الْوَضِيعَ مِنَ الْعَيْشِ بِالرَّفِيعِ مِنْهُ..

﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ مِنْهُ خَطَرًا وَقِيمَةً وَقَدْرًا.. وَأَصْلُ الِاسْتِبْدَالِ: هُوَ تَرْكُ شَيْءٍ لِآخَرَ غَيْرِهِ مَكَانَ الْمَتْرُوكِ.. فَدَعَا لَهُمْ مُوسَىٰ رَبَّهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ دُعَاءَهُ، فَأَعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوا، وَقَالَ اللهُ لَهُمْ..

﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ مِنَ الْأَمْصَارِ، لِأَنَّكُمْ فِي الْبَدْوِ، وَالَّذِي طَلَبْتُمْ لَا يَكُونُ فِي الْبَوَادِي وَالْفَيَافِي، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي الْقُرَىٰ وَالْأَمْصَارِ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ مِصْرًا الْبَلْدَةُ الَّتِي تُعْرَفُ بِهَذَا الِاسْمِ

وَهِيَ مِصْرُ الَّتِي خَرَجُوا عَنْهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الشَّامَ..

﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ إِذَا هَبَطْتُمُوهُ..

﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ مِنَ الْعَيْشِ..

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ وفُرِضَتْ، وَوُضِعَتْ، وَأُلْزِمُوهَا..

﴿الذِّلَّةُ﴾ الصَّغَارُ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يُعْطُوهُمْ أَمَانًا عَلَىٰ الْقَرَارِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ بِهِ وَبِرَسُولِهِ إِلَّا أَنْ يَبْذُلُوا الْجِزْيَةَ عَلَيْهِ لَهُمْ، قَالَ -جَلَّ وَعَزَّ- ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]..

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، وَهِيَ خُشُوعُهَا وَذُلُّهَا.. فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَبْدَلَهُمْ بِالْعِزِّ ذُلًّا، وَبِالنِّعْمَةِ بُؤْسًا، وَبِالرِّضَا عَنْهُمْ غَضَبًا، جَزَاءً مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِآيَاتِهِ، وَقَتْلِهِمْ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، اعْتِدَاءً وَظُلْمًا مِنْهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَعِصْيَانًا مِنْهُم لَهُ، وَخِلَافًا عَلَيْهِ، تَعَالَىٰ رَبُّنَا وَجَلَّ.

﴿وَبَاءُو﴾ وَانْصَرَفُوا، وَرَجَعُوا مُتَحَمِّلِينَ..

﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قَدْ صَارَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ غَضَبٌ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ سَخَطٌ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ ضَرْبُ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْلَالُهُ غَضَبَهُ بِهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يَجْحَدُونَ حُجَجَ اللهِ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَيَدْفَعُونَ حَقِّيَّتَهَا، وَيُكَذِّبُونَ بِهَا..

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ وَيَقْتُلُونَ رُسُلَ اللهِ الَّذِينَ ابْتَعَثَهُمْ لِإِنْبَاءِ مَا أَرْسَلَهُمْ بِهِ عَنْهُ لِمَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ..

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بِغَيْرِ إِذْنِ اللهِ لَهُمْ بِقَتْلِهِمْ، مُنْكِرِينَ رِسَالَتَهُمْ جَاحِدِينَ نُبُوَّتَهُمْ..

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ أَمْرِي..

﴿وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١] وَتَجَاوَزُوا حَدِّي إِلَىٰ مَا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هُمُ الْمُصَدِّقُونَ رَسُولَ اللهِ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تَابُوا.. وهم الْيَهُودُ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْيَهُودُ يَهُودَ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ: «إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ»[الأعراف: ١٥٦]..

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ لِنُصْرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَتَنَاصُرِهِمْ بَيْنَهُمْ.. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ سُمُّوا نَصَارَىٰ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ نَزَلُوا أَرْضًا يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةٌ، وهي قَرْيَةُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَكَانَ يُقَالُ لِعِيسَىٰ: النَّاصِرِيُّ..

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ وَالصَّابِئُ هُوَ الْمُسْتَحْدِث سِوَىٰ دِينِهِ دِينًا، كَالْمُرْتَدِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَنْ دِينِهِ، وَكُلُّ خَارِجٍ مِنْ دِينٍ كَانَ عَلَيْهِ إِلَىٰ آخَرَ غَيْرِهِ تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ صَابِئًا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ يَلْزَمُهُ هَذَا الِاسْمُ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ بِهَذَا الِاسْمِ قَوْمٌ لَا دِينَ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَيُصَلُّونَ إِلَىٰ الْقِبْلَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ مَنْ صَدَّقَ وَأَقَرَّ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. فَإِنْ قَالَ قائل: وَكَيْفَ يُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ؟ قِيلَ: لَيْسَ الْمَعْنَىٰ فِي الْمُؤْمِنِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي ظَنَنْتَهُ مِنَ انْتِقَالٍ مِنْ دِينٍ إِلَىٰ دِينٍ، كَانْتِقَالِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ إِلَىٰ الْإِيمَانِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ عُنُوا بِذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَىٰ إِيمَانِهِ بِعِيسَىٰ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، حَتَّىٰ أَدْرَكَ مُحَمَّدًا ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، فَقِيلَ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِعِيسَىٰ وَبِمَا جَاءَ بِهِ إِذْ أَدْرَكُوا مُحَمَّدًا ﷺ: آمِنُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَلَكِنْ مَعْنَىٰ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ثَبَاتُهُ عَلَىٰ إِيمَانِهِ وَتَرْكُهُ تَبْدِيلَهُ، وَأَمَّا إِيمَانُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ، فَالتَّصْدِيقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ بِمُحَمَّدٍ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فَأَطَاعَ اللهَ، فَلَمْ يُبَدِّلْ وَلَمْ يُغَيِّرْ، حَتَّىٰ تُوُفِّيَ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ فَلَهُمْ ثَوَابُ عَمَلِهِمُ الصَّالِحِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فِيمَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة: ٦٢] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَعَيْشِهَا عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ عِنْدَهُ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [البقرة: ٦٣].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ والْمِيثَاقُ الَّذِي أَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُمْ: فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ

﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] الْآيَات الَّذِي ذَكَرَ مَعَهَا. وَالْمِيثَاقُ إِمَّا بِيَمِينٍ، وَإِمَّا بِعَهْدٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَثَائِقِ..

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الْجَبَلَ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْمُ جَبَلٍ بِعَيْنِهِ.. وَذُكِرَ أَنَّهُ الْجَبَلُ الَّذِي نَاجَىٰ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَىٰ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنَ الْجِبَالِ مَا أَنْبَتَ دُونَ مَا لَمْ يُنْبِتْ..

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ وَقُلْنَا لَكُمْ خُذُوا مَا افْتَرَضْنَاهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِنَا مِنَ الْفَرَائِضِ، فَاقْبَلُوهُ وَاعْمَلُوا..

﴿بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، مِنْكُمْ فِي أَدَائِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَلَا تَوَانٍ، وإِلَّا قَذَفْنَا الجبلَ عَلَيْكُم..

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ مَا فِيمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابِنَا مِنْ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ شَدِيدٍ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ، فَاتْلُوهُ وَاعْتَبِرُوا بِهِ، وَتَدَبَّرُوهُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٦٣﴾ [البقرة: ٦٣] كَيْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَتَّقُونِي، وَتَخَافُوا عِقَابِي، بِإِصْرَارِكُمْ عَلَىٰ ضَلَالِكُمْ، فَتَنْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِي، وَتَنْزِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِي.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٤﴾ [البقرة: ٦٤].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ ثُمَّ تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ بِمَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَعُهُودَكُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ.. وهَذَا وَإِنْ كَانَ خِطَابًا لِمَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَيَّامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ أَسْلَافِهِمْ، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ مَخْرَجَ الْمُخْبَرِ عَنْهُمْ عَلَىٰ نَحْوِ مَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ أَنَّ الْقَبِيلَةَ مِنَ الْعَرَبِ تُخَاطِبُ الْقَبِيلَةَ عِنْدَ الْفَخَارِ أَوْ غَيْرِهِ بِمَا مَضَىٰ مِنْ فِعْلِ أَسْلَافِ الْمُخَاطِبِ بِأَسْلَافِ الْمُخَاطَبِ، فَتُضِيفُ فِعْلَ أَسْلَافِ الْمُخَاطِبِ إِلَىٰ نَفْسِهَا، فَتَقُولُ: فَعَلْنَا بِكُمْ، وَفَعَلْنَا بِكُمْ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ إِعْطَائِكُمْ رَبَّكُمُ الْمَوَاثِيقَ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ وَالْقِيَامِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فِي كِتَابِكُمْ، فَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ..

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوْبَةِ بَعْدَ نَكْثِكُمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي وَاثَقْتُمُوهُ -إِذْ رَفَعَ فَوْقَكُمُ الطُّورَ- بِأَنَّكُمْ تَجْتَهِدُونَ فِي طَاعَتِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي آتَاكُمْ، فَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ..

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ الَّتِي رَحِمَكُمْ بِهَا، فَتَجَاوَزَ عَنْكُمْ خَطِيئَتَكُمُ الَّتِي رَكِبْتُمُوهَا بِمُرَاجَعَتِكُمْ طَاعَةَ رَبِّكُمْ..

﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤] الْبَاخِسِينَ أَنْفُسَكُمْ حُظُوظَهَا دَائِمًا، الْهَالِكِينَ بِمَا اجْتَرَمْتُمْ مِنْ نَقْضِ مِيثَاقِكُمْ وَخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ وَطَاعَتَهُ.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ﴾ وَلَقَدْ عَرَفْتُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ﴾ عَصَوْا أَمْرِي، وتَجَاوَزُوا حَدِّي وَرَكِبُوا مَا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ..

﴿مِنكُمۡ فِي﴾ يَوْمِ..

﴿ٱلسَّبۡتِ﴾ وَأَصْلُ السَّبْتِ الْهُدُوُّ، والسُّكُونُ فِي رَاحَةٍ وَدعَةٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلنَّائِمِ مَسْبُوتٌ، لِهُدُوِّهِ وَسُكُونِ جَسَدِهِ وَاسْتِرَاحَتِهِ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾ [النبأ: ٩]، أَيْ رَاحَةً لِأَجْسَادِكُمْ.. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ سُمِّيَ سَبْتًا لِأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فَرَغَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قَبْلَهُ، مِنْ خَلْقِ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ﴾ فَقُلْنَا لِلَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي يَوْمِ السَّبْتِ..

﴿كُونُواْ﴾ صِيرُوا..

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] أَيْ مُبْعَدِينَ مِنَ الْخَيْرِ أَذِلَّاءَ صُغَرَاءَ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَآيَاتٌ بَعْدَهَا تَتْلُوهَا، مِمَّا عَدَّدَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِيهَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ خِلَالِ دُورِ الْأَنْصَارِ زَمَانَ النَّبِيِّ ﷺ، الَّذِينَ ابْتَدَأَ بِذِكْرِهِمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ نَكْثِ أَسْلَافِهِمْ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ مَا كَانُوا يُبْرِمُونَ مِنَ الْعُقُودِ، وَحَذَّرَ الْمُخَاطَبِينَ بِهَا أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ بِإِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَمُقَامِهِمْ عَلَىٰ جُحُودِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَهُ وَالتَّصْدِيقَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، مِثْلَ الَّذِي حَلَّ بِأَوَائِلِهِمْ مِنَ الْمَسْخِ وَالرَّجْفِ وَالصَّعْقِ، وَمَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَسَخَطِهِ.

﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦].

﴿فَجَعَلۡنَٰهَا﴾ فَجَعَلْنَا عُقُوبَتَنَا الَّتِي أَحْلَلْنَاهَا بِهِمْ، وَمَسْخَنَا إِيَّاهُمْ..

﴿نَكَٰلٗا﴾ عُقُوبَةً..

﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا﴾ مِنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ مِنْهُمْ..

﴿وَمَا خَلۡفَهَا﴾ وَلِمَا خَلْفَ عُقُوبَتَنَا لَهُمْ مِنْ أَمْثَالِ ذُنُوبِهِمْ، أَنْ يَعْمَلَ بِهَا عَامِلٌ، فَيُمْسَخُوا مِثْلَ

مَا مُسِخُوا، وَأَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ؛ تَحْذِيرًا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ أَنْ يَأْتُوا مِنْ مَعَاصِيهِ مِثْلَ الَّذِي أَتَىٰ الْمَمْسُوخُونَ فَيُعَاقَبُوا عُقُوبَتَهُمْ..

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ وَتَذْكِرَةً، وعِبْرَةً..

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٦٦﴾ [البقرة: ٦٦] الَّذِينَ اتَّقَوْا بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.. فَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا أَحَلَّ بِالَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ مِنْ عُقُوبَتِهِ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ خَاصَّةً وَعِبْرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْكَافِرِينَ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧﴾ [البقرة: ٦٧].

﴿وَإِذْ﴾ واذْكُرُوا أَيْضًا مِنْ نَكْثِكُمْ مِيثَاقِي.. وَهَٰذِهِ الْآيَةُ مِمَّا وَبَّخَ اللهُ بِهَا الْمُخَاطَبِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي نَقْضِ أَوَائِلِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ لِأَنْبِيَائِهِ..إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وَقَوْمُهُ: بَنُو إِسْرَائِيلَ، إِذِ ادَّارَءُوا فِي الْقَتِيلِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِمْ إِلَيْهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ سُخْرِيَةً، ولَعِبًا.. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ فِيمَا أَخْبَرَتْ عَنِ اللهِ مِنْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ هُزُوٌ أَوْ لَعِبٌ، فَظَنُّوا بِمُوسَىٰ أَنَّهُ فِي أَمْرِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ أَمْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِذِبْحِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ تَدَارُئِهِمْ فِي الْقَتِيلِ إِلَيْهِ أَنَّهُ هَازِئٌ لَاعِبٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَظُنُّوا ذَٰلِكَ بِنَبِيِّ اللهِ، وَهُوَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِذِبْحِ الْبَقَرَةِ.. فَأَخْبَرَهُمْ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لَهُ مَا قَالُوا، إِنَّ الْمُخْبِرَ عَنِ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِالْهُزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَبَرَّأَ نَفْسَهُ مِمَّا ظَنُّوا بِهِ مِنْ ذَٰلِكَ، فَـ..

﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧﴾ [البقرة: ٦٧] السُّفَهَاءِ الَّذِينَ يَرْوُونَ عَنِ اللهِ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨﴾ [البقرة: ٦٨].

﴿قَالُوا۟﴾ لَمَّا عَلِمُوا وَاسْتَقَرَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ عليه السلام عَنْ أَمْرِ اللهِ مِنْ ذَبْحِ بَقَرَةٍ جِدٌّ وَحَقٌّ..

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ تَعَنُّتًا مِنْهُمْ بِنَبِيِّهِمْ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا

أَظْهَرُوا لَهُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ، فِيمَا أَخْبَرَهُمْ عَنِ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧].. سَأَلُوا مُوسَىٰ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ لَهُمْ مَا كَانَ اللهُ قَدْ كَفَاهُمْ بِقَوْلِهِ لَهُمْ: اذْبَحُوا بَقَرَةً؛ لِأَنَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِذِبْحِ بَقَرَةٍ مِنَ الْبَقَرِ، أَيِّ بَقَرَةٍ شَاءُوا ذَبْحَهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْصُرَ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ نَوْعٍ مِنْهَا دُونَ نَوْعٍ، أَوْ صِنْفٍ دُونَ صِنْفٍ، فَقَالُوا بِجَفَاءِ أَخْلَاقِهِمْ وَغِلَظِ طَبَائِعِهِمْ وَسُوءِ أَفْهَامِهِمْ، وَتَكَلُّفِ مَا قَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْهُمْ مُؤْنَتَهُ، تَعَنُّتًا مِنْهُمْ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾، فَلَمَّا تَكَلَّفُوا جَهْلًا مِنْهُمْ مَا تَكَلَّفُوا، مِنَ الْبَحْثِ عَمَّا كَانُوا قَدْ كُفُوهُ، مِنْ صِفَةِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِذَبْحِهَا، عَاقَبَهُمْ عَزَّوَجَلَّ بِأَنْ خَصَّ بِذِبْحِ مَا كَانَ أَمَرَهُمْ بِذَبْحِهِ مِنَ الْبَقَرِ، عَلَىٰ نَوْعٍ مِنْهَا دُونَ نَوْعٍ، فَـ..

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾ لَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-..

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ لَا كَبِيرَةٌ مُسِنَّةٌ هَرِمَةٌ..

﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ وَلَا صَغِيرَةٌ ضَعِيفَةٌ لَمْ تَلِدْ.. بَلْ..

﴿عَوَانٌ﴾ وَسَطٌ قَدْ وَلَدَتْ بَطْنًا أَوْ بَطْنَيْنِ..

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بَيْنَ الْبِكْرِ وَالْهَرِمَةِ..

﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة: ٦٨] افْعَلُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ، تُدْرِكُوا حَاجَاتِكُمْ وَطِلْبَاتِكُمْ عِنْدِي، وَاذْبَحُوا الْبَقَرَةَ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِذَبْحِهَا، تَصِلُوا بِانْتِهَائِكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِي بِذَبْحِهَا إِلَىٰ الْعِلْمِ بِقَاتِلِ قَتِيلِكُمْ.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [البقرة: ٦٩].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ وَهَذَا أَيْضًا تَعَنُّتٌ آخَرُ مِنْهُمْ بَعْدَ الْأَوَّلِ، وَتَكَلُّفُ طَلَبِ مَا قَدْ كَانُوا كُفُوهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا حُصِرُوا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، إِذْ قِيلَ لَهُمْ بَعْدَ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ حِلْيَةِ الْبَقَرَةِ الَّتِي كَانُوا أُمِرُوا بِذَبْحِهَا، فَأَبَوْا إِلَّا تَكَلُّفَ مَا قَدْ كُفُوهُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ عَنْ صِفَتِهَا، فَحُصِرُوا عَلَىٰ نَوْعٍ دُونَ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ؛ عُقُوبَةً مِنَ اللهِ لَهُمْ عَلَىٰ مَسْأَلَتِهِمُ الَّتِي سَأَلُوهَا نَبِيَّهُمْ ﷺ، تَعَنُّتًا مِنْهُمْ لَهُ، ثُمَّ لَمْ يَحْصُرْهُمْ عَلَىٰ لَوْنٍ مِنْهَا دُونَ لَوْنٍ، فَأَبَوْا إِلَّا تَكَلُّفَ مَا كَانُوا عَنْ تَكَلُّفِهِ أَغْنِيَاءَ، فَقَالُوا تَعَنُّتًا مِنْهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ﷺ: «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا»..

﴿قَالَ﴾ فَقُلْ لَهُمْ عُقُوبَةً لَهُمْ..

﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ﴾ فَحُصِرُوا عَلَىٰ لَوْنٍ مِنْهَا دُونَ لَوْنٍ، وَمَعْنَىٰ ذَٰلِكَ أَنَّ الْبَقَرَةَ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِذَبْحِهَا صَفْرَاءُ..

﴿فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ خَالِصٌ لَوْنُهَا.. وَالْفُقُوعُ فِي الصُّفْرِ نَظِيرُ النُّصُوعِ فِي الْبَيَاضِ، وَهُوَ شِدَّتُهُ وَصَفَاؤُهُ..

﴿تَسُرُّ﴾ تُعْجِبُ هَذِهِ الْبَقَرَةُ فِي حُسْنِ خَلْقِهَا وَمَنْظَرِهَا وَهَيْئَتِهَا..

﴿ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾ [البقرة: ٦٩] النَّاظِرَ إِلَيْهَا.

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾
[البقرة: ٧٠].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ الَّذِينَ أُمِرُوا بِذَبْحِ الْبَقَرَةِ لِمُوسَىٰ..

﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنِ الْقَوْمِ بِجَهْلَةٍ مِنْهُمْ ثَالِثَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا إِذْ أُمِرُوا بِذَبْحِ الْبَقَرَةِ ذَبَحُوا أَيَّتَهَا تَيَسَّرَتْ مِمَّا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ بَقَرَةٍ، كَانَتْ عَنْهُمْ مُجْزِئَةً، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ غَيْرُهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كُلِّفُوهَا بِصِفَةٍ دُونَ صِفَةٍ، فَلَمَّا سَأَلُوا بَيَانَهَا بِأَيِّ صِفَةٍ هِيَ؟ فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا بِسِنٍّ مِنَ الْأَسْنَانِ دُونَ سِنٍّ سَائِرِ الْأَسْنَانِ، فَقِيلَ لَهُمْ: هِيَ عَوَانٌ بَيْنَ الْفَارِضِ وَالْبِكْرِ، فَكَانُوا إِذَا بُيِّنَتْ لَهُمْ سِنُّهَا لَوْ ذَبَحُوا أَدْنَىٰ بَقَرَةٍ بِالسِّنِّ الَّتِي بُيِّنَتْ لَهُمْ كَانَتْ عَنْهُمْ مُجْزِئَةً، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كُلِّفُوهَا بِغَيْرِ السِّنِّ الَّتِي حُدَّتْ لَهُمْ، وَلَا كَانُوا حُصِرُوا عَلَىٰ لَوْنٍ مِنْهَا دُونَ لَوْنٍ، فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعْرَفَةً لَهُمْ بِنُعُوتِهَا، مُبَيَّنَةً بِحُدُودِهَا الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ بَهَائِمِ الْأَرْضِ، فَشَدَّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، شَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ نَبِيَّهُمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ نَبِيُّنَا ﷺ لِأُمَّتِهِ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا أُهْلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا، وإذا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ**».. وَلَكِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا زَادُوا نَبِيَّهُمْ مُوسَىٰ ﷺ أَذًىٰ وَتَعَنُّتًا، زَادَهُمُ اللهُ عُقُوبَةً وَتَشْدِيدًا.. وَأَقْوَالُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْخَالِفِينَ بَعْدَهُمْ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ كَانُوا أَخَذُوا أَدْنَىٰ بَقَرَةٍ فَذَبَحُوهَا أَجْزَأَتْ عَنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ، مِنْ أَوْضَحِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ أَحْكَامَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي أَيِّ كِتَابِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ عَلَىٰ الْعُمُومِ مَا لَمْ يَخُصَّ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَأَنَّهُ إِذَا خُصَّ مِنْهُ شَيْءٌ فَالْمَخْصُوصُ مِنْهُ خَارِجٌ حُكْمُهُ مِنْ حُكْمِ الْآيَةِ الْعَامَّةِ الظَّاهِرِ، وَسَائِرُ حُكْمِ الْآيَةِ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا الْعَامِّ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ مَنْ عَظُمَتْ جَهَالَتُهُ وَاشْتَدَّتْ حَيْرَتُهُ، أَنَّ

الْقَوْمَ إِنَّمَا سَأَلُوا مُوسَىٰ مَا سَأَلُوا بَعْدَ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِذِبْحِ بَقَرَةٍ مِنَ الْبَقَرِ؛ لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِذِبْحِ بَقَرَةٍ بِعَيْنِهَا خُصَّتْ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ الْجَاهِلُ تَدَبَّرَ قَوْلَهُ هَذَا، لَسَهُلَ عَلَيْهِ مَا اسْتَصْعَبَ مِنَ الْقَوْلِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَعْظَمَ مِنَ الْقَوْمِ مَسْأَلَتَهُمْ نَبِيَّهُمْ مَا سَأَلُوهُ تَشَدُّدًا مِنْهُمْ فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا اسْتَنْكَرَهُ أَنْ يَكُونَ كَانَ مِنْهُمْ، فَزَعَمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَفْرِضَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَرْضًا وَيَتَعَبَّدَهُمْ بِعِبَادَةٍ، ثُمَّ لَا يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَفْرِضُ عَلَيْهِمْ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِهِ حَتَّىٰ يَسْأَلُوا بَيَانَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَضَافَ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا لَا يَجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ، وَنَسَبَ الْقَوْمَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَىٰ مَا لَا يُنْسَبُ الْمَجَانِينُ إِلَيْهِ، فَزَعَمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِمُ الْفَرَائِضَ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْحَيْرَةِ، وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالْهِدَايَةَ..

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾ جِمَاعُ بَقَرَةٍ..

﴿تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ الْتبسَ عَلَيْنَا..

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠﴾ [البقرة: ٧٠] فَإِنَّهُمْ عَنُوا: وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُبَيَّنٌ لَنَا مَا الْتبسَ عَلَيْنَا وَتَشَابَهَ مِنْ أَمْرِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أُمِرْنَا بِذَبْحِهَا.. وَمَعْنَىٰ (اهْتِدَائِهِمْ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَىٰ (تَبيُّنِهِمْ) أَيَّ ذَلِكَ الَّذِي لَزِمَهُمْ ذَبْحُهُ مِمَّا سِوَاهُ مِنْ أَجْنَاسِ الْبَقَرِ.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧١﴾ [البقرة: ٧١].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿يَقُولُ إِنَّهَا﴾ إِنَّ الْبَقَرَةَ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِذَبْحِهَا..

﴿بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ لَمْ يُذَلِّلْهَا الْعَمَلُ.. ولَمْ تُذَلِّلْهَا إِثَارَةُ الْأَرْضِ بِأَظْلَافِهَا..

﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ لَيسَتْ بِذَلُولٍ فَتُثِيرُ الأَرْضَ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهَا -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِيمَا قِيلَ وَحْشِيَّةً..

﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ وَلَا تَعْمَلُ فِي الحَرْثِ..

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مِنَ السَّلَامَةِ، فَوَصَفَهَا اللهُ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْعُيُوبِ..

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ﴾ لا لَوْنَ فِيهَا يُخَالِفُ لَوْنَ جِلْدِهَا.. وَمِنْهُ قِيلَ لِلسَّاعِي بِالرَّجُلِ إِلَىٰ السُّلْطَانِ

أَوْ غَيْرِهِ: وَاشٍ، لِكَذِبِهِ عَلَيْهِ عِنْدَهُ وَتَحْسِينِهِ كَذِبَهُ بِالْأَبَاطِيلِ..

﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ الْآنَ بَيَّنْتَ لَنَا الْحَقَّ فَتَبَيَّنَّاهُ، وَعَرَفْنَا أَيَّةَ بَقَرَةٍ عَيَّنْتَ..

﴿فَذَبَحُوهَا﴾ فَذَبَحَ قَوْمُ مُوسَىٰ الْبَقَرَةَ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِذَبْحِهَا..

﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ۝٧١﴾ [البقرة: ٧١] قَارَبُوا أَنْ يَدَعُوا ذَبْحَهَا، وَيَتْرُكُوا فَرْضَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.. والسَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجَلِهِ كَادُوا أَنْ يُضَيِّعُوا فَرْضَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي ذَبْحِ مَا أَمَرَهُمْ بِذَبْحِهِ خَلَّتَانِ، إِحْدَاهُمَا: غَلَاءُ ثَمَنِهَا، وَالْأُخْرَىٰ: خَوْفُ عَظِيمِ الْفَضِيحَةِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِإِظْهَارِ اللهِ نَبِيَّهُ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَأَتْبَاعَهُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ الذي سألوا عنه.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢﴾ [البقرة: ٧٢].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذ..

﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هِيَ النَّفْسُ الَّتِي ذَكَرْنَا قِصَّتَهَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]..

﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ فَاخْتَلَفْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ.. وقِيلَ مَعْنَاه: فتَدَافعْتُمْ فِيهَا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: دَرَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ عَنِّي، وَمِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [النور: ٨]، بِمَعْنَىٰ يَدْفَعُ عَنْهَا الْعَذَابَ، وَهَذَا قَوْلٌ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِنَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا تَدَافعُوا قَتْلَ قَتِيلٍ، فَانْتَفَىٰ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ قَاتِلَهُ..

﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ وَاللهُ مُظْهِرٌ، ومُعْلِنٌ لِمَنْ خَفِيَ ذَلِكَ عَنْهُ ومُطْلِعُهُم عَلَيْهِ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥] يَعْنِي بِذَلِكَ: يُظْهِرُهُ وَيُطْلِعُهُ مِنْ مَخْبَئِهِ بَعْدَ خَفَائِهِ..

﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢﴾ [البقرة: ٧٢] مَا كُنْتُمْ تُسِرُّونَهُ وَتُغَيِّبُونَه مِنْ قَتْلِ الْقَتِيلِ الَّذِي قَتَلْتُمْ ثُمَّ ادَّارَأْتُمْ فِيهِ.. وَالَّذِي كَانُوا يَكْتُمُونَهُ فَأَخْرَجَهُ، هُوَ قَتْلُ الْقَاتِلِ الْقَتِيلَ، لَمَّا كَتَمَ ذَلِكَ الْقَاتِلُ وَمَنْ عَلِمَهُ مِمَّنْ شَايَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَظْهَرَهُ اللهُ وَأَخْرَجَهُ، فَأَعْلَنَ أَمْرَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ أَمْرَهُ.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾ [البقرة: ٧٣].

﴿فَقُلْنَا﴾ لِقَوْمِ مُوسَىٰ الَّذِينَ ادَّارَءُوا فِي الْقَتِيلِ الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ وَصْفُنَا أَمْرَهُ..

﴿ٱضْرِبُوهُ﴾ اضْرِبُوا الْقَتِيلَ لِيَحْيَا..

﴿بِبَعۡضِهَاۚ﴾ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِذَبْحِهَا فَذَبَحُوهَا.. وَلَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ وَلَا خَبَرَ تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ عَلَىٰ أَيِّ أَبْعَاضِهَا الَّتِي أُمِرَ الْقَوْمُ أَنْ يَضْرِبُوا الْقَتِيلَ بِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَضْرِبُوهُ بِهِ هُوَ الْفَخِذُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنَبَ، وَغُضْرُوفَ الْكَتِفِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَبْعَاضِهَا، وَلَا يَضُرُّ الْجَهْلُ بِأَيِّ ذَلِكَ ضَرَبُوا الْقَتِيلَ، وَلَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ بِهِ، مَعَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ ضَرَبُوا الْقَتِيلَ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ بَعْدَ ذَبْحِهَا، فَأَحْيَاهُ اللهُ..

﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ مُخَاطَبَةٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحْتِجَاجٌ مِنْهُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، وَأَمْرُهُمْ بِالِاعْتِبَارِ بِمَا كَانَ مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مِنْ إِحْيَاءِ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مَمَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، اعْتَبِرُوا بِإِحْيَائِي هَذَا الْقَتِيلَ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَإِنِّي كَمَا أَحْيَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا فَكَذَلِكَ أُحْيِي الْمَوْتَىٰ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، فَأَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ.. فَإِنَّمَا احْتَجَّ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ عَلَىٰ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَهُمْ قَوْمٌ أُمِّيُّونَ لَا كِتَابَ لَهُمْ، لِأَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ، فَأَخْبَرَهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ لِيَتَعَرَّفُوا عِلْمَ مَنْ قَبْلَهُمْ..

﴿وَيُرِيكُمۡ﴾ اللهُ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ..

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ وأَعْلَامَهُ وَحُجَجَهُ الدَّالَّةَ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٧٣﴾ [البقرة: ٧٣] لِتَعْقِلُوا وَتَفْهَمُوا أَنَّهُ مُحِقٌّ صَادِقٌ فَتُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَّبِعُوهُ.

﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٧٤﴾ [البقرة: ٧٤].

﴿ثُمَّ قَسَتۡ﴾ جَفَّتْ وَغَلُظَتْ وَعَسَتْ..

﴿قُلُوبُكُم﴾ عَنِ الْخُضُوعِ وَالْإِذْعَانِ لِوَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكُمْ.. وَكَانَتْ قَسَاوَةُ قُلُوبِهِمُ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونُوا هُمْ قَتَلُوا الْقَتِيلَ الَّذِي أَحْيَاهُ اللهُ، فَأَخْبَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا قَتَلَتَهُ..

﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَحْيَا الْمَقْتُولَ لَهُمُ الَّذِي ادَّارَءُوا فِي قَتْلِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِقَاتِلِهِ وَمَا السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قَتَلَهُ..

﴿فَهِيَ﴾ قُلُوبُكُمْ، بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُمُ الْحَقَّ فَتَبَيَّنْتُمُوهُ وَعَرَفْتُمُوهُ..

﴿كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ صَلَابَةً وَيُبْسًا وَغِلَظًا وَشِدَّةً.

﴿أَوْ﴾ عِنْدَ مَنْ عَرَفَ شَأْنَهُمْ..

﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ وصَلَابَةً عَنِ الْإِذْعَانِ لِوَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِاللَّازِمِ مِنْ حُقُوقِهِ لَهُمْ مِنَ الْحِجَارَةِ.. فَقُلُوبُهُمْ لَا تَخْرُجُ مِنْ أَحِدِ هَذَيْنِ الْمِثْلَيْنِ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِثْلًا لِلْحِجَارَةِ فِي الْقَسْوَةِ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَشَدَّ مِنْهَا قَسْوَةً، فَبَعْضُهَا كَالْحِجَارَةِ قَسْوَةً، وَبَعْضُهَا أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ..

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ حِجَارَةً يَتَفَجَّرُ مِنْهَا الْمَاءُ الَّذِي تَكُونُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ..

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَحِجَارَةً تَشَقَّقُ، وَتَشَقُّقُهَا: تَصَدُّعُهَا...

﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ فَيَكُونُ عَيْنًا نَابِعَةً وَأَنْهَارًا جَارِيَةً..

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَرَدَّى مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ إِلَى الْأَرْضِ وَالسَّفْحِ مِنْ خَوْفِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ اللهُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- الْحِجَارَةَ بِمَا وَصَفَهَا بِهِ مِنْ أَنَّ مِنْهَا الْمُتَفَجِّرَ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَأَنَّ مِنْهَا الْمُتَشَقِّقَ بِالْمَاءِ، وَأَنَّ مِنْهَا الْهَابِطَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، بَعْدَ الَّذِي جَعَلَ مِنْهَا لِقُلُوبِ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْ قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلًا، مَعْذِرَةً مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَهَا دُونَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْ قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ كَانُوا بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَا مِنَ التَّكْذِيبِ بِرُسُلِهِ وَالْجُحُودِ لِآيَاتِهِ بَعْدَ الَّذِي أَرَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، وَعَايَنُوا مِنْ عَجَائِبِ الْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ، مَعَ مَا أَعْطَاهُمْ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- مِنْ صِحَّةِ الْعُقُولِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ سَلَامَةِ النُّفُوسِ، الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا الْحَجَرَ وَالْمَدَرَ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْهُ مَا يَتَفَجَّرُ بِالْأَنْهَارِ، وَمِنْهُ مَا يَتَشَقَّقُ بِالْمَاءِ، وَمِنْهُ مَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، فَأَخْبَرَ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- أَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا هُوَ أَلْيَنُ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِمَا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ﴾ يَا مَعْشَرَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ وَالْجَاحِدِينَ نُبُوَّةَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْمُتَقَوِّلِينَ عَلَيْهِ الْأَبَاطِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَحْبَارِ الْيَهُودِ.. وَأَصْلُ الْغَفْلَةِ عَنِ الشَّيْءِ: تَرْكُهُ عَلَى وَجْهِ السَّهْوِ عَنْهُ وَالنِّسْيَانِ لَهُ، فَأَخْبَرَهُمْ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- أَنَّهُ غَيْرُ غَافِلٍ..

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤] مِنْ أَعْمَالِكُمُ الْخَبِيثَةِ وَأَفْعَالِكُمُ الرَّدِيئَةِ؛ وَلَكِنَّهُ يُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ أَوْ يُعَاقِبُكُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا.

﴿* أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

﴿* أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أَفَتَرْجُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْمُصَدِّقِينَ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ أَنْ يُؤْمِنَ لَكُمْ يَهُودُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ وأَنْ يُصَدِّقُوكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ؟.. كَيْفَ تَطْمَعُونَ فِي تَصْدِيقِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ إِيَّاكُمْ، وَإِنَّمَا تُخْبِرُونَهُمْ بِالَّذِي تُخْبِرُونَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنْ غَيْبٍ لَمْ يُشَاهِدُوهُ وَلَمْ يُعَايِنُوهُ..

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ أَمَّا (الْفَرِيقُ) فَجَمْعٌ، كَالطَّائِفَةِ، لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَهُوَ فَعِيلٌ مِنَ التَّفَرُّقِ، سُمِّيَ بِهِ الْجِمَاعُ كَمَا سُمِّيَتِ الْجَمَاعَةُ بِـ (الْحِزْبِ) مِنَ (التَّحَزُّبِ) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّمَا جَعَلَ اللهُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ مُوسَىٰ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿* أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا آبَاءَهُمْ وَأَسْلَافَهُمْ، فَجَعَلَهُمْ مِنْهُمْ إِذْ كَانُوا عَشَائِرَهُمْ وَفَرَطَهُمْ وَأَسْلَافَهُمْ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ الْيَوْمَ الرَّجُلَ وَقَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ مِنْهَاجِ الذَّاكِرِ وَطَرِيقَتِهِ، وَكَانَ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَيَقُولُ: كَانَ مِنَّا فُلَانٌ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ طَرِيقَتِهِ أَوْ مُذْهَبِهِ أَوْ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ؛ فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾..

﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ يَسْمَعُ مِنَ اللهِ كَلَامَهُ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ كَمَا يَسْمَعُ أَهْلُ النُّبُوَّةِ، وَهُم الَّذِينَ سَأَلُوا مُوسَىٰ رُؤْيَةَ رَبِّهِمْ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ فِيهَا، فَقَالُوا لِمُوسَىٰ: يَا مُوسَىٰ قَدْ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَأَسْمِعْنَا كَلَامَهُ حِينَ يُكَلِّمُكَ، فَطَلَبَ ذَلِكَ مُوسَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَمُرْهُمْ فَلْيَتَطَهَّرُوا وَلِيُطَهِّرُوا ثِيَابَهُمْ وَيَصُومُوا، فَفَعَلُوا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ حَتَّىٰ أَتَىٰ الطُّورَ، فَلَمَّا غَشِيَهُمُ الْغَمَامُ أَمَرَهُمْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَقَعُوا سُجُودًا، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ فَسَمِعُوا كَلَامَهُ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، حَتَّىٰ عَقَلُوا مَا سَمِعُوا، ثُمَّ انْصَرَفَ بِهِمْ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا جَاءُوهُمْ حَرَّفَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَقَالُوا حِينَ قَالَ مُوسَىٰ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ ذَلِكَ الْفَرِيقُ الَّذِي ذَكَرَهُمُ اللهُ: إِنَّمَا قَالَ كَذَا وَكَذَا خِلَافًا لِمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ، فَهُمُ الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ ثُمَّ يُبَدِّلُونَ مَعْنَاه وَتَأْوِيلَهُ وَيُغَيرونه.. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مِنْ بَقَايَا نَسْلِهِمْ أَحْرَىٰ أَنْ يَجْحَدُوا مَا أَتَيْتُمُوهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ اللهِ، وَإِنَّمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْكُمْ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ أَنْ يُحَرِّفُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَةِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتِهِ، وَيُبَدِّلُوهُ وَهُمْ بِهِ عَالِمُونَ فَيَجْحَدُوهُ وَيُكَذِّبُوا، مِنْ أَوَائِلِهُمُ الَّذِينَ بَاشَرُوا كَلَامَ اللهِ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، ثُمَّ حَرَّفُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَعَلِمُوهُ، مُتَعَمِّدِينَ التَّحْرِيفَ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أَخْبَرَ أَنَّ التَّحْرِيفَ كَانَ مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا تَأْوِيلَهُ، اسْتِعْظَامًا مِنَ اللهِ لِمَا كَانُوا يَأْتُونَ مِنَ الْبُهْتَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ

وَالْبُرْهَانِ، وَإِيذَانًا مِنْهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَطْعَ أَطْمَاعِهِمْ مِنْ إِيمَانِ بَقَايَا نَسْلِهِمْ بِمَا أَتَاهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْحَقِّ وَالنُّورِ وَالْهُدَىٰ..

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٥﴾ [البقرة: ٧٥] أَنَّهُمْ فِي تَحْرِيفِهِمْ مَا حَرَّفُوا مِنْ ذَلِكَ مُبْطِلُونَ كَاذِبُونَ.. وَذَلِكَ إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنْ إِقْدَامِهِمْ عَلَىٰ الْبَهْتِ، وَمُنَاصَبَتِهِمُ الْعَدَاوَةَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ مُوسَىٰ ﷺ، وَأَنَّ بَقَايَاهُمْ مِنْ مُنَاصَبَتِهِمُ الْعَدَاوَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَغْيًا وَحَسَدًا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَوَائِلُهُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي عَصْرِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٦﴾ [البقرة: ٧٦].

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ- عَنِ الَّذِينَ أَيْأَسَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ إِيمَانِهِمْ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ إذا لقوا الذين آمنوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا صَدَّقْتُمْ بِهِ وَأَقْرَرْنَا بِذَلِكَ..

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ﴾ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ..

﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ مِنْهُمْ فَصَارُوا فِي خَلَاءٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ غَيْرُهُمْ..

﴿قَالُوا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ مِنْ بَعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ خَلْقِهِ.. وَكَانَ قِيلُهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ وَكَانُوا يُخْبِرُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ..

﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ فَكَانَ تَلَاوُمُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِذَا خَلَوْا عَلَىٰ مَا كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ عَنْ وُجُودِ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كُتُبِهِمْ وَيَكْفُرُونَ بِهِ، وَكَانَ فَتْحُ اللهِ الَّذِي فَتَحَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَحُكْمُهُ عَلَيْهِمْ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَرُوا بِهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٦﴾ [البقرة: ٧٦] هذا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنِ الْيَهُودِ اللَّائِمِينَ إِخْوَانَهُمْ عَلَىٰ مَا أَخْبَرُوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا فَتَحَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُمْ: أَفَلَا تَفْقَهُونَ أَيُّهَا

الْقَوْمُ وَتَعْقِلُونَ أَنَّ إِخْبَارَكُمْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا فِي كُتُبِكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، حُجَّةٌ لَهُمْ عَلَيْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَيْكُمْ؟ أَيْ فَلَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُمْ مِثْلَ مَا قُلْتُمْ، وَلَا تُخْبِرُوهُمْ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرْتُمُوهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٧].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ أَوَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ اللَّائِمُونَ مِنَ الْيَهُودِ إِخْوَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ، عَلَىٰ كَوْنِهِمْ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَعَلَىٰ إِخْبَارِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَبْعَثِهِ، الْقَائِلُونَ لَهُمْ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]..

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ أَنَّ اللهَ عَالِمٌ بِمَا يُسِرُّونَ، فَيُخْفُونَهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي خَلَائِهِمْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَتَلَاوُمِهِمْ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ إِظْهَارِهِمْ مَا أَظْهَرُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَىٰ قِيلِهِمْ لَهُمْ آمَنَّا، وَنَهْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَنْ يُخْبِرُوا الْمُؤْمِنِينَ بِمَا فَتَحَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَقَضَىٰ لَهُمْ عَلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ حَقِيقَةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتِهِ وَمَبْعَثِهِ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٧] فَيُظْهِرُونَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِذَا لَقُوهُمْ مِنْ قِيلِهِمْ لَهُمْ: آمَنَّا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، نِفَاقًا وَخِدَاعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨].

﴿وَمِنْهُمْ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَأَيْأَسَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِيمَانِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥] وَهُمْ ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١١٩]، مِنْهُمْ فَرِيقٌ..

﴿أُمِّيُّونَ﴾ لَا يَكْتُبُونَ، وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي عِنْدَهُمْ، ومع ذلك فهم يَدَّعُونَ الْإِقْرَارَ بما فيه، مِنْ أَحْكَامِ اللهِ وَفَرَائِضِهِ، وحُدُودِهِ الَّتِي بَيَّنَهَا فِيهِ.. والْأُمِّيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ الَّذِي لَا يَكْتُبُ، وقِيلَ لِلْأُمِّيِّ أُمِّيٌّ نِسْبَةً لَهُ بِأَنَّهُ لَا يَكْتُبُ، إِلَىٰ أُمِّهِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ كَانَ فِي الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، فَنُسِبَ مَنْ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَخُطُّ مِنَ الرِّجَالِ إِلَىٰ أُمِّهِ فِي جَهْلِهِ بِالْكِتَابَةِ دُونَ أَبِيهِ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لَا يَفْقَهُونَ مَا فِي..

﴿الْكِتَابَ﴾ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ، وَلَا يَدْرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللهُ مِنْ حُدُودِهِ وَأَحْكَامِهِ وَفَرَائِضِهِ كَهَيْئَةِ الْبَهَائِمِ..

﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ إِلَّا قَوْلًا يَقُولُونَهُ بِأَفْوَاهِهِمْ كَذِبًا، وَيَتَقَوَّلُونَ الْأَبَاطِيلَ كَذِبًا وَزُورًا.. وَالتَّمَنِّي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، هُوَ تَخَلُّقُ الْكَذِبِ وَتَخَرُّصُهُ وَافْتِعَالُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: تَمَنَّيْتُ كَذَا: إِذَا افْتَعَلْتُهُ وَتَخَرَّصْتُهُ..

﴿وَإِنْ هُمْ﴾ يعني: وَمَا هُمْ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] يَعْنِي بِذَلِكَ: مَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ..

﴿إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ [البقرة: ٧٨] يَتْرُكُونَ التَّصْدِيقَ بِالَّذِي يُوقِنُونَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَيَتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ شَاكُّونَ، وَفِي حَقِيقَتِهِ مُرْتَابُونَ مِمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ كُبَرَاؤُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ وَأَحْبَارُهُمْ، عِنَادًا مِنْهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَمُخَالَفَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِ اللهِ وَاغْتِرَارًا مِنْهُمْ بِإِمْهَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

﴿فَوَيْلٌ﴾ فَالْعَذَابُ الَّذِي هُوَ شُرْبُ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ فِي أَسْفَلِ الْجَحِيمِ..

﴿لِّلَّذِينَ﴾ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْبَاطِلَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حَرَّفُوا كِتَابَ اللهِ، وَكَتَبُوا كِتَابًا عَلَىٰ مَا تَأَوَّلُوهُ مِنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ، مُخَالِفًا لِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ..

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ، وَعَمْدٍ لِلْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، فَنَفَىٰ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِ: «بِأَيْدِيهِمْ» أَنْ يَكُونَ وَلِيَ كِتَابَةَ ذَلِكَ بَعْضُ جُهَّالِهِمْ بِأَمْرِ عُلَمَائِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ..

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ بَاعُوهُ مِنْ قَوْمٍ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالكتابة، وَلَا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ -جُهَّالٍ بِمَا فِي كُتُبِ اللهِ- لِطَلَبِ عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا خَسِيسٍ..

﴿فَوَيْلٌ﴾ فَالْعَذَابُ فِي الْوَادِي، السَّائِلِ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ..

﴿لَّهُم﴾ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ -الَّذِي وَصَفْنَا أَمْرَهُ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ- مُحَرَّفًا، ثُمَّ قَالُوا: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ ابْتِغَاءَ عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا بِهِ قَلِيلٍ مِمَّنْ يَبْتَاعَهُ مِنْهُمْ..

﴿مِّمَّا﴾ مِنَ الَّذِي..

﴿كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَوَيْلٌ لَّهُم﴾ أَيْضًا..

﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة: ٧٩] مِمَّا يَعْمَلُونَ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَجْتَرِحُونَ مِنَ الْآثَامِ، وَيَكْسِبُونَ

مِنَ الْحَرَامِ بِكِتَابِهِمُ الَّذِي يَكْتُبُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ، بِخِلَافِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، ثُمَّ يَأْكُلُونَ ثَمَنَهُ، وَقَدْ بَاعُوهُ مِمَّنْ بَاعُوهُ مِنْهُمْ، عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ.. وَأَصْلُ الْكَسْبِ: الْعَمَلُ، فَكُلُّ عَامِلٍ عَمَلًا بِمُبَاشَرَةٍ مِنْهُ لِمَا عَمِلَ وَمُعَانَاةٍ بِاحْتِرَافٍ، فَهُوَ كَاسِبٌ لِمَا عَمِلَ.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة: ٨٠].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ..

﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ﴾ لَنْ تُلَاقِيَ أَجْسَامَنَا النَّارُ، وَلَنْ نَدْخُلَهَا..

﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمَعْشَرِ الْيَهُودِ..

﴿أَتَّخَذۡتُمۡ﴾ أَأَخَذْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا﴾ مِنَ اللهِ مِيثَاقًا..

﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ فَاللهُ لَا يَنْقُضُ مِيثَاقَهُ، وَلَا يُبَدِّلُ وَعْدَهُ وَعَقْدَهُ..

﴿أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة: ٨٠] تَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ جَهْلًا وَجَرَاءَةً عَلَيْهِ..

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة: ٨١].

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ﴾ مَنْ عَمِلَ مِثْلَ أَعْمَالِكُمْ..

﴿سَيِّئَةً﴾ شركًا..

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ اقْتَرَفَ ذُنُوبًا جَمَّةً، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ، وَكَفَرَ بِمِثْلِ مَا كَفَرْتُمْ بِهِ حَتَّىٰ يُحِيطَ كُفْرُهُ بِمَا لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ، فَمَاتَ عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا.. وَأَصْلُ الْإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ: الْإِحْدَاقُ بِهِ بِمَنْزِلَةِ الْحَائِطِ الَّذِي تُحَاطُ بِهِ الدَّارُ فَتُحْدِقُ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ وَأَحَاطَتْ بِهِمْ خَطِيئَاتُهُمْ..

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أَهْلَ النَّارِ.. وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ لَهَا أَصْحَابًا؛ لِإِيثَارِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا مَا

يُورِدُهُمُوهَا، وَيُورِدُهُمْ سَعِيرَهَا، عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُورِدُهُمُ الْجَنَّةَ، فَجَعَلَهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِإِيثَارِهِمْ أَسْبَابَهَا عَلَىٰ أَسْبَابِ الْجَنَّةِ لَهَا أَصْحَابًا، كَصَاحِبِ الرَّجُلِ الَّذِي يُصَاحِبُهُ مُؤْثِرًا صُحْبَتَهُ عَلَىٰ صُحْبَةِ غَيْرِهِ حَتَّىٰ يُعْرَفَ بِهِ..

﴿هُمْ فِيهَا﴾ فِي النَّارِ..

﴿خَٰلِدُونَ ۝٨١﴾ [البقرة: ٨١] مُقِيمُونَ.. وهذه الآية تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ الْقَائِلِينَ مِنَ الْيَهُودِ: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وَإِخْبَارٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُ يُعَذِّبُ مَنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَأَحَاطَتْ بِهِ ذُنُوبُهُ فَمُخَلَّدُهُ فِي النَّارِ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَسْكُنُهَا إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَهْلُ الطَّاعَةِ لَهُ، وَالْقَائِمُونَ بِحُدُودِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢﴾ [البقرة: ٨٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أَطَاعُوا اللهَ فَأَقَامُوا حُدُودَهُ وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ، وَاجْتَنَبُوا مَحَارِمَهُ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ هُمْ كَذَلِكَ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ﴾ أَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢﴾ [البقرة: ٨٢] مُقِيمُونَ أَبَدًا.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ عَنْ بَقَاءِ النَّارِ وَبَقَاءِ أَهْلِهَا فِيهَا، وَدَوَامِ مَا أَعَدَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا لِأَهْلِهَا، تَكْذِيبًا مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْقَائِلِينَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ النَّارَ لَنْ تَمَسَّهُمْ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وَأَنَّهُمْ صَائِرُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ؛ فَأَخْبَرَهُمْ بِخُلُودِ كُفَّارِهِمْ فِي النَّارِ وَخُلُودِ مُؤْمِنِيهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝٨٣﴾ [البقرة: ٨٣].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ..

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ، وأن تُخْلِصُوا لَهُ العِبَادَةَ، وَأَنْ لَا تَعْبُدُوا غَيْرَه..

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وَبِأَنْ تُحْسِنُوا إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، مِنْ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ لَهُمَا، وَالْقَوْلِ الْجَمِيلِ، وَخَفْضِ جَنَاحِ الذُّلِّ رَحْمَةً بِهِمَا، وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْهِمَا، وَالرَّأْفَةِ بِهِمَا وَالدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ لَهُمَا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي نَدَبَ اللهُ عِبَادَهُ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِمَا..

﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أَنْ تَصِلُوا رَحِمَهُ، وَتَعْرِفُوا حَقَّهُ..

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أَنْ تَتَعَطَّفُوا عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، الذُّكُورِ مِنْهُمْ وَالْإِنَاثِ..

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ أَنْ تُؤْتُوهُمْ حُقُوقَهُمُ الَّتِي أَلْزَمَهَا اللهُ أَمْوَالَكُمْ.. وَالْمِسْكِينُ: هُوَ الْمُتَخَشِّعُ الْمُتَذَلِّلُ مِنَ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، مِنَ الْمَسْكَنَةِ وهِيَ ذُلُّ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ..

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وأَنْ تَأْمُرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَنْ لَمْ يَقُلْهَا وَرَغِبَ عَنْهَا، حَتَّىٰ يَقُولُوهَا كَمَا قَالُوهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ قُرْبَةٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-.. وتُلِينُوا الْقَوْلَ؛ فَإِنَّه مِنَ الْأَدَبِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ، وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ مِمَّا ارْتَضَاهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ..

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أَدُّوهَا بِحُقُوقِهَا الْوَاجِبَةِ عَلَيْكُمْ فِيهَا.. وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ: تَمَامُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتِّلَاوَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهَا فِيهَا..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فَخَالَفُوا أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ، فَوَفَىٰ للهِ بِعَهْدِهِ وَمِيثَاقِهِ..

﴿وَأَنتُم﴾ يَا مَعْشَرَ بَقَايَا يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مُّعْرِضُونَ ۝٨٣﴾ [البقرة: ٨٣] أَيْضًا عَنِ الْمِيثَاقِ الَّذِي أُخِذَ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ، وَتَارِكُوهُ تَرْكَ أَوَائِلِكُمْ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٨٤﴾ [البقرة: ٨٤].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ فنُهُوا عَنْ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَكَانَ فِي قَتْلِ الرَّجُلِ مِنْهُمْ الرَّجُلَ قَتْلُ نَفْسِهِ، إِذْ كَانَتْ مِلَّتُهُمَا بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، بِمَنْزِلَةِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ بَعْضُهُ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ**».. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «**لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**» أَيْ: لَا يَقْتُلُ الرَّجُلُ مِنْكُمُ الرَّجُلَ مِنكُمْ، فَيُقَادُ بِهِ قِصَاصًا، فَيَكُونَ بِذَلِكَ قَاتِلًا نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ الَّذِي سَبَّبَ لِنَفْسِهِ مَا اسْتَحَقَّتْ بِهِ الْقَتْلَ، فَأُضِيفَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ قَتْلُ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ إِيَّاهُ

قِصَاصًا بِوَلِيِّهِ، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ فِعْلًا مِنَ الْأَفْعَالِ يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعُقُوبَةَ فَيُعَاقَبُ الْعُقُوبَةَ: أَنْتَ جَنَيْتَ هَذَا عَلَىٰ نَفْسِكَ..

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ لَا يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنَ الدِّيَارِ..

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ، وهو ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾.. يَعْنِي بِذَلِكَ: إِقْرَارَ أَوَائِلِكُمْ وَسَلَفِكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة: ٨٤] عَلَىٰ إِقْرَارِكُمْ بِأَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمْ، بِأَنْ لَا يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وَلَا يُخْرِجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ.. وهو تَأْنِيبٌ لِلَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عَلَىٰ نَقْضِهِمْ وَنَقْضِ سَلَفِهِمْ ذَلِكَ الْمِيثَاقِ، وتَكْذِيبِهِمْ مَا وَكَّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَهُ بِالْوَفَاءِ مِنَ الْعُهُودِ.. فَإِنَّه وَإِنْ كَانَ الخِطَابُ لِلَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا ﷺ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ كُلُّ مَنْ وَاثَقَ بِالْمِيثَاقِ مِنْهُمْ عَلَىٰ عَهْدِ مُوسَىٰ وَمَنْ بَعْدَهُ، وَكُلُّ مَنْ شَهِدَ مِنْهُمْ بِتَصْدِيقِ مَا فِي التَّوْرَاةِ؛ لِأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَمْ يَخْصُصْ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ، وَالْآيَةُ مُحْتَمِلَةٌ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهَا جَمِيعُهُمْ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهَا بَعْضٌ مِنْهُمْ دُونَ بَعْضٍ.. وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] الْآيَةُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ أَنَّ أَوَائِلَهُمْ قَدْ كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ أَوَاخِرُهُمُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا عَصْرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ إِقْرَارِكُمْ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بَعْدَ شَهَادَتِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لِي عَلَيْكُمْ لَازِمٌ لَكُمُ الْوَفَاءُ لِي بِهِ..

﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ وَأَنْتُمْ مَعَ قَتْلِكُمْ مَنْ تَقْتُلُونَ مِنْكُمْ يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِ..

﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم﴾ مُتَعَاوِنِينَ عَلَيْهِمْ..

﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ فِي إِخْرَاجِكُمْ إِيَّاهُمْ..

﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ فَكَيْفَ تَسْتَجِيزُونَ قَتْلَهُمْ وَلَا تَسْتَجِيزُونَ تَرْكَ فِدَائِهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ؟! أَمْ كَيْفَ لَا تَسْتَجِيزُونَ تَرْكَ فِدَائِهِمْ وَتَسْتَجِيزُونَ قَتْلَهُمْ؟!

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ﴾ حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دُورِهِمْ، نَظِيرُ الَّذِي حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَرْكِهِمْ أَسْرَىٰ فِي أَيْدِي عَدُوِّهِمْ..

﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الَّذِي فَرَضْتُ عَلَيْكُمْ فِيهِ فَرَائِضِي، وَبَيَّنْتُ لَكُمْ فِيهِ حُدُودِي، وَأَخَذْتُ عَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ مِيثَاقِي، فَتُصَدِّقُونَ بِهِ، فَتُفَادُونَ أَسْرَاكُمْ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ..

﴿وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ فَتَجْحَدُونَهُ، فَتَقْتُلُونَ مَنْ حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ قَتْلَهُ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِنْ قَوْمِكُمْ، وَتُخْرِجُونَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ؟! وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْكُفْرَ مِنْكُمْ بِبَعْضِهِ نَقْضٌ مِنْكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي..

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ﴾ فَلَيْسَ لِمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ قَتِيلًا فَكَفَرَ بِقَتْلِهِ إِيَّاهُ بِنَقْضِ عَهْدِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ عَلَيْهِ فِي التَّوْرَاةِ، وَأَخْرَجَ مِنْكُمْ فَرِيقًا مِنْ دِيَارِهِمْ مُظَاهِرًا عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَخِلَافًا لِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿إِلَّا خِزۡيٞ﴾ ذُلٌّ وَصَغَارٌ.. وذَلِكَ مِنْ أَخْذِ الْقَاتِلِ بِمَنْ قَتَلَ وَالْقَوَدِ بِهِ قِصَاصًا، وَالِانْتِقَامِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ هُوَ أَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ مَا أَقَامُوا عَلَىٰ دِينِهِمْ ذِلَّةً لَهُمْ وَصَغَارًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ الْخِزْيُ الَّذِي جُوزُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا إِخْرَاجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ النَّضِيرَ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ، وَقَتْلُ مُقَاتِلَةِ قُرَيْظَةَ، وَسَبْيُ ذَرَارِيِّهِمْ؛ فَكَانَ ذَلِكَ خِزْيًا فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ..

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ..

﴿يُرَدُّونَ﴾ يُرَدُّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ بَعْدَ الْخِزْيِ الَّذِي يَحِلُّ بِهِ فِي الدُّنْيَا جَزَاءً عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ الَّذِي أَعَدَّ اللهُ لِأَعْدَائِهِ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ وَمَا اللهُ بِسَاهٍ..

﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾ [البقرة: ٨٥] بِالْيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ، يَعْنِي: وَمَا اللهُ بِسَاهٍ عَنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، بَلْ هُوَ مُحْصٍ لَهَا وَحَافِظُهَا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَيُخْزِيَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَيُذِلَّهُمْ وَيَفْضَحَهُمْ.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾ [البقرة: ٨٦].

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ أَخبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ، فَيُفَادُونَ أَسْرَاهُمْ مِنَ الْيَهُودِ، وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، فَيَقْتُلُونَ مَنْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَتْلَهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ، وَيُخْرِجُونَ مِنْ دَارِهِ مَنْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجَهُ مِنْ دَارِهِ، نَقْضًا لِعَهْدِ اللهِ وَمِيثَاقِهِ فِي التَّوْرَاةِ إِلَيْهِمْ..

﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ رِيَاسَةَ..

﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ وَأَهْلِ الْجَهْلِ وَالْغَبَاءِ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ، وَابْتَاعُوا الْمَآكِلَ الْخَسِيسَةَ الرَّدِيئَةَ فِيهَا..

﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بِالْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ يَكُونُ لَهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، - لَوْ كَانُوا أَتَوْا بِهِ مَكَانَ الْكُفْرِ- الْخُلُودُ فِي الْجِنَانِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهُمُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِأَنَّهُمُ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِالدُّنْيَا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ فِيهَا عِوَضًا مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَجَعَلَ حُظُوظَهُمْ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ ثَمَنًا لِمَا ابْتَاعُوهُ بِهِ مِنْ خَسِيسِ الدُّنْيَا..

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ لِأَنَّ الَّذِي يُخَفَّفُ عَنْهُ فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ هُوَ الَّذِي لَهُ حَظٌّ فِي نَعِيمِهَا، وَلَا حَظَّ لِهَؤُلَاءِ لِاشْتِرَائِهِمُ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا وَدُنْيَاهُمْ بِآخِرَتِهِمْ..

﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾ [البقرة: ٨٦] لَا يَنْصُرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَحَدٌ فَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنُصْرَتِهِ عَذَابَ اللهِ، لَا بِقُوَّتِهِ وَلَا بِشَفَاعَتِهِ وَلَا غَيْرِهِمَا.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [البقرة: ٨٧].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾ أَنْزَلْنَا إِلَىٰ..

﴿مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التَّوْرَاةُ..

﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ وَأَرْدَفْنَا وَأَتْبَعْنَا..

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ..

ﷺ إِلَىٰ زَمَانِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا بَعَثَهُ يَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِإِقَامَةِ التَّوْرَاةِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا وَالدُّعَاءِ إِلَىٰ مَا فِيهَا، وَالْعَمَلِ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ بِهِ..

﴿وَءَاتَيْنَا﴾ وأَعْطَيْنَا..

﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مَا أَظْهَرَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَبَانَتْ مَنْزِلَتَهُ مِنَ اللهِ، وَدَلَّتْ عَلَىٰ صِدْقِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ..

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قَوَّيْنَاهُ فَأَعَنَّاهُ..

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.. وَإِنَّمَا سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ جِبْرِيلَ رُوحًا وَأَضَافَهُ إِلَىٰ الْقُدُسِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِتَكْوِينِ اللهِ لَهُ رُوحًا مِنْ عِنْدِهِ، مِنْ غَيْرِ وِلَادَةِ وَالِدٍ وَلَدَهُ، فَسَمَّاهُ بِذَلِكَ رُوحًا، وَأَضَافَهُ إِلَىٰ الْقُدُسِ، وهُوَ الطُّهْرُ، كَمَا سُمِّيَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رُوحًا لِلَّهِ مِنْ أَجْلِ تَكْوِينِهِ لَهُ رُوحًا مِنْ عِنْدِهِ مِنْ غَيْرِ وِلَادَةِ وَالِدٍ وَلَدَهُ..

﴿أَفَكُلَّمَا﴾ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّقْرِيرِ فِي الْخِطَابِ فَهُوَ بِمَعْنَىٰ الْخَبَرِ..

﴿جَآءَكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿رَسُولُۢ﴾ مِنْ رُسُلِي..

﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ بِغَيْرِ الَّذِي تَهْوَاهُ نُفُوسُكُمُ..

﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عَلَيْهِمْ تَجَبُّرًا وَبَغْيًا، اسْتِكْبَارَ إِمَامِكُمْ إِبْلِيسَ..

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ فَكَذَّبْتُمْ بَعْضًا مِنْهُمْ..

﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾ [البقرة: ٨٧] وَقَتَلْتُمْ بَعْضًا، فَهَذَا فِعْلُكُمْ أَبَدًا بِرُسُلِي.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ..

﴿قُلُوبُنَا غُلْفُۢ ۚ﴾ فِي أَكِنَّةٍ، وَأَغْطِيَةٍ، لَا تَفْقَهُ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَل﴾ مَا ذَلِكَ كَمَا زَعَمُوا.. وهو تَكْذِيبٌ مِنْهُ لِلْقَائِلِينَ مِنَ الْيَهُودِ: «قُلُوبُنَا غُلْفٌ»..

﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لَكِنَّ اللهَ أَقْصَاهُمْ، وَأَبْعَدَهُمْ، وَطَرَدَهُمْ، وَأَخْزَاهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ..

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ بِكُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ آيَاتِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَمَا ابْتَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَاءَهُ..

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة: ٨٨] لا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وَلَمَّا جَاءَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ وَصَفَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- صِفَتَهُمْ..

﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي مَعَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ..

﴿وَكَانُوا﴾ وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، الَّذِينَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ قَبْلَ الْقرآن..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ محمد ﷺ..

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ويَسْتَنْصِرُونَ اللهَ بِهِ..

﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عَلَىٰ مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ..

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- رَسُولَهُ مِنْ قُرَيْشٍ كَفَرُوا بِهِ.. فَفِيهِ إِخْبَارُ اللهِ ﷻ عَنِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ تَعَمَّدُوا الْكُفْرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ بِنُبُوَّتِهِ عَلَيْهِمْ وَقَطْعِ اللهِ عُذْرَهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ..

﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ﴾ فَخِزْيُ اللهِ وَإِبْعَادُهُ..

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩] عَلَىٰ الْجَاحِدِينَ مَا قَدْ عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ لِلَّهِ وَلِأَنْبِيَائِهِ الْمُنْكِرِينَ، لِمَا قَدْ ثَبَتَ عِنْدَهُمْ صِحَّتُهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿بِئْسَمَا﴾ بِئْسَ الشَّيْءُ الذي..

﴿اشْتَرَوْا﴾ بَاعَ الْيَهُودُ..

﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ وهو..

﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ كفرُهم..

﴿بِمَآ﴾ بِالَّذِي..

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ مُوسَىٰ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْأَمْرِ بِتَصْدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ..

﴿بَغْيًا﴾ تَعَدِّيًا وَحَسَدًا مِنْ أَجْلِ..

﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ إنزالِ الله..

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ وَحِكْمَتِهِ وَآيَاته وَنُبُوَّتِهِ..

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يَعْنِي بِهِ: عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَمَا أَخْبَرَ اللهُ فِيهَا عَنْ حَسَدِ الْيَهُودِ مُحَمَّدًا ﷺ وَقَوْمَهُ مِنَ الْعَرَبِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ فِيهِمْ دُونَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَتَّىٰ دَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ لِلَّهِ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ؛ نَظِيرُهُ الْآيَةُ الْأُخْرَىٰ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ٥١ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ٥٤﴾ [النساء: ٥١-٥٤].

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ فَرَجَعَتِ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِنْصَارِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالِاسْتِفْتَاحِ بِهِ، وَبَعْدَ الَّذِي كَانُوا يُخْبِرُونَ بِهِ النَّاسَ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ حِينَ بَعَثَهُ اللهُ نَبِيًّا مُرْسَلًا، فَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، اسْتَحَقُّوهُ مِنْهُ بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ حِينَ بُعِثَ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَإِنْكَارِهِمْ إِيَّاهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي كِتَابِهِمْ عِنَادًا مِنْهُمْ لَهُ وَبَغْيًا وَحَسَدًا لَهُ وَلِلْعَرَبِ..

﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ سَالِفٍ كَانَ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمُ الَّذِي كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، أَوْ لِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبٍ كَانَتْ لَهُمْ سَلَفَتْ يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الْغَضَبَ مِنَ اللهِ..

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ وَلِلْجَاحِدِينَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ..

﴿عَذَابٌ﴾ مِنَ اللهِ إِمَّا فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿مُّهِينٌ ٩٠﴾ [البقرة: ٩٠] مُذِلٌّ صَاحِبَهُ، ومُخْزِيه، ومُلْبِسُهُ هَوَانًا وَذِلَّةً.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَيُّ عَذَابٍ هُوَ غَيْرُ مُهِينٍ صَاحِبَهُ فَيَكُونَ لِلْكَافِرِينَ الْمُهِينُ مِنْهُ؟ قِيلَ: إِنَّ الْمُهِينَ هُوَ الَّذِي قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ الْمُورِثُ صَاحِبَهُ ذِلَّةً وَهَوَانًا، الَّذِي يَخْلُدُ فِيهِ صَاحِبُهُ لَا يَنْتَقِلُ مِنْ هَوَانِهِ إِلَىٰ عِزٍّ وَكَرَامَةٍ أَبَدًا، وَهُوَ

الَّذِي خَصَّ اللهُ بِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ؛ وَأَمَّا الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُهِينٍ صَاحِبَهُ: فَهُوَ مَا كَانَ تَمْحِيصًا لِصَاحِبِهِ، وَذَلِكَ هُوَ كَالسَّارِقِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَسْرِقُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ بِهِ الْقَطْعُ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَالزَّانِي مِنْهُمْ يَزْنِي فَيُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ، وَالنَّكَالِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ كَفَّارَاتٍ لِلذُّنُوبِ الَّتِي عُذِّبَ بِهَا أَهْلُهَا، وَكَأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ فِي الْآخِرَةِ بِمَقَادِيرِ أَجْرَامِهِمْ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا لِيُمَحَّصُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَذَابًا فَغَيْرُ مُهِينٍ مَنْ عُذِّبَ بِهِ، إِذْ كَانَ تَعْذِيبُ اللهِ إِيَّاهُ بِهِ لِيُمَحِّصَهُ مِنْ آثَامِهِ ثُمَّ يُورِدُهُ مَعْدِنَ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ وَيُخَلِّدُهُ فِي نَعِيمِ الْجِنَانِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

[البقرة: ٩١].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِلْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ مِنَ التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ وَيَجْحَدُونَ بِمَا سِوَىٰ التَّوْرَاةِ وَبِمَا بَعْدَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ رُسُلِهِ..

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أَيْ مَا وَرَاءَ الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ الْحَقُّ، يَعْنِي بِذَلِكَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ لِأَنَّ كُتُبَ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَفِي الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، مِثْلُ الَّذِي مِنْ ذَلِكَ فِي تَوْرَاةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلِذَلِكَ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِلْيَهُودِ إِذْ خَبَّرَهُمْ عَمَّا وَرَاءَ كِتَابِهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ: إِنَّهُ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِلْكِتَابِ الَّذِي مَعَهُمْ، يَعْنِي: أَنَّهُ لَهُ مُوَافِقٌ فِيمَا الْيَهُودُ بِهِ مُكَذِّبُونَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ إِذَا قُلْتَ لَهُمْ: «**آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا**»..

﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ إِنْ كُنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ مُؤْمِنِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ قَتْلَهُمْ، بَلْ أَمَرَكُمْ فِيهِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ، وَذَلِكَ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وَتَعْيِيرٌ لَهُمْ.. فَخَاطَبَهُمْ بِالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْفِعْلِ وَمَعْنَاهُ الْمَاضِي، وَلَيْسَ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِالْقَتْلِ هُمُ الْقَتَلَةُ، إِنَّمَا قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ أَسْلَافُهُمُ الَّذِينَ مَضَوْا، فَتَوَلَّوْهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَرَضُوا، فَنُسِبَ الْقَتْلُ إِلَيْهِمْ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ الْيَوْمِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١] بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ كَمَا زَعَمْتُمْ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ الْيَهُودَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَسْلَافَهُمْ، إِنْ كَانُوا وَكُنْتُمْ كَمَا تَزْعُمُونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ مُؤْمِنِينَ.. وَإِنَّمَا عَيَّرَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَتْلِ أَوَائِلِهِمْ أَنْبِيَاءَهُ عِنْدَ قَوْلِهِمْ حِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لِأَوَائِلِهِمُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَ أَنْبِيَاءِ اللهِ مَعَ قِيلِهِمْ: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ مُتَوَلِّينَ، وَبِفِعْلِهِمْ رَاضِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَزْعُمُونَ مُؤْمِنِينَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ، فَلِمَ تَتَوَلَّوْنَ قَتَلَةَ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَتَرْضَوْنَ أَفْعَالَهُمْ.

﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة: ٩٢].

﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ﴾ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِ وَحَقِّيَّةِ نُبُوَّتِهِ؛ كَالْعَصَا الَّتِي تَحَوَّلَتْ ثُعْبَانًا مُبِينًا، وَيَدِهِ الَّتِي أَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ، وَفَلْقِ الْبَحْرِ، وَمَصِيرِ أَرْضِهِ لَهُ طَرِيقًا يَبَسًا، وَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ، وَسَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي بَيَّنَتْ صِدْقَهُ وَحَقِّيَّةَ نُبُوَّتِهِ.. وَإِنَّمَا سَمَّاهَا اللهُ بَيِّنَاتٍ لِتَبَيُّنِهَا لِلنَّاظِرِينَ إِلَيْهَا أَنَّهَا مُعْجِزَةٌ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا بَشَرٌ إِلَّا بِتَسْخِيرِ اللهِ ذَلِكَ لَهُ..

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إِلَاهًا..

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ.. فَإِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ أَنْ فَارَقَهُمْ مُوسَىٰ مَاضِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ لِمَوْعِدِهِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ..

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة: ٩٢] فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لَكُمْ، وَعَبَدْتُمْ غَيْرَ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي لِغَيْرِ اللهِ.. وَهَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ لِلْيَهُودِ، وَتَعْيِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ، وَإِخْبَارٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا قَدْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنِ اتِّخَاذِ الْعِجْلِ إِلَهًا وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، بَعْدَ الَّذِي عَلِمُوا أَنَّ رَبَّهُمْ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي يَفْعَلُ مِنَ الْأَعَاجِيبِ وَبَدَائِعِ الْأَفْعَالِ، مَا أَجْرَاهُ عَلَىٰ

يَدَيْ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي عَايَنُوهَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا فِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ مَعَ بَطْشِهِ وَكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ، وَقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِمَا عَايَنُوا مِنْ عَجَائِبِ حُكْمِ اللهِ؛ فَهُمْ إِلَىٰ تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ -وَجُحُودِ مَا فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهَا مُؤْمِنُونَ مِنْ صِفَتِهِ وَنَعْتِهِ، مَعَ بُعْدِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَهْدِ مُوسَىٰ مِنَ الْمُدَّةِ- أَسْرَعُ، وَإِلَىٰ التَّكْذِيبِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ ذَلِكَ أَقْرَبُ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩٣﴾ [البقرة: ٩٣].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وَاذْكُرُوا إذ أخذنا عُهُودَكُمْ، بِأَنْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا إِلَيْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنْ أَمْرِي، وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهَيْتُكُمْ فِيهَا بِجِدٍّ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ وَنَشَاطٍ، فَأَعْطَيْتُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِذَلِكَ مِيثَاقَكُمْ..

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ..

﴿ٱلطُّورَ﴾ الْجَبَلَ..

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ﴾ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَتَقَبَّلُوهُ بِالطَّاعَةِ، وَاعْمَلُوا بِمَا سَمِعْتُمْ، وَأَطِيعُوا اللهَ..

﴿قَالُواْ﴾ فَأَجَبْتُمُونَا بقولكم..

﴿سَمِعْنَا﴾ قَوْلَكَ..

﴿وَعَصَيْنَا﴾ أَمْرَكَ..

﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْعِجْلِ.. وَلَكِنَّهُ تَرَكَ ذِكْرَ الْحُبِّ اكْتِفَاءً بِفَهْمِ السَّامِعِ لِمَعْنَىٰ الْكَلَامِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْعِجْلَ لَا يُشْرِبُ الْقَلْبَ، وَأَنَّ الَّذِي يُشْرِبُ الْقَلْبَ مِنْهُ حُبُّهُ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بِئْسَمَا﴾ بِئْسَ الشَّيْءُ الَّذِي..

﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ إِنْ كَانَ يَأْمُرُكُمْ بِقَتْلِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِكُتُبِهِ، وَجُحُودِ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩٣﴾ [البقرة: ٩٣] كَمَا زَعَمْتُمْ، بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ.. وَإِنَّمَا كَذَّبَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ لِأَنَّ التَّوْرَاةَ تَنْهَىٰ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَأْمُرُ بِخِلَافِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ تَصْدِيقَهُمْ بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كَانَ يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ فَبِئْسَ الْأَمْرُ تَأْمُرُ بِهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ نَفْيٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنِ التَّوْرَاةِ أَنْ تَكُونَ تَأْمُرُ بِشَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ التَّصْدِيقُ بِهَا يَدُلُّ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ أَهْوَاؤُهُمْ، وَالَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ الْبَغْيُ وَالْعُدْوَانُ..

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٤﴾ [البقرة: ٩٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ﴾ إِنْ كَانَ نَعِيمُ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَذَّاتُهَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ عِنْدَ اللهِ..

﴿خَالِصَةً﴾ صَافِيَةً لَكُمْ..

﴿مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ مِنْ دُونِ جَمِيعِ النَّاسِ.. كما قال الله عنهم «**وقالوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ**»[البقرة: ١١١].

﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ تَشَهَّوهُ وَأَرِيدُوهُ.. وَإِنَّمَا أَمَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٤﴾، لِأَنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا قَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لَهُمْ..

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٤﴾ [البقرة: ٩٤] فِيمَا تَزْعُمُونَ، فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، فَأَبَانَ اللهُ كَذِبَهُمْ بِامْتِنَاعِهِمْ مِنْ تَمَنِّي ذَلِكَ، وَأَفْلَجَ حُجَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. فَهَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا احْتَجَّ اللهُ بِهَا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِهِ، وَفَضَحَ بِهَا أَحْبَارَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ قَضِيَّةٍ عَادِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْخِلَافِ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ الْفَرِيقَ الْآخَرَ مِنَ النَّصَارَىٰ إِذْ خَالَفُوهُ فِي عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، وَجَادَلُوا فِيهِ إِلَىٰ فَاصِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمُبَاهَلَةِ، وَقَالَ لِفَرِيقِ الْيَهُودِ: إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ ضَارِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِيمَا تَدَّعُونَ مِنَ الْإِيمَانِ وَقُرْبِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ اللهِ، بَلْ إِنْ أُعْطِيتُمْ أُمْنِيَّتَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا تَمَنَّيْتُمْ فَإِنَّمَا تَصِيرُونَ إِلَىٰ الرَّاحَةِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا

وَنَصَبِهَا وَكَدَرِ عَيْشِهَا وَالْفَوْزِ بِجِوَارِ اللهِ فِي جِنَانِهِ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَكُمْ خَالِصَةً دُونَنَا، وَإِنْ لَمْ تُعْطَوْهَا عَلِمَ النَّاسُ أَنَّكُمُ الْمُبْطِلُونَ وَنَحْنُ الْمُحِقُّونَ فِي دَعْوَانَا وَانْكَشَفَ أَمْرُنَا وَأَمْرُكُمْ لَهُمْ، فَامْتَنَعَتِ الْيَهُودُ مِنْ إِجَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ ذَٰلِكَ؛ لِعِلْمِهَا أَنَّهَا إِنْ تَمَنَّتِ الْمَوْتَ هَلَكَتْ فَذَهَبَتْ دُنْيَاهَا وَصَارَتْ إِلَىٰ خِزْيِ الْأَبَدِ فِي آخِرَتِهَا، كَمَا امْتَنَعَ فَرِيقُ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ جَادَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي عِيسَىٰ، إِذْ دُعُوا إِلَىٰ الْمُبَاهَلَةِ، مِنَ الْمُبَاهَلَةِ.. قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ، لَمَاتُوا، وَلَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لَرَجَعُوا لا يَجِدُونَ أَهْلًا وَلا مَالًا**».. فَانْكَشَفَ لِمَنْ كَانَ مُشْكِلًا عَلَيْهِ أَمْرُ الْيَهُودِ يَوْمَئِذٍ، كَذِبُهُمْ وَبَهْتُهُمْ وَبَغْيُهُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَظَهَرَتْ حُجَّةُ رَسُولِ اللهِ وَحُجَّةُ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تَزَلْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ظَاهِرَةً عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٩٥﴾ [البقرة: ٩٥].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّىٰ الْيَهُودُ الْمَوْتَ..

﴿أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بِمَا قَدَّمُوا أَمَامَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ فِي مُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَهُ وَطَاعَتَهُ فِي اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ.. فَأَضَافَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ وَأَضْمَرَتْهُ أَنْفُسُهُمْ وَنَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ مِنْ حَسَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْبَغْيِ عَلَيْهِ، وَتَكْذِيبِهِ، وَجُحُودِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَّهُ مِمَّا قَدَّمَتْهُ أَيْدِيهِمْ، لِعِلْمِ الْعَرَبِ مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ فِي مَنْطِقِهَا وَكَلَامِهَا، إِذْ كَانَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِهَا وَبِلُغَتِهَا.. وَإِنَّمَا ذَٰلِكَ مَثَلٌ عَلَىٰ نَحْوِ مَا تَتَمَثَّلُ بِهِ الْعَرَبُ فِي كَلَامِهَا، فَتَقُولُ لِلرَّجُلِ يُؤْخَذُ بِجَرِيرَةٍ جَرَّهَا أَوْ جِنَايَةٍ جَنَاهَا فَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا: نَالَكَ هَذَا بِمَا جَنَتْ يَدَاكَ، وَبِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ، وَبِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ؛ فَتُضِيفُ ذَٰلِكَ إِلَىٰ الْيَدِ، وَلَعَلَّ الْجِنَايَةَ الَّتِي جَنَاهَا فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهَا الْعُقُوبَةَ كَانَتْ بِاللِّسَانِ أَوْ بِالْفَرْجِ أَوْ بِغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ سِوَىٰ الْيَدِ.. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَٰلِكَ بِإِضَافَتِهِ إِلَىٰ الْيَدِ؛ لِأَنَّ عُظْمَ جِنَايَاتِ النَّاسِ بِأَيْدِيهِمْ، فَجَرَىٰ الْكَلَامُ بِاسْتِعْمَالِ إِضَافَةِ الْجِنَايَاتِ الَّتِي يَجْنِيهَا النَّاسُ إِلَىٰ أَيْدِيهِمْ حَتَّىٰ أُضِيفَ كُلُّ مَا عُوقِبَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِمَّا جَنَاهُ بِسَائِرِ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ إِلَىٰ أَنَّهَا عُقُوبَةٌ عَلَىٰ مَا جَنَتْهُ يَدُهُ..

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٩٥﴾ [البقرة: ٩٥] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِظَلَمَةِ بَنِي آدَمَ: يَهُودِهَا وَنَصَارَاهَا، وَسَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ غَيْرِهَا، وَمَا يَعْمَلُونَ.. وَظُلْمُ الْيَهُودِ: كُفْرُهُمْ بِاللهِ فِي خِلَافِهِمْ أَمْرَهُ وَطَاعَتَهُ فِي

اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ وَبِمَبْعَثِهِ، وَجُحُودُهُمْ نُبُوَّتَهُ وَهُمْ عَالِمُونَ أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَيْهِمْ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنِ الْيَهُودِ وَكَرَاهَتِهِمُ الْمَوْتَ وَامْتِنَاعِهِمْ عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَالْوَعِيدُ بِهِمْ نَازِلٌ وَالْمَوْتُ بِهِمْ حَالٌّ، وَلِمَعْرِفَتِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ إِلَيْهِمْ مُرْسَلٌ وَهُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُمْ خَبَرًا إِلَّا كَانَ حَقًّا كَمَا أَخْبَرَ، فَهُمْ يَحْذَرُونَ أَنْ يَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ خَوْفًا أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عِقَابُ اللهِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦].

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ ولَتجِدَنَّ يَا مُحَمَّدُ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾ أَشَدَّ النَّاسِ حِرْصًا..

﴿عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ عَلَىٰ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا، وَأَشَدَّهُمْ كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ..

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وَأَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا عَلَىٰ الْحَيَاةِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْيَهُودَ بِأَنَّهُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَىٰ الْحَيَاةِ؛ لِعِلْمِهِمْ بِمَا قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِمَا لَا يُقِرُّ بِهِ أَهْلُ الشِّرْكِ، فَهُمْ لِلْمَوْتِ أَكْرَهُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ، وَيَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَالِكَ مِنَ الْعَذَابِ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ، وَلَا الْعِقَابِ، فَالْيَهُودُ أَحْرَصُ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْحَيَاةِ وَأَكْرَهُ لِلْمَوْتِ..

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ يَوَدُّ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، لِيَأْسِهِ بِفَنَاءِ دُنْيَاه وَانْقِضَاءِ أَيَّامِ حَيَاتِهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ نُشُورٌ أَوْ مَحْيا، أَوْ فَرَحٌ أَوْ سُرُورٌ..

﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ في الدنيا..

﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ حَتَّىٰ جَعَلَ بَعْضُهُمْ تَحِيَّةَ بَعْضٍ: (عِشْ أَلْفَ عَامٍ) حِرْصًا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْحَيَاةِ..

﴿وَمَا هُوَ﴾ وَمَا طُولُ الْعُمُرِ والْبَقَاءِ..

﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ بِمُبْعِدِهِ وَمُنَحِّيه..

﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ وَلَوْ عُمِّرَ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْعُمْرِ مِنَ الْفَنَاءِ، وَمَصِيرُهُ إِلَىٰ اللهِ..

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦] وَاللهُ ذُو إِبْصَارٍ بِمَا يَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ

مِنْ أَعْمَالِهِمْ، بَلْ هُوَ بِجَمِيعِهَا مُحِيطٌ، وَلَهَا حَافِظٌ ذَاكِرٌ حَتَّىٰ يُذِيقَهُمْ بِهَا الْعِقَابَ جَزَاءَهَا.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧﴾ [البقرة: ٩٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، لِمَعَاشِرِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ جِبْرِيلَ لَهُمْ عَدُوٌّ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ صَاحِبُ سَطَوَاتٍ وَعَذَابٍ وَعُقُوبَاتٍ، لَا صَاحِبَ وَحْيٍ وَتَنْزِيلٍ وَرَحْمَةٍ، فَأَبَوْا اتِّبَاعَكَ وَجَحَدُوا نُبُوَّتَكَ، وَأَنْكَرُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِي، وَبَيِّنَاتِ حُكْمِي، مِنْ أَجْلِ أَنَّ جِبْرِيلَ وَلِيُّكَ وَصَاحِبُ وَحْيِي إِلَيْكَ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُمْ، وَأَنَّ مِيكَائِيلَ وَلِيٌّ لَهُمْ..

﴿مَن كَانَ﴾ مَنْ يَكُنْ مِنَ النَّاسِ..

﴿عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ وَمُنْكِرًا أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ وَحْيِ اللهِ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَصَاحِبَ رَحْمَتِهِ فَإِنِّي لَهُ وَلِيٌّ وَخَلِيلٌ، وَمُقِرٌّ بِأَنَّهُ صَاحِبُ وَحْيٍ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ..

﴿فَإِنَّهُۥ﴾ فَإِنَّ جِبْرِيلَ..

﴿نَزَّلَهُۥ﴾ نَزَّلَ الْقُرْآنَ بِأَمْرِ اللهِ..

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يَشُدُّ بِهِ فُؤَادَكَ وَيَرْبِطُ بِهِ عَلَىٰ قَلْبِكَ، بِوَحْيِنَا الَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لَهُ بِذَلِكَ..

﴿مُصَدِّقًا﴾ فَإِنَّ جِبْرِيلَ نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ مُصَدِّقًا..

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لِمَا بَيْنَ يَدَيِ الْقُرْآنِ، مِنْ كُتُبِ اللهِ أَمَامَهُ، وَنَزَلَتْ عَلَىٰ رُسُلِهِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَصْدِيقُهُ إِيَّاهَا مُوَافَقَةُ مَعَانِيهِ مَعَانِيَهَا فِي الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهِيَ تُصَدِّقُهُ..

﴿وَهُدًى﴾ وَدَلِيلٌ وَبُرْهَانٌ.. وَإِنَّمَا سَمَّاهُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هُدًىٰ، لِاهْتِدَاءِ الْمُؤْمِنِ بِهِ، وَاهْتِدَاؤُهُ بِهِ: اتِّخَاذُهُ إِيَّاهُ هَادِيًا يَتْبَعُهُ، وَقَائِدًا يَنْقَادُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ.. وَالْهَادِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا تَقَدَّمَ أَمَامَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِأَوَائِلِ الْخَيْلِ: هَوَادِيهَا، وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ أَمَامَهَا، وَكَذَلِكَ قِيلَ لِلْعُنُقِ: الْهَادِي، لِتَقَدُّمِهَا أَمَامَ سَائِرِ الْجَسَدِ..

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧﴾ [البقرة: ٩٧] فَالْقُرْآنُ من الله لَلمُؤْمِنين بُشْرَىٰ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ

مِنَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ فِي جَنَّاتِهِ، وَمَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ فِي مَعَادِهِمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْبُشْرَىٰ الَّتِي بَشَّرَ اللهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِهِ؛ لِأَنَّ الْبِشَارَةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هِيَ إِعْلَامُ الرَّجُلِ بِمَا لَمْ يَكُنْ بِهِ عَالِمًا مِمَّا يَسُرُّهُ مِنَ الْخَيْرِ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِهِ أَوْ يَعْلَمَهُ مِنْ قِبَلِ غَيْرِهِ.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة: ٩٨].

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ وَعَادَىٰ جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ..

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ فَنَصَّ عَلَىٰ جِبْرِيْلَ بِاسْمِهِ، وَعَلَىٰ مِيكَائِيلَ بِاسْمِهِ، لِئَلَّا يَقُولَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّمَا قَالَ اللهُ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَلَسْنَا لِلَّهِ وَلَا لِمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ أَعْدَاءً، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ اسْمٌ عَامٌّ مُحْتَمِلٌ خَاصًّا وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ غَيْرُ دَاخِلَيْنِ فِيهِ، فَنَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَسْمَاءِ مَنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ بِأَعْيَانِهِمْ، لِيَقْطَعَ بِذَلِكَ تَلْبِيسَهُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الضَّعْفِ مِنْهُمْ، وَيَحْسِمَ تَمْوِيهَهُمْ أُمُورَهُمْ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ.. وهذا إِعْلَامٌ مِنْهُ أَنَّ مَنْ عَادَىٰ جِبْرِيلَ فَقَدْ عَادَاهُ، وَعَادَىٰ مِيكَائِيلَ وَعَادَىٰ جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ، وَمَنْ عَادَىٰ لِلَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ عَادَىٰ اللهَ وَبَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَنْ عَادَىٰ اللهَ فَقَدْ عَادَىٰ جَمِيعَ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ؛ لِأَنَّ الْعَدُوَّ لِلَّهِ عَدُوٌّ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْعَدُوَّ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ عَدُوٌّ لَهُ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ إِظْهَارُ اسْمِ اللهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ٩٨﴾، وَتَكْرِيرُهُ فِيهِ، وَقَدِ ابْتَدَأَ أَوَّلَ الْخَبَرِ بِذِكْرِهِ فَقَالَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾، فَلِئَلَّا يَلْتَبِسَ - لَوْ ظَهَرَ ذَلِكَ بِكِنَايَةٍ، فَقِيلَ: فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ - عَلَىٰ سَامِعِهِ مَنِ الْمَعْنِيُّ بِالْهَاءِ الَّتِي فِي (فَإِنَّهُ) آللهُ؟ أَمْ رُسُلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؟ أَمْ جِبْرِيلُ؟ أَمْ مِيكَائِيلُ؟ إِذْ لَوْ جَاءَ ذَلِكَ بِكِنَايَةٍ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ، فَإِنَّهُ يَلْتَبِسُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُوقَفْ عَلَىٰ الْمَعْنِيِّ بِذَلِكَ، لِاحْتِمَالِ الْكَلَامِ مَا وَصَفْتُ..

﴿عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة: ٩٨] مِنْ أَجْلِ أَنَّ عَدُوَّ جِبْرِيلَ عَدُوٌّ كُلِّ وَلِيٍّ لِلَّهِ، فَأَخْبَرَهُمْ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَهُوَ لِكُلِّ مَنْ ذَكَرَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَمِيكَالَ عَدُوٌّ، وَكَذَلِكَ عَدُوٌّ بَعْضِ رُسُلِ اللهِ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِكُلِّ وَلِيٍّ.. وَهَذَا الْخَبَرُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ تَوْبِيخًا لِلْيَهُودِ فِي كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِخْبَارًا مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِمُحَمَّدٍ فَاللهُ لَهُ عَدُوٌّ، وَأَنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ لَمِنَ الْكَافِرِينَ بِاللهِ الْجَاحِدِينَ آيَاتِهِ.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ [البقرة: ٩٩].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ فِيمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍۖ﴾ عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ، تُبَيِّنُ لِعُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَحْبَارِهِمُ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ، وَالْمُكَذِّبِينَ رِسَالَتَكَ، أَنَّكَ لِي رَسُولٌ إِلَيْهِمْ، وَنَبِيٌّ مَبْعُوثٌ.. وَتِلْكَ الْآيَاتُ هِيَ مَا حَوَاهُ كِتَابُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خَفَايَا عُلُومِ الْيَهُودِ وَمَكْنُونِ سَرَائِرِ أَخْبَارِهِمْ، وَأَخْبَارِ أَوَائِلِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالنَّبَأِ عَمَّا تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُهُمُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا إِلَّا أَحْبَارُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، وَمَا حَرَّفَهُ أَوَائِلُهُمْ وَأَوَاخِرُهُمْ وَبَدَّلُوهُ مِنْ أَحْكَامِهِمُ، الَّتِي كَانَتْ فِي التَّوْرَاةِ، فَأَطْلَعَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ لِمَنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَدْعُهُ إِلَىٰ إِهْلَاكِهَا الْحَسَدُ وَالْبَغْيُ، إِذْ كَانَ فِي فِطْرَةِ كُلِّ ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ تَصْدِيقُ مَنْ أَتَىٰ بِمِثْلِ الَّذِي أَتَىٰ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ -مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي وَصَفْتُ- مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ تَعَلَّمَهُ مِنْ بَشَرٍ وَلَا أَخْذِ شَيْءٍ مِنْهُ عَنْ آدَمِيٍّ..

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ﴾ وَمَا يَجْحَدُ تِلْكَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَىٰ صِدْقِكَ وَنُبُوَّتِكَ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا إِلَيْكَ فِي كِتَابِي فَيُكَذِّبَ بِهَا مِنْهُمْ..

﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ [البقرة: ٩٩] إِلَّا الْخَارِجُ مِنْهُمْ مِنْ دِينِهِ، التَّارِكُ مِنْهُمْ فَرَائِضِي عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَدِينُ بِتَصْدِيقِهِ، فَأَمَّا الْمُتَمَسِّكُ مِنْهُمْ بِدِينِهِ وَالْمُتَّبِعُ مِنْهُمْ حُكْمَ كِتَابِهِ، فَإِنَّهُ بِالَّذِي أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ آيَاتِي مُصَدِّقٌ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٠﴾ [البقرة: ١٠٠].

﴿أَوَكُلَّمَا﴾ وَاوُ عَطْفٍ أُدْخِلَتْ عَلَيْهَا أَلِفُ الِاسْتِفْهَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، وَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَدْخَلَ أَلِفَ الِاسْتِفْهَامِ عَلَىٰ وَكُلَّمَا، فَقَالَ: قَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ..

﴿عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ فَإِنَّهُ الْمِيثَاقُ الَّذِي أَعْطَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ رَبَّهُمْ، لَيَعْمَلُنَّ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، ثُمَّ نَقَضَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، فَوَبَّخَهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَعَيَّرَ بِهِ أَبْنَاءَهُمْ؛ إِذْ سَلَكُوا مِنْهَاجَهُمْ فِي بَعْضِ مَا كَانَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- أَخَذَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْعَهْدِ

وَالْمِيثَاقِ، فَكَفَرُوا وَجَحَدُوا مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ نَعْتِهِ وَصِفَتِهِ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: أَوَكُلَّمَا عَاهَدَ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَبَّهُمْ عَهْدًا، وَأَوْثَقُوهُ مِيثَاقًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فَتَرَكَهُ وَنَقَضَهُ؟

﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طَرَحَهُ.. فَالنَّبْذُ أَصْلُهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الطَّرْحُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْمَلْقُوطِ: الْمَنْبُوذُ؛ لِأَنَّهُ مَطْرُوحٌ مَرْمِيٌّ بِهِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ النَّبِيذُ نَبِيذًا؛ لِأَنَّهُ زَبِيبٌ أَوْ تَمْرٌ يُطْرَحُ فِي وِعَاءٍ ثُمَّ يُعَالَجُ بِالْمَاءِ..

﴿فَرِيقٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿مِّنْهُم﴾ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كُلَّمَا عَاهَدُوا اللهَ عَهْدًا وَوَاثَقُوهُ مَوْثِقًا، نَقَضَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٠﴾ [البقرة: ١٠٠] فَيَكْفُرُ بِاللهِ أَكْثَرُهُمْ لَا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَا يَنْبِذُ ذَلِكَ الْعَهْدَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ليس لأن ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ لَهُمْ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠١﴾ [البقرة: ١٠١].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَحْبَارَ الْيَهُودِ وَعُلَمَاءَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التَّوْرَاةِ..

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾ جَحَدُوهُ وَرَفَضُوهُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا بِهِ مُقِرِّينَ؛ حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ وَبَغْيًا عَلَيْهِ..

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُمْ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ بِالتَّوْرَاةِ وَمَا فِيهَا..

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ التَّوْرَاةَ..

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ جَعَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ؛ وَهَذَا مَثَلٌ يُقَالُ لِكُلِّ رَافِضٍ أَمْرًا كَانَ مِنْهُ عَلَىٰ بَالٍ: قَدْ جَعَلَ فُلَانٌ هَذَا الْأَمْرَ مِنْهُ بِظَهْرٍ، وَجَعَلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَعْنِي بِهِ: أَعْرَضَ عَنْهُ وَصَدَّ وَانْصَرَفَ..

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ١٠١﴾ [البقرة: ١٠١] مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِخْبَارٌ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ جَحَدُوا الْحَقَّ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِهِ وَمَعْرِفَةٍ، وَأَنَّهُمْ عَانَدُوا أَمْرَ اللهِ فَخَالَفُوا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِوُجُوبِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ بعْدَ مَا رَفَضُوا كِتَابَهُ الَّذِي يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، آثَرُوا..

﴿مَا﴾ الَّذِي..

﴿تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ تُحَدِّثُ وَتَرْوِي وتَدْرُسُ وَتَتَكَلَّمُ وَتُخْبِرُ، نَحْوَ تِلَاوَةِ الرَّجُلِ لِلْقُرْآنِ، وكَذَلِكَ تَتَبعُهُ وَتَرْوِيهِ وَتَعْمَلُ بِهِ.. فَاتَّبَعَتِ الْيَهُودُ مِنْهَاجَهَا فِي ذَلِكَ وَعَمِلَتْ بِهِ، وَرَوَتِ السِّحْرَ الَّذِي تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ..

﴿عَلَىٰ﴾ فِي عَهْدِ..

﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ فَتُضِيفُهُ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ عِلْمِهِ وَرِوَايَتِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَسْتَعْبِدُ مَنْ يَسْتَعْبِدُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَسَائِرِ خَلْقِ اللهِ بِالسِّحْرِ، فَحَسَّنُوا بِذَلِكَ -مِنْ رُكُوبِهِمْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السِّحْرِ- لأَنْفُسِهِمْ، عِنْدَ مَنْ كَانَ جَاهِلًا بِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَعِنْدَ مَنْ كَانَ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ سليمانُ رَسُولًا، وَقَالُوا: بَلْ كَانَ سَاحِرًا..

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ فَيَعْمَلَ بِالسِّحْرِ.. فَبَرَّأَ اللهُ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ مِنَ السِّحْرِ وَالْكُفْرِ، عِنْدَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَنْسُبُهُ إِلَىٰ السِّحْرِ وَالْكُفْرِ لِأَسْبَابٍ ادَّعَوْهَا عَلَيْهِ.. وَأَكْذَبَ الْآخرِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِالسِّحْرِ، مُتَزَيِّنِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْجَهْلِ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ يَعْمَلُهُ.. فَنَفَىٰ اللهُ عَنْ سُلَيْمَانَ ﷺ أَنْ يَكُونَ سَاحِرًا أَوْ كَافِرًا، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا اتَّبَعُوا فِي عَمَلِهِمُ السِّحْرَ مَا تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ، دُونَ مَا كَانَ سُلَيْمَانَ يَأْمُرُهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ لَا عَنْ رِضًا مِنْ سليمانَ ﷺ؛ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ افْتَعَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ دُونَهُ.. وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ يَقُولَ: أَوَمَا كَانَ السِّحْرُ إِلَّا أَيَّامَ سُلَيْمَانَ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَىٰ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ مَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ سُلَيْمَانَ، وَأَخْبَرَ عَنْ قَوْمِ نُوحٍ أَنَّهُمْ قَالُوا لِنُوحٍ إِنَّهُ سَاحِرٌ.. فإن قَالَ: فَكَيْفَ أَخْبَرَ عَنِ الْيَهُودِ أَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ عَهْدِ سُلَيْمَانَ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُمْ أَضَافُوا ذَلِكَ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ دونَ غَيْرِه، فَأَرَادَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- تَبْرِئَةَ سُلَيْمَانَ مِمَّا نَحلُوهُ وَأَضَافُوا إِلَيْهِ، فَحَصَرَ الْخَبَرَ عَمَّا كَانَتِ الْيَهُودُ اتَّبَعَتْهُ فِيمَا تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ أَيَّامَ سُلَيْمَانَ، دُونَ غَيْرِهِ لِذَلِكَ السَّبَبِ، وَإِنْ كَانَ الشَّيَاطِينُ قَدْ كَانَتْ تَالِيَةً لِلسِّحْرِ وَالْكُفْرِ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿وَمَآ﴾ والَّذِي..

﴿أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ.. فإنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ السِّحْرَ، أَمْ هَلْ يَجُوزُ لِمَلَائِكَتِهِ أَنْ تُعَلِّمَهُ النَّاسَ؟ قُلْنَا لَهُ: إِنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَرَّفَ عِبَادَهُ جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَجَمِيعَ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ بَعْدَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بِمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ وَيُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، لَمَا كَانَ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعْنًىٰ مَفْهُومٌ، فَالسِّحْرُ مِمَّا قَدْ نَهَىٰ عِبَادَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ عَنْهُ، فَغَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَلَّمَهُ الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ سَمَّاهُمَا فِي تَنْزِيلِهِ، وَجَعَلَهُمَا فِتْنَةً لِعِبَادِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا يَقُولَانِ لِمَنْ يَتَعَلَّمُ ذَلِكَ مِنْهُمَا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ لِيَخْتَبِرَ بِهِمَا عِبَادَهُ الَّذِينَ نَهَاهُمْ عَنِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَعَنِ السِّحْرِ، فَيُمَحِّصُ الْمُؤْمِنَ بِتَرْكِهِ التَّعَلُّمَ مِنْهُمَا، وَيُخْزِي الْكَافِرَ بِتَعَلُّمِهِ السِّحْرَ وَالْكُفْرَ مِنْهُمَا، وَيَكُونُ الْمَلَكَانِ فِي تَعْلِيمِهِمَا مَنْ عَلَّمَا ذَلِكَ لِلَّهِ مُطِيعِينَ، إِذْ كَانَا عَنْ إِذْنِ اللهِ لَهُمَا بِتَعْلِيمِ ذَلِكَ مَنْ عَلَّمَاهُ يُعَلِّمَانِ، وَقَدْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُمْ ضَائِرًا، إِذْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِأَمْرِهِمْ إِيَّاهُمْ بِهِ، بَلْ عُبِدَ بَعْضُهُمْ وَالْمَعْبُودُ عَنْهُ نَاهٍ، فَكَذَلِكَ الْمَلَكَانِ غَيْرُ ضَائِرِهِمَا سِحْرُ مَنْ سَحَرَ مِمَّنْ تَعَلَّمَ ذَلِكَ مِنْهُمَا، بَعْدَ نَهْيِهِمَا إِيَّاهُ عَنْهُ وَعِظَتِهِمَا لَهُ بِقَوْلِهِمَا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ إِذْ كَانَا قَدْ أَدَّيَا مَا أُمِرَا بِهِ بِقِيلِهِمَا ذَلِكَ..

﴿بِبَابِلَ﴾ اسْمُ قَرْيَةٍ أَوْ مَوْضِعٌ مِنْ مَوَاضِعِ الْأَرْضِ..

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ اسمانِ مُتَرْجَمٌ بهما عَن الملكين..

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ وَمَا يُعَلِّمُ الْمَلَكَانِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمَا مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ لَهُ..

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ إِنَّمَا نَحْنُ بَلَاءٌ، وَاخْتِبَارٌ، وَفِتْنَةٌ لِبَنِي آدَمَ..

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بِرَبِّكَ.. فَيَأْبَوْنَ قَبُولَ ذَلِكَ مِنْهُمَا..

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ فَيَتَعَلَّمُ النَّاسُ..

﴿مِنْهُمَا﴾ مِنَ الْمَلَكَيْنِ..

﴿مَا﴾ الَّذِي..

﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ بِتَخْيِيلِهِ بِسِحْرِهِ إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَخْصَ الْآخَرِ عَلَىٰ خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ فِي حَقِيقَتِهِ مِنْ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، حَتَّىٰ يُقَبِّحَهُ عِنْدَهُ، فَيَنْصَرِفَ بِوَجْهِهِ وَيُعْرِضَ عَنْهُ، حَتَّىٰ يُحْدِثَ الزَّوْجُ لِامْرَأَتِهِ فِرَاقًا، فَيَكُونُ السَّاحِرُ مُفَرِّقًا بَيْنَهُمَا بِإِحْدَاثِهِ السَّبَبَ الَّذِي كَانَ مِنْهُ فُرْقَةُ مَا بَيْنَهُمَا.

﴿وَمَا هُم﴾ وَمَا الْمُتَعَلِّمُونَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ -هَارُوتَ وَمَارُوتَ- مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..

﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بِالَّذِي تَعَلَّمُوهُ مِنَ الْمَلَكَيْنِ، الَّذِي يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّ ذَلِكَ يَضُرُّهُ، فَأَمَّا مَنْ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ ضُرَّهُ وَحَفِظَهُ مِنْ مَكْرُوهِ السِّحْرِ وَالنَّفْثِ وَالرُّقَىٰ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ ضَارِّهِ وَلَا نَائِلُهُ أَذَاهُ..

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ أَيْ النَّاسُ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ، مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا السِّحْرَ..

﴿مَا﴾ الَّذِي..

﴿يَضُرُّهُمْ﴾ فِي دِينِهِمْ..

﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فِي مَعَادِهِمْ.. فَأَمَّا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يَكْسِبُونَ بِهِ وَيُصِيبُونَ بِهِ مَعَاشًا..

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ لَقَدْ عَلِمَ النَّابِذُونَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كِتَابِي وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ تَجَاهُلًا مِنْهُمْ، الَّذِينَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ، نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَالتَّارِكُونَ الْعَمَلَ بِمَا فِيهِ، مِنَ اتِّبَاعِكَ يَا مُحَمَّدُ وَاتِّبَاعِ مَا جِئْتَ بِهِ، وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ، بَعْدَ إِنْزَالِي إِلَيْكَ كِتَابِي مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ، وَبَعْدَ إِرْسَالِكَ إِلَيْهِمْ بِالْإِقْرَارِ بِمَا مَعَهُمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ، الْمُؤْثِرُونَ عَلَيْهِ اتِّبَاعَ السِّحْرِ الَّذِي تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ عَهْدِ سُلَيْمَانَ، وَالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ..

﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ وَاللهِ لَمَنِ اشْتَرَىٰ السِّحْرَ بِكِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ رَسُولِي فَآثَرَهُ عَلَيْهِ..

﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ مَا لَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ..

﴿مِنۡ خَلَٰقٍۚ﴾ من حَظٍّ ولا نصيبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، مِنْ أَجلِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِيمَانٌ وَلَا دِينٌ وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ يُجَازَىٰ بِهِ فِي الْجَنَّةِ وَيُثَابُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مِنَ الشُّرُورِ فَإِنَّ لَهُمْ فِيهَا نَصِيبًا..

﴿وَلَبِئۡسَ﴾ ذَمٌّ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِعْلَ الْمُتَعَلِّمِينَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَخَبَرٌ مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنْهُمْ أَنَّهُمْ بِئْسَ..

﴿مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ مَا بَاعوا بِهِ أنفسَهم مِنْ تَعَلُّمِ السِّحْرِ بِرِضَاهُمْ، عِوَضًا عَنْ دِينِهِمْ الَّذِي بِهِ نَجَاةُ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَلَكَةِ..

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢] سُوءَ عَاقِبَةِ فِعْلِهِمْ وَخَسَارَةِ صَفْقَةِ بَيْعِهِمْ، إِذْ كَانَ قَدْ يَتَعَلَّمُ ذَلِكَ مِنْهُمَا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللهَ، وَلَا يَعْرِفُ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الَّذِينَ نَفَىٰ عَنْهُمُ الْعِلْمَ بَعْدَ وَصْفِهِ إِيَّاهُمْ بِأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ مِنْ أَجلِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا عَلِمُوا، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ هو الْعَامِلُ بِعِلْمِهِ، وَأَمَّا إِذَا خَالَفَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ فَهُوَ فِي مَعَانِي الْجُهَّالِ، وَقَدْ يُقَالُ لِلْفَاعِلِ الْفِعْلَ بِخِلَافِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ وَإِنْ كَانَ بِفِعْلِهِ عَالِمًا: لَوْ عَلِمْتَ لَأَقْصَرْتَ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ لَهُ مَخْرَجٌ وَوَجْهٌ..وفِي هَذِه الآيَةُ تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ لِأَحْبَارِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَتَأْنِيبٌ مِنْهُ لَهُمْ فِي رَفْضِهِمْ تَنْزِيلَهُ، وَهَجْرِهِمُ الْعَمَلَ بِهِ وَهُوَ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْلَمُونَهُ وَيَعْرِفُونَ أَنَّهُ كِتَابُ اللهِ، وَاتِّبَاعِهِمْ وَاتِّبَاعِ أَوَائِلِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ مَا تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣﴾ [البقرة: ١٠٣].

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ﴾ ولَوْ أَنَّ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..

﴿ءَامَنُواْ﴾ فَصَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ رَبَّهُمْ فَخَافُوهُ، فَخَافُوا عِقَابَهُ، فَأَطَاعُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَتَجَنَّبُوا مَعَاصِيهِ..

﴿لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لَكَانَ جَزَاءُ اللهِ إِيَّاهُمْ وَثَوَابُهُ لَهُمْ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِهِ وَتَقْوَاهُمْ إِيَّاهُ..

﴿خَيۡرٞ﴾ لَهُمْ مِنَ السِّحْرِ وَمَا اكْتَسَبُوا بِهِ..

﴿لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣﴾ [البقرة: ١٠٣] أَنَّ ثَوَابَ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ السِّحْرِ وَمِمَّا اكْتَسَبُوا بِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة: ١٠٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ لِنَبِيِّكُمْ..

﴿رَاعِنَا﴾ سَمْعَكَ وَفَرِّغْهُ لَنَا نَفْهَمْكَ وَتَفْهَم عَنَّا مَا نَقُولُ.. فإِنَّهَا كَلِمَةٌ كَرِهَهَا اللهُ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوهَا لِنَبِيِّهِ ﷺ، نَظِيرَ الَّذِي ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لا تَقُولُوا لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ**» خَوْفًا مِنْ تَوَهُّمِ وَصْفِهِ بِالْكَرَمِ، وَإِنْ كَانَتْ مُسَكَّنَةً، فَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُسَكِّنُ بَعْضَ الْحَرَكَاتِ إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَىٰ نَوْعٍ وَاحِدٍ، فَكَرِهَ أَنْ يَتَّصِفَ بِذَلِكَ الْعِنَبُ، وَ «**لا تَقُولُوا عَبْدِي، وَلَكِنْ قُولُوا فَتَايَ**» وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ عَبْدٌ، لِجَمِيعِ عِبَادِ اللهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُضَافَ بَعْضُ عِبَادِ اللهِ -بِمَعْنَىٰ الْعُبُودِيَّةِ- إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وَأَمَرَ أَنْ يُضَافَ ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِغَيْرِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يُضَافُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيُقَالَ: فَتَايَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَكُونَانِ مُسْتَعْمَلَتَيْنِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَتَأْتِي الْكَرَاهَةُ أَوِ النَّهْيُ بِاسْتِعْمَالِ إِحْدَاهُمَا وَاخْتِيَارِ الْأُخْرَىٰ عَلَيْهَا فِي الْمُخَاطَبَاتِ.. فَكَذَلِكَ نَهَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا (رَاعِنَا)؛ لَمَّا كَانَ قَوْلُ الْقَائِلِ (رَاعِنَا) مُحْتَمِلًا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ احْفَظْنَا وَنَحْفَظْكَ وَارْقُبْنَا وَنَرْقُبْكَ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: رَعَاكَ اللهُ بِمَعْنَىٰ حَفِظَكَ اللهُ وَكَلَأَكَ، وَمُحْتَمِلًا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ أَرْعِنَا سَمْعَكَ، يعني: فَرِّغْه لِسَمَاعِ كَلَامِنَا.. وَكَأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- قَدْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَوْقِيرِ نَبِيِّهِ ﷺ وَتَعْظِيمِهِ، حَتَّىٰ نَهَاهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- فِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ عَنْ رَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ، وَأَنْ يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَخَوَّفَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ حُبُوطَ أَعْمَالِهِمْ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالزَّجْرِ لَهُمْ عَنْ أَنْ يَقُولُوا لَهُ مِنَ الْقَوْلِ مَا فِيهِ جَفَاءٌ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَخَيَّرُوا لِخِطَابِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَحْسَنَهَا، وَمِنَ الْمَعَانِي أَرَقَّهَا، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: (رَاعِنَا) لِمَا فِيهِ مِنِ احْتِمَالِ مَعْنَىٰ ارْعَنَا نَرْعَاكَ، إِذْ كَانَتِ الْمُفَاعَلَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنِ اثْنَيْنِ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: عَاطِنَا وَحَادِثْنَا وَجَالِسْنَا، بِمَعْنَىٰ افْعَلْ بِنَا وَنَفْعَلُ بِكَ، وَمَعْنَىٰ أَرْعِنَا سَمْعَكَ حَتَّىٰ نَفْهَمَكَ وَتَفْهَمَ عَنَّا.. فَنَهَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ وَأَنْ يُفْرِدُوا مَسْأَلَتَهُ بِانْتِظَارِهِمْ وَإِمْهَالِهِمْ لِيَعْقِلُوا عَنْهُ، بِتَبْجِيلٍ مِنْهُمْ لَهُ وَتَعْظِيمٍ، وَأَنْ لَا يَسْأَلُوهُ مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْجَفَاءِ وَالتَّجَهُّمِ مِنْهُمْ لَهُ، وَلَا بِالْفَظَاظَةِ وَالْغِلْظَةِ، تَشَبُّهًا مِنْهُمْ بِالْيَهُودِ فِي خِطَابِهِمْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِمْ لَهُ: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾ [النساء: ٤٦]..

﴿وَقُولُواْ﴾ لكِنْ قُولُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ..

﴿ٱنظُرۡنَا﴾ انْتَظِرْنَا وَتَرَقَّبْنَا حَتَّىٰ نَفْهَمَ عَنْكَ مَا تُعَلِّمُنَا، وَنَتَبَيَّنَ مَا تَقُولُ لَنَا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ»[الحديد: ١٣]، يَعْنِي بِهِ: انْتَظِرُونَا..

﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ مَا يُقَالُ لَكُمْ وَيُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ رَبِّكُمْ، وَعُوهُ وَافْهَمُوهُ..

﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بِي وَبِرَسُولِي مُخَالِفِينَ أَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤] مُوجِعٌ فِي الْآخِرَةِ.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥].

﴿مَّا يَوَدُّ﴾ مَا يُحِبُّ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ بِاللهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم﴾ شيئًا..

﴿مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي هو..

﴿مِّن﴾ عِنْد..

﴿رَّبِّكُمۡۚ﴾ فَتَمَنَّىٰ الْمُشْرِكُونَ وَكَفَرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لَا يُنَزِّلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْفُرْقَانَ، وَمَا أَوْحَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ حِكَمِهِ وَآيَاتِهِ، وَإِنَّمَا أَحَبَّتِ الْيَهُودُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ حَسَدًا وَبَغْيًا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الرُّكُونِ إِلَىٰ أَعْدَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالِاسْتِمَاعِ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَبُولِ شَيْءٍ مِمَّا يَأْتُونَهُمْ بِهِ، عَلَىٰ وَجْهِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ مِنْهُمْ؛ بِإِطْلَاعِهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا يَسْتَبْطِنُهُ لَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكُونَ مِنَ الضِّغْنِ وَالْحَسَدِ وَإِنْ أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ خِلَافَ مَا هُمْ مُسْتَبْطِنُونَ..

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ بِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ، فَيُرْسِلُهُ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَتَفَضَّلُ بِالْإِيمَانِ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ فَيَهْدِيهِ لَهُ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥] فَكُلُّ خَيْرٍ نَالَهُ عِبَادُهُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَإِنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ ابْتِدَاءً وَتَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ.. وَفِيهِ تَعْرِيضٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ

ذِكْرُهُ- بِأَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّ الَّذِيَ آتَىٰ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنَ الْهِدَايَةِ تَفَضُّلًا مِنْهُ، وَأَنَّ نِعَمَهُ لَا تُدْرَكُ بِالْأَمَانِيِّ وَلَكِنَّهَا مَوَاهِبُ مِنْهُ، يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ﴾ مَا نَنْقُلْ مِنْ حُكْمٍ..

﴿ءَايَةٍ﴾ إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَنُبَدِّلُهُ وَنُغَيِّرُهُ، وَذَلِكَ أَنْ يُحَوِّلَ الْحَلَالَ حَرَامًا، وَالْحَرَامَ حَلَالًا، وَالْمُبَاحَ مَحْظُورًا، وَالْمَحْظُورَ مُبَاحًا.. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَظْرِ وَالْإِطْلَاقِ وَالْمَنْعِ وَالْإِبَاحَةِ، فَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَلَا يَكُونُ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ.. وَأَصْلُ النَّسْخِ مِنْ (نَسْخِ الْكِتَابِ) وَهُوَ نَقْلُهُ مِنْ نُسْخَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ غَيْرِهَا.. فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ نَسْخِ الْحُكْمِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، إِنَّمَا هُوَ تَحْوِيلُهُ وَنَقْلُ عِبَارَتِهِ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهَا.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَىٰ نَسْخِ الْآيَةِ، فَسَوَاءٌ أُقِرَّ خَطُّهَا فَتُرِكَ، أَوْ مُحِيَ أَثَرُهَا فَعُفِّيَ وَنُسِيَ؛ إِذْ هِيَ حِينَئِذٍ فِي كِلْتَا حَالَتَيْهَا مَنْسُوخَةٌ، وَالْحُكْمُ الْحَادِثُ الْمُبْدَلُ بِهِ الْحُكْمُ الْأَوَّلُ وَالْمَنْقُولُ إِلَيْهِ فَرْضُ الْعِبَادِ هُوَ النَّاسِخُ..

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ أَوْ نُؤَخِّرْهَا فَنُرْجِئُهَا ونَتْرُكُهَا، وَنُقِرُّهَا فَلَا نُغَيِّرُهَا وَلَا نُبْطِلُ حُكْمَهَا..

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ لَكُمْ مِنْ حُكْمِ الْآيَةِ الَّتِي نَسَخْنَا فَغَيَّرْنَا حُكْمَهَا، إِمَّا فِي الْعَاجِلِ: لِخِفَّتِهِ عَلَيْكُمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَضْعُ فَرْضٍ كَانَ عَلَيْكُمْ فَأُسْقِطَ ثِقَلُهُ عَنْكُمْ، وَذَلِكَ كَالَّذِي كَانَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ فَرْضِ قِيَامِ اللَّيْلِ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ فَوُضِعَ عَنْهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ فِي عَاجِلِهِمْ لِسُقُوطِ عِبْءِ ذَلِكَ وَثِقَلِ حِمْلِهِ عَنْهُمْ، وَإِمَّا فِي الْآجِلِ: لِعِظَمِ ثَوَابِهِ مِنْ أَجْلِ مَشَقَّةِ حَمْلِهِ وَثِقَلِ عِبْئِهِ عَلَىٰ الْأَبْدَانِ، كَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ صِيَامِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فِي السَّنَةِ، فَنُسِخَ وَفُرِضَ عَلَيْهِمْ مَكَانَهُ صَوْمُ شَهْرٍ كَامِلٍ فِي كُلِّ حَوْلٍ، فَكَانَ فَرْضُ صَوْمِ شَهْرٍ كَامِلٍ كُلَّ سَنَةٍ أَثْقَلَ عَلَىٰ الْأَبْدَانِ مِنْ صِيَامِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَالثَّوَابُ عَلَيْهِ أَجْزَلُ وَالْأَجْرُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ، لِفَضْلِ مَشَقَّتِهِ عَلَىٰ مُكَلَّفِيهِ مِنْ صَوْمِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، فَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ الْأَبْدَانِ أَشَقَّ، فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْأَوَّلِ فِي الْآجِلِ؛ لِفَضْلِ ثَوَابِهِ وَعِظَمِ أَجْرِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ لِصَوْمِ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ..

﴿أَوْ مِثْلِهَآۗ﴾ أَوْ مِثْلِ حُكْمِهَا فِي الْخِفَّةِ وَالثِّقَلِ وَالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، أَوْ يَكُونُ مِثْلَهَا فِي الْمَشَقَّةِ عَلَىٰ الْبَدَنِ وَاسْتِوَاءِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهِ، نَظِيرَ نَسْخِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فَرْضَ الصَّلَاةِ شَطْرَ بَيْتِ

الْمَقْدِسِ، إِلَىٰ فَرْضِهَا شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَالتَّوَجُّهُ شَطْرَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِنْ خَالَفَ التَّوَجُّهَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ، فَكُلْفَةُ التَّوَجُّهِ شَطْرَ أَيِّهِمَا وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّ الَّذِي عَلَىٰ الْمُتَوَجِّهِ شَطْرَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ مُؤْنَةِ تَوَجُّهِهِ شَطْرَهُ، نَظِيرُ الَّذِي عَلَىٰ بَدَنِهِ مُؤْنَةُ تَوَجُّهِهِ شَطْرَ الْكَعْبَةِ سَوَاءٌ..

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦] أَنِّي قَادِرٌ عَلَىٰ تَعْوِيضِكَ مِمَّا نَسَخْتُ مِنْ أَحْكَامِي، وَغَيَّرْتُهُ مِنْ فَرَائِضِي الَّتِي كُنْتُ افْتَرَضْتُهَا عَلَيْكَ، مَا أَشَاءُ مِمَّا هُوَ خَيْرٌ لَكَ وَلِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ، وَأَنْفَعُ لَكَ وَلَهُمْ، إِمَّا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا آجِلًا فِي الْآخِرَةِ، أَوْ بِأَنْ أُبَدِّلَ لَكَ وَلَهُمْ مَكَانَهُ مِثْلَهُ فِي النَّفْعِ لَهُمْ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا وَآجِلًا فِي الْآخِرَةِ، وَشَبِيهَهُ فِي الْخِفَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ، فَاعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾ [البقرة: ١٠٧].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ؟ أجيب: ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ظَهَرَ ظُهُورَ الْخِطَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّمَا هُوَ مَعْنِيٌّ بِهِ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾ فَعَادَ بِالْخِطَابِ فِي آخِرِ الْآيَةِ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، وَقَدْ ابْتَدَأَ أَوَّلَهَا بِخِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الَّذِينَ وَصَفْتُ أَمْرَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مُسْتَفِيضٌ بَيْنَهُمْ فَصِيحٌ، أَنْ يُخْرِجَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ مِنْهُ لِبَعْضِ النَّاسِ وَهُوَ قَاصِدٌ بِهِ غَيْرَهُ، وَعَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ لِوَاحِدٍ وَهُوَ يَقْصِدُ بِهِ جَمَاعَةً غَيْرَهُ، أَوْ جَمَاعَةً وَالْمُخَاطَبُ بِهِ أَحَدُهُمْ، وَعَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ لِلْجَمَاعَةِ وَالْمَقْصُودُ بِهِ أَحَدُهُمْ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ﴾ [الأحزاب: ١] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٢﴾ [الأحزاب: ٢]، فَرَجَعَ إِلَىٰ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ، وَقَدِ ابْتَدَأَ الْكَلَامَ بِخِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦]، و﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ الْكَلَامِ عَلَىٰ

وَجْهِ الْخِطَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ مَقْصُودٌ بِهِ قَصْدَ أَصْحَابِهِ؛ وَذَلِكَ بَيِّنٌ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٧-١٠٨] الْآيَاتُ الثَّلَاثُ بَعْدَهَا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ لِي مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا، دُونَ غَيْرِي، أَحْكُمُ فِيهِمَا وَفِيمَا فِيهِمَا مَا أَشَاءُ، وَآمُرُ فِيهِمَا وَفِيمَا فِيهِمَا بِمَا أَشَاءُ، وَأَنْهَىٰ عَمَّا أَشَاءُ، وَأَنْسَخُ وَأُبَدِّلُ وَأُغَيِّرُ مِنْ أَحْكَامِي الَّتِي أَحْكُمُ بِهَا فِي عِبَادِي مَا أَشَاءُ إِذَا أَشَاءُ، وَأُقِرُّ مِنْهَا مَا أَشَاءُ.. وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ عَنْ عَظَمَتِهِ، فَإِنَّهُ مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- تَكْذِيبٌ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا نَسْخَ أَحْكَامِ التَّوْرَاةِ وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ عِيسَىٰ، وَأَنْكَرُوا مُحَمَّدًا ﷺ، لِمَجِيئِهِمَا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِتَغْيِيرِ مَا غَيَّرَ اللهُ مِنْ حُكْمِ التَّوْرَاةِ، فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ أَنَّ لَهُ مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا، وَأَنَّ الْخَلْقَ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ وَطَاعَتِهِ، عَلَيْهِمُ السَّمْعُ لَهُ وَالطَّاعَةُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَأَنَّ لَهُ أَمْرَهُمْ بِمَا شَاءَ، وَنَهْيَهُمْ عَمَّا شَاءَ، وَنَسْخَ مَا شَاءَ، وَإِقْرَارَ مَا شَاءَ، وَإِنْسَاءَ مَا شَاءَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.. ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: انْقَادُوا لِأَمْرِي، وَانْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِي فِيمَا أَنْسَخُ وَفِيمَا أَتْرُكُ فَلَا أَنْسَخُ مِنْ أَحْكَامِي وَحُدُودِي وَفَرَائِضِي، وَلَا يَهُولَنَّكُمْ خِلَافُ مُخَالِفٍ لَكُمْ فِي أَمْرِي وَنَهْيِي، وَنَاسِخِي وَمَنْسُوخِي..

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَلَيْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ اللهِ..

﴿مِن وَلِيٍّ﴾ مِنْ قَيِّمٍ بِأَمْرِكُمْ..

﴿وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧﴾ [البقرة: ١٠٧] فَيُؤَيِّدُكُمْ وَيُقَوِّيكُمْ فَيُعِينُكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، فَإِنَّهُ لَا قَيِّمَ بِأَمْرِكُمْ سِوَايَ، وَلَا نَاصِرَ لَكُمْ غَيْرِي، وَأَنَا الْمُنْفَرِدُ بِوَلَايَتِكُمْ وَالدِّفَاعِ عَنْكُمْ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِنُصْرَتِكُمْ بِعِزِّي وَسُلْطَانِي وَقُوَّتِي عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَكُمْ وَحَادَّكُمْ وَنَصَبَ حَرْبَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ، حَتَّىٰ أُعَلِّيَ حُجَّتَكُمْ، وَأَجْعَلَهَا عَلَيْهِمْ لَكُمْ.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٨].

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ نَظِيرَ مَا سَأَلَ قَوْمُ مُوسَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُم أَنْ يَسْأَلوه إِيَّاهُمْ..

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ﴾ وَمَنْ يَسْتَبْدِلِ..

﴿ٱلْكُفْرَ﴾ والْجُحُودَ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ، فَيَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ..

﴿بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ باللهِ وَبِآيَاتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ..

﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ فَقَدْ حَادَ عَنْ..

﴿سَوَآءَ﴾ مَنْهَجِ وَوَسَطِ..

﴿ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٨] الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْمَسْبُولِ.. وَهَذَا الْقَوْلُ ظَاهِرُهُ الْخَبَرُ عَنْ زَوَالِ الْمُسْتَبْدَلِ بِالْإِيمَانِ الْكُفْرَ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْهُ أَنَّهُ قد تَرْكَ دِينَ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَجَعَلَهُ لَهُمْ طَرِيقًا يَسْلُكُونَهُ إِلَىٰ رِضَاهُ، وَسَبِيلًا يَرْكَبُونَهَا إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ وَالْفَوْزِ بِجَنَّاتِهِ، فَجَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الطَّرِيقَ -الَّذِي إِذَا رَكِبَ مَحَجَّتَهُ، السَّائِرُ فِيهِ، وَلَزِمَ وَسَطَهُ، الْمُجْتَازُ فِيهِ، نَجَا وَبَلَغَ حَاجَتَهُ، وَأَدْرَكَ طَلِبَتَهُ- لِدِينِهِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ عِبَادَهُ مَثَلًا لِإِدْرَاكِهِمْ -بِلُزُومِهِ وَاتِّبَاعِهِ- إِدْرَاكَ طَلِبَاتِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ، كَالَّذِي يُدْرِكُ اللَّازِمَ مَحَجَّةَ السَّبِيلِ -بِلُزُومِهِ إِيَّاهَا- طَلِبَتَهُ مِنَ النَّجَاةِ مِنْهَا، وَالْوُصُولِ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَّهُ وَقَصَدَهُ، وَجَعَلَ مَثَلَ الْحَائِدِ عَنْ دِينِهِ، وَالْحَائِدِ عَنِ اتِّبَاعِ مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي خَيْبَتِهِ مَا رَجَا أَنْ يُدْرِكَهُ بِعَمَلِهِ فِي آخِرَتِهِ، وَيَنَالَ بِهِ فِي مَعَادِهِ وَذَهَابِهِ، عَمَّا أَمَّلَ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِ وَبُعْدِهِ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، مَثَلَ الْحَائِدِ عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ وَقَصْدِ السَّبِيلِ، الَّذِي لَا يَزْدَادُ وُغُولًا فِي الْوَجْهِ الَّذِي سَلَكَهُ إِلَّا ازْدَادَ مِنْ مَوْضِعِ حَاجَتِهِ بُعْدًا، وَعَنْ الْمَكَانِ الَّذِي أَمَّهُ وَأَرَادَهُ نَأْيًا.. وَهَذِهِ السَّبِيلُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَهَا، هِيَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَنَا بِمَسْأَلَتِهِ الْهِدَايَةَ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦- ٧].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ، مَا أَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَودُّونَهُ لَهُمْ فِي قَوْلِه..

﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ مُرْتَدِّينَ عَنْ إِيمَانِكُم إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿حَسَدًا﴾ مِنْهُمْ، وَبَغْيًا عَلَيكُم، فحَسَدَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَىٰ مَا أَعْطَاكُمُ اللهُ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَوَهَبَ لَكُمْ مِنَ الرَّشَادِ لِدِينِهِ وَالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ، وَخَصَّكُمْ بِهِ مِنْ أَنْ جَعَلَ رَسُولَهُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ، رؤوفًا بِكُمْ رَحِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنْهُمْ، فَتَكُونُوا لَهُمْ تَبَعًا..

﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ.. إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِنَهْيِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنْهُ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لِهَؤُلَاءِ الْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ يَوَدُّونَ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَكُمْ كُفَّارًا مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَالْمِلَّةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا، فَأَضَاءَ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَمْتَرُونَ فِيهِ، وَلَكِنَّ الْحَسَدَ حَمَلَهُمْ عَلَىٰ الْجَحْدِ، فَعَيَّرَهُمُ اللهُ وَلَامَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ أَشَدَّ الْمَلَامَةِ..

﴿فَٱعْفُوا۟﴾ فَتَجَاوَزُوا عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ إِسَاءَةٍ وَخَطَأٍ فِي رَأْيٍ أَشَارُوا بِهِ عَلَيْكُمْ فِي دِينِكُمْ، إِرَادَةَ صَدِّكُمْ عَنْهُ، وَمُحَاوَلَةَ ارتِدَادِكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، وَعَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ قِيلِهِمْ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]..

﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَهْلٍ فِي ذَلِكَ..

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فَيُحْدِثَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ فِيكُمْ مَا يَشَاءُ، وَيَقْضِي فِيهِمْ مَا يُرِيدُ.. فَقَضَىٰ فِيهِمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-، وَأَتَىٰ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]، فَنَسَخَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ عَنْهُمْ بِفَرْضِ قِتَالِهِمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّىٰ تَصِيرَ كَلِمَتُهُمْ وَكَلِمَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةً، أَوْ يُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ صَغَارًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ بِالَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ..

﴿قَدِيرٌ ۝١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩] إِنْ شَاءَ رَبُّهُمْ الِانْتِقَامَ مِنْهُمْ بِعِنَادِهِمْ، وَإِنْ شَاءَ هَدَاهُمْ لِمَا هَدَاكُمُ اللهُ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَمْرٌ شَاءَ قَضَاءَهُ؛ لِأَنَّ لَهُ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة: ١١٠].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا وَفُرُوضِهَا..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بِطِيبِ نَفْسٍ عَلَىٰ مَا فُرِضَتْ وَوَجَبَتْ..

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيۡرٖ﴾ وَمَهْمَا تَعْمَلُوا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرْضَاهُ اللهُ فِي أَيَّامِ حَيَاتِكُمْ، فَتُقَدِّمُوهُ قَبْلَ وَفَاتِكُمْ ذُخْرًا لِأَنْفُسِكُمْ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ تَجِدُوا ثَوَابَهُ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.. وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَتَقْدِيمِ الْخَيْرَاتِ لِأَنْفُسِهِمْ، لِيَطَّهَّرُوا بِذَلِكَ مِنَ الْخَطَأِ الَّذِي سَلَفَ مِنْهُمْ فِي اسْتِنْصَاحِهِمُ الْيَهُودَ، وَرُكُونِ مَنْ كَانَ رَكَنَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، وَجَفَاءِ مَنْ كَانَ جَفَا مِنْهُمْ فِي خِطَابِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] إِذْ كَانَتْ إِقَامَةُ الصَّلَوَاتِ كَفَّارَةً لِلذُّنُوبِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ تَطْهِيرًا لِلنُّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ مِنْ أَدْنَاسِ الْآثَامِ، وَفِي تَقْدِيمِ الْخَيْرَاتِ إِدْرَاكُ الْفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة: ١١٠] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِلَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ مَهْمَا فَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، فَهُوَ بِهِ بَصِيرٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَيَجْزِيهِمْ بِالْإِحْسَانِ جَزَاءَهُ وَبِالْإِسَاءَةِ مِثْلَهَا.. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّ فِيهِ وَعْدًا وَوَعِيدًا، وَأَمْرًا وَزَجْرًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَعْلَمَ الْقَوْمَ أَنَّهُ بَصِيرٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ لِيَجِدُّوا فِي طَاعَتِهِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مَذْخُورًا لَهُمْ عِنْدَهُ حَتَّىٰ يُثِيبَهُمْ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ١١٠]، وَلِيَحْذَرُوا مَعْصِيَتَهُ، إِذْ كَانَ مُطَّلِعًا عَلَىٰ رَاكِبِهَا بَعْدَ تَقَدُّمِهِ إِلَيْهِ فِيهَا بِالْوَعِيدِ عَلَيْهَا، وَمَا أَوْعَدَ عَلَيْهِ رَبُّنَا -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ، وَمَا وَعَدَ عَلَيْهِ فَمَأْمُورٌ بِهِ.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [البقرة: ١١١].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ أَيْ قَالَتِ الْيَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ

كَانَ يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا..

﴿تِلْكَ﴾ قَوْلُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾..

﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ أَمَانِيُّ مِنْهُمْ يَتَمَنَّوْنَهَا عَلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلَا حُجَّةٍ، وَلَا بُرْهَانٍ، وَلَا يَقِينِ عِلْمٍ بِصِحَّةِ مَا يَدَّعُونَ، وَلَكِنْ بِادِّعَاءِ الْأَبَاطِيلِ وَأَمَانِي النُّفُوسِ الْكَاذِبَةِ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلزَّاعِمِينَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ، تَعَالَوْا إِلَىٰ أَمْرٍ عَدْلٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْفِرَقِ، مُسْلِمِهَا وَيَهُودِهَا وَنَصَارَاهَا..

﴿هَاتُوا﴾ أَحْضِرُوا وَأْتُوا عَلَىٰ مَا تَزْعُمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَنُسَلِّمَ لَكُمْ دَعْوَاكُمْ..

﴿بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ الْبَيَانَ وَالْحُجَّةَ وَالْبَيِّنَةَ، عَلَىٰ دَعْوَاهُمُ الَّتِي ادَّعَوا، مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ..

﴿إِن كُنتُمْ﴾ فِي دَعْوَاكُمْ مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ..

﴿صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١] مُحِقِّينَ.. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرَ دُعَاءِ الْقَائِلِينَ: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ إِلَىٰ إِحْضَارِ حُجَّةٍ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ مَا ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَىٰ تَكْذِيبٍ مِنَ اللهِ لَهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ وَقِيلِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ إِحْضَارِ بُرْهَانٍ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ تِلْكَ أَبَدًا، وَقَدْ أَبَانَ قَوْلُهُ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنَ الْكَلَامِ بِمَعْنَىٰ التَّكْذِيبِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي دَعْوَاهُمْ مَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

﴿بَلَىٰ﴾ لَيْسَ كَمَا قَالَ الزَّاعِمُونَ ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وَلَكِنْ..

﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ بِالِاسْتِسْلَامِ وَالْخُضُوعِ بِجَوَارِحِهِ..

﴿وَجْهَهُۥ﴾ وَبَدَنَهُ، فَخَضَعَ جَسَدُهُ.. وَخَصَّ بِإِسْلَامِ وَجْهِهِ لَهُ دُونَ سَائِرِ جَوَارِحِهِ؛ لِأَنَّ أَكْرَمَ أَعْضَاءِ ابْنِ آدَمَ وَجَوَارِحِهِ وَجْهُهُ، وَهُوَ أَعْظَمُهَا عَلَيْهِ حُرْمَةً وَحَقًّا، فَإِذَا خَضَعَ لِشَيْءٍ وَجْهُهُ الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ عَلَيْهِ، فَغَيْرُهُ مِنْ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ أَحْرَىٰ أَنْ يَكُونَ قد خَضَعَ لَهُ..

﴿لِلَّهِ﴾ فَتَتَذَلَّلُ لِطَاعَتِهِ، وَالْإِذْعَانِ لِأَمْرِهِ..

﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ فِي إِسْلَامِهِ لَهُ جَسَدَهُ..

﴿فَلَهُۥٓ﴾ فَلِلْمُسْلِمِ وَجْهَهُ لِلَّهِ مُحْسِنًا..

﴿أَجۡرُهُۥ﴾ جَزَاؤُهُ وَثَوَابُهُ عَلَىٰ إِسْلَامِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ عِنْدَ اللهِ فِي مَعَادِهِ..

﴿وَلَا خَوۡفٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ عِقَابِهِ وَعَذَابِ جَحِيمِهِ، وَمَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ..

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ وجُوهَهُمْ لِلَّهِ، وَهُمْ مُحْسِنُونَ، الْمُخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾ [البقرة: ١١٢] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَنْ يُمْنَعُوا مَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمِ مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [البقرة: ١١٣].

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ فِي دِينِهَا مُنْذُ دَانَتْ دِينَهَا..

﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ عَلَىٰ صَوَابٍ..

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ فِي دِينِهَا مُنْذُ دَانَتْ دِينَهَا..

﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ عَلَىٰ صَوَابٍ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ، إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ بِتَضْيِيعِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ حُكْمَ الْكِتَابِ الَّذِي يُظْهِرُ الْإِقْرَارَ بِصِحَّتِهِ، وَبِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَجُحُودِهِمْ مَعَ ذَلِكَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ مِنْ فُرُوضِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْجِيلَ الَّذِي تَدِينُ بِصِحَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ النَّصَارَىٰ يُحَقِّقُ مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ نُبُوَّةِ مُوسَىٰ ﵇، وَمَا فَرَضَ اللهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهَا مِنَ الْفَرَائِضِ، وَأَنَّ التَّوْرَاةَ الَّتِي تَدِينُ بِصِحَّتِهَا وَحَقِيقَتِهَا الْيَهُودُ تُحَقِّقُ نُبُوَّةَ عِيسَىٰ ﵇، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْفَرَائِضِ..

﴿وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾ مَعَ تِلَاوَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ كِتَابَهُ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَىٰ كَذِبِهِ فِي قِيلِهِ ذَلِكَ.. فَأَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ قَالَ مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ فِيمَا قَالُوهُ مُبْطِلُونَ، وَأَتَوْا مَا أَتَوْا مِنْ كُفْرِهِمْ بِمَا كَفَرُوا بِهِ عَلَىٰ مَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ فِيهِ مُلْحِدُونَ.. فَالكُلُّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَا كَفَرَ بِهِ، أَيْ يَكْفُرُ الْيَهُودُ بِعِيسَىٰ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا مَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيثَاقِ عَلَىٰ لِسَانِ مُوسَىٰ بِالتَّصْدِيقِ بِعِيسَىٰ ﵇، وَفِي الْإِنْجِيلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ

تَصْدِيقُ مُوسَىٰ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّوْرَاةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ وَكُلٌّ يَكْفُرُ بِمَا فِي يَدِ صَاحِبِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ﴾ من مُشْرِكِي الْعَرَبِ، أو مِن غَيْرِهِم..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَالُوا بِجَهْلِهِمْ..

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْۚ﴾ نَظِيرَ مَا قَالَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ.. وَإِنَّمَا قَصَدَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِعْلَامَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ قَدْ أَتَوْا مِنْ قِيلِ الْبَاطِلِ، وَافْتِرَاءِ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، وَجُحُودِ نُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ مُبْطِلُونَ، وَبِجُحُودِهِمْ مَا يَجْحَدُونَ مِنْ مِلَّتِهِمْ خَارِجُونَ، وَعَلَىٰ اللهِ مُفْتَرُونَ؛ مِثْلَ الَّذِي قَالَهُ أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ الَّذِينَ لَمْ يَبْعَثِ اللهُ لَهُمْ رَسُولًا وَلَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ كِتَابًا.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تُنْبِئُ عَنْ أَنَّ مَنْ أَتَىٰ شَيْئًا مِنْ مَعَاصِي اللهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِنَهْيِ اللهِ عَنْهَا، فَمُصِيبَتُهُ فِي دِينِهِ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَةِ مَنْ أَتَىٰ ذَلِكَ جَاهِلًا بِهِ..

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ فَاللهُ يَقْضِي فَيَفْصِلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ الْقَائِلِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يَوْمَ قِيَامِ الْخَلْقِ لِرَبِّهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَحْشَرِهِمْ، فَيَتَبَيَّنُ الْمُحِقُّ مِنْهُمْ مِنَ الْمُبْطِلِ بِإِيتَائِهِ الْمُحِقَّ مَا وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ وَمُجَازَاتِهِ الْمُبْطِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَوْعَدَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١١٣﴾ [البقرة: ١١٣] مِنْ أَدْيَانِهِمْ وَمِلَلِهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٤﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وَأَيُّ امْرِئٍ أَشَدُّ تَعَدِّيًا، وَجَرَاءَةً عَلَىٰ اللهِ، وَخِلَافًا لِأَمْرِهِ، مِن امْرِئٍ..

﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ وَهُوَ كُلُّ مَوْضِعٍ عُبِدَ اللهُ فِيهِ..

﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ فِيهَا..

﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآۚ﴾ وَمِمَّنْ سَعَىٰ فِي خَرَابِ مَسَاجِدِ اللهِ.. وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي خَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَعَانُوا بُخْتَنَصَّرَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَمَنَعُوا مُؤْمِنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِ بُخْتَنَصَّرَ عَنْهُمْ إِلَىٰ بِلَادِهِ، هم النصارىٰ.. وَإِنْ كَانَ قَدْ دَلَّ بِعُمُومِهِ أَنَّ كُلَّ مَانِعٍ مُصَلِّيًا فِي مَسْجِدٍ لِلَّهِ فَرْضًا كَانَتْ صَلَاتُهُ فِيهِ أَوْ تَطَوُّعًا، وَكُلُّ سَاعٍ فِي إِخْرَابِهِ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ منْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ..

﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ﴾ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ دُخُولَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي سَعَوْا فِي تَخْرِيبِهَا، وَمَنَعُوا عِبَادَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا، مَا دَامُوا عَلَىٰ مُنَاصَبَةِ الْحَرْبِ..

﴿إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ إِلَّا عَلَىٰ خَوْفٍ وَوَجَلٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَىٰ دُخُولِها..

﴿لَهُمْ﴾ عَلَىٰ مَنْعِهِمْ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعْيِهِمْ فِي خَرَابِهَا..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذِّلَّةُ وَالْهَوَانُ وَالْقَتْلُ وَالسَّبْيُ..

﴿وَلَهُمْ﴾ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمِ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَسَعْيِهِمْ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا..

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٤﴾ [البقرة: ١١٤] في جَهَنَّمَ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥﴾ [البقرة: ١١٥].

﴿وَلِلَّهِ﴾ مُلْكُ، وَتَدْبِيرُ، وَخَلْقُ..

﴿ٱلْمَشْرِقُ﴾ مَا بَيْنَ قُطْرَيِ الْمَشْرِقِ، الَّذِي تُشْرِقَ مِنْهُ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ؛ إِذْ كَانَ شُرُوقُ الشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْهُ لَا تَعُودُ لِشُرُوقِهَا مِنْهُ إِلَىٰ الْحَوْلِ الَّذِي بَعْدَهُ..

﴿وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾ وَمَا بَيْنَ قُطْرَيِ الْمَغْرِبِ، الَّذِي تَغْرُبُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ؛ إِذْ كَانَ غُرُوبُ الشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْهُ لَا تَعُودُ لِغُرُوبِها مِنْهُ إِلَىٰ الْحَوْلِ الَّذِي بَعْدَهُ.. فَلَا يَمْنَعْكُمْ تَخْرِيبُ مَنْ خَرَّبَ مَسَاجِدَ اللهِ، وَمَنْعُهُمْ مَنْ مَنَعُوا مِنْ ذِكْرِ اللهِ فِيهِ، أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ حَيْثُ كُنْتُمْ مِنْ أَرْضِ اللهِ تَبْتَغُونَ بِهِ وَجْهَهُ.. فَلِلَّهِ مُلْكُ الْخَلْقِ الَّذِي بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، يَتَعَبَّدُهُمْ بِمَا شَاءَ، وَيَحْكُمُ فِيهِمْ مَا يُرِيدُ، عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ..

﴿فَأَيْنَمَا﴾ فحَيْثُمَا..

﴿تُوَلُّواْ﴾ تَتَّجِهُوا وتَسْتَقْبِلوا..

﴿فَثَمَّ﴾ هُنَالِكَ..

﴿وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ فَوَلُّوا وجُوهَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نَحْوَ وَجْهِي، فَإِنَّكُمْ أَيْنَمَا تُوَلُّوا وجُوهَكُمْ فَهُنَالِكَ وَجْهِي.. فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فِي حَالِ سَيْرِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ، فِي صَلَاتِكُمُ التَّطَوُّعَ، وَفِي حَالِ مُسَايَفَتِكُمْ عَدُوَّكُمْ، فِي تَطَوُّعِكُمْ وَمَكْتُوبَتِكُمْ، فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ.. وأَيْنَمَا تُوَلُّوا مِنْ أَرْضِ اللهِ فتَكُونُوا بِهَا، فَثَمَّ قِبْلَةُ اللهِ الَّتِي تُوَجِّهُونَ وجُوهَكُمْ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْكَعْبَةَ مُمْكِنٌ لَكُمُ التَّوَجُّهُ إِلَيْهَا مِنْهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ يَسَعُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ بِالْكِفَايَةِ وَالْأَفْضَالِ وَالْجُودِ وَالتَّدْبِيرِ..

﴿عَلِيمٌ ١١٥﴾ [البقرة: ١١٥] بِأَفْعَالِهِمْ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ، بَلْ هُوَ بِجَمِيعِهَا عَلِيمٌ.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [البقرة: ١١٦].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا، وَقَالُوا..

﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ وَهُمُ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ عِيسَىٰ ابْنُ اللهِ.. فَقَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، مُكَذِّبًا قِيلَهُمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، وَمُنْتَفِيًا مِمَّا نَحَلُوهُ، وَأَضَافُوا إِلَيْهِ بِكَذِبِهِمْ وَفِرْيَتِهِمْ..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تَنْزِيهًا وَتَبْرِيئًا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَعُلُوًّا وَارْتِفَاعًا عَنْ ذَلِكَ..

﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا، وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَسِيحُ لِلَّهِ وَلَدًا، وَهُوَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ، إِمَّا فِي السَّمَوَاتِ، وَإِمَّا فِي الْأَرْضِ، وَلِلَّهِ مُلْكُ مَا فِيهِمَا، وَلَوْ كَانَ الْمَسِيحُ ابْنًا -كَمَا زَعَمْتُمْ- لَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ، وَعَبِيدِهِ فِي ظُهُورِ آيَاتِ الصَّنْعَةِ فِيهِ..

﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [البقرة: ١١٦] مُطِيعُون، وَمُقِرُّون لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِالْعُبُودِيَّةِ، بِشَهَادَةِ أَجْسَامِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنْ آثَارِ الصَّنْعَةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بَارِئُهَا وَخَالِقُهَا، فَأَلْسِنَتُهُمْ مُذْعِنَةٌ لَهُ بِالطَّاعَةِ بِشَهَادَتِهَا لَهُ بِآثَارِ الصَّنْعَةِ الَّتِي فِيهَا بِذَلِكَ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ أَحَدُهُمْ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ للهِ وَلَدٌ وَهَذِهِ صِفَتُهُ؟!.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ وَعَزَّ- عَنْ أَنَّ الْمَسِيحَ -الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَارَىٰ أَنَّهُ ابْنُ اللهِ- مُكَذِّبُهُمْ، هُوَ وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهَا، إِمَّا بِاللِّسَانِ، وَإِمَّا بِالدَّلَالَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَخْبَرَ عَنْ جَمِيعِهِمْ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَإِقْرَارِهِمْ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ عُقَيْبَ قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مُبْدِعُهَا، والْمُبْدِعُ: هو الْمُنْشِئُ وَالْمُحْدِثُ مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَىٰ إِنْشَاءِ مِثْلِهِ وَإِحْدَاثِهِ أَحَدٌ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْمُبْتَدِعُ فِي الدِّينِ مُبْتَدِعًا لِإِحْدَاثِهِ فِيهِ مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُحْدَثٍ فِعْلًا أَوْ قَوْلًا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ فِيهِ مُتَقَدِّمٌ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّيهِ مُبْتَدِعًا.. فَسُبْحَانَ اللهِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَهُوَ مَالِكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، تَشْهَدُ لَهُ جَمِيعًا -بِدَلَالَتِهَا عَلَيْهِ- بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَتُقِرُّ لَهُ بِالطَّاعَةِ؛ وَهُوَ

بَارِئُهَا وَخَالِقُهَا، وَمُوجِدُهَا مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، وَلَا مِثَالٍ احْتَذَاهَا عَلَيْهِ.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عِبَادَهُ، أَنَّ مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ الْمَسِيحُ الَّذِي أَضَافُوا إِلَى اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بُنُوَّتَهُ، وَإِخْبَارٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ وَعَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ، هُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ الْمَسِيحَ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ بِقُدْرَتِهِ..

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾ أَحْكَمَ..

﴿أَمْرًا﴾ وحَتَمَهُ، وأَرَادَ تكْوِينَهُ..

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾ لِذَلِكَ الْأَمْرِ..

﴿كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [البقرة: ١١٧] ذَلِكَ الْأَمْرُ مَوْجُودًا، عَلَىٰ مَا أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَكُونَ وَأَرَادَهُ، لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ.. وكَذَلِكَ كَانَ ابْتِدَاعُهُ الْمَسِيحَ وَإِنْشَاؤُهُ إِذْ أَرَادَ خَلْقَهُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝١١٨﴾ [البقرة: ١١٨].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم النَّصَارَىٰ الْجُهَّالُ بِاللهِ وَبِعَظَمَتِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ خَبَرِ اللهِ عَنْهُمْ، وَعَنِ افْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ وَادِّعَائِهِمْ لَهُ وَلَدًا، فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِيمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ أَنَّهُمْ مَعَ افْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ [البقرة: ١١٦]، تَمَنَّوْا عَلَىٰ اللهِ الْأَبَاطِيلَ، فَقَالُوا جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ وَبِمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَهُ وَهُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ..

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ كَمَا يُكَلِّمُ رَسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ..

﴿أَوْ تَأْتِينَآ﴾ تَجِيئُنَا..

﴿ءَايَةٌۗ﴾ وعَلَامَةٌ مِنَ اللهِ كَمَا أَتَتِ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، نَعْرِفُ بِهَا صِدْقَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ.. وَلَا يَنْبَغِي للهِ أَنْ يُكَلِّمَ إِلَّا أَوْلِيَاءَهُ، وَلَا يُؤْتِي آيَةً مُعْجِزَةً عَلَىٰ دَعْوَىٰ مُدَّعٍ، إِلَّا لِمَنْ كَانَ مُحِقًّا فِي دَعْوَاهُ، وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ، وَدَاعِيًا إِلَىٰ الْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَادِّعَاءِ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ لَهُ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، أَوْ يُؤْتِيَهُ آيَةً مُعْجِزَةً تَكُونُ مُؤَيِّدَةً كَذِبَهُ وَفِرْيَتَهُ عَلَيْهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ مِنَ النَّصَارَىٰ وَتَمَنَّوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ﴾ لما سَأَلُوا مُوسَىٰ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ رَبَّهُمْ جَهْرَةً، وَأَنْ يُسْمِعَهُمْ كَلَامَ رَبِّهِمْ، وَسَأَلُوا مِنَ الْآيَاتِ مَا لَيْسَ لَهُمْ مَسْأَلَتُهُ، تَحَكُّمًا مِنْهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَكَذَلِكَ تَمَنَّتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ

رَبِّهَا، تَحَكُّمًا مِنْهَا عَلَيْهِ أَنْ يُسْمِعَهُمْ كَلَامَهُ وَيُرِيَهُمْ مَا أَرَادُوا مِنَ الْآيَاتِ..

﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ تَشَابَهَت قُلُوبُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي تَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِعَظَمَتِهِ، وَجَرْأَتِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، كَمَا اشْتَبَهَتْ أَقْوَالُهُمُ الَّتِي قَالُوهَا، فَهُمْ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِي كَذِبِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ، فَقُلُوبُهُمْ مُتَشَابِهَةٌ فِي الْكُفْرِ بِرَبِّهِمْ وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَتَحَكُّمِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ..

﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ والْعَلَامَاتِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا غَضِبَ اللهُ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، وَأَعَدَّ لَهُمُ الْعَذَابَ الْمُهِينَ فِي مَعَادِهِمْ، وَالَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَخْزَىٰ اللهُ النَّصَارَىٰ فِي الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لَهُمُ الْخِزْيَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي الْآخِرَةِ، وَالَّتِي مِنْ أَجْلِهَا جَعَلَ سُكَّانَ الْجِنَّانِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وجُوهَهُمْ لِلَّهِ وَهُمْ مُحْسِنُونَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا، فَأَعْلِمُوا الْأَسْبَابَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا اسْتَحَقَّ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مِنَ اللهِ مَا فَعَلَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: ١١٨] لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّثَبُّتِ فِي الْأُمُورِ، وَالطَّالِبُونَ مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ يَقِينٍ وَصِحَّةٍ، فَأَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ بَيَّنَ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتَهُ، مَا بَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ لِيَزُولَ شَكُّهُ، وَيَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ خَبَرًا مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، وَخَبَرُ اللهِ هو الْخَبَرُ الَّذِي لَا يُعْذَرُ سَامِعُهُ بِالشَّكِّ فِيهِ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يَحْتَمِلُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَارِضَةِ فِيهِ، كالسَّهْوِ وَالْغَلَطِ وَالْكَذِبِ، وَذَلِكَ مَنْفِيٌّ عَنْ خَبَرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة: ١١٩].

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بِالْإِسْلَامِ الَّذِي لَا أَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ مِنَ الْأَدْيَانِ..

﴿بَشِيرٗا﴾ مُبَشِّرًا مَنِ اتَّبَعَكَ فَأَطَاعَكَ وَقَبِلَ مِنْكَ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالظَّفَرِ بِالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِيهَا..

﴿وَنَذِيرٗاۖ﴾ وَمُنْذِرًا مَنْ عَصَاكَ فَخَالَفَكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِالْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا، وَالذُّلِّ فِيهَا، وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ فِي الْآخِرَةِ.. فَبَلِّغْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ.

﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة: ١١٩] فَلَسْتَ مَسْئُولًا عَمَّنْ كَفَرَ بِمَا أَتَيْتَهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْمَالِ مَنْ كَفَرَ بِكَ بَعْدَ إِبْلَاغِكَ إِيَّاهُ رِسَالَتِي تَبِعَةٌ، وَلَا أَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا فَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ وَلَيْسَتِ الْيَهُودُ يَا مُحَمَّدُ وَلَا النَّصَارَىٰ بِرَاضِيَةٍ عَنْكَ أَبَدًا، فَدَعْ طَلَبَ مَا يُرْضِيهِمْ وَيُوَافِقُهُمْ، وَأَقْبِلْ عَلَىٰ طَلَبِ رِضا اللهِ فِي دُعَائِهِمْ إِلَىٰ مَا بَعَثَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لَهُوَ السَّبِيلُ إِلَىٰ الِاجْتِمَاعِ فِيهِ مَعَكَ عَلَىٰ الْأُلْفَةِ وَالدِّينِ الْقَيِّمِ، وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَىٰ إِرْضَائِهِمْ بِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْيَهُودِيَّةَ ضِدُّ النَّصْرَانِيَّةِ، وَالنَّصْرَانِيَّةَ ضِدُّ الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا تَجْتَمِعُ النَّصْرَانِيَّةُ وَالْيَهُودِيَّةُ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ..

﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ لَا تَجْتَمِعُ عَلَىٰ الرِّضَا بِكَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَهُودِيًّا نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَكُونُ مِنْكَ أَبَدًا، لِأَنَّكَ شَخْصٌ وَاحِدٌ، وَلَنْ يَجْتَمِعَ فِيكَ دِينَانِ مُتَضَادَّانِ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَىٰ اجْتِمَاعِهِمَا فِيكَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ سَبِيلٌ، لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ إِرْضَاءِ الْفَرِيقَيْنِ سَبِيلٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ، فَالْزَمْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي لِجَمْعِ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْأُلْفَةِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ.. ثُمَّ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ وَالْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾ [البقرة: ١١١]..

﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إِنَّ بَيَانَ اللهِ..

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ﴾ هُوَ الْبَيَانُ الْمُقْنِعُ، وَالْقَضَاءُ الْفَاصِلُ بَيْنَنَا، فَهَلُمُّوا إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَبَيَانِهِ، الَّذِي بَيَّنَ فِيهِ لِعِبَادِهِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ -وَهُوَ التَّوْرَاةُ الَّتِي تُقِرُّونَ جَمِيعًا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ- يَتَّضِحْ لَكُمْ فِيهَا الْمُحِقُّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَأَيُّنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَأَيُّنَا أَهْلُ النَّارِ، وَأَيُّنَا عَلَىٰ الصَّوَابِ، وَأَيُّنَا عَلَىٰ الْخَطَأِ.. وَإِنَّمَا أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ هُدَىٰ اللهِ وَبَيَانِهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَكْذِيبَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِيمَا قَالُوا مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، وَبَيَانَ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ الْمُكَذِّبَ بِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ دُونَ الْمُصَدِّقِ بِهِ..

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَهْوَآءَهُم﴾ هَوَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فِيمَا يُرْضِيهِمْ عَنْكَ مِنْ تَهَوُّدٍ وَتَنَصُّرٍ، فَصِرْتَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ إِرْضَائِهِمْ، وَوَافَقْتَ فِيهِ مَحَبَّتَهُمْ..

﴿بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ مِنْ بَعْدِ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بِضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَمِنْ بَعْدِ الَّذِي اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَئِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿مَا لَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يَلِي أَمْرَكَ، وَقَيِّمٍ يَقُومُ عَلَيْكَ..

﴿وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠] يَنْصُرُكَ مِنَ اللهِ، فَيَدْفَعُ عَنْكَ مَا يَنْزِلُ بِكَ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ أَحَلَّ بِكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ دَعَتْهُ إِلَىٰ أَدْيَانِهَا، وَقَالَ كُلُّ حِزْبٍ مِنْهُمْ: إِنَّ الْهُدَىٰ هُوَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ دُونَ مَا عَلَيْهِ غَيْرُنَا مِنْ سَائِرِ الْمِلَلِ، فَوَعَظَهُ اللهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَعَلَّمَهُ الْحُجَّةَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ فِيمَا ادَّعَىٰ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٢١﴾ [البقرة: ١٢١].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مِنْ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، فَأَقَرُّوا بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ، فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللهُ فِيهَا مِنَ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ يَتَّبِعُونَ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ رَسُولِي مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ..

﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ مُبَالَغَةٌ فِي صِفَةِ اتِّبَاعِهِمُ الْكِتَابَ، وَلُزُومِهِمُ الْعَمَلَ بِهِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا لَعَالِمٌ حَقُّ عَالِمٍ، وَكَمَا يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا لَفَاضِلٌ كُلُّ فَاضِلٍ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَقَّ تِلَاوَتِهِ...

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ وَيُقِرُّونَ بِمَا فِيهِ مِنْ نَعْتِكَ وَصِفَتِكَ، وَأَنَّكَ رَسُولِي، فُرِضَ عَلَيْهِمْ طَاعَتِي فِي الْإِيمَانِ بِكَ وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، وَيَعْمَلُونَ بِمَا أَحْلَلْتَ لَهُمْ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا حَرَّمْتَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَلَا يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا يُبَدِّلُونَهُ وَلَا يُغَيِّرُونَهُ كَمَا أَنْزَلْتُهُ عَلَيْهِمْ بِتَأْوِيلٍ وَلَا غَيْرِهِ.. فَأَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالتَّوْرَاةِ هُوَ الْمُتَّبِعُ مَا فِيهَا مِنْ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَالْعَامِلُ بِمَا فِيهَا مِنْ فَرَائِضِ اللهِ الَّتِي فَرَضَهَا فِيهَا عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَأَنَّ أَهْلَهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا مَنْ كَانَ ذَلِكَ صِفَتَهُ، دُونَ مَنْ كَانَ مُحَرِّفًا لَهَا مُبَدِّلًا تَأْوِيلَهَا مُغَيِّرًا سُنَنَهَا تَارِكًا مَا فَرَضَ اللهُ فِيهَا عَلَيْهِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مَنْ وَصَفَ بِمَا وَصَفَ بِهِ مِنْ مُتَّبِعِي التَّوْرَاةِ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ بِمَا أَثْنَىٰ بِهِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ فِي اتِّبَاعِهَا اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَتَصْدِيقَهُ، لِأَنَّ التَّوْرَاةَ تَأْمُرُ أَهْلَهَا بِذَلِكَ وَتُخْبِرُهُمْ عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِنُبُوَّتِهِ وَفَرْضِ طَاعَتِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِ اللهِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَأَنَّ فِي التَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ التَّكْذِيبَ بِهَا، فَأَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ مُتَّبِعِي التَّوْرَاةِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمُ الْعَامِلُونَ بِمَا فِيهَا..

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ يَتْلُوهُ مَنْ آتَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، فَيَجْحَدُ مَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ، وَيُبَدِّلْهُ، فَيُحَرِّفْ تَأْوِيلَهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٢١] الَّذِينَ خَسِرُوا عِلْمَهُمْ وَعَمَلَهُمْ، فَبَخَسُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاسْتَبْدَلُوا بِهَا سَخَطَ اللهِ وَغَضَبَهُ.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾ [البقرة: ١٢٢].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وَصَنَائِعِي عِنْدَكُمْ، وَاسْتِنْقَاذِي إِيَّاكُمْ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَإِنْزَالِي عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ فِي تِيهِكُمْ، وَتَمْكِينِي لَكُمْ فِي الْبِلَادِ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مُذَلَّلِينَ مَقْهُورِينَ، وَاخْتِصَاصِي الرُّسُلَ مِنْكُمْ..

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾ [البقرة: ١٢٢] وَتَفْضِيلِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ عَالَمِ مَنْ كُنْتُم بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ، أَيَّامَ أَنْتُمْ فِي طَاعَتِي، بِاتِّبَاعِ رَسُولِي إِلَيْكُمْ، وَتَصْدِيقِهِ وَتَصْدِيقِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، وَدَعُوا التَّمَادِيَ فِي الضَّلَالِ وَالْغَيِّ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ عِظَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَذْكِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ أَيَادِيهِ إِلَيْهِمْ فِي صُنْعِهِ بِأَوَائِلِهِمْ، اسْتِعْطَافًا مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣].

﴿وَٱتَّقُواْ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُبَدِّلِينَ كِتَابِي وَتَنْزِيلِي، الْمُحَرِّفِينَ تَأْوِيلَهُ عَنْ وَجْهِهِ، الْمُكَذِّبِينَ بِرَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿يَوْمًا﴾ عَذَابَ يَوْمٍ..

﴿لَّا تَجْزِي﴾ لَا تَقْضِي فِيهِ..

﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ وَلَا تُغْنِي عَنْهَا غَنَاءً، أَنْ تَهْلَكُوا عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِكُمْ بِي، وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولِي، فَتَمُوتُوا عَلَيْهِ..

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فَإِنَّهُ يَوْمٌ لَا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ فِيمَا لَزِمَهَا فِدْيَةٌ..

﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ وَلَا يَشْفَعُ فِيمَا وَجَبَ عَلَيْهَا مِنْ حَقٍّ لَهَا شَافِعٌ..

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣] وَلَا هُمْ يَنْصُرُهُمْ نَاصِرٌ مِنَ اللهِ، إِذَا انْتَقَمَ مِنْهَا بِمَعْصِيَتِهَا إِيَّاهُ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَرْهِيبٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِلَّذِينَ سَلَفَتْ عِظَتُهُ إِيَّاهُمْ بِمَا وَعَظَهُمْ بِهِ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا.

﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿* وَإِذِ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ [البقرة: ١٢٢]، وَاذْكُرُوا إِذْ..

﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ وَاخْتَبَرَ..

﴿إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ وَكَانَ اخْتِبَارُ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِبْرَاهِيمَ، اخْتِبَارًا بِفَرَائِضَ فَرَضَهَا عَلَيْهِ، وَأَمْرٍ أَمَرَهُ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَوْحَاهُنَّ إِلَيْهِ وَكَلَّفَهُ الْعَمَلَ بِهِنَّ امْتِحَانًا مِنْهُ لَهُ وَاخْتِبَارًا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ ثَلَاثُونَ سَهْمًا مِن شَرَائِعِ الإِسْلامِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هي عَشْرُ خِلَالٍ؛ بَعْضُهُنَّ فِي تَطْهِيرِ الْجَسَدِ، وَبَعْضُهُنَّ فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ مَنَاسِكُ الْحَجِّ خَاصَّةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ الْخِلَالُ السِّتُّ: الْكَوْكَبُ، وَالْقَمَرُ، وَالشَّمْسُ، وَالنَّارُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْخِتَانُ، الَّتِي ابْتُلِيَ بِهِنَّ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ.. وَقَالَ آخَرُونَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي ابْتَلَىٰ بِهِنَّ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨-١٢٩].. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ جَمِيعَ ذلك، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ بَعْضَهُ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ قَدْ كَانَ امْتُحِنَ فِيمَا بَلَغَنَا بِكُلِّ ذَلِكَ، فَعَمِلَ بِهِ وَقَامَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ وَأَمْرِهِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فِيهِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: عَنَىٰ اللهُ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهِنَّ إِبْرَاهِيمُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ دُونَ شَيْءٍ، وَلَا عَنَىٰ بِهِ كُلَّ ذَلِكَ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ إِجْمَاعٍ مِنَ الْحُجَّةِ..

﴿فَأَتَمَّهُنَّ ۖ﴾ فَأَتَمَّ إِبْرَاهِيمُ الْكَلِمَاتِ، وَإِتْمَامُهُ إِيَّاهُنَّ إِكْمَالُهُ إِيَّاهُنَّ بِالْقِيَامِ لِلَّهِ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ فِيهِنَّ، وَهُوَ الْوَفَاءُ الَّذِي قَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ [النجم: ٣٧] يَعْنِي: وَفَّىٰ بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِ بِالْكَلِمَاتِ، فَأَمَرَهُ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَمِحَنِهِ فِيهَا..

﴿قَالَ﴾ اللهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ..

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ إِنِّي مُصَيِّرُكَ..

﴿لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ تَؤُمُّ مَنْ بَعْدَكَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي وَبِرُسُلِي، فَتَقَدَّمُهُمْ أَنْتَ، وَيَتَّبِعُونَ هَدْيَكَ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِكَ الَّتِي تَعْمَلُ بِهَا، بِأَمْرِي إِيَّاكَ وَوَحْيِي إِلَيْكَ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا رَفَعَ اللهُ مَنْزِلَتَهُ وَكَرَّمَهُ، فَأَعْلَمَهُ مَا هُوَ صَانِعٌ بِهِ مِنْ تَصْيِيرِهِ إِمَامًا فِي الْخَيْرَاتِ لِمَنْ فِي عَصْرِهِ، وَلِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَسَائِرِ النَّاسِ غَيْرِهِمْ، يُهْتَدَىٰ بِهَدْيِهِ وَيُقْتَدَىٰ بِأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ: يَا رَبِّ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فَاجْعَلْ أَئِمَّةً يُقْتَدَىٰ بِهِمْ، كَالَّذِي جَعَلْتَنِي إِمَامًا يُؤْتَمُّ بِهِ وَيُقْتَدَىٰ بِي..

﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنْ أَنَّ الظَّالِمَ لَا يَكُونُ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ أَهْلُ الْخَيْرِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُصَيِّرِهِ كَذَلِكَ، وَلَا جَاعِلِهِ فِي مَحَلِّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ بِالتَّكْرِمَةِ بِالْإِمَامَةِ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَةَ إِنَّمَا هِيَ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ دُونَ أَعْدَائِهِ وَالْكَافِرِينَ بِهِ.. وَهَذَا الْكَلَامُ إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِإِبْرَاهِيمَ أَنَّ مِنْ وَلَدِهِ مَنْ يُشْرِكُ بِهِ، وَيَزُولُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَيَظْلِمُ نَفْسَهُ وَعِبَادَهُ.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿وَإِذْ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]..

﴿جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ الْحَرَامَ..

﴿مَثَابَةً﴾ مَرْجِعًا وَمَعَاذًا..

﴿لِلنَّاسِ﴾ يَأْتُونَهُ كُلَّ عَامٍ وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا..

﴿وَأَمْنًا﴾ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَاذًا لِمَنِ اسْتَعَاذَ بِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لَوْ لَقِيَ بِهِ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ لَمْ يُهِجْهُ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْهُ، وَكَانَ كَمَا قَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]..

﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ تُصَلُّونَ عِنْدَهُ، عِبَادَةً مِنْكُمْ، وَتَكْرِمَةً مِنِّي لِإِبْرَاهِيمَ.. فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ الْمَقَامَ مُصَلًّى؟ فَأَنْزَلَ اللهُ:

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.. وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: اسْتَلَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرُّكْنَ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَىٰ أَرْبَعًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَىٰ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فَقَرَأَ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ.. فَهَذَانِ الْخَبَرَانِ يُنْبِئَانِ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا عَنَىٰ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ المقامَ المعروفَ بِهَذَا الِاسْمِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ وَأَمَرْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ بِتَطْهِيرِ بَيْتِي، وَالتَّطْهِيرِ الَّذِي أَمَرَهُمَا اللهُ بِهِ فِي الْبَيْتِ، هُوَ تَطْهِيرُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فِيهِ، وَمِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ كَانَ أَيَّامَ إِبْرَاهِيمَ -قَبْلَ بِنَائِهِ الْبَيْتَ- بَيْتٌ يُطَهَّرُ مِنَ الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فِي الْحَرَمِ، فَيَجُوزَ أَنْ يَكُونَا أُمِرَا بِتَطْهِيرِهِ؟ قِيلَ: لِذَلِكَ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ، قَدْ قَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَجْهَيْنِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنِ ابْنِيَا بَيْتِيَ مُطَهَّرًا مِنَ الشِّرْكِ وَالرَّيْبِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أَيِ ابْنِيَا بَيْتِي عَلَىٰ طُهْرٍ مِنَ الشِّرْكِ بِي وَالرَّيْبِ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَا أُمِرَا بِأَنْ يُطَهِّرَا مَكَانَ الْبَيْتِ قَبْلَ بُنْيَانِهِ، وَالْبَيْتَ بَعْدَ بُنْيَانِهِ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ يَجْعَلُونَهُ فِيهِ عَلَىٰ عَهْدِ نُوحٍ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ سُنَّةً لِمَنْ بَعْدَهُمَا، إِذْ كَانَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ جَعَلَ إِبْرَاهِيمَ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ مَنْ بَعْدَهِ..

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ الَّذِينَ يَطُوفُونَ بِهِ، غُرَبَاءَ كَانُوا أَوْ مِنْ أَهْلِهِ..

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ وَالْمُقِيمِينَ فِي الْبَيْتِ، مُجَاوِرِين فِيهِ، بِغَيْرِ طَوَافٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمُعْتَكِفِ مُعْتَكِفٌ مِنْ أَجْلِ مُقَامِهِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي حَبَسَ فِيهِ نَفْسَهُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ.. وَالْمُقِيمُ بِالْمَكَانِ قَدْ يَكُونُ مُقِيمًا بِهِ وَهُوَ جَالِسٌ وَمُصَلٍّ وَطَائِفٌ وَقَائِمٌ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ فَلَمَّا كَانَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ الْمُصَلِّينَ وَالطَّائِفِينَ، عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْحَالَ الَّتِي عَنَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مِنَ الْعَاكِفِ، غَيْرُ حَالِ الْمُصَلِّي وَالطَّائِفِ، وَأَنَّ الَّتِي عَنَىٰ مِنْ أَحْوَالِهِ هُوَ الْعُكُوفُ بِالْبَيْتِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْجِوَارِ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُصَلِّيًا فِيهِ وَلَا رَاكِعًا وَلَا سَاجِدًا..

﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾ جَمَاعَةُ الْقَوْمِ الرَّاكِعِينَ فِيهِ لَهُ، وَاحِدُهُمْ رَاكِعٌ..

﴿ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٥] هُمْ جَمَاعَةُ الْقَوْمِ السَّاجِدِينَ فِيهِ لَهُ، وَاحِدُهُمْ سَاجِدٌ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ..

﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يُسَلَّطُوا عَلَيْهِ، وَمِنْ عُقُوبَةِ اللهِ أَنْ تَنَالَهُ، كَمَا تَنَالُ سَائِرَ الْبُلْدَانِ، مِنْ خَسْفٍ، وَائْتِفَاكٍ، وَغَرَقٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَمَثُلَاتِهِ الَّتِي تُصِيبُ سَائِرَ الْبِلَادِ غَيْرَهُ..

﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَ مُؤْمِنِي أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الثَّمَرَاتِ دُونَ كَافِرِيهِمْ، وَخَصَّ بِمَسْأَلَةِ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْكَافِرِينَ، لِمَا أَعْلَمَهُ اللهُ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَئِمَّةً يُقْتَدَىٰ بِهِمْ، أَنَّ مِنْهُمُ الْكَافِرَ الَّذِي لَا يَنَالُ عَهْدَهُ، وَالظَّالِمُ الَّذِي لَا يُدْرِكُ وِلَايَتَهُ، فَلَمَّا أُعْلِمَ أَنَّ مِنَ ذُرِّيَّتِهِ الظَّالِمَ وَالْكَافِرَ، خَصَّ بِمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِنْ سُكَّانِ مَكَّةَ الْمُؤْمِنَ مِنْهُمْ دُونَ الْكَافِرِ.. وَإِنَّمَا سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ مَا سَأَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ حَلَّ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ وَلَا مَاءٍ وَلَا أَهْلٍ، فَسَأَلَ أَنْ يَرْزُقَ أَهْلَهُ ثَمَرًا، وَأَنْ يَجْعَلَ أَفْئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ، وَرَزَقْتُ مُؤْمِنِي أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ مِنَ الثَّمَرَاتِ..

﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ فَأَجْعَلُ مَا أَرْزُقُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ مَتَاعًا يَتَمَتَّعُ بِهِ إِلَىٰ وَقْتِ مَمَاتِهِ..

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ ثُمَّ أَدْفَعُهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَأَسُوقُهُ إِلَيْهَا سَحْبًا وَجَرًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾ [الطور: ١٣]..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦] وَسَاءَ الْمَصِيرُ عَذَابُ النَّارِ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الَّذِي مَتَّعْتُهُمْ فِيهَا.. وَ(بِئْسَ) أَصْلُهُ مِنَ الْبُؤْسِ.. وَالْمَصِيرُ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ الْكَافِرُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ..

﴿يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ يَقُولَانِ..

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ عَمَلَنَا وَطَاعَتَنَا إِيَّاكَ وَعِبَادَتَنَا لَكَ فِي انْتِهَائِنَا إِلَىٰ أَمْرِكَ الَّذِي أَمَرْتَنَا بِهِ فِي بِنَاءِ بَيْتِكَ الَّذِي أَمَرْتَنَا بِبِنَائِهِ.. وفيه دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ بِنَاءَهُمَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَسْكَنًا يَسْكُنَانِهِ، وَلَا مَنْزِلًا يَنْزِلَانِهِ، بَلْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُمَا بَنَيَاهُ وَرَفَعَا قَوَاعِدَهُ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ، تَقَرُّبًا مِنْهُمَا إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ؛ وَلِذَلِكَ قَالَا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، وَلَوْ كَانَا بَنَيَاهُ مَسْكَنًا لِأَنْفُسِهِمَا، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِمَا: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ وَجْهٌ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَا يَكُونَانِ -لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ- سَائِلَيْنِ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمَا مَا لَا قُرْبَةَ فِيهِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ مِنْ صِفَتِهِمَا مَسْأَلَةُ اللهِ قَبُولَ مَا لَا قُرْبَةَ إِلَيْهِ فِيهِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ دُعَاءَنَا وَمَسْأَلَتَنَا إِيَّاكَ قَبُولَ بِنَاءِ بَيْتِكَ الَّذِي أَمَرْتَنَا بِبِنَائِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧] بِمَا فِي ضَمَائِرِ نُفُوسِنَا مِنَ الْإِذْعَانِ لَكَ فِي الطَّاعَةِ، وَالْمَصِيرِ إِلَىٰ مَا فِيهِ لَكَ الرِّضَا وَالْمَحَبَّةُ، وَمَا نُبْدِي وَنُخْفِي مِنْ أَعْمَالِنَا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، أَنَّهُمَا كَانَا يَرْفَعَانِ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، وَهُمَا يَقُولَانِ: وَاجْعَلْنَا مُسْتَسْلِمَيْنِ لِأَمْرِكَ خَاضِعَيْنِ لِطَاعَتِكَ، لَا نُشْرِكُ مَعَكَ فِي الطَّاعَةِ أَحَدًا سِوَاكَ، وَلَا فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَكَ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فَإِنَّهُمَا خَصَّا بِذَلِكَ بَعْضَ الذُّرِّيَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ كَانَ أَعْلَمَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ ﷺ قَبْلَ مَسْأَلَتِهِ هَذِهِ أَنَّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ لَا يَنَالُ عَهْدَهُ لِظُلْمِهِ وَفُجُورِهِ، فَخَصَّا بِالدَّعْوَةِ بَعْضَ ذُرِّيَّتِهِمَا..

﴿وَأَرِنَا﴾ وَعَلِّمْنَا..

﴿مَنَاسِكَنَا﴾ الْمَوْضِعَ الَّذِي يُنْسَكُ لِلَّهِ فِيهِ، وَيُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ فِيهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، إِمَّا بِذِبْحِ ذَبِيحَةٍ لَهُ، وَإِمَّا بِصَلَاةٍ أَوْ طَوَافٍ أَوْ سَعْيٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَشَاعِرِ الْحَجِّ مَنَاسِكُهُ، لِأَنَّهَا أَمَارَاتٌ وَعَلَامَاتٌ يَعْتَادُهَا النَّاسُ، وَيَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهَا..

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ فلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَّا وَلَهُ مِنَ الْعَمَلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِنَابَةُ مِنْهُ وَالتَّوْبَةُ، فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَا كَانَ مِنْ قِبَلِهِمَا مَا قَالَا مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا خَصَّا بِهِ الْحَالَ الَّتِي

كَانَا عَلَيْهَا مِنْ رَفْعِ قَوَاعِدِ الْبَيْتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ أَحْرَىٰ الْأَمَاكِنِ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ فِيهَا دُعَاءَهُمَا، وَلِيَجْعَلَا مَا فَعَلَا مِنْ ذَلِكَ سُنَّةً يُقْتَدَىٰ بِهَا بَعْدَهُمَا، وَتَتَّخِذَ النَّاسُ تِلْكَ الْبُقْعَةَ بَعْدَهُمَا مَوْضِعَ تَنَصُّلٍ مِنَ الذُّنُوبِ إِلَىٰ اللهِ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَا عَنَيَا بِقَوْلِهِمَا: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ وَتُبْ عَلَىٰ الظَّلَمَةِ مِنْ أَوْلَادِنَا وَذُرِّيَّتِنَا، الَّذِينَ أَعْلَمْتَنَا أَمْرَهُمْ مِنْ ظُلْمِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، حَتَّىٰ يُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِكَ، فَيَكُونُ ظَاهِرُ الْكَلَامِ عَلَىٰ الدُّعَاءِ لِأَنْفُسِهِمَا، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ ذُرِّيَّتُهُمَا، كَمَا يُقَالُ: أَكْرَمَنِي فُلَانٌ فِي وَلَدِي وَأَهْلِي، وَبَرَّنِي فُلَانٌ، إِذَا بَرَّ وَلَدَهُ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ الْعَائِدُ عَلَىٰ عِبَادِكَ بِالْفَضْلِ، وَالْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٨] بِهِمْ، الْمُسْتَنْقِذُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ بِرَحْمَتِكَ مِنْ هَلَكَتِهِ، الْمُنْجِي مَنْ تُرِيدُ نَجَاتَهُ مِنْهُمْ بِرَأْفَتِكَ مِنْ سَخَطِكَ.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هَذِهِ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً، وَهِيَ الدَّعْوَةُ الَّتِي كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ»..

﴿يَتْلُواْ﴾ يَقْرَأُ..

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ كِتَابَكَ الَّذِي تُوحِيهِ إِلَيْهِ..

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الَّذِي تُنَزِّلُهُ عَلَيْهِمْ، وهو الْقُرْآنَ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والعِلْمَ بِأَحْكَامِ اللهِ الَّتِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهَا إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي بِمَعْنَىٰ الْفَصْلِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، بِمَنْزِلَةِ الْجِلْسَةِ وَالْقِعْدَةِ مِنَ الْجُلُوسِ وَالْقُعُودِ، يُقَالُ مِنْهُ: إِنَّ فُلَانًا لَحَكِيمٌ بَيِّنُ الْحِكْمَةِ..

﴿وَيُزَكِّيهِمْۖ﴾ وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيُنَمِّيهِمْ وَيُكَثِّرُهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، فَافْعَلْ بِنَا وَبِذُرِّيَّتِنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَطَلَبْنَاهُ مِنْكَ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩] الَّذِي لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ، فَأَعْطِنَا مَا يَنْفَعُنَا وَيَنْفَعُ ذُرِّيَّتَنَا، وَلَا يَنْقُصُكَ وَلَا يَنْقُصُ خَزَائِنَكَ.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

﴿وَمَن يَرْغَبُ﴾ وَمَنْ يَزْهَدُ..

﴿عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ..

﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ إِلَّا سَفِيهٌ جَاهِلٌ بِمَوْضِعِ حَظِّ نَفْسِهِ فِيمَا يَنْفَعُهَا وَيَضُرُّهَا فِي مَعَادِهَا، وَأَيُّ النَّاسِ يَزْهَدُ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَيَتْرُكُهَا رَغْبَةً عَنْهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا؟! وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ بِذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لِاخْتِيَارِهِمْ مَا اخْتَارُوا مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]..

﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ اخْتَرْنَاهُ وَاجْتَبَيْنَاهُ لِلْخُلَّةِ، وَنُصَيِّرُهُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُ إِمَامًا.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ أَنَّ مَنْ خَالَفَ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا سَنَّ لِمَنْ بَعْدَهُ فَهُوَ لِلَّهِ مُخَالِفٌ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ خَلْقَهُ أَنَّ مَنْ خَالَفَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَهُوَ لِإِبْرَاهِيمَ مُخَالِفٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَخْبَرَ أَنَّهُ اصْطَفَاهُ لِخُلَّتِهِ، وَجَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَأَخْبَرَ أَنَّ دِينَهُ كَانَ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ، فَفِي ذَلِكَ أَوْضَحُ الْبَيَانِ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ أَنَّ مَنْ خَالَفَهُ فَهُوَ لِلَّهِ عَدُوٌّ لِمُخَالَفَتِهِ الْإِمَامَ الَّذِي نَصَّبَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ..

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ..

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ..

﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠] الْمُؤَدِّي حُقُوقَ اللهِ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا لَهُ صَفِيٌّ، وَفِي الْآخِرَةِ وَلِيٌّ، وَأَنَّهُ وَارِدٌ مَوَارِدَ أَوْلِيَائِهِ الْمُوفِينَ بِعَهْدِهِ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١].

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أَخْلِصْ لِي الْعِبَادَةَ، وَاخْضَعْ لِي بِالطَّاعَةِ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ مُجِيبًا لِرَبِّهِ..

﴿أَسْلَمْتُ﴾ خَضَعْتُ بِالطَّاعَةِ، وَأَخْلَصْتُ بِالْعِبَادَةِ..

﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١] لِمَالِكِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَمُدَبِّرِهَا دُونَ غَيْرِهِ.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِهذه الْكَلِمَةِ ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾، وَهِيَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبادَةِ وَالتَّوْحِيدُ لِلَّهِ، وَخُضُوعُ الْقَلْبِ وَالْجَوارِحِ لَهُ..

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ وَوَصَّىٰ بِذَلِكَ أَيْضًا يَعْقُوبُ بَنِيهِ..

﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ إِنَّ اللهَ اخْتَارَ لَكُمْ هَذَا الدِّينَ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهِ وَاجْتَبَاهُ لَكُمْ..

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] فَلِأَنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَتَىٰ تَأْتِيكُمْ مَنَايَاكُمْ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ، فَلَا تُفَارِقُوا الْإِسْلَامَ أَيَّامَ حَياتِكُمْ، فَتَأْتِيكُمْ مَنَايَاكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ غَيْرِ الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ فَتَمُوتُوا وَرَبُّكُمْ سَاخِطٌ عَلَيْكُمْ فَتَهْلِكُوا.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أَكُنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الْمُكَذِّبِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَهُ..

﴿شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ فَتَعْلَمُوا مَا قَالَ لِوَلَدِهِ وَقَالَ لَهُ وَلَدُهُ، إِنَّكُمْ لَمْ تَحْضُرُوا ذَلِكَ، فَلَا تَدَّعُوا عَلَىٰ أَنْبِيَائِي وَرُسُلِي الْأَبَاطِيلَ، وَتَنْحِلُوهُمُ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ، فَإِنِّي ابْتَعَثْتُ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدَهُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ وَذُرِّيَّتَهُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَبِذَلِكَ وَصَّوْا بَنِيهِمْ وَبِهِ عَهِدُوا إِلَىٰ أَوْلَادِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَلَوْ حَضَرْتُمُوهُمْ فَسَمِعْتُمْ مِنْهُمْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ مَا تَنْحِلُوهُمْ مِنَ الْأَدْيَانِ وَالْمِلَلِ مِنْ بَعْدِهِمْ.. ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ مَا قَالَ لَهُمْ وَمَا قَالُوا لَهُ..

﴿إِذْ قَالَ﴾ يَعْقُوبُ..

﴿لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدُونَ..

﴿مِنۢ بَعْدِى﴾ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِي..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ بَنُوهُ لَهُ..

﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ ومعبُودَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ..

﴿وَإِلَٰهَ﴾ ومعبُودَ..

﴿ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ نُخْلِصُ لَهُ الْعِبَادَةَ وَنُوَحِّدُ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ، فَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا نَتَّخِذُ دُونَهُ رَبًّا..

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣] خَاضِعُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ له ﷻ..

وَيَحْتَمِلُ قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٣﴾ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ الْحَالِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ مُسْلِمِينَ لَهُ بِطَاعَتِنَا وَعِبَادَتِنَا إِيَّاهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا مُسْتَأْنَفًا، فَيَكُونُ بِمَعْنَىٰ: نَعْبُدُ إِلَهَكَ بَعْدَكَ، وَنَحْنُ لَهُ الْآنَ وَفِي كُلِّ حَالٍ مُسْلِمُونَ.. وَأَحْسَنُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ الْحَالِ، وَأَنْ يَكُونُ بِمَعْنَىٰ: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ مُسْلِمِينَ لِعِبَادَتِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا قُدِّمَ ذِكْرُ إِسْمَاعِيلَ عَلَىٰ إِسْحَاقَ لِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ أَسَنَّ مِنْ إِسْحَاقَ.. وَهَذِهِ آيَاتٌ نَزَلَتْ تَكْذِيبًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي دَعْوَاهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدِهِ يَعْقُوبَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ مِلَّتِهِمْ.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٣٤﴾

[البقرة: ١٣٤].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَوَلَدَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ مَضَتْ لِسَبِيلِهَا.. فَيَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ دَعُوا ذِكْرَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ بِغَيْرِ مَا هُمْ أَهْلُهُ، وَلَا تَنْحِلُوهُمْ كُفْرَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ فَتُضِيفُوهَا إِلَيْهِمْ..

﴿لَهَا﴾ لِتِلْكَ الْأُمَّةِ..

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ..

﴿وَلَكُم﴾ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾ مَا عَمِلْتُمْ..

﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ﴾ وَلَا تُؤَاخَذُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاحِلُونَ مَا نَحَلْتُمُوهُمْ مِنَ الْمِلَلِ..

﴿عَمَّا كَانُوا۟﴾ عَمَّا كَانَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَوَلَدُهُمْ..

﴿يَعْمَلُونَ ١٣٤﴾ [البقرة: ١٣٤] يَكْسِبُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، وَعَلَيْهَا مَا

اكْتَسَبَتْ، فَدَعُوا انْتِحَالَهُمْ وَانْتِحَالَ مِلَلِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعَاوَىٰ غَيْرُ مُغْنِيَتِكُمْ عِنْدَ اللهِ، وَإِنَّمَا يُغْنِي عَنْكُمْ عِنْدَهُ مَا سَلَفَ لَكُمْ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَمِلْتُمُوهَا وَقَدَّمْتُمُوهَا.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿كُونُوا۟ هُودًا﴾ تَهْتَدُوا..

﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَهُمْ: كُونُوا نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا وَتُصِيبُوا طَرِيقَ الْحَقِّ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَلْ﴾ نَتَّبِعُ..

﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا.. وَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ حَنِيفًا مُتَّبِعًا طَاعَةَ اللهِ، وَلَكِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمْ يَجْعَلْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، كَالَّذِي فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ، فَجَعَلَهُ إِمَامًا فِيمَا بَيَّنَهُ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَالْخِتَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، يُقْتَدَىٰ بِهِ أَبَدًا إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَجَعَلَ مَا سَنَّ مِنْ ذَلِكَ عَلَمًا مُمَيِّزًا بَيْنَ مُؤْمِنِي عِبَادِهِ وَكُفَّارِهِمْ، وَالْمُطِيعِ مِنْهُمْ لَهُ وَالْعَاصِي، فَسُمِّيَ الْحَنِيفُ مِنَ النَّاسِ حَنِيفًا بِاتِّبَاعِهِ مِلَّتَهُ، وَاسْتِقَامَتِهِ عَلَىٰ هَدْيِهِ وَمِنْهَاجِهِ، وَسُمِّيَ الضَّالُّ عَنْ مِلَّتِهِ بِسَائِرِ أَسْمَاءِ الْمِلَلِ، فَقِيلَ: يَهُودِيٌّ وَنَصْرَانِيٌّ، وَمَجُوسِيٌّ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْمِلَلِ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥] وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَدِينُ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَلَا كَانَ مِنَ الْيَهُودِ، وَلَا مِنَ النَّصَارَىٰ، بَلْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

﴿قُولُوٓا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا..

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾ من كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿إِلَيْنَا﴾ فَأَضَافَ الْخِطَابَ بِالتَّنْزِيلِ إِلَيْهِمْ؛ إِذْ كَانُوا مُتَّبِعِيهِ وَمَأْمُورِينَ مَنْهِيِّينَ بِهِ، فَكَانَ وَإِنْ كَانَ تَنْزِيلًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بِمَعْنَىٰ التَّنْزِيلِ إِلَيْهِمْ لِلَّذِي لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي وَصَفْتُ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ وَآمَنَّا أَيْضًا بِمَا أُنْزِلَ..

﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وَالأسباط هُمُ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ..

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ وَآمَنَّا أَيْضًا بِمَا أُوتِي مُوسَىٰ مِنَ التَّوْرَاةِ..

﴿وَعِيسَىٰ﴾ وَبِالْإِنْجِيلِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ عِيسَىٰ..

﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وَآمَنَّا أَيْضًا بِالْكُتُبِ الَّتِي آتَىٰ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ، وَأَقْرَرْنَا وَصَدَّقْنَا أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقٌّ وَهُدًىٰ وَنُورٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ ذَكَرَ اللهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ كَانُوا عَلَىٰ حَقٍّ وَهُدًىٰ، يُصَدِّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ فِي الدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لَا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ، وَنَتَبَرَّأُ مِنْ بَعْضٍ، وَنَتَوَلَّىٰ بَعْضًا، كَمَا تَبَرَّأَتِ الْيَهُودُ مِنْ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ عليهما السلام، وَأَقَرَّتْ بِغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَمَا تَبَرَّأَتِ النَّصَارَىٰ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَقَرَّتْ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ نَشْهَدُ لِجَمِيعِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا رُسُلَ اللهِ وَأَنْبِيَاءَهُ، بُعِثُوا بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ..

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦] خَاضِعُونَ بِالطَّاعَةِ، مُذْعِنُونَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ.

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٧].

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ فَإِنْ صَدَّقَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَقَرُّوا بِذَلِكَ مِثْلَ مَا صَدَّقْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَأَقْرَرْتُمْ..

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ﴾ فَقَدْ وُفِّقُوا وَرَشَدُوا وَلَزِمُوا طَرِيقَ الْحَقِّ وَاهْتَدَوْا، وَهُمْ حِينَئِذٍ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ بِدُخُولِهِمْ فِي مِلَّتِكُمْ بِإِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ.. فَدَلَّ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ عَمَلًا إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِهَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي عَدَّهَا قَبْلَهَا..

﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ وَإِنْ تَوَلَّىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ،

فَأَعْرَضُوا، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِمِثْلِ إِيمَانِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَابْتُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ رُسُلِ اللهِ، وَبَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ، فَصَدَّقُوا بَعْضًا وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ..

﴿فَإِنَّمَا هُمْ﴾ فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ..

﴿فِي شِقَاقٍ﴾ فِي عِصْيَانٍ وَفِرَاقٍ وَحَرْبٍ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَكُمْ..

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ فَسَيَكْفِيكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، إِنْ هُمْ تَوَلَّوْا عَنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمِثْلِ إِيمَانِ أَصْحَابِكَ بِاللهِ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِمْ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ، إِمَّا بِقَتْلِ السَّيْفِ، وَإِمَّا بِجَلَاءٍ عَنْ جِوَارِكَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ..

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا يَقُولُونَ لَكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُبْدُونَ لَكَ بِأَفْوَاهِهِمْ مِنَ الْجَهْلِ، وَالدُّعَاءِ إِلَىٰ الْكُفْرِ وَالْمِلَلِ الضَّالَّةِ..

﴿الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧] بِمَا يُبْطِنُونَ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، فَفَعَلَ اللهُ بِهِمْ ذَلِكَ عَاجِلًا وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، فَكَفَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِتَسْلِيطِهِ إِيَّاهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ قَتَلَ بَعْضَهُمْ وَأَجْلَىٰ بَعْضًا وَأَذَلَّ بَعْضًا وَأَخْزَاهُ بِالْجِزْيَةِ وَالصَّغَارِ.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨].

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ صَبْغَةَ الْإِسْلَامِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَىٰ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُنَصِّرَ أَطْفَالَهُمْ جَعَلَتْهُمْ فِي مَاءٍ لَهُمْ تَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ لَهَا تَقْدِيسٌ، بِمَنْزِلَةِ غُسْلِ الْجَنَابَةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ صِبْغَةٌ لَهُمْ فِي النَّصْرَانِيَّةِ، فَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥] قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، بَلِ اتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، صِبْغَةَ اللهِ..

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، وَدَعُوا الشِّرْكَ بِاللهِ وَالضَّلَالَ عَنْ مَحَجَّةِ هُدَاهُ..

﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ وَلِمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ أَنْ يقولَ لهم: بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، صِبْغَةَ اللهِ، وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ -وَيَعْنِي بِالعَابِدِينَ: الْخَاضِعِينَ لِلَّهِ الْمُسْتَكِينِينَ لَهُ- فِي اتِّبَاعِنَا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَدَيْنُونَتِنَا لَهُ بِذَلِكَ، غَيْرَ مُسْتَكْبِرِينَ عَلَيْهِ فِي اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالْإِقْرَارِ بِرِسَالَةِ رُسُلِهِ، كَمَا اسْتَكْبَرَتِ

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، فَكَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ اسْتِكْبَارًا وَبَغْيًا وَحَسَدًا.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ۝١٣٩﴾ [البقرة: ١٣٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، وقُولُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لِمَعَاشِرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا، وَزَعَمُوا أَنَّ دِينَهُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ، وَكِتَابَهُمْ خَيْرٌ مِنْ كِتَابِكُمْ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ كِتَابِكُمْ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِاللهِ مِنْكَ..

﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ أَتُخَاصِمُونَنَا وَتُجَادِلُونَنَا..

﴿فِي ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَيْرَاتُ، وَإِلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَالْجَزَاءُ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، الْحَسَنَاتِ مِنْهَا وَالسَّيِّئَاتِ، فَتَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ بِاللهِ أَوْلَىٰ مِنَّا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ نَبِيَّكُمْ قَبْلَ نَبِيِّنَا، وَكِتَابَكُمْ قَبْلَ كِتَابِنَا..

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ وَرَبُّكُمْ وَرَبُّنَا وَاحِدٌ..

﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ وَلِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَّا مَا عَمِلَ وَاكْتَسَبَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَسَيِّئِهَا، وَعَلَيْهَا يُجَازَىٰ، فَيُثَابُ أَوْ يُعَاقَبُ، لَا عَلَىٰ الْأَنْسَابِ وَقِدَمِ الدِّينِ وَالْكِتَابِ..

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ۝١٣٩﴾ [البقرة: ١٣٩] وَنَحْنُ لِلَّهِ مُخْلِصُو الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَهُ أَحَدًا، كَمَا عَبَدَ أَهْلُ الْأَوْثَانِ مَعَهُ الْأَوْثَانَ، وَأَصْحَابُ الْعِجْلِ مَعَهُ الْعِجْلَ، وعَبَدَ بَعْضُكُمُ الْمَسِيحَ، فَأَنَّىٰ تَكُونُونَ خَيْرًا مِنَّا، وَأَوْلَىٰ بِاللهِ مِنَّا.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- تَوْبِيخٌ لِلْيَهُودِ، وَاحْتِجَاجٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠﴾ [البقرة: ١٤٠].

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ: أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّ دِينَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ دِينِنَا، وَأَنَّكُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ وَنَحْنُ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ بِبُرْهَانٍ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فَتَدْعُونَنَا إِلَىٰ دِينِكُمْ؟ فَهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَنَتَّبِعَكُمْ عَلَيْهِ، أَمْ تَقُولُونَ..

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾ عَلَىٰ مِلَّتِكُمْ،

فَيَصِحُّ لِلنَّاسِ بَهْتُكُمْ وَكَذِبُكُمْ؛ لِأَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ حَدَثَتْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ قِصَصَهُمْ.. ثُمَّ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنِ ادَّعَوْا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ..

﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بِهِمْ وَبِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَدْيَانِ..

﴿أَمِ ٱللَّهُ﴾ ؟!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وَأَيُّ امْرِئٍ أَظْلَمُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، وأَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، فهم..

﴿مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ﴾ عِنْدَهُمْ فِي كِتَابِهِم.

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا مُسْلِمِينَ...

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٠﴾ [البقرة: ١٤٠] وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ يُحَاجُّونَكَ يَا مُحَمَّدُ: مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ مِنْ كِتْمَانِكُمُ الْحَقَّ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ فِي كِتَابِهِ بَيَانَهُ لِلنَّاسِ، مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَأَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ دِينُ اللهِ، الَّذِي عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ الدَّيْنُونَةُ بِهِ دُونَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمِلَلِ، وَلَا هُوَ سَاهٍ عَنْ عِقَابِكُمْ عَلَىٰ فِعْلِكُمْ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ مُحْصٍ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ مِنَ الْجَزَاءِ مَا أَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَجَازَاهُمْ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ وَإِجْلَائِهِ عَنْ وَطَنِهِ وَدَارِهِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابَ الْمُهِينَ.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٤١﴾

[البقرة: ١٤١].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي اللهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ -وكَتَمُوا مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ فِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ سَمَّيْنَا مَعَهُ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ فكَذَبُوا- إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ أُمَّةٌ..

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ ومَضَتْ لِسَبِيلِهَا، فَصَارَتْ إِلَىٰ رَبِّهَا، وَخَلَتْ بِأَعْمَالِهَا وَآمَالِهَا..

﴿لَهَا﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ مِنْ خَيْرٍ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهَا، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، مِنْ شَرٍّ، لَا يَنْفَعُهَا غَيْرُ صَالِحِ أَعْمَالِهَا، وَلَا يَضُرُّهَا إِلَّا سَيِّئُهَا..

﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ بِهِمْ تَفْتَخِرُونَ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّ بِهِمْ تَرْجُونَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ مَعَ سَيِّئَاتِكُمْ، وَعَظِيمِ خَطِيئَاتِكُمْ، لَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللهِ غَيْرُ مَا قَدَّمُوا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَلَا يَضُرُّهُمْ غَيْرُ سَيِّئِهَا؛ فَأَنْتُمْ كَذَلِكَ أَحْرَىٰ أَنْ لَا يَنْفَعَكُمْ عِنْدَ اللهِ غَيْرُ مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَلَا يَضُرَّكُمْ غَيْرُ سَيِّئِهَا، فَاحْذَرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَبَادِرُوا خُرُوجَهَا بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ وَالْفِرْيَةِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَدَعُوا الْاِتِّكَالَ عَلَىٰ فَضَائِلِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، فَإِنَّمَا لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ، وَعَلَيْكُمْ مَا اكْتَسَبْتُمْ..

﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٤١﴾ [البقرة: ١٤١] وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَالْأَسْبَاطُ، يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ قَدِمَتْ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّمَا تُسْأَلُ عَمَّا كَسَبَتْ وَأَسْلَفَتْ دُونَ مَا أَسْلَفَ غَيْرُهَا.

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢﴾ [البقرة: ١٤٢].

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ سَيَقُولُ الْجُهَّالُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، إِذَا حَوَّلْتُمْ وُجُوهَكُمْ عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ، الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ قِبْلَةً قَبْلَ أَمْرِي إِيَّاكُمْ بِتَحْوِيلِ وُجُوهِكُمْ عَنْهَا، شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.. وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّىٰ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مُدَّةً، ثُمَّ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ صَرْفَ قِبْلَةِ نَبِيِّهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَأَخْبَرَهُ عَمَّا الْيَهُودُ قَائِلُوهُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَ صَرْفِهِ وَجْهَهُ وَوَجْهَ أَصْحَابِهِ شَطْرَهُ، وَمَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ رَدِّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَوَابِ..

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ، وَأَهْلُ النِّفَاقِ.. وَإِنَّمَا سَمَّاهُمُ اللهُ ﷻ سُفَهَاءَ؛ لِأَنَّهُمْ سَفِهُوا الْحَقَّ، فَتَجَاهَلَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ وَتَعَاظَمَتْ جُهَّالُهُمْ وَأَهْلُ الْغَبَاءِ مِنْهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَحَيَّرَ الْمُنَافِقُونَ فَتَبَلَّدُوا..

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ أَيُّ شَيْءٍ صَرَفَهُمْ، وَحَوَّلَ وُجُوهَهُمْ..

﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَهُ بِوُجُوهِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ..

فَأَعْلَمَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- نَبِيَّهُ ﷺ مَا الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ قَائِلُونَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَ تَحْوِيلِ قِبْلَتِهِ وَقِبْلَةِ أَصْحَابِهِ عَنِ الشَّامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَعَلَّمَهُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ رَدِّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَوَابِ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا قَالُوا ذَلِكَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ فـ..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ: مَا وَلَّاكُمْ عَنْ قِبْلَتِكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَىٰ التَّوَجُّهِ إِلَيْهَا إِلَىٰ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ شَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ لِلَّهِ مُلْكُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ: مُلْكَ مَا بَيْنَ قُطْرَيْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ، وَقُطْرَيْ مَغْرِبِهَا، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَالَمِ..

﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ فَيُسَدِّدُهُ، وَيُوَفِّقُهُ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢﴾ [البقرة: ١٤٢] إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ: إِلَىٰ قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فَيُضِلُّهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ.. فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ هَدَانَا بِالتَّوَجُّهِ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لِقِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَضَلَّكُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ، وَالْمُنَافِقُونَ، وَجَمَاعَةُ الشِّرْكِ بِاللهِ، فَخَذَلَكُمْ عَمَّا هَدَانَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا هَدَيْنَاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَخَصَصْنَاكُمْ بِالتَّوْفِيقِ لِقِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتِهِ، وَفَضَّلْنَاكُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ، كَذَلِكَ..

﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ خَصَصْنَاكُمْ، فَفَضَّلْنَاكُمْ عَلَىٰ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ..

﴿أُمَّةً﴾ قَرْنًا وصِنْفًا مِنَ النَّاسِ..

﴿وَسَطًا﴾ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، مِثْلَ (وَسَطِ الدَّارِ).. وَأَرَىٰ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ وَسَطٌ؛ لِتَوَسُّطِهِمْ فِي الدِّينِ، فَلَا هُمْ أَهْلُ غُلُوٍّ فِيهِ، غُلُوُّ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ غَلَوْا بِالتَّرَهُّبِ،

وَقِيلِهِمْ فِي عِيسَىٰ مَا قَالُوا فِيهِ، وَلَا هُمْ أَهْلُ تَقْصِيرٍ فِيهِ، تَقْصِيرُ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، وَكَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا بِهِ، وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ تَوَسُّطٍ وَاعْتِدَالٍ فِيهِ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَىٰ اللهِ أَوْسَطُهَا..

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾ لِأَنْبِيَائِي وَرُسُلِي..

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ عَلَىٰ أُمَمِهَا بِالْبَلَاغِ، أَنَّهَا قَدْ بَلَّغَتْ مَا أُمِرَتْ بِبَلَاغِهِ مِنْ رِسَالَاتِي إِلَىٰ أُمَمِهَا.. كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يُدْعَىٰ بِنُوحٍ ﵇ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِقَوْمِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَعْلَمُ ذَاكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَهُوَ قَوْلُهُ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾..

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ بِإِيمَانِكُمْ بِهِ، وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿وَمَا جَعَلۡنَا﴾ وَلَمْ نَجْعَلْ صَرْفَكَ عَنِ..

﴿ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ الَّتِي كُنْتَ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا يَا مُحَمَّدُ، قَبْلَ أَنْ يَصْرِفَكَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، وَتَحْوِيلَكَ إِلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ إِلَّا لِيَعْلَمَ رَسُولِي وَحِزْبِي وَأَوْلِيَائِي؛ إِذْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَوْلِيَاؤُهُ مِنْ حِزْبِهِ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِضَافَةُ مَا فَعَلَتْهُ أَتْبَاعُ الرَّئِيسِ إِلَىٰ الرَّئِيسِ، وَمَا فُعِلَ بِهِمْ إِلَيْهِ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ: فَتَحَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَوَادَ الْعِرَاقِ، وَجَبَىٰ خَرَاجَهَا، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ عَنْ سَبَبٍ كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ، وَكَالَّذِي رُوِيَ فِي نَظِيرِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَقُولُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: «**مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْنِي عَبْدِي، وَاسْتَقْرَضْتُهُ فَلَمْ يُقْرِضْنِي، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي؛ يَقُولُ: وَادَهْرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ**»، فَأَضَافَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الِاسْتِقْرَاضَ وَالْعِيَادَةَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ سَبَبِهِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: (**أَجُوعُ فِي غَيْرِ بَطْنِي**)، وَ(**أَعْرَىٰ فِي غَيْرِ ظَهْرِي**)، بِمَعْنَىٰ جُوعِ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَعُرْيِ ظُهُورِهِمْ، فَكَذَلِكَ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ بِمَعْنَىٰ يَعْلَمُ أَوْلِيَائِي وَحِزْبِي..

﴿مَن﴾ الَّذِي..

﴿يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا يَأْمُرُهُ اللهُ بِهِ، فَيُوَجَّهُ نَحْوَ الْوَجْهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ نَحْوَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ مِنَ الَّذِي يَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ، فَيُنَافِقُ، أَوْ يَكْفُرُ، أَوْ يُخَالِفُ مُحَمَّدًا ﷺ

فِي ذَلِكَ مِمَّنْ يُظْهِرُ اتِّبَاعَهُ؛ لِأَنَّ مِحْنَةَ اللهِ أَصْحَابَ رَسُولِهِ فِي الْقِبْلَةِ، إِنَّمَا كَانَتْ فِيمَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ، عِنْدَ التَّحْوِيلِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، حَتَّىٰ ارْتَدَّ فِيمَا ذُكِرَ رِجَالٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَظْهَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نِفَاقَهُمْ، وَقَالُوا: مَا بَالُ مُحَمَّدٍ يُحَوِّلُنَا مَرَّةً إِلَىٰ هَا هُنَا، وَمَرَّةً إِلَىٰ هَا هُنَا؟! وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَا مَضَىٰ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ يُصَلُّونَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ: بَطَلَتْ أَعْمَالُنَا وَأَعْمَالُهُمْ وَضَاعَتْ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَحَيَّرَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي دِينِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَتَمْحِيصًا لِلْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَخْبَرَ الْقَوْمَ بِمَا كَانَ رَأَىٰ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَلَىٰ أَحَدٍ فِتْنَةٌ، وَكَذَلِكَ الْقِبْلَةَ الْأُولَىٰ الَّتِي كَانَتْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ صُرِفَ عَنْهَا إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَىٰ أَحَدٍ فِتْنَةٌ وَلَا مِحْنَةٌ..

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ تَحْوِيلَتُنَا إِيَّاكَ عَنْهَا وَتَوْلِيَتُنَاكَ..

﴿لَكَبِيرَةً﴾ عَظِيمَةً فِي صُدُورِ مَنْ لَا يَعْرِفُ وَلَا يَعْقِلُ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فَهَدَاهُ لِتَصْدِيقِكَ، وَالْإِيمَانِ بِكَ، وَاتِّبَاعِكَ فِيهِ، وَفِيمَا أَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَيْكَ..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني: صَّلَاتكم.. فعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: مَاتَ عَلَىٰ الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ إِلَىٰ الْبَيْتِ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، فالْإِيمَانَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقَ قَدْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَحْدَهُ وَبِالْفِعْلِ وَحْدَهُ وَبِهِمَا جَمِيعًا، فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ عَلَىٰ مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ، مِنْ أَنَّهُ الصَّلَاةُ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ تَصْدِيقَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِصَلَاتِكُمُ، الَّتِي صَلَّيْتُمُوهَا نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَنْ أَمْرِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْكُمْ تَصْدِيقًا لِرَسُولِي، وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِي، وَطَاعَةً مِنْكُمْ لِي، وَإِضَاعَتُهُ إِيَّاهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَوْ أَضَاعَهُ تَرْكُ إِثَابَةِ أَصْحَابِهِ وَعَامِلِيهِ عَلَيْهِ، فَيَذْهَبُ ضَيَاعًا وَيَصِيرُ بَاطِلًا كَهَيْئَةِ إِضَاعَةِ الرَّجُلِ مَالَهُ، وَذَلِكَ إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُ فِيمَا لَا يَعْتَاضُ مِنْهُ عِوَضًا فِي عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ، فَأَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُبْطِلُ عَمَلَ عَامِلٍ عَمِلَ لَهُ عَمَلًا، وَهُوَ لَهُ طَاعَةٌ فَلَا يُثِيبُهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ نُسِخَ ذَلِكَ الْفَرْضُ بَعْدَ عَمَلِ الْعَامِلِ إِيَّاهُ، عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُ مِنْ عَمَلِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ إِنَّ اللهَ بِجَمِيعِ عِبَادِهِ..

﴿لَرَءُوفٌ﴾ ذُو رَأْفَةٍ، وَالرَّأْفَةُ أَعْلَىٰ مَعَانِي الرَّحْمَةِ، وَهِيَ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَلِبَعْضِهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] ذُو الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.. وَإِنَّمَا أَرَادَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أَنْ يُضَيِّعَ لَهُمْ طَاعَةً أَطَاعُوهُ بِهَا فَلَا يُثِيبُهُمْ عَلَيْهَا، وَأَرْأَفُ بِهِمْ مِنْ أَنْ يُؤَاخِذَهُمْ بِتَرْكِ مَا لَمْ يَفْرِضْهُ عَلَيْهِمْ، أَيْ وَلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَوْتَاكُمُ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَإِنِّي لَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّايَ بِصَلَاتِهِمُ الَّتِي صَلُّوهَا كَذَلِكَ مُثِيبٌ؛ لِأَنِّي أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْ أُضَيِّعَ لَهُمْ عَمَلًا عَمِلُوهُ لِي، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنِّي غَيْرُ مُؤَاخِذُهُمْ بِتَرْكِهِمُ الصَّلَاةَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ فَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَا أَرْأَفُ بِخَلْقِي مِنْ أَنْ أُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهِمْ مَا لَمْ آمُرْهُمْ بِعَمَلِهِ.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٤﴾ [البقرة: ١٤٤].

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ نَحْنُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَقَلُّبَ﴾ تَحَوُّلَ وَتَصَرُّفَ..

﴿وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقِبَلِهَا.. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ ﷺ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ تَحْوِيلِ قِبْلَتِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَمْرَهُ بِالتَّحْوِيلِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ..

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فَلَنَصْرِفَنَّكَ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ..

﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ إِلَىٰ قِبْلَةٍ تَرْضَاهَا، وَتَهْوَاهَا وَتُحِبُّهَا..

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ اصْرِفْ وَجْهَكَ وَحَوِّلْهُ..

﴿شَطْرَ﴾ نَحْوَ وَ تِلْقَاءَ..

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فَالْمُوَلِّي وَجْهَهُ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ هُوَ الْمُصِيبُ الْقِبْلَةَ، وَعَلَىٰ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ النِّيَّةُ بِقَلْبِهِ أَنَّهُ إِلَيْهِ مُتَوَجِّهٌ، كَمَا أَنَّ عَلَىٰ مَنِ ائْتَمَّ بِإِمَامٍ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ الِائْتِمَامُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَاذِيًا بَدَنُهُ بَدَنَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي طَرَفِ الصَّفِّ وَالْإِمَامُ فِي طَرَفٍ آخَرَ، عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ يَسَارِهِ، بَعْدَ أَنْ

يَكُونَ مَنْ خَلْفَهُ مُؤْتَمًّا بِهِ مُصَلِّيًا إِلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْهِ الإِمَامُ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ الْقِبْلَةِ، وَإِنْ لَمْ يُحَاذِهَا كُلُّ مُصَلٍّ وَمُتَوَجِّهٍ إِلَيْهَا بِبَدَنِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهَا، فَإِنْ كَانَ عَنْ يَمِينِهَا أَوْ عَنْ يَسَارِهَا مُقَابِلَهَا، فَهُوَ مُسْتَقْبِلُهَا، بَعُدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَوْ قَرُبَ، مِنْ عَنِ يَمِينِهَا أَوْ عَنْ يَسَارِهَا، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُسْتَدْبِرِهَا، وَلَا مُنْحَرِفٍ عَنْهَا بِبَدَنِهِ وَوَجْهِهِ.. وأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْبَيْتَ هُوَ الْقِبْلَةُ، وَأَنَّ قِبْلَةَ الْبَيْتِ بَابُهُ..

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ فَأَيْنَمَا كُنْتُمْ مِنَ الأَرْضِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَوَلُّوا۟﴾ فَحَوِّلُوا..

﴿وُجُوهَكُمْ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ..

﴿شَطْرَهُۥ﴾ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَتِلْقَاءَهُ.. فَأَوْجَبَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرْضُ التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي صَلَاتِهِمْ حَيْثُ كَانُوا مِنْ أَرْضِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَعُلَمَاءِ النَّصَارَىٰ..

﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّ التَّوَجُّهَ نَحْوَ الْمَسْجِدِ..

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ الْحَقُّ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وأَوْجَبَه عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَائِرِ عِبَادِهِ بَعْدَهُ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٤٤﴾ [البقرة: ١٤٤] وَلَيْسَ اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي اتِّبَاعِكُمْ أَمْرَهُ، وَانْتِهَائِكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَإِيمَانِكُمْ بِهِ فِي صَلَاتِكُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ صَلَاتِكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَلَا هُوَ سَاهٍ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- يُحْصِيهُ لَكُمْ وَيَدَّخِرُهُ لَكُمْ عِنْدَهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ أَحْسَنَ جَزَاءٍ، وَيُثِيبَكُمْ عَلَيْهِ أَفْضَلَ ثَوَابٍ.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥].

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾ وَلَئِنْ جِئْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ بِكُلِّ بُرْهَانٍ وَحُجَّةٍ، وَهِيَ الآيَةُ بِأَنَّ الْحَقَّ هُوَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، مِنْ فَرْضِ التَّحَوُّلِ مِنْ قِبْلَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي الصَّلَاةِ، إِلَىٰ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿مَّا تَبِعُواْ﴾ مَا صَدَّقُوا بِهِ وَلَا اتَّبَعُوا مَعَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ..

﴿قِبْلَتَكَۚ﴾ الَّتِي حَوَّلْتُكَ إِلَيْهَا، وَهِيَ التَّوَجُّهُ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبْلَتَهُمْۚ﴾ وَمَا لَكَ مِنْ سَبِيلٍ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ اتِّبَاعِ قِبْلَتِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ تَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بِصَلَاتِهَا، وَأَنَّ النَّصَارَىٰ تَسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقَ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ لَكَ السَّبِيلُ إِلَىٰ اتِّبَاعِ قِبْلَتِهِمْ مَعَ اخْتِلَافِ وُجُوهِهَا، فَالْزَمْ قِبْلَتَكَ الَّتِي أُمِرْتَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا، وَدَعْ عَنْكَ مَا تَقُولُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَتَدْعُوكَ إِلَيْهِ مِنْ قِبْلَتِهِمْ وَاسْتِقْبَالِهَا..

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٖ قِبْلَةَ بَعْضٖۚ﴾ وَمَا الْيَهُودُ بِتَابِعَةٍ قِبْلَةَ النَّصَارَىٰ، وَلَا النَّصَارَىٰ بِتَابِعَةٍ قِبْلَةَ الْيَهُودِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَىٰ لَا تَجْتَمِعُ عَلَىٰ قِبْلَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ إِقَامَةِ كُلِّ حِزْبٍ مِنْهُمْ عَلَىٰ مِلَّتِهِمْ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ لَا تُشْعِرُ نَفْسَكَ رِضَا هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ مَعَ اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَىٰ إِرْضَاءِ كُلِّ حِزْبٍ مِنْهُمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ قِبْلَةَ الْيَهُودِ أَسْخَطْتَ النَّصَارَىٰ، وَإِنِ اتَّبَعْتَ قِبْلَةَ النَّصَارَىٰ أَسْخَطْتَ الْيَهُودَ، فَدَعْ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَادْعُهُمْ إِلَىٰ مَا لَهُمُ السَّبِيلُ إِلَيْهِ مِنَ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ مِلَّتِكَ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَقِبْلَتِكَ قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ..

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ وَلَئِنِ الْتَمَسْتَ يَا مُحَمَّدُ رِضَا هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ﴾ [البقرة: ١٣٥] فَاتَّبَعْتَ قِبْلَتَهُمْ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ..

﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بِإِعْلَامِي إِيَّاكَ أَنَّهُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ بَاطِلٍ، وَعَلَىٰ عِنَادٍ مِنْهُمْ لِلْحَقِّ، وَمَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ أَنَّ الْقِبْلَةَ الَّتِي وَجَّهْتُكَ إِلَيْهَا هِيَ الْقِبْلَةُ الَّتِي فَرَضْتُ عَلَىٰ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَسَائِرِ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ..

﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ..

﴿لَّمِنَ﴾ عِبَادِي..

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥] أَنْفُسَهُمْ، الْمُخَالِفِينَ أَمْرِي، وَالتَّارِكِينَ طَاعَتِي.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من أَحْبَارِ الْيَهُودِ، وَعُلَمَاءِ النَّصَارَىٰ..

﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْأَحْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ النَّصَارَىٰ، أَنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِبْلَتُهُمْ، وَقِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَقِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ..

﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وَإِنَّ طَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَهُمُ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ..

﴿لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ وهُوَ الْقِبْلَةُ الَّتِي وَجَّهَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّتِي كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا، فَكَتَمَتْهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، فَتَوَجَّهُ بَعْضُهُمْ شَرْقًا، وَبَعْضُهُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَرَفَضُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَكَتَمُوا مَعَ ذَلِكَ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦] وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.. فَأَطْلَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَأُمَّتَهُ عَلَىٰ خِيَانَتِهِمُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَخِيَانَتِهِم عِبَادَهُ، وَكِتْمَانِهِمْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْحَقَّ غَيْرُهُ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- خِلَافُهُ، فَقَالَ: لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ لَيْسَ لَهُمْ كِتْمَانُهُ، فَيَتَعَمَّدُونَ مَعْصِيَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ [البقرة: ١٤٧].

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ الْحَقَّ مَا أَعْلَمَكَ رَبُّكَ وَأَتَاكَ مِنْ عِنْدِهِ، لَا مَا يَقُولُ لَكَ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- خَبَرٌ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، عَنْ أَنَّ الْقِبْلَةَ الَّتِي وَجَّهَهُ نَحْوَهَا هِيَ الْقِبْلَةُ الْحَقُّ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ بَعْدَهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ [البقرة: ١٤٧] فَاعْمَلْ بِالْحَقِّ الَّذِي أَتَاكَ مِنْ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشَّاكِّينَ، فِي أَنَّ الْقِبْلَةَ الَّتِي وَجَّهْتُكَ نَحْوَهَا قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِ.. وَخَرَجَ الْكَلَامُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالنَّهْيِ لَهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَصْحَابُهُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ.

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ [البقرة: ١٤٨].

﴿وَلِكُلّٖ﴾ وَلِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ قِبْلَةٌ..

﴿وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾ فَمُسْتَقْبِلُهَا وَمُوَلٍّ وَجْهَهُ إِلَيْهَا..

﴿فَٱسْتَبِقُواْ﴾ فَبَادِرُوا وَسَارِعُوا، مِنَ (الِاسْتِبَاقِ)، وَهُوَ الْمُبَادَرَةُ وَالْإِسْرَاعِ، فَقَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْحَقَّ، وَهَدَيْتُكُمْ لِلْقِبْلَةِ الَّتِي ضَلَّتْ عَنْهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ وَسَائِرُ أَهْلِ الْمِلَلِ غَيْرُكُمْ، فَبَادِرُوا بِـ

﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهي الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةِ؛ شُكْرًا لِرَبِّكُمْ، وَتَزَوَّدُوا فِي دُنْيَاكُمْ لِأُخْرَاكُمْ، فَإِنِّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ سَبِيلَ النَّجَاةِ فَلَا عُذْرَ لَكُمْ فِي التَّفْرِيطِ، وَحَافِظُوا عَلَىٰ قِبْلَتِكُمْ، وَلَا تُضَيِّعُوهَا كَمَا ضَيَّعَهَا الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ، فَتَضِلُّوا كَمَا ضَلَّتْ..

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَبُقْعَةٍ تَهْلَكُونَ فِيهِ..

﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ حَتَّىٰ يُوَفَّىٰ الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ جَزَاءَهُ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ عِقَابَهُ بِإِسَاءَتِهِ، أَوْ يَتَفَضَّلُ فَيُصْفِحُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فَإِنَّهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَىٰ جَمْعِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ، مِنْ حَيْثُ كُنْتُمْ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ..

﴿قَدِيرٌ ١٤٨﴾ [البقرة: ١٤٨] فَبَادِرُوا خُرُوجَ أَنْفُسِكُمْ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ، لِيَوْمِ بَعْثِكُمْ وَحَشْرِكُمْ.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٩﴾ [البقرة: ١٤٩].

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ وَمَنْ أَيِّ مَوْضِعٍ خَرَجْتَ إِلَىٰ أَيِّ مَوْضِعٍ وُجِّهْتَ..

﴿فَوَلِّ﴾ أَقْبِل وحَوِّلْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ التَّوَجُّهَ شَطْرَهُ..

﴿لَلْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، فَحَافِظُوا عَلَيْهِ، وَأَطِيعُوا اللهَ فِي تَوَجُّهِكُمْ قِبَلَهُ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٩﴾ [البقرة: ١٤٩] فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَيْسَ بِسَاهٍ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَلَا بِغَافِلٍ عَنْهَا، وَلَكِنَّهُ مُحْصِيهَا لَكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٠﴾ [البقرة: ١٥٠].

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ وَمِنْ أَيِّ مَكَانٍ وَبُقْعَةٍ شَخَصْتَ فَخَرَجْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ تِلْقَاءَ..

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ وَأَيْنَمَا كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَرْضِ اللهِ..

﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ..

﴿شَطْرَهُۥ﴾ تِجَاهَهُ، وَقِبَلَهُ، وَقَصْدَهُ..

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ خُصُومَةٌ وَدَعْوَىٰ بَاطِلَةٌ.. فَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ: مَا دَرَىٰ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَيْنَ قِبْلَتُهُمْ حَتَّىٰ هَدَيْنَاهُمْ نَحْنُ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: يُخَالِفُنَا مُحَمَّدٌ فِي دِينِنَا وَيَتَّبِعُ قِبْلَتَنَا، فَهِيَ الْحُجَّةُ الَّتِي كَانُوا يَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْخُصُومَةِ مِنْهُمْ لَهُمْ، وَالتَّمْوِيهِ مِنْهُمْ بِهَا عَلَىٰ الْجُهَّالِ وَأَهْلِ الْعِنَادِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَطَعَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- ذَلِكَ مِنْ حُجَّتِهِمْ وَحَسْمِهِ بِتَحْوِيلِ قِبْلَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ، إِلَىٰ قِبْلَةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿إِلَّا﴾ غَيْرَ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أَنْفُسَهُمْ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ لَهُمْ خُصُومَةً وَدَعْوَىٰ بَاطِلَةً بِأَنْ يَقُولُوا: إِنَّمَا تَوَجَّهْتُمْ إِلَيْنَا، وَإِلَىٰ قِبْلَتِنَا؛ لِأَنَّا كُنَّا أَهْدَىٰ مِنْكُمْ سَبِيلًا، وَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ بِتَوَجُّهِكُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَىٰ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ.. وَلَمْ يَقْصِدْ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ الْخَبَرِ عَنْ صِفَةِ حُجَّتِهِمْ بِالضَّعْفِ وَلَا بِالْقُوَّةِ وَإِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةً؛ لِأَنَّهَا بَاطِلَةٌ، وَإِنَّمَا قَصَدَ فِيهِ الْإِثْبَاتَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا قَدْ نُفِيَ عَنِ الَّذِينَ قَبْلَ حَرْفِ الِاسْتِثْنَاءِ مِنَ الصِّفَةِ..

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فَلَا تَخْشَوْا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الظَّلَمَةِ فِي حُجَّتِهِمْ وَجِدَالِهِمْ، وَقَوْلِهِمْ مَا يَقُولُونَ مِنْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ رَجَعَ إِلَىٰ قِبْلَتِنَا، وَسَيَرْجِعُ إِلَىٰ دِينِنَا أَوْ أَنْ يَقْدِرُوا لَكُمْ عَلَىٰ ضُرٍّ فِي دِينِكُمْ أَوْ صَدِّكُمْ عَمَّا هَدَاكُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُ مِنَ الْحَقِّ..

﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ وَلَكِنِ اخْشَوْنِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَرْكِ طَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ شَطْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَخَافُوا عِقَابِي فِي خِلَافِكُمْ أَمْرِي إِنْ خَالَفْتُمُوهُ.. وَذَلِكَ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- تَقَدُّمٌ إِلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَضِّ عَلَىٰ لُزُومِ قِبْلَتِهِمْ وَالصَّلَاةِ إِلَيْهَا، وَبِالنَّهْيِ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ وَلِأُتِمَّ بِذَلِكَ مِنْ هِدَايَتِي لَكُمْ إِلَىٰ قِبْلَةِ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ -الَّذِي جَعَلْتُهُ إِمَامًا لِلنَّاسِ- نِعْمَتِي، فَأُكْمِلُ لَكُمْ بِهِ فَضْلِي عَلَيْكُمْ، وَأُتَمِمُ بِهِ شَرَائِعَ مِلَّتِكُمُ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي وَصَّيْتُ بِهَا نُوحًا، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ وَسَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ نِعْمَتُهُ الَّتِي أَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ مُتِمُّهَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٠﴾ وَكَيْ تَرْشُدُوا لِلصَّوَابِ مِنَ الْقِبْلَةِ.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة: ١٥١].

﴿كَمَا﴾ أَتْمَمْتُ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِبَيَانِ شَرَائِعِ مِلَّتِكُمُ الْحَنِيفِيَّةِ، وَهَدَيْتُكُم لِدِينِ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ فَابْتَعَثْتُ مِنْكُمْ رَسُولِي الَّذِي سَأَلَنِي إِبْرَاهِيمُ خَلِيلِي وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ أَنْ أَبْعَثَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا..

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ وَيُطَهِّرُكُمْ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ..

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ أَحْكَامَ..

﴿الْكِتَابَ﴾ وَهُوَ الْفُرْقَانُ..

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وهي السُّنَنُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ..

﴿وَيُعَلِّمُكُم﴾ مِنْ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَصَصِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَالْخَبَرُ عَمَّا هُوَ حَادِثٌ وَكَائِنٌ..

﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة: ١٥١] مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَعْلَمُهَا، فَعَلِمُوهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنَّمَا يُدْرِكُونَهُ بِرَسُولِهِ ﷺ.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّايَ فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ وَفِيمَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بِرَحْمَتِي إِيَّاكُمْ وَمَغْفِرَتِي لَكُمْ..

﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَالْهِدَايَةِ لِلدِّينِ الَّذِي شَرَعْتُهُ لِأَنْبِيَائِي وَأَصْفِيَائِي..

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ ۝﴾ [البقرة: ١٥٢] وَلَا تَجْحَدُوا إِحْسَانِي إِلَيْكُمْ، فَأَسْلُبَكُمْ نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِ اشْكُرُوا لِي عَلَيْهَا، فَأَزِيدُكُمْ وَأُتَمِّمَ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ، وَأَهْدِيَكُمْ لِمَا هَدَيْتُ لَهُ مَنْ رَضِيتُ عَنْهُ مِنْ عِبَادِي، فَإِنِّي وَعَدْتُ خَلْقِي أَنَّ مَنْ شَكَرَ لِي زِدْتُهُ، وَمَنْ كَفَرَنِي حَرَمْتُهُ وَسَلَبْتُهُ مَا أَعْطَيْتُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾ [البقرة: ١٥٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِي، وَأَدَاءِ فَرَائِضِي فِي نَاسِخِ أَحْكَامِي، وَالِانْصِرَافِ عَمَّا أَنْسَخُهُ مِنْهَا إِلَى الَّذِي أُحْدِثُهُ لَكُمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَأَنْقُلُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِي، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِي فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ، فِي حِينِ إِلْزَامِكُمْ حُكْمَهُ، وَالتَّحَوُّلِ عَنْهُ بَعْدَ تَحْوِيلِي إِيَّاكُمْ عَنْهُ -وَإِنْ لَحِقَكُمْ فِي ذَلِكَ مَكْرُوهٌ مِنْ مَقَالَةِ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، بِقَذْفِهِمْ لَكُمُ الْبَاطِلَ، أَوْ مَشَقَّةٍ عَلَى أَبْدَانِكُمْ فِي قِيَامِكُمْ بِهِ، أَوْ نَقْصٍ فِي أَمْوَالِكُمْ- وَعَلَى جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ وَحَرْبِهِمْ فِي سَبِيلِي..

﴿بِالصَّبْرِ﴾ مِنْكُمْ لِي عَلَى مَكْرُوهِ ذَلِكَ وَمَشَقَّتِهِ عَلَيْكُمْ، وَاحْتِمَالِ عَنَائِهِ وَثِقْلِهِ، وَبِالعَزَاءِ مِنْكُم عَمَّن قُتِلَ فِي سَبِيلِي، ثُمَّ بِالْفَزَعِ مِنْكُمْ فِيمَا يَنُوبُكُمْ مِنْ مُفْظِعَاتِ الْأُمُورِ إِلَى الصَّلَاةِ لِي، فَإِنَّكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ تُدْرِكُونَ مَرْضَاتِي..

﴿وَالصَّلَاةِ﴾ وَبالصَّلَاةِ لِي، تَسْتَنْجِحُونَ طَلِبَاتِكُمْ قِبَلِي، وَتُدْرِكُونَ حَاجَاتِكُمْ عِنْدِي، فَإِنِّي مَعَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِي وَتَرْكِ مَعَاصِيَّ، أَنْصُرُهُمْ وَأَرْعَاهُمْ وَأَكْلَؤُهُمْ حَتَّى يَظْفَرُوا بِمَا طَلَبُوا، وَأَمَّلُوا قِبَلِي..

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾ [البقرة: ١٥٣] فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ وَظَهِيرُهُ وَرَاضٍ بِفِعْلِهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: افْعَلْ يَا فُلَانُ كَذَا وَأَنَا مَعَكَ، يَعْنِي: إِنِّي نَاصِرُكَ عَلَى فِعْلِكَ ذَلِكَ وَمُعِينُكَ عَلَيْهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ حَضٌّ مِنَ اللهِ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- عَلَى طَاعَتِهِ وَاحْتِمَالِ مَكْرُوهِهَا عَلَى الْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٥٤].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِي فِي

جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، وَتَرْكِ مَعَاصِيَّ، وَأَدَاءِ سَائِرِ فَرَائِضِي عَلَيْكُمْ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ؛ فَإِنَّ الْمَيِّتَ مِنْ خَلْقِي مَنْ سَلَبْتُهُ حَيَاتَهُ وَأَعْدَمْتُهُ حَوَاسَّهُ، فَلَا يَلْتَذُّ لَذَّةً وَلَا يُدْرِكُ نَعِيمًا..

﴿بَلْ﴾ فَإِنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ وَمِنْ سَائِرِ خَلْقِي فِي سَبِيلِي..

﴿أَحْيَاءٌ﴾ عِنْدِي فِي حَيَاةٍ وَنُعَيْمٍ وَعَيْشٍ هَنِيٍّ وَرِزْقٍ سَنِيٍّ، فَرِحِينَ بِمَا آتَيْتُهُمْ مِنْ فَضْلِي وَحَبَوْتُهُمْ بِهِ مِنْ كَرَامَتِي.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ عَلَىٰ بَارِقٍ - نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ - فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**»..

﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤﴾ [البقرة: ١٥٤] وَلَكِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُمْ فَتَعْلَمُوا أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ، وَإِنَّمَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ بِخَبَرِي إِيَّاكُمْ بِهِ.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ يَا أَتْبَاعَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمُمْتَحِنُكُم بِشَدَائِدَ مِنَ الْأُمُورِ؛ لِيَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، كَمَا ابْتَلَاهُمْ فَامْتَحَنَهُمْ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، وَكَمَا امْتَحَنَ أَصْفِيَاءَهُ قَبْلَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ ذَلِكَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤]..

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ مِنَ الْعَدُوِّ..

﴿وَٱلْجُوعِ﴾ بِشَيْءٍ من الجُوعِ، وَهُوَ الْقَحْطُ، وَالشِّدَّةُ..

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ وَتَعَذُّرُ الْمَطَالِبِ عَلَيْكُمْ فَتَنْقُصُ لِذَلِكَ أَمْوَالُكُمْ..

﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ وَحُرُوبٍ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، فَيَنْقُصُ لَهَا عَدَدُكُمْ، وَمَوْتُ ذَرَارِيِّكُمْ، وَأَوْلَادِكُمْ..

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وَجُدُوبٌ تَحْدُثُ، فَتَنْقُصُ لَهَا ثِمَارُكُمْ، كُلُّ ذَلِكَ امْتِحَانٌ مِنِّي لَكُمْ، وَاخْتِبَارٌ مِنِّي لَكُمْ، فَيَتَبَيَّنُ صَادِقُوكُمْ فِي إِيمَانِهِمْ مِنْ كَاذِبِيكُمْ فِيهِ، وَيُعْرَفُ أَهْلُ الْبَصَائِرِ فِي دِينِهِمْ مِنْكُمْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ فِيهِ وَالشَّكِّ وَالِارْتِيَابِ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ وَخُصَّ يَا مُحَمَّدُ بِالْبِشَارَةِ عَلَىٰ مَا يَمْتَحِنُهُمْ بِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ..

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥] أَهْلَ الصَّبْرِ عَلَىٰ امْتِحَانِي بِمَا أَمْتَحِنُهُمْ بِهِ، وَالْحَافِظِينَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَىٰ نَهْيِي عَمَّا أَنْهَاهُمْ عَنْهُ، وَالْآخِذِينَ أَنْفُسَهُمْ بِأَدَاءِ مَا أُكَلِّفُهُمْ مِنْ فَرَائِضِي، مَعَ ابْتِلَائِي إِيَّاهُمْ بِمَا ابْتَلَيْتُهُمْ بِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّ جَمِيعَ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنِّي، فَيُقِرُّونَ بِعُبُودِيَّتِي، وَيُوَحِّدُونَنِي بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَيُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ وَالرُّجُوعِ إِلَيَّ، فَيَسْتَسْلِمُونَ لِقَضَائِي، وَيَرْجُونَ ثَوَابِي وَيَخَافُونَ عِقَابِي، وَيَقُولُونَ..

﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ﴾ تَسْلِيمًا لِقَضَائِي وَرِضًا بِأَحْكَامِي، عِنْدَ امْتِحَانِي إِيَّاهُمْ بِبَعْضِ مِحَنِي، وَابْتِلَائِي إِيَّاهُمْ بِمَا وَعَدْتُهُمْ أَنْ أَبْتَلِيَهُمْ بِهِ مِنَ الْخَوْفِ، وَالْجُوعِ وَنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَنَا مُمْتَحِنُهُمْ بِهَا..

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إِنَّا مَمَالِيكُ رَبِّنَا وَمَعْبُودِنَا وَنَحْنُ عَبِيدُهُ..

﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ﴾ بَعْدَ مَمَاتِنَا..

﴿رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦] صَائِرُونَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الصَّابِرُونَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ وَنَعَتَهُمْ..

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ لَهُمْ..

﴿صَلَوَٰتٞ﴾ مَغْفِرَةٌ.. وَصَلَوَاتُ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ غُفْرَانُهُ لِعِبَادِهِ، كَالَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ» يَعْنِي اغْفِرْ لَهُمْ..

﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ لَهُمْ مَعَ الْمَغْفِرَةِ الَّتِي بِهَا صَفَحَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَتَغَمُّدِهَا..

﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾ مِنَ اللهِ وَرَأْفَةٌ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ وَمَعَ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ مُعْطِيهِمْ عَلَىٰ اصْطِبَارِهِمْ عَلَىٰ مِحَنِهِ، تَسْلِيمًا مِنْهُمْ لِقَضَائِهِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، أولئك هُمُ الْمُهْتَدُونَ الْمُصِيبُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ، وَالْقَائِلُونَ مَا يُرْضِي عَنْهُمْ رَبَّهُم، وَالْفَاعِلُونَ مَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ مِنَ اللهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿*إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨].

﴿*إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الْجَبَلَيْنِ الْمُسَمَّيَيْنِ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي حَرَمِهِ..

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ مِنْ مَعَالِمِ اللهِ الَّتِي جَعَلَهَا -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِعِبَادِهِ مَعْلَمًا وَمَشْعَرًا، يَعْبُدُونَهُ عِنْدَهَا، إِمَّا بِالدُّعَاءِ، وَإِمَّا بِالذِّكْرِ، وَإِمَّا بِأَدَاءِ مَا فُرِضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ عِنْدَهَا.. فأعلم الله تعالىٰ ذكره عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَهُمَا مِنْ مَشَاعِرِ الْحَجِّ الَّتِي سَنَّهَا لَهُمْ، وَأَمَرَ بِهَا خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، إِذْ سَأَلَهُ أَنْ يُرِيَهُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ.. وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّهُ مُرَادٌ بِهِ الْأَمْرُ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ﴾ [النحل: ١٢٣]، وَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِبْرَاهِيمَ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ، فَإِذَا كَانَ صَحِيحًا أَنَّ الطَّوَافَ وَالسَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ وَمِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ قَدْ عَمِلَ بِهِ وَسَنَّهُ لِمَنْ بَعْدَهُ، وَقَدْ أَمَرَ نَبِيَّنَا ﷺ أُمَّتَهُ بِاتِّبَاعِهِ، فَعَلَيْهِمُ الْعَمَلُ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَا بَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ فَمَنْ أَتَاهُ عَائِدًا إِلَيْهِ بَعْدَ بَدْءٍ.. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَكْثَرَ الِاخْتِلَافَ إِلَىٰ شَيْءٍ فَهُوَ حَاجٌّ إِلَيْهِ.. وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْحَاجِّ حَاجٌّ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي الْبَيْتَ قَبْلَ التَّعْرِيفِ-الوقوف بعرفة-، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ لِطَوَافِ يَوْمِ النَّحْرِ بَعْدَ التَّعْرِيفِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْهُ إِلَىٰ مِنًىٰ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ لِطَوَافِ الصَّدْرِ، فَلِتَكْرَارِهِ الْعَوْدَ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ قِيلَ لَهُ حَاجٌّ..

﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ الْبَيْتَ، وَيَعْنِي بِالِاعْتِمَارِ الزِّيَارَةَ، فَكُلُّ قَاصِدٍ لِشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ مُعْتَمِرٌ.. وَأَمَّا الْمُعْتَمِرُ فَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ مُعْتَمِرٌ: لِأَنَّهُ إِذَا طَافَ بِهِ انْصَرَفَ عَنْهُ بَعْدَ زِيَارَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ وَلَا مَأْثَمَ فِي طَوَافِهِ بِهِمَا.. فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا اعْتَمَرَ عُمْرَةَ الْقَضِيَّةِ تَخَوَّفَ أَقْوَامٌ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ؛ لِصَنَمَيْنِ كَانَا عَلَيْهِمَا، تَعْظِيمًا مِنْهُمْ لَهُمَا فَقَالُوا: وَكَيْفَ نَطُوفُ بِهِمَا وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ تَعْظِيمَ الْأَصْنَامِ وَجَمِيعَ مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ دُونِ اللهِ شِرْكٌ؟ فَفِي طَوَافِنَا بِهَاذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ أَحَدُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الطَّوَافَ بِهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا كَانَ لِلصَّنَمَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا عَلَيْهِمَا، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ الْيَوْمَ وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ تَعْظِيمِ شَيْءٍ مَعَ اللهِ بِمَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ: ﴿*إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا يَتَخَوَّفَنَّ الطَّوَافَ بِهِمَا مِنْ أَجْلِ مَا

كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَطُوفُونَ بِهِمَا مِنْ أَجْلِ الصَّنَمَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا عَلَيْهِمَا، فَإِنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا كُفْرًا، وَأَنْتُمْ تَطُوفُونَ بِهِمَا إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا لِرَسُولِي وَطَاعَةً لِأَمْرِي، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّوَافِ بِهِمَا، فقَدْ جَعَلَ الطَّوَافَ بَيْنَ الصَّفَا، وَالْمَرْوَةِ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، كَمَا جَعَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ مِنْ شَعَائِرِهِ.. وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ تَظَاهَرَتِ الرِّوَايَةُ عَنِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.. ولَيْسَ فِي قَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ الْآيَةَ، دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ بِهِ وَضْعَ الْحَرَجِ عَمَّنْ طَافَ بِهِمَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ الطَّوَافَ بِهِمَا كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ بِحَظْرِ اللهِ ذَلِكَ، ثُمَّ جَعَلَ الطَّوَافَ بِهِمَا رُخْصَةً؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمْ يَحْظُرْ ذَلِكَ فِي وَقْتٍ، ثُمَّ رَخَّصَ فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾..

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بَعْدَ قَضَاءِ حَجَّتِهِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لَهُ عَلَىٰ تَطَوُّعِهِ لَهُ بِمَا تَطَوَّعَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ فَمُجَازِيهِ بِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨] بِمَا قَصَدَ وَأَرَادَ بِتَطَوُّعِهِ بِمَا تَطَوَّعَ بِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ من عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَأَحْبَارِهِم، وَعُلَمَاءِ النَّصَارَىٰ..

﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ مِنْ أَمْرِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَبْعَثِهِ وَصِفَتِهِ فِي الْكِتَابَيْنِ، التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، اللَّذَيْنِ أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ أَهْلَهُمَا يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِيهِمَا..

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ مَا أَوْضَحَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾ يعني: لبَعْضِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفَتِهِ وَمَبْعَثِهِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي خَاصٍّ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّهَا مَعْنِيٌّ بِهَا كُلُّ كَاتِمٍ عِلْمًا فَرَضَ اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانَهُ لِلنَّاسِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: لَوْلَا آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ، وَتَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفَتِهِ وَأَمْرِ دِينِهِ أَنَّهُ الْحَقُّ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ اللهُ لَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ..

﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يُبْعِدُهُمُ اللهُ مِنْهُ وَمِنْ رَحْمَتِهِ؛ بِكِتْمَانِهِمْ ذَلِكَ وَتَرْكِهِمْ تَبْيِينَهُ لِلنَّاسِ..

﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩] وَيَسْأَلُ رَبَّهُمُ اللَّاعِنُونَ من الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَلْعَنَهُمْ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٦٠].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ إِلَّا مَنْ أَنَابَ مِنْ كِتْمَانِهِ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَرَاجَعَ التَّوْبَةَ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ وَبِنُبُوَّتِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبَيَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِهِ..

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ وَأَصْلَحَ حَالَ نَفْسِهِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ بِمَا يُرْضِيهُ عَنْهُ..

﴿وَبَيَّنُواْ﴾ وَبَيَّنَ الَّذِي عَلِمَ مِنْ وَحْيِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ فَلَمْ يَكْتُمْهُ وَأَظْهَرَهُ فَلَمْ يُخْفِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ مِنْهُمْ، هُمُ الَّذِينَ..

﴿أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ فَأَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيَابِ إِلَىٰ طَاعَتِي وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ مَرْضَاتِي..

﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾ وَأَنَا الَّذِي أَرْجِعُ بِقُلُوبِ عَبِيدِي الْمُنْصَرِفَةِ عَنِّي إِلَيَّ، وَالرَّادُّهَا بَعْدَ إِدْبَارِهَا عَنْ طَاعَتِي إِلَىٰ طَلَبِ مَحَبَّتِي..

﴿ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٦٠] بِالْمُقْبِلِينَ بَعْدَ إِقْبَالِهِمْ إِلَيَّ أَتَغَمَّدُهُمْ مِنِّي بِعَفْوٍ، وَأَصْفَحُ عَنْ عَظِيمِ مَا كَانُوا اجْتَرَمُوا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِي لَهُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١﴾ [البقرة: ١٦١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبُوا بِهِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَسَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ وَهُمْ عَلَىٰ جُحُودِهِمْ ذَلِكَ وَتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ..

﴿عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ أَبْعَدَهُمُ اللهُ وَأَسْحَقَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٦١﴾ [البقرة: ١٦١] وَلَعْنَةُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ إِيَّاهُمْ قَوْلُهُمْ: عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة: ١٦٢].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فِي اللَّعْنَةِ..

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أَبَدًا مِنْ غَيْرِ تَوْقِيتٍ وَلَا تَخْفِيفٍ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وَكَمَا قَالَ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]..

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة: ١٦٢] بِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الطَّاعَةَ لَهُ، وَيَسْتَوْجِبُ مِنْكُمُ الْعِبَادَةَ..

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ مَعْبُودٌ وَرَبٌّ وَاحِدٌ، فَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ سِوَاهُ، فَإِنَّ مَنْ تُشْرِكُونَهُ مَعَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ إِلَهِكُمْ، مِثْلُكُمْ، وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ..

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣] لَا رَبَّ لِلْعَالَمِينَ غَيْرُهُ، وَلَا يَسْتَوْجِبُ عَلَىٰ الْعِبَادِ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَهُمْ خَلْقُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ طَاعَتُهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَهَجْرِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ خَلْقُهُ، وَعَلَىٰ جَمِيعِهِمُ الدَّيْنُونَةُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَلَا تَنْبَغِي الْأُلُوهِيَّةُ إِلَّا لَهُ؛ إِذْ كَانَ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا فَمِنْهُ دُونَ مَا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَيُشْرِكُونَ مَعَهُ مِنَ الْأَشْرَاكِ وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الْآخِرَةِ فَمِنْهُ، وَأَنَّ مَا أَشْرَكُوا مَعَهُ مِنَ الْأَشْرَاكِ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ فِي عَاجِلٍ وَلَا فِي آجِلٍ، وَلَا فِي دُنْيَا، وَلَا فِي آخِرَةٍ.. وَهَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَهْلَ الشِّرْكِ بِهِ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ، وَدُعَاءٌ مِنْهُ لَهُمْ إِلَىٰ الْأَوْبَةِ مِنْ كُفْرِهِمْ، وَالْإِنَابَةِ مِنْ شِرْكِهِمْ.. ثُمَّ عَرَّفَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِالْآيَةِ الَّتِي تَتْلُوهَا مَوْضِعَ اسْتِدْلَالِ ذَوِي الْأَلْبَابِ مِنْهُمْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَحُجَجِهِ الْوَاضِحَةِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُمْ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ إِنْ جَهِلْتُمْ أَوْ شَكَكْتُمْ فِي حَقِيقَةِ مَا أَخْبَرْتُكُمْ مِنَ الْخَبَرِ مِنْ أَنَّ إِلَهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ دُونَ مَا تَدَّعُونَ أُلُوهِيَّتَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، فَتَدَبَّرُوا حُجَجِي وَفَكِّرُوا فِيهَا، فَإِنَّ مِنْ حُجَجِي: خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْفُلْكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَمَا أَنْزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَيْتُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَمَا بَثَثْتُ فِيهَا مِنْ كُلِّ

دَابَّةٍ، وَالسَّحَابُ الَّذِي سَخَّرْتُهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ وَسَائِرِ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ، إِذَا اجْتَمَعَ جَمِيعُهُ فَتَظَاهَرَ، أَوِ انْفَرَدَ بَعْضُهُ دُونَ بَعْضٍ، يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ نَظِيرَ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِي، الَّذِي سَمَّيْتُ لَكُمْ، فَلَكُمْ بِعِبَادَتِكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِي حِينَئِذٍ عُذْرٌ، وَإِلَّا فَلَا عُذْرَ لَكُمْ فِي اتِّخَاذِ إِلَهٍ سِوَايَ، وَلَا إِلَهَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ غَيْرِي، فَلْيَتَدَبَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ إِيجَازَ اللهِ احْتِجَاجَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَالْمُلْحِدِينَ فِي تَوْحِيدِهِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي الَّتِي بَعْدَهَا، بِأَوْجَزِ كَلَامٍ، وَأَبْلَغِ حُجَّةٍ، وَأَلْطَفِ مَعْنًى يُشْرِفُ بِهِمْ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ فَضْلِ حِكْمَةِ اللهِ وَبَيَانِهِ.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إِنَّ فِي إِنْشَاءِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَابْتِدَاعِهِمَا..

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وَتَعَاقُبِ اللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ وَالسُّفُنِ..

﴿ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فِي الْبَحْرِ..

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ وَفِيمَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ، وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ بِالْمَاءِ..

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ بِعِمَارَتِهَا وَإِخْرَاجِ نَبَاتِهَا..

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وَخَرَابِهَا وَدُثُورِ عِمَارَتِهَا، وَانْقِطَاعِ نَبَاتِهَا الَّذِي هُوَ لِلْعِبَادِ أَقْوَاتٌ، وَلِلْأَنَامِ أَرْزَاقٌ..

﴿وَبَثَّ﴾ وَفَرَّقَ..

﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ وَالدَّابَّةُ اسْمٌ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ كَانَ غَيْرَ طَائِرٍ بِجَنَاحَيْهِ؛ لِدَبِيبِهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ وَفِي تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ يُرْسِلُهَا مَرَّةً لَوَاقِحَ، وَمَرَّةً يَجْعَلُهَا عَقِيمًا، وَيَبْعَثُهَا عَذَابًا تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا..

﴿وَٱلسَّحَابِ﴾ وَفِي جَرِّ السَّحَابِ بَعْضِهِ بَعْضًا، وَسَحْبِهِ إِيَّاهُ.. مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَرَّ فُلَانٌ يَجُرُّ ذَيْلَهُ: يَعْنِي يَسْحَبُهُ..

﴿ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ﴾ فَإِنَّهُ عَلَامَاتٍ وَدَلَالَاتٍ عَلَىٰ أَنَّ خَالِقَ ذَٰلِكَ كُلِّهِ وَمُنْشِئَهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤] لِمَنْ عَقَلَ مَوَاضِعَ الْحُجَجِ، وَفَهِمَ عَنِ اللهِ أَدِلَّتَهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ.. فَأَعْلَمَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ، وَالْحُجَجَ إِنَّمَا وُضِعَتْ مُعْتَبَرًا لِذَوِي الْعُقُولِ وَالتَّمْيِيزِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ؛ إِذْ كَانُوا هُمُ الْمَخْصُوصِينَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْمُكَلَّفِينَ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَلَهُمُ الثَّوَابُ وَعَلَيْهِمُ الْعِقَابُ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥﴾
[البقرة: ١٦٥].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ عِدْلًا لَهُ، أُرِيدَ بِهَا الْأَنْدَادُ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرٍ، وَيَعْصُونَ اللهَ فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، كَمَا يُطِيعُ اللهَ الْمُؤْمِنُونَ وَيَعْصُونَ غَيْرَهُ..

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أَنْفُسَهُمْ فَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِي أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ المؤمنين إِيَّايَ..

﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي أَعْدَدْتُ لَهُمْ لَعَلِمْتُمْ..

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ كُلَّهَا..

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ دُونَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَأَنَّ الْأَنْدَادَ وَالْآلِهَةَ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابًا أَحْلَلْتُ بِهِمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥﴾ [البقرة: ١٦٥] وَأَيْقَنْتُمْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَادَّعَىٰ مَعِي إِلَٰهًا غَيْرِي.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾
[البقرة: ١٦٦].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ من الْأَنْدَادَ الَّذِينَ اتَّخَذَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ وَصَفَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- صِفَتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] عَلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ.. وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَٰلِكَ مِنْهُمْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، بَلْ عَمَّ جَمِيعَهُمْ، فَدَخَلَ فِي ذَٰلِكَ كُلُّ مَتْبُوعٍ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالضَّلَالِ أَنَّهُ يَتَبَرَّأُ..

﴿مِنَ﴾ أَتْبَاعِهِمْ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُم عَلَىٰ الضَّلَالِ فِي الدُّنْيَا، فَيُطِيعُونَهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرٍ، وَيَعْصُونَ اللهَ فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، كَمَا يُطِيعُ اللهُ الْمُؤْمِنُونَ وَيَعْصُونَ غَيْرَهُ..

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦] وَإِذْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ فَقَدْ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي كِتَابِهِ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَلْعَنُ بَعْضًا، وَأَخْبَرَ عَنِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ يَقُولُ لِأَوْلِيَائِهِ: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ الْأَخِلَّاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَنْصُرُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصافات: ٢٤-٢٥]، وَأَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَا يَنْفَعُهُ نَسِيبُهُ وَلَا ذُو رَحِمِهِ، وَإِنْ كَانَ نَسِيبُهُ لِلَّهِ وَلِيًّا، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي ذَلِكَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، وَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ أَعْمَالَهُمْ تَصِيرُ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.. وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي أَسْبَابٌ يُتَسَبَّبُ فِي الدُّنْيَا بِهَا إِلَىٰ مَطَالِبَ، فَقَطَعَ اللهُ مَنَافِعَهَا فِي الْآخِرَةِ عَنِ الْكَافِرِينَ بِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ بِخِلَافِ طَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، فَهِيَ مُنْقَطِعَةٌ بِأَهْلِهَا، فَلَا خِلَالُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَلَا عِبَادَتُهُمْ أَنْدَادَهُمْ، وَلَا طَاعَتُهُمْ شَيَاطِينَهُمْ، وَلَا دَافَعَتْ عَنْهُمْ أَرْحَامٌ فَنَصَرَتْهُمْ مِنَ انْتِقَامِ اللهِ مِنْهُمْ، وَلَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ أَعْمَالُهُمْ، بَلْ صَارَتْ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، فَكُلُّ أَسْبَابِ الْكُفَّارِ مُنْقَطِعَةٌ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ وَقَالَ أَتْبَاعُ الرِّجَالِ الَّذِينَ كَانُوا اتَّخَذُوهُمْ أَنْدَادًا مِنْ دُونِ اللهِ، يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَيَعْصُونَ رَبَّهُمْ فِي طَاعَتِهِمْ؛ إِذْ يَرَوْنَ عَذَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رَجْعَةً إِلَىٰ الدُّنْيَا..

﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ كَمَا تَبَرَّأَ مِنْهُمْ رُؤَسَاؤُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا الْمَتْبُوعُونَ فِيهَا عَلَىٰ الْكُفْرِ

بِاللهِ إِذْ عَايَنُوا عَظِيمَ النَّازِلَ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَقَالُوا: يَا لَيْتَ لَنَا كَرَّةً إِلَىٰ الدُّنْيَا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَرَاهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦] الَّذِي كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَكَذَلِكَ..

﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ الْكَافِرِينَ..

﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الْخَبِيثَةَ الَّتِي اسْتَحَقُّوا بِهَا الْعُقُوبَةَ مِنَ اللهِ..

﴿حَسَرَٰتٍ﴾ نَدَامَاتٍ.. وَقِيلَ إِنَّ الْحَسْرَةَ أَشَدُّ النَّدَامَةِ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ لِمَ عَمِلُوا بِهَا؟ وَهَلَّا عَمِلُوا بِغَيْرِهَا؟ فَنَدِمُوا عَلَىٰ مَا فَرَّطَ مِنْهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الرَّدِيئَةِ إِذْ رَأَوْا جَزَاءَهَا مِنَ اللهِ وَعِقَابَهَا؛ لِأَنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ نَدَمًا عَلَيْهِمْ..

﴿وَمَا هُم﴾ وَمَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَإِنْ نَدِمُوا بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا عَايَنُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَاشْتَدَّتْ نَدَامَتُهُمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، وَتَمَنَّوْا إِلَىٰ الدُّنْيَا كَرَّةً لِيُنِيبُوا فِيهَا، وَيَتَبَرَّءُوا مِنْ مُضِلِّيهِمْ وَسَادَتِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧] الَّتِي أَصْلَاهُمُوهَا اللهُ بِكُفْرِهِمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا نَدَمُهُمْ فِيهَا بِمُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا مُخَلَّدُونَ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ تَكْذِيبِ اللهِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ عَذَابَ اللهِ أَهْلَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ مُنْقَضٍ، وَأَنَّهُ إِلَىٰ نِهَايَةٍ، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ فَانٍ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثُمَّ خَتَمَ الْخَبَرَ عَنْهُمْ، أَنَّهُمْ غَيْرُ خَارِجِينَ مِنَ النَّارِ بِغَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ مِنْهُ وَقْتًا دُونَ وَقْتٍ، فَذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِ حَدٍّ وَلَا نِهَايَةٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ مُطْلَقًا مِمَّا أَحْلَلْتُ لَكُمْ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿طَيِّبًا﴾ طَاهِرًا غَيْرَ نَجِسٍ وَلَا مُحَرَّمٍ -فَطَيِّبَتُهُ لَكُمْ- مِمَّا تُحَرِّمُونَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْبَحَائِرِ، وَالسَّوَائِبِ، وَالْوَصَائِلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ أُحَرِّمْهُ عَلَيْكُمْ، دُونَ مَا حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَآكِلِ فَنَجَّسْتُهُ، مِنْ مَيْتَةٍ، وَدَمٍ، وَلَحْمِ خِنْزِيرٍ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِي..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وَدَعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ الَّذِي يُوبِقُكُمْ، فَيُهْلِكُكُمْ وَيُورِدُكُمْ مَوَارِدَ الْعَطَبِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ، فَلَا تَتَّبِعُوهَا وَلَا تَعْمَلُوا بِهَا.. وفِي النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِهِ، النَّهْيُ عَنْ طَرِيقِهِ وَأَثَرِهِ فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ مِمَّا هُوَ خِلَافُ طَاعَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-..

﴿إِنَّهُ لَكُمْ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ عَدَاوَتَهُ بِإِبَائِهِ عَنِ السُّجُودِ لِأَبِيكُمْ، وَغُرُورِهِ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَاسْتَزَلَّهُ بِالْخَطِيئَةِ، وَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ.. فَلَا تَنْتَصِحُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ مَعَ إِبَانَتِهِ لَكُمُ الْعَدَاوَةَ، وَدَعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَالْتَزِمُوا طَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، مِمَّا أَحْلَلْتُهُ لَكُمْ وَحَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ، دُونَ مَا حَرَّمْتُمُوهُ أَنْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَحَلَّلْتُمُوهُ طَاعَةً مِنْكُمْ لِلشَّيْطَانِ وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِهِ.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٩].

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ الشَّيْطَانَ..

﴿بِالسُّوٓءِ﴾ بالإِثْمِ من مَعَاصِي اللهِ، سَمَّاهَا اللهُ سُوءًا؛ لِأَنَّهَا تَسُوءُ صَاحِبَهَا بِسُوءِ عَاقِبَتِهَا لَهُ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَالْفَحْشَآءِ﴾ وَهِيَ كُلُّ مَا اسْتُفْحِشَ ذِكْرُهُ، وَقَبُحَ مَسْمُوعُهُ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْفَحْشَاءَ: الزِّنَا؛ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا يُسَمَّىٰ لِقُبْحِ مَسْمُوعِهِ وَمَكْرُوهِ مَا يُذْكَرُ بِهِ فَاعِلُهُ..

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٩] فَأَخْبَرَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ قِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَأَنَّهُ قَدْ أَحَلَّهُ لَهُمْ وَطَيَّبَهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْ أَكْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ، طَاعَةً مِنْهُمْ لِلشَّيْطَانِ، وَاتِّبَاعًا مِنْهُمْ خُطُوَاتِهِ، وَاقْتِفَاءً مِنْهُمْ آثَارَ أَسْلَافِهِمُ الضُّلَّالِ، وَآبَائِهِمُ الْجُهَّالِ، الَّذِينَ كَانُوا بِاللهِ وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ جُهَّالًا، كَمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لِلنَّاسِ الَّذِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]..

﴿اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ اعْمَلُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا

حَرَامَهُ، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ إِمَامًا تَأْتَمُّونَ بِهِ، وَقَائِدًا تَتَّبِعُونَ أَحْكَامَهُ، اسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ، وَ..

﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ وَجَدْنَا..

﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ فَنَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحْلِيلِ مَا كَانُوا يُحِلُّونَ، وَتَحْرِيمِ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ، قل..

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ يَعْنِي: آبَاءَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ الْعَظِيمِ..

﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ مِنْ دِينِ اللهِ، وَفَرَائِضِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَيَتَّبِعُونَ عَلَىٰ مَا سَلَكُوا مِنَ الطَّرِيقِ، وَيُؤْتَمُّ بِهِمْ فِي أَفْعَالِهِمْ..

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠] لِرُشْدٍ، فَيَهْتَدِي بِهِمْ غَيْرُهُمْ، وَيَقْتَدِي بِهِمْ مَنْ طَلَبَ الدِّينَ، وَأَرَادَ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ.. فَكَيْفَ أَيُّهَا النَّاسُ تَتَّبِعُونَ مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ، فَتَتْرُكُونَ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ، وَآبَاؤُكُمْ لَا يَعْقِلُونَ مِنْ أَمْرِ اللهِ شَيْئًا، وَلَا هُمْ مُصِيبُونَ حَقًّا وَلَا مُدْرِكُونَ رُشْدًا، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُ الْمُتَّبِعُ ذَا الْمَعْرِفَةِ بِالشَّيْءِ الْمُسْتَعْمِلِ لَهُ فِي نَفْسِهِ، فَأَمَّا الْجَاهِلُ فَلَا يَتَّبِعُهُ فِيمَا هُوَ بِهِ جَاهِلٌ، إِلَّا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا تَمْيِيزَ.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة: ١٧١].

﴿وَمَثَلُ﴾ وَعْظِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فِي قِلَّةِ فَهْمِهِم عَنِ اللهِ، ومَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، وَسُوءِ قَبُولِهِم لِمَا يُدْعَون إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ..

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ كَمَثَلِ النَّاعِقِ بِغَنَمِهِ وبَهائِمِة الَّتِي تَسْمَعُ الصَّوْتَ ولا تَعْقِلُ كَلَامَهُ..

﴿صُمٌّۢ﴾ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً، صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ..

﴿بُكْمٌ﴾ خُرْسٌ عَنْ قِيلِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَالْإِقْرَارِ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يُقِرُّوا بِهِ، وَتَبْيِينِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْ يُبَيِّنُوهُ، مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلنَّاسِ، فَلَا يَنْطِقُونَ بِهِ وَلَا يَقُولُونَهُ وَلَا يُبَيِّنُونَهُ لِلنَّاسِ..

﴿عُمْىٌ﴾ عَنِ الْهُدَىٰ وَطَرِيقِ الْحَقِّ فَلَا يُبْصِرُونَهُ..

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة: ١٧١] فهم لَا يَعْقِلُونَهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله وَرَسُولِهُ، وَأَقَرُّوا لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ..

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أَطْعِمُوا مِنْ حَلَالِ الرِّزْقِ الَّذِي أَحْلَلْنَاهُ لَكُمْ، فَطَابَ لَكُمْ بِتَحْلِيلِي إِيَّاهُ لَكُمْ -مِمَّا كُنْتُمْ تُحَرِّمُونَ أَنْتُمْ وَلَمْ أَكُنْ حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ- مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ..

﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ وَأَثْنُوا عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، عَلَىٰ النِّعَمِ الَّتِي رَزَقَكُم وَطَيَّبَهَا لَكُمْ..

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢] إِنْ كُنْتُمْ مُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، فَكُلُوا مِمَّا أَبَاحَ لَكُمْ أَكْلَهُ وَحَلَّلَهُ وَطَيَّبَهُ لَكُمْ، وَدَعُوا فِي تَحْرِيمِهِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ.. ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَفَصَّلَهُ لَهُمْ مُفَسَّرًا، فقال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْمَيْتَةَ..

﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ وَمَا ذُبِحَ لِلْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، يُسَمَّىٰ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، أَوْ قُصِدَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ.. وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَرَادُوا ذَبْحَ مَا قَرَّبُوهُ لِآلِهَتِهِمْ سَمَّوْا اسْمَ آلِهَتِهِمُ الَّتِي قَرَّبُوا ذَلِكَ لَهَا وَجَهَرُوا بِذَلِكَ أَصْوَاتَهُمْ، فَجَرَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ قِيلَ لِكُلِّ ذَابِحٍ يُسَمِّي أَوْ لَمْ يُسَمِّ، جَهَرَ بِالتَّسْمِيَةِ أَوْ لَمْ يَجْهَرْ: «مُهِلٌّ»، فَرَفْعُهُمْ أَصْوَاتَهُمْ بِذَلِكَ هُوَ الْإِهْلَالُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْمُلَبِّي فِي حَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مُهِلٌّ؛ لِرَفْعِهِ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ؛ وَمِنْهُ اسْتِهْلَالُ الصَّبِيِّ: إِذَا صَاحَ عِنْدَ سُقُوطِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَاسْتِهْلَالُ الْمَطَرِ: وَهُوَ صَوْتُ وُقُوعِهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ فَمَنْ حَلَّتْ بِهِ ضَرُورَةُ مَجَاعَةٍ إِلَىٰ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَيْتَةِ، وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ، وَهُوَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ فَمَنْ أُكْرِهَ عَلَىٰ أَكْلِهِ فَأَكَلَهُ..

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ بِأَكْلِهِ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ مِنْ أَكْلِهِ..

﴿وَلَا عَادٍ﴾ فِي أَكْلِهِ فَوْقَ الحَاجَةِ..

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ مِنْ أَكْلِ ذَلِكَ عَلَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا، فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَا حَرَجَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ إِنْ أَطَعْتُمُ اللهَ فِي إِسْلَامِكُمْ، فَاجْتَنَبْتُمْ أَكْلَ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَتَرَكْتُمُ اتِّبَاعَ الشَّيْطَانِ فِيمَا كُنْتُمْ تُحَرِّمُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، طَاعَةً مِنْكُمْ لِلشَّيْطَانِ، وَاقْتِفَاءً مِنْكُمْ خُطُوَاتِهِ، مِمَّا لَمْ أُحَرِّمْهُ عَلَيْكُمْ..

﴿رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣] بِكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤].

﴿إِنَّ﴾ أَحْبَارَ الْيَهُودِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ النَّاسَ..

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُبُوَّتِهِ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿وَيَشْتَرُونَ﴾ وَيَبْتَاعُونَ..

﴿بِهِۦ﴾ بِكِتْمَانِ النَّاسَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمْرِ نُبُوَّتِهِ..

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي كَانُوا يُعْطُونَ عَلَىٰ تَحْرِيفِهِمْ كِتَابَ اللهِ، وَتَأْوِيلِهِمُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِهِ، وَكِتْمَانِهِمُ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ، الْيَسِيرُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْخَسِيسِ مِنَ الرِّشْوَةِ يُعْطَوْنَهَا، فَيُحَرِّفُونَ لِذَلِكَ آيَاتِ اللهِ وَيُغَيِّرُونَ مَعَانِيهَا..

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ بِأَكْلِهِمْ مَا أَكَلُوا مِنَ الرِّشَا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَمَا أَخَذُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْرِ..

﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ إِلَّا مَا يُورِدُهُمُ النَّارَ وَيُصْلِيهُمُوهَا..

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِمَا يُحِبُّونَ، وَيَشْتَهُونَ، فَأَمَّا بِمَا يَسُوءُهُمْ وَيَكْرَهُونَ فَإِنَّهُ

سَيُكَلِّمُهُمْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ إِذَا قَالُوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧] قَالَ: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨]..

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤] مُوجِعٌ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۝١٧٥﴾ [البقرة: ١٧٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الْهُدَىٰ..

﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ وَأَخَذُوا مَا يُوجِبُ لَهُمْ عَذَابَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَرَكُوا مَا يُوجِبُ لَهُمْ غُفْرَانَهُ وَرِضْوَانَهُ..

﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۝١٧٥﴾ [البقرة: ١٧٥] فَمَا أَجْرَأَهُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ النَّارِ، وتَقَدُّمِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ مُوجِبٌ لَهُمْ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ مِنْ تَرْكِي تَطْهِيرَهُمْ، وَتَزْكِيَتَهُمْ وَتَكْلِيمَهُمْ، وَإِعْدَادِي لَهُمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ بِأَنِّي أَنْزَلْتُ كِتَابِي بِالْحَقِّ، فَكَفَرُوا بِهِ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ..

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ﴾ من الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ..

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَكَفَرَتِ الْيَهُودُ بِمَا قَصَّ اللهُ فِيهِ مِنْ قَصَصِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ، وَصَدَّقَتِ النَّصَارَىٰ بِبَعْضِ ذَلِكَ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا جَمِيعًا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ بِتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٦] لَفِي مُنَازَعَةٍ وَمُفَارَقَةٍ لِلْحَقِّ، بَعِيدَةٍ مِنَ الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧].

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

[البقرة: ١٧٧].

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عَنَىٰ اللهُ بِذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ تُصَلِّي فَتَتَوَجَّهُ قِبَلَ الْمَغْرِبِ، وَالنَّصَارَىٰ تُصَلِّي فَتَتَوَجَّهُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ، يُخْبِرُهُمْ فِيهَا أَنَّ الْبِرَّ غَيْرُ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُونَهُ، وَلَكِنَّهُ مَا بَيَّنَّاهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ وَأَعْطَىٰ الْمَالَ وَهُوَ لَهُ مُحِبٌّ حَرِيصٌ عَلَىٰ جَمْعِهِ، شَحِيحٌ بِهِ..

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَتِهِ، فَوَصَلَ بِهِ أَرْحَامَهُمْ..

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الْمُجْتَازَ بِالرَّجُلِ، ومِن ذَلِكَ الضَّيْفُ..

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ الْمُسْتَطْعِمِينَ الطَّالِبِينَ..

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ وَفِي فَكِّ الرِّقَابِ مِنَ الْعُبُودَةِ، وَهُمُ الْمُكَاتَبُونَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي فَكِّ رِقَابِهِمْ مِنَ الْعُبُودَةِ بِأَدَاءِ كِتَابَاتِهِمُ الَّتِي فَارَقُوا عَلَيْهَا سَادَاتِهِمْ..

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أَدَامَ الْعَمَلَ بِهَا بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أَعْطَاهَا عَلَىٰ مَا فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْهِ..

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ﴾ وَالَّذِينَ لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ بَعْدَ الْمُعَاهَدَةِ، وَلَكِنْ يُوفُونَ بِهِ وَيُتِمُّونَهُ عَلَىٰ مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ مَنْ عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ..

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وَالْمَانِعِينَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْبَأْسَاءِ، وَالضَّرَّاءِ، مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ لَهُمُ، الْحَابِسِيهَا عَلَىٰ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ..

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ﴾ وَالصَّابِرِينَ فِي وَقْتِ شِدَّةِ الْقِتَالِ فِي الْحَرْبِ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مَنْ نَعَتَهُمُ النَّعْتَ الَّذِي نَعَتَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ اللهَ فِي إِيمَانِهِمْ وَحَقَّقُوا قَوْلَهُمْ بِأَفْعَالِهِمْ، لَا مَنْ وَلَّىٰ وَجْهَهُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَهُوَ يُخَالِفُ اللهَ فِي أَمْرِهِ، وَيَنْقُضُ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ، وَيَكْتُمُ النَّاسَ بَيَانَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِبَيَانِهِ وَيُكَذِّبُ رُسُلَهُ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧] الَّذِينَ اتَّقُوا عِقَابَ اللهِ، فَتَجَنَّبُوا عِصْيَانَهُ، وَحَذِرُوا وَعْدَهُ، فَلَمْ يَتَعَدَّوا حُدُودَهُ وَخَافُوهُ، فَقَامُوا بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ [البقرة: ١٧٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَيۡكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ..

﴿ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ أَنْ لَا تَقْتُلُوا بِالْمَقْتُولِ غَيْرَ قَاتِلِهِ.. وَالْفَرْضُ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْنَا فِي الْقِصَاصِ، هُوَ تَرْكُ الْمُجَاوَزَةِ بِالْقِصَاصِ قَتْلَ الْقَاتِلِ بِقَتِيلِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، لَا أَنَّهُ وَجَبَ عَلَيْنَا الْقِصَاصُ فَرْضًا وُجُوبَ فَرْضِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَنَا تَرْكُهُ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فَرْضًا لَا يَجُوزُ لَنَا تَرْكُهُ لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ مَعْنًىٰ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّهُ لَا عَفْوَ بَعْدَ الْقِصَاصِ، فَيُقَالُ: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ.. وَقَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ، عَلَىٰ أَنَّ الْمُقَاصَّةَ فِي الْحُقُوقِ غَيْرُ وَاجِبَةٍ، لِأَنَّ مَا كَانَ فَرْضًا عَلَىٰ أَهْلِ الْحُقُوقِ أَنْ يَفْعَلُوهَ فَلَا خِيَارَ لَهُمْ فِيهِ، وَالْجَمِيعُ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ لِأَهْلِ الْحُقُوقِ الْخِيَارَ فِي مُقَاصَّتِهِمْ حُقُوقَهُمْ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ..

﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ الْحُرُّ إِذَا قَتَلَ الْحُرَّ، والعبدُ إذا قتلَ العبدَ، والأُنثىٰ إذا قَتَلَتْ الأُنثىٰ، فَدَمُ الْقَاتِلِ كُفْءٌ لِدَمِ الْقَتِيلِ، وَالْقِصَاصُ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَلَا تَجَاوَزُوا بِالْقَتْلِ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَقْتُلْ، فَإِنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا بِقَتِيلِكُمْ غَيْرَ قَاتِلِهِ.. ولَنَا أَنْ نَقْتَصَّ لِلْحُرِّ مِنَ الْعَبْدِ وَلِلْأُنْثَىٰ مِنَ الذَّكَرِ، بِقَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ [الإسراء: ٣٣]، وَبِالنَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ**»..

﴿فَمَنۡ عُفِيَ﴾ وتُرِكَ وصُفِحَ..

﴿لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ عَلَىٰ دِيَةٍ يَأْخُذُهَا مِنْهُ..

﴿فَٱتِّبَاعُۢ﴾ مِنَ الْعَافِي عَنِ الدَّمِ الرَّاضِي بِالدِّيَةِ مِنْ دَمِ وَلِيِّهِ، عَلَىٰ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ لَهُ مِنَ الْحَقِّ

قِبَلَ قَاتِلِ وَلِيِّهِ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزْدَادَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِ، أَوْ يُكَلِّفُهُ مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ لَهُ عَلَيْهِ..

﴿وَأَدَآءٌ﴾ مِنَ الْقَاتِلِ، وهُوَ أَدَاءُ مَا لَزِمَهُ بِقَتْلِهِ، عَلَىٰ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ وَأَوْجَبَهُ عَلَيْهِ..

﴿إِلَيْهِ﴾ لِوَلِيِّ الْقَتِيلِ..

﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْخَسَهُ حَقًّا لَهُ، أَوْ يُحْوِجَهُ إِلَىٰ اقْتِضَاءٍ وَمُطَالَبَةٍ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي حَكَمْتُ بِهِ وَسَنَنْتُهُ لَكُمْ مِنْ إِبَاحَتِي لَكُمْ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ، الْعَفْوَ عَنِ الْقِصَاصِ مِنْ قَاتِلِ قَتِيلِكُمْ، عَلَىٰ دِيَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَتَمْلِكُونَهَا، مُلْكَكُمْ سَائِرَ أَمْوَالِكُمْ، الَّتِي كُنْتُ مَنَعْتُهَا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ..

﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تَخْفِيفٌ مِنِّي لَكُمْ مِمَّا كُنْتُ ثَقَّلْتُهُ عَلَىٰ غَيْرِكُمْ بِتَحْرِيمِ ذَٰلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ مِنِّي لَكُمْ..

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فَمَنْ تَجَاوَزَ مَا جَعَلَهُ اللهُ لَهُ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدَ أَخْذِهِ الدِّيَةَ اعْتِدَاءً وَظُلْمًا، إِلَىٰ مَا لَمْ يُجْعَلْ لَهُ، مِنْ قَتْلِ قَاتِلِ وَلِيِّهِ وَسَفْكِ دَمِهِ..

﴿فَلَهُۥ﴾ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ وَتَعَدِّيهِ إِلَىٰ مَا قَدْ حَرَّمْتُهُ عَلَيْهِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٨﴾ [البقرة: ١٧٨] فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْقَتْلُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ لِكُلِّ وَلِيِّ قَتِيلٍ قُتِلَ ظُلْمًا سُلْطَانًا عَلَىٰ قَاتِلِ وَلِيِّهِ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وَكَانَ الْجَمِيعُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مُجْمِعِينَ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَتَلَ قَاتِلَ وَلِيِّهِ بَعْدَ عَفْوِهِ عَنْهُ وَأَخْذِهِ مِنْهُ دِيَةَ قَتِيلِهِ ظَالِمٌ فِي قَتْلِهِ.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩].

﴿وَلَكُمْ﴾ يَا أُولِي الْعُقُولِ..

﴿فِي ٱلْقِصَاصِ﴾ فِيمَا فَرَضْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْجَبْتُ لِبَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ الْقِصَاصِ فِي النُّفُوسِ وَالْجِرَاحِ وَالشِّجَاجِ، مَا مُنِعَ بِهِ بَعْضُكُمْ مِنْ قَتْلِ بَعْضٍ، وَكَفَّ بَعْضَكُمْ عَنْ بَعْضٍ، فَحَيِيتُمْ بِذَلِكَ، فَكَانَ لَكُمْ فِي حُكْمِي بَيْنَكُمْ بِذَلِكَ..

﴿حَيَوٰةٌ﴾ فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هَمَّ بِدَاهِيَةٍ لَوْلَا مَخَافَةُ الْقِصَاصِ لَوَقَعَ بِهَا، وَلَكِنَّ اللهَ حَجَزَ بِالْقِصَاصِ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَمَا أَمَرَ اللهُ بِأَمْرٍ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ أَمْرُ صَلَاحٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا

نَهَىٰ اللهُ عَنْ أَمْرٍ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ أَمْرُ فَسَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي يُصْلِحُ خَلْقَهُ..

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يَا أُولِي الْعُقُولِ.. وَخَصَّ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِالْخِطَابِ أَهْلَ الْعُقُولِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَيَتَدَبَّرُونَ آيَاتِهِ وَحُجَجَهُ دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩] الْقِصَاصَ فَتَنْتَهُونَ عَنِ الْقَتْلِ.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة: ١٨٠].

﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مَالًا..

﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَهُ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَهُوَ مَا أَذِنَ اللهُ فِيهِ وَأَجَازَهُ فِي الْوَصِيَّةِ مِمَّا لَمْ يُجَاوِزِ الثُّلُثَ، وَلَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُوصِي ظُلْمَ وَرَثَتِهِ..

﴿حَقًّا﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة: ١٨٠] وَأَوْجَبَهُ، وَجَعَلَهُ حَقًّا وَاجِبًا عَلَىٰ مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ فَأَطَاعَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَنْسَخِ اللهُ شَيْئًا مِنْ حُكْمِهَا، وَإِنَّمَا هِيَ آيَةٌ ظَاهِرُهَا ظَاهِرُ عُمُومٍ فِي كُلِّ وَالِدٍ وَوَالِدَةٍ، وَالْقَرِيبِ، وَالْمُرَادُ بِهَا فِي الْحُكْمِ الْبَعْضُ مِنْهُمْ دُونَ الْجَمِيعِ، وَهُوَ مَنْ لَا يَرِثُ مِنْهُمُ الْمَيِّتَ دُونَ مَنْ يَرِثُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ آيَةٌ قَدْ كَانَ الْحُكْمُ بِهَا وَاجِبًا وَعُمِلَ بِهِ بُرْهَةً، ثُمَّ نَسَخَ اللهُ مِنْهَا -بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ- الْوَصِيَّةَ لِوَالِدَيِ الْمُوصِي وَأَقْرِبَائِهِ الَّذِينَ يَرِثُونَهُ، وَأَقَرَّ فَرْضَ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَا يَرِثُهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَسَخَ اللهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَفَرَضَ الْفَرَائِضَ وَالْمَوَارِيثَ فَلَا وَصِيَّةَ تَجِبُ لِأَحَدٍ عَلَىٰ أَحَدٍ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ: أَنَّ كُلَّ مَنْ حَضَرَتْهُ مَنِيَّتُهُ وَعِنْدَهُ مَالٌ قَلَّ ذَلِكَ أَوْ كَثُرَ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يُوصِيَ مِنْهُ لِمَنْ لَا يَرِثُهُ مِنْ آبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ وَأَقْرِبَائِهِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَهُ بِمَعْرُوفٍ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَأَمَرَ بِهِ.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾ [البقرة: ١٨١].

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ فَمَنْ غَيَّرَ مَا أَوْصَىٰ بِهِ الْمُوصِي مِنْ وَصِيَّتِهِ بِالْمَعْرُوفِ لِوَالِدَيْهِ أَوِ أَقْرَبِيهِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَهُ..

﴿بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ بَعْدَ مَا سَمِعَ الْوَصِيَّةَ..

﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ﴾ فَإِنَّمَا إِثْمُ التَّبْدِيلِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ﴾ عَلَىٰ مَنْ بَدَّلَ وَصِيَّتَهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِوَصِيَّتِكُمُ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُوصُوا بِهَا لِآبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ وَأَقْرِبَائِكُمْ حِينَ تُوصُونَ بِهَا، أَتَعْدِلُونَ فِيهَا عَلَىٰ مَا أَذِنْتُ لَكُمْ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ، أَمْ تَحِيفُونَ فَتَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ وَتَجُورُونَ عَنِ الْقَصْدِ..

﴿عَلِيمٞ ١٨١﴾ [البقرة: ١٨١] بِمَا تُخْفِيهِ صُدُورُكُمْ مِنَ الْمَيلِ إِلَىٰ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، أَمِ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ.

﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾ [البقرة: ١٨٢].

﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا﴾ وَهُوَ أَنْ يَمِيلَ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ خَطَأً مِنْهُ، أَوْ يَتَعَمَّدُ إِثْمًا فِي وَصِيَّتِهِ بِأَنْ يُوصِيَ لِوَالِدَيْهِ وَأَقْرَبِيهِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَهُ بِأَكْثَرَ مِمَّا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُوصِيَ لَهُمْ بِهِ مِنْ مَالِهِ، وَغَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِهِ مِمَّا جَاوَزَ الثُّلُثَ، أَوْ بِالثُّلُثِ كُلِّهِ وَفِي الْمَالِ قِلَّةٌ، وَفِي الْوَرَثَةِ كَثْرَةٌ..

﴿فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ فَلَا بَأْسَ عَلَىٰ مَنْ حَضَرَهُ أَيْ يُصْلِحَ بَيْنَ الَّذِينَ يُوصَىٰ لَهُمْ وَبَيْنَ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ وَبَيْنَ الْمَيِّتِ، بِأَنْ يَأْمُرَ الْمَيِّتَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُعَرِّفَهُ مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَذِنَ لَهُ فِيهِ مِنَ الْوَصِيَّةِ فِي مَالِهِ، وَيَنْهَاهُ أَنْ يُجَاوِزَ فِي وَصِيَّتِهِ الْمَعْرُوفَ الَّذِي قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي كِتَابِهِ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ [البقرة: ١٨٠]، كَذَلِكَ لِمَنْ كَانَ فِي الْمَالِ فَضْلٌ وَكَثْرَةٌ، وَفِي الْوَرَثَةِ قِلَّةٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْصُرَ فِي وَصِيَّتِهِ لِوَالِدَيْهِ وَأَقْرَبِيهِ عَنْ ثُلُثِهِ، فَأَصْلَحَ مَنْ حَضَرَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَرَثَتِهِ وَبَيْنَ وَالِدَيْهِ وَأَقْرَبِيهِ الَّذِينَ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ لَهُمْ بِأَنْ يَأْمُرَ الْمَرِيضَ أَنْ يَزِيدَ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُمْ، وَيَبْلُغَ بِهَا مَا رَخَّصَ

اللهُ فِيهِ مِنَ الثُّلُثِ، فَذَلِكَ أَيْضًا هُوَ مِنَ الإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلْمُوصِي فِيمَا كَانَ حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْجَنَفِ وَالإِثْمِ، إِذَا تَرَكَ أَنْ يَأْثَمَ وَيَجْنَفَ فِي وَصِيَّتِهِ، فَتَجَاوَزَ لَهُ عَمَّا كَانَ حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْجَوْرِ، إِذْ لَمْ يُمْضِ ذَلِكَ فَيَفْعَلَ، أَنْ يُؤَاخِذَهُ بِهِ..

﴿رَّحِيمٌ ١٨٢﴾ [البقرة: ١٨٢] بِالْمُصْلِحِ بَيْنَ الْمُوصِي وَبَيْنَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْنَفَ عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ أَوْ يَأْثَمَ فِيهِ لَهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَصَدَّقُوا بِهِمَا وَأَقَرُّوا..

﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ مَنْ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ كَانَ مَأْمُورًا بِاتِّبَاعِ إِبْرَاهِيمَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- كَانَ جَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ دِينَهُ كَانَ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ، فَأَمَرَ نَبِيَّنَا ﷺ بِمِثْلِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا التَّشْبِيهُ فَإِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الْوَقْتِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِنَّمَا كَانَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ شَهْرُ رَمَضَانَ مِثْلَ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْنَا سَوَاءً..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣] لِتَتَّقُوا أَكْلَ الطَّعَامِ وَشُرْبَ الشَّرَابِ وَجِمَاعَ النِّسَاءِ فِيهِ، يَقُولُ: فَرَضْتُ عَلَيْكُمُ الصَّوْمَ وَالْكَفَّ عَمَّا تَكُونُونَ بِتَرْكِ الْكَفِّ عَنْهُ مُفْطِرِينَ لِتَتَّقُوا مَا يُفْطِرُكُمْ فِي وَقْتِ صَوْمِكُمْ.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة: ١٨٤].

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ مُحْصَيَاتٍ، تُعَدُّ مَبَالِغُهَا وَسَاعَاتُ أَوْقَاتِهَا، وَهِيَ أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ..

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ مِمَّنْ كُلِّفَ صَوْمَهُ..

﴿أَوْ﴾ كَانَ صَحِيحًا غَيْرَ مَرِيضٍ، وَكَانَ..

﴿عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ﴾ فَعَلَيْهِ صَوْمُ عِدَّةِ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا فِي مَرَضِهِ أَوْ فِي سَفَرِهِ..

﴿مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ غَيْرِ أَيَّامِ مَرَضِهِ أَوْ سَفَرِهِ..

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَ الصِّيَامَ..

﴿فِدۡيَةٞ﴾ جَزَاءُ..

﴿طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ وَاحِدٍ لِكُلِّ يَوْمٍ أَفْطَرَهُ مِنْ أَيَّامِ صِيَامِهِ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ.. فَإِذَا كَانَ الْجَمِيعُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مُجْمِعِينَ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَ مُطِيقًا مِنَ الرِّجَالِ الْأَصِحَّاءِ الْمُقِيمِينَ غَيْرِ الْمُسَافِرِينَ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فَغَيْرُ جَائِزٍ لَهُ الْإِفْطَارُ فِيهِ وَالِافْتِدَاءُ مِنْهُ بِطَعَامِ مِسْكِينٍ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، هَذَا مَعَ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ صَوْمِهِ وَسُقُوطِ الْفِدْيَةِ عَنْهُمْ، وَبَيْنَ الْإِفْطَارِ وَالِافْتِدَاءِ مِنْ إِفْطَارِهِ بِإِطْعَامِ مِسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ حَتَّىٰ نَزَلَتْ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥] فَأُلْزِمُوا فَرْضَ صَوْمِهِ، وَبَطَلَ الْخِيَارُ، وَالْفِدْيَةُ..

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: فَزَادَ طَعَامَ مِسْكِينٍ آخَرَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَصَامَ مَعَ الْفِدْيَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَزَادَ الْمِسْكِينَ عَلَىٰ قَدْرِ طَعَامِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَمَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ فَلَمْ يُخَصِّصْ بَعْضَ مَعَانِي الْخَيْرِ دُونَ بَعْضٍ، فَإِنَّ جَمْعَ الصَّوْمِ مَعَ الْفِدْيَةِ مِنْ تَطَوُّعِ الْخَيْرِ، وَزِيَادَةَ مِسْكِينٍ عَلَىٰ جَزَاءِ الْفِدْيَةِ مِنْ تَطَوُّعِ الْخَيْرِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ أَيَّ هَذِهِ الْمَعَانِي تَطَوَّعَ بِهِ الْمُفْتَدِي مِنْ صَوْمِهِ..

﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ تَطَوُّعِ الْخَيْرِ وَنَوَافِلِ الْفَضْلِ..

﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ مَا كُتِبَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَهُوَ..

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِنْ أَنْ تُفْطِرُوهُ وَتَفْتَدُوا..

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة: ١٨٤] خَيْرَ الْأَمْرَيْنِ لَكُمْ -أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا- مِنَ الْإِفْطَارِ وَالْفِدْيَةِ، أَوِ الصَّوْمِ عَلَىٰ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ يعني: الأيامَ المعدوداتِ هُنَّ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ: ذَلِكَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَبِمَعْنَىٰ: كُتِبَ عَلَيْكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، وبِمَعْنَىٰ: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ أَنْ تَصُومُوا شَهْرَ رَمَضَانَ، وبِمَعْنَىٰ: أَنْ تَصُومُوا شَهْرَ رَمَضَانَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وبمعنىٰ: شَهْرُ رَمَضَانَ فَصُومُوهُ، وبمعنىٰ: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ..

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ مَا أَرَادَ اللهُ إِنْزَالَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَفِي الْحُرُوبِ..

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ رَشَادًا لِلنَّاسِ إِلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَقَصْدِ الْمَنْهَجِ..

﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ وَوَاضِحَاتٍ..

﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ مِنَ الْبَيَانِ الدَّالِّ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ، وَفَرَائِضِهِ، وَحَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ..

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ وَالْفَصْلِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ..

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ مُقِيمًا..

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ فَلْيَصُمْ مَا شَهِدَ مِنْهُ..

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾ وَهُو مَنْ كَانَ الصَّوْمُ جَاهَدَهُ جَهْدًا غَيْرَ مُحْتَمَلٍ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ الصَّوْمُ غَيْرَ جَاهِدِهِ، فَهُوَ بِمَعْنَىٰ الصَّحِيحِ الَّذِي يُطِيقُ الصَّوْمَ، فَعَلَيْهِ أَدَاءُ فَرْضِهِ، وَذَلِكَ هُوَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ.. وَالْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّ مَرِيضًا لَوْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَهُوَ مِمَّنْ لَهُ الْإِفْطَارُ لِمَرَضِهِ أَنَّ صَوْمَهُ ذَلِكَ مُجْزِئٌ عَنْهُ، وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ إِذَا بَرَأَ مِنْ مَرَضِهِ بِعِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَحُكْمُ الْمُسَافِرِ حُكْمُهُ فِي أَلَّا قَضَاءَ عَلَيْهِ إِنْ صَامَهُ فِي سَفَرِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي جُعِلَ لِلْمُسَافِرِ مِنَ الْإِفْطَارِ وَأُمِرَ بِهِ مِنْ قَضَاءِ عِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مِثْلُ الَّذِي جُعِلَ مِنْ ذَلِكَ لِلْمَرِيضِ، وَأُمِرَ بِهِ مِنَ الْقَضَاءِ، ثُمَّ فِي دَلَالَةِ الْآيَةِ كِفَايَةٌ مُغْنِيَةٌ عَنِ اسْتِشْهَادِ شَاهِدٍ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ بِغَيْرِهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وَلَا عُسْرَ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُلْزَمَ مَنْ صَامَهُ فِي سَفَرِهِ عِدَّةً مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَقَدْ تَكَلَّفَ

أَدَاءَ فَرْضِهِ فِي أَثْقَلِ الْحَالَيْنِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ قَضَاهُ وَأَدَّاهُ.. فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَبَاوَةٍ أَنَّ الَّذِي صَامَهُ لَمْ يَكُنْ فَرْضُهُ الْوَاجِبَ، فَإِنَّ فِي قَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، و﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ مَا يُنْبِئُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ صَوْمُهُ مِنَ الشُّهُورِ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ مُسَافِرًا كَانَ أَوْ مُقِيمًا، لِعُمُومِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، ثُمَّ فِي تَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ إِذَا سُئِلَ عَنِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ: «**إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ**» الْكَافِيَةُ عَنِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ بِغَيْرِهِ.. وكَانَ حَمْزَةُ الْأَسْلَمِيُّ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَصُومُ الدَّهْرَ، فَيَصُومُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ؛ وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَصُومُ الدَّهْرَ، فَيَصُومُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ لَيَمْرَضُ فَلَا يُفْطِرُ؛ وَكَانَ أَبُو مُرَاوِحٍ يَصُومُ الدَّهْرَ، فَيَصُومُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَفِي هَذَا مَعَ نَظَائِرِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي يَطُولُ بِاسْتِيعَابِهَا الْكِتَابُ الدَّلَالَةُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْإِفْطَارَ رُخْصَةٌ لَا عَزْمَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ الْأَخْبَارَ بِمَا قُلْتَ وَإِنْ كَانَتْ مُتَظَاهِرَةً، فَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**» ؟! قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ صِيَامٌ فِي مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ رَجُلًا فِي سَفَرِهِ قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ جَمَاعَةٌ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالُوا: صَائِمٌ، قَالَ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ**»، فَمَنْ بَلَغَ مِنْهُ الصَّوْمُ مَا بَلَغَ مِنَ الَّذِي قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ذَلِكَ، فَلَيْسَ مِنَ الْبِرِّ صَوْمُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ تَعْرِيضَ نَفْسِهِ لِمَا فِيهِ هَلَاكُهَا، وَلَهُ إِلَىٰ نَجَاتِهَا سَبِيلٌ، وَإِنَّمَا يُطْلَبُ الْبِرُّ بِمَا نَدَبَ اللهُ إِلَيْهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ لَا بِمَا نَهَىٰ عَنْهُ.. وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْهُ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «**الصَّائِمُ فِي السَّفَرِ كَالْمُفْطِرِ فِي الْحَضَرِ**» فَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لِمَنْ بَلَغَ مِنْهُ الصَّوْمُ مَا بَلَغَ مِنْ هَذَا الَّذِي ظُلِّلَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ عَلَيْهِ أَنْ يُضَافَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي جَاءَتْ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاهِيَةُ الْأَسَانِيدِ لَا يَجُوزُ الِاحْتِجَاجُ بِهَا فِي الدِّينِ..

﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ فِي الشَّهْرِ، فَأَفْطَرَ بِرُخْصَةِ اللهِ.. فَإِبَاحَةُ الْإِفْطَارِ فِي السَّفَرِ رُخْصَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- رَخَّصَهَا لِعِبَادِهِ، وَالْفَرْضُ الصَّوْمُ، فَمَنْ صَامَ فَرْضَهُ أَدَّىٰ، وَمَنْ أَفْطَرَ فَبِرُخْصَةِ اللهِ لَهُ أَفْطَرَ، فَإِنْ صَامَ فِي سَفَرٍ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ إِذَا أَقَامَ..

﴿فَعِدَّةٞ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ عِدَّةِ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا..

﴿مِّنۡ أَيَّامٍ﴾ مَكَانَ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَ فِي سَفَرِهِ أَوْ مَرَضِهِ..

﴿أُخَرَۚ﴾ غَيْرَ أَيَّامِ شَهْرِ رَمَضَانَ..

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِتَرْخِيصِهِ لَكُمْ فِي حَالِ مَرَضِكُمْ وَسَفَرِكُمْ فِي الْإِفْطَارِ، وَقَضَاءِ عِدَّةِ أَيَّامٍ أُخَرَ مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرْتُمُوهَا بَعْدَ إِقَامَتِكُمْ وَبَعْدَ بُرْئِكُمْ مِنْ مَرَضِكُمْ..

﴿ٱلْيُسْرَ﴾ التَّخْفِيفَ عَلَيْكُمْ، وَالتَّسْهِيلَ عَلَيْكُمْ لِعِلْمِهِ بِمَشَقَّةِ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ..

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الشِّدَّةَ، وَالْمَشَقَّةَ عَلَيْكُمْ، فَيُكَلِّفُكُمْ صَوْمَ الشَّهْرِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، مَعَ عِلْمِهِ شِدَّةَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَثِقَلَ حَمْلِهِ عَلَيْكُمْ لَوْ حَمَّلَكُمْ صَوْمَهُ..

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ عِدَّةَ مَا أَفْطَرْتُمْ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، فَقَدْ أَوْجَبْتُ عَلَيْكُمْ قَضَاءَ عِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ بَعْدَ بُرْئِكُمْ مِنْ مَرَضِكُمْ، أَوْ إِقَامَتِكُمْ مِنْ سَفَرِكُمْ..

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ وَلِتُعَظِّمُوا اللهَ بِالذِّكْرِ لَهُ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنَ الْهِدَايَةِ الَّتِي خَذَلَ عَنْهَا غَيْرَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنْ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِثْلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْكُمْ فِيهِ، فَضَلُّوا عَنْهُ بِإِضْلَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَخَصَّكُمْ بِكَرَامَتِهِ فَهَدَاكُمْ لَهُ، وَوَفَّقَكُمْ لِأَدَاءِ مَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ صَوْمِهِ، وَتَشْكُرُوهُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْعِبَادَةِ لَهُ، وَالذِّكْرُ الَّذِي خَصَّهُمُ اللهُ عَلَىٰ تَعْظِيمِهِ بِهِ التَّكْبِيرُ يَوْمَ الْفِطْرِ، فِيمَا تَأَوَّلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥] وَلِكَيْ تَشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَتَيْسِيرِ مَا لَوْ شَاءَ عَسَّرَ عَلَيْكُمْ.

> ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عِبَادِى عَنِّى﴾ أَيْنَ أَنَا؟

﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ مِمَّنْ أَطَاعَنِي وَعَمِلَ بِمَا أَمَرْتُهُ بِهِ، فَأَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ، وَ..

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ مِنْهُمْ.. فَأُجِيبُهُ بِالثَّوَابِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّايَ..

﴿إِذَا دَعَانِ﴾ إِذَا أَطَاعَنِي..

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ بِالطَّاعَةِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ فَلْيَدْعُونِي..

﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ وَلْيُصَدِّقُوا بِي إِذَا هُمُ اسْتَجَابُوا لِي بِالطَّاعَةِ أَنِّي لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ طَاعَتِهِمْ لِي فِي الثَّوَابِ عَلَيْهَا وَإِجْزَالِي الْكَرَامَةَ لَهُمْ عَلَيْهَا.. وَأَمَّا الَّذِي تَأَوَّلَ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ أَيْ بِمَعْنَىٰ

فَلْيَدْعُونِي، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ أَنِّي أَسْتَجِيبُ لَهُمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦] وَلْيَهْتَدُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ فَيَرْشُدُوا.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أُطْلِقَ لَكُمْ وَأُبِيحَ فِي..

﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ الرَّفَثُ كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.. وفِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِفْحَاشُ فِي الْمِنطِقِ..

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ لِذَلِكَ وَجْهَانِ مِنَ الْمَعَانِي: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جُعِلَ لِصَاحِبِهِ لِبَاسًا، لِتَخَرُّجِهِمَا مِن ثِيَابِهِمَا عِنْدَ النَّوْمِ، وَاجْتِمَاعِهِمَا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَانْضِمَامِ جَسَدِ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، بِمَنْزِلَةِ مَا يَلْبَسُهُ عَلَىٰ جَسَدِهِ مِنْ ثِيَابِهِ، فَقِيلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا هُوَ لِبَاسٌ لِصَاحِبِهِ، فَكَنَّىٰ عَنِ اجْتِمَاعِهِمَا مُتَجَرِّدَيْنِ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ بِاللِّبَاسِ، كَمَا يُكَنَّىٰ بِالثِّيَابِ عَنْ جَسَدِ الْإِنْسَانِ.. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ لِبَاسًا؛ لِأَنَّهُ سَكَنَ لَهُ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧] يَعْنِي بِذَلِكَ: سَكَنًا تَسْكُنُونَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ زَوْجَةُ الرَّجُلِ سَكَنُهُ يَسْكُنُ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِبَاسًا لِصَاحِبِهِ، بِمَعْنَىٰ سُكُونِهِ إِلَيْهِ.. وَقَدْ يُقَالُ لِمَا سَتَرَ الشَّيْءَ وَوَارَاهُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ هُوَ لِبَاسُهُ، وَغِشَاؤُهُ، فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ «**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**» بِمَعْنَىٰ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سِتْرٌ لِصَاحِبِهِ فِيمَا يَكُونُ بَيْنَكُمْ مِنَ الْجِمَاعِ عَنْ أَبْصَارِ سَائِرِ النَّاسِ..

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ كَانَ فِي أَوَّلِ مَا افْتُرِضَ عَلَيْهِمْ فِي رَمَضَانَ إِذَا أَفْطَرُوا، الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَغَشَيَانُ النِّسَاءِ لَهُمْ حَلَالًا مَا لَمْ يَرْقُدُوا، فَإِذَا رَقَدُوا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ إِلَىٰ مِثْلِهَا مِنَ الليلةِ الْقَابِلَةِ، وَكَانَتْ خِيَانَةُ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُصِيبُونَ أَوْ يَنَالُونَ مِنَ

الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَغَشَيَانِ النِّسَاءِ بَعْدَ الرُّقَادِ، وَكَانَتْ تِلْكَ خِيَانَةُ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَغَشَيَانَ النِّسَاءِ إِلَىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فكَانَتْ خيَانَتُهُمْ أَنْفُسَهُمُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا جِمَاعُ النِّسَاءِ، وَالْآخَرُ: الْمَطْعَمُ، وَالْمَشْرَبُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ حَرَامًا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ﴾ إِذَا أَحْلَلْتُ لَكُمُ الرَّفَثَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ..

﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ فَجَامِعُوهُنَّ فِي لَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، وَهِيَ تَبَيُّنُ الْخَيْطِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ..

﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾ وَاطْلُبُوا الَّذِي قَضَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مُبَاشَرَتِكُمْ نِسَاءَكُمْ مُبْتَغِينَ..

﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الْوَلَدِ، والْوُدِّ..

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ بِاللَّيْلِ فِي شَهْرِ صَوْمِكُمْ..

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَىٰ أَنْ يَقَعَ لَكُمْ ضَوْءُ النَّهَارِ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ..

﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ.. وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ جَمِيعُ الْفَجْرِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا تَبَيَّنَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْفَجْرِ ذَلِكَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ الَّذِي يَكُونُ مِنْ تَحْتِ اللَّيْلِ الَّذِي فَوْقَهُ سَوَادُ اللَّيْلِ، فَمِنْ حِينَئِذٍ فَصُومُوا، ثُمَّ أَتِمُّوا صِيَامَكُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ اللَّيْلِ.. فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ، أَهُمَا خَيْطَانِ أَبْيَضُ، وَأَسْوَدُ؟ فَقَالَ «**إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا إِنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**لَا وَلَكِنَّهُ سَوَّادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ**».. وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ **فَلَمْ يَنْزِلْ** ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، **قَالَ: فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلَيْهِ الْخَيْطَ الْأَسْوَدَ، وَالْخَيْطَ الْأَبْيَضَ، فَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ، وَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ:** ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ **فَعَلِمُوا إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ: اللَّيْلَ، وَالنَّهَارَ**).. وصِفَةُ ذَلِكَ الْبَيَاضِ أَنْ يَكُونَ مُنْتَشِرًا مُسْتَفِيضًا فِي السَّمَاءِ يَمْلَأُ بَيَاضُهُ وَضَوْءُهُ الطُّرُقَ، فَأَمَّا الضَّوْءُ السَّاطِعُ فِي السَّمَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ الَّذِي عَنَاهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، ذَلِكَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ هُوَ مِنَ الْفَجْرِ نِسْبَةً إِلَيْهِ، وَلَيْسَ الْفَجْرَ كُلَّهُ، فَإِذَا جَاءَ هَذَا الْخَيْطُ وَهُوَ أَوَّلُهُ فَقَدْ حَلَّتِ الصَّلَاةُ وَحَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَىٰ الصَّائِمِ.. وَفِيهِ أَوْضَحُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: حَلَالٌ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ لِمَنْ أَرَادَ الصَّوْمَ إِلَىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ؛ لِأَنَّ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْفَجْرِ يَتَبَيَّنُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ طُلُوعِ أَوَائِلِ الْفَجْرِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذَلِكَ حَدًّا لِمَنْ

لَزِمَهُ الصَّوْمُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَبَاحَ إِلَيْهِ الْأَكْلَ، وَالشُّرْبَ، وَالْمُبَاشَرَةَ..

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾ فَإِنَّهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- حَدَّ الصَّوْمَ بِأَنَّ آخِرَ وَقْتِهِ إِقْبَالُ اللَّيْلِ، كَمَا حَدَّ الْإِفْطَارَ وَإِبَاحَةَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَأَوَّلَ الصَّوْمِ بِمَجِيءِ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَأَوَّلِ إِدْبَارِ آخِرِ اللَّيْلِ، فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ لَا صَوْمَ بِاللَّيْلِ كَمَا لَا فِطْرَ بِالنَّهَارِ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ، وَعَلَىٰ أَنَّ الْمُوَاصِلَ مُجَوِّعٌ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ طَاعَةِ رَبِّهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ، وَغَابَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**».. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْإِذْنُ بِالْوِصَالِ مِنَ السَّحَرِ إِلَىٰ السَّحَرِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُوَاصِلُوا فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّىٰ السَّحَرِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي، وَسَاقٍ يَسْقِينِي**»..

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ لَا تُجَامِعُوا نِسَاءَكُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ جَمِيعِ مَعَانِي الْمُبَاشَرَةِ مَنْ لَمْسٍ، وَقُبْلَةٍ، وَجِمَاعٍ، وَعِلَّةُ مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَمَّ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ مَا عَمَّهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَ حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا بِأَنَّهُ عَنَىٰ بِهِ مُبَاشَرَةً دُونَ مُبَاشَرَةٍ.. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ نِسَاءَهُ كُنَّ يُرَجِّلْنَهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَلَمَّا صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ، عُلِمَ أَنَّ الَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ مَعَانِي الْمُبَاشَرَةِ الْبَعْضُ دُونَ الْجَمِيعِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مُجْمَعًا عَلَىٰ أَنَّ الْجِمَاعَ مِمَّا عُنِيَ بِهِ، كَانَ وَاجِبًا تَحْرِيمُ الْجِمَاعِ عَلَىٰ الْمُعْتَكِفِ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَذَلِكَ كُلُّ مَا قَامَ فِي الِالْتِذَاذِ مَقَامَهُ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ..

﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ﴾ فِي حَالِ عُكُوفِكُمْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَتِلْكَ حَالُ حَبْسِهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ فِي مَسَاجِدِهِمْ..

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بَيَّنْتُهَا، مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَهَارًا فِي غَيْرِ عُذْرٍ، وَجِمَاعِ النِّسَاءِ فِي الِاعْتِكَافِ فِي الْمَسَاجِدِ..

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حَدَّدْتُهَا لَكُمْ، وَأَمَرْتُكُمْ أَنْ تَجْتَنِبُوهَا فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَجْتَنِبُوهَا وَحَرَّمْتُهَا فِيهَا عَلَيْكُمْ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ يَقُولُ: حُدُودُ اللهِ شُرُوطُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ حَدَّ كُلِّ شَيْءٍ مَا حَصَرَهُ مِنَ الْمَعَانِي وَمَيَّزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ مِنْ ذَلِكَ، يَعْنِي بِهِ الْمَحَارِمَ الَّتِي مَيَّزَهَا مِنَ الْحَلَالِ الْمُطْلَقِ فَحَدَّدَهَا بِنُعُوتِهَا وَصِفَاتِهَا وَعَرَّفَهَا عِبَادَهُ..

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾ وَابْعُدُوا مِنْهَا أَنْ تَرْكَبُوهَا، فَتَسْتَحِقُّوا بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ تَعَدَّىٰ حُدُودِي وَخَالَفَ أَمْرِي وَرَكِبَ مَعَاصِيَّ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَاجِبَ فَرَائِضِي عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّوْمِ، وَعَرَّفْتُكُمْ حُدُودَهُ، وَأَوْقَاتَهُ، وَمَا عَلَيْكُمْ مِنْهُ فِي الْحَضَرِ، وَمَا لَكُمْ فِيهِ فِي السَّفَرِ وَالْمَرَضِ، وَمَا اللَّازِمُ لَكُمْ تَجَنُّبُهُ فِي حَالِ اعْتِكَافِكُمْ فِي مَسَاجِدِكُمْ، فَأَوْضَحْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ لَكُمْ، فَكَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ أُبَيِّنُ أَحْكَامِي، وَحَلَالِي، وَحَرَامِي، وَحُدُودِي، وَأَمْرِي، وَنَهْيِي فِي كِتَابِي، وَتَنْزِيلِي، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِي ﷺ لِلنَّاسِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧] أُبَيِّنُ ذَلِكَ لَهُمْ لِيَتَّقُوا مَحَارِمِي وَمَعَاصِيَّ، وَيَتَجَنَّبُوا سَخَطِي وَغَضَبِي بِتَرْكِهِمْ رُكُوبَ مَا أُبَيِّنُ لَهُمْ فِي آيَاتِي أَنِّي قَدْ حَرَّمْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرْتُهُمْ بِهَجْرِهِ وَتَرْكِهِ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨].

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وَلَا يَأْكُلْ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ، فَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ أَكْلَ مَالِ أَخِيهِ بِالْبَاطِلِ كَالْآكِلِ مَالَ نَفْسِهِ بِالْبَاطِلِ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، بِمَعْنَىٰ: لَا يَلْمِزُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةً، فَقَاتِلُ أَخِيهِ كَقَاتِلِ نَفْسِهِ، وَلَامِزُهُ كَلَامِزِ نَفْسِهِ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَلَا يَأْكُلْ بَعْضُكُمْ أَمْوَالَ بَعْضٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، وَأَكْلُهُ بِالْبَاطِلِ أَكْلُهُ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَبَاحَهُ اللهُ لِآكِلِيهِ..

﴿وَتُدْلُواْ﴾ وَتُخَاصِمُوا.. وَأَصْلُ الْإِدْلَاءِ: إِرْسَالُ الرَّجُلِ الدَّلْوَ فِي سَبَبٍ مُتَعَلِّقًا بِهِ فِي الْبِئْرِ، فَقِيلَ لِلْمُحْتَجِّ لِدَعْوَاهُ: أَدْلَىٰ بِحُجَّةِ كَيْتَ وَكَيْتَ؛ إِذْ كَانَ حُجَّتُهُ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا سَبَبًا لَهُ هُوَ بِهِ مُتَعَلِّقٌ فِي خُصُومَتِهِ، كَتَعَلُّقِ الْمُسْتَقِي مِنْ بِئْرٍ بِدَلْوٍ قَدْ أَرْسَلَهَا فِيهَا بِسَبَبِهَا الَّذِي الدَّلْوُ بِهِ مُتَعَلِّقَةٌ..

﴿بِهَآ﴾ بِأَمْوَالِكُمْ..

﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ كَالرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ بَيِّنَةٌ، فَيَجْحَدُ الْمَالَ، فَيُخَاصِمُهُمْ إِلَىٰ الْحُكَّامِ وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ آثِمٌ آكِلٌ حَرَامًا..

﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾ طَائِفَةً..

﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ بِالْحَرَامِ الَّذِي قَدْ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨] وَأَنْتُمْ تَتَعَمَّدُونَ أَكْلَ ذَلِكَ بِالْإِثْمِ عَلَىٰ قَصْدٍ مِنْكُمْ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ، وَمَعْرِفَةٌ بِأَنَّ فِعْلَكُمْ ذَلِكَ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ وَإِثْمٌ.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: ١٨٩].

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ وَمِحَاقِهَا، وَسِرَارِهَا، وَتَمَامِهَا، وَاسْتِوَائِهَا، وَتَغَيُّرِ أَحْوَالِهَا بِزِيَادَةٍ، وَنُقْصَانٍ، وَمِحَاقٍ، وَاسْتِسْرَارٍ، وَمَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي خَالَفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ دَائِمَةٌ أَبَدًا عَلَىٰ حَالٍ وَاحِدَةٍ لَا تَتَغَيَّرُ بِزِيَادَةٍ، وَلَا نُقْصَانٍ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ لَكُمْ وَلِغَيْرِكُم مِنْ بَنِي آدَمَ، فِي مَعَايِشِهِمْ، تَرْقُبُونَ بِزِيَادَتِهَا، وَنُقْصَانِهَا، وَمِحَاقِهَا، وَاسْتِسْرَارِهَا، وَإِهْلَالِكُمْ إِيَّاهَا أَوْقَاتَ حَلِّ دُيُونِكُمْ، وَانْقِضَاءَ مُدَّةِ إِجَارَةِ مَنِ اسْتَأْجَرْتُمُوهُ، وَتَصَرُّمَ عِدَّةِ نِسَائِكُمْ، وَوَقْتَ صَوْمِكُمْ، وَإِفْطَارِكُمْ، فَجَعَلَهَا مَوَاقِيتَ لِلنَّاسِ..

﴿وَٱلْحَجِّ﴾ وَجَعَلَهَا أَيْضًا مِيقَاتًا لِحَجِّكُمْ تَعْرِفُونَ بِهَا وَقْتَ مَنَاسِكِكُمْ، وَحَجِّكُمْ..

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ﴾ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ..

﴿مِن ظُهُورِهَا﴾ كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا أَهَلُّوا بِالْعُمْرَةِ لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ شَيْءٌ؛ يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ مُهِلًّا بِالْعُمْرَةِ فَتَبْدُو لَهُ الْحَاجَةُ بَعْدَ مَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ فَيَرْجِعُ وَلَا يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْحُجْرَةِ مِنْ أَجْلِ سَقْفِ الْبَابِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ، فَيَفْتَحُ الْجِدَارَ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ يَقُومُ فِي حُجْرَتِهِ فَيَأْمُرُ بِحَاجَتِهِ فَتَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْتِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اللهَ فَخَافَهُ، وَتَجَنَّبَ مَحَارِمَهُ، وَأَطَاعَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ الَّتِي أَمَرَهُ بِهَا، فَأَمَّا إِتْيَانُ الْبُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا فَلَا بِرَّ لِلَّهِ فِيهِ..

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ فَأْتُوهَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَبْوَابِهَا وَغَيْرِ أَبْوَابِهَا، مَا لَمْ تَعْتَقِدُوا تَحْرِيمَ إِتْيَانِهَا مِنْ أَبْوَابِهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ لَكُمُ اعْتِقَادُهُ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَمْ أُحَرِّمْهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فَاحْذَرُوهُ، وَارْهَبُوهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾ [البقرة: ١٨٩] لِتُفْلِحُوا فَتَنْجَحُوا فِي طَلِبَاتِكُمْ لَدَيْهِ وَتُدْرِكُوا بِهِ الْبَقَاءَ فِي جَنَّاتِهِ، وَالْخُلُودَ فِي نَعِيمِهِ.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠].

﴿وَقَاتِلُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي طَاعَتِي، وَعَلَىٰ مَا شَرَعْتُ لَكُمْ مِنْ دِينِي، وَادْعُوا إِلَيْهِ -مَنْ وَلَّىٰ عَنْهُ، وَاسْتَكْبَرَ- بِالْأَيْدِي، وَالْأَلْسُنِ، حَتَّىٰ يُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِي، أَوْ يُعْطُوكُمُ الْجِزْيَةَ صِغَارًا إِنْ كَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ..

﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ مِنْ مُقَاتَلَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ دُونَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ قِتَالٌ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ أَمْوَالٌ وَخَوَلٌ لَكُمْ إِذَا غُلِبَ الْمُقَاتِلُونَ مِنْهُمْ فَقُهِرُوْا، لَا أَنَّهُ أَبَاحَ الْكَفَّ عَمَّنْ كَفَّ فَلَمْ يُقَاتِلْ مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ الْأَوْثَانِ، أَوَ الْكَافِّينَ عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَىٰ غَيْرِ إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ صِغَارًا..

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ لَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا مَنْ أَعْطَاكُمُ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَالْمَجُوسِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠] الَّذِينَ يُجَاوِزُونَ حُدُودَهُ، فَيَسْتَحِلُّونَ مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَرَّمَ قَتْلَهُمْ مِنْ نِسَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَذَرَارِيِّهِمْ.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝١٩١﴾ [البقرة: ١٩١].

﴿وَاقْتُلُوهُمْ﴾ وَاقْتُلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ حَيْثُ أَصَبْتُمْ مُقَاتِلَهُمْ وَأَمْكَنَكُمْ قَتْلُهُمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَأَبْصَرْتُمْ مُقَاتِلَهُمْ..

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ﴾ مِنْ دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ..

﴿مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ مِنْ دِيَارِكُمْ ومَسَاكِنِكُمْ.. فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ بِمَكَّةَ..

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ وَالشِّرْكُ بِاللهِ.. وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ أَصْلَ الْفِتْنَةِ الِابْتِلَاءُ، وَالِاخْتِبَارُ، فَتَأْوِيلُ

الْكَلَامِ: وَابْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِ فِي دِينِهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَنْهُ فَيَصِيرُ مُشْرِكًا بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِهِ..

﴿أَشَدُّ﴾ عَلَيْهِ وَأَضَرُّ..

﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ مُقِيمًا عَلَىٰ دِينِهِ مُتَمَسِّكًا عَلَيْهِ مُحِقًّا فِيهِ..

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾ وَلَا تَبْتَدِئُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ بِالْقِتَالِ..

﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ حَتَّىٰ يَبْدَءُوكُمْ بِهِ..

﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ فَإِنْ بَدَءُوكُمْ بِهِ هُنَالِكَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْحَرَمِ..

﴿فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [البقرة: ١٩١] فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ ثَوَابَ الْكَافِرِينَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةَ الْقَتْلَ فِي الدُّنْيَا، وَالْخِزْيَ الطَّوِيلَ فِي الْآخِرَةِ.. وَقَدْ نَسَخَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣] وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فِي حَالٍ إِذَا قَاتَلَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِالِاسْتِسْلَامِ لَهُمْ حَتَّىٰ يَقْتُلُوا مِنْهُمْ قَتِيلًا بَعْدَ مَا أُذِنَ لَهُ وَلَهُمْ بِقِتَالِهِمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ قَدْ كَانَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَذِنَ لَهُمْ بِقِتَالِهِمْ إِذَا كَانَ ابْتِدَاءُ الْقِتَالِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوا مِنْهُمْ قَتِيلًا، وَبَعْدَ أَنْ يَقْتُلُوا مِنْهُمْ قَتِيلًا.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ [البقرة: ١٩٢].

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ فَإِنِ انْتَهَىٰ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ، فَتَرَكُوا ذَلِكَ وَتَابُوا.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَتَابَ مِنْ شِرْكِهِ، وَأَنَابَ إِلَىٰ اللهِ مِنْ مَعَاصِيهِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُ وَأَيَّامِهِ الَّتِي مَضَتْ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ [البقرة: ١٩٢] بِهِ فِي آخِرَتِهِ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِ، وَإِعْطَائِهِ مَا يُعْطِي أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنَ الثَّوَابِ بِإِنَابَتِهِ إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾
[البقرة: ١٩٣].

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ..

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ شِرْكٌ بِاللهِ، وَحَتَّىٰ لَا يُعْبَدُ دُونَهُ أَحَدٌ، وَتَضْمَحِلَّ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَكُونَ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ وهُوَ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ..

﴿لِلَّهِ﴾ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.. فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ، وَذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَلَيْهِ قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِلَيْهِ دَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَٰلِكَ فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»..

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ فَإِنِ انْتَهَىٰ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ قِتَالِكُمْ، وَدَخَلُوا فِي مِلَّتِكُمْ، وَأَقَرُّوا بِمَا أَلْزَمَكُمُ اللهُ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَتَرَكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عُبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَدَعُوا الِاعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ، وَقِتَالَهُمْ، وَجِهَادَهُمْ..

﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣] فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَدَىٰ إِلَّا عَلَىٰ الظَّالِمِينَ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، وَالَّذِينَ تَرَكُوا عِبَادَتَهُ وعَبَدُوا غَيْرَ خَالِقِهِمْ.

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤].

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ الَّذِي أَوْصَلَكُمُ اللهُ فِيهِ إِلَىٰ حَرَمِهِ وبَيْتِهِ عَلَىٰ كَرَاهَةِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ ذَلِكَ، حَتَّىٰ قَضَيْتُمْ مِنْهُ وَطَرَكُمْ، وَهُوَ شَهْرُ ذُو الْقَعْدَةِ، وَهُوَ الشَّهْرُ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اعْتَمَرَ فِيهِ عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَصَدَّهُ مُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ عَنِ الْبَيْتِ وَدُخُولِ مَكَّةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ سَنَةَ سِتٍّ مِنْ هِجْرَتِهِ، وَصَالَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُشْرِكِينَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، عَلَىٰ أَنْ يَعُودَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَيَدْخُلُ مَكَّةَ وَيُقِيمُ ثَلَاثًا، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، وَذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ مِنْ هِجْرَتِهِ خَرَجَ مُعْتَمِرًا وَأَصْحَابُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَهُوَ الشَّهْرُ الَّذِي كَانَ الْمُشْرِكُونَ صَدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ فِيهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ، وَأَخْلَىٰ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ الْبَلَدِ، حَتَّىٰ دَخَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ مِنْهَا، وَأَتَمَّ عُمْرَتَهُ، وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا مُنْصَرِفًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.. وَإِنَّمَا سَمَّىٰ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- ذَا الْقَعْدَةَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تُحَرِّمُ فِيهِ الْقِتَالَ وَالْقَتْلَ وَتَضَعُ فِيهِ السِّلَاحَ، وَلَا يَقْتُلُ فِيهِ أَحَدٌ أَحَدًا، وَلَوْ لَقِيَ الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوِ ابْنِهِ، وَإِنَّمَا كَانُوا سَمُّوهُ ذَا الْقَعْدَةِ لِقُعُودِهِمْ فِيهِ عَنِ الْمَغَازِي وَالْحُرُوبِ، فَسَمَّاهُ اللهُ بِالِاسْمِ الَّذِي كَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ بِهِ..

﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الَّذِي صَدَّكُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ الْعَامَ الْمَاضِي قَبْلَهُ فِيهِ، حَتَّىٰ انْصَرَفْتُمْ عَنْ كُرْهٍ مِنْكُمْ عَنِ الْحَرَمِ، فَلَمْ تَدْخُلُوهُ وَلَمْ تَصِلُوا إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ، فَأَقْصَدَكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

بِإِدْخَالِكُمُ الْحَرَمَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْهُمْ لِذَلِكَ، بِمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْكُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ مِنَ الصَّدِّ وَالْمَنْعِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ الْبَيْتِ.. قَالَ عبدُ الرَّحمنِ بْنُ زَيْدٍ: هَذَا كُلُّهُ قَدْ نُسِخَ، أَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَرَأَ: ﴿قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ [التوبة: ٣٦]، وَقَرَأَ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] الْعَرَبِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُمْ قَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢٩] حَتَّىٰ بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]، قَالَ: وَهُمُ الرُّومُ، قَالَ: فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ﴾ جَمْعُ حُرْمَةٍ كَالظُّلُمَاتِ جَمْعُ ظُلْمَةٍ، وَالْحُجُرَاتُ جَمْعُ حُجْرَةٍ.. فَأَرَادَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْبَلَدَ الْحَرَامَ وَحُرْمَةَ الْإِحْرَامِ، فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: دُخُولُكُمُ الْحَرَمَ بِإِحْرَامِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا الْحَرَامِ..

﴿قِصَاصٞ﴾ مِمَّا مُنِعْتُمْ مِنْ مِثْلِهِ عَامَكُمُ الْمَاضِي، وَذَلِكَ هُوَ الْحُرُمَاتُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ قِصَاصًا..

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ فِي الْحَرَمِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَاتَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ فَقَاتِلُوهُمْ كَمَا قَاتَلُوكُمْ؛ لِأَنِّي قَدْ جَعَلْتُ الْحُرُمَاتِ قِصَاصًا، فَمَنِ اسْتَحَلَّ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ حُرْمَةً فِي حَرَمِي، فَاسْتَحِلُّوا مِنْهُ مِثْلَهُ فِيهِ، نَظِيرَ قَوْلِهِ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٠].. وَهَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِإِذْنِ اللهِ لِنَبِيِّهِ بِقِتَالِ أَهْلِ الْحَرَمِ ابْتِدَاءً فِي الْحَرَمِ وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ٣٦]..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي حُرُمَاتِهِ، وَحُدُودِهِ أَنْ تَعْتَدُوا فِيهَا فَتَتَجَاوَزُوا فِيهَا مَا بَيَّنَهُ وَحَدَّهُ لَكُمْ..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤] الَّذِينَ يَتَّقُونَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَتَجَنُّبِ مَحَارِمِهِ.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَأَنْفِقُوا فِي إِعْزَازِ دِينِي الَّذِي شَرَعْتُهُ لَكُمْ بِجِهَادِ عَدُوِّكُمُ النَّاصِبِينَ لَكُمُ الْحَرْبَ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِي..

﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ وَلَا تَسْتَسْلِمُوا لِلْهَلَكَةِ فَتُعْطُوهَا أَزِمَّتَكُمْ فَتَهْلِكُوا.. وَالتَّارِكُ النَّفَقَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ وُجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ مُسْتَسْلِمٌ لِلْهَلَكَةِ بِتَرْكِهِ أَدَاءَ فَرْضِ اللهِ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- جَعَلَ أَحَدَ سِهَامِ الصَّدَقَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ الثَّمَانِيَةِ فِي سَبِيلِهِ، فَقَالَ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ

﴿لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠]، فَمَنْ تَرَكَ إِنْفَاقَ مَا لَزِمَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىٰ مَا لَزِمَهُ كَانَ لِلْهَلَكَةِ مُسْتَسْلِمًا، وَبِيَدَيْهِ لِلتَّهْلُكَةِ مُلْقِيًا، وَكَذَلِكَ الْآيِسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ لِذَنْبٍ سَلَفَ مِنْهُ مُلْقٍ بِيَدَيْهِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ نَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]، وَكَذَلِكَ التَّارِكُ غَزْوَ الْمُشْرِكِينَ وَجِهَادَهُمْ فِي حَالِ وُجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَفِي حَالِ حَاجَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ، مُضَيِّعٌ فَرْضًا، مُلْقٍ بِيَدِهِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ.. فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا يَحْتَمِلُهَا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ وَلَمْ يَكُنِ اللهُ ﷻ خَصَّ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ نَهَىٰ عَنِ الْإِلْقَاءِ بِأَيْدِينَا لِمَا فِيهِ هَلَاكُنَا، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْهَلَكَةِ -وَهِيَ الْعَذَابُ- بِتَرْكِ مَا لَزِمَنَا مِنْ فَرَائِضِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ مِنَّا الدُّخُولُ فِي شَيْءٍ يَكْرَهُهُ اللهُ مِنَّا مِمَّا نَسْتَوْجِبُ بِدُخُولِنَا فِيهِ عَذَابَهُ، غَيْرَ أَنَّ الْأَمْرَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ تَأْوِيلِ الْآيَةِ: وَأَنْفِقُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا تَتْرُكُوا النَّفَقَةَ فِيهَا فَتَهْلِكُوا بِاسْتِحْقَاقِكُمْ بِتَرْكِكُمْ ذَلِكَ عَذَابِي، فَيَكُونُ ذَلِكَ إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ -بَعْدَ أَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِالنَّفَقَةِ- مَا لِمَنْ تَرَكَ النَّفَقَةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي الْمَعَادِ..

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَدَاءِ مَا أَلْزَمْتُكُمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَتَجَنُّبِ مَا أَمَرْتُكُمْ بِتَجَنُّبِهِ مِنْ مَعَاصِيَّ، وَفِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِي، وَعَوْدِ الْقَوِيِّ مِنْكُمْ عَلَىٰ الضَّعِيفِ ذِي الْخَلَّةِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥] فِي ذَلِكَ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَحْسِنُوا بِالْعَوْدِ عَلَىٰ الْمُحْتَاجِ لَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٩٦﴾

[البقرة: ١٩٦].

﴿وَأَتِمُّواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أَتِمُّوا الْحَجَّ بِمَنَاسِكِهِ، وَسُنَنِهِ، وَأَتِمُّوا الْعُمْرَةَ بِحُدُودِهَا، وَسُنَنِهَا.. فَمَنْ أَحْرَمَ بِحَجٍّ، أَوْ بِعُمْرَةٍ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحِلَّ حَتَّىٰ يُتِمَّهَا، تَمَامُ الْحَجِّ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا رَمَىٰ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ،

وَزَارَ الْبَيْتَ، فَقَدْ حَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ كُلِّهِ، وَتَمَامُ الْعُمْرَةِ إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّفَا، وَالْمَرْوَةِ، فَقَدْ حَلَّ.. والْآيَةُ مُحْتَمِلَةٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا مِنَ اللهِ ﷻ بِإِقَامَتِهِمَا بِتَمَامِهِمَا ابْتِدَاءً، وَإِيجَابًا مِنْهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ فَرْضَهُمَا، وَأَنْ يَكُونَ أَمْرًا مِنْهُ بِإِتَمَامِهِمَا بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِمَا وَبَعْدَ إِيجَابِ مُوجِبِهِمَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا حُجَّةَ فِيهَا لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ الْآخَرِ، إِلَّا وَلِلْآخَرِ عَلَيْهِ فِيهَا مِثْلُهَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ بِإِيجَابِ فَرْضِ الْعُمْرَةِ خَبَرٌ عَنِ الْحُجَّةِ لِلْعُذْرِ قَاطِعًا، وَكَانَتِ الْأُمَّةُ فِي وُجُوبِهَا مُتَنَازِعَةً، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِ قَائِلٍ هِيَ فَرْضٌ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ دَالٍ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِهِ مَعْنًى؛ إِذْ كَانَتِ الْفُرُوضُ لَا تَلْزَمُ الْعِبَادَ الَّا بِدَلَالَةٍ عَلَىٰ لُزُومِهَا إِيَّاهُمْ وَاضِحَةً.. وَإِنَّ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي الْعُمْرَةِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هِيَ تَطَوُّعٌ لَا فَرْضٌ.. وَإِنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: وَأَتِمُّوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْحَجَّ، وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ بَعْدَ دُخُولِكُمْ فِيهِمَا، وَإِيجَابِكُمُوهِمَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ عَلَىٰ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ مِنْ حُدُودِهِمَا.. وَإِنَّمَا أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي عَمْرَةِ الْحُدَيْبِيَةِ الَّتِي صُدَّ فِيهَا عَنِ الْبَيْتِ، مُعَرِّفَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مَا عَلَيْهِمْ فِي إِحْرَامِهِمْ إِنْ خُلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، وَمُبَيِّنًا لَهُمْ فِيهَا مَا الْمَخْرَجُ لَهُمْ مِنْ إِحْرَامِهِمْ إِنْ أُحْصِروا فَصُدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، وَبِذِكْرِ اللَّازِمِ لَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي عُمْرَتِهِمُ الَّتِي اعْتَمَرُوهَا عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَا يَلْزَمُهُمْ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي عُمَرِهِمْ وَحَجِّهِمْ..

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ فَإِنْ حَبَسَكُمْ أَيُّ مَانِعٍ أَوْ حَابِسٍ مَنَعَ الْمُحْرِمَ وَحَبَسَهُ عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِ فِي إِحْرَامِهِ وَوُصُولِهِ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وعَنْ إِتْمَام ذَلِكَ مِنْ مَرَضٍ أَوْ كَسْرٍ أَوْ خَوْفِ عَدُوٍّ..

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فَعَلَيْكُمْ لِإِحْلَالِكُمْ إِنْ أَرَدْتُمُ الْإِحْلَالَ مِنْ إِحْرَامِكُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَهُوَ شَاةٌ.. وَالْهَدْيُ جَمْعٌ وَاحِدُهَا هَدِيَّةٌ.. وَالْهَدْيُّ عِنْدِي إِنَّمَا سُمِّيَ هَدْيًا لِأَنَّهُ تَقَرَّبَ بِهِ إِلَىٰ اللهِ -جَلَّ وَعَزَّ- مُهْدِيهِ، بِمَنْزِلَةِ الْهَدِيَّةِ يُهْدِيهَا الرَّجُلُ إِلَىٰ غَيْرِهِ مُتَقَرِّبًا بِهَا إِلَيْهِ..

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ وَلَا تُحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ إِذَا أُحْصِرْتُمْ.. وَذَلِكَ أَنَّ حَلْقَ الرَّأْسِ إِحْلَالٌ مِنَ الْإِحْرَام الَّذِي كَانَ الْمُحْرِمُ قَدِ أَوْجَبَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَنَهَاهُ اللهُ عَنِ الْإِحْلَالِ مِنْ إِحْرَامِهِ بِحِلَاقِهِ..

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ الَّذِي أَوْجَبْتُهُ عَلَيْكُمْ لِإِحْلَالِكُمْ مِنْ إِحْرَامِكُمُ الَّذِي أُحْصِرْتُمْ فِيهِ قَبْلَ تَمَامِهِ، وَانْقِضَاءِ مَشَاعِرِهِ، وَمَنَاسِكِهِ..

﴿مَحِلَّهُ﴾ مَحِلَّ هَدْيِهِ الْمَوْضِعَ الَّذِي أُحْصِرَ فِيهِ، وَأَلْزَمَهُ قَضَاءُ مَا حَلَّ مِنْهُ مِنْ إِحْرَامِهِ قَبْلَ إِتَمَامِهِ إِذَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَذَلِكَ لِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ صُدَّ وَأَصْحَابُهُ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ عَنِ الْبَيْتِ وَهُوَ مُحْرِمٌ بِعُمْرَةٍ، فَنَحَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ -بِأَمْرِهِ- الْهَدْيَ، وَحَلُّوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ قَبْلَ وُصُولِهِمْ

إِلَىٰ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَضَوْا إِحْرَامَهُمُ الَّذِي حَلُّوا مِنْهُ فِي الْعَامِ الَّذِي بَعْدَهُ؛ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَا يَتَدَافَعُ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّهَا يَوْمَئِذٍ نَزَلَتْ، وَفِي حُكْمِ صَدِّ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُ عَنِ الْبَيْتِ أُوحِيَتْ..

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، إِلَا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَىٰ حَلْقِهِ مِنْكُمْ مُضْطَرٌّ، إِمَّا لِمَرَضٍ، وَإِمَّا لِأَذًىٰ بِرَأْسِهِ مِنْ هَوَامٍّ أَوْ غَيْرِهَا، فَيَحْلِقُ هُنَالِكَ لِلضَّرُورَةِ النَّازِلَةِ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغِ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، فَيَلْزَمُهُ بِحِلَاقِهِ رَأْسَه وَهُوَ كَذَلِكَ، فِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ نُسُكٍ.. فَأَمَّا الْمَرَضُ الَّذِي أُبِيحَ مَعَهُ الْعِلَاجُ بِالطِّيبِ، وَحَلْقِ الرَّأْسِ، فَكُلُّ مَرَضٍ كَانَ صَلَاحُهُ بِحَلْقِهِ، كَالْبِرْسَامِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ صَلَاحِ صَاحِبِهِ حَلْقُ رَأْسِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَالْجِرَاحَاتِ الَّتِي تَكُونُ بِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّتِي يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَىٰ الْعِلَاجِ بِالدَّوَاءِ الَّذِي فِيهِ الطِّيبُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرُوحِ وَالْعِلَلِ الْعَارِضَةِ لِلْأَبْدَانِ.. وَأَمَّا الْأَذَىٰ الَّذِي يَكُونُ إِذَا كَانَ بِرَأْسِ الْإِنْسَانِ خَاصَّةً لَهُ حَلْقُهُ، فَنَحْوَ الصُّدَاعِ وَالشَّقِيقَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَأَنْ يَكْثُرَ صِئْبَانُ الرَّأْسِ، وَكُلُّ مَا كَانَ لِلرَّأْسِ مُؤْذِيًا مِمَّا فِي حَلْقِهِ صَلَاحُهُ، وَدَفْعُ الْمَضَرَّةِ الْحَالَّةِ بِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لَهُ بِعُمُومِ قَوْلِ اللهِ - جَلَّ وَعَزَّ- ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾.. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِسَبَبِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، إِذْ شَكَا كَثْرَةَ أَذًىٰ بِرَأْسِهِ مِنْ صِئْبَانِهِ، وَذَلِكَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: حَجَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَمِلَ رَأْسِي وَلِحْيَتِي وَشَارِبِي وَحَاجِبِيَّ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَقَالَ: «**مَا كُنْتُ أَرَىٰ هَذَا أَصَابَكَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُوا لِي حَلَّاقًا**» فَدَعَوْهُ، فَحَلَقَنِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَعِنْدَكَ شَيْءٌ تَنْسُكُهُ عَنْكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوِ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ كُلَّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ**»، قَالَ كَعْبٌ: (**فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيَّ خَاصَّةً** ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، **ثُمَّ كَانَتْ لِلنَّاسِ عَامَّةً**).. وَهَذَا الْخَبَرُ يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ أَنَّ الْفِدْيَةَ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَىٰ الْحَالِقِ بَعْدَ الْحَلْقِ، وَفَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: يَفْتَدِي، ثُمَّ يَحْلِقُ؛ لِأَنَّ كَعْبًا يُخْبِرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِالْفِدْيَةِ بَعْدَ مَا أَمَرَهُ بِالْحَلْقِ فَحَلَقَ.. وَقَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ مَعْنَىٰ الْفِدْيَةِ، وَأَنَّهَا بِمَعْنَىٰ الْجَزَاءِ، وَالْبَدَلِ.. وَمَبْلَغُ الصِّيَامِ وَالطَّعَامِ اللَّذَيْنِ أَوْجَبَهُمَا اللهُ عَلَىٰ مَنْ حَلَقَ شَعْرَهُ مِنَ الْمُحْرِمِينَ فِي حَالِ مَرَضِهِ، أَوْ مِنْ أَذًىٰ بِرَأْسِهِ، مَا ثَبَتَ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَظَاهَرَتْ بِهِ عَنْهُ الرِّوَايَةُ، أَنَّهُ أَمَرَ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ بِحَلْقِ رَأْسِهِ مِنَ الْأَذَىٰ الَّذِي كَانَ بِرَأْسِهِ، وَيَفْتَدِيَ إِنْ شَاءَ بِنُسُكِ شَاةٍ، أَوْ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ إِطْعَامِ فَرَقٍ مِنْ طَعَامٍ بَيْنَ سِتَّةِ مَسَاكِينَ، كُلُّ مِسْكِينٍ نِصْفُ

صَاعٍ.. وَلِلْمُفْتَدِي الْخِيَارُ بَيْنَ أَيِّ ذَلِكَ شَاءَ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَحْصُرْهُ عَلَىٰ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِعَيْنِهَا، فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْدُوهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا، بَلْ جَعَلَ إِلَيْهِ فِعْلَ أَيِّ الثَّلَاثِ شَاءَ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ إِجْمَاعٌ مِنَ الْحُجَّةِ، وفِي ذَلِكَ مُسْتَغْنًىٰ عَنِ الِاسْتِشْهَادِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ بِغَيْرِهِ.. وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الصِّيَامَ مُجْزِئٌ عَنِ الحَالِقِ رَأْسَهُ مِنْ أَذًىٰ حَيْثُ صَامَ مِنَ الْبِلَادِ.. وَاخْتَلَفُوا فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ بِنُسُكِ الْفِدْيَةِ مِنَ الْحَلْقِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، أَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَىٰ حَالِقِ رَأْسِهِ مِنْ أَذًىٰ مِنَ الْمُحْرِمِينَ فِدْيَةً مِنْ صِيَامٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ نُسُكٍ، وَلَمْ يَشْتَرِطْ أَنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ بِمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، بَلْ أَبْهَمَ ذَلِكَ وَأَطْلَقَهُ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ نَسَكَ، أَوْ أَطْعَمَ، أَوْ صَامَ فَيَجْزِي عَنِ الْمُفْتَدِي.. وَلَيْسَ لِلْمُفْتَدِي أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِهِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لَهُ أَكْلُ مَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ، كَمَا لَوْ لَزِمَتْهُ زَكَاةٌ فِي مَالِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، بَلْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهَا أَهْلَهَا الَّذِينَ جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ.. وَمَعْنَىٰ النُّسُكِ: الذَّبْحُ لِلَّهِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، يُقَالُ: نَسَكَ فُلَانٌ لِلَّهِ نَسِيكَةً، بِمَعْنَىٰ: ذَبَحَ لِلَّهِ ذَبِيحَةً..

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ مِنْ خَوْفِكُمْ؛ لِأَنَّ الْأَمْنَ هُوَ خِلَافُ الْخَوْفِ، لَا خِلَافُ الْمَرَضِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَرَضًا مَخُوفًا مِنْهُ الْهَلَاكُ، فَيُقَالُ: فَإِذَا أَمِنْتُمُ الْهَلَاكَ مِنْ خَوْفِ الْمَرَضِ وَشِدَّتِهِ، وَذَلِكَ مَعْنًىٰ بَعِيدٌ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ مَعْنَاهُ الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْعَدُوِّ خَائِفُونَ، فَعَرَّفَهُمُ اللهُ بِهَا مَا عَلَيْهِمْ إِذَا أَحْصَرَهُمْ خَوْفُ عَدُوِّهِمْ عَنِ الْحَجِّ، وَمَا الَّذِي عَلَيْهِمْ إِذَا هُمْ أَمِنُوا مِنْ ذَلِكَ، فَزَالَ عَنْهُمْ خَوْفُهُمْ..

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي حَجِّكُمْ خَوْفًا مِنَ الْعَدُوِّ -وَأَنْتُمْ مُحْرِمُوْنَ بِالحَجِّ- أَوْ مَرَضٍ، أَوْ عَائِقٍ مِنَ الْعِلَلِ حَتَّىٰ يَفُوتَكُم الْحَجُّ، فَتَقْدُمُوْنَ مَكَّةَ، فَتَخرُجُوْنَ مِنْ إِحْرَامِكُم بِعَمَلِ عُمْرَةٍ، ثُمَّ تَحِلُّوْنَ فَتَسْتَمْتِعُوْنَ بِالإِحْلَالِ مِنْ إِحْرَامِ ذَلِكَ إِلَىٰ السَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، ثُمَّ تَحُجُّوْنَ، وَتَهْدُوْنَ، فتكُوْنُوْن بِالْإِحْلَالِ مِنْ لَدُنْ الإِحْلَالِ مِن الإِحْرَامِ الْأَوَّلِ إِلَىٰ الإِحْرَام الثَّانِي مِنَ الْقَابِلِ..

﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ﴾ فَهَدْيُهُ جَزَاءٌ لِاسْتِمْتَاعِهِ بِإِحْلَالِهِ مِنْ إِحْرَامِهِ الَّذِي حَلَّ مِنْهُ حِينَ عَادَ لِقَضَاءِ حَجَّتِهِ الَّتِي أُحْصِرَ فِيهَا وَعُمْرَتِهِ الَّتِي كَانَتْ لَزِمَتْهُ بِفَوْتِ حَجَّتِهِ..

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ هَدْيًا..

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي حَجِّهِ، مِنْ أَوَّلِ إِحْرَامِهِ بِالْحَجِّ بَعْدَ قَضَاءِ عُمْرَتِهِ وَاسْتِمْتَاعِهِ بِالْإِحْلَالِ إِلَىٰ انْقِضَاءِ آخِرِ عَمَلِ حَجِّهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامِ مِنًىٰ سِوَىٰ يَوْمِ النَّحْرِ،

فَإِنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ لَهُ صَوْمُهُ، ابْتَدَأَ صَوْمَهُنَّ قَبْلَهُ أَوْ تَرَكَ صَوْمَهُنَّ فَأَخَّرَهُ حَتَّىٰ انْقِضَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ..

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، فَعَلَيْهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي حَجِّهِ وَصِيَامِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَمِصْرِهِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: أَوَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ صَوْمُ السَّبْعَةِ الْأَيَّامِ بَعْدَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَصُومُهُنَّ فِي الْحَجِّ إِلَّا بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَىٰ مِصْرِهِ وأَهْلِهِ؟ قِيلَ: بَلْ قَدْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ صَوْمَ الْأَيَّامِ الْعَشَرَةِ بِعَدَمِ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ لِمُتْعَتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- رَأْفَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ رَخَّصَ لِمَنْ أَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، كَمَا رَخَّصَ لِلْمُسَافِرِ والْمَرِيضِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْإِفْطَارَ وَقَضَاءَ عِدَّةٍ مَا أَفْطَرَ مِنَ الْأَيَّامِ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.. وَلَوْ تَحَمَّلَ الْمُتَمَتِّعُ فَصَامَ الْأَيَّامَ السَّبْعَةَ فِي سَفَرِهِ قَبْلَ رُجُوعِهِ إِلَىٰ وَطَنِهِ، أَوْ صَامَهُنَّ بِمَكَّةَ، كَانَ مُؤَدِّيًا مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ الصَّوْمِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي سَفَرِهِ، أَوْ مَرَضِهِ، مُخْتَارًا لِلْعُسْرِ عَلَىٰ الْيُسْرِ، وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَتْ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ..

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ عَلَيْكُمْ، فَرَضْنَا إِكْمَالَهَا لِمُتْعَتِكُمْ بِالْعُمْرَةِ إِلَىٰ الْحَجِّ، فَأَخْرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ بِهَا..

﴿ذَلِكَ﴾ التَّمَتُّعُ بِالْعُمْرَةِ إِلَىٰ الْحَجِّ..

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إِنَّ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَنْ هُوَ حَوْلَهُ مِمَّنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَسَافَةِ مَا لَا تُقْصَرُ إِلَيْهِ الصَّلَوَاتُ؛ لِأَنَّ حَاضِرَ الشَّيْءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الشَّاهِدُ لَهُ بِنَفْسِهِ.. وَإِنَّمَا لَمْ تَكُنِ الْمُتْعَةُ لِمَنْ كَانَ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ التَّمَتُّعَ إِنَّمَا هُوَ الِاسْتِمْتَاعُ بِالْإِحْلَالِ مِنَ الْإِحْرَامِ بِالْعُمْرَةِ إِلَىٰ الْحَجِّ مُرْتَفِقًا فِي تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَىٰ الْمَنْزِلِ وَالْوَطَنِ بِالْمُقَامِ بِالْحَرَمِ حَتَّىٰ يُنْشِئَ مِنْهُ الْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ، وَكَانَ الْمُعْتَمِرُ مَتَىٰ قَضَىٰ عُمْرَتَهُ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ وَطَنِهِ، أَوْ شَخَصَ عَنِ الْحَرَمِ إِلَىٰ مَا تُقْصَرُ فِيهِ الصَّلَاةُ، ثُمَّ حَجَّ مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ، بَطَلَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَمْتِعًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَمْتِعْ بِالْمَرْفَقِ الَّذِي جُعِلَ لِلْمُسْتَمْتِعِ مِنْ تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَىٰ الْمِيقَاتِ، وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ الْوَطَنِ بِالْمُقَامِ فِي الْحَرَمِ، وَكَانَ الْمَكِّيُّ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَا يَرْتَفِقُ بِذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَتَىٰ قَضَىٰ عُمْرَتَهُ أَقَامَ فِي وَطَنِهِ بِالْحَرَمِ، فَهُوَ غَيْرُ مُرْتَفِقٍ بِشَيْءٍ مِمَّا يَرْتَفِقُ بِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَيَكُونُ مُتَمَتِّعًا بِالْإِحْلَالِ مِنْ عُمْرَتِهِ إِلَىٰ حَجِّهِ.. هذا بَعْدَ إِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ أَهْلَ الْحَرَمِ مَعْنِيُّونَ بِهِ، وَأَنَّهُ لَا مُتْعَةَ لَهُمْ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَحُدُودِهِ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَعْتَدُوا فِي ذَلِكَ وَتَتَجَاوَزُوا فِيمَا بَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَنَاسِكِكُمْ، فَتَسْتَحِلُّوا مَا حَرَّمَ فِيهَا عَلَيْكُمْ..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ وتَيَقَّنُوا..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة: ١٩٦] لِمَنْ عَاقَبَهُ عَلَىٰ مَا انْتَهَكَ مِنْ مَحَارِمِهِ وَرَكِبَ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ٱلۡحَجُّ﴾ وَقْتُ الْحَجِّ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ، وَهُوَ شَوَّالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ.. وإِنَّمَا قَصَدَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ إِلَىٰ تَعْرِيفِ خَلْقِهِ مِيقَاتَ حَجِّهِمْ، لَا الْخَبَرَ عَنْ وَقْتِ الْعُمْرَةِ، فَأَمَّا الْعُمْرَةُ، فَإِنَّ السَّنَةَ كُلَّهَا وَقْتٌ لَهَا.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ عَمَلُ الْحَجِّ يَنْقَضِي وَقْتُهُ بِانْقِضَاءِ الْعَاشِرِ مِنْ أَيَّامِ ذِي الْحِجَّةِ، عُلِمَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ إِنَّمَا هُوَ مِيقَاتُ الْحَجِّ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ وَهُوَ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ؟ قِيلَ: إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَمْتَنِعُ -خَاصَّةً فِي الْأَوْقَاتِ- مِنَ اسْتِعْمَالِ مِثْلِ ذَلِكَ، فَتَقُولُ لَهُ: كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وَإِنَّمَا يَتَعَجَّلُ فِي يَوْمٍ وَنِصْفٍ، وَقَدْ يَفْعَلُ الْفَاعِلُ مِنْهُمُ الْفِعْلَ فِي السَّاعَةِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ عَامًّا عَلَىٰ السَّنَةِ وَالشَّهْرِ، فَيَقُولُ: زُرْتُهُ الْعَامَ وَأَتَيْتُهُ الْيَوْمَ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ فِعْلَهُ أَخَذَ مِنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ إِلَىٰ آخِرِهِ، وَلَكِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ فَعَلَهُ إِذْ ذَاكَ وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ، فَكَذَلِكَ الْحَجُّ أَشْهُرٌ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْحَجُّ شَهْرَانِ وَبَعْضُ آخَرَ..

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ فَمَنْ أَوْجَبَ الْحَجَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأَلْزَمَهَا إِيَّاهُ فِيهِنَّ، يَعْنِي: فِي الْأَشْهُرِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي بَيَّنَهَا، وَإِيجَابُهُ إِيَّاهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ: الْعَزْمُ عَلَىٰ عَمَلِ جَمِيعِ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَىٰ الْحَاجِّ عَمَلُهُ وَتَرْكُ جَمِيعِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِتَرْكِهِ بالْإِحْرَامُ..

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ فَلَا يَرْفُثْ عِنْدَ النِّسَاءِ فَيُصَرِّحُ لَهُنَّ بِجِمَاعِهِنَّ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ: إِذَا حَلَلْنَا فَعَلْتُ بِكِ كَذَا وَكَذَا، لَا يُكَنِّي عَنْهُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الرَّفَثُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْجِمَاعُ نَفْسُهُ.. وَالرَّفَثُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: أَصْلُهُ الْإِفْحَاشُ فِي الْمِنْطَقِ، ثُمَّ تَسْتَعْمِلُهُ فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الْجِمَاعِ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ مُخْتَلِفِينَ فِي تَأْوِيلِهِ، وَفِي هَذَا النَّهْيِ مِنَ اللهِ

عَنْ بَعْضِ مَعَانِي الرَّفَثِ أَمْ عَنْ جَمِيعِ مَعَانِيهِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ جَمِيعِ مَعَانِيهِ؛ إِذْ لَمْ يَأْتِ خَبَرٌ بِخُصُوصِ الرَّفَثِ الَّذِي هُوَ بِالْمَنْطِقِ عِنْدَ النِّسَاءِ مِنْ سَائِرِ مَعَانِي الرَّفَثِ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ؛ إِذْ كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ نَقْلُ حُكْمِ ظَاهِرِ آيَةٍ إِلَىٰ تَأْوِيلٍ بَاطِنٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ ثَابِتَةٍ..

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ وَلَا يَفْسُقُ بِإِتْيَانِ مَا نَهَاهُ اللهُ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ بِحَجِّهِ، مِنْ قَتْلِ صَيْدٍ، وَأَخْذِ شَعْرٍ، وَقَلْمِ ظُفْرٍ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ.. وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- قَدْ حَرَّمَ مَعَاصِيَهُ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ، مُحْرِمًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْرِمٍ، وَكَذَٰلِكَ حَرَّمَ التَّنَابُزَ بِالْأَلْقَابِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ وَغَيْرِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]، وَحَرَّمَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِبَابَ أَخِيهِ فِي كُلِّ حَالٍ فَرَضَ الْحَجَّ، أَوْ لَمْ يَفْرِضْهُ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِيَ نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ الْعَبْدَ مِنَ الْفُسُوقِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ وَفَرْضِهِ الْحَجَّ هُوَ مَا لَمْ يَكُنْ فُسُوقًا فِي حَالِ إِحْلَالِهِ وَقَبْلَ إِحْرَامِهِ بِحُجَّةٍ؛ كَمَا أَنَّ الرَّفَثَ الَّذِي نَهَاهُ عَنْهُ فِي حَالِ فَرْضِهِ الْحَجَّ، هُوَ الَّذِي كَانَ لَهُ مُطْلَقًا قَبْلَ إِحْرَامِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَىٰ لِأَنْ يُقَالَ فِيمَا قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ: لَا يَفْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ مَا هُوَ حَرَامٌ عَلَيْهِ فِعْلُهُ فِي كُلِّ حَالٍ، لِأَنَّ خُصُوصَ حَالِ الْإِحْرَامِ بِهِ لَا وَجْهَ لَهُ وَقَدْ عَمَّ بِهِ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ مِنَ الْإِحْلَالِ وَالْإِحْرَامِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِيَ نُهِيَ عَنْهُ الْمُحْرِمُ مِنَ الْفُسُوقِ فَخُصَّ بِهِ حَالُ إِحْرَامِهِ، وَقِيلَ لَهُ: «**إِذَا فَرَضْتَ الْحَجَّ فَلَا تَفْعَلْهُ**» هُوَ الَّذِي كَانَ لَهُ مُطْلَقًا قَبْلَ حَالِ فَرْضِهِ الْحَجَّ، وَذَلِكَ هُوَ مَا وَصَفْنَا وَذَكَرْنَا أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- خَصَّ بِالنَّهْيِ عَنْهُ الْمُحْرِمَ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ مِمَّا نَهَاهُ عَنْهُ مِنَ الطِّيبِ وَاللِّبَاسِ وَالْحَلْقِ وَقَصِّ الْأَظْفَارِ وَقَتْلِ الصَّيْدِ، وَسَائِرِ مَا خَصَّ اللهُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ الْمُحْرِمَ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ..

﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ قَدْ بَطَلَ الْجِدَالُ فِي الْحَجِّ وَوَقْتِهِ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ وَوَقْتُهُ عَلَىٰ وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَمَنَاسِكَ مُتَّفِقَةٍ غَيْرِ مُخْتَلِفَةٍ، فَلَا تَنَازُعَ فِيهِ، وَلَا مِرَاءَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَخْبَرَ أَنَّ وَقْتَ الْحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ، ثُمَّ نَفَىٰ عَنْ وَقْتِهِ الِاخْتِلَافَ الَّذِي كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ فِي شِرْكِهَا تَخْتَلِفُ فِيهِ.. فَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ الْقَائِلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ أَنَّ تَأْوِيلَهُ: لَا تُمَارِ صَاحِبَكَ حَتَّىٰ تُغْضِبَهُ، إِلَّا أَحَدُ مَعْنَيَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ لَا تُمَارِهِ بِبَاطِلٍ حَتَّىٰ تُغْضِبَهُ، فَذَلِكَ مَا لَا وَجْهَ لَهُ، لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ نَهَىٰ عَنِ الْمِرَاءِ بِالْبَاطِلِ فِي كُلِّ حَالٍ مُحْرِمًا كَانَ الْمُمَارِي أَوْ مُحِلًّا، فَلَا وَجْهَ لِخُصُوصِ حَالِ الْإِحْرَامِ بِالنَّهْيِ عَنْهُ لِاسْتِوَاءِ حَالِ الْإِحْرَامِ وَالْإِحْلَالِ فِي نَهْيِ اللهِ عَنْهُ، أَوْ يَكُونَ أَرَادَ:

لَا تُمَارِهِ بِالْحَقِّ، وَذَلِكَ أَيْضًا مَا لَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّ الْمُحْرِمَ لَوْ رَأَىٰ رَجُلًا يَرُومُ فَاحِشَةً كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ مِرَاءَهُ فِي دَفْعِهِ عَنْهَا، أَوْ رَآهُ يُحَاوِلُ ظُلْمَهُ وَالذَّهَابَ مِنْهُ بِحَقٍّ لَهُ قَدْ غَصَبَهُ عَلَيْهِ كَانَ عَلَيْهِ مِرَاؤُهُ فِيهِ وَجِدَالُهُ حَتَّىٰ يَتَخَلَّصَهُ مِنْهُ، وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ لَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ: إِمَّا مِنْ قِبَلِ ظُلْمٍ، وَإِمَّا مِنْ قِبَلِ حَقٍّ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْهِ غَيْرُ جَائِزٍ فِعْلُهُ بِحَالٍ، وَمِنَ الْوَجْهِ الْآخَرِ غَيْرُ جَائِزٍ تَرْكُهُ بِحَالٍ، فَأَيُّ وُجُوهِهِ الَّتِي خَصَّ بِالنَّهْيِ عَنْهُ حَالَ الْإِحْرَامِ؟!.. وَكَذَلِكَ لَا وَجْهَ لِقَوْلِ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ أَنَّهُ بِمَعْنَىٰ السِّبَابِ، لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضَهُمْ عَنْ سِبَابِ بَعْضٍ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَقَالَ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» فَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ عَنْ سَبِّ الْمُسْلِمِ مَنْهِيًّا فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، مُحْرِمًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْرِمٍ، فَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ: لَا تَسُبَّهُ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ إِذَا أَحْرَمْتَ.. وَفِيمَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِثْلَ يَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ بِمَعْنَىٰ النَّفْيِ عَنِ الْحَجِّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ وَفِي وَقْتِهِ جِدَالٌ وَمِرَاءٌ، دُونَ النَّهْيِ عَنْ جِدَالِ النَّاسِ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَعْنِيهِمْ مِنَ الْأُمُورِ، أَوْ لَا يَعْنِيهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقِ اسْتَحَقَّ مِنَ اللهِ الْكَرَامَةَ مَا وَصَفَ أَنَّهُ اسْتَحَقَّهُ بِحَجَّةٍ تَارِكًا لِلرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ اللَّذَيْنِ نَهَىٰ اللهُ الْحَاجَّ عَنْهُمَا فِي حَجِّهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِمَا الْجِدَالَ، فَلَوْ كَانَ الْجِدَالُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ مِمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، عَلَىٰ نَحْوِ الَّذِي تَأَوَّلَ ذَلِكَ مَنْ تَأَوَّلَهُ مِنْ أَنَّهُ الْمِرَاءُ، وَالْخُصُومَاتُ، أَوِ السِّبَابُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، لَمَا كَانَ ﷺ لِيَخُصَّ بِاسْتِحْقَاقِ الْكَرَامَةِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّهَا الْحَاجُّ الَّذِي وَصَفَ أَمْرَهُ بِاجْتِنَابِ خُلَّتَيْنِ مِمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ فِي حَجِّهِ دُونَ الثَّالِثَةِ الَّتِي هِيَ مَقْرُونَةٌ بِهِمَا، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْنَىٰ الثَّالِثَةِ مُخَالِفًا مَعْنَىٰ صَاحِبَتَيْهَا فِي أَنَّهَا خَبَرٌ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي وَصَفْنَا، وَأَنَّ الْأُخْرَيَيْنِ بِمَعْنَىٰ النَّهْيِ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مُجْتَنِبَهُمَا فِي حَجِّهِ مُسْتَوْجِبٌ مَا وَصَفَ مِنْ إِكْرَامِ اللهِ إِيَّاهُ مِمَّا أَخْبَرَ أَنَّهُ مُكْرِمُهُ بِهِ إِذَا كَانَتَا بِمَعْنَىٰ النَّهْيِ، وَكَانَ الْمُنْتَهِي عَنْهُمَا لِلَّهِ مُطِيعًا بِانْتِهَائِهِ عَنْهُمَا، تَرْكُ ذِكْرِ الثَّالِثَةِ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعْنَاهُمَا، وَكَانَتْ مُخَالَفَةُ سَبِيلِهَا سَبِيلَهُمَا..

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ افْعَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فِي حَجِّكُمْ مِنْ إِتْمَامِ مَنَاسِكِكُمْ فِيهِ، وَأَدَاءِ فَرْضِكُمُ الْوَاجِبِ عَلَيْكُمْ فِي إِحْرَامِكُمْ، وَتَجَنُّبِ مَا أَمَرْتُكُمْ بِتَجَنُّبِهِ مِنَ

الرَّفَثِ، وَالْفُسُوقِ فِي حَجِّكُمْ لِتَسْتَوْجِبُوا بِهِ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَإِنَّكُمْ مَهْمَا تَفْعَلُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ خَيْرٍ وَعَمِلَ صَالِحٍ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي وَطَلَبَ ثَوَابِي، فَأَنَا بِهِ عَالِمٌ وَلِجَمِيعِهِ مُحْصٍ حَتَّىٰ أُوَفِّيَكُمْ أَجْرَهُ، وَأُجَازِيَكُمْ عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَا تَخْفَىٰ عَلَيَّ خَافِيَةٌ وَلَا يَنْكَتِمُ عَنِّي مَا أَرَدْتُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، لِأَنِّي مُطَّلِعٌ عَلَىٰ سَرَائِرِكُمْ وَعَالِمٌ بِضَمَائِرِ نُفُوسِكُمْ..

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ وتَزَوَّدُوا مِنْ أَقْوَاتِكُمْ مَا فِيهِ بَلَاغُكُمْ إِلَىٰ أَدَاءِ فَرْضِ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ فِي حَجِّكُمْ وَمَنَاسِكِكُمْ، فَإِنَّهُ لَا بِرَّ لِلَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي تَرْكِكُمُ التَّزَوُّدَ لِأَنْفُسِكُمْ وَمَسْأَلَتِكُمُ النَّاسَ وَلَا فِي تَضْيِيعِ أَقْوَاتِكُمْ وَإِفْسَادِهَا، وَلَكِنَّ الْبِرَّ فِي تَقْوَىٰ رَبِّكُمْ بِاجْتِنَابِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي سَفَرِكُمْ لِحَجِّكُمْ وَفِعْلِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ خَيْرُ التَّزَوُّدِ، فَمِنْهُ تَزَوَّدُوا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا يَحُجُّونَ بِغَيْرِ زَادٍ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَحْرَمَ رَمَىٰ بِمَا مَعَهُ مِنَ الزَّادِ وَاسْتَأْنَفَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَزْوِدَةِ، فَأَمَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَزَوَّدُ مِنْهُمْ بِالتَّزَوُّدِ لِسَفَرِهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ذَا زَادٍ أَنْ يَحْتَفِظَ بِزَادِهِ فَلَا يَرْمِي بِهِ.. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: (**كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا وَمَعَهُمْ أَزْوِدَةٌ رَمَوْا بِهَا وَاسْتَأْنَفُوا زَادًا آخَرَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ وَأُمِرُوا أَنْ يَتَزَوَّدُوا الْكَعْكَ، وَالدَّقِيقَ، وَالسَّوِيقَ**)..

﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧] وَاتَّقُونِ يَا أَهْلَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِي عَلَيْكُمُ الَّتِي أَوْجَبْتُهَا عَلَيْكُمْ فِي حَجِّكُمْ وَمَنَاسِكِكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ دِينِي الَّذِي شَرَعْتُهُ لَكُمْ، وَخَافُوا عِقَابِي بِاجْتِنَابِ مَحَارِمِي الَّتِي حَرَّمْتُهَا عَلَيْكُمْ؛ تَنْجُوا بِذَلِكَ مِمَّا تَخَافُونَ مِنْ غَضَبِي عَلَيْكُمْ وَعِقَابِي، وَتُدْرِكُوا مَا تَطْلُبُونَ مِنَ الْفَوْزِ بِجَنَّاتِي.. وَخَصَّ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِالْخِطَابِ بِذَلِكَ أُولِي الْأَلْبَابِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَهْلُ الْفِكْرِ الصَّحِيحِ وَالْمَعْرِفَةِ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِالْعُقُولِ تُدْرَكُ وَبِالْأَلْبَابِ تُفْهَمُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فِي الْخِطَابِ بِذَلِكَ حَظًّا؛ إِذْ كَانُوا أَشْبَاحًا كَالْأَنْعَامِ، وَصِوَرًا كَالْبَهَائِمِ، بَلْ هُمْ مِنْهَا أَضَلُّ سَبِيلًا.. وَالْأَلْبَابُ: جَمْعُ لُبٍّ، وَهُوَ الْعَقْلُ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة: ١٩٨].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿جُنَاحٌ﴾ حَرَجٌ..

﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ أَنْ تَلْتَمِسُوا..

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فَضْلًا مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ.. وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ابْتِغَاءِ الْفَضْلِ مِنَ اللهِ: الْتِمَاسُ رِزْقِ اللهِ بِالتِّجَارَةِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا لَا يَرَوْنَ أَنْ يَتَّجِرُوا إِذَا أَحْرَمُوا يَلْتَمِسُونَ الْبِرَّ بِذَلِكَ، فَأَعْلَمَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنْ لَا بِرَّ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ لَهُمُ الْتِمَاسَ فَضْلِهِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ.. فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا قَوْمٌ نُكْرِي فَهَلْ لَنَا حَجٌّ؟ قَالَ: أَلَيْسَ تَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَتَأْتُونَ الْمُعَرَّفَ، وَتَرْمُونَ الْجِمَارَ، وَتَحْلِقُونَ رُءُوسَكُمْ؟ فَقُلْنَا: بَلَىٰ. قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ لَهُ حَتَّىٰ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنْتُمْ حُجَّاجٌ**»..

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ فَإِذَا رَجَعْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ..

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِالصَّلَاةِ، وَالدُّعَاءِ..

﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ وَهُوَ مَا بَيْنَ جَبَلَيِ الْمُزْدَلِفَةِ مِنْ مَأْزِمَيْ عَرَفَةَ إِلَىٰ مُحَسِّرٍ، وَلَيْسَ مَأْزِمَا عَرَفَةَ مِنَ الْمَشْعَرِ.. وَأَمَّا قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ حِينَ صَارَ بِالْمُزْدَلِفَةِ: (**هَذَا كُلُّهُ مَشَاعِرُ إِلَىٰ مَكَّةَ**)، فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهَا مَعَالِمُ مِنْ مَعَالِمِ الْحَجِّ بِنُسُكٍ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ مِنْهَا بَعْضُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، لَا أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ الَّذِي يَكُونُ الْوَاقِفُ حَيْثُ وَقَفَ مِنْهُ إِلَىٰ بَطْنِ مَكَّةَ قَاضِيًا مَا عَلَيْهِ مِنَ الْوُقُوفِ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ مِنْ جَمْعٍ.. وَأَمَّا قَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ: (**لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُخْبِرُنِي عَنِ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**) فَلِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ: لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُخْبِرُنِي عَنْ حَدِّ أَوَّلِهِ وَمُنْتَهَىٰ آخِرِهِ عَلَىٰ حَقِّهِ وَصِدْقِهِ؛ لِأَنَّ حُدُودَ ذَلِكَ عَلَىٰ صِحَّتِهَا حَتَّىٰ لَا يَكُونَ فِيهَا زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِهَا، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَقِفْ عَلَىٰ حَدِّ أَوَّلِهِ وَمُنْتَهَىٰ آخِرِهِ وقُوفًا لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ، فَمَوْضِعُ الْحَاجَةِ لِلْوُقُوفِ لَا خَفَاءَ بِهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ سُكَّانِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَكَثِيرٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَشَاعِرِ الْحَجِّ وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَنْسِكُوا عِنْدَهَا كَعَرَفَاتٍ وَمِنًىٰ، وَالْحَرَمِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ أَنَّ الْمَشَاعِرَ هِيَ الْمَعَالِمُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: شَعَرْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ: أَيْ عَلِمْتُ، فَالْمَشْعَرُ هُوَ الْمَعْلَمُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عِنْدَهُ وَالْمُقَامَ وَالْمَبِيتَ وَالدُّعَاءَ مِنْ مَعَالِمِ الْحَجِّ، وَفُرُوضِهِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ..

﴿وَٱذْكُرُوهُ﴾ وَاذْكُرُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَىٰ أَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، وَلْيَكُنْ ذِكْرُكُمْ إِيَّاهُ بِالْخُضُوعِ لِأَمْرِهِ، وَالطَّاعَةِ لَهُ..

﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ وَالشُّكْرِ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ، لِمَا وَفَّقَكُمْ لَهُ مِنْ سُنَنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ، بَعْدَ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْحَيْرَةِ، وَالْعَمَىٰ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَبُعْدِ الضَّلَالَةِ، كَذِكْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالْهُدَىٰ، حَتَّىٰ اسْتَنْقَذَكُمْ مِنَ النَّارِ بِهِ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنْهَا، فَنَجَّاكُمْ مِنْهَا..

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨﴾ [البقرة: ١٩٨] وَمَا كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ هِدَايَةِ اللهِ إِيَّاكُمْ لِمَا هَدَاكُمْ لَهُ مِنْ مِلَّةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي اصْطَفَاهَا لِمَنْ رَضِيَ عَنْهُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا مِنَ الضَّالِّينَ.. وَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُ تَأْوِيلَ (إِنَّ) إِلَىٰ (قَدْ)، فَمَعْنَاهُ عَلَىٰ قَوْلِ قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ: وَاذْكُرُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَمَا ذَكَرَكُمْ بِالْهُدَىٰ، فَهَدَاكُمْ لِمَا رَضِيَهُ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَالْمِلَلِ، وَقَدْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مِنَ الضَّالِّينَ.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾
[البقرة: ١٩٩].

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾ يَا قُرَيْشُ، وَمَنْ وَلَدَتْهُ قُرَيْشٌ الَّذِينَ كَانُوا يُسَمَّوْنَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْحُمْسَ..

﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أُمِرُوا فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يُفِيضُوا مِنْ عَرَفَاتٍ، وَهِيَ الَّتِي أَفَاضَ مِنْهَا سَائِرُ النَّاسِ غَيْرَ الْحُمْسِ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَمَنْ وَلَدَتْهُ قُرَيْشٌ، كَانُوا يَقُولُونَ: لَا نَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ، فَكَانُوا لَا يَشْهَدُونَ مَوْقِفَ النَّاسِ بِعَرَفَةَ مَعَهُمْ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِالْوُقُوفِ مَعَهُمْ..

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ حِينَئِذٍ، تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْكُمْ..

﴿رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩] بِكُمْ.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝٢٠٠﴾ [البقرة: ٢٠٠].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ فَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنْ حَجِّكُمْ فَذَبَحْتُمْ نَسَائِكَكُمْ..

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بِالطَّاعَةِ لَهُ فِي الْخُضُوعِ لِأَمْرِهِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ بَعْدَ قَضَاءِ مَنَاسِكِهِمْ، وَذَلِكَ الذِّكْرُ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ هُوَ التَّكْبِيرُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣] الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَىٰ مَنْ قَضَىٰ نُسُكَهُ بَعْدَ قَضَائِهِ نُسُكِهِ، فَأَلْزَمَهُ حِينَئِذٍ مِنْ ذِكْرِهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ لَازِمًا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ فَحَثَّ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ مُحَافَظَةَ الْأَبْنَاءِ عَلَىٰ ذِكْرِ الْآبَاءِ فِي

الْإِكْثَارِ مِنْهُ، بِالِاسْتِكَانَةِ لَهُ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ، كَتَضَرُّعِ الْوَلَدِ لِوَالِدَيْهِ، وَالصَّبِيِّ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ..

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أَوْ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ مَا كَانَ بِهِمْ وَبِآبَائِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ وَهُوَ وَلِيُّهُ، وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِيمَا لَدَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِابْتِهَالٍ وَتَمَسْكُنٍ، وَاجْعَلُوا أَعْمَالَكُمْ لِوَجْهِهِ خَالِصًا، وَلِطَلَبِ مَرْضَاتِهِ..

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝٢٠٠﴾ [البقرة: ٢٠٠] وَلَا تَكُونُوا كَمَنِ اشْتَرَىٰ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، فَكَانَتْ أَعْمَالُهُمْ لِلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَلَا يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ إِلَّا مَتَاعَهَا، وَلَا حَظَّ لَهُمْ فِي ثَوَابِ اللهِ، وَلَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي جَنَّاتِهِ وَكَرِيمِ مَا أَعَدَّ لِأَوْلِيَائِهِ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿وَمِنْهُم﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، مِمَّنْ حَجَّ بَيْتَهُ..

﴿مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يَسْأَلُونَ رَبَّهُمُ الْحَسَنَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْحَسَنَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ النَّارِ.. وَقَدْ تَجْمَعُ الْحَسَنَةُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْعَافِيَةَ فِي الْجِسْمِ، وَالْمَعَاشِ، وَالرِّزْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْعِلْمَ، وَالْعِبَادَةَ.. وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا شَكَّ أَنَّهَا الْجَنَّةُ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَنَلْهَا يَوْمَئِذٍ فَقَدْ حُرِمَ جَمِيعَ الْحَسَنَاتِ وَفَارَقَ جَمِيعَ مَعَانِي الْعَافِيَةِ..

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١] اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ النَّارِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٢٠٢﴾ [البقرة: ٢٠٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ بَعْدَ قَضَاءِ مَنَاسِكِهِمْ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١] رَغْبَةً مِنْهُمْ إِلَىٰ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِيمَا عِنْدَهُ، وَعِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ..

﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ لَهُمْ حَظٌّ مِنْ حَجِّهِمْ، وَمَنَاسِكِهِمْ، وَثَوَابٌ جَزِيلٌ عَلَىٰ عَمَلِهِمُ الَّذِي كَسَبُوهُ، وَبَاشَرُوا مُعَانَاتِهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، خَاصًّا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ الَّذِينَ عَانُوا مَا عَانُوا مِنْ نَصَبِ أَعْمَالِهِمْ وَتَعَبِهَا، وَتَكَلَّفُوا مَا تَكَلَّفُوا مِنْ أَسْفَارِهِمْ بِغَيْرِ رَغْبَةٍ مِنْهُمْ فِيمَا عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنَ

الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَلَكِنْ رَجَاءَ خَسِيسٍ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَابْتِغَاءَ عَاجِلِ حُطَامِهَا..

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢] مُحِيطٌ بِعَمَلِ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا اللَّذَيْنِ مِنْ مَسْأَلَةِ أَحَدِهِمَا: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا؛ وَمَنْ مَسْأَلَةِ الْآخَرِ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]؛ فَمُحْصٍ لَهُ بِأَسْرَعِ الْحِسَابِ، ثُمَّ إِنَّهُ مُجَازٍ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ عَمَلِهِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- نَفْسَهُ بِسُرْعَةِ الْحِسَابِ، لِأَنَّهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ- يُحْصِي مَا يُحْصَي مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ بِغَيْرِ عَقْدِ أَصَابِعَ وَلَا فِكْرٍ وَلَا رَوِيَّةٍ، فِعْلَ الْعَجَزَةِ الضَّعَفَةِ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِيهِمَا، ثُمَّ هُوَ مُجَازٍ عِبَادَهُ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ؛ فَلِذَلِكَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- امْتَدَحَ بِسُرْعَةِ الْحِسَابِ، وَأَخْبَرَ خَلْقَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ بِمِثْلٍ فَيَحْتَاجُ فِي حِسَابِهِ إِلَىٰ عَقْدِ كَفٍّ أَوْ وَعْيِ صَدْرٍ.

﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِالتَّوْحِيدِ، وَالتَّعْظِيمِ..

﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وَهِيَ أَيَّامُ رَمْيِ الْجِمَارِ، أَمَرَ عِبَادَهُ يَوْمَئِذٍ بِالتَّكْبِيرِ أَدْبَارَ الصَّلَوَاتِ، وَعِنْدَ الرَّمْيِ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْ حَصَىٰ الْجِمَارِ يُرْمَىٰ بِهَا جَمْرَةٌ مِنَ الْجِمَارِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ الْأَيَّامَ الْمَعْدُودَاتِ هِيَ: أَيَّامُ مِنًىٰ وَأَيَّامُ رَمْيِ الْجِمَارِ؛ لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِيهَا: إِنَّهَا أَيَّامُ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ..

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ مِنْ أَيَّامِ مِنًىٰ الثَّلَاثَةِ فَنَفَرَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي..

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لِحَطِّ اللهِ ذُنُوبَهُ، إِنْ كَانَ قَدِ اتَّقَىٰ اللهَ فِي حَجِّهِ، فَاجْتَنَبَ فِيهِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِاجْتِنَابِهِ، وَفَعَلَ فِيهِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِفِعْلِهِ، وَأَطَاعَهُ بِأَدَائِهِ عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُ مِنْ حُدُودِهِ..

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ إِلَىٰ الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْهُنَّ فَلَمْ يَنْفِرْ إِلَىٰ النَّفْرِ الثَّانِي حَتَّىٰ نَفَرَ مِنْ غَدِ النَّفْرِ الْأَوَّلِ..

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لِتَكْفِيرِ اللهِ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ آثَامِهِ وَأَجْرَامِهِ..

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ إِنْ كَانَ اتَّقَىٰ اللهَ فِي حَجِّهِ بِأَدَائِهِ بِحُدُودِهِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ ذَلِكَ أَوْلَىٰ تَأْوِيلَاتِهِ لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» وَأَنَّهُ قَالَ ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي**

الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ»، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ، مِمَّا يُنْبِئُ عَنْهُ أَنَّ مَنْ حَجَّ فَقَضَاهُ بِحُدُودِهِ عَلَىٰ مَا أَمَرَهُ اللهُ، فَهُوَ خَارِجٌ مِنْ ذُنُوبِهِ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ اللهَ فِي حَجِّهِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يُوضِّحُ عَنْ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ -جَلَّ وَعَزَّ-: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ أَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ ذُنُوبِهِ، مَحْطُوطَةٌ عَنْهُ آثَامُهُ، مَغْفُورَةٌ لَهُ أَجْرَامُهُ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا فُرِضَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَخَافُوهُ فِي تَضْيِيعِهَا، وَالتَّفْرِيطِ فِيهَا، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي حَجِّكُمْ، وَمَنَاسِكِكُمْ أَنْ تَرْتَكِبُوهُ أَوْ تَأْتُوهُ، وَفِيمَا كَلَّفَكُمْ فِي إِحْرَامِكُمْ لِحَجِّكُمْ أَنْ تُقَصِّرُوا فِي أَدَائِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ [البقرة: ٢٠٣] فَمُجَازِيكُمْ هُوَ بِأَعْمَالِكُمْ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَمُوَفٍّ كُلَّ نَفْسٍ مِنْكُمْ مَا عَمِلَتْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ظَاهِرُ..

﴿قَوۡلُهُۥ﴾ وَعَلَانِيَتِهِ..

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ بِمَعْنَىٰ أَنَّ الْمُنَافِقَ الَّذِي يُعْجِبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَوْلُهُ، يَسْتَشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ، أَنَّ قَوْلَهُ مُوَافِقٌ اعْتِقَادَهُ، وَأَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَهُوَ كَاذِبٌ..

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤] الْأَلَدُّ مِنَ الرِّجَالِ: الشَّدِيدُ الْخُصُومَةِ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَأْوِيلُهُ: أَنَّهُ ذُو جِدَالٍ، شَدِيدُ الْقَسْوَةِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، جَدِلٌ بِالْبَاطِلِ، وَإِذَا شِئْتَ رَأَيْتَهُ عَالِمَ اللِّسَانِ جَاهِلَ الْعَمَلِ يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ، وَيَعْمَلُ بِالْخَطِيئَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقِيمِ الْخُصُومَةِ، وَلَكِنَّهُ مُعْوَجُّهَا.. وَكِلَا هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ مُتَقَارِبُ الْمَعْنَىٰ؛ لِأَنَّ الِاعْوِجَاجَ فِي الْخُصُومَةِ مِنَ الْجِدَالِ، وَاللَّدَدِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَهُوَ كَاذِبٌ قَوْلَهُ، وَهَذَا الْقَوْلُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ مَعْنَىٰ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ إِنْ كَانَ أَرَادَ بِهِ قَائِلُهُ أَنَّهُ يُخَاصِمُ بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ، وَالْكَذِبُ مِنْهُ، جَدَلًا وَاعْوِجَاجًا عَنِ الْحَقِّ.. وَأَمَّا الْخِصَامُ: فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: خَاصَمْتُ فُلَانًا خِصَامًا، وَمُخَاصَمَةً.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْمُنَافِقِ الَّذِي أَخْبَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ يُعْجِبُهُ إِذَا تَكَلَّمَ قِيلُهُ، وَمَنْطِقُهُ، وَيَسْتَشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ أَنَّهُ مُحِقٌّ فِي قِيلِهِ ذَلِكَ؛ لِشِدَّةِ خُصُومَتِهِ وَجِدَلِهِ بِالْبَاطِلِ وَالزُّورِ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة: ٢٠٥].

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ وَإِذَا أَدْبَرَ هَذَا الْمُنَافِقُ مِنْ عِنْدِكَ يَا مُحَمَّدُ مُنْصَرِفًا عَنْكَ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَإِذَا غَضِبَ، فَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: وَإِذَا خَرَجَ هَذَا الْمُنَافِقُ مِنْ عِنْدِكَ يَا مُحَمَّدُ غَضْبَانَ..

﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ عَمِلَ فِي الْأَرْضِ بِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ، وَحَاوَلَ فِيهَا مَعْصِيَةَ اللهِ، وَقَطْعَ الطَّرِيقِ، وَإِفْسَادَ السُّبُلِ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الْإِفْسَادِ جَمِيعُ الْمَعَاصِي؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ، فَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ وَصْفَهُ بِبَعْضِ مَعَانِي الْإِفْسَادِ دُونَ بَعْضٍ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْإِفْسَادُ مِنْهُ بِمَعْنَىٰ قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ يَقْطَعُ الرَّحِمَ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ فَقَدْ كَانَ إِفْسَادًا فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَعْصِيَةٌ، غَيْرَ أَنَّ الْأَشْبَهَ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ أَنْ يَكُونَ بِقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَيُخِيفُ السَّبِيلَ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- وَصَفَهُ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ بِأَنَّهُ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَذَلِكَ بِفِعْلِ مُخِيفِ السَّبِيلِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِفِعْلِ قُطَّاعِ الرَّحِمِ..

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ إِحْرَاقًا لِزَرْعِ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَقْرًا لِحُمُرِهِمْ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِاحْتِبَاسِ الْقَطْرِ مِنْ أَجْلِ مَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ وَسَعْيِهِ بِالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِقَتْلِهِ الْقَوَّامَ بِهِ، وَالْمُتَعَاهِدِينَ لَهُ حَتَّىٰ فَسَدَ فَهَلَكَ.. وَكَذَلِكَ جَائِزٌ فِي مَعْنَىٰ إِهْلَاكِهِ النَّسْلَ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِقَتْلِهِ أُمَّهَاتِهِ أَوْ آبَاءَهُ الَّتِي مِنْهَا يَكُونُ النَّسْلُ، فَيَكُونُ فِي قَتْلِهِ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ انْقِطَاعُ نَسْلِهِمَا.. وَأَمَّا الْحَرْثُ، فَإِنَّهُ الزَّرْعُ، وَالنَّسْلُ: الْعَقِبُ وَالْوَلَدُ، وَإِهْلَاكُهُ الزَّرْعَ: إِحْرَاقُهُ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة: ٢٠٥] وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمَعَاصِيَ، وَقَطْعَ السَّبِيلِ، وَإِخَافَةَ الطَّرِيقِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٦].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَذَا الْمُنَافِقِ الَّذِي نَعَتَ نَعْتَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يُعْجِبُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وَخِفْهُ فِي إِفْسَادِكَ فِي أَرْضِ اللهِ، وَسَعْيِكَ فِيهَا بِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَإِهْلَاكِكَ حُرُوثَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَسْلِهِمْ..

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ اسْتَكْبَرَ وَدَخَلَتْهُ عِزَّةٌ، وَحَمِيَّةٌ بِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ، وَتَمَادَىٰ فِي غَيِّهِ وَضَلَالِهِ..

﴿فَحَسْبُهُۥ﴾ فَكَفَاهُ عُقُوبَةً مِنْ غَيِّهِ وَضَلَالِهِ..

﴿جَهَنَّمُ﴾ صِلِيُّ نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٦] وَلَبِئْسَ الْفِرَاشُ وَالْوِطَاءُ جَهَنَّمُ الَّتِي أَوْعَدَ بِهَا -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هَذَا الْمُنَافِقَ، وَوَطَّأَهَا لِنَفْسِهِ بِنِفَاقِهِ، وَفُجُورِهِ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَىٰ رَبِّهِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾
[البقرة: ٢٠٧].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبِيعُ نَفْسَهُ بِمَا وَعَدَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ وَابْتَاعَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]..

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ أَجْلِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ.. فَكُلُّ مَنْ بَاعَ نَفْسَهُ فِي طَاعَتِهِ حَتَّىٰ قُتِلَ فِيهَا، أَوِ اسْتَقْتَلَ وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ فِي جِهَادِ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ فِي أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ فَمَعْنِيٌّ بِهِ..

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ [البقرة: ٢٠٧] وَاللهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ بِعَبْدِهِ الَّذِي يَشْرِي نَفْسَهُ لَهُ فِي جِهَادِ مَنْ حَادَّهُ فِي أَمْرِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْفُسُوقِ، وَبِغَيْرِهِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِ مَعَادِهِمْ، فَيُنْجِزُ لَهُمُ الثَّوَابَ عَلَىٰ مَا أَبْلَوْا فِي طَاعَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُسْكِنُهُمْ جَنَّاتَهُ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا فِيهَا مِنْ مَرْضَاتِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ اعْمَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَادْخُلُوا فِي التَّصْدِيقِ بِهِ قَوْلًا، وَعَمَلًا.. وَصَرَفْنَا مَعْنَاهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مُخَاطَبٌ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا مَعْنَىٰ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ: ادْخُلُوا فِي صُلْحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُسَالَمَتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُسَالَمَةَ، وَالْمُصَالَحَةَ إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِهَا مَنْ كَانَ حَرْبًا بِتَرْكِ الْحَرْبِ، بَلْ نَهَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ عَنْ دُعَاءِ

أَهْلِ الْكُفْرِ إِلَىٰ السَّلْمِ، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]، وَإِنَّمَا أَبَاحَ لَهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِذَا دَعُوهُ إِلَىٰ الصُّلْحِ ابْتِدَاءَ الْمُصَالَحَةِ، فَقَالَ لَهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿* وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، فَأَمَّا دُعَاؤُهُمْ إِلَىٰ الصُّلْحِ ابْتِدَاءً فَغَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْقُرْآنِ، فَيَجُوزَ تَوْجِيهُ قَوْلِهِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ إِلَىٰ ذَلِكَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا وَجْهُ دُعَاءِ الْمُؤْمِنِ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؟ قِيلَ: وَجْهُ دُعَائِهِ إِلَىٰ ذَلِكَ الْأَمْرُ لَهُ بِالْعَمَلِ بِجَمِيعِ شَرَائِعِهِ، وَإِقَامَةِ جَمِيعِ أَحْكَامِهِ، وَحُدُودِهِ، دُونَ تَضْيِيعِ بَعْضِهِ وَالْعَمَلِ بِبَعْضِهِ.. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، كَانَ قَوْلُهُ ﴿كَآفَّةً﴾ مِنْ صِفَةِ السِّلْمِ، وَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ: ادْخُلُوا فِي الْعَمَلِ بِجَمِيعِ مَعَانِي السِّلْمِ، وَلَا تُضَيِّعُوا شَيْئًا مِنْهُ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا الْمُصَدِّقُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْمُصَدِّقُونَ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَمَا جَاءُوا بِهِ، وَقَدْ دَعَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَحُدُودِهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ فَرَائِضِهِ الَّتِي فَرَضَهَا، وَنَهَاهُمْ عَنْ تَضْيِيعِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَالْآيَةُ عَامَّةٌ لِكُلِّ مَنْ شَمَلَهُ اسْمُ الْإِيمَانِ، فَلَا وَجْهَ لِخُصُوصِ بَعْضٍ بِهَا دُونَ بَعْضٍ..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وَدَعُوا طَرَائِقَ الشَّيْطَانِ، وَآثَارَهُ أَنْ تَتَّبِعُوهَا فَـ..

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨] لَكُمْ عَدَاوَتُهُ.. وَطَرِيقُ الشَّيْطَانِ الَّذِي نَهَاهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ هُوَ مَا خَالَفَ حُكْمَ الْإِسْلَامِ، وَشَرَائِعَهُ، وَمِنْهُ تَسْبِيتُ السَّبْتِ وَسَائِرُ سُنَنِ أَهْلِ الْمِلَلِ الَّتِي تُخَالِفُ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٠٩﴾ [البقرة: ٢٠٩].

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ فَإِنْ أَخْطَأْتُمُ الْحَقَّ، فَضَلَلْتُمْ عَنْهُ، وَخَالَفْتُمُ الْإِسْلَامَ، وَشَرَائِعَهُ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ حُجَجِي، وَبَيِّنَاتُ هُدَايَ، وَاتَّضَحَتْ لَكُمْ صِحَّةُ أَمْرِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ الَّتِي قَطَعَتْ عُذْرَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ ذُو عِزَّةٍ، لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِنْكُمْ مَانِعٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَىٰ مُخَالَفَتِكُمْ أَمْرَهُ وَمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ دَافِعٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٢٠٩﴾ [البقرة: ٢٠٩] فِيمَا يَفْعَلُ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ بَعْدَ إِقَامَتِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْكُمْ، وَفِي غَيْرِهِ مِنْ أُمُورِهِ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْظُرُ الْمُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، التَّارِكُونَ الدُّخُولَ فِي السِّلْمِ كَافَّةً، وَالْمُتَّبِعُونَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، وَإِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، فَيَقْضِي فِي أَمْرِهِمْ مَا هُوَ قَاضٍ..

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ﴾ وَفُصِلَ الْقَضَاءُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْخَلْقِ، عَلَىٰ مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ أَخْذِ الْحَقِّ لِكُلِّ مَظْلُومٍ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ، حَتَّىٰ الْقِصَاصِ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ مِنَ الْبَهَائِمِ»..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠] وَإِلَىٰ اللهِ يَئُولُ الْقَضَاءُ بَيْنَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْحُكْمُ بَيْنَهُمْ فِي أُمُورِهِمُ الَّتِي جَرَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَاعْتِدَاءِ الْمُعْتَدِي مِنْهُمْ حُدُودَ اللهِ، وَإِحْسَانِ الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ، وَطَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، فَيَفْصِلُ بَيْنَ الْمُتَظَالِمِينَ، وَيُجَازِي أَهْلَ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ، وَأَهْلَ الْإِسَاءَةِ بِمَا رَأَىٰ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ كَافِرًا فَيَعْفُو؛ وَلِذَٰلِكَ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٢١٠﴾ وَإِنْ كَانَتْ أُمُورُ الدُّنْيَا كُلُّهَا وَالْآخِرَةِ مِنْ عِنْدِهِ مَبْدَؤُهَا وَإِلَيْهِ مَصِيرُهَا؛ إِذْ كَانَ خَلْقُهُ فِي الدُّنْيَا يَتَظَالَمُونَ، وَيَلِي النَّظَرَ بَيْنَهُمْ أَحْيَانًا فِي الدُّنْيَا بَعْضُ خَلْقِهِ، فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بَعْضُ عَبِيدِهِ، فَيَجُورُ بَعْضٌ، وَيَعْدِلُ بَعْضٌ، وَيُصِيبُ وَاحِدٌ، وَيُخْطِئُ وَاحِدٌ، وَيُمَكَّنُ مِنْ تَنْفِيذِ الْحُكْمِ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَيَتَعَذَّرُ ذَٰلِكَ عَلَىٰ بَعْضٍ لِمَنْعَةِ جَانِبِهِ وَغَلَبَتِهِ بِالْقُوَّةِ، فَأَعْلَمَ عِبَادَهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ مَرْجِعَ جَمِيعِ ذَٰلِكَ إِلَيْهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، فَيُنْصِفُ كُلًّا مِنْ كُلٍّ، وَيُجَازِي حَقَّ الْجَزَاءِ كُلًّا، حَيْثُ لَا ظُلْمَ وَلَا مُمْتَنِعَ مِنْ نُفُوذِ حُكْمِهِ عَلَيْهِ، وَحَيْثُ يَسْتَوِي الضَّعِيفُ وَالْقَوِيُّ، وَالْفَقِيرُ وَالْغَنِيُّ، وَيَضْمَحِلُّ الظُّلْمُ، وَيَنْزِلُ سُلْطَانُ الْعَدْلِ، وَإِنَّمَا أَدْخَلَ -جَلَّ وَعَزَّ- الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي الْأُمُورِ لِأَنَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنَىٰ بِهَا جَمِيعَ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَعْنِ بِهَا بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْعُمُومَ وَالْجَمْعَ.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: ٢١١].

﴿سَلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الَّذِينَ لَا يَنْتَظِرُونَ بِالإِنَابَةِ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَالتَّوْبَةِ إِلَيَّ بِالإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ وَتَصْدِيقِكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، إِلَّا أَنْ آتِيَهُمْ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَمَلَائِكَتِي، فَأَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَكَ -وَبَيْنَ مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَّقَكَ بِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ كُتُبِي، وَفَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ دِينِي- وَبَيْنَهُمْ..

﴿كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ﴾ كَمْ جِئْتُهُمْ بِهِ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ آيَةٍ وَعَلَامَةٍ، عَلَىٰ مَا فَرَضْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِي، وَتَابَعْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ حُجَجِي عَلَىٰ أَيْدِي أَنْبِيَائِي وَرُسُلِي، مُؤَيِّدَةً لَهُمْ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، بَيِّنَةً أَنَّهَا مِنْ عِنْدِي، وَاضِحَةً أَنَّهَا مِنْ أَدِلَّتِي عَلَىٰ صِدْقِ نُذُرِي وَرُسُلِي فِيمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَصْدِيقِهِمْ وَتَصْدِيقِكَ، فَكَفَرُوا حُجَجِي، وَكَذَّبُوا رُسُلِي، وَغَيَّرُوا نِعَمِي قِبَلَهُمْ، وَبَدَّلُوا عَهْدِي وَوَصِيَّتِي إِلَيْهِمْ.. وَذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ الَّتِي آتَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِهَا، خَالَفُوا مَعَهَا أَمْرَ اللهِ، فَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَ اللهِ وَرُسُلَهُ، وَبَدَّلُوا عَهْدَهُ وَوَصِيَّتَهُ إِلَيْهِمْ، قَالَ اللهُ: ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: ٢١١].. وَإِنَّمَا سَلَّىٰ اللهُ نَبِيَّهُ محمدًا بِهَذِهِ الآيَةِ، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَهُ، وَاسْتَكْبَرَ عَلَىٰ رَبِّهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ سُلَّافِ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ، مَعَ مُظَاهَرَتِهِ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ، وَأَنَّ مَنْ هُوَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ إِنَّمَا هُمْ مِنْ بَقَايَا مَنْ جَرَتْ عَادَتُهُمْ مِمَّنْ قَصَّ عَلَيْهِ قَصَصَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يُغَيِّرْ مَا عَاهَدَ اللهَ فِي نِعْمَتِهِ -الَّتِي هِيَ الْإِسْلَامُ- مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، وَالدُّخُولِ فِيهِ فَيَكْفُرُ بِهِ، وَمَا فُرِضَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ﴾ مِنْ عِنْدِي بِمُحَمَّدٍ، وَمَا أَظْهَرْتُ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنَ الْحُجَجِ، وَالْعِبَرِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: ٢١١] فَإِنَّهُ مُعَاقِبُهُ بِمَا أَوْعَدَ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَاللهُ شَدِيدٌ عِقَابُهُ، أَلِيمٌ عَذَابُهُ.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾ [البقرة: ٢١٢].

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا حُبُّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ اللَّذَّاتِ، فَهُمْ يَبْتَغُونَ فِيهَا الْمُكَاثَرَةَ وَالْمُفَاخَرَةَ، وَيَطْلُبُونَ فِيهَا الرِّيَاسَاتِ وَالْمُبَاهَاةَ، وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنِ اتِّبَاعِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِي، تَعَظُّمًا مِنْهُمْ عَلَىٰ مَنْ صَدَّقَكَ، وَاتَّبَعَكَ..

﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ﴾ وَيَسْخَرُونَ بِمَنْ تَبِعَكَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِكَ، فِي

تَرْكِهِمُ الْمُكَاثَرَةِ وَالْمُفَاخَرَةِ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا مِنَ الرِّيَاشِ وَالْأَمْوَالِ وَطَلَبِ الرِّيَاسَاتِ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَىٰ طَلَبِهِمْ مَا عِنْدِي بِرَفْضِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ زِينَتِهَا..

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا لِي وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ طَاعَتِي وَرَفَضُوا لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، اتِّبَاعًا لَكَ وَطَلَبًا لِمَا عِنْدِي، وَاتِّقَاءً مِنْهُمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِي، وَتَجَنُّبِ مَعَاصِيَّ..

﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِإِدْخَالِ الْمُتَّقِينَ الْجَنَّةَ، وَإِدْخَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا النَّارَ..

﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ وَاللهُ يُعْطِي الَّذِينَ اتَّقَوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نِعَمِهِ، وَكَرَامَاتِهِ، وَجَزِيلِ عَطَايَاهُ..

﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾ [البقرة: ٢١٢] بِغَيْرِ مُحَاسَبَةٍ مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ خَائِفٍ نَفَادَ خَزَائِنِهِ، فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ حِسَابِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا؛ إِذْ كَانَ الْحِسَابُ مِنَ الْمُعْطِي إِنَّمَا يَكُونُ لِيَعْلَمَ قَدْرَ الْعَطَاءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ مُلْكِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، لِئَلَّا يَتَجَاوَزَ فِي عَطَايَاهُ إِلَىٰ مَا يُجْحِفُ بِهِ، فَرَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غَيْرُ خَائِفٍ نَفَادَ خَزَائِنِهِ، وَلَا انْتِقَاصَ شَيْءٍ مِنْ مُلْكِهِ بِعَطَائِهِ مَا يُعْطِي عِبَادَهُ، فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ حِسَابِ مَا يُعْطِي، وَإِحْصَاءِ مَا يُبْقِي.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ عَلَىٰ دِينٍ وَاحِدٍ وَمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ أُمَّةً وَاحِدَةً مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَىٰ عَهْدِ نُوحٍ عليه السلام.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ حِينَ عُرِضَ عَلَىٰ آدَمَ خَلْقُهُ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ فِي وَقْتٍ غَيْرَ ذَلِكَ.. وَلَا دَلَالَةَ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَلَا خَبَرٌ يُثْبِتُ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَىٰ أَيِّ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ كَانَ ذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ نَقُولَ فِيهِ إِلَّا مَا قَالَ اللهُ عز وجل مِنْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبَعَثَ اللهُ فِيهِمْ لَمَّا اخْتَلَفُوا الْأَنْبِيَاءَ، وَالرُّسُلَ.. وَلَا يَضُرُّنَا الْجَهْلُ بِوَقْتِ ذَلِكَ، كَمَا لَا يَنْفَعُنَا الْعِلْمُ بِهِ؛ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِهِ لِلَّهِ طَاعَةً.. غَيْرَ أَنَّهُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ، فَإِنَّ دَلِيلَ الْقُرْآنِ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، إِنَّمَا كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَدِينِ الْحَقِّ دُونَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالشِّرْكِ بِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ وَعَزَّ- قَالَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يَذْكُرُ فِيهَا يُونُسَ:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٩﴾ [يونس: ١٩] فتوَعَّدَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- عَلَىٰ الِاخْتِلَافِ لَا عَلَىٰ الِاجْتِمَاعِ، وَلَا عَلَىٰ كَوْنِهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَوْ كَانَ اجْتِمَاعُهُمْ قَبْلَ الِاخْتِلَافِ كَانَ عَلَىٰ الْكُفْرِ ثُمَّ كَانَ الِاخْتِلَافُ بَعْدَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِانْتِقَالِ بَعْضِهِمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْوَعْدُ أَوْلَىٰ بِحِكْمَتِهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي ذَلِكَ الْحَالِ مِنَ الْوَعِيدِ؛ لِأَنَّهَا حَالُ إِنَابَةِ بَعْضِهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَمُحَالٌ أَنْ يَتَوَعَّدَ فِي حَالِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَيَتْرُكُ ذَلِكَ فِي حَالِ اجْتِمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ..

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾ فَأَرْسَلَ رُسُلًا يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَكَرِيمِ الْمَآبِ..

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ يُنْذِرُونَ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فَكَفَرَ بِهِ بِشِدَّةِ الْعِقَابِ وَسُوءِ الْحِسَابِ وَالْخُلُودِ فِي النَّارِ..

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ لِيَحْكُمَ الْكِتَابُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَأَضَافَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْحُكْمَ إِلَىٰ الْكِتَابِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ دُونَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، إِذْ كَانَ مَنْ حَكَمَ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالْمُرْسَلِينَ بِحُكْمٍ، إِنَّمَا يَحْكُمُ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَكَانَ الْكِتَابُ بِدَلَالَتِهِ عَلَىٰ مَا دَلَّ وَصَفُهُ عَلَىٰ صِحَّتِهِ مِنَ الْحُكْمِ حَاكِمًا بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي يَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ غَيْرُهُ..

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ وَمَا اخْتَلَفَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ وَهُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمُ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَاةَ، وَالْعِلْمَ بِهَا.. وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ ﴿أُوتُوهُ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ حِجَجُ اللهِ، وَأَدِلَّتُهُ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَفِي أَحْكَامِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَسَعُهُمُ الِاخْتِلَافُ فِيهِ، وَلَا الْعَمَلُ بِخِلَافِ مَا فِيهِ.. فَأَخْبَرَ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ خَالَفُوا حُكْمَ التَّوْرَاةِ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِمَا يَأْتُونَ، مُتَعَمِّدِينَ الْخِلَافَ عَلَىٰ اللهِ فِيمَا خَالَفُوهُ فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ وَحُكْمِ كِتَابِهِ..

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ﴾ فَإِنَّ تَعَمُّدَهُمُ الْخَطِيئَةَ الَّتِي أَتَوْهَا، وَرُكُوبَهُمُ الْمَعْصِيَةَ الَّتِي رَكِبُوهَا مِنْ خِلَافِهِمْ أَمْرَهُ، إِنَّمَا كَانَ مِنْهُمْ بَغْيًا بَيْنَهُمْ.. فَلَمْ يَكُنِ اخْتِلَافُ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ مَعَ نَبِيٍّ عَنْ جَهْلٍ مِنْهُمْ بِهِ، بَلْ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ فِيهِ وَخِلَافُ حُكْمِهِ مِنْ بَعْدِ مَا ثَبَتَتْ حُجَّتُهُ عَلَيْهِمْ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، طَلَبَ الرِّيَاسَةِ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَاسْتِذْلَالًا مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.. فَالْقَوْمُ لَمْ يَخْتَلِفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَمَجِيءِ الْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَخْتَلِفُوا إِلَّا بَغْيًا..

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فَوَفَّقَ الَّذِي آمَنُوا، وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُصَدِّقِينَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ لِمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِيهِ، وَكَانَ مِنِ اخْتِلَافِهِمُ الَّذِي خَذَلَهُمُ اللهُ فِيهِ، وَهَدَىٰ لَهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَوَفَّقَهُمْ لِإِصَابَتِهِ: الْجُمُعَةُ، ضَلُّوا عَنْهَا وَقَدْ فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ كَالَّذِي فُرِضَ عَلَيْنَا، فَجَعَلُوهَا السَّبْتَ؛ فَقَالَ ﷺ «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ لَهُ، فَلِلْيَهُودِ غَدًا وَلِلنَّصَارَىٰ بَعْدَ غَدٍ**».. وَكَانَ مِمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَيْضًا الصَّلَاةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي إِلَىٰ الْمَشْرِقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَهَدَانَا لِلْقِبْلَةِ.. وَاخْتَلَفُوا فِي الصِّيَامِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَصُومُ بَعْضَ يَوْمٍ، وَبَعْضُهُمْ بَعْضَ لَيْلَةٍ، وَهَدَانَا اللهُ لَهُ.. وَاخْتَلَفُوا فِي إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ كَانَ نَصْرَانِيًّا، فَبَرَّأَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، وَجَعَلَهُ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِلَّذِينَ يَدْعُونَهُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ.. وَاخْتَلَفُوا فِي عِيسَىٰ، فَجَعَلَتْهُ الْيَهُودُ لِفِرْيَةٍ، وَجَعَلَتْهُ النَّصَارَىٰ رَبًّا، فَهَدَانَا اللهُ لِلْحَقِّ فِيهِ، فَكَانَتْ هِدَايَةُ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ لِمَا اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، أَنْ وَفَّقَهُمْ لِإِصَابَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ قَبْلَ الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ إِذْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِ الْمُسْلِمِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَصَارُوا بِذَلِكَ أُمَّةً وَسَطًا، كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ..

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بِعِلْمِهِ بِمَا هَدَاهُمْ لَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْإِذْنِ إِذْ كَانَ بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا..

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣] وَاللهُ يُسَدِّدُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ وَيُرْشِدُهُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ عَلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، كَمَا هَدَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، لِمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِيهِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَسَدَّدَهُمْ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَالصَّوَابِ فِيهِ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْبَيَانُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْحَقِّ مِنْ أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ عَلَىٰ الْعِبَادِ فِي دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ، فَمِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾
[البقرة: ٢١٤].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أَنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ..

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ وَلَمْ يُصِبْكُمْ..

﴿مَّثَلُ﴾ شِبْهُ..

﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ وَمَضَوْا..

﴿مِن قَبْلِكُم﴾ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ وَالِاخْتِبَارِ..

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ فَتُبْتَلُوا بِمَا ابْتُلُوا وَاخْتُبِرُوا بِهِ مِنَ الْبَأْسَاءِ، وَهُوَ شِدَّةُ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ..

﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ وَهِيَ الْعِلَلُ وَالْأَوْصَابُ..

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ وَلَمْ تُزَلْزَلُوا زِلْزَالَهُمْ، يَعْنِي: وَلَمْ يُصِبْهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ شِدَّةٌ وَجَهْدٌ.. وَالزَّلْزَلَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ، لَا زَلْزَلَةُ الْأَرْضِ..

﴿حَتَّىٰ﴾ يَسْتَبْطِئَ الْقَوْمُ نَصْرَ اللهِ إِيَّاهُمْ، فـ

﴿يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ مَتَىٰ اللهُ نَاصِرُنَا؟..

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ أَنَّ نَصْرَهُ مِنْهُمْ قَرِيبٌ، وَأَنَّهُ مُعْلِيهِمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَمُظْهِرُهُمْ عَلَيْهِ، فَنَجَزَ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ، وَأَعْلَىٰ كَلِمَتَهُمْ، وَأَطْفَأَ نَارَ حَرْبِ الَّذِينَ كَفَرُوا.. وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ نَزَلَتْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، حِينَ لَقِيَ الْمُؤْمِنُونَ مَا لَقُوا مِنْ شِدَّةِ الْجَهْدِ مِنْ خَوْفِ الْأَحْزَابِ، وَشِدَّةِ أَذَىٰ الْبَرْدِ وَضِيقِ الْعَيْشِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ يَوْمَئِذٍ، يَقُولُ اللهُ -جَلَّ وَعَزَّ- لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠- ١١].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ يُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَتَصَدَّقُونَ بِهِ، وَعَلَىٰ مَنْ يُنْفِقُونَهُ فِيمَا يُنْفِقُونَهُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِهِ؟ فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَتَصَدَّقْتُمْ بِهِ..

﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ فَأَنْفِقوهُ، وَتَصَدَّقُوا بِهِ وَاجْعَلُوهُ لِآبَائِكُمْ، وَأُمَّهَاتِكُمْ..

﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ وَأَقْرَبِيكُمْ..

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ وَلِلْيَتَامَىٰ مِنْكُمْ..

﴿وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ فَإِنَّكُمْ مَا تَأْتُوا مِنْ خَيْرٍ وَتَصْنَعُوهُ إِلَيْهِمْ..

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥] وَهُوَ مُحْصِيهِ لَكُمْ حَتَّىٰ يُوَفِّيَكُمْ أُجُورَكُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُثِيبَكُمْ عَلَىٰ مَا أَطْعَمْتُمُوهُ بِإِحْسَانِكُمْ عَلَيْهِ.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ فُرِضَ عَلَيْكُمْ..

﴿الْقِتَالُ﴾ يَعْنِي: قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِذَلِكَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ!! وَهَذَا قَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ؛ لِأَنَّ نَسْخَ الْأَحْكَامِ مِنْ قِبَلِ اللهِ -جَلَّ وَعَزَّ- لَا مِنْ قِبَلِ الْعِبَادِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ حَتَّىٰ يَقُومَ بِهِ مَنْ فِي قِيَامِهِ الْكِفَايَةُ، فَيَسْقُطُ فَرْضُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ عَنْ بَاقِي الْمُسْلِمِينَ، كَالصَّلَاةِ عَلَىٰ الْجَنَائِزِ، وَغَسْلِهِمُ الْمَوْتَىٰ وَدَفْنِهِمْ، وَعَلَىٰ هَذَا عَامَّةُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ عِنْدَنَا؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلِقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [النساء: ٩٥]، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْفَضْلَ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَأَنَّ لَهُمْ وَلِلْقَاعِدِينَ الْحُسْنَىٰ، وَلَوْ كَانَ الْقَاعِدُونَ مُضَيِّعِينَ فَرْضًا لَكَانَ لَهُمُ السُّوأَىٰ لَا الْحُسْنَىٰ..

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾ وَهُوَ ذُو كُرْهٍ لَكُمْ، فَتَرَكَ ذِكْرَ (ذُو) اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].. وَالْكُرْهُ بِالضَّمِّ: هُوَ مَا حَمَلَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهِ أَحَدٍ إِيَّاهُ عَلَيْهِ، وَالْكَرْهُ بِفَتْحِ الْكَافِ: هُوَ مَا حَمَلَهُ غَيْرُهُ، فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ كَرْهًا..

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾ وَلَا تَكْرَهُوا الْقِتَالَ، فَإِنَّكُمْ لَعَلَّكُمْ إِنْ تَكْرَهُوهُ وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ، فَقَالَ: عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ..

﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ وَلَا تُحِبُّوا تَرْكَ الْجِهَادِ، فَلَعَلَّكُمْ إِنْ تُحِبُّوهُ وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، فَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقِتَالِ الْغَنِيمَةَ وَالظُّهُورَ وَالشَّهَادَةَ، وَلَكُمْ فِي الْقُعُودِ أَنْ لَا تَظْهَرُوا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَسْتَشْهِدُوا، وَلَا تُصِيبُوا شَيْئًا..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا هُوَ شَرٌّ لَكُمْ، فَلَا تَكْرَهُوا مَا كَتَبْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، وَقِتَالِ مِنْ أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِهِ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ قِتَالَكُمْ إِيَّاهُمْ، هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي عَاجِلِكُمْ، وَمَعَادِكُمْ، وَتَرْكِكُمْ قِتَالَهُمْ شَرٌّ لَكُمْ..

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦] مِنْ ذَلِكَ مَا أَعْلَمُ.. يَحُضُّهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ عَلَى جِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِي قِتَالِ مَنْ كَفَرَ بِهِ.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ وَذَلِكَ رَجَبٌ.. وَتُسَمِّيهِ العَرَبُ «مُضَرُ الأَصَمُّ» لِسُكُونِ أَصْوَاتِ السِّلَاحِ، وَقَعْقَعَتِهِ فِيهِ..

﴿قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ عَنْ قِتَالٍ فِيهِ، وَخَفْضُ «الْقِتَالِ» عَلَى مَعْنَى تَكْرِيرِ «عَنْ» عَلَيْهِ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قِتَالٞ فِيهِ﴾ الْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ..

﴿كَبِيرٞۚ﴾ أَيْ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ اسْتِحْلَالُهُ، وَسَفْكُ الدِّمَاءِ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ لَا تَقْرَعُ فِيهِ الْأَسِنَّةَ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوِ أَخِيهِ فِيهِ فَلَا يَهِيجُهُ؛ تَعْظِيمًا لَهُ..

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَمَعْنَى الصَّدِّ عَنِ الشَّيْءِ: الْمَنْعُ مِنْهُ، وَالدَّفْعُ عَنْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ: صَدَّ فُلَانٌ بِوَجْهِهِ عَنْ فُلَانٍ: إِذَا أَعْرَضَ عَنْهُ فَمَنَعَهُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ..

﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ وَكُفْرٌ بِاللهِ، وَالْبَاءُ فِي «بِهِ» عَائِدَةٌ عَلَى اسْمِ اللهِ الَّذِي فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَكُفْرٌ بِهِ، وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ﴾ وَإِخْرَاجُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُمْ أَهْلُهُ وَوُلَاتُهُ..

﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.. وَالنَّهْيُ عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وَلِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ «غَزَا هَوَازِنَ بِحُنَيْنٍ، وَثَقِيفًا بِالطَّائِفِ، وَأَرْسَلَ أَبَا عَامِرٍ إِلَىٰ أَوْطَاسٍ لِحَرْبِ مَنْ بِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي بَعْضِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ وَبَعْضِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَهُوَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ» فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْقِتَالُ فِيهِنَّ حَرَامًا وَفِيهِ مَعْصِيَةٌ، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ، وَأُخْرَىٰ: أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِسِيَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تَتَدَافَعُ أَنَّ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ عَلَىٰ قِتَالِ قُرَيْشٍ كَانَتْ فِي أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَأَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا دَعَا أَصْحَابَهُ إِلَيْهَا يَوْمَئِذٍ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ إِذْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ بِمَا أَرْسَلَهُ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، فَبَايَعَ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يُنَاجِزَ الْقَوْمَ الْحَرْبَ وَيُحَارِبَهُمْ، حَتَّىٰ رَجَعَ عُثْمَانُ بِالرِّسَالَةِ، وَجَرَىٰ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقُرَيْشٍ الصُّلْحُ، فَكَفَّ عَنْ حَرْبِهِمْ حِينَئِذٍ وَقِتَالِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَهُوَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ.. فَإِذَا ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ كَانَ بَعْدَ اسْتِحْلَالِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُنَّ لِمَا وَصَفْنَا مِنْ حُرُوبِهِ، فَقَدْ ظَنَّ جَهْلًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] فِي أَمْرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ الْقَتِيلِ الَّذِي قَتَلُوهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَمْرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ فِي آخِرِ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهِجْرَتِهِ إِلَيْهَا، وَكَانَتْ وَقْعَةُ حُنَيْنٍ، وَالطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ وَهِجْرَتِهِ إِلَيْهَا، وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْمُدَّةِ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ.. ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنِ الْفِتْنَةِ فَقَالَ..

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ وَالشِّرْكُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ..

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ وَلَا يَزَالُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ..

﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ إِنْ قَدَرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ وَمَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ دِينِ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤]، يَعْنِي بِقَوْلِهِ: فَارْتَدَّا: رَجَعَا، وَمَنْ ذَلِكَ قِيلَ: اسْتَرَدَّ فُلَانٌ حَقَّهُ مِنْ فُلَانٍ، إِذَا اسْتَرْجَعَهُ مِنْهُ..

﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ فَيَمُتْ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ مِنْ كُفْرِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَهُمُ الَّذِينَ..

﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ بطَلَتْ وَذهَبَتْ، وَبطُولِهَا: ذَهَابُ ثَوَابِهَا، وَبطُولِ الْأَجْرِ عَلَيْهَا وَالْجزَاءُ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ فَمَاتُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ هُمْ أَهْلُ النَّارِ الْمُخَلَّدُونَ فِيهَا، وَإِنَّمَا جعَلَهُمْ أَهْلَهَا لِأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، فَهُمْ سُكَّانُهَا الْمُقِيمُونَ فِيهَا، كَمَا يُقَالُ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ مَحلَّةِ كَذَا، يَعْنِي: سُكَّانهَا الْمُقِيمُونَ فِيهَا..

﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧] هُمْ فِيهَا لَابِثُونَ لُبْثًا مِنْ غَيْرِ أَمَدٍ وَلَا نِهَايَةٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَصَدَّقُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ مُسَاكَنَةَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَمْصَارِهِمْ، وَمُجَاوَرَتَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ، فَتَحَوَّلُوا عَنْهُمْ، وَعَنْ جِوَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ إِلَىٰ غَيْرِهَا، فَتَحَوَّلُوا مِنْ سُلْطَانِ أَهْلِ الشِّرْكِ هِجْرَةً لَهُمْ، وَخَوْفَ فِتْنَتِهِمْ عَلَىٰ أَدْيَانِهِمْ.. وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُهَاجِرِينَ لِهِجْرَتِهِمْ دُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ كَرَاهَةً مِنْهُمُ النُّزُولَ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ وَفِي سُلْطَانِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يَأْمَنُونَ فِتْنَتَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَأْمَنُونَ ذَلِكَ..

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَقَاتَلُوا وَحَارَبُوا فِي دَيْنِ اللهِ لِيُدْخِلُوهُمْ فِيهِ، وَفِيمَا يُرْضِي اللهَ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ يَطْمَعُونَ أَنْ يَرْحَمَهُمُ اللهُ فَيُدْخِلَهُمْ جَنَّتَهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ سَاتِرٌ ذُنُوبَ عِبَادِهِ بِعَفْوِهِ عَنْهَا..

﴿رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨] مُتَفَضِّلٌ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ.

﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ وَشُرْبِهَا.. وَالْخَمْرُ: كُلُّ شَرَابٍ خَامَرَ الْعَقْلَ فَسَتَرَهُ وَغَطَّىٰ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: خَمَّرْتُ الْإِنَاءَ، إِذَا غَطَّيْتُهُ، وَخَمَّرَ الرَّجُلُ، إِذَا دَخَلَ فِي الْخَمْرِ، وَمَا خَامَرَ الْعَقْلَ مِنْ دَاءٍ وَسُكْرٍ فَخَالَطَهُ وَغَمَرَهُ فَهُوَ خَمْرٌ، وَمَنْ ذَلِكَ أَيْضًا خِمَارُ الْمَرْأَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَسْتُرُ بِهِ رَأْسَهَا فَتُغَطِّيهِ..

﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: يَسَّرَ لِي هَذَا الْأَمْرَ إِذَا وَجَبَ لِي، وَالْيَاسِرُ الْوَاجِبُ، ثُمَّ قِيلَ لِلْمُقَامِرِ: يَاسِرٌ، وَقِيلَ لِلْقِمَارِ: مَيْسِرٌ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِيهِمَآ﴾ لَهُمْ فِيهِمَا، يَعْنِي فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ..

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فَالْإِثْمُ الْكَبِيرُ الَّذِي فِيهِ الْخَمْرِ زَوَالُ عَقْلِ شَارِبِ الْخَمْرِ إِذَا سَكِرَ مِنْ شُرْبِهِ إِيَّاهَا حَتَّىٰ يَعْزُبَ عَنْهُ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ، وَذَلِكَ أَعْظَمُ الْآثَامِ، وَأَمَّا فِي الْمَيْسِرِ فَمَا فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ بِهِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَعَنِ الصَّلَاةِ، وَوُقُوعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُتَيَاسِرَيْنِ بِسَبَبِهِ، كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ بِهِ رَبُّنَا -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١]..

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فَإِنَّ مَنَافِعَ الْخَمْرِ كَانَتْ أَثْمَانَهَا قَبْلَ تَحْرِيمِهَا، وَمَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ بِشُرْبِهَا مِنَ اللَّذَّةِ، وَأَمَّا مَنَافِعُ الْمَيْسِرِ فَمَا يُصِيبُونَ فِيهِ مِنْ أَنْصِبَاءِ الْجَزُورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُيَاسِرُونَ عَلَىٰ الْجَزُورِ..

﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ وَالْإِثْمُ بِشُرْبِ هَذِهِ، وَالْقِمَارُ هَذَا..

﴿أَكْبَرُ﴾ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مَضَرَّةً عَلَيْهِمْ..

﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾ مِنَ النَّفْعِ الَّذِي يَتَنَاوَلُونَ بِهِمَا، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَكِرُوا وَثَبَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَقَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَإِذَا يَاسَرُوا وَقَعَ بَيْنَهُمْ فِيهِ بِسَبَبِهِ الشَّرُّ، فَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا يَأْثَمُونَ بِهِ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْخَمْرِ قَبْلَ أَنْ يُصَرِّحَ بِتَحْرِيمِهَا، فَأَضَافَ الْإِثْمَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِلَيْهِمَا، وَإِنَّمَا الْإِثْمُ بِأَسْبَابِهِمَا؛ إِذْ كَانَ عَنْ سَبَبِهِمَا يَحْدُثُ..

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أَيَّ شَيْءٍ يُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَتَصَدَّقُونَ بِهِ، فَـ

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْعَفْوَ﴾ أَنْفِقُوا مِنْهَا الْعَفْوَ، وَهُوَ الْفَضْلُ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَهْلِهِ فِي مُؤُونَتِهِمْ وَمَا لَابُدَّ لَهُمْ مِنْهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْإِذْنِ فِي الصَّدَقَةِ فِي وَجْهِ

الْبِرِّ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فَقِيرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ فَلْيَبْدَأْ مَعَ نَفْسِهِ بِمَنْ يَعُولُ، ثُمَّ إِنْ وَجَدَ فَضْلًا بَعْدَ ذَلِكَ فَلْيَتَصَدَّقْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ».. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ.. فَإِذَا كَانَ الَّذِي أَذِنَ ﷺ لِأُمَّتِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِالْفَضْلِ عَنْ حَاجَةِ الْمُتَصَدِّقِ الْفَضْلَ مِنْ ذَلِكَ، هُوَ الْعَفْوُ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ؛ إِذْ كَانَ الْعَفْوُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي الْمَالِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الزِّيَادَةُ وَالْكَثْرَةُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٥] بِمَعْنَىٰ: زَادُوا عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَدِ وَكَثُرُوا.. وقَوْلُهُ: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ لَيْسَ بِإِيجَابِ فَرْضٍ فُرِضَ مِنَ اللهِ، وَلَكِنَّهُ إِعْلَامٌ مِنْهُ مَا يُرْضِيهُ مِنَ النَّفَقَةِ مِمَّا يُسْخِطُهُ، جَوَابًا لِمَنْ سَأَلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا فِيهِ لَهُ رِضًا، فَهُوَ أَدَبٌ مِنَ اللهِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ عَلَىٰ مَا أَدَّبَهُمْ بِهِ فِي الصَّدَقَةِ غَيْرِ الْمَفْرُوضَاتِ، ثَابِتُ الْحُكْمِ غَيْرُ نَاسِخٍ لِحُكْمٍ كَانَ قَبْلَهُ بِخِلَافِهِ، وَلَا مَنْسُوخٍ بِحُكْمٍ حَدَثَ بَعْدَهُ، فَلَا يَنْبَغِي لِذِي وَرَعٍ وَدِينٍ أَنْ يَتَجَاوَزَ فِي صَدَقَاتِ التَّطَوُّعِ وَهِبَاتِهِ وَعَطَايَا النَّفْلِ وَصَدَقَتِهِ مَا أَدَّبَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِذَا كَانَ عِنْدَ أَحَدِكُمْ فَضْلٌ فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ بِوَلَدِهِ»، ثُمَّ يَسْلُكُ حِينَئِذٍ فِي الْفَضْلِ مَسَالِكَهُ الَّتِي تُرْضِي اللهَ وَيُحِبُّهَا، وَذَلِكَ هُوَ الْقَوَامُ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْإِقْتَارِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ..

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ هَكَذَا يُبَيِّنُ، أَيْ: مَا بَيَّنْتُ لَكُمْ أَعْلَامِي وَحُجَجِي، وَهِيَ آيَاتُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَعَرَّفْتُكُمْ فِيهَا مَا فِيهِ خَلَاصُكُمْ مِنْ عِقَابِي، وَبَيَّنْتُ لَكُمْ حُدُودِي، وَفَرَائِضِي، وَنَبَّهْتُكُمْ فِيهَا عَلَىٰ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِي، ثُمَّ عَلَىٰ حُجَجِ رَسُولِي إِلَيْكُمْ، فَأَرْشَدْتُكُمْ إِلَىٰ ظُهُورِ الْهُدَىٰ، فَكَذَلِكَ أُبَيِّنُ لَكُمْ فِي سَائِرِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ نَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ آيَاتِي وَحُجَجِي، وَأُوَضِّحُهَا لَكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩] لِتَتَفَكَّرُوا فِي وَعْدِي، وَوَعِيدِي، وَثَوَابِي، وَعِقَابِي.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٠﴾ [البقرة: ٢٢٠].

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فَتَخْتَارُوا طَاعَتِي الَّتِي تَنَالُونَ بِهَا ثَوَابِي فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْفَوْزَ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ عَلَىٰ الْقَلِيلِ مِنَ اللَّذَّاتِ، وَالْيَسِيرِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، بِرُكُوبِ مَعْصِيَتِي فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، الَّتِي مَنْ رَكِبَهَا كَانَ مَعَادُهُ إِلَيَّ، وَمَصِيرُهُ إِلَىٰ مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِي، وَعَذَابِي..

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ عَنْ مَالِ الْيَتَامَىٰ، وَخَلْطِهِمْ أَمْوَالَهُمْ بِهِ فِي النَّفَقَةِ، وَالْمُطَاعَمَةِ، وَالْمُشَارَبَةِ، وَالْمُسَاكَنَةِ، وَالْخِدْمَةِ، فَـ...

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ تَفَضُّلُكُمْ عَلَيْهِمْ بِإِصْلَاحِكُمْ أَمْوَالَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَرْزِئَةِ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَغَيْرِ أَخْذِ عِوَضٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَىٰ إِصْلَاحِكُمْ ذَلِكَ لَهُمْ..

﴿خَيْرٌ﴾ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ، وَأَعْظَمُ لَكُمْ أَجْرًا، لِمَا لَكُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ، وَالثَّوَابِ، وَخَيْرٌ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَوَفُّرِ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِمْ..

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ فَتُشَارِكُوهُمْ بِأَمْوَالِكُمْ أَمْوَالَهُمْ فِي نَفَقَاتِكُمْ، وَمَطَاعِمِكُمْ، وَمَشَارِبِكُمْ، وَمَسَاكِنِكُمْ، فَتَضْمَنُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ عِوَضًا مِنْ قِيَامِكُمْ بِأُمُورِهِمْ، وَأَسْبَابِهِمْ، وَإِصْلَاحِ أَمْوَالِهِمْ..

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَالْإِخْوَانُ يُعِينُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَكْنُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ فَذُو الْمَالِ يُعِينُ ذَا الْفَاقَةِ، وَذُو الْقُوَّةِ فِي الْجِسْمِ يُعِينُ ذَا الضَّعْفِ، فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَأَيْتَامُكُمْ كَذَلِكَ إِنْ خَالَطْتُمُوهُمْ بِأَمْوَالِكُمْ، فَخَلَطْتُمْ طَعَامَكُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَكُمْ بِشَرَابِهِمْ، وَسَائِرَ أَمْوَالِكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ، فَأَصَبْتُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَضْلَ مَرْفَقٍ بِمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ قِيَامِكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَوَلَائِهِمْ، وَمَعْانَاةِ أَسْبَابِهِمْ عَلَىٰ النَّظَرِ مِنْكُمْ لَهُمْ نَظَرَ الْأَخِ الشَّفِيقِ لِأَخِيهِ الْعَامِلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ، فَذَلِكَ لَكُمْ حَلَالٌ؛ لِأَنَّكُمْ إِخْوَانٌ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ فَإِنَّ رَبَّكُمْ وَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ فِي مُخَالَطَتِكُمُ الْيَتَامَىٰ عَلَىٰ مَا أَذِنَ لَكُمْ بِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تُخَالِطُوهُمْ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَكْلَ أَمْوَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ، وَتَجْعَلُونَ مُخَالَطَتَكِمْ إِيَّاهُمْ ذَرِيعَةً لَكُمْ إِلَىٰ إِفْسَادِ أَمْوَالِهِمْ، وَأَكْلِهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ مِنْهُ الْعُقُوبَةَ الَّتِي لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهَا، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَنْ خَالَطَ مِنْكُمْ يَتِيمَهُ فَشَارَكَهُ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَسْكَنِهِ وَخَدَمِهِ وَرُعَاتِهِ فِي حَالِ مُخَالَطَتِهِ إِيَّاهُ مَا الَّذِي يَقْصِدُ بِمُخَالَطَتِهِ إِيَّاهُ، إِفْسَادَ مَالِهِ وَأَكْلَهُ بِالْبَاطِلِ، أَمْ إِصْلَاحَهُ وَتَثْمِيرَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيَعْلَمُ أَيُّكُمُ الْمُرِيدُ إِصْلَاحَ مَالِهِ، مِنَ الْمُرِيدِ إِفْسَادَهُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَحَرَّمَ مَا أَحَلَّهُ لَكُمْ مِنْ مُخَالَطَةِ أَيْتَامِكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ أَمْوَالَهُمْ، فَجَهَدَكُمْ ذَلِكَ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَىٰ الْقِيَامِ بِاللَّازِمِ لَكُمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْوَاجِبِ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ فَرْضِهِ، وَلَكِنَّهُ رَخَّصَ لَكُمْ فِيهِ، وَسَهَّلَهُ عَلَيْكُمْ، رَحْمَةً بِكُمْ وَرَأْفَةً..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فِي سُلْطَانِهِ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ -مِمَّا أَحَلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَةٍ- لَوْ أَعْنَتَكُمْ بِمَا يُجْهِدُكُمْ

الْقِيَامُ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَقَصَّرْتُمْ فِي الْقِيَامِ بِهِ، وَلَا يَقْدِرُ دَافِعٌ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْ ذَلِكَ وَلَا عَنْ غَيْرِهِ مِمَّا يَفْعَلُهُ بِكُمْ وَبِغَيْرِكُمْ مِنْ ذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ هُوَ، لَكِنَّهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ مَنَّ عَلَيْكُمْ بِتَرْكِ تَكْلِيفِهِ إِيَّاكُمْ ذَلِكَ..

﴿حَكِيمٌ ۝٢٢٠﴾ [البقرة: ٢٢٠] وَهُوَ حَكِيمٌ فِي ذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ بِكُمْ، وَفِي غَيْرِهِ مِنْ أَحْكَامِهِ، وَتَدْبِيرِهِ لَا يَدْخُلُ أَفْعَالَهُ خَلَلٌ وَلَا نَقْصٌ وَلَا وَهْيٌ وَلَا عَيْبٌ؛ لِأَنَّهُ فِعْلُ ذِي الْحِكْمَةِ الَّذِي لَا يَجْهَلُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ، فَيَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ مَذَمَّةُ عَاقِبَةٍ، كَمَا يَدْخُلُ ذَلِكَ أَفْعَالَ الْخَلْقِ لِجَهْلِهِمْ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، لِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ فِيهَا ابْتِدَاءً.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٢١﴾

[البقرة: ٢٢١].

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ فَيُصَدِّقْنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ..

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدَ اللهِ..

﴿خَيْرٌ﴾ عِنْدَ اللهِ، وَأَفْضَلُ..

﴿مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ مِنْ حُرَّةٍ مُشْرِكَةٍ كَافِرَةٍ، وَإِنْ شَرُفَ نَسَبُهَا وَكَرُمَ أَصْلُهَا.. يَقُولُ: وَلَا تَبْتَغُوا الْمُنَاكِحَ فِي ذَوَاتِ الشَّرَفِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، فَإِنَّ الْإِمَاءَ الْمُسْلِمَاتِ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مَنْكَحًا مِنْهُنَّ..

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ وَإِنْ أَعْجَبَتْكُمُ الْمُشْرِكَةُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْجَمَالِ وَالْحَسَبِ وَالْمَالِ فَلَا تَنْكِحُوهَا، فَإِنَّ الْأَمَةَ الْمُؤْمِنَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْهَا..

﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَنْكِحْنَ مُشْرِكًا، كَائِنًا مَنْ كَانَ الْمُشْرِكُ، مِنْ أَيِّ أَصْنَافِ الشِّرْكِ كَانَ، فَلَا تُنْكِحُوهُنَّ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ..

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ وَلَأَنْ تُزَوِّجُوهُنَّ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُزَوِّجُوهُنَّ مِنْ حُرٍّ مُشْرِكٍ وَلَوْ شَرُفَ نَسَبُهُ

وَكَرُمَ أَصْلُهُ، وَإِنْ أَعْجَبَكُمْ حَسَبُهُ، وَنَسَبُهُ.. وهَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ أَوْلِيَاءَ الْمَرْأَةِ أَحَقُّ بِتَزْوِيجِهَا مِنَ الْمَرْأَةِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مُنَاكَحَتَهُمْ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَنِسَائِهِمْ..

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يَدْعُونَكُمْ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا يُدْخِلُكُمُ النَّارَ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَمَلُ الَّذِي هُمْ بِهِ عَامِلُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ مَا يَقُولُونَ، وَلَا تَسْتَنْصِحُوهُمْ، وَلَا تَنْكِحُوهُمْ، وَلَا تُنْكِحُوا إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا، وَلَكِنِ اقْبَلُوا مِنَ اللهِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ..

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا يُدْخِلُكُمُ الْجَنَّةَ وَيُوجِبُ لَكُمُ النَّجَاةَ إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ مِنَ النَّارِ..

﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ وَإِلَىٰ مَا يَمْحُو خَطَايَاكُمْ أَوْ ذُنُوبَكُمْ فَيَعْفُو عَنْهَا، وَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ..

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ فَإِنَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ بِإِعْلَامِهِ إِيَّاكُمْ سَبِيلَهُ وَطَرِيقَهُ الَّذِي بِهِ الْوُصُولُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ..

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ وَيُوضِحُ حُجَجَهُ وَأَدِلَّتَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ لِعِبَادِهِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾ [البقرة: ٢٢١] لِيَتَذَكَّرُوا فَيَعْتَبِرُوا، وَيُمَيِّزُوا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحَدُهُمَا دُعَاءٌ إِلَىٰ النَّارِ وَالْخُلُودِ فِيهَا، وَالْآخَرُ دُعَاءٌ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَغُفْرَانِ الذُّنُوبِ، فَيَخْتَارُوا خَيْرَهُمَا لَهُمْ، وَلَمْ يَجْهَلِ التَّمْيِيزَ بَيْنَ هَاتَيْنِ إِلَّا غَبِيُّ الرَّأْيِ، مَدْخُولُ الْعَقْلِ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ﴾ عَنِ الْحَيْضِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ بَيَانِ اللهِ لَهُمْ مَا يَتَبَيَّنُونَ مِنْ أَمْرِهِ، لَا يُسَاكِنُونَ حَائِضًا فِي بَيْتٍ، وَلَا يُؤَاكِلُونَهُنَّ فِي إِنَاءٍ، وَلَا يُشَارِبُونَهُنَّ، فَعَرَّفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ حَيْضِ نِسَائِهِمْ أَنْ يَجْتَنِبُوا جِمَاعَهُنَّ فَقَطْ دُونَ مَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ مُضَاجَعَتِهِنَّ، وَمُؤَاكَلَتِهِنَّ، وَمُشَارَبَتِهِنَّ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمْ سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ يَجْتَنِبُونَ إِتْيَانَهِنَّ فِي مَخْرَجِ الدَّمِ وَيَأْتُونَهُنَّ

فِي أَدْبَارِهِنَّ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ أَنْ يَقْرَبُوهُنَّ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ إِذَا تَطَهَّرْنَ مِنْ حَيْضِهِنَّ فِي إِتْيَانِهِنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِاعْتِزَالِهِنَّ، وَحَرَّمَ إِتْيَانَهُنَّ فِي أَدْبَارِهِنَّ بِكُلِّ حَالٍ..

﴿قُلْ﴾ لِمَنْ سَأَلَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ يَا مُحَمَّدُ عَنِ الْمَحِيضِ..

﴿هُوَ أَذًى﴾ يُوذِي بِهِ مِنْ مَكْرُوهٍ فِيهِ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يُسَمَّىٰ أَذًىٰ لِنَتَنِ رِيحِهِ وَقَذَرِهِ وَنَجَاسَتِهِ، وَهُوَ جَامِعٌ لِمَعَانٍ شَتَّىٰ مِنْ خِلَالِ الْأَذَىٰ غَيْرِ وَاحِدَةٍ..

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ فَاعْتَزِلُوا جِمَاعَ النِّسَاءِ، وَنِكَاحَهُنَّ فِي مَحِيضِهِنَّ..

﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا النِّسَاءَ فِي حَالِ حَيْضِهِنَّ..

﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ حَتَّىٰ يَنْقَطِعَ عَنْهُنَّ دَمُ الْحَيْضِ ويَغْتَسِلْنَ بِالْمَاءِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ حَرَامًا عَلَىٰ الرَّجُلِ أَنْ يَقْرَبَ امْرَأَتَهُ بَعْدَ انْقِطَاعِ دَمِ حَيْضِهَا حَتَّىٰ تَطْهُرَ..

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ فَإِذَا اغْتَسَلْنَ فَتَطَهَّرْنَ بِالْمَاءِ..

﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ فَجَامِعُوهُنَّ..

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ مِنْ قِبَلِ طُهْرِهِنَّ فِي فُرُوجِهِنَّ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أَذِنَ اللهُ لَكُمْ بِإِتْيَانِهِنَّ، وَذَلِكَ حَالُ طُهْرِهِنَّ وَتَطَهُّرِهِنَّ دُونَ حَالِ حَيْضِهِنَّ..

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ الْمُنِيبِينَ مِنَ الْإِدْبَارِ عَنِ اللهِ وَعَنْ طَاعَتِهِ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْأَحْدَاثِ لِلصَّلَاةِ، وَالْمُتَطَهِّرَاتِ بِالْمَاءِ مِنَ الْحَيْضِ، وَالنِّفَاسِ، وَالْجَنَابَةِ، وَالْأَحْدَاثِ مِنَ النِّسَاءِ.. وَإِنَّمَا قَالَ: وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَلَمْ يَقُلِ الْمُتَطَهِّرَاتِ، وَإِنَّمَا جَرَىٰ قَبْلَ ذَلِكَ ذِكْرُ التَّطَهُّرِ لِلنِّسَاءِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْمُتَطَهِّرِينَ يَجْمَعُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ، وَلَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْمُتَطَهِّرَاتِ لَمْ يَكُنْ لِلرِّجَالِ فِي ذَلِكَ حَظٌّ، وَكَانَ لِلنِّسَاءِ خَاصَّةً، فَذَكَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِالذِّكْرِ الْعَامِّ جَمِيعَ عِبَادِهِ الْمُكَلَّفِينَ؛ إِذْ كَانَ قَدْ تَعَبَّدَ جَمِيعَهُمْ بِالتَّطَهُّرِ بِالْمَاءِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الْأَسْبَابُ الَّتِي تُوجِبُ التَّطَهُّرَ عَلَيْهِمْ بِالْمَاءِ فِي بَعْضِ الْمَعَانِي وَاتَّفَقَتْ فِي بَعْضٍ.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ نِسَاؤُكُمْ مُزْدَرَعُ أَوْلَادِكُمْ..

﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ فَانْكِحُوا مُزْدَرَعَ أَوْلَادِكُمْ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ وُجُوهِ الْمَأْتَىٰ،

وَالْإِتْيَانُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كِنَايَةٌ عَنِ اسْمِ الْجِمَاعِ، فَأْتُوا مُزْدَرَعَكُمْ كَيْفَ شِئْتُمْ، وَأَيْنَ شِئْتُمْ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْحَرْثِ الْمُزْدَرَعِ، وَالْحَرْثُ هُوَ الزَّرْعُ، وَلَكِنَّهُنَّ لَمَّا كُنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْحَرْثِ جُعِلْنَ حَرْثًا؛ إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ..

﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ الْخَيْرَ.. وَهُوَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ بِتَقْدِيمِ الْخَيْرِ، وَالصَّالِحِ مِنَ الْأَعْمَالِ لِيَوْمِ مَعَادِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، عِدَّةً مِنْهُمْ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، فَإِنَّهُ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؟! قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُقْصَدْ بِهِ مَا تَوَهَّمْتَهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي نَدَبْنَاكُمْ إِلَيْهَا بِقَوْلِنَا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وَمَا بَعْدَهُ مِنْ سَائِرِ مَا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأُجِيبُوا عَنْهُ مِمَّا ذَكَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، ثُمَّ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ مَا فِيهِ رُشْدُكُمْ وَهِدَايَتُكُمْ إِلَىٰ مَا يُرْضِي رَبَّكُمْ عَنْكُمْ، فَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمُ الْخَيْرَ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَاتَّخِذُوا عِنْدَهُ بِهِ عَهْدًا لِتَجِدُوهُ لَدَيْهِ إِذَا لَقِيتُمُوهُ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فِي مَعَاصِيهِ أَنْ تَقْرَبُوهَا وَفِي حُدُودِهِ أَنْ تُضَيِّعُوهَا..

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ لَا مَحَالَةَ، فِي مَعَادِكُمْ، فَمُجَازٍ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.. وَهَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ أَنْ يَأْتُوا شَيْئًا مِمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَتَخْوِيفٌ لَهُمْ عِقَابَهُ عِنْدَ لِقَائِهِ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ..

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣] وَهَذَا أَمْرٌ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يُبَشِّرَ مِنْ عِبَادِهِ -بِالْفَوْزِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِكَرَامَةِ الْآخِرَةِ، وَبِالْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ- مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُحْسِنًا مُؤْمِنًا بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِلِقَائِهِ، مُصَدِّقًا إِيمَانَهُ قَوْلًا بِعَمَلِهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضِهِ فِيمَا أَلْزَمَهُ مِنْ حُقُوقِهِ، وَبِتَجَنُّبِهِ مَا أَمَرَهُ بِتَجَنُّبِهِ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤].

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا الْحَلِفَ بِاللهِ حُجَّةً لَكُمْ فِي تَرْكِ فِعْلِ الْخَيْرِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَلَا تَجْعَلُوا اللهَ قُوَّةً لِأَيْمَانِكُمْ فِي أَنْ لَا تَبَرُّوا، وَلَا تَتَّقُوا، وَلَا تُصْلِحُوا

بَيْنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَرَأَىٰ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِمَّا حَلَفَ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الْبِرِّ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلْيَحْنَثْ فِي يَمِينِهِ، وَلْيَبَرَّ، وَلْيَتَّقِ اللهَ، وَلْيُصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ..

﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ بِفِعْلِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَفْعَالَ الْخَيْرِ كُلَّهَا مِنَ الْبِرِّ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مَعْنَىٰ دُونَ مَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِي الْبِرِّ، فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ، وَالْبِرُّ بِذَوِي الْقَرَابَةِ أَحَدُ مَعَانِي الْبِرِّ..

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ رَبَّكُمْ فَتَحْذَرُوهُ وَتَحْذَرُوا عِقَابَهُ فِي فَرَائِضِهِ، وَحُدُودِهِ أَنْ تُضَيِّعُوهَا أَوْ تَتَعَدَّوْهَا..

﴿وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ بِالْمَعْرُوفِ فِيمَا لَا مَأْثَمَ فِيهِ، وَفِيمَا يُحِبُّهُ اللهُ دُونَ مَا يَكْرَهُهُ.. وَغَيْرُ مُحَالٍ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ بَيَانِ كَفَّارَاتِ الْأَيْمَانِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَاكْتُفِيَ بِذِكْرِهَا هُنَاكَ عَنْ إِعَادَتِهَا هَاهُنَا؛ إِذْ كَانَ الْمُخَاطَبُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَدْ عَلِمُوا الْوَاجِبَ مِنَ الْكَفَّارَاتِ فِي الْأَيْمَانِ الَّتِي يَحْنَثُ فِيهَا الْحَالِفُ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يَقُولُهُ الْحَالِفُ مِنْكُمْ بِاللهِ إِذَا حَلَفَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَبَرُّ، وَلَا أَتَّقِي، وَلَا أُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قِيلِكُمْ وَأَيْمَانِكُمْ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤] بِمَا تَقْصُدُونَ وَتَبْتَغُونَ بِحَلِفِكُمْ ذَلِكَ الْخَيْرَ تُرِيدُونَ أَمْ غَيْرَهُ؛ لِأَنِّي عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَمَا تُضْمِرُهُ الصُّدُورُ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيَّ خَافِيَةٌ، وَلَا يَنْكَتِمُ عَنِّي أَمْرٌ عُلِنَ فَظَهَرَ أَوْ خَفِيَ فَبَطَنَ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- تَهَدُّدٌ وَوَعِيدٌ؛ يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: وَاتَّقُونِ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تُظْهِرُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ مِنَ الْقَوْلِ، أَوْ بِأَبْدَانِكُمْ مِنَ الْفِعْلِ، مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، أَوْ تُضْمِرُوا فِي أَنْفُسِكُمْ وَتَعْزِمُوا بِقُلُوبِكُمْ مِنَ الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ فِعْلَ مَا زَجَرْتُكُمْ عَنْهُ، فَتَسْتَحِقُّوا بِذَلِكَ مِنِّي الْعُقُوبَةَ الَّتِي قَدْ عَرَّفْتُكُمُوهَا، فَإِنِّي مُطَّلِعٌ عَلَىٰ جَمِيعِ مَا تُعْلِنُونَهُ أَوْ تُسِرُّونَهُ.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾
[البقرة: ٢٢٥].

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ اللَّغْوُ مِنَ الْكَلَامِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كُلُّ كَلَامٍ كَانَ مَذْمُومًا، وَفِعْلًا لَا مَعْنَىٰ لَهُ مَهْجُورًا.. فَإِذَا كَانَ اللَّغْوُ مَا وَصَفْتُ، وَكَانَ الْحَالِفُ بِاللهِ مَا فَعَلْتُ كَذَا وَقَدْ فَعَلَ، وَلَقَدْ فَعَلْتُ كَذَا وَمَا فَعَلَ، وَاصِلًا بِذَلِكَ كَلَامَهُ عَلَىٰ سَبِيلِ سُبُوقِ لِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدِ إِثْمٍ فِي يَمِينِهِ، وَلَكِنْ لِعَادَةٍ قَدْ جَرَتْ لَهُ عِنْدَ عَجَلَةِ الْكَلَامِ، وَالْقَائِلُ: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَفُلَانٌ، وَهُوَ يَرَاهُ كَمَا قَالَ، أَوْ وَاللهِ مَا هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ يَرَاهُ لَيْسَ بِهِ، وَالْقَائِلُ: لَيَفْعَلَنَّ كَذَا وَاللهِ، أَوْ لَا يَفْعَلُ كَذَا وَاللهِ،

عَلَىٰ سَبِيلِ مَا وَصَفْنَا مِنْ عَجَلَةِ الْكَلَامِ، وَسُبُوقِ اللِّسَانِ لِلْعَادَةِ، عَلَىٰ غَيْرِ تَعَمُّدِ حَلِفٍ عَلَىٰ بَاطِلٍ، وَالْقَائِلُ هُوَ مُشْرِكٌ أَوْ هُوَ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ كَذَا، أَوْ إِنْ فَعَلَ كَذَا مِنْ غَيْرِ عَزْمٍ عَلَىٰ كُفْرٍ، أَوْ يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ؛ جَمِيعُهُمْ قَائِلُونَ هُجْرًا مِنَ الْقَوْلِ، وَذَمِيمًا مِنَ الْمَنْطِقِ، وَحَالِفُونَ مِنَ الْأَيْمَانِ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَمْ تَتَعَمَّدْ فِيهِ الْإِثْمُ قُلُوبُهُمْ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُمْ لُغَاةٌ فِي أَيْمَانِهِمْ لَا تَلْزَمُهُمُ كَفَّارَةٌ فِي الْعَاجِلِ، وَلَا عُقُوبَةٌ فِي الْآجِلِ لِإِخْبَارِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ غَيْرُ مُؤَاخِذٍ عِبَادَهُ بِمَا لَغَوْا مِنْ أَيْمَانِهِمْ، وَأَنَّ الَّذِي هُوَ مُؤَاخِذُهُمْ بِهِ مَا تَعَمَّدَتْ فِيهِ الْإِثْمَ قُلُوبُهُمْ.. فَإِنَّ اللهَ لَا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا لَغَتْهُ أَلْسِنَتُكُمْ مِنْ أَيْمَانِكُمْ، فَنَطَقَتْ بِهِ مِنْ قَبِيحِ الْأَيْمَانِ وَذَمِيمِهَا، عَلَىٰ غَيْرِ تَعَمُّدِكُمُ الْإِثْمَ وَقَصْدِكُمْ بِعَزَائِمِ صُدُورِكُمْ إِلَىٰ إِيجَابِ عَقْدِ الْأَيْمَانِ الَّتِي حَلَفْتُمْ بِهَا، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا تَعَمَّدْتُمْ فِيهِ عَقْدَ الْيَمِينِ وَإِيجَابِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَعَزَمْتُمْ عَلَىٰ الْإِتْمَامِ عَلَىٰ مَا حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ بِقَصْدٍ مِنْكُمْ وَإِرَادَةٍ، فَيَلْزَمُكُمْ حِينَئِذٍ إِمَّا كَفَّارَةٌ فِي الْعَاجِلِ، وَإِمَّا عُقُوبَةٌ فِي الْآجِلِ..

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَوْعَدَ عِبَادَهُ أَنْ يُؤَاخِذَهُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْأَيْمَانِ، فَالَّذِي تَكْسِبُهُ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْأَيْمَانِ، هُوَ مَا قَصَدَتْهُ وَعَزَمَتْ عَلَيْهِ عَلَىٰ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ مِنْهَا بِمَا تَقْصِدُهُ وَتُرِيدُهُ، وَذَلِكَ يَكُونُ مِنْهَا عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: **أَحَدُهُمَا** عَلَىٰ وَجْهِ الْعَزْمِ عَلَىٰ مَا يَكُونُ بِهِ الْعَازِمُ عَلَيْهِ فِي حَالِ عَزْمِهِ بِالْعَزْمِ عَلَيْهِ آثِمًا، وَبِفِعْلِهِ مُسْتَحِقًّا الْمُؤَاخَذَةَ مِنَ اللهِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ كَالْحَالِفِ عَلَىٰ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَفْعَلْهُ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَهُ، وَعَلَىٰ الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ فَعَلَهُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ، قَاصِدًا لِقِيلِ الْكَذِبِ، وَذَاكِرًا أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ، فَيَكُونُ الْحَالِفُ بِذَلِكَ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ وَاخَذَهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ بِتَفَضُّلِهِ، وَلَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ فِيهَا فِي الْعَاجِلِ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ الَّتِي يَحْنَثُ فِيهَا، وَإِنَّمَا الْكَفَّارَةُ تَجِبُ فِي الْأَيْمَانِ بِالْحِنْثِ فِيهَا، وَالْحَالِفُ الْكَاذِبُ فِي يَمِينِهِ لَيْسَتْ يَمِينُهُ مِمَّا يَتَبَدَّأُ فِيهِ الْحِنْثُ فَتَلْزَمُ فِيهِ الْكَفَّارَةُ.. **وَالْوَجْهُ الْآخَرُ مِنْهُمَا**: عَلَىٰ وَجْهِ الْعَزْمِ عَلَىٰ إِيجَابِ عَقْدِ الْيَمِينِ فِي حَالِ عَزْمِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَذَلِكَ مِمَّا لَا يُؤَاخَذُ بِهِ صَاحِبُهُ حَتَّىٰ يَحْنَثَ فِيهِ بَعْدَ حَلِفِهِ، فَإِذَا حَنِثَ فِيهِ بَعْدَ حَلِفِهِ كَانَ مُؤَاخَذًا بِمَا كَانَ اكْتَسَبَهُ قَلْبُهُ مِنَ الْحَلِفِ بِاللهِ عَلَىٰ إِثْمٍ، وَكَذِبٍ فِي الْعَاجِلِ بِالْكَفَّارَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ كَفَّارَةً لِذَنْبِهِ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِعِبَادِهِ فِيمَا لَغَوْا مِنْ أَيْمَانِهِمُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُهُمْ بِهَا، وَلَوْ شَاءَ وَاخَذَهُمْ بِهَا، وَلَمَّا وَاخَذَهُمْ بِهَا فَكَفَّرُوهَا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِالتَّكْفِيرِ فِيهِ، وَلَوْ شَاءَ وَاخَذَهُمْ فِي آجِلِ

الْآخِرَةِ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ، فَسَاتِرٌ عَلَيْهِمْ فِيهَا، وَصَافِحٌ لَهُمْ بِعَفْوِهِ عَنِ الْعُقُوبَةِ فِيهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿حَلِيمٌ ۝٢٢٥﴾ [البقرة: ٢٢٥] فِي تَرْكِهِ مُعَاجَلَةَ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِمْ.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢٦﴾ [البقرة: ٢٢٦].

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ لِلَّذِينَ يُقْسِمُونَ..

﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ أَنْ يَعْتَزِلُوا مِنْ نِسَائِهِمْ..

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ وَهِيَ الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لِلمُؤْلِي تَرَبُّصَهَا، قَائِلًا فِي غَضَبٍ كَانَ ذَلِكَ أَوْ رِضًا..

﴿فَإِن فَآءُو﴾ فَإِنْ رَجَعُوا إِلَىٰ تَرْكِ مَا حَلَفُوا عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلُوهُ بِهِنَّ مِنْ تَرْكِ جِمَاعِهِنَّ فَجَامَعُوهُنَّ وَحَنِثُوا فِي أَيْمَانِهِمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلْمُؤْلِينَ مِنْ نِسَائِهِمْ فِيمَا حَنِثُوا فِيهِ مِنْ إِيلَائِهِمْ، فَإِنَّ فَاءُوا فَكَفَّرُوا أَيْمَانَهُمْ بِمَا أَلْزَمَ اللهُ الْحَانِثِينَ فِي أَيْمَانِهِمْ مِنَ الْكَفَّارَةِ، لِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْكَذِبِ فِي أَيْمَانِهِمْ، بِأَنْ لَا يَأْتُوهُنَّ ثُمَّ أَتَوْهُنَّ، وَلِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ إِلَيْهِنَّ مِنَ الْيَمِينِ عَلَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَحْلِفُوا عَلَيْهِ، فَحَلَفُوا عَلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٢٢٦﴾ [البقرة: ٢٢٦] بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بِإِسْقَاطِهِ عَنْهُمُ الْعُقُوبَةَ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ عَلَىٰ ذَلِكَ، بِتَكْفِيرِهِ إِيَّاهُ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْكَفَّارَةِ، وَبِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الْمَهْلِ الْأَشْهُرَ الْأَرْبَعَةَ، فَلَمْ يَجْعَلْ فِيهَا لِلْمَرْأَةِ الَّتِي آلَىٰ مِنْهَا زَوْجُهَا مَا جُعِلَ لَهَا بَعْدَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٢٧﴾ [البقرة: ٢٢٧].

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْلُونَ وَتَرَكُوا الْفَيْءَ إِلَيْهِنَّ فِي الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَهُمُ التَّرَبُّصَ فِيهِنَّ حَتَّىٰ يَنْقَضِينَ، طُلِّقَ مِنْهُمْ نِسَاؤُهُمُ اللَّاتِي آلُوا مِنْهُنَّ بِمُضِيِّهِنَّ، وَمُضِيُّهُنَّ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ عَزْمِ الْمُؤْلِي عَلَىٰ طَلَاقِ امْرَأَتِهِ الَّتِي آلَىٰ مِنْهَا..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِطَلَاقِهِمْ إِذَا طَلَّقُوا..

﴿عَلِيمٌ ۝٢٢٧﴾ [البقرة: ٢٢٧] بِمَا أَتَوْا إِلَيْهِنَّ مِمَّا يَحِلُّ لَهُمْ، وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨].

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ اللَّوَاتِي طُلِّقْنَ بَعْدَ ابْتِنَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ بِهِنَّ، وَإِفْضَائِهِمْ إِلَيْهِنَّ إِذَا كُنَّ ذَوَاتِ حَيْضٍ، وَطُهْرٍ..

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ التَّرَبُّصُ هُوَ التَّوَقُّفُ عَنِ النِّكَاحِ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَنْهُ..

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عَنْ نِكَاحِ الْأَزْوَاجِ..

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ﴾ يُقَالُ: أَقْرَأَتِ الْمَرْأَةُ: إِذَا صَارَتْ ذَاتَ حِيَضٍ، وَطُهْرٍ.. وَلِذَلِكَ سُمَّىٰ بَعْضُ الْعَرَبِ وَقْتَ مَجِيءِ الْحَيْضِ قُرْءًا، إِذَا كَانَ دَمًا يُعْتَادُ ظُهُورُهُ مِنْ فَرْجِ الْمَرْأَةِ فِي وَقْتٍ، وَكُمُونُهُ فِي آخَرَ، فَسُمِّيَ وَقْتُ مَجِيئِهِ قُرْءًا.. وَسَمَّىٰ آخَرُونَ مِنَ الْعَرَبِ وَقْتَ مَجِيءِ الطُّهْرِ قُرْءًا، إِذْ كَانَ وَقْتُ مَجِيئِهِ وَقْتًا لِإِدْبَارِ الدَّمِ دَمِ الْحَيْضِ، وَإِقْبَالِ الطُّهْرِ الْمُعْتَادِ مَجِيئُهُ لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ.. وَلِمَا وَصَفْنَا مِنْ مَعْنَىٰ الْقُرْءِ أَشْكَلَ تَأْوِيلُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ﴾ عَلَىٰ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: فَرَأَىٰ بَعْضُهُمْ أَنَّ الَّذِي أُمِرَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ الْمُطَلَّقَةُ ذَاتُ الْأَقْرَاءِ مِنَ الْأَقْرَاءِ أَقْرَاءُ الْحَيْضِ، وَذَلِكَ وَقْتَ مَجِيئِهِ لِعَادَتِهِ الَّتِي تَجِيءُ فِيهِ، فَأَوْجَبَ عَلَيْهَا تَرَبُّصَ ثَلَاثِ حِيَضٍ بِنَفْسِهَا عَنْ خِطْبَةِ الْأَزْوَاجِ، وَرَأَىٰ آخَرُونَ أَنَّ الَّذِيَ أُمِرَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ أَقْرَاءُ الطُّهْرِ، وَذَلِكَ وَقْتَ مَجِيئِهِ لِعَادَتِهِ الَّتِي تَجِيءُ فِيهِ، فَأَوْجَبَ عَلَيْهَا تَرَبُّصَ ثَلَاثِ أَطْهَارٍ.. فَإِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الْقُرْءِ مَا وَصَفْنَا لِمَا بَيَّنَّا، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَمَرَ الْمُرِيدَ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ أَنْ لَا يُطَلِّقَهَا إِلَّا طَاهِرًا غَيْرَ مُجَامَعَةٍ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ طَلَاقَهَا حَائِضًا، كَانَ اللَّازِمُ لِلْمُطَلَّقَةِ الْمَدْخُولِ بِهَا إِذَا كَانَتْ ذَاتَ أَقْرَاءٍ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ قُرُوءٍ بَيْنَ طُهْرَيْ كُلِّ قُرْءٍ مِنْهُنَّ قُرْءٌ لَهُ خِلَافُ مَا احْتَسَبَتْهُ لِنَفْسِهَا قُرُوءًا تَتَرَبَّصُهُنَّ، فَإِذَا انْقَضَيْنَ فَقَدْ حَلَّتْ لِلْأَزْوَاجِ، وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا، وَتَبَيَّنَ -إِذًا إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا- أَنَّ الْقُرْءَ الثَّالِثَ مِنْ أَقْرَائِهَا هُوَ الطُّهْرُ الثَّالِثُ، وَأَنَّ بِانْقِضَائِهِ وَمَجِيءِ قُرْءِ الْحَيْضِ الَّذِي يَتْلُوهُ، انْقِضَاءُ عِدَّتِهَا، فَالْأَقْرَاءُ الَّتِي هِيَ أَقْرَاءُ الْحَيْضِ بَيْنَ طُهْرَيْ أَقْرَاءِ الطُّهْرِ غَيْرُ مُحْتَسِبَةٍ مِنْ أَقْرَاءِ الْمُتَرَبِّصَةِ بِنَفْسِهَا بَعْدَ الطَّلَاقِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْأَقْرَاءَ الَّتِي أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهَا تَرَبُّصَهُنَّ ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ، بَيْنَ كُلِّ قُرْءٍ مِنْهُنَّ أَوْقَاتٌ مُخَالِفَاتُ الْمَعْنَىٰ لِأَقْرَائِهَا الَّتِي تَتَرَبَّصُهُنَّ..

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ امْرَأَةَ الْمُؤْلَىٰ الَّتِي آلَىٰ مِنْهَا تَحِلُّ لِلْأَزْوَاجِ بِانْقِضَاءِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ إِذَا كَانَتْ قَدْ حَاضَتْ ثَلَاثَ حِيَضٍ فِي الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا أَوْجَبَ عَلَيْهَا الْعِدَّةَ بَعْدَ عَزْمِ الْمُؤْلِي عَلَىٰ طَلَاقِهَا، وَإِيقَاعِ الطَّلَاقِ بِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨-٢٢٩] فَأَوْجَبَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَىٰ الْمَرْأَةِ إِذَا صَارَتْ مُطَلَّقَةً تَرَبُّص ثَلَاثَةِ قُرُوءٍ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُطَلَّقَةً يَوْمَ آلَىٰ مِنْهَا زَوْجُهَا لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيلَاءَ لَيْسَ بِطَلَاقٍ مُوجِبٍ عَلَىٰ الْمُؤْلِي مِنْهَا الْعِدَّةَ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالْعِدَّةُ إِنَّمَا تَلْزَمُهَا بَعْدُ لِلطَّلَاقِ، وَالطَّلَاقُ إِنَّمَا يَلْحَقُهَا بِمَا قَدْ بَيَّنَّاهُ قَبْلُ..

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ الَّذِي نُهِيَتِ الْمَرْأَةُ الْمُطَلَّقَةُ عَنْ كِتْمَانِهِ زَوْجَهَا الْمُطَلِّقَهَا تَطْلِيقَةً أَوْ تَطْلِيقَتَيْنِ مِمَّا خَلَقَ اللهُ فِي رَحِمِهَا: الْحَيْضُ وَالْحَبَلُ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ الْعِدَّةَ تَنْقَضِي بِوَضْعِ الْوَلَدِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ فِي رَحِمِهَا، كَمَا تَنْقَضِي بِالدَّمِ إِذَا رَأَتْهُ بَعْدَ الطُّهْرِ الثَّالِثِ فِي قَوْلِ مَنْ قَالَ: الْقُرْءُ: الطُّهْرُ، وَفِي قَوْلِ مَنْ قَالَ: هُوَ الْحَيْضُ إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الْحَيْضَةِ الثَّالِثَةِ فَتَطَهَّرَتْ بِالِاغْتِسَالِ..

﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لَأَنَّ كِتْمَانَ الْمَرْأَةِ الْمُطَلَّقَةِ زَوْجَهَا الْمُطَلِّقَهَا مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي رَحِمِهَا مِنْ حَيْضٍ وَوَلَدٍ فِي أَيَّامِ عِدَّتِهَا مِنْ طَلَاقِهِ ضِرَارًا لَهُ، لَيْسَ مِنْ فِعْلِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ النِّسَاءِ الْكَوَافِرِ، فَلَا تَتَخَلَّقْنَ أَيَّتُهَا الْمُؤْمِنَاتُ بِأَخْلَاقِهِنَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكِنْ إِنْ كُنْتُنَّ تُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكُنْتُنَّ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ لَزِمَتْهُ فَرَائِضُ اللهِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَهُنَّ أَقْرَاءٌ إِذَا طُلِّقَتْ بَعْدَ الدُّخُولِ بِهَا فِي عِدَّتِهَا أَنْ لَا تَكْتُمَ زَوْجَهَا مَا خَلَقَ اللهُ فِي رَحِمِهَا مِنَ الْحَيْضِ، وَالْحَبَلِ..

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ وَأَزْوَاجُ الْمُطَلَّقَاتِ اللَّاتِي فَرَضْنَا عَلَيْهِنَّ أَنْ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ..

﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ بِرَدِّهِنَّ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ..

﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ فِي حَالِ تَرَبُّصِهِنَّ إِلَىٰ الْأَقْرَاءِ الثَّلَاثَةِ وَأَيَّامِ الْحَبَلِ، وَارْتِجَاعِهِنَّ إِلَىٰ حِبَالِهِنَّ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِنَّ أَنْ يَمْنَعَهُنَّ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ ذَلِكَ..

﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَغَيْرُ جَائِزٍ -إِذَا أَرَادَ ضِرَارَهَا بِالرَّجْعَةِ لَا إِصْلَاحَ أَمْرِهَا وَأَمْرِهِ- مُرَاجَعَتُهَا.. وَأَمَّا فِي الْحُكْمِ فَإِنَّهُ مَقْضِيٌّ لَهُ عَلَيْهَا بِالرَّجْعَةِ، نَظِيرَ مَا حَكَمْنَا

عَلَيْهِ بِبُطُولِ رَجْعَتِهِ عَلَيْهَا لَوْ كَتَمَتْهُ حَمْلَهَا الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ فِي رَحِمِهَا، أَوْ حَيْضِهَا حَتَّىٰ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ضِرَارًا مِنْهَا لَهُ، وَقَدْ نَهَىٰ اللهُ عَنْ كِتْمَانِهِ ذَلِكَ، فَكَانَ سَوَاءً فِي الْحُكْمِ فِي بُطُولِ رَجْعَةِ زَوْجِهَا عَلَيْهَا، وَقَدْ أَثِمَتْ فِي كِتْمَانِهَا إِيَّاهُ مَا كَتَمَتْهُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّىٰ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا هِيَ، وَالَّتِي أَطَاعَتِ اللهَ بِتَرْكِهَا كِتْمَانَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي طَاعَةِ اللهِ فِي ذَلِكَ وَمَعْصِيَتِهِ، فَكَذَلِكَ الْمُرَاجِعُ زَوْجَتَهُ الْمُطَلَّقَةَ وَاحِدَةً أَوْ ثِنْتَيْنِ بَعْدَ الْإِفْضَاءِ إِلَيْهَا وَهُمَا حُرَّانِ، وَإِنْ أَرَادَ ضِرَارَ الْمُرَاجَعَةِ بِرَجْعَتِهِ فَمَحْكُومٌ لَهُ بِالرَّجْعَةِ وَإِنْ كَانَ آثِمًا بِرَأْيِهِ فِي فِعْلِهِ وَمُقْدِمًا عَلَىٰ مَا لَمْ يُبِحْهُ اللهُ لَهُ، وَاللهُ وَلِيُّ مُجَازَاتِهِ فِيمَا أَتَىٰ مِنْ ذَلِكَ.. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أَبْيَنُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْلِيَ إِذَا عَزَمَ الطَّلَاقَ فَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ الَّتِي آلَىٰ مِنْهَا أَنَّ لَهُ عَلَيْهَا الرَّجْعَةَ فِي طَلَاقِهِ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ مُضِيَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ عَزْمُ الطَّلَاقِ، وَأَنَّهُ تَطْلِيقَةٌ بَائِنَةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا أَعْلَمَ عِبَادَهُ مَا يَلْزَمُهُمْ إِذَا آلُوا مِنْ نِسَائِهِمْ، وَمَا يَلْزَمُ النِّسَاءَ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِإِيلَاءِ الرِّجَالِ وَطَلَاقِهِمْ، إِذَا عَزَمُوا ذَلِكَ وَتَرَكُوا الْفَيْءَ..

﴿وَلَهُنَّ﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ وَاحِدَةً أَوْ ثِنْتَيْنِ بَعْدَ الْإِفْضَاءِ إِلَيْهِنَّ..

﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فَكَمَا أَنَّ عَلَىٰ بُعُولَتِهِنَّ أَنْ لَا يُرَاجِعُوهُنَّ ضِرَارًا فِي أَقْرَائِهِنَّ الثَّلَاثَةِ إِذَا أَرَادُوا رَجْعَتَهُنَّ فِيهِ إِلَّا أَنْ يُرِيدُوا إِصْلَاحَ أَمْرِهِنَّ وَأَمْرِهِمْ فَلَا يُرَاجِعُوهُنَّ ضِرَارًا، كَمَا عَلَيْهِنَّ لَهُمْ إِذَا أَرَادُوا رَجْعَتَهُنَّ فِيهِنَّ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ مِنَ الْوَلَدِ، وَدَمِ الْحَيْضِ ضِرَارًا مِنْهُنَّ لَهُمْ لِيَفْتِنَهُمْ بِأَنْفُسِهِنَّ، ذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَهَىٰ الْمُطَلَّقَاتِ عَنْ كِتْمَانِ أَزْوَاجِهِنَّ فِي أَقْرَائِهِنَّ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَجَعَلَ أَزْوَاجَهُنَّ أَحَقَّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا، فَحَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُضَارَّةَ صَاحِبِهِ، وَعَرَّفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِي عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ مِنْ تَرْكِ مُضَارَّتِهِ مِثْلُ الَّذِي لَهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ تِلْكَ الدَّرَجَةُ الَّتِي لَهُ عَلَيْهَا، إِفْضَالُهُ عَلَيْهَا، وَأَدَاءُ حَقِّهَا إِلَيْهَا، وَصَفْحُهُ عَنِ الْوَاجِبِ لَهُ عَلَيْهَا، أَوْ عَنْ بَعْضِهِ.. وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَالَ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ عَلَىٰ الرَّجُلِ مِنْ تَرْكِ ضِرَارِهَا فِي مُرَاجَعَتِهِ إِيَّاهَا فِي أَقْرَائِهَا الثَّلَاثَةِ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهَا، وَحُقُوقِهَا مِثْلُ الَّذِي لَهُ عَلَيْهَا مِنْ تَرْكِ ضِرَارِهِ فِي كِتْمَانِهَا إِيَّاهُ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُقُوقِهِ، ثُمَّ نَدَبَ الرِّجَالَ إِلَىٰ

الْأَخْذِ عَلَيْهِنَّ بِالْفَضْلِ إِذَا تَرَكْنَ أَدَاءَ بَعْضِ مَا أَوْجَبَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بِتَفَضُّلِهِمْ عَلَيْهِنَّ، وَصَفْحِهِمْ لَهُنَّ عَنْ بَعْضِ الْوَاجِبِ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي قَصَدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، بِقَوْلِهِ: (مَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنْظِفَ جَمِيعَ حَقِّي عَلَيْهَا)؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- يَقُولُ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.. وَمَعْنَىٰ الدَّرَجَةِ: الرُّتْبَةُ، وَالْمَنْزِلَةُ.. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرَ الْخَبَرِ، فَمَعْنَاهُ مَعْنَىٰ نَدْبِ الرِّجَالِ إِلَىٰ الْأَخْذِ عَلَىٰ النِّسَاءِ بِالْفَضْلِ لِيَكُونَ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ فَضْلُ دَرَجَةٍ..

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَتَعَدَّىٰ حُدُودَهُ، فَأَتَىٰ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ، وَجَعَلَ اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِهِ أَنْ يَبَرَّ وَيَتَّقِيَ وَيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَعَضَلَ امْرَأَتَهُ بِإِيلَائِهِ، وَضَارَّهَا فِي مُرَاجَعَتِهِ بَعْدَ طَلَاقِهِ، وَلِمَنْ كَتَمَ مِنَ النِّسَاءِ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ، وَنَكَحْنَ فِي عِدَدِهِنَّ، وَتَرَكْنَ التَّرَبُّصَ بِأَنْفُسِهِنَّ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّهُ اللهُ لَهُنَّ، وَرَكِبْنَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِيهِ..

﴿حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨] فِيمَا دَبَّرَ فِي خَلْقِهِ، وَفِيمَا حَكَمَ وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ مِنْ أَحْكَامِهِ.. وَإِنَّمَا تَوَعَّدَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِهَذَا الْقَوْلِ عِبَادَهُ لِتَقْدِيمِهِ قَبْلَ ذَلِكَ بَيَانَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَوْ نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنَ ابْتِدَاءِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ لِيَزْدَجِرَ أُولُو النُّهَىٰ، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْحِجَا، فَيَتَّقُوا عِقَابَهُ، وَيَحْذَرُوا عَذَابَهُ.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩].

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ عَدَدُ الطَّلَاقِ الَّذِي لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِيهِ عَلَىٰ أَزْوَاجِكُمُ الرَّجْعَةُ إِذَا كُنَّ مَدْخُولًا بِهِنَّ تَطْلِيقَتَانِ، ثُمَّ الْوَاجِبُ عَلَىٰ مَنْ رَاجَعَ مِنْكُمْ بَعْدَ التَّطْلِيقَتَيْنِ إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ؛ لِأَنَّهُ لَا رَجْعَةَ لَهُ بَعْدَ التَّطْلِيقَتَيْنِ إِنْ سَرَّحَهَا فَطَلَّقَهَا الثَّالِثَةَ.. وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَتْلُوهَا: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فَعَرَّفَ عِبَادَهُ الْقَدْرَ الَّذِي بِهِ تُحَرَّمُ الْمَرْأَةُ عَلَىٰ زَوْجِهَا إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ..

﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ ثُمَّ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا رَاجَعُوهُنَّ فِي الثَّانِيَةِ، إِمَّا إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ..

﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ وَإِمَّا تَسْرِيحٌ مِنْهُمْ لَهُنَّ بِإِحْسَانٍ بِالتَّطْلِيقَةِ الثَّالِثَةِ حَتَّىٰ تَبِينَ مِنْهُمْ، فَتَبْطُلَ

مَا كَانَ لَهُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنَ الرَّجْعَةِ وَيَصِرْنَ أَمْلَكَ لِأَنْفُسِهِنَّ مِنْهُنَّ، فَيُسَرِّحُهَا وَلَا يَظْلِمُهَا مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا، فَلَا يُؤْذِيهَا، وَلَا يَشْتِمُهَا..

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ..

﴿أَن تَأْخُذُواْ﴾ مِنْ نِسَائِكُمْ إِذَا أَنْتُمْ أَرَدْتُمْ طَلَاقَهُنَّ بِطَلَاقِكُمْ وَفِرَاقِكُمْ إِيَّاهُنَّ..

﴿مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ مِمَّا أَعْطَيْتُمُوهُنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَسُقْتُمْ إِلَيْهِنَّ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ تَسْرِيحُهُنَّ بِإِحْسَانٍ، وَذَلِكَ إِيفَاؤُهُنَّ حُقُوقَهُنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَالْمُتْعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ..

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ فَلَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَخْذُ الْفِدْيَةِ مِنِ امْرَأَتِهِ عَلَىٰ فِرَاقِهِ إِيَّاهَا، حَتَّىٰ يَكُونَ خَوْفُ مَعْصِيَةِ اللهِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي تَفْرِيطِهِ فِي الْوَاجِبِ عَلَيْهِ لِصَاحِبِهِ مِنْهُمَا جَمِيعًا؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا أَبَاحَ لِلزَّوْجِ أَخْذَ الْفِدْيَةِ مِنِ امْرَأَتِهِ عِنْدَ خَوْفِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ فِي نُشُوزِهَا عَلَيْهِ دَاعِيَةً لَهُ إِلَىٰ التَّقْصِيرِ فِي وَاجِبِهَا وَمُجَازَاتِهَا بِسُوءِ فِعْلِهَا بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يُوجِبُ لِلْمُسْلِمِينَ الْخَوْفَ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ التَّفْرِيطُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي وَاجِبِ حَقِّ صَاحِبِهِ قَدْ وُجِدَ، وَسُوءُ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ قَدْ ظَهَرَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ لِلْخَوْفِ مَوْضِعٌ؛ إِذْ كَانَ الْمَخُوفُ قَدْ وُجِدَ، وَإِنَّمَا يُخَافُ وُقُوعُ الشَّيْءِ قَبْلَ حُدُوثِهِ، فَأَمَّا بَعْدَ حُدُوثِهِ فَلَا وَجْهَ لِلْخَوْفِ مِنْهُ، وَلَا الزِّيَادَةِ فِي مَكْرُوهِهِ..

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَرَائِضِ فِيمَا أَلْزَمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْحَقِّ لِصَاحِبِهِ مِنَ الْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالصُّحْبَةِ بِالْجَمِيلِ؛ لِأَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ لِلزَّوْجِ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ إِطَاعَتُهُ فِيمَا أَوْجَبَ اللهُ طَاعَتَهُ فِيهِ، وَأَنْ لَا تُؤْذِيَهُ بِقَوْلٍ، وَلَا تَمْتَنِعُ عَلَيْهِ إِذَا دَعَاهَا لِحَاجَتِهِ، فَإِذَا خَالَفَتْ مَا أَمَرَهَا اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ قَدْ ضَيَّعَتْ حُدُودَ اللهِ الَّتِي أَمَرَهَا بِإِقَامَتِهَا..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَلَّا يُقِيمَ الزَّوْجَانِ مَا حَدَّ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ مِنْ حَقٍّ، وَأَلْزَمَهُ لَهُ مِنْ فَرْضٍ، وَخَشِيتُمْ عَلَيْهِمَا تَضْيِيعَ فَرْضِ اللهِ وَتَعَدِّيَ حُدُودِهِ فِي ذَلِكَ، فَلَا جُنَاحَ حِينَئِذٍ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَعْطَتْ هَذِهِ عَلَىٰ فِرَاقِ زَوْجِهَا إِيَّاهَا وَلَا عَلَىٰ هَذَا فِيمَا أَخَذَ مِنْهَا مِنَ الْجُعْلِ، وَالْعِوَضِ عَلَيْهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ حَرِجَةً لَوْ كَانَ الضِّرَارُ مِنَ الرَّجُلِ بِهَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ نَفْسَهَا، فَيَكُونُ لَا جُنَاحَ

عَلَيْهِمَا فِيمَا أَعْطَتْهُ مِنَ الْفِدْيَةِ عَلَىٰ فِرَاقِهَا إِذَا كَانَ النُّشُوزُ مِنْ قِبَلِهَا؟ قِيلَ: لَوْ عَلِمَتْ فِي حَالِ ضِرَارِهِ بِهَا لِيَأْخُذَ مِنْهَا مَا آتَاهَا أَنَّ ضِرَارَهُ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِيَأْخُذَ مِنْهَا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ أَخْذَهُ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي نَهَاهُ اللهُ عَنْ أَخْذِهِ مِنْهَا، ثُمَّ قَدَرَتْ أَنْ تَمْتَنِعَ مِنْ إِعْطَائِهِ بِمَا لَا ضَرَرَ عَلَيْهَا فِي نَفْسٍ وَلَا دِينٍ وَلَا خَوْفَ عَلَيْهَا فِي ذَهَابِ حَقٍّ لَهَا، لِمَا حَلَّ لَهَا إِعْطَاؤُهُ ذَلِكَ، إِلَّا عَلَىٰ وَجْهِ طِيبِ النَّفْسِ مِنْهَا بِإِعْطَائِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا مَتَىٰ أَعْطَتْهُ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ مِنْهَا وَهِيَ قَادِرَةٌ عَلَىٰ مَنْعِهِ ذَلِكَ بِمَا لَا ضَرَرَ عَلَيْهَا فِي نَفْسٍ وَلَا دِينٍ، وَلَا فِي حَقٍّ لَهَا تَخَافُ ذَهَابَهُ، فَقَدْ شَارَكَتْهُ فِي الْإِثْمِ بِإِعْطَائِهِ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ مِنْهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي أَعْطَتْهُ عَلَيْهِ، فَلِذَلِكَ وَضَعَ عَنْهَا الْجُنَاحَ إِذَا كَانَ النُّشُوزُ مِنْ قِبَلِهَا، وَأَعْطَتْهُ مَا أَعْطَتْهُ مِنَ الْفِدْيَةِ بِطِيبِ نَفْسٍ، ابْتِغَاءَ مِنْهَا بِذَلِكَ سَلَامَتَهَا، وَسَلَامَةَ صَاحِبِهَا مِنَ الْوِزْرِ وَالْمَأْثَمِ، وَهِيَ إِذَا أَعْطَتْهُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ بِاسْتِحْقَاقِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْلَىٰ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الْجَنَاحِ وَالْحَرَجِ، وَلِذَلِكَ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فَوَضَعَ الْحَرَجَ عَنْهَا فِيمَا أَعْطَتْهُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الْفِدْيَةِ عَلَىٰ فِرَاقِهِ إِيَّاهَا، وَعَنْهُ فِيمَا قَبَضَ مِنْهَا إِذَا كَانَتْ مُعْطِيَةً عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي وَصَفْنَا، وَكَانَ قَابِضًا مِنْهَا مَا أَعْطَتْهُ مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ، بَلْ طَلَبَ السَّلَامَةَ لِنَفْسِهِ وَلَهَا فِي أَدْيَانِهِمَا، وَحِذَارَ الْأَوْزَارِ، وَالْمَأْثَمِ.. وَقَدْ يَتَّجِهُ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ وَجْهًا آخَرَ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ أَنَّهَا لَوْ بَذَلَتْ مَا بَذَلَتْ مِنَ الْفِدْيَةِ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَذِنَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِامْرَأَةِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَذَلِكَ لِكَرَاهَتِهَا أَخْلَاقَ زَوْجِهَا أَوْ دَمَامَةَ خَلْقِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَكْرَهُهَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلَكِنْ عَلَىٰ الِانْصِرَافِ مِنْهَا بِوَجْهِهَا إِلَىٰ آخَرَ غَيْرِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْفَسَادِ وَمَا لَا يَحِلُّ لَهَا، كَانَ حَرَامًا عَلَيْهَا أَنْ تُعْطِيَ عَلَىٰ مَسْأَلَتِهَا إِيَّاهُ فِرَاقَهَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَجْهِ شَيْئًا؛ لِأَنَّ مَسْأَلَتَهَا إِيَّاهُ الْفُرْقَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَجْهِ مَعْصِيَةٌ مِنْهَا لِلَّهِ، وَتِلْكَ هِيَ الْمُخْتَلِعَةُ إِنْ خُولِعَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَجْهِ الَّتِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمَّاهَا مُنَافِقَةً، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**»، وَقَالَ: «**الْمُخْتَلِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ**».. فَإِذْ كَانَ مِنْ وُجُوهِ افْتِدَاءِ الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا مَا تَكُونُ بِهِ حَرِجَةً، وَعَلَيْهَا فِي افْتِدَائِهَا نَفْسَهَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْحَرَجُ وَالْجُنَاحُ، وَكَانَ مِنْ وُجُوهِهِ مَا يَكُونُ الْحَرَجُ وَالْجُنَاحُ فِيهِ عَلَىٰ الرَّجُلِ دُونَ الْمَرْأَةِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِمَا، وَمِنْهُ مَا لَا يَكُونُ عَلَيْهِمَا فِيهِ حَرَجٌ وَلَا جُنَاحٌ، قِيلَ فِي الْوَجْهِ الَّذِي (لَا حَرَجَ) عَلَيْهِمَا فِيهِ: (لَا جُنَاحَ)؛ إِذْ كَانَ

فِيمَا حَاوَلَا وَقَصَدَا مِنِ افْتِرَاقِهِمَا بِالْجُعْلِ الَّذِي بَذَلَتْهُ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أُبِيحَ لَهُمَا، وَذَلِكَ أَنْ يَخَافَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ بِمَقَامِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ.. وَإِذَا خِيفَ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ عَلَىٰ سَبِيلِ مَا قَدَّمْنَا الْبَيَانَ عَنْهُ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا مِنْ قَلِيلِ مَا تَمْلِكُهُ وَكَثِيرِهِ مِمَّا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَمْلِكُوهُ، وَإِنْ أَتَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ جَمِيعِ مُلْكِهَا؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمْ يَخُصَّ مَا أَبَاحَ لَهُمَا مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ حَدٍّ لَا يُجَاوَزُ، بَلْ أَطْلَقَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَا افْتَدَتْ بِهِ، غَيْرَ أَنِّي أَخْتَارُ لِلرَّجُلِ اسْتِحْبَابًا لَا تَحْتِيمًا إِذَا تَبَيَّنَ مِنَ امْرَأَتِهِ أَنَّ افْتِدَاءَهَا مِنْهُ لِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ، بَلْ خَوْفًا مِنْهَا عَلَىٰ دِينِهَا، أَنْ يُفَارِقَهَا بِغَيْرِ فِدْيَةٍ وَلَا جُعْلٍ؛ فَإِنْ شَحَّتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ، فَلَا يَبْلُغُ بِمَا يَأْخُذُ مِنْهَا جَمِيعَ مَا آتَاهَا.. فَأَمَّا مَنْ قَالَ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ فِي جَمِيعِ الْآيَةِ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] فَقَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ؛ لِمَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِجْمَاعُ الْجَمِيعِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، عَلَىٰ تَخْطِئَتِهِ وَإِجَازَةِ أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنَ الْمُفْتَدِيَةِ نَفْسَهَا لِزَوْجِهَا، وَفِي ذَلِكَ الْكِفَايَةُ عَنِ الِاسْتِشْهَادِ عَلَىٰ خَطَئِهِ بِغَيْرِهِ، وَالْآخَرُ: أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ إِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ فِيهَا عَلَىٰ زَوْجِ الْمَرْأَةِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئًا مِمَّا آتَاهَا، بِأَنْ أَرَادَ الرَّجُلُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ بِزَوْجٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ خَوْفٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمَا بِمَقَامِ أَحَدِهِمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ، وَلَا نُشُوزَ مِنَ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ الرَّجُلِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ أَخْذَ الزَّوْجِ مِنَ امْرَأَتِهِ مَالًا عَلَىٰ وَجْهِ الْإِكْرَاهِ لَهَا وَالْإِضْرَارِ بِهَا حَتَّىٰ تُعْطِيَهُ شَيْئًا مِنْ مَالِهَا عَلَىٰ فِرَاقِهَا حَرَامٌ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ حَبَّةَ فِضَّةٍ فَصَاعِدًا، وَأَمَّا الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّهَا إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَىٰ إِبَاحَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُ أَخْذُ الْفِدْيَةِ مِنْهَا فِي حَالِ الْخَوْفِ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ بِنُشُوزِ الْمَرْأَةِ، وَطَلَبِهَا فِرَاقَ الرَّجُلِ، وَرَغْبَتِهِ فِيهَا، فَالْأَمْرُ الَّذِي أَذِنَ بِهِ لِلزَّوْجِ فِي أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ضِدُّ الْأَمْرِ الَّذِي نَهَىٰ مِنْ أَجْلِهِ عَنْ أَخْذِ الْفِدْيَةِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، كَمَا الْحَظْرُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ غَيْرُ الطَّلَاقِ وَالْإِبَاحَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّمَا يَجُوزُ فِي الْحُكْمَيْنِ أَنْ يُقَالَ أَحَدُهُمَا نَاسِخٌ إِذَا اتَّفَقَتْ مَعَانِي الْمَحْكُومِ فِيهِ، ثُمَّ خُولِفَ بَيْنَ الْأَحْكَامِ فِيهِ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمِنَةِ، وَأَمَّا اخْتِلَافُ الْأَحْكَامِ بِاخْتِلَافِ مَعَانِي الْمَحْكُومِ فِيهِ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ وَوَقْتٍ وَاحِدٍ، فَذَلِكَ هُوَ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْمَفْهُومُ فِي الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ، وَهُوَ مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ بِمَعْزِلٍ..

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ تِلْكَ مَعَالِمُ فُصُولِهِ، بَيْنَ مَا أَحَلَّ لَكُمْ، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ فَلَا تَعْتَدُوا مَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي بَيَّنَهَا وَفَصَّلَهَا لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ، إِلَىٰ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، فَتُجَاوِزُوا طَاعَتَهُ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- هَٰذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بَيَّنْتُ لَكُمْ فِي هَٰذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ، مِنْ نِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ الْوَثَنِيَّاتِ، وَإِنْكَاحِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْلِمَاتِ، وَإِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ، وَمَا قَدْ بُيِّنَ فِي الْآيَاتِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ مِمَّا أَحَلَّ لِعِبَادِهِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَمَرَ، وَنَهَىٰ..

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّ مَنْ تَعَدَّىٰ ذَٰلِكَ يَعْنِي مَنْ تَخَطَّاهُ وَتَجَاوَزَهُ إِلَىٰ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ أَوْ نَهَيْتُهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩] فَإِنَّهُ هُوَ الظَّالِمُ، وَهُوَ الَّذِي فَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ، وَوَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة: ٢٣٠].

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ﴾ إِنْ سَرَّحَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ بَعْدَ التَّطْلِيقَتَيْنِ فَلَا تَحِلُّ لَهُ الْمُسَرَّحَةُ كَذَٰلِكَ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ.. وَالْمَرْأَةُ إِذَا نَكَحَتْ رَجُلًا نِكَاحَ تَزْوِيجٍ لَمْ يَطَأْهَا فِي ذَٰلِكَ النِّكَاحِ نَاكِحُهَا وَلَمْ يُجَامِعْهَا حَتَّىٰ يُطَلِّقَهَا لَمْ تَحِلَّ لِلْأَوَّلِ، وَكَذَٰلِكَ إِنْ وَطِئَهَا وَاطِئٌ بِغَيْرِ نِكَاحٍ لَمْ تَحِلَّ لِلْأَوَّلِ، بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ جَمِيعًا، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ بِوَحْيِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا غَيْرَهُ فَدَخَلَ بِهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يُوَاقِعَهَا، أَتَحِلُّ لِزَوْجِهَا الْأَوَّلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَحِلُّ لِزَوْجِهَا الْأَوَّلِ حَتَّىٰ يَذُوقَ الْآخَرُ عُسَيْلَتَهَا وَتَذُوقَ عُسَيْلَتَهُ»**..

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ فَإِنْ طَلَّقَ الْمَرْأَةَ زَوْجُهَا الَّذِي نَكَحَهَا بَعْدَ بَيْنُونَتِهَا مِنَ الْأَوَّلِ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ -الَّتِي طَلَّقَهَا هَذَا الثَّانِي مِنْ بَعْدِ بَيْنُونَتِهَا مِنَ الْأَوَّلِ، وَبَعْدَ نِكَاحِهِ إِيَّاهَا- وَعَلَىٰ الزَّوْجِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَتْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ بِبَيْنُونَتِهَا مِنْهُ بِآخِرِ التَّطْلِيقَاتِ..

﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ..

﴿إِن ظَنَّآ﴾ إِنْ رَجُوا مَطْمَعًا..

﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ﴾ وَإِقَامَتُهُمَا حُدُودَ اللهِ الْعَمَلُ بِهَا، وَحُدُودُ اللهِ: مَا أَمَرَهُمَا بِهِ، وَأَوْجَبَ

بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ، وَأَلْزَمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِسَبَبِ النِّكَاحِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَهُمَا..

﴿وَتِلْكَ﴾ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي بَيَّنَهَا لِعِبَادِهِ فِي الطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ وَالْفِدْيَةِ وَالْعِدَّةِ وَالْإِيلَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُبَيِّنُهُ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ مَعَالِمُ فُصُولِ حَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَمَعْصِيَتِهِ..

﴿يُبَيِّنُهَا﴾ يُفَصِّلُهَا، فَيُمَيِّزُ بَيْنَهَا، وَيُعَرِّفُهُمْ أَحْكَامَهَا..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٢٣٠﴾ [البقرة: ٢٣٠] لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَهَا إِذَا بَيَّنَهَا اللهُ لَهُمْ، فَيَعْرِفُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُصَدِّقُونَ بِهَا، وَيَعْمَلُونَ بِمَا أَوْدَعَهُمُ اللهُ مِنْ عِلْمِهِ، دُونَ الَّذِينَ قَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَقَضَىٰ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَهُمْ يَجْهَلُونَ أَنَّهَا مِنَ اللهِ، وَأَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَلِذَلِكَ خَصَّ الْقَوْمَ الَّذِي يَعْلَمُونَ بِالْبَيَانِ دُونَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ؛ إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِهِ قَدْ آيَسَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ تَصْدِيقِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ بِهَا، وَإِنْ كَانَ بَيَّنَهَا لَهُمْ مِنْ وَجْهِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَلُزُومِ الْعَمَلِ لَهُمْ بِهَا، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ بَيَانًا لَهُمْ مِنْ وَجْهِ تَرْكِهِمُ الْإِقْرَارَ وَالتَّصْدِيقَ بِهِ.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١﴾

[البقرة: ٢٣١].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ..

﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ نِسَاءَكُمْ..

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يَعْنِي: مِيقَاتَهُنَّ الَّذِي وَقَّتَهُ لَهُنَّ، مِنَ انْقِضَاءِ الْأَقْرَاءِ الثَّلَاثَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْأَقْرَاءِ، وَانْقِضَاءِ الْأَشْهُرِ إِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الشُّهُورِ..

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فَرَاجِعُوهُنَّ إِنْ أَرَدْتُمْ رَجْعَتَهُنَّ فِي الطَّلْقَةِ الَّتِي فِيهَا رَجْعَةٌ، وَذَلِكَ إِمَّا فِي التَّطْلِيقَةِ الْوَاحِدَةِ، أَوِ التَّطْلِيقَتَيْنِ كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]..

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بِمَا أَذِنَ بِهِ مِنَ الرَّجْعَةِ، مِنَ الْإِشْهَادِ عَلَىٰ الرَّجْعَةِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ، دُونَ الرَّجْعَةِ بِالْوَطْءِ وَالْجِمَاعِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ بَعْدَ الرَّجْعَةِ، وَعَلَىٰ الصُّحْبَةِ مَعَ ذَلِكَ

وَالْعِشْرَةِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَبَيَّنَهُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ أَوْ خَلُّوهُنَّ يَقْضِينَ تَمَامَ عِدَّتِهِنَّ، وَيَنْقَضِي بَقِيَّةُ أَجَلِهِنَّ الَّذِي أَجَّلْتُهُ لَهُنَّ لِعِدَدِهِنَّ..

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بِإِيفَائِهِنَّ تَمَامَ حُقُوقِهِنَّ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ مَا أَلْزَمْتُكُمْ لَهُنَّ مِنْ مَهْرٍ وَمُتْعَةٍ وَنَفَقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُقُوقِهِنَّ قِبَلَكُمْ..

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ وَلَا تُرَاجِعُوهُنَّ إِنْ رَاجَعْتُمُوهُنَّ فِي عِدَدِهِنَّ..

﴿ضِرَارًا﴾ مُضَارَّةً لَهُنَّ..

﴿لِّتَعْتَدُوا۟ۚ﴾ لِتُطَوِّلُوا عَلَيْهِنَّ مُدَّةَ انْقِضَاءِ عِدَدِهِنَّ، أَوْ لِتَأْخُذُوا مِنْهُنَّ بَعْضَ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ بِطَلَبِهِنَّ الْخُلْعَ مِنْكُمْ لِمُضَارَّتِكُمْ إِيَّاهُنَّ بِإِمْسَاكِكُمْ إِيَّاهُنَّ، وَمُرَاجَعَتِكُمُوهُنَّ ضِرَارًا وَاعْتِدَاءً، أو لِتَظْلِمُوهُنَّ بِمُجَاوَزَتِكُمْ فِي أَمْرِهِنَّ حُدُودِي الَّتِي بَيَّنْتُهَا لَكُمْ..

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ وَمَنْ يُرَاجِعِ امْرَأَتَهُ بَعْدَ طَلَاقِهِ إِيَّاهَا -فِي الطَّلَاقِ الَّذِي لَهُ فِيهِ عَلَيْهَا الرَّجْعَةُ- ضِرَارًا بِهَا لِيَتَعَدَّىٰ حَدَّ اللهِ فِي أَمْرِهَا..

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ فَأَكْسَبَهَا بِذَلِكَ إِثْمًا، وَأَوْجَبَ لَهَا مِنَ اللهِ عُقُوبَةً بِذَلِكَ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الظُّلْمِ فِيمَا مَضَىٰ، وَأَنَّهُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَفِعْلَ مَا لَيْسَ لِلْفَاعِلِ فِعْلُهُ..

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَعْلَامَ اللهِ وَفُصُولَهُ بَيْنَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي وَحْيِهِ، وَتَنْزِيلِهِ، اسْتِهْزَاءً وَلَعِبًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَيَّنَ لَكُمْ فِي تَنْزِيلِهِ وَآيِ كِتَابِهِ مَا لَكُمْ مِنَ الرَّجْعَةِ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ فِي الطَّلَاقِ الَّذِي جُعِلَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ فِيهِ الرَّجْعَةُ، وَمَا لَيْسَ لَكُمْ مِنْهَا، وَمَا الْوَجْهُ الْجَائِزُ لَكُمْ مِنْهَا، وَمَا الَّذِي لَا يَجُوزُ، وَمَا الطَّلَاقُ الَّذِي لَكُمْ عَلَيْهِنَّ فِيهِ الرَّجْعَةُ، وَمَا لَيْسَ لَكُمْ ذَلِكَ فِيهِ، وَكَيْفَ وُجُوهُ ذَلِكَ؛ رَحْمَةً مِنْهُ بِكُمْ، وَنِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ، لِيَجْعَلَ بِذَلِكَ لِبَعْضِكُمْ مِنْ مَكْرُوهٍ -إِنْ كَانَ فِيهِ مِنْ صَاحِبِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ- الْمَخْرَجَ وَالْمُخَلِّصَ بِالطَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ، وَجُعِلَ مَا جُعِلَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الرَّجْعَةِ سَبِيلًا لَكُمْ إِلَىٰ الْوُصُولِ إِلَىٰ مَا نَازَعَهُ إِلَيْهِ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ هَوَاهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ إِيَّاهُنَّ مِنْهُنَّ، لِتُدْرِكُوا بِذَلِكَ قَضَاءَ أَوْطَارِكُمْ مِنْهُنَّ، إِنْعَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَلَا لِتَتَّخِذُوا مَا بَيَّنْتُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي آيِ كِتَابِي وَتَنْزِيلِي، تَفَضُّلًا مِنِّي بِبَيَانِهِ عَلَيْكُمْ، وَإِنْعَامًا وَرَحْمَةً مِنِّي بِكُمْ لَعِبًا وَسُخْرِيًّا..

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ، الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ، فَهَدَاكُمْ لَهُ، وَسَائِرَ نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّكُمْ بِهَا دُونَ غَيْرِكُمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، فَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ، مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، ذَلِكَ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاذْكُرُوا ذَلِكَ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَاحْفَظُوا حُدُودَهُ فِيهِ..

﴿وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَهِيَ السُّنَنُ الَّتِي عَلَّمَكُمُوهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَنَّهَا لَكُمْ..

﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ يَعِظُكُمْ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكُمْ، وَفِيمَا أَنْزَلَهُ فَبَيَّنَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ، أَنْ تُضَيِّعُوهُ وَتَتَعَدُّوا حُدُودَهُ، فَتَسْتَوْجِبُوا مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ، وَنَكَالِ عَذَابِهِ..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أَنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي حَدَّ لَكُمْ هَذِهِ الْحُدُودَ، وَشَرَعَ لَكُمْ هَذِهِ الشَّرَائِعَ، وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْفَرَائِضَ فِي كِتَابِهِ وَفِي تَنْزِيلِهِ، عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ بِكُلِّ مَا أَنْتُمْ عَامِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَحَسَنٍ، وَسَيِّئٍ، وَطَاعَةٍ، وَمَعْصِيَةٍ..

﴿عَلِيمٞ ٢٣١﴾ [البقرة: ٢٣١] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ظَاهِرِ ذَلِكَ وَخَفِيِّهِ وَسِرِّهِ وَجَهْرِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسَّيِّئِ سَيِّئًا، إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ وَيَصْفَحَ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِعِقَابِهِ، وَلَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ.

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾ [البقرة: ٢٣٢].

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أَنْزَلَهَا اللهُ دَلَالَةً عَلَىٰ تَحْرِيمِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ النِّسَاءِ مُضَارَّةَ مَنْ كَانُوا لَهُ أَوْلِيَاءَ مِنَ النِّسَاءِ، بِعَضْلِهِنَّ عَمَّنْ أَرَدْنَ نِكَاحَهُ مِنْ أَزْوَاجٍ كَانُوا لَهُنَّ، فَبِنَّ مِنْهُنَّ بِمَا تَبِينُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ طَلَاقٍ أَوْ فَسْخِ نِكَاحٍ..

﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ فَلَا تُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ بِمَنْعِكُمْ إِيَّاهُنَّ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ مِنْ مُرَاجَعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ، تَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مُضَارَّتَهُنَّ.. وَأَصْلُ الْعَضْلِ: الضِّيقُ، وَمِنْهُ **(الدَّاءُ الْعُضَالُ)** وَهُوَ الدَّاءُ الَّذِي لَا يُطَاقُ عِلَاجُهُ، لِضِيقِهِ عَنِ الْعِلَاجِ، وَتَجَاوُزِهِ حَدَّ الْأَدْوَاءِ الَّتِي يَكُونُ لَهَا عِلَاجٌ..

﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ إِذَا تَرَاضَىٰ الْأَزْوَاجُ وَالنِّسَاءُ بِمَا يَحِلُّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِوَضًا مِنْ

أَبْضَاعِهِنَّ مِنَ الْمُهُورِ وَنِكَاحٍ جَدِيدٍ مُسْتَأْنَفٍ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ مِنَ الْعَصَبَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَنَعَ الْوَلِيَّ مِنْ عَضْلِ الْمَرْأَةِ إِنْ أَرَادَتِ النِّكَاحَ، وَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَلَوْ كَانَ لِلْمَرْأَةِ إِنْكَاحُ نَفْسِهَا بِغَيْرِ إِنْكَاحِ وَلِيِّهَا إِيَّاهَا، أَوْ كَانَ لَهَا تَوْلِيَةُ مَنْ أَرَادَتْ تَوْلِيَتَهُ فِي إِنْكَاحِهَا لَمْ يَكُنْ لِنَهْيِ وَلِيِّهَا عَنْ عَضْلِهَا مَعْنًى مَفْهُومٌ؛ إِذْ كَانَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَىٰ عَضْلِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِنْ كَانَتْ مَتَىٰ أَرَدَاتِ النِّكَاحَ جَازَ لَهَا إِنْكَاحُ نَفْسِهَا أَوِ إِنْكَاحُ مَنْ تُوَكِّلُهُ إِنْكَاحَهَا، فَلَا عَضْلَ هُنَالِكَ لَهَا مِنْ أَحَدٍ، فَيَنْهَىٰ عَاضِلَهَا عَنْ عَضْلِهَا.. فَفِيهِ صِحَّةُ الْقَوْلِ بِأَنَّ لِوَلِيِّ الْمَرْأَةِ فِي تَزْوِيجِهَا حَقًّا لَا يَصِحُّ عَقْدُهُ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ الْوَلِيَّ -مِنْ تَزْوِيجِهَا إِذَا خَطَبَهَا خَاطِبُهَا وَرَضِيَتْ بِهِ، وَكَانَ رِضىً عِنْدَ أَوْلِيَائِهَا، جَائِزًا فِي حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ لِمِثْلِهَا أَنْ تَنْكِحَ مِثْلَهُ- وَنَهَاهُ عَنْ خِلَافِهِ مِنْ عَضْلِهَا، وَمَنْعِهَا عَمَّا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرَاضَتْ هِيَ وَالْخَاطِبُ بِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ مِنْ نَهْيِ أَوْلِيَاءِ الْمَرْأَةِ عَنْ عَضْلِهَا عَنِ النِّكَاحِ الَّذِي نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنْ عَضْلِهِنَّ عَنِ النِّكَاحِ..

﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ﴾ عِظَةٌ مِنِّي مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يُصَدِّقُ بِاللهِ فَيُوَحِّدُهُ، وَيُقِرُّ بِرُبُوبِيَّتِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَيُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ لِلْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، لِيَتَّقِيَ اللهَ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَظْلِمُهَا بِضِرَارِ وَلِيَّتِهِ، وَمَنْعِهَا مِنْ نِكَاحِ مَنْ رَضِيَتْهُ لِنَفْسِهَا مِمَّنْ أَذِنْتُ لَهَا فِي نِكَاحِهِ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ نِكَاحُ أَزْوَاجِهِنَّ لَهُنَّ، وَمُرَاجَعَةُ أَزْوَاجِهِنَّ إِيَّاهُنَّ بِمَا أَبَاحَ لَهُنَّ مِنْ نِكَاحٍ، وَمَهْرٍ جَدِيدٍ..

﴿أَزْكَىٰ﴾ أَفْضَلُ وَخَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ فُرْقَتِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ..

﴿لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ، وَالْأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ..

﴿وَأَطْهَرُ﴾ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَقُلُوبِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الرِّيبَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمَا إِذَا كَانَ فِي نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا -أَعْنِي الزَّوْجَ وَالْمَرْأَةَ- عَلَاقَةُ حُبٍّ، لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَتَجَاوَزَا ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِ مَا أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمَا، وَلَمْ يُؤْمَنْ مِنْ أَوْلِيَائِهِمَا أَنْ يَسْبِقَ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ مِنْهُمَا مَا لَعَلَّهُمَا أَنْ يَكُونَا مِنْهُ بَرِيئَيْنِ، فَأَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْأَوْلِيَاءَ إِذَا أَرَادَ الْأَزْوَاجُ التَّرَاجُعَ بَعْدَ الْبَيْنُونَةِ بِنِكَاحٍ مُسْتَأْنَفٍ فِي الْحَالِ الَّتِي أَذِنَ اللهُ لَهُمَا بِالتَّرَاجُعِ، أَنْ لَا يَعْضُلَ وَلِيَّتَهُ عَمَّا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يُزَوِّجَهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ لِجَمِيعِهِمْ، وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ مِمَّا يُخَافُ سُبُوقُهُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعَانِي الْمَكْرُوهَةِ..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾ [البقرة: ٢٣٢] يَعْلَمُ مِنْ سَرَائِرِهِمْ وَخَفِيَّاتِ أُمُورِهِمْ، مَا لَا يَعْلَمُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَ أَوْلِيَاءَ النِّسَاءِ بِإِنْكَاحِ مَنْ كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ مِنَ النِّسَاءِ، إِذَا تَرَاضَتِ الْمَرْأَةُ وَالزَّوْجُ الْخَاطِبُ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عَضْلِهِنَّ عَنْ ذَلِكَ، لِمَا عَلِمَ مِمَّا فِي قَلْبِ الْخَاطِبِ وَالْمَخْطُوبَةِ مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَىٰ وَالْمَيْلِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَىٰ صَاحِبِهِ بِالْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: افْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي وَبِثَوَابِي وَبِعِقَابِي فِي مَعَادِكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنِّي أَعْلَمُ مِنْ قَلْبِ الْخَاطِبِ وَالْمَخْطُوبَةِ مَا لَا تَعْلَمُونَهُ مِنَ الْهَوَىٰ وَالْمَحَبَّةِ، وَفِعْلُكُمْ ذَلِكَ أَفْضَلُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَهُمْ، وَأَزْكَىٰ وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ فِي الْعَاجِلِ.

﴿۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ [البقرة: ٢٣٣].

﴿۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ﴾ وَالنِّسَاءُ اللَّوَاتِي بِنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، وَلَهُنَّ أَوْلَادٌ قَدْ وَلَدْنَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ قَبْلَ بَيْنُونَتِهِنَّ مِنْهُمْ بِطَلَاقٍ، أَوْ وَلَدْنَهُمْ مِنْهُمْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ إِيَّاهُنَّ مِنْ وَطْءٍ كَانَ مِنْهُمْ لَهُنَّ قَبْلَ الْبَيْنُونَةِ..

﴿يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ أَحَقُّ بِرَضَاعِهِمْ مِنْ غَيْرِهِنَّ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِيجَابٍ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَيْهِنَّ رَضَاعَهُمْ، إِذَا كَانَ الْمَوْلُودُ لَهُ وَالِدًا حَيًّا مُوسِرًا؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ الْقُصْرَىٰ: ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦﴾ [الطلاق: ٦]، وَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّ الْوَالِدَةَ وَالْمَوْلُودَ لَهُ إِنْ تَعَاسَرَا فِي الْأُجْرَةِ الَّتِي تُرْضِعُ بِهَا الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، أَنَّ أُخْرَىٰ سِوَاهَا تُرْضِعُهُ، فَلَمْ يُوجِبْ عَلَيْهَا فَرْضًا رَضَاعَ وَلَدِهَا، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ﴾ دَلَالَةٌ عَلَىٰ مَبْلَغِ غَايَةِ الرَّضَاعِ الَّتِي مَتَىٰ اخْتَلَفَ الْوَالِدَانِ فِي رَضَاعِ الْمَوْلُودِ بَعْدَهَا، جُعِلَ حَدًّا يُفْصَلُ بِهِ بَيْنَهُمَا، لَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ فَرْضًا عَلَىٰ الْوَالِدَاتِ رَضَاعُ أَوْلَادِهِنَّ..

﴿حَوۡلَيۡنِ﴾ سَنَتَيْنِ.. وَأَصْلُ الْحَوْلِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: حَالَ هَذَا الشَّيْءُ: إِذَا انْتَقَلَ، وَمِنْهُ قِيلَ: تَحَوَّلَ فُلَانٌ مِنْ مَكَانِ كَذَا: إِذَا انْتَقَلَ عَنْهُ..

﴿كَامِلَيْنِ﴾ لِيَعْرِفَ سَامِعُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ حَوْلَانِ تَامَّانِ، لَا حَوْلٌ وَبَعْضُ آخَرَ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَعَجِّلَ إِنَّمَا يَتَعَجَّلُ فِي يَوْمٍ وَنِصْفٍ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ تَامٌّ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْأَوْقَاتِ خَاصَّةً، فَتَقُولُ: الْيَوْمُ يَوْمَانِ مُنْذُ لَمْ أَرَهُ، وَإِنَّمَا تَعْنِي بِذَلِكَ يَوْمًا وَبَعْضَ آخَرَ، وَقَدْ تُوقِعُ الْفِعْلَ الَّذِي تَفْعَلُهُ فِي السَّاعَةِ أَوِ اللَّحْظَةِ عَلَىٰ الْعَامِ وَالزَّمَانِ وَالْيَوْمِ، فَتَقُولُ زُرْتُهُ عَامَ كَذَا، وَقَتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا زَمَانَ صِفِّينَ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تَقْصِدُ بِذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ عَدَدِ الْأَيَّامِ وَالسِّنِينَ، وَإِنَّمَا تَعْنِي بِذَلِكَ الْإِخْبَارَ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمُخْبَرُ عَنْهُ، فَجَازَ أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَوْلَيْنِ وَالْيَوْمَيْنِ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ قَبْلُ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ: فَعَلْتُهُ إِذْ ذَاكَ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، فَكَانَ الْكَلَامُ لَوْ أُطْلِقَ فِي ذَلِكَ بِغَيْرِ تَضْمِينِ الْحَوْلَيْنِ بِالْكَمَالِ وَقِيلَ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ مُحْتَمِلًا أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ حَوْلٌ وَبَعْضُ آخَرَ، نَفَىٰ اللَّبْسَ عَنْ سَامِعِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ حَوْلٌ وَبَعْضُ آخَرَ، وَأَبَيْنَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ عَنْ وَقْتِ تَمَامِ حَدِّ الرَّضَاعِ، وَأَنَّهُ تَمَامُ الْحَوْلَيْنِ بِانْقِضَائِهِمَا دُونَ انْقِضَاءِ أَحَدِهِمَا وَبَعْضِ الْآخَرِ..

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ وَذَلِكَ حَدُّ رَضَاعِ كُلِّ مَوْلُودٍ اخْتَلَفَ وَالِدَاهُ فِي رَضَاعِهِ، فَالتَّمَامُ: الْحَوْلَانِ، فَإِذَا أَرَادَ الْأَبُ أَنْ يَفْطِمَهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ وَلَمْ تَرْضَ الْمَرْأَةُ فَلَيْسَ لَهُ ذَلِكَ، وَإِذَا قَالَتِ الْمَرْأَةُ أَنَا أَفْطِمُهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، وَقَالَ الْأَبُ: لَا، فَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَفْطِمَهُ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ الْأَبُ، فَإِنِ اجْتَمَعَا قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ فَطَمَاهُ، وَإِذَا اخْتَلَفَا لَمْ يَفْطِمَاهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾.. ودَلَّ كَذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ لَا رَضَاعَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ، فَإِنَّ الرَّضَاعَ إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ..

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ وَعَلَىٰ آبَاءِ الصِّبْيَانِ لِلْمَرَاضِعِ..

﴿رِزْقُهُنَّ﴾ رِزْقُ وَالِدَتِهِنَّ، وَيَعْنِي بِالرِّزْقِ: مَا يَقُوتُهُنَّ مِنْ طَعَامٍ، وَمَا لَا بُدَّ لَهُنَّ مِنْ غِذَاءٍ وَمَطْعَمٍ..

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ يَعْنِي بِالْكِسْوَةِ: الْمَلْبَسِ..

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِمَا يَجِبُ لِمِثْلِهَا عَلَىٰ مِثْلِهِ؛ إِذْ كَانَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ عَلِمَ تَفَاوَتَ أَحْوَالِ خَلْقِهِ بِالْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَأَنَّ مِنْهُمُ الْمُوسِعَ وَالْمُقْتِرَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ كُلًّا أَنْ يُنْفِقَ عَلَىٰ مَنْ لَزِمَتْهُ نَفَقَتُهُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ عَلَىٰ قَدْرِ مَيْسَرَتِهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]..

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ لَا تُحَمَّلُ نَفْسٌ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا مَا لَا يَضِيقُ عَلَيْهَا، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا وُجُودُهُ إِذَا أَرَادَتْ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ: لَا يُوجِبُ اللهُ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنْ نَفَقَةِ مَنْ أَرْضَعَ أَوْلَادَهُمْ مِنْ نِسَائِهِمُ الْبَائِنَاتِ مِنْهُمْ إِلَّا مَا أَطَاقُوهُ وَوَجَدُوا إِلَيْهِ السَّبِيلَ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق: ٧].. فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ هُوَ مَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّهَا لَا تُكَلَّفُ إِلَّا مَا يَتَّسِعُ لَهَا بَذْلُ مَا كُلِّفَتْ بَذْلَهُ، فَلَا يَضِيقُ عَلَيْهَا وَلَا يَجْهَدُهَا، لَا مَا ظَنَّهُ جَهَلَةُ أَهْلِ الْقَدَرِ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا قَدْ أُعْطِيَتْ عَلَيْهِ الْقُدْرَةُ مِنَ الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا زَعَمَتْ، لَكَانَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٤٨﴾ [الإسراء: ٤٨] -إِذْ كَانَ دَالًّا عَلَىٰ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُسْتَطِيعِي السَّبِيلَ إِلَىٰ مَا كُلِّفُوهُ- وَاجِبًا أَنْ يَكُونَ الْقَوْمُ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ قَدْ أُعْطُوا الِاسْتِطَاعَةَ عَلَىٰ مَا مُنِعُوهَا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مِنْ قَائِلِهِ إِنْ قَالَهُ إِحَالَةٌ فِي كَلَامِهِ، وَدَعْوَىٰ بَاطِلٍ لَا يُخِيلُ بُطُولُهُ، وَإِذَا كَانَ بَيِّنًا فَسَادُ هَذَا الْقَوْلِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ كَلَّفَ النُّفُوسَ مِنْ وُسْعِهَا غَيْرَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَّفَهَا مِمَّا لَا تَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ..

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ نَهَىٰ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَبَوَيِ الْمَوْلُودِ عَنْ مُضَارَّةِ صَاحِبِهِ بِسَبَبِ وَلَدِهِمَا، فَحَقٌّ عَلَىٰ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ -إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ نَزْعَ وَلَدِهِ مِنْ أُمِّهِ بَعْدَ بَيْنُونَتِهَا مِنْهُ، وَهِيَ تَحْضُنُهُ وَتَكْفُلُهُ وَتُرْضِعُهُ، بِمَا يَحْضُنُهُ بِهِ غَيْرُهَا وَيَكْفُلُهُ بِهِ وَيُرْضِعُهُ مِنَ الْأُجْرَةِ- أَنْ يَأْخُذَ الْوَالِدَ بِتَسْلِيمِ وَلَدِهَا، مَا دَامَ مُحْتَاجًا الصَّبِيُّ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ، بِالْأُجْرَةِ الَّتِي يُعْطَاهَا غَيْرُهَا.. وَحَقٌّ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ الصَّبِيُّ لَا يَقْبَلُ ثَدْيَ غَيْرِ وَالِدَتِهِ، أَوْ كَانَ الْمَوْلُودُ لَهُ لَا يَجِدُ مَنْ يُرْضِعُ وَلَدَهُ، وَإِنْ كَانَ يَقْبَلُ ثَدْيَ غَيْرِ أُمِّهِ، أَوْ كَانَ مُعْدِمًا لَا يَجِدُ مَا يَسْتَأْجِرُ بِهِ مُرْضِعًا، وَلَا يَجِدُ مَنْ يَتَبَرَّعُ عَلَيْهِ بِرَضَاعِ مَوْلُودِهِ، أَنْ يَأْخُذَ وَالِدَتَهُ -الْبَائِنَةَ مِنْ وَالِدِهِ- بِرَضَاعِهِ وَحَضَانَتِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنْ حَرَّمَ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبَوَيْهِ ضِرَارَ صَاحِبِهِ بِسَبَبِهِ، فَالْإِضْرَارُ بِهِ أَحْرَىٰ أَنْ يَكُونَ مُحَرَّمًا، مَعَ مَا فِي الْإِضْرَارِ بِهِ مِنْ مُضَارَّةِ صَاحِبِهِ..

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ هُوَ وَارِثُ الصَّبِيِّ الْمَوْلُودِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا كَانَ أَبُوهُ مَيِّتًا، الَّذِي كَانَ عَلَىٰ أَبِيهِ فِي حَيَاتِهِ..

﴿مِثْلُ ذَٰلِكَۗ﴾ مِثْلُ الَّذِي كَانَ عَلَىٰ وَالِدِهِ مِنْ رِزْقِ وَالِدَتِهِ وَكِسْوَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ، إِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ، وَهِيَ ذَاتُ زَمَانَةٍ وَعَاهَةٍ، وَمَنْ لَا احْتِرَافَ فِيهَا، وَلَا زَوْجَ لَهَا تَسْتَغْنِي بِهِ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْغِنَىٰ وَالصِّحَّةِ، فَمِثْلُ الَّذِي كَانَ عَلَىٰ وَالِدِهِ لَهَا مِنْ أَجْرِ رَضَاعِهِ..

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ إِنْ أَرَادَ وَالِدُ الْمَوْلُودِ، وَوَالِدَتُهُ..

﴿فِصَالًا﴾ يَعْنِي فِصَالَ وَلَدِهِمَا مِنَ اللَّبَنِ، وَهُوَ الْفِطَامُ، وهُوَ مَنْعُهُ اللَّبَنَ وَقَطْعُهُ شُرْبَهُ، وَفِرَاقُهُ ثَدْيَ أُمِّهِ إِلَىٰ الِاغْتِذَاءِ بِالْأَقْوَاتِ الَّتِي يَغْتَذِي بِهَا الْبَالِغُ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا فِي الْحَوْلَيْنِ..

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ مِنْهُمَا فِي الْحَوْلَيْنِ، وَهُوَ غَايَةٌ لِتَمَامِ الرَّضَاعِ وَانْقِضَائِهِ، وَلَا تُشَاوَرَ بَعْدَ انْقِضَائِهِ؛ وَإِنَّمَا التَّشَاوُرُ وَالتَّرَاضِي قَبْلَ انْقِضَاءِ نِهَايَتِهِ، فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَفْلَةٍ أَنَّ لِلتَّشَاوُرِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَوْلَيْنِ مَعْنَىٰ صَحِيحًا، إِذْ كَانَ مِنَ الصِّبْيَانِ مَنْ تَكُونُ بِهِ عِلَّةٌ يَحْتَاجُ مِنْ أَجْلِهَا إِلَىٰ تَرْكِهِ، وَالِاغْتِذَاءِ بِلَبَنِ أُمِّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا هُوَ عِلَاجٌ كَالْعِلَاجِ بِشُرْبِ بَعْضِ الْأَدْوِيَةِ لَا رَضَاعٌ، فَأَمَّا الرَّضَاعُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْفِصَالِ مِنْهُ قَبْلَ انْقِضَاءِ آخِرِهِ تَرَاضٍ وَتَشَاوُرٌ مِنْ وَالِدَيِ الطِّفْلِ الَّذِي أَسْقَطَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِفَطْمِهِمَا إِيَّاهُ الْجُنَاحَ عَنْهُمَا قَبْلَ انْقِضَاءِ آخِرِ مُدَّتِهِ، فَإِنَّمَا الْحَدُّ الَّذِي حَدَّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ عَلَىٰ مَا قَدْ أَتَيْنَا عَلَىٰ الْبَيَانِ عَنْهُ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا..

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مَرَاضِعَ غَيْرَ أُمَّهَاتِهِمْ، إِذَا أَبَتْ أُمَّهَاتُهُمْ أَنْ يُرْضِعْنَهُمْ بِالَّذِي يُرْضِعْنَهُمْ بِهِ غَيْرُهُنَّ مِنَ الْأَجْرِ، أَوْ مِنْ خِيفَةِ ضَيْعَةٍ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ بِانْقِطَاعِ أَلْبَانِ أُمَّهَاتِهِمْ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي اسْتِرْضَاعِهِنَّ..

﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ إِذَا سَلَّمْتُمْ إِلَىٰ أُمَّهَاتِهِمْ وَإِلَىٰ الْمُسْتَرْضِعَةِ الْآخِرَةِ حُقُوقَهُنَّ الَّتِي آتَيْتُمُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ أَنْ يُوَفِّيهِنَّ أُجُورَهُنَّ عَلَىٰ مَا فَارَقَهُنَّ عَلَيْهِ فِي حَالِ الِاسْتِرْضَاعِ وَوَقْتِ عَقْدِ الْإِجَارَةِ..

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْإِجْمَالِ وَالْإِحْسَانِ، وَتَرْكِ الْبَخْسِ وَالظُّلْمِ فِيمَا وَجَبَ لِلْمَرَاضِعِ.. فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ إِلَىٰ تَمَامِ رَضَاعِهِنَّ، وَلَمْ تَتَّفِقُوا أَنْتُمْ وَوَالِدَتُهُمْ عَلَىٰ فِصَالِهِمْ، وَلَمْ تَرَوْا ذَلِكَ مِنْ صَلَاحِهِمْ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمْ ظُؤُورَةً إِنِ امْتَنَعَتْ أُمَّهَاتُهُمْ مِنْ رَضَاعِهِمْ لِعِلَّةٍ بِهِنَّ أَوْ لِغَيْرِ عِلَّةٍ، إِذَا سَلَّمْتُمْ إِلَىٰ أُمَّهَاتِهِمْ وَإِلَىٰ الْمُسْتَرْضِعَةِ الْآخِرَةِ حُقُوقَهُنَّ الَّتِي آتَيْتُمُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ فِيمَا فَرَضَ لِبَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ الْحُقُوقِ، وَفِيمَا أَلْزَمَ

نِسَاءَكُمْ لِرِجَالِكُمْ وَرِجَالَكُمْ لِنِسَائِكُمْ، وَفِيمَا أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ لِأَوْلَادِكُمْ؛ فَاحْذَرُوهُ أَنْ تُخَالِفُوهُ فَتَعْتَدُوا فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَحُقُوقِهِ حُدُودَهُ، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ عُقُوبَتَهُ..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ أَيُّهَا النَّاسُ سِرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا، وَخَفِيَّهَا وَظَاهِرَهَا، وَخَيْرَهَا وَشَرَّهَا..

﴿بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٣٣] يَرَاهُ وَيَعْلَمُهُ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، فَهُوَ يُحْصِي ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِخَيْرِ ذَلِكَ وَشَرِّهِ، وَمَعْنَىٰ بَصِيرٍ ذُو إِبْصَارٍ، وَهُوَ فِي مَعْنَىٰ مُبْصِرٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾ [البقرة: ٢٣٤].

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ﴾ مِنَ الرِّجَالِ أَيُّهَا النَّاسُ، فَيَمُوتُونَ..

﴿وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾ يَنْبَغِي لَهُنَّ أَنْ..

﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾ يَحْتَبِسْنَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ..

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ مُعْتَدَّاتٍ عَنِ الْأَزْوَاجِ، وَالطِّيبِ، وَالزِّينَةِ، وَالنُّقْلَةِ عَنِ الْمَسْكَنِ الَّذِي كُنَّ يَسْكُنَّهُ فِي حَيَاةِ أَزْوَاجِهِنَّ..

﴿أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ إِلَّا أَنْ يَكُنَّ حَوَامِلَ، فَيَكُونُ عَلَيْهِنَّ مِنَ التَّرَبُّصِ كَذَلِكَ إِلَىٰ حِينَ وَضْعِ حَمْلِهِنَّ، فَإِذَا وَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ انْقَضَتْ عِدَدُهُنَّ حِينَئِذٍ؛ فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ امْرَأَةً تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَاشْتَكَتْ عَيْنَهَا، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْتَفْتِيهِ فِي الْكُحْلِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ كَانَتِ إِحْدَاكُنَّ تَكُونُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي شَرِّ أَحْلَاسِهَا، فَتَمْكُثُ فِي بَيْتِهَا حَوْلًا إِذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، فَيَمُرُّ عَلَيْهَا الْكَلْبُ فَتَرْمِيهِ بِالْبَعْرَةِ، أَفَلَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**»، وَعَنْ حَفْصَةَ ابْنَةِ عُمَرَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَىٰ زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**»، قَالَ يَحْيَىٰ بنُ سعيد القطَّان: (**وَالْإِحْدَادُ عِنْدَنَا أَنْ لَا تَطَيَّبَ وَلَا تَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبُوغًا بِوَرْسٍ، وَلَا زَعْفَرَانٍ، وَلَا تَكْتَحِلَ، وَلَا تَزَيَّنَ**)..

﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ الْأَجَلَ الَّذِي أُبِيحَ لَهُنَّ فِيهِ مَا كَانَ حُظِرَ عَلَيْهِنَّ فِي عِدَدِهِنَّ مِنْ وَفَاةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَذَلِكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَدِهِنَّ، وَمُضِيِّ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ وَالْأَيَّامِ الْعَشَرَةِ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ -أَوْلِيَاءُ الْمَرْأَةِ- فِيمَا فَعَلَ الْمُتَوَفَّىٰ عَنْهُنَّ حِينَئِذٍ..

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ مِنْ تَطَيُّبٍ، وَتَزَيُّنٍ، وَنُقْلَةٍ مِنَ الْمَسْكَنِ الَّذِي كُنَّ يَعْتَدِدْنَ فِيهِ، وَنِكَاحِ مَنْ يَجُوزُ لَهُنَّ نِكَاحُهُ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ عَلَىٰ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُنَّ فِيهِ وَأَبَاحَهُ لَهُنَّ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ النِّكَاحَ الْحَلَالَ خَاصَّةً..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ فِي أَمْرِ مَنْ أَنْتُمْ وَلِيُّهُ مِنْ نِسَائِكُمْ مِنْ عَضْلِهِنَّ، وَإِنْكَاحِهِنَّ مِمَّنْ أَرَدْنَ نِكَاحَهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِهِمْ..

﴿خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣٤] ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ..

﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ الْمُعْتَدَّاتِ مِنْ وَفَاةِ أَزْوَاجِهِنَّ فِي عِدَدِهِنَّ، وَلَمْ تُصَرِّحُوا بِعَقْدِ نِكَاحٍ.. وَالتَّعْرِيضُ الَّذِي أُبِيحَ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا كَانَ مِنْ لَحْنِ الْكَلَامِ الَّذِي يَفْهَمُ بِهِ السَّامِعُ الْفَهِمُ مَا يَفْهَمُ بِصَرِيحِهِ، نَحْو أَنْ يَقُولَ: إِنِّي أُرِيدُ التَّزْوِيجَ، وَإِنِّي لَأُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِهَا، وَنَحْو: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ، ونَحْو: وَاللهِ إِنَّكِ لَجَمِيلَةٌ، وَإِنَّ النِّسَاءَ لَمِنْ حَاجَتِي، وَإِنَّكِ إِلَىٰ خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، ونَحْو: إِنِّي إِنْ تَزَوَّجْتُ أَحْسَنْتُ إِلَىٰ امْرَأَتِي.. ونَحْوُ ذلك..

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾ إِذَا أَخْفَيْتُمْ..

﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فَأَسْرَرْتُمُوهُ مِنْ خِطْبَتِهِنَّ، وَعَزْمِ نِكَاحِهِنَّ وَهُنَّ فِي عِدَدِهِنَّ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا فِي ذَلِكَ إِذَا لَمْ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.. وَفِي إِبَاحَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا أَبَاحَ مِنَ التَّعْرِيضِ بِنِكَاحِ الْمُعْتَدَّةِ لَهَا فِي حَالِ عِدَّتِهَا وَحَظْرِهِ التَّصْرِيحَ، مَا أَبَانَ عَنِ افْتِرَاقِ حُكْمِ التَّعْرِيضِ فِي كُلِّ مَعَانِي الْكَلَامِ وَحُكْمِ التَّصْرِيحِ مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّعْرِيضَ بِالْقَذْفِ غَيْرُ التَّصْرِيحِ بِهِ، وَأَنَّ الْحَدَّ بِالتَّعْرِيضِ بِالْقَذْفِ لَوْ كَانَ وَاجِبًا وُجُوبَهُ بِالتَّصْرِيحِ بِهِ لَوَجَبَ مِنَ الْجَنَاحِ بِالتَّعْرِيضِ بِالْخِطْبَةِ فِي الْعِدَّةِ نَظِيرَ الَّذِي يَجِبُ بِعَزْمِ عُقْدَةِ النِّكَاحِ فِيهَا، وَفِي تَفْرِيقِ اللهِ -

تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بَيْنَ حُكْمَيْهَا فِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ افْتِرَاقِ أَحْكَامِ ذَلِكَ فِي الْقَذْفِ..

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَ الْمُعْتَدَّاتِ فِي عِدَدِهِنَّ بِالْخِطْبَةِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَبِأَلْسِنَتِكُمْ، فَأَبَاحَ لَكُمُ التَّعْرِيضَ بِذَلِكَ لَهُنَّ، وَأَسْقَطَ الْحَرَجَ عَمَّا أَضْمَرَتْهُ نُفُوسُكُمْ حِلْمًا مِنْهُ..

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ وَلَكِنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُوَاعِدُوهُنَّ جِمَاعًا فِي عِدَدِهِنَّ، بِأَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ لِإِحْدَاهُنَّ فِي عِدَّتِهَا: (**قَدْ تَزَوَّجْتُكِ فِي نَفْسِي، وَإِنَّمَا أَنْتَظِرُ إِنْقِضَاءَ عِدَّتِكِ**) فَيَسْأَلُهَا بِذَلِكَ الْقَوْلِ إِمْكَانَهُ مِنْ نَفْسِهَا الْجِمَاعَ وَالْمُبَاضَعَةِ، فَحَرَّمَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذَلِكَ، وهُوَ الزِّنَا..

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ فَاسْتَثْنَىٰ الْقَوْلَ الْمَعْرُوفَ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ مِنْ مُوَاعَدَةِ الرَّجُلِ الْمَرْأَةَ السِّرَّ، وَهُوَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ؛ وَلَكِنَّهُ مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِمَعْنَىٰ خِلَافِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي الصِّفَةِ خَاصَّةً، وَتَكُونُ «إِلَّا» فِيهِ بِمَعْنَىٰ «لَكِنْ» فَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ مِنْهُ، وَمَعْنَاهُ: وَلَكِنْ قُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا، فَأَبَاحَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْ يَقُولَ لَهَا الْمَعْرُوفَ مِنَ الْقَوْلِ فِي عِدَّتِهَا، وَذَلِكَ هُوَ مَا أَذِنَ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]..

﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ وَلَا تُصَحِّحُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ فِي عِدَّةِ الْمَرْأَةِ الْمُعْتَدَّةِ، فَتُوجِبُوهَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ، وَتَعْقِدُوهَا قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ..

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ الَّذِي بَيَّنَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فَجَعَلَ بُلُوغَ الْأَجَلِ لِلْكِتَابِ، وَالْمَعْنَىٰ: لِلْمُتَنَاكِحَيْنِ أَنْ لَا يَنْكِحَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ الْمُعْتَدَّةَ فَيَعْزِمَ عُقْدَةَ النِّكَاحِ عَلَيْهَا حَتَّىٰ تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا، فَيَبْلُغَ الْأَجَلَ الَّذِي أَجَّلَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ لِانْقِضَائِهَا..

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مِنْ هَوَاهُنَّ، وَنِكَاحِهِنَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ..

﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ فَاحْذَرُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْتُوا شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ عَزْمِ عُقْدَةِ نِكَاحِهِنَّ، أَوْ مُوَاعَدَتِهِنَّ السِّرَّ فِي عِدَدِهِنَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي شَأْنِهِنَّ فِي حَالِ مَا هُنَّ مُعْتَدَّاتٌ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ذُو سَتْرٍ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ وَتَغْطِيَةٍ عَلَيْهَا فِيمَا تُكِنُّهُ نُفُوسُ الرِّجَالِ مِنْ خِطْبَةِ الْمُعْتَدَّاتِ وَذِكْرِهِمْ إِيَّاهُنَّ فِي حَالِ عِدَدِهِنَّ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَطَايَاهُمْ..

﴿حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥] ذُو أَنَاةٍ لَا يُعَجِّلُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِعُقُوبَتِهِمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦].

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فِي طَلَاقِكُمْ نِسَاءَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ..

﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ قَبْلَ أَنَّ تُجَامِعُوهُنَّ، وَالْمُمَاسَّةُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ كِنَايَةٌ عَنِ اسْمِ الْجِمَاعِ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ الْمُطَلَّقَاتِ قَبْلَ الإِفْضَاءِ إِلَيْهِنَّ فِي نِكَاحٍ قَدْ سُمِّيَ لَهُنَّ فِيهِ الصَّدَاقُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنِيَّةَ بِذَلِكَ لَوْ كَانَتْ غَيْرَ الْمَفْرُوضِ لَهَا الصَّدَاقُ لَمَا كَانَ لِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مَعْنًىٰ مَعْقُولٌ..

﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ﴾ وَغَيْرُ الْمَفْرُوضِ لَهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُوجِبُوا لَهُنَّ..

﴿فَرِيضَةً﴾ صَدَاقًا وَاجِبًا..

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وَأَعْطُوهُنَّ مَا يَتَمَتَّعْنَ بِهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ عَلَىٰ أَقْدَارِكُمْ وَمَنَازِلِكُمْ مِنَ الْغِنَىٰ، وَالإِقْتَارِ.. فَأَوْجَبَ الْمُتْعَةَ لِلصِّنْفَيْنِ مِنْهُنَّ جَمِيعًا: الْمَفْرُوضِ لَهُنَّ، وَغَيْرِ الْمَفْرُوضِ لَهُنَّ، فَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لِأَحَدِ الصِّنْفَيْنِ، سُئِلَ الْبُرْهَانَ عَلَىٰ دَعْوَاهُ مِنْ أَصْلٍ أَوْ نَظِيرٍ.. وَأَرَىٰ أَنَّ الْمُتْعَةَ لِلْمَرْأَةِ حَقٌّ وَاجِبٌ إِذَا طُلِّقَتْ، عَلَىٰ زَوْجِهَا الْمُطَلِّقِهَا عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا آنِفًا، يُؤْخَذُ بِهَا الزَّوْجُ كَمَا يُؤْخَذُ بِصَدَاقِهَا، لَا يُبْرِئُهُ مِنْهَا إِلَّا أَدَاؤُهُ إِلَيْهَا، أَوْ إِلَىٰ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهَا فِي قَبْضِهَا مِنْهُ، أَوْ بِبَرَاءَةٍ تَكُونُ مِنْهَا لَهُ.. وَأَرَىٰ أَنَّ سَبِيلَهَا سَبِيلُ صَدَاقِهَا وَسَائِرِ دُيُونِهَا قِبَلَهُ، يُحْبَسُ بِهَا إِنْ طَلَّقَهَا فِيهَا، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ ظَاهِرٌ يُبَاعُ عَلَيْهِ، إِذَا امْتَنَعَ مِنْ إِعْطَائِهَا ذَلِكَ.. فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَبَاءٍ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِذْ قَالَ: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾، وَ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ أَنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ وَاجِبَةً لَكَانَتْ عَلَىٰ الْمُحْسِنِ وَغَيْرِ الْمُحْسِنِ، وَالْمُتَّقِي وَغَيْرِ الْمُتَّقِي، فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ أَمَرَ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِأَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَمِنَ الْمُتَّقِينَ، وَمَا وَجَبَ مِنْ حَقٍّ عَلَىٰ أَهْلِ الإِحْسَانِ وَالتُّقَىٰ، فَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ أَوْجَبُ، وَلَهُمْ أَلْزَمُ، وَفِي إِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْمُتْعَةَ لِلْمُطَلَّقَةِ غَيْرِ الْمَفْرُوضِ لَهَا قَبْلَ الْمَسِيسِ وَاجِبَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وُجُوبُ نِصْفِ الصَّدَاقِ لِلْمُطَلَّقَةِ الْمَفْرُوضِ لَهَا قَبْلَ الْمَسِيسِ، الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ وَاجِبٌ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ﴾ وَإِنْ كَانَ قَالَ: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾..

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ عَلَىٰ قَدْرِ عُسْرِهِ، وَيُسْرِهِ، لَا عَلَىٰ قَدْرِ الْمَرْأَةِ.. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا لِلْمَرْأَةِ عَلَىٰ قَدْرِ صَدَاقِ مِثْلِهَا إِلَىٰ قَدْرِ نِصْفِهِ لَمْ يَكُنْ لِقِيلِهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ مَعْنًى مَفْهُومٌ، وَلَكَانَ الْكَلَامُ: وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَىٰ قَدْرِهِنَّ وَقَدْرِ نِصْفِ صَدَاقِ أَمْثَالِهِنَّ، وَفِي إِعْلَامِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ أَنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ الرَّجُلِ فِي عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ، لَا عَلَىٰ قَدْرِهِ وَقَدْرِ نِصْفِ صَدَاقِ مِثْلِهَا، مَا يُبِينُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا وَفَسَادِ مَا خَالَفَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ قَدْ يَكُونُ صَدَاقُ مِثْلِهَا الْمَالَ الْعَظِيمَ، وَالرَّجُلُ فِي حَالِ طَلَاقِهِ إِيَّاهَا مُقْتِرٌ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، فَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ بِقَدْرِ نِصْفِ صَدَاقِ مِثْلِهَا، أُلْزِمَ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ بَعْضُ مِنْ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ الْمَقْدُورُ عَلَيْهِ؟! وَإِذَا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ، كَانَ الْحَاكِمُ بِذَلِكَ عَلَيْهِ قَدْ تَعَدَّىٰ حُكْمَ قَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ وَلَكِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ عُسْرِ الرَّجُلِ وَيُسْرِهِ، فَعَلَىٰ قَدْرِ طَاقَتِهِ، وَذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ اجْتِهَادِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ إِلَيْهِ فِيهِ..

﴿مَتَٰعَۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾ بِمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ مِنْ إِعْطَائِكُمْ لَهُنَّ ذَلِكَ بِغَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا مُدَافَعَةٍ مِنْكُمْ لَهُنَّ بِهِ..

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ٢٣٦﴾ [البقرة: ٢٣٦] الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَلْزَمَهُمْ بِهِ، وَأَدَائِهِمْ مَا كَلَّفَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ [البقرة: ٢٣٧].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تُمَاسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً، فَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ نِصْفُ مَا كُنْتُمْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ مِنْ قَبْلِ طَلَاقِكُمْ إِيَّاهُنَّ، يَعْنِي بِذَلِكَ: فَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ نِصْفُ مَا أَصْدَقْتُمُوهُنَّ..

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّوَاتِي وَجَبَ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ نِصْفُ تِلْكَ الْفَرِيضَةِ فَيَتْرُكْنَهُ لَكُمْ، وَيَصْفَحْنَ لَكُمْ عَنْهُ، تَفَضُّلًا مِنْهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، إِنْ كُنَّ مِمَّنْ يَجُوزُ حُكْمُهُ فِي مَالِهِ، وَهُنَّ بَوَالِغٌ رَشِيدَاتٌ، فَيَجُوزُ عَفْوُهُنَّ حِينَئِذٍ عَمَّا عَفَوْنَ عَنْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَيَسْقُطُ عَنْكُمْ مَا كُنَّ عَفَوْنَ لَكُمْ عَنْهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ النِّصْفُ الَّذِي كَانَ وَجَبَ لَهُنَّ مِنَ الْفَرِيضَةِ بَعْدَ الطَّلَاقِ..

﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ﴾ وَهُوَ الزَّوْجُ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ نِكَاحِ نَفْسِهِ فِي كُلِّ حَالٍ،

قَبْلَ الطَّلَاقِ وَبَعْدَهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ نِكَاحِهِنَّ..

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾ وَأَنْ يَعْفُوَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ بَعْدَ فِرَاقِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا عَمَّا وَجَبَ لِبَعْضِكُمْ قِبَلَ بَعْضٍ، فَيَتْرُكُهُ لَهُ إِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ لَهُ قِبَلَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ لَهُ فَبِأَنْ يُوَفِّيَهُ بِتَمَامِهِ، أَقْرَبُ لَكُمْ إِلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ..

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ إِذْ كَانَ مُؤْثِرًا فِعْلَ مَا نَدَبَهُ اللهُ إِلَيْهِ مِمَّا لَمْ يَفْرِضْهُ عَلَيْهِ عَلَىٰ هَوَىٰ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ وَأَوْجَبَهُ أَشَدُّ إِيثَارًا، وَلِمَا نَهَاهُ أَشَدَّ لَهُ تَجَنُّبًا، وَذَلِكَ هُوَ قُرْبُهُ مِنَ التَّقْوَىٰ..

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾ وَلَا تَغْفُلُوا أَيُّهَا النَّاسُ الْأَخْذَ بِالْفَضْلِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَتَتْرُكُوهُ، وَلَكِنْ لِيَتَفَضَّلِ الرَّجُلُ الْمُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ قَبْلَ مَسِيسِهَا، فَيُكْمِلُ لَهَا تَمَامَ صَدَاقِهَا إِنْ كَانَ لَمْ يُعْطِهَا جَمِيعَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَاقَ إِلَيْهَا جَمِيعَ مَا كَانَ فَرَضَ لَهَا فَلْيَتَفَضَّلْ عَلَيْهَا بِالْعَفْوِ عَمَّا يَجِبُ لَهُ، وَيَجُوزُ لَهُ الرُّجُوعُ بِهِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ نِصْفُهُ، فَإِنْ شَحَّ الرَّجُلُ بِذَلِكَ وَأَبَىٰ إِلَّا الرُّجُوعَ بِنِصْفِهِ عَلَيْهَا، فَلْتَتَفَضَّلِ الْمَرْأَةُ الْمُطَلَّقَةُ عَلَيْهِ بِرَدِّ جَمِيعِهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَتْ قَدْ قَبَضَتْهُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَبَضَتْهُ فَتَعْفُوَ عَنْ جَمِيعِهِ، فَإِنْ هُمَا لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ وَشَحَّا، وَتَرَكَا مَا نَدَبَهُمَا اللهُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْذِ أَحَدِهِمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ بِالْفَضْلِ، فَلَهَا نِصْفُ مَا كَانَ فَرَضَ لَهَا فِي عَقْدِ النِّكَاحِ، وَلَهُ نِصْفُهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِمَّا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ، وَحَضَّكُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَفْوِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ عَمَّا وَجَبَ لَهُ قِبَلَهُ مِنْ حَقٍّ، بِسَبَبِ النِّكَاحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَزْوَاجِكُمْ، وَتَفَضُّلِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ مِمَّا تَأْتُونَ وَتَذَرُونَ مِنْ أُمُورِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ وَغَيْرِكُمْ، مِمَّا حَثَّكُمُ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَكُمْ بِهِ أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ [البقرة: ٢٣٧] ذُو بَصَرٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ يُحْصِيهُ عَلَيْكُمْ، وَيَحْفَظُهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ ذَا الْإِحْسَانِ مِنْكُمْ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَذَا الْإِسَاءَةِ مِنْكُمْ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ وَاظِبُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ فِي أَوْقَاتِهِنَّ، وَتَعَاهَدُوهُنَّ وَأَلْزِمُوهُنَّ..

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وَعَلَىٰ الصَّلَاةِ الْوسْطَىٰ مِنْهُنَّ، وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ؛ فَقَدْ تَظَاهَرَتْ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، فَعَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ

الْعَصْرِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ فُرِضَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا وَتَرَكُوهَا، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا مِنْكُمْ أُوتِيَ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ».. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا الْوسْطَىٰ: لِتَوَسُّطِهَا الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ الْخَمْسِ، وَذَلِكَ أَنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَيْنِ وَبَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ، وَهِيَ بَيْنَ ذَلِكَ وُسْطَاهُنَّ..

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] مُطِيعِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَ الْقُنُوتِ: الطَّاعَةُ.. وَقَدْ تَكُونُ الطَّاعَةُ لِلَّهِ فِي الصَّلَاةِ بِالسُّكُوتِ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ مِنَ الْكَلَامِ فِيهَا -وَلِذَلِكَ وَجَّهَ مَنْ وَجَّهَ تَأْوِيلَ الْقُنُوتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَىٰ السُّكُوتِ فِي الصَّلَاةِ -أَحَدَ الْمَعَانِي الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِيهَا، إِلَّا عَنْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ، أَوْ ذِكْرٍ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ كَمَا وَصَفْنَا مَا جَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَخْعِي، وَمُجَاهِدٍ، قَالَا: كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ، يَأْمُرُ أَحَدُهُمْ أَخَاهُ بِالْحَاجَةِ فَنَزَلَتْ ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ قَالَ: فَقَطَعُوا الْكَلَامَ.. وَالْقُنُوتُ: السُّكُوتُ، وَالْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ وَمُجَاهِدٌ الْقُنُوتَ سُكُوتًا فِي طَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ.. وَقَدْ تَكُونُ الطَّاعَةُ لِلَّهِ فِيهَا بِالْخُشُوعِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَإِطَالَةِ الْقِيَامِ، وَبِالدُّعَاءِ؛ لِأَنَّ كَلًّا غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ أَحَدِ مَعْنَيَيْنِ، مِنْ أَنْ يَكُونَ مِمَّا أُمِرَ بِهِ الْمُصَلِّي، أَوْ مِمَّا نُدِبَ إِلَيْهِ، وَالْعَبْدُ بِكُلِّ ذَلِكَ لِلَّهِ مُطِيعٌ، وَهُوَ لِرَبِّهِ فِيهِ قَانِتٌ، وَالْقُنُوتُ: أَصْلُهُ الطَّاعَةُ لِلَّهِ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مَا أَطَاعَ اللهُ بِهِ الْعَبْدَ.. فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ إِذًا: حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوسْطَىٰ، وَقُومُوا لِلَّهِ فِيهَا مُطِيعِينَ بِتَرْكِ بَعْضِكُمْ فِيهَا كَلَامَ بَعْضٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْكَلَامِ، سِوَىٰ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيهَا، أَوْ ذِكْرِ اللهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ أَوْ دُعَائِهِ فِيهَا، غَيْرِ عَاصِينَ لِلَّهِ فِيهَا بِتَضْيِيعِ حُدُودِهَا، وَالتَّفْرِيطِ فِي الْوَاجِبِ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ فِيهَا، وَفِي غَيْرِهَا مِنْ فَرَائِضِ اللهِ.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ وَقُومُوا لِلَّهِ فِي صَلَاتِكُمْ مُطِيعِينَ لَهُ، فَإِنْ خِفْتُمْ مِنْ عَدُوٍّ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، تَخْشَوْنَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالِ الْتِقَائِكُمْ مَعَهُمْ، أَنْ تُصَلُّوا قِيَامًا عَلَىٰ أَرْجُلِكُمْ بِالْأَرْضِ، قَانِتِينَ لِلَّهِ..

﴿فَرِجَالًا﴾ فَصَلُّوا رِجَالًا مُشَاةً عَلَىٰ أَرْجُلِكُمْ، وَأَنْتُمْ فِي حَرْبِكُمْ، وَقِتَالِكُمْ، وَجِهَادِ عَدُوِّكُمْ..

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ عَلَىٰ ظُهُورِ دَوَابِّكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْزِيكُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الْقِيَامِ مِنْكُمْ قَانِتِينَ.. وَالْخَوْفُ الَّذِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَ مِنْ أَجلِهِ الْمَكْتُوبَةَ مَاشِيًا رَاجِلًا وَرَاكِبًا جَائِلًا، الْخَوْفُ عَلَىٰ الْمُهِمَّةِ عِنْدَ السَّلَّةِ، وَالْمُسَايَفَةِ فِي قِتَالِ مَنْ أُمِرَ بِقِتَالِهِ مِنْ عَدُوٍّ لِلْمُسْلِمِينَ، أَوْ مُحَارِبٍ، أَوْ طَلَبِ

سَبُعٍ، أَوْ جَمَلٍ صَائِلٍ، أَوْ سَيْلٍ سَائِلٍ فَخَافَ الْغَرَقَ فِيهِ، وَكُلِّ مَا الْأَغْلَبُ مِنْ شَأْنِهِ هَلَاكُ الْمَرْءِ مِنْهُ إِنْ صَلَّىٰ صَلَاةَ الْأَمْنِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةَ شِدَّةِ الْخَوْفِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، يُومِئُ إِيمَاءً، لِعُمُومِ كِتَابِ اللهِ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ وَلَمْ يَخُصَّ الْخَوْفَ عَلَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ نَوْعٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ صِفَتَهُ مَا ذَكَرْتُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ الْخَوْفَ الَّذِي يَجُوزُ لِلْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَ كَذَلِكَ هُوَ الَّذِي الْأَغْلَبُ مِنْهُ الْهَلَاكُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا، وَذَلِكَ حَالُ شِدَّةِ الْخَوْفِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ: «**يَقُومُ الْأَمِيرُ وَطَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ مَعَهُ، فَيَسْجُدُونَ سَجْدَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ تَكُونُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ الَّذِينَ سَجَدُوا سَجْدَةً مَعَ أَمِيرِهِمْ، ثُمَّ يَكُونُونَ مَكَانَ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا، وَيَتَقَدَّمُ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا فَيُصَلُّونَ مَعَ أَمِيرِهِمْ سَجْدَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يَنْصَرِفُ أَمِيرُهُمْ وَقَدْ قَضَىٰ صَلَاتَهُ، وَيُصَلِّي بَعْدَ صَلَاتِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ سَجْدَةً لِنَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ خَوْفٌ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**»، فَفَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ حُكْمِ صَلَاةِ الْخَوْفِ فِي غَيْرِ حَالِ الْمُسَايَفَةِ، وَالْمُطَارَدَةِ وَبَيْنَ حُكْمِ صَلَاةِ الْخَوْفِ فِي حَالِ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْمُسَايَفَةِ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ إِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ الْخَوْفَ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ.. وَأَمَّا عَدَدُ الرَّكَعَاتِ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ لَا يَقْتَصِرَ مِنْ عَدَدِهَا فِي حَالِ الْأَمْنِ، وَإِنْ قَصُرَ عَنْ ذَلِكَ فَصَلَّىٰ رَكْعَةً رَأَيْتُهَا مُجْزِئَةً؛ لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً**»..

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عَدُوِّكُمْ أَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ قَتْلِكُمْ فِي حَالِ اشْتِغَالِكُمْ بِصَلَاتِكُمُ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْكُمْ وَمَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ كُنْتُمْ تَخَافُونَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالِ صَلَاتِكُمْ، فَاطْمَأْنَنْتُمْ..

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ وَفِي غَيْرِهَا، بِالشُّكْرِ لَهُ، وَالْحَمْدِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ أَعْدَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ كَمَا ذَكَرَكُمْ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاكُمْ، مِنْ أَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ..

﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٩] مِنْ أَخْبَارِ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَالْأَنْبَاءِ الْحَادِثَةِ بَعْدَكُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، الَّتِي جَهِلَهَا غَيْرُكُمْ، وَبَصَّرَكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ، إِنْعَامًا مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ، فَعَلَّمَكُمْ مِنْهُ مَا لَمْ تَكُونُوا مِنْ قَبْلِ تَعْلِيمِهِ إِيَّاكُمْ تَعْلَمُونَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة: ٢٤٠].

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ..

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ يَعْنِي زَوْجَاتٍ كُنَّ لَهُ نِسَاءً فِي حَيَاتِهِ بِنِكَاحٍ لَا مِلْكِ يَمِينٍ..

﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ كَتَبَ اللهُ لِأَزْوَاجِهِمْ عَلَيْكُمْ -وَصِيَّةً مِنْهُ لَهُنَّ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ مَنَازِلِ أَزْوَاجِهِنَّ حَوْلًا، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٢]، فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- كَانَ جَعَلَ لِأَزْوَاجِ مَنْ مَاتَ مِنَ الرِّجَالِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ سُكْنَىٰ حَوْلٍ فِي مَنْزِلِهِ، وَنَفَقَتَهَا فِي مَالِ زَوْجِهَا الْمَيِّتِ إِلَىٰ انْقِضَاءِ السَّنَةِ، وَوَجَبَ عَلَىٰ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ أَنْ لَا يُخْرِجُوهُنَّ قَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلِ مِنَ الْمَسْكَنِ الَّذِي يَسْكُنُهُ، وَإِنْ هُنَّ تَرَكْنَ حَقَّهُنَّ مِنْ ذَلِكَ وَخَرَجْنَ لَمْ تَكُنْ وَرَثَةُ الْمَيِّتِ مِنْ خُرُوجِهِنَّ فِي حَرَجٍ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَسَخَ النَّفَقَةَ بِآيَةِ الْمِيرَاثِ، وَأَبْطَلَ مِمَّا كَانَ جَعَلَ لَهُنَّ مِنْ سُكْنَىٰ حَوْلٍ، وَرَدَّهُنَّ إِلَىٰ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ..

﴿مَّتَٰعًا﴾ جَعَلَ الْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهُنَّ مَتَاعًا..

﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ لَا إِخْرَاجَ مِنْ مَسْكَنِ زَوْجِهَا حَتَّىٰ يَنْقَضِيَ الْحَوْلُ..

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ لِأَنَّ الْمَتَاعَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُنَّ إِلَىٰ الْحَوْلِ فِي مَالِ أَزْوَاجِهِنَّ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ وَفِي مَسَاكِنِهِمْ وَنَهَىٰ وَرَثَتَهُ عَنْ إِخْرَاجِهِنَّ، إِنَّمَا هُوَ لَهُنَّ مَا أَقَمْنَ فِي مَسَاكِنِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَأَنَّ حُقُوقَهُنَّ مِنْ ذَلِكَ تَبْطُلُ بِخُرُوجِهِنَّ إِنْ خَرَجْنَ مِنْ مَنَازِلِ أَزْوَاجِهِنَّ قَبْلَ الْحَوْلِ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِنَّ بِغَيْرِ إِخْرَاجٍ مِنْ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ، ثُمَّ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ فِي خُرُوجِهِنَّ وَتَرْكِهِنَّ الْحِدَادَ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ؛ لِأَنَّ الْمُقَامَ حَوْلًا فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِهِنَّ وَالْحِدَادَ عَلَيْهِ تَمَامَ حَوْلٍ كَامِلٍ لَمْ يَكُنْ فَرْضًا عَلَيْهِنَّ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ إِبَاحَةً مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُنَّ إِنْ أَقَمْنَ تَمَامَ الْحَوْلِ مُحِدَّاتٍ، فَأَمَّا إِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ وَلَا عَلَيْهِنَّ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ، وَذَلِكَ تَرْكُ الْحِدَادِ، يَقُولُ: فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّزَيُّنِ إِنْ تَزَيَّنَّ وَتَطَيَّبْنَ وَتَزَوَّجْنَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَهُنَّ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: لَا حَرَجَ عَلَيْهِنَّ فِي خُرُوجِهِنَّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ عَلَيْهِنَّ فِيهِ جُنَاحٌ، لَكَانَ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الرَّجُلِ فِيهِ جُنَاحٌ بِتَرْكِهِمْ إِيَّاهُنَّ وَالْخُرُوجَ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَىٰ مَنْعِهِنَّ مِنْ

ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ فِي خُرُوجِهِنَّ وَتَرْكِ الْحِدَادِ، وَضَعَ عَنْ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ وَغَيْرِهِمُ الْحَرَجَ فِيمَا فَعَلْنَ مِنْ مَعْرُوفٍ، وَذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِنَّ..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَتَعَدَّىٰ حُدُودَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَمَنَعَ مَنْ كَانَ مِنَ الرِّجَالِ نِسَاءَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ مَا فُرِضَ لَهُنَّ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ قَبْلُ، مِنَ الْمُتْعَةِ وَالصَّدَاقِ وَالْوَصِيَّةِ وَإِخْرَاجِهِنَّ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحَوْلِ، وَتَرْكِ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَأَوْقَاتِهَا، وَمَنْعِ مَنْ كَانَ مِنَ النِّسَاءِ مَا أَلْزَمَهُنَّ اللهُ مِنَ التَّرَبُّصِ عِنْدَ وَفَاةِ أَزْوَاجِهِنَّ عَنِ الْأَزْوَاجِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ..

﴿حَكِيمٌ ۝٢٤٠﴾ [البقرة: ٢٤٠] فِيمَا قَضَىٰ بَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ قَضَايَاهُ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي الْآيَاتِ قَبْلَ قَوْلِهِ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٨﴾ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَأَقْضِيَتِهِ.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ [البقرة: ٢٤١].

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾ وَلِمَنْ طَلَّقَ مِنَ النِّسَاءِ عَلَىٰ مُطَلِّقِهَا مِنَ الْأَزْوَاجِ..

﴿مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ مَا تَسْتَمْتِعُ بِهِ مِنْ ثِيَابٍ، وَكِسْوَةٍ، وَنَفَقَةٍ، أَوْ خَادِمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَمْتَعُ بِهِ..

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ [البقرة: ٢٤١] الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ فِي أَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَحُدُودِهِ، فَقَامُوا بِهَا عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُمُ الْقِيَامَ بِهِ خَشْيَةً مِنْهُمْ لَهُ، وَوَجَلًا مِنْهُمْ مِنْ عِقَابِهِ.. أَنْزَلَهَا دَلِيلًا لِعِبَادِهِ عَلَىٰ أَنَّ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةً؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذَكَرَ فِي سَائِرِ آيِ الْقُرْآنِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ مُتْعَةِ النِّسَاءِ خُصُوصًا مِنَ النِّسَاءِ، فَبَيَّنَ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، مَا لَهُنَّ مِنَ الْمُتْعَةِ إِذَا طُلِّقْنَ قَبْلَ الْمَسِيسِ، وَبِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، حُكْمَ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ، فَعَمَّ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ذِكْرَ جَمِيعِهِنَّ، وَأَخْبَرَ بِأَنَّ لَهُنَّ الْمَتَاعَ، كَمَا أَبَانَ الْمُطَلَّقَاتِ الْمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهِنَّ فِي سَائِرِ آيِ الْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ كَرَّرَ ذِكْرَ جَمِيعِهِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٤٢﴾ [البقرة: ٢٤٢].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ مَا يَلْزَمُكُمْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَيَلْزَمُ أَزْوَاجَكُمْ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَعَرَّفْتُكُمْ أَحْكَامِي وَالْحَقَّ الْوَاجِبَ لِبَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، فَكَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أُبَيِّنُ لَكُمْ سَائِرَ الْأَحْكَامِ فِي آيَاتِي الَّتِي أَنْزَلْتُهَا عَلَىٰ نَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا الْكِتَابِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٤٢﴾ [البقرة: ٢٤٢] لِتَعْقِلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِي وَبِرَسُولِي حُدُودِي، فَتَفْهَمُوا اللَّازِمَ لَكُمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَتَعْرِفُوا بِذَلِكَ مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، وَعَاجِلِكُمْ وَآجِلِكُمْ، فَتَعْلَمُوا بِهِ، لِيَصْلُحَ ذَاتُ بَيْنِكُمْ، وَتَنَالُوا بِهِ الْجَزِيلَ مِنْ ثَوَابِي فِي مَعَادِكُمْ.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٢٤٣﴾

[البقرة: ٢٤٣].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ.. وَهُوَ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَلْبِ لَا رُؤْيَةِ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يُدْرِكِ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ هَذَا الْخَبَرَ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ مِنْ غَيْرِ افْتِرَاقٍ كَانَ مِنْهُمْ، وَلَا تَبَاغُضٍ، وَلَكِنْ فِرَارًا، إِمَّا مِنَ الْجِهَادِ، وَإِمَّا مِنَ الطَّاعُونِ..

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ زِيَادَةٌ عَنْ عَشْرَةِ آلَافٍ، وَمَا دُونَ الْعَشَرَةِ آلَافٍ لَا يُقَالُ لَهُمْ أُلُوفٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: هُمْ آلَافٌ إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ فَصَاعِدًا إِلَىٰ الْعَشَرَةِ آلَافٍ..

﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ﴾ خَرَجُوا فِرَارًا مِنْهُ..

﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ﴾ حَثَّ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ الْمُوَاظَبَةِ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ قِتَالِ أَعْدَاءِ دِينِهِ، وَشَجَّعَهُمْ بِإِعْلَامِهِ إِيَّاهُمْ وَتَذْكِيرِهِ لَهُمْ أَنَّ الْإِمَاتَةَ وَالْإِحْيَاءَ بِيَدَيْهِ وَإِلَيْهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَأَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْقِتَالِ وَالْهَرَبَ مِنَ الْجِهَادِ وَلِقَاءِ الْأَعْدَاءِ إِلَىٰ التَّحَصُّنِ فِي الْحُصُونِ وَالِاخْتِبَاءِ فِي الْمَنَازِلِ وَالدُّورِ غَيْرُ مُنْجٍ أَحَدًا مِنْ قَضَائِهِ إِذَا حَلَّ بِسَاحَتِهِ، وَلَا دَافِعَ عَنْهُ أَسْبَابَ مَنِيَّتِهِ إِذَا نَزَلَ بِعُقُوبَتِهِ، كَمَا لَمْ يَنْفَعِ الْهَارِبِينَ مِنَ الطَّاعُونِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- صِفَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ فِرَارُهُمْ مِنْ أَوْطَانِهِمْ، وَانْتِقَالُهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَّلُوا بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ السَّلَامَةَ، وَبِالْمَوْئِلِ النَّجَاةَ مِنَ الْمَنِيَّةِ، حَتَّىٰ أَتَاهُمْ أَمْرُ اللهِ، فَتَرَكَهُمْ جَمِيعًا خُمُودًا صَرْعَىٰ، وَفِي الْأَرْضِ هَلْكَىٰ، وَنَجَا مِمَّا حَلَّ بِهِمُ الَّذِينَ بَاشَرُوا كَرْبَ الْوَبَاءِ، وَخَالَطُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَظِيمَ الْبَلَاءِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بِتَبْصِيرِهِ إِيَّاهُمْ سَبِيلَ الْهُدَىٰ وَتَحْذِيرِهِ لَهُمْ طُرُقَ الرَّدَىٰ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي يُنْعِمُهَا عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، كَمَا أَحْيَا الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ بَعْدَ إِمَاتَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَجَعَلَهُمْ لِخَلْقِهِ مَثَلًا وَعِظَةً يَعْظُونَ بِهِمْ، وَعِبْرَةً يَعْتَبِرُونَ بِهِمْ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِهِ، فَيَسْتَسْلِمُونَ لِقَضَائِهِ، وَيَصْرِفُونَ الرَّغْبَةَ كُلَّهَا وَالرَّهْبَةَ إِلَيْهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ يُنْعِمُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ بِنِعَمِهِ الْجَلِيلَةِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِمِنَنِهِ الْجَسِيمَةِ، يَكْفُرُ بِهِ، وَيَصْرِفُ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَيَتَّخِذُ إِلَهًا مِنْ دُونِهِ، كُفْرَانًا مِنْهُ لِنِعَمِهِ الَّتِي تُوجِبُ أَصْغَرُهَا عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ مَا يَفْدَحُهُ، وَمِنَ الْحَمْدِ مَا يُثْقِلُهُ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣] لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْهِمْ، وَفَضْلِي الَّذِي تَفَضَّلْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ، بِعِبَادَتِهِمْ غَيْرِي، وَصَرْفِهِمْ رَغْبَتَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ إِلَىٰ مَنْ دُونِي، مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا يَمْلِكُ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤﴾ [البقرة: ٢٤٤].

﴿وَقَٰتِلُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاشْكُرُونِي أَنْتُمْ بِطَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ فِي سَبِيلِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، إِذْ كَفَرَ هَؤُلَاءِ نِعَمِي..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي فِي دِينِهِ الَّذِي هَدَاكُمْ لَهُ -لَا فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ- أَعْدَاءَ دِينِكُمْ، الصَّادِينَ عَنْ سَبِيلِ رَبِّكُمْ، وَلَا تَجْبُنُوا عَنْ لِقَائِهِمْ، وَلَا تَقْعُدُوا عَنْ حَرْبِهِمْ، فَإِنَّ بِيَدِي حَيَاتَكُمْ وَمَوْتَكُمْ، وَلَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مِنْ لِقَائِهِمْ وَقِتَالِهِمْ حَذَرُ الْمَوْتِ وَخَوْفُ الْمَنِيَّةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِقِتَالِهِمْ، فَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّعْرِيدِ عَنْهُمْ، وَالْفِرَارِ مِنْهُمْ، فَتَذِلُّوا، وَيَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ الَّذِي خِفْتُمُوهُ فِي مَأْمَنِكُمُ الَّذِي وَأَلْتُمْ إِلَيْهِ، كَمَا أَتَىٰ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ، الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكُمْ قِصَّتَهُمْ، فَلَمْ يُنْجِهِمْ فِرَارُهُمْ مِنْهُ مِنْ نُزُولِهِ بِهِمْ حِينَ جَاءَهُمْ أَمْرِي وَحَلَّ بِهِمْ قَضَائِي، وَلَا ضَرَّ الْمُتَخَلِّفِينَ وَرَاءَهُمْ مَا كَانُوا لَمْ يَحْذَرُوهُ إِذْ دَافَعْتُ عَنْهُمْ مَنَايَاهُمْ، وَصَرَفْتُهَا عَنْ حُوبَائِهِمْ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِهِ مِنْ أَعْدَائِي وَأَعْدَاءِ دِينِي، فَإِنَّ مَنْ حَيِيَ مِنْكُمْ فَأَنَا أُحْيِيهِ، وَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ فَبِقَضَائِي كَانَ قَتْلُهُ، ثُمَّ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُمْ..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِ مَنْ يَقُولُ مِنْ مُنَافِقِيكُمْ لِمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ فِي سَبِيلِي: لَوْ أَطَاعُونَا فَجَلَسُوا فِي مَنَازِلِهِمْ مَا قُتِلُوا..

﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤٤] بِمَا تُخْفِيهِ صُدُورُهُمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ وَقِلَّةِ الشُّكْرِ لِنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ وَآلَائِي لَدَيْهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأُمُورِ عِبَادِي، عَلِيمٌ بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ وَبِمَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، حَتَّىٰ أُجَازِيَ كُلًّا بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ مَنْ هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُعِينُ مُضْعِفًا، أَوْ يُقَوِّي ذَا فَاقَةٍ أَرَادَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُعْطِي مِنْهُمْ مُقْتِرًا، وَذَلِكَ هُوَ الْقَرْضُ الْحَسَنُ الَّذِي يَقْرِضُ الْعَبْدُ رَبَّهُ.. وَإِنَّمَا سَمَّاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَرْضًا؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْقَرْضِ: إِعْطَاءُ الرَّجُلِ غَيْرَهُ مَالَهُ مُمَلَّكًا لَهُ لِيَقْضِيَهُ مِثْلَهُ إِذَا اقْتَضَاهُ، فَلَمَّا كَانَ إِعْطَاءُ مَنْ أَعْطَىٰ أَهْلَ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ إِنَّمَا يُعْطِيهِمْ مَا يُعْطِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَا وَعَدَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، سَمَّاهُ قَرْضًا؛ إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الْقَرْضِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مَا وَصَفْنَا.. وَإِنَّمَا جَعَلَهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- حَسَنًا؛ لِأَنَّ الْمُعْطِي يُعْطِي ذَلِكَ عَنْ نَدْبِ اللهِ إِيَّاهُ، وَحَثِّهِ لَهُ عَلَيْهِ احْتِسَابًا مِنْهُ، فَهُوَ لِلَّهِ طَاعَةٌ وَلِلشَّيَاطِينِ مَعْصِيَةٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِحَاجَةٍ بِاللهِ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرَةُ الْآيَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ فِيهَا -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]..

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ فَإِنَّهُ عِدَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مُقْرِضَهُ وَمُنْفِقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ إِضْعَافِ الْجَزَاءِ لَهُ عَلَىٰ قَرْضِهِ وَنَفَقَتِهِ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ..

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ واللهُ الَّذِي بِيَدِهِ قَبْضُ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ وَبَسْطِهَا دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنِ ادَّعَىٰ أَهْلُ الشِّرْكِ بِهِ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ، وَاتَّخَذُوهُ رَبًّا دُونَهُ يَعْبُدُونَهُ، وَذَلِكَ نَظِيرُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ أَنَسٌ: غَلَا السِّعْرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ غَلَا السِّعْرُ، فَأَسْعِرْ لَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ الْبَاسِطُ الْقَابِضُ الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ لَيْسَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي نَفْسٍ وَمَالٍ**».. يَعْنِي بِذَلِكَ ﷺ: أَنَّ الْغَلَاءَ وَالرُّخْصَ وَالسَّعَةَ وَالضِّيقَ بِيَدِ اللهِ دُونَ غَيْرِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ:

﴿يَقْبِضُ﴾ يَقْتُرُ بِقَبْضِهِ الرِّزْقَ عَمَّنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ يُوَسِّعُ بِبَسْطَةِ الرِّزْقِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ.. وَإِنَّمَا أَرَادَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقِيلِهِ ذَلِكَ حَثَّ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدْ بَسَطَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ فَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ رِزْقِهِ، عَلَىٰ تَقْوِيَةِ ذَوِي الْإِقْتَارِ مِنْهُمْ بِمَالِهِ، وَمَعُونَتِهِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ، وَحُمُولَتِهِ عَلَىٰ النُّهُوضِ لِقِتَالِ عَدُوِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِهِ.. فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: مَنْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ ذُخْرًا عِنْدِي بِإِعْطَائِهِ ضُعَفَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلَ الْحَاجَةِ مِنْهُمْ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِي، فَأُضَاعِفُ لَهُ مِنْ ثَوَابِي أَضْعَافًا كَثِيرَةً مِمَّا أَعْطَاهُ وَقَوَّاهُ بِهِ، فَإِنِّي أَنَا الْمُوَسِّعُ الَّذِي قَبَضْتُ الرِّزْقَ عَمَّنْ نَدَبْتُكَ إِلَىٰ مَعُونَتِهِ وَإِعْطَائِهِ، لِأَبْتَلِيَهُ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا ابْتَلَيْتُهُ بِهِ، وَالَّذِي بَسَطْتُ عَلَيْكَ لِأَمْتَحِنَكَ بِعَمَلِكَ فِيمَا بَسَطْتُ عَلَيْكَ، فَأَنْظُرَ كَيْفَ طَاعَتُكَ إِيَّايَ فِيهِ، فَأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَىٰ قَدْرِ طَاعَتِكُمَا لِي فِيمَا ابْتَلَيْتُكُمَا فِيهِ، وَامْتَحَنْتُكُمَا بِهِ مِنْ غِنًىٰ وَفَاقَةٍ، وَسَعَةٍ وَضِيقٍ، عِنْدَ رُجُوعِكُمَا إِلَيَّ فِي آخِرَتِكُمَا، وَمَصِيرِكُمَا إِلَيَّ فِي مَعَادِكُمَا..

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٥] وَإِلَىٰ اللهِ مَعَادُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوا فَرَائِضَهُ وَتَتَعَدُّوا حُدُودَهُ، وَأَنْ يَعْمَلَ مَنْ بُسِطَ عَلَيْهِ مِنْكُمْ مِنْ رِزْقِهِ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ لَهُ بِالْعَمَلِ فِيهِ رَبُّهُ، وَأَنْ يَحْمِلَ الْمُقْتِرُ مِنْكُمْ، فَقَبَضَ عَنْ رِزْقِهِ إِقْتَارَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَالتَّقَدُّمُ عَلَىٰ مَا نَهَاهُ فَيَسْتَوْجِبُ بِذَلِكَ مِنْهُ بِمَصِيرِهِ إِلَىٰ خَالِقِهِ مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٤٦﴾ [البقرة: ٢٤٦].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ، فَتَعْلَمَ بِخَبَرِي إِيَّاكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يَعْنِي إِلَىٰ وُجُوهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَشْرَافِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا قُبِضَ مُوسَىٰ فَمَاتَ..

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ﴾ النَّبِيُّ الَّذِي سَأَلُوهُ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ هَلْ تَعِدُونَ..

﴿إِن كُتِبَ﴾ إِنْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ..

﴿ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ۖ﴾ أَنْ لَا تَفُوا بِمَا تَعِدُونَ اللهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ؟ فَإِنَّكُمْ أَهْلُ نَكْثٍ وَغَدْرٍ، وَقِلَّةِ وَفَاءٍ بِمَا تَعِدُونَ..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِنَبِيِّهِمْ..

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُنَا أَنْ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَدُوَّنَا وَعَدُوَّ اللهِ..

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا﴾ وَقَدْ أُخْرِجَ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ مَنْ غُلِبَ عَلَيْهِ مِنْ رِجَالِنَا وَنِسَائِنَا..

﴿مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ﴾ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَمَنْ سُبِيَ.. وَهَذَا الْكَلَامُ ظَاهِرُهُ الْعُمُومُ، وَبَاطِنُهُ الْخُصُوصُ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ كَانُوا فِي دِيَارِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ أُخْرِجَ مِنْ دَارِهِ وَوَلَدِهِ مَنْ أُسِرَ وَقُهِرَ مِنْهُمْ.. فَسَأَلَ نَبِيُّهُمْ رَبَّهُمْ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُونَ مَعَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَبَعَثَ لَهُمْ مَلِكًا، وَكَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ..

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فَلَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمْ قِتَالُ عَدُوِّهِمْ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ..

﴿تَوَلَّوْا۟﴾ أَدْبَرُوا مُوَلِّينَ عَنِ الْقِتَالِ، وَضَيَّعُوا مَا سَأَلُوهُ نَبِيَّهُمْ مِنْ فَرْضِ الْجِهَادِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ﴾ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهَرَ مَعَ طَالُوتَ.. وَسَنَذْكُرُ سَبَبَ تَوَلِّي مَنْ تَوَلَّىٰ مِنْهُمْ وَعُبُورَ مَنْ عَبَرَ مِنْهُمُ النَّهَرَ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ إِذَا أَتَيْنَا عَلَيْهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ ظَلَمَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ، فَأَخْلَفَ اللهَ مَا وَعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ فِيمَا سَأَلَهُ ابْتِدَاءً أَنْ يُوجِبَهُ عَلَيْهِ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- تَقْرِيعٌ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، يَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُمْ: إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ عَصَيْتُمُ اللهَ وَخَالَفْتُمْ أَمْرَهُ فِيمَا سَأَلْتُمُوهُ أَنْ يَفْرِضَهُ عَلَيْكُمُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْتَدِئَكُمْ رَبُّكُمْ بِفَرْضِ مَا عَصَيْتُمُوهُ فِيهِ، فَأَنْتُمْ بِمَعْصِيَتِهِ فِيمَا ابْتَدَأَكُمْ بِهِ مِنْ إِلْزَامِ فَرْضِهِ أَحْرَىٰ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٧].

﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ لِلْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قَدْ أَعْطَاكُمْ مَا سَأَلْتُمْ، وَ..

﴿قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ذَلِكَ..

﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ﴾ لِطَالُوتَ..

﴿ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ وَهُوَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ بْنِ يَعْقُوبَ، وَسِبْطُ بِنْيَامِينَ سِبْطٌ لَا مُلْكَ فِيهِمْ وَلَا نُبُوَّةَ..

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لِأَنَّا مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ..

﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾ طَالُوتُ..

﴿سَعَةً﴾ كَثِيرًا..

﴿مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ لِأَنَّهُ سَقَّاءٌ، وَقِيلَ كَانَ دَبَّاغًا..

﴿قَالَ﴾ نَبِيُّهُمْ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ اخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾ آتَاهُ مِنَ الْعِلْمِ فَضْلًا عَلَىٰ مَا أَتَىٰ غَيْرَهُ مِنَ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذَا الْخِطَابِ..

﴿وَٱلْجِسْمِ﴾ أُوتِيَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي طُولِهِ لَمْ يُؤْتَهُ غَيْرُهُ مِنْهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ فَلَا تَسْتَنْكِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ طَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْكُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ، فَإِنَّ الْمُلْكَ لَيْسَ بِمِيرَاثٍ عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَسْلَافِ، وَلَكِنَّهُ بِيَدِ اللهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَلَا تَتَخَيَّرُوا عَلَىٰ اللهِ، فَإِنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَبِيَدِهِ دُونَ غَيْرِهِ يُؤْتِيهِ، يُؤْتِي ذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ فَيَضَعُهُ عِنْدَهُ، وَيَخُصُّهُ بِهِ، وَيَمْنَحُهُ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ بِفَضْلِهِ، فَيُنْعِمُ بِهِ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ، وَيُرِيدُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٧] بِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِمُلْكِهِ الَّذِي يُؤْتِيهِ، وَفَضْلِهِ الَّذِي يُعْطِيهِ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ لِعِلْمِهِ بِهِ، وَبِأَنَّهُ لِمَا أَعْطَاهُ أَهْلٌ، إِمَّا لِلْإِصْلَاحِ بِهِ، وَإِمَّا لِأَنْ يَنْتَفِعَ هُوَ بِهِ.. وَهَذَا الْخَبَرُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ نَبِيِّهِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ لَمْ يُقِرُّوا بِبَعْثَةِ اللهِ طَالُوتَ عَلَيْهِمْ مَلِكًا؛ إِذْ أَخْبَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ بِذَلِكَ وَعَرَّفَهُمْ فَضِيلَتَهُ الَّتِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهَا؛ وَلَكِنَّهُمْ سَأَلُوهُ الدَّلَالَةَ عَلَىٰ صِدْقِ مَا قَالَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَأَخْبَرَهُمْ بِهِ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨].

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ بَعْدَ أَنْ قَالُوا لَهُ: ائْتِ بِآيَةٍ عَلَىٰ ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ -وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ الْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]-..

﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ إِنَّ عَلَامَةَ مُلْكِ طَالُوتَ الَّتِي سَأَلْتُمُونِيهَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ صِدْقِي فِي قَوْلِي: إِنَّ اللهَ بَعَثَهُ عَلَيْكُمْ مَلِكًا، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ سِبْطِ الْمُمَلَّكَةِ..

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الَّذِي قَدْ عَرَفْتُمُوهُ، الَّذِي كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا لَقُوا عَدُوًّا لَهُمْ قَدَّمُوهُ أَمَامَهُمْ وَزَحَفُوا مَعَهُ، فَلَا يَقُومُ لَهُمْ مَعَهُ عَدُوٌّ، وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ نَاوَأَهُمْ، حَتَّىٰ مَنَعُوا أَمْرَ اللهِ وَكَثُرَ اخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَسَلَبَهُمُ اللهُ إِيَّاهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، يَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ، حَتَّىٰ سَلَبَهُمْ آخِرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ آخِرَ الْأَبَدِ..

﴿فِيهِ﴾ فِي التَّابُوتِ..

﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وَهُوَ الشَّيْءُ تَسْكُنُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَعْرِفُونَهَا.. وجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ رِيحٌ هَفَّافَةٌ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ، أَوْ لَهَا رَأْسٌ كَرَأْسِ الْهِرَّةِ وَجَنَاحَانِ، وجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ آيَاتٌ كَافِيَاتٌ تَسْكُنُ إِلَيْهِنَّ النُّفُوسُ وَتَثْلُجُ بِهِنَّ الصُّدُورُ..

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ الشَّيْءَ الْبَاقِي..

﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ مِنْ تَرِكَةِ آلِ مُوسَىٰ، وَآلِ هَارُونَ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ تِلْكَ الْبَقِيَّةُ: الْعَصَا، وَكِسَرَ الْأَلْوَاحِ، وَالتَّوْرَاةَ، أَوْ بَعْضَهَا، وَالنَّعْلَيْنِ، وَالثِّيَابَ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَمْرٌ لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ مِنْ جِهَةِ الِاسْتِخْرَاجِ، وَلَا اللُّغَةِ، وَلَا يُدْرَكُ عِلْمُ ذَلِكَ إِلَّا بِخَبَرٍ يُوجِبُ عَنْهُ الْعِلْمَ، وَلَا خَبَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ لِلصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا، وَإِذْ كَانَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ فِيهِ تَصْوِيبُ قَوْلٍ وَتَضْعِيفُ آخَرَ غَيْرِهِ؛ إِذْ كَانَ جَائِزًا فِيهِ مَا قُلْنَا مِنَ الْقَوْلِ..

﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حَمَلَتِ التَّابُوتَ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّىٰ وَضَعَتْهُ فِي دَارِ طَالُوتَ بَيْنَ أَظْهُرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي مَجِيئِكُمُ التَّابُوتَ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ، حَامِلَتُهُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ لَعَلَامَةً لَكُمْ وَدَلَالَةً أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ صِدْقِي فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ، أَنَّ اللهَ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ كَذَّبْتُمُونِي فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ تَمْلِيكِ اللهِ إِيَّاهُ عَلَيْكُمْ، وَاتَّهَمْتُمُونِي فِي خَبَرِي إِيَّاكُمْ بِذَلِكَ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ عِنْدَ مَجِيءِ الْآيَةِ الَّتِي سَأَلْتُمُونِيهَا عَلَىٰ صِدْقِي فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ طَالُوتَ وَمُلْكِهِ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا كَفَرُوا بِاللهِ فِي تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهُمْ، وَرَدِّهِمْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧] بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وَفِي مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ الْآيَةَ عَلَىٰ صِدْقِهِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ كُفْرًا فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ وَهُمْ كُفَّارٌ: لَكُمْ فِي مَجِيءِ التَّابُوتِ آيَةٌ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَلَا بِرَسُولِهِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا مِنْ مَعْنَاهُ، لِأَنَّهُمْ سَأَلُوا الْآيَةَ عَلَىٰ صِدْقِ خَبَرِهِ إِيَّاهُمْ لِيُقِرُّوا بِصِدْقِهِ، فَقَالَ لَهُمْ فِي مَجِيءِ التَّابُوتِ -عَلَىٰ مَا وَصَفَهُ لَهُمْ- آيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عِنْدَ مَجِيئِهِ كَذَلِكَ مُصَدِّقِيَّ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ وَأَخْبَرْتُكُمْ بِهِ.. وَهَذِهِ الْقِصَّةُ وَإِنْ كَانَتْ خَبَرًا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنِ الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَبِيِّهِمْ، وَمَا كَانَ مِنِ ابْتِدَائِهِمْ نَبِيَّهُمْ بِمَا ابْتَدَءُوا بِهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ لَهُمْ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُونَ مَعَهُ فِي سَبِيلِهِ، نَبَأً عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهُمْ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ إِخْلَافِهِمُ الْمَوْعِدَ الَّذِي وَعَدُوا اللهَ وَوَعَدُوا رَسُولَهُ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، بِالتَّخَلُّفِ عَنْهُ حِينَ اسْتُنْهِضُوا لِحَرْبِ مَنِ اسْتُنْهِضُوا لِحَرْبِهِ، وَفَتَحَ اللهُ عَلَىٰ الْقَلِيلِ مِنَ الْفِئَةِ مَعَ تَخْذِيلِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ عَنْ مُلْكِهِمْ وَقُعُودِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ، فَإِنَّهُ تَأْدِيبٌ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجِرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ذَرَارِيِّهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ يَهُودُ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرُ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَعْدُوا فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، بَعْدَ مَا كَانُوا يَسْتَنْصِرُونَ اللهَ بِهِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ قَبْلَ رِسَالَتِهِ، وَقَبْلَ بِعْثَةِ اللهِ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ غَيْرِهِمْ أَنْ يَكُونُوا كَأَسْلَافِهِمْ، وَأَوَائِلِهِمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، وَامْتِنَاعِهِمْ مِنَ الْجِهَادِ مَعَ طَالُوتَ لَمَّا ابْتَعَثَهُ اللهُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَسْأَلَتِهِمْ نَبِيَّهُمُ ابْتِعَاثَ مَلِكٍ يُقَاتِلُونَ مَعَهُ عَدُوَّهُمْ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ فِي سَبِيلِ رَبِّهِمُ ابْتِدَاءً مِنْهُمْ بِذَلِكَ نَبِيَّهُمْ، وَبَعْدَ مُرَاجَعَةِ نَبِيِّهِمْ إِيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ.. وَحَضٌّ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مِنْ

أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَتَحْذِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا فِي التَّخَلُّفِ عَنْ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَ لِقَائِهِ الْعَدُوَّ، وَمُنَاهَضَتِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَبِهِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي تَخَلُّفِهِمْ عَنْ مَلِكِهِمْ طَالُوتَ، إِذْ زَحَفَ لِحَرْبِ عَدُوِّ اللهِ جَالُوتَ، وَإِيثَارِهِمُ الدَّعَةَ وَالْخَفْضَ عَلَىٰ مُبَاشَرَةِ حَرِّ الْجِهَادِ، وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ.. وَشَحْذٌ مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ الْإِقْدَامِ عَلَىٰ مُنَاجَزَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ الْحَرْبَ، وَتَرْكِ تَهَيُّبِ قِتَالِهِمْ إِنْ قَلَّ عَدَدُهُمْ وَكَثُرَ عَدَدُ أَعْدَائِهِمْ وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ، بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾ [البقرة: ٢٤٩].. وَإِعْلَامٌ مِنْهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَنَّ بِيَدِهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ، وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ﴾ وَفِي هَذَا الْخَبَرِ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَتْرُوكٌ قَدِ اسْتَغْنَىٰ بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ عَنْ ذِكْرِهِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَأَتَاهُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ، وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَصَدَّقُوا عِنْدَ ذَلِكَ نَبِيَّهُمْ، وَأَقَرُّوا بِأَنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ طَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْهِمْ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِذَلِكَ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ﴾ وَمَا كَانَ لِيَفْصِلَ بِهِمْ إِلَّا بَعْدَ رِضَاهُمْ بِهِ وَتَسْلِيمِهِمُ الْمُلْكَ لَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ إِكْرَاهِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَيُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ حَمَلَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ كَرْهًا.. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَصَلَ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ شَخَصَ بِالْجُنْدِ وَرَحَلَ بِهِمْ، وَأَصْلُ الْفَصْلِ: الْقَطْعُ، يُقَالُ مِنْهُ: فَصَلَ الرَّجُلُ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، يَعْنِي بِهِ قَطَعَ ذَلِكَ، فَجَاوَزَهُ شَاخِصًا إِلَىٰ غَيْرِهِ، يَفْصِلُ فُصُولًا؛ وَفَصَلَ الْعَظْمَ وَالْقَوْلَ مِنْ غَيْرِهِ فَهُوَ يَفْصِلُهُ فَصْلًا: إِذَا قَطَعَهُ فَأَبَانَهُ؛ وَفَصَلَ الصَّبِيُّ

فِصَالًا: إِذَا قَطَعَهُ عَنِ اللَّبَنِ؛ وَقَوْلٌ فَصْلٌ: يَقْطَعُ فَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ لَا يُرَدُّ.. وَقِيلَ: إِنَّ طَالُوتَ فَصَلَ بِالْجُنُودِ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِ الْفُصُولِ مَعَهُ إِلَّا ذُو عِلَّةٍ لِعِلَّتِهِ، أَوْ كَبِيرٌ لِهَرَمِهِ، أَوْ مَعْذُورٌ لَا طَاقَةَ لَهُ بِالنُّهُوضِ مَعَهُ..

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ إِنَّ اللهَ مُخْتَبِرُكُمْ بِنَهَرٍ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ طَاعَتُكُمْ لَهُ.. وَقِيلَ: إِنَّ طَالُوتَ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ لِأَنَّهُمْ شَكَوْا إِلَىٰ طَالُوتَ قِلَّةَ الْمِيَاهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ لَهُمْ أَنْ يُجْرِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ نَهَرًا، فَقَالَ لَهُمْ طَالُوتُ حِينَئِذٍ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾.. وَالنَّهَرُ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ طَالُوتُ أَنَّ اللهَ مُبْتَلِيهِمْ بِهِ قِيلَ: هُوَ نَهَرٌ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ نَهَرُ فِلَسْطِينَ..

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ مُبْتَلِيهِمْ بِنَهَرٍ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ الِابْتِلَاءَ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ عَنِ اللهِ بِهِ مِنْ ذَلِكَ النَّهَرِ هُوَ أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْ مَائِهِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْهُ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَبِلِقَائِهِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ فَأَخْرَجَ مَنْ لَمْ يُجَاوِزِ النَّهَرَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، ثُمَّ أَخْلَصَ ذِكْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَلِقَائِهِ عِنْدَ دُنُوِّهِمْ مِنْ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]..

﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَذُقْ مَاءَ ذَلِكَ النَّهَرِ..

﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِي وَطَاعَتِي وَالْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَبِلِقَائِهِ..

﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ الْمُغْتَرِفِينَ بِأَيْدِيهِمْ غُرْفَةً، فَقَالَ: وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْ مَاءَ ذَلِكَ النَّهَرِ إِلَّا غُرْفَةً يَغْتَرِفُهَا بِيَدِهِ فَإِنَّهُ مِنِّي..

﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فَعَامَّتُهُمْ شَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَكَانَ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ عَطِشَ، وَمَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً رُوِيَ..

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ﴾ فَلَمَّا جَاوَزَ النَّهَرَ طَالُوتُ.. وَالْهَاءُ فِي «جَاوَزَهُ» عَائِدَةٌ عَلَىٰ النَّهَرِ.. وَ «هُوَ» كِنَايَةُ اسْمِ طَالُوتَ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ وَجَاوَزَ النَّهَرَ مَعَهُ الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ جَاوَزَ النَّهَرَ مَعَ طَالُوتَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي لَمْ

يَشْرَبْ مِنَ النَّهَرِ إِلَّا الْغُرْفَةَ، وَالْكَافِرُ الَّذِي شَرِبَ مِنْهُ الْكَثِيرُ، ثُمَّ وَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِرُؤْيَةِ جَالُوتَ وَلِقَائِهِ، وَانْخَزَلَ عَنْهُ أَهْلُ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وَمَضَىٰ أَهْلُ الْبُصَيْرَةِ بِأَمْرِ اللهِ عَلَىٰ بَصَائِرِهِمْ، وَهُمْ أَهْلُ الثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ، فَقَالُوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾.. فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَفْلَةٍ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ جَاوَزَ النَّهَرَ مَعَ طَالُوتَ إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَهُ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنَ النَّهَرِ إِلَّا الْغُرْفَةَ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَالَ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ، عَلَىٰ مَا رُوِيَ بِهِ الْخَبَرُ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الْآتِي، وَلِأَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ لَوْ كَانُوا جَاوَزُوا النَّهَرَ كَمَا جَاوَزَهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ لَمَا خَصَّ اللهُ بِالذِّكْرِ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْإِيمَانِ!! فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ الْفَرِيقَانِ -أَعْنِي: فَرِيقَ الْإِيمَانِ وَفَرِيقَ الْكُفْرِ- جَاوَزُوا النَّهَرَ، وَأَخْبَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُجَاوَزَةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ جَاوَزُوهُ مَعَ مَلِكِهِمْ، وَتَرَكَ ذِكْرَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ جَاوَزُوا النَّهَرَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ فَأَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا عِنْدَ مُجَاوَزَةِ النَّهَرِ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ دُونَ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ لَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُضَافَ الْإِيمَانُ إِلَىٰ مَنْ جَحَدَ أَنَّهُ مُلَاقِي اللهِ أَوْ شَكَّ فِيهِ.. وَقَدْ جَاوَزَ النَّهَرَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ وَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، ثَلَثُمَائَةِ رَجُلٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا، قَالَ الْبَرَاءُ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا النَّهَرَ مَعَهُ، وَلَمْ يَجُزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، ثَلَثُمِائَةٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا**)..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَيَسْتَيْقِنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ..

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ..

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾ [البقرة: ٢٤٩] وَاللهُ مُعِينُ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طَاعَتِهِ، وَظُهُورِهِمْ وَنَصْرِهِمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ الصَّادِينَ عَنْ سَبِيلِهِ، الْمُخَالِفِينَ مِنْهَاجَ دِينِهِ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِكُلِّ مَعِينٍ رَجُلًا عَلَىٰ غَيْرِهِ هُوَ مَعَهُ بِمَعْنَىٰ هُوَ مَعَهُ بِالْعَوْنِ لَهُ وَالنُّصْرَةِ.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾ وَلَمَّا بَرَزَ طَالُوتُ وَجُنُودُهُ، وصَارُوا بِالْبَرَازِ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَاسْتَوَىٰ..

﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أَنْزِلْ عَلَيْنَا صَبْرًا..

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ وَقَوِّ قُلُوبَنَا عَلَىٰ جِهَادِهِمْ لِتَثْبُتَ أَقْدَامُنَا فَلَا نُهْزَمُ عَنْهُمْ..

﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [البقرة: ٢٥٠] الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ فَجَحَدُوكَ إِلَاهًا، وعَبَدُوا غَيْرَكَ وَاتَّخَذُوا الْأَوْثَانَ أَرْبَابًا.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة: ٢٥١].

﴿فَهَزَمُوهُم﴾ فَهَزَمَ طَالُوتُ وَجُنُودُهُ أَصْحَابَ جَالُوتَ، عَلَىٰ أَنَّ اللهَ قَدْ أَجَابَ دُعَاءَهُمُ الَّذِي دَعَوْهُ بِهِ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قَتَلُوهُمْ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ..

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ وَدَاودُ هَذَا هُوَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ..

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وَأَعْطَىٰ اللهُ دَاوُدَ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ اللهَ آتَىٰ دَاوُدَ مُلْكَ طَالُوتَ وَالنُّبُوَّةَ..

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ يَعْنِي عَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ، وَالتَّقْدِيرَ فِي السَّرْدِ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]..

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِبَعْضِ النَّاسِ، وَهُمْ أَهْلُ الطَّاعَةِ لَهُ

وَالْإِيمَانُ بِهِ، بَعْضًا وَهُمْ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ لِلَّهِ، وَالشِّرْكِ بِهِ، كَمَا دَفَعَ عَنِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ طَالُوتَ يَوْمَ جَالُوتَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالْمَعْصِيَةِ لَهُ وَقَدْ أَعْطَاهُمْ مَا سَأَلُوا رَبَّهُمْ ابْتِدَاءً مِنْ بِعْثَةِ مَلِكٍ عَلَيْهِمْ لِيُجَاهِدُوا مَعَهُ فِي سَبِيلِهِ بِمَنْ جَاهَدَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَقِينِ وَالصَّبْرِ، جَالُوتَ وَجُنُودَهُ..

﴿لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ لَهَلَكَ أَهْلُهَا بِعُقُوبَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ، فَفَسَدَتْ بِذَلِكَ الْأَرْضُ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة: ٢٥١] وَلَكِنَّ اللهَ ذُو مَنٍّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَتَطَوُّلٍ عَلَيْهِمْ بِدَفْعِهِ بِالْبَرِّ مِنْ خَلْقِهِ عَنِ الْفَاجِرِ، وَبِالْمُطِيعِ عَنِ الْعَاصِي مِنْهُمْ، وَبِالْمُؤْمِنِ عَنِ الْكَافِرِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَهْلَ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ مَشَاهِدِهِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ لِلشَّكِّ الَّذِي فِي نُفُوسِهِمْ وَمَرَضِ قُلُوبِهِمْ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مُعَاجَلَتَهُمُ الْعُقُوبَةَ، عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ بِإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَالْجِدِّ فِي أَمْرِ اللهِ، وَذَوُو الْيَقِينِ بِإِنْجَازِ اللهِ إِيَّاهُمْ وَعْدَهُ عَلَىٰ جِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ مِنَ النَّصْرِ فِي الْعَاجِلِ، وَالْفَوْزَ بِجَنَّاتِهِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾

[البقرة: ٢٥٢].

﴿تِلۡكَ﴾ هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي اقْتَصَّ اللهُ فِيهَا أَمْرَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ، وَأَمْرَ الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ الَّذِينَ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ طَالُوتَ مَلِكًا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْآيَاتِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة: ٢٥١]..

﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حُجَجُهُ وَأَعْلَامُهُ وَأَدِلَّتُهُ..

﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ﴾ فَهَذِهِ الْحُجَجُ الَّتِي أَخْبَرْتُكَ بِهَا يَا مُحَمَّدُ، وَأَعْلَمْتُكَ مِنْ قُدْرَتِي عَلَىٰ إِمَاتَةِ مَنْ هَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُمْ أُلُوفٌ، وَإِحْيَائِي إِيَّاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَمْلِيكِي طَالُوتَ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ -بَعْدَ إِذْ كَانَ سَقَّاءً أَوْ دَبَّاغًا- مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَيْتِ الْمُمَلَّكَةِ، وَسَلْبِي ذَلِكَ إِيَّاهُ بِمَعْصِيَتِهِ أَمْرِي، وَصَرْفِي مُلْكَهُ إِلَىٰ دَاوُدَ لِطَاعَتِهِ إِيَّايَ، وَنُصْرَتِي أَصْحَابَ طَالُوتَ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، وَضَعْفِ شَوْكَتِهِمْ عَلَىٰ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَشِدَّةِ بَطْشِهِمْ، حُجَجٌ عَلَىٰ مَنْ جَحَدَ نِعْمَتِي، وَخَالَفَ أَمْرِي، وَكَفَرَ بِرَسُولِي مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ الْعَالِمِينَ بِمَا اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ الْخَفِيَّةِ، الَّتِي يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِي..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ لَمْ تَتَخَرَّصْهَا وَلَمْ تَتَقَوَّلْهَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، لِأَنَّكَ أُمِّيٌّ، وَلَسْتَ مِمَّنْ قَرَأَ الْكُتُبَ، فَيَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ أَمْرُكَ، وَيَدَّعُوا أَنَّكَ قَرَأْتَ ذَلِكَ فَعَلِمْتَهُ مِنْ بَعْضِ أَسْفَارِهِمْ، وَلَكِنَّهَا حُجَجِي عَلَيْهِمْ أَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْحَقِّ الْيَقِينِ كَمَا كَانَ، لَا زِيَادَةَ فِيهِ، وَلَا تَحْرِيفَ، وَلَا تَغْيِيرَ شَيْءٍ مِنْهُ عَمَّا كَانَ..

﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٥٢﴾ [البقرة: ٢٥٢] لَمُرْسَلٌ مُتَّبِعٌ فِي طَاعَتِي، وَإِيثَارِ مَرْضَاتِي عَلَىٰ هَوَاكَ، فَسَالِكٌ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِكَ سَبِيلَ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِي الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَىٰ أَمْرِي، وَآثَرُوا رِضَايَ عَلَىٰ هَوَاهُمْ، وَلَمْ تُغَيِّرْهُمُ الْأَهْوَاءُ، وَمَطَامِعُ الدُّنْيَا كَمَا غَيَّرَ طَالُوتَ هَوَاهُ، وَإِيثَارُهُ مُلْكَهُ عَلَىٰ مَا عِنْدِي لِأَهْلِ وِلَايَتِي، وَلَكِنَّكَ مُؤْثِرٌ أَمْرِي كَمَا آثَرَهُ الْمُرْسَلُونَ الَّذِينَ قَبْلَكَ.

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝٢٥٣﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ كَمُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَدَاوُدَ، وَسَائِرِ مَنْ ذَكَرَ نَبَأَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ هَؤُلَاءِ رُسُلِي فَضَّلْتُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ فَكَلَّمْتُ بَعْضَهُمْ، وَالَّذِي كَلَّمْتُهُ مِنْهُمْ مُوسَىٰ ﷺ..

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ وَرَفَعْتُ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْكَرَامَةِ وَرِفْعَةِ الْمَنْزِلَةِ.. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: **«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَىٰ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ لَيُرْعَبُ مِنِّي عَلَىٰ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَقِيلَ لِي: سَلْ تُعْطَهْ، فَاخْتَبَأْتُهَا شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، فَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»**..

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْحُجَجَ وَالْأَدِلَّةَ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مَعَ الْإِنْجِيلِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِ، فَبَيَّنْتُ فِيهِ مَا فَرَضْتُ عَلَيْهِ..

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ وَقَوَّيْنَاهُ وَأَعَنَّاهُ..

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ يَعْنِي بِرُوحِ اللهِ وَهُوَ جِبْرِيلُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ..

﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ يَعْنِي مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ، وَبَعْدَ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ لِمَنْ هَدَاهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْهَاءَ وَالْمِيمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَا أَبَانَ لَهُمُ الْحَقَّ، وَأَوْضَحَ لَهُمُ السَّبِيلَ..

﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ وَلَكِنِ اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ لَمَّا لَمْ يَشَأِ اللهُ مِنْهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْ لَا يَقْتَتِلُوا، فَاقْتَتَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ بِتَحْرِيمِ الِاقْتِتَالِ وَالِاخْتِلَافِ، وَبَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَرِسَالَةِ رُسُلِهِ وَوَحْيِ كِتَابِهِ..

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ فَكَفَرَ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ بَعْضُهُمْ، وَآمَنَ بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ، فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُمْ أَتَوْا مَا أَتَوْا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ عَلَىٰ خَطَأٍ تَعَمُّدًا مِنْهُمْ لِلْكُفْرِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَحْجِزَهُمْ بِعِصْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ فَلَا يَقْتَتِلُوا مَا اقْتَتَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣] بِأَنْ يُوَفِّقَ هَذَا لِطَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَيُؤْمِنَ بِهِ وَيُطِيعَهُ، وَيَخْذُلَ هَذَا فَيَكْفُرَ بِهِ وَيَعْصِيَهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، وَتَصَدَّقُوا مِنْهَا، وَآتُوا مِنْهَا الْحُقُوقَ الَّتِي فَرَضْنَاهَا عَلَيْكُمْ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ لَا تَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَىٰ ابْتِيَاعِ مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ ابْتِيَاعِهِ بِالنَّفَقَةِ مِنْ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ أَوْ نَدَبْتُكُمْ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرِينَ، لِأَنَّهُ يَوْمُ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ، لَا يَوْمُ

عَمَلٍ وَاكْتِسَابٍ وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، فَيَكُونُ لَكُمْ إِلَىٰ ابْتِيَاعِ مَنَازِلِ أَهْلِ الْكَرَامَةِ بِالنَّفَقَةِ حِينَئِذٍ، أَوْ بِالْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ سَبِيلٌ..

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ -مَعَ ارْتِفَاعِ الْعَمَلِ الَّذِي يُنَالُ بِهِ رِضَا اللهِ، أَوِ الْوُصُولُ إِلَىٰ كَرَامَتِهِ بِالنَّفَقَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ، إِذْ كَانَ لَا مَالَ هُنَالِكَ يُمْكِنُ إِدْرَاكُ ذَلِكَ بِهِ- يَوْمٌ لَا مُخَالَّةَ فِيهِ نَافِعَةٌ، كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ خَلِيلَ الرَّجُلِ فِي الدُّنْيَا قَدْ كَانَ يَنْفَعُهُ فِيهَا بِالنُّصْرَةِ لَهُ عَلَىٰ مَنْ حَاوَلَهُ بِمَكْرُوهٍ وَأَرَادَهُ بِسُوءٍ، وَالْمُظَاهَرَةِ لَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَآيَسَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَيْضًا مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْصُرُ أَحَدًا مِنَ اللهِ، بَلِ الْأَخِلَّاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-..

﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ وَأَخْبَرَهُمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مَعَ فَقْدِهِمُ السَّبِيلَ إِلَىٰ ابْتِيَاعِ مَا كَانَ لَهُمْ إِلَىٰ ابْتِيَاعِهِ سَبِيلٌ فِي الدُّنْيَا بِالنَّفَقَةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَالْعَمَلِ بِأَبْدَانِهِمْ، وَعَدَمِهِمُ النُّصَرَاءَ مِنَ الْخِلَّانِ، وَالظُّهَرَاءَ مِنَ الْإِخْوَانِ، لَا شَافِعَ لَهُمْ يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ كَمَا كَانَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَشْفَعُ فِي الدُّنْيَا لِبَعْضٍ بِالْقَرَابَةِ وَالْجِوَارِ وَالْخُلَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَبَطَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَئِذٍ، كَمَا أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ قِيلِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ فِي الْآخِرَةِ إِذَا صَارُوا فِيهَا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠- ١٠١].. وَهَذِهِ الْآيَةُ مَخْرَجُهَا فِي الشَّفَاعَةِ عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهَا خَاصٌّ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ وِلَايَةِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ يَشْفَعُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، ولِذَلِكَ أَتْبَعَ قَوْلَهُ ذَلِكَ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: حَرَمْنَا الْكُفَّارَ النُّصْرَةَ مِنَ الْأَخِلَّاءِ، وَالشَّفَاعَةَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَقْرِبَاءِ، وَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ فِي فِعْلِنَا ذَلِكَ بِهِمْ ظَالِمِينَ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ جَزَاءً مِنَّا لِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، بَلِ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَا أَتَوْا مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي أَوْجَبُوا لَهَا الْعُقُوبَةَ مِنْ رَبِّهِمْ..

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وَالْجَاحِدُونَ لِلَّهِ الْمُكَذِّبُونَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ..

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤] هُمُ الْوَاضِعُونَ جُحُودَهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَالْفَاعِلُونَ غَيْرَ مَا لَهُمْ فِعْلُهُ وَالْقَائِلُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ قَوْلُهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ صُرِفَ الْوَعِيدُ إِلَىٰ الْكُفَّارِ وَالْآيَةُ مُبْتَدَأَةٌ بِذِكْرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْآيَةَ قَدْ تَقَدَّمَهَا ذِكْرُ صِنْفَيْنِ مِنَ النَّاسِ: أَحَدُهُمَا أَهْلُ كُفْرٍ، وَالْآخَرُ أَهْلُ إِيمَانٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ثُمَّ عَقَّبَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الصِّنْفَيْنِ بِمَا ذَكَرَهُمْ بِهِ، فَحَضَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ عَلَىٰ مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ النَّفَقَةِ فِي

طَاعَتِهِ وَفِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ قَبْلَ مَجِيءِ الْيَوْمِ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ وَأَخْبَرَ فِيهِ عَنْ حَالِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، إِذْ كَانَ قِتَالُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ فِي مَعْصِيَتِهِ وَنَفَقَتُهُمْ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، فَقَالَ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ﴾ أَنْتُمْ ﴿مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ فِي طَاعَتِي، إِذْ كَانَ أَهْلُ الْكُفْرِ بِي يُنْفِقُونَ فِي مَعْصِيَتِي ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾ فَيُدْرِكُ أَهْلُ الْكُفْرِ فِيهِ ابْتِيَاعَ مَا فَرَّطُوا فِي ابْتِيَاعِهِ فِي دُنْيَاهُمْ، ﴿وَلَا خُلَّةٞ﴾ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ تَنْصُرُهُمْ مِنِّي، وَلَا شَافِعٌ لَهُمْ يَشْفَعُ عِنْدِي فَتُنَجِّيهِمْ شَفَاعَتُهُ لَهُمْ مِنْ عِقَابِي؛ وَهَذَا يَوْمَئِذٍ فِعْلِي بِهِمْ جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَهُمُ الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ دُونِي؛ لِأَنِّي غَيْرُ ظَلَّامٍ لِعَبِيدِي.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾

[البقرة: ٢٥٥].

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ الْخَلْقِ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مَعْنَاهُ: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُعْبَدَ شَيْءٌ غَيْرُ اللهِ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ.. لَا إِلَهَ سِوَاهُ، لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، وَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا سِوَايَ..

﴿ٱلۡحَيُّ﴾ الَّذِي لَا يَمُوتُ، لَهُ الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ، وَالْبَقَاءُ الَّذِي لَا أَوَّلَ لَهُ يُحَدُّ، وَلَا آخِرَ لَهُ يُؤْمَدُ، إِذْ كُلُّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَلِحَيَاتِهِ أَوَّلٌ مَحْدُودٌ وَآخِرٌ مَمْدُودٌ، يَنْقَطِعُ بِانْقِطَاعِ أَمَدِهَا، وَيَنْقَضِي بِانْقِضَاءِ غَايَتِهَا..

﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ مِنَ الْقِيَامِ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِرِزْقِ مَا خَلَقَ وَحِفْظِهِ، فَهُوَ الْقَيُّومُ عَلَىٰ كُلِّ مَا هُوَ دُونَهُ بِالرِّزْقِ وَالْكَلَاءَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّصْرِيفِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ..

﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ لَا يَأْخُذُهُ نُعَاسٌ فَيَنْعَسُ.. والْوَسْنَانُ: الَّذِي يَقُومُ مِنَ النَّوْمِ لَا يَعْقِلُ، حَتَّىٰ رُبَّمَا أَخَذَ السَّيْفَ عَلَىٰ أَهْلِهِ..

﴿وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ فَيُسْتَثْقَلُ نَوْمًا.. فَلَا تَحِلُّهُ الْآفَاتُ، وَلَا تَنَالُهُ الْعَاهَاتُ، وَذَلِكَ أَنَّ السِّنَةَ وَالنَّوْمَ مَعْنَيَانِ يَغْمُرَانِ فَهْمَ ذِي الْفَهْمِ، وَيُزِيلَانِ مَنْ أَصَابَاهُ عَنِ الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَاهُ.. فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُغَيِّرُهُ مَا يُغَيِّرُ غَيْرَهُ، وَلَا يُزِيلُهُ عَمَّا لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ تَنَقُّلُ الْأَحْوَالِ وَتَصْرِيفُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، بَلْ هُوَ

الدَّائِمُ عَلَىٰ حَالٍ، وَالْقَيُّومُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنَامِ، لَوْ نَامَ كَانَ مَغْلُوبًا مَقْهُورًا؛ لِأَنَّ النَّوْمَ غَالِبُ النَّائِمِ قَاهِرُهُ، وَلَوْ وَسَنَ لَكَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا دَكًّا؛ لِأَنَّ قِيَامَ جَمِيعِ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَالنَّوْمُ شَاغِلُ الْمُدَبِّرِ عَنِ التَّدْبِيرِ، وَالنُّعَاسُ مَانِعُ الْمُقَدِّرِ عَنِ التَّقْدِيرِ بِوَسَنِهِ..

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَهُوَ مَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا نَدِيدٍ، وَخَالِقُ جَمِيعِهِ دُونَ كُلِّ آلِهَةٍ وَمَعْبُودٍ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ؛ لِأَنَّ الْمَمْلُوكَ إِنَّمَا هُوَ طَوْعُ يَدِ مَالِكِهِ، وَلَيْسَ لَهُ خِدْمَةُ غَيْرِهِ إِلَّا بِأَمْرِهِ، يَقُولُ: فَجَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكِي وَخَلْقِي، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي غَيْرِي وَأَنَا مَالِكُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَ مَالِكِهِ، وَلَا يُطِيعَ سِوَىٰ مَوْلَاهُ..

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ لِمَمَالِيكِهِ إِنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُمْ إِلَّا أَنْ يُخَلِّيَهُ، وَيَأْذَنَ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ لَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: مَا نَعْبُدُ أَوْثَانَنَا هَذِهِ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، فَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُمْ: لِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكٌ، فَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِغَيْرِي، فَلَا تَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُقَرِّبُكُمْ مِنِّي زُلْفَىٰ، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُكُمْ عِنْدِي وَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا، وَلَا يَشْفَعُ عِنْدِي أَحَدٌ لِأَحَدٍ إِلَّا بِتَخْلِيَتِي إِيَّاهُ وَالشَّفَاعَةِ لِمَنْ يَشْفَعُ لَهُ مِنْ رُسُلِي وَأَوْلِيَائِي وَأَهْلِ طَاعَتِي..

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَبِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ عِلْمًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ..

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فَهُوَ الْعَالِمُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، مُحْصٍ لَهُ دُونَ سَائِرِ مَنْ دُونَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ سِوَاهُ شَيْئًا إِلَّا بِمَا شَاءَ هُوَ أَنْ يَعْلَمَهُ فَأَرَادَ فَعَلَّمَهُ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ بِالْأَشْيَاءِ جَاهِلًا، فَكَيْفَ يُعْبَدُ مَنْ لَا يَعْقِلُ شَيْئًا الْبَتَّةَ مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ؟! يَقُولُ: أَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لِمَنْ هُوَ مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، يَعْلَمُهَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا..

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْكُرْسِيِّ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.. وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ هُوَ عِلْمُهُ، وَذَلِكَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَئُودُهُ حِفْظُ مَا عَلِمَ، وَأَحَاطَ بِهِ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكَمَا أَخْبَرَ عَنْ مَلَائِكَتِهِ أَنَّهُمْ

قَالُوا فِي دُعَائِهِمْ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ عِلْمَهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وَأَصْلُ الْكُرْسِيِّ: الْعِلْمُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلصَّحِيفَةِ يَكُونُ فِيهَا عِلْمٌ مَكْتُوبٌ كَرَّاسَةٌ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْعُلَمَاءِ: الْكَرَاسِيُّ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ، كَمَا يُقَالُ: أَوْتَادُ الْأَرْضِ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ تَصْلُحُ بِهِمُ الْأَرْضُ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي أَصْلَ كُلِّ شَيْءٍ الْكِرْسَ، يُقَالُ مِنْهُ: فُلَانٌ كَرِيمُ الْكِرْسِ: أَيْ كَرِيمُ الْأَصْلِ..

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ وَلَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ حِفْظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ وَاللهُ الْعَلِيُّ، وَالْعَلِيُّ: مِنْ قَوْلِكَ عَلَا يَعْلُو عُلُوًّا: إِذَا ارْتَفَعَ، فَهُوَ عَالٍ وَعَلِيٌّ، وَالْعَلِيُّ: ذُو الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِقُدْرَتِهِ..

﴿الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] ذُو الْعَظَمَةِ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، فَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ إِبَانَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرُسُولِهِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ أَقْوَالُ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَخْبَرَنَا -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَاقْتَتَلُوا فِيهِ كُفْرًا بِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَإِيمَانًا بِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلتَّصْدِيقِ بِهِ وَوَفَّقَنَا لِلْإِقْرَارِ بِهِ.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَوْ فِي رَجُلٍ مِنْهُمْ كَانَ لَهُمْ أَوْلَادٌ قَدْ هَوَّدُوهُمْ أَوْ نَصَّرُوهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ أَرَادُوا إِكْرَاهَهُمْ عَلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يَكُونُوا هُمْ يَخْتَارُونَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا يُكْرَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَىٰ الدِّينِ إِذَا بَذَلُوا الْجِزْيَةَ، وَلَكِنَّهُمْ يُقَرُّونَ عَلَىٰ دِينِهِمْ، وَقَالُوا: الْآيَةُ فِي خَاصٍّ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا شَيْءٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ الْقِتَالُ.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خَاصٍّ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: عَنَىٰ بِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ وَالْمَجُوسَ، وَكُلَّ مَنْ جَاءَ إِقْرَارُهُ عَلَىٰ دِينِهِ الْمُخَالِفِ دِينَ الْحَقِّ، وَأَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْهُ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهَا مَنْسُوخًا.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلُ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ لِأَنَّ النَّاسِخَ غَيْرُ كَائِنٍ نَاسِخًا إِلَّا مَا نَفَىٰ حُكْمَ الْمَنْسُوخِ، فَلَمْ يَجُزِ اجْتِمَاعُهُمَا،

فَأَمَّا مَا كَانَ ظَاهِرُهُ الْعُمُومَ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَبَاطِنُهُ الْخُصُوصَ، فَهُوَ مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ بِمَعْزِلٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يُقَالَ: لَا إِكْرَاهَ لِأَحَدٍ مِمَّنْ أُخِذَتْ مِنْهُ الْجِزْيَةُ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَهَا بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا قَدْ نَقَلُوا عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ أَنَّهُ أَكْرَهَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ قَوْمًا، فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَحَكَمَ بِقَتْلِهِمْ إِنِ امْتَنَعُوا مِنْهُ، وَذَلِكَ كَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَكَالْمُرْتَدِّ عَنْ دِينِهِ دِينِ الْحَقِّ إِلَىٰ الْكُفْرِ، وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ، وَأَنَّهُ تَرَكَ إِكْرَاهَ آخَرِينَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ بِقَبُولِهِ الْجِزْيَةَ مِنْهُ، وَإِقْرَارِهِ عَلَىٰ دِينِهِ الْبَاطِلِ، وَذَلِكَ كَأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ؛ كَانَ بَيِّنًا بِذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ إِنَّمَا هُوَ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ لِأَحَدٍ مِمَّنْ حَلَّ قَبُولُ الْجِزْيَةِ مِنْهُ بِأَدَائِهِ الْجِزْيَةَ، وَرِضَاهُ بِحُكْمِ الْإِسْلَامِ، وَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةُ الْحُكْمِ بِالْإِذْنِ بِالْمُحَارَبَةِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ، مِنْ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرَادُوا أَنْ يُكْرِهُوا أَوْلَادَهُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ؟ قُلْنَا: ذَلِكَ غَيْرُ مَدْفُوعَةٍ صِحَّتُهُ، وَلَكِنَّ الْآيَةَ قَدْ تَنْزِلُ فِي خَاصٍّ مِنَ الْأَمْرِ، ثُمَّ يَكُونُ حُكْمُهَا عَامًّا فِي كُلِّ مَا جَانَسَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ، فَالَّذِينَ أُنْزِلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ مَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ، إِنَّمَا كَانُوا قَوْمًا دَانُوا بِدِينِ أَهْلِ التَّوْرَاةِ قَبْلَ ثُبُوتِ عَقْدِ الْإِسْلَامِ لَهُمْ، فَنَهَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ إِكْرَاهِهِمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَنْزَلَ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ آيَةً يَعُمُّ حُكْمُهَا كُلَّ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ مَعْنَاهُمْ مِمَّنْ كَانَ عَلَىٰ دِينٍ مِنَ الْأَدْيَانِ الَّتِي يَجُوزُ أَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْ أَهْلِهَا، وَإِقْرَارُهُمْ عَلَيْهَا عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ..

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ وَضَحَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَاسْتَبَانَ لِطَالِبِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ وَجْهُ مَطْلَبِهِ، فَتَمَيَّزَ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ، فَلَا تُكْرِهُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَمَنْ أَبَحْتُ لَكُمْ أَخْذَ الْجِزْيَةِ مِنْهُ، عَلَىٰ دِينِكُمْ دِينِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ مَنْ حَادَ عَنِ الرَّشَادِ بَعْدَ اسْتِبَانَتِهِ لَهُ، فَإِلَىٰ رَبِّهِ أَمْرُهُ، وَهُوَ وَلِيُّ عُقُوبَتِهِ فِي مَعَادِهِ..

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الشَّيْطَانُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ السَّاحِرُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْكَاهِنُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي الطَّاغُوتِ أَنَّهُ كُلُّ ذِي طُغْيَانٍ عَلَىٰ اللهِ، فَعُبِدَ مِنْ دُونِهِ، إِمَّا بِقَهْرٍ مِنْهُ لِمَنْ عَبَدَهُ، وَإِمَّا بِطَاعَةٍ مِمَّنْ عَبَدَهُ لَهُ، وَإِنْسَانًا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، أَوْ شَيْطَانًا، أَوْ وَثَنًا، أَوْ صَنَمًا، أَوْ كَائِنًا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذًا: فَمَنْ يَجْحَدْ رُبُوبِيَّةَ كُلِّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَكْفُرُ بِهِ..

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ وَيُصَدِّقُ بِاللهِ أَنَّهُ إِلَهُهُ وَرَبُّهُ وَمَعْبُودُهُ..

﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ فَقَدْ تَمَسَّكَ بِأَوْثَقِ مَا يُتَمَسَّكُ بِهِ مِنْ طَلَبِ الْخَلَاصِ لِنَفْسِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ.. وَالْعُرْوَةُ فِي هَذَا الْمَكَانِ مَثَلٌ لِلْإِيمَانِ الَّذِي اعْتَصَمَ بِهِ الْمُؤْمِنُ، فَشَبَّهَهُ فِي

تَعَلُّقِهِ بِهِ وَتَمَسُّكِهِ بِهِ بِالْمُتَمَسِّكِ بِعُرْوَةِ الشَّيْءِ الَّذِي لَهُ عُرْوَةٌ يُتَمَسَّكُ بِهَا، إِذْ كَانَ كُلُّ ذِي عُرْوَةٍ فَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ مَنْ أَرَادَهُ بِعُرْوَتِهِ، وَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْإِيمَانَ الَّذِي تَمَسَّكَ بِهِ الْكَافِرُ بِالطَّاغُوتِ الْمُؤْمِنُ بِاللهِ وَمِنْ أَوْثَقِ عُرَىٰ الْأَشْيَاءِ..

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لَا انْكِسَارَ لَهَا، وَالْهَاءُ وَالْأَلِفُ فِي قَوْلِهِ ﴿لَهَا﴾ عَائِدٌ عَلَىٰ الْعُرْوَةِ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ، فَقَدِ اعْتَصَمَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ بِمَا لَا يَخْشَىٰ مَعَ اعْتِصَامِهِ خُذْلَانَهُ إِيَّاهُ وَإِسْلَامَهُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ فِي أَهْوَالِ الْآخِرَةِ، كَالْمُتَمَسِّكِ بِالْوَثِيقِ مِنْ عُرَىٰ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يُخْشَىٰ انْكِسَارُ عُرَاهَا..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِ بِاللهِ وَحْدَهُ، الْكَافِرِ بِالطَّاغُوتِ عِنْدَ إِقْرَارِهِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَتَبَرُّئِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦] بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ رُبُوبِيَّتِهِ قَلْبُهُ، وَمَا انْطَوَىٰ عَلَيْهِ -مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَالطَّوَاغِيتِ- ضَمِيرُهُ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَخْفَتْهُ نَفْسُ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ لَا يَنْكَتِمُ عَنْهُ سِرٌّ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَمْرٌ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ، وَأَضْمَرَتْهُ نَفْسُهُ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نَصِيرُهُمْ وَظَهِيرُهُمْ، يَتَوَلَّاهُمْ بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ..

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَىٰ نُورِ الْإِيمَانِ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالظُّلُمَاتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْكُفْرَ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الظُّلُمَاتِ لِلْكُفْرِ مَثَلًا؛ لِأَنَّ الظُّلُمَاتِ حَاجِبَةٌ لِلْأَبْصَارِ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَشْيَاءِ وَإِثْبَاتِهَا، وَكَذَلِكَ الْكُفْرُ حَاجِبٌ أَبْصَارَ الْقُلُوبِ عَنْ إِدْرَاكِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ وَصِحَّةِ أَسْبَابِهِ.. فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ أَنَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمُبَصِّرُهُمْ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَسُبُلَهُ وَشَرَائِعَهُ وَحُجَجَهُ، وَهَادِيهِمْ فَمُوَفِّقُهُمْ لِأَدِلَّتِهِ الْمُزِيلَةِ عَنْهُمُ الشُّكُوكَ بِكَشْفِهِ عَنْهُمْ دَوَاعِيَ الْكُفْرِ، وَظُلَمَ سَوَاتِرِ أَبْصَارِ الْقُلُوبِ، ثُمَّ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، فَقَالَ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يَعْنِي: الْجَاحِدِينَ وَحْدَانِيَّتَهُ..

﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ﴾ يَعْنِي: نُصَراءَهُمْ وَظُهَراءَهُمُ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ..

﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ يَعْنِي: الأَنْدَادَ وَالأَوْثَانَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ يَعْنِي بِالنُّورِ الإِيمَانَ عَلَىٰ نَحْوِ مَا بَيَّنَّا إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ، وَيَعْنِي بِالظُّلُمَاتِ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَشُكُوكَهُ الْحَائِلَةَ دُونَ أَبْصَارِ الْقُلُوبِ وَرُؤْيَةِ ضِيَاءِ الإِيمَانِ وَحَقَائِقِ أَدِلَّتِهِ وَسُبُلِهِ.. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يَحُولُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الإِيمَانِ، وَيُضِلُّونَهُمْ فَيَكْفُرُونَ، فَيَكُونُ تَضْلِيلُهُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّىٰ يَكْفُرُوا إِخْرَاجًا مِنْهُمْ لَهُمْ مِنَ الإِيمَانِ، يَعْنِي صَدَّهُمْ إِيَّاهُمْ عَنْهُ وَحِرْمَانَهُمْ إِيَّاهُمْ خَيْرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا كَانُوا فِيهِ قَبْلُ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ: أَخْرَجَنِي وَالِدِي مِنْ مِيرَاثِهِ، إِذَا مَلَكَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ غَيْرُهُ، فَحَرَمَهُ مِنْهُ خَطِيئَةٌ، وَلَمْ يَمْلِكْ ذَلِكَ الْقَائِلُ هَذَا الْمِيرَاثَ قَطُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا حَرَمَهُ وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا كَانَ يَكُونُ لَهُ لَوْ لَمْ يُحْرَمْهُ، قِيلَ: أَخْرَجَهُ مِنْهُ، وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ: أَخْرَجَنِي فُلَانٌ مِنْ كَتِيبَتِهِ، يَعْنِي لَمْ يَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِخْرَاجُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنَ الإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧] أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ يُخَلَّدُونَ فِيهَا، يَعْنِي فِي نَارِ جَهَنَّمَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ إِلَىٰ غَيْرِ غَايَةٍ وَلَا نِهَايَةٍ أَبَدًا.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ..

﴿إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ خَاصَمَ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ..

﴿فِي رَبِّهِۦٓ﴾ حَاجَّهُ فَخَاصَمَهُ فِي رَبِّهِ..

﴿أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ لِأَنَّ اللهَ آتَاهُ الْمُلْكَ، وَهَذَا تَعْجِيبٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، مِنَ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ إِذَا أَرَادَتِ التَّعْجِيبَ مِنْ رَجُلٍ

فِي بَعْضِ مَا أَنْكَرَتْ مِنْ فِعْلِهِ، قَالُوا: مَا تَرَىٰ إِلَىٰ هَذَا؟ وَالْمَعْنَىٰ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا، أَوْ كَهَذَا؟..

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ..

﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: رَبِّي الَّذِي بِيَدِهِ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ وَيُمِيتُ مَنْ أَرَادَ بَعْدَ الْإِحْيَاءِ..

﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قَالَ: أَنَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، فَأُحْيِي وَأُمِيتُ، اسْتَحِيي مَنْ أَرَدْتُ قَتْلَهُ فَلَا أَقْتُلُهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنِّي إِحْيَاءً لَهُ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسَمَّىٰ إِحْيَاءً، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وَأَقْتُلُ آخَرَ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنِّي إِمَاتَةً لَهُ..

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فَإِنَّ اللهَ الَّذِي هُوَ رَبِّي يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ مَشْرِقِهَا، فَأْتِ بِهَا -إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَنَّكَ إِلَهٌ- مِنْ مَغْرِبِهَا..

﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ يَعْنِي: انْقَطَعَ وَبَطَلَتْ حُجَّتُهُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الْقُرَّاءِ أَنَّهُ قَرَأَ: (فَبَهَتَ الَّذِي كَفَرَ) بِمَعْنَىٰ: فَبَهَتَ إِبْرَاهِيمُ الَّذِي كَفَرَ..

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨] وَاللهُ لَا يَهْدِي أَهْلَ الْكُفْرِ إِلَىٰ حُجَّةٍ يَدْحَضُونَ بِهَا حُجَّةَ أَهْلِ الْحَقِّ عِنْدَ الْمُحَاجَّةِ وَالْمُخَاصَمَةِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ حُجَجُهُمْ دَاحِضَةٌ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ الظُّلْمِ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَالْكَافِرُ وَضَعَ جُحُودَهُ مَا جَحَدَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَهُوَ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٥٩﴾ [البقرة: ٢٥٩].

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ نَظِيرُ الَّذِي عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] مِنْ تَعْجِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْهُ.. وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وَإِنَّمَا عَطَفَ قَوْلَهُ: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى

﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وَإِنِ اخْتَلَفَ لَفْظَاهُمَا لِتَشَابُهِ مَعْنَيَيْهِمَا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] بِمَعْنَىٰ: هَلْ رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ كَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ؟ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ الْعَطْفُ بِالْكَلَامِ عَلَىٰ مَعْنًىٰ نَظِيرٍ لَهُ قَدْ تَقَدَّمَهُ وَإِنْ خَالَفَ لَفْظُهُ لَفْظَهُ.. فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَجَّبَ نَبِيَّهُ ﷺ مِمَّنْ قَالَ إِذْ رَأَىٰ قَرْيَةً خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُوشِهَا..

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ وَهِيَ خَالِيَةٌ مِنْ أَهْلِهَا وَسُكَّانِهَا..

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ الْعُرُوشُ الْأَبْنِيَةُ وَالْبُيُوتُ، وَاحِدُهَا عَرْشٌ، وَجَمْعُ قَلِيلِهِ أَعْرُشٌ، وَكُلُّ بِنَاءٍ فَإِنَّهُ عَرْشٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧] يَعْنِي يَبْنُونَ، وَمِنْهُ قِيلَ عَرِيشُ مَكَّةَ، يَعْنِي بِهِ: خِيَامَهَا وَأَبْنِيَتَهَا..

﴿قَالَ﴾ قَائِلُهُ لَمَّا مَرَّ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ مَرَّ بِهِ خَرَابًا بَعْدَ مَا عَهِدَهُ عَامِرًا.. ولَا بَيَانَ عِنْدَنَا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصِحُّ مِنْ قِبَلِهِ الْبَيَانُ عَلَىٰ اسْمِ قَائِلِ ذَلِكَ، وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ اسْمِهِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ بِالْآيَةِ تَعْرِيفَ الْخَلْقِ اسْمَ قَائِلِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ بِهَا تَعْرِيفُ الْمُنْكِرِينَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ خَلْقَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَأَنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنْ كَانَ يُكَذِّبُ بِذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ، وَتَثْبِيتُ الْحُجَّةِ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِإِطْلَاعِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ مَا يُزِيلُ شَكَّهُمْ فِي نُبُوَّتِهِ، وَيَقْطَعُ عُذْرَهُمْ فِي رِسَالَتِهِ؛ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ الَّتِي أَوْحَاهَا إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْأَنْبَاءِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَقَوْمُهُ مِنْهُمْ، بَلْ كَانَ أُمِّيًّا وَقَوْمُهُ أُمِّيُّونَ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِهِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ الْخَبَرَ عَنِ اسْمِ قَائِلِ ذَلِكَ، لَكَانَتِ الدَّلَالَةُ مَنْصُوبَةً عَلَيْهِ نَصْبًا يَقْطَعُ الْعُذْرَ وَيُزِيلُ الشَّكَّ، وَلَكِنَّ الْقَصْدَ كَانَ إِلَىٰ ذَمِّ قِيلِهِ، فَأَبَانَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذَلِكَ لِخَلْقِهِ..

﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كَانَ قِيلُهُ مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ شَكًّا فِي قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ.. مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ ابْتَدَأَ خَلْقَهَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، فَلَمْ يُقْنِعْهُ عِلْمُهُ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ ابْتِدَائِهَا، حَتَّىٰ قَالَ: أَنَّىٰ يُحْيِيهَا هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟..

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ ثُمَّ آثَارَهُ حَيًّا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ..

﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ كَمْ قَدْرُ الزَّمَانِ الَّذِي لَبِثْتَ مَيْتًا قَبْلَ أَنْ أَبْعَثَكَ مِنْ مَمَاتِكَ حَيًّا؟

﴿قَالَ﴾ الْمَبْعُوثُ بَعْدَ مَمَاتِهِ..

﴿لَبِثْتُ﴾ مَيِّتًا إِلَىٰ أَنْ بَعَثْتَنِي حَيًّا..

﴿يَوْمًا﴾ وَاحِدًا..

﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- كَانَ قَبَضَ رُوحَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، ثُمَّ رَدَّ رُوحَهُ آخِرَ النَّهَارِ بَعْدَ الْمِائَةِ عَامٍ فَقِيلَ لَهُ: كَمْ لَبِثْتَ؟ قَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا، وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَرَبَتْ، فَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُ يَوْمًا؛ لِأَنَّهُ ذُكِرَ أَنَّهُ قَبَضَ رُوحَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَسُئِلَ عَنْ مِقْدَارِ لُبْثِهِ مَيِّتًا آخِرَ النَّهَارِ وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَرَبَتْ، فَقَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَىٰ بَقِيَّةً مِنَ الشَّمْسِ قَدْ بَقِيَتْ لَمْ تَغْرُبْ، فَقَالَ: أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، بِمَعْنَىٰ: بَلْ بَعْضُ يَوْمٍ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: «**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**» بِمَعْنَىٰ: بَلْ يَزِيدُونَ، فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ رُجُوعًا مِنْهُ عَنْ قَوْلِهِ: لَبِثْتُ يَوْمًا..

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لَمْ تُغَيِّرْهُ السُّنُونَ الَّتِي أَتَتْ عَلَيْهِ.. وَكَانَ طَعَامُهُ -فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ- سَلَّةَ تِينٍ وَعِنَبٍ، وَشَرَابُهُ قُلَّةَ مَاءٍ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ كَانَ طَعَامُهُ سَلَّةَ عِنَبٍ وَسَلَّةَ تِينٍ، وَشَرَابُهُ زِقًّا مِنْ عَصِيرٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ طَعَامُهُ سَلَّةَ تِينٍ، وَشَرَابُهُ دَنَّ خَمْرٍ..

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ وَانظُرْ إِلَىٰ إِحْيَائِي حِمَارَكَ، وَإِلَىٰ عِظَامِهِ كَيْفَ أُنْشِزُهَا ثُمَّ أَكْسُوهَا لَحْمًا.. وَقَدْ كَانَ حِمَارُهُ أَدْرَكَهُ مِنَ الْبِلَىٰ نَظِيرُ الَّذِي لَحِقَ عِظَامَ مَنْ خُوطِبَ بِهَذَا الْخِطَابِ.. فَأَرَاهُ نَظِيرَ مَا اسْتَنْكَرَ مِنْ إِحْيَاءِ اللهِ الْقَرْيَةَ الَّتِي مَرَّ بِهَا بَعْدَ مَمَاتِهَا عِيَانًا مِنْ نَفْسِهِ وَطَعَامِهِ وَحِمَارِهِ، فَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا أَرَاهُ مِنْ إِحْيَائِهِ نَفْسَهُ وَحِمَارَهُ مَثَلًا لِمَا اسْتَنْكَرَ مِنْ إِحْيَائِهِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُوشِهَا، وَجَعَلَ مَا أَرَاهُ مِنَ الْعِبْرَةِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ عِبْرَةً لَهُ وَحُجَّةً عَلَيْهِ فِي كَيْفِيَّةِ إِحْيَائِهِ مَنَازِلَ الْقَرْيَةِ وَجِنَانَهَا..

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أَمَتْنَاكَ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ، وَإِنَّمَا أُدْخِلَتِ الْوَاوُ مَعَ اللَّامِ بِمَعْنَىٰ (كَيْ)؛ لِأَنَّ فِي دُخُولِهَا فِي كَيْ وَأَخَوَاتِهَا دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّهَا شَرْطٌ لِفِعْلٍ بَعْدَهَا، بِمَعْنَىٰ: وَلِنَجْعَلَكَ كَذَا وَكَذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ اللَّامِ أَعْنِي لَامَ (كَيْ) وَاوٌ كَانَتِ اللَّامُ شَرْطًا لِلْفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهَا،

وَكَانَ يَكُونُ مَعْنَاهُ: وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ، لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ وَلِنَجْعَلَكَ حُجَّةً عَلَىٰ مَنْ جَهِلَ قُدْرَتِي، وَشَكَّ فِي عَظَمَتِي، وَأَنَا الْقَادِرُ عَلَىٰ فِعْلِ مَا أَشَاءُ مِنْ إِمَاتَةٍ وَإِحْيَاءٍ، وَإِفْنَاءٍ، وَإِنْشَاءٍ، وَإِنْعَامٍ، وَإِذْلَالٍ، وَإِقْتَارٍ، وَإِغْنَاءٍ، بِيَدِي ذَلِكَ كُلُّهُ، لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ دُونِي، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرِي.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ يَقُولُ: كَانَ آيَةً لِلنَّاسِ بِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ إِلَىٰ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ شَابًّا وَهُمْ شُيُوخٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَ وَقَدْ هَلَكَ مَنْ يَعْرِفُهُ، فَكَانَ آيَةً لِمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ.. وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنَ الْقَوْلِ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُجَّةً لِلنَّاسِ، فَكَانَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَىٰ مَنْ عَرَفَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَقَوْمِهِ مِمَّنْ عَلِمَ مَوْتَهُ، وَإِحْيَاءَ اللهِ إِيَّاهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَعَلَىٰ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ..

﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ وَانْظُرْ كَيْفَ نُرَكِّبُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَنَنْقُلُ ذَلِكَ إِلَىٰ مَوَاضِعَ مِنَ الْجِسْمِ، وقَدْ ذَكَرْنا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ عَلَىٰ أَنَّ الْعِظَامَ الَّتِي أُمِرَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا هِيَ عِظَامُ نَفْسِهِ وَحِمَارِهِ.. وَأَصْلُ النَّشْزِ الِارْتِفَاعُ، وَمِنْهُ قِيلَ: قَدْ نَشَزَ الْغُلَامُ إِذَا ارْتَفَعَ طُولُهُ وَشَبَّ، وَمِنْهُ نُشُوزُ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ زَوْجِهَا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ آخَرُونَ: (وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا) قَالُوا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَنْشَرَ اللهُ الْمَوْتَىٰ فَهُوَ يُنْشِرُهُمْ إِنْشَارًا، وَذَلِكَ قِرَاءَةُ عَامَّةِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، بِمَعْنَىٰ: وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُحْيِيهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ٢٢]، فَرَأَىٰ أَنَّ مِنَ الصَّوَابِ إِلْحَاقَ قَوْلِهِ: (وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا) بِهِ.. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ مَعْنَىٰ الْإِنْشَارِ وَمَعْنَىٰ الْإِنْشَازِ مُتَقَارِبَانِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْإِنْشَازِ التَّرْكِيبُ وَالْإِثْبَاتُ وَرَدُّ الْعِظَامِ مِنَ الْعِظَامِ، وَإِعَادَتُهَا لَا شَكَّ أَنَّهُ رَدُّهَا إِلَىٰ أَمَاكِنِهَا وَمَوَاضِعِهَا مِنَ الْجَسَدِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا إِيَّاهَا، فَهُمَا وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي اللَّفْظِ فَمُتَقَارِبَا الْمَعْنَىٰ، وَقَدْ جَاءَتْ بِالْقِرَاءَةِ بِهِمَا الْأُمَّةُ مَجِيئًا يَقْطَعُ الْعُذْرَ وَيُوجِبُ الْحُجَّةَ، فَبِأَيِّهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ لِانْقِيَادِ مَعْنَيَيْهِمَا، وَلَا حُجَّةَ تُوجِبُ لِإِحْدَاهُمَا مِنَ الْقَضَاءِ بِالصَّوَابِ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ.. وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الثَّالِثَةُ فَغَيْرُ جَائِزَةٍ الْقِرَاءَةُ بِهَا عِنْدِي، وَهِيَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (كَيْفَ نَنْشُرَهَا) بِفَتْحِ النُّونِ وَبِالرَّاءِ، لِشُذُوذِهَا عَنْ قِرَاءَةِ الْمُسْلِمِينَ وَخُرُوجِهَا عَنِ الصَّحِيحِ الْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ..

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا﴾ أَيِ الْعِظَامَ.. وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَكْسُوهَا﴾ مِنْ ذِكْرِ الْعِظَامِ، وَمَعْنَىٰ نَكْسُوهَا: نُلْبِسُهَا وَنُوَارِيهَا..

﴿لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ فَلَمَّا اتَّضَحَ لَهُ عِيَانًا مَا كَانَ مُسْتَنْكِرًا مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ عِنْدَهُ قَبْلَ عِيَانِهِ ذَلِكَ..

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ الْآنَ بَعْدَ الْمُعَايَنَةِ وَالْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ..

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ الَّذِي أَرَاهُ بِعَيْنَيْهِ مَا أَرَاهُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ مِنْ إِحْيَائِهِ إِيَّاهُ وَحِمَارَهُ بَعْدَ مَوْتِ مِائَةِ عَامٍ وَبَلَائِهِ حَتَّىٰ عَادَا كَهَيْئَتِهِمَا يَوْمَ قَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، وَحَفِظَ عَلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِائَةَ عَامٍ حَتَّىٰ رَدَّهُ عَلَيْهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَضَعَهُ غَيْرَ مُتَغَيِّرٍ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٥٩﴾ [البقرة: ٢٥٩] عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ كَذَلِكَ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿وَإِذْ﴾ وَأَلَمْ تَرَ إِذْ..

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ﴾ لَهُ رَبُّهُ..

﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أَوَلَمْ تُصَدِّقْ يَا إِبْرَاهِيمُ بِأَنِّي عَلَىٰ ذَلِكَ قَادِرٌ؟

﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ يَا رَبِّ..

﴿وَلَٰكِن﴾ سَأَلْتُكَ أَنْ تُرِيَنِي ذَلِكَ..

﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ لِيَسْكُنَ وَيَهْدَأَ بِالْيَقِينِ الَّذِي يَسْتَيْقِنُهُ، فَلَا يَقْدِرَ الشَّيْطَانُ أَنْ يُلْقِيَ فِي قَلْبِي..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ..

﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ اضْمُمْهُنَّ إِلَيْكَ وَوَجِّهْهُنَّ نَحْوَكَ، ثُمَّ قَطِّعْهُنَّ..

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِبْرَاهِيمَ بِتَفْرِيقِ أَعْضَاءِ الْأَطْيَارِ الْأَرْبَعَةِ بَعْدَ تَقْطِيعِهِ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَجْبَالِ -الَّتِي كَانَ يَصِلُ إِبْرَاهِيمُ فِي وَقْتِ تَكْلِيفِ اللهِ إِيَّاهُ- تَفْرِيقَ ذَلِكَ وَتَبْدِيدَهَا عَلَيْهَا أَجْزَاءً..

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ أُمِرَ أَنْ يَقُولَ لِأَجْزَاءِ الْأَطْيَارِ بَعْدَ تَفْرِيقِهِنَّ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللهِ..

﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ..

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ﴾ الَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الْأَطْيَارَ بَعْدَ تَمْزِيقِكَ إِيَّاهُنَّ، وَتَفْرِيقِكَ أَجْزَاءَهُنَّ عَلَىٰ الْجِبَالِ، فَجَمَعَهُنَّ وَرَدَّ إِلَيْهِنَّ الرُّوحَ، حَتَّىٰ أَعَادَهُنَّ كَهَيْئَتِهِنَّ قَبْلَ تَفْرِيقِهِنَّ..

﴿عَزِيزٌ﴾ فِي بَطْشِهِ إِذَا بَطَشَ بِمَنْ بَطَشَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَالْمُتَكَبِّرَةِ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَهُ،

وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وعَبَدُوا غَيْرَهُ، وَفِي نِقْمَتِهِ حَتَّىٰ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ..

﴿حَكِيمٌ ٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠] فِي أَمْرِهِ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ مِنْ حَبَّاتِ الْحِنْطَةِ أَوِ الشَّعِيرِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي تُسَنْبِلُ سُنْبُلَةً بَذَرَهَا زَارِعٌ فـ..

﴿أَنۢبَتَتْ﴾ فَأَخْرَجَتْ..

﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ فَكَذَلِكَ الْمُنْفِقُ مَالَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَهُ أَجْرُهُ سَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ عَلَىٰ الْوَاحِدِ مِنْ نَفَقَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ أَجْرَ حَسَنَاتِهِ بَعْدَ الَّذِي أَعْطَىٰ الْمُنْفِقَ فِي سَبِيلِهِ مِنَ التَّضْعِيفِ الْوَاحِدَةَ سَبْعَمِائَةٍ، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فِي غَيْرِ سَبِيلِهِ، فَلَا نَفَقَةَ مَا وَعْدَهُ مِنْ تَضْعِيفِ السَّبْعِمِائَةِ بِالْوَاحِدَةِ..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ يَزِيدُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ الْمُنْفِقِينَ فِي سَبِيلِهِ عَلَىٰ أَضْعَافِ السَّبْعِمِائَةِ الَّتِي وَعْدَهُ أَنْ يَزِيدَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَاللهُ وَاسِعٌ لِتِلْكَ الْأَضْعَافِ..

﴿عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١] بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمُ الزِّيَادَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بِمَا يُنْفِقُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٦٢﴾ [البقرة: ٢٦٢].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِينَ يُعِينُونَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ وَفِي حُمُولَاتِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُؤَنِهِمْ..

﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ ثُمَّ لَمْ يُتْبِعْ نَفَقَتَهُ الَّتِي أَنْفَقَهَا عَلَيْهِمْ مَنًّا عَلَيْهِمْ بِإِنْفَاقِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَا أَذًىٰ لَهُمْ.. فَامْتِنَانُهُ بِهِ عَلَيْهِمْ: بِأَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ أَنَّهُ قَدِ اصْطَنَعَ إِلَيْهِمْ بِفِعْلِهِ

وَعَطَائِهِ الَّذِي أَعْطَاهُمُوهُ، تَقْوِيَةً لَهُمْ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِمْ مَعْرُوفًا، وَيُبْدِي ذَلِكَ إِمَّا بِلِسَانٍ أَوْ فِعْلٍ.. وَأَمَّا الْأَذَىٰ فَهُوَ شِكَايَتُهُ إِيَّاهُمْ بِسَبَبِ مَا أَعْطَاهُمْ وَقَوَّاهُمْ مِنَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُومُوا بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ فِي الْجِهَادِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي يُؤْذِي بِهِ مَنْ أَنْفَقَ عَلَيْهِ.. وَإِنَّمَا شَرَطَ ذَلِكَ فِي الْمُنْفِقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَوْجَبَ الْأَجْرَ لِمَنْ كَانَ غَيْرَ مَانٍّ وَلَا مُؤْذٍ مَنْ أَنْفَقَ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِأَنَّ النَّفَقَةَ الَّتِي هِيَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مِمَّا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ، وَطُلِبَ بِهِ مَا عِنْدَهُ، فَإِذَا كَانَ مَعْنَىٰ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ هُوَ مَا وَصَفْنَا، فَلَا وَجْهَ لِمَنِّ الْمُنْفِقِ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ عَلَيْهِ ولا إِيذَائِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدَ لَهُ قِبَلَهُ، وَلَا صَنِيعَةَ يَسْتَحِقُّ بِهَا عَلَيْهِ -إِنْ لَمْ يُكَافِئْهُ عَلَيْهَا- الْمَنَّ وَالْأَذَىٰ؛ إِذْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ مَا أَنْفَقَ عَلَيْهِ احْتِسَابًا، وَابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَعَلَىٰ اللهِ مَثُوبَتُهُ دُونَ مَنْ أَنْفَقَ ذَلِكَ عَلَيْهِ..

﴿لَهُمْ﴾ لِلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىٰ مَا بَيَّنَ..

﴿أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثَوَابُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ عَلَىٰ نَفَقَتِهِمُ الَّتِي أَنْفَقُوهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَهَا مَنًّا وَلَا أَذًىٰ..

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ وَهُمْ مَعَ مَا لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ عَلَىٰ نَفَقَتِهِمُ الَّتِي أَنْفَقُوهَا عَلَىٰ مَا شَرَطْنَا، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَقْدَمِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَفِرَاقِهِمُ الدُّنْيَا، وَلَا فِي أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يَنَالَهُمْ مِنْ مَكَارِهِهَا، أَوْ يُصِيبَهُمْ فِيهَا مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦٢] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

[البقرة: ٢٦٣].

﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ قَوْلٌ جَمِيلٌ، وَدُعَاءُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ..

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وَسَتْرٌ مِنْهُ عَلَيْهِ لِمَا عَلِمَ مِنْ خُلَّتِهِ وَسُوءِ حَالَتِهِ..

﴿خَيْرٌ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿مِّن صَدَقَةٍ﴾ يَتَصَدَّقُهَا عَلَيْهِ..

﴿يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ﴾ فَيَشْتَكِيهِ عَلَيْهَا وَيُؤْذِيهِ بِسَبَبِهَا..

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عَمَّا يَتَصَدَّقُونَ بِهِ..

﴿حَلِيمٌ ٢٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣] حِينَ لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَنْ يَمُنُّ بِصَدَقَتِهِ مِنْكُمْ، وَيُؤْذِي فِيهَا مَنْ يَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَيْهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة: ٢٦٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدِّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ لَا تُبْطِلُوا أُجُورَ صَدَقَاتِكُمْ..

﴿بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾ كَمَا أَبْطَلَ كُفْرُ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ..

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ وَهُوَ مُرَاءَاتُهُ إِيَّاهُمْ بِعَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ فِيمَا يَرَىٰ النَّاسُ فِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ يُرِيدُ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فَيَحْمَدُونَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَرِيدٌ بِهِ غَيْرَ اللهِ، وَلَا طَالِبٌ مِنْهُ الثَّوَابَ وَإِنَّمَا يُنْفِقُهُ كَذَلِكَ ظَاهِرًا لِيَحْمَدَهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُوا: هُوَ سَخِيٌّ كَرِيمٌ، وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَيُحْسِنُوا عَلَيْهِ بِهِ الثَّنَاءَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ مُسْتَبْطِنٌ مِنَ النِّيَّةِ فِي إِنْفَاقِهِ مَا أَنْفَقَ، فَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِاللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ وَلَا يُصَدِّقُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ..

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وَلَا بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ بَعْدَ مَمَاتِهِ فَمُجَازًى عَلَىٰ عَمَلِهِ، فَيَجْعَلُ عَمَلَهُ لِوَجْهِ اللهِ وَطَلَبِ ثَوَابِهِ وَمَا عِنْدَهُ فِي مَعَادِهِ.. وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُنَافِقِ؛ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهُ مُنَافِقٌ؛ لِأَنَّ الْمُظْهِرَ كَفْرَهُ وَالْمُعْلِنَ شِرْكَهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ مُرَائِيًا، لِأَنَّ الْمُرَائِيَ هُوَ الَّذِي يُرَائِي النَّاسَ بِالْعَمَلِ الَّذِي هُوَ فِي الظَّاهِرِ لِلَّهِ وَفِي الْبَاطِنِ مِن نِيَّةِ عَامِلِهُ مُرَادٌ بِهِ حَمْدُ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَالْكَافِرُ لَا يَخِيلُ عَلَىٰ أَحَدٍ أَمْرُهُ أَنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا إِنَّمَا هِيَ لِلشَّيْطَانِ -إِذَا كَانَ مُعْلِنًا كُفْرَهُ- لَا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَغَيْرُ كَائِنٍ مُرَائِيًا بِأَعْمَالِهِ..

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ فَمَثَلُ هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.. فَرَجَعَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِلَىٰ ذِكْرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ضَرَبَ الْمَثَلَ لِأَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ..

﴿كَمَثَلِ﴾ فَكَذَلِكَ أَعْمَالُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الـ..

﴿صَفْوَانٍ﴾ وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُلْسُ، الَّذِي كَانَ..

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ يَعْنِي عَلَىٰ الصَّفْوَانِ تُرَابٌ..

﴿فَأَصَابَهُۥ﴾ يَعْنِي: أَصَابَ الصَّفْوَانَ..

﴿وَابِلٌ﴾ وَهُوَ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الْعَظِيمُ..

﴿فَتَرَكَهُۥ﴾ فَتَرَكَ الْوَابِلُ الصَّفْوَانَ..

﴿صَلْدًا﴾ فَذَهَبَ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ، فَتَرَكَهُ نَقِيًّا لَا تُرَابَ عَلَيْهِ وَلَا شَيْءَ، يَرَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي الظَّاهِرِ أَنَّ لَهُمْ أَعْمَالًا كَمَا يُرَىٰ التُّرَابُ عَلَىٰ هَذَا الصَّفْوَانِ بِمَا يُرَاءُونَهُمْ بِهِ.. وَالصَّلْدُ مِنَ الْحِجَارَةِ الصُّلْبُ الَّذِي لَا شَيْءَ عَلَيْهِ مِنْ نَبَاتٍ وَلَا غَيْرِهِ، وَهُوَ مِنَ الْأَرَضِينَ مَا لَا يُنْبِتُ فِيهِ شَيْءٌ، وَكَذَلِكَ مِنَ الرُّءُوسِ..

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ عَلَىٰ ثَوَابِ شَيْءٍ.. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَصَارُوا إِلَىٰ اللهِ اضْمَحَلَّ ذَلِكَ كُلُّهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ كَمَا ذَهَبَ الْوَابِلُ مِنَ الْمَطَرِ بِمَا كَانَ عَلَىٰ الصَّفْوَانِ مِنَ التُّرَابِ، فَتَرَكَهُ أَمْلَسَ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ..

﴿مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا لِمَعَادِهِمْ وَلَا لِطَلَبِ مَا عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنَّهُمْ عَمِلُوهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَطَلَبَ حَمْدِهِمْ، وَإِنَّمَا حَظُّهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَا أَرَادُوهُ وَطَلَبُوهُ بِهَا.. يَعْنِي بِهِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة: ٢٦٤] لَا يُسَدِّدُهُمْ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي نَفَقَاتِهِمْ وَغَيْرِهَا فَيُوَفِّقُهُمْ لَهَا، وَهُمْ لِلْبَاطِلِ عَلَيْهَا مُؤْثِرُونَ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَعْمَهُونَ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِلْمُؤْمِنِينَ: لَا تَكُونُوا كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هَذَا الْمَثَلُ صِفَةُ أَعْمَالِهِمْ، فَتُبْطِلُوا أُجُورَ صَدَقَاتِكُمْ بِمَنِّكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَصَدَّقْتُمْ بِهَا عَلَيْهِ وَأَذَاكُمْ لَهُمْ، كَمَا أَبْطَلَ أَجْرَ نَفَقَةِ الْمُنَافِقِ الَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ، وَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ عِنْدَ اللهِ.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة: ٢٦٥].

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ﴾ فَيَصَّدَّقُونَ بِهَا وَيَحْمِلُونَ عَلَيْهَا..

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ فِي سَبِيلِ اللهِ وَيُقَوُّونَ بِهَا أَهْلَ الْحَاجَةِ مِنَ الْغُزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طَاعَاتِ اللهِ، طَلَبَ مَرْضَاتِهِ..

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وَتَثْبِيتًا لَهُمْ عَلَىٰ إِنْفَاقِ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ اللهِ وَتَحْقِيقًا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: ثَبَّتُّ فُلَانًا فِي هَذَا الْأَمْرِ: إِذْ صَحَّحْتُ عَزْمَهُ وَحَقَّقْتُهُ وَقَوَّيْتُ فِيهِ رَأْيَهُ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ -جَلَّ وَعَزَّ- بِذَلِكَ أَنَّ أَنْفُسَهُمْ كَانَتْ مُوقِنَةً مُصَدِّقَةً بُوعِدِ اللهِ إِيَّاهَا فِيمَا أَنْفَقَتْ فِي طَاعَتِهِ بِغَيْرِ مَنٍّ وَلَا أَذًى، فَثَبَّتَهُمْ فِي إِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ، وَصَحَّحَ عَزْمَهُمْ وَآرَاءَهُمْ يَقِينًا مِنْهَا بِذَلِكَ، وَتَصْدِيقًا بُوعِدِ اللهِ إِيَّاهَا مَا وَعَدَهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ وَتَصْدِيقًا، وَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ: وَيَقِينًا؛ لِأَنَّ تَثْبِيتَ أَنْفُسِ الْمُنْفِقِينَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ إِيَّاهُمْ، إِنَّمَا كَانَ عَنْ يَقِينٍ مِنْهَا وَتَصْدِيقٍ بِوَعْدِ اللهِ..

﴿كَمَثَلِ﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ، فَيَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَيُسَبِّلُونَهَا فِي طَاعَةِ اللهِ بِغَيْرِ مَنٍّ عَلَىٰ مَنْ تَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِ، وَلَا أَذًى مِنْهُمْ لَهُمْ بِهَا، ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ وَتَصْدِيقًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِوَعْدِهِ..

﴿جَنَّةٍ﴾ بُسْتَانٌ..

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ الرَّبْوَةُ مَا نَشَزَ مِنْ الْأَرْضِ فَارْتَفَعَ عَنِ السَّيْلِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهَا بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ؛ لِأَنَّ مَا ارْتَفَعَ عَنِ الْمَسَايِلِ وَالْأَوْدِيَةِ أَغْلَظُ، وَجِنَانُ مَا غَلُظَ مِنَ الْأَرْضِ أَحْسَنُ وَأَزْكَىٰ ثَمَرًا وَغَرْسًا وَزَرْعًا مِمَّا رَقَّ مِنْهَا.. وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الرَّبْوَةَ؛ لِأَنَّهَا رَبَتْ فَغَلُظَتْ وَعَلَتْ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: رَبَا هَذَا الشَّيْءُ يَرْبُو: إِذَا انْفَتَحَ فَعَظُمَ..

﴿أَصَابَهَا﴾ أَصَابَ الْجَنَّةَ الَّتِي بِالرَّبْوَةِ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿وَابِلٌ﴾ مِنَ الْمَطَرِ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْعَظِيمُ الْقَطْرِ مِنْهُ..

﴿فَـَٔاتَتْ﴾ الْجَنَّةُ..

﴿أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أُضْعِفَ ثَمَرُهَا ضِعْفَيْنِ حِينَ أَصَابَهَا الْوَابِلُ مِنَ الْمَطَرِ.. وَالْأُكُلُ: هُوَ الشَّيْءُ الْمَأْكُولُ، وَأَمَّا الْأَكْلُ بِفَتْحِ الْأَلْفِ وَتَسْكِينِ الْكَافِ، فَهُوَ فِعْلُ الْآكِلِ، يُقَالُ مِنْهُ: أَكَلْتُ أَكْلًا، وَأَكَلْتُ أُكْلَةً وَاحِدَةً..

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ هُوَ النَّدَىٰ وَاللَّيِّنُ مِنَ الْمَطَرِ.. وَإِنَّمَا يَعْنِي -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِهَذَا الْمَثَلِ كَمَا ضُعِّفَتْ ثَمَرَةُ هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي وُصِفَتْ صِفَتُهَا حِينَ جَادَ الْوَابِلُ، فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا الْوَابِلُ فَالطَّلُّ، كَذَلِكَ يُضَعِّفُ اللهُ صَدَقَةَ الْمُتَصَدِّقِ وَالْمُنْفِقِ مَالِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَنٍّ وَلَا أَذًى، قَلَّتْ نَفَقَتُهُ أَوْ كَثُرَتْ، لَا تَخِيبُ وَلَا تُخَلَّفُ نَفَقَتُهُ، كَمَا تُضَعَّفُ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ صِفَتَهَا قَلَّ مَا أَصَابَهَا مِنَ الْمَطَرِ أَوْ كَثُرَ، لَا يُخَلَّفُ خَيْرُهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ..

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فِي نَفَقَاتِكُمُ الَّتِي تُنْفِقُونَهَا..

﴿بَصِيرٌ ۝٢٦٥﴾ [البقرة: ٢٦٥] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا وَلَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا شَيْءٌ، يَعْلَمُ مَنِ الْمُنْفِقُ مِنْكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ وَالْمُنْفِقُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ نَفْسِهِ، فَيُحْصِي عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَكُمْ جَزَاءَهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.. وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهَذَا الْقَوْلِ -جَلَّ ذِكْرُهُ- التَّحْذِيرَ مِنْ عِقَابِهِ فِي النَّفَقَاتِ الَّتِي يُنْفِقُهَا عِبَادُهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مَا قَدْ تَقَدَّمَ فِيهِ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، أَوْ يُفَرِّطَ فِيمَا قَدْ أُمِرَ بِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِمَرْأًى مِنَ اللهِ وَمَسْمَعٍ، يَعْلَمُهُ وَيُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ لِخَلْقِهِ بِالْمِرْصَادِ.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢٦٦﴾ [البقرة: ٢٦٦].

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ..

﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بُسْتَانٌ..

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ مِنْ تَحْتِ الْجَنَّةِ..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ﴾ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُۥ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ أَحَدٍ..

﴿فِيهَا﴾ الْهَاءُ وَالْأَلِفُ فِي: ﴿فِيهَا﴾ عَلَىٰ الْجَنَّةِ..

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ﴾ وَأَصَابَ أَحَدَكُمْ..

﴿ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ وَإِنَّمَا جَعَلَ جَلَّ ثناؤُهُ الْبُسْتَانَ مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، الَّذِي قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَثَلًا لِنَفَقَةِ الْمُنَافِقِ الَّتِي يُنْفِقُهَا رِيَاءَ

النَّاسِ، لَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ، فَالنَّاسُ بِمَا يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ صَدَقَتِهِ، وَإِعْطَائِهِ لِمَا يُعْطَىٰ وَعَمَلِهِ الظَّاهِرِ، يُثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَحْمَدُونَهُ بِعَمَلِهِ ذَلِكَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي حُسْنِهِ كَحُسْنِ الْبُسْتَانِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي ضَرَبَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِعَمَلِهِ مَثَلًا مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُ ذَلِكَ الَّذِي يَعْمَلُهُ فِي الظَّاهِرِ فِي الدُّنْيَا لَهُ فِيهِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا، يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَدَمِهِ وَمَالِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَيَكْتَسِبُ بِهِ الْمَحْمَدَةَ وَحُسْنَ الثَّنَاءِ عِنْدَ النَّاسِ، وَيَأْخُذُ بِهِ سَهْمَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ مَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ يَكْثُرُ إِحْصَاؤُهَا، فَلَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا، كَمَا وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ الْجَنَّةَ الَّتِي وَصَفَ مَثَلًا بِعَمَلِهِ، بِأَنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ يَعْنِي أَنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ أَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ صِغَارٌ أَطْفَالٌ..

﴿فَأَصَابَهَآ﴾ فَأَصَابَ الْجَنَّةَ..

﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ جَنَّتَهُ تِلْكَ أَحْرَقَتْهَا الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا النَّارُ فِي حَالِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَضَرُورَتِهِ إِلَىٰ ثَمَرَتِهَا، بِكِبَرِهِ وَضَعْفِهِ عَنْ عِمَارَتِهَا، وَفِي حَالِ صِغَرِ وَلَدِهِ، وَعَجْزِهِ عَنْ إِحْيَائِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا، فَبَقِيَ لَا شَيْءَ لَهُ، أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَىٰ جَنَّتِهِ وَثِمَارِهَا، بِالْآفَةِ الَّتِي أَصَابَتْهَا مِنَ الْإِعْصَارِ الَّذِي فِيهِ النَّارُ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ الْمُنْفِقُ مَالَهُ رِيَاءَ النَّاسِ، أَطْفَأَ اللهُ نُورَهُ، وَأَذْهَبَ بَهَاءَ عَمَلِهِ، وَأَحْبَطَ أَجْرَهُ حَتَّىٰ لَقِيَهُ، وَعَادَ إِلَيْهِ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَىٰ عَمَلِهِ، حِينَ لَا مُسْتَعْتَبَ لَهُ وَلَا إِقَالَةَ مِنْ ذُنُوبِهِ وَلَا تَوْبَةَ، وَاضْمَحَلَّ عَمَلُهُ، كَمَا احْتَرَقَتِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ صِفَتَهَا عِنْدَ كِبَرِ صَاحِبِهَا وَطُفُولَةِ ذُرِّيَّتِهِ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا، فَبَطُلَتْ مَنَافِعُهَا عَنْهُ.. وَهَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ لِلْمُنْفِقِينَ أَمْوَالَهُمْ رِيَاءَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَظِيرُ الْمَثَلِ الْآخَرِ الَّذِي ضَرَبَهُ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤]..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَ لَكُمْ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمْرَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، وَكَيْفَ وَجْهُهَا، وَمَا لَكُمْ وَمَا لَيْسَ لَكُمْ فِعْلُهُ فِيهَا، كَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ سِوَىٰ ذَلِكَ، فَيُعَرِّفُكُمْ أَحْكَامَهَا وَحَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَيُوَضِّحُ لَكُمْ حُجَجَهَا، إِنْعَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾ [البقرة: ٢٦٦] لِتَتَفَكَّرُوا بِعُقُولِكُمْ فَتَتَدَبَّرُوا وَتَعْتَبِرُوا بِحُجَجِ اللهِ فِيهَا، وَتَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامِهَا، فَتُطِيعُوا اللهَ بِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

[البقرة: ٢٦٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَآيِ كِتَابِهِ..

﴿أَنْفِقُوا﴾ زَكُّوا وَتَصَدَّقُوا..

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ زَكُّوا مِنْ طَيِّبِ مَا كَسَبْتُمْ بِتَصَرُّفِكُمْ، إِمَّا بِتِجَارَةٍ وَإِمَّا بِصِنَاعَةٍ، مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَيَعْنِي بِالطَّيِّبَاتِ الْجِيَادَ، يَقُولُ: زَكُّوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي اكْتَسَبْتُمُوهَا حَلَالًا، وَأَعْطُوا فِي زَكَاتِكُمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ الْجِيَادَ مِنْهَا دُونَ الرَّدِيءِ..

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ وَأَنْفِقُوا أَيْضًا مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَتَصَدَّقُوا وَزَكُّوا مِنَ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَمَا أَوْجَبْتُ فِيهِ الصَّدَقَةَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ..

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ وَلَا تَعَمَّدُوا وَلَا تَقْصِدُوا..

﴿الْخَبِيثَ﴾ الرَّدِيءَ غَيْرَ الْجَيِّدِ..

﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ لَا تَعَمَّدُوا الرَّدِيءَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي صَدَقَاتِكُمْ، فَتَصَدَّقُوا مِنْهُ، وَلَكِنْ تَصَدَّقُوا مِنَ الطَّيِّبِ الْجَيِّدِ..

﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ وَلَسْتُمْ بِآخِذِي الْخَبِيثَ فِي حُقُوقِكُمْ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِآخِذِيهِ﴾ مِنْ ذِكْرِ الْخَبِيثِ..

﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ إِلَّا أَنْ تَتَجَافَوْا فِي أَخْذِكُمْ إِيَّاهُ عَنْ بَعْضِ الْوَاجِبِ لَكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ، فَتُرَخِّصُوا فِيهِ لِأَنْفُسِكُمْ، يُقَالُ مِنْهُ: أَغْمَضَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ عَنْ بَعْضِ حَقِّهِ.. فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَثَّ عِبَادَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَفَرَضَهَا عَلَيْهِمْ فِيهَا، فَصَارَ مَا فَرَضَ مِنْ ذَلِكَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقًّا لِأَهْلِ سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ الطَّيِّبِ -وَهُوَ الْجَيِّدُ- مِنْ أَمْوَالِهِمُ الطَّيِّبَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السُّهْمَانِ شُرَكَاءُ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِمَا وَجَبَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الصَّدَقَةِ بَعْدَ وُجُوبِهَا، فَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ شَرِيكَيْنِ فِي مَالٍ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِقَدْرِ مِلْكِهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدِهِمَا مَنْعُ شَرِيكِهِ مِنْ حَقِّهِ مِنَ الْمَالِ الَّذِي هُوَ فِيهِ شَرِيكُهُ، بِإِعْطَائِهِ بِمِقْدَارِ حَقِّهِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِهِ، مِمَّا هُوَ أَرْدَأُ مِنْهُ أَوْ أَخَسُّ، فَكَذَلِكَ الْمُزَكِّي مَالَهُ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَ أَهْلَ السُّهْمَانِ مِمَّا وَجَبَ لَهُمْ فِي مَالِهِ مِنَ الطَّيِّبِ الْجَيِّدِ

مِنَ الْحَقِّ، فَصَارُوا فِيهِ شُرَكَاءَه بِهِ مِنَ الْخَبِيثِ الرَّدِيءِ غَيْرِهِ، وَيَمْنَعُهُمْ مَا هُوَ لَهُمْ مِنْ حُقُوقِهِمْ فِي الطَّيِّبِ مِنْ مَالِهِ الْجَيِّدِ، كَمَا لَوْ كَانَ مَالُ رَبِّ الْمَالِ رَدِيئًا كُلُّهُ غَيْرَ جَيِّدٍ، فَوَجَبَتْ فِيهِ الزَّكَاةُ وَصَارَ أَهْلُ سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ شُرَكَاءَه فِيهِ، بِمَا أَوْجَبَ اللهُ لَهُمْ فِيهِ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُمُ الطَّيِّبَ الْجَيِّدَ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ الَّذِي مِنْهُ حَقُّهُمْ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَرْبَابِ الْأَمْوَالِ: زَكُّوا مِنْ جَيِّدِ أَمْوَالِكُمُ الْجَيِّدَ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ الرَّدِيءَ تُعْطُونَهُ أَهْلَ سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ، وَتَمْنَعُونَهُمُ الْوَاجِبَ لَهُمْ مِنَ الْجَيِّدِ الطَّيِّبِ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَلَسْتُمْ بِآخِذِي الرَّدِيءِ لِأَنْفُسِكُمْ مَكَانَ الْجَيِّدِ الْوَاجِبِ لَكُمْ قِبَلَ مَنْ وَجَبَ لَكُمْ عَلَيْهِ ذَلِكَ، مِنْ شُرَكَائِكُمْ وَغُرَمَائِكُمْ وَغَيْرِهِمْ، إِلَّا عَنْ إِغْمَاضٍ مِنْكُمْ، وَهَضْمٍ لَهُمْ، وَكَرَاهَةٍ مِنْكُمْ لِأَخْذِهِ، يَقُولُ: فَلَا تَأْتُوا مِنَ الْفِعْلِ إِلَىٰ مَنْ وَجَبَ لَهُ فِي أَمْوَالِكُمْ حَقٌّ، مَا لَا تَرْضَوْنَ مِنْ غَيْرِكُمْ أَنْ يَأْتِيَهُ إِلَيْكُمْ فِي حُقُوقِكُمُ الْوَاجِبَةِ لَكُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ.. فَأَمَّا إِذَا تَطَوَّعَ الرَّجُلُ بِصَدَقَةٍ غَيْرِ مَفْرُوضَةٍ فَإِنِّي وَإِنْ كَرِهْتُ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ فِيهَا إِلَّا أَجْوَدَ مَالِهِ وَأَطْيَبَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَقُّ مَنْ تُقُرِّبَ إِلَيْهِ بِأَكْرَمِ الْأَمْوَالِ وَأَطْيَبِهَا، وَالصَّدَقَةُ قُرْبَانُ الْمُؤْمِنِ، فَلَسْتُ أُحَرِّمُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَ فِيهَا غَيْرَ الْجَيِّدِ؛ لِأَنَّ مَا دُونَ الْجَيِّدِ رُبَّمَا كَانَ أَعَمَّ نَفْعًا لِكَثْرَتِهِ، أَوْ لِعِظَمِ خَطَرِهِ، وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا مِنَ الْمِسْكِينِ، وَمِمَّنْ أُعْطِيهُ قُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْجَيِّدِ، لِقِلَّتِهِ أَوْ لِصِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ جَدْوَىٰ نَفْعِهِ عَلَىٰ مَنْ أُعْطِيَهُ، وَبِمِثْلِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عَنْ صَدَقَاتِكُمْ وَعَنْ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا أَمَرَكُمْ بِهَا، وَفَرَضَهَا فِي أَمْوَالِكُمْ رَحْمَةً مِنْهُ لَكُمْ، لِيُغْنِيَ بِهَا عَائِلَكُمْ، وَيُقَوِّيَ بِهَا ضَعِيفَكُمْ، وَيُجْزِلَ لَكُمْ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ مَثُوبَتَكُمْ، لَا مِنْ حَاجَةٍ بِهِ فِيهَا إِلَيْكُمْ..

﴿حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة: ٢٦٧] مَحْمُودٌ عِنْدَ خَلْقِهِ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَبَسَطَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨].

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ بِالصَّدَقَةِ وَأَدَائِكُمُ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ..

﴿ٱلۡفَقۡرَ﴾ أَنْ تَفْتَقِرُوا.

﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ وَيَأْمُرُكُمْ بِمَعَاصِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْكُمْ فَحْشَاءَكُمْ بِصَفْحِهِ لَكُمْ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَيْهَا، فَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِالصَّدَقَةِ الَّتِي تَتَصَدَّقُونَ..

﴿وَفَضْلًا﴾ وَيَعِدُكُمْ أَنْ يُخْلِفَ عَلَيْكُمْ مِنْ صَدَقَتِكُمْ، فَيَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ عَطَايَاهُ وَيُسْبِغَ عَلَيْكُمْ فِي أَرْزَاقِكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ وَاللهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ الَّذِي يَعِدُكُمْ أَنْ يُعْطِيكُمُوهُ مِنْ فَضْلِهِ وَسَعَةِ خَزَائِنِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨] بِنَفَقَاتِكُمْ وَصَدَقَاتِكُمُ الَّتِي تُنْفِقُونَ وَتَصَدَّقُونَ بِهَا، يُحْصِيهَا لَكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهَا عِنْدَ مَقْدِمُكُمْ عَلَيْهِ فِي آخِرَتِكُمْ.

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿يُؤْتِى﴾ اللهُ..

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ إِصَابَةَ الصَّوَابِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.. وَأَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْحُكْمِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَمَن يُؤْتَ﴾ فِي ذَٰلِكَ مِنْهُمْ..

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ قَالَ بَعْضُهُم: هِيَ الْقُرْآنُ وَالْفِقْهُ بِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الْحِكْمَةِ الْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْعِلْمُ بِالدِّينِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحِكْمَةُ: الْفَهْمُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْخَشْيَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النُّبُوَّةُ.. وَجَمِيعُ الْأَقْوَالِ فِي ذَٰلِكَ دَاخِلًا فِيمَا قُلْنَا مِنْ ذَٰلِكَ؛ لِأَنَّ الْإِصَابَةَ فِي الْأُمُورِ إِنَّمَا تَكُونُ عَنْ فَهْمٍ بِهَا وَعِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ، وَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ كَانَ الْمُصِيبُ عَنْ فَهْمٍ مِنْهُ بِمَوَاضِعِ الصَّوَابِ فِي أُمُورِهِ فَهَمًا خَاشِيًا لِلَّهِ فَقِيهًا عَالِمًا، وَكَانَتِ النُّبُوَّةُ مِنْ أَقْسَامِهِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مُسَدَّدُونَ مُفَهَّمُونَ، وَمُوَفَّقُونَ لِإِصَابَةِ الصَّوَابِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، وَالنُّبُوَّةُ بَعْضُ مَعَانِي الْحِكْمَةِ..

﴿فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ وَمَا يَتَّعِظُ بِمَا وَعَظَ بِهِ رَبُّهُ فِي هَٰذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي وَعَظَ فِيهَا الْمُنْفِقِينَ أَمْوَالَهُمْ بِمَا وَعَظَ بِهِ غَيْرَهُمْ فِيهَا، وَفِي غَيْرِهَا مِنْ آيِ كِتَابِهِ فَيَذْكُرُ وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ فِيهَا، فَيَنْزَجِرُ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ رَبُّهُ، وَيُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ..

﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩] إِلَّا أُولُو الْعُقُولِ الَّذِينَ عَقَلُوا عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَأَخْبَرَ جَلَّ

ثناؤُهُ أَنَّ الْمَوَاعِظَ غَيْرُ نَافِعَةٍ إِلَّا أُولِي الْحِجَا وَالْحُلُومِ، وَأَنَّ الذِّكْرَىٰ غَيْرُ نَاهِيَةٍ إِلَّا أَهْلَ النُّهَىٰ وَالْعُقُولِ.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [البقرة: ٢٧٠].

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ وَأَيُّ نَفَقَةٍ أَنْفَقْتُمْ، يَعْنِي أَيَّ صَدَقَةٍ تَصَدَّقْتُمْ..

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ أَوْ أَيَّ نَذْرٍ نَذَرْتُمْ؛ يَعْنِي بِالنَّذْرِ: مَا أَوْجَبَهُ الْمَرْءُ عَلَىٰ نَفْسِهِ تَبَرُّرًا فِي طَاعَةِ اللهِ، وَتَقَرُّبًا بِهِ إِلَيْهِ، مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَمَلِ خَيْرٍ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾ أَيْ أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ بِعِلْمِ اللهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، وَلَكِنَّهُ يُحْصِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ جَمِيعَكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ مِنْكُمْ وَصَدَقَتُهُ وَنَذْرُهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ نَفْسِهِ، جَازَاهُ بِالَّذِي وَعَدَهُ مِنَ التَّضْعِيفِ؛ وَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ وَصَدَقَتُهُ رِيَاءَ النَّاسِ، وَنَذْرُهُ لِلشَّيْطَانِ، جَازَاهُ بِالَّذِي أَوْعَدَهُ مِنَ الْعِقَابِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَكَيْفَ قَالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: يَعْلَمُهُمَا، وَقَدْ ذَكَرَ النَّذْرَ وَالنَّفَقَةَ؟ قِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾ لِأَنَّهُ أَرَادَ: فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا أَنْفَقْتُمْ أَوْ نَذَرْتُمْ، فَلِذَلِكَ وَحَّدَ الْكِنَايَةَ.. ثُمَّ أَوْعَدَ جَلَّ ثناؤُهُ مَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ رِيَاءً وَنُذُورُهُ طَاعَةً لِلشَّيْطَانِ، فَقَالَ..

﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ وَمَا لِمَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ رِيَاءَ النَّاسِ وَفِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَكَانَتْ نُذُورُهُ لِلشَّيْطَانِ وَفِي طَاعَتِهِ..

﴿مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [البقرة: ٢٧٠] يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عِقَابَهُ يَوْمَئِذٍ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةِ بَطْشٍ وَلَا بِفِدْيَةٍ.. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ الظَّالِمَ هُوَ الْوَاضِعُ لِلشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.. وَإِنَّمَا سَمَّىٰ اللهُ الْمُنْفِقَ رِيَاءَ النَّاسِ، وَالنَّاذِرَ فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ ظَالِمًا، لِوَضْعِهِ إِنْفَاقَ مَالِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَنَذْرِهِ فِي غَيْرِ مَالِهِ وَضْعَهُ فِيهِ، فَكَانَ ذَلِكَ ظُلْمَهُ.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٧١﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ إِنْ تُعْلِنُوا الصَّدَقَاتِ فَتُعْطُوهَا مَنْ تَصَدَّقْتُمْ بِهَا عَلَيْهِ..

﴿فَنِعِمَّا هِىَ ۖ﴾ فَنِعْمَ الشَّيْءُ هِيَ..

﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ وَإِنْ تَسْتُرُوهَا فَلَمْ تُعْلِنُوهَا..

﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ وَتُعْطُوهَا الْفُقَرَاءَ فِي السِّرِّ..

﴿فَهُوَ﴾ فَإِخْفَاؤُكُمْ إِيَّاهَا..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ إِعْلَانِهَا، وَذَلِكَ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ.. فَإِنَّ الْوَاجِبَ مِنَ الْفَرَائِضِ قَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّ الْفَضْلَ فِي إِعْلَانِهِ وَإِظْهَارِهِ..

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ وَيُكَفِّرُ اللهُ عَنْكُمْ بِصَدَقَاتِكُمْ عَلَىٰ مَا ذُكِرَ فِي الْآيَةِ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْدُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: (وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ) بِالنُّونِ وَجَزْمِ الْحَرْفِ، يَعْنِي: وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ، بِمَعْنَىٰ مُجَازَاةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مُخْفِي الصَّدَقَةِ بِتَكْفِيرِ بَعْضِ سَيِّئَاتِهِ بِصَدَقَتِهِ الَّتِي أَخْفَاهَا.. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهُ: (وَتُكَفِّرُ عَنْكُمْ) بِالتَّاءِ، وَمَنْ قَرَأَهُ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ: وَتُكَفِّرُ الصَّدَقَاتُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ) بِالنُّونِ وَجَزْمِ الْحَرْفِ، عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْخَبَرِ مِنَ اللهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يُجَازِي الْمُخْفِي صَدَقَتَهُ مِنَ التَّطَوُّعِ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ مِنْ صَدَقَتِهِ بِتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ دُخُولِ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؟ قِيلَ: وَجْهُ دُخُولِهَا فِي ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ: وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ مَا نَشَاءُ تَكْفِيرَهُ مِنْهَا دُونَ جَمِيعِهَا؛ لِيَكُونَ الْعِبَادُ عَلَىٰ وَجَلٍ مِنَ اللهِ فَلَا يَتَّكِلُوا عَلَىٰ وَعْدِهِ مَا وَعَدَ عَلَىٰ الصَّدَقَاتِ الَّتِي يُخْفِيهَا الْمُتَصَدِّقُ فَيَجْتَرِئُوا عَلَىٰ حُدُودِهِ وَمَعَاصِيهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فِي صَدَقَاتِكُمْ مِنْ إِخْفَائِهَا وَإِعْلَانِ وَإِسْرَارٍ بِهَا وَإِجْهَارٍ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ..

﴿خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٣٤] ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ بِجَمِيعِهِ مُحِيطٌ، وَلِكُلِّهِ مُحْصٍ عَلَىٰ أَهْلِهِ حَتَّىٰ يُوَفِّيَهُمْ ثَوَابَ جَمِيعِهِ وَجَزَاءَ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُدَىٰهُمْ﴾ هُدَىٰ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَتَمْنَعُهُمْ صَدَقَةَ التَّطَوُّعِ، وَلَا تُعْطِيهِمْ مِنْهَا

لِيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ حَاجَةً مِنْهُمْ إِلَيْهَا..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَيُوَفِّقُهُمْ لَهُ، فَلَا تَمْنَعْهُمُ الصَّدَقَةَ..

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟﴾ وَمَا تَتَصَدَّقُوْنَ بِهِ..

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ مِنْ مَالٍ..

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ تُنْفِقُوْنَ، لِيَكُوْنَ لَكُمْ ذُخْرًا عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ وَمَا تَتَصَدَّقُوْا بِهِ مِنْ مَالٍ فَإِنَّكُم تُوَفَوْنَهُ، فَيَرْجِعَ إِلَيْكُمْ جَزَاؤُه تَامًا وَافِيًا، فَلا تَمُنُّوا عَلَىٰ أَحَدٍ بِمِا تَصَدَّقْتُم بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا تَمْتَنِعُوا مِنْ إِعْطَائِهَا مَنْ امْتَنَعْتُم مِنْ إِعْطَائِهِ إِيَاهَا مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِم مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ..

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٢] فَإِنَّكُم لَا تُظْلَمُوْنَ أَجْرَهَا فَتَحْبِسُوْه، وَلَا تَنْقُصُوْنَهُ، بَلْ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يَوَفِّيْكم أُجوْرَكُم وجَزَاءَكُم عَلَيْهَا.

> ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٣].

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ وَمَا تَتَصَدَّقُوا بِهِ مِنْ مَالَ، فَلِلْفُقَرَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ جِهَادُهُمْ عَدُوَّهُمْ يُحْصِرُونَ أَنْفُسَهُمْ، فَيَحْبِسُونَهَا عَنِ التَّصَرُّفِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَصَرُّفًا، وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْإِحْصَارِ تَصْيِيرُ الرَّجُلِ الْمُحْصَرِ بِمَرَضِهِ أَوْ فَاقَتِهِ أَوْ جِهَادِهِ عَدُوَّهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عِلَلِهِ إِلَىٰ حَالَةٍ يَحْبِسُ نَفْسَهُ فِيهَا عَنِ التَّصَرُّفِ فِي أَسْبَابِهِ..

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَلُّبًا فِي الْأَرْضِ، وَسَفَرًا فِي الْبِلَادِ، ابْتِغَاءَ الْمَعَاشِ وَطَلَبَ الْمَكَاسِبِ، فَيَسْتَغْنُوا عَنِ الصَّدَقَاتِ، رَهْبَةَ الْعَدُوِّ، وَخَوْفًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ..

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ بِأَمْرِهِمْ وَحَالِهِمْ أَغْنِيَاءَ مِنْ تَعَفُّفِهِمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، وَتَرْكِهِمُ التَّعَرُّضَ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، صَبْرًا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ..

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ تعرفهم يَا مُحَمَّدُ بِعَلَامَتِهِمْ وَآثَارِهِمْ، مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].. فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ يَعْرِفُهُمْ بِعَلَامَاتِهِمْ وَآثَارِ الْحَاجَةِ فِيهِمْ،

وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُدْرِكُ تِلْكَ الْعَلَامَاتِ وَالْآثَارِ مِنْهُمْ عِنْدَ الْمُشَاهَدَةِ بِالْعِيَانِ، فَيَعْرِفُهُمْ وَأَصْحَابُهُ بِهَا، كَمَا يُدْرَكُ الْمَرِيضُ فَيُعْلَمُ أَنَّهُ مَرِيضٌ بِالْمُعَايَنَةِ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ السِّيمَا كَانَتْ تَخَشُّعًا مِنْهُمْ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ أَثَرَ الْحَاجَةِ وَالضُّرِّ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ رَثَاثَةَ الثِّيَابِ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ جَمِيعَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا تُدْرَكُ عَلَامَاتُ الْحَاجَةِ وَآثَارُ الضُّرِّ فِي الْإِنْسَانِ، وَيُعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ الْحَاجَةِ وَالضُّرِّ بِالْمُعَايَنَةِ دُونَ الْوَصْفِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرِيضَ قَدْ يَصِيرُ بِهِ فِي بَعْضِ أَحْوَالِ مَرَضِهِ مِنَ الْمَرَضِ نَظَرُ آثَارِ الْمَجْهُودِ مِنَ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، وَقَدْ يَلْبَسُ الْغَنِيُّ ذُو الْمَالِ الْكَثِيرِ الثِّيَابَ الرَّثَّةَ، فَيَتَزَيَّا بِزِيِّ أَهْلِ الْحَاجَةِ، فَلَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ دَلَالَةٌ بِالصِّفَةِ عَلَىٰ أَنَّ الْمَوْصُوفَ بِهِ مُخْتَلٌّ ذُو فَاقَةٍ، وَإِنَّمَا يَدْرِي ذَلِكَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ بِسِيمَاهُ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ، نَظِيرَ مَا يُعْرَفُ أَنَّهُ مَرِيضٌ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ دُونَ وَصْفِهِ بِصِفَتِهِ..

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ﴾ يُقَالُ: قَدْ أَلْحَفَ السَّائِلُ فِي مَسْأَلَتِهِ إِذَا أَلَحَّ فَهُوَ يُلْحِفُ فِيهَا إِلْحَافًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَسْأَلُونَ النَّاسَ غَيْرَ إِلْحَافٍ؟ قِيلَ: غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئًا عَلَىٰ وَجْهِ الصَّدَقَةِ إِلْحَافًا أَوْ غَيْرَ إِلْحَافٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ تَعَفُّفٍ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمْ، فَلَوْ كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ شَأْنِهِمْ لَمْ تَكُنْ صِفَتُهُمُ التَّعَفُّفَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ عِلْمِ مَعْرِفَتِهِمِ بِالْأَدِلَّةِ وَالْعَلَامَةِ حَاجَةٌ، وَكَانَتِ الْمَسْأَلَةُ الظَّاهِرَةُ تُنْبِئُ عَنْ حَالِهِمْ وَأَمْرِهِمْ.. وَفِي الْخَبَرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -قَالَ: أَعْوَزْنَا مَرَّةً فَقِيلَ لِي: لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَأَلْتَهُ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ مُعْنِقًا، فَكَانَ أَوَّلُ مَا وَاجَهَنِي بِهِ: «**مَنِ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللهُ، وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ أَغْنَاهُ اللهُ، وَمَنْ سَأَلَنَا لَمْ نَدَّخِرْ عَنْهُ شَيْئًا نَجِدُهُ**»، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ نَفْسِي، فَقُلْتُ: أَلَا اسْتَعِفُّ فَيُعِفَّنِي اللهُ! فَرَجَعْتُ، فَمَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ حَاجَةٍ- الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ أَنَّ التَّعَفُّفَ مَعْنًى يَنْفِي مَعْنَىٰ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِالتَّعَفُّفِ فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ بِالْمَسْأَلَةِ إِلْحَافًا أَوْ غَيْرَ إِلْحَافٍ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ﴾ وَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا أَوْ غَيْرَ إِلْحَافٍ؟ قِيلَ لَهُ: وَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمَّا وَصَفَهُمْ بِالتَّعَفُّفِ وَعَرَّفَ عِبَادَهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلَ مَسْأَلَةٍ بِحَالٍ بِقَوْلِهِ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُعْرَفُونَ بِالسِّيمَا، زَادَ عِبَادَهُ إِبَانَةً لِأَمْرِهِمْ، وَحُسْنِ ثَنَاءٍ عَلَيْهِمِ بِنَفْيِ الشَّرَهِ وَالضَّرَاعَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمُلِحِّينَ مِنَ السُّؤَالِ عَنْهُمْ، وَكَانَ بَعْضُ الْقَائِلِينَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ نَظِيرَ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَلَّمَا رَأَيْتُ مِثْلَ فُلَانٍ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرَ مِثْلَهُ أَحَدًا وَلَا نَظِيرًا..

﴿وَمَا تُنفِقُوا﴾ أيها الناس..

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال، فتصدَّقوا على أهلِ ذمَّتِكم تطوُّعًا منكم، أو تُعطُوه مَن أَمَر ربُّكم بإعطائِه مِن الفقراءِ الَّذين أُحصِروا في سبيلِ اللهِ مِمَّا فَرَضَهُ اللهُ لهُم في أَمْوالِكُم..

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ﴾ بكل ذلك..

﴿عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٣] يُحصيهِ لكم، ويَدَّخِرُ ثَوَابَه عندَه لكم، حتى يُوفِّيكم على جميع ذلك أجورَكم، ويُعظِمْ لكم عليهِ في المَعَادِ جَزاءَكم.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٤].

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من ينفقُ مالَه بالليلِ والنهارِ..

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ في السِّر والعلانيةِ، فيتصدَّقُ به ابتغاءَ اللهِ وطلبَ ثوابِهِ..

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فلهُ أجرُ صدقتِهِ مَذْخورًا، له عِنْدَ رَبِّهِ حتى يوفِّيهِ إيَّاه فِي مَعَادِهِ يَوْمَ بَعْثِهِ..

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ولا خوف عليه يومَ القيامةِ مِن عقابِه وَعذابِهِ، وَلَا فِي أَهْوَالِ قِيامَتِهِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٤] ولا يحزنون عندَ مَقْدَمِهِ عَلَيْهِ بِمُعَايَنَتِهِ مِنْ عَظِيمِ كَرَامَةِ اللهِ الَّتي أعدَّها له علىٰ مَا خلَّف ورَاءَه في الدُّنْيَا.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا﴾ الَّذِينَ يُرْبُونَ.. وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمُرْبِي مُرْبٍ لِتَضْعِيفِهِ الْمَالَ الَّذِي كَانَ لَهُ عَلَىٰ غَرِيمِهِ حالًا، أَوْ لِزِيَادَتِهِ عَلَيْهِ فِيهِ لِسَبَبِ الْأَجَلِ الَّذِي يُؤَخِّرُهُ إِلَيْهِ، فَيَزِيدُهُ إِلَىٰ أَجَلِهِ الَّذِي كَانَ لَهُ قَبْلَ حَلِّ دِينِهِ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: أَفَرَأَيْتَ مَنْ عَمِلَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنَ الرِّبَا فِي

تِجَارَتِهِ وَلَمْ يَأْكُلْهُ أَيَسْتَحِقُّ هَذَا الْوَعِيدَ مِنَ اللهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنَ الرِّبَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ النَّهيَ عَن أَكلِهِ خاصةً، دونَ النهيِ عن العملِ بِهِ، وَإِنَّمَا خصَّ اللهُ وصفَ العاملينَ بِهِ فِي هِذِهِ الآيَةِ بِالْأَكْلِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتُ يَوْمَ نَزَلَتْ كَانَتْ طُعْمَتُهُمْ وَمَأْكَلُهُمْ مِنَ الرِّبَا، فَذَكَرَهُمْ بِصِفَتِهِمْ مُعَظِّمًا بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ الرِّبَا، وَمُقَبِّحًا إِلَيْهِمُ الْحَالَ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا فِي مَطَاعِمِهِمْ، وَفِي قَوْلِهِ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨- ٢٧٩] الْآيَةَ مَا يُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ وَأَنَّ التَّحْرِيمَ مِنَ اللهِ فِي ذَلِكَ كَانَ لِكُلِّ مَعَانِي الرِّبَا، وَأَنَّ سَوَاءً الْعَمَلُ بِهِ وَأَكْلُهُ وَأَخْذُهُ وَإِعْطَاؤُهُ، كَالَّذِي تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ لِلَّذِينَ يُرْبُونَ الرِّبَا الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ فِي الدُّنْيَا، لَا يَقُومُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ..

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يَتَخَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ فَيَصْرَعُهُ..

﴿مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ مِنَ الْجُنُونِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ قِيَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ كَقِيَامِ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ مِنَ الْجُنُونِ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ يُصِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبْحِ حَالِهِمْ وَوَحْشَةِ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ وَسُوءِ مَا حَلَّ بِهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَكْذِبُونَ وَيَفْتَرُونَ وَيَقُولُونَ..

﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ﴾ الَّذِي أَحَلَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ..

﴿مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنَ الرِّبَا مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ إِذَا حَلَّ مَالُ أَحَدِهِمْ عَلَىٰ غَرِيمِهِ يَقُولُ الْغَرِيمُ لِغَرِيمِ الْحَقِّ: زِدْنِي فِي الْأَجَلِ وَأَزِيدُكَ فِي مَالِكَ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُمَا إِذَا فَعَلَا ذَلِكَ: هَذَا رِبًا لَا يَحِلُّ، فَإِذَا قِيلَ لَهُمَا ذَلِكَ، قَالَا: سَوَاءٌ عَلَيْنَا زِدْنَا فِي أَوَّلِ الْبَيْعِ أَوْ عِنْدَ مَحَلِّ الْمَالِ فَكَذَّبَهُمُ اللهُ فِي قِيلِهِمْ..

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ وَأَحَلَّ اللهُ الْأَرْبَاحَ فِي التِّجَارَةِ وَالشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ..

﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ يَعْنِي الزِّيَادَةَ الَّتِي يُزَادُ رَبُّ الْمَالِ بِسَبَبِ زِيَادَتِهِ غَرِيمَهُ فِي الْأَجَلِ، وَتَأْخِيرِهِ

دَيْنَهُ عَلَيْهِ، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَيْسَتِ الزِّيَادَتَانِ اللَّتَانِ إِحْدَاهُمَا مِنْ وَجْهِ الْبَيْعِ، وَالْأُخْرَىٰ مِنْ وَجْهِ تَأْخِيرِ الْمَالِ وَالزِّيَادَةُ فِي الْأَجَلِ سَوَاءً، وَذَلِكَ أَنِّي حَرَّمْتُ إِحْدَىٰ الزِّيَادَتَيْنِ، وَهِيَ الَّتِي مِنْ وَجْهِ تَأْخِيرُ الْمَالِ وَالزِّيَادَةُ فِي الْأَجَلِ، وَأَحْلَلْتُ الْأُخْرَىٰ مِنْهُمَا، وَهِيَ الَّتِي مِنْ وَجْهِ الزِّيَادَةُ عَلَىٰ رَأْسِ الْمَالِ الَّذِي ابْتَاعَ بِهِ الْبَائِعُ سِلْعَتَهُ الَّتِي يَبِيعُهَا فَيَسْتَفْضِلُ فَضْلَهَا، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَتِ الزِّيَادَةُ مِنْ وَجْهِ الْبَيْعِ نَظِيرَ الزِّيَادَةِ مِنْ وَجْهِ الرِّبَا؛ لِأَنِّي أَحْلَلْتُ الْبَيْعَ، وَحَرَّمْتُ الرِّبَا، وَالْأَمْرُ أَمْرِي وَالْخَلْقُ خَلْقِي، أَقْضِي فِيهِمْ مَا أَشَاءُ، وَأَسْتَعْبِدُهُمْ بِمَا أُرِيدُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَعْتَرِضَ فِي حُكْمِي، وَلَا أَنْ يُخَالِفَ فِي أَمْرِي، وَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ طَاعَتِي وَالتَّسْلِيمُ لِحُكْمِي..

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ مِنْ التَّذْكِيرِ وَالتَخْوِيف..

﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الَّذِي ذَكَّرَهُمْ وَخَوَّفَهُمْ بِهِ فِي آيِ الْقُرْآنِ، وَأَوْعَدَهُمْ عَلَىٰ أَكْلِهِمُ الرِّبَا مِنَ الْعِقَابِ، يَقُولُ جَلَّ ثناؤُهُ: فَمَنْ جاءَهُ ذَلِكَ..

﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا، وَارْتَدَعَ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ، وَانْزَجَرَ عَنْهُ..

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ يَعْنِي مَا أَكَلَ وَأَخَذَ فَمَضَىٰ قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّحْرِيمِ مِنْ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ..

﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾ وَأَمْرُ آكِلِهِ بَعْدَ مَجِيئِهِ الْمَوْعِظَةُ مِنْ رَبِّهِ وَالتَّحْرِيمُ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ آكِلِهِ عَنْ أَكْلِهِ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ فِي عِصْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ إِنْ شَاءَ عَصَمَهُ عَنْ أَكْلِهِ وَثَبَّتَهُ فِي انْتِهَائِهِ عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ خَذَلَهُ عَنْ ذَلِكَ..

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ لِأَكْلِ الرِّبَا بَعْدَ التَّحْرِيمِ، وَقَالَ مَا كَانَ يَقُولُهُ قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ مِنَ اللهِ بِالتَّحْرِيمِ مِنْ قَوْلِهِ ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَفَاعِلُو ذَلِكَ وَقَائِلُوهُ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٥﴾ [البقرة: ٢٧٥] هُمْ أَهْلُ نَارَ جَهَنَّمَ، فِيهَا خَالِدُونَ.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝٢٧٦﴾ [البقرة: ٢٧٦].

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يُنْقِصُ اللهُ الرِّبَا فَيُذْهِبُهُ.. وَهَذَا نَظِيرُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِلَىٰ قُلٍّ»..

﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وَيُضَاعِفُ أَجْرَهَا لِرَبِّهَا، وَيُنَمِّيهَا لَهُ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ إِرْبَاءُ اللهِ الصَّدَقَاتِ؟ قِيلَ: إِضْعَافُهُ الْأَجْرَ لِرَبِّهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، كَمَا قَالَ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وَ ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾»..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُصِرٍّ عَلَىٰ كُفْرٍ بِرَبِّهِ، مُقِيمٍ عَلَيْهِ، مُسْتَحِلٍّ أَكْلَ الرِّبَا وَإِطْعَامَهُ..

﴿أَثِيمٍ ۝٢٧٦﴾ [البقرة: ٢٧٦] مُتَمَادٍ فِي الْإِثْمِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا وَالْحَرَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِيهِ، لَا يَنْزَجِرُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا يَرْعَوِي عَنْهُ، وَلَا يَتَّعِظُ بِمَوْعِظَةِ رَبِّهِ الَّتِي وَعَظَهُ بِهَا فِي تَنْزِيلِهِ وَآيِ كِتَابِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَصَدَّقُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ الرِّبَا وَأَكْلِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ شَرَائِعِ دِينِهِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا، وَالَّتِي نَدَبَهُمْ إِلَيْهَا..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا، وَأَدَّوْهَا بِسُنَنِهَا..

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، بَعْدَ الَّذِي سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا، قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ فِيهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ يَعْنِي ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَصَدَقَتِهِمْ..

﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ يَوْمَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ..

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَوْمَئِذٍ مِنْ عِقَابِهِ عَلَىٰ مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ قَبْلَ مَجِيئِهِمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ أَكْلِ مَا كَانُوا أَكَلُوا مِنَ الرِّبَا بِمَا كَانَ مِنْ إِنَابَتِهِمْ، وَتَوْبَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ مَجِيئِهِمُ الْمَوْعِظَةُ مِنْ رَبِّهِمْ، وَتَصْدِيقِهِمْ بِوَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧] عَلَىٰ تَرْكِهِمْ مَا كَانُوا تَرَكُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَكْلِ الرِّبَا وَالْعَمَلِ بِهِ إِذَا عَايَنُوا جَزِيلَ ثَوَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهِمْ مَا تَرَكُوا مِنْ ذَلِكَ فِي

الدُّنْيَا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَوَصَلُوا إِلَىٰ مَا وُعِدُوا عَلَىٰ تَرْكِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨﴾ [البقرة: ٢٧٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خَافُوا اللهَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَاتَّقُوهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَذَرُواْ﴾ وَدَعُوا وَاتْرُكُوا طَلَبَ..

﴿مَا بَقِيَ﴾ لَكُمْ..

﴿مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ مِنْ فَضْلٍ عَلَىٰ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُرْبُوا عَلَيْهَا..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨﴾ [البقرة: ٢٧٨] إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ إِيمَانَكُمْ قَوْلًا، وَتَصْدِيقَكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ أَسْلَمُوا، وَلَهُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ أَمْوَالٌ مِنْ رِبًا كَانُوا أَرْبَوْهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانُوا قَدْ قَبَضُوا بَعْضَهُ مِنْهُمْ، وَبَقِيَ بَعْضٌ، فَعَفَا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ عَمَّا كَانُوا قَدْ قَبَضُوهُ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ اقْتِضَاءَ مَا بَقِيَ مِنْهُ.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٩].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ فَإِنْ لَمْ تَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا.

﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فَاعْلَمُوا ذَلِكَ وَاسْتَيْقِنُوهُ، وَكُونُوا عَلَىٰ إِذْنٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ بِذَلِكَ.. فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَنْبِذَ إِلَىٰ مَنْ أَقَامَ عَلَىٰ شِرْكِهِ الَّذِي لَا يُقَرُّ عَلَىٰ الْمُقَامِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَقْتُلَ الْمُرْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ بِكُلِّ حَالٍ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ الْإِسْلَامَ، آذَنَهُ الْمُشْرِكُونَ بِأَنَّهُمْ عَلَىٰ حَرْبِهِ أَوْ لَمْ يُؤْذِنُوهُ، فَإِذَا كَانَ الْمَأْمُورُ بِذَلِكَ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَانَ مُشْرِكًا مُقِيمًا عَلَىٰ شِرْكِهِ الَّذِي لَا يُقَرُّ عَلَيْهِ، أَوْ يَكُونَ كَانَ مُسْلِمًا فَارْتَدَّ عَنْ إِسْلَامِهِ فَأَذِنَ بِحَرْبٍ، فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ كَانَ، فَإِنَّمَا نُبِذَ إِلَيْهِ بِحَرْبٍ، لَا أَنَّهُ أُمِرَ بِالْإِيذَانِ بِهَا إِنْ عَزَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ إِنْ كَانَ إِلَيْهِ فَأَقَامَ عَلَىٰ أَكْلِ الرِّبَا مُسْتَحِلًّا لَهُ، وَلَمْ يُؤْذِنِ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَرْبِ، لَمْ يَلْزَمْهُمْ حَرْبُهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ حُكْمَهُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَالَتَيْنِ، فَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ الْمَأْذُونُ بِالْحَرْبِ لَا الْآذِنُ بِهَا.

﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ فَتَرَكْتُمْ أَكْلَ الرِّبَا، وَأَنَبْتُمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ..

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ مِنَ الدُّيُونِ الَّتِي لَكُمْ عَلَىٰ النَّاسِ دُونَ الزِّيَادَةِ الَّتِي أَحْدَثْتُمُوهَا

عَلَىٰ ذَلِكَ رِبًا مِنْكُمْ..

﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بِأَخْذِكُمْ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ قَبْلَ الْإِرْبَاءِ عَلَىٰ غُرَمَائِكُمْ مِنْهُمْ دُونَ أَرْبَاحِهَا الَّتِي زِدْتُمُوهَا رِبًا عَلَىٰ مَنْ أَخَذْتُمْ ذَلِكَ مِنْهُ مِنْ غُرَمَائِكُمْ، فَتَأْخُذُوا مِنْهُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ أَخْذُهُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قَبْلُ..

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٩] وَلَا الْغَرِيمُ الَّذِي يُعْطِيكُمْ ذَلِكَ دُونَ الرِّبَا الَّذِي كُنْتُمْ أَلْزَمْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِ الزِّيَادَةِ فِي الْأَجَلِ يَبْخَسُكُمْ حَقًّا لَكُمْ عَلَيْهِ فَيَمْنَعُكُمُوهُ؛ لِأَنَّ مَا زَادَ عَلَىٰ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ، لَمْ يَكُنْ حَقًّا لَكُمْ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ بِمَنْعِهِ إِيَّاكُمْ ذَلِكَ ظَالِمًا لَكُمْ.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: ٢٨٠].

﴿وَإِن كَانَ﴾ مِمَّنْ تَقْبِضُونَ مِنْهُ مِنْ غُرَمَائِكُمْ رُءُوسَ أَمْوَالِكُمْ..

﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ مُعْسِرًا بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْإِرْبَاءِ..

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُنْظِرُوهُ حَتَّىٰ يُوسِرَ بِمَا لَكُمْ، فَيَصِيرُ مِنْ أَهْلِ الْيُسْرِ بِهِ.. غَيْرَ أَنَّ الْآيَةَ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِيمَنْ ذَكَرْنَا وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ بِهَا، فَإِنَّ الْحُكْمَ الَّذِي حَكَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِنْظَارِهِ الْمُعْسِرَ بِرَأْسِ مَالِ الْمُرْبِي بَعْدَ بُطُولِ الرِّبَا عَنْهُ حُكْمٌ وَاجِبٌ لِكُلِّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ لِرَجُلٍ قَدْ حَلَّ عَلَيْهِ وَهُوَ بِقَضَائِهِ مُعْسِرٌ فِي أَنَّهُ مُنْظَرٌ إِلَىٰ مَيْسَرَتِهِ..

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ وَأَنْ تَتَصَدَّقُوا بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ عَلَىٰ هَذَا الْمُعْسِرِ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ أَنْ تُنْظِرُوهُ إِلَىٰ مَيْسَرَتِهِ لِتَقْبِضُوا رُءُوسَ أَمْوَالِكُمْ مِنْهُ إِذَا أَيْسَرَ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: ٢٨٠] مَوْضِعَ الْفَضْلِ فِي الصَّدَقَةِ، وَمَا أَوْجَبَ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ لِمَنْ وَضَعَ عَنْ غَرِيمِهِ الْمُعْسِرِ دَيْنَهُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي أَحْكَامِ الرِّبَا هُنَّ آخِرُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

﴿وَاتَّقُوا﴾ وَاحْذَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فَتَلْقَوْنَهُ فِيهِ، أَنْ تَرِدُوا عَلَيْهِ بِسَيِّئَاتٍ تُهْلِكُكُمْ، أَوْ بِمُخْزِيَاتٍ

تُخْزِيكُمْ، أَوْ بِفَضِيحَاتٍ تَفْضَحُكُمْ، فَتَهْتِكَ أَسْتَارَكُمْ، أَوْ بِمُوبِقَاتٍ تُوبِقُكُمْ، فَتُوجِبُ لَكُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، وَإِنَّهُ يَوْمُ مُجَازَاةِ الْأَعْمَالِ لَا يَوْمَ اسْتِعْتَابٍ، وَلَا يَوْمَ اسْتِقَالَةٍ وَتَوْبَةٍ وَإِنَابَةٍ، وَلَكِنَّهُ يَوْمُ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ وَمُحَاسَبَةٍ..

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ تُوَفَّىٰ فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ أَجْرَهَا عَلَىٰ مَا قَدَّمَتْ وَاكْتَسَبَتْ مِنْ سَيِّئٍ وَصَالِحٍ، لَا يُغَادَرُ فِيهِ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ إِلَّا أُحْضِرَتْ، فَوُفِّيَتْ جَزَاءَهَا بِالْعَدْلِ مِنْ رَبِّهَا..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١] وَكَيْفَ يُظْلَمُ مِنْ جُوزِيَ بِالْإِسَاءَةِ مِثْلَهَا، وَبِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، كَلَّا، بَلْ عَدَلَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسِيءُ، وَتَكَرَّمَ عَلَيْكَ، فَأَفْضَلَ وَأَسْبَغَ أَيُّهَا الْمُحْسِنُ، فَاتَّقَىٰ امْرُؤٌ رَبَّهُ، فَأَخَذَ مِنْهُ حِذْرَهُ وَرَاقَبَهُ أَنْ يَهْجِمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ، وَهُوَ مِنَ الْأَوْزَارِ ظَهْرُهُ ثَقِيلٌ، وَمِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ خَفِيفٌ، فَإِنَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَذَّرَ فَأَعْذَرَ، وَوَعَظَ فَأَبْلَغَ.. وَقِيلَ: هَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾ إِذَا تَبَايَعْتُمْ..

﴿بِدَيْنٍ﴾ أَوِ اشْتَرَيْتُمْ بِهِ، أَوْ تَعَاطَيْتُمْ، أَوْ أَخَذْتُمْ بِهِ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إِلَىٰ وَقْتٍ مَعْلُومٍ وَقَّتُّمُوهُ بَيْنَكُمْ.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْقَرْضُ وَالسَّلَمُ فِي كُلِّ مَا جَازَ السَّلَمُ فِيهِ؛ لِأَنَّ السَّلَمَ شِرَاءٌ أُجِّلَ بِنَقْدٍ يَصِيرُ دَيْنًا عَلَىٰ بَائِعِ مَا أَسْلَمَ إِلَيْهِ فِيهِ، وَيَحْتَمِلُ

بَيْعَ الْحَاضِرِ الْجَائِزِ بَيْعُهُ مِنَ الْأَمْلَاكِ بِالْأَثْمَانِ الْمُؤَجَّلَةِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الدُّيُونِ الْمُؤَجَّلَةِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ، إِذَا كَانَتْ آجَالُهَا مَعْلُومَةً بِحَدٍّ مَوْقُوفٍ عَلَيْهِ..

﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ فَاكْتُبُوا الدَّيْنَ الَّذِي تَدَايَنْتُمُوهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً مِنْ بَيْعٍ كَانَ ذَلِكَ أَوْ قَرْضٍ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي اكْتِتَابِ الْكِتَابِ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ هُوَ عَلَيْهِ، هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَوْ هُوَ نَدْبٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ حَقٌّ وَاجِبٌ، وَفَرْضٌ لَازِمٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ اكْتِتَابُ الْكِتَابِ بِالدَّيْنِ فَرْضًا، فَنَسَخَهُ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾..

﴿وَلۡيَكۡتُب﴾ كِتَابَ الدَّيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً..

﴿بَّيۡنَكُمۡ﴾ بَيْنَ الدَّائِنِ وَالْمَدِينِ..

﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَكْتُبُهُ بَيْنَهُمَا، بِمَا لَا يَحِيفُ ذَا الْحَقِّ حَقَّهُ، وَلَا يَبْخَسُهُ، وَلَا يُوجِبُ لَهُ حُجَّةً عَلَىٰ مَنْ عَلَيْهِ دَيْنُهُ فِيهِ بِبَاطِلٍ، وَلَا يُلْزِمُهُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ..

﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ﴾ وَلَا يَأْبَيَنَّ كَاتِبٌ اسْتُكْتِبَ ذَلِكَ..

﴿أَن يَكۡتُبَ﴾ بَيْنَهُمْ كِتَابَ الدَّيْنِ..

﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾ كِتَابَتَهُ فَخَصَّهُ بِعِلْمِ ذَلِكَ، وَحَرَمَهُ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي وُجُوبِ الْكِتَابِ عَلَىٰ الْكَاتِبِ إِذَا اسْتُكْتِبَ ذَلِكَ نَظِيرَ اخْتِلَافِهِمْ فِي وُجُوبِ الْكِتَابِ عَلَىٰ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ..

﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ الْكَاتِبُ..

﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ وَهُوَ الْغَرِيمُ الْمَدِينُ، يَقُولُ: لِيَتَوَلَّ الْمَدِينُ إِمْلَالَ كِتَابِ مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنِ رَبِّ الْمَالِ عَلَىٰ الْكَاتِبِ..

﴿وَلۡيَتَّقِ﴾ الْمُمْلِي الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ..

﴿ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ وَلْيَحْذَرْ عِقَابَهُ فِي بَخْسِ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ مِنْ حَقِّهِ شَيْئًا..

﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ أَنْ يُنْقِصَهُ مِنْهُ ظُلْمًا، أَوْ يَذْهَبَ بِهِ مِنْهُ تَعَدِّيًا، فَيُؤْخَذَ بِهِ حَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ قَضَائِهِ إِلَّا مِنْ حَسَنَاتِهِ، أَوْ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ..

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ فَإِنْ كَانَ الْمَدِينُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ..

﴿سَفِيهًا﴾ وَهُوَ ذُو الْقُوَّةِ عَلَىٰ الْإِمْلَالِ، غَيْرَ أَنَّهُ وُضِعَ عَنْهُ فَرْضُ الْإِمْلَالِ بِجَهْلِهِ بِمَوْضِعِ

صَوَابِ ذَلِكَ مِنْ خَطَئِهِ، مِنْ بالِغِي الرِّجَالِ الَّذِينَ لَا يُوَلَّىٰ عَلَيْهِمْ، وَالنِّسَاءِ..

﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ هُوَ الْعَاجِزُ عَنْ إِمْلَالِهِ، وَإِنْ كَانَ شَدِيدًا رَشِيدًا؛ إِمَّا لِعِيٍّ لِسَانِهِ أَوْ خَرَسٍ بِهِ...

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ إِمَّا بِالْحَبْسِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ مَعَهُ عَلَىٰ حُضُورِ الْكَاتِبِ الَّذِي يَكْتُبُ الْكِتَابَ فَيُمِلُّ عَلَيْهِ، وَإِمَّا لِغَيْبَتِهِ عَنْ مَوْضِعِ الْإِمْلَالِ فَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ مِنْ أَجْلِ غَيْبَتِهِ عَنْ إِمْلَالِ الْكِتَابِ.. فَوَضَعَ اللهُ عَنْهُمْ فَرْضَ إِمْلَالِ ذَلِكَ لِلْعِلَلِ الَّتِي وَصَفْنَا إِذَا كَانَتْ بِهِمْ، وَعَذَرَهُمْ بِتَرْكِ الْإِمْلَالِ مِنْ أَجْلِهَا، وَأَمَرَ عِنْدَ سُقُوطِ فَرْضِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلِيَّ الْحَقِّ بِإِمْلَالِهِ فَقَالَ..

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ يَعْنِي: وَلِيَّ الْحَقِّ..

﴿بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ عَلَىٰ حُقُوقِكُمْ..

﴿شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ﴾ مِنْ أَحْرَارِكُمُ الْمُسْلِمِينَ دُونَ عَبِيدِكُمْ، وَدُونَ أَحْرَارِكُمُ الْكُفَّارِ..

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ مِنَ الْعُدُولِ الْمُرْتَضَىٰ دِينُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ..

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ﴾ كَيْ تُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ إِنْ ضَلَّتْ..

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ۚ﴾ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ مِنَ الْإِجَابَةِ إِذَا دُعُوا لِإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ أَوْ حَاكِمٍ يَأْخُذُ مِنَ الَّذِي عَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ لِلَّذِي هُوَ لَهُ..

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟﴾ أَيُّهَا الَّذِينَ تُدَايِنُونَ النَّاسَ إِلَىٰ أَجَلٍ..

﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا﴾ قَلِيلًا..

﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ أَوْ كَثِيرًا..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾ إِلَىٰ أَجَلِ الْحَقِّ، فَإِنَّ الْكِتَابَ أَحْصَىٰ لِلْأَجَلِ وَالْمَالِ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ اكْتِتَابُ كِتَابِ الدَّيْنِ إِلَىٰ أَجَلِهِ..

﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَعْدَلُ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ وَأَصْوَبُ لِلشَّهَادَةِ.. وَإِنَّمَا كَانَ الْكِتَابُ أَعْدَلَ عِنْدَ اللهِ وَأَصْوَبَ لِشَهَادَةِ الشُّهُودِ عَلَىٰ مَا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يَحْوِي الْأَلْفَاظَ الَّتِي أَقَرَّ بِهَا الْبَائِعُ وَالْمُشْتَرِي وَرَبُّ الدَّيْنِ وَالْمُسْتَدِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَلَا يَقَعُ بَيْنَ الشُّهُودِ اخْتِلَافٌ فِي أَلْفَاظِهِمْ بِشَهَادَتِهِمْ لِاجْتِمَاعِ شَهَادَتِهِمْ عَلَىٰ مَا حَوَاهُ الْكِتَابُ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ شَهَادَتُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، كَانَ فَصْلُ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ أَبْيَنَ لِمَنِ احْتَكَمَ إِلَيْهِ مِنَ الْحُكَّامِ، مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهُوَ أَعْدَلُ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِهِ، وَاتِّبَاعُ أَمْرِ اللهِ لَا شَكَّ

أَنَّهُ عِنْدَ اللهِ أَقْسَطُ وَأَعْدَلُ مِنْ تَرْكِهِ وَالِانْحِرَافِ عَنْهُ..

﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾ وَأَقْرَبُ..

﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ مِنْ أَنْ لَا تَشُكُّوا فِي الشَّهَادَةِ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَا تَمَلُّوا أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْ تَكْتُبُوا الْحَقَّ الَّذِي لَكُمْ قِبَلَ مَنْ دَايَنْتُمُوهُ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ أَجَلٍ صَغِيرًا كَانَ ذَلِكَ الْحَقُّ، قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، فَإِنَّ كِتَابَكُمْ ذَلِكَ أَعْدَلُ عِنْدَ اللهِ وَأَصْوَبُ لِشَهَادَةِ شُهُودِكُمْ عَلَيْهِ، وَأَقْرَبُ لَكُمْ أَنْ لَا تَشُكُّوا فِيمَا شَهِدَ بِهِ شُهُودُكُمْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالْأَجَلِ إِذَا كَانَ مَكْتُوبًا..

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ اسْتَثْنَىٰ -جَلَّ ذِكْرُهُ- مِمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ أَنْ يَسْأَمُوهُ مِنَ اكْتِتَابِ كُتُبِ حُقُوقِهِمْ عَلَىٰ غُرَمَائِهِمْ بِالْحُقُوقِ الَّتِي لَهُمْ عَلَيْهِمْ، مَا وَجَبَ لَهُمْ قِبَلَهُمْ مِنْ حَقٍّ عَنْ مُبَايَعَةٍ بِالنُّقُودِ الْحَاضِرَةِ يَدًا بِيَدٍ، فَرَخَّصَ لَهُمْ فِي تَرْكِ اكْتِتَابِ الْكُتُبِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ -أَعْنِي: مِنَ الْبَاعَةِ وَالْمُشْتَرِينَ- يَقْبِضُ إِذَا كَانَ الْوَاجِبُ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَتَبَايَعُونَهُ نَقْدًا مَا وَجَبَ لَهُ قِبَلَ مُبَايِعِيهِ قَبْلَ الْمُفَارَقَةِ، فَلَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ اكْتِتَابِ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ الْفَرِيقِ الْآخَرِ كِتَابًا بِمَا وَجَبَ لَهُمْ قِبَلَهُمْ وَقَدْ تَقَابَضُوا الْوَاجِبَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَكْتُبُوهَا، يَعْنِي: التِّجَارَةَ الْحَاضِرَةَ..

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وَأَشْهِدُوا عَلَىٰ صَغِيرِ مَا تَبَايَعْتُمْ، وَكَبِيرِهِ مِنْ حُقُوقِكُمْ، عَاجِلِ ذَلِكَ وَآجِلِهِ، وَنَقْدِهِ وَنَسَائِهِ، فَإِنَّ إِرْخَاصِي لَكُمْ فِي تَرْكِ اكْتِتَابِ الْكُتُبِ بَيْنَكُمْ فِيمَا كَانَ مِنْ حُقُوقٍ تَجْرِي بَيْنَكُمْ لِبَعْضِكُمْ مِنْ قِبَلِ بَعْضٍ عَنْ تِجَارَةٍ حَاضِرَةٍ دَائِرَةٍ بَيْنَكُمْ يَدًا بِيَدٍ وَنَقْدًا لَيْسَ بِإِرْخَاصٍ مِنِّي لَكُمْ فِي تَرْكِ الْإِشْهَادِ مِنْكُمْ عَلَىٰ مَنْ بِعْتُمُوهُ شَيْئًا أَوِ ابْتَعْتُمْ مِنْهُ؛ لِأَنَّ فِي تَرْكِكُمُ الْإِشْهَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ خَوْفَ الْمَضَرَّةِ عَلَىٰ كُلٍّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، أَمَّا عَلَىٰ الْمُشْتَرِي: فَأَنْ يَجْحَدَ الْبَائِعُ الْمَبِيعَ، وَلَهُ بَيِّنَةٌ عَلَىٰ مِلْكِهِ مَا قَدْ بَاعَ، وَلَا بَيِّنَةَ لِلْمُشْتَرِي مِنْهُ عَلَىٰ الشِّرَاءِ مِنْهُ، فَيَكُونُ الْقَوْلُ حِينَئِذٍ قَوْلَ الْبَائِعِ مَعَ يَمِينِهِ وَيُقْضَىٰ لَهُ بِهِ، فَيَذْهَبُ مَالُ الْمُشْتَرِي بَاطِلًا، وَأَمَّا عَلَىٰ الْبَائِعِ فَأَنْ يَجْحَدَ الْمُشْتَرِي الشِّرَاءَ، وَقَدْ زَالَ مِلْكُ الْبَائِعِ عَمَّا بَاعَ، وَوَجَبَ لَهُ قِبَلَ الْمُبْتَاعِ ثَمَنُ مَا بَاعَ، فَيَحْلِفُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَيَبْطُلُ حَقُّ الْبَائِعِ قِبَلَ الْمُشْتَرِي مِنْ ثَمَنِ مَا بَاعَهُ، فَأَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْفَرِيقَيْنِ بِالْإِشْهَادِ، لِئَلَّا يَضِيعَ حَقُّ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ قِبَلَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ.. وَالْإِشْهَادَ عَلَىٰ كُلِّ مَبِيعٍ وَمُشْتَرِي حَقٌّ وَاجِبٌ وَفَرْضٌ لَازِمٌ، لِمَا قَدْ بَيَّنَّا مِنْ أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ لِلَّهِ فَرْضٌ، إِلَّا مَا قَامَتْ حُجَّتُهُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِأَنَّهُ نَدْبٌ وَإِرْشَادٌ..

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ﴾ وَلَا يُضَارَّ مَنِ اسْتَكْتَبَ أَنْ يَأْبَىٰ عَلَى الكَاتِبِ إِلَّا أَنْ يَكْتُبَ لَهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِأَمْرِ نَفْسِهِ..

﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾ وَلَا يُضَارَّ مَنِ اسْتَشْهَدَ أَنْ يَأْبَىٰ عَلَى الشَاهِدِ إِلَّا أَنْ يُجِيبَ إِلَىٰ الشَّهَادَةِ وَهُوَ غَيْرُ فَارِغٍ..

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ وَإِنْ تُضَارُّوا الْكَاتِبَ أَوِ الشَّاهِدَ وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ﴾ إِثْمٌ بِكُمْ وَمَعْصِيَةٌ..

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَۖ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُتَدَايِنُونَ فِي الْكِتَابِ وَالشُّهُودِ أَنْ تُضَارُّوهُمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِ اللهِ أَنْ تُضَيِّعُوهُ..

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُۗ﴾ وَيُبَيِّنُ لَكُمُ الْوَاجِبَ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ، فَاعْمَلُوا بِهِ..

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢] بِأَعْمَالِكُمْ وَغَيْرِهَا، يُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ لِيُجَازِيَكُمْ بِهَا.

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقْبُوضَةٞۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضٗا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكْتُمُواْ الشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلْبُهُۥۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبٗا﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُتَدَايِنُونَ فِي سَفَرٍ بِحَيْثُ لَا تَجِدُونَ كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ إِلَىٰ اكْتِتَابِ كِتَابِ الدَّيْنِ الَّذِي تَدَايَنْتُمُوهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ بَيْنَكُمُ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِاكْتِتَابِهِ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ..

﴿فَرِهَٰنٞ مَّقْبُوضَةٞۖ﴾ فَارْتَهِنُوا بِدُيُونِكُمُ الَّتِي تَدَايَنْتُمُوهَا إِلَىٰ الْأَجَلِ الْمُسَمَّىٰ رُهُونًا تَقْبِضُونَهَا مِمَّنْ تُدَايِنُونَهُ كَذَلِكَ لِيَكُونَ ثِقَةً لَكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ..

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضٗا﴾ فَإِنْ كَانَ الْمَدِينُ أَمِينًا عِنْدَ رَبِّ الْمَالِ وَالدَّيْنِ فَلَمْ يَرْتَهِنْ مِنْهُ فِي سَفَرِهِ رَهْنًا بِدَيْنِهِ لِأَمَانَتِهِ عِنْدَهُ عَلَىٰ مَالِهِ وَثِقَتِهِ..

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ وَلْيُؤَدِّ دَيْنَهُ الَّذِي ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ إِلَيْهِ..

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ فَلْيَتَّقِ اللهَ الْمَدِينُ رَبَّهُ، يَقُولُ: فَلْيَخَفِ اللهَ رَبَّهُ فِي الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ دَيْنِ صَاحِبِهِ أَنْ يَجْحَدَهُ، أَوْ يُلِطَّ دُونَهُ، أَوْ يُحَاوِلَ الذَّهَابَ بِهِ، فَيَتَعَرَّضَ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ..

﴿وَلَا تَكْتُمُواْ الشَّهَٰدَةَۚ﴾ هَذَا خِطَابٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلشُّهُودِ الَّذِينَ أَمَرَ الْمُسْتَدِينَ وَرَبَّ الْمَالِ

بِإِشْهَادِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا، وَلَا تَكْتُمُوا أَيُّهَا الشُّهُودُ بَعْدَ مَا شَهِدْتُمْ شَهَادَتَكُمْ عِنْدَ الْحُكَّامِ، كَمَا شَهِدْتُمْ عَلَىٰ مَا شَهِدْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ أَجِيبُوا مَنْ شَهِدْتُمْ لَهُ إِذَا دَعَاكُمْ لِإِقَامَةِ شَهَادَتِكُمْ عَلَىٰ خَصْمِهِ عَلَىٰ حَقِّهِ عِنْدَ الْحَاكِمِ الَّذِي يَأْخُذُ لَهُ بِحَقِّهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ الشَّاهِدَ مَا عَلَيْهِ فِي كِتْمَانِ شَهَادَتِهِ وَإِبَائِهِ مِنْ أَدَائِهَا وَالْقِيَامِ بِهَا عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَشْهِدِ إِلَىٰ قِيَامِهِ بِهَا عِنْدَ حَاكِمٍ، أَوْ ذِي سُلْطَانٍ، فَقَالَ..

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ وَمَنْ يَكْتُمْ شَهَادَتَهُ..

﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ فَاجِرٌ قَلْبُهُ، مُكْتَسِبٍ بِكِتْمَانِهِ إِيَّاهَا مَعْصِيَةَ اللهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فِي شَهَادَتِكُمْ مِنْ إِقَامَتِهَا وَالْقِيَامِ بِهَا أَوْ كِتْمَانِكُمْ إِيَّاهَا عِنْدَ حَاجَةِ مَنِ اسْتَشْهَدَكُمْ إِلَيْهَا، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَرَائِرِ أَعْمَالِكُمْ وَعَلَانِيَتِهَا..

﴿عَلِيمٌ ٢٨٣﴾ [البقرة: ٢٨٣] يُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ لِيَجْزِيَكُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ جَزَاءَكُمْ، إِمَّا خَيْرًا، وَإِمَّا شَرًّا عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِكُمْ.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤].

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ لِلَّهِ مُلْكُ كُلِّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَإِلَيْهِ تَدْبِيرُ جَمِيعِهِ، وَبِيَدِهِ صَرْفُهُ وَتَقْلِيبُهُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ مُدَبِّرُهُ وَمَالِكُهُ وَمُصَرِّفُهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كِتْمَانَ الشُّهُودِ الشَّهَادَةَ، يَقُولُ: لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ أَيُّهَا الشُّهُودُ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا يَفْجُرْ قَلْبُهُ، وَلَنْ يَخْفَىٰ عَلَيَّ كِتْمَانُهُ، وَذَلِكَ لِأَنِّي بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَبِيَدِي صَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكُهُ أَعْلَمُهُ خَفِيَّ ذَلِكَ وَجَلِيَّهُ، فَاتَّقُوا عِقَابِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ كِتْمَانِكُمُ الشَّهَادَةَ، وَعِيدًا مِنَ اللهِ بِذَلِكَ مَنْ كَتَمَهَا وَتَخْوِيفًا مِنْهُ لَهُ بِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ وَبِمَنْ كَانَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ مِمَّنِ انْطَوَىٰ كَشْحًا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ فَأَضْمَرَهَا، أَوْ أَظْهَرَ مُوبِقَةً فَأَبْدَاهَا مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ عَلَيْهَا، فَقَالَ..

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وَإِنْ تُظْهِرُوا فِيمَا عِنْدَكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَىٰ حَقِّ رَبِّ الْمَالِ الْجُحُودَ وَالْإِنْكَارَ..

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أَوْ تُخْفُوا ذَلِكَ فَتُضْمِرُوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَيِّءِ أَعْمَالِكُمْ..

﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ فَيُعَرِّفُ مُؤْمِنَكُمْ تَفَضُّلَهُ بِعَفْوِهِ عَنْهُ، وَمَغْفِرَتَهُ لَهُ، فَيَغْفِرُهُ لَهُ، وَيُعَذِّبُ

مُنَافِقِكُمْ عَلَىٰ الشَّكِّ الَّذِي انْطَوَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي وَحْدَانِيَّةِ خَالِقِهِ وَنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ.. فَمُحَاسَبَةُ اللهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا هُوَ مُحَاسِبُهُمْ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَخْفَتْهَا أَنْفُسُهُمْ غَيْرُ مُوجِبَةٍ لَهُمْ مِنْهُ عُقُوبَةً، بَلْ مُحَاسَبَتُهُ إِيَّاهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَيْهَا لِيُعَرِّفَهُمْ تَفَضُّلَهُ عَلَيْهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا، كَمَا بَلَغَنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُدْنِي اللهُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِسَيِّئَاتِهِ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا الْيَوْمَ، ثُمَّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ، فَيَقُولُ: هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ أَوْ كَمَا قَالَ: وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَإِنَّهُ يُنَادِي بِهِ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ».. فَهَذَا الَّذِي وَصَفْنَا هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ اللهُ بِهِ مُؤْمِنِي عِبَادِهِ ثُمَّ لَا يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مَا أَخْفَتْهُ نَفْسُهُ شَكًّا فِي اللهِ وَارْتِيَابًا فِي نُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْهَالِكُ الْمُخَلَّدُ فِي النَّارِ، الَّذِي أَوْعَدَهُ جَلَّ ثنَاؤُهُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾..

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤] وَاللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ الْعَفْوِ عَمَّا أَخْفَتْهُ نَفْسُ هَذَا الْمُؤْمِنِ مِنَ الْهَمَّةِ بِالْخَطِيئَةِ، وَعَلَىٰ عِقَابِ هَذَا الْكَافِرِ عَلَىٰ مَا أَخْفَتْهُ نَفْسُهُ مِنَ الشَّكِّ فِي تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَمُجَازَاةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ كُلِّ مَا كَانَ مِنْهُ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ قَادِرٌ.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ صَدَّقَ الرَّسُولُ، يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقَرَّ..

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي حَوَاهَا..

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَجَمِيعِ كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ..

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، يَقُولُونَ: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ الْكُلُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿سَمِعْنَا﴾ قَوْلَ رَبِّنَا، وَأَمْرَهُ إِيَّانَا بِمَا أَمَرَنَا بِهِ، وَنَهْيَهُ عَمَّا نَهَانَا عَنْهُ..

﴿وَأَطَعْنَا﴾ رَبَّنَا فِيمَا أَلْزَمَنَا مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاسْتَعْبَدَنَا بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَسَلَّمْنَا لَهُ..

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ وَقَالُوا: غُفْرَانَكَ رَبَّنَا، بِمَعْنَىٰ: اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ الْغُفْرَانَ وَالْمَغْفِرَةَ: السَّتْرُ مِنَ اللهِ عَلَىٰ ذُنُوبِ مَنْ غَفَرَ لَهُ، وَصَفْحُهُ لَهُ عَنْ هَتْكِ سِتْرِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَعَفْوُهُ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ..

﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥] وَإِلَيْكَ يَا رَبَّنَا مَرْجِعُنَا وَمَعَادُنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فَيَتَعَبَّدُهَا إِلَّا بِمَا يَسَعُهَا، فَلَا يُجْهِدُهَا، وَلَا يُضَيِّقُ عَلَيْهَا، فِي أَمْرِ دِينِهَا، فَيُؤَاخِذُهَا بِهِمَّةٍ إِنْ هَمَّتْ، وَلَا بِوَسْوَسَةٍ إِنْ عَرَضَتْ لَهَا، وَلَا بِخَطْرَةٍ إِنْ خَطَرَتْ بِقَلْبِهَا..

﴿لَهَا﴾ لِلنَّفْسِ الَّتِي أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّفُهَا إِلَّا وُسْعَهَا..

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ وَعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ..

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وَعَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ شَرٍّ..

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ دُعَاءَهُ كَيْفَ يَدْعُونَهُ، وَمَا يَقُولُونَ فِي دُعَائِهِمْ إِيَّاهُ، وَمَعْنَاهُ: قُولُوا: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا شَيْئًا فَرَضْتَ عَلَيْنَا عَمَلَهُ فَلَمْ نَعْمَلْهُ، أَوْ أَخْطَأْنَا فِي فِعْلِ شَيْءٍ نَهَيْتَنَا عَنْ فِعْلِهِ فَفَعَلْنَاهُ، عَلَىٰ غَيْرِ قَصْدٍ مِنَّا إِلَىٰ مَعْصِيَتِكَ، وَلَكِنْ عَلَىٰ جَهَالَةٍ مِنَّا بِهِ وَخَطَأٍ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُؤَاخِذَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِبَادَهُ بِمَا نَسُوا أَوْ أَخْطَئُوا فَيَسْأَلُوهُ أَنْ لَا يُؤَاخِذَهُمْ بِذَلِكَ؟ قِيلَ: إِنَّ النِّسْيَانَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: **أَحَدُهُمَا**: عَلَىٰ وَجْهِ التَّضْيِيعِ مِنَ الْعَبْدِ وَالتَّفْرِيطِ، **وَالْآخَرُ**: عَلَىٰ وَجْهِ عَجْزِ النَّاسِي عَنْ حِفْظِ مَا اسْتُحْفِظَ، وَوُكِّلَ بِهِ وَضَعُفَ عَقْلُهُ عَنِ احْتِمَالِهِ، فَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّضْيِيعِ مِنْهُ وَالتَّفْرِيطِ، فَهُوَ تَرْكٌ مِنْهُ لِمَا أُمِرَ بِفِعْلِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرْغَبُ الْعَبْدُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي تَرْكِهِ مُؤَاخَذَتَهُ بِهِ، وَهُوَ النِّسْيَانُ الَّذِي عَاقَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ

لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]، وَهُوَ النِّسْيَانُ الَّذِي قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، فَرَغْبَةُ الْعَبْدِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ فِيمَا كَانَ مِنْ نِسْيَانٍ مِنْهُ لِمَا أُمِرَ بِفِعْلِهِ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي وَصَفْنَا، مَا لَمْ يَكُنْ تَرْكُهُ مَا تَرَكَ مِنْ ذَلِكَ تَفْرِيطًا مِنْهُ فِيهِ وَتَضْيِيعًا، كُفْرًا بِاللهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كُفْرًا بِاللهِ فَإِنَّ الرَّغْبَةَ إِلَىٰ اللهِ فِي تَرْكِهِ الْمُؤَاخَذَةَ بِهِ غَيْرُ جَائِزَةٍ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لَهُمُ الشِّرْكَ بِهِ، فَمَسْأَلَتُهُ فَعَلَ مَا قَدْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ خَطَأٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَسْأَلَتُهُ الْمَغْفِرَةَ فِيمَا كَانَ مِنْ مِثْلِ نِسْيَانِهِ الْقُرْآنَ بَعْدَ حِفْظِهِ بِتَشَاغُلِهِ عَنْهُ، وَعَنْ قِرَاءَتِهِ، وَمَثَلِ نِسْيَانِهِ صَلَاةً أَوْ صِيَامًا، بِاشْتِغَالِهِ عَنْهُمَا بِغَيْرِهِمَا حَتَّىٰ ضَيَّعَهُمَا، وَأَمَّا الَّذِي الْعَبْدُ بِهِ غَيْرُ مُؤَاخَذٍ لَعَجْزِ بِنْيَتِهِ عَنْ حِفْظِهِ، وَقِلَّةِ احْتِمَالِ عَقْلِهِ مَا وُكِّلَ بِمُرَاعَاتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعَبْدِ غَيْرُ مَعْصِيَةٍ، وَهُوَ بِهِ غَيْرُ آثِمٍ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا وَجْهَ لِمَسْأَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ مَسْأَلَةٌ مِنْهُ لَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِذَنْبٍ، وَذَلِكَ مِثْلُ الْأَمْرِ يَغْلِبُ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَىٰ تَذَكُّرِهِ وَحِفْظِهِ، كَالرَّجُلِ يَحْرُصُ عَلَىٰ حِفْظِ الْقُرْآنِ بِجِدٍّ مِنْهُ، فَيَقْرَؤُهُ، ثُمَّ يَنْسَاهُ بِغَيْرِ تَشَاغُلٍ مِنْهُ بِغَيْرِهِ عَنْهُ، وَلَكِنْ بِعَجْزِ بِنْيَتِهِ عَنْ حِفْظِهِ وَقِلَّةِ احْتِمَالِ عَقْلِهِ ذِكْرَ مَا أُودِعَ قَلْبَهُ مِنْهُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ النِّسْيَانِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ مَسْأَلَةُ الرَّبِّ مَغْفِرَتَهُ، لِأَنَّهُ لَا ذَنْبَ لِلْعَبْدِ فِيهِ، فَيَغْفِرُ لَهُ بِاكْتِسَابِهِ.. وَكَذَلِكَ لِلْخَطَأِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا مِنْ وَجْهِ مَا نُهِيَ عَنْهُ الْعَبْدُ فَيَأْتِيهِ بِقَصْدٍ مِنْهُ وَإِرَادَةٍ، فَذَلِكَ خَطَأٌ مِنْهُ وَهُوَ بِهِ مَأْخُوذٌ، وَهَذَا الْوَجْهُ الَّذِي يَرْغَبُ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي صَفْحِ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ إِثْمٍ عَنْهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ كُفْرًا، وَالْآخَرُ مِنْهُمَا مَا كَانَ عَنْهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْجَهْلِ بِهِ وَالظَّنِّ مِنْهُ بِأَنَّ لَهُ فِعْلَهُ كَالَّذِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلًا وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّ الْفَجْرَ لَمْ يَطْلُعْ، أَوْ يُؤَخِّرُ صَلَاةً فِي يَوْمِ غَيْمٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ بِتَأْخِيرِهِ إِيَّاهَا دُخُولَ وَقْتِهَا فَيَخْرُجُ وَقْتُهَا وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّ وَقْتَهَا لَمْ يَدْخُلْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْخَطَأِ الْمَوْضُوعِ عَنِ الْعَبْدِ الَّذِي وَضَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ عِبَادِهِ الْإِثْمَ فِيهِ، فَلَا وَجْهَ لِمَسْأَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ أَنْ يُؤَاخِذَهُ بِهِ..

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ قُولُوا: رَبَّنَا لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا، يَعْنِي بِالْإِصْرِ: الْعَهْدَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾ [آل عمران: ٨١] وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا عَهْدًا فَنَعْجَزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ وَلَا نَسْتَطِيعُهُ..

﴿كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ كُلِّفُوا أَعْمَالًا وَأُخِذَتْ عُهُودُهُمْ وَمَوَاثِيقُهُمْ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِهَا، فَلَمْ يَقُومُوا بِهَا، فَعُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ، فَعَلَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الرَّغْبَةَ إِلَيْهِ بِمَسْأَلَتِهِ أَنْ لَا يَحْمِلَهُمْ مِنْ عُهُودِهِ وَمَوَاثِيقِهِ عَلَىٰ أَعْمَالٍ -إِنْ ضَيَّعُوهَا أَوْ

أَخْطَئُوا فِيهَا أَوْ نَسُوهَا- مِثْلَ الَّذِي حَمَّلَ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَيَحِلُّ بِهِمْ بِخَطَئِهِمْ فِيهِ وَتَضْيِيعِهِمْ إِيَّاهُ مِثْلَ الَّذِي أَحَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ..

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ وَقُولُوا أَيْضًا: رَبَّنَا لَا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا نُطِيقُ الْقِيَامَ بِهِ لِثِقَلِ حِمْلِهِ عَلَيْنَا..

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ وَفِي هَذَا أَيْضًا مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ خَبَرٌ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ تَيْسِيرَ فَرَائِضِهِ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ لِأَنَّهُمْ عَقَّبُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ مَسْأَلَةً مِنْهُمْ رَبَّهُمْ أَنْ يَعْفُوَ لَهُمْ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَيَصْفَحُ لَهُمْ عَنْهُ، وَلَا يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ خَفَّ مَا كَلَّفَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ عَلَىٰ أَبْدَانِهِمْ..

﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ وَاسْتُرْ عَلَيْنَا زَلَّةً إِنْ أَتَيْنَاهَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، فَلَا تُكْشِفْهَا وَلَا تَفْضَحْنَا بِإِظْهَارِهَا..

﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ تَغَمَّدْنَا مِنْكَ بِرَحْمَةٍ تُنَجِّينَا بِهَا مِنْ عِقَابِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِنَاجٍ مِنْ عِقَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ إِيَّاهُ دُونَ عَمَلِهِ، وَلَيْسَتْ أَعْمَالُنَا مُنَجِّيَتَنَا إِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْنَا، فَوَفِّقْنَا لِمَا يُرْضِيكَ عَنَّا..

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ أَنْتَ وَلِيُّنَا تَلِينَا بِنَصْرِكَ دُونَ مَنْ عَادَاكَ وَكَفَرَ بِكَ، لِأَنَّا مُؤْمِنُونَ بِكَ وَمُطِيعُوكَ فِيمَا أَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا، فَأَنْتَ وَلِيُّ مَنْ أَطَاعَكَ، وَعَدُوُّ مَنْ كَفَرَ بِكَ فَعَصَاكَ..

﴿فَٱنصُرْنَا﴾ لِأَنَّا حِزْبُكَ..

﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦] الَّذِي جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَكَ، وَعَبَدُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ دُونَكَ، وَأَطَاعُوا فِي مَعْصِيَتِكَ الشَّيْطَانَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ البَقَرَةِ



سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (٣) مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُها مِائَتَانِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ①﴾ [آل عمران: ١].

﴿الٓمٓ ①﴾ [آل عمران: ١] قَدْ أَتَيْنَا عَلَىٰ الْبَيَانِ عَنْ مَعْنَاها فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَخبَرَ اللهُ -جَلَّ وَعَزَّ- عِبَادَهُ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ خَاصَّةٌ بِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ وَلَا تَجُوزُ إِلَّا لَهُ؛ لِانْفِرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوَحُّدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ فَمِلْكُهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَخَلْقُهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ؛ احْتِجَاجًا مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ إِذْ كَانَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزَةٍ لَهُمْ عِبَادَةُ غَيْرِهِ، وَلَا إِشْرَاكُ أَحَدٍ مَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ؛ إِذْ كَانَ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَمِلْكُهُ، وَكُلُّ مُعَظَّمٍ غَيْرِهِ فَخَلْقُهُ، وَعَلَىٰ الْمَمْلُوكِ إِفْرَادُ الطَّاعَةِ لِمَالِكِهِ، وَصَرْفُ خِدْمَتِهِ إِلَىٰ مَوْلَاه وَرَازِقِهِ، وَمُعَرِّفًا مَنْ كَانَ مِنْ خَلْقِهِ -يَوْمَ أَنْزَلَ ذَلِكَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِتَنْزِيلِهِ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَإِرْسَالِهِ بِهِ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ لِسَانِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ- مُقِيمًا عَلَىٰ عِبَادَةِ وَثَنٍ أَوْ صَنَمٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ أَوْ إِنْسِيٍّ أَوْ مَلَكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتْ بَنُو آدَمَ مُقِيمَةً عَلَىٰ عِبَادَتِها وَإِلَاهَتِها، وَمُتَّخِذَهُ دُونَ مَالِكِهِ وَخَالِقِهِ إِلَهًا وَرَبًّا، أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، وَمُنْعَزِلٌ عَنِ الْمَحَجَّةِ، وَرَاكِبٌ غَيْرَ السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمَةِ بِصَرْفِهِ الْعِبَادَةَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَا أَحَدَ لَهُ الْأُلُوهَةُ غَيْرُهُ..

﴿الْحَيُّ﴾ وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ بِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا فَنَاءَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ، وَنَفَىٰ عَنْهَا مَا هُوَ حَالٌّ بِكُلِّ ذِي حَيَاةٍ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْفَنَاءِ وَانْقِطَاعِ الْحَيَاةِ عِنْدَ مَجِيءِ أَجَلِهِ، فَأَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ الْمُسْتَوْجِبُ عَلَىٰ خَلْقِهِ الْعِبَادَةَ وَالْأُلُوهَةَ، وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَبِيدُ كَمَا يَمُوتُ كُلُّ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ رَبًّا، وَيَبِيدُ كُلُّ مَنِ ادُّعِيَ مِنْ دُونِهِ إِلَاهًا، وَاحْتَجَّ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِأَنَّ مَنْ كَانَ يَبِيدُ فَيَزُولُ وَيَمُوتُ فَيَفْنَىٰ فَلَا يَكُونُ إِلَهًا يَسْتَوْجِبُ أَنْ يُعْبَدَ دُونَ الْإِلَهِ الَّذِي لَا يَبِيدُ وَلَا يَمُوتُ، وَأَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَبِيدُ وَلَا يَفْنَىٰ، وَذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..

﴿ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ٢] الْقَيِّمُ بِحِفْظِ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ مِنْ تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنَقْصٍ.

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: ٣].

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ، وَرَبَّ عِيسَىٰ، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ..

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ فِيمَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَفِيمَا خَالَفَكَ فِيهِ مُحَاجُّوكَ مِنْ نَصَارَىٰ أَهْلِ نَجْرَانَ، وَسَائِرِ أَهْلِ الشِّرْكِ غَيْرِهِمْ..

﴿مُصَدِّقٗا﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْقُرْآنَ أَنَّهُ مُصَدِّقٌ..

﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ لِمَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَمُحَقِّقٌ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ اللهِ مِنْ عِنْدِهِ؛ لِأَنَّ مُنَزِّلَ جَمِيعِ ذَلِكَ وَاحِدٌ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ اخْتِلَافٌ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ لَكَانَ فِيهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ..

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: ٣] عَلَىٰ عِيسَىٰ.

﴿مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران: ٤].

﴿مِن قَبۡلُ﴾ مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَيْكَ..

﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ بَيَانًا لِلنَّاسِ مِنَ اللهِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَمُفِيدًا يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ نَبِيِّي وَرَسُولِي، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ دَيْنِ اللهِ..

﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ وَأَنْزَلَ الْفَصْلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فِيمَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَحْزَابُ وَأَهْلُ الْمِلَلِ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ وَغَيْرِهِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ الْفُرْقَانَ إِنَّمَا هُوَ الْفُعْلَانُ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا بِنَصْرِهِ بِالْحَقِّ عَلَىٰ الْبَاطِلِ، إِمَّا بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ، وَإِمَّا بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ بِالْأَيْدِ وَالْقُوَّةِ.. وَبِمَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَّهَ تَأْوِيلَهُ إِلَىٰ أَنَّهُ فَصْلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ، وَبَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّهُ فَصْلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ.. وَأَنْ يَكُونَ

مَعْنَىٰ الْفُرْقَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَصَلَ اللهُ بَيْنَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالَّذِين حَاجُّوهُ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِ بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُمْ وَعُذْرَ نُظَرَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ إِخْبَارَ اللهِ عَنْ تَنْزِيلِهِ الْقُرْآنَ قَبْلَ إِخْبَارِهِ عَنْ تَنْزِيلِهِ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَدْ مَضَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ الْقِرَانُ لَا غَيْرُهُ، فَلَا وَجْهَ لِتَكْرِيرِهِ مَرَّةً أُخْرَىٰ؛ إِذْ لَا فَائِدَةَ فِي تَكْرِيرِهِ، لَيْسَتْ فِي ذِكْرِهِ إِيَّاهُ وَخَبَرِهِ عَنْهُ ابْتِدَاءً..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا أَعْلَامَ اللهِ وَأَدِلَّتَهُ وَحُجَجَهُ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَأُلُوهَتِهِ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدٌ لَهُ، وَاتَّخَذُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا وَرَبًّا، أَوْ ادَّعُوهُ لِلَّهِ وَلَدًا..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿شَدِيدٌ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِمَنْ عَانَدَ الْحَقَّ بَعْدَ وُضُوحِهِ لَهُ، وَخَالَفَ سَبِيلَ الْهُدَىٰ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي سُلْطَانِهِ لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِمَّنْ أَرَادَ عَذَابَهُ مِنْهُمْ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم حَائِلٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَانِدَهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَأَنَّهُ..

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آلعمران: ٤] مِمَّنْ جَحَدَ حُجَجَهُ وَأَدِلَّتَهُ، بَعْدَ ثُبُوتِهَا عَلَيْهِ، وَبَعْدَ وُضُوحِهَا لَهُ وَمَعْرِفَتِهِ بِهَا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥] وَلَا شَيْءٌ وَهُوَ فِي السَّمَاءِ.. فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيَّ -يَا مُحَمَّدُ- وَأَنَا عَلَّامُ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، مَا يُضَاهِي بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي آيَاتِ اللهِ مِنْ نَصَارَىٰ فِي شَأْنِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، إِذْ جَعَلُوهُ رَبًّا وَإِلَهًا.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦].

﴿هُوَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ فَيَجْعَلُكُم صُوَرًا أَشْبَاحًا..

﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ..

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ كَيْفَ شَاءَ وَأَحَبَّ، فَيُجْعَلُ هَذَا ذَكَرًا وَهَذَا أُنْثَىٰ، وَهَذَا أَسْوَدُ وَهَذَا أَحْمَرُ..

يُعَرِّفُ عِبَادَهُ بِذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ مَنِ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ النِّسَاءِ مِمَّنْ صَوَّرَهُ وَخَلَقَهُ كَيْفَ شَاءَ.. وَأَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مِمَّنْ صُوَّرَهُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ وَخَلَقَهُ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ وَأَحَبَّ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ إِلَهًا لَمْ يَكُنْ مِمَّنِ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ رَحِمُ أُمِّهِ؛ لِأَنَّ خَلَّاقَ مَا فِي الْأَرْحَامِ لَا تَكُونُ الْأَرْحَامُ عَلَيْهِ مُشْتَمِلَةً، وَإِنَّمَا تَشْتَمِلُ عَلَىٰ الْمَخْلُوقِينَ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وَهَذَا الْقَوْلُ تَنْزِيهٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَفْسَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ نِدٌّ أَوْ مِثْلٌ، أَوْ أَنْ تَجُوزَ الْأُلُوهَةُ لِغَيْرِهِ.. وَتَكْذِيبٌ مِنْهُ لِلَّذِينَ قَالُوا فِي عِيسَىٰ مَا قَالُوا، وَسَائِرِ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي عِيسَىٰ، وَلِجَمِيعِ مَنِ ادَّعَىٰ مَعَ اللهِ مَعْبُودًا، أَوْ أَقَرَّ بِرُبُوبِيَّةِ غَيْرِهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ -جَلَّ ثناؤُهُ- خَلْقَهُ بِصِفَتِهِ وَعِيدًا مِنْهُ لِمَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ أَوْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا سِوَاهُ، فَقَالَ..

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يَنْصُرُ مَنْ أَرَادَ الِانْتِقَامَ مِنْهُ أَحَدٌ، وَلَا يُنَجِّيهِ مِنْهُ ملجأٌ، وَذَلِكَ لِعِزَّتِهِ الَّتِي يَذِلُّ لَهَا كُلُّ مَخْلُوقٍ، وَيَخْضَعُ لَهَا كُلُّ مَوْجُودٍ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦] فِي تَدْبِيرِهِ، وَإِعْذَارِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَمُتَابَعَةِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾

[آل عمران: ٧].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ﴾ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ..

﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ قَدْ أُحْكِمْنَ بِالْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ، وَأُثْبِتَتْ حُجَجُهُنَّ وَأَدِلَّتِهِنَّ عَلَىٰ مَا جُعِلْنَ أَدِلَّةً عَلَيْهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ، وَأَمْرٍ وَزَجْرٍ، وَخَبَرٍ وَمَثَلٍ، وَعِظَةٍ وَعِبَرٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ بِـأَنَّ..

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ عِمَادُ الدِّينِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ، وَسَائِرِ مَا بِالْخَلْقِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَمَا كُلِّفُوا مِنَ الْفَرَائِضِ فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُنَّ

أُمَّ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُنَّ مُعْظَمُ الْكِتَابِ، وَمَوْضِعُ مَفْزَعِ أَهْلِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.. وَوَحَّدَ أُمَّ الْكِتَابِ، وَلَمْ يَجْمَعْ فَيَقُولُ: (هُنَّ أُمَّهَاتُ الْكِتَابِ)؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ جَمِيعَ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ أُمُّ الْكِتَابِ، لَا أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، لَكَانَ لَا شَكَّ قَدْ قِيلَ: (هُنَّ أُمَّهَاتُ الْكِتَابِ)، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] وَلَمْ يَقُلْ آيَتَيْنِ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: وَجَعَلْنَا جَمِيعَهُمَا آيَةً؛ إِذْ كَانَ الْمَعْنَىٰ وَاحِدًا فِيمَا جَعَلَا فِيهِ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً، وَلَوْ كَانَ مُرَادُهُ الْخَبَرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ انْفِرَادِهِ، بِأَنَّهُ جُعِلَ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً، لَقِيلَ: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَتَيْنِ)؛ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهُمْ عِبْرَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ مَرْيَمَ وَلَدَتْ مِنْ غَيْرِ رَجُلٍ، وَنَطَقَ ابْنُهَا فَتَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، فَكَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلنَّاسِ آيَةٌ..

﴿وَأُخَرُ﴾ وَآيَاتٌ أُخَرُ.. جَمْعُ أُخْرَىٰ..

﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ فِي التِّلَاوَةِ، مُخْتَلِفَاتٌ فِي الْمَعْنَىٰ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] يَعْنِي فِي الْمَنْظَرِ مُخْتَلِفًا فِي الْمَطْعَمِ، وَكَمَا قَالَ مُخْبِرًا عَمَّنْ أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] يَعْنُونَ بِذَلِكَ: تَشَابَهَ عَلَيْنَا فِي الصِّفَةِ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُهُ..

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَيْلٌ عَنِ الْحَقِّ، وَانْحِرَافٌ عَنْهُ..

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ مَا تَشَابَهَتْ أَلْفَاظُهُ وَتَصَرَّفَتْ مَعَانِيهِ بِوُجُوهِ التَّأْوِيلَاتِ، لِيُحَقِّقُوا بِادِّعَائِهِمُ الْأَبَاطِيلَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالزَّيْغِ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ تَلْبِيسًا مِنْهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ ضَعُفَتْ مَعْرِفَتُهُ بِوُجُوهِ تَأْوِيلِ ذَلِكَ وَتَصَارِيفِ مَعَانِيهِ..

﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ إِرَادَةُ الشُّبُهَاتِ وَاللَّبْسِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ غَيْرِهِ، احْتِجَاجًا بِهِ عَلَىٰ بَاطِلِهِ الَّذِي مَالَ إِلَيْهِ قَلْبُهُ دُونَ الْحَقِّ الَّذِي أَبَانَهُ اللهُ فَأَوْضَحَهُ بِالْمُحْكَمَاتِ مِنْ آيِ كِتَابِهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ، فَإِنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهَا كُلُّ مُبْتَدِعٍ فِي دِينِ اللهِ بِدْعَةً، فَمَالَ قَلْبُهُ إِلَيْهَا، تَأْوِيلًا مِنْهُ لِبَعْضِ مُتَشَابِهِ آيِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ حَاجَّ بِهِ وَجَادَلَ بِهِ أَهْلَ الْحَقِّ، وَعَدَلَ عَنِ الْوَاضِحِ مِنْ أَدِلَّةِ آيِهِ الْمُحْكَمَاتِ، إِرَادَةً مِنْهُ بِذَلِكَ اللَّبْسَ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَلَبًا لِعِلْمِ تَأْوِيلِ مَا تَشَابَهَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَأَيُّ أَصْنَافِ الْبِدْعَةِ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ كَانَ أَوِ الْيَهُودِيَّةِ أَوِ الْمَجُوسِيَّةِ، أَوْ كَانَ سَبَئِيًّا، أَوْ حَرُورِيًّا، أَوْ قَدَرِيًّا، أَوْ جَهْمِيًّا، كَالَّذِي قَالَ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»..

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ هُوَ مَعْرِفَةُ انْقِضَاءِ مُدَّةِ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمْرِ أُمَّتِهِ، وَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ..

وَذَلِكَ التَّأْوِيلَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ..

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَمَا يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَانْقِضَاءِ مُدَّةِ أُكُلِ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَّا اللهُ، دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ أَمَّلُوا إِدْرَاكَ عِلْمِ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْحِسَابِ وَالتَّنْجِيمِ وَالْكَهَانَةِ..

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ قَدْ أَتْقَنُوا عِلْمَهُمْ وَوَعَوْهُ فَحَفِظُوهُ حِفْظًا، لَا يَدْخُلُهُمْ فِي مَعْرِفَتِهِمْ وَعِلْمِهِمْ بِمَا عَلِمُوهُ شَكٌّ وَلَا لَبْسٌ، فَـ..

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ آمَنَّا بِالْمُتَشَابِهِ، وَصَدَّقْنَا أَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.. وَلَكِنَّ فَضْلَ عِلْمِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِهِمُ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَالِمُ بِذَلِكَ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ كُلُّ الْمُحْكَمِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمُتَشَابِهِ مِنْهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَهُوَ تَنْزِيلُهُ وَوَحْيُهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ وَمَا يَتَذَكَّرُ وَيَتَّعِظُ وَيَنْزَجِرُ عَنْ أَنْ يَقُولَ فِي مُتَشَابِهِ آيِ كِتَابِ اللهِ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ..

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧] إِلَّا أُولُو الْعُقُولِ وَالنُّهَىٰ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِمَا تَشَابَهَ مِنْ آيِ كِتَابِ اللهِ، وَأَنَّهُ وَالْمُحْكَمُ مِنْ آيِهِ مِنْ تَنْزِيلِ رَبِّنَا وَوَحْيِهِ، وَيَقُولُونَ أَيْضًا رَغْبَةً مِنْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، فِي أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ مَا ابْتَلَىٰ بِهِ الَّذِينَ زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ آيِ الْقُرْآنِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُ اللهِ، يَا رَبَّنَا..

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لَا تُمِلْهَا فَتَصْرِفَهَا عَنْ هُدَاكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْحَقِّ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِكَ..

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ فَوَفَّقْتَنَا لِلْإِيمَانِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ وَمُتَشَابِهِهِ..

﴿وَهَبْ لَنَا﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿مِن لَّدُنكَ﴾ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿رَحْمَةً﴾ تَوْفِيقًا وَثَبَاتًا لِلَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، مِنَ الْإِقْرَارِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ وَمُتَشَابِهِهِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨] إِنَّكَ أَنْتَ الْمُعْطِي عِبَادَكَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ لِلثَّبَاتِ عَلَىٰ

دِينِكَ وَتَصْدِيقِ كِتَابِكَ وَرُسُلِكَ.. وَفِي مَدْحِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِمَا مَدَحَهُمْ بِهِ مِنْ رَغْبَتِهِمْ إِلَيْهِ فِي أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَهُمْ، وَأَنْ يُعْطِيَهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ، مَعُونَةً لَهُمْ لِلثَّبَاتِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْبَصِيرَةِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، مَا أَبَانَ عَنْ خَطَأِ قَوْلِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ أَنَّ إِزَاغَةَ اللهِ قَلْبَ مَنْ أَزَاغَ قَلْبَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَإِمَالَتَهُ لَهُ عَنْهَا جَوْرٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا لَكَانَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ بِالذَّمِّ أَوْلَىٰ مِنْهُمْ بِالْمَدْحِ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا، لَكَانَ الْقَوْمُ إِنَّمَا سَأَلُوا رَبَّهُمْ مَسْأَلَتَهُمْ إِيَّاهُ (**أَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبَهُمْ**) أَنْ لَا يَظْلِمَهُمْ وَلَا يَجُورَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ مِنَ السَّائِلِ جَهْلٌ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثناؤُهُ لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ وَلَا يَجُورُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ أَعْلَمَ عِبَادَهُ ذَلِكَ، وَنَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]، وَفِي فَسَادِ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ عَدْلًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِزَاغَةُ مَنْ أَزَاغَ قَلْبَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ الْمَدْحَ مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ لَا يُزِيغَهُ؛ لِتَوْجِيهِهِ الرَّغْبَةَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَوَضْعِهِ مَسْأَلَتَهُ مَوْضِعَهَا، مَعَ تَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِرَغْبَتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ مَعَ مَحَلِّهِ مِنْهُ، وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ**» ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا إِلَىٰ طَاعَتِكَ**».

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: ٩].

﴿رَبَّنَا﴾ يَقُولُونَ أَيْضًا مَعَ قَوْلِهِمْ: آمَنَّا بِمَا تَشَابَهَ مِنْ آيِ كِتَابِ رَبِّنَا، كُلُّ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ الَّذِي فِيهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، يَا رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، رَبَّنَا..

﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ﴾ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا شَكَّ فِيهِ، فَاغْفِرْ لَنَا يَوْمَئِذٍ، وَاعْفُ عَنَّا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: ٩] فَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ وَعْدَكَ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَ رَسُولَكَ، وَعَمِلَ بِالَّذِي أَمَرْتَهُ بِهِ فِي كِتَابِكَ أَنَّكَ غَافِرُهُ يَوْمَئِذٍ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنَ الْقَوْمِ مَسْأَلَةٌ رَبَّهُمْ أَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ بَصِيرَتِهِمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ تَنْزِيلِهِ، حَتَّىٰ يَقْبِضَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ وَجَبَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ أَنَّهُ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، فَالْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّ تَأْوِيلَهَا مِنَ الْقَوْمِ مَسْأَلَةٌ وَدُعَاءٌ وَرَغْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ [آل عمران: ١٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا الْحَقَّ الَّذِي قَدْ عَرَفُوهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُنَافِقِيهِمْ، وَمُنَافِقِي الْعَرَبِ وَكُفَّارِهِمُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ، فَهُمْ يَتَّبِعُونَ مِنْ كِتَابِ اللهِ الْمُتَشَابِهَ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ﴾ لَنْ تُنْجِيَهُمْ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ إِنْ أَحَلَّهَا بِهِمْ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ بَعْدَ تَبَيُّنِهِمْ، وَاتِّبَاعِهِمُ الْمُتَشَابِهَ طَلَبَ اللَّبْسِ فَتَدْفَعَهَا عَنْهُمْ، وَلَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنْهُمْ مِنْهَا شَيْئًا..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ [آل عمران: ١٠] يَعْنِي بِذَلِكَ حَطَبَهَا.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١١﴾ [آل عمران: ١١].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا عِنْدَ حُلُولِ عُقُوبَتِنَا بِهِمْ، كَسُنَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ وَعَادَتِهِمْ.. وَأَصْلُ الدَّأْبِ مِنْ دَأَبْتَ فِي الْأَمْرِ دَأَبًا، إِذَا أَدْمَنْتُ الْعَمَلَ وَالتَّعَبَ فِيهِ، ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ نَقَلَتْ مَعْنَاهُ إِلَىٰ الشَّأْنِ وَالْأَمْرِ وَالْعَادَةِ..

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ عُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رَبَّهُمْ مِنْ قَبْلِ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ هُودٍ وَقَوْمِ لُوطٍ وَأَمْثَالِهِمْ..

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ﴾ فَأَخَذْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ حِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا حِينَ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا..

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١١﴾ [آل عمران: ١١] لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢﴾ [آل عمران: ١٢].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ وَتُجْمَعُونَ فَتُجْلَبُونَ..

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢] وَبِئْسَ الْفِرَاشُ جَهَنَّمُ الَّتِي تُحْشَرُونَ إِلَيْهَا.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣].

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ بَلَدِكَ: قَدْ كَانَ لَكُمْ..

﴿آيَةٌ﴾ عَلَامَةٌ، وَدَلَالَةٌ، وَعِبْرَةٌ، وَتَفَكُّرٌ عَلَىٰ صِدْقِ مَا أَقُولُ: أَنَّكُمْ سَتُغْلَبُونَ..

﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ فِرْقَتَيْنِ وَحِزْبَيْنِ.. وَالْفِئَةُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ..

﴿الْتَقَتَا﴾ لِلْحَرْبِ، وَإِحْدَىٰ الْفِئَتَيْنِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِمَّنْ شَهِدَ وَقْعَةَ بَدْرٍ، وَالْأُخْرَىٰ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ..

﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جَمَاعَةٌ تُقَاتِلُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَعَلَىٰ دِينِهِ، وَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ..

﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وَهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ..

﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ يَرَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِثْلَيْهِمْ، يَعْنِي مِثْلَيْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ لِتَقْلِيلِ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ فِي حَالٍ، فَكَانَ حَزْرُهُمْ إِيَّاهُمْ كَذَلِكَ، ثُمَّ قَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ عَنِ التَّقْلِيلِ الْأَوَّلِ، فَحَزَرُوهُمْ مِثْلَ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ تَقْلِيلًا ثَالِثًا، فَحَزَرُوهُمْ أَقَلَّ مِنْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ..

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يُقَوِّي الْمُسْلِمَةَ وَهُمْ قَلِيلٌ عَدَدُهُمْ، عَلَىٰ الْكَافِرَةِ وَهُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ حَتَّىٰ ظَفِرُوا بِهِمْ.. مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَدْ أَيَّدْتُ فُلَانًا بِكَذَا: إِذَا قَوَّيْتُهُ وَأَعَنْتُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، يَعْنِي: ذَا الْقُوَّةِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ تَأْيِيدِنَا الْفِئَةَ الْمُسْلِمَةَ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، عَلَىٰ الْفِئَةِ الْكَافِرَةِ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهَا..

﴿لَعِبْرَةً﴾ لَمُتَفَكَّرًا وَمُتَّعَظًا..

﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣] لِمَنْ عَقَلَ وَادَّكَرَ فَأَبْصَرَ الْحَقَّ.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ مَحَبَّةُ مَا يَشْتَهُونَ..

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ جَمْعُ الْقِنْطَارِ.. وهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ.. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تُحِدُّ الْقِنْطَارَ بِمِقْدَارٍ مَعْلُومٍ مِنَ الْوَزْنِ، وَلَكِنَّهَا تَقُولُ: هُوَ قَدْرُ وَوَزْنٍ، وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مَحْدُودًا قَدْرُهُ عِنْدَهَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ مُتَقَدِّمِي أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ..

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ الْمُضَعَّفَةُ، وَكَأَنَّ الْقَنَاطِيرَ ثَلَاثَةٌ وَالْمُقَنْطَرَةُ تِسْعَةٌ، وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الْمُقَنْطَرَةِ: الْمَضْرُوبَةُ..

﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ دَرَاهِمَ أَوْ دَنَانِيرَ..

﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الْمُعَلَّمَةُ بِالشِّيَاتِ، الْحِسَانُ الرَّائِعَةُ حُسْنًا مَنْ رَآهَا؛ لِأَنَّ التَّسْوِيمَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْإِعْلَامُ فَالْخَيْلُ الْحِسَانُ مُعَلَّمَةٌ بِإِعْلَامِ إِيَّاهَا بِالْحَسَنِ مِنْ أَلْوَانِهَا وَشِيَاتِهَا وَهَيْئَاتِهَا، وَهِيَ الْمُطَهَّمَةُ..

﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ جَمْعُ نَعَمٍ: وَهِيَ الْأَزْوَاجُ الثَّمَانِيَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ وَالْبَقَرِ وَالْإِبِلِ..

﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ وَالزَّرْعُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ جَمِيعُ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ، وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، فَكَنَّىٰ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ عَنْ جَمِيعِهِنَّ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمَعَانِي، وَيُكَنَّىٰ بِهِ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ..

﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مِمَّا يَسْتَمْتِعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُهَا أَحْيَاءً، فَيَتَبَلَّغُونَ بِهِ فِيهَا، وَيَجْعَلُونَهُ وَصِلَةً فِي مَعَايِشِهِمْ، وَسَبَبًا لِقَضَاءِ شَهَوَاتِهِمُ الَّتِي زُيِّنَ لَهُمْ حُبُّهَا فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ، دُونَ أَنْ يَكُونَ عُدَّةً لِمَعَادِهِمْ وَقُرْبَةً لَهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، إِلَّا مَا أَسْلَكَ فِي سَبِيلِهِ وَأَنْفَقَ مِنْهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ.. وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ تَوْبِيخَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آثَرُوا الدُّنْيَا وَحُبَّ الرِّيَاسَةِ فِيهَا عَلَىٰ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ.. وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «**مَنْ زَيَّنَهَا؟ مَا أَحَدٌ أَشَدَّ لَهَا ذَمًّا مِنْ خَالِقِهَا**»..

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران: ١٤] وَعِنْدَ اللهِ حُسْنُ الْمَرْجِعِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا عِنْدَهُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَشَدِيدِ الْعِقَابِ؟! قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مَعْنًىٰ بِهِ خَاصٌّ مِنَ النَّاسِ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ، وَقَدْ أَنْبَأْنَا عَنْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَإِنْ قَالَ: وَمَا حُسْنُ الْمَآبِ؟ قِيلَ: هُوَ مَا وَصَفَهُ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُوَ الْمَرْجِعُ إِلَىٰ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، مُخَلَّدًا فِيهَا، وَإِلَىٰ أَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ، وَرِضْوَانٍ مِنَ اللهِ.

﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٥].

﴿۞ قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ، لِلنَّاسِ الَّذِينَ زُيِّنَ لَهُمْ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، وَسَائِرِ مَا ذَكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أَأُخْبِرُكُمْ وَأُعْلِمُكُمْ..

﴿بِخَيۡرٖ﴾ بِأَفْضَلَ لَكُمْ..

﴿مِّن ذَٰلِكُمۡۖ﴾ مِمَّا زُيِّنَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا حُبُّ شَهْوَتِهِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْوَاعِ الْأَمْوَالِ الَّتِي هِيَ مَتَاعُ الدُّنْيَا..

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ لِلَّذِينَ خَافُوا اللهَ فَأَطَاعُوهُ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَالْجَنَّاتُ: الْبَسَاتِينُ..

﴿جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ مِنْ تَحْتِ الْأَشْجَارِ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ الْخُلُودُ فِيهَا دَوَامُ الْبَقَاءِ فِيهَا..

﴿وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ هُنَّ نِسَاءُ الْجَنَّةِ اللَّوَاتِي طُهِّرْنَ مِنْ كُلِّ أَذًىٰ يَكُونُ بِنِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْحَيْضِ وَالْمَنِيِّ وَالْبَوْلِ وَالنِّفَاسِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَذَىٰ..

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ وَرِضَا اللهِ.. وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيمَا ذَكَرَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ رِضْوَانَهُ؛ لِأَنَّ رِضْوَانَهُ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ كَرَامَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٥] وَاللهُ ذُو بَصَرٍ بِالَّذِي يَتَّقِيهِ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَخَافُهُ فَيُطِيعُهُ، وَيُؤْثِرُ مَا عِنْدَهُ مِمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ عَلَىٰ حُبِّ مَا زُيِّنَ لَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَسَائِرِ مَا عَدَّدَ مِنْهَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَبِالَّذِي لَا يَتَّقِيهِ فَيَخَافُهُ، وَلَكِنَّهُ يَعْصِيهِ، وَيُطِيعُ الشَّيْطَانَ، وَيُؤْثِرُ مَا زُيِّنَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُبِّ شَهْوَةِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْأَمْوَالِ، عَلَىٰ مَا

عِنْدَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، عَالِمٌ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلَّهُمْ عِنْدَ مَعَادِهِمْ إِلَيْهِ جَزَاءَهُمْ، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران: ١٦].

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ إِنَّنَا صَدَّقْنَا بِكَ وَبِنَبِيِّكَ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فَاسْتُرْ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ عَنْهَا وَتَرْكِكَ عُقُوبَتَنَا عَلَيْهَا..

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران: ١٦] ادْفَعْ عَنَّا عَذَابَكَ إِيَّانَا بِالنَّارِ أَنْ تُعَذِّبَنَا بِهَا، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تُعَذِّبْنَا يَا رَبَّنَا بِالنَّارِ.. وَإِنَّمَا خَصُّوا الْمَسْأَلَةَ بِأَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ النَّارِ؛ لِأَنَّ مَنْ زُحْزِحَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّارِ فَقَدْ فَازَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَحُسْنِ مَآبِهِ.

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٧].

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ..

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ فِي قَوْلِهِمْ بِتَحْقِيقِهِمُ الْإِقْرَارَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ بِالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ..

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ الْمُطِيعِينَ لَهُ..

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ فَهُمُ الْمُؤْتُونَ زَكَوَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَوَاضِعُوهَا عَلَىٰ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِإِتْيَانِهَا، وَالْمُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي أَذِنَ اللهُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِإِنْفَاقِهَا فِيهَا..

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ هُمُ السَّائِلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِمْ فَضِيحَتَهُمْ بِهَا..

﴿بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٧] جَمْعُ سَحَرٍ.. وَأَظْهَرُ مَعَانِي ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاهُ بِالدُّعَاءِ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ تَعَرُّضَهُمْ لِمَغْفِرَتِهِ بِالْعَمَلِ وَالصَّلَاةِ، غَيْرَ أَنَّ أَظْهَرَ مَعَانِيهِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الدُّعَاءِ.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ عَنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ نَفْيَ مَا أَضَافَتِ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ حَاجُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي عِيسَىٰ مِنَ الْبُنُوَّةِ، وَمَا نَسَبَ إِلَيْهِ سَائِرُ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا،

وَاتِّخَاذِهِمْ دُونَهُ أَرْبَابًا، فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْخَالِقُ كُلَّ مَا سِوَاهُ، وَأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ مَا اتَّخَذَهُ كُلُّ كَافِرٍ وَكُلُّ مُشْرِكٍ رَبًّا دُونَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَشْهَدُ بِهِ هُوَ..

﴿وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَبَدَأَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِنَفْسِهِ تَعْظِيمًا لِنَفْسِهِ، وَتَنْزِيهًا لَهَا عَمَّا نَسَبَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ مَا نَسَبُوا إِلَيْهَا، كَمَا سَنَّ لِعِبَادِهِ أَنْ يَبْدَءُوا فِي أُمُورِهِمْ بِذِكْرِهِ قَبْلَ ذِكْرِ غَيْرِهِ، مُؤَدِّبًا خَلْقَهُ بِذَلِكَ.. وَالْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ الْخَبَرُ عَنْ شَهَادَةِ مَنِ ارْتَضَاهُمْ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدَّمُوهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَعُلَمَاءِ عِبَادِهِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَلَائِكَتَهُ - الَّتِي يُعَظِّمُهَا الْعَابِدُونَ غَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ويعبُدُهَا الْكَثِيرُ مِنْهُمْ - وَأَهْلُ الْعِلْمِ مِنْهُمْ مُنْكِرُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ فِي عِيسَىٰ وَقَوْلِ مَنِ اتَّخَذَ رَبًّا غَيْرَهُ مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ، فَقَالَ: شَهِدَتِ الْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ كُلَّ مَنِ اتَّخَذَ رَبًّا دُونَ اللهِ فَهُوَ كَاذِبٌ؛ احْتِجَاجًا مِنْهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ الَّذِينَ حَاجُّوهُ فِي عِيسَىٰ، وَاعْتَرَضَ بِذِكْرِ اللهِ وَصِفَتِهِ عَلَىٰ مَا نُبَيِّنُهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، افْتِتَاحًا بِاسْمِهِ الْكَلَامَ، فَكَذَلِكَ افْتَتَحَ بِاسْمِهِ وَالثناءِ عَلَىٰ نَفْسِهِ الشَّهَادَةَ بِمَا وَصَفْنَا مِنْ نَفْيِ الْأُلُوهَةِ مِنْ غَيْرِهِ وَتَكْذِيبِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ..

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ الَّذِي يَلِي الْعَدْلَ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَالْقِسْطُ هُوَ الْعَدْلُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ نَفَىٰ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ يَسْتَحِقُّ الْعُبُودَةَ غَيْرُ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ..

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَنْتَصِرُ مِنْهُ أَحَدٌ عَاقَبَهُ أَوِ انْتَقَمَ مِنْهُ..

﴿ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨] فِي تَدْبِيرِهِ، فَلَا يَدْخُلُهُ خَلَلٌ.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ الطَّاعَةَ وَالذِّلَّةَ لِلَّهِ، وَإِقْرَارَ الْأَلْسُنِ وَالْقُلُوبِ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالذِّلَّةِ وَانْقِيَادِهَا لَهُ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، وَتَذَلُّلَهَا لَهُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اسْتِكْبَارٍ عَلَيْهِ وَلَا انْحِرَافٍ عَنْهُ، دُونَ إِشْرَاكِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَعَهُ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ..

﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ وَهُوَ الِانْقِيَادُ بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَسْلَمَ، بِمَعْنَىٰ: دَخَلَ فِي السِّلْمِ، كَمَا يُقَالُ: أَقْحَطَ الْقَوْمُ: إِذَا دَخَلُوا فِي الْقَحْطِ، وَأَرْبَعُوا: إِذَا دَخَلُوا فِي الرَّبِيعِ، فَكَذَلِكَ أَسْلَمُوا: إِذَا دَخَلُوا فِي السِّلْمِ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ بِالْخُضُوعِ وَتَرْكُ الْمُمَانَعَةِ..

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِنْجِيلَ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ فِيمَا قَالُوهُ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي كَثُرَ بِهَا اخْتِلَافُهُمْ بَيْنَهُمْ وَتَشَتَّتَ بِهَا كَلِمَتُهُمْ، وَبَايَنَ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّىٰ اسْتَحَلَّ بِهَا بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ..

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمُوا الْحَقَّ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الْفِرْيَةِ مُبْطِلُونَ، فَأَخْبَرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنَّهُمْ أَتَوْا مَا أَتَوْا مِنَ الْبَاطِلِ وَقَالُوا مَا قَالُوا مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ بِاللهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِخَطَأِ مَا قَالُوهُ..

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ بَغْيًا عَلَىٰ الدُّنْيَا وَطَلَبَ مُلْكِهَا وَسُلْطَانِهَا، فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ الدُّنْيَا، مِنْ بَعْدِ مَا كَانُوا عُلَمَاءَ النَّاسِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِخَطَئِهِ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوهُ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ الِاخْتِلَافَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، تَعَدِّيًا مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَطَلَبَ الرِّيَاسَاتِ وَالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ..

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يَجْحَدْ حُجَجَ اللهِ وَأَعْلَامَهُ الَّتِي نَصَبَهَا ذِكْرَىٰ لِمَنْ عَقَلَ، وَأَدِلَّةً لِمَنِ اعْتَبَرَ وَتَذَكَّرَ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٩] فَإِنَّ اللهَ مُحْصٍ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا فِي الدُّنْيَا، فَمُجَازِيهِ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ، يَعْنِي سَرِيعَ الْإِحْصَاءِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُ حَافِظٌ عَلَىٰ كُلِّ عَامِلٍ عَمَلَهُ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ عَقْدٍ، كَمَا يَعْقِدُهُ خَلْقُهُ بِأَكُفِّهِمْ، أَوْ يَعُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُ يَحْفَظُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ كُلْفَةٍ وَلَا مُؤُونَةٍ، وَلَا مُعَانَاةٍ لِمَا يُعَانِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْحِسَابِ.

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾
[آل عمران: ٢٠].

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾ فَإِنْ حَاجَّكَ يَا مُحَمَّدُ النَّفَرُ مِنْ نَصَارَىٰ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَخَاصَمُوكَ فِيهِ بِالْبَاطِلِ..

﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ فَقُلْ: انْقَدْتُ لِلَّهِ وَحْدَهُ بِلِسَانِي وَقَلْبِي وَجَمِيعِ جَوَارِحِي، وَإِنَّمَا خَصَّ جَلَّ ذِكْرُهُ بِأَمْرِهِ بِأَنْ يَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ، لِأَنَّ الْوَجْهَ أَكْرَمُ جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ بَهَاؤُهُ وَتَعْظِيمُهُ فَإِذَا خَضَعَ وَجْهُهُ لِشَيْءٍ، فَقَدْ خَضَعَ لَهُ الَّذِي هُوَ دُونَهُ فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْهِ مِنْ جَوَارِحِ بَدَنِهِ..

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ وَأَسْلَمَ مَنِ اتَّبَعَنِي أَيْضًا وَجْهَهُ لِلَّهِ مَعِي..

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ..

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ هَلْ أَفْرَدْتُمُ التَّوْحِيدَ، وَأَخْلَصْتُمُ الْعِبَادَةَ وَالْأُلُوهَةَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ دُونَ سَائِرِ الْأَنْدَادِ وَالْأَشْرَاكِ الَّتِي تُشْرِكُونَهَا مَعَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَإِقْرَارِكُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِمْ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ..

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟﴾ فَإِنِ انْقَادُوا لِإِفْرَادِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهَةِ لَهُ..

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ فَقَدْ أَصَابُوا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَسَلَكُوا مَحَجَّةَ الرُّشْدِ..

﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ وَإِنْ أَدْبَرُوا مُعْرِضِينَ عَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾ فَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ غَيْرُ إِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِي، وَأَدَاءُ مَا كَلَّفْتُكَ مِنْ طَاعَتِي..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾ [آل عمران: ٢٠] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ يَقْبَلُ مِنْ عِبَادِهِ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِ، فَيُطِيعُكَ بِالْإِسْلَامِ، وَبِمَنْ يَتَوَلَّىٰ مِنْهُمْ عَنْهُ مُعْرِضًا، فَيَرُدُّ عَلَيْكَ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِ فَيَعْصِيكَ بِإِبَائِهِ الْإِسْلَامَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١﴾ [آل عمران: ٢١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ يَجْحَدُونَ حُجَجَ اللهِ وَأَعْلَامَهُ، فَيُكَذِّبُونَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ رُسُلَ اللهِ الَّذِينَ كَانُوا يُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ بِالنَّهْيِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَرُكُوبِ مَا كَانُوا يَرْكَبُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَ اللهُ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِمْ بِالزَّجْرِ عَنْهَا، نَحْوَ زَكَرِيَّا وَابْنِهِ يَحْيَىٰ وَمَا أَشْبَهَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ..

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَيَقْتُلُونَ آمِرِيهِمْ بِالْعَدْلِ فِي أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، الَّذِينَ يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ قَتْلِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُكُوبِ مَعَاصِيهِ..

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ فَأَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَأَعْلِمْهُمْ..

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١﴾ [آل عمران: ٢١] أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَذَابًا مُؤْلِمًا لَهُمْ، وَهُوَ الْمُوجِعُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢﴾ [آل عمران: ٢٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ ذَكَرْنَاهُمْ..

﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ..

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ فَلَمْ يَنَالُوا بِهَا مَحْمَدَةً وَلَا ثَنَاءً مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ، وَلَمْ يَرْفَعِ اللهُ لَهُمْ بِهَا ذِكْرًا، بَلْ لَعَنَهُمْ وَهَتَكَ أَسْتَارَهُمْ، وَأَبْدَىٰ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ عَلَىٰ أَلْسُنِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فِي كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ، فَأَبْقَىٰ لَهُمْ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا مَذَمَّةً، فَذَلِكَ حُبُوطُهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْعِقَابِ مَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ، وَأَعْلَمَ عِبَادَهُ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ تَصِيرُ بُورًا لَا ثَوَابَ لَهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ كُفْرًا بِاللهِ، فَجَزَاءُ أَهْلِهَا الْخُلُودُ فِي الْجَحِيمِ..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢﴾ [آل عمران: ٢٢] وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ، إِذَا هُوَ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِمَا سَلَفَ مِنْ إِجْرَامِهِمْ وَاجْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ، فَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْهُ.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣﴾ [آل عمران: ٢٣].

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الَّذِينَ أُعْطُوا حَظًّا مِنَ الْكِتَابِ..

﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أَخْبَرَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَهْدِهِ، مِمَّنْ قَدْ أُوتِيَ عِلْمًا بِالتَّوْرَاةِ، أَنَّهُمْ دُعُوا إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ الَّذِي كَانُوا يُقِرُّونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ، فِي بَعْضِ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ هُمْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَنَازُعُهُمُ الَّذِي كَانُوا تَنَازَعُوا فِيهِ ثُمَّ دُعُوا إِلَىٰ حُكْمِ التَّوْرَاةِ فِيهِ فَامْتَنَعُوا مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ كَانَ أَمْرَ مُحَمَّدٍ وَأَمْرَ نُبُوَّتِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ أَمْرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ وَدِينِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ فِي حَدٍّ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ كَانُوا نَازَعُوا فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَدَعَاهُمْ فِيهِ إِلَىٰ حُكْمِ

التَّوْرَاةِ، فَأَبَىٰ الْإِجَابَةَ فِيهِ وَكَتَمَهُ بَعْضُهُمْ، وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ الَّذِي دُعُوا إِلَيْهِ هُوَ مِمَّا كَانَ فَرْضًا عَلَيْهِمُ الْإِجَابَةُ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ، فَامْتَنَعُوا مِنْهُ، فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ عَنْهُمْ بِرِدَّتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا فِي كِتَابِهِمْ وَجُحُودِهِمْ، مَا قَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمْ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ بِإِقَامَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَلَنْ يَعْدُوا أَنْ يَكُونُوا فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ مُوسَىٰ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَهُمْ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيُقِرُّونَ بِهِ..

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾ [آل عمران: ٢٣] ثُمَّ يَسْتَدْبِرُ عَنْ كِتَابِ اللهِ الَّذِي دَعَا إِلَىٰ حُكْمِهِ مُعْرِضًا عَنْهُ مُنْصَرِفًا، وَهُوَ بِحَقِيقَتِهِ وَحُجَّتِهِ عَالِمٌ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ التَّوْرَاةُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِالْقُرْآنِ مُكَذِّبِينَ وَبِالتَّوْرَاةِ بِزَعْمِهِمْ مُصَدِّقِينَ، فَكَانَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ بِمَا هُمْ بِهِ فِي زَعْمِهِمْ مُقِرُّونَ أَبْلَغَ وَلِلْعُذْرِ أَقْطَعَ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا نَازَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِنَّمَا أَبَوُا الْإِجَابَةَ فِي حُكْمِ التَّوْرَاةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ..

﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وَهِيَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَهُنَّ الْأَيَّامُ الَّتِي عَبَدُوا فِيهَا الْعِجْلَ، ثُمَّ يُخْرِجُنَا مِنْهَا رَبُّنَا..

﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤] اغْتِرَارًا مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ، يَعْنِي: بِمَا كَانُوا يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْأَبَاطِيلِ فِي ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَ أَبَاهُمْ يَعْقُوبَ أَنْ لَا يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، دُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِهِ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [آل عمران: ٢٥].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ فَأَيُّ حَالٍ يَكُونُ حَالُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ، وَفَعَلُوا مَا

فَعَلُوا مِنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَاغْتِرَارِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَافْتِرَائِهِمُ الْكَذِبَ؟! وَذَلِكَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِيدٌ لَهُمْ شَدِيدٌ، وَتَهْدِيدٌ غَلِيظٌ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ الْآيَةَ: فَمَا أَعْظَمَ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ وَتَنْكِيلِهِ بِهِمْ إِذَا جَمَعَهُمْ..

﴿لِيَوْمٍ﴾ يُوَفَّىٰ كُلُّ عَامِلٍ جَزَاءَ عَمَلِهِ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ غَيْرَ مَظْلُومٍ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ فِيهِ إِلَّا عَلَىٰ مَا اجْتَرَمَ، وَلَا يُؤَاخَذُ إِلَّا بِمَا عَمِلَ، يَجْزِي الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ، لَا يَخَافُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ يَوْمَئِذٍ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا..

﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِي مَجِيئِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ)؟ قِيلَ: لِمُخَالَفَةِ مَعْنَىٰ (اللَّامِ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَىٰ (فِي)، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَكَانَ اللَّامِ (فِي) لَكَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ مَاذَا يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ؟ وَلَيْسَ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ فِي دُخُولِ اللَّامِ، وَلَكِنَّ مَعْنَاهُ مَعَ اللَّامِ: فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِمَا يَحْدُثُ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ فَصْلِ اللهِ الْقَضَاءَ بَيْنَ خَلْقِهِ، مَاذَا لَهُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الْعِقَابِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ؟ فَمَعَ اللَّامِ فِي: ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ نِيَّةُ فِعْلٍ وَخَبَرٍ مَطْلُوبٍ قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ، أَجْزَأَتْ دَلَالَةُ دُخُولِ اللَّامِ فِي الْيَوْمِ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَعَ (فِي) فَلِذَلِكَ اخْتِيرَتِ اللَّامُ فَأُدْخِلَتْ فِي (يَوْمٍ) دُونَ (فِي)..

﴿وَوُفِّيَتْ﴾ وَوَفَّىٰ اللهُ..

﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [آل عمران: ٢٥] لَا يَبْخَسُ الْمُحْسِنَ جَزَاءَ إِحْسَانِهِ، وَلَا يُعَاقِبُ مُسِيئًا بِغَيْرِ جُرْمِهِ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ يَا اللهُ..

﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ يَا مَالِكَ الْمُلْكِ، يَا مَنْ لَهُ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَالِصًا دُونَ غَيْرِهِ..

﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ تُعْطِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ فَتُمَلِّكُهُ وَتُسَلِّطُهُ عَلَىٰ مَنْ تَشَاءُ..

﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بِإِعْطَائِهِ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ وَبَسْطِ الْقُدْرَةِ لَهُ..

﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بِسَلْبِكَ مُلْكَهُ وَتَسْلِيطِ عَدُوٍّ عَلَيْهِ..

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ كُلُّ ذَلِكَ بِيَدِكَ وَإِلَيْكَ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَحَدٌ..

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦] لِأَنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، دُونَ سَائِرِ خَلْقِكَ، وَدُونَ مَنِ اتَّخَذَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَهًا وَرَبًّا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِكَ، كَالْمَسِيحِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْأُمِّيُّونَ رَبًّا.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾ [آل عمران: ٢٧].

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ تُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ، فَتَزِيدُ مِنْ نُقْصَانِ هَذَا فِي زِيَادَةِ هَذَا..

﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ وَتُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، فَتَزِيدُ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ..

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ الْحَيَّ وَالْأَنْعَامَ وَالْبَهَائِمَ الْأَحْيَاءَ مِنَ النُّطَفِ الْمَيِّتَةِ، وَذَلِكَ إِخْرَاجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَيُخْرِجُ النُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْإِنْسَانِ الْحَيِّ وَالْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ الْأَحْيَاءِ، وَذَلِكَ إِخْرَاجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ فَارَقَهُ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي فَارَقَهُ مِنْهُ مَيِّتٌ، فَالنُّطْفَةُ مَيِّتَةٌ لِمُفَارَقَتِهَا جَسَدَ مَنْ خَرَجَتْ مِنْهُ، ثُمَّ يُنْشِئُ اللهُ مِنْهَا إِنْسَانًا حَيًّا وَبَهَائِمَ وَأَنْعَامًا أَحْيَاءً، وَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ زَايَلَهُ شَيْءٌ مِنْهُ، فَالَّذِي زَايَلَهُ مِنْهُ مَيِّتٌ، وَذَلِكَ هُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [البقرة: ٢٨].. وَأَمَّا تَأْوِيلُ مَنْ تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَىٰ الْحَبَّةِ مِنَ السُّنْبُلَةِ، وَالسُّنْبُلَةِ مِنَ الْحَبَّةِ، وَالْبَيْضَةِ مِنَ الدَّجَاجَةِ، وَالدَّجَاجَةِ مِنَ الْبَيْضَةِ، وَالْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ مَفْهُومٌ، فَلَيْسَ ذَلِكَ الْأَغْلَبَ الظَّاهِرَ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ، وَتَوْجِيهُ مَعَانِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ الظَّاهِرِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي النَّاسِ أَوْلَىٰ مِنْ تَوْجِيهِهَا إِلَىٰ الْخَفِيِّ الْقَلِيلِ فِي الِاسْتِعْمَالِ..

﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾ [آل عمران: ٢٧] يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ

خَلْقِهِ، فَيَجُودُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ مُحَاسَبَةٍ مِنْهُ لِمَنْ أَعْطَاهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ دُخُولَ انْتِقَاصٍ فِي خَزَائِنِهِ، وَلَا الْفَنَاءَ عَلَىٰ مَا بِيَدِهِ.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨].

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ لَا تَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ ظَهْرًا وَأَنْصَارًا، تُوَالُونَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ..

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَتُظَاهِرُونَهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَدُلُّونَهُمْ عَلَىٰ عَوْرَاتِهِمْ..

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ فَإِنَّهُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ، وَبَرِئَ اللهُ مِنْهُ بِارْتِدَادِهِ عَنْ دِينِهِ، وَدُخُولِهِ فِي الْكُفْرِ.. وَهَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكُفَّارَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا وَظُهُورًا..

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا فِي سُلْطَانِهِمْ، فَتَخَافُوهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَتُظْهِرُوا لَهُمُ الْوَلَايَةَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتُضْمِرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ، وَلَا تُشَايِعُوهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَا تُعِينُوهُمْ عَلَىٰ مُسْلِمٍ بِفِعْلٍ، فَالْأَغْلَبُ مِنْ مَعَانِي هَذَا الْكَلَامِ: إِلَّا أَنْ تَخَافُوا مِنْهُمْ مَخَافَةً، فَالتَّقِيَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّمَا هِيَ تَقِيَّةٌ مِنَ الْكُفَّارِ، لَا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَوَجَّهَهُ قَتَادَةُ إِلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَهُ: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا اللهَ مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ تُقَاةً، فَتَصِلُونَ رَحِمَهَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ الْغَالِبَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَالتَّأْوِيلُ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ الْأَغْلَبِ الظَّاهِرِ مِنْ مَعْرُوفِ كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْمَلِ فِيهِمْ..

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وَيُخَوِّفُكُمُ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَرْكَبُوا مَعَاصِيَهُ أَوْ تُوَالُوا أَعْدَاءَهُ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨] فَإِنَّ لِلَّهِ مَرْجِعَكُمْ وَمَصِيرَكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَيَوْمَ حَشْرِكُمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ، فَمَتَىٰ صِرْتُمْ إِلَيْهِ، وَقَدْ خَالَفْتُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَأَتَيْتُمْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، مِنَ اتِّخَاذِ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، نَالَكُمْ مِنْ عِقَابِ رَبِّكُمْ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، يَقُولُ: فَاتَّقُوهُ وَاحْذَرُوهُ أَنْ يَنَالَكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْعَذَابِ.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ أَمَرْتُهُمْ أَنْ لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ مِنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ فَتُسِرُّوهُ..

﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ أَوْ تُبْدُوا ذَلِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، فَتُظْهِرُوهُ..

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ، فَلَا تُضْمِرُوا لَهُمْ مَوَدَّةً، وَلَا تُظْهِرُوا لَهُمْ مُوَالَاةً، فَيَنَالَكُمْ مِنْ عُقُوبَةِ رَبِّكُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَهُوَ مُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ عَلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا..

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَإِذْ كَانَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ هُوَ فِي سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ حَيْثُ كَانَ، فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنَ الْمَيْلِ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، أَوْ مَا تُبْدُونَهُ لَهُمْ بِالْمَعُونَةِ فِعْلًا وَقَوْلًا؟!..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩] وَاللهُ قَدِيرٌ عَلَىٰ مُعَاجَلَتِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مُوَالَاتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَمُظَاهَرَتِكُمُوهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَىٰ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ طَلَبَهُ.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ، فِي يَوْمٍ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا مُوَفَّرًا..

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ غَايَةً بَعِيدَةً، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ يَوْمَئِذٍ إِلَيْهِ فَاحْذَرُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ..

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ أَنْ تُسْخِطُوهَا عَلَيْكُمْ بِرُكُوبِكُمْ مَا يُسْخِطُهُ عَلَيْكُمْ، فَتُوَافُونَهُ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَهُوَ عَلَيْكُمْ سَاخِطٌ، فَيَنَالُكُمْ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ..

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠] رَحِيمٌ بِهِمْ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ تَحْذِيرُهُ إِيَّاهُمْ نَفْسَهُ، وَتَخْوِيفُهُمْ عُقُوبَتَهُ، وَنَهْيُهُ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾
[آل عمران: ٣١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّصَارَىٰ..

﴿إِن كُنتُمۡ﴾ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ..

﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ وَأَنَّكُمْ تُعَظِّمُونَ الْمَسِيحَ وَتَقُولُونَ فِيهِ مَا تَقُولُونَ، حُبًّا مِنْكُمْ رَبَّكُمْ..

﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ فَحَقِّقُوا قَوْلَكُمُ الَّذِي تَقُولُونَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِاتِّبَاعِكُمْ إِيَّايَ، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي لِلَّهِ رَسُولٌ إِلَيْكُمْ، كَمَا كَانَ عِيسَىٰ رَسُولًا إِلَىٰ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ..

﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ إِنِ اتَّبَعْتُمُونِي وَصَدَّقْتُمُونِي عَلَىٰ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ فَيَصْفَحُ لَكُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا، وَيَعْفُو لَكُمْ عَمَّا مَضَىٰ مِنْهَا..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿رَّحِيمٌ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١] بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ..

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾ مُحَمَّدًا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ يَقِينًا أَنَّهُ رَسُولِي إِلَىٰ خَلْقِي ابْتَعَثْتُهُ بِالْحَقِّ تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي الْإِنْجِيلِ..

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فَاسْتَدْبَرُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢] فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَفَرَ بِجَحْدِ مَا عَرَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَأَنْكَرَهُ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَأَنَّهُمْ مِنْهُمْ بِجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَكَ وَإِنْكَارِهِمُ الْحَقَّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِحَّةِ أَمْرِكَ وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران: ٣٣].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ إِنَّ اللهَ اجْتَبَىٰ..

﴿ءَادَمَ وَنُوحٗا﴾ وَاخْتَارَهُمَا لِدِينِهِمَا..

﴿وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ لِدِينِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَأَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ اخْتَارَ دِينَ مَنْ ذَكَرْنَا، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِآلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عِمْرَانَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ آلَ الرَّجُلِ أَتْبَاعُهُ وَقَوْمُهُ وَمَنْ هُوَ عَلَىٰ دِينِهِ..

﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران: ٣٣] عَلَىٰ سَائِرِ الْأَدْيَانِ الَّتِي خَالَفَتْهُ.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران: ٣٤].

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ اصْطَفَىٰ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا جَعَلَ «بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ» فِي الْمُوَالَاةِ فِي الدِّينِ وَالْمُوَازَرَةِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، يَعْنِي: أَنَّ دِينَهُمْ وَاحِدٌ وَطَرِيقَتَهُمْ وَاحِدَةٌ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ إِنَّمَا مَعْنَاهُ: ذُرِّيَّةٌ دِينُ بَعْضِهَا دِينُ بَعْضٍ، وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَمِلَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ وَاللهُ ذُو سَمْعٍ لِقَوْلِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ..

﴿عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران: ٣٤] وَذُو عِلْمٍ بِمَا تُضْمِرُهُ فِي نَفْسِهَا، إِذْ نَذَرَتْ لَهُ مَا فِي بَطْنِهَا مُحَرَّرًا.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: ٣٥].

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ هِيَ أُمُّ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ أُمِّ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ﴾ إِنِّي جَعَلْتُ لَكَ يَا رَبِّ نَذْرًا أَنَّ لَكَ..

﴿مَا فِي بَطۡنِي﴾ الَّذِي فِي بَطْنِي..

﴿مُحَرَّرٗا﴾ لِعِبَادَتِكَ، يَعْنِي بِذَلِكَ: حَبَسْتُهُ عَلَىٰ خِدْمَتِكَ وَخِدْمَةِ قُدُسِكَ فِي الْكَنِيسَةِ، عَتِيقَةً مِنْ خِدْمَةِ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاكَ، مُفَرَّغَةً لَكَ خَاصَّةً..

﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾ فَتَقَبَّلْ مِنِّي مَا نَذَرْتُ لَكَ يَا رَبِّ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ يَا رَبِّ..

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا أَقُولُ وَأَدْعُو..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: ٣٥] لِمَا أَنْوِي فِي نَفْسِي وَأُرِيدُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ سِرُّ أَمْرِي وَعَلَانِيَتُهُ.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦].

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا﴾ فَلَمَّا وَلَدَتْهَا..

﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ وَلَدْتُ النَّذِيرَةَ أُنْثَىٰ..

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ مِنْ كُلِّ خَلْقِهِ..

﴿بِمَا وَضَعَتۡ﴾ ثُمَّ رَجَعَ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَىٰ الْخَبَرِ عَنْ قَوْلِهَا، وَأَنَّهَا قَالَتِ اعْتِذَارًا إِلَىٰ رَبِّهَا مِمَّا كَانَتْ نَذَرَتْ فِي حَمْلِهَا فَحَرَّرْتُهُ لِخِدْمَةِ رَبِّهَا..

﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ لِأَنَّ الذَّكَرَ أَقْوَىٰ عَلَىٰ الْخِدْمَةِ وَأَقْوَمُ بِهَا، وَأَنَّ الْأُنْثَىٰ لَا تَصْلُحُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ لِدُخُولِ الْقُدُسِ وَالْقِيَامِ بِخِدْمَةِ الْكَنِيسَةِ لِمَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ..

﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ وَإِنِّي أَجْعَلُ مَعَاذَهَا وَمَعَاذَ ذُرِّيَّتِهَا.. وَأَصْلُ الْمَعَاذِ الْمَوْئِلُ وَالْمَلْجَأُ وَالْمَعْقِلُ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهَا فَأَعَاذَهَا اللهُ وَذُرِّيَّتَهَا..

﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦] فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَلَيْهَا سَبِيلًا.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُ طَعْنَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَسْتَهِلُّ الصَّبِيُّ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ وَوَلَدِهَا، فَإِنَّ أُمَّهَا قَالَتْ حِينَ وَضَعَتْهَا: ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ فَضُرِبَ دُونَهُمَا حِجَابٌ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ».

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ تَقَبَّلَ مَرْيَمَ مِنْ أُمِّهَا بِتَحْرِيرِهَا إِيَّاهَا لِلْكَنِيسَةِ وَخِدْمَتِهَا، وَخِدْمَةِ رَبِّهَا..

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ وَأَنْبَتَهَا رَبُّهَا فِي غِذَائِهِ وَرِزْقِهِ نَبَاتًا حَسَنًا حَتَّىٰ تَمَّتْ فَكَمُلَتِ امْرَأَةً بَالِغَةً تَامَّةً..

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ وَكَفَّلَهَا اللهُ زَكَرِيَّا، بِمَعْنَىٰ: وَضَمَّهَا اللهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ زَكَرِيَّا أَيْضًا ضَمَّهَا إِلَيْهَا بِإِيجَابِ اللهِ لَهُ ضَمَّهَا إِلَيْهِ بِالْقُرْعَةِ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللهُ لَهُ، وَالْآيَةُ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِخُصُومِهِ فِيهَا، فَجَعَلَهُ بِهَا أَوْلَىٰ مِنْهُمْ، إِذْ قَرَعَ فِيهَا مَنْ شَاحَّهُ فِيهَا..

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ بَعْدَ إِدْخَالِهِ إِيَّاهَا الْمِحْرَابَ.. وَالْمِحْرَابُ فَهُوَ مُقَدَّمُ كُلِّ مَجْلِسٍ وَمُصَلًّىٰ، وَهُوَ سَيِّدُ الْمَجَالِسِ وَأَشْرَفُهَا وَأَكْرَمُهَا، وَكَذَلِكَ هُوَ مِنَ الْمَسَاجِدِ..

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾ مِنَ اللهِ لِغِذَائِهَا، فَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الرِّزْقَ الَّذِي كَانَ يَجِدُهُ زَكَرِيَّا عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ..

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا..

﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ مِنْ أَيْ وَجْهٍ لَكُ هَذَا الَّذِي أَرَىٰ عِنْدَكَ مِنَ الرِّزْقِ..

﴿قَالَتْ﴾ مَرْيَمُ مُجِيبَةً لَهُ..

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تَعْنِي: أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي رَزَقَهَا ذَلِكَ فَسَاقَهُ إِلَيْهَا وَأَعْطَاهَا، وَإِنَّمَا كَانَ زَكَرِيَّا يَقُولُ ذَلِكَ لَهَا لِأَنَّهُ كَانَ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا يُغْلِقُ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَيَخْرُجُ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهَا، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، فَكَانَ يَعْجَبُ مِمَّا يَرَىٰ مِنْ ذَلِكَ، وَيَقُولُ لَهَا تَعَجُّبًا مِمَّا يَرَىٰ: أَنَّىٰ لَكِ هَذَا؟ فَتَقُولُ: مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ أَنَّهُ يَسُوقُ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ رِزْقَهُ بِغَيْرِ إِحْصَاءٍ وَلَا عَدَدٍ يُحَاسِبُ عَلَيْهِ عَبْدَهُ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثناؤُهُ لَا يَنْقُصُ سَوْقُهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ خَزَائِنَهُ، وَلَا يَزِيدُ إِعْطَاؤُهُ إِيَّاهُ، وَمُحَاسَبَتُهُ عَلَيْهِ فِي مُلْكِهِ، وَفِيمَا لَدَيْهِ شَيْئًا، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ مَا يَرْزُقُهُ، وَإِنَّمَا يُحَاسِبُ مَنْ يُعْطِي مَا يُعْطِيهِ مَنْ يَخْشَىٰ النُّقْصَانَ مِنْ مُلْكِهِ، بِخُرُوجِ مَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ بِغَيْرِ حِسَابٍ مَعْرُوفٍ وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِمَا يُعْطِي عَلَىٰ غَيْرِ حِسَابٍ.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾

[آل عمران: ٣٨].

﴿هُنَالِكَ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ، أَيْ عِنْدَ رُؤْيَةِ زَكَرِيَّا مَا رَأَىٰ عِنْدَ مَرْيَمَ مِنْ رِزْقِ اللهِ الَّذِي رَزَقَهَا، وَفَضْلِهِ الَّذِي آتَاهَا مِنْ غَيْرِ تَسَبُّبِ أَحَدٍ مِنَ الْآدَمِيِّينَ فِي ذَلِكَ لَهَا، وَمُعَايَنَتِهِ عِنْدَهَا الثَّمَرَةَ الرَّطْبَةَ الَّتِي لَا تَكُونُ فِي حِينِ رُؤْيَتِهِ إِيَّاهَا عِنْدَهَا فِي الْأَرْضِ، طَمِعَ فِي الْوَلَدِ مَعَ كِبَرِ سِنِّهِ مِنَ الْمَرْأَةِ الْعَاقِرِ، فَرَجَا أَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ مَعَ الْحَالِ الَّتِي هُمَا بِهَا، كَمَا رَزَقَ مَرْيَمَ عَلَىٰ تَخَلِّيهَا مِنَ النَّاسِ مَا رَزَقَهَا مِنْ ثَمَرَةِ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَثَمَرَةِ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مِمَّا جَرَتْ بِوُجُودِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْحِينِ الْعَادَاتُ فِي الْأَرْضِ، بَلِ الْمَعْرُوفُ فِي النَّاسِ غَيْرُ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ وِلَادَةَ الْعَاقِرِ غَيْرُ الْأَمْرِ الْجَارِيَةِ بِهِ الْعَادَاتِ فِي النَّاسِ..

﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ فَرَغِبَ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ فِي الْوَلَدِ، وَسَأَلَهُ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ بَيْتِ زَكَرِيَّا فِيمَا ذُكِرَ لَنَا، كَانُوا قَدِ انْقَرَضُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ..

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿ذُرِّيَّةً﴾ نسلًا.. والذُّرِّيَّةُ جَمْعٌ، وَقَدْ تَكُونُ فِي مَعْنَىٰ الْوَاحِدِ، وَهِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِلْوَاحِدِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مُخْبِرًا عَنْ دُعَاءِ زَكَرِيَّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: ٥] وَلَمْ يَقُلْ (أَوْلِيَاءَ)، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ سَأَلَ وَاحِدًا..

﴿طَيِّبَةً﴾ مُبَارَكَةً.. وَإِنَّمَا أَنَّثَ طَيِّبَةً لِتَأْنِيثِ الذُّرِّيَّةِ..

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] إِنَّكَ ذُو سَمْعٍ دُعَاءَ مَنْ دَعَاكَ.. ومَعْنَاهُ أَنَّكَ سَامِعُ الدُّعَاءِ، غَيْرَ أَنَّ «سَمِيعٌ» أَمْدَحُ، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ ذُو سَمْعٍ لَهُ.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران: ٣٩].

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ فِي حَالِ قِيَامِهِ مُصَلِّيًا..

﴿يُصَلِّي﴾ حَالٌ مِنَ الْقِيَامِ..

﴿فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ..

﴿وَسَيِّدًا﴾ وَشَرِيفًا فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ..

﴿وَحَصُورًا﴾ مُمْتَنِعًا مِنْ جِمَاعِ النِّسَاءِ..

﴿وَنَبِيًّا﴾ وَرَسُولًا لِرَبِّهِ إِلَىٰ قَوْمِهِ، يُنَبِّئُهُمْ عَنْهُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَيُبَلِّغُهُمْ عَنْهُ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران: ٣٩] مِنْ أَنْبِيَائِهِ الصَّالِحِينَ.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝٤٠﴾ [آل عمران: ٤٠].

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ فَمَنْ بَلَغَ مِنَ السِّنِّ مَا بَلَغْتُ لَمْ يُولَدْ لَهُ.. وَقَدْ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ﴾ [مريم: ٨] لِأَنَّ مَا بَلَغَكَ فَقَدْ بَلَغْتَهُ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: قَدْ كَبِرْتُ، وَهُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: وَقَدْ بَلَغَنِي الْجَهْدُ، بِمَعْنَىٰ: أَنِّي فِي جَهْدٍ..

﴿وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ﴾ لَا تَلِدُ..

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ هَيِّنٌ عَلَيْهِ أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا مِنَ الْكَبِيرِ الَّذِي قَدْ يَئِسَ مِنَ الْوَلَدِ، وَمِنَ الْعَاقِرِ الَّتِي لَا يُرْجَىٰ مِنْ مِثْلِهَا الْوِلَادَةُ، كَمَا خَلَقَكَ يَا زَكَرِيَّا مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْوَلَدِ مِنْكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ اللهُ الَّذِي لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ خَلْقُ شَيْءٍ أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ شَاءَهُ..

﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ [آل عمران: ٤٠] لِأَنَّ قُدْرَتَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يُشْبِهُهَا قُدْرَةٌ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران: ٤١].

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا..

﴿رَبِّ﴾ يَا رَبِّ إِنْ كَانَ هَذَا النِّدَاءُ الَّذِي نُودِيتُهُ، وَالصَّوْتُ الَّذِي سَمِعْتُهُ صَوْتَ مَلَائِكَتِكَ، وَبِشَارَةً مِنْكَ لِي، فَـ..

﴿ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ عَلَامَةً أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عَلَىٰ تَحْقِيقِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْبِشَارَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِيَحْيَىٰ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ آيَةً مِنْ نَفْسِهِ..

﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ..

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ..

﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ إِلَّا إِيمَاءً بِالشَّفَتَيْنِ بِغَيْرِ خَرَسٍ، وَلَا عَاهَةٍ، وَلَا مَرَضٍ..

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ فَإِنَّكَ لَا تُمْنَعُ ذِكْرَهُ، وَلَا يُحَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَسْبِيحِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِهِ..

﴿وَسَبِّحۡ﴾ وَعَظِّمْ رَبَّكَ بِعِبَادَتِهِ..

﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ مِنْ حِينِ تَزُولُ الشَّمْسُ إِلَىٰ أَنْ تَغِيبَ..

﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران: ٤١] مِنْ بَيْنِ مَطْلَعِ الْفَجْرِ إِلَىٰ وَقْتِ الضُّحَىٰ.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ [آل عمران: ٤٢].

﴿وَإِذۡ﴾ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ [آل عمران: ٣٥]، وَإِذْ..

﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ اخْتَارَكِ وَاجْتَبَاكِ لِطَاعَتِهِ، وَمَا خَصَّكِ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ..

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ طَهَّرَ دِينَكِ مِنَ الرِّيَبِ وَالْأَدْنَاسِ الَّتِي فِي أَدْيَانِ نِسَاءِ بَنِي آدَمَ..

﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ [آل عمران: ٤٢] وَاخْتَارَكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكِ بِطَاعَتِكِ إِيَّاهُ، فَفَضَّلَكِ عَلَيْهِمْ، كَمَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».. يَعْنِي بِقَوْلِهِ: خَيْرُ نِسَائِهَا: خَيْرُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [آل عمران: ٤٣].

﴿يَٰمَرْيَمُ﴾ خَبَرًا عَنْ قِيلِ مَلَائِكَتِهِ لِمَرْيَمَ..

﴿ٱقْنُتِى﴾ أَخْلِصِي الطَّاعَةَ، والعِبَادَةَ..

﴿لِرَبِّكِ﴾ وَحْدَهُ..

﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [آل عمران: ٤٣] وَاخْشَعِي لِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، مَعَ مَنْ خَشَعَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ، شُكْرًا لَهُ عَلَىٰ مَا أَكْرَمَكِ بِهِ مِنَ الِاصْطِفَاءِ وَالتَّطْهِيرِ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالتَّفْضِيلِ عَلَىٰ نِسَاءِ عَالَمِ دَهْرِكِ.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٤﴾ [آل عمران: ٤٤].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الْأَخْبَارَ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عِبَادَهُ عَنِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ وَابْنَتِهَا مَرْيَمَ وَزَكَرِيَّا، وَابْنِهِ يَحْيَىٰ، وَسَائِرَ مَا قَصَّ فِي الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣]، ثُمَّ جَمَعَ جَمِيعَ ذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ﴿ذَٰلِكَ﴾، فَقَالَ: هَٰذِهِ الْأَنْبَاءُ..

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ مِنْ خَفِيِّ أَخْبَارِ الْقَوْمِ الَّتِي لَمْ تَطَّلِعْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَيْهَا وَلَا قَوْمُكَ، وَلَمْ يَعْلَمْهَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَرُهْبَانِهِمْ..

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ نُنْزِلُهُ إِلَيْكَ.. وَأَصْلُ الْإِيحَاءِ: إِلْقَاءُ الْمُوحِي إِلَىٰ الْمُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ بِكِتَابٍ وَإِشَارَةٍ وَإِيمَاءٍ وَبِإِلْهَامٍ وَبِرِسَالَةٍ كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] بِمَعْنَىٰ: أَلْقَىٰ ذَلِكَ إِلَيْهَا فَأَلْهَمَهَا، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾ [المائدة: ١١١] بِمَعْنَىٰ: أَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ عِلْمَ ذَلِكَ إِلْهَامًا، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم: ١١]

بِمَعْنَىٰ: فَأَلْقَىٰ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا، وَالْأَصْلُ فِيهِ مَا وَصَفْتُ مِنْ إِلْقَاءِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ إِلْقَاؤُهُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ إِيمَاءً، وَيَكُونُ بِكِتَابٍ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١] يُلْقُونَ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ وَسْوَسَةً، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] أُلْقِيَ إِلَيَّ بِمَجِيءِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ إِلَيَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.. وَأَمَّا الْوَحْيُ: فَهُوَ الْوَاقِعُ مِنَ الْمُوحِي إِلَىٰ الْمُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ سَمَّتِ الْعَرَبُ الْخَطَّ وَالْكِتَابَ وَحْيًا، لِأَنَّهُ وَاقِعٌ فِيمَا كُتِبَ ثَابِتٌ فِيهِ، وَقَدْ يُقَالُ فِي الْكِتَابِ خَاصَّةً إِذَا كَتَبَهُ الْكَاتِبُ وَحَىٰ، بِغَيْرِ أَلِفٍ.. فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ أَوْحَىٰ ذَلِكَ إِلَيْهِ حُجَّةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ، وَتَحْقِيقًا لِصِدْقِهِ، وَقَطْعًا مِنْهُ بِهِ عُذْرَ مُنْكِرِي رِسَالَتِهِ مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ عِلْمِ هَذِهِ الْأَنْبَاءِ مَعَ خَفَائِهَا، وَلَمْ يُدْرِكْ مَعْرِفَتَهَا مَعَ خُمُولِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، إِلَّا بِإِعْلَامِ اللهِ ذَلِكَ إِيَّاهُ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ فَيَقْرَأُ الْكُتُبَ فَيَصِلُ إِلَىٰ عِلْمِ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْكُتُبِ، وَلَا صَاحَبَ أَهْلَ الْكِتَابِ فَيَأْخُذُ عِلْمَهُ مِنْ قِبَلِهِمْ..

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ عِنْدَهُمْ، فَتَعْلَمَ مَا نُعْلِمُكَهُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ الَّتِي لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَكِنَّكَ إِنَّمَا تَعْلَمُ ذَلِكَ فَتُدْرِكُ مَعْرِفَتَهُ بِتَعْرِيفِنَاكَهُ..

﴿إِذۡ يُلۡقُونَ﴾ حِينَ يُلْقُونَ..

﴿أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ فَسِهَامُهُمُ الَّتِي اسْتَهَمَ بِهَا الْمُسْتَهِمُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ كَفَالَةِ مَرْيَمَ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]..

﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ﴾ يَضُمُّ..

﴿مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ قَوْمِ مَرْيَمَ..

﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾ [آل عمران: ٤٤] فِيهَا أَيُّهُمْ أَحَقُّ بِهَا وَأَوْلَىٰ، وَذَلِكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كَانَ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَتَوْبِيخٌ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، يَقُولُ: كَيْفَ يَشُكُّ أَهْلُ الْكُفْرِ بِكَ مِنْهُمْ، وَأَنْتَ تُنَبِّئُهُمْ هَذِهِ الْأَنْبَاءَ وَلَمْ تَشْهَدْهَا وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ يَوْمَ فَعَلُوا هَذِهِ الْأُمُورَ، وَلَسْتَ مِمَّنْ قَرَأَ الْكُتُبَ فَعَلِمَ نَبَأَهُمْ، وَلَا جَالَسَ أَهْلَهَا فَسَمِعَ خَبَرَهُمْ.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ [آل عمران: ٤٥].

﴿إِذۡ﴾ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ أَيْضًا إِذْ..

﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ بِبُشْرَىٰ مِنْ عِنْدِهِ.. وَالتَّبْشِيرُ إِخْبَارُ الْمَرْءِ بِمَا يَسُرُّهُ مِنْ خَبَرٍ..

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ بِرِسَالَةٍ مِنَ اللهِ، وَخَبَرٍ مِنْ عِنْدِهِ وَهِيَ وَلَدٌ لَكِ..

﴿ٱسْمُهُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: اسْمُهَا، فَيُؤَنِّثُ وَالْكَلِمَةُ مُؤَنَّثَةٌ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ غَيْرُ مَقْصُودٍ بِهَا قَصْدُ الِاسْمِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ فُلَانٍ، وَإِنَّمَا هِيَ بِمَعْنَىٰ الْبِشَارَةِ، فَذُكِرَتْ كِنَايَتُهَا كَمَا تُذْكَرُ كِنَايَةُ الذُّرِّيَّةِ وَالدَّابَّةِ وَالْأَلْقَابِ..

﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ابْنُ أُمِّهِ مَرْيَمَ، وَنَفَىٰ بِذَلِكَ عَنْهُ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمُلْحِدُونَ فِي اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ مِنَ النَّصَارَىٰ، مِنْ إِضَافَتِهِمْ بُنُوَّتَهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَا قُذِفَتْ أُمُّهُ بِهِ الْمُفْتَرِيَةُ عَلَيْهَا مِنَ الْيَهُودِ..

﴿وَجِيهًا﴾ ذَا وَجْهٍ وَمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ وَشَرَفٍ وَكَرَامَةٍ..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ [آل عمران: ٤٥] مِمَّنْ يُقَرِّبُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُسْكِنُهُ فِي جِوَارِهِ، وَيُدْنِيهِ مِنْهُ.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾ [آل عمران: ٤٦].

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ طِفْلًا فِي الْمَهْدِ فِي مَضْجَعِ الصَّبِيِّ، فِي رَضَاعِهِ، دَلَالَةً عَلَىٰ بَرَاءَةِ أُمِّهِ مِمَّا قَذَفَهَا بِهِ الْمُفْتَرُونَ عَلَيْهَا، وَحُجَّةً لَهُ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ..

﴿وَكَهْلًا﴾ فَوْقَ الْغُلُومَةِ وَدُونَ الشَّيْخُوخَةِ، يُكَلِّمُ النَّاسَ بِوَحْيِ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمَا يُنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِبَادَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، وَأَنَّهُ كَذَلِكَ كَانَ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ كُهُولًا وَشُيُوخًا، احْتِجَاجًا بِهِ عَلَىٰ الْقَائِلِينَ فِيهِ -مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ مِنَ النَّصَارَىٰ- بِالْبَاطِلِ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي مُعَانَاةِ أَشْيَاءَ، مَوْلُودًا طِفْلًا ثُمَّ كَهْلًا، يَتَقَلَّبُ فِي الْأَحْدَاثِ، وَيَتَغَيَّرُ بِمُرُورِ الْأَزْمِنَةِ عَلَيْهِ وَالْأَيَّامِ، مِنْ صِغَرٍ إِلَىٰ كِبَرٍ، وَمِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الْمُلْحِدُونَ فِيهِ، كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ جَائِزٍ عَلَيْهِ، فَكَذَّبَ بِذَلِكَ مَا قَالَهُ الَّذِينَ حَاجُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِمْ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ كَانَ كَسَائِرِ بَنِي آدَمَ، إِلَّا مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ الَّتِي أَبَانَهُ بِهَا مِنْهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَكَهْلًا﴾ أَنَّهُ سَيُكَلِّمُهُمْ إِذَا ظَهَرَ وَقَتَلَ الدَّجَّالَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ كَهْلٌ..

﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾ [آل عمران: ٤٦] يَعْنِي: مِنْ عِدَادِهِمْ، وَأَوْلِيَائِهِمْ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿قَالَتْ﴾ مَرْيَمُ إِذْ قَالَتْ لَهَا الْمَلَائِكَةُ: إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ..

﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَكُونُ لِي وَلَدٌ؟!

﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أَمِنْ قِبَلِ زَوْجٍ أَتَزَوَّجُهُ وَبَعْلٍ أَنْكِحُهُ؟! أَوْ تَبْتَدِئُ فِي خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ بَعْلٍ وَلَا فَحْلٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّنِي بِشَرٌ؟! فَـ

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهَا..

﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ هَكَذَا يَخْلُقُ اللهُ مِنْكِ وَلَدًا لَكِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّكِ بَشَرٌ، فَيَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَعِبْرَةً، فَإِنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيَصْنَعُ مَا يُرِيدُ، فَيُعْطِي الْوَلَدَ مَنْ شَاءَ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ وَمِنْ فَحْلٍ، وَيَحْرِمُ ذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ مِنَ النِّسَاءِ وَإِنْ كَانَتْ ذَاتَ بَعْلٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ خَلْقُ شَيْءٍ أَرَادَ خَلْقَهُ..

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧] إِنَّمَا هُوَ أَنْ يَأْمُرَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا مَا أَرَادَ، فَيَقُولُ لَهُ: ﴿كُن﴾ فَيَكُونُ مَا شَاءَ مِمَّا يَشَاءُ، وَكَيْفَ شَاءَ.

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٨].

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ ويُعَلِّمُ اللهُ عِيسَىٰ..

﴿الْكِتَابَ﴾ وَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ يُعَلِّمُهُ.. وَهَذَا ابْتِدَاءُ خَبَرٍ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِمَرْيَمَ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِالْوَلَدِ الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَرِفْعَةِ الْمَنْزِلَةِ وَالْفَضِيلَةِ، فَقَالَ: كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مِنْكِ وَلَدًا، مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ وَلَا بَعْلٍ، فَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ، وَهُوَ الْخَطُّ الَّذِي يَخُطُّهُ بِيَدِهِ..

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وَهِيَ السُّنَّةُ الَّتِي نُوحِيهَا إِلَيْهِ فِي غَيْرِ كِتَابٍ..

﴿وَالتَّوْرَاةَ﴾ وَهِيَ التَّوْرَاةُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ، كَانَتْ فِيهِمْ مِنْ عَهْدِ مُوسَىٰ..

﴿وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٨] إِنْجِيلَ عِيسَىٰ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ، وَلَكِنَّ اللهَ أَخْبَرَ مَرْيَمَ قَبْلَ خَلْقِ عِيسَىٰ أَنَّهُ مُوحِيهِ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَهَا بِذَلِكَ فَسَمَّاهُ لَهَا؛ لِأَنَّهَا قَدْ كَانَتْ عَلِمَتْ فِيمَا نَزَلَ مِنَ الْكُتُبِ أَنَّ اللهَ بَاعِثٌ نَبِيًّا يُوحِي إِلَيْهِ كِتَابًا اسْمُهُ الْإِنْجِيلُ، فَأَخْبَرَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ الَّذِي سَمِعَتْ بِصِفَتِهِ، الَّذِي وَعَدَ أَنْبِيَاءَهُ مِنْ قَبْلُ أَنَّهُ مُنْزِلٌ عَلَيْهِ الْكِتَابَ الَّذِي يُسَمَّىٰ إِنْجِيلًا، هُوَ الْوَلَدُ الَّذِي وَهَبَهُ لَهَا، وَبَشَّرَهَا بِهِ.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿وَرَسُولًا﴾ وَنَجْعَلُهُ رَسُولًا..

﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وَحُجَّتِي عَن صِدْقِي عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ بِعَلَامَةٍ..

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تُحَقِّقُ قَوْلِي وَتُصَدِّقُ خَبَرِي، أَنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ، ثُمَّ بَيَّنَ عَنِ الْآيَةِ مَا هِيَ، فَقَالَ..

﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ جَمْعُ طَائِرٍ..

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ فَأَنْفُخ فِي الطَّيْرِ..

﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ﴾ وَأُشْفِي..

﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ هُوَ الْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا لَا لَيْلًا وَلَا نَهَارًا..

﴿وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بِدُعَاءِ اللهِ، يَدْعُو لَهُمْ، فَيَسْتَجِيبُ لَهُ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم﴾ وَأُخْبِرُكُمْ..

﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ بِمَا تَأْكُلُونَهُ مِمَّا لَمْ أُعَايِنْهُ وَأُشَاهِدْهُ مَعَكُمْ فِي وَقْتِ أَكْلِكُمُوهُ..

﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وَمَا تَرْفَعُونَهُ فَتَخْبَئُونَهُ وَلَا تَأْكُلُونَهُ، فَيُعْلِمُهُمْ أَنَّ مِنْ حُجَّتِهِ أَيْضًا عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ مَعَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَعْلَمُهُمْ أَنَّهُ يَأْتِي بِهَا حُجَّةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِهِ فِي خَبَرِهِ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ: مِنْ خَلْقِ الطَّيْرِ مِنَ الطِّينِ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ، الَّتِي لَا يُطِيقُهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ ذَلِكَ، عَلَمًا لَهُ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَآيَةً لَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ قَوْلِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ إِنْبَاءَهُ عَنِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ -الَّذِينَ سَبِيلُهُمْ سَبِيلُهُ- عَلَيْهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا كَانَ فِي قَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ مِنَ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَقَدْ رَأَيْنَا الْمُتَنَجِّمَةَ وَالْمُتَكَهِّنَةَ تُخْبِرُ بِذَلِكَ كَثِيرًا فَتُصِيبُ؟ قِيلَ: إِنَّ الْمُتَنَجِّمَ وَالْمُتَكَهِّنَ مَعْلُومٌ مِنْهُمَا عِنْدَ مَنْ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُمَا يُنْبِئَانِ بِهِ عَنِ اسْتِخْرَاجٍ لَهُ بِبَعْضِ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَىٰ عِلْمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ

كَذَلِكَ مِنْ عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَمِنْ سَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ عِيسَىٰ يُخْبِرُ بِهِ عَنْ غَيْرِ اسْتِخْرَاجٍ وَلَا طَلَبٍ لِمَعْرِفَتِهِ بِاحْتِيَالٍ، وَلَكِنْ ابْتِدَاءً بِإِعْلَامِ اللهِ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ تَقَدَّمَ ذَلِكَ احْتَذَاهُ، أَوْ بَنَىٰ عَلَيْهِ أَوْ فَزِعَ إِلَيْهِ، كَمَا يَفْزَعُ الْمُتَنَجِّمُ إِلَىٰ حِسَابِهِ، وَالْمُتَكَهِّنُ إِلَىٰ رِئْيِهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْغُيُوبِ وَإِخْبَارِهِمْ عَنْهَا، وَبَيْنَ عِلْمِ سَائِرِ الْمُتَكَذِّبَةِ عَلَىٰ اللهِ، أَوِ الْمُدَّعِيَةِ عِلْمَ ذَلِكَ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِي مِنَ الطِّينِ الطَّيْرَ بِإِذْنِ اللهِ، وَفِي إِبْرَائِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَإِحْيَائِي الْمَوْتَىٰ، وَإِنْبَائِي إِيَّاكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ وَتَنْجِيمٍ، وَلَا كَهَانَةٍ وَعِرَافَةٍ..

﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ لَعِبْرَةً لَكُمْ، وَمُتَفَكَّرًا تَتَفَكَّرُونَ فِي ذَلِكَ، فَتَعْتَبِرُونَ بِهِ أَنِّي مُحِقٌّ فِي قَوْلِي لَكُمْ: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ، وَتَعْلَمُونَ بِهِ أَنِّي فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ صَادِقٌ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ حُجَجَ اللهِ وَآيَاتِهِ، مُقِرِّينَ بِتَوْحِيدِهِ وَنَبِيِّهِ مُوسَىٰ، وَالتَّوْرَاةِ الَّتِي جَاءَكُمْ بِهَا.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، احْتِجَاجًا مِنْهُ بِهَذِهِ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ عَلَيْهِمْ فِي نُبُوَّتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَمَهَ وَالْبَرَصَ لَا عِلَاجَ لَهُمَا، فَيَقْدِرُ عَلَىٰ إِبْرَائِهِ ذُو طِبٍّ بِعِلَاجٍ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَدِلَّتِهِ عَلَىٰ صِدْقِ قِيلِهِ إِنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَعَ سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا دَلَالَةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٠].

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَجِئْتُكُمْ..

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لِأَنَّ عِيسَىٰ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- كَانَ مُؤْمِنًا بِالتَّوْرَاةِ مُقِرًّا بِهَا، وَأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ يُصَدِّقُونَ بِكُلِّ مَا كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ كُتُبِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَإِنِ اخْتَلَفَ بَعْضُ شَرَائِعِ أَحْكَامِهِمْ لِمُخَالَفَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ فِيمَا بَلَغَنَا عَامِلًا بِالتَّوْرَاةِ، لَمْ يُخَالِفْ شَيْئًا مِنْ أَحْكَامِهَا إِلَّا مَا خَفَّفَ اللهُ عَنْ أَهْلِهَا فِي الْإِنْجِيلِ مِمَّا كَانَ مُشَدَّدًا عَلَيْهِمْ فِيهَا..

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ كَانَ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ فِيمَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ مِنَ التَّوْرَاةِ لُحُومُ الْإِبِلِ، فَأَحَلَّهَا لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ عِيسَىٰ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، وَأُحِلَّتْ لَهُمْ فِيمَا جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ، وَفِي أَشْيَاءَ مِنَ السَّمَكِ، وَفِي أَشْيَاءَ مِنَ الطَّيْرِ، وَفِي أَشْيَاءَ حَرَّمَهَا عَلَيْهِمْ وَشَدَّدَهَا عَلَيْهِمْ،

فَجَاءَهُمْ عِيسَىٰ بِالتَّخْفِيفِ مِنْهُ فِي الْإِنْجِيلِ، فَكَانَ الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ أَلْيَنَ مِنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَجِئْتُكُم بِءَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وَجِئْتُكُمْ بِحُجَّةٍ وَعِبْرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ تَعْلَمُونَ بِهَا يَقِينًا صِدْقِي، وَحَقِيقَةَ مَا أَقُولُ لَكُمْ..

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ فَأَوْفُوا بِعَهْدِهِ الَّذِي عَاهَدْتُمُوهُ فِيهِ..

﴿وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ [آل عمران: ٥٠] فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَصْدِيقِي فِيمَا أَرْسَلَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، رَبِّي وَرَبُّكُمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [آل عمران: ٥١].

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، وَبِإِحْلَالِ بَعْضِ مَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ..

﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [آل عمران: ٥١] وَذَلِكَ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ، وَالْهُدَىٰ الْمَتِينُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهَا خَبَرًا، فَفِيهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ بَرِيئًا مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ مَنْ نَسَبَهُ، غَيْرَ الَّذِي وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، مِنْ أَنَّهُ لِلَّهِ عَبْدٌ كَسَائِرِ عَبِيدِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، إِلَّا مَا كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالْحُجَجِ الَّتِي آتَاهُ دَلِيلًا عَلَىٰ صِدْقِهِ، كَمَا آتَىٰ سَائِرَ الْمُرْسَلِينَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَعْلَامِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، وَالْحُجَّةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِمْ.

﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ فَلَمَّا وَجَدَ.. وَالْإِحْسَاسُ: هُوَ الْوُجُودُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨] فَأَمَّا الْحِسُّ بِغَيْرِ أَلْفٍ، فَهُوَ الْإِفْنَاءُ وَالْقَتْلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وَالْحِسُّ أَيْضًا: الْعَطْفُ وَالرِّقَّةُ..

﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ..

﴿الْكُفْرَ﴾ وَالْجُحُودَ لِنُبُوَّتِهِ، وَتَكْذِيبًا لِقَوْلِهِ، وَصَدًّا عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ..

﴿قَالَ﴾ عِيسَىٰ..

﴿مَنْ أَنصَارِي﴾ مَنْ أَعْوَانِي عَلَىٰ الْمُكَذِّبِينَ بِحُجَّةِ اللهِ، وَالْمُوَلِّينَ عَنْ دِينِهِ، وَالْجَاحِدِينَ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ مَعَ اللهِ..

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ سُمُّوا بِذَلِكَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا غَسَّالِينَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَوَارِيُّو عِيسَىٰ كَانُوا سُمُّوا بِالَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ تَبْيِيضِهِمُ الثِّيَابَ وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَصَّارِينَ، فَعُرِفُوا بِصُحْبَةِ عِيسَىٰ وَاخْتِيَارِهِ إِيَّاهُمْ لِنَفْسِهِ أَصْحَابًا وَأَنْصَارًا، فَجَرَىٰ ذَلِكَ الِاسْمُ لَهُمْ وَاسْتُعْمِلَ، حَتَّىٰ صَارَ كُلُّ خَاصَّةٍ لِلرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ حَوَارِيَّهُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**» يَعْنِي خَاصَّتَهُ، وَقَدْ تُسَمِّي الْعَرَبُ النِّسَاءَ اللَّوَاتِي مَسَاكِنُهُنَّ الْقُرَىٰ وَالْأَمْصَارُ (حَوَارِيَّاتٌ)، وَإِنَّمَا سُمِّينَ بِذَلِكَ لِغَلَبَةِ الْبَيَاضِ عَلَيْهِنَّ..

﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ صَدَّقْنَا بِاللهِ..

﴿وَٱشْهَدْ﴾ أَنْتَ يَا عِيسَىٰ..

﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢] وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُهُ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ عِيسَىٰ وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ، لَا النَّصْرَانِيَّةَ وَلَا الْيَهُودِيَّةَ، وَتُبْرِئَةٌ مِنَ اللهِ لِعِيسَىٰ مِمَّنِ انْتَحَلَ النَّصْرَانِيَّةَ وَدَانَ بِهَا، كَمَا بَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ غَيْرِ الْإِسْلَامِ.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنِ الْحَوَارِيِّينَ أَنَّهُمْ قَالُوا: «**رَبَّنَا آمَنَّا**»..

﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ عَلَىٰ نَبِيِّكَ عِيسَىٰ مِنْ كِتَابِكَ..

﴿وَٱتَّبَعْنَا﴾ صِرْنَا أَتْبَاعَ..

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ عِيسَىٰ، عَلَىٰ دِينِكَ الَّذِي ابْتَعَثْتَهُ بِهِ، وَأَعْوَانَهُ عَلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ بِهِ إِلَىٰ عِبَادِكَ..

﴿فَٱكْتُبْنَا﴾ فَأَثْبِتْ أَسْمَاءَنَا..

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣] مَعَ أَسْمَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا بِالْحَقِّ، وَأَقَرُّوا لَكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَكَ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ، فَاجْعَلْنَا فِي عِدَادِهِمْ وَمَعَهُمْ فِيمَا تُكْرِمُهُمْ بِهِ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَأَحِلَّنَا مَحَلَّهُمْ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ كَفَرَ بِكَ، وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِكَ، وَخَالَفَ أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ، يُعَرِّفُ خَلْقَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ سَبِيلَ الَّذِينَ رَضِيَ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ، لِيَحْتَذُوا طَرِيقَهُمْ، وَيَتَّبِعُوا مِنْهَاجَهُمْ، فَيَصِلُوا إِلَىٰ مِثْلِ الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَاتِ كَرَامَتِهِ، وَيُكَذِّبُ بِذَلِكَ الَّذِينَ انْتَحَلُوا مِنَ الْمِلَلِ غَيْرَ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ فِي دَعْوَاهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَاءِ اللهِ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِهَا.

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤].

﴿وَمَكَرُواْ﴾ وَمَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ أَنَّ عِيسَىٰ أَحَسَّ مِنْهُمُ الْكُفْرَ، وَكَانَ مَكْرُهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ مُوَاطَأَةَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا عَلَىٰ الْفَتْكِ بِعِيسَىٰ وَقَتْلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ عِيسَىٰ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- بَعْدَ إِخْرَاجِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ وَأُمَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ عَادَ إِلَيْهِمْ..

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ بِهِمْ بِإِلْقَائِهِ شَبَهَ عِيسَىٰ عَلَىٰ بَعْضِ أَتْبَاعِهِ، حَتَّىٰ قَتَلَهُ الْمَاكِرُونَ بِعِيسَىٰ، وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ عِيسَىٰ، وَقَدْ رَفَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِيسَىٰ قَبْلَ ذَلِكَ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ مَكْرِ اللهِ بِهِمُ اسْتِدْرَاجُهُ إِيَّاهُمْ لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ [البقرة: ١٥]..

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤] وَمَكَرَ اللهُ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ حَاوَلُوا قَتْلَ عِيسَىٰ مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ عِيسَىٰ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ إِنِّي قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ حَيًّا إِلَىٰ جِوَارِي..

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وَآخِذُكَ إِلَىٰ مَا عِنْدِي بِغَيْرِ مَوْتٍ..

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَرَافِعُكَ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ الَّذِين جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ.. وقد تَوَاتَرت الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ»، ثُمَّ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ مُدَّةً ذَكَرَهَا، اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي مَبْلَغِهَا، ثُمَّ يَمُوتُ، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ..

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ عَلَىٰ مِنْهَاجِكَ وَمِلَّتِكَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَفِطْرَتِهِ..

﴿فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فَوْقَ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ، وَخَالَفُوا بِسَبِيلِهِمْ جَمِيعَ أَهْلِ الْمِلَلِ، فَكَذَّبُوا بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَصَدُّوا عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ، فَمَصِيرُهُمْ فَوْقَهُمْ ظَاهِرِينَ عَلَيْهِمْ..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ﴾ ثُمَّ إِلَىٰ اللهِ أَيُّهَا الْمُخْتَلِفُونَ فِي عِيسَىٰ: الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ..

﴿مَرۡجِعُكُمۡ﴾ مَصِيرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ فَأَقْضِي حِينَئِذٍ بَيْنَ جَمِيعِكُمْ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ بِالْحَقِّ..

﴿فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٥٥﴾ [آل عمران: ٥٥] مِنْ أَمْرِهِ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦﴾ [آل عمران: ٥٦].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ يَا عِيسَىٰ، وَخَالَفُوا مِلَّتَكَ وَكَذَّبُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَقَالُوا فِيكَ الْبَاطِلَ وَأَضَافُوكَ إِلَىٰ غَيْرِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُضِيفُوكَ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْأَدْيَانِ..

﴿فَأُعَذِّبُهُمۡ﴾ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُمْ..

﴿عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بِنَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦﴾ [آل عمران: ٥٦] وَمَا لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ مَانِعٌ، وَلَا عَنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ لَهُمْ دَافِعٌ بِقُوَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ؛ لِأَنَّهُ الْعَزِيزُ ذُو الِانْتِقَامِ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧﴾ [آل عمران: ٥٧].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِكَ يَا عِيسَىٰ، وَصَدَّقُوكَ فَأَقَرُّوا بِنُبُوَّتِكَ، وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِي، وَدَانُوا بِالْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثْتُكَ بِهِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا فَرَضْتُ مِنْ فَرَائِضِي عَلَىٰ لِسَانِكَ، وَشَرَّعْتُ مِنْ شَرَائِعِي، وَسَنَنْتُ مِنْ سُنَنِي..

﴿فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ﴾ فَيُعْطِيهِمْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ كَامِلًا لَا يُبْخَسُونَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يُنْقَصُونَهُ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧﴾ [آل عمران: ٥٧] وَاللهُ لَا يُحِبُّ مَنْ ظَلَمَ غَيْرَهُ حَقًّا لَهُ، أَوْ وَضَعَ شَيْئًا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَنَفَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ أَنْ يَظْلِمَ عِبَادَهُ، فَيُجَازِي الْمُسِيءَ مِمَّنْ كَفَرَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، أَوْ يُجَازِي الْمُحْسِنَ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ فَأَطَاعَهُ جَزَاءَ الْمُسِيئِينَ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أُحِبُّ الظَّالِمِينَ، فَكَيْفَ أَظْلِمُ

خَلْقِي؟!.. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ وَعِيدٌ مِنْهُ لِلْكَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَوَعْدٌ مِنْهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمَ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا أَنَّهُ لَا يَبْخَسُ هَذَا الْمُؤْمِنَ حَقَّهُ، وَلَا يَظْلِمُ كَرَامَتَهُ، فَيَضَعُهَا فِيمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَيَكُونُ لَهَا بِوَضْعِهَا فِي غَيْرِ أَهْلِهَا ظَالِمًا.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ الَّتِي أَنْبَأَ بِهَا نَبِيَّهُ عَنْ عِيسَىٰ وَأُمِّهِ مَرْيَمَ، وَأُمِّهَا حَنَّةَ، وَزَكَرِيَّا وَابْنِهِ يَحْيَىٰ، وَمَا قَصَّ مِنْ أَمْرِ الْحَوَارِيِّينَ، وَالْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ نَقْرَؤُهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، عَلَىٰ لِسَانِ جِبْرِيلَ ﷺ، بِوَحْيِنَاهَا إِلَيْكَ..

﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ مِنَ الْعِبَرِ وَالْحُجَجِ، عَلَىٰ مَنْ حَاجَّكَ مِنَ النَّصَارَىٰ، وَيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ، وَكَذَّبُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِي..

﴿وَٱلذِّكْرِ﴾ وَالْقُرْآنِ..

﴿ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨] ذِي الْحِكْمَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَاسِبِي الْمَسِيحِ إِلَىٰ غَيْرِ نَسَبِهِ.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩].

﴿إِنَّ مَثَلَ﴾ إِنَّ شَبَهَ..

﴿عِيسَىٰ﴾ فِي خَلْقِي إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَأَخْبِرْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ النَّصَارَىٰ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ عِنْدِي..

﴿كَمَثَلِ﴾ كَشَبَهِ..

﴿ءَادَمَ﴾ الَّذِي..

﴿خَلَقَهُۥ﴾ خلَقْتُهُ..

﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ﴾ ثُمَّ قُلْتُ..

﴿لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩] فَكَانَ، مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، وَلَا ذَكَرٍ، وَلَا أُنْثَىٰ، فَلَيْسَ خَلْقِي عِيسَىٰ مِنْ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، بِأَعْجَبَ مِنْ خَلْقِي آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَىٰ، فَكَانَ لَحْمًا، وَأَمْرِي إِذْ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكُونَ فَكَانَ، فَكَذَٰلِكَ خَلْقِي عِيسَىٰ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكُونَ فَكَانَ.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران: ٦٠].

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الَّذِي أَنْبَأْتُكَ بِهِ مِنْ خَبَرِ عِيسَىٰ، وَأَنَّ مَثَلَهُ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: كُنْ، هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي هُوَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران: ٦٠] فَلَا تَكُنْ مِنَ الشَّاكِّينَ فِي أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٦١].

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ فَمَنْ جَادَلَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الْمَسِيحِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ..

﴿فِيهِ﴾ فِي عِيسَىٰ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الهاء عَائِدَةً عَلَىٰ الْحَقِّ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الَّذِي قَدْ بَيَّنْتُهُ لَكَ فِي عِيسَىٰ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ..

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ هَلُمُّوا فَلْـ...

﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ ثُمَّ نَلْتَعِنْ..

﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٦١] مِنَّا وَمِنْكُمْ فِي آيَةِ عِيسَىٰ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٢﴾
[آل عمران: ٦٢].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي أَنْبَأْتُكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَمْرِ عِيسَىٰ، فَقَصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهِ، وَأَنَّهُ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَكَلِمَتِي أَلْقَيْتُهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنِّي..

﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾ وَالنَّبَأُ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ فَاعْلَمْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْخَلْقِ مَعْبُودٌ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَةَ بِمُلْكِهِ إِيَّاهُمْ إِلَّا مَعْبُودَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَادَّعَىٰ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ، أَوْ عَبَدَ رَبًّا سِوَاهُ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٦٢﴾ [آل عمران: ٦٢] فِي تَدْبِيرِهِ، لَا يَدْخُلُ مَا دَبَّرَهُ وَهَنٌ وَلَا يَلْحَقُهُ خَلَلٌ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ٦٣﴾ [آل عمران: ٦٣].

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِيْنَ حَاجوكَ فِي عِيْسَىٰ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ مِن عِنْدِ رَبِّكَ، فِي عِيْسَىٰ وَغَيْرِه مِنْ سَائِرِ مَا آتَاكَ اللهُ مِن الهُدَىٰ وَالبَيَانِ، فَأَعْرَضُوا عَنْه، وَلَم يَقْبَلُوه..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ﴾ فَإِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِالَّذِيْنَ يَعْصُوْنَ رَبَّهُم، وَيَعْمَلُوْنَ فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ..

﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ ٦٣﴾ [آل عمران: ٦٣] بِمَا نَهَاهُم عَنْه، وَذَلِكَ هُوَ إِفْسَادُهم، فَهُو عَالمٌ بِهِم وَبِأَعْمَالِهِم، يُحْصِيْهَا عَلَيْهِم وَيَحْفَظُهَا، حَتَّىٰ يُجَازِيْهِم عَلَيْهَا جَزَاءَهَم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿تَعَالَوْاْ﴾ هَلُمُّوا..

﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ إِلَىٰ كَلِمَةٍ عَدْلٍ، وَهِيَ أَنْ نُوَحِّدَ اللهَ فَلَا نَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَنَبْرَأَ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا..

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ وَلَا يَدِينُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَيُعَظِّمُهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، كَمَا يَسْجُدُ لِرَبِّهِ.. فَإِنَّ اتِّخَاذَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، هُوَ مَا كَانَ بِطَاعَةِ الْأَتْبَاعِ الرُّؤَسَاءَ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَتَرْكِهِمْ مَا نَهَوْهُمْ عَنْهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾ [التوبة: ٣١]..

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِدُعَائِهِمْ إِلَيْهَا، فَلَمْ يُجِيبُوكَ إِلَيْهَا..

﴿فَقُولُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِلْمُتَوَلِّينَ عَنْ ذَلِكَ..

﴿ٱشْهَدُواْ﴾ عَلَيْنَا..

﴿بِأَنَّا﴾ بِمَا تَوَلَّيْتُمْ عَنْهُ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ، وَأَنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿مُسْلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤] خَاضِعِينَ لِلَّهِ بِهِ مُتَذَلِّلِينَ لَهُ بِالْإِقْرَارِ بِذَلِكَ بِقُلُوبِنَا وَأَلْسِنَتِنَا.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾ [آل عمران: ٦٥].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يَا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ لِمَ تُجَادِلُونَ، وَتُخَاصِمُونَ..

﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ.. وَكَانَ حِجَاجُهُمْ فِيهِ: ادِّعَاءُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ كَانَ يَدِينُ دِينَ أَهْلِ نِحْلَتِهِ، فَعَابَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِادِّعَائِهِمْ ذَلِكَ، وَدَلَّ عَلَىٰ مُنَاقَضَتِهِمْ وَدَعْوَاهُمْ، فَقَالَ..

﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ وَكَيْفَ تَدَّعُونَ أَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ مِلَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ، وَدِينُكُمْ إِمَّا يَهُودِيَّةٌ أَوْ نَصْرَانِيَّةٌ، وَالْيَهُودِيُّ مِنْكُمْ يَزْعُمُ أَنَّ دِينَهُ إِقَامَةُ التَّوْرَاةِ وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهَا، وَالنَّصْرَانِيُّ مِنْكُمْ يَزْعُمُ أَنَّ دِينَهُ إِقَامَةُ الْإِنْجِيلِ وَمَا فِيهِ، وَهَذَانِ كِتَابَانِ لَمْ يَنْزِلَا إِلَّا بَعْدَ حِينٍ مِنْ مَهْلِكِ إِبْرَاهِيمَ وَوَفَاتِهِ؟! فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْكُمْ؟! فَمَا وَجْهُ اخْتِصَامِكُمْ فِيهِ وَادِّعَائِكُمْ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَالْأَمْرُ فِيهِ عَلَىٰ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ؟

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾ [آل عمران: ٦٥] وَتَفْقَهُونَ خَطَأَ قِيلِكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ حَدَثَتْ مِنْ بَعْدِ مَهْلِكِهِ بِحِينٍ؟!

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عمران: ٦٦].

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الْقَوْمُ الَّذِينَ..

﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾ خَاصَمْتُمْ وَجَادَلْتُمْ..

﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمُ الَّذِي وَجَدْتُمُوهُ فِي كُتُبِكُمْ، وَأَتَتْكُمْ بِهِ رُسُلُ اللهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أُوتِيتُمُوهُ، وَثَبَتَتْ عِنْدَكُمْ صِحَّتُهُ..

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾ فَلِمَ تُجَادِلُونَ وَتُخَاصِمُونَ..

﴿فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، وَلَمْ تَجِدُوهُ فِي كُتُبِ اللهِ، وَلَا أَتَتْكُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُكُمْ، وَلَا شَاهَدْتُمُوهُ فَتَعْلَمُوهُ..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ مَا غَابَ عَنْكُمْ فَلَمْ تُشَاهِدُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ وَلَمْ تَأْتِكُمْ بِهِ رُسُلُهُ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَمِمَّا تُجَادِلُونَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ..

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٦﴾ [آل عمران: ٦٥] مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا عَايَنْتُمْ فَشَاهَدْتُمْ، أَوْ أَدْرَكْتُمْ عِلْمَهُ بِالْإِخْبَارِ وَالسَّمَاعِ.

﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران: ٦٧].

﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا﴾ وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ دَعْوَى الَّذِينَ جَادَلُوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَادَّعَوْا أَنَّهُ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ، وَتَبْرِئَةٌ لَهُمْ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ لِدِينِهِ مُخَالِفُونَ، وَقَضَاءٌ مِنْهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ دِينِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِهِ وَشَرَائِعِهِ دُونَ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ غَيْرِهِمْ..

﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا﴾ مُتَّبِعًا أَمْرَ اللهِ وَطَاعَتَهُ، مُسْتَقِيمًا عَلَى مَحَجَّةِ الْهُدَى الَّتِي أُمِرَ بِلُزُومِهَا..

﴿مُّسۡلِمٗا﴾ خَاشِعًا لِلَّهِ بِقَلْبِهِ، مُتَذَلِّلًا لَهُ بِجَوَارِحِهِ، مُذْعِنًا لِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ مِنْ أَحْكَامِهِ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران: ٦٧] الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، أَوْ مَخْلُوقًا دُونَ خَالِقِهِ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَبَارِئُهُمْ.

﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٨﴾ [آل عمران: ٦٨].

﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ﴾ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ..

﴿بِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ وَنُصْرَتِهِ وَوِلَايَتِهِ..

﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ الَّذِينَ سَلَكُوا طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ، فَوَحَّدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَسَنُّوا سُنَنَهُ وَشَرَّعُوا شَرَائِعَهُ وَكَانُوا لِلَّهِ حُنَفَاءَ مُسْلِمِيْنَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ..

﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وصَدَّقُوا مُحَمَّدًا، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ نَاصِرُ..

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞﴾ [آل عمران: ٦٨] بِمُحَمَّدٍ الْمُصَدِّقِينَ لَهُ فِي نُبُوَّتِهِ، وَفِيمَا جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ عَلَىٰ مَنْ خالَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيانِ.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞﴾ [آل عمران: ٦٩].

﴿وَدَّت﴾ تَمَنَّتْ..

﴿طَّآئِفَةٌ﴾ جَماعَةٌ..

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ مِنَ الْيَهُودِ، وَأَهْلُ الْإِنْجِيلِ مِنَ النَّصارَىٰ..

﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ لَوْ يَصُدُّونَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَيَرُدُّونَكُمْ عَنْهُ إِلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَيُهْلِكُونَكُمْ بِذَلِكَ.. وَالْإِضْلَالُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْإِهْلَاكُ مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠] يَعْنِي: إِذَا هَلَكْنَا..

﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ وَمَا يُهْلِكُونَ بِمَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ مُحَاوَلَتِهِمْ صَدَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ أَحَدًا..

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ غَيْرَ أَتْبَاعِهِمْ وَأَشْيَاعِهِمْ عَلَىٰ مِلَّتِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ، وَإِنَّمَا أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ بِمَا حَاوَلُوا مِنْ ذَلِكَ لِاسْتِيجَابِهِمْ مِنَ اللهِ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ سَخَطَهُ، وَاسْتِحْقَاقِهِمْ بِهِ غَضَبَهُ وَلَعْنَتَهُ، لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَنَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ فِي اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ، مِنْ مُحَاوَلَةِ صَدِّ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْهُدَىٰ إِلَىٰ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَىٰ عَلَىٰ جَهْلٍ مِنْهُمْ بِمَا اللهُ بِهِمْ مُحِلٌّ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَمُدَّخِرٌ لَهُمْ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۞﴾ [آل عمران: ٦٩] وَمَا يَدْرُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ بِمُحَاوَلَتِهِمْ إِضْلَالَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞﴾ [آل عمران: ٧٠].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصارَىٰ..

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ لِمَ تَجْحَدُونَ..

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ، عَلَىٰ أَلْسُنِ أَنْبِيَائِكُمْ مِنْ آيِهِ وَأَدِلَّتِهِ..

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞﴾ [آل عمران: ٧٠] أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَوْبِيخٌ

لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ مَعَ شَهَادَتِهِمْ أَنَّ مَا فِي كُتُبِهِمْ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران: ٧١].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يَا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾ لِمَ تَخْلِطُونَ..

﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ وَكَانَ خَلْطُهُمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ: إِظْهَارُهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ التَّصْدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ غَيْرَ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ..

﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ وَلِمَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ..

﴿ٱلۡحَقَّ﴾ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَبْعَثِهِ وَنُبُوَّتِهِ..

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران: ٧١] أَنَّ الَّذِي تَكْتُمُونَهُ مِنَ الْحَقِّ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ خَبَرٌ عَنْ تَعَمُّدِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْكُفْرَ بِهِ، وَكِتْمَانِهِمْ مَا قَدْ عَلِمُوا مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَوَجَدُوهُ فِي كُتُبِهِمْ وَجَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ [آل عمران: ٧٢].

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يَعْنِي مِنَ الْيَهُودِ الَّذِي يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ..

﴿ءَامِنُواْ﴾ صَدِّقُوا..

﴿بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الدِّينِ الْحَقِّ وَشَرَائِعَهُ وَسُنَنِهِ..

﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَسُمِّيَ أَوَّلُهُ وَجْهًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ أَحْسَنُهُ، وَأَوَّلُ مَا يُوَاجِهُ النَّاظِرَ فَيَرَاهُ مِنْهُ..

﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ وَاجْحَدُوا مَا صَدَّقْتُمْ بِهِ مِنْ دِينِهِمْ فِي وَجْهِ النَّهَارِ فِي آخِرِ النَّهَارِ..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ [آل عمران: ٧٢] لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ مَعَكُمْ وَيَدَعُونَهُ.

﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ وَلَا تُصَدِّقُوا..

﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ إِلَّا مَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ فَكَانَ يَهُودِيًّا، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قَوْلِ الطَّائِفَةِ

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢] وَاللَّامُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ نَظِيرُهُ اللَّامُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] بِمَعْنَىٰ: رَدِفَكُمْ ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢﴾ [النمل: ٧٢]..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ مَا قَالُوا مِنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي وَصَفْتُ لَكَ قَوْلَهَا لِتُبَّاعِهَا مِنَ الْيَهُودِ..

﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إِنَّ التَّوْفِيقَ تَوْفِيقُ اللهِ، وَالْبَيَانَ بَيَانُهُ، وَإِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، لَا مَا تَمَنَّيْتُمُوهُ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ.. وَهَذَا اعْتُرِضَ بِهِ فِي وَسَطِ الْكَلَامِ خَبَرًا مِنَ اللهِ عَنْ أَنَّ الْبَيَانَ بَيَانُهُ وَالْهُدَىٰ هُدَاهُ، وَسَائِرُ الْكَلَامِ بَعْدَ ذَلِكَ مُتَّصِلٌ بِالْكَلَامِ الْأَوَّلِ خَبَرًا عَنْ قِيلِ الْيَهُودِ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ..

﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا أُوتِيتُمْ..

﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُحَاجَّكُمْ أَحَدٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ بِإِيمَانِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُمْ بِمَا فَضَّلَكُمْ بِهِ عَلَيْهِمْ.. فَالْكَلَامُ كُلُّهُ خَبَرٌ عَنْ قَوْلِ الطَّائِفَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢] سِوَىٰ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، فَيَكُونُ الْكَلَامُ مُبْتَدَأً بِتَكْذِيبِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ مَا قَالُوا مِنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي وَصَفْتُ لَكَ قَوْلَهَا لِتُبَّاعِهَا مِنَ الْيَهُودِ ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفْتُ قَوْلَهُمْ لِأَوْلِيَائِهِمْ..

﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ إِنَّ التَّوْفِيقَ لِلْإِيمَانِ، وَالْهِدَايَةَ لِلْإِسْلَامِ..

﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ وَإِلَيْهِ دُونَكُمْ وَدُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ..

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ، يَعْنِي: يُعْطِيهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ، تَكْذِيبًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ لِتُبَّاعِهِمْ: لَا يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا هُوَ إِلَىٰ اللهِ الَّذِي بِيَدِهِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا، وَإِلَيْهِ الْفَضْلُ، وَبِيَدِهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ وَاللهُ ذُو سَعَةٍ بِفَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣] ذُو عِلْمٍ بِمَنْ هُوَ مِنْهُمْ لِلْفَضْلِ أَهْلٌ.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [آل عمران: ٧٤].

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يَخْتَصُّ بِالنُّبُوَّةِ وَالْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ مَنْ يَشَاءُ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ﴾ يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ وَشَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ وَصَفَ فَضْلَهُ بِـ..

﴿ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [آل عمران: ٧٤] لِأَنَّهُ غَيْرُ مُشْبِهٍ -فِي عِظَمِ مَوْقِعِهِ مِمَّنْ أَفْضَلَهُ عَلَيْهِ- أَفْضَالَ خَلْقِهِ، وَلَا يُقَارِبُهُ فِي جَلَالَةِ خَطَرِهِ، وَلَا يُدَانِيهِ.

﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٥﴾ [آل عمران: ٧٥].

﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هَذَا الْخَبَرُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَهُمُ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مَنۡ﴾ الَّذِي..

﴿إِن تَأۡمَنۡهُ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿بِقِنطَارٖ﴾ عَلَىٰ عَظِيمٍ مِنَ الْمَالِ كَثِيرٍ..

﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ وَلَا يَخُنْكَ فِيهِ..

﴿وَمِنۡهُم﴾ الْخَائِنُ أَمَانَتَهُ، الْفَاجِرُ فِي يَمِينِهِ الْمُسْتَحِلُّ..

﴿مَّنۡ﴾ الَّذِي..

﴿إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ﴾ عَلَىٰ دِينَارٍ..

﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ يَخُنْكَ فِيهِ، فَلَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ..

﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ إِلَّا أَنْ تُلِحَّ عَلَيْهِ بِالتَّقَاضِي وَالْمُطَالَبَةِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ إِخْبَارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ ﷺ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ، مِنْهُمُ الْمُؤَدِّي أَمَانَتَهُ وَالْخَائِنُهَا؟ قِيلَ: إِنَّمَا أَرَادَ جَلَّ وَعَزَّ تَحْذِيرَهُمْ أَنْ يَأْتَمِنُوهُمْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ، وَتَخْوِيفَهُمُ الِاغْتِرَارَ بِهِمْ، لِاسْتِحْلَالِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَمْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ: أَنَّ مَنِ اسْتَحَلَّ الْخِيَانَةَ مِنَ الْيَهُودِ، وَجُحُودَ حُقُوقِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي هِيَ لَهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يُؤَدِّ مَا ائْتَمَنَهُ الْعَرَبِيُّ عَلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَّا مَا دَامَ لَهُ مُتَقَاضِيًا مُطَالِبًا..

﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَقُولُ..

﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ لَا حَرَجَ عَلَيْنَا فِيمَا أَصَبْنَا مِنْ أَمْوَالِ الْعَرَبِ، وَلَا إِثْمَ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ..

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: ٧٥] يقولون: إِنَّ اللهَ أَحَلَّ لَنَا ذَلِكَ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْنَا فِي خِيَانَتِهِمْ، عَامِدِينَ الْإِثْمَ بِقِيلِ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ أَنَّهُ أَحَلَّ ذَلِكَ لَهُمْ.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾ [آل عمران: ٧٦].

﴿بَلَىٰ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَاذِبُونَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْيَهُودِ، مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِ الْأُمِّيِّينَ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ، وَلَكِنْ..

﴿مَنْ﴾ الَّذِي..

﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ أَوْفَىٰ بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي عَاهَدَهُ فِي كِتَابِهِ، فَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَصَدَّقَ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ وَسَائِرِ مَعَاصِيهِ الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَيْهِ، فَاجْتَنَبَ ذَلِكَ مُرَاقَبَةَ وَعِيدِ اللهِ، وَخَوْفَ عِقَابِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾ [آل عمران: ٧٦] الَّذِينَ يَتَّقُونَهُ فَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَيَحْذَرُونَ عَذَابَهُ، فَيَجْتَنِبُونَ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَيُطِيعُونَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾

[آل عمران: ٧٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يَسْتَبْدِلُونَ..

﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ بِتَرْكِهِمْ عَهْدَ اللهِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِمْ، وَوَصِيَّتَهُ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا فِي الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَتَصْدِيقِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾ الْكَاذِبَةِ الَّتِي يَسْتَحِلُّونَ بِهَا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ الَّتِي اؤْتُمِنُوا عَلَيْهَا..

﴿ثَمَنًا﴾ عِوَضًا وَبَدَلًا..

﴿قَلِيلًا﴾ خَسِيسًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ..

﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمْ﴾ لَا حَظَّ لَهُمْ، وَلَا نَصِيبَ لَهُمْ..

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ فِي خَيْرَاتِ الْآخِرَةِ، مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بِمَا يَسُرُّهُمْ..

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وَلَا يَعْطِفُ عَلَيْهِمْ بِخَيْرٍ، مَقْتًا مِنَ اللهِ لَهُمْ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِآخَرَ: انْظُرْ إِلَيَّ نَظَرَ اللهُ إِلَيْكَ، بِمَعْنَىٰ: تَعَطَّفْ عَلَيَّ تَعَطَّفَ اللهُ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ وَرَحْمَةٍ، وَكَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ: لَا سَمِعَ اللهُ لَكَ دُعَاءَكَ، يُرَادُ: لَا اسْتَجَابَ اللهُ لَكَ، وَاللهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ..

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧] مُوجِعٌ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ».. وَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: فِيَّ وَاللهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَرْضٌ، فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ»؟ قُلْتُ: لَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: «احْلِفْ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِذَنْ يَحْلِفُ فَيَذْهَبُ مَالِي، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الْآيَةَ.

> ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾
>
> [آل عمران: ٧٨].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَلَىٰ عَهْدِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُمْ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]..

﴿لَفَرِيقًا﴾ جَمَاعَةً..

﴿يَلْوُۥنَ﴾ يُحَرِّفُونَ.. وَأَصْلُ اللَّيِّ: الْفَتْلُ وَالْقَلْبُ..

﴿أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ﴾ لِتَظُنُّوا أَنَّ الَّذِي يُحَرِّفُونَهُ بِكَلَامِهِمْ..

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ..

﴿وَمَا هُوَ﴾ وَمَا ذَلِكَ الَّذِي لَوَوْا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ، فَحَرَّفُوهُ وَأَحْدَثُوهُ..

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ﴾ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَا لَوَوْا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ فَأَلْحَقُوهُ فِي كِتَابِ اللهِ..

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ..

﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وَمَا ذَلِكَ الَّذِي لَوَوْا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ، فَأَحْدَثُوهُ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَلَكِنَّهُ مِمَّا أَحْدَثُوهُ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ يَتَعَمَّدُونَ قِيلَ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، وَالشَّهَادَةَ عَلَيْهِ بِالْبَاطِلِ، وَالْإِلْحَاقَ بِكِتَابِ اللهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ..

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨] طَلَبًا لِلرِّيَاسَةِ وَالْخَسِيسِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ..

﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ عَلَيْهِ كِتَابَهُ..

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ وَيُعَلِّمُهُ فَصْلَ الْحِكْمَةِ..

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ وَيُعْطِيهِ النُّبُوَّةَ..

﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ثُمَّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ دُونَ اللهِ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ مَا آتَاهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحُكْمِ وَالنُّبُوَّةِ..

﴿وَلَٰكِن﴾ إِذَا آتَاهُ اللهُ ذَلِكَ..

﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ فَإِنَّمَا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِاللهِ، وَيَحْدُوهُمْ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ شَرَائِعِ دِينِهِ، وَأَنْ يَكُونُوا رُؤَسَاءَ فِي الْمَعْرِفَةِ بِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَأَئِمَّةً فِي طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ.. وَالرَّبَّانِيُّونَ جَمْعُ رَبَّانِيٍّ، وَالرَّبَّانِيُّ الْمَنْسُوبُ إِلَىٰ الرَّبَّانِ الَّذِي يُرَبُّ النَّاسَ، وَهُوَ الَّذِي يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَيُرَبُّهَا، وَيَقُومُ بِهَا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا، وَكَانَ الرَّبَّانُ مَا ذَكَرْنَا، وَالرَّبَّانِيُّ هُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَىٰ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْتُ، وَكَانَ الْعَالِمُ بِالْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ مِنَ الْمُصْلِحِينَ أُمُورَ النَّاسِ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُمُ الْخَيْرَ، وَدُعَائِهِمْ إِلَىٰ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ، وَكَانَ كَذَلِكَ الْحَكِيمُ التَّقِيُّ لِلَّهِ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي يَلِي أُمُورَ النَّاسِ عَلَىٰ الْمِنْهَاجِ الَّذِي وَلِيَهُ الْمُقْسِطُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ أُمُورَ الْخَلْقِ، بِالْقِيَامِ فِيهِمْ بِمَا فِيهِ

صَلَاحُ عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ، وَعَائِدَةُ النَّفْعِ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ كَانُوا جَمِيعًا مُسْتَحِقِّينَ أَنَّهُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾، فَالرَّبَّانِيُّونَ إِذًا هُمْ عِمَادُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ: (وَهُمْ فَوْقَ الأَحْبَارِ)، لِأَنَّ الْأَحْبَارَ هُمُ الْعُلَمَاءُ، وَالرَّبَّانِيُّ: الْجَامِعُ إِلَىٰ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الْبَصَرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالْقِيَامِ بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بِتَعْلِيمِكُمُ النَّاسَ الْكِتَابَ، وَلَا يُعَلِّمُونَ إِلَّا بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا يُعَلِّمُونَ، وَالْكِتَابُ: هُوَ الْقُرْآنُ..

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] وَبِكَوْنِهِمْ دَارِسِيهِ.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠].

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ..

﴿أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ﴾ آلِهَةً يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، كَمَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ نَبِيُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِٱلْكُفْرِ﴾ بِجُحُودِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠] مُنْقَادُونَ بِالطَّاعَةِ مُتَذَلِّلُونَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، أَيْ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُ أَبَدًا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ وَاذْكُرُوا يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَهْمَا آتَيْتُكُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّونَ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ..

﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾ ذِكْرٌ..

﴿رَسُولٌ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ لَيَكُونَنَّ إِيمَانُكُمْ بِهِ لِلَّذِي عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ ذِكْرِهِ..

﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ وَأَخَذَ اللهُ مَوَاثِيقَ أَنْبِيَائِهِ، كَمَا قَدْ أَخَذَتِ الْأَنْبِيَاءُ مَوَاثِيقَ أُمَمِهَا لَتَنْصُرُنَّهُ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي وَاثَقْتُمُونِي عَلَيْهِ مِنْ أَنَّكُمْ مَهْمَا أَتَاكُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِي، مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ..

﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ مَا وَاثَقْتُمُونِي عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الَّتِي تَأْتِيكُمْ بِتَصْدِيقِ مَا مَعَكُمْ مِنْ عِنْدِي، وَالْقِيَامِ بِنُصْرَتِهِمْ..

﴿إِصْرِيۖ﴾ عَهْدِي وَوَصِيَّتِي، وَقَبِلْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنِّي وَرَضِيتُمُوهُ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَهُمْ بِمَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿أَقْرَرْنَاۚ﴾ بِمَا أَلْزَمْتَنَا مِنَ الْإِيمَانِ بِرُسُلِكَ الَّذِينَ تُرْسِلُهُمْ مُصَدِّقِينَ لِمَا مَعَنَا مِنْ كُتُبِكَ وَبِنُصْرَتِهِمْ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ..

﴿فَٱشْهَدُواْ﴾ أَيُّهَا النَّبِيُّونَ بِمَا أَخَذْتُ بِهِ مِيثَاقَكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِتَصْدِيقِ رُسُلِي الَّتِي تَأْتِيكُمْ بِتَصْدِيقِ مَا مَعَكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَنُصْرَتِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَعَلَىٰ أَتْبَاعِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ إِذْ أَنْتُمْ أَخَذْتُمْ مِيثَاقَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران: ٨١] عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.. فَهَذَا خَبَرٌ عَنْ أَخْذِ اللهِ الْمِيثَاقَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِتَصْدِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَأَخْذِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ أُمَمِهَا وَتُبَّاعِهَا الْمِيثَاقَ بِنَحْوِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهَا رَبُّهَا، مِنْ تَصْدِيقِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ بِمَا جَاءَتْهَا بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِذَلِكَ أُرْسِلَتْ إِلَىٰ أُمَمِهَا، وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ مِمَّنْ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ أَنَّ نَبِيًّا أُرْسِلَ إِلَىٰ أُمَّةٍ بِتَكْذِيبِ أَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَحُجَجِهِ فِي عِبَادِهِ، بَلْ كُلُّهَا وَإِنْ كَذَّبَ بَعْضُ الْأُمَمِ بَعْضَ أَنْبِيَاءِ اللهِ بِجُحُودِهَا نُبُوَّتَهُ مُقِرٌّ بِأَنَّ مَنْ ثَبَتَتْ صِحَّةُ نُبُوَّتِهِ، فَعَلَيْهَا الدَّيْنُونَةُ بِتَصْدِيقِهِ، فَذَلِكَ مِيثَاقٌ مُقِرٌّ بِهِ جَمِيعُهُمْ.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٨٢﴾ [آل عمران: ٨٢].

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾ فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِرُسُلِي الَّذِينَ أَرْسَلْتُهُمْ بِتَصْدِيقِ مَا كَانَ مَعَ أَنْبِيَائِي مِنَ الْكُتُبِ وَالْحِكْمَةِ، وَعَنْ نُصْرَتِهِمْ، فَأَدْبَرَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِذَلِكَ وَلَمْ يَنْصُرْ، وَنَكَثَ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِ..

﴿فَأُولَٰٓئِكَ﴾ الْمُتَوَلُّونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ وَصَفَ أَمْرَهُمْ وَنُصْرَتِهِمْ بَعْدَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ اللَّذَيْنِ أُخِذَا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ..

﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨٢] الْخَارِجُونَ مِنْ دِينِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَبِّهِمْ.. وَهَذِهِ الآيَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ الْخَبَرِ فِيهِمَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ شَهِدَ، وَأَخَذَ بِهِ مِيثَاقَ مَنْ أَخَذَ مِيثَاقَهُ بِهِ عَنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّهُ مَقْصُودٌ بِهِ إِخْبَارُ مَنْ كَانَ حَوَالَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ﷺ، عَمَّا لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَهْدِ فِي الْإِيمَانِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - وَمَعْنَىٰ تَذْكِيرِهِمْ مَا كَانَ اللهُ آخِذًا عَلَىٰ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ مِنَ الْمَوَاثِيقِ وَالْعُهُودِ، وَمَا كَانَتْ أَنْبِيَاءُ اللهِ عَرَّفَتْهُمْ وَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِمْ فِي تَصْدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ وَنُصْرَتِهِ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ-وَتَعْرِيفُهُمْ مَا فِي كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ الَّتِي ابْتَعَثَهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَعَلَامَتِهِ.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ﴾ أَفَغَيْرَ طَاعَةِ اللهِ..

﴿يَبْغُونَ﴾ يَلْتَمِسُونَ وَيُرِيدُونَ..

﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ وَلَهُ خَشَعَ..

﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فَخَضَعَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَقَرَّ لَهُ بِإِفْرَادِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَانْقَادَ لَهُ بِإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ وَالْأُلُوهِيَّةِ..

﴿طَوْعًا﴾ أَسْلَمَ لِلَّهِ طَائِعًا مَنْ كَانَ إِسْلَامُهُ مِنْهُمْ لَهُ طَائِعًا، وَذَلِكَ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا لِلَّهِ طَائِعِينَ..

﴿وَكَرْهًا﴾ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَارِهًا بِإِقْرَارِهِ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُهُ وَرَبُّهُ، وَإِنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِسْلَامُ الْكَارِهِ مِنْهُمْ كَانَ حِينَ أُخِذَ مِنْهُ الْمِيثَاقُ، فَأَقَرَّ بِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِإِسْلَامِ الْكَارِهِ مِنْهُمْ سُجُودَ ظِلِّهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِسْلَامُهُ بِقَلْبِهِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ وَاسْتِقَادَتِهِ لِأَمْرِهِ، وَإِنْ أَنْكَرَ أُلُوهَتَهُ بِلِسَانِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ إِسْلَامَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ كَرْهًا حَذَرَ السَّيْفِ عَلَىٰ نَفْسِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْكَافِرُ أَسْلَمَ فِي حَالِ الْمُعَايَنَةِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ إِسْلَامٌ كَرْهًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ عُبَادَةَ الْخَلْقِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿وَإِلَيْهِ﴾ يَا مَعْشَرَ مَنْ يَبْتَغِي غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَسَائِرَ النَّاسِ..

﴿يُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [آل عمران: ٨٣] تَصِيرُونَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَمُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَهَذَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَحْذِيرُ خَلْقِهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَيَصِيرُ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَىٰ غَيْرِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.. فَإِنِ ابْتَغَوْا غَيْرَ دِينِ اللهِ يَا مُحَمَّدُ، فَـ..

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤﴾ [آل عمران: ٨٤].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا..

﴿بِٱللَّهِ﴾ أَنَّهُ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا نَعْبُدُ أَحَدًا سِوَاهُ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ قُلْ: وَصَدَّقْنَا أَيْضًا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مِنْ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ، فَأَقْرَرْنَا بِهِ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ صَدَّقْنَا أَيْضًا بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ..

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ ابْنَيْهِ..

﴿وَيَعْقُوبَ﴾ وَابْنِ ابْنِهِ..

﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ وَلَدُ يَعْقُوبَ الِاثْنَا عَشَرَ..

﴿وَمَآ﴾ وَصَدَّقْنَا أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِي..

﴿أُوتِىَ﴾ أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ..

﴿مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ مِنَ الْكُتُبِ وَالْوَحْيِ.. وَالَّذِي آتَىٰ اللهُ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، مِمَّا أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُحَمَّدًا بِتَصْدِيقِهِمَا فِيهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، التَّوْرَاةُ الَّتِي آتَاهَا مُوسَىٰ، وَالْإِنْجِيلُ الَّذِي آتَاهُ عِيسَىٰ..

﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ النَّبِيينَ مِنْ عِنْدِ رَبِهِمْ..

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لَا نُصَدِّقُ بَعْضَهُمْ وَنُكَذِّبُ بَعْضَهُمْ، وَلَا نُؤْمِنُ بِبَعْضِهِمْ وَنَكْفُرُ بِبَعْضِهِمْ، كَمَا كَفَرَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بِبَعْضِ أَنْبِيَاءِ اللهِ، وَصَدَّقَتْ بَعْضًا، وَلَكِنَّا نُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ، وَنُصَدِّقُهُمْ..

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤﴾ [آل عمران: ٨٤] وَنَحْنُ نَدِينُ لِلَّهِ بِالْإِسْلَامِ، لَا نَدِينُ غَيْرَهُ، بَلْ نَتَبَرَّأُ

إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ، وَمِنْ كُلِّ مِلَّةٍ غَيْرِهِ، فَنَحْنُ لَهُ مُنْقَادُونَ بِالطَّاعَةِ، مُتَذَلِّلُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ، مُقِرُّونَ لَهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالرَّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ وَمَنْ يَطْلُبْ..

﴿غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ لِيَدِينَ بِهِ، فَلَنْ يَقْبَلَ اللهُ مِنْهُ..

﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥] الْبَاخِسِينَ أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَذُكِرَ أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مِلَّةٍ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِالْحَجِّ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ؛ لِأَنَّ مِنْ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ الْحَجَّ، فَامْتَنَعُوا، فَأَدْحَضَ اللهُ بِذَلِكَ حُجَّتَهُمْ.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦﴾ [آل عمران: ٨٦].

﴿كَيْفَ يَهْدِى﴾ كَيْفَ يُرْشِدُ..

﴿ٱللَّهُ﴾ لِلصَّوَابِ، وَيُوَفِّقُ لِلْإِيمَانِ..

﴿قَوْمًا كَفَرُوا۟﴾ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بَعْدَ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ، وَإِقْرَارِهِمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَشَهِدُوٓا۟﴾ وَبَعْدَ أَنْ أَقَرُّوا..

﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى خَلْقِهِ حَقًّا..

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ وَجَاءَهُمُ الْحُجَجُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالدَّلَائِلُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ..

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦﴾ [آل عمران: ٨٦] الْجَمَاعَةَ الظَّلَمَةَ، وَهُمُ الَّذِينَ بَدَّلُوا الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ، فَاخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝٨٧﴾ [آل عمران: ٨٧].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَبَعْدَ أَنْ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ..

﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ ثَوَابُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمِلُوهُ..

﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ أَنْ حَلَّ بِهِمْ مِنَ اللهِ الْإِقْصَاءُ وَالْبُعْدُ..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ لَا بَعْضَ مَنْ سَمَّاهُ جَلَّ ثنَاؤُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ، وَلَكِنْ مِنْ جَمِيعِهِمْ، وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ جَلَّ ثنَاؤُهُ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُمْ كَانَ بِاللهِ كُفْرًا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آل عمران: ٨٨].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِي عُقُوبَةِ اللهِ..

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ لَا يُنْقَصُونَ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَا يُنَفَّسُونَ فِيهِ..

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آل عمران: ٨٨] لِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ: أَعْنِي الْخُلُودَ فِي الْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٩].

﴿إِلَّا﴾ اسْتَثْنَىٰ جَلَّ ثنَاؤُهُ..

﴿ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ ارْتِدَادِهِمْ عَنْ إِيمَانِهِمْ، فَرَاجَعُوا الْإِيمَانَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ كُفْرِهِ..

﴿غَفُورٞ﴾ سَاتِرٌ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ الَّذِي كَانَ مِنْهُ مِنَ الرِّدَّةِ، فَتَارِكٌ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهِ، وَفَضِيحَتَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، غَيْرَ مُؤَاخِذِهِ بِهِ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْهُ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٩] مُتَعَطِّفٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرٗا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٩٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَ مَبْعَثِهِ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ..

﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرٗا﴾ بِمَا أَصَابُوا مِنَ الذُّنُوبِ فِي كُفْرِهِمْ وَمُقَامِهِمْ عَلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ..

﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مِنْ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي أَصَابُوهَا فِي كُفْرِهِمْ، حَتَّىٰ يَتُوبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُرَاجِعُوا التَّوْبَةَ مِنْهُ بِتَصْدِيقِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.. فَالَّذِي لَا تُقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ هُوَ الِازْدِيَادُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بَعْدَ الْكُفْرِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ تَوْبَةَ صَاحِبِهِ مَا أَقَامَ عَلَىٰ كُفْرِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَمَلًا مَا أَقَامَ عَلَىٰ شِرْكِهِ وَضَلَالِهِ، فَأَمَّا إِنْ تَابَ مِنْ شِرْكِهِ وَكُفْرِهِ وَأَصْلَحَ، فَإِنَّ اللهَ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا..

﴿هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠﴾ [آل عمران: ٩٠] هُمُ الَّذِينَ ضَلُّوا سَبِيلَ الْحَقِّ، فَأَخْطَئُوا مَنْهَجَهُ، وَتَرَكُوا نَصَفَ السَّبِيلِ وَهُدَىٰ اللهِ، حَيْرَةً مِنْهُمْ وَعَمًىٰ عَنْهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٞ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١﴾ [آل عمران: ٩١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أَيْ: جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَهُودِهَا وَنَصَارِيهَا وَمَجُوسِهَا وَغَيْرِهِمْ..

﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٞ﴾ وَمَاتُوا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ جُحُودِ نُبُوَّتِهِ، وَجُحُودِ مَا جَاءَ بِهِ..

﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم﴾ مِمَّنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءٌ وَلَا رِشْوَةٌ عَلَىٰ تَرْكِ عُقُوبَتِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَلَا جُعْلٌ عَلَىٰ الْعَفْوِ عَنْهُ..

﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓۗ﴾ وَلَوْ كَانَ لَهُ مِنَ الذَّهَبِ قَدْرُ مَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَىٰ مَغْرِبِهَا فَرْشًا، جَزَاءً عَلَىٰ تَرْكِ عُقُوبَتِهِ وَفِي الْعَفْوِ عَنْهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ، عِوَضًا مِمَّا اللهُ مُحِلٌّ بِهِ مِنْ عَذَابِهِ؛ لِأَنَّ الرِّشَا إِنَّمَا يَقْبَلُهَا مَنْ كَانَ ذَا حَاجَةٍ إِلَىٰ مَا رُشِيَ، فَأَمَّا مَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، فَكَيْفَ يَقْبَلُ الْفِدْيَةَ، وَهُوَ خَلَّاقُ كُلِّ فِدْيَةٍ افْتَدَىٰ بِهَا مُفْتَدٍ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ؟!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ..

﴿لَهُمْ﴾ عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مُوجِعٌ..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١﴾ [آل عمران: ٩١] وَمَا لَهُمْ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا حَمِيمٍ وَلَا صَدِيقٍ يَنْصُرُهُ، فَيَسْتَنْقِذُهُ مِنَ اللهِ وَمِنْ عَذَابِهِ، كَمَا كَانُوا يَنْصُرُونَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَنْ حَاوَلَ أَذَاهُ وَمَكْرُوهَهُ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ**

مُفْتَدِيًا بِهِ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، قَالَ: فَيُقَالُ: لَقَدْ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾».

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

[آل عمران: ٩٢].

﴿لَن تَنَالُواْ﴾ لَنْ تُدْرِكُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْبِرَّ﴾ مِنَ اللهِ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَعِبَادَتِهِمْ لَهُ، وَيَرْجُونَهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ تَفَضُّلُهُ عَلَيْهِمْ بِإِدْخَالِهِ جَنَّتَهُ، وَصَرْفِ عَذَابِهِ عَنْهُمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: الْبِرُّ الْجَنَّةُ؛ لِأَنَّ بِرَّ الرَّبِّ بِعَبْدِهِ فِي الْآخِرَةِ وَإِكْرَامَهُ إِيَّاهُ بِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ..

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ حَتَّىٰ تَتَصَدَّقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَتَهْوُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْ نَفِيسِ أَمْوَالِكُمْ..

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ﴾ وَمَهْمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَتَتَصَدَّقُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ﴾ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِمَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْمُتَصَدِّقُ مِنْكُمْ، فَيُنْفِقُهُ مِمَّا يُحِبُّ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢] ذُو عِلْمٍ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ حَتَّىٰ يُجَازَىٰ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ.. قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا، اشْهَدْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ أَرْضِي بِأَرِيحَا لِلَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلْهَا فِي قَرَابَتِكَ**» فَجَعَلَهَا بَيْنَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لَمْ يَكُنْ حَرَّمَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ وَلَدُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ شَيْئًا مِنَ الْأَطْعِمَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ لَهُمْ حَلَالًا..

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ إِلَّا مَا كَانَ يَعْقُوبُ حَرَّمَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمِ اللهِ

ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ وَلَدَهُ حَرَّمُوهُ اسْتِنَانًا بِأَبِيهِمْ يَعْقُوبَ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمِ اللهِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي وَحْيٍ وَلَا تَنْزِيلٍ وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولٍ لَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ التَّوْرَاةِ..

﴿مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾ حَتَّىٰ نَزَلَتِ التَّوْرَاةُ، فَحَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا مَا شَاءَ، وَأَحَلَّ لَهُمْ فِيهَا مَا أَحَبَّ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلزَّاعِمِينَ مِنَ الْيَهُودِ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ الْعُرُوقَ وَلُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا..

﴿فَأۡتُواْ﴾ فَجِيئُوا..

﴿بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ﴾ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لِمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ كَذِبُهُمْ وَقِيلُهُمُ الْبَاطِلَ عَلَىٰ اللهِ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِمَّا أَنْزَلْتُهُ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣] إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ تَحْرِيمَ ذَلِكَ فِي التَّوْرَاةِ، فَأْتُونَا بِهَا، فَاتْلُوا تَحْرِيمَ ذَلِكَ عَلَيْنَا مِنْهَا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ كَذِبِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِيئُونَ بِذَلِكَ أَبَدًا عَلَىٰ صِحَّتِهِ، فَأَعْلَمَ اللهُ بِكَذِبِهِمْ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَجَعَلَ إِعْلَامَهُ إِيَّاهُ ذَلِكَ حُجَّةً لَهُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ يَخْفَىٰ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ فَمُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ أُمِّيٌّ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ، لَوْلَا أَنَّ اللهَ أَعْلَمَهُ ذَلِكَ بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِهِ، كَانَ أَحْرَىٰ أَنْ لَا يُعْلِمَهُ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ لَهُ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ أَوَائِلِهِمْ كَانَ مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُ خَاصَّةٍ مِنْهُمْ، إِلَّا مَنْ أَعْلَمَهُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ، أَوْ مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ مِمَّنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤﴾ [آل عمران: ٩٤].

﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ فَمَنْ كَذَبَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ مَجِيئِكُمْ بِالتَّوْرَاةِ، وَتِلَاوَتِكُمْ إِيَّاهَا، وَعَدَمِكُمْ مَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ تَحْرِيمِ اللهِ الْعُرُوقَ وَلُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فِيهَا..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ..

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤﴾ [آل عمران: ٩٤] هُمُ الْكَافِرُونَ الْقَائِلُونَ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ.

﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٥﴾ [آل عمران: ٩٥].

﴿قُلۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾ فِيمَا أَخبَرَنَا بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿۞كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣] وَأَنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَىٰ إِسْرَائِيلَ وَلَا عَلَىٰ وَلَدِهِ الْعُرُوقَ وَلَا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ شَيْئًا حَرَّمَهُ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ بِغَيْرِ تَحْرِيمِ اللهِ إِيَّاهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَفِي كُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ خَبَرٍ دُونَكُمْ وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ الْكَذَبَةُ فِي إِضَافَتِكُمْ تَحْرِيمَ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ عَلَيْكُمْ فِي التَّوْرَاةِ الْمُفْتَرِيَةِ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ فِي دَعْوَاكُمْ عَلَيْهِ غَيْرَ الْحَقِّ..

﴿فَٱتَّبِعُواْ﴾ فَإِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ مُحِقِّينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّكُمْ عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَاتَّبِعُوا..

﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلِ اللهِ، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ دِينًا، وَابْتَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ..

﴿حَنِيفٗاۖ﴾ وَذَلِكَ الْحَنِيفِيَّةُ، يَعْنِي: الِاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، دُونَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمُشْرِكَةِ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٥﴾ [آل عمران: ٩٥] لَمْ يَكُنْ يُشْرِكُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا أَيُّهَا الْيَهُودُ، فَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، تُطِيعُونَهُمْ كَطَاعَةِ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ، فَلَا تَتَّخِذُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ أَرْبَابًا، وَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا مِنْ دُونِ اللهِ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ كَانَ دِينُهُ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِرَبِّهِ وَحْدَهُ، مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ أَحَدٍ مَعَهُ فِيهِ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، فَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ أَحَدًا، فَإِنَّ جَمِيعَكُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَلَىٰ حَقٍّ وَهُدًىٰ مُسْتَقِيمٍ، فَاتَّبِعُوا مَا قَدْ أَجْمَعَ جَمِيعُكُمْ عَلَىٰ تَصْوِيبِهِ مِنْ مِلَّتِهِ الْحَنِيفِيَّةِ، وَدَعُوا مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ سَائِرِ الْمِلَلِ غَيْرِهَا أَيُّهَا الْأَحْزَابُ، فَإِنَّهَا بِدَعٌ أَبْدَعْتُمُوهَا إِلَىٰ مَا قَدْ أَجْمَعْتُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَقٌّ، فَإِنَّ الَّذِي أَجْمَعْتُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ صَوَابٌ وَحَقٌّ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي ارْتَضَيْتُهُ وَابْتَعَثْتُ بِهِ أَنْبِيَائِي وَرُسُلِي، وَسَائِرَ ذَلِكَ هُوَ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا أَقْبَلُهُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي جَاءَنِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٣٥﴾ يَعْنِي بِهِ: وَمَا كَانَ مِنْ عَدَدِهِمِ وَأَوْلِيَائِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي التَّظَاهُرِ

عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَنُصْرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَبَرَّأَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ نُصَرَائِهِمْ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِمْ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ جَلَّ ثناؤُهُ بِالْمُشْرِكِينَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، وَسَائِرَ الْأَدْيَانِ غَيْرِ الْحَنِيفِيَّةِ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ الْمُشْرِكَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ لِعِبَادَةِ اللهِ فِيهِ.. فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «**قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ، قَالَ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً**»، فَقَدْ بَيَّنَ هَذَا الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ وَضَعَهُ اللهُ فِي الْأَرْضِ..

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ الَّذِي بِمُزْدَحِمِ النَّاسِ لِطَوَافِهِمْ فِي حَجِّهِمْ وَعُمَرِهِمْ.، وَأَصْلُ الْبَكِّ الزَّحْمُ، وَهُمْ يَتَبَاكُّونَ فِيهِ: يَعْنِي بِهِ: يَتَزَاحَمُونَ وَيَتَصَادَمُونَ فِيهِ.. فَإِذَا كَانَتْ بَكَّةُ مَا وَصَفْنَا، وَكَانَ مَوْضِعُ ازْدِحَامِ النَّاسِ حَوْلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ لَا طَوَافَ يَجُوزُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ مِنْ دَاخِلِ الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ مَا كَانَ خَارِجَ الْمَسْجِدِ فَمَكَّةُ لَا بَكَّةُ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَىٰ خَارِجَهُ يُوجِبُ عَلَىٰ النَّاسِ التَّبَاكَّ فِيهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ بَيِّنًا بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ بَكَّةُ اسْمٌ لِبَطْنِ مَكَّةَ، وَمَكَّةُ اسْمٌ لِلْحَرَمِ..

﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦] مَآبًا لِنُسُكِ النَّاسِكِينَ وَطَوَافِ الطَّائِفِينَ، تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَإِجْلَالًا لَهُ.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿فِيهِ آيَاتٌ﴾ عَلَامَاتٌ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَآثَارِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ..

﴿بَيِّنَاتٌ﴾ مِنْهُنَّ..

﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أَثَرُ قَدَمِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي الْحَجَرِ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ..

﴿وَمَن دَخَلَهُ﴾ مِنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَجَأَ إِلَيْهِ عَائِذًا بِهِ..

﴿كَانَ آمِنًا﴾ مَا كَانَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ يُخْرَجُ مِنْهُ فَيُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ إِنْ كَانَ أَصَابَ مَا يَسْتَوْجِبُهُ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ لَجَأَ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ أَصَابَهُ فِيهِ أُقِيمَ عَلَيْهِ فِيهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا مَنَعَكَ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ

فِيهِ؟ قِيلَ: لِاتِّفَاقِ جَمِيعِ السَّلَفِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَتْ جَرِيرَتُهُ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ عَاذَ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُؤْخَذُ بِجَرِيرَتِهِ فِيهِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا دَلَالَتُكَ عَلَىٰ أَنَّ إِخْرَاجَ الْعَائِذِ بِالْبَيْتِ إِذَا أَتَاهُ مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ جَرِيرَةٍ جَرَّهَا أَوْ مِنْ حَدٍّ أَصَابَهُ مِنَ الْحَرَمِ جَائِزٌ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ وَأَخْذِهِ بِالْجَرِيرَةِ، وَقَدْ أَقْرَرْتَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ جَعَلَ مَنْ دَخَلَهُ آمِنًا، وَمَعْنَىٰ الْآمِنِ غَيْرُ مَعْنَىٰ الْخَائِفِ، فِيمَا هُمَا فِيهِ مُخْتَلِفَانِ؟ قِيلَ: قُلْنَا ذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ أَنَّ إِخْرَاجَ الْعَائِذِ بِهِ مِنْ جَرِيرَةٍ أَصَابَهَا أَوْ فَاحِشَةٍ أَتَاهَا وَجَبَتْ عَلَيْهِ بِهِ عُقُوبَةٌ مِنْهُ بِبَعْضِ مَعَانِي الْإِخْرَاجِ لِأَخْذِهِ بِمَا لَزِمَهُ، وَاجِبٌ عَلَىٰ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ مَعَهُ.. فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَضَعْ حَدًّا مِنْ حُدُودِهِ عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ أَجْلِ بُقْعَةٍ وَمَوْضِعٍ صَارَ إِلَيْهَا مَنْ لَزِمَهُ ذَلِكَ، وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ» وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ الْأُمَّةِ أَنَّ عَائِذًا لَوْ عَاذَ مِنْ عُقُوبَةٍ لَزِمَتْهُ بِحَرَمِ النَّبِيِّ ﷺ يُؤَاخَذُ بِالْعُقُوبَةِ فِيهِ، وَلَوْلَا مَا ذَكَرْتُ مِنْ إِجْمَاعِ السَّلَفِ عَلَىٰ أَنَّ حَرَمَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُقَامُ فِيهِ عَلَىٰ مَنْ عَاذَ بِهِ مِنْ عُقُوبَةٍ لَزِمَتْهُ حَتَّىٰ يُخْرَجَ مِنْهُ مَا لَزِمَهُ، لَكَانَ أَحَقَّ الْبِقَاعِ أَنْ تُؤَدَّىٰ فِيهِ فَرَائِضُ اللهِ الَّتِي أَلْزَمَهَا عِبَادَهُ مِنْ قَتْلٍ أَوْ غَيْرِهِ أَعْظَمُ الْبِقَاعِ إِلَىٰ اللهِ كَحَرَمِ اللهِ وَحَرَمِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنَّا أُمِرْنَا بِإِخْرَاجِ مَنْ أُمِرْنَا بِإِخْرَاجِهِ مِنْ حَرَمِ اللهِ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ فِعْلِ الْأُمَّةِ ذَلِكَ وِرَاثَةً.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا مَا كَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْ عُقُوبَةٍ لَزِمَتْهُ عَائِذًا بِهِ، فَهُوَ آمِنٌ مَا كَانَ بِهِ حَتَّىٰ يَخْرُجُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ إِلَىٰ الْخَوْفِ بَعْدَ الْخُرُوجِ أَوِ الْإِخْرَاجِ مِنْهُ، فَحِينَئِذٍ هُوَ غَيْرُ دَاخِلِهِ، وَلَا هُوَ فِيهِ..

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وَفَرْضٌ وَاجِبٌ لِلَّهِ عَلَىٰ مَنِ اسْتَطَاعَ -مِنْ أَهْلِ التَّكْلِيفِ السَّبِيلَ إِلَىٰ حَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ- الْحَجَّ إِلَيْهِ..

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وَمَنْ جَحَدَ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ فَرْضِ حَجِّ بَيْتِهِ، فَأَنْكَرَهُ وَكَفَرَ بِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عَنْهُ، وَعَنْ حَجِّهِ وَعَمَلِهِ..

﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧] وَعَنْ سَائِرِ خَلْقِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨﴾ [آل عمران: ٩٨].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قُلْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ مَنْ يَنْتَحِلِ الدِّيَانَةَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ كُتُبِهِ، مِمَّنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُ..

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ لِمَ تَجْحَدُونَ حُجَجَ اللهِ الَّتِي آتَاهَا مُحَمَّدًا فِي كُتُبِكُمْ وَغَيْرِهَا الَّتِي قَدْ ثَبَتَتْ عَلَيْكُمْ بِصِدْقِهِ وَنُبُوَّتِهِ وَحُجَّتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨﴾ [آل عمران: ٩٨] فَأَخْبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مُعْتَمِدُونَ الْكُفْرَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ وَمَعْرِفَةٍ مِنْ كُفْرِهِمْ.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩﴾ [آل عمران: ٩٩].

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ التَّصْدِيقَ بِكُتُبِ اللهِ..

﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لِمَ تَضِلُّونَ عَنْ طَرِيقِ اللهِ وَمَحَجَّتِهِ الَّتِي شَرَّعَهَا لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ..

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مَنْ صَدَّقَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿تَبْغُونَهَا﴾ تبْغُونَ لِأَهْلِ دِينِ اللهِ، وَلِمَنْ هُوَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ..

﴿عِوَجًا﴾ ضَلَالًا عَنِ الْحَقِّ وَزَيْغًا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ الْهُدَىٰ وَالْمَحَجَّةِ.. وَالْعِوَجُ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ: الْأَوَدُ فِي الدِّينِ وَالْكَلَامِ، وَالْعَوَجُ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ: الْمَيْلُ فِي الْحَائِطِ وَالْقَنَاةِ وَكُلِّ شَيْءٍ مُنْتَصِبٍ قَائِمٍ..

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي تَصُدُّونَ عَنْهُ مِنَ السَّبِيلِ حَقٌّ تَعْلَمُونَهُ وَتَجِدُونَهُ فِي كُتُبِكُمْ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩﴾ [آل عمران: ٩٩] لَيْسَ اللهُ بِغَافِلٍ عَنْ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا مِمَّا لَا يَرْضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، حَتَّىٰ يُعَاجِلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا مُعَجَّلَةً، أَوْ يُؤَخِّرَ ذَلِكَ لَكُمْ، حَتَّىٰ تَلْقَوْهُ فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ۝١٠٠﴾ [آل عمران: ١٠٠].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا﴾ جَمَاعَةً..

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْكِتَابَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَتَقْبَلُوا مِنْهُمْ مَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ..

﴿يَرُدُّوكُم﴾ يُضِلُّوكُمْ فَيَرُدُّوكُمْ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ وَبَعْدَ إِقْرَارِكُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ..

﴿كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾ [آل عمران: ١٠٠] جَاحِدِينَ لِمَا قَدْ آمَنْتُمْ بِهِ وَصَدَّقْتُمُوهُ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، فَنَهَاهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَنْتَصِحُوهُمْ، وَيَقْبَلُوا مِنْهُمْ رَأْيًا أَوْ مَشُورَةً، وَيُعَلِّمُهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ لَهُمْ مُنْطَوُونَ عَلَىٰ غِلٍّ وَغِشٍّ وَحَسَدٍ وَبُغْضٍ.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، فَتَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ حُجَجُ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ عَلَيْكُمْ لِلَّهِ، مَعَ آيِ كِتَابِهِ، يَدْعُوكُمْ جَمِيعُ ذَٰلِكَ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَيُبَصِّرُكُمُ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادَ، وَيَنْهَاكُمْ عَنِ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَمَا وَجْهُ عُذْرِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فِي جُحُودِكُمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَارْتِدَادِكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَرُجُوعِكُمْ إِلَىٰ أَمْرِ جَاهِلِيَّتِكُمْ، إِنْ أَنْتُمْ رَاجَعْتُمْ ذَٰلِكَ وَكَفَرْتُمْ، وَفِيهِ هَٰذِهِ الْحُجَجُ الْوَاضِحَةُ، وَالْآيَاتُ الْبَيِّنَةُ، عَلَىٰ خَطَأِ فِعْلِكُمْ ذَٰلِكَ إِنْ فَعَلْتُمُوهُ..

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يَتَعَلَّقْ بِأَسْبَابِ اللهِ، وَيَتَمَسَّكْ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿فَقَدْ هُدِىَ﴾ فَقَدْ وُفِّقَ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١] لِطَرِيقٍ وَاضِحٍ وَمَحَجَّةٍ مُسْتَقِيمَةٍ غَيْرِ مُعْوَجَّةٍ، فَيَسْتَقِيمُ بِهِ إِلَىٰ رِضَا اللهِ وَإِلَىٰ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَالْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ.. وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعْنَىٰ الْهُدَىٰ وَالصِّرَاطِ وَأَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ الْإِسْلَامُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا مَعْشَرَ مَنْ صَدَقَ اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خَافُوا اللهَ وَرَاقِبُوهُ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ حَقَّ خَوْفِهِ، وَهُوَ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَىٰ..

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١٠٢] لِرَبِّكُمْ مُذْعِنُونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، مُخْلِصُونَ لَهُ الْأُلُوهِيَّةَ وَالْعِبَادَةَ.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ وَتَعَلَّقُوا وَتَمَسَّكُوا بِدِينِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللهِ..

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ وَلَا تَتَفَرَّقُوا عَنْ دِينِ اللهِ وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ مِنَ الِائْتِلَافِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ..

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وَاذْكُرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ بِشِرْكِكُمْ، بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، عَصَبِيَّةً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ وَلَا طَاعَةِ رَسُولِهِ..

﴿فَأَلَّفَ﴾ اللهُ بِالْإِسْلَامِ..

﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ فَجَعَلَ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ إِخْوَانًا بَعْدَ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً، تَتَوَاصَلُونَ بِأُلْفَةِ الْإِسْلَامِ وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِكُمْ عَلَيْهِ.. فَالنِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ -الَّتِي أَمَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَذْكُرُوهَا- هِيَ أُلْفَةُ الْإِسْلَامِ وَاجْتِمَاعُ كَلِمَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَالْعَدَاوَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ، الَّتِي قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ فَإِنَّهَا عَدَاوَةُ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، يَزْعُمُ الْعُلَمَاءُ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ، أَنَّهَا تَطَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ.. فَأَصْبَحْتُمْ بِتَأْلِيفِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بَيْنَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ نُصْرَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَالتَّآزُرِ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، إِخْوَانًا مُتَصَادِقِينَ لَا ضَغَائِنَ بَيْنَكُمْ، وَلَا تَحَاسُدَ.. فَذَكَّرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِذْ وَعَظَهُمْ عَظِيمَ مَا كَانُوا فِيهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالشَّقَاءِ بِمُعَادَاةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَقَتْلِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَخَوْفِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِهِ،

وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الِائْتِلَافِ وَالِاجْتِمَاعِ، وَأَمْنِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَمَصِيرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِخْوَانًا..

﴿وَكُنتُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ..

﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ عَلَىٰ حَرْفِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ لِكُفْرِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَكُنْتُمْ عَلَىٰ طَرَفِ جَهَنَّمَ بِكُفْرِكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُنْعِمَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ، فَتَصِيرُوا بِائْتِلَافِكُمْ عَلَيْهِ إِخْوَانًا، لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِكُمْ، فَتَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ فِيهَا، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ مِنْهَا بِالْإِيمَانِ الَّذِي هَدَاكُمْ لَهُ.. وَشَفَا الْحُفْرَةِ: طَرَفُهَا وَحَرْفُهَا مِثْلَ شَفَا الرَّكِيَّةِ وَالْبِئْرِ..

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ فَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الْحُفْرَةِ، فَرَدَّ الْخَبَرَ إِلَىٰ الْحُفْرَةِ، وَقَدِ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنِ الشَّفَا، لِأَنَّ الشَّفَا مِنَ الْحُفْرَةِ، فَجَازَ ذَلِكَ، إِذْ كَانَ الْخَبَرُ عَنِ الشَّفَا عَلَىٰ السَّبِيلِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَبَرًا عَنِ الْحُفْرَةِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَ لَكُمْ رَبُّكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ- مِنْ غِلِّ الْيَهُودِ، الَّذِي يُضمِرُونَهُ لَكُمْ، وَغِشِّهِمْ لَكُمْ، وَأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فِيهَا، وَنَهْيِهِ لَكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَالْحَالَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، وَالَّتِي صِرْتُمْ إِلَيْهَا فِي إِسْلَامِكُمْ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يُعَرِّفُكُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَوَاقِعَ نِعَمِهِ قِبَلَكُمْ، وَصَنَائِعَهُ لَدَيْكُمْ، فَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ سَائِرَ حُجَجِهِ لَكُمْ فِي تَنْزِيلِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣] لِتَهْتَدُوا إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَتَسْلُكُوهَا فَلَا تَضِلُّوا عَنْهَا.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿يَدْعُونَ﴾ النَّاسَ..

﴿إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِي شَرَّعَهَا اللهُ لِعِبَادِهِ..

﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَدِينِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالتَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ،

بِجِهَادِهِمْ بِالْأَيْدِي وَالْجَوَارِحِ، حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لَكُمْ بِالطَّاعَةِ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] الْمُنْجِحُونَ عِنْدَ اللهِ، الْبَاقُونَ فِي جَنَّاتِهِ وَنَعِيمِهِ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥].

﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿وَٱخْتَلَفُواْ﴾ فِي دِينِ اللهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ﴾ مِنْ حُجَجِ اللهِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَعَلِمُوا الْحَقَّ فِيهِ، فَتَعَمَّدُوا خِلَافَهُ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ، جَرَاءَةً عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا، وَاخْتَلَفُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥] فَلَا تَفَرَّقُوا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِكُمْ تَفَرُّقَ هَؤُلَاءِ فِي دِينِهِمْ، وَلَا تَفْعَلُوا فِعْلَهُمْ، وَتَسْتَنُّوا فِي دِينِكُمْ بِسُنَّتِهِمْ، فَيَكُونَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ الْعَظِيمِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي يَوْمِ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ..

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فَيُقَالُ لَهُمْ..

﴿أَكَفَرْتُم﴾ أَجَحَدْتُمْ تَوْحِيدَ اللهِ وَعَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمُوهُ عَلَيْهِ، بِأَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ بِهِ.. عَنَىٰ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الَّذِي آمَنَ حِينَ أَخَذَ اللهُ مِنْ صُلْبِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِمَا بَيَّنَ فِي كِتَابِهِ..

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦﴾ [آل عمران: ١٠٦] بِمَا كُنْتُمْ تُجْحَدُونَ فِي الدُّنْيَا مَا كَانَ اللهُ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ بِالْإِقْرَارِ بِهِ وَالتَّصْدِيقِ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٧].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ مِمَّنْ ثَبَتَ عَلَىٰ عَهْدِ اللهِ وَمِيثَاقِهِ، فَلَمْ يُبَدِّلْ دِينَهُ، وَلَمْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالشَّهَادَةِ لِرَبِّهِ بِالْأُلُوهَةِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ فَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ، يَعْنِي: فِي جَنَّتِهِ وَنَعِيمِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٧] بَاقُونَ فِيهَا أَبَدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَلَا غَايَةٍ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨].

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي: مَوَاعِظَ اللهِ، وَعِبَرَهُ وَحُجَجَهُ.. وَهَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا أُمُورُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْصَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأُمُورُ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِأَهْلِ الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ، وَبِالْمُبَدِّلِينَ دِينَهُ وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَهُ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ ﷻ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ يَتْلُو ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَنْ عَاقَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ -بِمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ مُعَاقِبُهُ- مِنْ تَسْوِيدِ وَجْهِهِ وَتَخْلِيدِهِ فِي أَلِيمِ عَذَابِهِ وَعَظِيمِ عِقَابِهِ، وَمَنْ جَازَاهُ مِنْهُمْ بِمَا جَازَاهُ مِنْ تُبْيِيضِ وَجْهِهِ وَتَكْرِيمِهِ وَتَشْرِيفِ مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ بِتَخْلِيدِهِ فِي دَائِمِ نَعِيمِهِ، فَبِغَيْرِ ظُلْمٍ مِنْهُ لِفَرِيقٍ مِنْهُمْ، بَلْ لَحِقٌّ اسْتَوْجَبُوهُ وَأَعْمَالٍ لَهُمْ سَلَفَتْ جَازَاهُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ نَقْرَؤُهَا عَلَيْكَ وَنَقُصُّهَا..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ﴾ وَلَيْسَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ بِتَسْوِيدِ وُجُوهِ هَؤُلَاءِ وَإِذَاقَتِهِمُ الْعَذَابَ الْعَظِيمَ، وَتَبْيِيضِ وُجُوهِ هَؤُلَاءِ وَتَنْعِيمِهِ إِيَّاهُمْ فِي جَنَّتِهِ..

﴿يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨] طَالِبًا وَضْعَ شَيْءٍ -مِمَّا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ- فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُ، إِعْلَامًا بِذَلِكَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَنْ يَصْلُحَ فِي حِكْمَتِهِ بِخَلْقِهِ غَيْرُ مَا وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَغَيْرُ مَا أَوْعَدَ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَإِنْذَارًا مِنْهُ هَؤُلَاءِ وَتَبْشِيرًا مِنْهُ هَؤُلَاءِ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ١٠٩﴾ [آل عمران: ١٠٩].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يُعَاقِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مُعَاقِبُهُمْ بِهِ

مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ وَتَسْوِيدِ الْوُجُوهِ، وَيُثِيبُ أَهْلَ الإِيمَانِ بِهِ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَىٰ التَّصْدِيقِ وَالْوَفَاءِ بِعُهُودِهِمُ الَّتِي عَاهَدُوا عَلَيْهَا، بِمَا وَصَفَ أَنَّهُ مُثِيبُهُمْ بِهِ مِنَ الْخُلُودِ فِي جَنَّاتِهِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنْهُ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ فِيمَا فَعَلَ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ الظُّلْمِ، وَذَلِكَ أَنَّ الظَّالِمَ إِنَّمَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ لِيَزْدَادَ إِلَىٰ عِزَّتِهِ عِزَّةً بِظُلْمِهِ إِيَّاهُ، وَإِلَىٰ سُلْطَانِهِ سُلْطَانًا، وَإِلَىٰ مُلْكِهِ مُلْكًا؛ لِنُقْصَانٍ فِي بَعْضِ أَسْبَابِهِ يُتَمِّمُ بِمَا ظَلَمَ غَيْرَهُ فِيهِ مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أَسْبَابِهِ عَنِ التَّمَامِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ جَمِيعُ مَا بَيْنَ أَقْطَارِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا مَعْنَىٰ لِظُلْمِهِ أَحَدًا فَيَجُوزُ أَنْ يَظْلِمَ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِهِ شَيْءٌ نَاقِصٌ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَمَامٍ، فَيُتِمُّ ذَلِكَ بِظُلْمِ غَيْرِهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨] وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝١٠٩﴾ [آل عمران: ١٠٩] إِلَىٰ اللهِ مَصِيرُ أَمْرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ الصَّالِحِ مِنْهُمْ، وَالطَّالِحِ وَالْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، فَيُجَازِي كُلًّا عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ مِنْهُ الْجَزَاءَ بِغَيْرِ ظُلْمٍ مِنْهُ أَحَدًا مِنْهُمْ.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١١٠﴾

[آل عمران: ١١٠].

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا إِنَّكُمْ وَفَّيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةٍ أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ**»..

﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ تَأْمُرُونَ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ.. وَأَصْلُ الْمَعْرُوفِ: كُلُّ مَا كَانَ مَعْرُوفًا فَفِعْلُهُ جَمِيلٌ مُسْتَحْسَنٌ غَيْرُ مُسْتَقْبَحٍ فِي أَهْلِ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ طَاعَةُ اللهِ مَعْرُوفًا؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الإِيمَانِ وَلَا يَسْتَنْكِرُونَ فِعْلَهُ..

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ، وَعَنِ الْعَمَلِ بِمَا نَهَىٰ عَنْهُ.. وَأَصْلُ الْمُنْكَرِ مَا أَنْكَرَهُ اللهُ، وَرَءَاهُ المؤمنونَ قَبِيحًا فِعْلُهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ مَعْصِيَةُ اللهِ مُنْكَرًا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الإِيمَانِ بِاللهِ يَسْتَنْكِرُونَ فِعْلَهَا، وَيَسْتَعْظِمُونَ رُكُوبَهَا..

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وَتُصَدِّقُونَ بِاللهِ، فَتُخْلِصُونَ لَهُ التَّوْحِيدَ وَالعِبَادَةَ..

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَلَوْ صَدَّقَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ عِنْدَ اللهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ، وَآجِلِ آخِرَتِهِمْ..

﴿مِّنْهُمُ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ الْمُصَدِّقُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَخُوهُ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَخُوهُ، وَأَشْبَاهُهُمْ مِمَّنْ آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاتَّبَعُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠] الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنَ دِينِ الْيَهُودِ اتِّبَاعُ مَا فِي التَّوْرَاةِ وَالتَّصْدِيقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنْ دِينِ النَّصَارَىٰ اتِّبَاعُ مَا فِي الْإِنْجِيلِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ وَبِمَا فِي التَّوْرَاةِ، وَفِي كِلَا الْكِتَابَيْنِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتُهُ وَمَبْعَثُهُ وَأَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَكِلْتَا الْفِرْقَتَيْنِ - أَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ- مُكَذِّبَةٌ، فَذَلِكَ فِسْقُهُمْ وَخُرُوجُهُمْ عَنْ دِينِهِمُ الَّذِي يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِهِ.. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَمَّ اللهُ أَكْثَرَ النَّاسِ.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

[آل عمران: ١١١].

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، هَؤُلَاءِ الْفَاسِقُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِكُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ شَيْئًا..

﴿إِلَّا أَذًى﴾ يُؤْذُونَكُمْ بِشِرْكِهِمْ، وَإِسْمَاعِكُمْ كُفْرَهُمْ، وَقَوْلِهِمْ فِي عِيسَىٰ وَأُمِّهِ وَعُزَيْرٍ، وَدُعَائِهِمْ إِيَّاكُمْ إِلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَلَا يَضُرُّونَكُمْ بِذَلِكَ..

﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ وَإِنْ يُقَاتِلْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ يُهْزَمُوا عَنْكُمْ، فَيُوَلُّوكُمْ أَدْبَارَهُمُ انْهِزَامًا، فَقَوْلُهُ: ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ انْهِزَامِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُنْهَزِمَ يُحَوِّلُ ظَهْرَهُ إِلَىٰ جِهَةِ الطَّالِبِ هَرَبًا إِلَىٰ مَلْجَأٍ، وَمَوْئِلٍ يَئِلُ إِلَيْهِ مِنْهُ، خَوْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَالطَّالِبُ فِي أَثَرِهِ..

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران: ١١١] ثُمَّ لَا يَنْصُرُهُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِيمَانِكُمْ بِمَا آتَاكُمْ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَلْقَىٰ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَيَّدَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ نَصْرَهُمْ عَلَىٰ الْكَفَرَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢].

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أُلْزِمَ الْيَهُودُ الْمُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ الذِّلَّةَ..

﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ حَيْثُمَا لُقُوا، وأَيْنَمَا كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ، وَبِأَيِّ مَكَانٍ كَانُوا مِنْ بِقَاعِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ..

﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَأَمَّا الْحَبْلُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنَّهُ السَّبَبُ الَّذِي يَأْمَنُونَ بِهِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَأَمَانٍ تَقَدَّمَ لَهُمْ عَقْدُهُ قَبْلَ أَنْ يُثْقَفُوا فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَتَحَمَّلُوا غَضَبَ اللهِ، فَانْصَرَفُوا بِهِ مُسْتَحِقِّيهِ..

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾ وَهِيَ ذُلُّ الْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ وَخُشُوعُهُمَا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ بَوْؤُهُمُ الَّذِي بَاءُوا بِهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَضَرْبِ الذِّلَّةِ عَلَيْهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ بَدَلًا مِمَّا..

﴿كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مِمَّا كَانُوا يَجْحَدُونَ أَعْلَامَ اللهِ وَأَدِلَّتَهُ عَلَىٰ صِدْقِ أَنْبِيَائِهِ، وَمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَرَائِضِهِ..

﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ﴾ وَبِمَا كَانُوا يَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَهُمْ وَرُسُلَ اللهِ إِلَيْهِمْ، ظُلْمًا وَاعْتِدَاءً عَلَىٰ اللهِ، وَجَرَاءَةً عَلَيْهِ بِالْبَاطِلِ..

﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ اسْتَحَقُّوا مِنْهُمُ الْقَتْلَ..

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢] فَعَلْنَا بِهِمْ ذَلِكَ بِكُفْرِهِمْ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ وَاعْتِدَائِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ.. فَأَعْلَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ، مَا فَعَلَ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنْ إِحْلَالِ الذِّلَّةِ وَالْخِزْيِ بِهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، مَعَ مَا ادَّخَرَ لَهُمْ فِي الْأَجَلِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ، إِذْ تَعَدَّوْا حُدُودَ اللهِ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُ تَذْكِيرًا مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُمْ، وَتَنْبِيهًا عَلَىٰ مَوْضِعِ الْبَلَاءِ الَّذِي مِنْ قِبَلِهِ أُتُوا، لِيُنِيبُوا وَيَذَّكَّرُوا، وَعِظَةً مِنْهُ لِأُمَّتِنَا أَنْ لَا يَسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِمْ، وَيَرْكَبُوا مِنْهَاجَهُمْ، فَيَسْلُكَ بِهِمْ مَسَالِكَهُمْ، وَيُحِلَّ بِهِمْ مِنْ نِقَمِ اللهِ وَمَثُلَاتِهِ مَا أَحَلَّ بِهِمْ.

﴿* لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣﴾ [آل عمران: ١١٣].

﴿* لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ لَيس فَرِيقَا أَهْلِ الْكِتَابِ أَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ وَالْكُفْرِ سَوَاءً، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ غَيْرُ مُتَسَاوِينَ، يَقُولُ: لَيْسُوا مُتَعَادِلِينَ، وَلَكِنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.. وَإِنَّمَا قِيلَ: لَيْسُوا سَوَاءً؛ لِأَنَّ فِيهِ ذِكْرُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ عَنْ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ، عِنْدَهُ، الْمُؤْمِنَةِ مِنْهُمَا وَالْكَافِرَةِ، فَقَالَ: ﴿* لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾، أَيْ: لَيْسَ هَؤُلَاءِ سَوَاءً، الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ وَالْكَافِرُونَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ عَنْ صِفَةِ الْفِرْقَةِ الْمُؤْمِنَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَدَحَهُمْ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ، بَعْدَمَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ الْفَاسِقَةَ مِنْهُمْ بِمَا وَصَفَهَا بِهِ مِنَ الْهَلَعِ وَنَخْبِ الْجَنَانِ، وَمُحَالَفَةِ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ، وَمُلَازَمَةِ الْفَاقَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَتَحَمُّلِ خِزْيِ الدُّنْيَا وَفَضِيحَةِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣﴾ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾ [آل عمران: ١١٥]..

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ جَمَاعَةٌ مُعْتَصِمَةٌ بِكِتَابِ اللهِ، مُتَمَسِّكَةٌ بِهِ، ثَابِتَةٌ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَبِمَا سَنَّ لَهُمْ رَسُولُهُ ﷺ، مُسْتَقِيمَةٌ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَكِتَابِ اللهِ، وَفَرَائِضِهِ، وَشَرَائِعِ دِينِهِ، بِالْعَدْلِ وَالطَّاعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ، مِنْ صِفَةِ أَهْلِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَمَا أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْمَوَاعِظِ..

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ يَتْلُونَ ذَلِكَ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، فَيَتَدَبَّرُونَهُ وَيَتَفَكَّرُونَ فِيهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ جَوْفُ اللَّيْلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ قَوْمًا كَانُوا يُصَلُّونَ الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمٌ كَانُوا يُصَلُّونَ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا - عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا- مُتَقَارِبَةُ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، بِأَنَّهُمْ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَهِيَ آنَاؤُهُ، وَقَدْ يَكُونُ تَالِيهَا فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ تَالِيًا لَهَا آنَاءَ اللَّيْلِ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَلَاهَا فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَمَنْ تَلَاهَا جَوْفَ اللَّيْلِ، فَكُلٌّ تَالٍ لَهُ سَاعَاتَ اللَّيْلِ..

﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣﴾ [آل عمران: ١١٣] إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ زَعَمَ أَنَّ مَعْنَىٰ السُّجُودِ فِي هَذَا

الْمَوْضِعِ اسْمُ الصَّلَاةِ لَا السُّجُودُ؛ لِأَنَّ التِّلَاوَةَ لَا تَكُونُ فِي السُّجُودِ وَلَا فِي الرُّكُوعِ، فَكَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُ: يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَلَيْسَ الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ، يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ فِي صَلَاتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْجُدُونَ فِيهَا، فَالسُّجُودُ هُوَ السُّجُودُ الْمَعْرُوفُ فِي الصَّلَاةِ.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٤].

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يُصَدِّقُونَ بِاللهِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ مُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَلَيْسُوا كَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَيُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَيُنْكِرُونَ الْمُجَازَاةَ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ..

﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ..

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَيَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْكُفْرِ، وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ تَصْدِيقُ مُحَمَّدٍ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وَيَبْتَدِرُونَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ خَشْيَةَ أَنْ يَفُوتَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ مُعَاجَلَتِهِمْ مَنَايَاهُمْ..

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٤] هُمْ مِنْ عِدَادِ الصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فَاسِقًا قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، لِكُفْرِهِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ، وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَعِصْيَانِهِ رَبَّهُ، وَاعْتِدَائِهِ فِي حُدُودِهِ.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٥].

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟﴾ وَمَا تَفْعَلْ هَذِهِ الْأُمَّةُ..

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ وَتَعْمَلْ مِنْ عَمَلٍ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا..

﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ فَلَنْ يَكْفُرَهُمُ اللهُ ذَلِكَ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ: فَلَنْ يُبْطِلَ اللهُ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ،

وَلَا يَدَعُهُمْ بِغَيْرِ جَزَاءٍ مِنْهُ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يُجْزِلُ لَهُمُ الثَّوَابَ عَلَيْهِ، وَيُسْنِي لَهُمُ الْكَرَامَةَ وَالْجَزَاءَ.. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكُفْرِ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ بِشَوَاهِدِهِ، وَأَنَّ أَصْلَهُ تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ فَلَنْ يُغَطَّىٰ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ، فَيُتْرَكُوا بِغَيْرِ مُجَازَاةٍ، وَلَكِنَّهُمْ يُشْكَرُونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ، فَيُجْزَلُ لَهُمُ الثَّوَابُ فِيهِ..

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ وَاللهُ ذُو عِلْمٍ..

﴿بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٥] بِمَنِ اتَّقَاهُ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَحَافِظٌ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ حَتَّىٰ يُثِيبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيُجَازِيَهُمْ بِهَا تَبْشِيرًا مِنْهُ لَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَحَضًّا لَهُمْ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِالَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران: ١١٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَذَّبُوا بِهِ، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ لَنْ تَدْفَعَ..

﴿أَمْوَالُهُمْ﴾ أَمْوَالُهُ الَّتِي جَمَعَهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَا أَوْلَادُهُم﴾ وَأَوْلَادُهُ الَّذِينَ رَبَّاهُمْ فِيهَا..

﴿مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ أَخَّرَهَا لَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا فِي الدُّنْيَا إِنْ عَجَّلَهَا لَهُمْ فِيهَا.. وَإِنَّمَا خَصَّ أَوْلَادَهُ وَأَمْوَالَهُ؛ لِأَنَّ أَوْلَادَ الرَّجُلِ أَقْرَبُ أَنْسِبَائِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ عَلَىٰ مَالِهِ أَقْرَبُ مِنْهُ عَلَىٰ مَالِ غَيْرِهِ، وَأَمْرُهُ فِيهِ أَجْوَزُ مِنْ أَمْرِهِ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَإِذَا لَمْ يُغْنِ عَنْهُ: وَلَدُهُ لِصُلْبِهِ، وَمَالُهُ الَّذِي هُوَ نَافِذُ الْأَمْرِ فِيهِ، فَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ وَسَائِرِ أَنْسِبَائِهِ وَأَمْوَالِهِمْ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ تُغْنِيَ عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا.. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا بِقَوْلِهِ..

﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ أَصْحَابَهَا؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا الَّذِينَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا يُفَارِقُونَهَا، كَصَاحِبِ الرَّجُلِ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ، وَقَرِينِهِ الَّذِي لَا يُزَايِلُهُ، ثُمَّ وَكَّدَ ذَلِكَ بِإِخْبَارِهِ عَنْهُمْ أَنَّـ..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران: ١١٦] صُحْبَتُهُمْ إِيَّاهَا صُحْبَةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا؛ إِذْ كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُفَارِقُ صَاحِبَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَيُزَايِلُهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ صُحْبَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا النَّارَ الَّتِي أُصْلُوهَا، وَلَكِنَّهَا صُحْبَةٌ دَائِمَةٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا

وَمِمَّا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِلْأُمَّةِ الْأُخْرَىٰ الْفَاسِقَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ فَاسِقُونَ وَأَنَّهُمْ قَدْ بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْهُ، وَلِمَنْ كَانَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٧].

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ شِبْهُ إِبْطَالِ اللهِ أَجْرَ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْكَافِرُ مِنْ مَالِهِ، فَيُعْطِي مَنْ يُعْطِيهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْقُرْبَةِ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَهُوَ لِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ جَاحِدٌ، وَلِمُحَمَّدٍ ﷺ مُكَذِّبٌ، فِي أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِهِ مَعَ كُفْرِهِ، وَأَنَّهُ مُضْمَحِلٌّ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ذَاهِبٌ بَعْدَ الَّذِي كَانَ يَرْجُو مِنْ عَائِدَةِ نَفْعِهِ عَلَيْهِ.. وَخَرَجَ الْمَثَلُ لِلنَّفَقَةِ وَالْمُرَادُ بِالْمَثَلِ صَنِيعُ اللهِ بِالنَّفَقَةِ..

﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ﴾ كَشِبْهِ..

﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ رِيح فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ..

﴿أَصَابَتْ﴾ هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الْبَرْدُ الشَّدِيدُ..

﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾ زَرْعَ قَوْمٍ، قَدْ أَمَّلُوا إِدْرَاكَهُ، وَرَجَوْا رِيعَهُ وَعَائِدَةَ نَفْعِهِ..

﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ عَصَوُا اللهَ، وَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ..

﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فَأَهْلَكَتِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الصِّرُّ زَرْعَهُمْ ذَلِكَ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمَلِ، وَرَجَاءَ عَائِدَةِ نَفْعِهِ عَلَيْهِمْ، فَكَذَلِكَ فِعْلُ اللهِ بِنَفَقَةِ الْكَافِرِ وَصَدَقَتِهِ فِي حَيَاتِهِ حِينَ يَلْقَاهُ يُبْطِلُ ثَوَابَهَا، وَيُخَيِّبُ رَجَاءَهُ مِنْهَا..

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَمَا فَعَلَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مَا فَعَلَ بِهِمْ، مِنْ إِحْبَاطِهِ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، وَإِبْطَالِهِ أُجُورَهَا ظُلْمًا مِنْهُ لَهُمْ، يَعْنِي: وَضْعًا مِنْهُ لِمَا فَعَلَ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، بَلْ وَضَعَ فَعْلَهُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ، وَفَعَلَ بِهِمْ مَا هُمْ أَهْلُهُ..

﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٧] لِأَنَّ عَمَلَهُمُ الَّذِي عَمِلُوهُ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ، وَهُمْ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ دَائِنُونَ وَلِأَمْرِهِ مُتَّبِعُونَ وَلِرُسُلِهِ مُصَدِّقُونَ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَهُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ، وَلِأَمْرِهِ مُخَالِفُونَ، وَلِرُسُلِهِ مُكَذِّبُونَ، بَعْدَ تَقَدُّمِ مِنْهُ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلًا مِنْ عَامِلٍ إِلَّا مَعَ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَتَصْدِيقِ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ، وَتَوْكِيدِهِ الْحُجَجَ بِذَلِكَ

عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ بِفِعْلِهِ مَا فَعَلَ بِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِ مِنْ إِحْبَاطِ وَافِرِ عَمَلِهِ لَهُ ظَالِمًا، بَلْ الْكَافِرُ هُوَ الظَّالِمُ نَفْسَهُ لِإِكْسَابِهَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ مَا أَوْرَدَهَا بِهِ نَارَ جَهَنَّمَ وَأَصْلَاهَا بِهِ سَعِيرَ سَقَرَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝١١٨﴾

[آل عمران: ١١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾ لَا تَتَّخِذُوا أَوْلِيَاءَ وَأَصْدِقَاءَ لِأَنْفُسِكُمْ.. وَإِنَّمَا جَعَلَ الْبِطَانَةَ مَثَلًا لِخَلِيلِ الرَّجُلِ فَشَبَّهَهُ بِمَا وَلِيَ بَطْنَهُ مِنْ ثِيَابِهِ لِحُلُولِهِ مِنْهُ فِي اطِّلَاعِهِ عَلَىٰ أَسْرَارِهِ، وَمَا يَطْوِيهِ عَنْ أَبَاعِدِهِ وَكَثِيرٍ مِنْ أَقَارِبِهِ، مَحَلَّ مَا وَلِيَ جَسَدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ..

﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ مِنْ دُونِ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، يَعْنِي: مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ.. فَنَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنَ الْكُفَّارِ بِهِ أَخِلَّاءَ وَأَصْفِيَاءَ، ثُمَّ عَرَّفَهُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَهُمْ مُنْطَوُونَ مِنَ الْغِشِّ وَالْخِيَانَةِ، وَبَغْيِهِمْ إِيَّاهُمُ الْغَوَائِلَ، فَحَذَّرَهُمْ بِذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾ يَعْنِي: الْبِطَانَةَ الَّتِي نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِهَا مِنْ دُونِهِمْ لَا تَدَعُ جَهْدَهَا..

﴿خَبَالًا﴾ فِيمَا أَوْرَثَكُم الشَّرَ وَالفَسَادَ..

﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ يَتَمَنَّوْنَ لَكُمُ الْعَنَتَ وَالشَّرَّ فِي دِينِكُمْ وَمَا يَسُوءُكُمْ وَلَا يَسُرُّكُمْ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يُخَالِطُونَ حُلَفَاءَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ مِنْهُمْ، وَيُصَافُونَهُمُ الْمَوَدَّةَ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَنْ يَسْتَنْصِحُوهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ..

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾ قَدْ بَدَتْ بَغْضَاءُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَكُمْ..

﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَالَّذِي بَدَا لَهُمْ مِنْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ إِقَامَتُهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَعَدَاوَتُهُمْ مَنْ خَالَفَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ، فَذَلِكَ مِنْ أَوْكَدِ الْأَسْبَابِ مِنْ مُعَادَاتِهِمْ أَهْلَ

الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عَدَاوَةٌ عَلَىٰ الدِّينِ، وَالْعَدَاوَةُ عَلَىٰ الدِّينِ الْعَدَاوَةُ الَّتِي لَا زَوَالَ لَهَا إِلَّا بِانْتِقَالِ أَحَدِ الْمُتَعَادِيَيْنِ إِلَىٰ مِلَّةِ الْآخَرِ مِنْهُمَا، وَذَلِكَ انْتِقَالٌ مِنْ هُدىً إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَتْ عِنْدَ الْمُنْتَقِلِ إِلَيْهَا ضَلَالَةٌ قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَانَ فِي إِبْدَائِهِمْ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَمُقَامِهِمْ عَلَيْهِ أَبْيَنُ الدَّلَالَةِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَهُمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَةِ..

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ وَالَّذِي تُخْفِي صُدُورُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَهَاهُمْ عَنِ اتِّخَاذِهِمْ بِطَانَةً فَتُخْفِيهِ عَنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَكْبَرُ﴾ مِمَّا قَدْ بَدَا لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَأَعْظَمُ..

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿الْآيَاتِ﴾ الْعِبَرَ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَهَيْنَاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَعْتَبِرُونَ وَتَتَّعِظُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨] عَنِ اللهِ مَوَاعِظَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ نَفْعِ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَمَبْلَغَ عَائِدَتِهِ عَلَيْكُمْ.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

[آل عمران: ١١٩].

﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ تُحِبُّونَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنِ اتِّخَاذِهِمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَوَدُّونَهُمْ وَتُوَاصِلُونَهُمْ..

﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ بَلْ يَنْتَظِرُونَ لَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْغِشَّ..

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ بِالْكُتُبِ كُلِّهَا، كِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ، وَكِتَابِهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، فَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تُؤْمِنُونَ بِالْكُتُبِ كُلِّهَا، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ كُفَّارٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، بِجُحُودِهِمْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ عُهُودِ اللهِ إِلَيْهِمْ، وَتَبْدِيلِهِمْ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، أَوْلَىٰ بِعَدَاوَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَبَغْضَائِهِمْ وَغِشِّهِمْ مِنْهُمْ بِعَدَاوَتِكُمْ وَبَغْضَائِكُمْ، مَعَ جُحُودِهِمْ بَعْضَ الْكُتُبِ وَتَكْذِيبِهِمْ بِبَعْضِهَا.. وَفِي هَذِهِ

الْآيَةِ إِبَانَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنْ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ: أَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَرَحْمَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَرَأْفَتِهِمْ بِأَهْلِ الْخِلَافِ لَهُمْ، وَقَسَاوَةِ قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَغِلْظَتِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ..

﴿وَإِذَا﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوهُمَا بِطَانَةً مِنْ دُونِهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِصِفَتِهِمْ إِذًا..

﴿لَقُوكُمْ﴾ لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿قَالُوٓا۟﴾ أَعْطَوْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ تَقِيَّةً، حَذَرًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ..

﴿ءَامَنَّا﴾ قَدْ آمَنَّا وَصَدَّقْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَإِذَا خَلَوْا۟﴾ وَإِذَا هُمْ خَلَوْا فَصَارُوا فِي خَلَاءٍ حَيْثُ لَا يَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ﴾ عَضُّوا عَلَىٰ مَا يَرَوْنَ مِنَ ائْتِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ..

﴿ٱلْأَنَامِلَ﴾ وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِهِمْ..

﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ تَغَيُّظًا مِمَّا بِهِمْ مِنَ الْمَوْجِدَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَسًى عَلَىٰ ظَهْرٍ يُسْتَنِدُونَ إِلَيْهِ؛ لِمُكَاشَفَتِهِمُ الْعَدَاوَةَ، وَمُنَاجَزَتِهِمُ الْمُحَارَبَةَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ، وَأَخْبَرْتُكَ أَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا أَصْحَابَكَ، قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ..

﴿مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ الَّذِي بِكُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، لِاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ، وَائْتِلَافِ جَمَاعَتِهِمْ.. وَخَرَجَ هَذَا الْكَلَامُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، وَهُوَ دُعَاءٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُهْلِكَهُمُ اللهُ كَمَدًا مِمَّا بِهِمْ مِنَ الْغَيْظِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، قَبْلَ أَنْ يَرَوْا فِيهِمْ مَا يَتَمَنَّوْنَ لَهُمْ مِنَ الْعَنَتِ فِي دِينِهِمْ، وَالضَّلَالَةِ بَعْدَ هُدَاهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٩] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِالَّذِي فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ، قَالُوا: آمَنَّا، وَمَا يَنْطَوُونَ لَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْغِلِّ وَالْغَمِّ، وَيَعْتَقِدُونَ لَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَبِمَا فِي صُدُورِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، حَافِظٌ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ مَا هُوَ عَلَيْهِ مُنْطَوٍ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، حَتَّىٰ يُجَازَىٰ جَمِيعُهُمْ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَاعْتَقَدَ مِنْ إِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَانْطَوَىٰ عَلَيْهِ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصِيحَةٍ أَوْ غِلٍّ وَغَمْرٍ.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠].

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ إِنْ تَنَالُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿حَسَنَةٌ﴾ سُرُورٌ بِظُهُورِكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، وَتَتَابُعِ النَّاسِ فِي الدُّخُولِ فِي دِينِكُمْ، وَتَصْدِيقِ نَبِيِّكُمْ، وَمُعَاوَنَتِكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿تَسُؤْهُمْ﴾ يَسُؤْهُمْ..

﴿وَإِن تُصِبْكُمْ﴾ وَإِنْ تَنَلْكُمْ..

﴿سَيِّئَةٌ﴾ مَسَاءَةٌ بِإِخْفَاقِ سَرِيَّةٍ لَكُمْ، أَوْ بِإِصَابَةِ عَدُوٍّ لَكُمْ مِنْكُمْ، أَوِ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَ جَمَاعَتِكُمْ..

﴿يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، مِنَ اتِّخَاذِ بِطَانَةٍ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ مَا نَهَاكُمْ..

﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ رَبَّكُمْ، فَتَخَافُوا التَّقَدُّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ، وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ..

﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ﴾ أَيْ: كَيْدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَيَعْنِي بِكَيْدِهِمْ: غَوَائِلَهُمُ الَّتِي يَبْتَغُونَهَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَكْرَهُمْ بِهِمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَىٰ وَسَبِيلِ الْحَقِّ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠] إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ مِنَ الْفَسَادِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَالْعَدَاوَةِ لِأَهْلِ دِينِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ، حَافِظٌ لَهُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ، حَتَّىٰ يُوَفِّيَهُمْ جَزَاءَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُذِيقَهُمْ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهِ.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾ [آل عمران: ١٢١].

﴿وَإِذْ﴾ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَيْدُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنَ الْيَهُودِ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللهَ يَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَىٰ طَاعَتِي، وَاتِّبَاعِ أَمْرِ رَسُولِي، كَمَا نَصَرْتُكُمْ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ، وَإِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَمْرِي، وَلَمْ تَصْبِرُوا عَلَىٰ مَا كَلَّفْتُكُمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَلَمْ تَتَّقُوا مَا نَهَيْتُكُمْ

عَنْهُ، وَخَالَفْتُمْ أَمْرِي، وَأَمْرَ رَسُولِي، فَإِنَّهُ نَازِلٌ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِكُمْ بِأُحُدٍ، وَاذْكُرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ إِذْ..

﴿غَدَوْتَ﴾ غَدَا نَبِيُّكُمْ..

﴿مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كَانَتْ تَبوئَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ، مَشُورَته عَلَىٰ أَصْحَابِهِ بِالرَّأْيِ..

﴿مَقَاعِدَ﴾ جَمْعُ مَقْعَدٍ وَهُوَ الْمَجْلِسُ، فتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَاذْكُرْ إِذْ غَدَوْتَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَهْلِكَ تَتَّخِذُ لِلْمُؤْمِنِينَ مُعَسْكَرًا وَمَوْضِعًا..

﴿لِلْقِتَالِ﴾ لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ..

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ لَكَ فِيمَا شَاوَرْتَهُمْ فِيهِ مِنْ مَوْضِعِ لِقَائِكَ وَلِقَائِهِمْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ: اخْرُجْ بِنَا إِلَيْهِمْ حَتَّىٰ نَلْقَاهُمْ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ قَالَ لَكَ: لَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ وَأَقِمْ بِالْمَدِينَةِ حَتَّىٰ يَدْخُلُوهَا عَلَيْنَا، وَمِمَّا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١] بِأَصْلَحِ تِلْكَ الْآرَاءِ لَكَ وَلَهُمْ، وَبِمَا تُخْفِيهِ صُدُورُ الْمُشِيرِينَ عَلَيْكَ بِالْخُرُوجِ إِلَىٰ عَدُوِّكَ، وَصُدُورُ الْمُشِيرِينَ عَلَيْكَ بِالْمُقَامِ فِي الْمَدِينَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِكَ وَأُمُورِهِمْ.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

[آل عمران: ١٢٢].

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ حِينَ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا، وَالطَّائِفَتَانِ اللَّتَانِ هَمَّتَا بِالْفَشَلِ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ بَنُو سَلَمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ، وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، هَمُّوا بِأَمْرٍ، فَعَصَمَهُمُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.. وَكَانَ هَمُّهُمَا الَّذِي هَمَّا بِهِ مِنَ الْفَشَلِ، الِانْصِرَافَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، حِينَ انْصَرَفَ عَنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ بِمَنْ مَعَهُ، جُبْنًا مِنْهُمْ، مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا نِفَاقٍ، فَعَصَمَهُمُ اللهُ مِمَّا هَمُّوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَمَضَوْا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِوَجْهِهِ الَّذِي مَضَىٰ لَهُ، وَتَرَكُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ وَالْمُنَافِقِينَ مَعَهُ، فَأَثْنَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمَا بِثُبُوتِهِمَا عَلَىٰ الْحَقِّ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ وَلِيُّهُمَا وَنَاصِرُهُمَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِمَا مِنَ الْكُفَّارِ..

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ الدَّافِعُ عَنْهُمَا مَا هُمَا بِهِ مِنْ فَشَلِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا عَنْ ضَعْفٍ وَوَهَنٍ أَصَابَهُمَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَصَابَهُمَا فِي دِينِهِمَا، فَتَوَلَّىٰ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمَا بِرَحْمَتِهِ وَعَائِدَتِهِ، حَتَّىٰ سَلِمَتَا مِنْ وَهَنِهِمَا وَضَعْفِهِمَا، وَلَحِقَتَا بِنَبِيِّهِمَا ﷺ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٢٢﴾ [آل عمران: ١٢٢] مَنْ كَانَ بِهِ ضَعْفٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ وَهْنٌ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيَّ وَلْيَسْتَعِنْ بِي أُعِنْهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَأَدْفَعْ عَنْهُ، حَتَّىٰ أَبْلُغَ بِهِ وَأُقَوِّيَهُ عَلَىٰ نِيَّتِهِ.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا، لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ﴾ يَوْمَئِذٍ..

﴿أَذِلَّةٌ﴾ قَلِيلُونَ، فِي غَيْرِ مَنَعَةٍ مِنَ النَّاسِ، حَتَّىٰ أَظْهَرَكُمُ اللهُ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ، وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْكُمْ حِينَئِذٍ، فَإِنْ تَصْبِرُوا لِأَمْرِ اللهِ يَنْصُرْكُمْ كَمَا نَصَرَكُمْ ذَٰلِكَ الْيَوْمَ..

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ رَبَّكُمْ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣] لِتَشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، وَإِظْهَارِ دِينِكُمْ، وَلِمَا هَدَاكُمْ لَهُ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ مُخَالِفُوكُمْ.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾ [آل عمران: ١٢٤].

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِكَ مِنْ أَصْحَابِكَ..

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾ [آل عمران: ١٢٤] وَذَٰلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَعَدَهُمُ اللهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَدَدًا لَهُمْ.

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٥].

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ: مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا.. وَأَصْلُ الْفَوْرِ: ابْتِدَاءُ الْأَمْرِ يُؤْخَذُ فِيهِ، ثُمَّ يُوصَلُ بِآخَرَ، يُقَالُ مِنْهُ: فَارَتِ الْقِدْرُ فَهِيَ تَفُورُ فَوْرًا وَفَوَرَانًا: إِذَا مَا ابْتَدَأَ مَا فِيهَا بِالْغَلَيَانِ ثُمَّ اتَّصَلَ؛ وَمَضَيْتُ إِلَىٰ فُلَانٍ مِنْ فَوْرِي ذَٰلِكَ، يُرَادُ بِهِ: مِنْ وَجْهِي الَّذِي ابْتَدَأْتُ فِيهِ.. فَالَّذِي قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مِّن فَوْرِهِمْ

هَٰذَا﴾ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا، قَصَدَ إِلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَهُ: وَيَأْتِيكُمْ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ وَأَصْحَابُهُ يَوْمَ بَدْرٍ، مِنَ ابْتِدَاءِ مَخْرَجِهِمُ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، لِنُصْرَةِ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.. وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا، فَإِنَّمَا عَنَوْا أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ: وَيَأْتِيكُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَتُبَّاعُهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ ابْتِدَاءِ غَضَبِهِمُ الَّذِي غَضِبُوهُ لِقَتْلَاهُمُ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ بِهَا..

﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ثُمَّ وَعَدَهُمْ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ الْآلَافِ خَمْسَةَ آلَافٍ إِنْ صَبَرُوا لِأَعْدَائِهِمْ، وَاتَّقَوُا اللهَ، وَلَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ أُمِدُّوا بِالثَّلَاثَةِ آلَافٍ، وَلَا بِالْخَمْسَةِ آلَافِ، وَلَا عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ يُمَدُّوا بِهِمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ أَمَدَّهُمْ عَلَىٰ نَحْوِ مَا رَوَاهُ الَّذِينَ أَثْبَتُوا أَنَّهُ أَمَدَّهُمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يُمِدُّهُمْ عَلَىٰ نَحْوِ الَّذِي ذَكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ عِنْدَنَا صَحَّ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يُثْبِتُ أَنَّهُمْ أُمِدُّوا بِالثَّلَاثَةِ الْآلَافِ وَلَا بِالْخَمْسَةِ الْآلَافِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ إِلَّا بِخَبَرٍ تَقُومُ الْحُجَّةُ بِهِ، وَلَا خَبَرَ بِهِ كَذَلِكَ فَنُسَلِّمَ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ قَوْلَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ أُمِدُّوا يَوْمَ بَدْرٍ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَّا فِي يَوْمِ أُحُدٍ، فَالدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ يُمَدُّوا أَبْيَنُ مِنْهَا فِي أَنَّهُمْ أُمِدُّوا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَوْ أُمِدُّوا لَمْ يُهْزَمُوا، وَيَنَالُ مِنْهُمْ مَا نِيلَ مِنْهُمْ، فَالصَّوَابُ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٥] وَالسِّيمَا الْعَلَامَةُ، يُقَالُ: هِيَ سِيمَا حَسَنَةٌ، وَسِيمِيَاءُ حَسَنَةٌ، فَإِذَا أُعْلِمَ الرَّجُلُ بِعَلَامَةٍ يُعْرَفُ بِهَا فِي حَرْبٍ أَوْ غَيْرِهِ، قِيلَ: سَوَّمَ نَفْسَهُ، فَهُوَ يُسَوِّمُهَا تَسْوِيمًا.. وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ، بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ هِيَ الَّتِي سَوَّمَتْ أَنْفُسَهَا مِنْ غَيْرِ إِضَافَةِ تَسْوِيمِهَا إِلَىٰ اللهِ ﷻ، أَوْ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَأُضِيفَ تَسْوِيمُهَا أَنْفُسَهَا إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ تَسْبِيبِ اللهِ لَهُمْ أَسْبَابَهُ، وَهِيَ إِذَا كَانَتْ مَوْصُوفَةً بِتَسْوِيمِهَا أَنْفُسَهَا تَقَرُّبًا مِنْهَا إِلَىٰ رَبِّهَا، كَانَ أَبْلَغَ فِي مَدْحِهَا؛ لِاخْتِيَارِهَا طَاعَةَ اللهِ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَوْصُوفَةً بِأَنَّ ذَلِكَ مَفْعُولٌ بِهَا.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١٢٦﴾ [آل عمران: ١٢٦].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ وَمَا جَعَلَ اللهُ وَعْدَهُ إِيَّاكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنْ إِمْدَادِهِ إِيَّاكُمْ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ ذَكَرَ عَدَدَهُمْ..

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بُشْرَىٰ يُبَشِّرُكُمْ بِهَا..

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ وَكَيْ تَطْمَئِنَّ بِوَعْدِهِ الَّذِي وَعَدَكُمْ مِنْ ذَلِكَ قُلُوبُكُمْ، فَتَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَلَا تَجْزَعُ مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّكُمْ، وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ..

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وَمَا ظَفَرُكُمْ إِنْ ظَفِرْتُمْ بِعَدُوِّكُمْ إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ، لَا مِنْ قِبَلِ الْمَدَدِ الَّذِي يَأْتِيكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَقُولُ: فَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا، وَبِهِ فَاسْتَعِينُوا، لَا بِالْجُمُوعِ وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ، فَإِنَّ نَصْرَكُمْ إِنْ كَانَ إِنَّمَا يَكُونُ بِاللهِ وَبِعَوْنِهِ وَمَعَكُمْ مِنْ مَلَائِكَتِهِ خَمْسَةُ آلَافٍ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِعَوْنِ اللهِ وَبِتَقْوِيَتِهِ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، وَإِنْ كَانَ مَعَكُمْ مِنَ الْبَشَرِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ أُخْرَىٰ، فَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران: ١٢٦] فِي تَدْبِيرِهِ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِ، يَقُولُ: فَأَبْشِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِتَدْبِيرِي لَكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، وَنَصْرِي إِيَّاكُمْ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنْتُمْ أَطَعْتُمُونِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَصَبَرْتُمْ لِجِهَادِ عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ١٢٧﴾ [آل عمران: ١٢٧].

﴿لِيَقْطَعَ﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ كَمَا يَهْلِكُ..

﴿طَرَفًا﴾ طَائِفَةً..

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ رَبِّهِمْ، وَنُبُوَّةَ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَقَالَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ مَنْ قُتِلَ بِأُحُدٍ..

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أَوْ يُخْزِيَهُمْ بِالْخَيْبَةِ بِمَا رَجَوْا مِنَ الظَّفَرِ بِكُمْ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أَوْ يَصْرَعَهُمْ لِوُجُوهِهِمْ، ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبَ تَقُولُ: كَبَتَهُ اللهُ لِوَجْهِهِ، بِمَعْنَىٰ صَرَعَهُ اللهُ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ، لِيُهْلِكَ فَرِيقًا مِنَ الْكُفَّارِ بِالسَّيْفِ، أَوْ يُخْزِيَهُمْ بِخَيْبَتِهِمْ مِمَّا طَمِعُوا فِيهِ مِنَ الظَّفَرِ..

﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ١٢٧﴾ [آل عمران: ١٢٧] فَيَرْجِعُوا عَنْكُمْ خَائِبِينَ لَمْ يُصِيبُوا مِنْكُمْ شَيْئًا مِمَّا رَجَوْا أَنْ يَنَالُوهُ مِنْكُمْ.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران: ١٢٨].

﴿لَيْسَ لَكَ﴾ لَيْسَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ مِنْ أَمْرِ خَلْقِي إِلَّا أَنْ تُنَفِّذَ فِيهِمْ أَمْرِي، وَتَنْتَهِي فِيهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَإِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَيَّ، وَالْقَضَاءُ فِيهِمْ بِيَدِي دُونَ غَيْرِي، أَقْضِي فِيهِمْ..

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وَأَحْكُمُ بِالَّذِي أَشَاءُ -مِنَ التَّوْبَةِ- عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَخَالَفَ أَمْرِي..

﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ إِمَّا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالنِّقَمِ الْمُبِيرَةِ، وَإِمَّا فِي آجِلِ الْآخِرَةِ بِمَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِي..

﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران: ١٢٨] ذُكِرَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِنَّمَا أَنْزَلَ هَٰذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَصَابَهُ بِأُحُدٍ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ كَالْآيِسِ لَهُمْ مِنَ الْهُدَىٰ أَوْ مِنَ الْإِنَابَةِ إِلَىٰ الْحَقِّ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ».. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ هَٰذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ دَعَا عَلَىٰ قَوْمٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: لَيْسَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ فِيهِمْ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٢٩﴾

[آل عمران: ١٢٩].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لَيْسَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَلِلَّهِ جَمِيعُ مَا بَيْنَ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنْ مُشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَغْرِبِهَا دُونَكَ وَدُونَهُمْ، يَحْكُمُ فِيهِمْ بِمَا شَاءَ، وَيَقْضِي فِيهِمْ مَا أَحَبَّ..

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ فَيَتُوبُ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ الْعَاصِينَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، ثُمَّ يَغْفِرُ لَهُ..

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ وَيُعَاقِبُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ عَلَىٰ جُرْمِهِ، فَيَنْتَقِمُ مِنْهُ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ يَسْتُرُ ذُنُوبَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ مِنْ خَلْقِهِ، بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ..

﴿رَّحِيمٌ ١٢٩﴾ [آل عمران: ١٢٩] بِهِمْ فِي تَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَاجِلًا عَلَىٰ عَظِيمِ مَا يَأْتُونَ مِنَ الْمَآثِمِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٣٠﴾

[آل عمران: ١٣٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ فِي إِسْلَامِكُمْ، بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمْ لَهُ..

﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ كَمَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، وَكَانَ أَكْلُهُمْ ذَلِكَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَكُونُ لَهُ عَلَىٰ الرَّجُلِ مَالٌ إِلَىٰ أَجَلٍ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ طَلَبَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، فَيَقُولُ لَهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ: أَخِّرْ عَنِّيَ دَيْنَكَ وَأَزِيدُكَ عَلَىٰ مَالِكَ فَيَفْعَلَانِ ذَلِكَ، فَذَلِكَ هُوَ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي إِسْلَامِهِمْ عَنْهُ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَمْرِ الرِّبَا فَلَا تَأْكُلُوهُ، وَفِي غَيْرِهِ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ، أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَأَطِيعُوهُ فِيهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٣٠﴾ [آل عمران: ١٣٠] لِتَنْجَحُوا فَتَنْجُوا مِنْ عِقَابِهِ، وَتُدْرِكُوا مَا رَغَّبَكُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِهِ، وَالْخُلُودِ فِي جِنَانِهِ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١].

﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلنَّارَ﴾ أَنْ تَصْلَوْهَا بِأَكْلِكُمُ الرِّبَا بَعْدَ نَهْيِي إِيَّاكُمْ عَنْهُ..

﴿ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١] الَّتِي أَعْدَدْتُهَا لِمَنْ كَفَرَ بِي، فَتَدْخُلُوا مَدَاخِلَهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِي بِخِلَافِكُمْ أَمْرِي، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتِي.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ..

﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ وَفِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ أَيْضًا كَذَلِكَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢] لِتُرْحَمُوا فَلَا تُعَذَّبُوا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مُعَاتَبَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَخَلُّوا بِمَرَاكِزِهِمُ الَّتِي أُمِرُوا بِالثَّبَاتِ عَلَيْهَا.

﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟﴾ وَبَادِرُوا وَسَابِقُوا..

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إِلَىٰ مَا يَسْتُرُ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَمَا يُغَطِّيهَا عَلَيْكُمْ مِنْ عَفْوِهِ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ وَسَارِعُوا أَيْضًا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، ذُكِرَ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ، إِذَا ضُمَّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ الْجَنَّةُ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ: «**هَذَا النَّهَارُ إِذَا جَاءَ، أَيْنَ اللَّيْلُ؟**»..

﴿أُعِدَّتْ﴾ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ أَعَدَّهَا اللهُ..

﴿لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣] الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ، فَأَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَلَمْ يَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ، وَلَمْ يُقَصِّرُوا فِي وَاجِبِ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ فَيُضَيِّعُوهُ.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لِلْمُتَّقِينَ، وَهُمُ الْمُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِمَّا فِي صَرْفِهِ عَلَىٰ مُحْتَاجٍ، وَإِمَّا فِي تَقْوِيَةِ مُضْعَفٍ عَلَىٰ النُّهُوضِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ﴾ فِي حَالِ السُّرُورِ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَرَخَاءِ الْعَيْشِ، وَالسَّرَّاءُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ سَرَّنِي هَذَا الْأَمْرُ مَسَرَّةً وَسُرُورًا..

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ ضُرَّ فُلَانٌ، فَهُوَ يُضَرُّ إِذَا أَصَابَهُ الضُّرُّ، وَذَلِكَ إِذَا أَصَابَهُ الضِّيقُ وَالْجَهْدُ فِي عَيْشِهِ..

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ وَالْجَارِعِينَ الْغَيْظَ عِنْدَ امْتِلَاءِ نُفُوسِهِمْ مِنْهُ، يُقَالُ مِنْهُ: (**كَظَمَ فُلَانٌ غَيْظَهُ**) إِذَا تَجَرَّعَهُ، فَحَفِظَ نَفْسَهُ مِنْ أَنْ تُمْضِيَ مَا هِيَ قَادِرَةٌ عَلَىٰ إِمْضَائِهِ، بِاسْتِمْكَانِهَا مِمَّنْ غَاظَهَا، وَانْتِصَارِهَا مِمَّنْ ظَلَمَهَا، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ (**كَظْمِ الْقِرْبَةِ**)، يُقَالُ مِنْهُ: (**كَظَمْتُ الْقِرْبَةَ**) إِذَا مَلَأْتُهَا مَاءً، وَ(**فُلَانٌ كَظِيمٌ**) وَ(**مَكْظُومٌ**) إِذَا كَانَ مُمْتَلِئًا غَمًّا وَحُزْنًا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤﴾ [يوسف: ٨٤]، يَعْنِي: مُمْتَلِئًا مِنَ الْحُزْنِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِمَجَارِي الْمِيَاهِ (**الْكَظَائِمُ**) لِامْتِلَائِهَا بِالْمَاءِ، وَمِنْهُ قِيلَ: (**أَخَذْتُ بِكَظْمِهِ**) يَعْنِي: بِمَجَارِي نَفْسِهِ.. وَالْغَيْظُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: غَاظَنِي فُلَانٌ فَهُوَ يَغِيظُنِي غَيْظًا، وَذَلِكَ إِذَا أَحْفَظَهُ وَأَغْضَبَهُ..

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ وَالصَّافِحِينَ عَنِ النَّاسِ عُقُوبَةَ ذُنُوبِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ عَلَىٰ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ قَادِرُونَ، فَتَارِكُوهَا لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤] فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ عَمِلَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي وَصَفَ أَنَّهُ أَعَدَّ لِلْعَامِلِينَ بِهَا الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْعَامِلُونَ بِهَا هُمُ الْمُحْسِنُونَ، وَإِحْسَانُهُمْ هُوَ عَمَلُهُمْ بِهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ فَالْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الْمُنْفِقِينَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً.. وَجَمِيعُ هَذِهِ النُّعُوتِ مِنْ صِفَةِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾..

﴿إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ وَهِيَ الْفِعْلَةُ الْقَبِيحَةُ الْخَارِجَةُ عَمَّا أَذِنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ.. وَأَصْلُ الْفُحْشِ الْقُبْحُ وَالْخُرُوجُ عَنِ الْحَدِّ وَالْمِقْدَارِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلطَّوِيلِ الْمُفْرِطِ الطُّولِ: (**إِنَّهُ لَفَاحِشُ الطُّولِ**)، يُرَادُ بِهِ: قَبِيحُ الطُّولِ، خَارِجٌ عَنِ الْمِقْدَارِ الْمُسْتَحْسَنِ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْكَلَامِ الْقَبِيحِ غَيْرِ الْقَصْدِ: (**كَلَامٌ فَاحِشٌ**)، وَقِيلَ لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ: (**أَفْحَشَ فِي كَلَامِهِ**)، إِذَا نَطَقَ بِفُحْشٍ، وَقِيلَ: إِنَّ الْفَاحِشَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنِيٌّ بِهَا الزِّنَا..

﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فَعَلُوا بِأَنْفُسِهِمْ غَيْرَ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِهَا، وَالَّذِي فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ رُكُوبُهُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ مَا أَوْجَبُوا لَهَا بِهِ عُقُوبَتَهُ..

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ ذَكَرُوا وَعِيدَ اللهِ عَلَىٰ مَا أَتَوْا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ فَسَأَلُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ بِصَفْحِهِ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا..

﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَهَلْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ؟ أَيْ: يَعْفُو عَنْ رَاكِبِهَا فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؟..

﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَىٰ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي أَتَوْهَا، وَمَعْصِيَتِهِمُ الَّتِي رَكِبُوهَا..

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥] لَمْ يُقِيمُوا عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ عَامِدِينَ لِلْمُقَامِ عَلَيْهَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ قَدْ تَقَدَّمَ بِالنَّهْيِ عَنْهَا، وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا الْعُقُوبَةَ مَنْ رَكِبَهَا، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ خُصُوصًا بِتَخْفِيفِهَا وَيُسْرِهَا أُمَّتَنَا مِمَّا كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُمْتَحَنَةً بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ فِي ذُنُوبِهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنَ الْمُتَّقِينَ،

وَوَصَفَهُمْ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿جَزَآؤُهُم﴾ ثَوَابُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ عَمِلُوهَا..

﴿مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ عَفْوٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ عَنْ عُقُوبَتِهِمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ مَا أَطَاعُوا اللهَ فِيهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ بِالْحَسَنِ مِنْهَا جَنَّاتٌ، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تَجْرِي خِلَالَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ، وَفِي أَسَافِلِهَا، جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دَائِمِي الْمُقَامِ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا..

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦] وَنِعْمَ جَزَاءُ الْعَامِلِينَ لِلَّهِ الْجَنَّاتُ الَّتِي وَصَفَهَا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧].

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مَضَتْ وَسَلَفَتْ مِنِّي..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، مِنْ نَحْوِ قَوْمِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ هُودٍ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ سُلَّافِ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ..

﴿سُنَنٌ﴾ مُثُلًا وَسِيَرًا سِرْتُهَا فِيهِمْ وَفِيمَنْ كَذَّبُوا بِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، بِإِمْهَالِي أَهْلَ التَّكْذِيبِ بِهِمْ، وَاسْتِدْرَاجِي إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ بَلَغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَّلْتُهُ لِإِدَالَةِ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِمْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَحْلَلْتُ بِهِمْ عُقُوبَتِي، وَنَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ نِقْمَتِي، فَتَرَكْتُهُمْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ أَمْثَالًا وَعِبَرًا.. وَأَمَّا السُّنَنُ، فَإِنَّهَا جَمْعُ سُنَّةٍ، وَالسُّنَّةُ، هِيَ الْمِثَالُ الْمُتَّبَعُ، وَالْإِمَامُ الْمُؤْتَمُّ بِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: سَنَّ فُلَانٌ فِينَا سُنَّةً حَسَنَةً، وَسَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً: إِذَا عَمِلَ عَمَلًا اتُّبِعَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿فَسِيرُوا۟﴾ أَيُّهَا الظَّانُّونَ أَنَّ إِدَالَتِي مَنْ أَدَلْتُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لِغَيْرِ اسْتِدْرَاجٍ مِنِّي لِمَنْ أَشْرَكَ بِي، وَكَفَرَ بِرُسُلِي، وَخَالَفَ أَمْرِي..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فِي دِيَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِرَسُولِي، وَالْجَاحِدُونَ وَحْدَانِيَّتِي..

﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧] فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَائِي، وَمَا الَّذِي آلَ إِلَيْهِ عَنْ خِلَافِهِمْ أَمْرِي، وَإِنْكَارِهِمْ وَحْدَانِيَّتِي، فَتَعْلَمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ إِدَالَتِي مَنْ أَدَلْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ نَبِيِّي مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ بِأُحُدٍ، إِنَّمَا هِيَ اسْتِدْرَاجٌ وَإِمْهَالٌ،

لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَّلْتُ لَهُمْ، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَئُولَ حَالُهُمْ إِلَىٰ مِثْلِ مَا آلَ إِلَيْهِ حَالُ الْأُمَمِ الَّذِينَ سَلَفُوا قَبْلَهُمْ مِنْ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِي وَاتِّبَاعِ رَسُولِي.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

﴿هَٰذَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَذْكِيرِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَعْرِيفِهِمْ حُدُودَهُ، وَحَضِّهِم عَلَىٰ لُزُومِ طَاعَتِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ جِهَادِ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِهِمْ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ «هَذَا» إِشَارَةٌ إِلَىٰ حَاضِرٍ، إِمَّا مَرْئِيٍّ، وَإِمَّا مَسْمُوعٌ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَىٰ حَاضِرٍ مَسْمُوعٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: هَذَا الَّذِي أَوْضَحْتُ لَكُمْ وَعَرَّفْتُكُمُوهُ..

﴿بَيَانٌ﴾ شَرْحٌ وَتَفْسِيرٌ..

﴿لِّلنَّاسِ وَهُدًى﴾ وَدَلَالَةٌ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ وَمَنْهَجِ الدِّينِ..

﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ وَتَذْكِرَةٌ لِلصَّوَابِ وَالرَّشَادِ..

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨] لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَرَفَ أَمْرِي.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، وَلَا تَضْعُفُوا بِالَّذِي نَالَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ بِأُحُدٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْقُرُوحِ، عَنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ وَحَرْبِهِمْ..

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ وَلَا تَأْسَوْا فَتَجْزَعُوا عَلَىٰ مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْمُصِيبَةِ يَوْمَئِذٍ..

﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ، الظَّاهِرُونَ عَلَيْهِمْ، وَلَكُمُ الْعُقْبَىٰ فِي الظَّفَرِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِمْ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِي نَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا يَعِدُكُمْ، وَفِيمَا يُنْبِئُكُمْ مِنَ الْخَبَرِ عَمَّا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُكُمْ وَأَمْرُهُمْ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَعْزِيَةٌ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ بِأُحُدٍ.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠].

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾ إِنْ يُصِبْكُمْ..

﴿قَرْحٌ﴾ قَتْلٌ وَجِرَاحٌ..

﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ فَقَدْ أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكُمْ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَكُمْ عُقُوبَةٌ..

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ أَيَّامُ بَدْرٍ وَأُحُدٍ..

﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ نَجْعَلُهَا دُوَلًا بَيْنَ النَّاسِ مُصَرَّفَةً، وَيَعْنِي بِالنَّاسِ: الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَدَالَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، وَأَدَالَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأُحُدٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ سِوَىٰ مَنْ جَرَحُوا مِنْهُمْ..

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَلِيَعْلَمَ اللهُ أَيُّكُمُ الْمُؤْمِنُ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنَ الَّذِينَ نَافَقُوا..

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ لِيُكْرِمَ مِنْكُمْ بِالشَّهَادَةِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُكْرِمَهُ بِهَا..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠] الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٤١﴾ [آل عمران: ١٤١].

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾ وَلِيَخْتَبِرَ اللهُ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فَيَبْتَلِيَهُمْ بِإِدَالَةِ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ الْمُؤْمِنَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصَ الصَّحِيحَ الْإِيمَانِ مِنَ الْمُنَافِقِ..

﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٤١﴾ [آل عمران: ١٤١] يُنْقِصُهُمْ وَيُفْنِيهِمْ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَظَنَنْتُمْ..

﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ وَتَنَالُوا كَرَامَةَ رَبِّكُمْ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ عِنْدَهُ..

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ وَلَمَّا يَتَبَيَّنْ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ الْمُجَاهِدُ مِنْكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، عَلَىٰ مَا أَمَرَهُ بِهِ..

﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢] عِنْدَ الْبَأْسِ عَلَىٰ مَا يَنَالُهُمْ فِي ذَاتِ اللهِ مِنْ جَرْحٍ وَأَلَمٍ وَمَكْرُوهٍ.

﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾
[آل عمران: ١٤٣].

﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ﴾ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ..

﴿تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ أَسْبَابَ الْقِتَالِ..

﴿مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ فَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَهُ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ «رَأَيْتُمُوهُ»، عَائِدَةٌ عَلَىٰ الْمَوْتِ..

﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾ [آل عمران: ١٤٣] قَدْ رَأَيْتُمُوهُ بِمَرْأًىٰ مِنْكُمْ وَمَنْظَرٍ، أَيْ بِقُرْبٍ مِنْكُمْ.. وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾، لِأَنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا، كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ قَبْلَ أُحُدٍ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ بَدْرٍ، فَيُبْلُوا اللهَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، وَيَنَالُوا مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا نَالَ أَهْلُ بَدْرٍ؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ فَرَّ بَعْضُهُمْ وَصَبَرَ بَعْضُهُمْ، حَتَّىٰ أَوْفَىٰ بِمَا كَانَ عَاهَدَ اللهَ قَبْلَ ذَٰلِكَ، فَعَاتَبَ اللهُ مَنْ فَرَّ مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ الْآيَةَ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ الصَّابِرِينَ مِنْهُمْ وَالْمُوفِينَ بِعَهْدِهِمْ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ كَبَعْضِ رُسُلِ اللهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَىٰ خَلْقِهِ دَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ الَّذِينَ حِينَ انْقَضَتْ آجَالُهُمْ مَاتُوا وَقَبَضَهُمُ اللهُ إِلَيْهِ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا اللهُ بِهِ صَانِعٌ مِنْ قَبْضِهِ إِلَيْهِ عِنْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ أَجَلِهِ كَسَائِرِ مُدَّةِ رُسُلِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُ وَمَاتُوا عِنْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ آجَالِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُعَاتِبَهُمْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ حِينَ قِيلَ لَهُمْ بِأُحُدٍ (إِنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ)، وَمُقَبِّحًا إِلَيْهِمُ انْصِرَافَ مَنِ انْصَرَفَ مِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ وَانْهِزَامَهُ عَنْهُمْ..

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ مُحَمَّدٌ أَيُّهَا الْقَوْمُ لِانْقِضَاءِ مُدَّةِ أَجَلِهِ..

﴿أَوۡ قُتِلَ﴾ أَوْ قَتَلَهُ عَدُوُّكُمْ..

﴿ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ ارْتَدَدْتُمْ عَنْ دِينِكُمُ الَّذِي بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَرَجَعْتُمْ

عَنْهُ كُفَّارًا بِاللهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَبَعْدَ مَا قَدْ وَضَحَتْ لَكُمْ صِحَّةُ مَا دَعَاكُمْ مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ، وَحَقِيقَةُ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ وَيَرْجِعْ كَافِرًا بَعْدَ إِيمَانِهِ..

﴿فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ فَلَنْ يُوهِنَ ذَلِكَ عِزَّةَ اللهِ وَلَا سُلْطَانَهُ، وَلَا يَدْخُلَ بِذَلِكَ نَقْصٌ فِي مُلْكِهِ، بَلْ نَفْسَهُ يَضُرُّ بِرِدَّتِهِ، وَحَظَّ نَفْسِهِ يُنْقِصُ بِكُفْرِهِ..

﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤] وَسَيُثِيبُ اللهُ مَنْ شَكَرَهُ عَلَىٰ تَوْفِيقِهِ، وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُ لِدِينِهِ بِثُبُوتِهِ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ إِنْ هُوَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، وَاسْتِقَامَتِهِ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ، وَتَمَسُّكِهِ بِدِينِهِ وَمِلَّتِهِ بَعْدَهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَنِ انْهَزَمَ عَنْهُ بِأُحُدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ وَمَا يَمُوتُ مُحَمَّدٌ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ خَلْقِ اللهِ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ أَجَلِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ غَايَةً لِحَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ..

﴿كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجَلِ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ لَهُ وَأَذِنَ لَهُ بِالْمَوْتِ فَحِينَئِذٍ يَمُوتُ، فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَنْ تَمُوتَ بِكَيْدِ كَائِدٍ وَلَا بِحِيلَةِ مُحْتَالٍ..

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ وَمَنْ يُرِدْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِعَمَلِهِ جَزَاءً مِنْهُ بَعْضَ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا دُونَ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، لِمَنِ ابْتَغَىٰ بِعَمَلِهِ مَا عِنْدَهُ..

﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ نُعْطِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا قُسِمَ لَهُ فِيهَا مِنْ رِزْقٍ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، ثُمَّ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي كَرَامَةِ اللهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَمَن يُرِدْ﴾ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ جَزَاءً مِنْهُ..

﴿ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ مَا عِنْدَ اللهِ مِنْ كَرَامَتِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلْعَامِلِينَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ نُعْطِهِ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ الَّتِي خَصَّ بِهَا أَهْلَ طَاعَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ عَلَىٰ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْمَعْنَىٰ مَا فِيهِمَا..

﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥] وَسَأُثِيبُ مَنْ شَكَرَ لِي مَا أَوْلَيْتُهُ مِنْ إِحْسَانِي إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِيَّايَ وَانْتِهَائِهِ إِلَىٰ أَمْرِي وَتَجَنُّبِهِ مَحَارِمِي فِي الْآخِرَةِ مِثْلَ الَّذِي وَعَدْتُ أَوْلِيَائِي مِنَ الْكَرَامَةِ عَلَىٰ شُكْرِهِمْ إِيَّايَ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ وَكَمْ مِنْ نَبِيٍّ..

﴿قَٰتَلَ﴾ بِفَتْحِ الْقَافِ وَبِالْأَلِفِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قُتِلُوا لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ وَجْهٌ مَعْرُوفٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوصَفُوا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَهِنُوا وَلَمْ يَضْعُفُوا بَعْدَ مَا قُتِلُوا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: (قُتِلَ) بِضَمِّ الْقَافِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا عَنَىٰ بِالْقَتْلِ النَّبِيَّ وَبَعْضَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الرِّبِّيِّينَ دُونَ جَمِيعِهِمْ، وَإِنَّمَا نَفَىٰ الْوَهْنَ وَالضَّعْفَ عَمَّنْ بَقِيَ مِنَ الرِّبِّيِّينَ مِمَّنْ لَمْ يُقْتَلْ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِضَمِّ الْقَافِ: (قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِنَّمَا عَاتَبَ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَالْآيَاتِ الَّتِي قَبْلَهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] الَّذِينَ انْهَزَمُوا يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكُوا الْقِتَالَ، أَوْ سَمِعُوا الصَّائِحَ يَصِيحُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَعَاتَبَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ فِرَارِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْقِتَالَ، فَقَالَ: أَفَإِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ أَوْ قُتِلَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ارْتَدَدْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَانْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ؟! ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَمَّا كَانَ مِنْ فِعْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُمْ..

﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ حَالَ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ.. فَلَمْ يَعْتَصِمُوا إِذْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ، وَمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِمْ، وَبِمَسْأَلَةِ رَبِّهِمُ الْمَغْفِرَةَ وَالنَّصْرَ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ..

﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فَمَا عَجَزُوا لِمَا نَالَهُمْ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ الَّذِي نَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا لَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَنْ حَرْبِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَلَا نَكَلُوا عَنْ جِهَادِهِمْ..

﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ وَمَا ضَعُفَتْ قُوَاهُمْ لَقَتْلِ نَبِيِّهِمْ..

﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ﴾ وَمَا ذَلُّوا فَيَتَخَشَّعُوا لِعَدُوِّهِمْ بِالدُّخُولِ فِي دِينِهِمْ، وَمُدَاهَنَتِهِمْ فِيهِ، خِيفَةً مِنْهُمْ، وَلَكِنْ مَضَوْا قُدُمًا عَلَىٰ بَصَائِرِهِمْ وَمِنْهَاجِ نَبِيِّهِمْ، صَبْرًا عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ نَبِيِّهِمْ، وَطَاعَةِ اللهِ، وَاتِّبَاعًا لَتَنْزِيلِهِ وَوَحْيِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦] وَاللهُ يُحِبُّ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالَهُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ لِأَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِ، لَا مَنْ فَشِلَ فَفَرَّ عَنْ عَدُوِّهِ، وَلَا مَنِ انْقَلَبَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَذَلَّ لِعَدُوِّهِ لِأَنْ قُتِلَ نَبِيُّهُ أَوْ مَاتَ، وَلَا مَنْ دَخَلَهُ وَهَنٌ عَنْ عَدُوِّهِ وَضَعْفٍ لِفَقْدِ نَبِيِّهِ.. فَهَلَّا فَعَلْتُمْ

كَمَا كَانَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكُمْ يَفْعَلُونَهُ إِذَا قُتِلَ نَبِيُّهُمْ، مِنَ الْمُضِيِّ عَلَىٰ مِنْهَاجِ نَبِيِّهِمْ وَالْقِتَالِ عَلَىٰ دِينِهِ أَعْدَاءَ دِينِ اللهِ عَلَىٰ نَحْوِ مَا كَانُوا يُقَاتِلُونَ مَعَ نَبِيِّهِمْ، وَلَمْ تَهِنُوا وَلَمْ تَضْعُفُوا كَمَا لَمْ يَضْعُفِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْبَصَائِرِ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا قُتِلَ نَبِيُّهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ صَبَرُوا لِأَعْدَائِهِمْ حَتَّىٰ حَكَمَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَ الرِّبِّيِّينَ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ يَعْنِي: مَا كَانَ لَهُمْ قَوْلٌ سِوَىٰ هَذَا الْقَوْلِ إِذْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ..

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا الصِّغَارَ مِنْهَا..

﴿وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ وَمَا أَسْرَفْنَا فِيهِ مِنْهَا فَتَخَطَّيْنَا إِلَىٰ الْعِظَامِ، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا الصَّغَائِرَ مِنْهَا وَالْكَبَائِرَ.. فَلَمْ يَعْتَصِمُوا -إِذْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ- إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ، وَمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِمْ، وَبِمَسْأَلَةِ رَبِّهِمُ الْمَغْفِرَةَ وَالنَّصْرَ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ..

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَثْبُتُ لِحَرْبِ عَدُوِّكَ وَقِتَالِهِمْ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَنْهَزِمُ فَيَفِرُّ مِنْهُمْ، وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُهُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لِحَرْبِهِمْ..

﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧] وَانْصُرْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَكَ وَنُبُوَّةَ نَبِيِّكَ.. وَإِنَّمَا هَذَا تَأْنِيبٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ الَّذِينَ فَرُّوا عَنِ الْعَدُوِّ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكُوا قِتَالَهُمْ، وَتَأْدِيبٌ لَهُمْ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلَّا فَعَلْتُمْ إِذْ قِيلَ لَكُمْ: قُتِلَ نَبِيُّكُمْ، كَمَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ الرِّبِّيُّونَ، الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، إِذْ قُتِلَتْ أَنْبِيَاؤُهُمْ، فَصَبَرْتُمْ لِعَدُوِّكُمْ صَبْرَهُمْ، وَلَمْ تَضْعُفُوا وَتَسْتَكِينُوا لِعَدُوِّكُمْ، فَتُحَاوِلُوا الِارْتِدَادَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، كَمَا لَمْ يَضْعُفْ هَؤُلَاءِ الرِّبِّيُّونَ وَلَمْ يَسْتَكِينُوا لِعَدُوِّهِمْ، وَسَأَلْتُمْ رَبَّكُمُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ كَمَا سَأَلُوا، فَيَنْصُرَكُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ كَمَا نُصِرُوا، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ صَبَرَ لِأَمْرِهِ وَعَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِ، فَيُعْطِيهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَىٰ عَدُوِّهِ.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٨].

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ فَأَعْطَىٰ اللهُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ بَعْدَ مَقْتَلِ

أَنْبِيَائِهِمْ، وَعَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي أُمُورِهِمْ، وَاقْتِفَائِهِمْ مَنَاهِجَ إِمَامِهِمْ، عَلَىٰ مَا أَبْلَوْا فِي اللهِ..

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ جَزَاءَ فِي الدُّنْيَا، وَذَٰلِكَ النَّصْرُ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ اللهِ، وَالظَّفَرُ وَالْفَتْحُ عَلَيْهِمْ، وَالتَّمْكِينُ لَهُمْ فِي الْبِلَادِ..

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾ وَخَيْرَ جَزَاءِ الْآخِرَةِ، عَلَىٰ مَا أَسْلَفُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَذَٰلِكَ الْجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا..

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٨] فَعَلَ اللهُ ذَٰلِكَ بِإِحْسَانِهِمْ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ الَّذِي وَصَفَ عَنْهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ حِينَ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [آل عمران: ١٤٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، فِي وَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فِيمَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ، وَفِيمَا يَنْهَوْنَكُمْ عَنْهُ، فَتَقْبَلُوا رَأْيَهُمْ فِي ذَٰلِكَ، وَتَنْتَصِحُوهُمْ فِيمَا تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَكُمْ فِيهِ..

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ يَحْمِلُوكُمْ عَلَىٰ الرِّدَّةِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَالْكُفْرِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ وَبِرَسُولِهِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ..

﴿فَتَنقَلِبُواْ﴾ فَتَرْجِعُوا عَنْ إِيمَانِكُمْ وَدِينِكُمُ الَّذِي هَدَاكُمُ اللهُ لَهُ..

﴿خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [آل عمران: ١٤٩] هَالِكِينَ، قَدْ خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَضَلَلْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَذَهَبَتْ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتُكُمْ، يَنْهَىٰ بِذَٰلِكَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ أَنْ يُطِيعُوا أَهْلَ الْكُفْرِ فِي آرَائِهِمْ، وَيَنْتَصِحُوهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران: ١٥٠].

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ﴾ وَلِيُّكُمْ وَنَاصِرُكُمْ وَمُسَدِّدُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَمُنْقِذُكُمْ مِنْ طَاعَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا.. فَهَذَا نَهْيٌ لَهُمْ عَنْ طَاعَتِهِمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا، فَيَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ، فَقَالَ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ﴾ فَأَطِيعُوهُ دُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران: ١٥٠] فَهُوَ خَيْرُ مِنْ نَصر، لا مَنْ فَرَرْتُم إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، فَبِاللهِ الَّذِي هُوَ نَاصِرُكُمْ وَمَوْلَاكُمْ فَاعْتَصِمُوا، وَإِيَّاهُ فَاسْتَنْصِرُوا دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَبْغِيكُمُ الْغَوَائِلَ وَيَرْصُدُكُمْ بِالْمَكَارِهِ.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران: ١٥١].

﴿سَنُلْقِي﴾ سَيُلْقِي اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِرَبِّهِمْ، وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ حَارَبَكُمْ بِأُحُدٍ..

﴿ٱلرُّعْبَ﴾ الْجَزَعَ وَالْهَلَعَ..

﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ، وَطَاعَتِهِمُ الشَّيْطَانَ..

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ﴾ الَّتِي لَمْ أَجْعَلْ لَهُمْ بِهَا حُجَّةً، وَهِيَ السُّلْطَانُ الَّتِي أَخْبَرَ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ لَمْ يُنْزِلْهُ بِكُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالنَّصْرِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ وَالْفَلْجِ عَلَيْهِمْ، مَا اسْتَقَامُوا عَلَىٰ عَهْدِهِ، وَتَمَسَّكُوا بِطَاعَتِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِأَعْدَائِهِمْ بَعْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ ثناؤُهُ..

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ وَمَرْجِعُهُمُ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّارُ..

﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران: ١٥١] وَبِئْسَ مُقَامُ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِاكْتِسَابِهِمْ مَا أَوْجَبَ لَهَا عِقَابُ اللهِ النَّارَ.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢].

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأُحُدٍ..

﴿وَعْدَهُۥٓ﴾ الَّذِي وَعَدَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَالْوَعْدُ الَّذِي كَانَ وَعَدَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِهِ بِأُحُدٍ قَوْلُهُ لِلرُّمَاةِ: «اثْبُتُوا مَكَانَكُمْ وَلا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ هَزَمْنَاهُمْ، فَإِنَّا لَنْ نَزَالَ

غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ مَكَانَكُمْ»، وَكَانَ وَعَدَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّصْرَ يَوْمَئِذٍ إِنِ انْتَهَوْا إِلَىٰ أَمْرِهِ..

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ وَلَقَدْ وَفَّىٰ اللهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا وَعَدَكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ بِأُحُدٍ، حِينَ تَحُسُّونَهُمْ، يَعْنِي: حِينَ تَقْتُلُونَهُمْ، يُقَالُ مِنْهُ: حَسَّهُ يَحُسُّهُ حَسًّا: إِذَا قَتَلَهُ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَبُنْتُمْ وَضَعُفْتُمْ..

﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ وَاخْتَلَفْتُمْ فِي أَمْرِ اللهِ..

﴿وَعَصَيْتُم﴾ وَخَالَفْتُمْ نَبِيَّكُمْ، فَتَرَكْتُمْ أَمْرَهُ، وَمَا عَهِدَ إِلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ الرُّمَاةَ الَّذِينَ كَانَ أَمَرَهُمْ ﷺ بِلُزُومِ مَرْكَزِهِمْ وَمَقْعَدِهِمْ مِنْ فَمِ الشِّعْبِ بِأُحُدٍ، بِإِزَاءِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ فُرْسَانِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ مِنْ بَعْدِ الَّذِي أَرَاكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ..

﴿مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ هُوَ الْهَزِيمَةُ الَّتِي كَانُوا هَزَمُوهُمْ عَنْ نِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ قَبْلَ تَرْكِ الرُّمَاةِ مَقَاعِدَهُمُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْعَدَهُمْ فِيهَا، وَقَبْلَ خُرُوجِ خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ..

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الَّذِينَ تَرَكُوا مَقْعَدَهُمُ الَّذِي أَقْعَدَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ لِخَيْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَحِقُوا بِمُعَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ طَلَبَ النَّهْبِ إِذْ رَأَوْا هَزِيمَةَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۚ﴾ الَّذِينَ ثَبَتُوا مِنَ الرُّمَاةِ فِي مَقَاعِدِهِمُ الَّتِي أَقْعَدَهُمْ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ، مُحَافَظَةً عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَابْتِغَاءَ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ..

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ فِيهِمْ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ هَزِيمَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَظُهُورِكُمْ عَلَيْهِمْ، فَرَدَّ وُجُوهَكُمْ عَنْهُمْ لِمَعْصِيَتِكُمْ أَمْرَ رَسُولِي، وَمُخَالَفَتِكُمْ طَاعَتَهُ، وَإِيثَارِكُمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ عُقُوبَةً لَكُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ..

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْۖ﴾ لِيَخْتَبِرَكُمْ، فَيَتَمَيَّزَ الْمُنَافِقُ مِنْكُمْ مِنَ الْمُخْلِصِ الصَّادِقِ فِي إِيمَانِهِ مِنْكُمْ..

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ﴾ وَلَقَدْ عَفَا اللهُ أَيُّهَا الْمُخَالِفُونَ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالتَّارِكُونَ

طَاعَتَهُ، فِيمَا تَقَدَّمَ إِلَيْكُم مِنْ لُزُومِ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَرَكُم بِلُزُومِهِ عَنْكُمْ، فَصَفَحَ لَكُمْ مِنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِكُمُ الَّذِي أَتَيْتُمُوهُ عَمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا عَاقَبَكُمْ بِهِ مِنْ هَزِيمَةِ أَعْدَائِكُمْ إِيَّاكُمْ، وَصَرَفَ وُجُوهَكُمْ عَنْهُمْ إِذْ لَمْ يَسْتَأْصِلْ جَمْعَكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢] وَاللهُ ذُو طَوْلٍ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مَا يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، فَإِنْ عَاقَبَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ ذَلِكَ، فَذُو إِحْسَانٍ إِلَيْهِمْ بِجَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ.

﴿* إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٥٣﴾ [آل عمران: ١٥٣].

﴿* إِذْ﴾ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذْ لَمْ يَسْتَأْصِلْكُمْ -إِهْلَاكًا مِنْهُ- جَمْعَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، وَهَرَبِكُمْ، إِذْ..

﴿تُصْعِدُونَ﴾ بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ، بِمَعْنَىٰ السَّبْقِ وَالْهَرَبِ فِي مُسْتَوَىٰ الْأَرْضِ، أَوْ فِي الْمَهَابِطِ، دُونَ قَوْلِ مَنْ قَالَ: صَعِدُوا عَلَىٰ الْجَبَلِ..

﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ وَلَا تَعْطِفُونَ..

﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ مِنْكُمْ، وَلَا يَلْتَفِتُ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَرَبًا مِنْ عَدُوِّكُمْ مُصْعِدِينَ فِي الْوَادِي..

﴿وَٱلرَّسُولُ﴾ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿يَدْعُوكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ..

﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ يَعْنِي أَنَّهُ يُنَادِيكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ: «**إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ**»..

﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ فَجَازَاكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِفِرَارِكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ، وَفَشَلِكُمْ عَنْ عَدُوِّكُمْ، وَمَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ.. وَسَمَّىٰ الْعُقُوبَةَ -الَّتِي عَاقَبَهُمْ بِهَا مِنْ تَسْلِيطِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ نَالَ مِنْهُمْ مَا نَالَ- ثَوَابًا؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِمُ الَّذِي سَخِطَهُ وَلَمْ يَرْضَهُ مِنْهُمْ، فَدَلَّ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ كُلَّ عِوَضٍ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا مُسْتَحِقٌّ اسْمَ ثَوَابٍ..

﴿غَمًّۢا﴾ بِحِرْمَانِ اللهِ إِيَّاكُمْ غَنِيمَةَ الْمُشْرِكِينَ، وَالظَّفَرَ بِهِمْ، وَالنَّصْرَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ يَوْمَئِذٍ-الَّذِي كَانَ قَدْ أَرَاكُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا تُحِبُّونَ- بِمَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ، وَخِلَافِكُمْ أَمْرَ نَبِيِّكُمْ ﷺ..

﴿بِغَمٍّ﴾ عَلَىٰ غَمٍّ، وَهُوَ ظَنُّكُمْ أَنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قُتِلَ، وَمَيْلُ الْعَدُوِّ عَلَيْكُمْ بَعْدَ فُلُولِكُمْ مِنْهُمْ..

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ فَلَمْ تُدْرِكُوهُ مِمَّا كُنْتُمْ تَرْجُونَ إِدْرَاكَهُ مِنْ عَدُوِّكُمْ بِالظَّفَرِ عَلَيْهِمْ وَالظُّهُورِ وَحِيَازَةِ غَنَائِمِهِمْ..

﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ جَرْحِ مَنْ جُرِحَ، وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ..

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥٣] وَاللهُ بِالَّذِي تَعْمَلُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ إِصْعَادِكُمْ فِي الْوَادِي هَرَبًا مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَانْهِزَامِكُمْ مِنْهُمْ، وَتَرْكِكُمْ نَبِيَّكُمْ وَهُوَ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ، وَحُزْنِكُمْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَمَا أَصَابَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، وَهُوَ مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، أَوْ يَعْفُو عَنْهُ.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ﴾ اللهُ..

﴿عَلَيْكُم﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ الَّذِي أَثَابَكُمْ رَبُّكُمْ بَعْدَ غَمٍّ يَقْدُمُهُ قَبْلَهُ..

﴿أَمَنَةً﴾ وَهِيَ الْأَمَانُ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ مِنْكُمْ وَالْيَقِينِ، دُونَ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالشَّكِّ، ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْأَمَنَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ مَا هِيَ؟ فَقَالَ..

﴿نُّعَاسًا﴾ بِنَصْبِ النُّعَاسِ عَلَىٰ الْإِبْدَالِ مِنَ الْأَمَنَةِ؛ لِأَنَّ الْأَمَنَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هِيَ النُّعَاسُ، وَالنُّعَاسُ: هُوَ الْأَمَنَةُ..

﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ: **«أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ مِمَّنْ غَشِيَهُ النُّعَاسُ، قَالَ: كَانَ السَّيْفُ يَسْقُطُ مِنْ يَدِي ثُمَّ آخُذُهُ مِنَ النُّعَاسِ»**..

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، هُمُ الْمُنَافِقُونَ..

﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ لَا هَمَّ لَهُمْ غَيْرُ أَنْفُسِهِمْ، فَهُمْ مِنْ حَذَرِ الْقَتْلِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَخَوْفِ

الْمَنِيَّةِ عَلَيْهَا فِي شُغْلٍ، قَدْ طَارَ عَنْ أَعْيُنِهِمُ الْكَرَىٰ..

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ الظُّنُونَ الْكَاذِبَةَ..

﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، شَكًّا فِي أَمْرِ اللهِ، وَتَكْذِيبًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَمَحْسَبَةً مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ خَاذِلٌ نَبِيَّهُ، وَمُعْلٍ عَلَيْهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الطَّائِفَةَ الْمُنَافِقَةَ الَّتِي قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَقُولُونَ..

﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ لَيْسَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ يَصْرِفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ وَيُدَبِّرُهُ كَيْفَ يُحِبُّ.. ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ الْخَبَرِ عَنْ ذِكْرِ نِفَاقِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ..

﴿يُخْفُونَ﴾ يُخْفِي يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ..

﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّكِّ فِي اللهِ..

﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ ثُمَّ أَظْهَرَ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَىٰ مَا كَانُوا يُخْفُونَهُ بَيْنَهُمْ مِنْ نِفَاقِهِمْ، وَالْحَسْرَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ عَلَىٰ حُضُورِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَشْهَدَهُمْ بِأُحُدٍ، فَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِمُ الْكُفْرَ، وَإِعْلَانِهِمُ النِّفَاقَ بَيْنَهُمْ..

﴿يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءَ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ..

﴿لَوْ كَانَ﴾ الْخُرُوجُ إِلَىٰ حَرْبِ مَنْ خَرَجْنَا لِحَرْبِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَنَا﴾ إِلَيْنَا..

﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مَا خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ..

﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ وَلَا قُتِلَ مِنَّا أَحَدٌ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قُتِلُوا فِيهِ بِأُحُدٍ..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ لَمْ تَشْهَدُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَشْهَدَهُمْ، وَلَمْ تَحْضُرُوا مَعَهُمْ حَرْبَ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيَظْهَرُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا كُنْتُمْ تُخْفُونَهُ مِنْ نِفَاقِكُمْ، وَتَكْتُمُونَهُ مِنْ شِرْكِكُمْ فِي دِينِكُمْ..

﴿لَبَرَزَ﴾ لَظَهَرَ لِلْمَوْضِعِ..

﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ مَصْرَعُهُ فِيهِ مَنْ قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ مِنْهُمْ، وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يُصْرَعَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُصْرَعَ فِيهِ..

﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ﴾ وَلِيَخْتَبِرَ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ..

﴿مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ الَّذِي فِي صُدُورِكُمْ مِنَ الشَّكِّ وَالْمَرَضِ، فَيَعْرِفُوكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَالْيَقِينِ، فَيُمَيِّزُكُمْ بِمَا يُظْهِرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِفَاقِكُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ..

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ وَلِيَتَبَيَّنُوا..

﴿مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ مِنَ الِاعْتِقَادِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْعَدَاوَةِ أَوِ الْوَلَايَةِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِالَّذِي فِي صُدُورِ خَلْقِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، سَرَائِرِهَا وَعَلَانِيَتِهَا، وَهُوَ لِجَمِيعِ ذَلِكَ حَافِظٌ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَهُمْ جَزَاءَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ وَلَّوْا عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ تَفَعَّلُوا، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَلَّىٰ فُلَانٌ ظَهْرَهُ..

﴿مِنكُمۡ﴾ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَوْمَ أُحُدٍ وَانْهَزَمُوا عَنْهُمْ..

﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ يَوْمَ الْتَقَىٰ جَمْعُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمِينَ بِأُحُدٍ..

﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَىٰ الزَّلَّةِ الشَّيْطَانُ، وَقَوْلُهُ اسْتَزَلَّ: اسْتَفْعَلَ، مِنَ الزَّلَّةِ، وَالزَّلَّةُ: هِيَ الْخَطِيئَةُ..

﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾ بِبَعْضِ مَا عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ..

﴿وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ﴾ وَلَقَدْ تَجَاوَزَ اللهُ عَنِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ، أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِتَوَلِّيهِمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ مُغَطٍّ عَلَىٰ ذُنُوبِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ بِعَفْوِهِ عَنْ عُقُوبَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا..

﴿حَلِيمٞ ١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥] ذُو أَنَاةٍ، لَا يُعَجِّلُ عَلَىٰ مَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ بِالنِّقْمَةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦﴾ [آل عمران: ١٥٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لَا تَكُونُوا كَمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، فَجَحَدَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ وَقَالَ لِإِخْوَانِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ..

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فَخَرَجُوا مِنْ بِلَادِهِمْ سَفَرًا فِي تِجَارَةٍ.. وَأَصْلُ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ: الْإِبْعَادُ فِيهَا سَيْرًا..

﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ أَوْ كَانَ خُرُوجُهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهَلَكُوا فَمَاتُوا فِي سَفَرِهِمْ، أَوْ قُتِلُوا فِي غَزْوِهِمْ.. وَالْغُزَّىٰ: جَمْعُ غَازٍ..

﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ لَوْ لَمْ يَكُونُوا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِنَا، وَكَانُوا أَقَامُوا فِي بِلَادِهِمْ مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا..

﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ كَيْ يَجْعَلَ اللهُ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ حُزْنًا فِي قُلُوبِهِمْ وَغَمًّا، وَيَجْهَلُونَ أَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ وَبِيَدِهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ سُوءِ الْيَقِينِ بِاللهِ، هُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ وَأَصْحَابُهُ..

﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ وَاللهُ الْمُعَجِّلُ الْمَوْتَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ، وَالْمُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ كُلَّمَا شَاءَ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَرْغِيبٌ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ، وَإِخْرَاجِ هَيْبَتِهِمْ مِنْ صُدُورِهِمْ، وَإِنْ قَلَّ عَدَدُهُمْ، وَكَثُرَ عَدَدُ أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ اللهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ الْإِمَاتَةَ وَالْإِحْيَاءَ بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ وَلَا يُقْتَلُ إِلَّا بَعْدَ فَنَاءِ أَجَلِهِ الَّذِي كُتِبَ لَهُ، وَنَهْيٌ مِنْهُ لَهُمْ إِذْ كَانَ كَذَلِكَ أَنْ يَجْزَعُوا لِمَوْتِ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَوْ قَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي حَرْبِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦﴾ [آل عمران: ١٥٦] إِنَّ اللهَ يَرَىٰ مَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَاتَّقُوهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَإِنَّهُ مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧﴾

[آل عمران: ١٥٧].

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ يُخَاطِبُ جَلَّ ثناؤُهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَهُمْ: لَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ، وَأَنَّ إِلَيْهِ الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ، كَمَا شَكَّ الْمُنَافِقُونَ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللهِ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْكُمْ بِأَنَّهُ لَا يُقْتَلُ فِي حَرْبٍ، وَلَا يَمُوتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا مَنْ بَلَغَ أَجَلَهُ وَحَانَتْ وَفَاتُهُ..

﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ﴾ ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَىٰ جِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِهِ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ..

﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧﴾ [آل عمران: ١٥٧] وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ مَوْتًا فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَتْلًا فِي اللهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُطَامِهَا وَرَغِيدِ عَيْشِهَا، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ يَتَثَاقَلُونَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَتَأَخَّرُونَ عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ.

﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾ [آل عمران: ١٥٨].

﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾ [آل عمران: ١٥٨] فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَآثِرُوا مَا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللهِ، وَيُوجِبُ لَكُمْ رِضَاهُ، وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ عَلَىٰ الرُّكُونِ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَمَا تَجْمَعُونَ فِيهَا مِنْ حُطَامِهَا الَّذِي هُوَ غَيْرُ بَاقٍ لَكُمْ، بَلْ هُوَ زَائِلٌ عَنْكُمْ، وَعَلَىٰ تَرْكِ طَاعَةِ اللهِ وَالْجِهَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُبْعِدُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ، وَيُوجِبُ لَكُمْ سَخَطَهُ، وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ.

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾
[آل عمران: ١٥٩].

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فَبِرَحْمَةِ اللهِ يَا مُحَمَّدُ وَرَأْفَتِهِ بِكَ، وَبِمَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ أَصْحَابِكَ..

﴿لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ لِتُبَّاعِكَ وَأَصْحَابِكَ فَسَهُلَتْ لَهُمْ خَلَائِقُكَ، وَحَسُنَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، حَتَّىٰ احْتَمَلْتَ أَذَىٰ مَنْ نَالَكَ مِنْهُمْ أَذَاهُ، وَعَفَوْتَ عَنْ ذِي الْجُرْمِ مِنْهُمْ جُرْمَهُ..

﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ فَأَغْضَيْتَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَوْ جَفَوْتَ بِهِ وَأَغْلَظْتَ عَلَيْهِ لَتَرَكَكَ فَفَارَقَكَ، وَلَمْ يَتْبَعْكَ، وَلَا مَا بُعِثْتَ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ رَحِمَهُمْ وَرَحِمَكَ مَعَهُمْ، فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ..

﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ فَتَجَاوَزْ يَا مُحَمَّدُ عَنْ تُبَّاعِكَ وَأَصْحَابِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِي، مَا نَالَكَ مِنْ أَذَاهُمْ وَمَكْرُوهٍ فِي نَفْسِكَ..

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ وَادْعُ رَبَّكَ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ لِمَا أَتَوْا مِنْ جُرْمٍ، وَاسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ عُقُوبَةً مِنْهُ..

﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِمُشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ، فِيمَا حَزَبَهُ مِنْ أَمْرِ عَدُوِّهِ وَمَكَايِدِ حَرْبِهِ، تَأَلُّفًا مِنْهُ بِذَلِكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ بَصِيرَتُهُ بِالْإِسْلَامِ الْبَصِيرَةَ الَّتِي يُؤْمَنُ عَلَيْهِ مَعَهَا فِتْنَةُ

الشَّيْطَانِ، وَتَعْرِيفًا مِنْهُ أُمَّتَهُ مَا فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَحْزُبُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَمَطْلَبَهَا، لِيَقْتَدُوا بِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ النَّوَازِلِ الَّتِي تَنْزِلُ بِهِمْ، فَيَتَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، كَمَا كَانُوا يَرَوْنَهُ فِي حَيَاتِهِ ﷺ يَفْعَلُهُ، فَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ كَانَ يُعَرِّفُهُ مَطَالِبَ وُجُوهِ مَا حَزَبَهُ مِنَ الْأُمُورِ بِوَحْيِهِ أَوْ إِلْهَامِهِ إِيَّاهُ صَوَابَ ذَلِكَ، وَأَمَّا أُمَّتُهُ فَإِنَّهُمْ إِذَا تَشَاوَرُوا مُسْتَنِّينَ بِفِعْلِهِ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ تَصَادُقٍ وَتَآخٍ لِلْحَقِّ، وَإِرَادَةِ جَمِيعِهِمْ لِلصَّوَابِ، مِنْ غَيْرِ مَيْلٍ إِلَىٰ هَوًىٰ، وَلَا حَيْدٍ عَنْ هُدًىٰ، فَاللهُ مُسَدِّدُهُمْ وَمُوَفِّقُهُمْ..

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فَإِذَا صَحَّ عَزْمُكَ بِتَثْبِيتِنَا إِيَّاكَ وَتَسْدِيدِنَا لَكَ فِيمَا نَابَكَ وَحَزَبَكَ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ..

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فَامْضِ لِمَا أَمَرْنَاكَ بِهِ عَلَىٰ مَا أَمَرْنَاكَ بِهِ، وَافَقَ ذَلِكَ آرَاءَ أَصْحَابِكَ وَمَا أَشَارُوا بِهِ عَلَيْكَ أَوْ خَالَفَهَا..

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] وَتَوَكَّلْ فِيمَا تَأْتِي مِنْ أُمُورِكَ وَتَدَعُ وَتُحَاوِلُ أَوْ تُزَاوِلُ عَلَىٰ رَبِّكَ، فَثِقْ بِهِ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَارْضَ بِقَضَائِهِ فِي جَمِيعِهِ دُونَ آرَاءِ سَائِرِ خَلْقِهِ وَمَعُونَتِهِمْ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ، وَهُمُ الرَّاضُونَ بِقَضَائِهِ، وَالْمُسْتَسْلِمُونَ لِحُكْمِهِ فِيهِمْ، وَافَقَ ذَلِكَ مِنْهُمْ هَوًىٰ أَوْ خَالَفَهُ.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿اللَّهُ﴾ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَكُمْ وَعَادَاكُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَالْكَافِرِينَ بِهِ..

﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ مِنَ النَّاسِ، وَلَنْ يَغْلِبَكُمْ مَعَ نَصْرِهِ إِيَّاكُمْ أَحَدٌ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا مَنْ خَلَقَهُ، فَلَا تَهَابُوا أَعْدَاءَ اللهِ لِقِلَّةِ عَدَدِكُمْ، وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَاسْتَقَمْتُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، فَإِنَّ الْغَلَبَةَ لَكُمْ وَالظَّفَرَ دُونَهُمْ..

﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ رَبُّكُمْ، بِخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، فَيَكِلْكُمْ إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ..

﴿فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ فَأَيِسُوا مِنْ نُصْرَةِ النَّاسِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ أَمْرًا مِنْ بَعْدِ خُذْلَانِ اللهِ إِيَّاكُمْ إِنْ خَذَلَكُمْ، يَقُولُ: فَلَا تَتْرُكُوا أَمْرِي، وَطَاعَتِي وَطَاعَةَ رَسُولِي، فَتَهْلِكُوا بِخِذْلَانِي إِيَّاكُمْ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠] وَلَكِنْ عَلَىٰ رَبِّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَتَوَكَّلُوا دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَبِهِ فَارْضَوْا مِنْ جَمِيعِ مَنْ دُونَهُ، وَلِقَضَائِهِ فَاسْتَسْلِمُوا، وَجَاهِدُوا فِيهِ أَعْدَاءَهُ، يَكْفِكُمْ بِعَوْنِهِ، وَيُمْدِدْكُمْ بِنَصْرِهِ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١].

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ مَا الْغُلُولُ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَكُونُ نَبِيًّا مَنْ غَلَّ..

﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾ وَمَنْ يَخُنْ مِنْ غَنَائِمِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، وَفَيْئِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يَأْتِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَحْشَرِ.. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَامَ خَطِيبًا، فَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهَا حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ صَامِتٌ -الذهب والفضة خلاف اناطق وهو الحيوان-، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولَ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ -حقوق مكتوبة في الرقاع تتحرك-، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ**»..

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ثُمَّ تُعْطَىٰ كُلُّ نَفْسٍ..

﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ جَزَاءَ مَا كَسَبَتْ بِكَسْبِهَا، وَافِيًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ مَا اسْتَحَقَّهُ وَاسْتَوْجَبَهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١] لَا يُفْعَلُ بِهِمْ إِلَّا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهِمْ، فَيُنْقَصُوا عَمَّا اسْتَحَقُّوهُ.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٦٢﴾ [آل عمران: ١٦٢].

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أَفَمَنْ تَرَكَ الْغُلُولَ وَمَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ عَنْ مَعَاصِيهِ وَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ فِي

تَرْكِهِ ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِمَّا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ مِنْ فَرَائِضِهِ، مُتَّبِعًا فِي كُلِّ ذَلِكَ رِضَا اللهِ، وَمُجْتَنِبًا سَخَطَهُ..

﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كَمَنِ انْصَرَفَ مُتَحَمِّلًا سَخَطَ اللهِ وَغَضَبَهُ..

﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ فَاسْتَحَقَّ بِذَلِكَ سُكْنَىٰ جَهَنَّمَ، يَقُولُ: لَيْسَا سَوَاءً، لَا يَسْتَوِيَانِ وَلَا تَسْتَوِي حَالَتَاهُمَا عِنْدَهُ، لِأَنَّ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ الْجَنَّةَ، وَلِمَنْ عَصَاهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ النَّارَ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦٢﴾ [آل عمران: ١٦٢] الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ وَيَئُوبُ إِلَيْهِ مَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ جَهَنَّمُ.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٦٣﴾ [آل عمران: ١٦٣].

﴿هُمْ﴾ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ، وَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ..

﴿دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مختَلِفُو الْمَنَازِلِ عِنْدَ اللهِ، فَلِمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ الْكَرَامَةُ وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ، وَلِمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ الْمَهَانَةُ وَالْعِقَابُ الْأَلِيمُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ، يَعْنِي: لِمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ مَنَازِلُ عِنْدَ اللهِ كَرِيمَةٌ..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٦٣﴾ [آل عمران: ١٦٣] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يَعْمَلُ أَهْلُ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، يُحْصِي عَلَىٰ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا أَعْمَالَهُمْ، حَتَّىٰ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مِنْهُمْ جَزَاءَ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾

[آل عمران: ١٦٤].

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لَقَدْ تَطَوَّلَ اللهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿بَعَثَ﴾ أَرْسَلَ..

﴿فِيهِمْ رَسُولًا﴾ نَبِيًّا..

﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ مِنْ أَهْلِ لِسَانِهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ لِسَانِهِمْ فَلَا يَفْقَهُوا عَنْهُ مَا يَقُولُ..

﴿يَتْلُوا۟﴾ يَقْرَأُ..

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ آيَ كِتَابِهِ وَتَنْزِيلَهُ..

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يُطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ، وَطَاعَتِهِمْ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ..

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَيُعَلِّمُهُمْ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ وَمَعَانِيَهُ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وَالسُّنَّةَ الَّتِي سَنَّهَا اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَيَانُهُ لَهُمْ..

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ أَنْ يَمُنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِهِ رَسُولَهُ الَّذِي هَٰذِهِ صِفَتُهُ..

﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤] فِي جَهَالَةٍ جَهْلَاءَ، وَفِي حَيْرَةٍ عَنِ الْهُدَىٰ عَمْيَاءَ، لَا يَعْرِفُونَ حَقًّا، وَلَا يُبْطِلُونَ بَاطِلًا.. وَأَصْلُ الضَّلَالَةِ: الْأَخْذُ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًى.. وَالْمُبِينُ: الَّذِي يُبِيْنُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ بِعَقْلِهِ وَتَدَبَّرَهُ بِفَهْمِهِ أَنَّهُ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ وَلَا هُدًى.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم﴾ أَوَ حِينَ أَصَابَتْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مُّصِيبَةٌ﴾ وَهِيَ الْقَتْلَىٰ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالْجَرْحَىٰ الَّذِينَ جُرِحُوا مِنْهُمْ بِأُحُدٍ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَتَلُوا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ نَفَرًا..

﴿قَدْ أَصَبْتُم﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مِّثْلَيْهَا﴾ مِثْلَيْ هَٰذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي أَصَابُوا هُمْ مِنْكُمْ، وَهِيَ الْمُصِيبَةُ الَّتِي أَصَابَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ..

﴿قُلْتُمْ﴾ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَتُكُمْ بِأُحُدٍ..

﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ هَذَا؟ وَمِنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هَذَا الَّذِي أَصَابَنَا، وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَفِينَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، وَعَدُوُّنَا أَهْلُ كُفْرٍ بِاللهِ وَشِرْكٍ؟..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ أَصْحَابِكَ..

﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أَصَابَكُمْ هَذَا الَّذِي أَصَابَكُمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، بِخِلَافِكُمْ أَمْرِي، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتِي، لَا مِنْ عِنْدِ غَيْرِكُمْ، وَلَا مِنْ قِبَلِ أَحَدٍ سِوَاكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ جَمِيعِ مَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ مِنْ عَفْوٍ وَعُقُوبَةٍ وَتَفَضُّلٍ وَانْتِقَامٍ..

﴿قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥] ذُو قُدْرَةٍ.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦٦].

﴿وَمَآ﴾ وَالَّذِي..

﴿أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ أُحُدٍ حِينَ الْتَقَىٰ جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَيَعْنِي بِالَّذِي أَصَابَهُمْ: مَا نَالَ مِنَ الْقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَمِنَ الْجِرَاحِ مَنْ جُرِحَ مِنْهُمْ..

﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فَهُوَ بِإِذْنِ اللهِ كَانَ، يَعْنِي: بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ فِيكُمْ..

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾ [آل عمران: ١٦٦] وَلِيُعْلِمَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ حِينَ الْتَقَيْتُمْ أَنْتُمْ وَعَدُوُّكُمْ فَبِإِذْنِي كَانَ ذَلِكَ، حِينَ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بَعْدَ أَنْ جَاءَكُمْ نَصْرِي وَصَدَّقْتُمْ وَعْدِي، لِيَمِيزَ بَيْنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران: ١٦٧].

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ لِيُظْهِرُوا مَا فِيهِمْ، فَأَصَابَكُمْ مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ بِأُحُدٍ، لِيَمِيزَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَيَعْرِفُونَهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ أَمْرُ الْفَرِيقَيْنِ..

﴿وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ الْمُنَافِقَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ رَجَعُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، حِينَ سَارَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِأُحُدٍ لِقِتَالِهِمْ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ: تَعَالَوْا قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ مَعَنَا..

﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ بِتَكْثِيرِكُمْ سَوَادَنَا..

﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَسِرْنَا مَعَكُمْ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّا مَعَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ لَا نَرَىٰ أَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ قِتَالٌ..

﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ فَأَبْدَوْا مِنْ نِفَاقِ أَنْفُسِهِمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ، وَأَبْدَوْا بِأَلْسِنَتِهِمْ بِقَوْلِهِمْ ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ غَيْرَ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَيُخْفُونَهُ، مِنْ عَدَاوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: «**لو نعلم قتالا لاتبعناكم**»، بما يضمرون - في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه، فيسترونه- مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّنَآنِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا قِتَالًا مَا تَبِعُوهُمْ، وَلَا دَافَعُوا عَنْهُمْ..

﴿بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران: ١٦٧] وَهُوَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُحِيطٌ بِمَا يُخْفُونَهُ مِنْ ذَلِكَ، مُطَّلِعٌ

عَلَيْهِ، وَمُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُهَتِّكَ أَسْتَارَهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَيَفْضَحَهُمْ بِهِ، وَيُصْلِيَهُمْ بِهِ الدَّرْكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٨].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ نَافَقُوا، الَّذِينَ قَالُوا.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ..

﴿قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ الَّذِينَ أُصِيبُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْبِهِمُ الْمُشْرِكِينَ بِأُحُدٍ يَوْمَ أُحُدٍ فَقُتِلُوا هُنَالِكَ، مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ..

﴿وَقَعَدُواْ﴾ وَقَعَدَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْقَائِلُونَ مَا قَالُوا مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُمْ، مِنْ قِيلِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ إِخْوَانِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ لَوْ أَطَاعَنَا مَنْ قُتِلَ بِأُحُدٍ مِنْ إِخْوَانِنَا وَعَشَائِرِنَا..

﴿مَا قُتِلُواْۗ﴾ هُنَالِكَ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٨] فَادْفَعُوا إِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ صَادِقِينَ فِي قِيلِكُمْ: لَوْ أَطَاعَنَا إِخْوَانُنَا فِي تَرْكِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقِتَالِهِمْ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ، مَا قُتِلُوا هُنَالِكَ بِالسَّيْفِ، وَلَكَانُوا أَحْيَاءً بِقُعُودِهِمْ مَعَكُمْ وَتَخَلُّفِهِمْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشُهُودِ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مَعَهُ، فَإِنَّكُمْ قَدْ قَعَدْتُمْ عَنْ حَرْبِهِمْ، وَقَدْ تَخَلَّفْتُمْ عَنْ جِهَادِهِمْ، وَأَنْتُمْ لَا مَحَالَةَ مَيِّتُونَ.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ وَلَا تَظُنَّنَّ..

﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بِأُحُدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿أَمۡوَٰتَۢاۚ﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَمْوَاتًا، لَا يُحِسُّونَ شَيْئًا، وَلَا يَلْتَذُّونَ، وَلَا يَتَنَعَّمُونَ..

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَإِنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدِي، مُتَنَعِّمُونَ فِي رِزْقِي.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ [آل عمران: ١٧٠].

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ فَرِحُونَ مَسْرُورُونَ بِمَا آتَيْتُهُمْ مِنْ كَرَامَتِي وَفَضْلِي، وَحَبَوْتُهُمْ بِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِي وَعَطَائِي.. فَعَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْهَا، فَقِيلَ لَنَا: «إِنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُهُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَيَطَّلِعُ اللهُ إِلَيْهِمُ اطِّلَاعَةً، فَيَقُولُ: يَا عِبَادِي مَا تَشْتَهُونَ فَأَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا الْجَنَّةَ، نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيَقُولُ: يَا عِبَادِي مَا تَشْتَهُونَ فَأَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا، الْجَنَّةُ نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا، إِلَّا أَنَّا نَخْتَارُ أَنْ تُرَدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا، ثُمَّ تُرَدَّنَا إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَنُقَاتِلَ فِيكَ حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الشُّهَدَاءُ عَلَىٰ بَارِقٍ - نَهَرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ - فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»..

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ وَيَفْرَحُونَ..

﴿بِٱلَّذِينَ﴾ بِمَنْ..

﴿لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فَارَقُوهُمْ وَهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَنَاهِجِهِمْ، مِنْ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مَعَ رَسُولِهِ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنِ اسْتُشْهِدُوا فَلَحِقُوا بِهِمْ، صَارُوا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ إِلَىٰ مِثْلِ الَّذِي صَارُوا هُمْ إِلَيْهِ، فَهُمْ لِذَلِكَ مُسْتَبْشِرُونَ بِهِمْ، فَرِحُونَ أَنَّهُمْ إِذَا صَارُوا كَذَلِكَ..

﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَمِنُوا عِقَابَ اللهِ، وَأَيْقَنُوا بِرِضَاهُ عَنْهُمْ، فَقَدْ أَمِنُوا الْخَوْفَ الَّذِي كَانُوا يَخَافُونَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ [آل عمران: ١٧٠] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، وَنَكَدِ عَيْشِهَا، لِلْخَفْضِ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ وَالدَّعَةِ وَالزُّلْفَةِ.

﴿۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾

[آل عمران: ١٧١].

﴿۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يَفْرَحُونَ..

﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بِمَا حَبَاهُمْ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ عَظِيمِ كَرَامَتِهِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ..

﴿وَفَضۡلٖ﴾ وَبِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضْلِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ [آل عمران: ١٧١] لَا يُبْطِلُ جَزَاءَ أَعْمَالِ مَنْ صَدَّقَ رَسُولَهُ وَاتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢].

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْجَرْحُ وَالْكُلُومُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَىٰ **(حَمْرَاءِ الْأَسَدِ)** فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ، أَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، مُنْصَرَفَهُمْ عَنْ أُحُدٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْ أُحُدٍ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَثَرِهِ حَتَّىٰ بَلَغَ **(حَمْرَاءَ الْأَسَدِ)** وَهِيَ عَلَىٰ ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، لِيُرِيَ النَّاسَ أَنَّ بِهِ وَأَصْحَابِهِ قُوَّةً عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ..

﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢] فَوَعَدَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَنْ ذَكَرْنَا أَمْرَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ -إِذَا اتَّقَىٰ اللهَ فَخَافَهُ، فَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ وَأَطَاعَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِن عُمْرِهِ- الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَالْجَزَاءَ الْعَظِيمَ، عَلَىٰ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ﴾ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، وَالَّذِينَ مَرْدُودٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ مِنْ صِفَةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ..

﴿ٱلنَّاسُ﴾ هُمْ قَوْمٌ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ سَأَلَهُمْ أَنْ يُثَبِّطُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ عَنْ **(أُحُدٍ)** إِلَىٰ **(حَمْرَاءِ الْأَسَدِ)**..

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ هُمْ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ بِأُحُدٍ..

﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ قَدْ جَمَعُوا الرِّجَالَ لِلِقَائِكُمْ، وَالْكَرَّةَ إِلَيْكُمْ لِحَرْبِكُمْ..

﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ فَاحْذَرُوهُمْ، وَاتَّقُوا لِقَاءَهُمْ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِمْ..

﴿فَزَادَهُمْ﴾ فَزَادَهُمْ ذَلِكَ مِنْ تَخْوِيفِ مَنْ خَوَّفَهُمْ أَمْرُ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿إِيمَٰنًا﴾ يَقِينًا إِلَىٰ يَقِينِهِمْ، وَتَصْدِيقًا لِلَّهِ وَلِوَعْدِهِ وَوَعْدِ رَسُولِهِ إِلَىٰ تَصْدِيقِهِمْ، وَلَمْ يُثْنِهِمْ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِمُ الَّذِي أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسَّيْرِ فِيهِ، وَلَكِنْ سَارُوا حَتَّىٰ بَلَغُوا رِضْوَانَ اللهِ مِنْهُ..

﴿وَقَالُواْ﴾ ثِقَةً بِاللهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، إِذْ خَوَّفَهُمْ مَنْ خَوَّفَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كَفَانَا اللهُ، يَعْنِي: يَكْفِينَا اللهُ..

﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣] وَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ لِمَنْ وَلِيَهُ وَكَفَلَهُ، وَإِنَّمَا وَصَفَ تَعَالَىٰ نَفْسَهُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْوَكِيلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامُ بِأَمْرِ مَنْ أَسْنَدَ إِلَيْهِ الْقِيَامَ بِأَمْرِهِ، فَلَمَّا كَانَ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ قَدْ كَانُوا فَوَّضُوا أَمْرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَوَثِقُوا بِهِ، وَأَسْنَدُوا ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِقِيَامِهِ لَهُمْ بِذَلِكَ، وَتَفْوِيضِهِمْ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ بِالْوِكَالَةِ، فَقَالَ: وَنِعْمَ الْوَكِيلُ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ.

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾
[آل عمران: ١٧٤].

﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ فَانْصَرَفَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ مِنْ وَجْهِهِمُ الَّذِي تَوَجَّهُوا فِيهِ، وَهُوَ سَيْرُهُمْ فِي أَثَرِ عَدُوِّهِمْ إِلَىٰ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ..

﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بِعَافِيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ لَمْ يَلْقَوْا بِهَا عَدُوًّا..

﴿وَفَضْلٍ﴾ أَصَابُوا فِيهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ بِتِجَارَتِهِمُ الَّتِي اتَّجَرُوا بِهَا، وَالْأَجْرِ الَّذِي اكْتَسَبُوهُ..

﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ لَمْ يَنَلْهُمْ بِهَا مَكْرُوهٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَلَا أَذًىٰ..

﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أَرْضَوُا اللهَ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ وَاتِّبَاعِهِمْ رَسُولَهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ اتِّبَاعِ أَثَرِ الْعَدُوِّ وَطَاعَتِهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ﴾ وَاللهُ ذُو إِحْسَانٍ وَطَوْلٍ عَلَيْهِمْ بِصَرْفِ عَدُوِّهِمُ الَّذِي كَانُوا قَدْ هَمُّوا بِالْكَرَّةِ إِلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَعَلَىٰ غَيْرِهِمْ بِنِعْمَةٍ..

﴿عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤] عِنْدَ مَنْ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥].

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ إِنَّمَا الَّذِي قَالَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، فَخَوَّفُوكُمْ بِجُمُوعِ عَدُوِّكُمْ، وَمَسِيرِهِمْ إِلَيْكُمْ..

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ، أَلْقَاهُ عَلَىٰ أَفْوَاهِ مَنْ قَالَ ذَٰلِكَ لَكُمْ..

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ مِنْ قُرَيْشٍ لِتَرْهَبُوهُمْ، وَتَجْبُنُوا عَنْهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ: إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُعَظِّمُ أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ فَتَخَافُونَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ وَهَلْ يُخَوِّفُ الشَّيْطَانُ أَوْلِيَاءَهُ؟ قِيلَ: إِنْ كَانَ مَعْنَاهُ يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، قِيلَ ذَٰلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢]، بِمَعْنَىٰ: لِيُنْذِرَكُمْ بَأْسَهُ الشَّدِيدَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَأْسَ لَا يُنْذَرُ، وَإِنَّمَا يُنْذَرُ بِهِ..

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ فَلَا تَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُمْ، وَلَا تَرْهَبُوا جَمْعَهُمْ مَعَ طَاعَتِكُمْ إِيَّايَ، مَا أَطَعْتُمُونِي، وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي، وَإِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ..

﴿وَخَافُونِ﴾ وَلَكِنْ خَافُونِ، وَاتَّقُوا أَنْ تَعْصُونِي وَتُخَالِفُوا أَمْرِي، فَتَهْلِكُوا..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥] وَلَكِنْ خَافُونِي دُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَدُونَ جَمِيعِ خَلْقِي أَنْ تُخَالِفُوا أَمْرِي إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِي رَسُولِي وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٧٦﴾ [آل عمران: ١٧٦].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ فَـ..

﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بِمُسَارَعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ شَيْئًا، كَمَا أَنَّ مُسَارَعَتَهُمْ -لَوْ سَارَعُوا- إِلَىٰ الْإِيمَانِ لَمْ تَكُنْ بِنَافِعَتِهِ، كَذَلِكَ مُسَارَعَتُهُمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ غَيْرُ ضَارَّتِهِ..

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ..

﴿حَظًّا﴾ نَصِيبًا..

﴿فِي﴾ ثَوَابِ..

﴿ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ فَلِذَلِكَ خَذَلَهُمْ، فَسَارَعُوا فِيهِ..

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾ [آل عمران: ١٧٦] ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ مَعَ حِرْمَانِهِمْ مَا حُرِمُوا مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧﴾ [آل عمران: ١٧٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ -جَلَّ ثناؤُهُ- الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ فِيهِمْ أَنْ لَا يُحْزِنَهُ مُسَارَعَتُهُمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ابْتَاعُوا الْكُفْرَ بِإِيمَانِهِمْ، فَارْتَدُّوا عَنْ إِيمَانِهِمْ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهِ، وَرَضُوا بِالْكُفْرِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، عِوَضًا مِنَ الْإِيمَانِ..

﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ﴾ بِكُفْرِهِمْ وَارْتِدَادِهِمْ، عَنْ إِيمَانِهِمْ شَيْئًا..

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧﴾ [آل عمران: ١٧٧] بَلْ إِنَّمَا يَضُرُّونَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ بِإِيجَابِهِمْ بِذَلِكَ لَهَا مِنْ عِقَابِ اللهِ مَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ.. وَإِنَّمَا حَثَّ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٦] إِلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ إِخْلَاصِ الْيَقِينِ، وَالِانْقِطَاعِ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ، وَالرِّضَا بِهِ نَاصِرًا وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَرَغَّبَ بِهَا فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ، وَشَجَّعَ بِهَا قُلُوبَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَنْ وَلِيَهُ بِنَصْرِهِ فَلَنْ يُخْذَلَ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَنْ خَالَفَهُ وَحَادَّهُ، وَأَنَّ مَنْ خَذَلَهُ فَلَنْ يَنْصُرَهُ نَاصِرٌ يَنْفَعُهُ نَصْرُهُ وَلَوْ كَثُرَتْ أَعْوَانُهُ أَوْ نُصَرَاؤُهُ.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾ [آل عمران: ١٧٨].

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾ وَلَا يَظُنَّنَّ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ﴾ أَنَّ إِمْلَاءَنَا لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ.. وَيَعْنِي بِالْإِمْلَاءِ: الْإِطَالَةَ فِي الْعُمُرِ وَالْإِنْسَاءَ فِي الْأَجَلِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: ٤٦] أَيْ حِينًا طَوِيلًا؛ وَمِنْهُ قِيلَ: عِشْتُ طَوِيلًا، وَتَمَلَّيْتُ حِينًا، وَالْمَلَا نَفْسُهُ الدَّهْرُ، وَالْمَلَوَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ..

﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ إِنَّمَا نُؤَخِّرُ آجَالَهُمْ فَنُطِيلُهَا..

﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ﴾ يَكْتَسِبُوا الْمَعَاصِيَ فَتَزْدَادَ آثَامُهُمْ وَتَكْثُرَ..

﴿وَلَهُمْ﴾ وَلِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨] عُقُوبَةٌ لَهُمْ مُهِينَةٌ مَذَلَّةٌ.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩].

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ما كَانَ اللهُ لِيَدَعَ..

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ مِنَ الْتِبَاسِ الْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ بِالْمُنَافِقِ، فَلَا يُعْرَفُ هَذَا مِنْ هَذَا..

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ﴾ وَهُوَ الْمُنَافِقُ الْمُسْتَسِرُّ لِلْكُفْرِ..

﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْمُخْلِصُ الصَّادِقُ الْإِيمَانِ بِالْمِحَنِ وَالِاخْتِبَارِ، كَمَا مُيِّزَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ إِلَيْهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: حَتَّىٰ يُمَيِّزَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ بِالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ ضَمَائِرِ قُلُوبِ عِبَادِهِ، فَتَعْرِفُوا الْمُؤْمِنَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِ وَالْكَافِرِ، وَلَكِنَّهُ يُمَيِّزُ بَيْنَهُمْ بِالْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءِ كَمَا مَيَّزَ بَيْنَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَجِهَادِ عَدُوِّهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْمِحَنْ، حَتَّىٰ تَعْرِفُوا مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ وَمُنَافِقَهُمْ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ غَيْرَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ فَيَصْطَفِيهِ، فَيُطْلِعُهُ عَلَىٰ بَعْضِ مَا فِي ضَمَائِرِ بَعْضِهِمْ بِوَحْيِهِ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَرِسَالَتِهِ..

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ وَإِنْ تُصَدِّقُوا مَنِ اجْتَبَيْتُهُ مِنْ رُسُلِي بِعِلْمِي، وَأَطْلَعْتُهُ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ مِنْكُمْ..

﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ رَبَّكُمْ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿فَلَكُمْ﴾ بِذَلِكَ مِنْ إِيمَانِكُمْ وَاتِّقَائِكُمْ رَبَّكُمْ..

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩] ثَوَابٌ عَظِيمٌ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

[آل عمران: ١٨٠].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بُخْلَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَنْعِ الزَّكَاةِ..

﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ﴾ بِمَا أَعْطَاهُمُ..

﴿ٱللَّهُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَلَا يُخْرِجُونَ مِنْهُ حَقَّ اللهِ الَّذِي فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنَ الزَّكَوَاتِ..

﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سَيَجْعَلُ اللهُ مَا بَخِلَ بِهِ الْمَانِعُونَ الزَّكَاةَ طَوْقًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، كَهَيْئَةِ الْأَطْوَاقِ الْمَعْرُوفَةِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ شُجَاعٌ أَقْرَعُ يُطَوِّقُهُ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ الْآيَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ (**فَيُجْعَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ طَوْقًا مِنْ نَارٍ**).. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَيَحْمِلُ الَّذِينَ كَتَمُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مَا كَتَمُوا مِنْ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَيُكَلَّفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَأْتُوا بِمَا بَخِلُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ التَّأْوِيلُ الَّذِي قُلْنَاهُ فِي ذَلِكَ فِي مَبْدَإِهِ؛ لِلْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِمَا عَنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِتَنْزِيلِهِ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِي يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْدَ مَا يَهْلِكُونَ، وَتَزُولُ عَنْهُمْ أَمْلَاكُهُمْ فِي الْحِينِ الَّذِي لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، وَصَارَ لِلَّهِ مِيرَاثُهُ وَمِيرَاثُ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ.. يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَالْمِيرَاثُ الْمَعْرُوفُ: هُوَ مَا انْتَقَلَ مِنْ مِلْكِ مَالِكٍ إِلَىٰ وَارِثِهِ بِمَوْتِهِ وَلِلَّهِ الدُّنْيَا قَبْلَ فَنَاءِ خَلْقِهِ وَبَعْدَهُ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ مَا وَصَفْنَا مِنْ وَصْفِهِ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ، وَإِعْلَامِ خَلْقِهِ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْفَنَاءَ وَذَلِكَ أَنَّ مِلْكَ الْمَالِكِ إِنَّمَا يَصِيرُ مِيرَاثًا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إِعْلَامًا بِذَلِكَ مِنْهُ عِبَادَهُ أَنَّ أَمْلَاكَ جَمِيعِ خَلْقِهِ مُنْتَقِلَةٌ عَنْهُمْ بِمَوْتِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا أَحَدَ إِلَّا وَهُوَ فَانٍ سَوَاه، فَإِنَّهُ الَّذِي إِذَا هَلَكَ جَمِيعُ خَلْقِهِ، فَزَالَتْ أَمْلَاكُهُمْ عَنْهُمْ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَكُونُ لَهُ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَهُ غَيْرُهُ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾ [آل عمران: ١٨٠] ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلًّا مِنْهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ، الْمُحْسِنَ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١].

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾ إِلَيْنَا..

﴿وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ عَنْهُ..

﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ مِنَ الْإِفْكِ وَالْفِرْيَةِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ وَقَتْلَهُمْ أَنْبِيَاءَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ وَقَدْ ذَكَرَتِ الْآثَارُ الَّتِي رُوِيَتْ أَنَّ الَّذِينَ عُنُوا بِقَوْلِهِ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾ بَعْضُ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أُولَئِكَ أَحَدٌ قَتَلَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ فَيَقْتُلُوهُ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ كَانُوا رَاضِينَ بِمَا فَعَلَ أَوَائِلُهُمْ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانُوا مِنْهُمْ وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ، مِنِ اسْتِحْلَالِ ذَلِكَ وَاسْتِجَازَتِهِ، فَأَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِعْلَ مَا فَعَلَهُ مَنْ كَانُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقَتِهِ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، إِذْ كَانُوا أَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَنِحلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَبِالرِّضَا مِنْ جَمِيعِهِمْ فِعْلَ مَا فَعَلَ فَاعِلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا مِنْ نَظَائِرِهِ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ..

﴿وَنَقُولُ﴾ لِلْقَائِلِينَ بِأَنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، الْقَاتِلِينَ أَنْبِيَاءَ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١] ذُوقُوا عَذَابَ نَارٍ مُحْرِقَةٍ مُلْتَهِبَةٍ، وَالنَّارُ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْمُلْتَهِبَةِ مِنْهَا وَغَيْرِ الْمُلْتَهِبَةِ، وَإِنَّمَا الْحَرِيقُ صِفَةٌ لَهَا، يُرَادُ أَنَّهَا مُحْرِقَةٌ، كَمَا قِيلَ: (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يَعْنِي: مُؤْلِمٌ، وَ (وَجِيعٌ) يَعْنِي: مُوجِعٌ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢﴾ [آل عمران: ١٨٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ قَوْلُنَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ..

﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ بِمَا أَسْلَفَتْ..

﴿أَيْدِيكُمْ﴾ وَاكْتَسَبَتْهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَأَنَّ﴾ وَبِأَنْ..

﴿اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: ١٨٢] عَدْلٌ لَا يَجُورُ، فَيُعَاقِبُ عَبْدًا لَهُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَكِنَّهُ يُجَازِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَيُوَفِّي كُلَّ عَامِلٍ جَزَاءَ مَا عَمِلَ، فَجَازَىٰ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، بِمَا جَازَاهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَرِيقِ، وَبِمَا اكْتَسَبُوا مِنَ الْآثَامِ، وَاجْتَرَحُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَكَذَبُوا عَلَىٰ اللهِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِالْإِنْذَارِ، فَلَمْ يَكُنْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِمَا عَاقَبَهُمْ بِهِ مِنْ إِذَاقَتِهِمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ظَالِمًا وَلَا وَاضِعًا عُقُوبَتَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا، وَكَذَلِكَ هُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ غَيْرُ ظَلَّامٍ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَكِنَّهُ الْعَادِلُ بَيْنَهُمْ، وَالْمُتَفَضِّلُ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ بِمَا أَحَبَّ مِنْ فَوَاضِلِهِ وَنِعَمِهِ.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [آل عمران: ١٨٣].

﴿الَّذِينَ﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ..

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أَوْصَانَا وَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا فِي كُتُبِهِ وَعَلَىٰ أَلْسُنِ أَنْبِيَائِهِ..

﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ أَنْ لَا نُصَدِّقَ رَسُولًا فِيمَا يَقُولُ إِنَّهُ جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا﴾ حَتَّىٰ يَجِيئَنَا..

﴿بِقُرْبَانٍ﴾ وَهُوَ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ مِنْ صَدَقَةٍ..

﴿تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ لِأَنَّ أَكْلَ النَّارِ مَا قَرَّبَهُ أَحَدُهُمْ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانَ دَلِيلًا عَلَىٰ قَبُولِ اللهِ مِنْهُ مَا قَرَّبَ لَهُ، وَدِلَالَةً عَلَىٰ صِدْقِ الْمُقَرِّبِ فِيمَا ادَّعَىٰ أَنَّهُ مُحِقٌّ فِيمَا نَازَعَ أَوْ قَالَ..

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بِالْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِ نُبُوَّتِهِمْ وَحَقِيقَةِ قَوْلِهِمْ..

﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ وَبِالَّذِي ادَّعَيْتُمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ بِهِ لَزِمَكُمْ تَصْدِيقُهُ، وَالْإِقْرَارُ بِنُبُوَّتِهِ مِنْ أَكْلِ

النَّارِ قُرْبَانَهُ إِذَا قُرِّبَ لِلَّهِ دَلَالَةً عَلَىٰ صِدْقِهِ..

﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ قُلْ لَهُمْ: قَدْ جَاءَتْكُمُ الرُّسُلُ الَّذِي كَانُوا مِنْ قَبْلِي بِالَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ حُجَّةٌ لَهُمْ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلْتُمُوهُمْ، فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ الَّذِي جَاءُوكُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ حُجَّةً لَهُمْ عَلَيْكُمْ..

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران: ١٨٣] فِي أَنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَنْ أَتَاكُمْ مِنْ رُسُلِهِ بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ؟! وَإِنَّمَا أَعْلَمَ اللهُ عِبَادَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَنْ يَفِرُّوا، وَأَنْ يَكُونُوا فِي كَذِبِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ وَهُمْ يَعْلَمُونَهُ صَادِقًا مُحِقًّا، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي عَهْدِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ رَسُولُهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ مَفْرُوضَةٌ طَاعَتُهُ، إِلَّا كَمَنْ مَضَىٰ مِنْ أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ بَعْدَ قَطْعِ اللهِ عُذْرَهُمْ بِالْحُجَجِ الَّتِي أَيَّدَهُمُ اللهُ بِهَا، وَالْأَدِلَّةِ الَّتِي أَبَانَ صِدْقَهُمْ بِهَا، افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ، وَاسْتِخْفَافًا بِحقُوقِهِ.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ١٨٤﴾
[آل عمران: ١٨٤].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ لَا يَحْزُنْكَ يَا مُحَمَّدُ كَذِبَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ، وَقَالُوا: إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ، وَافْتِرَاؤُهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمُ اغْتِرَارًا بِإِمْهَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ، وَادِّعَاؤُهُمُ الْأَبَاطِيلَ مِنْ عُهُودِ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِكَ فَكَذَّبُوكَ، وَكَذَبُوا عَلَىٰ اللهِ..

﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فَقَدْ كَذَّبَتْ أَسْلَافُهُمْ مِنْ رُسُلِ اللهِ قَبْلَكَ مَنْ جَاءَهُمْ..

﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ الْعُذْرَ، وَالْأَدِلَّةِ الْبَاهِرَةِ الْعَقْلَ، وَالْآيَاتِ الْمُعْجِزَةِ الْخَلْقَ، وَذَلِكَ هُوَ الْبَيِّنَاتُ..

﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ جَمْعُ زَبُورٍ: وَهُوَ الْكِتَابُ، وَكُلُّ كِتَابٍ فَهُوَ زَبُورٌ..

﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَذَّبَتْ عِيسَىٰ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَحَرَّفَتْ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ عليه السلام مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَدَّلَتْ عَهْدَهُ إِلَيْهِمْ فِيهِ، وَأَنَّ النَّصَارَىٰ جَحَدَتْ مَا فِي الْإِنْجِيلِ مِنْ نَعْتِهِ وَغَيَّرَتْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فِي أَمْرِهِ..

﴿ٱلْمُنِيرِ ١٨٤﴾ [آل عمران: ١٨٤] الَّذِي يُنِيرُ فَيُبَيِّنُ الْحَقَّ لِمَنْ الْتَبَسَ عَلَيْهِ وَيُوَضِّحُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ

مِنَ النُّورِ وَالْإِضَاءَةِ، يُقَالُ: قَدْ أَنَارَ لَكَ هَذَا الْأَمْرُ، بِمَعْنَىٰ: أَضَاءَ لَكَ وَتَبَيَّنَ، فَهُوَ يُنِيرُ إِنَارَةً، وَالشَّيْءُ الْمُنِيرُ.. وَهَذَا تَعْزِيَةٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ الْأَذَىٰ الَّذِي كَانَ يَنَالُهُ مِنَ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ فَإِنَّ مَصِيرَ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْيَهُودِ الْمُكَذِّبِينَ بِرُسُولِهِ، الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَأَخْبَرَ عَنْ جَرَاءَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَمَصِيرَ غَيْرِهِمْ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَمَرْجِعَ جَمِيعِهِمْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ حَتَّمَ الْمَوْتَ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لَا يَحْزُنْكَ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ، وَافْتِرَاءُ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَيَّ، فَقَدْ كُذِّبَ قَبْلَكَ رُسُلٌ جَاءُوا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ بِمِثْلِ الَّذِي جِئْتَ مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ، فَلَكَ فِيهِمْ أُسْوَةٌ تَتَعَزَّىٰ بِهِمْ، وَمَصِيرُ مَنْ كَذَّبَكَ وَافْتَرَىٰ عَلَيَّ وَغَيْرِهِمْ وَمَرْجِعُهُمْ إِلَيَّ، فَأُوَفِّي كُلَّ نَفْسٍ مِنْهُمْ جَزَاءَ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ أُجُورَ أَعْمَالِكُمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾ فَمَنْ نُحِّيَ..

﴿عَنِ ٱلنَّارِ﴾ وَأُبْعِدَ مِنْهَا..

﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾ فَقَدْ نَجَا وَظَفِرَ بِحَاجَتِهِ..

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ وَمَا لَذَّاتُ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتُهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ زِينَتِهَا وَزَخَارِفِهَا..

﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥] إِلَّا مُتْعَةٌ يُمَتِّعُكُمُوهَا الْغُرُورُ وَالْخِدَاعُ الْمُضْمَحِلُّ، الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَ الِامْتِحَانِ، وَلَا صِحَّةَ لَهُ عِنْدَ الِاخْتِبَارِ، فَأَنْتُمْ تَلْتَذُّونَ بِمَا مَتَّعَكُمُ الْغُرُورُ مِنْ دُنْيَاكُمْ، ثُمَّ هُوَ عَائِدٌ عَلَيْكُمْ بِالْفَجَائِعِ وَالْمَصَائِبِ وَالْمَكَارِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ الدُّنْيَا فَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْهَا فِي غُرُورٍ تُمَتَّعُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ عَنْهَا بَعْدَ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ قَالَ: (كَزَادِ الرَّاعِي، تُزَوِّدُهُ الْكَفُّ مِنَ التَّمْرِ، أَوِ الشَّيْءُ مِنَ الدَّقِيقِ، أَوِ الشَّيْءُ يَشْرَبُ عَلَيْهِ اللَّبَنَ)، فَكَأَنَّ ابْنَ سَابِطٍ ذَهَبَ فِي تَأْوِيلِهِ هَذَا إِلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، لَا يُبَلِّغُ مَنْ تَمَتَّعَهُ

وَلَا يَكْفِيهِ لِسَفَرِهِ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ التَّأْوِيلِ، فَإِنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ هُوَ مَا قُلْنَا، لِأَنَّ الْغُرُورَ إِنَّمَا هُوَ الْخِدَاعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَا وَجْهَ لِصَرْفِهِ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْقِلَّةِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ قَدْ يَكُونُ قَلِيلًا وَصَاحِبُهُ مِنْهُ فِي غَيْرِ خِدَاعٍ وَلَا غُرُورٍ؛ وَأَمَّا الَّذِي هُوَ فِي غُرُورٍ فَلَا الْقَلِيلُ يَصِحُّ لَهُ وَلَا الْكَثِيرُ مِمَّا هُوَ مِنْهُ فِي غُرُورٍ.. وَالْغُرُورُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: غَرَّنِي فُلَانٌ، فَهُوَ يَغُرُّنِي غُرُورًا بِضَمِّ الْغَيْنِ؛ وَأَمَّا إِذَا فُتِحَتْ الْغَيْنُ مِنَ الْغَرُورِ فَهُوَ صِفَةٌ لِلشَّيْطَانِ الْغَرُورِ الَّذِي يَغُرُّ ابْنَ آدَمَ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِيمَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ عُقُوبَتَهُ.

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦].

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ﴾ لَتُخْتَبَرُنَّ بِالْمَصَائِبِ..

﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ وَبِهَلَاكِ الْأَقْرِبَاءِ وَالْعَشَائِرِ مِنْ أَهْلِ نُصْرَتِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ..

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَقَوْلِهِمْ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وَقَوْلِهِمْ ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ افْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ يَعْنِي النَّصَارَىٰ..

﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ وَالْأَذَىٰ مِنَ الْيَهُودِ مَا ذَكَرْنَا، وَمِنَ النَّصَارَىٰ قَوْلُهُمْ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ..

﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، فَتَعْمَلُوا فِي ذَلِكَ بِطَاعَتِهِ..

﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَىٰ..

﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦] مِمَّا عَزَّمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَمَرَكُمْ بِهِ.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ لَيُبَيِّنُنَّ لِلنَّاسِ أَمْرَكَ الَّذِي أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَىٰ بَيَانِهِ لِلنَّاسِ فِي كِتَابِهِمُ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ، وَأَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ..

﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ وَلَا يَكْتُمُونَهُ..

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فَهُوَ مَثَلٌ لِتَضْيِيعِهِمُ الْقِيَامَ بِالْمِيثَاقِ، وَتَرْكِهِمُ الْعَمَلَ بِهِ، فَتَرَكُوا أَمْرَ اللهِ وَضَيَّعُوهُ، وَنَقَضُوا مِيثَاقَهُ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، فَكَتَمُوا أَمْرَكَ، وَكَذَّبُوا بِكَ..

﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ﴾ وَابْتَاعُوا بِكِتْمَانِهِمْ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ أَنْ لَا يَكْتُمُوهُ مِنْ أَمْرِ نُبُوَّتِكَ..

﴿ثَمَنًا﴾ عِوَضًا مِنْهُ..

﴿قَلِيلًا﴾ خَسِيسًا قَلِيلًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، ثُمَّ ذَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ شِرَاءَهُم ما اشْتَرَوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ..

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧] فَبِئْسَ الشِّرَاءُ يَشْتَرُونَ فِي تَضْيِيعِهِمُ الْمِيثَاقَ وَتَبْدِيلِهِمُ الْكِتَابَ.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٨﴾ [آل عمران: ١٨٨].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ﴾ مِنْ كِتْمَانِهِمُ النَّاسَ أَمْرَكَ، وَأَنَّكَ لِي رَسُولٌ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ، وَهُمْ يَجِدُونَكَ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ، وَبَيَانِ أَمْرِكَ لِلنَّاسِ وَأَنْ لَا يَكْتُمُوهُمْ ذَلِكَ، وَهُمْ مَعَ نَقْضِهِمْ مِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، يَفْرَحُونَ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّايَ فِي ذَلِكَ، وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرِي..

﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ﴾ وَيُحِبُّونَ أَنْ يَحْمَدَهُمُ النَّاسُ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ طَاعَةٍ لِلَّهِ وَعِبَادَةٍ وَصَلَاةٍ وَصَوْمٍ، وَاتِّبَاعِ لَوَحْيِهِ، وَتَنْزِيلِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَبْرِيَاءُ أَخْلِيَاءُ لِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، وَنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ..

﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ شَيْئًا مِمَّا يُحِبُّونَ أَنْ يَحْمَدَهُمُ النَّاسُ عَلَيْهِ..

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ فَلَا تَظُنَّهُمْ..

﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بِمَنْجَاةٍ..

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَعْدَائِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالرَّجْفِ وَالْقَتْلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨٨﴾ [آل عمران: ١٨٨] وَلَا هُمْ بِبَعِيدٍ مِنْهُ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾ [آل عمران: ١٨٩].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا الَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] لِلَّهِ مُلْكُ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَاوَاتُ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ فَكَيْفَ يَكُونُ أَيُّهَا الْمُفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ مَنْ كَانَ مُلْكُ ذَلِكَ لَهُ فَقِيرًا؟! ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لِقَائِلِي ذَلِكَ وَلِكُلِّ مُكَذِّبٍ بِهِ وَمُفْتَرٍ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَرَادَ وَأَحَبَّ، وَلَكِنَّهُ تَفَضَّلَ بِحِلْمِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، فَقَالَ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾ [آل عمران: ١٨٩] مِنْ إِهْلَاكِ قَائِلِ ذَلِكَ، وَتَعْجِيلِ عُقُوبَتِهِ لَهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾
[آل عمران: ١٩٠].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَهَذَا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَىٰ قَائِلِ ذَلِكَ وَعَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ بِأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ الْمُصَرِّفُ الْأَشْيَاءَ، وَالْمُسَخِّرُ مَا أَحَبَّ، وَإِنَّ الْإِغْنَاءَ وَالْإِفْقَارَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ، فَقَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: تَدَبَّرُوا أَيُّهَا النَّاسُ، وَاعْتَبِرُوا، فَفِيمَا أَنْشَأْتُهُ فَخَلَقْتُهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِمَعَاشِكُمْ وَأَقْوَاتِكُمْ وَأَرْزَاقِكُمْ..

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وَفِيمَا عَقَّبْتُ بَيْنَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَجَعَلْتُهُمَا يَخْتَلِفَانِ وَيَعْتَقِبَانِ عَلَيْكُمْ، تَتَصَرَّفُونَ فِي هَذَا لِمَعَاشِكُمْ، وَتَسْكُنُونَ فِي هَذَا رَاحَةً لِأَجْسَادِكُمْ..

﴿لَءَايَٰتٍ﴾ مُعْتَبَرٌ وَمُدَّكَرٌ، وَآيَاتٌ وَعِظَاتٌ..

﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠] فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا لُبٍّ وَعَقْلٍ، يَعْلَمُ أَنَّ مَنَ نَسَبَنِي إِلَىٰ أَنِّي فَقِيرٌ وَهُوَ غَنِيٌّ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِيَدِي أُقَلِّبُهُ وَأُصَرِّفُهُ، وَلَوْ أَبْطَلْتُ ذَلِكَ لَهَلَكْتُمْ، فَكَيْفَ يُنْسَبُ فَقْرٌ إِلَىٰ مَنْ كَانَ كُلُّ مَا بِهِ عَيْشُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ؟! أَمْ كَيْفَ يَكُونُ غَنِيًّا مَنْ كَانَ رِزْقُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ، إِذَا شَاءَ رَزَقَهُ، وَإِذَا شَاءَ حَرَمَهُ؟! فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الذَّاكِرِينَ اللهَ..

﴿قِيَـٰمًا﴾ فِي صَلَاتِهِمْ..

﴿وَقُعُودًا﴾ فِي تَشَهُّدِهِمْ وَفِي غَيْرِ صَلَاتِهِمْ..

﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ نِيَامًا..

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يَعْتَبِرُونَ بِصَنْعَةِ صَانِعِ ذَلِكَ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَمَنْ هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَازِقُهُ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُدَبِّرُهُ، مَنْ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِيَدِهِ الْإِغْنَاءُ وَالْإِفْقَارُ، وَالْإِعْزَازُ وَالْإِذْلَالُ، وَالْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، وَالشَّقَاءُ وَالسَّعَادَةُ، قَائِلِينَ..

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ لَمْ تَخْلُقْ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا وَلَا لَعِبًا، لَمْ تَخْلُقْهُ إِلَّا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ وَمُحَاسَبَةٍ وَمُجَازَاةٍ.. وَإِنَّمَا قَالَ: مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا، وَلَمْ يَقُلْ: مَا خَلَقْتَ هَذِهِ، وَلَا هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهَذَا الْخَلْقَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ وَرَغْبَتُهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فِي أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَلَوْ كَانَ الْمَعْنِيَّ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، لَمَا كَانَ لِقَوْلِهِ عُقَيْبَ ذَلِكَ: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ مَعْنًىٰ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَدِلَّةٌ عَلَىٰ بَارِئِهَا، لَا عَلَىٰ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَإِنَّمَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوُا الْمَأْمُورِينَ الْمَنْهِيِّينَ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا لَمْ تَخْلُقْ هَؤُلَاءِ بَاطِلًا عَبَثًا سُبْحَانَكَ، يَعْنِي: تَنْزِيهًا لَكَ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا عَبَثًا، وَلَكِنَّكَ خَلَقْتَهُمْ لِعَظِيمٍ مِنَ الْأَمْرِ، لِجَنَّةٍ أَوْ نَارٍ..

﴿سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١] ثُمَّ فَزِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِالْمَسْأَلَةِ أَنْ يُجِيرَهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَهُمْ مِمَّنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَكُونُوا مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: ١٩٢].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ إِنَّ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ فَقَدْ أُخْزِيَ بِدُخُولِهِ إِيَّاهَا، وَإِنْ أُخْرِجَ مِنْهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْخِزْيَ إِنَّمَا هُوَ هَتْكُ سِتْرِ الْمَخْزِيِّ وَفَضِيحَتُهُ، وَمَنْ عَاقَبَهُ رَبُّهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ، فَقَدْ فَضَحَهُ بِعِقَابِهِ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْخِزْيُ..

﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: ١٩٢] وَمَا لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ فَعَصَاهُ مِنْ ذِي نُصْرَةٍ لَهُ

يَنْصُرُهُ مِنَ اللهِ فَيُدْفَعُ عَنْهُ عِقَابَهُ أَوْ يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ رَبَّنَا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو.. وَالْمُنَادِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْقُرْآنُ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَيْسُوا مِمَّنْ رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا عَايَنَهُ، فَسَمِعُوا دُعَاءَهُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَنِدَاءَهُ، وَلَكِنَّهُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنِ الْجِنِّ إِذْ سَمِعُوا كَلَامَ اللهِ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١- ٢]..

﴿يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ إِلَىٰ الْإِيمَانِ..

﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ يَقُولُ إِلَىٰ التَّصْدِيقِ بِكَ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِكَ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَنَا بِهِ، وَنَهَانَا عَنْهُ، مِمَّا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ فَآمَنَّا رَبَّنَا..

﴿فَـَٔامَنَّا﴾ فَصَدَّقْنَا بِذَلِكَ يَا رَبَّنَا..

﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فَاسْتُرْ عَلَيْنَا خَطَايَانَا، وَلَا تَفْضَحْنَا بِهَا فِي الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، بِعُقُوبَتِكَ إِيَّانَا عَلَيْهَا، وَلَكِنْ كَفِّرْهَا عَنَّا..

﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فَامْحُهَا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ إِيَّانَا..

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣] وَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ إِذَا قَبَضْتَنَا إِلَيْكَ فِي عِدَادِ الْأَبْرَارِ، وَاحْشُرْنَا مَحْشَرَهُمْ وَمَعَهُمْ.. وَالْأَبْرَارُ جَمْعُ بَرٍّ، وَهُمُ الَّذِينَ بَرُّوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَخِدْمَتِهِمْ لَهُ، حَتَّىٰ أَرْضَوْهُ فَرَضِيَ عَنْهُمْ.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٤].

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ رَبَّنَا أَعْطِنَا..

﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِكَ أَنَّكَ تُعْلِي كَلِمَتَكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ، بِتَأْيِيدِنَا عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِكَ وَحَادَّكَ وَعَبَدَ غَيْرَكَ، وَعَجِّلْ لَنَا ذَلِكَ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ مَسْأَلَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ رَبَّهُمْ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ إِخْلَافُ مَوْعِدٍ؟ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ صِفَةُ مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ وَطَنِهِ وَدَارِهِ،

مُفَارِقًا لِأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ تُبَّاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ رَغِبُوا إِلَىٰ اللهِ فِي تَعْجِيلِ نُصْرَتِهِمْ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِمْ، فَقَالُوا: رَبَّنَا آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا مِنْ نُصْرَتِكَ عَلَيْهِمْ عَاجِلًا، فَإِنَّكَ لَا تَخْلُفُ الْمِيعَادِ، وَلَكِنْ لَا صَبْرَ لَنَا عَلَىٰ أَنَاتِكَ وَحِلْمِكَ عَنْهُمْ، فَعَجِّلْ حَرْبَهُمْ، وَلَنَا الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ، يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ آخِرُ الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٩٥] الْآيَاتِ بَعْدَهَا..

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فَتَفْضَحَنَا بِذُنُوبِنَا الَّتِي سَلَكَتْ مِنَّا، وَلَكِنْ كَفِّرْهَا عَنَّا وَاغْفِرْهَا لَنَا..

﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٤] فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ لَا تُخْلِفُ مِيعَادَكَ.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥].

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فَأَجَابَ هَؤُلَاءِ الدَّاعِينَ بِمَا وَصَفَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ دَعَوْا بِهِ رَبَّهُمْ..

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ عَمِلَ خَيْرًا..

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ ذَكَرًا كَانَ الْعَامِلُ أَوْ أُنْثَىٰ، وَذُكِرَ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا بَالُ الرِّجَالِ يُذْكَرُونَ وَلَا تُذْكَرُ النِّسَاءُ فِي الْهِجْرَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةَ..

﴿بَعْضُكُم﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ..

﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾ فِي النُّصْرَةِ وَالْمَسْأَلَةِ وَالدِّينِ، وَحُكْمُ جَمِيعِكُمْ فِيمَا أَنَا بِكُمْ فَاعِلٌ عَلَىٰ حُكْمِ أَحَدِكُمْ فِي أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ ذَكَرٍ مِنْكُمْ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ قَوْمَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَعَشِيرَتَهُمْ فِي اللهِ، إِلَىٰ إِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ..

﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ مِنْ دِيَارِهِمْ بِمَكَّةَ..

﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ وَأُوذُوا فِي طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَذَلِكَ هُوَ سَبِيلُ اللهِ الَّتِي آذَىٰ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِهَا..

﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وَقُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَاتَلُوا فِيهَا..

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ لَأَمْحُوَنَّهَا عَنْهُمْ، وَلَأَتَفَضَّلَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَفْوِي وَرَحْمَتِي، وَلَأَغْفِرَنَّهَا لَهُمْ..

﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا﴾ جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا وَأُبْلُوا فِي اللهِ وَفِي سَبِيلِهِ..

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ قِبَلِ اللهِ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥] وَاللهُ عِنْدَهُ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ جَمِيعُ صُنُوفِهِ، وَذَلِكَ مَا لَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ وَاصِفٍ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بِشْرٍ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ ثُلَّةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الَّذِينَ تُتَّقَىٰ بِهِمُ الْمَكَارِهِ، إِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا وَإِنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَىٰ السُّلْطَانِ لَمْ تُقْضَ حَتَّىٰ يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ، وَإِنَّ اللهَ يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، فَيَقُولُ: أَيْنَ عِبَادِيَ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي؟ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ عَذَابٍ، وَلَا حِسَابٍ، وَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَسْجُدُونَ وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، فَتَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾** [الرعد: ٢٤]».

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦﴾ [آل عمران: ١٩٦].

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦﴾ [آل عمران: ١٩٦] تَصَرُّفُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَضَرْبُهُمْ فِيهَا.. فَنَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَنِ الاغْتِرَارِ بِضَرْبِهِمْ فِي الْبِلَادِ، وَإِمْهَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ مَعَ شِرْكِهِمْ وَجُحُودِهِمْ نِعَمَهُ، وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ.. وَخَرَجَ الْخِطَابُ بِذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ غَيْرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَصْحَابِهِ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ مِنْ أَمْرِ اللهِ، وَلَكِنْ كَانَ بِأَمْرِ اللهِ صَادِعًا، وَإِلَىٰ الْحَقِّ دَاعِيًا.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٧].

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ فَإِنَّ تَقَلُّبَهُمْ فِي الْبِلَادِ وَتَصَرُّفَهُمْ فِيهَا مُتْعَةٌ يُمَتَّعُونَ بِهَا قَلِيلًا، حَتَّىٰ يَبْلُغُوا

آجالَهُمْ، فتَخْتَرِمَهُمْ مَنِيَّاتُهُمْ..

﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَالْمَأْوَىٰ الْمَصِيرُ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَصِيرُونَ فِيهِ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٧] وَبِئْسَ الْفِرَاشُ وَالْمَضْجَعُ جَهَنَّمُ.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٨].

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ بِطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ، فِي الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ بَاقِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿نُزُلًا﴾ إِنْزَالًا مِنَ اللهِ إِيَّاهُمْ فِيهَا أَنْزَلَهُمُوهَا..

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾ مِنْ قِبَلِ اللهِ، وَمِنْ كَرَامَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَعَطَايَاهُ لَهُمْ..

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْكَرَامَةِ، وَحُسْنِ الْمَآبِ..

﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٨] مِمَّا يَتَقَلَّبُ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَإِنَّ الَّذِي يَتَقَلَّبُونَ فِيهِ زَائِلٌ فَانٍ، وَهُوَ قَلِيلٌ مِنَ الْمَتَاعِ خَسِيسٌ، وَمَا عِنْدَ اللهِ مِنْ كَرَامَتِهِ لِلْأَبْرَارِ -وَهُمْ أَهْلُ طَاعَتِهِ- بَاقٍ غَيْرُ فَانٍ وَلَا زَائِلٍ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: (مَا مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهَا، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٨]).

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ فَيُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، يَقُولُ: وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ وَوَحْيِهِ، عَلَىٰ لِسَانِ

رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْكُتُبِ، وَذَلِكَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ..

﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ خَاضِعِينَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، مُسْتَكِينِينَ لَهُ بِهَا مُتَذَلِّلِينَ..

﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ لَا يُحَرِّفُونَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيُبَدِّلُونَهُ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَحُجَجِهِ فِيهِ، لِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا خَسِيسٍ، يُعْطُونَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ التَّبْدِيلَ، وَابْتِغَاءَ الرِّيَاسَةِ عَلَىٰ الْجُهَّالِ، وَلَكِنْ يَنْقَادُونَ لِلْحَقِّ، فَيَعْمَلُونَ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، فِيمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كُتُبِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ فِيهَا، وَيُؤْثِرُونَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَوَىٰ أَنْفُسِهِمْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ..

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ لَهُمْ عِوَضُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا، وَثَوَابُ طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ فِيمَا أَطَاعُوهُ فِيهِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ مَذْخُورٌ ذَلِكَ لَهُمْ لَدَيْهِ، حَتَّىٰ يَصِيرُوا إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ، فَيُوَفِّيَهُمْ ذَلِكَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾ [آل عمران: ١٩٩] وَسُرْعَةُ حِسَابِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهَا، وَبَعْدَ مَا عَمِلُوهَا، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ إِحْصَاءِ عَدَدِ ذَلِكَ، فَيَقَعُ فِي الْإِحْصَاءِ إِبْطَاءٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾

[آل عمران: ٢٠٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ عَلَىٰ دِينِكُمْ، وَطَاعَةِ رَبِّكُمْ، عَلَىٰ جَمِيعِ مَعَانِي طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، صَعْبِهَا وَشَدِيدِهَا، وَسَهْلِهَا وَخَفِيفِهَا..

﴿وَصَابِرُواْ﴾ أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي الْمُفَاعَلَةِ، أَنْ تَكُونَ مِنْ فَرِيقَيْنِ، أَوِ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا، وَلَا تَكُونَ مِنْ وَاحِدٍ إِلَّا قَلِيلًا فِي أَحْرُفٍ مَعْدُودَةٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا أُمِرَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُصَابِرُوا غَيْرَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، حَتَّىٰ يُظَفِّرَهُمُ اللهُ بِهِمْ، وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَيُخْزِي أَعْدَاءَهُمْ، وَأَنْ لَا يَكُونَ عَدُوُّهُمْ أَصْبَرَ مِنْهُمْ..

﴿وَرَابِطُواْ﴾ أَعْدَاءَكُمْ وَأَعْدَاءَ دِينِكُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ فِي سَبِيلِ اللهِ.. وَأَرَىٰ أَنَّ أَصْلَ الرِّبَاطِ: ارْتِبَاطُ الْخَيْلِ لِلْعَدُوِّ، كَمَا ارْتَبَطَ عَدُوُّهُمْ لَهُمْ خَيْلَهُمْ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مُقِيمٍ فِي ثَغْرٍ،

يَدْفَعُ عَمَّنْ وَرَاءَهُ مَنْ أَرَادَهُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ بِسُوءٍ، وَيَحْمِي عَنْهُمْ مِنْ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ، مِمَّنْ بَغَاهُمْ بِشَرٍّ كَانَ ذَا خَيْلٍ قَدِ ارْتَبَطَهَا، أَوْ ذَا رَجْلَةٍ لَا مَرْكَبَ لَهُ وَإِنَّمَا قُلْنَا: مَعْنَىٰ ﴿وَرَابِطُواْ﴾ وَرَابِطُوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَعْدَاءَ دِينِكُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْنَىٰ الْمَعْرُوفُ مِنْ مَعَانِي الرِّبَاطِ، وَإِنَّمَا تَوَجَّهُ الْكَلَامُ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ الْمَعْرُوفِ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ مِنْ مَعَانِيهِ دُونَ الْخَفِيِّ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِخِلَافِ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ صَرْفَهُ إِلَىٰ الْخَفِيِّ مِنْ مَعَانِيهِ حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ كِتَابٍ أَوْ خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ إِجْمَاعٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ..

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاحْذَرُوهُ أَنْ تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، أَوْ تَتَقَدَّمُوا نَهْيَهُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠] لِتُفْلِحُوا فَتَبْقُوا فِي نَعِيمِ الْأَبَدِ، وَتَنْجَحُوا فِي طَلِبَاتِكُمْ عِنْدَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ



سُورَةُ النِّسَاءِ (٤) مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَسَبْعُونَ وَمِائَةٌ

الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا النِّسَاءُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ احْذَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ رَبَّكُمْ فِي أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ، فَيَحِلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ.. ثُمَّ وَصَفَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الْمُتَوَحِّدُ بِخَلْقِ جَمِيعِ الْأَنَامِ مِنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَعَرَّفَ عِبَادَهُ كَيْفَ كَانَ مُبْتَدَأُ إِنْشَائِهِ ذَلِكَ مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، وَمُنَبِّهُهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ جَمِيعَهُمْ بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَأَنَّ حَقَّ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَاجِبٌ وُجُوبَ حَقِّ الْأَخِ عَلَىٰ أَخِيهِ؛ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي النَّسَبِ إِلَىٰ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّ الَّذِي يَلْزَمُهُمْ مِنْ رِعَايَةِ بَعْضِهِمْ حَقَّ بَعْضٍ، وَإِنْ بَعُدَ التَّلَاقِي فِي النَّسَبِ إِلَىٰ الْأَبِ الْجَامِعِ بَيْنَهُمْ، مِثْلُ الَّذِي يَلْزَمُهُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّسَبِ الْأَدْنَىٰ، وَعَاطِفًا بِذَلِكَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، لِيَتَنَاصَفُوا، وَلَا يَتَظَالَمُوا، وَلِيَبْذُلَ الْقَوِيُّ مِنْ نَفْسِهِ لِلضَّعِيفِ حَقَّهُ بِالْمَعْرُوفِ، عَلَىٰ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ لَهُ، فَقَالَ..

﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يَعْنِي: مِنْ آدَمَ..

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وَخَلَقَ مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ زَوْجَهَا، يَعْنِي بِـ «الزَّوْجِ» الثَّانِي لَهَا وَهُوَ فِيمَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: امْرَأَتُهَا حَوَّاءُ..

﴿وَبَثَّ﴾ وَنَشَرَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④﴾ [القارعة: ٤]، يُقَالُ مِنْهُ: بَثَّ اللهُ الْخَلْقَ وَأَبَثَّهُمْ..

﴿مِنْهُمَا﴾ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ..

﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ قَدْ رَآهُمْ..

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ الَّذِي إِذَا سَأَلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا سَأَلَ بِهِ، فَقَالَ السَّائِلُ لِلْمَسْئُولِ: أَسْأَلُكَ بِاللهِ،

وَأَنْشُدُكَ بِاللهِ، وَأُعَزِّمُ عَلَيْكَ بِاللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَمَا تُعَظِّمُونَ أَيُّهَا النَّاسُ رَبَّكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ، حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّ مَنْ أَعْطَاكُمْ عَهْدَهُ فَأَخفرَكُمُوهُ، فَقَدْ أَتَىٰ عَظِيمًا، فَكَذَلِكَ فَعَظِّمُوهُ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ، وَاجْتِنَابِكُمْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَاحْذَرُوا عِقَابَهُ مِنْ مُخَالَفَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا..

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ عَلَىٰ النَّاسِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، وَالْمُخَاطَبُ وَالْغَائِبُ إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْخَبَرِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْكَلَامَ عَلَىٰ الْخِطَابِ، فَتَقُولُ إِذَا خَاطَبَتْ رَجُلًا وَاحِدًا أَوْ جَمَاعَةً فَعَلَتْ هِيَ وَآخَرُونَ غُيَّبٌ مَعَهُمْ فِعْلًا: فَعَلْتُمْ كَذَا، وَصَنَعْتُمْ كَذَا..

﴿رَقِيبًا ①﴾ [النساء: ١] حَفِيظًا، مُحْصِيًا عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، مُتَفَقِّدًا رِعَايَتَكُمْ حُرْمَةَ أَرْحَامِكُمْ وَصِلَتَكُمْ إِيَّاهَا، وَقَطْعَكُمُوهَا وَتَضْيِيعَكُمْ حُرْمَتَهَا.

﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ②﴾ [النساء: ٢].

﴿وَآتُوا﴾ وَأَعْطُوا يَا مَعْشَرَ أَوْصِيَاءِ..

﴿الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ إِذَا هُمْ بَلَغُوا الْحُلُمَ وَأُونِسَ مِنْهُمُ الرُّشْدُ..

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الْحَرَامَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِأَمْوَالِكُمُ الْحَلَالِ لَكُمْ.. فَلَا تَتَبَدَّلُوا أَمْوَالَ أَيْتَامِكُمْ أَيُّهَا الْأَوْصِيَاءُ الْحَرَامَ عَلَيْكُمُ الْخَبِيثَ لَكُمْ، فَتَأْخُذُوا رَفَائِعَهَا وَخِيَارَهَا وَجِيَادَهَا بِالطَّيِّبِ الْحَلَالِ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، وَتَجْعَلُوا الرَّدِئَ الْخَسِيسَ بَدَلًا مِنْهُ.. وقالَ البعضُ: أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثناؤُهُ نَهَىٰ عِبَادَهُ أَنْ يَسْتَعْجِلُوا الْحَرَامَ فَيَأْكُلُوهُ قَبْلَ مَجِيءِ الْحَلَالِ، فَيَكُونَ أَكْلُهُمْ ذَلِكَ سَبَبًا لِحِرْمَانِ الطَّيِّبِ مِنْهُ، فَذَلِكَ وَجْهٌ مَعْرُوفٌ، وَهَذَا مَذْهَبٌ مَعْقُولٌ يَحْتَمِلُهُ التَّأْوِيلُ، غَيْرَ أَنَّ الْأَشْبَهَ فِي ذَلِكَ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مَا قُلْنَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَظْهَرُ مِنْ مَعَانِيهِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثناؤُهُ إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ وَأَحْكَامِهَا، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ حُكْمِ أَوَّلِ الْآيَةِ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ..

﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ وَلَا تَخْلِطُوا..

﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ..

﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ فَتَأْكُلُوهَا مَعَ أَمْوَالِكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ أَكْلَكُمْ أَمْوَالَ أَيْتَامِكُمْ مَعَ أَمْوَالِكُمْ..

﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [النساء: ٢] إِثْمٌ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ.. وَأَمَّا الْحُوبُ: فَإِنَّهُ الْإِثْمُ، وَيُقَالُ مِنْهُ: قَدْ تَحَوَّبَ الرَّجُلُ مِنْ كَذَا، إِذَا تَأَثَّمَ مِنْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ: نَزَلْنَا بِحَوْبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَبِحَيْبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ: إِذَا نَزَلُوا بِمَوْضِعِ سُوءٍ مِنْهَا.. وَالْكَبِيرُ: الْعَظِيمُ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ [النساء: ٣].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾ تَعْدِلُوا وَتَنْصِفُوا..

﴿فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ فَتَعْدِلُوا فِيهَا.. فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ مِنَ اتِّقَاءِ اللهِ، وَالتَّحَرُّجِ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْكُمْ ظَنُّ التَّحَرُّجِ فِي أَمْرِ الْيَتَامَىٰ.. وَالْيَتَامَىٰ: جَمْعٌ لِذُكْرَانِ الْأَيْتَامِ وَإِنَاثِهِمْ..

﴿فَٱنكِحُواْ﴾ كَذَلِكَ خَافُوا أَلَّا تُقْسِطُوا فِي حُقُوقِ النِّسَاءِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ.. وَأَعْلَمَهُمُ اللهُ كَيْفَ التَّخَلُّصُ لَهُمْ مِنَ الْجَوْرِ فِيهِنَّ، كَمَا عَرَّفَهُمُ الْمَخْلَصَ مِنَ الْجَوْرِ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ، فَقَالَ: انْكِحُوا -إِنْ أَمِنْتُمُ الْجَوْرَ فِي النِّسَاءِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ-..

﴿مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ مَا أَبَحْتُ لَكُمْ مِنْهُنَّ وَحَلَّلْتُهُ دُونَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنْهُنَّ.. فَلَا تَتَزَوَّجُوا مِنْهُنَّ إِلَّا مَا لَا تَخَافُونَ أَنْ تَجُورُوا فِيهِ مِنْهُنَّ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ الْأَرْبَعِ..

﴿مَثْنَىٰ﴾ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ، إِمَّا مَثْنَىٰ إِنْ أَمِنْتُمُ الْجَوْرَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِيمَا يَجِبُ لَهُمَا عَلَيْكُمْ..

﴿وَثُلَٰثَ﴾ وَإِمَّا ثَلَاثٌ إِنْ لَمْ تَخَافُوا ذَلِكَ..

﴿وَرُبَٰعَۖ﴾ وَإِمَّا أَرْبَعٌ إِنْ أَمِنْتُمْ ذَلِكَ فِيهِنَّ..

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الْجَوْرَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ..

﴿أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ فِيمَا يَلْزَمُكُمْ مِنَ الْعَدْلِ فِي مَا زَادَ عَلَىٰ الْوَاحِدَةِ مِنَ النِّسَاءِ عِنْدَكُمْ بِنِكَاحٍ، فِيمَا أَوْجَبَهُ اللهُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ..

﴿فَوَٰحِدَةً﴾ فَانْكِحُوا وَاحِدَةً مِنْهُنَّ..

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ أَيْضًا الْجَوْرَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي أَمْرِ الْوَاحِدَةِ بِأَنْ تَقْدِرُوا عَلَىٰ إِنْصَافِهَا، فَلَا تَنْكِحُوهَا، وَلَكِنْ تَسَرَّوْا مِنَ الْمَمَالِيكِ.. فَفِي الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَنْ ذِكْرِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي مَثْنَىٰ أَوْ ثُلَاثٍ أَوْ رُبَاعٍ فَنَكَحْتُمْ وَاحِدَةً، أَوْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي الْوَاحِدَةِ فَتَسَرَّرْتُمْ مِلْكَ أَيْمَانِكُمْ؛ فَهُوَ..

﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أَقْرَبُ وَأَحْرَىٰ..

﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣] أَنْ لَا تَمِيلُوا ولَا تَجُورُوا عَلَيْهِنَّ؛ لِأَنَّهُنَّ أَمْلَاكُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ، وَلَا يَلْزَمُكُمْ لَهُنَّ مِنَ الْحُقُوقِ كَالَّذِي يَلْزَمُكُمْ لِلْحَرَائِرِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَقْرَبَ لَكُمْ إِلَىٰ السَّلَامَةِ مِنَ الْإِثْمِ وَالْجَوْرِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ عَلَىٰ الْإِيجَابِ وَالْإِلْزَامِ، فَهَلْ مِنْ دَلِيلٍ عَلَىٰ أَنَّ ﴿فَٱنكِحُوا۟﴾ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَالْإِيجَابِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَىٰ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ النَّهْيِ عَنْ نِكَاحِ مَا خَافَ النَّاكِحُ الْجَوْرَ فِيهِ مِنْ عَدَدِ النِّسَاءِ، لَا بِمَعْنَىٰ الْأَمْرِ بِالنِّكَاحِ، فَإِنَّ الْمَعْنِيَّ بِهِ: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَتَحَرَّجْتُمْ فِيهِنَّ، فَكَذَلِكَ فَتَحَرَّجُوا فِي النِّسَاءِ، فَلَا تَنْكِحُوا إِلَّا مَا أَمِنْتُمُ الْجَوْرَ فِيهِ مِنْهُنَّ مَا أَحْلَلْتُهُ لَكُمْ مِنَ الْوَاحِدَةِ إِلَىٰ الْأَرْبَعِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِأَنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْكَلَامَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهَا فِيهِ النَّهْيُ أَوِ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وَكَمَا قَالَ: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥]، فَخَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، وَالزَّجْرُ وَالنَّهْيِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بِمَعْنَىٰ النَّهْيِ، فَلَا تَنْكِحُوا إِلَّا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤].

﴿وَءَاتُوا۟﴾ وَأَعْطُوا..

﴿ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ مُهُورَهُنَّ..

﴿نِحْلَةً﴾ عَطِيَّةً وَاجِبَةً، وَفَرِيضَةً لَازِمَةً.. والنِّحْلَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْوَاجِبُ يَقُولُ: لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا بِشَيْءٍ وَاجِبٍ لَهَا، صَدَقَةً يُسَمِّيهَا لَهَا، وَاجِبَةً.. وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْكِحَ امْرَأَةً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا بِصَدَاقٍ وَاجِبٍ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَسْمِيَةُ الصَّدَاقِ كَذِبًا بِغَيْرِ حَقٍّ.. فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ أَزْوَاجَ النِّسَاءِ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ وَالْمُسَمَّىٰ لَهُنَّ الصَّدَاقُ أَنْ يُؤْتُوهُنَّ صَدُقَاتِهِنَّ، دُونَ الْمُطَلَّقَاتِ قَبْلَ الدُّخُولِ مِمَّنْ لَمْ يُسَمَّ لَهَا فِي عَقْدِ النِّكَاحِ صَدَاقٌ..

﴿فَإِن طِبْنَ﴾ فَإِنْ وَهَبْنَ..

﴿لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ نِسَاؤُكُمْ..

﴿عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ مِنْ صَدُقَاتِهِنَّ..

﴿نَفْسًا﴾ طَيِّبَةً بِذَلِكَ أَنْفُسِهِنَّ..

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ مَأْخُوذٌ مِنْ (هَنَأْتُ الْبَعِيرَ بِالْقَطِرَانِ) إِذَا جَرِبَ فَعُولِجَ بِهِ، فَكَانَ مَعْنَىٰ قوله: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ فَكُلُوهُ دَوَاءً شَافِيًا..

﴿مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء: ٤] يُقَالُ مِنْهُ: (هَنَأَنِي الطَّعَامُ وَمَرَأَنِي) أَيْ: صَارَ لِي دَوَاءً وَعِلَاجًا شَافِيًا.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ [النساء: ٥].

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ فَلَمْ يُخَصِّصْ سَفِيهًا دُونَ سَفِيهٍ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ أَنْ يُؤْتِيَ سَفِيهًا مَالَهُ صَبِيًّا صَغِيرًا كَانَ أَوْ رَجُلًا كَبِيرًا ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَىٰ، وَالسَّفِيهُ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِوَلِيِّهِ أَنْ يُؤْتِيَهُ مَالَهُ، هُوَ الْمُسْتَحِقُّ الْحَجْرَ بِتَضْيِيعِهِ مَالَهُ وَفَسَادِهِ وَإِفْسَادِهِ وَسُوءِ تَدْبِيرِهِ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَنْ عَدَا ذَلِكَ فَغَيْرُ سَفِيهٍ، لِأَنَّ الْحَجْرَ لَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ قَدْ بَلَغَ، وَأُونِسَ رُشْدُهُ..

﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ الَّتِي بَعْضُهَا لَكُمْ وَبَعْضُهَا لَهُمْ، فَتُضَيِّعُوهَا، فَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ أَمْوَالُ الْمَنْهِيِّينَ عَنْ أَنْ يُؤْتُوهُمْ ذَلِكَ، وَأَمْوَالُ السُّفَهَاءِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ غَيْرُ مَخْصُوصٍ مِنْهَا بَعْضُ الْأَمْوَالِ دُونَ بَعْضٍ، وَلَا تَمْنَعُ الْعَرَبُ أَنْ تُخَاطِبَ قَوْمًا خِطَابًا، فَيَخْرُجَ الْكَلَامُ بَعْضُهُ خَبَرٌ عَنْهُمْ وَبَعْضُهُ عَنْ غَيْبٍ، وَذَلِكَ نَحْوُ أَنْ يَقُولُوا: (أَكَلْتُمْ يَا فُلَانُ أَمْوَالَكُمْ بِالْبَاطِلِ) فَيُخَاطِبُ الْوَاحِدُ خِطَابَ الْجَمْعِ بِمَعْنَىٰ أَنَّكَ وَأَصْحَابُكَ، أَوْ وَقَوْمَكَ أَكَلْتُمْ أَمْوَالَكُمْ..

﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ وَلَهُمْ قِيَامًا..

﴿قِيَٰمًا﴾ قِوَامُكُمْ فِي مَعَايِشِكُمْ..

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ وَأَنْفِقُوا عَلَىٰ سُفَهَائِكُمْ مِنْ أَوْلَادِكُمْ وَنِسَائِكُمُ الَّذِينَ تَجِبُ عَلَيْكُمْ نَفَقَتُهُمْ -مِنْ طَعَامِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَلَا تُسَلِّطُوهُمْ عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ فَيُهْلِكُوهَا- وَعَلَىٰ سُفَهَائِكُمْ مِنْهُمْ مِمَّنْ لَا تَجِبُ عَلَيْكُمْ نَفَقَتُهُ، وَمِنْ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ تَلُونَ أَنْتُمْ أُمُورَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِيمَا لَابُدَّ لَهُمْ مِنْ مُؤَنِهِمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ..

﴿وَقُولُواْ﴾ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ السُّفَهَاءِ..

﴿لَهُمْ﴾ لِلسُّفَهَاءِ..

﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝﴾ [النساء: ٥] فِيهِ حَثٌّ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَنَهْيٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، مِثْلُ: إِنْ صَلَحْتُمْ وَرَشَدْتُمْ سَلَّمْنَا إِلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَخَلَّيْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝﴾ [النساء: ٦].

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وَاخْتَبِرُوا عُقُولَ يَتَامَاكُمْ فِي أَفْهَامِهِمْ، وَصَلَاحِهِمْ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَإِصْلَاحِهِمْ أَمْوَالَهُمْ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ..

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ﴾ فَإِنْ وَجَدْتُمْ مِنْهُمْ وَعَرَفْتُمْ..

﴿رُشْدًا﴾ عَقْلًا وَإِصْلَاحًا لِلْمَالِ، فَإِذَا بَلَغَ وَلَهُ مَالٌ فِي يَدَيْ وَصِيٍّ أَبِيهِ أَوْ فِي يَدِ حَاكِمٍ قَدْ وَلِيَ مَالَهُ لِطُفُولَتِهِ، وَاجِبٌ عَلَيْهِ تَسْلِيمُ مَالِهِ إِلَيْهِ، إِذَا كَانَ عَاقِلًا بَالِغًا، مُصْلِحًا لِمَالِهِ، غَيْرَ مُفْسِدٍ..

﴿فَٱدْفَعُوٓاْ﴾ فَيَا وُلَاةَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ إِذَا بَلَغَ أَيْتَامُكُمُ الْحُلُمَ، فَآنَسْتُمْ مِنْهُمْ عَقْلًا وَإِصْلَاحًا لِأَمْوَالِهِمْ، فَادْفَعُوا..

﴿إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾ وَلَا تَحْبِسُوهَا عَنْهُمْ..

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ بِغَيْرِ مَا أَبَاحَهُ اللهُ لَكُمْ..

﴿وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ﴾ وَلَا مُبَادَرَةَ مِنْكُمْ بُلُوغَهُمْ، وَإِينَاسَ الرُّشْدِ مِنْهُمْ، حَذَرًا أَنْ يَبْلُغُوا فَيَلْزَمَكُمْ تَسْلِيمُهُ إِلَيْهِمْ..

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا﴾ مِنْ وُلَاةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ..

﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ﴾ بِمَالِهِ عَنْ أَكْلِهَا بِغَيْرِ الْإِسْرَافِ وَالْبِدَارِ أَنْ يَكْبَرُوا، بِمَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ أَكْلَهَا بِهِ..

﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ مَالَ الْيَتِيمِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِقْرَاضِ مِنْهُ، فَأَمَّا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ الْوَجْهِ فَغَيْرُ جَائِزٍ لَهُ أَكْلُهُ..

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ إِلَى الْيَتَامَىٰ..

﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ فَأَشْهِدُوا عَلَىٰ الْأَيْتَامِ بِاسْتِيفَائِهِمْ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَدَفْعِكُمُوهُ إِلَيْهِمْ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ [النساء: ٦] وَكَفَىٰ بِاللهِ كَافِيًا مِنَ الشُّهُودِ الَّذِي يُشْهِدُهُمْ وَالِي الْيَتِيمِ عَلَىٰ دَفْعِهِ مَالَ يَتِيمِهِ إِلَيْهِ.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النساء: ٧].

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ لِلذُّكُورِ مِنْ أَوْلَادِ الرَّجُلِ الْمَيِّتِ حِصَّةٌ مِنْ مِيرَاثِهِ..

﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ وَلِلْإِنَاثِ مِنْهُمْ حِصَّةٌ مِنْهُ..

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ مِنْ قَلِيلِ مَا خَلَّفَ بَعْدَهُ وَكَثِيرِهِ..

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النساء: ٧] حِصَّةً مَفْرُوضَةً وَاجِبَةً مَعْلُومَةً مَؤَقَّتَةً.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يُوَرِّثُونَ الذُّكُورَ دُونَ الْإِنَاثِ.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾ [النساء: ٨].

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ قِسْمَةَ الْمُوصِي مَالَه بِالْوَصِيَّةِ..

﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أُولُو قَرَابَتِهِ..

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ فَاقْسِمُوا لَهُمْ مِنْهُ بِالْوَصِيَّةِ، يَعْنِي: فَأَوْصُوا لِأُولِي الْقُرْبَىٰ مِنْ أَمْوَالِكُمْ..

﴿وَقُولُواْ لَهُمْ﴾ يَعْنِي: الْآخَرِينَ وَهُمُ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ..

﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾ [النساء: ٨] يَعْنِي: يَدْعِي لَهُمْ بِخَيْرٍ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء: ٩].

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ لَوْ كَانُوا فَرَّقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ، أَوْ قَسَّمُوهَا وَصِيَّةً مِنْهُمْ بِهَا لِأُولِي قَرَابَتِهِمْ وَأَهْلِ الْيُتْمِ وَالْمَسْكَنَةِ، فَأَبْقَوْا أَمْوَالَهُمْ لِوَلَدِهِمْ خَشْيَةَ الْعَيْلَةِ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُمْ، مَعَ ضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ عَنِ الْمَطَالِبِ..

﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَلْيَأْمُرُوا مَنْ حَضَرُوهُ وَهُوَ يُوصِي لِذَوِي قَرَابَتِهِ، وَفِي الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ بِمَالِهِ بِالْعَدْلِ..

﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ⑨﴾ [النساء: ٩] وَهُوَ أَنْ يُعَرِّفُوهُ مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ مِنَ الْوَصِيَّةِ وَمَا اخْتَارَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ.. وَالسَّدِيدُ مِنَ الْكَلَامِ: هُوَ الْعَدْلُ وَالصَّوَابُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ⑩﴾ [النساء: ١٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ بِغَيْرِ حَقٍّ..

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا فِي الدُّنْيَا، نَارَ جَهَنَّمَ..

﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ بِأَكْلِهِمْ..

﴿سَعِيرًا ⑩﴾ [النساء: ١٠] نَارًا مُسَعَّرَةً، أَيْ: مَوْقُودَةً مُشْعَلَةً، شَدِيدًا حَرُّهَا، فَالسَّعِيرُ صِفَةٌ لِلْجَحِيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫﴾ [التكوير: ١٢] فَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا مَسْعُورَةٌ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ أَنَّ أَكَلَةَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ يَصْلَونَهَا، وَهِيَ كَذَلِكَ، فَالسَّعِيرُ إِذًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ صِفَةٌ لِلْجَحِيمِ.. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: حدَّثنا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ، قَالَ: «**نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ لَهُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشَافِرِهِمْ، ثُمَّ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِنْ نَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا**».

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ⑪﴾ [النساء: ١١].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يَعْهَدُ اللهُ إِلَيْكُمْ.. فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَهْدٌ وَإِعْلَامٌ بِمَعْنَى الْقَوْلِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لَكُمْ..

﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنكُمْ، وَخَلَّفَ أَوْلَادًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا..

﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ فَلِوَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِيرَاثُهُ أَجْمَعُ بَيْنَهُمْ، لِلذَّكَرِ مِنْهُمْ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ غَيْرُهُمْ، سَوَاءٌ فِيهِ صِغَارُ وَلَدِهِ وَكِبَارُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ فِي أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَبْيِينًا مِنَ اللهِ الْوَاجِبَ مِنَ الْحُكْمِ فِي مِيرَاثِ مَنْ مَاتَ وَخَلَّفَ وَرَثَةً عَلَى مَا بَيَّنَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا لَا يَقْسِمُونَ مِنْ مِيرَاثِ الْمَيِّتِ لِأَحَدٍ مِنْ وَرَثَتِهِ بَعْدَهُ مِمَّنْ كَانَ لَا يُلَاقِي الْعَدُوَّ وَلَا يُقَاتِلُ فِي الْحُرُوبِ مِنْ صِغَارِ وَلَدِهِ، وَلَا لِلنِّسَاءِ مِنْهُمْ، وَكَانُوا يَخُصُّونَ بِذَلِكَ الْمُقَاتِلَةَ دُونَ الذُّرِّيَّةِ، فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ أَنَّ مَا خَلَّفَهُ الْمَيِّتُ بَيْنَ مَنْ سَمَّى وَفَرَضَ لَهُ مِيرَاثًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَالَ فِي صِغَارِ وَلَدِ الْمَيِّتِ وَكِبَارِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ: لَهُمْ مِيرَاثُ أَبِيهِمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ غَيْرُهُمْ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ..

﴿فَإِن كُنَّ﴾ فَإِنْ كَانَ الْمَتْرُوكَاتُ..

﴿نِسَآءٗ﴾ بَنَاتِ الْمَيِّتِ..

﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ أَكْثَرَ فِي الْعَدَدِ مِنَ اثْنَتَيْنِ..

﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ فَلِبَنَاتِهِ الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ بَعْدَهُ مِنْ مِيرَاثِهِ دُونَ سَائِرِ وَرَثَتِهِ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَيِّتُ خَلَّفَ وَلَدًا ذَكَرًا مَعَهُنَّ..

﴿وَإِن كَانَتۡ﴾ الْمَتْرُوكَةُ..

﴿وَٰحِدَةٗ﴾ ابْنَةً وَاحِدَةً..

﴿فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾ فَلِتِلْكَ الْوَاحِدَةِ نِصْفُ مَا تَرَكَ الْمَيِّتُ مِنْ مِيرَاثِهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا غَيْرُهَا مِنْ وَلَدِ الْمَيِّتِ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَذَا فَرْضُ الْوَاحِدَةِ مِنَ النِّسَاءِ، وَمَا فَوْقَ الِاثْنَتَيْنِ، فَأَيْنَ فَرِيضَةُ الِاثْنَتَيْنِ؟ قِيلَ: فَرِيضَتُهُمْ بِالسُّنَّةِ الْمَنْقُولَةِ.. فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «**جَاءَتِ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا وَلَا تُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ، قَالَ: يَقْضِي اللهُ فِي ذَلِكَ فَنَزَلَتْ: آيَةُ الْمِيرَاثِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَمِّهِمَا، فَقَالَ: أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ**»..

﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ وَلِأَبَوَيِ الْمَيِّتِ..

﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ مِنْ تَرِكَتِهِ وَمَا خَلَّفَ مِنْ مَالِهِ، سَوَاءٌ فِيهِ الْوَالِدَةُ وَالْوَالِدُ، لَا يَزْدَادُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَى السُّدُسِ..

﴿إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذَكَرًا كَانَ الْوَلَدُ أَوْ أُنْثَىٰ، وَاحِدًا كَانَ أَوْ جَمَاعَةً.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ التَّأْوِيلُ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ لَا يُزَادَ الْوَالِدُ مَعَ الِابْنَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَىٰ السُّدُسِ مِنْ مِيرَاثِهِ عَنْ وَلَدِهِ الْمَيِّتِ، وَذَلِكَ إِنْ قُلْتَهُ، قَوْلٌ خِلَافٌ لِمَا عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ، مِنْ تَصْيِيرِهِمْ بَاقِيَ تَرِكَةِ الْمَيِّتِ مَعَ الِابْنَةِ الْوَاحِدَةِ بَعْدَ أَخْذِهَا نَصِيبَهَا مِنْهَا لِوَالِدِهِ؟ قِيلَ: لَيْسَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ كَالَّذِي ظَنَنْتَ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبَوَيِ الْمَيِّتِ السُّدُسُ مِنْ تَرِكَتِهِ مَعَ وَلَدِهِ ذَكَرًا كَانَ الْوَلَدُ أَوْ أُنْثَىٰ، وَاحِدًا كَانَ أَوْ جَمَاعَةً، فَرِيضَةً مِنَ اللهِ لَهُ مُسَمَّاةً، فَإِنْ زِيدَ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ بَقِيَّةِ النِّصْفِ مَعَ الِابْنَةِ الْوَاحِدَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ وَغَيْرُ ابْنَةٍ لِلْمَيِّتِ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّمَا زِيدَهَا ثَانِيًا لِقُرْبِ عَصَبَةِ الْمَيِّتِ إِلَيْهِ، إِذْ كَانَ حُكْمُ كُلِّ مَا أَبْقَتْهُ سِهَامُ الْفَرَائِضِ، فَلِأَوْلَىٰ عَصَبَةِ الْمَيِّتِ وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ بِحُكْمِ ذَلِكَ لَهَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ الْأَبُ أَقْرَبَ عَصَبَةِ ابْنِهِ وَأَوْلَاهَا بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِابْنِهِ الْمَيِّتِ ابْنٌ..

﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ﴾ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ..

﴿وَلَدٌ﴾ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ وَلَدٍ وَارِثٍ..

﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ فَلِأُمِّهِ مِنْ تَرِكَتِهِ وَمَا خَلَّفَ بَعْدَهُ ثُلُثُ جَمِيعِ ذَلِكَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَنِ الَّذِي لَهُ الثُّلُثَانِ الْآخَرَانِ؟ قِيلَ لَهُ: الْأَبُ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: بِمَاذَا؟ قُلْتُ: بِأَنَّهُ أَقْرَبُ أَهْلِ الْمَيِّتِ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ تَرَكَ ذِكْرَ تَسْمِيَةِ مَنْ لَهُ الثُّلُثَانِ الْبَاقِيَانِ؛ إِذْ كَانَ قَدْ بَيَّنَ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعِبَادِهِ أَنَّ كُلَّ مَيِّتٍ فَأَقْرَبُ عَصَبَتِهِ بِهِ أَوْلَىٰ بِمِيرَاثِهِ بَعْدَ إِعْطَاءِ ذَوِي السِّهَامِ الْمَفْرُوضَةِ سِهَامَهُمْ مِنْ مِيرَاثِهِ، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ هِيَ الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سُمِّيَ لِلْأُمِّ مَا سُمِّيَ لَهَا، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَيِّتُ خَلَّفَ وَارِثًا غَيْرَ أَبَوَيْهِ؛ لِأَنَّ الْأُمَّ لَيْسَتْ بِعَصَبَةٍ فِي حَالٍ لِلْمَيِّتِ، فَبَيَّنَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ مَا فَرَضَ لَهَا مِنْ مِيرَاثِ وَلَدِهَا الْمَيِّتِ، وَتَرَكَ ذِكْرَ مَنْ لَهُ الثُّلُثَانِ الْبَاقِيَانِ مِنْهُ مَعَهَا، إِذْ كَانَ قَدْ عَرَّفَهُمْ فِي جُمْلَةِ بَيَانِهِ لَهُمْ مَنْ لَهُ بَقَايَا تَرِكَةِ الْأَمْوَالِ بَعْدَ أَخْذِ أَهْلِ السِّهَامِ سِهَامَهُمْ وَفَرَائِضَهُمْ، وَكَانَ بَيَانُهُ ذَلِكَ مُغْنِيًا لَهُمْ عَلَىٰ تَكْرِيرِ حُكْمِهِ مَعَ كُلِّ مَنْ قَسَمَ لَهُ حَقًّا مِنْ مِيرَاثِ مَيِّتٍ وَسَمَّىٰ لَهُ مِنْهُ سَهْمًا..

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ زَمَانٍ: عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ اثْنَيْنِ كَانَ الْإِخْوَةُ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهُمَا، أُنْثَيَيْنِ كَانَتَا أَوْ كُنَّ إِنَاثًا، أَوْ ذَكَرَيْنِ كَانَا أَوْ كَانُوا ذُكُورًا، أَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا وَالْآخَرُ أُنْثَىٰ، وَاعْتَلَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ بِأَنَّ ذَلِكَ قَالَتْهُ

الْأُمَّةُ عَنْ بَيَانِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فَنَقَلَتْهُ أُمَّةُ نَبِيِّهِ نَقْلًا مُسْتَفِيضًا قَطَعَ الْعُذْرَ مَجِيئُهُ، وَدَفَعَ الشَّكَّ فِيهِ عَنْ قُلُوبِ الْخَلْقِ وُرُودُهُ.. فإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ ذَكَرَ حُكْمَ الْأَبَوَيْنِ مَعَ الْإِخْوَةِ، وَتَرَكَ ذِكْرَ حُكْمِهِمَا مَعَ الْأَخِ الْوَاحِدِ؟ قُلْتُ: اخْتِلَافُ حُكْمِهِمَا مَعَ الْإِخْوَةِ الْجَمَاعَةِ وَالْأَخِ الْوَاحِدِ، فَكَانَ فِي إِبَانَةِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ لِعِبَادِهِ حُكْمَهُمَا فِيمَا يَرِثَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا الْمَيِّتِ مَعَ إِخْوَتِهِ غِنًىٰ وَكِفَايَةٌ عَنْ أَنَّ حُكْمَهُمَا فِيمَا وَرِثَا مِنْهُ غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ عَمَّا كَانَ لَهُمَا وَلَا أَخَ لِلْمَيِّتِ وَلَا وَارِثَ غَيْرُهُمَا، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ أَنَّ كُلَّ مُسْتَحِقٍّ حَقًّا بِقَضَاءِ اللهِ ذَلِكَ لَهُ، لَا يَنْتَقِلُ حَقُّهُ الَّذِي قَضَىٰ بِهِ لَهُ رَبُّهُ جَلَّ ثناؤُهُ، عَمَّا قَضَىٰ بِهِ لَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، إِلَّا بِنَقْلِ اللهِ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَىٰ مَنْ نَقَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَكَانَ فِي فَرْضِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْأُمِّ مَا فَرَضَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لِوَلَدِهَا الْمَيِّتِ وَارِثٌ غَيْرُهَا وَغَيْرُ وَالِدِهِ، لَوَائِحُ الدَّلَالَةِ الْوَاضِحَةِ لِلْخَلْقِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَفْرُوضَ هُوَ ثُلُثُ مَالِ وَلَدِهَا الْمَيِّتِ حَقٌّ لَهَا وَاجِبٌ، حَتَّىٰ يُغَيِّرَ ذَلِكَ الْفَرْضَ مَنْ فَرَضَ لَهَا، فَلَمَّا غَيَّرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا فَرَضَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ مَعَ الْإِخْوَةِ الْجَمَاعَةِ وَتَرَكَ تَغْيِيرَهُ مَعَ الْأَخِ الْوَاحِدِ، عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ فَرْضَهَا غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ عَمَّا فُرِضَ لَهَا إِلَّا فِي الْحَالِ الَّتِي غَيَّرَهُ فِيهَا مَنْ لَزِمَ الْعِبَادَ طَاعَتُهُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ فَإِنَّ الَّذِيَ قَسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِوَلَدِ الْمَيِّتِ الذُّكُورِ مِنْهُمْ وَالْإِنَاثِ وَلِأَبَوَيْهِ مِنْ تَرِكَتِهِ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ، إِنَّمَا يَقْسِمُهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا قَسَمَهُ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دَيْنِ الْمَيِّتِ الَّذِي مَاتَ وَهُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَرِكَتِهِ، وَمِنْ بَعْدِ تَنْفِيذِ وَصِيَّتِهِ فِي بَابِهَا، بَعْدَ قَضَاءِ دَيْنِهِ كُلِّهِ، فَلَمْ يَجْعَلْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَحَدٍ مِنْ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ، وَلَا لِأَحَدٍ مِمَّنْ أَوْصَىٰ لَهُ بِشَيْءٍ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دَيْنِهِ مِنْ جَمِيعِ تَرِكَتِهِ، وَإِنْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، ثُمَّ جَعَلَ أَهْلَ الْوَصَايَا بَعْدَ قَضَاءِ دَيْنِهِ شُرَكَاءَ وَرَثَتِهِ فِيمَا بَقِيَ لِمَا أَوْصَىٰ لَهُمْ بِهِ، مَا لَمْ يُجَاوِزْ ذَلِكَ ثُلُثَهُ، فَإِنْ جَاوَزَ ذَلِكَ ثُلُثَهُ جَعَلَ الْخِيَارَ فِي إِجَازَةِ مَا زَادَ عَلَىٰ الثُّلُثِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ رَدِّهِ إِلَىٰ وَرَثَتِهِ، إِنْ أَحَبُّوا أَجَازُوا الزِّيَادَةَ عَلَىٰ ثُلُثِ ذَلِكَ، وَإِنْ شَاءُوا رَدُّوهُ؛ فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ الثُّلُثِ فَهُوَ مَاضٍ عَلَيْهِمْ، وَعَلَىٰ كُلِّ مَا قُلْنَا مِنْ ذَلِكَ الْأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ..

﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ أَعْطَوْهُمْ حُقُوقَهُمْ مِنْ مِيرَاثِ مَيِّتِهِمُ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ أَنْ تُعْطُوهُمُوهَا..

﴿لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ فَإِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَيُّهُمْ أَدْنَىٰ وَأَشَدُّ نَفْعًا لَكُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاكُمْ، وآجِلِ أُخْرَاكُمْ..

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ، فَرِيضَةً، يَقُولُ: سِهَامًا مَعْلُومَةً مُوَقَّتَةً بَيَّنَهَا اللهُ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ..

﴿عَلِيمًا﴾ ذَا عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُ خَلْقَهُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَانْتَهُوا إِلَىٰ مَا يَأْمُرُكُمْ، يُصْلِحْ لَكُمْ أُمُورَكُمْ..

﴿حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: ١١] لَمْ يَزَلْ ذَا حِكْمَةٍ فِي تَدْبِيرِهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِيمَا يَقْسِمُ لِبَعْضِكُمْ مِنْ مِيرَاثِ بَعْضٍ، وَفِيمَا يَقْضِي بَيْنَكُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ، لَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ؛ لِأَنَّهُ قَضَاءُ مَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَوَاضِعُ الْمَصْلَحَةِ فِي الْبَدْءِ وَالْعَاقِبَةِ.

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء: ١٢].

﴿وَلَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ بَعْدَ وَفَاتِهِنَّ مِنْ مَالٍ وَمِيرَاثٍ..

﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ يَوْمَ يَحْدُثُ لَهُنَّ الْمَوْتُ لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ﴾ فَإِنْ كَانَ لِأَزْوَاجِكُمْ يَوْمَ يَحْدُثُ لَهُنَّ الْمَوْتُ..

﴿وَلَدٌ﴾ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ..

﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۚ﴾ مِنْ مَالٍ وَمِيرَاثٍ، مِيرَاثًا لَكُمْ عَنْهُنَّ..

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ﴾ ذَلِكُمْ لَكُمْ، مِيرَاثًا عَنْهُنَّ مِمَّا يَبْقَىٰ مِنْ تَرِكَاتِهِنَّ وَأَمْوَالِهِنَّ مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دُيُونِهِنَّ الَّتِي يَمُتْنَ وَهِيَ عَلَيْهِنَّ، وَمِنْ بَعْدِ إِنْفَاذِ وَصَايَاهُنَّ الْجَائِزَةِ إِنْ كُنَّ أَوْصَيْنَ بِهَا..

﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ﴾ وَلِأَزْوَاجِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ رُبْعُ مَا تَرَكْتُمْ بَعْدَ وَفَاتِكُمْ مِنْ مَالٍ وَمِيرَاثٍ، إِنْ حَدَثَ بِأَحَدِكُمْ حَدَثُ الْوَفَاةِ وَلَا وَلَدَ لَهُ، ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ﴾ فَإِنْ حَدَثَ بِأَحَدِكُمْ حَدَثُ الْمَوْتِ وَلَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ، وَاحِدًا كَانَ الْوَلَدُ أَوْ جَمَاعَةً..

﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ﴾ فَلِأَزْوَاجِكُمْ حِينَئِذٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَتَرِكَتِكُمُ الَّتِي تُخَلِّفُونَهَا بَعْدَ وَفَاتِكُمُ الثُّمُنُ مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دُيُونِكُمُ الَّتِي حَدَثَ بِكُمْ حَدَثَ الْوَفَاةِ وَهِيَ عَلَيْكُمْ، وَمِنْ بَعْدِ إِنْفَاذِ وَصَايَاكُمُ الْجَائِزَةُ الَّتِي تُوصُونَ بِهَا..

﴿مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾ فَقَدَّمَ ذِكْرَ الْوَصِيَّةِ عَلَىٰ ذِكْرِ الدَّيْنِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ أَنَّ الَّذِي فَرَضْتُ لِمَنْ فَرَضْتُ لَهُ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِنَّمَا هُوَ لَهُ مِنْ بَعْدِ إِخْرَاجِ أَيِّ هَذَيْنِ كَانَ فِي مَالِ الْمَيِّتِ مِنْكُمْ، مِنْ وَصِيَّةٍ أَوْ دَيْنٍ، فَلِذَلِكَ كَانَ سَوَاءً تَقْدِيمُ ذِكْرِ الْوَصِيَّةِ قَبْلَ ذِكْرِ الدَّيْنِ، وَتَقْدِيمُ ذِكْرِ الدَّيْنِ قَبْلَ ذِكْرِ الْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ مِنْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِخْرَاجَ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ: الدَّيْنِ وَالْوَصِيَّةِ مِنْ مَالِهِ، فَيَكُونُ ذِكْرُ الدَّيْنِ أَوْلَىٰ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْوَصِيَّةِ..

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ﴾ أَوِ امْرَأَةٌ..

﴿يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ يُورَثُ مُتَكَلِّلَ النَّسَبِ.. وَالْكَلَالَةُ: الَّذِينَ يَرِثُونَ الْمَيِّتَ مَنْ عَدَا وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ، وَذَلِكَ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ الَّذِي ذُكِرَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ، فَكَيْفَ بِالْمِيرَاثِ؟

﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ﴾ وَلِلرَّجُلِ الَّذِي يُورَثُ كَلَالَةً..

﴿أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ مِنْ أُمِّهِ..

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ إِذَا انْفَرَدَ الْأَخُ وَحْدَهُ أَوِ الْأُخْتُ وَحْدَهَا، وَلَمْ يَكُنْ أَخٌ غَيْرُهُ أَوْ غَيْرُهَا مِنْ أُمِّهِ فَلَهُ السُّدُسُ مِنْ مِيرَاثِ أَخِيهِ لِأُمِّهِ، فَإِنِ اجْتَمَعَ أَخٌ وَأُخْتٌ، أَوْ أَخَوَانِ لَا ثَالِثَ مَعَهُمَا لِأُمِّهِمَا، أَوْ أُخْتَانِ كَذَلِكَ، أَوْ أَخٌ وَأُخْتٌ لَيْسَ مَعَهُمَا غَيْرُهُمَا مِنْ أُمِّهِمَا، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ مِيرَاثِ أَخِيهِمَا لِأُمِّهِمَا السُّدُسُ..

﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ فَإِنْ كَانَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ لِأُمِّ الْمَيِّتِ الْمَوْرُوثِ كَلَالَةً أَكْثَرَ مِنَ اثْنَيْنِ..

﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ فَالثُّلُثُ الَّذِي فَرَضْتُ لِاثْنَيهِمْ، إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُمَا مِنْ أُمِّهِمَا

مِيرَاثًا لَهُمَا مِنْ أَخِيهِمَا الْمَيِّتِ الْمَوْرُوثِ كَلَالَةً شَرِكَةٌ بَيْنَهُمْ، إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنَ اثْنَيْنِ إِلَىٰ مَا بَلَغَ عَدَدُهُمْ عَلَىٰ عَدَدِ رُءُوسِهِمْ، لَا يُفَضَّلُ ذَكَرٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ أُنْثَىٰ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ أَيْ هَذَا الَّذِي فَرَضْتُ لِأَخِي الْمَيِّتِ الْمَوْرُوثِ كَلَالَةً وَأُخْتِهِ أَوْ إِخْوَتِهِ وَأَخَوَاتِهِ مِنْ مِيرَاثِهِ وَتَرِكَتِهِ، إِنَّمَا هُوَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دَيْنِ الْمَيِّتِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ حَدَثَ بِهِ حَدَثُ الْمَوْتِ مِنْ تَرِكَتِهِ، وَبَعْدَ إِنْفَاذِ وَصَايَاهُ الْجَائِزَةِ الَّتِي يُوصِي بِهَا فِي حَيَاتِهِ لِمَنْ أَوْصَىٰ لَهُ بِهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ..

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا غَيْرَ مُضَارٍّ وَرَثَتُهُ فِي مِيرَاثِهِمْ عَنْهُ..

﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ عَهْدًا مِنَ اللهِ إِلَيْكُمْ فِيمَا يَجِبُ لَكُمْ مِنْ مِيرَاثِ مِنْ مَاتَ مِنْكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ ذُو عِلْمٍ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ وَمَضَارِّهِمْ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْطَىٰ مِنْ أَقْرِبَاءِ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَأَنْسِبَائِهِ مِنْ مِيرَاثِهِ، وَمَنْ يُحْرَمُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَمَبْلَغِ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ كُلُّ مَنِ اسْتَحَقَّ مِنْهُمْ قَسْمًا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ وَمَصَالِحِهِمْ..

﴿حَلِيمٞ ١٢﴾ [النساء: ١٢] ذُو حِلْمٍ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَذُو أَنَاةٍ فِي تَرْكِهِ مُعَاجَلَتَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ ظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِي إِعْطَائِهِمُ الْمِيرَاثَ لِأَهْلِ الْجَلَدِ وَالْقُوَّةِ مِنْ وَلَدِ الْمَيِّتِ وَأَهْلِ الْغِنَاءِ وَالْبَأْسِ مِنْهُمْ، دُونَ أَهْلِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ مِنْ صِغَارِ وَلَدِهِ وَإِنَاثِهِمْ.

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [النساء: ١٣].

﴿تِلۡكَ﴾ هَذِهِ الْقِسْمَةُ الَّتِي قَسَمَهَا لَكُمْ رَبُّكُمْ، وَالْفَرَائِضُ الَّتِي فَرَضَهَا لِأَحْيَائِكُمْ مِنْ مَوْتَاكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، عَلَىٰ مَا فَرَضَ وَبَيَّنَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ..

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ فُصُولٌ فَصَلَ بِهَا لَكُمْ بَيْنَ طَاعَةِ اللهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَحُدُودٌ لَكُمْ تَنْتَهُونَ إِلَيْهَا فَلَا تَتَعَدَّوْهَا، وَفَصَلَ مِنْكُمْ أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ قِسْمَةِ مَوَارِيثِ مَوْتَاكُمْ بَيْنَكُمْ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْهَا.. وَإِنَّمَا تَرَكَ (طَاعَةَ اللهِ)، وَالْمَعْنِيُّ بِذَلِكَ (حُدُودُ طَاعَةِ اللهِ) اكْتِفَاءً بِمَعْرِفَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ بِمَعْنَىٰ الْكَلَامِ مِنْ ذِكْرِهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وَالْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤].. فَحَدُّ كُلِّ شَيْءٍ مَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِحُدُودِ الدَّارِ وَحُدودِ الْأَرَضِينَ حُدُودٌ،

لِفُصُولِهَا بَيْنَ مَا حُدَّ بِهَا وَبَيْنَ غَيْرِهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَمَّا أَعَدَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ لِفَرِيقِ أَهْلِ طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ..

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِي الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ وَالانْتِهَاءِ إِلَىٰ مَا حَدَّهُ لَهُ فِي قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ وَغَيْرِهَا، وَيَجْتَنِبُ مَا نَهَاهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ..

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ مِنْ تَحْتَ غُرُوسِهَا وَأَشْجَارِهَا..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ بَاقِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَفْنُونَ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا..

﴿وَذَٰلِكَ﴾ وَإِدْخَالُ اللهِ إِيَّاهُمُ الْجِنَانَ الَّتِي وَصَفَهَا عَلَىٰ مَا وَصَفَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣﴾ [النساء: ١٣] الْفَلَجُ الْعَظِيمُ.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء: ١٤].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِي الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَاهُ بِهِ مِنْ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ عَلَىٰ مَا أَمَرَاهُ بِقَسْمِهِ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، مُخَالِفًا أَمْرَهُمَا إِلَىٰ مَا نَهَيَاهُ عَنْهُ..

﴿وَيَتَعَدَّ﴾ وَيَتَجَاوَزُ..

﴿حُدُودَهُۥ﴾ فُصُولَ طَاعَتِهِ الَّتِي جَعَلَهَا تَعَالَىٰ فَاصِلَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ إِلَىٰ مَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ قِسْمَةِ تَرِكَاتِ مَوْتَاهُمْ بَيْنَ وَرَثَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِهِ..

﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ بَاقِيًا فِيهَا أَبَدًا لَا يَمُوتُ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَيُخَلَّدُ فِي النَّارِ مَنْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، إِذَا جَمَعَ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِمَا فِي ذَلِكَ شَكًّا فِي أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِ مَا فَرَضَ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، أَوْ عَلِمَ ذَلِكَ فَحَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي أَمْرِهِمَا عَلَىٰ مَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ حِينَ نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النساء: ١١] إِلَىٰ تَمَامِ الْآيَتَيْنِ: أَيُوَرَّثُ مَنْ لَا يَرْكَبُ الْفَرَسَ، وَلَا يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ وَلَا يَحُوزُ الْغَنِيمَةَ، نِصْفَ الْمَالِ أَوْ جَمِيعَ الْمَالِ؟! اسْتِنْكَارًا مِنْهُمْ قِسْمَةَ اللهِ مَا قَسَمَ لِصِغَارِ وَلَدِ الْمَيِّتِ وَنِسَائِهِ وَإِنَاثِ وَلَدِهِ، فَمَنْ خَالَفَ قِسْمَةَ اللهِ مَا قَسَمَ مِنْ مِيرَاثِ أَهْلِ الْمِيرَاثِ بَيْنَهُمْ، عَلَىٰ مَا قَسَمَهُ فِي كِتَابِهِ، وَخَالَفَ حُكْمَهُ فِي ذَلِكَ وَحُكْمَ

رَسُولِهِ، اسْتِنْكَارًا مِنْهُ حُكْمَهُمَا، كَمَا اسْتَنْكَرَهُ الَّذِينَ ذَكَرَ أَمْرَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ مِمَّنْ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ فِيهِمْ وَفِي أَشْكَالِهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّهُ بِاسْتِنْكَارِهِ حُكْمَ اللهِ فِي تِلْكَ يَصِيرُ بِاللهِ كَافِرًا وَمِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ خَارِجًا..

﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٤﴾ [النساء: ١٤] وَلَهُ عَذَابٌ مُذِلٌّ، مَنْ عُذِّبَ بِهِ مُخْزٍ لَهُ.

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ١٥﴾ [النساء: ١٥].

﴿وَٱلَّٰتِى﴾ وَالنِّسَاءُ اللَّاتِي..

﴿يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ يَأْتِينَ بِالزِّنَا، أَيْ يَزْنِينَ..

﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ وَهُنَّ مُحْصَنَاتٌ ذَوَاتُ أَزْوَاجٍ، أَوْ غَيْرُ ذَوَاتِ أَزْوَاجٍ..

﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ بِمَا أَتَيْنَ مِنَ الْفَاحِشَةِ..

﴿أَرْبَعَةً﴾ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ..

﴿مِّنكُمْ﴾ مِنَ الْمُسْلِمِينَ..

﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ عَلَيْهِنَّ..

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فَاحْبِسُوهُنَّ..

﴿فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ حَتَّىٰ يَمُتْنَ..

﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ١٥﴾ [النساء: ١٥] مَخْرَجًا وَطَرِيقًا إِلَىٰ النَّجَاةِ مِمَّا أَتَيْنَ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ.. والسَّبِيلُ الَّتِي جعَلَهَا اللهُ -جَلَّ ثناؤُهُ- لِلثَّيِّبَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ الرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ، وَلِلْبِكْرَيْنِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ؛ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ رَجَمَ وَلَمْ يَجْلِدْ؛ وَإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهَا -فِيمَا نَقَلَتْهُ مُجْمِعَةً عَلَيْهِ- الْخَطَأُ وَالسَّهْوُ وَالْكَذِبُ؛ وَصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْهُ أَنَّهُ قَضَىٰ فِي الْبِكْرَيْنِ بِجَلْدِ مِائَةٍ وَنَفْيِ سَنَةٍ، فَكَانَ فِي الَّذِي صَحَّ عَنْهُ مِنْ تَرْكِهِ جَلْدَ مَنْ رَجَمَ مِنَ الزُّنَاةِ فِي عَصْرِهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ وَهْيِ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ حِطَّانَ، عَنْ عُبَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**السَّبِيلُ لِلثَّيِّبِ الْمُحْصَنِ الْجَلْدُ وَالرَّجْمُ**».. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ: (**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ بِالْفَاحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ**) وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَتَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَبِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَتَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ، وَكَلَامًا قَبِيحًا.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝١٦﴾ [النساء: ١٦].

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ وَالرَّجُلُ وَالمَرْأَةُ الْبِكْرَانِ غَيْرُ الْمُحْصَنَيْنِ إِذَا زَنَيَا وَكَانَ أَحَدُهُمَا رَجُلًا وَالْآخَرُ امْرَأَةً، وَهُمَا غَيْرُ اللَّوَاتِي تَقَدَّمَ بَيَانُ حُكْمِهِنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [النساء: ١٥]؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ اثْنَانِ وَأُولَئِكَ جَمَاعَةٌ، وَلأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ الْحَبْسَ كَانَ لِلثَّيِّبَاتِ عُقُوبَةً حَتَّىٰ يُتَوَفَّيْنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، لِأَنَّهُ أَغْلَظُ فِي الْعُقُوبَةِ مِنَ الْأَذَىٰ الَّذِي هُوَ تَعْنِيفٌ وَتَوْبِيخٌ أَوْ سَبٌّ وَتَعْيِيرٌ، كَمَا كَانَ السَّبِيلُ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُنَّ مِنَ الرَّجْمِ أَغْلَظَ مِنَ السَّبِيلِ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْأَبْكَارِ مِنْ جَلْدِ الْمِائَةِ وَنَفْيِ السَّنَةِ..

﴿يَأْتِيَـٰنِهَا﴾ يَأْتِيَانِ الْفَاحِشَةَ..

﴿مِنكُمْ﴾ وَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..

﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ وَالْأَذَىٰ قَدْ يَقَعُ بِكُلِّ مَكْرُوهٍ نَالَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَوْلٍ سَيِّئٍ بِاللِّسَانِ أَوْ فِعْلٍ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ بَيَانُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ أُمِرَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ، وَلَا خَبَرَ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ نَقْلِ الْوَاحِدِ، وَلَا نَقْلِ الْجَمَاعَةِ الْمُوجِبِ مَجِيئُهَا قَطْعُ الْعُذْرِ، وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ مُخْتَلِفُونَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَذَىٰ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ أَذَىٰ بِأَيِّهِمَا، وَلَيْسَ فِي الْعِلْمِ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَيِّ نَفْعٍ فِي دِيْنٍ وَلَا دُنْيَا وَلَا فِي الْجَهْلِ بِهِ مَضَرَّةٌ، إِذْ كَانَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ قَدْ نَسَخَ ذَلِكَ مِنْ مُحْكَمِهِ بِمَا أَوْجَبَ مِنَ الْحُكْمِ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِيهِمَا وَفِي اللَّاتِي قَبْلَهُمَا، فَأَمَّا الَّذِي أَوْجَبَ مِنَ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ فِيهِمَا فَمَا أَوْجَبَ فِي سُورَةِ النُّورِ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍۖ﴾، وَأَمَّا الَّذِي أَوْجَبَ فِي اللَّاتِي قَبْلَهُمَا، فَالرَّجْمُ الَّذِي قَضَىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِمَا، وَأَجْمَعَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ جَعَلَ لِأَهْلِ الْفَاحِشَةِ مِنَ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي سَبِيلًا بِالْحُدُودِ الَّتِي حَكَمَ بِهَا فِيهِمْ..

﴿فَإِن تَابَا﴾ مِنَ الْفَاحِشَةِ الَّتِي أَتَيَا، فَرَاجَعَا طَاعَةَ اللهِ بَيْنَهُمَا..

﴿وَأَصْلَحَا﴾ دِينَهُمَا بِمُرَاجَعَةِ التَّوْبَةِ مِنْ فَاحِشَتِهِمَا وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِي اللهَ..

﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآۗ﴾ فَاصْفَحُوا عَنْهُمَا، وَكُفُّوا عَنْهُمَا الْأَذَىٰ الَّذِي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُؤْذُوهُمَا بِهِ عُقُوبَةً لَهُمَا عَلَىٰ مَا أَتَيَا مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَلَا تُؤْذُوهُمَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ..

﴿تَوَّابًا﴾ رَاجِعًا لِعَبِيدِهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّونَ، إِذَا هُمْ رَاجَعُوا مَا يُحِبُّ مِنْهُمْ مِنْ طَاعَتِهِ..

﴿رَّحِيمًا ۝١٦﴾ [النساء: ١٦] ذُو رَحْمَةٍ وَرَأْفَةٍ بِهِمْ.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ [النساء: ١٧].

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ مَا اللهُ بِرَاجِعٍ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَالصَّفْحِ عَنْ ذُنُوبِهِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَّا..

﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ لِلَّذِينَ يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ جَهَالَةً مِنْهُمْ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ مُؤْمِنُونَ.. وَعَمَلُهُمُ السُّوءَ هُوَ الْجَهَالَةُ الَّتِي جَهِلُوهَا عَامِدِينَ كَانُوا لِلْإِثْمِ، أَوْ جَاهِلِينَ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا؛ لِأَنَّ الْجَاهِلَ بِالشَّيْءِ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ عِنْدَ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِ، أَوْ يَعْلَمُهُ فَيُشَبَّهُ فَاعِلُهُ -إِذْ كَانَ خَطَأً مَا فَعَلَهُ- بِالْجَاهِلِ الَّذِي يَأْتِي الْأَمْرَ وَهُوَ بِهِ جَاهِلٌ، فَيُخْطِئُ مَوْضِعَ الْإِصَابَةِ مِنْهُ، فَيُقَالَ: إِنَّهُ لَجَاهِلٌ بِهِ، وَإِنْ كَانَ بِهِ عَالِمًا، لِإِتْيَانِهِ الْأَمْرَ الَّذِي لَا يَأْتِي مِثْلَهُ إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ بِهِ، وَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ قِيلَ فِيهِمْ ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾، وَإِنْ أَتَوْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِمَبْلَغِ عِقَابِ اللهِ أَهْلَهُ، عَامِدِينَ إِتْيَانَهُ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّهُ عَلَيْهِمْ حَرَامٌ؛ لِأَنَّ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ كَانَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا يَأْتِي مِثْلَهُ إِلَّا مَنْ جَهِلَ عَظِيمَ عِقَابِ اللهِ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَقِيلَ لِمَنْ أَتَاهُ وَهُوَ بِهِ عَالِمٌ: أَتَاهُ بِجَهَالَةٍ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ فَعَلَ فِعْلَ الْجُهَّالِ بِهِ، لَا أَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا..

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ ثُمَّ يُرَاجِعُونَ طَاعَةَ اللهِ، وَيَتُوبُونَ مِنْهُ إِلَىٰ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ النَّدَمِ عَلَيْهِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَتَرْكِ الْعَوْدِ إِلَىٰ مِثْلِهِ..

﴿مِن قَرِيبٖ﴾ مِنْ قَبْلِ مَمَاتِهِمْ فِي الْحَالِ الَّتِي يَفْهَمُونَ فِيهَا أَمْرَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَنَهْيَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يُغْلَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، وَقَبْلَ حَالِ اشْتِغَالِهِمْ بِكَرْبِ الْحَشْرَجَةِ وَغَمِّ الْغَرْغَرَةِ، فَلَا يَعْرِفُوا أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ، وَلَا يَعْقِلُوا التَّوْبَةَ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَكُونُ تَوْبَةً إِلَّا مِمَّنْ نَدِمَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ، وَعَزَمَ فِيهِ عَلَىٰ تَرْكِ الْمُعَاوَدَةِ، وَهُوَ يَعْقِلُ النَّدَمَ، وَيَخْتَارُ تَرْكَ الْمُعَاوَدَةِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ بِكَرْبِ الْمَوْتِ مَشْغُولًا، وَبِغَمِّ الْحَشْرَجَةِ مَغْمُورًا، فَلَا إِخَالُهُ إِلَّا عَنِ النَّدَمِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ مَغْلُوبًا، فَإِنْ كَانَ الْمَرْءُ فِي تِلْكَ الْحَالِ يَعْقِلُ عَقْلَ الصَّحِيحِ، وَيَفْهَمُ فَهْمَ الْعَاقِلِ الْأَرِيبِ، فَأَحْدَثَ إِنَابَةً مِنْ ذُنُوبِهِ، وَرَجْعَةً مِنْ شُرُودِهِ عَنْ رَبِّهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، كَانَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي وَعْدِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ إِجْرَامِهِمْ مِنْ قَرِيبٍ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ..

﴿يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ يَرْزُقُهُمْ إِنَابَةً إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَيَتَقَبَّلُ مِنْهُمْ أَوْبَتَهُمْ إِلَيْهِ، وَتَوْبَتَهُمُ الَّتِي أَحْدَثُوهَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، دُونَ مَنْ لَمْ يَتُبْ، حَتَّىٰ غُلِبَ عَلَىٰ عَقْلِهِ وَغَمَرَتْهُ حَشْرَجَةُ مَيْتَتِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ لَا يَفْقَهُ مَا يَقُولُ: ﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] خِدَاعًا لِرَبِّهِ وَنِفَاقًا فِي دِينِهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿عَلِيمًا﴾ بِالنَّاسِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُنِيبِينَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ بَعْدَ إِدْبَارِهِمْ عَنْهُ، الْمُقْبِلِينَ إِلَيْهِ بَعْدَ التَّوْلِيَةِ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ..

﴿حَكِيمًا ١٧﴾ [النساء: ١٧] فِي تَوْبَتِهِ عَلَىٰ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَلَا يَدْخُلُ أَفْعَالَهُ خَلَلٌ، وَلَا يَخْلِطُهُ خَطَأٌ وَلَا زَلَلٌ.

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [النساء: ١٨].

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ مِنَ المسلمين..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ إِذَا حَشْرَجَ أَحَدُهُمْ بِنَفْسِهِ، وَعَايَنَ مَلَائِكَةَ رَبِّهِ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ لِقَبْضِ رُوحِهِ..

﴿قَالَ﴾ وَقَدْ غُلِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَهْمِهِ بِشُغْلِهِ بِكَرْبِ حَشْرَجَتِهِ وَغَرْغَرَتِهِ..

﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ فَلَيْسَ لِهَذَا عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَوْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ مَا قَالَ فِي غَيْرِ حَالِ تَوْبَةٍ..

﴿وَلَا﴾ التَّوْبَةُ لِـ..

﴿ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ..

﴿أَعۡتَدۡنَا﴾ أَعْدَدْنَا..

﴿لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [النساء: ١٨] مُؤْلِمًا مُوجِعًا؛ لِأَنَّهُمْ أَبْعَدَهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ كَوْنُهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا نِكَاحَ نِسَاءِ أَقَارِبِكُمْ وَآبَائِكُمْ كَرْهًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ كَانُوا يَرِثُونَهُنَّ؟ وَمَا وَجْهُ تَحْرِيمِ وِرَاثَتِهِنَّ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النِّسَاءَ مُوَرِّثَاتٌ كَمَا الرِّجَالُ مُوَرِّثُونَ؟ قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ مَعْنَىٰ وِرَاثَتِهِنَّ إِذَا هُنَّ مُتْنَ فَتَرَكْنَ مَالًا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ أَنَّهُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ إِحْدَاهُنَّ إِذَا مَاتَ زَوْجُهَا كَانَ ابْنُهُ أَوْ قَرِيبُهُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ وَمِنْهَا بِنَفْسِهَا، إِنْ شَاءَ نَكَحَهَا وَإِنْ شَاءَ عَضَلَهَا فَمَنَعَهَا مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّىٰ تَمُوتَ، فَحَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَحَظَرَ عَلَيْهِمْ نِكَاحَ حَلَائِلِ آبَائِهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عَضْلِهِنَّ عَنِ النِّكَاحِ.. فَقَدْ عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثناؤُهُ لَمْ يَحْظُرْ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَرِثُوا النِّسَاءَ مَا جَعَلَهُ لَهُمْ مِيرَاثًا عَنْهُنَّ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا حَظَرَ أَنْ يُكْرَهْنَ مَوْرُوثَاتٍ بِمَعْنَىٰ حَظْرِ وِرَاثَةِ نِكَاحِهِنَّ إِذَا كَانَ مَيِّتُهُمُ الَّذِي وَرِثُوهُ قَدْ كَانَ مَالِكًا عَلَيْهِنَّ أَمْرَهُنَّ فِي النِّكَاحِ، مِلْكَ الرَّجُلِ مَنْفَعَةَ مَا اسْتَأْجَرَ مِنَ الدُّورِ وَالْأَرَضِينَ وَسَائِرِ مَا لَهُ مَنَافِعُ، فَأَبَانَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ لِعِبَادِهِ أَنَّ الَّذِي يَمْلِكُهُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ مِنْ بُضْعِ زَوْجَتِهِ مَعْنَاهُ غَيْرُ مَعْنَىٰ مَا يَمْلِكُ أَحَدُهُمْ مِنْ مَنَافِعِ سَائِرِ الْمَمْلُوكَاتِ الَّتِي تَجُوزُ إِجَارَتُهَا، فَإِنَّ الْمَالِكَ بُضْعَ زَوْجَتِهِ إِذَا هُوَ مَاتَ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ لَهُ مِلْكًا مِنْ زَوْجَتِهِ بِالنِّكَاحِ لِوَرَثَتِهِ بَعْدَهُ، كَمَا لَهُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَ يَمْلِكُهَا بِشِرَاءٍ أَوْ هِبَةٍ أَوْ إِجَارَةٍ بَعْدَ مَوْتِهِ بِمِيرَاثِهِ ذَلِكَ عَنْهُ..

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَعْضُلُوا نِسَاءَكُمْ، فَتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ، وَتَمْنَعُوهُنَّ رِزْقَهُنَّ وَكِسْوَتَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، فَنَهَىٰ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ زَوْجَ الْمَرْأَةِ عَنِ التَّضْيِيقِ عَلَيْهَا وَالْإِضْرَارِ بِهَا، وَهُوَ لِصُحْبَتِهَا كَارِهٌ، وَلِفِرَاقِهَا مُحِبٌّ..

﴿لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ مِنْ صَدُقَاتِكُمْ لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِبَعْضِ مَا آتَاهَا مِنَ الصَّدَاقِ..

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ مِنْ بَذَاءَةٍ بِاللِّسَانِ عَلَىٰ زَوْجِهَا، وَأَذًىٰ لَهُ، وَزِنًا بِفَرْجِهَا، وَخِلَافٍ لَكُمْ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ لَكُمْ..

﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ ظَاهِرَةٍ لِلنَّاسِ أَنَّهَا فَاحِشَةٌ، فَيَحِلُّ لَكُمْ حِينَئِذٍ عَضْلُهُنَّ، وَالتَّضْيِيقُ عَلَيْهِنَّ، والضِّرَارُ بِهِنَّ، لِيَفْتَدِينَ مِنْكُمْ، وَلِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ صَدَاقٍ، إِنْ هُنَّ افْتَدَيْنَ مِنْكُمْ بِهِ.. فَكُلُّ زَوْجِ امْرَأَةٍ أَتَتْ بِفَاحِشَةٍ مِنَ الْفَوَاحِشِ الَّتِي هِيَ زِنًا أَوْ نُشُوزٌ، فَلَهُ عَضْلُهَا عَلَىٰ مَا بَيَّنَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَالتَّضْيِيقُ عَلَيْهَا حَتَّىٰ تَفْتَدِيَ مِنْهُ -بِأَيِّ مَعَانِي فَوَاحِشَ أَتَتْ، بَعْدَ أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةً مُبَيِّنَةً- بِظَاهِرِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الذي فيه: «**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ**

فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»، فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مِنَ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ أَنْ لَا تُوطِئَ فِرَاشَهُ أَحَدًا، وَأَنْ لَا تَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، وَأَنَّ الَّذِي يَجِبُ لَهَا مِنَ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ عَلَيْهِ، إِذَا أَدَّتْ هِيَ إِلَيْهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنَ الْحَقِّ، بِتَرْكِهَا إِيطَاءَ فِرَاشِهِ غَيْرَهُ، وَتَرْكِهَا مَعْصِيَتَهُ فِي مَعْرُوفٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا» إِنَّمَا هُوَ أَنْ لَا يُمَكِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ مِنْ أَحَدٍ سِوَاكُمْ، وَإِذَا كَانَ مَا رَوِينَا فِي ذَلِكَ صَحِيحًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَيِّنٌ أَنَّ لِزَوْجِ الْمَرْأَةِ إِذَا أَوْطَأَتِ امْرَأَتُهُ نَفْسَهَا غَيْرَهُ، وَأَمْكَنَتْ مِنْ جِمَاعِهَا سِوَاهُ، أَنَّ لَهُ مَنْعَهَا مِنَ الْكِسْوَةِ وَالرِّزْقِ بِالْمَعْرُوفِ، مِثْلَ الَّذِي لَهُ مِنْ مَنْعِهَا ذَلِكَ إِذَا هِيَ عَصَتْهُ فِي الْمَعْرُوفِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لَهَا بِمَنْعِهِ إِيَّاهَا مَالَهُ مَنْعَهَا حَقًّا لَهَا وَاجِبًا عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَبَيِّنٌ أَنَّهَا إِذَا افْتَدَتْ نَفْسَهَا عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ زَوْجِهَا فَأَخَذَ مِنْهَا زَوْجُهَا مَا أَعْطَتْهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ ذَلِكَ عَنْ عَضْلٍ مَنْهِيٍّ عَنْهُ، بَلْ هُوَ أَخَذَ مَا أَخَذَ مِنْهَا عَنْ عَضْلٍ لَهُ مُبَاحٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ بَيِّنًا أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي اسْتِثْنَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي اسْتَثْنَاهُ مِنَ الْعَاضِلِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.. وَإِذْ صَحَّ ذَلِكَ، فَبَيِّنٌ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ مَنْسُوخٌ بِالْحُدُودِ؛ لِأَنَّ الْحَدَّ حَقُّ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَنْ أَتَىٰ بِالْفَاحِشَةِ الَّتِي هِيَ زِنًا، وَأَمَّا الْعَضْلُ لِتَفْتَدِيَ الْمَرْأَةُ مِنَ الزَّوْجِ بِمَا آتَاهَا أَوْ بِبَعْضِهِ فَحَقٌّ لِزَوْجِهَا، كَمَا عَضْلُهُ إِيَّاهَا وَتَضْيِيقُهُ عَلَيْهَا إِذَا هِيَ نَشَزَتْ عَلَيْهِ لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ حَقٌّ لَهُ، وَلَيْسَ حُكْمُ أَحَدِهِمَا يُبْطِلُ حُكْمَ الْآخَرِ..

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾ وَخَالِقُوا أَيُّهَا الرِّجَالُ نِسَاءَكُمْ، وَصَاحِبُوهُنَّ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بِمَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنَ الْمُصَاحَبَةِ، وَذَلِكَ إِمْسَاكُهُنَّ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِنَّ الَّتِي فَرَضَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ إِلَيْهِنَّ، أَوْ تَسْرِيحٍ مِنْكُمْ لَهُنَّ بِإِحْسَانٍ، فَلَا تَعْضُلُوا نِسَاءَكُمْ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ، وَلَا نُشُوزٍ كَانَ مِنْهُنَّ، وَلَكِنْ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فَلَعَلَّكُمْ أَنْ تَكْرَهُوهُنَّ، فَتُمْسِكُوهُنَّ..

﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ لَكُمْ فِي إِمْسَاكِكُمْ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْكُمْ لَهُنَّ..

﴿خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ [النساء: ١٩] مِنْ وَلَدٍ يَرْزُقُكُمْ مِنْهُنَّ، أَوْ عَطْفِكُمْ عَلَيْهِنَّ بَعْدَ كَرَاهَتِكُمْ إِيَّاهُنَّ.. وَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي تَكْرَهُونَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، كَانَ جَائِزًا صَحِيحًا.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠﴾ [النساء: ٢٠].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ نِكَاحَ امْرَأَةٍ مَكَانَ امْرَأَةٍ لَكُمْ تُطَلِّقُونَهَا..

﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ وَقَدْ أَعْطَيْتُمُ الَّتِي تُرِيدُونَ طَلَاقَهَا مِنَ الْمَهْرِ..

﴿قِنطَارًا﴾ مَالًا كَثِيرًا..

﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ فَلَا تَضُرُّوا بِهِنَّ إِذَا أَرَدْتُمْ طَلَاقَهُنَّ لِيَفْتَدِينَ مِنْكُمْ بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ..

﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ﴾ أَتَأْخُذُونَ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ مُهُورِهِنَّ..

﴿بُهْتَـٰنًا﴾ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ..

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠﴾ [النساء: ٢٠] وَإِثْمًا قَدْ أَبَانَ أَمْرَ آخِذِهِ أَنَّهُ بِأَخْذِهِ إِيَّاهُ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْهُ ظَالِمٌ.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ [النساء: ٢١].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ وَعَلَىٰ أَيِّ وَجْهٍ تَأْخُذُونَ مِنْ نِسَائِكُمْ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ صَدُقَاتِهِنَّ إِذَا أَرَدْتُمْ طَلَاقَهُنَّ وَاسْتِبْدَالَ غَيْرِهِنَّ بِهِنَّ أَزْوَاجًا..

﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بِالْجِمَاعِ، فَتَبَاشَرْتُمْ وَتَلَامَسْتُمْ، وَهَذَا كَلَامٌ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الِاسْتِفْهَامِ فَإِنَّهُ فِي مَعْنَىٰ النَّكِيرِ وَالتَّغْلِيظِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِآخَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا وَأَنَا غَيْرُ رَاضٍ بِهِ؟ عَلَىٰ مَعْنَىٰ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ..

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ [النساء: ٢١] أي: مَا وَثَّقْتُم بِهِ لَهُنَّ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْ عَهْدٍ، وَإِقْرَارٍ مِنْكُمْ بِمَا أَقْرَرْتُمْ بِهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، مِنْ إِمْسَاكِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحِهِنَّ بِإِحْسَانٍ، وَكَانَ فِي عَقْدِ الْمُسْلِمِينَ النِّكَاحَ قَدِيمًا -فِيمَا بَلَغَنَا- أَنْ يُقَالَ لِلنَّاكِحِ: آللهِ عَلَيْكَ، لَتُمْسِكَنَّ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ لَتُسَرِّحَنَّ بِإِحْسَانٍ.. وهذه آيَةٌ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لِلرَّجُلِ أَخْذُ شَيْءٍ مِمَّا آتَاهَا إِذَا أَرَادَ طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ نُشُوزٍ كَانَ مِنْهَا، وَلَا رِيبَةٍ أَتَتْ بِهَا.. وَأَمَّا الَّذِي أَبَاحَ لَهُ أَخْذَهُ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فَهُوَ إِذَا كَانَتْ هِيَ الْمُرِيدَةُ طَلَاقَهُ، وَهُوَ كَارِهٌ لَهُ، وَلَيْسَ فِي حُكْمِ إِحْدَىٰ الْآيَتَيْنِ نَفْيُ حُكْمِ الْأُخْرَىٰ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُحْكَمَ لِإِحْدَاهُمَا

بِأَنَّهَا نَاسِخَةٌ، وَلِلْأُخْرَىٰ بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: ٢٢].

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ مِنَ النِّسَاءِ..

﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ مَا كَانَ مِنْ مَنَاكِحِ آبَائِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَتَنَاكَحُونَهَا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ فِي الْإِسْلَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ نِكَاحُ حَلَائِلِ الْآبَاءِ، وَكُلُّ نِكَاحٍ سِوَاهُ نَهَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ابْتِدَاءَ مِثْلِهِ فِي الْإِسْلَامِ، مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَنَاكَحُونَهُ فِي شِرْكِهِمْ..

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ﴾ مِنْكُمْ، فَمَضَىٰ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا يَخْلُفُونَ عَلَىٰ حَلَائِلِ آبَائِهِمْ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَحَرَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِمُ الْمُقَامَ عَلَيْهِنَّ، وَعَفَا لَهُمْ عَمَّا كَانَ سَلَفَ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَشِرْكِهِمْ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ، وَلَمْ يُؤَاخِذْهُمْ بِهِ، إِنْ هُمُ اتَّقَوُا اللهَ فِي إِسْلَامِهِمْ وَأَطَاعُوهُ فِيهِ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ إِنَّ نِكَاحَكُمُ الَّذِي سَلَفَ مِنْكُمْ، كَنِكَاحِ آبَائِكُمُ الْمُحَرَّمِ عَلَيْكُمُ ابْتِدَاءُ مِثْلِهِ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ تَحْرِيمِي ذَلِكَ عَلَيْكُمْ..

﴿فَٰحِشَةً﴾ مَعْصِيَةٌ..

﴿وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: ٢٢] وَبِئْسَ طَرِيقًا وَمَنْهَجًا مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنَ الْمَنَاكِحِ الَّتِي كُنْتُمْ تَتَنَاكَحُونَهَا.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء: ٢٣].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ نِكَاحُ أُمَّهَاتِكُمْ، فَتَرَكَ ذِكْرَ النِّكَاحِ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ

الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ اللَّوَاتِي سَمَّاهُنَّ اللهُ تَعَالَىٰ وَبَيَّنَ تَحْرِيمَهُنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُحَرَّمَاتٌ، غَيْرُ جَائِزٍ نِكَاحُهُنَّ لِمَنْ حَرَّمَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ، بِإِجْمَاعِ جَمِيعِ الْأُمَّةِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، إِلَّا فِي أُمَّهَاتِ نِسَائِنَا اللَّوَاتِي لَمْ يَدْخُلْ بِهِنَّ أَزْوَاجُهُنَّ، فَإِنَّ فِي نِكَاحِهِنَّ اخْتِلَافًا بَيْنَ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذَا بَانَتِ الِابْنَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا مِنْ زَوْجِهَا، هَلْ هُنَّ مِنَ الْمُبْهَمَاتِ، أَمْ هُنَّ مِنَ الْمَشْرُوطِ فِيهِنَّ الدُّخُولُ بِبَنَاتِهِنَّ؟ فَقَالَ جَمِيعُ أَهْلِ الْعِلْمِ مُتَقَدِّمُهُمْ وَمُتَأَخِّرُهُمْ: مِنَ الْمُبْهَمَاتِ، وَحَرَامٌ عَلَىٰ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً أُمُّهَا، دَخَلَ بِامْرَأَتِهِ الَّتِي نَكَحَهَا أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا، وَقَالُوا: شَرْطُ الدُّخُولِ فِي الرَّبِيبَةِ دُونَ الْأُمِّ، فَأَمَّا أُمُّ الْمَرْأَةِ فَمُطْلَقَةٌ بِالتَّحْرِيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَشْرِطْ مَعَهُنَّ الدُّخُولَ بِبَنَاتِهِنَّ، كَمَا شَرَطَ مَعَ أُمَّهَاتِ الرَّبَائِبِ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا إِجْمَاعٌ مِنَ الْحُجَّةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ خِلَافُهَا فِيمَا جَاءَتْ بِهِ مُتَّفِقَةً عَلَيْهِ، وَقَدْ رُوِيَ بِذَلِكَ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ خَبَرٌ، غَيْرَ أَنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرًا، وَهُوَ «**إِذَا نَكَحَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهَا، دَخَلَ بِالِابْنَةِ أَمْ لَمْ يَدْخُلْ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الْأُمَّ فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَإِنْ شَاءَ تَزَوَّجَ الِابْنَةَ**»، وَهَذَا خَبَرٌ وَإِنْ كَانَ فِي إِسْنَادِهِ مَا فِيهِ، فَإِنَّ فِي إِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ صِحَّةِ الْقَوْلِ بِهِ مُسْتَغْنًىٰ عَنِ الِاسْتِشْهَادِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ بِغَيْرِهِ.

﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ هُوَ الْوُصُولُ إِلَيْهَا بِالْجِمَاعِ.. وَفِي إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ خَلْوَةَ الرَّجُلِ بِامْرَأَتِهِ لَا يُحَرِّمُ عَلَيْهِ ابْنَتَهَا إِذَا طَلَّقَهَا قَبْلَ مَسِيسِهَا وَمُبَاشَرَتِهَا، أَوْ قَبْلَ النَّظَرِ إِلَىٰ فَرْجِهَا بِالشَّهْوَةِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ ذَلِكَ..

﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ دَخَلْتُمْ بِأُمَّهَاتِ رَبَائِبِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ، فَجَامَعْتُمُوهُنَّ حَتَّىٰ طَلَّقْتُمُوهُنَّ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ مَنْ كَانَ مِنْ رَبَائِبِكُمْ كَذَلِكَ..

﴿وَحَلَائِلُ﴾ وَأَزْوَاجُ.. وَهِيَ جَمْعُ حَلِيلَةٍ، وَهِيَ امْرَأَتُهُ، وَقِيلَ: سُمِّيَتِ امْرَأَةُ الرَّجُلِ حَلِيلَتَهُ؛ لِأَنَّهَا تَحِلُّ مَعَهُ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ..

﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ حَلِيلَةَ ابْنِ الرَّجُلِ حَرَامٌ عَلَيْهِ نِكَاحُهَا بِعَقْدِ ابْنِهِ عَلَيْهَا النِّكَاحَ، دَخَلَ بِهَا أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا

أَنْتَ قَائِلٌ فِي حَلَائِلِ الْأَبْنَاءِ مِنَ الرَّضَاعِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا حَرَّمَ حَلَائِلَ أَبْنَائِنَا مِنْ أَصْلَابِنَا؟ قِيلَ: إِنَّ حَلَائِلَ الْأَبْنَاءِ مِنَ الرَّضَاعِ، وَحَلَائِلَ الْأَبْنَاءِ مِنَ الْأَصْلَابِ سَوَاءٌ فِي التَّحْرِيمِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ وَلَدْتُمُوهُمْ دُونَ حَلَائِلِ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ تَبَنَّيْتُمُوهُمْ..

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ عِنْدَكُمْ بِنِكَاحٍ، فَـ «إِنْ» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ..

﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾ لَكِنْ مَا قَدْ مَضَىٰ مِنْكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا إِلَيْهِ مِنْهَا.. فَيُخْبِرُ بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ أَنَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ كَانَ جَمَعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ بِنِكَاحٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَقَبْلَ تَحْرِيمِهِ ذَلِكَ، إِذَا اتَّقَىٰ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَطَاعَهُ بِاجْتِنَابِهِ..

﴿رَّحِيمٗا ٢٣﴾ [النساء: ٢٣] بِهِمْ وَبِغَيْرِهِم مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ فِيمَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْفَرَائِضِ وَخَفَّفَ عَنْهُمْ فَلَمْ يُحَمِّلْهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ.

﴿۞وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾ [النساء: ٢٤].

﴿۞وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمُحْصَنَاتُ، جَمْعُ مُحْصَنَةٍ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ مُنِعَ فَرْجُهَا بِزَوْجٍ، يُقَالُ مِنْهُ: أَحْصَنَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ فَهُوَ يُحْصِنُهَا إِحْصَانًا، وَحَصُنَتْ إِذَا عَفَّتْ، وَهِيَ حَاصِنٌ مِنَ النِّسَاءِ، عَفِيفَةٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا إِذَا هِيَ عَفَّتْ وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا مِنَ الْفُجُورِ، قَدْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَهِيَ مُحْصَنَةٌ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] بِمَعْنَىٰ: حَفِظَتْهُ مِنَ الرِّيبَةِ وَمَنَعَتْهُ مِنَ الْفُجُورِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِحُصُونِ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَىٰ حُصُونٌ لِمَنْعِهَا مَنْ أَرَادَهَا وَأَهْلَهَا، وَحِفْظِهَا مَا وَرَاءَهَا مِمَّنْ بَغَاهَا مِنْ أَعْدَائِهَا، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلدِّرْعِ: دِرْعٌ حَصِينَةٌ.. فَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْإِحْصَانِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَنْعِ وَالْحِفْظِ فَبَيِّنٌ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿۞وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾: الْمَمْنُوعَاتُ..

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ.. وَالْإِحْصَانُ قَدْ يَكُونُ بِالْحُرِّيَّةِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وَيَكُونُ بِالْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]، وَيَكُونُ بِالْعِفَّةِ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ٤]، وَيَكُونُ بِالزَّوْجِ، وَلَمْ يَكُنْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَصَّ مُحْصَنَةً دُونَ مُحْصَنَةٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿* وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مُحْصَنَةٍ بِأَيِّ مَعَانِي الْإِحْصَانِ كَانَ إِحْصَانُهَا، حَرَامًا عَلَيْنَا سِفَاحًا أَوْ نِكَاحًا..

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ إِلَّا مَا مَلَكَتْهُ أَيمَانُنَا مِنْهُنَّ بِشِرَاءٍ، كَمَا أَبَاحَهُ لَنَا كِتَابُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَوْ نِكَاحٌ عَلَىٰ مَا أَطْلَقَهُ لَنَا تَنْزِيلُ اللهِ، فَالَّذِي أَبَاحَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنَا نِكَاحًا مِنَ الْحَرَائِرِ الْأَرْبَعِ، سِوَى اللَّوَاتِي حُرِّمْنَ عَلَيْنَا بِالنَّسَبِ وَالصِّهْرِ، وَمِنَ الْإِمَاءِ مَا سَبَيْنَا مِنَ الْعَدُوِّ، سِوَى اللَّوَاتِي وَافَقَ مَعْنَاهُنَّ مَعْنَىٰ مَا حُرِّمَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَرَائِرِ بِالنَّسَبِ وَالصِّهْرِ، فَإِنَّهُنَّ وَالْحَرَائِرُ فِيمَا يَحِلُّ وَيَحْرُمُ بِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ مُتَّفِقَاتُ الْمَعَانِي، وَسِوَى اللَّوَاتِي سَبَيْنَاهُنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَلَهُنَّ أَزْوَاجٌ، فَإِنَّ السِّبَاءَ يُحِلُّهُنَّ لِمَنْ سَبَاهُنَّ بَعْدَ الِاسْتِبْرَاءِ، وَبَعْدَ إِخْرَاجِ حَقِّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي جَعَلَهُ لِأَهْلِ الْخُمُسِ مِنْهُنَّ، فَأَمَّا السِّفَاحُ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَرَّمَهُ مِنْ جَمِيعِهِنَّ، فَلَمْ يُحِلَّهُ مِنْ حُرَّةٍ وَلَا أَمَةٍ وَلَا مُسْلِمَةٍ وَلَا كَافِرَةٍ مُشْرِكَةٍ، وَأَمَّا الْأَمَةُ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمَالِكِهَا إِلَّا بَعْدَ طَلَاقِ زَوْجِهَا إِيَّاهَا، أَوْ وَفَاتِهِ وَانْقِضَاءِ عِدَّتِهَا مِنْهُ، فَأَمَّا بَيْعُ سَيِّدِهَا إِيَّاهَا فَغَيْرُ مُوجِبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا فِرَاقًا وَلَا تَحْلِيلًا لِمُشْتَرِيهَا، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ خَيَّرَ بَرِيرَةَ إِذْ أَعْتَقَتْهَا عَائِشَةُ بَيْنَ الْمَقَامِ مَعَ زَوْجِهَا الَّذِي كَانَ سَادَتُهَا زَوَّجُوهَا مِنْهُ فِي حَالِ رِقِّهَا، وَبَيْنَ فِرَاقِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ ﷺ عِتْقَ عَائِشَةَ إِيَّاهَا طَلَاقًا، وَلَوْ كَانَ عِتْقُهَا وَزَوَالُ مِلْكِ عَائِشَةَ إِيَّاهَا لَهَا طَلَاقًا لَمْ يَكُنْ لِتَخْيِيرِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهَا بَيْنَ الْمَقَامِ مَعَ زَوْجِهَا وَالْفِرَاقِ مَعْنًى، وَلَوَجَبَ بِالْعِتْقِ الْفِرَاقُ، وَبِزَوَالِ مِلْكِ عَائِشَةَ عَنْهَا الطَّلَاقُ، فَلَمَّا خَيَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الَّذِي ذَكَرْنَا وَبَيْنَ الْمَقَامِ مَعَ زَوْجِهَا وَالْفِرَاقِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يُخَيِّرْ بَيْنَ ذَلِكَ إِلَّا وَالنِّكَاحُ عَقْدُهُ ثَابِتٌ، كَمَا كَانَ قَبْلَ زَوَالِ مِلْكِ عَائِشَةَ عَنْهَا..

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ كِتَابًا مِنَ اللهِ عَلَيْكُمْ، بِمَعْنَىٰ: كَتَبَ اللهُ تَحْرِيمَ مَا حَرَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَتَحْلِيلَ مَا حُلِّلَ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا..

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ﴾ مَا عَدَا.. كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقرة: ٩١] يَعْنِي: بِمَا عَدَاهُ وَبِمَا سِوَاهُ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الْمُحَرَّمَاتِ الْمُبَيَّنَاتِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بِالنَّسَبِ وَالصِّهْرِ، وَالْمُحَرَّمَاتِ مِنَ

الْمُحْصَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ..

﴿أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ أَنْ تَطْلُبُوا وَتَلْتَمِسُوا بِأَمْوَالِكُمْ، إِمَّا شِرَاءً بِهَا، وَإِمَّا نِكَاحًا بِصَدَاقٍ مَعْلُومٍ..

﴿مُّحْصِنِينَ﴾ أَعِفَّاءَ بِابْتِغَائِكُمْ مَا وَرَاءَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ بِأَمْوَالِكُمْ نِكَاحًا وَمِلْكَ يَمِينٍ..

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ غَيْرَ مُزَانِينَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: عَرَفْنَا الْمُحَلَّلَاتِ اللَّوَاتِي هُنَّ وَرَاءَ الْمُحَرَّمَاتِ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَصْهَارِ، فَمَا الْمُحَلَّلَاتُ مِنَ الْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتُ مِنْهُنَّ؟ قِيلَ: هُوَ مَا دُونَ الْخَمْسِ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ أَرْبَعٍ، فَأَمَّا مَا عَدَا ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ فَغَيْرُ عَدَدٍ مَحْصُورٍ بِمِلْكِ الْيَمِينِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ عَامٌّ فِي كُلِّ مُحَلَّلٍ لَنَا مِنَ النِّسَاءِ أَنْ نَبْتَغِيَهَا بِأَمْوَالِنَا..

﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فَمَا نَكَحْتُمُوهُ مِنْهُنَّ فَجَامَعْتُمُوهُ..

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ صَدُقَاتُهِنَّ.. لِقِيَامِ الْحُجَّةِ بِتَحْرِيمِ اللهِ مُتْعَةَ النِّسَاءِ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِ النِّكَاحِ الصَّحِيحِ، أَوِ الْمِلْكِ الصَّحِيحِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، فَعن سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذِهِ النِّسَاءِ» وَالِاسْتِمْتَاعُ عِنْدَنَا يَوْمَئِذٍ التَّزْوِيجُ.. وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ قِرَاءَتِهِمَا: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ)، فَقِرَاءَةٌ بِخِلَافِ مَا جَاءَتْ بِهِ مَصَاحِفُ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ أَنْ يُلْحِقَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ شَيْئًا لَمْ يَأْتِ بِهِ الْخَبَرُ الْقَاطِعُ الْعُذْرُ عَمَّنْ لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ..

﴿فَرِيضَةًۚ﴾ مَعْلُومَةً..

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ وَلَا حَرَجَ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ﴾ أَنْتُمْ وَنِسَاؤُكُمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِۚ﴾ مِنْ بَعْدِ إِعْطَائِهِنَّ أُجُورَهُنَّ عَلَىٰ النِّكَاحِ الَّذِي جَرَىٰ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ مِنْ حَطِّ مَا وَجَبَ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ، أَوْ إِبْرَاءٍ أَوْ تَأْخِيرٍ وَوَضْعٍ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةًۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء: ٤]..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ ذَا عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي مَنَاكِحِكُمْ وَغَيْرِهَا مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ سَائِرِ خَلْقِهِ بِمَا يُدَبِّرُ لَكُمْ وَلَهُمْ مِنَ التَّدْبِيرِ، وَفِيمَا يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ..

﴿حَكِيمًا ۝٢٤﴾ [النساء: ٢٤] لَا يَدْخُلُ حِكْمَتَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٥﴾ [النساء: ٢٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ..

﴿مِنكُمْ طَوْلًا﴾ سَعَةً مِنْ مَالٍ..

﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الْحَرَائِرَ..

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ اللَّوَاتِي قَدْ صَدَّقْنَ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ فَلْيَنْكِحْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..

﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ جَمْعُ فَتَاةٍ، وَهُنَّ الشَّوَابُّ مِنَ النِّسَاءِ، ثُمَّ يُقَالُ لِكُلِّ مَمْلُوكَةٍ ذَاتِ سِنٍّ أَوْ شَابَّةٍ فَتَاةٌ، وَالْعَبْدُ فَتًى..

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هُوَ دَلَالَةٌ عَلَىٰ تَحْرِيمِ نِكَاحِ إِمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُنَّ لَا يَحْلِلْنَ إِلَّا بِمِلْكِ الْيَمِينِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَلَّ نِكَاحَ الْإِمَاءِ بِشُرُوطٍ، فَمَا لَمْ تَجْتَمِعِ الشُّرُوطُ الَّتِي سَمَّاهَا فِيهِنَّ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِمُسْلِمٍ نِكَاحُهُنَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ تَدُلُّ عَلَىٰ إِبَاحَتِهِنَّ بِالنِّكَاحِ؟ قِيلَ: إِنَّ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ قَدْ أَبَانَ أَنَّ حُكْمَهَا فِي خَاصٍّ مِنْ مُحْصَنَاتِهِمْ، وَأَنَّهَا مَعْنِيٌّ بِهَا حَرَائِرُهُمْ دُونَ إِمَائِهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِ مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْكُمْ..

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ فَلْيَنْكِحْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلْيَنْكِحْ هَذَا فَتَاةَ هَذَا.. فَلْيَنْكِحْ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا لِحُرَّةٍ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ، لِيَنْكِحَ هَذَا الْمُقْتِرُ الَّذِي لَا يَجِدُ طَوْلًا لِحُرَّةٍ مِنْ هَذَا الْمُوسِرِ فَتَاتَهُ الْمُؤْمِنَةَ الَّتِي قَدْ أَبْدَتِ الْإِيمَانَ فَأَظْهَرَتْهُ، وَكِلُوا سَرَائِرَهُنَّ إِلَىٰ اللهِ، فَإِنَّ عِلْمَ

ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ دُونَكُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِسَرَائِرِكُمْ وَسَرَائِرِهِنَّ..

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾ فَتَزَوَّجُوهُنَّ..

﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ بِإِذْنِ أَرْبَابِهِنَّ، وَأَمْرِهِمْ إِيَّاكُمْ بِنِكَاحِهِنَّ وَرِضَاهُمْ..

﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾ وَأَعْطُوهُنَّ..

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مُهُورَهُنَّ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ عَلَىٰ مَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ، مِمَّا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ، وَأَبَاحَهُ لَكُمْ، أَنْ تَجْعَلُوهُ مُهُورًا لَهُنَّ..

﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عَفِيفَاتٍ..

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ غَيْرَ مُزَانِيَاتٍ..

﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَصْدِقَاءٍ عَلَىٰ السِّفَاحِ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ قِيلَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الزَّوَانِي كُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْعَرَبِ الْمُعْلِنَاتِ بِالزِّنَا، وَالْمُتَّخِذَاتِ الْأَخْدَانَ: اللَّوَاتِي قَدْ حَبَسْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَلَىٰ الْخَلِيلِ وَالصَّدِيقِ لِلْفُجُورِ بِهَا سِرًّا دُونَ الْإِعْلَانِ بِذَلِكَ.. فَالْمُسَافِحُ: الَّذِي يَلْقَىٰ الْمَرْأَةَ فَيَفْجُرُ بِهَا، ثُمَّ يَذْهَبُ وَتَذْهَبُ، وَالْمُخَادِنُ: الَّذِي يُقِيمُ مَعَهَا عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ وَتُقِيمُ مَعَهُ، فَذَاكَ الْأَخْدَانُ..

﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ فَإِذَا أَسْلَمْنَ فَصِرْنَ مَمْنُوعَاتِ الْفُرُوجِ مِنَ الْحَرَامِ بِالْإِسْلَامِ، أَوْ فَإِذَا تَزَوَّجْنَ فَصِرْنَ مَمْنُوعَاتِ الْفُرُوجِ مِنَ الْحَرَامِ بِالْأَزْوَاجِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ عَلَىٰ الْأَمَةِ ذَاتِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِ ذَاتِ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ الْحَدَّ، فَقَالَ ﷺ: «**إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا -كِتَابَ اللهِ- وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِذَا عَادَتْ فَلْيَضْرِبْهَا -كِتَابَ اللهِ- وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ عَادَتْ فَلْيَضْرِبْهَا -كِتَابَ اللهِ- وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الرَّابِعَةَ فَلْيَضْرِبْهَا -كِتَابَ اللهِ- وَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعْرٍ**»، وَقَالَ ﷺ: «**أَقِيمُوا الْحُدُودَ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، فَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ ذَاتَ زَوْجٍ مِنْهُنَّ وَلَا غَيْرَ ذَاتِ زَوْجٍ، فَالْحُدُودُ وَاجِبَةٌ عَلَىٰ مَوَالِي الْإِمَاءِ إِقَامَتُهَا عَلَيْهِنَّ إِذَا فَجَرْنَ بِكِتَابِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ مَعْنَاهُ: تَزَوَّجْنَ؛ إِذْ كَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ بَعْدَ وَصْفِهِنَّ بِالْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، وَحَسِبَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَحْتَمِلُ مَعْنًىٰ غَيْرَ مَعْنَىٰ التَّزْوِيجِ، مَعَ مَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ مِنْ وَصْفِهِنَّ بِالْإِيمَانِ، فَقَدْ ظَنَّ خَطَأً، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ، فَإِذَا هُنَّ آمَنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ، فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَىٰ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،

فَيَكُونُ الْخَبَرُ بَيَانًا عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَدِّ إِذَا أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ بَعْدَ إِيمَانِهِنَّ بَعْدَ الْبَيَانِ عَمَّا لَا يَجُوزُ لِنَاكِحِهِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِكَاحِهِنَّ، وَعَمَّنْ يَجُوزُ نِكَاحُهُ لَهُ مِنْهُنَّ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ مُسْتَحِيلٍ فِي الْكَلَامِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ صَرْفُ مَعْنَاهُ إِلَىٰ أَنَّهُ التَّزْوِيجُ دُونَ الْإِسْلَامِ، مِنْ أَجْلِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِ اللهِ إِيَّاهُنَّ بِالْإِيمَانِ..

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ﴾ فَإِنْ أَتَتْ فَتَيَاتُكُمْ، وَهُنَّ إِمَاؤُكُمْ، بَعْدَ مَا أُحْصِنَّ بِإِسْلَامٍ، أَوْ أُحْصِنَّ بِنِكَاحٍ..

﴿بِفَاحِشَةٍ﴾ وَهِيَ الزِّنَا..

﴿فَعَلَيْهِنَّ﴾ فَلَازِمُ أَبْدَانِهِنَّ أَنْ تُجْلَدَ، كَمَا يُقَالُ: عَلَيَّ صَلَاةُ يَوْمٍ، بِمَعْنَىٰ: لَازِمٌ عَلَيَّ أَنْ أُصَلِّيَ صَلَاةَ يَوْمٍ، وَعَلَيَّ الْحَجُّ وَالصِّيَامُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ: عَلَيْهِ الْحَدُّ، بِمَعْنَىٰ لَازِمٌ لَهُ إِمْكَانُ نَفْسِهِ مِنَ الْحَدِّ لِيُقَامَ عَلَيْهِ..

﴿نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَىٰ الْحَرَائِرِ مِنَ الْحَدِّ إِذَا هُنَّ زَنَيْنَ قَبْلَ الْإِحْصَانِ بِالْأَزْوَاجِ..

﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ وَهُوَ الْحَدُّ، وَذَلِكَ النِّصْفُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ عَذَابًا لِمَنْ أَتَىٰ بِالْفَاحِشَةِ مِنَ الْإِمَاءِ إِذَا هُنَّ أُحْصِنَّ خَمْسُونَ جَلْدَةً، وَنَفْيِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَذَلِكَ نِصْفُ عَامٍ، لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ الْحُرَّةِ إِذَا هِيَ أَتَتْ بِفَاحِشَةٍ قَبْلَ الْإِحْصَانِ بِالزَّوْجِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ حَوْلٍ، فَالنِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ خَمْسُونَ جَلْدَةً، وَنَفْيُ نِصْفِ سَنَةٍ، وَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ عَذَابًا لِلْإِمَاءِ الْمُحْصَنَاتِ إِذَا هُنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَبَحْتُ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ نِكَاحِ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ مِنْكُمْ طَوْلًا لِنِكَاحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ، أَبَحْتُهُ..

﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ لِمَنْ خَافَ..

﴿ٱلْعَنَتَ﴾ وَهُوَ الضَّرَرُ فِي دِينِهِ وَبَدَنِهِ.. وَذَلِكَ أَنَّ الْعَنَتَ هُوَ مَا ضَرَّ الرَّجُلَ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فَالَّذِينَ وَجَّهُوا تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَىٰ الزِّنَا، قَالُوا: الزِّنَا ضَرَرٌ فِي الدِّينِ، وَهُوَ مِنَ الْعَنَتِ، وَالَّذِينَ وَجَّهُوهُ إِلَىٰ الْإِثْمِ، قَالُوا: الْآثَامُ كُلُّهَا ضَرَرٌ فِي الدِّينِ وَهِيَ مِنَ الْعَنَتِ، وَالَّذِينَ وَجَّهُوهُ إِلَىٰ الْعُقُوبَةِ الَّتِي تُعْنِتُهُ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْحَدِّ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: الْحَدُّ مَضَرَّةٌ عَلَىٰ بَدَنِ الْمَحْدُودِ فِي دُنْيَاهُ، وَهُوَ مِنَ الْعَنَتِ، وَقَدْ عَمَّ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ﴾ جَمِيعَ مَعَانِي الْعَنَتِ، وَيَجْمَعُ جَمِيعَ ذَلِكَ الزِّنَا، لِأَنَّهُ يُوجِبُ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُعْنِتُ بَدَنَهُ، وَيَكْتَسِبُ بِهِ إِثْمًا وَمَضَرَّةً فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ الَّذِي هُمْ أَهْلُهُ، عَلَىٰ

أَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، فَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي عَيْنِهِ لَذَّةٌ وَقَضَاءُ شَهْوَةٍ فَإِنَّهُ بِأَدَائِهِ إِلَىٰ الْعَنَتِ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ مَوْصُوفٌ بِهِ إِنْ كَانَ لِلْعَنَتِ سَبَبًا..

﴿مِنكُمْ﴾ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يَخْشَىٰ..

﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عَنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لَكُمْ نِكَاحَ الْإِمَاءِ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ عَلَىٰ مَا أَحَلَّ لَكُمْ وَأَذِنَ لَكُمْ بِهِ، وَمَا سَلَفَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ إِنْ أَصْلَحْتُمْ أُمُورَ أَنْفُسِكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٢٥﴾ [النساء: ٢٥] بِكُم، إِذْ أَذِنَ لَكُمْ فِي نِكَاحِهِنَّ عِنْدَ الِافْتِقَارِ وَعَدَمِ الطَّوْلِ لِلْحُرَّةِ.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦﴾ [النساء: ٢٦].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ..

﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾ وَلِيُسَدِّدَكُمْ..

﴿سُنَنَ﴾ سُبُلَ..

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَمَنَاهِجِهِمْ، وَفِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِنْ نِكَاحِ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ، وَسَائِرِ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ فِي الْآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَيَّنَ فِيهِمَا مَا حَرُمَ مِنَ النِّسَاءِ..

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ﴾ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يَرْجِعَ بِكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ، مِمَّا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فِي فِعْلِكُمْ ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَقَبْلَ أَنْ يُوحِيَ مَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، لِيَتَجَاوَزَ لَكُمْ بِتَوْبَتِكِمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ قَبِيحِ ذَلِكَ قَبْلَ إِنَابَتِكُمْ وَتَوْبَتِكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ فِي أَدْيَانِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَبِمَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مَا أَحَلَّ أَوْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، حَافِظٌ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْهِمْ..

﴿حَكِيمٌ ۝٢٦﴾ [النساء: ٢٦] بِتَدْبِيرِهِ فِيهِمْ فِي تَصْرِيفِهِمْ فِيمَا صَرَفَهُمْ فِيهِ.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ [النساء: ٢٧].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يُرَاجِعَ بِكُمْ طَاعَتَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، لِيَعْفُوَ لَكُمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْ آثَامِكُمْ، وَيَتَجَاوَزَ لَكُمْ عَمَّا كَانَ مِنْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنِ اسْتِحْلَالِكُمْ مَا هُوَ حَرَامٌ

عَلَيْكُمْ مِنْ نِكَاحِ حَلَائِلِ آبَائِكُمْ وَابْنَائِكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كُنْتُمْ تَسْتَحِلُّونَهُ وَتَأْتُونَهُ، مِمَّا كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ لَكُمْ إِتْيَانُهُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ..

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَطُلَّابِ الزِّنَا، وَنِكَاحِ الْأَخَوَاتِ مِنَ الْآبَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ دَاخِلًا فِي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالزُّنَاةِ وَكُلِّ مُتَّبِعٍ بَاطِلًا، لِأَنَّ كُلَّ مُتَّبِعٍ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ فَمُتَّبِعٌ شَهْوَةَ نَفْسِهِ..

﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عَنْ أَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَتَجُورُوا عَنْهُ بِإِتْيَانِكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَرُكُوبِكُمْ مَعَاصِيهِ..

﴿مَيْلًا﴾ جَوْرًا وَعُدُولًا..

﴿عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧] شَدِيدًا عَنِ الْحَقِّ، وَعَمَّا أَذِنَ اللهُ لَكُمْ فِيهِ، فَتَجُورُوا عَنْ طَاعَتِهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَتَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فِي اتِّبَاعِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ وَتَرْكَ طَاعَتَهُ.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُيَسِّرَ عَلَيْكُمْ بِإِذْنِهِ لَكُمْ فِي نِكَاحِ الْفَتَيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا طَوْلًا لِحُرَّةٍ..

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨] يَسَّرَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ غَيْرَ مُسْتَطِيعِي الطَّوْلِ لِلْحَرَائِرِ، لِأَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ ضُعَفَاءَ عَجَزَةً عَنْ تَرْكِ جِمَاعِ النِّسَاءِ قَلِيلِي الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَذِنَ لَكُمْ فِي نِكَاحِ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ عِنْدَ خَوْفِكُمُ الْعَنَتَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَمْ تَجِدُوا طَوْلًا لِحُرَّةٍ لِئَلَّا تَزْنُوا، لِقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَلَىٰ تَرْكِ جِمَاعِ النِّسَاءِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ لَا يَأْكُلْ بَعْضُكُمْ أَمْوَالَ بَعْضٍ بِمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّبَا وَالْقِمَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهَا..

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا بَيْنَكُمْ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، فَيَحِلُّ لَكُمْ هُنَالِكَ أَكْلُهَا، فَتَكُونُ الْأَمْوَالُ مُضْمَرَةً فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾، وَالتِّجَارَةُ مَنْصُوبَةٌ عَلَىٰ الْخَبَرِ.. وَقَرَأَهَا بَعْضُهُمْ: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ)، رَفْعًا بِمَعْنَىٰ: إِلَّا أَنْ تُوجَدَ تِجَارَةٌ، أَوْ تَقَعَ تِجَارَةٌ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، فَيَحِلَّ لَكُمْ أَكْلُهَا حِينَئِذٍ بِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ، وَمَذْهَبُ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ: أَنْ (تَكُونَ) تَامَّةٌ هَهُنَا، لَا حَاجَةَ بِهَا إِلَىٰ خَبَرٍ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ.. وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ عِنْدَنَا صَوَابٌ جَائِزُ الْقِرَاءَةِ بِهِمَا، لِاسْتِفَاضَتِهِمَا فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ مَعَ تَقَارُبِ مَعَانِيهِمَا.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِبَانَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ تَكْذِيبِ قَوْلِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُنْكِرِينَ طَلَبَ الْأَقْوَاتِ بِالتِّجَارَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ اكْتِسَابًا أَحَلَّهُ لَهَا..

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَ الْمُتَبَايِعَيْنِ، فَمَا تَفَرَّقَ الْمُتَبَايِعَانِ عَلَىٰ الْمَجْلِسِ الَّذِي تَوَاجَبَا فِيهِ بَيْنَهُمَا عُقْدَةَ الْبَيْعِ بِأَبْدَانِهِمَا، عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا بِالْعَقْدِ الَّذِي جَرَىٰ بَيْنَهُمَا، وَعَنْ تَخْيِيرِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا**»، يعني: بَعْدَ عَقْدِ الْبَيْعِ، كَمَا كَانَ التَّخْيِيرُ بَعْدَهُ..

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ وَلَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَأَنْتُمْ أَهْلُ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَدَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ وَدِينٍ وَاحِدٍ، فَجَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ كُلَّهُمْ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَجَعَلَ الْقَاتِلَ مِنْهُمْ قَتِيلًا -فِي قَتْلِهِ إِيَّاهُ مِنْهُمْ- بِمَنْزِلَةِ قَتْلِهِ نَفْسَهُ، إِذْ كَانَ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ أَهْلَ يَدٍ وَاحِدَةٍ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ مِلَّتَهُمَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء: ٢٩] إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ رَحِيمًا بِخَلْقِهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ كَفَّ بَعْضَكُمْ عَنْ قَتْلِ بَعْضٍ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، بِتَحْرِيمِ دِمَاءِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَظَرَ أَكْلَ مَالِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ، إِلَّا عَنْ تِجَارَةٍ يَمْلِكُ بِهَا عَلَيْهِ بِرِضَاهُ وَطِيبِ نَفْسِهِ، لَوْلَا ذَلِكَ هَلَكْتُمْ وَأَهْلَكَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَتْلًا وَسَلْبًا وَغَصْبًا.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾

[النساء: ٣٠].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ﴾ [النساء: ١٩] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ نِكَاحِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَعَضْلِ الْمُحَرَّمِ عَضْلَهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَأَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ، وَقَتْلِ الْمُحَرَّمِ قَتْلُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ

مِمَّا وَعَدَ اللهُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ الْعُقُوبَةَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَجْعَلَ قَوْلَهُ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مَعْنِيًّا بِهِ جَمِيعَ مَا أَوْعَدَ اللهُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ؟ قِيلَ: مَنَعَ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ فَصْلٍ مِنْ ذَلِكَ قَدْ قُرِنَ بِالْوَعِيدِ، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ [النساء: ١٨]، وَلَا ذِكْرَ لِلْعُقُوبَةِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهُ، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾، فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ مَعْنِيًّا بِهِ مَا قُلْنَا مِمَّا لَمْ يُقْرَنْ بِالْوَعِيدِ مَعَ إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ تَوَعَّدَ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ أَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ مَا سَلَفَ فِيهِ الْوَعِيدُ بِالنَّهْيِ مَقْرُونًا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿عُدْوَانًا﴾ تَجَاوُزًا لِمَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ إِلَىٰ مَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِ..

﴿وَظُلْمًا﴾ فِعْلًا مِنْهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ بِهِ، وَرُكُوبًا مِنْهُ مَا قَدْ نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ..

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ فَسَوْفَ نُورِدُهُ نَارًا يَصْلَىٰ بِهَا فَيَحْتَرِقُ فِيهَا..

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ وَكَانَ إِصْلَاءُ فَاعِلِ ذَلِكَ النَّارَ وَإِحْرَاقُهُ بِهَا..

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [النساء: ٣٠] عَلَىٰ اللهِ سَهْلًا يَسِيرًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ عَلَىٰ رَبِّهِ مِمَّا أَرَادَ بِهِ مِنْ سُوءٍ، وَإِنَّمَا يَصْعُبُ الْوَفَاءُ بِالْوَعِيدِ لِمَنْ تَوَعَّدَهُ عَلَىٰ مَنْ كَانَ إِذَا حَاوَلَ الْوَفَاءَ بِهِ قَدَرَ الْمُتَوَعَّدُ مِنَ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ فِي قَبْضَةِ مُوَعِّدِهِ فَيَسِيرٌ عَلَيْهِ إِمْضَاءُ حُكْمِهِ فِيهِ وَالْوَفَاءُ لَهُ بِوَعِيدِهِ، غَيْرُ عَسِيرٍ عَلَيْهِ أَمْرٌ أَرَادَهُ بِهِ.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [النساء: ٣١].

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أَوْلَىٰ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ الْكَبَائِرِ بِالصِّحَّةِ، مَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُونَ مَا قَالَهُ غَيْرُهُ، فَالْكَبَائِرُ إِذَنِ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمُ قَتْلُهَا، وَقَوْلُ الزُّورِ -وَقَدْ يَدْخُلُ فِي قَوْلِ الزُّورِ شَهَادَةُ الزُّورِ- وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ، وَالسِّحْرُ، -وَيَدْخُلُ فِي قَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمُ قَتْلُهَا: قَتْلُ الرَّجُلِ وَلَدَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ مَعَهُ- وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَالزِّنَا بِحَلِيلَةِ الْجَارِ..

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاجْتِنَابِكُمْ كَبَائِرَ مَا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ رَبُّكُمْ..

﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾ صَغَائِرَ سَيِّئَاتِكُمْ، يَعْنِي: صَغَائِرَ ذُنُوبِكُمْ..

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [النساء: ٣١] وَهُوَ الطَّيِّبُ الْحَسَنُ، الْمُكَرَّمُ بِنَفْيِ الْآفَاتِ

وَالْعَاهَاتِ عَنْهُ، وَبِارْتِفَاعِ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ، وَدُخُولِ الْكَدَرِ فِي عَيْشِ مَنْ دَخَلَهُ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ كَرِيمًا.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ وَلَا تَشْتَهُوا..

﴿مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي نِسَاءٍ تَمَنَّيْنَ مَنَازِلَ الرِّجَالِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَا لَهُمْ، فَنَهَىٰ اللهُ عِبَادَهُ عَنِ الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ..

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ مِنْ ثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ..

﴿مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ فَعَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ..

﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ مِنْ ذَلِكَ كَمَا لِلرِّجَالِ.. وَذَلِكَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ تَأْوِيلُهُ: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَخْبَرَ أَنَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ نَصِيبًا مِمَّا اكْتَسَبَ، وَلَيْسَ الْمِيرَاثُ مِمَّا اكْتَسَبَهُ الْوَارِثُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَالٌ أَوْرَثَهُ اللهُ عَنْ مَيِّتِهِ بِغَيْرِ اكْتِسَابٍ، وَإِنَّمَا الْكَسْبُ الْعَمَلُ، وَالْمُكْتَسِبُ: الْمُحْتَرِفُ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا لَمْ يَكْتَسِبُوا، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا لَمْ يَكْتَسِبْنَ..

﴿وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ، فَفَضْلُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: تَوْفِيقُهُ وَمَعُونَتُهُ.. فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ، إِذْ كَانَتِ الْأَمَانِيُّ تُورِثُ أَهْلَهَا الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ..

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَضَائِهِ وَأَحْكَامِهِ فِيهِمْ..

﴿عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢] ذَا عِلْمٍ، فَلَا تَتَمَنَّوْا غَيْرَ الَّذِي قَضَىٰ لَكُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِطَاعَتِهِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء: ٣٣].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ وَلِكُلِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ عَصَبَةً وَوَرَثَةً مِنْ بَنِي عَمِّهِ وَإِخْوَتِهِ وَسَائِرِ عَصَبَتِهِ، يَرِثُونَ بِهِ مِمَّا تَرَكَ وَالِدُهُ وَأَقْرِبَاؤُهُ مِنْ مِيرَاثِهِمْ.. وَالْعَرَبُ تُسَمِّي ابْنَ الْعَمِّ الْمَوْلَىٰ..

﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ مِمَّا تَرَكَهُ وَالِدُهُ وَأَقْرِبَاؤُهُ مِنَ الْمِيرَاثِ..

﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ وَصَلَتْ وَشَدَّتْ وَوَكَّدَتْ، الْحِلْفَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ..

﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مَوَاثِيقُكُمْ وهي أَيْمَانُكُمْ وَأَيْمَانُ الْمَعْقُودِ عَلَيْهِمْ..

﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ﴾ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْمَعُونَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَالرَّأْيِ عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا حِلْفَ فِي الإِسْلَامِ، وَمَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمْ يَزِدْهُ الإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً**».. فَآتُوا الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ النُّصْرَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَالرَّأْيِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٣٣﴾ [النساء: ٣٣] فَإِنَّ اللهَ شَاهِدٌ عَلَىٰ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ أَفْعَالِكُمْ، مُرَاعٍ لِكُلِّ ذَلِكَ، حَافِظٌ، حَتَّىٰ يُجَازِي جَمِيعَكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ جَزَاءَهُ، أَمَّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمُ الْمُتَّبِعُ أَمْرِي وَطَاعَتِي فَبِالْحُسْنَىٰ، وَأَمَّا الْمُسِيءُ مِنْكُمُ الْمُخَالِفُ أَمْرِي وَنَهْيِي فَبِالسُّوأَىٰ.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الرِّجَالُ أَهْلُ قِيَامٍ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ فِي تَأْدِيبِهِنَّ وَالأَخْذِ عَلَىٰ أَيْدِيهِنَّ، فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ لِلَّهِ وَلِأَنْفُسِهِمْ..

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ بِهِ الرِّجَالَ..

﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ مِنْ سَوقِهِمْ إِلَيْهِنَّ مُهُورَهُنَّ، وَإِنْفَاقِهِمْ عَلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُمْ، وَكِفَايَتِهِمْ إِيَّاهُنَّ مُؤَنَهُنَّ، وَذَلِكَ تَفْضِيلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِنَّ، وَلِذَلِكَ صَارُوا قُوَّامًا عَلَيْهِنَّ، نَافِذِي الأَمْرِ عَلَيْهِنَّ فِيمَا جَعَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِهِنَّ..

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ وَبِمَا سَاقُوا إِلَيْهِنَّ مِنْ صَدَاقٍ، وَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ مِنْ نَفَقَةٍ..

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ الْمُسْتَقِيمَاتُ الدِّينِ، الْعَامِلَاتُ بِالْخَيْرِ..

﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ مُطِيعَاتٌ لِلَّهِ وَلِأَزْوَاجِهِنَّ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْقُنُوتِ فِيمَا مَضَىٰ وَأَنَّهُ الطَّاعَةُ، وَدَلَّلْنَا عَلَىٰ صِحَّةِ ذَٰلِكَ مِنَ الشَّوَاهِدِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ حافظَاتٌ لِأَنْفُسِهِنَّ عِنْدَ غَيْبَةِ أَزْوَاجِهِنَّ عَنْهُنَّ فِي فُرُوجِهِنَّ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلِلْوَاجِبِ عَلَيْهِنَّ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي ذَٰلِكَ وَغَيْرِهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ النِّسَاءِ امْرَأَةٌ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ**» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الْآيَةُ.. وَهَذَا الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: صَالِحَاتٌ فِي أَدْيَانِهِنَّ، مُطِيعَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ، حَافِظَاتٌ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ بِحِفْظِ اللهِ إِيَّاهُنَّ؛ إِذْ صَيَّرَهُنَّ كَذَلِكَ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ وَأَصْلِحُوا..

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَاللَّاتِي تَعْلَمُونَ نُشُوزَهُنَّ، وَوَجْهُ صَرْفِ الْخَوْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَىٰ الْعِلْمِ فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ، نَظِيرُ صَرْفِ الظَّنِّ إِلَىٰ الْعِلْمِ، لِتَقَارُبِ مَعْنَيَيْهِمَا، إِذْ كَانَ الظَّنُّ شَكًّا، وَكَانَ الْخَوْفُ مَقْرُونًا بِرَجَاءٍ، وَكَانَا جَمِيعًا مِنْ فِعْلِ الْمَرْءِ بِقَلْبِهِ.. وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: مَعْنَىٰ الْخَوْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْخَوْفُ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الرَّجَاءِ، قَالُوا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُنَّ مَا تَخَافُونَ..

﴿نُشُوزَهُنَّ﴾ اسْتِعْلَاءَهُنَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، وَارْتِفَاعَهُنَّ عَنْ فُرُشِهِمْ بِالْمَعْصِيَةِ مِنْهُنَّ، وَالْخِلَافُ عَلَيْهِمْ فِيمَا لَزِمَهُنَّ طَاعَتُهُمْ فِيهِ، بُغْضًا مِنْهُنَّ وَإِعْرَاضًا عَنْهُمْ.. وَأَصْلُ النُّشُوزِ الارْتِفَاعُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ مِنَ الْأَرْضِ نَشَزٌ وَنَشَازٌ..

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فِي نُشُوزِهِنَّ عَلَيْكُمْ، وذَكِّرُوهُنَّ اللهَ، وَخَوِّفُوهُنَّ وَعِيدَهُ فِي رُكُوبِهَا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا مِنْ مَعْصِيَةِ زَوْجِهَا فِيمَا أَوْجَبَ عَلَيْهَا طَاعَتَهُ فِيهِ، فَإِنِ اتَّعَظْنَ فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ..

﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ فَإِنْ أَبَيْنَ الْأَوْبَةَ مِنْ نُشُوزِهِنَّ فَاهْجُرُوا فِي قَوْلِكُمْ لَهُمْ، بِمَعْنَىٰ: رُدُّوا عَلَيْهِنَّ كَلَامَكُمْ إِذَا كَلَّمْتُمُوهُنَّ بِالتَّغْلِيظِ لَهُنَّ، وَلَا يَدَعُ جِمَاعَهَا.. وَلَا مَعْنَىٰ لِلْهَجْرِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا عَلَىٰ أَحَدِ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: هَجْرُ الرَّجُلِ كَلَامَ الرَّجُلِ وَحَدِيثَهُ، وَالْآخَرُ: الْإِكْثَارُ مِنَ الْكَلَامِ بِتَرْدِيدٍ كَهَيْئَةِ كَلَامِ الْهَازِئِ، وَالثَّالِثُ: هَجَرَ الْبَعِيرُ إِذَا رَبَطَهُ صَاحِبُهُ بِالْهِجَارِ، وَهُوَ حَبْلٌ يُرْبَطُ فِي حَقْوَيْهَا وَرُسْغِهَا.. فَإِذْ كَانَ لَا وَجْهَ لِلْهَجْرِ فِي الْكَلَامِ إِلَّا أَحَدَ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ الْمَخُوفُ نُشُوزُهَا إِنَّمَا أُمِرَ زَوْجُهَا بِوَعْظِهَا لِتُنِيبَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهَا لَهُ مِنْ مُوَافَاتِهِ عِنْدَ دُعَائِهِ إِيَّاهَا إِلَىٰ فِرَاشِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تَكُونَ عِظَتُهُ لِذَلِكَ، ثُمَّ تَصِيرُ الْمَرْأَةُ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَطَاعَةِ زَوْجِهَا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ الزَّوْجُ مَأْمُورًا

بِهَجْرِهَا فِي الْأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عِظَتُهُ إِيَّاهَا عَلَيْهِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بَطَلَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ وَاهْجُرُوا جِمَاعَهُنَّ.. أَوْ يَكُونُ إِذْ بَطَلَ هَذَا الْمَعْنَىٰ، بِمَعْنَىٰ: وَاهْجُرُوا كَلَامَهُنَّ بِسَبَبِ هَجْرِهِنَّ مَضَاجِعَكُمْ، وَذَلِكَ أَيْضًا لَا وَجْهَ لَهُ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ حَلَالًا لَمْ يَكُنْ لِهَجْرِهَا فِي الْكَلَامِ مَعْنَىٰ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ عَنْهُ مُنْصَرِفَةً وَعَلَيْهِ نَاشِزًا فَمِنْ سُرُورِهَا أَنْ لَا يُكَلِّمُهَا وَلَا يَرَاهَا وَلَا تَرَاهُ، فَكَيْفَ يُؤْمَرُ الرَّجُلُ فِي حَالِ بُغْضِ امْرَأَتِهِ إِيَّاهُ وَانْصِرَافِهَا عَنْهُ بِتَرْكِ مَا فِي تَرْكِهِ سُرُورُهَا مِنْ تَرْكِ جِمَاعِهَا وَمُجَاذَبَتِهَا وَتَكْلِيمِهَا، وَهُوَ يُؤْمَرُ بِضَرْبِهَا لِتَرْتَدِعَ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ طَاعَتِهِ إِذَا دَعَاهَا إِلَىٰ فِرَاشِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُلْزِمُهَا طَاعَتُهُ فِيهِ؟!.. أَوْ يَكُونُ إِذْ فَسَدَ هَذَانِ الْوَجْهَانِ يَكُونُ مَعْنَاهُ: وَاهْجُرُوا فِي قَوْلِكُمْ لَهُمْ، بِمَعْنَىٰ: رُدُّوا عَلَيْهِنَّ كَلَامَكُمْ إِذَا كَلَّمْتُمُوهُنَّ بِالتَّغْلِيظِ لَهُنَّ.. فَعِظُوهُنَّ أَيُّهَا الرِّجَالُ فِي نُشُوزِهِنَّ، فَإِنْ أَبَيْنَ الْإِيَابَ إِلَىٰ مَا يُلْزِمُهُنَّ لَكُمْ فَشُدُّوهُنَّ وِثَاقًا فِي مَنَازِلِهِنَّ..

﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ لِيَؤُبْنَ إِلَىٰ الْوَاجِبِ عَلَيْهِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِي اللَّازِمِ لَهُنَّ مِنْ حُقُوقِكُمْ.. وَقَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: صِفَةُ الضَّرْبِ الَّتِي أَبَاحَ اللهُ لِزَوْجِ النَّاشِزِ أَنْ يَضْرِبَهَا الضَّرْبَ غَيْرَ الْمُبَرِّحِ..

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ نِسَاؤُكُمُ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ عِنْدَ وَعْظِكُمْ إِيَّاهُنَّ، فَلَا تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، فَإِنْ لَمْ يُطِعْنَكُمْ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ، فَإِنْ رَاجَعْنَ طَاعَتَكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَفِئْنَ إِلَىٰ الْوَاجِبِ عَلَيْهِنَّ، فَلَا تَطْلُبُوا طَرِيقًا إِلَىٰ أَذَاهِنَّ وَمَكْرُوهِهِنَّ، وَلَا تَلْتَمِسُوا سَبِيلًا إِلَىٰ مَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ مِنْ أَبْدَانِهِنَّ وَأَمْوَالِهِنَّ بِالْعِلَلِ، وَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ لِإِحْدَاهِنَّ وَهِيَ لَهُ مُطِيعَةٌ: إِنَّكِ لَسْتِ تُحِبِّينِي وَأَنْتِ لِي مُبْغِضَةٌ، فَيَضْرِبُهَا عَلَىٰ ذَلِكَ أَوْ يُؤْذِيهَا، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلرِّجَالِ: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ أَيْ عَلَىٰ بُغْضِهِنَّ لَكُمْ..

﴿فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ فَلَا تَجْنُوا عَلَيْهِنَّ، ولَا تَلْتَمِسُوا وَلَا تَطْلُبُوا، وَلَا تُكَلِّفُوهُنَّ مَحَبَّتَكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِنَّ فَتَضْرِبُوهُنَّ أَوْ تُؤْذُوهُنَّ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا﴾ إِنَّ اللهَ ذُو عُلُوٍّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا تَبْغُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ أَزْوَاجِكُمْ إِذَا أَطَعْنَكُمْ فِيمَا أَلْزَمَهُنَّ اللهُ لَكُمْ مِنْ حَقٍّ سَبِيلًا لِعُلُوِّ أَيْدِيكُمْ عَلَىٰ أَيْدِيهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ أَعْلَىٰ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْلَىٰ مِنْكُمْ عَلَيْهِنَّ..

﴿كَبِيرًا ۝٣٤﴾ [النساء: ٣٤] وَأَكْبَرُ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتُمْ فِي يَدِهِ وَقَبْضَتِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ أَنْ تَظْلِمُوهُنَّ وتَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا وَهُنَّ لَكُمْ مُطِيعَاتٌ، فَيَنْتَصِرُ لَهُنَّ مِنْكُمْ رَبُّكُمُ الَّذِي هُوَ أَعْلَىٰ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْبَرُ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝٣٥﴾ [النساء: ٣٥].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ وَإِنْ عَلِمْتُمْ..

﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ وَذَلِكَ مُشَاقَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَهُوَ إِتْيَانُهُ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ، فَأَمَّا مِنَ الْمَرْأَةِ فَالنُّشُوزُ، وَتَرْكُهَا أَدَاءَ حَقِّ اللهِ عَلَيْهَا الَّذِي أَلْزَمَهَا اللهُ لِزَوْجِهَا؛ وَأَمَّا مِنَ الزَّوْجِ فَتَرْكُهُ إِمْسَاكَهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ تَسْرِيحَهَا بِإِحْسَانٍ.. وَالشِّقَاقُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: شَاقَّ فُلَانٌ فُلَانًا: إِذَا أَتَىٰ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَىٰ صَاحِبِهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ، فَهُوَ يُشَاقُّهُ مُشَاقَّةً وَشِقَاقًا؛ وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ عَدَاوَةً..

﴿فَابْعَثُوا﴾ خَاطَبَ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ بِبَعْثَةٍ.. وَقَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّ بَعْثَةَ الْحَكَمَيْنِ فِي ذَلِكَ لَيْسَتْ لِغَيْرِ الزَّوْجَيْنِ وَغَيْرِ السُّلْطَانِ، الَّذِي هُوَ سَائِسُ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مَنْ أَقَامَهُ فِي ذَلِكَ مَقَامَ نَفْسِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الزَّوْجَانِ وَالسُّلْطَانُ مِمَّنْ قَدْ شَمِلَهُ حُكْمُ الْآيَةِ، وَلَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ بِذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِهِ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ، وَلَا أَثَرٌ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ حَكَمَيْنِ عِنْدَ خَوْفِ الشِّقَاقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِهِمَا.. وَلَيْسَ لَهُمَا وَلَا لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا الْحُكْمُ بَيْنَهُمَا بِالْفُرْقَةِ، وَلَا بِأَخْذِ مَالٍ، إِلَّا بِرِضَا الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَإِلَّا مَا لَزِمَ مِنْ حَقٍّ لِأَحَدِ الزَّوْجَيْنِ عَلَىٰ الْآخَرِ فِي حُكْمِ اللهِ، وَذَلِكَ مَا لَزِمَ الرَّجُلَ لِزَوْجَتِهِ مِنَ النَّفَقَةِ وَالْإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ إِنْ كَانَ هُوَ الظَّالِمُ لَهَا.. فَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَيْسَ ذَلِكَ لَهُمَا وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِهِمَا، لَا السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الزَّوْجَ إِنْ كَانَ هُوَ الظَّالِمُ لِلْمَرْأَةِ فَلِلْإِمَامِ السَّبِيلُ إِلَىٰ أَخْذِهِ بِمَا يَجِبُ لَهَا عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ هِيَ الظَّالِمَةُ زَوْجَهَا النَّاشِزَةُ عَلَيْهِ، فَقَدْ أَبَاحَ اللهُ لَهُ أَخْذَ الْفِدْيَةِ مِنْهَا وَجَعَلَ إِلَيْهِ طَلَاقَهَا عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَإِذْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ الْفُرْقَةُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ بِغَيْرِ رِضَا الزَّوْجِ، وَلَا أَخْذُ مَالٍ مِنَ الْمَرْأَةِ بِغَيْرِ رِضَاهَا بِإِعْطَائِهِ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ أَصْلٍ أَوْ قِيَاسٍ.. وَإِنْ بَعَثَ الْحَكَمَيْنِ السُّلْطَانُ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ بِفُرْقَةٍ إِلَّا بِتَوْكِيلِ الزَّوْجِ إِيَّاهُمَا بِذَلِكَ، وَلَا لَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا بِأَخْذِ مَالٍ مِنَ الْمَرْأَةِ إِلَّا بِرِضَا الْمَرْأَةِ؛ وَلَكِنْ لَهُمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَيَتَعَرَّفَا الظَّالِمَ مِنْهُمَا مِنَ الْمَظْلُومِ

لِيَشْهَدَا عَلَيْهِ إِنِ احْتَاجَ الْمَظْلُومُ مِنْهُمَا إِلَىٰ شَهَادَتِهِمَا.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: لَيْسَ لَهُمَا التَّفْرِيقُ لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آنِفًا، وَإِنَّمَا يَبْعَثُ السُّلْطَانُ الْحَكَمَيْنِ إِذَا بَعَثَهُمَا إِذَا ارْتَفَعَ إِلَيْهِ الزَّوْجَانِ، فَشَكَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَأَشْكَلَ عَلَيْهِ الْمُحِقُّ مِنْهُمَا مِنَ الْمُبْطِلِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُشْكِلِ الْمُحِقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ، فَلَا وَجْهَ لِبَعْثِهِ الْحَكَمَيْنِ فِي أَمْرٍ قَدْ عُرِفَ الْحُكْمُ فِيهِ..

﴿إِن يُرِيدَآ﴾ إِنْ يُرِدِ الْحَكَمَانِ..

﴿إِصۡلَٰحٗا﴾ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، أَعْنِي بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ الْمَخُوفِ شِقَاقُ بَيْنِهِمَا..

﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ يُوَفِّقُ اللهُ بَيْنَ الْحَكَمَيْنِ، فَيَتَّفِقَا عَلَى الْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمَا، وَذَلِكَ إِذَا صَدَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِيمَا أَفْضَىٰ إِلَيْهِ مِنْ بَعْثٍ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِ الزَّوْجَيْنِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِمَا أَرَادَ الْحَكَمَانِ مِنْ إِصْلَاحِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَغَيْرِهِ..

﴿خَبِيرٗا ٣٥﴾ [النساء: ٣٥] بِذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِهِمَا وَأُمُورِ غَيْرِهِمَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، حَافِظٌ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلًّا مِنْهُمْ جَزَاءَهُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالْإِسَاءَةِ غُفْرَانًا أَوْ عِقَابًا.

﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَذِلُّوا لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِهَا، وَأَفْرِدُوهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْخُضُوعَ وَالذِّلَّةَ، بِالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَنْ نَهْيِهِ..

﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ شَرِيكًا تُعَظِّمُونَهُ تَعْظِيمَكُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ وَأَمَرَكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، يَعْنِي: بِرًّا بِهِمَا؛ وَلِذَلِكَ نَصَبَ الْإِحْسَانَ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِلُزُومِ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِغْرَاءِ.. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَاسْتَوْصُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَهُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِمَّا قُلْنَاهُ..

﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وَأَمَرَ أَيْضًا بِذِي الْقُرْبَىٰ، وَهُمْ ذَوُو قَرَابَةِ أَحَدِنَا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ مِمَّنْ قَرُبَتْ مِنْهُ قَرَابَتُهُ بِرَحِمِهِ مِنْ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ، إِحْسَانًا بِصِلَةِ رَحِمِهِ..

﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ جَمْعُ يَتِيمٍ، وَهُوَ الطِّفْلُ الَّذِي قَدْ مَاتَ وَالِدُهُ وَهَلَكَ..

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ وَهُوَ جَمْعُ مِسْكِينٍ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ رَكِبَهُ ذُلُّ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، فَتَمَسْكَنَ

لِذَلِكَ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: اسْتَوْصُوا بِهَؤُلَاءِ إِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَتَعَطَّفُوا عَلَيْهِمْ، وَالْزَمُوا وَصِيَّتِي فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ..

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وَالْجَارِ ذِي الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ مِنْكَ.. وَالْمُتَعَارَفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا قِيلَ فُلَانٌ ذُو قَرَابَةٍ، إِنَّمَا يَعْنِي بِهِ: إِنَّهُ قَرِيبُ الرَّحِمِ مِنْهُ دُونَ الْقُرْبِ بِالدِّينِ، فَكَانَ صَرْفُهُ إِلَىٰ الْقَرَابَةِ بِالرَّحِمِ أَوْلَىٰ مِنْ صَرْفِهِ إِلَىٰ الْقُرْبِ بِالدِّينِ..

﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ الْغَرِيبُ الْبَعِيدُ الْمُجَانِبُ لِلْقَرَابَةِ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ مُشْرِكًا، يَهُودِيًّا كَانَ أَوْ نَصْرَانِيًّا؛ لِمَا بَيَّنَّا قَبْلُ أَنَّ الْجَارَ ذِي الْقُرْبَىٰ هُوَ الْجَارُ ذُو الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْجَارُ ذُو الْجَنَابَةِ الْجَارَ الْبَعِيدِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ وَصِيَّةً بِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْجِيرَانِ، قَرِيبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ، وَالْجُنُبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْبَعِيدُ، وَمِنْهُ قِيلَ: اجْتَنَبَ فُلَانٌ فُلَانًا: إِذَا بَعُدَ مِنْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْجُنُبِ: جُنُبٌ، لِاعْتِزَالِهِ الصَّلَاةَ حَتَّىٰ يَغْتَسِلَ، فَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالْجَارُ الْمُجَانِبُ لِلْقَرَابَةِ..

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ الصَّاحِبُ إِلَىٰ الْجَنْبِ، وَمِنْ ذَلِكَ: جَنَبَ الْخَيْلَ، إِذَا قَادَ بَعْضَهَا إِلَىٰ جَنْبِ بَعْضٍ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْمُنْقَطِعُ إِلَىٰ الرَّجُلِ الَّذِي يُلَازِمُهُ رَجَاءَ نَفْعِهِ، لِأَنَّ كُلَّهُمْ بِجَنْبِ الَّذِي هُوَ مَعَهُ وَقَرِيبٌ مِنْهُ، وَقَدْ أَوْصَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِجَمِيعِهِمْ لِوُجُوبِ حَقِّ الصَّاحِبِ عَلَىٰ الْمَصْحُوبِ، وَإِنْ كَانَ الصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِيهِ كُلُّ مَنْ جَنَبَ رَجُلًا يَصْحَبُهُ فِي سَفَرٍ أَوْ نِكَاحٍ أَوِ انْقِطَاعٍ إِلَيْهِ وَاتِّصَالٍ بِهِ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّ بَعْضَهُمْ مِمَّا احْتَمَلَهُ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ؛ فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: جَمِيعُهُمْ مَعْنِيُّونَ بِذَلِكَ، وَبِكُلِّهِمْ قَدْ أَوْصَىٰ اللهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ..

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هُوَ صَاحِبُ الطَّرِيقِ، وَالسَّبِيلُ: هُوَ الطَّرِيقُ، وَابْنُهُ: صَاحِبُهُ الضَّارِبُ فِيهِ، فَلَهُ الْحَقُّ عَلَىٰ مَنْ مَرَّ بِهِ مُحْتَاجًا مُنْقَطِعًا بِهِ، إِذَا كَانَ سَفَرُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ أَنْ يُعِينَهُ إِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ مَعُونَةٍ، وَيُضِيفُهُ إِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ ضِيَافَةٍ، وَأَنْ يَحْمِلَهُ إِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ حُمْلَانَ..

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وَالَّذِينَ مَلَكْتُمُوهُمْ مِنْ أَرِقَّائِكُمْ، فَأَضَافَ الْمِلْكَ إِلَىٰ الْيَمِينِ، كَمَا يُقَالُ: تَكَلَّمَ فُوكَ، وَمَشَتْ رِجْلُكَ، وَبَطَشَتْ يَدُكَ، بِمَعْنَىٰ: تَكَلَّمْتَ وَمَشَيْتَ، وَبَطَشْتَ، غَيْرَ أَنَّ مَا وَصَفْتَ بِهِ كُلَّ عُضْوٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ مَا وَصَفْتَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ فِي الْمُتَعَارَفِ فِي النَّاسِ دُونَ سَائِرِ جَوَارِحِ الْجَسَدِ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِوَصْفِ ذَلِكَ الْعُضْوِ بِمَا وُصِفَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ الْمُرَادِ مِنَ الْكَلَامِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ لِأَنَّ

مَمَالِيكَ أَحَدِنَا تَحْتَ يَدِهِ، إِنَّمَا يَطْعَمُ مَا تُنَاوِلُهُ أَيمَانُنَا وَيَكْتَسِي مَا تَكْسُوهُ وَتَصْرِفُهُ فِيمَا أَحَبَّ صَرْفَهُ فِيهِ بِهَا، فَأُضِيفَ مِلْكُهُمْ إِلَىٰ الْأَيمَانِ لِذَلِكَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ ذَا خُيَلَاءَ..

﴿فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦] الْفَخُورُ: هُوَ الْمُفْتَخِرُ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ آلَائِهِ، وَبَسَطَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَا يَحْمَدُ عَلَىٰ مَا آتَاهُ مِنْ طَوْلِهِ، وَلَكِنَّهُ بِهِ مُخْتَالٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَعَلَىٰ غَيْرِهِ بِهِ مُسْتَطِيلٌ مُفْتَخِرٌ.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٣٧﴾ [النساء: ٣٧].

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ وَاللهُ لَا يُحِبُّ ذَوِي الْخُيَلَاءِ وَالْفَخْرِ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِتَبْيِينِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِتَبْيِينِهِ لِلنَّاسِ مِنِ اسْمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كُتُبِهِ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَهُمْ بِهِ عَالِمُونَ.. فَإِنَّ اللهَ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْبُخْلِ، بِتَعْرِيفِ مَنْ جَهِلَ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لِلَّهِ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ بَيَّنَهُ فِيمَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ مِنْ كُتُبِهِ، فَبَخِلَ بِتَبْيِينِهِ لِلنَّاسِ هَؤُلَاءِ..

﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، مِثْلَ عِلْمِهِمْ بِكِتْمَانِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِتَبْيِينِهِ لَهُ.. وَأَمَرُوا مَنْ كَانَتْ حَالُهُ حَالَهُمْ فِي مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ أَنْ يَكْتُمُوهُ مَنْ جَهِلَ ذَلِكَ، وَلَا يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ..

﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ وَمَعْرِفَتِهِ مَنْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ كِتْمَانَهُ إِيَّاهُ..

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ وَجَعَلْنَا لِلْجَاحِدِينَ نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمُكَذِّبِينَ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهِ، الْكَاتِمِينَ نَعْتَهُ وَصِفَتَهُ مَنْ أَمَرَهُمُ اللهُ بِبَيَانِهِ لَهُ مِنَ النَّاسِ..

﴿عَذَابًا مُّهِينًا ۝٣٧﴾ [النساء: ٣٧] عِقَابًا مُذِلًّا مَنْ عُذِّبَ بِخُلُودِهِ فِيهِ عَتَادًا لَهُ فِي آخِرَتِهِ، إِذَا قَدِمَ عَلَىٰ رَبِّهِ وَجَدَهُ بِمَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ جُحُودِهِ فَرْضَ اللهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨﴾ [النساء: ٣٨].

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ

صِفَتَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَيُنْفِقُهُ مُرَاءَاةَ النَّاسِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ أَوْ غَيْرِ سَبِيلِهِ، وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ..

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَلَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱللَّهِ﴾ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَلَا بِالْمِيعَادِ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِي فِيهِ جَزَاءُ الْأَعْمَالِ أَنَّهُ كَائِنٌ.. وَقَدْ قَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ هَذَا مِنْ صِفَةِ الْيَهُودِ، وَهُوَ صِفَةُ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكٍ فَأَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ تَقِيَّةً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ مُقِيمُونَ أَشْبَهَ مِنْهُمْ بِصِفَةِ الْيَهُودِ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ تُوَحِّدُ اللهَ وَتُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ وَالْمَعَادِ، وَإِنَّمَا كَانَ كُفْرُهَا تَكْذِيبَهَا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَفِي فَصْلِ اللهِ بَيْنَ صِفَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَصِفَةِ الْفَرِيقِ الْآخَرِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا، بِالْوَاوِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَهُمْ، مَا يُنْبِئُ عَنْ أَنَّهُمَا صِفَتَانِ مِنْ نَوْعَيْنِ مِنَ النَّاسِ مُخْتَلِفِي الْمَعَانِي، وَإِنْ كَانَ جَمِيعُهُمْ أَهْلَ كُفْرٍ بِاللهِ، وَلَوْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ كِلْتَاهُمَا صِفَةَ نَوْعٍ واحِدٍ مِنَ النَّاسِ لَقِيلَ إِنْ شَاءَ اللهُ: وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَكِنْ فَصَلَ بَيْنَهُمْ بِالْوَاوِ لِمَا وَصَفْنَا، فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ دُخُولَ الْوَاوِ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ فِي عَطْفِ صِفَةٍ عَلَىٰ صِفَةٍ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ؟ قِيلَ: ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَفْصَحَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا أُرِيدَ ذَلِكَ تَرْكُ إِدْخَالِ الْوَاوِ، وَإِذَا أُرِيدَ بِالثَّانِي وَصْفٌ آخَرُ غَيْرَ الْأَوَّلِ أُدْخِلَ الْوَاوَ، وَتَوْجِيهُ كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ الْأَفْصَحِ الْأَشْهَرِ مِنْ كَلَامِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ كِتَابُهُ أَوْلَىٰ بِنَا مِنْ تَوْجِيهِهِ إِلَىٰ الْأَنْكَرِ مِنْ كَلَامِهِمْ..

﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ خَلِيلًا وَصَاحِبًا يَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ وَيَتْبَعُ أَمْرَهُ وَيَتْرُكُ أَمْرَ اللهِ فِي إِنْفَاقِهِ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ، وَجُحُودِهِ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَالْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨﴾ [النساء: ٣٨] فَسَاءَ الشَّيْطَانُ قَرِينًا.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝٣٩﴾

[النساء: ٣٩].

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أَيُّ شَيْءٍ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿لَوْ ءَامَنُوا۟﴾ لَوْ صَدَّقُوا..

﴿بِٱللَّهِ﴾ بِأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَخْلَصُوا لَهُ التَّوْحِيدَ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَأَيْقَنُوا بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَصَدَّقُوا بِأَنَّ اللهَ مُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ..

﴿مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَأَعْطَاهُمُوهَا طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُهُمْ، وَلَمْ يُنْفِقُوهَا رِئَاءَ النَّاسِ الْتِمَاسَ الذِّكْرِ وَالْفَخْرِ عِنْدَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَالْمَحْمَدَةِ بِالْبَاطِلِ عِنْدَ النَّاسِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ﴾ وَكَانَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ نِفَاقًا، وَهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مُكَذِّبُونَ..

﴿عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء: ٣٩] ذَا عِلْمٍ بِهِمْ وَبِأَعْمَالِهِمْ وَمَا يَقْصُدُونَ وَيُرِيدُونَ بِإِنْفَاقِهِمْ، وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ وَالْمَحْمَدَةَ فِي النَّاسِ، وَهُوَ حَافِظٌ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ بِهَا جَزَاءَهُمْ عِنْدَ مَعَادِهِمْ إِلَيْهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾
[النساء: ٤٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَبْخَسُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِهِ مِمَّا رَزَقَهُ مِنْ ثَوَابِ نَفَقَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَا مِنْ أَجْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أَيْ مَا يَزِنُهَا وَيَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ ثِقَلِهَا فِي الْوَزْنِ، وَلَكِنَّهُ يُجَازِيهِ بِهِ، وَيُثِيبُهُ عَلَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً، يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الْآخِرَةِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ**».. وَأَمَّا الذَّرَّةُ: فَإِنَّهُ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِيهَا (**رَأْسُ نَمْلَةٍ حَمْرَاءَ**)..

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ وَإِنْ تُوجَدْ لَهُ حَسَنَةٌ..

﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ يُضَاعِفُ لَهُ ثَوَابَهَا وَأَجْرَهَا.. وَإِنَّهُ جَاءَ بِالْأَلِفِ، وَلَمْ يَقُلْ: يُضَعِّفْهَا؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: يُضَاعِفُهَا أَضْعَافًا كَثِيرَةً؛ وَلَوْ أُرِيدَ بِهِ فِي قَوْلِهِ يُضَعِّفُ ذَلِكَ ضِعْفَيْنِ لَقِيلَ: يُضَعِّفْهَا بِالتَّشْدِيدِ.

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠] وَيُعْطِهِ مِنْ عِنْدِهِ أَجْرًا عَظِيمًا، وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ: الْجَنَّةُ عَلَىٰ مَا قَالَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، وابنُ جُبَيْرٍ، وابنُ زَيْدٍ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

﴿فَكَيْفَ﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَكَيْفَ بِهِمْ..

﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِأَعْمَالِهَا، وَتَصْدِيقِهَا رُسُلَهَا، أَوْ تَكْذِيبِهَا..

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أَيْ عَلَىٰ أُمَّتِكَ..

﴿شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] شَاهِدًا.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**».. وقالَ النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ مَسْعُودٍ: «**أَقْرَأْ عَلَيَّ**» قَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ النِّسَاءَ، حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ «**اسْتَعْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَفَّ ابْنُ مَسْعُودٍ**».

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ نَجِيءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَنَجِيءُ بِكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ يَا مُحَمَّدُ شَهِيدًا..

﴿يَوَدُّ﴾ يَتَمَنَّىٰ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ..

﴿وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾ وَعَصَوْا رَسُولَهُ..

﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ تَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ يَوْمَئِذٍ تُرَابًا، كما قال تعالىٰ ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٤٠] فَأَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ كَانُوا تُرَابًا..

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢] وَلَا تَكْتُمُ اللهَ جَوَارِحُهُمْ حَدِيثًا وَإِنْ جَحَدَتْ ذَلِكَ أَفْوَاهُهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ لَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا، وَيَوَدُّونَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ، ولَيْسَ بِمُنْكَتِمٍ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، لِعِلْمِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بِجَمِيعِ حَدِيثِهِمْ وَأَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ كَتَمُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَجَحَدُوهُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: ٤٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لَا تَقْرَبُوا الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ مُصَلِّينَ فِيهَا.. فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ مَقَامَ الْمُصَلَّىٰ وَالْمَسْجِدِ، إِذْ كَانَتْ صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسَاجِدِهِمْ أَيَّامَئِذٍ لَا يَتَخَلَّفُونَ عَنِ التَّجْمِيعِ فِيهَا، فَكَانَ فِي النَّهْيِ عَنْ أَنْ يَقْرَبُوا الصَّلَاةَ كِفَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ الْمَسَاجِدِ وَالْمُصَلَّىٰ الَّذِي يُصَلُّونَ فِيهِ..

﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ جَمْعُ سَكْرَانٍ.. وَهَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَىٰ مِنَ الشَّرَابِ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، لِلْأَخْبَارِ الْمُتَظَاهِرَةِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ نَهْيٌ مِنَ اللهِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، وَالسَّكْرَانُ فِي حَالِ زَوَالِ عَقْلِهِ نَظِيرُ الْمَجْنُونِ فِي حَالِ زَوَالِ عَقْلِهِ، وَأَنْتَ مِمَّنْ تُحِيلُ تَكْلِيفَ الْمَجَانِينَ لِفَقْدِهِمُ الْفَهْمَ بِمَا يُؤْمَرُ وَيُنْهَىٰ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ السَّكْرَانَ لَوْ كَانَ فِي مَعْنَىٰ الْمَجْنُونِ لَكَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَلَكِنَّ السَّكْرَانَ هُوَ الَّذِي يَفْهَمُ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ، غَيْرَ أَنَّ الشَّرَابَ قَدْ أَثْقَلَ لِسَانَهُ وَأَحَرَّ جِسْمَهُ وَأَخْدَرَهُ، حَتَّىٰ عَجَزَ عَنْ إِقَامَةِ قِرَاءَتِهِ فِي صَلَاتِهِ وَحُدُودِهَا الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ فِيهَا مِنْ غَيْرِ زَوَالِ عَقْلِهِ، فَهُوَ بِمَا أُمِرَ بِهِ وَنُهِيَ عَنْهُ عَارِفٌ فَهِمٌ، وَعَنْ أَدَاءِ بَعْضِهِ عَاجِزٌ بِخَدَرِ جِسْمِهِ مِنَ الشَّرَابِ، وَأَمَّا مَنْ صَارَ إِلَىٰ حَدٍّ لَا يَعْقِلُ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ، فَذَلِكَ مُنْتَقِلٌ مِنَ السُّكْرِ إِلَىٰ الْخَبْلِ، وَمَعْدُودٌ فِي الْمَجَانِينِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ الَّذِي خُوطِبَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ مَجْنُونٌ، وَإِنَّمَا خُوطِبَ بِهِ السَّكْرَانُ، وَالسَّكْرَانُ مَا وَصَفْنَا صِفَتَهُ..

﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ، وَتَقْرَءُونَ فِيهَا مِمَّا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ، أَوْ نَدَبَكُمْ إِلَىٰ قِيلِهِ فِيهَا مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ وَزَجَرَكُمْ..

﴿وَلَا جُنُبًا﴾ وَلَا تَقْرَبُوهَا أَيْضًا جُنُبًا..

﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَرِيقُكَ فِيهِ، وَلَمْ تَجِدْ طَرِيقًا إِلَّا الْمَسْجِدَ تَمُرُّ فِيهِ، فَتَمُرَّ مَارًّا وَلَا تَجْلِسْ..

﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ جَرْحَىٰ أَوْ بِكُمْ قُرُوحٌ أَوْ كَسْرٌ أَوْ عِلَّةٌ لَا تَقْدُرُونَ مَعَهَا عَلَىٰ الِاغْتِسَالِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ غَيْرُ مُسَافِرِينَ..

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أَوْ إِنْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ وَأَنْتُمْ أَصِحَّاءُ جُنُبٌ..

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ قَدْ قَضَىٰ حَاجَتَهُ وَهُوَ مُسَافِرٌ صَحِيحٌ.. وَالْغَائِطُ: مَا اتَّسَعَ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَجُعِلَ كِنَايَةً عَنْ قَضَاءِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَخْتَارُ قَضَاءَ حَاجَتِهَا فِي الْغِيطَانِ، فَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّىٰ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ قَضَىٰ حَاجَتَهُ الَّتِي كَانَتْ تُقْضَىٰ فِي الْغِيطَانِ حَيْثُ قَضَاهَا مِنَ الْأَرْضِ: مُتَغَوِّطٌ، جَاءَ فُلَانٌ مِنَ الْغَائِطِ يَعْنِي بِهِ: قَضَىٰ حَاجَتَهُ الَّتِي

كَانَتْ تُقْضَىٰ فِي الْغَائِطِ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أَوْ جَامَعْتُم النِّسَاءَ.. دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مَعَانِي اللَّمْسِ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ صَلَّىٰ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ..

﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ فَأَرَدْتُم أَنْ تُصَلُّوا، فَطَلَبْتُمُ الْمَاءَ لِتَتَطَهَّرُوا بِهِ، فَلَمْ تَجِدُوهُ بِثَمَنٍ وَلَا غَيْرِ ثَمَنٍ..

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ فَتعَمَّدُوا، وَهُوَ تَفَعَّلُوا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: تَيَمَّمْتُ كَذَا: إِذَا قَصَدْتُهُ..

﴿صَعِيدًا﴾ وَجْهَ الْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مِنَ النَّبَاتِ وَالْغُرُوسِ وَالْبِنَاءِ، الْمُسْتَوِيَةِ..

﴿طَيِّبًا﴾ طَاهِرًا مِنَ الْأَقْذَارِ وَالنَّجَاسَاتِ..

﴿فَٱمْسَحُواْ﴾ فَامْسَحُوا مِنْهُ.. وَلَكِنَّهُ تَرَكَ ذِكْرَ «مِنْهُ» اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ وَالْمَسْحُ مِنْهُ بِالْوَجْهِ أَنْ يَضْرِبَ الْمُتَيَمِّمُ بِيَدَيْهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ الطَّاهِرِ، أَوْ مَا قَامَ مَقَامَهُ، فَيَمْسَحَ بِمَا عَلَقَ مِنَ الْغُبَارِ وَجْهَهُ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَقَ بِهِ الْغُبَارُ كَثِيرًا، فَنَفَخَ عَنْ يَدَيْهِ أَوْ نَفَضَهُ، فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَقْ بِيَدَيْهِ مِنَ الْغُبَارِ شَيْءٌ، وَقَدْ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ أَوْ إِحْدَاهُمَا الصَّعِيدَ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا أَوْ بِهَا وَجْهَهُ أَجْزَأَهُ ذَلِكَ؛ لِإِجْمَاعِ جَمِيعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْمُتَيَمِّمَ لَوْ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ الصَّعِيدَ وَهُوَ أَرْضُ رَمْلٍ فَلَمْ يَعْلَقْ بِيَدَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَتَيَمَّمَ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ مُجْزِئُهُ، لَمْ يُخَالِفْ ذَلِكَ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُعْتَدَّ بِخِلَافِهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنْهُمْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّذِي يُرَادُ بِهِ مِنْ ضَرْبِ الصَّعِيدِ بِالْيَدَيْنِ مُبَاشَرَةُ الصَّعِيدِ بِهِمَا بِالْمَعْنَىٰ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِمُبَاشَرَتِهِ بِهِمَا، لَا لِأَخْذِ تُرَابٍ مِنْهُ..

﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ وَالْحَدُّ الَّذِي لَا يُجْزِئُ الْمُتَيَمِّمَ أَنْ يَقْصُرَ عَنْهُ فِي مَسْحِهِ بِالتُّرَابِ مِنْ يَدَيْهِ الْكَفَّانِ إِلَىٰ الزَّنْدَيْنِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ التَّقْصِيرَ عَنْ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ، ثُمَّ هُوَ فِيمَا جَاوَزَ ذَلِكَ مُخَيَّرٌ إِنْ شَاءَ بَلَغَ بِمَسْحِهِ الْمِرْفَقَيْنِ، وَإِنْ شَاءَ الْآبَاطَ، وَالْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا جَعَلْنَاهُ مُخَيَّرًا فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَّيْنِ، أَنَّ اللهَ لَمْ يَحُدَّ فِي مَسْحِ ذَلِكَ بِالتُّرَابِ فِي التَّيَمُّمِ حَدًّا لَا يَجُوزُ التَّقْصِيرُ عَنْهُ، فَمَا مَسَحَ الْمُتَيَمِّمُ مِنْ يَدَيْهِ أَجْزَأَهُ، إِلَّا مَا أُجْمِعَ عَلَيْهِ، أَوْ قَامَتِ الْحُجَّةُ بِأَنَّهُ لَا يُجْزِئُهُ التَّقْصِيرُ عَنْهُ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّ التَّقْصِيرَ عَنِ الْكَفَّيْنِ غَيْرُ مُجْزِئٍ، فَخَرَجَ ذَلِكَ بِالسُّنَّةِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَمُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَإِذْ كَانَ مُخْتَلَفًا فِيهِ، وَكَانَ الْمَاسِحُ بِكَفَّيْهِ دَاخِلًا فِي عُمُومِ الْآيَةِ كَانَ خَارِجًا مِمَّا لَزِمَهُ مِنْ فَرْضِ ذَلِكَ..

وَيَتَيَمَّمُ الْمُصَلِّي لِكُلِّ صَلَاةٍ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ كُلَّ قَائِمٍ إِلَىٰ الصَّلَاةِ بِالتَّطَهُّرِ بِالْمَاءِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ فَالتَّيَمُّمُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مَنْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ قِيَامُهُ إِلَيْهَا الْوُضُوءُ بِالْمَاءِ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ

قَدْ أَحْدَثَ حَدَثًا يَنْقُضُ طَهَارَتَهُ، فَيَسْقُطُ فَرْضُ الْوُضُوءِ عَنْهُ بِالسُّنَّةِ، وَأَمَّا الْقَائِمُ إِلَيْهَا وَقَدْ تَقَدَّمَ قِيَامُهُ إِلَيْهَا بِالتَّيَمُّمِ لِصَلَاةٍ قَبْلَهَا، فَفَرْضُ التَّيَمُّمِ لَهُ لَازِمٌ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، بَعْدَ طَلَبِهِ الْمَاءَ إِذَا أَعْوَزَهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عَفُوًّا عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ، وَتَرْكِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْهَا، مَا لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ، كَمَا عَفَا عَنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنْ قِيَامِكُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْكُمْ فِي مَسَاجِدِكُمْ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ..

﴿غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: ٤٣] فَلَمْ يَزَلْ يَسْتُرُ عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَتَهُمُ الْعَذَابَ عَلَىٰ خَطَايَاهُمْ، كَمَا سَتَرَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَتَكُمْ عَلَىٰ صَلَاتِكُمْ فِي مَسَاجِدِكُمْ سُكَارَىٰ، فَلَا تَعُودُوا لِمِثْلِهَا فَيَنَالُكُمْ بِعَوْدِكُمْ لِمَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ مَنْكَلَةٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾
[النساء: ٤٤].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ عِلْمًا.. وَذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ وَالْعِلْمَ لَا يُجَلِّيَانِ رُؤْيَةً، وَلَكِنَّهُ رُؤْيَةُ الْقَلْبِ بِالْعِلْمِ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ أُعْطُوا..

﴿نَصِيبًا﴾ حَظًّا..

﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَعَلِمُوهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ اللهَ عَنَىٰ بِذَلِكَ طَائِفَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ هؤلاء الْيَهُودُ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَخْتَارُونَ الضَّلَالَةَ، وَذَلِكَ الْأَخْذُ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقِ الْحَقِّ وَرُكُوبُ غَيْرِ سَبِيلِ الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ، مَعَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بِقَصْدِ السَّبِيلِ وَمَنْهَجِ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ بِوَصْفِهِمْ بِاشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ مَقَامَهُمْ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَرْكَهُمُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَهُمْ عَالِمُونَ أَنَّ السَّبِيلَ الْحَقَّ الْإِيمَانُ بِهِ، وَتَصْدِيقُهُ بِمَا قَدْ وَجَدُوا مِنْ صِفَتِهِ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي عِنْدَهُمْ..

﴿وَيُرِيدُونَ﴾ وَيُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُمْ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ..

﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُصَدِّقِينَ بِهِ..

﴿ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء: ٤٤] فَتَزِلُّوا عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ، وَمَحَجَّةِ الْحَقِّ، فَتُكَذِّبُوا بِمُحَمَّدٍ، وَتَكُونُوا

ضُلَّالًا مِثْلَهُمْ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَحْذِيرٌ مِنْهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَنْصِحُوا أَحَدًا مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، أَوْ أَنْ يَسْمَعُوا شَيْئًا مِنْ طَعْنِهِمْ فِي الْحَقِّ.. ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ عَدَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَنْصِحُوهُمْ فِي دِينِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ٤٥﴾ [النساء: ٤٥].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِعَدَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَانْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِي عَمَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنِ اسْتِنْصَاحِهِمْ فِي دِينِكُمْ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ لَكُمْ مِنَ الْغِشِّ وَالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَبْغُونَكُمُ الْغَوَائِلَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ تَضِلُّوا عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ فَتَهْلِكُوا.. فَبِاللهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَثِقُوا، وَعَلَيْهِ فَتَوَكَّلُوا، وَإِلَيْهِ فَارْغَبُوا دُونَ غَيْرِهِ، يَكْفِكُمْ مَا أَهَمَّكُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ وَكَفَاكُمْ وَحَسْبُكُمْ بِاللهِ رَبِّكُمْ وَلِيًّا يَلِيكُمْ وَيَلِي أُمُورَكُمْ بِالْحِيَاطَةِ لَكُمْ وَالْحِرَاسَةِ مِنْ أَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ أَوْ يَصُدُّوكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ نَبِيِّكُمْ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ٤٥﴾ [النساء: ٤٥] وَحَسْبُكُمْ بِاللهِ نَاصِرًا لَكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ وَأَعْدَاءِ دِينِكُمْ، وَعَلَىٰ مَنْ بَغَاكُمُ الْغَوَائِلَ، وَبَغَىٰ دِينَكُمُ الْعِوَجَ.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ٤٦﴾ [النساء: ٤٦].

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا..

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يُبَدِّلُونَ مَعْنَاهَا وَيُغَيِّرُونَهَا عَنْ تَأْوِيلِهِ.. وَالْكَلِمُ جِمَاعُ كَلِمَةٍ..

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ عَنْ أَمَاكِنِهِ، وَوُجُوهُهُ الَّتِي، هِيَ وُجُوهُهُ..

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَقُولُونَ: سَمِعْنَا يَا مُحَمَّدُ قَوْلَكَ..

﴿وَعَصَيْنَا﴾ أَمْرَكَ..

﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِلرَّجُلِ يَسُبُّهُ: اسْمَعْ لَا أَسْمَعَكَ اللهُ، فَوَصَفَهُمْ بِتَحْرِيفِ الْكَلَامِ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَالطَّعْنِ فِي الدِّينِ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مُهَاجِرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَصْرِهِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسُبُّونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُؤْذُونَهُ

بِالْقَبِيحِ مِنَ الْقَوْلِ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَأَوَّلَانِ فِي ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ: (وَاسْمَعْ غَيْرَ مَقْبُولٍ مِنْكَ)، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ لَقِيلَ: (وَاسْمَعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ)..

﴿وَرَٰعِنَا﴾ رَاعِنَا سَمْعَكَ، افْهَمْ عَنَّا وَأَفْهِمْنَا.. ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ تَحْرِيكًا مِنْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِتَحْرِيفٍ مِنْهُمْ لِمَعْنَاهُ إِلَىٰ الْمَكْرُوهِ مِنْ مَعْنَيَيْهِ، وَاسْتِخْفَافًا مِنْهُمْ بِحَقِّ النَّبِيِّ ﷺ..

﴿وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ﴾ وَيَطْعَنُونَ فِي الدِّينِ..

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ..

﴿قَالُوا۟﴾ لِنَبِيِّ اللهِ..

﴿سَمِعْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ قَوْلَكَ..

﴿وَأَطَعْنَا﴾ أَمْرَكَ، وَقَبِلْنَا مَا جِئْتَنَا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَٱسْمَعْ﴾ مِنَّا..

﴿وَٱنظُرْنَا﴾ مَا نَقُولُ، وَانْتَظِرْنَا نَفْهَمْ عَنْكَ مَا تَقُولُ لَنَا..

﴿لَكَانَ﴾ ذَلِكَ..

﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَأَقْوَمَ﴾ وَأَعْدَلَ وَأَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَهُوَ مِنَ الِاسْتِقَامَةِ، مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ٦] بِمَعْنَىٰ: وَأَصْوَبُ قِيلًا..

﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَخْزَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَأَقْصَاهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الرُّشْدِ، وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ..

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ بِجُحُودِهِمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْبَيِّنَاتِ..

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ فَلَا يُصَدِّقُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَلَا يُقِرُّونَ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦﴾ [النساء: ٤٦] لَا يُصَدِّقُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا إِيمَانًا قَلِيلًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۝٤٧﴾ [النساء: ٤٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مُهَاجَرِ

رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ اللهُ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْهِمُ الْكِتَابُ فَأُعْطُوا الْعِلْمَ بِهِ..

﴿ءَامِنُوا۟﴾ صَدِّقُوا..

﴿بِمَا نَزَّلْنَا﴾ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ مِنَ الْفُرْقَانِ..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ مُحَقِّقًا لِلَّذِي مَعَكُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا إِلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ أَبْصَارَهَا وَنَمْحُوَ آثَارَهَا فَنُسَوِّيَهَا كَالْأَقْفَاءِ..

﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ فَنَجْعَلَ أَبْصَارَهَا فِي أَدْبَارِهَا، يَعْنِي بِذَلِكَ: فَنَجْعَلَ الْوُجُوهَ فِي أَدْبَارِ الْوُجُوهِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: فَنُحَوِّلَ الْوُجُوهَ أَقْفَاءً، وَالْأَقْفَاءَ وُجُوهًا، فَيَمْشُونَ الْقَهْقَرَىٰ.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبَيِّنٌ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: تَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنْ نُعْمِيَهَا عَنِ الْحَقِّ فَنَرُدَّهَا فِي الضَّلَالَةِ، فَمَا وَجْهُ رَدِّ مَنْ هُوَ فِي الضَّلَالَةِ فِيهَا؟! وَإِنَّمَا يُرَدُّ فِي الشَّيْءِ مَنْ كَانَ خَارِجًا مِنْهُ، فَأَمَّا مَنْ هُوَ فِيهِ فَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ: يَرُدُّهُ فِيهِ.. وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَجْعَلَ الْوُجُوهَ مَنَابِتَ الشَّعْرِ كَهَيْئَةِ وُجُوهِ الْقِرَدَةِ، فَقَوْلٌ لِقَوْلِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مُخَالِفٌ، وَكَفَىٰ بِخُرُوجِهِ عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْخَالِفِينَ عَلَىٰ خَطَئِهِ شَاهِدًا.. وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَهُمُ الَّتِي هُمْ فِيهَا فَنَرُدَّهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ بِالْحِجَازِ وَنَجْدَ، فَإِنَّهُ - وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ- بَعِيدٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنَ الْوُجُوهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الَّتِي هِيَ خِلَافُ الْأَقْفَاءِ، وَكِتَابُ اللهِ يُوَجَّهُ تَأْوِيلُهُ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ فِي كَلَامِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ حَتَّىٰ يَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي ذَكَرْتُ دَلِيلٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ.. وَأَمَّا الطَّمْسُ: فَهُوَ الْعُفُوُّ وَالدُّثُورُ فِي اسْتِوَاءٍ؛ وَمِنْهُ يُقَالَ: طُمِسَتْ أَعْلَامُ الطَّرِيقِ تُطْمَسُ طُمُوسًا، إِذَا دُثِرَتْ وَتَعَفَّتْ فَانْدَفَنَتْ وَاسْتَوَتْ بِالْأَرْضِ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْأَعْمَىٰ الَّذِي قَدْ تَعَفَّىٰ غَرُّ مَا بَيْنَ جَفْنَيْ عَيْنَيْهِ فَدُثِرَ، أَعْمَىٰ، مَطْمُوسٌ وَطَمِيسٌ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦].. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَ مِنْ تَأْوِيلِ الْآيَةِ، فَهَلْ كَانَ مَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ؟ قِيلَ: لَمْ يَكُنْ لِأَنَّهُ آمَنَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَسَدُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَسَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَمُخَيْرِقٌ، وَجَمَاعَةٌ غَيْرُهُمْ، فَدَفَعَ عَنْهُمْ بِإِيمَانِهِمْ..

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أَوْ نَلْعَنَكُمْ، فَنُخْزِيَكُمْ، وَنَجْعَلَكُمْ قِرَدَةً..

﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ كَمَا أَخْزَيْنَا الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ مِنْ أَسْلَافِكُمْ، قِيلَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾، كَمَا قَالَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي

ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢]، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَ أَصْحَابَ الْوُجُوهِ، فَجَعَلَ الْهَاءَ وَالْمِيمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ مِنْ ذِكْرِ أَصْحَابِ الْوُجُوهِ، إِذْ كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وَكَانَ جَمِيعُ مَا أَمَرَ اللهُ أَنْ يَكُونَ كَائِنًا..

﴿مَفْعُولًا ۝٤٧﴾ [النساء: ٤٧] مَخْلُوقًا مَوْجُودًا، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ خَلْقُ شَيْءٍ شَاءَ خَلْقَهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ بِهِ وَالْكُفْرَ..

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ الشِّرْكِ..

﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.. وَقَدْ أَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ كَبِيرَةٍ فَفِي مَشِيئَةِ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً شِرْكًا بِاللهِ..

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَهُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النساء: ٤٨] فَقَدِ اخْتَلَقَ إِثْمًا عَظِيمًا.. وَإِنَّمَا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُفْتَرِيًا، لِأَنَّهُ قَالَ زُورًا وَإِفْكًا بِجُحُودِهِ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَإِقْرَارِهِ بِأَنَّ لِلَّهِ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِهِ وَصَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا، فَقَائِلُ ذَلِكَ مُفْتَرٍ، وَكَذَلِكَ كُلُّ كَاذِبٍ فَهُوَ مُفْتَرٍ فِي كَذِبِهِ مُخْتَلِقٌ لَهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء: ٤٩].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ مِنَ الْيَهُودِ، فَيُبَرِّئُونَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، وَيُطَهِّرُونَهَا.. وَمَعْنَىٰ تَزْكِيَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَصْفِهِمْ إِيَّاهَا بِأَنَّهَا لَا ذُنُوبَ لَهَا وَلَا خَطَايَا، وَأَنَّهُمْ لِلَّهِ أَبْنَاءٌ وَأَحِبَّاءٌ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَهُ..

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا ذُنُوبَ لَكُمْ وَلَا خَطَايَا، وَإِنَّكُمْ بُرَآءُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ، وَلَكِنَّكُمْ أَهْلُ فِرْيَةٍ وَكَذِبٍ عَلَىٰ اللهِ، وَلَيْسَ الْمُزَكِّي مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُزَكِّيهِ اللهُ،

وَاللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُطَهِّرُهُ وَيُبَرِّئُهُ مِنَ الذُّنُوبِ بِتَوْفِيقِهِ لِاجْتِنَابِ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ مَعَاصِيهِ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ مِنْ طَاعَتِهِ.. فَإِنَّهُ تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ الْمُزَكِّينَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الْمُبَرِّئِيهَا مِنَ الذُّنُوبِ..

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ وَلَا يَظْلِمُ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَبْخَسُهُمْ فِي تَرْكِهِ تَزْكِيَتَهُمْ، وَتَزْكِيَةِ مَنْ تَرَكَ تَزْكِيَتَهُ، وَفِي تَزْكِيَةِ مَنْ زَكَّىٰ مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا يَضَعُ شَيْئًا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَلَكِنَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُوَفِّقُهُ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَحَدًا مِمَّنْ زَكَّاهُ أَوْ لَمْ يُزَكِّهِ..

﴿فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩] وَأَصْلُ الْفَتِيلِ: الْمَفْتُولُ، صُرِفَ مِنْ مَفْعُولٍ إِلَىٰ فَعِيلٍ، كَمَا قِيلَ: صَرِيعٌ وَدَهِينٌ مِنْ مَصْرُوعٍ وَمَدْهُونٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا قَصَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ أَقَلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا خَطَرَ لَهَا، فَكَيْفَ بِمَا لَهُ خَطَرٌ، وَكَانَ الْوَسَخُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أُصْبُعَيِ الرَّجُلِ أَوْ مِنْ بَيْنِ كَفَّيْهِ إِذَا فَتَلَ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ، كَالَّذِي هُوَ فِي شِقِّ النَّوَاةِ وَبَطْنِهَا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مَفْتُولَةٌ، مِمَّا لَا خَطَرَ لَهُ وَلَا قِيمَةَ، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ كُلُّ ذَلِكَ دَاخِلًا فِي مَعْنَىٰ الْفَتِيلِ، إِلَّا أَنْ يُخْرِجَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء: ٥٠].

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ﴾ كَيْفَ يَفْتَرِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْقَائِلُونَ: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، الزَّاعِمُونَ أَنَّهُ لَا ذُنُوبَ لَهُمْ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ وَالزُّورَ مِنَ الْقَوْلِ، فَيَخْتَلِقُونَهُ عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ وَحَسْبُهُمْ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ الْكَذِبُ وَالزُّورُ عَلَىٰ اللهِ..

﴿إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء: ٥٠] يُبَيِّنُ كَذِبَهُمْ لِسَامِعِيهِ، وَيُوَضِّحُ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَفَكَةٌ فَجَرَةٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ أُعْطُوا..

﴿نَصِيبًا﴾ حَظًّا..

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فَعَلِمُوهُ..

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ وَيَكْفُرُونَ بِاللهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِهِمَا كُفْرٌ وَالتَّصْدِيقَ بِهِمَا شِرْكٌ.. والْجِبْتَ وَالطَّاغُوتُ اسْمَانِ لِكُلِّ مُعَظَّمٍ بِعِبَادَةٍ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ طَاعَةٍ أَوْ خُضُوعٍ لَهُ، كَائِنًا مَا كَانَ ذَلِكَ الْمُعَظَّمَ مِنْ حَجَرٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ شَيْطَانٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَكَانَتِ الْأَصْنَامُ الَّتِي كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْبُدُهَا كَانَتْ مُعَظَّمَةً بِالْعِبَادَةِ مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ كَانَتْ جُبُوتًا وَطَوَاغِيتَ، وَكَذَلِكَ الشَّيَاطِينُ الَّتِي كَانَتِ الْكُفَّارُ تُطِيعُهَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَكَذَلِكَ السَّاحِرُ وَالْكَاهِنُ اللَّذَانِ كَانَ مَقْبُولًا مِنْهُمَا مَا قَالَا فِي أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَكَذَلِكَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا مُطَاعَيْنِ فِي أَهْلِ مِلَّتِهِمَا مِنَ الْيَهُودِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، فَكَانَا جِبْتَيْنِ وَطَاغُوتَيْنِ..

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِالْكُفْرِ..

﴿أَهْدَىٰ﴾ أَقْوَمَ وَأَعْدَلَ..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مِنَ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿سَبِيلًا ۝٥١﴾ [النساء: ٥١] طَرِيقًا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ.. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِنَّ اللهَ وَصَفَ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ بِتَعْظِيمِهِمْ غَيْرَ اللهِ بِالْعِبَادَةِ وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَعْصِيَتِهِمَا، وَأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَإِنَّ دِينَ أَهْلِ التَّكْذِيبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ أَعْدَلُ وَأَصْوَبُ مِنْ دِينِ أَهْلِ التَّصْدِيقِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢﴾ [النساء: ٥٢].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، هُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ أَخْزَاهُمُ اللهُ فَأَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ بِإِيمَانِهِمْ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، عِنَادًا مِنْهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَبِقَوْلِهِمْ: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١﴾ [النساء: ٥١]..

﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ يُخْزِهِ اللهُ فَيُبْعِدْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝﴾ [النساء: ٥٢] فَلَنْ تَجِدَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ نَاصِرًا يَنْصُرُهُ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ وَلَعْنَتِهِ الَّتِي تَحِلُّ بِهِ فَيَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝﴾ [النساء: ٥٣].

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أَمْ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ الْمُلْكِ، يَقُولُ: لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ الْمُلْكِ..

﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ﴾ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَحَظٌّ مِنَ الْمُلْكِ، لَمْ يَكُونُوا إِذًا يُعْطُونَ النَّاسَ..

﴿نَقِيرًا ۝﴾ [النساء: ٥٣] مِنْ بُخْلِهِمْ.. فَإِنَّ اللهَ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْفِرْقَةَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْبُخْلِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَا خَطَرَ لَهُ، وَلَوْ كَانُوا مُلُوكًا وَأَهْلَ قُدْرَةٍ عَلَىٰ الْأَشْيَاءِ الْجَلِيلَةِ الْأَقْدَارِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِمَعْنَىٰ النَّقِيرِ أَنْ يَكُونَ أَصْغَرَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّقْرِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِهِ، فَالنُّقْرَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ مِنْ صِغَارِ النُّقَرِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ كُلُّ مَا شَاكَلَهَا مِنَ النُّقَرِ.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء: ٥٤].

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ أَمْ يَحْسُدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ.. فَإِنَّ اللهَ عَاتَبَ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، فَقَالَ لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ إِنَّهُمْ أَهْدَىٰ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ سَبِيلًا، عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ فِي قِيلِهِمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ كَذَبَةٌ، أَمْ يَحْسُدُونَ..

﴿ٱلنَّاسَ﴾ مُحَمَّدًا..

﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ مِنَ النُّبُوَّةِ الَّتِي فَضَّلَ اللهُ بِهَا مُحَمَّدًا، وَشَرَّفَ بِهَا الْعَرَبَ؛ إِذْ آتَاهَا رَجُلًا مِنْهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أَمْ يَحْسُدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْهُمْ، فَكَيْفَ لَا يَحْسُدُونَ آلَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَدْ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ؟! وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فَقَدْ أَعْطَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ، يَعْنِي: أَهْلَهُ وَأَتْبَاعَهُ عَلَىٰ دِينِهِ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَالزَّبُورِ، وَسَائِرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْكُتُبِ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ مِمَّا لَمْ يَكُنْ كِتَابًا مَقْرُوءًا..

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾ [النساء: ٥٤] مُلْكَ سُلَيْمَانَ.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾ [النساء: ٥٥].

﴿فَمِنْهُم﴾ فَمِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧]..

﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ مَنْ صَدَّقَ بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ..

﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهِ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِينَ صَدُّوا عَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّمَا رُفِعَ عَنْهُمْ وَعِيدُ اللهِ الَّذِي تَوَعَّدَهُمْ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۝٤٧﴾ [النساء: ٤٧] فِي الدُّنْيَا، وَأُخِّرَتْ عُقُوبَتُهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِإِيمَانِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، وَإِنَّ الْوَعِيدَ لَهُمْ مِنَ اللهِ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَ عَلَىٰ مَقَامِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، فَلَمَّا آمَنَ بَعْضُهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْوَعِيدِ الَّذِي تَوَعَّدَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَأُخِّرَتْ عُقُوبَةُ الْمُقِيمِينَ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، فَقَالَ لَهُمْ..

﴿وَكَفَىٰ﴾ وَحَسْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ نَبِيِّي وَرَسُولِي..

﴿بِجَهَنَّمَ﴾ بِنَارِ جَهَنَّمَ..

﴿سَعِيرًا ۝٥٥﴾ [النساء: ٥٥] تُسَعَّرُ عَلَيْكُمْ، أَيْ تُوقَدُ عَلَيْكُمْ.. وَقِيلَ: ﴿سَعِيرًا ۝١٠﴾ أَصْلُهُ مَسْعُورًا، مِنْ سُعِّرَتْ تُسَعَّرُ فَهِيَ مَسْعُورَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [التكوير: ١٢] وَلَكِنَّهَا صُرِفَتْ إِلَىٰ فَعِيلٍ، كَمَا قِيلَ: كَفٌّ خَضِيبٌ وَلِحْيَةٌ دَهِينٌ، بِمَعْنَىٰ مَخْضُوبَةٌ وَمَدْهُونَةٌ، وَالسَّعِيرُ: الْوَقُودُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾ [النساء: ٥٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا..

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ آيَاتِي، يَعْنِي مِنْ آيَاتِ تَنْزِيلِهِ وَوَحْيِ

كِتَابِهِ، وَهِيَ دَلَالَاتُهُ وَحُجَجُهُ عَلَىٰ صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ، مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ سَوْفَ نُنْضِجُهُمْ فِي نَارٍ يُصْلَوْنَ فِيهَا، أَيْ يُشْوَوْنَ فِيهَا..

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ كُلَّمَا انْشَوَتْ بِهَا جُلُودُهُمْ فَاحْتَرَقَتْ..

﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ غَيْرَ الْجُلُودِ الَّتِي قَدْ نَضِجَتْ فَانْشَوَتْ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلَّذِينَ أَقَامُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ بِرَسُولِهِ..

﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ لِيَجِدُوا أَلَمَ الْعَذَابِ وَكَرْبِهِ وَشِدَّتِهِ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُكَذِّبُونَ آيَاتِ اللهِ وَيَجْحَدُونَهَا..

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عَزِيزًا فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الامْتِنَاعِ مِنْهُ أَحَدٌ أَرَادَهُ بِضُرٍّ، وَلَا الِانْتِصَارِ مِنْهُ أَحَدٌ أَحَلَّ بِهِ عُقُوبَةً..

﴿حَكِيمًا ۝٥٦﴾ [النساء: ٥٦] فِي تَدْبِيرِهِ وَقَضَائِهِ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النساء: ٥٧].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَصَدَّقُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَسَائِرِ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَأَدَّوْا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَذَلِكَ هُوَ الصَّالِحُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ..

﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ سَوْفَ يُدْخِلُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿جَنَّاتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ تِلْكَ الْجَنَّاتِ الْأَنْهَارُ..

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ بَاقِينَ فِيهَا أَبَدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَلَا انْقِطَاعٍ، دَائِمٌ ذَلِكَ لَهُمْ فِيهَا أَبَدًا..

﴿لَّهُمْ فِيهَا﴾ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا..

﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ بَرِيئَاتٌ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالرِّيَبِ الْحَيْضِ وَالْغَائِطِ وَالْبَوْلِ وَالْحَبَلِ وَالْبُصَاقِ، وَسَائِرِ مَا يَكُونُ فِي نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا..

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النساء: ٥٧] وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا كَنِينًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠].. قالَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا».

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ..

﴿أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ﴾ أَنْ تُؤَدُّوا مَا ائْتَمَنَتْكُمْ عَلَيْهِ رَعِيَّتُكُمْ مِنْ فَيْئِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَصَدَقَاتِهِمْ..

﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ عَلَىٰ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ، بِأَدَاءِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ مَنْ هُوَ لَهُ بَعْدَ أَنْ تَصِيرَ فِي أَيْدِيكُمْ، لا تَظْلِمُوهَا أَهْلَهَا وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا وَلَا تَضَعُوا شَيْئًا مِنْهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَلَا تَأْخُذُوهَا إِلَّا مِمَّنْ أَذِنَ اللهُ لَكُمْ بِأَخْذِهَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ فِي أَيْدِيكُمْ..

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَيَأْمُرُكُمْ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ رَعِيَّتِكُمْ..

﴿أَن تَحْكُمُوا۟﴾ بَيْنَهُمْ..

﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ وَالْإِنْصَافِ، وَذَلِكَ حُكْمُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، لَا تَعْدُوا ذَلِكَ فَتَجُورُوا عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللهَ نِعِمَّ الشَّيْءُ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَنِعِمَّتِ الْعِظَةُ يَعِظُكُمْ بِهَا فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ، أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَأَنْ تَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ سَمِيعًا بِمَا تَقُولُونَ وَتَنْطِقُونَ، وَهُوَ سَمِيعٌ لِذَلِكَ مِنْكُمْ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ وَلَمْ تُحَاوِرُوهُمْ بِهِ..

﴿بَصِيرًا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨] بِمَا تَفْعَلُونَ فِيمَا ائْتَمَنَتْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ رَعِيَّتِكُمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَا تَقْضُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ مِنْ أَحْكَامِكُمْ بِعَدْلٍ تَحْكُمُونَ أَوْ جَوْرٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، حَافِظٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ مُحْسِنَكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَمُسِيئَكُمْ بِإِسَاءَتِهِ، أَوْ يَعْفُوَ بِفَضْلِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ رَبَّكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ فِي طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ لِرَبِّكُمْ طَاعَةً، وَذَلِكَ أَنَّكُمْ تُطِيعُونَهُ لِأَمْرِ اللهِ إِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ».. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ فِي حَيَاتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ بِالْأَمْرِ بِطَاعَتِهِ وَلَمْ يُخَصِّصْ ذَلِكَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، فَهُوَ عَلَىٰ الْعُمُومِ حَتَّىٰ يَخُصَّ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ..

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ هُمُ الْأُمَرَاءُ وَالْوُلَاةُ، لِصِحَّةِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْأَمْرِ بِطَاعَةِ الْأَئِمَّةِ وَالْوُلَاةِ فِيمَا كَانَ طَاعَةً وَلِلْمُسْلِمِينَ مَصْلَحَةً.. فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَا طَاعَةَ وَاجِبَةٌ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللهِ أَوْ رَسُولِهِ أَوْ إِمَامٍ عَادِلٍ، وَكَانَ اللهُ قَدْ أَمَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ بِطَاعَةِ ذَوِي أَمْرِنَا، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّذِينَ أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ ذَوِي أَمْرِنَا هُمُ الْأَئِمَّةُ وَمَنْ وَلَّاهُ الْمُسْلِمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ فَرْضًا الْقَبُولُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَمَرَ بِتَرْكِ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَدَعَا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا طَاعَةَ تَجِبُ لِأَحَدٍ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ فِيمَا لَمْ تَقُمْ حُجَّةُ وُجُوبِهِ إِلَّا لِلْأَئِمَّةِ الَّذِينَ أَلْزَمَ اللهُ عِبَادَهُ طَاعَتَهُمْ فِيمَا أَمَرُوا بِهِ رَعِيَّتَهُمْ مِمَّا هُوَ مَصْلَحَةٌ لِعَامَّةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ عَلَىٰ مَنْ أَمَرُوهُ بِذَلِكَ طَاعَتَهُمْ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ مَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مَعْصِيَةً..

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ فَإِنِ اخْتَلَفْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِي شَيۡءٖ﴾ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ أَنْتُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ أَوْ أَنْتُمْ وَوُلَاةُ أَمْرِكُمْ فَاشْتَجَرْتُمْ فِيهِ..

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فَارْتَادُوا مَعْرِفَةَ حُكْمِ الَّذِي اشْتَجَرْتُمْ أَنْتُمْ بَيْنَكُمْ، أَوْ أَنْتُمْ وَأُولُو أَمْرِكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَاتَّبِعُوا مَا وَجَدْتُمْ..

﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا إِلَىٰ عِلْمِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ سَبِيلًا، فَارْتَادُوا مَعْرِفَةَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ عِنْدِ الرَّسُولِ إِنْ كَانَ حَيًّا، وَإِنْ كَانَ مَيِّتًا فَمِنْ سُنَّتِهِ..

﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ﴾ افْعَلُوا ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ وبِالْمَعَادِ الَّذِي فِيهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَلَكُمْ مِنَ اللهِ الْجَزِيلُ مِنَ الثَّوَابِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَلَكُمُ الْأَلِيمُ مِنَ الْعِقَابِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ فَرَدُّ مَا تَنَازَعْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ..

﴿خَيۡرٞ﴾ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ فِي مَعَادِكُمْ، وَأَصْلَحُ لَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْأُلْفَةِ، وَتَرْكِ التَّنَازُعِ وَالْفُرْقَةِ..

﴿وَأَحۡسَنُ﴾ وَأَحْمَدُ..

﴿تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩] مَوْئِلًا وَمَغَبَّةً، وَأَجْمَلُ عَاقِبَةً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ فَتَعْلَمَ..

﴿إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ صَدَّقُوا..

﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿وَمَا﴾ وَإِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا..

﴿أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ مِنَ الْكُتُبِ..

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا﴾ فِي خُصُومَتِهِمْ..

﴿إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ إِلَى مَنْ يُعَظِّمُونَهُ، وَيَصْدُرُونَ عَنْ قَوْلِهِ، وَيَرْضَوْنَ بِحُكْمِهِ مِنْ دُونِ حُكْمِ اللهِ..

﴿وَقَدْ أُمِرُوا﴾ وَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ..

﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أَنْ يُكَذِّبُوا..

﴿بِهِ﴾ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ الطَّاغُوتُ الَّذِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ، فَتَرَكُوا أَمْرَ اللهِ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ الشَّيْطَانِ..

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾ يَعْنِي أَنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَى الطَّاغُوتِ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَيُضِلَّهُمْ عَنْهَا..

﴿ضَلَالًا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠] فَيَجُورُ بِهِمْ عَنْهَا جَوْرًا شَدِيدًا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ دَعَا رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فِي خُصُومَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا إِلَى بَعْضِ الْكُهَّانِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ [النساء: ٦١].

﴿وَإِذَا﴾ أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَإِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ إِذَا..

﴿قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ هَلُمُّوا..

﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا..

﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١] يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْكَ لِتَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، وَيَمْنَعُونَ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْكَ كَذَلِكَ غَيْرَهُمْ.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٢].

﴿فَكَيْفَ﴾ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ..

﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ نِقْمَةٌ مِنَ اللهِ..

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بِذُنُوبِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ..

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ كَذِبًا وَزُورًا..

﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ مَا أَرَدْنَا بِاحْتِكَامِنَا إِلَيْهِ إِلَّا الْإِحْسَانَ مِنْ بَعْضِنَا إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٢] وَالصَّوَابَ فِيمَا احْتَكَمْنَا فِيهِ إِلَيْهِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ لَا يَرْدَعُهُمْ عَنِ النِّفَاقِ الْعِبَرُ وَالنِّقَمُ، وَأَنَّهُمْ وَإِنْ تَأْتِهِمْ عُقُوبَةٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ تَحَاكُمِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، لَمْ يُنِيبُوا وَلَمْ يَتُوبُوا، وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللهِ كَذِبًا وَجُرْأَةً عَلَىٰ اللهِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ..

﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فِي احْتِكَامِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَتَرْكِهِمُ الِاحْتِكَامَ إِلَيْكَ، وَصُدُودِهِمْ عَنْكَ، مِنَ النِّفَاقِ وَالزَّيْغِ، وَإِنْ حَلَفُوا بِاللهِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا..

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فَدَعْهُمْ، فَلَا تُعَاقِبْهُمْ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ..

﴿وَعِظْهُمْ﴾ وَلَكِنْ عِظْهُمْ بِتَخْوِيفِكَ إِيَّاهُمْ بَأْسَ اللهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ، وَعُقُوبَتَهُ أَنْ تَنْزِلَ

بِدَارِهِمْ، وَحَذِّرْهُمْ مِنْ مَكْرُوهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّكِّ فِي أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ..

﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣] مُرْهُمْ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾

[النساء: ٦٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ وَمَا أَرْسَلْتُ رَسُولًا إِلَّا فَرَضْتُ طَاعَتَهُ عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلْتُهُ إِلَيْهِ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أُولَئِكَ الرُّسُلِ، فَمَنْ تَرَكَ طَاعَتَهُ وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ وَاحْتَكَمَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، فَقَدْ خَالَفَ أَمْرِي وَضَيَّعَ فَرْضِي.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَوْبِيخٌ لِلْمُحْتَكِمِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا اخْتَصَمُوا فِيهِ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، صُدُودًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بِتَقْدِيرِهِ ذَلِكَ وَقَضَائِهِ السَّابِقِ فِي عِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ.. وَهَذَا تَعْرِيضٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ تَرْكَهُمْ طَاعَةَ اللهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، إِنَّمَا هُوَ لِلسَّابِقِ لَهُمْ مِنْ خِذْلَانِهِ وَغَلَبَةِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا مِمَّنْ أَذِنَ لَهُ فِي الرِّضَا بِحُكْمِهِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، الَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ فَصَدُّوا صُدُودًا..

﴿إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بِاكْتِسَابِهِمْ إِيَّاهَا الْعَظِيمَ مِنَ الْإِثْمِ فِي احْتِكَامِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَصُدُودِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، إِذَا دُعُوا إِلَيْهَا..

﴿جَآءُوكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ حِينَ فَعَلُو مَا فَعَلُوا مِنْ مَصِيرِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ رَاضِينَ بِحُكْمِهِ دُونَ حُكْمِكَ، جَاءُوكَ تَائِبِينَ مُنِيبِينَ..

﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فَسَأَلُوا اللهَ أَنْ يَصْفَحَ لَهُمْ عَنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِهِمْ بِتَغْطِيَتِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ وَسَأَلَ لَهُمُ اللهَ رَسُولُهُ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ..

﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لَوْ كَانُوا فَعَلُوا ذَلِكَ فَتَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ لَوَجَدُوا اللهَ..

﴿تَوَّابًا﴾ رَاجِعًا لَهُمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ إِلَىٰ مَا يُحِبُّونَ..

﴿رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤] بِهِمْ فِي تَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبِهِمُ الَّذِي تَابُوا مِنْهُ.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

﴿فَلَا﴾ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَهُمْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَيَصُدُّونَ عَنْكَ إِذَا دُعُوا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. وَاسْتَأْنَفَ الْقَسَمَ جَلَّ ذِكْرُهُ، فَقَالَ..

﴿وَرَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ لَا يُصَدِّقُونَ بِي وَبِكَ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ..

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ حَتَّىٰ يَجْعَلُوكَ حَكَمًا بَيْنَهُمْ..

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فِيمَا اخْتَلَطَ بَيْنَهُمْ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَالْتَبَسَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ، وَتَشَاجَرَ الْقَوْمُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الْكَلَامِ..

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ أَيْ لَا تَأْثَمُ بِإِنْكَارِهَا مَا قَضَيْتَ، وَشَكِّهَا فِي طَاعَتِكَ، وَأَنَّ الَّذِي قَضَيْتَ بِهِ بَيْنَهُمْ حَقٌّ لَا يَجُوزُ لَهُمْ خِلَافُهُ..

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وَيُسَلِّمُوا لِقَضَائِكَ وَحُكْمِكَ، إِذْعَانًا مِنْهُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِقْرَارًا لَكَ بِالنُّبُوَّةِ تَسْلِيمًا.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ وَلَوْ أَنَّا فَرَضْنَا..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمُحْتَكِمِينَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ..

﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ وَأَمَرْنَاهُمْ بِذَلِكَ..

﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ أَوْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ مُهَاجِرِينَ مِنْهَا إِلَىٰ دَارٍ أُخْرَىٰ سِوَاهَا..

﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ مَا قَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، وَلَا هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فَيَخْرُجُوا عَنْهَا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ طَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ مَا فَعَلَهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ..

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَيَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا..

﴿فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ مَا يُذَكَّرُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ..

﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ وَآجِلِ مَعَادِهِمْ..

﴿وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾ [النساء: ٦٦] وَأَثْبَتَ لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ، وَأَقْوَمَ لَهُمْ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقَ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَكٍّ، فَعَمَلُهُ يَذْهَبُ بَاطِلًا، وَغَنَاؤُهُ يَضْمَحِلُّ فَيَصِيرُ هَبَاءً، وَهُوَ بِشَكِّهِ يَعْمَلُ عَلَىٰ رِيَاءٍ وَضَعْفٍ، وَلَوْ عَمِلَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ لَاكْتَسَبَ بِعَمَلِهِ أَجْرًا وَلَكَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ ذُخْرًا وَكَانَ عَلَىٰ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ أَقْوَىٰ لِنَفْسِهِ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا لِإِيمَانِهِ بِوَعْدِ اللهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَعَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُهُ.

﴿وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧﴾ [النساء: ٦٧].

﴿وَإِذٗا﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ، وَإِذًا..

﴿لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ مَا وُعِظُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِنَا وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِنَا..

﴿أَجۡرًا﴾ جَزَاءً وَثَوَابًا..

﴿عَظِيمٗا ٦٧﴾ [النساء: ٦٧] وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا لِعَزَائِمِهِمْ وَآرَائِهِمْ، وَأَقْوَىٰ لَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ [النساء: ٦٨].

﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ وَلَوَفَّقْنَاهُمْ لِهِدَايَتِنَا إِيَّاهُمْ..

﴿صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ [النساء: ٦٨] طَرِيقًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الْقَوِيمُ الَّذِي اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ وَشَرَعَهُ لَهُمْ، وَذَلِكَ الْإِسْلَامُ.. ثُمَّ ذَكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْكَرَامَةِ الدَّائِمَةِ لَدَيْهِ وَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَهُ، فَقَالَ.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِمَا، وَإِخْلَاصِ الرِّضَا بِحُكْمِهِمَا، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِمَا، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا نَهَيَا عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ فَهُوَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِدَايَتِهِ وَالتَّوْفِيقِ لِطَاعَتِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَفِي الْآخِرَةِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ..

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ وَهُمْ جَمْعُ صِدِّيقٍ، ومَعْنَاهُ الْمُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعْلِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي صِفَةِ مَرْيَمَ: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]..

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ وَهُمْ جَمْعُ شَهِيدٍ، وَهُوَ الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللهِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقِيَامِهِ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ فِي جَنْبِ اللهِ حَتَّىٰ قُتِلَ..

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وَهُمْ جَمْعُ صَالِحٍ، وَهُوَ كُلُّ مَنْ صَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَعَلَانِيَتُهُ..

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَحَسُنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَعَتَهُمْ وَوَصَفَهُمْ..

﴿رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩] رُفَقَاءَ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّفِيقُ فِي لَفْظِ الْوَاحِدِ بِمَعْنَىٰ الْجَمِيعِ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ لِأَنَّ قَوْمًا حَزِنُوا عَلَىٰ فَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَذَرًا أَنْ لَا يَرَوْهُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء: ٧٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ كَوْنُ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَالرَّسُولَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ..

﴿ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ عَطَاءُ اللهِ إِيَّاهُمْ وَفَضْلُهُ عَلَيْهِمْ، لَا بِاسْتِيجَابِهِمْ ذَلِكَ لِسَابِقَةٍ سَبَقَتْ لَهُمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَيْسَ بِالطَّاعَةِ وَصَلُوا إِلَىٰ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَمْ يُطِيعُوهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِفَضْلِهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ فَهَدَاهُمْ بِهِ لِطَاعَتِهِ، فَكُلُّ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ وَحَسْبُ الْعِبَادِ بِاللهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ..

﴿عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء: ٧٠] بِطَاعَةِ الْمُطِيعِ مِنْهُمْ وَمَعْصِيَةِ الْعَاصِي، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ يُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ وَيَحْفَظُهُ حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَهُمْ، فَيَجْزِيَ الْمُحْسِنَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءَ مِنْهُمْ بِالْإِسَاءَةِ، وَيَعْفُو عَمَّنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النساء: ٧١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ خُذُوا جُنَّتَكُمْ وَأَسْلِحَتَكُمُ الَّتِي تَتَّقُونَ بِهَا مِنْ عَدُوِّكُمْ لِغَزْوِهِمْ وَحَرْبِهِمْ..

﴿فَٱنفِرُواْ﴾ إِلَيْهِمْ..

﴿ثُبَاتٍ﴾ وَهِيَ جَمْعُ ثُبَةٍ، وَالثُّبَةُ: الْعَصَبَةُ؛ وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَانْفِرُوا إِلَىٰ عَدُوِّكُمْ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ مُتَسَلِّحِينَ، وَقَدْ تُجْمَعُ الثُّبَةُ عَلَىٰ ثُبِينَ..

﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ٧١﴾ [النساء: ٧١] أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا مَعَ نَبِيِّكُمْ ﷺ لِقِتَالِهِمْ.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ٧٢﴾ [النساء: ٧٢].

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ هَذَا نَعْتٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُنَافِقِينَ، نَعَتَهُمْ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَوَصَفَهُمْ بِصِفَتِهِمْ، فَقَالَ: وَإِنَّ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، يَعْنِي: مِنْ عِدَادِكُمْ وَقَوْمِكُمْ وَمَنْ يَتَشَبَّهُ بِكُمْ وَيُظْهِرُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ دَعْوَتِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، وَهُوَ مُنَافِقٌ..

﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ لَمَنْ وَاللهِ لَيُبَطِّئَنَّ مَنْ أَطَاعَهُ مِنْكُمْ عَنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ وَقِتَالِهِمْ إِذَا أَنْتُمْ نَفَرْتُمْ إِلَيْهِمْ..

﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ هَزِيمَةٌ، أَوْ نَالَكُمْ قَتْلٌ أَوْ جِرَاحٌ مِنْ عَدُوِّكُمْ..

﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ٧٢﴾ [النساء: ٧٢] فَيُصِيبُنِي جِرَاحٌ أَوْ أَلَمٌ أَوْ قَتْلٌ، وَسَرَّهُ تَخَلُّفُهُ عَنْكُمْ شَمَاتَةً بِكُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الشَّكِّ فِي وَعْدِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا نَالَهُمْ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَفِي وَعِيدِهِ، فَهُوَ غَيْرُ رَاجٍ ثَوَابًا وَلَا خَائِفٍ عِقَابًا.

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧٣﴾ [النساء: ٧٣].

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَلَئِنْ أَظْفَرَكُمُ اللهُ بِعَدُوِّكُمْ، فَأَصَبْتُمْ مِنْهُمْ غَنِيمَةً..

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هَذَا الْمُبَطِّئُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْمُنَافِقُ..

﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ بِمَا أُصِيبُ مَعَهُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ.. وَكَانَ قَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ يَقُولَانِ: إِنَّمَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِذَا كَانَ الظَّفَرُ لِلْمُسْلِمِينَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ، حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُمْ..

﴿فَوْزًا عَظِيمًا ٧٣﴾ [النساء: ٧٣] وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّ شُهُودَهُمُ الْحَرْبَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِنْ شَهِدُوهَا لِطَلَبِ الْغَنِيمَةِ، وَإِنْ تَخَلَّفُوا عَنْهَا فَلِلشَّكِّ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ لِحُضُورِهَا ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ بِالتَّخَلُّفِ عَنْهَا مِنَ اللهِ عِقَابًا.

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ٧٤﴾ [النساء: ٧٤].

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ وَالدُّخُولِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ.. وَهَذَا

حَضٌّ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ عَلَىٰ أَحَايِينِهِمْ غَالِبِينَ كَانُوا أَوْ مَغْلُوبِينَ، وَالتَّهَاوُنِ بِأَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ فِي جِهَادِ مَنْ جَاهَدُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَعَ جِهَادُهُمْ أعداءَ اللهِ وأعداءَهم بالمسرَّةِ فيهم أو بالمسَاءةِ؛ لأنَّ في جهادِهم إِيَّاهُمْ -مَغْلُوبِينَ كَانُوا أَوْ غَالِبِينَ- مَنْزِلَةً مِنَ اللهِ رَفِيعَةً.

﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ﴾ الَّذِينَ يَبِيعُونَ..

﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ حَيَاتَهُمُ الدُّنْيَا..

﴿بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَمَا وَعَدَ اللهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ فِيهَا.. وَبَيْعُهُمْ إِيَّاهَا بِهَا إِنْفَاقُهُمْ أَمْوَالَهُمْ فِي طَلَبِ رِضَا اللهِ، كَجِهَادِ مَنْ أَمَرَ بِجِهَادِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ، وَبَذْلِهِمْ مُهَجَهُمْ لَهُ فِي ذَلِكَ.. أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ إِذَا فَعَلُوهُ، فَقَالَ..

﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي طَلَبِ إِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ أَعْدَاءَ اللهِ..

﴿فَيُقۡتَلۡ﴾ فَيَقْتُلْهُ أَعْدَاءُ اللهِ..

﴿أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾ أَوْ يَغْلِبَهُمْ فَيَظْفَرْ بِهِمْ..

﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤﴾ [النساء: ٧٤] فَسَوْفَ نُعْطِيهِ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابًا وَأَجْرًا عَظِيمًا.

﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾

[النساء: ٧٥].

﴿وَمَا لَكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ وَعَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْكُمْ..

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا بِمَكَّةَ، فَغَلَبَتْهُمْ عَشَائِرُهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْقَهْرِ لَهُمْ، وَآذَوْهُمْ وَنَالُوهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْمَكَارِهِ فِي أَبْدَانِهِمْ، لِيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَحَضَّ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ اسْتِنْقَاذِهِمْ مِنْ أَيْدِي مَنْ قَدْ غَلَبَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، فَقَالَ لَهُمْ: وَمَا شَأْنُكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَعَنْ مُسْتَضْعَفِي أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، الَّذِينَ قَدِ اسْتَضْعَفَهُمُ الْكُفَّارُ فَاسْتَذَلُّوهُمُ ابْتِغَاءَ فِتْنَتِهِمْ وَصَدِّهِمْ عَنْ دِينِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ جَمْعُ وَلَدٍ: وَهُمُ الصِّبْيَانُ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ..

﴿يَقُولُونَ﴾ فِي دُعَائِهِمْ رَبَّهُمْ بِأَنْ يُنْجِيهِمْ مِنْ فِتْنَةِ مَنْ قَدِ اسْتَضْعَفَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿رَبَّنَا﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ مَدِينَةٍ قَرْيَةً، وَهِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِيمَا فَسَّرَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ مَكَّةُ..

﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ الَّتِي قَدْ ظَلَمَتْنَا وَأَنْفُسَهَا أَهْلُهَا..

﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يَقُولُونَ أَيْضًا فِي دُعَائِهِمْ: يَا رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَلِي أَمْرَنَا بِالْكِفَايَةِ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ فِتْنَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ..

﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ..

﴿نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [النساء: ٧٥] مَنْ يَنْصُرُنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، بِصَدِّهِمْ إِيَّانَا عَنْ سَبِيلِكَ حَتَّىٰ تُظْفِرَنَا بِهِمْ وَنُعْلِيَ دِينَكَ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء: ٧٦].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَيْقَنُوا بِمَوْعُودِ اللهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ فِي طَاعَةِ اللهِ وَمِنْهَاجِ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَطَرِيقِهِ وَمِنْهَاجِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، فَقَالَ اللهُ مُقَوِّيًا عَزْمَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُحَرِّضَهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ..

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ﴾ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيُطِيعُونَ أَمْرَهُ فِي خِلَافِ طَاعَةِ اللهِ وَالتَّكْذِيبِ بِهِ وَيَنْصُرُونَهُ..

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مِنْ تَحْزِيبِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْكُفَّارِ بِاللهِ، عَلَىٰ رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء: ٧٦] فَلَا تَهَابُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّمَا هُمْ حِزْبُهُ وَأَنْصَارُهُ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ أَهْلُ وَهَنٍ وَضَعْفٍ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالضَّعْفِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ رَجَاءَ ثَوَابٍ، وَلَا يَتْرُكُونَ الْقِتَالَ خَوْفَ عِقَابٍ، وَإِنَّمَا يُقَاتِلُونَ حَمِيَّةً أَوْ حَسَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ

فَضْلِهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ يُقَاتِلُ مَنْ قَاتَلَ مِنْهُمْ رَجَاءَ الْعَظِيمِ مِنْ ثَوَابِ اللهِ، وَيَتْرُكُ الْقِتَالَ إِنْ تَرَكَهُ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ وَعِيدِ اللهِ فِي تَرْكِهِ، فَهُوَ يُقَاتِلُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ بِمَا لَهُ عِنْدَ اللهِ إِنْ قُتِلَ، وَبِمَا لَهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالظَّفَرِ إِنْ سَلِمَ، وَالْكَافِرُ يُقَاتِلُ عَلَىٰ حَذَرٍ مِنَ الْقَتْلِ، وَإِيَاسٍ مِنْ مَعَادٍ، فَهُوَ ذُو ضَعْفٍ وَخَوْفٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء: ٧٧].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ فَتَعْلَمَ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ مِنْ أَصْحَابِكَ حِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تَسْأَلَ رَبَّكَ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ..

﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ فَأَمْسِكُوهَا عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَحَرْبِهِمْ..

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَأَدُّوا الصَّلَاةَ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وَأَعْطُوا الزَّكَاةَ أَهْلَهَا، الَّذِينَ جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، تَطْهِيرًا لِأَبْدَانِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؛ كَرِهُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ كَفِّ الْأَيْدِي عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فَلَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ الَّذِي كَانُوا سَأَلُوا أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ..

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ..

﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ يَخَافُونَ النَّاسَ أَنْ يُقَاتِلُوهُمْ..

﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ أَوْ أَشَدَّ خَوْفًا..

﴿وَقَالُواْ﴾ جَزَعًا مِنَ الْقِتَالِ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ..

﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ لِمَ فَرَضْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ، رُكُونًا مِنْهُمْ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَإِيثَارًا لِلدَّعَةِ فِيهَا وَالْخَفْضِ عَلَىٰ مَكْرُوهِ لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَمَشَقَّةِ حَرْبِهِمْ وَقِتَالِهِمْ..

﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ﴾ قَالُوا: هَلَّا أَخَّرْتَنَا..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتُوا عَلَىٰ فُرُشِهِمْ وَفِي مَنَازِلِهِمْ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا قَدْ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ، وَقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَكَانُوا يَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ، فَلَمَّا فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ شَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَالُوا مَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾..

﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ عَيْشُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَتَمَتُّعُكُمْ بِهَا..

﴿قَلِيلٌ﴾ لِأَنَّهَا فَانِيَةٌ، وَمَا فِيهَا فَانٍ..

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ وَنَعِيمُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، لِأَنَّهَا بَاقِيَةٌ، وَنَعِيمُهَا بَاقٍ دَائِمٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ: وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَمَعْنَى الْكَلَامِ مَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ نَعِيمُهَا، لِدَلَالَةِ ذِكْرِ الْآخِرَةِ بِالَّذِي ذَكَرْتُ بِهِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهُ..

﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ لِمَنِ اتَّقَى اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، فَأَطَاعَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ..

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧﴾ [النساء: ٧٧] وَلَا يَنْقُصُكُمُ اللهُ مِنْ أُجُورِ أَعْمَالِكُمْ فَتِيلًا؛ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْفَتِيلِ فِيمَا مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ [النساء: ٧٨].

﴿أَيْنَمَا﴾ حَيْثُمَا..

﴿تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ﴾ يَنَلْكُمُ..

﴿الْمَوْتُ﴾ فتَمُوتُوا..

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ لَا تَجْزَعُوا مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا تَهْرَبُوا مِنَ الْقِتَالِ، وَتَضْعُفُوا عَنْ لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ حَذَرًا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ بِإِزَائِكُمْ أَيْنَ كُنْتُمْ، وَوَاصِلٌ إِلَى أَنْفُسِكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ وَلَوْ تَحَصَّنْتُمْ مِنْهُ بِالْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ..

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ وَإِنْ يَنَلْهُمْ..

﴿حَسَنَةٌ﴾ رَخَاءٌ وَظَفَرٌ وَفَتْحٌ وَيُصِيبُوا غَنِيمَةً..

﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي: مِنْ قِبَلِ اللهِ وَمِنْ تَقْدِيرِهِ..

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وَإِنْ تَنَلْهُمْ شِدَّةٌ مِنْ عَيْشٍ وَهَزِيمَةٌ مِنْ عَدُوٍّ وَجِرَاحٌ وَأَلَمٌ..

﴿يَقُولُوا﴾ لَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَسَاءَ التَّدْبِيرَ وَأَسَاءَ النَّظَرَ، مَا

أَحْسَنَ التَّدْبِيرَ وَلَا النَّظَرَ.. وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ لِنَبِيِّهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ حَسَنَةٌ هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ سَيِّئَةٌ هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّ ذَلِكَ..

﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ مِنْ عِنْدِهِ الرَّخَاءُ وَالشِّدَّةُ، وَمِنْهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ، وَمِنْ عِنْدِهِ الْقَتْلُ وَالْهَزِيمَةُ..

﴿فَمَالِ﴾ فَمَا شَأْنُ..

﴿هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ الَّذِينَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ [النساء: ٧٨] لَا يَكَادُونَ يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا تُخْبِرُهُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ كُلَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ ضَرٍّ وَشِدَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ، فَمِنْ عِنْدِ اللهِ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَلَا يُصِيبُ أَحَدًا سَيِّئَةٌ إِلَّا بِتَقْدِيرِهِ، وَلَا يُنَالُ رَخَاءٌ وَنِعْمَةٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ أَنَّ مَفَاتِحَ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا بِيَدِهِ، لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [النساء: ٧٩].

﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ مَا يُصِيبُكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ مِنْ رَخَاءٍ وَنِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسَلَامَةٍ..

﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ فَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ، يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَيْكَ إِحْسَانًا مِنْهُ إِلَيْكَ..

﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ شِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ وَأَذًى وَمَكْرُوهٍ..

﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ بِذَنْبٍ اسْتَوْجَبْتَهَا بِهِ، اكْتَسَبَتْهُ نَفْسُكَ..

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ إِنَّمَا جَعَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَلْقِ تُبَلِّغُهُمْ مَا أَرْسَلْنَاكَ بِهِ مِنْ رِسَالَةٍ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ غَيْرُ الْبَلَاغِ وَأَدَاءِ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ مَنْ أُرْسِلْتَ، فَإِنْ قَبِلُوا مَا أُرْسِلْتَ بِهِ فَلِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ رَدُّوا فَعَلَيْهَا..

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ..

﴿شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩] حَسْبُكَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ شَاهِدًا عَلَيْكَ فِي بَلَاغِكَ مَا أَمَرْتُكَ بِبَلَاغِهِ مِنْ رِسَالَتِهِ وَوَحْيِهِ، وَعَلَىٰ مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ فِي قَبُولِهِمْ مِنْكَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ، وَهُوَ مُجَازِيكَ بِبَلَاغِكَ مَا وَعَدَكَ، وَمُجَازِيهِمْ مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ جَزَاءَ الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠].

﴿مَّن يُطِعِ﴾ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا..

﴿فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ فَقَدْ أَطَاعَنِي بِطَاعَتِهِ إِيَّاهُ، فَاسْمَعُوا قَوْلَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ، فَإِنَّهُ مَهْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَمِنْ أَمْرِي يَأْمُرُكُمْ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ شَيْءٍ فَمِنْ نَهْيِي، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُنَا يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا..

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عَنْ طَاعَتِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠] فَأَعْرِضْ عَنْهُ، فَإِنَّا لَمْ نُرْسِلْكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا، يَعْنِي حَافِظًا لِمَا يَعْمَلُونَ مُحَاسِبًا، بَلْ إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَكَفَىٰ بِنَا حَافِظَيْنِ لِأَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ عَلَيْهَا مُحَاسِبِينَ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ -فِيمَا ذُكِرَ- قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْجِهَادِ.. وَهَذَا إِعْذَارٌ مِنَ اللهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ فِي نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨١].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَالْفَرِيقُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ، خَشَوُا النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ وَأَشَدَّ خَشْيَةً يَقُولُونَ لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ بِأَمْرٍ..

﴿طَاعَةٞ﴾ أَمْرُكَ طَاعَةٌ، وَلَكَ مِنَّا طَاعَةٌ فِيمَا تَأْمُرُنَا بِهِ وَتَنْهَانَا عَنْهُ..

﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ﴾ فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾ غَيَّرَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ لَيْلًا.. وَكُلُّ عَمَلٍ عُمِلَ لَيْلًا فَقَدْ بُيِّتَ، وَمِنْ ذَلِكَ بَيَّتَ الْعَدُوَّ وَهُوَ الْوقُوعُ بِهِمْ لَيْلًا..

﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُغَيِّرُونَ مِنْ قَوْلِكَ لَيْلًا فِي كُتُبِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي تَكْتُبُهَا حَفَظَتُهُ..

﴿فَأَعْرِضْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَكَ فِيمَا تَأْمُرُهُمْ: أَمْرُكَ طَاعَةٌ، فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ خَالَفُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ وَغَيَّرُوهُ إِلَىٰ مَا نَهَيْتَهُمْ عَنْهُ، وَخَلِّهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَارْضَ لَهُمْ بِي مُنْتَقِمًا مِنْهُمْ..

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَكَفَىٰ﴾ وَحَسْبُكَ..

﴿بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨١] أَيْ قَيِّمًا يَأْمُرُكَ، وَوَلِيًّا لَهَا، وَدَافِعًا عَنْكَ وَنَاصِرًا.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾
[النساء: ٨٢].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُ الْمُبَيِّتُونَ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ كِتَابَ اللهِ، فَيَعْلَمُوا حُجَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي طَاعَتِكَ وَاتِّبَاعِ أَمْرِكَ، وَأَنَّ الَّذِي أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، لِاتِّسَاقِ مَعَانِيهِ وَائْتِلَافِ أَحْكَامِهِ وَتَأْيِيدِ بَعْضِهِ بَعْضًا بِالتَّصْدِيقِ، وَشَهَادَةِ بَعْضِهِ لِبَعْضٍ بِالتَّحْقِيقِ..

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ..

﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] لَاخْتَلَفَتْ أَحْكَامُهُ وَتَنَاقَضَتْ مَعَانِيهِ وَأَبَانَ بَعْضُهُ عَنْ فَسَادِ بَعْضٍ.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ﴾ وَإِذَا جَاءَ هَذِهِ الطَّائِفَةَ الْمُبَيِّتَةَ غَيْرَ الَّذِي يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿أَمْرٌ﴾ خَبَرٌ..

﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ﴾ عَنْ سَرِيَّةٍ لِلْمُسْلِمِينَ غَازِيَةٍ بِأَنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ بِغَلَبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ..

﴿أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ أَوْ تَخَوُّفُهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ بِإِصَابَةِ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ..

﴿أَذَاعُواْ﴾ أَفْشَوْهُ..

﴿بِهِۦۖ﴾ بِالْأَمْرِ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ الَّذِي جَاءَهُمْ، وَبَثُّوهُ فِي النَّاسِ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَبْلَ أُمَرَاءِ سَرَايَا رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾ وَلَوْ رَدُّوا الْأَمْرَ الَّذِي نَالَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ..

﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ وَإِلَىٰ أُولِي أَمْرِهِمْ، يَعْنِي: وَإِلَىٰ أُمَرَائِهِمْ، وَسَكَتُوا فَلَمْ يُذِيعُوا مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْخَبَرِ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ ذَوُو أَمْرِهِمْ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْخَبَرَ عَنْ ذَلِكَ، بَعْدَ أَنْ ثَبَتَتْ عِنْدَهُمْ صِحَّتُهُ أَوْ بُطُولُهُ، فَيُصَحِّحُوهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا، أَوْ يُبْطِلُوهُ إِنْ كَانَ بَاطِلًا..

﴿لَعَلِمَهُ﴾ لَعَلِمَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ الْخَبَرِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنْهُ، وَيَسْتَخْرِجُونَهُ..

﴿مِنۡهُمۡ﴾ لَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ أُولِي الْأَمْرِ مَنْ يَسْتَنْبِطُهُ، وَكُلُّ مُسْتَخْرِجٍ شَيْئًا كَانَ مُسْتَتِرًا عَنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ أَوْ عَنْ مَعَارِفِ الْقُلُوبِ، فَهُوَ لَهُ مُسْتَنْبِطٌ، يُقَالَ: اسْتَنْبَطْتُ الرَّكِيَّةَ: إِذَا اسْتَخْرَجْتُ مَاءَهَا، وَنَبَطْتُهَا أُنْبِطُهَا، وَالنَّبَطُ: الْمَاءُ الْمُسْتَنْبَطُ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ وَلَوْلَا إِنْعَامُ اللهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِفَضْلِهِ وَتَوْفِيقِهِ..

﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ فَأَنْقَذَكُمْ مِمَّا ابْتَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِهِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ بِأَمْرٍ طَاعَةٌ، فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِهِ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ، لَكُنْتُمْ مِثْلَهُمْ..

﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ كَمَا اتَّبَعَهُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَخَاطَبَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾، الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النساء: ٧١]..

﴿إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣] وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء: ٨٤].

﴿فَقَٰتِلۡ﴾ فَجَاهِدْ يَا مُحَمَّدُ أَعْدَاءَ اللهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكَ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَقَاتِلْهُمْ فِيهِ بِنَفْسِكَ..

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لَا يُكَلِّفُكَ اللهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكَ، إِلَّا مَا حَمَّلَكَ مِنْ ذَلِكَ دُونَ مَا حَمَّلَ غَيْرَكَ مِنْهُ، أَيْ إِنَّكَ إِنَّمَا تُتَّبَعُ بِمَا اكْتَسَبْتَهُ دُونَ مَا اكْتَسَبَهُ غَيْرُكَ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ مَا كُلِّفْتَهُ دُونَ مَا كُلِّفَهُ غَيْرُكَ..

﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَحُضَّهُمْ عَلَىٰ قِتَالِ مَنْ أَمَرْتُكَ بِقِتَالِهِمْ مَعَكَ..

﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ لَعَلَّ اللهَ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ عَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿أَن يَكُفَّ﴾ عَنْكَ وَعَنْهُمْ..

﴿بَأْسَ﴾ قِتَالَ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ، وَجَحَدَ وَحْدَانِيَّتَهُ، وَأَنْكَرَ رِسَالَتَكَ..

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ وَاللهُ أَشَدُّ نِكَايَةً فِي عَدُوِّهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِنْهُمْ فِيكَ يَا مُحَمَّدُ وَفِي أَصْحَابِكَ..

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء: ٨٤] فَلَا تَنْكِلَنَّ عَنْ قِتَالِهِمْ، فَإِنِّي رَاصِدُهُمْ بِالْبَأْسِ وَالنِّكَايَةِ وَالتَّنْكِيلِ وَالْعُقُوبَةِ، لِأُوهِنَ كَيْدَهُمْ وَأُضْعِفَ بَأْسَهُمْ وَأُعْلِيَ الْحَقَّ عَلَيْهِمْ.. وَالتَّنْكِيلُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: نَكَّلْتُ بِفُلَانٍ، فَأَنَا أُنَكِّلُ بِهِ تَنْكِيلًا: إِذَا أَوْجَعْتُهُ عُقُوبَةً.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥].

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ مَنْ يَصِرْ يَا مُحَمَّدُ شَفْعًا لِوِتْرِ أَصْحَابِكَ، فَيَشْفَعُهُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَقِتَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَهُوَ الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ..

﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ يَكُنْ لَهُ مِنْ شَفَاعَتِهِ تِلْكَ نَصِيبٌ، وَهُوَ الْحَظُّ مِنْ ثَوَابِ اللهِ، وَجَزِيلِ كَرَامَتِهِ..

﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ وَمَنْ يَشْفَعْ وِتْرَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، فَيُقَاتِلَهُمْ مَعَهُمْ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ..

﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾ نَصِيبٌ وَحَظٌّ.. وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ كِفْلِ الْبَعِيرِ وَالْمَرْكَبِ، وَهُوَ الْكِسَاءُ أَوِ

الشَّيْءُ يُهَيَّأُ عَلَيْهِ، شَبِيهٌ بِالسَّرْجِ عَلَى الدَّابَّةِ، يُقَالُ مِنْهُ: جَاءَ فُلَانٌ مُكْتَفِلًا: إِذَا جَاءَ عَلَى مَرْكَبٍ قَدْ وُطِّئَ لَهُ لِرُكُوبِهِ..

﴿مِنْهَا﴾ مِنَ الْوِزْرِ وَالْإِثْمِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ عَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ الْآيَةُ، شَفَاعَةُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيمَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ عَمَّ بِذَلِكَ كُلَّ شَافِعٍ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا مَا قُلْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ فِيهَا بِحَضِّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، فَكَانَ ذَلِكَ بِالْوَعْدِ لِمَنْ أَجَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالْوَعِيدِ لِمَنْ أَبَى إِجَابَتَهُ أَشْبَهَ مِنْهُ مِنَ الْحَثِّ عَلَى شَفَاعَةِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ الَّتِي لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ قَبْلُ، وَلَا لَهَا ذِكْرٌ بَعْدُ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ۝٨٥﴾ [النساء: ٨٥] مَعْنَى الْمُقِيتِ: الْقَدِيرُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مِنْهُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يُقِيتُ» يَعْنِي: مَنْ هُوَ تَحْتَ يَدَيْهِ فِي سُلْطَانِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، فَيُقَدِّرُ لَهُ قُوتَهُ.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾
[النساء: ٨٦].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ إِذَا دُعِيَ لَكُمْ بِطُولِ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ وَالسَّلَامَةِ..

﴿فَحَيُّوا۟﴾ فَادْعُوا لِمَنْ دَعَا لَكُمْ بِذَلِكَ..

﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ بِأَحْسَنَ مِمَّا دَعَا لَكُمْ.. فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ..

﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ أَوْ رُدُّوا التَّحِيَّةَ.. أَوْ رُدُّوهَا عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ.. فَالْخِيَارُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْمُسَلَّمِ عَلَيْهِ بَيْنَ رَدِّ الْأَحْسَنِ أَوِ الْمِثْلِ، إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خَصَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَكُونُ مُسَلَّمًا لَهَا، وَقَدْ خَصَّتِ السُّنَّةُ أَهْلَ الْكُفْرِ بِالنَّهْيِ عَنْ رَدِّ الْأَحْسَنِ مِنْ تَحِيَّتِهِمْ عَلَيْهِمْ أَوْ مِثْلِهَا، إِلَّا بِأَنْ يُقَالَ: وَعَلَيْكُمْ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّى مَا حَدَّ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا أَهْلُ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ لِمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ فِي الرَّدِّ مِنَ الْخِيَارِ مَا جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَوَاجِبٌ رَدُّ التَّحِيَّةِ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِمَّا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَعْمَالِ مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ..

﴿حَسِيبًا ۝٨٦﴾ [النساء: ٨٦] حَفِيظًا عَلَيْكُمْ، حَتَّى يُجَازِيَكُمْ بِهَا جَزَاءَهُ.. وَأَصْلُ الْحَسِيبِ فِي

هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْحِسَابِ الَّذِي هُوَ فِي مَعْنَىٰ الْإِحْصَاءِ، يُقَالَ مِنْهُ: حَاسَبْتُ فُلَانًا عَلَىٰ كَذَا وَكَذَا، وَفُلَانٌ حَاسَبَهُ عَلَىٰ كَذَا، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ صَاحِبَ حِسَابِهِ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ مَعْنَىٰ الْحَسِيبِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْكَافِي، وَهَذَا غَلَطٌ مِنَ الْقَوْلِ وَخَطَأٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُقَالَ فِي أَحْسَبْتُ الشَّيْءَ: أَحْسَبْتُ عَلَىٰ الشَّيْءِ فَهُوَ حَسِيبٌ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُقَالَ: هُوَ حَسْبُهُ وَحَسِيبُهُ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾

[النساء: ٨٧].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعُبُودِيَّةُ إِلَّا لَهُ هُوَ، الَّذِي لَهُ عُبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَطَاعَةُ كُلِّ طَائِعٍ..

﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لَيَبْعَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، وَلَيَحْشُرَنَّكُمْ جَمِيعًا إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ الَّذِي يُجَازِي النَّاسَ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيَقْضِي فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَالْكُفْرِ..

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾ لَا شَكَّ فِي حَقِيقَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَأُخْبِرُكُمْ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي جَامِعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَاعْلَمُوا حَقِيقَةَ مَا أُخْبِرُكُمْ مِنَ الْخَبَرِ، فَإِنِّي جَامِعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْجَزَاءِ وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَقِينًا، فَلَا تَشُكُّوا فِي صِحَّتِهِ، وَلَا تَمْتَرُوا فِي حَقِّيَّتِهِ، فَإِنَّ قَوْلِيَ الصِّدْقُ الَّذِي لَا كَذِبَ فِيهِ، وَوَعْدِيَ الصِّدْقُ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ..

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧] وَأَيُّ نَاطِقٍ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا؟ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَاذِبَ إِنَّمَا يَكْذِبُ لِيَجْتَلِبَ بِكَذِبِهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ نَفْعًا أَوْ يَدْفَعَ بِهِ عَنْهَا ضُرًّا، وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَالِقُ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَذِبٌ، لِأَنَّهُ لَا يَدْعُوهُ إِلَىٰ اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَىٰ نَفْسِهِ، أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ عَنْهَا سِوَاهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي اسْتِحَالَةِ الْكَذِبِ مِنْهُ نَظِيرًا، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا وَخَبَرًا.

﴿۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء: ٨٨].

﴿۞ فَمَا لَكُمۡ﴾ فَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ فِي أَهْلِ النِّفَاقِ..

﴿فِئَتَيۡنِ﴾ مُخْتَلِفَتَيْنِ..

﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ وَاللهُ رَدَّهُمْ إِلَىٰ أَحْكَامِ أَهْلِ الشِّرْكِ فِي إِبَاحَةِ دِمَائِهِمْ وَسَبْيِ ذَرَارِيهِمْ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي اخْتِلَافِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي قَوْمٍ كَانُوا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَفِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ الْهِجْرَةَ كَانَتْ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ دَارِهِ وَمَدِينَتِهِ مِنْ سَائِرِ أَرْضِ الْكُفْرِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ الْهِجْرَةِ مُقِيمًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الشِّرْكِ، فَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فَرْضُ هِجْرَةٍ؛ لِأَنَّهُ فِي دَارِ الْهِجْرَةِ كَانَ وَطَنُهُ وَمَقَامُهُ..

﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَن تَهْدُواْ﴾ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَتُوَفِّقُوا لِلْإِقْرَارِ بِهِ وَالدُّخُولِ فِيهِ..

﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْهُ، يَعْنِي بِذَلِكَ: مَنْ خَذَلَهُ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِلْإِقْرَارِ بِهِ.. وَإِنَّمَا هَذَا خِطَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْفِئَةِ الَّتِي دَافَعَتْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَتَبْغُونَ هِدَايَةَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللهُ فَخَذَلَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ بِمُدَافَعَتِكُمْ عَنْ قِتَالِهِمْ مَنْ أَرَادَ قِتَالَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟!

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ خَذَلَهُ عَنْ دِينِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهِ وَبِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، فَأَضَلَّهُ عَنْهُ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿سَبِيلًا ٨٨﴾ [النساء: ٨٨] طَرِيقًا تَهْدِيهِ فِيهَا إِلَىٰ إِدْرَاكِ مَا خَذَلَهُ اللهُ عَنْهُ، وَلَا مَنْهَجًا يَصِلُ مِنْهُ إِلَىٰ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ حَرَمَهُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾

[النساء: ٨٩].

﴿وَدُّواْ﴾ تَمَنَّىٰ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيهِمْ فِئَتَانِ..

﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أَنْ تَكْفُرُوا فَتَجْحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ رَبِّكُمْ وَتَصْدِيقَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿كَمَا كَفَرُواْ﴾ كَمَا جَحَدُوا هُمْ ذَلِكَ..

﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ﴾ فَتَكُونُونَ كُفَّارًا مِثْلَهُمْ، وَتَسْتَوُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ فِي الشِّرْكِ بِاللهِ..

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْ دَارِ الشِّرْكِ وَيُفَارِقُوا أَهْلَهَا الَّذِينَ هُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهَا..

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي ابْتِغَاءِ دِينِ اللهِ، وَهُوَ سَبِيلُهُ، فَيَصِيرُوا عِنْدَ ذَلِكَ مِثْلَكُمْ، وَيَكُونَ لَهُمْ حِينَئِذٍ حُكْمُكُمْ..

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الْإِقْرَارِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَوَلَّوْا عَنِ الْهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ، وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ..

﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ مِنْ بِلَادِهِمْ وَغَيْرِ بِلَادِهِمْ، أَيْنَ أَصَبْتُمُوهُمْ مِنْ أَرْضِ اللهِ..

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ خَلِيلًا يُوَالِيكُمْ عَلَىٰ أُمُورِكُمْ..

﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء: ٨٩] يَنْصُرُكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا، وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ.. وَهَذَا الْخَبَرُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِبَانَةٌ عَنْ صِحَّةِ نِفَاقِ الَّذِينَ اخْتَلَفَ الْمُؤْمِنُونَ فِي أَمْرِهِمْ، وَتَحْذِيرٌ لِمَنْ دَافَعَ عَنْهُمْ عَنِ الْمُدَافَعَةِ عَنْهُمْ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [النساء: ٩٠].

﴿إِلَّا﴾ فَإِنْ تَوَلَّىٰ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ اخْتَلَفْتُمْ فِيهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَبَوُا الْهِجْرَةَ، فَلَمْ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، سِوَىٰ..

﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ مَنْ وَصَلَ مِنْهُمْ..

﴿إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مُوَادَعَةٌ وَعَهْدٌ وَمِيثَاقٌ، فَدَخَلُوا فِيهِمْ وَصَارُوا مِنْهُمْ وَرَضُوا بِحُكْمِهِمْ، فَإِنَّ لِمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ فَدَخَلَ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ رَاضِيًا بِحُكْمِهِمْ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ بِدُخُولِهِ فِيهِمْ، أَنْ لَا تُسْبَىٰ نِسَاؤُهُمْ وَذَرَارِيُّهُمْ، وَلَا تُغْنَمَ أَمْوَالُهُمْ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَتَّصِلُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ لِقَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ؛ مِنْ قَوْلِهِمُ: اتَّصَلَ الرَّجُلُ، بِمَعْنَىٰ: انْتَمَىٰ وَانْتَسَبَ، وَلَا وَجْهَ لِهَذَا التَّأْوِيلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّ الِانْتِسَابَ إِلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْمُوَادَعَةِ أَوِ الْعَهْدِ لَوْ كَانَ يُوجِبُ

لِلْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِمْ مَا لَهُمْ مَا لَهُمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْعَهْدِ وَالْأَمَانِ مَا لَهُمْ، لَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُقَاتِلَ قُرَيْشًا، وَهُمْ أَنْسِبَاءُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَفْلَةٍ أَنَّ قِتَالَ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ قَاتَلَ مِنْ أَنْسِبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ مَا نُسِخَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾، فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ نُسِخَ «ببراءة»، و «براءة» نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَدُخُولِ قُرَيْشٍ فِي الْإِسْلَامِ.

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، أَوْ: إِلَّا الَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْهُمْ قَدْ..

﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَنْ ضَاقَتْ نَفْسُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فِعْلٍ أَوْ كَلَامٍ: قَدْ حَصِرَ، وَمِنْهُ الْحَصْرُ فِي الْقِرَاءَةِ..

﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ فَدَخَلُوا فِيكُمْ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، فَيَدْخُلُونَ فِي جِوَارِهِمْ وَذِمَّتِهِمْ، وَالَّذِينَ يَجِيئُونَكُمْ قَدْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَقِتَالِ قَوْمِهِمْ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ مَعَ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَفَّهُمْ عَنْكُمْ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَأَطِيعُوا الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِكَفِّهِمْ عَنْكُمْ مَعَ سَائِرِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْكَفِّ عَنْهُمْ إِذَا وَصَلُوا إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَقِتَالِ قَوْمِهِمْ..

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ فَإِنِ اعْتَزَلَكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ بِالْكَفِّ عَنْ قِتَالِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِدُخُولِهِمْ فِي أَهْلِ عَهْدِكُمْ أَوْ مَصِيرِهِمْ إِلَيْكُمْ، حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَقِتَالِ قَوْمِهِمْ..

﴿فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ وَصَالَحُوكُمْ.. وَالسَّلَمُ: هُوَ الِاسْتِسْلَامُ، وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: أَعْطَيْتُكَ قِيَادِي وَأَلْقَيْتُ إِلَيْكَ خِطَامِي، إِذَا اسْتَسْلَمَ لَهُ وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ إِنَّمَا هُوَ: أَلْقَوْا إِلَيْكُمْ قِيَادَهُمْ وَاسْتَسْلَمُوا لَكُمْ صُلْحًا مِنْهُمْ لَكُمْ وَسَلَمًا..

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝٩٠﴾ [النساء: ٩٠] إِذَا اسْتَسْلَمَ لَكُمْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ صُلْحًا مِنْهُمْ لَكُمْ، فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا: أَيْ فَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَكُمْ عَلَىٰ

أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَنِسَائِهِمْ طَرِيقًا إِلَىٰ قَتْلٍ أَوْ سِبَاءٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، بِإِبَاحَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ لَكُمْ وَلَا إِذْنٍ، فَلَا تَعَرَّضُوا لَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا سَبِيلَ خَيْرٍ.. ثُمَّ نَسَخَ اللهُ جَمِيعَ حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي بَعْدَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥].

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝٩١﴾ [النساء: ٩١].

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ فَرِيقٌ آخَرُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ لِيَأْمَنُوا بِهِ عِنْدَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَهُمْ كُفَّارٌ، يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَوْمُهُمْ، إِذَا لَقُوهُمْ كَانُوا مَعَهُمْ وَعَبَدُوا مَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ لِيَأْمَنُوهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، يَقُولُ اللهُ..

﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ كُلَّمَا دَعَاهُمْ قَوْمُهُم إِلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ ارْتَدُّوا فَصَارُوا مُشْرِكِينَ مِثْلَهُمْ..

﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ، وَهُمْ كُلَّمَا دُعُوا إِلَىٰ الشِّرْكِ أَجَابُوا إِلَيْهِ..

﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ وَلَمْ يَسْتَسْلِمُوا إِلَيْكُمْ فَيُعْطُوكُمُ الْمَقَادَ وَيُصَالِحُوكُمْ..

﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوهُمْ أَيْنَ أَصَبْتُمُوهُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَقِيتُمُوهُمْ فِيهَا فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ دِمَاءَهُمْ لَكُمْ حِينَئِذٍ حَلَالٌ..

﴿وَأُولَٰئِكُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ وَهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، إِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ..

﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ جَعَلْنَا لَكُمْ حُجَّةً فِي قَتْلِهِمْ أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ، لِمُقَامِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَتَرْكِهِمْ هِجْرَةَ دَارِ الشِّرْكِ..

﴿مُّبِينًا ۝٩١﴾ [النساء: ٩١] تُبِينُ عَنِ اسْتِحْقَاقِهِمْ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَإِصَابَتِكُمُ الْحَقَّ فِي قَتْلِهِمْ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ وَمَا أَذِنَ اللهُ لِمُؤْمِنٍ وَلَا أَبَاحَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا، مَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ فِيمَا جَعَلَ لَهُ رَبُّهُ وَأَذِنَ لَهُ فِيهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْبَتَّةَ.. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ بِحُكْمِ مَنْ قَتَلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُؤْمِنًا خَطَأً، فَقَالَ..

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بِأَنْ يَرْمِيَ الشَّيْءَ، فَيُصِيبَ إِنْسَانًا وَهُوَ لَا يُرِيدُهُ، فَهُوَ خَطَأٌ..

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فَعَلَيْهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ مَالِهِ.. وَلَا يُجْزِئُ فِي قَتْلِ الْخَطَأِ مِنَ الرِّقَابِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ وَهُوَ يَعْقِلُ الْإِيمَانَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا كَانَ مِمَّنْ كَانَ أَبَوَاهُ عَلَىٰ مِلَّةٍ مِنَ الْمِلَلِ سِوَىٰ الْإِسْلَامِ وَوُلِدَ بَيْنَهُمَا وَهُمَا كَذَلِكَ، ثُمَّ لَمْ يُسْلِمَا وَلَا وَاحِدٌ مِنْهُمَا حَتَّىٰ أُعْتِقَ فِي كَفَّارَةِ الْخَطَأِ، وَأَمَّا مَنْ وُلِدَ بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ فَقَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الِاخْتِيَارِ وَالتَّمْيِيزِ، وَلَمْ يُدْرِكِ الْحُلُمَ فَمَحْكُومٌ لَهُ بِحُكْمِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الْمُوَارَثَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ إِنْ مَاتَ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ إِنْ جَنَىٰ، وَيَجِبُ لَهُ إِنْ جُنِيَ عَلَيْهِ، وَفِي الْمُنَاكَحَةِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِهِمْ إِجْمَاعًا، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الْحُكْمِ فِيمَا يُجْزِئُ فِيهِ مِنْ كَفَّارَةِ الْخَطَأِ إِنْ أُعْتِقَ فِيهَا، مِنْ حُكْمِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، مِثْلُ الَّذِي لَهُ مِنْ حُكْمِ الْإِيمَانِ فِي سَائِرِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَغَيْرِهَا..

﴿وَدِيَةٌ﴾ أَمَّا فِي قَتْلِ الْمُؤْمِنِ فَمِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِبِلِ عَلَىٰ عَاقِلَةِ قَاتِلِهِ، لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي مَبْلَغِ أَسْنَانِهَا اخْتِلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَيُّ هَذِهِ الْأَسْنَانِ الَّتِي اخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ فِيهَا أَدَّاهَا إِلَىٰ مَنْ وَجَبَتْ لَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَحُدَّ ذَلِكَ بِحَدٍّ لَا يُجَاوِزُ بِهِ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا رَسُولُهُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ إِجْمَاعِهِمْ فِيمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْإِمَامِ مُجَاوَزَةُ ذَلِكَ فِي الْحُكْمِ بِتَقْصِيرٍ وَلَا زِيَادَةٍ، وَلَهُ التَّخْيِيرُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِمَا رَأَىٰ الصَّلَاحَ فِيهِ لِلْفَرِيقَيْنِ.. وَإِنْ كَانَتْ عَاقِلَةُ الْقَاتِلِ مِنْ أَهْلِ الذَّهَبِ فَإِنَّ لِوَرَثَةِ الْقَتِيلِ

عَلَيْهِمْ عِنْدَنَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْأَمْصَارِ.. وَأَمَّا مِنَ الْوَرِقِ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَرِقِ عِنْدَنَا، فَاثْنَا عَشَرَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.. وَأَمَّا دِيَةُ الْمُعَاهِدِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِهِ مِيثَاقٌ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ اخْتَلَفُوا فِي مَبْلَغِهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: دِيَتُهُ وَدِيَةُ الْحُرِّ الْمُسْلِمِ سَوَاءٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ دِيَتُهُ عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ دِيَةِ الْمُسْلِمِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ دِيَتُهُ عَلَىٰ الثُّلُثِ مِنْ دِيَةِ الْمُسْلِمِ..

﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ يُؤَدِّيهَا عَاقِلَتُهُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَهِيَ الْمَدْفُوعَةُ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ مَا وَجَبَ لَهُمْ، مُوَفَّرَةً غَيْرَ مُنْتَقَصَةٍ حُقُوقَ أَهْلِهِمْ مِنْهَا..

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقَ أَهْلُ الْقَتِيلِ خَطَأً عَلَىٰ مَنْ لَزِمَتْهُ دِيَةُ قَتِيلِهِمْ، فَيَعْفُوا عَنْهُ وَيَتَجَاوَزُوا عَنْ ذَنْبِهِ، فَيَسْقُطَ عَنْهُ.. فَإِنَّ اللهَ عَرَّفَ عِبَادَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَا عَلَىٰ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً مِنْ كَفَّارَةٍ وَدِيَةٍ، فَالَّذِي عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْآيَةِ تَعْرِيفُ عِبَادِهِ مَا ذَكَرْنَا، وَقَدْ عَرَفَ ذَلِكَ مَنْ عَقَلَ عَنْهُ مِنْ عِبَادِهِ تَنْزِيلَهُ، وَغَيْرُ ضَائِرِهِمْ جَهْلُهُمْ بِمَنْ نَزَلَتْ فِيهِ..

﴿فَإِن كَانَ﴾ فَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَتِيلُ الَّذِي قَتَلَهُ الْمُؤْمِنُ خَطَأً..

﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ مِنْ عِدَادِ قَوْمٍ أَعْدَاءٍ لَكُمْ فِي الدِّينِ مُشْرِكُونَ، قَدْ نَاصَبُوكُم الْحَرْبَ عَلَىٰ خِلَافِكُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فَإِذَا قَتَلَ الْمُسْلِمُ خَطَأً رَجُلًا مِنْ عِدَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمَقْتُولُ مُؤْمِنٌ، وَالْقَاتِلُ يَحْسِبُ أَنَّهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ، فَعَلَيْهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ مِنْ قَوْمٍ هُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ؛ أَيْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لَمْ يُهَاجِرْ، فَقَتَلَهُ مُؤْمِنٌ، فَلَا دِيَةَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِهِ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ يَقْدَمُ دَارَ الْإِسْلَامِ، فَيُسْلِمُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ دَارِ الْحَرْبِ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمُ الْجَيْشُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ هَرَبَ قَوْمُهُ، وَأَقَامَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُ مِنْهُمْ فِيهَا، فَقَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ كَافِرًا..

﴿وَإِن كَانَ﴾ الْقَتِيلُ الَّذِي قَتَلَهُ الْمُؤْمِنُ خَطَأً..

﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عَهْدٌ وَذِمَّةٌ، وَلَيْسُوا أَهْلَ حَرْبٍ لَكُمْ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ..

﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فَعَلَىٰ قَاتِلِهِ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَحَمَّلُهَا عَاقِلَتُهُ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ الدِّيَةَ عِنْدَهُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمُؤْمِنٍ، فَقَدْ ظَنَّ خَطَأً؛ وَذَلِكَ أَنَّ دِيَةَ الذِّمِّيِّ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ سَوَاءٌ، لِإِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ

عَلَىٰ أَنَّ دِيَاتِ عَبِيدِهِمُ الْكُفَّارِ وَعَبِيدِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ سَوَاءٌ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ دِيَاتِ أَحْرَارِهِمْ سَوَاءٌ، مَعَ أَنَّ دِيَاتِهِمْ لَوْ كَانَتْ عَلَىٰ مَا قَالَ مَنْ خَالَفَنَا فِي ذَلِكَ، فَجَعَلَهَا عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ دِيَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَوْ عَلَىٰ الثُّلُثِ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمَعْنِيَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ دِيَةَ الْمُؤْمِنَةِ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ -إِلَّا مَنْ لَا يُعَدُّ خِلَافًا- أَنَّهَا عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ دِيَةِ الْمُؤْمِنِ، وَذَلِكَ غَيْرُ مُخْرِجِهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ دِيَةً، فَكَذَلِكَ حُكْمُ دِيَاتِ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَوْ كَانَتْ مُقَصِّرَةً عَنْ دِيَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ لَمْ يُخْرِجْهَا ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ دِيَاتٍ، فَكَيْفَ وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِهِ وَدِيَاتُهُمْ وَدِيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ سَوَاءٌ؟!

﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ كَفَّارَةً لِقَتْلِهِ..

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً يُحَرِّرُهَا كَفَّارَةً لِخَطَئِهِ فِي قَتْلِهِ مَنْ قَتَلَ مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُعَاهَدٍ لِعُسْرَتِهِ بِثَمَنِهَا..

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ عَنِ الرَّقَبَةِ دُونَ الدِّيَةِ، لِأَنَّ دِيَةَ الْخَطَأِ عَلَىٰ عَاقِلَةِ الْقَاتِلِ، وَالْكَفَّارَةُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ بِإِجْمَاعِ الْحِجَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، نَقْلًا عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ، فَلَا يَقْضِي صَوْمُ صَائِمٍ عَمَّا لَزِمَ غَيْرَهُ فِي مَالِهِ..

﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾ وَالْمُتَابَعَةُ صَوْمُ الشَّهْرَيْنِ، مِمَّا لَا يَقْطَعُهُ بِإِفْطَارِ بَعْضِ أَيَّامِهِ لِغَيْرِ عِلَّةٍ حَائِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَوْمِهِ..

﴿تَوْبَةً﴾ تَجَاوُزًا..

﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ لَكُمْ إِلَىٰ التَّيْسِيرِ عَلَيْهِ، بِتَخْفِيفِهِ عَنْكُمْ مَا خَفَّفَ عَنْكُمْ مِنْ فَرْضِ تَحْرِيرِ الرَّقَبَةِ الْمُؤْمِنَةِ إِذَا أُعْسِرْتُمْ بِهَا، بِإِيجَابِهِ عَلَيْكُمْ صَوْمَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ..

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَلِيمًا﴾ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ فِيمَا يُكَلِّفُهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿حَكِيمًا ۝٩٢﴾ [النساء: ٩٢] بِمَا يَقْضِي فِيهِمْ وَيُرِيدُ.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء: ٩٣].

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا عَامِدًا قَتْلَهُ، مُرِيدًا إِتْلَافَ نَفْسِهِ.. وَكُلُّ مَنْ

ضَرَبَ إِنْسَانًا بِشَيْءٍ الْأَغْلَبُ مِنْهُ أَنَّهُ يُتْلِفُهُ، فَلَمْ يُقْلِعْ عَنْهُ حَتَّىٰ أَتْلَفَ نَفْسَهُ بِهِ أَنَّهُ قَاتِلُ عَمْدٍ..

﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾ فَثَوَابُهُ مِنْ قَتْلِهِ إِيَّاهُ..

﴿جَهَنَّمُ﴾ عَذَابُ جَهَنَّمَ..

﴿خَٰلِدًا﴾ بَاقِيًا..

﴿فِيهَا﴾ فِي جَهَنَّمَ.. وَلَكِنَّهُ يَعْفُو أَوْ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، فَلَا يُجَازِيهِمْ بِالْخُلُودِ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ -عَزَّ ذِكْرُهُ- إِمَّا أَنْ يَعْفُوَ بِفَضْلِهِ فَلَا يُدْخِلُهُ النَّارَ، وَإِمَّا أَنْ يُدْخِلَهُ إِيَّاهَا ثُمَّ يُخْرِجَهُ مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ لِمَا سَلَفَ مِنْ وَعْدِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْقَاتِلَ إِنْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُشْرِكُ دَاخِلًا فِيهِ، لِأَنَّ الشِّرْكَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ غَافِرٍ الشِّرْكَ لِأَحَدٍ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وَالْقَتْلُ دُونَ الشِّرْكِ..

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بِقَتْلِهِ إِيَّاهُ مُتَعَمِّدًا..

﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ وَأَبْعَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَخْزَاهُ..

﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣﴾ [النساء: ٩٣] وَذَلِكَ مَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ مَبْلَغِهِ سِوَاهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٩٤﴾ [النساء: ٩٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إِذَا سِرْتُمْ مَسِيرًا لِلَّهِ فِي جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ..

﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ فَتَأَنَّوْا فِي قَتْلِ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ، فَلَمْ تَعْلَمُوا حَقِيقَةَ إِسْلَامِهِ وَلَا كُفْرِهِ، وَلَا تَعْجَلُوا فَتَقْتُلُوا مَنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ، وَلَا تَتَقَدَّمُوا عَلَىٰ قَتْلِ أَحَدٍ إِلَّا عَلَىٰ قَتْلِ مَنْ عَلِمْتُمُوهُ يَقِينًا حَرْبًا لَكُمْ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ..

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنِ اسْتَسْلَمَ لَكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلْكُمْ، مُظْهِرًا لَكُمْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ وَدَعْوَتِكُمْ..

﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فَتَقْتُلُوهُ..

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ طَلَبَ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ مِنْ رِزْقِهِ وَفَوَاضِلِ نِعَمِهِ، فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُ اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَثَابَكُمْ بِهَا عَلَىٰ طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ كَمَا كَانَ هَذَا الَّذِي أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَقُلْتَ لَهُ لَسْتَ مُؤْمِنًا فَقَتَلْتُمُوهُ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ مِنْ قَبْلُ، يَعْنِي: مِنْ قَبْلِ إِعْزَازِ اللهِ دِينَهُ بِتُبَّاعِهِ وَأَنْصَارِهِ، تَسْتَخْفُونَ بِدِينِكُمْ كَمَا اسْتَخْفَىٰ هَذَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ، وَأَخَذْتُمْ مَالَهُ بِدِينِهِ مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يُظْهِرَهُ لَهُمْ حَذَرًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْهُمْ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ [النساء: ٩٤] كُنْتُمْ كُفَّارًا مِثْلَهُمْ..

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فَتَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِإِعْزَازِ دِينِهِ بِأَنْصَارِهِ وَكَثْرَةِ تُبَّاعِهِ، وَقَدْ قِيلَ: فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْ قَتْلِكُمْ هَذَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ، وَأَخَذْتُمْ مَالَهُ بَعْدَ مَا أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ..

﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ فَلَا تَعْجَلُوا بِقَتْلِ مَنْ أَرَدْتُمْ قَتْلَهُ مِمَّنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ أَمْرُ إِسْلَامِهِ، فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمِثْلِ الَّذِي مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَهَدَاهُ لِمِثْلِ الَّذِي هَدَاكُمْ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ بِقَتْلِكُمْ مَنْ تَقْتُلُونَ وَكَفِّكُمْ عَمَّنْ تَكُفُّونَ عَنْ قَتْلِهِ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِكُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ غَيْرِكُمْ..

﴿خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء: ٩٤] ذَا خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِهِ، يَحْفَظُهُ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَكُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءَ الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي سَبَبِ قَتِيلٍ قَتَلَتْهُ سَرِيَّةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ مَا قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، أَوْ بَعْدَ مَا شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، أَوْ بَعْدَ مَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، لِغَنِيمَةٍ كَانَتْ مَعَهُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مِلْكِهِ، فَأَخَذُوهُ مِنْهُ.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

﴿لَّا يَسْتَوِى﴾ لا يَعْتَدِلُ..

﴿ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ الْمُتَخَلِّفُونَ..

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، الْمُؤْثِرُونَ الدَّعَةَ وَالْخَفْضَ وَالْقُعُودَ فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَىٰ مُقَاسَاةِ حُزُونَةِ الْأَسْفَارِ وَالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ وَمَشَقَّةِ مُلَاقَاةِ أَعْدَاءِ اللهِ بِجِهَادِهِمْ فِي ذَاتِ اللهِ وَقِتَالِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ، إِلَّا أَهْلَ الْعُذْرِ مِنْهُمْ بِذَهَابِ أَبْصَارِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي لَا سَبِيلَ لِأَهْلِهَا لِلضَّرَرِ الَّذِي بِهِمْ إِلَىٰ قِتَالِهِمْ وَجِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَمِنْهَاجِ دِينِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، الْمُسْتَفْرِغُونَ طَاقَتَهُمْ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِمْ..

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ إِنْفَاقًا لَهَا فِيمَا أَوْهَنَ كَيْدَ أَعْدَاءِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ وَبِأَنْفُسِهِمْ، مُبَاشَرَةً بِهَا قِتَالَهُمْ، بِمَا تَكُونُ بِهِ كَلِمَةُ اللهِ الْعَالِيَةَ، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّافِلَةَ..

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ مِنْ أُولِي الضَّرَرِ..

﴿دَرَجَةً﴾ وَاحِدَةً، يَعْنِي فَضِيلَةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ بِفَضْلِ جِهَادٍ بِنَفْسِهِ، فَأَمَّا فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَهُمَا مُسْتَوِيَانِ..

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ وَعَدَ اللهُ الْكُلَّ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْقَاعِدِينَ مِنْ أَهْلِ الضَّرَرِ..

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الْجَنَّةَ..

﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ..

﴿عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ مِنْ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ..

﴿أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥﴾ [النساء: ٩٥] وَثَوَابًا جَزِيلًا، وَهُوَ.

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾ [النساء: ٩٦].

﴿دَرَجَٰتٍ﴾ فَضَائِلَ أَعْطَاهُمُوهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ، رَفَعَهُمْ بِهَا عَلَىٰ الْقَاعِدِينَ بِمَا أَبْلَوْا فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿مِّنْهُ﴾ وَمَنَازِلَ مِنْ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ..

﴿وَمَغْفِرَةً﴾ وَصَفَحَ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِتَرْكِ عُقُوبَتِهِمْ عَلَيْهَا..

﴿وَرَحْمَةً﴾ وَرَأْفَةً بِهِمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿غَفُورًا﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَصْفَحُ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا..

﴿رَّحِيمًا ٩٦﴾ [النساء: ٩٦] بِهِمْ، يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِنِعَمِهِ، مَعَ خِلَافِهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَرُكُوبِهِمْ مَعَاصِيَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٩٧﴾ [النساء: ٩٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مُكْسِبِي أَنْفُسَهُمْ غَضَبَ اللهِ وَسَخَطَهُ..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ..

﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ فِي أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ مِنْ دِينِكُمْ..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ..

﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يَسْتَضْعِفُنَا أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ فِي أَرْضِنَا وَبِلَادِنَا بِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، فَيَمْنَعُونَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ، مَعْذِرَةٌ ضَعِيفَةٌ وَحُجَّةٌ وَاهِيَةٌ..

﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ فَتَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِكُمْ وَدُورِكُمْ، وَتُفَارِقُوا مَنْ يَمْنَعُكُمْ بِهَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ، إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي يَمْنَعُكُمْ أَهْلُهَا مِنْ سُلْطَانِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، فَتُوَحِّدُوا اللهَ فِيهَا وَتَعْبُدُوهُ، وَتَتَّبِعُوا نَبِيَّهُ؟ يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ وُصِفَتْ لَكُمْ صِفَتُهُمْ، الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ..

﴿مَأْوَىٰهُمْ﴾ مَصِيرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿جَهَنَّمُ﴾ وَهِيَ مَسْكَنُهُمْ..

﴿وَسَآءَتْ﴾ جَهَنَّمُ لِأَهْلِهَا الَّذِينَ صَارُوا إِلَيْهَا..

﴿مَصِيرًا ٩٧﴾ [النساء: ٩٧] وَمَسْكَنًا وَمَأْوًى.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ٩٨﴾ [النساء: ٩٨].

﴿إِلَّا﴾ ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الَّذِينَ اسْتَضْعَفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ وَهُمُ الْعَجَزَةُ عَنِ الْهِجْرَةِ بِالْعُسْرَةِ وَقِلَّةِ الْحِيلَةِ..

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨﴾ [النساء: ٩٨] وَسُوءِ الْبَصَرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالطَّرِيقِ مِنْ أَرْضِهِمْ، أَرْضِ الشِّرْكِ إِلَىٰ أَرْضِ الْإِسْلَامِ، مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ أَنْ تَكُونَ جَهَنَّمُ مَأْوَاهُمْ، لِلْعُذْرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، عَلَىٰ مَا بَيَّنَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء: ٩٩].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ..

﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ لَعَلَّ اللهَ..

﴿أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ لِلْعُذْرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ، فَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ فِي تَرْكِهِمُ الْهِجْرَةِ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهَا اخْتِيَارًا وَلَا إِيثَارًا مِنْهُمْ لِدَارِ الْكُفْرِ عَلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ لِلْعَجْزِ الَّذِي هُمْ فِيهِ عَنِ النُّقْلَةِ عَنْهَا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَفُوًّا﴾ ذَا صَفْحٍ بِفَضْلِهِ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ بِتَرْكِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا..

﴿غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء: ٩٩] سَاتِرًا عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا.. وَذُكِرَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَالَّتِي بَعْدَهُمَا نَزَلَتْ فِي أَقْوَامٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَآمَنُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْهِجْرَةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ هَاجَرَ، وَعُرِضَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ الْفِتْنَةِ فَافْتُتِنَ، وَشَهِدَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ حَرْبَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَبَىٰ اللهُ قَبُولَ مَعْذِرَتَهُمُ الَّتِي اعْتَذَرُوا بِهَا، الَّتِي بَيَّنَهَا فِي قَوْلِهِ خَبَرًا عَنْهُمْ: ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ﴾.

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٠﴾ [النساء: ١٠٠].

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ﴾ وَمَنْ يُفَارِقْ أَرْضَ الشِّرْكِ وَأَهْلَهَا، هَرَبًا بِدِينِهِ مِنْهَا وَمِنْهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهَا الْمُؤْمِنِينَ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي مِنْهَاجِ دِينِ اللهِ وَطَرِيقِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِخَلْقِهِ، وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ..

﴿يَجِدْ﴾ هَذَا الْمُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ وَهُوَ الْمُضْطَرِبُ فِي الْبِلَادِ وَالْمَذْهَبِ..

﴿وَسَعَةً﴾ يَحْتَمِلُ السَّعَةَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ بِمَكَّةَ، وَذَلِكَ مَنْعُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِمْ وَعِبَادَةِ رَبِّهِمْ عَلَانِيَةً.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي السَّعَةِ، السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ، وَالْغِنَىٰ مِنَ الْفَقْرِ؛ وَيَدْخُلُ فِيهِ السَّعَةُ مِنْ ضِيقِ الْهَمِّ، وَالْكَرْبِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي السَّعَةِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَىٰ الرَّوْحِ وَالْفَرَجِ مِنْ مَكْرُوهِ مَا كَرِهَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَقَامِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَيِ الْمُشْرِكِينَ وَفِي سُلْطَانِهِمْ.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ مِنْ أَرْضِ الشِّرْكِ فَارًّا بِدِينِهِ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ إِنْ أَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَرْضَ الْإِسْلَامِ وَدَارَ الْهِجْرَةِ..

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وَذَلِكَ ثَوَابُ عَمَلِهِ وَجَزَاءُ هِجْرَتِهِ وَفِرَاقِ وَطَنِهِ وَعَشِيرَتِهِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِ دِينِهِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَمَنْ يَخْرُجْ مُهَاجِرًا مِنْ دَارِهِ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ، فَقَدِ اسْتَوْجَبَ ثَوَابَ هِجْرَتِهِ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ دَارَ هِجْرَتِهِ بِاخْتِرَامِ الْمَنِيَّةِ إِيَّاهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ إِيَّاهَا عَلَىٰ رَبِّهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿غَفُورًا﴾ سَاتِرًا ذُنُوبَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَفْوِ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا..

﴿رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠] بِهِمْ رَفِيقًا، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ بَعْضِ مَنْ كَانَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَخَرَجَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ الْآيَتَيْنِ قَبْلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٩] فَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ قَبْلَ بُلُوغِهِ الْمَدِينَةَ.. وَقَدْ تَأَوَّلَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذِهِ الْآيَةَ، أَنَّهَا فِي حُكْمِ الْغَازِي يَخْرُجُ لِلْغَزْوِ فَيُدْرِكُهُ الْمَوْتُ بَعْدَ مَا يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ فَاصِلًا فَيَمُوتُ، أَنَّ لَهُ سَهْمَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: ١٠١].

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَإِذَا سِرْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْأَرْضِ..

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ..

﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ حُدُودِهَا، وَذَلِكَ تَرْكُ إِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَإِبَاحَةُ أَدَائِهَا كَيْفَ أَمْكَنَ أَدَاؤُهَا، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ فِيهَا، وَمُسْتَدْبِرَهَا، وَرَاكِبًا وَمَاشِيًا، وَذَلِكَ فِي حَالِ الشَّبْكَةِ وَالْمُسَايَفَةِ وَالْتِحَامِ الْحَرْبِ وَتَزَاحُفِ الصُّفُوفِ، وَهِيَ الْحَالَةُ الَّتِي قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]، وَأَذِنَ بِالصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فِيهَا رَاكِبًا إِيمَاءً

بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ..

﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ إِنْ خَشِيتُمْ..

﴿أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ وَفِتْنَتُهُمْ إِيَّاهُمْ فِيمَا حَمَلَهُمْ عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِيهَا سَاجِدُونَ، حَتَّىٰ يَقْتُلُوهُمْ أَوْ يَأْسِرُوهُمْ، فَيَمْنَعُوهُمْ مِنْ إِقَامَتِهَا وَأَدَائِهَا، وَيَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادَةِ اللهِ وَإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ.. ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا عَلَيْهِ أَهْلُ الْكُفْرِ لَهُمْ فَقَالَ..

﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الْجَاحِدِينَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ..

﴿كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ١٠١﴾ [النساء: ١٠١] قَدْ أَبَانُوا لَكُمْ عَدَاوَتَهُمْ، بِمُنَاصَبَتِهِمْ لَكُمُ الْحَرْبَ عَلَىٰ إِيمَانِكُمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَتَرْكِكُمْ عِبَادَةَ مَا يَعْبُدُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَمُخَالَفَتِكُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِي الضَّارِبِينَ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَصْحَابِكَ يَا مُحَمَّدُ، الْخَائِفِينَ عَدُوَّهُمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ..

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَلَمْ تَقْصُرْهَا الْقَصْرَ الَّذِي أَبَحْتُ لَهُمْ أَنْ يَقْصُرُوهَا فِي حَالِ تَلَاقِيهِمْ وَعَدُوِّهِمْ وَتَزَاحُفِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فَلْتَقُمْ فِرْقَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ الَّذِينَ تَكُونُ أَنْتَ فِيهِمْ مَعَكَ فِي صَلَاتِكَ، وَلْيَكُنْ سَائِرُهُمْ فِي وُجُوهِ الْعَدُوِّ..

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الطَّائِفَةِ الْمَأْمُورَةِ بِأَخْذِ السِّلَاحِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي كَانَتْ تُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾ يَقُولُ: وَلْتَأْخُذِ الطَّائِفَةُ الْمُصَلِّيَةُ مَعَكَ مِنْ طَوَائِفِهِمْ ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾، وَالسِّلَاحُ الَّذِي أُمِرُوا بِأَخْذِهِ عِنْدَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ كَالسَّيْفِ يَتَقَلَّدُهُ أَحَدُهُمْ، وَالسِّكِّينِ، وَالْخِنْجَرِ يَشُدُّهُ إِلَىٰ دِرْعِهِ وَثِيَابِهِ الَّتِي

هِيَ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ سِلَاحِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الطَّائِفَةُ الْمَأْمُورَةُ بِأَخْذِ السِّلَاحِ مِنْهُمُ، الطَّائِفَةُ الَّتِي كَانَتْ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ وَدُونَ الْمُصَلِّيَةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ..

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ فَإِذَا سَجَدَتِ الطَّائِفَةُ الَّتِي قَامَتْ مَعَكَ فِي صَلَاتِهَا..

﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يَعْنِي مِنْ خَلْفِكَ وَخَلْفِ مَنْ يَدْخُلُ فِي صَلَاتِكَ مِمَّنْ لَمْ يُصَلِّ مَعَكَ الرَّكْعَةَ الْأُولَىٰ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ بَعْدَ فَرَاغِهَا مِنْ بَقِيَّةِ صَلَاتِهَا..

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ وَهِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي كَانَتْ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ..

﴿لَمْ يُصَلُّواْ﴾ مَعَكَ الرَّكْعَةَ الْأُولَىٰ..

﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَيْكَ..

﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ بَعْدَ مَا يَفْرُغُونَ مِنْ صَلَاتِهِمْ..

﴿وَدَّ﴾ تَمَنَّىٰ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ لَوْ تَشْتَغِلُونَ بِصَلَاتِكُمْ..

﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ الَّتِي تُقَاتِلُونَهُمْ بِهَا..

﴿وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ الَّتِي بِهَا بَلَاغُكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ فَتَسْهَوْنَ عَنْهَا..

﴿فَيَمِيلُونَ﴾ فَيَحْمِلُونَ..

﴿عَلَيْكُم﴾ وَأَنْتُمْ مَشَاغِيلُ بِصَلَاتِكُمْ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ..

﴿مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَيُصِيبُونَ مِنْكُمْ غِرَّةً بِذَلِكَ فَيَقْتُلُونَكُمْ، وَيَسْتَبِيحُونَ عَسْكَرَكُمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَلَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ بَعْدَ هَذَا، فَتَشْتَغِلُوا جَمِيعُكُمْ بِصَلَاتِكُمْ إِذَا حَضَرَتْكُمْ صَلَاتُكُمْ وَأَنْتُمْ مُوَاقِفُو الْعَدُوِّ، فَتُمَكِّنُوا عَدُوَّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ، وَلَكِنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ عَلَىٰ مَا بَيَّنْتُ لَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ عَدُوِّكِمْ حِذْرَكُمْ وَأَسْلِحَتَكُمْ..

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ وَلَا إِثْمَ..

﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ إِنْ نَالَكُمْ مِنْ مَطَرٍ تُمْطَرُونَهُ وَأَنْتُمْ مُوَاقِفُو عَدُوِّكُمْ..

﴿أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ جَرْحَىٰ أَوْ أَعِلَّاءَ..

﴿أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ إِنْ ضَعُفْتُمْ عَنْ حَمْلِهَا، وَلَكِنْ إِنْ وَضَعْتُمْ أَسْلِحَتَكُمْ مِنْ أَذىً مَطَرٍ أَوْ مَرَضٍ..

﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ فَخُذُوا مِنْ عَدُوِّكُمْ حِذْرَكُمْ، يَقُولُ: احْتَرِسُوا مِنْهُمْ أَنْ يَمِيلُوا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ عَنْهُمْ غَافِلُونَ غَارُّونَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢﴾ [النساء: ١٠٢] أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُذِلًّا يَبْقُونَ فِيهِ أَبَدًا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ، وَذَلِكَ هُو عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾ فَإِذَا فَرَغْتُمْ أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الَّتِي بَيَّنَّاهَا لَكُمْ وَأَنْتُمْ مُوَاقِفُو عَدُوِّكُمْ..

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عَلَىٰ كُلِّ أَحْوَالِكُمْ..

﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ وَمُضْطَجِعِينَ عَلَىٰ جُنُوبِكُمْ بِالتَّعْظِيمِ لَهُ، وَالدُّعَاءِ لِأَنْفُسِكُمْ بِالظَّفَرِ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُظْفِرَكُمْ وَيَنْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥]..

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ فَإِذَا زَالَ خَوْفُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَأَمِنْتُمْ أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ وَاطْمَأَنَّتْ أَنْفُسُكُمْ بِالْأَمْنِ..

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فَأَتِمُّوهَا بِحُدُودِهَا الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْكُمْ، غَيْرَ قَاصِرِيهَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ حُدُودِهَا...

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣] اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرِيضَةً مَفْرُوضَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرْضًا وَاجِبًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا مُنَجَّمًا يُؤَدُّونَهَا فِي أَنْجُمِهَا.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ قَرِيبٌ مَعْنَىٰ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، لِأَنَّ مَا كَانَ مَفْرُوضًا فَوَاجِبٌ، وَمَا كَانَ وَاجِبًا أَدَاؤُهُ فِي وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ فَمُنَجَّمٌ، غَيْرَ أَنَّ أَوْلَىٰ الْمَعَانِي بِتَأْوِيلِ الْكَلِمَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرْضًا مُنَجَّمًا؛ لِأَنَّ الْمَوْقُوتَ إِنَّمَا هُوَ مَفْعُولٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَقَّتَ اللهُ عَلَيْكَ فَرْضَهُ فَهُوَ يَقِتُهُ، فَفَرْضُهُ عَلَيْكَ مَوْقُوتٌ، إِذَا أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ وَقْتًا يَجِبُ عَلَيْكَ أَدَاؤُهُ، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾ إِنَّمَا هُوَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرْضًا وُقِّتَ لَهُمْ وَقْتَ وُجُوبِ أَدَائِهِ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ لَهُمْ.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ وَلَا تَضْعُفُوا، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَهَنَ فُلَانٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَهِنُ وَهْنًا وَوُهُونًا..

﴿فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ فِي الْتِمَاسِ الْقَوْمِ وَطَلَبِهِمْ، وَالْقَوْمُ هُمْ أَعْدَاءُ اللهِ وَأَعْدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ..

﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ إِنْ تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تَيْجَعُونَ مِمَّا يَنَالُكُمْ مِنَ الْجِرَاحِ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ يَيْجَعُونَ مِمَّا يَنَالُهُمْ مِنْكُمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْأَذَىٰ، مِثْلَ مَا تَيْجَعُونَ أَنْتُمْ مِنْ جِرَاحِهِمْ وَأَذَاهُمْ..

﴿وَتَرْجُونَ﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ مَا يَنَالُكُمْ مِنْهُمْ..

﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هُمْ عَلَىٰ مَا يَنَالُهُمْ مِنْكُمْ، يَقُولُ: فَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ مِنْ ثَوَابِ اللهِ لَكُمْ عَلَىٰ مَا يُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ بِمَا هُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ، أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ أَنْ تَصْبِرُوا عَلَىٰ حَرْبِهِمْ وَقِتَالِهِمْ مِنْهُمْ عَلَىٰ قِتَالِكُمْ وَحَرْبِكُمْ وَأَنْ تَجِدُّوا مِنْ طَلَبِهِمْ وَابْتِغَائِهِمْ لِقِتَالِهِمْ عَلَىٰ مَا يَهِنُونَ هُمْ فِيهِ وَلَا يَجِدُّونَ، فَكَيْفَ عَلَىٰ مَا جَدُّوا فِيهِ وَلَمْ يَهِنُوا؟ وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وَتَخَافُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَخَافُونَ، مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] بِمَعْنَىٰ: لَا يَخَافُونَ أَيَّامَ اللهِ، وَغَيْرُ مَعْرُوفٍ صَرْفُ الرَّجَاءِ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْخَوْفِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِلَّا مَعَ جَحْدٍ سَابِقٍ لَهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣] بِمَعْنَىٰ: لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَلِيمًا﴾ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَمِنْ عِلْمِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَصَالِحِكُمْ عَرَّفَكُمْ عِنْدَ حُضُورِ صَلَاتِكُمْ، وَوَاجِبِ فَرْضِ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ مُوَاقِفُو عَدُوِّكُمْ مَا يَكُونُ بِهِ وُصُولُكُمْ إِلَىٰ أَدَاءِ فَرْضِ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ عَدُوِّكُمْ..

﴿حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤] فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَمِنْ حِكْمَتِهِ بَصَرُكُمْ بِمَا فِيهِ تَأْيِيدُكُمْ، وَتَوْهِينُ كَيْدِ عَدُوِّكُمْ.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ لِتَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَفْصِلَ بَيْنَهُمْ..

﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِهِ..

﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ﴾ وَلَا تَكُنْ لِمَنْ خَانَ مُسْلِمًا أَوْ مُعَاهَدًا فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ..

﴿خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥] تُخَاصِمُ عَنْهُ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ مَنْ طَالَبَهُ بِحَقِّهِ الَّذِي خَانَهُ فِيهِ.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٦].

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَسَلْهُ أَنْ يَصْفَحَ لَكَ عَنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِكَ فِي مُخَاصَمَتِكَ عَنِ الْخَائِنِ الَّذِي خَانَ مَالًا لِغَيْرِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا، إِذَا اسْتَغْفَرُوهُ مِنْهَا..

﴿رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٦] بِهِمْ، فَافْعَلْ ذَلِكَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، يَغْفِرِ اللهُ لَكَ مَا سَلَفَ مِنْ خُصُومَتِكَ عَنْ هَذَا الْخَائِنِ.. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ خَاصَمَ عَنِ الْخَائِنِ، وَلَكِنَّهُ هَمَّ بِذَلِكَ، فَأَمَرَهُ اللهُ بِالِاسْتِغْفَارِ مِمَّا هَمَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾ [النساء: ١٠٧].

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ فَتُخَاصِمُ..

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ، يَجْعَلُونَهَا خَوَنَةً بِخِيَانَتِهِمْ مَا خَانُوا مِنْ أَمْوَالِ مَنْ خَانُوهُ مَالَهُ، يَقُولُ: لَا تُخَاصِمُ عَنْهُمْ مَنْ يُطَالِبُهُمْ بِحُقُوقِهِمْ، وَمَا خَانُوهُ فِيهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾ [النساء: ١٠٧] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مِنْ صِفَتِهِ خِيَانَةُ النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَرُكُوبُ الْإِثْمِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨].

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يَسْتَخْفِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ مَا أُوتُوا مِنَ الْخِيَانَةِ، وَرَكِبُوا مِنَ الْعَارِ وَالْمَعْصِيَةِ..

﴿مِنَ النَّاسِ﴾ الَّذِين لَا يَقْدِرُونَ لَهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا ذِكْرَهُمْ بِقَبِيحِ مَا أُوتُوا مِنْ فِعْلِهِمْ وَشَنِيعِ مَا رَكِبُوا مِنْ جُرْمِهِمْ إِذَا اطَّلَعُوا عَلَيْهِ حَيَاءً مِنْهُمْ، وَحَذَرًا مِنْ قَبِيحِ الْأُحْدُوثَةِ..

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ الَّذِي هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَبِيَدِهِ الْعِقَابُ وَالنَّكَالُ وَتَعْجِيلُ الْعَذَابِ، وَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَوْلَىٰ أَنْ يُعَظَّمَ بِأَنْ لَا يَرَاهُمْ حَيْثُ يَكْرَهُونَ أَنْ يَرَاهُمْ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ وَاللهُ شَاهِدُهُمْ..

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ حِينَ يُسَوُّونَ لَيْلًا..

﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فَيُغَيِّرُونَهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَكْذِبُونَ فِيهِ..

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ فِيمَا أُوتُوا مِنْ جُرْمِهِمْ حَيَاءً مِنْهُمْ مِنْ تَبْيِيتِهِمْ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَفْعَالِهِمْ..

﴿مُحِيطًا ۝١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨] مُحْصِيًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، حَافِظًا لِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ عَلَيْهِ جَزَاءَهُمْ.

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠٩﴾ [النساء: ١٠٩].

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ﴾ هَا أَنْتُمُ الَّذِينَ جَادَلْتُمْ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنِ الْخَائِنِينَ..

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ﴾ فَمَنْ ذَا يُخَاصِمُ اللهَ عَنْهُمْ..

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَحْشَرِهِمْ، فَيُدَافِعُ عَنْهُمْ مَا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ، وَمُعَاقِبُهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُدَافِعُونَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَائِنِينَ أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ دَافَعْتُمْ عَنْهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ فِي آجِلِ الْآخِرَةِ إِلَىٰ مَنْ لَا يُدَافِعُ عَنْهُمْ عِنْدَهُ أَحَدٌ فِيمَا

يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَنَكَالِ الْعِقَابِ..

﴿أَمَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠٩﴾ [النساء: ١٠٩] وَمَنْ ذَا الَّذِي يَكُونُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْخَائِنِينَ وَكِيلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! أَيْ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ لَهُمْ فِي خُصُومَةِ رَبِّهِمْ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَنْبًا، وَهُوَ السُّوءُ..

﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بِإِكْسَابِهِ إِيَّاهَا مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ عُقُوبَةَ اللهِ..

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ ثُمَّ يَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ، بِإِنَابَتِهِ مِمَّا عَمِلَ مِنَ السُّوءِ، وَظُلْمِ نَفْسِهِ، وَمُرَاجَعَتِهِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَمْحُو ذَنْبَهُ وَتُذْهِبُ جُرْمَهُ..

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ يَجِدْ رَبَّهُ سَاتِرًا عَلَيْهِ ذَنْبَهُ بِصَفْحِهِ لَهُ عَنْ عُقُوبَةِ جُرْمِهِ..

﴿رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠] بِهِ.. وَعُنِيَ بِهَا كُلُّ مَنْ عَمِلَ سُوءًا أَوْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي أَمْرِ الْخَائِنِينَ وَالْمُجَادِلِينَ عَنْهُمْ، الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ أَمْرَهُمْ فِي الْآيَاتِ قَبْلَهَا.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَصَابَ أَحَدُهُمْ ذَنْبًا أَصْبَحَ قَدْ كُتِبَ كَفَّارَةُ ذَلِكَ الذَّنْبِ عَلَىٰ بَابِهِ، وَإِذَا أَصَابَ الْبَوْلُ شَيْئًا مِنْهُ قَرَضَهُ بِالْمِقْرَاضِ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ آتَىٰ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَيْرًا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: مَا آتَاكُمُ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاهُمْ، جَعَلَ اللهُ الْمَاءَ لَكُمْ طَهُورًا، وَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وَقَالَ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠].. وَجَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ امْرَأَةٍ فَجَرَتْ فَحَبَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَتَلَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ ابْنُ مُغَفَّلٍ: (مَا لَهَا؟! لَهَا النَّارُ)، فَانْصَرَفَتْ وَهِيَ تَبْكِي، فَدَعَاهَا، ثُمَّ قَالَ: (مَا أَرَىٰ أَمْرَكِ إِلَّا أَحَدَ أَمْرَيْنِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠] قَالَ: (فَمَسَحَتْ عَيْنَهَا ثُمَّ مَضَتْ).

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١١﴾ [النساء: ١١١].

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ وَمَنْ يَأْتِ ذَنْبًا عَلَىٰ عَمْدٍ مِنْهُ لَهُ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ..

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ﴾ فَإِنَّمَا يَجْتَرِحُ وَبَالَ ذَلِكَ الذَّنْبِ وَضُرَّهُ وَخِزْيَهُ وَعَارَهُ..

﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِ اللهِ، يَقُولُ: فَلَا تُجَادِلُوا أَيُّهَا الَّذِينَ تُجَادِلُونَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَوَنَةِ، فَإِنَّكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ لَهُمْ عَشِيرَةً وَقَرَابَةً وَجِيرَانًا بُرَآءُ مِمَّا أَتَوْهُ مِنَ الذَّنْبِ وَمِنَ التَّبِعَةِ الَّتِي يُتْبَعُونَ بِهَا،

فَإِنَّكُمْ مَتَىٰ دَافَعْتُمْ عَنْهُمْ أَوْ خَاصَمْتُمْ بِسَبَبِهِمْ كُنْتُمْ مِثْلَهُمْ، فَلَا تُدَافِعُوا عَنْهُمْ، وَلَا تُخَاصِمُوا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ وَكَانَ اللهُ عَالِمًا بِمَا تَفْعَلُونَ أَيُّهَا الْمُجَادِلُونَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي جِدَالِكُمْ عَنْهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِكُمْ وَأَفْعَالِ غَيْرِكُمْ، وَهُوَ يُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَكُمْ بِهَا..

﴿حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾ [النساء: ١١١] وَهُوَ حَكِيمٌ بِسِيَاسَتِكُمْ وَتَدْبِيرِكُمْ، وَتَدْبِيرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النساء: ١١٢].

﴿وَمَن يَكْسِبْ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ..

﴿خَطِيٓـَٔةً﴾ وَهِيَ الذَّنْبُ عَلَىٰ غَيْرِ عَمْدٍ مِنْهُ لَهُ..

﴿أَوْ إِثْمًا﴾ وَهُوَ مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ عَلَىٰ عَمْدٍ مِنْهُ..

﴿ثُمَّ يَرْمِ﴾ ثُمَّ يَصِفُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالَّذِي تَعَمَّدَهُ، وَمَا أَتَىٰ مِنْ خَطِئِهِ أَوْ إِثْمِهِ..

﴿بَرِيٓـًٔا﴾ مِمَّا أَضَافَهُ إِلَيْهِ وَنَحَلَهُ إِيَّاهُ..

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ..

﴿بُهْتَٰنًا﴾ فِرْيَةً وَكَذِبًا..

﴿وَإِثْمًا﴾ وَجُرْمًا..

﴿مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النساء: ١١٢] عَظِيمًا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ وَعَمْدٍ لِمَا أَتَىٰ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَذَنْبِهِ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَفَضَّلَ..

﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ فَعَصَمَكَ بِتَوْفِيقِهِ وَتِبْيَانِهِ لَكَ أَمْرَ الْخَائِنِ، فَكُفِفْتَ لِذَلِكَ عَنِ الْجِدَالِ عَنْهُ، وَمُدَافَعَةِ أَهْلِ الْحَقِّ عَنْ حَقِّهِمْ قِبَلَهُ..

﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ فِرْقَةٌ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ..

﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ أَنْ يُزِلُّوكَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ..

﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ وَمَا يُضِلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَمُّوا بِأَنْ يُضِلُّوكَ عَنِ الْوَاجِبِ مِنَ الْحُكْمِ فِي أَمْرِ هَذَا الْخَائِنِ..

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ بأَخذِهِم بِهَا فِي غَيْرِ مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُمُ الْأَخْذَ بِهَا فِيهِ مِنْ سُبُلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِيمَا تَقَدَّمَ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِالنَّهْيِ عَنْ أَنْ يَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَالْأَمْرِ بِالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْحَقِّ، فَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ لِلَّهِ فِيمَنْ سَعَىٰ فِي أَمْرِ الْخَائِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ أَمْرَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥] مُعَاوَنَةُ مَنْ ظَلَمُوهُ دُونَ مَنْ خَاصَمَهُمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَلَبِ حَقِّهِ مِنْهُمْ، فَكَانَ سَعْيُهُمْ فِي مَعُونَتِهِمْ دُونَ مَعُونَةِ مَنْ ظَلَمُوهُ، أَخْذًا مِنْهُمْ فِي غَيْرِ سَبِيلِ اللهِ، وَذَلِكَ هُوَ إِضْلَالُهُمْ أَنْفُسَهُمْ، الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ..

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ﴾ وَمَا يَضُرُّكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَمُّوا لَكَ أَنْ يُزِلُّوكَ عَنِ الْحَقِّ فِي أَمْرِ الْخَائِنِ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ..

﴿مِن شَيْءٍ﴾ لِأَنَّ اللهَ مُثَبِّتُكَ وَمُسَدِّدُكَ فِي أُمُورِكَ وَمُبَيِّنٌ لَكَ أَمْرَ مَنْ سَعَوْا فِي ضَلَالِكَ عَنِ الْحَقِّ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ، فَفَاضِحُهُ وَإِيَّاهُمْ..

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَعَ سَائِرِ مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمِهِ، أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًىٰ وَمَوْعِظَةٌ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ مَعَ الْكِتَابِ الْحِكْمَةَ، وَهِيَ بَيَانُ مَا كَانَ فِي الْكِتَابِ مُجْمَلًا ذِكْرُهُ، مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ..

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ مِنْ خَبَرِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَمَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ قَبْلَ..

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣] وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مُذْ خَلَقَكَ، فَاشْكُرْهُ عَلَىٰ مَا أَوْلَاكَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ بِالتَّمَسُّكِ بِطَاعَتِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ، وَلُزُومِ الْعَمَلِ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فِي كِتَابِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَمُخَالَفَةِ مَنْ حَاوَلَ إِضْلَالَكَ عَنْ طَرِيقِهِ وَمِنْهَاجِ دِينِهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّاكَ بِفَضْلِهِ، وَيَكْفِيكَ غَائِلَةَ مَنْ أَرَادَكَ بِسُوءٍ وَحَاوَلَ صَدَّكَ عَنْ سَبِيلِهِ، كَمَا كَفَاكَ أَمْرَ الطَّائِفَةِ الَّتِي هَمَّتْ أَنْ تُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِهِ فِي أَمْرِ هَذَا الْخَائِنِ، وَلَا أَحَدَ مِنْ دُونِهِ يُنْقِذُكَ مِنْ سُوءٍ إِنْ

أَرَادَ بِكَ إِنْ أَنْتَ خَالَفْتَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَاتَّبَعْتَ هَوَىٰ مَنْ حَاوَلَ صَدَّكَ عَنْ سَبِيلِهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ مَوْضِعِ حَظِّهِ، وَتَذْكِيرٌ مِنْهُ لَهُ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ.

﴿* لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

﴿* لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا..

﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وَهُوَ كُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ..

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وَهُوَ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُتَبَايِنَيْنِ أَوِ الْمُخْتَصِمَيْنِ بِمَا أَبَاحَ اللهُ الْإِصْلَاحَ بَيْنَهُمَا لِيَتَرَاجَعَا إِلَىٰ مَا فِيهِ الْأُلْفَةُ وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَىٰ مَا أَذِنَ اللهُ وَأَمَرَ بِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا وَعَدَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَالَ..

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ وَمَنْ يَأْمُرْ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ، أَوْ يُصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ..

﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ طَلَبَ رِضَا اللهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ..

﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ نُعْطِيهِ..

﴿أَجْرًا﴾ جَزَاءً لِمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤] وَلَا حَدَّ لِمَبْلَغِ مَا سَمَّىٰ اللهُ عَظِيمًا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ وَمَنْ يُبَايِنِ..

﴿الرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ مُعَادِيًا لَهُ، فَيُفَارِقَهُ عَلَىٰ الْعَدَاوَةِ لَهُ..

﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ، وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ..

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَيَتَّبِعْ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِ أَهْلِ التَّصْدِيقِ، وَيَسْلُكْ مِنْهَاجًا غَيْرَ مِنْهَاجِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ، لِأَنَّ الْكُفْرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ غَيْرُ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرُ مِنْهَاجِهِمْ..

﴿نُوَلِّهِ﴾ نَجْعَلْ نَاصِرَهُ..

﴿مَا تَوَلَّىٰ﴾ مَا اسْتَنْصَرَهُ وَاسْتَعَانَ بِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَهِيَ لَا تُغْنِيهِ وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ شَيْئًا وَلَا تَنْفَعُهُ..

﴿وَنُصْلِهِۦ﴾ وَنَجْعَلُهُ صِلَاءَ نَارٍ..

﴿جَهَنَّمَ﴾ نُحَرِّقُهُ بِهَا..

﴿وَسَآءَتْ﴾ جَهَنَّمُ..

﴿مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥] مَوْضِعًا يَصِيرُ إِلَيْهِ مَنْ صَارَ إِلَيْهِ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْخَائِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥] لَمَّا أَبَىٰ التَّوْبَةَ مِنْ أَبَىٰ مِنْهُمْ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ بِمَكَّةَ مُرْتَدًّا مُفَارِقًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَدِينِهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء: ١١٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ أَشْرَكَ وَمَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ بِاللهِ..

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ بِاللهِ مِنَ الذُّنُوبِ لِمَنْ يَشَاءُ.. فَلَوْلَا أَنَّهُ أَشْرَكَ بِاللهِ وَمَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ لَكَانَ فِي مَشِيئَةِ اللهِ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ خِيَانَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَكَانَ إِلَىٰ اللهِ أَمْرُهُ فِي عَذَابِهِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ، وكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ مَنِ اجْتَرَمَ جُرْمًا، فَإِلَىٰ اللهِ أَمْرُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جُرْمُهُ شِرْكًا بِاللهِ وَكُفْرًا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ حَتَّمَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ، فَإِذَا مَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ..

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يَجْعَلْ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ شَرِيكًا..

﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَزَالَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء: ١١٦] ذَهَابًا بَعِيدًا وَزَوَالًا شَدِيدًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ بِإِشْرَاكِهِ بِاللهِ فِي عِبَادَتِهِ، فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللهِ وَمِنْهَاجَ دِينِهِ، فَذَاكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ وَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧﴾ [النساء: ١١٧].

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ مَا يَدْعُو الَّذِينَ يُشَاقُّونَ الرَّسُولَ وَيَتَّبِعُونَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللهِ بَعْدَ اللهِ وَسِوَاهُ..

﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ إِلَّا مَا سَمُّوهُ بِأَسْمَاءِ الْإِنَاثِ كَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَحَسْبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللهِ، وَعَبَدُوا مَا عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَذَهَابِهِمْ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِنَاثًا وَيَدْعُونَهَا آلِهَةً وَأَرْبَابًا، وَالْإِنَاثُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَخَسُّهُ؛ فَهُمْ يُقِرُّونَ لِلْخَسِيسِ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْعُبُودِيَّةِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِخَسَاسَتِهِ، وَيَمْتَنِعُونَ مِنْ إِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّذِي لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ..

﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ وَمَا يَدْعُو هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ هَذِهِ الْأَوْثَانَ الْإِنَاثَ مِنْ دُونِ اللهِ بِدُعَائِهِمْ إِيَّاهَا..

﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧] مُتَمَرِّدًا عَلَىٰ اللهِ فِي خِلَافِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَفِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء: ١١٨].

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أَخْزَاهُ وَأَقْصَاهُ وَأَبْعَدَهُ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا قَدْ لَعَنَهُ اللهُ وَأَبْعَدَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ..

﴿وَقَالَ﴾ الشَّيْطَانُ الْمَرِيدُ لِرَبِّهِ إِذْ لَعَنَهُ..

﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء: ١١٨] مَعْلُومًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانُ مِنْ عِبَادِ اللهِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا؟ قِيلَ: يَتَّخِذُ مِنْهُمْ ذَلِكَ النَّصِيبَ بِإِغْوَائِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَتَزْيِينِهِ لَهُمُ الضَّلَالَ وَالْكُفْرَ، حَتَّىٰ يُزِيلَهُمْ عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ؛ فَمَنْ أَجَابَ دُعَاءَهُ وَاتَّبَعَ مَا زَيَّنَهُ لَهُ، فَهُوَ مِنْ نَصِيبِهِ الْمَعْلُومِ وَحَظِّهِ الْمَقْسُومِ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الشَّيْطَانِ مِنْ قِيلِهِ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ شَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ أَنَّهُمْ مِنْ نَصِيبِ الشَّيْطَانِ -الَّذِي لَعَنَهُ اللهُ- الْمَفْرُوضِ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُ.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

[النساء: ١١٩].

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الشَّيْطَانِ الْمَرِيدِ، الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَلَأُضِلَّهُمْ وَلَأَصُدَّنَّ النَّصِيبَ الْمَفْرُوضَ الَّذِي أَتَّخِذُهُ مِنْ عِبَادِكَ عَنْ مَحَجَّةِ

الْهُدَىٰ إِلَىٰ الضَّلَالِ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ وَلَأُزِيغَنَّهُمْ بِمَا أَجْعَلُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الْأَمَانِيِّ عَنْ طَاعَتِكَ وَتَوْحِيدِكَ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَالشِّرْكِ بِكَ..

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وَلَآمُرَنَّ النَّصِيبَ الْمَفْرُوضَ لِي مِنْ عِبَادِكَ بِعِبَادَةِ غَيْرِكَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، حَتَّىٰ يَنْسِكُوا لَهُ، وَيُحَرِّمُوا، وَيُحَلِّلُوا لَهُ، وَيُشَرِّعُوا غَيْرَ الَّذِي شَرَعْتَهُ لَهُمْ فَيَتَّبِعُونِي وَيُخَالِفُونَكَ.. وَالْبَتْكُ: الْقَطْعُ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: قَطْعُ أُذُنِ الْبَحِيرَةِ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا بَحِيرَةٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ الْخَبِيثُ أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْبَحِيرَةِ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهَا طَاعَةً لَهُ..

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ﴾ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ دِينَ اللهِ، لِدَلَالَةِ الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ دَخَلَ فِي ذَلِكَ فِعْلُ كُلِّ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنْ خِصَاءِ مَا لَا يَجُوزُ خِصَاؤُهُ، وَوَشْمِ مَا نَهَىٰ عَنْ وَشْمِهِ وَوَشْرِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَدَخَلَ فِيهِ تَرْكُ كُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ جَمِيعِ مَعَاصِي اللهِ، وَيَنْهَىٰ عَنْ جَمِيعِ طَاعَتِهِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ أَمْرِهِ نَصِيبَهُ الْمَفْرُوضَ مِنْ عِبَادِ اللهِ بِتَغْيِيرِ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ دِينِهِ..

﴿وَمَن يَتَّخِذِ﴾ وَمَنْ يَتَّبِعِ..

﴿ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فَيُطِيعُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَخِلَافِ أَمْرِهِ، وَيُوَالِيهِ فَيَتَّخِذُهُ وَلِيًّا لِنَفْسِهِ وَنَصِيرًا دُونَ اللهِ..

﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٩] فَقَدْ هَلَكَ هَلَاكًا، وَبَخَسَ نَفْسَهُ حَظَّهَا فَأَوْبَقَهَا بَخْسًا مُبِينًا يُبِينُ عَنْ عَطَبِهِ وَهَلَاكِهِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَمْلِكُ لَهُ نَصْرًا مِنَ اللهِ إِذَا عَاقَبَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ فِي خِلَافِهِ أَمْرَهُ، بَلْ يَخْذُلُهُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا حَالُهُ مَعَهُ مَا دَامَ حَيًّا مُمْهَلًا بِالْعُقُوبَةِ، كَمَا وَصَفَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠].. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ حَالِ نَصِيبِ الشَّيْطَانِ الْمَفْرُوضِ مِنَ الَّذِينَ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠].

﴿يَعِدُهُمْ﴾ يَعِدُ الشَّيْطَانُ الْمَرِيدُ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ هُمْ نَصِيبُهُ الْمَفْرُوضُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَصِيرًا

مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، وَظَهِيرًا لَهُمْ عَلَيْهِ، يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ وَيُدَافِعُ عَنْهُمْ..

﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ الظَّفَرَ عَلَىٰ مَنْ حَاوَلَ مَكْرُوهَهُمْ وَالْفَلَجَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ وَمَا يُعِدُ الشَّيْطَانُ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء: ١٢٠] إِلَّا بَاطِلًا.. وَإِنَّمَا جَعَلَ عِدَتَهُ إِيَّاهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا وَعَدَهُمْ غُرُورًا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ فِي اتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُ وَلِيًّا عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ مِنْ عِدَاتِهِ الْكَاذِبَةِ وَأَمَانِيهِ الْبَاطِلَةِ، حَتَّىٰ إِذَا حَصْحَصَ الْحَقُّ وَصَارُوا إِلَىٰ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ عَدُوُّ اللهِ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٢] وَكَمَا قَالَ لِلْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ وَقَدْ زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ [الأنفال: ٤٨] وَحَصْحَصَ الْحَقُّ، وَعَايَنَ جِدَّ الْأَمْرِ، وَنُزُولَ عَذَابِ اللهِ بِحِزْبِهِ ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٤٨﴾ [الأنفال: ٤٨]، فَصَارَتْ عِدَاتُهُ -عَدُوُّ اللهِ- إِيَّاهُمْ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ غُرُورًا ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ﴾ [النور: ٣٩].

﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝١٢١﴾ [النساء: ١٢١].

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مَصِيرُهُمُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ جَهَنَّمُ..

﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا﴾ وَلَا يَجِدُونَ عَنْ جَهَنَّمَ إِذَا صَيَّرَهُمُ اللهُ إِلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مَحِيصًا ۝١٢١﴾ [النساء: ١٢١] مَعْدِلًا يَعْدِلُونَ إِلَيْهِ، يُقَالُ مِنْهُ: حَاصَ فُلَانٌ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ يَحِيصُ حَيْصًا: إِذَا عَدَلَ عَنْهُ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ بِالنُّبُوَّةِ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَأَدَّوا فَرَائِضَ اللهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِمْ..

﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ سَوْفَ نُدْخِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا صَارُوا إِلَىٰ اللهِ جَزَاءً بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الصَّالِحَاتِ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ بَاقِينَ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا..

﴿أَبَدًا﴾ دَائِمًا..

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ عِدَةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا..

﴿حَقًّا﴾ يَقِينًا صَادِقًا، لَا كَعِدَةِ الشَّيْطَانِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي هِيَ غُرُورٌ مَنْ وَعَدَهَا مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَلَكِنْ عِدَةٌ مِمَّنْ لَا يَكْذِبُ وَلَا يَكُونُ مِنْهُ الْكَذِبُ وَلَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَعْدَهُ بِالصِّدْقِ وَالْحَقِّ فِي هَذِهِ لِمَا سَبَقَ مِنْ خَبَرِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، عَنْ قَوْلِ الشَّيْطَانِ الَّذِي قَصَّهُ فِي قَوْلِهِ، وَقَالَ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء: ١١٨- ١١٩]، ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء: ١٢٠]، وَلَكِنَّ اللهَ يَعِدُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَعْدًا مِنْهُ حَقًّا، لَا كَوَعْدِ الشَّيْطَانِ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ، فَوَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْوَعْدَيْنِ وَالْوَاعِدَيْنِ، وَأَخْبَرَ بِحُكْمِ أَهْلِ كُلِّ وَعْدٍ مِنْهُمَا تَنْبِيهًا مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- خَلْقَهُ عَلَىٰ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ وَخَلَاصُهُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ وَالْعَطَبِ، لِيَنْزَجِرُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَيَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ، فَيَفُوزُوا بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي جِنَانِهِ مِنْ ثَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢] وَمَنْ أَصْدَقُ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ اللهِ قِيلًا؟! أَيْ لَا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلًا، فَكَيْفَ تَتْرُكُونَ الْعَمَلَ بِمَا وَعَدَكُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ رَبُّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَتَكْفُرُونَ بِهِ، وَتُخَالِفُونَ أَمْرَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْ لَا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلًا، وَتَعْمَلُونَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ، رَجَاءً لِإِدْرَاكِ مَا يَعِدُكُمْ مِنْ عِدَاتِهِ الْكَاذِبَةِ، وَأَمَانِيِّهِ الْبَاطِلَةِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ عِدَاتَهُ غُرُورٌ لَا صِحَّةَ لَهَا وَلَا حَقِيقَةَ، وَتَتَّخِذُونَهُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ، وَتَتْرُكُونَ أَنْ تُطِيعُوا اللهَ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ، فَتَكُونُوا لَهُ أَوْلِيَاءَ؟! وَمَعْنَىٰ الْقِيلِ وَالْقَوْلِ وَاحِدٌ.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣].

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ بِأَمَانِيِّكُمْ يَا مَعْشَرَ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ الَّتِي يُمَنِّيكُمُوهَا

وَلِيُّكُمْ عَدُوُّ اللهِ مِنْ إِنْقَاذِكُمْ مِمَّنْ أَرَادَكُمْ بِسُوءٍ، وَنَصْرَتُكُمْ عَلَيْهِ، وَإِظْفَارِكُمْ بِهِ..

﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ الَّذِينَ قَالُوا اغْتِرَارًا بِاللهِ وَبِحِلْمِهِ عَنْهُمْ: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، فَإِنَّ اللهَ مُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ جَزَاءَ عَمَلِهِ.. فَهُوَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ أَمَانِيِّ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَمَا إِلَيْهِ صَائِرَةٌ أَمَانِيُّهُمْ مَعَ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ مِنْ سُوءِ الْجَزَاءِ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرَةٌ أَعْمَالُ أَوْلِيَاءِ اللهِ مِنْ حُسْنِ الْجَزَاءِ... وَإِنَّمَا ضَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ أَمَانِيَّ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ تَمْنِيَةِ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُمُ الَّتِي وَعَدَهُمْ أَنْ يُمَنِّيَهُمُوهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ﴾ [النساء: ١١٩]..

﴿مَن﴾ كُلُّ مَنْ..

﴿يَعۡمَلۡ﴾ مِنْكُمْ مِنْ مُؤْمِنٍ، أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ مِنْ كَافِرٍ..

﴿سُوٓءًا﴾ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا..

﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾ جُوزِيَ بِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١]؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُجَازِيَ عَلَىٰ مَا قَدْ وَعَدَ تَكْفِيرَهُ؟ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَعِدْ بِقَوْلِهِ: ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١] تَرْكَ الْمُجَازَاةِ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا وَعَدَ التَّكْفِيرَ بِتَرْكِ الْفَضِيحَةِ مِنْهُ لِأَهْلِهَا فِي مَعَادِهِمْ، كَمَا فَضَحَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، فَأَمَّا إِذَا جَازَاهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَيْهَا بِالْمَصَائِبِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُمْ بِهَا لِيُوَافُوهُ وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْمُجَازَاةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا وَفَىٰ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١]، وَأَنْجَزَ لَهُمْ مَا ضَمِنَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [النساء: ٥٧]..

﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ﴾ وَلَا يَجِدُ الَّذِي يَعْمَلُ سُوءًا مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَخِلَافِ مَا أَمَرَهُ بِهِ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ بَعْدِ اللهِ وَسِوَاهُ..

﴿وَلِيّٗا﴾ يَلِي أَمْرَهُ، وَيَحْمِي عَنْهُ مَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ..

﴿وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣] وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُ مِمَّا يَحِلُّ بِهِ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ وَأَلِيمِ نَكَالِهِ.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء: ١٢٤].

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ

وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٣]، يَقُولُ اللهُ لَهُمْ: مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ دُخُولِ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ١٢٤] وَلَمْ يَقُلْ: وَمَنْ يَعْمَلِ الصَّالِحَاتِ؟ قِيلَ: لِدُخُولِهَا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لَنْ يُطِيقُوا أَنْ يَعْمَلُوا جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، فَأَوْجَبَ وَعْدَهُ لِمَنْ عَمِلَ مَا أَطَاقَ مِنْهَا وَلَمْ يَحْرِمْهُ مِنْ فَضْلِهِ بِسَبَبِ مَا عَجَزَتْ عَنْ عَمَلِهِ مِنْهَا قُوَاهُ، وَالْآخَرُ مِنْهُمَا: أَنْ يَكُونَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَوْجَبَ وَعْدَهُ لِمَنِ اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ وَأَدَّىٰ الْفَرَائِضَ، وَإِنْ قَصَّرَ فِي بَعْضِ الْوَاجِبِ لَهُ عَلَيْهِ، تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ كَانَ الْفَضْلُ بِهِ أَوْلَىٰ، وَالصَّفْحُ عَنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ أَحْرَىٰ..

﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ مِنْ ذُكُورِكُمْ وَإِنَاثِكُمْ، وَذُكُورِ عِبَادِي وَإِنَاثِهِمْ..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بِي وَبِرَسُولِي مُحَمَّدٍ، مُصَدِّقٌ بِوَحْدَانِيَّتِي، وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِي، لَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِي الْمُكَذِّبُونَ رَسُولِي، فَلَا تَطْمَعُوا أَنْ تَحِلُّوا وَأَنْتُمْ كُفَّارٌ مَحِلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِي وَتَدْخُلُوا مَدَاخِلَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ وَأَنْتُمْ مُكَذِّبُونَ بِرَسُولِي..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وَيَنْعَمُ فِيهَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ وَلَا يَظْلِمُ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِمْ..

﴿نَقِيرًا ١٢٤﴾ [النساء: ١٢٤] مِقْدَارَ النُّقْرَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ فِي الْقِلَّةِ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ، وَإِنَّمَا يُخْبِرُ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَبْخَسُهُمْ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَلَكِنْ يُوَفِّيهِمْ ذَلِكَ كَمَا وَعَدَهُمْ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَصْوَبُ طَرِيقًا وَأَهْدَىٰ سَبِيلًا..

﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ مِمَّنِ اسْتَسْلَمَ وَجْهُهُ لِلَّهِ، فَانْقَادَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، مُصَدِّقًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وَهُوَ عَامِلٌ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، مُحَرِّمٌ حَرَامَهُ، وَمُحَلِّلٌ حَلَالَهُ..

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وَاتَّبَعَ الدِّينَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، وَأَمَرَ بِهِ بَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْصَاهُمْ بِهِ..

﴿حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ.. وَهَذَا قَضَاءٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِالْفَضْلِ عَلَىٰ سَائِرِ الْمِلَلِ غَيْرِهِ وَأَهْلِهَا..

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ وَلِيًّا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا مَعْنَىٰ الْخُلَّةِ الَّتِي أُعْطِيَهَا إِبْرَاهِيمُ؟ قِيلَ: ذَلِكَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ الْعَدَاوَةُ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِيهِ، وَالْوَلَايَةُ فِي اللهِ وَالْحُبُّ فِيهِ، عَلَىٰ مَا يُعْرَفُ مِنْ مَعَانِي الْخُلَّةِ، وَأَمَّا مِنَ اللهِ لِإِبْرَاهِيمَ، فَنُصْرَتُهُ عَلَىٰ مَنْ حَاوَلَهُ بِسُوءٍ، كَالَّذِي فَعَلَ بِهِ إِذْ أَرَادَهُ نَمْرُوذُ بِمَا أَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهَا، وَأَعْلَىٰ حُجَّتَهُ عَلَيْهِ إِذْ حَاجَّهُ، وَكَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ مِصْرَ إِذْ أَرَادَهُ عَنْ أَهْلِهِ، وَتَمْكِينُهُ مِمَّا أَحَبَّ، وَتَصْيِيرُهُ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَقُدْوَةً لِمَنْ خَلَفَهُ فِي طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ مُخَالَّتِهِ إِيَّاهُ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا لِطَاعَتِهِ رَبَّهُ، وَإِخْلَاصِهِ الْعِبَادَةَ لَهُ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ، لَا مِنْ حَاجَةٍ بِهِ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ خُلَّتِهِ، وَكَيْفَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ خُلَّتِهِ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ مُلْكًا، وَالْمَالِكُ الَّذِي إِلَيْهِ حَاجَةُ مُلْكِهِ دُونَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ حَاجَةُ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِ، لَا حَاجَتُهُ إِلَيْهِ، فَيَتَّخِذُهُ مِنْ أَجْلِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا لِمُسَارَعَتِهِ إِلَىٰ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ فَسَارِعُوا إِلَىٰ رِضَايَ وَمَحَبَّتِي لِأَتَّخِذَكُمْ لِي أَوْلِيَاءَ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦] مُحْصِيًا لِكُلِّ مَا هُوَ فَاعِلُهُ عِبَادُهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، عَالِمًا بِذَلِكَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ أَنْ تُفْتِيَهُمْ..

﴿فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ، وَالْوَاجِبِ لَهُنَّ وَعَلَيْهِنَّ، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ النِّسَاءِ مِنْ ذِكْرِ شَأْنِهِنَّ، لِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَىٰ الْمُرَادِ مِنْهُ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ فِي النِّسَاءِ..

﴿وَمَا يُتْلَىٰ﴾ وَفِيمَا يُتْلَىٰ..

﴿عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ..

﴿فِي﴾ أَمْرِ..

﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ لَا تُعْطُونَهُنَّ..

﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ مَا فَرَضَ اللهُ لَهُنَّ مِنَ الْمِيرَاثِ عَمَّنْ وَرِثْنَهُ..

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ وَتَرْغَبُونَ عَنْ نِكَاحِهِنَّ، لِأَنَّ حَبْسَهُمْ أَمْوَالَهُنَّ عَنْهُنَّ، مَعَ عِضَلِهِمْ إِيَّاهُنَّ إِنَّمَا كَانَ لِيَرِثُوا أَمْوَالَهُنَّ دُونَ زَوْجٍ إِنْ تَزَوَّجْنَ، وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ حَبَسُوا عَنْهُنَّ أَمْوَالَهُنَّ إِنَّمَا حَبَسُوهَا عَنْهُنَّ رَغْبَةً فِي نِكَاحِهِنَّ، لَمْ يَكُنْ لِلْحَبْسِ عَنْهُنَّ وَجْهٌ مَعْرُوفٌ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَوْلِيَاءَهُنَّ، وَلَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ نِكَاحِهِنَّ مَانِعٌ، فَيَكُونُ بِهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ حَبْسِ مَالِهَا عَنْهَا لِيَتَّخِذَ حَبْسَهَا عَنْهَا سَبَبًا إِلَىٰ إِنْكَاحِهَا نَفْسَهَا مِنْهُ..

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ، قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَفِيمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ، وَفِي الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ، فَهُوَ الَّذِي أَفْتَاهُمْ فِي أَمْرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ أَنْ يُؤْتُوهُمْ حُقُوقَهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ الصِّغَارَ مِنْ أَوْلَادِ الْمَيِّتِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقْسِطُوا فِيهِمْ فَيَعْدِلُوا وَيُعْطُوهُمْ فَرَائِضَهُمْ عَلَىٰ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ فَقِيَامُهُمْ لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ كَانَ الْعَدْلَ فِيمَا أَمَرَ اللهُ فِيهِمْ..

﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عَدْلٍ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ الَّتِي أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَقُومُوا فِيهِمْ بِالْقِسْطِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فِي ذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ، وَإِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ۝١٢٧﴾ [النساء: ١٢٧] فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْكُمْ، وَهُوَ مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ، حَافِظٌ لَهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ جَزَاءَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨].

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ عَلِمَتْ..

﴿مِنۢ بَعۡلِهَا﴾ مِنْ زَوْجِهَا..

﴿نُشُوزًا﴾ اسْتِعْلَاءً بِنَفْسِهِ عَنْهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا، أَثَرَةً عَلَيْهَا، وَارْتِفَاعًا بِهَا عَنْهَا، إِمَّا لِبُغْضَةٍ، وَإِمَّا لِكَرَاهَةٍ مِنْهُ بَعْضَ أَشْيَاءَ بِهَا، إِمَّا دَمَامَتُهَا، وَإِمَّا سِنُّهَا وَكِبَرُهَا، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهَا..

﴿أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ أَوْ انْصِرَافًا عَنْهَا بِوَجْهِهِ أَوْ بِبَعْضِ مَنَافِعِهِ، الَّتِي كَانَتْ لَهَا مِنْهُ..

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ فَلَا حَرَجَ..

﴿عَلَيۡهِمَآ﴾ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ الْخَائِفَةِ نُشُوزَ بَعْلِهَا أَوْ إِعْرَاضَه عَنْهَا..

﴿أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ﴾ وَهُوَ أَنْ تَتْرُكَ لَهُ يَوْمَهَا، أَوْ تَضَعَ عَنْهُ بَعْضَ الْوَاجِبِ لَهَا مِنْ حَقٍّ عَلَيْهِ، تَسْتَعْطِفُهُ بِذَلِكَ، وَتَسْتَدِيمُ الْمَقَامَ فِي حِبَالِهِ، وَالتَّمَسُّكَ بِالْعَقْدِ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ مِنَ النِّكَاحِ..

﴿وَٱلصُّلۡحُ﴾ بِتَرْكِ بَعْضِ الْحَقِّ اسْتِدَامَةً لِلْحُرْمَةِ، وَتَمَاسُكًا بِعَقْدِ النِّكَاحِ..

﴿خَيۡرٞۗ﴾ مِنْ طَلَبِ الْفُرْقَةِ وَالطَّلَاقِ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَلِكَ إِذْ كَانَ حَقًّا لِلْمَرْأَةِ، وَلَهَا الْمُطَالَبَةُ بِهِ، فَلِلرَّجُلِ افْتِدَاؤُهُ مِنْهَا بِجُعْلٍ، أُجِيبَ: بِأَنَّ إِجْمَاعَ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ الصُّلْحَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ عِوَضٍ غَيْرُ جَائِزٍ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ بُطُولِ صُلْحِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ عَلَىٰ عِوَضٍ..

﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ﴾ وَأُحْضِرَتْ أَنْفُسُ النِّسَاءِ..

﴿ٱلشُّحَّۚ﴾ بِأَنْصِبَائِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ فِي الْأَيَّامِ وَالنَّفَقَةِ مِنْ فَرْطِ الْحِرْصِ عَلَىٰ حُقُوقِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، وَالشُّحُّ بِذَلِكَ عَلَىٰ ضَرَائِرِهِنَّ.. وَالشُّحُّ: الْإِفْرَاطُ فِي الْحِرْصِ عَلَىٰ الشَّيْءِ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: إِفْرَاطُ حِرْصِ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ نَصِيبِهَا مِنْ أَيَّامِهَا مِنْ زَوْجِهَا وَنَفَقَتِهَا..

﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ فِي أَفْعَالِكُمْ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ إِذَا كَرِهْتُمْ مِنْهُنَّ دَمَامَةً أَوْ خُلُقًا، أَوْ بَعْضَ مَا تَكْرَهُونَ مِنْهُنَّ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِنَّ، وَإِيفَائِهِنَّ حُقُوقَهُنَّ، وَعِشْرَتِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللهَ فِيهِنَّ بِتَرْكِ الْجَوْرِ مِنْكُمْ عَلَيْهِنَّ فِيمَا يَجِبُ لِمَنْ كَرِهْتُمُوهُ مِنْهُنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقِسْمَةِ لَهُ وَالنَّفَقَةِ وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فِي أُمُورِ نِسَائِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ، وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْجَوْرِ عَلَيْهِنَّ فِيمَا يُلْزِمُكُمْ لَهُنَّ وَيَجِبُ..

﴿خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨] عَالِمًا خَابِرًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ بِهِ عَالِمٌ، وَلَهُ مُحْصٍ عَلَيْكُمْ، حَتَّىٰ يُوفِيَكُمْ جَزَاءَ ذَلِكَ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩].

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾ لَنْ تُطِيقُوا أَيُّهَا الرِّجَالُ أَنْ تُسَوُّوا بَيْنَ نِسَائِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ..

﴿أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فِي حُبِّهِنَّ بِقُلُوبِكُمْ، حَتَّىٰ تَعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ فِي ذَلِكَ، مِمَّا لَا تَمْلِكُونَهُ، وَلَيْسَ إِلَيْكُمْ..

﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ فِي تَسْوِيَتِكُمْ بَيْنَهُنَّ فِي ذَلِكَ..

﴿فَلَا تَمِيلُواْ﴾ بِأَهْوَائِكُمْ إِلَىٰ مَنْ لَمْ تَمْلِكُوا مَحَبَّتَهُ مِنْهُنَّ..

﴿كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ حَتَّىٰ يَحْمِلَكُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ تَجُورُوا عَلَىٰ صَوَاحِبِهَا فِي تَرْكِ أَدَاءِ الْوَاجِبِ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقٍّ فِي الْقَسْمِ لَهُنَّ، وَالنَّفَقَةِ عَلَيْهِنَّ، وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿فَتَذَرُوهَا﴾ فَتَذَرُوا الَّتِي هِيَ سِوَىٰ الَّتِي مِلْتُمْ بِأَهْوَائِكُمْ إِلَيْهَا..

﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ كَالَّتِي لَا هِيَ ذَاتُ زَوْجٍ، وَلَا هِيَ أَيِّمٌ.. وَإِنَّمَا أَمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرِّجَالَ بِالْعَدْلِ بَيْنَ أَزْوَاجِهِنَّ فِيمَا اسْتَطَاعُوا فِيهِ الْعَدْلَ بَيْنَهُنَّ، مِنَ الْقِسْمَةِ بَيْنَهُنَّ وَالنَّفَقَةِ، وَتَرْكِ الْجَوْرِ فِي ذَلِكَ بِإِيثَارِ إِحْدَاهُنَّ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ فِيمَا فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْعَدْلُ بَيْنَهُنَّ فِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ صَفَحَ لَهُمْ عَمَّا لَا يُطِيقُونَ الْعَدْلَ فِيهِ بَيْنَهُنَّ، مِمَّا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَىٰ..

﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ أَعْمَالَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَعْدِلُوا فِي قَسْمِكُمْ بَيْنَ أَزْوَاجِكُمْ وَمَا فَرَضَ اللهُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ النَّفَقَةِ وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، فَلَا تَجُورُوا فِي ذَلِكَ..

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللهَ فِي الْمَيْلِ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ، بِأَنْ تَمِيلُوا لِإِحْدَاهُنَّ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ، فَتَظْلِمُوهَا حَقَّهَا مِمَّا أَوْجَبَهَا اللهُ لَهُ عَلَيْكُمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ فَإِنَّ اللهَ يَسْتُرُ عَلَيْكُمْ مَا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ مَيْلِكُمْ وَجَوْرِكُمْ عَلَيْهِنَّ قَبْلَ ذَلِكَ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَيُغَطِّي ذَلِكَ عَلَيْكُمْ بِعَفْوِهِ عَنْكُمْ مَا مَضَىٰ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ قَبْلُ..

﴿رَّحِيمًا ١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩] وَكَانَ رَحِيمًا بِكُمْ إِذَا تَابَ عَلَيْكُمْ، فَقَبِلَ تَوْبَتَكُمُ الَّذِي سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ جَوْرِكُمْ فِي ذَلِكَ عَلَيْهِنَّ، وَفِي تَرْخِيصِهِ لَكُمُ الصُّلْحَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ، بِصَفْحِهِنَّ عَنْ حُقُوقِهِنَّ لَكُمْ مِنَ الْقَسْمِ عَلَىٰ أَنْ يُطَلَّقْنَ.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ١٣٠﴾ [النساء: ١٣٠].

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ فَإِنْ أَبَتِ الْمَرْأَةُ -الَّتِي قَدْ نَشَزَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا، أَوْ أَعْرَضَ عَنْهَا بِالْمَيْلِ مِنْهُ إِلَىٰ ضَرَّتِهَا لِجَمَالِهَا أَوْ شَبَابِهَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَمِيلُ النُّفُوسُ بِهِ إِلَيْهَا- الصُّلْحَ، لِصَفْحِهَا لِزَوْجِهَا عَنْ يَوْمِهَا وَلَيْلَتِهَا، وَطَلَبَتْ حَقَّهَا مِنْهُ مِنَ الْقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ وَمَا أَوْجَبَ اللهُ لَهَا عَلَيْهِ، وَأَبَىٰ الزَّوْجُ الْأَخْذَ عَلَيْهَا بِالْإِحْسَانِ الَّذِي نَدَبَهُ اللهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨]، وَإِلْحَاقُهَا فِي الْقَسْمِ لَهَا وَالنَّفَقَةِ وَالْعِشْرَةِ بِالَّتِي هُوَ إِلَيْهَا مَائِلٌ، فَتَفَرَّقَا بِطَلَاقِ الزَّوْجِ إِيَّاهَا..

﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ يُغْنِ اللهُ الزَّوْجَ وَالْمَرْأَةَ الْمُطَلَّقَةَ مِنْ سَعَةِ فَضْلِهِ، أَمَّا هَذِهِ فَبِزَوْجٍ هُوَ أَصْلَحُ لَهَا مِنَ الْمُطَلِّقِ الْأَوَّلِ، أَوْ بِرِزْقٍ وَاسِعٍ وَعِصْمَةٍ؛ وَأَمَّا هَذَا فَبِرِزْقٍ وَاسِعٍ وَزَوْجَةٍ هِيَ أَصْلَحُ لَهُ مِنَ الْمُطَلَّقَةِ أَوْ عِفَّةٍ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ لَهُمَا فِي رِزْقِهِ إِيَّاهُمَا وَغَيْرَهُمَا مِنْ خَلْقِهِ..

﴿حَكِيمًا ١٣٠﴾ [النساء: ١٣٠] فِيمَا قَضَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِنَ الْفُرْقَةِ وَالطَّلَاقِ، وَسَائِرِ الْمَعَانِي الَّتِي عَرَفْنَاهَا مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَغَيْرِهَا، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَقَضَايَاهُ فِي خَلْقِهِ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ١٣١﴾ [النساء: ١٣١].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.. وَإِنَّمَا ذَكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِعَقِبِ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠] تَنْبِيهًا مِنْهُ خَلْقَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ الرَّغْبَةِ عِنْدَ فِرَاقِ أَحَدِهِمْ زَوْجَتَهُ، لِيَفْزَعُوا إِلَيْهِ عِنْدَ الْجَزَعِ مِنَ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ وَالْوَحْشَةِ بِفِرَاقِ سَكَنِهِ وَزَوْجَتِهِ، وَتَذْكِيرًا مِنْهُ لَهُ أَنَّهُ الَّذِي لَهُ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا، وَأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ مُلْكُ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فَغَيْرُ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ أَنْ يُغْنِيَهُ، وَكُلَّ ذِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ، وَيُؤْنِسَ كُلَّ ذِي وَحْشَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ عَذْلِ مَنْ سَعَىٰ فِي أَمْرِ الْخَائِنِينَ وَتَوْبِيخِهِمْ، وَوَعِيدِ مَنْ فَعَلَ مَا فَعَلَ الْمُرْتَدُّ مِنْهُمْ فَقَالَ..

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ وَلَقَدْ أَمَرْنَا..

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ وَأَمَرْنَاكُمْ وَقُلْنَا لَكُمْ وَلَهُمْ..

﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ احْذَرُوا أَنْ تَعْصَوْهُ وَتُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ وَإِنْ تَجْحَدُوا وَصِيَّتَهُ إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَتُخَالِفُوهَا..

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَإِنَّكُمْ لَا تَضُرُّونَ بِخِلَافِكُمْ وَصِيَّتَهُ غَيْرَ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَعْدُونَ فِي كُفْرِكُمْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي نُزُولِ عُقُوبَتِهِ بِكُمْ وَحُلُولِ غَضَبِهِ عَلَيْكُمْ كَمَا حَلَّ بِهِمْ، إِذْ بَدَّلُوا عَهْدَهُ وَنَقَضُوا مِيثَاقَهُ، فَغَيَّرَ بِهِمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَأَمْنِ السِّرْبِ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ مُلْكَ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ بِجَمِيعِهِ وَبِشَيْءٍ مِنْهُ مِنْ إِعْزَازِ مَنْ أَرَادَ إِعْزَازَهُ، وَإِذْلَالِ مَنْ أَرَادَ إِذْلَالَهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، بِهِمْ إِلَيْهِ الْفَاقَةُ وَالْحَاجَةُ، وَبِهِ قِوَامُهُمْ وَبَقَاؤُهُمْ وَهَلَاكُهُمْ وَفَنَاؤُهُمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ الَّذِي لَا حَاجَةَ تَحِلُّ بِهِ إِلَىٰ شَيْءٍ وَلَا فَاقَةَ تَنْزِلِ بِهِ تَضْطَرُّهُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَلَا إِلَىٰ غَيْرِكُمْ..

﴿حَمِيدًا ۝١٣١﴾ [النساء: ١٣١] وَالْحَمِيدُ الَّذِي اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْخَلْقُ الْحَمْدَ بِصَنَائِعِهِ الْحَمِيدَةِ إِلَيْكُمْ وَآلَائِهِ الْجَمِيلَةِ لَدَيْكُمْ، فَاسْتَدِيمُوا ذَلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ بِاتِّقَائِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٣٢﴾ [النساء: ١٣٢].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٣٢﴾ [النساء: ١٣٢] وَهُوَ الْقَيِّمُ بِجَمِيعِهِ، وَالْحَافِظُ لِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُ وَتَدْبِيرُهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ تَكْرَارِ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فِي آيَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا فِي إِثْرِ الْأُخْرَىٰ؟ قِيلَ: كَرَّرَ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ مَعْنَىٰ الْخَبَرَيْنِ عَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الْآيَتَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ عَنْهُ فِي إِحْدَىٰ الْآيَتَيْنِ ذِكْرَ حَاجَتَهُ إِلَىٰ بَارِئِهِ وَغِنَىٰ بَارِئِهِ عَنْهُ، وَفِي الْأُخْرَىٰ حِفْظَ بَارِئِهِ إِيَّاهُ بِهِ وَعِلْمَهُ بِهِ وَتَدْبِيرَهُ.. فَإِنْ قَالَ: أَفَلَا قِيلَ: وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا؟ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي فِي الْآيَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا: ﴿وَكَانَ

﴿ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ١٣١﴾ [النساء: ١٣١] مِمَّا صَلَحَ أَنْ يَخْتِمَ مَا خُتِمَ بِهِ مِنْ وَصْفِ اللهِ بِالْغِنَىٰ وَأَنَّهُ مَحْمُودٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا مَا يَصْلُحُ أَنْ يُخْتَمَ بِوَصْفِهِ مَعَهُ بِالْحِفْظِ وَالتَّدْبِيرِ، فَلِذَلِكَ كَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ١٣٣﴾ [النساء: ١٣٣].

﴿إِن يَشَأْ﴾ اللهُ..

﴿يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بِإِهْلَاكِكُمْ وَإِفْنَائِكُمْ..

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ وَيَأْتِ بِنَاسٍ آخَرِينَ غَيْرِكُمْ، لِمُؤَازَرَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُصْرَتِهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ إِهْلَاكِكُمْ وَإِفْنَائِكُمْ، وَاسْتِبْدَالِ آخَرِينَ غَيْرِكُمْ بِكُمْ قَدِيرًا..

﴿قَدِيرًا ١٣٣﴾ [النساء: ١٣٣] ذَا قُدْرَةٍ عَلَىٰ ذَلِكَ.. وَإِنَّمَا وَبَّخَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْخَائِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥]، وَحَذَّرَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، وَأَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَ الْمُرْتَدِّ مِنْهُمْ فِي ارْتِدَادِهِ وَلِحَاقِهِ بِالْمُشْرِكِينَ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ مَنْ فَعَلَ فِعْلَهُ مِنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَنْ يُوبِقَ بِرِدَّتِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ الْمُحْتَاجُ مَعَ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ اللهِ، وَاللهُ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ بِالْهَلَاكِ وَالِاسْتِئْصَالِ إِنْ هُمْ فَعَلُوا فِعْلَ الخائنين، وَبِاسْتِبْدَالِ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ بِهِمْ، لِنُصْرَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصُحْبَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ عَلَىٰ دِينِهِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد: ٣٨].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ١٣٤﴾ [النساء: ١٣٤].

﴿مَّن كَانَ﴾ مِنَ الْعَامِلِينَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، مِمَّنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِينَ يَسْتَبْطِنُونَ الْكُفْرَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ..

﴿يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِهِ..

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ عَرَضَ الدُّنْيَا وَجَزَاءَهَا مِنْ عَمَلِهِ، بِإِظْهَارِ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِلِسَانِهِ..

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا﴾ فَإِنَّ اللهَ مُجَازِيهِ جَزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا، وَثَوَابُهُ فِيهَا هُوَ مَا

يُصِيبُ مِنَ الْمَغْنَمِ إِذَا شَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ مَشْهَدًا، وَأَمَّنَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَمَالِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وَجَزَاءَهُ وَثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.. وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ مَالِكُ جَمِيعِهِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ﴾ [النساء: ١٠٧-١٠٨]، وَمَنْ كَانَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ فِي أَفْعَالِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦]..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ ثَوَابَ الدُّنْيَا بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِظْهَارِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُظْهِرُونَ لَهُمْ إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلِهِمْ لَهُمْ آمَنَّا..

﴿بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء: ١٣٤] وَكَانَ ذَا بَصَرٍ بِهِمْ، وَبِمَا هُمْ عَلَيْهِ مُنْطَوُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَكْتُمُونَهُ وَلَا يُبْدُونَهُ لَهُمْ مِنَ الْغِشِّ وَالْغِلِّ الَّذِي فِي صُدُورِهِمْ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ لِيَكُنْ مِنْ أَخْلَاقِكُمْ وَصِفَاتِكُمُ الْقِيَامُ بِالْقِسْطِ، يَعْنِي بِالْعَدْلِ.. وَهَذَا تَقَدُّمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَمْرِ الخَائِنِيْنِ، أَنْ يَقُومَ بِالْعُذْرِ لَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ، وَذَبِّهِمْ عَنْهُمْ، وَتَحْسِينَهُمْ أَمْرَهُمْ، بِأَنَّهُمْ أَهْلُ فَاقَةٍ وَفَقْرٍ.. وَالْإِقْسَاطُ وَالْعَدْلُ مِيزَانُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، بِهِ يَرُدُّ اللهُ مِنَ الشَّدِيدِ عَلَىٰ الضَّعِيفِ، وَمِنَ الْكَاذِبِ عَلَىٰ الصَّادِقِ، وَمِنَ الْمُبْطِلِ عَلَىٰ الْمُحِقِّ، وَبِالْعَدْلِ يُصَدَّقُ الصَّادِقُ، وَيُكَذَّبُ الْكَاذِبُ، وَيُرَدُّ الْمُعْتَدِي، وَيُوَبِّخُهُ تَعَالَىٰ رَبُّنَا وَتَبَارَكَ، وَبِالْعَدْلِ يَصْلُحُ النَّاسُ..

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ قُومُوا بِالْقِسْطِ لِلَّهِ عِنْدَ شَهَادَتِكُمْ، أَوْ حِينَ شَهَادَتِكُمْ، فَإِنَّمَا الشَّهَادَةُ لِلَّهِ وَلَيْسَتْ لِلنَّاسِ، وَإِنَّ اللهَ رَضِيَ الْعَدْلَ لِنَفْسِهِ..

﴿وَلَوْ﴾ كَانَتْ شَهَادَتُكُمْ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ حَقٌّ لِغَيْرِهِ، فَيُقِرَّ لَهُ بِهِ، فَذَلِكَ قِيَامٌ مِنْهُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ..

﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ أَوْ عَلَىٰ وَالِدَيْكُمْ..

﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أَوْ أَقْرَبِيكُمْ..

فَقُومُوا فِيهَا بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، وَأَقِيمُوهَا عَلَىٰ صِحَّتِهَا بِأَنْ تَقُولُوا فِيهَا الْحَقَّ..

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا﴾ وَلَا تَمِيلُوا فِيهَا لِغَنِيٍّ -لِغِنَاهُ- عَلَىٰ فَقِيرٍ..

﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ وَلَا لِفَقِيرٍ -لِفَقْرِهِ- عَلَىٰ غَنِيٍّ، فَتَجُورُوا..

﴿فَٱللَّهُ﴾ فَإِنَّ اللهَ الَّذِي سَوَّىٰ بَيْنَ حُكْمِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْعَدْلِ..

﴿أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ وَأَحَقُّ مِنْكُمْ؛ لِأَنَّهُ مَالِكُهُمَا وَأَوْلَىٰ بِهِمَا دُونَكُمْ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِيهِ مَصْلَحَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا مِنْكُمْ، فَلِذَلِكَ أَمَرَكُمْ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمَا فِي الشَّهَادَةِ لَهُمَا وَعَلَيْهِمَا..

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ أَنْفُسِكُمْ فِي الْمَيْلِ فِي شَهَادَتِكُمْ -إِذَا قُمْتُمْ بِهَا لِغَنِيٍّ عَلَىٰ فَقِيرٍ أَوْ لِفَقِيرٍ عَلَىٰ غَنِيٍّ- إِلَىٰ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ..

﴿أَن تَعْدِلُواْ﴾ عَنِ الْحَقِّ، فَتَجُورُوا بِتَرْكِ إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ بِالْحَقِّ، فَتَقُولُوا غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَكِنْ قُومُوا فِيهِ بِالْقِسْطِ، وَأَدُّوا الشَّهَادَةَ عَلَىٰ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِأَدَائِهَا بِالْعَدْلِ لِمَنْ شَهِدْتُمْ عَلَيْهِ وَلَهُ.. وَلَوْ وُجِّهَ إِلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ أَنْفُسِكُمْ هَرَبًا مِنْ أَنْ تَعْدِلُوا عَنِ الْحَقِّ فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ كَانَ وَجْهًا.. وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ لِتَعْدِلُوا، كَمَا يُقَالُ: لَا تَتَّبِعْ هَوَاكَ لِتُرْضِيَ رَبَّكَ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ عِنْدِي تَأْدِيبٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا قُمْتُمْ بِالشَّهَادَةِ لِإِنْسَانٍ أَوْ عَلَيْهِ، فَقُومُوا فِيهَا بِالْعَدْلِ وَلَوْ كَانَتْ شَهَادَتُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَآبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ وَأَقْرِبَائِكُمْ، فَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ غِنَىٰ مَنْ شَهِدْتُمْ لَهُ أَوْ فَقْرُهُ أَوْ قَرَابَتُهُ وَرَحِمُهُ عَلَىٰ الشَّهَادَةِ لَهُ بِالزُّورِ، وَلَا عَلَىٰ تَرْكِ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ وَكِتْمَانِهَا..

﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ وَإِنْ تَدْفَعُوا الْقِيَامَ بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا لِمَنْ لَزِمَكُمُ الْقِيَامُ لَهُ بِهَا، فَتُغَيِّرُوهَا، وَتُبَدِّلُوا، وَذَلِكَ تَحْرِيفُهُ إِيَّاهَا لِسَانَهُ وَتَرْكُهُ إِقَامَتَهَا لِيُبْطِلَ بِذَلِكَ شَهَادَتَهُ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ وَعَمَّنْ شَهِدَ عَلَيْهِ..

﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ عَنْهَا، فَتَتْرُكُوا الْقِيَامَ لَهُ بِهَا، كَمَا يَلْوِي الرَّجُلُ دَيْنَ الرَّجُلِ، فَيُدَافِعُهُ بِأَدَائِهِ إِلَيْهِ

عَلَىٰ مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ لَهُ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنْ إِقَامَتِكُمُ الشَّهَادَةَ وَتَحْرِيفِكُمْ إِيَّاهَا وَإِعْرَاضِكُمْ عَنْهَا بِكِتْمَانِكُمُوهَا..

﴿خَبِيرًا ١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥] ذَا خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِهِ، يَحْفَظُ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ جَزَاءَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، يَقُولُ: فَاتَّقُوا رَبَّكُمْ فِي ذَلِكَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بِمَنْ قَبْلَ مُحَمَّدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ صَدِّقُوا بِاللهِ..

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِهِ، أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ إِلَيْكُمْ وَإِلَىٰ سَائِرِ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ..

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ وَصَدِّقُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ الْقُرْآنُ..

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ وَآمِنُوا بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ دُعَاءِ هَؤُلَاءِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَكُتُبِهِ وَقَدْ سَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ؟ قِيلَ: إِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يُسَمِّهِمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا، وَذَلِكَ وَصْفٌ لَهُمْ بِخُصُوصٍ مِنَ التَّصْدِيقِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا صِنْفَيْنِ: صِنْفٌ أَهْلُ تَوْرَاةٍ مُصَدِّقِينَ بِهَا وَبِمَنْ جَاءَ بِهَا، وَهُمْ مُكَذِّبُونَ بِالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَعِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا؛ وَصِنْفٌ أَهْلُ إِنْجِيلٍ وَهُمْ مُصَدِّقُونَ بِهِ وَبِالتَّوْرَاةِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ، مُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْفُرْقَانِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بِمَا هُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ فَإِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ تَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي كُتُبِكُمْ ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَكُونُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ وَأَنْتُمْ بِمُحَمَّدٍ مُكَذِّبُونَ، لِأَنَّ كِتَابَكُمْ يَأْمُرُكُمْ بِالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، فَآمِنُوا بِكِتَابِكُمْ فِي اتِّبَاعِكُمْ مُحَمَّدًا، وَإِلَّا فَأَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ، فَهَذَا وَجْهُ أَمْرِهِمْ

بِالْإِيمَانِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ، بَعْدَ أَنْ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾..

﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَجْحَدْ نُبُوَّتَهُ، فَهُوَ يَكْفُرُ..

﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لِأَنَّ جُحُودَ الشَّيْءِ مِنْ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ جُحُودِهِ جَمِيعَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِيمَانُ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْكُفْرُ بِشَيْءٍ مِنْهُ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بِعَقِبِ خِطَابِهِ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ تَهْدِيدًا مِنْهُ لَهُمْ، وَهُمْ مُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سِوَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْفُرْقَانِ..

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦] فَقَدْ ذَهَبَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَجَارَ عَنْ مَحَجَّةِ الطَّرِيقِ إِلَىٰ الْمَهَالِكِ ذَهَابًا وَجَوْرًا بَعِيدًا؛ لِأَنَّ كُفْرَ مَنْ كَفَرَ بِذَلِكَ خُرُوجٌ مِنْهُ عَنْ دِينِ اللهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ، وَالْخُرُوجُ عَنْ دِينِ اللهِ الْهَلَاكُ الَّذِي فِيهِ الْبَوَارُ، وَالضَّلَالُ عَنِ الْهُدَىٰ هُوَ الضَّلَالُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ١٣٧﴾ [النساء: ١٣٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ..

﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ ثُمَّ كَذَّبُوا بِخِلَافِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ ثُمَّ أَقَرَّ مَنْ أَقَرَّ مِنْهُمْ بِعِيسَىٰ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ ثُمَّ كَذَّبَ بِهِ بِخِلَافِهِ إِيَّاهُ..

﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ ثُمَّ كَذَّبَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْفُرْقَانِ، فَازْدَادَ بِتَكْذِيبِهِ بِهِ كُفْرًا عَلَىٰ كُفْرِهِ..

﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَسْتُرَ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ بِعَفْوِهِ عَنِ الْعُقُوبَةِ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَفْضَحُهُمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ..

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ١٣٧﴾ [النساء: ١٣٧] وَلَمْ يَكُنْ لِيُسَدِّدَهُمْ لِإِصَابَةِ طَرِيقِ الْحَقِّ فَيُوَفِّقَهُمْ لَهَا، وَلَكِنَّهُ يَخْذُلُهُمْ عَنْهَا عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ عَظِيمِ جُرْمِهِمْ وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨﴾ [النساء: ١٣٨].

﴿بَشِّرِ﴾ أَخْبِرْ..

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ اللهِ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ..

﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨﴾ [النساء: ١٣٨] وَهُوَ الْمُوجِعُ، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾ [النساء: ١٣٩].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فَمِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِي وَالْإِلْحَادِ فِي دِينِي..

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أَنْصَارًا وَأَخِلَّاءَ..

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أَيَطْلُبُونَ عِنْدَهُمُ الْمَنْعَةَ وَالْقُوَّةَ بِاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي..

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾ [النساء: ١٣٩] فَإِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ابْتِغَاءَ الْعِزَّةِ عِنْدَهُمْ، هُمُ الْأَذِلَّاءُ الْأَقِلَّاءُ، فَهَلَا اتَّخَذُوا الْأَوْلِيَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَلْتَمِسُوا الْعِزَّةَ وَالْمَنَعَةَ وَالنُّصْرَةَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْمَنْعَةُ، الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلَّ مَنْ يَشَاءُ، فَيُعِزُّهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ؟!.. وَأَصْلُ الْعِزَّةِ: الشِّدَّةُ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَرْضِ الصَّلْبَةِ الشَّدِيدَةِ: عَزَازٌ، وَقِيلَ: (**قَدِ اسْتُعِزَّ عَلَىٰ الْمَرِيضِ**)، إِذَا اشْتَدَّ مَرَضُهُ وَكَادَ يُشْفَىٰ، وَيُقَالُ: (**تَعَزَّزَ اللَّحْمُ**)، إِذَا اشْتَدَّ؛ وَمِنْهُ قِيلَ: (**عَزَّ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا**)، بِمَعْنَىٰ: اشْتَدَّ عَلَيَّ.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبِرْ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْكُفَّارِ أَنْصَارًا وَأَوْلِيَاءَ بَعْدَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ بَعْدَمَا عَلِمُوا نَهْيَ اللهِ عَنْ مُجَالَسَةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَآيِ كِتَابِهِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهَا..

﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا﴾ يَتَحَدَّثُوا..

﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ فَأَنْتُمْ إِنْ لَمْ تَقُومُوا عَنْهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَثَلُهُمْ فِي فِعْلِهِمْ؛ لِأَنَّكُمْ قَدْ عَصَيْتُمُ اللهَ بِجُلُوسِكُمْ مَعَهُمْ، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا، كَمَا عَصَوْهُ بِاسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ، فَقَدْ أَتَيْتُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ نَحْوَ الَّذِي أَتَوْهُ مِنْهَا، فَأَنْتُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ فِي رُكُوبِكُمْ مَعْصِيَةَ اللهِ، وَإِتْيَانِكُمْ مَا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ النَّهْيِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْفَسَقَةِ عِنْدَ خَوْضِهِمْ فِي بَاطِلِهِمْ.. وَبِنَحْوِ ذَلِكَ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَاضِيَةِ يَقُولُونَ تَأَوُّلًا مِنْهُمْ هَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّهُ مُرَادٌ بِهَا النَّهْيُ عَنْ مُشَاهَدَةِ كُلِّ بَاطِلٍ عِنْدَ خَوْضِ أَهْلِهِ فِيهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ..

﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠] فَمُوَفِّقٌ بَيْنَهُمْ فِي عِقَابِهِ فِي جَهَنَّمَ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، كَمَا اتَّفَقُوا فِي الدُّنْيَا فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ عَدَاوَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَوَازَرُوا عَلَىٰ التَّخْذِيلِ عَنْ دِينِ اللهِ، وَعَنِ الَّذِي ارْتَضَاهُ وَأَمَرَ بِهِ أَهْلَهُ.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِكُمْ..

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فَإِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتْحًا مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَأَفَاءَ عَلَيْكُمْ فَيْئًا مِنَ الْمَغَانِمِ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ لَكُمْ..

﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ نُجَاهِدُ عَدُوَّكُمْ، وَنَغْزُوهُمْ مَعَكُمْ، فَأَعْطُونَا نَصِيبًا مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَإِنَّا قَدْ شَهِدْنَا الْقِتَالَ مَعَكُمْ..

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ وَإِنْ كَانَ لِأَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ حَظٌّ مِنْكُمْ بِإِصَابَتِهِمْ مِنْكُمْ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ لِلْكَافِرِينَ..

﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أَلَمْ نَغْلِبْ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ قَهَرْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَنَمْنَعْكُمْ مِنْهُمْ بِتَخْذِيلِنَا إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ امْتَنَعُوا مِنْكُمْ فَانْصَرَفُوا..

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَفْصِلُ بَيْنَكُمْ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ بِإِدْخَالِ أَهْلِ الْإِيمَانِ جَنَّتَهُ، وَأَهْلِ النِّفَاقِ مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ نَارَهُ..

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء: ١٤١] وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَذَلِكَ وَعْدٌ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْمُنَافِقِينَ مُدْخَلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ مُدْخَلَ الْمُنَافِقِينَ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ لِلْكَافِرِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّةٌ، بِأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ: إِنْ أُدْخِلُوا مُدْخَلَهُمْ، هَا أَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَعْدَاءَنَا، وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ أَوْلِيَاءَنَا، وَقَدِ اجْتَمَعْتُمْ فِي النَّارِ، فَيُجْمَعُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِنَا، فَأَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَنَا مِنْ أَجْلِهِ فِي الدُّنْيَا؟! فَذَلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَجْعَلَهَا عَلَيْهِمْ لِلْكَافِرِينَ.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بِإِحْرَازِهِمْ بِنِفَاقِهِمْ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ..

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ وَاللهُ خَادِعُهُمْ بِمَا حَكَمَ فِيهِمْ مِنْ مَنْعِ دِمَائِهِمْ بِمَا أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، مَعَ عِلْمِهِ بِبَاطِنِ ضَمَائِرِهِمْ، وَاعْتِقَادِهِمُ الْكُفْرَ، اسْتِدْرَاجًا مِنْهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَلْقَوْهُ فِي الْآخِرَةِ، فَيُورِدُهُمْ بِمَا اسْتَبْطَنُوا مِنَ الْكُفْرِ نَارَ جَهَنَّمَ..

﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّقَرُّبِ بِهَا إِلَىٰ اللهِ؛ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُوقِنِينَ بِمَعَادٍ وَلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُونَ مَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ بَقَاءً عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَحَذَرًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُسْلَبُوا أَمْوَالَهُمْ، فَهُمْ إِذَا قَامُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْفَرَائِضِ الظَّاهِرَةِ، قَامُوا كُسَالَىٰ إِلَيْهَا، رِيَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ، لِيَحْسَبُوهُمْ مِنْهُمْ وَلَيْسُوا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْتَقِدِي فَرْضَهَا وَوُجُوبَهَا عَلَيْهِمْ، فَهُمْ فِي قِيَامِهِمْ إِلَيْهَا كُسَالَىٰ..

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢] وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا ذِكْرًا رِيَاءً، لِيَدْفَعُوا بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمُ الْقَتْلَ وَالسِّبَاءَ وَسَلْبَ الْأَمْوَالِ، لَا ذِكْرَ مُوقِنٍ مُصَدِّقٍ بِتَوْحِيدِ اللهِ مُخْلِصٍ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ قَلِيلًا، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْصُودٍ بِهِ اللهُ وَلَا مُبْتَغًىٰ بِهِ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ، وَلَا مُرَادًا بِهِ ثَوَابَ اللهِ وَمَا عِنْدَهُ، فَهُوَ -وَإِنْ كَثُرَ مِنْ وَجْهِ نَصَبِ عَامِلِهِ وَذَاكِرِهِ- فِي مَعْنَىٰ السَّرَابِ الَّذِي لَهُ ظَاهِرٌ بِغَيْرِ حَقِيقَةِ مَاءٍ.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ١٤٣﴾ [النساء: ١٤٣].

﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ مُرَدَّدِينَ.. وَأَصْلُ التَّذَبْذُبِ: التَّحَرُّكُ وَالِاضْطِرَابُ..

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ: أَنَّ الْمُنَافِقِينَ مُتَحَيِّرُونَ فِي دِينِهِمْ، لَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ اعْتِقَادِ شَيْءٍ عَلَىٰ صِحَّةٍ، فَهُمْ لَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَلَا مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ جَهَالَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ حَيَارَىٰ بَيْنَ ذَلِكَ، فَمَثَلُهُمُ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَىٰ هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَىٰ هَذِهِ مَرَّةً، لَا تَدْرِي أَيَّتَهُمَا تَتْبَعُ**»..

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ مَنْ يَخْذُلْهُ اللهُ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي دَعَا اللهُ إِلَيْهِ عِبَادَهُ، يَقُولُ: مَنْ يَخْذُلْهُ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لَهُ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿سَبِيلًا ١٤٣﴾ [النساء: ١٤٣] طَرِيقًا يَسْلُكُهُ إِلَىٰ الْحَقِّ غَيْرُهُ، وَأَيُّ سَبِيلٍ يَكُونُ لَهُ إِلَىٰ الْحَقِّ غَيْرَ الْإِسْلَامِ؟! وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَهُ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْهُ فَقَدْ غَوَىٰ، فَلَا هَادِيَ لَهُ غَيْرُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء: ١٤٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ لَا تُوَالُوا الْكُفَّارَ فَتُؤَازِرُوهُمْ..

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ مِنْ دُونِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَكُونُوا كَمَنْ أَوْجَبَ لَهُ النَّارَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.. وَهَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَكُونُوا مِثْلَهُمْ فِي رُكُوبِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مُوَالَاةِ أَعْدَائِهِ.. ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُتَوَعِّدًا مَنِ اتَّخَذَ مِنْهُمُ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ هُوَ لَمْ يَرْتَدِعْ عَنْ مُوَالَاتِهِ وَيَنْزَجِرْ عَنْ مُخَالَفَتِهِ أَنْ يَلْحَقَهُ بِأَهْلِ وَلَايَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِتَبْشِيرِهِمْ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا..

﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، مِمَّنْ قَدْ آمَنَ بِي وَبِرَسُولِي..

﴿أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حُجَّةً بِاتِّخَاذِكُمُ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ،

فَتَسْتَوْجِبُوا مِنْهُ مَا اسْتَوْجَبَهُ أَهْلُ النِّفَاقِ الَّذِينَ وَصَفَ لَكُمْ صِفَتَهُمْ وَأَخْبَرَكُمْ بِمَحِلِّهِمْ عِنْدَهُ..

﴿مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: ١٤٤] عَنْ صِحَّتِهَا وَحَقِّيَّتِهَا، يَقُولُ: لَا تَعَرَّضُوا لِغَضَبِ اللهِ بِإِيجَابِكُمُ الْحُجَّةَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي تَقَدُّمِكُمْ عَلَىٰ مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ مُوَالَاةِ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الطَّبَقِ الْأَسْفَلِ مِنْ أَطْبَاقِ جَهَنَّمَ، وَكُلُّ طَبَقٍ مِنْ أَطْبَاقِ جَهَنَّمَ دَرْكٌ، وَفِيهِ لُغَتَانِ: دَرَكٌ بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَدَرْكٌ بِتَسْكِينِهَا، فَمَنْ فَتَحَ الرَّاءَ جَمَعَهُ فِي الْقِلَّةِ: أَدْرَاكٌ، وَإِنْ شَاءَ جَمَعَهُ فِي الْكَثْرَةِ الدُّرُوكُ، وَمَنْ سَكَّنَ الرَّاءَ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَدْرُكٍ، وَلِلْكَثِيرِ: الدُّرُوكُ..

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ وَلَنْ تَجِدَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ اللهِ إِذَا جَعَلَهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ..

﴿نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥] نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ مِنْهُ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ أَلِيمَ عِقَابِهِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٦].

﴿إِلَّا﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، اسْتَثْنَىٰ..

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ التَّائِبِينَ مِنْ نِفَاقِهِمْ، الَّذِينَ رَاجَعُوا الْحَقَّ، وَأَبَوْا إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أَعْمَالَهُمْ، فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ وَانْزَجَرُوا عَنْ مَعَاصِيهِ..

﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ اللهِ.. وَالِاعْتِصَامُ: التَّمَسُّكُ وَالتَّعَلُّقُ، فَالِاعْتِصَامُ بِاللهِ: التَّمَسُّكُ بِعَهْدِهِ وَمِيثَاقِهِ الَّذِي عَهِدَ فِي كِتَابِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، مِنْ طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ..

﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ وَأَخْلَصُوا الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَتَبَرَّءُوا مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، فَلَمْ يَكُونُوا مَعَ الْمُصِرِّينَ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ، وَأَخْلَصُوا طَاعَتَهُمْ وَأَعْمَالَهُمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا لِلَّهِ، فَأَرَادُوهُ بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلُوهَا رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا عَلَىٰ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَامْتِرَاءٍ مِنْهُمْ، فِي أَنَّ اللهَ مُحْصٍ عَلَيْهِمْ مَا عَمِلُوا، فَيُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ؛ وَلَكِنَّهُمْ عَمِلُوهَا عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْهُمْ فِي ثَوَابِ الْمُحْسِنِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَجَزَاءِ الْمُسِيءِ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ، أَوْ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ رَبُّهُ فَيَعْفُو، مُتَقَرِّبِينَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ مُرِيدِينَ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ إِخْلَاصِهِمْ لِلَّهِ دِينَهُمْ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ وَاعْتِصَامِهِمْ بِاللهِ وَإِخْلَاصِهِمْ لَهُ..

﴿مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي الْجَنَّةِ، لَا مَعَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي مَاتُوا عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ، الَّذِين أَوْعَدَهُمُ الدَّرَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ، فَوَعَدَهُم جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يُحِلَّهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَحِلَّ الْكَرَامَةِ، وَيُسْكِنَهُمْ مَعَهُمْ مَسَاكِنَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَوَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ تَوْبَتِهِمُ الْجَزِيلَ مِنَ الْعَطَاءِ..

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَسَوْفَ يُعْطِي اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ عَلَىٰ تَوْبَتِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ وَاعْتِصَامِهِمْ بِاللهِ وَإِخْلَاصِهِمْ دِينَهُمْ لَهُ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ..

﴿أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦] ثَوَابًا عَظِيمًا، وَذَلِكَ دَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا أَعْطَىٰ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ مَنَازِلَ فِي النَّارِ، وَهِيَ السُّفْلَىٰ مِنْهَا؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ ذَلِكَ، كَمَا أَوْعَدَ الْمُنَافِقِينَ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾

[النساء: ١٤٧].

﴿مَّا يَفْعَلُ﴾ مَا يَصْنَعُ..

﴿ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ..

﴿بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ إِنْ أَنْتُمْ تُبْتُمْ إِلَىٰ اللهِ وَرَجَعْتُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ الْوَاجِبِ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ، فَشَكَرْتُمُوهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَهَالِيكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، بِالْإِنَابَةِ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَالِاعْتِصَامِ بِهِ، وَإِخْلَاصِكُمْ أَعْمَالَكُمْ لِوَجْهِهِ، وَتَرْكِ رِيَاءَ النَّاسِ بِهَا..

﴿وَءَامَنتُمْ﴾ بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَصَدَّقْتُمُوهُ وَأَقْرَرْتُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِلْتُمْ بِهِ، يَقُولُ: لَا حَاجَةَ بِاللهِ أَنْ يَجْعَلَكُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ إِنْ أَنْتُمْ أَنَبْتُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَرَاجَعْتُمُ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجْتَلِبُ بِعَذَابِكُمْ إِلَىٰ نَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا ضَرًّا، وَإِنَّمَا عُقُوبَتُهُ مَنْ عَاقَبَ مِنْ خَلْقِهِ جَزَاءٌ مِنْهُ لَهُ عَلَىٰ جَرَاءَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ خِلَافِهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَكُفْرَانِهِ شُكْرَ نِعَمِهِ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَنْتُمْ شَكَرْتُمْ لَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ وَأَطَعْتُمُوهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ تَعْذِيبِكُمْ، بَلْ يَشْكُرُ لَكُمْ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مِنْ طَاعَةٍ لَهُ وَشُكْرٍ، بِمُجَازَاتِكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بِمَا تَقْصُرُ عَنْهُ أَمَانِيُّكُمْ فَلَمْ تَبْلُغْهُ آمَالُكُمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ لَكُمْ وَلِعِبَادِهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ بِإِجْزَالِهِ لَهُمُ الثَّوَابَ عَلَيْهَا، وَإِعْظَامِهِ لَهُمُ الْعِوَضَ مِنْهَا..

﴿عَلِيمًا ۝١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧] بِمَا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ وَغَيْرُكُمْ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَصَالِحٍ وَطَالِحٍ، مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ، مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ جَزَاءَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۝١٤٨﴾ [النساء: ١٤٨].

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أَنْ يَجْهَرَ أَحَدٌ لِأَحَدٍ بِالسُّوءِ..

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ أَنْ يُخْبِرَ بِمَا أُسِيءَ إِلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، دَخَلَ فِيهِ إِخْبَارُ مَنْ نِيلَ بِظُلْمٍ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ عُنْوَةً مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ دُعَاؤُهُ عَلَىٰ مَنْ نَالَهُ بِظُلْمٍ؛ أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ فِي دُعَائِهِ عَلَيْهِ إِعْلَامًا مِنْهُ لِمَنْ سَمِعَ دُعَاءَهُ عَلَيْهِ بِالسُّوءِ لَهُ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لِمَا يَجْهَرُونَ بِهِ مِنْ سُوءِ الْقَوْلِ لِمَنْ يَجْهَرُونَ لَهُ بِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْوَاتِكُمْ وَكَلَامِكُمْ..

﴿عَلِيمًا ۝١٤٨﴾ [النساء: ١٤٨] بِمَا تُخْفُونَ مِنْ سُوءِ قَوْلِكُمْ وَكَلَامِكُمْ لِمَنْ تُخْفُونَ لَهُ بِهِ، فَلَا تَجْهَرُونَ لَهُ بِهِ، مُحْصٍ كُلَّ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ جَزَاءَكُمْ، الْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَالْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝١٤٩﴾ [النساء: ١٤٩].

﴿إِن تُبْدُواْ﴾ إِنْ تَقُولُوا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿خَيْرًا﴾ جَمِيلًا مِنَ الْقَوْلِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، فَتُظْهِرُوا ذَلِكَ شُكْرًا مِنْكُمْ لَهُ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ حُسْنٍ إِلَيْكُمْ..

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أَوْ تَتْرُكُوا إِظْهَارَ ذَلِكَ فَلَا تُبْدُوهُ..

﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ أَوْ تَصْفَحُوا لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ عَنْ إِسَاءَتِهِ، فَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ أَنْ تَجْهَرُوا لَهُ بِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ لَمْ يَزَلْ ذَا عَفْوٍ عَنْ خَلْقِهِ، يَصْفَحُ لَهُمْ عَمَّنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ..

﴿قَدِيرًا ۝١٤٩﴾ [النساء: ١٤٩] ذَا قُدْرَةٍ عَلَىٰ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ ذَا عَفْوٍ مِنْ عِبَادِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِقَابِهِمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، يَقُولُ: فَاعْفُوا أَنْتُمْ أَيْضًا أَيُّهَا النَّاسُ

عَمَّنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ ظُلْمًا، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ، وَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ، كَمَا يَعْفُو عَنْكُمْ رَبُّكُمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِقَابِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَتُخَالِفُونَ أَمْرَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بِأَنْ يُكَذِّبُوا رُسُلَ اللهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِوَحْيِهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمُ افْتَرَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَذَٰلِكَ هُوَ مَعْنَىٰ إِرَادَتِهِمُ التَّفْرِيقَ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ، بِنِحْلَتِهِمْ إِيَّاهُمُ الْكَذِبَ وَالْفِرْيَةَ عَلَىٰ اللهِ، وَادِّعَائِهِمْ عَلَيْهِمُ الْأَبَاطِيلَ..

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ نُصَدِّقُ بِهَذَا..

﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ وَنُكَذِّبُ بِهَذَا، كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، وَتَصْدِيقِهِمْ بِمُوسَىٰ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ بِزَعْمِهِمْ، وَكَمَا فَعَلَتِ النَّصَارَىٰ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَتَصْدِيقِهِمْ بِعِيسَىٰ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ بِزَعْمِهِمْ..

﴿وَيُرِيدُونَ﴾ وَيُرِيدُ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ، الزَّاعِمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ..

﴿أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ أَضْعَافِ قَوْلِهِمْ: نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ..

﴿سَبِيلًا ١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠] طَرِيقًا إِلَىٰ الضَّلَالَةِ الَّتِي أَحْدَثُوهَا وَالْبِدْعَةِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا، يَدْعُونَ أَهْلَ الْجَهْرِ مِنَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ، مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٥١﴾ [النساء: ١٥١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ صِفَتَهُمْ..

﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾ هُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ بِي، الْمُسْتَحِقُّونَ عَذَابِي وَالْخُلُودَ فِي نَارِي حَقًّا، فَاسْتَيْقِنُوا ذَلِكَ، وَلَا يُشَكِّكَنَّكُمْ فِي أَمْرِهِمُ انْتِحَالُهُمُ الْكَذِبَ وَدَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ يُقِرُّونَ بِمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهِ مُقِرُّونَ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، فَإِنَّهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ مَا ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ كَذَبَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، هُوَ الْمُصَدِّقُ بِجَمِيعِ مَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ بِهِ مُؤْمِنٌ، فَأَمَّا مَنْ صَدَّقَ بِبَعْضِ ذَلِكَ وَكَذَّبَ بِبَعْضٍ، فَهُوَ لِنُبُوَّةِ مَنْ كَذَبَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ جَاحِدٌ، وَمَنْ جَحَدَ نُبُوَّةَ نَبِيٍّ فَهُوَ بِهِ مُكَذِّبٌ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَحَدُوا

نُبُوَّةَ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مُصَدِّقُونَ بِبَعْضٍ، مُكَذِّبُونَ مَنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ، لِتَكْذِيبِهِمْ بِبَعْضِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَهُمْ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِهِمْ مُصَدِّقُونَ، وَالَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِهِمْ مُكَذِّبُونَ، كَافِرُونَ، فَهُمُ الْجَاحِدُونَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ وَنُبُوَّةَ أَنْبِيَائِهِ حَقَّ الْجُحُودِ، الْمُكَذِّبُونَ بِذَلِكَ حَقَّ التَّكْذِيبِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَغْتَرُّوا بِهِمْ وَبِبِدْعَتِهِمْ، فَإِنَّا قَدْ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا..

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ جَحَدَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ جُحُودَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَجْنَاسِ الْكُفَّارِ..

﴿عَذَابًا﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥١] يُهِينُ مَنْ عُذِّبَ بِهِ بِخُلُودِهِ فِيهِ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَرُسُلِهِ﴾ وَأَقَرُّوا بِنُبُوَّةِ رُسُلِهِ أَجْمَعِينَ، وَصَدَّقُوهُمْ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ شَرَائِعَ دِينِهِ..

﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ وَلَمْ يُكَذِّبُوا بَعْضَهُمْ، وَيُصَدِّقُوا بَعْضَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَقَرُّوا أَنَّ كُلَّ مَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَقٌّ..

﴿أُولَئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ سَوْفَ يُعْطِيهِمْ..

﴿أُجُورَهُمْ﴾ جَزَاءَهُمْ، وَثَوَابَهُمْ عَلَى تَصْدِيقِهِمُ الرُّسُلَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ يَغْفِرُ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ مَا سَلَفَ لَهُ مِنْ آثَامِهِ، فَيَسْتُرُ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ لَهُ عَنْهُ وَتَرْكِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِذُنُوبِ الْمُنِيبِينَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ غَفُورًا..

﴿رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢] وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ رَحِيمًا بِتَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمُ الْهِدَايَةَ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لِمَا فِيهِ خَلَاصُ رِقَابِهِمْ مِنَ النَّارِ.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أَهْلَ التَّوْرَاةِ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا﴾ آيَةً مُعْجِزَةً جَمِيعَ الْخَلْقِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا..

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ شَاهِدَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِالصِّدْقِ، آمِرَةً لَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الَّذِي سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ كِتَابًا مَكْتُوبًا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ جَمَاعَتِهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُتُبًا إِلَىٰ أَشْخَاصٍ بِأَعْيُنِهِمْ.. وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِظَاهِرِ التِّلَاوَةِ أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ كَانَتْ مَسْأَلَةً لِيُنَزِّلَ الْكِتَابَ الْوَاحِدَ إِلَىٰ جَمَاعَتِهِمْ؛ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَبَرِهِ عَنْهُمُ الْكِتَابَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ، بِقَوْلِهِ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: كُتُبًا..

﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ فَهَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَائِلِي الْكِتَابِ الَّذِي سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُنَزِّلَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ فِي مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ، وَتَقْرِيعٌ مِنْهُ لَهُمْ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ لَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ مَسْأَلَتُهُمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ بِاللهِ وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَيْهِ وَاغْتِرَارِهِمْ بِحِلْمِهِ، لَوْ أَنْزَلْتَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ الَّذِي سَأَلُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُ عَلَيْهِمْ، لَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ كَمَا خَالَفُوهُ بَعْدَ إِحْيَاءِ اللهِ أَوَائِلِهِمْ مِنْ صَعْقَتِهِمْ، فَعَبَدُوا الْعِجْلَ، وَاتَّخَذُوهُ إِلَاهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ خَالِقِهِمْ وَبَارِئِهِمُ الَّذِي أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ مَا أَرَاهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَنْ يَعْدُوا أَنْ يَكُونُوا كَأَوَائِلِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، ثُمَّ قَصَّ اللهُ مِنْ قِصَّتِهِمْ وَقِصَّةِ مُوسَىٰ مَا قَصَّ، يَقُولُ اللهُ: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ يَعْنِي: فَقَدْ سَأَلَ أَسْلَافُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَأَوَائِلُهُمْ مُوسَىٰ ﷺ أَعْظَمَ مِمَّا سَأَلُوكَ مِنْ تَنْزِيلِ كِتَابٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عِيَانًا نُعَايِنُهُ وَنَنْظُرُ إِلَيْهِ..

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ فَصُعِقُوا بِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَظُلْمُهُمْ أَنْفُسَهُمْ كَانَ مَسْأَلَتَهُمْ مُوسَىٰ أَنْ يُرِيَهُمْ رَبَّهُمْ جَهْرَةً، لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَسْأَلَتُهُ..

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟﴾ ثُمَّ اتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوا مُوسَىٰ مَا سَأَلُوهُ مِنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ جَهْرَةً، بَعْدَ مَا

أَحْيَاهُمُ اللهُ، فَبَعَثَهُمْ مِنْ صَعْقَتِهِمْ..

﴿ٱلْعِجْلَ﴾ الَّذِي كَانَ السَّامِرِيُّ نَبَذَ فِيهِ مَا نَبَذَ مِنَ الْقَبْضَةِ الَّتِي قَبَضَهَا مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَاهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوا مُوسَىٰ مَا سَأَلُوا..

﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ مِنَ اللهِ، وَالدَّلَالَاتُ الْوَاضِحَاتُ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَرَوُا اللهَ عِيَانًا جِهَارًا، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ: أَنَّهَا آيَاتٌ تُبِينُ عَنْ أَنَّهُمْ لَنْ يَرَوُا اللهَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا جَهْرَةً، وَكَانَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ لَهُمْ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِصْعَاقَ اللهِ إِيَّاهُمْ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمْ مُوسَىٰ أَنْ يُرِيَهُمْ رَبَّهُ جَهْرَةً، ثُمَّ إِحْيَاءَهُ إِيَّاهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ مَعَ سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَاهُمُ اللهُ دَلَالَةً عَلَىٰ ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ مُقَبِّحًا إِلَيْهِمْ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ، وَمُوَضِّحًا لِعِبَادِهِ جَهْلَهُمْ، وَنَقْصَ عُقُولِهِمْ وَأَحْلَامِهِمْ: ثُمَّ أَقَرُّوا لِلْعِجْلِ بِأَنَّهُ لَهُمْ إِلَهٌ، وَهُمْ يَرَوْنَهُ عِيَانًا وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ جِهَارًا، بَعْدَ مَا أَرَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مَا أَرَاهُمْ، أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ جَهْرَةً وَعِيَانًا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، فَعَكَفُوا عَلَىٰ عِبَادَتِهِ، مُصَدِّقِينَ بِأُلُوهَتِهِ..

﴿فَعَفَوْنَا﴾ لِعَبَدَةِ الْعِجْلِ..

﴿عَن ذَٰلِكَ﴾ عَنْ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، وِلِلْمُصَدِّقِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ إِلَاهُهُمْ، بَعْدَ الَّذِي أَرَاهُمُ اللهُ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا أَرَاهُمْ عَنْ تَصْدِيقِهِمْ بِذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ الَّتِي تَابُوهَا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، بِقَتْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَصَبْرِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ أَمْرِ رَبِّهِمْ..

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ١٥٣﴾ [النساء: ١٥٣] وَآتَيْنَا مُوسَىٰ حُجَّةً تُبِينُ عَنْ صِدْقِهِ، وَحَقِيَّةِ نُبُوَّتِهِ، وَتِلْكَ الْحُجَّةُ هِيَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ الَّتِي آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ١٥٤﴾ [النساء: ١٥٤].

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ الْجَبَلَ، وَذَلِكَ لَمَّا امْتَنَعُوا مِنَ الْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، وَقَبُولِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ فِيهَا..

﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ بِمَا أَعْطُوا اللهَ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ: (لَنَعْمَلَنَّ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ)..

﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ حِينَ أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سُجَّدًا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ..

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما لم يبح لكم..

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: ١٥٤] عهدًا مؤكدًا شديدًا، بأنهم يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم الله عنه، مما ذكره في هذه الآية، ومما في التوراة، وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله كانوا أمروا بدخول الباب سجدًا، وما كان من أمرهم في ذلك، وخبرهم وقصتهم، وقصة السبت، وما كان اعتداؤهم فيه، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: ١٥٥].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ فبنقض هؤلاء الذين وصفت صفتهم من أهل الكتاب..

﴿مِّيثَٰقَهُمْ﴾ عهودهم التي عاهدوا الله أن يعملوا بما في التوراة..

﴿وَكُفْرِهِم﴾ وجحودهم..

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بأعلام الله وأدلته التي احتج بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله، وحقية ما جاءوهم به من عنده..

﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ وبقتلهم الأنبياء بعد قيام الحجة عليهم بنبوتهم..

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير استحقاق منهم ذلك لكبيرة أتوها، ولا خطيئة استوجبوا القتل عليها..

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ وبقولهم..

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ عليها غشاوة وأغطية عما تدعونا إليه، فلا نفقه ما تقول، ولا نعقله..

﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ كذبوا في قولهم قلوبنا غلف، ما هي بغلف ولا عليها أغطية؛ ولكن الله جل ثناؤه جعل عليها طابعًا بكفرهم بالله..

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلا يؤمن هؤلاء الذين وصف الله صفتهم لطبعه على قلوبهم، فيصدقوا بالله ورسله وما جاءتهم به من عند الله..

﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: ١٥٥] وإنما صار قليلًا لأنهم لم يصدقوا على ما أمرهم الله به، ولكن صدقوا ببعض الأنبياء وببعض الكتب وكذبوا ببعض، فكان تصديقهم بما صدقوا به قليلًا؛ لأنهم وإن صدقوا به من وجه، فهم به مكذبون من وجه آخر، وذلك من وجه تكذيبهم من كذبوا به من الأنبياء، وما جاءوا به من كتب الله، ورسل الله يصدق بعضهم بعضًا، وبذلك أمر كل نبي أمته، وكذلك كتب الله يصدق بعضها بعضًا، ويحقق بعض بعضًا، فالمكذب ببعضها مكذب بجميعها من جهة جحوده ما

صَدَّقَهُ الْكِتَابُ الَّذِي يُقِرُّ بِصِحَّتِهِ، فَلِذَلِكَ صَارَ إِيمَانُهُمْ بِمَا آمَنُوا مِنْ ذَلِكَ قَلِيلًا.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦].

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ وَبِكُفْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦] بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَرَمْيِهِمْ إِيَّاهَا بِالزِّنَا، وَهُوَ الْبُهْتَانُ الْعَظِيمُ؛ لِأَنَّهُمْ رَمَوْهَا بِذَلِكَ وَهِيَ مِمَّا رَمَوْهَا بِهِ -بِغَيْرِ ثَبَتٍ وَلَا بُرْهَانٍ- بَرِيئَةٌ، فَبَهَتُوهَا بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧].

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ثُمَّ كَذَّبَهُمُ اللهُ فِي قِيلِهِمْ..

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ عِيسَىٰ..

﴿وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فَأُلْقِيَ شَبَهُ عِيسَىٰ عَلَىٰ جَمِيعِ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مَعَ عِيسَىٰ حِينَ أُحِيطَ بِهِ وَبِهِمْ، لِيُخْزِيَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَهُودَ، وَيُنْقِذَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ مَكْرُوهِ مَا أَرَادُوا بِهِ مِنَ الْقَتْلِ، وَيَبْتَلِيَ بِهِ مَنْ أَرَادَ ابْتِلَاءَهُ مِنْ عِبَادِهِ.. وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عِيسَىٰ فِي الْبَيْتِ الَّذِي رُفِعَ مِنْهُ مِنْ حَوَارِيِّهِ، حَوَّلَهُمُ اللهُ جَمِيعًا فِي صُورَةِ عِيسَىٰ حِينَ أَرَادَ اللهُ رَفْعَهُ، فَقَتَلَتِ الْيَهُودُ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَتْ وَهُمْ يَرَوْنَهُ بِصُورَةِ عِيسَىٰ وَيَحْسَبُونَهُ إِيَّاهُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِهِ عَارِفِينَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَظَنَّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْبَيْتِ مَعَ عِيسَىٰ مِثْلَ الَّذِي ظَنَّتِ الْيَهُودُ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُمَيِّزُوا شَخْصَ عِيسَىٰ مِنْ شَخْصِ غَيْرِهِ لِتَشَابُهِ شَخْصِهِ وَشَخْصِ غَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ، فَاتَّفَقُوا جَمِيعُهُمْ -أَعْنِي: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ- مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْمَقْتُولَ كَانَ عِيسَىٰ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ، وَلَكِنَّهُ شُبِّهَ لَهُمْ.. أَوْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عِيسَىٰ فِي الْبَيْتِ تَفَرَّقُوا عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ الْيَهُودُ، وَبَقِيَ عِيسَىٰ، وَأُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَىٰ بَعْضِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ مَا تَفَرَّقَ الْقَوْمُ، غَيْرَ عِيسَىٰ وَغَيْرَ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُهُ، وَرُفِعَ عِيسَىٰ، فَقُتِلَ الَّذِي تَحَوَّلَ فِي صُورَةِ عِيسَىٰ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَظَنَّ أَصْحَابُهُ وَالْيَهُودُ أَنَّ الَّذِي قُتِلَ وَصُلِبَ هُوَ عِيسَىٰ؛ لَمَّا رَأَوْا مِنْ شَبَهِهِ بِهِ وَخَفَاءِ أَمْرِ عِيسَىٰ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ رَفْعَهُ وَتَحَوُّلَ الْمَقْتُولِ فِي صُورَتِهِ كَانَ بَعْدَ تَفَرُّقِ أَصْحَابِهِ عَنْهُ، وَقَدْ كَانُوا سَمِعُوا عِيسَىٰ مِنَ اللَّيْلِ يَنْعِي نَفْسَهُ

وَيَحْزَنُ لِمَا قَدْ ظَنَّ أَنَّهُ نَازِلٌ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ، فَحَكَوْا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ حَقًّا، وَالْأَمْرُ عِنْدَ اللهِ فِي الْحَقِيقَةِ بِخِلَافِ مَا حَكَوْا، فَلَمْ يَسْتَحِقَّ الَّذِينَ حَكَوْا ذَلِكَ مِنْ حَوَارِيِّيهِ أَنْ يَكُونُوا كَذَبَةً، أَوْ حَكَوْا مَا كَانَ حَقًّا عِنْدَهُمْ فِي الظَّاهِرِ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عِنْدَ اللهِ فِي الْحَقِيقَةِ بِخِلَافِ الَّذِي حَكَوْا..

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَحَاطُوا بِعِيسَىٰ وَأَصْحَابِهِ حِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ..

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يَعْنِي: مِنْ قَتْلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَحْصَوْا مِنَ الْعِدَّةِ حِينَ دَخَلُوا الْبَيْتَ أَكْثَرَ مِمَّنْ خَرَجَ مِنْهُ وَمَنْ وُجِدَ فِيهِ، فَشَكُّوا فِي الَّذِي قَتَلُوهُ هَلْ هُوَ عِيسَىٰ أَمْ لَا، مِنْ أَجْلِ فَقْدِهِمْ مَنْ فَقَدُوا مِنَ الْعَدَدِ الَّذِي كَانُوا أَحْصَوْهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: قَتَلْنَا عِيسَىٰ؛ لِمُشَابَهَةِ الْمَقْتُولِ عِيسَىٰ فِي الصُّورَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ عَرَفُوا عِدَّةَ مَنْ فِي الْبَيْتِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ فِيمَا ذُكِرَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِمْ، فَقَدُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَالْتَبَسَ أَمْرُ عِيسَىٰ عَلَيْهِمْ بِفَقْدِهِمْ وَاحِدًا مِنَ الْعِدَّةِ الَّتِي كَانُوا قَدْ أَحْصَوْهَا، وَقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا عَلَىٰ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَمْ يُفَارِقِ الْحَوَارِيُّونَ عِيسَىٰ حَتَّىٰ رُفِعَ وَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وَأَمَّا تَأْوِيلُهُ عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: تَفَرَّقُوا عَنْهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ: وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي عِيسَىٰ، هَلْ هُوَ الَّذِي بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مِنْهُمْ بَعْدَ خُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ أَمْ لَا؟

﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَنَّهُمْ قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوهُ، عَلَىٰ شَكٍّ مِنْهُمْ فِيهِ وَاخْتِلَافٍ، هَلْ هُوَ عِيسَىٰ أَمْ غَيْرُهُ؟ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ بِمَنْ قَتَلُوهُ عِلْمٌ مَنْ هُوَ، هُوَ عِيسَىٰ أَمْ هُوَ غَيْرُهُ؟

﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ مَا كَانَ لَهُمْ بِمَنْ قَتَلُوهُ مِنْ عِلْمٍ، وَلَكِنَّهُمُ اتَّبَعُوا ظَنَّهُمْ، فَقَتَلُوهُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ عِيسَىٰ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ..

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ وَمَا قَتَلُوا هَذَا الَّذِي اتَّبَعُوهُ فِي الْمَقْتُولِ الَّذِي قَتَلُوهُ وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ عِيسَىٰ..

﴿يَقِينَۢا ١٥٧﴾ [النساء: ١٥٧] أَنَّهُ عِيسَىٰ، وَلَا أَنَّهُ غَيْرُهُ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُ عَلَىٰ ظَنٍّ وَشُبْهَةٍ، وَهَذَا كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: (مَا قَتَلْتَ هَذَا الْأَمْرَ عِلْمًا) وَ(مَا قَتَلْتَهُ يَقِينًا)، إِذَا تَكَلَّمَ فِيهِ بِالظَّنِّ عَلَىٰ غَيْرِ يَقِينِ عِلْمٍ، فَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الظَّنِّ.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾ [النساء: ١٥٨].

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ بَلْ رَفَعَ اللهُ الْمَسِيحَ إِلَيْهِ، يَقُولُ: لَمْ يَقْتُلُوهُ وَلَمْ يَصْلُبُوهُ، وَلَكِنَّ اللهَ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَطَهَّرَهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ مُنْتَقِمًا مِنْ أَعْدَائِهِ، كَانْتِقَامِهِ مِنَ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ،

وَكَلَعْنِهِ الَّذِينَ قَصَّ قِصَّتَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥]..

﴿حَكِيمًا ١٥٨﴾ [النساء: ١٥٨] ذَا حِكْمَةٍ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ خَلْقَهُ فِي قَضَائِهِ، يَقُولُ: فَاحْذَرُوا أَيُّهَا السَّائِلُونَ مُحَمَّدًا أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ حُلُولِ عُقُوبَتِي بِكُمْ، كَمَا حَلَّ بِأَوَائِلِكُمُ الَّذِينَ فَعَلُوا فِعْلَكُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ رُسُلِي، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ أَوْلِيَائِي.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩].

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَىٰ..

﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَىٰ، وَأَنَّ ذَلِكَ فِي خَاصٍّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَعْنِيٌّ بِهِ أَهْلُ زَمَانٍ مِنْهُمْ دُونَ أَهْلِ كُلِّ الْأَزْمِنَةِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ عِيسَىٰ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ عِنْدَ نُزُولِهِ، كَالَّذِي قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ، إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطُ الشَّعْرِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ، وَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، حَتَّىٰ يُهْلِكَ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكَ اللهُ فِي زَمَانِهِ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ الْكَذَّابَ الدَّجَّالَ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ، حَتَّىٰ تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَتَلْعَبُ الْغِلْمَانُ وَالصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ يَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللهُ -وَرُبَّمَا قَالَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً- ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ**»..

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عِيسَىٰ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿شَهِيدًا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩] شَاهِدًا عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْهُمْ، وَتَصْدِيقِ مَنْ صَدَّقَهُ مِنْهُمْ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبِإِبْلَاغِهِ رِسَالَةَ رَبِّهِ.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ١٦٠﴾ [النساء: ١٦٠].

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ فَحَرَّمْنَا عَلَىٰ الْيَهُودِ -الَّذِينَ نَقَضُوا

مِيثَاقَهُمُ الَّذِي وَاثَقُوا رَبَّهُمْ، وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، وَقَالُوا الْبُهْتَانَ عَلَىٰ مَرْيَمَ، وَفَعَلُوا مَا وَصَفَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ- طَيِّبَاتٍ مِنَ الْمَآكِلِ وَغَيْرِهَا كَانَتْ لَهُمْ حَلَالًا، عُقُوبَةً لَهُمْ بِظُلْمِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ عِبَادَ اللهِ..

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عَنْ دِينِهِ وَسُبُلِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ..

﴿كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء: ١٦٠] صَدًّا كَثِيرًا، وَكَانَ صَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِقَوْلِهِمْ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ، وَادِّعَائِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ عَنِ اللهِ، وَتَبْدِيلِهِمْ كِتَابَ اللهِ، وَتَحْرِيفِ مَعَانِيهِ عَنْ وُجُوهِهِ، وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ ذَلِكَ جُحُودُهُمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَرْكُهُمْ بَيَانَ مَا قَدْ عَلِمُوا مِنْ أَمْرِهِ.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦١].

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وَهُوَ أَخْذُهُمْ مَا أَفْضَلُوا عَلَىٰ رُءُوسِ أَمْوَالِهِمْ لِفَضْلِ تَأْخِيرٍ فِي الْأَجَلِ بَعْدَ مَحِلِّهَا..

﴿وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ يَعْنِي عَنْ أَخْذِ الرِّبَا..

﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ﴾ مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الرِّشَا عَلَىٰ الْحُكْمِ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة: ٦٢]، وَكَانَ مِنْ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ: مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ أَثْمَانِ الْكُتُبِ الَّتِي كَانُوا يَكْتُبُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمَآكِلِ الْخَسِيسَةِ الْخَبِيثَةِ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، بِتَحْرِيمِهِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ حَلَالًا قَبْلَ ذَلِكَ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ أَكَلُوا مَا أَكَلُوا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ كَذَلِكَ بِالْبَاطِلِ؛ بِأَنَّهُمْ أَكَلُوهُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ مِنْهُمْ بِغَيْرِ اسْتِيجَابٍ..

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ وَجَعَلْنَا..

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ..

﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦١] وَهُوَ الْمُوجِعُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، عِدَّةً يَصْلَوْنَهَا فِي الْآخِرَةِ إِذَا

وَرَدُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَيُعَاقِبُهُمْ بِهَا.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: ١٦٢].

﴿لَّٰكِنِ﴾ هَذَا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اسْتِثْنَاءٌ، اسْتَثْنَىٰ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [النساء: ١٥٣] ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ، مُبَيِّنًا لَهُمْ حُكْمَ مَنْ قَدْ هَدَاهُ لِدِينِهِ مِنْهُمْ وَوَفَّقَهُ لِرُشْدِهِ: مَا كُلُّ أَهْلِ الْكِتَابِ صِفَتُهُمُ الصِّفَةُ الَّتِي وَصَفْتُ لَكُمْ، لَكِنِ..

﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ قَدْ رَسَخُوا فِي الْعِلْمِ بِأَحْكَامِ اللهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا أَنْبِيَاؤُهُ، وَأَتْقَنُوا ذَلِكَ، وَعَرَفُوا حَقِيقَتَهُ..

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بِاللهِ وَرُسُلِهِ مِنْهُمْ، يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَبِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَلَا يَسْأَلُونَكَ مَا سَأَلَكَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مِنْهُمْ، أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِمَا قَرَءُوا مِنْ كُتُبِ اللهِ، وَأَتَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ، أَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ، وَاجِبٌ عَلَيْهِمُ اتِّبَاعُكَ، لَا يَسَعُهُمْ غَيْرُ ذَلِكَ، فَلَا حَاجَةَ بِهِمْ إِلَىٰ أَنْ يَسْأَلُوكَ آيَةً مُعْجِزَةً، وَلَا دَلَالَةَ، غَيْرَ الَّذِي قَدْ عَلِمُوا مِنْ أَمْرِكَ بِالْعِلْمِ الرَّاسِخِ فِي قُلُوبِهِمْ، مِنْ أَخْبَارِ أَنْبِيَائِهِمْ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَبِمَا أَعْطَيْتُكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ، فَهُمْ لِذَلِكَ مِنْ عِلْمِهِمْ وَرُسُوخِهِمْ فِيهِ..

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وَبِمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ كُتُبِي..

﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ وَبِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ؛ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ صِفَةِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ فَيَقُولُ: لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِالْكُتُبِ..

﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وَالَّذِينَ يُعْطُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ مَنْ جَعَلَهَا اللهُ لَهُ وَصَرَفَهَا إِلَيْهِ..

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وَالْمُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ سَنُعْطِيهِمْ..

﴿أَجْرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: ١٦٢] جَزَاءً عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَثَوَابًا عَظِيمًا، وَذَٰلِكَ الْجَنَّةُ.

﴿* إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿* إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِالنُّبُوَّةِ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ نُوحٍ..

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ﴾ وَإِلَىٰ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتُهُمْ لَكَ -مِنْ بَعْدِهِ- وَالَّذِينَ لَمْ أُسَمِّهِمْ لَكَ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِأَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ لَمَّا فَضَحَهُمُ اللهُ بِالْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [النساء: ١٥٣] فَتَلَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالُوا: مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ مُوسَىٰ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ تَكْذِيبًا لَهُمْ، وَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ بَعْدَ مُوسَىٰ وَعَلَىٰ مَنْ سَمَّاهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَعَلَىٰ آخَرِينَ لَمْ يُسَمِّهِمْ..

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣] بِفَتْحِ الزَّايِ، عَلَىٰ أَنَّهُ اسْمُ الْكِتَابِ الَّذِي أُوتِيَهُ دَاوُدُ، كَمَا سَمَّىٰ الْكِتَابَ الَّذِي أُوتِيَهُ مُوسَىٰ (**التَّوْرَاةَ**)، وَالَّذِي أُوتِيَهُ عِيسَىٰ (**الْإِنْجِيلَ**)، وَالَّذِي أُوتِيَهُ مُحَمَّدٌ (**الْفُرْقَانَ**)، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الِاسْمُ الْمَعْرُوفُ بِهِ مَا أُوتِيَ دَاوُدُ، وَإِنَّمَا تَقُولُ الْعَرَبُ (**زَبُورُ دَاوُدَ**)، وَبِذَلِكَ يَعْرِفُ كِتَابَهُ سَائِرُ الْأُمَمِ.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ، وَإِلَىٰ رُسُلٍ قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ، وَرُسُلٍ لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ..

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] وَخَاطَبَ اللهُ بِكَلَامِهِ مُوسَىٰ خِطَابًا.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥].

﴿رُّسُلًا﴾ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ: ﴿* إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣] وَمَنْ ذَكَرَ مِنَ الرُّسُلِ..

﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ أَرْسَلْتُهُمْ رُسُلًا إِلَىٰ خَلْقِي وَعِبَادِي، مُبَشِّرِينَ بِثَوَابِي مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ أَمْرِي وَصَدَّقَ رُسُلِي..

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ عِقَابِي مَنْ عَصَانِي، وَخَالَفَ أَمْرِي، وَكَذَّبَ رُسُلِي..

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ أَرْسَلْتُ رُسُلِي إِلَىٰ عِبَادِي مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، لِئَلَّا يَحْتَجَّ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَبَدَ الْأَنْدَادَ مِنْ دُونِي، أَوْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِي بِأَنْ يَقُولَ إِنْ أَرَدْتُ عِقَابَهُ: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤] فَقَطَعَ حُجَّةَ كُلِّ مُبْطِلٍ أَلْحَدَ فِي تَوْحِيدِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، بِجَمِيعِ مَعَانِي الْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُ، إِعْذَارًا مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ، لِتَكُونَ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَزِيزًا﴾ ذَا عِزَّةٍ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ خَلْقِهِ، عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ وَمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، بَعْدَ تَثْبِيتِهِ حُجَّتَهُ عَلَيْهِ بِرُسُلِهِ وَأَدِلَّتِهِ..

﴿حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥] فِي تَدْبِيرِهِ فِيهِمْ مَا دَبَّرَهُ.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦].

﴿لَّٰكِنِ﴾ إِنْ يَكْفُرْ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْيَهُودُ الَّذِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَقَالُوا لَكَ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] فَكَذَّبُوكَ، فَقَدْ كَذَبُوا، مَا الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا: لَكِنِ..

﴿ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ﴾ مِنْ كِتَابِهِ وَوَحْيِهِ..

﴿أَنزَلَهُۥ﴾ أَنْزَلَ ذَلِكَ إِلَيْكَ..

﴿بِعِلْمِهِۦۖ﴾ بِعِلْمٍ مِنْهُ بِأَنَّكَ خِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَصَفِيُّهُ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ﴾ وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتُهُ، فَلَا يَحْزُنْكَ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ، وَخِلَافُ

مَنْ خَالَفَكَ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ وَحَسْبُكَ بِاللهِ..

﴿شَهِيدًا ١٦٦﴾ [النساء: ١٦٦] شَاهِدًا عَلَىٰ صِدْقِكَ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا شَهِدَ لَكَ بِالصِّدْقِ رَبُّكَ، لَمْ يَضُرَّكَ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ، دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ اتِّبَاعِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ نُبُوَّتِهِ، فَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ وَأَنْكَرُوا مَعْرِفَتَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ [النساء: ١٦٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ -بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهَا- مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ قِصَّتَهُمْ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ كِتَابَهُ..

﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي عَنِ الدِّينِ الَّذِي بَعَثَكَ اللهُ بِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.. وَكَانَ صَدُّهُمْ عَنْهُ قِيلَهُمْ لِلنَّاسِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ: مَا نَجِدُ صِفَةَ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِنَا، وَادِّعَاءَهُمْ أَنَّهُمْ عُهِدَ إِلَيْهِمْ أَنَّ النُّبُوَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي وَلَدِ هَارُونَ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ دَاوُدَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا يُثَبِّطُونَ النَّاسَ بِهَا عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ [النساء: ١٦٧] قَدْ جَارُوا عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ جَوْرًا شَدِيدًا، وَزَالُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِجَوْرِهِمْ عَنِ الْمَحَجَّةِ، وَضَلَالِهِمْ عَنْهَا: إِخْطَاءَهُمْ دِينَ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَابْتَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، يَقُولُ: مَنْ جَحَدَ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَصَدَّ عَمَّا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْمِلَّةِ مِنْ قَبْلِ مِنْهُ، فَقَدْ ضَلَّ، فَذَهَبَ عَنِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ دِينُ اللهِ، الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، ضَلَالًا بَعِيدًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨﴾ [النساء: ١٦٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَذَّبُوهُ وَكَفَرُوا بِاللهِ بِجُحُودِ ذَلِكَ..

﴿وَظَلَمُوا۟﴾ بِمُقَامِهِمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ، عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِظُلْمِهِمْ عِبَادَ اللهِ، وَحَسَدًا لِلْعَرَبِ، وَبَغْيًا عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَعْفُوَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّهُ يَفْضَحُهُمْ بِهَا بِعُقُوبَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨﴾ [النساء: ١٦٨] وَلَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِيَهْدِيَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا، الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ، فَيُوَفِّقَهُمْ لِطَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي يَنَالُونَ بِهَا ثَوَابَ اللهِ، وَيَصِلُونَ

بِلُزُومِهِمْ إِيَّاهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَلَكِنَّهُ يَخْذُلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ [النساء: ١٦٩].

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ حَتَّىٰ يَسْلُكُوا طَرِيقَ جَهَنَّمَ، وَإِنَّمَا كَنَّىٰ بِذِكْرِ الطَّرِيقِ عَنِ الدِّينِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيُوَفِّقَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ يَخْذُلُهُمْ عَنْهُ إِلَىٰ طَرِيقِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْكُفْرُ، يَعْنِي: حَتَّىٰ يَكْفُرُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، فَيَدْخُلُوا جَهَنَّمَ..

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ مُقِيمِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ وَكَانَ تَخْلِيدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ صِفَتَهُمْ فِي جَهَنَّمَ..

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ [النساء: ١٦٩] لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ بِهِ عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ، وَلَا لَهُ أَحَدٌ يَمْنَعُهُ مِنْهُ، وَلَا يُسْتَصْعَبُ عَلَيْهِ مَا أَرَادَ فِعْلَهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرًا؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧٠﴾ [النساء: ١٧٠].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْكُفْرِ..

﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿بِالْحَقِّ﴾ بِالْإِسْلَامِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لِعِبَادِهِ دِينًا..

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ..

﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ فَصَدِّقُوهُ وَصَدِّقُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ مِنَ الدِّينِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ وَإِنْ تَجْحَدُوا رِسَالَتَهُ، وَتُكَذِّبُوا بِهِ وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ جُحُودَكُمْ ذَلِكَ وَتَكْذِيبَكُمْ بِهِ لَنْ يَضُرَّ غَيْرَكُمْ، وَإِنَّمَا مَكْرُوهُ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكُمْ، دُونَ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِالَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْكُمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ؛ وَذَلِكَ أَنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا، لَا يَنْقُصُ كُفْرُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ، وَعِصْيَانُكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا عَصَيْتُمُوهُ فِيهِ مِنْ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ شَيْئًا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَمَعْصِيَتِهِ فِي ذَلِكَ، وَعَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِذَلِكَ مِنْكُمْ أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿حَكِيمًا ۝١٧٠﴾ [النساء: ١٧٠] فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَفِي نَهْيِهِ إِيَّاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ فِيكُمْ، وَفِي غَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١﴾ [النساء: ١٧١].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يَا أَهْلَ الْإِنْجِيلِ مِنَ النَّصَارَىٰ..

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ لَا تُجَاوِزُوا الْحَقَّ فِي دِينِكُمْ فَتُفْرِطُوا فِيهِ.. وَأَصْلُ الْغُلُوِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ: مُجَاوَزَةُ حَدِّهِ الَّذِي هُوَ حَدُّهُ..

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ﴾ وَلَا تَقُولُوا فِي عِيسَىٰ غَيْرَ الْحَقِّ، فَإِنَّ قِيلَكُمْ فِي عِيسَىٰ إِنَّهُ ابْنُ اللهِ قَوْلٌ مِنْكُمْ عَلَىٰ اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، فَيَكُونُ عِيسَىٰ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ لَهُ ابْنًا..

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ مَا الْمَسِيحُ أَيُّهَا الْغَالُونَ فِي دِينِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِابْنِ اللهِ كَمَا تَزْعُمُونَ، وَلَكِنَّهُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْخَلْقِ، لَا نَسَبَ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ، ثُمَّ نَعَتَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِنَعْتِهِ وَوَصَفَهُ بِصِفَتِهِ، فَقَالَ: هُوَ..

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أَرْسَلَهُ اللهُ بِالْحَقِّ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ.. وَأَصْلُ الْمَسِيحِ: الْمَمْسُوحُ، وَسَمَّاهُ اللهُ بِذَلِكَ لِتَطْهِيرِهِ إِيَّاهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَقِيلَ: مُسِحَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَدْنَاسِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْآدَمِيِّينَ، كَمَا يُمْسَحُ الشَّيْءُ مِنَ الْأَذَىٰ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ فَيُطَهَّرُ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: (**الْمَسِيحُ: الصِّدِّيقُ**).. وَأَمَّا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، فَإِنَّهُ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ الْمَمْسُوحِ الْعَيْنِ، فَمَعْنَىٰ الْمَسِيحِ فِي عِيسَىٰ ﷺ: الْمَمْسُوحُ الْبَدَنِ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالْآثَامِ، وَمَعْنَىٰ الْمَسِيحِ فِي الدَّجَّالِ: الْمَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ أَوِ الْيُسْرَىٰ، كَالَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ..

﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِالْكَلِمَةِ: الرِّسَالَةَ الَّتِي أَمَرَ اللهُ مَلَائِكَتَهُ أَنْ تَأْتِيَ مَرْيَمَ بِهَا، بِشَارَةً مِنَ اللهِ لَهَا، الَّتِي ذَكَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ﴾

[آل عمران: ٤٥] يَعْنِي: بِرِسَالَةٍ مِنْهُ، وَبِشَارَةٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ قَالَ قَتَادَةُ فِي ذَلِكَ: (هُوَ قَوْلُهُ: كُنْ فَكَانَ)..

﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أَعْلَمَهَا بِهَا وَأَخْبَرَهَا، كَمَا يُقَالَ: أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كَلِمَةً حَسَنَةً، بِمَعْنَىٰ أَخْبَرْتُكَ بِهَا، وَكَلَّمْتُكَ بِهَا..

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَنَفْخَةٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ حَدَثَ عَنْ نَفْخَةِ جِبْرِيلَ ﷺ فِي دِرْعِ مَرْيَمَ، بِأَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، فَنُسِبَ إِلَىٰ أَنَّهُ رُوحٌ مِنَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ بِأَمْرِهِ كَانَ، وَإِنَّمَا سَمَّىٰ النَّفْخَ رُوحًا؛ لِأَنَّهَا رِيحٌ تَخْرُجُ مِنَ الرُّوحِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانًا بِإِحْيَاءِ اللهِ لَهُ بِقَوْلِهِ: كُنْ، قَالُوا: وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وَحَيَاةٌ مِنْهُ، بِمَعْنَىٰ: إِحْيَاءِ اللهِ إِيَّاهُ بِتَكْوِينِهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَرَحْمَةٌ مِنْهُ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وَمَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَرَحْمَةٌ مِنْهُ، فَجَعَلَ اللهُ عِيسَىٰ رَحْمَةً مِنْهُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَهُ وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ؛ لِأَنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَرُوحٌ مِنَ اللهِ خَلَقَهَا فَصَوَّرَهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، فَدَخَلَتْ فِي فِيهَا، فَصَيَّرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ رُوحَ عِيسَىٰ ﷺ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الرُّوحِ هَهُنَا: جِبْرِيلُ ﷺ، قَالُوا: وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَأَلْقَاهَا أَيْضًا إِلَيْهَا رُوحٌ مِنَ اللهِ، ثُمَّ مِنْ جِبْرِيلَ ﷺ.. ولِكُلِّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَجْهٌ وَمَذْهَبٌ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الصَّوَابِ..

﴿فَـَٔامِنُواْ﴾ فَصَدِّقُوا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ..

﴿بِٱللَّهِ﴾ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ..

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ وَصَدِّقُوا رُسُلَهُ فِيمَا جَاءُوكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَفِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ..

﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ وَلَا تَقُولُوا الْأَرْبَابُ ثَلَاثَةٌ.. ورُفِعَتِ الثَّلَاثَةُ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ، وَهُوَ (هُمْ)، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: (وَلا تَقُولُوا هُمْ ثَلاثَةٌ)، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ حِكَايَةٌ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْحِكَايَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا وَرَدَ مِنْ مَرْفُوعٍ بَعْدَ الْقَوْلِ لَا رَافِعَ مَعَهُ، فَفِيهِ إِضْمَارُ اسْمٍ رَافِعٍ لِذَلِكَ الِاسْمِ.. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُتَوَعِّدًا لَهُمْ فِي قَوْلِهِمُ الْعَظِيمِ الَّذِي قَالُوهُ فِي اللهِ..

﴿ٱنتَهُواْ﴾ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ عَمَّا تَقُولُونَ مِنَ الزُّورِ وَالشَّكِّ بِاللهِ..

﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ فَإِنَّ الِانْتِهَاءَ عَنْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ قِيلِهِ، لِمَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعِقَابِ

الْعَاجِلِ لَكُمْ عَلَىٰ قِيلِكُمْ ذَلِكَ -إِنْ أَقَمْتُمْ عَلَيْهِ وَلَمْ تُنِيبُوا إِلَى الْحَقِّ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ- وَالْأَجَلِ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ مَا اللهُ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ كَمَا تَقُولُونَ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَلَيْسَ بِإِلَهٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبَةٌ فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا مَعْبُودًا، وَلَكِنَّ اللهَ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ، إِلَهٌ وَاحِدٌ مَعْبُودٌ، لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا شَرِيكَ.. ثُمَّ نَزَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَفْسَهُ وَعَظَّمَهَا وَرَفَعَهَا عَمَّا قَالَ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ الْكَفَرَةُ بِهِ، فَقَالَ:..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ عَلَا اللهُ وَجَلَّ وَعَزَّ وَتَعَظَّمَ وَتَنَزَّهَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ صَاحِبَةٌ..

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّ عِيسَىٰ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ عَبِيدُهُ وَمُلْكُهُ وَخَلْقُهُ، وَأَنَّهُ رَازِقُهُمْ وَخَالِقُهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ إِلَيْهِ، احْتِجَاجًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنُهُ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ ابْنَهُ كَمَا قَالُوا لَمْ يَكُنْ ذَا حَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا كَانَ لَهُ عَبْدًا مَمْلُوكًا، فَقَالَ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ يَعْنِي: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، مُلْكًا وَخَلْقًا، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيَقُوتُهُمْ وَيُدَبِّرُهُمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْمَسِيحُ ابْنًا لِلَّهِ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ؟!..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: ١٧١] وَحَسْبُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ بِاللهِ قَيِّمًا وَمُدَبِّرًا وَرَازِقًا، مِنَ الْحَاجَةِ مَعَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢].

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ لَنْ يَأْنَفَ وَلَنْ يَسْتَكْبِرَ الْمَسِيحُ..

﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ..

﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ وَلَنْ يَسْتَنْكِفَ أَيْضًا مِنَ الْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِذَلِكَ رُسُلُهُ الْمُقَرَّبُونَ الَّذِينَ قَرَّبَهُمُ اللهُ وَرَفَعَ مَنَازِلَهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ﴾ وَمَنْ يَتَعَظَّمْ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَيَأْنَفْ مِنَ التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَيَسْتَكْبِرْ عَنْ ذَلِكَ..

﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢] فَسَيَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمِيعًا، فَيَجْمَعُهُمْ

لِمَوْعِدِهِمْ عِنْدَهُ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: ١٧٣].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الْخَاضِعُونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، الْمُتَذَلِّلُونَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَالْعَامِلُونَ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ أَنْ يَرِدُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، قَدْ آمَنُوا بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَتَاهُمْ بِهِ رُسُلُهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، مِنْ فِعْلِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا أَمَرَهُمْ بِاجْتِنَابِهِ..

﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ فَيُؤْتِيهِمْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَافِيًا تَامًّا..

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ وَيَزِيدُهُمْ عَلَىٰ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالزِّيَادَةِ مَا لَمْ يُعَرِّفْهُمْ مَبْلَغَهُ وَلَمْ يَحُدَّ لَهُمْ مُنْتَهَاهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ وَعَدَ مَنْ جَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَسَنَةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، فَذَلِكَ هُوَ أَجْرُ كُلِّ عَامِلٍ عَلَىٰ عَمَلِهِ الصَّالِحِ -مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ- الْمَحْدُودِ مَبْلَغُهُ، وَالزِّيَادَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ تَفَضُّلٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَفِّيَهُمْ فَلَا يُنْقِصَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ هُوَ مَا حَدَّ مَبْلَغَهُ مِنَ الْعَشْرِ، وَالزِّيَادَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُ مَحْدُودٍ مَبْلَغُهَا، فَيَزِيدُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَشَاءُ، لَا حَدَّ لِقَدْرِهِ يُوقَفُ عَلَيْهِ..

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ تَعَظَّمُوا عَنِ الْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِالْعُبُودَةِ وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ..

﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عَنِ التَّذَلُّلِ لِأُلُوهَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَسْلِيمِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ..

﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مُوجِعًا..

﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾ وَلَا يَجِدُ الْمُسْتَنْكِفُونَ مِنْ عِبَادَتِهِ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ عَنْهَا إِذَا عَذَّبَهُمُ اللهُ الْأَلِيمَ مِنْ عَذَابِهِ سِوَىٰ اللهِ..

﴿لَهُم﴾ لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ وَيُنْقِذُهُمْ مِنْهُ..

﴿وَلَا نَصِيرًا ۝١٧٣﴾ [النساء: ١٧٣] وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ، فَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِقُوَّتِهِ مَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ، كَالَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ بِهِمْ إِذَا أَرَادَهُمْ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا بِسُوءٍ مِنْ نُصْرَتِهِمْ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُمْ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمِلَلِ، يَهُودِهَا وَنَصَارَاهَا وَمُشْرِكِيهَا، الَّذِينَ قَصَّ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قَدْ جَاءَتْكُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللهِ تُبَرْهِنُ لَكُمْ بُطُولَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ أَدْيَانِكُمْ وَمِلَلِكُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ حُجَّةً قَطَعَ بِهَا عُذْرَكُمْ، وَأَبْلَغَ إِلَيْكُمْ فِي الْمَعْذِرَةِ بِإِرْسَالِهِ إِلَيْكُمْ، مَعَ تَعْرِيفِهِ إِيَّاكُمْ صِحَّةَ نُبُوَّتِهِ وَتَحْقِيقَ رِسَالَتِهِ..

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤] وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مَعَهُ نُورًا مُبِينًا، يَعْنِي: يُبَيِّنُ لَكُمُ الْمَحَجَّةَ الْوَاضِحَةَ، وَالسُّبُلَ الْهَادِيَةَ إِلَىٰ مَا فِيهِ لَكُمُ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ، إِنْ سَلَكْتُمُوهَا، وَاسْتَنَرْتُمْ بِضَوْئِهِ، وَذَلِكَ النُّورُ الْمُبِينُ هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝١٧٥﴾ [النساء: ١٧٥].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللهِ، وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ..

﴿وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ وَتَمَسَّكُوا بِالنُّورِ الْمُبِينِ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ..

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾ فَسَوْفَ تَنَالُهُمْ رَحْمَتُهُ الَّتِي تُنْجِيهِمْ مِنْ عِقَابِهِ وَتُوجِبُ لَهُمْ ثَوَابَهُ وَرَحْمَتَهُ وَجَنَّتَهُ، وَيُلْحِقُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا أَلْحَقَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِرُسُلِهِ..

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝١٧٥﴾ [النساء: ١٧٥] وَيُوَفِّقُهُمْ لِإِصَابَةِ فَضْلِهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ، وَيُسَدِّدُهُمْ لِسُلُوكِ مَنْهَجِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَلِاقْتِفَاءِ آثَارِهِمْ، وَاتِّبَاعِ دِينِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا

تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

[النساء: ١٧٦].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تُفْتِيَهُمْ فِي الْكَلَالَةِ، والْكَلَالَةُ عِنْدَنَا مَا عَدَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ..

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ إِنْ إِنْسَانٌ مِنَ النَّاسِ مَاتَ..

﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ﴾ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ، وَكَانَ مَوْرُوثًا كَلَالَةً، النِّصْفُ مِنْ تَرِكَتِهِ فَرِيضَةً لَهَا مُسَمَّاةً؛ فَأَمَّا إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ أُنْثَىٰ فَهِيَ مَعَ عَصَبَةٍ يَصِيرُ لَهَا مَا كَانَ يَصِيرُ لِلْعَصَبَةِ غَيْرِهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ، وَذَلِكَ غَيْرُ مَحْدُودٍ بِحَدٍّ، وَلَا مَفْرُوضٍ لَهَا فَرْضَ سِهَامِ أَهْلِ الْمِيرَاثِ بِمِيرَاثِهِمْ عَنْ مَيِّتِهِمْ..

﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ﴾ وَأَخُو الْمَرْأَةِ يَرِثُهَا إِنْ مَاتَتْ قَبْلَهُ، إِذَا وُرِثَتْ كَلَالَةً، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ..

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾ فَإِنْ كَانَتِ الْمَتْرُوكَةُ مِنَ الْأَخَوَاتِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ أَوْ لِأَبِيهِ اثْنَتَيْنِ، فَلَهُمَا ثُلُثَا مَا تَرَكَ أَخُوهُمَا الْمَيِّتُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ، وَلَدٌ وَوُرِثَ كَلَالَةً..

﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً﴾ وَإِنْ كَانَ الْمَتْرُوكُونَ مِنْ إِخْوَتِهِ..

﴿رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ﴾ مِنْهُمْ بِمِيرَاثِهِمْ عَنْهُ مِنْ تَرِكَتِهِ..

﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ﴾ مِثْلُ نَصِيبِ اثْنَتَيْنِ مِنْ أَخَوَاتِهِ، وَذَلِكَ إِذَا وُرِثَ الْمَيِّتُ كَلَالَةً، وَالْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ إِخْوَتُهُ وَأَخَوَاتُهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، أَوْ لِأَبِيهِ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ قِسْمَةَ مَوَارِيثِكُمْ، وَحُكْمَ الْكَلَالَةِ، وَكَيْفَ فَرَائِضُهُمْ..

﴿أَن تَضِلُّواْۗ﴾ لِئَلَّا تَضِلُّوا فِي أَمْرِ الْمَوَارِيثِ وَقِسْمَتِهَا، أَيْ لِئَلَّا تَجُورُوا عَنِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ، وَتُخْطِئُوا الْحُكْمَ فِيهِ، فَتَضِلُّوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ فِي قِسْمَةِ مَوَارِيثِهِمْ وَغَيْرِهَا وَجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ..

﴿عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١٧٦] هُوَ بِذَلِكَ كُلِّهِ ذُو عِلْمٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النِّسَاءِ

سُورَةُ المَائِدَةِ (٥) مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا المَائِدَةُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ①﴾ [المائدة: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَسَلَّمُوا لَهُ الْأُلُوهَةَ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي نُبُوَّتِهِ، وَفِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ..

﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أَوْفُوا بِالْعُهُودِ الَّتِي عَاهَدْتُمُوهَا رَبَّكُمْ، وَالَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْكُمْ وَعَقَدَهَا، فِيمَا أَحَلَّ لَكُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَأَلْزَمَكُمْ فَرْضَهُ، وَبَيَّنَ لَكُمْ حُدُودَهُ، وَأَوْجَبْتُمْ بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ حُقُوقًا، وَأَلْزَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِهَا لِلَّهِ فُرُوضًا، فَأَتِمُّوهَا بِالْوَفَاءِ وَالْكَمَالِ وَالتَّمَامِ مِنْكُمْ لِلَّهِ بِمَا أَلْزَمَكُمْ بِهَا، وَلِمَنْ عَاقَدْتُمُوهُ مِنْكُمْ بِمَا أَوْجَبْتُمُوهُ لَهُ بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَنْكُثُوهَا فَتَنْقُضُوهَا بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.. وَالْعُقُودُ: جَمْعُ عَقْدٍ، وَأَصْلُ الْعَقْدِ: عَقْدُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ، وَهُوَ وَصْلُهُ بِهِ، كَمَا تَعْقِدُ الْحَبْلَ بِالْحَبْلِ إِذَا وُصِلَ بِهِ شَدًّا، يُقَالُ مِنْهُ: عَقَدَ فُلَانٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فُلَانٍ عَقْدًا فَهُوَ يَعْقِدُهُ، وَعَاهَدَهُ عَلَيْهِ عَهْدًا بِالْوَفَاءِ لَهُ بِمَا عَاقَدَهُ عَلَيْهِ، مِنْ أَمَانٍ وَذِمَّةٍ، أَوْ نُصْرَةٍ، أَوْ نِكَاحٍ، أَوْ بَيْعٍ، أَوْ شَرِكَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ الْعُقُودِ.. وَالإِيفَاءُ بِالْعَهْدِ: إِتْمَامُهُ عَلَىٰ مَا عُقِدَ عَلَيْهِ مِنْ شُرُوطِهِ الْجَائِزَةِ..

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ كُلُّهَا، أَجِنَّتِهَا وَسِخَالِهَا وَكِبَارِهَا؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَمْتَنِعُ مِنْ تَسْمِيَةِ جَمِيعِ ذَٰلِكَ بَهِيمَةً وَبَهَائِمَ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَذَٰلِكَ عَلَىٰ عُمُومِهِ وَظَاهِرِهِ حَتَّىٰ تَأْتِيَ حُجَّةٌ بِخُصُوصِهِ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.. وَأَمَّا النَّعَمُ فَإِنَّهَا عِنْدَ الْعَرَبِ: اسْمٌ لِلْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ خَاصَّةً، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑤﴾ [النحل: ٥] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ﴾ [النحل: ٨] فَفَصَلَ جِنْسَ النَّعَمِ مِنْ غَيْرِهَا مِنْ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ.. وَأَمَّا بَهَائِمُهَا فَإِنَّهَا أَوْلَادُهَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا: يَلْزَمُ الْكِبَارَ مِنْهَا اسْمُ بَهِيمَةٍ كَمَا يَلْزَمُ الصِّغَارَ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِ الْقَائِلِ: بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ، نَظِيرُ قَوْلِهِ: وَلَدُ الْأَنْعَامِ؛

فَلَمَّا كَانَ لَا يَسْقُطُ مَعْنَىٰ الْوِلَادَةِ عَنْهُ بَعْدَ الْكِبَرِ، فَكَذَلِكَ لَا يَسْقُطُ عَنْهُ اسْمُ الْبَهِيمَةِ بَعْدَ الْكِبَرِ، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ: بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ: وَحْشِيُّهَا كَالظِّبَاءِ وَبَقَرِ الْوَحْشِ وَالْحُمُرِ..

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مِنْ تَحْرِيمِ اللهِ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] الْآيَةُ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اسْتَثْنَىٰ مِمَّا أَبَاحَ لِعِبَادِهِ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، وَالَّذِي حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا مَا بَيَّنَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]..

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ لَا مُحِلِّينَ الصَّيْدَ فِي حَرَمِكُمْ، فَفِيمَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ الْمُذَكَّاةِ دُونَ مِيتَتِهَا مُتَّسَعٌ لَكُمْ وَمُسْتَغْنَىٰ عَنِ الصَّيْدِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ..

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ [المائدة: ١] إِنَّ اللهَ يَقْضِي فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْلِيلِ مَا أَرَادَ تَحْلِيلَهُ، وَتَحْرِيمِ مَا أَرَادَ تَحْرِيمَهُ، وَإِيجَابِ مَا شَاءَ إِيجَابَهُ عَلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَقَضَايَاهُ، فَأَوْفُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَهُ بِمَا عَقَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُقُودِهِ، فَلَا تَنْكُثُوهَا وَلَا تَنْقُضُوهَا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا﴾ لَا تَسْتَحِلُّوا..

﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ مَعَالِمَ حُدُودِ اللهِ، وَأَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَفَرَائِضِهِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَعَالِمُ اللهِ كُلُّهَا فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ، مِنْ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللهُ إِصَابَتَهُ فِيهَا عَلَىٰ الْمُحْرِمِ، وَتَضْيِيعُ مَا نَهَىٰ عَنْ تَضْيِيعِهِ فِيهَا، وَفِيمَا حَرَّمَ مِنَ اسْتِحْلَالِ حُرُمَاتِ حَرَمِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِهِ وَشَعَائِرِهِ الَّتِي جَعَلَهَا أَمَارَاتٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، يُعْلَمُ بِهَا حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، فَلَا تُحِلُّوا حُرُمَاتِ اللهِ، وَلَا تُضِيعُوا فَرَائِضَهُ.. فَنَهَىٰ عَنِ اسْتِحْلَالِ شَعَائِرِهِ وَمَعَالِمِ حُدُودِهِ وَإِحْلَالِهَا، نَهْيًا عَامًّا مِنْ غَيْرِ اخْتِصَاصِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ دُونَ شَيْءٍ، فَلَمْ يَجُزْ لِأَحَدٍ أَنْ يُوَجِّهَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ الْخُصُوصِ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.. وَالشَّعَائِرُ جَمْعُ شَعِيرَةٍ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَدْ شَعَرَ فُلَانٌ بِهَذَا الْأَمْرِ: إِذَا عَلِمَ بِهِ، فَالشَّعَائِرُ: الْمَعَالِمُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَلَا﴾ تَسْتَحِلُّوا..

﴿ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بِقِتَالِكُمْ بِهِ أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].. وَأَمَّا الشَّهْرُ الْحَرَامُ الَّذِي عَنَاهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ فَرَجَبُ، وَهُوَ شَهْرٌ كَانَتْ مُضَرُ تُحَرِّمُ فِيهِ الْقِتَالَ..

﴿وَلَا﴾ تَسْتَحِلُّوا..

﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾ وَهُوَ مَا أَهْدَاهُ الْمَرْءُ مِنْ بَعِيرٍ أَوْ بَقَرَةٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ، تَقَرُّبًا بِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَطَلَبَ ثَوَابِهِ، فَتُغْضِبُوا أَهْلَهُ عَلَيْهِ، وَلَا تَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَهْدَوْا مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَبْلُغُوا بِهِ الْمَحِلَّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مَحِلَّهُ مِنْ كَعْبَتِهِ..

﴿وَلَا﴾ تُحِلُّوا أَيْضًا..

﴿ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ الْمُقَلَّدَ، هَدْيًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ إِنْسَانًا، دُونَ حُرْمَةِ الْقِلَادَةِ؛ وَأَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ إِنَّمَا دَلَّ بِتَحْرِيمِهِ حُرْمَةَ الْقِلَادَةِ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حُرْمَةِ الْمُقَلَّدِ، فَاجْتَزَأَ بِذِكْرِهِ الْقَلَائِدَ مِنْ ذِكْرِ الْمُقَلَّدِ؛ إِذْ كَانَ مَفْهُومًا عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ مَعْنَىٰ مَا أُرِيدَ بِهِ..

﴿وَلَا﴾ تُحِلُّوا..

﴿ءَآمِّينَ﴾ قَاصِدِينَ، تَقُولُ مِنْهُ: أَمَّمْتُ كَذَا: إِذَا قَصَدْتُهُ وَعَمَدْتُهُ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَمَمْتُهُ..

﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بَيْتُ اللهِ الَّذِي بِمَكَّةَ؛ وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيمَا مَضَىٰ لِمَ قِيلَ لَهُ الْحَرَامُ..

﴿يَبۡتَغُونَ﴾ يَطْلُبُونَ وَيَلْتَمِسُونَ..

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ يَلْتَمِسُونَ أَرْبَاحًا فِي تِجَارَتِهِمْ مِنَ اللهِ..

﴿وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾ وَأَنْ يَرْضَىٰ اللهُ عَنْهُمْ بِنُسُكِهِمْ، فَلَا يُحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا مَا أَحَلَّ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ بِحَجِّهِمْ بَيْتَهُ.. وَنَسَخَ اللهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّ قِتَالَ أَهْلِ الشِّرْكِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَغَيْرِهَا مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ كُلِّهَا، وَكَذَلِكَ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الْمُشْرِكَ لَوْ قَلَّدَ عُنُقَهُ أَوْ ذِرَاعَيْهِ لِحَاءَ جَمِيعِ أَشْجَارِ الْحَرَمِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْقَتْلِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ تَقَدَّمَ لَهُ عَقْدُ ذِمَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَمَانٌ.. فَلَا شَكَّ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] نَاسِخٌ لَهُ، لِأَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ اجْتِمَاعُ الْأَمْرِ بِقَتْلِهِمْ وَتَرْكِ قَتْلِهِمْ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ وَوَقْتٍ وَاحِدٍ، وَفِي إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ حُكْمَ اللهِ فِي أَهْلِ الْحَرْبِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُهُمْ، أَمُّوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ أَوِ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ فِي أَشْهُرِ الْحُرُمِ وَغَيْرِهَا، مَا يُعْلَمُ أَنَّ الْمَنْعَ مِنْ قَتْلِهِمْ إِذَا أَمُّوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ مَنْسُوخٌ..

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾ الصَّيْدَ الَّذِي نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُحِلُّوهُ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي اصْطِيَادِهِ، وَاصْطَادُوا إِنْ شِئْتُمْ حِينَئِذٍ، لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ كُنْتُ حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ قَدْ زَالَ..

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ..

﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ بُغْضُ قَوْمٍ..

﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنْ صَدُّوكُمْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ..

﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إِذَا أَرَدْتُمْ دُخُولَهُ، لِأَنَّ الَّذِينَ حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، قَدْ حَاوَلُوا صَدَّهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنَ الصَّادِّينَ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالصَّدُّ قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ عَلَيْهِم، وأَنْ تُجَاوِزُوا حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ إِلَىٰ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَلَكِنِ الْزَمُوا طَاعَةَ اللهِ فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ.. فَنَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ الصَّادِّينَ مِنْ أَجْلِ صَدِّهِمْ إِيَّاهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾ وَلْيُعِنْ بَعْضُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْضًا..

﴿عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ وَهُوَ الْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، وليُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْأَمْرِ بِالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ مَا حَدَّهُ اللهُ لَكُمْ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي غَيْرِهِمْ..

﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ هُوَ اتِّقَاءُ مَا أَمَرَ اللهُ بِاتِّقَائِهِ وَاجْتِنَابِهِ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاكُمُ اللهُ أَنْ تَأْتُوا فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي غَيْرِهِمْ وَفِي سَائِرِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ﴾ وَلَا يُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..

﴿عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾ عَلَىٰ تَرْكِ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِفِعْلِهِ..

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وَلَا عَلَىٰ أَنْ تَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّ اللهُ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ، وَفَرَضَ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي غَيْرِكُمْ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَاحْذَرُوا اللهَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَنْ تَلْقَوْهُ فِي مَعَادِكُمْ وَقَدِ اعْتَدَيْتُمْ حَدَّهُ فِيمَا حَدَّ لَكُمْ، وَخَالَفْتُمْ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، أَوْ نَهْيَهُ فِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَتَسْتَوْجِبُوا عِقَابَهُ وَتَسْتَحِقُّوا أَلِيمَ عَذَابِهِ، ثُمَّ وَصَفَ عِقَابَهُ بِالشِّدَّةِ، فَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢] إِنَّ اللهَ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ عَاقَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ، لِأَنَّهَا نَارٌ لَا يُطْفَأُ حَرُّهَا، وَلَا يُخْمَدُ جَمْرُهَا، وَلَا يَسْكُنُ لَهَبُهَا، نعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا، وَمِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا مِنْهَا.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَهْدِيدٌ لِمَنِ اعْتَدَىٰ حَدَّهُ، وَتَجَاوَزَ أَمْرَهُ.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣﴾ [المائدة: ٣].

﴿حُرِّمَتْ﴾ حَرَّمَ اللهُ..

﴿عَلَيْكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿الْمَيْتَةُ﴾ كُلُّ مَا لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَطَيْرِهِ، مِمَّا أَبَاحَ اللهُ أَكْلَهَا، وَأَهْلِيِّهَا وَوَحْشِيِّهَا، فَارَقَتْهَا رُوحُهَا بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَيْتَةُ: هُوَ كُلُّ مَا فَارَقَتْهُ الْحَيَاةُ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَطَيْرِهِ بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ، مِمَّا أَحَلَّ اللهُ أَكْلَهُ..

﴿وَالدَّمُ﴾ الْمَسْفُوحُ، دُونَ مَا كَانَ مِنْهُ غَيْرَ مَسْفُوحٍ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥] فَأَمَّا مَا كَانَ قَدْ صَارَ فِي مَعْنَىٰ اللَّحْمِ، كَالْكَبِدِ وَالطِّحَالِ، وَمَا كَانَ فِي اللَّحْمِ غَيْرَ مُنْسَفِحٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ حَرَامٍ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ، أَهْلِيَّهُ وَبَرِّيَّهُ.. فَالْمَيْتَةُ وَالدَّمُ مَخْرَجُهُمَا فِي الظَّاهِرِ مَخْرَجَ عُمُومٍ، وَالْمُرَادُ مِنْهُمَا الْخُصُوصُ، وَأَمَّا لَحْمُ الْخِنْزِيرِ، فَإِنَّ ظَاهِرَهُ كَبَاطِنِهِ وَبَاطِنَهُ كَظَاهِرِهِ، حَرَامٌ جَمِيعُهُ لَمْ يُخَصَّصْ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وَمَا ذُكِرَ عَلَيْهِ غَيْرُ اسْمِ اللهِ.. وَأَصْلُهُ مِنِ اسْتِهْلَالِ الصَّبِيِّ وَذَلِكَ إِذَا صَاحَ حِينَ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَمِنْهُ إِهْلَالُ الْمُحْرِمِ بِالْحَجِّ إِذَا لَبَّىٰ بِهِ..

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هِيَ الَّتِي تَخْتَنِقُ، إِمَّا فِي وَثَاقِهَا، وَإِمَّا بِإِدْخَالِ رَأْسِهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ التَّخَلُّصِ مِنْهُ، فَتَخْتَنِقَ حَتَّىٰ تَمُوتَ..

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ وَالْمَيْتَةُ وَقِيذًا، وهي الَّتِي تُضْرَبُ حَتَّىٰ يَقِذَهَا فَتَمُوتَ..

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وَحَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ تَرَدِّيًا مِنْ جَبَلٍ، أَوْ فِي بِئْرٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وتَرَدِّيهَا: رَمْيُهَا مِنْ مَكَانٍ عَالٍ مُشْرِفٍ إِلَىٰ سُفْلِهِ..

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ الشَّاةُ الَّتِي تَنْطَحُهَا أُخْرَىٰ فَتَمُوتُ مِنَ النِّطَاحِ بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ، فَحَرَّمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لَمْ يُدْرِكُوا ذَكَاتَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ.. وَأَصْلُ النَّطِيحَةِ: الْمَنْطُوحَةُ، صُرِفَتْ مِنْ مَفْعُولَةٍ إِلَىٰ فَعِيلَةٍ..

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا أَكَلَ السَّبُعُ غَيْرُ الْمُعَلَّمِ مِنَ الصَّوَائِدِ..

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إِلَّا مَا طَهَّرْتُمُوهُ بِالذَّبْحِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ طَهُورًا.. فَكُلُّ مَا أُدْرِكَتْ ذَكَاتُهُ مِنْ طَائِرٍ أَوْ بَهِيمَةٍ قَبْلَ خُرُوجِ نَفْسِهِ وَمُفَارَقَةِ رُوحِهِ جَسَدَهُ، فَحَلَالٌ أَكْلُهُ، إِذَا كَانَ مِمَّا أَحَلَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ..

﴿وَمَا﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا الَّذِي..

﴿ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وَالنُّصُبُ: الْأَوْثَانُ مِنَ الْحِجَارَةِ، جَمَاعَةُ أَنْصَابٍ، كَانَتْ تُجْمَعُ فِي الْمَوْضِعِ مِنَ الْأَرْضِ، فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُقَرِّبُونَ لَهَا، وَلَيْسَتْ بِأَصْنَامٍ..

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ وَأَنْ تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا قُسِمَ لَكُمْ أَوْ لَمْ يُقْسَمْ بِالْأَزْلَامِ، وَهُوَ اسْتَفْعَلْتُ مِنَ الْقَسْمِ، قَسْمِ الرِّزْقِ وَالْحَاجَاتِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَوْ غَزْوًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، أَجَالَ الْقِدَاحَ، وَهِيَ الْأَزْلَامُ، وَكَانَتْ قِدَاحًا مَكْتُوبًا عَلَىٰ بَعْضِهَا: نَهَانِي رَبِّي، وَعَلَىٰ بَعْضِهَا: أَمَرَنِي رَبِّي، فَإِنْ خَرَجَ الْقَدَحُ الَّذِي هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: أَمَرَنِي رَبِّي، مَضَىٰ لِمَا أَرَادَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ غَزْوٍ أَوْ تَزْوِيجٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنْ خَرَجَ الَّذِي عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: نَهَانِي رَبِّي، كَفَّ عَنِ الْمُضِيِّ لِذَلِكَ وَأَمْسَكَ، فَقِيلَ: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ لِأَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ كَانُوا كَأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ أَزْلَامَهُمْ أَنْ يَقْسِمْنَ لَهُمْ.. وَأَمَّا الْأَزْلَامُ، فَإِنَّ وَاحِدَهَا زَلَمٌ، وَيُقَالُ زُلَمٌ، وَهِيَ الْقِدَاحُ الَّتِي وَصَفْنَا أَمْرَهَا..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي ذَكَرَهَا، وَذَلِكَ أَكْلُ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَسَائِرِ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِمَّا حَرَّمَ أَكْلَهُ، وَالِاسْتِقْسَامُ بِالْأَزْلَامِ..

﴿فِسْقٌ﴾ خُرُوجٌ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ إِلَىٰ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَإِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ..

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ الْآنَ انْقَطَعَ طَمَعُ الْأَحْزَابِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنْ دِينِكُمْ، يَقُولُ: مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَتْرُكُوهُ، فَتَرْتَدُّوا عَنْهُ رَاجِعِينَ إِلَىٰ الشِّرْكِ..

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ يَئِسُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا عَنْهُ- مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَا تَخَافُوهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ فَيَقْهَرُوكُمْ وَيَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ..

﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾ وَلَكِنْ خَافُونِ إِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ أَمْرِي وَاجْتَرَأْتُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِي وَتَعَدَّيْتُمْ حُدُودِي، أَنْ أُحِلَّ بِكُمْ عِقَابِي، وَأُنْزِلَ بِكُمْ عَذَابِي..

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُمْ -يَوْمَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ- دِينَهُمْ، بِإِفْرَادِهِمْ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَإِجْلَائِهِ عَنْهُ الْمُشْرِكِينَ، حَتَّىٰ حَجَّهُ الْمُسْلِمُونَ دُونَهُمْ، لَا يُخَالِطُونَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَمَّا الْفَرَائِضُ وَالْأَحْكَامُ، فَإِنَّهُ قَدِ اخْتُلِفَ فِيهَا، هَلْ كَانَتْ أُكْمِلَتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَمْ لَا؟..

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وَأَتْمَمْتُ نِعْمَتِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، بِإِظْهَارِكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَنَفْيِي إِيَّاهُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ، وَقَطْعِي طَمَعَهُمْ مِنْ رُجُوعِكُمْ، وَعَوْدِكُمْ إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ..

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ وَرَضِيتُ لَكُمُ الِاسْتِسْلَامَ لِأَمْرِي وَالِانْقِيَادَ لِطَاعَتِي، عَلَىٰ مَا شَرَعْتُ لَكُمْ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ وَمَعَالِمِهِ..

﴿دِينًا﴾ طَاعَةً مِنْكُمْ لِي.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ مَا كَانَ اللهُ رَاضِيًا الْإِسْلَامَ لِعِبَادِهِ، إِلَّا يَوْمَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ؟ قِيلَ: لَمْ يَزَلِ اللهُ رَاضِيًا لِخَلْقِهِ الْإِسْلَامَ دِينًا، وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَزَلْ يَصْرِفُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ فِي دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ وَمَرْتَبَةً بَعْدَ مَرْتَبَةٍ وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ، حَتَّىٰ أَكْمَلَ لَهُمْ شَرَائِعَهُ وَمَعَالِمَهُ، وَبَلَغَ بِهِمْ أَقْصَىٰ دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ، ثُمَّ قَالَ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ بِالصِّفَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا الْيَوْمَ، وَالْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا الْيَوْمَ مِنْهُ ﴿دِينًا﴾ فَالْزَمُوهُ وَلَا تُفَارِقُوهُ.. قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً لَوْ أُنْزِلَتْ فِينَا لَاتَّخَذْنَاهَا عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: (**إِنِّي لَأَعْلَمُ حِينَ أُنْزِلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَتْ؛ أُنْزِلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾**)..

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إِلَىٰ أَكْلِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ -مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَسَائِرِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ..

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ فِي مَجَاعَةٍ..

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ ومُتَمَايِلٍ، ومُنْحَرِفٍ، ومُتَعَمِّدٍ، وقَاصِدٍ..

﴿لِّإِثْمٍ﴾ وَهُوَ تَعَمُّدُهُ الْأَكْلَ لِغَيْرِ دَفْعِ الضَّرُورَةِ النَّازِلَةِ بِهِ، وَلَكِنْ لِمَعْصِيَةِ اللهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَرْكِ أَكْلِ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ إِلَىٰ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ مِمَّا ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ فَأَكَلَهُ فَإِنَّ اللهَ..

﴿غَفُورٌ﴾ لِمَنْ أَكَلَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ -بِهَذِهِ الْآيَةِ- أَكْلَهُ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ، يَسْتُرُ لَهُ عَنْ أَكْلِهِ مَا أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ، بِعَفْوِهِ عَنْ مُؤَاخَذَتِهِ إِيَّاهُ، وَصَفْحِهِ عَنْهُ، وَعَنْ عُقُوبَتِهِ عَلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [المائدة: ٣] وَهُوَ بِهِ رَفِيقٌ، مِنْ رَحْمَتِهِ وَرِفْقِهِ بِهِ أَبَاحَ لَهُ أَكْلَ مَا أَبَاحَ لَهُ أَكْلَهُ مِنَ الْمَيْتَةِ وَسَائِرِ مَا ذُكِرَ مَعَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فِي حَالِ خَوْفِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ كَلَبِ الْجُوعِ، وَضَرِّ الْحَاجَةِ الْعَارِضَةِ بِبَدَنِه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٤﴾ [المائدة: ٤].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ﴾ أَكْلُهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَآكِلِ فَـ..

﴿قُلۡ﴾ لَهُمْ..

﴿أُحِلَّ لَكُمُ﴾ مِنْهَا..

﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ وَهِيَ الْحَلَالُ الَّذِي أَذِنَ لَكُمْ رَبُّكُمْ فِي أَكْلِهِ مِنَ الذَّبَائِحِ..

﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ وَأُحِلَّ لَكُمْ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ صَيْدُ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ، وَهُنَّ الْكَوَاسِبُ مِنْ سِبَاعِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ، سُمِّيَتْ جَوَارِحُ لِجَرْحِهَا لِأَرْبَابِهَا، وَكَسْبِهَا إِيَّاهُمْ أَقْوَاتَهُمْ مِنَ الصَّيْدِ.. فَكُلُّ مَا صَادَ مِنَ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ فَمِنَ الْجَوَارِحِ، وَإِنَّ صَيْدَ جَمِيعِ ذَلِكَ حَلَالٌ، إِذَا صَادَ بَعْدَ التَّعْلِيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ كُلَّ جَارِحَةٍ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا شَيْئًا، فَكُلُّ جَارِحَةٍ كَانَتْ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ وَسَبُعٍ فَحَلَالٌ أَكْلُ صَيْدِهَا، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ خَبَرٌ، مَعَ مَا فِي الْآيَةِ مِنَ الدَّلَالَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا، عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ، وَهُوَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ عَنْ صَيْدِ الْبَازِي، فَقَالَ: «**مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ فَكُلْ**»، فَأَبَاحَ ﷺ صَيْدَ الْبَازِي وَجَعَلَهُ مِنَ الْجَوَارِحِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: عَنَىٰ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ مَا عَلَّمْنَا مِنَ الْكِلَابِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْجَوَارِحِ..

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ صِفَةٌ لِلْقَانِصِ، وَإِنْ صَادَ بِغَيْرِ الْكِلَابِ فِي بَعْضِ أَحْيَانِهِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ يُخَاطِبُ قَوْمًا: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ، وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ مُؤَمِّنِينَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِنَّمَا عَنَىٰ

قَائِلُ ذَلِكَ إِخْبَارَ الْقَوْمِ أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَحَلَّ لَهُمْ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ أَهْلَ إِيمَانٍ الطَّيِّبَاتِ، وَصَيْدَ الْجَوَارِحِ الَّتِي أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنْهُ إِلَّا مَا صَادُوهُ بِهَا، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ لِذَلِكَ نَظِيرُهُ فِي أَنَّ التَّكْلِيبَ لِلْقَانِصِ بِالْكِلَابِ كَانَ صَيْدُهُ أَوْ بِغَيْرِهَا، لَا أَنَّهُ إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مِنَ الصَّيْدِ إِلَّا مَا صَادَتْهُ الْكِلَابُ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ الْجَوَارِحَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ هِيَ الْكِلَابُ خَاصَّةً، فَقَدْ ظَنَّ غَيْرَ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي حَالِ مَصِيرِكُمْ أَصْحَابَ كِلَابٍ الطَّيِّبَاتِ، وَصَيْدِ مَا عَلَّمْتُمُوهُ الصَّيْدَ مِنْ كَوَاسِبِ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ..

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ تُؤَدِّبُونَ الْجَوَارِحَ، فَتُعَلِّمُونَهُنَّ طَلَبَ الصَّيْدِ لَكُمْ..

﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ مِنَ التَّأْدِيبِ الَّذِي أَدَّبَكُمُ اللهُ، وَالْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَكُمْ.. وَالتَّعْلِيمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلْجَوَارِحِ، إِنَّمَا هُوَ أَنْ يُعَلِّمَ الرَّجُلُ جَارِحَهُ الِاسْتِشْلَاءَ إِذَا أُشْلِيَ عَلَىٰ الصَّيْدِ، وَطَلَبَهُ إِيَّاهُ إِذَا أُغْرِيَ، أَوْ إِمْسَاكَهُ عَلَيْهِ إِذَا أَخَذَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا، وَأَلَّا يَفِرَّ مِنْهُ إِذَا أَرَادَهُ، وَأَنْ يُجِيبَهُ إِذَا دَعَاهُ، فَذَلِكَ هُوَ تَعْلِيمُ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَإِنْ أَكَلَ مِنَ الصَّيْدِ جَارِحَةُ صَائِدٍ، فَجَارِحُهُ حِينَئِذٍ غَيْرُ مُعَلَّمٍ، فَإِنْ أَدْرَكَ صيدَه صَاحِبُهُ حَيًّا فَذَكَّاهُ حَلَّ لَهُ أَكْلُهُ، وَإِنْ أَدْرَكَهُ مَيِّتًا لَمْ يَحِلَّ لَهُ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا أَكَلَهُ السَّبُعُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ وَلَمْ يُدْرِكْ ذَكَاتَهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهِ، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّيْدِ، فَقَالَ: «**إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ فَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ وَقَدْ قَتَلَ وَأَكَلَ مِنْهُ، فَلَا تَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ**».. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي الْكَلْبِ عَلَىٰ مَا ذَكَرْتُ، مِنْ أَنَّهُ إِذَا أَكَلَ مِنَ الصَّيْدِ فَغَيْرُ مُعَلَّمٍ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ جَارِحَةٍ فِي أَنَّ مَا أَكَلَ مِنْهَا مِنَ الصَّيْدِ فَغَيْرُ مُعَلَّمٍ، لَا يَحِلُّ لَهُ أَكْلُ صَيْدِهِ إِلَّا أَنْ يُدْرِكَ ذَكَاتَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا أُسْنِدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا أَرْسَلَ الرَّجُلُ كَلْبَهُ عَلَىٰ الصَّيْدِ فَأَدْرَكَهُ وَقَدْ أَكَلَ مِنْهُ، فَلْيَأْكُلْ مَا بَقِيَ**»، قِيلَ: هَذَا خَبَرٌ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ، فَإِنَّ سَعِيدًا غَيْرُ مَعْلُومٍ لَهُ سَمَاعٌ مِنْ سَلْمَانَ، وَالثِّقَاتُ مِنْ أَهْلِ الْآثَارِ يَقِفُونَ هَذَا الْكَلَامَ عَلَىٰ سَلْمَانَ وَيَرْوُونَهُ عَنْهُ مِنْ قِبَلِهِ غَيْرَ مَرْفُوعٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْحُفَّاظُ الثِّقَاتُ إِذَا تَتَابَعُوا عَلَىٰ نَقْلِ شَيْءٍ بِصِفَةٍ فَخَالَفَهُمْ وَاحِدٌ مُنْفَرِدٌ لَيْسَ لَهُ حِفْظُهُمْ، كَانَتِ الْجَمَاعَةُ الْأَثْبَاتُ أَحَقَّ بِصِحَّةِ مَا نَقَلُوا مِنَ الْفَرْدِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حِفْظُهُمْ..

﴿فَكُلُوا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِمَّآ أَمْسَكْنَ﴾ مِمَّا أَمْسَكَتْ..

﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ جوارِحُكُمْ.. فَإِنْ أَكَلَتِ الْجَوارِحُ مِنْهُ بَعْضًا وَأَمْسَكَتْ بَعْضًا، فَالَّذِي أَمْسَكَتْ مِنْهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَكْلُهُ وَقَدْ أَكَلَتْ بَعْضَهُ؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا أَمْسَكَتْ مَا أَمْسَكَتْ مِنْ ذَلِكَ الصَّيْدِ بَعْدَ الَّذِي أَكَلَتْ مِنْهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا لَا عَلَيْنَا، وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا أَبَاحَ لَنَا كُلَّ مَا أَمْسَكَتْهُ جَوارِحُنَا الْمُعَلَّمَةُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ دُونَ مَا أَمْسَكَتْهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ دُخُولِ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وَقَدْ أَحَلَّ اللهُ لَنَا صَيْدَ جَوارِحِنَا الحَلَالِ، وَ(مَنْ) إِنَّمَا تَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ مُبَعِّضَةً لِمَا دَخَلَتْ فِيهِ؟ قيل: مَعْنَىٰ دُخُولِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ لِلتَّبْعِيضِ، إِذْ كَانَتِ الْجَوارِحُ تُمْسِكُ عَلَىٰ أَصْحَابِهَا مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ لُحُومَهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِم فَرْثَهُ وَدَمَهُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ جوارِحَكُمُ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحْلَلْتُ لَكُمْ (مِنْ) لُحُومِهَا، دُونَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ (مِنْ) خَبَائِثِهِ، (مِنَ) الْفَرْثِ وَالدَّمِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ أُطَيِّبْهُ لَكُمْ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ دُخُولِ (مِنْ) فِي ذَلِكَ..

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾ عَلَىٰ مَا أَمْسَكَتْ عَلَيْكُمْ جَوارِحُكُمْ مِنَ الصَّيْدِ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَاحْذَرُوهُ فِي ذَلِكَ أَنْ تُقْدِمُوا عَلَىٰ خِلَافِهِ، وَأَنْ تَأْكُلُوا مِنْ صَيْدِ الْجَوارِحِ غَيْرِ الْمُعَلَّمَةِ، أَوْ مِمَّا لَمْ تُمْسِكْ عَلَيْكُمْ مِنْ صَيْدِهَا وَأَمْسَكَتْهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا، أَوْ تَطْعَمُوا مَا لَمْ يُسَمِّ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ مِمَّا صَادَهُ أَهْلُ الْأَوْثَانِ وَعَبَدَةُ الْأَصْنَامِ وَمَنْ لَمْ يُوَحِّدِ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَوْ ذَبَحُوهُ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوهُ.. ثُمَّ خَوَّفَهُمْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْ غَيْرِهِ فَقَالَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾ [المائدة: ٤] لِمَنْ حَاسَبَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْهِ مِنْكُمْ، وَشُكْرُ الشَّاكِرِ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ؛ لِأَنَّهُ حَافِظٌ لِجَمِيعِ ذَلِكَ مِنْكُمْ مُحِيطٌ بِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَيُجَازِي الْمُطِيعَ مِنْكُمْ بِطَاعَتِهِ وَالْعَاصِي بِمَعْصِيَتِهِ، وَقَدْ بَيَّنَ لَكُمْ جَزَاءَ الْفَرِيقَيْنِ.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾ [المائدة: ٥].

﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ الْحَلَالُ مِنَ الذَّبَائِحِ وَالْمَطَاعِمِ، دُونَ الْخَبَائِثِ مِنْهَا..

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَذَبَائِحُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَهُمُ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِمْ، أَوْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي مِلَّتِهِمْ، فَدَانُوا بِهِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا، وَحَرَّمَ مَا حَرَّمُوا، وَحَلَّلَ مَا حَلَّلُوا، مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الَّذِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَبْنَائِهِمْ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ دَخِيلًا فِيهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ مِمَّنْ دَانَ بِدِينِهِمْ وَهُمْ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يُعْنَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مِمَّنْ يَحِلُّ أَكْلُ ذَبَائِحِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ أُوتِيَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا قَوْلٌ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُهُ، وَيَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مَنْ كَرِهَ ذَبَائِحَ نَصَارَىٰ الْعَرَبِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، كَقَوْلِ عَلِيِّ بن أبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِ: (**لَا تَأْكُلُوا ذَبَائِحَ نَصَارَىٰ بَنِي تَغْلِبَ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَمَسَّكُونَ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ**)، وفِي لفظ (**فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَمَسَّكُوا بِشَيْءٍ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَّا بِشُرْبِ الْخَمْرِ**)، وفِي لفظ (**فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّقُوا مِنْ دِينِهِمْ إِلَّا بِشُرْبِ الْخَمْرِ**)، وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ عَلِيٍّ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَىٰ عَنْ ذَبَائِحِ نَصَارَىٰ بَنِي تَغْلِبَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ النَّصْرَانِيَّةِ، لِتَرْكِهِمْ تَحْلِيلَ مَا تُحَلِّلُ النَّصَارَىٰ وَتَحْرِيمَ مَا تُحَرِّمُ غَيْرَ الْخَمْرِ، **وَمَنْ كَانَ مُنْتَحِلًا مِلَّةً هُوَ غَيْرُ مُتَمَسِّكٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ، فَهُوَ إِلَىٰ الْبَرَاءَةِ مِنْهَا أَقْرَبُ إِلَىٰ اللَّحَاقِ بِهَا وَبِأَهْلِهَا**، فَلِذَلِكَ نَهَىٰ عَلِيٌّ عَنْ أَكْلِ ذَبَائِحِ نَصَارَىٰ بَنِي تَغْلِبَ، لَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ إِجْمَاعًا مِنَ الْحُجَّةِ أَلَّا بأسَ بِذَبِيحَةِ كُلِّ نَصْرَانِيٍّ وَيَهُودِيٍّ، دَانَ دِينَ النَّصَارَىٰ أَوِ الْيَهُودِ، فَأَحَلَّ مَا أَحَلُّوا، وَحَرَّمَ مَا حَرَّمُوا، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَبَيِّنٌ خَطَأُ مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي ذَلِكَ وَتَأْوِيلِهِ الَّذِي تَأَوَّلَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ أَنَّهُ ذَبَائِحُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَصَوَابُ مَا خَالَفَ تَأْوِيلَهُ ذَلِكَ، وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ كُلَّ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ فَحَلَالٌ ذَبِيحَتُهُ مِنْ أَيِّ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ كَانَ..

﴿حِلٌّ لَّكُمْ﴾ حَلَالٌ لَكُمْ أَكْلُهُ دُونَ ذَبَائِحِ سَائِرِ أَهْلِ الشِّرْكِ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- وَدَانَ دِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ ذَبَائِحُهُمْ..

﴿وَطَعَامُكُمْ﴾ وذَبَائِحُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿حِلٌّ لَّهُمْ﴾ حِلٌّ لِأَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ وَأُحِلَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَنْكِحُوا الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَهُنَّ الْحَرَائِرُ مِنْهُنَّ..

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ وَالْحَرَائِرُ.. فَيَحْرُمُ إِمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ نَتَزَوَّجَهُنَّ بِكُلِّ حَالٍ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَأْذَنْ بِنِكَاحِ الإِمَاءِ الأَحْرَارِ فِي الْحَالِ الَّتِي أَبَاحَهُنَّ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يَكُنَّ مُؤْمِنَاتٍ، فَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥] فَلَمْ يُبِحْ مِنْهُنَّ إِلَّا الْمُؤْمِنَاتِ..

﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ مِنَ الَّذِينَ أُعْطُوا الْكِتَابَ، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ دَانُوا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، بَعْدَ أَنْ تَكُونَ بِمَوْضِعٍ لَا يَخَافُ النَّاكِحُ فِيهِ عَلَىٰ وَلَدِهِ أَنْ يُجْبَرَ عَلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -بِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْعَرَبِ وَسَائِرِ النَّاسِ، أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ أَيْضًا..

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ إِذَا أَعْطَيْتُمْ مَنْ نَكَحْتُمْ مِنْ مُحْصَنَاتِكُمْ وَمُحْصَنَاتِهِمْ..

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مُهُورُهُنَّ.. فَإِنَّ الأَجْرَ: الْعِوَضُ الَّذِي يَبْذُلُهُ الزَّوْجُ لِلْمَرْأَةِ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِهَا، وَهُوَ الْمَهْرُ..

﴿مُحْصِنِينَ﴾ أُحِلَّ لَكُمُ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُحْصِنُونَ أَعِفَّاءَ..

﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ لَا مُعَالِنِينَ بِالسِّفَاحِ بِكُلِّ فَاجِرَةٍ..

﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ وَلَا مُنْفَرِدِينَ بِبَغِيَّةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ خَادَنَهَا وَخَادَنَتْهُ، وَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ صَدِيقَةً يَفْجُرُ بِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الإِحْصَانِ وَوُجُوهَهُ وَمَعْنَىٰ السِّفَاحِ وَالْخِدْنِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ وَمَنْ يَجْحَدْ مَا أَمَرَ اللهُ بِالتَّصْدِيقِ بِهِ، مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَ الإِيمَانَ بِاللهِ وَيَمْتَنِعْ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَالطَّاعَةِ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ..

﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ فَقَدْ بَطَلَ ثَوَابُ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ فِي الدُّنْيَا، يَرْجُو أَنْ يُدْرِكَ بِهِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ..

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ [المائدة: ٥] الْهَالِكِينَ، الَّذِينَ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ

ثَوَابِ اللهِ؛ بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ، وَعَمَلِهِمْ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾

[المائدة: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ غَيْرِ طُهْرِ الصَّلَاةِ..

﴿فَٱغۡسِلُواْ﴾ أَمْرُ فَرْضٍ بِغَسْلِ مَا أَمَرَ اللهُ -بِغَسْلِهِ- القَائِمَ إِلىٰ صلاتِهِ، بَعْدَ حَدَثٍ كَان مِنْهُ نَاقِضٍ طَهَارَتَهُ، وَقَبْلَ إِحْدَاثِ الوُضُوْءِ مِنْهُ، وأَمْرُ نَدْبٍ لِمَنْ كَانَ علىٰ طُهْرٍ قد تقدَّم منهُ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَعْدَهُ حَدَثٌ يَنْقُضُ طَهَارَتَهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ عليهِ الصلاة والسلام يَتَوَضَأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ فَتْحِ مَكَةَ، ثُمَّ صَلَّىٰ يَوْمَئِذٍ الصَّلَوَاتِ كُلَّهَا بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ؛ لِيُعَلِّمَ أُمَّتَهَ أَنَّ مَا كَانَ يَفْعَلُ عليه الصلاة والسلام مِنْ تَجْدَيدِ الطُهْرِ لكلِّ صلاةٍ، إِنَّمَا كانَ أَخْذًا بِالفَضْلِ، وَإِيثَارًا مِنْهُ لِأَحَبِّ الأَمْرَينِ إِلىٰ اللهِ، وَمُسَارَعَةً مِنهُ إِلىٰ مَا نَدَبَهُ إِليهِ رَبُّهُ، لَا عَلىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَيهِ فَرْضًا وَاجِبًا.. وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْحُجَّةُ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يُوجِبْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ وَلَا عَلَىٰ عِبَادِهِ فَرْضَ الْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ، فَفِي إِجْمَاعِهَا عَلَىٰ ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كَانَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا مِنْ إِيثَارِهِ فِعْلَ مَا نَدَبَهُ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ إِلَىٰ فِعْلِهِ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ تَرْكَهُ فِي ذَلِكَ الْحَالِ الَّتِي تَرَكَهُ كَانَ تَرْخِيصًا لِأُمَّتِهِ وَإِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ وَلَا لَازِمٍ لَهُ وَلَا لَهُمْ، إِلَّا مَنْ حَدَثٍ يُوجِبُ نَقْضَ الطُّهْرِ.. وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، عَنْ أَنَسٍ: (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِقَعْبٍ صَغِيرٍ، فَتَوَضَّأَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَأَنْتُمْ؟ قَالَ: كُنَّا نُصَلِّي الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ**)..

﴿وُجُوهَكُمۡ﴾ الْوَجْهُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِغَسْلِهِ الْقَائِمَ إِلَى صَلَاتِهِ: كُلُّ مَا انْحَدَرَ عَنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ إِلَىٰ مُنْقَطِعِ الذَّقَنِ طُولًا، وَمَا بَيْنَ الْأُذُنَيْنِ عَرْضًا مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ، دُونَ

مَا بَطَنَ مِنَ الْفَمِ وَالْأَنْفِ وَالْعَيْنِ، وَدُونَ مَا غَطَّاهُ شَعْرُ اللِّحْيَةِ وَالْعَارِضَيْنِ وَالشَّارِبَيْنِ فَسَتَرَهُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ، وَدُونَ الْأُذُنَيْنِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ وَإِنْ كَانَ مَا تَحْتَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالشَّارِبَيْنِ قَدْ كَانَ وَجْهًا يَجِبُ غَسْلُهُ قَبْلَ نَبَاتِ الشَّعْرِ السَّاتِرِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ عَلَىٰ الْقَائِمِ إِلَىٰ صَلَاتِهِ، لِإِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْوَجْهِ، ثُمَّ هُمْ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ غُسْلَ مَا عَلَاهُمَا مِنْ أَجْفَانِهِمَا دُونَ إِيصَالِ الْمَاءِ إِلَىٰ مَا تَحْتَ الْأَجْفَانِ مِنْهُمَا مُجْزِئٌ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِجْمَاعًا بِتَوْقِيفِ الرَّسُولِ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَنَظِيرُ ذَلِكَ كُلُّ مَا عَلَاهُ شَيْءٌ مِنْ مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْ جَسَدِ ابْنِ آدَمَ مِنْ نَفْسِ خَلْقِهِ سَاتِرُهُ لَا يَصِلُ الْمَاءُ إِلَيْهِ إِلَّا بِكُلْفَةٍ وَمُؤْنَةٍ وَعِلَاجٍ، قِيَاسًا لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ حُكْمِ الْعَيْنَيْنِ فِي ذَلِكَ.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مِثْلَ الْعَيْنَيْنِ فِي مُؤْنَةِ إِيصَالِ الْمَاءِ إِلَيْهِمَا عِنْدَ الْوُضُوءِ مَا بَطَنَ مِنَ الْأَنْفِ وَالْفَمِ وَشَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالصُّدْغَيْنِ وَالشَّارِبَيْنِ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَصِلُ الْمَاءُ إِلَيْهِ إِلَّا بِعِلَاجٍ لِإِيصَالِ الْمَاءِ إِلَيْهِ نَحْوَ كُلْفَةِ عِلَاجِ الْحَدْقَتَيْنِ لِإِيصَالِ الْمَاءِ إِلَيْهِمَا أَوْ أَشَدَّ.. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ غَسْلَ مَنْ غَسَلَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَا تَحْتَ مَنَابِتِ شَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالْعَارِضَيْنِ وَالشَّارِبَيْنِ وَمَا بَطَنَ مِنَ الْأَنْفِ وَالْفَمِ، إِنَّمَا كَانَ إِيثَارًا مِنْهُ لِأَشَقِّ الْأَمْرَيْنِ عَلَيْهِ مِنْ غَسْلِ ذَلِكَ، وَتَرْكِ غَسْلِهِ، كَمَا آثَرَ ابْنُ عُمَرَ غُسْلَ مَا تَحْتَ أَجْفَانِ الْعَيْنَيْنِ بِالْمَاءِ بِصَبِّهِ الْمَاءَ فِي ذَلِكَ، لَا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ فَرْضًا وَاجِبًا.. فَأَمَّا مَنْ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِيجَابِ وَالْفَرْضِ، فَإِنَّهُ خَالَفَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ مِنْهَاجَهُمْ، وَأَغْفَلَ سَبِيلَ الْقِيَاسِ؛ لِأَنَّ الْقِيَاسَ هُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ تَمْثِيلِ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ بِالْأَصْلِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنْ حُكْمِ الْعَيْنَيْنِ، وَأَنْ لَا خَبَرَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْجَبَ عَلَىٰ تَارِكِ إِيصَالِ الْمَاءِ فِي وُضُوئِهِ إِلَىٰ أُصُولِ شَعْرِ لِحْيَتِهِ وَعَارِضَيْهِ، وَتَارِكِ الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ إِعَادَةَ صَلَاتِهِ إِذَا صَلَّىٰ بِطُهْرِهِ ذَلِكَ، فَفِي ذَلِكَ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ فِعْلَهُمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ كَانَ إِيثَارًا مِنْهُمْ لِأَفْضَلِ الْفِعْلَيْنِ مِنَ التَّرْكِ وَالْغَسْلِ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَنْثِرْ**» دَلِيلًا عَلَىٰ وُجُوبِ الِاسْتِنْثَارِ، فَإِنَّ فِي إِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ فَرْضٍ يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ تَرَكَهُ إِعَادَةُ الصَّلَاةِ الَّتِي صَلَّاهَا قَبْلَ غَسْلِهِ، مَا يُغْنِي عَنْ إِكْثَارِ الْقَوْلِ فِيهِ.. وَأَمَّا الْأُذُنَانِ فَإِنَّ فِي إِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ تَرْكَ غَسْلِهِمَا أَوْ غَسْلِ مَا أَقْبَلَ مِنْهُمَا عَلَىٰ الْوَجْهِ غَيْرُ مُفْسِدٍ صَلَاةَ مَنْ صَلَّىٰ بِطُهْرِهِ الَّذِي تَرَكَ فِيهِ غَسْلَهُمَا، مَعَ إِجْمَاعِهِمْ جَمِيعًا عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ غَسْلَ شَيْءٍ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ غَسْلُهُ مِنْ وَجْهِهِ فِي وُضُوئِهِ أَنَّ صَلَاتَهُ لَا تُجْزِئُهُ بِطَهُورِهِ ذَلِكَ، مَا يُنْبِئُ عَنِ أَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي ذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ إِنَّهُمَا لَيْسَا مِنَ الْوَجْهِ..

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ فَإِنَّ غَسْلَ الْيَدَيْنِ إِلَىٰ الْمِرْفَقَيْنِ مِنَ الْفَرْضِ الَّذِي إِنْ تَرَكَهُ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ تَارِكٌ، لَمْ تُجْزِهِ الصَّلَاةُ مَعَ تَرْكِهِ غَسْلَهُ.. فَأَمَّا الْمِرْفَقَانِ وَمَا وَرَاءَهُمَا، فَإِنَّ غَسْلَ ذَلِكَ مِنَ النَّدْبِ الَّذِي نَدَبَ إِلَيْهِ ﷺ أُمَّتَهُ بِقَوْلِهِ: «**أُمَّتِي الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ**» فَلَا تَفْسُدُ صَلَاةُ تَارِكِ غَسْلِهِمَا وَغَسْلِ مَا وَرَاءَهُمَا؛ لِأَنَّ لَكَ غَايَةً حُدَّتْ بِإِلَىٰ، فَقَدْ تَحْتَمِلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ دُخُولَ الْغَايَةِ فِي الْحَدِّ وَخُرُوجَهَا مِنْهُ، وَإِذَا احْتَمَلَ الْكَلَامُ ذَلِكَ لَمْ يَجُزْ لِأَحَدٍ الْقَضَاءُ بِأَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِيهِ، إِلَّا لِمَنْ لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ فِيمَا بَيَّنَ وَحَكَمَ، وَلَا حُكْمَ بِأَنَّ الْمَرَافِقَ دَاخِلَةٌ فِيمَا يَجِبُ غُسْلُهُ عِنْدَنَا مِمَّنْ يَجِبُ التَّسْلِيمُ بِحُكْمِهِ..

﴿وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ أَمَرَ بِالْمَسْحِ بِرَأْسِهِ الْقَائِمَ إِلَىٰ صَلَاتِهِ مَعَ سَائِرِ مَا أَمَرَهُ بِغَسْلِهِ مَعَهُ أَوْ مَسْحِهِ، وَلَمْ يَحُدَّ ذَلِكَ بِحَدٍّ لَا يَجُوزُ التَّقْصِيرُ عَنْهُ وَلَا يُجَاوِزُهُ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَا مَسَحَ بِهِ الْمُتَوَضِّئُ مِنْ رَأْسِهِ فَاسْتَحَقَّ بِمَسْحِهِ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: مَسَحَ بِرَأْسِهِ، فَقَدْ أَدَّىٰ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحِ ذَلِكَ لِدُخُولِهِ فِيمَا لَزِمَهُ اسْمُ مَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ إِذَا قَامَ إِلَىٰ صَلَاتِهِ.. وَالرَّأْسُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ بِالْمَسْحِ، هُوَ مَنَابِتُ شَعْرِ الرَّأْسِ دُونَ مَا جَاوَزَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْقَفَا مِمَّا اسْتُدْبِرَ، وَدُونَ مَا انْحَدَرَ عَنْ ذَلِكَ مِمَّا اسْتَقْبَلَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ إِلَىٰ الْجَبْهَةِ..

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وغَسْلُهُمَا: إِمْرَارُ الْمَاءِ عَلَيْهِمَا أَوْ إِصَابَتُهُمَا بِالْمَاءِ، ومَسْحُهُمَا: إِمْرَارُ الْيَدِ أَوْ مَا قَامَ مَقَامَ الْيَدِ عَلَيْهِمَا، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمَا فَاعِلٌ فَهُوَ غَاسِلٌ مَاسِحٌ..

﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ وهُمَا الْعَظْمَانِ اللَّذَانِ فِي مَفْصِلِ السَّاقِ وَالْقَدَمِ..

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ أَصَابَتْكُمْ جَنَابَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقُومُوا إِلَىٰ صَلَاتِكُمْ فَقُمْتُمْ إِلَيْهَا.. ووَحَّدَ الْجُنُبَ وَهُوَ خَبَرٌ عَنِ الْجَمِيعِ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْفِعْلِ، كَمَا قِيلَ: رَجُلٌ عَدْلٌ وَقَوْمٌ عَدْلٌ، وَرَجُلٌ زُورٌ، وَقَوْمٌ زُورٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، لَفْظُ الْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ وَالِاثْنَيْنِ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ فِيهِ وَاحِدٌ..

﴿فَاطَّهَّرُواْ﴾ فتَطَهَّرُوا بِالِاغْتِسَالِ مِنْهَا قَبْلَ دُخُولِكُمْ فِي صَلَاتِكُمُ الَّتِي قُمْتُمْ إِلَيْهَا..

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ جَرْحَىٰ أَوْ مُجَدَّرِينَ وَأَنْتُمْ جُنُبٌ..

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ وَأَنْتُمْ جُنُبٌ..

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَائِطِ﴾ بَعْدَ قَضَاءِ حَاجَتِهِ فِيهِ وَهُوَ مُسَافِرٌ؛ وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذِكْرِ مَجِيئِهِ مِنْهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ فِيهِ..

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ ٱلنِّسَاءَ﴾ أَوْ جَامَعْتُمُ النِّسَاءَ وَأَنْتُمْ مُسَافِرُونَ..

﴿فَلَمْ﴾ فَإِنْ لَمْ..

﴿تَجِدُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ وَأَنْتُمْ مَرْضَىٰ مُقِيمُونَ، أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَصِحَّاءَ، أَوْ قَدْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ قَضَاءِ حَاجَتِهِ، أَوْ جَامَعَ أَهْلَهُ..

﴿مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا﴾ فَتَعَمَّدُوا وَاقْصُدُوا وَجْهَ الْأَرْضِ..

﴿طَيِّبًا﴾ طَاهِرًا نَظِيفًا غَيْرَ قَذِرٍ وَلَا نَجِسٍ، جَائِزًا لَكُمْ حَلَالًا..

﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ فَاضْرِبُوا بِأَيْدِيكُمُ الصَّعِيدَ الَّذِي تَيَمَّمْتُمُوهُ وَتَعَمَّدْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِمَّا عَلَقَ بِأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، يَعْنِي: مِنَ الصَّعِيدِ الَّذِي ضَرَبْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ مِنْ تُرَابِهِ وَغُبَارِهِ..

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ إِذَا قُمْتُمْ إِلَىٰ صَلَاتِكُمْ، وَالْغُسْلِ مِنْ جَنَابَتِكُمْ وَالتَّيَمُّمِ صَعِيدًا طَيِّبًا عِنْدَ عَدَمِكُمُ الْمَاءَ..

﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ لِيُلْزِمَكُمْ فِي دِينِكُمْ مِنْ ضِيقٍ، وَلَا لِيُعْنِتَكُمْ فِيهِ..

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يُطَهِّرَكُمْ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَالتَّيَمُّمِ عِنْدَ عَدَمِ الْمَاءِ، فَتَنَظَّفُوا وَتُطَهِّرُوا بِذَلِكَ أَجْسَامَكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْ بِهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ**»..

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ وَيُرِيدُ رَبُّكُمْ مَعَ تَطْهِيرِكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ إِذَا قُمْتُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ بِالْمَاءِ إِنْ وَجَدْتُمُوهُ، وَتَيَمُّمِكُمْ إِذَا لَمْ تَجِدُوهُ، أَنْ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ بِإِبَاحَتِهِ لَكُمُ التَّيَمُّمَ، وَتَصْيِيرِهِ لَكُمُ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورًا، رُخْصَةً مِنْهُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَعَ سَائِرِ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: ٦] اللهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ، بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ.

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧﴾ [المائدة: ٧].

﴿وَاذْكُرُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالْعُقُودِ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا لِلَّهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَاذْكُرُوا..

﴿نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فِي ذَلِكُمْ، بِأَنْ هَدَاكُمْ مِنَ الْعُقُودِ لِمَا فِيهِ الرِّضَا، وَوَفَّقَكُمْ لِمَا فِيهِ

نَجاتُكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَىٰ فِي نِعَمٍ غَيْرِهَا جَمَّةٍ..

﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾ وَعَهْدَهُ..

﴿ٱلَّذِى وَاثَقَكُم﴾ الَّذِي عَاهَدَكُمْ..

﴿بِهِۦٓ﴾ حِينَ بَايَعْتُمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ..

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾ مَا قُلْتَ لَنَا، وَأَخَذْتَ عَلَيْنَا مِنَ الْمَوَاثِيقِ..

﴿وَأَطَعْنَا﴾ وَأَطَعْنَاكَ فِيمَا أَمَرْتَنَا بِهِ وَنَهَيْتَنَا عَنْهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا بِتَوْفِيقِكُمْ لِقَبُولِ ذَلِكَ مِنْهُ بِقَوْلِكُمْ لَهُ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، يَقُولُ: فَفُوا لِلَّهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ، وَنِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ بِإِقْرَارِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بِالسَّمْعِ لَهُ وَالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ يَفِ لَكُمْ بِمَا ضَمِنَ لَكُمُ الْوَفَاءَ بِهِ إِذَا أَنْتُمْ وَفَّيْتُمْ لَهُ بِمِيثَاقِهِ مِنْ إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ، وَبِإِدْخَالِكُمْ جَنَّتَهُ وَبِإِنْعَامِكُمْ بِالْخُلُودِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، وَإِنْقَاذِكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَخَافُوهُ أَنْ تُبَدِّلُوا عَهْدَهُ وَتَنْقُضُوا مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ، أَوْ تُخَالِفُوا مَا ضَمِنْتُمْ لَهُ بِقَوْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، بِأَنْ تُضْمِرُوا لَهُ غَيْرَ الْوَفَاءِ بِذَلِكَ فِي أَنْفُسِكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ [المائدة: ٧] فَإِنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ، وَعَالِمٌ بِمَا تُخْفِيهِ نُفُوسُكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَيُحِلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، كَالَّذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْيَهُودِ مِنَ الْمَسْخِ وَصُنُوفِ النِّقَمِ، وَتَصِيرُوا فِي مَعَادِكُمْ إِلَىٰ سَخَطِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.. فَإِنَّ هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَطَافُوا بِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَتَهْدِيدًا لَهُمْ أَنْ يَنْقُضُوا مِيثَاقَ اللهِ الَّذِي وَاثَقَهُمْ بِهِ فِي رُسُلِهِ وَعَهْدِهِمُ الَّذِي عَاهَدُوهُ فِيهِ، بِأَنْ يُضْمِرُوا لَهُ خِلَافَ مَا أَبْدَوْا لَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

[المائدة: ٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ..

﴿كُونُوا۟﴾ لِيَكُنْ مِنْ أَخْلَاقِكُمْ وَصِفَاتِكُمْ..

﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ الْقِيَامُ لِلَّهِ..

﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ فِي أَوْلِيَائِكُمْ وَأَعْدَائِكُمْ، وَلَا تَجُورُوا فِي أَحْكَامِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، فَتُجَاوِزُوا مَا حَدَّدْتُ لَكُمْ فِي أَعْدَائِكُمْ لِعَدَاوَتِهِمْ لَكُمْ، وَلَا تَقْصُرُوا فِيمَا حَدَّدْتُ لَكُمْ مِنْ أَحْكَامِي وَحُدُودِي فِي أَوْلِيَائِكُمْ لِوَلَايَتِهِمْ، وَلَكِنِ انْتَهُوا فِي جَمِيعِهِمْ إِلَىٰ حَدِّي، وَاعْمَلُوا فِيهِ بِأَمْرِي..

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ..

﴿شَنَـَٔانُ﴾ عَدَاوَةُ..

﴿قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ فِي حُكْمِكُمْ فِيهِمْ، وَسِيرَتِكُمْ بَيْنَهُمْ، فَتَجُورُوا عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ..

﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلِيًّا لَكُمْ كَانَ أَوْ عَدُوًّا، فَاحْمِلُوهُمْ عَلَىٰ مَا أُمِرْتُمْ أَنْ تَحْمِلُوهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِي، وَلَا تَجُورُوا بِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَنْهُ..

﴿هُوَ﴾ الْعَدْلُ عَلَيْهِمْ..

﴿أَقْرَبُ﴾ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ إِلَىٰ التَّقْوَىٰ، يَعْنِي: إِلَىٰ أَنْ تَكُونُوا عِنْدَ اللهِ بِاسْتِعْمَالِكُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَىٰ، وَهُمْ أَهْلُ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ مِنَ اللهِ أَنْ يُخَالِفُوهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يَأْتُوا شَيْئًا مِنْ مَعَاصِيهِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْعَدْلَ بِمَا وَصَفَ بِهِ مِنْ أَنَّهُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ مِنَ الْجَوْرِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ عَادِلًا كَانَ لِلَّهِ بِعَدْلِهِ مُطِيعًا، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا كَانَ لَا شَكَّ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَىٰ، وَمَنْ كَانَ جَائِرًا كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا كَانَ بَعِيدًا مِنْ تَقْوَاهُ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَجُورُوا فِي عِبَادِهِ، فَتُجَاوِزُوا فِيهِمْ حُكْمَهُ وَقَضَاءَهُ الَّذِينَ بَيَّنَ لَكُمْ، فَيَحِلَّ بِكُمْ عُقُوبَتَهُ، وَتَسْتَوْجِبُوا مِنْهُ أَلِيمَ نَكَالِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ﴾ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ..

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [المائدة: ٨] أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ عَمَلٍ بِهِ أَوْ خِلَافٍ لَهُ، مُحْصٍ ذَلِكُمْ عَلَيْكُمْ كُلَّهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ جَزَاءَكُمُ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، فَاتَّقُوا أَنْ تُسِيئُوا.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩﴾ [المائدة: ٩].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا وَاثَقَهُمُ اللهُ بِهِ، وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ الَّتِي عَاقَدَهُمْ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِمْ: لَنَسْمَعَنَّ وَلَنُطِيعَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَسَمِعُوا أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ، وَأَطَاعُوهُ فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَفَوْا بِالْعُقُودِ، وَالْمِيثَاقِ الَّذِي وَاثَقَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ..

﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ وَهِيَ سَتْرُ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ، وَتَغْطِيَتُهَا بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا، وَتَرْكُهُ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَفَضِيحَتَهُمْ بِهَا..

﴿وَأَجْرٌ﴾ وَلَهُمْ مَعَ عَفْوِهِ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ مِنْهُمْ جَزَاءٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا وَوَفَائِهِمْ بِالْعُقُودِ الَّتِي عَاقَدُوا رَبَّهُمْ عَلَيْهَا، أَجْرٌ..

﴿عَظِيمٌ ۝٩﴾ [المائدة: ٩] مِنْ خَيْرٍ، غَيْرِ مَحْدُودٍ مَبْلَغُهُ، وَلَا يَعْرِفُ مُنْتَهَاهُ غَيْرُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة: ١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَنَقَضُوا مِيثَاقَهُ وَعُقُودَهُ الَّتِي عَاقَدُوهَا إِيَّاهُ..

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وَكَذَّبُوا بِأَدِلَّةِ اللهِ وَحُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ وَغَيْرِهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة: ١٠] أَهْلُ الْجَحِيمِ، يَعْنِي: أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ يُخَلَّدُونَ فِيهَا وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ [المائدة: ١١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَأَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَرِسَالَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ اذْكُرُوا النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاشْكُرُوهُ عَلَيْهَا بِالْوَفَاءِ لَهُ بِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ، وَالْعُقُودِ الَّتِي عَاقَدْتُمْ نَبِيَّكُمْ ﷺ عَلَيْهَا.. وَعَنَىٰ اللهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نِعْمَتَهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي اسْتِنْقَاذِهِ نَبِيَّهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، مِمَّا كَانَتْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ هَمَّتْ بِهِ مِنْ قَتْلِهِ وَقَتْلِ مَنْ مَعَهُ يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي الدِّيَةِ الَّتِي كَانَ تَحَمَّلَهَا عَنْ قَتِيلَيْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ؛ لِأَنَّ اللهَ عَقِبَ ذِكْرِ ذَلِكَ بِرَمْيِ الْيَهُودِ

بِصَنَائِعِهَا وَقَبِيحِ أَفْعَالِهَا وَخِيَانَتِهَا رَبَّهَا وَأَنْبِيَاءَهَا، ثُمَّ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالصَّفْحِ عَنْ عَظِيمِ جَهْلِهِمْ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالصَّفْحِ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة: ١١] وَمَنْ غَيْرُهُمْ كَانَ يَبْسُطُ الْأَيْدِي إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الَّذِينَ هَمُّوا بِبَسْطِ الْأَيْدِي إِلَيْهِمْ غَيْرَهُمْ، لَكَانَ حَرِيًّا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْهُمْ، لَا عَمَّنْ لَمْ يَجْرِ لَهُمْ بِذَلِكَ ذِكْرٌ، وَلَكَانَ الْوَصْفُ بِالْخِيَانَةِ فِي وَصْفِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لَا فِي وَصْفِ مَنْ لَمْ يَجْرِ لِخِيَانَتِهِ ذِكْرٌ، فَفِي ذَلِكَ مَا يُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ مَا قَضَيْنَا لَهُ بِالصِّحَّةِ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ دُونَ مَا خَالَفَهُ.. ثُمَّ وَصَفَ نِعْمَتَهُ الَّتِي أَمَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا مَعَ سَائِرِ نِعَمِهِ، فَقَالَ..

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ هَمُّوا بِالْبَطْشِ بِكُمْ، فَصَرَفَهُمْ عَنْكُمْ..

﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَرَادُوهُ بِكُمْ..

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ وَاحْذَرُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، أَنْ تَنْقُضُوا الْمِيثَاقَ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ، فَتَسْتَوْجِبُوا مِنْهُ الْعِقَابَ الَّذِي لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ..

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وَإِلَىٰ اللهِ..

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ فَلْيُلْقِ أَزِمَّةَ أُمُورِهِمْ، وَيَسْتَسْلِمْ لِقَضَائِهِ، وَيَثِقْ بِنُصْرَتِهِ وَعَوْنِهِ..

﴿الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١١] الْمُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَرِسَالَةِ رَسُولِهِ، الْعَامِلُونَ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِ دِينِهِمْ وَتَمَامِ إِيمَانِهِمْ، وَأَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ كَلَأَهُمْ وَرَعَاهُمْ وَحَفِظَهُمْ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، كَمَا حَفِظَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَدَافَعَ عَنْكُمُ الْيَهُودَ الَّذِينَ هَمُّوا بِمَا هَمُّوا بِهِ، مِنْ بَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكُمْ، كَلَاءَةً مِنْهُ لَكُمْ؛ إِذْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ دُونَ غَيْرِهِ، فَإِنَّ غَيْرَهُ لَا يُطِيقُ دَفْعَ سُوءٍ أَرَادَ بِكُمْ رَبُّكُمْ، وَلَا اجْتِلَابَ نَفْعٍ لَكُمْ لَمْ يَقْضِهِ لَكُمْ.

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة: ١٢].

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ أُنْزِلَتْ إِعْلَامًا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ ﷺ

وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَخْلَاقَ الَّذِينَ هَمُّوا بِبَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، وَأَنَّ الَّذِي هَمُّوا بِهِ مِنَ الْغَدْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مِنْ صِفَاتِهِمْ وَصِفَاتِ أَوَائِلِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَخْلَاقِ أَسْلَافِهِمْ قَدِيمًا، وَاحْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ الْيَهُودِ بِإِطْلَاعِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلِمَهُ عِنْدَهُمْ دُونَ الْعَرَبِ مِنْ خَفِيِّ أُمُورِهِمْ وَمَكْنُونِ عُلُومِهِمْ، وَتَوْبِيخًا لِلْيَهُودِ فِي تَمَادِيهِمْ فِي الْغَيِّ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِخَطَإِ مَا هُمْ عَلَيْهِمْ مُقِيمُونَ.. يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لَا تَسْتَعْظِمُوا أَمْرَ الَّذِينَ هَمُّوا بِبَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ بِمَا هَمُّوا بِهِ لَكُمْ، وَلَا أَمْرَ الْغَدْرِ الَّذِي حَاوَلُوهُ وَأَرَادُوهُ بِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ أَوَائِلِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، لَا يَعْدُونَ أَنْ يَكُونُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِ أَوَّلِهِمْ وَطَرِيقِ سَلَفِهِمْ.. ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ بَعْضِ غَدَرَاتِهِمْ وَخِيَانَاتِهِمْ وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمُ الَّذِي وَاثَقَهُمْ عَلَيْهِ بَارِئُهُمْ، مَعَ نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّهُمْ بِهَا، وَكَرَامَاتِهِ الَّتِي طَوَّقَهُمْ شُكْرَهَا، فَقَالَ: لَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ مَنْ سَلَفَ مِمَّنْ هَمَّ بِبَسْطِ يَدِهِ إِلَيْكُمْ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ -يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ- بِالْوَفَاءِ لَهُ بِعُهُودِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ..

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ كَفِيلًا، كَفَلُوا عَلَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ لِلَّهِ بِمَا وَاثَقُوهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعُهُودِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.. وَالنَّقِيبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، كَالْعَرِيفِ عَلَىٰ الْقَوْمِ، غَيْرَ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرِيفِ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: هُوَ الْأَمِينُ الضَّامِنُ عَلَىٰ الْقَوْمِ.. فَأَمَّا أَهْلُ التَّأْوِيلِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الشَّاهِدُ عَلَىٰ قَوْمِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: النَّقِيبُ: الْأَمِينُ.. وَإِنَّمَا كَانَ اللهُ أَمَرَ مُوسَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِبَعْثِهِ النُّقَبَاءَ الِاثْنَيْ عَشَرَ مِنْ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ أَرْضِ الْجَبَابِرَةِ بِالشَّامِ، لِيَتَجَسَّسُوا لِمُوسَىٰ أَخْبَارَهُمْ؛ إِذْ أَرَادَ هَلَاكَهُمْ، وَأَنْ يُورِثَ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مَسَاكِنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مَا أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فَبَعَثَ مُوسَىٰ الَّذِينَ أَمَرَهُ اللهُ بِبَعْثِهِمْ إِلَيْهَا مِنَ النُّقَبَاءِ..

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿إِنِّى مَعَكُمْ﴾ إِنِّي نَاصِرُكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ وَعَدُوِّي الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِهِمْ إِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ وَوَفَيْتُمْ بِعَهْدِي وَمِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْكُمْ.. ثُمَّ ابْتَدَأَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْقَسَمَ، فَقَالَ: قَسَمٌ..

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أَيْ: أَعْطَيْتُمُوهَا مَنْ أَمَرْتُكُمْ بِإِعْطَائِهَا..

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾ وَصَدَّقْتُمْ بِمَا آتَاكُمْ بِهِ رُسُلِي مِنْ شَرَائِعِ دِينِي.. وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: (هَذَا خِطَابٌ مِنَ اللهِ لِلنُّقَبَاءِ الِاثْنَيْ عَشَرَ)، وَلَيْسَ الَّذِي قَالَهُ الرَّبِيعُ فِي ذَلِكَ بِبَعِيدٍ مِنَ

الصَّوَابِ، غَيْرَ أَنَّ مِنَ قَضَاءِ اللهِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ أَنَّهُ نَاصِرٌ مَنْ أَطَاعَهُ، وَوَلِيُّ مَنِ اتَّبَعَ أَمْرَهُ وَتَجَنَّبَ مَعْصِيَتَهُ وَجَافَىٰ ذُنُوبَهُ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مِنْ طَاعَتِهِ إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ، وَسَائِرِ مَا نَدَبَ الْقَوْمَ إِلَيْهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ بِذَلِكَ وَإِدْخَالَ الْجَنَّاتِ بِهِ لَمْ يُخَصَّصْ بِهِ النُّقَبَاءُ دُونَ سَائِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَيْرِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ نَدْبًا لِلْقَوْمِ جَمِيعًا وَحَضًّا لَهُمْ عَلَىٰ مَا حَضَّهُمْ عَلَيْهِ، أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ نَدْبًا لِبَعْضٍ وَحَضًّا لِخَاصٍّ دُونَ عَامٍّ..

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ وَنَصَرْتُمُوهُمْ، وَالنَّصْرُ قَدْ يَكُونُ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، فَأَمَّا بِالْيَدِ فَالذَّبُّ بِهَا عَنْهُ بِالسَّيْفِ وَغَيْرِهِ، وَأَمَّا بِاللِّسَانِ فَحُسْنُ الثَّنَاءِ، وَالذَّبُّ عَنِ الْعِرْضِ..

﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ﴾ وَأَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَذَلِكَ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكُمْ..

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ وَأَنْفَقْتُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِهِ، فَأَصَبْتُمُ الْحَقَّ فِي إِنْفَاقِكُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ تَتَعَدَّوْا فِيهِ حُدُودَ اللهِ وَمَا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ وَحَثَّكُمْ عَلَيْهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ..

﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ أَعْطُونِي مِيثَاقَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِطَاعَتِي، وَاتِّبَاعِ أَمْرِي، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَفَعَلْتُمْ سَائِرَ مَا وَعَدْتُكُمْ عَلَيْهِ جَنَّتِي ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يَقُولُ: لَأُغَطِّيَنَّ بِعَفْوِي عَنْكُمْ وَصَفْحِي عَنْ عُقُوبَتِكُمْ، عَلَىٰ سَالِفِ إِجْرَامِكُمُ الَّتِي أَجْرَمْتُمُوهَا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ وَغَيْرِهَا مِنْ مُوبِقَاتِ ذُنُوبِكُمْ..

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ﴾ مَعَ تَغْطِيَتِي عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْكُمْ بِفَضْلِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِ هَذِهِ الْبَسَاتِينَ الَّتِي أَدْخَلَكُمُوهَا..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ﴾ فَمَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرْتُهُ بِهِ، فَتَرَكَهُ، أَوْ رَكِبَ مَا نَهَيْتُهُ عَنْهُ فَعَمِلَهُ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدَ أَخْذِي الْمِيثَاقَ عَلَيْهِ بِالْوَفَاءِ لِي بِطَاعَتِي وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِي..

﴿مِنكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٢﴾ [المائدة: ١٢] فَقَدْ أَخْطَأَ قَصْدَ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، وَزَلَّ عَنْ مَنْهَجِ السَّبِيلِ.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ، فَنَقَضُوا الْمِيثَاقَ فَلَعَنْتُهُمْ، فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، لَا تَعْجَبَنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ يَبْسُطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ، وَنَكَثُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، غَدْرًا مِنْهُمْ بِكَ وَأَصْحَابِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَادَاتِهِمْ وَعَادَاتِ سَلَفِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَخَذْتُ مِيثَاقَ سَلَفِهِمْ عَلَىٰ عَهْدِ مُوسَىٰ ﷺ عَلَىٰ طَاعَتِي، وَبَعَثْتُ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَدْ تُخَيَّرُوا مِنْ جَمِيعِهِمْ لِيَتَجَسَّسُوا أَخْبَارَ الْجَبَابِرَةِ، وَوَعَدْتُهُمُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ أُوَرِّثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، بَعْدَ مَا أَرَيْتُهُمْ مِنَ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ بِإِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ، وَفَلْقِ الْبَحْرِ لَهُمْ، وَسَائِرِ الْعِبَرِ مَا أَرَيْتُهُمْ، فَنَقَضُوا مِيثَاقَهُمُ الَّذِي وَاثَقُونِي وَنَكَثُوا عَهْدِي، فَلَعَنْتُهُمْ بِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ خِيَارِهِمْ مَعَ أَيَادِيَّ عِنْدَهُمْ، فَلَا تَسْتَنْكِرُوا مِثْلَهُ مِنْ فِعْلِ أَرَاذِلِهِمْ..

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ فَلَعَنَّا الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدِي وَلَمْ يَفُوا بِمِيثَاقِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمُ الَّذِي وَاثَقُونِي، وَجَعَلْنَا قُلُوبَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَقَضُوا عُهُودَنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَسِيَّةً، مَنْزُوعًا مِنْهَا الْخَيْرُ، مَرْفُوعًا مِنْهَا التَّوْفِيقُ، فَلَا يُؤْمِنُونَ، وَلَا يَهْتَدُونَ، فَهُمْ لِنَزْعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ التَّوْفِيقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَالْإِيمَانَ..

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يُحَرِّفُونَ كَلَامَ رَبِّهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ مُوسَىٰ ﷺ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ فَيُبَدِّلُونَهُ وَيَكْتُبُونَ بِأَيْدِيهِمْ غَيْرَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، وَيَقُولُونَ لِجُهَّالِ النَّاسِ: هَذَا هُوَ كَلَامُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ، وَالتَّوْرَاةُ الَّتِي أَوْحَاهَا إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ صِفَةِ الْقُرُونِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ مُوسَىٰ مِنَ الْيَهُودِ مِمَّنْ أَدْرَكَ بَعْضُهُمْ عَصْرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ أَدْخَلَهُمْ فِي عِدَادِ الَّذِينَ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكَ مُوسَىٰ مِنْهُمْ؛ إِذْ كَانُوا مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ فِي الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَنَقْضِ الْمَوَاثِيقِ الَّتِي أَخَذَهَا عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿وَنَسُوا۟﴾ وَتَرَكُوا..

﴿حَظًّا﴾ نَصِيبًا..

﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ فَتَرَكَهُمُ اللهُ، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧].. ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْدَ تَعْرِيفِهِ أَخْبَارَ أَوَائِلِهِمْ، وَإِعْلَامِهِ مَنْهَجَ أَسْلَافِهِمْ، وَأَنَّ آخِرَهُمْ عَلَىٰ مِنْهَاجِ أَوَّلِهِمْ فِي الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، لِئَلَّا يَكْبُرَ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَطَّلِعُ﴾ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَنْبَأْتُكَ نَبَأَهُمْ مِنْ نَقْضِهِمْ مِيثَاقِي، وَنَكْثِهِمْ عَهْدِي، مَعَ أَيَادِيَّ عِنْدَهُمْ، وَنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ..

﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ عَلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، لِأَنَّ اللهَ عَنَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْقَوْمَ مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ الَّذِينَ هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، إِذْ أَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ الْعَامِرِيَّيْنِ، فَأَطْلَعَهُ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ عَلَىٰ مَا قَدْ هَمُّوا بِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ اللَّتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿فَٱعْفُ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْعَفْوِ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ يَبْسُطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ لَهُ: اعْفُ يَا مُحَمَّدُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ هَمُّوا بِمَا هَمُّوا بِهِ مِنْ بَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ بِالْقَتْلِ..

﴿وَٱصْفَحْۚ﴾ لَهُمْ عَنْ جُرْمِهِمْ بِتَرْكِ التَّعَرُّضِ لِمَكْرُوهِهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣﴾ [المائدة: ١٣] فَإِنِّي أُحِبُّ مِنْ أَحْسَنَ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ.. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (هَذِهِ مَنْسُوخَةٌ)، وَيَقُولُ: (نَسَخَتْهَا آيَةُ بَرَاءَةَ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] الْآيَةُ)، وَالَّذِي قَالَهُ قَتَادَةُ غَيْرُ مَدْفُوعٍ إِمْكَانُهُ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسِخَ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ، هُوَ مَا كَانَ نَافِيًا كُلَّ مَعَانِي خِلَافِهِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، فَأَمَّا مَا كَانَ غَيْرَ نَافٍ جَمِيعَهُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ نَاسِخٌ إِلَّا بِخَبَرٍ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، أَوْ مِنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] دَلَالَةٌ عَلَىٰ الْأَمْرِ بِنَفْيِ مَعَانِي الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ عَنِ الْيَهُودِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ جَائِزًا مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِالصَّغَارِ وَأَدَائِهِمُ الْجِزْيَةَ بَعْدَ الْقِتَالِ، الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ فِي غَدْرَةٍ هَمُّوا بِهَا أَوْ نَكْثَةٍ عَزَمُوا عَلَيْهَا، مَا لَمْ يَنْصُبُوا حَرْبًا، دُونَ أَدَاءِ الْجِزْيَةِ، وَيَمْتَنِعُوا مِنَ الْأَحْكَامِ اللَّازِمَةِ مِنْهُمْ، لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا أَنْ يَحْكُمَ لِقَوْلِهِ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] الْآيَةُ، بِأَنَّهُ نَاسِخٌ قَوْلَهُ: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤].

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾ وَأَخَذْنَا مِنَ النَّصَارَىٰ الْمِيثَاقَ عَلَىٰ طَاعَتِي وَأَدَاءِ فَرَائِضِي وَاتِّبَاعِ رُسُلِي وَالتَّصْدِيقِ بِهِمْ..

﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ فَسَلَكُوا فِي مِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ مِنْهَاجَ الْأُمَّةِ الضَّالَّةِ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَدَّلُوا كَذَلِكَ دِينَهُمْ وَنَقَضُوا نَقْضَهُمْ وَتَرَكُوا حَظَّهُمْ مِنْ مِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِي وَضَيَّعُوا أَمْرِي..

﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ حَرَّشْنَا وَأَلْقَيْنَا، كَمَا تُغْرِي الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَمَّا تَرَكَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ أَخَذْتُ مِيثَاقَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِي حَظَّهُمْ، مِمَّا عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، أَغْرَيْتُ..

﴿بَيۡنَهُمُ﴾ بَيْنَ النَّصَارَىٰ، عُقُوبَةً لَهَا بِنِسْيَانِهَا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرَتْ بِهِ.. وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ دُونَ الْيَهُودِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْإِغْرَاءِ فِي خَبَرِ اللهِ عَنِ النَّصَارَىٰ بَعْدَ تَقَضِّي خَبَرِهِ عَنِ الْيَهُودِ، وَبَعْدَ ابْتِدَائِهِ خَبَرَهُ عَنِ النَّصَارَىٰ، فَأَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ مَعْنِيًّا بِهِ إِلَّا النَّصَارَىٰ خَاصَّةً أَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ الْحِزْبَانِ جَمِيعًا لِمَا ذَكَرْنَا، فَأَغْرَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْأَهْوَاءِ الَّتِي حَدَثَتْ بَيْنَهُمْ.. وَلَيْسَ الَّذِي قَالَهُ مَنْ قَالَ: (**مَعْنِيٌّ بِذَلِكَ إِغْرَاءُ اللهِ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ**) بِبَعِيدٍ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا أَقْرَبُ عِنْدِي وَأَشْبَهُ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ لِمَا ذَكَرْنَا..

﴿ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ، وَذَلِكَ أَهْوَاءٌ لَا وَحْيٌ مِنَ اللهِ..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَسَيُنَبِّئُهُمُ اللهُ عِنْدَ وُرُودِهِمُ اللهَ عَلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤] مِنْ نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُ، وَنَكْثِهِمْ عَهْدَهُ، وَتَبْدِيلِهِمْ كِتَابَهُ، وَتَحْرِيفِهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَيُعَاقِبُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ حَسَبَ اسْتِحْقَاقِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: اعْفُ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَمُّوا بِبَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ، وَاصْفَحْ فَإِنَّ اللهَ مِنْ وَرَاءِ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة: ١٥].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾ تَكْتُمُونَهُ النَّاسَ وَلَا تُبَيِّنُونَهُ لَهُمْ..

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ مِمَّا فِي كِتَابِكُمْ، وَكَانَ مِمَّا يُخْفُونَهُ مِنْ كِتَابِهِمْ، فَبَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنَّاسِ: رَجْمُ الزَّانِينَ الْمُحْصَنِينَ..

﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ وَيَتْرُكُ أَخْذَكُمْ بِكَثِيرٍ مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنْ كِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيْكُمْ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ، فَلَا تَعْمَلُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَأْمُرَهُ اللهُ بِأَخْذِكُمْ بِهِ..

﴿قَدْ جَاءَكُم﴾ يَا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ يَعْنِي بِالنُّورِ مُحَمَّدًا ﷺ، الَّذِي أَنَارَ اللهُ بِهِ الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَمَحَقَ بِهِ الشِّرْكَ فَهُوَ نُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ يُبَيِّنُ الْحَقَّ، وَمِنْ إِنَارَتِهِ الْحَقَّ تَبْيِينُهُ لِلْيَهُودِ كَثِيرًا مِمَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥] قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ النُّورُ الَّذِي أَنَارَ لَكُمْ بِهِ مَعَالِمَ الْحَقِّ، وكِتَابٌ مُبِينٌ، فِيهِ بَيَانُ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَيْنَهُمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ جَمِيعَ مَا بِهِمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَيُوَضِّحُهُ لَهُمْ، حَتَّىٰ يَعْرِفُوا حَقَّهُ مِنْ بَاطِلِهِ.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

﴿يَهْدِي﴾ يُرْشِدُ وَيُسَدِّدُ..

﴿بِهِ﴾ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ الَّذِي جَاءَ مِنَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ..

﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ مَنِ اتَّبَعَ رِضَا اللهِ..

﴿سُبُلَ﴾ طُرُقَ..

﴿السَّلَامِ﴾ وَالسَّلَامُ هُوَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ..

﴿وَيُخْرِجُهُم﴾ يَهْدِي اللهُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ إِلَىٰ سُبُلِ السَّلَامِ، وَشَرَائِعِ دِينِهِ، وَيُخْرِجُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ..

﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ..

﴿إِلَى النُّورِ﴾ إِلَىٰ نُورِ الْإِسْلَامِ وَضِيَائِهِ..

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بِإِذْنِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَإِذْنُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَحْبِيبُهُ إِيَّاهُ الْإِيمَانَ بِرَفْعِ طَابَعِ الْكُفْرِ عَنْ قَلْبِهِ، وَخَاتَمِ الشِّرْكِ عَنْهُ، وَتَوْفِيقُهُ لِإِبْصَارِ سُبُلِ السَّلَامِ..

﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ وَيُرْشِدُهُمْ وَيُسَدِّدُهُمْ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٦] إِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الْقَوِيمُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [المائدة: ١٧].

﴿لَّقَدْ﴾ أُقْسِمُ: لَقَدْ..

﴿كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ﴾ وَكُفْرُهُمْ فِي ذَلِكَ تَغْطِيَتُهُمُ الْحَقَّ فِي تَرْكِهِمْ نَفْيَ الْوَلَدِ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَادِّعَائِهِمْ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللهُ فِرْيَةً وَكَذِبًا عَلَيْهِ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّصَارَىٰ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَيَّ، وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، بِقِيلِهِمْ: إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ..

﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ مَنِ الَّذِي يُطِيقُ أَنْ يَدْفَعَ مِنْ أَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ شَيْئًا، فَيَرُدُّهُ إِذَا قَضَاهُ..

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَرُدَّ مِنْ أَمْرِ اللهِ شَيْئًا إِنْ شَاءَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ بِإِعْدَامِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِعْدَامِ أُمِّهِ مَرْيَمَ، وَإِعْدَامِ جَمِيعِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ جَمِيعًا.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ النَّصَارَىٰ: لَوْ كَانَ الْمَسِيحُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ هُوَ اللهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، لَقَدَرَ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَ اللهِ إِذَا جَاءَهُ بِإِهْلَاكِهِ وَإِهْلَاكِ أُمِّهِ، وَقَدْ أَهْلَكَ أُمَّهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ دَفْعِ أَمْرِهِ فِيهَا إِذْ نَزَلَ ذَلِكَ، فَفِي ذَلِكَ لَكُمْ مُعْتَبَرٌ إِنِ اعْتَبَرْتُمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْكُمْ إِنْ عَقَلْتُمْ، فِي أَنَّ الْمَسِيحَ بَشَرٌ كَسَائِرِ بَنِي آدَمَ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الَّذِي لَا يُغْلَبُ وَلَا يُقْهَرُ وَلَا يُرَدُّ لَهُ أَمْرٌ، بَلْ هُوَ الْحَيُّ الدَّائِمُ الْقَيُّومُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُنْشِئُ وَيُفْنِي، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ..

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ﴾ وَاللهُ لَهُ تَصْرِيفُ مَا فِي..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ﴾ وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، يُهْلِكُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُبْقِي مَا يَشَاءُ مِنْهُ، وَيُوجِدُ مَا أَرَادَ، وَيُعْدِمُ مَا أَحَبَّ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ شَيْءٍ أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْهُ دَافِعٌ، يُنْفِذُ فِيهِمْ حُكْمَهُ، وَيُمْضِي فِيهِمْ قَضَاءَهُ، لَا الْمَسِيحُ الَّذِي إِنْ أَرَادَ إِهْلَاكَهُ رَبُّهُ وَإِهْلَاكَ أُمِّهِ لَمْ يَمْلِكْ دَفْعَ مَا أَرَادَ بِهِ رَبُّهُ مِنْ ذَلِكَ.. يَقُولُ جَلَّ وَعَزَّ: كَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا يُعْبَدُ مَنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ دَفْعِ مَا أَرَادَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ السُّوءِ، وَغَيْرَ قَادِرٍ عَلَىٰ صَرْفِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْهَلَاكِ؟! بَلِ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ تَصْرِيفُ كُلِّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا..

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ وَيُنْشِئُ مَا يَشَاءُ وَيُوجِدُهُ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ حَالِ الْعَدَمِ إِلَىٰ حَالِ الْوُجُودِ، وَلَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ لَهُ تَدْبِيرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَتَصْرِيفَهُ وَإِفْنَاءَهُ وَإِعْدَامَهُ، وَإِيجَادَ مَا يَشَاءُ مِمَّا هُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ وَلَا مُنْشَأٍ، يَقُولُ: فَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ سِوَايَ، فَكَيْفَ زَعَمْتُمْ أَيُّهَا الْكَذَبَةُ أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ؟!، وَهُوَ لَا يُطِيقُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ دَفْعِ الضَّرَرِ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا عَنْ أُمِّهِ، وَلَا اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَيْهَا، إِلَّا بِإِذْنِي..

﴿وَٱللَّهُ﴾ الْمَعْبُودُ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾ [المائدة: ١٧] هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمَالِكُ كُلَّ شَيْءٍ، الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ، الْمُقْتَدِرُ عَلَىٰ هَلَاكِ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، لَا الْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مَنْعِ نَفْسِهِ مِنْ ضُرٍّ نَزَلَ بِهِ مِنَ اللهِ، وَلَا مَنْعِ أُمِّهِ مِنَ الْهَلَاكِ.. وهَذَا ذَمٌّ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ لِلنَّصَارَىٰ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، الَّذِينَ ضَلُّوا عَنْ سُبُلِ السَّلَامِ، وَاحْتِجَاجٌ مِنْهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي فِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ بِادِّعَائِهِمْ لَهُ وَلَدًا.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ١٨﴾

[المائدة: ١٨].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ أَنَّهُمْ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ.. وَالْعَرَبُ قَدْ تُخْرِجُ الْخَبَرَ إِذَا افْتَخَرَتْ مُخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَ مَا افْتَخَرَتْ بِهِ مِنْ فِعْلِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَتَقُولُ: نَحْنُ الْأَجْوَادُ الْكِرَامُ وَإِنَّمَا الْجَوَادُ فِيهِمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَغَيْرُ الْمُتَكَلِّمُ الْفَاعِلُ ذَلِكَ، فَكَذَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ النَّصَارَىٰ أَنَّهَا قَالَتْ..

﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ جَمْعُ حَبِيبٍ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْكَذَبَةِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ فَلِأَيِّ شَيْءٍ يُعَذِّبُكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿بِذُنُوبِكُمۖ﴾ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاؤُهُ وَأَحِبَّاؤُهُ، فَإِنَّ الْحَبِيبَ لَا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ، وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُ مُعَذِّبُكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ: إِنَّ اللهَ مُعَذِّبُنَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، عَدَدَ الْأَيَّامِ الَّتِي عَبَدْنَا فِيهَا الْعِجْلَ، ثُمَّ يُخْرِجُنَا جَمِيعًا مِنْهَا، فَقَالَ اللهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ؟! يُعَلِّمُهُمْ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ أَهْلُ فِرْيَةٍ وَكَذِبٍ عَلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ..

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ﴾ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ، يَقُولُ: خَلْقٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، خَلَقَكُمُ اللهُ مِثْلَ سَائِرِ بَنِي آدَمَ، إِنْ أَحْسَنْتُمْ جُوزِيتُمْ بِإِحْسَانِكُمْ، كَمَا سَائِرُ بَنِي آدَمَ مَجْزِيُّونَ بِإِحْسَانِهِمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ جُوزِيتُمْ بِإِسَاءَتِكُمْ، كَمَا غَيْرُكُمْ مَجْزِيٌّ بِهَا، لَيْسَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ إِلَّا مَا لِغَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ ذُنُوبَهُ، فَيَصْفَحُ عَنْهُ بِفَضْلِهِ، وَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ، فَلَا يُعَاقِبُهُ بِهَا..

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ وَيَعْدِلُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُعَاقِبُهُ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ، وَيَفْضَحُهُ بِهَا عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، فَلَا يَسْتُرُهَا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِيدٌ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الْمُتَّكِلِينَ عَلَىٰ مَنَازِلِ سَلَفِهِمُ الْخِيَارِ عِنْدَ اللهِ، الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللهُ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَاجْتِنَابِهِمْ مَعْصِيَتَهُ، لِمُسَارَعَتِهِمْ إِلَىٰ رِضَاهُ، وَاصْطِبَارِهِمْ عَلَىٰ مَا نَابَهُمْ فِيهِ، يَقُولُ لَهُمْ: لَا تَغْتَرُّوا بِمَكَانِ أُولَئِكَ مِنِّي، وَمَنَازِلِهِمْ عِنْدِي، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا نَالُوا مِنِّي بِالطَّاعَةِ لِي، وَإِيثَارِ رِضَايَ عَلَىٰ مَحَابِّهِمْ، لَا بِالْإِمَانِيِّ، فَجِدُّوا فِي طَاعَتِي، وَانْتَهُوا إِلَىٰ أَمْرِي، وَانْزَجِرُوا عَمَّا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا أَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ أَشَاءُ أَنْ أَغْفِرَ ذُنُوبَهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِي، وَأُعَذِّبُ مَنْ أَشَاءُ تَعْذِيبَهُ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِي، لَا لِمَنْ قَرُبَتْ زُلْفَةُ آبَائِهِ مِنِّي، وَهُوَ لِي عَدُوٌّ، وَلِأَمْرِي وَنَهْيِي مُخَالِفٌ..

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ﴾ وَلِلَّهِ تَدْبِيرُ مَا فِي..

﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ وَمَا فِي..

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ﴾ يَصْرِفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيُدَبِّرُهُ كَيْفَ أَحَبَّهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهِ مُلْكٌ، فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، أَنَّهُ إِنْ عَذَّبَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ،

لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْهُ مَانِعٌ، وَلَا لَكُمْ عَنْهُ دَافِعٌ؛ لِأَنَّهُ لَا نَسَبَ بَيْنَ أَحَدٍ وَبَيْنَهُ فَيُحَابِيهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَلَا لِأَحَدٍ فِي شَيْءٍ دُوْنَه مُلْكٌ فَيَحُولُ بَيْنَه وَبَيْنَه إِنْ أَرَادَ تَعْذِيبَه بِذَنْبِهِ..

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٨﴾ [المائدة: ١٨] وَإِلَيهِ مَصِيرُ كُلِّ شَيءٍ وَمَرْجِعِهِ، فَاتَّقُوا أَيُّهَا الْمُفْتَرُونَ عِقَابَهُ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِكُمْ بَعْدَ مَرْجِعِكُمْ إِلَيْهِ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِالْإِمَانِيِّ وَفَضَائِلِ الْآبَاءِ وَالْأَسْلَافِ.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٩﴾ [المائدة: ١٩].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَوْ بَعْضَهُمْ -فِيمَا ذُكِرَ- لَمَّا دَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالُوا: مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ بَعْدَ مُوسَىٰ، وَلَا أَنْزَلَ بَعْدَ التَّوْرَاةِ كِتَابًا..

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ يُعَرِّفُكُمُ الْحَقَّ، وَيُوَضِّحُ لَكُمْ أَعْلَامَ الْهُدَىٰ، وَيُرْشِدُكُمْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ الْمُرْتَضَىٰ..

﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ عَلَىٰ انْقِطَاعٍ..

﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟﴾ كَيْ لَا تَقُولُوا..

﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ يعَلِّمُهُمْ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ قَدْ قَطَعَ عُذْرَهُمْ بِرَسُولِهِ ﷺ، وَأَبْلَغَ إِلَيْهِمْ فِي الْحُجَّةِ.. وَيَعْنِي بِالْبَشِيرِ: الْمُبَشِّرَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَآمَنَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَعَمِلَ بِمَا آتَاهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِعَظِيمِ ثَوَابِهِ فِي آخِرَتِهِ، وَبِالنَّذِيرِ: الْمُنْذِرَ مَنْ عَصَاهُ وَكَذَّبَ رَسُولَهُ ﷺ وَعَمِلَ بِغَيْرِ مَا أَتَاهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ بِمَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ فِي مَعَادِهِ، وَشَدِيدِ عَذَابِهِ فِي قِيَامَتِهِ..

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ: قَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكُمْ، وَاحْتَجَجْنَا عَلَيْكُمْ بِرَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْكُمْ، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ، لِيُبَيِّنَ لَكُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، كَيْلَا تَقُولُوا لَمْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِكَ رَسُولٌ يُبَيِّنُ لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِي رَسُولٌ، يُبَشِّرُ مَنْ آمَنَ بِي وَعَمِلَ بِمَا أَمَرْتُهُ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَيْتُهُ عَنْهُ، وَيُنْذِرُ مَنْ عَصَانِي وَخَالَفَ أَمْرِي..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٩﴾ [المائدة: ١٩] وَأَنَا الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، أَقْدِرُ عَلَىٰ عِقَابِ مَنْ عَصَانِي وَثَوَابِ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّقُوا عِقَابِي عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّايَ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولِي، وَاطْلُبُوا

ثَوَابِي عَلَىٰ طَاعَتِكُمْ إِيَّايَ، وَتَصْدِيقِكُمْ بَشِيرِي وَنَذِيرِي، فَإِنِّي أَنَا الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: ٢٠].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ اذْكُرُوا أَيَادِيَ اللهِ عِنْدَكُمْ، وَآلَاءَهُ قِبَلَكُمْ..

﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّ مُوسَىٰ ذَكَّرَ قَوْمَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَيَّامِ اللهِ عِنْدَهُمْ وَبِآلَائِهِ قِبَلَهُمْ، فَحَرَّضَهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ اتِّبَاعِ أَمْرِ اللهِ فِي قِتَالِ الْجَبَّارِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ فَضَّلَكُمْ بِأَنْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ يَأْتُونَكُمْ بِوَحْيِهِ، وَيُخْبِرُونَكُمْ بِآيَاتِهِ بِالْغَيْبِ، وَلَمْ يُعْطِ ذَلِكَ غَيْرَكُمْ فِي زَمَانِكُمْ هَذَا، فَقِيلَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ مُوسَىٰ أَنَّهُمْ جُعِلُوا فِيهِمْ هُمُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ مُوسَىٰ، إِذْ صَارَ إِلَىٰ الْجَبَلِ وَهُمُ السَّبْعُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ، فَقَالَ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]..

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ سَخَّرَ لَكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ خَدَمًا يَخْدُمُونَكُمْ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ مُوسَىٰ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَحَدٌ سِوَاهُمْ يَخْدُمُهُ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كُلُّ مَنْ مَلَكَ بَيْتًا وَخَادِمًا وَامْرَأَةً، فَهُوَ مَلِكٌ، كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ: إِنَّمَا قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمْلِكُونَ الدُّورَ وَالْخَدَمَ، وَلَهُمْ نِسَاءٌ وَأَزْوَاجٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُمْ يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ..

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: ٢٠] خِطَابٌ مِنْ مُوسَىٰ ﷺ لِقَوْمِهِ يَوْمَئِذٍ، وَعَنَىٰ بِذَلِكَ عَالَمِي زَمَانِهِ لَا عَالَمِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَمْ يَكُنْ أُوتِيَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ مَا أُوتِيَ قَوْمُهُ ﷺ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ مِنْهُ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ، لَا عَلَىٰ جَمِيعِ كُلِّ زَمَانٍ.. وَهَذَا أَيْضًا مِنَ اللهِ تَعْرِيفٌ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدِيمٌ بِتَمَادِي هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ فِي الْغَيِّ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، وَشِدَّةِ خِلَافِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَبُطْءِ إِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ الرَّشَادِ، مَعَ كَثْرَةِ نِعَمِ اللهِ عِنْدَهُمْ، وَتَتَابُعِ أَيَادِيهِ وَآلَائِهِ عَلَيْهِ، مُسَلِّيًا بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا

يَحِلُّ بِهِ مِنْ عِلَاجِهِمْ، وَيَنْزِلُ بِهِ مِنْ مُقَاسَاتِهِمْ فِي ذَاتِ اللهِ.. يَقُولُ اللهُ لَهُ ﷺ: لَا تَأْسَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الذَّهَابَ عَنِ اللهِ وَالْبُعْدَ مِنَ الْحَقِّ وَمَا فِيهِ لَهُمُ الْحَظُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْ عَادَاتِهِمْ وَعَادَاتِ أَسْلَافِهِمْ وَأَوَائِلِهِمْ، وَتَعَزَّ بِمَا لَاقَىٰ مِنْهُمْ أَخُوكَ مُوسَىٰ ﷺ.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١].

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ مُوسَىٰ ﷺ لِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ، يَأْمُرُهُمْ بِدُخُولِ..

﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِذَلِكَ: الطُّورَ وَمَا حَوْلَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الشَّامُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ أَرْضُ أَرِيحَاءَ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ: دِمَشْقُ وَفِلَسْطِينُ وَبَعْضُ الْأُرْدُنِّ.. وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ الْمُطَهَّرَةَ الْمُبَارَكَةَ.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، أَنْ يُقَالَ: هِيَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ، كَمَا قَالَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ بِأَنَّهَا أَرْضٌ دُونَ أَرْضٍ، لَا تُدْرَكُ حَقِيقَةُ صِحَّتِهِ إِلَّا بِالْخَبَرِ، وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ يَجُوزُ قَطْعُ الشَّهَادَةِ بِهِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي بَيْنَ الْفُرَاتِ وَعَرِيشِ مِصْرَ لِإِجْمَاعِ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَالسِّيَرِ وَالْعُلَمَاءِ بِالْأَخْبَارِ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الَّتِي أَثْبَتَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا لَكُمْ مَسَاكِنُ، وَمَنَازِلُ دُونَ الْجَبَابِرَةِ الَّتِي فِيهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ قَالَ: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٦]، فَكَيْفَ يَكُونُ مُثْبَتًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا مَسَاكِنُ لَهُمْ، وَمُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ سُكْنَاهَا؟! قِيلَ: إِنَّهَا كُتِبَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ دَارًا وَمَسَاكِنَ، وَقَدْ سَكَنُوهَا وَنَزَلُوهَا، وَصَارَتْ لَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ، وَلَمْ يَعْنِ ﷺ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَتَبَهَا لِلَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِهَا بِأَعْيَانِهِمْ.. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ كَانَتْ مَكْتُوبَةً لِبَعْضِهِمْ، وَلِخَاصٍّ مِنْهُمْ، فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ عَلَى الْعُمُومِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْخَاصُّ؛ إِذْ كَانَ يُوشَعُ قَدْ دَخَلَ، وَكَانَا مِمَّنْ خُوطِبَ بِهَذَا الْقَوْلِ، كَانَ أَيْضًا وَجْهًا صَحِيحًا..

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ

أَمَرَهُمْ عَنْ أَمْرِ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ إِيَّاهُ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: امْضُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ دُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَلَا تَرْجِعُوا الْقَهْقَرَىٰ مُرْتَدِّينَ..

﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ إِلَىٰ وَرَائِكُمْ، وَلَكِنِ امْضُوا قُدُمًا لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الدُّخُولِ عَلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَمَرَكُمُ اللهُ بِقِتَالِهِمْ، وَالْهُجُومِ عَلَيْهِمْ فِي أَرْضِهِمْ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ كَتَبَهَا لَكُمْ مَسْكَنًا وَقَرَارًا..

﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ [المائدة: ٢١] تَنْصَرِفُوا خَائِبِينَ هَكَذَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا كَانَ وَجْهُ قِيلِ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِذْ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ لَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ؟ أَوْ يَسْتَوْجِبُ الْخَسَارَةَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ أَرْضًا جُعِلَتْ لَهُ؟ قِيلَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ كَانَ أَمَرَهُ بِقِتَالِ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ دُخُولَهَا، فَاسْتَوْجَبَ الْقَوْمُ الْخَسَارَةَ بِتَرْكِهِمْ إِذَنْ فَرَضَ اللهِ عَلَيْهِمْ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: تَضْيِيعُ فَرْضِ الْجِهَادِ الَّذِي كَانَ اللهُ فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَالثَّانِي: خِلَافُهُمْ أَمْرَ اللهِ فِي تَرْكِهِمْ دُخُولَ الْأَرْضِ، وَقَوْلِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ مُوسَىٰ ﷺ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ: ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾ [المائدة: ٢٢]، كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: أُمِرُوا بِهَا كَمَا أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾ [المائدة: ٢٢].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ جَوَابِ قَوْمِ مُوسَىٰ ﷺ، إِذْ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، أَنَّهُمْ أَبَوْا عَلَيْهِ إِجَابَةً إِلَىٰ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَاعْتَلُّوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِأَنْ قَالُوا..

﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ﴾ إِنَّ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي تَأْمُرُنَا بِدُخُولِهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ، لَا طَاقَةَ لَنَا بِحَرْبِهِمْ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا بِهِمْ.. وَسَمُّوهُمْ جَبَّارِينَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِشِدَّةِ بَطْشِهِمْ وَعَظِيمِ خَلْقِهِمْ -فِيمَا ذُكِرَ لَنَا- قَدْ قَهَرُوا سَائِرَ الْأُمَمِ غَيْرَهُمْ.. وَأَصْلُ الْجَبَّارِ: الْمُصْلِحُ أَمْرَ نَفْسِهِ وَأَمْرَ غَيْرِهِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ مَنِ اجْتَرَّ نَفْعًا إِلَىٰ نَفْسِهِ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ، حَتَّىٰ قِيلَ لِلْمُتَعَدِّي إِلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ بَغْيًا عَلَىٰ النَّاسِ وَقَهْرًا لَهُمْ وَعُتُوًّا عَلَىٰ رَبِّهِ: جَبَّارٌ، وَإِنَّمَا هُوَ فَعَّالٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَرَ فُلَانٌ هَذَا الْكَسْرَ، إِذَا أَصْلَحَهُ وَلَأَمَهُ.. وَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْجَبَّارُ، لِأَنَّهُ الْمُصْلِحُ أَمْرَ عِبَادِهِ الْقَاهِرُ لَهُمْ بِقُدْرَتِهِ..

﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- عَنْ قَوْلِ قَوْمِ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ جَوَابًا لِقَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١] فَقَالُوا:

﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ يَعْنُونَ: مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الْجَبَّارُونَ الَّذِينَ فِيهَا، جُبْنًا مِنْهُمْ وَجَزَعًا مِنْ قِتَالِهِمْ، وَقَالُوا لَهُ..

﴿فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ إِنْ يَخْرُجْ مِنْهَا هَؤُلَاءِ الْجَبَّارُونَ..

﴿فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة: ٢٢] دَخَلْنَاهَا، وَإِلَّا فَإِنَّا لَا نُطِيقُ دُخُولَهَا وَهُمْ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ، وَلَا يَدَ.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحَيْنِ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ: يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَكَالِبِ بْنِ يُوفَنَا، أَنَّهُمَا وَفَيَا لِمُوسَىٰ بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِمَا مِنْ تَرْكِ إِعْلَامِ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَىٰ الْجَبَابِرَةِ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ، بِمَا رَأَيَا وَعَايَنَا مِنْ شِدَّةِ بَطْشِ الْجَبَابِرَةِ وَعِظَمِ خَلْقِهِمْ، وَوَصَفَهُمَا اللهُ بِأَنَّهُمَا مِمَّنْ يَخَافُ اللهَ وَيُرَاقِبُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بِطَاعَةِ اللهِ فِي طَاعَةِ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ، وَانْتِهَائِهِمْ إِلَىٰ أَمْرِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُمَا عَنْهُ ﷺ، مِنْ إِفْشَاءِ مَا عَايَنَا مِنْ عَجِيبِ أَمْرِ الْجَبَّارِينَ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي حَذَّرَ عَنْهُ أَصْحَابَهُمَا الْآخَرِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمَا مِنَ النُّقَبَاءِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا بِالْخَوْفِ..

﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ يَخَافَانِ اللهَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَبُنُوا وَخَافُوا مِنَ الدُّخُولِ عَلَىٰ الْجَبَّارِينَ لَمَّا سَمِعُوا خَبَرَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمُ النُّقَبَاءُ الَّذِينَ أَفْشَوْا مَا عَايَنُوا مِنْ أَمْرِهِمْ فِيهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا، فَقَالَا لَهُمْ: ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ بَابَ مَدِينَتِهِمْ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكُمْ وَهُوَ نَاصِرُكُمْ، وَإِنَّكُمْ إِذَا دَخَلْتُمُ الْبَابَ غَلَبْتُمُوهُمْ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ وَهَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، عَنْ قَوْلِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ يَخَافَانِ اللهَ أَنَّهُمَا قَالَا لِقَوْمِ مُوسَىٰ يُشَجِّعَانِهِمْ بِذَلِكَ، وَيُرَغِّبَانِهِمْ فِي الْمُضِيِّ لِأَمْرِ اللهِ بِالدُّخُولِ عَلَىٰ الْجَبَّارِينَ فِي مَدِينَتِهِمْ: تَوَكَّلُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ اللهِ فِي دُخُولِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولَانِ لَهُمْ: ثِقُوا بِاللهِ؛ فَإِنَّهُ مَعَكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِي نَبِيِّكُمْ ﷺ، فِيمَا أَنْبَأَكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ

مِنَ النُّصْرَةِ وَالظَّفَرِ عَلَيْهِمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ إِخْبَارِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ رَبَّكُمْ قَادِرٌ عَلَىٰ الْوَفَاءِ لَكُمْ بِمَا وَعَدَكُمْ مِنْ تَمْكِينِكُمْ فِي بِلَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكُمْ.

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤].

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ الْمَلَإِ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ، إِذْ رَغِبُوا فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَوُعِدُوا نَصْرَ اللهِ إِيَّاهُمْ إِنْ هُمْ نَاهَضُوهُمْ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ بَابَ مَدِينَتِهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ..

﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ أَيَّامَ حَيَاتِنَا..

﴿مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾ مَا كَانَ الْجَبَّارُونَ مُقِيمِينَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهُمْ، وَأُمِرُوا بِدُخُولِهَا..

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤] لَا نَجِيءُ مَعَكَ يَا مُوسَىٰ إِنْ ذَهَبْتَ إِلَيْهِمْ لِقِتَالِهِمْ، وَلَكِنْ نَتْرُكُكَ تَذْهَبُ أَنْتَ وَحْدَكَ وَرَبُّكَ فَتُقَاتِلَانِهِمْ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: لَيْسَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: اذْهَبْ أَنْتَ وَلْيَذْهَبْ مَعَكَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ: اذْهَبْ أَنْتَ يَا مُوسَىٰ، وَلْيُعِنْكَ رَبُّكَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الذَّهَابُ، وَهَذَا إِنَّمَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ طَلَبِ الْمَخْرَجِ لَهُ لَوْ كَانَ الْخَبَرُ عَنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، فَأَمَّا قَوْمٌ أَهْلُ خِلَافٍ عَلَىٰ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- وَرَسُولِهِ، فَلَا وَجْهَ لِطَلَبِ الْمَخْرَجِ لِكَلَامِهِمْ فِيمَا قَالُوا فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ، إِلَّا بِمَا يُشْبِهُ كُفْرَهُمْ وَضَلَالَتَهُمْ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الْمِقْدَادِ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خِلَافَ مَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ: (..**إِنَّا لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ نَقُولُ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ**).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

[المائدة: ٢٥].

﴿قَالَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ قِيلِ قَوْمِ مُوسَىٰ، حِينَ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ مَا قَالُوا مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤] أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَغَضِبَ مِنْ قِيلِهِمْ لَهُمْ دَاعِيًا: يَا..

﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ﴾ لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ أَحَدٍ أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ وَأُرِيدُ مِنْ طَاعَتِكَ وَاتِّبَاعِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِي وَعَلَىٰ أَخِي، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَا أَمْلِكُ مِنَ الْأَمْرِ

شَيْئًا إِلَّا كَذَا وَكَذَا، بِمَعْنَىٰ: لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ غَيْرِهِ..

﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ افْصِلْ..

﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ [المائدة: ٢٥] بِقَضَاءٍ مِنْكَ تَقْضِيهِ فِينَا وَفِيهِمْ فَتُبْعِدُهُمْ مِنَّا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: فَرَقْتُ بَيْنَ هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ، بِمَعْنَىٰ: فَصَلْتُ بَيْنَهُمَا.. وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ الْخَارِجِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِهِ، إِلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ وَبِهِ، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْفِسْقِ: الْخُرُوجُ مِنْ شَيْءٍ إِلَىٰ شَيْءٍ، فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ حَرَّمَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَصَوْهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ وَأَبَوْا حَرْبَ الْجَبَّارِينَ، دُخُولَ مَدِينَتِهِمْ..

﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾ ثُمَّ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، وَأَسْكَنُوهَا، وَأَهْلَكَ الْجَبَّارِينَ بَعْدَ حَرْبٍ مِنْهُمْ لَهُمْ، بَعْدَ أَنْ قُضِيَتِ الْأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَخَرَجُوا مِنَ التِّيهِ.. وَقَدْ وَفَىٰ اللهُ بِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، فَتَيَّهَهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَحَرَّمَ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ فِي الْأَرْبَعِينَ سَنَةً الَّتِي مَكَثُوا فِيهَا تَائِهِينَ دُخُولَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَلَمْ يَدْخُلْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ وَلَا صَالِحٌ وَلَا طَالِحٌ، حَتَّىٰ انْقَضَتِ السُّنُونَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِمْ فِيهَا دُخُولَهَا، ثُمَّ أَذِنَ لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَذَرَارِيهِمْ بِدُخُولِهَا مَعَ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ، وَالرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا، وَافْتَتَحَ قَرْيَةَ الْجَبَّارِينَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ وَعَلَىٰ مُقَدِّمَتِهِ يُوشَعُ..

﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يَحَارُونَ فِيهَا وَيَضِلُّونَ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلرَّجُلِ الضَّالِّ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ: تَائِهٌ.. وَكَانَ تِيهُهُمْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُصْبِحُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً كُلَّ يَوْمٍ جَادِّينَ لِلْخُرُوجِ مِنْهُ، فَيُمْسُونَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ابْتَدَءُوا السَّيْرَ مِنْهُ..

﴿فَلَا تَأۡسَ﴾ فَلَا تَحْزَنْ..

﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٧].

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَاتْلُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ

يَبْسُطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْكُمْ، وَعَرِّفْهُمْ مَكْرُوهَ عَاقِبَةِ الظُّلْمِ وَالْمَكْرِ، وَسُوءَ مَغَبَّةِ الْجَوْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ، وَمَا جَزَاءُ النَّاكِثِ، وَثَوَابُ الْوَافِي..

﴿نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ خَبَرَ ابْنَيْ آدَمَ هَابِيلَ وَقَابِيلَ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ الْمُطِيعِ مِنْهُمَا رَبَّهُ الْوَافِي بِعَهْدِهِ، وَمَا إِلَيْهِ صَارَ أَمْرُ الْعَاصِي مِنْهُمَا رَبَّهُ، الْجَائِرِ النَّاقِضِ عَهْدَهُ، فَلْتَعْرِفْ بِذَلِكَ الْيَهُودُ وَخَامَةَ غِبِّ غَدْرِهِمْ، وَنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَهَمِّهِمْ بِمَا هَمُّوا بِهِ مِنْ بَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّ لَكَ وَلَهُمْ فِي حُسْنِ ثَوَابِي وَعِظَمِ جَزَائِي عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ الَّذِي جَازَيْتُ الْمَقْتُولَ الْوَافِي بِعَهْدِهِ مِنِ ابْنَيْ آدَمَ، وَعَاقَبْتُ بِهِ الْقَاتِلَ النَّاكِثَ عَهْدَهُ، عَزَاءً جَمِيلًا..

﴿بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا﴾ وَلَمْ يُخْبِرْ أَنَّ تَقْرِيبَهُمَا مَا قَرَّبَا كَانَ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمَا بِهِ وَلَا عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمَا بِذَلِكَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَلَمْ يُقَرِّبَا ذَلِكَ إِلَّا طَلَبَ قُرْبَةٍ إِلَىٰ اللهِ..

﴿قُرْبَانًا﴾ وَكَانَتْ قَرَابِينُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ أُمَّتِنَا كَالصَّدَقَاتِ وَالزَّكَوَاتِ فِينَا، غَيْرَ أَنَّ قَرَابِينَهُمْ كَانَ يُعْلَمُ الْمُتَقَبَّلُ مِنْهَا وَغَيْرُ الْمُتَقَبَّلِ -فِيمَا ذُكِرَ- بِأَكْلِ النَّارِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهَا، وَتَرْكِ النَّارِ مَا لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهَا.. وَالْقُرْبَانُ فِي أُمَّتِنَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَلَا سَبِيلَ لَهَا إِلَىٰ الْعِلْمِ فِي عَاجِلٍ بِالْمُتَقَبَّلِ مِنْهَا وَالْمَرْدُودِ..

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ﴾ الَّذِي لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ قُرْبَانُهُ لِلَّذِي تُقُبِّلَ مِنْهُ قُرْبَانُهُ..

﴿لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾ الْمُتَقَبَّلُ قُرْبَانُهُ..

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة: ٢٧] مِنَ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ وَخَافُوهُ، بِأَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: الْمُتَّقُونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِينَ اتَّقَوُا الشِّرْكَ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْعَنْبَرِيِّ، أَنَّهُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَكَىٰ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟! فَقَدْ كُنْتَ وَكُنْتَ، فَقَالَ: (يُبْكِينِي أَنِّي أَسْمَعُ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾).

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾ [المائدة: ٢٨].

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْمَقْتُولِ مِنِ ابْنَيْ آدَمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَخِيهِ

لَمَّا قَالَ لَهُ أَخُوهُ الْقَاتِلُ لَأَقْتُلَنَّكَ: وَاللهِ ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ مَدَدْتَ إِلَيَّ يَدَكَ..

﴿لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾ مَا أَنَا بِمَادٍّ..

﴿يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ لِإِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ كَانَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ قَتْلَ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ ظُلْمًا، وَأَنَّ الْمَقْتُولَ قَالَ لِأَخِيهِ: مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ إِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَرَامًا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ أَخِيهِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ حَرَامًا عَلَىٰ أَخِيهِ الْقَاتِلِ مِنْ قَتْلِهِ، فَأَمَّا الامْتِنَاعُ مِنْ قَتْلِهِ حِينَ أَرَادَ قَتْلَهُ، فَلَا دَلَالَةَ عَلَىٰ أَنَّ الْقَاتِلَ حِينَ أَرَادَ قَتْلَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ كَانَ الْمَقْتُولُ عَالِمًا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، عَازِمٌ مِنْهُ وَمُحَاوِلٌ مِنْ قَتْلِهِ، فَتَرَكَ دَفْعَهُ عَنْ نَفْسِهِ، بَلْ قَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ قَتَلَهُ غِيلَةً، اغْتَالَهُ وَهُوَ نَائِمٌ، فَشَدَخَ رَأْسَهُ بِصَخْرَةٍ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مُمْكِنًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ مَأْمُورًا بِتَرْكِ مَنْعِ أَخِيهِ مِنْ قَتْلِهِ، لَمْ يَكُنْ جَائِزًا ادِّعَاءُ مَا لَيْسَ فِي الْآيَةِ إِلَّا بِبُرْهَانٍ يَجِبُ تَسْلِيمُهُ..

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ فَإِنِّي أَخَافُ اللهَ فِي بَسْطِ يَدِيَ إِلَيْكَ إِنْ بَسَطْتُهَا لِقَتْلِكَ..

﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٨] مَالِكَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا، أَنْ يُعَاقِبَنِي عَلَىٰ بَسْطِ يَدِيَ إِلَيْكَ.

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

[المائدة: ٢٩].

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى﴾ مِنْ قَتْلِكَ إِيَّايَ.. أَيْ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ قَتْلِي، فَحَذَفَ الْقَتْلَ وَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْإِثْمِ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ..

﴿وَإِثْمِكَ﴾ فِي مَعْصِيَتِكَ اللهَ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِيكَ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي أَعْمَالٍ سِوَاهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَيْسَ قَتْلُ الْمَقْتُولِ مِنْ بَنِي آدَمَ كَانَ مَعْصِيَةً لِلَّهِ مِنَ الْقَاتِلِ؟ قِيلَ: بَلَىٰ، وَأَعْظِمْ بِهَا مَعْصِيَةً، فَإِنْ قَالَ: فَإِذَا كَانَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ مَعْصِيَةٌ، فَكَيْفَ جَازَ أَنْ يُرِيدَ ذَلِكَ مِنْهُ الْمَقْتُولُ وَيَقُولُ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى﴾ وَقَدْ ذَكَرْتَ أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ قَتْلِي؟ فَمَعْنَاهُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ قَتْلِي إِنْ قَتَلْتَنِي لِأَنِّي لَا أَقْتُلُكَ، فَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَنِي فَإِنِّي مَرِيدٌ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ مَعْصِيَتِكَ اللهَ فِي قَتْلِكَ إِيَّايَ، وَهُوَ إِذَا قَتَلَهُ، فَهُوَ لَا مَحَالَةَ بَاءَ بِهِ فِي حُكْمِ اللهِ، فَإِرَادَتُهُ ذَلِكَ غَيْرُ مُوجِبَةٍ لَهُ الدُّخُولَ فِي الْخَطَأِ..

﴿فَتَكُونَ﴾ بِقَتْلِكَ إِيَّايَ..

﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ مِنْ سُكَّانِ الْجَحِيمِ، وَوَقُودِ النَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِيهَا..

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة: ٢٩] وَالنَّارُ ثَوَابُ التَّارِكِينَ طَرِيقَ الْحَقِّ، الزَّائِلِينَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، الْمُتَعَدِّينِ مَا جُعِلَ لَهُمْ إِلَىٰ مَا لَمْ يُجْعَلْ لَهُمْ.. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ -عَزَّ ذِكْرُهُ- قَدْ كَانَ أَمَرَ وَنَهَىٰ آدَمَ بَعْدَ أَنْ أَهْبَطَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَالَ الْمَقْتُولُ لِلْقَاتِلِ: فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ بِقَتْلِكَ إِيَّايَ، وَلَا أَخْبَرَهُ أَنَّ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا، ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**».. وَبِهَذَا الْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَبَيَّنَ أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ الْحَسَنُ فِي ابْنَيْ آدَمَ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّهُمَا لَيْسَا بِابْنَيْ آدَمَ لِصُلْبِهِ، وَلَكِنَّهُمَا رَجُلَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي حُكِيَ عَنْهُ، أَنَّ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ آدَمُ، وَأَنَّ الْقُرْبَانَ الَّذِي كَانَتِ النَّارُ تَأْكُلُهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَطَأٌ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ هَذَا الْقَاتِلِ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، وَقَدْ كَانَ لَا شَكَّ الْقَتْلُ قَبْلَ إِسْرَائِيلَ، فَكَيْفَ قَبْلُ ذُرِّيَّتِهِ، وَخَطَأٌ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ: أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ هُوَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ ابْنُ آدَمَ لِصُلْبِهِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، فَأَوْجَبَ اللهُ لَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا رُوِّينَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: ٣٠].

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ فَأَقَامَتْهُ وَسَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ..

﴿قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ﴾ الْقَاتِلُ أَخَاهُ مِنِ ابْنَيْ آدَمَ..

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: ٣٠] مِنْ حِزْبِ الْخَاسِرِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ بَاعُوا آخِرَتَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ بِإِيثَارِهِمْ إِيَّاهَا عَلَيْهَا، فَوُكِسُوا فِي بَيْعِهِمْ وَغُبِنُوا فِيهِ، وَخَابُوا فِي صَفْقَتِهِمْ.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: ٣١].

﴿فَبَعَثَ﴾ فَأَثَارَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ لِلْقَاتِلِ إِذْ لَمْ يَدْرِ مَا يَصْنَعُ بِأَخِيهِ الْمَقْتُولِ..

﴿غُرَابًا يَبْحَثُ﴾ يَحْفِرُ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فَيُثِيرُ تُرَابَهَا..

﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ جِيفَةَ أَخِيهِ.. فَأَرَاهُ بِأَنْ بَحَثَ فِي الْأَرْضِ لِغُرَابٍ آخَرَ مَيِّتٍ، فَوَارَاهُ فِيهَا، فَـ...

﴿قَالَ﴾ الْقَاتِلُ أَخَاهُ حِينَئِذٍ..

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾ الَّذِي وَارَىٰ الْغُرَابَ الْآخَرَ الْمَيِّتَ..

﴿فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾ فَوارَاهُ حِينَئِذٍ..

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: ٣١] عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- فِي قَتْلِهِ أَخَاهُ.. وَكُلُّ مَا ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِبَنِي آدَمَ، وَحَرَّضَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ اسْتِعْمَالِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْيَهُودِ، الَّذِينَ كَانُوا هَمُّوا بِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَتْلِهِمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، إِذْ أَتَوْهُمْ يَسْتَعِينُونَهُمْ فِي دِيَةِ قَتِيلَيْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، وَعَرَّفَهُمْ -جَلَّ وَعَزَّ- رَدَاءَةَ سَجِيَّةِ أَوَائِلِهِمْ، وَسُوءَ اسْتِقَامَتِهِمْ عَلَىٰ مَنْهَجِ الْحَقِّ مَعَ كَثْرَةِ أَيَادِيهِ وَآلَائِهِ عِنْدَهُمْ، وَضَرَبَ مَثَلَهُمْ فِي عَدُوِّهِمْ وَمَثَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْوَفَاءِ لَهُمْ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ بِابْنَيْ آدَمَ الْمُقَرِّبِينَ قَرَابِينَهُمَا اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.. ثُمَّ ذَلِكَ مَثَلٌ لَهُمْ عَلَىٰ التَّأَسِّي بِالْفَاضِلِ مِنْهُمَا دُونَ الطَّالِحِ.. وَهَذَا أَيْضًا أَحَدُ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقَوْلَ فِي أَمْرِ ابْنَيْ آدَمَ بِخِلَافِ مَا رَوَاهُ عَمْرٌو عَنِ الْحَسَنِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَوْ كَانَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَجْهَلِ الْقَاتِلُ دَفْنَ أَخِيهِ وَمُوَارَاةَ سَوْأَةِ أَخِيهِ، وَلَكِنَّهُمَا كَانَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ لِصُلْبِهِ، وَلَمْ يَكُنِ الْقَاتِلُ مِنْهُمَا أَخَاهُ عَلِمَ سُنَّةَ اللهِ فِي عَادَةِ الْمَوْتَىٰ، وَلَمْ يَدْرِ مَا يَصْنَعُ بِأَخِيهِ الْمَقْتُولِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ حِينًا حَتَّىٰ أَرَاحَتْ جِيفَتُهُ، فَأَحَبَّ اللهُ تَعْرِيفَهُ السُّنَّةَ فِي مَوْتَىٰ خَلْقِهِ، فَقَيَّضَ لَهُ الْغُرَابَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفَ صِفَتَهُمَا فِي كِتَابِهِ.

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾

[المائدة: ٣٢].

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ جِنَايَةِ ابْنِ آدَمَ الْقَاتِلِ أَخَاهُ ظُلْمًا..

﴿كَتَبۡنَا﴾ حَكَمْنَا..

﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ﴾ مِنْهُمْ..

﴿نَفۡسَۢا﴾ مُؤْمِنَةً..

﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ قَتَلَتْهَا فَاسْتَحَقَّتِ الْقَوَدَ بِهَا وَالْقَتْلَ قِصَاصًا..

﴿أَوۡ﴾ بِغَيْرِ..

﴿فَسَادٖ﴾ كَانَ مِنْهَا.. وفَسَادُهَا فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَحَرْبِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا، وَإِخَافَةِ السَّبِيلِ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فَاسْتَحَقَّتْ بِذَلِكَ قَتْلَهَا..

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ فِيمَا اسْتَوْجَبَ مِنْ عَظِيمِ الْعُقُوبَةِ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، كَمَا أَوْعَدَهُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء: ٩٣]..

﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ فَحَرَّمَ قَتْلَ مَنْ حَرَّمَ اللهُ -عَزَّ ذِكْرُهُ- قَتْلَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَىٰ قَتْلِهِ..

﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ فَقَدْ حَيِيَ النَّاسُ مِنْهُ بِسَلَامَتِهِمْ مِنْهُ، وَذَلِكَ إِحْيَاؤُهُ إِيَّاهَا، وَذَلِكَ نَظِيرُ خَبَرِ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَمَّنْ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، إِذْ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فَكَانَ مَعْنَىٰ الْكَافِرِ فِي قِيلِهِ ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾: أَنَا أَتْرُكُ مَنْ قَدَرْتُ عَلَىٰ قَتْلِهِ؛ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَأُمِيتُۖ﴾: قَتْلُهُ مَنْ قَتَلَهُ، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ الْإِحْيَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ قَتْلِهِ إِيَّاهُمْ، إِلَّا فِيمَا أَذِنَ اللهُ فِي قَتْلِهِ مِنْهُمْ ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَقْسَمَ بِهِ، أَنَّ رُسُلَهُ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ- قَدْ أَتَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ، وَذَكَرَ نَبَأَهُمْ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ إِلَىٰ هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ، وَالْحُجَجِ الْبَيِّنَةِ عَلَىٰ حَقِّيَّةِ مَا أُرْسِلُوا بِهِ إِلَيْهِمْ، وَصِحَّةِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِمْ وَأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ [المائدة: ٣٢] لَعَامِلُونَ بِمَعَاصِي اللهِ، وَمُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ، وَمُحَادُّو اللهَ وَرُسُلَهُ، بِاتِّبَاعِهِمْ أَهْوَاءَهُمْ، وَخِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ؛ وَذَلِكَ كَانَ إِسْرَافَهُمْ فِي الْأَرْضِ.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الْمُحَارِبُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ: مَنْ حَارَبَ فِي سَابِلَةِ الْمُسْلِمِينَ وَذِمَّتِهِمْ، وَالْمُغِيرُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْصَارِهِمْ وَقُرَاهُمْ حِرَابَةً، فَسَوَاءٌ كَانَ نَصْبُهُ الْحَرْبَ لَهُمْ فِي مِصْرِهِمْ وَقُرَاهُمْ، أَوْ فِي سُبُلِهِمْ وَطُرُقِهِمْ، فِي أَنَّهُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مُحَارِبٌ، بِحَرْبِهِ مَنْ نَهَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْ حَرْبِهِ..

﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ ويَعْمَلُونَ فِي أَرْضِ اللهِ بِالْمَعَاصِي، مِنْ إِخَافَةِ سُبُلِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَوْ سُبُلِ ذِمَّتِهِمْ، وَقَطْعِ طُرُقِهِمْ، وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَالتَّوَثُّبِ عَلَىٰ حُرُمِهِمْ، فُجُورًا وَفُسُوقًا..

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِم، مُخْتَلِفًا بِاخْتِلَافِ أَفْعَالِهِمْ، فَعَلَىٰ مُخِيفِ السَّبِيلِ مِنْهُمْ إِذَا قُدِرَ عَلَيْهِ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَقَبْلَ أَخْذِ مَالٍ أَوْ قَتْلِ النَّفْيُ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا قُدِرَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَخْذِ الْمَالِ وَقَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمِ قَتْلُهَا الصَّلْبُ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثِ خِلَالٍ: رَجُلٌ قَتَلَ فَقُتِلَ، وَرَجُلٌ زَنَىٰ بَعْدَ إِحْصَانٍ فَرُجِمَ، وَرَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ**»، فَحَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَتْلَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ هَذِهِ الْخِلَالِ الثَّلَاثِ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ مِنْ أَجْلِ إِخَافَتِهِ السَّبِيلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْتُلَ أَوْ يَأْخُذَ مَالًا، فَذَلِكَ تَقَدُّمٌ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ بِالْخِلَافِ عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ.. وَمَعْنَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: الْإِمَامُ فِيهِ بِالْخِيَارِ إِذَا قَتَلَ وَأَخَافَ السَّبِيلَ وَأَخَذَ الْمَالَ، فَهُنَالِكَ خِيَارُ الْإِمَامِ فِي قَوْلِهِمْ بَيْنَ الْقَتْلِ أَوِ الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ، أَوْ قَطْعِ الْيَدِ وَالرِّجْلِ مِنْ خِلَافٍ، وَأَمَّا صَلْبُهُ بِاسْمِ الْمُحَارَبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ قَتْلٍ أَوْ أَخْذِ مَالٍ، فَذَلِكَ مَا لَمْ يَقُلْهُ عَالِمٌ.. فَأَمَّا مَا اعْتَلَّ بِهِ الْقَائِلُونَ: إِنَّ الْإِمَامَ فِيهِ بِالْخِيَارِ مِنْ أَنَّ (أَوْ) فِي الْعَطْفِ تَأْتِي بِمَعْنَىٰ التَّخْيِيرِ فِي الْفَرْضِ، فَنَقُولُ: لَا مَعْنَىٰ لَهُ؛ لِأَنَّ (أَوْ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَدْ تَأْتِي بِضُرُوبٍ مِنَ الْمَعَانِي، لَوْلَا كَرَاهَةُ إِطَالَةِ الْكِتَابِ بِذِكْرِهَا لَذَكَرْتُهَا، فَأَمَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنَّ مَعْنَاهَا: التَّعْقِيبُ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ: (**إِنَّ جَزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْفَعَ مَنَازِلَهُمْ فِي عِلِّيِّينَ، أَوْ يُسْكِنَهُمْ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ**)، فَمَعْلُومٌ أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ غَيْرُ قَاصِدٍ بِقِيلِهِ إِلَىٰ أَنَّ

جَزَاءَ كُلِّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ، وَمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ بِإِيمَانِهِ، بَلِ الْمَعْقُولُ عَنْهُ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَّ جَزَاءَ الْمُؤْمِنِ لَمْ يَخْلُو عِنْدَ اللهِ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْمَنَازِلِ، فَالْمُقْتَصِدُ مَنْزِلَتُهُ دُونَ مَنْزِلَةِ السَّابِقِ بِالْخَيْرَاتِ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ أَعْلَىٰ مِنْهُ مَنْزِلَةً، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ دُونَهُمَا، وَكُلٌّ فِي الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣]، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ الْمَعْطُوفِ بِـ(أَوْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣] الْآيَةُ، إِنَّمَا هُوَ التَّعْقِيبُ، فَتَأْوِيلُهُ: إِنَّ الَّذِي يُحَارِبُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَىٰ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، لَنْ يَخْلُوَ مِنْ أَنْ يَسْتَحِقَّ الْجَزَاءَ بِإِحْدَىٰ هَذِهِ الْخِلَالِ الْأَرْبَعِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ، لَا أَنَّ الْإِمَامَ مُحَكَّمٌ فِيهِ، وَمُخَيَّرٌ فِي أَمْرِهِ، كَائِنَةً مَا كَانَتْ حَالَتُهُ، عَظُمَتْ جَرِيرَتُهُ أَوْ خَفَّتْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ لِلْإِمَامِ قَتْلُ مَنْ شَهَرَ السِّلَاحَ مُخِيفًا السَّبِيلَ وَصَلْبُهُ، وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ مَالًا وَلَا قَتَلَ أَحَدًا، وَكَانَ لَهُ نَفْيُ مَنْ قَتَلَ وَأَخَذَ الْمَالَ وَأَخَافَ السَّبِيلَ، وَذَلِكَ قَوْلٌ -إِنْ قَالَهُ قَائِلٌ- خِلَافُ مَا صَحَّتْ بِهِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا فَقُتِلَ، أَوْ زَنَىٰ بَعْدَ إِحْصَانٍ فَرُجِمَ، أَوِ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ**»، وَخِلَافُ قَوْلِهِ: «**الْقَطْعُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا**» وَغَيْرُ الْمَعْرُوفِ مِنْ أَحْكَامِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ هَذِهِ الْأَحْكَامَ الَّتِي ذَكَرْتَ كَانَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ الْمُحَارِبِ، وَلِلْمُحَارِبِ حُكْمٌ غَيْرُ ذَلِكَ مُنْفَرِدٌ بِهِ؟ قِيلَ لَهُ: فَمَا الْحُكْمُ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ الْمُحَارِبُ فِي سُنَنِهِ؟ فَإِنِ ادَّعَىٰ عَنْهُ ﷺ حُكْمًا خِلَافَ الَّذِي ذَكَرْنَا، أَكْذَبَهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَوْجُودٍ بِنَقْلٍ وَاحِدٍ وَلَا جَمَاعَةٍ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ هُوَ مَا فِي ظَاهِرِ الْكِتَابِ، قِيلَ لَهُ: فَإِنَّ أَحْسَنَ حَالَاتِكَ أَنْ يُسَلَّمَ لَكَ أَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ قَدْ يَحْتَمِلُ مَا قُلْتَ، وَمَا قَالَهُ مَنْ خَالَفَكَ، فَمَا بُرْهَانُكَ عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَكَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ تَأْوِيلِهِ، فَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ مُخَيَّرًا فِي الْحُكْمِ عَلَىٰ الْمُحَارِبِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ (أَوْ) بِمَعْنَىٰ التَّخْيِيرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِنْدَكَ، أَفَلَهُ أَنْ يَصْلُبَهُ حَيًّا وَيَتْرُكَهُ عَلَىٰ الْخَشَبَةِ مَصْلُوبًا حَتَّىٰ يَمُوتَ مِنْ غَيْرِ قَتْلِهِ؟ فَإِنْ قَالَ: ذَلِكَ لَهُ، خَالَفَ فِي ذَلِكَ الْأُمَّةَ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ، وَإِنَّمَا لَهُ قَتْلُهُ ثُمَّ صَلْبُهُ أَوْ صَلْبُهُ ثُمَّ قَتْلُهُ، تَرَكَ عِلَّتَهُ مِنْ أَنَّ الْإِمَامَ إِنَّمَا كَانَ لَهُ الْخِيَارُ فِي الْحُكْمِ عَلَىٰ الْمُحَارِبِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ (أَوْ) تَأْتِي بِمَعْنَىٰ التَّخْيِيرِ، وَقِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ كَانَ لَهُ الْخِيَارُ فِي الْقَتْلِ أَوِ النَّفْيِ أَوِ الْقَطْعِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْخِيَارُ فِي الصَّلْبِ وَحْدَهُ، حَتَّىٰ تُجْمَعَ إِلَيْهِ عُقُوبَةٌ أُخْرَىٰ؟! وَقِيلَ لَهُ: هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ جَعَلَ الْخِيَارَ -حَيْثُ أَبَيْتَ وَأَبَىٰ ذَلِكَ حَيْثُ جَعَلْتَهُ لَهُ- فَرْقٌ مِنْ

أَصْلٍ أَوْ قِيَاسٍ؟ فَلَنْ يَقُولَ فِي أَحَدِهِمَا قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الْآخَرِ مِثْلَهُ..

﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ تُقَطَّعُ أَيْدِيهِمْ مُخَالِفًا فِي قَطْعِهَا قَطْعَ أَرْجُلِهِمْ، وَذَلِكَ أَنْ تُقْطَعَ أَيْمَنُ أَيْدِيهِمْ وَأَشْمَلُ أَرْجُلِهِمْ، فَذَلِكَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمَا فِي الْقَطْعِ..

﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ نَفْيُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ غَيْرِهِ، وَحَبْسِهِ فِي السِّجْنِ فِي الْبَلَدِ الَّذِي نُفِيَ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ تَظْهَرَ تَوْبَتُهُ مِنْ فُسُوقِهِ وَنُزُوعُهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْجَزَاءُ الَّذِي جَازَيْتُ بِهِ الَّذِينَ حَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ قَتْلٍ، أَوْ صَلْبٍ، أَوْ قَطْعِ يَدٍ وَرِجْلٍ مِنْ خِلَافٍ..

﴿لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُحَارِبِينَ..

﴿خِزْيٌ﴾ هُوَ لَهُمْ شَرٌّ وَعَارٌ وَذِلَّةٌ، وَنَكَالٌ وَعُقُوبَةٌ..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ..

﴿وَلَهُمْ﴾ ولِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فَلَمْ يَتُوبُوا مِنْ فِعْلِهِمْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ هَلَكُوا..

﴿فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ مَعَ الْخِزْيِ الَّذِي جَازَيْتُهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعُقُوبَةُ الَّتِي عَاقَبْتُهُمْ بِهَا فِيهَا..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة: ٣٣] فِي جَهَنَّمَ.. وحُكْمُ مَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَسَعَىٰ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِنَا وَمِلَّتِنَا وَاحِدٌ، وَالَّذِينَ عُنُوا بِالْآيَةِ كَانُوا أَهْلَ عَهْدٍ وَذِمَّةٍ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي حُكْمِهَا كُلُّ ذِمِّيٍّ وَمِلِّيٍّ، وَلَيْسَ يُبْطِلُ بِدُخُولِ مَنْ دَخَلَ فِي حُكْمِ الْآيَةِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا نُزُولُهَا فِيمَنْ نَزَلَتْ فِيهِ.. وهَذِه الآيَةُ بَيَانٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ حُكْمِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٢] أَعْلَمَ عِبَادَهُ مَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْمُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

[المائدة: ٣٤].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ فَتَوْبَةُ الْمُحَارِبِ الْمُمْتَنِعِ بِنَفْسِهِ أَوْ بِجَمَاعَةٍ مَعَهُ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، تَضَعُ عَنْهُ تَبِعَاتِ الدُّنْيَا الَّتِي كَانَتْ لَزِمَتْهُ فِي أَيَّامِ حَرْبِهِ وَحِرَابَتِهِ؛ مِنْ حُدُودِ اللهِ، وَغُرْمٍ لَازِمٍ، وقَوَدٍ، وَقِصَاصٍ، إِلَّا مَا كَانَ قَائِمًا فِي يَدِهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ بِعَيْنِهِ، فَيُرَدُّ عَلَىٰ أَهْلِهِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ حُكْمُ الْجَمَاعَةِ الْمُمْتَنِعَةِ الْمُحَارِبَةِ لِلَّهِ

وَلِرَسُولِهِ، السَّاعِيَةِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا عَلَىٰ وَجْهِ الرِّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ مُمْتَنِعٍ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، جَمَاعَةً كَانُوا أَوْ وَاحِدًا، فَأَمَّا الْمُسْتَخْفِي بِسَرِقَتِهِ وَالْمُتَلَصِّصُ عَلَىٰ وَجْهِ إِغْفَالِ مَنْ سَرَقَهُ، وَالشَّاهِرُ السِّلَاحَ فِي خَلَاءٍ عَلَىٰ بَعْضِ السَّابِلَةِ، وَهُوَ عِنْدَ الطَّلَبِ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ الامْتِنَاعِ، فَإِنَّ حُكْمَ اللهِ عَلَيْهِ -تَابَ أَوْ لَمْ يَتُبْ- مَاضٍ، وَبِحُقُوقِ مَنْ أَخَذَ مَالَهُ أَوْ أَصَابَ وَلِيَّهُ بِدَمٍ أَوْ خَتْلٍ مَأْخُوذٌ، وَتَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ؛ قِيَاسًا عَلَىٰ إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ لِلْمُسْلِمِينَ سِلْمٌ ثُمَّ صَارَ لَهُمْ حَرْبًا، أَنَّ حَرْبَهُ إِيَّاهُمْ لَنْ يَضَعَ عَنْهُ حَقًّا لِلَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ وَلَا لِآدَمِيٍّ، فَكَذَلِكَ حُكْمُهُ إِذَا أَصَابَ ذَلِكَ فِي خَلَاءٍ أَوْ بِاسْتِخْفَاءٍ وَهُوَ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مِنَ السُّلْطَانِ بِنَفْسِهِ إِنْ أَرَادَهُ، وَلَا لَهُ فِئَةٌ يَلْجَأُ إِلَيْهَا مَانِعَةٌ مِنْهُ..

﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ غَيْرُ مُؤَاخِذٍ مَنْ تَابَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ السَّاعِينَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَغَيْرِهِمْ بِذُنُوبِهِ، وَلَكِنَّهُ يَعْفُو عَنْهُ فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ وَلَا يَفْضَحُهُ بِهَا بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة: ٣٤] بِهِ فِي عَفْوِهِ عَنْهُ وَتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهَا.. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ، أَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي الْمُحَارِبِينَ يَجْرِي فِي الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ دُونَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَدْ نَصَبُوا لِلْمُسْلِمِينَ حَرْبًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ حُكْمًا فِي أَهْلِ الْحَرْبِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ دُونَ الْمُسْلِمِينَ وَدُونَ ذِمَّتِهِمْ لَوَجَبَ أَلَا يُسْقِطَ إِسْلَامُهُمْ عَنْهُمْ -إِذَا أَسْلَمُوا أَوْ تَابُوا بَعْدَ قُدْرَتِنَا عَلَيْهِمْ- مَا كَانَ لَهُمْ قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ، وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَهْلِ الْحَرْبِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَفِي إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ إِسْلَامَ الْمُشْرِكِ الْحَرْبِيِّ يَضَعُ عَنْهُ بَعْدَ قُدْرَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، مَا كَانَ وَاضِعَهُ عَنْهُ إِسْلَامُهُ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَنْ قَالَ: عَنَىٰ بِآيَةِ الْمُحَارِبِينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: حُرَّابَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَوِ الذِّمَّةِ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ الْحَرْبِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة: ٣٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ وَوَعَدَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدَ مِنَ الْعِقَابِ..

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَجِيبُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ بِالطَّاعَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَحَقِّقُوا إِيمَانَكُمْ

وَتَصْدِيقِكُمْ رَبَّكُمْ وَنَبِيَّكُمْ بِالصَّالِحِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ..

﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وَاطْلُبُوا الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ..

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَعْدَائِي وَأَعْدَاءَكُمْ..

﴿فِي سَبِيلِهِۦ﴾ فِي دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ، وَهِيَ الْإِسْلَامُ، يَقُولُ: أَتْعِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي قِتَالِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة: ٣٥] كَيْ مَا تَنْجَحُوا فَتُدْرِكُوا الْبَقَاءَ الدَّائِمَ، وَالْخُلُودَ فِي جَنَّاتِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾ [المائدة: ٣٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا رُبُوبِيَّةَ رَبِّهِمْ وَعَبَدُوا غَيْرَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ وَمِنْ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَهَلَكُوا عَلَىٰ ذَلِكَ قَبْلَ التَّوْبَةِ..

﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مُلْكَ مَا فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَضِعْفَهُ مَعَهُ..

﴿لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهِمْ أَمْرِهِ وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَافْتَدُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ﴾ مَا تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ فِدَاءً، وَعِوَضًا مِنْ عَذَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ..

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾ [المائدة: ٣٦] بَلْ هُوَ مُعَذِّبُهُمْ فِي حَمِيمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُوجِعًا لَهُمْ.. وَإِنَّمَا هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ سَوَاءٌ عِنْدَهُ فِيمَا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالْعِقَابِ الْعَظِيمِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وَاغْتِرَارًا بِاللهِ وَكَذِبًا عَلَيْهِ، فَكَذَّبَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَبِالَّتِي بَعْدَهَا، وَحَسَمَ طَمَعَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ وَلِجَمِيعِ الْكَفَرَةِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ: فَلَا تَطْمَعُوا أَيُّهَا الْكَفَرَةُ فِي قَبُولِ الْفِدْيَةِ مِنْكُمْ وَلَا فِي خُرُوجِكُمْ مِنَ النَّارِ بِوَسَائِلِ آبَائِكُمْ عِنْدِي بَعْدَ دُخُولِكُمُوهَا، إِنْ أَنْتُمْ مُتُّمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ [المائدة: ٣٧].

﴿يُرِيدُونَ﴾ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بَعْدَ دُخُولِهَا..

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ [المائدة: ٣٧] دَائِمٌ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ وَلَا يَنْتَقِلُ أَبَدًا.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة: ٣٨].

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ وَمَنْ سَرَقَ مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ.. والْآيَةُ مَعْنِيٌّ بِهَا خَاصٌّ مِنَ السُّرَّاقِ، وَهُمْ سُرَّاقُ رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا أَوْ قِيمَتِهِ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْقَطْعُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا**»..

﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، ولِذَلِكَ رَفَعَ السَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ، لِأَنَّهُمَا غَيْرُ مُعَيَّنَيْنِ، وَلَوْ أُرِيدَ بِذَلِكَ سَارِقٌ وَسَارِقَةٌ بِأَعْيَانِهِمَا لَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ النَّصَبَ..

﴿أَيۡدِيَهُمَا﴾ الْيُمْنَىٰ..

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ مُكَافَأَةً لَّهُمَا عَلَىٰ سَرِقَتِهِمَا وَعَمَلِهِمَا فِي التَّلَصُّصِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ عُقُوبَةً مِنَ اللهِ عَلَىٰ لُصُوصِيَّتِهِمَا..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ هَذَا السَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ..

﴿حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة: ٣٨] فِي حُكْمِهِ فِيهِمْ وَقَضَائِهِ عَلَيْهِمْ، فَلَا تُفَرِّطُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي إِقَامَةِ حُكْمِي عَلَىٰ السُّرَّاقِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَرَائِمِ الَّذِينَ أَوْجَبْتُ عَلَيْهِمْ حُدُودًا فِي الدُّنْيَا عُقُوبَةً لَهُمْ، فَإِنِّي بِحُكْمِي قَضَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِي بِصَلَاحِ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَكُمْ.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩].

﴿فَمَن تَابَ﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ هَؤُلَاءِ السُّرَّاقِ، يَقُولُ: مَنْ رَجَعَ مِنْهُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ مِنْ طَاعَتِهِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ وَظُلْمُهُ: هُوَ اعْتِدَاؤُهُ وَعَمَلُهُ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ مِنْ سَرِقَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ..

﴿وَأَصۡلَحَ﴾ نَفْسَهُ بِحَمْلِهَا عَلَىٰ مَكْرُوهِهَا فِي طَاعَةِ اللهِ وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ...

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ سَاتِرٌ عَلَىٰ مَنْ تَابَ وَأَنَابَ عَنْ مَعَاصِيهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ ذُنُوبَهُ بِالْعَفْوِ عَنْ عُقُوبَتِهِ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَرْكِهِ فَضِيحَتَهُ بِهَا عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ..

﴿رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩] بِهِ وَبِعِبَادِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٠﴾ [المائدة: ٤٠].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، الزَّاعِمُونَ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَنَّ اللهَ مُدَبِّرُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَمُصَرِّفُهُ وَخَالِقُهُ، لَا يَمْتَنِعُ شَيْءٌ مِمَّا فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِمَّا أَرَادَهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُلْكُهُ وَإِلَيْهِ أَمْرُهُ، وَلَا نَسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْءٍ مِمَّا فِيهَا، وَلَا مِمَّا فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، فَيُحَابِيهِ بِسَبَبِ قَرَابَتِهِ مِنْهُ، فَيُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِهِ وَهُوَ بِهِ كَافِرٌ وَلِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مُخَالِفٌ، أَوْ يُدْخِلُهُ النَّارَ وَهُوَ لَهُ مُطِيعٌ لِبُعْدِ قَرَابَتِهِ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ..

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ بِالْقَتْلِ وَالْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ عَذَابِهِ..

﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، فَيُنْقِذُهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَيُنْجِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وَاللهُ عَلَىٰ تَعْذِيبِ مَنْ أَرَادَ تَعْذِيبَهُ مَنْ خَلْقَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَغُفْرَانِ مَنْ أَرَادَ غُفْرَانَهُ مِنْهُمْ بِاسْتِنْقَاذِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا..

﴿قَدِيرٌ ۝٤٠﴾ [المائدة: ٤٠] لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْمُلْكَ مُلْكُهُ، وَالْعِبَادَ عِبَادُهُ.. وَخَرَجَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خِطَابًا لَهُ ﷺ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْ فِرَقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا حَوَالَيْهَا.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٤١﴾ [المائدة: ٤١].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ﴾ لَا يَحْزُنْكَ تَسَرُّعُ مَنْ تَسَرَّعَ..

﴿فِي ٱلْكُفْرِ﴾ إِلَىٰ الْكُفرِ بِكَ، مِن جُحُودِ نُبُوَّتِكَ وَالتَّكْذِيبِ بِأَنَّكَ لِي نَبِيٌّ..

﴿مِنَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ تَصْدِيقَكَ، مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: صَدَّقْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مَبْعُوثٌ، وَعَلِمْنَا بِذَلِكَ يَقِينًا بِوُجُودِ صِفَتِكَ فِي كِتَابِنَا..

﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وَهُمْ مُعْتَقِدُونَ تَكْذِيبَكَ..

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ وَلَا تَسَرُّعُ الْيَهُودِ إِلَىٰ جُحُودِ نُبُوَّتِكَ.. ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ذِكْرُهُ صِفَتَهُمْ وَنَعَتَهُمْ لَهُ بِنُعُوتِهِمُ الذَّمِيمَةِ وَأَفْعَالِهِمُ الرَّدِيئَةِ، وَأَخْبَرَهُ مُعَزِّيًا لَهُ عَلَىٰ مَا يَنَالُهُ مِنَ الْحُزْنِ بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ، أَنَّهُمْ أَهْلُ اسْتِحْلَالِ الْحَرَامِ وَالْمَآكِلِ الرَّدِيئَةِ وَالْمَطَاعِمِ الدَّنِيئَةِ مِنَ الرِّشَا وَالسُّحْتِ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ إِفْكٍ وَكَذِبٍ عَلَىٰ اللهِ وَتَحْرِيفِ كِتَابِهِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ خِزْيَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَعِقَابَهُ فِي آجِلِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: هُمْ..

﴿سَمَّٰعُونَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿لِلْكَذِبِ﴾ عَلَىٰ اللهِ فِي حُكْمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ بَغَتْ فِيهِمْ وَهِيَ مُحْصَنَةٌ، وَأَنَّ حُكْمَهَا فِي التَّوْرَاةِ التَّحْمِيمُ وَالْجَلْدُ، وَسَمْعُهُمُ الْكَذِبَ: سَمْعُهُمْ قَوْلَ أَحْبَارِهِمْ أَنَّ حُكْمَ الزَّانِي الْمُحْصَنِ فِي التَّوْرَاةِ: التَّحْمِيمُ وَالْجَلْدُ، وهُمُ الـ

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ يَسْمَعُونَ لِأَهْلِ الزَّانِي الَّذِينَ أَرَادُوا الِاحْتِكَامَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمُ الْقَوْمُ الْآخَرُونَ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ.. وَإِنَّمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ لَهُمْ لِيُعْلِمُوا أَهْلَ الْمَرْأَةِ الْفَاجِرَةِ مَا يَكُونُ مِنْ جَوَابِهِ لَهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ حُكْمِهِ الرَّجْمُ رَضُوا بِهِ حَكَمًا فِيهِمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حُكْمِهِ الرَّجْمُ حَذَرُوهُ وَتَرَكُوا الرِّضَا بِهِ وَبِحُكْمِهِ..

﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يُحَرِّفُ هَؤُلَاءِ السَّمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ، السَّمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمْ يَأْتُوكَ بَعْدُ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿ٱلْكَلِمَ﴾ حُكْمَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي التَّوْرَاةِ فِي الْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحْصَنِينَ مِنَ الزُّنَاةِ بِالرَّجْمِ إِلَىٰ الْجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، وَالْمَعْنَىٰ: حُكْمَ الْكَلِمِ، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْخَبَرِ مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ ذِكْرِ الْحُكْمِ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ لِمَعْنَاهُ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ وَضْعِ اللهِ ذَلِكَ مَوَاضِعَهُ، فَاكْتَفَىٰ بِالْخَبَرِ مِنْ ذِكْرِ مَوَاضِعِهِ عَنْ

ذِكْرِ وَضْعِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وَالْمَعْنَىٰ: (وَلكِنَّ الْبِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)..

﴿يَقُولُونَ﴾ هَؤُلَاءِ الْبَاغُونَ السَّمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ..

﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ إِنْ أَفْتَاكُمْ مُحَمَّدٌ بِالْجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ فِي صَاحِبِنَا..

﴿فَخُذُوهُ﴾ فَاقْبَلُوهُ مِنْهُ..

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وَإِنْ لَمْ يُفْتِكُمْ بِذَلِكَ وَأَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ..

﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ الرَّجْمَ..

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِتْنَتَهُۥ﴾ مَرْجِعَهُ بِضَلَالَتِهِ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ..

﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ اسْتِنْقَاذًا مِمَّا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِنَ الْحَيْرَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَلَا تُشْعِرْ نَفْسَكَ بِالْحُزْنِ عَلَىٰ مَا فَاتَكَ مِنِ اهْتِدَائِهِ لِلْحَقِّ، وتَسَرُّعِهِمْ إِلَىٰ جُحُودِ نُبُوَّتِكَ، فَإِنِّي قَدْ حَتَّمْتُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَتُوبُونَ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ، لِلسَّابِقِ مِنْ غَضَبِي عَلَيْهِمْ، وَغَيْرُ نَافِعِهِمْ حُزْنُكَ عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ تَسَرُّعِهِمْ إِلَىٰ مَا جَعَلْتُهُ سَبِيلًا لِهَلَاكِهِمْ وَاسْتِحْقَاقِهِمْ وَعِيدِي.. وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ حُزْنِهِ عَلَىٰ مُسَارَعَةِ الَّذِينَ قَصَّ قِصَّتَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ﴾ بِطَهَارَةِ الْإِسْلَامِ وَنَظَافَةِ الْإِيمَانِ فَتَتُوب..

﴿قُلُوبَهُمْ﴾ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ وَوَسَخِ الشِّرْكِ..

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ بَلْ أَرَادَ بِهِمُ الْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ الذُّلَّ وَالْهَوَانَ..

﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١] فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ، سَمَّاعُونَ لَقِيلِ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ، وَمِنْ قِيلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ: مُحَمَّدٌ كَاذِبٌ، لَيْسَ بِنَبِيٍّ، وَقِيلِ بَعْضِهِمْ: إِنَّ حُكْمَ

الزَّانِي الْمُحْصَنِ فِي التَّوْرَاةِ الْجَلْدُ وَالتَّحْمِيمُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ وَالْإِفْكِ..

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ وَيَقْبَلُونَ الرِّشَا، فَيَأْكُلُونَهَا عَلَىٰ كَذِبِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ.. وَأَصْلُ السُّحْتِ: كَلَبُ الْجُوعِ، يُقَالُ مِنْهُ: فُلَانٌ مَسْحُوتُ الْمَعِدَةِ، إِذَا كَانَ أَكُولًا لَا يُلْفَىٰ أَبَدًا إِلَّا جَائِعًا.. وَإِنَّمَا قِيلَ لِلرِّشْوَةِ السُّحْتُ، تَشْبِيهًا بِذَلِكَ؛ كَأَنَّ بِالْمُسْتَرْشِي مِنَ الشَّرَهِ إِلَىٰ أَخْذِ مَا يُعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ، مِثْلَ الَّذِي بِالْمَسْحُوتِ الْمَعِدَةِ مِنَ الشَّرَهِ إِلَىٰ الطَّعَامِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٍۖ﴾ [طه: ٦١]..

﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ إِنْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الْآخَرُونَ الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بَعْدُ، وَهُمْ قَوْمُ الْمَرْأَةِ الْبَغِيَّةِ، مُحْتَكِمِينَ إِلَيْكَ..

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ﴾ إِنْ شِئْتَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ حَكَمًا لَهُ، فِيمَنْ فَعَلَ فِعْلَ الْمَرْأَةِ الْبَغِيَّةِ مِنْهُمْ..

﴿أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ فَدَعِ الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ إِنْ شِئْتَ وَالْخِيَارُ إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ.. وَحُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ ثَابِتٌ لَمْ يُنْسَخْ، وَإِنَّ لِلْحُكَّامِ -مِنَ الْخِيَارِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الْعَهْدِ إِذَا ارْتَفَعُوا إِلَيْهِمْ فَاحْتَكَمُوا، وَتَرْكِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ وَالنَّظَرِ- مِثْلَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿وَإِن تُعۡرِضۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنۡهُمۡ﴾ عَنِ الْمُحْتَكِمِينَ إِلَيْكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَتَدَعَ النَّظَرَ بَيْنَهُمْ فِيمَا احْتَكَمُوا فِيهِ إِلَيْكَ، فَلَا تَحْكُمْ فِيهِ بَيْنَهُمْ..

﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾ فَلَنْ يَقْدِرُوا لَكَ عَلَىٰ ضُرٍّ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، فَدَعِ النَّظَرَ بَيْنَهُمْ إِذَا اخْتَرْتَ تَرْكَ النَّظَرِ بَيْنَهُمْ..

﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ﴾ وَإِنِ اخْتَرْتَ الْحُكْمَ وَالنَّظَرَ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ أَهْلِ الْعَهْدِ إِذَا أَتَوْكَ..

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ وَهُوَ الْعَدْلُ، وَذَلِكَ هُوَ الْحُكْمُ بِمَا جَعَلَهُ اللهُ حُكْمًا فِي مِثْلِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أُمَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٤٢﴾ [المائدة: ٤٢] إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَامِلِينَ فِي حُكْمِهِ بَيْنَ النَّاسِ، الْقَاضِينَ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَأَمَرَ أَنْبِيَاءَهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، يُقَالُ مِنْهُ: أَقْسَطَ الْحَاكِمُ فِي حُكْمِهِ إِذَا عَدَلَ وَقَضَىٰ بِالْحَقِّ يُقْسِطُ إِقْسَاطًا بِهِ، وَأَمَّا قَسَطَ فَمَعْنَاهُ: الْجَوْرُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ۝١٥﴾ [الجن: ١٥] يَعْنِي بِذَلِكَ: الْجَائِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٣﴾ [المائدة: ٤٣].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ -يَا مُحَمَّدُ- بَيْنَهُمْ، فَيَرْضَوْنَ بِكَ حَكَمًا بَيْنَهُمْ..

﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا عَلَىٰ مُوسَىٰ، الَّتِي يُقِرُّونَ بِهَا أَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّهَا كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ نَبِيِّي، وَأَنَّ..

﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ حُكْمٍ فَمِنْ حُكْمِي، لَا يَتَنَاكَرُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَتَدَافَعُونَهُ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ حُكْمِي فِيهَا عَلَىٰ الزَّانِي الْمُحْصَنِ الرَّجْمُ..

﴿ثُمَّ﴾ وَهُمْ مَعَ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ..

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ يَتْرُكُونَ الْحُكْمَ بِهِ.. وَأَصْلُ التَّوَلِّي عَنِ الشَّيْءِ: الِانْصِرَافُ عَنْهُ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الْعِلْمِ بِحُكْمِي، وَهَذَا فِيهِ جَرَاءَةٌ عَلَيَّ وَعِصْيَانًا لِي..

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٣﴾ [المائدة: ٤٣] لَيْسَ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ، أَيْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ حُكْمِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ، بِالَّذِي صَدَّقَ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَأَقَرَّ بِتَوْحِيدِهِ، وَنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ.. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ تَقْرِيعٌ مِنْهُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ، يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ: كَيْفَ تُقِرُّونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ بِحُكْمِ نَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ جُحُودِ نُبُوَّتِهِ وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّاهُ، وَأَنْتُمْ تَتْرُكُونَ حُكْمِي الَّذِي تُقِرُّونَ بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْكُمْ وَاجِبٌ، جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟! يَقُولُ: فَإِذَا كُنْتُمْ تَتْرُكُونَ حُكْمِي الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَىٰ، الَّذِي تُقِرُّونَ بِنُبُوَّتِهِ فِي كِتَابِي، فَأَنْتُمْ بِتَرْكِ حُكْمِي الَّذِي يُخْبِرُكُمْ بِهِ نَبِيِّي مُحَمَّدٌ أَنَّهُ حُكْمِي أَحْرَىٰ، مَعَ جُحُودِكُمْ نُبُوَّتَهُ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ فِيهَا بَيَانُ مَا سَأَلَكَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ عَنْهُ مِنْ حُكْمِ الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ..

﴿وَنُورٌ﴾ وَفِيهَا جَلَاءُ مَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ، وَضِيَاءُ مَا الْتَبَسَ مِنَ الْحُكْمِ..

﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ يَحْكُمُ بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ فِي ذَلِكَ، أَيْ فِيمَا احْتَكَمُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الزَّانِيَيْنِ..

﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ وَهُمُ الَّذِينَ أَذْعَنُوا لِحُكْمِ اللهِ وَأَقَرُّوا بِهِ.. وَمِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَحْكُمُ بِمَا فِيهَا مِنْ حُكْمِ اللهِ..

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي حُكْمِهِ عَلَىٰ الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ بِالرَّجْمِ، وَفِي تَسْوِيَتِهِ بَيْنَ دَمِ قَتْلَىٰ النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ فِي الْقِصَاصِ وَالدِّيَةِ..

﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ جَمْعُ رَبَّانِيٍّ، وَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ، الْبُصَرَاءُ بِسِيَاسَةِ النَّاسِ وَتَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ..فَيَحْكُمُ بِالتَّوْرَاةِ وَأَحْكَامِهَا الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِالْحُكْمِ بِهِ فِيهَا مَعَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الرَّبَّانِيُّونَ..

﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ، جَمْعُ حَبْرٍ، وَهُوَ الْعَالِمُ الْمُحْكِمُ لِلشَّيْءِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِكَعْبٍ: كَعْبُ الْأَحْبَارِ.. وَكُلُّ رَبَّانِيٍّ وَحَبْرٍ دَاخِلٌ فِي الْآيَةِ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ.. فَيَحْكُمُ بِالتَّوْرَاةِ وَأَحْكَامِهَا الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِالْحُكْمِ بِهِ فِيهَا مَعَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الْأَحْبَارُ..

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ بِمَا اسْتُودِعُوا عِلْمَهُ.. وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ مِنْ صِلَةِ الْأَحْبَارِ..

﴿مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ الَّذِي هُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ حُكْمِ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا..

﴿شُهَدَاءَ﴾ أَنَّهُمْ قَضَوْا عَلَيْهِمْ بِكِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ وَقَضَائِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ يَا عُلَمَاءُ وَأَحْبَارُ الْيَهُودِ فِي تَنْفِيذِ حُكْمِي، الَّذِي حَكَمْتُ بِهِ عَلَىٰ عِبَادِي، وَإِمْضَائِهِ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ مَا أَمَرْتُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ لَكُمْ عَلَىٰ ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ إِلَّا بِإِذْنِي، وَلَا تَكْتُمُوا الرَّجْمَ الَّذِي جَعَلْتُهُ حَكَمًا فِي التَّوْرَاةِ عَلَىٰ الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ..

﴿وَاخْشَوْنِ﴾ وَلَكِنِ اخْشَوْنِي دُونَ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي، فَإِنَّ النَّفْعَ وَالضُّرَّ بِيَدِي، وَخَافُوا عِقَابِي فِي كِتْمَانِكُمْ مَا اسْتُحْفِظْتُمْ مِنْ كِتَابِي..

﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ وَلَا تَأْخُذُوا بِتَرْكِ الْحُكْمِ..

﴿بِآيَاتِي﴾ بِآيَاتِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ أَيُّهَا الْأَحْبَارُ..

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عِوَضًا خَسِيسًا، وَذَلِكَ هُوَ الثَّمَنُ الْقَلِيلُ.. وَإِنَّمَا أَرَادَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَهْيَهُمْ عَنْ

أَكْلِ السُّحْتِ عَلَىٰ تَحْرِيفِهِمْ كِتَابَ اللهِ وَتَغْيِيرِهِمْ حُكْمَهُ عَمَّا حَكَمَ بِهِ فِي الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي بَدَّلُوهَا، طَلَبًا مِنْهُمْ لِلرُّشَا..

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ كَتَمَ حُكْمَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَجَعَلَهُ حَكَمًا بَيْنَ عِبَادِهِ فَأَخْفَاهُ، وَحَكَمَ بِغَيْرِهِ، كَحُكْمِ الْيَهُودِ فِي الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ بِالتَّجْبِيهِ وَالتَّحْمِيمِ، وَكِتْمَانِهِمُ الرَّجْمَ، وَكَقَضَائِهِمْ فِي بَعْضِ قَتْلَاهُمْ بِدِيَةٍ كَامِلَةٍ وَفِي بَعْضٍ بِنِصْفِ الدِّيَةِ، وَفِي الْأَشْرَافِ بِالْقِصَاصِ وَفِي الْأَدْنِيَاءِ بِالدِّيَةِ، وَقَدْ سَوَّىٰ اللهُ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ لَمْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَكِنْ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا حُكْمَهُ وَكَتَمُوا الْحَقَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ..

﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] هُمُ الَّذِينَ سَتَرُوا الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ كَشْفُهُ وَتَبْيِينُهُ، وَغَطَّوْهُ عَنِ النَّاسِ، وَأَظْهَرُوا لَهُمْ غَيْرَهُ، وَقَضَوْا بِهِ لِسُحْتٍ أَخَذُوهُ مِنْهُمْ عَلَيْهِ.. وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي كُلِّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ جَاحِدًا بِهِ، هُوَ بِاللهِ كَافِرٌ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ بِجُحُودِهِ حُكْمَ اللهِ بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ نَظِيرَ جُحُودِهِ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَكَتَبْنَا﴾ وَفَرَضْنَا عَلَيْهِمْ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يُحَكِّمُونَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ..

﴿فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ أَنْ يَحْكُمُوا فِي النَّفْسِ إِذَا قَتَلَتْ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ بِالنَّفْسِ، يَعْنِي: أَنْ تُقْتَلَ النَّفْسُ الْقَاتِلَةُ بِالنَّفْسِ الْمَقْتُولَةِ..

﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ وَفَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ يَفْقَئُوا الْعَيْنَ الَّتِي فَقَأَ صَاحِبُهَا مِثْلَهَا مِنْ نَفْسٍ أُخْرَىٰ بِالْعَيْنِ الْمَفْقُوءَةِ..

﴿وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ وَيُجْدَعُ الْأَنْفُ بِالْأَنْفِ.

﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾ وَتُقْطَعُ الْأُذُنُ بِالْأُذُنِ..

﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ وَتُقْلَعُ السِّنُّ بِالسِّنِّ..

﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾ وَيُقْتَصُّ مِنَ الْجَارِحِ غَيْرَهُ ظُلْمًا لِلْمَجْرُوحِ.. وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنِ الْيَهُودِ، وَتَعْزِيَةٌ مِنْهُ لَهُ عَنْ كُفْرِ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِهِ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِنُبُوَّتِهِ، وَإِدْبَارِهِ عَنْهُ بَعْدَ إِقْبَالِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ لَهُ جَرَاءَتَهُمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَعَلَىٰ رُسُلِ رَبِّهِمْ، وَتَقَدُّمَهَمْ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُ: وَكَيْفَ يَرْضَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ يَا مُحَمَّدُ بِحُكْمِكَ إِذَا جَاءُوا يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ الَّتِي يُقِرُّونَ بِهَا أَنَّهَا كِتَابِي وَوَحْيِي إِلَىٰ رَسُولِي مُوسَىٰ ﷺ فِيهَا حُكْمِي بِالرَّجْمِ عَلَىٰ الزُّنَاةِ الْمُحْصَنِينَ، وَقَضَائِي بَيْنَهُمْ أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا ظُلْمًا فَهُوَ بِهَا قَوَدٌ، وَمَنْ فَقَأَ عَيْنًا بِغَيْرِ حَقٍّ فَعَيْنُهُ بِهَا مَفْقُوءَةٌ قِصَاصًا، وَمَنْ جَدَعَ أَنْفًا فَأَنْفُهُ بِهِ مَجْدُوعٌ، وَمَنْ قَلَعَ سِنًّا فَسِنُّهُ بِهَا مَقْلُوعَةٌ، وَمَنْ جَرَحَ غَيْرَهُ جُرْحًا فَهُوَ مُقْتَصٌّ مِنْهُ مِثْلَ الْجُرْحِ الَّذِي جَرَحَهُ، ثُمَّ هُمْ مَعَ الْحُكْمِ الَّذِي عِنْدَهُ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ أَحْكَامِي يَتَوَلَّوْنَ عَنْهُ وَيَتْرُكُونَ الْعَمَلَ بِهِ، يَقُولُ: فَهُمْ بِتَرْكِ حُكْمِكَ وَبِسَخَطِ قَضَائِكَ بَيْنَهُمْ أَحْرَىٰ وَأَوْلَىٰ..

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ لِلْمَجْرُوحِ؛ إِذِ الصَّدَقَةُ هِيَ الْمُكَفِّرَةُ ذَنْبَ صَاحِبِهَا دُونَ الْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ الصَّدَقَاتِ غَيْرَ هَذِهِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ سَبِيلُ هَذِهِ سَبِيلَ غَيْرِهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْقِصَاصَ إِذْ كَانَ يُكَفِّرُ ذَنْبَ صَاحِبِهِ الْمُقْتَصِّ مِنْهُ الَّذِي أَتَاهُ فِي قَتْلِ مَنْ قَتَلَهُ ظُلْمًا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا أَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ: «**أَنْ لَا تَقْتُلُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَسْرِقُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّهُ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ**» فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ عَفْوُ الْعَافِي الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ أَوْ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ عَنْهُ، نَظِيرُهُ فِي أَنَّ ذَلِكَ لَهُ كَفَّارَةٌ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ عَفْوُ الْمَقْذُوفِ عَنْ قَاذِفِهِ بِالزِّنَا وَتَرْكُهُ أَخْذَهُ بِالْوَاجِبِ لَهُ مِنَ الْحَدِّ، وَقَدْ قَذَفَهُ قَاذِفُهُ وَهُوَ عَفِيفٌ مُسْلِمٌ مُحْصَنٌ، كَفَّارَةً لِلْقَاذِفِ مِنْ ذَنْبِهِ الَّذِي رَكِبَهُ وَمَعْصِيَتِهِ الَّتِي أَتَاهَا، وَذَلِكَ مَا لَا نَعْلَمُ قَائِلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُهُ، فَإِذْ كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ الْمَقْذُوفِ الَّذِي وَصَفْنَا أَمْرَهُ أَخْذَ قَاذِفِهِ بِالْوَاجِبِ لَهُ مِنَ الْحَدِّ كَفَّارَةً لِلْقَاذِفِ مِنْ ذَنْبِهِ الَّذِي رَكِبَهُ، كَانَ كَذَلِكَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ الْمَجْرُوحِ أَخْذَ الْجَارِحِ بِحَقِّهِ مِنَ الْقِصَاصِ كَفَّارَةً لِلْجَارِحِ مِنْ ذَنْبِهِ الَّذِي رَكِبَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَيْسَ لِلْمَجْرُوحِ عِنْدَكَ أَخْذُ جَارِحِهِ بِدِيَةِ جُرْحِهِ مَكَانَ الْقِصَاصِ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَىٰ، فَإِنْ قَالَ: أَفَرَأَيْتَ لَوِ اخْتَارَ الدِّيَةَ ثُمَّ عَفَا عَنْهَا، لَكَانَتْ لَهُ قِبَلَهُ فِي الْآخِرَةِ تَبِعَةٌ؟ قِيلَ لَهُ: هَذَا كَلَامٌ عِنْدَنَا مُحَالٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ عِنْدَنَا مُخْتَارًا الدِّيَةَ إِلَّا وَهُوَ لَهَا آخِذٌ، فَأَمَّا الْعَفْوُ فَإِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ عَنِ الدَّمِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِذَلِكَ هِبَتُهَا لِمَنْ أُخِذَتْ مِنْهُ بَعْدَ الْأَخْذِ، مَعَ

أَنَّ عفوَهُ عَنِ الدِّيَةِ بَعْدَ اخْتِيَارِهِ إِيَّاهَا لَوْ صَحَّ لَمْ يَكُنْ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْفُوُّ لَهُ عَنْهَا بَرِيئًا مِنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِهِ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَوْعَدَ قَاتِلَ الْمُؤْمِنِ بِمَا أَوْعَدَهُ بِهِ، إِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ، وَالدِّيَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْهُ، أَحَبَّ أَمْ سَخِطَ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ التَّائِبِ إِنَّمَا تَكُونُ تَوْبَةً إِذَا اخْتَارَهَا وَأَرَادَهَا وَآثَرَهَا عَلَىٰ الْإِصْرَارِ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَفَّارَةً كَمَا كَانَ الْقِصَاصُ لَهُ كَفَّارَةً؛ فَإِنَّا إِنَّمَا جَعَلْنَا الْقِصَاصَ لَهُ كَفَّارَةً مَعَ نَدَمِهِ وَبَذْلِهِ نَفْسَهُ لِأَخْذِ الْحَقِّ مِنْهَا تَنَصُّلًا مِنْ ذَنْبِهِ، بِخَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَّا الدِّيَةُ إِذَا اخْتَارَهَا الْمَجْرُوحُ ثُمَّ عَفَا عَنْهَا فَلَمْ يُقْضَ عَلَيْهِ بِحَدِّ ذَنْبِهِ، فَيَكُونُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي حُكْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَوْلِهِ: «**فَمَنْ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ**»، ثُمَّ مِمَّا يُؤَكِّدُ صِحَّةَ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ، الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «**فَمَنْ تَصَدَّقَ بِدَمٍ**» وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ..

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ قَوَدِ النَّفْسِ الْقَاتِلَةِ قِصَاصًا بِالنَّفْسِ الْمَقْتُولَةِ ظُلْمًا، وَلَمْ يَفْقَأْ عَيْنَ الْفَاقِئِ بِعَيْنِ الْمَفْقُوءَةِ ظُلْمًا قِصَاصًا مِمَّنْ أَمَرَهُ اللهُ بِهِ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، وَلَكِنْ أَقَادَ مِنْ بَعْضٍ وَلَمْ يُقِدْ مِنْ بَعْضٍ، أَوْ قَتَلَ فِي بَعْضٍ اثْنَيْنِ بِوَاحِدٍ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٥﴾ [المائدة: ٤٥] مِمَّنْ جَارَ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَوَضَعَ فِعْلَهُ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُ مَوْضِعًا.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ وأَتْبَعْنَا..

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ عَلَىٰ آثَارِ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فَبَعَثْنَاهُ نَبِيًّا..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ مُصَدِّقًا لِكِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِهِ أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّ الْعَمَلَ بِمَا لَمْ يَنْسَخْهُ الْإِنْجِيلُ مِنْهُ فَرْضٌ وَاجِبٌ..

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِ كِتَابَنَا الَّذِي اسْمُهُ..

﴿ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ﴾ فِي الْإِنْجِيلِ..

﴿هُدًى﴾ وَهُوَ بَيَانُ مَا جَهِلَهُ النَّاسُ مِنْ حُكْمِ اللهِ فِي زَمَانِهِ..

﴿وَنُورٌ﴾ وَضِيَاءٌ مِنْ عَمَىٰ الْجَهَالَةِ..

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ، وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْهِ بِتَصْدِيقِ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي كَانَ أَنْزَلَهَا عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ أُنْزِلَ إِلَىٰ نَبِيِّهَا كِتَابٌ لِلْعَمَلِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ نَبِيِّهِمْ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْلِيلِ مَا حُلِّلَ وَتَحْرِيمِ مَا حُرِّمَ..

﴿وَهُدًى﴾ أَنْزَلْنَا الْإِنْجِيلَ إِلَىٰ عِيسَىٰ مُصَدِّقًا لِلْكُتُبِ الَّتِي قَبْلَهُ، وَبَيَانًا لِحُكْمِ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ فِي زَمَانِ عِيسَىٰ..

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦] وَزَجْرًا لَهُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَتَنْبِيهًا لَهُمْ عَلَيْهِ.. وَالْمُتَّقُونَ: هُمُ الَّذِينَ خَافُوا اللهَ وَحَذِرُوا عِقَابَهُ، فَاتَّقَوهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَحَذِرُوهُ بِتَرْكِ مَا نَهَاهُمْ عَنْ فِعْلِهِ.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ آتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْإِنْجِيلَ، فِيهِ هُدًى وَنُورٌ، وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَكَيْ يَحْكُمَ.. فَأَمَّا إِذَا قُرِئَ بِتَسْكِينِ اللَّامِ، فَتَأْوِيلُهُ: وَأَمَرْنَا..

﴿أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾ فَبَدَّلُوا حُكْمَهُ وَخَالَفُوهُ، فَضَلُّوا بِخِلَافِهِمْ إِيَّاهُ، إِذْ لَمْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَخَالَفُوهُ..

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧] الْخَارِجُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ فِيهِ، الْمُخَالِفُونَ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ فِي كِتَابِهِ، وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (**الْفَاسِقُونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَفِي غَيْرِهِ: هُمُ الْكَاذِبُونَ**).

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ وَهَذَا خِطَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ، وَلَا كَذِبَ فِيهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أَنْزَلْنَاهُ بِتَصْدِيقِ مَا قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ..

﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مُصَدِّقًا لِلْكُتُبِ قَبْلَهُ، وشَهِيدًا عَلَيْهَا أَنَّهَا حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وأَمِينًا عَلَيْهَا، حَافِظًا لَهَا.. وَأَصْلُ الْهَيْمَنَةِ: الْحِفْظُ وَالارْتِقَابُ، يُقَالُ إِذَا رَقَبَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ وَحَفِظَهُ وَشَهِدَهُ: قَدْ هَيْمَنَ فُلَانٌ عَلَيْهِ، فَهُوَ يُهَيْمِنُ هَيْمَنَةً، وَهُوَ عَلَيْهِ مُهَيْمِنٌ..

﴿فَٱحْكُم﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَيْنَهُم﴾ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ..

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِي وَأَحْكَامِي، فِي كُلِّ مَا احْتَكَمُوا فِيهِ إِلَيْكَ مِنَ الْحُدُودِ وَالْجُرُوحِ وَالْقَوَدِ وَالنُّفُوسِ، فَارْجُمِ الزَّانِي الْمُحْصَنَ، وَاقْتُلِ النَّفْسَ الْقَاتِلَةَ بِالنَّفْسِ الْمَقْتُولَةِ ظُلْمًا، وَافْقَأِ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ، وَاجْدَعِ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ، فَإِنِّي أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ مُصَدِّقًا فِي ذَلِكَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ، وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ، رَقِيبًا يَقْضِي عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ قَبْلَهُ.. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ الْمُحْتَكِمِينَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ، بِكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي خَصَّهُ بِشَرِيعَتِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنْ أُوتِيتُمُ الْجَلْدَ فِي الزَّانِي الْمُحْصَنِ دُونَ الرَّجْمِ، وَقَتْلَ الْوَضِيعِ بِالشَّرِيفِ إِذَا قَتَلَهُ، وَتَرْكَ قَتْلِ الشَّرِيفِ بِالْوَضِيعِ إِذَا قَتَلَهُ، فَخُذُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا..

﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ عَنِ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ، يَقُولُ لَهُ: اعْمَلْ بِكِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ إِذَا احْتَكَمُوا إِلَيْكَ، فَاخْتَرْتَ الْحُكْمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَتْرُكَنَّ الْعَمَلَ بِذَلِكَ اتِّبَاعًا مِنْكَ أَهْوَاءَهُمْ وَإِيثَارًا لَهَا عَلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ فِي كِتَابِي..

﴿لِكُلٍّ﴾ لِكُلِّ قَوْمٍ مِنْكُمْ..

﴿جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾ سَبِيلًا.. وَالشِّرْعَةُ: هِيَ الشَّرِيعَةُ بِعَيْنِهَا، وَلَوْ جُمِعَتِ الشِّرْعَةُ شَرَائِعَ كَانَ صَوَابًا؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا وَمَعْنَىٰ الشَّرِيعَةِ وَاحِدٌ، فَيَرُدُّهَا عِنْدَ الْجَمْعِ إِلَىٰ لَفْظِ نَظِيرِهَا، وَكُلُّ مَا شَرَعْتَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ شَرِيعَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِشَرِيعَةِ الْمَاءِ: شَرِيعَةٌ؛ لِأَنَّهُ يُشْرَعُ مِنْهَا إِلَىٰ الْمَاءِ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ شَرَائِعَ، لِشُرُوعِ أَهْلِهِ فِيهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْقَوْمِ إِذَا تَسَاوَوْا فِي

الشَّيْءِ: هُمْ شُرُعٌ سَوَاءٌ..

﴿وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ وَسُنَّةً.. أَصْلُهُ: الطَّرِيقُ الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَانَ بَيِّنًا وَاضِحًا يُعْمَلُ بِهِ.. وَالسُّنَنُ مُخْتَلِفَةٌ: لِلتَّوْرَاةِ شَرِيعَةٌ، وَلِلْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَلِلْقُرْآنِ شَرِيعَةٌ، يُحِلُّ اللهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَيُحَرِّمُ مَا يَشَاءُ بَلَاءً، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، وَلَكِنَّ الدِّينَ الْوَاحِدَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ..

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكُمْ لَجَعَلَ شَرَائِعَكُمْ وَاحِدَةً، وَلَمْ يَجْعَلْ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرِيعَةً وَمِنْهَاجًا غَيْرَ شَرَائِعِ الْأُمَمِ الْأُخَرِ وَمِنْهَاجِهِمْ، فَكُنْتُمْ تَكُونُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً، لَا تَخْتَلِفُ شَرَائِعُكُمْ وَمِنْهَاجُكُمْ...

﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾ ولَكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ، فَخَالَفَ بَيْنَ شَرَائِعِكُمْ لِيَخْتَبِرَكُمْ، فَيَعْرِفَ الْمُطِيعَ مِنْكُمْ مِنَ الْعَاصِي، وَالْعَامِلَ بِمَا أَمَرَهُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ مِنَ الْمُخَالِفِ..

﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكُتُبِ..

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ﴾ فَبَادِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَىٰ..

﴿ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْقُرَبِ، إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِإِدْمَانِ الْعَمَلِ بِمَا فِي كِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّكُمْ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَهُ امْتِحَانًا لَكُمْ وَابْتِلَاءً، لِيَتَبَيَّنَ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ مِنَ الْمُسِيءِ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ فَيُجَازِي جَمِيعَكُمْ عَلَىٰ عَمَلِهِ جَزَاءَهُ عِنْدَ مَصِيرِكُمْ إِلَيْهِ، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا..

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [المائدة: ٤٨] فَيُخْبِرُ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ بِمَا كَانَ يُخَالِفُ فِيهِ الْفِرَقَ الْأُخْرَىٰ، فَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَيُبَيِّنُ الْمُحِقَّ بِمُجَازَاتِهِ إِيَّاهُ بِجَنَاتِهِ مِنَ الْمُسِيءِ بِعِقَابِهِ إِيَّاهُ بِالنَّارِ، فَيَتَبَيَّنُ حِينَئِذٍ كُلُّ حِزْبٍ عِيَانًا، الْمُحِقُّ مِنْهُمْ مِنَ الْمُبْطِلِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَمْ يُنَبِّئْنَا رَبُّنَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ مَرْجِعِنَا إِلَيْهِ مَا نَحْنُ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ؟ قِيلَ: إِنَّهُ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بِالرُّسُلِ وَالْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ، دُونَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عِيَانًا، فَمُصَدِّقٌ بِذَلِكَ وَمُكَذِّبٌ، وَأَمَّا عِنْدَ الْمَرْجِعِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَبِّئُهُمْ بِذَلِكَ بِالْمُجَازَاةِ الَّتِي لَا يَشُكُّونَ مَعَهَا فِي مَعْرِفَةِ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ إِدْخَالِ اللَّبْسِ مَعَهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَكَذَلِكَ خَبَرُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ يُنَبِّئُنَا عِنْدَ الْمَرْجِعِ إِلَيْهِ بِمَا كُنَّا فِيهِ نَخْتَلِفُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، فَتَعْرِفُونَ الْمُحِقَّ حِينَئِذٍ مِنَ الْمُبْطِلِ مِنْكُمْ.

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾

[المائدة: ٤٩].

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ نَهْيٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ أَهْوَاءَ الْيَهُودِ الَّذِينَ احْتَكَمُوا إِلَيْهِ فِي قَتِيلِهِمْ وَفَاجِرِيهِمْ، وَأَمْرٌ مِنْهُ لَهُ بِلُزُومِ الْعَمَلِ بِكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ..

﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ وَاحْذَرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ جَاءُوكَ مُحْتَكِمِينَ إِلَيْكَ..

﴿أَن يَفۡتِنُوكَ﴾ فَيَصُدُّوكَ..

﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ مِنْ حُكْمِ كِتَابِهِ، فَيَحْمِلُوكَ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ وَاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ..

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فَإِنْ تَوَلَّىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ اخْتَصَمُوا إِلَيْكَ عَنْكَ، فَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا حَكَمْتَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَقَضَيْتَ فِيهِمْ..

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَوَلَّوْا عَنِ الرِّضَا بِحُكْمِكَ وَقَدْ قَضَيْتَ بِالْحَقِّ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَجَّلَ عُقُوبَتَهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِبَعْضِ مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ..

﴿لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾ [المائدة: ٤٩] لَتَارِكُو الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللهِ، وَلَخَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ أَيَبْغِي هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ احْتَكَمُوا إِلَيْكَ فَلَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِكَ وَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِالْقِسْطِ حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ، يَعْنِي أَحْكَامَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَعِنْدَهُمْ كِتَابُ اللهِ، فِيهِ بَيَانُ حَقِيقَةِ الْحُكْمِ الَّذِي حَكَمْتَ بِهِ فِيهِمْ، وَإِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ.. ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُوَبِّخًا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَبَوْا قَبُولَ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ، وَمُسْتَجْهِلًا فِعْلَهُمْ ذَلِكَ مِنْهُمْ..

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا﴾ وَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ حُكْمًا أَيُّهَا الْيَهُودُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، عِنْدَ مَنْ كَانَ يُوقِنُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَيُقِرُّ بِرُبُوبِيَّتِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَيُّ حُكْمٍ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِ اللهِ..

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠] إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ أَنَّ لَكُمْ رَبًّا وَكُنْتُمْ أَهْلَ تَوْحِيدٍ وَإِقْرَارٍ بِهِ.

﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١].

﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا أَنْ يَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَنْصَارًا وَحُلَفَاءَ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَنِ اتَّخَذَهُمْ نَصِيرًا وَحَلِيفًا وَوَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ مِنْهُمْ فِي التَّحَزُّبِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْهُ بَرِيئَانِ.. ولَا شَكَّ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مُنَافِقٍ كَانَ يُوَالِي يَهُودَ أَوْ نَصَارَىٰ، خَوْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ دَوَائِرِ الدَّهْرِ، لِأَنَّ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ تَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ بَعْضُ الْيَهُودِ أَنْصَارُ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ، وَأَنَّ النَّصَارَىٰ كَذَلِكَ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ دِينَهُمْ وَمِلَّتَهُمْ، مُعَرِّفًا بِذَلِكَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُمْ أَوْ لِبَعْضِهِمْ وَلِيًّا، فَإِنَّمَا هُوَ وَلِيُّهُمْ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ مِلَّتَهُمْ وَدِينَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ لَهُمْ حَرْبٌ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ: فَكُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَلِلْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ حَرْبًا كَمَا هُمْ لَكُمْ حَرْبٌ، وَبَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَوْلِيَاءُ؛ لِأَنَّ مَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ أَظْهَرَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ الْحَرْبَ وَمِنْهُمُ الْبَرَاءَةَ، وَأَبَانَ قَطَعَ وَلَايَتَهُمْ..

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: فَإِنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّىٰ مُتَوَلٍّ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ بِهِ وَبِدِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ رَاضٍ، وَإِذَا رَضِيَهُ وَرَضِيَ دِينَهُ فَقَدْ عَادَىٰ مَا خَالَفَهُ وَسَخِطَهُ، وَصَارَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ، وَلِذَلِكَ حَكَمَ مَنْ حَكَمَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لِنَصَارَىٰ بَنِي تَغْلِبَ فِي ذَبَائِحِهِمْ وَنِكَاحِ نِسَائِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ بِأَحْكَامِ نَصَارَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِمُوَالَاتِهِمْ إِيَّاهُمْ وَرِضَاهُمْ بِمِلَّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ لَهُمْ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ أَنْسَابُهُمْ لِأَنْسَابِهِمْ مُخَالِفَةً وَأَصْلُ دِينِهِمْ لِأَصْلِ دِينِهِمْ مُفَارِقًا.. وَفِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا نَقُولُ، مِنْ أَنَّ **كُلَّ مَنْ كَانَ يَدِينُ بِدِينٍ فَلَهُ حُكْمُ أَهْلِ ذَلِكَ الدِّينِ** كَانَتْ دَيْنُونَتُهُ بِهِ قَبْلَ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ أَوْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا مِنْ أَهْلِ دِينِنَا انْتَقَلَ إِلَىٰ مِلَّةٍ غَيْرِهَا، فَإِنَّهُ لَا يُقَرُّ عَلَىٰ مَا دَانَ بِهِ فَانْتَقَلَ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ يُقْتَلُ لِرِدَّتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمُفَارَقَتِهِ دِينَ الْحَقِّ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ قَبْلَ الْقَتْلِ إِلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ، وَفَسَادُ مَا خَالَفَهُ مِنْ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَحْكُمُ بِحُكْمِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ لِمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ، إِلَّا أَنْ

يَكُونَ إِسْرَائِيلِيًّا أَوْ مُنْتَقِلًا إِلَىٰ دِينِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ قَبْلَ نُزُولِ الْفُرْقَانِ، فَأَمَّا مَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ بَعْدَ نُزُولِ الْفُرْقَانِ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِمَّنْ خَالَفَ نَسَبُهُ نَسَبَهُمْ وَجِنْسُهُ جِنْسَهُمْ، فَإِنَّهُ حُكْمُهُ لِحُكْمِهِمْ مُخَالِفٌ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١] إِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ مَنْ وَضَعَ الْوَلَايَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَوَالَىٰ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مَعَ عَدَاوَتِهِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ لَهُمْ ظَهِيرًا وَنَصِيرًا؛ لِأَنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ حَرْبٌ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الظُّلْمِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَنَّهُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ [المائدة: ٥٢].

﴿فَتَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وَشَكٌّ إِيمَانٍ بِنُبُوَّتِكَ، وَتَصْدِيقِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ.. وَذَلِكَ مِنَ اللهِ خَبَرٌ عَنْ نَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُوَالُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، وَيَغُشُّونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَقُولُونَ: نَخْشَىٰ أَنْ تَدُورَ دَوَائِرُ إِمَّا لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَإِمَّا لِأَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ أَوْ غَيْرِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَوْ تَنْزِلَ بِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ نَازِلَةٌ، فَيَكُونَ بِنَا إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ..

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.. وَيَعْنِي بِمُسَارَعَتِهِمْ فِيهِمْ: مُسَارَعَتَهُمْ فِي مُوَالَاتِهِمْ وَمُصَانَعَتِهِمْ..

﴿يَقُولُونَ﴾ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ إِنَّمَا نُسَارِعُ فِي مُوَالَاةِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ خَوْفًا مِنْ دَائِرَةٍ تَدُورُ عَلَيْنَا مِنْ عَدُوِّنَا.. وَيَعْنِي بِالدَّائِرَةِ: الدَّوْلَةَ..

﴿فَعَسَى﴾ فَلَعَلَّ..

﴿ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ وَالْفَتْحُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْقَضَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَضَاءُ الَّذِي وَعَدَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ عَظِيمِ قَضَاءِ اللهِ، وَفَصْلِ حُكْمِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، وَيُقَرِّرُ عِنْدَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ أَنَّ اللهَ مُعْلِي كَلِمَتِهِ وَمُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ..

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ قَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الَّذِي وَعَدَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ هُوَ

الْجِزْيَةَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهَا، غَيْرَ أَنَّهُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَهُوَ مِمَّا فِيهِ إِدَالَةُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَمِمَّا يَسُوءُ الْمُنَافِقِينَ وَلَا يَسُرُّهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ إِذَا جَاءَ أَصْبَحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ..

﴿فَيُصۡبِحُواْ﴾ فَيُصْبِحُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ مِنْ مُخَالَّةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَمَوَدَّتِهِمْ، وَبِغْضَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُحَادَّتِهِمْ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾ [المائدة: ٥٣].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ﴾ حَلَفُوا لَنَا..

﴿بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ كَذِبًا..

﴿إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ﴾ إِنَّهُمْ لَمَعَنَا..

﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ ذَهَبَتْ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا بَاطِلًا، لَا ثَوَابَ لَهَا وَلَا أَجْرَ؛ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوهَا عَلَىٰ غَيْرِ يَقِينٍ مِنْهُمْ بِأَنَّهَا عَلَيْهِمْ لِلَّهِ فَرْضٌ وَاجِبٌ، وَلَا عَلَىٰ صِحَّةِ إِيمَانٍ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَهَا لِيَدْفَعُوا الْمُؤْمِنِينَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، فَأَحْبَطَ اللهُ أَجْرَهَا إِذْ لَمْ تَكُنْ لَهُ..

﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾ فَأَصْبَحَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ عِنْدَ مَجِيءِ أَمْرِ اللهِ بِإِدَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ..

﴿خَٰسِرِينَ ٥٣﴾ [المائدة: ٥٣] قَدْ وُكِسُوا فِي شِرَائِهِمُ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَخَابَتْ صَفْقَتُهُمْ وَهَلَكُوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ مَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، فَيُبَدِّلُهُ وَيُغَيِّرُهُ بِدُخُولِهِ فِي الْكُفْرِ، إِمَّا فِي الْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْكُفْرِ..

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا، وَسَيَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ؛ يَقُولُ: فَسَوْفَ يَجِيءُ اللهُ بَدَلًا مِنْهُمُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُبَدِّلُوا وَلَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ يَرْتَدُّوا، بِقَوْمٍ خَيْرٍ مِنَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا وَبَدَّلُوا دِينَهُمْ، يُحِبُّهُمُ اللهُ وَيُحِبُّونَ اللهَ.. وَكَانَ هَذَا الْوَعِيدُ مِنَ اللهِ لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ سَيَرْتَدُّ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَذَلِكَ وَعْدُهُ مَنْ وَعَدَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَعَدَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، لِمَنْ سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يُبَدِّلُ وَلَا يُغَيِّرُ دِينَهُ وَلَا يَرْتَدُّ، فَلَمَّا قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ ارْتَدَّ أَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْمَدَرِ، فَأَبْدَلَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِخَيْرٍ مِنْهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَوَفَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ بِوَعْدِهِ، وَأَنْفَذَ فِيمَنِ ارْتَدَّ مِنْهُمْ وَعِيدَهُ..

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَرِقَّاء عَلَيْهِمْ رُحَمَاء بِهِمْ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: ذَلَّ فُلَانٌ لِفُلَانٍ: إِذَا خَضَعَ لَهُ وَاسْتَكَانَ..

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أَشِدَّاء عَلَيْهِمْ، غُلَظَاء بِهِمْ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَدْ عَزَّنِي فُلَانٌ: إِذَا أَظْهَرَ الْعِزَّةَ مِنْ نَفْسِهِ لَهُ، وَأَبْدَىٰ لَهُ الْجَفْوَةَ وَالْغِلْظَةَ..

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِهِمْ إِنِ ارْتَدَّ مِنْهُمْ مُرْتَدٌّ بَدَلًا مِنْهُمْ، يُجَاهِدُونَ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ اللهِ، عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِقِتَالِهِمْ، وَالْوَجْهِ الَّذِي أَذِنَ لَهُمْ بِهِ، وَيُجَاهِدُونَ عَدُوَّهُمْ، فَذَلِكَ مُجَاهَدَتُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ وَلَا يَخَافُونَ فِي ذَاتِ اللهِ أَحَدًا، وَلَا يَصُدُّهُمْ عَنِ الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ قِتَالِ عَدُوِّهِمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ لَهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ هَذَا النَّعْتُ الَّذِي نَعَتَهُمْ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، أَعِزَّةٌ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَضْلُ اللهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وَاللهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، مِنَّةً عَلَيْهِ وَتَطَوُّلًا..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ وَاللهُ جَوَادٌ بِفَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ جَادَ بِهِ عَلَيْهِ، لَا يَخَافُ نَفَادَ خَزَائِنِهِ فَيَكُفَّ مِنْ عَطَائِهِ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤] بِمَوْضِعِ جُودِهِ وَعَطَائِهِ، فَلَا يَبْذُلُهُ إِلَّا لِمَنِ اسْتَحَقَّهُ وَلَا يَبْذُلُ لِمَنِ اسْتَحَقَّهُ إِلَّا عَلَىٰ قَدْرِ الْمَصْلَحَةِ، لِعِلْمِهِ بِمَوْضِعِ صَلَاحِهِ لَهُ مِنْ مَوْضِعِ ضُرِّهِ.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾

[المائدة: ٥٥].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لَيْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نَاصِرٌ إِلَّا اللهُ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ صِفَتُهُمْ مَا ذَكَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة: ٥٥] فَأَمَّا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَبَرَّءُوا مِنْ وَلَايَتِهِمْ وَنَهَاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ، فَلَيْسُوا لَكُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَا نُصَرَاءَ، بَلْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ [المائدة: ٥٦].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ جَمِيعًا: الَّذِينَ تَبَرَّءُوا مِنَ الْيَهُودِ وَحِلْفِهِمْ رِضًا بِوَلَايَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِحِلْفِهِمْ، وَخَافُوا دَوَائِرَ السُّوءِ تَدُورُ عَلَيْهِمْ، فَسَارَعُوا إِلَىٰ مُوَالَاتِهِمْ..

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّ أَنْصَارَ اللهِ، ومَنْ وَثِقَ بِاللهِ وَتَوَلَّىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ [المائدة: ٥٦] لَهُمُ الْغَلَبَةُ وَالدَّوَائِرُ وَالدَّوْلَةُ عَلَىٰ مَنْ عَادَاهُمْ وَحَادَّهُمْ، لِأَنَّهُمْ حِزْبُ اللهِ، وَحِزْبُ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ دُونَ حِزْبِ الشَّيْطَانِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [المائدة: ٥٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ كَانَ أَحَدُهُمْ يُظْهِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ وَهُوَ عَلَىٰ كُفْرِهِ مُقِيمٌ، ثُمَّ يُرَاجِعُ الْكُفْرَ بَعْدَ يَسِيرٍ مِنَ الْمُدَّةِ بِإِظْهَارِ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ قَوْلًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ يُبْدِي بِلِسَانِهِ الْإِيمَانَ قَوْلًا وَهُوَ لِلْكُفْرِ مُسْتَبْطِنٌ، تَلَعُّبًا بِالدِّينِ وَاسْتِهْزَاءً بِهِ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فَقَدْ أَبَانَ هَذَا الْخَبَرُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا، مِنْ أَنَّ اتِّخَاذَ مَنِ اتَّخَذَ دِينَ اللهِ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّمَا كَانَ بِالنِّفَاقِ مِنْهُمْ، وَإِظْهَارِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ وَاسْتِبْطَانِهِمُ الْكُفْرَ، وَقِيلِهِمْ لِشَيَاطِينِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ إِذَا خَلَوْا بِهِمْ: إِنَّا مَعَكُمْ.. فنَهَىٰ اللهُ عَنْ مُوادَّتِهِمْ وَمُحَالَفَتِهِمْ، وَالتَّمَسُّكِ بِحِلْفِهِمْ وَالِاعْتِدَادِ بِهِمْ أَوْلِيَاءَ،

وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَأْلُونَهُمْ خَبَالًا، وَفِي دِينِهِمْ طَعْنًا وَعَلَيْهِ إِزْرَاءً..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِمُ الْكُتُبُ مِنْ قَبْلِ بَعْثِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَمِنْ قَبْلِ نُزُولِ كِتَابِنَا..

﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْكُفْرِ أَوْلِيَاءَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ.. لَا تَتَّخِذُوهُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْصَارًا وَإِخْوَانًا وَحُلَفَاءَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَإِنْ أَظْهَرُوا لَكُمْ مَوَدَّةً وَصَدَاقَةً..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَمِنَ الْكُفَّارِ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَنُصَرَاءَ، وَارْهَبُوا عُقُوبَتَهُ فِي فِعْلِ ذَلِكَ إِنْ فَعَلْتُمُوهُ بَعْدَ تَقَدُّمِهِ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [المائدة: ٥٧] إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَتُصَدِّقُونَهُ عَلَىٰ وَعِيدِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ [المائدة: ٥٨].

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وَإِذَا أَذَّنَ مُؤَذِّنُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالصَّلَاةِ..

﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ سَخِرَ مِنْ دَعْوَتِكُمْ إِلَيْهَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُشْرِكِينَ..

﴿وَلَعِبًا﴾ وَلَعِبُوا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ فِعْلُهُمُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ، وَهُوَ هُزْؤُهُمْ وَلَعِبُهُمْ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، إِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ بِجَهْلِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ [المائدة: ٥٨] مَا لَهُمْ فِي إِجَابَتِهِمْ إِنْ أَجَابُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَمَا عَلَيْهِمْ فِي اسْتِهْزَائِهِمْ وَلَعِبِهِمْ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَلَوْ عَقَلُوا مَا لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعِقَابِ مَا فَعَلُوهُ.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٥٩﴾ [المائدة: ٥٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾ تَكْرَهُونَ..

﴿مِنَّآ﴾ أَوْ تَجِدُونَ عَلَيْنَا حَتَّىٰ تَسْتَهْزِئُوا بِدِينِنَا إِذَا أَنْتُمْ إِذَا نَادَيْنَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ اتَّخَذْتُمْ نِدَاءَنَا ذَلِكَ هُزُوًا وَلَعِبًا..

﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إِلَّا أَنْ صَدَّقْنَا وَأَقْرَرْنَا بِاللهِ فَوَحَّدْنَاهُ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إِلَىٰ أَنْبِيَاءِ اللهِ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ قَبْلِ كِتَابِنَا..

﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾ [المائدة: ٥٩] إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَكُمْ مُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ، خَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ، تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [المائدة: ٦٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ..

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ بِشَرٍّ مِنْ ثَوَابِ مَا تَنْقِمُونَ مِنَّا مِنْ إِيمَانِنَا بِاللهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِنَا مِنْ كُتُبِهِ؟..

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ مَنْ أَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْمُسُوخَ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، غَضَبًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَسَخَطًا، فَعَجَّلَ لَهُمُ الْخِزْيَ وَالنَّكَالَ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وَمَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ..

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، فَقَالَ: مَنْ لَعَنَهُ اللهُ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ، مِمَّنْ نَقِمْتُمْ عَلَيْهِمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ إِيمَانَهُمْ بِاللهِ وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ..

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [المائدة: ٦٠] وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْيَهُودُ، أَشَدُّ أَخْذًا عَلَىٰ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَأَجْوَرُ عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ وَالْقَصْدِ مِنْهُمْ.. وَهَذَا مِنْ لَحْنِ الْكَلَامِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا قَصَدَ بِهَذَا الْخَبَرِ إِخْبَارَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْآيَاتِ قَبْلَ هَذِهِ بِقَبِيحِ فِعَالِهِمْ وَذَمِيمِ

أَخْلَاقِهِمْ، وَاسْتِيجَابِهِمْ سَخَطَهُ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، حَتَّىٰ مَسَخَ بَعْضَهُمْ قِرَدَةً وَبَعْضَهُمْ خَنَازِيرَ، خِطَابًا مِنْهُ لَهُمْ بِذَلِكَ، تَعْرِيضًا بِالْجَمِيلِ مِنَ الْخِطَابِ، وَلَحْنٌ لَهُمْ بِمَا عَرَفُوا مَعْنَاهُ مِنَ الْكَلَامِ بِأَحْسَنِ اللَّحْنِ، وَعَلَّمَ نَبِيَّهُ ﷺ مِنَ الْأَدَبِ أَحْسَنَهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَبِكُتُبِهِ الَّذِينَ تَسْتَهْزِءُونَ مِنْهُمْ شَرٌّ أَمْ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ؟ وَهُوَ يَعْنِي الْمَقُولَ ذَلِكَ لَهُمْ.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ۝٦١﴾ [المائدة: ٦١].

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ وَإِذَا جَاءَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ لَكُمْ..

﴿ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ دِينِهِ، وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ..

﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾ وَهُمْ قَدْ دَخَلُوا عَلَيْكُمْ..

﴿بِٱلْكُفْرِ﴾ بِكُفْرِهِمُ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ وَيُضْمِرُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، وَهُمْ يُبْدُونَ كَذِبًا التَّصْدِيقَ لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ..

﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ خَرَجُوا بِالْكُفْرِ مِنْ عِنْدِكُمْ كَمَا دَخَلُوا بِهِ عَلَيْكُمْ، لَمْ يَرْجِعُوا بِمَجِيئِهِمْ إِلَيْكُمْ عَنْ كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ، يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللهِ جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ..

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ﴾ عِنْدَ قَوْلِهِمْ لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ: آمَنَّا بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَصَدَّقْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ..

﴿يَكْتُمُونَ ۝٦١﴾ [المائدة: ٦١] يُضْمِرُونَه الْكُفْرَ بِأَنْفُسِهِمْ.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٦٢﴾ [المائدة: ٦٢].

﴿وَتَرَىٰ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾ يُعَجِّلُونَ بِمُوَاقَعَةِ الْإِثْمِ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْإِثْمَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنِيٌّ بِهِ الْكُفْرُ.. وَهَذَا قَوْلٌ وَإِنْ كَانَ قَوْلًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ جَوَازُ صِحَّتِهِ، فَإِنَّ الَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْكَلَامِ أَنْ يَكُونَ الْقَوْمُ مَوْصُوفِينَ بِأَنَّهُمْ يُسَارِعُونَ فِي جَمِيعِ مَعَاصِي اللهِ لَا يَتَحَاشَوْنَ مِنْ شَيْءٍ مِنْهَا، لَا مِنْ

كُفْرٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَمَّ فِي وَصْفِهِمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخُصَّ بِذَلِكَ إِثْمًا دُونَ إِثْمٍ..

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ فَإِنَّهُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ الَّذِي حَدَّهُ اللهُ لَهُمْ فِي كُلِّ مَا حَدَّهُ لَهُمْ، وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، يُسَارِعُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ، وَيَتَعَدَّوْنَ حُدُودَهُ الَّتِي حَدَّ لَهُمْ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ وَذَلِكَ الرِّشْوَةُ الَّتِي يَأْخُذُونَهَا مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ الْحُكْمِ بِخِلَافِ حُكْمِ اللهِ فِيهِمْ..

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٦٢﴾ [المائدة: ٦٢] أَقْسَمَ: لَبِئْسَ الْعَمَلُ مَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ يَعْمَلُونَ فِي مُسَارَعَتِهِمْ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝٦٣﴾
[المائدة: ٦٣].

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ﴾ هَلَا يَنْهَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِ الرِّشَا فِي الْحُكْمِ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ رَبَّانِيُّوهُمْ، وَهُمْ أَئِمَّتُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَسَاسَتُهُمُ الْعُلَمَاءُ بِسِيَاسَتِهِمْ..

﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ وَأَحْبَارُهُمْ، وَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ وَقُوَّادُهُمْ..

﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْكُمُونَ فِيهِمْ بِغَيْرِ حُكْمِ اللهِ، وَيَكْتُبُونَ كُتُبًا بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ: هَذَا مِنْ حُكْمِ اللهِ، وَهَذَا مِنْ كُتُبِهِ، يَقُولُ اللهُ: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]..

﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ يَعْنِي بِهِ الرِّشْوَةَ الَّتِي كَانُوا يَأْخُذُونَهَا عَلَىٰ حُكْمِهِمْ بِغَيْرِ كِتَابِ اللهِ لِمَنْ حَكَمُوا لَهُ بِهِ..

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝٦٣﴾ [المائدة: ٦٣] هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللهِ أَقْسَمَ بِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أُقْسِمُ: لَبِئْسَ الصَّنِيعُ كَانَ يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ فِي تَرْكِهِمْ نَهْيَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ مِنْهُمْ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِ السُّحْتِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ.. وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدَّ تَوْبِيخًا لِلْعُلَمَاءِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَا أَخْوَفَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٤﴾

[المائدة: ٦٤].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ يَعْنُونَ: أَنَّ خَيْرَ اللهِ مُمْسَكٌ، وَعَطَاءَهُ مَحْبُوسٌ عَنِ الاتِّسَاعِ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي تَأْدِيبِ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].. وَإِنَّمَا وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْيَدَ بِذَلِكَ، وَالْمَعْنَىٰ: الْعَطَاءُ، لِأَنَّ عَطَاءَ النَّاسِ وَبَذْلَ مَعْرُوفِهِمُ الْغَالِبَ بِأَيْدِيهِمْ، فَجَرَىٰ اسْتِعْمَالُ النَّاسِ فِي وَصْفِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا إِذَا وَصَفُوهُ بِجُودٍ وَكَرَمٍ أَوْ بِبُخْلٍ وَشُحٍّ وَضِيقٍ، بِإِضَافَةِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَىٰ يَدَيْهِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهَا وَأَمْثَالِهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَىٰ، فَخَاطَبَهُمُ اللهُ بِمَا يَتَعَارَفُونَهُ، وَيَتَحَاوَرُونَهُ بَيْنَهُمْ فِي كَلَامِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ يَبْخَلُ عَلَيْنَا وَيَمْنَعُنَا فَضْلَهُ فَلَا يَفْضُلُ، كَالْمَغْلُولَةِ يَدُهُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْسُطَهَا بِعَطَاءٍ وَلَا بَذْلِ مَعْرُوفٍ.. تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا قَالَ أَعْدَاءُ اللهِ.. فَقَالَ اللهُ مُكَذِّبُهُمْ وَمُخْبِرُهُمْ بِسَخَطِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أُمْسِكَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْخَيْرَاتِ، وَقُبِضَتْ عَنِ الانْبِسَاطِ بِالْعَطِيَّاتِ..

﴿وَلُعِنُواْ﴾ وَأُبْعِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ..

﴿بِمَا﴾ بِالَّذِي..

﴿قَالُواْ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَافْتَرَوْا عَلَىٰ اللهِ وَوَصَفُوهُ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ، وَالْإِفْكِ..

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بِالْبَذْلِ وَالإِعْطَاءِ وَأَرْزَاقِ عِبَادِهِ وَأَقْوَاتِ خَلْقِهِ، غَيْرُ مَغْلُولَتَيْنِ وَلَا مَقْبُوضَتَيْنِ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْجَدَلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ نِعْمَتَاهُ، بِمَعْنَىٰ: يَدُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ نِعَمُهُ عَلَيْهِمْ؛ وَقَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: لَكَ عِنْدِي يَدٌ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ: نِعْمَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: عَنَىٰ بِذَلِكَ الْقُوَّةَ، وَقَالُوا: ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥﴾ [ص: ٤٥].. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ يَدُهُ مُلْكُهُ؛ وَقَالَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ مُلْكُهُ وَخَزَائِنُهُ؛ قَالُوا: وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْعَرَبِ لِلْمَمْلُوكِ: هُوَ

مِلْكُ يَمِينِهِ، وَفُلَانٌ بِيَدِهِ عُقْدَةُ نِكَاحِ فُلَانَةَ، أَيْ يَمْلِكُ ذَلِكَ، وَكَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢].. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ يَدُ اللهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ هِيَ يَدٌ، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ كَجَوَارِحِ بَنِي آدَمَ؛ قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ خُصُوصِيَّةِ آدَمَ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُ بِيَدِهِ، قَالُوا: وَلَوْ كَانَ معنىٰ اليدِ في ذلكَ النِّعمةَ ما كان لِخُصُوصِه آدَمَ بِذَلِكَ وَجْهٌ مَفْهُومٌ؛ إِذْ كَانَ جَمِيعُ خَلْقِهِ مَخْلُوقِينَ بِقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ فِي خَلْقِهِ تَعُمُّهُ، وَهُوَ لِجَمِيعِهِمْ مَالِكٌ، قَالُوا: وَإِذَا كَانَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ خَصَّ آدَمَ بِذِكْرِهِ خَلْقَهُ إِيَّاهُ بِيَدِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ عِبَادِهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ إِنَّمَا خَصَّهُ بِذَلِكَ لِمَعْنَىٰ بِهِ فَارَقَ غَيْرَهُ مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ، قَالُوا: وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَطَلَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ الْيَدِ مِنَ اللهِ الْقُوَّةُ وَالنِّعْمَةُ أَوِ الْمُلْكُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، قَالُوا: وَأَحْرَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الزَّاعِمُونَ إِنَّ يَدَ اللهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ هِيَ نِعْمَتُهُ، لَقِيلَ: بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَةٌ، وَلَمْ يَقُلْ: بَلْ يَدَاهُ، لِأَنَّ نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصَىٰ بِكَثْرَةٍ؛ وَبِذَلِكَ جَاءَ التَّنْزِيلُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، قَالُوا: وَلَوْ كَانَتْ نِعْمَتَيْنِ كَانَتَا مُحْصَاتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ النِّعْمَتَيْنِ بِمَعْنَىٰ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ، فَذَلِكَ مِنْهُ خَطَأٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُخْرِجُ الْجَمِيعَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ لِأَدَاءِ الْوَاحِدِ عَنْ جَمِيعِ جِنْسِهِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١- ٢]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [البلد: ٤] وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ [الفرقان: ٥٥] قَالَ: فَلَمْ يُرِدْ بِالْإِنْسَانِ وَالْكَافِرِ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ إِنْسَانٌ بِعَيْنِهِ، وَلَا كَافِرٌ مُشَارٌ إِلَيْهِ حَاضِرٌ، بَلْ عُنِيَ بِهِ جَمِيعُ الْإِنْسِ وَجَمِيعُ الْكُفَّارِ، وَلَكِنَّ الْوَاحِدَ أَدَّىٰ عَنْ جِنْسِهِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: مَا أَكْثَرَ الدِّرْهَمَ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ [الفرقان: ٥٥] مَعْنَاهُ: وَكَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا، قَالُوا: فَأَمَّا إِذَا ثُنِّيَ الِاسْمُ، فَلَا يُؤَدِّي عَنِ الْجِنْسِ، وَلَا يُؤَدِّي إِلَّا عَنِ اثْنَيْنِ بِأَعْيَانِهِمَا دُونَ الْجَمِيعِ وَدُونَ غَيْرِهِمَا، قَالُوا: وَخَطَأٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يُقَالَ: مَا أَكْثَرَ الدِّرْهَمَيْنِ فِي أَيْدِي النَّاسِ، بِمَعْنَىٰ: مَا أَكْثَرَ الدَّرَاهِمَ فِي أَيْدِيهِمْ، قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ الدِّرْهَمَ إِذَا ثُنِّيَ لَا يُؤَدِّي فِي كَلَامِهَا إِلَّا عَنِ اثْنَيْنِ بِأَعْيَانِهِمَا، قَالُوا: وَغَيْرُ مُحَالٍ: مَا أَكْثَرَ الدِّرْهَمَ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَمَا أَكْثَرَ الدَّرَاهِمَ فِي أَيْدِيهِمْ، لِأَنَّ الْوَاحِدَ يُؤَدِّي عَنِ الْجَمِيعِ، قَالُوا: فَفِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مَعَ إِعْلَامِهِ عِبَادَهُ أَنَّ نِعَمَهُ لَا تُحْصَىٰ، وَمَعَ مَا وَصَفْنَا مِنْ أَنَّهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ اثْنَيْنِ يُؤَدِّيَانِ عَنِ الْجَمِيعِ، مَا يُنْبِئُ عَنْ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ الْيَدِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: النِّعْمَةُ، وَصِحَّةُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ يَدَ اللهِ هِيَ لَهُ صِفَةٌ، قَالُوا: وَبِذَلِكَ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بِهِ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ..

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ يَرْزُقُ كَيفَ يَشَاءُ، يُعْطِي هَذَا وَيَمْنَعُ هَذَا فَيُقَتِّرُ عَلَيْهِ..

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَطْلَعْنَاكَ عَلَيْهِ مِنْ خَفِيِّ أُمُورِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا عُلَمَاؤُهُمْ وَأَحْبَارُهُمْ، احْتِجَاجًا عَلَيْهِمْ لِصِحَّةِ نُبُوَّتِكَ، وَقَطْعًا لِعُذْرِ قَائِلٍ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ غُلُوًّا فِي إِنْكَارِ مَا قَدْ عَلِمُوا صِحَّتَهُ، مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّمَادِي فِي ذَلِكَ..

﴿وَكُفْرًا﴾ وَيَزِيدُهُمْ مَعَ غُلُوِّهِمْ فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ جُحُودَهُمْ عَظَمَةَ اللهِ، وَوَصْفَهُمْ إِيَّاهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، بِأَنْ يَنْسُبُوهُ إِلَىٰ الْبُخْلِ، وَيَقُولُوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.. وَإِنَّمَا أَعْلَمَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُمْ أَهْلُ عُتُوٍّ وَتَمَرُّدٍ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يُذْعِنُونَ لَحَقٍّ وَإِنْ عَلِمُوا صِحَّتَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يُعَانِدُونَهُ؛ يُسَلِّي بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنِ الْمَوْجِدَةِ بِهِمْ فِي ذَهَابِهِمْ عَنِ اللهِ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ وَجُعِلَتِ الْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي قَوْلِهِ ﴿بَيْنَهُمُ﴾ كِنَايَةً عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَلَمْ يَجْرِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ ذِكْرٌ؟ قِيلَ: قَدْ جَرَىٰ لَهُمْ ذِكْرٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]، جَرَىٰ الْخَبَرُ فِي بَعْضِ الْآيِ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ، وَفِي بَعْضٍ عَنْ أَحَدِهِمَا، إِلَىٰ أَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، ثُمَّ قَصَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ الْخَبَرَ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ..

﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا﴾ جُمِعَ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ فَاسْتَقَامَ وَاسْتَوَىٰ..

﴿أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ فَأَرَادُوا مُنَاهَضَةَ مَنْ نَاوَأَهُمْ..

﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ شَتَّتَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَفْسَدَهُ، لِسُوءِ فِعَالِهِمْ وَخُبْثِ نِيَّاتِهِمْ..

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وَيَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَيَكْفُرُونَ بِآيَاتِهِ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ، وَيُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَذَلِكَ سَعْيُهُمْ فِيهَا بِالْفَسَادِ..

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤] وَاللهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ عَامِلًا بِمَعَاصِيهِ فِي أَرْضِهِ..

وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ جَرَاءَةِ الْيَهُودِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَوَصْفِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ، تَوْبِيخًا لَهُمْ بِذَلِكَ، وَتَعْرِيفًا مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ قَدِيمَ جَهْلِهِمْ وَاغْتِرَارَهُمْ بِهِ وَإِنْكَارَهُمْ جَمِيعَ جَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ وَكَثْرَةَ صَفْحِهِ عَنْهُمْ وَعَفْوِهِ عَنْ عَظِيمِ إِجْرَامِهِمْ، وَاحْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِأَنَّهُ لَهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ، أَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ الَّتِي أَنْبَأَهُمْ بِهَا كَانَتْ مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمْ وَمَكْنُونِهَا، الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَحْبَارُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَطْلَعَ اللهُ عَلَىٰ ذَلِكَ

نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، لِيُقَرِّرَ عِنْدَهُمْ صِدْقَهُ، وَيَقْطَعَ بِذَلِكَ حُجَّتَهُمْ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: ٦٥].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَصَدَّقُوهُ وَاتَّبَعُوهُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ..

﴿وَاتَّقَوْا﴾ مَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ فَاجْتَنَبُوهُ..

﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ مَحَوْنَا عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ، فَغَطَّيْنَا عَلَيْهَا وَلَمْ نَفْضَحْهُمْ بِهَا..

﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: ٦٥] وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ بَسَاتِينَ يَنْعَمُونَ فِيهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، مِنَ الْفُرْقَانِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يُقِيمُونَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، مَعَ اخْتِلَافِ هَذِهِ الْكُتُبِ وَنَسْخِ بَعْضِهَا بَعْضًا؟ قِيلَ: وَإِنْ كَانَتْ كَذَلِكَ فِي بَعْضِ أَحْكَامِهَا وَشَرَائِعِهَا، فَهِيَ مُتَّفِقَةٌ فِي الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِرُسُلِ اللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ فَمَعْنَىٰ إِقَامَتِهِمُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ تَصْدِيقُهُمْ بِمَا فِيهَا وَالْعَمَلُ بِمَا هِيَ مُتَّفِقَةٌ فِيهِ وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْخَبَرِ الَّذِي فَرَضَ الْعَمَلَ بِهِ..

﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ لَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ قَطْرَهَا، فَأَنْبَتَتْ لَهُمْ بِهِ الْأَرْضُ حَبَّهَا وَنَبَاتَهَا فَأَخْرَجَ ثِمَارَهَا..

﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ لَأَكَلُوا مِنْ بَرَكَةِ مَا تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنْ حَبِّهَا وَنَبَاتِهَا وَثِمَارِهَا، وَسَائِرِ مَا يُؤْكَلُ مِمَّا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ..

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ..

﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ فِي الْقَوْلِ فِي عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، قَائِلَةٌ فِيهِ الْحَقَّ، أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، لَا غَالِيَةً قَائِلَةً إِنَّهُ ابْنُ اللهِ، تَعَالَىٰ عَمَّا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا مُقَصِّرَةً قَائِلَةً هُوَ لِغَيْرِ رَشْدَةٍ..

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦] سَيِّئٌ عَمَلُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِاللهِ، فَتُكَذِّبُ النَّصَارَىٰ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَزْعُمُ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللهِ، وَتُكَذِّبُ الْيَهُودُ بِعِيسَىٰ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ ذَامًّا لَهُمْ: ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ فِي ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِإِبْلَاغِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ -الَّذِينَ قَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَذَكَرَ فِيهَا مَعَايِبَهُمْ، وَخُبْثَ أَدْيَانِهِمْ، وَاجتِرَاءَهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَتَوَثُّبَهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، وَتَبْدِيلَهُمْ كِتَابَهُ وَتَحْرِيفَهُمْ إِيَّاهُ، وَرَدَاءَةَ مَطَاعِمِهِمْ وَمَآكِلِهِمْ- وَسَائِرِ الْمُشْرِكِينَ غَيْرِهِمْ..

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ مِنْ مَعَايِبِهِمْ، وَالْإِزْرَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّقْصِيرِ بِهِمْ، وَالتَّهْجِينِ لَهُمْ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَنْ لَا يُشْعِرَ نَفْسَهُ حَذَرًا مِنْهُمْ أَنْ يُصِيبَهُ فِي نَفْسِهِ بِمَكْرُوهٍ، مَا قَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللهِ، وَلَا جَزَعًا مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِ مَنْ مَعَهُ، وَأَنْ لَا يَتَّقِيَ أَحَدًا فِي ذَاتِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَافِيهِ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَدَافِعٌ عَنْهُ مَكْرُوهَ كُلِّ مَنْ يَبْغِي مَكْرُوهَهُ..

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فَأَعْلَمَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ إِنْ قَصَّرَ عَنْ إِبْلَاغِ شَيْءٍ مِمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ إِلَيْهِمْ، فَهُوَ فِي تَرْكِهِ تَبْلِيغَ ذَلِكَ وَإِنْ قَلَّ مَا لَمْ يُبَلِّغْ مِنْهُ، فَهُوَ فِي عَظِيمِ مَا رَكِبَ بِذَلِكَ مِنَ الذَّنْبِ بِمَنْزِلَتِهِ لَوْ لَمْ يُبَلِّغْ مِنْ تَنْزِيلِهِ شَيْئًا..

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ يَنَالُوكَ بِسُوءٍ.. وَأَصْلُهُ مِنْ عِصَامِ الْقِرْبَةِ، وَهُوَ مَا تُوكَأُ بِهِ مِنْ سَيْرٍ وَخَيْطٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧] إِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ لِلرُّشْدِ مَنْ حَادَ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَجَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَجَحَدَ مَا جِئْتَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَمْ يَنْتَهِ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِ وَأَوْجَبَهُ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِهِ..

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيل..

﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ مِمَّا تَدَّعُونَ أَنَّكُمْ عَلَيْهِ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَىٰ ﷺ مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَلَا مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ عِيسَىٰ مَعْشَرَ النَّصَارَىٰ..

﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْفُرْقَانِ، فَتَعْمَلُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَتُؤْمِنُوا بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ، وَتُقِرُّوا بِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَلَا تُكَذِّبُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ وَلَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ رُسُلِ اللهِ فَتُؤْمِنُوا بِبَعْضٍ وَتَكْفُرُوا بِبَعْضٍ، فَإِنَّ الْكُفْرَ بِوَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ، لِأَنَّ كُتُبَ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِبَعْضِهَا فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِهَا..

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ وَأُقْسِمُ: لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الَّذِينَ قُصَّ قَصَصُهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿طُغْيَٰنًا﴾ تَجَاوُزًا وَغُلُوًّا فِي التَّكْذِيبِ لَكَ، عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، قَبْلَ نُزُولِ الْفُرْقَانِ..

﴿وَكُفْرًا﴾ وَجُحُودًا لِنُبُوَّتِكَ..

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فَلَا تَحْزَنْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨] عَلَىٰ تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ -مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ- لَكَ، فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَادَةٌ وَخُلُقٌ فِي أَنْبِيَائِهِمْ، فَكَيْفَ فِيكَ؟!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: ٦٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ..

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ..

﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا أَمْرَهُمْ..

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فَصَدَّقَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَعَمِلَ مِنَ الْعَمَلِ صَالِحًا لِمَعَادِهِ..

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فِيمَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾ [المائدة: ٦٩] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَعَيْشِهَا، بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝٧٠﴾ [المائدة: ٧٠].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أُقْسِمُ: لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ وَتَوْحِيدِنَا، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ..

﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ بِذَلِكَ..

﴿رُسُلًا﴾ وَوَعَدْنَاهُمْ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِنَا إِلَيْهِمْ -عَلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَتِنَا- الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدْنَاهُمْ -عَلَىٰ الْعَمَلِ بِمَعْصِيَتِنَا- الشَّدِيدَ مِنَ الْعِقَابِ..

﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ﴾ لَنَا..

﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ بِمَا لَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ وَلَا يُوَافِقُ مَحَبَّتَهُمْ..

﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝٧٠﴾ [المائدة: ٧٠] نَقْضًا لِمِيثَاقِنَا الَّذِي أَخَذْنَاهُ عَلَيْهِمْ، وَجَرَاءَةً عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ خِلَافِ أَمْرِنَا.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٧١﴾ [المائدة: ٧١].

﴿وَحَسِبُوٓا۟﴾ وَظَنَّ هَؤُلَاءِ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ، الَّذِينَ وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ صِفَتَهُمْ أَنَّهُ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا..

﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ وَأَنَّهُمْ كَانُوا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ كَذَّبُوا فَرِيقًا وَقَتَلُوا فَرِيقًا، أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ اللهِ لَهُمُ ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ بِالشَّدَائِدِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ..

﴿فَعَمُوا۟﴾ عَنِ الْحَقِّ وَالْوَفَاءِ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ إِخْلَاصِ عِبَادَتِي، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِي وَنَهْيِي، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِي بِحُسْبَانِهِمْ ذَلِكَ وَظَنِّهِمْ..

﴿وَصَمُّواْ﴾ عَنْهُ..

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ ثُمَّ تُبْتُ عَلَيْهِمْ، وَهَدَيْتُهُمْ بِلُطْفٍ مِنِّي لَهُمْ، حَتَّىٰ أَنَابُوا وَرَجَعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مَعَاصِيِّي وَخِلَافِ أَمْرِي، وَالْعَمَلِ بِمَا أَكْرَهُهُ مِنْهُمْ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا أُحِبُّهُ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِي وَأَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿ثُمَّ عَمُواْ﴾ أَيْضًا عَنِ الْحَقِّ، وَالْوَفَاءِ بِمِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِي، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِي وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيِّي..

﴿وَصَمُّواْ﴾ بَعْدَ تَوْبَتِي عَلَيْهِمْ، وَاسْتِنْقَاذِي إِيَّاهُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ..

﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كُنْتُ أَخَذْتُ مِيثَاقَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِاتِّبَاعِ رُسُلِي، وَالْعَمَلِ بِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْهِمْ مِنْ كُتُبِي عَنِ الْحَقِّ..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة: ٧١] بَصِيرٌ فَيَرَىٰ أَعْمَالَهُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، فَيُجَازِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِجَمِيعِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

> ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ بَعْضِ مَا فَتَنَ بِهِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ حَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَانَ مِمَّا ابْتَلَيْتُهُمْ وَاخْتَبَرْتُهُمْ بِهِ -فَنَقَضُوا فِيهِ مِيثَاقِي، وَغَيَّرُوا عَهْدِي الَّذِي كُنْتُ أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ، بِأَنْ لَا يَعْبُدُوا سِوَايَ وَلَا يَتَّخِذُوا رَبًّا غَيْرِي، وَأَنْ يُوَحِّدُونِي، وَيَنْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِي- عَبْدِي عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ، فَإِنِّي خَلَقْتُهُ وَأَجْرَيْتُ عَلَىٰ يَدِهِ نَحْوَ الَّذِي أَجْرَيْتُ علىٰ يدِ كثيرٍ من رُسلي، فقالوا كفرًا منهم: هو الله، وهذا قولُ اليَعْقُوبِيَّةِ مِنَ النَّصَارَىٰ، عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَلَمَّا اخْتَبَرْتُهُمْ وَابْتَلَيْتُهُمْ بِمَا ابْتَلَيْتُهُمْ بِهِ أَشْرَكُوا بِي، وَقَالُوا لِخَلْقٍ مِنْ خَلْقِي وَعَبْدٍ مِثْلِهِمْ مِنْ عَبِيدِي، وَبَشَرٍ نَحْوِهِمْ مَعْرُوفٌ نَسَبُهُ وَأَصْلُهُ، مَوْلُودٍ مِنَ الْبَشَرِ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِي، وَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَتِي وَطَاعَتِي، وَيُقِرُّ لَهُمْ بِأَنِّي رَبُّهُ وَرَبُّهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، هُوَ إِلَهُهُمْ؛ جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ وَكُفْرًا بِهِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ وَالِدًا وَلَا مَوْلُودًا..

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ اجْعَلُوا الْعِبَادَةَ وَالتَّذَلُّلَ لِلَّذِي لَهُ يَذِلُّ كُلُّ شَيْءٍ وَلَهُ يَخْضَعُ كُلُّ مَوْجُودٍ..

﴿رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ مَالِكِي وَمَالِكُكُمْ، وَسَيِّدِي وَسَيِّدُكُمْ، الَّذِي خَلَقَنِي وَإِيَّاكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ أَنْ يَسْكُنَهَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَمَأْوَىٰهُ﴾ وَمَرْجِعُهُ وَمَكَانُهُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ وَيَصِيرُ فِي مَعَادِهِ، مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ..

﴿ٱلنَّارُ﴾ نَارُ جَهَنَّمَ..

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وَلَيْسَ لِمَنْ فَعَلَ غَيْرَ مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ، وَعَبَدَ غَيْرَ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ الْخَلْقِ..

﴿مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة: ٧٢] يَنْصُرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ اللهِ، فَيُنْقِذُونَهُ مِنْهُ إِذَا أَوْرَدَهُ جَهَنَّمَ.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [المائدة: ٧٣].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ﴾ هَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ فَرِيقٍ آخَرَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْآيَاتِ قَبْلُ، أَنَّهُ لَمَّا ابْتَلَاهُمْ بَعْدَ حُسْبَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُبْتَلُونَ وَلَا يُفْتَنُونَ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ كُفْرًا بِرَبِّهِمْ وَشِرْكًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ وَهَذَا قَوْلٌ كَانَ عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ النَّصَارَىٰ قَبْلَ افْتِرَاقِ الْيَعْقُوبِيَّةِ وَالْمِلْكَانِيَّةِ وَالنَّسْطُورِيَّةِ، كَانُوا فِيمَا بَلَغَنَا يَقُولُونَ: الْإِلَهُ الْقَدِيمُ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ يَعُمُّ ثَلَاثَةَ أَقَانِيمَ: أَبًا وَالِدًا غَيْرَ مَوْلُودٍ، وَابْنًا مَوْلُودًا غَيْرَ وَالِدٍ، وَزَوْجًا مُتَتَبَّعَةً بَيْنَهُمَا.. يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِيمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ مَا لَكُمْ مَعْبُودٌ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا مَعْبُودٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِوَالِدٍ لِشَيْءٍ وَلَا مَوْلُودٍ، بَلْ هُوَ خَالِقُ كُلِّ وَالِدٍ وَمَوْلُودٍ..

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَائِيلِيُّونَ..

﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ فِي اللهِ مِنْ عَظِيمِ الْقَوْلِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ الْمَقَالَةَ الْأُخْرَىٰ: هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّ الْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا كَفَرَةٌ مُشْرِكُونَ، فَلِذَلِكَ رَجَعَ فِي الْوَعِيدِ بِالْعَذَابِ إِلَىٰ الْعُمُومِ..

﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْهُمْ إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللهُ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَكُلُّ كَافِرٍ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [المائدة: ٧٣] بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ.. وَلَمْ يَقُلْ: لَيَمَسَّنَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ قِيلَ كَذَلِكَ صَارَ الْوَعِيدُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَاصًّا لِقَائِلِ الْقَوْلِ الثَّانِي، وَهُمُ الْقَائِلُونَ: اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِمُ الْقَائِلُونَ: الْمَسِيحُ هُوَ اللهُ، فَعَمَّ بِالْوَعِيدِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كُلَّ كَافِرٍ، لِيَعْلَمَ الْمُخَاطَبُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ وَعِيدَ اللهِ قَدْ شَمِلَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَنْ كَانَ مِنَ الْكُفَّارِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ فَعَلَىٰ مَنْ عَادَتِ الْهَاءُ وَالْمِيمُ اللَّتَانِ فِي قَوْلِهِ: مِنْهُمْ؟ قِيلَ: عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾ [المائدة: ٧٤].

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ أَفَلَا يَرْجِعُ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ الْكَافِرَانِ، الْقَائِلُ أَحَدُهُمَا: إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ؛ وَالْآخَرُ الْقَائِلُ: إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، عَمَّا قَالَا مِنْ ذَلِكَ، وَيَتُوبَانِ بِمَا قَالَا وَقَطَعَا بِهِ مِنْ كُفْرِهِمَا..

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ وَيَسْأَلَانِ رَبَّهُمَا الْمَغْفِرَةَ مِمَّا قَالَا..

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ خَلْقِهِ، الْمُنِيبِينَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِمْ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾ [المائدة: ٧٤] بِهِمْ فِي قَبُولِهِ تَوْبَتَهُمْ وَمُرَاجَعَتِهِمْ إِلَىٰ مَا يُحِبُّ مِمَّا يَكْرَهُ، فَيَصْفَحُ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْ إِجْرَامِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٧٥﴾ [المائدة: ٧٥].

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ احْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ فِرَقِ النَّصَارَىٰ فِي قَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ.. يَقُولُ مُكَذِّبًا لِلْيَعْقُوبِيَّةِ فِي قِيلِهِمْ: هُوَ اللهُ، وَالْآخَرِينَ فِي قِيلِهِمْ: هُوَ ابْنُ اللهِ: لَيْسَ الْقَوْلُ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ فِي الْمَسِيحِ، وَلَكِنَّهُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَلَدَتْهُ وِلَادَةَ الْأُمَّهَاتِ أَبْنَاءَهُنَّ، وَذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْبَشَرِ لَا مِنْ صِفَةِ خَالِقِ الْبَشَرِ..

﴿إِلَّا رَسُولٌ﴾ وَإِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ رَسُولٌ..

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ كَسَائِرِ رُسُلِهِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، فَمَضَوْا وَخَلَوْا، أَجْرَىٰ عَلَىٰ يَدِهِ مَا شَاءَ أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَيْهَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَعَلَىٰ أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا أَجْرَىٰ عَلَىٰ أَيْدِي مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، حُجَّةً لَهُمْ عَلَىٰ

حَقِيقَةِ صِدْقِهِمْ فِي أَنَّهُمْ لِلَّهِ رُسُلٌ..

﴿وَأُمُّهُۥ﴾ وَأُمُّ الْمَسِيحِ..

﴿صِدِّيقَةٌ﴾ وَالصِّدِّيقَةُ: مِنَ الصِّدْقِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩]، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّمَا قِيلَ لَهُ الصِّدِّيقُ لِصِدْقِهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ صِدِّيقًا لِتَصْدِيقِهِ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَسِيرِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ مَكَّةَ وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا..

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ، أَنَّهُمَا كَانَا أَهْلَ حَاجَةٍ إِلَىٰ مَا يَغْذُوهُمَا، وَتَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمَا مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، كَسَائِرِ الْبَشَرِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ كَائِنٍ إِلَهًا؛ لِأَنَّ الْمُحْتَاجَ إِلَىٰ الْغِذَاءِ قِوَامُهُ بِغَيْرِهِ، وَفِي قِوَامِهِ بِغَيْرِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَىٰ مَا يُقِيمُهُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ عَجْزِهِ، وَالْعَاجِزُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرْبُوبًا لَا رَبًّا..

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ﴾ كَيْفَ نُبَيِّنُ لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ الْأَدِلَّةَ وَالْأَعْلَامَ وَالْحُجَجَ عَلَىٰ بُطُولِ مَا يَقُولُونَ فِي أَنْبِيَاءِ اللهِ، وَفِي فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَادِّعَائِهِمْ لَهُ وَلَدًا، وَشَهَادَتِهِمْ لِبَعْضِ خَلْقِهِ بِأَنَّهُ لَهُمْ رَبٌّ وَإِلَهٌ، ثُمَّ لَا يَرْتَدِعُونَ عَنْ كَذِبِهِمْ وَبَاطِلِ قِيلِهِمْ، وَلَا يَنْزَجِرُونَ عَنْ فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَعَظِيمِ جَهْلِهِمْ، مَعَ وُرُودِ الْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾ يا محمد مَعَ تَبْيِينِنَا لَهُمْ آيَاتِنَا عَلَىٰ بُطُولِ قَوْلِهِمْ..

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة: ٧٥] أَيُّ وَجْهٍ يُصْرَفُونَ عَنْ بَيَانِنَا الَّذِي بَيَّنْتُهُ لَهُمْ، وَكَيْفَ عَنِ الْهُدَىٰ الَّذِي نَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ يَضِلُّونَ؟!

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة: ٧٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ مِنَ النَّصَارَىٰ، الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ رَبُّهُمْ، وَالْقَائِلِينَ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ..

﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أَتَعْبُدُونَ سِوَىٰ اللهِ الَّذِي يَمْلِكُ ضُرَّكُمْ وَنَفْعَكُمْ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، وَهُوَ يُحْيِيكُمْ وَيُمِيتُكُمْ..

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ يُخْبِرُهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ الْمَسِيحَ الَّذِي زَعَمَ مَنْ زَعَمَ مِنَ

النَّصَارَىٰ أَنَّهُ إِلَهٌ، وَالَّذِي زَعَمَ مَنْ زَعَمَ مِنْهُمْ أَنَّهُ لِلَّهِ ابْنٌ، لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ إِنْ أَحَلَّهُ اللهُ بِهِمْ، وَلَا نَفْعًا يَجْلِبُهُ إِلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يَقْضِهِ اللهُ لَهُمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَيْفَ يَكُونُ رَبًّا وَإِلَهًا مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ؟! بَلِ الرَّبُّ الْمَعْبُودُ الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَالْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْعَجَزَةِ الَّذِينَ لَا يَنْفَعُونَكُمْ وَلَا يَضُرُّونَ.. وَهَذَا أَيْضًا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ الْقَائِلِينَ فِي الْمَسِيحِ مَا وَصَفَ مِنْ قِيلِهِمْ فِيهِ قَبْلُ..

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِاسْتِغْفَارِهِمْ، لَوِ اسْتَغْفَرُوهُ مِنْ قِيلِهِمْ مَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَهُ فِي الْمَسِيحِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنْطِقِهِمْ وَمَنْطِقِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾ [المائدة: ٧٦] بِتَوْبَتِهِمْ لَوْ تَابُوا مِنْهُ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة: ٧٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْغَالِيَةِ مِنَ النَّصَارَىٰ فِي الْمَسِيحِ..

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الْإِنْجِيلَ..

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ لَا تُفْرِطُوا فِي الْقَوْلِ فِيمَا تَدِينُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَتُجَاوِزُوا فِيهِ الْحَقَّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، فَتَقُولُوا فِيهِ: هُوَ اللهُ، أَوْ هُوَ ابْنُهُ..

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ وَلَكِنْ قُولُوا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟﴾ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ..

﴿أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أَهْوَاءَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَدْ ضَلُّوا قَبْلَكُمْ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ فِي الْقَوْلِ فِيهِ، فَتَقُولُونَ فِيهِ كَمَا قَالُوا: هُوَ لِغَيْرِ رَشْدَةٍ، وَتَبْهَتُوا أُمَّهُ كَمَا يَبْهَتُونَهَا بِالْفِرْيَةِ، وَهِيَ صِدِّيقَةٌ..

﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ وَأَضَلَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَحَادُوا بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَحَمَلُوهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِالْمَسِيحِ..

﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة: ٧٧] وَضَلَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ، وَرَكِبُوا غَيْرَ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ كُفْرَهُمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبَهُمْ رُسُلَهُ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدًا ﷺ، وَذَهَابَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَبُعْدَهُمْ مِنْهُ، وَذَلِكَ كَانَ ضَلَالَهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨﴾ [المائدة: ٧٨].

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ صِفَتَهُمْ: لَا تَغْلُوا فَتَقُولُوا فِي الْمَسِيحِ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَا تَقُولُوا فِيهِ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ الَّذِينَ قَدْ لَعَنَهُمُ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، دَاوُدَ وَعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، وَكَانَ لَعْنُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ..

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ اللهَ فَخَالَفُوا أَمْرَهُ..

﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨﴾ [المائدة: ٧٨] وَكَانُوا يَتَجَاوَزُونَ حُدُودَهُ.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٩].

﴿كَانُواْ﴾ كَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ..

﴿لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ لَا يَنْتَهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، وَلَا يَنْهَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا..

﴿عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ الْمَعَاصِي الَّتِي كَانُوا يَعْصَوْنَ اللهَ بِهَا، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: كَانُوا لَا يَنْتَهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ أَتَوْهُ..

﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٩] وَهَذَا قَسَمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، يَقُولُ: أُقْسِمُ: لَبِئْسَ الْفِعْلُ كَانُوا يَفْعَلُونَ، فِي تَرْكِهِمُ الِانْتِهَاءَ عَنْ مَعَاصِي اللهِ تَعَالَىٰ، وَرُكُوبِ مَحَارِمِهِ، وَقَتْلِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ.

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝٨٠﴾ [المائدة: ٨٠].

﴿تَرَىٰ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يَتَوَلَّوْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَيُعَادُونَ أَوْلِيَاءَ اللهِ، وَرُسُلَهُ..

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أُقْسِمُ: لَبِئْسَ الشَّيْءُ الَّذِي قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَمَامَهُمْ إِلَىٰ مَعَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، تَرْجَمَةً عَنْ (مَا) الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لَبِئْسَ مَا﴾..

﴿وَفِي الْعَذَابِ﴾ وَفِي عَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿هُمْ خَالِدُونَ ۝٨٠﴾ [المائدة: ٨٠] دَائِمٌ مَقَامُهُمْ وَمُكْثُهُمْ فِيهِ.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝٨١﴾ [المائدة: ٨١].

﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ..

﴿بِاللَّهِ﴾ وَيُقِرُّونَ بِهِ وَيُوَحِّدُونَهُ..

﴿وَالنَّبِيِّ﴾ وَيُصَدِّقُونَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، بِأَنَّهُ لِلَّهِ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ..

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يُقِرُّونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ آيِ الْفُرْقَانِ..

﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَصْحَابًا وَأَنْصَارًا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝٨١﴾ [المائدة: ٨١] وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ أَهْلُ خُرُوجٍ عَنْ طَاعَةِ اللهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَأَهْلُ اسْتِحْلَالٍ لِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾ [المائدة: ٨٢].

﴿۞ لَتَجِدَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَصَدَّقُوكَ وَاتَّبَعُوكَ وَصَدَّقُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..

﴿الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَوْثَانَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم﴾ ولتجدنَّ أقربَ النَّاسِ..

﴿مَّوَدَّةً﴾ ومَحبَّةً..

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وصَدَّقُوا اللهَ ورَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ﴾ قُرِّبَتْ مَوَدَّةُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ مِنْهُمْ..

﴿قِسِّيسِينَ﴾ أَهْلَ اجْتِهَادٍ فِي الْعِبَادَةِ، وَتَرْهِيبٍ فِي الدِّيَارَاتِ وَالصَّوَامِعِ..

﴿وَرُهۡبَانٗا﴾ وَأَنَّ مِنْهُمْ عُلَمَاءَ بِكُتُبِهِمْ، وَأَهْلَ تِلَاوَةٍ لَهَا..

﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٨٢﴾ [المائدة: ٨٢] عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَالْإِذْعَانِ بِهِ، فَهُمْ لَا يَبْعُدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِتَوَاضُعِهِمْ لِلْحَقِّ إِذَا عَرَفُوهُ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ قَبُولِهِ إِذَا تَبَيَّنُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ دِينٍ وَاجْتِهَادٍ فِيهِ، وَنَصِيحَةٍ لِأَنْفُسِهِمْ فِي ذَاتِ اللهِ، وَلَيْسُوا كَالْيَهُودِ الَّذِينَ قَدْ دَرِبُوا بِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَمُعَانَدَةِ اللهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتَحْرِيفِ تَنْزِيلِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كُتُبِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ نَصَارَىٰ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ أَسْلَمُوا وَاتَّبَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ.. وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ وَأَصْحَابٍ لَهُ أَسْلَمُوا مَعَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هَذِهِ صِفَةُ قَوْمٍ كَانُوا عَلَىٰ شَرِيعَةِ عِيسَىٰ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ آمَنُوا بِهِ.. وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَ صِفَةَ قَوْمٍ قَالُوا: إِنَّا نَصَارَىٰ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَجِدُهُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ وِدَادًا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَمْ يُسَمِّ لَنَا أَسْمَاءَهُمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِذَلِكَ أَصْحَابُ النَّجَاشِيِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهِ قَوْمٌ كَانُوا عَلَىٰ شَرِيعَةِ عِيسَىٰ فَأَدْرَكَهُمُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمُوا لَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَعَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْهُ.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾ وَإِذَا سَمِعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ أَنَّكَ تَجِدُهُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا..

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ يُتْلَىٰ..

﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ وَفَيْضُ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ: امْتِلَاؤُهَا مِنْهُ ثُمَّ سَيَلَانُهُ مِنْهَا

كَفَيْضِ النَّهَرِ مِنَ الْمَاءِ، وَفَيْضِ الْإِنَاءِ، وَذَلِكَ سَيَلَانُهُ عَنْ شِدَّةِ امْتِلَائِهِ..

﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ فَيْضُ دُمُوعِهِمْ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّ الَّذِي يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ حَقٌّ..

﴿يَقُولُونَ﴾ قَائِلِينَ يَا..

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا لَمَّا سَمِعْنَا مَا أَنْزَلْتَهُ إِلَىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ كِتَابِكَ، وَأَقْرَرْنَا بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَٱكْتُبْنَا﴾ فَاجْعَلْنَا..

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾ [المائدة: ٨٣] وَأَثْبِتْنَا مَعَهُمْ فِي عِدَادِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لِأَنْبِيَائِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا أُمَمَهُمْ رِسَالَاتِكَ.. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ مَا أَنْزَلْتَهُ إِلَىٰ رَسُولِكَ مِنَ الْكُتُبِ حَقٌّ، كَانَ صَوَابًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ خَاتِمَةُ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾، وَذَلِكَ صِفَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَتَكُونُ مَسْأَلَتُهُمْ أَيْضًا اللهَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مِمَّنْ صَحَّتْ عِنْدَهُ شَهَادَتُهُمْ بِذَلِكَ، وَيُلْحِقَهُمْ فِي الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ مَنَازِلَهُمْ.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٤﴾
[المائدة: ٨٤].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ كِتَابِهِ، آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا كِتَابَ اللهِ، وَقَالُوا: مَا لَنَا لَا نُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وَمَا جَاءَنَا مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ كِتَابِهِ وَآيِ تَنْزِيلِهِ..

﴿وَنَطْمَعُ﴾ نَحْنُ بِإِيمَانِنَا بِذَلِكَ..

﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٤﴾ [المائدة: ٨٤] الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ، الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا مِنَ اللهِ الْجَنَّةَ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَنَحْنُ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ أَهْلِ طَاعَتِهِ، مَدَاخِلَهُمْ مِنْ جَنَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُلْحِقُ مَنَازِلَنَا بِمَنَازِلِهِمْ، وَدَرَجَاتِنَا بِدَرَجَاتِهِمْ فِي جَنَّاتِهِ.

﴿فَأَثَبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾ [المائدة: ٨٥].

﴿فَأَثَبَهُمُ﴾ فَجَزَاهُمُ..

﴿ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾ بِقَوْلِهِمْ: رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ، وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ..

﴿جَنَّٰتٖ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ دَائِمًا فِيهَا مُكْثُهُمْ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا..

﴿وَذَٰلِكَ﴾ وَهَذَا الَّذِي جَزَيْتُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ بِمَا وَصَفْتُ عَنْهُمْ مِنْ قِيلِهِمْ عَلَىٰ مَا قَالُوا مِنَ الْجَنَّاتِ الَّتِي هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ..

﴿جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾ [المائدة: ٨٥] جَزَاءُ كُلِّ مُحْسِنٍ فِي قِيلِهِ وَفِعْلِهِ.. وَإِحْسَانُ الْمُحْسِنِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُوَحِّدَ اللهَ تَوْحِيدًا خَالِصًا مَحْضًا لَا شِرْكَ فِيهِ، وَيُقِرُّ بِأَنْبِيَاءِ اللهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْكُتُبِ، وَيُؤَدِّي فَرَائِضَهُ، وَيَجْتَنِبُ مَعَاصِيهِ، فَذَلِكَ كَمَالُ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦﴾ [المائدة: ٨٦].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَأَنْكَرُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ كِتَابِهِ فَإِنَّ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦﴾ [المائدة: ٨٦] هُمْ سُكَّانُهَا وَاللَّابِثُونَ فِيهَا.. وَالْجَحِيمُ: مَا اشْتَدَّ مِنَ النَّارِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾ [المائدة: ٨٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ يَعْنِي بِالطَّيِّبَاتِ: اللَّذِيذَاتِ الَّتِي تَشْتَهِيهَا النُّفُوسُ وَتَمِيلُ إِلَيْهَا الْقُلُوبُ، فَتَمْنَعُوهَا إِيَّاهَا، كَالَّذِي فَعَلَهُ الْقِسِّيسُونَ وَالرُّهْبَانُ، فَحَرَّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ وَالْمَطَاعِمَ الطَّيِّبَةَ وَالْمَشَارِبَ اللَّذِيذَةَ، وَحَبَسَ فِي الصَّوَامِعِ بَعْضُهُمْ أَنْفُسَهُمْ، وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ بَعْضُهُمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَلَا تَفْعَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَمَا فَعَلَ أُولَئِكَ..

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ حَدَّ اللهِ الَّذِي حَدَّ لَكُمْ فِيمَا أَحَلَّ لَكُمْ وَفِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، فَتُجَاوِزُوا حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ، فَتُخَالِفُوا بِذَلِكَ طَاعَتَهُ فَـ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٨٧﴾ [المائدة: ٨٧] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنِ اعْتَدَىٰ حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ لِخَلْقِهِ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾

[المائدة: ٨٨].

﴿وَكُلُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَهَاهُمْ أَنْ يُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ: كُلُواْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾ مِنْ رِزْقِ اللهِ الَّذِي رَزَقَكُمْ وَأَحَلَّهُ لَكُمْ حَلَالًا طَيِّبًا..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَعْتَدُوا فِي حُدُودِهِ، فَتُحِلُّوا مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَتُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ لَكُمْ، وَاحْذَرُوهُ فِي ذَلِكَ أَنْ تُخَالِفُوهُ فَيَنْزِلُ بِكُمْ سَخَطُهُ، أَوْ تَسْتَوْجِبُوا بِهِ عُقُوبَتَهُ..

﴿ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾ [المائدة: ٨٨] الَّذِي أَنْتُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ مُقِرُّونَ، وَبِرُبُوبِيَّتِهِ مُصَدِّقُونَ.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٨٩﴾ [المائدة: ٨٩].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ كَانُوا حَرَّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ الطَّيِّبَاتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانُوا حَرَّمُوا ذَلِكَ بِأَيْمَانٍ حَلَفُوا بِهَا، فَنَهَاهُمْ عَنْ تَحْرِيمِهَا، وَقَالَ لَهُمْ: لَا يُؤَاخِذُكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ بِلَغْو مِنَ الْقَوْلِ وَالْأَيْمَانِ، إِذَا لَمْ تَتَعَمَّدُوا بِهَا مَعْصِيَةَ اللهِ تَعَالَىٰ وَلَا خِلَافَ أَمْرِهِ، وَلَمْ تَقْصِدُوا بِهَا إِثْمًا..

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا تَعَمَّدْتُمْ بِهِ الْإِثْمَ وَأَوْجَبْتُمُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَعَزَمَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ..

﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ فَكَفَّارَةُ مَا عَقَّدْتُمْ مِنْهَا، فَيُغَطِّي عَلَىٰ سَيِّئِ مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ قَوْلٍ، وَيَمْحُوهُ عَنْكُمْ فَلَا يَتْبَعُكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ..

﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ مِنْ أَعْدَلِ إِطْعَامِكُمْ أَهْلِيكُمْ، فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ..

﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾ فَكَفَّارَةُ مَا عَقَّدْتُمْ مِنَ الْأَيْمَانِ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ، يَقُولُ: إِمَّا أَنْ تُطْعِمُوهُمْ أَوْ تَكْسُوهُمْ، وَالْخِيَارُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ الْمُكَفِّرِ.. وَمَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ كِسْوَةٍ مِمَّا يَكُونُ ثَوْبًا فَصَاعِدًا؛ لِأَنَّ مَا دُونَ الثَّوْبِ لَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ الْحُجَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا دَخَلَ فِي حُكْمِ الْآيَةِ، فَكَانَ مَا دُونَ قَدْرِ ذَلِكَ خَارِجًا مِنْ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنَاهُ بِالنَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ، وَالثَّوْبُ وَمَا فَوْقَهُ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الْآيَةِ، إِذْ لَمْ يَأْتِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْي، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ ﷺ خَبَرٌ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَّةِ إِجْمَاعٌ بِأَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي حُكْمِهَا، وَغَيْرُ جَائِزٍ إِخْرَاجُ مَا كَانَ ظَاهِرُ الْآيَةِ مُحْتَمِلَهُ مِنْ حُكْمِ الْآيَةِ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، وَلَا حُجَّةَ بِذَلِكَ..

﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ﴾ أَوْ فَكُّ عَبْدٍ مِنِ أَسْرِ الْعُبُودَةِ وَذُلِّهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَكُلُّ الرِّقَابِ مَعْنِيٌّ بِذَلِكَ أَوْ بَعْضُهَا؟ قِيلَ: بَلْ مَعْنِيٌّ بِذَلِكَ كُلُّ رَقَبَةٍ كَانَتْ سَلِيمَةً مِنَ الْإِقْعَادِ وَالْعَمَىٰ وَالْخَرَسِ وَقَطْعِ الْيَدَيْنِ أَوْ شَلَلِهِمَا وَالْجُنُونِ الْمُطْبِقِ وَنَظَائِرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ بِهِ ذَلِكَ أَوْ شَيْءٌ مِنْهُ مِنَ الرِّقَابِ، فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ مِنَ الْحُجَّةِ أَنَّهُ لَا يَجْزِي فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَمْ يَعْنِهِ بِالتَّحْرِيرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَأَمَّا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ، فَإِنَّهُمْ مَعْنِيُّونَ بِهِ.. وَالْمُكَفِّرُ مُخَيَّرٌ فِي تَكْفِيرِ يَمِينِهِ الَّتِي حَنِثَ فِيهَا بِإِحْدَىٰ هَذِهِ الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي سَمَّاهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَذَلِكَ: إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا يُطْعِمُ أَهْلَهُ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ لِكَفَّارَةِ يَمِينِهِ الَّتِي لَزِمَهُ تَكْفِيرُهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالْكِسْوَةِ وَالرِّقَابِ مَا يُكَفِّرُهَا بِهِ

عَلَىٰ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِ وَأَوْجَبْنَاهُ فِي كِتَابِنَا وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.. فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِي حَالِ حِنْثِهِ فِي يَمِينِهِ إِلَّا قَدْرُ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ لَا فَضْلَ لَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مِمَّنْ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ مَنْ لَا يَجِدُ مَا يُطْعِمُ أَوْ يَكْسُو أَوْ يُعْتِقُ..

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.. وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الْفَضْلِ عَنْ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ مَا يُطْعِمُ أَوْ يَكْسُو عَشَرَةَ مَسَاكِينَ أَوْ يُعْتِقُ رَقَبَةً، فَلَا يُجْزِيهِ حِينَئِذٍ الصَّوْمُ، لِأَنَّ إِحْدَىٰ الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ حِينَئِذٍ مِنْ إِطْعَامٍ أَوْ كِسْوَةٍ أَوْ عِتْقٍ، حَقٌّ قَدْ أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مَالِهِ وجُوبَ الدَّيْنِ.. وَقَدْ قَامَتِ الْحُجَّةُ بِأَنَّ الْمُفْلِسَ إِذَا فَرَّقَ مَالَهُ بَيْنَ غُرَمَائِهِ أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَّا مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُعْدِمِ بِالدَّيْنِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مَالِهِ بِسَبَبِ الْكَفَّارَةِ الَّتِي لَزِمَتْ مَالَهُ.. فَأَوْجَبَ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَنْ لَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ إِذَا لَمْ يَجِدْ إِلَىٰ تَكْفِيرِهَا بِالْإِطْعَامِ أَوِ الْكِسْوَةِ أَوِ الْعِتْقِ سَبِيلًا، أَنْ يُكَفِّرَهَا بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَشْرِطْ فِي ذَلِكَ مُتَتَابِعَةً، فَكَيْفَمَا صَامَهُنَّ الْمُكَفِّرُ مُفَرَّقَةً وَمُتَتَابِعَةً أَجْزَأَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَكَيْفَمَا أَتَىٰ بِصَوْمِهِنَّ أَجْزَأَ.. فَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ أُبَيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ قِرَاءَتِهِمَا **(فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ)** فَذَلِكَ خِلَافُ مَا فِي مَصَاحِفِنَا، وَغَيْرُ جَائِزٍ لَنَا أَنْ نَشْهَدَ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِي مَصَاحِفِنَا مِنَ الْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ.. غَيْرَ أَنِّي أَخْتَارُ لِلصَّائِمِ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ أَنْ يُتَابِعَ بَيْنَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ وَلَا يُفَرِّقُ، لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَجْزَأَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ كَفَّارَتِهِ، وَهُمْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مُخْتَلِفُونَ، فَفِعْلُ مَا لَا يُخْتَلَفُ فِي جَوَازِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ وَإِنْ كَانَ الْآخَرُ جَائِزًا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَنَّهُ..

﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ مِنْ إِطْعَامِ الْعَشَرَةِ الْمَسَاكِينِ أَوْ كِسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرِ الرَّقَبَةِ، وَصِيَامِ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ إِذَا لَمْ تَجِدُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، هُوَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمُ الَّتِي عَقَّدْتُمُوهَا..

﴿إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟﴾ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أَنْ تَحْنَثُوا فِيهَا ثُمَّ تُضَيِّعُوا الْكَفَّارَةَ فِيهَا بِمَا وَصَفْتُهُ لَكُمْ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَ لَكُمْ كَفَّارَةَ أَيْمَانِكُمْ، كَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ جَمِيعَ آيَاتِهِ، يَعْنِي: أَعْلَامَ دِينِهِ، فَيُوَضِّحُهَا لَكُمْ، لِئَلَّا يَقُولَ الْمُضَيِّعُ الْمُفَرِّطُ فِيمَا أَلْزَمَهُ اللهُ: لَمْ أَعْلَمْ حُكْمَ اللهِ فِي ذَلِكَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٨٩﴾ [المائدة: ٨٩] لِتَشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِ إِيَّاكُمْ وَتَوْفِيقِهِ لَكُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ﴾ إِنَّ الْخَمْرَ الَّتِي تَشْرَبُونَهَا..

﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ الَّذِي تَتَيَاسَرُونَهُ..

﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾ الَّتِي تَذْبَحُونَ عِنْدَهَا..

﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ الَّتِي تَسْتَقْسِمُونَ بِهَا..

﴿رِجۡسٞ﴾ إِثْمٌ وَنَتْنٌ، سَخِطَهُ اللهُ وَكَرِهَهُ لَكُمْ..

﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ شُرْبُكُمُ الْخَمْرَ، وَقِمَارُكُمْ عَلَىٰ الْجُزُرِ، وَذَبْحُكُمْ لِلْأَنْصَابِ، وَاسْتِقْسَامُكُمْ بِالْأَزْلَامِ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لَكُمْ، وَدُعَائِهِ إِيَّاكُمْ إِلَيْهِ، وَتَحْسِينِهِ لَكُمْ، لَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَدَبَكُمْ إِلَيْهَا رَبُّكُمْ، وَلَا مِمَّا يَرْضَاهُ لَكُمْ، بَلْ هُوَ مِمَّا يَسْخَطُهُ لَكُمْ..

﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ فَاتْرُكُوهُ وَارْفُضُوهُ، وَلَا تَعْمَلُوهُ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠] لِكَيْ تَنْجَحُوا فَتُدْرِكُوا الْفَلَاحَ عِنْدَ رَبِّكُمْ، بِتَرْكِكُمْ ذَلِكَ.. وَهَذَا بَيَانٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلَّذِينَ حَرَّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ وَالنَّوْمَ وَاللَّحْمَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ تَشَبُّهًا مِنْهُمْ بِالْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ كِتَابَهُ يَنْهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٧] فَنَهَاهُمْ بِذَلِكَ عَنْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، ثُمَّ قَالَ: وَلَا تَعْتَدُوا أَيْضًا فِي حُدُودِي، فَتُحِلُّوا مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَكُمْ غَيْرُ جَائِزٍ كَمَا غَيْرُ جَائِزٍ لَكُمْ تَحْرِيمُ مَا حَلَلْتُ، وَإِنِّي لَا أُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَنِ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِمَّا إِذَا اسْتَحَلُّوهُ وَتَقَدَّمُوا عَلَيْهِ كَانُوا مِنَ الْمُعْتَدِينَ فِي حُدُودِهِ.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة: ٩١].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ﴾ لَكُمْ..

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ شُرْبَ الْخَمْرِ وَالْمُيَاسَرَةَ بِالْقِدَاحِ، وَيُحَسِّنُ ذَلِكَ لَكُمْ إِرَادَةً مِنْهُ..

﴿أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ﴾ فِي شُرْبِكُمُ الخَمْرِ..

﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ وَمُيَاسَرَتِكُمْ بِالْقِدَاحِ، لِيُعَادِيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيُبَغِّضَ بَعْضَكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَيُشَتِّتُ أَمْرَكُمْ بَعْدَ تَأْلِيفِ اللهِ بَيْنَكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَجَمْعِهِ بَيْنَكُمْ بِأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ وَيَصْرِفَكُمْ بِغَلَبَةِ هَذِهِ الْخَمْرِ بِسُكْرِهَا إِيَّاكُمْ عَلَيْكُمْ وَبِاشْتِغَالِكُمْ بِهَذَا الْمَيْسِرِ..

﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي بِهِ صَلَاحُ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ..

﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١] عَنْ شُرْبِ هَذِهِ، وَالْمُيَاسَرَةِ بِهَذَا، وَعَامِلُونَ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ، مِنْ أَدَاءِ مَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ لِأَوْقَاتِهَا، وَلُزُومِ ذِكْرِهِ الَّذِي بِهِ نَجَحُ طَلِبَاتِكُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فِي اجْتِنَابِكُمْ ذَلِكَ وَاتِّبَاعِكُمْ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَكُمْ عَنْهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي بَيَّنَهَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا، وَخَالِفُوا الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَبْغِي لَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَكُمْ بِالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ..

﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ وَاتَّقُوا اللهَ، وَرَاقِبُوهُ أَنْ يَرَاكُمْ عِنْدَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا، أَوْ يَفْقِدَكُمْ عِنْدَ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَتُوبِقُوا أَنْفُسَكُمْ وَتُهْلِكُوهَا..

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَعْمَلُوا بِمَا أَمَرْنَاكُمْ بِهِ وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْهُ وَرَجَعْتُمْ مُدْبِرِينَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ..

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢] فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ بِالنِّذَارَةِ غَيْرُ إِبْلَاغِكُمُ الرِّسَالَةَ الَّتِي أُرْسِلَ بِهَا إِلَيْكُمْ، مُبَيِّنَةً لَكُمْ بَيَانًا يُوَضِّحُ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَالطَّرِيقَ الَّذِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَسْلُكُوهُ، وَأَمَّا الْعِقَابُ عَلَىٰ التَّوْلِيَةِ وَالِانْتِقَامُ بِالْمَعْصِيَةِ، فَعَلَىٰ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ دُونَ الرُّسُلِ، وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِيدٌ لِمَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، فَتَوَقَّعُوا عِقَابِي وَاحْذَرُوا سَخَطِي.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

[المائدة: ٩٣].

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا إِذْ أَنْزَلَ اللهُ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]: كَيْفَ بِمَنْ هَلَكَ مِنْ إِخْوَانِنَا وَهُمْ يَشْرَبُونَهَا، وَبِنَا وَقَدْ كُنَّا نَشْرَبُهَا: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنْكُمْ..

﴿جُنَاحٌ﴾ حَرَجٌ..

﴿فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ فِيمَا شَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ فِي الْحَالِ الَّتِي لَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ إِذَا مَا اتَّقَىٰ اللهَ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ، فَخَافُوهُ وَرَاقَبُوهُ فِي اجْتِنَابِهِمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ..

﴿وَءَامَنُوا۟﴾ وَصَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَاهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَأَطَاعُوهُمَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَاكْتَسَبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَرْضَاهُ اللهُ فِي ذَلِكَ مِمَّا كَلَّفَهُمْ بِذَلِكَ رَبُّهُمْ..

﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ ثُمَّ خَافُوا اللهَ وَرَاقَبُوهُ بِاجْتِنَابِهِمْ مَحَارِمَهُ بَعْدَ ذَلِكَ التَّكْلِيفِ أَيْضًا، فَثَبَتُوا عَلَىٰ اتِّقَاءِ اللهِ فِي ذَلِكَ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَلَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ يُبَدِّلُوا..

﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ ثُمَّ خَافُوا اللهَ، فَدَعَاهُمْ خَوْفُهُمُ اللهَ إِلَىٰ الْإِحْسَانِ، وَذَلِكَ الْإِحْسَانُ هُوَ الْعَمَلُ بِمَا لَمْ يَفْرِضْهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَلَكِنَّهُ نَوَافِلُ تَقَرَّبُوا بِهَا إِلَىٰ رَبِّهِمْ طَلَبَ رِضَاهُ وَهَرَبًا مِنْ عِقَابِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣] الْمُتَقَرِّبِينَ إِلَيْهِ بِنَوَافِلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَرْضَاهَا.. فَالِاتِّقَاءُ الْأَوَّلُ: هُوَ الِاتِّقَاءُ بِتَلَقِّي أَمْرِ اللهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ وَالدَّيْنُونَةِ بِهِ وَالْعَمَلِ، وَالِاتِّقَاءُ الثَّانِي: الِاتِّقَاءُ بِالثَّبَاتِ عَلَىٰ التَّصْدِيقِ وَتَرْكِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ، وَالِاتِّقَاءُ الثَّالِثُ: هُوَ الِاتِّقَاءُ بِالْإِحْسَانِ وَالتَّقَرُّبِ بِنَوَافِلِ الْأَعْمَالِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الِاتِّقَاءَ الثَّالِثَ هُوَ الِاتِّقَاءُ بِالنَّوَافِلِ دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالْفَرَائِضِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ وَضْعِهِ الْجَنَاحَ عَنْ شَارِبِي الْخَمْرِ الَّتِي شَرِبُوهَا قَبْلَ تَحْرِيمِهِ إِيَّاهَا، إِذَا هُمُ اتَّقَوُا اللهَ فِي شُرْبِهَا بَعْدَ تَحْرِيمِهَا، وَصَدَّقُوا

اللهَ وَرَسُولَهُ فِي تَحْرِيمِهَا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْفَرَائِضِ، وَلَا وَجْهَ لِتَكْرِيرِ ذَلِكَ، وَقَدْ مَضَىٰ ذِكْرُهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ.. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيمَا ذَكَرْنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، جَاءَتِ الْأَخْبَارُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [المائدة: ٩٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ لَيَخْتَبِرَنَّكُمْ..

﴿ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ بِبَعْضِ الصَّيْدِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ يَبْلُوهُمْ بِشَيْءٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَبْلُهُمْ بِصَيْدِ الْبَحْرِ وَإِنَّمَا ابْتَلَاهُمْ بِصَيْدِ الْبَرِّ، فَالِابْتِلَاءُ بِبَعْضٍ لَمْ يَمْتَنِعْ..

﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾ إِمَّا بِالْيَدِ، كَالْبَيْضِ وَالْفِرَاخِ..

﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ وَإِمَّا بِإِصَابَةِ النَّبْلِ وَالرِّمَاحِ، وَذَلِكَ كَالْحُمُرِ وَالْبَقَرِ وَالظِّبَاءِ، فَيَمْتَحِنُكُمْ بِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ بِعُمْرَتِكُمْ أَوْ بِحَجِّكُمْ..

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ لِيَعْلَمَ أَوْلِيَاءُ اللهِ، وَأَهْلُ طَاعَةِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَالْمُنْتَهُونَ إِلَىٰ حُدُودِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿مَن يَخَافُهُۥ﴾ مَن الَّذِي يَخَافُ اللهَ، فَيَتَّقِي مَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ مَحَارِمِهِ، الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَيْهِ مِنَ الصَّيْدِ وَغَيْرِهِ، وَيَجْتَنِبُهُ خَوْفَ عِقَابِهِ بِالْغَيْبِ فِي الدُّنْيَا بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ وَلَا يُعَايِنُهُ..

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فَمَنْ تَجَاوَزَ حَدَّ اللهِ الَّذِي حَدَّهُ لَهُ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدَ ابْتِلَائِهِ بِتَحْرِيمِ الصَّيْدِ عَلَيْهِ وَهُوَ حَرَامٌ، فَاسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْهُ بِأَخْذِهِ وَقَتْلِهِ..

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [المائدة: ٩٤] مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ﴾ الَّذِي بَيَّنْتُ لَكُمْ، وَهُوَ صَيْدُ الْبَرِّ دُونَ صَيْدِ الْبَحْرِ..

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ وَأَنْتُمْ مُحْرِمُونَ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، وَالْحُرُمُ: جَمْعُ حَرَامٍ، وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَىٰ فِيهِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، تَقُولُ: هَذَا رَجُلٌ حَرَامٌ، وَهَذِهِ امْرَأَةٌ حَرَامٌ، فَإِذَا قِيلَ مُحْرِمٌ، قِيلَ لِلْمَرْأَةِ مُحْرِمَةٌ.. وَالْإِحْرَامُ: هُوَ الدُّخُولُ فِيهِ، يُقَالُ: أَحْرَمَ الْقَوْمُ: إِذَا دَخَلُوا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، أَوْ فِي الْحَرَمِ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ مُحْرِمُونَ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ..

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم﴾ هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ حُكْمَ الْقَاتِلِ مِنَ الْمُحْرِمِينَ الصَّيْدَ الَّذِي نَهَاهُ عَنْ قَتْلِهِ..

﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ لِقَتْلِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ الْمُتَعَمِّدَ قَتْلَهُ فِي حَالِ نِسْيَانِهِ إِحْرَامَهُ، وَلَا الْمُخْطِئَ فِي قَتْلِهِ فِي حَالِ ذِكْرِهِ إِحْرَامَهُ، بَلْ عَمَّ فِي التَّنْزِيلِ بِإِيجَابِ الْجَزَاءِ كُلَّ قَاتِلِ صَيْدٍ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ مُتَعَمِّدًا، وَغَيْرُ جَائِزٍ إِحَالَةُ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ إِلَىٰ بَاطِنٍ مِنَ التَّأْوِيلِ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ نَصِّ كِتَابٍ، وَلَا خَبَرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا إِجْمَاعٍ مِنَ الْأُمَّةِ، وَلَا دَلَالَةَ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْوُجُوهِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَسَوَاءٌ كَانَ قَاتِلَ الصَّيْدِ مِنَ الْمُحْرِمِينَ عَامِدًا قَتْلَهُ ذَاكِرًا لِإِحْرَامِهِ، أَوْ عَامِدًا قَتْلَهُ نَاسِيًا لِإِحْرَامِهِ، أَوْ قَاصِدًا غَيْرَهُ فَقَتَلَهُ ذَاكِرًا لِإِحْرَامِهِ، فِي أَنَّ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ مِنَ الْجَزَاءِ مَا قَالَ رَبُّنَا تَعَالَىٰ وَهُوَ..

﴿فَجَزَآءٌ﴾ فَعَلَىٰ قَاتِلِ الصَّيْدِ جَزَاءُ الصَّيْدِ الْمَقْتُولِ كَفَّارَةٌ وَبَدَلٌ..

﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ وَجَبَ عَلَيْهِ جَزَاؤُهُ مِنَ النَّعَمِ، إِنِ اخْتَارَ أَنْ يَجْزِيَهُ بِالْمِثْلِ مِنَ النَّعَمِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ الَّذِي قَتَلَ مِنَ الصَّيْدِ دَرَاهِمُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وَالْقِيمَةُ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الدَّنَانِيرِ أَوِ الدَّرَاهِمِ، وَالدَّنَانِيرُ، لَيْسَتْ لِلصَّيْدِ بِمِثْلٍ، وَاللهُ تَعَالَىٰ إِنَّمَا أَوْجَبَ الْجَزَاءَ مِثْلًا مِنَ النَّعَمِ، فَإِنْ وَجَدَ جَزَاءَهُ ذَبَحَهُ فَتَصَدَّقَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ جَزَاءَهُ قَوَّمَ الْجَزَاءَ دَرَاهِمَ ثُمَّ قَوَّمَ الدَّرَاهِمَ حِنْطَةً ثُمَّ صَامَ مَكَانَ كُلِّ نِصْفِ صَاعٍ يَوْمًا، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِالطَّعَامِ

الصَّوْمَ، فَإِذَا وَجَدَ طَعَامًا وَجَدَ جَزَاءً..

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ يَحْكُمُ بِذَلِكَ الْجَزَاءِ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الْمَقْتُولِ مِنَ الصَّيْدِ مِنَ النَّعَمِ..

﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ عَدْلَانِ مِنْكُمْ، يَعْنِي: فَقِيهَانِ عَالِمَانِ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ..

﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ يَقْضِي بِالْجَزَاءِ ذَوَا عَدْلٍ أَنْ يَهْدِيَ فَيَبْلُغُ الْكَعْبَةَ.. وَوَجْهُ حُكْمِ الْعَدْلَيْنِ إِذَا أَرَادَا أَنْ يَحْكُمَا بِمِثْلِ الْمَقْتُولِ مِنَ الصَّيْدِ مِنَ النَّعَمِ عَلَىٰ الْقَاتِلِ أَنْ يَنْظُرَا إِلَىٰ الْمَقْتُولِ وَيَسْتَوْصِفَاهُ، فَإِنْ ذَكَرَ أَنَّهُ أَصَابَ ظَبْيًا صَغِيرًا حَكَمَا عَلَيْهِ مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ بِنَظِيرِ ذَلِكَ الَّذِي قَتَلَهُ فِي السِّنِّ وَالْجِسْمِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ كَبِيرًا، حَكَمَا عَلَيْهِ مِنَ الضَّأْنِ بِكَبِيرٍ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي أَصَابَ حِمَارَ وَحْشٍ، حَكَمَا عَلَيْهِ بِبَقَرَةٍ، إِنْ كَانَ الَّذِي أَصَابَ كَبِيرًا فَكَبِيرًا مِنَ الْبَقَرِ، وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا فَصَغِيرًا، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ ذَكَرًا فَمِثْلُهُ مِنْ ذُكُورِ الْبَقَرِ، وَإِنْ كَانَ أُنْثَىٰ فَمِثْلُهُ مِنَ الْبَقَرِ أُنْثَىٰ، ثُمَّ كَذَلِكَ يَنْظُرَانِ إِلَىٰ أَشْبَهِ الْأَشْيَاءِ بِالْمَقْتُولِ مِنَ الصَّيْدِ شَبَهًا مِنَ النَّعَمِ فَيَحْكُمَانِ عَلَيْهِ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُه.. وَيَعْنِي بِالْكَعْبَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْحَرَمَ كُلَّهُ، وَلِمَنْ قَدِمَ بِهَدْيِهِ الْوَاجِبِ مِنْ جَزَاءِ الصَّيْدِ أَنْ يَنْحَرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ شَاءَ قَبْلَ يَوْمِ النَّحْرِ وَبَعْدَهُ، وَيُطْعِمُهُ وَكَذَلِكَ إِنْ كَفَّرَ بِالطَّعَامِ فَلَهُ أَنْ يُكَفِّرَ بِهِ مَتَىٰ أَحَبَّ وَحَيْثُ أَحَبَّ، وَإِنْ كَفَّرَ بِالصَّوْمِ فَكَذَلِكَ..

﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ..

﴿كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ وَالْكَفَّارَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَىٰ الْجَزَاءِ فِي قَوْلِهِ: فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ..

﴿أَوْ﴾ عَلَىٰ قَاتِلِ الصَّيْدِ مُحْرِمًا..

﴿عَدْلُ﴾ الْعَدْلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ قَدْرُ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، وَأَنَّ الْعِدْلَ هُوَ قَدْرُهُ مِنْ جِنْسِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الصَّيْدِ الْمَقْتُولِ..

﴿صِيَامًا﴾ مِنَ الصِّيَامِ، وَذَلِكَ أَنْ يُقَوِّمَ الصَّيْدَ حَيًّا غَيْرَ مَقْتُولٍ قِيمَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي قَتَلَهُ فِيهِ الْمُحْرِمُ، ثُمَّ يَصُومُ مَكَانَ كُلِّ مُدٍّ يَوْمًا، وَذُكِرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَدَلَ الْمُدَّ مِنَ الطَّعَامِ بِصَوْمِ يَوْمٍ فِي كَفَّارَةِ الْمُوَاقِعِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.. فَيَكُونُ لِلْقَاتِلِ الْخِيَارُ فِي تَكْفِيرِهِ بِقَتْلِهِ الصَّيْدَ وَهُوَ مُحْرِمٌ بِأَيِّ هَذِهِ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ شَاءَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ مَا أَوْجَبَ فِي قَتْلِ الصَّيْدِ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْكَفَّارَةِ عُقُوبَةً

لِفِعْلِهِ، وَتَكْفِيرًا لِذَنْبِهِ فِي إِتْلَافِهِ مَا أَتْلَفَ مِنَ الصَّيْدِ الَّذِي كَانَ حَرَامًا عَلَيْهِ إِتْلَافُهُ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ، وَقَدْ كَانَ حَلَالًا لَهُ قَبْلَ حَالِ إِحْرَامِهِ، كَمَا جَعَلَ الْفِدْيَةَ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فِي حَلْقِ الشَّعْرِ الَّذِي حَلَقَهُ الْمُحْرِمُ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ، وَقَدْ كَانَ لَهُ حَلْقُهُ قَبْلَ حَالِ إِحْرَامِهِ، ثُمَّ مُنِعَ مِنْ حَلْقِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ نَظِيرَ الصَّيْدِ، ثُمَّ جُعِلَ عَلَيْهِ إِنْ حَلَقَهُ جَزَاءٌ مِنْ حَلْقِهِ إِيَّاهُ، فَأَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّهُ فِي حَلْقِهِ إِيَّاهُ إِذَا حَلَقَهُ مِنْ إِيذَائِهِ مُخَيَّرٌ فِي تَكْفِيرِهِ، فَعَلَيْهِ ذَلِكَ بِأَيِّ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ شَاءَ، فَمِثْلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ قَاتِلُ الصَّيْدِ مِنَ الْمُحْرِمِينَ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِي تَكْفِيرِهِ قَتْلَهُ الصَّيْدَ بِأَيِّ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ شَاءَ، لَا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ.. ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَطْعَمَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي أَصَابَهُ فِيهِ، وَإِنْ شَاءَ بِمَكَّةَ، وَإِنْ شَاءَ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاضِعِ حَيْثُ شَاءَ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا شَرَطَ بُلُوغَ الْكَعْبَةِ بِالْهَدْيِ فِي قَتْلِ الصَّيْدِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ جَزَائِهِ، فَلِلْجَازِي بِغَيْرِ الْهَدْيِ أَنْ يَجْزِيَهُ بِالْإِطْعَامِ وَالصَّوْمِ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ.. وَقَدْ خَالَفَ ذَلِكَ مُخَالِفُونَ فَقَالُوا: لَا يُجْزِئُ الْهَدْيُ وَالْإِطْعَامُ إِلَّا بِمَكَّةَ، فَأَمَّا الصَّوْمُ فَإِنْ كَفَّرَ بِهِ يَصُومُ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَمَّا الْهَدْيُ، فَإِنَّهُ جَزَاءُ مَا قَتَلَ مِنَ الصَّيْدِ، فَلَنْ يُجْزِئَهُ مِنْ كَفَّارَةِ مَا قَتَلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَهُ الْكَعْبَةَ طَيِّبًا، وَيَنْحَرَهُ أَوْ يَذْبَحَهُ، وَيَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَىٰ مَسَاكِينِ الْحَرَمِ..

﴿لِّيَذُوقَ﴾ أَوْجَبْتُ عَلَىٰ قَاتِلِ الصَّيْدِ مُحْرِمًا مَا أَوْجَبْتُ مِنَ الْحَقِّ أَوِ الْكَفَّارَةِ الَّذِي ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، كَيْ يَذُوقَ..

﴿وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ وَعَذَابِهِ، يَعْنِي بِـ (أَمْرِهِ): ذَنْبَهُ وَفِعْلَهُ الَّذِي فَعَلَهُ مِنْ قَتْلِهِ مَا نَهَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ قَتْلِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ، يَقُولُ: فَأَلْزَمْتُهُ الْكَفَّارَةَ الَّتِي أَلْزَمْتُهُ إِيَّاهَا، لِأُذِيقَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ بِإِلْزَامِهِ الْغَرَامَةَ وَالْعَمَلَ بِبَدَنِهِ مِمَّا يُتْعِبُهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ.. وَأَصْلُ الْوَبَالِ: الشِّدَّةُ فِي الْمَكْرُوهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦﴾ [المزمل: ١٦].. وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ أَنَّ الْكَفَّارَاتِ اللَّازِمَةَ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ عُقُوبَاتٌ مِنْهُ لِخَلْقِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْحِيصًا لَهُمْ، وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِهِمُ الَّتِي كَفَّرُوهَا بِهَا..

﴿عَفَا ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَمَّا سَلَفَ﴾ مِنْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنْ إِصَابَتِكُمُ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَقَتْلِكُمُوهُ، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَانَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ إِيَّاهُ عَلَيْكُمْ، وَلَا يُلْزِمُكُمْ لَهُ كَفَّارَةً فِي مَالٍ وَلَا نَفْسٍ..

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ وَلَكِنْ مَنْ عَادَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْكُمْ لِقَتْلِهِ وَهُوَ مُحْرِمٌ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ..

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾ وَعَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ الْكَفَّارَةُ..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ مَنِيعٌ فِي سُلْطَانِهِ، لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ، وَلَا مِنْ عُقُوبَةِ مَنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ مَانِعٌ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ، لَهُ الْعِزَّةُ وَالْمَنَعَةُ..

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٩٥﴾ [المائدة: ٩٥] يَعْنِي بِهِ: مُعَاقَبَتَهُ لِمَنْ عَصَاهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ.

﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩٦﴾ [المائدة: ٩٦].

﴿أُحِلَّ لَكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ﴾ طَرِيُّ سَمَكِ الْأَنْهَارِ الَّذِي صِدْتُمُوهُ فِي حَالِ حِلِّكُمْ وَحُرْمِكُمْ، وَمَا لَمْ تَصِيدُوهُ مِنْ طَعَامِهِ الَّذِي قَتَلَهُ ثُمَّ رَمَىٰ بِهِ إِلَىٰ سَاحِلِهِ.. وَعَنَىٰ بِالْبَحْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْأَنْهَارَ كُلَّهَا، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْأَنْهَارَ بِحَارًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١].

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ مَا قَذَفَهُ الْبَحْرُ أَوْ حَسَرَ عَنْهُ فَوُجِدَ مَيِّتًا عَلَىٰ سَاحِلِهِ..

﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ﴾ مَنْفَعَةً لِمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُقِيمًا أَوْ حَاضِرًا فِي بَلَدِهِ يَسْتَمْتِعُ بِأَكْلِهِ وَيَنْتَفِعُ بِهِ..

﴿وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾ وَمَنْفَعَةً أَيْضًا وَمُتْعَةً لِلسَّائِرِينَ مِنْ أَرْضٍ إِلَىٰ أَرْضٍ، وَمُسَافِرِينَ يَتَزَوَّدُونَهُ فِي سَفَرِهِمْ مَلِيحًا.. وَالسَّيَّارَةُ: جَمْعُ سَيَّارٍ..

﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ﴾ مَا كُنْتُمْ مُحْرِمِينَ لَمْ تَحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ.. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَمَّ تَحْرِيمَ كُلِّ مَعَانِي صَيْدِ الْبَرِّ عَلَىٰ الْمُحْرِمِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخُصَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَكُلُّ مَعَانِي الصَّيْدِ حَرَامٌ عَلَىٰ الْمُحْرِمِ مَا دَامَ حَرَامًا، بَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ وَاصْطِيَادُهُ وَقَتْلُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِيهِ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَذْبُوحًا قَدْ ذَبَحَهُ حَلَالٌ لِحَلَالٍ، فَيَحِلُّ لَهُ حِينَئِذٍ أَكْلُهُ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَهَذَا تَقَدُّمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِالْحَذَرِ مِنْ عِقَابِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَاخْشَوُا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاحْذَرُوهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ ﷺ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ، وَعَنْ إِصَابَةِ صَيْدِ الْبَرِّ وَقَتْلِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ، وَفِي غَيْرِهَا..

﴿ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩٦﴾ [المائدة: ٩٦] فَإِنَّ لِلَّهِ مَصِيرَكُمْ وَمَرْجِعَكُمْ فَيُعَاقِبُكُمْ بِمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ،

وَمُجازِيكُمْ فَمُثِيبُكُمْ عَلَىٰ طَاعَتِكُمْ لَهُ.

﴿* جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٩٧﴾ [المائدة: ٩٧].

﴿جَعَلَ﴾ صَيَّرَ..

﴿ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ سُمِّيَتْ -فِيمَا قِيلَ- كَعْبَةً لِتَرْبِيعِهَا.. وَأَمَّا الْكَعْبَةُ فَالْحَرَمُ كُلُّهُ..

﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ سَمَّاهَا اللهُ تَعَالَىٰ حَرَامًا لِتَحْرِيمِهِ إِيَّاهَا أَنْ يُصَادَ صَيْدُهَا، أَوْ يُخْتَلَىٰ خَلَاهَا، أَوْ يُعْضَدَ شَجَرُهَا..

﴿قِيَمًا﴾ قِوَامًا.. وَجَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْكَعْبَةَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ قِوَامًا لِمَنْ كَانَ يَحْتَرِمُ ذَلِكَ مِنَ الْعَرَبِ وَيُعَظِّمُهُ، بِمَنْزِلَةِ الرَّئِيسِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ أَمْرُ تُبَّاعِهِ..

﴿لِّلنَّاسِ﴾ الَّذِينَ لَا قِوَامَ لَهُمْ، مِنْ رَئِيسٍ يَحْجُزُ قَوِيَّهُمْ عَنْ ضَعِيفِهِمْ، وَمُسِيئَهُمْ عَنْ مُحْسِنِهِمْ، وَظَالِمَهُمْ عَنْ مَظْلُومِهِمْ..

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ وَجَعَلَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ أَيْضًا قِيَامًا لِلنَّاسِ، كَمَا جَعَلَ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لَهُمْ قِيَامًا، فَحَجَزَ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قِيَامٌ غَيْرُهُ، وَجَعَلَهَا مَعَالِمَ لِدِينِهِمْ وَمَصَالِحَ أُمُورِهِمْ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ تَصْيِيرُهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: صَيَّرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ذَلِكَ قِيَامًا..

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ كَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ أَحْدَثَ لَكُمْ لِمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ مَا أَحْدَثَ مِمَّا بِهِ قِوَامُكُمْ، عِلْمًا مِنْهُ بِمَنَافِعِكُمْ وَمَضَارِكُمْ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ كَذَلِكَ..

﴿يَعْلَمُ﴾ جَمِيعَ..

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ عَاجِلِكُمْ وَآجِلِكُمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٩٧﴾ [المائدة: ٩٧] وَلِتَعْلَمُوا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ مِنْكُمْ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أَنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ سَرَائِرِ أَعْمَالِكُمْ وَعَلَانِيَتِهَا، وَهُوَ يُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ لِيُجَازِيَكُمْ بِهَا..

﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، شَدِيدٌ عِقَابُهُ مَنْ عَصَاهُ وَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِذُنُوب مَنْ أَطَاعَهُ وَأَنَابَ إِلَيْهِ، فَسَاتِرٌ عَلَيْهِ وَتَارِكٌ فَضِيحَتَهُ بِهَا..

﴿رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: ٩٨] بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ بَعْدَ إِنَابَتِهِ وَتَوْبَتِهِ مِنْهَا.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾ [المائدة: ٩٩].

﴿مَّا﴾ لَيْسَ..

﴿عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِإِنْذَارِكُمْ عِقَابَنَا بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَإِعْذَارِنا إِلَيْكُمْ بِمَا فِيهِ قَطْعُ حُجَجِكُمْ..

﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ إِلَّا أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْكُمْ رِسَالَتَنَا، ثُمَّ إِلَيْنَا الثَّوَابُ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَعَلَيْنَا الْعِقَابُ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ وَغَيْرُ خَفِيٍّ عَلَيْنَا الْمُطِيعُ مِنْكُمُ الْقَابِلُ رِسَالَتَنَا الْعَامِلُ بِمَا أَمَرْتُهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، مِنَ الْعَاصِي التَّارِكِ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرْتُهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، لِأَنَّا نَعْلَمُ مَا عَمِلَهُ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فَأَظْهَرَهُ بِجَوَارِحِهِ وَنَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ..

﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾ [المائدة: ٩٩] وَمَا تُخْفُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ إِيمَانٍ وَكُفْرٍ أَوْ يَقِينٍ وَشَكٍّ وَنِفَاقٍ، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ضَمَائِرِ الصُّدُورِ وَظَوَاهِرِ أَعْمَالِ النُّفُوسِ، مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَبِيَدِهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، فَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّقَىٰ وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَهْدِيدٌ لِعِبَادِهِ وَوَعِيدٌ.

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿قُل﴾ يا مُحَمَّدُ ﷺ..

﴿لَّا يَسْتَوِى﴾ لَا يَعْتَدِلُ..

﴿ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ الرَّدِيءُ وَالْجَيِّدُ، وَالصَّالِحُ وَالطَّالِحُ، وَالْمُطِيعُ وَالْعَاصِي..

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ لَا يَعْتَدِلُ الْعَاصِي وَالْمُطِيعُ لِلَّهِ عِنْدَ اللهِ، وَلَوْ كَثُرَ أَهْلُ الْمَعَاصِي فَعَجِبْتَ مِنْ كَثْرَتِهِمْ، لِأَنَّ أَهْلَ طَاعَةِ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ بِثَوَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ قَلُّوا دُونَ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ مَعَاصِيهِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ الْخَائِبُونَ وَإِنْ كَثُرُوا، فَلَا تَعْجَبَنَّ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَعْصِي اللهَ فَيُمْهِلُهُ وَلَا يُعَاجِلُهُ بِالْعُقُوبَةِ فَإِنَّ الْعُقْبَىٰ الصَّالِحَةَ لِأَهْلِ طَاعَةِ اللهِ عِنْدَهُ دُونَهُمْ.. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَالْمُرَادُ بِهِ بَعْضَ أَتْبَاعِهِ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠٠﴾..

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ بِإِعْجَابِكُمْ كَثْرَةَ الْخَبِيثِ، فَتَصِيرُوا مِنْهُمْ..

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: أَهْلَ الْعُقُولِ وَالْحِجَا، الَّذِينَ عَقَلُوا عَنِ اللهِ آيَاتِهِ، وَعَرَفُوا مَوَاقِعَ حُجَجِهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠٠﴾ [المائدة: ١٠٠] اتَّقُوا اللهَ لِتُفْلِحُوا: أَيْ كَيْ تَنْجَحُوا فِي طَلَبَتِكُمْ مَا عِنْدَهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٠١﴾ [المائدة: ١٠١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبَبِ مَسَائِلَ كَانَ يَسْأَلُهَا إِيَّاهُ أَقْوَامٌ، امْتِحَانًا لَهُ أَحْيَانًا، وَاسْتِهْزَاءً أَحْيَانًا، فَيَقُولُ لَهُ بَعْضُهُمْ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ لَهُ بَعْضُهُمْ إِذَا ضَلَّتْ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ وَمَسْأَلَةِ سَائِلِهِ إِذْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ**»: أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمَسَائِلِ، لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعَامَّةِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، فَقَالَ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ مِنْ ذَلِكَ، كَمَسْأَلَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ إِيَّاهُ مَنْ أَبُوهُ..

﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ إِنْ أَبْدَيْنَا لَكُمْ حَقِيقَةَ مَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ، سَاءَكُمْ إِبْدَاؤُهَا وَإِظْهَارُهَا..

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلَّذِينَ نَهَاهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ عَنْهُ مِنْ فَرَائِضَ لَمْ يَفْرِضْهَا

اللهُ عَلَيْهِم، وَتَحْلِيلِ أُمُورٍ لَمْ يُحْلِلْهَا لَهُمْ، وَتَحْرِيمِ أَشْيَاءَ لَمْ يُحَرِّمْهَا عَلَيْهِمْ قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ بِذَلِكَ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ السَّائِلُونَ عَمَّا سَأَلُوا عَنْهُ رَسُولِي مِمَّا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ كِتَابًا وَلَا وَحْيًا، لَا تَسْأَلُوا عَنْهُ، فَإِنَّكُمْ إِنْ أَظْهَرَ ذَلِكَ لَكُمْ تِبْيَانٌ بِوَحْيٍ وَتَنْزِيلٍ سَاءَكُمْ؛ لِأَنَّ التَّنْزِيلَ بِذَلِكَ إِذَا جَاءَكُمْ إِنَّمَا يَجِيئُكُمْ بِمَا فِيهِ امْتِحَانُكُمْ وَاخْتِبَارُكُمْ، إِمَّا بِإِيجَابِ عَمَلٍ عَلَيْكُمْ، وَلُزُومِ فَرْضٍ لَكُمْ، وَفِي ذَلِكَ عَلَيْكُمْ مَشَقَّةٌ وَلُزُومُ مُؤْنَةٍ وَكُلْفَةٌ، وَإِمَّا بِتَحْرِيمِ مَا لَوْ لَمْ يَأْتِكُمْ بِتَحْرِيمِهِ وَحْيٌ كُنْتُمْ مِنَ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِ فِي فُسْحَةٍ وَسَعَةٍ، وَإِمَّا بِتَحْلِيلِ مَا تَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَهُ، وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ مُسَاءَةٌ لِنَقْلِكُمْ عَمَّا كُنْتُمْ تَرَوْنَهُ حَقًّا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ تَرَوْنَهُ بَاطِلًا، وَلَكِنَّكُمْ إِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ بِهَا وَبَعْدَ ابْتِدَائِكُمْ شَأْنَ أَمْرِهَا فِي كِتَابِي إِلَىٰ رَسُولِي إِلَيْكُمْ، بَيَّنَ لَكُمْ مَا أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِ مِنْ إِتْيَانِ كِتَابِي وَتَأْوِيلِ تَنْزِيلِي وَوَحْيِي..

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ﴾ عَفَا اللهُ لَكُمْ عَنْ مَسْأَلَتِكُمْ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَأَلْتُمْ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّذِي كَرِهَ اللهُ لَكُمْ مَسْأَلَتَكُمْ إِيَّاهُ عَنْهَا، أَنْ يُؤَاخِذَكُمْ بِهَا، أَوْ يُعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا، إِنْ عَرَفَ مِنْهَا تَوْبَتَكُمْ وَإِنَابَتَكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ وَاللهُ سَاتِرٌ ذُنُوبَ مَنْ تَابَ مِنْهَا، فَتَارِكٌ أَنْ يَفْضَحَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿حَلِيمٌ ١٠١﴾ [المائدة: ١٠١] أَنْ يُعَاقِبَهُ بِهَا لِتَغَمُّدِهِ التَّائِبَ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ، عَنْ عُقُوبَتِهِ عَلَيْهَا.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾ [المائدة: ١٠٢].

﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ قَدْ سَأَلَ الْآيَاتَ..

﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمُوهَا اللهُ أَصْبَحُوا..

﴿بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾ [المائدة: ١٠٢] جَاحِدِينَ مُنْكِرِينَ أَنْ تَكُونَ دَلَالَةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَبُرْهَانًا عَلَىٰ صِحَّةِ مَا جُعِلَتْ بُرْهَانًا عَلَىٰ تَصْحِيحِهِ، كَقَوْمِ صَالِحٍ الَّذِينَ سَأَلُوا الْآيَةَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمُ النَّاقَةُ آيَةً عَقَرُوهَا، وَكَالَّذِينَ سَأَلُوا عِيسَىٰ مَائِدَةً تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، فَلَمَّا أُعْطُوهَا كَفَرُوا بِهَا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَحَذَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي هَلَكَتْ بِكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ لَمَّا جَاءَتْهُمْ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمُوهَا، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، وَلَا تَبْحَثُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، فَقَدْ سَأَلَ الْآيَاتِ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ فَلَمَّا أُوتُوهَا أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣].

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ مَا بَحَرَ اللهُ بَحِيرَةً، وَلَا سَيَّبَ سَائِبَةً،

وَلَا وَصَلَ وَصِيلَةً، وَلَا حَمَىٰ حَامِيًا، وَلَكِنَّكُمُ الَّذِينَ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ، فَحَرَّمْتُمُوهُ افْتِرَاءً عَلَىٰ رَبِّكُمْ.. وَالْبَحِيرَةُ: الْفَعِيلَةُ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: بَحَرْتُ أُذُنَ هَذِهِ النَّاقَةِ: إِذَا شَقَّهَا.. وَأَمَّا السَّائِبَةُ: فَإِنَّهَا الْمُسَيَّبَةُ الْمُخَلَّاةُ، وَكَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدُهُمْ بِبَعْضِ مَوَاشِيهِ، فَيُحَرِّمُ الِانْتِفَاعَ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، كَمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يُعْتِقُ عَبْدَهُ سَائِبَةً فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَلَا بِوَلَائِهِ.. وَأَمَّا الْوَصِيلَةُ، فَإِنَّ الْأُنْثَىٰ مِنْ نَعَمِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ إِذَا أَتْأَمَتْ بَطْنًا بِذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، قِيلَ: قَدْ وَصَلَتِ الْأُنْثَىٰ أَخَاهَا، بِدَفْعِهَا عَنْهُ الذَّبْحَ، فَسَمَّوْهَا وَصِيلَةً.. وَأَمَّا الْحَامِي: فَإِنَّهُ الْفَحْلُ مِنَ النَّعَمِ يُحْمَىٰ ظَهْرُهُ مِنَ الرُّكُوبِ وَالِانْتِفَاعِ بِسَبَبِ تَتَابُعِ أَوْلَادٍ تَحْدُثُ مِنْ فِحْلَتِهِ.. وَهَذِهِ أُمُورٌ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَبْطَلَهَا الْإِسْلَامُ، فَلَا نَعْرِفُ قَوْمًا يَعْمَلُونَ بِهَا الْيَوْمَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْمَلُ بِهِ لَا يُوصَلُ إِلَىٰ عِلْمِهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ أَثَرٌ، وَلَا فِي الشِّرْكِ نَعْرِفُهُ إِلَّا بِخَبَرٍ، وَكَانَتِ الْأَخْبَارُ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ مُخْتَلِفَةً الِاخْتِلَافَ الَّذِي ذَكَرْنَا.. فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: أَمَّا مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، فَمَا بَيَّنَّا فِي ابْتِدَاءِ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ.. وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ عَمَلِ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ، فَمَا لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ.. وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِوَصْفِ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا قَدْ حَكَيْنَا، وَغَيْرُ ضَائِرٍ الْجَهْلُ بِذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ مِنْ عِلْمِهِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ، مُوَصِّلًا إِلَىٰ حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُحَرِّمِينَ مِنْ أَنْعَامِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ اتِّبَاعًا مِنْهُمْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، فَوَبَّخَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ حَلَالٌ، فَالْحَرَامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِنْدَنَا مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ ﷺ، بِنَصٍّ أَوْ دَلِيلٍ وَالْحَلَالُ مِنْهُ: مَا أَحَلَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ كَذَلِكَ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ بَحَرُوا الْبَحَائِرَ، وَسَيَّبُوا السَّوَائِبَ، وَوَصَلُوا الْوَصَائِلَ، وَحَمَوُا الْحَوَامِيَ، مِثْلُ عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ وَأَشْكَالِهِ، مِمَّنْ سَنُّوا لِأَهْلِ الشِّرْكِ السُّنَنَ الرَّدِيئَةَ وَغَيَّرُوا دِينَ اللهِ دِينَ الْحَقِّ، وَأَضَافُوا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَرَّمَ مَا حَرَّمُوا وَأَحَلَّ مَا أَحَلُّوا..

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَاخْتِلَاقًا عَلَيْهِ الْإِفْكَ وَهُمْ يَعْمَهُونَ فَكَذَّبَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَإِضَافَتِهِمْ إِلَيْهِ مَا أَضَافُوا مِنْ تَحْلِيلِ مَا أَحَلُّوا وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمُوا..

﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣] هُمْ أَتْبَاعُ مَنْ سَنَّ لَهُمْ هَذِهِ السُّنَنَ مِنْ جَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ، فَهُمْ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ لَهُمْ سَنُّوا ذَلِكَ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْقِلُونَ أَنَّ الَّذِينَ سَنُّوا لَهُمْ تِلْكَ السُّنَنَ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ كَذَبَةٌ فِي أَخْبَارِهِمْ أَفَكَةٌ،

بَلْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ مُحِقُّونَ فِي أَخْبَارِهِمْ صَادِقُونَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّ ذَلِكَ التَّحْرِيمَ الَّذِي حَرَّمَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَأَضَافُوهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٠٤﴾ [المائدة: ١٠٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْحَرُونَ الْبَحَائِرَ وَيُسَيِّبُونَ السَّوَائِبَ، الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّهُمْ بِإِضَافَتِهِمْ تَحْرِيمَ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ..

﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ تَعَالَوْا إِلَىٰ تَنْزِيلِ اللهِ وَآيِ كِتَابِهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ، لِيَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَذِبُ قِيلِكُمْ فِيمَ تُضِيفُونَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ تَحْرِيمِكُمْ مَا تُحَرِّمُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ..

﴿قَالُواْ﴾ أَجَابُوا مَنْ دَعَاهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ، بِأَنْ يَقُولُوا..

﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ﴾ مِنْ قَبْلِنَا..

﴿ءَابَآءَنَآۚ﴾ يَعْمَلُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ لَهُمْ تَبَعٌ، وَهُمْ لَنَا أَئِمَّةٌ وَقَادَةٌ، وَقَدِ اكْتَفَيْنَا بِمَا أَخَذْنَا عَنْهُمْ، وَرَضِينَا بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ تَحْرِيمٍ وَتَحْلِيلٍ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ آبَاءُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا يُضِيفُونَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِ كَذِبٌ وَفِرْيَةٌ عَلَىٰ اللهِ، لَا حَقِيقَةَ لِذَلِكَ وَلَا صِحَّةَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَتْبَاعَ الْمُفْتَرِينَ، الَّذِينَ ابْتَدَءُوا تَحْرِيمَ ذَلِكَ افْتِرَاءَ عَلَىٰ اللهِ بِقِيلِهِمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَ مِنْ إِضَافَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مَا يُضِيفُونَ..

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ ١٠٤﴾ [المائدة: ١٠٤] مَا كَانُوا فِيمَا هُمْ بِهِ عَامِلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ وَصَوَابٍ، بَلْ كَانُوا عَلَىٰ ضَلَالَةٍ وَخَطَأٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ﴾ فَأَصْلِحُوهَا، وَاعْمَلُوا فِي خَلَاصِهَا مِنْ عِقَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَانْظُرُوا لَهَا فِيمَا يُقَرِّبُهَا مِنْ رَبِّهَا..

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ كَفَرَ وَسَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِ الْحَقِّ..

﴿إِذَا﴾ أَنْتُمْ..

﴿ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ وَآمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ وَأَطَعْتُمُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَحَرَّمْتُمْ حَرَامَهُ وَحَلَّلْتُمْ حَلَالَهُ، وَأَدَّيْتُمْ فِيمَنْ ضَلَّ مِنَ النَّاسِ مَا أَلْزَمَكُمُ اللهُ بِهِ فِيهِ مِنْ فَرْضِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي يَرْكَبُهُ أَوْ يُحَاوِلُ رُكُوبَهُ، وَالْأَخْذِ عَلَىٰ يَدَيْهِ إِذَا رَامَ ظُلْمًا لِمُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ، وَمَنْعِهِ مِنْهُ فَأَبَىٰ النُّزُوعَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا ضَيْرَ عَلَيْكُمْ فِي تَمَادِيهِ فِي غَيِّهِ وَضَلَالِهِ إِذَا أَنْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ وَأَدَّيْتُمْ حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُومُوا بِالْقِسْطِ وَيَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَمِنَ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ: الْأَخْذُ عَلَىٰ يَدِ الظَّالِمِ، وَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَهَذَا مَعَ مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَمْرِهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَوْ كَانَ لِلنَّاسِ تَرْكُ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لِلْأَمْرِ بِهِ مَعْنًىٰ إِلَّا فِي الْحَالِ الَّتِي رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْكَ ذَلِكَ، وَهِيَ حَالُ الْعَجْزِ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ بِالْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ فَيَكُونُ مُرَخَّصًا لَهُ تَرْكُهُ إِذَا قَامَ حِينَئِذٍ بِأَدَاءِ فَرْضِ اللهِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِقَلْبِهِ، وَإِذَا كَانَ مَا وَصَفْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ بِالْآيَةِ أَوْلَىٰ، فَبَيِّنٌ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ مَا قَالَهُ حُذَيْفَةُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، مِنْ أَنَّ ذَلِكَ: (إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ)..

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ فَاعْمَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَمُرُوا أَهْلَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ وَمَا حَادَ عَنْ سَبِيلِي بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ قَبِلُوا فَلَهُمْ وَلَكُمْ، وَإِنْ تَمَادُوا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ فَإِنَّ إِلَيَّ مَرْجِعَ جَمِيعِكُمْ وَمَصِيرَكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَمَصِيرَهُمْ، وَأَنَا الْعَالِمُ بِمَا يَعْمَلُ جَمِيعُكُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٥] فَأُخْبِرُ هُنَاكَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ بِمَا كَانَ يَعْمَلُهُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أُجَازِيهِ عَلَىٰ عَمَلِهِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ جَزَاءَهُ حَسَبَ اسْتِحْقَاقِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ عَمَلُ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾ [المائدة: ١٠٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ لِيَشْهَدْ بَيْنَكُمْ بِالْيَمِينِ، لَا الشَّهَادَةُ الَّتِي يَقُومُ بِهَا عِنْدَ

الْحُكَّامِ، لَأَنَّا لَا نَعْلَمُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ حُكْمًا يَجِبُ فِيهِ عَلَىٰ الشَّاهِدِ الْيَمِينُ، لِقَوْلِهِ: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾..

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ عِنْدَ حُضُورِ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ..

﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ وَقْتَ الْوَصِيَّةِ..

﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ذَوَا رَشَدٍ وَعَقْلٍ وَحِجًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ..

﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ لِيَشْهَدَ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، سَوَاءٌ كَانَ الْآخَرَانِ اللَّذَانِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ دِينِنَا يَهُودِيَّيْنِ كَانَا أَوْ نَصْرَانِيَّيْنِ أَوْ مَجُوسِيَّيْنِ أَوْ عَابِدَيْ وَثَنٍ، أَوْ عَلَىٰ أَيِّ دِينٍ كَانَا، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُخَصِّصْ آخَرَيْنِ مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ بِعَيْنِهَا دُونَ مِلَّةٍ بَعْدَ أَلَّا يَكُونَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ إِنْ أَنْتُمْ سَافَرْتُمْ ذَاهِبِينَ وَرَاجِعِينَ فِي الْأَرْضِ..

﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ فَنَزَلَ بِكُمُ الْمَوْتُ، فَأَوْصَيْتُمْ إِلَيْهِمَا وَدَفَعْتُمْ إِلَيْهِمَا مَا كَانَ مَعَكُمْ مِنْ مَالٍ وَتَرِكَةٌ لِوَرَثَتِكُمْ، فَإِذَا أَنْتُمْ أَوْصَيْتُمْ إِلَيْهِمَا وَدَفَعْتُمْ إِلَيْهِمَا مَا كَانَ مَعَكُمْ مِنْ مَالٍ، فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ، فَأَدَّيَا إِلَىٰ وَرَثَتِكُمْ مَا ائْتَمَنْتُمُوهُمَا، وَادَّعَوْا عَلَيْهِمَا خِيَانَةً خَانَاهَا مِمَّا ائْتُمِنَا عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْحُكْمَ فِيهِمَا حِينَئِذٍ أَنْ..

﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ تَسْتَوْقِفُونَهُمَا..

﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ﴾ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَرَّفَ الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِإِدْخَالِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ فِيهَا، وَلَا تُدْخِلُهُمَا الْعَرَبُ إِلَّا فِي مَعْرُوفٍ، إِمَّا فِي جِنْسٍ، أَوْ فِي وَاحِدٍ مَعْهُودٍ مَعْرُوفٍ عِنْدَ الْمُتَخَاطِبِينَ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَتِ الصَّلَاةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مُجْمَعًا عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَعْنِ بِهَا جَمِيعَ الصَّلَوَاتِ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهَا صَلَاةُ الْمُسْتَحْلَفِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، لِأَنَّ لَهُمْ صَلَوَاتٌ لَيْسَتْ وَاحِدَةً، فَيَكُونُ مَعْلُومًا أَنَّهَا الْمَعْنِيَّةُ بِذَلِكَ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، صَحَّ أَنَّهَا صَلَاةٌ بِعَيْنِهَا مِنْ صَلَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ صَحِيحًا عَنْهُ أَنَّهُ إِذْ لَاعَنَ بَيْنَ الْعَجْلَانِيَّيْنِ لَاعَنَ بَيْنَهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّتِي عُنِيَتْ بِقَوْلِهِ: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ﴾ هِيَ الصَّلَاةُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَيَّرُهَا لِاسْتِحْلَافِ مَنْ أَرَادَ تَغْلِيظَ الْيَمِينِ عَلَيْهِ، هَذَا مَعَ مَا عِنْدَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ مِنْ تَعْظِيمِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَذَلِكَ لِقُرْبِهِ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ..

﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يَحْلِفَانِ..

﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ إِنِ اتَّهَمْتُمُوهُمَا بِخِيَانَةٍ فِيمَا ائْتُمِنَا عَلَيْهِ مِنْ تَغْيِيرِ وَصِيَّةٍ أُوصَىٰ إِلَيْهِمَا بِهَا، أَوْ تَبْدِيلِهَا..

﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾ يَحْلِفَانِ بِاللهِ لَا نَشْتَرِي بِأَيْمَانِنَا بِاللهِ ثَمَنًا، يَقُولُ: لَا نَحْلِفُ كَاذِبَيْنِ عَلَىٰ عِوَضٍ نَأْخُذُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ مَالٍ نَذْهَبُ بِهِ، أَوْ لِحَقٍّ نَجْحَدُهُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَوْصَىٰ إِلَيْنَا وَإِلَيْهِمْ وَصِيَّتَهُمْ..

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يُقْسِمَانِ بِاللهِ لَا نَطْلُبُ بِإِقْسَامِنَا بِاللهِ عِوَضًا فَنَكْذِبُ فِيهَا لِأَحَدٍ، وَلَوْ كَانَ الَّذِي نُقْسِمُ بِهِ لَهُ ذَا قَرَابَةٍ مِنَّا..

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ١٠٦﴾ إِنْ كَتَمْنَا شَهَادَةَ اللهِ عِنْدَنَا.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧﴾ [المائدة: ١٠٧].

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ فَإِنِ اطُّلِعَ مِنْهُمَا، أَوْ ظَهَرَ.. وَأَصْلُ الْعَثْرِ: الْوُقُوعُ عَلَىٰ الشَّيْءِ وَالسُّقُوطُ عَلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: عَثَرَتْ إِصْبَعُ فُلَانٍ بِكَذَا، إِذَا صَدَمَتْهُ وَأَصَابَتْهُ وَوَقَعَتْ عَلَيْهِ..

﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ فَإِنِ اطُّلِعَ مِنَ الْوَصِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَ اللهُ أَمْرَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ حَلِفِهِمَا بِاللهِ: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَوْجَبَا بِأَيْمَانِهِمَا الَّتِي حَلَفَا بِهَا إِثْمًا، وَذَلِكَ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا كَانَا كَاذِبَيْنِ فِي أَيْمَانِهِمَا بِاللهِ مَا خُنَّا، وَلَا بَدَّلْنَا، وَلَا غَيَّرْنَا، فَإِنْ وُجِدَا قَدْ خَانَا مِنْ مَالِ الْمَيِّتِ شَيْئًا، أَوْ غَيَّرَا وَصِيَّتَهُ، أَوْ بَدَّلَا، فَأَثِمَا بِذَلِكَ مِنْ حَلِفِهِمَا بِرَبِّهِمَا..

﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ مِنْ أَهْلِ الْمَيِّتِ..

﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ يَقُومَانِ مَقَامَ الْمُسْتَحِقِّ الْإِثْمَ فِيهِمَا بِخِيَانَتِهِمَا مَا خَانَا مِنْ مَالِ الْمَيِّتِ..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ فِيهِمُ الْإِثْمُ بِالْخِيَانَةِ، ثُمَّ حُذِفَ (الْإِثْمُ) وَأُقِيمَ مَقَامَهُ (الأوليان)، فَوُضِعَ (الْأَوْلَيَانِ) مَوْضِعَ (الْإِثْمِ) كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]، وَمَعْنَاهُ: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَإِيمَانِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ وَكَمَا

قَالَ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣].. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿عَلَيْهِمُ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنَّ مَعْنَاهَا: فِيهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يَعْنِي: فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، فَـ (فِي) تُوضَعُ مَوْضِعَ (عَلَىٰ)، وَ (عَلَىٰ) فِي مَوْضِعِ (فِي)، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تُعَاقِبُ صَاحِبَتَهَا فِي الْكَلَامِ..

﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ الْمُوصَىٰ إِلَيْهِمَا، الْأَوْلَىٰ بِالْمَيِّتِ مِنَ الْمُقْسِمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ فَالْأَوْلَىٰ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: الْأَوْلَىٰ بِالْيَمِينِ مِنْهُمَا فَالْأَوْلَىٰ، ثُمَّ حُذِفَ (مِنْهُمَا)، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَتَقُولُ: فُلَانٌ أَفْضَلُ، وَهِيَ تُرِيدُ أَفْضَلُ مِنْكَ، وَذَلِكَ إِذَا وُضِعَ أَفْعَلُ مَوْضِعَ الْخَبَرِ، وَإِنْ وَقَعَ مَوْقِعَ الِاسْمِ وَأُدْخِلَتْ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ، فَعَلُوا ذَلِكَ أَيْضًا إِذَا كَانَ جَوَابًا لِكَلَامٍ قَدْ مَضَىٰ، فَقَالُوا: هَذَا الْأَفْضَلُ، وَهَذَا الْأَشْرَفُ يُرِيدُونَ هُوَ الْأَشْرَفُ مِنْكَ..

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ فَيُقْسِمُ الْآخَرَانِ اللَّذَانِ يَقُومَانِ مَقَامَ اللَّذَيْنِ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا بِخِيَانَتِهِمَا مَالَ الْمَيِّتِ الْأَوْلَيَانِ بِالْيَمِينِ وَالْمَيِّتِ مِنَ الْخَائِنَيْنِ..

﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ لَأَيْمَانُنَا أَحَقُّ مِنْ أَيْمَانِ الْمُقْسِمَيْنِ الْمُسْتَحِقَّيْنِ الْإِثْمَ وَأَيْمَانُهُمَا الْكَاذِبَةَ فِي أَنَّهُمَا قَدْ خَانَا فِي كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِ مَيِّتِنَا، وَكَذَا فِي أَيْمَانِهِمَا الَّتِي حَلَفَا بِهَا..

﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ وَمَا تَجَاوَزْنَا الْحَقَّ فِي أَيْمَانِنَا.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ الِاعْتِدَاءِ: الْمُجَاوَزَةُ فِي الشَّيْءِ حَدَّهُ..

﴿إِنَّا إِذًا﴾ إِنَّا إِنْ كُنَّا اعْتَدَيْنَا فِي أَيْمَانِنَا، فَحَلَفْنَا مُبْطِلَيْنِ فِيهَا كَاذِبَيْنِ..

﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المائدة: ١٠٧] لَمِنْ عِدَادِ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ أَخْذُهُ، وَيَقْتَطِعُ بِأَيْمَانِهِ الْفَاجِرَةِ أَمْوَالَ النَّاسِ.

﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [المائدة: ١٠٨].

﴿ذَلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ فِي أَمْرِ الْأَوْصِيَاءِ، إِذَا ارْتَبْتُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَاتَّهَمْتُمُوهُمْ بِخِيَانَةِ الْمَالِ مَنْ أَوْصَىٰ إِلَيْهِمْ، مِنْ حَبْسِهِمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَاسْتِحْلَافِكُمْ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا ادَّعَىٰ قِبَلَهُمْ أَوْلِيَاءُ الْمَيِّتِ..

﴿أَدْنَىٰ﴾ أَقْرَبُ لَهُمْ..

﴿أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ أَنْ يَصْدُقُوا فِي أَيْمَانِهِمْ، وَلَا يَكْتُمُوا، وَيُقِرُّوا بِالْحَقِّ، وَلَا يَخُونُوا..

﴿أَوْ يَخَافُوٓاْ﴾ هَؤُلَاءِ الْأَوْصِيَاءُ إِنْ عُثِرَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا إِثْمًا فِي أَيْمَانِهِمْ بِاللهِ..

﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ﴾ أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ..

﴿بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْۗ﴾ الَّتِي عُثِرَ عَلَيْهَا أَنَّهَا كَذِبٌ، فَيَسْتَحِقُّوا بِهَا مَا ادَّعَوْا قِبَلَهُمْ مِنْ حُقُوقِهِمْ، فَيَصْدُقُوا حِينَئِذٍ فِي أَيْمَانِهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ مَخَافَةَ الْفَضِيحَةِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَحَذَرًا أَنْ يُسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ مَا خَانُوا فِيهِ أَوْلِيَاءَ الْمَيِّتِ وَوَرَثَتَهُ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَرَاقِبُوهُ فِي أَيْمَانِكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِهَا كَاذِبَةً، وَأَنْ تُذْهِبُوا بِهَا مَالَ مَنْ يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ مَالُهُ، وَأَنْ تَخُونُوا مَنِ ائْتَمَنَكُمْ..

﴿وَٱسْمَعُواْۗ﴾ مَا يُقَالُ لَكُمْ وَمَا تُوعَظُونَ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ وَانْتَهُوا إِلَيْهِ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾ [المائدة: ١٠٨] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ مَنْ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، فَخَالَفَهُ وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَعَصَىٰ رَبَّهُ.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: الْفَاسِقُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْكَاذِبُ، وَلَيْسَ الَّذِي قَالَ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْدِي بِمَدْفُوعٍ، إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَمَّ الْخَبَرَ بِأَنَّهُ لَا يَهْدِي جَمِيعَ الْفُسَّاقِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهُمْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ مَعَانِي الْفِسْقِ كُلِّهَا حَتَّىٰ يُخَصِّصَ شَيْئًا مِنْهَا مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، فَيُسَلَّمُ لَهُ.. وَلَا وَجْهَ لِدَعْوَىٰ مُدَّعٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، لِأَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقْضَىٰ عَلَىٰ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ إِلَّا بِخَبَرٍ يَقْطَعُ الْعُذْرَ، إِمَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَوْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِهِ ﷺ، أَوْ بِوُرُودِ النَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ بِذَلِكَ، فَأَمَّا وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ، وَلَا يَدْفَعُ صِحَّتَهُ عَقْلٌ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَنْسُوخٌ.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩﴾
[المائدة: ١٠٩].

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ وَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاسْمَعُوا وَعْظَهُ إِيَّاكُمْ، وَتَذْكِيرَهُ لَكُمْ، وَاحْذَرُوا ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾، ثُمَّ حَذَفَ (وَاحْذَرُوا) وَاكْتَفَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ﴾ [المائدة: ١٠٨] عَنْ إِظْهَارِهِ، فَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ حَذَفَ (وَاحْذَرُوا) لِعِلْمِ السَّامِعِ مَعْنَاهُ، اكْتِفَاءً بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ﴾ [المائدة: ١٠٨]، إِذْ كَانَ ذَلِكَ تَحْذِيرًا مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ خَلْقَهُ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ..

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾ مَا الَّذِي أَجَابَتْكُمْ بِهِ أُمَمُكُمْ حِينَ دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِي وَالْإِقْرَارِ

بِي وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِي وَالِانْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِي؟..

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إِلَّا عِلْمٌ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا..

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١٠٩﴾ [المائدة: ١٠٩] أَيْ أَنَّكَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مَا عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ خَفِيِّ الْعُلُومِ وَجَلِيِّهَا.. فَإِنَّمَا نَفَىٰ الْقَوْمُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ بِمَا سُئِلُوا عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمٌ لَا يَعْلَمُهُ هُوَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، لَا أَنَّهُمْ نَفَوْا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوا مَا شَاهَدُوا، كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَهُوَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُخْبِرُونَ بِمَا أَجَابَتْهُمْ بِهِ الْأُمَمُ، وَأَنَّهُمْ سَيَشْهَدُونَ عَلَىٰ تَبْلِيغِهِمُ الرِّسَالَةَ شُهَدَاءَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١١٠﴾ [المائدة: ١١٠].

﴿إِذْ﴾ مِنْ صِلَةِ ﴿أُجِبْتُمْ﴾، كَأَنَّ مَعْنَاهَا: مَاذَا أَجَابَتْ عِيسَىٰ الْأُمَمُ الَّتِي أُرْسِلَ إِلَيْهَا عِيسَىٰ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ سُئِلَتِ الرُّسُلُ عَنْ إِجَابَةِ الْأُمَمِ إِيَّاهَا فِي عَهْدِ عِيسَىٰ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ عِيسَىٰ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا أَقَلَّ ذَلِكَ؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾ الرُّسُلَ الَّذِينَ كَانُوا أُرْسِلُوا فِي عَهْدِ عِيسَ، فَخَرَجَ الْخَبَرُ مَخْرَجَ الْجَمِيعِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي عَهْدِ عِيسَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، وَالْمُرَادُ: وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ الْكَلَامِ عَلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ..

﴿قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ يَا عِيسَىٰ، اذْكُرْ أَيَادِيَّ عِنْدَكَ وَعِنْدَ وَالِدَتِكَ..

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ إِذْ قَوَّيْتُكَ، وَأَعَنْتُكَ..

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بِجِبْرِيلَ..

﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ فِي حَالِ تَكْلِيمِكَ النَّاسَ..

﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ صَغِيرًا..

﴿وَكَهْلًا﴾ كَبِيرًا..

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ..

﴿عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُوَ الْخَطُّ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وَهِيَ الْفَهْمُ بِمَعَانِي..

﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ..

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ تَعْمَلُ وَتُصْلِحُ مِنَ الطِّينِ..

﴿كَهَيْـَٔةِ﴾ كَصُورَةِ..

﴿ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ بِعَوْنِي عَلَىٰ ذَلِكَ وَعِلْمٍ مِنِّي.

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ فِي الْهَيْئَةِ..

﴿فَتَكُونُ﴾ الْهَيْئَةُ وَالصُّورَةُ..

﴿طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ﴾ وَتَشْفِي..

﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ الْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، الْمَطْمُوسَ الْبَصَرِ..

﴿وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعَانِيَ هَذِهِ الْحُرُوفِ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا مُفَسَّرًا بِشَوَاهِدِهِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ..

﴿كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ وَقَدْ هَمُّوا بِقَتْلِكَ..

﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْأَدِلَّةِ وَالْأَعْلَامِ الْمُعْجِزَةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ وَحَقِّيَّةِ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَجَحَدُوا نُبُوَّتَكَ وَكَذَّبُوكَ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١١٠﴾ [المائدة: ١١٠] وَكُلُّ مَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِفِعْلِ السِّحْرِ فَهُوَ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ، وَمَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ سَاحِرٌ فَإِنَّهُ مَوْصُوفٌ بِفِعْلِ السِّحْرِ، فَالْفِعْلُ دَالٌّ عَلَىٰ فَاعِلِهِ وَالصِّفَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ مَوْصُوفِهَا، وَالْمَوْصُوفُ يَدُلُّ عَلَىٰ صِفَتِهِ وَالْفَاعِلُ يَدُلُّ عَلَىٰ فِعْلِهِ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ

قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي قِرَاءَتِهِ.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا يَا عِيسَىٰ إِذْ قَذَفْتُ، وَأَلْقَيْتُ، وَأَلْهَمْتُ..

﴿إِلَى﴾ فِي قُلُوبِ..

﴿ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ وَهُمْ وزَرَاءُ عِيسَىٰ عَلَىٰ دِينِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ ذَلِكَ، وَلِمَ قِيلَ لَهُمُ الْحَوَارِيُّونَ فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾ أَنْ صَدِّقُوا..

﴿بِى وَبِرَسُولِى﴾ عِيسَىٰ، فَـ..

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا بِمَا أَمَرْتَنَا أَنْ نُؤْمِنَ يَا رَبَّنَا..

﴿وَٱشْهَدْ﴾ عَلَيْنَا..

﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١] خَاضِعُونَ لَكَ بِالذِّلَّةِ سَامِعُونَ، مُطِيعُونَ لِأَمْرِكَ.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢].

﴿إِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا عِيسَىٰ أَيْضًا نِعْمَتِي عَلَيْكَ، إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي، إِذْ.. فَـ ﴿إِذْ﴾ الثَّانِيَةُ مِنْ صِلَةِ ﴿أَوْحَيْتُ﴾..

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هَلْ يَسْتَجِيبُ لَكَ إِنْ سَأَلْتَهُ ذَلِكَ وَيُطِيعُكَ فِيهِ؟ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ قَارِئِهِ كَذَلِكَ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْهَضَ مَعَنَا فِي كَذَا؟ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ: أَتَنْهَضُ مَعَنَا فِيهِ؟..

﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾ المائدة: الْمُطْعِمَةُ، وسُمِّيَتِ (الْخِوَانِ) بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا تُطْعِمُ الْآكِلَ مِمَّا عَلَيْهَا..

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ﴾ عِيسَىٰ لَهُمْ عِنْدَ قِيلِهِمْ ذَلِكَ لَهُ اسْتِعْظَامًا مِنْهُ لِمَا قَالُوا..

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ رَاقِبُوا اللهَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَخَافُوا أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مِنَ اللهِ عُقُوبَةٌ عَلَىٰ قَوْلِكُمْ هَذَا، فَإِنَّ

اللهَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَفِي شَكِّكُمْ فِي قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِنْزَالِ مَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ كُفْرٌ بِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ أَنْ يُنَزِّلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ عَلَىٰ مَا أَتَوَعَّدُكُمْ بِهِ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ قَوْلِكُمْ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.. فَبَيِّنٌ إِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ كَرِهَ مِنْهُمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعْظَمَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَمُرَاجَعَةِ الْإِيمَانِ مِنْ قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَالْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِالْقُدْرَةِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: ١١٣].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ مُجِيبِي عِيسَىٰ عَلَىٰ قَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ فِي قَوْلِكُمْ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: إِنَّا إِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ وَسَأَلْنَاكَ أَنْ تَسْأَلَ لَنَا رَبَّنَا..

﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ مِنَ الْمَائِدَةِ، فَنَعْلَمَ يَقِينًا قُدْرَتَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ وَتَسْكُنَ قُلُوبُنَا وَتَسْتَقِرَّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَا شَاءَ وَأَرَادَ..

﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ وَنَعْلَمَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْنَا فِي خَبَرِكَ أَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَنَبِيٌّ مَبْعُوثٌ..

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا﴾ وَنَكُونَ عَلَىٰ الْمَائِدَةِ..

﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: ١١٣] مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهَا حُجَّةً لِنَفْسِهِ عَلَيْنَا فِي تَوْحِيدِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا شَاءَ، وَلَكَ عَلَىٰ صِدْقِكَ فِي نُبُوَّتِكَ.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ نَبِيِّهِ عِيسَىٰ ﷺ أَنَّهُ أَجَابَ الْقَوْمَ إِلَىٰ مَا سَأَلُوهُ مِنْ مَسْأَلَةِ رَبِّهِ مَائِدَةً تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ.. فَيُقَالُ: كَانَ عَلَيْهَا مَأْكُولٌ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ سَمَكًا وَخُبْزًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ثَمَرًا مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ، وَغَيْرُ نَافِعِ الْعِلْمُ بِهِ وَلَا ضَارٌّ الْجَهْلُ بِهِ، إِذَا أَقَرَّ تَالِي الْآيَةِ بِظَاهِرِ مَا احْتَمَلَهُ التَّنْزِيلُ.. وَاللهُ تَعَالَىٰ

أَنْزَلَ الْمَائِدَةَ عَلَىٰ الَّذِينَ سَأَلُوا عِيسَىٰ مَسْأَلَتَهُ ذَلِكَ رَبَّهُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَخْلُفُ وَعْدَهُ وَلَا يَقَعُ فِي خَبَرِهِ الْخُلْفُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا فِي كِتَابِهِ عَنْ إِجَابَةِ نَبِيِّهِ عِيسَىٰ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ مَا سَأَلَهُ مِنْ ذَلِكَ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، ثُمَّ لَا يُنَزِّلُهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ تَعَالَىٰ خَبَرٌ، وَلَا يَكُونُ مِنْهُ خِلَافُ مَا يُخْبِرُ، وَلَوْ جَازَ أَنْ يَقُولَ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، ثُمَّ لَا يُنَزِّلُهَا عَلَيْهِمْ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: ١١٥]، ثُمَّ يَكْفُرُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا يُعَذِّبُهُ، فَلَا يَكُونُ لِوَعْدِهِ وَلَا لِوَعِيدِهِ حَقِيقَةٌ وَلَا صِحَّةٌ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُوصَفَ رَبُّنَا تَعَالَىٰ بِذَلِكَ..

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ نَعْبُدُ رَبَّنَا فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَنْزِلُ فِيهِ، وَنُصَلِّي لَهُ فِيهِ، كَمَا يُعَيِّدُ النَّاسُ فِي أَعْيَادِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ الْمُسْتَعْمَلِ بَيْنَهُمْ فِي الْعِيدِ مَا ذَكَرْنَا دُونَ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ: عَائِدَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْنَا، وَتَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ الْمَعْرُوفِ مِنْ كَلَامِ مَنْ خُوطِبَ بِهِ أَوْلَىٰ مِنْ تَوْجِيهِهِ إِلَىٰ الْمَجْهُولِ مِنْهُ مَا وُجِدَ إِلَيْهِ السَّبِيلُ..

﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ لِلْأَحْيَاءِ مِنَّا الْيَوْمَ..

﴿وَءَاخِرِنَا﴾ وَمَنْ يَجِيءُ بَعْدَنَا مِنَّا لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ مِنْ مَعْنَاهُ..

﴿وَءَايَةً﴾ وَعَلَامَةً وَحُجَّةً..

﴿مِّنكَ﴾ يَا رَبِّ عَلَىٰ عِبَادِكَ فِي وَحْدَانِيَّتِكَ، وَفِي صِدْقِي عَلَىٰ أَنِّي رَسُولٌ إِلَيْهِمْ بِمَا أَرْسَلْتَنِي بِهِ..

﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ وَأَعْطِنَا مِنْ عَطَائِكَ..

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ [المائدة: ١١٤] فَإِنَّكَ يَا رَبِّ خَيْرُ مَنْ يُعْطِي، وَأَجْوَدُ مَنْ تَفَضَّلَ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ عَطَاءَهُ مَنٌّ وَلَا نَكَدٌ.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: ١١٥].

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وَهَذَا جَوَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ الْقَوْمَ فِيمَا سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ عِيسَىٰ مَسْأَلَةَ رَبِّهِمْ مِنْ إِنْزَالِهِ مَائِدَةً عَلَيْهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْحَوَارِيُّونَ فَمُطْعِمُكُوهَا..

﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ فَمَنْ يَجْحَدْ بَعْدَ إِنْزَالِهَا عَلَيْكُمْ وَإِطْعَامُكُمُوهَا مِنْكُمْ رِسَالَتِي إِلَيْهِ، وَيُنْكِرُ نُبُوَّةَ نَبِيِّي عِيسَىٰ ﷺ، وَيُخَالِفُ طَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُهُ وَنَهَيْتُهُ..

﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: ١١٥] مِنْ عَالَمِي زَمَانِهِ، فَفَعَلَ الْقَوْمُ، فَجَحَدُوا وَكَفَرُوا بَعْدَمَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا، فَعُذِّبُوا فِيمَا بَلَغَنَا بِأَنْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ قَالَ ذَلِكَ لِعِيسَىٰ حِينَ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَأَنَّ الْخَبَرَ خَبَرٌ عَمَّا مَضَىٰ لِعِلَّتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: أَنَّ (إِذْ) إِنَّمَا تُصَاحِبُ فِي الْأَغْلَبِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْمَلِ بَيْنَهَا الْمَاضِيَ مِنَ الْفِعْلِ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَدْخُلُهَا أَحْيَانًا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ عَمَّا يَحْدُثُ إِذَا عَرَفَ السَّامِعُونَ مَعْنَاهَا، وَذَلِكَ غَيْرُ فَاشٍ وَلَا فَصِيحٍ فِي كَلَامِهِمْ، فَتَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَىٰ الْأَشْهَرِ الْأَعْرَفِ مَا وُجِدَ إِلَيْهِ السَّبِيلُ أَوْلَىٰ مِنْ تَوْجِيهِهَا إِلَىٰ الْأَجْهَلِ الْأَنْكَرِ، وَالْأُخْرَىٰ: أَنَّ عِيسَىٰ لَمْ يَشُكَّ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لِمُشْرِكٍ مَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ، فَيَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمَ عَلَىٰ عِيسَىٰ أَنْ يَقُولَ فِي الْآخِرَةِ مُجِيبًا لِرَبِّهِ تَعَالَىٰ: إِنْ تُعَذِّبْ مَنِ اتَّخَذَنِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِكَ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا كَانَ وَجْهُ سُؤَالِ اللهِ عِيسَىٰ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَهُوَ الْعَالِمُ بِأَنَّ عِيسَىٰ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ؟ قِيلَ: يَحْتَمِلُ ذَلِكَ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ: أَحَدُهُمَا: تَحْذِيرُ عِيسَىٰ عَنْ قِيلِ ذَلِكَ وَنَهْيُهُ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِآخَرَ: أَفَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ مِمَّا يَعْلَمُ الْمَقُولُ لَهُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَائِلَ يَسْتَعْظِمُ فِعْلَ مَا قَالَ لَهُ: (أَفَعَلْتَهُ) عَلَىٰ وَجْهِ النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ وَالتَّهْدِيدِ لَهُ فِيهِ، وَالْآخَرُ: إِعْلَامُهُ أَنَّ قَوْمَهُ الَّذِينَ فَارَقَهُمْ قَدْ خَالَفُوا عَهْدَهُ وَبَدَّلُوا دِينَهُمْ بَعْدَهُ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ جَامِعًا إِعْلَامَهُ حَالَهُمْ بَعْدَهُ وَتَحْذِيرَهُ لَهُ قِيلَهُ..

﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ مَعْبُودَيْنِ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تَعْبُدُونَهُمَا مِنْ دُونِ اللهِ؟..

﴿قَالَ﴾ عِيسَىٰ ﷺ متبرئًا إِلَيْهِ مِمَّا قَالَتْ فِيهِ وَفِي أُمِّهِ الْكَفَرَةُ مِنَ النَّصَارَىٰ أَنْ يَكُونَ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ أَوْ أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ..

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ وَتَعْظِيمًا أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ أَوْ أَتَكَلَّمَ بِهِ..

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ لَيْسَ لِي أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ لِأَنِّي عَبْدٌ مَخْلُوقٌ، وَأُمِّي أَمَةٌ لَكَ، فَهَلْ يَكُونُ لِلْعَبْدِ وَالْأَمَةِ ادِّعَاءُ رُبُوبِيَّةٍ؟..

﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾ إِنَّكَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ عَالِمٌ أَنِّي لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ وَلَمْ آمُرْهُمْ بِهِ..

﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ إِنَّكَ يَا رَبِّ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مَا أَضْمَرَتْهُ نَفْسِي مِمَّا لَمْ أَنْطِقْ بِهِ وَلَمْ أُظْهِرْهُ بِجَوَارِحِي، فَكَيْفَ بِمَا قَدْ نَطَقْتُ بِهِ وَأَظْهَرْتُهُ بِجَوَارِحِي؟ يَقُولُ: لَوْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ كُنْتَ قَدْ عَلِمْتَهُ، لِأَنَّكَ تَعْلَمُ ضَمَائِرَ النُّفُوسِ مِمَّا لَمْ تَنْطِقْ بِهِ، فَكَيْفَ بِمَا قَدْ نَطَقَتْ بِهِ؟..

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ وَلَا أَعْلَمُ أَنَا مَا أَخْفَيْتَهُ عَنِّي فَلَمْ تُطْلِعْنِي عَلَيْهِ، لِأَنِّي إِنَّمَا أَعْلَمُ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا أَعْلَمْتَنِيهِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: ١١٦] إِنَّكَ أَنْتَ الْعَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا سِوَاكَ وَلَا يَعْلَمُهَا غَيْرُكَ.

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة: ١١٧].

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ عِيسَىٰ يَقُولُ: مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ أَقُولَهُ لَهُمْ، وَهُوَ..

﴿أَنِ﴾ قُلْتُ لَهُمْ..

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ﴾ وَكُنْتُ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَهُ..

﴿شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ..

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ فَلَمَّا قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ..

﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ كُنْتَ أَنْتَ الْحَفِيظَ عَلَيْهِمْ دُونِي، لِأَنِّي إِنَّمَا شَهِدْتُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَا عَمِلُوهُ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.. وَفِي هَذَا تِبْيَانٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا عَرَّفَهُ أَفْعَالَ الْقَوْمِ وَمَقَالَتَهُمْ بَعْدَمَا قَبَضَهُ إِلَيْهِ وَتَوَفَّاهُ بِقَوْلِهِ: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ»..

﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة: ١١٧] وَأَنْتَ تَشْهَدُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ شَيْءٌ، وَأَمَّا أَنَا فَإِنَّمَا شَهِدْتُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ، وَذَلِكَ مَا عَايَنْتُ وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِ الْقَوْمِ، فَإِنَّمَا أَنَا أَشْهَدُ عَلَىٰ ذَلِكَ الَّذِي عَايَنْتُ وَرَأَيْتُ وَشَهِدْتُ.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨].

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ إِنْ تُعَذِّبْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ بِإِمَاتَتِكَ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا..

﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ مُسْتَسْلِمُونَ لَكَ، لَا يَمْتَنِعُونَ مِمَّا أَرَدْتَ بِهِمْ، وَلَا يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا أَمْرًا تَنَالُهُمْ بِهِ..

﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ بِهِدَايَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْهَا فَتَسْتُرَ عَلَيْهِمْ..

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ أَرَادَ الِانْتِقَامَ مِنْهُ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُ..

﴿الْحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨] فِي هِدَايَتِهِ مَنْ هَدَىٰ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، وَتَوْفِيقِهِ مَنْ وَفَّقَ مِنْهُمْ لِسَبِيلِ النَّجَاةِ مِنَ الْعِقَابِ.

﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿قَالَ اللَّهُ﴾ لِعِيسَىٰ..

﴿هَٰذَا﴾ الْقَوْلُ النَّافِعُ فِي..

﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿صِدْقُهُمْ﴾ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ..

﴿لَهُمْ﴾ لِلصَّادِقِينَ فِي الدُّنْيَا..

﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فِي الْآخِرَةِ، ثَوَابًا لَهُمْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ صِدْقِهِمُ الَّذِي صَدَقُوا اللهَ فِيمَا وَعَدُوهُ، فَوَفَّوْا بِهِ لِلَّهِ، فَوَفَّىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ ثَوَابِهِ..

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ بَاقِينَ فِي الْجَنَّاتِ الَّتِي أَعْطَاهُمُوهَا أَبَدًا دَائِمًا، لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ لَا يَنْتَقِلُ عَنْهُمْ وَلَا يَزُولُ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْخُلُودِ: الدَّوَامُ وَالْبَقَاءُ

﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ رَضِيَ اللهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي الْوَفَاءِ لَهُ بِمَا وَعَدُوهُ مِنَ

الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ وَرَضُوا هُمْ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي وَفَائِهِ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة: ١١٩] هَذَا الَّذِي أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْجَنَّاتِ الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا، مَرْضِيًّا عَنْهُمْ، وَرَاضِينَ عَنْ رَبِّهِمْ، هُوَ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ بِالطَّلِبَةِ وَإِدْرَاكِ الْحَاجَةِ الَّتِي كَانُوا يَطْلُبُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَلَهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِيهَا، فَنَالُوا مَا طَلَبُوا وَأَدْرَكُوا مَا أَمَّلُوا.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

﴿لِلَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّصَارَىٰ..

﴿مُلْكُ﴾ سُلْطَانُ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ دُونَ عِيسَىٰ الَّذِينَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهُكُمْ، وَدُونَ أُمِّهِ، وَدُونَ جَمِيعِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَا فِيهِنَّ وَعِيسَىٰ وَأُمُّهُ مِنْ بَعْضِ ذَلِكَ بِالْحُلُولِ وَالِانْتِقَالِ، يَدُلَّانِ بِكَوْنِهِمَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُمَا فِيهِ بِالْحُلُولِ فِيهِ وَالِانْتِقَالِ أَنَّهُمَا عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ لِمَنْ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، يُنَبِّهُهُمْ وَجَمِيعَ خَلْقِهِ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ لِيَدَّبَّرُوهُ وَيَعْتَبِرُوهُ، فَيَعْقِلُوا عَنْهُ..

﴿وَهُوَ﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠] قَادِرٌ عَلَىٰ إِفْنَائِهِنَّ وَعَلَىٰ إِهْلَاكِهِنَّ وَإِهْلَاكِ عِيسَىٰ وَأُمِّهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، كَمَا ابْتَدَأَ خَلْقَهُمْ، لَا يُعْجِزُهُ ذَلِكَ وَلَا شَيْءٌ أَرَادَهُ؛ لِأَنَّ قُدْرَتَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يُشْبِهُهَا قُدْرَةٌ، وَسُلْطَانُهُ السُّلْطَانُ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ سُلْطَانٌ وَلَا مَمْلَكَةٌ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ المَائِدَةِ



تَفْسِيرُ سُورَةِ الأَنْعَامِ (٦) مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ وَمِائَةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: ١].

﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ الْكَامِلُ..

﴿لِلَّهِ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، دُونَ جَمِيعِ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَدُونَ مَا سِوَاهُ مِمَّا تَعْبُدُهُ كَفَرَةُ خَلْقِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ.. وَهَذَا كَلَامٌ مَخْرَجُهُ مَخْرَجُ الْخَبَرِ يُنْحَىٰ بِهِ نَحْوَ الْأَمْرِ، يَقُولُ: أَخْلِصُوا الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ لِـ..

﴿ٱلَّذِي﴾ خَلَقَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ..

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ فِي ذَلِكَ أَحَدًا شَيْئًا، فَإِنَّهُ الْمُسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْحَمْدَ بِأَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ وَنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، لَا مَنْ تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ وَتَجْعَلُونَهُ لَهُ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وَ أَظْلَمَ اللَّيْلَ..

﴿وَٱلنُّورَۖ﴾ وَأَنَارَ النَّهَارَ..

﴿ثُمَّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَجِّبًا خَلْقَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَفَرَةِ عِبَادِهِ، وَمُحْتَجًّا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ: إِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ حَمْدُهُ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، الَّذِي جَعَلَ مِنْهُمَا مَعَايِشَكُمْ وَأَقْوَاتَكُمْ وَأَقْوَاتَ أَنْعَامِكُمُ الَّتِي بِهَا حَيَاتُكُمْ، فَمِنَ السَّمَوَاتِ يَنْزِلُ عَلَيْكُمُ الْغَيْثُ، وَفِيهَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِاعْتِقَابٍ وَاخْتِلَافٍ لِمَصَالِحِكُمْ، وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْبُتُ الْحَبُّ الَّذِي بِهِ غِذَاؤُكُمْ، وَالثِّمَارُ الَّتِي فِيهَا مَلَاذُّكُمْ، مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا مَصَالِحُكُمْ وَمَنَافِعُكُمْ بِهَا..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْقِ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.. فَعَمَّ بِذَلِكَ جَمِيعَ الْكُفَّارِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهُمْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَجَمِيعُهُمْ دَاخِلُونَ فِي ذَلِكَ: يَهُودُهُمْ، وَنَصَارَاهُمْ، وَمَجُوسُهُمْ، وَعَبَدَةُ الْأَوْثَانِ مِنْهُمْ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الْكُفْرِ..

﴿بِرَبِّهِمْ﴾ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَأَحْدَثَهُ..

﴿يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١] يَجْعَلُونَ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، وَلَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ شَرِكَهُ فِي خَلْقِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا فِي إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، بَلْ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُمْ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ غَيْرَهُ.. فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَبْلَغَهَا مِنْ حُجَّةٍ وَأَوْجَزَهَا مِنْ عِظَةٍ، لِمَنْ فَكَّرَ فِيهَا بِعَقْلٍ وَتَدَبَّرَهَا بِفَهْمٍ، وَلَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ، فَعَنْ كَعْبٍ، قَالَ: فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ فَاتِحَةُ الْأَنْعَامِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ [الأنعام: ٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَظْلَمَ لَيْلَهُمَا وَأَنَارَ نَهَارَهُمَا، فَكَفَرَ بِهِ مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمُ الْكَافِرُونَ، وَعَدَلُوا بِهِ مَنْ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ، هُوَ الَّذِي..

﴿خَلَقَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن طِينٍ﴾ فالنَّاسَ وَلَدُ مَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينٍ، فَأَخْرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لَهُمْ، إِذْ كَانُوا وَلَدَهُ..

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ وَهُوَ أَجَلُ الْبَعْثِ عِنْدَهُ، لِإِعَادَتِكُمْ أَحْيَاءَ وَأَجْسَامًا كَالَّذِي كُنْتُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ.. وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [البقرة: ٢٨].. فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ نَبَّهَ خَلْقَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الَّذِي يَعْدِلُ بِهِ كُفَّارُكُمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَابْتَدَأَكُمْ وَأَنْشَأَكُمْ مِنْ طِينٍ، فَجَعَلَكُمْ صُوَرًا أَجْسَامًا أَحْيَاءَ بَعْدَ إِذْ كُنْتُمْ طِينًا جَمَادًا، ثُمَّ قَضَىٰ آجَالَ حَيَاتِكُمْ لِفَنَائِكُمْ وَمَمَاتِكُمْ، لِيُعِيدَكُمْ تُرَابًا وَطِينًا كَالَّذِي كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ يُنْشِئَكُمْ وَيَخْلُقَكُمْ..

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ [الأنعام: ٢] ثُمَّ أَنْتُمْ تَشُكُّونَ فِي قُدْرَةِ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِظْلَامِ اللَّيْلِ وَإِنَارَةِ النَّهَارِ، وَخَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ حَتَّىٰ صَيَّرَكُمْ بِالْهَيْئَةِ الَّتِي أَنْتُمْ بِهَا عَلَىٰ إِنْشَائِهِ إِيَّاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ وَفَنَائِكُمْ، وَإِيجَادِهِ إِيَّاكُمْ بَعْدَ عَدَمِكُمْ.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام: ٣].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ فَإِنَّ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ الَّتِي لَا تَنْبَغِي لِغَيْرِهِ، الْمُسْتَحِقُّ عَلَيْكُمْ إِخْلَاصَ الْحَمْدِ لَهُ

بِآلَائِهِ عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، الَّذِي يَعْدِلُ بِهِ كُفَّارُكُمْ مَنْ سِوَاهُ، هُوَ اللهُ، الَّذِي هُوَ..

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، يَقُولُ: فَرَبُّكُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْحَمْدَ، وَيَجِبُ عَلَيْكُمْ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ، هُوَ هَذَا الَّذِي صِفَتُهُ، لَا مَنْ لَا يَقْدِرُ لَكُمْ عَلَىٰ ضَرٍّ، وَلَا نَفْعٍ، وَلَا يَعْمَلُ شَيْئًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ سُوءًا أُرِيدَ بِهَا..

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٣] وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ وَتَجْرَحُونَ، فَيُحْصِي ذَٰلِكَ عَلَيْكُمْ لِيُجَازِيَكُمْ بِهِ عِنْدَ مَعَادِكُمْ إِلَيْهِ.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٤].

﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ وَمَا تَأْتِي هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ أَوْثَانَهُمْ وَآلِهَتَهُمْ..

﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ وحُجَّةٍ وَعَلَامَةٍ وَدِلَالَةٍ..

﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ مِنْ حُجَجِ رَبِّهِمْ، وَدِلَالَاتِهِ، وَأَعْلَامِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَصِدْقِ مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٤] إِلَّا أَعْرَضُوا عَنْهَا -يَعْنِي: عَنِ الْآيَةِ- فَصَدُّوا عَنْ قَبُولِهَا وَالْإِقْرَارِ بِمَا شَهِدَتْ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ وَدَلَّتْ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ وَاغْتِرَارًا بِحِلْمِهِ عَنْهُمْ.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٥].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ فَقَدْ كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ..

﴿بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وَذَلِكَ الْحَقُّ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، كَذَّبُوا بِهِ، وَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ لَمَّا جَاءَهُمْ، قَالَ اللهُ لَهُمْ مُتَوَعِّدًا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ..

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ سَوْفَ يَأْتِي الْمُكَذِّبِينَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرِهِمْ..

﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٥] سَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَخْبَارُ اسْتِهْزَائِهِمْ بِمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ مِنْ آيَاتِي وَأَدِلَّتِي الَّتِي آتَيْتُهُمْ، ثُمَّ وَفَىٰ لَهُمْ بِوَعِيدِهِ لَمَّا تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَعَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَقَتَلَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

[الأنعام: ٦].

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِي الْجَاحِدُونَ نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّد..

﴿كَمْ﴾ كَثْرَة مَنْ..

﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وَهُمُ الْأُمَمُ الَّذِينَ..

﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ وَطَّأْتُ لَهُمُ الْبِلَادَ وَالْأَرْض وَطَاءَةً لَمْ أُوَطِّئْهَا لَكُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ فِيهَا مَا لَمْ أُعْطِكُمْ..

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ الْمَطَرَ..

﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ غَزِيرَةً دَائِمَةً..

﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ فَأَخْرَجَتْ لَهُمُ الْأَشْجَارُ ثِمَارَهَا، وَأَعْطَتْهُمُ الْأَرْضُ رِيعَ نَبَاتِهَا، وَجَابُوا صُخُورَ جِبَالِهَا، وَدَرَّتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ بِأَمْطَارِهَا، وَتَفَجَّرَتْ مِنْ تَحْتِهِمْ عُيُونُ الْمِيَاهِ بِيَنَابِيعِهَا بِإِذْنِي..

﴿فَأَهْلَكْنَاهُم﴾ فَغَمَطُوا نِعْمَةَ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رَسُولَ خَالِقِهِمْ وَخَالَفُوا أَمْرَ بَارِئِهِمْ، وَبَغَوْا حَتَّىٰ حَقَّ عَلَيْهِمْ قَوْلِي، فَأَخَذْتُهُمْ..

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بِمَا اجْتَرَحُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَعَاقَبْتُهُمْ بِمَا اكْتَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَأَهْلَكْتُ بَعْضَهُمْ بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضَهُمْ بِالصَّيْحَةِ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ..

﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وَأَحْدَثْنَا..

﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ..

﴿قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: ٦] فَابْتَدَأْنَا سِوَاهُمْ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

[الأنعام: ٧].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا﴾ هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، كَيْفَ يَتَفَقَّهُونَ الْآيَاتِ، أَمْ كَيْفَ يَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ بُطْلَانِ مَا هُمْ

عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَجُحُودِ نُبُوَّتِكَ بِحُجَجِ اللهِ وَآيَاتِهِ وَأَدِلَّتِهِ، وَهُمْ لِعِنَادِهِمُ الْحَقَّ وَبُعْدِهِمْ مِنَ الرُّشْدِ، وَلَوْ أَنْزَلْتُ..

﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ مَعَ رَسُولِي..

﴿كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ يُعَايِنُونَهُ..

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ وَيَمَسُّونَهُ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيَقْرَءُونَهُ مِنْهُ، مُعَلَّقًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، بِحَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَصِحَّةِ مَا تَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِي وَتَنْزِيلِي..

﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ لَقَالَ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِي غَيْرِي، فَيُشْرِكُونَ فِي تَوْحِيدِي سِوَايَ..

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ..

﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ سَحَرْتَ بِهِ أَعْيُنَنَا، لَيْسَتْ لَهُ حَقِيقَةٌ وَلَا صِحَّةٌ..

﴿مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعام: ٧] لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَتَأَمَّلَهُ أَنَّهُ سِحْرٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨].

﴿وَقَالُواْ﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِي الْعَادِلُونَ بِيَ الْأَنْدَادَ وَالْآلِهَةَ لَكَ، لَوْ دَعَوْتَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ تَوْحِيدِي وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِي، وَإِذَا أَتَيْتَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ بِمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ، وَاحْتَجَجْتَ عَلَيْهِمْ بِمَا احْتَجَجْتَ عَلَيْهِمْ مِمَّا قَطَعْتَ بِهِ عُذْرَهُمْ..

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ﴾ هَلَّا نَزَلَ عَلَيْكَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي صُورَتِهِ، يُصَدِّقُكَ عَلَىٰ مَا جِئْتَنَا بِهِ، وَيَشْهَدُ لَكَ بِحَقِيقَةِ مَا تَدَّعِي مِنْ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي قِيلِهِمْ لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧]..

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ عَلَىٰ مَا سَأَلُوا ثُمَّ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي..

﴿لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ..

﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨] وَلَمْ يُنْظَرُوا فَيُؤَخَّرُوا بِالْعُقُوبَةِ مُرَاجَعَةَ التَّوْبَةِ، كَمَا فَعَلْتُ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَأَلَتِ الْآيَاتِ ثُمَّ كَفَرَتْ بَعْدَ مَجِيئِهَا مِنْ تَعْجِيلِ النِّقْمَةِ وَتَرْكِ الْإِنْظَارِ.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ وَلَوْ جَعَلْنَا رَسُولَنَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِي، الْقَائِلِينَ: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ

مَلَكٌ بِتَصْدِيقِهِ..

﴿مَلَكًا﴾ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَشْهَدُ بِتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ..

﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنَ الْبَشَرِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرَوْا الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ، يَقُولُ: وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَسَوَاءٌ أَنْزَلْتُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مَلَكًا أَوْ بَشَرًا، إِذْ كُنْتُ إِذَا أَنْزَلْتُ عَلَيْهِمْ مَلَكًا إِنَّمَا أُنْزِلُهُ بِصُورَةِ إِنْسِيٍّ، وَحُجَجِي فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ عَلَيْهِمْ ثَابِتَةٌ بِأَنَّكَ صَادِقٌ وَأَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ حَقٌّ..

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ مُصَدِّقًا لَكَ يَا مُحَمَّدُ، شَاهِدًا لَكَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِي الْجَاحِدِينَ آيَاتِكَ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ، فَجَعَلْنَاهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِذْ كَانُوا لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَةَ الْمَلَكِ بِصُورَتِهِ الَّتِي خَلَقْتُهُ بِهَا، لَالْتَبَسَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ، فَلَمْ يَدْرُوا مَلَكٌ هُوَ أَمْ إِنْسِيٌّ، فَلَمْ يُوقِنُوا بِهِ أَنَّهُ مَلَكٌ وَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ، وَقَالُوا: لَيْسَ هَذَا مَلَكًا، وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ..

﴿مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩] مَا يَلْبِسُونَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنْ حَقِيقَةِ أَمْرِكَ وَصِحَّةِ بُرْهَانِكَ وَشَاهِدِكَ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ.

> ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾
> [الأنعام: ١٠].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُسَلِّيًا عَنْهُ بِوَعِيدِهِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ عُقُوبَةَ مَا يَلْقَىٰ مِنْهُمْ مِنْ أَذَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ بِهِ وَالِاسْتِخْفَافِ فِي ذَاتِ اللهِ: هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَا أَنْتَ لَاقٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِكَ الْمُسْتَخِفِّينَ بِحَقِّكَ فِيَّ وَفِي طَاعَتِي، وَامْضِ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِي وَالْإِقْرَارِ بِي وَالْإِذْعَانِ لِطَاعَتِي فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَأَصَرُّوا عَلَىٰ الْمُقَامِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، نَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ أَسْلَافِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ مِنْ تَعْجِيلِ النِّقْمَةِ لَهُمْ وَحُلُولِ الْمَثُلَاتِ بِهِمْ، فَقَدِ اسْتَهْزَأَتْ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكَ بِرُسُلٍ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَىٰ قَوْمِكَ، وَفَعَلُوا مِثْلَ فِعْلِ قَوْمِكَ بِكَ..

﴿فَحَاقَ﴾ فَنَزَلَ وَأَحَاطَ..

﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟﴾ بِالَّذِينَ هَزِئُوا..

﴿مِنْهُم﴾ بِرُسُلِهِمْ وَ..

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾ [الأنعام: ١٠] مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا يَهْزَأُونَ بِهِ وَيُنْكِرُونَ أَنْ

يَكُونَ وَاقِعًا بِهِمْ عَلَىٰ مَا أَنْذَرَتْهُمْ رُسُلُهُمْ.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [الأنعام: ١١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِيَ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ الْمُكَذِّبِينَ بِكَ الْجَاحِدِينَ حَقِيقَةَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ جُولُوا فِي بِلَادِ الْمُكَذِّبِينَ رُسُلَهُمُ الْجَاحِدِينَ آيَاتِي مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ ضُرَبَائِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ مِنَ النَّاسِ..

﴿ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [الأنعام: ١١] ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ أَعْقَبَهُمْ تَكْذِيبُهُمْ ذَلِكَ الْهَلَاكَ وَالْعَطَبَ وَخِزْيَ الدُّنْيَا وَعَارَهَا، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَوَارِ وَخَرَابِ الدِّيَارِ وَعَفْوِ الْآثَارِ، فَاعْتَبِرُوا بِهِ، إِنْ لَمْ تَنْهَكُمْ حُلُومُكُمْ، وَلَمْ تَزْجُرْكُمْ حُجَجُ اللهِ عَلَيْكُمْ، عَمَّا أَنْتُمْ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ، فَاحْذَرُوا مِثْلَ مَصَارِعِهِمْ، وَاتَّقُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢﴾ [الأنعام: ١٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ..

﴿لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِمَنْ مُلْكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْبَدَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، لَا لِلْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، وَلَا لِمَا يَعْبُدُونَهُ وَيَتَّخِذُونَهُ إِلَاهًا مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ لِأَنْفُسِهَا نَفْعًا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهَا ضَرًّا..

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قَضَىٰ أَنَّهُ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ، لَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ وَيَقْبَلُ مِنْهُمُ الْإِنَابَةَ وَالتَّوْبَةَ، وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ اسْتِعْطَافٌ لِلْمُعْرِضِينَ عَنْهُ إِلَىٰ الْإِقْبَالِ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِي الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا قُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ، وَإِنِّي قَدْ قَضَيْتُ فِي خَلْقِي أَنَّ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، كَالَّذِي قَالَ ﷺ: «**لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْخَلْقِ كَتَبَ كِتَابًا: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»..

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللهُ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي..

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ فِي أَنَّ اللهَ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَحْشُرُكُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا، ثُمَّ يُؤْتَىٰ كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَجْرَ مَا عَمِلَ مِنْ حَسَنٍ أَوْ سَيِّئٍ.

﴿الَّذِينَ﴾ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لَيَجْمَعَنَّ اللهُ الَّذِينَ..

﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ وَغَبَنُوهَا بِادِّعَائِهِمْ لِلَّهِ النِّدَّ وَالْعَدِيلَ، فَأَبْقَوْهَا بِإِيجَابِهِمْ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ فِي الْمَعَادِ..

﴿فَهُمۡ﴾ لِإِهْلَاكِهِمْ أَنْفُسِهِمْ وَغَبْنِهِمْ إِيَّاهُ حَظَّهَا..

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ [الأنعام: ١٢] لَا يُوَحِّدُونَ اللهَ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ [الأنعام: ١٣].

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ لَا يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ، فَيُخْلِصُوا لَهُ التَّوْحِيدَ وَيُفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ وَيُقِرُّوا بِالْأُلُوهِيَّةِ جَهْلًا، وَلَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَّا وَهُوَ سَاكِنٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَمَعْلُومٌ بِذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهُ مَا وَصَفْنَا..

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ مِنِ ادِّعَائِهِمْ لَهُ شَرِيكًا، وَمَا يَقُولُ غَيْرُهُمْ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ [الأنعام: ١٣] بِمَا يُضْمِرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَمَا يُظْهِرُونَهُ بِجَوَارِحِهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ يُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ، لِيُوفِّيَ كُلَّ إِنْسَانٍ ثَوَابَ مَا اكْتَسَبَ وَجَزَاءَ مَا عَمِلَ.

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَالْمُنْكِرِينَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ التَّوْحِيدِ لِرَبِّكَ، الدَّاعِينَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ أَشَيْئًا غَيْرَ اللهِ تَعَالَىٰ..

﴿أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ وَأَسْتَنْصِرُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ النَّوَائِبِ وَالْحَوَادِثِ؟!

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُبْتَدِعِهِمَا وَمُبْتَدِئِهِمَا وَخَالِقِهِمَا..

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ وَهُوَ يَرْزُقُ خَلْقَهُ وَلَا يُرْزَقُ، فَهُوَ يَرْزُقُنِي وَغَيْرِي، وَلَا يَرْزُقُهُ أَحَدٌ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ - أَيْضًا- لِلَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ اتِّخَاذِ الْآلِهَةِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحُثُّونَكَ عَلَىٰ عِبَادَتِهَا..

﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ إِنِّي أَمَرَنِي رَبِّي..

﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ وخَضَعَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَتَذَلَّلَ لأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَانْقَادَ لَهُ مِنْ أَهْلِ دَهْرِي وَزَمَانِي..

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٤﴾ قُلْ: وَقِيلَ لِي: لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ شُرَكَاءَ.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [الأنعام: ١٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ: إِنَّ رَبِّي نَهَانِي عَنْ عِبَادَةِ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَ..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ فَعَبَدْتُهَا..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [الأنعام: ١٥] يَعْنِي: عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَوَصَفَهُ تَعَالَىٰ بِالْعِظَمِ لِعِظَمِ هَوْلِهِ وَفَظَاعَةِ شَأْنِهِ.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ [الأنعام: ١٦].

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عَذَابُهُ..

﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ﴾ وصَرْفُ اللهِ عَنْهُ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرَحْمَتُهُ إِيَّاهُ..

﴿ٱلْفَوْزُ﴾ النَّجَاةُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَالظَّفَرِ بِالطِّلْبَةِ..

﴿ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ [الأنعام: ١٦] لِمَنْ رَآهُ أَنَّهُ الظُّفُرُ بِالْحَاجَةِ وَإِدْرَاكُ الطِّلْبَةِ.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ وإِنْ يُصِبْكَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّد..

﴿بِضُرٍّ﴾ بِشِدَّةٍ وَشَظَفٍ فِي عَيْشِكَ وَضِيقٍ فِيهِ..

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ فَلَنْ يَكْشِفَ ذَلِكَ عَنْكَ..

﴿إِلَّا هُوَ﴾ إِلَّا اللهُ الَّذِي أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَأَذْعَنَ لَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ، دُونَ مَا يَدْعُوكَ الْعَادِلُونَ بِهِ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَدُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهَا مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ وَإِنْ يُصِبْكَ..

﴿بِخَيْرٍ﴾ وَبِرَخَاءٍ فِي عَيْشٍ وَسَعَةٍ فِي الرِّزْقِ وَكَثْرَةٍ فِي الْمَالِ، فَتُقِرُّ أَنَّهُ أَصَابَكَ بِذَلِكَ اللهُ الَّذِي أَصَابَكَ بِذَلِكَ..

﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾ [الأنعام: ١٧] فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ نَفْعِكَ وَضَرِّكَ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ قَادِرٌ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ، لَيْسَ كَالْآلِهَةِ الذَّلِيلَةِ الْمَهِينَةِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ اجْتِلَابِ نَفْعٍ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا وَلَا غَيْرِهَا، وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ عَنْهَا وَلَا غَيْرِهَا، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَيْفَ تَعْبُدُ مَنْ كَانَ هَكَذَا؟! أَمْ كَيْفَ لَا تُخْلِصُ الْعِبَادَةَ، وَتُقِرُّ لِمَنْ كَانَ بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَلَهُ الْقُدْرَةُ الْكَامِلَةُ وَالْعِزَّةُ الظَّاهِرَةُ؟!

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٨].

﴿وَهُوَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ الْمُذَلِّلُ الْمُسْتَعْبِدُ خَلْقَهُ الْعَالِي عَلَيْهِمْ..

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ لِأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَىٰ بِقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ، وَمِنْ صِفَةِ كُلِّ قَاهِرٍ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ مُسْتَعْلِيًا عَلَيْهِ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَنْ: وَاللهُ الْغَالِبُ عِبَادَهُ، الْمُذِلُّ لَهُمْ، الْعَالِي عَلَيْهِمْ بِتَذْلِيلِهِ لَهُمْ وَخَلْقِهِ إِيَّاهُمْ، فَهُوَ فَوْقَهُمْ بِقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ، وَهُمْ دُونَهُ..

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ وَاللهُ الْحَكِيمُ فِي عُلُوِّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ بِقُدْرَتِهِ وَفِي سَائِرِ تَدْبِيرِهِ..

﴿ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٨] بِمَصَالِحِ الْأَشْيَاءِ وَمَضَارِّهَا، الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ عَوَاقِبُ الْأُمُورِ وَبَوَادِيهَا، وَلَا يَقَعُ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَلٌ، وَلَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ دَخَلٌ.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ شَهَادَةً وَأَكْبَرُ؟..

﴿قُلِ﴾ ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ بِأَنَّ أَكْبَرَ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةً هُوَ..

﴿اللَّهُ﴾ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي شَهَادَتِهِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي شَهَادَةِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ السَّهْوِ وَالْخَطَأِ وَالْغَلَطِ وَالْكَذِبِ، ثُمَّ قُلْ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةً..

﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بِالْمُحِقِّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَالرَّشِيدِ مِنَّا فِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ مِنَ السَّفِيهِ، وَقَدْ رَضِينَا بِهِ حَكَمًا بَيْنَنَا..

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ: اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ عِقَابَهُ..

﴿وَمَن بَلَغَ﴾ وَأُنْذِرُ بِهِ مَنْ بَلَغَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ غَيْرِكُمْ، إِنْ لَمْ يَنْتَهِ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَتَحْلِيلِ حَلَالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ، وَالْإِيمَانِ بِجَمِيعِهِ، نُزُولَ نِقْمَةِ اللهِ بِهِ..

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّد، الْعَادِلِينَ بِاللهِ رَبًّا غَيْرَهُ: أَئِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ، وَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَهُ مَعْبُودَاتٍ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّا أَشْهَدُ﴾ بِمَا تَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ، بَلْ أَجْحَدُ ذَلِكَ وَأُنْكِرُهُ..

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ إِنَّمَا هُوَ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيمَا يَسْتَوْجِبُ عَلَىٰ خَلْقِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَقُلْ..

﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩] إِنَّنِي بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ شَرِيكٍ تَدْعُونَهُ لِلَّهِ، وَتُضِيفُونَهُ إِلَىٰ شِرْكَتِهِ، وَتَعْبُدُونَهُ مَعَهُ، لَا أَعْبُدُ سِوَىٰ اللهِ شَيْئًا، وَلَا أَدْعُو غَيْرَهُ إِلَاهًا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ [الأنعام: ٢٠].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ..

﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يعرِفُونَ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا جَمَاعَةَ الْآلِهَةِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ..

﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أَهْلَكُوهَا وَأَلْقَوْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ بِإِنْكَارِهِمْ مُحَمَّدًا أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَهُمْ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ عَارِفُونَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ خَسَارَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ: أَنَّ كُلَّ عَبْدٍ لَهُ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ فِي الْجَنَّةِ، وَجَعَلَ لِأَهْلِ النَّارِ مَنَازِلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ خُسْرَانُ الْخَاسِرِينَ مِنْهُمْ لِبَيْعِهِمْ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِمَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ، بِمَا فَرَطَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعْصِيَتِهِمُ اللهَ وَظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١١]..

﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ [الأنعام: ٢٠] فَهُمْ بِخَسَارَتِهِمْ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١﴾ [الأنعام: ٢١].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ وَمَنْ أَشَدُّ اعْتِدَاءً، وَأَخْطَأُ فِعْلًا، وَأَخْطَلُ قَوْلًا..

﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ مِمَّنِ اخْتَلَقَ عَلَىٰ اللهِ قِيلَ بَاطِلٍ، وَاخْتَرَقَ مِنْ نَفْسِهِ عَلَيْهِ كَذِبًا، فَزَعَمَ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِهِ، وَإِلَاهًا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، كَمَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، أَوِ ادَّعَىٰ لَهُ وَلَدًا أَوْ صَاحِبَةً، كَمَا قَالَتْهُ النَّصَارَىٰ..

﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ أَوْ كَذَّبَ بِحُجَجِهِ وَأَعْلَامِهِ وَأَدِلَّتِهِ الَّتِي أَعْطَاهَا رُسُلَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِمْ، كَمَا كَذَّبَتْ بِهَا الْيَهُودُ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١﴾ [الأنعام: ٢١] الْقَائِلُونَ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ، وَلَا يُدْرِكُونَ الْبَقَاءَ فِي الْجِنَانِ، وَالْمُفْتَرُونَ عَلَيْهِ الْكَذِبَ وَالْجَاحِدُونَ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ.

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢﴾ [الأنعام: ٢٢].

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، وَالْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ، لَا يُفْلِحُونَ الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ إِذَا حَشَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ بِادِّعَائِهِمْ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ شَرِيكًا، وَالْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، فَجَمَعْنَا جَمِيعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢] أَنَّهُمْ لَكُمْ آلِهَةٌ مِنْ دُونِ اللهِ، افْتِرَاءً وَكَذِبًا، وَتَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ أَرْبَابًا، فَأْتُوا بِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ قِيلُهُمْ عِنْدَ فِتْنَتِنَا إِيَّاهُمُ اعْتِذَارًا مِمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ، إِذْ قُلْنَا لَهُمْ: «أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».. فَوُضِعَتِ الْفِتْنَةُ مَوْضِعَ الْقَوْلِ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَإِنَّمَا الْفِتْنَةُ: الِاخْتِبَارُ وَالِابْتِلَاءُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْجَوَابُ مِنَ الْقَوْمِ غَيْرَ وَاقِعٍ هُنَالِكَ إِلَّا عِنْدَ الِاخْتِبَارِ، وُضِعَتِ الْفِتْنَةُ الَّتِي هِيَ الِاخْتِبَارُ مَوْضِعَ الْخَبَرِ عَنْ جَوَابِهِمْ وَمَعْذِرَتِهِمْ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ كَذِبًا مِنْهُمْ فِي أَيْمَانِهِمْ عَلَىٰ قِيلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿وَٱللَّهِ﴾ يَا..

﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣] مَا كُنَّا نَدْعُو لَكَ شَرِيكًا وَلَا نَدْعُو سِوَاكَ،، فَنَفَوْا أَنْ يَكُونُوا قَالُوا ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ يَوْمَئِذٍ، حِينَ رَأَوُا الذُّنُوبَ تُغْفَرُ، وَلَا يَغْفِرُ اللهُ لِمُشْرِكٍ، وَحِينَ يُؤْمَرُ بِإِخْرَاجِ رِجَالٍ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَيَقُولُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ: تَعَالَوْا نَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَعَلَّنَا نَخْرُجُ مَعَ هَؤُلَاءِ، فَلَمْ يُصَدَّقُوا، فَحَلَفُوا: ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾، فَقَالَ اللهُ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٤].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٤].

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ فَاعْلَمْ.. وَمَعْنَىٰ النَّظَرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: النَّظَرُ بِالْقَلْبِ لَا النَّظَرُ بِالْبَصَرِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: تَبَيَّنْ، فَاعْلَمْ..

﴿كَيْفَ كَذَبُوا۟﴾ كَيْفَ كَذَبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ فِي الْآخِرَةِ، عِنْدَ لِقَاءِ اللهِ.. وَقَالَ: ﴿كَذَبُوا۟﴾، وَمَعْنَاهُ: يَكْذِبُونَ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْخَبَرُ قَدْ مَضَىٰ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا صَارَ كَالشَّيْءِ الَّذِي قَدْ كَانَ وَوُجِدَ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾ بِقِيلِهِمْ: (وَاللهِ يَا رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)، وَاسْتَعْمَلُوا هُنَالِكَ الْأَخْلَاقَ الَّتِي كَانُوا بِهَا مُتَخَلِّقِينَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَذِبِ وَالْفِرْيَةِ..

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [الأنعام: ٢٤] وَفَارَقَهُمُ الْأَنْدَادُ وَالْأَصْنَامُ، وَتَبَرَّأُوا مِنْهَا، فَسَلَكُوا غَيْرَ سَبِيلِهَا؛ لِأَنَّهَا هَلَكَتْ، وَأُعِيدَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا اجْتِرَاءً، ثُمَّ أُخِذُوا بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ مِنْ قِيلِهِمْ فِيهَا عَلَىٰ اللهِ، وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا، وَإِشْرَاكِهِمْ إِيَّاهَا فِي سُلْطَانِ اللهِ، فَضَلَّتْ عَنْهُمْ، وَعُوقِبَ عَابِدُوهَا بِفِرْيَتِهِمْ.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [الأنعام: ٢٥].

﴿وَمِنۡهُم﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ مَنْ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ مِنْكَ، وَيَسْتَمِعُ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَلَا يَفْقَهُ مَا تَقُولُ وَلَا يَوْعِيهِ قَلْبُهُ، وَلَا يَتَدَبَّرُهُ، وَلَا يُصْغِي لَهُ سَمْعَهُ لِيَتَفَقَّهَهُ، فَيَفْهَمَ حُجَجَ اللهِ عَلَيْهِ فِي تَنْزِيلِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ، إِنَّمَا يَسْمَعُ صَوْتَكَ وَقِرَاءَتَكَ وَكَلَامَكَ، وَلَا يَعْقِلُ عَنْكَ مَا تَقُولُ..

﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ لِأَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ عَلَىٰ قَلْبِهِ أَغْطِيَةً..

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ وَجَعَلَ فِي آذَانِهِمْ ثِقَلًا، وَصَمَمًا عَنْ فَهْمِ مَا تَتْلُو عَلَيْهِمْ، وَالْإِصْغَاءِ لِمَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَيَسْمَعُونَهُ بِآذَانِهِمْ وَلَا يَعُونَ مِنْهُ شَيْئًا، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي تَسْمَعُ النِّدَاءَ وَلَا تَدْرِي مَا يُقَالُ لَهَا..

﴿وَإِن﴾ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الَّذِينَ جُعِلَتْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوا عَنْكَ مَا يَسْمَعُونَ مِنْكَ..

﴿يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾ وَحُجَّةٍ وَعَلَامَةٍ، تَدُلُّ أَهْلَ الْحِجَا وَالْفَهْمِ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَصِدْقِ قَوْلِكَ وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ..

﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ بِهَا، وَلَا يُقِرُّونَ بِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ دَالَّةٌ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ﴾ حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا إِلَيْكَ بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمُ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ..

﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ يُخَاصِمُونَكَ.. وَكَانَتْ مُجَادَلَتِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ

-فِيمَا ذُكِر- فِي الذَّبِيحَةِ، يَقُولُونَ: أَمَّا مَا ذَبَحْتُمْ وَقَتَلْتُمْ فَتَأْكُلُونَ، وَأَمَّا مَا قَتَلَ اللهُ فَلَا تَأْكُلُونَ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ..

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يَقُولُ الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ وَأَنْكَرُوا حَقِيقَتَهَا، لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ، إِذَا سَمِعُوا حُجَجَ اللهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَبَيَانَهُ الَّذِي بَيَّنَهُ لَهُمْ..

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [الأنعام: ٢٥] مَا هَذَا إِلَّا مَا كَتَبَهُ الْأَوَّلُونَ.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنعام: ٢٦].

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وَإِنْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ -يَا مُحَمَّدُ- كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ، يَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ إِلَّا أَحَادِيثُ الْأَوَّلِينَ وَأَخْبَارُهُمْ، وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنِ اسْتِمَاعِ التَّنْزِيلِ، وعَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْقَبُولِ مِنْهُ..

﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ﴾ فَيَبْعُدُونَ مِنْكَ، وَمِنْ اتِّبَاعِكَ..

﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ وَمَا يُهْلِكُونَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ تَنْزِيلِهِ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لَا غَيْرَهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُكْسِبُونَهَا بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ وَمَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنعام: ٢٦] وَمَا يَدْرُونَ مَا هُمْ مُكْسِبُوهَا مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ بِفِعْلِهِمْ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾
[الأنعام: ٢٧].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ..

﴿إِذْ وُقِفُواْ﴾ إِذْ حُبِسُوا..

﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فِي النَّارِ، فَوُضِعَتْ (عَلَىٰ) مَوْضِعَ (فِي) كَمَا قَالَ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢] بِمَعْنَىٰ فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ..

﴿فَقَالُواْ﴾ فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ إِذْ حُبِسُوا فِي النَّارِ..

﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إِلَىٰ الدُّنْيَا حَتَّىٰ نَتُوبَ وَنُرَاجِعَ طَاعَةَ اللهِ..

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ وَلَا نُكَذِّبُ بِحُجَجِ رَبِّنَا وَلَا نَجْحَدُهَا..

﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧] وَنكُونُ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِاللهِ وَحُجَجِهِ وَرُسُلِهِ، مُتَّبِعِي أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.. وَهَذَا عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ مِنْهُمْ عَمَّا يَفْعَلُونَ إِنْ هُمْ رُدُّوا إِلَىٰ الدُّنْيَا، لَا عَلَىٰ التَّمَنِّي مِنْهُمْ أَنْ لَا يُكَذِّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَيَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ كَذَبَةٌ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ قِيلُهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّمَنِّي، لَاسْتَحَالَ تَكْذِيبُهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّ التَّمَنِّي لَا يُكَذَّبُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّصْدِيقُ وَالتَّكْذِيبُ فِي الْأَخْبَارِ.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ مَا قَصْدُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ -يَا مُحَمَّدُ- فِي قِيلِهِمْ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ النَّارِ ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧]، الْأَسَىٰ وَالنَّدَمُ عَلَىٰ تَرْكِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِكَ، لَكِنْ بِهِمُ الْإِشْفَاقُ مِمَّا هُوَ نَازِلٌ بِهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِمُ الَّتِي كَانُوا يُخْفُونَهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَيَسْتُرُونَهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَبْدَاهَا اللهُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَظْهَرَهَا عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، فَفَضَحَهُمْ بِهَا، ثُمَّ جَازَاهُمْ بِهَا جَزَاءَهُمْ.

﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾ إِلَىٰ الدُّنْيَا فَأُمْهِلُوا..

﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ لَرَجَعُوا إِلَىٰ مِثْلِ الْعَمَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ ذَلِكَ، مِنْ جُحُودِ آيَاتِ اللهِ، وَالْكُفْرِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُسْخِطُ عَلَيْهِمْ رَبَّهُمْ..

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨] فِي قِيلِهِمْ: (لَوْ رُدِدْنَا لَمْ نُكَذِّبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوهُ حِينَ قَالُوهُ خَشْيَةَ الْعَذَابِ لَا إِيمَانًا بِاللهِ.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩﴾ [الأنعام: ٢٩].

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الَّذِينَ ابْتَدَأَ هَذِهِ السُّورَةَ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ وُقِفُوا عَلَىٰ النَّارِ، أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا إِلَىٰ الدُّنْيَا لَقَالُوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩﴾، يُنْكِرُونَ أَنَّ اللهَ يُحْيِي خَلْقَهُ بَعْدَ أَنْ يُمِيتَهُمْ)..

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩﴾ [الأنعام: ٢٩] يَقُولُونَ: لَا حَيَاةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَلَا بَعْثَ وَلَا نُشُورَ بَعْدَ

الْفَنَاءِ، فَهُمْ بِجُحُودِهِمْ ذَلِكَ وَإِنْكَارِهِمْ ثَوَابَ اللهِ وَعِقَابَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، لَا يُبَالُونَ مَا أَتَوْا، وَمَا رَكِبُوا مِنْ إِثْمٍ وَمَعْصِيَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ ثَوَابًا عَلَىٰ إِيمَانٍ بِاللهِ وَتَصْدِيقٍ بِرَسُولِهِ وَعَمَلٍ صَالِحٍ بَعْدَ مَوْتٍ، وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَسَيِّئٍ مِنْ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٠﴾ [الأنعام: ٣٠].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: «مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ»..

﴿إِذْ وُقِفُوا۟﴾ حُبِسُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَقَضَائِهِ فِيهِمْ..

﴿قَالَ﴾ فَقِيلَ لَهُمْ..

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أَلَيْسَ هَذَا الْبَعْثُ وَالنَّشْرُ بَعْدَ الْمَمَاتِ الَّذِي كُنْتُمْ تُنْكِرُونَهُ فِي الدُّنْيَا حَقًّا؟ فَأَجَابُوا فَـ..

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ إِنَّهُ لَحَقٌّ، فـ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُمْ..

﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ الَّذِي كُنْتُم بِهِ فِي الدُّنْيَا تُكَذِّبُونَ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٠﴾ [الأنعام: ٣٠] بِتَكْذِيبِكُمْ بِهِ، وَجُحُودِكُمُوهُ الَّذِي كَانَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾ [الأنعام: ٣١].

﴿قَدْ خَسِرَ﴾ قَدْ هَلَكَ وَوُكِسَ فِي بَيْعِهِمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ، بِبَيْعِهِمُ الْإِيمَانَ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ مِنَ اللهِ رِضْوَانَهُ وَجَنَّتَهُ، بِالْكُفْرِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ مِنْهُ سَخَطَهُ وَعُقُوبَتَهُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ﴾ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ الَّتِي يَبْعَثُ اللهُ فِيهَا الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَلَا يَشْعُرُونَ مَا عَلَيْهِم مِنَ الْخُسْرَانِ فِي ذَلِكَ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ..

﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مَنْ تَفْجَؤُهُ بِوَقْتِ مُفَاجَأَتِهَا إِيَّاهُ، وُكِسَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ بِبَيْعِهِمْ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِمَنَازِلِ مَنِ اشْتَرَوْا مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ، فَإِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً فَرَأَوْا مَا لَحِقَهُمْ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي بَيْعِهِمْ..

﴿قَالُوا﴾ إِذَا عَايَنُوا مَا بَاعُوا وَمَا اشْتَرَوْا، وَتَبَيَّنُوا خُسَارَةَ صَفْقَةِ بَيْعِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، تَنَدُّمًا وَتَلَهُّفًا عَلَىٰ عَظِيمِ الْغَبْنِ الَّذِي غَبَنُوهُ أَنْفُسَهُمْ، وَجَلِيلِ الْخُسْرَانِ الَّذِي لَا خُسْرَانَ أَجَلَّ مِنْهُ..

﴿يَٰحَسْرَتَنَا﴾ يَا نَدَامَتَنَا..

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ عَلَىٰ مَا ضَيَّعْنَا..

﴿فِيهَا﴾ فِي صَفْقَتِهِمْ تِلْكَ..

﴿وَهُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ..

﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثَامَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ، وَاحِدُهَا وِزْرٌ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْوِزْرَ: الثِّقَلُ وَالْحِمْلُ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي شَاهِدٍ وَلَا مِنْ رِوَايَةِ ثِقَةٍ عَنِ الْعَرَبِ..

﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ لِأَنَّ الْحِمْلَ قَدْ يَكُونُ عَلَىٰ الرَّأْسِ وَالْمَنْكِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَبَيَّنَ مَوْضِعَ حَمْلِهِمْ مَا يَحْمِلُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَذَكَرَ أَنَّ حَمْلَهُم أَوْزَارَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ..

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣١] أَلَا سَاءَ الْإِثْمُ الَّذِي يَأْثَمُونَهُ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

[الأنعام: ٣٢].

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ هَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْمُنْكِرِينَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ فِي قَوْلِهِمْ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩]، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ مَا بَاغِي لَذَّاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي أُدْنِيَتْ لَكُمْ، وَقُرِّبَتْ مِنْكُمْ فِي دَارِكُمْ هَذِهِ، وَنَعِيمِهَا وَسُرُورِهَا فِيهَا، وَالْمُتَلَذِّذُ بِهَا وَالْمُنَافِسُ عَلَيْهَا، إِلَّا فِي لَعِبٍ وَلَهْوٍ؛ لِأَنَّهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَزُولُ عَنِ الْمُسْتَمْتِعِ بِهَا وَالْمُتَلَذِّذِ فِيهَا بِمَلَاذِّهَا، أَوْ تَأْتِيهِ الْأَيَّامُ بِفَجَائِعِهَا وَصُرُوفِهَا، فَتَمَرُّ عَلَيْهِ وَتَكْدُرُ، كَاللَّاعِبِ اللَّاهِي الَّذِي يُسْرِعُ اضْمِحْلَالُ لَهْوِهِ وَلَعِبِهِ عَنْهُ، ثُمَّ يُعْقِبُهُ مِنْهُ نَدَمًا وَيُورِثُهُ مِنْهُ تَرَحًا، يَقُولُ: لَا تَغْتَرُّوا أَيُّهَا النَّاسُ بِهَا، فَإِنَّ الْمُغْتَرَّ بِهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَنْدَمُ..

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ وَلَلْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ بِالصَّالِحِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَبْقَىٰ مَنَافِعُهَا لِأَهْلِهَا، وَيَدُومُ سُرُورُ أَهْلِهَا فِيهَا، خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الَّتِي تَفْنَىٰ، فَلَا يَبْقَىٰ لِعُمَّالِهَا فِيهَا سُرُورٌ، وَلَا يَدُومُ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ..

﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ لِلَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، فَيَتَّقُونَهُ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٣٢﴾ [الأنعام: ٣٢] أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ حَقِيقَةَ مَا نُخْبِرُهُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ، وَهُمْ يَرَوْنَ مَنْ يُخْتَرَمُ مِنْهُمْ، وَمَنْ يَهْلِكُ فَيَمُوتُ، وَمَنْ تَنُوبُهُ فِيهَا النَّوَائِبُ وَتُصِيبُهُ الْمَصَائِبُ وَتَفْجَعُهُ الْفَجَائِعُ، فَفِي ذَلِكَ لِمَنْ عَقَلَ مُدَّكَرٌ، وَمُزْدَجَرٌ عَنِ الرُّكُونِ إِلَيْهَا، وَاسْتِعْبَادِ النَّفْسِ لَهَا، وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا وَمُصَرِّفًا يَلْزَمُ الْخَلْقَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ بِغَيْرِ إِشْرَاكِ شَيْءٍ سِوَاهُ مَعَهُ.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣].

﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ الَّذِي يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لَهُ: «إِنَّهُ كَذَّابٌ»..

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ الْحَقَّ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِأَنَّكَ نَبِيٌّ لِلَّهِ صَادِقٌ، بَلْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ، وَلَكِنَّهُمْ يُكَذِّبُونَكَ قَوْلًا، عِنَادًا وَحَسَدًا.. وقرأ قومٌ بِالتَّخْفِيفِ (يُكْذِبُونَكَ)، بِمَعْنَىٰ: فَإِنَّهُمْ لَا يُبْطِلُونَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَلَا يَدْفَعُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صَحِيحًا، بَلْ يَعْلَمُونَ صِحَّتَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ حَقِيقَتَهُ قَوْلًا فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فِي الصِّحَّةِ مَخْرَجٌ مَفْهُومٌ.. وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ لَا يُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا عِنَادًا، لَا جَهْلًا بِنُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ، لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ.. وَكَذَلِكَ الْقَارِئُ (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) مُصِيبٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيَدْفَعُونَهُ عَمَّا كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ خَصَّهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ شَاعِرٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ كَاهِنٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ مَجْنُونٌ، وَيَنْفِي جَمِيعُهُمْ أَنْ يَكُونَ الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ، وَمِنْ تَنْزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَوْلًا، وَكَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرَهُ وَعَلِمَ

صِحَّةَ نُبُوَّتِهِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُعَانِدُ وَيَجْحَدُ نُبُوَّتَهُ حَسَدًا لَهُ وَبَغْيًا، فَالْقَارِئُ (**فَإِنَّهُمْ لا يُكْذِبُونَكَ**) يَعْنِي بِهِ: أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ نُبُوَّتِكَ وَصِدْقَ قَوْلِكَ فِيمَا تَقُولُ، يَجْحَدُونَ أَنْ يَكُونَ مَا تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَنْزِيلِ اللهِ وَمِنْ عِنْدِ اللهِ قَوْلًا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عِلْمًا صَحِيحًا مصيبٌ، لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَفِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الأنعام: ٢٠] أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهِمُ الْعِنَادُ فِي جُحُودِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، مَعَ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَلَكِنَّ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، بِحُجَجِ اللهِ، وَآيِ كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ..

﴿يَجْحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣] فَيُنْكِرُونَ صِحَّةَ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام: ٣٤].

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هَذَا تَسْلِيَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَعْزِيَةٌ لَهُ عَمَّا نَالَهُ مِنَ الْمَسَاءَةِ بِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنْ يُكَذِّبْكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، فَيَجْحَدُوا نُبُوَّتَكَ، وَيُنْكِرُوا آيَاتِ اللهِ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَا يَحْزُنْكَ ذَلِكَ، وَاصْبِرْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ وَمَا تَلْقَىٰ مِنْهُمْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِي ذَاتِ اللهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ نَصْرُ اللهِ، فَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ، أَرْسَلْتُهُمْ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ فَنَالُوهُمْ بِمَكْرُوهٍ..

﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾ فَصَبَرُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِ قَوْمِهِمْ إِيَّاهُمْ وَلَمْ يُثْنِهِمْ ذَلِكَ مِنَ الْمُضِيِّ لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ دُعَاءِ قَوْمِهِمْ إِلَيْهِ..

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ حَتَّىٰ حَكَمَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ..

﴿وَلَا مُبَدِّلَ﴾ وَلَا مُغَيِّرَ..

﴿لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَكَلِمَاتُهُ تَعَالَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ وَضَادَّهُ، وَالظَّفْرُ عَلَىٰ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْهُ وَأَدْبَرَ..

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام: ٣٤] مِنْ خَبَرِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ وَخَبَرِ أُمَمِهِمْ، وَمَا صَنَعْتُ بِهِمْ حِينَ جَحَدُوا آيَاتِي وَتَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَانْتَظِرْ أَنْتَ

أَيْضًا مِنَ النُّصْرَةِ وَالظَّفَرِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ مِنِّي فِي مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، إِذْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُم، وَاقْتَدِ بِهِمْ فِي صَبْرِهِمْ عَلَىٰ مَا لَقُوا مِنْ قَوْمِهِمْ.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٥﴾ [الأنعام: ٣٥].

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ وَإِنْ كَانَ عَظُمَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ إِعْرَاضُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنْكَ وَانْصِرَافُهُمْ عَنْ تَصْدِيقِكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثْتُكَ بِهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَلَمْ تَصْبِرْ لِمَكْرُوهِ مَا يَنَالُكَ مِنْهُمْ..

﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَتَّخِذَ سَرَبًا فِي الْأَرْضِ فَتَذْهَبُ فِيهِ..

﴿أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَوْ مَصْعَدًا تَصْعَدُ فِيهِ، كَالدَّرَجِ وَمَا أَشْبَهَهَا..

﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ بِعَلَامَةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِكَ غَيْرَ الَّذِي أَتَيْتُكَ، فَافْعَلْ.. وَتُرِكَ جَوَابُ الْجَزَاءِ فَلَمْ يُذْكَرْ؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَاهُ، وَقَدْ تَفْعَلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِيمَا كَانَ يُفْهَمُ مَعْنَاهُ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِلرَّجُلِ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْهَضَ مَعَنَا فِي حَاجَتِنَا إِنْ قَدَرْتَ عَلَىٰ مَعُونَتِنَا، وَيَحْذِفُ الْجَوَابَ، وَهُوَ يُرِيدُ: إِنْ قَدَرْتَ عَلَىٰ مَعُونَتِنَا فَافْعَلْ، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْمُخَاطَبُ وَالسَّامِعُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَّا بِإِظْهَارِ الْجَوَابِ لَمْ يَحْذِفُوهُ، لَا يُقَالُ: إِنْ تَقُمْ، فَتَسْكُتَ وَتَحْذِفَ الْجَوَابَ؛ لِأَنَّ الْمَقُولَ ذَلِكَ لَهُ لَا يَعْرِفُ جَوَابَهُ إِلَّا بِإِظْهَارِهِ، حَتَّىٰ يُقَالَ: إِنْ تَقُمْ تُصِبْ خَيْرًا، أَوْ: إِنْ تَقُمْ فَحَسَنٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ يَا مُحَمَّدُ فَيَحْزُنُكَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ، لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَجْمَعَهُمْ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَصَوَابٍ مِنْ مَحَجَّةِ الْإِسْلَامِ، حَتَّىٰ تَكُونَ كَلِمَةُ جَمِيعِكُمْ وَاحِدَةً، وَمِلَّتُكُمْ وَمِلَّتُهُمْ وَاحِدَةً، لَجَمَعْتُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ بَعِيدًا عَلَيَّ؛ لِأَنِّي الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِلُطْفِي، وَلَكِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ لِسَابِقِ عِلْمِي فِي خَلْقِي وَنَافِذِ قَضَائِي فِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَخْلُقَهُمْ وَأُصَوِّرَ أَجْسَامَهُمْ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٥﴾ [الأنعام: ٣٥] فَلَا تَكُونَنَّ يَا مُحَمَّدُ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لَوْ شَاءَ لَجَمَعَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِلُطْفِهِ، وَأَنَّ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ إِنَّمَا يَكْفُرُ بِهِ لِسَابِقِ عِلْمِ اللهِ فِيهِ، وَنَافِذِ قَضَائِهِ بِأَنَّهُ كَائِنٌ مِنَ الْكَافِرِينَ بِهِ اخْتِيَارًا لَا اضْطِرَارًا، فَإِنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ صِحَّةَ ذَلِكَ لَمْ

يَكْبُرْ عَلَيْكَ إِعْرَاضُ مَنْ أَعْرَضَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَمَّا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَتَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْهُمْ.. وَفِي هَذَا الْخَبَرِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ خَطَإِ مَا قَالَ أَهْلُ التَّفْوِيضِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، الْمُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللهِ لَطَائِفُ لِمَنْ شَاءَ تَوْفِيقَهُ مِنْ خَلْقِهِ، يُلْطِّفُ بِهَا لَهُ حَتَّىٰ يَهْتَدِيَ لِلْحَقِّ، فَيَنْقَادَ لَهُ وَيُنِيبَ إِلَىٰ الرَّشَادِ، فَيُذْعِنَ بِهِ وَيُؤْثِرَهُ عَلَىٰ الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ بِاللهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ الْهِدَايَةَ لِجَمِيعِ مَنْ كَفَرَ بِهِ حَتَّىٰ يَجْتَمِعُوا عَلَىٰ الْهُدَىٰ فَعَلَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ كَانُوا مُهْتَدِينَ لَا ضُلَّالًا، وَهُمْ لَوْ كَانُوا مُهْتَدِينَ كَانَ لَا شَكَّ أَنَّ كَوْنَهُمْ مُهْتَدِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ، وَفِي تَرْكِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ تَرْكٌ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ فِي دِينِهِمْ بَعْضَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ فِيهِ مِمَّا هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ فِعْلِهِ بِهِمْ، وَقَدْ تَرَكَ فِعْلَهُ بِهِمْ، وَفِي تَرْكِهِ فِعْلَ ذَلِكَ بِهِمْ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ أَنَّهُ لَمْ يُعْطِهِمْ كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا يَصِلُونَ إِلَىٰ الْهِدَايَةِ، وَيَتَسَبَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ الْإِيمَانِ.

﴿* إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ٣٦﴾ [الأنعام: ٣٦].

﴿* إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ لَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- إِعْرَاضُ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْكَ وَعَنِ الِاسْتِجَابَةِ لِدُعَائِكَ إِذَا دَعَوْتَهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ رَبِّهِمْ وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ لِدُعَائِكَ إِلَىٰ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الَّذِينَ فَتَحَ اللهُ أَسْمَاعَهُمْ لِلْإِصْغَاءِ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَسَهَّلَ لَهُمُ اتِّبَاعَ الرُّشْدِ، دُونَ مَنْ خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ سَمْعِهِ فَلَا يَفْقَهُ مِنْ دُعَائِكَ إِيَّاهُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ اتِّبَاعِ الْحَقِّ إِلَّا مَا تَفْقَهُ الْأَنْعَامُ مِنْ أَصْوَاتِ رُعَاتِهَا، فَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة: ١٨]..

﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ وَالْكُفَّارُ يَبْعَثُهُمُ اللهُ مَعَ الْمَوْتَىٰ، فَجَعَلَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي عِدَادِ الْمَوْتَىٰ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ صَوْتًا، وَلَا يَعْقِلُونَ دُعَاءً، وَلَا يَفْقَهُونَ قَوْلًا؛ إِذْ كَانُوا لَا يَتَدَبَّرُونَ حُجَجَ اللهِ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ آيَاتِهِ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ فَيَنْزَجِرُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ وَخِلَافِهِمْ..

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ٣٦﴾ [الأنعام: ٣٦] ثُمَّ إِلَىٰ اللهِ يَرْجِعُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، وَالْكُفَّارُ الَّذِينَ يَحُولُ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَفْقَهُوا عَنْكَ شَيْئًا، فَيُثِيبُ هَذَا الْمُؤْمِنَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا وَعَدَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَيُعَاقِبُ هَذَا الْكَافِرَ بِمَا أَوْعَدَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ مِنَ الْعِقَابِ، لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٧﴾ [الأنعام: ٣٧].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْمُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِهِ..

﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ هَلَّا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ﴾ [الفرقان: ٧- ٨]..

﴿قُلْ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَائِلِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ لَكَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ وَحُجَّةً عَلَىٰ مَا يُرِيدُونَ وَيَسْأَلُونَ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَقُولُونَ ذَلِكَ فَيَسْأَلُونَكَ آيَةً..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٣٧﴾ [الأنعام: ٣٧] مَا عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ إِنْ نَزَّلَهَا مِنَ الْبَلَاءِ، وَلَا يَدْرُونَ مَا وَجْهُ تَرْكِ إِنْزَالِ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَلَوْ عَلِمُوا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ لَمْ أُنْزِلْهَا عَلَيْكَ، لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ وَلَمْ يَسْأَلُوكَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ﴾ قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِهَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْكَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، لَا تَحْسَبُنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُونَ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْسِبُونَ، وَكَيْفَ يَغْفُلُ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَوْ يَتْرُكُ مُجَازَاتِكُمْ عَلَيْهَا، وَهُوَ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْ عَمَلِ شَيْءٍ دَبَّ عَلَىٰ الْأَرْضِ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، وَلَا عَمَلِ طَائِرٍ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ؟ بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَجْنَاسًا مُجَنَّسَةً وَأَصْنَافًا مُصَنَّفَةً، تَعْرِفُ كَمَا تَعْرِفُونَ، وَتَتَصَرَّفُ فِيمَا سُخِّرَتْ لَهُ كَمَا تَتَصَرَّفُونَ، وَمَحْفُوظٌ عَلَيْهَا مَا عَمِلَتْ مِنْ عَمَلٍ لَهَا وَعَلَيْهَا، وَمُثْبَتٌ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُمِيتُهَا ثُمَّ مُنْشِرُهَا وَمُجَازِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءَ أَعْمَالِهَا، يَقُولُ: فَالرَّبُّ الَّذِي لَمْ يُضَيِّعْ حِفْظَ أَعْمَالِ الْبَهَائِمِ وَالدَّوَابِّ فِي الْأَرْضِ وَالطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ حَتَّىٰ حَفِظَ عَلَيْهَا حَرَكَاتِهَا وَأَفْعَالَهَا، وَأَثْبَتَ ذَلِكَ مِنْهَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَحَشَرَهَا ثُمَّ جَازَاهَا عَلَىٰ مَا سَلَفَ

مِنْهَا فِي دَارِ الْبَلَاءِ، أَحْرَىٰ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَعْمَالَكُمْ، وَلَا يُفَرِّطُ فِي حِفْظِ أَفْعَالِكُمُ الَّتِي تَجْتَرِحُونَهَا أَيُّهَا النَّاسُ، حَتَّىٰ يَحْشُرَكُمْ فَيُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا؛ إِذْ كَانَ قَدْ خَصَّكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَبَسَطَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا لَمْ يَعُمَّ بِهِ غَيْرَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَكُنْتُمْ بِشُكْرِهِ أَحَقَّ وَبِمَعْرِفَةِ وَاجِبِهِ عَلَيْكُمْ أَوْلَىٰ لِمَا أَعْطَاكُمْ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي بِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ تُمَيِّزُونَ، وَالْفَهْمَ الَّذِي لَمْ يُعْطِهِ الْبَهَائِمَ وَالطَّيْرَ الَّذِي بِهِ بَيْنَ مَصَالِحِكُمْ وَمَضَارِّكُمْ تُفَرِّقُونَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾، وَهَلْ يَطِيرُ الطَّائِرُ إِلَّا بِجَنَاحَيْهِ؟! فَمَا فِي الْخَبَرِ عَنْ طَيَرَانِهِ بِالْجَنَاحَيْنِ مِنَ الْفَائِدَةِ.. قِيلَ: قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ هَذَا الْكِتَابَ بِلِسَانِ قَوْمٍ وَبِلُغَاتِهِمْ وَمَا يَتَعَارَفُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ فِي مَنْطِقِهِمْ خَاطَبَهُمْ، فَإِذْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ إِذَا أَرَادُوا الْمُبَالَغَةَ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَقُولُوا: كَلَّمْتُ فُلَانًا بِفَمِي، وَمَشَيْتُ إِلَيْهِ بِرِجْلِي، وَضَرَبْتُهُ بِيَدِي، خَاطَبَهُمْ تَعَالَىٰ بِنَظِيرِ مَا يَتَعَارَفُونَهُ فِي كَلَامِهِمْ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ فِي خِطَابِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [ص: ٢٣]..

﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ مَا تَرَكْنَا شَيْئًا إِلَّا قَدْ كَتَبْنَاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨] جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِذَلِكَ حَشْرُ الْقِيَامَةِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ حَشْرُ الْمَوْتِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ الْحَشْرَانِ جَمِيعًا، وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وَلَا فِي خَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَيُّ ذَلِكَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾، إِذْ كَانَ الْحَشْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْجَمْعُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩﴾ [ص: ١٩] يَعْنِي: مَجْمُوعَةٌ، فَإِذْ كَانَ الْجَمْعُ هُوَ الْحَشْرُ، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ جَامِعًا خَلْقَهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَامِعَهُمْ بِالْمَوْتِ، كَانَ أَصْوَبُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُعَمَّ بِمَعْنَىٰ الْآيَةِ مَا عَمَّهُ اللهُ بِظَاهِرِهَا، وَأَنْ يُقَالَ: كُلُّ دَابَّةٍ وَكُلُّ طَائِرٍ مَحْشُورٌ إِلَىٰ اللهِ بَعْدَ الْفَنَاءِ وَبَعْدَ بَعْثِ الْقِيَامَةِ؛ إِذْ كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ قَدْ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ حَشْرًا دُونَ حَشْرٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللهِ وَأَعْلَامِهِ وَأَدِلَّتِهِ..

﴿صُمّٞ﴾ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ..

﴿وَبُكۡمٞ﴾ عَنِ الْقِيلِ بِهِ..

﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ فِي ظُلْمَةِ الْكُفرِ حَائِرٌ فِيهَا، يَقُولُ: هُوَ مُرْتَطِمٌ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، لَا يُبْصِرُ آيَاتِ اللهِ فَيَعْتَبِرُ بِهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّ الَّذِيَ خَلَقَهُ وَأَنْشَأَهُ فَدَبَّرَهُ وَأَحْكَمَ تَدْبِيرَهُ، وَقَدَّرَهُ أَحْسَنَ تَقْدِيرٍ، وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ، وَصَحَّحَ لَهُ آلَةَ جِسْمِهِ، لَمْ يَخْلُقْهُ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْهُ سُدًىٰ، وَلَمْ يُعْطِهِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْآلَاتِ إِلَّا لِاسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَتِهِ وَمَا يُرْضِيهِ دُونَ مَعْصِيَتِهِ وَمَا يُسْخِطُهُ، فَهُوَ لِحَيْرَتِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَتَرَدُّدِهِ فِي غَمَرَاتِهَا، غَافِلٌ عَمَّا اللهُ قَدْ أَثْبَتَ لَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ بِهِ فَاعِلٌ يَوْمَ يُحْشَرُ إِلَيْهِ مَعَ سَائِرِ الْأُمَمِ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ..

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾ الْمُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ إِضْلَالَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩] وَالْهَادِي إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ هِدَايَتَهُ، فَمُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ وَطَوْلِهِ لِلْإِيمَانِ بِهِ، وَتَرْكِ الْكُفْرِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُ، وَأَنَّهُ لَا يَهْتَدِي مِنْ خَلْقِهِ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ السَّعَادَةُ، وَلَا يَضِلُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ فِيهَا الشَّقَاءُ، وَأَنَّ بِيَدِهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَإِلَيْهِ الْفَضْلَ كُلَّهُ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠﴾

[الأنعام: ٤٠].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ أَخْبِرُونِي..

﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ﴾ إِنْ جَاءَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ كَالَّذِي جَاءَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ هَلَكَ بَعْضُهُمْ بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضُهُمْ بِالصَّاعِقَةِ..

﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ﴾ أَوْ جَاءَتْكُمْ..

﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ الَّتِي تُنْشَرُونَ فِيهَا مِنْ قُبُورِكُمْ وَتُبْعَثُونَ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ هُنَاكَ..

﴿تَدۡعُونَ﴾ لِكَشْفِ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ، أَوْ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ تَفْزَعُونَ لِيُنْجِيَكُمْ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠﴾ [الأنعام: ٤٠] إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَزَعْمِكُمْ أَنَّ آلِهَتَكُمُ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام: ٤١].

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ: مَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ، بِمُسْتَجِيرِينَ بِشَيْءٍ غَيْرِ اللهِ فِي حَالِ شِدَّةِ الْهَوْلِ النَّازِلِ بِكُمْ مِنْ آلِهَةٍ وَوَثَنٍ وَصَنَمٍ، بَلْ تَدْعُونَ هُنَاكَ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَبِهِ تَسْتَغِيثُونَ، وَإِلَيْهِ تَفْزَعُونَ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ..

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ فَيُفَرِّجُ عَنْكُمْ عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكُمْ بِهِ وَتَضَرُّعِكُمْ إِلَيْهِ عَظِيمَ الْبَلَاءِ النَّازِلِ بِكُمْ..

﴿إِن شَآءَ﴾ أَنْ يُفَرِّجَ ذَلِكَ عَنْكُمْ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ مَا تَدْعُونَهُ إِلَاهًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَتَنسَوْنَ﴾ حِينَ يَأْتِيكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ تَأْتِيكُمُ السَّاعَةُ بِأَهْوَالِهَا..

﴿مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام: ٤١] ـهُ مَعَ اللهِ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ -مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ- فَتَجْعَلُونَهُ لَهُ نِدًّا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ وَتَدْعُونَهُ إِلَاهًا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢﴾
[الأنعام: ٤٢].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُتَوَعِّدًا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَصْنَامَ، وَمُحَذِّرَهُمْ أَنْ يَسْلُكَ بِهِمْ -إِنْ هُمْ تَمَادَوْا فِي ضَلَالِهِمْ- سَبِيلَ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ فِي تَعْجِيلِ اللهِ عُقُوبَتَهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَمُخْبِرًا نَبِيَّهُ عَنْ سُنَّتِهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ فِي تَكْذِيبِ الرُّسُلِ: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا» يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ إِلَىٰ جَمَاعَاتٍ وَقُرُونٍ..

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ رُسُلًا فَأَمَرْنَاهُمْ وَنَهَيْنَاهُمْ، فَكَذَّبُوا رُسُلَنَا وَخَالَفُوا أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا..

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ فَامْتَحَنَّاهُمْ بِالِابْتِلَاءِ بِالْبَأْسَاءِ، وَهِيَ شِدَّةُ الْفَقْرِ وَالضِّيقِ فِي الْمَعِيشَةِ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ قَدِ اسْتُغْنِيَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ عَنْ إِظْهَارِهِ مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ»، وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ تَكْذِيبَهُمُ الرُّسُلَ وَخِلَافَهُمْ أَمْرَهُ، لَا إِرْسَالَ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ..

﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ وَهِيَ الْأَسْقَامُ وَالْعِلَلُ الْعَارِضَةُ فِي الْأَجْسَامِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢﴾ [الأنعام: ٤٢] فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ لِيَتَضَرَّعُوا إِلَيَّ، وَيُخْلِصُوا لِيَ الْعِبَادَةَ، وَيُفْرِدُوا رَغْبَتَهُمْ إِلَيَّ دُونَ غَيْرِي بِالتَّذَلُّلِ مِنْهُمْ لِي بِالطَّاعَةِ وَالِاسْتِكَانَةِ مِنْهُمْ إِلَيَّ بِالْإِنَابَةِ.. وَالتَّضَرُّعُ: هُوَ التَّفَعُّلُ مِنَ الضَّرَاعَةِ، وَهِيَ الذِّلَّةُ وَالِاسْتِكَانَةُ.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأنعام: ٤٣].

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ فَهَلَّا إِذْ جَاءَ بَأْسُنَا هَؤُلَاءِ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ رُسُلَهَا الَّذِينَ لَمْ يَتَضَرَّعُوا عِنْدَمَا أَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ.. وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ مَتْرُوكٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ عَنْ ذِكْرِ مَا تُرِكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا أَنَّهُ أَخَذَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لِيَتَضَرَّعُوا، ثُمَّ قَالَ: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا، وَلَمْ يُخْبِرْ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْفِعْلِ عِنْدَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَمْ يَتَضَرَّعُوا، فَلَوْلَا إِذَا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا..

﴿تَضَرَّعُواْ﴾ فَاسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَخَضَعُوا لِطَاعَتِهِ، فَيَصْرِفُ رَبُّهُمْ عَنْهُمْ بَأْسَهُ وَهُوَ عَذَابُهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْبَأْسِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وَلَكِنْ أَقَامُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَأَصَرُّوا عَلَىٰ ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، اسْتِهَانَةً بِعِقَابِ اللهِ وَاسْتِخْفَافًا بِعَذَابِهِ، وَقَسَاوَةَ قَلْبٍ مِنْهُمْ..

﴿وَزَيَّنَ﴾ وَحَسَّنَ..

﴿لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأنعام: ٤٣] مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَكْرَهُهَا اللهُ وَيَسْخَطُهَا مِنْهُمْ.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤].

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ فَلَمَّا تَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِنَا..

﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ بَدَّلْنَا مَكَانَ الْبَأْسَاءِ الرَّخَاءَ وَالسَّعَةَ فِي الْعَيْشِ، وَمَكَانَ الضَّرَّاءِ الصِّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ فِي الْأَبْدَانِ وَالْأَجْسَامِ، اسْتِدْرَاجًا مِنَّا لَهُمْ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ رُسُلَهُمْ بِفَتْحِنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ السَّعَةِ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالصِّحَّةِ فِي الْأَجْسَامِ..

﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ أَتَيْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَجْأَةً، وَهُمْ غَارُّونَ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، وَلَا هُوَ بِهِمْ حَالٌّ..

﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤] فَإِنَّهُمْ هَالِكُونَ، مُنْقَطِعَةٌ حُجَجُهُمْ، نَادِمُونَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ.. وَأَصْلُ الْإِبْلَاسِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ: الْحُزْنُ عَلَىٰ الشَّيْءِ وَالنَّدَمُ عَلَيْهِ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: انْقِطَاعُ الْحُجَّةِ، وَالسُّكُوتُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحُجَّةِ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: الْخُشُوعُ، وَقَالُوا: هُوَ الْمَخْذُولُ الْمَتْرُوكُ.. فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: (وَأَبْلَسَا) عِنْدَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْإِبْلَاسَ بِمَعْنَىٰ الْخُشُوعِ: تَرْكُ أَهْلِهِ إِيَّاهُ مُقِيمًا بِمَكَانِهِ.. وَالْآخَرُونَ: انْقِطَاعُ الْحُجَّةِ وَالسُّكُوتُ عِنْدَهُ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَمْ يَحِرْ جَوَابًا.. وَالْآخَرُونَ: بِمَعْنَىٰ الْحُزْنِ وَالنَّدَمِ، يُقَالُ مِنْهُ: أَبْلَسَ الرَّجُلُ إِبْلَاسًا، وَمِنْهُ قِيلَ لِإِبْلِيسَ: إِبْلِيسُ.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾ [الأنعام: ٤٥].

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ فَاسْتُؤْصِلَ الْقَوْمُ الَّذِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ يُتْرَكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أُهْلِكَ بَغْتَةً، إِذْ جَاءَهُمْ عَذَابُ اللهِ..

﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾ [الأنعام: ٤٥] وَالثَّنَاءُ الْكَامِلُ، وَالشُّكْرُ التَّامُّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ عَلَىٰ رُسُلِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، بِإِظْهَارِ حُجَجِهِمْ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَتَحْقِيقِ عِدَاتِهِمْ مَا وَعَدُوهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ، مِنْ نِقَمِ اللهِ، وَعَاجِلِ عَذَابِهِ.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ٤٦﴾ [الأنعام: ٤٦].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِيَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ الْمُكَذِّبِينَ بِكَ..

﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ غَيْرَهُ..

﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ إِنْ أَصَمَّكُمُ اللهُ فَذَهَبَ بِأَسْمَاعِكُمْ..

﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ وَأَعْمَاكُمْ فَذَهَبَ بِأَبْصَارِكُمْ..

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فَطُبِعَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ لَا تَفْقَهُوا قَوْلًا وَلَا تُبْصِرُوا حُجَّةً وَلَا تَفْهَمُوا مَفْهُومًا..

﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ أَيُّ إِلَهٍ غَيْرِ اللهِ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ عَابِدٍ..

﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ يَرُدُّ عَلَيْكُمْ مَا ذَهَبَ اللهُ بِهِ مِنْكُمْ مِنَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْهَامِ، فَتَعْبُدُوهُ أَوْ تُشْرِكُوهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّكُمُ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَهَابِهِ بِذَلِكَ مِنْكُمْ، وَعَلَىٰ رَدِّهِ عَلَيْكُمْ إِذَا شَاءَ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ تَعْلِيمٌ نَبِيَّهُ الْحُجَّةَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، يَقُولُ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ عَلَيْكُمْ مَنْ كَانَ بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ وَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ، الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ مَا أَرَادَ، لَا الْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ.. ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ انْظُرْ كَيْفَ نُتَابِعُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ، وَنَضْرِبُ لَهُمُ الْأَمْثَالَ وَالْعِبَرَ، لِيَعْتَبِرُوا وَيَذَّكَّرُوا فَيُنِيبُوا..

﴿ثُمَّ هُمْ﴾ مَعَ مُتَابَعَتِنَا عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَتَنْبِيهِنَا إِيَّاهُمْ بِالْعِبَرِ عَنِ الادِّكَارِ وَالاعْتِبَارِ..

﴿يَصْدِفُونَ ۝٤٦﴾ [الأنعام: ٤٦] يُعْرِضُونَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦] فَوَحَّدَ الْهَاءَ، وَقَدْ مَضَىٰ الذِّكْرُ قَبْلُ بِالْجَمْعِ فَقَالَ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ عَائِدَةً عَلَىٰ السَّمْعِ، فَتَكُونُ مُوَحَّدَةً لِتَوْحِيدِ السَّمْعِ.. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَعْنِيًّا بِهَا: مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِمَا أَخَذَ مِنْكُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ، فَتَكُونُ مُوَحَّدَةً لِتَوْحِيدِ (مَا)، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا كَنَّتْ عَنِ الْأَفْعَالِ وَحَّدَتِ الْكِنَايَةَ وَإِنْ كَثُرَ مَا يُكَنَّىٰ بِهَا عَنْهُ مِنَ الْأَفَاعِيلِ، كَقَوْلِهِمْ: إِقْبَالُكَ وَإِدْبَارُكَ يُعْجِبُنِي.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْهَاءَ الَّتِي فِي (بِهِ) كِنَايَةٌ عَنِ الْهُدَىٰ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٧﴾

[الأنعام: ٤٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ، الْمُكَذِّبِينَ بِأَنَّكَ لِي رَسُولِي إِلَيْهِمْ..

﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ أَخْبِرُونِي إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ وَعِقَابُهُ عَلَىٰ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ مِنَ

الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّايَ بَعْدَ الَّذِي قَدْ عَايَنْتُمْ مِنَ الْبُرْهَانِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ قَوْلِي..

﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً عَلَىٰ غِرَّةٍ لَا تَشْعُرُونَ..

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ أَوْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ وَأَنْتُمْ تُعَايِنُونَهُ وَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.. مِنَ الْإِجْهَارِ، وَهُوَ إِظْهَارُ الشَّيْءِ لِلْعَيْنِ..

﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ هَلْ يُهْلِكُ اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنعام: ٤٧] إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَلَيْنَا الْعِبَادَةَ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَلَيْنَا الْعِبَادَةَ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ وَمَا نُرْسِلُ رُسُلَنَا إِلَّا بِبِشَارَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ لَنَا بِالْجَنَّةِ وَالْفَوْزِ الْمُبِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءً مِنَّا لَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِنَا..

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ وَبِإِنْذَارِ مَنْ عَصَانَا وَخَالَفَ أَمْرَنَا، عُقُوبَتَنَا إِيَّاهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءً مِنَّا عَلَىٰ مَعْصِيَتِنَا، لِنَعْذُرَ إِلَيْهِ، فَيَهْلِكُ إِنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ..

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ فَمَنْ صَدَّقَ مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ رُسُلِنَا إِنْذَارَهُمْ إِيَّاهُ، وَقَبِلَ مِنْهُمْ مَا جَاءُوهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا فِي الدُّنْيَا..

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عِنْدَ قُدُومِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨] عِنْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ٤٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، وَبِمَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ رُسُلِنَا، وَخَالَفُوا أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا، وَدَافَعُوا حُجَّتَنَا..

﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ فَإِنَّهُمْ يُبَاشِرُهُمْ عَذَابُنَا وَعِقَابُنَا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ مَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ حُجَجِنَا..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ٤٩] بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنعام: ٥٠].

﴿قُل﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكِرِينَ نُبُوَّتَكَ..

﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ لَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي الرَّبُّ الَّذِي لَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَعْلَمُ غُيُوبَ الْأَشْيَاءِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَتُكَذِّبُونِي فِيمَ أَقُولُ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَبًّا إِلَّا مَنْ لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَمَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَذَلِكَ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَلَكٍ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا بِصُورَتِهِ لِأَبْصَارِ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا، فَتَجْحَدُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ قُلْ لَهُمْ: مَا أَتَّبِعُ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ إِلَّا وَحْيَ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيَّ، وَتَنْزِيلَهُ الَّذِي يُنَزِّلُهُ عَلَيَّ، فَأَمْضِي لِوَحْيِهِ، وَأَأْتَمِرُ لِأَمْرِهِ، وَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ مِنَ اللهِ عُذْرَكُمْ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِي فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ الَّذِي أَقُولُ مِنْ ذَلِكَ بِمُنْكَرٍ فِي عُقُولِكُمْ، وَلَا مُسْتَحِيلٌ كَوْنُهُ، بَلْ ذَلِكَ مَعَ وُجُودِ الْبُرْهَانِ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ هُوَ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، فَمَا وَجْهُ إِنْكَارِكُمْ لِذَلِكَ؟! وَذَلِكَ تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَىٰ مُنْكِرِي نُبُوَّتِهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ.

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ عَنِ الْحَقِّ وَالْبَصِيرُ بِهِ؟ وَالْأَعْمَىٰ هُوَ الْكَافِرُ الَّذِي قَدْ عَمِيَ عَنْ حُجَجِ اللهِ فَلَا يَتَبَيَّنُهَا فَيَتَّبِعُهَا، وَالْبَصِيرُ: الْمُؤْمِنُ الَّذِي قَدْ أَبْصَرَ آيَاتِ اللهِ وَحُجَجَهُ فَاقْتَدَىٰ بِهَا وَاسْتَضَاءَ بِضِيَائِهَا.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنعام: ٥٠] يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ: أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا أَحْتَجُّ عَلَيْكُمْ بِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ هَذِهِ الْحُجَجِ، فَتَعْلَمُوا صِحَّةَ مَا أَقُولُ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ فَسَادِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ إِشْرَاكِ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ بِاللهِ رَبِّكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّايَ، مَعَ ظُهُورِ حُجَجِ صِدْقِي لِأَعْيُنِكُمْ، فَتَدَعُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ مُقِيمُونَ، إِلَىٰ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِي بِهِ تَفُوزُونَ؟

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام: ٥١].

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ وَأَنْذِرْ يَا مُحَمَّدُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْقَوْمَ..

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ عِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، فَهُمْ مُصَدِّقُونَ بِوَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ، عَامِلُونَ بِمَا يُرْضِي اللهَ، دَائِمُونَ فِي السَّعْيِ فِيمَا يُنْقِذُهُمْ فِي مَعَادِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ.. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ، فَوُضِعَتِ (الْمَخَافَةُ) مَوْضِعَ (الْعِلْمِ)؛ لِأَنَّ خَوْفَهُمْ كَانَ مِنْ أَجْلِ عِلْمِهِمْ بِوُقُوعِ ذَلِكَ وَوُجُودِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ.. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِتَعْلِيمِ أَصْحَابِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَتَذْكِيرِهِمْ، وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ بِالْإِنْذَارِ، وَصَدِّهِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، وَبَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ هُوَ الْحَاكِمَ فِي أَمْرِهِمْ بِمَا يَشَاءُ مِنَ الْحُكْمِ فِيهِمْ..

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِنْ عَذَّبَهُمْ وَلِيٌّ يَنْصُرُهُمْ فَيَسْتَنْقِذَهُمْ مِنْهُ..

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ فَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ..

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام: ٥١] أَنْذِرْهُمْ كَيْ يَتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَيُطِيعُوا رَبَّهُمْ وَيَعْمَلُوا لِمَعَادِهِمْ، وَيَحْذَرُوا سَخَطَهُ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ يَا مُحَمَّدُ أَنْذِرِ بِالْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَحْشُورُونَ، فَهُمْ مِنْ خَوْفِ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ اللهِ الَّذِي لَا شَفِيعَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَا نَصِيرَ، فِي الْعَمَلِ لَهُ دَائِبُونَ إِذْ أَعْرَضَ عَنْ إِنْذَارِكَ وَاسْتِمَاعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْمُكَذِّبُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ قَوْمِكَ اسْتِكْبَارًا عَلَىٰ اللهِ، وَلَا تَطْرُدْهُمْ وَلَا تُقْصِهِمْ، فَتَكُونَ مِمَّنْ وَضَعَ الْإِقْصَاءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَأَقْصَىٰ وَطَرَدَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَرْدُهُ وَإِقْصَاؤُهُ، وَقَرَّبَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَقْدِيمُهُ بِقُرْبِهِ وَإِدْنَاؤُهُ، فَإِنَّ الَّذِينَ نَهَيْتُكَ عَنْ طَرْدِهِمْ هُمُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ فَيَسْأَلُونَ عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ لِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، وَأَدَاءِ مَا أَلْزَمَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَنَوَافِلِ تَطَوُّعِهِمْ، وَذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ..

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْقُرْبَةَ إِلَىٰ اللهِ وَالدُّنُوَّ مِنْ رِضَاهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَبَبِ جَمَاعَةٍ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ لَهُ: لَوْ طَرَدْتَ هَؤُلَاءِ عَنْكَ لَغَشِيْنَاكَ وَحَضَرْنَا مَجْلِسَكَ..

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِ مَا رَزَقْتُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مِنْ شَيْءٍ..

﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ حِسَابِ مَا رَزَقْتُكَ مِنَ الرِّزْقِ مِنْ شَيْءٍ..

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ حِذَارَ مُحَاسَبَتِي إِيَّاكَ بِمَا خَوَّلْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الرِّزْقِ..

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢﴾ [الأنعام: ٥٢] جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: «وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ».

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ وَكَذَلِكَ اخْتَبَرْنَا وَابْتَلَيْنَا.. وَإِنَّمَا فِتْنَةُ اللهِ تَعَالَىٰ بَعْضَ خَلْقِهِ بِبَعْضٍ، مُخَالَفَتُهُ بَيْنَهُمْ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَخْلَاقِ، فَجَعَلَ بَعْضًا غَنِيًّا، وَبَعْضًا فَقِيرًا، وَبَعْضًا قَوِيًّا، وَبَعْضًا ضَعِيفًا، فَأَحْوَجَ بَعْضَهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، اخْتِبَارًا مِنْهُ لَهُمْ بِذَلِكَ..

﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ اخْتَبَرْنَا النَّاسَ بِالْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَالْعِزِّ وَالذُّلِّ، وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، كَيْ يَقُولَ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ وَأَعْمَاهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ لِلَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَوَفَّقَهُمْ..

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْهُدَىٰ وَالرُّشْدِ، وَهُمْ فُقَرَاءُ ضُعَفَاءُ أَذِلَّاءُ..

﴿مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ أَقْوِيَاءُ، اسْتِهْزَاءً بِهِمْ، وَمُعَادَاةً لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ..

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣] وَهَذَا مِنْهُ تَعَالَىٰ إِجَابَةٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ هَدَىٰ أَهْلَ الْمَسْكَنَةِ وَالضَّعْفِ لِلْحَقِّ، وَخَذَلَهُمْ عَنْهُ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، وَتَقْرِيرٌ لَهُمْ: أَنَا أَعْلَمُ بِمَنْ كَانَ مِنْ خَلْقِي شَاكِرًا نِعْمَتِي مِمَّنْ هُوَ لَهَا كَافِرٌ، فَمَنِّي عَلَىٰ مَنْ مَنَنْتُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِالْهِدَايَةِ جَزَاءُ شُكْرِهِ إِيَّايَ عَلَىٰ نِعْمَتِي، وَتَخَذُّلِي مَنْ خَذَلْتُ مِنْهُمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ عُقُوبَةُ كُفْرَانِهِ إِيَّايَ نِعْمَتِي، لَا لِغِنَىٰ الْغَنِيِّ مِنْهُمْ، وَلَا لِفَقْرِ الْفَقِيرِ؛ لِأَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ لَا يَسْتَحِقُّهُ أَحَدٌ إِلَّا جَزَاءً عَلَىٰ عَمَلِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ، لَا عَلَىٰ غِنَاهُ وَفَقْرِهِ؛ لِأَنَّ الْغِنَىٰ وَالْفَقْرَ وَالْعَجْزَ وَالْقُوَّةَ لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِ خَلْقِي.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿وَإِذَا جَآءَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الْقَوْمُ..

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِتَنْزِيلِنَا وَأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا، فَيُقِرُّونَ بِذَلِكَ قَوْلًا وَعَمَلًا، مُسْتَرْشِدِيكَ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، هَلْ لَهُمْ مِنْهَا تَوْبَةٌ؟ فَلَا تُؤَيِّسْهُمْ مِنْهَا..

﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ﴾ أَمَنَةُ اللهِ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ أَنَّ يُعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِكُمْ مِنْهَا..

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قَضَىٰ رَبُّكُمُ الرَّحْمَةَ بِخَلْقِهِ..

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ أَنَّهُ مَنِ اقْتَرَفَ مِنْكُمْ ذَنْبًا، فَجَهِلَ بِاقْتِرَافِهِ إِيَّاهُ..

﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لِذَنْبِهِ إِذَا تَابَ وَأَنَابَ، وَرَاجَعَ الْعَمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ، وَتَرَكَ الْعَوْدَ إِلَىٰ مِثْلِهِ، مَعَ النَّدَمِ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤] بِالتَّائِبِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ ذَنْبِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنْهُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا فَصَّلْنَا لَكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، مِنَ ابْتِدَائِهَا وَفَاتِحَتِهَا يَا مُحَمَّدُ، إِلَىٰ هَذَا الْمَوْضِعِ حُجَّتَنَا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَأَدِلَّتِنَا، وَمَيَّزْنَاهَا لَكَ وَبَيَّنَّاهَا، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ نُفَصِّلُ لَكَ أَعْلَامَنَا وَأَدِلَّتِنَا فِي كُلِّ حَقٍّ يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ غَيْرِهِمْ، فَنُبَيِّنُهَا لَكَ حَتَّىٰ تُبَيِّنَ حَقَّهُ مِنْ بَاطِلِهِ، وَصَحِيحَهُ مِنْ سَقِيمِهِ..

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ وَلِتَتَّضِحَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ..

﴿سَبِيلُ﴾ طَرِيقُ..

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥] الَّذِينَ سَأَلُوكَ طَرْدَ النَّفَرِ الَّذِينَ سَأَلُوهُ طَرْدَهُمْ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠

مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ مِنْ قَوْمِكَ، الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ، الَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ مُوَافَقَتِهِمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿إِنِّي نُهِيتُ﴾ إِنَّ اللهَ نَهَانِي..

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ فَلَنْ أَتَّبِعَكُمْ عَلَىٰ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا أُوَافِقُكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا أُعْطِيكُمْ مَحَبَّتَكُمْ وَهَوَاكُمْ فِيهِ..

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦] وَإِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ تَرَكْتُ مَحَجَّةَ الْحَقِّ وَسَلَكْتُ عَلَىٰ غَيْرِ الْهُدَىٰ، فَصِرْتُ ضَالًّا مِثْلَكُمْ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ، الدَّاعِينَ لَكَ إِلَىٰ الْإِشْرَاكِ بِرَبِّكَ..

﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ إِنِّي عَلَىٰ بَيَانٍ قَدْ تَبَيَّنْتُهُ، وَبُرْهَانٍ قَدْ وَضَحَ لِي.. وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ: فُلَانٌ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِذَا كَانَ عَلَىٰ بَيَانٍ مِنْهُ..

﴿مِّن رَّبِّي﴾ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ عُبُودِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ شَيْءٍ بِهِ..

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ وَكَذَبْتُمْ أَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ، فَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ (بِهِ) مِنْ ذِكْرِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَزَّ..

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ مَا الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ مِنْ نِقَمِ اللهِ وَعَذَابِهِ بِيَدِي، وَلَا أَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ بِقَادِرٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا حِينَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِتَوْحِيدِهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣]، وَقَالُوا لِلْقُرْآنِ: هُوَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ هُوَ اخْتِلَاقٌ اخْتَلَقَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ، فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ.. فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: أَجِبْهُمْ بِـ..

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ مَا الْحَكَمُ فِيمَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَفِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ..

﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ الَّذِي لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ، وَبِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.. فَالْآيَاتُ بِيَدِ اللهِ لَا بِيَدِكَ، وَإِنَّمَا

أَنْتَ رَسُولٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ لِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ..

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ فَاللهُ يَقْضِي الْحَقَّ فِيهِمْ وَفِيكَ..

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ [الأنعام: ٥٧] بَيْنَنَا بِقَضَائِهِ وَحُكْمِهِ، فَيَفْصِلُ بِهِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَيَتَبَيَّنُ الْمُحِقُّ مِنْكُمْ وَالْمُبْطِلُ، فَهُوَ خَيْرُ مَنْ بَيَّنَ وَمَيَّزَ بَيْنَ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ وَأَعْدَلُهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ حَيْفٌ إِلَىٰ أَحَدٍ لِوَسِيلَةٍ لَهُ إِلَيْهِ، وَلَا لِقَرَابَةٍ، وَلَا مُنَاسَبَةٍ، وَلَا فِي قَضَائِهِ جَوْرٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي الْأَحْكَامِ فَيَجُورُ، فَهُوَ أَعْدَلُ الْحُكَّامِ وَخَيْرُ الْفَاصِلِينَ.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾

[الأنعام: ٥٨].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، الْمُكَذِّبِيكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، السَّائِلِيكَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ اسْتِعْجَالًا مِنْهُمْ بِالْعَذَابِ..

﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ لَوْ أَنَّ بِيَدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ فَفُصِلَ ذَلِكَ أَسْرَعَ الْفَصْلِ، بِتَعْجِيلِي لَكُمْ مَا تَسْأَلُونِي مِنْ ذَلِكَ وَتَسْتَعْجِلُونَهُ..

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾ [الأنعام: ٥٨] وَلَكِنَّ ذَلِكَ بِيَدِ اللهِ، الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِوَقْتِ إِرْسَالِهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ يَضَعُونَ عِبَادَتَهُمْ -الَّتِي لَا تَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ- فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِوَقْتِ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ وَحَالِ الْقَضَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ.

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾

[الأنعام: ٥٩].

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَا هُمْ مُسْتَحِقُّوهُ وَمَا هُوَ بِهِمْ صَانِعٌ، فَإِنَّ عِنْدَ اللهِ عِلْمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، مِمَّا لَا تَعْلَمُونَهُ وَلَنْ تَعْلَمُوهُ..

﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ مِمَّا اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ نَفْسَهُ، فَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُدْرِكُوهُ، وَلَمْ يَعْلَمُوهُ، وَلَنْ يُدْرِكُوهُ..

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾ وَيَعْلَمُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ جَمِيعَ مَا يَعْلَمُهُ جَمِيعُكُمْ مِمَّا لَمْ يَغِبْ أَيْضًا عَنْكُمْ؛ لِأَنَّ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ لِلْعَيْنِ يَعْلَمُهُ الْعِبَادُ.. لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ إِلَّا مَا يَخْفَىٰ عَنِ النَّاسِ أَوْ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ عِنْدَهُ عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ وَيَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ، وَذَلِكَ هُوَ الْغَيْبُ..

﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ فِي الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي وَلَا فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَىٰ إِلَّا اللهُ يَعْلَمُهَا..

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ وَلَا شَيْءَ أَيْضًا مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ أَوْ مِمَّا سَيُوجَدُ وَلَمْ يُوجَدْ بَعْدُ..

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ إِلَّا وَهُوَ مُثْبَتٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، مَكْتُوبٌ ذَلِكَ فِيهِ، وَمَرْسُومٌ عَدَدُهُ، وَمَبْلَغُهُ، وَالْوَقْتُ الَّذِي يُوجَدُ فِيهِ، وَالْحَالُ الَّتِي يَفْنَىٰ فِيهَا..

﴿مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩] يُبِينُ عَنْ صِحَّةِ مَا هُوَ فِيهِ بِوُجُودِ مَا رُسِمَ فِيهِ عَلَىٰ مَا رُسِمَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ إِثْبَاتِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ، وَهُوَ بِجَمِيعِهِ عَالِمٌ لَا يُخَافُ نِسْيَانُهُ؟ قِيلَ لَهُ: لِلَّهِ تَعَالَىٰ فِعْلُ مَا شَاءَ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ امْتِحَانًا مِنْهُ لِحَفَظَتِهِ، وَاخْتِبَارًا لِلْمُتَوَكِّلِينَ بِكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ مَأْمُورُونَ بِكِتَابَةِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، ثُمَّ بِعَرْضِهَا عَلَىٰ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، حَتَّىٰ أَثْبَتَ فِيهِ مَا أَثْبَتَ كُلَّ يَوْمٍ.. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية: ٢٩].. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ، إِمَّا بِحُجَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَىٰ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ، وَإِمَّا عَلَىٰ بَنِي آدَمَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٦٠﴾ [الأنعام: ٦٠].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم﴾ وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ، وَاللهُ يَتَوَفَّىٰ أَرْوَاحَكُمْ.. وَمَعْنَىٰ التَّوَفِّي فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: اسْتِيفَاءُ الْعَدَدِ..

﴿بِٱلَّيۡلِ﴾ فَيَقْبِضُهَا مِنْ أَجْسَادِكُمْ..

﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ وَيَعْلَمُ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالنَّهَارِ.. وَالِاجْتِرَاحُ عِنْدَ الْعَرَبِ: عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ أَوْ فَمِهِ، وَهِيَ الْجَوَارِحُ عِنْدَهُمْ، جَوَارِحُ الْبَدَنِ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ، ثُمَّ

يُقَالُ لِكُلِّ مُكْتَسِبٍ عَمَلًا: جَارِحٌ، لِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْجَوَارِحِ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ حَتَّىٰ قِيلَ لِكُلِّ مُكْتَسِبٍ كَسْبًا بِأَيِّ أَعْضَاءِ جِسْمِهِ اكْتَسَبَ: مُجْتَرِحٌ..

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ يُثِيرُكُمْ وَيُوقِظُكُمْ مِنْ مَنَامِكُمْ..

﴿فِيهِ﴾ فِي النَّهَارِ..

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لِيَقْضِيَ اللهُ الْأَجَلَ الَّذِي سَمَّاهُ لِحَيَاتِكُمْ، وَذَلِكَ الْمَوْتُ، فَيَبْلُغُ مُدَّتَهُ وَنِهَايَتَهُ..

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ثُمَّ إِلَىٰ اللهِ مَعَادُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ..

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٦٠﴾ [الأنعام: ٦٠] ثُمَّ يُخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، ثُمَّ يُجَازِيكُمْ بِذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، فَإِنَّ فِيهِ احْتِجَاجًا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِهِ الَّذِينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَبَعْثِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠] يَقُولُ: فَالَّذِي يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَبْعَثُكُمْ فِي النَّهَارِ، لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّىٰ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ، وَتَعْلَمُونَ صِحَّتَهُ، غَيْرُ مُنْكَرٍ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ قَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ وَإِفْنَائِكُمْ، ثُمَّ رَدِّهَا إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ وَإِنْشَائِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَظِيرُ مَا تُعَايِنُونَ وَتُشَاهِدُونَ، وَغَيْرُ مُنْكَرٍ لِمَنْ قَدَرَ عَلَىٰ مَا تُعَايِنُونَ مِنْ ذَلِكَ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُعَايِنُوهُ، وَإِنَّ الَّذِي لَمْ تَرَوْهُ وَلَمْ تُعَايِنُوهُ مِنْ ذَلِكَ شَبِيهُ مَا رَأَيْتُمْ وَعَايَنْتُمْ.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾ [الأنعام: ٦١].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ وَاللهُ الْغَالِبُ خَلْقَهُ..

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ الْعَالِي عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِهِ، لَا الْمَقْهُورُ مِنْ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْنَامِهِمُ الْمُذَلَّلُ الْمَغْلُوبُ عَلَيْهِ لِذِلَّتِهِ..

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ وَهِيَ مَلَائِكَتُهُ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَكُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَيُحْصُونَهَا، وَلَا يُفَرِّطُونَ فِي حِفْظِ ذَلِكَ وَإِحْصَائِهِ وَلَا يُضَيِّعُونَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ إِلَىٰ أَنْ يَحْضُرَكُمُ الْمَوْتُ وَيَنْزِلُ بِكُمْ أَمْرُ اللهِ، فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ

أَحَدَكُمْ..

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ تَوَفَّاهُ أَمْلَاكُنَا الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَرُسُلُنَا الْمُرْسَلُونَ بِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ الَّذِي يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وَالرُّسُلُ جُمْلَةٌ وَهُوَ وَاحِدٌ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] ؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ أَعَانَ مَلَكَ الْمَوْتِ بِأَعْوَانٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ بِأَمْرِ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَيَكُونُ (التَّوَفِّي) مُضَافًا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ أَعْوَانِ مَلَكِ الْمَوْتِ إِلَىٰ مَلَكِ الْمَوْتِ، إِذْ كَانَ فِعْلُهُمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ، كَمَا يُضَافُ قَتْلُ مَنْ قَتَلَ أَعْوَانُ السُّلْطَانِ، وَجَلْدُ مَنْ جَلَدُوهُ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ إِلَىٰ السُّلْطَانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ السُّلْطَانُ بَاشَرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَلَا وَلِيَهُ بِيَدِهِ..

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٦١] فِي ذَلِكَ فَيُضَيِّعُونَهُ.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٦٢].

﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ ثُمَّ رَدَّتِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تَوَفَّوْهُمْ فَقَبَضُوا نُفُوسَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ..

﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ سَيِّدُهُمُ الْحَق..

﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٦٢] وَهُوَ أَسْرَعُ مَنْ حَسَبَ عَدَدَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ وَآجَالَكُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَحْصَاهَا وَعَرَفَ مَقَادِيرَهَا وَمَبَالِغَهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْسِبُ بِعَقْدِ يَدٍ، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ خَافِيَةٌ، وَ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [سبأ: ٣].

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٦٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الدَّاعِينَ لَكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ..

﴿مَن﴾ الَّذِي..

﴿يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ﴾ إِذَا ضَلَلْتُمْ فِيهِ فَتَحَيَّرْتُمْ، فَأَظْلَمَ عَلَيْكُمُ الْهُدَىٰ وَالْمَحَجَّةُ..

﴿وَالْبَحْرِ﴾ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ إِذَا رَكِبْتُمُوهُ، فَأَخْطَأْتُمْ فِيهِ الْمَحَجَّةَ، فَأَظْلَمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ

السَّبِيلُ، فَلَا تَهْتَدُونَ لَهُ، غَيْرُ اللهِ الَّذِي..

﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾ مِنْكُمْ إِلَيْهِ، وَاسْتِكَانَةً جَهْرًا..

﴿وَخُفْيَةً﴾ وَإِخْفَاءً لِلدُّعَاءِ أَحْيَانًا، وَإِعْلَانًا وَإِظْهَارًا تَقُولُونَ..

﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ يَا رَبُّ، أَيْ مِنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا..

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام: ٦٣] لَنَكُونَنَّ مِمَّنْ يُوَحِّدُكَ بِالشُّكْرِ، وَيُخْلِصُ لَكَ الْعِبَادَةَ دُونَ مَنْ كُنَّا نُشْرِكُهُ مَعَكَ فِي عِبَادَتِكَ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٤].

﴿قُلِ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ، إِذَا أَنْتَ اسْتَفْهَمْتَهُمْ عَمَّنْ بِهِ يَسْتَعِينُونَ عِنْدَ نُزُولِ الْكَرْبِ بِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..

﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ اللهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ فَرَجِكُمْ عِنْدَ حُلُولِ الْكَرْبِ بِكُمْ، يُنْجِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ النَّازِلِ بِكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ هَمِّ الضَّلَالِ وَخَوْفِ الْهَلَاكِ..

﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ سِوَىٰ ذَلِكَ وَهَمٍّ، لَا آلِهَتُكُمُ الَّتِي تُشْرِكُونَ بِهَا فِي عِبَادَتِهِ، وَلَا أَوْثَانُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ، الَّتِي لَا تَقْدِرُ لَكُمْ عَلَىٰ نَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ..

﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ بَعْدَ تَفَضُّلِهِ عَلَيْكُمْ بِكَشْفِ النَّازِلِ بِكُمْ مِنَ الْكَرْبِ، وَدَفْعِ الْحَالِّ بِكُمْ مِنْ جَسِيمِ الْهَمِّ..

﴿تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٤] تَعْدِلُونَ بِهِ آلِهَتَكُمْ وَأَصْنَامَكُمْ، فَتُشْرِكُونَهَا فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ مِنْكُمْ جَهْلٌ بِوَاجِبِ حَقِّهِ عَلَيْكُمْ، وَكُفْرٌ لِأَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، وَتَعَرُّضٌ مِنْكُمْ لِإِنْزَالِ عُقُوبَتِهِ عَاجِلًا بِكُمْ.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

﴿قُلْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الَّذِي يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ تَعُودُونَ لِلْإِشْرَاكِ بِهِ..

﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ﴾ أَنْ يُرْسِلَ..

﴿عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ لِشِرْكِكُمْ بِهِ، وَادِّعَائِكُمْ مَعَهُ إِلَاهًا آخَرَ غَيْرَهُ، وَكُفْرَانِكُمْ نِعَمَهُ مَعَ إِسْبَاغِهِ عَلَيْكُمْ آلَاءَهُ وَمِنَنَهُ..

﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ بِالرَّجْمِ أَوِ بِالطُّوفَانِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ..

﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ بِالْخَسْفِ وَمَا أَشْبَهَهُ..

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ أَوْ يَخْلِطَكُمْ.. مِنْ قَوْلِكَ: لَبَسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، إِذَا خَلَطْتُ، فَأَنَا أَلْبِسُهُ..

﴿شِيَعًا﴾ فِرَقًا، وَاحِدَتُهَا شِيعَةٌ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ: أَوْ يَخْلِطَكُمْ أَهْوَاءً مُخْتَلِفَةً وَأَحْزَابًا مُفْتَرِقَةً..

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بِيَدِ بَعْضٍ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ عُنِيَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ، قَالَ جَابِرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنه: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: «هَاتَانِ أَيْسَرُ» أَوْ «أَهْوَنُ»، وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، يَرْفَعُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ قَوْمِي بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَلا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِمَّنْ سِوَاهُمْ فَيُهْلِكَهُمْ بِعَامَّةٍ حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، فَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِبَعْضِهَا أَهْلُ الشِّرْكِ، وَبِبَعْضِهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ، فعَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ»، قَالَ: هَذَا لِلْمُشْرِكِينَ، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: هَذَا لِلْمُسْلِمِينَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَوَعَّدَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَهْلَ الشِّرْكِ بِهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَإِيَّاهُمْ خَاطَبَ بِهَا، لِأَنَّهَا بَيْنَ إِخْبَارٍ عَنْهُمْ وَخِطَابٍ لَهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَتْلُو قَوْلَهُ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٦٤﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٤]، وَيَتْلُوهَا قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ كَانُوا بِهِ مُكَذِّبِينَ، فَإِذَا كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ

كَذَلِكَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ ذَلِكَ وَعِيدٌ لِمَنْ تَقَدَّمَ وَصْفُ اللهِ إِيَّاهُ بِالشِّرْكِ، وَتَأَخَّرَ الْخَبَرُ عَنْهُ بِالتَّكْذِيبِ، لَا لِمَنْ لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ.. غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ عَمَّ وَعِيدَهُ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ رَسُولِهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ هَذِهِ وَغَيْرِهَا.. وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً**»، فَجَائِزٌ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَعِيدًا لِمَنْ ذَكَرْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ مِنَ الْمُخَالِفِينَ رَبَّهُمْ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يُعِيذَ أُمَّتَهُ مِمَّا ابْتَلَىٰ بِهِ الْأُمَمَ الَّذِينَ اسْتَوْجَبُوا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ، فَأَعَاذَهُمْ بِدُعَائِهِ إِيَّاهُ وَرَغْبَتِهِ إِيَّاهُ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَسْتَحِقُّونَ بِهَا مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ الْأَرْبَعِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ أَغْلَظَهَا، وَلَمْ يُعِذْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ اثْنَتَيْنِ مِنْهَا.. وَأَمَّا الَّذِينَ تَأَوَّلُوا أَنَّهُ عُنِيَ بِجَمِيعِ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، فَإِنِّي أَرَاهُمْ تَأَوَّلُوا أَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ سَيَأْتِي مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَرُكُوبِ مَا يُسْخِطُ اللهَ نَحْوَ الَّذِي رَكِبَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مِنْ خِلَافِهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، فَيَحِلُّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ وَالنِّقْمَاتِ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ: جَاءَ مِنْهُنَّ اثْنَتَانِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، وَأَنَّ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِهِ سَيَبِيتُونَ عَلَىٰ لَهْوٍ وَلَعِبٍ ثُمَّ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ**»، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ نَظِيرُ الَّذِي فِي الْأُمَمِ الَّذِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ فِي التَّكْذِيبِ وَجَحَدُوا آيَاتِهِ.

﴿**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ**﴾ انْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ إِلَىٰ تَرْدِيدِنَا حُجَجَنَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِرَبِّهِمُ الْجَاحِدِينَ نِعَمَهُ، وَتَصْرِيفِنَاهَا فِيهِمْ..

﴿**لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾**﴾ [الأنعام: ٦٥] لِيَفْقَهُوا ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوهُ، فَيَذَّكَّرُوا وَيَزْدَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِمَّا يَسْخَطُهُ اللهُ مِنْهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَالتَّكْذِيبِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ.

﴿**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾**﴾ [الأنعام: ٦٦].

﴿**وَكَذَّبَ بِهِ**﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿**قَوْمُكَ**﴾ بِمَا تَقُولُ وَتُخْبِرُ وَتَوَعَّدُ مِنَ الْوَعِيدِ..

﴿**وَهُوَ**﴾ وَالْوَعِيدُ الَّذِي أَوْعَدْنَاهُمْ عَلَىٰ مَقَامِهِمْ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ مِنْ بَعْثِ الْعَذَابِ مِنْ فَوْقِهِمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، أَوْ لَبْسِهِمْ شِيَعًا، وَإِذَاقَةِ بَعْضِهِمْ بَأْسَ بَعْضٍ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ وَاقِعٌ، إِنْ هُمْ لَمْ يَتُوبُوا وَيُنِيبُوا مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَالشِّرْكِ بِهِ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ..

﴿قُل﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنعام: ٦٦] لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وَلَا رَقِيبٍ، وَإِنَّمَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧].

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ لِكُلِّ خَبَرٍ قَرَارٌ يَسْتَقِرُّ عِنْدَهُ، وَنِهَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا، فَيَتَبَيَّنُ حَقُّهُ وَصِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ وَبَاطِلِهِ..

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧] أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ، بِصِحَّةِ مَا أُخْبِرُكُمْ بِهِ مِنْ وَعِيدِ اللهِ إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَحَقِّيَتِهِ عِنْدَ حُلُولِ عَذَابِهِ بِكُمْ، فَرَأَوْا ذَلِكَ وَعَايَنُوهُ، فَقَتَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.. وَكَانَ الْحَسَنُ يَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ الْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] قَالَ: (حُبِسَتْ عُقُوبَتُهَا حَتَّىٰ إِذَا عُمِلَ ذَنْبُهَا أُرْسِلَتْ عُقُوبَتُهَا).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الْمُشْرِكِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا إِلَيْكَ، وَوَحْيِنَا الَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ، وَ (خَوْضُهُمْ فِيهَا) كَانَ اسْتِهْزَاءَهُمْ بِهَا، وَسَبَّهُمْ مَنْ أَنْزَلَهَا وَتَكَلَّمَ بِهَا، وَتَكْذِيبَهُمْ بِهَا..

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فَصُدَّ عَنْهُمْ بِوَجْهِكَ، وَقُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ..

﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ﴾ حَتَّىٰ يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الِاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ حَدِيثِهِمْ بَيْنَهُمْ..

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وَإِنْ أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ نَهْيَنَا إِيَّاكَ عَنِ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فِي حَالِ خَوْضِهِمْ فِي آيَاتِنَا، ثُمَّ ذَكَرْتَ ذَلِكَ..

﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ فَقُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ذِكْرِكَ ذَلِكَ..

﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨] الَّذِينَ خَاضُوا فِي غَيْرِ الَّذِي لَهُمُ الْخَوْضُ فِيهِ بِمَا خَاضُوا بِهِ فِيهِ، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَىٰ ظُلْمِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٦٩﴾ [الأنعام: ٦٩].

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ وَمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ فَخَافَهُ فَأَطَاعَهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَاجْتَنَبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ بِتَرْكِ الإِعْرَاضِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَائِضِينَ فِي آيَاتِ اللهِ فِي حَالِ خَوْضِهِمْ فِي آيَاتِ اللهِ شَيْءٌ مِنْ تَبِعَةٍ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ تَرْكُهُ الإِعْرَاضَ عَنْهُمْ رِضًا بِمَا هُمْ فِيهِ، وَكَانَ لِلَّهِ بِحُقُوقِهِ مُتَّقِيًا، وَلَا عَلَيْهِ مِنْ إِثْمِهِمْ بِذَلِكَ حَرَجٌ، وَلَكِنْ لِيُعْرِضُوا عَنْهُمْ حِينَئِذٍ..

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ لِأَمْرِ اللهِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٦٩﴾ [الأنعام: ٦٩] لِيَتَّقُوا الْخَوْضَ فِيهَا وَيَتْرُكُوا ذَلِكَ.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠].

﴿وَذَرِ﴾ يا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ وَطَاعَتَهُمْ إِيَّاهُ..

﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ فَجَعَلُوا حُظُوظَهُمْ مِنْ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ اللَّعِبَ بِآيَاتِهِ، وَاللَّهْوَ وَالِاسْتِهْزَاءَ بِهَا إِذَا سَمِعُوهَا وَتُلِيَتْ عَلَيْهِمْ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، فَإِنِّي لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، وَإِنِّي لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَالْعُقُوبَةِ لَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ..

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ وَعَلَىٰ اغْتِرَارِهِمْ بِزِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنِسْيَانِهِمُ الْمَعَادَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْمَصِيرَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ.. وَقَدْ نَسَخَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وَكَذَلِكَ قَالَ عَدَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ..

﴿وَذَكِّرْ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿بِهِۦٓ﴾ بِهَذَا الْقُرْآنِ، هَؤُلَاءِ الْمُوَلِّينَ عَنْكَ وَعَنْهُ، الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لِيُؤْمِنُوا وَيَتَّبِعُوا مَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ﴾ كَيْلَا تُبْسَلَ نَفْسٌ بِذُنُوبِهَا وَكُفْرِهَا بِرَبِّهَا، وَتُرْتَهَنُ فَتُغْلَقُ، فِي عَذَابِ اللهِ.. وَلَكِنْ حُذِفَتْ (لَا) لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦] بِمَعْنَىٰ: أَنْ لَا تَضِلُّوا..

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ مِنْ إِجْرَامِهَا بِالْأَوْزَارِ..

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لَيْسَ لَهَا حِينَ تُسْلَمُ بِذُنُوبِهَا فَتُرْتَهَنُ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ آثَامِهَا..

﴿وَلِيٌّ﴾ أَحَدٌ يَنْصُرُهَا فَيُنْقِذُهَا مِنَ اللهِ الَّذِي جَازَاهَا بِذُنُوبِهَا جَزَاءَهَا..

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَشْفَعُ لَهَا لِوَسِيلَةٍ لَهُ عِنْدَهُ.

﴿وَإِن تَعْدِلْ﴾ النَّفْسُ الَّتِي أُبْسِلَتْ بِمَا كَسَبَتْ..

﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾ كُلَّ فِدَاءٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: «أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا» [المائدة: ٩٥]، وَهُوَ مَا عَادَلَهُ مِنْ غَيْرِ نَوْعِهِ..

﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ فَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّ فِدَاءٍ لَمْ يُؤْخَذْ مِنْهُمْ، هُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾ أُسْلِمُوا لِعَذَابِ اللهِ، فَرُهِنُوا بِهِ جَزَاءً..

﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ..

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وَالْحَمِيمُ: هُوَ الْحَارُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَحْمُومٌ صُرِفَ إِلَىٰ فَعِيلٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحَمَّامِ: حَمَامٌ، لِإِسْخَانِهِ الْجِسْمَ، وَإِنَّمَا جَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ شَرَابًا مِنْ حَمِيمٍ، لِأَنَّ الْحَارَّ مِنَ الْمَاءِ لَا يَرْوِي مِنْ عَطَشٍ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ إِذَا عَطِشُوا فِي جَهَنَّمَ لَمْ يُغَاثُوا بِمَاءٍ يَرْوِيهِمْ، وَلَكِنْ بِمَا يَزِيدُونَ بِهِ عَطَشًا عَلَىٰ مَا بِهِمْ مِنَ الْعَطَشِ..

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وَلَهُمْ أَيْضًا مَعَ الشَّرَابِ الْحَمِيمِ مِنَ اللهِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، وَالْهَوَانُ الْمُقِيمُ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠] بِمَا كَانَ مِنْ كُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِاللهِ، وَإِنْكَارِهِمْ تَوْحِيدَهُ، وَعِبَادَتِهِمْ مَعَهُ آلِهَةً دُونَهُ.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ، وَالْآمِرِينَ لَكَ بِاتِّبَاعِ دِينِهِمْ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مَعَهُمْ..

﴿أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ حَجَرًا، أَوْ خَشَبًا..

﴿مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ نَفْعِنَا أَوْ ضَرِّنَا، فَنَخُصَّهُ بِالْعِبَادَةِ دُونَ اللهِ، وَنَدَعُ عِبَادَةَ الَّذِي بِيَدِهِ الضَّرُّ، وَالنَّفْعُ، وَالْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلَا شَكَّ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خِدْمَةَ مَا يُرْتَجَىٰ نَفْعُهُ وَيُرْهَبُ ضَرُّهُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ مِنْ خِدْمَةِ مَنْ لَا يُرْجَىٰ نَفْعُهُ وَلَا يُخْشَىٰ ضَرُّهُ.. وَهَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَبِيَّهُ ﷺ عَلَىٰ حُجَّتِهِ عَلَىٰ مُشْرِكِي قَوْمِهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ وَنُرَدُّ إِلَىٰ أَدْبَارِنَا فَنَرْجِعُ الْقَهْقَرَىٰ خَلْفَنَا لَمْ نَظْفَرْ بِحَاجَتِنَا.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ طَالِبِ حَاجَةٍ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا: رُدَّ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَنُرَدُّ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فَوَفَّقَنَا لَهُ..

﴿كَالَّذِي﴾ فَيَكُونُ مَثَلُنَا فِي ذَلِكَ -إِنْ كَفَرْنا بَعْدَ الْإِيمَانِ- كَمَثَلِ الرَّجُلِ الَّذِي..

﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾ كَانَ مَعَ قَوْمٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ، فاسْتَتْبَعَتْهُ.. وَمِنْه قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، بِمَعْنَىٰ: تَنْزِعُ إِلَيْهِمْ وَتُرِيدُهُمْ..

﴿الشَّيَاطِينُ﴾ وَهُمُ الْغِيلَانُ، يَدْعُونَهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَاسْمِ جَدِّهِ، فَيَتْبَعُهَا..

﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ ضَلَّ فَلَمْ يَهْتَدِ، فَيَرَىٰ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ، فَيُصْبِحُ وَقَدْ أَلْقَتْهُ الغِيْلَانُ فِي الْهَلَكَةِ، وَرُبَّمَا أَكَلَتْهُ، أَوْ تُلْقِيهِ فِي مُضِلَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَهْلِكُ فِيهَا عَطَشًا، فَهَذَا مَثَلُ مَنْ أَجَابَ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿لَهُ﴾ لِهَذَا الْحَيْرَانِ الَّذِي قَدِ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ..

﴿أَصْحَابٌ﴾ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وعَلَىٰ الْمَحَجَّةِ وَاسْتِقَامَةِ السَّبِيلِ، فَجَعَلُوا..

﴿يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْمَحَجَّةِ لِطَرِيقِ الْهُدَىٰ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ.. فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَاتَّبَعَ الشَّيَاطِينَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَهُ فِي حَالِ إِسْلَامِهِ، الْمُقِيمُونَ عَلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، وَالصَّوَابِ الَّذِي هُمْ بِهِ مُتَمَسِّكُونَ، وَهُوَ لَهُ مُفَارِقٌ، وَعَنْهُ زَائِلٌ، يَقُولُونَ لَهُ..

﴿ٱئۡتِنَاۗ﴾ هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَكُنْ مَعَنَا عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ وَهُدًىٰ، وَهُوَ يَأْبَىٰ ذَلِكَ، وَيَتَّبِعُ دَوَاعِيَ الشَّيْطَانِ، وَيَعْبُدُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ الْقَائِلِينَ لِأَصْحَابِكَ: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ، فَإِنَّا عَلَىٰ هُدًىٰ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ..

﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إِنَّ طَرِيقَ اللهِ الَّذِي بَيَّنَهُ لَنَا وَأَوْضَحَهُ، وَسَبِيلَنَا الَّذِي أُمِرْنَا بِلُزُومِهِ، وَدِينَهُ الَّذِي شَرَعَهُ لَنَا فَبَيَّنَهُ..

﴿هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾ وَالِاسْتِقَامَةُ الَّتِي لَا شَكَّ فِيهَا، لَا عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَلَا نَتْرُكُ الْحَقَّ وَنَتَّبِعُ الْبَاطِلَ..

﴿وَأُمِرۡنَا﴾ وَأَمَرَنَا رَبُّنَا وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، تَعَالَىٰ وَجْهُهُ..

﴿لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنعام: ٧١] لِنُسْلِمَ لَهُ، ولِنَخْضَعَ لَهُ بِالذِّلَّةِ وَالطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، فَنُخْلِصَ ذَلِكَ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ.

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢﴾ [الأنعام: ٧٢].

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَأُمِرْنَا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَذَلِكَ أَدَاؤُهَا بِحُدُودِهَا الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْنَا..

﴿وَٱتَّقُوهُۚ﴾ وَاتَّقُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي أُمِرْنَا أَنْ نُسْلِمَ لَهُ، فَخَافُوهُ وَاحْذَرُوا سَخَطَهُ بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْكُمْ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿وَهُوَ﴾ رَبُّكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ..

﴿ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢﴾ [الأنعام: ٧٢] فَتُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ، وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٣].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَنْدَادَ، الدَّاعِيكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ: أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنْفَرِدِ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، مُعَرِّفًا مَنْ أَشْرَكَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ جَهْلَهُ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَخَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَةِ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ عَنْهَا، وَمُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ فِي إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ ابْتِدَاعِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً، وَأَنَّ الَّذِي ابْتَدَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ إِفْنَاؤُهُ ثُمَّ إِعَادَتُهُ بَعْدَ إِفْنَائِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمْ مَنْ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ، السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وَالصَّوَابِ، لَا بَاطِلًا وَخَطَأً، حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ، لِيَعْرِفُوا بِهَا صَانِعَهَا وَلِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَيُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧].. وَأُدْخِلَتْ فِيهِ الْبَاءُ وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ، كَمَا تَفْعَلُ الْعَرَبُ فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ، فَتَقُولُ: فُلَانٌ يَقُولُ بِالْحَقِّ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ، وَلَا شَيْءَ فِي قَوْلِهِ بِالْحَقِّ غَيْرُ إِصَابَتِهِ الصَّوَابَ فِيهِ، فَكَذَلِكَ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حِكْمَةٌ مِنْ حِكَمِ اللهِ، فَاللهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ، خَلَقَهُمَا وَخَلَقَ مَا سِوَاهُمَا مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِكَلَامِهِ وَقَوْلِهِ لَهُمَا: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، قَالُوا: فَالْحَقُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنِيٌّ بِهِ كَلَامُهُ، وَاسْتَشْهَدُوا لِقِيلِهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، الْحَقُّ هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ، قَالُوا: وَاللهُ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِكَلَامِهِ وَقِيلِهِ كَمَا خَلَقَ بِهِ الْأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَخْلُوقَةِ، قَالُوا: فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ الَّذِي خَلَقَ بِهِ الْخَلْقَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ..

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ حِينَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ..

﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كُلُّ مَا كَانَ اللهُ مُعِيدَهُ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ إِفْنَائِهِ، وَمُنْشِئَهُ بَعْدَ إِعْدَامِهِ..

﴿قَوْلُهُ﴾ وَعْدُهُ هَذَا الَّذِي وَعَدَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ تَبْدِيلِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ؛ لِأَنَّ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ فِي الصُّورِ حَالُ تَبْدِيلِ اللهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ غَيْرَهُمَا.. وخَصَّ بِالْخَبَرِ عَنْ مُلْكِهِ يَوْمَئِذٍ، وَإِنْ كَانَ الْمُلْكُ لَهُ خَالِصًا فِي كُلِّ وَقْتٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ عَنَىٰ تَعَالَىٰ ذِكْرَ أَنَّهُ لَا مُنَازِعَ لَهُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَلَا مُدَّعِيَ لَهُ، وَأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِهِ دُونَ كُلِّ مَنْ كَانَ يُنَازِعُهُ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَأَذْعَنَ جَمِيعُهُمْ يَوْمَئِذٍ لَهُ بِهِ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ دَعْوَاهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي بَاطِلٍ.. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ إِسْرَافِيلَ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤمَرُ فَيَنْفُخُ»، وَأَنَّهُ قَالَ: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»..

﴿عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَدَةِ﴾ عَالِمُ مَا تُعَايِنُونَ أَيُّهَا النَّاسُ فَتُشَاهِدُونَهُ، وَمَا يَغِيبُ عَنْ حَوَاسِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ فَلَا تُحِسُّونَهُ وَلَا تُبْصِرُونَهُ..

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ خَلْقَهُ مِنْ حَالِ الْوُجُودِ إِلَىٰ الْعَدَمِ، ثُمَّ مِنْ حَالِ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ إِلَىٰ الْوُجُودِ، ثُمَّ فِي مُجَازَاتِهِمْ بِمَا يُجَازِيهِمْ بِهِ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ..

﴿ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾ [الأعراف: ٧٣] بِكُلِّ مَا يَعْمَلُونَهُ وَيَكْسِبُونَهُ مِنْ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ، حَافِظٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِرَبِّكُمْ عِقَابَهُ، فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا تَأْتُونَ وَتَذَرُونَ، وَهُوَ لَكُمْ مِنْ وَرَاءِ الْجَزَاءِ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ.

﴿* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤].

﴿* وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِحِجَاجِكَ الَّذِي تُحَاجُّ بِهِ قَوْمَكَ، وَخُصُومَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي آلِهَتِهِمْ وَمَا تُرَاجِعُهُمْ فِيهَا، مِمَّا نُلْقِيهِ إِلَيْكَ وَنُعَلِّمُكَهُ، مِنَ الْبُرْهَانِ وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ بُطْلَانِ مَا عَلَيْهِ قَوْمُكَ مُقِيمُونَ، وَصِحَّةِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنَ الدِّينِ، وَحَقِّيَّةِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ مُحْتَجٌّ، حِجَاجَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي قَوْمَهُ، وَمُرَاجَعَتَهُ إِيَّاهُمْ فِي بَاطِلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَانْقِطَاعَهُ إِلَىٰ اللهِ، وَالرِّضَا بِهِ وَالِيًا وَنَاصِرًا دُونَ الْأَصْنَامِ، فَاتَّخِذْهُ إِمَامًا وَاقْتَدِ بِهِ، وَاجْعَلْ سِيرَتَهُ فِي قَوْمِكَ لِنَفْسِكَ مِثَالًا، إِذْ..

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ مُفَارِقًا لِدِينِهِ، وَعَائِبًا عِبَادَتَهُ الْأَصْنَامَ دُونَ بَارِئِهِ وَخَالِقِهِ: يَا..

﴿ءَازَرَ﴾ هُوَ اسْمُ أَبِيهِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَبُوهُ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْمَحْفُوظُ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ دُونَ الْقَوْلِ الْآخَرِ الَّذِي زَعَمَ قَائِلُهُ أَنَّهُ نَعْتٌ..

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تَعْبُدُهَا، وَتَتَّخِذُهَا رَبًّا دُونَ اللهِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ وَرَزَقَكَ..

وَالْأَصْنَامُ: جَمْعُ صَنَمٍ، التِّمْثَالُ مِنْ حَجَرٍ أَوْ خَشَبٍ أَوْ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، وَهُوَ الْوَثَنَ، وَقَدْ يُقَالُ لِلصُّورَةِ الْمُصَوَّرَةِ عَلَىٰ صُورَةِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَائِطِ غَيْرَهُ: صَنَمٌ وَوَثَنٌ..

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ﴾ يَا آزَرُ..

﴿وَقَوْمَكَ﴾ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَكَ الْأَصْنَامَ وَيَتَّخِذُونَهَا آلِهَةً..

﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ فِي زَوَالٍ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَعُدُولٍ عَنْ سَبِيلِ الصَّوَابِ..

﴿مُّبِينٍ ۝٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤] يَتَبَيَّنُ لِمَنْ أَبْصَرَهُ أَنَّهُ جَوْرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَزَوَالٌ عَنْ مَحَجَّةِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُ قَدْ ضَلَّ هُوَ وَهُمْ عَنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ الَّذِي اسْتَوْجَبَ عَلَيْهِمْ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ بِآلَائِهِ عِنْدَهُمْ، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾
[الأنعام: ٧٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَرَيْنَاهُ الْبَصِيرَةَ فِي دِينِهِ، وَالْحَقَّ فِي خِلَافِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ..

﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَرَاهُ مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَذَلِكَ مَا خَلَقَ فِيهِمَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالشَّجَرِ وَالدَّوَابِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ فِيهِمَا، وَجَلَّىٰ لَهُ بَوَاطِنَ الْأُمُورِ وَظَوَاهِرَهَا.. وَزِيدَتْ فِي (مَلَكُوت) التَّاءُ كَمَا زِيدَتْ فِي (الْجَبَرُوتِ) مِنَ الْجَبْرِ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَلَامِ النَّبَطِ (مَلَكُوتًا)..

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] أَرَيْنَاهُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِيَكُونَ مِمَّنْ يُوقِنُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ حِسًّا لَا خَبَرًا، فَيَكُون مِمَّنْ يَتَوَحَّدُ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَيَعْلَمُ حَقِّيَّةَ مَا هَدَاهُ لَهُ وَبَصَّرَهُ إِيَّاهُ مِنْ مَعْرِفَةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا عَلَيْهِ قَوْمُهُ مِنَ الضَّلَالَةِ مِنْ عِبَادَتِهِمْ وَاتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً دُونَ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦﴾
[الأنعام: ٧٦].

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ فَلَمَّا وَارَاهُ اللَّيْلُ وَجَنَّهُ..

﴿رَءَا﴾ أَبْصَرَ..

﴿كَوْكَبًا﴾ حِينَ طَلَعَ..

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ فعَبَدَهُ حَتَّىٰ غَابَ..

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ فَلَمَّا غَابَ..

﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [الأنعام: ٧٦] عَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ دَائِمٌ لَا يَزُولُ.. وَأَنْكَرَ قَوْمٌ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الرِّوَايَةِ هَذَا الْقَوْلَ، مِنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ لِلْكَوْكَبِ أَوْ لِلْقَمَرِ: هَذَا رَبِّي، وَقَالُوا: غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ نَبِيٌّ ابْتَعَثَهُ بِالرِّسَالَةِ أَتَىٰ عَلَيْهِ وَقْتٌ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَهُوَ بَالِغٌ إِلَّا وَهُوَ لِلَّهِ مُوَحِّدٌ وَبِهِ عَارِفٌ، وَمِنْ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ بَرِيءٌ، قَالُوا: وَلَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَىٰ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ وَهُوَ بِهِ كَافِرٌ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَخْتَصَّهُ بِالرِّسَالَةِ، لِأَنَّهُ لَا مَعْنَىٰ فِيهِ إِلَّا وَفِي غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِثْلُهُ، وَلَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مُنَاسَبَةٌ فَيُحَابِيهِ بِاخْتِصَاصِهِ بِالْكَرَامَةِ، قَالُوا: وَإِنَّمَا أَكْرَمَ مَنْ أَكْرَمَ مِنْهُمْ لِفَضْلِهِ فِي نَفْسِهِ، فَأَثَابَهُ لِاسْتِحْقَاقِهِ الثَّوَابَ بِمَا أَثَابَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَزَعَمُوا أَنَّ خَبَرَ اللهِ عَنْ قِيلِ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ الْكَوْكَبَ أَوِ الْقَمَرَ أَوِ الشَّمْسَ: (هَذَا رَبِّي)، لَمْ يَكُنْ لِجَهْلِهِ بِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ رَبَّهُ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِنْكَارِ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَبَّهُ، وَعَلَىٰ الْعَيْبِ لِقَوْمِهِ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ؛ إِذْ كَانَ الْكَوْكَبُ وَالْقَمَرُ وَالشَّمْسُ أَضْوَأَ وَأَحْسَنَ وَأَبْهَجَ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَ ذَلِكَ مَعْبُودَةً، وَكَانَتْ آفِلَةً زَائِلَةً غَيْرَ دَائِمَةٍ، وَالْأَصْنَامُ الَّتِي دُونَهَا فِي الْحُسْنِ، وَأَصْغَرُ مِنْهَا فِي الْجِسْمِ، أَحَقُّ أَنْ لَا تَكُونَ مَعْبُودَةً، وَلَا آلِهَةً، قَالُوا: وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ مُعَارَضَةً، كَمَا يَقُولُ أَحَدُ الْمُتَنَاظِرِينَ لِصَاحِبِهِ مُعَارِضًا لَهُ فِي قَوْلٍ بَاطِلٍ قَالَ بِهِ بِبَاطِلٍ مِنَ الْقَوْلِ عَلَىٰ وَجْهِ مُطَالَبَتِهِ إِيَّاهُ بِالْفُرْقَانِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ الْفَاسِدَيْنِ عِنْدَهُ اللَّذَيْنِ يُصَحِّحُ خَصْمُهُ أَحَدَهُمَا وَيَدَّعِي فَسَادَ الْآخَرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ فِي حَالِ طُفُولِيَّتِهِ وَقَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَتِلْكَ حَالٌ لَا يَكُونُ فِيهَا كُفْرٌ وَلَا إِيمَانٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: أَهَذَا رَبِّي عَلَىٰ وَجْهِ الْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ، أَيْ لَيْسَ هَذَا رَبِّي، وَقَالُوا: قَدْ تَفْعَلُ الْعَرَبُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَتَحْذِفُ الْأَلِفَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الِاسْتِفْهَامِ.. وَفِي خَبَرِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ قِيلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أَفَلَ الْقَمَرُ: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾ [الأنعام: ٧٧] الدَّلِيلُ عَلَىٰ خَطَأِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي قَالَهَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ، وَأَنَّ الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: الْإِقْرَارُ بِخَبَرِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا عَدَاهُ.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام: ٧٧].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ فَلَمَّا طَلَعَ الْقَمَرُ فَرَآهُ إِبْرَاهِيمُ طَالِعًا، وَهُوَ بُزُوغُهُ..

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ وَغَابَ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وَيُوَفِّقْنِي لِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي تَوْحِيدِهِ..

﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام: ٧٧] الَّذِينَ أَخْطَئُوا الْحَقَّ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يُصِيبُوا الْهُدَىٰ، وَعَبَدُوا غَيْرَ اللهِ.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٨].

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ طَالِعَةً..

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ الطَّالِعُ..

﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ مِنَ الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ، فَحَذَفَ (ذَلِكَ) لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وَغَابَتْ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٨] مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَدُعَائِهِ إِلَاهًا مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ فِي عِبَادَتِي..

﴿لِلَّذِي﴾ إِلَىٰ الَّذِي..

﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، الدَّائِمُ الَّذِي يَبْقَىٰ وَلَا يَفْنَىٰ، وَيُحْيِي

وَيُمِيتُ، لَا إِلَىٰ الَّذِي يَفْنَىٰ وَلَا يَبْقَىٰ، وَيَزُولُ وَلَا يَدُومُ، وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ..

﴿حَنِيفًا﴾ لِرَبِّهِ عَلَىٰ مَا يَجِبُ مِنَ التَّوْحِيدِ، بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي ذَٰلِكَ، لَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُوَجِّهُ لَهُ وَجْهَهُ مَنْ لَيْسَ بِحَنِيفٍ، وَلَكِنَّهُ بِهِ مُشْرِكٌ، إِذْ كَانَ تَوْجِيهُ الْوَجْهِ لَا عَلَىٰ التَّحْنِيفِ غَيْرُ نَافِعٍ مُوَجِّهَهُ بَلْ ضَارُّهُ وَمُهْلِكُهُ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩] وَلَسْتُ مِنْكُمْ، أَيْ لَسْتُ مِمَّنْ يَدِينُ دِينَكُمْ، وَيَتَّبِعُ مِلَّتَكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، أَنَّهُ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ وَعَرَفَهُ، شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَأَظْهَرَ خِلَافَ قَوْمِهِ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَلَمْ يَسْتَوْحِشْ مِنْ قِيلِ الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، مَعَ خِلَافِ جَمِيعِ قَوْمِهِ لِقَوْلِهِ وَإِنْكَارِهِمْ إِيَّاهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مَعَ اللهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكُمْ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَصْنَامِكُمْ.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنعام: ٨٠].

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ وَجَادَلَ إِبْرَاهِيمَ قَوْمُهُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَبَرَاءَتِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَكَانَ جِدَالُهُمْ إِيَّاهُ قَوْلَهُمْ: إِنَّ آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا خَيْرٌ مِنْ إِلَاهِهِ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أَتُجَادِلُونَنِي فِي تَوْحِيدِي اللهَ وَإِخْلَاصِي الْعَمَلَ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ آلِهَةٍ؟!

﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ وَقَدْ وَفَّقَنِي رَبِّي لِمَعْرِفَةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَبَصَّرَنِي طَرِيقَ الْحَقِّ حَتَّىٰ أَلِفْتُ أَنْ لَا شَيْءَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ..

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ وَلَا أَرْهَبُ مِنْ آلِهَتِكُمُ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِهِ شَيْئًا يَنَالُنِي فِي نَفْسِي مِنْ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: إِنَّا نَخَافُ أَنْ تَمَسَّكَ آلِهَتُنَا بِسُوءٍ مِنْ بَرَصٍ أَوْ خَبْلٍ، لِذِكْرِكَ إِيَّاهَا بِسُوءٍ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: لَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ أَنْ تَنَالَنِي بِضُرٍّ وَلَا مَكْرُوهٍ، لِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ..

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ وَلَكِنْ خَوْفِي مِنَ اللهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يَنَالَنِي فِي نَفْسِي أَوْ مَالِي بِمَا شَاءَ مِنْ فَنَاءٍ أَوْ بَقَاءٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ

نَالَنِي بِهِ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وَعَلِمَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ كَالْآلِهَةِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَفْهَمُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا هِيَ خَشَبَةٌ مَنْحُوتَةٌ وَصُورَةٌ مُمَثَّلَةٌ..

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنعام: ٨٠] أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ أَيُّهَا الْجَهَلَةُ، فَتَعْقِلُوا خَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمْ صُورَةً مُصَوَّرَةً وَخَشَبَةً مَنْحُوتَةً، لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا عَلَىٰ نَفْعٍ، وَلَا تَفْقَهُ شَيْئًا وَلَا تَعْقِلُهُ، وَتَرْكِكُمْ عِبَادَةَ مَنْ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ وَلَهُ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَالِمُ لِكُلِّ شَيْءٍ.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١﴾ [الأنعام: ٨١].

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾ هَذَا جَوَابُ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ، حِينَ خَوَّفُوهُ مِنْ آلِهَتِهِمْ أَنْ تَمَسَّهُ، لِذِكْرِهِ إِيَّاهَا بِسُوءٍ فِي نَفْسِهِ بِمَكْرُوهٍ، فَقَالَ لَهُمْ: وَكَيْفَ أَخَافُ وَأَرْهَبُ..

﴿مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ فِي عِبَادَتِكُمْ رَبَّكُمْ، فَعَبَدْتُمُوهُ مِنْ دُونِهِ، وَهُوَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَوْ كَانَتْ تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ لَدَفَعَتْ عَنْ أَنْفُسِهَا كَسْرِي إِيَّاهَا وَضَرْبِي لَهَا بِالْفَأْسِ..

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَخَافُونَ اللهَ، الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ نَفْعِكُمْ وَضَرِّكُمْ، فِي إِشْرَاكِكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ مَا لَمْ يُعْطِكُمْ عَلَىٰ إِشْرَاكِكُمْ إِيَّاهُ فِي عِبَادَتِهِ حُجَّةً، وَلَمْ يَضَعْ لَكُمْ عَلَيْهِ بُرْهَانًا، وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ بِهِ عُذْرًا..

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أَنَا أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ عَاقِبَةِ عِبَادَتِي رَبِّي، مُخْلِصًا لَهُ الْعِبَادَةَ، حَنِيفًا لَهُ دِينِي، بَرِيئًا مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، أَمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَصْنَامًا، لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَكُمْ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا بُرْهَانًا وَلَا حُجَّةً؟

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١﴾ [الأنعام: ٨١] صِدْقَ مَا أَقُولُ، وَحَقِيقَةَ مَا أَحْتَجُّ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَقُولُوا وَأَخْبِرُونِي أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ؟

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.. وَهَذَا فَصْلُ الْقَضَاءِ مِنَ اللهِ، بَيْنَ

إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ عليه السلام، وَبَيْنَ مَنْ حَاجَّهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨١]، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فَاصِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ: الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم﴾ وَلَمْ يَخْلِطُوا عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُ، وَتَصْدِيقَهُمْ لَهُ..

﴿بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، وَلَمْ يُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا، ثُمَّ جَعَلُوا عِبَادَتَهُمْ لِلَّهِ خَالِصًا، لِمَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ الْخَبَرُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: **(الظُّلْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الشِّرْكُ)**..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَخْلِطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ..

﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ -يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ- مِنْ عِقَابِهِ مَكْرُوهَ عِبَادَتِهِ رَبَّه، مِنَ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، فَإِنَّهُمُ الْخَائِفُونَ مِنْ عِقَابِهِ مَكْرُوهَ عِبَادَتِهِمْ، أَمَّا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ وَجِلُونَ مِنْ حُلُولِ سَخَطِ اللهِ بِهِمْ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُمُ الْمُوقِنُونَ بِأَلِيمِ عَذَابِ اللهِ..

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] وَهُمُ الْمُصِيبُونَ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ النَّجَاةِ.

> ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِمُخَاصِمِيهِ مِنْ قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ: «**أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ**»، أَمَنْ يَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَالْعِبَادَةَ، أَمْ مَنْ يَعْبُدُ أَرْبَابًا كَثِيرَةً؟ وَإِجَابَتُهُمْ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِمْ: بَلْ مَنْ يَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا أَحَقُّ بِالْأَمْنِ، وَقَضَاءُهُمْ لَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ قَطْعُ عُذْرِهِمْ، وَانْقِطَاعُ حُجَّتِهِمْ، وَاسْتِعْلَاءُ حُجَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ، فَهِيَ الْحُجَّةُ الَّتِي آتَاهَا اللهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ لَقَّنَّاهَا إِبْرَاهِيمَ وَبَصَّرْنَاهُ إِيَّاهَا، وَعَرَّفْنَاهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: **(نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ)** بِإِضَافَةِ الدَّرَجَاتِ إِلَىٰ مَنْ، بِمَعْنَىٰ: نَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ لِمَنْ نَشَاءُ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بِتَنْوِينِ **(الدَّرَجَاتِ)**، بِمَعْنَىٰ نَرْفَعُ مَنْ نَشَاءُ دَرَجَاتٍ.. وَالدَّرَجَاتُ: جَمْعُ دَرَجَةٍ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مَرَاقِي السُّلَّمِ وَدَرَجُهُ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي ارْتِفَاعِ الْمَنَازِلِ

وَالْمَرَاتِبِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: هُمَا قِرَاءَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَئِمَّةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، مُتَقَارِبٌ مَعْنَاهُمَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ رُفِعَتْ دَرَجَتُهُ فَقَدْ رُفِعَ فِي الدَّرَجِ، وَمَنْ رُفِعَ فِي الدَّرَجِ، فَقَدْ رُفِعَتْ دَرَجَتُهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَنْ: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فَرَفَعْنَا بِهَا دَرَجَتَهُ عَلَيْهِمْ، وَشَرَّفْنَاهُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَآتَيْنَاهُ فِيهَا أَجْرَهُ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ مِنَ الصَّالِحِينَ، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣] أَيْ بِمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَكِيمٌ﴾ فِي سِيَاسَتِهِ خَلْقَهُ، وَتَلْقِينَهُ أَنْبِيَاءَهُ الْحُجَجَ عَلَىٰ أُمَمِهِمُ الْمُكَذِّبَةِ لَهُمْ، الْجَاحِدَةِ تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝٨٣﴾ [الأنعام: ٨٣] بِمَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ رُسُلِهِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ مِنْ ثَبَاتِ الْأُمَمِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَهَلَاكِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِنَابَتِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ مِنْهُ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: تَأَسَّ يَا مُحَمَّدُ فِي نَفْسِكَ وَقَوْمِكَ الْمُكَذِّبِيكَ وَالْمُشْرِكِينَ بِأَبِيكَ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَنُوبُكَ مِنْهُمْ صَبْرَهُ، فَإِنِّي بِالَّذِي يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ عَالِمُ التَّدْبِيرِ، فِيكَ وَفِيهِمْ حَكِيمٌ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٤﴾ [الأنعام: ٨٤].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ فَجَزَيْنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّانَا، وَإِخْلَاصِهِ تَوْحِيدَ رَبِّهِ، وَمُفَارَقَتِهِ دِينَ قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ بِأَنْ رَفَعْنَا دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا، وَوَهَبْنَا لَهُ أَوْلَادًا خَصَصْنَاهُمْ بِالنُّبُوَّةِ، وَذُرِّيَّةً شَرَّفْنَاهُمْ مِنَّا بِالْكَرَامَةِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، مِنْهُمُ ابْنُهُ إِسْحَاقُ، وَابْنُ ابْنِهِ يَعْقُوبُ..

﴿كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ هَدَيْنَا جَمِيعَهُمْ لِسَبِيلِ الرَّشَادِ، فَوَفَّقْنَاهُمْ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ مِنَ الْأَدْيَانِ..

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ وَهَدَيْنَا لِمِثْلِ الَّذِي هَدَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مِنَ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فَوَفَّقْنَاهُ لَهُ، نُوحًا مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ الَّتِي تَتْلُو هَذِهِ

الْآيَةَ لُوطًا فَقَالَ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٦]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ لُوطًا لَمْ يَكُنْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ أَجْمَعِينَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مَعْطُوفًا عَلَىٰ أَسْمَاءِ مَنْ سَمَّيْنَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، كَانَ لَا شَكَّ أَنَّهُ لَوْ أُرِيدَ بِالذُّرِّيَّةِ ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ لَمَا دَخَلَ يُونُسُ وَلُوطٌ فِيهِمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ لُوطًا لَيْسَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، فَلِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ فِي (الذُّرِّيَّةِ) مِنْ ذِكْرِ نُوحٍ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَنُوحًا وَفَّقْنَا لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَهَدَيْنَا أَيْضًا مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، دَاوُدَ..

﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ بْنَ دَاوُدَ..

﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ..

﴿وَمُوسَىٰ﴾ بْنُ عِمْرَانَ..

﴿وَهَٰرُونَ﴾ أَخُو مُوسَىٰ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَجَزَيْنَا نُوحًا بِصَبْرِهِ عَلَىٰ مَا امْتُحِنَ بِهِ فِينَا، بِأَنْ هَدَيْنَاهُ فَوَفَّقْنَاهُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ الَّذِي خَذَلْنَا عَنْهُ مَنْ عَصَانَا فَخَالَفَ أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا مِنْ قَوْمِهِ، وَهَدَيْنَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ مَنْ ذَكَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مِنْ أَنْبِيَائِهِ لِمِثْلِ الَّذِي هَدَيْنَاهُ لَهُ، وَكَمَا جَزَيْنَا هَؤُلَاءِ بِحُسْنِ طَاعَتِهِمْ إِيَّانَا وَصَبْرِهِمْ عَلَىٰ الْمِحَنِ فِينَا، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٤] نَجْزِي بِالْإِحْسَانِ كُلَّ مُحْسِنٍ.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: ٨٥].

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ هَدَيْنَا أَيْضًا لِمِثْلِ الَّذِي هَدَيْنَا لَهُ نُوحًا مِنَ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا..

﴿وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ﴾ كُلُّ مَنْ ذَكَرْنَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْنَا..

﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: ٨٥] يَعْنِي: زَكَرِيَّا، وَيَحْيَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَإِلْيَاسَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٦].

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ وَهَدَيْنَا أَيْضًا مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ..

﴿وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ﴾ بْنِ مَتَّىٰ..

﴿وَلُوطًاۚ وَكُلًّا﴾ بَيَّنَّا لَهُمُ الْحَقَّ وَوَفَّقْنَاهُمْ لَهُ وَ..

﴿فَضَّلْنَا﴾ جَمِيعَهُمْ..

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾ [الأنعام: ٨٦] عَلَىٰ عَالَمِ أَزْمَانِهِمْ.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٨٧﴾ [الأنعام: ٨٧].

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ وَهَدَيْنَا أَيْضًا مِنْ آبَاءِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّاتِهِمْ..

﴿وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ﴾ آخَرِينَ سِوَاهُمْ لَمْ يُسَمِّهِمْ لِلْحَقِّ، وَالدِّينِ الْخَالِصِ الَّذِي لَا شِرْكَ فِيهِ، فَوَفَّقْنَاهُمْ لَهُ..

﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ وَاخْتَرْنَاهُمْ لِدِينِنَا وَبَلَاغِ رِسَالَتِنَا إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْهِ، كَالَّذِي اخْتَرْنَا مِمَّنْ سَمَّيْنَا..

﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ وَسَدَّدْنَاهُمْ فَأَرْشَدْنَاهُمْ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٨٧﴾ [الأنعام: ٨٧] إِلَىٰ طَرِيقٍ غَيْرِ مِعْوَجٍّ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ رَبُّنَا لِأَنْبِيَائِهِ، وَأَمَرَ بِهِ عِبَادَهُ.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْهُدَىٰ الَّذِي هَدَيْتُ بِهِ مَنْ سَمَّيْتُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فَوَفَّقْتُهُمْ بِهِ لِإِصَابَةِ الدِّينِ الْحَقِّ، الَّذِي نَالُوا بِإِصَابَتِهِمْ إِيَّاهُ رِضَا رَبِّهِمْ وَشَرَفَ الدُّنْيَا وَكَرَامَةَ الْآخِرَةِ، هُوَ..

﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ هُوَ تَوْفِيقُ اللهِ وَلُطْفِهِ، الَّذِي..

﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يُوَفِّقُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُلَطِّفُ بِهِ لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ، حَتَّىٰ يُنِيبَ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ، وَإِقْرَارِهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَرَفْضِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ وَلَوْ أَشْرَكَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ، بِرَبِّهِمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، فَعَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ..

﴿لَحَبِطَ عَنْهُم﴾ لَبَطَلَ فَذَهَبَ عَنْهُمْ..

﴿مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨] أَجْرُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ، لِأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مَعَ الشِّرْكِ بِهِ عَمَلًا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام: ٨٩].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، نُوحًا وَذُرِّيَّتَهُ الَّذِينَ هَدَاهُمْ لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَاخْتَارَهُمْ لِرِسَالَتِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، هُمُ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ، وَزَبُورَ دَاوُدَ، وَإِنْجِيلَ عِيسَىٰ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ..

﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ الْفَهْمَ بِالْكِتَابِ، وَمَعْرِفَةَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ..

﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِهَا﴾ بِآيَاتِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، فَيَجْحَدُ..

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمْ..

﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام: ٨٩] فَقَدِ اسْتَحْفَظْنَاهَا وَاسْتَرْعَيْنَا الْقِيَامَ بِهَا رُسُلَنَا وَأَنْبِيَاءَنَا مِنْ قَبْلِكَ -الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ فِي الْآيَاتِ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ- الَّذِينَ لَا يَجْحَدُونَ حَقِيقَتَهَا، وَلَا يُكَذِّبُونَ بِهَا، وَلَكِنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ بِهَا وَيُؤْمِنُونَ بِصِحَّتِهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَكَّلْنَا بِآيَاتِنَا وَلَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، هُمُ..

﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ لِدِينِهِ الْحَقِّ، وَحِفْظَ مَا وَكِّلُوا بِحِفْظِهِ مِنْ آيَاتِ كِتَابِهِ، وَالْقِيَامِ بِحُدُودِهِ، وَاتِّبَاعِ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا فِيهِ مِنْ نَهْيِهِ، فَوَفَّقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِذَلِكَ..

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ فَبِالْعَمَلِ الَّذِي عَمِلُوا، وَالْمِنْهَاجِ الَّذِي سَلَكُوا، وَبِالْهُدَىٰ الَّذِي هَدَيْنَاهُمْ، وَالتَّوْفِيقِ الَّذِي وَفَّقْنَاهُمْ..

﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ يَا مُحَمَّدُ، فَاعْمَلْ وَخُذْ بِهِ، وَاسْلُكْهُ؛ فَإِنَّهُ عَمَلٌ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا، وَمِنْهَاجُ مَنْ سَلَكَهُ اهْتَدَىٰ.. وَمَعْنَىٰ الِاقْتِدَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِالرَّجُلِ: اتِّبَاعُ أَثَرِهِ وَالْأَخْذِ بِهَدْيِهِ..

﴿قُل﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ أَنْ تُذَكِّرَهُمْ بِآيَاتِي، أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ، مِنْ مُشْرِكِي

قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ تَذْكِيرِي إِيَّاكُمْ، وَالْهُدَىٰ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَالْقُرْآنِ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ..

﴿أَجۡرًا﴾ عِوَضًا أَعْتَاضُهُ مِنْكُمْ عَلَيْهِ، وَأَجْرًا آخُذُهُ مِنْكُمْ..

﴿إِنۡ هُوَ﴾ وَمَا ذَلِكَ مِنِّي..

﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠] إِلَّا تَذْكِيرٌ لَكُمْ، وَلِكُلِّ مَنْ كَانَ مِثْلَكُمْ، مِمَّنْ هُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ بَاطِلٍ، بَأْسَ اللهِ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ، وَسَخَطَهُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ بِهِ وَكُفْرِكُمْ، وَإِنْذَارٌ لِجَمِيعِكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، لِتَذَّكَّرُوا وَتَنْزَجِرُوا.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ وَمَا أَجَلُّوا اللهَ حَقَّ إِجْلَالِهِ، وَلَا عَظَّمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ..

﴿إِذۡ﴾ حِينَ..

﴿قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ لَمْ يُنْزِلِ اللهُ عَلَىٰ آدَمِيٍّ كِتَابًا وَلَا وَحْيًا..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الْقَائِلِينَ لَكَ: مَا أُنْزِلَ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ..

﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا﴾ جَلَاءً وَضِيَاءً مِنْ ظُلْمَةِ الضَّلَالَةِ..

﴿وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ بَيَانًا لِلنَّاسِ، يُبَيِّنُ لَهُمْ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ فِيمَا أُشْكِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ..

﴿تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا﴾ يُبْدُونَ كَثِيرًا مِمَّا يَكْتُبُونَ فِي الْقَرَاطِيسِ، فَيُظْهِرُونَهُ لِلنَّاسِ..

﴿وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾ مِمَّا يُثْبِتُونَهُ فِي الْقَرَاطِيسِ، فَيُسِرُّونَهُ، وَيَكْتُمُونَهُ النَّاسَ، وَمِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ إِيَّاهُمْ، مَا فِيهَا مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَنُبُوَّتِهِ..

﴿وَعُلِّمۡتُم﴾ وَعَلَّمَكُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ..

﴿مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ﴾ مِنْ أَخْبَارِ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَمِنْ أَنْبَاءِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ فِي مَعَادِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ﴾ وَلَمْ يَعْلَمْهُ آبَاؤُكُمْ مِنَ الْعَرَبِ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ..

﴿قُلِ﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، أَنْ يُجِيبَ اسْتِفْهَامَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَمَّا

أَمَرَهُ بِاسْتِفْهَامِهِمْ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ بِقِيلِهِ..

﴿ٱللَّهُ﴾ أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ ثُمَّ ذَرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الأَوْثَانَ وَالأَصْنَامَ، بَعْدَ احْتِجَاجِكَ عَلَيْهِمْ فِي قِيلِهِمْ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، بِقَوْلِكَ ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]، وَإِجَابَتِكَ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ، اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابَهُ..

﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾ فِيمَا يَخُوضُونَ فِيهِ مِنْ بَاطِلِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام: ٩١] يَسْتَهْزِئُونَ وَيَسْخَرُونَ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ وَعِيدٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ثُمَّ دَعْهُمْ لَاعِبِينَ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنِّي مِنْ وَرَاءِ مَا هُمْ فِيهِ مِنِ اسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِي بِالْمِرْصَادِ، وَأُذِيقُهُمْ بَأْسِي، وَأُحِلُّ بِهِمْ إِنْ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ سَخَطِي.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩٢﴾ [الأنعام: ٩٢].

﴿وَهَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كِتَٰبٌ﴾ وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ، قَدْ بَيَّنْتُهُ وَبَيَّنْتُ مَعْنَاهُ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ، وَمَعْنَاهُ: مَكْتُوبٌ، فَوَضَعَ الْكِتَابَ مَكَانَ الْمَكْتُوبِ..

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ..

﴿مُبَارَكٌ﴾ مُفَاعَلٌ مِنَ الْبَرَكَةِ..

﴿مُّصَدِّقُ﴾ صَدَّقَ هَذَا الْكِتَابُ..

﴿ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مَا قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ قَبْلَكَ، لَمْ يُخَالِفْهَا دَلَالَةً وَمَعْنًىٰ، نُورًا وَهُدًىٰ لِلنَّاسِ، يقول: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْكِتَابَ مُبَارَكًا مُصَدِّقًا كِتَابَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ اللهِ، وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْهُ؛ إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ بِهِ مُتَّصِلٌ، فَقَالَ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، وَمَعْنَاهُ: وَكَذَلِكَ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُبَارَكًا، كَالَّذِي أَنْزَلْتُ مِنَ التَّوْرَاةِ إِلَىٰ مُوسَىٰ هُدًىٰ وَنُورًا..

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْكِتَابَ مُصَدِّقًا مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَلِتُنْذِرَ بِهِ

عَذَابَ اللهِ وَبَأْسَهُ مَنْ فِي أُمِّ الْقُرَىٰ وَهِيَ مَكَّةُ..

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ شَرْقًا وَغَرْبًا، مِنَ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ غَيْرَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْجَاحِدِينَ بِرُسُلِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْكُفَّارِ..

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ وَالْمَعَادِ فِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَيُصَدِّقُ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فَإِنَّهُ يُؤْمِنُ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَيُصَدِّقُ بِهِ وَيُقِرُّ بِأَنَّ اللهَ أَنْزَلَهُ..

﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩٢﴾ [الأنعام: ٩٢] وَيُحَافِظُ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ بِإِقَامَتِهَا؛ لِأَنَّهُ مُنْذِرٌ مَنْ بَلَغَهُ وَعِيدَ اللهِ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ وَعَلَىٰ مَعَاصِيهِ، وَإِنَّمَا يَجْحَدُ بِهِ وَبِمَا فِيهِ وَيُكَذِّبُ أَهْلُ التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ وَالْجُحُودِ لِقِيَامِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو مِنَ اللهِ إِنْ عَمِلَ بِمَا فِيهِ ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُ إِنْ لَمْ يَجْتَنِبْ مَا يَأْمُرُهُ بِاجْتِنَابِهِ عِقَابًا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وَمَنْ أَخْطَأُ قَوْلًا، وَأَجْهَلُ فِعْلًا..

﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ مِمَّنِ اخْتَلَقَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، فَادَّعَىٰ عَلَيْهِ أَنَّهُ بَعَثَهُ نَبِيًّا وَأَرْسَلَهُ نَذِيرًا، وَهُوَ فِي دَعْوَاهُ مُبْطِلٌ وَفِي قِيلِهِ كَاذِبٌ..

﴿أَوْ﴾ وَ..

﴿قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ..

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ فَيَنْقُضُ قَوْلَهُ بِقَوْلِهِ، وَيُكَذِّبُ بِالَّذِي تَحَقَّقَهُ، وَيَنْفِي مَا يُثْبِتُهُ، وَذَلِكَ إِذَا تَدَبَّرَهُ الْعَاقِلُ الْأَرِيبُ عَلِمَ أَنَّ فَاعِلَهُ مِنْ عَقْلِهِ عَدِيمٌ.. وَهَذَا تَسْفِيهٌ مِنَ اللهِ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَتَجْهِيلٌ مِنْهُ لَهُمْ فِي مُعَارَضَةِ (عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ) وَ(الْحَنَفِيِّ مُسَيْلِمَةَ) لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ، بِدَعْوَىٰ أَحَدِهِمَا النُّبُوَّةَ، وَدَعْوَىٰ الْآخَرِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ

رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَفْيٌ مِنْهُ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ اخْتِلَاقَ الْكَذِبِ عَلَيْهِ وَدَعْوَىٰ الْبَاطِلِ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلِقًا عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، وَقَائِلًا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَفِي غَيْرِهِ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي قِيلِهِ كَاذِبٌ لَمْ يُوحِ اللهُ إِلَيْهِ شَيْئًا..

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ حِينَ يَغْمُرُ الْمَوْتُ بِسَكَرَاتِهِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، وَالْقَائِلِينَ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، وَالْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَالْقَائِلِينَ: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، فَتُعَايِنُهُمْ وَقَدْ غَشِيَتْهُمْ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، وَنَزَلَ بِهِمْ أَمْرُ اللهِ، وَحَانَ فَنَاءُ آجَالِهِمْ.. وَالْغَمَرَاتُ: جَمْعُ غَمْرَةٍ، وَغَمْرَةُ كُلِّ شَيْءٍ: كَثْرَتُهُ وَمُعْظَمُهُ، وَأَصْلُهُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَغْمُرُ الْأَشْيَاءَ فَيُغَطِّيهَا..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ» [محمد: ٢٧- ٢٨]، يَقُولُونَ لَهُمْ..

﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: «أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ»، وَنُفُوسُ بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يُخْرِجُهَا مِنْ أَبْدَانِ أَهْلِهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَكَيْفَ خُوطِبَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ، وَأُمِرُوا فِي حَالِ الْمَوْتِ بِإِخْرَاجِ أَنْفُسِهِمْ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بَنُو آدَمَ هُمْ يَقْبِضُونَ أَنْفُسَ أَجْسَامِهِمْ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ بِخِلَافِ الَّذِي إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِهِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ أَجْسَامِهِمْ، بِأَدَاءِ مَا أَسْكَنَهَا رَبُّهَا مِنَ الْأَرْوَاحِ إِلَيْهِ، وَتَسْلِيمِهَا إِلَىٰ رُسُلِهِ الَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَهَا، فَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا تَقُولُ رُسُلُ اللهِ الَّتِي تَقْبِضُ أَرْوَاحَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ لَهَا، يُخْبِرُ عَنْهَا أَنَّهَا تَقُولُ لِأَجْسَامِهَا وَلِأَصْحَابِهَا: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَىٰ سَخَطِ اللهِ وَلَعْنَتِهِ فَإِنَّكُمْ..

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ تُثَابُونَ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِاللهِ..

﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ وَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ الَّذِي يُهِينُهُمْ فَيُذِلُّهُمْ، حَتَّىٰ يَعْرِفُوا صَغَارَ أَنْفُسِهِمْ وَذِلَّتَهَا.. وَالْعَرَبُ إِذَا أَرَادَتْ بِالْهُونِ مَعْنَىٰ الْهَوَانِ ضَمَّتِ الْهَاءَ، وَإِذَا أَرَادَتْ بِهِ الرِّفْقَ وَالدَّعَةَ وَخِفَّةَ الْمَؤُونَةِ فَتَحَتِ الْهَاءَ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، يَعْنِي: بِالرِّفْقِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بِسَبَبِ قِيلِكُمْ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ، وَزَعْمِكُمْ أَنَّ اللهَ أَوْحَىٰ

إِلَيْكُمْ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْكُمْ شَيْئًا، وَإِنْكَارِكُمْ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَنْزَلَ عَلَىٰ بَشَرٍ شَيْئًا..

﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣] وَبِسَبَبِ اسْتِكْبَارِكُمْ عَنِ الْخُضُوعِ لِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، وَالِانْقِيَادِ لِطَاعَتِهِ.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤].

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، عَمَّا هُوَ قَائِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، يُخْبِرُ عِبَادَهُ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا وُحْدَانًا، لَا مَالَ مَعَهُمْ، وَلَا أَثَاثَ، وَلَا رَفِيقَ، وَلَا شَيْءَ مِمَّا كَانَ اللهُ خَوَّلَهُمْ فِي الدُّنْيَا.. وَفُرَادَىٰ جَمْعٌ، يُقَالُ لِوَاحِدِهَا: فَرْدٌ..

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عُرَاةً، غُلْفًا، غُرْلًا، حُفَاةً، كَمَا وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ، وَكَمَا خَلَقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، لَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ وَلَا مَعَهُمْ مِمَّا كَانُوا يَتَبَاهَوْنَ بِهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَتَرَكْتُم﴾ وَخَلَّفْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ مَا مَكَّنَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا مِمَّا كُنْتُمْ تتباهَوْنَ بِهِ فِيهَا..

﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ خَلْفَكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَلَمْ تَحْمِلُوهُ مَعَكُمْ.. وَهَذَا تَعْيِيرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِمُبَاهَاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَتَبَاهَوْنَ بِهَا فِي الدُّنْيَا بِأَمْوَالِهِمْ، وَكُلُّ مَا مَلَّكْتَهُ غَيْرَكَ وَأَعْطَيْتَهُ فَقَدْ خَوَّلْتَهُ، يُقَالُ مِنْهُ: خَالَ الرَّجُلُ يَخَالُ أَشَدَّ الْخِيَالِ بِكَسْرِ الْخَاءِ، وَهُوَ خَائِلٌ..

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَنْدَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَزْعُمُونَ..

﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تَوَاصُلُكُم الَّذِي كَانَ بَيْنَكُم فِي الدُّنْيَا، ذَهَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تَوَاصُلَ بَيْنَكُم وَلَا تَوَادَّ وَلَا تَنَاصُرَ، وَقَدْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَتَوَاصَلُونَ وَيَتَنَاصَرُونَ فَاضْمَحَلَّ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا أَحَدَ مِنْهُمْ يَنْصُرُ صَاحِبَهُ وَلَا يُوَاصِلُهُ..

﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ وَحَادَ عَنْ طَرِيقِكُمْ وَمِنْهَاجِكُمْ..

﴿مَّا كُنتُمْ﴾ مِنْ آلِهَتِكُمْ..

﴿تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤] أَنَّهُ شَرِيكُ رَبِّكُمْ، وَأَنَّهُ لَكُمْ شَفِيعٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ، فَلَا يَشْفَعُ لَكُمُ الْيَوْمَ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٩٥﴾ [الأنعام: ٩٥].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ أَيُّهَا النَّاسُ دُونَ كُلِّ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، هُوَ اللهُ..

﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ﴾ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّ، جَمْعُ حَبَّةٍ،، يَعْنِي: شَقَّ الْحَبَّ مِنْ كُلِّ مَا يُنْبِتُ مِنَ النَّبَاتِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ الزَّرْعَ..

﴿وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ مِنْ كُلِّ مَا يُغْرَسُ مِمَّا لَهُ نَوَاةٌ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ الشَّجَرَ.. وَالنَّوَىٰ: جَمْعُ النَّوَاةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ (فَالِقُ): خَالِقٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ فَلَقَ الشَّقَّ الَّذِي فِي الْحَبَّةِ وَالنَّوَاةِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي مَا قَدَّمْنَا الْقَوْلَ بِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِإِخْبَارِهِ عَنْ إِخْرَاجِهِ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا عَنَىٰ بِإِخْبَارِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ فَالِقُ الْحَبِّ عَنِ النَّبَاتِ، وَالنَّوَىٰ عَنِ الْغُرُوسِ وَالْأَشْجَارِ، كَمَا هُوَ مُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ.. وَأَمَّا الْقَوْلُ الَّذِي حُكِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ فِي مَعْنَىٰ فَالِقِ أَنَّهُ خَالِقٌ، فَقَوْلٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ خَالِقٌ مِنْهُ النَّبَاتَ وَالْغُرُوسَ بِفَلْقِهِ إِيَّاهُ، لَا أَعْرِفُ لَهُ وَجْهًا، لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَلَقَ اللهُ الشَّيْءَ بِمَعْنَىٰ: خَلَقَ..

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ يُخْرِجُ السُّنْبُلَ الْحَيَّ مِنَ الْحَبِّ الْمَيِّتِ..

﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ وَمُخْرِجُ الْحَبِّ الْمَيِّتِ مِنَ السُّنْبُلِ الْحَيِّ، وَالشَّجَرِ الْحَيِّ مِنَ النَّوَىٰ الْمَيِّتِ، وَالنَّوَىٰ الْمَيِّتِ مِنَ الشَّجَرِ الْحَيِّ.. وَالشَّجَرُ مَا دَامَ قَائِمًا عَلَىٰ أُصُولِهِ لَمْ يَجِفَّ، وَالنَّبَاتُ عَلَىٰ سَاقِهِ لَمْ يَيْبَسْ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّيهِ حَيًّا، فَإِذَا يَبِسَ وَجَفَّ أَوْ قُطِعَ مِنْ أَصْلِهِ سَمَّوْهُ مَيِّتًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾، يُخْرِجُ النُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْحَيِّ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النُّطْفَةِ بَشَرًا حَيًّا.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا التَّأْوِيلَ الَّذِي اخْتَرْنَا فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ عُقَيْبُ قَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾، عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾، وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مِنَ اللهِ عَنْ إِخْرَاجِهِ مِنَ الْحَبِّ السُّنْبُلَ، وَمِنَ السُّنْبُلِ الْحَبَّ، فَإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي عُمُومِهِ إِخْرَاجُ النُّطْفَةِ الْمَيِّتَةِ مِنَ الْحَيِّ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النُّطْفَةِ بَشَرًا حَيًّا، وَكُلُّ مَيِّتٍ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ جِسْمٍ حَيٍّ، وَكُلُّ حَيٍّ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ جِسْمٍ مَيِّتٍ..

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ فاعِلُ ذَلِكَ كُلِّهُ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ..

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥﴾ [الأنعام: ٩٥] فَأَيُّ وُجُوهِ الصَّدِّ عَنِ الْحَقِّ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ تَصُدُّونَ عَنِ الصَّوَابِ وَتُصْرَفُونَ، أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ فَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِفَلْقِ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، فَأَخْرَجَ لَكُمْ مِنْ يَابِسِ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ زُرُوعًا وَحُرُوثًا وَثِمَارًا تَتَغَذَّوْنَ بِبَعْضِهِ وَتَفَكَّهُونَ بِبَعْضِهِ، شَرِيكٌ فِي عِبَادَتِهِ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ؟.. وَهَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ لَهُمْ خَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ إِشْرَاكِ الْأَصْنَامِ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦﴾
[الأنعام: ٩٦].

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ شَاقُّ عَمُودِ الصُّبْحِ عَنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ..

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ لِأَنَّهُ يَسْكُنُ فِيهِ كُلُّ مُتَحَرِّكٍ بِالنَّهَارِ، وَيَهْدَأُ فِيهِ فَيَسْتَقِرُّ فِي مَسْكَنِهِ وَمَأْوَاهُ..

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ وَعَدَدٍ لِبُلُوغِ أَمْرِهِمَا وَنَهَايَةِ آجَالِهِمَا، وَيَدُورَانِ لِمَصَالِحِ الْخَلْقِ الَّتِي جُعِلَا لَهَا؛ وَوَصْفُهُ إِجْرَاءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِمَنَافِعِهِمْ أَشْبَهَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ ذِكْرِ إِضَاءَتِهِمَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَ ذَلِكَ قَبْلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾، فَلَا مَعْنَىٰ لِتَكْرِيرِهِ مَرَّةً أُخْرَىٰ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ لِغَيْرِ مَعْنًى، ولِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ذَكَرَ قَبْلَهُ أَيَادِيهِ عِنْدَ خَلْقِهِ وَعِظَمَ سُلْطَانِهِ، بِفَلْقِهِ الْإِصْبَاحَ لَهُمْ وَإِخْرَاجَ النَّبَاتِ وَالْغِرَاسِ مِنَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَعَقَّبَ ذَلِكَ بِذِكْرِهِ خَلْقَ النُّجُومِ لِهِدَايَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الْفِعْلُ الَّذِي وَصَفَهُ أَنَّهُ فَعَلَهُ، وَهُوَ فَلْقُهُ الْإِصْبَاحَ، وَجَعْلُهُ اللَّيْلَ سَكَنًا، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا..

﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الَّذِي عَزَّ سُلْطَانُهُ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَرَادَهُ بِسُوءٍ وَعِقَابٍ أَوِ انْتِقَامٍ مِنَ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ..

﴿ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦﴾ [الأنعام: ٩٦] بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِمْ، لَا تَقْدِيرَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، وَلَا تَفْقَهُ شَيْئًا وَلَا تَعْقِلُهُ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَإِنْ أُرِيدَتْ بِسُوءٍ لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ مِمَّنْ أَرَادَهَا بِهِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَأَخْلِصُوا أَيُّهَا الْجَهَلَةُ عِبَادَتَكُمْ لِفَاعِلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَلَا تُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وَاللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ النُّجُومَ أَدِلَّةً فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِذَا ضَلَلْتُمُ الطَّرِيقَ، أَوْ تَحَيَّرْتُمْ فَلَمْ تَهْتَدُوا فِيهَا لَيْلًا تَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَىٰ الْمَحَجَّةِ، فَتَهْتَدُونَ بِهَا إِلَىٰ الطَّرِيقِ وَالْمَحَجَّةِ فَتَسْلُكُونَهُ، وَتَنْجُوْنَ بِهَا مِنْ ظُلُمَاتِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦]، أَيْ مِنْ ضَلَالِ الطَّرِيقِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَعَنَىٰ بِالظُّلُمَاتِ: ظُلْمَةَ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةَ الْخَطَأِ وَالضَّلَالِ، وَظُلْمَةَ الْأَرْضِ أَوِ الْمَاءِ..

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ قَدْ مَيَّزْنَا الْأَدِلَّةَ وَفَرَّقْنَا الْحُجَجَ فِيكُمْ وَبَيَّنَّاهَا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧] لِيَتَدَبَّرَهَا أُولُو الْعِلْمِ بِاللهِ مِنْكُمْ، وَيَفْهَمَهَا أُولُو الْحِجَا مِنْكُمْ، فَيُنِيبُوا مِنْ جَهْلِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، وَيَنْزَجِرُوا عَنْ خَطَأِ فِعْلِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ثَابِتُونَ، وَلَا يَتَمَادُوا عِنَادًا لِلَّهِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ خَطَأٌ فِي غَيِّهِمْ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٨].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾ وَإِلَهُكُمْ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ غَيْرَهُ هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، فَأَوْجَدَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا..

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَمِنْكُمْ مُسْتَقَرٌّ فِي الرَّحِمِ، وَمِنْكُمْ مُسْتَوْدَعٌ فِي الْقَبْرِ حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ لِنَشْرِ الْقِيَامَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُسْتَوْدَعُ: مَا كَانَ فِي أَصْلَابِ الْآبَاءِ، وَالْمُسْتَقَرُّ: مَا كَانَ فِي بُطُونِ النِّسَاءِ وَبُطُونِ الْأَرْضِ أَوْ عَلَىٰ ظُهُورِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَمُسْتَقَرٌّ فِي الْأَرْضِ عَلَىٰ ظُهُورِهَا، وَمُسْتَوْدَعٌ عِنْدَ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَمُسْتَقَرٌّ فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي الصُّلْبِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُسْتَقَرُّ: فِي الْقَبْرِ، وَالْمُسْتَوْدَعُ: فِي الدُّنْيَا.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ كُلَّ خَلْقِهِ الَّذِي أَنْشَأَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مُسْتَقَرًّا

وَمُسْتَوْدَعًا، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ بَنِي آدَمَ مُسْتَقَرًّا فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعًا فِي الصُّلْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُسْتَقَرٌّ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَوْ بَطْنِهَا، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَمِنْهُمْ مُسْتَقَرٌّ فِي الْقَبْرِ مُسْتَوْدَعٌ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَكُلُّ مُسْتَقَرٍّ أَوْ مُسْتَوْدَعٍ بِمَعْنًىٰ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي فَدَاخِلٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ وَمُرَادٌ بِهِ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ خَبَرٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِأَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، وَخَاصٌّ دُونَ عَامٍّ..

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ قَدْ بَيَّنَّا الْحُجَجَ، وَمَيَّزْنَا الْأَدِلَّةَ وَالْأَعْلَامَ وَأَحْكَمْنَاهَا..

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾ [الأنعام: ٩٨] مَوَاقِعَ الْحُجَجِ، وَمَوَاضِعَ الْعِبَرِ، وَيَفْهَمُونَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرَ، فَإِنَّهُمْ إِذَا اعْتَبَرُوا بِمَا نَبَّهْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِنْشَائِي مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مَا عَايَنُوا مِنَ الْبَشَرِ، وَخَلْقِي مَا خَلَقْتُ مِنْهَا مِنْ عَجَائِبِ الْأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ، عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ مَنْ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ، وَلَا شَرِيكٌ فَيُشْرِكُوهُ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩﴾ [الأنعام: ٩٩].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ خَالِصَةً لَا شِرْكَةَ فِيهِ لِشَيْءٍ سِوَاهُ، هُوَ الْإِلَهُ..

﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فَأَخْرَجْنَا بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ غِذَاءِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ، وَأَرْزَاقِ بَنِي آدَمَ، وَأَقْوَاتِهِمْ مَا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ وَيَأْكُلُونَهُ، فَيَنْبُتُونَ عَلَيْهِ وَيَنْمُونَ..

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مَا يَنْبُتُ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَيَنْمُو عَلَيْهِ وَيَصْلُحُ.. وَلَوْ قِيلَ مَعْنَاهُ: فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ، فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ هُوَ أَصْنَافَ النَّبَاتِ، كَانَ مَذْهَبًا، وَإِنْ كَانَ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ..

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ فَأَخْرَجْنَا مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿خَضِرًا﴾ رَطِبًا مِنَ الزَّرْعِ، وَالْخَضِرُ: هُوَ الْأَخْضَرُ..

﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ نُخْرِجُ مِنَ الْخَضِرِ..

﴿حَبًّا﴾ فِي السُّنْبُلِ..

﴿مُتَرَاكِبًا﴾ سُنْبُلِ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْأُرْزِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ السَّنَابِلِ الَّتِي حَبُّهَا يَرْكَبُ

بَعْضُهُ بَعْضًا..

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ قِصَارُ النَّخْلِ.. جَمْعُ قِنْو، كَمَا الصِّنْوَانُ: جَمْعُ صِنْو، وَهُوَ الْعِذْقُ، يُقَالُ لِلْوَاحِدِ: هُوَ قِنْوٌ، وَقِنَا، وَيُثَنَّىٰ قِنْوَانِ، وَيُجْمَعُ قِنْوَانٌ وَقُنْوَانٌ..

﴿دَانِيَةٌ﴾ قَرِيبَةٌ، لَاصِقَةٌ عُذُوقَهَا بِالْأَرْضِ..

﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ وَأَخْرَجْنَا أَيْضًا بَسَاتِينَ مِنْ أَعْنَابٍ..

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ وَأَخْرَجْنَا الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَرَقُهُ، مُخْتَلِفًا ثَمَرُهُ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ: مُشْتَبِهًا فِي الْخَلْقِ، مُخْتَلِفًا فِي الطَّعْمِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَشَجَرُ الزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانِ، فَاكْتَفَىٰ مِنْ ذِكْرِ الشَّجَرِ بِذِكْرِ ثَمَرِهِ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْقَرْيَةِ مِنْ ذِكْرِ أَهْلِهَا، لِمَعْرِفَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ بِمَعْنَاهُ..

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ وَنُضْجِهُ وَبُلُوغِهُ حِينَ يَبْلُغُ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ﴾ إِنَّ فِي إِنْزَالِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ الَّذِي أَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْخَضِرَ الَّذِي أَخْرَجَ مِنْهُ الْحَبَّ الْمُتَرَاكِبَ، وَسَائِرَ مَا عَدَّدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ صُنُوفِ خَلْقِهِ..

﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ فِي ذَلِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا أَنْتُمْ نَظَرْتُمْ إِلَىٰ ثَمَرِهِ عِنْدَ عَقْدِ ثَمَرِهِ، وَعِنْدَ يَنْعِهِ وَانْتِهَائِهِ، فَرَأَيْتُمُ اخْتِلَافَ أَحْوَالِهِ وَتَصَرُّفَهُ فِي زِيَادَتِهِ وَنُمُوِّهِ، عَلِمْتُمْ أَنَّ لَهُ مُدَبِّرًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَكَانَ فِيهِ حُجَجٌ وَبُرْهَانٌ وَبَيَانٌ..

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩﴾ [الأنعام: ٩٩] لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ. وَخَصَّ بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْقَوْمَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَالْمُعْتَبِرُونَ بِهَا، دُونَ مَنْ قَدْ طُبِعَ عَلَىٰ قَلْبِهِ فَلَا يَعْرِفُ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ، وَلَا يَتَبَيَّنُ هُدًىٰ مِنْ ضَلَالَةٍ.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾ [الأنعام: ١٠٠].

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ وَجَعَلَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ لِلَّهِ..

﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ﴾ [الصافات: ١٥٨]، وَفِي الْجِنِّ وَجْهَانِ مِنَ النَّصْبِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِلشُّرَكَاءِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْجِنَّ شُرَكَاءَ وَهُوَ خَالِقُهُمْ)..

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِخَلْقِهِمْ بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ.

﴿وَخَرَقُوا﴾ اخْتَلَقُوا، وَافْتَرَوا، وَتَخَرَّصُوا لِلَّهِ كَذِبًا، فَافْتَعَلُوا..

﴿لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مِنْهُمْ بِحَقِيقَةِ مَا يَقُولُونَ، وَلَكِنْ جَهْلًا بِاللهِ وَبِعَظَمَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ إِلَهًا أَنْ يَكُونَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ وَلَا صَاحِبَةٌ، وَلَا أَنْ يَشْرِكَهُ فِي خَلْقِهِ شَرِيكٌ، فَقَالَتِ الْعَرَبُ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ: الْمَسِيحُ وَعُزَيْرٌ ابْنَا اللهِ..

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾ [الأنعام: ١٠٠] تَنَزَّهَ اللهُ وَعَلَا، فَارْتَفَعَ عَنِ الَّذِي يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ، مِنْ خَلْقِهِ فِي ادِّعَائِهِمْ لَهُ شُرَكَاءَ مِنَ الْجِنِّ، وَاخْتِرَاقِهِمْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، وَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ صِفَتِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ خَلْقِهِ الَّذِينَ يَكُونُ مِنْهُمُ الْجِمَاعُ الَّذِي يَحْدُثُ عَنْهُ الْأَوْلَادُ، وَالَّذِينَ تَضْطَرُّهُمْ لِضَعْفِهِمُ الشَّهَوَاتُ إِلَىٰ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ لِقَضَاءِ اللَّذَّاتِ، وَلَيْسَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالْعَاجِزِ فَيَضْطَرُّهُ شَيْءٌ إِلَىٰ شَيْءٍ، وَلَا بِالضَّعِيفِ الْمُحْتَاجِ فَتَدْعُوهُ حَاجَتُهُ إِلَىٰ النِّسَاءِ إِلَىٰ اتِّخَاذِ صَاحِبَةٍ لِقَضَاءِ لَذَّةٍ.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اللهُ الَّذِي جَعَلَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ بِهِ لَهُ الْجِنَّ شُرَكَاءَ، وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يَعْنِي: مُبْتَدِعُهَا وَمُحْدِثُهَا وَمُوجِدُهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ..

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ وَالْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ صَاحِبَةٌ، فَيَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، يَقُولُ: فَإِذَا كَانَ لَا شَيْءَ إِلَّا اللهُ خَلَقَهُ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ لِلَّهِ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ، فَيَكُونُ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ؟!

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا خَالِقَ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا تَدْعُونَ -أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ- مِنْ دُونِهِ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، مَلَكًا كَانَ الَّذِي تَدْعُونَهُ -رَبًّا وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَهُ وَلَدٌ- أَوْ جِنِّيًّا أَوْ إِنْسِيًّا..

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١] وَاللهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا خَلَقَ، وَلَا شَيْءٌ مِنْهُ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، عَالِمٌ بِعَدَدِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَأَعْمَالِ مَنْ دَعَوْتُمُوهُ رَبًّا، أَوْ لِلَّهِ وَلَدًا، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ﴾ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، هُوَ اللهُ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، وَالْجَاعِلُونَ لَهُ الْجِنَّ شُرَكَاءَ، وَآلِهَتَكُمُ الَّتِي لَا تَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا تَفْعَلُ خَيْرًا وَلَا شَرًّا..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْجِنَّ شُرَكَاءُ اللهِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ، إِنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُ الْأُلُوهِيَّةُ وَالْعِبَادَةُ إِلَّا الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عِبَادَتُكُمْ وَعِبَادَةُ جَمِيعِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا لَهُ خَالِصَةً بِغَيْرِ شَرِيكٍ تُشْرِكُونَهُ فِيهَا، فَإِنَّهُ..

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ﴾ وَبَارِئُهُ وَصَانِعُهُ، وَحَقٌّ عَلَى الْمَصْنُوعِ أَنْ يُفْرِدَ صَانِعَهُ بِالْعِبَادَةِ..

﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ فَذِلُّوا لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخِدْمَةِ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِذَلِكَ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] وَاللهُ عَلَى كُلِّ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ رَقِيبٌ وَحَفِيظٌ، يَقُومُ بِأَرْزَاقِ جَمِيعِهِ وَأَقْوَاتِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ بِقُدْرَتِهِ.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣].

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُحِيطُ بِهَا، وَاعْتَلَّ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ لِقَوْلِهِمْ هَذَا بِأَنْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس: ٩٠]، قَالُوا: فَوَصَفَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ الْغَرَقَ بِأَنَّهُ أَدْرَكَ فِرْعَوْنَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْغَرَقَ غَيْرُ مَوْصُوفٍ بِأَنَّهُ رَآهُ، وَلَا هُوَ مِمَّا يَجُوزُ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ يَرَى شَيْئًا، قَالُوا: فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ بِمَعْنَى: لَا تَرَاهُ بَعِيدًا، لِأَنَّ الشَّيْءَ قَدْ يُدْرِكُ الشَّيْءَ وَلَا يَرَاهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ أَصْحَابِ مُوسَى ﷺ حِينَ قَرُبَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ فِرْعَوْنَ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١﴾ [الشعراء: ٦١]؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ كَانَ وَعَدَ نَبِيَّهُ مُوسَى ﷺ أَنَّهُمْ لَا يُدْرَكُونَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ٧٧﴾ [طه: ٧٧]، قَالُوا: فَإِنْ كَانَ الشَّيْءُ قَدْ يَرَى الشَّيْءَ وَلَا يُدْرِكُهُ، وَيُدْرِكُهُ وَلَا يَرَاهُ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾

مِنْ مَعْنَىٰ لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ بِمَعْزِلٍ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ؛ لِأَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهِ غَيْرُ جَائِزَةٍ، قَالُوا: فَالْمُؤْمِنُونَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ، وَلَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُهُمْ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهَا لَا تُحِيطُ بِهِ، إِذْ كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِأَنَّ شَيْئًا يُحِيطُ بِهِ، قَالُوا: وَنَظِيرُ جَوَازِ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ يُرَىٰ وَلَا يُدْرَكُ جَوَازُ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ يُعْلَمُ وَلَا يُحَاطُ بِهِ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قَالُوا: فَنَفَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ خَلْقِهِ أَنْ يَكُونُوا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، قَالُوا: وَمَعْنَىٰ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَعْلُومُ، قَالُوا: فَلَمْ يَكُنْ فِي نَفْيِهِ عَنْ خَلْقِهِ أَنْ يُحِيطُوا بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ نَفْيٌ عَنْ أَنْ يَعْلَمُوهُ، قَالُوا: فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي نَفْيِ الْإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ عِلْمًا نَفْيٌ لِلْعِلْمِ بِهِ، كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْيِ إِدْرَاكِ اللهِ عَنِ الْبَصَرِ نَفْيُ رُؤْيَتِهِ لَهُ، قَالُوا: وَكَمَا جَازَ أَنْ يَعْلَمَ الْخَلْقُ أَشْيَاءَ وَلَا يُحِيطُونَ بِهَا عِلْمًا، كَذَلِكَ جَائِزٌ أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ وَلَا يُدْرِكُوهُ بِأَبْصَارِهِمْ، إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الرُّؤْيَةِ غَيْرَ مَعْنَىٰ الْإِدْرَاكِ، وَمَعْنَىٰ الْإِدْرَاكِ غَيْرَ مَعْنَىٰ الرُّؤْيَةِ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ الْإِدْرَاكِ: إِنَّمَا هُوَ الْإِحَاطَةُ، قَالُوا: فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ؟ قُلْنَا لَهُ: أَنْكَرْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ وُجُوهًا فِي الْقِيَامَةِ إِلَيْهِ نَاظِرَةٌ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخْبَرَ أُمَّتَهُ أَنَّهُمْ سَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُرَىٰ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، قَالُوا: فَإِذْ كَانَ اللهُ قَدْ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ بِمَا أَخْبَرَ، وَحَقَّقَتْ أَخْبَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا ذَكَرْنَا عَنْهُ مِنْ قِيلِهِ ﷺ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، أَنَّهُ نَظَرُ أَبْصَارِ الْعُيُونِ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَكَانَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ هَاذَيْنِ الْخَبَرَيْنِ نَاسِخًا لِلْآخَرِ؛ إِذْ كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ فِي الْأَخْبَارِ، عُلِمَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» غَيْرُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ بِأَبْصَارِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ اللهِ وَلَا يُدْرِكُونَهُ بِهَا، تَصْدِيقًا لِلَّهِ فِي كِلَا الْخَبَرَيْنِ، وَتَسْلِيمًا لِمَا جَاءَ بِهِ تَنْزِيلُهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ فِي السُّورَتَيْنِ..

﴿وَهُوَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْمُتَيَسِّرُ لَهُ مِنْ إِدْرَاكِ الْأَبْصَارِ، وَالْمُتَأَتِّي لَهُ مِنَ الْإِحَاطَةِ بِهَا رُؤْيَةُ مَا يَعْسُرُ عَلَىٰ الْأَبْصَارِ؛ مِنْ إِدْرَاكِهَا إِيَّاهُ، وَإِحَاطَتِهَا بِهِ، وَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا..

﴿ٱللَّطِيفُ﴾ فَلَطَفَ بِقُدْرَتِهِ، فَهَيَّأَ أَبْصَارَ خَلْقِهِ هَيْئَةً لَا تُدْرِكُهُ..

﴿ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣] الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ وَأَبْصَارِهِمْ، وَالسَّبَبُ الَّذِي لَهُ تَعَذَّرَ عَلَيْهَا إِدْرَاكُهُ،

وَخَبَرَ بِعِلْمِهِ كَيْفَ تَدْبِيرُهَا وَشئُونُهَا، وَمَا هُوَ أَصْلَحُ بِخَلْقِهِ.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

﴿قَدْ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَبَّهَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ [الأنعام: ٩٥] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] عَلَىٰ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَىٰ تَبْيِينِ خَلْقِهِ مَعَهُمْ، الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ، وَالْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: قَدْ..

﴿جَآءَكُم﴾ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ وَالْمُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ..

﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ أَيْ مَا تُبْصِرُونَ بِهِ الْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالِ، وَالْإِيمَانَ مِنَ الْكُفْرِ، وَهِيَ جَمْعُ بَصِيرَةٍ..

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ فَمَنْ تَبَيَّنَ حُجَجَ اللهِ، وَعَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا، وَآمَنَ بِمَا دَلَّتْهُ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ..

﴿فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ فَإِنَّمَا أَصَابَ حَظَّ نَفْسِهِ، وَلِنَفْسِهِ عَمِلَ، وَإِيَّاهَا بَغَىٰ الْخَيْرَ..

﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَدِلَّ بِهَا، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِمَا دَلَّتْهُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَلَكِنَّهُ عَمِيَ عَنْ دَلَالَتِهَا الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا..

﴿فَعَلَيْهَاۚ﴾ فَعَلَىٰ نَفْسِهِ ضَرَّ، وَإِلَيْهَا أَسَاءَ لَا إِلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤] وَمَا أَنَا عَلَيْكُمُ بِرَقِيبٍ، أُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَاللهُ الْحَفِيظُ عَلَيْكُمُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأٓيَٰتِ﴾ كَمَا صَرَّفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْآيَاتِ وَالْحُجَجَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَبَيَّنْتُهَا، فَعَرَّفْتُكُمُوهَا فِي تَوْحِيدِي وَتَصْدِيقِ رَسُولِي وَكِتَابِي، وَوَصَّيْتُكُمْ عَلَيْهَا، فَكَذَلِكَ أُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي وَحُجَجِي فِي كُلِّ مَا جَهِلْتُمُوهُ فَلَمْ تَعْرِفُوهُ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ قَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَذَلِكَ كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ قِيلِهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، فَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ يُنْبِئُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ مُحَمَّدٌ مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ..

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ كَمَا صَرَّفْنَا الْآيَاتِ وَالْعِبَرَ وَالْحُجَجَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، كَذَلِكَ نُصَرِّفُ لَهُمُ الْآيَاتِ فِي غَيْرِهَا، كَيْلَا يَقُولُوا لِرَسُولِنَا الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ: إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ مَا تَأْتِينَا بِهِ تَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيَنْزَجِرُوا عَنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَتَقَوُّلِهِمْ عَلَيْهِ الْإِفْكَ وَالزُّورَ، وَلِنُبَيِّنَ تَصْرِيفَنَا الْآيَاتِ الْحَقَّ..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥] الْحَقَّ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمْ، فَيَتَّبِعُوهُ وَيَقْبَلُوهُ، وَلَيْسُوا كَمَنْ إِذَا بُيِّنَ لَهُمْ عَمُوا عَنْهُ فَلَمْ يَعْقِلُوهُ وَازْدَادُوا مِنَ الْفَهْمِ بِهِ بُعْدًا.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام: ١٠٦].

﴿ٱتَّبِعْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ فِي وَحْيِهِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْكَ، فَاعْمَلْ بِهِ، وَانْزَجِرْ عَمَّا زَجَرَكَ عَنْهُ فِيهِ، وَدَعْ مَا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ مُشْرِكُو قَوْمِكَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، فَإِنَّهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿إِلَّا هُوَ﴾ إِلَّا اللهُ الَّذِي هُوَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَفَالِقُ الْإِصْبَاحِ، وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا..

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام: ١٠٦] وَدَعْ عَنْكَ جِدَالَهُمْ وَخُصُومَتَهُمْ وَمُسَابَّتَهُمْ، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ فِي بَرَاءَةَ: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام: ١٠٧].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ﴾ لَوْ أَرَادَ رَبُّكَ هِدَايَتَهُمْ وَاسْتِنْقَاذَهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، لَلَطَفَ لَهُمْ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَلَآمَنُوا بِكَ، فَاتَّبَعُوكَ وَصَدَّقُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ﴾ وَإِنَّمَا بَعَثْتُكَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مُبَلِّغًا، وَلَمْ نَبْعَثْكَ حَافِظًا عَلَيْهِمْ مَا

هُمْ عَامِلُوهُ وَتُحْصِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْنَا دُونَكَ..

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأنعام: ١٠٧] وَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِقَيِّمٍ، تَقُومُ بِأَرْزَاقِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ، وَلَا بِحِفْظِهِمْ فِيمَا لَمْ يُجْعَلْ إِلَيْكَ حِفْظُهُ مِنْ أَمْرِهِمْ.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ [الأنعام: ١٠٨].

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُو الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ﴾ فَيَسُبُّ الْمُشْرِكُونَ اللهَ..

﴿عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ جَهْلًا مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ وَاعْتِدَاءً بِغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا زَيَّنَّا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَطَاعَةَ الشَّيْطَانِ، بِخُذْلَانِنَا إِيَّاهُمْ عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، كَذَلِكَ..

﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ زَيَّنَّا لِكُلِّ جَمَاعَةٍ اجْتَمَعَتْ عَلَى عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَمَعْصِيَتِهِ..

﴿عَمَلَهُمۡ﴾ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُجْتَمِعُونَ..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ﴾ ثُمَّ مَرْجِعُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَصِيرُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ..

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ [الأنعام: ١٠٨] فَيُوقِفُهُمْ وَيُخْبِرُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِهَا إِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرٌّ، أَوْ يَعْفُو بِفَضْلِهِ مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكًا أَوْ كُفْرًا.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾ [الأنعام: ١٠٩].

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ حَلَفَ بِاللهِ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ جَهْدَ حَلِفِهِمْ، وَذَلِكَ أَوْكَدُ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَيْمَانِ وَأَصْعَبُهَا وَأَشَدُّهَا..

﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ﴾ قَالُوا: نُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ جَاءَتْنَا آيَةٌ تُصَدِّقُ مَا تَقُولُ يَا مُحَمَّدُ، مِثْلُ الَّذِي جَاءَ مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَمِ..

﴿لَيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾ قَالُوا: لَنُصَدِّقَنَّ بِمَجِيئِهَا بِكَ، وَأَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَأَنَّ مَا جِئْتَنَا بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّد..

﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِتْيَانِكُمْ بِهَا دُونَ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ وَمَا يُدْرِيكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَنَّهَآ﴾ لَعَلَّ الْآيَاتِ..

﴿إِذَا جَآءَتۡ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾ [الأنعام: ١٠٩] فَيُعَاجَلُوا بِالنِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يُؤَخَّرُوا بِهِ.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ﴾ فَنُزِيغُهَا عَنِ الْإِيمَانِ..

﴿وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَةِ مَوْضِعِ الْحُجَّةِ، وَإِنْ جَاءَتْهُمُ الْآيَةُ الَّتِي سَأَلُوهَا فَلَا يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِتَقْلِيبِنَا إِيَّاهَا..

﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ قَبْلَ مَجِيئِهَا مَرَّةً قَبْلَ ذَلِكَ.. فَإِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا، أَنَّهُ يُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَيُصَرِّفُهَا كَيْفَ شَاءَ، وَأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِهِ يُقِيمُهُ إِذَا شَاءَ وَيُزِيغُهُ إِذَا أَرَادَ..

﴿وَنَذَرُهُمۡ﴾ وَنَذَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا عِنْدَ مَجِيئِهَا..

﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ فِي تَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَاعْتِدَائِهِمْ فِي حُدُودِهِ..

﴿يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠] يَتَرَدَّدُونَ لَا يَهْتَدُونَ لِحَقٍ، وَلَا يُبْصِرُونَ صَوَابًا، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْخِذْلَانُ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ.

﴿۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ

﴿لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ١١١﴾ [الأنعام: ١١١].

﴿* وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ايْئَسْ مِنْ فَلَاحِ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْقَائِلِينَ لَكَ: لَئِنْ جِئْتَنَا بِآيَةٍ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ، فَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ حَتَّىٰ يَرَوْهَا عِيَانًا..

﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بِإِحْيَائِنَا إِيَّاهُمْ، حُجَّةً لَكَ وَدِلَالَةً عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّكَ مُحِقٌّ فِيمَا تَقُولُ، وَأَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وَجَمَعْنَا عَلَيْهِمْ، وَسُقْنَا إِلَيْهِمْ..

﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ لَكَ ضُمَنَاءُ، وَكُفَلَاءُ يَكْفُلُونَ لَهُمْ بِأَنَّ الَّذِي نَعِدُهُمْ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ إِنْ آمَنُوا، أَوْ نُوعِدُهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ إِنْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ.. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ (الْقُبُلُ) بِمَعْنَىٰ الْمُقَابَلَةِ وَالْمُوَاجَهَةِ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَتَيْتُكَ قُبُلًا لَا دُبُرًا، إِذَا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ.. وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبِيلَةً قَبِيلَةً، صِنْفًا صِنْفًا، وَجَمَاعَةً جَمَاعَةً، فَيَكُونُ الْقُبُلُ حِينَئِذٍ جَمْعُ قَبِيلِ الَّذِي هُوَ جَمْعُ قَبِيلَةٍ، فَيَكُونُ الْقُبُلُ جَمْعَ الْجَمْعِ..

﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾ مَا آمَنُوا وَلَا صَدَّقُوكَ، وَلَا اتَّبَعُوكَ.. يُرَادُ بِهِم أَهْلُ الشَّقَاءِ..

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذَلِكَ، لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ.. يُرَادُ بِهِم أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالسَّعَادَةِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَجْهَلُونَ ١١١﴾ [الأنعام: ١١١] أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، يَحْسَبُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ إِلَيْهِمْ وَالْكُفْرَ بِأَيْدِيهِمْ، مَتَىٰ شَاءُوا آمَنُوا، وَمَتَىٰ شَاءُوا كَفَرُوا، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، ذَلِكَ بِيَدِي، لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ لَهُ فَوَفَّقْتُهُ، وَلَا يَكْفُرُ إِلَّا مَنْ خَذَلْتُهُ عَنِ الرُّشْدِ فَأَضْلَلْتُهُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُسَلِّيَهُ بِذَلِكَ عَمَّا لَقِيَ مِنْ كَفَرَةِ قَوْمِهِ فِي ذَاتِ اللهِ، وَحَاثًّا لَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا نَالَ فِيهِ، وَكَمَا ابْتَلَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِأَنْ جَعَلْنَا لَكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ أَعْدَاءً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، لِيَصُدُّوهُمْ بِمُجَادَلَتِهِمْ إِيَّاكَ بِذَلِكَ عَنِ اتِّبَاعِكَ وَالْإِيمَانِ

بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، كَذَلِكَ..

﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ ابْتَلَيْنَا مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، بِأَنْ جَعَلْنَا لَهُمْ أَعْدَاءً مِنْ قَوْمِهِمْ يُؤْذُونَهُمْ بِالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، يَقُولُ: فَهَذَا الَّذِي امْتَحَنْتُكَ بِهِ لَمْ تُخَصَّصْ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدَكَ، بَلْ قَدْ عَمَّمْتُهُمْ بِذَلِكَ مَعَكَ لِأَبْتَلِيَهُمْ وَأَخْتَبِرَهُمْ مَعَ قُدْرَتِي عَلَىٰ مَنْعِ مَنْ آذَاهُمْ مِنْ إِيذَائِهِمْ، فَلَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا لأَعْرِفَ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، يَقُولُ: فَاصْبِرْ أَنْتَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...

﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ جَعَلَ مَرَدَةَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا..

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ﴾ يُلْقِي الْمُلْقِي مِنْهُمُ الْقَوْلَ الَّذِي زَيَّنَهُ وَحَسَّنَهُ بِالْبَاطِلِ..

﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، لِيَغْتَرَّ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ فَيَضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ حَسَّنَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ قولَ الْبَاطِلِ بِالْأَلْسِنَةِ، لِيَتَّبِعُوهُمْ فِي فِتْنَتِهِمْ، كَمَا زَيَّنَ إِبْلِيسُ لِآدَمَ مَا جَاءَهُ بِهِ وَقَاسَمَهُ إِنَّهُ لِمَنَ النَّاصِحِينَ..

﴿غُرُورًا﴾ مَا غَرَّ الْإِنْسَانَ، فَخَدَعَهُ فَصَدَّهُ عَنِ الصَّوَابِ إِلَىٰ الْخَطَأِ، وَمِنَ الْحَقِّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ..

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ وَلَوْ شِئْتُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ يُؤْمِنَ الَّذِينَ كَانُوا لِأَنْبِيَائِي أَعْدَاءً مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا يَنَالُهُمْ مَكْرُهُمْ وَيَأْمَنُوا غَوَائِلَهُمْ وَأَذَاهُمْ، فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَشَأْ ذَلِكَ لِأَبْتَلِيَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ فَيَسْتَحِقَّ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَا سَبَقَ لَهُ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ..

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فَدَعْ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ بِالْبَاطِلِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، وَيُخَاصِمُونَكَ بِمَا يُوحِي إِلَيْهِمْ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ..

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢] وَمَا يَخْتَلِقُونَ مِنْ إِفْكٍ وَزُورٍ، يَقُولُ لَهُ ﷺ: اصْبِرْ عَلَيْهِمْ، فَإِنِّي مِنْ وَرَاءِ عِقَابِهِمْ عَلَىٰ افْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَاخْتِلَاقِهِمْ عَلَيْهِ الْكَذِبَ وَالزُّورَ.

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ١١٣﴾ [الأنعام: ١١٣].

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا، وَيُوحِي بَعْض هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ إِلَىٰ بَعْضِ الْمُزَيَّنَ مِنَ الْقَوْلِ بِالْبَاطِلِ، لِيَغُرُّوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَلِتَمِيلَ إِلَيْهِ..

﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..

﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝١١٣﴾ [الأنعام: ١١٣] وَلِيَكْتَسِبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا هُمْ مُكْتَسِبُونَ.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝١١٤﴾ [الأنعام: ١١٤].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْقَائِلِينَ لَكَ: كُفَّ عَنْ آلِهَتِنَا وَنَكُفَّ عَنْ إِلَهِكَ: إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ عَلَيَّ بِذِكْرِ آلِهَتِكُمْ بِمَا يَكُونُ صَدًّا عَنْ عِبَادَتِهَا، فَلَيْسَ لِي أَنْ أَتَعَدَّىٰ حُكْمَهُ وَأَتَجَاوَزَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا حُكْمَ أَعْدَلَ مِنْهُ، وَلَا قَائِلَ أَصْدَقَ مِنْهُ..

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿مُفَصَّلًاۚ﴾ مُبَيَّنًا فِيهِ الْحُكْمَ فِيمَا تَخْتَصِمُونَ فِيهِ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إِنْ أَنْكَرَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ مِنْ قَوْمِكَ تَوْحِيدَ اللهِ، وَأَشْرَكُوا مَعَهُ الْأَنْدَادَ، وَجَحَدُوا مَا أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ حَقًّا، وَكَذَّبُوا بِهِ، فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ الْقُرْآنَ وَمَا فِيهِ..

﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ﴾ فَصْلًا بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، يَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِ الصَّادِقِ فِي عِلْمِ اللهِ، وَكَذِبِ الْكَاذِبِ الْمُفْتَرِي عَلَيْهِ..

﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝١١٤﴾ [الأنعام: ١١٤] مِنَ الشَّاكِّينَ فِي حَقِّيَّةِ الْأَنْبَاءِ الَّتِي جَاءَتْكَ مِنَ اللهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّنَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿وَتَمَّتْ﴾ وَكَمُلَتْ..

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، سَمَّاهُ كَلِمَةً كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ لِلْقَصِيدَةِ مِنَ الشِّعْرِ يَقُولُهَا الشَّاعِرُ: هَذِهِ كَلِمَةُ فُلَانٍ..

﴿صِدْقًا وَعَدْلًاۚ﴾ كَمُلَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ مِنَ الصِّدْقِ وَالْعَدْلِ..

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا مُغَيِّرَ لِمَا أَخْبَرَ فِي كُتُبِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْ وُقُوعِهِ فِي حِينِهِ، وَأَجَلِهِ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ وَاقِعٌ فِيهِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥] فَكَانَتْ إِرَادَتُهُمْ تَبْدِيلَ كَلَامِ اللهِ مَسْأَلَتَهُمْ نَبِيَّ اللهِ أَنْ يَتْرُكَهُمْ يَحْضُرُونَ الْحَرْبَ مَعَهُ، وَقَوْلَهُمْ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ﴾ [الفتح: ١٥]، بَعْدَ الْخَبَرِ الَّذِي كَانَ اللهُ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾ [التوبة: ٨٣] الْآيَةَ، فَحَاوَلُوا تَبْدِيلَ كَلَامِ اللهِ وَخَبَرَهُ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعَ نَبِيِّ اللهِ فِي غَزَاةٍ، وَلَنْ يُقَاتِلُوا مَعَهُ عَدُوًّا بِقَوْلِهِمْ لَهُمْ: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ﴾ [الفتح: ١٥]، فَقَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا» بِمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ١٥] وَخَبَرَهُ، ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ﴾ [الفتح: ١٥]، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، إِنَّمَا هُوَ: لا مُغَيِّرَ لِمَا أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ خَبَرٍ أَنَّهُ كَائِنٌ، فَيُبْطِلُ مَجِيئَهُ وَكَوْنَهُ وَوُقُوعَهُ، عَلَىٰ مَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُ لا يَزِيدُ الْمُفْتَرُونَ فِي كُتُبِ اللهِ وَلَا يُنْقِصُونَ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لا شَكَّ أَنَّهُمْ أَهْلُ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يُحَرِّفُونَ غَيْرَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ لا مُبَدِّلَ لَهُ..

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ وَاللهُ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ، الْمُقْسِمُونَ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥] بِمَا تَئُولُ إِلَيْهِ أَيْمَانُهُمْ مِنْ بِرٍّ وَصِدْقٍ، وَكَذِبٍ وَحِنْثٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ.

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام: ١١٦].

﴿وَإِن تُطِعۡ﴾ لا تُطِعْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَنْدَادَ -يَا مُحَمَّدُ- فِيمَا دَعَوْكَ إِلَيْهِ مِنْ أَكْلِ مَا ذَبَحُوا لِآلِهَتِهِمْ، وَأَهَلُّوا بِهِ لِغَيْرِ رَبِّهِمْ، وَأَشْكَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، فَإِنَّكَ إِنْ تُطِعْ..

﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ يُضِلُّوكَ عَنْ دِينِ اللهِ، وَمَحَجَّةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، فَيَصُدُّوكَ عَنْ ذَلِكَ.. وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حِينَئِذٍ كُفَّارًا ضُلَّالًا، فَقَالَ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَا تُطِعْهُمْ فِيمَا دَعَوْكَ إِلَيْهِ، فَإِنَّكَ إِنْ تُطِعْهُمْ ضَلَلْتَ

ضَلَالَهُمْ، وَكُنْتَ مِثْلَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَكَ إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَقَدْ أَخْطَئُوهُ.. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ حَالِ الَّذِينَ نَهَىٰ نَبِيَّهُ عَنْ طَاعَتِهِمْ فِيمَا دَعَوْهُ إِلَيْهِ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ..

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ فَأَخبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ مِنْ أَمرِهِمْ عَلَىٰ ظَنٍّ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ، وَحُسْبَانٍ عَلَىٰ صِحَّةِ عَزْمٍ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ خَطأً فِي الْحَقِيقَةِ..

﴿وَإِنْ هُمْ﴾ مَا هُمْ..

﴿إِلَّا يَخْرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام: ١١٦] يَظُنُّونَ، وَيُوقِعُونَ حَزَرًا، لَا يَقِينَ عِلْمٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١١٧﴾ [الأنعام: ١١٧].

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، الَّذِي نَهَاكَ أَنْ تُطِيعَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ، لِئَلَّا يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أَيُّ خَلْقِهِ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ الَّذِي يُوحِي الشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَيَصُدُّوا عَنْ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ..

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١١٧﴾ [الأنعام: ١١٧] وَهُوَ أَعْلَمُ أَيْضًا مِنْكَ وَمِنْهُمْ بِمَنْ كَانَ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ وَسَدَادٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ، يَقُولُ: وَاتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، وَانْتَهِ عَمَّا نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنْ طَاعَةِ مَنْ نَهَيْتُكَ عَنْ طَاعَتِهِ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِالْهَادِي وَالْمُضِلِّ مِنْ خَلْقِي مِنْكَ.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾ [الأنعام: ١١٨].

﴿فَكُلُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مِمَّا ذَكَّيْتُمْ مِنْ ذَبَائِحِكُمْ، وَذَبَحْتُمُوهُ الذَّبْحَ الَّذِي بَيَّنْتُ لَكُمْ أَنَّهُ تَحِلُّ بِهِ الذَّبِيحَةُ لَكُمْ، وَذَلِكَ مَا ذَبَحَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِي مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ دِينِ الْحَقِّ، أَوْ ذَبَحَهُ مَنْ دَانَ بِتَوْحِيدِي مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، دُونَ مَا ذَبَحَهُ أَهْلُ الْأَوْثَانِ، وَمَنْ لَا كِتَابَ لَهُ مِنَ الْمَجُوسِ..

﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾ [الأنعام: ١١٨] إِنْ كُنْتُمْ بِحُجَجِ اللهِ الَّتِي أَتَتْكُمْ، وَإِعْلَامِهِ بِإِحْلَالِ مَا أَحْلَلْتُ لَكُمْ، وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَآكِلِ مُصَدِّقِينَ، وَدَعُوا عَنْكُمْ زُخْرُفَ مَا تُوحِيهِ الشَّيَاطِينُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ مِنْ زُخْرُفِ الْقَوْلِ لَكُمْ، وَتَلْبِيسِ دِينِكُمْ عَلَيْكُمْ غُرُورًا.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا

﴿ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ١١٩﴾

[الأنعام: ١١٩].

﴿وَمَا لَكُمۡ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ..

﴿أَلَّا تَأۡكُلُواْ﴾ أَنْ تَأْكُلُوا..

﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ مَا ذُبِحَ بِدِينِي الَّذِي ارْتَضَيْتُهُ..

﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وَقَدْ فَصَّلْتُ لَكُمُ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ فِيمَا تَطْعَمُونَ، وَبَيَّنْتُهُ لَكُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ [المائدة: ٣]، فَلَا لَبْسَ عَلَيْكُمْ فِي حَرَامِ ذَلِكَ مِنْ حَلَالِهِ، فَتَمْتَنِعُوا مِنْ أَكْلِ حَلَالِهِ حَذَرًا مِنْ مُوَاقَعَةِ حَرَامِهِ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ فَلَا وَجْهَ لِقَوْلِ مُتَأَوِّلِي ذَلِكَ: وَأَيُّ شَيْءٍ لَكُمْ فِي أَنْ لَا تَأْكُلُوا، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ كَذَلِكَ لِمَنْ كَانَ كَفَّ عَنْ أَكْلِهِ رَجَاءَ ثَوَابٍ بِالْكَفِّ عَنْ أَكْلِهِ، وَذَلِكَ يَكُونُ مِمَّنْ آمَنَ بِالْكَفِّ، فَكَفَّ اتِّبَاعًا لِأَمْرِ اللهِ وَتَسْلِيمًا لِحُكْمِهِ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَفَّ عَنْ أَكْلِ مَا أَحَلَّ اللهُ مِنَ الذَّبَائِحِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ عَلَىٰ تَرْكِهِ ذَلِكَ، وَاعْتِقَادًا مِنْهُ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِ..

﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ إِنَّ مَا اضْطُرِرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ الْمُحَرَّمَةِ، الَّتِي بُيِّنَ تَحْرِيمُهَا لَنَا، فِي غَيْرِ حَالِ الضَّرُورَةِ، لَنَا حَلَالٌ مَا كُنَّا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ، حَتَّىٰ تَزُولَ الضَّرُورَةُ..

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا﴾ مِنَ النَّاسِ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَكُمْ فِي أَكْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ، مِنَ الْمَيْتَةِ..

﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ أَتْبَاعَهُمْ..

﴿بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ مِنْهُمْ بِصِحَّةِ مَا يَقُولُونَ، وَلَا بُرْهَانَ عِنْدَهُمْ بِمَا فِيهِ يُجَادِلُونَ، إِلَّا رُكُوبًا مِنْهُمْ لِأَهْوَائِهِمْ، وَاتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِدَوَاعِي نُفُوسِهِمْ، اعْتِدَاءً وَخِلَافًا لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَطَاعَةً لِلشَّيَاطِينِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي أَحَلَّ لَكَ مَا أَحَلَّ، وَحَرَّمَ عَلَيْكَ مَا حَرَّمَ..

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ١١٩﴾ [الأنعام: ١١٩] هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اعْتَدَىٰ حُدُودَهُ، فَتَجَاوَزَهَا إِلَىٰ خِلَافِهَا،

وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ.

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ۝١٢٠﴾ [الأنعام: ١٢٠].

﴿وَذَرُوا۟﴾ وَدَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَقَدَّمَ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِتَرْكِ ظَاهِرِ الْإِثْمِ وَبَاطِنِهِ، وَذَلِكَ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَالْإِثْمُ: كُلُّ مَا عُصِيَ اللهُ بِهِ مِنْ مَحَارِمِهِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ سِرُّ الزِّنَا وَعَلَانِيَتُهُ، وَمُعَاهَرَةُ أَهْلِ الرَّايَاتِ، وَأُولَاتِ الْأَخْدَانِ مِنْهُنَّ، وَنِكَاحُ حَلَائِلِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا، وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ ظَهَرَتْ أَوْ بَطَنَتْ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ جَمِيعُ ذَلِكَ إِثْمًا، وَكَانَ اللهُ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ جَمِيعَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْإِثْمِ وَجَمِيعَ مَا بَطَنَ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُصَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ لِلْعُذْرِ قَاطِعَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يُوَجَّهَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْخُصُوصِ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ، كَانَ تَوْجِيهُهُ إِلَىٰ أَنَّهُ عُنِيَ بِظَاهِرِ الْإِثْمِ وَبَاطِنِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَآكِلِ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ، وَمَا بَيَّنَ اللهُ تَحْرِيمَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، أَوْلَىٰ؛ إِذْ كَانَ ابْتِدَاءُ الْآيَاتِ قَبْلَهَا بِذِكْرِ تَحْرِيمِ ذَلِكَ جَرَىٰ وَهَذِهِ فِي سِيَاقِهَا، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ بِهَا ذَلِكَ، وَأَدْخَلَ فِيهَا الْأَمْرَ بِاجْتِنَابِ كُلِّ مَا جَانَسَهُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، فَخَرَجَ الْأَمْرُ عَامًّا بِالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ مَا ظَهَرَ أَوْ بَطَنَ مِنَ الْإِثْمِ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ، وَيَرْكَبُونَ مَعَاصِيَ اللهِ، وَيَأْتُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ..

﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ سَيُثِيبُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ۝١٢٠﴾ [الأنعام: ١٢٠] بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١].

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مِمَّا مَاتَ، فَلَمْ تَذْبَحُوهُ أَنْتُمْ، أَوْ يَذْبَحُهُ مُوَحِّدٌ يَدِينُ لِلَّهِ بِشَرَائِعَ

شَرَعَهَا لَهُ فِي كِتَابٍ مُنَزَّلٍ، فَإِنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، وَلَا مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ مِمَّا ذَبَحَهُ الْمُشْرِكُونَ لِأَوْثَانِهِمْ.. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ مَا ذَبَحَهُ الْمُسْلِمُ فَنَسِيَ ذِكْرَ اسْمِ اللهِ، فَقَوْلٌ بَعِيدٌ مِنَ الصَّوَابِ لِشُذُوذِهِ وَخُرُوجِهِ عَمَّا عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مُجْمِعَةٌ مِنْ تَحْلِيلِهِ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ شَاهِدًا عَلَىٰ فَسَادِهِ..

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ أَكْلَ ذَلِكَ.. فَكَنَّىٰ بِقَوْلِهِ: (وَإِنَّهُ) عَنِ (الْأَكْلِ)، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْفِعْلَ، كَمَا قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، يُرَادُ بِهِ: فَزَادَ قَوْلُهُمْ ذَلِكَ إِيمَانًا، فَكَنَّىٰ عَنِ الْقَوْلِ، وَإِنَّمَا جَرَىٰ ذِكْرُهُ بِفِعْلٍ..

﴿لَفِسْقٌۗ﴾ مَعْصِيَةٌ كُفْرٍ..

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ وَهُم نُصَرَاءُهم، وَظُهَرَاءُهُم..

﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ﴾ لِيُجَادِلُوا الْمُؤْمِنِينَ فِي تَحْرِيمِهِمْ أَكْلَ الْمَيْتَةِ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ جِدَالِهِمْ إِيَّاهُمْ، إِمَّا بِقَوْلٍ، وَإِمَّا بِرِسَالَةٍ، وَإِمَّا بِكِتَابٍ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمُوحُونَ كَانُوا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ يُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ مِنْهُمْ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا شَيَاطِينَ الْجِنِّ أَوْحَوْا إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْجِنْسَانِ كِلَاهُمَا تَعَاوَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]، بَلْ ذَلِكَ الْأَغْلَبُ مِنْ تَأْوِيلِهِ عِنْدِي؛ لِأَنَّ اللهَ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، كَمَا جَعَلَ لِأَنْبِيَائِهِ مِنْ قَبْلِهِ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْمُزَيَّنَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ أَنَّ أُولَائِكَ الشَّيَاطِينَ يُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ لِيُجَادِلُوهُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الْمَيْتَةِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُم رَبُّكُمْ..

﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١] مِثْلُهُمْ؛ إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ يَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ اسْتِحْلَالًا، فَإِذَا أَنْتُمْ أَكَلْتُمُوهَا كَذَلِكَ فَقَدْ صِرْتُمْ مِثْلَهُمْ مُشْرِكِينَ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هَلْ نُسِخَ مِنْ حُكْمِهَا شَيْءٌ أَمْ لَا؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهِيَ مُحْكَمَةٌ فِيمَا عُنِيَتْ بِهِ، وَعَلَىٰ هَذَا قَوْلُ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعِكْرِمَةَ، قَالَا: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾ [الأنعام: ١١٨]، ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾، فَنَسَخَ وَاسْتَثْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ﴾

[المائدة: ٥]، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ فِيمَا أُنْزِلَتْ لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنَّ طَعَامَ أَهْلِ الْكِتَابِ حَلَالٌ، وَذَبَائِحَهُمْ ذَكِيَّةٌ، وَذَلِكَ مِمَّا حَكَمَ اللهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَكْلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] بِمَعْزِلٍ؛ لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ الْمَيْتَةَ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِلطَّوَاغِيتِ، وَذَبَائِحُ أَهْلِ الْكِتَابِ ذَكِيَّةٌ سَمَّوْا عَلَيْهَا أَوْ لَمْ يُسَمُّوا، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ تَوْحِيدٍ وَأَصْحَابُ كُتُبٍ لِلَّهِ يَدِينُونَ بِأَحْكَامِهَا، يَذْبَحُونَ الذَّبَائِحَ بِأَدْيَانِهِمْ كَمَا ذَبَحَ الْمُسْلِمُ بِدِينِهِ، سَمَّىٰ اللهَ عَلَىٰ ذَبِيحَتِهِ أَوْ لَمْ يُسَمِّهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَرَكَ مِنْ ذِكْرِ تَسْمِيَةِ اللهِ عَلَىٰ ذَبِيحَتِهِ عَلَىٰ الدَّيْنُونَةِ بِالتَّعْطِيلِ، أَوْ بِعِبَادَةِ شَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ، فَيَحْرُمُ حِينَئِذٍ أَكْلُ ذَبِيحَتِهِ سَمَّىٰ اللهَ عَلَيْهَا أَوْ لَمْ يُسَمِّ.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ أَوَمَنْ كَانَ كَافِرًا، فَجَعَلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِانْصِرَافِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَجَهْلِهِ بِتَوْحِيدِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ، وَتَرْكِهِ الْأَخْذَ بِنَصِيبِهِ مِنَ الْعَمَلِ لِلَّهِ بِمَا يُؤَدِّيهِ إِلَىٰ نَجَاتِهِ، بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ بِنَافِعَةٍ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا مِنْ مَكْرُوهٍ نَازِلَةٍ.. وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَدُلُّ عَلَىٰ نَهْيِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِهِ يَوْمَئِذٍ عَنْ طَاعَةِ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَادَلُوهُمْ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ، بِمَا ذَكَرْنَا عَنْهُمْ مِنْ جِدَالِهِمْ إِيَّاهُمْ بِهِ، وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِطَاعَةِ مُؤْمِنٍ مِنْهُمْ كَانَ أَوْ كَافِرًا، فَهَدَاهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِرُشْدِهِ وَوَفَّقَهُ لِلْإِيمَانِ..

﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ فَهَدَيْنَاهُ لِلْإِسْلَامِ، فَأَنْعَشْنَاهُ، فَصَارَ يَعْرِفُ مَضَارَّ نَفْسِهِ وَمَنَافِعَهَا، وَيَعْمَلُ فِي خَلَاصِهَا مِنْ سَخَطِ اللهِ وَعِقَابِهِ فِي مَعَادِهِ..

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ﴾ فَجَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿نُورًا﴾ إِبْصَارُهُ الْحَقَّ بَعْدَ عَمَاهُ عَنْهُ، وَمَعْرِفَتَهُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ بَعْدَ جَهْلِهِ بِذَلِكَ، حَيَاةً وَضِيَاءً يَسْتَضِيءُ بِهِ، فَـ

﴿يَمْشِى بِهِۦ﴾ عَلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَمَنْهَجِ الطَّرِيقِ..

﴿فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَتَوَجَّهُ، وَأَيَّ طَرِيقٍ يَأْخُذُ لِشِدَّةِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَإِضْلَالِهِ الطَّرِيقَ، فَكَذَلِكَ هَذَا الْكَافِرُ الضَّالُّ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ لَا يُبْصِرُ رُشْدًا وَلَا يَعْرِفُ حَقًّا، يَعْنِي فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، يَقُولُ: أَفَطَاعَةُ هَذَا الَّذِي هَدَيْنَاهُ لِلْحَقِّ، وَبَصَّرْنَاهُ الرَّشَادَ كَطَاعَةِ مَنْ مَثَلُهُ مَثَلُ مَنْ هُوَ فِي الظُّلُمَاتِ مُتَرَدِّدٌ..

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ لا يَعْرِفُ الْمَخْرَجَ مِنْهَا، فِي دُعَاءِ هَذَا إِلَىٰ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْلِيلِ مَا أَحَلَّ، وَتَحْلِيلِ هَذَا مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمِهِ مَا أَحَلَّ؟ وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ بِأَعْيَانِهِمَا مَعْرُوفَيْنِ، أَحَدُهُمَا مُؤْمِنٌ، وَالْآخَرُ كَافِرٌ، ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيهِمَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَّا الَّذِي كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَاهُ اللهُ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَمَّا الَّذِي مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا: فَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمَيْتُ الَّذِي أَحْيَاهُ اللهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَمَّا الَّذِي مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا: فَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا خَذَلْتُ هَذَا الْكَافِرَ الَّذِي يُجَادِلُكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ- فِي أَكْلِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ عَنِ الْحَقِّ، فَزَيَّنْتُ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ، فَرَآهُ حَسَنًا، لِيَسْتَحِقَّ بِهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنْ أَلِيمِ الْعِقَابِ، كَذَلِكَ..

﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ﴾ زَيَّنْتُ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢] مِنْ مَعَاصِي اللهِ، لِيَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ مَا لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنَ النَّكَالِ.. وَفِي هَذَا أَوْضَحُ الْبَيَانِ عَلَىٰ تَكْذِيبِ اللهِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللهَ فَوَّضَ الْأُمُورَ إِلَىٰ خَلْقِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ، فَلَا صُنْعَ لَهُ فِي أَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّهُ قَدْ سَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا يَصِلُونَ إِلَىٰ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا، لَكَانَ قَدْ زَيَّنَ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ نَظِيرَ مَا زَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَزَيَّنَ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، نَظِيرَ الَّذِي زَيَّنَ مِنْهُ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ.. وَفِي إِخْبَارِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ زَيَّنَ لِكُلِّ عَامِلٍ مِنْهُمْ عَمَلَهُ مَا يُنْبِئُ عَنْ تَزْيِينِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَخَصَّ أَعْدَاءَهُ وَأَهْلَ الْكُفْرِ بِتَزْيِينِ الْكُفْرِ لَهُمْ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ وَالطَّاعَةَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا زَيَّنَّا لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، كَذَلِكَ..

﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ جَعَلْنَا بِكُلِّ قَرْيَةٍ عُظَمَاءَهَا مُجْرِمِيهَا، يَعْنِي: أَهْلَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَالْمَعْصِيَةِ لَهُ..

﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بِغُرُورٍ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ بِبَاطِلٍ مِنَ الْفِعْلِ بِدِينِ اللهِ وَأَنْبِيَائِهِ.. وَالْمَكْرُ:

الْخَدِيعَةُ وَالِاحْتِيَالُ لِلْمَمْكُورِ بِهِ لِيُوَرِّطَهُ الْمَاكِرُ بِهِ مَكْرُوهًا مِنَ الْأَمْرِ..

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ﴾ وَمَا يَحِيقُ مَكْرُهُمْ ذَلِكَ..

﴿إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ وَرَاءِ عُقُوبَتِهِمْ عَلَىٰ صَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝١٢٣﴾ [الأنعام: ١٢٣] وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، يَقُولُ: لَا يَدْرُونَ مَا قَدْ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ، فَهُمْ فِي غَيِّهِمْ وَعُتُوِّهِمْ عَلَىٰ اللهِ يَتَمَادَوْنَ.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ۝١٢٤﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ وَإِذَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿ءَايَةٌ﴾ حُجَّةٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحَقِيقَتِهِ..

﴿قَالُوا۟﴾ لِنَبِيِّ اللهِ وَأَصْحَابِهِ..

﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾ لَنْ نُصَدِّقَ بِمَا دَعَانَا إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ تَحْرِيمِ مَا ذَكَرَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ عَلَيْنَا..

﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ﴾ حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمُ اللهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ..

﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَىٰ مُوسَىٰ مِنْ فَلْقِ الْبَحْرِ، وَعِيسَىٰ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ..

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ إِنَّ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ لَمْ يُعْطَهَا مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَلَيْسَ مِنْهُمُ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ فَيُعْطَوْهَ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَأَنَا أَعْلَمُ بِمَوَاضِعِ رِسَالَاتِي وَمَنْ هُوَ لَهَا أَهْلٌ، فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ تَتَخَيَّرُوا ذَلِكَ عَلَيَّ؛ لِأَنَّ تَخَيُّرَ الرَّسُولِ إِلَىٰ الْمُرْسِلِ دُونَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ إِذَا أَرْسَلَ رِسَالَةً بِمَوْضِعِ رِسَالَاتِهِ..

﴿سَيُصِيبُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُعَلِّمَهُ مَا هُوَ صَانِعٌ بِهَؤُلَاءِ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَيْهِ: سَيُصِيبُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ الَّذِي اكْتَسَبُوا الْإِثْمَ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ..

﴿صَغَارٌ﴾ ذِلَّةٌ وَهَوَانٌ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: سَيَأْتِينِي رِزْقِي عِنْدَ اللهِ، بِمَعْنَىٰ: مِنْ عِنْدِ اللهِ، يُرَادُ بِذَلِكَ: سَيَأْتِينِي الَّذِي لِي عِنْدَ اللهِ..

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٤] وَيُصِيبُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْمُسْتَحِلِّينَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَيْتَةِ مَعَ الصَّغَارِ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَكِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِالْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، وَالزُّخْرُفِ مِنَ الْقَوْلِ غُرُورًا لِأَهْلِ دِينِ اللهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ فَيُوَفِّقُهُ لَهُ..

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فَسَّحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ، وَهَوَّنَهُ عَلَيْهِ، وَسَهَّلَهُ لَهُ بِلُطْفِهِ وَمَعُونَتِهِ، حَتَّىٰ يَسْتَنِيرَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ، فَيُضِيءُ لَهُ وَيَتَّسِعُ لَهُ صَدْرُهُ بِالْقَبُولِ..

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ وَمَنْ أَرَادَ اللهُ إِضْلَالَهُ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ، يَشْغَلْهُ بِكُفْرِهِ، وَصَدِّهِ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ﴾ وَيَجْعَلْ صَدْرَهُ بِخِذْلَانِهِ وَغَلَبَةِ الْكُفْرِ عَلَيْهِ..

﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ وَالْحَرَجُ: أَشَدُّ الضِّيقِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْفُذُ مِنْ شِدَّةِ ضِيقِهِ، وَهُوَ هَهُنَا الصَّدْرُ الَّذِي لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْمَوْعِظَةُ، وَلَا يَدْخُلُهُ نُورُ الْإِيمَانُ لِرَيْنِ الشِّرْكِ عَلَيْهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَرَجِ، وَالْحَرَجُ جَمْعُ حَرَجَةٍ: وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْمُلْتَفُّ بِهَا الْأَشْجَارُ، لَا يَدْخُلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا شَيْءٌ لِشِدَّةِ الْتِفَافِهَا بِهَا.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَبْيَنُ الْبَيَانِ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهَا عَنْ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي بِهِ تُوصِّلَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، غَيْرُ السَّبَبِ الَّذِي بِهِ تُوصِّلَ إِلَىٰ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَأَنَّ كِلَا السَّبَبَيْنِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَشْرُحُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ هِدَايَتَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَيَجْعَلُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ ضَيِّقًا عَنِ الْإِسْلَامِ حَرَجًا، كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ، فَالسَّبَبُ الَّذِي بِهِ آمَنَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَأَطَاعَهُ الْمُطِيعُونَ، غَيْرُ السَّبَبِ الَّذِي كَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ بِاللهِ وَعَصَاهُ الْعَاصُونَ، وَأَنَّ كِلَا السَّبَبَيْنِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَبِيَدِهِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَشْرَحُ صَدْرَ هَذَا الْمُؤْمِنِ بِهِ لِلْإِيمَانِ إِذَا أَرَادَ هِدَايَتَهُ، وَيُضَيِّقُ صَدْرَ هَذَا الْكَافِرِ عَنْهُ إِذَا أَرَادَ إِضْلَالَهُ..

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ هَذَا مَثَلٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ضَرَبَهُ لِقَلْبِ هَذَا الْكَافِرِ فِي شِدَّةِ تَضْيِيقِهِ إِيَّاهُ عَنْ وُصُولِهِ إِلَيْهِ، مِثْلُ امْتِنَاعِهِ مِنَ الصُّعُودِ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَعَجْزِهِ عَنْهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي وِسْعِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا يَجْعَلُ اللهُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ مِنْ ضِيقِهِ عَنِ الْإِيمَانِ، فَيَجْزِيهِ بِذَلِكَ، كَذَلِكَ..

﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥] يُسَلِّطُ اللهُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَمْثَالِهِ مِمَّنْ أَبَىٰ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَيُغْوِيهِ وَيَصُدَّهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ.. وَالرِّجْسُ وَالنَّجِسُ وَاحِدٌ، وهُوَ النَّجِسُ الْقَذِرُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، وَأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ الشَّيْطَانِ.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ [الأنعام: ١٢٦].

﴿وَهَٰذَا﴾ الَّذِي بَيَّنَّا لَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ، هُوَ..

﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ طَرِيقُ رَبِّكَ وَدِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ دِينًا وَجَعَلَهُ..

﴿مُسْتَقِيمًاۗ﴾ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، فَاثْبُتْ عَلَيْهِ، وَحَرِّمْ مَا حَرَّمْتُهُ عَلَيْكَ، وَأَحْلِلْ مَا أَحْلَلْتُهُ لَكَ، فَـ..

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بَيَّنَّا..

﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ الْآيَاتِ وَالْحُجَجَ عَلَىٰ حَقِيقَةِ ذَلِكَ وَصِحَّتِهِ..

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ [الأنعام: ١٢٦] مَا احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، فَيَعْتَبِرُ بِهَا، وَخَصَّ بِهَا الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ، لِأَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ التَّمْيِيزِ وَالْفَهْمِ وَأُولُو الْحِجَا وَالْفَضْلِ.

﴿* لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام: ١٢٧].

﴿* لَهُمْ﴾ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَذَّكَّرُونَ آيَاتِ اللهِ فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيُوقِنُونَ بِدَلَالَتِهَا عَلَىٰ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَمِنْ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَيُصَدِّقُونَ بِمَا وَصَلُوا بِهَا إِلَىٰ عِلْمِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ دَارُ اللهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ.. وَهِيَ جَنَّتُهُ، وَالسَّلَامُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ مَا أَبْلَوْا فِي الدُّنْيَا فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ وَاللهُ نَاصِرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَذَّكَّرُونَ آيَاتِ اللهِ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام: ١٢٧] جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَيَتَّبِعُونَ رِضْوَانَهُ.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ كَانُوا يُوحُونَ إِلَيْهِمْ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا لِيُجَادِلُوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَجْمَعُهُمْ جَمِيعًا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ لِلْجِنِّ..

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ إِضْلَالِهِمْ وَإِغْوَائِهِمْ، فَأَضْلَلْتُمْ مِنْهُمْ كَثِيرًا..

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فَيُجِيبُ أَوْلِيَاءُ الْجِنِّ مِنَ الْإِنْسِ فَيَقُولُونَ..

﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فِي الدُّنْيَا، فَأَمَّا اسْتِمْتَاعُ الْإِنْسِ بِالْجِنِّ فَكَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَنْزِلُ الْأَرْضَ فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِكَبِيرِ هَذَا الْوَادِي، فَذَلِكَ اسْتِمْتَاعُهُمْ، فَاعْتَذَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا اسْتِمْتَاعُ الْجِنِّ بِالْإِنْسِ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيمَا ذُكِرَ، مَا يَنَالُ الْجِنُّ مِنَ الْإِنْسِ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي اسْتِعَاذَتِهِمْ بِهِمْ، فَيَقُولُونَ: قَدْ سُدْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ..

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وَقَالُوا بَلَغْنَا الْوَقْتَ الَّذِي وَقَّتَ لِمَوْتِنَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَيَّامَ حَيَاتِنَا إِلَىٰ حَالِ مَوْتِنَا..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِأَوْلِيَاءِ الْجِنِّ مِنَ الْإِنْسِ الَّذِينَ قَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهُ عَنْهُمْ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَمَّا هُوَ قَائِلٌ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْعَادِلِينَ بِهِ فِي الدُّنْيَا الْأَوْثَانَ، وَلِقُرَنَائِهِمْ مِنَ الْجِنِّ، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَمَّا هُوَ كَائِنٌ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَمَّا كَانَ لِتَقَدُّمِ الْكَلَامِ قَبْلَهُ بِمَعْنَاهُ وَالْمُرَادِ مِنْهُ، فَقَالَ..

﴿ٱلنَّارُ﴾ نَارُ جَهَنَّمَ..

﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾ الَّذِي تَثْوُونَ فِيهِ، أَيْ: تُقِيمُونَ فِيهِ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لَابِثِينَ فِيهَا..

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مِنْ قَدْرِ مُدَّةٍ مَا بَيْنَ مَبْعَثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَىٰ مَصِيرِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، فَتِلْكَ الْمُدَّةُ الَّتِي اسْتَثْنَاهَا اللهُ مِنْ خُلُودِهِمْ فِي النَّارِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ فِي خَلْقِهِ، وَفِي تَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ..

﴿عَلِيمٌ ١٢٨﴾ [الأنعام: ١٢٨] بِعَوَاقِبِ تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ وَكَمَا جَعَلْنَا بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ يَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، كَذَلِكَ نَجْعَلُ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ فِي كُلِّ الْأُمُورِ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩] مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَيَعْمَلُونَهُ.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾ يُخْبِرُونَكُمْ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ تَنْبِيهِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ مَوَاضِعِ حُجَجِي، وَتَعْرِيفِي لَكُمْ أَدِلَّتِي عَلَىٰ تَوْحِيدِي وَتَصْدِيقِ أَنْبِيَائِي، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِي وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ حُدُودِي.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا هُوَ قَائِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ مِنْ مُشْرِكِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يُخْبِرُ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَوْمَئِذٍ: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي..

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾ وَيُحَذِّرُونَكُمْ لِقَاءَ عَذَابِي فِي يَوْمِكُمْ هَذَا، وَعِقَابِي عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّايَ، فَتَنْتَهُوا عَنْ مَعَاصِيَّ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي، وَمَعْنَاهُ: قَدْ أَتَاكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يُنَبِّهُونَكُمْ عَلَىٰ خَطَأِ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمِينَ بِالْحُجَجِ الْبَالِغَةِ، وَيُنْذِرُونَكُمْ وَعِيدَ اللهِ عَلَىٰ مُقَامِكُمْ عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، فَلَمْ تَقْبَلُوا ذَلِكَ وَلَمْ تَتَذَكَّرُوا وَلَمْ تَعْتَبِرُوا..

﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ بِأَنَّ رُسُلَكَ قَدْ أَتَتْنَا بِآيَاتِكَ، وَأَنْذَرَتْنَا لِقَاءَ يَوْمِنَا هَذَا، فَكَذَّبْنَاهَا وَجَحَدْنَا رِسَالَتَهَا، وَلَمْ نَتَّبِعْ آيَاتِكَ وَلَمْ نُؤْمِنْ بِهَا.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قَوْلِ مُشْرِكِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عِنْدَ تَقْرِيعِهِ إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ

ءَايَتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾..

﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾ وَغَرَّتْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الْجِنِّ..

﴿الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَطَلَبُ الرِّيَاسَةِ فِيهَا، وَالْمُنَافَسَةُ عَلَيْهَا، أَنْ يُسْلِمُوا لِأَمْرِ اللهِ فَيُطِيعُوا فِيهَا رُسُلَهُ، فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ ذِكْرِ الْمَعَانِي الَّتِي غَرَّتْهُمْ وَخَدَعَتْهُمْ فِيهَا، إِذْ كَانَ فِي ذِكْرِهَا مُكْتَفًى عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهَا لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَىٰ مَا تَرَكَ ذِكْرَهُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ..

﴿وَشَهِدُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿كَافِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠] كَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، لِتَتِمَّ حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهِمْ بِإِقْرَارِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِمَا يُوجِبُ عَلَيْهِمْ عُقُوبَتَهُ وَأَلِيمَ عَذَابِهِ.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ١٣١﴾ [الأنعام: ١٣١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِرْسَالُنَا الرُّسُلَ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ مَنْ وَصَفْتُ أَمْرَهُ، وَأَعْلَمْتُكَ خَبَرَهُ مِنْ مُشْرِكِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يَقُصُّونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَهُمْ لِقَاءَ مَعَادِهِمْ إِلَيَّ، مِنْ أَجْلِ..

﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ١٣١﴾ [الأنعام: ١٣١] أَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكَهُمْ بِشِرْكِهِمْ، دُونَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ وَالْإِعْذَارِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ عُقَيْبُ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فَكَانَ فِي ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ نَصَّ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، إِنَّمَا هُوَ إِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّا لَا نُهْلِكُ الْقُرَىٰ بِغَيْرِ تَذْكِيرٍ وَتَنْبِيهٍ.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٢﴾ [الأنعام: ١٣٢].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ وَلِكُلِّ عَامِلٍ فِي طَاعَةِ اللهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ..

﴿دَرَجَٰتٌ﴾ مَنَازِلُ وَمَرَاتِبُ..

﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾ مِنْ عَمَلِهِ، يُبَلِّغُهُ اللهُ إِيَّاهَا، وَيُثِيبُهُ بِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا..

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٢﴾ [الأنعام: ١٣٢] وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِمْ يَا مُحَمَّدُ بِعِلْمٍ مِنْ

رَبِّكَ يُحْصِيهَا وَيُثْبِتُهَا لَهُمْ عِنْدَهُ لِيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا عِنْدَ لِقَائِهِمْ إِيَّاهُ وَمَعَادِهِمْ إِلَيْهِ.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام: ١٣٣].

﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَثَابَهُمْ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَعَاقَبَهُمْ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ..

﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ عَنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَ وَنَهَاهُمْ عَمَّا نَهَىٰ، وَعَنْ أَعْمَالِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَهُمُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ بِيَدِهِ حَيَاتُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ وَأَرْزَاقُهُمْ وَأَقْوَاتُهُمْ وَنَفْعُهُمْ وَضَرُّهُمْ، يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ: فَلَمْ أَخْلُقْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَلَمْ آمُرْهُمْ بِمَا أَمَرْتُهُمْ بِهِ وَأَنْهَهُمْ عَمَّا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ، لِحَاجَةٍ لِي إِلَيْهِمْ وَلَا إِلَىٰ أَعْمَالِهِمْ..

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ لِأَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِي، وَأُثِيبَهُمْ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمْ إِنْ أَحْسَنُوا، فَإِنِّي ذُو الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ..

﴿إِن يَشَأْ﴾ إِنْ يَشَأْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ، الَّذِي خَلَقَ خَلْقَهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَإِلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يُهْلِكْ خَلْقَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ مِنْ وَلَدِ آدَمَ..

﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ غَيْرِكُمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِكُم﴾ يَخْلُفُونَكُمْ فِي الْأَرْضِ، مِنْ بَعْدِ فَنَائِكُمْ وَهَلَاكِكُمْ..

﴿مَّا يَشَآءُ﴾ مِنْ أُمَمٍ سِوَاكُمْ..

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ كَمَا أَحْدَثَكُمْ وَابْتَدَعَكُمْ..

﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام: ١٣٣] مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ آخَرِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾ [الأنعام: ١٣٤].

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ إِنَّ الَّذِي يُوعِدُكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنْ عِقَابِهِ، أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، عَلَىٰ إِصْرَارِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ..

﴿لَءَاتٍۖ﴾ وَاقِعٌ بِكُمْ..

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾ [الأنعام: ١٣٤] لَنْ تَعْجِزُوا رَبَّكُمْ هَرَبًا مِنْهُ فِي الْأَرْضِ فَتَفُوتُوهُ،

لِأَنَّكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ، وَهُوَ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ عُقُوبَتِكُمْ بِمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ قَادِرٌ، فَاحْذَرُوهُ، وَأَنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ قَبْلَ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِكُمْ.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾ [الأنعام: ١٣٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ اعْمَلُوا عَلَىٰ حِيَالِكُمْ وَنَاحِيَتِكُمْ.. وَهُوَ أَمْرٌ مِنْهُ لَهُ بِوَعِيدِهِمْ وَتَهْدِيدِهِمْ، لَا إِطْلَاقَ لَهُمْ فِي عَمَلِ مَا أَرَادُوا مِنْ مَعَاصِي اللهِ..

﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ مَا أَنَا عَامِلُهُ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي..

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ بِاللهِ عِنْدَ نُزُولِ نِقْمَةِ اللهِ بِكُمْ، وَمُعَايَنَتِكُمُ الْعَذَابَ..

﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ مَنِ الَّذِي تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ مِنَّا وَمِنْكُمْ، وَأَيُّنَا كَانَ الْمُحِقَّ فِي عَمَلِهِ، وَالْمُصِيبَ سَبِيلَ الرَّشَادِ، أَنَا أَمْ أَنْتُمْ؟ يَقُولُ: مَنِ الَّذِي يُعَقِّبُ دُنْيَاهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهَا أَوْ شَرٌّ مِنْهَا، بِمَا قَدَّمَ فِيهَا مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِهِ أَوْ سَيِّئِهَا، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَقَالَ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾ [الأنعام: ١٣٥] إِنَّهُ لَا يَنْجَحُ وَلَا يَفُوزُ بِحَاجَتِهِ عِنْدَ اللهِ مَنْ عَمِلَ بِخِلَافِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ مَعْنَىٰ ظُلْمِ الظَّالِمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦].

﴿وَجَعَلُوا۟﴾ وَجَعَلَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿لِلَّهِ﴾ رَبِّهِمْ..

﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ مِمَّا خَلَقَ..

﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ قِسْمًا وَجُزْءًا..

﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ وَجَعَلُوا مِثْلَهُ لِشُرَكَائِهِمْ، وَهُمْ أَوْثَانُهُمْ..

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ وَإِنَّ نَصِيبَ شُرَكَائِهِمْ..

﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لَا يَصِلُ إِلَىٰ نَصِيبِ اللهِ..

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ إِلَىٰ نَصِيبِ شُرَكَائِهِمْ..

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦] قَدْ أَسَاءُوا فِي حُكْمِهِمْ؛ إِذْ أَخَذُوا مِنْ نَصِيبِي لِشُرَكَائِهِمْ، وَلَمْ يُعْطُونِي مِنْ نَصِيبِ شُرَكَائِهِمْ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْخَبَرَ عَنْ جَهْلِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ وَذَهَابِهِمْ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، بِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْضَوْا أَنْ عَدَلُوا بِمَنْ خَلَقَهُمْ وَغَذَّاهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، حَتَّىٰ فَضَّلُوهُ فِي إِقْسَامِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ بِالْقِسْمِ عَلَيْهِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١٣٧﴾ [الأنعام: ١٣٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ كَمَا زَيَّنَ شُرَكَاءُ هَؤُلَاءِ -الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ- لَهُمْ مَا زَيَّنُوا لَهُمْ، مِنْ تَصْيِيرِهِمْ لِرَبِّهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ قِسْمًا بِزَعْمِهِمْ، وَتَرْكِهِمْ مَا وَصَلَ مِنَ الْقِسْمِ الَّذِي جَعَلُوهُ لِلَّهِ إِلَىٰ قِسْمِ شُرَكَائِهِمْ فِي قِسْمِهِمْ، وَرَدِّهِمْ مَا وَصَلَ مِنَ الْقِسْمِ الَّذِي جَعَلُوهُ لِشُرَكَائِهِمْ إِلَىٰ قِسْمِ نَصِيبِ اللهِ، إِلَىٰ قِسْمِ شُرَكَائِهِمْ، كَذَلِكَ زَيَّنَ لَكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمُ الشَّيَاطِينِ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ وَأْدَ الْبَنَاتِ..

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لِيُهْلِكُوهُمْ..

﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ فَعَلُوا ذَلِكَ بِهِمْ لِيَخْلِطُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ فَيَلْتَبِسَ، فَيَضِلُّوا وَيَهْلِكُوا بِفِعْلِهِمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ اللهُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ لَا يَفْعَلُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ قَتْلِهِمْ لَمْ يَفْعَلُوهُ، بِأَنْ كَانَ يَهْدِيهِمْ لِلْحَقِّ وَيُوَفِّقُهُمْ لِلسَّدَادِ، فَكَانُوا لَا يَقْتُلُونَهُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ خَذَلَهُمْ عَنِ الرَّشَادِ فَقَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ وَأَطَاعُوا الشَّيَاطِينَ الَّتِي أَغْوَتْهُمْ، يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُتَوَعِّدًا لَهُمْ عَلَىٰ عَظِيمِ فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ فِيمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي الْأَنْصِبَاءِ الَّتِي يَقْسِمُونَهَا: هَذَا لِلَّهِ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا، وَفِي قَتْلِهِمْ أَوْلَادَهُمْ..

﴿فَذَرْهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ١٣٧﴾ [الأنعام: ١٣٧] وَمَا يَتَقَوَّلُونَ عَلَيَّ مِنَ الْكَذِبِ وَالزُّورِ، فَإِنِّي لَهُمْ

بِالْمِرْصَادِ، وَمِنْ وَرَاءِ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ جَهْلًا مِنْهُمْ، لِأَنْعَامٍ لَهُمْ وَحَرْثٍ..

﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾ يَعْنِي بِالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ مَا كَانُوا جَعَلُوهُ لِلَّهِ وَلِآلِهَتِهِمُ الَّتِي قَدْ مَضَىٰ ذِكْرُهَا فِي الْآيَةِ قَبْلَ هَذِهِ..

﴿حِجْرٌ﴾ حَرَامٌ.. وَالحِجْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْحَرَامُ، يُقَالُ: حَجَرْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ كَذَا: أَيْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ «وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا» [الفرقان: ٢٢]..

﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ نَحْتَجِرُهَا عَلَىٰ مَنْ نُرِيدُ، لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، عَنْ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَنَّهُمْ كَانُوا يُحَرِّمُونَ وَيُحَلِّلُونَ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَذِنَ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ وَحَرَّمَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ظُهُورَ بَعْضِ أَنْعَامِهِمْ، فَلَا يَرْكَبُونَ ظُهُورَهَا، وَهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِرِسْلِهَا وَنِتَاجِهَا، وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ مِنْهَا غَيْرِ ظُهُورِهَا لِلرُّكُوبِ..

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ وَحَرَّمُوا مِنْ أَنْعَامِهِمْ أَنْعَامًا أُخَرَ، فَلَا يَحُجُّونَ عَلَيْهَا، وَلَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ رَكِبُوهَا بِحَالٍ، وَلَا إِنْ حَلَبُوهَا وَلَا إِنْ حَمَلُوا عَلَيْهَا..

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ فَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَا فَعَلُوا مِنْ تَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوا، وَقَالُوا مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، كَذِبًا عَلَىٰ اللهِ، وَتَخَرُّصًا الْبَاطِلَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ أَضَافُوا مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفَهُ عَنْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي حَرَّمَهُ، فَنَفَىٰ اللهُ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَكْذَبَهُمْ، وَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ كَذَبَةٌ فِيمَا يَدَّعُونَ..

﴿سَيَجْزِيهِم﴾ سَيُثِيبُهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨] عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ ثَوَابَهُمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِذَلِكَ جَزَاءَهُمْ.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن

﴿مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٣٩﴾ [الأنعام: ١٣٩].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ..

﴿مَا فِى بُطُونِ﴾ وَاللَّبَنُ مِمَّا فِي بُطُونِهَا، وَكَذَلِكَ أَجِنَّتُهَا..

﴿هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أَنْعَام بِأَعْيَانِهَا..

﴿خَالِصَةٌ﴾ أُرِيدَ بِذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي خُلُوصِ مَا فِي بُطُونِ الْأَنْعَامِ الَّتِي كَانُوا حَرَّمُوا مَا فِي بُطُونِهَا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ، لِذُكُورِهِمْ دُونَ إِنَاثِهِمْ، كَمَا فُعِلَ ذَلِكَ بِالرَّاوِيَةِ وَالنَّسَّابَةِ وَالْعَلَّامَةِ، إِذَا أُرِيدَ بِهَا الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ مَنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِ..

﴿لِّذُكُورِنَا﴾ دُونَ إِنَاثِنَا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْثِرُونَ بِذَلِكَ رِجَالَهُمْ..

﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ وَالْأَزْوَاجُ إِنَّمَا هِيَ نِسَاؤُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ، وَهُنَّ لَا شَكَّ بَنَاتُ مَنْ هُنَّ أَوْلَادُهُ، وَحَلَائِلُ مَنْ هُنَّ أَزْوَاجُهُ..

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي فِي بُطُونِهَا مِنَ الْأَجِنَّةِ مَيِّتًا..

﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ فَيَشْتَرِكُ حِينَئِذٍ فِي أَكْلِهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، لَا يُحَرِّمُونَهُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ..

﴿سَيَجْزِيهِم﴾ سَيُثِيبُ وَيُكَافِئُ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ الْكَذِبَ فِي تَحْرِيمِهِمْ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ، وَتَحْلِيلِهِمْ مَا لَمْ يُحَلِّلْهُ اللهُ، وَإِضَافَتِهِمْ كَذِبَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ..

﴿وَصْفَهُمْ﴾ بِوَصْفِهِمُ الْكَذِبَ عَلَىٰ اللهِ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ: «وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ» [النحل: ٦٢]، وَالْوَصْفُ وَالصِّفَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَاحِدٌ، وَهُمَا مَصْدَرَانِ مِثْلُ الْوَزْنِ وَالزِّنَةِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ فِي مُجَازَاتِهِمْ عَلَىٰ وَصْفِهِمُ الْكَذِبَ وَقِيلِهِمُ الْبَاطِلَ عَلَيْهِ..

﴿حَكِيمٌ﴾ فِي سَائِرِ تَدْبِيرِهِ فِي خَلْقِهِ..

﴿عَلِيمٌ ١٣٩﴾ [الأنعام: ١٣٩] بِمَا يُصْلِحُهُمْ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ١٤٠﴾ [الأنعام: ١٤٠].

﴿قَدْ خَسِرَ﴾ قَدْ هَلَكَ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمُ الْكَذِبَ، الْعَادِلُونَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ زَيَّنَ لَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ فـ..

﴿قَتَلُوٓاْ﴾ طاعَةً لَها..

﴿أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا﴾ وَنَقص عُقُولٍ، وَضَعْفَ أَحْلَامٍ مِنْهُمْ..

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ جَهَالَةً مِنْهُمْ بِمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَقِلَّةَ فَهْمٍ بِعَاجِلِ ضَرِّهِ وَآجِلِ مَكْرُوهِهِ مِنْ عَظِيمِ عِقَابِ اللهِ عَلَيْهِ لَهُمْ..

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ وَجَعَلَهُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ أَنْعَامِهِمْ..

﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ تَكْذِيبًا عَلَى اللهِ وَتَخَرُّصًا عَلَيْهِ الْبَاطِلَ..

﴿قَدۡ ضَلُّواْ﴾ قَدْ تَرَكُوا مَحَجَّةَ الْحَقِّ فِي فِعْلِهِمْ ذَلِكَ، وَزَالُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَمْ يَكُنْ فَاعِلُو ذَلِكَ عَلَى هُدًى وَاسْتِقَامَةٍ فِي أَفْعَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾ [الأنعام: ١٤٠] لِلصَّوَابِ فِيهَا وَلَا مُوَفَّقِينَ لَهُ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ خَبَرَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، الَّذِينَ كَانُوا يَبْحَرُونَ الْبَحَائِرَ، وَيُسَيِّبُونَ السَّوَائِبَ، وَيَئِدُونَ الْبَنَاتِ.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١].

﴿۞ وَهُوَ﴾ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾ أَحْدَثَ وَابْتَدَعَ خَلْقًا، لَا الْآلِهَةُ وَالْأَصْنَامُ..

﴿جَنَّٰتٖ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ وَهِيَ مَا عَرَشَ النَّاسُ، مِنَ الْكُرُومِ وَغَيْرِهِ..

﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ غَيْرَ مَرْفُوعَاتٍ مَبْنِيَّاتٍ، لَا يُنْبِتُهُ النَّاسُ وَلَا يَرْفَعُونَهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يَرْفَعُهُ وَيُنْبِتُهُ وَيُنَمِّيهِ..

﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ وَأَنْشَأَ، وَخَلَقَ النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِمَّا يُؤْكَلُ مِنَ الثَّمَرِ وَالْحَبِّ..

﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ فِي الطَّعْمِ، مِنْهُ الْحُلْوُ وَالْحَامِضُ وَالْمُزُّ..

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ كُلُوا مِنْ رُطَبِهِ وَعِنَبِهِ..

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ كَانَ هَذَا شَيْئًا أَمَرَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ الْمُؤَقَّتَةُ، ثُمَّ نَسَخَتْهُ الصَّدَقَةُ الْمَعْلُومَةُ مِنَ الْعُشْرِ وَنِصْفِ الْعُشْرِ، فَلَا فَرْضَ فِي مَالٍ كَائِنًا مَا كَانَ، زَرْعًا كَانَ أَوْ غَرْسًا، إِلَّا الصَّدَقَةَ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ فِيهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَمِيعَ مُجْمِعُونَ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ صَدَقَةَ الْحَرْثِ لَا تُؤْخَذُ إِلَّا بَعْدَ الدِّيَاسِ وَالتَّنْقِيَةِ وَالتَّذْرِيَةِ، وَأَنَّ صَدَقَةَ التَّمْرِ لَا تُؤْخَذُ إِلَّا بَعْدَ الْجَفَافِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، يُنْبِئُ عَنْ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِإِيتَاءِ حَقِّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَكَانَ يَوْمُ حَصَادِهِ هُوَ يَوْمَ جَدِّهِ وَقَطْعِهِ، وَالْحَبُّ لَا شَكَّ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي سُنْبُلِهِ، وَالتَّمْرُ وَإِنْ كَانَ ثَمَرَ نَخْلٍ أَوْ كَرْمٍ غَيْرُ مُسْتَحْكِمٍ جُفُوفَهُ وَيُبْسَهُ، وَكَانَتِ الصَّدَقَةُ مِنَ الْحَبِّ إِنَّمَا تُؤْخَذُ بَعْدَ دِيَاسِهِ وَتَذْرِيَتِهِ وَتَنْقِيَتِهِ كَيْلًا، وَالتَّمْرُ إِنَّمَا تُؤْخَذُ صَدَقَتُهُ بَعْدَ اسْتِحْكَامِ يُبْسِهِ وَجُفُوفِهِ كَيْلًا، عُلِمَ أَنَّ مَا يُؤْخَذُ صَدَقَةً بَعْدَ حِينِ حَصْدِهِ غَيْرُ الَّذِي يَجِبُ إِيتَاؤُهُ الْمَسَاكِينَ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ دَلِيلٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَعَ قَوْلَهُ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِنْ حُكْمِ اللهِ فِي عِبَادِهِ مُذْ فَرَضَ فِي أَمْوَالِهِمُ الصَّدَقَةَ الْمَفْرُوضَةَ الْمُؤَقَّتَةَ الْقَدْرُ، أَنَّ الْقَائِمَ بِأَخْذِ ذَلِكَ سَاسَتُهُمْ وَرُعَاتُهُمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَا وَجْهُ نَهْيِ رَبِّ الْمَالِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي إِيتَاءِ ذَلِكَ، وَالْآخِذُ مُجْبِرٌ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْحَقَّ الَّذِي فَرَضَ اللهُ فِيهِ؟ فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ نَهْيٌ مِنَ اللهِ الْقَيِّمِ بِأَخْذِ ذَلِكَ مِنَ الرُّعَاةِ عَنِ التَّعَدِّي فِي مَالِ رَبِّ الْمَالِ وَالتَّجَاوُزِ إِلَىٰ أَخْذِ مَا لَمْ يُبَحْ لَهُ أَخْذُهُ، فَإِنَّ آخِرَ الْآيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ أَوَّلِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، فَإِنْ كَانَ الْمَنْهِيُّ عَنِ الْإِسْرَافِ الْقَيِّمُ بِقَبْضِ ذَلِكَ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَأْمُورُ بِإِيتَائِهِ الْمَنْهِيَّ عَنِ الْإِسْرَافِ فِيهِ، وَهُوَ السُّلْطَانُ، وَذَلِكَ قَوْلٌ إِنْ قَالَهُ قَائِلٌ، كَانَ خَارِجًا مِنْ قَوْلِ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَمُخَالِفًا الْمَعْهُودَ مِنَ الْخِطَابِ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ شَاهِدًا عَلَىٰ خَطَئِهِ..

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١] الْإِسْرَافُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْإِخْطَاءُ بِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي الْعَطِيَّةِ، إِمَّا بِتَجَاوُزِ حَدِّهِ فِي الزِّيَادَةِ وَإِمَّا بِتَقْصِيرٍ عَنْ حَدِّهِ الْوَاجِبِ، فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْمُفَرِّقَ مَالَهُ مُبَارَاةً، وَالْبَاذِلَهُ لِلنَّاسِ حَتَّىٰ أَجْحَفَتْ بِهِ عَطِيَّتُهُ، مُسْرِفٌ بِتَجَاوُزِهِ حَدَّ اللهِ إِلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْمُقَصِّرُ فِي بَذْلِهِ فِيمَا أَلْزَمَهُ اللهُ بَذْلَهُ فِيهِ، وَذَلِكَ كَمَنْعِهِ مَا أَلْزَمَهُ إِيتَاءَهُ مِنْهُ أَهْلَ سِهْمَانِ الصَّدَقَةِ إِذَا وَجَبَتْ فِيهِ، أَوْ مَنْعِهِ مَنْ أَلْزَمَهُ اللهُ نَفَقَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مَا أَلْزَمَهُ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ السُّلْطَانُ فِي أَخْذِهِ مِنْ رَعِيَّتِهِ مَا لَمْ يَأْذَنِ اللهُ بِأَخْذِهِ. كُلُّ هَؤُلَاءِ فِيمَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ

مُسْرِفُونَ، دَاخِلُونَ فِي مَعْنَىٰ مَنْ أَتَىٰ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنَ الإِسْرَافِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ فِي عَطِيَّتِكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا يُجْحِفُ بِكُمْ، إِذْ كَانَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَمْرًا مِنَ اللهِ بِإِيتَاءِ الْوَاجِبِ فِيهِ أَهْلَهُ يَوْمَ حَصَادِهِ، فَإِنَّ الآيَةَ قَدْ كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبَبٍ خَاصٍّ مِنَ الأُمُورِ وَالْحُكْمُ بِهَا عَلَىٰ الْعَامِّ، بَلْ عَامَّةُ آيِ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَتَنْبِيهٌ مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَوْضِعِ إِحْسَانِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ لَهُمْ مَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ وَقَسَمَ فِي أَمْوَالِهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ لِمَنْ قَسَمَ لَهُ فِيهَا حَقًّا.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام: ١٤٢].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ أَنْشَأَ مِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا مَعَ مَا أَنْشَأَ مِنَ الْجَنَّاتِ الْمَعْرُوشَاتِ وَغَيْرِ الْمَعْرُوشَاتِ.. وَالْحَمُولَةُ: مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنَ الإِبِلِ وَغَيْرِهَا، وَالْفَرْشُ: صِغَارُ الإِبِلِ الَّتِي لَمْ تُدْرِكْ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهَا..

﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَأَحَلَّ لَكُمْ ثَمَرَاتِ حُرُوثِكُمْ وَغُرُوسِكُمْ، وَلُحُومَ أَنْعَامِكُمْ، إِذْ حَرَّمَ بَعْضَ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، فَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا، وَلِلشَّيْطَانِ مِثْلَهُ، فَقَالُوا: هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ كَمَا اتَّبَعَهَا بَاحِرُو الْبَحِيرَةِ وَمُسَيِّبُو السَّوَائِبِ، فَتُحَرِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْ طِيبِ رِزْقِ اللهِ الَّذِي رَزَقَكُمْ مَا حَرَّمُوهُ، فَتُطِيعُوا بِذَلِكَ الشَّيْطَانَ وَتَعْصُوا بِهِ الرَّحْمَنَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ الشَّيْطَانَ..

﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ يَبْغِي هَلَاكَكُمْ وَصَدَّكُمْ عَنْ سَبِيلِ رَبِّكُمْ..

﴿مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام: ١٤٢] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ عُدْوَانَهُ بِمُنَاصَبَتِهِ أَبَاكُمْ بِالْعَدَاوَةِ، حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ بِكَيْدِهِ وَخِدَعِهِ، حَسَدًا مِنْهُ لَهُ وَبَغْيًا عَلَيْهِ.

﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأنعام: ١٤٣].

﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وَمِنَ الأَنْعَامِ أَنْشَأَ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ.. فَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾

[الأنعام: ١٤٢]، ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْحَمُولَةَ وَالْفَرْشَ، فَقَالَ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾..

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ فَذَلِكَ أَرْبَعَةٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُنْثَيَيْنِ مِنَ الضَّأْنِ زَوْجٌ، فَالْأُنْثَىٰ مِنْهُ زَوْجُ الذَّكَرِ، وَالذَّكَرُ مِنْهُ زَوْجُ الْأُنْثَىٰ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْزِ وَمِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ، فَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]؛ لِأَنَّ الذَّكَرَ زَوْجُ الْأُنْثَىٰ، وَالْأُنْثَىٰ زَوْجُ الذَّكَرِ، فَهُمَا وَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ فَهُمَا زَوْجَانِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وَكَمَا قَالَ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَرَّمُوا مَا حَرَّمُوا مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ، اتِّبَاعًا لِلشَّيْطَانِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مُحَرِّمُونَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْكَذَبَةُ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ؟ فَإِنَّهُمْ إِنِ ادَّعَوْا ذَلِكَ وَأَقَرُّوا بِهِ، كَذَّبُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَبَانُوا جَهْلَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: يُحَرِّمُ الذَّكَرَيْنِ مِنْ ذَلِكَ، أَوْجَبُوا تَحْرِيمَ كُلِّ ذَكَرَيْنِ مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ، وَهُمْ يَسْتَمْتِعُونَ بِلُحُومِ الذُّكْرَانِ مِنْهَا وَظُهُورِهَا، وَفِي ذَلِكَ فَسَادُ دَعْوَاهُمْ وَتَكْذِيبُ قَوْلِهِمْ..

﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ فَإِنَّهُمْ إِنْ قَالُوا: حَرَّمَ رَبُّنَا الْأُنْثَيَيْنِ، أَوْجَبُوا تَحْرِيمَ لُحُومِ كُلِّ أُنْثَىٰ مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَظُهُورِهَا، وَفِي ذَلِكَ أَيْضًا تَكْذِيبٌ لَهُمْ، وَدَحْضُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ رَبَّهُمْ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ كَانُوا يَسْتَمْتِعُونَ بِلُحُومِ بَعْضِ ذَلِكَ وَظُهُورِهِ..

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ﴾ أَمْ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ..

﴿أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أَرْحَامُ أُنْثَىٰ الضَّأْنِ وَأُنْثَىٰ الْمَعْزِ.. فَلَوْ أَقَرُّوا بِهِ فَقَالُوا: حَرَّمَ عَلَيْنَا مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ، بَطَلَ قَوْلُهُمْ وَبَانَ كَذِبُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِإِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ذُكُورَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ وَإِنَاثَهَا أَنْ يَأْكُلُوا لُحُومَهَا أَوْ يَرْكَبُوا ظُهُورَهَا، وَقَدْ كَانُوا يَسْتَمْتِعُونَ بِبَعْضِ ذُكُورِهَا وَإِنَاثِهَا..

﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ﴾ قُلْ لَهُمْ: خَبِّرُونِي بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، أَيَّ ذَلِكَ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ؟ وَكَيْفَ حَرَّمَ؟..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٤٣﴾ [الأنعام: ١٤٣] فِيمَا تَنْحِلُونَهُ رَبَّكُمْ مِنْ دَعْوَاكُمْ، وَتُضِيفُونَهُ إِلَيْهِ مِنْ تَحْرِيمِكُمْ، وَإِنَّمَا هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ أَنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي ذَلِكَ وَأَضَافُوهُ إِلَىٰ اللهِ، فَهُوَ كَذِبٌ عَلَىٰ اللهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ..وَهَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، الَّذِينَ بَحَرُوا الْبَحَائِرَ، وَسَيَّبُوا السَّوَائِبَ، وَوَصَلُوا الْوَصَائِلَ، وَتَعْلِيمٌ مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ فِي تَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوا مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنْ هَذِهِ الثِّمَارِ وَاللُّحُومِ، وَارْكَبُوا هَذِهِ الْحَمُولَةَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فِي تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ بِغَيْرِ أَمْرِي إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤٤].

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَزْوَاجٍ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا بَيَّنَّا مِنَ الْأَزْوَاجِ الْأَرْبَعَةِ قَبْلُ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ، فَذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَزْوَاجٍ كَمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِهَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَصَّ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ، يَقُولُ لَهُ عَزَّ ذِكْرُهُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، أَيَّ هَذِهِ سَأَلْتُكُمْ عَنْ تَحْرِيمِهِ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ؟ فَإِنْ أَجَابُوكَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: أَخَبَرًا قُلْتُمْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا عَلَيْكُمْ. أَخْبَرَكُمْ بِهِ رَسُولٌ عَنْ رَبِّكُمْ، أَمْ شَهِدْتُمْ رَبَّكُمْ فَرَأَيْتُمُوهُ فَوَصَّاكُمْ بِهَذَا الَّذِي تَقُولُونَ وَتَزَوَّرُونَ عَلَىٰ اللهِ؟ فَإِنَّ هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ مِنْ إِخْبَارِكُمْ عَنِ اللهِ أَنَّهُ حَرَامٌ بِمَا تَزْعُمُونَ عَلَىٰ مَا تَزْعُمُونَ، لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِهِ مَعَ رَسُولٍ يُرْسِلُهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ، أَوْ بِسَمَاعٍ مِنْهُ، فَبِأَيِّ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بِرَسُولٍ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ؟ فَأَنْبِئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَمْ شَهِدْتُمْ رَبَّكُمْ، فَأَوْصَاكُمْ بِذَلِكَ وَقَالَ لَكُمْ: حَرَّمْتُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَسَمِعْتُمْ تَحْرِيمَهُ مِنْهُ وَعَهْدَهُ إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ..

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فَمَنْ أَشَدُّ ظُلْمًا لِنَفْسِهِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْحَقِّ..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ مِمَّنْ تَخَرَّصَ عَلَىٰ اللهِ قِيلَ الْكَذِبِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْ، وَتَحْلِيلَ مَا لَمْ يُحَلِّلْ..

﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ لِيَصُدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ [الأنعام: ١٤٤] لَا يُوَفِّقُ اللهُ لِلرُّشْدِ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ الزُّورَ وَالْكَذِبَ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْ، كُفْرًا بِاللهِ وَجُحُودًا لِنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا، ولِشُرَكَائِهِمْ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ مِثْلَهُ، وَالْقَائِلِينَ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، وَالْمُحَرِّمِينَ مِنْ أَنْعَامٍ أُخَرَ ظُهُورَهَا، وَالتَّارِكِينَ ذِكْرَ اسْمِ اللهِ عَلَىٰ أُخَرَ مِنْهَا، وَالْمُحَرِّمِينَ بَعْضَ مَا فِي بُطُونِ بَعْضِ أَنْعَامِهِمْ عَلَىٰ إِنَاثِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَمُحِلِّيهِ لِذُكُورِهِمْ، والْمُحَرِّمِينَ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ، وَإِضَافَةً مِنْهُمْ مَا يُحَرِّمُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ: أَجَاءَكُمْ مِنَ اللهِ رَسُولٌ بِتَحْرِيمِهِ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَأَنْبِئُونَا بِهِ، أَمْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِتَحْرِيمِهِ مُشَاهَدَةً مِنْكُمْ لَهُ، فَسَمِعْتُمْ مِنْهُ تَحْرِيمَهُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَحَرَّمْتُمُوهُ؟ فَإِنَّكُمْ كَذَبَةٌ إِنِ ادَّعَيْتُمْ ذَلِكَ وَلَا يُمْكِنُكُمْ دَعْوَاهُ، لِأَنَّكُمْ إِذَا ادَّعَيْتُمُوهُ عَلِمَ النَّاسُ كَذِبَكُمْ، فَإِنِّي..

﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ مِنْ كِتَابِهِ وآيِ تَنْزِيلِهِ شَيْئًا..

﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ مُحَرَّمًا عَلَىٰ آكِلٍ يَأْكُلُهُ مِمَّا تَذْكُرُونَ أَنَّهُ حَرَّمَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ الَّتِي تَصِفُونَ، تَحْرِيمَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنْهَا بِزَعْمِكُمْ..

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ قَدْ مَاتَتْ بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ..

﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ وَهُوَ الْمُنْصَبُّ، أَوْ دَمًا مُسَالًا مُهْرَاقًا، يُقَالُ مِنْهُ: سَفَحْتُ دَمَهُ: إِذَا أَرَقْتُهُ.. وَفِي اشْتِرَاطِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي الدَّمِ عِنْدَ إِعْلَامِهِ عِبَادَهُ تَحْرِيمَهُ إِيَّاهُ الْمَسْفُوحَ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ، الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ أَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَسْفُوحًا فَحَلَالٌ غَيْرُ نَجِسٍ، قال قَتَادَةَ: **(حَرَّمَ الدَّمَ مَا كَانَ مَسْفُوحًا، وَأَمَّا لَحْمٌ خَالَطَهُ دَمٌ فَلَا بَأْسَ بِهِ)**..

﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾ أَوْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَحمَ خِنْزِيرٍ..

﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الرِّجسِ فِيمَا مَضَىٰ، وَأَنَّهُ النَّجسُ وَالنَّتْنُ، وَمَا يُعْصَىٰ اللهُ بِهِ..

﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أَوْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِسْقًا، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَوْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَذْبُوحًا، ذَبَحَهُ ذَابِحٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ لِصَنَمِهِ وَآلِهَتِهِ فَذَكَرَ عَلَيْهِ اسْمَ وَثَنِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الذَّبْحَ فِسْقٌ نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ، وَنَهَىٰ مَنْ آمَنَ بِهِ عَنْ أَكْلِ مَا ذُبِحَ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ مَيْتَةٌ.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَادَلُوا نَبِيَّ اللهِ وَأَصْحَابَهُ فِي تَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ بِمَا جَادَلُوهُمْ بِهِ، أَنَّ الَّذِيَ جَادَلُوهُمْ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْحَرَامُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ، وَأَنَّ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ حَلَالٌ قَدْ أَحَلَّهُ اللهُ، وَأَنَّهُمْ كَذَبَةٌ فِي إِضَافَتِهِمْ تَحْرِيمَهُ إِلَىٰ اللهِ..

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إِلَىٰ أَكْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ الْمَسْفُوحِ أَوْ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، أَوْ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ..

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ فِي أَكْلِهِ إِيَّاهُ تَلَذُّذًا، لَا لِضَرُورَةِ حَالَةٍ مِنَ الْجُوعِ..

﴿وَلَا عَادٍ﴾ فِي أَكْلِهِ بِتَجَاوُزِهِ مَا حَدَّهُ اللهُ وَأَبَاحَهُ لَهُ مِنْ أَكْلِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْخَوْفَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِتَرْكِ أَكْلِهِ مِنَ الْهَلَاكِ لَمْ يَتَجَاوَزْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَكْثَرَ مِنْهُ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِهِ مَا أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ فِيمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَسَاتِرٌ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] بِإِبَاحَتِهِ إِيَّاهُ أَكْلَ ذَلِكَ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِ وَمَنَعَهُ مِنْهُ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾ [الأنعام: ١٤٦].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَىٰ الْيَهُودِ..

﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وَهُوَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ، كَالْإِبِلِ، وَالنَّعَامِ، وَالْإِوَزِّ وَالْبَطِّ، وَكُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ بِمَشْقُوقِ الْأَصَابِعِ، مِثْلِ: الدِّيكِ، وَالدَّجَاجِ، وَالْعَصَافِيرِ..

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا**»، فَكَانَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْيَهُودِ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ شُحُومَهُمَا، إِلَّا مَا اسْتَثْنَاهُ مِنْهَا..

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ إِلَّا شُحُومَ الْجَنْبِ، وَمَا عَلِقَ بِالظَّهْرِ كَالْأَلْيَاتِ، فَإِنَّهَا لَمْ تُحَرَّمْ عَلَيْهِمْ..

﴿أَوِ﴾ مَا حَمَلَتِ..

﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ وَهِيَ مَا تَحَوَّىٰ مِنَ الْبَطْنِ، فَاجْتَمَعَ وَاسْتَدَارَ، وَهِيَ بَنَاتُ اللَّبَنِ -أي: ما صغر من الأمعاء- وَهِيَ الْمَبَاعِرُ -يعني: مكان البعر من كل ذي أربع- وَتُسَمَّىٰ الْمَرَابِضُ، وَفِيهَا الْأَمْعَاءُ، فَإِنَّا أَحْلَلْنَا ذَلِكَ لَهُمْ..

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ شَحْمُ الْأَلْيَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقَوَائِمِ وَالْجَنْبِ وَالرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قَدِ اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ، فَهُوَ لَهُمْ أَيْضًا حَلَالٌ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي حَرَّمْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ هَادُوا، مِنَ الْأَنْعَامِ وَالطَّيْرِ ذَوَاتِ الْأَظَافِيرِ غَيْرِ الْمُنْفَرِجَةِ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مَا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ شُحُومِهِمَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ حَرَّمْنَاهُ عَلَيْهِمْ..

﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾ عُقُوبَةً مِنَّا لَهُمْ، وَثَوَابًا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَبَغْيِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝١٤٦﴾ [الأنعام: ١٤٦] فِي خَبَرِنَا هَذَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ عَمَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّحُومِ وَلُحُومِ الْأَنْعَامِ وَالطَّيْرِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِنَا، وَهُمُ الْكَاذِبُونَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا حَرَّمَهُ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا حَرَّمُوهُ لِتَحْرِيمِ إِسْرَائِيلَ إِيَّاهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٤٧﴾ [الأنعام: ١٤٧].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ أَنَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ وَحَلَّلْنَا لَهُمْ، كَمَا بَيَّنَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٖ﴾ بِنَا وَبِمَنْ كَانَ بِهِ مُؤْمِنًا مِنْ عِبَادِهِ وَبِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَٰسِعَةٖ﴾ تَسَعُ جَمِيعَ خَلْقِهِ الْمُحْسِنَ وَالْمُسِيءَ، لَا يُعَاجِلُ مَنْ كَفَرَ بِهِ بِالْعُقُوبَةِ وَلَا مَنْ عَصَاهُ بِالنِّقْمَةِ، وَلَا يَدَعُ كَرَامَةَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ وَلَا يَحْرِمُهُ ثَوَابَ عَمَلِهِ، رَحْمَةً مِنْهُ بِكِلَا الْفَرِيقَيْنِ..

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ وَسَطْوَتُهُ وَعَذَابُهُ، لَا يَرُدُّهُ إِذَا أَحَلَّهُ عِنْدَ غَضَبِهِ..

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٤٧﴾ [الأنعام: ١٤٧] الْمُجْرِمُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا فَاكْتَسَبُوا الذُّنُوبَ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ وَهُمُ الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ.. قَالُوا احْتِجَاجًا مِنَ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ مِنَ الْحُجَّةِ، لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، وَعَلِمُوا بَاطِلَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، مِنْ شِرْكِهِمْ وَتَحْرِيمِهِمْ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي الْآيَاتِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦] وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ..

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لَوْ أَرَادَ اللهُ مِنَّا الْإِيمَانَ بِهِ، وَإِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ، دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ، وَتَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِنَا..

﴿مَآ أَشْرَكْنَا﴾ مَا جَعَلْنَا لِلَّهِ شَرِيكًا..

﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ وَلَا جَعَلَ ذَلِكَ لَهُ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِنَا..

﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ وَلَا حَرَّمْنَا مَا نُحَرِّمُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَحْنُ عَلَىٰ تَحْرِيمِهَا مُقِيمُونَ؛ لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَنَا إِلَىٰ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سَبِيلٌ، إِمَّا بِأَنْ يَضْطَرَّنَا إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَتَرْكِ الشِّرْكِ بِهِ وَإِلَىٰ الْقَوْلِ بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمْنَا، وَإِمَّا بِأَنْ يَلْطُفَ بِنَا بِتَوْفِيقِهِ فَنَصِيرَ إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ، وَإِلَىٰ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمْنَا، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ مِنَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَاتِّخَاذِ الشَّرِيكِ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَأَرَادَ مَا نُحَرِّمُ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ، فَلَمْ يَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ: إِنَّ اللهَ رَضِيَ مِنَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَتَحْرِيمِ مَا نُحَرِّمُ، وَرَادًّا عَلَيْهِمْ بَاطِلَ مَا احْتَجُّوا بِهِ مِنْ حُجَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَيَانِ..

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ فَسَقَةِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَغَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَوَاضِحِ حُجَجِهِ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ نَصَائِحَهُمْ..

﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ حَتَّىٰ أَسْخَطُونَا فَغَضِبْنَا عَلَيْهِمْ، فَأَحْلَلْنَا بِهِمْ بَأْسَنَا فَذَاقُوهُ، فَعَطَبُوا

بِذَوْقِهِمْ إِيَّاهُ، فَخَابُوا وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، يَقُولُ: وَهَؤُلَاءِ الْآخَرُونَ مَسْلُوكٌ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ إِنْ هُمْ لَمْ يُنِيبُوا فَيُؤْمِنُوا وَيُصَدِّقُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْمُحَرِّمِينَ مَا هُمْ لَهُ مُحَرِّمُونَ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ، الْقَائِلِينَ: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وَلَكِنْ رَضِيَ مِنَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَتَحْرِيمِ مَا نُحَرِّمُ..

﴿هَلْ عِندَكُم﴾ بِدَعْوَاكُمْ مَا تَدَّعُونَ عَلَىٰ اللهِ مِنْ رِضَاهُ بِإِشْرَاكِكُمْ فِي عِبَادَتِهِ مَا تُشْرِكُونَ، وَتَحْرِيمِكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا تُحَرِّمُونَ..

﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يَقِينٍ، مِنْ خَبَرِ مَنْ يَقْطَعُ خَبَرُهُ الْعُذْرَ، أَوْ حُجَّةٍ تُوجِبُ لَنَا الْيَقِينَ مِنَ الْعِلْمِ..

﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ فَتُظْهِرُوا ذَلِكَ لَنَا وَتُبَيِّنُوهُ، كَمَا بَيَّنَّا لَكُمْ مَوَاضِعَ خَطَأِ قَوْلِكُمْ وَفِعْلِكُمْ، وَتَنَاقُضِ ذَلِكَ وَاسْتِحَالَتِهِ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَسْمُوعِ.. يَقُولُ لَهُ: قُلْ لَهُمْ..

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ إِنْ تَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَتَعْبُدُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ مَا تَعْبُدُونَ، وَتُحَرِّمُونَ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ مَا تُحَرِّمُونَ..

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إِلَّا ظَنًّا وَحُسْبَانًا أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّكُمْ عَلَىٰ حَقٍّ وَهُوَ بَاطِلٌ، وَأَنْتُمْ عَلَىٰ بَاطِلٍ..

﴿وَإِنْ أَنتُمْ﴾ وَمَا أَنْتُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨] إِلَّا تَتَقَوَّلُونَ الْبَاطِلَ عَلَىٰ اللهِ ظَنًّا بِغَيْرِ يَقِينِ عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانٍ وَاضِحٍ.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْقَائِلِينَ عَلَىٰ رَبِّهِمُ الْكَذِبَ فِي تَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوا مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ، إِنْ عَجَزُوا عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عِنْدَ قِيلِكَ لَهُمْ: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ بِمَا تَدَّعُونَ عَلَىٰ رَبِّكُمْ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا، وَعَنْ إِخْرَاجِ عِلْمِ ذَلِكَ لَكَ وَإِظْهَارِهِ، وَهُمْ لَا شَكَّ عَنْ ذَلِكَ عَجَزَةٌ، وَعَنْ إِظْهَارِهِ مُقَصِّرُونَ؛ لِأَنَّهُ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ..

﴿فَلِلَّهِ﴾ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ..

﴿ٱلْحُجَّةُ﴾ دُونَكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ تَبْلُغُ مُرَادَهُ فِي ثُبُوتِهَا عَلَىٰ مَنِ احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَطَعَ عُذْرَهُ إِذَا انْتَهَتْ

إِلَيْهِ فِيمَا جُعِلَتْ حُجَّةً فِيهِ..

﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ رَبُّكُمْ..

﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩] لَوَفَّقَكُمْ أَجْمَعِينَ، لِلْإِجْمَاعِ عَلَىٰ إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ وَالدَّيْنُونَةِ، بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْلِيلِ مَا حَلَّلَهُ اللهُ، وَتَرْكِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ طَاعَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ ذَٰلِكَ، فَخَالَفَ بَيْنَ خَلْقِهِ فِيمَا شَاءَ مِنْهُمْ، فَمِنْهُمْ كَافِرٌ وَمِنْهُمْ مُؤْمِنٌ.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١٥٠﴾ [الأنعام: ١٥٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مُحَرِّمُوهُ مِنْ حُرُوثِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ..

﴿هَلُمَّ﴾ هَاتُوا..

﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ عَلَىٰ اللهِ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ﴾ عَلَيْكُمْ..

﴿هَٰذَا﴾ مَا تَزْعُمُونَ أَنَّهُ حَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ..

﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ فَإِنْ جَاءُوكَ يَا مُحَمَّدُ بِشُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ مَا يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ﴾ فَإِنَّهُمْ كَذَبَةٌ، وَشُهُودُ زُورٍ فِي شَهَادَتِهِمْ بِمَا شَهِدُوا بِهِ مِنْ ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللهِ، وَخَاطَبَ بِذَٰلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَصْحَابُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وَلَا تُتَابِعْهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِوَحْيِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ فِي تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ وَتَحْلِيلِ مَا أَحَلَّ لَهُمْ، وَلَكِنِ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، فَتُكَذِّبَ بِمَا هُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ مِنْ إِحْيَاءِ اللهِ خَلْقَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَنَشْرِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ..

﴿وَهُم﴾ مَعَ تَكْذِيبِهِمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَجُحُودِهِمْ قِيَامَ السَّاعَةِ..

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام: ١٥٠] الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، فَيَجْعَلُونَهَا لَهُ عَدْلًا، وَيَتَّخِذُونَهَا لَهُ نِدًّا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

[الأنعام: ١٥١].

﴿۞ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مُحَرِّمُوهُ مِنْ حُرُوثِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، عَلَىٰ مَا ذَكَرْتُ لَكَ فِي تَنْزِيلِي عَلَيْكَ..

﴿تَعَالَوْا﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَتْلُ﴾ أَقْرَأْ عَلَيْكُمْ..

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ حَقًّا يَقِينًا، لَا الْبَاطِلَ، تَخَرُّصًا كَخَرَصِكُمْ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَالْفِرْيَةَ ظَنًّا، وَلَكِنْ وَحْيًا مِنَ اللهِ أَوْحَاهُ إِلَيَّ، وَتَنْزِيلًا أَنْزَلَهُ عَلَيَّ..

﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا تَعْدِلُوا بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا سِوَاهُ..

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وَأَوْصَىٰ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ وَلَا تَئِدُوا أَوْلَادَكُمْ فَتَقْتُلُوهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الْفَقْرِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بِنَفَقَاتِهِمْ.. وَالْإِمْلَاقُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَمْلَقْتُ مِنَ الزَّادِ، فَأَنَا أُمْلِقُ إِمْلَاقًا، وَذَلِكَ إِذَا فَنِيَ زَادُهُ وَذَهَبَ مَالُهُ وَأَفْلَسَ..

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فَإِنَّ اللهَ هُوَ رَازِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُمْ، فَتَخَافُوا بِحَيَاتِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمُ الْعَجْزَ عَنْ أَرْزَاقِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ..

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الظَّاهِرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ عَلَيْكُمُ الَّتِي هِيَ عَلَانِيَةٌ بَيْنَكُمْ لَا تَنَاكَرُونَ رُكُوبَهَا..

﴿وَمَا بَطَنَ﴾ مِنْهَا الَّذِي تَأْتُونَهُ سِرًّا فِي خَفَاءٍ لَا تَجَاهَرُونَ بِهِ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ حَرَامٌ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا

قِيلَ: لَا تَقْرَبُوا مَا ظَهَرَ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَمَا بَطَنَ، لِأَنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَرَوْنَ بِالزِّنَا بَأْسًا فِي السِّرِّ، وَيَسْتَقْبِحُونَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، فَحَرَّمَ اللهُ الزِّنَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَلَيْسَ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ بِمَدْفُوعٍ، غَيْرَ أَنَّ دَلِيلَ الظَّاهِرِ مِنَ التَّنْزِيلِ عَلَى النَّهْيِ عَنْ ظَاهِرِ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَبَاطِنِهَا، وَلَا خَبَرَ يَقْطَعُ الْعُذْرَ بِأَنَّهُ عُنِيَ بِهِ بَعْضٌ دُونَ جَمِيعٍ، وَغَيْرُ جَائِزٍ إِحَالَةُ ظَاهِرِ كِتَابِ اللهِ إِلَى بَاطِنٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا..

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قَتْلَهَا، كَنَفْسِ مُؤْمِنٍ أَوْ مُعَاهَدٍ..

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بِمَا أَبَاحَ قَتْلَهَا بِهِ مِنْ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسًا فَتُقْتَلَ قَوَدًا بِهَا، أَوْ تَزْنِيَ وَهِيَ مُحْصَنَةٌ فَتُرْجَمَ، أَوْ تَرْتَدَّ عَنْ دِينِهَا الْحَقِّ فَتُقْتَلَ، فَذَلِكَ الْحَقُّ الَّذِي أَبَاحَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَتْلَهَا بِهِ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الْأُمُورُ الَّتِي عَهِدَ إِلَيْنَا فِيهَا رَبُّنَا أَنْ لَا نَأْتِيَهُ وَأَنْ لَا نَدَعَهُ..

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي أَوْصَانَا وَالْكَافِرِينَ بِهَا أَنْ نَعْمَلَ جَمِيعًا بِهِ، وَصَّاكُمْ بِذَلِكَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١] مَا وَصَّاكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ.. وَكَانَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ كَعْبٍ بِيَدِهِ، إِنَّ هَذَا لَأَوَّلُ شَيْءٍ فِي التَّوْرَاةِ).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَهُ إِلَّا بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُ وَتَثْمِيرُهُ، كَالتِّجَارَةِ فِيهِ..

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ جَمْعُ شَدٍّ، كَمَا الْأَضُرُّ جَمْعُ ضَرٍّ، وَكَمَا الْأَشُرُّ جَمْعُ شَرٍّ.. وَالشَّدُّ: الْقُوَّةُ، وَهُوَ اسْتِحْكَامُ قُوَّةِ شَبَابِهِ وَسِنِّهِ، كَمَا شَدُّ النَّهَارِ ارْتِفَاعُهُ وَامْتِدَادُهُ، يُقَالُ: أَتَيْتُهُ شَدَّ النَّهَارِ وَمَدَّ النَّهَارِ، وَذَلِكَ حِينَ امْتِدَادِهِ وَارْتِفَاعِهِ.. فَأَمَّا أَهْلُ التَّأْوِيلِ فَإِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْحِينِ الَّذِي إِذَا بَلَغَهُ الْإِنْسَانُ قِيلَ بَلَغَ أَشُدَّهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُقَالُ ذَلِكَ لَهُ إِذَا بَلَغَ الْحُلُمَ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ لَهُ إِذَا بَلَغَ ثَلَاثِينَ سَنَةً.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ تُرِكَ ذِكْرُهُ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ عَمَّا حُذِفَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، فَإِذَا بَلَغَ

أَشُدَّهُ فَآنَسْتُمْ مِنْهُ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِ مَالَهُ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَنْهَ أَنْ يُقْرَبَ مَالُ الْيَتِيمِ فِي حَالِ يُتْمِهِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، لِيَحِلَّ لِوَلِيِّهِ بَعْدَ بُلُوغِهِ أَشُدَّهُ أَنْ يَقْرَبَهُ بِالَّتِي هِيَ أَسْوَأُ، وَلَكِنَّهُ نَهَاهُمْ أَنْ يَقْرَبُوه حِيَاطَةً مِنْهُ لَهُ، وحِفْظًا عَلَيْهِ، لِيُسَلِّمُوهُ إِلَيْهِ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ..

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُوهُمْ..

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ وَالْوَزْنَ إِذَا وَزَنْتُمُوهُمْ، وَلَكِنْ أَوْفُوهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِيفَاؤُهُمْ ذَلِكَ: إِعْطَاؤُهُمْ حُقُوقَهُمْ تَامَّةً..

﴿بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ بِالْعَدْلِ..

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾ مِنْ إِيفَاءِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ..

﴿إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ إِلَّا مَا يَسَعُهَا، فَيَحِلُّ لَهَا، وَلَا تَحْرَجَ فِيهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلِمَ مِنْ عِبَادِهِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ تَضِيقُ نَفْسُهُ عَنْ أَنْ تَطِيبَ لِغَيْرِهِ بِمَا لَا يَجِبُ عَلَيْهَا لَهُ، فَأَمَرَ الْمُعْطِي بِإِيفَاءِ رَبِّ الْحَقِّ حَقَّهُ الَّذِي هُوَ لَهُ وَلَمْ يُكَلِّفْهُ الزِّيَادَةَ لِمَا فِي الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ مِنْ ضِيقِ نَفْسِهِ بِهَا، وَأَمَرَ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ بِأَخْذِ حَقِّهِ وَلَمْ يُكَلِّفْهُ الرِّضَا بِأَقَلَّ مِنْهُ، لِمَا فِي النُّقْصَانِ عَنْهُ مِنْ ضِيقِ نَفْسِهِ، فَلَمْ يُكَلِّفْ نَفْسًا مِنْهُمَا إِلَّا مَا لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا ضِيقَ..

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ فَتَكَلَّمْتُمْ، فَقُولُوا الْحَقَّ بَيْنَهُمْ، وَاعْدِلُوا وَأَنْصِفُوا وَلَا تَجُورُوا..

﴿وَلَوْ كَانَ﴾ الَّذِي يَتَوَجَّهُ الْحَقُّ عَلَيْهِ وَالْحُكْمُ..

﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ ذَا قَرَابَةٍ لَكُمْ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ قَرَابَةُ قَرِيبٍ أَوْ صَدَاقَةُ صَدِيقٍ حَكَمْتُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، أَنْ تَقُولُوا غَيْرَ الْحَقِّ فِيمَا احْتُكِمَ إِلَيْكُمْ فِيهِ..

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وَبِوَصِيَّةِ اللهِ الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا، فَـ..

﴿أَوْفُوا۟﴾ وَإِيفَاءُ ذَلِكَ أَنْ يُطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ، وَأَنْ يَعْمَلُوا بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ هُوَ الْوَفَاءُ بِعَهْدِ اللهِ..

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّد لِلْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ قَوْمِكَ: هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكُمْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي عَهِدَ إِلَيْنَا رَبُّنَا، وَوَصَّاكُمْ بِهَا رَبُّكُمْ، وَأَمَرَكُمْ بِالْعَمَلِ بِهَا، لَا بِالْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَالْوَصَائِلِ وَالْحَامِ وَقَتْلِ الْأَوْلَادِ وَوَأْدِ الْبَنَاتِ وَاتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢] أَمَرَكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ

وَوَصَّاكُمْ بِهَا وَعَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهَا، لِتَتَذَكَّرُوا عَوَاقِبَ أَمْرِكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَوَصَّاكُمْ بِهَا وَعَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهَا، لِتَتَذَكَّرُوا عَوَاقِبَ أَمْرِكُمْ وَخَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، فَتَنْزَجِرُوا عَنْهَا وَتَرْتَدِعُوا وَتُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّكُمْ.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي وَصَّاكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] وَأَمَرَكُمْ بِالْوَفَاءِ بِهِ، هُوَ..

﴿صِرَٰطِى﴾ طَرِيقِي، وَدِينِي الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ..

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ قَوِيمًا لَا اعْوِجَاجَ بِهِ عَنِ الْحَقِّ..

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَاجْعَلُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْهَاجًا تَسْلُكُونَهُ فَاتَّبِعُوهُ..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ وَلَا تَسْلُكُوا طَرِيقًا سِوَاهُ، وَلَا تَرْكَبُوا مَنْهَجًا غَيْرَهُ، وَلَا تَبْغُوا دِينًا خِلَافَهُ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمِلَلِ، فَإِنَّهَا بِدَعٌ وَضَلَالَاتٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ: (**الْبِدَعُ وَالشُّبُهَاتُ**)..

﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فَيُشَتِّتُ..

﴿بِكُمْ﴾ إِنِ اتَّبَعْتُمُ السُّبُلَ الْمُحْدَثَةَ الَّتِي لَيْسَتْ لِلَّهِ بِسُبُلٍ وَلَا طُرُقٍ وَلَا أَدْيَانٍ، اتِّبَاعَكُمْ..

﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عَنْ طَرِيقِهِ وَدِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكُمْ وَارْتَضَاهُ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي وَصَّىٰ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَأَمَرَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الَّذِي وَصَّاكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنْ قَوْلِهِ لَكُمْ: «**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**»، وَصَّاكُمْ بِهِ..

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣] لِتَتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ فَلَا تُهْلِكُوهَا، وَتَحْذَرُوا رَبَّكُمْ فِيهَا، فَلَا تُسْخِطُوهُ عَلَيْهَا، فَيَحِلَّ بِكُمْ نَقْمَتُهُ وَعَذَابُهُ.. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا فَقَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ خُطُوطًا فَقَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا**»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.. وَقَالَ ابْنُ

زَيْدٍ: (سَبِيلُهُ الْإِسْلَامُ، وَصِرَاطُهُ: الْإِسْلَامُ، نَهَاهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوا السُّبُلَ سِوَاهُ، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عَنِ الْإِسْلَامِ).

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: ١٥٤].

﴿ثُمَّ﴾ قُلْ بَعْدَ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَرَكَ ذِكْرَ (قُلْ)، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْقِصَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ مُرَادٌ فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فَقَصَّ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَأَحَلَّ، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ قُلْ..

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ آتَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ..

﴿تَمَامًا﴾ لِنِعَمِنَا عِنْدَهُ وَأَيَادِينَا قِبَلَهُ، فَأُتَمِّمَ لَهُ كَرَامَتِي وَنِعْمَتِي فِي الْآخِرَةِ عَلَيْهِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ عَلَىٰ مَا أَحْسَنَ مُوسَىٰ فِي قِيَامِهِ فِي الدُّنْيَا فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ بِأَمْرِنَا وَنَهْيِنَا.. فَإِنَّ إِيتَاءَ مُوسَىٰ كِتَابَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ وَمِنَّةٌ عَظِيمَةٌ، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَنْعَمَ بِذَلِكَ عَلَيْهِ لِمَا سَلَفَ لَهُ مِنْ صَالِحِ عَمَلٍ وَحُسْنِ طَاعَةٍ.. وَ ﴿أَحْسَنَ﴾ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَىٰ أَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ..

﴿وَتَفْصِيلًا﴾ وَتَبْيِينًا..

﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ لِكُلِّ مَا لِقَوْمِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ، فِيهِ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ..

﴿وَهُدًى﴾ تَقْوِيمًا لَهُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَبَيَانًا لَهُمْ سُبُلَ الرَّشَادِ لِئَلَّا يَضِلُّوا..

﴿وَرَحْمَةً﴾ مِنَّا بِهِمْ وَرَأْفَةً، لِنُنْجِيهِمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَعَمَىٰ الْحِيرَةِ..

﴿لَّعَلَّهُم﴾ بِإِيتَائِي مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا لِكَرَامَةِ اللهِ مُوسَىٰ عَلَىٰ إِحْسَانِ مُوسَىٰ، وَتَفْصِيلًا لِشَرَائِعِ دِينِهِ، وَهُدًىٰ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَرَحْمَةً لِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ضَالًّا، لِيُنَجِّيَهِ اللهُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: ١٥٤] إِذَا سَمِعَ مَوَاعِظَ اللهِ الَّتِي وَعَظَ بِهَا خَلْقَهُ فِيهِ، فَيَرْتَدِعَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ، وَبِلِقَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَيُطِيعَ رَبَّهُ، وَيُصَدِّقَ بِمَا جَاءَهُ بِهِ نَبِيُّهُ مُوسَىٰ ﷺ.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

﴿وَهَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فَاجْعَلُوهُ إِمَامًا فَاتَّبِعُوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَتَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَٱتَّقُواْ﴾ وَاحْذَرُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوا الْعَمَلَ بِمَا فِيهِ، وَتَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ، وَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَهُ.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥] لِتُرْحَمُوا فَتَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾ [الأنعام: ١٥٦].

﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ -عَلَىٰ مُحَمَّدٍ- مُبَارَكٌ لِئَلَّا يَقُولَ الْمُشْرِكُونَ..

﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا كِتَابٌ فَنَتَّبِعَهُ، وَلَمْ نُؤْمَرْ وَلَمْ نُنْهَ، فَلَيْسَ عَلَيْنَا حُجَّةٌ فِيمَا نَأْتِي وَنَذَرُ، إِذْ لَمْ يَأْتِ مِنَ اللهِ كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ، وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ..

﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ﴾ عَلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أُنْزِلَ عَلَيْهِمَا الْكِتَابُ..

﴿مِن قَبۡلِنَا﴾ فَإِنَّهُمَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿وَإِن كُنَّا﴾ أَنْ تَقُولُوا: وَقَدْ كُنَّا..

﴿عَن دِرَاسَتِهِمۡ﴾ عَنْ تِلَاوَةِ الطَّائِفَتَيْنِ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلْتَ عَلَيْهِمْ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «**الدِّرَاسَةُ: الْقِرَاءَةُ وَالْعِلْمُ، عَلِمُوا مَا فِيهِ، لَمْ يَأْتُوهُ بِجَهَالَةٍ**»..

﴿لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾ [الأنعام: ١٥٦] لَا نَدْرِي مَا هِيَ، وَلَا نَعْلَمُ مَا يَقْرَءُونَ، وَمَا يَقُولُونَ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَهُ دُونَنَا، وَلَمْ نُعْنَ بِهِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ بِمَا فِيهِ، وَلَا هُوَ بِلِسَانِنَا، فَيَتَّخِذُوا ذَلِكَ حُجَّةً، فَقَطَعَ اللهُ بِإِنْزَالِهِ الْقُرْآنَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حُجَّتَهُمْ تِلْكَ.

﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧﴾ [الأنعام: ١٥٧].

﴿أَوۡ تَقُولُواْ﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ، لِئَلَّا يَقُولَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ قُرَيْشٍ: إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا، أَوْ لِئَلَّا يَقُولُوا..

﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ كَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا، فَأُمِرْنَا فِيهِ وَنُهِينَا، وَبَيَّنَ لَنَا فِيهِ خَطَأَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ صَوَابِهِ..

﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لَكُنَّا أَشَدَّ اسْتِقَامَةً عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعًا لِلْكِتَابِ، وَأَحْسَنَ عَمَلًا بِمَا فِيهِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَنْزَلَ عَلَيْهِمَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا..

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فَقَدْ جَاءَكُمْ كِتَابٌ بِلِسَانِكُمْ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، حُجَّةً عَلَيْكُمْ وَاضِحَةً بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ..

﴿وَهُدًى﴾ وَبَيَانٌ لِلْحَقِّ، وَفُرْقَانٌ بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ..

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ..

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فَمَنْ أَخْطَأُ فِعْلًا وَأَشَدُّ عُدْوَانًا مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، الْمُكَذِّبُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ وَهِيَ آيَاتُهُ..

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ وَأَعْرَضَ عَنْهَا بَعْدَ مَا أَتَتْهُ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا وَلَمْ يُصَدِّقْ بِحَقِيقَتِهَا..

﴿سَنَجْزِي﴾ سَيُثِيبُ اللهُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ..

﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ عَنْ آيَاتِهِ وَحُجَجِهِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَهَا وَلَا يَتَعَرَّفُونَ حَقِيقَتَهَا، فَيُؤْمِنُوا بِمَا دَلَّتْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَحَقِّيَّةِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَصِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ شَدِيدَ الْعِقَابِ، وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِكَفَرَةِ خَلْقِهِ بِهِ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ١٥٧﴾ [الأنعام: ١٥٧] يَفْعَلُ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَقْبَلُونَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾

[الأنعام: ١٥٨].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بِالْمَوْتِ فَتَقْبِضَ أَرْوَاحَهُمْ..

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ، وَذَلِكَ فِيمَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا..

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ مَنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُشْرِكًا بِاللهِ أَنْ يُؤْمِنَ بَعْدَ مَجِيءِ تِلْكَ الْآيَةِ، وَهِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا» طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَتِلْكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي إِلَىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرٍّ لَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثِ شِئْتِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يُنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ فَتَخِرَّ سَاجِدَةً فِي مُسْتَقَرٍّ لَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ لَا يُنْكِرُونَ مِنْهَا شَيْئًا، فَيُقَالُ لَهَا: اطْلُعِي مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا، قَالَ ﷺ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَاكَ يَوْمُ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَيَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ».. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا قُبِلَ مِنْهُ»..

﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ أَوْ عَمِلَتْ..

﴿فِي إِيمَٰنِهَا﴾ فِي تَصْدِيقِهَا بِاللهِ..

﴿خَيْرًا﴾ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُصَدِّقُ قِيلَهُ، وَيُحَقِّقُهُ مِنْ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، لَا يَنْفَعُ

كَافِرًا لَمْ يَكُنْ آمَنَ بِاللهِ قَبْلَ طُلُوعِهَا، كَذَلِكَ إِيمَانُهُ بِاللهِ إِنْ آمَنَ وَصَدَّقَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، لِأَنَّهَا حَالَةٌ لَا تَمْتَنِعُ نَفْسٌ مِنَ الْإِقْرَارِ بِاللهِ الْعَظِيمِ لِهَوْلِ الْوَارِدِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَحُكْمُ إِيمَانِهِمْ كَحُكْمِ إِيمَانِهِمْ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَتِلْكَ حَالٌ لَا يَمْتَنِعُ الْخَلْقُ مِنَ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ لِمُعَايَنَتِهِمْ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا تَرْتَفِعُ مَعَهُ حَاجَتُهُمْ إِلَىٰ الْفِكْرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالْبَحْثِ وَالِاعْتِبَارِ، **وَلَا يَنْفَعُ مَنْ كَانَ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ مُصَدِّقًا وَلِفَرَائِضِ اللهِ مُضَيِّعًا، غَيْرَ مُكْتَسِبٍ بِجَوَارِحِهِ لِلَّهِ طَاعَةً**، إِذَا هِيَ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَعْمَالُهُ إِنْ عَمِلَ، وَكَسْبُهُ إِنِ اكْتَسَبَ، لِتَفْرِيطِهِ الَّذِي سَلَفَ قَبْلَ طُلُوعِهَا فِي ذَلِكَ..

﴿**قُلْ**﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿**انتَظِرُوٓاْ**﴾ أَنْ تَأْتِيَكُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمَوْتِ، فَتَقْبِضَ أَرْوَاحَكُمْ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّكَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَكُمْ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَتُطْوَىٰ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِيمَانُكُمْ حِينَئِذٍ إِنْ آمَنْتُمْ، حَتَّىٰ تَعْلَمُوا حِينَئِذٍ الْمُحِقَّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَالْمُسِيءَ مِنَ الْمُحْسِنِ، وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، وَتَتَبَيَّنُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِمَنْ يَحِيقُ عَذَابُ اللهِ وَأَلِيمُ نَكَالِهِ، وَمَنِ النَّاجِي مِنَّا وَمِنْكُمْ وَمَنِ الْهَالِكُ..

﴿**إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨**﴾ [الأنعام: ١٥٨] إِنَّا مُنْتَظِرُو ذَلِكَ، لِيُجْزِلَ اللهُ لَنَا ثَوَابَهُ عَلَىٰ طَاعَتِنَا إِيَّاهُ، وَإِخْلَاصِنَا الْعِبَادَةَ لَهُ، وَإِفْرَادِنَاهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَيَفْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ.

﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩**﴾ [الأنعام: ١٥٩].

﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعٗا**﴾ رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّه قَرَأَ: (**إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ**).. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﴿**فَرَّقُوا**﴾، وَعَلَىٰ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ، أَعْنِي: قِرَاءَةَ عَبْدِ اللهِ، قُرَّاءُ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ، وَكَأَنَّ عَبْدَ اللهِ تَأَوَّلَ بِقِرَاءَتِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، فَفَرَّقَ ذَلِكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، فَتَهَوَّدَ قَوْمٌ، وَتَنَصَّرَ آخَرُونَ، فَجَعَلُوهُ شِيَعًا مُتَفَرِّقَةً.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، قَدْ قَرَأَتْ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَئِمَّةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهُمَا مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَىٰ غَيْرُ مُخْتَلِفَتَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ ضَالٍّ فَلِدِينِهِ مُفَارِقٌ، وَقَدْ فَرَّقَ الْأَحْزَابُ دِينَ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، فَتَهَوَّدَ بَعْضٌ، وَتَنَصَّرَ آخَرُونَ، وَتَمَجَّسَ بَعْضٌ، وَذَلِكَ هُوَ التَّفْرِيقُ بِعَيْنِهِ وَمَصِيرُ أَهْلِهِ شِيَعًا مُتَفَرِّقِينَ غَيْرَ مُجْتَمِعِينَ، فَهُمْ

لِدِينِ اللهِ الْحَقِّ مُفَارِقُونَ وَلَهُ مُفَرِّقُونَ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَهُوَ لِلْحَقِّ مُصِيبٌ، غَيْرَ أَنِّي أَخْتَارُ الْقِرَاءَةَ بِالَّذِي عَلَيْهِ عِظَمُ الْقُرَّاءِ، وَذَلِكَ تَشْدِيدُ الرَّاءِ مِنْ (فَرَّقُوا).. ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّينَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: أَهْلُ الْبِدَعِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ دُونَ مُحْكَمِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِمَّنْ فَارَقَ دِينَهُ الْحَقَّ، وَفَرَّقَهُ، وَكَانُوا فِرَقًا فِيهِ وَأَحْزَابًا شِيَعًا، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْهُ، لِأَنَّ دِينَهُ الَّذِي بَعَثَهُ اللهُ بِهِ هُوَ الْإِسْلَامُ دِينُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةُ، كَمَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: «**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» [الأنعام: ١٦١]، فَكَانَ مَنْ فَارَقَ دِينَهُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ ﷺ مِنْ مُشْرِكٍ وَوَثَنِيٍّ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَمُتَحَنِّفٍ مُبْتَدِعٍ قَدِ ابْتَدَعَ فِي الدِّينِ مَا ضَلَّ بِهِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالدِّينِ الْقَيِّمِ، مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْمُسْلِمِ، فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمُحَمَّدٌ مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾..

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ مِنْ مُبْتَدِعَةِ أُمَّتِهِ الْمُلْحِدَةِ فِي دِينِهِ بَرِيءٌ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَمِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَلَيْسَ فِي إِعْلَامِهِ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ نَهَاهُ عَنْ قِتَالِهِمْ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُحَالٍ أَنَّ فِي الْكَلَامِ: لَسْتَ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي شَيْءٍ فَقَاتِلْهُمْ، فَإِنَّ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ فِي أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، فَيَتُوبَ عَلَيْهِ، وَيُهْلِكَ مَنْ أَرَادَ إِهْلَاكَهُ مِنْهُمْ كَافِرًا، فَيَقْبِضَ رُوحَهُ، أَوْ يَقْتُلَهُ بِيَدِكَ عَلَىٰ كُفْرِهِ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ عِنْدَ مَقْدَمِهِمْ عَلَيْهِ، وَإِذْ كَانَ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ اجْتِمَاعُ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ وَقَوْلُهُ: «**لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللهِ**»، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، وَلَا وَرَدَ بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ عَنِ الرَّسُولِ خَبَرٌ، كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقْضَىٰ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ حَتَّىٰ تَقُومَ حُجَّةٌ مُوجِبَةٌ عَلَىٰ صِحَّةِ الْقَوْلِ بِذَلِكَ؛ لِمَا قَدْ بَيَّنَّا مِنْ أَنَّ الْمَنْسُوخَ هُوَ مَا لَمْ يَجُزِ اجْتِمَاعُهُ وَنَاسِخُهُ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ فِي كِتَابِنَا..

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَنَا الَّذِي إِلَيَّ أَمْرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا، وَالْمُبْتَدِعَةِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ ضَلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ، دُونَكَ وَدُونَ كُلِّ أَحَدٍ، إِمَّا بِالْعُقُوبَةِ إِنْ أَقَامُوا عَلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ وَفُرْقَتِهِمْ دِينَهُمْ فَأُهْلِكُهُمْ بِهَا، وَإِمَّا بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ وَالتَّفَضُّلِ مِنِّي عَلَيْهِمْ..

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ ثُمَّ أُخْبِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩] فَأُجَازِي كُلًّا مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَفْعَلُونَ، الْمُحْسِنُ

مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ وَالْمُسِيءُ بِالْإِسَاءَةِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا مَبْلَغُ جَزَائِهِ مَنْ جَازَىٰ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ أَوْ بِالْإِسَاءَةِ، فَقَالَ.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿مَن جَآءَ﴾ مَنْ وَافَىٰ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا..

﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِقْلَاعِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنْ ضَلَالَتِهِ..

﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالَ حَسَنَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا..

﴿وَمَن جَآءَ﴾ وَمَنْ وَافَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُمْ..

﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بِفِرَاقِ الدِّينِ الْحَقِّ وَالْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مَا سَاءَهُ مِنَ الْجَزَاءِ، كَمَا وَافَىٰ اللهُ بِهِ مِنْ عَمَلِهِ السَّيِّءِ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠] وَلَا يَظْلِمُ اللهُ الْفَرِيقَيْنِ: لَا فَرِيقَ الْإِحْسَانِ، وَلَا فَرِيقَ الْإِسَاءَةِ، بِأَنْ يُجَازِيَ الْمُحْسِنَ بِالْإِسَاءَةِ وَالْمُسِيءَ بِالْإِحْسَانِ، وَلَكِنَّهُ يُجَازِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْجَزَاءِ مَا هُوَ لَهُ، لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حَكِيمٌ لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَضَعَهُ فِيهِ، وَلَا يُجَازِي أَحَدًا إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْجَزَاءِ.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿إِنَّنِى هَدَىٰنِى﴾ إِنَّنِي أَرْشَدَنِي..

﴿رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ..

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ دَيْنًا قَوِيمًا، وهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَهُ بِهِ، وَذَلِكَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، فَوَفَّقَنِي لَهُ..

﴿مِّلَّةَ﴾ دِينَ..

﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٦١﴾ [الأنعام: ١٦١] بِاللهِ، يَعْنِي: إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ عَلَىٰ الْبَاطِلِ مِنْ عِبَادَةَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ وَذَبْحِي..

﴿وَمَحْيَايَ﴾ وَحَيَاتِي..

﴿وَمَمَاتِي﴾ وَوَفَاتِي..

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢] ذَلِكَ كُلُّهُ لَهُ خَالِصًا، دُونَ مَا أَشْرَكْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٣].

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ﴾ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْهُمْ فِيهِ نَصِيبٌ، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا لَهُ خَالِصًا..

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ وَبِذَلِكَ أَمَرَنِي رَبِّي.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٣] وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ وَأَذْعَنَ وَخَضَعَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِرَبِّهِ، بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝١٦٤﴾ [الأنعام: ١٦٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ، الدَّاعِيكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَاتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ أَسِوَىٰ اللهِ أَطْلُبُ سَيِّدًا يَسُودُنِي..

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ﴾ وَهُوَ سَيِّدُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَمُدَبِّرُهُ وَمُصْلِحُهُ..

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ وَلَا تَجْتَرِحُ نَفْسٌ إِثْمًا إِلَّا عَلَيْهَا، أَيْ لَا يُؤْخَذُ بِمَا أَتَتْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَرَكِبَتْ مِنَ الْخَطِيئَةِ سِوَاهَا، بَلْ كُلُّ ذِي إِثْمٍ فَهُوَ الْمُعَاقَبُ بِإِثْمِهِ وَالْمَأْخُوذُ بِذَنْبِهِ..

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وَلَا تَأْثَمُ نَفْسٌ آثِمَةٌ بِإِثْمِ نَفْسٍ أُخْرَىٰ غَيْرِهَا، وَلَكِنَّهَا تَأْثَمُ بِإِثْمِهَا وَعَلَيْهِ تُعَاقَبُ دُونَ إِثْمِ أُخْرَىٰ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ لَهُمْ، يَقُولُ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّا لَسْنَا مَأْخُوذِينَ بِآثَامِكُمْ، وَعَلَيْكُمْ عُقُوبَةُ إِجْرَامِكُمْ، وَلَنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا، وَهَذَا كَمَا أَمَرَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦]..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم﴾ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ: كُلُّ عَامِلٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ فَلَهُ ثَوَابُ عَمَلِهِ وَعَلَيْهِ وِزْرُهُ، فَاعْمَلُوا مَا أَنْتُمْ عَامِلُوهُ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ ثُمَّ إِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ وَمُنْقَلَبُكُمْ..

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تَخْتَلِفُونَ ۝١٦٤﴾ [الأنعام: ١٦٤] مِنَ الْأَدْيَانِ وَالْمِلَلِ، إِذْ كَانَ بَعْضُكُمْ يَدِينُ بِالْيَهُودِيَّةِ، وَبَعْضٌ بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَبَعْضٌ بِالْمَجُوسِيَّةِ، وَبَعْضٌ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَادِّعَائِهِ الشُّرَكَاءَ مَعَ اللهِ وَالْأَنْدَادِ، ثُمَّ يُجَازَىٰ جَمِيعُكُمْ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَتَعْلَمُوا حِينَئِذٍ مَنِ الْمُحْسِنُ مِنَّا وَالْمُسِيءُ.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٦٥﴾ [الأنعام: ١٦٥].

﴿وَهُوَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ: وَاللهُ..

﴿الَّذِي جَعَلَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ بِأَنْ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْقُرُونِ وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَاسْتَخْلَفَكُمْ فَجَعَلَكُمْ خَلَائِفَ مِنْهُمْ فِي الْأَرْضِ، تَخْلُفُونَهُمْ فِيهَا، وَتَعْمُرُونَهَا بَعْدَهُمْ.. وَالْخَلَائِفُ: جَمْعُ خَلِيفَةٍ، كَمَا الْوَصَائِفُ جَمْعُ وَصِيفَةٍ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: خَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا فِي دَارِهِ يَخْلُفُهُ فَهُوَ خَلِيفَةٌ فِيهَا..

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ وَخَالَفَ بَيْنَ أَحْوَالِكُمْ، فَجَعَلَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، بِأَنْ رَفَعَ هَذَا عَلَىٰ هَذَا بِمَا بَسَطَ لِهَذَا مِنَ الرِّزْقِ فَفَضَّلَهُ بِمَا أَعْطَاهُ مِنَ الْمَالِ وَالْغِنَىٰ عَلَىٰ هَذَا الْفَقِيرِ فِيمَا خَوَّلَهُ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، وَهَذَا عَلَىٰ هَذَا بِمَا أَعْطَاهُ مِنَ الْأَيْدِ وَالْقُوَّةِ عَلَىٰ هَذَا الضَّعِيفِ الْوَاهِنِ الْقُوَىٰ،

فَخَالَفَ بَيْنَهُمْ بِأَنْ رَفَعَ مِنْ دَرَجَةِ هَذَا عَلَىٰ دَرَجَةِ هَذَا، وَخَفَضَ مِنْ دَرَجَةِ هَذَا عَنْ دَرَجَةِ هَذَا..

﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ لِيَخْتَبِرَكُمْ فِيمَا خَوَّلَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنَحَكُمْ مِنْ رِزْقِهِ، فَيَعْلَمَ الْمُطِيعَ لَهُ مِنْكُمْ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ وَالْعَاصِي، وَمَنِ الْمُؤَدِّي مِمَّا آتَاهُ الْحَقَّ الَّذِي أَمَرَهُ بِأَدَائِهِ مِنْهُ، وَالْمُفَرِّطُ فِي أَدَائِهِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَـ..

﴿سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لِمَنْ أَسْخَطَهُ بِارْتِكَابِهِ مَعَاصِيَهُ، وَخِلَافِهِ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ، وَلِمَنِ ابْتَلَىٰ مِنْهُ فِيمَا مَنَحَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ، تَوَلِّيًا وَإِدْبَارًا عَنْهُ، مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِ وَتَمْكِينِهِ إِيَّاهُ فِي الْأَرْضِ، كَمَا فَعَلَ بِالْقُرُونِ السَّالِفَةِ..

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ﴾ وَإِنَّهُ لَسَاتِرٌ ذُنُوبَ مَنِ ابْتُلِيَ مِنْهُ، إِقْبَالًا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ عِنْدَ ابْتِلَائِهِ إِيَّاهُ بِنِعْمَةٍ، وَاخْتِبَارِهِ إِيَّاهُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَمُغَطٍّ عَلَيْهِ فِيهَا، وَتَارِكٌ فَضِيحَتَهُ بِهَا فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾ [الأنعام: ١٦٥] بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُ عَلَىٰ سَالِفِ ذُنُوبِهِ الَّتِي سَلَفَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، إِذْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ قَبْلَ لِقَائِهِ وَمَصِيرِهِ إِلَيْهِ.

آخِرُ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الأَنْعَامِ



فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

مختصر تفسير الطبري

قال الشيخ السعد:
لعله بصنيعه هذا يكون
من أحسن من اختصر هذا الكتاب

تأليف

إسلام بن منصور بن عبد الحميد

قدم له فضيلة الشيخ المحدث العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

طبعة مزيدة ومنقحة

المجلد الثاني

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر تفسير الطبري

٢

الطَّبْعَة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع
الكويت، حولي ، شارع المثنى، مجمع البدري
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤
فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨
ص. ب: ١٠٧٥٠ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت
المملكة العربية السعودية - الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩
E - mail: z.zahby74@yahoo.com
imamzahby

سُورَةُ الْأَعْرَافِ (٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَمِائَتَانِ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْأَعْرَافُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الأعراف: ١].

﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الأعراف: ١] قَدْ ذَكَرْنَا الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ بِشَوَاهِدِهِ وَأَدِلَّتِهِ فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ②﴾ [الأعراف: ٢].

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ يَا مُحَمَّدُ فِي كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيْكَ..

﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ فَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْإِنْذَارِ بِهِ مَنْ أَرْسَلْتُكَ لِإِنْذَارِهِ بِهِ، وَإِبْلَاغِهِ مَنْ أَمَرْتُكَ بِإِبْلَاغِهِ إِيَّاهُ، وَلَا تَشُكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي، وَاصْبِرْ بِالْمُضِيِّ لِأَمْرِ اللهِ وَاتِّبَاعِ طَاعَتِهِ فِيمَا كَلَّفَكَ وَحَمَّلَكَ مِنْ عِبْءِ أَثْقَالِ النُّبُوَّةِ، كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ.. وَالْحَرَجُ: هُوَ الضِّيقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ..

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ لِتُنْذِرَ بِهِ مَنْ أَمَرْتُكَ بِإِنْذَارِهِ..

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ②﴾ [الأعراف: ٢] أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ لِتُنْذِرَ بِهِ، وَتُذَكِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ.. وَهُوَ مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَمَعْنَاهُ: كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ لِتُنْذِرَ بِهِ، وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ③﴾ [الأعراف: ٣].

﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ: اتَّبِعُوا أَيُّهَا النَّاسُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قُلْتَ: مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: (قُلِ

اتَّبِعُوا)، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَوْجُودًا ذِكْرُ الْقَوْلِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا صَرِيحًا، فَإِنَّ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةً عَلَيْهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢]، فَفِي قَوْلِهِ: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ الْأَمْرُ بِالْإِنْذَارِ، وَفِي الْأَمْرِ بِالْإِنْذَارِ الْأَمْرُ بِالْقَوْلِ؛ لِأَنَّ الْإِنْذَارَ قَوْلٌ، فَكَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: أَنْذِرِ الْقَوْمَ وَقُلْ لَهُم: ﴿اتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾.. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: قَوْلُهُ ﴿اتَّبِعُوا﴾ خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَمَعْنَاهُ: كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ، فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ، اتَّبِعْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَيَرَىٰ أَنَّ ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، إِذِ ابْتَدَأَ خِطَابَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ جَعَلَ الْفِعْلَ لِلْجَمِيعِ، إِذْ كَانَ أَمْرُ اللهِ نَبِيَّهُ بِأَمْرٍ أَمْرًا مِنْهُ لِجَمِيعِ أُمَّتِهِ، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ يُفْرَدُ بِالْخِطَابِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ وَجَمَاعَةُ أَتْبَاعِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ وَقَبِيلَتِهِ: أَمَا تَتَّقُونَ اللهَ؟ أَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ اللهِ؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ، وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ وَجْهًا غَيْرَ مَدْفُوعٍ، فَالْقَوْلُ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ أَوْلَىٰ بِمَعْنَىٰ الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ الَّذِي وَصَفْنَا عَلَيْهِ..

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مَا جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، وَاعْمَلُوا بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ شَيْئًا غَيْرَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ لَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ أَوْلِيَائِكُمُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَكُمْ بِالشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَإِنَّهُمْ يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَهْدُونَكُمْ..

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣] قَلِيلًا مَا تَتَّعِظُونَ وَتَعْتَبِرُونَ، فَتُرَاجِعُونَ الْحَقَّ.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف: ٤].

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: حَذِّرْ هَؤُلَاءِ الْعَابِدِينَ غَيْرِي وَالْعَادِلِينَ بِي الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ سَخَطِي، لَا أُحِلَّ بِهِمْ عُقُوبَتِي فَأُهْلِكَهُمْ كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَكَثِيرًا مَا أَهْلَكْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ قُرًى عَصَوْنِي وَكَذَّبُوا رُسُلِي وَعَبَدُوا غَيْرِي.. وَقِيلَ: ﴿وَكَم﴾ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَلَامِ مَا وَصَفْتُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ كَثْرَةِ مَا قَدْ أَصَابَ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ وَخِلَافِهِمْ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ إِذَا أَرَادُوا الْخَبَرَ عَنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ أَهْلَكَ قُرًى، فَمَا فِي خَبَرِهِ عَنْ إِهْلَاكِهِ الْقُرَىٰ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ إِهْلَاكِهِ أَهْلَهَا؟ قِيلَ: إِنَّ الْقُرَىٰ لَا تُسَمَّىٰ قُرًى، وَلَا الْقَرْيَةُ قَرْيَةً، إِلَّا وَفِيهَا مَسَاكِنُ لِأَهْلِهَا وَسُكَّانٌ مِنْهُمْ، فَفِي إِهْلَاكِهَا إِهْلَاكُ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِهَا، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ

الْعَرَبِيَّةِ يَرَىٰ أَنَّ الْكَلَامَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْقَرْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَهْلُهَا، وَالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ لِمُوَافَقَتِهِ ظَاهِرَ التَّنْزِيلِ الْمَتْلُوِّ..

﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ فَجَاءَتْهُمْ عُقُوبَتُنَا وَنِقْمَتُنَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ وَإِنْ كَانَ مَجِيءُ بَأْسِ اللهِ إِيَّاهَا بَعْدَ هَلَاكِهَا، فَمَا وَجْهُ مَجِيءِ ذَلِكَ قَوْمًا قَدْ هَلَكُوا وَبَادُوا وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَا يَنْزِلُ بِهِمْ وَلَا بِمَسَاكِنِهِمْ؟ قِيلَ: إِنَّ لِذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ وَجْهَيْنِ كِلَاهُمَا صَحِيحٌ وَاضِحٌ مَنْهَجُهُ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا بِخِذْلَانِنَا إِيَّاهَا عَنِ اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، وَاخْتِيَارِهَا اتِّبَاعَ أَمْرِ أَوْلِيَائِهَا الْمُغْوِيهَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهَا، فَجَاءَهَا بَأْسُنَا إِذْ فَعَلَتْ ذَلِكَ بَيَاتًا، أَوْ هُمْ قَائِلُونَ، فَيَكُونُ إِهْلَاكُ اللهِ إِيَّاهَا خِذْلَانَهُ لَهَا عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَكُونُ مَجِيءُ بَأْسِ اللهِ إِيَّاهُمْ جَزَاءً لِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ، **وَالْآخَرُ مِنْهُمَا**: أَنْ يَكُونَ الْإِهْلَاكُ هُوَ الْبَأْسُ بِعَيْنِهِ، فَيَكُونُ فِي ذِكْرِ الْإِهْلَاكِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ ذِكْرِ مَجِيءِ الْبَأْسِ، وَفِي ذِكْرِ مَجِيءِ الْبَأْسِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ ذِكْرِ الْإِهْلَاكِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ سَوَاءً عِنْدَ الْعَرَبِ بُدِئَ بِالْإِهْلَاكِ ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهِ بِالْبَأْسِ، أَوْ بُدِئَ بِالْبَأْسِ ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهِ بِالْإِهْلَاكِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: (**زُرْتَنِي فَأَكْرَمْتَنِي**)، إِذْ كَانَتِ الزِّيَارَةُ هِيَ الْكَرَامَةُ، فَسَوَاءٌ عِنْدَهُمْ قَدَّمَ الزِّيَارَةَ وَأَخَّرَ الْكَرَامَةَ، أَوْ قَدَّمَ الْكَرَامَةَ وَأَخَّرَ الزِّيَارَةَ، فَقَالَ: (**أَكْرَمْتَنِي فَزُرْتَنِي**)..

﴿بَيَٰتًا﴾ لَيْلًا قَبْلَ أَنْ يُصْبِحُوا..

﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ٤﴾ [الأعراف: ٤] أَوْ جَاءَتْهُمْ قَائِلِينَ، يَعْنِي نَهَارًا فِي وَقْتِ الْقَائِلَةِ.. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ٤﴾، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ شَأْنِ (**أَوْ**) فِي الْكَلَامِ اجْتِلَابُ الشَّكِّ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ فِي خَبَرِ اللهِ شَكٌّ؟ قِيلَ: إِنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ خِلَافُ مَا إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَ بَعْضَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا، وَبَعْضَهَا وَهُمْ قَائِلُونَ، وَلَوْ جَعَلَ مَكَانَ (**أَوْ**) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (**الْوَاوَ**) لَكَانَ الْكَلَامُ كَالْمُحَالِ، وَلَصَارَ الْأَغْلَبُ مِنْ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللهُ جَاءَهَا بَأْسُهُ بَيَاتًا، وَفِي وَقْتِ الْقَائِلَةِ، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ التَّنْزِيلُ؛ إِذْ لَمْ يَفْصِلِ الْقُرَىٰ الَّتِي جَاءَهَا الْبَأْسُ بَيَاتًا مِنَ الْقُرَىٰ الَّتِي جَاءَهَا ذَلِكَ قَائِلَةً، وَلَوْ فُصِلَتْ لَمْ يُخْبَرْ عَنْهَا إِلَّا بِالْوَاوِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ٤﴾ خَبَرًا عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي أَتَاهُمْ فِيهِ بَأْسُ اللهِ مِنَ النَّهَارِ؟ قِيلَ: بَلَىٰ، فَإِنْ قَالَ: أَوَ لَيْسَ الْمَوَاقِيتُ فِي مِثْلِ هَذَا تَكُونُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِالْوَاوِ الدَّالِّ عَلَىٰ الْوَقْتِ؟ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ يَحْذِفُونَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ اسْتِثْقَالًا لِلْجَمْعِ بَيْنَ حَرْفَيْ عَطْفٍ، إِذْ كَانَ (**أَوْ**)

عِنْدَهُمْ مِنْ حُرُوفِ الْعَطْفِ، وَكَذَلِكَ الْوَاوُ، فَيَقُولُونَ: (لَقِيتَنِي مُمْلِقًا أَوْ وَأَنَا مُسَافِرٌ)، بِمَعْنَىٰ: أَوْ أَنَا مُسَافِرٌ، فَيَحْذِفُونَ الْوَاوَ وَهُمْ مُرِيدُوهَا فِي الْكَلَامِ؛ لِمَا وَصَفْتُ.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥].

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ فَلَمْ يَكُنْ دَعْوَىٰ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا.. وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: دُعَاءَهُمْ، وَلِلدَّعْوَىٰ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا الدُّعَاءُ، وَالْآخَرُ الِادِّعَاءُ لِلْحَقِّ، وَمِنَ الدَّعْوَىٰ الَّتِي مَعْنَاهَا الدُّعَاءُ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٥]..

﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ وَسَطْوَتُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ أَنَّ الْبَأْسَ وَالْبَأْسَاءَ: الشِّدَّةُ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ إِلَّا اعْتِرَافَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِـ..

﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥] أَنَّهُمْ كَانُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مُسِيئِينَ، وَبِرَبِّهِمْ آثِمِينَ، وَلِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مُخَالِفِينَ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا هَلَكَ قَوْمٌ حَتَّىٰ يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللهَ لَا يُهْلِكُهُم حُتَّىٰ تَكْثُرَ ذُنُوبُهُم وَعُيُوبُهُم، وَتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِم، وَيَتَضِحُ لَهُم عُذْرُ مَنْ يُعَاقِبُهُم.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾، وَكَيْفَ أَمْكَنَتْهُمُ الدَّعْوَىٰ بِذَلِكَ، وَقَدْ جَاءَهُمْ بَأْسُ اللهِ بِالْهَلَاكِ، أَقَالُوا ذَلِكَ قَبْلَ الْهَلَاكِ؟ فَإِنْ كَانُوا قَالُوهُ قَبْلَ الْهَلَاكِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا قَبْلَ مَجِيءِ الْبَأْسِ، وَاللهُ يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ حِينَ جَاءَهُمْ لَا قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ قَالُوهُ بَعْدَمَا جَاءَهُمْ، فَتِلْكَ حَالَةٌ قَدْ هَلَكُوا فِيهَا، فَكَيْفَ يَجُوزُ وَصْفُهُمْ بِقِيلِ ذَلِكَ إِذَا عَايَنُوا بَأْسَ اللهِ وَحَقِيقَةَ مَا كَانَتِ الرُّسُلُ تَعِدُهُمْ مِنْ سَطْوَةِ اللهِ؟ قِيلَ: لَيْسَ كُلُّ الْأُمَمِ كَانَ هَلَاكُهَا فِي لَحْظَةٍ، لَيْسَ بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ مَهَلٌ، بَلْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ غَرَقَ بِالطُّوفَانِ، فَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِ ظُهُورِ السَّبَبِ الَّذِي عَلِمُوا أَنَّهُمْ بِهِ هَالِكُونَ وَبَيْنَ آخِرِهِ الَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ هَلَاكُهُ الْمُدَّةُ الَّتِي لَا خَفَاءَ بِهَا عَلَىٰ ذِي عَقْلٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ مُتِّعَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ ظُهُورِ عَلَامَةِ الْهَلَاكِ لِأَعْيُنِهِمْ أَيَّامًا ثَلَاثَةً، كَقَوْمِ صَالِحٍ وَأَشْبَاهِهِمْ، فَحِينَئِذٍ لَمَّا عَايَنُوا أَوَائِلَ بَأْسِ اللهِ الَّذِي كَانَتْ رُسُلُ اللهِ تَتَوَعَّدُهُمْ بِهِ وَأَيْقَنُوا حَقِيقَةَ نُزُولِ سَطْوَةِ اللهِ بِهِمْ، دَعَوْا: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٤]، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ [غافر: ٨٥]، مَعَ مَجِيءِ وَعِيدِ اللهِ وَحُلُولِ نِقْمَتِهِ بِسَاحَتِهِمْ، فَحَذَّرَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ

سِطْوَتِهِ وَعِقَابِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، مَا حَلَّ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، إِذْ عَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ الْأُمَمَ..

﴿ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الَّذِينَ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ رُسُلِي، مَاذَا عَمِلَتْ فِيمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِي مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، هَلْ عَمِلُوا بِمَا أَمَرْتُهُمْ بِهِ وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ، وَأَطَاعُوا أَمْرِي، أَمْ عَصَوْنِي فَخَالَفُوا ذَلِكَ؟..

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦] وَلَنَسْأَلَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَىٰ الْأُمَمِ، هَلْ بَلَّغَتْهُمْ رِسَالَاتِي وَأَدَّتْ إِلَيْهِمْ مَا أَمَرْتُهُمْ بِأَدَائِهِ إِلَيْهِ، أَمْ قَصَّرُوا فِي ذَلِكَ فَفَرَّطُوا وَلَمْ يُبَلِّغُوهُمْ؟.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَسْأَلُ الرُّسُلَ وَالْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ يُخْبِرُ أَنَّهُ يَقُصُّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ فِي ذَلِكَ؟ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَيْسَ بِمَسْأَلَةِ اسْتِرْشَادٍ، وَلَا مَسْأَلَةِ تَعَرُّفٍ مِنْهُمْ مَا هُوَ بِهِ غَيْرُ عَالِمٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَسْأَلَةُ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيرٍ مَعْنَاهَا الْخَبَرُ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: أَلَمْ أُحْسِنْ إِلَيْكَ فَأَسَأْتَ؟ وَأَلَمْ أَصِلْكَ فَقَطَعْتَ؟ فَكَذَلِكَ مَسْأَلَةُ اللهِ الْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلِي بِالْبَيِّنَاتِ؟ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكُمُ النُّذُرَ فَتُنْذِرَكُمْ عَذَابِي وَعِقَابِي فِي هَذَا الْيَوْمِ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَبَدَ غَيْرِي؟ كَمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ قَائِلٌ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس: ٦٠- ٦١]، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي ظَاهِرُهُ ظَاهِرُ مَسْأَلَةٍ، وَمَعْنَاهُ الْخَبَرُ وَالْقَصَصُ، وَهُوَ بَعْدُ تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيرٌ، وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الرُّسُلِ الَّذِي هُوَ قَصَصٌ وَخَبَرٌ، فَإِنَّ الْأُمَمَ الْمُشْرِكَةَ لَمَّا سُئِلَتْ فِي الْقِيَامَةِ قِيلَ لَهَا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٧١]؟ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَقَالُوا: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، فَقِيلَ لِلرُّسُلِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ؟ أَوْ قِيلَ لَهُمْ: أَلَمْ تُبَلِّغُوا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ؟ كَمَا جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِأُمَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ مَسْأَلَةٌ لِلرُّسُلِ عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِشْهَادِ لَهُمْ عَلَىٰ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْأُمَمِ، وَلِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ وَجْهِ التَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ الْقَصَصِ وَالْخَبَرِ، فَأَمَّا الَّذِي هُوَ عَنِ اللهِ مَنْفِيٌّ مِنْ مَسْأَلَتِهِ خَلْقَهُ، فَالْمَسْأَلَةُ الَّتِي هِيَ مَسْأَلَةُ اسْتِرْشَادٍ وَاسْتِثْبَاتٍ فِيمَا لَا

يَعْلَمُهُ السَّائِلُ عَنْهَا وَيَعْلَمُهُ الْمَسْئُولُ، لِيَعْلَمَ السَّائِلُ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِهِ، فَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ الْعَالِمُ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا وَفِي حَالِ كَوْنِهَا وَبَعْدَ كَوْنِهَا، وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي نَفَاهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ٧٨﴾ [القصص: ٧٨]، يَعْنِي: لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْهُمْ عِلْمَ مُسْتَثْبِتٍ، لِيَعْلَمَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ مَنْ سَأَلَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِكُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾ [الأعراف: ٧].

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ فَلَنُخْبِرَنَّ الرُّسُلَ وَمَنْ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْهِ..

﴿بِعِلْمٍۖ﴾ بِيَقِينِ عِلْمٍ بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا فِيمَا كُنْتُ أَمَرْتُهُمْ بِهِ، وَمَا كُنْتُ نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ﴾ : **(أَنَّهُ يَنْطِقُ لَهُمْ كِتَابُ عَمَلِهِمْ عَلَيْهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ)**، وَهَذَا قَوْلٌ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ، غَيْرَ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَقُولُ لَهُ: أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَفَعَلْتَ كَذَا؟ حَتَّىٰ يُذَكِّرَهُ مَا فَعَلَ فِي الدُّنْيَا**»، وَالتَّسْلِيمُ لِخَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْلَىٰ مِنَ التَّسْلِيمِ لِغَيْرِهِ..

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾ [الأعراف: ٧] عَنْهُمْ وَعَنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَهَا.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٨﴾ [الأعراف: ٨].

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ كَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: **(الْوَزْنُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْقَضَاءُ)**.. وَقَالَ آخَرُونَ: وَزْنُ الْأَعْمَالِ.. وَالْمِيزَانُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ نَسْأَلُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَالْمُرْسَلِينَ..

﴿ٱلْحَقُّۚ﴾ الْعَدْلُ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: **(مَعْنَىٰ الْحَقِّ هَهُنَا: الْعَدْلُ)**..

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ مَوَازِينُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ.. وَأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَزِنُ أَعْمَالَ خَلْقِهِ الْحَسَنَاتِ مِنْهَا وَالسَّيِّئَاتِ، لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**مَا وُضِعَ فِي الْمِيزَانِ شَيْءٌ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تُحَقِّقُ أَنَّ ذَلِكَ مِيزَانٌ يُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ.. فَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ جَاهِلٌ، بِتَوْجِيهِ مَعْنَىٰ خَبَرِ اللهِ عَنِ الْمِيزَانِ، وَخَبَرِ رَسُولِهِ ﷺ عَنْهُ وِجْهَتِهِ، وَقَالَ: أَوَ بِاللهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ وَزْنِ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمِقْدَارِ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ خَلْقِهِ إِيَّاهُ

وَبَعْدَهُ فِي كُلِّ حَالٍ؟ قِيلَ لَهُ: وَزْنُهُ ذَلِكَ نَظِيرُ إِثْبَاتِهِ إِيَّاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَاسْتِنْسَاخِهِ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِهِ إِلَيْهِ، وَمِنْ غَيْرِ خَوْفٍ مِنْ نِسْيَانِهِ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ ذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ وَوَقْتٍ قَبْلَ كَوْنِهِ وَبَعْدَ وُجُودِهِ، بَلْ لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٨- ٢٩] الْآيَةَ، فَكَذَلِكَ وَزْنُهُ تَعَالَىٰ أَعْمَالَ خَلْقِهِ بِالْمِيزَانِ حُجَّةً عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ، إِمَّا بِالتَّقْصِيرِ فِي طَاعَتِهِ وَالتَّضْيِيعِ، وَإِمَّا بِالتَّكْمِيلِ وَالتَّتْمِيمِ، فَكَذَلِكَ وَزْنُ اللهِ أَعْمَالَ خَلْقِهِ بِأَنْ يُوضَعَ الْعَبْدُ وَكُتُبُ حَسَنَاتِهِ فِي كِفَّةٍ مِنْ كِفَّتَيِ الْمِيزَانِ، وَكُتُبُ سَيِّئَاتِهِ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَىٰ، وَيُحْدِثُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثِقْلًا وَخِفَّةً فِي الْكِفَّةِ الَّتِي الْمَوْزُونُ بِهَا أَوْلَىٰ، احْتِجَاجًا مِنَ اللهِ بِذَلِكَ عَلَىٰ خَلْقِهِ كَفِعْلِهِ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنِ اسْتِنْطَاقِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، اسْتِشْهَادًا بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ حُجَجِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾ [الأعراف: ٨] فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ ظَفِرُوا بِالنَّجَاحِ وَأَدْرَكُوا الْفَوْزَ بِالطَّلِبَاتِ، وَالْخُلُودِ وَالْبَقَاءِ فِي الْجَنَّاتِ.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٩].

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ، فَلَمْ تَثْقُلْ بِإِقْرَارِهِ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ غَبَنُوا..

﴿أَنفُسَهُم﴾ حُظُوظَهَا مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ..

﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٩] بِمَا كَانُوا بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ يَجْحَدُونَ، فَلَا يُقِرُّونَ بِصِحَّتِهَا، وَلَا يُوقِنُونَ بِحَقِيقَتِهَا.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ [الأعراف: ١٠].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾ وَلَقَدْ وَطَّأْنَا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَجَعَلْنَاهَا لَكُمْ قَرَارًا تَسْتَقِرُّونَ فِيهَا، وَمِهَادًا تَمْتَهِدُونَهَا، وَفِرَاشًا تَفْتَرِشُونَهَا..

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ﴾ تَعِيشُونَ بِهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ، مِنْ مَطَاعِمَ وَمَشَارِبَ، نِعْمَةً مِنِّي عَلَيْكُمْ وَإِحْسَانًا مِنِّي إِلَيْكُمْ.. وَالْمَعَايِشُ: جَمْعُ مَعِيشَةٍ..

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ [الأعراف: ١٠] وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ شُكْرُكُمْ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْكُمْ لِعِبَادَتِكُمْ غَيْرِي، وَاتِّخَاذِكُمْ إِلَهًا سِوَايَ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف: ١١].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ..

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ بِتَصْوِيرِنَا آدَمَ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ خِطَابِ الْعَرَبِ الرَّجُلَ بِالْأَفْعَالِ تُضِيفُهَا إِلَيْهِ، وَالْمَعْنِيُّ فِي ذَلِكَ سَلَفُهُ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِمَنْ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْخِطَابِ الْمُوَجَّهِ إِلَىٰ الْحَيِّ الْمَوْجُودِ وَالْمُرَادُ بِهِ السَّلَفُ الْمَعْدُومُ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ مَعْنَاهُ: وَلَقَدْ خَلَقْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ، ثُمَّ صَوَّرْنَاهُ..

﴿ثُمَّ﴾ لَمَّا صَوَّرْنَا آدَمَ، وَجَعَلْنَاهُ خَلْقًا سَوِيًّا، وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا..

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ ابْتِلَاءً مِنَّا، وَاخْتِبَارًا لَهُمْ بِالْأَمْرِ، لِيَعْلَمَ الطَّائِعَ مِنْهُمْ مِنَ الْعَاصِي..

﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ..

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فَإِنَّهُ..

﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف: ١١] لِآدَمَ حِينَ أَمَرَهُ اللهُ مَعَ مَنْ أَمَرَ مِنْ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ امْتَحَنَ جَلَّ جَلَالُهُ مَلَائِكَتَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَأَمْرَ إِبْلِيسَ وَقَصَصَهُ.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِإِبْلِيسَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِهِ لِإِبْلِيسَ إِذْ عَصَاهُ فَلَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ إِذْ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ..

﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ مِنَ السُّجُودِ فَأَحْوَجَكَ أَنْ تَدَعَ السُّجُودَ لِآدَمَ.. فَتَرَكَ ذِكْرَ أَحْوَجَكَ اسْتِغْنَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ، فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ (لَا) فِي الْكَلَامِ حَشْوٌ لَا مَعْنَىٰ لَهَا..

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ أَنْ تَسْجُدَ..

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ..

﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أَنَا خَيْرٌ مِنْ آدَمَ..

﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ جَوَابِ إِبْلِيسَ إِيَّاهُ إِذْ سَأَلَهُ: مَا الَّذِي مَنَعَهُ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، فَأَحْوَجَهُ إِلَىٰ أَنْ لَا يَسْجُدَ لَهُ، وَاضْطَرَّهُ إِلَىٰ خِلَافِهِ أَمْرَهُ بِهِ وَتَرْكِهِ طَاعَتَهُ، أَنَّ الْمَانِعَ كَانَ لَهُ مِنَ السُّجُودِ وَالدَّاعِي لَهُ إِلَىٰ خِلَافِهِ أَمْرَ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ، أَنَّهُ أَشَدُّ مِنْهُ أَيْدًا، وَأَقْوَىٰ مِنْهُ قُوَّةً، وَأَفْضَلُ مِنْهُ فَضْلًا، لِفَضْلِ الْجِنْسِ الَّذِي مِنْهُ خُلِقَ وَهُوَ النَّارُ، مِنَ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ وَهُوَ الطِّينُ، فَجَهَلَ عَدُوُّ اللهِ وَجْهَ الْحَقِّ، وَأَخْطَأَ سَبِيلَ الصَّوَابِ؛ إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ مِنْ جَوْهَرِ النَّارِ الْخِفَّةَ وَالطَّيْشَ وَالِاضْطِرَابَ وَالِارْتِفَاعَ عُلُوًّا، وَالَّذِي فِي جَوْهَرِهَا مِنْ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي حَمَلَ الْخَبِيثَ بَعْدَ الشَّقَاءِ الَّذِي سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ عَلَىٰ الِاسْتِكْبَارِ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ وَالِاسْتِخْفَافِ بِأَمْرِ رَبِّهِ، فَأَوْرَثَهُ الْعَطَبَ وَالْهَلَاكَ، وَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ مِنْ جَوْهَرِ الطِّينِ الرَّزَانَةَ وَالْأَنَاةَ وَالْحِلْمَ وَالْحَيَاءَ وَالتَّثَبُّتَ، وَذَلِكَ الَّذِي فِي جَوْهَرِهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ الدَّاعِي لِآدَمَ بَعْدَ السَّعَادَةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَقَتْ لَهُ مِنْ رَبِّهِ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ، إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْ خَطِيئَتِهِ، وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ الْعَفْوَ عَنْهُ وَالْمَغْفِرَةَ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ يَقُولَانِ: (**أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ، وَمَا عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِلَّا بِالْمَقَايِيسِ**)، يَعْنِيَانِ بِذَلِكَ: الْقِيَاسَ الْخَطَأَ، وَهُوَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ خَطَأِ قَوْلِهِ، وَبُعْدِهِ مِنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ فِي الْفَضْلِ الَّذِي خَصَّ اللهُ بِهِ آدَمَ عَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ، مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُ بِيَدِهِ، وَنَفْخِهِ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَإِسْجَادِهِ لَهُ الْمَلَائِكَةَ، وَتَعْلِيمِهِ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ مَعَ سَائِرِ مَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَضَرَبَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْجَاهِلُ صَفْحًا، وَقَصَدَ إِلَىٰ الِاحْتِجَاجِ بِأَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا لَهُ غَيْرُ كُفْءٍ، لَوْ لَمْ يَكُنْ لِآدَمَ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ تَكْرِمَةٌ بِشَيْءٍ غَيْرِهِ، فَكَيْفَ وَالَّذِي خَصَّ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ يَكْثُرُ تَعْدَادُهُ وَيُمَلُّ إِحْصَاؤُهُ؟.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِإِبْلِيسَ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ فَلَيْسَ لَكَ..

﴿أَن تَتَكَبَّرَ﴾ أَنْ تَسْتَكْبِرَ عَنْ طَاعَتِي وَأَمْرِي..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّةِ.. فَاهْبِطْ مِنَ الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْكُنُ الْجَنَّةَ مُتَكَبِّرٌ عَنْ أَمْرِ اللهِ، فَأَمَّا غَيْرُهَا فَإِنَّهُ قَدْ يَسْكُنُهَا الْمُسْتَكْبِرُ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَالْمُسْتَكِينُ لِطَاعَتِهِ..

﴿فَٱخۡرُجۡ﴾ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٣﴾ [الأعراف: ١٣] الَّذِينَ قَدْ نَالَهُمْ مِنَ اللهِ الصَّغَارُ وَالذُّلُّ وَالْمَهَانَةُ.

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤﴾ [الأعراف: ١٤].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ..

﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾ أَخِّرْنِي وَأَجِّلْنِي، وَأَنْسِئْ فِي أَجَلِي، وَلَا تُمِتْنِي..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤﴾ [الأعراف: ١٤] إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُ الْخَلْقُ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ.. وَهَذِهِ أَيْضًا جَهْلَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ جَهَلَاتِهِ الْخَبِيثَةِ، سَأَلَ رَبَّهُ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّظِرَةَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ هُوَ يَوْمُ يُبْعَثُ فِيهِ الْخَلْقُ، وَلَوْ أُعْطِيَ مَا سَأَلَ مِنَ النَّظِرَةِ كَانَ قَدْ أُعْطِيَ الْخُلُودَ وَبَقَاءً لَا فَنَاءَ مَعَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا مَوْتَ بَعْدَ الْبَعْثِ.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعراف: ١٥].

﴿قَالَ﴾ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُ..

﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعراف: ١٥] وَذَلِكَ إِلَىٰ الْيَوْمِ الَّذِي قَدْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْهَلَاكَ وَالْمَوْتَ وَالْفَنَاءَ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَبْقَىٰ فَلَا يَفْنَىٰ غَيْرُ رَبِّنَا الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وَالْإِنْظَارُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأْخِيرُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَنْظَرْتُهُ بِحَقِّي عَلَيْهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ قَالَ لَهُ إِذْ سَأَلَهُ الْإِنْظَارَ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَدْ أَجَابَهُ إِلَىٰ مَا سَأَلَ؟ قِيلَ لَهُ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ مُجِيبًا لَهُ إِلَىٰ مَا سَأَلَ لَوْ كَانَ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي سَأَلْتَ، أَوْ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ، أَوْ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ إِجَابَتِهِ إِلَىٰ مَا سَأَلَ مِنَ النَّظِرَةِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ فَلَا دَلِيلَ فِيهِ، لَوْلَا الْآيَةُ الْأُخْرَىٰ الَّتِي قَدْ بَيَّنَ فِيهَا مُدَّةَ إِنْظَارِهِ إِيَّاهُ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٣٨﴾ [الحجر: ٣٧- ٣٨]، عَلَىٰ الْمُدَّةِ الَّتِي أَنْظَرَهُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَنْظَرَهُ يَوْمًا وَاحِدًا أَوْ أَقَلَّ مِنْهُ أَوْ أَكْثَرَ، فَقَدْ دَخَلَ فِي عِدَادِ الْمُنْظَرِينَ،

وَتَمَّ فِيهِ وَعْدُ اللهِ الصَّادِقُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ بَيَّنَ قَدْرَ مُدَّةِ ذَلِكَ بِالَّذِي ذَكَرْنَاهُ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ الْوَقْتُ الَّذِي أُنْظِرَ إِلَيْهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ أَحَدٌ مُنْظَرٌ إِلَىٰ ذَلِكَ الْيَوْمِ سِوَىٰ إِبْلِيسَ، فَيُقَالُ لَهُ إِنَّكَ مِنْهُمْ؟ قِيلَ: نَعَمْ، مَنْ لَمْ يَقْبِضِ اللهُ رُوحَهُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِمَّنْ تَقُومُ عَلَيْهِ السَّاعَةُ، فَهُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ بِآجَالِهِمْ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِإِبْلِيسَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعراف: ١٥] بِمَعْنَىٰ: إِنَّكَ مِمَّنْ لَا يُمِيتُهُ اللهُ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦﴾ [الأعراف: ١٦].

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فَبِمَا أَضْلَلْتَنِي.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُه بِمَا أَهْلَكْتَنِي، وَأَصْلُ الْإِغْوَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: تَزْيِينُ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ الشَّيْءَ حَتَّىٰ يُحَسِّنَهُ عِنْدَهُ غَارًّا لَهُ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّهُ بِمَعْنَىٰ الْقَسَمِ، كَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ: فَبِإِغْوَائِكَ إِيَّايَ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، كَمَا يُقَالُ: بِاللهِ لَأَفْعَلَنَّ كَذَا.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ الْمُجَازَاةِ، كَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ: فَلِأَنَّكَ أَغْوَيْتَنِي، أَوْ فَبِأَنَّكَ أَغْوَيْتَنِي..

﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ لَأَجْلِسَنَّ..

﴿لَهُمْ﴾ لِبَنِي آدَمَ..

﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦﴾ [الأعراف: ١٦] طَرِيقَكَ الْقَوِيمَ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الْحَقُّ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَشَرَائِعُهُ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَأَصُدَنَّ بَنِي آدَمَ عَنْ عِبَادَتِكَ وَطَاعَتِكَ، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ كَمَا أَغْوَيْتَنِي، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ كَمَا أَضْلَلْتَنِي، وَذَلِكَ كَمَا رُوِيَ عَنْ سَبْرَةَ بْنِ الْفَاكِهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَالْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟ فَعَصَاهُ وَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَقَالَ: أَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلَ فَتُنْكَحَ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ؟ قَالَ: فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ**»، فَالَّذِي رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وَأَوْلَىٰ بِالتَّأْوِيلِ، لِأَنَّ الْخَبِيثَ لَا يَأْلُو عِبَادَ اللهِ الصَّدَّ عَنْ كُلِّ مَا كَانَ لَهُمْ قُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ.. وَفِي هَذَا بَيَانٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ فَسَادِ مَا يَقُولُ الْقَدَرِيَّةُ، مِنْ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَفَرَ أَوْ آمَنَ فَبِتَفْوِيضِ اللهِ أَسْبَابَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَأَنَّ السَّبَبَ الَّذِي بِهِ يَصِلُ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ يَصِلُ الْكَافِرُ إِلَىٰ الْكُفْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا لَكَانَ الْخَبِيثُ قَدْ قَالَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فَبِمَا أَصْلَحْتَنِي، إِذْ كَانَ سَبَبُ الْإِغْوَاءِ هُوَ سَبَبَ الْإِصْلَاحِ، وَكَانَ فِي

إِخْبَارِهِ عَنِ الْإِغْوَاءِ إِخْبَارٌ عَنِ الْإِصْلَاحِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ سَبَبَاهُمَا مُخْتَلِفَيْنِ وَكَانَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ غَوَىٰ وَهَلَكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَضَافَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، وَكَذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: (قَاتَلَ اللهُ الْقَدَرِيَّةَ، لَإِبْلِيسُ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْهُمْ).

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧].

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَأَصُدُّهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَأُحَسِّنُ لَهُمُ الْبَاطِلَ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَقْعُدُ لِبَنِي آدَمَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يَسْلُكُوهُ، وَهُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ دِينِ اللهِ الْحَقِّ..

﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ﴾ فَيَأْتِيهِمْ فِي ذَلِكَ مِنْ كُلِّ وُجُوهِهِ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، فَيَصُدُّهُمْ عَنْهُ، وَذَلِكَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ، وَمَنَ الْوَجْهِ الَّذِي نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ، فَيُزَيِّنُهُ لَهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ.. وَقِيلَ: وَلَمْ يَقُلْ: (مِنْ فَوْقِهِمْ) لِأَنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَنْزِلُ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ فَوْقِهِمْ..

﴿وَلَا تَجِدُ﴾ يا رَبِّ..

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ أَكْثَرَ بَنِي آدَمَ..

﴿شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧] لَكَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، كَتَكْرِمَتِكَ أَبَاهُمْ آدَمَ بِمَا أَكْرَمْتَهُ بِهِ، مِنْ إِسْجَادِكَ لَهُ مَلَائِكَتَكَ، وَتَفْضِيلِكَ إِيَّاهُ عَلَيَّ، وَشُكْرِهِمْ إِيَّاهُ طَاعَتَهُمْ لَهُ بِالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿اخْرُجْ مِنْهَا﴾ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿مَذْءُومًا﴾ مَعِيبًا.. وَالذَّأْمُ: الْعَيْبُ، وَيَتْرُكُونَ الْهَمْزَ فَيَقُولُونَ: ذِمْتُهُ، وَالذَّأْمُ وَالذَّيْمُ أَبْلَغُ فِي الْعَيْبِ مِنَ الذَّمِّ..

﴿مَّدْحُورًا ۖ﴾ مَقْصِيًّا.. يُقَالُ: دَحَرَهُ، إِذَا أَقْصَاهُ وَأَخْرَجَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: ادْحَرْ عَنْكَ الشَّيْطَانَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، عَنْ إِحْلَالِهِ بِالْخَبِيثِ عَدُوِّ اللهِ مَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ وَلَعْنَتِهِ، وَطَرْدِهِ إِيَّاهُ عَنْ جَنَّتِهِ، إِذْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَرَاجَعَهُ مِنَ الْجَوَابِ بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مُرَاجَعَتُهُ بِهِ.

﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف: ١٨] هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَقْسَمَ أَنْ مَنِ اتَّبَعَ مِنْ بَنِي آدَمَ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ وَأَطَاعَهُ وَصَدَّقَ ظَنَّهُ، عَلَيْهِ أَنْ يَمْلأَ مِنْ جَمِيعِهِمْ، يَعْنِي مِنْ كَفَرَةِ بَنِي آدَمَ تُبَّاعِ إِبْلِيسَ، وَمِنْ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ، جَهَنَّمَ، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً كَذَّبَ ظَنَّ عَدُوِّ اللهِ فِي نَفْسِهِ، وَخَيَّبَ فِيهَا أَمَلَهُ وَأُمْنِيَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ أَطْمَعَ فِيهَا عَدُوَّهُ، وَاسْتَغَشَّهُ وَلَمْ يَسْتَنْصِحْهُ.. وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عِبَادَهُ عَلَىٰ قِدَمِ عَدَاوَةِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ -إِبْلِيسَ- لَهُمْ، وَسَالِفِ مَا سَلَفَ مِنْ حَسَدِهِ لِأَبِيهِمْ، وَبَغْيِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، وَعَرَّفَهُمْ مَوَاقِعَ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا فِي أَنْفُسِهِمْ وَوَالِدِهِمْ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ، فَيَنْزَجِرُوا عَنْ طَاعَةِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَيُنِيبُوا إِلَيْهَا.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: ١٩].

﴿وَيَا آدَمُ﴾ وَقَالَ اللهُ لِآدَمَ: يَا آدَمُ..

﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ فَأَسْكَنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ الْجَنَّةَ، بَعْدَ أَنْ أُهْبِطَ مِنْهَا إِبْلِيسُ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا..

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ وَأَبَاحَ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِنْ ثِمَارِهَا مِنْ أَيِّ مَكَانٍ شَاءَا مِنْهَا..

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وَنَهَاهُمَا أَنْ يَقْرَبَا ثَمَرَ شَجَرَةٍ بِعَيْنِهَا..

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: ١٩] مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَفَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ٢٠﴾ [الأعراف: ٢٠].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِمَا، وَتِلْكَ الْوَسْوَسَةُ كَانَتْ قَوْلُهُ لَهُمَا: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ٢٠﴾، وَإِقْسَامُهُ لَهُمَا عَلَىٰ ذَلِكَ.. فحدَّثَ إِبْلِيسُ إِلَىٰ آدَمَ وحَوَّاءَ، وَأَلْقَىٰ إِلَيْهِمَا: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ أَكْلِ ثَمَرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ، أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ..

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وَارَاهُ اللهُ عَنْهُمَا مِنْ عَوْرَاتِهِمَا فَغَطَّاهُ بِسِتْرِهِ الَّذِي سَتَرَهُ عَلَيْهِمَا.. وَكَانَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ يَقُولُ فِي السِّتْرِ الَّذِي كَانَ اللهُ سَتَرَهُمَا بِهِ: **(كَانَ عَلَيْهِمَا نُورٌ لَا تُرَىٰ سَوْءَاتُهُمَا)**..

﴿وَقَالَ﴾ الشَّيْطَانُ لِآدَمَ وَزَوْجَتِهِ حَوَّاءَ..

﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أَنْ تَأْكُلَا ثَمَرَهَا..

﴿إِلَّآ أَن﴾ إِلَّا لِئَلَّا.. وَأُسْقِطَتْ (لا) مِنَ الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ عَلَيْهَا، كَمَا أُسْقِطَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]، وَالْمَعْنَىٰ: يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ لَا تَضِلُّوا..

﴿تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠﴾ [الأعراف: ٢٠] فِي الْجَنَّةِ، الْمَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا فَلَا تَمُوتَا.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف: ٢١].

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ وَحَلَفَ لَهُمَا، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ [النمل: ٤٩]، بِمَعْنَىٰ: تَحَالَفُوا بِاللهِ..

﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف: ٢١] لَمِمَّنْ يَنْصَحُ فِي مَشُورَتِهِ لَكُمَا، وَأَمْرِهِ إِيَّاكُمَا بِأَكْلِ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيتُمَا عَنْ أَكْلِ ثَمَرِهَا، وَفِي خَبَرِي إِيَّاكُمَا بِمَا أُخْبِرُكُمَا بِهِ مِنْ أَنَّكُمَا إِنْ أَكَلْتُمَاهُ كُنْتُمَا مَلَكَيْنِ، أَوْ كُنْتُمَا مِنَ الْخَالِدِيْنِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**فَحَلَفَ لَهُمَا بِاللهِ حَتَّىٰ خَدَعَهُمَا، وَقَدْ يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ بِاللهِ، فَقَالَ: إِنِّي خُلِقْتُ قَبْلَكُمَا وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا، فَاتَّبِعَانِي أُرْشِدْكُمَا**).

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾

[الأعراف: ٢٢].

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ فَخَدَعَهُمَا..

﴿بِغُرُورٍ﴾ بِزُخْرُفٍ مِنَ الْقَوْلِ بَاطِلٍ..

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ فَلَمَّا طَعِمَا آدَمُ وَحَوَّاءُ ثَمَرَ الشَّجَرَةِ..

﴿بَدَتْ﴾ انْكَشَفَتْ..

﴿لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ لِأَنَّ اللهَ أَعْرَاهُمَا مِنَ الْكِسْوَةِ الَّتِي كَانَ كَسَاهُمَا قَبْلَ الذَّنْبِ وَالْخَطِيئَةِ، فَسَلَبَهُمَا ذَلِكَ بِالْخَطِيئَةِ الَّتِي أَخْطَئَا، أَوِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي رَكِبَا..

﴿وَطَفِقَا﴾ وَأَقْبَلَا، وَجَعَلَا..

﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يَشُدَّانِ عَلَيْهِمَا..

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ لِيُوارِيَا سَوْآتِهِمَا..

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ وَنَادَىٰ آدَمَ وَحَوَّاءَ رَبُّهُمَا..

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ أَكْلِ ثَمَرَةِ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَكَلْتُمَا ثَمَرَهَا..

﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾ وَأُعْلِمْكُمَا..

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ إِنَّ إِبْلِيسَ..

﴿لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾ [الأعراف: ٢٢] قَدْ أَبَانَ عَدَاوَتَهُ لَكُمَا بِتَرْكِ السُّجُودِ لِآدَمَ حَسَدًا وَبَغْيًا.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿قَالَا﴾ آدَمُ وَحَوَّاءُ لِرَبِّهِمَا..

﴿رَبَّنَا﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ فَعَلْنَا بِأَنْفُسِنَا مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهَا بِمَعْصِيَتِكَ وَخِلَافِ أَمْرِكَ وَبِطَاعَتِنَا عَدُوَّنَا وَعَدُوَّكَ، فِيمَا لَمْ يَكُنْ لَنَا أَنْ نُطِيعَهُ فِيهِ، مِنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتَنَا عَنْ أَكْلِهَا..

﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْتُرْ عَلَيْنَا ذَنْبَنَا، فَتُغَطِّيَهُ عَلَيْنَا، وَتَتْرُكْ فَضِيحَتَنَا بِهِ بِعُقُوبَتِكَ إِيَّانَا عَلَيْهِ..

﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ بِتَعَطُّفِكَ عَلَيْنَا، وَتَرْكِكَ أَخْذَنَا بِهِ..

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣] الْهَالِكِينَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ فِيمَا أَجَابَاهُ بِهِ، وَاعْتِرَافِهِمَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا بِالذَّنْبِ، وَمَسْأَلَتِهِمَا إِيَّاهُ الْمَغْفِرَةَ مِنْهُ وَالرَّحْمَةَ، خِلَافُ جَوَابِ اللَّعِينِ إِبْلِيسَ إِيَّاهُ.

﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٢٤﴾ [الأعراف: ٢٤].

﴿قَالَ﴾ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ..

﴿ٱهْبِطُواْ﴾ اهْبِطُوا مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ﴾ يَا آدَمُ وَحَوَّاءُ وَإِبْلِيسُ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قَرَارٌ تَسْتَقِرُّونَهُ، وَفِرَاشٌ تَمْتَهِدُونَهُ، وَلَمْ يُخَصِّصْهَا بِأَنَّ لَهُمْ فِيهَا مُسْتَقَرًّا فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ دُونَ حَالِ مَوْتِهِمْ، بَلْ عَمَّ الْخَبَرَ عَنْهَا بِأَنَّ لَهُمْ فِيهَا مُسْتَقَرًّا، فَذَلِكَ عَلَىٰ عُمُومِهِ كَمَا عَمَّ خَبَرُ اللهِ، وَلَهُمْ فِيهَا مُسْتَقَرٌّ فِي حَيَاتِهِمْ عَلَىٰ ظَهْرِهَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِمْ فِي بَطْنِهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ

ثَنَاؤُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ [المرسلات: ٢٥- ٢٦]..

﴿وَمَتَٰعٌ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ تَسْتَمْتِعُونَ بِهِ..

﴿إِلَىٰ حِينٍ ۝٢٤﴾ [الأعراف: ٢٤] إِلَىٰ انْقِطَاعِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ هُوَ الْحِينُ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَالْحِينُ نَفْسُهُ الْوَقْتُ، غَيْرَ أَنَّهُ مَجْهُولُ الْقَدْرِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ فِعْلِهِ بِإِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَآدَمَ وَوَلَدِهِ.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝٢٥﴾ [الأعراف: ٢٥].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِلَّذِينَ أَهْبَطَهُمْ مِنْ سَمَوَاتِهِ إِلَىٰ أَرْضِهِ:..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْأَرْضِ..

﴿تَحْيَوْنَ﴾ تكُونُونَ فِيهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ..

﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ وَفِي الْأَرْضِ تكُونُ وَفَاتُكُمْ..

﴿وَمِنْهَا﴾ وَمِنَ الْأَرْضِ..

﴿تُخْرَجُونَ ۝٢٥﴾ [الأعراف: ٢٥] يُخْرِجُكُمْ رَبُّكُمْ، وَيَحْشُرُكُمْ إِلَيْهِ لِبَعْثِ الْقِيَامَةِ أَحْيَاءً.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٢٦﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لِلْجَهَلَةِ مِنَ الْعَرَبِ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَعَرَّوْنَ لِلطَّوَافِ، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ أَمْرَ الشَّيْطَانِ، وَتَرْكًا مِنْهُمْ طَاعَةَ اللهِ، فَعَرَّفَهُمُ انْخِدَاعَهُمْ بِغُرُورِهِ لَهُمْ، حَتَّىٰ تَمَكَّنَ مِنْهُمْ، فَسَلَبَهُمْ مِنْ سِتْرِ اللهِ، الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ أَبْدَىٰ سَوْءَاتِهِمْ، وَأَظْهَرَهَا مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، مَعَ تَفَضُّلِ اللهِ عَلَيْهِمْ بِتَمْكِينِهِمْ مِمَّا يَسْتُرُونَهَا بِهِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ سَارَ بِهِمْ سِيرَتَهُ فِي أَبَوَيْهِمْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، اللَّذَيْنِ دَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ، حَتَّىٰ سَلَبَهُمَا سِتْرَ اللهِ، الَّذِي كَانَ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمَا، حَتَّىٰ أَبْدَىٰ لَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا فَعَرَّاهُمَا مِنْهُ..

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ خَلَقَهُ لَهُمْ، وَرَزَقَهُ إِيَّاهُمْ.. وَاللِّبَاسُ: مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الثِّيَابِ.

﴿يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾ يَسْتُرُ عَوْرَاتِكُمْ عَنْ أَعْيُنِكُمْ.. وَكَنَّىٰ بِالسَّوْءَاتِ عَنِ الْعَوْرَاتِ، وَاحِدَتُهَا سَوْأَةٌ، مِنَ السُّوءِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ سَوْأَةً؛ لِأَنَّهُ يَسُوءُ صَاحِبَهَا انْكِشَافُهَا مِنْ جَسَدِهِ..

﴿وَرِيشًا﴾ هُوَ الْمَتَاعُ وَالْأَمْوَالُ، وَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَهُ الْعَرَبُ فِي الثِّيَابِ وَالْكِسْوَةِ دُونَ سَائِرِ الْمَالِ، يَقُولُونَ: أَعْطَاهُ سَرْجًا بِرِيشِهِ، وَرَحْلًا بِرِيشِهِ: أَيْ بِكِسْوَتِهِ وَجَهَازِهِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَحَسَنُ

رِيشِ الثِّيَابِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الرِّيَاشُ فِي الْخِصْبِ وَرَفَاهَةِ الْعَيْشِ..

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ: فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَكِّيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ بِرَفْعِ (وَلِبَاسُ).. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ: (وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ) بِنَصْبِ اللِّبَاسِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ بَعْضِ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ.. فَمَنْ نَصَبَ: (وَلِبَاسَ) فَإِنَّهُ نَصَبَهُ عَطْفًا عَلَىٰ (الرِّيشِ) بِمَعْنَىٰ: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا، وَأَنْزَلْنَا لِبَاسَ التَّقْوَىٰ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَا رُفِعَ ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمُوهُ خَيْرٌ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ مِنْ لِبَاسِ الثِّيَابِ الَّتِي تُوَارِي سَوْآتِكُمْ، وَمِنَ الرِّيَاشِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا إِلَيْكُمْ فَالْبَسُوهُ.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ مَنْ قَرَأَهُ نَصْبًا، فَإِنَّهُ: يَا بَنِي آدَمَ، قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ، وَرِيشًا، وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ هَذَا الَّذِي أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ، مِنَ اللِّبَاسِ الَّذِي يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَالرِّيشِ، وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ التَّعَرِّي وَالتَّجَرُّدِ مِنَ الثِّيَابِ فِي طَوَافِكُمْ بِالْبَيْتِ، فَاتَّقُوا اللهَ وَالْبَسُوا مَا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنَ الرِّيَاشِ، وَلَا تُطِيعُوا الشَّيْطَانَ بِالتَّجَرُّدِ وَالتَّعَرِّي مِنَ الثِّيَابِ، فَإِنَّ ذَلِكَ سُخْرِيَةٌ مِنْهُ بِكُمْ وَخُدْعَةٌ، كَمَا فَعَلَ بِأَبَوَيْكُمْ آدَمَ وَحَوَّاءَ فَخَدَعَهُمَا حَتَّىٰ جَرَّدَهُمَا مِنْ لِبَاسِ اللهِ الَّذِي كَانَ أَلْبَسَهُمَا بِطَاعَتِهِمَا لَهُ فِي أَكْلِ مَا كَانَ اللهُ نَهَاهُمَا عَنْ أَكْلِهِ مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ الَّتِي عَصَيَاهُ بِأَكْلِهَا.. وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، أَعْنِي نَصْبَ قَوْلِهِ: (وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ) لِصِحَّةِ مَعْنَاهُ فِي التَّأْوِيلِ عَلَىٰ مَا بَيَّنْتُ، وَأَنَّ اللهَ إِنَّمَا ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْ إِنْزَالِهِ اللِّبَاسَ الَّذِي يُوَارِي سَوْآتِنَا وَالرِّيَاشِ تَوْبِيخًا لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَجَرَّدُونَ فِي حَالِ طَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِأَخْذِ ثِيَابِهِمْ وَالِاسْتِتَارِ بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ مَعَ الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِ طَاعَتِهِ، وَيُعْلِمُهُمْ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَتَعَرِّيهِمْ، لَا أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ بَعْضَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَيْرٌ مِنْ بَعْضٍ.. وَمَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ الْآيَاتُ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا﴾، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]، فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَأْمُرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِأَخْذِ الزِّينَةِ مِنَ الثِّيَابِ وَاسْتِعْمَالِ اللِّبَاسِ وَتَرْكِ التَّجَرُّدِ وَالتَّعَرِّي، وَبِالْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِ الشَّيْطَانِ، مُؤَكِّدًا فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا قَدْ أَجْمَلَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصِّحَّةِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: (وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ) اسْتِشْعَارُ النُّفُوسِ تَقْوَىٰ اللهِ فِي الِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَذَلِكَ يَجْمَعُ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْحَيَاءَ وَخَشْيَةَ اللهِ وَالسَّمْتَ الْحَسَنَ؛ لِأَنَّ مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ كَانَ بِهِ مُؤْمِنًا وَبِمَا أَمَرَهُ بِهِ عَامِلًا وَمِنْهُ

خَائِفًا وَلَهُ مُرَاقِبًا، وَمِنْ أَنْ يُرَىٰ عِنْدَ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ عِبَادِهِ مُسْتَحْيِيًا، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ ظَهَرَتْ آثَارُ الْخَيْرِ فِيهِ، فَحَسُنَ سَمْتُهُ وَهَدْيُهُ، وَرُؤِيَتْ عَلَيْهِ بَهْجَةُ الْإِيمَانِ وَنُورُهُ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: عُنِيَ بِلِبَاسِ التَّقْوَىٰ اسْتِشْعَارُ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللِّبَاسَ إِنَّمَا هُوَ ادِّرَاعُ مَا يُلْبَسُ وَاحْتِبَاءُ مَا يُكْتَسَىٰ، أَوْ تَغْطِيَةُ بَدَنِهِ أَوْ بَعْضِهِ بِهِ، فَكُلُّ مَنِ ادَّرَعَ شَيْئًا أَوِ احْتَبَىٰ بِهِ حَتَّىٰ يُرَىٰ هُوَ أَوْ أَثَرُهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ لَهُ لَابِسٌ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرِّجَالَ لِلنِّسَاءِ لِبَاسًا، وَهُنَّ لَهُمْ لِبَاسًا، وَجَعَلَ اللَّيْلَ لِعِبَادِهِ لِبَاسًا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَنِّي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ اللِّبَاسِ وَالرِّيَاشِ..

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ حُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ الَّتِي يَعْلَمُ بِهَا مَنْ كَفَرَ صِحَّةَ تَوْحِيدِ اللهِ، وَخَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٢٦﴾ [الأعراف: ٢٦] جَعَلْتُ ذَلِكَ لَهُمْ دَلِيلًا عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ لِيَذَّكَّرُوا، فَيَعْتَبِرُوا وَيُنِيبُوا إِلَىٰ الْحَقِّ وَتَرْكِ الْبَاطِلِ، رَحْمَةً مِنِّي بِعِبَادِي.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٧﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ لَا يَخْدَعَنَّكُمْ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْفِتْنَةِ الِاخْتِبَارُ وَالِابْتِلَاءُ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فَيُبْدِي سَوْآتِكُمْ لِلنَّاسِ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ عِنْدَ اخْتِبَارِهِ لَكُمْ..

﴿كَمَآ أَخْرَجَ﴾ كَمَا فَعَلَ بِـ..

﴿أَبَوَيْكُم﴾ آدَمَ وَحَوَّاءَ عِنْدَ اخْتِبَارِهِ إِيَّاهُمَا فَأَطَاعَاهُ وَعَصَيَا رَبَّهُمَا، فَأَخْرَجَهُمَا بِمَا سَبَّبَ لَهُمَا مِنْ مَكْرِهِ وَخَدْعِهِ..

﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ وَنَزَعَ عَنْهُمَا مَا كَانَ أَلْبَسَهُمَا مِنَ اللِّبَاسِ.. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَذَّرَ عِبَادَهُ أَنْ يَفْتِنَهُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا فَتَنَ أَبَوَيْهِمْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَأَنْ يُجَرِّدَهُمْ مِنْ لِبَاسِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ، كَمَا نَزَعَ عَنْ أَبَوَيْهِمْ لِبَاسَهُمَا.. وَاللِّبَاسُ الْمُطْلَقُ مِنَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ إِضَافَةٍ إِلَىٰ شَيْءٍ فِي مُتَعَارَفِ النَّاسِ، هُوَ مَا اخْتَارَ فِيهِ اللَّابِسُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِسَاءِ، أَوْ غَطَّىٰ بَدَنَهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالْحَقُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنْ لِبَاسِهِمَا الَّذِي نَزَعَهُ عَنْهُمَا الشَّيْطَانُ هُوَ بَعْضُ مَا كَانَا يُوَارِيَانِ بِهِ أَبْدَانَهُمَا وَعَوْرَتَهُمَا، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ ظُفُرًا،

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نُورًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ عِنْدَنَا بِأَيِّ ذَلِكَ تَثْبُتُ بِهِ الْحُجَّةُ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَصْوَبُ مِنْ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾..

﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾ بِكَشْفِ عَوْرَتِهِمَا وَإِظْهَارِهَا لِأَعْيُنِهِمَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُسْتَتِرَةً.. وَأَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ إِبْلِيسَ إِخْرَاجَ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَنَزْعَ مَا كَانَ عَلَيْهِمَا مِنَ اللِّبَاسِ عَنْهُمَا، وَإِنْ كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ الْفَاعِلَ ذَلِكَ بِهِمَا عُقُوبَةً عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمَا إِيَّاهُ، إِذْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْهُمَا فِي ذَلِكَ عَنْ تَشْبِيهِ ذَلِكَ لَهُمَا بِمَكْرِهِ وَخِدَاعِهِ، فَأُضِيفَ إِلَيْهِ أَحْيَانًا بِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ، وَإِلَىٰ اللهِ أَحْيَانًا بِفِعْلِهِ ذَلِكَ بِهِمَا..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ..

﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ وَصِنْفُهُ، وَجِنْسُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُ، وَهُمُ الْجِنُّ..

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الشَّيْطَانَ وَقَبِيلَهُ..

﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ نُصَرَاءَ..

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧] مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَا يُوَحِّدُونَ اللهَ، وَلَا يُصَدِّقُونَ رُسُلَهُ.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ﴾ وَإِذَا فَعَلَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، الَّذِينَ جَعَلَ اللهُ الشَّيَاطِينَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ..

﴿فَٰحِشَةً﴾ قَبِيحًا مِنَ الْفِعْلِ، وَذَلِكَ تَعَرِّيهِمْ لِلطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَتَجَرُّدِهِمْ لَهُ، فَعُذِلُوا عَلَىٰ مَا أَتَوْا مِنْ قَبِيحِ فِعْلِهِمْ، وَعُوتِبُوا عَلَيْهِ..

﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ﴾ قَالُوا: وَجَدْنَا عَلَىٰ مِثْلِ مَا نَفْعَلُ..

﴿ءَابَآءَنَا﴾ فَنَحْنُ نَفْعَلُ مِثْلَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَنَقْتَدِي بِهَدْيِهِمْ، وَنَسْتَنُّ بِسُنَّتِهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ فَنَحْنُ نَتَّبِعُ أَمْرَهُ فِيهِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ﴾ خَلْقَهُ..

﴿بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ بِقَبَائِحِ الْأَفْعَالِ وَمَسَاوِيهَا..

﴿أَتَقُولُونَ﴾ أَتَرْوُونَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالتَّعَرِّي وَالتَّجَرُّدِ مِنَ الثِّيَابِ وَاللِّبَاسِ لِلطَّوَافِ..

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨] وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ أَمَرَهُمْ بِالْفَحْشَاءِ كَذِبًا عَلَىٰ اللهِ: مَا أَمَرَ رَبِّي بِمَا تَقُولُونَ، بَلْ..

﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ يَعْنِي: بِالْعَدْلِ..

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أُمِرُوا أَنْ يَتَوَجَّهُوا بِصَلَاتِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، لَا إِلَىٰ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا خَاطَبَ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَوْمًا مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كَنَائِسَ وَبِيَعٍ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْكَنَائِسُ وَالْبِيَعُ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، فَغَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَا يُصَلِّي فِي كَنِيسَةٍ وَلَا بَيْعَةٍ: وَجِّهْ وَجْهَكَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ فِي كَنِيسَةٍ أَوْ بَيْعَةٍ..

﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وَاعْمَلُوا لِرَبِّكُمْ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَالطَّاعَةَ، لَا تَخْلِطُوا ذَلِكَ بِشِرْكٍ، وَلَا تَجْعَلُوا فِي شَيْءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ لَهُ شَرِيكًا، وَاجْعَلُوا دُعَاءَكُم للهِ خَالِصًا، لَا مُكَاءَ وَلَا تَصْدِيَةَ..

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ اللهُ خَلْقًا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا..

﴿تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩] بَعْدَ فَنَائِكُمْ خَلْقًا مِثْلَهُ، يَحْشُرُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاةً غُرْلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾** [الأنبياء: ١٠٤] »، يُبَيِّنُ صِحَّةَ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْخَلْقَ يَعُودُونَ إِلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلْقًا أَحْيَاءً كَمَا بَدَأَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَلْقًا أَحْيَاءً.. ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ فِي خَلْقِهِ وَجَرَىٰ بِهِ فِيهِمْ قَضَاؤُهُ، فَقَالَ.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٣٠].

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ فَوَفَّقَهُمْ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ فَهُمْ مُهْتَدُونَ..

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ وَحَقَّ عَلَىٰ فَرِيقٍ مِنْهُمُ الضَّلَالَةُ عَنِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ..

﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ إِنَّ الْفَرِيقَ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ، إِنَّمَا ضَلُّوا

عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَجَارُوا عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ، بِاتِّخَاذِهِمُ الشَّيَاطِينَ نُصَرَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَظُهَرَاءَ..

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف: ٣٠] لَيْسَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِخَطَأِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ وَحَقٍّ، وَأَنَّ الصَّوَابَ مَا أَتَوْهُ وَرَكِبُوا.. وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ رَكِبَهَا، أَوْ ضَلَالَةٍ اعْتَقَدَهَا، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهَا بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُ بِصَوَابِ وَجْهِهَا، فَيَرْكَبُهَا عِنَادًا مِنْهُ لِرَبِّهِ فِيهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَ فَرِيقِ الضَّلَالَةِ الَّذِي ضَلَّ -وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ هَادٍ- وَفَرِيقِ الْهُدَىٰ فَرْقٌ، وَقَدْ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ أَسْمَائِهِمَا وَأَحْكَامِهِمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

﴿* يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١﴾
[الأعراف: ٣١].

﴿* يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَعَرَّوْنَ عِنْدَ طَوَافِهِمْ بِبَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَيُبْدُونَ عَوْرَاتِهِمْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَالْمُحَرِّمِينَ مِنْهُمْ أَكْلَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَلَالِ رِزْقِهِ، تَبَرُّرًا عِنْدَ نَفْسِهِ لِرَبِّهِ: يَا بَنِي آدَمَ..

﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ مِنَ الْكِسَاءِ وَاللِّبَاسِ..

﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ﴾ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْتُكُمْ، وَحَلَّلْتُهُ لَكُمْ..

﴿وَٱشۡرَبُواْ﴾ مِنْ حَلَالِ الْأَشْرِبَةِ، وَلَا تُحَرِّمُوا إِلَّا مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِي أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، ولَا تَأْكُلُوا حَرَامًا..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١﴾ [الأعراف: ٣١] الْمُتَعَدِّينَ حَدَّهُ فِي حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، الْغَالِينَ فِيمَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ حَرَّمَ بِإِحْلَالِ الْحَرَامِ وَبِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُحَلَّلَ مَا أَحَلَّ، وَيُحَرَّمَ مَا حَرَّمَ، وَذَلِكَ الْعَدْلُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ.

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْعَرَبِ، الَّذِينَ يَتَعَرَّوْنَ عِنْدَ طَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ، وَيُحَرِّمُونَ

عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ..

﴿مَنْ حَرَّمَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ..

﴿زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ﴾ الَّتِي خَلَقَهَا..

﴿لِعِبَادِهِۦ﴾ أَنْ تَتَزَيَّنُوا بِهَا، وَتَتَجَمَّلُوا بِلِبَاسِهَا..

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَالْحَلَالُ..

﴿مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ مِنْ رِزْقِ اللهِ، الَّذِي رَزَقَ خَلْقَهُ لِمَطَاعِمِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ أَنْ تَقُولَ لَهُمْ: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾، إِذْ عَيُوا بِالْجَوَابِ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا يُجِيبُونَكَ: زِينَةُ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَطَيِّبَاتُ رِزْقِهِ..

﴿هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَاتَّبَعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَقَدْ شَرَكَهُمْ فِي ذَلِكَ فِيهَا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَهِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ لَا يَشْرَكُهُمْ فِي ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَفَرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَخَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمُ الْوَاجِبَ عَلَيْكُمْ، فِي اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ، وَالْحَلَالِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْحَرَامِ مِنْهَا، وَمَيَّزْتُ بَيْنَ ذَلِكَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ﴾ أُبَيِّنُ..

﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ جَمِيعَ أَدِلَّتِي وَحُجَجِي وَأَعْلَامَ حَلَالِي وَحَرَامِي وَأَحْكَامِي..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢] مَا يُبَيَّنُ لَهُمْ وَيَفْقَهُونَ مَا يُمَيَّزُ لَهُمْ.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَجَرَّدُونَ مِنْ ثِيَابِهِمْ لِلطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَيُحَرِّمُونَ أَكْلَ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ مِنْ رِزْقِهِ، أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِنَّمَا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ مَا تُحَرِّمُونَهُ، بَلْ أَحَلَّ ذَلِكَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَيَّبَهُ لَهُمْ، وَإِنَّمَا..

﴿حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ حَرَّمَ رَبِّي الْقَبَائِحَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ الْفَوَاحِشُ..

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ فَكَانَ عَلَانِيَةً..

﴿وَمَا بَطَنَ﴾ مِنْهَا فَكَانَ سِرًّا فِي خَفَاءٍ..

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ وَالْمَعْصِيَة..

﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ وَالِاسْتِطَالَة عَلَىٰ النَّاسِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَعَ الْإِثْمِ وَالْبَغْيِ عَلَىٰ النَّاسِ..

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ﴾ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ شِرْكًا لِشَيْءٍ، وَالشِّرْكُ بِهِ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا غَيْرَهُ..

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي إِشْرَاكِكُمْ إِيَّاهُ فِي عِبَادَتِهِ حُجَّةً وَلَا بُرْهَانًا..

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ﴾ إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالتَّعَرِّي وَالتَّجَرُّدِ لِلطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَكْلَ هَذِهِ الْأَنْعَامِ الَّتِي حَرَّمْتُمُوهَا وَسَيَّبْتُمُوهَا وَجَعَلْتُمُوهَا وَصَائِلَ وَحَوَامِيَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِن..

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٣٣] أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ، أَوْ أَمَرَ بِهِ، أَوْ أَبَاحَهُ، فَتُضِيفُوا إِلَىٰ اللهِ تَحْرِيمَهُ وَحَظْرَهُ وَالْأَمْرَ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ، دُونَ مَا تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ، أَوْ تَقُولُونَ إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِهِ جَهْلًا مِنْكُمْ بِحَقِيقَةِ مَا تَقُولُونَ، وَتُضِيفُونَهُ إِلَىٰ اللهِ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٣٤].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُهَدِّدًا لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، وَوَعِيدًا مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ كَذِبِهِمْ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ إِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِهِ، وَالْمُقَامِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَمُذَكِّرًا لَهُمْ مَا أَحَلَّ بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ: وَلِكُلِّ جَمَاعَةٍ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ، وَرَدِّ نَصَائِحِهِمْ، وَالشِّرْكِ بِاللهِ مَعَ مُتَابَعَةِ رَبِّهِمْ حُجَجَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿أَجَلٌ﴾ وَقْتٌ لِحُلُولِ الْعُقُوبَاتِ بِسَاحَتِهِمْ، وَنُزُولِ الْمَثُلَاتِ بِهِمْ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ..

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي وَقَّتَهُ اللهُ لِهَلَاكِهِمْ وَحُلُولِ الْعِقَابِ بِهِمْ..

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ لَا يَتَأَخَّرُونَ بِالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَتَمَتَّعُونَ بِالْحَيَاةِ فِيهَا عَنْ وَقْتِ هَلَاكِهِمْ، وَحِينِ حُلُولِ أَجَلِ فَنَائِهِمْ..

﴿سَاعَةً﴾ مِنْ سَاعَاتِ الزَّمَانِ..

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٣٤] وَلَا يَتَقَدَّمُونَ بِذَلِكَ أَيْضًا عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُمْ

وَقْتًا لِلْهَلَاكِ.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَرِّفًا خَلْقَهُ مَا أَعَدَّ لِحِزْبِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَمَا أَعَدَّ لِحِزْبِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَائِهِ وَالْكَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ: يَا بَنِي آدَمَ..

﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ إِنْ يَجِئْكُمْ..

﴿رُسُلٞ﴾ رُسُلِي الَّذِينَ أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ بِدُعَائِكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿مِّنكُمۡ﴾ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَمِنْ عَشَائِرِكُمْ وَقَبَائِلِكُمْ..

﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ كِتَابِي، وَيُعَرِّفُونَكُمْ أَدِلَّتِي وَأَعْلَامِي عَلَىٰ صِدْقِ مَا جَاءُوكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، وَحَقِيقَةِ مَا دَعَوْكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِي..

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فَمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِمَا أَتَاهُ بِهِ رُسُلِي، مِمَّا قَصَّ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِي، وَصَدَّقَ وَاتَّقَىٰ اللهَ، فَخَافَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ..

﴿وَأَصۡلَحَ﴾ أَعْمَالَهُ الَّتِي كَانَ لَهَا مُفْسِدًا قَبْلَ ذَٰلِكَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، بِالتَّحَوُّبِ مِنْهَا..

﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِذَا وَرَدُوا عَلَيْهِ..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥] عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ مِنْ دُنْيَاهُمُ الَّتِي تَرَكُوهَا، وَشَهَوَاتِهِمُ الَّتِي تَجَنَّبُوهَا، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِنَهْيِ اللهِ عَنْهَا إِذَا عَايَنُوا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ مَا عَايَنُوا هُنَالِكَ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ [الأعراف: ٣٦].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ وَأَمَّا مَنْ كَذَّبَ..

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِأَنْبَاءِ رُسُلِي الَّتِي أَرْسَلْتُهَا إِلَيْهِ، وَجَحَدَ تَوْحِيدِي، وَكَفَرَ بِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلِي..

﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ وَاسْتَكْبَرَ..

﴿عَنۡهَآ﴾ عَنْ تَصْدِيقِ حُجَجِي وَأَدِلَّتِي، فَـ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ [الأعراف: ٣٦] مَاكِثُونَ، لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [الأعراف: ٣٧].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فَمَنْ أَخْطَأُ فِعْلًا، وَأَجْهَلُ قَوْلًا، وَأَبْعَدُ ذِهَابًا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ اخْتَلَقَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ زُورًا مِنَ الْقَوْلِ، فَقَالَ إِذَا فَعَلَ فَاحِشَةً: إِنَّ اللهَ أَمَرَنَا بِهَا..

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ أَوْ كَذَّبَ بِأَدِلَّتِهِ وَأَعْلَامِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، فَجَحَدَ حَقِيقَتَهَا وَدَافَعَ صِحَّتَهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ فَافْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ..

﴿يَنَالُهُمْ﴾ يَصِلُ إِلَيْهِمْ..

﴿نَصِيبُهُم﴾ حَظُّهُمْ..

﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِمَّا كَتَبَ اللهُ لَهُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَرِزْقٍ وَعَمَلٍ وَأَجَلٍ فِي الدُّنْيَا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ أَوْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، يَنَالُهُمْ حُظُوظُهُمُ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ وَسَبَقَ فِي عِلْمِهِ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَعَمَلٍ وَأَجَلٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ فِي الدُّنْيَا، إِلَىٰ أَنْ تَأْتِيَهُمْ رُسُلُنَا لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، فَجَاءَتْهُمْ..

﴿رُسُلُنَا﴾ يَعْنِي: مَلَكَ الْمَوْتِ وَجُنْدَهُ..

﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يَسْتَوْفُونَ عَدَدَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَىٰ الْآخِرَةِ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتِ الرُّسُلُ..

﴿أَيْنَ مَا﴾ أَيْنَ الَّذِينَ..

﴿كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ هُمْ أَوْلِيَاءَ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَتَعْبُدُونَهُمْ، لَا يَدْفَعُونَ عَنْكُمْ مَا قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ، الَّذِي هُوَ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُهُمْ، وَمَا قَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ، وَهَلَّا يُغِيثُونَكُمْ مِنْ كَرْبِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَيُنْقِذُونَكُمْ مِنْهُ، فَأَجَابَهُمُ الْأَشْقِيَاءُ، فَـ..

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ ضَلَّ عَنَّا أَوْلِيَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ، ويَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿ضَلُّواْ﴾ جَارُوا وَأَخَذُوا غَيْرَ طَرِيقِنَا، وَتَرَكُونَا عِنْدَ حَاجَتِنَا إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَنْفَعُونَا..

﴿وَشَهِدُواْ﴾ وَشَهِدَ الْقَوْمُ حِينَئِذٍ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [الأعراف: ٣٧] بِاللهِ جَاحِدِينَ وَحْدَانِيَّتَهُ.

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ حِينَ وَرَدُوا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿ٱدْخُلُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُفْتَرُونَ عَلَىٰ رَبِّكُمُ، الْمُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ..

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ فِي جَمَاعَاتٍ مِنَ الْأَحْزَابِ وَأَهْلِ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ، هِيَ فِي النَّارِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قِيلِهِ لِهَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ الْمُكَذِّبِينَ آيَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ قَدْ سَلَفَتْ..

﴿مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ﴾ النَّارَ..

﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ..

﴿لَّعَنَتْ﴾ شَتَمَتِ..

﴿أُخْتَهَا﴾ الْجَمَاعَةَ الْأُخْرَىٰ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهَا تَبَرِّيًا مِنْهَا، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْأُخْتِ: الْأُخْوَةَ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، وَقِيلَ ﴿أُخْتَهَا﴾ وَلَمْ يُقَلْ (أَخَاهَا)؛ لِأَنَّهُ عَنَىٰ بِهَا أُمَّةً وَجَمَاعَةً أُخْرَىٰ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُمَّةً أُخْرَىٰ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهَا وَدِينِهَا..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ حَتَّىٰ إِذَا اجْتَمَعَتْ الْأُمَمُ..

﴿فِيهَا﴾ فِي النَّارِ..

﴿جَمِيعًا﴾ اجْتَمَعَ فِيهَا الْأَوَّلُونَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ، وَالْآخِرُونَ مِنْهُمْ..

﴿قَالَتْ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ مُحَاوَرَةِ الْأَحْزَابِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَإِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ فِي النَّارِ فَادَّارَكُوا، قَالَتْ..

﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾ أُخْرَىٰ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ دَخَلَتِ النَّارَ -الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا- بَعْدَ أُولَىٰ مِنْهُمْ تَقَدَّمَتْهَا، وَكَانَتْ لَهَا سَلَفًا وَإِمَامًا فِي الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ..

﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ عَنْ سَبِيلِكَ، وَدَعَوْنَا إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيْرِكَ، وَزَيَّنُوا لَنَا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ..

﴿فَـَٔاتِهِمۡ﴾ الْيَوْمَ..

﴿عَذَابٗا﴾ مِنْ عَذَابِكَ..

﴿ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ الضِّعْفَ عَلَىٰ عَذَابِنَا..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِلَّذِينَ يَدْعُونَهُ فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾..

﴿لِكُلّٖ﴾ لِكُلِّكُمْ، أَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَتَابِعُوكُمْ وَمُتَّبِعُوكُمْ..

﴿ضِعۡفٞ﴾ مُكَرَّرٌ عَلَيْهِ الْعَذَابُ.. وَضِعْفُ الشَّيْءِ: مِثْلُهُ مَرَّةً..

﴿وَلَٰكِن﴾ وَلَكِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ النَّارِ..

﴿لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨] مَا قَدْرُ مَا أَعَدَّ اللهُ لَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَلِذَلِكَ تَسْأَلُ الضِّعْفَ مِنْهُ الْأُمَّةُ الْكَافِرَةُ الْأُخْرَىٰ لِأُخْتِهَا الْأُولَىٰ.

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف: ٣٩].

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ وَمِلَّةٍ سَبَقَتْ فِي الدُّنْيَا..

﴿لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ لِأُخْرَاهَا، الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، وَحَدَثُوا بَعْدَ زَمَانِهِمْ فِيهَا، فَسَلَكُوا سَبِيلَهُمْ وَاسْتَنُّوا سُنَّتَهُمْ..

﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا حَلَّ بِنَا مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ بِمَعْصِيَتِنَا إِيَّاهُ وَكُفْرِنَا بِهِ، وَجَاءَتْنَا وَجَاءَتْكُمْ بِذَلِكَ الرُّسُلُ وَالنُّذُرُ، هَلِ انْتَبَهْتُمْ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَارْتَدَعْتُمْ عَنْ غِوَايَتِكُمْ وَضَلَالَتِكُمْ؟ فَانْقَضَتْ حُجَّةُ الْقَوْمِ وَخَصِمُوا وَلَمْ يُطِيقُوا جَوَابًا بِأَنْ يَقُولُوا: فُضِّلْنَا عَلَيْكُمْ أَنَّا اعْتَبَرْنَا بِكُمْ فَآمَنَّا بِاللهِ وَصَدَّقْنَا رُسُلَهُ، قَالَ اللهُ لِجَمِيعِهِمْ..

﴿فَذُوقُواْ﴾ جَمِيعَكُمْ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ..

﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ عَذَابَ جَهَنَّمَ..

﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف: ٣٩] مِنَ الْآثَامِ وَالْمَعَاصِي، وَتَجْتَرِحُونَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْإِجْرَامِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِحُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا، فَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهَا وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَنَا..

﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾ وَتَكَبَّرُوا عَنِ التَّصْدِيقِ بِهَا، وَأَنِفُوا مِنَ اتِّبَاعِهَا، وَالِانْقِيَادِ لَهَا تَكَبُّرًا..

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ لَا تُفَتَّحُ لِأَرْوَاحِهِمْ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ..

﴿أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ وَلَا يَصْعَدُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ خَبِيثَةٌ، وَإِنَّمَا يُرْفَعُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].. فَعَنِ الْبَرَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْفَاجِرِ، وَأَنَّهُ يُصْعَدُ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُدْعَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُعْرَجَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَيُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَتَصِيرُ إِلَىٰ الْقَبْرِ..»..

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ﴾ وَلَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا..

﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَبَدًا..

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ كَمَا لَا يَلِجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، وَذَلِكَ ثَقْبُ الْإِبْرَةِ.. وَكُلُّ ثَقْبٍ فِي عَيْنٍ أَوْ أَنْفٍ أَوْ أُذُنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّيهِ سَمًّا، وَتَجْمَعُهُ سُمُومًا

وَسِمَامًا، وَالسِّمَامُ فِي جَمْعِ السَّمِّ الْقَاتِلِ أَشْهُرُ وَأَفْصَحُ مِنَ السُّمُومِ، وَ السُّمومُ فِي جَمْعِ السَّمِّ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ الثَّقْبِ أَفْصَحُ، وَكِلَاهُمَا فِي الْعَرَبِ مُسْتَفِيضٌ، وَقَدْ يُقَالُ لِوَاحِدِ السُّمُومِ الَّتِي هِيَ الثُّقُوبُ: سَمٌّ، وسُمٌّ، بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا.. وَأَمَّا الْخِيَاطُ: فَإِنَّهُ الْمِخْيَطُ وَهِيَ الْإِبْرَةُ، قِيلَ لَهَا: خِيَاطٌ وَمِخْيَطٌ، كَمَا قِيلَ: قِنَاعٌ وَمِقْنَعٌ، وَإِزَارٌ وَمِئْزَرٌ، وَقِرَامٌ وَمِقْرَمٌ، وَلِحَافٌ وَمِلْحَفٌ.. والْجَمَلُ: زَوْجُ النَّاقَةِ.. وَالْوُلُوجُ: الدُّخُولُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَلَجَ فُلَانٌ الدَّارَ يَلِجُ وُلُوجًا، بِمَعْنَىٰ: دَخَلَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْإِبْرَةِ وَهُوَ ثَقْبُهَا..

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٠] وَكَذَلِكَ نُثِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا فِي الدُّنْيَا مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ مِنَ اللهِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤١].

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا..

﴿مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ وَهُوَ مَا امْتَهَدُوهُ مِمَّا يُقْعَدُ عَلَيْهِ وَيُضْطَجَعُ، كَالْفِرَاشِ الَّذِي يُفْرَشُ، وَالْبِسَاطُ الَّذِي يُبْسَطُ..

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ﴾ وَهُوَ جَمْعُ غَاشِيَةٍ، وَذَلِكَ مَا غَشَّاهُمْ فَغَطَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ..

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤١] وَكَذَلِكَ نُثِيبُ وَنُكَافِئُ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَأَكْسَبَهَا مِنْ غَضَبِ اللهِ مَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ، بِكُفْرِهِ بِرَبِّهِ وَتَكْذِيبِهِ أَنْبِيَاءَهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ فَأَطَاعُوهُ وَتَجَنَّبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ إِلَّا مَا يَسَعُهَا، فَلَا تَحْرَجُ فِيهِ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ﴾ هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ..

﴿هُمْ﴾ أَهْلُهَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَعَمِلَ بِسَيِّئَاتِهِمْ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّةِ..

﴿خَٰلِدُونَ ۝٤٢﴾ [الأعراف: ٤٢] مَاكِثُونَ، دَائِمٌ فِيهَا مُكْثُهُمْ، لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا يُسْلَبُونَ نَعِيمَهُمْ.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿وَنَزَعْنَا﴾ وَأَذْهَبْنَا..

﴿مَا فِي صُدُورِهِم﴾ مِنْ صُدُورِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ..

﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ مِنْ حِقْدٍ وَغِلٍّ وَعَدَاوَةٍ كَانَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ بَعْضٍ، فَجَعَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَدْخَلَهُمُوهَا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَحْسُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ شَيْءٍ خَصَّ اللهُ بِهِ بَعْضَهُمْ وَفَضَّلَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ.. قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾) رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حِينَ أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ، وَرَأَوْا مَا أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَمَا صُرِفَ عَنْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ أَهْلُ النَّارِ، بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ..

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَنَا لِلْعَمَلِ الَّذِي أَكْسَبَنَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ، وَصَرَفَ عَذَابَهُ عَنَّا..

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ وَمَا كُنَّا لِنَرْشُدَ لِذَلِكَ..

﴿لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ لَوْلَا أَنْ أَرْشَدَنَا اللهُ لَهُ، وَوَفَّقَنَا بِمَنِّهِ وَطَوْلِهِ.. قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يَدْخُلُونَ -يعني: أهلَ الجنَّةِ- فَإِذَا شَجَرَةٌ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ سَاقِهَا عَيْنَانِ، فَيَغْتَسِلُونَ مِنْ إِحْدَاهُمَا، فَتَجْرِي عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ، فَلَا تَشْعَثُ أَشْعَارُهُمْ، وَلَا تُغْبَرُّ أَبْشَارُهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِنَ الْأُخْرَىٰ، فَيَخْرُجُ كُلُّ قَذًى وَقَذَرٍ، أَوْ شَيْءٍ فِي بُطُونِهِمْ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُمْ بَابُ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر: ٧٣]، فَتَسْتَقْبِلُهُمُ الْوِلْدَانُ، فَيَحُفُّونَ بِهِمْ كَمَا تَحُفُّ الْوِلْدَانُ بِالْحَمِيمِ إِذَا جَاءَ مِنْ غَيْبَتِهِ، ثُمَّ يَأْتُونَ فَيُبَشِّرُونَ أَزْوَاجَهُمْ، فَيُسَمُّونَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، فَيَقُلْنَ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَيَسْتَخِفُّهُنَّ الْفَرَحُ، فَيَجِئْنَ حَتَّىٰ يَقِفْنَ عَلَىٰ أُسْكُفَّةِ الْبَابِ،

فَيَجِيئُونَ فَيَدْخُلُونَ، فَإِذَا أُسُّ بُيُوتِهِمْ بِجَنْدَلِ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا صُرُوحٌ صُفْرٌ وَخُضْرٌ وَحُمْرٌ وَمِنْ كُلِّ لَوْنٍ، وَسُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ، فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ قَدَّرَهَا لَالْتَمَعَتْ أَبْصَارُهُمْ مِمَّا يَرَوْنَ فِيهَا، فَيُعَانِقُونَ الأَزْوَاجَ، وَيَقْعُدُونَ عَلَىٰ السُّرُرِ وَيَقُولُونَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾)..

﴿لَقَدْ جَآءَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ وَرُؤْيَتِهِمْ كَرَامَةَ اللهِ الَّتِي أَكْرَمَهُمْ بِهَا، وَهُوَ أَنَّ أَعْدَاءَ اللهِ فِي النَّارِ: وَاللهِ لَقَدْ جَاءَتْنَا فِي الدُّنْيَا، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي النَّارِ..

﴿رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ مِنَ الأَخْبَارِ، عَنْ وَعْدِ اللهِ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ وَوَعِيدِهِ أَهْلَ مَعَاصِيهِ وَالْكُفْرِ بِهِ..

﴿وَنُودُوٓاْ﴾ وَنَادَىٰ مُنَادٍ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ، وَأَخْبَرَ عَمَّا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ كَرَامَتِهِ..

﴿أَن﴾ يَا هَؤُلَاءِ..

﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ الَّتِي كَانَتْ رُسُلِي فِي الدُّنْيَا تُخْبِرُكُمْ عَنْهَا..

﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أَوْرَثَكُمُوهَا اللهُ عَنِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٣]، لِتَصْدِيقِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَطَاعَتِكُمْ رَبَّكُمْ.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٤].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ بَعْدَ دُخُولِهِمُوهَا: يَا أَهْلَ النَّارِ..

﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِهِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِهِ وَبِهِمْ وَعَلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿حَقًّا﴾ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ وَعَدَ أَهْلَ الْجَنَّةِ النَّعِيمَ، وَالْكَرَامَةَ وَكُلَّ خَيْرٍ عَلِمَهُ النَّاسُ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهُ..

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ، عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ وَعَلَىٰ مَعَاصِيهِ مِنَ الْعِقَابِ؟..

﴿حَقًّا﴾ وَعَدَ أَهْلَ النَّارِ كُلَّ خِزْيٍ وَعَذَابٍ، عَلِمَهُ النَّاسُ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهُ، مِنَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ وَالْعَذَابِ..

﴿قَالُواْ﴾ فَأَجَابَهُمْ أَهْلُ النَّارِ بِـ..

﴿نَعَمْ﴾ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَ رَبُّنَا حَقًّا..

﴿فَأَذَّنَ﴾ فَنَادَىٰ..

﴿مُؤَذِّنٌ﴾ مُنَادٍ، وَأَعْلَمَ مُعَلِّمٌ..

﴿بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ﴾ غَضَبُ..

﴿اللَّهِ﴾ وَسَخَطُهُ وَعُقُوبَتُهُ..

﴿عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤] عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِهِ.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف: ٤٥].

﴿الَّذِينَ﴾ كَفَرُوا بِاللهِ..

﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ حَاوَلُوا سَبِيلَ اللهِ، وَهُوَ دِينُهُ، أَنْ يُغَيِّرُوهُ وَيُبَدِّلُوهُ عَمَّا جَعَلَهُ اللهُ بِهُ مِن اسْتِقَامَتِهِ..

﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ﴾ وَهُمْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ وَالْبَعْثِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِيهَا..

﴿كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف: ٤٥] جَاحِدُونَ.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: ٤٦].

﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ..

﴿حِجَابٌ﴾ حَاجِزٌ، وَهُوَ السُّورُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فَقَالَ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣]، وَهُوَ الْأَعْرَافُ الَّتِي يَقُولُ اللهُ فِيهَا..

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وَاحِدُهَا عُرْفٌ، وَكُلُّ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ الْعَرَبِ فَهُوَ عُرْفٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِعُرْفِ الدِّيكِ: عُرْفٌ، لِارْتِفَاعِهِ عَلَىٰ مَا سِوَاهُ مِنْ جَسَدِهِ..

﴿رِجَالٌ﴾ يَعْرِفُونَ كُلًّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ بِسِيمَاهُمْ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَالرِّجَالُ اسْمٌ يَجْمَعُ ذُكُورَ بَنِي آدَمَ دُونَ إِنَاثِهِمْ، وَدُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ غَيْرِهِمْ..

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ يَعْرِفُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِسِيمَاهُمْ، وَذَلِكَ بَيَاضُ وُجُوهِهِمْ وَنَضْرَةُ النَّعِيمِ عَلَيْهَا، وَيَعْرِفُونَ أَهْلَ النَّارِ كَذَلِكَ بِسِيمَاهُمْ، وَذَلِكَ سَوَادُ وُجُوهِهِمْ وَزُرْقَةُ أَعْيُنِهِمْ.. وَالسِّيمَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْعَلَامَةُ الدَّالَّةُ عَلَى الشَّيْءِ..

﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ فَإِذَا رَأَوْا أَهْلَ الْجَنَّةِ نَادَوْهُمْ..

﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ حَلَّتْ عَلَيْكُمْ أَمَنَةُ اللهِ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦﴾ [الأعراف: ٤٦] قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ أَهْلِ الْأَعْرَافِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مَا قَالُوا قَبْلَ دُخُولِ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَالُوهُ وَهُمْ يَطْمَعُونَ فِي دُخُولِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ يَقُولُونَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَطْمَعُونَ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَلَمْ يَدْخُلُوهَا بَعْدُ.

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ..

﴿تِلْقَآءَ﴾ حِيَالَهُمْ، وَوِجَاهَهُمْ، فَنَظَرُوا إِلَى تَشْوِيهِ اللهِ بِـ..

﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ [الأعراف: ٤٧] الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَكْسَبُوهَا مِنْ سَخَطِكَ مَا أَوْرَثَهُمْ مِنْ عِقَابِكَ مَا هُمْ فِيهِ.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨﴾ [الأعراف: ٤٨].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ..

﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ سِيمَا أَهْلِ النَّارِ..

﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ مَا كُنْتُمْ تَجْمَعُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَدَدِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨﴾ [الأعراف: ٤٨] وَتَكَبُّرُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تَتَكَبَّرُونَ فِيهَا.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٤٩﴾ [الأعراف: ٤٩].

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ قَالَ اللهُ لِأَهْلِ التَّكَبُّرِ عَنِ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَالْإِذْعَانِ لِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، الْجَامِعِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَمْوَالَ مُكَاثَرَةً وَرِيَاءً: أَيُّهَا الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، أَهَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءُ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَرَحِمْتُهُمْ بِفَضْلِي وَرَحْمَتِي..

﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ يَا أَصْحَابَ الأَعْرَافِ..

﴿ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ بَعْدَهَا مِنْ عُقُوبَةٍ تُعَاقَبُونَ بِهَا عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الآثَامِ وَالإِجْرَامِ..

﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ [الأعراف: ٤٩] عَلَىٰ شَيْءٍ فَاتَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ.. وَقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: (**بَلْ هَذَا الْقَوْلُ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ النَّارِ بَعْدَمَا دَخَلُوا النَّارَ، تَعْيِيرًا مِنْهُمْ لَهُمْ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّتَهُ**).. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾، فَخَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ أَمْرِهِ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِدُخُولِهَا.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ اسْتِغَاثَةِ أَهْلِ النَّارِ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، عِنْدَ نُزُولِ عَظِيمِ الْبَلَاءِ بِهِمْ، مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْجُوعِ، عُقُوبَةً مِنَ اللهِ لَهُمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، مِنْ تَرْكِ طَاعَةِ اللهِ وَأَدَاءِ مَا كَانَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا، فِي أَمْوَالِهِمْ مِنْ حُقُوقِ الْمَسَاكِينِ مِنَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ بَعْدَمَا دَخَلُوهَا..

﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ بَعْدَمَا سَكَنُوهَا أَنْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ..

﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أَيْ: أَطْعِمُونَا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنَ الطَّعَامِ..

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ الْمَاءَ، وَمِمَّا رَزَقَهُم اللهُ مِنَ الطَّعَامِ..

﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**يُنَادِي الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ أَبَاهُ، فَيَقُولُ: قَدِ احْتَرَقْتُ، أَفِضْ عَلَيَّ مِنَ الْمَاءِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَجِيبُوهُمْ، فَيَقُولُونَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾**).

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [الأعراف: ٥١].

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِلْكَافِرِينَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَأَجَابَ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠] الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ سُخْرِيَةً وَلَعِبًا..

﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ وَخَدَعَهُمْ عَاجِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ وَالْخَفْضِ وَالدَّعَةِ، عَنِ الْأَخْذِ بِنَصِيبِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ حَتَّىٰ أَتَتْهُمُ الْمَنِيَّةُ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ فَفِي هَذَا الْيَوْمِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿نَنسَىٰهُمۡ﴾ نَتْرُكُهُمْ فِي الْعَذَابِ الْمُبِينِ جِيَاعًا عِطَاشًا بِغَيْرِ طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ..

﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ كَمَا تَرَكُوا الْعَمَلَ لِلِقَاءِ يَوْمِهِمْ هَذَا، وَرَفَضُوا الِاسْتِعْدَادَ لَهُ بِإِتْعَابِ أَبْدَانِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَمَا﴾ وَكَمَا..

﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِآيَاتِ اللهِ، وَهِيَ حُجَجُهُ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْكُتُبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿يَجۡحَدُونَ ۝٥١﴾ [الأعراف: ٥١] يُكَذِّبُونَ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الأعراف: ٥٢].

﴿وَلَقَدۡ﴾ أُقْسِمُ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ..

﴿جِئۡنَٰهُم﴾ جِئْنَا هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةَ..

﴿بِكِتَٰبٖ﴾ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ..

﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ هَذَا الْقُرْآنَ مُفَصَّلًا مُبَيَّنًا فِيهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ..

﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ مِنَّا بِحَقِّ مَا فُصِّلَ فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ، الَّذِي مُيِّزَ فِيهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِّ..

﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الأعراف: ٥٢] بَيَّنَّاهُ لِيَهْتَدِيَ، وَيُرْحَمَ بِهِ قَوْمٌ يُصَدِّقُونَ بِهِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَأَخْبَارِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، فَيُنْقِذُهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ مَرْدُودَةٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ٢]، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝٥٣﴾ [الأعراف: ٥٣].

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَجْحَدُونَ لِقَاءَهُ..

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ إِلَّا مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، مِنْ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ عَذَابِ اللهِ، وَصِلِيِّهِمْ جَحِيمَهُ، وَأَشْبَاهِ هَذَا، مِمَّا أَوْعَدَهُمُ اللهُ بِهِ..

﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ يَوْمَ يَجِيءُ..

﴿تَأْوِيلُهُۥ﴾ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ يَقُولُ الَّذِينَ ضَيَّعُوا وَتَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْعَمَلِ الْمُنَجِّيهِمْ، مِمَّا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿قَدْ﴾ أَقْسَمَ الْمَسَاكِينُ حِينَ عَايَنُوا الْبَلَاءَ، وَحَلَّ بِهِمُ الْعِقَابُ..

﴿جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أَنَّ رُسُلَ اللهِ الَّتِي أَتَتْهُمْ بِالنِّذَارَةِ، وَبَلَّغَتْهُمْ عَنِ اللهِ الرِّسَالَةَ، قَدْ كَانَتْ نَصَحَتْ لَهُمْ وَصَدَّقَتْهُمْ عَنِ اللهِ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ التَّصْدِيقُ، وَلَا يُنَجِّيهِمْ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ كَثْرَةُ الْقِيلِ وَالْقَالِ..

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ هَلْ لَنَا مِنْ أَصْدِقَاءَ وَأَوْلِيَاءَ الْيَوْمَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ حُلُولِ سَخَطِ اللهِ بِهِمْ وَوُرُودِهِمْ أَلِيمَ عَذَابِهِ وَمُعَايَنَتِهِمْ تَأْوِيلَ مَا كَانَتْ رُسُلُ اللهِ تَعِدُهُمْ..

﴿فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ عِنْدَ رَبِّنَا، فَتُنَجِّينَا شَفَاعَتُهُمْ عِنْدَهُ مِمَّا قَدْ حَلَّ بِنَا مِنْ سُوءِ فِعَالِنَا فِي الدُّنْيَا..

﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إِلَىٰ الدُّنْيَا مَرَّةً أُخْرَىٰ..

﴿فَنَعْمَلَ﴾ فِيهَا..

﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ بِمَا يُرْضِيهِ وَيُعْتِبُهُ مِنْ أَنْفُسِنَا؟.. هَذَا قَوْلُ الْمَسَاكِينِ هُنَالِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَهِدُوا فِي الدُّنْيَا أَنْفُسَهُمْ لَهَا شُفَعَاءَ تَشْفَعُ لَهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ، فَتَذَكَّرُوا ذَلِكَ فِي وَقْتٍ لَا خُلَّةَ فِيهِ لَهُمْ وَلَا شَفَاعَةَ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ﴾ غَبَنُوا..

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ حُظُوظَهَا بِبَيْعِهِمْ مَا لَا خَطَرَ لَهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ الدَّائِمِ، بِالْخَسِيسِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ..

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٥٣﴾ [الأعراف: ٥٣] وَأَسْلَمَهُمْ لِعَذَابِ اللهِ، وَحَادَ عَنْهُمْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، وَيَزْعُمُونَ كَذِبًا وَافْتِرَاءً أَنَّهُمْ أَرْبَابُهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾ إِنَّ سَيِّدَكُمْ وَمُصْلِحَ أُمُورِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، هُوَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يُورِدُ اللَّيْلَ عَلَىٰ النَّهَارِ فَيُلْبِسُهُ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ يُذْهِبَ نُضْرَتَهُ وَنُورَهُ..

﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يَطْلُبُ اللَّيْلُ النَّهَارَ..

﴿حَثِيثًا﴾ سَرِيعًا..

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، كُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ..

﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أَمَرَهُنَّ اللهُ فَأَطَعْنَ أَمْرَهُ..

﴿أَلَا لَهُ﴾ أَلَا للهِ..

﴿ٱلْخَلْقُ﴾ كُلُّهُ..

﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ الَّذِي لَا يُخَالَفُ، وَلَا يُرَدُّ أَمْرُهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَدُونَ مَا عَبَدَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَخْلُقُ وَلَا تَأْمُرُ..

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] تَبَارَكَ اللهُ مَعْبُودُنَا الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ، رَبُّ الْعَالَمِينَ.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

﴿ٱدْعُوا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿رَبَّكُمْ﴾ وَحْدَهُ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ دُونَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿تَضَرُّعًا﴾ تَذَلُّلًا وَاسْتِكَانَةً لِطَاعَتِهِ..

﴿وَخُفْيَةً﴾ بِخُشُوعِ قُلُوبِكُمْ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ مِنْكُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، لَا جِهَارًا مُرَاءَاةً، وَقُلُوبُكُمْ غَيْرُ مُوقِنَةٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، فِعْلَ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْخِدَاعِ للهِ وَلِرَسُولِهِ.. فَعَنْ

أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَأَشْرَفُوا عَلَىٰ وَادٍ يُكَبِّرُونَ وَيُهَلِّلُونَ وَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا مَعَكُمْ**»..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥] إِنَّ رَبَّكُمْ لَا يُحِبُّ مَنِ اعْتَدَىٰ فَتَجَاوَزَ حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ لِعِبَادِهِ فِي دُعَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ، وَرَفْعِهِ صَوْتَهُ فَوْقَ الْحَدِّ الَّذِي حَدَّ لَهُمْ فِي دُعَائِهِمْ إِيَّاهُ وَمَسْأَلَتِهِمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَعْصُوهُ فِيهَا، وَذَلِكَ هُوَ الْفَسَادُ فِيهَا..

﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بَعْدَ إِصْلَاحِ اللهِ إِيَّاهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، بِابْتِعَاثِهِ فِيهِمُ الرُّسُلَ دُعَاةً إِلَىٰ الْحَقِّ، وَإِيضَاحِهِ حُجَجَهُ لَهُمْ..

﴿وَٱدْعُوهُ﴾ وَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ وَالْعَمَلَ، وَلَا تُشْرِكُوا فِي عَمَلِكُمْ لَهُ شَيْئًا غَيْرَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ وَطَمَعًا فِي ثَوَابِهِ، وَإِنَّ مَنْ كَانَ دُعَاؤُهُ إِيَّاهُ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِالْآخِرَةِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَخَفْ عِقَابَ اللهِ، وَلَمْ يَرْجُ ثَوَابَهُ لَمْ يُبَالِ مَا رَكِبَ مِنْ أَمْرٍ يَسْخَطُهُ اللهُ وَلَا يَرْضَاهُ..

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦] إِنَّ ثَوَابَ اللهِ الَّذِي وَعَدَ الْمُحْسِنِينَ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَرِيبٌ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ هُوَ رَحْمَتُهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَصِيرُوا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ كَرَامَتِهِ، إِلَّا أَنْ تُفَارِقَ أَرْوَاحُهُمْ أَجْسَادَهُمْ، وَلِذَلِكَ مِنَ الْمَعْنَىٰ ذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿قَرِيبٌ﴾، وَهُوَ مِنْ خَبَرِ الرَّحْمَةِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا.. وَالنَّشْرُ بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الشِّينِ -فِي كَلَامِ الْعَرَبِ- مِنَ الرِّيَاحِ الطَّيِّبَةِ اللَّيِّنَةِ الْهُبُوبِ، الَّتِي تُنْشِئُ السَّحَابَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ رِيحٍ طَيِّبَةٍ عِنْدَهُمْ فَهِيَ نَشْرٌ، وَبِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ قَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ، خَلَا عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهُ: ﴿بُشْرًا﴾ عَلَىٰ اخْتِلَافٍ عَنْهُ فِيهِ، فَرَوَىٰ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ: ﴿بُشْرًا﴾ بِالْبَاءِ وَضَمِّهَا وَسُكُونِ الشِّينِ، وَبَعْضُهُمْ (بُشُرا) بِالْبَاءِ وَضَمِّهَا وَضَمِّ الشِّينِ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ فِي قِرَاءَتِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦]، تُبَشِّرُ بِالْمَطَرِ، وَأَنَّهُ جَمْعُ بَشِيرٍ بُشُرًا، كَمَا يُجْمَعُ النَّذِيرُ نُذُرًا.. وَأَمَّا قُرَّاءُ الْمَدِينَةِ وَعَامَّةُ الْمَكِّيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ، فَإِنَّهُمْ قَرَءُوا ذَلِكَ: (**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرا**) بِضَمِّ النُّونِ وَالشِّينِ، جَمْعُ نُشُورٍ، كَمَا يُجْمَعُ الصَّبُورُ صُبُرًا، وَالشَّكُورُ شُكُرًا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَقُولُ: مَعْنَاهَا إِذَا قُرِئَتْ كَذَلِكَ أَنَّهَا الرِّيحُ الَّتِي تَهُبُّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَتَجِيءُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِذَا قُرِئَتْ بِضَمِّ النُّونِ فَيَنْبَغِي أَنْ تُسَكَّنَ شِينُهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لُغَةٌ بِمَعْنَىٰ النَّشْرِ بِالْفَتْحِ، وَقَالَ: الْعَرَبُ تَضُمُّ النُّونَ مِنَ النَّشْرِ أَحْيَانًا، وَتَفْتَحُ أَحْيَانًا، بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ (نَشْرًا) وَ (نُشُرًا) بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الشِّينِ، وَبِضَمِّ النُّونِ وَالشِّينِ، قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ.. وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْبَاءِ فَلَا أُحِبُّ الْقِرَاءَةَ بِهَا، وَإِنْ كَانَ لَهَا مَعْنًىٰ صَحِيحٌ، وَوَجْهٌ مَفْهُومٌ فِي الْمَعْنَىٰ وَالْإِعْرَابِ كَمَا ذَكَرْنَا.

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ قُدَّامَ رَحْمَتِهِ وَأَمَامَهَا.. وَالْعَرَبُ كَذَلِكَ تَقُولُ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدَثَ قُدَّامَ شَيْءٍ وَأَمَامَهُ جَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ جَرَىٰ فِي أَخْبَارِهِمْ عَنْ بَنِي آدَمَ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِمْ، حَتَّىٰ قَالُوا ذَلِكَ فِي غَيْرِ ابْنِ آدَمَ وَمَا لَا يَدَ لَهُ.. وَالرَّحْمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَطَرُ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَنْ: وَاللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ لَيِّنًا هُبُوبُهَا، طَيِّبًا نَسِيمُهَا، أَمَامَ غَيْثِهِ الَّذِي يَسُوقُهُ بِهَا إِلَىٰ خَلْقِهِ، فَيُنْشِئُ بِهَا سَحَابًا ثِقَالًا..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْهَا، وَالْإِقْلَالُ بِهَا: حَمْلُهَا، كَمَا يُقَالُ: اسْتَقَلَّ الْبَعِيرُ بِحِمْلِهِ وَأَقَلَّهُ: إِذَا حَمَلَهُ فَقَامَ بِهِ..

﴿سُقْنَٰهُ﴾ سَاقَهُ اللهُ..

﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لِإِحْيَاءِ بَلَدٍ مَيِّتٍ، قَدْ تَعَفَّتْ مَزَارِعُهُ، وَدَرَسَتْ مَشَارِبُهُ، وَأَجْدَبَ أَهْلُهُ..

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ فَأَنْزَلَ بِهِ الْمَطَرَ..

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا نُحْيِي هَذَا الْبَلَدَ الْمَيِّتَ بِمَا نُنْزِلُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي نُنْزِلُهُ مِنَ السَّحَابِ،

فَنُخْرِجُ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَجُدُوبَتِهِ وَقُحُوطِ أَهْلِهِ، كَذَلِكَ..

﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً بَعْدَ فَنَائِهِمْ وَدُرُوسِ آثَارِهِمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ مِنْ عَبَدَةِ الأَصْنَامِ، الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، الْمُنْكِرِينَ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: ضَرَبْتُ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ هَذَا الْمَثَلَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ مِنْ إِحْيَاءِ الْبَلَدِ الْمَيِّتِ بِقَطْرِ الْمَطَرِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ السَّحَابُ، الَّذِي تَنْشُرُهُ الرِّيَاحُ الَّتِي وَصَفْتُ صِفَتَهَا لِتَعْتَبِرُوا، فَتَذْكُرُوا وَتَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ كَانَ فِعْلُ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ، فَيَسِيرٌ فِي قُدْرَتِهِ إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ بَعْدَ فَنَائِهَا، وَإِعَادَتُهَا خَلْقًا سَوِيًّا بَعْدَ دُرُوسِهَا.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨﴾ [الأعراف: ٥٨].

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبَةُ تُرْبَتُهُ، الْعَذْبَةُ مَشَارِبُهُ..

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ إِذَا أَنْزَلَ اللهُ الْغَيْثَ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الْحَيَا..

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ طَيِّبًا ثَمَرُهُ فِي حِينِهِ وَوَقْتِهِ..

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ فَرَدُؤَتْ تُرْبَتُهُ، وَمَلِحَتْ مَشَارِبُهُ..

﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نَبَاتُهُ..

﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ إِلَّا عُسْرًا فِي شِدَّةٍ..

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ كَذِلِكَ نُبَيِّنُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، وَنُدْلِي بِحُجَّةٍ بَعْدَ حُجَّةٍ، وَنَضْرِبُ مَثَلًا بَعْدَ مَثَلٍ..

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨﴾ [الأعراف: ٥٨] اللهَ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ، وَتَبْصِيرِهِ إِيَّاهُمْ سَبِيلَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، بِاتِّبَاعِهِمْ مَا أَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ، وَتَجَنُّبِهِمْ مَا أَمَرَهُمْ بِتَجَنُّبِهِ مِنْ سُبُلِ الضَّلَالَةِ.. وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ الَّذِي يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَالَّذِي خَبُثَ فَلَا يَخْرُجُ نَبَاتُهُ إِلَّا نَكِدًا، مَثَلٌ لِلْكَافِرِ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿لَقَدْ﴾ أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُ..

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ مُنْذِرَهُمْ بَأْسَهُ، وَمُخَوِّفَهُمْ سَخَطَهُ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ..

﴿فَقَالَ﴾ لِمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ، وَذِلُّوا لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِالِاسْتِكَانَةِ، وَدَعُوا عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مَعْبُودٌ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩] عَذَابَ يَوْمٍ يَعْظُمُ فِيهِ بَلَاؤُكُمْ بِمَجِيئِهِ إِيَّاكُمْ بِسَخَطِ رَبِّكُمْ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ [الأعراف: ٦٠].

﴿قَالَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ جَوَابِ مُشْرِكِي قَوْمِ نُوحٍ لِنُوحٍ، وَهُمُ..

﴿ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ وَالْمَلَأُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ الرِّجَالِ لَا امْرَأَةَ فِيهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ يَا نُوحُ..

﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ فِي أَمْرٍ زَائِلٍ عَنِ الْحَقِّ..

﴿مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ [الأعراف: ٦٠] مُبِينٌ زَوَالُهُ عَنْ قَصْدِ الْحَدِّ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾ [الأعراف: ٦١].

﴿قَالَ﴾ نُوحٌ لِقَوْمِهِ مُجِيبًا لَهُمْ..

﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ لَمْ آمُرْكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ للهِ وَإِفْرَادِهِ بِالطَّاعَةِ دُونَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ زَوَالًا مِنِّي عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَضَلَالًا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ، وَمَا بِي مَا تَظُنُّونَ مِنَ الضَّلَالِ..

﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ﴾ إِلَيْكُمْ..

﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾ [الأعراف: ٦١] بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ إِفْرَادِهِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢﴾ [الأعراف: ٦٢].

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِاللهِ وَكَذَّبُوهُ: وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، فَأَنَا أُبَلِّغُكُمْ..

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ فِي تَحْذِيرِي إِيَّاكُمْ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّايَ وَرَدِّكُمْ نَصِيحَتِي..

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢﴾ [الأعراف: ٦٢] مِنْ أَنَّ عِقَابَهُ لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٦٣﴾ [الأعراف: ٦٣].

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ﴾ وَهَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ إِذْ رَدُّوا عَلَيْهِ النَّصِيحَةَ فِي اللهِ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ بَعَثَهُ نَبِيًّا، وَقَالُوا لَهُ: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝٢٧﴾ [هود: ٢٧]: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يَقُولُ: أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ..

﴿ذِكْرٌ﴾ تَذْكِيرٌ..

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مِنَ اللهِ، وَعِظَةٌ يُذَكِّرُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ..

﴿عَلَىٰ﴾ مَعَ..

﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ بَأْسَ اللهِ، وَيُخَوِّفَكُمْ عِقَابَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ وَكَيْ تَتَّقُوا عِقَابَ اللهِ وَبَأْسَهُ، بِتَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِ الْإِيمَانِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٦٣﴾ [الأعراف: ٦٣] وَلِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ إِنِ اتَّقَيْتُمُ اللهَ، وَخِفْتُمُوهُ وَحَذِرْتُمْ بَأْسَهُ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ۝٦٤﴾ [الأعراف: ٦٤].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبَ نُوحًا قَوْمُهُ، إِذْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ للهِ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ يَأْمُرُهُمْ بِخَلْعِ الْأَنْدَادِ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ..

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ فَأَنْجَاهُ اللهُ فِي الْفُلْكِ..

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَكَانُوا بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ..

﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وَالْفُلْكُ: هُوَ السَّفِينَةُ..

﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ وَأَغْرَقَ اللهُ بِالطُّوفَانِ..

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِهِ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَهُ، وَلَمْ يَقْبَلُوا نَصِيحَتَهُ إِيَّاهُمْ فِي اللهِ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٦٤] عَنِ الْحَقِّ.

﴿* وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

[الأعراف: ٦٥].

﴿* وَإِلَى عَادٍ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ عَادٍ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ هُودًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمُ الشِّحْرُ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ، وَمَا وَالَىٰ بِلَادَ حَضْرَمَوْتِ إِلَىٰ عُمَانَ..

﴿أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ﴾ هُودٌ..

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فَأَفْرِدُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ..

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ..

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥] رَبَّكُمْ، فَتَحْذَرُونَهُ وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ بِعِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ، وَهُوَ خَالِقُكُمْ وَرَازِقُكُمْ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ؟.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦].

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَمَّا أَجَابَ هُودًا بِهِ قَوْمُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ: قَالَ..

﴿الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَأَنْكَرُوا رِسَالَةَ هُودٍ إِلَيْهِمْ..

﴿إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ يَا هُودُ..

﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ فِي ضَلَالَةٍ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، بِتَرْكِكَ دِينَنَا وَعِبَادَةَ آلِهَتِنَا..

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦] فِي قِيلِكَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف: ٦٧].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ أَيْ: ضَلَالَةٌ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ..

﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف: ٦٧] أَرْسَلَنِي، فَأَنَا أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَأُؤَدِّيهَا

إِلَيْكُمْ كَمَا أَمَرَنِي أَنْ أُؤَدِّيَهَا.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف: ٦٨].

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ﴾ فِي أَمْرِي إِيَّاكُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَدُعَائِكُمْ إِلَىٰ تَصْدِيقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿نَاصِحٌ﴾ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، فَإِنِّي..

﴿أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف: ٦٩] عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ وَعَلَىٰ مَا ائْتَمَنَنِي اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، لَا أَكْذِبُ فِيهِ وَلَا أَزِيدُ، وَلَا أُبَدِّلُ، بَلْ أُبَلِّغُ مَا أُمِرْتُ بِهِ كَمَا أُمِرْتُ.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩﴾ [الأعراف: ٦٩].

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ وَحْيَهُ بِتَذْكِيرِكُمْ وَعِظَتِكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ، عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ، لِيُنْذِرَكُمْ بَأْسَ اللهِ وَيُخَوِّفَكُمْ عِقَابَهُ..

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاذْكُرُوا مَا حَلَّ بِقَوْمِ نُوحٍ مِنَ الْعَذَابِ، إِذْ عَصَوْا رَسُولَهُمْ وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا جَعَلَكُمْ رَبُّكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ، لَمَّا أَهْلَكَهُمْ أَبْدَلَكُمْ مِنْهُمْ فِيهَا، فَاتَّقُوا اللهَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ نَظِيرُ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ فَيُهْلِكَكُمْ، وَيُبَدِّلَ مِنْكُمْ غَيْرَكُمْ -سُنَّتَهُ فِي قَوْمِ نُوحٍ قَبْلَكُمْ- عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ وَكُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ زَادَ فِي أَجْسَامِكُمْ طُولًا وَعِظَمًا عَلَىٰ أَجْسَامِ قَوْمِ نُوحٍ، وَفِي قِوَامِكُمْ عَلَىٰ قِوَامِهِمْ، نِعْمَةً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ..

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ فَاذْكُرُوا نِعَمَهُ وَفَضْلَهُ الَّذِي فَضَّلَكُمْ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي أَجْسَامِكُمْ وَقِوَامِكُمْ، وَاشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَتَرْكِ الْإِشْرَاكِ بِهِ وَهَجْرِ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩﴾ [الأعراف: ٦٩] كَيْ تُفْلِحُوا، فَتُدْرِكُوا الْخُلُودَ وَالْبَقَاءَ فِي النِّعَمِ فِي الْآخِرَةِ، وَتَنْجَحُوا فِي طَلِبَاتِكُمْ عِنْدَهُ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ [الأعراف: ٧٠].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتْ عَادٌ لِهُودٍ..

﴿أَجِئۡتَنَا﴾ تتوَعَّدُنَا بِالْعِقَابِ مِنَ اللهِ عَلَىٰ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ..

﴿لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ﴾ كَيْ نَعْبُدَ اللهَ..

﴿وَحۡدَهُۥ﴾ وَنَدِينُ لَهُ بِالطَّاعَةِ خَالِصًا..

﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ وَنَهْجُرَ عِبادَةَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَهَا وَنَتبَرَّأَ مِنْهَا؟ فَلَسْنَا فَاعِلِي ذَٰلِكَ، وَلَا مُتَّبِعِيكَ عَلَىٰ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ..

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِنَ الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ عَلَىٰ تَرْكِنَا إِخْلَاصَ التَّوْحِيدِ للهِ، وَعِبادَتِنَا مَا نَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ [الأعراف: ٧٠] إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ عَلَىٰ مَا تَقُولُ وَتَعِدُ.

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف: ٧١].

﴿قَالَ﴾ هُودٌ لِقَوْمِهِ..

﴿قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾ حَلَّ بِكُمْ عَذَابٌ وَغَضَبٌ مِنَ اللهِ..

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ أَتُخَاصِمُونَنِي أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا، أَصْنَامًا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ..

﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾ مَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا مِنْ حُجَّةٍ تَحْتَجُّونَ بِهَا، وَلَا مَعْذِرَةٍ تَعْتَذِرُونَ بِهَا؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ ضَرَّ وَنَفَعَ، وَأَثَابَ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَعَاقَبَ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، وَرَزَقَ وَمَنَعَ، فَأَمَّا الْجَمَادُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ، فَإِنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِ وَلَا ضَرَّ، وَلَا حُجَّةَ لِعَابِدٍ عَبَدَهُ مِنْ دُونِ اللهِ فِي عِبَادَتِهِ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَأْذَنْ بِذَلِكَ، فَيُعْذَرَ مَنْ عَبَدَهُ بِأَنَّهُ يَعْبُدُهُ اتِّبَاعًا مِنْهُ أَمْرَ اللهِ فِي عِبَادَتِهِ إِيَّاهُ، وَلَا هُوَ -إِذْ كَانَ اللهُ لَمْ يَأْذَنْ فِي عِبَادَتِهِ- مِمَّا يُرْجَىٰ نَفْعُهُ، أَوْ يُخَافُ ضَرُّهُ، فِي عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ، فَيُعْبَدَ رَجَاءَ نَفْعِهِ، أَوْ دَفْعَ ضَرِّهِ..

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٧١﴾ [الأعراف: ٧١] فَانْتَظِرُوا حُكْمَ اللهِ فِينَا وَفِيكُمْ، إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ حُكْمَهُ، وَفَصْلَ قَضَائِهِ فِينَا وَفِيكُمْ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٧٢﴾ [الأعراف: ٧٢].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ فَأَنْجَيْنَا هُودًا..

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَبِمَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَهَجْرِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ﴾ وَأَهْلَكْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا مِنْ قَوْمِ هُودٍ بِحُجَجِنَا جَمِيعًا عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ نُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا..

﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٧٢﴾ [الأعراف: ٧٢] وَلَمْ يَكُونُوا مُصَدِّقِينَ بِاللهِ وَلَا بِرَسُولِهِ هُودٍ.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿وَإِلَىٰ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ بَنِي..

﴿ثَمُودَ﴾ كَانَتْ مَسَاكِنُهُم الْحِجْرَ، بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ، إِلَىٰ وَادِي الْقُرَىٰ وَمَا حَوْلَهُ..

﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ﴾ صَالِحٌ لِثَمُودَ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَـ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ مَا لَكُمْ إِلَهٌ يَجُوزُ أَنْ تَعْبُدُوهُ غَيْرُهُ..

﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ عَلَىٰ صِدْقِ مَا أَقُولُ، وَحَقِيقَةِ مَا إِلَيْهِ أَدْعُو مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ للهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَتَصْدِيقِي عَلَىٰ أَنِّي لَهُ رَسُولٌ، وَبَيِّنَتِي عَلَىٰ مَا أَقُولُ وَحَقِيقَةُ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ..

﴿مِّن﴾ عِنْدِ..

﴿رَّبِّكُمْ ۖ﴾ وربِّي..

﴿هَٰذِهِۦ﴾ حُجَّتِي عَلَيْهِ..

﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللهُ مِنْ هَذِهِ الْهَضَبَةِ.. وَإِنَّمَا اسْتَشْهَدَ صَالِحٌ -فِيمَا بَلَغَنِي- عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ عِنْدَ قَوْمِهِ ثَمُودَ بِالنَّاقَةِ؛ لِأَنَّهُمْ سَأَلُوهُ إِيَّاهَا آيَةً وَدِلَالَةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ قَوْلِهِ..

﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ دَلِيلًا عَلَىٰ نُبُوَّتِي، وَصِدْقِ مَقَالَتِي، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْلِهَا أَحَدٌ إِلَّا اللهُ..

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ: «**لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَصْدُرُ مِنَ الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، أَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ**»، قِيلَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: «**أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ**».. وَلَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ: «**لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّىٰ أَجَازَ الْوَادِيَ**»..

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ وَلَا تَمَسُّوا نَاقَةَ اللهِ بِعَقْرٍ وَلَا نَحْرٍ..

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [الأعراف: ٧٣] مُوجِعٌ.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٧٤﴾ [الأعراف: ٧٤].

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ وَاعِظًا لَهُمْ: وَاذْكُرُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ..

﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ تَخْلُفُونَ عَادًا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ هَلَاكِهَا..

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَأَنْزَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا مَسَاكِنَ وَأَزْوَاجًا..

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْقُبُونَ الصَّخْرَ مَسَاكِنَ..

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ..

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٧٤﴾ [الأعراف: ٧٤] لَا تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأعراف: ٧٥].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ قَالَ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ عَنِ اتِّبَاعِ صَالِحٍ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِهِ..

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ لِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ مِنْ تُبَّاعِ صَالِحٍ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْهُمْ، دُونَ ذَوِي شَرَفِهِمْ وَأَهْلِ السُّؤْدَدِ مِنْهُمْ..

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أَتعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ؟..

﴿قَالُوٓا۟﴾ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِصَالِحٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْهُمْ..

﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ إِنَّا بِمَا أَرْسَلَ اللهُ بِهِ صَالِحًا مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ..

﴿مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأعراف: ٧٥] مُصَدِّقُونَ مُقِرُّونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ، وَعَنْ أَمْرِ اللهِ دَعَانَا صَالِحٌ إِلَيْهِ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٦].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ صَالِحٍ..

﴿إِنَّا﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ صَدَّقْتُمْ بِهِ مِنْ نُبُوَّةِ صَالِحٍ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٦] جَاحِدُونَ مُنْكِرُونَ، لَا نُصَدِّقُ بِهِ وَلَا نُقِرُّ.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف: ٧٧].

﴿فَعَقَرُوا۟﴾ فَعقَرَتْ ثَمُودُ..

﴿ٱلنَّاقَةَ﴾ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ آيَةً.. قَالَ قَتَادَةُ: **(قَالَ عَاقِرُ النَّاقَةِ لَهُمْ: لَا أَقْتُلُهَا حَتَّىٰ تَرْضَوْا أَجْمَعِينَ. فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ فِي خِدْرِهَا، فَيَقُولُونَ: أَتَرْضَيْنَ؟ فَتَقُولُ: نَعَمْ، وَالصَّبِيُّ، حَتَّىٰ رَضُوا أَجْمَعِينَ، فَعَقَرُوهَا)**

﴿وَعَتَوْا۟﴾ تَكَبَّرُوا وَتَجَبَّرُوا..

﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عَنِ اتِّبَاعِ اللهِ، وَاسْتَعْلَوْا عَنِ الْحَقِّ..

﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ قَالُوا: جِئْنَا يَا صَالِحُ بِمَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ اللهِ وَنِقْمَتِهِ، اسْتِعْجَالًا مِنْهُمْ لِلْعَذَابِ..

﴿إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧٧﴾ [الأعراف: ٧٧] إِنْ كُنْتَ للهِ رَسُولًا إِلَيْنَا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصُرُ رُسُلَهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، فَعُجِّلَ ذَلِكَ لَهُمْ كَمَا اسْتَعْجَلُوهُ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٧٨﴾ [الأعراف: ٧٨].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ فَأَخَذَتِ الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ مِنْ ثَمُودَ الرَّجْفَةُ، وَهِيَ الصَّيْحَةُ.. وَالرَّجْفَةُ: الْفَعْلَةُ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: رَجَفَ بِفُلَانٍ كَذَا يَرْجُفُ رَجْفًا، وَذَلِكَ إِذَا حَرَّكَهُ وَزَعْزَعَهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالرَّجْفَةِ هَهُنَا: الصَّيْحَةَ الَّتِي زَعْزَعَتْهُمْ وَحَرَّكَتْهُمْ لِلْهَلَاكِ؛ لِأَنَّ ثَمُودَ هَلَكَتْ بِالصَّيْحَةِ، فِيمَا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ..

﴿فَأَصْبَحُوا﴾ فَأَصْبَحَ الَّذِينَ أَهْلَكَ اللهُ مِنْ ثَمُودَ..

﴿فِي دَارِهِمْ﴾ فِي أَرْضِهِمُ الَّتِي هَلَكُوا فِيهَا وَبَلْدَتِهِمْ، وَلِذَلِكَ وَحَّدَ الدَّارَ وَلَمْ يَجْمَعْهَا فَيَقُولُ (فِي دُورِهِمْ)، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهَا الدُّورَ، وَلَكِنْ وَجَّهَ بِالْوَاحِدَةِ إِلَىٰ الْجَمْعِ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١-٢]..

﴿جَاثِمِينَ ۝٧٨﴾ [الأعراف: ٧٨] يَعْنِي: سُقُوطًا صَرْعَىٰ، لَا يَتَحَرَّكُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا أَرْوَاحَ فِيهِمْ، قَدْ هَلَكُوا.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْبَارِكِ عَلَىٰ الرُّكْبَةِ: جَاثِمٌ.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ۝٧٩﴾ [الأعراف: ٧٩].

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ فَأَدْبَرَ صَالِحٌ..

﴿عَنْهُمْ﴾ حِينَ اسْتَعْجَلُوهُ الْعَذَابَ وَعَقَرُوا نَاقَةَ اللهِ خَارِجًا عَنْ أَرْضِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ: إِنِّي مُهْلِكُهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ تُهْلَكْ أُمَّةٌ وَنَبِيُّهَا بَيْنَ أَظْهُرِهَا، فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ خُرُوجِ صَالِحٍ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ الَّذِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، حِينَ أَرَادَ اللهُ إِحْلَالَ عُقُوبَتِهِ بِهِمْ، فَقَالَ: فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ صَالِحٌ..

﴿وَقَالَ﴾ لِقَوْمِهِ ثَمُودَ..

﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَمَرَنِي بِأَدَائِهِ إِلَيْكُمْ رَبِّي مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾فِي أَدَائِي رِسَالَةَ اللهِ إِلَيْكُمْ، فِي تَحْذِيرِكُمْ بَأْسَهُ بِإِقَامَتِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، وَعِبَادَتِكُمُ الْأَوْثَانَ..

﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ [الأعراف: ٧٩] لَكُمْ فِي اللهِ، النَّاهِينَ لَكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِكُمُ، الصَّادِّينَ لَكُمْ عَنْ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠﴾

[الأعراف: ٨٠].

﴿وَلُوطًا﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا.. وَلَوْ قِيلَ: مَعْنَاهُ: وَاذْكُرْ لُوطًا يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ -إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ صِلَةُ الرِّسَالَةِ كَمَا كَانَ فِي ذِكْرِ عَادٍ وَثَمُودَ- كَانَ مَذْهَبًا..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ مِنْ سَدُومَ، وَإِلَيْهِمْ كَانَ أُرْسِلَ لُوطٌ..

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ وَكَانَتْ فَاحِشَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَأْتُونَهَا الَّتِي عَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَيْهَا: إِتْيَانَ الذُّكْرَانِ..

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الأعراف: ٨٠] مَا سَبَقَكُمْ بِفِعْلِ هَٰذِهِ الْفَاحِشَةِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ٨١﴾

[الأعراف: ٨١].

﴿إِنَّكُمْ﴾ يُخْبِرُ بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ لُوطٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ، تَوْبِيخًا مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ فِي أَدْبَارِهِمْ..

﴿شَهْوَةً﴾ مِنْكُمْ لِذَلِكَ..

﴿مِّن دُونِ﴾ الَّذِي أَبَاحَهُ اللهُ لَكُمْ وَأَحَلَّهُ مِنَ..

﴿ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ﴾ إِنَّكُمْ لَـ..

﴿أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٨١] تَأْتُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَتَعْصُونَهُ بِفِعْلِكُمْ هَذَا، وَذَلِكَ هُوَ الإِسْرَافُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٢].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِ لُوطٍ لِلُوطٍ إِذْ وَبَّخَهُمْ عَلَىٰ فِعْلِهِمُ الْقَبِيحِ، وَرُكُوبِهِمْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ الْخَبِيثِ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ إِلَّا أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿أَخْرِجُوهُم﴾ أَخْرِجُوا لُوطًا وَأَهْلَهُ..

﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ لُوطًا وَمَنْ تَبِعَهُ..

﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٢] يَتَنَزَّهُونَ عَمَّا نَفْعَلُهُ نَحْنُ مِنْ إِتْيَانِ الرِّجَالِ فِي الْأَدْبَارِ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٣].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ لَمَّا أَبَىٰ قَوْمُ لُوطٍ مَعَ تَوْبِيخِ لُوطٍ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا يَأْتُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَإِبْلَاغِهِ إِيَّاهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، إِلَّا التَّمَادِيَ فِي غَيِّهِمْ أَنْجَيْنَا لُوطًا..

﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فَإِنَّهَا..

﴿كَانَتْ﴾ لِلُوطٍ خَائِنَةً وَبِاللهِ كَافِرَةً..

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٣] مِنَ الْبَاقِينَ.. وَلَمْ يَقُلْ: (الْغَابِرَاتِ)؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهَا مِمَّنْ بَقِيَ مَعَ الرِّجَالِ، فَلَمَّا ضَمَّ ذِكْرَهَا إِلَىٰ ذِكْرِ الرِّجَالِ قِيلَ مِنَ الْغَابِرِينَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَانَتِ امْرَأَةُ لُوطٍ مِمَّنْ نَجَا مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي هَلَكَ بِهِ قَوْمُ لُوطٍ؟ قِيلَ: لَا، بَلْ كَانَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.. فَإِنْ قَالَ: فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝﴾ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ مَعْنَىٰ الْغَابِرِ الْبَاقِي، فَقَدْ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ قَدْ بَقِيَتْ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مِنَ الْبَاقِينَ فِي عَذَابِ اللهِ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٤].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ عَلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا لُوطًا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ..

﴿مَّطَرًاۖ﴾ مِنْ حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ أَهْلَكْنَاهُمْ بِهِ..

﴿فَٱنظُرۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: ٨٤] الَّذِينَ كَذَّبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، فَاجْتَرَمُوا مَعَاصِيَ اللهِ، وَرَكِبُوا الْفَوَاحِشَ، وَاسْتَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ، كَيْفَ كَانَتْ وَإِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ صَارَتْ، هَلْ كَانَتْ إِلَّا الْبَوَارُ وَالْهَلَاكُ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْ نَظِيرَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ، عَاقِبَةُ مَنْ كَذَّبَكَ وَاسْتَكْبَرَ مِنْ قَوْمِكَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَتَصْدِيقِكَ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥].

﴿وَإِلَىٰ﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ وَلَدِ..

﴿مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَتَرْكِ السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ شُعَيْبٌ..

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ..

﴿غَيۡرُهُۥۖ﴾ غَيْرُ الْإِلَهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَبِيَدِهِ نَفْعُكُمْ وَضَرُّكُمْ..

﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾ عَلَامَةٌ وَحُجَّةٌ، بِحَقِيقَةِ مَا أَقُولُ وَصِدْقِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ..

﴿مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ أَتِمُّوا لِلنَّاسِ حُقُوقَهُمْ بِالْكَيْلِ الَّذِي تَكِيلُونَ بِهِ..

﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ الَّذِي تَزِنُونَ بِهِ..

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ وَلَا تَظْلِمُوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ وَلَا تُنْقِصُوهُمْ إِيَّاهَا..

﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وَلَا تَعْمَلُوا فِي أَرْضِ اللهِ بِمَعَاصِيهِ، وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْكُمْ نَبِيَّهُ، مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَالْإِشْرَاكِ بِهِ، وَبَخْسِ النَّاسِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ..

﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾ بَعْدَ أَنْ قَدْ أَصْلَحَ اللهُ الْأَرْضَ بِابْتِعَاثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيكُمْ، يَنْهَاكُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكُمْ وَمَا يَكْرَهُهُ اللهُ لَكُمْ..

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ وَأَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

وَإِيفَاءِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ مِنَ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، وَتَرْكِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فِي عَاجِلِ دُنْيَاكُمْ وَآجِلِ آخِرَتِكُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨٥﴾ [الأعراف: ٨٥] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُؤَدِّي إِلَيْكُمْ عَنِ اللهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨٦﴾ [الأعراف: ٨٦].

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ﴾ وَلَا تَجْلِسُوا..

﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ بِكُلِّ طَرِيقٍ..

﴿تُوعِدُونَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَتْلِ.. وَكَانُوا -فِيمَا ذُكِرَ- يَقْعُدُونَ عَلَىٰ طَرِيقِ مَنْ قَصَدَ شُعَيْبًا وَأَرَادَهُ لِيُؤْمِنَ بِهِ، فَيَتَوَعَّدُونَهُ وَيُخَوِّفُونَهُ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ كَذَّابٌ..

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَتَرُدُّونَ عَنْ طَرِيقِ اللهِ، وَهُوَ الرَّدُّ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ مَنْ صَدَّقَ بِاللهِ وَوَحَّدَهُ..

﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ وَتَلْتَمِسُونَ لِمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ اللهِ وَآمَنَ بِهِ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ..

﴿عِوَجًاۚ﴾عَنِ الْقَصْدِ وَالْحَقِّ إِلَىٰ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ..

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ﴾ يُذَكِّرُهُمْ شُعَيْبٌ نِعْمَةَ اللهِ عِنْدَهُمْ، بِأَنْ كَثَّرَ جَمَاعَتَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَلِيلًا عَدَدُهُمْ، وَأَنْ رَفَعَهُمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْخَسَاسَةِ، يَقُولُ لَهُمْ: فَاشْكُرُوا اللهَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَاتَّقُوا عُقُوبَتَهُ بِالطَّاعَةِ، وَاحْذَرُوا نِقْمَتَهُ بِتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ..

﴿وَٱنظُرُواْ﴾ مَا نَزَلَ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ حِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ مِنَ الْمَثُلَاتِ وَالنِّقَمَاتِ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨٦﴾ [الأعراف: ٨٦] كَيْفَ وَجَدُوا عُقْبَىٰ عِصْيَانِهِمْ إِيَّاهُ، أَلَمْ يُهْلَكْ بَعْضُهُمْ غَرَقًا بِالطُّوفَانِ، وَبَعْضُهُمْ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ، وَبَعْضُهُمْ بِالصَّيْحَةِ؟.. وَالْإِفْسَادُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَاهُ: مَعْصِيَةُ اللهِ.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف: ٨٧].

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ﴾ وَإِنْ كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ وَفِرْقَةٌ..

﴿ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا..

﴿بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ وَتَرْكِ مَعَاصِيهِ وَظُلْمِ النَّاسِ وَبَخْسِهِمْ فِي الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ، فَاتَّبِعُونِي عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ وَجَمَاعَةٌ أُخْرَىٰ..

﴿لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ لَمْ يُصَدِّقُوا بِذَلِكَ، وَلَمْ يَتَّبِعُونِي عَلَيْهِ..

﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ فَاحْتَبِسُوا عَلَىٰ قَضَاءِ اللهِ الْفَاصِلِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف: ٨٧] وَاللهُ خَيْرُ مَنْ يَفْصِلُ، وَأَعْدَلُ مَنْ يَقْضِي؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي حُكْمِهِ مَيْلٌ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا مُحَابَاةٌ لِأَحَدٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨].

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الْجَمَاعَةُ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ شُعَيْبٍ..

﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾ لَمَّا حَذَّرَهُمْ شُعَيْبٌ بَأْسَ اللهِ عَلَىٰ خِلَافِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾ وَمَنْ تَبِعَكَ وَصَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ مَعَكَ..

﴿مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ لَتَرْجِعَنَّ أَنْتَ وَهُمْ فِي دِينِنَا وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ..

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبٌ مُجِيبًا لَهُمْ..

﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨] أَتُخْرِجُونَنَا مِنْ قَرْيَتِكُمْ، وَتَصُدُّونَنَا عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ لِذَلِكَ؟

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿قَدِ﴾ قَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ، إِذْ دَعَوْهُ إِلَىٰ الْعَوْدِ إِلَىٰ مِلَّتِهِمْ وَالدُّخُولِ فِيهَا، وَتَوَعَّدُوهُ بِطَرْدِهِ وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَرْيَتِهِمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ هُوَ وَهُمْ: قَدِ..

﴿ٱفْتَرَيْنَا﴾ اخْتَلَقْنَا..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وَتَخَرَّصْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ بَاطِلًا..

﴿إِنْ﴾ نَحْنُ..

﴿عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ فَرَجَعْنَا فِيهَا..

﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا﴾ وَأَنْقَذَنَا..

﴿ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ بِأَنْ بَصَّرَنَا خَطَأَهَا وَصَوَابَ الْهُدَىٰ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ..

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَرْجِعَ فِيهَا، فَنَدِينَ بِهَا وَنَتْرُكَ الْحَقَّ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبَقَ لَنَا فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّا نَعُودُ فِيهَا، فَيَمْضِي فِينَا حِينَئِذٍ قَضَاءُ اللهِ، فَيَنْفُذُ مَشِيئَتُهُ عَلَيْنَا..

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فَإِنَّ عِلْمَ رَبِّنَا وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَحَاطَ بِهِ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ وَلَا شَيْءٌ هُوَ كَائِنٌ، فَإِنْ يَكُنْ سَبَقَ لَنَا فِي عِلْمِهِ أَنَّا نَعُودُ فِي مِلَّتِكُمْ -وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ وَلَا شَيْءٌ هُوَ كَائِنٌ- فَلَابُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَإِنَّا غَيْرُ عَائِدِينَ فِي مِلَّتِكُمْ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ عَلَىٰ اللهِ نَعْتَمِدُ فِي أُمُورِنَا، وَإِلَيْهِ نَسْتَنِدُ فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنْ شِرْكِكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَإِنَّهُ الْكَافِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ فَزِعَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ رَبِّهِ بِالدُّعَاءِ عَلَىٰ قَوْمِهِ، إِذْ أَيِسَ مِنْ فَلَاحِهِمْ، وَانْقَطَعَ رَجَاؤُهُ مِنْ إِذْعَانِهِمْ للهِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ، وَخَافَ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ مُؤْمِنِي قَوْمِهِ مِنْ فَسَقَتِهِمُ الْعَطَبَ وَالْهَلَكَةَ بِتَعْجِيلِ النِّقْمَةِ، فَقَالَ..

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ احْكُمْ..

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ بِحُكْمِكَ الْحَقِّ، الَّذِي لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا حَيْفَ وَلَا ظُلْمَ، وَلَكِنَّهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ..

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩] الْحَاكِمِينَ، ذَكَرَ الْفَرَّاءُ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ يُسَمُّونَ الْقَاضِي:

الْفَاتِحَ وَالْفَتَّاحَ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠﴾ [الأعراف: ٩٠].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ وَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ مِنْ كَفَرَةِ رِجَالِ قَوْمِ شُعَيْبٍ، وَهُمُ الْمَلَأُ الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَتَمَادُوا فِي غَيِّهِمْ، لِآخَرِينَ مِنْهُمْ..

﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ لَئِنْ أَنْتُمُ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا عَلَىٰ مَا يَقُولُ، وَأَجَبْتُمُوهُ إِلَىٰ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَأَقْرَرْتُمْ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠﴾ [الأعراف: ٩٠] لَمَغْبُونُونَ فِي فِعْلِكُمْ، وَتَرْكِكُمْ مِلَّتَكُمُ -الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ- إِلَىٰ دِينِهِ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَهَالِكُونَ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِكُمْ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١﴾ [الأعراف: ٩١].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾ فَأَخَذَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ..

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزَّلْزَلَةُ الْمُحَرِّكَةُ لِعَذَابِ اللهِ..

﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١﴾ [الأعراف: ٩١] عَلَىٰ رُكَبِهِمْ مَوْتَىٰ هَلْكَىٰ، وَكَانَتْ صِفَةُ الْعَذَابِ الَّذِي أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢﴾ [الأعراف: ٩٢].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ فَأَهْلَكَ الَّذِينَ..

﴿كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَأَبَادَهُمْ، فَصَارَتْ قَرْيَتُهُمْ مِنْهُمْ خَاوِيَةً خَلَاءً..

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ﴾ كَأَنْ لَمْ يَنْزِلُوا قَطُّ، وَلَمْ يَعِيشُوا بِهَا حِينَ هَلَكُوا..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢﴾ [الأعراف: ٩٢] لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا شُعَيْبًا الْخَاسِرِينَ، بَلِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ الْهَالِكِينَ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا قَالُوا لِلَّذِينَ أَرَادُوا اتِّبَاعَهُ: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠﴾ [الأعراف: ٩٠]، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ بِمَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ عَاجِلِ نَكَالِهِ، ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: مَا خَسِرَ تُبَّاعُ شُعَيْبٍ، بَلْ كَانَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا لَمَّا جَاءَتْ عُقُوبَةُ اللهِ هُمُ الْخَاسِرِينَ دُونَ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَآمَنُوا بِهِ.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٩٣].

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ فَأَدْبَرَ شُعَيْبٌ عَنْهُمْ شَاخِصًا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ حِينَ أَتَاهُمْ عَذَابُ اللهِ..

﴿وَقَالَ﴾ لَمَّا أَيْقَنَ بِنُزُولِ نِقْمَةِ اللهِ بِقَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ حُزْنًا عَلَيْهِمْ..

﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، مِنْ تَحْذِيرِكُمْ غَضَبَهُ عَلَىٰ إِقَامَتِكُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ، وَظُلْمِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ..

﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ بِأَمْرِي إِيَّاكُمْ بِطَاعَةِ اللهِ، وَنَهْيِكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ..

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ فَكَيْفَ أَحْزَنُ..

﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٩٣] عَلَىٰ قَوْمٍ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَأَتَوَجَّعُ لِهَلَاكِهِمْ؟

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُعَرِّفَهُ سُنَّتَهُ فِي الْأُمَمِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ أُمَّتِهِ، وَمُذَكِّرَ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَنْزَجِرُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَالتَّكْذِيبِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ قَبْلَكَ..

﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ وَهُوَ الْبُؤْسُ وَشَظَفُ الْمَعِيشَةِ وَضِيقُهَا..

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وَهِيَ الضُّرُّ وَسُوءُ الْحَالِ فِي أَسْبَابِ دُنْيَاهُمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٤] فَعَلْنَا ذَلِكَ لِيَتَضَرَّعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَيَسْتَكِينُوا إِلَيْهِ، وَيُنِيبُوا بِالْإِقْلَاعِ عَنْ كُفْرِهِمْ، وَالتَّوْبَةِ مِنْ تَكْذِيبِ أَنْبِيَائِهِمْ.. وَقِيلَ: يَضَّرَّعُونَ، وَالْمَعْنَىٰ: يَتَضَرَّعُونَ، وَلَكِنْ أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الضَّادِ، لِتَقَارُبِ مَخْرَجِهِمَا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف: ٩٥].

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ..

﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾وَهِيَ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ، وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ سَيِّئَةً؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يَسُوءُ النَّاسَ،

وَلَا تَسُوءُهُمُ الْحَسَنَةُ..

﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾وَهِيَ الرَّخَاءُ وَالنِّعْمَةُ وَالسَّعَةُ فِي الْمَعِيشَةِ..

﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ حَتَّىٰ كَثُرُوا، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ.. وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ كَثُرَ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ: قَدْ عَفَا..

﴿وَّقَالُواْ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَبْدَلَهُمُ الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، اسْتِدْرَاجًا وَابْتِلَاءً، أَنَّهُمْ قَالُوا إِذْ فُعِلَ ذَلِكَ بِهِمْ..

﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ هَذِهِ أَحْوَالٌ قَدْ أَصَابَتْ مَنْ قَبْلَنَا مِنْ آبَائِنَا وَنَالَتْ أَسْلَافَنَا، وَنَحْنُ لَا نَعْدُو أَنْ نَكُونَ أَمْثَالَهُمْ، يُصِيبُنَا مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الشِّدَّةِ فِي الْمَعَايِشِ وَالرَّخَاءِ فِيهَا، وَهِيَ السَّرَّاءُ؛ لِأَنَّهَا تُسِرُّ أَهْلَهَا، وَجَهَلَ الْمَسَاكِينُ شُكْرَ نِعْمَةِ اللهِ، وَأَغْفَلُوا -مِنْ جَهْلِهِمْ- اسْتِدَامَةَ فَضْلِهِ بِالْإِنَابَةِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ الْإِقْلَاعِ عَمَّا يَكْرَهُهُ بِالتَّوْبَةِ، حَتَّىٰ أَتَاهُمْ أَمْرُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ..

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بِالْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ..

﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً، أَتَاهُمْ عَلَىٰ غِرَّةٍ مِنْهُمْ بِمَجِيئِهِ..

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩٥﴾ [الأعراف: ٩٥] وَهُمْ لَا يَدْرُونَ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَجِيئُهُمْ، بَلْ هُمْ بِأَنَّهُ آتِيهِمْ مُكَذِّبُونَ حَتَّىٰ يُعَايِنُوهُ وَيَرَوْهُ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم رُسُلَنَا، الَّذِينَ ذَكَرْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَأَهُم فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا..

﴿ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَه..

﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ وَاتَّقُوا اللهَ فَخَافُوا عَذَابَهُ بِتَجَنُّبِهِم مَا يَكْرَهُه مِن أَعْمَالِهِم، وَالإِنَابَةِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّه مِنْهُمْ مِنَ العَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿لَفَتَحْنَا﴾ لَأَرْسَلْنَا..

﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الأَمْطَارَ.. وَذَلِكَ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَأَنْبَتْنَا لَهُم مِن الأَرْضِ بِها النَّبَاتَ، وَرَفَعْنَا عَنْهُمُ القُحُوْطَ والجُدُوْبَ، وَذَلِكَ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ..

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ بِاللهِ ورَسولِهِ..

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦] فعجَّلنا لهم العقوباتِ بِكَسْبِهُمُ الخبيثَ، وَعَمَلِهِمُ الرَّدِيءِ، وَذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِاللهِ وَآيَاتِهِ.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧﴾ [الأعراف: ٩٧].

﴿أَفَأَمِنَ﴾ يا محمدُ..

﴿أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذِّبةُ باللهِ ورسولِه، أن يُسْلَكَ بهم مَسْلَكَ أَسلَّافِهم مِن الأممِ المكذِّبةِ اللهَ وَرُسُلَه، في تَعجيلِ العقوبةِ لهم كما عُجِّلَت لهم، وقد سلَكوا سبيلَهم في تكذيبِ اللهِ ورسولِه، وجحودِ آياتِه..

﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عقوبتُنا..

﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا..

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧﴾ [الأعراف: ٩٧].

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨﴾ [الأعراف: ٩٨].

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عقوبتُنا..

﴿ضُحًى﴾ نهارًا عند الضُحىٰ..

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨﴾ [الأعراف: ٩٨] سَاهُوْنَ غَافِلُوْنَ عَنْ مَجِيْئِهِ، لَا يَشْعُرُوْنَ بِهِ.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩].

﴿أَفَأَمِنُواْ﴾ أَفَأَمِنَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَجْحَدُونَ آيَاتِهِ..

﴿مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾ اسْتِدْرَاجَ اللهِ إِيَّاهُمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ مِنْ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَرَخَاءِ الْعَيْشِ، كَمَا اسْتَدْرَجَ الَّذِينَ قَصَّ عَلَيْهِمْ قَصَصَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ..

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّ مَكْرَ اللهِ لَا يَأْمَنُهُ، يَقُولُ: لَا يَأْمَنُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مَعَ مُقَامِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ..

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩] وَهُمُ الْهَالِكُونَ.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾ [الأعراف: ١٠٠].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أَوَلَمْ يُبَيِّنْ..

﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ لِلَّذِينَ يُسْتَخْلَفُونَ فِي الْأَرْضِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ بَعْدَ هَلَاكِ آخَرِينَ قَبْلَهُمْ كَانُوا أَهْلَهَا، فَسَارُوا سِيرَتَهُمْ وَعَمِلُوا أَعْمَالَهُمْ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ..

﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أَنْ لَوْ نَشَاءُ فَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا فَعَلْنَا بِمَنْ قَبْلَهُمْ، فَأَخَذْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَعَجَّلْنَا لَهُمْ بَأْسَنَا كَمَا عَجَّلْنَاهُ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ وَرِثُوا عَنْهُ الْأَرْضَ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ..

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَنَخْتِمُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ..

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠٠] مَوْعِظَةً وَلَا تَذْكِيرًا، سَمَاعَ مُنْتَفِعٍ بِهِمَا.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف: ١٠١].

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَمْرَهَا وَأَمْرَ أَهْلِهَا، يَعْنِي: قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَشُعَيْبٍ..

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ فَنُخْبِرُكَ عَنْهَا وَعَنْ أَخْبَارِ أَهْلِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَمْرِ رُسُلِ اللهِ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمْ، لِتَعْلَمَ أَنَّا نَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَعْدَائِنَا وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِنَا، وَيَعْلَمَ مُكَذِّبُوكَ مِنْ قَوْمِكَ مَا عَاقِبَةُ أَمْرِ مَنْ كَذَّبَ رُسُلَ اللهِ، فَيَرْتَدِعُوا عَنْ تَكْذِيبِكَ، وَيُنِيبُوا إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ أَهْلَ الْقُرَىٰ الَّتِي قَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهَا..

﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْحُجَجِ الْبَيِّنَاتِ..

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا عِنْدَ مَجِيءِ الرُّسُلِ بِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِهِ يَوْمَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ صُلْبِ آدَمَ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، فَلَنْ يُؤْمِنَ أَبَدًا، وَقَدْ كَانَ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ لِمَنْ هَلَكَ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي قَصَّ نَبَأَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَبَدًا، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ، أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا هُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ قَبْلَ مَجِيءِ الرُّسُلِ وَعِنْدَ مَجِيئِهِمْ إِلَيْهِمْ.. وَلَوْ قِيلَ تَأْوِيلُهُ: فَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَرِثُوا الْأَرْضَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا الَّذِينَ كَانُوا بِهَا مِنْ

عَادٍ وَثَمُودَ لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبَ بِهِ الَّذِينَ وَرِثُوهَا عَنْهُمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، كَانَ وَجْهًا وَمَذْهَبًا، غَيْرَ أَنِّي لَا أَعْلَمُ قَائِلًا قَالَهُ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَىٰ عِلْمِهِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ.. وَأَمَّا الَّذِي قَالَ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: لَوْ رُدُّوا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا، فَتَأْوِيلٌ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَلَا مِنْ خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ صَحِيحٍ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَوْلَىٰ مِنْهُ بِالصَّوَابِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ دَلِيلٌ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ الَّتِي قَصَصْنَا عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ يَا مُحَمَّدُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ حَتَّىٰ جَاءَهُمْ بَأْسُ اللهِ فَهَلَكُوا بِهِ، كَذَلِكَ..

﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠١﴾ [الأعراف: ١٠١] الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا مِنْ قَوْمِكَ.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ۝١٠٢﴾ [الأعراف: ١٠٢].

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ وَلَمْ نَجِدْ لِأَكْثَرِ أَهْلِ هَذِهِ الْقُرَىٰ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا وَاقْتَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَأَهَا..

﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ مِنْ وَفَاءٍ بِمَا وَصَّيْنَاهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَهَجْرِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ.. وَالْعَهْدُ: هُوَ الْوَصِيَّةُ..

﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ۝١٠٢﴾ [الأعراف: ١٠٢] وَمَا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ إِلَّا فَسَقَةً عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، تَارِكِينَ عَهْدَهُ وَوَصِيَّتَهُ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٠٣﴾ [الأعراف: ١٠٣].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ.. وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ اللَّتَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ هِيَ كِنَايَةُ ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّتِي ذُكِرَتْ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَىٰ هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿مُّوسَىٰ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بِحُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا..

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ إِلَىٰ جَمَاعَةِ فِرْعَوْنَ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ فَكَفَرُوا بِهَا.. وَالْهَاءُ وَالْأَلِفُ اللَّتَانِ فِي قَوْلِهِ ﴿بِهَا﴾ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ الْآيَاتِ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَظَلَمُوا بِآيَاتِنَا الَّتِي بَعَثْنَا بِهَا مُوسَىٰ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: فَظَلَمُوا بِهَا، بِمَعْنَىٰ:

كَفَرُوا بِهَا؛ لِأَنَّ الظُّلْمَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَالْكُفْرُ بِآيَاتِ اللهِ: وُضْعٌ لَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَصَرْفٌ لَهَا إِلَىٰ غَيْرِ وَجْهِهَا الَّذِي عَنِيَتْ بِهِ..

﴿فَانظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف: ١٠٣] الَّذِينَ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، يَعْنِي فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ؛ إِذْ ظَلَمُوا بِآيَاتِ اللهِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ أُغْرِقُوا جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأعراف: ١٠٤].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لِفِرْعَوْنَ..

﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ﴾ إِلَيْكَ..

﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأعراف: ١٠٤].

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف: ١٠٥].

﴿حَقِيقٌ﴾ حَرِيصٌ..

﴿عَلَىٰ أَن لَّا﴾ بِأَنْ لَا..

﴿أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ يَشْهَدُ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا أَقُولُ وَصِدْقِ مَا أَذْكُرُ لَكُمْ مِنْ إِرْسَالِ اللهِ إِيَّايَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا..

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف: ١٠٥] فَأَرْسِلْ يَا فِرْعَوْنُ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَـ.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأعراف: ١٠٦].

﴿قَالَ﴾ لَهُ فِرْعَوْنُ..

﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ بِحُجَّةٍ وَعَلَامَةٍ شَاهِدَةٍ عَلَىٰ صِدْقِ مَا تَقُولُ..

﴿فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأعراف: ١٠٦].

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف: ١٠٧].

﴿فَأَلْقَىٰ﴾ مُوسَىٰ..

﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ حَيَّةٌ..

﴿مُّبِينٌ ۝١٠٧﴾ [الأعراف: ١٠٧] تَتَبَيَّنُ لِمَنْ يَرَاهَا أَنَّهَا حَيَّةٌ.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٠٨﴾ [الأعراف: ١٠٨].

﴿وَنَزَعَ﴾ وَأَخْرَجَ..

﴿يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾ تَلُوحُ..

﴿لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٠٨﴾ [الأعراف: ١٠٨] لِمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ مُوسَىٰ -فِيمَا ذُكِرَ لَنَا- آدَمَ، فَجَعَلَ اللهُ تَحَوُّلَ يَدِهِ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ لَهُ آيَةً، وَعَلَىٰ صِدْقِ قَوْلِهِ ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٤﴾ [الأعراف: ١٠٤] حُجَّةً.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩﴾ [الأعراف: ١٠٩].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ قَالَتِ الْجَمَاعَةُ مِنْ رِجَالِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَالْأَشْرَافِ مِنْهُمْ..

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يَعْنُونَ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿لَسَٰحِرٌ﴾ يَعْنُونَ أَنَّهُ يَأْخُذُ بِأَعْيُنِ النَّاسِ بِخِدَاعِهِ إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ يُخَيَّلَ إِلَيْهِمُ الْعَصَا حَيَّةً، وَالْآدَمَ أَبْيَضَ، وَالشَّيْءَ بِخِلَافِ مَا هُوَ بِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝١٠٩﴾ [الأعراف: ١٠٩] بِالسِّحْرِ.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝١١٠﴾ [الأعراف: ١١٠].

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أَرْضِ مِصْرَ مَعْشَرَ الْقِبْطِ بِسِحْرِهِ، وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِلْمَلَإِ..

﴿فَمَاذَا﴾ فَأَيُّ شَيْءٍ..

﴿تَأْمُرُونَ ۝١١٠﴾ [الأعراف: ١١٠] أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْرِهِ، بِأَيِّ شَيْءٍ تُشِيرُونَ فِيهِ؟.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١﴾ [الأعراف: ١١١].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ..

﴿أَرْجِهْ﴾ أَخِّرْهُ، وَالْإِرْجَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأْخِيرُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] تُؤَخِّرُ.. فَالْهَمْزُ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ قَبَائِلِ قَيْسٍ يَقُولُونَ: أَرْجَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ، وَتَرْكُ الْهَمْزِ مِنْ لُغَةِ تَمِيمٍ وَأَسَدٍ، يَقُولُونَ: أَرْجَيْتُهُ..

﴿وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف: ١١١] مَنْ يَحْشُرُ السَّحَرَةَ فَيَجْمَعُهُمْ إِلَيْكَ.. وَقِيلَ: هُمُ الشُّرَطُ.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف: ١١٢].

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ مَشُورَةِ الْمَلَأِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، أَنْ يُرْسِلَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، يَحْشُرُونَ كُلَّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اكْتُفِيَ بِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ مِنْ إِظْهَارِهِ، وَهُوَ: فَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَحْشُرُونَ السَّحَرَةَ، فَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأعراف: ١١٣].

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ إِنَّ لَنَا لَثَوَابًا عَلَىٰ غَلَبَتِنَا مُوسَىٰ عِنْدَكَ..

﴿إِن كُنَّا﴾ يَا فِرْعَوْنُ..

﴿نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأعراف: ١١٣].

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف: ١١٤].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ للسَّحَرَةِ إِذْ قَالُوا لَهُ: إِنَّ لَنَا عِنْدَكَ ثَوَابًا إِنْ نَحْنُ غَلَبْنَا مُوسَىٰ؟ قَالَ..

﴿نَعَمْ﴾ لَكُمْ ذَلِكَ..

﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف: ١١٤] وَإِنَّكُمْ لَمِمَّنْ أُقَرِّبُهُ وَأُدْنِيهِ مِنِّي.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف: ١١٥].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ قَالَتِ السَّحَرَةُ لِمُوسَىٰ: يَا مُوسَىٰ..

﴿إِمَّآ﴾ اخْتَرْ..

﴿أَن تُلْقِيَ﴾ عَصَاكَ..

﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف: ١١٥] أَوْ نُلْقِيَ نَحْنُ عِصِيَّنَا.

﴿قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾
[الأعراف: ١١٦].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلسَّحَرَةِ..

﴿أَلْقُوا۟﴾ مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ، فَأَلْقَتِ السَّحَرَةُ مَا مَعَهُمْ..

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ ذَلِكَ..

﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ خَيَّلُوا إِلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ بِمَا أَحْدَثُوا مِنَ التَّخْيِيلِ وَالْخِدَعِ أَنَّهَا تَسْعَىٰ..

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ وَاسْتَرْهَبُوا النَّاسَ بِمَا سَحَرُوا فِي أَعْيُنِهِمْ، حَتَّىٰ خَافُوا مِنَ الْعِصِيِّ وَالْحِبَالِ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا حَيَّاتٌ..

﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ﴾ بِتَخْيِيلٍ..

﴿عَظِيمٍ ۝﴾ [الأعراف: ١١٦] كَثِيرٍ، مِنَ التَّخْيِيلِ وَالْخِدَاعِ.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١١٧].

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فَأَلْقَاهَا..

﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ تَلْقَمُ وَتَبْتَلِعُ..

﴿مَا يَأْفِكُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١١٧] مَا يَسْحَرُونَ كَذِبًا وَبَاطِلًا.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١١٨].

﴿فَوَقَعَ﴾ فَظَهَرَ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ وَتَبَيَّنَ لِمَنْ شَهِدَهُ وَحَضَرَهُ فِي أَمْرِ مُوسَىٰ، وَأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ يَدْعُو إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١١٨] مِنْ إِفْكِ السِّحْرِ وَكَذِبِهِ وَمَخَايِلِهِ.

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١١٩].

﴿فَغُلِبُوا۟﴾ فَغَلَبَ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ وَجُمُوعَهُ..

﴿هُنَالِكَ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١١٩] وَانْصَرَفُوا عَنْ مَوْطِنِهِمْ ذَلِكَ بِصُغْرٍ مَقْهُورِينَ.

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٢٠].

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ عِنْدَمَا عَايَنُوا مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ..

﴿سَٰجِدِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٢٠] سَاقِطِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ سُجَّدًا لِرَبِّهِمْ.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢١﴾ [الأعراف: ١٢١].

﴿قَالُوٓاْ﴾ يَقُولُونَ..

﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢١﴾ صَدَّقْنَا بِمَا جَاءَنَا بِهِ مُوسَىٰ، وَأَنَّ الَّذِي عَلَيْنَا عِبَادَتُهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَجَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَيُدَبِّرُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢٢].

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢١] لَا فِرْعَوْنُ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ١٢٣﴾ [الأعراف: ١٢٣].

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لِلسَّحَرَةِ إِذْ آمَنُوا بِاللهِ، يَعْنِي صَدَّقُوا رَسُولَهُ مُوسَىٰ ﷺ لَمَّا عَايَنُوا مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ..

﴿ءَامَنتُم﴾ أَصَدَّقْتُمْ..

﴿بِهِۦ﴾ بِمُوسَىٰ وَأَقْرَرْتُمْ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ بِالْإِيمَانِ بِهِ..

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ تَصْدِيقُكُمْ إِيَّاهُ، وَإِقْرَارُكُمْ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ لَخِدْعَةٌ خَدَعْتُمْ بِهَا مَنْ فِي مَدِينَتِنَا..

﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ١٢٣﴾ [الأعراف: ١٢٣] مَا أَفْعَلُ بِكُمْ، وَتَلْقَوْنَ مِنْ عِقَابِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ صَنِيعِهِمْ هَذَا.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ١٢٤﴾ [الأعراف: ١٢٤].

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ فِرْعَوْنَ لِلسَّحَرَةِ إِذْ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُوسَىٰ: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾، وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ مِنْ أَحَدِهِمْ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ وَرِجْلَهُ الْيُسْرَىٰ، أَوْ يَقْطَعَ يَدَهُ الْيُسْرَىٰ وَرِجْلَهُ الْيُمْنَىٰ، فَيُخَالِفَ بَيْنَ الْعُضْوَيْنِ فِي الْقَطْعِ، فَمُخَالَفَتُهُ فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمَا هُوَ الْقَطْعُ مِنْ خِلَافٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَذَا الْقَطْعَ فِرْعَوْنُ..

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ١٢٤﴾ [الأعراف: ١٢٤] وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا فِرْعَوْنُ، لَمَّا رَأَىٰ مِنْ خُذْلَانِ اللهِ إِيَّاهُ

وَغَلَبَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَهْرِهِ لَهُ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥﴾ [الأعراف: ١٢٥].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ السَّحَرَةُ مُجِيبَةً لِفِرْعَوْنَ، إِذْ تَوَعَّدَهُمْ بِقَطْعِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ مِنْ خِلَافٍ، وَالصَّلْبِ..

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥﴾ [الأعراف: ١٢٥] يَعْنِي بِالِانْقِلَابِ إِلَىٰ اللهِ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ وَالْمَصِيرَ.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ وَمَا تُنْكِرُ مِنَّا يَا فِرْعَوْنُ وَمَا تَجِدُ عَلَيْنَا..

﴿إِلَّآ أَنْ﴾ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ..

﴿ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا..

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ بِحُجَجِ رَبِّنَا وَأَعْلَامِهِ..

﴿لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ أَدِلَّتُهُ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْلِهَا أَنْتَ، وَلَا أَحَدٌ سِوَىٰ اللهِ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَزِعُوا إِلَىٰ اللهِ، بِمَسْأَلَتِهِ الصَّبْرَ عَلَىٰ عَذَابِ فِرْعَوْنَ، وَقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا..

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أَنْزِلْ عَلَيْنَا حَبْسًا يَحْبِسُنَا عَنِ الْكُفْرِ بِكَ عِنْدَ تَعْذِيبِ فِرْعَوْنَ إِيَّانَا..

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف: ١٢٦] وَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، دِينِ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، لَا عَلَىٰ الشِّرْكِ بِكَ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ وَقَالَتْ جَمَاعَةُ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ..

﴿أَتَذَرُ﴾ أَتَدَعُ..

﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿لِيُفْسِدُواْ﴾ كَيْ يُفْسِدُوا خَدَمَكَ وَعَبِيدَكَ عَلَيْكَ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فِي أَرْضِكَ مِنْ مِصْرَ..

﴿وَيَذَرَكَ﴾ وَيَدَعُ مُوسَىٰ خِدْمَتَكَ وَعِبَادَتَكَ..

﴿وَءَالِهَتَكَۚ﴾ وَعِبَادَةَ آلِهَتِكَ..

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ..

﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ الذُّكُورَ مِنْ أَوْلَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ﴾ وَنَسْتَبْقِي..

﴿نِسَآءَهُمۡ﴾ إِنَاثَهُمْ..

﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧] وَإِنَّا عَالُونَ عَلَيْهِمْ بِالْقَهْرِ، يَعْنِي بِقَهْرِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَالٍ بِقَهْرٍ وَغَلَبَةٍ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: هُوَ فَوْقَهُ.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨].

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ لِلْمَلَأِ مِنْ قَوْمِهِ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ..

﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ فِيمَا يَنُوبُكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ..

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ عَلَىٰ مَا نَالَكُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ..

﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ إِنَّ الْأَرْضَ للهِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُوَرِّثَكُمْ -إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَىٰ مَا نَالَكُمْ مِنْ مَكْرُوهٍ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَاحْتَسَبْتُمْ ذَلِكَ، وَاسْتَقَمْتُمْ عَلَىٰ السَّدَادِ- أَرْضَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، بِأَنْ يُهْلِكَهُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِيهَا، فَإِنَّ اللهَ يُوَرِّثُ أَرْضَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ وَالْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ..

﴿لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨] لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ وَرَاقَبَهُ، فَخَافَهُ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ.

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف: ١٢٩].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ حِينَ قَالَ لَهُمُ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا..

﴿أُوذِينَا﴾ بِقَتْلِ أَبْنَائِنَا..

﴿مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ بِرِسَالَةِ اللهِ إِلَيْنَا؛ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَقْتُلُ أَوْلَادَهُمُ الذُّكُورَ حِينَ أَظَلَّهُ زَمَانُ مُوسَىٰ..

﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا بِرِسَالَةِ اللهِ؛ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا غُلِبَتْ سَحَرَتُهُ وَقَالَ لِلْمَلَإِ مِنْ قَوْمِهِ مَا قَالَ، أَرَادَ تَجْدِيدَ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ أَبْنَائِهِمْ وَاسْتِحْيَاءِ نِسَائِهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّ قَوْمَ مُوسَىٰ قَالُوا لِمُوسَىٰ ذَلِكَ حِينَ خَافُوا أَنْ يُدْرِكَهُمْ فِرْعَوْنُ وَهُمْ مِنْهُ هَارِبُونَ، وَقَدْ تَرَاءَىٰ الْجَمْعَانِ، فَقَالُوا لَهُ يَا مُوسَىٰ ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾، كَانُوا يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَنَا وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَنَا، ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾، الْيَوْمَ يُدْرِكُنَا فِرْعَوْنُ فَيَقْتُلُنَا..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ..

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ﴾ لَعَلَّ رَبَّكُمْ..

﴿أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ﴾ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ..

﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ﴾ يَجْعَلُكُمْ تَخْلُفُونَهُمْ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فِي أَرْضِهِمْ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، لَا تَخَافُونَهُمْ وَلَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ غَيْرَهُمْ..

﴿فَيَنظُرَ﴾ فَيَرَىٰ رَبُّكُمْ..

﴿كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف: ١٢٩] بَعْدَهُمْ مِنْ مُسَارِعَتِكُمْ فِي طَاعَتِهِ وَتَثَاقُلِكُمْ عَنْهَا.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾

[الأعراف: ١٣٠].

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ﴾ وَلَقَدِ اخْتَبَرْنَا..

﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَأَتْبَاعَهُ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ بِالْجُدُوبِ، وَالْقُحُوطِ، سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، يُقَالُ مِنْهُ: أَسْنَتَ الْقَوْمُ: إِذَا أَجْدَبُوا..

﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وَاخْتَبَرْنَاهُمْ مَعَ الْجُدُوبِ بِذَهَابِ ثِمَارِهِمْ وَغَلَّاتِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلَ..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ [الأعراف: ١٣٠] عِظَةً لَهُمْ وَتَذْكِيرًا لَهُمْ؛ لِيَنْزَجِرُوا عَنْ ضَلَالَتِهِمْ وَيَفْزَعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِالتَّوْبَةِ.

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف: ١٣١].

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ﴾ فَإِذَا جَاءَتْ آلَ فِرْعَوْنَ..

﴿ٱلْحَسَنَةُ﴾ الْعَافِيَةُ وَالْخِصْبُ وَالرَّخَاءُ وَكَثْرَةُ الثِّمَارِ، وَرَأَوْا مَا يُحِبُّونَ فِي دُنْيَاهُمْ..

﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِهَا..

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جُدُوبٌ وَقُحُوطٌ وَبَلَاءٌ..

﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ يَتَشَاءَمُوا وَيَقُولُوا: ذَهَبَتْ حُظُوظُنَا وَأَنْصِبَاؤُنَا مِنَ الرَّخَاءِ وَالْخِصْبِ وَالْعَافِيَةِ، مُذْ جَاءَنَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَلَا مَا طَائِرُ آلِ فِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِمْ -وَذَلِكَ أَنْصِبَاؤُهُمْ مِنَ الرَّخَاءِ وَالْخِصْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْصِبَاءِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ- إِلَّا عِنْدَ اللهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف: ١٣١] أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلِجَهْلِهِمْ بِذَلِكَ كَانُوا يَطَّيَّرُونَ بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾ [الأعراف: ١٣٢].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ آلُ فِرْعَوْنَ لِمُوسَىٰ: يَا مُوسَىٰ..

﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ وَعَلَامَةٍ وَدِلَالَةٍ..

﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾ لِتَلْفِتَنَا..

﴿بِهَا﴾ عَمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ دِينِ فِرْعَوْنَ..

﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾ [الأعراف: ١٣٢] فَمَا نَحْنُ لَكَ فِي ذَلِكَ بِمُصَدِّقِينَ عَلَىٰ أَنَّكَ مُحِقٌّ فِيمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ عَلَىٰ مَعْنَىٰ السِّحْرِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٣].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْمَاءُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْمَوْتُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ كَانَ أَمْرًا مِنَ اللهِ طَافَ بِهِمْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَىٰ مَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو ظَبْيَانَ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ طَافَ بِهِمْ، وَأَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: طَافَ بِهِمْ أَمْرُ اللهِ يَطُوفُ طَوَفَانًا، كَمَا يُقَالُ: نَقَصَ هَذَا الشَّيْءُ يَنْقُصُ نُقْصَانًا.. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، جَازَ أَنْ يَكُونَ الَّذِي طَافَ بِهِمُ الْمَطَرَ الشَّدِيدَ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْتَ الذَّرِيعَ..

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ الكَلَأِ..

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ وَأَمَّا الْقُمَّلُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ السُّوسُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْحِنْطَةِ.. وَقَالَ

آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الدَّبَىٰ، وَهُوَ صِغَارُ الْجَرَادِ الَّذِي لَا أَجْنِحَةَ لَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْقُمَّلُ: الْبَرَاغِيثُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ دَوَابُّ سُودٌ صِغَارٌ..

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ تَسْقُطُ فِي أَطْعِمَتِهِمُ -الَّتِي فِي بُيُوتِهِمْ- وَفِي أَشْرِبَتِهِمْ..

﴿وَٱلدَّمَ﴾ فَكَانَ مَا اسْتَقَوْا مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْآبَارِ، أَوْ مَا كَانَ فِي أَوْعِيَتِهِمْ وَجَدُوهُ دَمًا..

﴿ءَايَـٰتٍ﴾ عَلَامَاتٍ، وَدَلَالَاتٍ عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّةِ مُوسَىٰ، وَحَقِّيَّةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ..

﴿مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾ قَدْ فُصِلَ بَيْنَهَا، فَجَعَلَ بَعْضَهَا يَتْلُو بَعْضَهَا، وَبَعْضَهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ..

﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ فَاسْتَكْبَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ مُوسَىٰ ﷺ وَاتِّبَاعِهِ عَلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَتَعَظَّمُوا عَلَىٰ اللهِ وَعَتَوْا عَلَيْهِ..

﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٣] كَانُوا قَوْمًا يَعْمَلُونَ بِمَا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْفِسْقِ عُتُوًّا وَتَمَرُّدًا.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾ [الأعراف: ١٣٤].

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ وَلَمَّا نَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ، وَحَلَّ بِهِمْ سَخَطُهُ، فَزِعُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ بِمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ كَشْفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرِّجْزُ كَانَ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ كَانَ عَذَابًا عَلَيْهِمْ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرِّجْزُ كَانَ طَاعُونًا.. وَلَمْ يُخْبِرْنَا اللهُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ؟ وَلَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ خَبَرٌ فَنُسَلِّمَ لَهُ، فَالصَّوَابُ أَنْ نَقُولَ فِيهِ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ وَلَا نَتَعَدَّاهُ إِلَّا بِالْبَيَانِ الَّذِي لَا تَمَانُعَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ لَمَّا حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ وَسَخَطُهُ..

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بِمَا أَوْصَاكَ وَأَمَرَكَ بِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْعَهْدِ فِيمَا مَضَىٰ..

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ لَئِنْ رَفَعْتَ عَنَّا الْعَذَابَ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ..

﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ لَنُصَدِّقَنَّ بِمَا جِئْتَ بِهِ وَدَعَوْتَ إِلَيْهِ وَلَنُقِرَّنَّ بِهِ لَكَ..

﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾ [الأعراف: ١٣٤] وَلَنُخَلِّيَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَا نَمْنَعُهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا حَيْثُ شَاءُوا.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾ [الأعراف: ١٣٥].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ فَدَعَا مُوسَىٰ رَبَّهُ، فَأَجَابَهُ، فَلَمَّا رَفَعَ اللهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِهِمْ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ لِيَسْتَوْفُوا عَذَابَ أَيَّامِهِمُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ أَجَلًا إِلَىٰ وَقْتِ هَلَاكِهِمْ..

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾ [الأعراف: ١٣٥] إِذَا هُمْ يَنْقُضُونَ عُهُودَهُمُ الَّتِي عَاهَدُوا رَبَّهُمْ وَمُوسَىٰ، وَيُقِيمُونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٦].

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فَلَمَّا نَكَثُوا عُهُودَهُمْ، انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، يَقُولُ: انْتَصَرْنَا مِنْهُمْ بِإِحْلَالِ نِقْمَتِنَا بِهِمْ وَذَلِكَ عَذَابُهُ..

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ، بِتَكْذِيبِهِمْ بِحُجَجِنَا وَأَعْلَامِنَا الَّتِي أَرَيْنَاهُمُوهَا..

﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٦] وَكَانُوا عَنِ النِّقْمَةِ الَّتِي أَحْلَلْنَاهَا بِهِمْ غَافِلِينَ قَبْلَ حُلُولِهَا بِهِمْ أَنَّهَا بِهِمْ حَالَّةٌ.. وَالْهَاءُ وَالْأَلِفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَنْهَا﴾ كِنَايَةٌ مِنْ ذِكْرِ النِّقْمَةِ.. فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: هِيَ كِنَايَةٌ مِنْ ذِكْرِ الْآيَاتِ، وَوَجْهُ تَأْوِيلِ الْكَلَامِ إِلَىٰ: وَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ، فَجَعَلَ إِعْرَاضَهُمْ عَنْهَا غُفُولًا مِنْهُمْ إِذْ لَمْ يَقْبَلُوهَا، كَانَ مَذْهَبًا.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ يَسْتَضْعِفُونَهُمْ، فَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ، وَيَسْتَخْدِمُونَهُمْ تَسْخِيرًا وَاسْتِعْبَادًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ لِأَنَّهُ أَوْرَثَ ذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بِمَهْلِكِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْعَمَالِقَةِ..

﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ﴾ الشَّامَ، وَذَلِكَ مَا يَلِي الشَّرْقَ مِنْهَا..

﴿وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ الَّتِي جَعَلْنَا فِيهَا الْخَيْرَ ثَابِتًا دَائِمًا لِأَهْلِهَا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَزْعُمُ أَنَّ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا نَصْبٌ عَلَىٰ الْمَحِلِّ، يَعْنِي: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾، وَذَلِكَ قَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ؛ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَضْعِفُهُمْ أَيَّامَ فِرْعَوْنَ غَيْرُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا بِمِصْرَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: الَّذِينَ يُسْتَضْعَفُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا..

﴿وَتَمَّتْ﴾ فِي وَعْدِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِتَمَامِهِ، عَلَىٰ مَا وَعَدَهُمْ..

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وَكَلِمَتُهُ الْحُسْنَىٰ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٥- ٦]..

﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ مِنْ تَمْكِينِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَنَصْرِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فِرْعَوْنَ..

﴿وَدَمَّرْنَا﴾ وَأَهْلَكْنَا..

﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ يَصْنَعُونَهُ مِنَ الْعِمَارَاتِ وَالْمَزَارِعِ..

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧] وَمَا كَانُوا يَبْنُونَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ وَالْقُصُورِ، وَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَخَرَّبْنَا جَمِيعَ ذَلِكَ.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨].

﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ وَقَطَعْنَا..

﴿بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ بَعْدَ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَيْنَاهُمُوهَا وَالْعِبَرِ الَّتِي عَايَنُوهَا عَلَىٰ يَدَيْ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ، فَلَمْ تَزْجُرْهُمْ تِلْكَ الْآيَاتُ، وَلَمْ تَعِظْهُمْ تِلْكَ الْعِبَرُ وَالْبَيِّنَاتُ، حَتَّىٰ قَالُوا مَعَ مُعَايَنَتِهِمْ مِنَ حُجَجِ اللهِ مَا يَحِقُّ أَنْ تَذَّكَّرَ مَعَهَا الْبَهَائِمُ..

﴿فَأَتَوْا۟﴾ إِذْ مَرُّوا..

﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يَقُيمُونَ عَلَىٰ مُثُلٍ لَهُمْ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ مِثَالًا نَعْبُدُهُ وَصَنَمًا نَتَّخِذُهُ إِلَهًا..

﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ كَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَصْنَامٌ يَعْبُدُونَهَا، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨] عَظَمَةَ اللهِ وَوَاجِبَ حَقِّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٣٩﴾ [الأعراف: ١٣٩].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعُكُوفَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَصْنَامِ..

﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ اللهُ مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ وَمُفْسِدُهُ، وَمُخْسِرُهُمْ فِيهِ بِإِثَابَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ الْعَذَابَ الْمُهِينَ..

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٣٩﴾ [الأعراف: ١٣٩] مِنْ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا فَمُضْمَحِلٌّ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ نَافِعٍ عِنْدَ مَجِيءِ أَمْرِ اللهِ وَحُلُولِهِ بِسَاحَتِهِمْ، وَلَا مُدَافِعٌ عَنْهُمْ بَأْسَ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ، وَلَا مُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ إِذَا عَذَّبَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ، فَهُوَ فِي مَعْنَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ [الأعراف: ١٤٠].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ..

﴿أَغَيْرَ﴾ أَسِوَىٰ..

﴿ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أَلْتَمِسُكُمْ..

﴿إِلَٰهًا﴾ وَأَجْعَلُ لَكُمْ مَعْبُودًا تَعْبُدُونَهُ..

﴿وَهُوَ﴾ اللهُ الَّذِي هُوَ خَالِقُكُمْ..

﴿فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ [الأعراف: ١٤٠] فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ عَالَمِي دَهْرِكُمْ وَزَمَانِكُمْ؟ يَقُولُ: أَفَأَبْغِيكُمْ مَعْبُودًا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ تَعْبُدُونَهُ وَتَتْرُكُونَ عِبَادَةَ مَنْ فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ الْخَلْقِ؟ إِنَّ هَذَا مِنْكُمْ لَجَهْلٌ.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤١﴾ [الأعراف: ١٤١].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: وَاذْكُرُوا مَعَ قِيلِكُمْ هَذَا الَّذِي قُلْتُمُوهُ لِمُوسَىٰ بَعْدَ رُؤْيَتِكُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، وَبَعْدَ النِّعَمِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنِّي إِلَيْكُمْ، وَالْأَيَادِي الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِعْلَكُمْ مَا فَعَلْتُمْ، إِذْ..

﴿أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقَتِهِ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ مِنْ قَوْمِهِ..

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ إِذْ يَحْمِلُونَكُمْ أَقْبَحَ الْعَذَابِ وَسَيِّئَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مَا كَانَ الْعَذَابُ الَّذِي كَانَ يَسُومُهُمْ سَيِّئَهُ..

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الذُّكُورَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ..

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يَسْتَبْقُونَ إِنَاثَهُمْ..

﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ وَفِي سَوْمِهِمْ إِيَّاكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ..

﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤١﴾ [الأعراف: ١٤١] اخْتِبَارٌ مِنَ اللهِ لَكُمْ وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ.

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢﴾

[الأعراف: ١٤٢].

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ لِمُنَاجَاتِنَا..

﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا﴾ وَأَتْمَمْنَا الثَّلَاثِينَ اللَّيْلَةِ..

﴿بِعَشْرٍ﴾ لَيَالٍ تَتِمَّةَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً..

﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ فَكَمَّلَ الْوَقْتَ الَّذِي وَاعَدَ اللهُ مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَبَلَغَهَا..

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لَمَّا مَضَىٰ لِمَوْعِدِ رَبِّهِ..

﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ كُنْ خَلِيفَتِي فِيهِمْ إِلَىٰ أَنْ أَرْجِعَ..

﴿وَأَصْلِحْ﴾ وَأَصْلِحْهُمْ بِحَمْلِكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف: ١٤٢] وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَمَعُونَتِهِمْ أَهْلَ الْمَعَاصِي عَلَىٰ عِصْيَانِهِمْ رَبَّهُمْ، وَلَكِنِ اسْلُكْ سَبِيلَ الْمُطِيعِينَ رَبَّهُمْ، فَكَانَتْ مُوَاعَدَةُ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَنَجَّىٰ مِنْهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ وَلَمَّا جاءَ مُوسَىٰ لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدنَا أَنْ يَلْقَانَا فِيهِ..

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وَنَاجَاهُ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِـ..

﴿رَبِّ﴾ ـهِ..

﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ﴾ اللهُ لَهُ مُجِيبًا..

﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ فَإِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْكَ وَأَشَدُّ خَلْقًا..

﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ﴾ فَلَمَّا اطَّلَعَ..

﴿رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ﴾ جَعَلَ اللهُ الْجَبَلَ..

﴿دَكّٗا﴾ مُسْتَوِيًا بِالأَرْضِ.. قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾، وَوَضَعَ الإِبْهَامَ عَلَىٰ الْمِفْصَلِ الأَعْلَىٰ مِنَ الْخِنْصَرِ، وقَالَ: «**فَسَاخَ الْجَبَلُ**»..

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ﴾ نَظَرَ موسىٰ إِلَىٰ الْجَبَلِ لا يَتَمَالَكُ، وَأَقْبَلَ الْجَبَلُ يَنْدَكُّ عَلَىٰ أَوَّلِهِ، وخَرَّ مُوسَىٰ لَمَّا رَأَىٰ مَا يَصْنَعُ الْجَبَلُ..

﴿صَعِقٗاۚ﴾ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ..

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ فَلَمَّا ثَابَ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ فَهْمُهُ مِنْ غَشْيَتِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الإِفَاقَةُ مِنَ الصَّعْقَةِ الَّتِي خَرَّ لَهَا مُوسَىٰ ﷺ..

﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ وَتَبْرِئَةً أَنْ يَرَاكَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يَعِيشَ..

﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ مِنْ مَسْأَلَتِي إِيَّاكَ مَا سَأَلْتُكَ مِنَ الرُّؤْيَةِ..

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] بِكَ مِنْ قَوْمِي أَنْ لَا يَرَاكَ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ قَبْلَهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُؤْمِنُونَ وَأَنْبِيَاءُ، مِنْهُمْ وَلَدُ إِسْرَائِيلَ لِصُلْبِهِ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ وَأَنْبِيَاءَ، فَلِذَلِكَ اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي قُلْنَاهُ.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخْتَرْتُكَ..

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي﴾ إِلَىٰ خَلْقِي، أَرْسَلْتُكَ بِهَا إِلَيْهِمْ..

﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ كَلَّمْتُكَ وَنَاجَيْتُكَ دُونَ غَيْرِكَ مِنْ خَلْقِي..

﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ فَخُذْ مَا أَعْطَيْتُكَ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي وَتَمَسَّكْ بِهِ، وَاعْمَلْ بِهِ، يُرِيدُ..

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤] للهِ عَلَىٰ مَا آتَاكَ مِنْ رِسَالَتِهِ، وَحَصَلَ بِهِ مِنَ النَّجْوَىٰ بِطَاعَتِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ.

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٥].

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ﴾ لِمُوسَىٰ..

﴿فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ فِي أَلْوَاحِهِ، وَأُدْخِلَتِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ فِي ﴿ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ بَدَلًا مِنَ الْإِضَافَةِ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: ٤١] يَعْنِي: هِيَ مَأْوَاهُ..

﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مِنَ التَّذْكِيرِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَىٰ عَظَمَةِ اللهِ وَعِزِّ سُلْطَانِهِ..

﴿مَّوۡعِظَةٗ﴾ لِقَوْمِهِ وَمَنْ أُمِرَ بِالْعَمَلِ بِمَا كُتِبَ فِي الْأَلْوَاحِ..

﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾ وَتَبْيِينًا..

﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ..

﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ وَقُلْنَا لِمُوسَىٰ إِذْ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ: خُذِ الْأَلْوَاحَ بِقُوَّةٍ.. وَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنِ الْأَلْوَاحِ، وَالْمُرَادُ مَا فِيهَا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْقُوَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهَا بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: فَخُذْهَا بِالطَّاعَةِ للهِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ ذَلِكَ بِشَوَاهِدِهِ وَاخْتِلَافِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣]، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ﴾ وَقُلْنَا لِمُوسَىٰ: مُرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَأۡخُذُواْ﴾ يَعْمَلُوا..

﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ مَا يَجِدُونَ فِيهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَكَانَ مِنْ خِصَالِهِمْ تَرْكُ بَعْضِ مَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ؟ قِيلَ: لَا وَلَكِنْ كَانَ فِيهَا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِعَمَلِهِ وَيَتْرُكُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَالْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ بِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْعَمَلِ بِالْمَنْهِيِّ عَنْهُ..

﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٥] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُوسَىٰ إِذْ كَتَبَ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: خُذْهَا بِجِدٍّ فِي الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا وَاجْتِهَادٍ، وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِ مَا فِيهَا، وَانْهَهُمْ عَنْ تَضْيِيعِهَا وَتَضْيِيعِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا وَالشِّرْكِ بِي، فَإِنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِي مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنِّي سَأُرِيهِ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ مَصِيرِهِ إِلَيَّ دَارَ الْفَاسِقِينَ، وَهِيَ نَارُ اللهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَعْدَائِهِ.. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِمَنْ يُخَاطِبُهُ: سَأُرِيكَ غَدًا إِلَامَ يَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، عَلَىٰ وَجْهِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ لِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَأُدْخِلُكُمْ أَرْضَ الشَّامِ، فَأُرِيكُمْ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُهَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَالْعَمَالِقَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَأُرِيكُمْ دَارَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَهِيَ مِصْرُ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ لِمُوسَىٰ وَقَوْمِهِ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، فَأَوْلَى الْأُمُورِ بِحِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَخْتِمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ عَلَىٰ مَنْ ضَيَّعَهُ وَفَرَّطَ فِي الْعَمَلِ للهِ وَحَادَ عَنْ سَبِيلِهِ، دُونَ الْخَبَرِ عَمَّا قَدِ انْقَطَعَ الْخَبَرُ عَنْهُ أَوْ عَمَّا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ.

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ [الأعراف: ١٤٦].

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: سَأَنْزِعُ عَنْهُمْ فَهْمَ الْكِتَابِ، وهو قول ابن عيينة، وَتَأْوِيلُ ابْنِ عُيَيْنَةَ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَعِيدًا لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ مِمَّنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّنَا ﷺ دُونَ قَوْمِ مُوسَىٰ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ دُونَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.. وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ: مَعْنَاهُ: سَأَصْرِفُهُمْ عَنِ الِاعْتِبَارِ بِالْحُجَجِ، وهو يُروىٰ عن ابن جريج.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَصْرِفُ عَنْ آيَاتِهِ، وَهِيَ أَدِلَّتُهُ وَأَعْلَامُهُ عَلَىٰ حَقِّيَّةِ مَا أَمَرَ بِهِ عِبَادَهُ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ فِي تَوْحِيدِهِ وَعَدْلِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ مِنْ خَلْقِهِ فَمِنْ آيَاتِهِ، وَالْقُرْآنُ أَيْضًا مِنْ آيَاتِهِ، وَقَدْ عَمَّ بِالْخَبَرِ أَنَّهُ يَصْرِفُ عَنْ آيَاتِهِ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَهُمُ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ

كَلِمَةُ اللهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَهُمْ عَنْ فَهْمِ جَمِيعِ آيَاتِهِ وَالِاعْتِبَارِ وَالِادِّكَارِ بِهَا مَصْرُوفُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ وُفِّقُوا لِفَهْمِ بَعْضِ ذَلِكَ فَهُدُوا لِلِاعْتِبَارِ بِهِ اتَّعَظُوا وَأَنَابُوا إِلَىٰ الْحَقِّ، وَذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ فَلَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وَتَكَبُّرُهُمْ فِيهَا بِغَيْرِ الْحَقِّ: تَجَبُّرُهُمْ فِيهَا، وَاسْتِكْبَارُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْإِذْعَانِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَهُمْ للهِ عُبَيْدٌ يَغْذُوهُمْ بِنِعْمَتِهِ وَيُرِيحُ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا..

﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..

﴿كُلَّ ءَايَةٍ﴾ كُلَّ حُجَّةٍ للهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَكُلَّ دَلَالَةٍ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ خَالِصَةً دُونَ غَيْرِهِ..

﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لَا يُصَدِّقُوا بِتِلْكَ الْآيَةِ أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَىٰ مَا هِيَ فِيهِ حُجَّةٌ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هِيَ سِحْرٌ وَكَذِبٌ..

﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ وَإِنَّ يَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ طَرِيقَ الْهُدَىٰ وَالسَّدَادِ الَّذِي إِنْ سَلَكُوهُ نَجَوْا مِنَ الْهَلَكَةِ وَالْعَطَبِ وَصَارُوا إِلَىٰ نَعِيمِ الْأَبَدِ..

﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ لَا يَسْلُكُوهُ وَلَا يَتَّخِذُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ طَرِيقًا؛ جَهْلًا مِنْهُمْ وَحِيرَةً..

﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ﴾ وَإِنْ يَرَوْا طَرِيقَ الْهَلَاكِ الَّذِي إِنْ سَلَكُوهُ ضَلُّوا وَهَلَكُوا..

﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يَسْلُكُوهُ وَيَجْعَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ طَرِيقًا لِصَرْفِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَطَبْعِهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ لَا يُفْلِحُونَ وَلَا يَنْجَحُونَ..

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صَرَفْنَاهُمْ عَنْ آيَاتِنَا أَنْ يَعْقِلُوهَا وَيَفْهَمُوهَا، فَيَعْتَبِرُوا بِهَا وَيَذَّكَّرُوا فَيُنِيبُوا؛ عُقُوبَةً مِنَّا لَهُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِنَا..

﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا﴾ وَكَانُوا عَنْ آيَاتِنَا وَأَدِلَّتِنَا الشَّاهِدَةِ عَلَىٰ حَقِّيَّةِ مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ وَنَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ..

﴿غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦] لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، لَاهِينَ عَنْهَا لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ حِينَئِذٍ قَوْلُ رَبِّنَا، فَعَطِبُوا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأعراف: ١٤٧].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَكُلُّ مُكَذِّبٍ حُجَجَ اللهِ وَرُسُلَهُ وَآيَاتِهِ..

﴿وَلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ﴾ وَجَاحِدٌ أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَبْعُوثٌ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَمُنْكِرٌ لِقَاءَ اللهِ فِي آخِرَتِهِ..

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ذَهَبَتْ أَعْمَالُهُمْ فَبَطُلَتْ، وَحَصُلَتْ لَهُمْ أَوْزَارُهَا فَثَبَتَتْ؛ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا لِغَيْرِ اللهِ، وَأَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي اللهَ، فَصَارَتْ أَعْمَالُهُمْ عَلَيْهِمْ وَبَالًا..

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٤٧﴾ [الأعراف: ١٤٧] هَلْ يَنَالُونَ إِلَّا ثَوَابَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَصَارَ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمُ الْخُلُودَ فِي نَارٍ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا؛ إِذْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ دُونَ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِهِ.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ [الأعراف: ١٤٨].

﴿وَٱتَّخَذَ﴾ بَنُو إِسْرَائِيلَ..

﴿قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا فَارَقَهُمْ مُوسَىٰ مَاضِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ؛ لِمُنَاجَاتِهِ وَوَفَاءً لِلْوَعْدِ الَّذِي كَانَ رَبُّهُ وَعَدَهُ..

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا﴾ وَهُوَ وَلَدُ الْبَقَرَةِ، فَعَبَدُوهُ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا ذَلِكَ الْعِجْلُ فَقَالَ..

﴿جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ وَالْخُوَارُ: صَوْتُ الْبَقَرِ، يُخْبِرُ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ ضَلُّوا بِمَا لَا يَضِلُّ بِمِثْلِهِ أَهْلُ الْعَقْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُدَبِّرُ ذَلِكَ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ، لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا وَلَا يُرْشِدُ إِلَىٰ خَيْرٍ، وَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ لِذَلِكَ هَذَا إِلَهُنَا وَإِلَهُ مُوسَىٰ، فَعَكَفُوا عَلَيْهِ يَعْبُدُونَهُ جَهْلًا مِنْهُمْ وَذَهَابًا عَنِ اللهِ وَضَلَالًا، وَقَدْ بَيَّنَّا سَبَبَ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ وَكَيْفَ كَانَ اتِّخَاذُ مَنِ اتَّخَذَ مِنْهُمُ الْعِجْلَ فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أَلَمْ يَرَ الَّذِينَ عَكَفُوا عَلَىٰ الْعِجْلِ الَّذِي اتَّخَذُوهُ مِنْ حُلِيِّهِمْ يَعْبُدُونَهُ..

﴿أَنَّهُۥ﴾ أَنَّ الْعِجْلَ..

﴿لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ وَلَا يُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ طَرِيقٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ رَبِّهِمُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ حَقًّا، بَلْ صِفَتُهُ أَنَّهُ يُكَلِّمُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَيُرْشِدُ خَلْقَهُ إِلَىٰ سَبِيلِ الْخَيْرِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ سَبِيلِ الْمَهَالِكِ وَالرَّدَىٰ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَاهًا..

﴿وَكَانُوا۟﴾ بِاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُ رِبًّا مَعْبُودًا..

﴿ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ [الأعراف: ١٤٨] لِأَنْفُسِهِمْ؛ لِعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ مَنْ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَإِضَافَتِهِمُ الْأُلُوهَةَ إِلَىٰ غَيْرِ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الظُّلْمِ فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [الأعراف: ١٤٩].

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وَلَمَّا نَدِمَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُ عِنْدَ رُجُوعِ مُوسَىٰ إِلَيْهِمْ، وَاسْتَسْلَمُوا لِمُوسَىٰ وَحُكْمِهِ فِيهِمْ.. وَكَذَٰلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ نَادِمٍ عَلَىٰ أَمْرٍ فَاتَ مِنْهُ أَوْ سَلَفَ وَعَاجِزٍ عَنْ شَيْءٍ (قَدْ سُقِطَ فِي يَدَيْهِ)، و(أُسْقِطَ)، لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الِاسْتِئْسَارِ، وَذَٰلِكَ أَنْ يَضْرِبَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ أَوْ يَصْرَعَهُ، فَيَرْمِيَ بِهِ مِنْ يَدَيْهِ إِلَىٰ الْأَرْضِ لِيَأْسِرَهُ فَيُكَتِّفَهُ، فَالْمَرْمِيُّ بِهِ مَسْقُوطٌ فِي يَدَيِ السَّاقِطِ بِهِ، فَقِيلَ لِكُلِّ عَاجِزٍ عَنْ شَيْءٍ وَمُصَارِعٍ لِعَجْزِهِ مُتَنَدِّمٍ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ: (سُقِطَ فِي يَدَيْهِ) وَ(أُسْقِطَ)..

﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ جَارُوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وَذَهَبُوا عَنْ دِينِ اللهِ، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ..

﴿قَالُواْ﴾ تَائِبِينَ إِلَىٰ اللهِ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا﴾ لَئِنْ لَمْ يَتَعَطَّفْ عَلَيْنَا..

﴿رَبُّنَا﴾ بِالتَّوْبَةِ..

﴿وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ بِرَحْمَتِهِ، وَيَتَغَمَّدْ بِهَا ذُنُوبَنَا..

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [الأعراف: ١٤٩] الْهَالِكِينَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف: ١٥٠].

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رَجَعَ..

﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ لِأَنَّ اللهَ كَانَ قَدْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ فَتَنَ قَوْمَهُ، وَأَنَّ السَّامِرِيَّ قَدْ أَضَلَّهُمْ، فَكَانَ رُجُوعُهُ غَضْبَانَ أَسِفًا لِذَٰلِكَ، وَالْأَسَفُ: شِدَّةُ الْغَضَبِ وَالتَّغَيُّظُ بِهِ عَلَىٰ مَنْ أَغْضَبَهُ..

﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ بِئْسَ الْفِعْلُ فَعَلْتُمْ بَعْدَ فِرَاقِي إِيَّاكُمْ، وَأَوْلَيْتُمُونِي فِيمَنْ خَلَّفْتُ مِنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي فِيكُمْ وَدِينِي الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ..

﴿أَعَجِلْتُمْ﴾ أَسَبَقْتُمْ..

﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ فِي نُفُوسِكُمْ، وَذَهَبْتُمْ عَنْهُ؟..

﴿وَأَلْقَى﴾ مُوسَىٰ..

﴿الْأَلْوَاحَ﴾ مِنْ أَجْلِ غَضَبِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ لِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ..

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فَعَلِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ لِمَوْجِدَتِهِ عَلَىٰ أَخِيهِ هَارُونَ فِي تَرْكِهِ اتِّبَاعَهُ وَإِقَامَتِهِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَكَهُمْ فِيهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ عليه السلام لَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝٩٣﴾ [طه: ٩٢-٩٣] حِينَ أَخْبَرَهُ هَارُونُ بِعُذْرِهِ، فَقَبِلَ عُذْرَهُ، وَذَلِكَ قِيلُهُ لِمُوسَىٰ: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۝٩٤﴾ [طه: ٩٤]، وَ..

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ قيل: وَلَمْ يَقُلْ: (يَا ابْنَ أَبِي)، وَهُمَا لِأَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، اسْتِعْطَافًا لَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِرَحِمِ الْأُمِّ..

﴿إِنَّ الْقَوْمَ﴾ الَّذِينَ عَكَفُوا عَلَىٰ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَقَالُوا هَذَا إِلَهُنَا وَإِلَهُ مُوسَىٰ، وَخَالَفُوا هَارُونَ..

﴿اسْتَضْعَفُونِي﴾ وَكَانَ اسْتِضْعَافُهُمْ إِيَّاهُ، تَرْكُهُمْ طَاعَتَهُ وَاتِّبَاعَ أَمْرِهِ..

﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ قَارَبُوا وَلَمْ يَفْعَلُوا..

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَشْمَتَ فُلَانٌ فُلَانًا بِفُلَانٍ، إِذَا سَرَّهُ فِيهِ بِمَا يَكْرَهُهُ الْمُشْمَتُ بِهِ..

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ فِي مَوْجِدَتِكَ عَلَيَّ وَعُقُوبَتِكَ لِي وَلَمْ أُخَالِفْ أَمْرَكَ..

﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝١٥٠﴾ [الأعراف: ١٥٠] مَحِلَّ مَنْ عَصَاكَ فَخَالَفَ أَمْرَكَ، وَعَبَدَ الْعِجْلَ بَعْدَكَ، فَظَلَمَ نَفْسَهُ، وَعَبَدَ غَيْرَ مَنْ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَلَمْ أُشَايِعْهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ عُذْرُ أَخِيهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُفَرِّطْ فِي الْوَاجِبِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ فِي ارْتِكَابِ مَا فَعَلَهُ الْجَهَلَةُ مِنْ عَبَدَةِ الْعِجْلِ..

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ مُسْتَغْفِرًا مِنْ فِعْلِهِ بِأَخِيهِ..

﴿وَلِأَخِي﴾ مِنْ سَالِفٍ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، تَغَمَّدْ ذُنُوبَنَا بِسِتْرٍ مِنْكَ تَسْتُرُهَا بِهِ..

﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١] فَإِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ بِعِبَادِكَ مِنْ كُلِّ مَنْ رَحِمَ شَيْئًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ۝١٥٢﴾ [الأعراف: ١٥٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إِلَهًا..

﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بِتَعْجِيلِ اللهِ لَهُمْ ذَلِكَ..

﴿وَذِلَّةٌ﴾ وَهِيَ الْهَوَانُ، لِعُقُوبَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ آجِلِ الْآخِرَةِ.. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بِأَنَّ اللهَ -إِذْ رَجَعَ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَىٰ ﷺ- تَابَ عَلَىٰ عَبَدَةِ الْعِجْلِ مِنْ فِعْلِهِمْ، بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ ﷺ فِي كِتَابِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ، فَكَانَ أَمْرُ اللهِ إِيَّاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ قَتْلِ بَعْضِهِمْ أَنْفُسَ بَعْضٍ، عَنْ غَضَبٍ مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، فَكَانَ قَتْلُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا هَوَانًا لَهُمْ وَذِلَّةً أَذَلَّهُمُ اللهُ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَوْبَةً مِنْهُمْ إِلَىٰ اللهِ قَبِلَهَا..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا جَزَيْتُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا مِنْ إِحْلَالِ الْغَضَبِ بِهِمْ، وَالْإِذْلَالِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ رَبَّهُمْ، وَرِدَّتِهُمْ عَنْ دِينِهِمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ، وَكَذَلِكَ..

﴿نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ۝١٥٢﴾ [الأعراف: ١٥٢] نَجْزِي كُلَّ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ فَكَذَبَ عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِأُلُوهِيَّةِ غَيْرِهِ وَعَبَدَ شَيْئًا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَبَعْدَ إِيمَانِهِ بِهِ وَبِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَقِيلَ: ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتُبْ مِنْ كُفْرِهِ قَبْلَ قَتْلِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣].

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ قَابِلٌ مِنْ كُلِّ تَائِبٍ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ أَتَاهُ صَغِيرَةً كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ أَوْ كَبِيرَةً، كُفْرًا كَانَتْ أَوْ غَيْرَ كُفْرٍ، كَمَا قَبِلَ مِنْ عَبَدَةِ الْعِجْلِ تَوْبَتَهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ بِهِ بِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ وَارْتِدَادِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَالَّذِينَ عَمِلُوا الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ..

﴿ثُمَّ تَابُواْ﴾ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ طَلَبِ رِضَا اللهِ بِإِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ مَا يُحِبُّ مِمَّا يَكْرَهُ، وَإِلَىٰ مَا يَرْضَىٰ

مِمَّا يَسْخَطُ..

﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ مِنْ بَعْدِ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ..

﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ وَصَدَّقُوا بِأَنَّ اللهَ قَابِلُ تَوْبَةِ الْمُذْنِبِينَ وَتَائِبٌ عَلَىٰ الْمُنِيبِينَ بِإِخْلَاصِ قُلُوبِهِمْ وَيَقِينِ مِنْهُمْ بِذَلِكَ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ﴾ لَهُمْ، يَقُولُ: لَسَاتِرٌ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ، وَغَيْرُ فَاضِحِهِمْ بِهَا..

﴿رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣] بِهِمْ، وَبِكُلِّ مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ مِنَ التَّائِبِينَ.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: ١٥٤].

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ وَلَمَّا كَفَّ مُوسَىٰ عَنِ الْغَضَبِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ كَافٍّ عَنْ شَيْءٍ سَاكِتٌ عَنْهُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلسَّاكِتِ عَنِ الْكَلَامِ سَاكِتٌ؛ لِكَفِّهِ عَنْهُ..

﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾ أَخَذَهَا بَعْدَ مَا أَلْقَاهَا، وَقَدْ ذَهَبَ مِنْهَا مَا ذَهَبَ..

﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ وَفِيمَا نُسِخَ فِيهَا، أَيْ: مِنْهَا..

﴿هُدٗى﴾ بَيَانٌ لِلْحَقِّ..

﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: ١٥٤] لِلَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ، وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ.

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ مِنْ قَوْمِهِ..

﴿سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ لِلْوَقْتِ وَالْأَجَلِ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ أَنْ يَلْقَاهُ فِيهِ بِهِمْ، لِلتَّوْبَةِ مِمَّا كَانَ مِنْ فِعْلِ سُفَهَائِهِمْ فِي أَمْرِ الْعِجْلِ..

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ فَلَمَّا أَمَاتَهُمْ أَوْ أَصْعَقَهُمْ، فَسَلَبَ أَفْهَامَهُمْ، قَامَ مُوسَىٰ يَدْعُو اللهَ، وَ..

﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ﴾ رَبِّ مَاذَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أَتَيْتُهُمْ وَقَدْ

أَهْلَكْتَ خِيَارَهُمْ، لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ..

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ إِنَّ مُوسَىٰ إِنَّمَا حَزُنَ عَلَىٰ هَلَاكِ السَّبْعِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، وَإِنَّهُ إِنَّمَا عَنَىٰ بِالسُّفَهَاءِ عَبَدَةَ الْعِجْلِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ مُوسَىٰ ﷺ كَانَ تَخَيَّرَ مِنْ قَوْمِهِ لِمَسْأَلَةِ رَبِّهِ مَا أَرَاهُ أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ إِلَّا الْأَفْضَلَ فَالْأَفْضَلَ مِنْهُمْ، وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْأَفْضَلَ كَانَ عِنْدَهُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ الْعِجْلِ وَاتَّخَذَه دُونَ اللهِ إِلَاهًا..

﴿إِنْ هِيَ﴾ مَا هَذِهِ الْفِعْلَةُ الَّتِي فَعَلَهَا قَوْمِي مِنْ عِبَادَتِهِمْ مَا عَبَدُوا دُونَكَ..

﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ مِنْكَ أَصَابَتْهُمْ، وَيَعْنِي بِالْفِتْنَةِ: الِابْتِلَاءَ وَالِاخْتِبَارَ، يَقُولُ: ابْتَلَيْتَهُمْ بِهَا..

﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ لِيَتَبَيَّنَ الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الْحَقِّ بِعِبَادَتِهِ إِيَّاهُ وَالَّذِي يَهْتَدِي بِتَرْكِ عِبَادَتِهِ.. وَأَضَافَ إِضْلَالَهُمْ وَهِدَايَتَهُمْ إِلَىٰ اللهِ؛ إِذْ كَانَ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَنْ سَبَبٍ مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أَنْتَ نَاصِرُنَا..

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ فَاسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا بِتَرْكِكَ عِقَابَنَا عَلَيْهَا..

﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ تَعَطَّفْ عَلَيْنَا بِرَحْمَتِكَ..

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥] خَيْرُ مَنْ صَفَحَ عَنْ جُرْمٍ، وَسَتَرَ عَلَىٰ ذَنْبٍ.

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ دُعَاءِ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِيهِ، اجْعَلْنَا مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُ..

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وَهِيَ الصَّالِحَاتُ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُ الْمَغْفِرَةَ لِذُنُوبِهِ..

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ إِنَّا تُبْنَا إِلَيْكَ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ: هَذَا الَّذِي أَصَبْتُ بِهِ قَوْمَكَ مِنَ الرَّجْفَةِ..

﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِي، كَمَا أُصِيبُ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصَبْتُهُمْ بِهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وَرَحْمَتِي عَمَّتْ خَلْقِي كُلَّهُمْ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَخْرَجُهُ عَامٌّ وَمَعْنَاهُ

خَاصٌّ، وَالْمُرَادُ بِهِ: وَرَحْمَتِي وَسِعَتِ الْمُؤْمِنِينَ بِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاسْتَشْهَدُوا بِالَّذِي بَعْدَهُ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ عَلَىٰ الْعُمُومِ فِي الدُّنْيَا وَعَلَىٰ الْخُصُوصِ فِي الْآخِرَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ عَلَىٰ الْعُمُومِ، وَهِيَ التَّوْبَةُ..

﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ رَحْمَتِي الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.. وَمَعْنَىٰ أَكْتُبُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَكْتُبُ فِي اللَّوْحِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ التَّوْرَاةُ..

﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ وَالْمَعْصِيَةِ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَيُؤَدُّونَ فَرَائِضَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ مَعَاصِيَهُ..

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ وَأَمَّا الزَّكَاةُ وَإِيتَاؤُهَا، فَقَدْ بَيَّنَّا صِفَتَهَا فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ: (**يُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ**).. فَكَأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ الْعَمَلُ بِمَا يُزَكِّي النَّفْسَ وَيُطَهِّرُهَا مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ..

﴿وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦] وَلِلْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ بِأَعْلَامِنَا وَأَدِلَّتِنَا يُصَدِّقُونَ وَيُقِرُّونَ.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ لَا يُعْلَمُ للهِ رَسُولٌ وُصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ -أَعْنِي الْأُمِّيَّ- غَيْرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَهَذَا الْقَوْلُ إِبَانَةٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ أَنَّ الَّذِينَ وَعَدَ مُوسَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ الَّتِي وَصَفَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الرَّسُولِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ يَجِدُونَ نَعْتَهُ وَأَمْرَهُ وَنُبُوَّتَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ.. فَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: (**أَجَلْ وَاللهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ كَصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو**

وَيَصْفَحُ، وَلَنْ نَقْبِضَهُ حَتَّىٰ نُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَفْتَحُ بِهِ قُلُوبًا غُلْفًا وَآذَانًا صُمًّا، وَأَعْيُنًا عُمْيًا)..

﴿يَأْمُرُهُم﴾ يَأْمُرُ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَتْبَاعَهُ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَلُزُومُ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، فَذَلِكَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ..

﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَهُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالِانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ..

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَذَلِكَ مَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تُحَرِّمُهُ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَالْوَصَائِلِ وَالْحَوَامِي..

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ وَذَلِكَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَالرِّبَا، وَمَا كَانُوا يَسْتَحِلُّونَهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ..

﴿وَيَضَعُ﴾ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ..

﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ اللهُ أَخَذَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ إِقَامَةِ التَّوْرَاةِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّدِيدَةِ، كَقَطْعِ الْجِلْدِ مِنَ الْبَوْلِ، وَتَحْرِيمِ الْغَنَائِمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ مَفْرُوضَةً، فَنَسَخَهَا حُكْمُ الْقُرْآنِ..

﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الْأَغْلَالُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ، في قوله ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ، فَيَضَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ..

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صَدَّقُوا..

﴿بِهِۦ﴾ بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَأَقَرُّوا بِنُبُوَّتِهِ..

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وَقَّرُوهُ وَعَظَّمُوهُ وَحَمَوْهُ مِنَ النَّاسِ..

﴿وَنَصَرُوهُ﴾ وَأَعَانُوهُ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِ بِجِهَادِهِمْ وَنَصْبِ الْحَرْبِ لَهُمْ..

﴿وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ وَالْإِسْلَامَ..

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي وَصَفَ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧] هُمُ الْمُنْجِحُونَ، الْمُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا وَرَجَوْا بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ.. قَالَ قَتَادَةُ: (فَمَا نَقَمُوا -يَعْنِي الْيَهُودَ- إِلَّا أَنْ حَسَدُوا نَبِيَّ اللهِ، فَقَالَ اللهُ: الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ، فَأَمَّا نَصْرُهُ وَتَعْزِيرُهُ فَقَدْ سُبِقْتُمْ بِهِ، وَلَكِنَّ خِيَارَكُمْ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ).. يُرِيدُ قَتَادَةُ بِقَوْلِهِ: فَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ حَسَدُوا نَبِيَّ اللهِ، أَنَّ الْيَهُودَ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ

بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَحْمَةً عَلَيْهِمْ لَوِ اتَّبَعُوهُ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بِوَضْعِ الْإِصْرِ وَالْأَغْلَالِ عَنْهُمْ، فَحَمَلَهُمُ الْحَسَدُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ، وَتَرْكِ قَبُولِ التَّخْفِيفِ، لِغَلَبَةِ خِذْلَانِ اللهِ عَلَيْهِمْ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ..

﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لَا إِلَىٰ بَعْضِكُمْ دُونَ بَعْضٍ، كَمَا كَانَ مَنْ قَبْلِي مِنَ الرُّسُلِ مُرْسَلًا إِلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ أُرْسِلَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ رِسَالَتِي لَيْسَتْ إِلَىٰ بَعْضِكُمْ دُونَ بَعْضٍ، وَلَكِنَّهَا إِلَىٰ جَمِيعِكُمْ..

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَتَدْبِيرُ ذَلِكَ وَتَصْرِيفُهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، إِلَّا لِمَنْ لَهُ سُلْطَانُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿يُحْىِۦ﴾ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِنْشَاءِ خَلْقِ كُلِّ مَا شَاءَ وَإِحْيَائِهِ..

﴿وَيُمِيتُ﴾ وَإِفْنَائِهِ إِذَا شَاءَ إِمَاتَتَهُ..

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ قُلْ لَهُمْ: فَصَدِّقُوا بِآيَاتِ اللهِ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، وَأَقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ..

﴿وَرَسُولِهِ﴾ وَصَدِّقُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ خَلْقِهِ دَاعٍ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الَّذِي يُصَدِّقُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ..

﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْمِنُ بِكَلِمَاتِ اللهِ كُلِّهَا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ ظَاهِرُ كِتَابِ اللهِ..

﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ فَاهْتَدُوا بِهِ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاعْمَلُوا بِمَا أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨] لِكَيْ تَهْتَدُوا فَتَرْشُدُوا، وَتُصِيبُوا الْحَقَّ فِي اتِّبَاعِكُمْ إِيَّاهُ.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأعراف: ١٥٩].

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ يَعْنِي: بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ: أَيْ: يَسْتَقِيمُونَ عَلَيْهِ وَيَعْمَلُونَ..

﴿وَبِهِۦ﴾ وَبِالْحَقِ..

﴿يَعْدِلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأعراف: ١٥٩] يُعْطُونَ، وَيَأْخُذُونَ، وَيُنْصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَلَا يَجُورُونَ.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١٦٠﴾ [الأعراف: ١٦٠].

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ فَرَّقْنَاهُمْ، يَعْنِي قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَّقَهُمُ اللهُ فَجَعَلَهُمْ..

﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ قَبِيلَةً.. وَوَجْهِ تَأْنِيثِ الاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَالأَسْبَاطُ جَمْعُ مُذَكَّرٍ، أَنَّ الاِثْنَتَىٰ عَشْرَةَ أُنِّثَتْ لِتَأْنِيثِ الْقِطْعَةِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَقَطَّعْنَاهُمْ قِطَعًا اثْنَتَىٰ عَشْرَةَ، ثُمَّ تَرْجَمَ عَنِ الْقِطَعِ بِالأَسْبَاطِ..

﴿أَسْبَاطًا﴾ قَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الأَسْبَاطِ فِيمَا مَضَىٰ وَمَنْ هُمْ.. وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تَكُونَ الأَسْبَاطُ مُفَسَّرَةً عَنِ الاِثْنَتَىٰ عَشْرَةَ وَهِيَ جَمْعٌ؛ لِأَنَّ التَّفْسِيرَ فِيمَا فَوْقَ الْعَشْرِ إِلَىٰ الْعِشْرِينِ بِالتَّوْحِيدِ لَا بِالْجَمْعِ، وَالأَسْبَاطُ جَمْعٌ لَا وَاحِدٌ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: عِنْدِي اثْنَتَا عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَلَا يُقَالُ: عِنْدِي اثْنَتَا عَشْرَةَ نِسْوَةً، فَفِي ذَلِكَ أَنَّ الأَسْبَاطَ لَيْسَتْ بِتَفْسِيرٍ لِلاِثْنَتَي عَشْرَةَ، وَإِنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا قُلْنَا..

﴿أُمَمًا﴾ الأُمَمُ الْجَمَاعَاتُ..

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ إِذْ فَرَّقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمَهُ اثْنَتَي عَشْرَةَ فِرْقَةً، وَتَيَّهْنَاهُمْ فِي التِّيهِ..

﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ اسْتَسْقَوْا مُوسَىٰ مِنَ الْعَطَشِ وَغِئُورِ الْمَاءِ..

﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا السَّبَبَ الَّذِي كَانَ قَوْمُهُ اسْتَسْقَوْهُ وَبَيَّنَا مَعْنَىٰ الْوَحْيِ بِشَوَاهِدِهِ..

﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ فَانْصَبَّتْ وَانْفَجَرَتْ..

﴿مِنْهُ﴾ مِنَ الْحَجَرِ..

﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ﴾ مِنَ الْمَاءِ..

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ مِنَ الأَسْبَاطِ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ..

﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ لَا يَدْخُلُ سِبطٌ عَلَىٰ غَيْرِهِ فِي شُرْبِهِ..

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ يُكِنُّهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وَأَذَاهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْغَمَامِ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ، وَكَذَلِكَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ..

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ طَعَامًا لَهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ..

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ كُلُوا مِنْ حَلَالِ مَا رَزَقْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَطَيَّبْنَاهُ لَكُمْ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِمَا ظَهَرَ عَمَّا تُرِكَ، وَهُوَ: فَأَجْمَعُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَبْدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ..

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وَمَا أَدْخَلُوا عَلَيْنَا نَقْصًا فِي مُلْكِنَا وَسُلْطَانِنَا بِمَسْأَلَتِهِمْ مَا سَأَلُوا، وَفِعْلِهِمْ مَا فَعَلُوا..

﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١٦٠﴾ [الأعراف: ١٦٠] يَنْقُصُونَهَا حُظُوظَهَا بِاسْتِبْدَالِهِمُ الأَدْنَىٰ بِالْخَيْرِ وَالأَرْذَلِ بِالأَفْضَلِ.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝١٦١﴾ [الأعراف: ١٦١].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا يَا مُحَمَّدُ مِنْ خَطَإِ فِعْلِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَخِلَافِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَعِصْيَانِهِمْ نَبِيَّهُمْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَبْدِيلِهِمُ الْقَوْلَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوهُ حِينَ..

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾ قَالَ اللهُ لَهُمْ..

﴿اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وَهِيَ قَرْيَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ..

﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾ مِنْ ثِمَارِهَا وَحُبُوبِهَا وَنَبَاتِهَا..

﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ مِنْهَا يَقُولُ: أَنَّىٰ شِئْتُمْ مِنْهَا..

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وَقُولُوا هَذِهِ الْفِعْلَةَ حِطَّةٌ تَحُطُّ ذُنُوبَنَا..

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ يَتَغَمَّدُ لَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ ذُنُوبَكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ، فَيَعْفُو لَكُمْ عَنْهَا، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهَا..

﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝١٦١﴾ [الأعراف: ١٦١] مِنْكُمْ، وَهُمُ الْمُطِيعُونَ للهِ، عَلَىٰ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنْ غُفْرَانِ الْخَطَايَا.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: ١٦٢].

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فَغَيَّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ مِنْهُمْ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ، فَقَالُوا وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ: قُولُوا: هَذِهِ حِطَّةٌ: حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ؛ وَقَوْلُهُمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ هُوَ غَيْرُ الْقَوْلِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ قُولُوهُ..

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا أَهْلَكْنَاهُمْ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: ١٦٢] بِمَا كَانُوا يُغَيِّرُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، فَيَفْعَلُونَ خِلَافَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِفِعْلِهِ، وَيَقُولُونَ غَيْرَ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِقِيلِهِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الرِّجْزِ فِيمَا مَضَىٰ.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣].

﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ وَاسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَهُمْ مُجَاوِرُوكَ..

﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ عَنْ أَمْرِ الْقَرْيَةِ..

﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ كَانَتْ بِحَضْرَةِ الْبَحْرِ، أَيْ: بِقُرْبِ الْبَحْرِ وَعَلَىٰ شَاطِئِهِ..

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ أَمْرَ اللهِ، وَيَتَجَاوَزُونَهُ إِلَىٰ مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اعْتِدَاؤُهُمْ فِي السَّبْتِ أَنَّ اللهَ كَانَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ السَّبْتَ، فَكَانُوا يَصْطَادُونَ فِيهِ السَّمَكَ..

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ الَّذِي نُهُوا فِيهِ عَنِ الْعَمَلِ..

﴿شُرَّعًا﴾ شَارِعَةً ظَاهِرَةً عَلَىٰ الْمَاءِ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَنَاحِيَةٍ كَشَوَارِعِ الطُّرُقِ..

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ وَيَوْمَ لَا يُعَظِّمُونَهُ تَعْظِيمَهُمُ السَّبْتَ، وَذَلِكَ سَائِرُ الْأَيَّامِ غَيْرُ يَوْمِ السَّبْتِ..

﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ الْحِيتَانُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا وَصَفْنَا لَكُمْ مِنَ الِاخْتِبَارِ وَالِابْتِلَاءِ الَّذِي ذَكَرْنَا بِإِظْهَارِ السَّمَكِ لَهُمْ عَلَىٰ ظَهْرِ الْمَاءِ فِي الْيَوْمِ الْمُحَرَّمِ عَلَيْهِمْ صَيْدُهُ، وَإِخْفَائِهِ عَنْهُمْ فِي الْيَوْمِ الْمُحَلَّلِ صَيْدُهُ، كَذَلِكَ..

﴿نَبْلُوهُم﴾ وَنَخْتَبِرُهُمْ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣] عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَخُرُوجِهِمْ عَنْهَا.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَتْ جَمَاعَةٌ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ لِجَمَاعَةٍ كَانَتْ تَعِظُ الْمُعْتَدِينَ فِي السَّبْتِ وَتَنْهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِيهِ..

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَهُ، وَاسْتِحْلَالِهِمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ..

﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، مُجِيبِيهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ: عِظَتُنَا إِيَّاهُمْ..

﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ نُؤَدِّي فَرْضَهُ عَلَيْنَا فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ..

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤] وَلَعَلَّهُمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فَيَخَافُوهُ، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَيَتُوبُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَتَعَدِّيهِمْ عَلَىٰ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ اعْتِدَائِهِمْ فِي السَّبْتِ.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ فَلَمَّا تَرَكَتِ الطَّائِفَةُ الَّتِي اعْتَدَتْ فِي السَّبْتِ مَا أَمَرَهَا اللهُ بِهِ، مِنْ تَرْكِ الِاعْتِدَاءِ فِيهِ، وَضَيَّعَتْ مَا وَعَظَتْهَا الطَّائِفَةُ الْوَاعِظَةُ، وَذَكَّرَتْهَا مَا ذَكَّرَتْهَا بِهِ مِنْ تَحْذِيرِهَا عُقُوبَةَ اللهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهَا، فَتَقَدَّمَتْ عَلَىٰ اسْتِحْلَالِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا..

﴿أَنجَيْنَا﴾ أَنْجَىٰ اللهُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ﴾ مِنْهُمْ..

﴿عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ يَعْنِي: عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَاسْتِحْلَالِ مَا حَرَّمَهُ..

﴿وَأَخَذْنَا﴾ وَأَخَذَ اللهُ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ فَاسْتَحَلُّوا فِيهِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ صَيْدِ السَّمَكِ وَأَكْلِهِ، فَأَحَلَّ بِهِمْ بَأْسَهُ وَأَهْلَكَهُمْ..

﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شَدِيدٍ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥] وَيُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ طَاعَتِهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفِسْقُ.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦٦].

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ فَلَمَّا تَمَرَّدُوا فِيمَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ اعْتِدَائِهِمْ فِي السَّبْتِ، وَاسْتِحْلَالِهِمْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ صَيْدِ السَّمَكِ وَأَكْلِهِ وَتَمَادَوْا فِيهِ..

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ لَهَا أَذْنَابٌ تَعَاوَىٰ، بَعْدَ مَا كَانُوا رِجَالًا وَنِسَاءً..

﴿خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦٦] بُعَدَاءَ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ آذَنَ رَبُّكَ فَأَعْلَمَ..

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ الْيَهُودِ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الْعَرَبُ، بَعَثَهُمُ اللهُ عَلَىٰ الْيَهُودِ يُقَاتِلُونَ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْجِزْيَةَ، وَمَنْ أَعْطَىٰ مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ صَغَارًا وَذِلَّةً..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ إِلَىٰ مَنِ اسْتَوْجَبَ مِنْهُ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ وَمَعْصِيَتِهِ لَهُ..

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ وَإِنَّهُ لَذُو صَفْحٍ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ فَأَنَابَ وَرَاجَعَ طَاعَتَهُ، يَسْتُرُ عَلَيْهَا بِعَفْوِهِ عَنْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧] لَهُ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ جُرْمِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيُقِيلُ الْعَثْرَةَ.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨].

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ وَفَرَّقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ جَمَاعَاتٍ شَتَّىٰ مُتَفَرِّقِينَ..

﴿مِّنْهُمُ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ مِنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الصَّالِحِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ قَبْلَ ارْتِدَادِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَقَبْلَ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ فِيهِمْ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ وَاخْتَبَرْنَاهُمْ..

﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ بِالرَّخَاءِ فِي الْعَيْشِ، وَالدَّعَةِ وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ..

﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وَالْخَفْضِ فِي الدُّنْيَا، وَالشِّدَّةِ فِي الْعَيْشِ، وَالشَّظَفِ فِيهِ، وَالْمَصَائِبِ، وَالرَّزَايَا فِي الْأَمْوَالِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف: ١٦٨] لِيَرْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَيُنِيبُوا إِلَيْهَا، وَيَتُوبُوا مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦٩﴾ [الأعراف: ١٦٩].

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿خَلْفٌ﴾ يَعْنِي: خَلْفَ سُوءٍ، وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْمَدْحِ بِفَتْحِ اللَّامِ وَفِي الذَّمِّ بِتَسْكِينِهَا، وَأَحْسِبُ أَنَّهُ إِذَا وُجِّهَ إِلَىٰ الْفَسَادِ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ (خَلَفَ اللَّبَنُ) إِذَا حَمِضَ مِنْ طُولِ تَرْكِهِ فِي السِّقَاءِ حَتَّىٰ يَفْسَدَ، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ الْفَاسِدَ مُشَبَّهٌ بِهِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ قَوْلُهُمْ (خَلَفَ فَمُ الصَّائِمِ) إِذَا تَغَيَّرَتْ رِيحُهُ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: فَتَبَدَّلَ مِنْ بَعْدِهِمْ بَدَلُ سُوءٍ..

﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَرِثُوا كِتَابَ اللهِ فَعَلِمُوه، وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ بِهِ فَخَالَفُوا حُكْمَهُ، يُرْشَوْنَ فِي حُكْمِ اللهِ فـ..

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ فِيهِ مِنْ عَرَضِ هَذَا الْعَاجِلِ الْأَدْنَىٰ، يَعْنِي بِالْأَدْنَىٰ: الْأَقْرَبَ مِنَ الْآجِلِ الْأَبْعَدِ..

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ..

﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ إِنَّ اللهَ سَيَغْفِرُ ذُنُوبَنَا، تَمَنِّيًا عَلَىٰ اللهِ الْأَبَاطِيلَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة: ٧٩]..

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ وَإِنْ شَرَعَ لَهُمْ ذَنْبٌ حَرَامٌ مِثْلُهُ مِنَ الرِّشْوَةِ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذُوهُ وَاسْتَحَلُّوهُ، وَلَمْ يَرْتَدِعُوا عَنْهُ، يُخْبِرُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَهْلُ إِصْرَارٍ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ، وَلَيْسُوا بِأَهْلِ إِنَابَةٍ وَتَوْبَةٍ..

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَشِينَ فِي أَحْكَامِهِمْ، الْقَائِلِينَ: سَيَغْفِرُ اللهُ لَنَا

فِعْلَنَا هَذَا، إِذَا عُوتِبُوا عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَهُوَ أَخْذُ اللهِ الْعُهُودَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِإِقَامَةِ التَّوْرَاةِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَّ قِصَّتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُوَبِّخًا لَهُمْ عَلَىٰ خِلَافِهِمْ أَمْرَهُ وَنَقْضِهِمْ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ: أَلَمْ يَأْخُذِ اللهُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ كِتَابِهِ..

﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وَلَا يُضِيفُوا إِلَيْهِ إِلَّا مَا أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُوسَىٰ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، وَأَنْ لَا يَكْذِبُوا عَلَيْهِ؟..

﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ قَرَءُوا مَا فِيهِ.. مَعْطُوفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ، وَدَرَسُوا مَا فِيهِ، يَقُولُ: وَرِثُوا الْكِتَابَ فَعَلِمُوا مَا فِيهِ وَدَرَسُوهُ، فَضَيَّعُوهُ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ، وَخَالَفُوا عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ..

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ وَمَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ مَا فِي الْمَعَادِ عِنْدَ اللهِ مِمَّا أَعَدَّ لِأَوْلِيَائِهِ وَالْعَامِلِينَ بِمَا أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ الْمُحَافِظِينَ عَلَىٰ حُدُودِهِ..

﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يَتَّقُونَ اللهَ وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، فَيُرَاقِبُونَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُطِيعُونَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فِي دُنْيَاهُمْ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦٩﴾ [الأعراف: ١٦٩] أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ عَلَىٰ أَحْكَامِهِمْ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، إِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِلْمُتَّقِينَ الْعَادِلِينَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَحْكَامِهِمْ، خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْعَرَضِ الْقَلِيلِ الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ خِلَافِ أَمْرِ اللهِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْجَوْرِ؟

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠].

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا، وَلَمْ يُضَيِّعُوا أَوْقَاتَهَا..

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠] فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِي، فَإِنِّي لَا أُضِيعُ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ.

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١].

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذِ اقْتَلَعْنَا..

﴿ٱلْجَبَلَ﴾ فَرَفَعْنَاهُ، ونَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَصْلِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ..

﴿فَوْقَهُمْ﴾ فَوْقَ رُءُوسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ غَمَامٌ مِنَ الظَّلَامِ.. فَقَالَ: لَتَأْخُذُنَّ أَمْرِي، أَوْ لَأَرْمِيَنَّكُمْ بِهِ..

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ قال ابْنُ عَبَّاسٍ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ خَلْقِ اللهِ لِأَيِّ شَيْءٍ سَجَدَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ حَرْفِ وُجُوهِهِمْ، لَمَّا رُفِعَ الْجَبَلُ فَوْقَهُمْ سَجَدُوا وَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْجَبَلِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَكَانَتْ سَجْدَةً رَضِيَهَا اللهُ، فَاتَّخَذُوهَا سُنَّةً).. وَقُلْنَا لَهُمْ..

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ مِنْ فَرَائِضِنَا، وَأَلْزَمْنَاكُمْ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِنَا، فَاقْبَلُوهُ، وَاعْمَلُوا بِاجْتِهَادٍ مِنْكُمْ فِي أَدَائِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَلَا تَوَانٍ..

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ مَا فِي كِتَابِنَا مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، الَّتِي أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَإِلَّا خَرَّ عَلَيْكُمُ الْجَبَلُ، فَأَهْلَكَكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١] كَيْ تَتَّقُوا رَبَّكُمْ، فَتَخَافُوا عِقَابَهُ بِتَرْكِكُمُ الْعَمَلَ بِهِ، إِذَا ذَكَرْتُمْ مَا أُخِذَ عَلَيْكُمْ فِيهِ مِنَ الْمَوَاثِيقِ.

> ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذِ اسْتَخْرَجَ اللهُ وَلَدَ آدَمَ مِنْ أَصْلَابِ آبَائِهِمْ..

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ فَقَرَّرَهُمْ بِتَوْحِيدِهِ، وَأَشْهَدَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ شَهَادَتَهُمْ بِذَلِكَ، وَإِقْرَارَهُمْ بِهِ.. قَالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرو: (أَخَذَهُمْ كَمَا يَأْخُذُ الْمُشْطُ مِنَ الرَّأْسِ)..

﴿شَهِدْنَآ﴾ فَقَالَ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ: شَهِدْنَا عَلَيْكُمْ بِإِقْرَارِكُمْ بِأَنَّ اللهَ رَبُّكُمْ..

﴿أَن تَقُولُواْ﴾ كَيْلَا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢] إِنَّا كُنَّا لَا نَعْلَمُ ذَلِكَ وَكُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْهُ.

> ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٣].

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ اتَّبَعْنَا مِنْهَاجَهُمْ..

﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ بِإِشْرَاكِ مَنْ أَشْرَكَ مِنْ آبَائِنَا، وَاتِّبَاعِنَا مِنْهَاجَهُمْ عَلَىٰ جَهْلٍ مِنَّا بِالْحَقِّ؟..

﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٣] بِمَا فَعَلَ الَّذِينَ أَبْطَلُوا فِي دَعْوَاهُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللهِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٤].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا فَصَّلْنَا يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَبَيَّنَّا فِيهَا مَا فَعَلْنَا بِالْأُمَمِ السَّالِفَةِ قَبْلَ قَوْمِكَ، وَأَحْلَلْنَا بِهِمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِكُفْرِهِمْ وَإِشْرَاكِهِمْ فِي عِبَادَتِي غَيْرِي، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ غَيْرَهَا وَنُبَيِّنُهَا لِقَوْمِكَ..

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٤] لِيَنْزَجِرُوا وَيَرْتَدِعُوا، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِي وَيَتُوبُوا مِنْ شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَيَرْجِعُوا إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِي وَإِفْرَادِ الطَّاعَةِ لِي وَتَرْكِ عِبَادَةَ مَا سِوَايَ.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٥].

﴿وَٱتْلُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ قَوْمِكَ..

﴿نَبَأَ﴾ خَبَرَ، وَقِصَّةَ..

﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ آتَاهُ حُجَجَهُ وَأَدِلَّتَهُ الَّتِي هِيَ بَعْضُ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ، فَتَعَلَّمَهَا الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَعَنَاهُ بِهَا..

﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ خَرَجَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي كَانَ اللهُ آتَاهَا إِيَّاهُ، فَتَبَرَّأَ مِنْهَا..

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فَصَيَّرَهُ لِنَفْسِهِ، تَابِعًا يَنْتَهِي إِلَىٰ أَمْرِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَيُخَالِفُ أَمْرَ رَبِّهِ فِي مَعْصِيَةِ الشَّيْطَانِ وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ..

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٥] فَكَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ لِضَلَالِهِ وَخِلَافَةِ أَمْرِ رَبِّهِ، وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٦].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا هَذَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا..

﴿بِهَا﴾ بِآيَاتِنَا الَّتِي آتَاهُ إِيَّاهَا، وَالرَّفْعُ يَعُمُّ مَعَانِيَ كَثِيرَةً، مِنْهَا الرَّفْعُ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ، وَمِنْهَا الرَّفْعُ فِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَمَكَارِمِهَا، وَمِنْهَا الرَّفْعُ فِي الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الرَّفِيعِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ عَنَىٰ كُلَّ ذَلِكَ، أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَرَفَعَهُ فَأَعْطَاهُ كُلَّ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِهِ لِلْعَمَلِ بِآيَاتِهِ الَّتِي كَانَ آتَاهَا إِيَّاهُ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا، فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ أَنْ لَا يُخَصَّ مِنْهُ شَيْءٌ؛ إِذْ كَانَ لَا دَلَالَةَ عَلَىٰ خُصُوصِهِ مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ..

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ سَكَنَ إِلَىٰ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَرْضِ وَمَالَ إِلَيْهَا، وَآثَرَ لَذَّتَهَا وَشَهَوَاتِهَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.. وَأَصْلُ الْإِخْلَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْإِبْطَاءُ وَالْإِقَامَةُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَخْلَدَ فُلَانٌ بِالْمَكَانِ، إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَأَخْلَدَ نَفْسَهُ إِلَىٰ الْمَكَانِ، إِذَا أَتَاهُ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ.. وَكَانَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ يَقُولُ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: أَخْلَدَ: لَزِمَ وَتَقَاعَسَ وَأَبْطَأَ، وَالْمُخْلِدُ أَيْضًا: هُوَ الَّذِي يُبْطِئُ شَيْبُهُ مِنَ الرِّجَالِ، وَهُوَ مِنَ الدَّوَابِّ الَّذِي تَبْقَىٰ ثَنَايَاهُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ رَبَاعِيَتَاهُ..

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وَرَفَضَ طَاعَةَ اللهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ..

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ فَمَثَلُ هَذَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا..

﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ مَثَلُ الْكَلْبِ الَّذِي يَلْهَثُ، طَرَدْتَهُ أَوْ تَرَكْتَهُ.. فَمَثَّلَهُ بِهِ فِي اللهَثِ لِتَرْكِهِ الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللهِ، وَآيَاتِهِ الَّتِي آتَاهَا إِيَّاهُ، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ مواعظِ اللهِ الَّتِي فِيهَا، إِعْرَاضُ مَنْ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِ: إِذْ كَانَ سَوَاءٌ أَمْرُهُ، وُعِظَ بِآيَاتِ اللهِ الَّتِي آتَاهَا إِيَّاهُ أَوْ لَمْ يُوعَظْ فِي أَنَّهُ لَا يَتَّعِظُ بِهَا، وَلَا يَتْرُكُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ أَمْرَ رَبِّهِ، فَمَثَلُهُ مَثَلُ الْكَلْبِ الَّذِي سَوَاءٌ أَمْرُهُ فِي لَهَثِهِ، طُرِدَ أَوْ لَمْ يُطْرَدْ؛ إِذْ كَانَ لَا يَتْرُكُ اللهَثَ فِي كِلْتَا حَالَتَيْهِ..

﴿ذَّٰلِكَ﴾ هَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبْتُهُ لِهَذَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا..

﴿مَّثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِنَا وَأَعْلَامِنَا وَأَدِلَّتِنَا، فَسَلَكُوا فِي ذَلِكَ سَبِيلَ هَذَا الْمُنْسَلِخِ مِنْ آيَاتِنَا الَّذِي آتَيْنَاهَا إِيَّاهُ فِي تَرْكِهِ الْعَمَلَ بِمَا آتَيْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ فَاقْصُصْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقَصَصَ، الَّذِي قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ -مِنْ نَبَإِ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا، وَأَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّتِي أَخْبَرْتُكَ أَخْبَارَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ وَنَبَأَ أَشْبَاهِهِمْ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَتِنَا وَنَزَلَ بِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا رُسُلَنَا مِنْ نِقْمَتِنَا- عَلَىٰ قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنْ قِبَلَكَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٦] لِيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَبِرُوا وَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِنَا، لِئَلَّا يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ النِّقَمِ وَالْمَثُلَاتِ، وَيَتَدَبَّرَهُ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَعْلَمُوا حَقِيقَةَ أَمْرِكَ وَصِحَّةَ نُبُوَّتِكَ؛ إِذْ كَانَ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمْ، وَمَكْنُونِ

أَخْبَارِهِمْ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَحْبَارُهُمْ، وَمَنْ قَرَأَ الْكُتُبَ وَدَرَسَهَا مِنْهُمْ، وَفِي عِلْمِكَ بِذَلِكَ وَأَنْتَ أُمِّيٌّ لَا تَكْتُبُ وَلَا تَقْرَأُ وَلَا تَدْرُسُ الْكُتُبَ وَلَمْ تُجَالِسْ أَهْلَ الْعِلْمِ الْحُجَّةُ الْبَيِّنَةُ لَكَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ للهِ رَسُولٌ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَالُكَ الْحَالُ الَّتِي أَنْتَ بِهَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ السَّمَاءِ.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ۝١٧٧﴾ [الأعراف: ١٧٧].

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ فَجَحَدُوهَا.. وَقِيلَ: سَاءَ مَثَلًا مِنَ الشَّرِّ، بِمَعْنَىٰ: بِئْسَ مَثَلًا.. وَأُقِيمَ الْقَوْمُ مَقَامَ الْمَثَلِ، وَحُذِفَ الْمَثَلُ؛ إِذْ كَانَ الْكَلَامُ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ..

﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ۝١٧٧﴾ [الأعراف: ١٧٧] وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَنْقُصُونَ حُظُوظَهَا، وَيَبْخَسُونَهَا مَنَافِعَهَا بِتَكْذِيبِهِمْ بِهَا لَا غَيْرَهَا.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٧٨﴾ [الأعراف: ١٧٨].

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ﴾ الْهِدَايَةُ وَالإِضْلَالُ بِيَدِ اللهِ، وَالْمُهْتَدِي -وَهُوَ السَّالِكُ سَبِيلَ الْحَقِّ، الرَّاكِبُ قَصْدَ الْمَحَجَّةِ فِي دِينِهِ- مَنْ هَدَاهُ اللهُ لِذَلِكَ، فَوَفَّقَهُ لِإِصَابَتِهِ..

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٧٨﴾ [الأعراف: ١٧٨] وَالضَّالُّ مَنْ خَذَلَهُ اللهُ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِطَاعَتِهِ، وَمَنْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِ فَهُوَ الْخَاسِرُ: يَعْنِي الْهَالِكَ.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا..

﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَرَأَهُمُ اللهُ لِجَهَنَّمَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قُلُوبٌ لَا يَتَفَكَّرُونَ بِهَا فِي آيَاتِ اللهِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ بِهَا أَدِلَّتَهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا حُجَجَهُ لِرُسُلِهِ، فَيَعْلَمُوا تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ، وَيَعْرِفُوا حَقِيقَةَ نُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِمْ، فَوَصَفَهُمْ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا؛ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَتَرْكِهِمْ تَدَبُّرَ صِحَّةِ الرُّشْدِ وَبُطْلَانِ الْكُفْرِ..

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يَنْظُرُونَ بِهَا إِلَىٰ آيَاتِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ، فَيَتَأَمَّلُوهَا وَيَتَفَكَّرُوا فِيهَا، فَيَعْلَمُوا بِهَا صِحَّةَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ رُسُلُهُمْ، وَفَسَادَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشِّرْكِ

بِاللهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ بِتَرْكِهِمْ إِعْمَالَهَا فِي الْحَقِّ بِأَنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا..

﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ آيَاتِ كِتَابِ اللهِ، فَيَعْتَبِرُوهَا وَيَتَفَكَّرُوا فِيهَا، وَلَكِنَّهُمْ يُعْرِضُونَ عَنْهَا، وَيَقُولُونَ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦]، وَذَلِكَ نَظِيرُ وَصْفِ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ [البقرة: ١٧١]، وَالْعَرَبُ تَقُولُ ذَلِكَ لِلتَّارِكِ اسْتِعْمَالَ بَعْضِ جَوَارِحِهِ فِيمَا يَصْلُحُ لَهُ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَرَأَهُمْ لِجَهَنَّمَ هُمْ..

﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كَالْأَنْعَامِ، وَهِيَ الْبَهَائِمُ الَّتِي لَا تَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهَا، وَلَا تَفْهَمُ مَا أَبْصَرَتْهُ مِمَّا يَصْلُحُ وَمَا لَا يَصْلُحُ، وَلَا تَعْقِلُ بِقُلُوبِهَا الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَتُمَيِّزَ بَيْنَهُمَا، فَشَبَّهَهُمُ اللهُ بِهَا؛ إِذْ كَانُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ مَا يَرَوْنَ بِأَبْصَارِهِمْ مِنْ حُجَجِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا يَسْمَعُونَ مِنْ آيِ كِتَابِهِ..

﴿بَلْ﴾ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ الَّذِينَ ذَرَأَهُمْ لِجَهَنَّمَ..

﴿هُمْ أَضَلُّ﴾ أَشَدُّ ذَهَابًا عَنِ الْحَقِّ، وَأَلْزَمُ لِطَرِيقِ الْبَاطِلِ مِنَ الْبَهَائِمِ؛ لِأَنَّ الْبَهَائِمَ لَا اخْتِيَارَ لَهَا وَلَا تَمْيِيزَ فَتَخْتَارَ وَتُمَيِّزَ، وَإِنَّمَا هِيَ مُسَخَّرَةٌ وَمَعَ ذَلِكَ تَهْرُبُ مِنَ الْمَضَارِّ وَتَطْلُبُ لِأَنْفُسِهَا مِنَ الْغِذَاءِ الْأَصْلَحَ، وَالَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، مَعَ مَا أُعْطُوا مِنَ الْأَفْهَامِ وَالْعُقُولِ الْمُمَيِّزَةِ بَيْنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَضَارِّ، تَتْرُكُ مَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاهَا وَآخِرَتِهَا، وَتَطْلُبُ مَا فِيهِ مَضَارُّهَا، فَالْبَهَائِمُ مِنْهَا أَسَدُّ، وَهِيَ مِنْهَا أَضَلُّ، كَمَا وَصَفَهَا بِهِ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ..

﴿هُمُ﴾ الْقَوْمُ..

﴿ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] الَّذِينَ غَفَلُوا، يَعْنِي سَهَوْا عَنْ آيَاتِي وَحُجَجِي، وَتَرَكُوا تَدَبُّرَهَا وَالِاعْتِبَارَ بِهَا وَالِاسْتِدْلَالَ عَلَىٰ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّهَا، لَا الْبَهَائِمُ الَّتِي قَدْ عَرَّفَهَا رَبُّهَا مَا سَخَّرَهَا لَهُ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾
[الأعراف: ١٨٠].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا كُلَّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»..

﴿وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ يَعْنِي بِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ إِلْحَادُهُمْ فِي أَسْمَاءِ اللهِ أَنَّهُمْ عَدَلُوا

بِهَا عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ، فَسَمُّوا بِهَا آلِهَتَهُمْ وَأَوْثَانَهُمْ، وَزَادُوا فِيهَا وَنَقَصُوا مِنْهَا، فَسَمُّوا بَعْضَهَا اللَّاتَ اشْتِقَاقًا مِنْهُمْ لَهَا مِنَ اسْمِ اللهِ الَّذِي هُوَ اللهُ، وَسَمُّوا بَعْضَهَا الْعُزَّىٰ اشْتِقَاقًا لَهَا مِنَ اسْمِ اللهِ الَّذِي هُوَ الْعَزِيزُ.. وَأَصْلُ الْإِلْحَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْعُدُولُ عَنِ الْقَصْدِ، وَالْجَوْرُ عَنْهُ، وَالْإِعْرَاضُ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مُعْوَجٍّ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلَحْدِ الْقَبْرِ لَحْدٌ؛ لِأَنَّهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ وَلَيْسَ فِي وَسَطِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: أَلْحَدَ فُلَانٌ يُلْحِدُ إِلْحَادًا، وَلَحَدَ يَلْحَدُ لَحْدًا وَلُحُودًا.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: (إِنَّهُ مَنْسُوخٌ، نَسَخَهُ الْقِتَالُ)، وَلَا مَعْنَىٰ لِمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ مِنْ أَنَّهِ مَنْسُوخٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، لَيْسَ بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِتَرْكِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لَهُ فِي قِتَالِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ تَهْدِيدٌ مِنَ اللهِ لِلْمُلْحِدِينَ فِي أَسْمَائِهِ وَوَعِيدٌ مِنْهُ لَهُمْ، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣] الْآيَةَ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٦]، وَهُوَ كَلَامٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ بِمَعْنَىٰ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ، وَمَعْنَاهُ: إِنْ تُمْهِلِ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ يَا مُحَمَّدُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ..

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] فَسَوْفَ يُجْزَوْنَ -إِذَا جَاءَهُمْ أَجَلُ اللهِ الَّذِي أَجَّلَهُ إِلَيْهِمْ- جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَائِهِ وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١].

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ وَمِنَ الْخَلْقِ الَّذِينَ خَلَقْنَا..

﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿يَهْدُونَ﴾ يَهْتَدُونَ..

﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ﴾ وَبِالْحَقِّ..

﴿يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١] يَقْضُونَ وَيُنْصِفُونَ النَّاسَ.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَدِلَّتِنَا وَأَعْلَامِنَا، فَجَحَدُوهَا وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا بِهَا..

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سَنُمْهِلُهُم بِغِرَّتِهِم وَنُزَيِّنُ لَهُم سُوءَ عَمَلِهِم..

﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٢﴾ [الأعراف: ١٨٢] حَتَّىٰ يَحْسِبَ أَنَّهُ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِهِ بِآيَاتِ اللهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ مُحْسِنٌ، وَحَتَّىٰ يَبْلُغَ الْغَايَةَ الَّتِي كُتِبَ لَهُ مِنَ الْمَهَلِ، ثُمَّ يَأْخُذَهُ بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، فَيُجَازِيَهُ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ، وَذَلِكَ اسْتِدْرَاجُ اللهِ إِيَّاهُ.. وَأَصْلُ الِاسْتِدْرَاجِ اغْتِرَارُ الْمُسْتَدْرَجِ بِلُطْفٍ مِنْ حَيْثُ يَرَىٰ الْمُسْتَدْرَجُ أَنَّ الْمُسْتَدْرِجَ إِلَيْهِ مُحْسِنٌ، حَتَّىٰ يُوَرِّطَهُ مَكْرُوهًا.

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ۝١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨٣].

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ وَأُؤَخِّرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مِلاوَةً بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ وَالْفَتْحِ، مِنَ الدَّهْرِ - وَهِيَ الْحِينُ، وَمِنْهُ قِيلَ: انْتَظَرْتُكَ مَلِيًّا -لِيَبْلُغُوا بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمُ الْمِقْدَارَ الَّذِي قَدْ كَتَبَهُ لَهُمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ، ثُمَّ يَقْبِضَهُمْ إِلَيْهِ..

﴿إِنَّ كَيۡدِي﴾ وَالْكَيْدُ: هُوَ الْمَكْرُ..

﴿مَتِينٌ ۝١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨٣] قَوِيٌّ شَدِيدٌ.

﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝١٨٤﴾ [الأعراف: ١٨٤].

﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَيَتَدَبَّرُوا بِعُقُولِهِمْ..

﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ وَيَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَنَا الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ، لَا جِنَّةَ بِهِ وَلَا خَبَلَ، وَأَنَّ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ الْقَوِيمُ وَالْحَقُّ الْمُبِينُ..

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ مَا هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ، مُنْذِرُكُمْ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، إِنْ لَمْ تُنِيبُوا إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿مُّبِينٌ ۝١٨٤﴾ [الأعراف: ١٨٤] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْذَارَهُ مَا أَنْذَرَكُمْ بِهِ مِنْ بَأْسِ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ.

﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ۝١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ..

﴿فِي مَلَكُوتِ﴾ فِي مُلْكِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ فِي..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ وَفِيمَا خَلَقَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ شَيْءٍ فِيهِمَا، فَيَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِمَّنْ لَا نظيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ، وَمِنْ فِعْلِ مَنْ

لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ وَالدِّينُ الْخَالِصُ إِلَّا لَهُ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيُصَدِّقُوا رَسُولَهُ، وَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَيَخْلَعُوا الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ وَيَحْذَرُوا أَنْ تَكُونَ آجَالُهُمْ قَدِ اقْتَرَبَتْ فَيَهْلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَيَصِيرُوا إِلَىٰ عَذَابِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ..

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ فَبِأَيِّ تَخْوِيفٍ وَتَحْذِيرٍ وَتَرْهِيبٍ..

﴿بَعْدَهُۥ﴾ بَعْدَ تَحْذِيرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَرْهِيبِهِ الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فِي آيِ كِتَابِهِ..

﴿يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٥] يُصَدِّقُونَ، إِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦].

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ إِنَّ إِعْرَاضَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، التَّارِكِي النَّظَرِ فِي حُجَجِ اللهِ وَالْفِكْرِ فِيهَا؛ لِإِضْلَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَلَوْ هَدَاهُمُ اللهُ لَاعْتَبَرُوا وَتَدَبَّرُوا فَأَبْصَرُوا رُشْدَهُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ أَضَلَّهُمْ فَلَا يُبْصِرُونَ رُشْدًا وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، وَمَنْ أَضَلَّهُ عَنِ الرَّشَادِ فَلَا هَادِيَ لَهُ..

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ يَدَعُهُمْ فِي تَمَادِيهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ فِي شِرْكِهِمْ..

﴿يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦] يَتَرَدَّدُونَ، لِيَسْتَوْجِبُوا الْغَايَةَ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ وَأَلِيمِ نَكَالِهِ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ إِنَّ قَوْمًا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانُوا مِنْ قُرَيْشٍ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا كَانُوا مِنَ الْيَهُودِ، وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ عِنْدَنَا يَجُوزُ قَطْعُ الْقَوْلِ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ كَانَ..

﴿أَيَّانَ﴾ مَتَىٰ..

﴿مُرْسَىٰهَا﴾ قِيَامُهَا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَرْسَاهَا اللهُ فَهِيَ مُرْسَاةٌ، وَأَرْسَاهَا الْقَوْمُ: إِذَا حَبَسُوهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مُنْتَهَاهَا، وَذَلِكَ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِنْ مَعْنَىٰ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: قِيَامُهَا؛ لِأَنَّ

انْتِهَاءَهَا بُلُوغُهَا وَقْتَهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ الْحَبْسُ وَالْوُقُوفُ..

﴿قُلْ﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يُجِيبَ سَائِلِيهِ عَنِ السَّاعَةِ بِـ..

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ لَا يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِهَا إِلَّا اللهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ..

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ وَأَنَّهُ لَا يُظْهِرُهَا لِوَقْتِهَا وَلَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ..

﴿ثَقُلَتْ﴾ خَفِيَتْ..

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عَلَىٰ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَعْرِفُوا وَقْتَهَا وَمَجِيئَهَا؛ لِخَفَائِهَا عَنْهُمْ، وَاسْتِئْثَارِ اللهِ بِعِلْمِهَا، فَلَمْ يَعْلَمْ قِيَامَهَا مَتَىٰ تَقُومُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ..

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ لَا تَجِيءُ السَّاعَةُ إِلَّا فَجْأَةً، لَا تَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهَا..

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَنِ السَّاعَةِ..

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ كَأَنَّكَ تَعْلَمُهَا..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِسَائِلِيكَ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ وَحِينَ مَجِيئِهَا..

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ لَا عِلْمَ لِي بِذَلِكَ، وَلَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا اللهُ، الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧] أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، بَلْ يَحْسَبُونَ أَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ يُوجَدُ عِنْدَ بَعْضِ خَلْقِهِ.

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِسَائِلِيكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا..

﴿لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَىٰ نَفْسِي، وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ يَحِلُّ بِهَا عَنْهَا..

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ أَمْلِكَهُ مِنْ ذَلِكَ، بِأَنْ يُقَوِّيَنِي عَلَيْهِ وَيُعِينَنِي..

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا هُوَ كَائِنٌ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ..

﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَعْدَدْتُ لِلسَّنَةِ الْمُجْدِبَةِ مِنَ الْمُخْصِبَةِ، وَلَعَرَفْتُ الْغَلَاءَ مِنَ الرُّخْصِ، وَاسْتَعْدَدْتُ لَهُ فِي الرُّخْصِ..

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ وَمَا مَسَّنِيَ الضُّرُّ..

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ مَا أَنَا إِلَّا رَسُولُ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، أُنْذِرُ عِقَابَهُ مَنْ عَصَاهُ مِنْكُمْ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَأُبَشِّرُ بِثَوَابِهِ وَكَرَامَتِهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ مِنْكُمْ..

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨] يُصَدِّقُونَ بِأَنِّي للهِ رَسُولٌ، وَيُقِرُّونَ بِحَقِّيَّةِ مَا جِئْتُهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ.

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩﴾

[الأعراف: ١٨٩].

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يَعْنِي بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ: آدَمَ..

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وَجَعَلَ مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، وَهُوَ آدَمُ، زَوْجَهَا حَوَّاءَ..

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ﴾ لِيَأْوِيَ إِلَيْهَا لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ وَلَذَّتِهِ..

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ فَلَمَّا تَدَثَّرَهَا لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ مِنْهَا فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ مِنْهَا..

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ يَعْنِي بِخِفَّةِ الْحَمْلِ: الْمَاءَ الَّذِي حَمَلَتْهُ حَوَّاءُ فِي رَحِمِهَا مِنْ آدَمَ أَنَّهُ كَانَ حَمْلًا خَفِيفًا، وَكَذَلِكَ هُوَ حَمْلُ الْمَرْأَةِ، مَاءُ الرَّجُلِ خَفِيفٌ عَلَيْهَا..

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ﴾ اسْتَمَرَّتْ بِالْمَاءِ: قَامَتْ بِهِ وَقَعَدَتْ، وَأَتَمَّتِ الْحَمْلَ..

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ فَلَمَّا صَارَ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْحَمْلِ الَّذِي كَانَ خَفِيفًا ثَقِيلًا، وَدَنَتْ وِلَادَتُهَا..

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ نَادَىٰ آدَمُ وَحَوَاءُ رَبَّهُمَا وَقَالَا: يَا رَبَّنَا..

﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ وَالصَّلَاحُ قَدْ يَشْمَلُ مَعَانِيَ كَثِيرَةً، مِنْهَا الصَّلَاحُ فِي اسْتِوَاءِ الْخَلْقِ، وَمِنْهَا الصَّلَاحُ فِي الدِّينِ، وَالصَّلَاحُ فِي الْعَقْلِ وَالتَّدْبِيرِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ عَنِ الرَّسُولِ يُوجِبُ الْحُجَّةَ بِأَنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ بَعْضِ مَعَانِي الصَّلَاحِ دُونَ بَعْضٍ، وَلَا فِيهِ مِنَ الْعَقْلِ دَلِيلٌ وَجَبَ أَنْ يَعُمَّ كَمَا عَمَّهُ اللهُ، فَيُقَالَ إِنَّهُمَا قَالَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا بِجَمِيعِ مَعَانِي الصَّلَاحِ..

﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩﴾ [الأعراف: ١٨٩] لَنَكُونَنَّ مِمَّنْ يَشْكُرُكَ عَلَىٰ مَا وَهَبْتَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ صَالِحًا.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ فَلَمَّا رَزَقَهُمَا اللهُ وَلَدًا صَالِحًا كَمَا سَأَلَا..

﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ فِي الِاسْمِ لَا فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنَّ الْمَعْنِيَّ بِذَلِكَ آدَمُ وَحَوَّاءُ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ لَمْ يَدِينَا بِأَنَّ وَلَدَهُمَا مِنْ عَطِيَّةِ إِبْلِيسَ ثُمَّ يَجْعَلَا للهِ فِيهِ شِرْكًا لِتَسْمِيَتِهِمَا إِيَّاهُ بِعَبْدِ اللهِ، وَإِنَّمَا كَانَا يَدِينَانِ -لَا شَكَّ- بِأَنَّ وَلَدَهُمَا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَعَطِيَّتِهِ، ثُمَّ سَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَجَعَلَا لِإِبْلِيسَ فِيهِ شِرْكًا بِالِاسْمِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ إِنَّمَا سَمَّيَا ابْنَهُمَا عَبْدَ الْحَارِثِ، وَالْحَارِثُ وَاحِدٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿شُرَكَآءَ﴾ جَمَاعَةٌ، فَكَيْفَ وَصَفَهُمَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُمَا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ، وَإِنَّمَا أَشْرَكَا وَاحِدًا؟ قِيلَ: قَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ عَلَىٰ أَنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْخَبَرَ عَنِ الْوَاحِدِ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا لَمْ تَقْصِدْ وَاحِدًا بِعَيْنِهِ وَلَمْ تُسَمِّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَإِنَّمَا كَانَ الْقَائِلُ ذَلِكَ وَاحِدًا، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْجَمَاعَةِ؛ إِذْ لَمْ يَقْصِدْ قَصْدَهُ، وَذَلِكَ مُسْتَفِيضٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا..

﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ وَرَزَقَهُمَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ -إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّ الْمَعْنِيَّ بِهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ- فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾، أَفَكَانَ آدَمُ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْقَوْلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ لَيْسَ بِالَّذِي ظَنَنْتَ، وَإِنَّمَا الْقَوْلُ فِيهِ: فَتَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، فَأَمَّا الْخَبَرُ عَنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ فَقَدِ انْقَضَىٰ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾، ثُمَّ اسْتُؤْنِفَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾..

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ فَتَنْزِيهٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَفْسَهُ، وَتَعْظِيمٌ لَهَا..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠] عَمَّا يَقُولُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ وَيَدْعُونَ مَعَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف: ١٩١].

﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ فِي عِبَادَةِ اللهِ، فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ..

﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ وَاللهُ يَخْلُقُهَا وَيُنْشِئُهَا..

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف: ١٩١] وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ الْخَالِصَةُ لِلْخَالِقِ لَا لِلْمَخْلُوقِ.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩٢].

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أَيُشْرِكُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَةِ اللهِ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْصُرَهُمْ إِنْ أَرَادَ اللهُ، أَوْ أَحَلَّ بِهِمْ عُقُوبَةً..

﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩٢] وَلَا هُوَ قَادِرٌ إِنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا نَصْرَ نَفْسِهِ وَلَا دَفْعَ ضُرٍّ عَنْهَا، وَإِنَّمَا الْعَابِدُ يَعْبُدُ مَا يَعْبُدُهُ لِاجْتِلَابِ نَفْعٍ مِنْهُ أَوْ لِدَفْعِ ضُرٍّ مِنْهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَآلِهَتُهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَيُشْرِكُونَهَا فِي عِبَادَةِ اللهِ لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَضُرُّهُمْ، بَلْ لَا تَجْتَلِبُ إِلَىٰ نَفْسِهَا نَفْعًا وَلَا تَدْفَعُ عَنْهَا ضُرًّا، فَهِيَ مِنْ نَفْعِ غَيْرِ أَنْفُسِهَا أَوْ دَفْعِ الضُّرِّ عَنْهَا أَبْعَدُ.. يُعَجِّبُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلْقَهُ مِنْ عَظِيمِ خَطَإِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمُ اللهَ غَيْرَهُ.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ [الأعراف: ١٩٣].

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي وَصْفِهِ وَعَيْبِهِ مَا يُشْرِكُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ رَبَّهُمْ إِيَّاهُ: وَمِنْ صِفَتِهِ أَنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْأَمْرِ الصَّحِيحِ السَّدِيدِ..

﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَعْقِلُ شَيْئًا، فَتُتْرَكُ مِنَ الطُّرُقِ مَا كَانَ عَنِ الْقَصْدِ مُنْعَدِلًا جَائِرًا، وَتَرْكَبَ مَا كَانَ مُسْتَقِيمًا سَدِيدًا، وَإِنَّمَا أَرَادَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِوَصْفِ آلِهَتِهِمْ بِذَلِكَ مِنْ صِفَتِهَا تَنْبِيهَهُمْ عَلَىٰ عَظِيمِ خَطَئِهِمْ، وَقُبْحِ اخْتِيَارِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَكَيْفَ يَهْدِيكُمْ إِلَىٰ الرَّشَادِ مَنْ إِنْ دُعِيَ إِلَىٰ الرَّشَادِ وَعُرِّفَهُ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَلَمْ يَفْهَمْ رَشَادًا مِنْ ضَلَالٍ..

﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ [الأعراف: ١٩٣] وَكَانَ سَوَاءً دُعَاءُ دَاعِيهِ إِلَىٰ الرَّشَادِ وَسُكُوتُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ دُعَاءَهُ، وَلَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ، وَلَا يَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهُ؟ يَقُولُ: فَكَيْفَ يُعْبَدُ مَا كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ، أَمْ كَيْفَ يُشْكِلُ عَظِيمُ جَهْلِ مَنِ اتَّخَذَ مَا هَذِهِ صِفَتُهُ إِلَهًا؟ وَإِنَّمَا الرَّبُّ الْمَعْبُودُ هُوَ النَّافِعُ مَنْ يَعْبُدُهُ، الضَّارُّ مَنْ يَعْصِيهِ، النَّاصِرُ وَلِيَّهُ، الْخَاذِلُ عَدُوَّهُ، الْهَادِي إِلَىٰ الرَّشَادِ مَنْ أَطَاعَهُ، السَّامِعُ دُعَاءَ مَنْ دَعَاهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، مُوَبِّخُهُمْ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، وَتَعْبُدُونَهَا شِرْكًا مِنْكُمْ وَكُفْرًا بِاللهِ..

﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ هُمْ أَمْلَاكٌ لِرَبِّكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ لَهُ مَمَالِيكُ..

﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤] فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّهَا

تَضُرُّ وَتَنْفَعُ، وَأَنَّهَا تَسْتَوْجِبُ مِنْكُمُ الْعِبَادَةَ لِنَفْعِهَا إِيَّاكُمْ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِدُعَائِكُمْ إِذَا دَعَوْتُمُوهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ لِأَنَّهَا لَا تَسْمَعُ دُعَاءَكُمْ، فَأَيْقِنُوا بِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ؛ لِأَنَّ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ إِنَّمَا يَكُونَانِ مِمَّنْ إِذَا سُئِلَ سَمِعَ مَسْأَلَةَ سَائِلٍ وَأَعْطَىٰ وَأَفْضَلَ، وَمَنْ إِذَا شُكِيَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ سَمِعَ فَضَرَّ مَنِ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ، وَنَفَعَ مَنْ لَا يَسْتَوْجِبُ الضُّرَّ.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩٥].

﴿أَلَهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ مِنْ دُونِهِ مُعَرِّفُهُمْ جَهْلَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ: أَلِأَصْنَامِكُمْ هَذِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ فَيَسْعَوْنَ مَعَكُمْ وَلَكُمْ فِي حَوَائِجِكُمْ وَيَتَصَرَّفُونَ بِهَا فِي مَنَافِعِكُمْ..

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ فَيَدْفَعُونَ عَنْكُمْ وَيَنْصُرُونَكُمْ بِهَا عِنْدَ قَصْدِ مَنْ يَقْصِدُكُمْ بِشَرٍّ وَمَكْرُوهٍ..

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ فَيُعَرِّفُوكُمْ مَا عَايَنُوا وَأَبْصَرُوا مِمَّا تَغِيبُونَ عَنْهُ فَلَا تَرَوْنَهُ..

﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فَيُخْبِرُوكُمْ بِمَا سَمِعُوا دُونَكُمْ مِمَّا لَمْ تَسْمَعُوهُ؟ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَإِنْ كَانَتْ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْآلَاتِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، وَالْمُعَظَّمُ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا يُعَظَّمُ لِمَا يُرْجَىٰ مِنْهُ مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَيْهِ بَعْضُ هَذِهِ الْمَعَانِي عِنْدَكُمْ، فَمَا وَجْهُ عِبَادَتِكُمْ أَصْنَامَكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، وَهِيَ خَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يُوصَلُ إِلَىٰ اجْتِلَابِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضُّرِّ؟..

﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أَنْتُمْ وَهُمْ..

﴿فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩٥] فَلَا تُؤَخِّرُونَ بِالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ، وَلَكِنْ عَجِّلُوا بِذَلِكَ، يُعْلِمُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَضُرُّوهُ، وَأَنَّهُ قَدْ عَصَمَهُ مِنْهُمْ، وَيُعَرِّفُ الْكَفَرَةَ بِهِ عَجْزَ أَوْثَانِهِمْ عَنْ نُصْرَةِ مَنْ بَغَىٰ أَوْلِيَاءَهُمْ بِسُوءٍ.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦].

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ: إِنَّ وَلِيِّيَ نَصِيرِي وَمُعِينِي وَظَهِيرِي عَلَيْكُمْ..

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عَلَيَّ بِالْحَقِّ..

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى مَنْ صَلُحَ عَمَلُهُ بِطَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ وَقُلْ لَهُمْ، إِنَّ اللهَ نَصِيرِي وَظَهِيرِي، وَالَّذِينَ تَدْعُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ..

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧] وَلَا هُمْ مَعَ عَجْزِهِمْ عَنْ نُصْرَتِكُمْ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ نُصْرَةِ أَنْفُسِهِمْ، فَأَيُّ هَذَيْنِ أَوْلَىٰ بِالْعِبَادَةِ وَأَحَقُّ بِالْأُلُوهَةِ، أَمَّنْ يَنْصُرُ وَلِيَّهُ وَيَمْنَعُ نَفْسَهُ مِمَّنْ أَرَادَهُ، أَمْ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ نَصْرَ وَلِيِّهِ وَيَعْجِزُ عَنْ مَنْعِ نَفْسِهِ مِمَّنْ أَرَادَهُ وَبَغَاهُ بِمَكْرُوهٍ؟

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ: وَإِنْ تَدْعُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ آلِهَتَكُمْ..

﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وَهُوَ الِاسْتِقَامَةُ إِلَىٰ السَّدَادِ..

﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ..

﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ وَتَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ آلِهَتَهُمْ..

﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ يَنْظُرُ إِلَىٰ شَيْءٍ وَلَا يَرَاهُ؟ قِيلَ: إِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ إِذَا قَابَلَ شَيْئًا أَوْ حَاذَاهُ هُوَ يَنْظُرُ إِلَىٰ كَذَا، وَيُقَالُ: مَنْزِلُ فُلَانٍ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْزِلِي إِذَا قَابَلَهُ، وَحُكِيَ عَنْهَا: إِذَا أَتَيْتَ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا، فَنَظَرَ إِلَيْكَ الْجَبَلُ، فَخُذْ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَتَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ آلِهَةَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ يُقَابِلُونَكَ وَيُحَاذُونَكَ، وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَكَ؛ لِأَنَّهُ لَا أَبْصَارَ لَهُمْ.. وَقِيلَ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (وَتَرَاهَا) أَنَّهَا صُوَرٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَىٰ صُوَرِ بَنِي آدَمَ.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ، وَاتْرُكِ الْغِلْظَةَ عَلَيْهِمْ، أُمِرَ بِذَلِكَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي الْمُشْرِكِينَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَمَنْسُوخٌ ذَلِكَ؟ قِيلَ: لَا دَلَالَةَ عِنْدَنَا عَلَىٰ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ؛ إِذْ كَانَ جَائِزًا أَنْ يَكُونَ فِي تَعْرِيفِهِ عِشْرَةَ مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِقِتَالِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مُرَادًا بِهِ تَأْدِيبُ نَبِيِّ اللهِ وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا فِي عِشْرَةِ النَّاسِ، وَأَمْرُهُمْ بِأَخْذِ عَفْوِ أَخْلَاقِهِمْ، فَيَكُونُ تَعْلِيمًا مِنَ اللهِ خَلْقَهُ صِفَةَ عِشْرَةِ

بَعْضِهِمْ بَعْضًا، لَمْ يَجِبِ اسْتِعْمَالُ الْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ فِي بَعْضِهِمْ، فَإِذَا وَجَبَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ فِيهِمْ، اسْتُعْمِلَ الْوَاجِبُ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أَمْرًا بِأَخْذِهِ مَا لَمْ يَجِبْ غَيْرُ الْعَفْوِ، فَإِذَا وَجَبَ غَيْرُهُ أَخَذَ الْوَاجِبَ وَغَيْرَ الْوَاجِبِ إِذَا أَمْكَنَ ذَلِكَ..

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ إِنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالْعُرْفِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَإِذَا كَانَ مَعْنَىٰ الْعُرْفِ ذَلِكَ، فَمِنَ الْمَعْرُوفِ صِلَةُ رَحِمِ مَنْ قَطَعَ، وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَ، وَالْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَ، وَكُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْعُرْفِ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، فَالْحَقُّ فِيهِ أَنْ يُقَالَ: قَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَهُ بِالْمَعْرُوفِ كُلِّهِ لَا بِبَعْضِ مَعَانِيهِ دُونَ بَعْضٍ..

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] فَإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُعْرِضَ عَمَّنْ جَهِلَ، وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ، فَإِنَّهُ تَأْدِيبٌ مِنْهُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِخَلْقِهِ بِاحْتِمَالِ مَنْ ظَلَمَهُمْ أَوِ اعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ، لَا بِالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ جَهِلَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ اللهِ، وَلَا بِالصَّفْحِ عَمَّنْ كَفَرَ بِاللهِ وَجَهِلَ وَحْدَانِيَّتَهُ، وَهُوَ لِلْمُسْلِمِينَ حَرْبٌ.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ وَإِمَّا يُغْضِبَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ غَضَبٌ يَصُدُّكَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَيَحْمِلُكَ عَلَىٰ مُجَازَاتِهِمْ.. وَأَصْلُ النَّزْغِ: الْفَسَادُ، يَقُولُ: نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ الْقَوْمِ إِذَا أَفْسَدَ بَيْنَهُمْ، وَحَمَلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فَاسْتَجِرْ بِاللهِ مِنْ نَزْغِهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ الَّذِي تَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ..

﴿سَمِيعٌ﴾ لِجَهْلِ الْجَاهِلِ عَلَيْكَ وَلِاسْتِعَاذَتِكَ بِهِ مِنْ نَزْغِهِ وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠] بِمَا يُذْهِبُ عَنْكَ نَزْغَ الشَّيْطَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ٢٠١﴾
[الأعراف: ٢٠١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ اللهَ مِنْ خَلْقِهِ، فَخَافُوا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ إِذَا أَلَمَّ بِهِمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ غَضَبٍ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا

يُصَدُّ عَنْ وَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿تَذَكَّرُواْ﴾ عِقَابَ اللهِ وَثَوَابَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ..

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ هُدَىٰ اللهِ وَبَيَانَهُ وَطَاعَتَهُ فِيهِ، فَمُنْتَهُونَ عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ طَائِفُ الشَّيْطَانِ، وَأَبْصَرُوا الْحَقَّ فَعَمِلُوا بِهِ، وَانْتَهَوْا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ وَتَرَكُوا فِيهِ طَاعَةَ الشَّيْطَانِ.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ..

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ تَمُدُّهُمُ الشَّيَاطِينُ، ويَزِيدُونَهُمْ..

﴿فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾ [الأعراف: ٢٠٢] عَمَّا قَصُرَ عَنْهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.. وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ فَرِيقَيِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، بِأَنَّ فَرِيقَ الْإِيمَانِ وَأَهْلَ تَقْوَىٰ اللهِ إِذَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ تَذَكَّرُوا عَظَمَةَ اللهِ وَعِقَابَهُ، فَكَفَّتْهُمْ رَهْبَتُهُ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَرَدَّتْهُمْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ زَلَّةٍ، وَأَنَّ فَرِيقَ الْكَافِرِينَ يَزِيدُهُمُ الشَّيْطَانُ غَيًّا إِلَىٰ غَيِّهِمْ إِذَا رَكِبُوا مَعْصِيَةً مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَلَا يَحْجُزُهُمْ تَقْوَىٰ اللهِ، وَلَا خَوْفُ الْمَعَادِ إِلَيْهِ عَنِ التَّمَادِي فِيهَا وَالزِّيَادَةِ مِنْهَا، فَهُوَ أَبَدًا فِي زِيَادَةٍ مِنْ رُكُوبِ الْإِثْمِ، وَالشَّيْطَانُ يَزِيدُهُ أَبَدًا، لَا يُقْصِرُ الْإِنْسِيُّ عَنْ شَيْءٍ مِنْ رُكُوبِ الْفَوَاحِشِ وَلَا الشَّيْطَانُ مِنْ مَدِّهِ مِنْهُ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾ بِمَعْنَىٰ: وَلَا الشَّيَاطِينُ يُقْصِرُونَ فِي مَدِّهِمْ إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْغَيِّ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا مَا اخْتَرْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّاهُ؛ لِأَنَّ اللهَ وَصَفَ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ وَارْتِدَاعَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَمَا يَكْرَهُهُ إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ عِنْدَ تَذَكُّرِهِمْ عَظَمَتَهُ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ وَرُكُوبِهِمْ مَعَاصِيهِ، وَكَانَ الْأُولَىٰ وَصْفَهُمْ بِتَمَادِيهِمْ فِيهَا؛ إِذْ كَانَ عُقَيْبَ الْخَبَرِ عَنْ تَقْصِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهَا.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٢٠٣﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾ قَالُوا: هَلَّا اخْتَرْتَهَا وَاصْطَفَيْتَهَا وَافْتَعَلْتَهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ وَاخْتَلَقْتَهَا، مِنْ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، يَعْنِي: يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي..

﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لَكَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ هَلَّا أَحْدَثْتَهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ..

﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لِي وَلَا يَجُوزُ لِي فَعَلُهُ، لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا أَمَرَنِي بِاتِّبَاعِ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ عِنْدِهِ، فَإِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي، لِأَنِّي عَبْدُهُ وَإِلَىٰ أَمْرِهِ أَنْتَهِي وَإِيَّاهُ أُطِيعُ..

﴿هَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ وَالْوَحْيُ الَّذِي أَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ..

﴿بَصَآئِرُ﴾ حُجَجٌ عَلَيْكُمْ، وَبَيَانٌ لَكُمْ..

﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى﴾ وَبَيَانٌ يَهْدِي الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ..

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ رَحِمَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْقَذَهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْهَلَكَةِ..

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣] هُوَ بَصَائِرُ مِنَ اللهِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِمَنْ آمَنَ، يَقُولُ: لِمَنْ صَدَّقَ بِالْقُرْآنِ أَنَّهُ تَنْزِيلُ اللهِ وَوَحْيُهُ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، دُونَ مَنْ كَذَّبَ بِهِ وَجَحَدَهُ وَكَفَرَ بِهِ، بَلْ هُوَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ غُمٌّ وَخِزْيٌ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْمُصَدِّقِينَ بِكِتَابِهِ الَّذِينَ الْقُرْآنُ لَهُمْ هُدًىٰ وَرَحْمَةٌ: إِذَا قُرِئَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ أَصْغُوا لَهُ سَمْعَكُمْ، لِتَتَفَهَّمُوا آيَاتِهِ، وَتَعْتَبِرُوا بِمَوَاعِظِهِ..

﴿وَأَنصِتُواْ﴾ إِلَيْهِ لِتَعْقِلُوهُ وَتَتَدَبَّرُوهُ، وَلَا تَلْغَوْا فِيهِ فَلَا تَعْقِلُوهُ.. فَأُمِرُوا بِاسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ وَكَانَ مَنْ خَلْفَهُ مِمَّنْ يَأْتَمُّ بِهِ يَسْمَعُهُ، وَفِي الْخُطْبَةِ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا»، وَإِجْمَاعُ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ الْإِمَامِ مِمَّنْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ، الِاسْتِمَاعُ وَالْإِنْصَاتُ لَهَا، مَعَ تَتَابُعِ الْأَخْبَارِ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَّهُ لَا وَقْتَ يَجِبُ عَلَىٰ أَحَدٍ اسْتِمَاعُ الْقُرْآنِ وَالْإِنْصَاتُ لِسَامِعِهِ مِنْ قَارِئِهِ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ عَلَىٰ اخْتِلَافٍ فِي إِحْدَاهُمَا، وَهِيَ حَالَةُ أَنْ يَكُونَ خَلْفَ إِمَامٍ مُؤْتَمٍّ بِهِ، وَقَدْ صَحَّ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِهِ: «إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا»، فَالْإِنْصَاتُ خَلْفَهُ لِقِرَاءَتِهِ وَاجِبٌ عَلَىٰ مَنْ كَانَ بِهِ مُؤْتَمًّا سَامِعًا قِرَاءَتَهُ، بِعُمُومِ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَالْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وهو قَوْلُ ابنِ مَسْعُوْدٍ، وَعُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ، وَعَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، ومُجَاهِدٍ، وحُمِيدِ الأَعْرَجِ، وقَتَادَةِ، وعبدِ الرَّحمنِ بنْ زيدٍ، والزُّهْرِيِّ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] لِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ بِاتِّعَاظِكُمْ بِمَوَاعِظِهِ، وَاعْتِبَارِكُمْ بِعِبَرِهِ، وَاسْتِعْمَالِكُمْ مَا بَيَّنَهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ فِي آيِهِ.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

﴿وَٱذْكُر﴾ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ الْمُنْصِتُ لِلْقُرْآنِ إِذَا قُرِئَ فِي صَلَاةٍ أَوْ خُطْبَةٍ..

﴿رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ اتَّعِظْ بِمَا فِي آيِ الْقُرْآنِ، وَاعْتَبِرْ بِهِ، وَتَذَكَّرْ مَعَادَكَ إِلَيْهِ عِنْدَ سَمَاعِكَهُ..

﴿تَضَرُّعًا﴾ افْعَلْ ذَلِكَ تَخَشُّعًا للهِ وَتَوَاضُعًا لَهُ..

﴿وَخِيفَةً﴾ وَخَوْفًا مِنَ اللهِ أَنْ يُعَاقِبَكَ عَلَىٰ تَقْصِيرٍ يَكُونُ مِنْكَ فِي الِاتِّعَاظِ بِهِ وَالِاعْتِبَارِ، وَغَفْلَةٍ عَمَّا بَيَّنَ اللهُ فِيهِ مِنْ حُدُودِهِ..

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وَدُعَاءً بِاللِّسَانِ للهِ فِي خَفَاءٍ لَا جِهَارٍ، يَقُولُ: لِيَكُنْ ذِكْرُ اللهِ عِنْدَ اسْتِمَاعِكَ الْقُرْآنَ فِي دُعَاءٍ إِنْ دَعَوْتَ غَيْرَ جِهَارٍ، وَلَكِنْ فِي خَفَاءٍ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ آخِرِ الْفَجْرِ، صَلَاةِ الصُّبْحِ..

﴿وَٱلْآصَالِ﴾ آخِرِ الْعَشِيِّ، صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران: ٤١]، فَقِيلَ: الْعَشِيُّ: مَيْلُ الشَّمْسِ إِلَىٰ أَنْ تَغِيبَ، وَالْإِبْكَارُ: أَوَّلُ الْفَجْرِ..

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وَلَا تَكُنْ مِنَ اللَّاهِينَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ عَنْ عِظَاتِهِ وَعِبَرِهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ عَجَائِبِهِ، وَلَكِنْ تَدَبَّرْ ذَلِكَ وَتَفَهَّمْهُ، وَأَشْعِرْهُ قَلْبَكَ بِذِكْرِ اللهِ، وَخُضُوعٍ لَهُ، وَخَوْفٍ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ عَلَيْكَ، إِنْ أَنْتَ غَفَلْتَ عَنْ ذَلِكَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ لَا تَسْتَكْبِرْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ الْمُنْصِتُ لِلْقُرْآنِ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَاذْكُرْهُ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ، فَإِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ..

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ عَنِ التَّوَاضُعِ لَهُ وَالتَّخَشُّعِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعِبَادَةُ..

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ وَيُعَظِّمُونَ رَبَّهم بِتَواضُعِهِم لَه فِي عِبَادَتِهِ..

﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وَللهِ يُصلُّونَ، وَهوَ سُجودُهم، فَصَلُّوا أَنتُم أَيضًا لَه، وَعَظِّموه بِالعِبادَةِ كَمَا يَفْعَلُه مَنْ عِنْدَه مِنْ مَلائِكَتِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ

سُورَةُ الأَنْفَالِ (٨)
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ

الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْأَنْفَالُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ①﴾ [الأنفال: ١].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ يَا مُحَمَّدُ.. وَاخْتُلِفَ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي غَنَائِمِ بَدْرٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ نَفَلَ أَقْوَامًا عَلَىٰ بَلَاءٍ، فَأَبْلَىٰ أَقْوَامٌ وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاخْتَلَفُوا فِيهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ رَسُولِهِ، يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ مَا فَعَلَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَاضٍ جَائِزٌ، واستدلوا علىٰ ذلك بما ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَنَعَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا**» قَالَ: فَتَسَارَعَ فِي ذَلِكَ شُبَّانُ الرِّجَالِ، وَبَقِيَتِ الشُّيُوخُ تَحْتَ الرَّايَاتِ فَلَمَّا كَانَتِ الْغَنَائِمُ، جَاءُوا يَطْلُبُونَ الَّذِي جَعَلَ لَهُمْ، فَقَالَتِ الشُّيُوخُ: لَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْنَا، فَإِنَّا كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ، وَكُنَّا تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَلَوِ انْكَشَفْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا، فَتَنَازَعُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ①﴾.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ لِأَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ شَيْئًا قَبْلَ قِسْمَتِهَا، فَلَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ؛ إِذْ كَانَ شِرْكًا بَيْنَ الْجَيْشِ، فَجَعَلَ اللهُ جَمِيعَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، واستدلوا بما جاءَ عَنْ سَعْدِ بنِ مالكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا السَّيْفُ قَدْ شَفَىٰ اللهُ بِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: «**لَيْسَ هَذَا لِي وَلَا لَكَ**»، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ، قُلْتُ: أَخَافُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَنْ لَمْ يُبْلِ بَلَائِي، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ، قَالَ: «**إِنَّ السَّيْفَ قَدْ صَارَ لِي**»، قَالَ: فَأَعْطَانِيهِ، وَنَزَلَتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلُوا قِسْمَةَ الْغَنِيمَةِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَعْلَمَهُمُ اللهُ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ دُونَهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ شَيْءٌ، وَقَالُوا: مَعْنَىٰ: (عَنْ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (مِنْ) وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْأَنْفَالِ، وَقَالُوا: قَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَؤُهُ: (**يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ**) عَلَىٰ هَذَا

التَّأْوِيلِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ قَوْمٍ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْأَنْفَالَ أَنْ يُعْطِيَهُمُوهَا، فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ أَنَّهَا للهِ، وَأَنَّهُ جَعَلَهَا لِرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، جَازَ أَنْ يَكُونَ نُزُولُهَا كَانَ مِنْ أَجْلِ اخْتِلَافِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَةِ مَنْ سَأَلَهُ السَّيْفَ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ سَعْدٍ أَنَّهُ سَأَلَهُ إِيَّاهُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَةِ مَنْ سَأَلَهُ قَسْمَ ذَلِكَ بَيْنَ الْجَيْشِ..

﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾ عَنِ الْفَضْلِ مِنَ الْمَالِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْقِسْمَةُ مِنْ غَنِيمَةِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ لِمَنْ هُوَ.. والْأَنْفَالُ: هِيَ زِيَادَاتٌ يَزِيدُهَا الْإِمَامُ بَعْضَ الْجَيْشِ أَوْ جَمِيعَهُمْ، إِمَّا مِنْ سَلَبِهِ عَلَىٰ حُقُوقِهِمْ مِنَ الْقِسْمَةِ، وَإِمَّا مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ بِالنَّفَلِ، أَوْ بِبَعْضِ أَسْبَابِهِ، تَرْغِيبًا لَهُ وَتَحْرِيضًا لِمَنْ مَعَهُ مِنْ جَيْشِهِ عَلَىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَصَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ صَلَاحُ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْفَرَسُ وَالدِّرْعُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِيهِ مَا عَادَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عَبْدٍ أَوْ فَرَسٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرُهُ إِلَىٰ الْإِمَامِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ لِغَلَبَةٍ وَقَهْرٍ، يَفْعَلُ مَا فِيهِ صَلَاحُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْجَيْشُ بِقَهْرٍ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ لِأَنَّ النَّفَلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِنَّمَا هُوَ الزِّيَادَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: نَفَلْتُكَ كَذَا، وَأَنْفَلْتُكَ: إِذَا زِدْتُكَ، وَالْأَنْفَالُ: جَمْعُ نَفَلٍ.. فَإِذَا كَانَ مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَا، فَكُلُّ مَنْ زِيدَ مِنْ مُقَاتِلَةِ الْجَيْشِ عَلَىٰ سَهْمِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ لِبَلَاءٍ أَبْلَاهُ أَوْ لِغَنَاءٍ كَانَ مِنْهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، بِتَنْفِيلِ الْوَالِي ذَلِكَ إِيَّاهُ، فَيَصِيرُ حُكْمُ ذَلِكَ لَهُ كَالسَّلَبِ الَّذِي يَسْلُبُهُ الْقَاتِلُ، فَهُوَ مُنَفَّلٌ مَا زِيدَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْتَوْجَبَةً فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِحَقٍّ، فَلَيْسَتْ مِنَ الْغَنِيمَةِ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا الْقِسْمَةُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا رَضَخَ لِمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فِي الْغَنِيمَةِ فَهُوَ نَفَلٌ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَغْلُوبًا عَلَيْهِ فَلَيْسَ مِمَّا وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقِسْمَةُ.. فَالْفَصْلُ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا بَيْنَ الْغَنِيمَةِ وَالنَّفَلِ، أَنَّ الْغَنِيمَةَ هِيَ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُشْرِكِينَ بِغَلَبَةٍ وَقَهْرٍ، نَفَلَ مِنْهُ مُنَفَّلٌ أَوَلَمْ يُنَفَّلْ، وَالنَّفَلُ: هُوَ مَا أُعْطِيهِ الرَّجُلَ عَلَىٰ الْبَلَاءِ وَالْغَنَاءِ عَنِ الْجَيْشِ عَلَىٰ غَيْرِ قِسْمَةٍ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ دُونَكُمْ، يَجْعَلُهُ حَيْثُ شَاءَ.. وَاخْتَلَفُوا فِيهَا، أَمَنْسُوخَةٌ هِيَ أَمْ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ، وَقَالُوا: نَسَخَهَا قَوْلُهُ: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] الْآيَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ مَنْسُوخَةً، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾، وَهِيَ لَا شَكَّ للهِ مَعَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا وَالْآخِرَةِ، وَلِلرَّسُولِ يَضَعُهَا فِي

مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ بِوَضْعِهَا فِيهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَنْفَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ يُنَفِّلُ مَنْ شَاءَ، فَنَفَّلَ الْقَاتِلَ السَّلَبَ، وَجَعَلَ لِلْجَيْشِ فِي الْبَدَاءَةِ الرُّبُعَ، وَفِي الرَّجْعَةِ الثُّلُثَ بَعْدَ الْخُمُسِ، وَنَفَّلَ قَوْمًا بَعْدَ سُهْمَانِهِمْ بَعِيرًا بَعِيرًا فِي بَعْضِ الْمَغَازِي، فَجَعَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- حُكْمَ الْأَنْفَالِ إِلَىٰ نَبِيِّهِ -ﷺ- يُنَفِّلُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَىٰ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَنْ يَسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فِي ذَلِكَ.. وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ حُكْمَهَا مَنْسُوخٌ؛ لِاحْتِمَالِهَا مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي وَصَفْتُ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُحْكَمَ بِحُكْمٍ قَدْ نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، فَقَدْ دَلَّلْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كُتُبِنَا عَلَىٰ أَنْ لَا مَنْسُوخَ إِلَّا مَا أَبْطَلَ حُكْمَهُ حَادِثُ حَكَمَ بِخِلَافِهِ يَنْفِيهِ مِنْ كُلِّ مَعَانِيهِ، أَوْ يَأْتِي خَبَرٌ يُوجِبُ الْحُجَّةَ أَنَّ أَحَدَهُمَا نَاسِخُ الْآخَرَ.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ لِلْأَئِمَّةِ أَنْ يَتَأَسَّوْا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَغَازِيهِمْ بِفِعْلِهِ، فَيُنَفِّلُوا عَلَىٰ نَحْوِ مَا كَانَ يُنَفِّلُ، إِذَا كَانَ التَّنْفِيلُ صَلَاحًا لِلْمُسْلِمِينَ..

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَاتَّقُوهُ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَأَصْلِحُوا الْحَالَ بَيْنَكُمْ..

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ، لِلَّذِينَ غَنِمُوا الْغَنِيمَةَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَشَهِدُوا الْوَقْعَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الْغَنِيمَةِ، أَنْ يَرُدُّوا مَا أَصَابُوا مِنْهَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هَذَا تَحْرِيجٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ الْقَوْمِ، وَنَهْيٌ لَهُمْ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، مِنْ أَمْرِ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهِ..

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وَانْتَهُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ الطَّالِبُونَ الْأَنْفَالَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ فِيمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ، فَقَدْ بَيَّنَ لَكُمْ وُجُوهَهُ وَسُبُلَهُ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ①﴾ [الأنفال: ١] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ رَسُولَ اللهِ فِيمَا آتَاكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، فَسَلِّمُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ يَحْكُمَانِ فِيهَا بِمَا شَاءَا، وَيَضَعَانِهَا حَيْثُ أَرَادَا.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ②﴾ [الأنفال: ٢].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يُخَالِفُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَتْرُكُ اتِّبَاعَ مَا أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، وَالِانْقِيَادَ لِحُكْمِهِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَ قَلْبُهُ، وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ، وَخَضَعَ لِذِكْرِهِ، خَوْفًا مِنْهُ، وَفَرَقًا مِنْ

عِقَابِهِ.. قال السُّدِّيُّ: (هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ أَوْ يَهِمَّ بِمَعْصِيَةٍ فَيَنْزِعَ عَنْهُ)..

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ كِتَابِهِ صَدَّقَ بِهَا، وَأَيْقَنَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَازْدَادَ بِتَصْدِيقِهِ بِذَلِكَ إِلَىٰ تَصْدِيقِهِ بِمَا كَانَ قَدْ بَلَغَهُ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ تَصْدِيقًا، وَذَلِكَ هُوَ زِيَادَةُ مَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ إِيَّاهُمْ إِيمَانًا..

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢] وَبِاللهِ يُوقِنُونَ فِي أَنَّ قَضَاءَهُ فِيهِمْ مَاضٍ فَلَا يَرْجُونَ غَيْرَهُ وَلَا يَرْهَبُونَ سِوَاهُ.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا..

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٣] وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِيمَا أَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يُنْفِقُوهَا فِيهِ، مِنْ زَكَاةٍ وَجِهَادٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَنَفَقَةٍ عَلَىٰ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُ، فَيُؤَدُّونَ حُقُوقَهُمْ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٤].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ..

﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لَا الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ آمَنَّا وَقُلُوبُهُمْ مُنْطَوِيَةٌ عَلَىٰ خِلَافِهِ نِفَاقًا، لَا يُقِيمُونَ صَلَاةً، وَلَا يُؤَدُّونَ زَكَاةً، فَجَعَلَ اللهُ الْمُؤْمِنَ مُؤْمِنًا حَقًّا، وَجَعَلَ الْكَافِرَ كَافِرًا حَقًّا، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]..

﴿لَّهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ..

﴿دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ دَرَجَاتٌ، وَهِيَ مَرَاتِبُ رَفِيعَةٌ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ أَعْمَالٌ رَفِيعَةٌ وَفَضَائِلُ قَدَّمُوهَا فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ مَرَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وَعَفْوٌ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَتَغْطِيَةٌ عَلَيْهَا..

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٤] قِيلَ: الْجَنَّةُ، وَهُوَ عِنْدِي مَا أَعَدَّ اللهُ فِي الْجَنَّةِ لَهُمْ مِنْ مَزِيدِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَهَنِيءِ الْعَيْشِ.

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾ [الأنفال: ٥].

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَذَلِكَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ؛ لِأَنَّ كِلَا الْأَمْرَيْنِ قَدْ كَانَ، أَعني خُرُوجَ بَعْضِ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ كَارِهًا، وَجِدَالَهُمْ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ عِنْدَ دُنُوِّ الْقَوْمِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ..

﴿مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَىٰ بَدْرٍ..

﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾ [الأنفال: ٥] فَإِنَّ كَرَاهَتَهُمْ كَانَتْ لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ، نَدَبَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ: هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُنَفِّلَكُمُوهَا، فَانْتَدَبَ النَّاسَ، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَلْقَىٰ حَرْبًا.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦﴾ [الأنفال: ٦].

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ كَرِهُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَكَانَ جِدَالُهُمْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَنْ قَالُوا: لَمْ يُعْلِمْنَا أَنَّا نَلْقَىٰ الْعَدُوَّ فَنَسْتَعِدَّ لِقِتَالِهِمْ، وَإِنَّمَا خَرَجْنَا لِلْعِيرِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧]، فَفِي ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ لِمَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا لِلشَّوْكَةِ كَارِهِينَ، وَأَنَّ جِدَالَهُمْ كَانَ فِي الْقِتَالِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ، كَرَاهِيَةً مِنْهُمْ لَهُ..

﴿بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ إِلَّا مَا أَمَرَكَ اللهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: يُجَادِلُونَكَ فِي الْقِتَالِ بَعْدَ مَا أُمِرْتَ بِهِ..

﴿كَأَنَّمَا﴾ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ كَرَاهَتِهِمْ لِلِقَائِهِمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ لِقَائِهِمْ لِلْقِتَالِ..

﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦﴾ [الأنفال: ٦] كَرَاهَةً لِلِقَاءِ الْقَوْمِ، وَإِنْكَارًا لِمَسِيرِ قُرَيْشٍ حِينَ ذُكِرُوا لَهُمْ.

﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧﴾ [الأنفال: ٧].

﴿وَإِذۡ﴾ وَاذْكُرُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ إِذْ..

﴿يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ إِحْدَىٰ الْفِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْعِيرِ، وَفِرْقَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَفَرُوا مِنْ مَكَّةَ لِمَنْعِ عِيرِهِمْ..

﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ إِنَّ مَا مَعَهُمْ غَنِيمَةٌ لَكُمْ..

﴿وَتَوَدُّونَ﴾ وَتُحِبُّونَ..

﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الطَّائِفَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا شَوْكَةٌ، يَقُولُ: لَيْسَ لَهَا حَدٌّ وَلَا فِيهَا قِتَالٌ أَنْ..

﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ تَوَدُّونَ أَنْ تَكُونَ لَكُمُ الْعِيرُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا قِتَالٌ لَكُمْ، دُونَ جَمَاعَةِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ جَاءُوا لِمَنْعِ عِيرِهِمُ الَّذِينَ فِي لِقَائِهِمُ الْقِتَالَ وَالْحَرْبَ.. وَأَصْلُ الشَّوْكَةِ مِنَ الشَّوْكِ..

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْإِسْلَامَ وَيُعْلِيَهُ..

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بِأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ الْغَنِيمَةَ وَالْمَالَ..

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال: ٧] يُرِيدُ أَنْ يَجُبَّ أَصْلَ الْجَاحِدِينَ تَوْحِيدَ اللهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مَعْنَىٰ (دَابِرٍ)، وَأَنَّهُ الْمُتَأَخِّرُ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ قَطْعِهِ: الْإِتْيَانُ عَلَىٰ الْجَمِيعِ مِنْهُمْ.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٨].

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ كَيْمَا يُحِقَّ الْحَقَّ، كَيْمَا يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ، وَيُعَزَّ الْإِسْلَامُ، وَذَلِكَ هُوَ تَحْقِيقُ الْحَقِّ..

﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ وَيُبْطِلَ عِبَادَةَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَالْكُفْرِ..

﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ ذَلِكَ..

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٨] الَّذِينَ أَجْرَمُوا، فَاكْتَسَبُوا الْمَآثِمَ وَالْأَوْزَارَ مِنَ الْكُفَّارِ.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩].

﴿إِذْ﴾ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ حِينَ..

﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تَسْتَجِيرُونَ بِهِ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَتَدْعُونَهُ لِلنَّصْرِ عَلَيْهِمْ..

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فَأَجَابَ دُعَاءَكُمْ بِـ..

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩] وَرَاءَ كُلِّ مَلَكٍ مَلَكٌ، مُتَتَابِعِينَ،

بَعْضُهُمْ عَلَىٰ إِثْرِ بَعْضٍ، يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.. وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَجَاءَتِ الرِّوَايَةُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: حدثني عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَعِدَّتِهِمْ، وَنَظَرَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ نَيِّفًا عَلَىٰ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَجَعَلَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**» فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ، وَأَخَذَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: كَفَاكَ يَا نَبِيَّ اللهِ -بِأَبِي وَأُمِّي- مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ١٠].

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ إِرْدَافَ الْمَلَائِكَةِ بَعْضِهَا بَعْضًا، وَتَتَابُعَهَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَدَدًا لَكُمْ..

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ لَكُمْ، أَيْ: بِشَارَةً لَكُمْ تُبَشِّرُكُمْ بِنَصْرِ اللهِ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ وَلِتَسْكُنَ قُلُوبُكُمْ بِمَجِيئِهَا إِلَيْكُمْ، وَتُوقِنَ بِنُصْرَةِ اللهِ لَكُمْ..

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ وَمَا تُنْصَرُونَ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِلَّا أَنْ يَنْصُرَكُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ، لَا بِشِدَّةِ بَأْسِكُمْ وَقُوَاكُمْ، بَلْ بِنَصْرِ اللهِ لَكُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، يَقُولُ: إِنَّ اللهَ الَّذِي يَنْصُرُكُمْ وَبِيَدِهِ نَصْرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، بَلْ يَقْهَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَيَغْلِبُهُ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَهُ..

﴿حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ١٠] فِي تَدْبِيرِهِ وَنَصْرِهِ مَنْ نَصَرَ، وَخُذْلَانِهِ مَنْ خَذَلَ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ وَهَنٌ وَلَا خَلَلٌ.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

﴿إِذْ﴾ تَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ إِذْ..

﴿يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ يُلْقِي عَلَيْكُمُ النُّعَاسَ..

﴿أَمَنَةً﴾ أَمَانًا..

﴿مِّنْهُ﴾ مِنَ اللهِ لَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ أَنْ يَغْلِبَكُمْ، وَكَذَلِكَ النُّعَاسُ فِي الْحَرْبِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْد: (**النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ**)..

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ مَطَرٌ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ، لِيُطَهِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِصَلَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْبَحُوا يَوْمَئِذٍ مُجْنِبِينَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ اغْتَسَلُوا وَتَطَهَّرُوا..

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وَكَانَ الشَّيْطَانُ وَسْوَسَ لَهُمْ بِمَا حَزَنَهُمْ بِهِ مِنْ إِصْبَاحِهِمْ مُجْنِبِينَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ..

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ فَأَذْهَبَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَطَرِ فَذَلِكَ رَبْطُهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ..

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ١١﴾ [الأنفال: ١١] وَتَقْوِيَتُهُ أَسْبَابَهُمْ وَتَثْبِيتُهُ بِذَلِكَ الْمَطَرِ أَقْدَامَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا الْتَقَوْا مَعَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ رَمْلَةٍ هَشَّاءَ فَلَبَّدَهَا الْمَطَرُ حَتَّىٰ صَارَتِ الْأَقْدَامُ عَلَيْهَا ثَابِتَةً لَا تَسُوخُ فِيهَا، تَوْطِئَةً مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَوْلِيَائِهِ أَسْبَابَ التَّمَكُّنِ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَالظَّفَرِ بِهِمْ.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ [الأنفال: ١٢].

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ أَنْصُرُكُمْ..

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قَوُّوا عَزْمَهُمْ، وَصَحِّحُوا نِيَّاتِهِمْ فِي قِتَالِ عَدُوِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَثْبِيتَ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ حُضُورَهُمْ حَرْبَهُمْ مَعَهُمْ، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ مَعُونَتَهُمْ إِيَّاهُمْ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِمْ، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَلَكَ يَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ -يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ- يَقُولُونَ: وَاللهِ لَئِنْ حَمَلُوا عَلَيْنَا لَنَنْكَشِفَنَّ، فَيُحَدِّثُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، فَتَقْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ، قَالُوا: وَذَلِكَ كَانَ وَحْيَ اللهِ إِلَىٰ مَلَائِكَتِهِ..

﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ سَأُرْعِبُ قُلُوبَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْكُمْ، وَأَمْلَؤُهَا فَرَقًا حَتَّىٰ يَنْهَزِمُوا عَنْكُمْ..

﴿فَٱضْرِبُوا۟﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَلِّمَهُمْ كَيْفِيَّةَ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَضَرْبِهِمْ بِالسَّيْفِ، أَنْ يَضْرِبُوا..

﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ الرُّءُوسُ، وَمُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ فَوْقَ جِلْدَةِ الْأَعْنَاقِ، فَيَكُونَ مَعْنَاهُ: عَلَىٰ الْأَعْنَاقِ..

﴿وَٱضْرِبُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ عَدُوِّكُمْ..

﴿كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ [الأنفال: ١٢] كُلَّ طَرَفٍ وَمِفْصَلٍ مِنْ أَطْرَافِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ.. وَالْبَنَانُ: جَمْعُ بَنَانَةٍ، وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٣﴾ [الأنفال: ١٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْفِعْلُ مِنْ ضَرْبِ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ فَوْقَ الْأَعناقِ، وَضَرْبِ كُلِّ بَنَانٍ مِنْهُمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ جَزَاءٌ لَهُمْ بِشِقَاقِهِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَعِقَابٌ لَهُمْ عَلَيْهِ..

﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ فَارَقُوا أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَعَصَوْهُمَا، وَأَطَاعُوا أَمْرَ الشَّيْطَانِ..

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وَمَنْ يُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، وَفَارَقَ طَاعَتَهُمَا..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٣﴾ [الأنفال: ١٣] لَهُ، وَشِدَّةُ عِقَابِهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا: إِحْلَالُهُ بِهِ مَا كَانَ يَحِلُّ بِأَعْدَائِهِ مِنَ النِّقَمِ، وَفِي الْآخِرَةِ الْخُلُودُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَحَذَفَ (لَهُ) مِنَ الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٤﴾ [الأنفال: ١٤].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الْعِقَابُ الَّذِي عَجَّلْتُهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُشَاقُّونَ للهِ وَرَسُولِهِ فِي الدُّنْيَا، مِنَ الضَّرْبِ فَوْقَ الْأَعناقِ مِنْكُمْ، وَضَرْبِ كُلِّ بَنَانٍ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِي الْمُؤْمِنِينَ..

﴿فَذُوقُوهُ﴾ عَاجِلًا..

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٤﴾ [الأنفال: ١٤] وَاعْلَمُوا، وَأَيْقِنُوا أَنَّ لَكُمْ فِي الْآجِلِ وَالْمَعَادِ عَذَابَ النَّارِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥﴾ [الأنفال: ١٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فِي الْقِتَالِ..

﴿زَحْفًا﴾ مُتَزَاحِفًا بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَالتَّزَاحُفُ التَّدَانِي وَالتَّقَارُبُ..

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥﴾ [الأنفال: ١٥] فَلَا تُوَلُّوهُمْ ظُهُورَكُمْ، فَتَنْهَزِمُوا عَنْهُمْ، وَلَكِنِ اثْبُتُوا لَهُمْ فَإِنَّ اللهَ مَعَكُمْ عَلَيْهِمْ.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ مِنْكُمْ ظَهْرَهُ..

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ إِلَّا مُسْتَطْرِدًا لِقِتَالِ عَدُوِّهِ، بِطَلَبِ عَوْرَةٍ لَهُ يُمْكِنُهُ إِصَابَتُهَا، فَيَكِرُّ عَلَيْهِ..

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أَوْ إِلَّا أَنْ يُوَلِّيَهُمْ ظَهْرَهُ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ يَقُولُ: صَائِرًا إِلَىٰ حَيِّزِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفِيئُونَ بِهِ مَعَهُمْ إِلَيْهِمْ لِقِتَالِهِمْ، وَيَرْجِعُونَ بِهِ مَعَهُمْ إِلَيْهِمْ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ حُكْمُهَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ وَلَّىٰ الدُّبُرَ عَنِ الْعَدُوِّ مُنْهَزِمًا، وَأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ بَدْرٍ، وَحُكْمُهَا ثَابِتٌ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا لَقُوا الْعَدُوَّ أَنْ يُوَلُّوهُمُ الدُّبُرَ مُنْهَزِمِينَ، إِلَّا لِتَحَرُّفِ الْقِتَالِ، أَوْ لِتَحَيُّزٍ إِلَىٰ فِئَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، حَيْثُ كَانَتْ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ مَنْ وَلَّاهُمُ الدُّبُرَ بَعْدَ الزَّحْفِ لِقِتَالٍ مُنْهَزِمًا بِغَيْرِ نِيَّةٍ إِحْدَىٰ الْخَلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَبَاحَ اللهُ التَّوْلِيَةَ بِهِمَا، فَقَدِ اسْتَوْجَبَ مِنَ اللهِ وَعِيدَهُ، إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ..

﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فَقَدْ رَجَعَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ..

﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ وَمَصِيرُهُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦] وَبِئْسَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمَصِيرَ.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَاتَلَ أَعْدَاءَ دِينِهِ مَعَهُ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ: فَلَمْ تَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وَأَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَتْلَهُمْ إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَنَفَاهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ؛ إِذْ كَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ مُسَبِّبُ قَتْلَهُمْ، وَعَنْ أَمْرِهِ كَانَ قِتَالُ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُمْ، فَفِي ذَلِكَ أَدَلُّ الدَّلِيلِ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ الْمُنْكِرِينَ أَنْ يَكُونَ للهِ فِي أَفْعَالِ خَلْقِهِ صَنِيعٌ، بِهِ وَصَلُوا إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فَأَضَافَ الرَّمْيَ إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ، ثُمَّ نَفَاهُ عَنْهُ، وَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ هُوَ الرَّامِي؛ إِذْ كَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ الْمُوصِلُ الْمَرْمِيَّ بِهِ إِلَىٰ الَّذِينَ رُمُوا بِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُسَبِّبُ الرَّمْيَةَ لِرَسُولِهِ، فَيُقَالُ لِلْمُنْكِرِينَ مَا ذَكَرْنَا: قَدْ عَلِمْتُمْ إِضَافَةَ اللهِ رَمْيَ نَبِيِّهِ ﷺ

الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، بَعْدَ وَصْفِهِ نَبِيَّهُ بِهِ وَإِضَافَتِهِ إِلَيْهِ، ذَلِكَ فِعْلٌ وَاحِدٌ كَانَ مِنَ اللهِ بِتَسْبِيبِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَمِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْحَذْفُ وَالإِرْسَالُ، فَمَا تُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ سَائِرُ أَفْعَالِ الْخَلْقِ الْمُكْتَسَبَةُ، مِنَ اللهِ الإِنْشَاءُ وَالإِنْجَازُ بِالتَّسْبِيبِ، وَمِنَ الْخَلْقِ الاكْتِسَابُ بِالْقُوَىٰ..

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ وَلِيُنْعِمَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ بِالظَّفَرِ بِأَعْدَائِهِمْ، وَيُغْنِمَهُمْ مَا مَعَهُمْ، وَيُثْبِتَ لَهُمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ وَجِهَادِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ الْبَلَاءُ الْحَسَنُ رَمْيُ اللهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَيَعني بِالْبَلَاءِ الْحَسَنِ النِّعْمَةَ الْحَسَنَةَ الْجَمِيلَةَ، وَهِيَ مَا وَصَفْتُ، وَمَا فِي مَعْنَاهُ..

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمُنَاشَدَتِهِ رَبَّهُ، وَمَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ إِهْلَاكَ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكُمْ، وَلِقِيلِكُمْ، وَلِجَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝١٧﴾ [الأنفال: ١٧] بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ، وَصَلَاحُ عِبَادِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَشْيَاءِ مُحِيطٌ بِهِ، فَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَأَمْرَ رَسُولِهِ.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۝١٨﴾ [الأنفال: ١٨].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الْفِعْلُ مِنْ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَرَمْيِهِمْ حَتَّىٰ انْهَزَمُوا، وَابْتِلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَلَاءَ الْحَسَنَ بِالظَّفَرِ بِهِمْ، وَإِمْكَانِهِمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، فَعَلْنَا الَّذِي فَعَلْنَا..

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ ذَلِكَ..

﴿مُوهِنُ﴾ مُضْعِفُ..

﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۝١٨﴾ [الأنفال: ١٨] يَعْنِي مَكْرَهُمْ، حَتَّىٰ يَذِلُّوا، وَيَنْقَادُوا لِلْحَقِّ وَيَهْلَكُوا.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾ [الأنفال: ١٩].

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِبَدْرٍ: إِنْ تَسْتَحْكِمُوا اللهَ عَلَىٰ أَقْطَعِ الْحِزْبَيْنِ لِلرَّحِمِ وَأَظْلَمِ الْفِئَتَيْنِ، وَتَسْتَنْصِرُوهُ عَلَيْهِ..

﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ فَقَدْ جَاءَكُمْ حُكْمُ اللهِ، وَنَصْرُهُ الْمَظْلُومَ عَلَىٰ الظَّالِمِ، وَالْمُحِقَّ عَلَىٰ الْمُبْطِلِ..

﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَجَمَاعَةَ الْكُفَّارِ عَنِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَقِتَالِ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ..

﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لِحَرْبِهِ وَقِتَالِهِ وَقِتَالِ أَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿نَعُدْ﴾ لِهَلَاكِكُمْ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِي وَهَزِيمَتِكُمْ، بِمِثْلِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي أُوقِعَتْ بِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ..

﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ﴾ عِنْدَ عَوْدِي لِقَتْلِكُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَسَبْيِكُمْ وَهَزْمِكُمْ..

﴿فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ يَعْنِي جُنْدَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا لَمْ يُغْنُوا عَنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩] وَأَنَّ اللهَ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ، يَنْصُرُهُمْ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَظْهَرَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ وَلَا تُدْبِرُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُخَالِفِينَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠] أَمْرَهُ إِيَّاكُمْ وَنَهْيَهُ، وَأَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: ٢١].

﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ: وَلَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي مُخَالَفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَهُ بِآذَانِكُمْ..

﴿كَٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ كَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا كِتَابَ اللهِ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ، قَالُوا قَدْ..

﴿سَمِعْنَا﴾ بِآذَانِنَا..

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: ٢١] وَهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ مَا يَسْمَعُونَ بِآذَانِهِمْ، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ، وَتَرْكِهِمْ أَنْ يُوعُوهُ قُلُوبَهُمْ وَيَتَدَبَّرُوهُ، فَجَعَلَهُمُ اللهُ لَمَّا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِ الْقُرْآنِ -وَإِنْ كَانُوا قَدْ سَمِعُوهَا بِآذَانِهِمْ- بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا.

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢].

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ إِنَّ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِ اللهِ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ الَّذِينَ يَصْغُونَ عَنِ الْحَقِّ، لِئَلَّا يَسْتَمِعُوهُ فَيَعْتَبِرُوا بِهِ وَيَتَّعِظُوا بِهِ..

﴿ٱلۡبُكۡمُ﴾ وَيَنْكُصُونَ عَنْهُ إِنْ نَطَقُوا بِهِ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢﴾ [الأنفال: ٢٢] عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَيَسْتَعْمِلُوا بِهِمَا أَبْدَانَهُمْ.

﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣﴾ [الأنفال: ٢٣].

﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِي هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ خَيْرًا..

﴿لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ وَعِبَرَهُ؛ حَتَّىٰ يَعْقِلُوا عَنِ اللهِ حُجَجَهُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَأَنَّهُمْ مِمَّنْ كُتِبَ لَهُمُ الشَّقَاءُ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ..

﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾ وَلَوْ أَفْهَمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا وَيَفْهَمُوا..

﴿لَتَوَلَّواْ﴾ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ..

﴿وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣﴾ [الأنفال: ٢٣] عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ مَوَاعِظُ اللهِ وَعِبَرُهُ وَحُجَجُهُ، مُعَانِدُونَ لِلْحَقِّ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِلْحَقِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: إِذَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ مَا فِي الْقُرْآنِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: إِذَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ الْحَرْبِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ بِالطَّاعَةِ إِذَا دَعَاكُمُ الرَّسُولُ لِمَا يُحْيِيكُمْ مِنَ الْحَقِّ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مَعْنَاهُ، كَانَ دَاخِلًا فِيهِ الْأَمْرُ بِإِجَابَتِهِمْ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ وَالْجِهَادِ، وَالْإِجَابَةُ إِذَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ حُكْمِ الْقُرْآنِ، وَفِي الْإِجَابَةِ إِلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ حَيَاةُ الْمُجِيبِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا، فَيُقَالُ: الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَذَلِكَ لَهُ فِيهِ حَيَاةٌ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَحَيَاةُ الْأَبَدِ فِي الْجِنَانِ وَالْخُلُودِ فِيهَا..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: يَحُولُ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْإِيمَانِ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكُفْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَعَقْلِهِ، فَلَا يَدْرِي مَا يَعْمَلُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ أَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ قَلْبِهِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَظْهَرَهُ أَوْ أَسَرَّهُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ أَمْلَكُ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ

يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا إِذَا شَاءَ، حَتَّىٰ لَا يَقْدِرَ ذُو قَلْبٍ أَنْ يُدْرِكَ بِهِ شَيْئًا مِنْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ، أَوْ أَنْ يَعِيَ بِهِ شَيْئًا، أَوْ أَنْ يَفْهَمَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَوْلَ بَيْنَ الشَّيْءِ وَالشَّيْءِ إِنَّمَا هُوَ الْحَجْزُ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا حَجَزَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ عَبْدٍ وَقَلْبِهِ فِي شَيْءٍ أَنْ يُدْرِكَهُ أَوْ يَفْهَمَهُ، لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ إِلَىٰ إِدْرَاكِ مَا قَدْ مَنَعَ اللهُ قَلْبَهُ إِدْرَاكَهُ سَبِيلٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، دَخَلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكُفْرِ وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَالْإِيمَانِ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقْلِهِ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ حَتَّىٰ لَا يَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤْمِنَ وَلَا يَكْفُرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا حَالَ بَيْنَ عَبْدٍ وَقَلْبِهِ لَمْ يَفْهَمِ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ الَّذِي قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَا مُنِعَ إِدْرَاكُهُ بِهِ عَلَىٰ مَا بَيَّنْتُ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَقَلْبِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، وَالْكَلَامُ مُحْتَمِلٌ كُلَّ هَذِهِ الْمَعَانِي، فَالْخَبَرُ عَلَىٰ الْعُمُومِ حَتَّىٰ يَخُصَّهُ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ..

﴿وَأَنَّهُۥٓ﴾ وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، أَنَّ اللهَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ، وَهُوَ أَمْلَكُ بِهَا مِنْكُمْ..

﴿إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤] إِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ وَمَرْجِعُكُمْ فِي الْقِيَامَةِ، فَيُوَفِّيكُمْ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، فَاتَّقُوهُ وَرَاقِبُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ هُوَ وَرَسُولُهُ أَنْ تُضَيِّعُوهُ، وَأَنْ لَا تَسْتَجِيبُوا لِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، فَيُوجِبَ ذَلِكَ سَخَطَهُ، وَتَسْتَحِقُّوا بِهِ أَلِيمَ عَذَابِهِ حِينَ تُحْشَرُونَ إِلَيْهِ.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥].

﴿وَٱتَّقُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِتۡنَةٗ﴾ اخْتِبَارًا مِنَ اللهِ يَخْتَبِرُكُمْ، وَبَلَاءً يَبْتَلِيكُمْ..

﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي حَذَّرْتُكُمُوهَا..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ فِعْلُهُ، إِمَّا أَجْرَامٌ أَصَابُوهَا وَذُنُوبٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ رَكِبُوهَا، يُحَذِّرُهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَرْكَبُوا لَهُ مَعْصِيَةً أَوْ يَأْتُوا مَأْثَمًا يَسْتَحِقُّونَ بِذَلِكَ مِنْهُ عُقُوبَةً..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥] إِنَّهُ تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ وَوَعِيدٌ لِمَنْ وَاقَعَ الْفِتْنَةَ

الَّتِي حَذَّرَهُ إِيَّاهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً﴾، يَقُولُ: اعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ رَبَّكُمْ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنِ افْتُتِنَ بِظُلْمِ نَفْسِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَأَثِمَ بِهِ.

﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

﴿وَاذْكُرُوٓاْ﴾ هَذَا تَذْكِيرٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُنَاصَحَةٌ، يَقُولُ: أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاسْتَجِيبُوا لَهُ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ بِمَا فِيهِ عَلَيْكُمُ الْمَشَقَّةُ وَالشِّدَّةُ، فَإِنَّ اللهَ يُهَوِّنُهُ عَلَيْكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ وَيُعَجِّلُ لَكُمْ مِنْهُ مَا تُحِبُّونَ، كَمَا فَعَلَ بِكُمْ..

﴿إِذْ﴾ آمَنْتُمْ بِهِ وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَ..

﴿أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يَسْتَضْعِفُكُمُ الْكُفَّارُ، فَيَفْتِنُونَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَيَنَالُونَكُمْ بِالْمَكْرُوهِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ..

﴿تَخَافُونَ﴾ مِنْهُمْ..

﴿أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ فَيَقْتُلُوكُمْ وَيَصْطَلِمُوا جَمِيعَكُمْ، عُنِيَ بِذَلِكَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُونُوا يَخَافُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَدْنَىٰ الْكُفَّارِ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، وَأَشَدَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ، مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ..

﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ فَجَعَلَ لَكُمْ مَأْوَىٰ تَأْوُونَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، يَعْنِي: آوَاكُمُ الْمَدِينَةَ..

﴿وَأَيَّدَكُم﴾ وَقَوَّاكُمْ..

﴿بِنَصْرِهِۦ﴾ عَلَيْهِمْ بِالْأَنْصَارِ، حَتَّىٰ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلْتُمْ بِبَدْرٍ..

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَأَطْعَمَكُمْ غَنِيمَتَهُمْ حَلَالًا طَيِّبًا..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦] لِكَيْ تَشْكُرُوا عَلَىٰ مَا رَزَقَكُمْ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ نِعَمِهِ عِنْدَكُمْ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ لَا تُنْقِصُوا اللهَ حُقُوقَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَلَا رَسُولَهُ مِنْ وَاجِبِ طَاعَتِهِ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَطِيعُوهُمَا فِيمَا أَمَرَاكُمْ بِهِ وَنَهَيَاكُمْ عَنْهُ، لَا تُنْقِصُوهُمَا.. وَخِيَانَتُهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ كَانَتْ بِإِظْهَارِ مَنْ أَظْهَرَ مِنْهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ فِي الظَّاهِرِ وَالنَّصِيحَةَ،

وَهُوَ يَسْتَسِرُّ الْكُفْرَ وَالْغِشَّ لَهُمْ فِي الْبَاطِنِ، يَدُلُّونَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ عَوْرَتِهِمْ، وَيُخْبِرُونَهُمْ بِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ مِنْ خَبَرِهِمْ.

﴿وَتَخُونُوٓاْ﴾ وَتُنْقِصُوا.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خِيَانَةٌ لِأَمَانَاتِكُمْ وَهَلَاكٌ لَهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ، فَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ: لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ..

﴿أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ أَدْيَانَكُمْ، وَوَاجِبَ أَعْمَالِكُمْ، وَلَازِمَهَا لَكُمْ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَا يَخْفَىٰ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الْأَمَانَاتِ هَاهُنَا: الدِّينُ، كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ، فَأَمَّنَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَىٰ دِينِهِ فَخَانُوا، أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ**).

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧] أَنَّهَا لَازِمَةٌ عَلَيْكُمْ وَوَاجِبَةٌ، بِالْحُجَجِ الَّتِي قَدْ ثَبَتَتْ للهِ.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [الأنفال: ٢٨].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ الَّتِي خَوَّلَكُمُوهَا اللهُ..

﴿وَأَوْلَٰدُكُمْ﴾ الَّتِي وَهَبَهَا اللهُ لَكُمْ..

﴿فِتْنَةٌ﴾ اخْتِبَارٌ وَبَلَاءٌ، أَعْطَاكُمُوهَا لِيَخْتَبِرَكُمْ بِهَا وَيَبْتَلِيَكُمْ، لِيَنْظُرَ كَيْفَ أَنْتُمْ عَامِلُونَ مِنْ أَدَاءِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكُمْ فِيهَا، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِيهَا..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عِنْدَهُ خَيْرٌ وَثَوَابٌ..

﴿عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [الأنفال: ٢٨] عَلَىٰ طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمُ الَّتِي اخْتَبَرَكُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَطِيعُوا اللهَ فِيمَا لَكُمْ فِيهَا، تَنَالُوا بِهِ الْجَزِيلَ مِنْ ثَوَابِهِ فِي مَعَادِكُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِطَاعَتِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَتَرْكِ خِيَانَتِهِ، وَخِيَانَةِ رَسُولِهِ وَخِيَانَةِ أَمَانَاتِكُمْ..

﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ يَجْعَلْ لَكُمْ فَصْلًا وَفَرْقًا بَيْنَ حَقِّكُمْ، وَبَاطِلِ مَنْ يَبْغِيكُمُ السُّوءَ مِنْ

أَعْدَائِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، بِنَصْرِهِ إِيَّاكُمْ عَلَيْهِمْ، وَإِعْطَائِكُمُ الظَّفَرَ بِهِمْ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَخْرَجًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَجَاةً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَصْلًا، وَكُلُّ ذَلِكَ مُتَقَارِبُ الْمَعْنَىٰ وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ عنهَا..

﴿وَيُكَفِّرْ﴾ وَيَمْحُو..

﴿عَنكُمْ﴾ مَا سَلَفَ مِنْ..

﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ ذُنُوبِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ..

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وَيُغَطِّيهَا، فَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهَا..

﴿وَاللَّهُ﴾ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُمْ..

﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩] لَهُ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ غَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ، وَفِعْلِ أَمْثَالِهِ، وَإِنَّ فِعْلَهُ جَزَاءٌ مِنْهُ لِعَبْدِهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ الْمُوَفِّقُ عَبْدَهُ لِطَاعَتِهِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا حَتَّىٰ اسْتَحَقَّ مِنْ رَبِهِ الْجَزَاءَ الَّذِي وَعَدَهُ عَلَيْهَا.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ نِعْمَتِي عِنْدَكَ، بِمَكْرِي بِمَنْ حَاوَلَ الْمَكْرَ بِكَ، إِذْ..

﴿يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ لِيُقَيِّدُوكَ وَيَحْبِسُوكَ، وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ..

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ أَوْ قَتْلِكَ..

﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ أَوْ إِخْرَاجِكَ مِنْ وَطَنِكَ، حَتَّىٰ اسْتَنْقَذْتُكَ مِنْهُمْ وَأَهْلَكْتُهُمْ..

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ فَامْضِ لِأَمْرِي فِي حَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَتَوَلَّىٰ عَنْ إِجَابَةِ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ مِنَ الدِّينِ الْقَيِّمِ، وَلَا يُرْعِبَنَّكَ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ..

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠] فَإِنَّ رَبَّكَ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ بِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿ءَايَٰتُنَا﴾ آيَاتُ كِتَابِ اللهِ الْوَاضِحَةُ لِمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِفَهْمِهِ..

﴿قَالُوا۟﴾ جَهْلًا مِنْهُمْ وَعِنَادًا لِلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي قِيلِهِمْ..

﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ الَّذِي تُلِيَ عَلَيْنَا..

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾ [الأنفال: ٣١] يَعْنِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.. وَالْأَسَاطِيرُ: جَمْعُ أَسْطُرٍ، وَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ وَاحِدَ الْأَسْطُرِ: سَطْرٌ، ثُمَّ يُجْمَعُ السَّطْرُ، أَسْطُرٌ وَسُطُورٌ، ثُمَّ يُجْمَعُ الْأَسْطُرُ، أَسَاطِيرُ وَأَسَاطِرُ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: وَاحِدُ الْأَسَاطِيرِ: أُسْطُورَةٌ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ الْمُشْرِكُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ إِلَّا مَا سَطَرَ الْأَوَّلُونَ وَكَتَبُوهُ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ، كَأَنَّهُمْ أَضَافُوهُ إِلَىٰ أَنَّهُ أُخِذَ عَنْ بَنِي آدَمَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُوحِهِ اللهُ إِلَيْهِ.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ أَيْضًا مَا حَلَّ بِمَنْ..

﴿قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢] إِذْ مَكَرْتُ لَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْعَذَابُ قَتْلَهُمْ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مُقِيمٌ، حَتَّىٰ أُخْرِجَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ؛ لِأَنِّي لَا أُهْلِكُ قَرْيَةً وَفِيهَا نَبِيُّهَا..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣] مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ هُمْ مُصِرُّونَ عَلَيْهِ، فَهُمْ لِلْعَذَابِ مُسْتَحِقُّونَ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا لِأَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ كَانُوا اسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ، فَقَالُوا: اللهُمَّ إِنْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقَّ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: مَا كُنْتُ لِأُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كُنْتُ لِأُعَذِّبَهُمْ لَوِ اسْتَغْفَرُوا، وَكَيْفَ لَا أُعَذِّبُهُمْ بَعْدَ إِخْرَاجِكَ مِنْهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؟! فَأَعْلَمَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الَّذِينَ اسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ حَائِقٌ بِهِمْ وَنَازِلٌ، وَأَعْلَمَهُمْ حَالَ نُزُولِهِ

بِهِمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ.. وَلَا وَجْهَ لِإِيعَادِهِمُ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَهُمْ مُسْتَعْجِلُوهُ فِي الْعَاجِلِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْعَذَابِ صَائِرُونَ، بَلْ فِي تَعْجِيلِ اللهِ لَهُمْ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَا قُلْنَا.. وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَا وَجْهَ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: ذَلِكَ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤] الْآيَةَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ خَبَرٌ، وَالْخَبَرُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ نَسْخٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّسْخُ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤].

﴿وَمَا لَهُمْ﴾ وَمَا شَأْنُهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمْ..

﴿أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ مِنْ كُفْرِهِمْ فَيُؤْمِنُوا بِهِ..

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ وَلَمْ يَكُونُوا أَوْلِيَاءَ اللهِ..

﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾ مَا أَوْلِيَاءُ اللهِ..

﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤] أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ الْمُتَّقُونَ، بَلْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥].

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ مَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ، وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي يُصَلُّونَ للهِ فِيهِ وَيَعْبُدُونَهُ، وَلَمْ يَكُونُوا للهِ أَوْلِيَاءَ، بَلْ أَوْلِيَاؤُهُ الَّذِينَ يَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَيْتَ اللهِ الْعَتِيقَ..

﴿إِلَّا مُكَآءً﴾ وَهُوَ الصَّفِيرُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَكْوَ: أَنْ يَجْمَعَ الرَّجُلُ يَدَيْهِ ثُمَّ يُدْخِلَهُمَا فِي فِيهِ ثُمَّ يَصِيحَ..

﴿وَتَصْدِيَةً﴾ التَّصْدِيَةُ التَّصْفِيقُ، يُقَالُ مِنْهُ: صَدَّى يُصَدِّي تَصْدِيَةً، وَصَفَّقَ وَصَفَّحَ بِمَعْنًى

وَاحِدٍ.. وَقَدْ قِيلَ فِي التَّصْدِيَةِ: إِنَّهَا الصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَذَلِكَ قَوْلٌ لَا وَجهَ لَهُ؛ لِأَنَّ التَّصْدِيَةَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: صَدَّيْتُ تَصْدِيَةً، وَأَمَّا الصَّدُّ فَلَا يُقَالُ مِنْهُ: صَدَّيْتُ، إِنَّمَا يُقَالُ مِنْهُ صَدَدْتُ..

﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ، يَقُولُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] الْآيَةَ، حِينَ أَتَاهُمْ بِمَا اسْتَعْجَلُوهُ مِنَ الْعَذَابِ: ذُوقُوا، أَيِ اطْعَمُوا، وَلَيْسَ بِذَوْقٍ بِفَمٍ، وَلَكِنَّهُ ذَوْقٌ بِالْحِسِّ، وَوُجُودُ طَعْمِ أَلَمِهِ بِالْقُلُوبِ، يَقُولُ لَهُمْ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٥﴾ [الأنفال: ٣٥] بِمَا كُنْتُمْ تَجْحَدُونَ أَنَّ اللهَ مُعَذِّبُكُمْ بِهِ عَلَىٰ جُحُودِكُمْ تَوْحِيدَ رَبِّكُمْ، وَرِسَالَةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ فَيُعْطُونَهَا أَمْثَالَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيَتَقَوَّوْا بِهَا عَلَىٰ قِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿لِيَصُدُّوا۟﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ فَسَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ تَصِيرُ نَفَقَتُهُمْ تِلْكَ..

﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ نَدَامَةً عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ أَمْوَالَهُمْ تَذْهَبُ، وَلَا يَظْفَرُونَ بِمَا يَأْمُلُونَ وَيَطْمَعُونَ فِيهِ مِنْ إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ عَلَىٰ كَلِمَةِ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ مُعْلِي كَلِمَتِهِ، وَجَاعِلٌ كَلِمَةَ الْكُفْرِ السُّفْلَىٰ..

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾ ثُمَّ يَغْلِبُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦] وَيَحْشُرُ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، فَيُعَذَّبُونَ فِيهَا، فَأَعْظِمْ بِهَا حَسْرَةً وَنَدَامَةً لِمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ وَمَنْ هَلَكَ، أَمَا الْحَيُّ فَحُرِمَ مَالُهُ وَذَهَبَ بَاطِلًا فِي غَيْرِ نَفْعٍ، وَرَجَعَ مَغْلُوبًا مَقْهُورًا مَحْزُونًا مَسْلُوبًا، وَأَمَّا الْهَالِكُ: فَقُتِلَ وَسُلِبَ وَعُجِّلَ بِهِ إِلَىٰ نَارِ اللهِ يُخَلَّدُ فِيهَا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِهِ.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٣٧﴾ [الأنفال: ٣٧].

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ يَحْشُرُ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِلصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، لِيُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ -وَهُمْ أَهْلُ الْخُبْثِ كَمَا قَالَ، وَسَمَّاهُمْ ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾- وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَهُمُ الطَّيِّبُونَ، كَمَا سَمَّاهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَمَيَّزَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَهُمْ بِأَنْ أَسْكَنَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ جَنَّاتِهِ، وَأَنْزَلَ أَهْلَ الْكُفْرِ نَارَهُ..

﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فَيَجعَلَ الْكُفَّارَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ..

﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ فَنَجْعَلَهُمْ رُكَامًا، وَهُوَ أَنْ يَجْمَعَ بَعْضَهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ حَتَّىٰ يَكْثُرُوا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي صِفَةِ السَّحَابِ: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ [النور: ٤٣] أَيْ مُجْتَمِعًا كَثِيفًا..

﴿فَيَجْعَلَهُۥ﴾ فَيُجْعَلُ الْخَبِيثَ جَمِيعًا..

﴿فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٣٧﴾ [الأنفال: ٣٧] الَّذِينَ غُبِنَتْ صَفْقَتُهُمْ وَخَسِرَتْ تِجَارَتُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ شَرَوْا بِأَمْوَالِهِمْ عَذَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ، وَتَعَجَّلُوا بِإِنْفَاقِهِمْ إِيَّاهَا -فِيمَا أَنْفَقُوا مِنْ قِتَالِ نَبِيِّ اللهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ- الْخِزْيَ وَالذُّلَّ.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَقِتَالِكَ وَقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ الْإِيمَانِ..

﴿يُغْفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ وَمَضَىٰ مِنْ ذُنُوبِهِمْ قَبْلَ إِيمَانِهِمْ وَإِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بِإِيمَانِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ..

﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ وَإِنْ يَعُدْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لِقِتَالِكَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ الَّتِي أَوْقَعْتَهَا بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ..

﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨] فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتِي فِي الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ بِبَدْرٍ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، إِذْ طَغَوْا وَكَذَّبُوا رُسُلِي وَلَمْ يَقْبَلُوا نُصْحَهُمْ مِنْ إِحْلَالِ عَاجِلِ

النِّقَمِ بِهِمْ، فَأَحَلَّ بِهَؤُلَاءِ إِنْ عَادُوا لِحَرْبِكَ وَقِتَالِكَ مِثْلَ الَّذِينَ أَحْلَلْتُ بِهِمْ.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إِنْ يَعُدْ هَؤُلَاءِ لِحَرْبِكَ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ سُنَّتِي فِيمَنْ قَاتَلَكُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَنَا عَائِدٌ بِمِثْلِهَا فِيمَنْ حَارَبَكُمْ مِنْهُمْ، فَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، قَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ شِرْكٌ، وَلَا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَيَرْتَفِعَ الْبَلَاءُ عَنْ عِبَادِ اللهِ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ الْفِتْنَةُ..

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ حَتَّىٰ تَكُونَ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ كُلُّهَا للهِ خَالِصَةً دُونَ غَيْرِهِ..

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عَنِ الْفِتْنَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَصَارُوا إِلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ مَعَكُمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩] فَإِنَّ اللهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا يَعْمَلُونَ مِنْ تَرْكِ الْكُفْرِ وَالدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ يُبْصِرُكُمْ وَيُبْصِرُ أَعْمَالَكُمْ، وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مُتَجَلِّيَةٌ لَهُ لَا تَغِيبُ عَنْهُ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ الْقِتَالِ.. وَالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ وَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ الْقِتَالِ، فَإِنَّهُ كَانَ فَرْضًا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالُهُمْ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠].

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ وَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَمَّا دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتَرْكِ قِتَالِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، فَأَبَوْا إِلَّا الْإِصْرَارَ عَلَىٰ الْكُفْرِ وَقِتَالِكُمْ..

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ﴾ فَقَاتِلُوهُمْ وَأَيْقِنُوا أَنَّ اللهَ مُعِينُكُمْ عَلَيْهِمْ وَنَاصِرُكُمْ..

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ نِعْمَ الْمُعِينُ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِهِ..

﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠] وَهُوَ النَّاصِرُ.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١].

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.. هَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ قَسْمَ غَنَائِمِهِمْ إِذَا غَنِمُوهَا..

﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ مِنْ غَنِيمَةٍ.. وَهِيَ الْمَالُ يُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ مَنْ خَوَّلَ اللهُ مَالَهُ أَهْلَ دِينِهِ بِغَلَبَةٍ

عَلَيْهِ وَقَهْرٍ بِقِتَالٍ..

﴿مِن شَىْءٍ﴾ كُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ مِمَّا خَوَّلَهُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَمْوَالِ مَنْ غَلَبُوا عَلَىٰ مَالِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْقَسْمُ، حَتَّىٰ الْخَيْطِ وَالْمَخِيطِ..

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مِفْتَاحُ كَلَامٍ، فَللهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَمَا فِيهِمَا وَكُلُّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَأَنَّ لِلرَّسُولِ خُمُسَهُ، فَجَعَلَ سَهْمَ اللهِ وَسَهْمَ الرَّسُولِ وَاحِدًا، وَيُقْسَمُ مَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَسْهُمٍ.. وَذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْخُمُسَ غَيْرُ جَائِزٍ قَسْمُهُ عَلَىٰ سِتَّةِ أَسْهُمٍ، وَلَوْ كَانَ للهِ فِيهِ سَهْمٌ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ خُمُسُ الْغَنِيمَةِ مَقْسُومًا عَلَىٰ سِتَّةِ أَسْهُمٍ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَسْمِهِ عَلَىٰ خَمْسَةٍ فَمَا دُونَهَا، فَأَمَّا عَلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَمَا لَا نَعْلَمُ قَائِلًا قَالَهُ غَيْرَ أَبِي الْعَالِيَةِ..

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ فَكَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا غَنِمَ غَنِيمَةً جُعِلَتْ أَخْمَاسًا، فَكَانَ خُمُسٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسٍ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهَا، وَكَانَ الْخُمُسُ الَّذِي جُعِلَ للهِ وَلِرَسُولِهِ، يُقْسَمُ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَخْمَاسٍ، فَخُمُسٌ للهِ وَالرَّسُولِ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ مِنْهُ وَيَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ، وَخُمُسٌ لِذَوِي الْقُرْبَىٰ، وَخُمُسٌ لِلْيَتَامَىٰ، وَخُمُسٌ لِلْمَسَاكِينِ، وَخُمُسٌ لِابْنِ السَّبِيلِ..

﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ خَاصَّةً، لِمَا صَحَّ عَنِ النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَسَمَ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَىٰ مِنْ خَيْبَرَ عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ.. وَحُكْمُ هَاذَيْنِ السَّهْمَيْنِ -أَعْنِي سَهْمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَهْمَ ذِي الْقُرْبَىٰ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ- مَرْدُودٌ فِي الْخُمُسِ، وَالْخُمُسُ مَقْسُومٌ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَسْهُمٍ عَلَىٰ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (**لِلْقَرَابَةِ سَهْمٌ، وَلِلْيَتَامَىٰ سَهْمٌ، وَلِلْمَسَاكِينِ سَهْمٌ، وَلِابْنِ السَّبِيلِ سَهْمٌ**)؛ لِأَنَّ اللهَ أَوْجَبَ الْخُمُسَ لِأَقْوَامٍ مُوصُوفِينَ بِصِفَاتٍ، كَمَا أَوْجَبَ الْأَرْبَعَةَ الْأَخْمَاسِ الْآخَرِينَ، وَقَدْ أَجْمَعُوا أَنَّ حَقَّ الْأَرْبَعَةِ الْأَخْمَاسِ لَنْ يَسْتَحِقَّهُ غَيْرُهُمْ، فَكَذَلِكَ حَقُّ أَهْلِ الْخُمُسِ لَنْ يَسْتَحِقَّهُ غَيْرُهُمْ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، كَمَا غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تَخْرُجَ بَعْضُ السُّهْمَانِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لِمَنْ سَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ بِفَقْدِ بَعْضِ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِ السُّهْمَانِ الْأُخَرِ..

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ هُمْ أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَدْ هَلَكَ آبَاؤُهُمْ...

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ هُمْ أَهْلُ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ...

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الْمُجْتَازُ سَفَرًا قَدِ انْقَطَعَ بِهِ..

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ أَيْقِنُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَقْسُومُ الْقَسْمِ الَّذِي بَيَّنْتُهُ، وَصَدِّقُوا بِهِ إِنْ كُنْتُمْ أَقْرَرْتُمْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وَبِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ يَوْمَ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِبَدْرٍ، فَأَبَانَ فَلَجَ الْمُؤْمِنِينَ وَظُهُورَهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَذَٰلِكَ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ: جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَاللَّهُ﴾ عَلَىٰ إِهْلَاكِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَإِذْلَالِهِمْ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَىٰ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا يَشَاءُ..

﴿قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١] لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الانفال: ٤٢].

﴿إِذْ أَنتُم﴾ أَيْقِنُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّ قَسْمَ الْغَنِيمَةِ عَلَىٰ مَا بَيَّنَهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ مِنْ نَصْرِ رَسُولِهِ ﴿إِذْ أَنتُم﴾ حِينَئِذٍ..

﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَدْنَىٰ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ..

﴿وَهُم﴾ وَعَدُوُّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ نَزَلَ بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَقْصَىٰ إِلَىٰ مَكَّةَ..

﴿وَالرَّكْبُ﴾ وَالْعِيرُ فِيهِ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ..

﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ فِي مَوْضِعٍ أَسْفَلَ مِنْكُمْ إِلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ..

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ وَلَوْ كَانَ اجْتِمَاعُكُمْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي اجْتَمَعْتُمْ فِيهِ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَعَدُوُّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَنْ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ..

﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ لِكَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّكُمْ وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ..

﴿وَلَٰكِن﴾ وَلَكِنَّ اللهَ جَمَعَكُمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ..

﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وَذَٰلِكَ الْقَضَاءُ مِنَ اللهِ كَانَ نَصْرَهُ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَهَلَاكَ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِهِمْ بِبَدْرٍ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، فَجَمَعَهُمُ اللهُ هُنَالِكَ..

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾ جَمَعَكُمْ لِيَمُوتَ مَنْ مَاتَ مِنْ خَلْقِهِ عَنْ حُجَّةٍ لِلهِ قَدْ أُثْبِتَتْ لَهُ، وَقَطَعَتْ عُذْرَهُ، وَعِبْرَةٍ قَدْ عَايَنَهَا وَرَآهَا..

﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ وَلِيَعِيشَ مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَنْ حُجَّةٍ لِلهِ قَدْ أُثْبِتَتْ لَهُ وَظَهَرَتْ لِعَيْنِهِ فَعَلِمَهَا، جَمَعْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ هُنَالِكَ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لَسَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِكُمْ وَقَوْلِ غَيْرِكُمْ حِينَ يُرِي اللهُ نَبِيَّهُ فِي مَنَامِهِ، وَيُرِيكُمْ عَدُوَّكُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَهُمْ كَثِيرٌ، وَيَرَاكُمْ عَدُوُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قَلِيلًا..

﴿عَلِيمٌ ۝٤٢﴾ [الانفال: ٤٢] بِمَا تُضْمِرُهُ نُفُوسُكُمْ وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، حِينَئِذٍ وَفِي كُلِّ حَالٍ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ وَلِعِبَادِهِ: وَاتَّقُوا رَبَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي مَنْطِقِكُمْ أَنْ تَنْطِقُوا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَفِي قُلُوبِكُمْ أَنْ تَعْتَقِدُوا فِيهَا غَيْرَ الرَّشَدِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣﴾ [الأنفال: ٤٣].

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَإِنَّ اللهَ يَا مُحَمَّدُ سُمَيْعٌ لِمَا يَقُولُ أَصْحَابُكَ، عَلِيمٌ بِمَا يُضْمِرُونَهُ، إِذْ يُرِيكَ اللهُ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ..

﴿فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ يُرِيكَهُمْ فِي نَوْمِكَ قَلِيلًا، فَتُخْبِرُ أَصْحَابَكَ بِذَلِكَ، حَتَّىٰ قَوِيتْ قُلُوبُهُمْ وَاجْتَرَءُوا عَلَىٰ حَرْبِ عَدُوِّهِمْ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ أَيْ فِي عَيْنِكَ الَّتِي تَنَامُ بِهَا، فَصَيَّرَ الْمَنَامَ هُوَ الْعَيْنَ، كَأَنَّهُ أَرَادَ: إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي عَيْنِكَ قَلِيلًا..

﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ﴾ وَلَوْ أَرَاكَ رَبُّكَ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ..

﴿كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ لَفَشِلَ أَصْحَابُكَ، فَجَبُنُوا وَخَافُوا، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ حَرْبِ الْقَوْمِ..

﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَرَاكَ فِي مَنَامِكَ مِنَ الرُّؤْيَا..

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣﴾ [الأنفال: ٤٣] إِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا تُضْمِرُهُ الْقُلُوبُ.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤٤﴾ [الأنفال: ٤٤].

﴿وَإِذْ﴾ إِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِذْ يُرِي اللهُ نَبِيَّهُ فِي مَنَامِهِ الْمُشْرِكِينَ قَلِيلًا، وَ..

﴿يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ يُرِيهُمُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ لَقَوْهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قَلِيلًا، وَهُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ..

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ وَيُقَلِّلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ، لِيَتْرُكُوا الِاسْتِعْدَادَ لَهُمْ، فَيَهُونَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ شَوْكَتُهُمْ..

﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ قَلَّلْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَرَيْتُكُمُوهُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا، حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَكُمْ مَا قَضَىٰ مِنْ قِتَالِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، وَإِظْهَارِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالظَّفَرِ بِهِمْ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ، وَذَٰلِكَ أَمْرٌ كَانَ اللهُ فَاعِلَهُ وَبَالِغًا فِيهِ أَمْرُهُ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤٤﴾ [الأنفال: ٤٤] مَصِيرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، فَيُجَازِي أَهْلَهَا عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ وَصَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ..

﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لِقِتَالِهِمْ وَلَا تَنْهَزِمُوا عَنْهُمْ، وَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ هَارِبِينَ، إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ مِنْكُمْ..

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وَادْعُوا اللهَ بِالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ وَالظَّفَرِ بِهِمْ، وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ ذِكْرَهُ..

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥] كَيْمَا تَنْجَحُوا فَتَظْفَرُوا بِعَدُوِّكُمْ، وَيَرْزُقَكُمُ اللهُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَيْهِمْ.. وَهَذَا تعريفٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ السِّيرَةَ فِي حَرْبِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَالْأَفْعَالَ الَّتِي يُرْجَىٰ لَهُمْ بِاسْتِعْمَالِهَا عِنْدَ لِقَائِهِمُ النُّصْرَةُ عَلَيْهِمْ، وَالظَّفَرُ بِهِمْ.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦].

﴿وَأَطِيعُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱللَّهَ﴾ رَبَّكُمْ..

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، وَلَا تُخَالِفُوهُمَا فِي شَيْءٍ..

﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتُفَرَّقُوا وَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ..

﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ فَتَضْعُفُوا وَتَجْبُنُوا..

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ مُقْبِلًا عَلَيْهِ مَا يُحِبُّهُ وَيُسَرُّ بِهِ: الرِّيحُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ، يَعْنِي بِذَلِكَ مَا يُحِبُّهُ.. وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَتَذْهَبَ قُوَّتُكُمْ وَبَأْسُكُمْ فَتَضْعُفُوا، وَيُدْخِلكُمُ الْوَهَنُ وَالْخَلَلُ..

﴿وَاصْبِرُوٓاْ﴾ مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ عِنْدَ لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ، وَلَا تَنْهَزِمُوا عَنْهُ وَتَتْرُكُوهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦] اصْبِرُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝٤٧﴾ [الأنفال: ٤٧].

﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فِي الْعَمَلِ بِالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَتَرْكِ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ للهِ وَاحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهِ..

﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ كَالْجَيْشِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ..

﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ بِزِيِّهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَشِدَّةِ بِطَانَتِهِمْ.. وَهَذَا تَقَدُّمٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ لَا يَعْمَلُوا عَمَلًا إِلَّا للهِ خَاصَّةً وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ، لَا رِئَاءَ النَّاسِ كَمَا فَعَلَ الْقَوْمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَسِيرِهِمْ إِلَىٰ بَدْرٍ طَلَبَ رِئَاءِ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أُخْبِرُوا بِفَوْتِ الْعِيرِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَقِيلَ لَهُمْ: انْصَرِفُوا فَقَدْ سَلِمَتِ الْعِيرُ الَّتِي جِئْتُمْ لِنُصْرَتِهَا، فَأَبَوْا، وَقَالُوا: نَأْتِي بَدْرًا فَنَشْرَبُ بِهَا الْخَمْرَ، وَتَعْزِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَتَتَحَدَّثُ بِنَا الْعَرَبُ لِمَكَانَتِنَا فِيهَا، فَسُقُوا مَكَانَ الْخَمْرِ كُئُوسَ الْمَنَايَا.. أَيْ لَا يَكُونَنَّ أَمْرُكُمْ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً وَلَا الْتِمَاسَ مَا عِنْدَ النَّاسِ، وَأَخْلِصُوا للهِ النِّيَّةَ وَالْحِسْبَةَ فِي نَصْرِ دِينِكُمْ، وَمُؤَازَرَةِ نَبِيِّكُمْ، أَيْ لَا تَعْمَلُوا إِلَّا للهِ، وَلَا تَطْلُبُوا غَيْرَهُ..

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ دِينِ اللهِ وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، بِقِتَالِهِمْ إِيَّاهُمْ وَتَعْذِيبِهِمْ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الرِّيَاءِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ..

﴿مُحِيطٌ ۝٤٧﴾ [الأنفال: ٤٧] عَالِمٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لَهُ مُتَجَلِّيَةٌ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ، فَهُوَ لَهُمْ بِهَا مُعَاقِبٌ وَعَلَيْهَا مُعَذِّبٌ.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

﴿وَإِذْ﴾ إِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَحِينَ..

﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ خُرُوجَهُمْ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِحَرْبِكُمْ وَقِتَالِكُمْ، وَحَسَّنَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَيْكُمْ..

﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَاطْمَئِنُّوا وَأَبْشِرُوا..

﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ كِنَانَةَ أَنْ تَأْتِيَكُمْ مِنْ وَرَائِكُمْ فَتُغِيرَكُمْ، أُجِيرُكُمْ وَأَمْنَعُكُمْ مِنْهُمْ، وَلَا تَخَافُوهُمْ، وَاجْعَلُوا جَدَّكُمْ وَبَأْسَكُمْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ..

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ فَلَمَّا تَزَاحَفَتْ جُنُودُ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجُنُودُ الشَّيْطَانِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رَجَعَ الْقَهْقَرَىٰ عَلَىٰ قَفَاهُ هَارِبًا..

﴿وَقَالَ﴾ لِلْمُشْرِكِينَ..

﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللهُ مَدَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ..

﴿مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وَالْمُشْرِكُونَ لَا يَرَوْنَهُمْ..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ إِنِّي أَخَافُ عِقَابَ اللهِ، وَكَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، مَا بِهِ مَخَافَةُ اللهِ، وَلَكِنْ عَلِمَ أَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ وَلَا مَنَعَةَ لَهُ، وَتِلْكَ عَادَةُ عَدُوِّ اللهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاسْتَعَاذَ بِهِ، حَتَّىٰ إِذَا الْتَقَىٰ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ أَسْلَمَهُمْ شَرَّ مُسْلَمٍ وَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

﴿إِذْ﴾ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَإِذْ..

﴿يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يَعْنِي: شَكٌّ فِي الْإِسْلَامِ، لَمْ يَصِحَّ يَقِينُهُمْ، وَلَمْ تُشْرَحْ بِالْإِيمَانِ صُدُورُهُمْ..

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَنْفُسِهِمْ..

﴿دِينُهُمْ﴾ وَذَلِكَ الإِسْلَامُ، وَذُكِرَ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ كَانُوا نَفَرًا مِمَّنْ كَانَ قَدْ تَكَلَّمَ بِالْإِسْلَامِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَلَمْ يَسْتَحْكِمِ الْإِسْلَامُ فِي قُلُوبِهِمْ..

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يُسْلِمْ أَمْرَهُ إِلَىٰ اللهِ وَيَثِقْ بِهِ وَيَرْضَ بِقَضَائِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ حَافِظُهُ وَنَاصِرُهُ؛ لِأَنَّهُ..

﴿عَزِيزٌ﴾ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يَقْهَرُهُ أَحَدٌ، فَجَارُهُ مَنِيعٌ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ يَكْفِهِ.. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ وَغَيْرِهِمْ، أَنْ يُفَوِّضُوا أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ وَيُسْلِمُوا لِقَضَائِهِ، كَيْمَا يَكْفِيَهُمْ أَعْدَاءَهُمْ، وَلَا يَسْتَذِلَّهُمْ مَنْ نَاوَأَهُمْ؛ لِأَنَّهُ عَزِيزٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، فَجَارُهُ غَيْرُ مَقْهُورٍ..

﴿حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩] فِيمَا يُدَبِّرُ مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِ، حَكِيمٌ لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ وَلَوْ تُعَايِنُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يَتَوَفَّىٰ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ فَتَنْزِعُهَا مِنْ أَجْسَادِهِمْ..

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ تَضْرِبُ الْوُجُوهَ مِنْهُمْ..

﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ وَالْأَسْتَاهَ..

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠] وَيَقُولُونَ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي تَحْرِقُكُمْ يَوْمَ وُرُودِكُمْ جَهَنَّمَ.. وَحُذِفَتْ (يَقُولُونَ)، كَمَا حُذِفَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ بِمَعْنَىٰ: يَقُولُونَ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: ٥١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمَلَائِكَةِ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهُمْ وَهُمْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ اللهِ الَّذِي يَحْرِقُكُمْ، هَذَا الْعَذَابُ لَكُمْ..

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ، وَاجْتَرَحْتُمْ مِنْ مَعَاصِي اللهِ أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ، فَذُوقُوا الْيَوْمَ الْعَذَابَ، وَفِي مَعَادِكُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ وَذَلِكَ لَكُمْ بِأَنَّ اللهَ..

﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٥١﴾ [الأنفال: ٥٠] لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا بِجُرْمٍ اجْتَرَمَهُ، وَلَا يُعَذِّبُهُ إِلَّا بِمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ الظُّلْمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٥٢﴾ [الأنفال: ٥٢].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ كَعَادَةِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَصَنِيعِهِمْ وَفِعْلِهِمْ.. وَ الدَّأْبُ: هُوَ الشَّأْنُ وَالْعَادَةُ..

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وَفِعْلِ مَنْ كَذَّبَ بِحُجَجِ اللهِ وَرُسُلِهِ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ قَبْلَهُمْ، فَفَعَلْنَا بِهِمْ كَفِعْلِنَا بِأُولَئِكَ..

﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فَعَاقَبَهُمُ اللهُ بِتَكْذِيبِهِمْ حُجَجَهُ وَرُسُلَهُ وَمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، كَمَا عَاقَبَ أَشْكَالَهُمْ وَالْأُمَمَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ وَلَا يَرُدُّ قَضَاءَهُ رَادٌّ، يَنْفُذُ أَمْرُهُ وَيَمْضِي قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ..

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٥٢﴾ [الأنفال: ٥٢] لِمَنْ كَفَرَ بِآيَاتِهِ وَجَحَدَ حُجَجَهُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ [الأنفال: ٥٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أَخَذْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِبَدْرٍ بِذُنُوبِهِمْ وَفَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ بِأَنَّهُمْ غَيَّرُوا مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ، مِنَ ابْتِعَاثِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، بِإِخْرَاجِهِمْ إِيَّاهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ، وَحَرْبِهِمْ إِيَّاهُ، فَغَيَّرْنَا نِعْمَتَنَا عَلَيْهِمْ بِإِهْلَاكِنَا إِيَّاهُمْ، كَفِعْلِنَا ذَلِكَ فِي الْمَاضِينَ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ طَغَىٰ عَلَيْنَا وَعَصَىٰ أَمْرَنَا..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ، يَسْمَعُ كَلَامَ كُلِّ نَاطِقٍ مِنْهُمْ بِخَيْرٍ نَطَقَ أَوْ بِشَرٍّ..

﴿عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ [الأنفال: ٥٣] بِمَا تُضْمِرُهُ صُدُورُهُمْ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ وَمُثِيبُهُمْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ٥٤﴾ [الأنفال: ٥٤].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ غَيَّرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْمَقْتُولُونَ بِبَدْرٍ نِعْمَةَ رَبِّهِمُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، بِابْتِعَاثِهِ مُحَمَّدًا مِنْهُمْ وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ، بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَحَرْبِهِمْ لَهُ كَسُنَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ وَعَادَتِهِمْ، وَفِعْلِهِمْ بِمُوسَىٰ نَبِيِّ اللهِ فِي تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، وَتَصَدِّيهِمْ لِحَرْبِهِ..

﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وَعَادَةِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ..

﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كَذَّبُوا رُسُلَهَا..

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بَعْضًا بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضًا بِالْخَسْفِ، وَبَعْضًا بِالرِّيحِ..

﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ فِي الْيَمِّ..

﴿وَكُلٌّ﴾ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا..

﴿كَانُوا ظَٰلِمِينَ ٥٤﴾ [الأنفال: ٥٤] كَانُوا فَاعِلِينَ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِعْلُهُ، مِنْ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللهِ وَالْجُحُودِ لِآيَاتِهِ، فَكَذَلِكَ أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِبَدْرٍ؛ إِذْ غَيَّرُوا نِعْمَةَ اللهِ عِنْدَهُمْ بِالْقَتْلِ بِالسَّيْفِ، وَأَذْلَلْنَا بَعْضَهُمْ بِالْإِسَارِ وَالسِّبَاءِ.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ [الأنفال: ٥٥].

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ﴾ إِنَّ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَىٰ الْأَرْضِ عِنْدَ اللهِ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِرَبِّهِمْ فَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ، وعَبَدُوا غَيْرَهُ..

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ [الأنفال: ٥٥] لَا يُصَدِّقُونَ رُسُلَ اللهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِوَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ.

﴿الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ [الأنفال: ٥٦].

﴿الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، يَقُولُ: أَخَذْتَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ أَنْ لَا يُحَارِبُوكَ وَلَا يُظَاهِرُوا عَلَيْكَ مُحَارِبًا لَكَ، كَقُرَيْظَةَ وَنُظَرَائِهِمْ مِمَّنْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ وَعَقْدٌ..

﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ وَمَوَاثِيقَهُمْ..

﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ كُلَّمَا عَاهَدُوا دَافَعُوكَ وَحَارَبُوكَ وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ..

﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ [الأنفال: ٥٦] اللهَ، وَلَا يَخَافُونَ فِي فِعْلِهِمْ ذَلِكَ أَنْ يُوقِعَ بِهِمْ وَقْعَةً

تَجْتَاحَهُمْ وَتُهْلِكُهُمْ.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأنفال: ٥٧].

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَإِمَّا تَلْقَيَنَّ فِي الْحَرْبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ، فَنَقَضُوا عَهْدَكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَتَأْسِرْهُمْ..

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ فَافْعَلْ بِهِمْ فِعْلًا يَكُونُ مُشَرِّدًا مَنْ خَلْفَهُمْ مِنْ نُظَرَائِهِمْ مِمَّنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَهْدٌ وَعَقْدٌ.. وَالتَّشْرِيدُ: التَّطْرِيدُ وَالتَّبْدِيدُ وَالتَّفْرِيقُ.. وَإِنَّمَا أُمِرَ بِذَلِكَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ بِالنَّاقِضِ الْعَهْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِذَا قَدِرَ عَلَيْهِمْ فِعْلًا يَكُونُ إِخَافَةً لِمَنْ وَرَاءَهُمْ مِمَّنْ كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَهُ عَهْدٌ، حَتَّىٰ لَا يَجْتَرِئُوا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي اجْتَرَأَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأنفال: ٥٧] كَيْ يَتَّعِظُوا بِمَا فَعَلْتَ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ، فَيَحْذَرُوا نَقْضَ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، خَوْفَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مِنْكَ مَا نَزَلَ بِهَؤُلَاءِ إِذَا هُمْ نَقَضُوهُ.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨].

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَوْمٍ﴾ مِنْ عَدُوٍّ لَكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَهْدٌ وَعَقْدٌ..

﴿خِيَانَةً﴾ أَنْ يَنْكُثَ عَهْدَهُ وَيَنْقُضَ عَقْدَهُ وَيَغْدِرَ بِكَ، وَذَلِكَ هُوَ الْخِيَانَةُ وَالْغَدْرُ..

﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فَنَاجِزْهُمْ بِالْحَرْبِ، وَأَعْلِمْهُمْ قَبْلَ حَرْبِكَ إِيَّاهُمْ أَنَّكَ قَدْ فَسَخْتَ الْعَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ظُهُورِ آثَارِ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ مِنْهُمْ..

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ﴾ حَتَّىٰ يَسْتَوِيَ عِلْمُكَ وَعِلْمُهُمْ بِأَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ حَرْبٌ لِصَاحِبِهِ لَا سِلْمَ، فَتَصِيرَ أَنْتَ وَهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ فِي الْعِلْمِ بِأَنَّكَ لَهُمْ مُحَارِبٌ، فَيَأْخُذُوا لِلْحَرْبِ آلَتَهَا، وَتَبْرَأَ مِنَ الْغَدْرِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨] الْغَادِرِينَ بِمَنْ كَانَ مِنْهُ فِي أَمَانٍ وَعَهْدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَنْ يَغْدِرَ، فَيُحَارِبُهُ قَبْلَ إِعْلَامِهِ إِيَّاهُ أَنَّهُ لَهُ حَرْبٌ، وَأَنَّهُ قَدْ فَاسَخَهُ الْعَقْدَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ نَقْضُ الْعَهْدِ بِخَوْفِ الْخِيَانَةِ، وَالْخَوْفُ ظَنٌّ لَا يَقِينٌ؟ قِيلَ: إِنَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ مَا إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِذَا ظَهَرَتْ آثَارُ الْخِيَانَةِ مِنْ عَدُوِّكَ وَخِفْتَ وُقُوعَهُمْ بِكَ، فَأَلْقِ إِلَيْهِمْ مَقَالِيدَ السَّلْمِ وَآذِنْهُمْ بِالْحَرْبِ، وَذَلِكَ كَالَّذِي كَانَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، إِذْ أَجَابُوا أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

إِلَىٰ مُظَاهَرَتِهِمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُحَارَبَتِهِمْ مَعَهُ، بَعْدَ الْعَهْدِ الَّذِي كَانُوا عَاهَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمُسَالَمَةِ، وَلَنْ يُقَاتِلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَكَانَتْ إِجَابَتُهُمْ إِيَّاهُ إِلَىٰ ذَلِكَ مُوجِبًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَوْفَ الْغَدْرِ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ مِنْهُمْ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ قَوْمٍ أَهْلِ مُوَادَعَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ظَهَرَ لِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ مِنْ دَلَائِلِ الْغَدْرِ مِثْلُ الَّذِي ظَهَرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ قُرَيْظَةَ مِنْهَا، فَحَقَّ عَلَىٰ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ، وَيُؤْذِنَهُمْ بِالْحَرْبِ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾ [الأنفال: ٥٩].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا حُجَجَ اللهِ وَكَذَّبُوا بِهَا..

﴿سَبَقُوا﴾ سَبقُونَا بِأَنْفُسِهِمْ، فَفَاتُونَا..

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾ [الأنفال: ٥٩] إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَنَا: أَيْ يَفُوتُونَنَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الْهَرَبِ مِنَّا.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾ وَأَعِدُّوا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، الَّذِينَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ، إِذَا خِفْتُمْ خِيَانَتَهُمْ وَغَدْرَهُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ مَا أَطَقْتُمْ أَنْ تَعُدُّوهُ لَهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي تَكُونُ قُوَّةً لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ السِّلَاحِ..

﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ وَالْخَيْلِ.. فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِعْدَادِ الْجِهَادِ وَآلَةِ الْحَرْبِ وَمَا يَتَقَوَّوْنَ بِهِ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ السِّلَاحِ وَالرَّمْيِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَرِبَاطِ الْخَيْلِ. وَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ: عَنَىٰ بِالْقُوَّةِ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِي الْقُوَّةِ، وَقَدْ عَمَّ اللهُ الْأَمْرَ بِهَا..
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ بَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مُرَادٌ بِهِ الْخُصُوصُ بِقَوْلِهِ: «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**» قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْخَبَرَ وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ بِذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ مُرَادٌ بِهَا الرَّمْيُ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ مَعَانِي الْقُوَّةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الرَّمْيَ أَحَدُ مَعَانِي الْقُوَّةِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ فِي الْخَبَرِ: «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**» وَلَمْ يَقُلْ دُونَ غَيْرِهَا، وَمِنَ الْقُوَّةِ أَيْضًا السَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْحَرْبَةُ، وَكُلُّ مَا كَانَ مَعُونَةً

عَلَىٰ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَعُونَةِ الرَّمْيِ أَوْ أَبْلَغَ مِنَ الرَّمْيِ فِيهِمْ وَفِي النِّكَايَةِ مِنْهُمْ، هَذَا مَعَ وَهْيِ سَنَدِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿تُرْهِبُونَ﴾ تُخِيفُونَ..

﴿بِهِۦ﴾ بِإِعْدَادِكُمْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ قَدْ عَلِمْتُمْ عَدَاوَتَهُمْ لَكُمْ لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ وَتُرْهِبُونَ بِذَلِكَ جِنْسًا آخَرَ مِنْ غَيْرِ بَنِي آدَمَ..

﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ لَا تَعْلَمُونَ أَمَاكِنَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ..

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ دُونَكُمْ؛ لِأَنَّ بَنِي آدَمَ لَا يَرَوْنَهُمْ.. عَنَىٰ بِهِ الْجِنَّ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَدْخَلَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الْأَمْرَ بِارْتِبَاطِ الْخَيْلِ لِإِرْهَابِ كُلِّ عَدُوٍّ للهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُونَهُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا عَالِمِينَ بِعَدَاوَةِ قُرَيْظَةَ وَفَارِسَ لَهُمْ؛ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ وَأَنَّهُمْ لَهُمْ حَرْبٌ، وَلَا مَعْنَىٰ لِأَنْ يُقَالَ: وَهُمْ يَعْلَمُونَهُمْ لَهُمْ أَعْدَاءً، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ مَا عَلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ، فَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ؟ قِيلَ: فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَمْ يَكُنْ تَرُوعُهُمْ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ وَلَا سِلَاحُهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ يَرُوعُهُمْ أَنْ يَظْهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ سَرَائِرِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَسِرُّونَ مِنَ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا أُمِرَ الْمُؤْمِنُونَ بِإِعْدَادِ الْقُوَّةِ لِإِرْهَابِ الْعَدُوِّ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يُرْهِبْهُ ذَلِكَ فَغَيْرُ دَاخِلٍ فِي مَعْنَىٰ مَنْ أُمِرَ بِإِعْدَادِ ذَلِكَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِن شَيْءٍ﴾ مِنْ نَفَقَةٍ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي شِرَاءِ آلَةِ حَرْبٍ مِنْ سِلَاحٍ أَوْ حِرَابٍ أَوْ كُرَاعٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّفَقَاتِ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يَخْلُفُهُ اللهُ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَدَّخِرُ لَكُمْ أُجُورَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ عِنْدَهُ، حَتَّىٰ يُوَفِّيكُمُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠] يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُمْ رَبُّكُمْ فَلَا يُضَيِّعُ أُجُورَكُمْ عَلَيْهِ.

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً وَغَدْرًا، فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَآذِنْهُمْ

بِالْحَرْبِ، وَإِنْ مَالُوا إِلَىٰ مُسَالَمَتِكَ وَمُتَارَكَتِكَ الْحَرْبَ، إِمَّا بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِمَّا بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، وَإِمَّا بِمُوادَعَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ السَّلْمِ وَالصُّلْحِ..

﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ فَمِلْ إِلَيْهَا، وَابْذُلْ لَهُمْ مَا مَالُوا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَسَأَلُوكَهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (كَانَتْ هَذِهِ قَبْلَ بَرَاءَةٍ، كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يُوَادِعُ الْقَوْمَ إِلَىٰ أَجَلٍ، فَإِمَّا أَنْ يُسْلِمُوا وَإِمَّا أَنْ يُقَاتَلُوا، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بَعْدُ فِي بَرَاءَةٌ فَقَالَ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] وَقَالَ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ٣٦] وَنَبَذَ إِلَىٰ كُلِّ ذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيُسْلِمُوا، وَأَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا ذَلِكَ، وَكُلُّ عَهْدٍ كَانَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي غَيْرِهَا، وَكُلُّ صُلْحٍ يُصَالِحُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ يَتَوَادَعُونَ بِهِ، فَإِنَّ بَرَاءَةٌ جَاءَتْ بِنَسْخِ ذَلِكَ، فَأُمِرَ بِقِتَالِهِمْ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).. فَأَمَّا مَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، فَقَوْلُ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا فِطْرَةِ عَقْلٍ؛ فَالنَّاسِخُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا نَفَىٰ حُكْمَ الْمَنْسُوخِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَمَّا مَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَغَيْرُ كَائِنٍ نَاسِخًا، وَقَوْلُ اللهِ فِي بَرَاءَةٍ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] غَيْرُ نَافٍ حُكْمُهُ حُكْمَ قَوْلِهِ ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾ [الأنفال: ٦١] إِنَّمَا عُنِيَ بِهِ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَكَانُوا يَهُودًا أَهْلَ كِتَابٍ، وَقَدْ أَذِنَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِصُلْحِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُتَارَكَتِهِمُ الْحَرْبَ عَلَىٰ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] فَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، الَّذِينَ لَا يَجُوزُ قَبُولُ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ، فَلَيْسَ فِي إِحْدَىٰ الْآيَتَيْنِ نَفْيُ حُكْمِ الْأُخْرَىٰ، بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُحْكَمَةٌ فِيمَا أُنْزِلَتْ فِيهِ..

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فَوِّضْ إِلَىٰ اللهِ يَا مُحَمَّدُ أَمْرَكَ، وَاسْتَكْفِهِ وَاثِقًا بِهِ أَنَّهُ يَكْفِيكَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ الَّذِي تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ..

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا تَقُولُ أَنْتَ، وَمَنْ تُسَالِمُهُ وَتُتَارِكُهُ الْحَرْبَ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِكَ عِنْدَ عَقْدِ السَّلْمِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَيَشْرِطُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ عَلَىٰ صَاحِبِهِ مِنَ الشُّرُوطِ..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ [الأنفال: ٦١] بِمَا يُضْمِرُهُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ، مِنَ الْوَفَاءِ بِمَا عَاقَدَهُ عَلَيْهِ، وَمَنِ الْمُضْمِرُ ذَلِكَ مِنْكُمْ فِي قَلْبِهِ وَالْمُنْطَوِي عَلَىٰ خِلَافِهِ لِصَاحِبِهِ.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾

[الأنفال: ٦٢].

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾ وَإِنْ يُرِدْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ بِأَنْ تَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ، إِنْ خِفْتَ

مِنْهُمْ خِيَانَةً، وَبِمُسَالَمَتِهِمْ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ..

﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ خِداعَكَ وَالْمَكْرَ بِكَ..

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ فَإِنَّ اللهَ كَافِيكَهُمْ وَكَافِيكَ خِداعَهُمْ إِيَّاكَ؛ لِأَنَّهُ مُتَكَفِّلٌ بِإِظْهَارِ دِينِكَ عَلَىٰ الْأَدْيَانِ، وَمُتَضَمِّنٌ أَنْ يَجْعَلَ كَلِمَتَهُ الْعُلْيَا وَكَلِمَةَ أَعْدَائِهِ السُّفْلَىٰ..

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ اللهُ الَّذِي قَوَّاكَ بِنَصْرِهِ إِيَّاكَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ..

﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ [الأنفال: ٦٢] يَعْنِي بِالْأَنْصَارِ.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣].

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وَجَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْدَ التَّفَرُّقِ وَالتَّشَتُّتِ عَلَىٰ دِينِهِ الْحَقِّ، فَصَيَّرَهُمْ بِهِ جَمِيعًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَشْتَاتًا، وَإِخْوَانًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعْدَاءً..

﴿لَوْ أَنفَقْتَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ وَعَرَضٍ..

﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ مَا جَمَّعْتَ أَنْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بِحِيَلِكَ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ وَلكِنَّ اللهَ جَمَّعَهَا عَلَىٰ الْهُدَىٰ، فَائْتَلَفَتْ وَاجْتَمَعَتْ تَقْوِيَةً مِنَ اللهِ لَكَ وَتَأْيِيدًا مِنْهُ وَمَعُونَةً عَلَىٰ عَدُوِّكَ، فَالَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَسَبَّبَهُ لَكَ حَتَّىٰ صَارُوا لَكَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا وَيَدًا وَاحِدَةً عَلَىٰ مَنْ بَغَاكَ سُوءًا، هُوَ الَّذِي إِنْ رَامَ عَدُوٌّ مِنْكَ مَرَامًا يَكْفِيكَ كَيْدَهُ وَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِ، فَثِقْ بِهِ وَامْضِ لِأَمْرِهِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ الَّذِي أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْدَ تَشَتُّتِ كَلِمَتِهِمَا وَتَعَادِيهِمَا وَجَعَلَهُمْ لَكَ أَنْصَارًا..

﴿عَزِيزٌ﴾ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ وَلَا يَرُدُّ قَضَاءَهُ رَادٌّ، وَلَكِنَّهُ يَنْفُذُ فِي خَلْقِهِ حُكْمُهُ، فَعَلَيْهِ فَتَوَكَّلْ، وَبِهِ فَثِقْ..

﴿حَكِيمٌ ۝٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣] فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ﴾ وَحَسْبُ مَنِ..

﴿ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤] اللهُ.. يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: نَاهِضُوا عَدُوَّكُمْ، فَإِنَّ

اللهَ كَافِيكُمْ أَمْرَهُمْ، وَلَا يَهُولَنَّكُمْ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةُ عَدَدِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ مُؤَيِّدُكُمْ بِنَصْرِهِ.. فَمَعْنَى الْكَلَامِ: يَكْفِيكَ اللهُ، وَيَكْفِي مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ٦٥﴾

[الأنفال: ٦٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ حُثَّ مُتَّبِعِيكَ وَمُصَدِّقِيكَ عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ عَلَىٰ قِتَالِ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ عَنِ الْحَقِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ﴾ رَجُلًا..

﴿صَٰبِرُونَ﴾ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، يَحْتَسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَثْبُتُونَ لِعَدُوِّهِمْ..

﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَيَقْهَرُوهُمْ..

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿يَغْلِبُوٓاْ﴾ مِنْهُمْ..

﴿أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال: ٦٥] مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَوْمٌ يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ غَيْرِ رَجَاءِ ثَوَابٍ وَلَا لِطَلَبِ أَجْرٍ وَلَا احْتِسَابٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا أَنَّ اللهَ مُوجِبٌ لِمَنْ قَاتَلَ احْتِسَابًا وَطَلَبَ مَوْعُودَ اللهِ فِي الْمَعَادِ مَا وَعَدَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، فَهُمْ لَا يَثْبُتُونَ إِذَا صَدَقُوا فِي اللِّقَاءِ خَشْيَةَ أَنْ يُقْتَلُوا فَتَذْهَبَ دُنْيَاهُمْ.. ثُمَّ خَفَّفَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ عَلِمَ ضَعْفَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ.

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ [الأنفال: ٦٦].

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾ يَعْنِي أَنَّ فِي الْوَاحِدِ مِنْهُمْ عَنْ لِقَاءِ الْعَشَرَةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ ضَعْفًا..

﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ عِنْدَ لِقَائِهِمْ لِلثَّبَاتِ لَهُمْ..

﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ مِنْهُمْ..

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ﴾ مِنْهُمْ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي بِتَخْلِيَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ لِغَلَبَتِهِمْ وَمَعُونَتِهِ إِيَّاهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦] لِعَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ اللهِ، احْتِسَابًا فِي صَبْرِهِ وَطَلَبًا لِجَزِيلِ الثَّوَابِ مِنْ رَبِّهِ، بِالْعَوْنِ مِنْهُ لَهُ وَالنَّصْرِ عَلَيْهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ -أعني قوله﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٦٥]- وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهَا مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّ مَعْنَاهَا الْأَمْرُ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فَلَمْ يَكُنِ التَّخْفِيفُ إِلَّا بَعْدَ التَّثْقِيلِ، وَلَوْ كَانَ ثُبُوتُ الْعَشَرَةِ مِنْهُمْ للمِائَةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ كَانَ غَيْرَ فَرْضٍ عَلَيْهِمْ قَبْلَ التَّخْفِيفِ وَكَانَ نَدْبًا لَمْ يَكُنْ لِلتَّخْفِيفِ وَجْهٌ؛ لِأَنَّ التَّخْفِيفَ إِنَّمَا هُوَ تَرْخِيصٌ فِي تَرْكِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الثُّبُوتَ لِلْعَشَرَةِ مِنَ الْعَدُوِّ، وَإِذَا لَمْ يَكُنِ التَّشْدِيدُ قَدْ كَانَ لَهُ مُتَقَدِّمًا لَمْ يَكُنْ لِلتَّرْخِيصِ وَجْهٌ؛ إِذْ كَانَ الْمَفْهُومُ مِنَ التَّرْخِيصِ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ التَّشْدِيدِ.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَ حُكْمَ قَوْلِهِ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ نَاسِخٌ لِحُكْمِ قَوْلِهِ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.. فَإِنَّ كُلَّ خَبَرٍ مِنَ اللهِ وَعَدَ فِيهِ عِبَادَهُ عَلَىٰ عَمَلٍ ثَوَابًا وَجَزَاءً، وَعَلَىٰ تَرْكِهِ عِقَابًا وَعَذَابًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَارِجًا ظَاهِرُهُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، فَفِي مَعْنَىٰ الْأَمْرِ.

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَحْتَبِسَ كَافِرًا قَدِرَ عَلَيْهِ وَصَارَ فِي يَدِهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ لِلْفِدَاءِ أَوْ لِلْمَنِّ.. وَالْأَسْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْحَبْسُ، يُقَالُ مِنْهُ: مَأْسُورٌ، يُرَادُ بِهِ: مَحْبُوسٌ.. وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ يُعَرِّفُهُ أَنَّ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَسَرَهُمْ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ فَادَىٰ بِهِمْ كَانَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ مِنْ أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنْهُمْ وَإِطْلَاقِهِمْ..

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ حَتَّىٰ يُبَالِغَ فِي قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا، وَيَقْهَرَهُمْ غَلَبَةً وَقَسْرًا..

﴿تُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ بِأَسْرِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ مَا عُرِضَ لِلْمَرْءِ مِنْهَا مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ، يَقُولُ: تُرِيدُونَ بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَتَاعَ الدُّنْيَا..

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ﴾ وَاللهُ يُرِيدُ لَكُمْ زِينَةَ الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِ فِي جَنَّاتِهِ بِقَتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ وَإِثْخَانِكُمْ فِي الْأَرْضِ، يَقُولُ لَهُمْ: وَاطْلُبُوا مَا يُرِيدُ اللهُ لَكُمْ وَلَهُ اعْمَلُوا، لَا مَا

تَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ أَهْوَاءُ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ إِنْ أَنْتُمْ أَرَدْتُمُ الْآخِرَةَ لَمْ يَغْلِبْكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزِيزٌ لَا يُقْهَرُ وَلَا يُغْلَبُ، وَإِنَّهُ..

﴿حَكِيمٌ ۝٦٧﴾ [الأنفال: ٦٧] فِي تَدْبِيرِهِ أَمْرَ خَلْقِهِ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَىٰ يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ؟**» قَالَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي الْأُسَارَىٰ؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، وَأَرَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً تَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَىٰ الْكُفَّارِ، وَعَسَىٰ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَىٰ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» فَقَالَ: لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَرَىٰ الَّذِي رَأَىٰ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللهِ، وَلَكِنْ أَرَىٰ أَنْ تُمَكِّنَنَا مِنْهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنَ الْعَبَّاسِ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبٍ لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوِ مَا قُلْتُ، قَالَ عُمَرُ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَانِ يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عُرِضَ لِأَصْحَابِي مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، وَلَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَىٰ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] وَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾ [الأنفال: ٦٨].

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ﴾ قَضَاءٌ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ لَكُمْ أَهْلَ بَدْرٍ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، بِأَنَّ اللهَ مُحِلٌّ لَكُمُ الْغَنِيمَةَ، وَأَنَّ اللهَ قَضَىٰ فِيمَا قَضَىٰ أَنَّهُ لَا يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ، وَأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا شَهِدَ الْمَشْهَدَ الَّذِي شَهِدْتُمُوهُ بِبَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَاصِرًا دِينَ اللهِ..

﴿لَمَسَّكُمْ﴾ لَنَالَكُمْ مِنَ اللهِ..

﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ بِأَخْذِكُمُ الْغَنِيمَةَ وَالْفِدَاءَ مِنْ أُسَارَىٰ بَدْرٍ قَبْلَ أَنْ تُؤْمَرُوا بِهِ..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾ [الأنفال: ٦٨].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩﴾ [الأنفال: ٦٩].

﴿فَكُلُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِمَّا غَنِمۡتُمۡ﴾ مِنْ أَمْوَالِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿حَلَٰلٗا﴾ بِإِحْلَالِهِ لَكُمْ..

﴿طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَنْ تَعُودُوا أَنْ تَفْعَلُوا فِي دِينِكُمْ شَيْئًا بَعْدَ هَذِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْهَدَ فِيهِ إِلَيْكُمْ، كَمَا فَعَلْتُمْ فِي أَخْذِ الْفِدَاءِ وَأَكْلِ الْغَنِيمَةِ وَأَخَذْتُمُوهُمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحِلَّا لَكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِذُنُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿رَّحِيمٞ ٦٩﴾ [الأنفال: ٦٩] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.. وَهَذَا مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَاتَّقُوا اللهَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾ قُلْ لِمَنْ فِي يَدَيْكَ وَفِي يَدَيْ أَصْحَابِكَ..

﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ مِنْ أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أُخِذَ مِنْهُمْ مِنَ الْفِدَاءِ مَا أُخِذَ..

﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ إِسْلَامًا..

﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ مِنَ الْفِدَاءِ..

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ وَيَصْفَحْ لَكُمْ عَنْ عُقُوبَةِ جُرْمِكُمُ الَّذِي اجْتَرَمْتُمُوهُ بِقِتَالِكُمْ نَبِيَّ اللهِ وَأَصْحَابَهُ وَكُفْرِكُمْ بِاللهِ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا..

﴿رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ [الأنفال: ٧١].

﴿وَإِن يُرِيدُواْ﴾ وَإِنْ يُرِدْ هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى الَّذِينَ فِي أَيْدِيكُمْ..

﴿خِيَانَتَكَ﴾ أَيِ الْغَدْرَ بِكَ وَالْمَكْرَ وَالْخِدَاعَ، بِإِظْهَارِهِمْ لَكَ بِالْقَوْلِ خِلَافَ مَا فِي نُفُوسِهِمْ..

﴿فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ فَقَدْ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ مِنْ قَبْلِ وَقْعَةِ بَدْرٍ..

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ وَأَمْكَنَ مِنْهُمْ بِبَدْرٍ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُضْمِرُونَهُ فِي نُفُوسِهِمْ..

﴿حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [الأنفال: ٧١] فِي تَدْبِيرِهِمْ وَتَدْبِيرِ أُمُورِ خَلْقِهِ سِوَاهُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَهَاجَرُوا﴾ وهَجَرُوا قَوْمَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَدُورَهُمْ، وَخَرَجُوا عَنْهُمْ..

﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وَبَالَغُوا فِي إِتْعَابِ نُفُوسِهِمْ وَإِنْصَابِهَا فِي حَرْبِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْكُفَّارِ..

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ الَّذِي جَعَلَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ رَحْمَتِهِ وَالنَّجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ رَسُولَ اللهِ وَالْمُهَاجِرِينَ مَعَهُ، يَعْنِي أَنَّهُمْ جَعَلُوا لَهُمْ مَأْوًى يَأْوُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْمَثْوَىٰ وَالْمَسْكَنُ، يَقُولُ: أَسْكَنُوهُمْ وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ مَسَاكِنَ؛ إِذْ أَخْرَجَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ..

﴿وَنَصَرُوا﴾ وَنَصَرُوهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

﴿أُولَئِكَ﴾ هَاتَانِ الْفِرْقَتَانِ، يَعْنِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ..

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ، وَأَعْوَانٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَيْدِيهِمْ وَاحِدَةٌ عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَبَعْضُهُمْ إِخْوَانٌ لِبَعْضٍ دُونَ أَقْرِبَائِهِمُ الْكُفَّارِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلَىٰ بِمِيرَاثِ بَعْضٍ، وَأَنَّ اللهَ وَرَّثَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِالْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ دُونَ الْقَرَابَةِ وَالْأَرْحَامِ، وَأَنَّ اللهَ نَسَخَ ذَلِكَ بَعْدُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]..

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ قَوْمَهُمُ الْكُفَّارَ، وَلَمْ يُفَارِقُوا دَارَ الْكُفْرِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿مَا لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْمُهَاجِرُونَ قَوْمَهُمُ الْمُشْرِكِينَ وَأَرْضَ الْحَرْبِ..

﴿مِنْ وَلَايَتِهِمْ﴾ مِنْ نُصْرَتِهِمْ وَمِيرَاثِهِمْ..

﴿مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ قَوْمَهُمْ وَدُورَهُمْ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ إِنِ اسْتَنْصَرَكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا..

﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ وَأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿فَعَلَيْكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ..

﴿ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ يَعْنِي عَهْدٌ قَدْ وَثِقَ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أَنْ لَا يُحَارِبَهُ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ بَعْضُهُمْ أَعْوَانُ بَعْضٍ وَأَنْصَارُهُ، وَأَحَقُّ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.. وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَ مَنْ قَالَ: عَنَىٰ بَيَانَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَحَقُّ بِمِيرَاثِ بَعْضٍ مِنْ قَرَابَتِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّ الْكُفَّارَ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ وَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا مَنْ كَانَ مُقِيمًا بِدَارِ الْحَرْبِ وَلَمْ يُهَاجِرْ..

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ إِلَّا تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَالنُّصْرَةِ عَلَىٰ الدِّينِ..

﴿تَكُن فِتْنَةٌ﴾ يَحْدُثْ بَلَاءٌ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بِسَبَبِ ذَلِكَ..

﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣] وَمَعَاصِي للهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ مَعَهُ وَنَصَرُوهُمْ..

﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ دِينَ اللهِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أُولَئِكَ هُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿حَقًّا﴾ لَا مَنْ آمَنَ وَلَمْ يُهَاجِرْ دَارَ الشِّرْكِ، وَأَقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَمْ يَغْزُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَدُوَّهُمْ..

﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لَهُمْ سِتْرٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا..

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [الأنفال: ٧٤] لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ طَعَامٌ وَمَشْرَبٌ هَنِيٌّ كَرِيمٌ، لَا يَتَغَيَّرُ فِي أَجْوَافِهِمْ فَيَصِيرُ نَجْوًا، وَلَكِنَّهُ يَصِيرُ رَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إِنَّمَا هُوَ النُّصْرَةُ وَالْمَعُونَةُ دُونَ الْمِيرَاثِ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَقَّبَ ذَلِكَ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْخَبَرِ عَمَّا لَهُمْ عِنْدَهُ دُونَ مَنْ لَمْ يُهَاجِرْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا﴾ الْآيَةَ، وَلَوْ كَانَ مُرَادًا بِالْآيَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ حُكْمِ مِيرَاثِهِمْ، لَمْ يَكُنْ عُقَيْبَ ذَلِكَ إِلَّا الْحَثُّ عَلَىٰ مُضِيِّ الْمِيرَاثِ عَلَىٰ مَا أَمَرَ، وَفِي صِحَّةِ ذَلِكَ كَذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنْ لَا نَاسِخَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لِشَيْءٍ وَلَا مَنْسُوخَ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [الأنفال: ٧٥].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مِن بَعْدُ﴾ تِبْيَانِي مَا بَيَّنْتُ مِنْ وَلَايَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَانْقِطَاعِ وَلَايَتِهِمْ مِمَّنْ آمَنَ وَلَمْ يُهَاجِرْ حَتَّىٰ يُهَاجِرَ..

﴿وَهَاجَرُوا﴾ دَارَ الْكُفْرِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ فِي الْوَلَايَةِ يَجِبُ عَلَيْكُمْ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالنُّصْرَةِ فِي الدِّينِ وَالْمُوَارَثَةِ، مِثْلُ الَّذِي يَجِبُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ وَلِبَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ وَالْمُتَنَاسِبُونَ بِالْأَرْحَامِ..

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فِي الْمِيرَاثِ، إِذَا كَانُوا مِمَّنْ قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْهُ نَصِيبًا وَحَظًّا مِنَ الْحَلِيفِ وَالْوَلِيِّ..

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فِي حُكْمِ اللهِ الَّذِي كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالسَّابِقِ مِنَ الْقَضَاءِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [الأنفال: ٧٥] إِنَّ اللهَ عَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ فِي تَوْرِيثِهِ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي الْقَرَابَةِ وَالنَّسَبِ دُونَ الْحِلْفِ بِالْعَقْدِ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ (٩)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا التَّوْبَةُ

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة: ١].

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ هَذِهِ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ إِلَىٰ الَّذِينَ عَاهَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ الْعُهُودَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتَوَلَّىٰ عَقْدَهَا إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ مَنْ يَعْقِدُهَا بِأَمْرِهِ، وَلَكِنَّهُ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ لِعِلْمِهِمْ بِمَعْنَاهُ، وَأَنَّ عُقُودَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ أُمَّتِهِ كَانَتْ عُقُودَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لِكُلِّ أَفْعَالِهِ فِيهِمْ رَاضِينَ، وَلِعُقُودِهِ عَلَيْهِمْ مُسَلِّمِينَ، فَصَارَ عَقْدُهُ عَلَيْهِمْ كَعُقُودِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ..

﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة: ١] لِأَهْلِ الْعَهْدِ الَّذِينَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ قَبْلَ انْقِضَاءِ مُدَّتِهِ.. فَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِإِتْمَامِ الْعَهْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة: ٤].. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، يَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ الْفَرْضَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ قَتْلُ كُلِّ مُشْرِكٍ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي تَتْلُو ذَلِكَ تُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا وَفَسَادِ مَا ظَنَّهُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ انْسِلَاخَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ كَانَ يُبِيحُ قَتْلَ كُلِّ مُشْرِكٍ كَانَ لَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ عَهْدٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة: ٧]، فَهَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالِاسْتِقَامَةِ لَهُمْ فِي عَهْدِهِمْ مَا اسْتَقَامُوا لَهُمْ بِتَرْكِ نَقْضِ صُلْحِهِمْ وَتَرْكِ مُظَاهَرَةِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ.. وَبَعْدُ: فَفِي الْأَخْبَارِ الْمُتَظَاهِرَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ حِينَ بَعَثَ عَلِيًّا رضي الله عنه بِبَرَاءَةَ إِلَىٰ أَهْلِ الْعُهُودِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَمَرَهُ فِيمَا أَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِهِ فِيهِمْ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ، فَعَهْدُهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ ﷺ بِنَقْضِ عَهْدِ قَوْمٍ كَانَ عَاهَدَهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ، فَاسْتَقَامُوا عَلَىٰ عَهْدِهِ بِتَرْكِ نَقْضِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَجَّلَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مَنْ كَانَ قَدْ نَقَضَ عَهْدَهُ قَبْلَ التَّأْجِيلِ أَوْ مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ إِلَىٰ أَجَلٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَجَلُ عَهْدِهِ مَحْدُودًا وَلَمْ يَجْعَلْ بِنَقْضِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ سَبِيلًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بِإِتْمَامِ عَهْدِهِ إِلَىٰ غَايَةِ أَجَلِهِ مَأْمُورًا، بِذَلِكَ بَعَثَ مُنَادِيَهُ يُنَادِي بِهِ فِي أَهْلِ الْمَوْسِمِ مِنَ الْعَرَبِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (**كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِي، فَكَانَ إِذَا صَحِلَ صَوْتُهُ نَادَيْتُ، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ: بِأَرْبَعٍ: لَا يَطُفْ بِالْكَعْبَةِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ عَامِنَا هَذَا مُشْرِكٌ**).. فَقَدْ أَنْبَأَ هَذَا الْخَبَرُ وَنَظَائِرُهُ، عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا، وَأَنَّ أَجَلَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ إِنَّمَا كَانَ لِمَنْ وَصَفْنَا، فَأَمَّا مَنْ كَانَ عَهْدُهُ إِلَىٰ مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ فَلَمْ يَجْعَلْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ لِنَقْضِهِ وَمُظَاهَرَةِ أَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ وَفَّىٰ لَهُ عَهْدَهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ دَلَّ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ وَتَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ.. وَأَمَّا الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَجَلَ مَنْ ذَكَرْنَا، وَكَانَ ابْتِدَاؤُهَا يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ وَانْقِضَاؤُهَا انْقِضَاءَ عَشْرٍ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، فَذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ مُتَتَابِعَةٌ، جُعِلَ لِأَهْلِ الْعَهْدِ الَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ فِيهَا السِّيَاحَةُ فِي الْأَرْضِ، يَذْهَبُونَ حَيْثُ شَاءُوا، لَا يَعْرِضُ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ بِحَرْبٍ وَلَا قَتْلٍ وَلَا سَلْبٍ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ كَمَا وَصَفْتُ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ انْسِلَاخَهَا انْسِلَاخُ الْمُحَرَّمِ، وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّ تَأْجِيلَ الْقَوْمِ مِنَ اللهِ وَمِنْ رَسُولِهِ كَانَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَإِنَّمَا بَيْنَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ وَانْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ خَمْسُونَ يَوْمًا أَكْثَرُهُ، فَأَيْنَ الْخَمْسُونَ يَوْمًا مِنَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ؟ قِيلَ: إِنَّ انْسِلَاخَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ إِنَّمَا كَانَ أَجَلَ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ لِمَنْ لَهُ عَهْدٌ، إِمَّا إِلَىٰ أَجَلٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ وَإِمَّا إِلَىٰ أَجَلٍ مَحْدُودٍ قَدْ نَقَضَهُ، فَصَارَ بِنَقْضِهِ إِيَّاهُ بِمَعْنَىٰ مَنْ خِيفَ خِيَانَتُهُ، فَاسْتَحَقَّ النَّبْذَ إِلَيْهِ عَلَىٰ سَوَاءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ الِاسْتِعْدَادَ لِنَفْسِهِ وَالِارْتِيَادَ لَهَا مِنَ الْأَجَلِ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ، أَلَا تَرَى اللهَ يَقُولُ لِأَصْحَابِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ، وَيَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ عَهْدٍ ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ① فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾، وَوَصَفَ الْمَجْعُولَ لَهُمُ انْسِلَاخُ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ أَجَلًا بِأَنَّهُمْ أَهْلُ

شِرْكٍ لَا أَهْلَ عَهْدٍ، فَقَالَ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]الْآيَةَ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٤]الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ بَعْدَ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَبِإِتْمَامِ عَهْدِ الَّذِينَ لَهُمْ عَهْدٌ إِذَا لَمْ يَكُونُوا نَقَضُوا عَهْدَهُمْ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَإِدْخَالِ النَّقْصِ فِيهِ عَلَيْهِمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ ابْتِدَاءَ التَّأْجِيلِ كَانَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ دُونَ أَنْ يَكُونَ كَانَ مِنْ شَوَّالٍ عَلَىٰ مَا قَالَهُ قَائِلُو ذَلِكَ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ قَائِلِي ذَلِكَ زَعَمُوا أَنَّ التَّأْجِيلَ كَانَ مِنْ وَقْتِ نُزُولِ بَرَاءَةَ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا؛ لِأَنَّ الْمَجْعُولَ لَهُ أَجَلُ السِّيَاحَةِ إِلَىٰ وَقْتٍ مَحْدُودٍ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ مَا جُعِلَ لَهُ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ عَهْدٍ لَهُ قَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ بِخِلَافِهِ، فَكَمَنْ لَمْ يُجْعَلْ لَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ مَا لَهُ فِي الْأَجَلِ الَّذِي جُعِلَ لَهُ وَمَا عَلَيْهِ بَعْدَ انْقِضَائِهِ فَهُوَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ الَّذِي جُعِلَ لَهُ مِنَ الْأَجَلِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَعْلَمُوا بِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا حِينَ نُودِيَ فِيهِمْ بِالْمَوْسِمِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ صَحَّ أَنَّ ابْتِدَاءَهُ مَا قُلْنَا وَانْقِضَاءَهُ كَانَ مَا وَصَفْنَا.

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة: ٢].

﴿فَسِيحُوا۟﴾ فَسِيرُوا..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُقْبِلِينَ وَمُدْبِرِينَ، آمِنِينَ غَيْرَ خَائِفِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَتْبَاعِهِ..

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يَقُولُ لِأَهْلِ الْعَهْدِ مِنَ الَّذِينَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: اعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿أَنَّكُمْ﴾ إِنْ سِحْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَاخْتَرْتُمْ ذَلِكَ مَعَ كُفْرِكُمْ بِاللهِ عَلَىٰ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيده وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ..

﴿غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ غَيْرُ مُفِيتِيهِ بِأَنْفُسِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ حَيْثُ ذَهَبْتُمْ وَأَيْنَ كُنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَفِي قَبْضَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ وَزِيرٌ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ إِذَا أَرَادَكُمْ بِعَذَابٍ مَعْقِلٌ، وَلَا مَوْئِلٌ، إِلَّا الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالتَّوْبَةَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فَبَادِرُوا عُقُوبَتَهُ بِتَوْبَةٍ، وَدَعُوا السِّيَاحَةَ الَّتِي لَا تَنْفَعُكُمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة: ٢] وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مُذِلُّ الْكَافِرِينَ، وَمُوَرِّثُهُمُ الْعَارَ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ [التوبة: ٣].

﴿وَأَذَٰنٌ﴾ وَإِعْلَامٌ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ النَّحْرِ؛ لِتظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ عَلِيًّا نَادَىٰ بِمَا أَرْسَلَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ بَرَاءَةَ يَوْمَ النَّحْرِ، هَذَا مَعَ الْأَخْبَارِ الَّتِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ النَّحْرِ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ».. وَبَعْدُ: فَإِنَّ الْيَوْمَ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ، كَقَوْلِ النَّاسِ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَذَلِكَ يَوْمُ وُقُوفِ النَّاسِ بِعَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْأَضْحَىٰ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُضَحُّونَ فِيهِ، وَيَوْمُ الْفِطْرِ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُفْطِرُونَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ يَوْمُ الْحَجِّ، يَوْمٌ يَحُجُّونَ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَحُجُّ النَّاسُ وَيَقْضُونَ مَنَاسِكَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ؛ لِأَنَّ فِي لَيْلَةِ نَهَارِ يَوْمِ النَّحْرِ، الْوُقُوفَ بِعَرَفَةَ غَيْرُ فَائِتٍ إِلَىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ النَّحْرِ، وَالْحَجُّ كُلُّهُ يَوْمَ النَّحْرِ.. وَسُمِّي الحَجُّ الأَكْبَرُ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْعُمْرَةِ بِزِيَادَةِ عَمَلِهِ عَلَىٰ عَمَلِهَا، فَقِيلَ لَهُ الْأَكْبَرُ لِذَلِكَ، وَأَمَّا الْأَصْغَرُ فَالْعُمْرَةُ؛ لِأَنَّ عَمَلَهَا أَقَلُّ مِنْ عَمَلِ الْحَجِّ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهَا الْأَصْغَرُ لِنُقْصَانِ عَمَلِهَا عَنْ عَمَلِهِ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ أَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ عَهْدِ الْمُشْرِكِينَ بَرِيئَانِ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَّةِ..

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ مِنْ كُفْرِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَرَجَعْتُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿فَهُوَ﴾ فَالرُّجُوعُ إِلَىٰ ذَلِكَ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَىٰ الشِّرْكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ وَإِنْ أَدْبَرْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَأَبَيْتُمْ إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ..

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ فَأَيْقِنُوا..

﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ لَا تُفِيتُونَ اللهَ بِأَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْ يُحِلَّ بِكُمْ عَذَابَهُ الْأَلِيمَ وَعِقَابَهُ الشَّدِيدَ عَلَىٰ إِقَامَتِكُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ، كَمَا فُعِلَ بِذَوِيكُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، مِنْ إِنْزَالِ نِقَمِهِ بِهِ وَإِحْلَالِهِ الْعَذَابَ عَاجِلًا بِسَاحَتِهِ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ وَأَعْلِمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ..

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ③﴾ [التوبة: ٣] مُوجِعٍ يَحِلُّ بِهِمْ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ④﴾ [التوبة: ٤].

﴿إِلَّا﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، إِلَّا مِنْ عَهْدٍ..

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ مِنْ عَهْدِكُمُ الَّذِي عَاهَدْتُمُوهُمْ..

﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَيُعِينُوهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ، وَلَا بِسِلَاحٍ وَلَا خَيْلٍ وَلَا رِجَالٍ..

﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ فَفُوا لَهُمْ بِعَهْدِهِمُ الَّذِي عَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا تَنْصِبُوا لَهُمْ حَرْبًا..

﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ﴾ إِلَىٰ انْقِضَاءِ أَجَلِ عَهْدِهِمُ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ④﴾ [التوبة: ٤] مَنِ اتَّقَاهُ بِطَاعَتِهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑤﴾ [التوبة: ٥].

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ فَإِذَا انْقَضَىٰ وَمَضَىٰ وَخَرَجَ.. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: شَاةٌ مَسْلُوخَةٌ، بِمَعْنَىٰ: الْمَنْزُوعَةُ مِنْ جِلْدِهَا..

﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمَ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ انْسِلَاخُ الْمُحَرَّمِ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّ الْأَذَانَ كَانَ بِـ (بَرَاءَةَ) يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَجَّلُوا الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ كُلَّهَا -وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ فِيمَا مَضَىٰ- وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ مُتَّصِلًا بِالشَّهْرَيْنِ الْحَرَامَيْنِ الْآخَرَيْنِ قَبْلَهُ، وَكَانَ هُوَ لَهُمَا ثَالِثًا، وَهِيَ كُلُّهَا مُتَّصِلٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، قِيلَ: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَإِذَا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ الثَّلَاثَةُ عَنِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ، أَوْ عَنِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ، فَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ بِمُظَاهَرَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ، أَوْ

كَانَ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ غَيْرِهِ مَعْلُومٍ..

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ فَاقْتُلُوهُمْ..

﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ حَيْثُ لَقِيتُمُوهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فِي الْحَرَمِ وَغَيْرِ الْحَرَمِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَغَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ..

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وَأْسِرُوهُمْ..

﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ وَامْنَعُوهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَدُخُولِ مَكَّةَ..

﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ﴾ بِالطَّلَبِ لِقَتْلِهِمْ أَوْ أَسْرِهِمْ..

﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كُلَّ طَرِيقٍ وَمَرْقَبٍ.. مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ رَصَدْتُ فُلَانًا أَرْصُدُهُ رَصْدًا، بِمَعْنَىٰ: رَقَبْتُهُ.. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَنْسُوخٍ، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ النَّسْخِ هُوَ نَفْيُ حُكْمٍ قَدْ كَانَ ثَبَتَ بِحُكْمٍ آخَرَ غَيْرِهِ، وَلَمْ تَصِحَّ حُجَّةٌ بِوُجُوبِ حُكْمِ اللهِ فِي الْمُشْرِكِينَ بِالْقَتْلِ بِكُلِّ حَالٍ ثُمَّ نَسَخَهُ بِتَرْكِ قَتْلِهِمْ عَلَىٰ أَخْذِ الْفِدَاءِ وَلَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَنِّ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَكَانَ الْفِدَاءُ وَالْمَنُّ وَالْقَتْلُ لَمْ يَزَلْ مِنْ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ مِنْ أَوَّلِ حَرْبٍ حَارَبَهُمْ، وَذَلِكَ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَخُذُوهُمْ لِلْقَتْلِ أَوِ الْمَنِّ أَوِ الْفِدَاءِ وَاحْصُرُوهُمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ صَحَّ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿فَإِن تَابُوا﴾ فَإِنْ رَجَعُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَجُحُودِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وَأَدَّوْا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا..

﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ وَأَعْطَوُا الزَّكَاةَ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ أَهْلَهَا..

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ فَدَعُوهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي أَمْصَارِكُمْ وَيَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ..

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَنَابَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، سَاتِرٌ عَلَىٰ ذَنْبِهِ..

﴿رَّحِيمٌ ⑤﴾ [التوبة: ٥] بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ السَّالِفَةِ قَبْلَ تَوْبَتِهِ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ⑥﴾ [التوبة: ٦].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ وَإِنِ اسْتَأْمَنَكَ يَا مُحَمَّدُ -مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ

بِقِتَالِهِمْ وَقَتْلِهِمْ بَعْدَ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ- أَحَدٌ لِيَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ مِنْكَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ..

﴿فَأَجِرْهُ﴾ فَأَمِّنْهُ..

﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ وَتَتْلُوهُ عَلَيْهِ..

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ﴾ ثُمَّ رُدَّهُ بَعْدَ سَمَاعِهِ كَلَامَ اللهِ -إِنْ هُوَ أَبَىٰ أَنْ يُسْلِمَ وَلَمْ يَتَّعِظْ لِمَا تَلَوْتَهُ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ اللهِ فَيُؤْمِنَ- إِلَىٰ..

﴿مَأْمَنَهُۥ﴾ حَيْثُ يَأْمَنُ مِنْكَ وَمِمَّنْ فِي طَاعَتِكَ حَتَّىٰ يَلْحَقَ بِدَارِهِ وَقَوْمِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ مِنْ إِعْطَائِكَ إِيَّاهُمُ الْأَمَانَ، لِيَسْمَعُوا الْقُرْآنَ، وَرَدِّكَ إِيَّاهُمْ إِذَا أَبَوْا الْإِسْلَامَ إِلَىٰ مَأْمَنِهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: ٦] قَوْمٌ جَهَلَةٌ، لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ حُجَّةً، وَلَا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ لَوْ آمَنُوا، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْوِزْرِ وَالْإِثْمِ بِتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِاللهِ.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة: ٧].

﴿كَيْفَ يَكُونُ﴾ أَنَّىٰ يَكُونُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِأَيِّ مَعْنًىٰ يَكُونُ..

﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ بِرَبِّهِمْ..

﴿عَهْدٌ﴾ وَذِمَّةٌ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ يُوَفَّىٰ لَهُمْ بِهِ، وَيُتْرَكُوا مِنْ أَجْلِهِ آمِنِينَ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْبِلَادِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: لَا عَهْدَ لَهُمْ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ قَتْلُهُمْ حَيْثُ وَجَدُوهُمْ..

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ﴾ إِلَّا الَّذِينَ أُعْطُوا الْعَهْدَ..

﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَالِاسْتِقَامَةِ لَهُمْ عَلَيْهِ، مَا دَامُوا عَلَيْهِ لِلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَقِيمِينَ..

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ يَعْنِي أَهْلَ الْعَهْدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.. وَهُمْ بَعْضُ بَنِي بَكْرٍ مِنْ كِنَانَةَ، مِمَّنْ كَانَ أَقَامَ عَلَىٰ عَهْدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ فِي نَقْضِ مَا كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ، يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ مِنَ الْعَهْدِ مَعَ قُرَيْشٍ، حِينَ نَقَضُوهُ بِمَعُونَتِهِمْ حُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي الدُّئِلِ،

عَلَىٰ حُلَفَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ خُزَاعَةَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة: ٧] إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنِ اتَّقَىٰ وَرَاقَبَهُ فِي أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ لِمَنْ عَاهَدَهُ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَتَرْكَ الْغَدْرِ بِعُهُودِهِ لِمَنْ عَاهَدَهُ.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾ [التوبة: ٨].

﴿كَيْفَ﴾ يَكُونُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ، أَوْ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ مِنْهُمْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَهْدٌ وَذِمَّةٌ..

﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ وَهُمْ إِنْ يَغْلِبُوكُمْ..

﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَرَ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِهِمْ بَعْدَ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَحَصْرِهِمْ وَالْقُعُودِ لَهُمْ عَلَىٰ كُلِّ مَرْصَدٍ أَنَّهُمْ لَوْ ظَهَرُوا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَرْقُبُوا فِيهِمْ..

﴿إِلًّا﴾ وَالْإِلُّ: اسْمٌ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ مُعَانٍ ثَلَاثَةٍ: وَهِيَ الْعَهْدُ وَالْعَقْدُ، وَالْحِلْفُ، وَالْقَرَابَةُ، وَهُوَ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ اللهِ، فَإِذْ كَانَتِ الْكَلِمَةُ تَشْمَلُ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةَ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، فَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّ ذَلِكَ كَمَا عَمَّ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَعَانِيَهَا الثَّلَاثَةَ، فَيُقَالُ: لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ، اللهَ، وَلَا قَرَابَةً، وَلَا عَهْدًا، وَلَا مِيثَاقًا..

﴿وَلَا ذِمَّةً ۚ﴾ قَدْ زَعَمَ بَعْضُ مَنْ يُنْسَبُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّ الْإِلَّ وَالْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَالْيَمِينَ وَاحِدٌ، وَأَنَّ الذِّمَّةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: التَّذَمُّمُ مِمَّنْ لَا عَهْدَ لَهُ، وَالْجَمْعُ: ذِمَمٌ، وَكَانَ ابْنُ إِسْحَاقَ يَقُولُ: عَنَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَهْلَ الْعَهْدِ الْعَامِّ.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يُعْطُونَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْقَوْلِ خِلَافَ مَا يُضْمِرُونَهُ لَكُمْ فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ..

﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ أَيْ: تَأْبَىٰ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ، أَنْ يُذْعِنُوا لَكُمْ بِتَصْدِيقِ مَا يُبْدُونَهُ لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ، يُحَذِّرُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمْرَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُشْحِذُهُمْ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَاجْتِيَاحِهِمْ حَيْثُ وُجِدُوا مِنْ أَرْضِ اللهِ، وَأَلَّا يُقَصِّرُوا فِي مَكْرُوهِهِمْ بِكُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ..

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾ [التوبة: ٨] مُخَالِفُونَ عَهْدَكُمْ، نَاقِضُونَ لَهُ، كَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ.

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ⁽٩⁾﴾ [التوبة: ٩].

﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾ ابْتَاعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَمَرَكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقَتْلِهِمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ..

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بِتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَ مَا احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ حُجَجِهِ..

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يَسِيرًا مِنَ الْعِوَضِ قَلِيلًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا..

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ فَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَحَاوَلُوا رَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَاتِهِمْ..

﴿سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ⁽٩⁾﴾ [التوبة: ٩] سَاءَ عَمَلُهُمُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ اشْتِرَائِهِمُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، وَالضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ، وَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُؤْمِنَ.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ⁽١٠⁾﴾ [التوبة: ١٠].

﴿لَا يَرْقُبُونَ﴾ لَا يَتَّقِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقَتْلِهِمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ..

﴿فِى﴾ قَتْلِ..

﴿مُؤْمِنٍ﴾ لَوْ قَدَرُوا عَلَيْهِ..

﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ فَلَا تُبْقُوا عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، كَمَا لَا يُبْقُونَ عَلَيْكُمْ لَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ..

﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ⁽١٠⁾﴾ [التوبة: ١٠] الْمُتَجَاوِزُونَ فِيكُمْ إِلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِالظُّلْمِ وَالِاعْتِدَاءِ.

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⁽١١⁾﴾ [التوبة: ١١].

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ فَإِنْ رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقَتْلِهِمْ عَنْ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ بِاللهِ، إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَنَابُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَكْتُوبَةَ، فَأَدَّوْهَا بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ أَهْلَهَا..

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ الَّذِي أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ وَنُبَيِّنُ حُجَجَ اللهِ وَأَدِلَّتَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [التوبة: ١١] مَا بُيِّنَ لَهُمْ، فَنَشْرَحُهَا لَهُمْ مُفَصَّلَةً، دُونَ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ عَنِ اللهِ بَيَانَهُ وَمُحْكَمَ آيَاتِهِ.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾ [التوبة: ١٢].

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم﴾ فَإِنْ نَقَضَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ عُهُودَهُمْ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا عَاقَدُوكُمْ، أَنْ لَا يُقَاتِلُوكُمْ وَلَا يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَطَعَنُوا۟﴾ وَقَدَحُوا..

﴿فِى دِينِكُمْ﴾ الْإِسْلَامِ، فَثَلَمُوهُ وَعَابُوهُ..

﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ فَقَاتِلُوا رُؤَسَاءَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ رُؤَسَاءَ الْكُفْرِ..

﴿لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ لَا عَهْدَ لَهُمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾ [التوبة: ١٢] لِكَيْ يَنْتَهُوا عَنِ الطَّعْنِ فِي دِينِكُمْ، وَالْمُظَاهَرَةِ عَلَيْكُمْ.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [التوبة: ١٣].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ حَاضًّا لَهُمْ عَلَىٰ جِهَادِ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: أَلَا تُقَاتِلُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿قَوْمًا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ..

﴿نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم﴾ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ، وَظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ..

﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ فَأَخْرَجُوهُ..

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بِالْقِتَالِ، يَعْنِي فِعْلَهُمْ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقِيلَ: قِتَالُهُمْ حُلَفَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ خُزَاعَةَ..

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أَتَخَافُونَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَتَتْرُكُوا قِتَالَهُمْ خَوْفًا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْهُمْ؟..

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ فَاللهُ أَوْلَىٰ بِكُمْ أَنْ تَخَافُوا عُقُوبَتَهُ بِتَرْكِكُمْ جِهَادَهُمْ، وَتَحْذَرُوا سَخَطَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [التوبة: ١٣] إِنْ كُنْتُمْ مُقِرِّينَ أَنَّ خَشْيَةَ اللهِ لَكُمْ أَوْلَىٰ مِنْ خَشْيَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤﴾ [التوبة: ١٤].

﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ قَاتِلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَنَقَضُوا عُهُودَهُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يَقْتُلُهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ..

﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ وَيُذِلُّهُمْ بِالْأَسْرِ وَالْقَهْرِ..

﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فَيُعْطِيكُمُ الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ وَالْغَلَبَةَ..

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤﴾ [التوبة: ١٤] وَيُبْرِئْ دَاءَ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِأَيْدِيكُمْ، وَإِذْلَالِكُمْ وَقَهْرِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَذَلِكَ الدَّاءُ هُوَ مَا كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْجِدَةِ بِمَا كَانُوا يَنَالُونَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَذَىٰ وَالْمَكْرُوهِ.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾ [التوبة: ١٥].

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وَيُذْهِبُ وَجْدَ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَغَمَّهَا وَكَرْبَهَا، بِمَا فِيهَا مِنَ الْوَجْدِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ وَيَمُنُّ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْكَافِرِينَ، فَيُقْبِلُ بِهِ إِلَىٰ التَّوْبَةِ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُ.. وَهُوَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ، وَلِذَلِكَ رُفِعَ، وَجُزِمَ الْأَحْرُفُ الثَّلَاثَةُ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْمُجَازَاةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَاتِلُوهُمْ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَيُخْزِهِمْ، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾، لِأَنَّ الْقِتَالَ غَيْرُ مُوجِبٍ لَهُمُ التَّوْبَةَ مِنَ اللهِ،

وَهُوَ مُوجِبٌ لَهُمُ الْعَذَابَ مِنَ اللهِ، وَالْخِزْيَ وَشِفَاءَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَهَابَ غَيْظِ قُلُوبِهِمْ، فَجُزِمَ ذَلِكَ شَرْطًا وَجَزَاءً عَلَىٰ الْقِتَالِ، وَلَمْ يَكُنْ مُوجِبًا الْقِتَالُ التَّوْبَةَ، فَابْتُدِئَ الْحُكْمُ بِهِ وَرُفِعَ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِسَرَائِرِ عِبَادِهِ، وَمَنْ هُوَ لِلتَّوْبَةِ أَهْلٌ فَيَتُوبُ عَلَيْهِ، وَمَنْ مِنْهُمْ غَيْرُ أَهْلٍ لَهَا فَيُخْذُلُهُ..

﴿حَكِيمٌ ۝١٥﴾ [التوبة: ١٥] فِي تَصْرِيفِ عِبَادِهِ مِنْ حَالِ كُفْرٍ إِلَىٰ حَالِ إِيمَانٍ بِتَوْفِيقِ مَنْ وَفَّقَهُ لِذَلِكَ، وَمَنْ حَالِ إِيمَانٍ إِلَىٰ كُفْرٍ بِخِذْلَانِهِ مَنْ خَذَلَ مِنْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [التوبة: ١٦].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمُ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] الْآيَةَ، حَاضًّا عَلَىٰ جِهَادِهِمْ: أَمْ حَسِبْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.. وَقِيلَ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: أَحَسِبْتُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الِاسْتِفْهَامِ الْمُعْتَرَضِ فِي وَسَطِ الْكَلَامِ، فَأُدْخِلَتْ فِيهِ (أَمْ) لِيُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِاسْتِفْهَامِ الْمُبْتَدَأ..

﴿أَن تُتْرَكُوا۟﴾ أَنْ يَتْرُكَكُمُ اللهُ بِغَيْرِ مِحْنَةٍ يَمْتَحِنُكُمْ بِهَا، وَبِغَيْرِ اخْتِبَارٍ يَخْتَبِرُكُمْ بِهِ، فَيَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنْكُمْ فِي دِينِهِ مِنَ الْكَاذِبِ فِيهِ..

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟﴾ أَحَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا بِغَيْرِ اخْتِبَارٍ يُعْرَفُ بِهِ أَهْلُ وِلَايَتِهِ الْمُجَاهِدِينَ..

﴿مِنكُمْ﴾ فِي سَبِيلِهِ، مِنَ الْمُضَيِّعِينَ أَمْرَ اللهِ فِي ذَلِكَ الْمُفَرِّطِينَ..

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا مِنْ دُونِ رَسُولِهِ، وَلَا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿وَلِيجَةً﴾ هُوَ الشَّيْءُ يَدْخُلُ فِي آخَرَ غَيْرِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: وَلَجَ فُلَانٌ فِي كَذَا يَلِجُهُ فَهُوَ وَلِيجَةٌ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْبِطَانَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْلِيَاءَ يُفْشُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [التوبة: ١٦] وَاللهُ ذُو خِبْرَةٍ بِمَا تَعْمَلُونَ، مِنَ اتِّخَاذِكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَدُونِ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَوْلِيَاءَ وَبِطَانَةً، بَعْدَ مَا قَدْ نَهَاكُمْ عَنْهُ، لَا يَخْفَىٰ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَاللهُ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ⑰﴾ [التوبة: ١٧].

﴿مَا كَانَ﴾ مَا يَنْبَغِي..

﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ لِإِنَّ الْمَسَاجِدَ إِنَّمَا تُعْمَرُ لِعُبَادَةِ اللهِ فِيهَا، لَا لِلْكُفْرِ بِهِ، فَمَنْ كَانَ بِاللهِ كَافِرًا فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَعْمُرَ مَسَاجِدَ اللهِ..

﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ فَإِنَّ النَّصْرَانِيَّ يُسْأَلُ: مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: نَصْرَانِيٌّ، وَالْيَهُودِيُّ، فَيَقُولُ: يَهُودِيٌّ، وَالصَّابِئُ، فَيَقُولُ: صَابِئٌ، وَالْمُشْرِكُ يَقُولُ إِذَا سَأَلْتَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: مُشْرِكٌ، لَمْ يَكُنْ لِيَقُولَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْعَرَبُ..

﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بَطَلَتْ وَذَهَبَتْ أُجُورُهَا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ للهِ، بَلْ كَانَتْ لِلشَّيْطَانِ..

﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ⑰﴾ [التوبة: ١٧] مَاكِثُونَ فِيهَا أَبَدًا، لَا أَحْيَاءً وَلَا أَمْوَاتًا.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ⑱﴾ [التوبة: ١٨].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ الْمُصَدِّقُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، الْمُخْلِصُ لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الَّذِي يُصَدِّقُ بِبَعْثِ اللهِ الْمَوْتَىٰ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ الْمَكْتُوبَةَ بِحُدُودِهَا..

﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ وَأَدَّىٰ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ إِلَىٰ مَنْ أَوْجَبَهَا اللهُ لَهُ..

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ وَلَمْ يَرْهَبْ عُقُوبَةَ شَيْءٍ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ سِوَىٰ اللهِ..

﴿فَعَسَىٰ﴾ فَخَلِيقٌ بِـ..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الَّذِينَ هَٰذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿أَن يَكُونُوا﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿مِنَ الْمُهْتَدِينَ ⑱﴾ [التوبة: ١٨] مِمَّنْ قَدْ هَدَاهُ اللهُ لِلْحَقِّ وَإِصَابَةِ الصَّوَابِ.

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑲﴾ [التوبة: ١٩].

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ﴾ كَإِيمَانِ مَنْ..

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ، وَلَا تَعْتَدِلُ أَحْوَالُهُمَا..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وَمَنَازِلُهُمَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ بِغَيْرِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَمَلًا..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي﴾ وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ..

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [التوبة: ١٩] مَنْ كَانَ بِهِ كَافِرًا وَلِتَوْحِيدِهِ جَاحِدًا.. وَهَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِقَوْمٍ افْتَخَرُوا بِالسِّقَايَةِ وَسِدَانَةِ الْبَيْتِ، فَأَعْلَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْفَخْرَ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ لَا فِي الَّذِي افْتَخَرُوا بِهِ مِنَ السِّدَانَةِ وَالسِّقَايَةِ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: **(كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: مَا أُبَالِي أَلَّا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ؛ إِلَّا أَنْ أَسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: بَلْ عِمَارَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَقَالَ آخَرُ: بَلِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِمَّا قُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، قَالَ: فَفَعَلَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾)**.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [التوبة: ٢٠].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا بِتَوْحِيدِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَهَاجَرُواْ﴾ دُورَ قَوْمِهِمْ..

﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ الْمُشْرِكِينَ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ..

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةً عِنْدَهُ مِنْ سُقَاةِ الْحَاجِّ، وَعُمَّارِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ...

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا..

﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [التوبة: ٢٠] بِالْجَنَّةِ النَّاجُونَ مِنَ النَّارِ.. وَهَذَا قَضَاءٌ مِنَ اللهِ بَيْنَ فِرَقِ الْمُفْتَخِرِينَ الَّذِينَ افْتَخَرَ أَحَدُهُمْ بِالسِّقَايَةِ، وَالْآخَرُ بِالسِّدَانَةِ، وَالْآخَرُ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١﴾ [التوبة: ٢١].

﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ يُبَشِّرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ لَهُمْ، أَنَّهُ قَدْ رَحِمَهُمْ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ..

﴿وَرِضْوَانٍ﴾ وَبِرِضْوَانٍ مِنْهُ لَهُمْ، بِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَأَدَائِهِمْ مَا كَلَّفَهُمْ..

﴿وَجَنَّاتٍ﴾ وَبَسَاتِينَ..

﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١﴾ [التوبة: ٢١] لَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ، ثَابِتٌ دَائِمٌ أَبَدًا لَهُمْ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢﴾ [التوبة: ٢٢].

﴿خَالِدِينَ﴾ مَاكِثِينَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّاتِ..

﴿أَبَدًا﴾ لَا نِهَايَةَ لِذَلِكَ وَلَا حَدَّ..

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَعَتَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ النَّعْتَ الَّذِي ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿أَجْرٌ﴾ ثَوَابٌ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ وَأَدَائِهِمْ مَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿عَظِيمٌ ۝٢٢﴾ [التوبة: ٢٢] وَذَلِكَ النَّعِيمُ الَّذِي وَعَدَهُمْ أَنْ يُعْطِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝٢٣﴾ [التوبة: ٢٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ بِطَانَةً وَأَصْدِقَاءَ، تُفْشُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَكُمْ، وَتُطْلِعُونَهُمْ عَلَىٰ عَوْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَتُؤْثِرُونَ الْمُكْثَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ إِنِ اخْتَارُوا..

﴿الْكُفْرَ﴾ بِاللهِ..

﴿عَلَى الْإِيمَانِ﴾ عَلَىٰ التَّصْدِيقِ بِهِ وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ..

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ وَمَنْ يَتَّخِذْهُمْ مِنْكُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْثِرُ الْمُقَامَ مَعَهُمْ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَدَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مِنْكُمْ..

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [التوبة: ٢٣] الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ، فَوَضَعُوا الْوَلَايَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَعَصَوُا اللهَ فِي أَمْرِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ نَزَلَ نَهْيًا مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ أَقْرِبَائِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مِنْ أَرْضِ الشِّرْكِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾ [التوبة: ٢٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ الْمُقِيمِينَ بِدَارِ الشِّرْكِ..

﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إِنْ كَانَ الْمُقَامُ مَعَ آبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ وَعَشِيرَتِكُمْ..

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ وَكَانَتْ أَمْوَالٌ اكْتَسَبْتُمُوهَا..

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ بِفِرَاقِكُمْ بَلَدَكُمْ..

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ فَسَكَنْتُمُوهَا..

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ﴾ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ..

﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ..

﴿وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ..

﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ فَتَنَظَّرُوا..

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِفَتْحِ مَكَّةَ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ..

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾ [التوبة: ٢٤] الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ وَفِي مَعْصِيَتِهِ.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥﴾ [التوبة: ٢٥].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِى مَوَاطِنَ﴾ فِي أَمَاكِنِ حَرْبٍ تُوطِّنُونَ فِيهَا أَنْفُسَكُمْ عَلَىٰ لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ، وَمَشَاهِدَ..

﴿كَثِيرَةٍ﴾ تَلْتَقُونَ فِيهَا أَنْتُمْ وَهُمْ..

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وَفِي يَوْمِ حُنَيْنٍ أَيْضًا قَدْ نَصَرَكُمْ.. وَحُنَيْنٌ: وَادٍ فِيمَا ذُكِرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ..

﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ وَكَانُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ -فِيمَا ذُكِرَ- اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا..

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ كَثْرَتُكُمْ..

﴿شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ بِسِعَتِهَا عَلَيْكُمْ، وَ(الْبَاءُ) هَاهُنَا فِي مَعْنَىٰ (فِي)، وَمَعْنَاهُ: وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ فِي رَحْبِهَا، وَبِرَحْبِهَا، يُقَالُ مِنْهُ: مَكَانٌ رَحِيبٌ: أَيْ وَاسِعٌ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الرِّحَابُ رِحَابًا لِسِعَتِهَا..

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾ عَنْ عَدُوِّكُمْ..

﴿مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥] مُنْهَزِمِينَ مُدْبِرِينَ، يَقُولُ: وَلَّيْتُمُوهُمُ الْأَدْبَارَ، وَذَلِكَ الْهَزِيمَةُ، يُخْبِرُهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ النَّصْرَ بِيَدِهِ وَمِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَشِدَّةِ الْبَطْشِ، وَأَنَّهُ يَنْصُرُ الْقَلِيلَ عَلَىٰ الْكَثِيرِ إِذَا شَاءَ وَيُخَلِّي الْقَلِيلَ فَيَهْزِمُ الْكَثِيرُ.. فَعَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: (**لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ الْتَقَىٰ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَوَلَّىٰ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، آخِذًا بِغَرْزِ النَّبِيِّ ﷺ، لا يَأْلُو مَا أَسْرَعَ نَحْوَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ حَتَّىٰ أَخَذْتُ بِلِجَامِهِ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ شَهْبَاءَ، فَقَالَ: «يَا عَبَّاسُ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ» وَكُنْتُ رَجُلًا صَيِّتًا، فَأَذَّنْتُ بِصَوْتِي الْأَعْلَىٰ: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ فَالْتَفَتُوا كَأَنَّهَا الْإِبِلُ إِذَا حَنَّتْ إِلَىٰ أَوْلَادِهَا، يَقُولُونَ: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فَالْتَقَوْا هُمْ وَالْمُسْلِمُونَ، وَتَنَادَتِ الْأَنْصَارُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَصُرَتِ الدَّعْوَةُ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَتَنَادَوْا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ إِلَىٰ قِتَالِهِمْ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مِنَ الْحَصْبَاءِ فَرَمَاهُمْ بِهَا، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» قَالَ: فَوَاللهِ مَا زَالَ أَمْرُهُمْ مُدْبِرًا، وَحَدُّهُمْ كَلِيلًا حَتَّىٰ هَزَمَهُمُ اللهُ، فَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ**).. وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِي، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ: فَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ الْبَرَاءُ: (**لَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، وَكَانَتْ هَوَازِنُ يَوْمَئِذٍ رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ انْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَىٰ الْغَنَائِمِ فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»**).

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٦﴾ [التوبة: ٢٦].

﴿ثُمَّ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَتَوَلِّيَتِكُمُ الْأَعْدَاءَ أَدْبَارَكُمْ..

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كَشَفَ اللهُ نَازِلَ الْبَلَاءِ عَنْكُمْ، بِإِنْزَالِهِ السَّكِينَةَ وَهِيَ الْأَمَنَةُ وَالطُّمَأْنِينَةُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهَا فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ..

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْأَخْبَارِ..

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَعَذَّبَ اللهُ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ، وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِالْقَتْلِ، وَسَبْيِ الْأَهْلِينَ وَالذَّرَارِيِّ، وَسَلْبِ الْأَمْوَالِ وَالذِّلَّةِ.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا بِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ..

﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٦﴾ [التوبة: ٢٦] هُوَ ثَوَابُ أَهْلِ جُحُودِ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرِسَالَةِ رَسُولِهِ.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٧﴾ [التوبة: ٢٧].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ ثُمَّ يَتَفَضَّلُ اللهُ بِتَوْفِيقِهِ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ عَذَابِهِ الَّذِي بِهِ عذَّبَ مَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ قَتْلًا بِالسَّيْفِ..

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ مِنَ الْأَحْيَاءِ، يُقْبِلُ بِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ مَنْ أَنَابَ وَتَابَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ..

﴿رَّحِيمٌ ٢٧﴾ [التوبة: ٢٧] بِهِمْ، فَلَا يُعَذِّبُهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ، وَلَا يُؤَاخِذُهُمْ بِهَا بَعْدَ إِنَابَتِهِمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٨﴾

[التوبة: ٢٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ مَا الْمُشْرِكُونَ إِلَّا نَجَسٌ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: سَمَّاهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يُجْنِبُونَ فَلَا يَغْتَسِلُونَ، فَقَالَ: هُمْ نَجَسٌ، وَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ؛ لِأَنَّ الْجُنُبَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ.. وَالنَّبِيُّ ﷺ لَقِيَ حُذَيْفَةَ وَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي جُنُبٌ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ**»..

﴿فَلَا﴾ تَدْعُوهُمْ أَنْ..

﴿يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ: مَنْعَهُمْ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْحَرَمَ فَقَدْ قَرِبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ..

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ بَعْدَ الْعَامِ الَّذِي نَادَىٰ فِيهِ عَلِيٌّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ بِبَرَاءَةَ، وَذَلِكَ عَامَ حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ، وَهِيَ سَنَةُ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ..

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فَاقَةً وَفَقْرًا، بِمَنْعِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَنْ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ.. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَافُوا بِانْقِطَاعِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ دُخُولِ الْحَرَمِ انْقِطَاعَ تِجَارَاتِهِمْ وَدُخُولَ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ بِانْقِطَاعِ ذَلِكَ..

﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ فَأَمَّنَهُمُ اللهُ مِنَ الْعَيْلَةِ، وَعَوَّضَهُمْ مِمَّا كَانُوا يَكْرَهُونَ انْقِطَاعَهُ عَنْهُمْ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ، وَهُوَ الْجِزْيَةُ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢٩]..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِمَا حَدَّثَتْكُمْ بِهِ أَنْفُسُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ خَوْفِ الْعَيْلَةِ عَلَيْهَا، بِمَنْعِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَنْ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ..

﴿حَكِيمٌ ٢٨﴾ [التوبة: ٢٨] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَتَدْبِيرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

﴿قَٰتِلُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْقَوْمَ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ..

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ وَلَا يُطِيعُونَ اللهَ طَاعَةَ الْحَقِّ، طَاعَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ الَّذِينَ أُعْطُوا..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ كِتَابَ اللهِ، وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ الْخَرَاجَ عَنْ رِقَابِهِمُ الَّذِي يَبْذُلُونَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، دَفْعًا عَنْهَا..

﴿عَن يَدٍ﴾ مِنْ يَدِهِ إِلَىٰ يَدِ مَنْ يَدْفَعُهُ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ مُعْطٍ قَاهِرًا لَهُ شَيْئًا

طَائِعًا لَهُ أَوْ كَارِهًا: أَعْطَاهُ عَنْ يَدِهِ وَعَنْ يَدٍ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ: كَلَّمْتُهُ فَمًا لِفَمٍ وَلَقِيتُهُ كِفَّةً لِكِفَّةٍ، وَكَذَلِكَ أَعْطَيْتُهُ عَنْ يَدٍ لِيَدٍ..

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩] وَهُمْ أَذِلَّاءُ مَقْهُورُونَ، يُقَالُ لِلذَّلِيلِ الْحَقِيرِ: صَاغِرٌ، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَمْرِهِ بِحَرْبِ الرُّومِ، فَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ نُزُولِهَا غَزْوَةَ تَبُوكَ.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾

[التوبة: ٣٠].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ كَاذِبِينَ عَلَىٰ اللهِ مُفْتَرِينَ..

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ نِسْبَةُ قَوْلِ هَؤُلَاءِ فِي الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ..

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ كَكَذِبِ الْيَهُودِ، وَفِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، فِي نِسْبَتِهِمْ عُزَيْرًا إِلَىٰ أَنَّهُ للهِ ابْنٌ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ للهِ وَلَدٌ، سُبْحَانَهُ، بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ..

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ يَعْنِي النَّصَارَىٰ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعْنَاهُ كَقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ [الذاريات: ١٠]، وَ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ [البروج: ٤]، وَاحِدٌ، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ التَّعَجُّبِ..

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة: ٣٠] كَيْفَ يَصُدُّونَ عَنِ الْحَقِّ؟!

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١].

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾ اتَّخَذَ الْيَهُودُ..

﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ، وَاحِدُهُمْ حِبْرٌ وَحَبْرٌ، بِكَسْرِ الْحَاءِ مِنْهُ وَفَتْحِهَا..

﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ وَاتَّخَذَ النَّصَارَىٰ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ وَأَهْلَ الِاجْتِهَادِ فِي دِينِهِمْ مِنْهُمْ..

﴿أَرْبَابًا﴾ سَادَةً لَهُمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، فَيُحِلُّونَ مَا أَحَلُّوهُ لَهُمْ مِمَّا قَدْ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَيُحَرِّمُونَ مَا يُحَرِّمُونَهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا قَدْ أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمْ..

﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ وَمَا أُمِرَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ وَالْمَسِيحَ أَرْبَابًا..

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا مَعْبُودًا وَاحِدًا، وَأَنْ يُطِيعُوا إِلَّا رِبًّا وَاحِدًا، دُونَ أَرْبَابٍ شَتَّىٰ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَطَاعَةُ كُلِّ خَلْقٍ، الْمُسْتَحِقُّ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ الدَّيْنُونَةَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لِوَاحِدِ الَّذِي أَمَرَ الْخَلْقَ بِعِبَادَتِهِ، وَلَزِمَتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ طَاعَتُهُ..

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تَنْزِيهًا وَتَطْهِيرًا للهِ..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: ٣١] عَمَّا يُشْرِكُ فِي طَاعَتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ الْقَائِلُونَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، وَالْقَائِلُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، الْمُتَّخِذُونَ أَحْبَارَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة: ٣٢].

﴿يُرِيدُونَ﴾ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُتَّخِذُونَ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ أَرْبَابًا..

﴿أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يُحَاوِلُونَ بِتَكْذِيبِهِمْ بِدِينِ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ، وَصَدِّهِمُ النَّاسَ عَنْهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ أَنْ يُبْطِلُوهُ، وَهُوَ النُّورُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لِخَلْقِهِ ضِيَاءً..

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ يَعْلُو دِينُهُ، وَتَظْهَرُ كَلِمَتُهُ، وَيُتِمُّ الْحَقُّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ إِتْمَامَ اللهِ إِيَّاهُ..

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة: ٣٢] يَعْنِي: جَاحِدِيهِ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: ٣٣].

﴿هُوَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلَّذِىٓ﴾ يَأْبَىٰ إِلَّا إِتْمَامَ دِينِهِ وَلَوْ كَرِهَ ذَلِكَ جَاحِدُوهُ وَمُنْكِرُوهُ، الَّذِي..

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ بِبَيَانِ فَرَائِضِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَجَمِيعِ اللَّازِمِ لَهُمْ..

﴿وَدِينِ﴾ وَبِدِينِ..

﴿ٱلْحَقِّ﴾ وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ لِيُعْلِيَ الْإِسْلَامَ..

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ عَلَىٰ الْمِلَلِ كُلِّهَا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ عِيسَىٰ حِينَ تَصِيرُ الْمِلَلُ كُلُّهَا وَاحِدَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لِيُعْلِمَهُ شَرَائِعَ الدِّينِ كُلَّهَا فَيُطْلِعَهُ عَلَيْهَا..

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة: ٣٣] بِاللهِ ظُهُورَهُ عَلَيْهَا.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤﴾ [التوبة: ٣٤].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِمْ..

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ..

﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾ وَالْقُرَّاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يَأْخُذُونَ الرُّشَىٰ فِي أَحْكَامِهِمْ، وَيُحَرِّفُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَكْتُبُونَ بِأَيْدِيهِمْ كُتُبًا ثُمَّ يَقُولُونَ: هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيَأْخُذُونَ بِهَا ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ سَفَلَتِهِمْ..

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَيَمْنَعُونَ مَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ الدُّخُولَ فِيهِ بِنَهْيِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنْهُ..

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ وَيَأْكُلُهَا أَيْضًا مَعَهُمْ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَهُوَ كُلُّ مَالٍ وَجَبَتْ فِيهِ الزَّكَاةُ، فَلَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ..

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَلَا يُؤَدُّونَ زَكَاتَهَا.. قال ابْنُ عُمَرَ: **(كُلُّ مَالٍ أَدَّيْتَ زَكَاتَهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ مَدْفُونًا، وَكُلُّ مَالٍ لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتَهُ فَهُوَ الْكَنْزُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ يُكْوَىٰ بِهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْفُونًا)**.. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ: **(هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ كَنْزٍ، غَيْرَ أَنَّهَا خَاصَّةٌ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ اللهُ بِهَا)**.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فَأُخْرِجَتِ الْهَاءُ وَالْأَلِفُ مَخْرَجَ الْكِنَايَةِ عَنْ أَحَدِ النَّوْعَيْنِ؟ قِيلَ: يُحْتَمَلُ ذَلِكَ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ مُرَادًا بِهَا الْكُنُوزُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ﴾ الْكُنُوزَ، ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، لِأَنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ هِيَ الْكُنُوزُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ اسْتَغْنَىٰ بِالْخَبَرِ عَنْ إِحْدَاهُمَا فِي عَائِدِ ذِكْرِهِمَا مِنَ الْخَبَرِ عَنِ الْأُخْرَىٰ، لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَىٰ الْخَبَرِ عَنِ الْأُخْرَىٰ مِثْلُ الْخَبَرِ عَنْهَا، وَذَلِكَ كَثِيرٌ مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١]، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَيْهِمَا..

﴿فَبَشِّرۡهُم﴾ بَشِّرِ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿بِعَذَابٍ﴾ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. فَإِنَّ كُلَّ -وَإِنْ قَلَّ- مَا لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ إِذَا كَانَ مِمَّا يَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ، فَصَاحِبُهُ مُعَاقَبٌ مُسْتَحِقٌّ وَعِيدَ اللهِ، إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ..

﴿أَلِيمٖ ٣٤﴾ [التوبة: ٣٤] مُوجِعٍ مِنَ اللهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ، إِلَّا جُعِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، يُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبْهَتُهُ وَظَهْرُهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ، وَإِنْ كَانَتْ إِبِلًا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، يَرِدُ أُولَاهَا عَلَىٰ أُخْرَاهَا، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غَنَمًا فَمِثْلُ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهَا تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا)**.. وَفِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ أَنَّ الْوَعِيدَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللهِ عَلَىٰ الْأَمْوَالِ الَّتِي لَمْ تُؤَدَّ الْوَظَائِفُ الْمَفْرُوضَةُ فِيهَا لِأَهْلِهَا مِنَ الصَّدَقَةِ، لَا عَلَىٰ اقْتِنَائِهَا وَاكْتِنَازِهَا.. وَالْآيَةُ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ، هِيَ خَاصَّةٌ فِي الْمُسْلِمِينَ فِيمَنْ لَمْ يُؤَدِّ زَكَاةَ مَالِهِ مِنْهُمْ، وَعَامَّةٌ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ لَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِنْ أَنْفَقُوا.

﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٥].

﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فَبَشِّرْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَلَا يُخْرِجُونَ حُقُوقَ اللهِ مِنْهَا يَا مُحَمَّدُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: يُبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بِهِ فِي يَوْمٍ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا﴾ تَدْخُلُ النَّارَ فَيُوقَدُ عَلَيْهَا، أَيْ عَلَىٰ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الَّتِي كَنَزُوهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿فَتُكۡوَىٰ﴾ يُحْرِقُ اللهُ..

﴿بِهَا﴾ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الْمَكْنُوزَةِ..

﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ جِبَاهَ كَانِزِيهَا وَجُنُوبَهُمْ وَظُهُورَهُمْ..

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ مَنَعُوا كُنُوزَهُمْ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ الْوَاجِبَةِ فِيهَا..

﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ فَيُقَالُ لَهُمْ..

﴿فَذُوقُوا﴾ فَأَطْعِمُوا عَذَابَ اللهِ..

﴿مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة: ٣٥] بِمَا كُنْتُمْ تَمْنَعُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ حُقُوقَ اللهِ، وَتَكْنِزُونَهَا مُكَاثَرَةً وَمُبَاهَاةً.. قال نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزًا، مَثَلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يَتْبَعُهُ، يَقُولُ: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي تَرَكْتَهُ بَعْدَكَ، فَلَا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حَتَّىٰ يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَقْضِمَهَا ثُمَّ يَتْبَعُهُ سَائِرُ جَسَدِهِ».. وكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ: (بَشِّرِ الْكَنَّازِينَ بِكَيٍّ فِي الْجِبَاهِ وَكَيٍّ فِي الْجُنُوبِ وَكَيٍّ فِي الظُّهُورِ، حَتَّىٰ يَلْتَقِيَ الْحَرُّ فِي أَجْوَافِهِمْ).. وقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: (قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَبَيْنَا أَنَا فِي، حَلْقَةٍ فِيهَا مَلَأٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الثِّيَابِ، خَشِنُ الْجَسَدِ، خَشِنُ الْوَجْهِ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: بَشِّرِ الْكَنَّازِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَىٰ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُوضَعُ عَلَىٰ حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيَيْهِ يَتَزَلْزَلُ).. وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يُكْوَىٰ عَبْدٌ بِكَنْزٍ فَيَمَسُّ دِينَارٌ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمٌ دِرْهَمًا، وَلَكِنْ يُوَسَّعُ جِلْدُهُ فَيُوضَعُ كُلُّ دِينَارٍ وَدِرْهَمٍ عَلَىٰ حِدَتِهِ).

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٦﴾ [التوبة: ٣٦].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي قَضَائِهِ الَّذِي قَضَىٰ..

﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ هَذِهِ الشُّهُورُ الِاثْنَا عَشَرَ، مِنْهَا..

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تُعَظِّمُهُنَّ، وَتُحَرِّمُهُنَّ، وَتُحَرِّمُ الْقِتَالَ فِيهِنَّ، حَتَّىٰ لَوْ لَقِيَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِيهِنَّ قَاتِلَ أَبِيهِ لَمْ يَهِجْهُ، وَهُنَّ: رَجَبُ، وَثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَبِذَلِكَ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. فَقَدْ خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًىٰ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ

اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، أَوَّلُهُنَّ رَجَبُ مُضَرَ، بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ، وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ»..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ، وَأَنَّ مِنْهَا أَرْبَعَةً حُرُمًا، هُوَ..

﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ﴾ دِينُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ، لَا مَا يَفْعَلُهُ النَّسِيءُ مِنْ تَحْلِيلِهِ مَا يُحَلِّلُ مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ، وَتَحْرِيمِهِ مَا يُحَرِّمُهُ مِنْهَا..

﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟﴾ فَلَا تَعْصُوا اللهَ، وَلَا تُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿فِيهِنَّ﴾ فِي الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ دُونَ الِاثْنَي عَشَرَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كِنَايَةً عَنِ الِاثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا لَكَانَ: فَلَا تَظْلِمُوا فِيهَا أَنْفُسَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ فِيمَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَىٰ الْعَشَرَةِ إِذَا كَنَّتْ عَنْهُ: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِثَلَاثِ لَيَالٍ خَلَوْنَ، وَلِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ بَقِينَ، وَإِذَا أَخْبَرَتْ عَمَّا فَوْقَ الْعَشَرَةِ إِلَىٰ الْعِشْرِينَ، قَالَتْ: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ، وَلِأَرْبَعَ عَشْرَةَ مَضَتْ، فَكَانَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ وَإِخْرَاجِهِ كِنَايَةَ عَدَدِ الشُّهُورِ الَّتِي نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ فِيهِنَّ، مَخْرَجَ عَدَدِ الْجَمْعِ الْقَلِيلِ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَىٰ الْعَشَرَةِ، الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ الْهَاءَ وَالنُّونَ مِنْ ذِكْرِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ، دُونَ الِاثْنَي عَشَرَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُبَاحًا لَنَا ظُلْمُ أَنْفُسِنَا فِي غَيْرِهِنَّ مِنْ سَائِرِ شُهُورِ السَّنَةِ؟ قِيلَ: لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَيْنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ، وَلَكِنَّ اللهَ عَظَّمَ حُرْمَةَ هَؤُلَاءِ الْأَشْهُرِ وَشَرَّفَهُنَّ عَلَىٰ سَائِرِ شُهُورِ السَّنَةِ، فَخَصَّ الذَّنْبَ فِيهِنَّ بِالتَّعْظِيمِ كَمَا خَصَّهُنَّ بِالتَّشْرِيفِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنَا بِالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ كُلِّهَا بِقَوْلِهِ: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وَلَمْ يُبِحْ تَرْكَ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِنَّ بِأَمْرِهِ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ زَادَهَا تَعْظِيمًا، وَعَلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا تَوْكِيدًا، وَفِي تَضْيِيعِهَا تَشْدِيدًا، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾..

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ فَتَكْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ مَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَعِقَابِهِ..

﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِاللهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿كَآفَّةً﴾ جَمِيعًا غَيْرَ مُخْتَلِفِينَ، مُؤْتَلِفِينَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ..

﴿كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ كَمَا يُقَاتِلُكُمُ الْمُشْرِكُونَ..

﴿كَآفَّةً﴾ جَمِيعًا مُجْتَمِعِينَ غَيْرَ مُتَفَرِّقِينَ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ أَنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً، وَاتَّقَيْتُمُ اللهَ فَأَطَعْتُمُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ وَلَمْ تُخَالِفُوا أَمْرَهُ فَتَعْصُوهُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة: ٣٦] كَانَ اللهُ مَعَكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، وَعَدُوِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُ لَمْ يَغْلِبْهُ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ اللهَ مَعَ مَنِ اتَّقَاهُ فَخَافَهُ وَأَطَاعَهُ فِيمَا كَلَّفَهُ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ٣٧﴾ [التوبة: ٣٧].

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ﴾ مَا النَّسِيءُ إِلَّا، زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ إِلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ.. وَالنَّسِيءُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: نَسَأْتَ فِي أَيَّامِكَ، وَنَسَأَ اللهُ فِي أَجَلِكَ، أَيْ زَادَ اللهُ فِي أَيَّامِ عُمُرِكَ وَمَدَّةِ حَيَاتِكَ حَتَّىٰ تَبْقَىٰ فِيهَا حَيًّا، وَكُلُّ زِيَادَةٍ حَدَثَتْ فِي شَيْءٍ، فَالشَّيْءُ الْحَادِثُ فِيهِ تِلْكَ الزِّيَادَةُ بِسَبَبِ مَا حَدَثَ فِيهِ نَسِيءٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلَّبَنِ إِذَا كَثُرَ بِالْمَاءِ نَسِيءٌ، وَقِيلَ لِلْمَرْأَةِ الْحُبْلَىٰ نَسُوءٌ، وَنَسِئَتِ الْمَرْأَةُ؛ لِزِيَادَةِ الْوَلَدِ فِيهَا، وَقِيلَ: نَسَأْتِ النَّاقَةُ وَأَنْسَأْتُهَا: إِذَا زَجَرْتُهَا لِيَزْدَادَ سَيْرُهَا، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّمَا التَّأْخِيرُ الَّذِي يُؤَخِّرُهُ أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ مِنْ شُهُورِ الْحُرُمِ الْأَرْبَعَةِ وَتَصْيِيرِهِمُ الْحَرَامَ مِنْهُنَّ حَلَالًا، وَالْحَلَالَ مِنْهُنَّ حَرَامًا، زِيَادَةٌ فِي كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ أَحْكَامَ اللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿يُضَلُّ﴾ اللهُ..

﴿بِهِ﴾ بِالنَّسِيءِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ ابْتَدَعُوهُ وَأَحْدَثُوهُ..

﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾ يُحِلُّونَ الَّذِينَ أَخَّرُوا تَحْرِيمَهُ مِنَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الْحُرُمِ عَامًا..

﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ لِيُوَافِقُوا بِتَحْلِيلِهِمْ مَا حَلَّلُوا مِنَ الشُّهُورِ وَتَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوا مِنْهَا..

﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ يُوَافِقُونَ بِعِدَّةِ الشُّهُورِ الَّتِي يُحَرِّمُونَهَا عِدَّةَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ، لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْهَا، وَإِنْ قَدَّمُوا وَأَخَّرُوا فَذَلِكَ مُوَاطَأَةُ عِدَّتِهِمْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ..

﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ﴾ حُسِّنَ وَحُبِّبَ..

﴿لَهُمْ﴾ إِلَيْهِمْ..

﴿سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ وَقَبِيحِهَا، وَمَا خُولِفَ بِهِ أَمْرُ اللهِ وَطَاعَتُهُ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾ وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِمَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ وَحِلِّهَا، وَمَا للهِ فِيهِ رِضًا..

﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [التوبة: ٣٧] الْجَاحِدِينَ تَوْحِيدَهُ، وَالْمُنْكِرِينَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنَّهُ يَخْذِلُهُمْ عَنِ الْهُدَىٰ كَمَا خَذَلَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ عَنِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿مَا لَكُمۡ﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَمْرُكُمْ..

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾ إِذَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدٌ..

﴿ٱنفِرُواْ﴾ اخْرُجُوا مِنْ مَنَازِلِكُمْ إِلَىٰ مَغْزَاكُمْ.. وَأَصْلُ النَّفْرِ: مُفَارَقَةُ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ لِأَمْرٍ هَاجَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَمِنْهُ نُفُورُ الدَّابَّةِ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ..

﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ تَثَاقَلْتُمْ إِلَىٰ لُزُومِ أَرْضِكُمْ، وَمَسَاكِنِكُمْ، وَالْجُلُوسِ فِيهَا.

﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أَرَضِيتُمْ بِحَظِّ الدُّنْيَا وَالدَّعَةِ فِيهَا عِوَضًا مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَمَا عِنْدَ اللهِ لِلْمُتَّقِينَ فِي جِنَانِهِ؟..

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فَمَا الَّذِي يُسْتَمْتَعُ بِهِ الْمُتَمَتِّعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَيْشِهَا وَلَذَّاتِهَا..

﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨] فَاطْلُبُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نَعِيمَ الْآخِرَةِ، وَتَرَفَ الْكَرَامَةِ الَّتِي عِنْدَ اللهِ لِأَوْلِيَائِهِ بِطَاعَتِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ أَمْرِهِ، فِي النَّفِيرِ لِجِهَادِ عَدُوِّهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ حَثٌّ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ عَلَىٰ غَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ غَزْوَةُ -رَسُولِ اللهِ ﷺ- تَبُوكَ.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [التوبة: ٣٩].

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ، مُتَوَعِّدُهُمْ عَلَىٰ تَرْكِ

النَّفْرِ إِلَىٰ عَدُوِّهِمْ مِنَ الرُّومِ: إِنْ لَمْ تَنْفِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ مَنِ اسْتَنْفَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ..

﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ يُعَذِّبْكُمُ اللهُ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا بِتَرْكِكُمُ النَّفْرِ إِلَيْهِمْ..

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مُوجِعًا..

﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾ اللهُ بِكُمْ نَبِيَّهُ..

﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يَنْفِرُونَ إِذَا اسْتُنْفِرُوا، وَيُجِيبُونَهُ إِذَا دُعُوا، وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ وَلَا تَضُرُّوا اللهَ بِتَرْكِكُمُ النَّفِيرَ وَمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿شَيْئًا﴾ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْكُمْ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ..

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [التوبة: ٣٩] وَاللهُ عَلَىٰ إِهْلَاكِكُمْ وَاسْتِبْدَالِ قَوْمٍ غَيْرِكُمْ بِكُمْ، وَعَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَدِيرٌ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِالْآيَةِ الَّتِي تَلَتْهَا: ﴿* وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢].. وَلَا خَبَرَ بِالَّذِي ذَكَرُوا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَلَا حُجَّةَ تَأْتِي بِصِحَّةِ ذَلِكَ، وَقَدْ رَأَىٰ ثُبُوتَ الْحُكْمِ بِذَلِكَ عَدَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ سَنَذْكُرُهُمْ بَعْدُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لِخَاصٍّ مِنَ النَّاسِ، وَيَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مَنِ اسْتَنْفَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَنْفِرْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ قَوْلُهُ: ﴿* وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، نَهْيًا مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ إِخْلَاءِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ مُؤْمِنٍ مُقِيمٍ فِيهَا، وَإِعْلَامًا مِنَ اللهِ لَهُمْ أَنَّ الْوَاجِبَ النَّفْرُ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، وَذَلِكَ عَلَىٰ مَنِ اسْتُنْفِرَ مِنْهُمْ دُونَ مَنْ لَمْ يُسْتَنْفَرْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي إِحْدَى الْآيَتَيْنِ نَسْخٌ لِلْأُخْرَىٰ، وَكَانَ حُكْمُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَاضِيًا فِيمَا عُنِيَتْ بِهِ.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَعَ رَسُولِي إِذَا اسْتَنْفَرَكُمْ فَتَنْصُرُوهُ..

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ فَاللهُ نَاصِرُهُ وَمُعِينُهُ عَلَىٰ عَدُوِّهِ، وَمُغْنِيهِ عَنْكُمْ وَعَنْ مَعُونَتِكُمْ وَنُصْرَتِكُمْ، كَمَا نَصَرَهُ..

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ وَطَنِهِ وَدَارِهِ..

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ أَحَدُ الِاثْنَيْنِ، أَيْ وَاحِدٌ مِنَ الِاثْنَيْنِ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ ثَانِي اثْنَيْنِ يَعْنِي أَحَدَ الِاثْنَيْنِ، وَثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَرَابِعُ أَرْبَعَةٍ، يَعْنِي: أَحَدَ ثَلَاثَةٍ، وَأَحَدَ الْأَرْبَعَةِ، وَذَلِكَ خِلَافُ قَوْلِهِمْ: هُوَ أَخُو سِتَّةٍ وَغُلَامُ سَبْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْأَخَ وَالْغُلَامَ غَيْرُ السِّتَّةِ وَالسَّبْعَةِ، وَثَالِثُ الثَّلَاثَةِ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا اللَّذَيْنِ خَرَجَا هَارِبَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ؛ إِذْ هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاخْتَفَيَا فِي الْغَارِ..

﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ إِذْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي الْغَارِ، وَالْغَارُ: النَّقْبُ الْعَظِيمُ يَكُونُ فِي الْجَبَلِ..

﴿إِذْ يَقُولُ﴾ رَسُولُ اللهِ..

﴿لِصَاحِبِهِۦ﴾ أَبِي بَكْرٍ..

﴿لَا تَحْزَنْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَافَ مِنَ الطَّلَبِ أَنْ يَعْلَمُوا بِمَكَانِهِمَا، فَجَزِعَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا تَحْزَنْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ لِأَنَّ اللهَ مَعَنَا، وَاللهُ نَاصِرُنَا، فَلَنْ يَعْلَمَ الْمُشْرِكُونَ بِنَا، وَلَنْ يَصِلُوا إِلَيْنَا، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ عَلَىٰ عَدُوِّهِ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْخَوْفِ وَقِلَّةِ الْعَدَدِ، فَكَيْفَ يَخْذُلُهُ وَيُحْوِجُهُ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ كَثَّرَ اللهُ أَنْصَارَهُ، وَعَدَدَ جُنُودِهِ؟..

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ فَأَنْزَلَ اللهُ طُمَأْنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ..

﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَقَدْ قِيلَ: عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ..

﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ وَقَوَّاهُ..

﴿بِجُنُودٍ﴾ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أَنْتُمْ..

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَهِيَ كَلِمَةُ الشِّرْكِ..

﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾ لِأَنَّهَا قُهِرَتْ وَأُذِلَّتْ، وَأَبْطَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ وَمَحَقَ أَهْلَهَا، وَكُلُّ مَقْهُورٍ وَمَغْلُوبٍ فَهُوَ أَسْفَلُ مِنَ الْغَالِبِ، وَالْغَالِبُ هُوَ الْأَعْلَىٰ..

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ وَدِينُ اللهِ وَتَوْحِيدُهُ وَقَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿هِيَ﴾ كَلِمَتُهُ..

﴿ٱلْعُلْيَا﴾ عَلَىٰ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، الْغَالِبَةُ..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَنْصُرُهُ مَنْ

عَاقِبَةُ نَاصِرٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ أَصْحَابَ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّهُ الْمُتَوَكِّلُ بِنَصْرِ رَسُولِهِ عَلَىٰ أَعْدَاءِ دِينِهِ وَإِظْهَارِهِ عَلَيْهِمْ دُونَهُمْ، أَعَانُوهُ أَوْ لَمْ يُعِينُوهُ، وَتَذْكِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ فِعْلَ ذَلِكَ بِهِ، وَهُوَ مِنَ الْعَدَدِ فِي قِلَّةٍ وَالْعَدُوُّ فِي كَثْرَةٍ، فَكَيْفَ بِهِ وَهُوَ مِنَ الْعَدَدِ فِي كَثْرَةٍ وَالْعَدُوُّ فِي قِلَّةٍ؟.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التوبة: ٤١].

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ الْخِفَّةِ الَّتِي عَنَاهَا اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الشَّبَابُ، وَمَعْنَىٰ الثِّقَلِ الشَّيْخُوخَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ مَشَاغِيلُ وَغَيْرُ مَشَاغِيلَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: انْفِرُوا أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: نِشَاطًا وَغَيْرَ نِشَاطٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: رُكْبَانًا وَمُشَاةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ذَا ضَيْعَةٍ، وَغَيْرَ ذِي ضَيْعَةٍ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّفْرِ لِجِهَادِ أَعْدَائِهِ فِي سَبِيلِهِ خِفَافًا وَثِقَالًا، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الْخِفَافِ كُلُّ مَنْ كَانَ سَهْلًا عَلَيْهِ النَّفْرُ لِقُوَّةِ بَدَنِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ وَصِحَّةِ جِسْمِهِ وَشَبَابِهِ، وَمَنْ كَانَ ذَا تَيَسُّرٍ بِمَالٍ، وَفَرَاغٍ مِنَ الِاشْتِغَالِ، وَقَادِرًا عَلَىٰ الظَّهْرِ وَالرِّكَابِ، وَيَدْخُلُ فِي الثِّقَالِ كُلُّ مَنْ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ مِنْ ضَعِيفِ الْجِسْمِ وَعَلِيلِهِ وَسَقِيمِهِ، وَمِنْ مُعَمَّرٍ مِنَ الْمَالِ، وَمُشْتَغِلٍ بِضَيْعَةٍ، وَمَعَاشٍ، وَمَنْ كَانَ لَا ظَهْرَ لَهُ وَلَا رِكَابَ، وَالشَّيْخُ وَذُو السِّنِّ، وَالْعِيَالِ، فَإِذْ كَانَ قَدْ يَدْخُلُ فِي الْخِفَافِ وَالثِّقَالِ مَنْ وَصَفْنَا مِنْ أَهْلِ الصِّفَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ صِنْفًا دُونَ صِنْفٍ فِي الْكِتَابِ، وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا نَصَبَ عَلَىٰ خُصُوصِهِ دَلِيلًا، وَجَبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ بِالنَّفْرِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ خِفَافًا وَثِقَالًا مَعَ رَسُولِهِ ﷺ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْخِفَّةِ وَالثِّقَلِ..

﴿وَجَاهِدُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ..

﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ فَأَنْفِقُوهَا فِي مُجَاهَدَتِهِمْ..

﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ وَبِأَنْفُسِكُمْ فَقَاتِلُوهُمْ بِأَيْدِيكُمْ يُخْزِهِمُ اللهُ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عَلَىٰ دِينِ اللهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكُمْ، حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لَكُمْ فَيَدْخُلُوا فِيهِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، أَوْ يُعْطُوكُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ صِغَارًا إِنْ كَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، أَوْ تَقْتُلُوهُمْ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الَّذِي آمُرُكُمْ بِهِ مِنَ النَّفْرِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ خِفَافًا وَثِقَالًا، وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنَ التَّثَاقُلِ إِلَىٰ الْأَرْضِ إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، وَالْخُلُودِ إِلَيْهَا، وَالرِّضَا بِالْقَلِيلِ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، عِوَضًا مِنَ الْآخِرَةِ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [التوبة: ٤١] إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِحَقِيقَةِ مَا بَيَّنَ لَكُمْ مِنْ فَضْلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىٰ الْقُعُودِ عَنْهُ.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝﴾ [التوبة: ٤٢].

﴿لَوْ كَانَ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدِ اسْتَأْذَنُوهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهُ حِينَ خَرَجَ إِلَىٰ تَبُوكَ فَأَذِنَ لَهُمْ: لَوْ كَانَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْكَ وَالْمُسْتَأْذِنِيكَ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ إِلَىٰ مَغْزَاكَ الَّذِي اسْتَنْفَرْتَهُمْ إِلَيْهِ..

﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ غَنِيمَةً حَاضِرَةً..

﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وَمَوْضِعًا قَرِيبًا سَهْلًا..

﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ وَنَفَرُوا مَعَكَ إِلَيْهِمَا..

﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ وَلَكِنَّكَ اسْتَنْفَرْتَهُمْ إِلَىٰ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ، وَكَلَّفْتَهُمْ سَفَرًا شَاقًّا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّكَ اسْتَنْهَضْتَهُمْ فِي وَقْتِ الْحَرِّ وَزَمَانِ الْقَيْظِ وَحِينَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الْكِنِّ..

﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾ وَسَيَحْلِفُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَأْذِنُوكَ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ اعْتِذَارًا مِنْهُمْ إِلَيْكَ بِالْبَاطِلِ، لِتَقْبَلَ مِنْهُمْ عُذْرَهُمْ، وَتَأْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ..

﴿بِٱللَّهِ﴾ كَاذِبِينَ..

﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ لَوْ أَطَقْنَا الْخُرُوجَ مَعَكُمْ بِوُجُودِ السَّعَةِ وَالْمَرَاكِبِ وَالظُّهُورِ، وَمَا لَا بُدَّ لِلْمُسَافِرِ وَالْغَازِي مِنْهُ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْقُوَىٰ..

﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ إِلَىٰ عَدُوِّكُمْ..

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يُوجِبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِحَلِفِهِمْ بِاللهِ كَاذِبِينَ الْهَلَاكَ وَالْعَطَبَ؛ لِأَنَّهُمْ يُوَرِّثُونَهَا سَخَطَ اللهِ وَيُكْسِبُونَهَا أَلِيمَ عِقَابِهِ..

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] فِي حَلِفِهِمْ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لِلْخُرُوجِ مُطِيقِينَ بِوُجُودِ السَّبِيلِ إِلَىٰ ذَلِكَ بِالَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْغَازِي فِي غَزْوِهِ، وَالْمُسَافِرُ فِي سَفَرِهِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَقُوَى الْأَجْسَامِ.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مَا كَانَ مِنْكَ فِي إِذْنِكَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي اسْتَأْذَنُوكَ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ، وَفِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْلَمَ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ..

﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ لِأَيِّ شَيْءٍ أَذِنْتَ لَهُمْ.. وَهَذَا عِتَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَاتَبَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ فِي إِذْنِهِ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهُ حِينَ شَخَصَ إِلَىٰ تَبُوكَ لِغَزْوِ الرُّومِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ؛ إِذْ قَالُوا لَكَ: لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكَ، حَتَّىٰ تَعْرِفَ مَنْ لَهُ الْعُذْرُ مِنْهُمْ فِي تَخَلُّفِهِ، وَمَنْ لَا عُذْرَ لَهُ مِنْهُمْ، فَيَكُونُ إِذْنُكَ لِمَنْ أَذِنْتَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْكَ بِعُذْرِهِ، وَتَعْلَمَ مَنِ الْكَاذِبُ مِنْهُمُ الْمُتَخَلِّفُ نِفَاقًا وَشَكًّا فِي دِينِ اللهِ.

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤٤].

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ فِي تَرْكِ الْغَزْوِ وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ..

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ فِي ذَلِكَ إِلَّا مُنَافِقٌ، لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَأَمَّا الَّذِي يُصَدِّقُ بِاللهِ وَيُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَبِالْبَعْثِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَأْذِنُكَ..

﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فَلَا تَأْذَنَنَّ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ يَا مُحَمَّدُ إِذَا خَرَجْتَ لِغَزْوِ عَدُوِّكَ لِمَنِ اسْتَأْذَنَكَ فِي التَّخَلُّفِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ..

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤٤] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ خَافَهُ، فَاتَّقَاهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِي غَزْوِ عَدُوِّهِ، وَجِهَادِهِمْ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ ﷺ سِيمَا الْمُنَافِقِينَ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِهِمُ الَّتِي يُعْرَفُونَ بِهَا

تَخَلُّفَهُمْ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِاسْتِئْذَانِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي تَرْكِهِمُ الْخُرُوجَ مَعَهُ إِذَا اسْتُنْفِرُوا بِالْمَعَاذِيرِ الْكَاذِبَةِ.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٥].

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ فِي التَّخَلُّفِ خِلَافَكَ، وَتَرْكِ الْجِهَادِ مَعَكَ، مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ بَيِّنٍ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱللَّهِ﴾ وَلَا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ﴾ وَشَكَّتْ..

﴿قُلُوبِهِمْ﴾ فِي حَقِيقَةِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَفِي ثَوَابِ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَعِقَابِهِ أَهْلَ مَعَاصِيهِ..

﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ﴾ فِي شَكِّهِمْ..

﴿يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٥] مُتَحَيِّرُونَ، وَفِي ظُلْمَةِ الْحِيرَةِ مُتَرَدِّدُونَ، لَا يَعْرِفُونَ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ، فَيَعْمَلُونَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُنَافِقِينَ.

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦].

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟﴾ وَلَوْ أَرَادَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَأْذِنُوكَ يَا مُحَمَّدُ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ لِجِهَادِ عَدُوِّكَ..

﴿ٱلْخُرُوجَ﴾ مَعَكَ..

﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾ لِلْخُرُوجِ..

﴿عُدَّةً﴾ وَلَتَأَهَّبُوا لِلسَّفَرِ وَالْعَدُوِّ أُهْبَتَهُمَا..

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ يَعْنِي: خُرُوجَهُمْ لِذَلِكَ..

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ فَثَقَّلَ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ حَتَّىٰ اسْتَخَفُّوا الْقُعُودَ فِي مَنَازِلِهِمْ خِلَافَكَ، وَاسْتَثْقَلُوا السَّفَرَ وَالْخُرُوجَ مَعَكَ، فَتَرَكُوا لِذَلِكَ الْخُرُوجَ.. وَكَانَ تَثْبِيطُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، لِعِلْمِهِ بِنِفَاقِهِمْ، وَغِشِّهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ خَرَجُوا مَعَهُمْ ضَرُّوهُمْ وَلَمْ يَنْفَعُوا..

﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦] اقْعُدُوا مَعَ الْمَرْضَىٰ، وَالضُّعَفَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ، وَمَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَاتْرُكُوا الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

﴿لَوْ خَرَجُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِيكُم﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿مَّا زَادُوكُمْ﴾ لَمْ يَزِيدُوكُم بِخُرُوجِهِمْ فِيكُمْ..

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ إِلَّا فَسَادًا وَضُرًّا، وَلِذَلِكَ ثَبَّطْتُهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكُمْ..

﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ وَلَأَسْرَعُوا بِرَكَائِبِهِمُ السَّيْرَ.. وَأَصْلُهُ مِنْ إِيضَاعِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَهُوَ الْإِسْرَاعُ بِهَا فِي السَّيْرِ، يُقَالُ لِلنَّاقَةِ إِذَا أَسْرَعَتِ السَّيْرَ، وَضَعَتِ النَّاقَةُ، وَأَوْضَعَهَا صَاحِبُهَا: إِذَا جَدَّ بِهَا وَأَسْرَعَ..

﴿خِلَالَكُمْ﴾ بَيْنَكُمْ.. وَأَصْلُ الْخِلَالِ: مِنَ الْخَلَلِ، وَهِيَ الْفُرَجُ، تَكُونُ بَيْنَ الْقَوْمِ فِي الصُّفُوفِ وَغَيْرِهَا..

﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ يَطْلُبُونَ لَكُمْ..

﴿الْفِتْنَةَ﴾ مَا تُفْتَتَنُونَ بِهِ عَنْ مَخْرَجِكُمْ فِي مَغْزَاكُمْ، بِتَثْبِيطِهِمْ إِيَّاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لِحَدِيثِكُمْ لَهُمْ، يُؤَدُّونَهُ إِلَيْهِمْ، عُيُونٌ لَهُمْ عَلَيْكُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَفِيكُمْ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَيُطِيعُ لَهُمْ، فَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ: وَفِيكُمْ أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ مِنْكُمْ لَوْ صَحِبُوكُمْ أَفْسَدُوهُمْ عَلَيْكُمْ بِتَثْبِيطِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنِ السَّيْرِ مَعَكُمْ.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لِحَدِيثِكُمْ لَهُمْ، يُبَلِّغُونَهُ عَنْكُمْ عُيُونٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ: سَمَّاعٌ، وَصْفُ مَنْ وُصِفَ بِهِ أَنَّهُ سَمَّاعٌ لِلْكَلَامِ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١]، وَاصِفًا بِذَلِكَ قَوْمًا بِسَمَاعِ الْكَذِبِ مِنَ الْحَدِيثِ، وَأَمَّا إِذَا وَصَفُوا الرَّجُلَ بِسَمَاعِ كَلَامِ الرَّجُلِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَقَبُولِهِ مِنْهُ، وَانْتِهَائِهِ إِلَيْهِ، فَإِنَّمَا تَصِفُهُ بِأَنَّهُ لَهُ سَامِعٌ وَمُطِيعٌ، وَلَا تَكَادُ تَقُولُ: هُوَ لَهُ سَمَّاعٌ مُطِيعٌ..

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ يُوَجِّهُ أَفْعَالَهُ إِلَىٰ غَيْرِ وُجُوهِهَا وَيَضَعُهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، وَمَنْ يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِعُذْرٍ، وَمَنْ يَسْتَأْذِنُهُ شَكًّا فِي الْإِسْلَامِ وَنِفَاقًا، وَمَنْ يَسْمَعُ حَدِيثَ الْمُؤْمِنِينَ لِيُخْبِرَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ، وَمَنْ يَسْمَعُهُ لِيُسَرَّ بِمَا سَرَّ الْمُؤْمِنِينَ

وَيُسَاءُ بِمَا سَاءَهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ سَرَائِرِ خَلْقِهِ وَعَلَانِيَتِهِمْ.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٨].

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ﴾ لَقَدِ الْتَمَسَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ لِأَصْحَابِكَ يَا مُحَمَّدُ، الْتَمَسُوا صَدَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَصُوا عَلَىٰ رَدِّهِمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِالتَّخْذِيلِ عَنْهُ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ هَذَا، كَفِعْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ بِكَ وَبِأَصْحَابِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، حِينَ انْصَرَفَ عَنْكَ بِمَنْ تَبِعَهُ مِنْ قَوْمِهِ..

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ وَأَجَالُوا فِيكَ، وَفِي إِبْطَالِ الدِّينِ -الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ اللهُ- الرَّأْيَ، بِالتَّخْذِيلِ عَنْكَ، وَإِنْكَارِ مَا تَأْتِيهِمْ بِهِ، وَرَدِّهِ عَلَيْكَ..

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ حَتَّىٰ جَاءَ نَصْرُ اللهِ..

﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وَظَهَرَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَافْتَرَضَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿وَهُمْ﴾ وَالْمُنَافِقُونَ..

﴿كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٨] لِظُهُورِ أَمْرِ اللهِ وَنَصْرِهِ إِيَّاكَ كَارِهُونَ، وَكَذَلِكَ الْآنَ يُظْهِرُكَ اللهُ وَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الرُّومِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَهُمْ كَارِهُونَ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ أُقِمْ فَلَا أَشْخَصُ مَعَكَ..

﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ وَلَا تَبْتَلِنِي بِرُؤْيَةِ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ وَبَنَاتِهِمْ، فَإِنِّي بِالنِّسَاءِ مُغْرَمٌ، فَأَخْرُجَ وَآثَمَ بِذَلِكَ..

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ بِتَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَعْظَمُ..

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩] وَإِنَّ النَّارَ لَمُطِيفَةٌ بِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَجَحَدَ آيَاتِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، مُحْدِقَةٌ بِهِمْ، جَامِعَةٌ لَهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ [التوبة: ٥٠].

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَسَنَةٌ﴾ سُرُورٌ بِفَتْحِ اللهِ عَلَيْكَ أَرْضَ الرُّومِ فِي غَزَاتِكَ هَذِهِ..

﴿تَسُؤْهُمْ﴾ يَسُؤِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ بِفُلُولِ جَيْشِكَ..

﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ حِذْرَنَا بِتَخَلُّفِنَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَتَرْكِ اتِّبَاعِهِ إِلَىٰ عَدُوِّهِ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصِيبَهُ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ..

﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾ وَيَرْتَدُّوا عَنْ مُحَمَّدٍ..

﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ [التوبة: ٥٠] بِمَا أَصَابَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمُصِيبَةِ بِفُلُولِ أَصْحَابِهِ وَانْهِزَامِهِمْ عَنْهُ وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ - مُؤَدِّبًا إِيَّاه - لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْكَ..

﴿لَّن يُصِيبَنَآ﴾ أَيُّهَا الْمُرْتَابُونَ فِي دِينِهِمْ..

﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَقَضَاهُ عَلَيْنَا..

﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ هُوَ نَاصِرُنَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١] فَإِنَّهُمْ إِنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَرْجُوا النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَخَافُوا شَيْئًا غَيْرَهُ، يَكْفِهِمْ أُمُورَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُمْ وَكَادَهُمْ.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢﴾ [التوبة: ٥٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ، وَبَيَّنْتُ لَكَ أَمْرَهُمْ..

﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ هَلْ تَنْتَظِرُونَ..

﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ الْخَلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِمَا، إِمَّا ظَفَرًا بِالْعَدُوِّ وَفَتْحًا

لَنَا بِغَلَبَتِنَاهُمْ، فَفِيهَا الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ وَالسَّلَامَةُ، وَإِمَّا قَتْلًا مِنْ عَدُوِّنَا لَنَا، فَفِيهِ الشَّهَادَةُ وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، وَكِلْتَاهُمَا مِمَّا نُحِبُّ، وَلَا نَكْرَهُ..

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ..

﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ﴾ بِعُقُوبَةٍ مِنْ عِنْدِهِ عَاجِلَةً تُهْلِكُكُمْ..

﴿مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ فَنَقْتُلُكُمْ..

﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ فَانْتَظِرُوا..

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢﴾ [التوبة: ٥٢] إِنَّا مَعَكُمْ مُنْتَظِرُونَ مَا اللهُ فَاعِلٌ بِنَا، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنَّا وَمِنْكُم.

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝٥٣﴾
[التوبة: ٥٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿أَنفِقُوا۟﴾ كَيْفَ شِئْتُمْ أَمْوَالَكُمْ فِي سَفَرِكُمْ هَذَا وَغَيْرِهِ..

﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ وَعَلَىٰ أَيِّ حَالٍ شِئْتُمْ مِنْ حَالِ الطَّوْعِ وَالْكُرْهِ..

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُنْفِقُوهَا لَنْ يَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْكُمْ نَفَقَاتِكُمْ، وَأَنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِكُمْ، وَجَهْلٍ مِنْكُمْ بِنُبُوَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَسُوءِ مَعْرِفَةٍ مِنْكُمْ بِثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ..

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝٥٣﴾ [التوبة: ٥٣] خَارِجِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِرَبِّكُمْ.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ۝٥٤﴾ [التوبة: ٥٤].

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ﴾ وَمَا مَنَعَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ﴾ الَّتِي يُنْفِقُونَهَا فِي سَفَرِهِمْ مَعَكَ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّبُلِ..

﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ إِلَّا كُفْرُهُمْ..

﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ مُتَثَاقِلِينَ بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ بِأَدَائِهَا ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ بِتَرْكِهَا عِقَابًا، وَإِنَّمَا يُقِيمُونَهَا مَخَافَةً عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِتَرْكِهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا أَمَّنُوهُمْ لَمْ يُقِيمُوهَا..

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا..

﴿إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٤] أَنْ يُنْفِقُونَهُ فِي الْوَجْهِ الَّذِي يُنْفِقُونَهُ فِيهِ، مِمَّا فِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٥].

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بِمَا أَلْزَمَهُمْ فِيهَا مِنْ فَرَائِضِهِ، بِأَخْذِ الزَّكَاةِ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَهِيَ لَهُمْ عَذَابٌ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَجْرٌ، فَمِنْ عَظِيمِ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْمُنَافِقِيْنَ إِلْزَامُهُم مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُقُوقِهِ وَفَرَائِضِهِ؛ إِذْ كَانَ يَلْزَمُهُم وَيُؤْخَذُ مِنْهُم وَهُم غَيْرُ طَيِّبِي النَّفْسِ، وَلَا راجين مِنَ اللهِ جَزَاءً، وَلَا مِنَ الْآخِذِ مِنْهُم حَمْدًا وَلَا شُكْرًا، بَل عَلَىٰ ضَجَرٍ مِنْهُم وَكُرْهٍ..

﴿وَتَزْهَقَ﴾ وَتَخْرُجَ..

﴿أَنفُسُهُمْ﴾ فَيَمُوتُوا..

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٥] عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٦].

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ وَيَحْلِفُ بِاللهِ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ كَذِبًا وَبَاطِلًا خَوْفًا مِنْكُمْ..

﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ مُكَذِّبًا لَهُمْ..

﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، بَلْ هُمْ أَهْلُ شَكٍّ وَنِفَاقٍ..

﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٦] وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَخَافُونَكُمْ، فَهُمْ خَوْفًا مِنْكُم يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ: إِنَّا مِنْكُمْ؛ لِيَأْمَنُوا فِيكُمْ فَلَا يُقْتَلُوا.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٧].

﴿لَوْ يَجِدُونَ﴾ لَوْ يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿مَلْجَـًٔا﴾ عَصَرًا يَعْتَصِرُونَ بِهِ مِنْ حِصْنٍ، وَمَعْقِلًا يَعْتَقِلُونَ فِيهِ مِنْكُمْ..

﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ وَهِيَ الْغِيرَانُ فِي الْجِبَالِ، وَاحِدَتُهَا: مَغَارَةٌ..

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ سَرَبًا فِي الْأَرْضِ يَدْخُلُونَ فِيهِ..

﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ لَأَدْبَرُوا إِلَيْهِ هَرَبًا مِنْكُمْ..

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾ [التوبة: ٥٧] وَهُمْ يُسَارِعُونَ فِي مَشْيِهِمْ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَقَامُوا بَيْنَ أَظْهُرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ لَهُمْ، وَلِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي قَوْمِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَفِي دُورِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ تَرْكِ ذَلِكَ وَفِرَاقِهِ، فَصَانَعُوا الْقَوْمَ بِالنِّفَاقِ، وَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ بِالْكُفْرِ وَدَعْوَىٰ الْإِيمَانِ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ مَا فِيهَا مِنَ الْبُغْضِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَدَاوَةِ لَهُمْ، فَأَخْبَرَ اللهُ بِمَا فِي ضَمَائِرِهِمْ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة: ٥٨].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يَعِيبُكَ فِي أَمْرِهَا، وَيَطْعَنُ عَلَيْكَ فِيهَا..

﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ﴾ لَيْسَ بِهِمْ فِي عَيْبِهِمْ إِيَّاكَ فِيهَا وَطَعْنِهِمْ عَلَيْكَ بِسَبَبِهَا الدِّينُ، وَلَكِنِ الْغَضَبُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ أَنْتَ أَعْطَيْتَهُمْ مِنْهَا مَا يُرْضِيهِمْ رَضُوا عَنْكَ..

﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ﴾ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُعْطِهِمْ مِنْهُمْ..

﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة: ٥٨] سَخِطُوا عَلَيْكَ وَعَابُوكَ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التوبة: ٥٩].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَلْمِزُونَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الصَّدَقَاتِ..

﴿رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ رَضُوا مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ عَطَاءٍ وَقَسْمٍ لَهُمْ مَنْ قَسَمَ..

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ وَقَالُوا: كَافِينَا اللهُ..

﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ﴾ سَيُعْطِينَا اللهُ..

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ مِنْ فَضْلِ خَزَائِنِهِ..

﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾ مِنَ الصَّدَقَةِ وَغَيْرِهَا..

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التوبة: ٥٩] وَقَالُوا: إِنَّا إِلَىٰ اللهِ نَرْغَبُ فِي أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ، فَيُغْنِيَنَا عَنِ الصَّدَقَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ صِلَاتِ النَّاسِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ.

﴿* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

﴿* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ لَا تُنَالُ الصَّدَقَاتُ إِلَّا..

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ الفقراءُ في هَذا المَوضِعِ هُوَ ذُو الْفَقْرِ أَوِ الْحَاجَةِ، وَمَعَ حَاجَتِهِ يَتَعَفَّفُ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُمْ..

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ وَالْمِسْكِينُ: هُوَ الْمُحْتَاجُ الْمُتَذَلِّلُ لِلنَّاسِ بِمَسْأَلَتِهِمْ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْفَرِيقَانِ لَمْ يُعْطَيَا إِلَّا بِالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ دُونَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمِسْكِينَ إِنَّمَا يُعْطَىٰ مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَةِ بِالْفَقْرِ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ الْمَسْكَنَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ: الذِّلَّةُ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]، يَعْنِي بِذَلِكَ الْهُونَ وَالذِّلَّةَ، لَا الْفَقْرَ، فَإِذَا كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ صَنَّفَ مَنْ قَسَمَ لَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَةِ قَسْمًا بِالْفَقْرِ فَجَعَلَهُمْ صِنْفَيْنِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ غَيْرُ الْآخَرِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]».. وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ**» عَلَىٰ نَحْوِ مَا قَدْ جَرَىٰ بِهِ اسْتِعْمَالُ النَّاسِ مِنْ تَسْمِيَتِهِمْ أَهْلَ الْفَقْرِ مَسَاكِينَ، لَا عَلَىٰ تَفْصِيلِ الْمِسْكِينِ مِنَ الْفَقِيرِ، وَمِمَّا يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، انْتِزَاعُهُ ﷺ بِقَوْلِ اللهِ: «**اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]»، وَذَلِكَ فِي صِفَةِ مَنِ ابْتَدَأَ اللهُ ذِكْرَهُ وَوَصَفَهُ بِالْفَقْرِ، فَقَالَ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]..

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وَهُمُ السُّعَاةُ فِي قَبْضِهَا مِنْ أَهْلِهَا، وَوَضْعِهَا فِي مُسْتَحِقِّيهَا، يُعْطَوْنَ ذَلِكَ بِالسِّعَايَةِ، أَغْنِيَاءَ كَانُوا أَوْ فُقَرَاءَ.. وَقَدْرُ مَا يُعْطَىٰ الْعَامِلُ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ عِمَالَتِهِ وَأَجْرِ مِثْلِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَقْسِمْ صَدَقَةَ الْأَمْوَالِ بَيْنَ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ عَلَىٰ ثَمَانِيَةِ أَسْهُمٍ، وَإِنَّمَا عَرَّفَ خَلْقَهُ أَنَّ الصَّدَقَاتِ لَنْ تُجَاوِزَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافَ الثَّمَانِيَةَ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، وَإِذْ كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ

مَعْلُومًا أَنَّ مَنْ أُعْطِيَ مِنْهَا حَقًّا، فَإِنَّمَا يُعْطَىٰ عَلَىٰ قَدْرِ اجْتِهَادِ الْمُعْطِي فِيهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَيْهَا إِنَّمَا يُعْطَىٰ عَلَىٰ عَمَلِهِ لَا عَلَىٰ الْحَاجَةِ الَّتِي تَزُولُ بِالْعَطِيَّةِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّذِي أَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ عِوَضٌ مِنْ سَعْيِهِ وَعَمَلِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ قَدْرٌ يَسْتَحِقُّهُ عِوَضًا مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي لَا يَزُولُ بِالْعَطِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَزُولُ بِالْعَزْلِ..

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ قَوْمٌ كَانُوا يُتَأَلَّفُونَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، مِمَّنْ لَمْ تَصِحَّ نُصْرَتُهُ، اسْتِصْلَاحًا بِهِ نَفْسَهُ وَعَشِيرَتَهُ، كَأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَنُظَرَائِهِمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ.. قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ: (**لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّىٰ إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**).. وَقَالَ الزُّهْرِي: (**مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ، وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا**).. فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ الصَّدَقَةَ فِي مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: سَدُّ خَلَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْآخَرُ: مَعُونَةُ الْإِسْلَامِ وَتَقْوِيَتُهُ، فَمَا كَانَ فِي مَعُونَةِ الْإِسْلَامِ وَتَقْوِيَةِ أَسْبَابِهِ فَإِنَّهُ يُعْطَاهُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْطَاهُ مَنْ يُعْطَاهُ بِالْحَاجَةِ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُعْطَاهُ مَعُونَةً لِلدِّينِ، وَذَلِكَ كَمَا يُعْطَىٰ الَّذِي يُعْطَاهُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُعْطَىٰ ذَلِكَ غَنِيًّا كَانَ أَوْ فَقِيرًا لِلْغَزْوِ لَا لِسَدِّ خَلَّتِهِ، وَكَذَلِكَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ يُعْطُونَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ، اسْتِصْلَاحًا بِإِعْطَائِهِمُوهُ أَمْرَ الْإِسْلَامِ، وَطَلَبَ تَقْوِيَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ، وَقَدْ أَعْطَىٰ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَعْطَىٰ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، بَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ وَفَشَا الْإِسْلَامُ وَعَزَّ أَهْلُهُ، فَلَا حُجَّةَ لِمُحْتَجٍّ بِأَنْ يَقُولَ: لَا يُتَأَلَّفُ الْيَوْمَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ أَحَدٌ، لِامْتِنَاعِ أَهْلِهِ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ، وَقَدْ أَعْطَىٰ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَعْطَىٰ مِنْهُمْ فِي الْحَالِ الَّتِي وَصَفْتُ..

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ هُمُ الْمُكَاتَبُونَ، يُعْطَوْنَ مِنْهَا فِي فَكِّ رِقَابِهِمْ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ الزَّكَاةَ حَقًّا وَاجِبًا عَلَىٰ مَنْ أَوْجَبَهَا عَلَيْهِ فِي مَالِهِ يُخْرِجُهَا مِنْهُ، لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْهَا نَفْعٌ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَلَا عِوَضٌ، وَالْمُعْتِقُ رَقَبَةً مِنْهَا رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَلَاءُ مَنْ أَعْتَقَهُ، وَذَلِكَ نَفْعٌ يَعُودُ إِلَيْهِ مِنْهَا..

﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ الَّذِينَ اسْتَدَانُوا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا قَضَاءً فِي عَيْنٍ وَلَا عَرَضٍ..

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَفِي النَّفَقَةِ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللهِ،وَطَرِيقِهِ وَشَرِيعَتِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِ، وَذَلِكَ هُوَ غَزْوُ الْكُفَّارِ..

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ هُوَ الْمُسَافِرُ الَّذِي يَجْتَازُ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ، وَالسَّبِيلُ: الطَّرِيقُ، وَقِيلَ لِلضَّارِبِ فِيهِ ابْنُ السَّبِيلِ لِلُزُومِهِ إِيَّاهُ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ، تُسَمِّي اللَّازِمَ لِلشَّيْءِ يُعْرَفُ بِابْنِهِ..

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ قَسَمٌ قَسَمَهُ اللهُ لَهُمْ، فَأَوْجَبَهُ فِي أَمْوَالِ أَهْلِ الْأَمْوَالِ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ فِيمَا فَرَضَ لَهُمْ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَعَلَىٰ

عِلْمٍ مِنْهُ فَرَضَ مَا فَرَضَ مِنَ الصَّدَقَةِ وَبِمَا فِيهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ..

﴿حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، لَا يَدْخُلُ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَلٌ.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١﴾ [التوبة: ٦١].

﴿وَمِنْهُمُ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ جَمَاعَةٌ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُعِيبُونَهُ..

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ سَامِعَةٌ، يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ مَا يَقُولُ فَيَقْبَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: هُوَ..

﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ لَا أُذُنُ شَرٍّ..

﴿لَّكُمْ﴾ يَسْتَمِعُ الْخَبَرَ وَيُصَدِّقُ بِهِ..

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يُصَدِّقُ بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَيُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ لَا الْكَافِرِينَ وَلَا الْمُنَافِقِينَ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ ﷺ مُسْتَمِعُ خَيْرٍ، يُصَدِّقُ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَيُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَهْلَ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ وَهُوَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَاهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ اللهَ اسْتَنْقَذَهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَأَوْرَثَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ جَنَّاتِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ -الَّذِينَ يَعِيبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ: هُوَ أُذُنٌ- وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ مُكَذِّبِيهِ، وَالْقَائِلِينَ فِيهِ الْفُحْشَ مِنَ الْكَلَامِ، وَالْبَاطِلَ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١﴾ [التوبة: ٦١] مِنَ اللهِ، مُوجِعٌ لَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ [التوبة: ٦٢].

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ يَحْلِفُ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ بِاللهِ - لِيُرْضُوكُمْ فِيمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُمْ مِنْ أَذَاهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ، بِالطَّعْنِ عَلَيْهِ وَالْعَيْبِ لَهُ،

وَمُطَابَقَتِهِمْ سِرًّا أَهْلَ الْكُفْرِ عَلَيْكُمْ- وَالْأَيْمَانِ الْفَاجِرَةِ، أَنَّهُمْ مَا فَعَلُوا ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ لَعَلَىٰ دِينِكُمْ، وَمَعَكُمْ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَكُمْ، يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ رِضَاكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ مِمَّا قَالُوا وَنَطَقُوا..

﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة: ٦٢] إِنْ كَانُوا مُصَدِّقِينَ بِتَوْحِيدِ اللهِ، مُقِرِّينَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة: ٦٣].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ كَذِبًا لِلْمُؤْمِنِينَ لِيُرْضُوهُمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ النِّفَاقِ..

﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أَنَّهُ مِنْ يُحَارِبُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَالِفُهُمَا، فَيُنَاوِئُهُمَا بِالْخِلَافِ عَلَيْهِمَا..

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ لَابِثًا فِيهَا، مُقِيمًا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة: ٦٣] فَلَبْثُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَخُلُودُهُ فِيهَا، هُوَ الْهَوَانُ وَالذُّلُّ الْعَظِيمُ.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة: ٦٤].

﴿يَحْذَرُ﴾ يَخْشَىٰ..

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ فِيهِمْ..

﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ تُظْهِرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا إِذَا عَابُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذَكَرُوا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: لَعَلَّ اللهَ لَا يُفْشِي سِرَّنَا، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ مُتَهَدِّدًا لَهُمْ مُتَوَعِّدًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة: ٦٤] إِنَّ اللهَ مُظْهِرٌ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ مَا كُنْتُمْ تَحْذَرُونَ أَنْ تُظْهِرُوهُ، فَأَظْهَرَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَفَضَحَهُمْ، فَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تُدْعَىٰ الْفَاضِحَةَ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة: ٦٥].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ عَمَّا قَالُوا مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ..

﴿لَيَقُولُنَّ﴾ لَكَ..

﴿إِنَّمَا﴾ قُلْنَا ذَلِكَ لَعِبًا، وَ..

﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ كُنَّا نَخُوضُ فِي حَدِيثٍ لَعِبًا وَهُزُوًا..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة: ٦٥] قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ: (قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦]).

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة: ٦٦].

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ بِالْبَاطِلِ، فَتَقُولُوا: كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ..

﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ قَدْ جَحَدْتُمُ الْحَقَّ بِقَوْلِكُمْ مَا قُلْتُمْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ بِهِ وَإِقْرَارِكُمْ بِهِ..

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ إِنْ تَتُبْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَيَعْفُو اللهُ عَنْهُم..

﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾ يُعَذِّبِ اللهُ طَائِفَةً مِنْكُمْ بِتَرْكِ التَّوْبَةِ..

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة: ٦٦] نُعَذِّبُ طَائِفَةً مِنْهُمْ بِاكْتِسَابِهِمُ الْجُرْمَ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ، وَطَعْنِهِمْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُسِرُّونَ الْكُفْرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ هُمْ صِنْفٌ وَاحِدٌ، وَأَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، فِي إِعْلَانِهِمُ الْإِيمَانَ وَاسْتِبْطَانِهِمُ الْكُفْرَ..

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ يَأْمُرُونَ مَنْ قَبِلَ مِنْهُمْ بِالْمُنْكَرِ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَتَكْذِيبِهِ..

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ وَيُمْسِكُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَكُفُّونَهَا عَنِ الصَّدَقَةِ، فَيَمْنَعُونَ الَّذِينَ فَرَضَ اللهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ مَا فَرَضَ مِنَ الزَّكَاةِ حُقُوقَهُمْ..

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تَرَكُوا اللهَ أَنْ يُطِيعُوهُ وَيَتَّبِعُوا أَمْرَهُ..

﴿فَنَسِيَهُمْۚ﴾ فَتَرَكَهُمُ اللهُ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَهِدَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ..

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُخَادِعُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِظْهَارِهِمْ لَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمُ الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَهُمْ لِلْكُفْرِ مُسْتَبْطِنُونَ..

﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧] هُمُ الْمُفَارِقُونَ طَاعَةَ اللهِ، الْخَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ﴾ بِاللهِ..

﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾ أَنْ يُصْلِيَهُمُوهَا جَمِيعًا..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَحْيَوْنَ فِيهَا وَلَا يَمُوتُونَ..

﴿هِىَ حَسْبُهُمْۚ﴾ هِيَ كَافِيَتُهُمْ عِقَابًا وَثَوَابًا عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ وَأَبْعَدَهُمُ اللهُ وَأَسْحَقَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿وَلَهُمْ﴾ وَلِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، يَعْنِي مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ عِنْدَ اللهِ..

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٦٨﴾ [التوبة: ٦٨] دَائِمٌ، لَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٩﴾

[التوبة: ٦٩].

﴿كَالَّذِينَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ: أَبِاللهِ وَآيَاتِ كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ كَالَّذِينَ..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ فَعَلُوا فِعْلَكُمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَعَجَّلَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا الْخِزْيَ مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ فِي الْآخِرَةِ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَاحْذَرُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ..

﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ وَبَطْشًا..

﴿وَأَكْثَرَ﴾ مِنْكُمْ..

﴿أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ فَتَمَتَّعُوا بِنَصِيبِهِمْ وَحَظِّهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ، وَرَضُوا بِذَلِكَ مِنْ نَصِيبِهِمْ فِي الدُّنْيَا عِوَضًا مِنْ نَصِيبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ وَقَدْ سَلَكْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ سَبِيلَهُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ..

﴿بِخَلَٰقِكُمْ﴾ بِدِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ..

﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ﴾ الْأُمَمُ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ كَانُوا..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ الَّذِينَ أَهْلَكْتُهُمْ بِخِلَافِهِمْ أَمْرِي..

﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾ كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِنَصِيبِهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ..

﴿وَخُضْتُمْ﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ..

﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ﴾ كَخَوْضِ تِلْكَ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ فِي الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ عَلَى اللهِ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَهْلُ الْكِتَابِ؟ قَالَ: فَمَهْ؟»..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، وَفَعَلُوا فِي ذَلِكَ فِعْلَ الْهَالِكِينَ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ..

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ذَهَبَتْ أَعْمَالُهُمْ بَاطِلًا، فَلَا ثَوَابَ لَهَا إِلَّا النَّارُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِيمَا يُسْخِطُ اللهَ وَيَكْرَهُهُ..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ [التوبة: ٦٩] وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَغْبُونُونَ صِفْقَتُهُمْ بِبَيْعِهِمْ نَعِيمَ الْآخِرَةِ بِخَلَاقِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا الْيَسِيرِ الزَّهِيدِ.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٧٠﴾ [التوبة: ٧٠].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ أَلَمْ يَأْتِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُسِرُّونَ الْكُفْرَ بِاللهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿نَبَأُ﴾ خَبَرُ الْأُمَمِ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ كَانُوا..

﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ حِينَ عَصَوْا رُسُلَنَا، وَخَالَفُوا أَمْرَنَا مَاذَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَتِنَا؟ ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ أُولَئِكَ الْأُمَمُ الَّتِي قَالَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَؤُهُمْ، فَقَالَ..

﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ أَلَمْ يَأْتِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ خَبَرُ قَوْمِ نُوحٍ وَصَنِيعِي بِهِمْ؛ إِذْ كَذَّبُوا رَسُولِي نُوحًا وَخَالَفُوا أَمْرِي، أَلَمْ أُغْرِقْهُمْ بِالطُّوفَانِ؟..

﴿وَعَادٍ﴾ وَخَبَرُ عَادٍ، إِذْ عَصَوْا رَسُولِي هُودًا، أَلَمْ أُهْلِكْهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ؟..

﴿وَثَمُودَ﴾ وَخَبَرُ ثَمُودَ، إِذْ عَصَوْا رَسُولِي صَالِحًا، أَلَمْ أُهْلِكْهُمْ بِالرَّجْفَةِ، فَأَتْرُكْهُمْ بِأَفْنِيَتِهِمْ خُمُودًا؟..

﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وَخَبَرُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ عَصَوْهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ، أَلَمْ أَسْلُبْهُمُ النِّعْمَةَ وَأُهْلِكْ مَلِكَهُمْ نُمْرُوذَ؟..

﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ وَخَبَرُ أَصْحَابِ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَمْ أُهْلِكْهُمْ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ؛ إِذْ كَذَّبُوا رَسُولِي شُعَيْبًا؟..

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ﴾ وَخَبَرُ الْمُنْقَلِبَةِ بِهِمْ أَرْضُهُمْ، فَصَارَ أَعْلَاهَا أَسْفَلَهَا؛ إِذْ عَصَوْا رَسُولِي

لُوطًا وَكَذَّبُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَفَأَمِنَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ، أَنْ يُسْلَكَ بِهِمْ فِي الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَتَعْجِيلِ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، سَبِيلُ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَيَحِلَّ بِهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولِي مُحَمَّدًا ﷺ، مَا حَلَّ بِهِمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَنَا؛ إِذْ أَتَتْهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ..

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أَتَىٰ كُلَّ قَرْيَةٍ مِنَ الْمُؤْتَفِكَاتِ رَسُولٌ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَتَتْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَسَائِرِ الْأُمَمِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ رُسُلُهُمْ مِنَ اللهِ..

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فَمَا أَهْلَكَ اللهُ هَذِهِ الْأُمَمَ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ أَهْلَكَهَا إِلَّا بِإِجْرَامِهَا وَظُلْمِهَا أَنْفُسَهَا وَاسْتِحْقَاقِهَا مِنَ اللهِ عَظِيمَ الْعِقَابِ، لَا ظُلْمًا مِنَ اللهِ لَهُمْ وَلَا وَضْعًا مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عُقُوبَةً فِي غَيْرِ مَنْ هُوَ لَهَا أَهْلٌ.؛ لِأَنَّ اللهَ حَكِيمٌ، لَا خَلَلَ فِي تَدْبِيرِهِ وَلَا خَطَأَ فِي تَقْدِيرِهِ..

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٧٠﴾ [التوبة: ٧٠] وَلَكِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، بِمَعْصِيَةِ اللهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ، حَتَّىٰ أَسْخَطُوا عَلَيْهِمْ رَبَّهُمْ، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فَعُذِّبُوا.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ وَأَمَّا الْمُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَآيَاتِ كِتَابِهِ، فَإِنَّ صِفَتَهُمْ..

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ وَأَعْوَانُهُمْ..

﴿يَأْمُرُونَ﴾ النَّاسَ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ﴾ وَيُؤَدُّونَ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ..

﴿وَيُؤْتُونَ﴾ وَيُعْطُونَ..

﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ أَهْلَهَا..

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ فَيَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمُ الَّذِينَ..

﴿سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ فَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهُ، لَا أَهْلُ النِّفَاقِ وَالتَّكْذِيبِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، النَّاهُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، الْآمِرُونَ بِالْمُنْكَرِ، الْقَابِضُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ذُو عِزَّةٍ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ خَلْقِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَكُفْرِهِ بِهِ، لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِنْهُ مَانِعٌ وَلَا يَنْصُرُهُ مِنْهُ نَاصِرٌ..

﴿حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١] فِي انْتِقَامِهِ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَرُّوا بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تَجْرِي تَحْتَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَبَدًا مُقِيمِينَ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ نَعِيمُهَا، وَلَا يَبِيدُ..

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ وَمَنَازِلَ يَسْكُنُونَهَا طَيِّبَةً..

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ وَهَذِهِ الْمَسَاكِنُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي وَصَفَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ؛ لِأَنَّهَا بَسَاتِينُ خُلْدٍ وَإِقَامَةٍ لَا يَظْعَنُ مِنْهَا أَحَدٌ، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لَهَا جَنَّاتُ عَدْنٍ؛ لِأَنَّهَا دَارُ اللهِ الَّتِي اسْتَخْلَصَهَا لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: عَدْنُ فُلَانٍ بِأَرْضِ كَذَا، إِذَا أَقَامَ بِهَا وَخَلَدَ بِهَا، وَمِنْهُ الْمَعْدِنُ، وَيُقَالُ: هُوَ فِي مَعْدِنِ صِدْقٍ، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ فِي أَصْلٍ ثَابِتٍ..

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَرِضَا اللهِ عَنْهُمْ..

﴿أَكْبَرُۚ﴾ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِذَلِكَ جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قال: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي وَعُدْتُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢] هُوَ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ وَالنَّجَاءُ الْجَسِيمُ؛ لِأَنَّهُمْ ظَفِرُوا بِكَرَامَةِ الْأَبَدِ، وَنَجَوْا مِنَ الْهَوَانِ فِي السَّفَرِ، فَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة: ٧٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ..

﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بِجِهَادِهِمْ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، وَبِكُلِّ مَا أَطَاقَ جِهَادَهُمْ بِهِ، بِنَحْوِ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ تَرَكَهُمْ ﷺ مُقِيمِينَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَصْحَابِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ؟ قِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِقِتَالِ مَنْ أَظْهَرَ مِنْهُمْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ، ثُمَّ أَقَامَ عَلَىٰ إِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَأُخِذَ بِهَا، أَنْكَرَهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، فَإِنَّ حُكْمَ اللهِ فِي كُلِّ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِلِسَانِهِ، أَنْ يُحْقَنَ بِذَلِكَ لَهُ دَمُهُ وَمَالُهُ وَإِنْ كَانَ مُعْتَقِدًا غَيْرَ ذَلِكَ، وَتَوَكَّلَ هُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِسَرَائِرِهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلْقِ الْبَحْثَ عَنِ السَّرَائِرِ، فَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ وَاطِّلَاعِ اللهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ ضَمَائِرِهِمْ وَاعْتِقَادِ صُدُورِهِمْ، كَانَ يُقِرُّهُمْ بَيْنَ أَظْهُرِ الصَّحَابَةِ، وَلَا يَسْلُكُ بِجِهَادِهِمْ مَسْلَكَ جِهَادِ مَنْ قَدْ نَاصَبَهُ الْحَرْبَ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ قَالَ قَوْلًا كَفَرَ فِيهِ بِاللهِ ثُمَّ أُخِذَ بِهِ أَنْكَرَهُ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِلِسَانِهِ، فَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَأْخُذُهُ إِلَّا بِمَا أَظْهَرَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ عِنْدَ حُضُورِهِ إِيَّاهُ وَعَزْمِهِ عَلَىٰ إِمْضَاءِ الْحُكْمِ فِيهِ، دُونَ مَا سَلَفَ مِنْ قَوْلٍ كَانَ نَطَقَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَدُونَ اعْتِقَادِ ضَمِيرِهِ الَّذِي لَمْ يُبِحِ اللهُ لِأَحَدٍ الْأَخْذَ بِهِ فِي الْحُكْمِ وَتَوَلَّىٰ الْأَخْذَ بِهِ هُوَ دُونَ خَلْقِهِ..

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ وَاشْدُدْ عَلَيْهِمْ بِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ وَالْإِرْهَابِ..

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾ وَمَسَاكِنُهُمْ جَهَنَّمُ وَهِيَ مَثْوَاهُمْ وَمَأْوَاهُمْ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة: ٧٣] وَبِئْسَ الْمَكَانُ الَّذِي يُصَارُ إِلَيْهِ جَهَنَّمُ.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٧٤﴾ [التوبة: ٧٤].

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ أَخْبَرَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللهِ كَذِبًا عَلَىٰ كَلِمَةِ كُفْرٍ تَكَلَّمُوا بِهَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوهَا..

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ فَإِنْ يَتُبْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ مِنْ قِيلِهِمُ الَّذِي قَالُوهُ فَرَجَعُوا عَنْهُ..

﴿يَكُ﴾ رُجُوعُهُمْ وَتَوْبَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿خَيْرًا لَّهُمْۖ﴾ مِنَ النِّفَاقِ..

﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ وَإِنْ يُدْبِرُوا عَنِ التَّوْبَةِ فَيَأْبَوْهَا، وَيُصِرُّوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مُوجِعًا..

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ إِمَّا بِالْقَتْلِ، وَإِمَّا بِعَاجِلِ خِزْيٍ لَهُمْ فِيهَا..

﴿وَٱلْءَاخِرَةِۚ﴾ وَيُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ..

﴿وَمَا لَهُمْ﴾ وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إِنْ عَذَّبَهُمُ اللهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا..

﴿مِن وَلِىٍّ﴾ يُوَالِيهِ عَلَىٰ مَنْعِهِ مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿وَلَا نَصِيرٍ ٧٤﴾ [التوبة: ٧٤] يَنْصُرُهُ مِنَ اللهِ، فَيُنْقِذُهُ مِنْ عِقَابِهِ، وَقَدْ كَانُوا أَهْلَ عِزٍّ وَمَنَعَةٍ بِعَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، يَمْتَنِعُونَ بِهِمْ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَمْنَعُونَهُمْ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ، لَا يَمْنَعُونَهُمْ مِنَ اللهِ وَلَا يَنْصُرُونَهُمْ مِنْهُ إِذَا احْتَاجُوا إِلَىٰ نَصْرِهِمْ.

﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [التوبة: ٧٥].

﴿۞ وَمِنْهُم﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ..

﴿مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ أَعْطَىٰ اللهَ عَهْدًا..

﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ لَئِنْ أَعْطَانَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَرَزَقَنَا مَالًا، وَوَسَّعَ عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِهِ..

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ لَنُخْرِجَنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ الَّذِي رَزَقَنَا رَبُّنَا..

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [التوبة: ٧٥] وَلَنَعْمَلَنَّ فِيهَا بِعَمَلِ أَهْلِ الصَّلَاحِ بِأَمْوَالِهِمْ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ بِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: فَرَزَقَهُمُ اللهُ وَآتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ٧٦﴾ [التوبة: ٧٦].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم﴾ اللهُ..

﴿مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ بِفَضْلِ اللهِ الذي آتَاهُمْ، فَلَمْ يَصَّدَّقُوا مِنْهُ، وَلَمْ يَصِلُوا مِنْهُ قَرَابَةً،

وَلَمْ يُنْفِقُوا مِنْهُ فِي حَقِّ اللهِ..

﴿وَتَوَلَّوا﴾ وَأَدْبَرُوا عَنْ عَهْدِهِمُ الَّذِي عَاهَدُوهُ اللهَ..

﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦﴾ [التوبة: ٧٦] عَنْهُ.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝٧٧﴾ [التوبة: ٧٧].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ اللهُ..

﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بِبُخْلِهِمْ بِحَقِّ اللهِ الَّذِي فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ فِيمَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِخْلَافِهِمُ الْوَعْدَ الَّذِي وَعَدُوا اللهَ، وَنَقْضِهِمْ عَهْدَهُ فِي قُلُوبِهِمْ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ..

﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝٧٧﴾ [التوبة: ٧٧] فِي قِيلِهِمْ، وَحَرَمَهُمُ التَّوْبَةَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اشْتَرَطَ فِي نِفَاقِهِمْ أَنَّهُ أَعْقَبَهُمُوهُ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾، وَذَلِكَ يَوْمُ مَمَاتِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝٧٨﴾ [التوبة: ٧٨].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ سِرًّا، وَيُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ بِهِمَا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِمَا جَهْرًا..

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ الَّذِي يُسِرُّونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ إِذَا تَنَاجَوْا بَيْنَهُمْ بِالطَّعْنِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذِكْرِهِمْ بِغَيْرِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرُوا بِهِ، فَيَحْذَرُوا مِنَ اللهِ عُقُوبَتَهُ أَنْ يُحِلَّهَا بِهِمْ، وَسَطْوَتَهُ أَنْ يُوقِعَهَا بِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَعَيْبِهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَيَنْزِعُوا عَنْ ذَلِكَ وَيَتُوبُوا مِنْهُ..

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝٧٨﴾ [التوبة: ٧٨] أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَّامُ مَا غَابَ عَنْ أَسْمَاعِ خَلْقِهِ وَأَبْصَارِهِمْ وَحَوَاسِّهِمْ مِمَّا أَكَنَّتْهُ نُفُوسُهُمْ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَىٰ جَوَارِحِهِمُ الظَّاهِرَةِ، فَيَنْهَاهُمْ ذَلِكَ عَنْ خِدَاعِ أَوْلِيَائِهِ بِالنِّفَاقِ وَالْكَذِبِ، وَيَزْجُرُهُمْ عَنْ إِضْمَارِ غَيْرِ مَا يُبْدُونَهُ وَإِظْهَارِ خِلَافِ مَا يَعْتَقِدُونَهُ.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [التوبة: ٧٩].

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ فِي الصَّدَقَةِ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ

وَالْحَاجَةِ، بِمَا لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَيَطْعَنُونَ فِيهَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّمَا تَصَدَّقُوا بِهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَلَمْ يُرِيدُوا وَجْهَ اللهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ وَيَلْمِزُونَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَتَصَدَّقُونَ بِهِ إِلَّا جُهْدَهُمْ، وَذَلِكَ طَاقَتَهُمْ، فَيَنْتَقِصُونَهُمْ وَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ اللهُ عَنْ صَدَقَةِ هَؤُلَاءِ غَنِيًّا، سُخْرِيَةً مِنْهُمْ بِهِمْ..

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ قَدْ بَيَّنَّا صِفَةَ سُخْرِيَةِ اللهِ بِمَنْ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا..

﴿وَلَهُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [التوبة: ٧٩] مُوجِعٌ مُؤْلِمٌ.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٨٠﴾ [التوبة: ٨٠].

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ادْعُ اللهَ -يَا مُحَمَّدُ- لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَاتِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِالْمَغْفِرَةِ..

﴿أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أَوْ لَا تَدْعُ لَهُمْ بِهَا.. وَهَذَا كَلَامٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، وَتَأْوِيلُهُ الْخَبَرُ، وَمَعْنَاهُ: إِنِ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَوْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ..

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ إِنْ تَسْأَلْ لَهُمْ أَنْ تَسْتُرَ عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ بِالْعَفْوِ مِنْهُ لَهُمْ عَنْهَا وَتَرْكِ فَضِيحَتِهِمْ بِهَا، فَلَنْ يَسْتُرَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَنْ يَعْفُوَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَكِنَّهُ يَفْضَحُهُمْ بِهَا عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ هَذَا الْفِعْلُ مِنَ اللهِ بِهِمْ، وَهُوَ تَرْكُ عَفْوِهِ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٨٠﴾ [التوبة: ٨٠] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ مَنْ آثَرَ الْكُفْرَ بِهِ وَالْخُرُوجَ عَنْ طَاعَتِهِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾ [التوبة: ٨١].

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ فَرِحَ الَّذِينَ خَلَّفَهُمُ اللهُ عَنِ الْغَزْوِ مَعَ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ..

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بِجُلُوسِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ..

﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ الْخِلَافِ لِرَسُولِ اللهِ فِي جُلُوسِهِ وَمَقْعَدِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالنَّفْرِ إِلَىٰ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ، فَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَجَلَسُوا فِي مَنَازِلِهِمْ..

﴿وَكَرِهُوٓاْ﴾ وَكَرِهَ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ..

﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ أَنْ يَغْزُوا الْكُفَّارَ..

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ لِيَنْصُرُوهُ، مَيْلًا إِلَىٰ الدَّعَةِ وَالْخَفْضِ، وَإِيثَارًا لِلرَّاحَةِ عَلَىٰ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، وَشُحًّا بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقُوهُ فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَنْفَرَهُمْ إِلَىٰ هَذِهِ الْغَزْوَةِ -وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ- فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَعَصَىٰ رَسُولَهُ..

﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ مِنْ هَذَا الْحَرِّ الَّذِي تَتَوَاصَوْنَ بَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَنْفِرُوا فِيهِ، يَقُولُ: الَّذِي هُوَ أَشَدُّ حَرًّا أَحْرَىٰ أَنْ يُحْذَرَ وَيُتَّقَىٰ مِنَ الَّذِي هُوَ أَقَلُّهُمَا أَذًىٰ..

﴿لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾ [التوبة: ٨١] لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ وَعْظَهُ وَيَتَدَبَّرُونَ آيَ كِتَابِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ، فَهُمْ يَحْذَرُونَ مِنَ الْحَرِّ أَقَلَّهُ مَكْرُوهًا وَأَخَفَّهُ أَذًىٰ، وَيُوَافِقُونَ أَشَدَّهُ مَكْرُوهًا وَأَعْظَمَهُ عَلَىٰ مَنْ يَصْلَاهُ بَلَاءً.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨٢﴾ [التوبة: ٨٢].

﴿فَلْيَضْحَكُواْ﴾ فَرِحَ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ، فَلْيَضْحَكُوا فَرِحِينَ..

﴿قَلِيلًا﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ، وَلَهْوِهِمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ..

﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ فَإِنَّهُمْ سَيَبْكُونَ طَوِيلًا فِي جَهَنَّمَ مَكَانَ ضَحِكِهِمُ الْقَلِيلِ فِي الدُّنْيَا..

﴿جَزَآءَۢ﴾ ثَوَابًا مِنَّا لَهُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ بِتَرْكِهِمُ النَّفْرَ إِذِ اسْتُنْفِرُوا إِلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَقُعُودِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨٢﴾ [التوبة: ٨٢] بِمَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ۝٨٣﴾ [التوبة: ٨٣].

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ فَإِنْ رَدَّكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ غَزْوَتِكَ هَذِهِ..

﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ مَعَكَ فِي أُخْرَىٰ غَيْرِهَا..

﴿فَقُل﴾ لَهُمْ..

﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وَذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ تَبُوكَ..

﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ۝٨٣﴾ [التوبة: ٨٣] الَّذِينَ قَعَدُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّكُمْ مِنْهُمْ، فَاقْتَدُوا بِهَدْيِهِمْ وَاعْمَلُوا مِثْلَ الَّذِي عَمِلُوا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ سَخِطَ عَلَيْكُمْ.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤﴾ [التوبة: ٨٤].

﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ عَلَىٰ أَحَدٍ مَاتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ أَبَدًا..

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ وَلَا تَتَوَلَّ دَفْنَهُ وَتُقْبِرْهُ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَامَ فُلَانٌ بِأَمْرِ فُلَانٍ: إِذَا كَفَاهُ أَمْرَهُ..

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ إِنَّهُمْ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ..

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ..

﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤﴾ [التوبة: ٨٤] وَمَاتُوا وَهُمْ خَارِجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، مُفَارِقُونَ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حِينَ صَلَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: جَاءَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ مَاتَ أَبُوهُ، فَقَالَ: أَعْطِنِي قَمِيصَكَ حَتَّىٰ أُكَفِّنَهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَقَالَ: «**إِذَا فَرَغْتُمْ فَآذِنُونِي**»، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، جَذَبَهُ عُمَرُ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ: «**بَلْ خَيَّرَنِي، وَقَالَ** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]»، فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ.. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، تَحَوَّلْتُ حَتَّىٰ قُمْتُ فِي صَدْرِهِ،

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُصَلِّي عَلَىٰ عَدُوِّ اللهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ الْقَائِلِ يَوْمَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا، أُعَدِّدُ أَيَّامَهُ، وَرَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَبَسَّمُ، حَتَّىٰ إِذَا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ، إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، وَقَدْ قِيلَ لِي ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَىٰ السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ»، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَمَشَىٰ مَعَهُ، فَقَامَ عَلَىٰ قَبْرِهِ حَتَّىٰ فَرَغَ مِنْهُ، قَالَ عُمَرُ: (أَتَعَجَّبُ لِي وَجُرْأَتِي عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَوَاللهِ مَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، فَمَا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَهُ عَلَىٰ مُنَافِقٍ، وَلَا قَامَ عَلَىٰ قَبْرِهِ حَتَّىٰ قَبَضَهُ اللهُ).

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة: ٨٥].

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾ أَمْوَالُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ فَتُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِهِمْ إِذَا مَاتَ، وَتَقُومَ عَلَىٰ قَبْرِهِ مِنْ أَجْلِ كَثْرَةِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ..

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فَإِنِّي إِنَّمَا أَعْطَيْتُهُ مَا أَعْطَيْتُهُ مِنْ ذَلِكَ لِأُعَذِّبَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا بِالْغُمُومِ وَالْهُمُومِ، بِمَا أُلْزِمُهُ فِيهَا مِنَ الْمُؤَنِ وَالنَّفَقَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَبِمَا يَنُوبُهُ فِيهَا مِنَ الرَّزَايَا وَالْمُصِيبَاتِ..

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ وَلِيَمُوتَ فَتَخْرُجَ نَفْسُهُ مِنْ جَسَدِهِ، فَيُفَارِقَ مَا أَعْطَيْتُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ حَسْرَةً عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ وَوَبَالًا عَلَيْهِ حِينَئِذٍ، وَوَبَالًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ بِمَوْتِهِ..

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة: ٨٥] جَاحِدًا تَوْحِيدَ اللهِ وَنُبُوَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [التوبة: ٨٦].

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ﴾ وَإِذَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿سُورَةٌ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، بِـ..

﴿أَنْ﴾ يُقَالَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ صَدِّقُوا بِاللهِ..

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ اغْزُوا الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَعَ رَسُولِهِ﴾ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ اسْتَأْذَنَكَ ذَوُو الْغِنَىٰ وَالْمَالِ مِنْهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ وَالْقُعُودِ فِي أَهْلِهِ..

﴿وَقَالُواْ﴾ لَكَ..

﴿ذَرْنَا﴾ دَعْنَا..

﴿نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٨٦﴾ [التوبة: ٨٦] نَكُنْ مِمَّنْ يَقْعُدُ فِي مَنْزِلِهِ مَعَ ضُعَفَاءِ النَّاسِ، وَمَرْضَاهُمْ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْخُرُوجِ مَعَكَ فِي السَّفَرِ.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾ [التوبة: ٨٧].

﴿رَضُواْ﴾ رَضِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ، اسْتَأْذَنَكَ أَهْلُ الْغِنَىٰ مِنْهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْغَزْوِ وَالْخُرُوجِ مَعَكَ لِقِتَالِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِـ..

﴿بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أَنْ يَكُونُوا فِي مَنَازِلِهِمْ كَالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَيْسَ عَلَيْهِنَّ فُرِضَ الْجِهَادُ، فَهُنَّ قُعُودٌ فِي مَنَازِلِهِنَّ وَبُيُوتِهِنَّ..

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَخَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾ [التوبة: ٨٧] عَنِ اللهِ مَوَاعِظَهُ فَيَتَّعِظُونَ بِهَا.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨﴾ [التوبة: ٨٨].

﴿لَٰكِنِ﴾ لَمْ يُجَاهِدْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ اقْتَصَصْتُ قَصَصَهُمُ الْمُشْرِكِينَ، لَكِنِ..

﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿مَعَهُۥ﴾ هُمُ الَّذِينَ..

﴿جَٰهَدُواْ﴾ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فَأَنْفَقُوا فِي جِهَادِهِمْ أَمْوَالَهُمْ، وَأَتْعَبُوا فِي قِتَالِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَبَذَلُوهَا..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ..

﴿لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ خيراتُ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ نِسَاؤُهَا وَجَنَّاتُهَا وَنَعِيمُهَا..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨﴾ [التوبة: ٨٨] الْمُخَلَّدُونَ فِي الْجَنَّاتِ الْبَاقُونَ فِيهَا الْفَائِزُونَ بِهَا.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٨٩﴾ [التوبة: ٨٩].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ أَعَدَّ اللهُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ وَهِيَ الْبَسَاتِينُ..

﴿تَجْرِي﴾ مِنْ..

﴿تَحْتِهَا﴾ تَحْتِ أَشْجَارِهَا..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ لَابِثِينَ..

﴿فِيهَاۚ﴾ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَظْعَنُونَ عَنْهَا..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٨٩﴾ [التوبة: ٨٩] ذَلِكَ النَّجَاءُ الْعَظِيمُ وَالْحَظُّ الْجَزِيلُ.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٩٠﴾ [التوبة: ٩٠].

﴿وَجَآءَ﴾ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ الْمُعْتَذِرُونَ، وَلَكِنِ التَّاءُ لَمَّا جَاوَرَتِ الذَّالَ أُدْغِمَتْ فِيهَا، فَصِيرَتَا ذَالًا مُشَدَّدَةً لِتَقَارُبِ مَخْرَجِ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى، كَمَا قِيلَ: يَذَّكَّرُونَ فِي يَتَذَكَّرُونَ، وَيَذَّكَّرُ فِي يَتَذَكَّرُ..

﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ فِي التَّخَلُّفِ..

﴿وَقَعَدَ﴾ عَنِ الْمَجِيءِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْجِهَادِ مَعَهُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ وَقَالُوا الْكَذِبَ، وَاعْتَذَرُوا بِالْبَاطِلِ مِنْهُمْ..

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ سَيُصِيبُ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ وَنُبُوَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٩٠﴾ [التوبة: ٩٠].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩١﴾ [التوبة: ٩١].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانَةِ وَأَهْلِ الْعَجْزِ عَنِ السَّفَرِ وَالْغَزْوِ..

﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى، وَلَا عَلَى مَنْ لَا

يَجِدُ نَفَقَةً يَتَبَلَّغُ بِهَا إِلَىٰ مَغْزَاهُ..

﴿حَرَجٌ﴾ لَيْسَ عَلَيْهِمْ إِثْمٌ..

﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فِي مَغِيبِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ لَيْسَ عَلَىٰ مَنْ أَحْسَنَ فَنَصَحَ للهِ وَرَسُولِهِ فِي تَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ جِهَادٍ مَعَهُ لِعُذْرٍ يُعْذَرُ بِهِ طَرِيقٌ يُتَطَرَّقُ عَلَيْهِ فَيُعَاقَبَ مِنْ قِبَلِهِ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ سَاتِرٌ عَلَىٰ ذُنُوبِ الْمُحْسِنِينَ، يَتَغَمَّدُهَا بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ۝٩١﴾ [التوبة: ٩١] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢﴾ [التوبة: ٩٢].

﴿وَلَا﴾ سَبِيلَ أَيْضًا..

﴿عَلَى﴾ النَّفَرِ..

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ﴾ جَاءُوكَ..

﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾ يَسْأَلُونَكَ الْحُمْلَانَ لِيَبْلُغُوا إِلَىٰ مَغْزَاهُمْ لِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قُلْتَ﴾ لَهُمْ..

﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ لَا أَجِدُ حَمُولَةً أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهَا..

﴿تَوَلَّوا﴾ أَدْبَرُوا عَنْكَ..

﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ وَهُمْ يَبْكُونَ مِنْ حَزَنٍ..

﴿أَلَّا يَجِدُوا﴾ عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ..

﴿مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢﴾ [التوبة: ٩٢] وَيَتَحَمَّلُونَ بِهِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٩٣﴾ [التوبة: ٩٣].

﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ مَا السَّبِيلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ أَهْلِ الْعُذْرِ يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنَّهَا..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ فِي التَّخَلُّفِ خِلَافَكَ، وَتَرْكِ الْجِهَادِ مَعَكَ..

﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ﴾ وَهُمْ أَهْلُ غِنًىٰ وَقُوَّةٍ وَطَاقَةٍ لِلْجِهَادِ وَالْغَزْوِ، نِفَاقًا وَشَكًّا فِي وَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ..

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ رَضُوا بِأَنْ يَجْلِسُوا بَعْدَكَ مَعَ النِّسَاءِ، وَهُنَّ الْخَوَالِفُ

خَلْفَ الرِّجَالِ فِي الْبُيُوتِ، وَيَتْرُكُوا الْغَزْوَ مَعَكَ..

﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَخَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ بِمَا كَسَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ..

﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٣] سُوءَ عَاقِبَتِهِمْ بِتَخَلُّفِهِمْ عَنْكَ وَتَرْكِهِمُ الْجِهَادَ مَعَكَ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ قَبِيحِ الثَّنَاءِ فِي الدُّنْيَا وَعَظِيمِ الْبَلَاءِ فِي الْآخِرَةِ

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٤].

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ يَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، التَّارِكُونَ جِهَادَ الْمُشْرِكِينَ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِالْأَبَاطِيلِ وَالْكَذِبِ..

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ مِنْ سَفَرِكُمْ وَجِهَادِكُمْ..

﴿قُل﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لَنْ نُصَدِّقَكُمْ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ..

﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ قَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، وَأَعْلَمَنَا مِنْ أَمْرِكُمْ مَا قَدْ عَلِمْنَا بِهِ كَذِبَكُمْ..

﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ وَسَيَرَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ فِيمَا بَعْدُ عَمَلَكُمْ، أَتَتُوبُونَ مِنْ نِفَاقِكُمْ أَمْ تُقِيمُونَ عَلَيْهِ..

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ ثُمَّ تَرْجِعُونَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ..

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ، الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ بَوَاطِنُ أُمُورِكُمْ وَظَوَاهِرُهَا..

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فَيُخْبِرُكُمْ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٤] بِأَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا سَيِّئِهَا وَحَسَنِهَا، فَيُجَازِيكُمْ بِهَا الْحَسَنُ مِنْهَا بِالْحَسَنِ، وَالسَّيِّئُ مِنْهَا بِالسَّيِّئِ.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٥].

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ سَيَحْلِفُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ لَكُمْ، هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فَرِحُوا

بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ..

﴿إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إِذَا انْصَرَفْتُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ غَزْوِكُمْ..

﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ فَلَا تُؤَنِّبُوهُمْ..

﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ فَدَعُوا تَأْنِيبَهُمْ وَخَلُّوهُمْ وَمَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ..

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ إِنَّهُمْ نَجَسٌ..

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وَمَصِيرُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، وَهِيَ مَسْكَنُهُمُ الَّذِي يَأْوُونَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٥﴾ [التوبة: ٩٥] ثَوَابًا بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِي اللهِ.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾ [التوبة: ٩٦].

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ يَحْلِفُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ، هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ اعْتِذَارًا بِالْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ..

﴿لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ فَإِنْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ رَضِيتُمْ عَنْهُمْ وَقَبِلْتُمْ مَعْذِرَتَهُمْ، إِذَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ صِدْقَهُمْ مِنْ كَذِبِهِمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾ [التوبة: ٩٦] فَإِنَّ رِضَاكُمْ عَنْهُمْ غَيْرُ نَافِعِهِمْ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مِنْ سَرَائِرِ أَمْرِهِمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَمِنْ خَفِيِّ اعْتِقَادِهِمْ مَا تَجْهَلُونَ، وَأَنَّهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ، يَعْنِي أَنَّهُمُ الْخَارِجُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَمِنَ الطَّاعَةِ إِلَىٰ الْمَعْصِيَةِ.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٩٧﴾ [التوبة: ٩٧].

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ جُحُودًا لِتَوْحِيدِ اللهِ..

﴿وَنِفَاقًا﴾ وَأَشَدُّ نِفَاقًا مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ فِي الْقُرَىٰ وَالْأَمْصَارِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ لِجَفَائِهِمْ، وَقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ، وَقِلَّةِ مُشَاهَدَتِهِمْ لِأَهْلِ الْخَيْرِ، فَهُمْ لِذَلِكَ أَقْسَىٰ قُلُوبًا، وَأَقَلُّ عِلْمًا بِحُقُوقِ اللهِ..

﴿وَأَجْدَرُ﴾ وَأَخْلَقُ..

﴿أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ هُمْ أَقَلُّ عِلْمًا بِالسُّنَنِ.. قال إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي: **(جَلَسَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ، وَهُوَ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَتْ يَدُهُ قَدْ أُصِيبَتْ يَوْمَ نَهَاوَنْدَ،**

فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّ حَدِيثَكَ لَيُعْجِبُنِي، وَإِنَّ يَدَكَ لَتُرِيبُنِي، فَقَالَ زَيْدٌ: وَمَا يَرِيبُكَ مِنْ يَدِي، إِنَّهَا الشِّمَالُ؟ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللهِ مَا أَدْرِي الْيَمِينَ يَقْطَعُونَ أَمِ الشِّمَالَ؟ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ: صَدَقَ اللهُ: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾)..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَنْ يَعْلَمُ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَالْمُنَافِقِ مِنْ خَلْقِهِ وَالْكَافِرِ مِنْهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٩٧﴾ [التوبة: ٩٧] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ، وَفِي حِلْمِهِ عَنْ عِقَابِهِمْ مَعَ عِلْمِهِ بِسَرَائِرِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ أَوْلِيَاءَهُ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٩٨﴾ [التوبة: ٩٨].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَعُدُّ نَفَقَتَهُ الَّتِي يُنْفِقُهَا فِي جِهَادِ مُشْرِكٍ، أَوْ فِي مَعُونَةِ مُسْلِمٍ أَوْ فِي بَعْضِ مَا نَدَبَ اللهُ إِلَيْهِ عِبَادَهُ..

﴿مَغْرَمًا﴾ غُرْمًا لَزِمَهُ، لَا يَرْجُو لَهُ ثَوَابًا، وَلَا يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ عِقَابًا..

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ وَيَنْتَظِرُونَ بِكُمُ الدَّوَائِرَ أَنْ تَدُورَ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي إِلَىٰ مَكْرُوهٍ وَنَفْيِ مَحْبُوبٍ، وَغَلَبَةِ عَدُوٍّ لَكُمْ..

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ جَعَلَ اللهُ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ، وَنُزُولَ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ، لَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا بِكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِدُعَاءِ الدَّاعِينَ..

﴿عَلِيمٌ ۝٩٨﴾ [التوبة: ٩٨] بِتَدْبِيرِهِمْ وَمَا هُوَ بِهِمْ نَازِلٌ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَمَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٩﴾

[التوبة: ٩٩].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُصَدِّقُ اللهَ وَيُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ وَيَنْوِي بِمَا يُنْفِقُ مِنْ نَفَقَةٍ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَفِي سَفَرِهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الْقُرُبَاتُ: جَمْعُ قُرْبَةٍ، وَهُوَ مَا قَرَّبَهُ مِنْ رِضَا اللهِ وَمَحَبَّتِهِ..

﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ وَيَبْتَغِي بِنَفَقَةِ مَا يُنْفِقُ مَعَ طَلَبِ قُرْبَتِهِ مِنَ اللهِ دُعَاءَ الرَّسُولِ وَاسْتِغْفَارَهُ لَهُ..

﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ﴾ أَلَا إِنَّ صَلَوَاتِ الرَّسُولِ قُرْبَةٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: أَلَا إِنَّ نَفَقَتَهُ الَّتِي يُنْفِقُهَا كَذَلِكَ قُرْبَةٌ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ..

﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ﴾ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِيمَنْ رَحِمَهُ، فَأَدْخَلَهُ بِرَحْمَتِهِ الْجَنَّةَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَا اجْتَرَمُوا..

﴿رَّحِيمٌ ۝٩٩﴾ [التوبة: ٩٩] بِهِمْ مَعَ تَوْبَتِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ وَالَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ أَوَّلًا إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَهِيَ بَيْعَةُ الْحُدَيْبِيَةِ، أَوْ أَدْرَكُوا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمُ الَّذِينَ صَلُّوا الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الَّذِينَ هَاجَرُوا قَوْمَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَفَارَقُوا مَنَازِلَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ..

﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ وَالَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْهِجْرَةِ، مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ، طَلَبَ رِضَا اللهِ..

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ رَضِيَ اللهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ لِمَا أَطَاعُوهُ وَأَجَابُوا نَبِيَّهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، لِمَا أَجْزَلَ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَإِيمَانِهِمْ بِهِ وَبِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يَدْخُلُونَهَا..

﴿خَٰلِدِينَ﴾ لَابِثِينَ..

﴿فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ [التوبة: ١٠١].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ وَمِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ حَوْلَ مَدِينَتِكُمْ..

﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ أَيْضًا أَمْثَالُهُمْ أَقْوَامٌ مُنَافِقُونَ..

﴿مَرَدُوا۟﴾ مَرَنُوا.. وَمِنْهُ قِيلَ: تَمَرَّدَ فُلَانٌ عَلَىٰ رَبِّهِ: أَيْ عَتَا وَمَرَدَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَاعْتَادَهَا..

﴿عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ وَدَرِبُوا بِهِ.. وَقَالَ عبدُ الرحمن بْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ: (**أَقَامُوا عَلَيْهِ، لَمْ يَتُوبُوا كَمَا تَابَ الْآخَرُونَ**)..

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ لَا تَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّا..

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ قَالَ قَتَادَةَ: (**فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَكَلَّفُونَ عِلْمَ النَّاسِ، فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفُلَانٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا سَأَلْتَ أَحَدَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ لَا أَدْرِي، لَعَمْرِي أَنْتَ بِنَفْسِكَ أَعْلَمُ مِنْكَ بِأَعْمَالِ النَّاسِ، وَلَقَدْ تَكَلَّفْتَ شَيْئًا مَا تَكَلَّفَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَكُمْ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ نُوحٌ** ﷺ: **﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١١٢﴾** [الشعراء: ١١٢]، **وَقَالَ نَبِيُّ اللهِ شُعَيْبٌ** ﷺ: **﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ٨٦﴾** [هود: ٨٦]، **وَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾**)..

﴿سَنُعَذِّبُهُم﴾ سَنُعَذِّبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿مَّرَّتَيْنِ﴾ إِحْدَاهُمَا فِي الدُّنْيَا، وَالْأُخْرَىٰ فِي الْقَبْرِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ فَضِيحَتُهُمْ، فَضَحَهُمُ اللهُ بِكَشْفِ أُمُورِهِمْ وَتَبْيِينِ سَرَائِرِهِمْ لِلنَّاسِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. وقالَ آخرونَ: هي مَا يصيبُ الإنسانَ مِن الخوفِ والجوعِ والقتلِ والسِّباءِ وغيرِ ذلك وعذابِ القبر.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَنُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابًا فِي الْآخِرَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ عَذَابُهُمْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ مَصَائِبَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَالْمَرَّةُ الْأُخْرَىٰ فِي جَهَنَّمَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ: الْحُدُودُ، وَالْأُخْرَىٰ: عَذَابُ الْقَبْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ: أَخْذُ الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَالْأُخْرَىٰ: عَذَابُ الْقَبْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ عَذَابُهُمْ بِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْغَيْظِ فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُعَذِّبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ مَرَّتَيْنِ، وَلَمْ يَضَعْ لَنَا دَلِيلًا نَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَىٰ عِلْمِ صِفَةِ ذَيْنَكَ الْعَذَابَيْنِ؛ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ مَا ذَكَرْنَا عَنِ الْقَائِلِينَ مَا أَنْبَئْنَا عَنْهُمْ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا

عِلْمٌ بِأَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ، عَلَىٰ أَنَّ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ الْعَذَابَ فِي الْمَرَّتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، وَالْأَغْلَبُ مِنْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ أَنَّهَا فِي الْقَبْرِ..

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ ثُمَّ يُرَدُّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ بَعْدَ تَعْذِيبِ اللهِ إِيَّاهُمْ مَرَّتَيْنِ..

﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ [التوبة: ١٠١] وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢].

﴿وَءَاخَرُونَ﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُنَافِقُونَ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ، وَمِنْهُمْ آخَرُونَ..

﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أَقَرُّوا بِذُنُوبِهِمْ.. فَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُعْتَرِفِينَ بِخَطَأِ فِعْلِهِمْ فِي تَخَلُّفِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَرْكِهِمُ الْجِهَادَ مَعَهُ، وَالْخُرُوجِ لِغَزْوِ الرُّومِ حِينَ شَخَصَ إِلَىٰ تَبُوكَ، وَأَنَّ الَّذِينَ نَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ جَمَاعَةٌ أَحَدُهُمْ أَبُو لُبَابَةَ..

﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ اعْتِرَافُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَتَوْبَتُهُمْ مِنْهَا..

﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ هُوَ تَخَلُّفُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ غَازِيًا، وَتَرْكُهُمُ الْجِهَادَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ..

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَعَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: سَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ذُو صَفْحٍ وَعَفْوٍ لِمَنْ تَابَ عَنْ ذُنُوبِهِ وَسَاتِرٌ لَهُ عَلَيْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢] أَنْ يُعَذِّبَهُ بِهَا.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة: ١٠٣].

﴿خُذْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ مِنْ أَمْوَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَتَابُوا مِنْهَا..

﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ..

﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وَتُنَمِّيهِمْ وَتَرْفَعُهُمْ عَنْ خَسِيسِ مَنَازِلِ أَهْلِ النِّفَاقِ بِهَا، إِلَىٰ مَنَازِلِ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ..

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ وَادْعُ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ مِنْهَا..

﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ إِنَّ دُعَاءَكَ وَاسْتِغْفَارَكَ طُمَأْنِينَةٌ لَهُمْ بِأَنَّ اللهَ قَدْ عَفَا عَنْهُمْ وَقَبِلَ تَوْبَتَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِدُعَائِكَ إِذَا دَعَوْتَ لَهُمْ وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ..

﴿عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣] بِمَا تَطْلُبُ بِهِمْ بِدُعَائِكَ رَبَّكَ لَهُمْ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة: ١٠٤].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوثِقُو أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي، الْقَائِلُونَ لَا نُطْلِقُ أَنْفُسَنَا حَتَّىٰ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنَا، السَّائِلُو رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخْذَ صَدَقَةِ أَمْوَالِهِمْ، أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ، وَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ أَوْ يَرُدُّهَا.. قَالَ عبدُ الرحمنِ بْنُ زَيْدٍ: (**قَالَ الْآخَرُونَ -يَعْنِي: الَّذِينَ لَمْ يَتُوبُوا مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ-: هَؤُلَاءِ -يَعْنِي: الَّذِينَ تَابُوا- كَانُوا بِالْأَمْسِ مَعَنَا، لَا يُكَلَّمُونَ، وَلَا يُجَالَسُونَ، فَمَا لَهُمْ؟! فَقَالَ اللهُ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾**)..

﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وَيَأْخُذُ صَدَقَةَ مَنْ تَصَدَّقَ مِنْهُمْ، أَوْ يَرُدُّهَا عَلَيْهِ دُونَ مُحَمَّدٍ، فَيُوَجِّهُوا تَوْبَتَهُمْ وَصَدَقَتَهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَيَقْصُدُوا بِذَلِكَ قَصْدَ وَجْهِهِ دُونَ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِ، وَيُخْلِصُوا التَّوْبَةَ لَهُ وَيُرِيدُوهُ بِصَدَقَتِهِمْ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمْ يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ**»، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وَ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ وَيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُرْجِعُ بِعَبِيدِهِ إِلَىٰ الْعَفْوِ عَنْهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة: ١٠٤] بِهِمْ إِذَا هُمْ أَنَابُوا إِلَىٰ رِضَاهُ مِنْ عِقَابِهِ.. فَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَنَّ قَبُولَ تَوْبَةِ مَنْ تَابَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَخْذَ الصَّدَقَةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِذَا أَعْطَوْهَا، لَيْسَا إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَأَنَّ نَبِيَّ اللهِ حِينَ أَبَىٰ أَنْ يُطْلِقَ مَنْ رَبَطَ نَفْسَهُ بِالسَّوَارِي مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْغَزْوِ مَعَهُ، وَحِينَ تَرَكَ قَبُولَ صَدَقَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَ اللهُ عَنْهُمْ حِينَ أَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ، إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَيْهِ ﷺ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ دُونَ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا إِنَّمَا يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ مِنْ تَرْكٍ وَإِطْلَاقٍ، وَأَخْذِ صَدَقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ بِأَمْرِ اللهِ.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥].

﴿وَقُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَرَفُوا لَكَ بِذُنُوبِهِمْ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَكَ..

﴿ٱعْمَلُواْ﴾ للهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ..

﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ إِنْ عَمِلْتُمْ..

﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ وَيَرَاهُ رَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ إِلَىٰ مَنْ يَعْلَمُ سَرَائِرَكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ بَاطِنِ أُمُورِكُمْ وَظَوَاهِرِهَا..

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فَيُخْبِرُكُم..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥] وما مِنه خالصًا، وما منه رياءً، وما منه طاعةً، وما منه لله معصيةً، فَيُجَازِيْكُم علىٰ ذلكَ كلِّه جزاءَكم، المُحسِنَ بِإحْسَانِه، وَالمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠٦﴾

[التوبة: ١٠٦].

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْكُمْ حِينَ شَخَصْتُمْ لِعَدُوِّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مُرْجَئُونَ، يُقَالُ مِنْهُ أَرْجَأْتُهُ أُرْجِئُهُ إِرْجَاءً وَهُو مُرْجَأٌ، بِالْهَمْزِ وَتَرْكُ الْهَمِزِ، وَهُمَا لُغَتَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَقَدْ قَرَأَتِ الْقُرَّاءُ بِهِمَا جَمِيعًا.. وَقِيلَ: عَنِيَ بِهَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ نَفَرًا مِمَّنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَنَدِمُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَلَمْ يَعْتَذِرُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَقْدِمِهِ، وَلَمْ يُوثِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي، فَأَرْجَأَ اللهُ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ أَنْ صَحَّتْ تَوْبَتُهُمْ، فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ، وَهُمُ الثَّلَاثَةُ - هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ- الَّذِينَ خُلِّفُوا، عَنِ التَّوْبَةِ، غَيْرَ أَبِي لُبَابَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ عُذْرَهُمْ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَقُولُ: هَلَكُوا حِينَ لَمْ يُنْزِلِ اللهُ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَتَقُولُ فِرْقَةٌ أُخْرَىٰ: عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَكَانُوا مُرْجَئِينَ لِأَمْرِ اللهِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ رَحْمَتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، فَقَالَ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [التوبة: ١١٧].. الْآيَةَ، وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨] الْآيَةَ..

﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وَقَضَائِهِ..

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إِمَّا أَنْ يَحجِزَهُمُ اللهُ عَنِ التَّوْبَةِ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ، فَيُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمُ الَّتِي مَاتُوا عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِمَّا يُوَفِّقُهُمْ لِلتَّوْبَةِ، فَيَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ ذُو عِلْمٍ بِأَمْرِهِمْ، وَمَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْبَةِ، وَالْمُقَامِ عَلَى الذَّنْبِ..

﴿حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة: ١٠٦] فِي تَدْبِيرِهِمْ وَتَدْبِيرِ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ خَلَلٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

[التوبة: ١٠٧].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ وَالَّذِينَ ابْتَنَوا..

﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ لِمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَكُفْرًا﴾ بِاللهِ لِمُحَادَّتِهِمْ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿وَتَفْرِيقًا﴾ وَيُفَرِّقُوا بِهِ..

﴿بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِيُصَلِّيَ فِيهِ بَعْضُهُمْ دُونَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَعْضُهُمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَخْتَلِفُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَيَفْتَرِقُوا..

﴿وَإِرْصَادًا﴾ وَإِعْدَادًا..

﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ خَالَفَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَكَفَرَ بِهِمَا وَقَاتَلَ رَسُولَ اللهِ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ بِنَائِهِمْ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ..

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ بَانُوهُ..

﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ بِبِنَائِنَا..

﴿إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ إِلَّا الرِّفْقَ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْمَنْفَعَةَ، وَالتَّوْسِعَةَ عَلَى أَهْلِ الضَّعْفِ وَالْعِلَّةِ وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ فِيهِ، وَتِلْكَ هِيَ الْفَعْلَةُ الْحَسَنَةُ..

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٧] فِي حَلِفِهِمْ ذَلِكَ، وَقِيلِهِمْ مَا بَنَيْنَاهُ إِلَّا وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحُسْنَى، وَلَكِنَّهُمْ بَنَوْهُ يُرِيدُونَ بِبِنَائِهِ السُّوأَى، ضِرَارًا لِمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُفْرًا بِاللهِ، وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْصَادًا.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨].

﴿لَا تَقُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِيهِ﴾ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي بَنَاهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ ضِرَارًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ أَقْسَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَقَالَ..

﴿أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ ابْتُدِئَ أَسَاسُهُ وَأَصْلُهُ.. وَهُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي فِيهِ مِنْبَرُهُ وَقَبْرُهُ الْيَوْمَ..

﴿عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ ابْتُدِئَ فِي بِنَائِهِ..

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ﴾ أَنْتَ..

﴿فِيهِ ۚ﴾ مُصَلِّيًا..

﴿فِيهِ﴾ فِي حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ..

﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ﴾ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يُنَظِّفُوا مَقَاعِدَهُمْ بِالْمَاءِ، إِذَا أَتَوْا الْغَائِطَ..

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨] وَاللهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ﴾ أَيُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَنُوا الْمَسَاجِدَ خَيْرٌ أَيُّهَا النَّاسُ عِنْدَكُمْ، الَّذِينَ ابْتَدَءُوا..

﴿بُنْيَانَهُ﴾ بِنَاءَ مَسْجِدِهِمْ..

﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ عَلَىٰ اتِّقَاءِ اللهِ بِطَاعَتِهِمْ فِي بِنَائِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ..

﴿وَرِضْوَانٍ﴾ وَرِضًا مِنَ اللهِ لِبِنَائِهِمْ مَا بَنَوْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَفِعْلِهِمْ مَا فَعَلُوهُ..

﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ أَمِ الَّذِينَ ابْتَدَءُوا بِنَاءَ مَسْجِدِهِمْ..

﴿عَلَىٰ شَفَا﴾ عَلَىٰ حَرْفٍ..

﴿جُرُفٍ﴾ الرَّكِيِّ -البئر- مَا لَمْ يُبْنَ لَهُ جُولٌ -جدار-..

﴿هَارٍ﴾ مُتَهَوِّرٌ، مُتَصَدِّعٌ.. وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَيُّ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ، وَأَيُّ هَذَيْنِ الْبِنَاءَيْنِ أَثْبَتُ، أَمَّنِ ابْتَدَأَ أَسَاسَ بِنَائِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَعِلْمٍ مِنْهُ بِأَنَّ بِنَاءَهُ للهِ طَاعَةٌ، وَاللهُ بِهِ

رَاضٍ، أَمْ مَّنِ ابْتَدَأَهُ بِنِفَاقٍ وَضَلَالٍ، وَعَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْهُ بِصَوَابِ فِعْلِهِ مِنْ خَطَئِهِ، فَهُوَ لَا يَدْرِي، مَتَىٰ يَتَبَيَّنُ لَهُ خَطَأُ فِعْلِهِ وَعَظِيمُ ذَنْبِهِ، فَيَهْدِمَهُ، كَمَا بَانِي الْبِنَاءِ عَلَىٰ جُرُفٍ رَكِيَّةٍ، لَا حَابِسَ لِمَاءِ السُّيُولِ عَنْهَا وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْمِيَاهِ، ثَرِيَةِ التُّرَابِ مُتَنَاثِرَتِهِ، لَا تُلْبِثُهُ السُّيُولُ وَالنَّدَىٰ أَنْ تَهْدِمَهُ وَتَنْثُرَهُ؟..

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ﴾ فَانْتَثَرَ الْجُرُفُ الْهَارِي بِبِنَائِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ [التوبة: ١٠٩] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِلرَّشَادِ فِي أَفْعَالِهِ مَنْ كَانَ بَانِيًا بِنَاءَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَمَوْضِعِهِ، وَمَنْ كَانَ مُنَافِقًا مُخَالِفًا بِفِعْلِهِ أَمْرَ اللهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾ [التوبة: ١١٠].

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا..

﴿رِيبَةً﴾ شَكًّا وَنِفَاقًا..

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي بِنَائِهِ مُحْسِنِينَ..

﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ﴾ إِلَّا أَنْ تَتَصَدَّعَ قُلُوبُهُمْ فَيَمُوتُوا..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدَ الضِّرَارِ، مِنْ شَكِّهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَمَا قَصَدُوا فِي بِنَائِهِمْ وَأَرَادُوهُ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَفِي الْحَيَاةِ مَا عَاشُوا، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ غَيْرِهِمْ..

﴿حَكِيمٌ ١١٠﴾ [التوبة: ١١٠] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَتَدْبِيرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إِنَّ اللهَ ابْتَاعَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِهِ..

﴿فِي﴾ كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ..

﴿ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ إِذَا هُمْ وَفَّوا بِمَا عَاهَدُوا اللهَ فَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ أَعْدَاءَهُ، فَقَتَلُوا وَقُتِلُوا..

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ وَفَاءً بِمَا ضَمِنَ وَشَرَطَ مِنَ اللهِ؟.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ فِيمَا عَاهَدُوا..

﴿بِبَيْعِكُمُ﴾ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ بِـ..

﴿ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ مِنْ رَبِّكُمْ..

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١] فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ الْعَابِدِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.. وَمَعْنَىٰ التَّائِبِينَ: الرَّاجِعُونَ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيُسْخِطُهُ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ..

﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ الَّذِينَ ذَلُّوا خَشْيَةً للهِ وَتَوَاضُعًا لَهُ، فَجَدُّوا فِي خِدْمَتِهِ..

﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ مَا امْتَحَنَهُمْ بِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصَّائِمُونَ..

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ يَعْنِي: الْمُصَلِّينَ الرَّاكِعِينَ فِي صَلَاتِهِمُ، السَّاجِدِينَ فِيهَا..

﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْحَقِّ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَاتِّبَاعِ الرُّشْدَ وَالْهُدَىٰ وَالْعَمَلَ..

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ وَذَلِكَ نَهْيُهُمُ النَّاسَ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ نَهَىٰ اللهُ عِبَادَهُ عَنْهُ..

﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ الْمُؤَدُّونَ فَرَائِضَ اللهِ، الْمُنْتَهُونَ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، الَّذِينَ لَا يُضَيِّعُونَ شَيْئًا أَلْزَمَهُمُ الْعَمَلَ بِهِ وَلَا يَرْتَكِبُونَ شَيْئًا نَهَاهُمْ عَنِ ارْتِكَابِهِ..

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢] الْمُصَدِّقِينَ بِمَا وَعَدَهُمُ اللهُ، إِذَا هُمْ وَفَّوا اللهَ بِعَهْدِهِ، أَنَّهُ مُوفٍ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنْ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

﴿مَا كَانَ﴾ يَنْبَغِي..

﴿لِلنَّبِيِّ﴾ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِهِ..

﴿أَن يَسْتَغْفِرُوا﴾ أَنْ يَدْعُوا بِالْمَغْفِرَةِ..

﴿لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا﴾ وَلَوْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ..

﴿أُولِي قُرْبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَةٍ لَهُمْ..

﴿مِن بَعْدِ مَا﴾ مَاتُوا عَلَىٰ شِرْكِهِمْ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ قَضَىٰ أَنْ لَا يَغْفِرَ لِمُشْرِكٍ فَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَفْعَلَ مَا قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ.. فَإِنْ قَالُوا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدِ اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ، وَهُوَ مُشْرِكٌ، فَلَمْ يَكُنِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا لِمَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ للهِ عَدُوٌّ، خَلَّاهُ وَتَرَكَ الِاسْتِغْفَارَ لَهُ، وَآثَرَ اللهَ وَأَمْرَهُ عَلَيْهِ، فَتَبَرَّأَ مِنْهُ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ أَمْرُهُ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي شَأْنِ أَبِي طَالِبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَنَهَاهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ فِي سَبَبِ أُمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهَا فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ لِمَوْتَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ تَأَوَّلَ البعضُ الِاسْتِغْفَارَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ الصَّلَاةِ.. وَتَأَوَّلَهُ آخَرُونَ بِمَعْنَىٰ الِاسْتِغْفَارِ الَّذِي هُوَ دُعَاءٌ.. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الِاسْتِغْفَارِ: مَسْأَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ غَفْرَ الذُّنُوبِ؛ وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ مَسْأَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ذَلِكَ قَدْ تَكُونُ فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِ الصَّلَاةِ، لَمْ يَكُنْ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَا فَاسِدًا؛ لِأَنَّ اللهَ عَمَّ بِالنَّهْيِ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ حَالًا أَبَاحَ فِيهَا الِاسْتِغْفَارَ لَهُ..

﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَوْعِدَةٍ، كَمَا يُقَالُ: مَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا عَنْ سَبَبِ كَذَا، بِمَعْنَىٰ: مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ السَّبَبِ أَوْ مِنْ أَجْلِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾، مِنْ أَجلِ مَوْعِدَةٍ وَبَعْدَهَا..

﴿وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ بِمَوْتِهِ مُشْرِكًا بِاللهِ..

﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَتَرَكَ الِاسْتِغْفَارَ لَهُ..

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ لَدَعَّاءٌ لِرَبِهِ، شَاكٍ لَهُ..

﴿حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤] عَمَّنْ سَبَّهُ وَنَالَهُ بِالْمَكْرُوهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَدَ أَبَاهُ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُ وَدُعَاءِ اللهِ لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ، عِنْدَ وَعِيدِ أَبِيهِ إِيَّاهُ وَتَهَدُّدِهِ لَهُ بِالشَّتْمِ بَعْدَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ نَصِيحَتَهُ فِي اللهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم: ٤٦]، فَقَالَ لَهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤٧-٤٨]، فَوَفَّىٰ لِأَبِيهِ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُ حَتَّىٰ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ، فَوَصَفَهُ اللهُ بِأَنَّهُ دَعَّاءٌ لِرَبِهِ حَلِيمٌ عَمَّنْ سَفِهَ عَلَيْهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ التَّأَوُّهِ وَهُوَ التَّضَرُّعُ وَالْمَسْأَلَةُ بِالْحُزْنِ وَالْإِشْفَاقِ؛ قَالَ البعضُ: كان ذلكَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ وَجْهِ الرِّقَّةِ عَلَىٰ أَبِيهِ وَالرَّحْمَةِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.. قَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ لِصِحَّةِ يَقِينِهِ وَحُسْنِ مَعْرِفَتِهِ بِعَظَمَةِ اللهِ وَتَوَاضُعِهِ لَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ لِصِحَّةِ إِيمَانِهِ بِرَبِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ تَنْزِيلَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عِنْدَ ذِكْرِ رَبِّهِ.. وَكُلُّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَىٰ مَا قُلْتُ، وَتَقَارَبَ مَعْنَىٰ بَعْضِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَنَّ الْحَزِينَ الْمُتَضَرِّعَ إِلَىٰ رَبِّهِ الْخَاشِعَ لَهُ بِقَلْبِهِ، يَنُوبُهُ ذَلِكَ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ وَدُعَائِهِ إِيَّاهُ فِي حَاجَاتِهِ، وَتَعْتَوِرُهُ هَذِهِ الْخِلَالُ الَّتِي وَجَّهَ الْمُفَسِّرُونَ إِلَيْهَا تَأْوِيلَ قَوْلِ اللهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَقْضِيَ عَلَيْكُمْ فِي اسْتِغْفَارِكُمْ لِمَوتَاكُمُ الْمُشْرِكِينَ بِالضَّلَالِ..

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ بَعْدَ إِذْ رَزَقَكُمُ الْهِدَايَةَ وَوَفَّقَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ حَتَّىٰ يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، فَتَتْرُكُونَ الِانْتِهَاءَ عَنْهُ؛ فَأَمَّا قَبْلَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ كَرَاهِيَةَ ذَلِكَ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، ثُمَّ تَتَعَدُّوا نَهْيَهُ إِلَىٰ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْكُمُ عَلَيْكُمْ

بِالضَّلَالِ، لِأَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ إِنَّمَا يَكُونَانِ مِنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ وَلَمْ يُنْهَ،فَغَيْرُ كَائِنٍ مُطِيعًا أَوْ عَاصِيًا فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ وَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ۝١١٥﴾ [التوبة: ١١٥] إنَّ اللهَ ذُو علمٍ بما خَالطَ أنفسَكُم عندَ نَهيِ اللهِ إيَّاكم عن الاستغفارِ لموتاكمُ المشركينَ، مِنَ الجَزَعِ علىٰ ما سَلَفَ منكِم من الاستغفارِ لهم قبلَ تَقَدُّمِهِ إليكم بالنهي عنه، وبغيرِ ذلكَ من سَرائرِ أمورِكم وأمورِ عبادِه وظواهرِها، فبيَّن لكم حِلمَه في ذلكَ عليكم؛ ليَضَعَ عنكم ثِقَلَ الوَجْدِ بذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝١١٦﴾ [التوبة: ١١٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكُهُمَا، وَكُلُّ مَنْ دُونَهُ مِنَ الْمُلُوكِ فَعَبِيدُهُ وَمَمَالِيكُهُ، بِيَدِهِ حَيَاتُهُمْ وَمَوْتُهُمْ..

﴿يُحۡيِۦ﴾ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ..

﴿وَيُمِيتُۚ﴾ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، فَلَا تَجْزَعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ قِتَالِ مَنْ كَفَرَ بِي مِنَ الْمُلُوكِ، مُلُوكِ الرُّومِ كَانُوا أَوْ مُلُوكِ فَارِسٍ وَالْحَبَشَةِ أَوْ غَيْرِهِمْ، وَاغْزُوهُمْ وَجَاهِدُوهُمْ فِي طَاعَتِي، فَإِنِّي الْمُعِزُّ مَنْ أَشَاءُ مِنْهُمْ وَمِنْكُمْ، وَالْمُذِلُّ مَنْ أَشَاءُ، وَهَذَا حَضٌّ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ قِتَالِ كُلِّ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنَ الْمَمَالِيكِ، وَإِغْرَاءٌ مِنْهُ لَهُمْ بِحَرْبِهِمْ..

﴿وَمَا لَكُم﴾ مِنْ أَحَدٍ هُوَ لَكُمْ حَلِيفٌ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يُظَاهِرُكُمْ عَلَيْهِ، إِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ أَمْرَ اللهِ فَعَاقَبَكُمْ عَلَىٰ خِلَافِكُمْ أَمْرَهُ يَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْ عِقَابِهِ..

﴿وَلَا نَصِيرٖ ۝١١٦﴾ [التوبة: ١١٦] يَنْصُرُكُمْ مِنْهُ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا، يَقُولُ: فَبِاللهِ فَثِقُوا، وَإِيَّاهُ فَارْهَبُوا، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ مَنْ كَفَرَ بِهِ، فَإِنَّهُ قَدِ اشْتَرَىٰ مِنْكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ بِأَنَّ لَكُمُ الْجَنَّةَ، تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ فَتَقْتُلُونَ وَتُقْتَلُونَ.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١١٧﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ لَقَدْ رَزَقَ اللهُ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ دِيَارَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ وَأَنْصَارِ رَسُولِهِ فِي اللهِ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَسُولَ اللهِ..

﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ مِنْهُمْ، مِنَ النَّفَقَةِ وَالظَّهْرِ وَالزَّادِ وَالْمَاءِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَمِيلُ..

﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ قُلُوبُ بَعْضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَيَشُكُّ فِي دِينِهِ، وَيَرْتَابُ بِالَّذِي نَالَهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالشِّدَّةِ فِي سَفَرِهِ وَغَزْوِهِ..

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ﴾ ثُمَّ رَزَقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْإِنَابَةَ وَالرُّجُوعَ إِلَىٰ الثَّبَاتِ عَلَىٰ دِينِهِ، وَإِبْصَارِ الْحَقِّ الَّذِي كَانَ قَدْ كَادَ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ..

﴿بِهِمْ﴾ بِالَّذِينَ خَالَطَ قُلُوبُهُمْ ذَلِكَ لِمَا نَالَهُمْ فِي سَفَرِهِمْ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْمَشَقَّةِ..

﴿رَءُوفٌ﴾ بِهِمْ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧] أَنْ يُهْلِكَهُمْ، فَيَنْزِعَ مِنْهُمُ الْإِيمَانَ بَعْدَ مَا قَدْ أَبْلَوْا فِي اللهِ مَا أَبْلَوْا مَعَ رَسُولِهِ، وَصَبَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

[التوبة: ١١٨].

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فِيمَا قَبْلُ، هُمُ الْآخَرُونَ الَّذِينَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة: ١٠٦]، فَتَابَ عَلَيْهِمْ عَزَّ ذِكْرُهُ وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذًا: وَلَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفَهُمُ اللهُ عَنِ التَّوْبَةِ، فَأَرْجَأَهُمْ عَمَّنْ تَابَ عَلَيْهِ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ...

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ بِسِعَتِهَا، غَمًّا وَنَدَمًا عَلَىٰ تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ بِمَا نَالَهُمْ مِنَ الْوَجْدِ وَالْكَرْبِ بِذَلِكَ..

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وَأَيْقَنُوا بِقُلُوبِهِمَ..

﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ أَنْ لَا شَيْءَ لَهُمْ يَلْجَئُون إِلَيْهِ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ مِنَ الْبَلَاءِ - بِتَخَلُّفِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ- يُنْجِيهِمْ مِنْ كَرْبِهِ، وَلَا مِمَّا يَحْذَرُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِلَّا اللهَ..

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ثُمَّ رَزَقَهُمُ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالرُّجُوعَ إِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ عَنْهُمْ..

﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ لِيُنِيبُوا إِلَيْهِ وَيَرْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ الْوَهَّابُ لِعِبَادِهِ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، الْمُوَفِّقُ مَنْ أَحَبَّ تَوْفِيقَهُ مِنْهُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة: ١١٨] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ، أَوْ يَخْذُلَ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ.. قَالَ الزُّهْرِيُّ: (**غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ وَهُوَ يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَىٰ الْعَرَبِ بِالشَّامِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ تَبُوكَ أَقَامَ بِهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَلَقِيَهُ بِهَا وَفْدُ أَذْرَحَ، وَوَفْدُ أَيْلَةَ، صَالَحَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْجِزْيَةِ، ثُمَّ قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ وَلَمْ يُجَاوِزْهَا، وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]الْآيَةَ**).. وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا: رَهْطٌ مِنْهُمْ: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي سَلِمَةَ، وَمُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي وَاقِفٍ، وَكَانُوا تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فِي بَضْعَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا؛ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، صَدَقَهُ أُولَئِكَ حَدِيثَهُمْ وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، وَكَذَبَ سَائِرُهُمْ، فَحَلَفُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا حَبَسَهُمْ إِلَّا الْعُذْرُ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ وَبَايَعَهُمْ، وَوَكَّلَهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ إِلَىٰ اللهِ، وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلَامِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَقَالَ لَهُمْ حِينَ حَدَّثُوهُ حَدِيثَهُمْ وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ: «**قَدْ صَدَقْتُمْ فَقُومُوا حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكُمْ**» فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ، تَابَ عَلَىٰ الثَّلَاثَةِ، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦﴾ [التوبة: ٩٥- ٩٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مُعَرِّفَهُمْ سَبِيلَ النَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ وَالْخَلَاصِ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَرَاقِبُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَتَجَنُّبِ حُدُودِهِ..

﴿وَكُونُواْ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ وِلَايَةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، تَكُونُوا فِي الْآخِرَةِ..

﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] فِي الْجَنَّةِ، يَعْنِي: مَعَ مَنْ صَدَقَ اللهَ الْإِيمَانَ بِهِ، فَحَقَّقَ قَوْلَهُ بِفِعْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ فِيهِ، الَّذِينَ يَكْذِبُ قِيلَهُمْ فِعْلُهُمْ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ فِي الْآخِرَةِ بِاتِّقَاءِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ كَوْنَ الْمُنَافِقِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ نَافِعُهُ بِأَيِّ وُجُوهِ الْكَوْنِ كَانَ مَعَهُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ عَامِلًا عَمَلَهُمْ، وَإِذَا عَمِلَ عَمَلَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَإِذَا كَانَ مِنْهُمْ كَانَ لَا وَجْهَ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، وَلِتَوْجِيهِ الْكَلَامِ إِلَىٰ مَا وَجَّهْنَا مِنْ تَأْوِيلِهِ فَسَّرَ ذَلِكَ مَنْ فَسَّرَهُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ بِأَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: وَكُونُوا مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، أَوْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢٠﴾ [التوبة: ١٢٠].

﴿مَا كَانَ﴾ لَمْ يَكُنْ..

﴿لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ سُكَّانِ الْبَوَادِي، الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ﴾ فِي أَهَالِيهِمْ وَلَا دَارِهِمْ..

﴿عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فِي صُحْبَتِهِ فِي سَفَرِهِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ وَمُعَاوَنَتِهِ عَلَىٰ مَا يُعَانِيهِ فِي غَزْوِهِ ذَلِكَ، يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ..

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ وَبِسَبَبِ أَنَّهُمْ..

﴿لَا يُصِيبُهُمْ﴾ فِي سَفَرِهِمْ إِذَا كَانُوا مَعَهُ..

﴿ظَمَأٌ﴾ وَهُوَ الْعَطَشُ..

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وَلَا تَعَبٌ..

﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ وَلَا مَجَاعَةٌ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي إِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَنُصْرَتِهِ، وَهَدْمِ مَنَارِ الْكُفْرِ..

﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا﴾ وَلَا يَطَئُونَ أَرْضًا..

﴿يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ وَطْؤُهُمْ إِيَّاهَا..

﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾ وَلَا يُصِيبُونَ..

﴿مِنۡ عَدُوّٖ﴾ لِلهِ وَعَدُوِّهِمْ..

﴿نَّيۡلًا﴾ شَيْئًا فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ..

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ﴾ بِذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ ثَوَابُ عَمَلٍ صَالِحٍ قَدِ ارْتَضَاهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ [التوبة: ١٢٠] إِنَّ اللهَ لَا يَدَعُ مُحْسِنًا مِنْ خَلْقِهِ أَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ فَأَطَاعَهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ وَيُثِيبَهُ عَلَىٰ صَالِحِ عَمَلِهِ؛ فَلِذَلِكَ كَتَبَ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ -مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ- الثَّوَابَ عَلَىٰ كُلِّ مَا فَعَلَ، فَلَمْ يُضَيِّعْ لَهُ أَجْرَ فِعْلِهِ ذَلِكَ.. وَاللهُ عَنَىٰ بِهَذِهِ الآيَةِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٩٠]..الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ، وَلَا لِمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ، أَنْ يَتَخَلَّفُوا خِلَافَهُ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ نَدَبَ فِي غَزْوَتِهِ تِلْكَ كُلَّ مِنْ أَطَاقَ النُّهُوضَ مَعَهُ إِلَىٰ الشُّخُوصِ، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ أَوْ أَمَرَهُ بِالْمُقَامِ بَعْدَهُ، فَلَمْ يَكُنْ لِمَنْ قَدَرَ عَلَىٰ الشُّخُوصِ التَّخَلُّفُ، فَعَدَّدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ، فَأَظْهَرَ نِفَاقَ مَنْ كَانَ تَخَلُّفُهُ مِنْهُمْ نِفَاقًا، وَعَذَرَ مَنْ كَانَ تَخَلُّفُهُ لِعُذْرٍ، وَتَابَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ تَخَلُّفُهُ تَفْرِيطًا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا ارْتِيَابٍ فِي أَمْرِ اللهِ، فَأَمَّا التَّخَلُّفُ عَنْهُ فِي حَالِ اسْتِغْنَائِهِ فَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ كَرَاهَتِهِ مِنْهُ ﷺ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ إِزَاءَ إِمَامِهِمْ، فَلَيْسَ بِفَرْضٍ عَلَىٰ جَمِيعِهِمُ النُّهُوضُ مَعَهُ، إِلَّا فِي حَالِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِمْ لِمَا لَا بُدَّ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْ حُضُورِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ وَاسْتِنْهَاضِهِ إِيَّاهُمْ، فَيَلْزَمُهُمْ حِينَئِذٍ طَاعَتُهُ.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١﴾ [التوبة: ١٢١].

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وَسَائِرُ مَا ذَكَرَ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ﴾ مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي غَزْوِهِ..

﴿وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أَجْرَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ جَزَاءً لَهُمْ عَلَيْهِ كـ..

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: ١٢١] أَحْسَنَ مَا يَجْزِيهِمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (مَا ازْدَادَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ بُعْدًا إِلَّا ازْدَادُوا مِنَ اللهِ قُرْبًا).

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

﴿وَمَا كَانَ﴾ وَلَمْ يَكُنْ..

﴿الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ جَمِيعًا وَيَتْرُكُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ.. فَإِنَّ اللهَ نَهَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَنْ يَخْرُجُوا فِي غَزْوٍ وَجِهَادٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَيَدَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحِيدًا..

﴿فَلَوْلَا﴾ وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ إِذَا سَرَىٰ رَسُولُ اللهِ سَرِيَّةً..

﴿نَفَرَ﴾ أَنْ يَنْفِرَ مَعَهَا..

﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ طَائِفَةٌ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا الْقَوْلَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ حَظَرَ التَّخَلُّفَ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمِنَ الْأَعْرَابِ، لِغَيْرِ عُذْرٍ يُعْذَرُونَ بِهِ، إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ لِغَزْوٍ وَجِهَادِ عَدُوٍّ، قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ -إِذْ كَانَ قَدْ عَرَّفَهُمْ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا اللَّازِمَ لَهُمْ: مِنْ فَرْضِ النَّفْرِ، وَالْمُبَاحِ لَهُمْ مِنْ تَرْكِهِ فِي حَالِ غَزْوِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَشُخُوصِهِ عَنْ مَدِينَتِهِ لِجِهَادِ عَدُوٍّ، وَأَعْلَمَهُمْ: أَنَّهُ لَا يَسَعُهُمُ التَّخَلُّفُ خِلَافَهُ إِلَّا لِعُذْرٍ، بَعْدَ اسْتِنْهَاضِهِ بَعْضَهُمْ وَتَخْلِيفِهِ بَعْضَهُمْ- أَنْ يَكُونَ عَقِيبَ تَعْرِيفِهِمْ ذَلِكَ تَعْرِيفُهُمُ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مُقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَدِينَتِهِ، وَإِشْخَاصِ غَيْرِهِ عَنْهَا، كَمَا كَانَ الِابْتِدَاءُ بِتَعْرِيفِهِمُ الْوَاجِبَ عِنْدَ شُخُوصِهِ وَتَخْلِيفِهِ بَعْضَهُمْ..

﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ لِيَتَفَقَّهَ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ..

﴿فِي الدِّينِ﴾ بِمَا تُعَايِنُ مِنْ نَصْرِ اللهِ أَهْلَ دِينِهِ وَأَصْحَابَ رَسُولِهِ عَلَىٰ أَهْلِ عَدَاوَتِهِ وَالْكُفْرِ بِهِ،

فَيَفْقَهُ بِذَلِكَ مِنْ مُعَايَنَتِهِ حَقِيقَةَ عِلْمِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَظُهُورِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ فَقِهَهُ..

﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ فَيُحَذِّرُوهُمْ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ مِثْلُ الَّذِي نَزَلَ بِمَنْ شَاهَدُوا وَعَايَنُوا مِمَّنْ ظَفِرَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ..

﴿إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ إِذَا هُمْ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْ غَزْوِهِمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢] لَعَلَّ قَوْمَهُمْ إِذَا هُمْ حَذَّرُوهُمْ مَا عَايَنُوا مِنْ ذَلِكَ يَحْذَرُونَ، فَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، حَذَرًا أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِالَّذِينَ أُخْبِرُوا خَبَرَهُمْ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ النَّفْرَ إِذَا كَانَ مُطْلَقًا بِغَيْرِ صِلَةٍ بِشَيْءٍ، أَنَّ الْأَغْلَبَ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ إِيَّاهُ فِي الْجِهَادِ وَالْغَزْوِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ مِنَ الْمَعَانِي فِيهِ، وَكَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، عُلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ إِنَّمَا هُوَ شَرْطٌ لِلنَّفْرِ لَا لِغَيْرِهِ، إِذْ كَانَ يَلِيهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: لِيَتَفَقَّهَ الْمُتَخَلِّفُونَ فِي الدِّينِ؟ قِيلَ: نُنْكِرُ ذَلِكَ لِاسْتِحَالَتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ نَفْرَ الطَّائِفَةِ النَّافِرَةِ لَوْ كَانَ سَبَبًا لِتَفَقُّهِ الْمُتَخَلِّفَةِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُقَامُهَا مَعَهُمْ سَبَبًا لِجَهْلِهِمْ وَتَرْكِ التَّفَقُّهِ؛ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مُقَامَهُمْ -لَوْ أَقَامُوا وَلَمْ يَنْفِرُوا- لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لِمَنْعِهِمْ مِنَ التَّفَقُّهِ.. وَبَعْدُ، فَإِنَّهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ عَطْفًا بِهِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّائِفَةَ النَّافِرَةَ لَمْ تَنْفِرْ إِلَّا وَالْإِنْذَارُ قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ اللهِ إِلَيْهَا، وَلِلْإِنْذَارِ وَخَوْفِ الْوَعِيدِ نَفَرَتْ، فَمَا وَجْهُ إِنْذَارِ الطَّائِفَةِ الْمُتَخَلِّفَةِ الطَّائِفَةَ النَّافِرَةَ، وَقَدْ تَسَاوَتَا فِي الْمَعْرِفَةِ بِإِنْذَارِ اللهِ إِيَّاهُمَا؟ وَلَوْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا جَائِزَةٌ أَنْ تُوصَفَ بِإِنْذَارِ الْأُخْرَى، لَكَانَ أَحَقَّهُمَا بِأَنْ يُوصَفَ بِهِ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ؛ لِأَنَّهَا قَدْ عَايَنَتْ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَنُصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مَا لَمْ تُعَايِنِ الْمُقِيمَةُ، وَلَكِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ كَمَا قُلْنَا، مِنْ أَنَّهَا تُنْذِرُ مِنْ حَيِّهَا وَقَبِيلَتِهَا وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ، إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ، أَنْ يَنْزِلَ بِهِ مَا أُنْزِلَ بِمَنْ عَايَنَتْهُ، مِمَّنْ أَظْفَرَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ نُظَرَائِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٢٣﴾ [التوبة: ١٢٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ قَاتِلُوا مَنْ وَلِيَكُمْ..

﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ دُونَ مَنْ هو أَبْعَدُ مِنْهُمْ، يَقُولُ لَهُمْ: ابْدَءُوا بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إِلَيْكُمْ

دَارًا، دُونَ الْأَبْعَدِ فَالْأَبْعَدِ، وَكَانَ الَّذِي يَلُونَ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَوْمَئِذٍ الرُّومُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا سُكَّانَ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ، وَالشَّامُ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الْعِرَاقِ، فَأَمَّا بَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْبِلَادَ، فَإِنَّ الْفَرْضَ عَلَى أَهْلِ كُلِّ نَاحِيَةٍ قِتَالُ مَنْ وَلِيَهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ دُونَ الْأَبْعَدِ مِنْهُمْ، مَا لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهِمْ أَهْلُ نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ نَوَاحِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، فَإِنِ اضْطَرُّوا إِلَيْهِمْ لَزِمَهُم عَوْنُهُمْ وَنَصْرُهُمْ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ..

﴿وَلْيَجِدُواْ﴾ وَلْيَجِدْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ تُقَاتِلُونَهُمْ..

﴿فِيكُمْ﴾ مِنْكُمْ..

﴿غِلْظَةً﴾ شِدَّةً عَلَيْهِمْ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ وَأَيْقِنُوا عِنْدَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُمْ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٢٣﴾ [التوبة: ١٢٣] أَنَّ اللهَ مَعَكُمْ وَهُوَ نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِنِ اتَّقَيْتُمُ اللهَ وَخِفْتُمُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُ مَنِ اتَّقَاهُ وَمُعِينُهُ.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ﴾ وَإِذَا أَنْزَلَ اللهُ..

﴿سُورَةٌ﴾ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿فَمِنْهُم﴾ فَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿مَّن يَقُولُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ تَصْدِيقًا بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ..

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَقُولُ اللهُ: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ..

﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ السُّورَةُ الَّتِي أُنْزِلَتْ..

﴿إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤] وَهُمْ يَفْرَحُونَ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ الْإِيمَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ التَّصْدِيقُ وَالْإِقْرَارُ؟ قِيلَ: بَلَى. فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ زَادَتْهُمُ السُّورَةُ تَصْدِيقًا وَإِقْرَارًا؟ قِيلَ: زَادَتْهُمْ إِيمَانًا حِينَ نَزَلَتْ؛ لِأَنَّهُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ السُّورَةُ لَمْ يَكُنْ لَزِمَهُمْ فَرْضُ الْإِقْرَارِ بِهَا وَالْعَمَلُ بِهَا بِعَيْنِهَا، إِلَّا فِي جُمْلَةِ إِيمَانِهِمْ بِأَنَّ كُلَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَحَقٌّ؛ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ السُّورَةَ، لَزِمَهُمْ فَرْضُ الْإِقْرَارِ بِأَنَّهَا بِعَيْنِهَا

مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ فَرْضُ الْإِيمَانِ بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامِ اللهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الزِّيَادَةَ الَّتِي زَادَهَمْ نُزُولُ السُّورَةِ حِينَ نَزَلَتْ، مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِهَا.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نِفَاقٌ وَشَكٌّ فِي دِينِ اللهِ..

﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ السُّورَةَ الَّتِي أُنْزِلَتْ..

﴿رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ شَكُّوا فِي أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا وَلَمْ يُصَدِّقُوا، فَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةَ شَكٍّ حادثةً فِي تَنْزِيلِ اللهِ، لَزِمَهُمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَوَجَبَ عليهم فرضُ العمل بِهِ، فَلَم يُصَدِّقوا بِهِ، وَلم يُوقِنُوا بِوُجُوبِ فَرْضِ الإيمانِ بِهِ عَلَيْهِم، بَلْ ارْتَابُوا بِذَلِكَ، فَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةُ نَتْنٍ مِنْ أَفْعَالِهِمْ إِلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ نَظِيرِهِ مِنَ النَّتْنِ وَالنِّفَاقِ..

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥] بِاللهِ وَآيَاتِهِ.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ أَوَلَا يَرَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرِضُ النِّفَاقِ، عَلَىٰ وَجْهِ التَّوْبِيخِ مِنَ اللهِ لَهُمْ..

﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ أَنَّ اللهَ يَخْتَبِرُهُمْ..

﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ فِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ مَرَّةً، وَفِي بَعْضِهَا مَرَّتَيْنِ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْفِتْنَةِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يُفْتَنُونَ بِهَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ اخْتِبَارُ اللهِ إِيَّاهُمْ بِالْقَحْطِ وَالشِّدَّةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يُخْتَبَرُونَ بِالْغَزْوِ وَالْجِهَادِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يُخْتَبَرُونَ بِمَا يَشِيعُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَيَفْتَتِنَ بِذَلِكَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَجَّبَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَوَبَّخَ الْمُنَافِقِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِقِلَّةِ تَذَكُّرِهِمْ وَسُوءِ تَنَبُّهِهِمْ لِمَوَاعِظِ اللهِ الَّتِي يَعِظُهُمْ بِهَا، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمَوَاعِظُ الشَّدَائِدَ الَّتِي يُنْزِلُهَا بِهِمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْقَحْطِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَا يُرِيهِمْ مِنْ نُصْرَةِ رَسُولِهِ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَيَرْزُقُهُ مِنْ إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ عَلَىٰ كَلِمَتِهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَا يَظْهَرُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ

نِفَاقِهِمْ وَخُبْثِ سَرَائِرِهِمْ بِرُكُونِهِمْ إِلَىٰ مَا يَسْمَعُونَ مِنْ أَرَاجِيفِ الْمُشْرِكِينَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَلَا خَبَرَ يُوجِبُ صِحَّةَ بَعْضِ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ، مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ مِنَ التَّسْلِيمِ لِظَاهِرِ قَوْلِ اللهِ، وَهُوَ: أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُخْتَبَرُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ بِمَا يَكُونُ زَاجِرًا لَهُمْ، ثُمَّ لَا يَنْزَجِرُونَ وَلَا يَتَعِظُونَ..

﴿ثُمَّ﴾ هُمْ مَعَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ اللهِ، وَالِاخْتِبَارِ الَّذِي يَعْرِضُ لَهُمْ..

﴿لَا يَتُوبُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ، وَلَا يَتُوبُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ..

﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦﴾ [التوبة: ١٢٦] وَلَا هُمْ يَتَذَكَّرُونَ بِمَا يَرَوْنَ مِنْ حُجَجِ اللهِ، وَيُعَايِنُونَ مِنْ آيَاتِهِ، فَيَتَعِظُوا بِهَا؛ وَلَكِنَّهُمْ مُصِرُّونَ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٢٧﴾ [التوبة: ١٢٧].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهَا عَيْبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ فَتَنَاظَرُوا..

﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إِنْ تَكَلَّمْتُمْ أَوْ تَنَاجَيْتُمْ بِمَعَايِبِ الْقَوْمِ يُخْبِرُهُمْ بِهِ..

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَسْتَمِعُوا قِرَاءَةَ السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا مَعَايِبُهُمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَوْلَهُ..

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ﴾ عَنِ الْخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿قُلُوبَهُم﴾ قُلُوبَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ؛ ذَلِكَ..

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٢٧﴾ [التوبة: ١٢٧] فَعَلَ اللهُ بِهِمْ هَذَا الْخِذْلَانَ، وَصَرَفَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْخَيْرَاتِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ مَوَاعِظَهُ، اسْتِكْبَارًا وَنِفَاقًا.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿رَسُولٌ﴾ رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ..

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تَعْرِفُونَهُ، لَا مِنْ غَيْرِكُمْ فَتَتَّهِمُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي النَّصِيحَةِ لَكُمْ..

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ وَهُوَ دُخُولُ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ وَالْمَكْرُوهِ وَالْأَذَىٰ..

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ حَرِيصٌ عَلَىٰ هُدىٰ ضُلَّالِكُمْ، وَتَوْبَتِهِمْ وَرُجُوعِهِمْ إِلَىٰ الْحَقِّ، فَعَمَّ بِالْخَبَرِ عَنْ نَبِيِّ اللهِ أَنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنَتَ قَوْمُهُ، وَلَمْ يُخَصِّصْ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ، فَكَانَ ﷺ كَمَا وَصَفَهُ اللهُ بِهِ عَزِيزًا عَلَيْهِ عَنَتُ جَمِيعِهِمْ..

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ رفيق..

﴿رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنفال: ١٢٨] فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ ﷺ بِأَنَّهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ عَنَتُ جَمِيعِهِمْ وَهُوَ يَقْتُلُ كُفَّارَهُمْ، وَيَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ، وَيَسْلُبُهُمْ أَمْوَالَهُمْ؟ قِيلَ: إِنَّ إِسْلَامَهُمْ لَوْ كَانُوا أَسْلَمُوا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ إِقَامَتِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ يَسْتَحِقُّوا ذَلِكَ مِنَ اللهِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ أَنْ يَأْتُوا مَا يُعْنِتُهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنْ يَضِلُّوا فَيَسْتَوجِبُوا الْعَنَتَ مِنَ اللهِ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

[التوبة: ١٢٩].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فَإِنْ تَوَلَّىٰ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جِئْتَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ مِنْ قَوْمِكَ، فَأَدْبَرُوا عَنْكَ وَلَمْ يَقْبَلُوا مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي اللهِ وَمَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ النُّورِ وَالْهُدَىٰ..

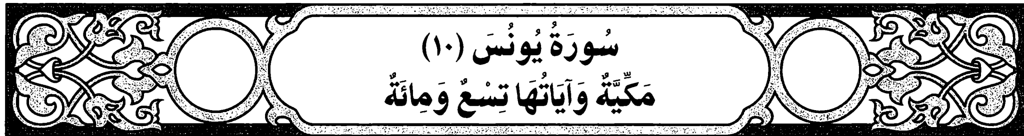
﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ يَكْفِينِي رَبِّي..

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبودَ سِواهُ..

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وَبِهِ وَثِقْتُ، وَعَلَىٰ عَوْنِهِ اتَّكَلْتُ، وَإِلَيْهِ وَإِلَىٰ نَصْرِهِ اسْتَنَدْتُ، فَإِنَّهُ نَاصِرِي وَمُعِينِي عَلَىٰ مَنْ خَالَفَنِي وَتَوَلَّىٰ عَنِّي مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ مِنَ النَّاسِ..

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩] الَّذِي يَمْلِكُ كُلَّ مَا دُونَهُ، وَالْمُلُوكُ كُلُّهُمْ مَمَالِيكُهُ وَعَبِيدُهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِوَصْفِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْخَبَرَ عَنْ جَمِيعِ مَا دُونَهُ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَفِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ الْعَظِيمَ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْمُلُوكِ، فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ ذُو الْعَرْشِ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ دُونَ غَيْرِهِ، وَأَنَّ مَنْ دُونَه فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ جَارٍ عَلَيْهِ حُكْمُهُ وَقَضَاؤُهُ.. قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: (آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ



الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا يُونُسُ ﷺ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [يونس: ١].

﴿الٓر﴾ وَالرَّحْمَنُ..

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ءَايَٰتُ﴾ أَعْلَامُ..

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ الْقُرْآنِ، وَالْكِتَابُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ..

﴿ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [يونس: ١] الْمُحْكَمُ، كَمَا قِيلَ عَذَابٌ أَلِيمٌ، بِمَعْنَىٰ مُؤْلِمٌ، فَمَعْنَاهُ: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُحكَمِ الَّذِي أَحْكَمَهُ اللهُ وَبَيَّنَهُ لِعِبَادِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ [هود: ١].

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ②﴾ [يونس: ٢].

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ أَوْحَىٰ مِنْ قَبْلِهِ إِلَىٰ مِثْلِهِ مِنَ الْبَشَرِ، فَتَعَجَّبُوا، مِنْ وَحِينَا الْقُرْآنَ..

﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِإِنْذَارِهِمْ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ وَأَنْ بَشِّرِ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا بِمَا قَدَّمُوا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا مِنْهُ الثَّوَابَ..

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قَالَ الْمُنْكِرُونَ تَوْحِيدَ اللهِ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ، لَمَّا بَشَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْوَحْيَ..

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ..

﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس: ٢] لَسِحْرٌ مُبِينٌ؛ يُبَيِّنُ لَكُمْ عَنْهُ أَنَّهُ مُبْطِلٌ فِيمَا يَدَّعِيهِ.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، هُوَ..

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السَّبْعَ..

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ..

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وَانْفَرَدَ بِخَلْقِهَا بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا ظَهِيرٍ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ مُدَبِّرًا لِلْأُمُورِ وَقَاضِيًا فِي خَلْقِهِ مَا أَحَبَّ، لَا يُضَادُّهُ فِي قَضَائِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَتَعَقَّبُ تَدْبِيرَهُ مُتَعَقِّبٌ، وَلَا يَدْخُلُ أُمُورَهُ خَلَلٌ..

﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ شَافِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَحَدٍ..

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ فِيهِ..

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ هَذَا الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ سَيِّدُكُمْ وَمَوْلَاكُمْ، لَا مَنْ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يُدَبِّرُ، وَلَا يَقْضِي مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ فَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوا لَهُ الْأُلُوهَةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ، بِالذِّلَّةِ مِنْكُمْ لَهُ دُونَ أَوْثَانِكُمْ، وَسَائِرِ مَا تُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣] أَفَلَا تَتَّعِظُونَ وَتَعْتَبِرُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ، فَتُنِيبُونَ إِلَىٰ الْإِذْعَانِ بِتَوْحِيدِ رَبِّكُمْ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَتَخْلَعُونَ الْأَنْدَادَ، وَتَبرَءُونَ مِنْهَا.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤﴾ [يونس: ٤].

﴿إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ رَبِّكُمُ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي الْآيَةِ قَبْلَ هَذِهِ..

﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ﴾ مَعَادُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ يَعِدُكُمُ اللهُ أَنْ يُحْيِيكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ وَعْدًا حَقًّا..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ..

﴿يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ يَبْدَأُ إِنْشَاءَ الْخَلْقِ وَإِحْدَاثَهُ وَإِيجَادَهُ..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فَيُوجِدُهُ حَيًّا كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ ابْتَدَأَهُ بَعْدَ فَنَائِهِ وَبَلَائِهِ..

﴿لِيَجْزِيَ﴾ لِيُثِيبَ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مَنْ صَدَّقَ اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ لِيَجْزِيَهُمْ عَلَىٰ الْحَسَنِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا الْحَسَنَ مِنَ الثَّوَابِ وَالصَّالِحَ مِنَ الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْقِسْطُ، وَالْقِسْطُ الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ..

﴿لَهُمْ شَرَابٌ﴾ فِي جَهَنَّمَ..

﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وَذَلِكَ شَرَابٌ قَدْ أُغْلِيَ، وَاشْتَدَّ حَرُّهُ، حَتَّىٰ أَنَّهُ فِيمَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَيَتَسَاقَطُ مِنْ أَحَدِهِمْ حِينَ يُدْنِيهِ مِنْهُ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، وَكَمَا وَصَفَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]..

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُوجِعٌ سِوَىٰ الشَّرَابِ مِنَ الْحَمِيمِ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ۝٤﴾ [يونس: ٤] بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [يونس: ٥].

﴿هُوَ﴾ رَبُّكُمُ اللهُ..

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ بِالنَّهَارِ..

﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ بِاللَّيْلِ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: هُوَ الَّذِي أَضَاءَ الشَّمْسَ وَأَنَارَ الْقَمَرَ..

﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ قَضَاهُ فَسَوَّاهُ..

﴿مَنَازِلَ﴾ لَا يُجَاوِزُهَا، وَلَا يَقْصُرُ دُونَهَا عَلَىٰ حَالٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا.. وَقَالَ: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ فَوَحَّدَهُ، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ لِلْقَمَرِ خَاصَّةً، لِأَنَّ بِالْأَهِلَّةِ يُعْرَفُ انْقِضَاءُ الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ لَا بِالشَّمْسِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ اكْتَفَىٰ بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]..

﴿لِتَعۡلَمُواْ﴾ وَقَدَّرَ ذَلِكَ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ دُخُولَ مَا يَدْخُلُ مِنْهَا، وَانْقِضَاءَ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْهَا..

﴿وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ وَحِسَابَ أَوْقَاتِ السِّنِينَ، وَعَدَدَ أَيَّامِهَا، وَحِسَابَ سَاعَاتِ أَيَّامِهَا..

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَمَنَازِلَهُمَا..

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ وَحْدِي بِغَيْرِ عَوْنٍ وَلَا شَرِيكٍ..

﴿يُفَصِّلُ﴾ يُبَيِّنُ..

﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الْحُجَجَ وَالْأَدِلَّةَ..

﴿لِقَوۡمٖ﴾ إِذَا تَدَبَّرُوهَا..

﴿يَعۡلَمُونَ ٥﴾ [يونس: ٥] حَقِيقَةَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَصِحَّةَ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ خَلْعِ الْأَنْدَادِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ.

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾ [يونس: ٦].

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُنَبِّهًا عِبَادَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ مَا دُونَهُ: إِنَّ فِي اعْتِقَابِ اللَّيْلِ النَّهَارَ، وَاعْتِقَابِ النَّهَارِ اللَّيْلَ، إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا، وَإِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ هَذَا..

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وَفِيمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ، مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ..

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وَفِي الْأَرْضِ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّ لَهَا صَانِعًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ..

﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لَأَدِلَّةٌ وَحُجَجًا وَأَعْلَامًا وَاضِحَةً..

﴿لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾ [يونس: ٦] اللهَ، فَيَخَافُونَ وَعِيدَهُ وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِرَبِّهِمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَا دَلَالَةٌ فِيمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَىٰ صَانِعِهِ إِلَّا لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ؟ قِيلَ: فِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صَانِعِهِ لِكُلِّ مَنْ صَحَّتْ فِطْرَتُهُ، وَبَرِئَ مِنَ الْعَاهَاتِ قَلْبُهُ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّ فِيهِ الدَّلَالَةَ لِمَنْ كَانَ قَدْ أَشْعَرَ نَفْسَهُ تَقْوَىٰ اللهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمَنِ اتَّقَىٰ عِقَابَ اللهِ فَلَمْ يَحْمِلْهُ هَوَاهُ عَلَىٰ خِلَافِ مَا وَضَحَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ كُلَّ ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ عَلَىٰ أَنَّ لَهُ مُدَبِّرًا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْإِذْعَانُ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [يونس: ٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ﴾ لَا يَخَافُونَ..

﴿لِقَآءَنَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُمْ لِذَلِكَ مُكَذِّبُونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، مُتَنَافِسُونَ فِي زِيَنِ الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: (فُلَانٌ لَا يَرْجُو فُلَانًا) إِذَا كَانَ لَا يَخَافُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح: ١٣]..

﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ عِوَضًا مِنَ الْآخِرَةِ..

﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ مُطْمَئِنِّينَ إِلَيْهَا سَاكِنِينَ..

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ عَنْ آيَاتِ اللهِ، وَهِيَ أَدِلَّتُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَحُجَجُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [يونس: ٧] مُعْرِضُونَ عَنْهَا لَاهُونَ، لَا يَتَأَمَّلُونَهَا تَأَمُّلَ نَاصِحٍ لِنَفْسِهِ، فَيَعْلَمُوا بِهَا حَقِيقَةَ مَا دَلَّتْهُمْ عَلَيْهِ، وَيَعْرِفُوا بِهَا بُطُولَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٨].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مَصِيرُهُم إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٨] فِي الدُّنْيَا مِنَ الْآثَامِ وَالْأَجْرَامِ، وَيَجْتَرِحُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ.. قال مجاهد: (هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ [هود: ١٥]الآية).. وقَالَ قتادة: (إِذَا شِئْتَ رَأَيْتَ صَاحِبَ دُنْيَا لَهَا يَفْرَحُ، وَلَهَا يَحْزَنُ، وَلَهَا يَسْخَطُ، وَلَهَا يَرْضَىٰ).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ [يونس: ٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ..

﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم﴾ يُرْشِدُهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ بِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بِإِيمَانِهِمْ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ لِدِينِهِ، يَقُولُ: بِتَصْدِيقِهِمْ هَدَاهُمْ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ مِنْ تَحْتِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ..

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ [يونس: ٩] فِي بَسَاتِينِ النَّعِيمِ، الَّذِي نَعَّمَ اللهُ بِهَا أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَالْإِيمَانَ بِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ أَنَّهَا تَجْرِي تَحْتَ الْجَنَّاتِ؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ الْأَنْهَارُ أَنْ تَجْرِيَ مِنْ تَحْتِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا فَوْقَ أَرْضِهَا، وَالْأَنْهَارُ تَجْرِي تَحْتَ أَرْضِهَا؟، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ صِفَتَهَا أَنَّهَا تَجْرِي عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فِي غَيْرِ أَخَادِيدَ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: تَجْرِي مِنْ دُونِهِمُ الْأَنْهَارُ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي بَسَاتِينِ النَّعِيمِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤﴾ [مريم: ٢٤]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ السَّرِيَّ تَحْتَهَا وَهِيَ عَلَيْهِ قَاعِدَةٌ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ جَعَلَ دُونَهَا: بَيْنَ يَدَيْهَا، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ فِرْعَوْنَ: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف: ٥١]، بِمَعْنَىٰ: مِنْ دُونِي بَيْنَ يَدَيَّ.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ١٠].

﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ دُعَاؤُهُمْ..

﴿فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ مِمَّا أَضَافَ إِلَيْكَ أَهْلُ الشِّرْكِ بِكَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَيْكَ وَالْفِرْيَةِ..

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ وَتَحِيَّةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا..

﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أَيْ سَلِمْتَ وَأَمِنْتَ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ أَهْلُ النَّارِ..

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ وَآخِرُ دُعَائِهِمْ..

﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ١٠] أَنْ يَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَلِذَلِكَ خُفِّفَتْ (أَن) وَلَمْ تُشَدَّدْ؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهَا الْحِكَايَةُ.

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١﴾ [يونس: ١١].

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ إِجَابَةَ دُعَائِهِمْ فِي..

﴿ٱلشَّرَّ﴾ وَذَلِكَ فِيمَا عَلَيْهِمْ مَضَرَّةٌ فِي نَفْسٍ أَوْ مَالٍ.. قال قَتَادَةُ: (**هُوَ دُعَاءُ الرَّجُلِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَالِهِ بِمَا يَكْرَهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ**)..

﴿ٱسۡتِعۡجَالَهُم﴾ كَاسْتِعْجَالِهِ لَهُمْ..

﴿بِٱلۡخَيۡرِ﴾ بِالْإِجَابَةِ إِذَا دَعَوهُ بِهِ..

﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ لَفَرَغَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَجَلِهِمْ فَهَلَكُوا، وَعَجَّلَ لَهُمُ الْمَوْتَ.. قال مُجَاهِد: (**قَوْلُ الْإِنْسَانِ لِوَلَدِهِ وَمَالِهِ إِذَا غَضِبَ عَلَيْهِ: اللهُمَّ لا تُبَارِكْ فِيهِ وَالْعَنْهُ، فَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ الِاسْتِجَابَةَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا يُسْتَجَابُ فِي الْخَيْرِ لَأَهْلَكَهُمْ**)..

﴿فَنَذَرُ﴾ فَنَدَعُ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ عِقَابَنَا، وَلَا يُوقِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلَا بِالنُّشُورِ..

﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ فِي تَمَرُّدِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ..

﴿يَعۡمَهُونَ ١١﴾ [يونس: ١١] يَتَرَدَّدُونَ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ بِالْبَعْثِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُمْ، مِنْ طُغْيَانِهِمْ، وَتَرَدُّدِهِمْ فِيهِ عِنْدَ تَعْجِيلِهِ إِجَابَةَ دُعَائِهِمْ فِي الشَّرِّ لَوِ اسْتَجَابَ لَهُمْ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ التَّقَرُّبِ إِلَىٰ الْوَثَنِ الَّذِي يُشْرِكُ بِهِ أَحَدُهُمْ، أَوْ يُضِيفُ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِ.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢﴾ [يونس: ١٢].

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ الشِّدَّةُ وَالْجَهْدُ..

﴿دَعَانَا﴾ اسْتَغَاثَ بِنَا فِي كَشْفِ ذَلِكَ عَنْهُ..

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ مُضْطَجِعًا لِجَنْبِهِ..

﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ الْحَالَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا عِنْدَ نُزُولِ ذَلِكَ الضُّرِّ بِهِ..

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ﴾ فَلَمَّا فَرَّجْنَا عَنْهُ الْجَهْدَ الَّذِي أَصَابَهُ..

﴿مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾ اسْتَمَرَّ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ الْأُولَىٰ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُ الضُّرُّ، وَنَسِيَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ وَالْبَلَاءِ، أَوْ تَنَاسَاهُ، وَتَرَكَ الشُّكْرَ لِرَبِّهِ الَّذِي فَرَّجَ عَنْهُ مَا كَانَ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ حِينَ اسْتَعَاذَ بِهِ، وَعَادَ لِلشِّرْكِ وَدَعْوَىٰ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ أَرْبَابًا مَعَهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا زُيِّنَ لِهَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ، اسْتِمْرَارُهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ بَعْدَ كَشْفِ اللهِ عَنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الضُّرِّ، كَذَلِكَ..

﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ الَّذِينَ أَسْرَفُوا فِي الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، فَتَجَاوَزُوا فِي الْقَوْلِ فِيهِمْ إِلَىٰ غَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُمْ بِهِ..

﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢﴾ [يونس: ١٢] مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَالشِّرْكِ بِهِ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٣﴾ [يونس: ١٣].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْأُمَمَ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَ اللهِ..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ..

﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ لَمَّا أَشْرَكُوا وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ..

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وَهِيَ الْآيَاتُ وَالْحُجَجُ الَّتِي تُبِينُ عَنْ صِدْقِ مَنْ جَاءَ بِهَا..

﴿وَمَا كَانُوا۟﴾ فَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأُمَمُ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا..

﴿لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ﴾ بِرُسُلِهِمْ وَيُصَدِّقُوهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَهْلَكْنَا هَذِهِ الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ وَرَدِّهِمْ نَصِيحَتَهُمْ، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٣﴾ [يونس: ١٣] أَفْعَلُ بِكُمْ فَأُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ بِتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَظُلْمِكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِشِرْكِكُمْ بِرَبِّكُمْ، إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تُنِيبُوا وَتَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ مِنْ شِرْكِكُمْ، فَإِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْكَافِرِ بِي عَلَىٰ كُفْرِهِ عِنْدِي أَنْ أُهْلِكَهُ بِسَخَطِي فِي الدُّنْيَا، وَأُورِدُهُ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [يونس: ١٤].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْقُرُونِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا تَخْلُفُونَهُمْ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وَتَكُونُونَ فِيهَا بَعْدَهُمْ..

﴿لِنَنظُرَ﴾ لِيَنْظُرَ رَبُّكُمْ..

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [يونس: ١٤] أَيْنَ عَمَلُكُمْ مِنْ عَمَلِ مَنْ هَلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ بِذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، تَحْذُونَ مِثَالَهُمْ فِيهِ، فَتَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْعِقَابِ مَا اسْتَحَقُّوا، أَمْ تُخَالِفُونَ سَبِيلَهُمْ، فَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتُقِرُّونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، فَتَسْتَحِقُّونَ مِنْ رَبِّكُمُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [يونس: ١٥].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ وَإِذَا قُرِئَ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿ءَايَاتُنَا﴾ آيَاتُ كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ عَلَىٰ الْحَقِّ دَالَّاتٍ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قَالَ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ عِقَابَنَا، وَلَا يُوقِنُونَ بِالْمَعَادِ إِلَيْنَا، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ..

﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بِقَوْلٍ، أَوْ غَيْرِهِ.. وَالتَّبْدِيلُ الَّذِي سَأَلُوهُ فِيمَا ذُكِرَ، أَنْ يُحَوِّلَ آيَةَ الْوَعِيدِ آيَةَ وَعْدٍ، وَآيَةَ الْوَعْدِ وَعِيدًا، وَالْحَرَامَ حَلَالًا، وَالْحَلَالَ حَرَامًا، فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَيْهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ مَنْ لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ وَلَا يُتَعَقَّبُ قَضَاؤُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ وَمَأْمُورٌ مُتَّبِعٌ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ أَيْ: مِنْ عِنْدِي..

﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ قُلْ لَهُمْ: مَا أَتَّبِعُ فِي كُلِّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ إِلَّا مَا يُنْزِلُهُ إِلَيَّ رَبِّي وَيَأْمُرُنِي بِهِ..

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إِنِّي أَخْشَىٰ مِنَ اللهِ..

﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ إِنْ خَالَفْتُ أَمْرَهُ، وَغَيَّرْتُ أَحْكَامَ كِتَابِهِ، وَبَدَّلْتُ وَحْيَهُ، فَعَصَيْتُهُ بِذَلِكَ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [يونس: ١٥] هَوْلَهُ، وَذَلِكَ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢].

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦﴾ [يونس: ١٦].

﴿قُلْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُعَرِّفَهُ الْحُجَّةَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ ائْتِ

بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أَيْ مَا تَلَوْتُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، بِأَنْ كَانَ لَا يَنْزِلُ عَلَيَّ فَيَأْمُرَنِي بِتِلَاوَتِهِ عَلَيْكُمْ..

﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ وَلَا أَعْلَمَكُمْ بِهِ..

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ فقدْ مَكَثْتُ فِيكُم أَرْبَعينَ سنةً..

﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ مِن قَبْلِ أَنْ أَتْلُوَه عَلَيْكُمْ، وَمِنْ قَبْل أَنْ يُوحِيَهِ إِلَيَّ رَبِّي..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦﴾ [يونس: ١٦] أَنِّي لَو كُنْتُ مُنْتَحِلًا مَا ليسَ لِي مِنَ القَولِ، كنتُ قد انتحلتُه في أيَّامِ شَبَابِي وَحَداثَتِي، وَقبلَ الوقتِ الَّذي تَلوتُه عليكم، فقد كانَ لي اليومُ -لو لم يُوحَ إليَّ وأُومَرُ بتلاوتِه عليكم- مندوحةٌ عن مُعَادَاتِكِم، ومُتَّسَعٌ في الحال التي كنتُ بها مِنْكُم قَبْلَ أنْ يُوحىٰ إليَّ، وَأُومَرُ بتلاوتِه عليكم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ١٧﴾

[يونس: ١٧].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قُل -يا محمد- لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَسَبُوكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ إِلَىٰ الْكَذِبِ: أَيُّ خَلْقٍ أَشَدُّ تَعَدِّيًا، وَأَوْضَعُ لِقِيلِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ مِمَّنْ اخْتَلَقَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وَافْتَرَىٰ عَلَيْهِ بَاطِلًا..

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ يَعْنِي: بِحُجَجِهِ وَرُسُلِهِ وَآيَاتِ كِتَابِهِ، يَقُولُ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: قُلْ لَهُمْ لَيْسَ الَّذِي أَضَفْتُمُونِي إِلَيْهِ بِأَعْجَبَ مِنْ كَذِبِكُمْ عَلَىٰ رَبِّكُمْ وَافْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبِكُمْ بِآيَاتِهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ١٧﴾ [يونس: ١٧] إِنَّهُ لَا يَنْجَحُ الَّذِينَ اجْتَرَمُوا الْكُفْرَ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا لَقُوا رَبَّهُمْ، وَلَا يَنَالُونَ الْفَلَاحَ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ وَيَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ شَيْئًا..

﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْآلِهَةُ وَالْأَصْنَامُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا..

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا رَجَاءَ شَفَاعَتِهَا عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿أَتُنَبِّـُٔونَ﴾ أَتُخْبِرُونَ..

﴿ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ بِمَا لَا يَكُونُ..

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْآلِهَةَ لَا تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: أَتُخْبِرُونَ اللهَ أَنَّ مَا لَا يَشْفَعُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، يَشْفَعُ لَكُمْ فِيهِمَا، وَذَلِكَ بَاطِلٌ لَا تُعْلَمُ حَقِيقَتُهُ وَصِحَّتُهُ، بَلْ يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ ذَلِكَ خِلَافَ مَا تَقُولُونَ، وَأَنَّهَا لَا تَشْفَعُ لِأَحَدٍ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ..

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تَنْزِيهًا للهِ..

﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨] وَعُلُوًّا عَمَّا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ إِشْرَاكِهِمْ فِي عِبَادَةِ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ الْكَذِبَ.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [يونس: ١٩].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلَ دِينٍ وَاحِدٍ وَمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ..

﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فِي دِينِهِمْ، فَافْتَرَقَتْ بِهِمُ السُّبُلُ فِي ذَلِكَ..

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وَلَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ مِنَ اللهِ أَنَّهُ لَا يُهْلِكُ قَوْمًا إِلَّا بَعْدَ انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ..

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [يونس: ١٩] بِأَنْ يُهْلِكَ أَهْلَ الْبَاطِلِ مِنْهُمْ وَيُنْجِي أَهْلَ الْحَقِّ.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ [يونس: ٢٠].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا..

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..

﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ عِلْمٌ وَدَلِيلٌ نَعْلَمُ بِهِ أَنَّ مُحَمَّدًا مُحِقٌّ فِيمَا يَقُولُ، قَالَ اللهُ لَهُ..

﴿فَقُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ لا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِفِعْلِ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَهُوَ السِّرُّ وَالْخَفِيُّ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا اللهُ..

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أَيُّها الْقَوْمُ قَضَاءَ اللهِ بَيْنَنَا بِتَعْجِيلِ عُقُوبَتِهِ لِلْمُبْطِلِ مِنَّا وَإِظْهَارِهِ الْمُحِقَّ عَلَيْهِ..

﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ [يونس: ٢٠] إِنِّي مَعَكُمْ مِمَّنْ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِأَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ.

> ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝٢١﴾ [يونس: ٢١].

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ وَإِذَا رَزَقْنَا الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ فَرَجًا بَعْدَ كَرْبٍ، وَرَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ أَصَابَتْهُمْ..

﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ اسْتِهْزَاءٌ وَتَكْذِيبٌ..

﴿قُلِ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ مِنْ حُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ اللهُ أَسْرَعُ مِحَالًا بِكُمْ وَاسْتِدْرَاجًا لَكُمْ وَعُقُوبَةً مِنْكُمْ مِنَ الْمَكْرِ فِي آيَاتِ اللهِ..

﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ إِنَّ حَفَظَتَنَا الَّذِينَ نُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ أَيُّها النَّاسُ..

﴿يَكْتُبُونَ﴾ عَلَيْكُمْ..

﴿مَا تَمْكُرُونَ ۝٢١﴾ [يونس: ٢١] فِي آيَاتِنَا.

> ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢﴾ [يونس: ٢٢].

﴿هُوَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ أَيُّها النَّاسُ..

﴿فِي ٱلۡبَرِّ﴾ عَلَىٰ الظَّهْرِ..

﴿وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾ فِي الْفُلْكِ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ وَهِيَ السُّفُنُ..

﴿وَجَرَيۡنَ﴾ وَجَرَتِ الْفُلْكُ..

﴿بِهِم﴾ بِالنَّاسِ..

﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ فِي الْبَحْرِ..

﴿وَفَرِحُواْ﴾ وَفَرِحَ رُكْبَانُ الْفُلْكِ..

﴿بِهَا﴾ بِالرِّيحِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي يَسِيرُونَ بِهَا..

﴿جَآءَتۡهَا﴾ جَاءَتِ الْفُلْكَ..

﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ شَدِيدَةٌ..

﴿وَجَآءَهُمُ﴾ وَجَاءَ رُكْبَانَ السَّفِينَةِ..

﴿ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ وَظَنُّوا أَنَّ الْهَلَاكَ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ وَأَحْدَقَ..

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أَخْلَصُوا الدُّعَاءَ للهِ هُنَالِكَ دُونَ أَوْثَانِهِمْ وَآلِهَتِهِمْ، وَكَانَ مَفْزَعُهُمْ حِينَئِذٍ إِلَىٰ اللهِ دُونَهَا..

﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الشِّدَّةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا..

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: ٢٢] لَكَ عَلَىٰ نِعَمِكَ، وَتَخْلِيصِكَ إِيَّانَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، بِإِخْلَاصِنَا الْعِبَادَةَ لَكَ، وَإِفْرَادِ الطَّاعَةَ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ [يونس: ٢٣].

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾ فَلَمَّا أَنْجَىٰ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَنُّوا فِي الْبَحْرِ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ، مِنَ الْجَهْدِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ..

﴿إِذَا هُمۡ﴾ أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ، وَ..

﴿يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فَتَجَاوَزُوا فِيهَا..

﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ إِلَىٰ غَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِيهِ، مِنَ الْكُفْرِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَعَاصِيهِ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، يَقُولُ اللهُ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ إِنَّمَا اعْتِدَاؤُكُمُ الَّذِي تَعْتَدُونَهُ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وَإِيَّاهَا تَظْلِمُونَ، وَهَذَا الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ..

﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بَلَاغٌ تُبَلَّغُونَ بِهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاكُمْ.. كَمَا قَالَ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، بِمَعْنَىٰ: هَذَا بَلَاغٌ..

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا﴾ بَعْدَ ذَلِكَ..

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مَعَادُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿فَنُنَبِّئُكُم﴾ فَنُخْبِرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٣﴾ [يونس: ٢٣] فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَنُجَازِيكُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ [يونس: ٢٤].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إِنَّمَا مَثَلُ مَا تُبَاهُونَ فِي الدُّنْيَا وَتَفَاخَرُونَ بِهِ مِنْ زِينَتِهَا وَأَمْوَالِهَا، مَعَ مَا قَدْ وُكِّلَ بِذَلِكَ مِنَ التَّكْدِيرِ وَالتَّنْغِيصِ وَزَوَالِهِ بِالْفَنَاءِ وَالْمَوْتِ..

﴿كَمَآءٍ﴾ كَمَثَلِ مَطَرٍ..

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أَرْسَلْنَاهُ..

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فَنَبَتَ بِذَلِكَ الْمَطَرِ أَنْوَاعٌ مِنَ النَّبَاتِ، مُخْتَلِطٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ..

﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَسَائِرِ حُبُوبِ الْأَرْضِ وَالْبُقُولِ وَالثِّمَارِ..

﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وَمَا يَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ وَالْبَهَائِمُ مِنَ الْحَشِيشِ وَالْمَرَاعِي..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ ظَهَرَ حُسْنُهَا وَبَهَاؤُهَا..

﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ وَتَزَيَّنَتْ..

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ الْأَرْضِ.. وَخَرَجَ الْخَبَرُ عَنِ الْأَرْضِ، وَالْمَعْنَىٰ لِلنَّبَاتِ؛ إِذْ كَانَ مَفْهُومًا بِالْخِطَابِ مَا عَنَىٰ بِهِ..

﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ عَلَىٰ مَا أَنْبَتَتْ..

﴿أَتَىٰهَآ﴾ جاءَ الأَرْضَ..

﴿أَمْرُنَا﴾ قَضاؤُنَا بِهَلَاكِ مَا عَلَيْهَا مِنَ النَّبَاتِ..

﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ إِمَّا لَيْلًا وَإِمَّا نَهَارًا..

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ فَجَعَلْنَا مَا عَلَيْهَا..

﴿حَصِيدًا﴾ مَقْطُوعَةً مَقْلُوعَةً مِنْ أُصُولِهَا، وَإِنَّمَا هِيَ مَحْصُودَةٌ صُرِفَتْ إِلَىٰ حَصِيدٍ..

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الزُّرُوعُ وَالنَّبَاتُ عَلَىٰ ظَهْرٍ ثَابِتَةً قَائِمَةً عَلَى الأَرْضِ..

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ فَكَذَلِكَ يَأْتِي الْفَنَاءُ عَلَىٰ مَا تَتَبَاهُونَ بِهِ مِنْ دُنْيَاكُمْ وَزَخَارِفِهَا، فَيُفْنِيهَا وَيُهْلِكُهَا كَمَا أَهْلَكَ أَمْرُنَا وَقَضَاؤُنَا نَبَاتَ هَذِهِ الأَرْضِ بَعْدَ حُسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا حَتَّىٰ صَارَتْ ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾، كَأَنْ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ ذَلِكَ نَبَاتًا عَلَىٰ ظَهْرِهَا، فَكَمَا بَيَّنَّا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَثَلَ الدُّنْيَا، وَعَرَّفْنَاكُمْ حُكْمَهَا وَأَمْرَهَا، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ﴾ نُبَيِّنُ..

﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ حُجَجَنَا وَأَدِلَّتَنَا..

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾ [يونس: ٢٤] لِمَنْ تَفَكَّرَ وَاعْتَبَرَ وَنَظَرَ، وَخَصَّ بِهِ أَهْلَ الْفِكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الأُمُورِ وَالْفَحْصِ عَنْ حَقَائِقِ مَا يَعْرِضُ مِنَ الشُّبَهِ فِي الصُّدُورِ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢٥﴾ [يونس: ٢٥].

﴿وَٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَطْلُبُوا الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، فَإِنَّ مَصِيرَهَا إِلَىٰ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ، كَمَا مَصِيرُ النَّبَاتِ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ لَهَا مَثَلًا إِلَىٰ هَلَاكٍ وَبَوَارٍ، وَلَكِنِ اطْلُبُوا الآخِرَةَ الْبَاقِيَةَ، وَلَهَا فَاعْمَلُوا، وَمَا عِنْدَ اللهِ فَالْتَمِسُوا بِطَاعَتِهِ، فَإِنَّ اللهَ..

﴿يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ دَارِهِ، وَهِيَ جَنَّاتُهُ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ، تَسْلَمُوا مِنَ الْهُمُومِ وَالأَحْزَانِ فِيهَا وَتَأْمَنُوا مِنْ فَنَاءِ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ دَخَلَهَا..

﴿وَيَهْدِى﴾ وَهُوَ يَهْدِي..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ فَيُوَفِّقُهُ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢٥﴾ [يونس: ٢٥] لِإِصَابَةِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الإِسْلَامُ الَّذِي جَعَلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَبَبًا لِلْوُصُولِ إِلَىٰ رِضَاهُ، وَطَرِيقًا لِمَنْ رَكِبَهُ وَسَلَكَ فِيهِ إِلَىٰ جَنَّاتِهِ وَكَرَامَتِهِ.

﴿* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦].

﴿* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ عِبَادَةَ اللهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَلْقِهِ فَأَطَاعُوهُ، فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ..

﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْحُسْنَىٰ هِيَ الْجَنَّةُ، جَعَلَهَا اللهُ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْ خَلْقِهِ جَزَاءً، وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهَا النَّظَرُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحُسْنَىٰ وَاحِدَةٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ بِوَاحِدَةٍ، وَالزِّيَادَةُ: التَّضْعِيفُ إِلَىٰ تَمَامِ الْعَشْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحُسْنَىٰ حَسَنَةٌ مِثْلُ حَسَنَةٍ، وَالزِّيَادَةُ: زِيَادَةٌ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الزِّيَادَةُ مَا أُعْطُوا فِي الدُّنْيَا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَعَدَ الْمُحْسِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمُ الْحُسْنَىٰ أَنْ يَجْزِيَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ الْجَنَّةَ، وَأَنْ تَبْيَضَّ وُجُوهُهُمْ، وَوَعَدَهُمْ مَعَ الْحُسْنَىٰ الزِّيَادَةَ عَلَيْهَا، وَمِنَ الزِّيَادَةِ عَلَىٰ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةِ أَنْ يُكْرِمَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُعْطِيَهُمْ غُرَفًا مِنْ لَآلِئٍ، وَأَنْ يَزِيدَهُمْ غُفْرَانًا وَرِضْوَانًا؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ زِيَادَاتِ عَطَاءِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ الْحُسْنَىٰ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لِأَهْلِ جَنَّاتِهِ، وَعَمَّ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ الزِّيَادَاتِ عَلَىٰ الْحُسْنَىٰ، فَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، وَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ أَنْ يَجْمَعَ ذَلِكَ لَهُمْ، بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يَعُمَّ كَمَا عَمَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ..

﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ لَا يَغْشَىٰ..

﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ كَآبَةٌ وَلَا كُسُوفٌ حَتَّىٰ تَصِيرَ مِنَ الْحُزْنِ كَأَنَّمَا عَلَاهَا قَتَرٌ.. وَالْقَتَرُ: الْغُبَارُ وَهُوَ جَمْعُ قَتَرَةٍ..

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ وَلَا هَوَانٌ..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ، هُمْ..

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَسُكَّانُهَا وَمَنْ هُمْ فِيهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦] مَاكِثُونَ أَبَدًا، لَا تَبِيدُ فَيَخَافُوا زَوَالَ نَعِيمِهِمْ، وَلَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ فَتَتَنَغَّصَ عَلَيْهِمْ لَذَّتُهُمْ.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا..

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فِي الدُّنْيَا، فَعَصُوا اللهَ فِيهَا، وَكَفَرُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ﴾ مِنْ عَمَلِهِ السَّيِّئِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الدُّنْيَا..

﴿بِمِثْلِهَا﴾ مِنْ عِقَابِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾ وَتَغْشَاهُمْ..

﴿ذِلَّةٌ﴾ وَهَوَانٌ بِعِقَابِ اللهِ إِيَّاهُمْ..

﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ مَانِعٍ يَمْنَعُهُمْ إِذَا عَاقَبَهُمْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ..

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ﴾ كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ..

﴿وُجُوهُهُمْ﴾ وَجْهُ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ وُجُوهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ..

﴿قِطَعًا﴾ جَمْعُ قِطْعَةٍ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (ظُلْمَةٌ)..

﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ﴾ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا..

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧﴾ [يونس: ٢٧] هُمْ فِيهَا مَاكِثُونَ.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وَيَوْمَ نَجْمَعُ الْخَلْقَ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ جَمِيعًا..

﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾ حِينَئِذٍ..

﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ..

﴿مَكَانَكُمْ﴾ امْكُثُوا مَكَانَكُمْ، وَقِفُوا فِي مَوْضِعِكُمْ..

﴿أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿فَزَيَّلْنَا﴾ فَفَرَّقْنَا، وهُو مِن قَولِهِم: زِلْتُ الشَّيءَ أُزِيلُهُ، إِذَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَأَبَنْتَهُ مِنْهُ.. وَقَالَ: ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ إِرَادَةُ تَكْثِيرِ الْفِعْلِ وَتَكْرِيرِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: (فَزِلْنَا بَيْنَهُمْ)..

﴿بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، وَمَا أَشْرَكُوهُ بِهِ..

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨﴾ [يونس: ٢٨] وَذَلِكَ حِينَ ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ

﴿ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦]، لَمَّا قِيلَ لِلْمُشْرِكِينَ اتَّبِعُوا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَنُصِبَتْ لَهُمْ آلِهَتُهُمْ، قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ هَؤُلَاءِ، فَقَالَتِ الْآلِهَةُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ.

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ٢٩﴾ [يونس: ٢٩].

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ شُرَكَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -إِذْ قَالَ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ لَهَا: إِيَّاكُمْ كُنَّا نَعْبُدُ-: حَسْبُنَا اللهُ..

﴿شَهِيدًۢا﴾ شَاهِدًا..

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّا مَا عَلِمْنَا مَا تَقُولُونَ..

﴿إِن كُنَّا﴾ مَا كُنَّا..

﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ إِيَّانَا دُونَ اللهِ..

﴿لَغَٰفِلِينَ ٢٩﴾ [يونس: ٢٩] إِلَّا غَافِلِينَ، لَا نَشْعُرُ بِهِ، وَلَا نَعْلَمُ.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٣٠﴾ [يونس: ٣٠].

﴿هُنَالِكَ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ﴾ تُخْتَبَرُ بِمَا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ: (تَتْلُو) بِالتَّاءِ، وَاخْتَلَفَ قَارِئُو ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي تَأْوِيلِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُنَالِكَ تَتْبَعُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ فِي الدُّنْيَا لِذَلِكَ الْيَوْمِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَتْلُو كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، يَعْنِي تَقْرَأُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].. وَقَالَ آخَرُونَ: تَبْلُو: تُعَايِنُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَئِمَّةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهُمَا مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ تَبِعَ فِي الْآخِرَةِ مَا أَسْلَفَ مِنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا، هَجَمَ بِهِ عَلَىٰ مَوْرِدِهِ، فَيُخْبَرُ هُنَالِكَ مَا أَسْلَفَ مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّ مَنْ خَبَرَ مَا أَسْلَفَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا يُخْبَرُ بَعْدَ مَصِيرِهِ إِلَىٰ حَيْثُ أَحَلَّهُ مَا قَدَّمَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلِهِ، فَهُوَ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ مُتَّبِعٌ مَا أَسْلَفَ مِنْ عَمَلِهِ، مُخْتَبَرٌ لَهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ، كَمَا وَصَفْنَا، فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ..

﴿وَرُدُّوٓاْ﴾ وَرَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ﴾ الَّذِي هُوَ رَبُّهُمْ وَمَالِكُهُمْ..

﴿ٱلْحَقِّ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ دُونَ مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَهُمْ أَرْبَابٌ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿وَضَلَّ﴾ وَبَطُلَ..

﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٣٠﴾ [يونس: ٣٠] مِنَ الْفِرْيَةِ وَالْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، بِدَعْوَاهِمْ أَوْثَانَهُمْ أَنَّهَا للهِ شُرَكَاءُ، وَأَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ زُلْفَىٰ.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الْغَيْثَ وَالْقَطْرَ، وَيُطْلِعُ لَكُمْ شَمْسَهَا وَيُغْطِشُ لَيْلَهَا، وَيُخْرِجُ ضُحَاهَا..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَمِنَ أَقْوَاتِكُمْ، وَغِذَاءِكُمُ الَّذِي يُنْبِتُهُ لَكُمْ، وَثِمَارِ أَشْجَارِهَا..

﴿أَمَّن﴾ ذَا الَّذِي..

﴿يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ أَسْمَاعَكُمُ الَّتِي تَسْمَعُونَ بِهَا أَنْ يَزِيدَ فِي قُوَاهَا، أَوْ يُسْلِبُكُمُوهَا فَيَجْعَلَكُمْ صُمًّا..

﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ وَأَبْصَارَكُمُ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا، أَنْ يُضِيئَهَا لَكُمْ وَيُنِيرَهَا، أَوْ يَذْهَبَ بِنُورِهَا فَيَجْعَلُكُمْ عُمْيًا لَا تُبْصِرُونَ..

﴿وَمَن يُخْرِجُ﴾ الشَّيْءَ..

﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ﴾ الشَّيْءَ..

﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ وَقُلْ لَهُمْ: مِنْ يُدَبِّرُ أَمْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَأَمْرَكُمْ وَأَمْرَ الْخَلْقِ..

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ فَسَوْفَ يُجِيبُونَكَ بِأَنْ يَقُولُوا الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ اللهُ..

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١] أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ، وَادِّعَائِكُمْ رَبًّا غَيْرَ مَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ صِفَتُهُ، وَعِبَادَتِكُمْ مَعَهُ مَنْ لَا يَرْزُقُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس: ٣٢].

﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِخَلْقِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، فَالَّذِي يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالَ، فَيَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَيَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَيُدَبِّرُ الْأَمْرَ..

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَمَاذَا﴾ فَأَيُّ شَيْءٍ..

﴿بَعْدَ﴾ سِوَىٰ..

﴿ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ إِلَّا الْجَوْرُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، فَإِذَا كَانَ الْحَقُّ هُوَ ذَا، فَادِّعَاؤُكُمْ غَيْرَهُ إِلَهًا وَرَبًّا هُوَ الضَّلَالُ وَالذَّهَابُ عَنِ الْحَقِّ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس: ٣٢] فَأَيُّ وَجْهٍ عَنِ الْهُدَىٰ وَالْحَقِّ تُصْرَفُونَ، وَسِوَاهُمَا تَسْلُكُونَ، وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ الَّذِي تُصْرَفُونَ عَنْهُ هُوَ الْحَقُّ.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾ [يونس: ٣٣].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا قَدْ صُرِفَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَىٰ الضَّلَالِ كَذَلِكَ..

﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وَجَبَ عَلَيْهِمْ قَضَاؤُهُ وَحُكْمُهُ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ فَخَرَجُوا مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَكَفَرُوا بِهِ..

﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾ [يونس: ٣٣] لَا يُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَلَا بِنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣٤﴾ [يونس: ٣٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ مَنْ يُنْشِئُ خَلْقَ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، فَيُحْدِثُ خَلْقَهُ ابْتِدَاءً، ثُمَّ يُفْنِيهِ بَعْدَ إِنْشَائِهِ..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْنِيهِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ دَعْوَىٰ ذَلِكَ لَهَا، وَفِي ذَلِكَ الْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ وَالدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّهَا أَرْبَابٌ، وَهِيَ للهِ فِي الْعِبَادَةِ شُرَكَاءُ كَاذِبُونَ مُفْتَرُونَ، فَـ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ حِينَئِذٍ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ فَيُنْشِئُهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَيُحْدِثُهُ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ثُمَّ يُفْنِيهِ إِذَا شَاءَ..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ إِذَا أَرَادَ، كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ الْفَنَاءِ..

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣٤﴾ [يونس: ٣٤] فَأَيُّ وَجْهٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وَطَرِيقِ الرُّشْدِ تُصْرَفُونَ وَتُقْلَبُونَ.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَذَلِكَ آلِهَتُهُمْ وَأَوْثَانُهُمْ..

﴿مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ﴾ مَنْ يُرْشِدُ ضَالًّا مِنْ ضَلَالَتِهِ إِلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَيُسَدِّدُ جَائِرًا عَنِ الْهُدَىٰ إِلَىٰ وَاضِحِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَدَّعُوا أَنَّ آلِهَتَهُمْ وَأَوْثَانَهُمْ تُرْشِدُ ضَالًّا أَوْ تَهْدِي حَائِرًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنِ ادَّعُوا ذَلِكَ لَهَا أَكْذَبَتْهُمُ الْمُشَاهَدَةُ وَأَبَانَ عَجْزَهَا عَنْ ذَلِكَ الِاخْتِبَارِ بِالْمُعَايَنَةِ، فَإِذَا قَالُوا لَا وَأَقَرُّوا بِذَلِكَ، فَـ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ: فَـ..

﴿ٱللَّهُ يَهْدِي﴾ الضَّالَّ عَنِ الْهُدَىٰ..

﴿لِلْحَقِّۗ﴾ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ﴾ ضَالًّا وَجَائِرًا عَنِ الرُّشْدِ..

﴿إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ إِلَىٰ الرُّشْدِ..

﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ إِلَىٰ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ..

﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أَمْ مَنْ لَا يَهْتَدِي..

﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ﴾ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَيْهِ هَادٍ غَيْرُهُ..

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٥] أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَنَ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ مِنَ الَّذِي لَا يَهْتَدِي إِلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَيْهِ هَادٍ غَيْرُهُ، فَتَتْرُكُوا اتِّبَاعَ مَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَىٰ شَيْءٍ وَعِبَادَتَهُ، وَتَتَّبِعُوا مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبِرِّ وَالْبَحْرِ وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ فَتُفْرِدُوهُ بِهَا وَحْدَهُ دُونَ مَا تُشْرِكُونَهُ فِيهَا مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَوْثَانِكُمْ؟.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [يونس: ٣٦].

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ إِلَّا مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِحَقِيقَتِهِ وَصِحَّتِهِ، بَلْ هُمْ مِنْهُ فِي شَكٍّ وَرِيبَةٍ..

﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾ إِنَّ الشَّكَّ..

﴿لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ لَا يُغْنِي مِنَ الْيَقِينِ شَيْئًا، وَلَا يَقُومُ فِي شَيْءٍ مَقَامَهُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ حَيْثُ يُحْتَاجُ إِلَىٰ الْيَقِينِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ ذُو عِلْمٍ..

﴿بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [يونس: ٣٦] بِمَا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، مِنِ اتِّبَاعِهِمُ الظَّنَّ، وَتَكْذِيبِهِمُ الْحَقَّ الْيَقِينَ، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، حَيْثُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ ظَنُّهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝٣٧﴾ [يونس: ٣٧].

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ مَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْقُرْآنِ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللهِ، يَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَخَرَّصَهُ أَحَدٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]، بِمَعْنَىٰ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ، أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ، وَتَكْذِيبًا مِنْهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: هُوَ شِعْرٌ وَكَهَانَةٌ، وَالَّذِينَ قَالُوا: إِنَّمَا يَتَعَلَّمُهُ مُحَمَّدٌ مِنْ يَعِيشَ الرُّومِيِّ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ لِيَخْتَلِقَهُ أَحَدٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وَلَكِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَنْزَلَهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ؛ أَيْ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ أَنْبِيَاءِ اللهِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ..

﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ﴾ وَتِبْيَانَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَفَرَائِضِهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِمْ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ..

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ..

﴿مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝٣٧﴾ [يونس: ٣٧] مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا افْتِرَاءٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ وَلَا اخْتِلَاقٌ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [يونس: ٣٨].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَمْ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ افْتَرَىٰ مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ نَفْسِهِ، فَاخْتَلَقَهُ وَافْتَعَلَهُ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ: إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُونَ أَنِّي اخْتَلَقْتُهُ وَافْتَرَيْتُهُ، فَإِنَّكُمْ مِثْلِي مِنَ الْعَرَبِ، وَلِسَانِي وَكَلَامِي مِثْلُ لِسَانِكُمْ..

﴿فَأْتُوا﴾ فَجِيئُوا..

﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ.. وَلَمْ يَقُلْ: (مِثْلِهَا، **لِأَنَّ الْكِنَايَةَ أُخْرِجَتْ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ، أَعْنِي مَعْنَىٰ السُّورَةِ، لا عَلَىٰ لَفْظِهَا؛ لِأَنَّهَا لَوْ أُخْرِجَتْ عَلَىٰ لَفْظِهَا لَقِيلَ: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهَا**)..

﴿وَٱدْعُوا﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهَا..

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ مَنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَدْعُوا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَائِكُمْ وَشُرَكَائِكُمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، فَأَجْمِعُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَاجْتَهِدُوا، فَإِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ أَبَدًا..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [يونس: ٣٨] فِي أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، مِنْ جَمِيعِ مَنْ يُعِينُكُمْ عَلَىٰ الْإِتْيَانِ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَلَا شَكَّ أَنَّكُمْ كَذَبَةٌ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا لَنْ يَعْدُو أَنْ يَكُونَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ، فَإِذَا عَجَزَ الْجَمِيعُ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، فَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِجَمِيعِهِ أَعْجَزُ.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [يونس: ٣٩].

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ مَا بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ تَكْذِيبُكَ، وَلَكِنْ بِهِمُ التَّكْذِيبُ..

﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ﴾ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ وَعِيدِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ بَعْدُ بَيَانُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْوَعِيدُ الَّذِي تَوَعَّدَهُمُ اللهُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ بِوَعِيدِ اللهِ، كَذَلِكَ..

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَذَّبَ الْأُمَمُ الَّتِي خَلَتْ قَبْلَهُمْ بِوَعِيدِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿فَٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [يونس: ٣٩] كَيْفَ كَانَ عُقْبَىٰ كُفْرِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، أَلَمْ نُهْلِكْ

بَعْضَهُمْ بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضَهُمْ بِالْخَسْفِ وَبَعْضَهُمْ بِالْغَرَقِ؟ فَإِنَّ عَاقِبَةَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ، وَيَجْحَدُونَ بِآيَاتِي مِنْ كُفَّارِ قَوْمِكَ، كَالَّتِي كَانَتْ عَاقِبَةَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ كَفَرَةِ الْأُمَمِ، إِنْ لَمْ يُنِيبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَيُسَارِعُوا إِلَىٰ التَّوْبَةِ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس: ٤٠].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ مَنْ سَوْفَ يُؤْمِنُ بِهِ، وَيُصَدِّقُ بِالْقُرْآنِ، وَيَقِرُّ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ﴾ أبدًا، وَلَا يُصَدِّقُ بِهِ، وَلَا يَقِرُّ أَبَدًا..

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ..

﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس: ٤٠] بِالْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْهُمْ، الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِهِ أَبَدًا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ عِقَابِهِ، فَأَمَّا مَنْ كَتَبْتُ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ مِنْهُمْ فَإِنِّي سَأَتُوبُ عَلَيْهِ.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١].

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ وَإِنْ كَذَّبَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَرَدُّوا عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿فَقُل﴾ لَهُمْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لِّي عَمَلِي﴾ وَدِينِي..

﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ﴾ وَدِينُكُمْ، لَا يَضُرُّنِي عَمَلُكُمْ، وَلَا يَضُرُّكُمْ عَمَلِي، وَإِنَّمَا يُجَازَىٰ كُلُّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ..

﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ﴾ لَا تُؤَاخَذُونَ بِجَرِيرَتِهِ..

﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١] لَا أُؤَاخَذُ بِجَرِيرَةِ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ [الكافرون: ١-٢-٣]، وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، نَسَخَهَا الْجِهَادُ وَالْأَمْرُ بِالْقِتَالِ، قَالَ عبدُ الرَّحمنِ بْنُ زَيْدٍ: أَمَرَهُ بِهَذَا ثُمَّ نَسَخَهُ، وَأَمَرَهُ بِجِهَادِهِمْ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس: ٤٢].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ﴾ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَىٰ قَوْلِكَ..

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢] أَفَأَنْتَ تَخْلُقُ لَهُمُ السَّمْعَ وَلَوْ كَانُوا لَا سَمْعَ لَهُمْ يَعْقِلُونَ بِهِ، أَمْ أَنَا؟ وَإِنَّمَا هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ، أَنَّ التَّوْفِيقَ لِلْإِيمَانِ بِهِ بِيَدِهِ لَا إِلَىٰ أَحَدٍ سِوَاهُ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: كَمَا أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُسْمِعَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ سَلَبْتُهُ السَّمْعَ، فَكَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهِمَ أَمْرِي وَنَهْيِي قَلْبًا سَلَبْتُهُ فَهْمَ ذَلِكَ، لِأَنِّي خَتَمْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٣].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَيَرَىٰ أَعْلَامَكَ وَحُجَجَكَ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ، وَلَكِنَّ اللهَ قَدْ سَلَبَهُ التَّوْفِيقَ فَلَا يَهْتَدِي، وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَهْدِيَهُ، كَمَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُحْدِثَ لِلْأَعْمَىٰ بَصَرًا يَهْتَدِي بِهِ..

﴿أَفَأَنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٣] تُحْدِثُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَدِلَّتِكَ وَحُجَجِكَ فَلَا يُوَفَّقُونَ لِلتَّصْدِيقِ بِكَ أَبْصَارًا، لَوْ كَانُوا عُمْيًا يَهْتَدُونَ بِهَا وَيُبْصِرُونَ؟ فَكَمَا أَنَّكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا غَيْرُكَ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ، فَكَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ تُبَصِّرَهُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ غَيْرِي، لِأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِي وَإِلَيَّ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَسْلِيَةٌ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَنْ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَدْبَرَ عَنْهُ فَكَذَّبَ، وَتَعْزِيَةٌ لَهُ عَنْهُمْ، وَأَمْرًا بِرَفْعِ طَمَعِهِ مِنْ إِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْهُ، لَا يُعَاقِبُهُمْ إِلَّا بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَلَا يُعَذِّبُهُمْ إِلَّا بِكُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤] وَلَكِنَّ النَّاسَ هُمُ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاجْتِرَامِهِمْ مَا يُورِثُهَا غَضَبُ اللهِ وَسَخَطُهُ.. وَإِنَّمَا هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَنَّهُ لَمْ يُسْلِبْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الْإِيمَانَ ابْتِدَاءً مِنْهُ بِغَيْرِ جُرْمٍ سَلَفَ مِنْهُمْ، وَإِخْبَارٌ أَنَّهُ إِنَّمَا سَلَبَهُمْ ذَلِكَ بِاسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ، سَلَبَهُ لِذُنُوبٍ اكْتَسَبُوهَا، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ قَوْلُ رَبِّهِمْ، ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝٤٥﴾ [يونس: ٤٥].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فَنَجْمَعُهُمْ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿كَأَن﴾ كَأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ﴾ فِيمَا..

﴿بَيْنَهُمْ﴾ ثُمَّ انْقَطَعَتِ الْمَعْرِفَةُ، وَانْقَضَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ، يَقُولُ اللهُ..

﴿قَدْ خَسِرَ﴾ قَدْ غُبِنَ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا ثَوَابَ اللهِ، وَعِقَابَهُ، وَحُظُوظَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَهَلَكُوا..

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝٤٥﴾ [يونس: ٤٥] وَمَا كَانُوا مُوَفَّقِينَ لِإِصَابَةِ الرُّشْدِ، مِمَّا فَعَلُوا مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِلِقَاءِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ أَكْسَبَهُمْ ذَلِكَ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦﴾ [يونس: ٤٦].

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ فِي حَيَاتِكَ..

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبْلَ أَنْ نُرِيَكَ ذَلِكَ فِيهِمْ..

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فَمَصِيرُهُمْ بِكُلِّ حَالٍ إِلَيْنَا وَمُنْقَلَبُهُمْ..

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦﴾ [يونس: ٤٦] ثُمَّ أَنَا شَاهِدٌ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا عَالِمٌ بِهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهَا، وَأَنَا مُجَازِيهِمْ بِهَا -عِنْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيَّ وَمَرْجِعِهِمْ- جَزَاءَهُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧﴾ [يونس: ٤٧].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ خَلَتْ قَبْلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿رَّسُولٌ﴾ أَرْسَلْتُهُ إِلَيْهِمْ، كَمَا أَرْسَلْتُ مُحَمَّدًا إِلَيْكُمْ يَدْعُونَ مَنْ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْهِمْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿قُضِيَ بَيْنَهُم﴾ حِينَئِذٍ..

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ [يونس: ٤٧] مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا، وَلَكِنْ يُجَازَىٰ الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِمَّا أَنْ يُعَاقِبَهُ اللهُ، وَإِمَّا أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ، وَالْكَافِرُ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ؛ فَذَلِكَ قَضَاءُ اللهِ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَذَلِكَ لَا شَكَّ عَدْلٌ لَا ظُلْمٌ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [يونس: ٤٨].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الَّذِي تَعِدُنَا أَنَّهُ يَأْتِينَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ وَذَلِكَ قِيَامُ السَّاعَةِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [يونس: ٤٨] أَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝﴾ [يونس: ٤٩].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُسْتَعْجِلِيكَ وَعِيدَ اللهِ، الْقَائِلِينَ لَكَ: مَتَىٰ يَأْتِينَا الْوَعْدُ الَّذِي تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ..

﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أَيْ لَا أَقْدِرُ لَهَا عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ فِي دُنْيَا وَلَا دِينٍ..

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَنْ أَمْلِكَهُ فَأَجْلِبَهُ إِلَيْهَا بِإِذْنِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: فَإِذَا كُنْتُ لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَأَنَا عَنِ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الْوُصُولِ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَمَعْرِفَةِ قِيَامِ السَّاعَةِ أَعْجَزُ وَأَعْجَزُ، إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَإِذْنِهِ لِي فِي ذَلِكَ..

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ لِكُلِّ قَوْمٍ مِيقَاتٌ لِانْقِضَاءِ مُدَّتِهِمْ وَأَجَلِهِمْ، فَـ

﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ إِذَا جَاءَ وَقْتُ انْقِضَاءِ أَجَلِهِمْ، وَفَنَاءِ أَعْمَارِهِمْ، فَـ

﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عَنْهُ..

﴿سَاعَةً﴾ فَيُمْهَلُونَ وَيُؤَخَّرُونَ..

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝﴾ [يونس: ٤٩] قَبْلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ قَضَىٰ أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ ذَلِكَ قَبْلَ الْحِينِ الَّذِي قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠﴾ [يونس: ٥٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ عَذَابُ اللهِ..

﴿بَيَـٰتًا﴾ لَيْلًا..

﴿أَوْ نَهَارًا﴾ وَجَاءَتِ السَّاعَةُ، وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ أَتَقْدِرُونَ عَلَىٰ دَفْعِ ذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ؟ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ..

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠﴾ [يونس: ٥٠] الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ؟ وَهُمُ الصَّالُونَ بِحَرِّهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ دَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١﴾ [يونس: ٥١].

﴿أَثُمَّ﴾ أَهُنَالِكَ..

﴿إِذَا مَا وَقَعَ﴾ إِذَا وَقَعَ عَذَابُ اللهِ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿ءَامَنتُم﴾ صَدَّقْتُمْ..

﴿بِهِۦٓ﴾ فِي حَالٍ لَا يَنْفَعُكُمْ فِيهَا التَّصْدِيقُ، وَقِيلَ لَكُمْ حِينَئِذٍ..

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾ تُصَدِّقُونَ بِهِ..

﴿وَقَدْ كُنتُم﴾ قَبْلَ الْآنَ..

﴿بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١﴾ [يونس: ٥١] وَأَنْتُمْ بِنُزُولِهِ مُكَذِّبُونَ، فَذُوقُوا الْآنَ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٥٢﴾ [يونس: ٥٢].

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿ذُوقُوا۟﴾ تَجَرَّعُوا..

﴿عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ عَذَابَ اللهِ الدَّائِمَ لَكُمْ أَبَدًا، الَّذِي لَا فَنَاءَ لَهُ وَلَا زَوَالَ..

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ هَلْ تُثَابُونَ..

﴿إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٥٢﴾ [يونس: ٥٢] إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي حَيَاتِكُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ مِنْ مَعَاصِي اللهِ.

﴿* وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥٣].

﴿* وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ وَيَسْتَخْبِرُكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ فَيَقُولُونَ لَكَ..

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أَحَقٌّ مَا تَقُولُ وَمَا تَعِدُنَا بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ جَزَاءً عَلَىٰ مَا كُنَّا نَكْسِبُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ فِي الدُّنْيَا؟..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥٣] وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِي اللهَ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ بِكُمْ بِهَرَبٍ أَوِ امْتِنَاعٍ، بَلْ أَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ، إِذَا أَرَادَ فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يونس: ٥٤].

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ﴾ كَفَرَتْ بِاللهِ..

﴿ظَلَمَتْ﴾ ظُلْمُهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: عِبَادَتُهَا غَيْرَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عِبَادَةً، وَتَرْكُهَا طَاعَةَ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهَا طَاعَتُهُ..

﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ..

﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لَافْتَدَتْ بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا عَايَنَتْهُ..

﴿وَأَسَرُّوا﴾ وَأَخْفَتْ رُؤَسَاءُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ وُضَعَائِهِمْ وَسَفَلَتِهِمْ..

﴿النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا﴾ حِينَ أَبْصَرُوا..

﴿الْعَذَابَ﴾ عَذَابَ اللهِ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ..

﴿وَقُضِيَ﴾ وَقَضَىٰ اللهُ يَوْمَئِذٍ..

﴿بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ الْأَتْبَاعِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْهُمْ..

﴿بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يونس: ٥٤] وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِجَرِيرَتِهِ، وَلَا يَأْخُذُهُ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَلَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْذَرَ وَتَابَعَ عَلَيْهِ الْحُجَجَ.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥﴾ [يونس: ٥٥].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أَلَا إِنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ للهِ مِلْكٌ، لَا شَيْءَ فِيهِ لِأَحَدٍ سِوَاهُ، يَقُولُ: فَلَيْسَ لِهَذَا الْكَافِرِ بِاللهِ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ يَمْلِكُهُ فَيَفْتَدِي بِهِ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِ، وَإِنَّمَا الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لِلَّذِي إِلَيْهِ عِقَابُهُ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ الَّتِي هِيَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ افْتَدَىٰ بِمَا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ بَدَلًا مِنْ عَذَابِهِ فَيُصْرَفُ بِهَا عَنْهُ الْعَذَابُ، فَكَيْفَ وَهُوَ لَا شَيْءَ لَهُ يَفْتَدِي بِهِ مِنْهُ، وَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِ عَذَابُ اللهِ..

﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ يَعْنِي أَنَّ عَذَابَهُ الَّذِي أَوْعَدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ حَقٌّ، فَلَا عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَسْتَعْجِلُوا بِهِ فَإِنَّهُ بِهِمْ وَاقِعٌ لَا شَكَّ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥﴾ [يونس: ٥٥] حَقِيقَةَ وُقُوعِ ذَلِكَ بِهِمْ، فَهُمْ مِنْ أَجْلِ جَهْلِهِمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ.

﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٥٦﴾ [يونس: ٥٦].

﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلُ مَا أَرَادَ فِعْلَهُ مِنْ إِحْيَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا أَرَادَ إِحْيَاءَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَلَا إِمَاتَتَهُمْ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ..

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٥٦﴾ [يونس: ٥٦] وَهُمْ إِلَيْهِ يَصِيرُونَ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ فَيُعَايِنُونَ مَا كَانُوا بِهِ مُكَذِّبِينَ مِنْ وَعِيدِ اللهِ وَعِقَابِهِ؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾ يَعْنِي ذِكْرَىٰ تُذَكِّرُكُمْ عِقَابَ اللهِ وَتُخَوِّفُكُمْ وَعِيدَهُ..

﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، لَمْ يَخْتَلِقْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَمْ يَفْتَعِلْهَا أَحَدٌ، فَتَقُولُوا: لَا نَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ لَا صِحَّةَ لَهَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ الْمَوْعِظَةُ مِنَ اللهِ..

﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ وَدَوَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْجَهْلِ، يَشْفِي بِهِ اللهُ جَهْلَ الْجُهَّالِ، فَيُبْرِئُ بِهِ دَاءَهُمْ وَيَهْدِي بِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أَرَادَ هِدَايَتَهُ بِهِ..

﴿وَهُدٗى﴾ وَهُوَ بَيَانٌ لِحَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ، وَدَلِيلٌ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ..

﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ يَرْحَمُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَنْقِذُهُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ، وَيُنْجِيهِ بِهِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالرَّدَىٰ، فَجَعَلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَحْمَةً..

﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] بِهِ دُونَ الْكَافِرِينَ بِهِ، لِأَنَّ مَنْ كَفَرَ بِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ عَمًّىٰ، وَفِي الْآخِرَةِ جَزَاؤُهُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ الْخُلُودُ فِي لَظَىٰ.

﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِكَ وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَبَيَّنَهُ لَكُمْ وَدَعَاكُمْ إِلَيْهِ..

﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ الَّتِي رَحِمَكُمْ بِهَا، فَأَنْزَلَهَا إِلَيْكُمْ، فَعَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِنْ كِتَابِهِ، وَبَصَّرَكُمْ بِهَا مَعَالِمَ دِينِكُمْ؛ وَذَلِكَ الْقُرْآنُ..

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] فَإِنَّ الْإِسْلَامَ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَالْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ، خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَأَمْوَالِهَا وَكُنُوزِهَا.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾ [يونس: ٥٩].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَرَءَيۡتُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ مَا خَلَقَ اللهُ لَكُمْ مِنَ الرِّزْقِ فَخَوَّلَكُمُوهُ، وَذَلِكَ مَا تَتَغَذُّونَ بِهِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ..

﴿فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا﴾ فَحَلَّلْتُمْ بَعْضَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ، وَحَرَّمْتُمْ بَعْضَهُ عَلَيْهَا؛ وَذَلِكَ كَتَحْرِيمِهِمْ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَهُ مِنْ حُرُوثِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْعَلُونَهَا لِأَوْثَانِهِمْ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وَمِنَ الْأَنْعَامِ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَهُ بِالتَّبْحِيرِ وَالتَّسْيِيبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ﴾ بِأَنْ تُحَرِّمُوا مَا حَرَّمْتُمْ مِنْهُ..

﴿أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ۝٥٩﴾ [يونس: ٥٩] أَيْ تَقُولُونَ الْبَاطِلَ وَتَكْذِبُونَ؟

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦٠﴾ [يونس: ٦٠].

﴿وَمَا ظَنُّ﴾ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ﴾ يَتَخَرَّصُونَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ فَيُضِيفُونَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ، وَالْأَقْوَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ غِذَاءً..

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ أَنَّ اللهَ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكَذِبِهِمْ وَفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ، أَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ يَصْفَحُ عَنْهُمْ وَيَغْفِرُ؟ كَلَّا بَلْ يُصْلِيهِمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ إِنَّ اللهَ لَذُو تَفَضُّلٍ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَةَ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَيْهِ الْكَذِبَ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِمْهَالِهِ إِيَّاهُ إِلَىٰ وُرُودِهِ عَلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦٠﴾ [يونس: ٦٠] ـهُ عَلَىٰ تَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ نِعَمِهِ.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس: ٦١].

﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي شَأۡنٍ﴾ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ﴾ وَمَا تَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللهِ مِنْ قُرْآنٍ..

﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ..

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾ إِلَّا وَنَحْنُ شُهُودٌ لِأَعْمَالِكُمْ وَشُؤُونِكُمْ..

﴿إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ إِذْ تَعْمَلُونَهَا وَتَأْخُذُونَ فِيهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِهِ عَمَلًا، إِلَّا وَهُوَ لَهُ شَاهِدٌ يُحْصِي عَلَيْهِ وَيَعْلَمُهُ، فَهُوَ خَبَرٌ مِنْهُ عَنْ وَقْتِ عَمَلِ الْعَامِلِينَ أَنَّهُ لَهُ شَاهِدٌ، لَا عَنْ وَقْتِ تِلَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ التَّنْزِيلُ: (إِذْ تُفِيضُ فِيهِ)؛ لِأَنَّ النَّبِي ﷺ وَاحِدٌ لَا جَمْعٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ﴾ [يونس: ٦١] فَأَفْرَدَهُ بِالْخِطَابِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ فِي

ابْتِدَائِهِ خِطَابَهُ ﷺ بِالْإِفْرَادِ، ثُمَّ عَوْدِهِ إِلَىٰ إِخْرَاجِ الْخِطَابِ عَلَىٰ الْجَمْعِ، نَظِيرَ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].. ولَو كَانَتْ خَبَرًا عَنْ شُهُودِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَقْتَ إِفَاضَةِ الْقَوْمِ فِي الْقُرْآنِ، لَكَانَتِ الْقِرَاءَةُ بِالْيَاءِ: (إِذْ يُفِيضُونَ فِيهِ) خَبَرًا مِنْهُ عَنِ الْمُكَذِّبِينَ فِيهِ..

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَمَلُ خَلْقِهِ، وَلَا يَذْهَبُ عَلَيْهِ عِلْمُ شَيْءٍ.. وَأَصْلُهُ مِنْ عُزُوبِ الرَّجُلِ عَنْ أَهْلِهِ فِي مَاشِيَتِهِ، وَذَلِكَ غَيْبَتُهُ عَنْهُمْ فِيهَا، يُقَالُ مِنْهُ: عَزَبَ الرَّجُلُ عَنْ أَهْلِهِ يَعْزُبُ، وَيَعْزِبُ، لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، لِاتِّفَاقِ مَعْنَيَيْهِمَا وَاسْتِفَاضَتِهِمَا فِي مَنْطِقِ الْعَرَبِ، غَيْرَ أَنِّي أَمِيلُ إِلَىٰ الضَّمِّ فِيهِ لِأَنَّهُ أَغْلَبُ عَلَىٰ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الْقُرَّاءِ..

﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ مِنْ زِنَةِ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ.. يُحْكَىٰ عَنِ الْعَرَبِ: خُذْ هَذَا فَإِنَّهُ أَخَفُّ مِثْقَالًا مِنْ ذَاكِ؛ أَيْ أَخَفُّ وَزْنًا.. وَالذَّرَّةُ وَاحِدَةُ الذَّرِّ، وَالذَّرُّ: صِغَارُ النَّمْلِ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ حَيْثُ كَانَ مِنْ أَرْضٍ أَوْ سَمَاءٍ..

﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ وَذَلِكَ خَبَرٌ عَنْ أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَصْغَرُ الْأَشْيَاءِ، وَإِنْ خَفَّ فِي الْوَزْنِ كُلَّ الْخِفَّةِ، وَمَقَادِيرُ ذَلِكَ وَمَبْلَغُهُ، وَلَا أَكْبَرُهَا وَإِنْ عَظُمَ وَثَقُلَ وَزْنُهُ، وَكَمْ مَبْلَغُ ذَلِكَ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِخَلْقِهِ: فَلْيَكُنْ عَمَلُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا يُرْضِي رَبَّكُمْ عَنْكُمْ، فَإِنَّا شُهُودٌ لِأَعْمَالِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا شَيْءٌ مِنْهَا، وَنَحْنُ مُحْصُوهَا وَمُجَازُوكُمْ بِهَا..

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ وَمَا ذَاكَ كُلُّهُ إِلَّا فِي كِتَابٍ عِنْدَ اللهِ..

﴿مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١] عَنْ حَقِيقَةِ خَبَرِ اللهِ لِمَنْ نَظَرَ فِيهِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ كَانَ أَوْ يَكُونُ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَاهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْزُبُ عَنِ اللهِ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أَلَا إِنَّ أَنْصَارَ اللهِ.. وَالْأَوْلِيَاءُ جَمْعُ وَلِيٍّ، وَهُوَ النَّصِيرُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا الِاسْمَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ قَوْمٌ يُذْكَرُ اللهُ لِرُؤْيَتِهِمْ لِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سِيمَا الْخَيْرِ وَالْإِخْبَاتِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: فِي ذَلِكَ بِمَا رُوِيَ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ مِنْ غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

[يونس: ٦٢]».. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: الْوَلِيُّ -أَعْنِي: وَلِيَّ اللهِ- هُوَ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ اللهُ بِهَا، وَهُوَ الَّذِي آمَنَ وَاتَّقَىٰ، كَمَا قَالَ اللهُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣] وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، كَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣] (أَبَىٰ أَنْ يَتَقَبَّلَ الْإِيمَانَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ)..

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ رَضِيَ عَنْهُمْ فَآمَنَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢] عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣] اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.. وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مِنْ نَعْتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٤].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۚ﴾ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ.. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمِنَ الْبِشَارَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ، وَمِنْهَا بُشْرَىٰ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ بِرَحْمَةِ اللهِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي تَحْضُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، تَقُولُ لِنَفْسِهِ: «**اخْرُجِي إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ**»، وَمِنْهَا: بُشْرَىٰ اللهِ إِيَّاهُ مَا وَعَدَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]..الْآيَةَ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ بُشْرَىٰ اللهِ إِيَّاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَشَّرَهُ بِهَا، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، فَذَلِكَ مِمَّا عَمَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْجَنَّةُ..

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ إِنَّ اللهَ لَا خُلْفَ لِوَعْدِهِ، وَلَا تَغْيِيرَ لِقَوْلِهِ عَمَّا قَالَ؛ وَلَكِنَّهُ يُمْضِي

لِخَلْقِهِ مَوَاعِيدَهُ، وَيُنْجِزُهَا لَهُمْ.. قَالَ نَافِعٌ: (أَطَالَ الْحَجَّاجُ الْخُطْبَةَ، فَوَضَعَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِي، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَدَّلَ كِتَابَ اللهِ فَقَعَدَ ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ: لَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ ذَاكَ، وَلَا ابْنُ الزُّبَيْرِ ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: لَقَدْ أُوتِيتَ عِلْمًا إِنْ نَفَعَكَ)..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ هِيَ..

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٤] الظَّفَرُ بِالْحَاجَةِ وَالطَّلِبَةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾ [يونس: ٦٥].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَوْلُهُمْ﴾ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي رَبِّهِمْ مَا يَقُولُونَ، وَإِشْرَاكِهِمْ مَعَهُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ؛ فَـ..

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِعِزَّةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا، وَهُوَ الْمُنْتَقِمُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ مَا يَقُولُونَ، فَلَا يَنْصُرُهُمْ عِنْدَ انْتِقَامِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَازُّهُ شَيْءٌ..

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ ذُو السَّمْعِ لِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْفِرْيَةِ وَالْكَذِبِ عَلَيْهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾ [يونس: ٦٥] وَذُو عِلْمٍ بِمَا يُضْمِرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَيُعْلِنُونَهُ، مُحْصِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُلَّهُ، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٦٦﴾ [يونس: ٦٦].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾ يَا مُحَمَّدُ كُلُّ..

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَعَبِيدًا، لَا مَالِكَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سِوَاهُ، يَقُولُ: فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا مَعْبُودًا مَنْ يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَهِيَ للهِ مِلْكٌ، وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ لِلْمَالِكِ دُونَ الْمَمْلُوكِ، وَلِلرَّبِّ دُونَ الْمَرْبُوبِ..

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ، يَعْنِي غَيْرَ اللهِ وَسِوَاهُ شُرَكَاءَ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ مَنْ يَقُولُ للهِ شُرَكَاءُ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ كَاذِبًا، وَاللهُ الْمُنْفَرِدُ بِمِلْكِ كُلِّ شَيْءٍ فِي سَمَاءٍ كَانَ أَوْ أَرْضٍ..

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ مَا يَتَّبِعُونَ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ وَدَعْوَاهُمْ إِلَّا الظَّنَّ، يَقُولُ: إِلَّا الشَّكَّ لَا الْيَقِينَ..

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٦٦﴾ [يونس: ٦٦] وَإِنْ هُمْ يَتَقَوَّلُونَ الْبَاطِلَ تَظَنُّنًا وَتَخَرُّصًا لِلْإِفْكِ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِمَا يَقُولُونَ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٦٧﴾ [يونس: ٦٧].

﴿هُوَ﴾ الرَّبُّ الَّذِي اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ وَفَصَلَهُ مِنَ النَّهَارِ..

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ فِي نَهَارِكُمْ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، وَتَهْدَءُوا فِيهِ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالْحَرَكَةِ لِلْمَعَاشِ وَالْعَنَاءِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ بِالنَّهَارِ..

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ وَجَعَلَ النَّهَارَ مُبْصِرًا، فَأَضَافَ الْإِبْصَارَ إِلَى النَّهَارِ، وَإِنَّمَا يُبْصَرُ فِيهِ، وَلَيْسَ النَّهَارُ مِمَّا يُبْصِرُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَفْهُومًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ، خَاطَبَهُمْ بِمَا فِي لُغَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَهَذَا الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ هُوَ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ، لَا مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ حَالِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَحَالِ أَهْلِهِمَا فِيهِمَا..

﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دَلَالَةً وَحُجَجًا عَلَى أَنَّ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ خَالِصًا بِغَيْرِ شَرِيكٍ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَخَالَفَ بَيْنَهُمَا، بِأَنْ جَعَلَ هَذَا لِلْخَلْقِ سَكَنًا، وَهَذَا لَهُمْ مَعَاشًا، دُونَ مَنْ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ..

﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٦٧﴾ [يونس: ٦٧] لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ: الَّذِينَ يَسْمَعُونَ هَذِهِ الْحُجَجَ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِيهَا فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيَتَّعِظُونَ، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِآذَانِهِمْ، ثُمَّ يُعْرِضُونَ عَنْ عِبَرِهِ وَعِظَاتِهِ.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾ [يونس: ٦٨].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، يَقُولُ اللهُ مُنَزِّهًا نَفْسَهُ عَمَّا قَالُوا وَافْتَرَوْا

عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ سُبْحَانَ اللهُ، تَنْزِيهًا للهِ عَمَّا قَالُوا وَادَّعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ اللهُ غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ وَلَدٍ، لِأَنَّ الْوَلَدَ إِنَّمَا يَطْلُبُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ لِيَكُونَ عَوْنًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَذِكْرًا لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَاللهُ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ غَنِيٌّ، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ مُعِينٍ يُعِينُهُ عَلَىٰ تَدْبِيرِهِ، وَلَا يَبِيدُ فَيَكُونُ بِهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ خَلَفٍ بَعْدَهُ..

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مِلْكًا، وَالْمَلَائِكَةُ عِبَادُهُ وَمِلْكُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَبْدُ الرَّجُلِ وَمِلْكُهُ لَهُ وَلَدًا؟! يَقُولُ: أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ خَطَأً مَا تَقُولُونَ؟..

﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ مَا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ بِمَا تَقُولُونَ وَتَدَّعُونَ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللهِ مِنْ حُجَّةٍ تَحْتَجُّونَ بِهَا، وَهِيَ السُّلْطَانُ..

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ [يونس: ٦٨] حَقِيقَتَهُ وَصِحَّتَهُ، وَتُضِيفُونَ إِلَيْهِ مَا لَا يَجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ جَهْلًا مِنْكُمْ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ [يونس: ٦٩].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ فَيَقُولُونَ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ، وَيَدَّعُونَ لَهُ وَلَدًا..

﴿لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ [يونس: ٦٩] لَا يَبْقَوْنَ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ لَهُمْ.

﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [يونس: ٧٠].

﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يُمَتَّعُونَ بِهِ، وَبَلَاغٌ يَتَبَلَّغُونَ بِهِ إِلَىٰ الْأَجَلِ الَّذِي كُتِبَ فَنَاؤُهُمْ فِيهِ..

﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ ثُمَّ إِذَا انْقَضَىٰ أَجَلُهُمُ الَّذِي كُتِبَ لَهُمْ، إِلَيْنَا مَصِيرُهُمْ وَمُنْقَلَبُهُمْ..

﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ وَذَلِكَ إِصْلَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [يونس: ٧٠] بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، فَيُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ وَيَجْحَدُونَ آيَاتِهِ.

﴿* وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾ [يونس: ٧١].

﴿* وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ وَاتْلُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي قَالُوا: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا مِنْ قَوْمِكَ..

﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ خَبَرَ نُوحٍ..

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ إِنْ كَانَ عَظُمَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ..

﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَوَعْظِي إِيَّاكُمْ بِحُجَجِ اللهِ، وَتَنْبِيهِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ إِنْ كَانَ شَقَّ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ، فَعَزَمْتُمْ عَلَىٰ قَتْلِي أَوْ طَرْدِي مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَعَلَىٰ اللهِ اتِّكَالِي وَبِهِ ثِقَتِي وَهُوَ سَنَدِي وَظَهْرِي..

﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ فَأَعِدُّوا أَمْرَكُمْ وَاعْزِمُوا عَلَىٰ مَا تُقْدِمُونَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِي، يُقَالُ مِنْهُ: أَجْمَعْتُ عَلَىٰ كَذَا، بِمَعْنَىٰ: عَزَمْتُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلَىٰ الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صَوْمَ لَهُ**» بِمَعْنَىٰ: مَنْ لَمْ يَعْزِمْ..

﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ..

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ مُلْتَبِسًا مُشْكَلًا مُبْهَمًا؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: غُمَّ عَلَىٰ النَّاسِ الْهِلَالُ، وَذَلِكَ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَتَبَيَّنُوهُ..

﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ثُمَّ امْضُوا إِلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ وَافْرُغُوا مِنْهُ..

﴿وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾ [يونس: ٧١] وَلَا تُؤَخِّرُونَ.. مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَنْظَرْتُ فُلَانًا بِمَا لِي عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ.. وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ نَبِيِّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ بِنُصْرَةِ اللهِ لَهُ عَلَيْهِمْ وَاثِقٌ وَمِنْ كَيْدِهِمْ غَيْرُ خَائِفٍ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، يَقُولُ لَهُمْ: امْضُوا مَا تُحَدِّثُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ فِيَّ عَلَىٰ عَزْمٍ مِنْكُمْ صَحِيحٍ، وَاسْتَعِينُوا مَنْ شَايَعَكُمْ عَلَيَّ بِآلِهَتِكُمُ الَّتِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَا تُؤَخِّرُوا ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، وَأَنَا بِهِ وَاثِقٌ أَنَّكُمْ لَا تَضُرُّونِي إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ نُوحٍ، فَإِنَّهُ حَثٌّ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ التَّأَسِّي بِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ فِيمَا قَلَّدَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْبَلَاغِ عَنْهُ.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾

[يونس: ٧٢].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نَبِيِّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَنِّي بَعْدَ دُعَائِي إِيَّاكُمْ وَتَبْلِيغِ رِسَالَةَ رَبِّي إِلَيْكُمْ مُدْبِرِينَ، فَأَعْرَضْتُمْ عَمَّا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَتَرْكِ إِشْرَاكِ الْآلِهَةِ فِي عِبَادَتِهِ، فَبِتَضْيِيعٍ مِنْكُمْ، وَتَفْرِيطٍ فِي وَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكُمْ، لَا بِسَبَبٍ مِنْ قِبَلِي..

﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ فَإِنِّي لَمْ أَسْأَلْكُمْ عَلَىٰ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ أَجْرًا، وَلَا عِوَضًا أَعْتَاضُهُ مِنْكُمْ بِإِجَابَتِكُمْ إِيَّايَ إِلَىٰ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَلَا طَلَبْتُ مِنْكُمْ عَلَيْهِ ثَوَابًا وَلَا جَزَاءً..

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ إِنْ جَزَائِيَ، وَأَجْرُ عَمَلِي، وَثَوَابُهُ..

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَلَا عَلَىٰ غَيْرِكُمْ..

﴿وَأُمِرْتُ﴾ وَأَمَرَنِي رَبِّي..

﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢] الْمُذْعِنِينَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، الْمُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، الْمُتَذَلِّلِينَ لَهُ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَبِأَمْرِهِ آمُرُكُمْ بِتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: ٧٣].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبَ نُوحًا قَوْمُهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ عَنِ اللهِ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْوَحْيِ..

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ﴾ مِمَّنْ حَمَلَ مَعَهُ..

﴿فِي الْفُلْكِ﴾ فِي السَّفِينَةِ..

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ نَجَّيْنَا مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ..

﴿خَلَائِفَ﴾ فِي الْأَرْضِ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ..

﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ بَعْدَ أَنْ أَغْرَقْنَا..

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يَعْنِي حُجَجَنَا وَأَدِلَّتَنَا عَلَىٰ تَوْحِيدِنَا، وَرِسَالَةِ رَسُولِنَا نُوحٍ..

﴿فَانظُرْ﴾ يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: ٧٣] وَهُمُ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمْ نُوحٌ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ

إِيَّاهُ، وَعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ، يَقُولُ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: انْظُرْ مَاذَا أَعْقَبَهُمْ تَكْذِيبُهُمْ رَسُولَهُمْ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْ قَوْمِكَ إِنْ تَمَادُوا فِي كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ نَحْوُ الَّذِي كَانَ مِنْ عَاقِبَةِ قَوْمِ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوهُ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَلْيَحْذَرُوا أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس: ٧٤].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ..

﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم﴾ فَأَتَوْهُمْ..

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِبَيِّنَاتٍ مِنَ الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، وَأَنَّهُمْ للهِ رُسُلٌ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ حَقٌّ..

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ لِيُصَدِّقُوا بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ..

﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ بِمَا كَذَّبَ بِهِ قَوْمُ نُوحٍ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا طَبَعْنَا عَلَىٰ قُلُوبِ أُولَئِكَ فَخَتَمْنَا عَلَيْهَا، فَلَمْ يَكُونُوا يَقْبَلُونَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ نَصِيحَتَهُمْ وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لِدُعَائِهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِمَا اجْتَرَمُوا مِنَ الذُّنُوبِ، وَاكْتَسَبُوا مِنَ الْآثَامِ، كَذَلِكَ..

﴿نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس: ٧٤] نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ مَنِ اعْتَدَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ، فَتَجَاوَزَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَخَالَفَ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رُسُلُهُمْ مِنْ طَاعَتِهِ، عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونس: ٧٥].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ..

﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ابْنَيْ عِمْرَانَ..

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ مِصْرَ..

﴿وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ وَسَادَتِهِمْ..

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ بِأَدِلَّتِنَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ الْإِذْعَانِ للهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَالْإِقْرَارِ لَهُمَا بِالرِّسَالَةِ..

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عَنِ الْإِقْرَارِ بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَهَارُونُ..

﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٧٥﴾ [يونس: ٧٥] آثِمِينَ بِرَبِّهِمْ؛ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ تَعَالَىٰ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧٦﴾ [يونس: ٧٦].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيَانُ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَهَارُونُ، وَذَلِكَ الْحُجَجُ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧٦﴾ [يونس: ٧٦] يَعْنُونَ: أَنَّهُ يَبِينُ لِمَنْ رَآهُ وَعَايَنَهُ أَنَّهُ سِحْرٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ۝٧٧﴾ [يونس: ٧٧].

﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ لَهُمْ..

﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهِيَ الْآيَاتُ الَّتِي أَتَاهُمْ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ صِدْقِهِ، سِحْرٌ..

﴿أَسِحْرٌ هَـٰذَا﴾ الْحَقُّ الَّذِي تَرَوْنَهُ؟.. فَيَكُونُ السِّحْرُ الْأَوَّلُ مَحْذُوفًا اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِ مُوسَىٰ ﴿أَسِحْرٌ هَـٰذَا﴾، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] وَالْمَعْنَىٰ: بَعَثْنَاهُمْ لِيَسُوؤُوا وجُوهَكُمْ، فتَرَكَ ذَلِكَ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، فِي أَشْبَاهٍ لِمَا ذَكَرْنَا كَثِيرَةٍ يُتْعِبُ إِحْصَاؤُهَا..

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ۝٧٧﴾ [يونس: ٧٧] وَلَا يَنْجَحُ السَّاحِرُونَ وَلَا يَبْقَوْنَ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۝٧٨﴾ [يونس: ٧٨].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ لِمُوسَىٰ..

﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ لِتَصْرِفَنَا وَتَلْوِيَنَا.. يُقَالُ مِنْهُ: لَفَتَ فُلَانٌ عُنُقَ فُلَانٍ إِذَا لَوَاهَا..

﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ مِنْ قَبْلِ مَجِيئِكَ مِنَ الدِّينِ..

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يَعْنِي الْعَظَمَةَ، والْمُلْكَ، والسُّلْطَانَ فِي الْأَرْضِ، وَهَذِهِ الْأَقْوالُ كُلُّهَا مُتَقَارِبَاتِ الْمَعانِي، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُلْكَ سُلْطَانٌ، وَالطَّاعَةَ مُلْكٌ؛ غَيْرَ أَنَّ مَعْنَىٰ الْكِبْرِيَاءِ هُوَ مَا ثَبَتَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ عَظَمَةً بِمُلْكٍ وَسُلْطَانٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا﴾ يَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ..

﴿بِمُؤْمِنِينَ ۝٧٨﴾ [يونس: ٧٨] بِمُقِرِّينَ بِأَنَّكُمَا رَسُولَانِ أُرْسِلْتُمَا إِلَيْنَا.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝٧٩﴾ [يونس: ٧٩].

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لِقَوْمِهِ..

﴿ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ مَنْ يَسْحَرُ مِنَ السَّحَرَةِ..

﴿عَلِيمٍ ۝٧٩﴾ [يونس: ٧٩] بِالسِّحْرِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠﴾ [يونس: ٨٠].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ فِرْعَوْنَ..

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠﴾ [يونس: ٨٠] مِنْ حِبَالِكُمْ وَعِصِيِّكُمْ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ قَدْ تُرِكَ، وَهُوَ: فَأَتَوْهُ بِالسَّحَرَةِ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ، وَلَكِنِ اكْتَفَىٰ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَتُرِكَ ذِكْرُهُ.. وَكَذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠﴾ مَحْذُوفٌ أَيْضًا قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ: فَأَلْقَوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ﴾، وَلَكِنِ اكْتُفِي بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، فَتُرِكَ ذِكْرُهُ.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس: ٨١].

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ مَا هُمْ مُلْقُوهُ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ﴾ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ أَيُّهَا السَّحَرَةُ هُوَ السِّحْرُ الَّذِي وَصَفْتُمْ بِهِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ، هُوَ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ أَنْتُمْ لَا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَنَا، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ، فَقَالَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ سَيُذْهِبُ بِهِ، فَذَهَبَ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيْهِ عَصَا مُوسَىٰ، قَدْ حَوَّلَهَا ثُعْبَانًا يَتَلَقَّفُهُ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝﴾ [يونس: ٨١] أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ مَنْ سَعَىٰ فِي أَرْضِ اللهِ بِمَا يَكْرَهُهُ وَعَمِلَ فِيهَا بِمَعَاصِيهِ.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝﴾ [يونس: ٨٢].

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ مُوسَىٰ أَنَّهُ قَالَ لِلسَّحَرَةِ: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾، يَقُولُ: وَيُثْبِتُ اللهُ الْحَقَّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُعْلِيهِ عَلَىٰ بَاطِلِكُمْ، وَيُصَحِّحُهُ..

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بِأَمْرِهِ..

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝﴾ [يونس: ٨٢] الَّذِينَ اكْتَسَبُوا الْإِثْمَ بِرَبِّهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝﴾ [يونس: ٨٣].

﴿فَمَآ ءَامَنَ﴾ فَلَمْ يُؤْمِنْ..

﴿لِمُوسَىٰٓ﴾ مَعَ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ..

﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ إِلَّا ذُرِّيَّةً مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مُوسَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِطُولِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّ الْآبَاءَ مَاتُوا وَبَقِيَ الْأَبْنَاءُ، فَقِيلَ لَهُمْ ذُرِّيَّةٌ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا ذُرِّيَّةَ مَنْ هَلَكَ مِمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مُوسَىٰ ﷺ.. وَبَعْدُ، فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ﴾ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ لَا مِنْ ذِكْرِ فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنْ ذِكْرِ فِرْعَوْنَ لَكَانَ الْكَلَامُ: (عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْهُ)، وَلَمْ يَكُنْ ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ﴾..

﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ﴾ عَلَىٰ حَالِ خَوْفٍ مِمَّنْ آمَنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمِ مُوسَىٰ بِمُوسَىٰ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ فِرْعَوْنَ..

﴿وَمَلَإِيْهِمۡ﴾ الْمَلَأُ: الْأَشْرَافُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَمِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ اللَّتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَلَإِيْهِمۡ﴾ عَنَىٰ بِهَا الذُّرِّيَّةَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ، عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَمَلَأِ الذُّرِّيَّةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي ذُرِّيَّةِ الْقَرْنِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مُوسَىٰ مَنْ كَانَ أَبُوهُ قِبْطِيًّا وَأُمُّهُ إِسْرَائِيلِيَّةً، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ مِنْهُمْ كَانَ مَعَ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾ كَانَ إِيمَانُ مَنْ آمَنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمِ مُوسَىٰ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ أَنْ يَفْتِنَهُمْ بِالْعَذَابِ، فَيَصُدَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَيَحْمِلَهُمْ عَلَىٰ الرُّجُوعِ عَنْ إِيمَانِهِمْ، وَالْكُفْرِ بِاللهِ، وَقَالَ: ﴿أَن

﴿يَفْتِنَهُمْ﴾ فَوَحَّدَ وَلَمْ يَقُلْ: (أَنْ يَفْتِنُوهُمْ)، لِدَلِيلِ الْخَبَرِ عَنْ فِرْعَوْنَ بِذَلِكَ، أَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ لِمَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾..

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَجَبَّارٌ مُسْتَكْبِرٌ عَلَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ..

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٨٣﴾ [يونس: ٨٣] الْمُتَجَاوِزِينَ الْحَقَّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، وَذَلِكَ كُفْرُهُ بِاللهِ، وَتَرْكُهُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَجُحُودُهُ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَادِّعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ الْأُلُوهَةَ، وَسَفْكُهُ الدِّمَاءَ بِغَيْرِ حِلِّهَا.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس: ٨٤].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ نَبِيِّهِ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ إِنْ كُنْتُمْ أَقْرَرْتُمْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَصَدَّقْتُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ..

﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ فَبِهِ فَثِقُوا، وَلِأَمْرِهِ فَسَلِّمُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْذُلَ وَلِيَّهُ، وَلَنْ يُسْلِمَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ..

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس: ٨٤] مُذْعِنِينَ للهِ بِالطَّاعَةِ، فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥﴾ [يونس: ٨٥].

﴿فَقَالُواْ﴾ فَقَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ وَبِهِ وَثِقْنَا، وَإِلَيْهِ فَوَّضْنَا أَمْرَنَا..

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥﴾ [يونس: ٨٥] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أَنَّهُمْ دَعَوا رَبَّهُمْ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا لَا تَخْتَبِرْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، وَلَا تَمْتَحِنْهُمْ بِنَا؛ يَعْنُونَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَىٰ الَّذِي سَأَلُوهُ رَبَّهُمْ مِنْ إِعَادَتِهِ ابْتِلَاءِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ بِهِمْ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَأَلُوهُ أَنْ لَا يُظْهِرَهُمْ عَلَيْهِمْ، فَيَظُنُّوا أَنَّهُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سُلِّطُوا عَلَيْهِمْ لِكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ، وَهَوَانِ الْآخَرِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا فَيَفْتِنُونَا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقَوْمَ رَغِبُوا إِلَىٰ اللهِ فِي أَنْ يُجِيرَهُمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مِحْنَةً لِقَوْمِ فِرْعَوْنَ وَبَلَاءً، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ كَانَ لَهُمْ مَصَدَّةٌ عَنِ اتِّبَاعِ مُوسَىٰ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ ذلكَ أَنْ يُسَلَّطُوا عليهم، فإِنَّ ذلكَ كان لا شكَّ -لو كان- مِن أعظمِ الْأُمُورِ لَهُمْ إِبْعَادًا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَكَذَلِكَ مِنَ الْمَصَدَّةِ كَانَ لَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، أَنْ لَوْ كَانَ قَوْمُ مُوسَىٰ عَاجَلَتْهُمْ مِنَ اللهِ مِحْنَةٌ فِي أَنْفُسِهِمْ، مِنْ بَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِهِمْ، فَاسْتَعَاذَ الْقَوْمُ بِاللهِ مِنْ كُلِّ مَعْنَىٰ يَكُونُ صَادًّا لِقَوْمِ فِرْعَوْنَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ بِأَسْبَابِهِمْ.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٦].

﴿وَنَجِّنَا﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿بِرَحْمَتِكَ﴾ فَخَلِّصْنَا..

﴿مِنَ﴾ أَيْدِي..

﴿الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٦] قَوْمِ فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَعْبِدُونَهُمْ، وَيَسْتَعْمِلُونَهُمْ فِي الْأَشْيَاءِ الْقَذِرَةِ مِنْ خِدْمَتِهِمْ.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس: ٨٧].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ﴾ اتَّخِذَا..

﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَسَاجِدَ تُصَلُّونَ فِيهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَاجْعَلُوا مَسَاجِدَكُمْ قِبَلَ الْكَعْبَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ يُقَابِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الَّذِي قَدَّمْنَا بَيَانَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعَانِي الْبُيُوتِ - وَإِنْ كَانَتِ الْمَسَاجِدُ بُيُوتًا - الْبُيُوتُ الْمَسْكُونَةُ إِذَا ذُكِرَتْ بِاسْمِهَا الْمُطْلَقِ دُونَ الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لَهَا اسْمٌ هِيَ بِهِ مَعْرُوفَةٌ خَاصٌّ لَهَا، وَذَلِكَ الْمَسَاجِدُ، فَأَمَّا الْبُيُوتُ الْمُطْلَقَةُ بِغَيْرِ وَصْلِهَا بِشَيْءٍ، وَلَا إِضَافَتِهَا إِلَىٰ شَيْءٍ، فَالْبُيُوتُ الْمَسْكُونَةُ، وَكَذَلِكَ الْقِبْلَةُ الْأَغْلَبُ مِنَ اسْتِعْمَالِ النَّاسِ إِيَّاهَا فِي قِبَلِ الْمَسَاجِدِ وَالصَّلَوَاتِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرُ جَائِزٍ تَوْجِيهَ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ إِلَّا إِلَىٰ الْأَغْلَبِ مِنْ وُجُوهِهَا الْمُسْتَعْمَلِ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، دُونَ الْخَفِيِّ الْمَجْهُولِ، مَا لَمْ تَأْتِ دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ دَلَالَةٌ تَقْطَعُ الْعُذْرَ بِأَنَّ مَعْنَاهُ غَيْرُ الظَّاهِرِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، لَمْ يَجُزْ لَنَا تَوْجِيهُهُ إِلَىٰ غَيْرِ الظَّاهِرِ الَّذِي وَصَفْنَا..

﴿وَأَقِيمُوا﴾ وَأَدُّوا..

﴿الصَّلَاةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا..

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس: ٨٧] وَبَشِّرْ مُقِيمِي الصَّلَاةِ الْمُطِيعِي اللهِ يَا مُحَمَّدُ، الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنْهُ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

[يونس: ٨٨].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ يَا..

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ﴾ أَعْطَيْتَ..

﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ﴾ وَكُبَرَاءَ قَوْمِهِ، وَأَشْرَافَهُمْ، وَهُمُ الْمَلَأُ..

﴿زِينَةً﴾ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَأَثَاثِهَا..

﴿وَأَمْوَٰلًا﴾ مِنْ أَعْيَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ يَقُولُ مُوسَىٰ لِرَبِّهِ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَهُمْ مَا أَعْطَيْتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِيُضِلُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيَصُدُّوا عِبَادَكَ عَنْ دِينِكَ عُقُوبَةً مِنْكَ..

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ هَذَا دُعَاءٌ مِنْ مُوسَىٰ، دَعَا اللهَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ أَنْ يُغَيِّرَ أَمْوَالَهُمْ عَنْ هَيْئَتِهَا، وَيُبْدِلَهَا إِلَىٰ غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي هِيَ بِهَا، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧]، يَعْنِي بِهِ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نُغَيِّرَهَا عَنْ هَيْئَتِهَا الَّتِي هِيَ بِهَا، وَقَدْ تَسْتَعْمِلُ الْعَرَبُ الطَّمْسَ فِي الْعَفْوِ وَالدُّثُورِ وَفِي الِانْدِقَاقِ وَالدُّرُوسِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (بَلَغَنَا أَنَّ زُرُوعَهُمْ تَحَوَّلَتْ حِجَارَةً).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَقَدْ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ؛ طَمَسَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ، فَصَارَتْ حِجَارَةً، ذَهَبُهُمْ، وَدَرَاهِمُهُمْ، وَعَدَسُهُمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ).

﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَاطْبَعْ عَلَيْهَا حَتَّىٰ لَا تَلِينَ وَلَا تَنْشَرِحَ بِالْإِيمَانِ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ، وَحَالَ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَبَيْنَ الْإِيمَانَ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ الْإِيمَانُ..

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ فَلَا يُصَدِّقُوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَيُقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨] حَتَّىٰ يَرَوُا الْغَرَقَ.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُمَا.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ إِجَابَتِهِ لِمُوسَىٰ ﷺ وَهَارُونَ دُعَاءَهُمَا عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فِي فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَأَمْوَالِهِمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ نُسِبَتِ الْإِجَابَةُ إِلَىٰ اثْنَيْنِ، وَالدُّعَاءُ إِنَّمَا كَانَ مِنْ وَاحِدٍ قِيلَ: إِنَّ الدَّاعِيَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا، فَإِنَّ الثَّانِي كَانَ مُؤَمِّنًا وَهُوَ هَارُونُ،

فَلِذَلِكَ نُسِبَتِ الْإِجَابَةُ إِلَيْهِمَا، لِأَنَّ الْمُؤَمِّنَ دَاعٍ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ الْعَرَبَ تُخَاطِبُ الْوَاحِدَ خِطَابَ الِاثْنَيْنِ.. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: (**يَقُولُونَ: إِنَّ فِرْعَوْنَ مَكَثَ بَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً**)..

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ فَامْضِيَا لِأَمْرِي..

﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ﴾ وَلَا تَسْلُكَانِ..

﴿سَبِيلَ﴾ طَرِيقَ..

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩] الَّذِينَ يَجْهَلُونَ حَقِيقَةَ وَعْدِي، فَتَسْتَعْجِلَانِ قَضَائِي، فَإِنَّ وَعْدِيَ لَا خَالِفَ لَهُ، وَإِنَّ وَعِيدِيَ نَازِلٌ بِفِرْعَوْنَ، وَعَذَابِي وَاقِعٌ بِهِ وَبِقَوْمِهِ.

﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

﴿۞ وَجَاوَزْنَا﴾ وَقَطَعْنَا..

﴿بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ حَتَّىٰ جَاوَزُوهُ..

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ فَتَبِعَهُمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: اتَّبَعْتُهُ وَتَبِعْتُهُ بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ..

﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا﴾ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَعَدْوًا﴾ وَاعْتِدَاءً عَلَيْهِمْ، فَغَرَّقْنَاهُ..

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَحَاطَ بِهِ الْغَرَقُ..

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ فِرْعَوْنَ حِينَ أَشْرَفَ عَلَىٰ الْغَرَقِ وَأَيْقَنَ بِالْهَلَكَةِ..

﴿آمَنتُ﴾ أَقْرَرْتُ..

﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ يَدُسُّ فِي فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١].

﴿آلْآنَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَرِّفًا فِرْعَوْنَ قُبْحَ صَنِيعِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَإِسَاءَتِهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ أَيَّامَ صِحَّتِهِ، بِتَمَادِيهِ فِي طُغْيَانِهِ وَمَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ حِينَ فَزِعَ إِلَيْهِ فِي حَالِ حُلُولِ سَخَطِهِ بِهِ وَنُزُولِ عِقَابِهِ، مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ عَذَابِهِ الْوَاقِعِ بِهِ لَمَّا نَادَاهُ وَقَدْ عَلَتْهُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ وَغَشِيَتْهُ كُرَبُ الْمَوْتِ: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠] لَهُ، الْمُنْقَادِينَ بِالذِّلَّةِ لَهُ، الْمُعْتَرِفِينَ بِالْعُبُودِيَّةِ: الْآنَ تُقِرُّ للهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَتَسْتَسْلِمُ لَهُ بِالذِّلَّةِ، وَتُخْلِصُ لَهُ الْأُلُوهَةَ..

﴿وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ـه..

﴿قَبْلُ﴾ قَبْلَ نُزُولِ نِقْمَتِهِ بِكَ فَأَسْخَطْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ..

﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١﴾ [يونس: ٩١] فِي الْأَرْضِ الصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ؟ فَهَلَّا وَأَنْتَ فِي مَهْلٍ، وَبَابُ التَّوْبَةِ لَكَ مُنْفَتِحٌ أَقْرَرْتَ بِمَا أَنْتَ بِهِ الْآنَ مُقِرٌّ.

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: ٩٢].

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِفِرْعَونَ: فَالْيَوْمَ نَجْعَلُكَ عَلَىٰ نَجْوَةِ الْأَرْضِ بِبَدَنِكَ، يَنْظُرُ إِلَيْكَ هَالِكًا مَنْ كَذَّبَ بِهَلَاكِكَ.. وَالنَّجْوَةُ: الْمَوْضِعُ الْمُرْتَفِعُ عَلَىٰ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَرْضِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: بِبَدَنِكَ؟ وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُنَجِّيَهُ بِغَيْرِ بَدَنِهِ، فَيَحْتَاجُ الْكَلَامُ إِلَىٰ أَنْ يُقَالَ فِيهِ بِبَدَنِكَ؟ قِيلَ: كَانَ جَائِزًا أَنْ يُنَجِّيَهُ بِهَيْئَتِهِ حَيًا كَمَا دَخَلَ البحرَ، فَلَمَّا كانَ جائزًا ذلك، قِيلَ ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، لِيُعلَم أَنَّهُ يُنَجِّيه بِالْبَدَنِ بِغَيْرِ رَوْحٍ، وَلَكِنْ مَيِّتًا..

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ لِمَنْ بَعْدَكَ مِنَ النَّاسِ..

﴿ءَايَةً﴾ عِبْرَةً يَعْتَبِرُونَ بِكَ، فَيَنْزَجِرُونَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَالسَّعْيِ فِي أَرْضِهِ بِالْفَسَادِ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**لَمَّا جَاوَزَ مُوسَىٰ الْبَحْرَ بِجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ، الْتَقَىٰ الْبَحْرُ عَلَيْهِمْ يَعْنِي عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهُ فَأَغْرَقَهُمْ، فَقَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ: إِنَّا نَخَافُ أَنْ لا يَكُونَ فِرْعَوْنُ غرِقَ، وَلا نُؤْمِنُ بِهَلَاكِهِ، فَدَعَا رَبَّهُ فَأَخْرَجَهُ، فَنَبَذَهُ الْبَحْرُ حَتَّىٰ اسْتَيْقَنُوا بِهَلَاكِهِ**)..

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ عَنْ حُجَجِنا وَأَدِلَّتِنا عَلَىٰ أَنَّ الْعِبادَةَ وَالْأُلُوهَةَ لَنا خَالِصَةً..

﴿لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: ٩٢] لَسَاهُونَ، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٩٣﴾ [يونس: ٩٣].

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أَنْزَلْنَا..

﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ مَنَازِلَ صِدْقٍ، قِيلَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ الشَّامَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ: عَنَىٰ بِهِ الشَّامَ وَمِصْرَ..

﴿وَرَزَقْنَٰهُم﴾ وَرَزَقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِنْ حَلَالِ الرِّزْقِ وَهُوَ الطَّيِّبُ..

﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾ فَمَا اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلْنَا بِهِمْ هَذَا الْفِعْلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ حَتَّىٰ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا بِهِ عَالِمِينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ ﷺ مُجْمِعِينَ عَلَىٰ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ وَالْإِقْرَارِ بِهِ وَبِمَبْعَثِهِ، غَيْرَ مُخْتَلِفِينَ فِيهِ بِالنَّعْتِ الَّذِي كَانُوا يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَآمَنَ بِهِ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ مِنْهُمْ كَانُوا عَدَدًا قَلِيلًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْمَعْلُومُ الَّذِي كَانُوا يَعْلَمُونَهُ نَبِيًّا للهِ، فَوَضَعَ الْعِلْمَ مَكَانَ الْمَعْلُومِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ﴾ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيكَ..

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٩٣﴾ [يونس: ٩٣] مِنْ أَمْرِي فِي الدُّنْيَا، بِأَنْ يُدْخِلَ الْمُكَذِّبِينَ بِكَ مِنْهُمُ النَّارَ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْهُمُ الْجَنَّةَ، فَذَلِكَ قَضَاؤُهُ يَوْمَئِذٍ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٩٤﴾ [يونس: ٩٤].

﴿فَإِن كُنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ فِي شَكٍّ مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَخْبَرْنَاكَ، وَأُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي نُبُوَّتِكَ قَبْلَ أَنْ تُبْعَثَ رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَكَ عِنْدَهُمْ مَكْتُوبًا وَيَعْرِفُونَكَ بِالصِّفَةِ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مَوْصُوفٌ فِي كِتَابِهِمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿فَسۡـَٔلِ﴾ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَنَحْوِهِ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ بِكَ مِنْهُمْ، دُونَ أَهْلِ الْكَذِبِ وَالْكُفْرِ بِكَ مِنْهُمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَكٍّ مِنْ خَبَرِ اللهِ أَنَّهُ حَقٌّ يَقِينٌ حَتَّىٰ قِيلَ لَهُ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾؟ قِيلَ: لَا، لَمْ يَشُكَّ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَسْأَلْ.. فَإِنْ قَالَ: فَمَا وَجْهُ مَخْرَجِ هَذَا الْكَلَامِ إِذَنْ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ؟ قِيلَ: قَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا اسْتِجَازَةَ الْعَرَبِ قَوْلَ الْقَائِلِ مِنْهُمْ لِمَمْلُوكِهِ: إِنْ كُنْتَ مَمْلُوكِي فَانْتَهِ إِلَىٰ أَمْرِي؛ وَالْعَبْدُ الْمَأْمُورُ بِذَلِكَ لَا يَشُكُّ سَيِّدُهُ الْقَائِلُ لَهُ ذَلِكَ أَنَّهُ عَبْدُهُ، كَذَلِكَ قَوْلُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ لِابْنِهِ: إِنْ كُنْتَ ابْنِي فَبَرَّنِي؛ وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي

ابْنِهِ أَنَّهُ ابْنُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ صَحِيحٌ مُسْتَفِيضٌ فِيهِمْ، وَأَنَّ مِنْهُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَقَدْ عَلِمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ عِيسَىٰ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ ﷺ شَاكًّا فِي حَقِيقَةِ خَبَرِ اللهِ وَصِحَّتِهِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ كَانَ عَالِمًا، وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَاطَبَهُ خِطَابَ قَوْمِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، إِذْ كَانَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ نَزَلَ..

﴿لَقَدْ﴾ أُقْسِمُ لَقَدْ..

﴿جَآءَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الْيَقِينُ..

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ مِنَ الْخَبَرِ بِأَنَّكَ للهِ رَسُولٌ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ يَعْلَمُونَ صِحَّةَ ذَلِكَ، وَيَجِدُونَ نَعْتَكَ عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ..

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٩٤﴾ [يونس: ٩٤] الشَّاكِينَ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ وَحَقِيقَتِهِ.. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ خُوطِبَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهَا بَعْضُ مَنْ لَمْ يَكُنْ صَحَّتْ بَصِيرَتُهُ بِنُبُوَّتِهِ ﷺ، مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ، تَنْبِيهًا لَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ تَعَرُّفِ حَقِيقَةِ أَمْرِهِ، الَّذِي يُزِيلُ اللَّبْسَ عَنْ قَلْبِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ [الأحزاب: ١]، كَانَ قَوْلًا غَيْرَ مَدْفُوعَةٍ صِحَّتُهُ.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٥﴾ [يونس: ٩٥].

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ..

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٥﴾ [يونس: ٩٥] فَتَكُونَ مِمَّنْ غَبَنَ حَظَّهُ وَبَاعَ رَحْمَةَ اللهِ وَرِضَاهُ بِسَخَطِهِ وَعِقَابِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦﴾ [يونس: ٩٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وَهِيَ لَعْنَتُهُ إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨]، فَثَبَتَتْ عَلَيْهِمْ، يُقَالُ مِنْهُ: حَقَّ عَلَىٰ فُلَانٍ كَذَا يَحِقُّ عَلَيْهِ: إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَوَجَبَ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦﴾ [يونس: ٩٦] لَا يُصَدِّقُونَ بِحُجَجِ اللهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِمْ وَلَا بِأَنَّكَ للهِ رَسُولٌ.

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس: ٩٧].

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ وَمَوْعِظَةٍ وَعِبْرَةٍ فَعَايَنُوهَا..

﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟﴾ حَتَّىٰ يُعَايِنُوا..

﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس: ٩٧] كَمَا لَمْ يُؤْمِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ، إِذَا حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ حَتَّىٰ عَايَنُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، فَحِينَئِذٍ قَالَ: ﴿ءَامَنتُ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: ٩٠]، حِينَ لَمْ يَنْفَعْهُ قِيلُهُ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ مِنْ قَوْمِكَ، مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَغَيْرِهِمْ، لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ فَيَتَّبِعُونَكَ إِلَّا فِي الْحِينِ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝٩٨﴾ [يونس: ٩٨].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ فَمَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ عِنْدَ مُعَايَنَتِهَا الْعَذَابَ وَنُزُولَ سَخَطِ اللهِ بِهَا بِعِصْيَانِهَا رَبَّهَا وَاسْتِحْقَاقِهَا عِقَابَهُ..

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَمَا لَمْ يَنْفَعْ فِرْعَوْنَ إِيمَانُهُ حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ بَعْدَ تَمَادِيهِ فِي غَيِّهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ سَخَطَ اللهِ بِمَعْصِيَتِهِ..

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ فَإِنَّهُمْ نَفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ بَعْدَ نُزُولِ الْعُقُوبَةِ وَحُلُولِ السَّخَطِ بِهِمْ، فَاسْتَثْنَىٰ اللهُ قَوْمَ يُونُسَ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ الَّذِينَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ إِيمَانُهُمْ بَعْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ بِسَاحَتِهِمْ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهُ، وَأَخْبَرَ خَلْقَهُ أَنَّهُ نَفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**لَمْ يَكُنْ هَذَا فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، لَمْ يَنْفَعْ قَرْيَةٌ كَفَرَتْ ثُمَّ آمَنَتْ حِينَ حَضَرَهَا الْعَذَابُ فَتُرِكَتْ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ، لَمَّا فَقَدُوا نَبِيَّهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ دَنَا مِنْهُمْ، قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ، وَلَبِسُوا الْمُسُوحَ، وَأَلْهَوْا بَيْنَ كُلِّ بَهِيمَةٍ وَوَلَدِهَا، ثُم عَجُّوا إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَلَمَّا عَرَفَ اللهُ الصِّدْقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَالتَّوْبَةَ وَالنَّدَامَةَ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنْهُمْ، كَشَفَ اللهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ بَعْدَ أَنْ تَدَلَّىٰ عَلَيْهِمْ**)..

﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ لَمَّا صَدَّقُوا رَسُولَهُمْ وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ بَعْدَ مَا أَظَلَّهُمُ الْعَذَابُ وَغَشِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَنَزَلَ بِهِمُ الْبَلَاءُ..

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْهَوَانِ وَالذُّلِ..

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا..

﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ﴾ وَأَخَّرْنَا فِي آجَالِهِمْ وَلَمْ نُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَرَكْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا يَسْتَمْتِعُونَ فِيهَا بِآجَالِهِمْ..

﴿إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [يونس: ٩٨] مَمَاتِهِمْ وَوَقْتِ فَنَاءِ أَعْمَارِهِمْ.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩].

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾ فَصَدَّقوكَ أَنَّكَ لِي رَسُولٌ، وَأَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ وَمَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعُبُودَةِ لَهُ حَقٌّ، وَلَكِنْ لَا يَشَاءُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَكَ رَسُولًا أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِكَ وَلَا يَتَّبِعُكَ فَيُصَدِّقُوكَ بِمَا بَعَثَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ، إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَجِبُوا مِنْ صِدْقِ إِيحَائِنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، لِتُنْذِرَ بِهِ مَنْ أَمَرْتُكَ بِإِنْذَارِهِ، مِمَّنْ قَدْ سَبَقَ لَهُ عِنْدِي أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ.. وَنَحْوُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَحْرِصُ أَنْ يُؤْمِنَ جَمِيعُ النَّاسِ، وَيُتَابِعُوهُ عَلَى الْهُدَىٰ، فَأَخْبَرَهُ اللهُ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ السَّعَادَةُ فِي الذِّكْرِ الْأَوَّلِ، وَلَا يَضِلُّ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ الشَّقَاءُ فِي الذِّكْرِ الْأَوَّلِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾، فَالْكُلُّ يَدُلُّ عَلَىٰ الْجَمِيعِ، وَالْجَمِيعُ عَلَىٰ الْكُلِّ، فَمَا وَجْهُ تَكْرَارِ ذَلِكَ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تُغْنِي عَنِ الْأُخْرَىٰ؟ قِيلَ: قَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي أَهْلِ الْبَصْرَةِ: جَاءَ بِقَوْلِهِ ﴿جَمِيعًاۚ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوْكِيدًا كَمَا قَالَ: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١]، فَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ الِاثْنَيْنِ.. وَقَالَ بَعْضُهُم: وَلَوْ قِيلَ إِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَهُمَا لِيُعْلَمَ أَنَّ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ لَجَازَ هَهُنَا..

﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّهُ لَنْ يُصَدِّقَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَنْ يَتَّبِعَكَ وَيَقِرَّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا مَنْ شَاءَ رَبُّكَ أَنْ يُصَدِّقَكَ، لَا بِإِكْرَاهِكَ إِيَّاهُ وَلَا بِحِرْصِكَ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ لَكَ، مُصَدِّقِينَ عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ؟ يَقُولُ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤]، وَ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾ [يونس: ٩٦].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٠﴾
[يونس: ١٠٠].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ خَلَقْتُهَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَىٰ تَصْدِيقِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ إِلَّا بِأَنْ آذَنَ لَهَا فِي ذَلِكَ، فَلَا تُجْهِدَنَّ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ هُدَاهَا، وَبَلِّغْهَا وَعِيدَ اللهِ، وَعَرِّفْهَا مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ بِتَعْرِيفِهَا، ثُمَّ خَلِّهَا، فَإِنَّ هُدَاهَا بِيَدِ خَالِقِهَا..

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ وَهُوَ الْعَذَابُ، وَغَضَبُ اللهِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٠﴾ [يونس: ١٠٠] عَنِ اللهِ حُجَجَهُ، وَمَوَاعِظَهُ، وَآيَاتِهِ الَّتِي دَلَّ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَحَقِيقَةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَخَلْعِ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾
[يونس: ١٠١].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، السَّائِلِيكَ الْآيَاتِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَخَلْعِ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿ٱنظُرُوا۟﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ مِنْ شَمْسِهَا وَقَمَرِهَا، وَاخْتِلَافِ لَيْلِهَا وَنَهَارِهَا، وَنُزُولِ الْغَيْثِ بِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ مِنْ سَحَابِهَا..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَفِي الْأَرْضِ مِنْ جِبَالِهَا، وَتَصَدُّعِهَا بِنَبَاتِهَا، وَأَقْوَاتِ أَهْلِهَا، وَسَائِرِ صُنُوفِ عَجَائِبِهَا؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَكُمْ إِنْ عَقَلْتُمْ وَتَدَبَّرْتُمْ مَوْعِظَةً وَمُعْتَبَرًا، وَدَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ مَنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي مُلْكِهِ شَرِيكٌ وَلَا لَهُ عَلَىٰ تَدْبِيرِهِ وَحِفْظِهِ ظَهِيرٌ يُغْنِيكُمْ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْآيَاتِ..

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ﴾ وَمَا تُغْنِي الْحُجَجُ، وَالْعِبَرُ..

﴿وَٱلنُّذُرُ﴾ وَالرُّسُلُ الْمُنْذِرَةُ عِبَادَ اللهِ عِقَابَهُ..

﴿عَن قَوْمٍ﴾ قَدْ سَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللهِ الشَّقَاءُ، وَقَضَىٰ لَهُمْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ..

﴿لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١] بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِهِ، ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس: ٩٧].

﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢﴾ [يونس: ١٠٢].

﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُحَذِّرًا مُشْرِكِي قَوْمِهِ مِنْ حُلُولِ عَاجِلِ نِقْمِهِ بِسَاحَتِهِمْ، نَحْوَ الَّذِي حَلَّ بِنُظَرَائِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ، السَّالِكَةِ فِي تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ، وَجُحُودِ تَوْحِيدِ رَبِّهِمْ سَبِيلَهُمْ: فَهَلْ يَنْتَظِرُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ الْمُكَذِّبُونَ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ إِلَّا يَوْمًا يُعَايِنُونَ فِيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ، مِثْلَ أَيَّامِ أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ، الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ فَخَلَوْا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ..

﴿قُلۡ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنْ كَانُوا كَذَلِكَ يَنْتَظِرُونَ..

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ عِقَابَ اللهِ إِيَّاكُمْ، وَنُزُولَ سَخَطِهِ بِكُمْ..

﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢﴾ [يونس: ١٠٢] هَلَاكَكُمْ، وَبَوَارَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي تَحِلُّ بِكُمْ مِنَ اللهِ.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يونس: ١٠٣].

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ: انْتَظِرُوا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، الَّذِينَ هَلَكُوا بِعَذَابِ اللهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا جَاءَ لَمْ يَهْلِكْ بِهِ سِوَاهُمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِكَ، ثُمَّ نُنَجِّي هُنَالِكَ..

﴿رُسُلَنَا﴾ رَسُولَنَا مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ وَمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، وَاتَّبَعَهُ عَلَىٰ دِينِهِ، كَمَا فَعَلْنَا قَبْلَ ذَلِكَ بِرُسُلِنَا الَّذِينَ أَهْلَكْنَا أُمَمَهُمْ، فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مَعَهُمْ مِنْ عَذَابِنَا، حِينَ حَقَّ عَلَىٰ أُمَمِهَا..

﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يونس: ١٠٣] كَمَا فَعَلْنَا بِالْمَاضِينَ مِنْ رُسُلِنَا فَأَنْجَيْنَاهَا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهَا، وَأَهْلَكْنَا أُمَمَهَا، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِكَ يَا مُحَمَّدُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، فَنُنْجِيكَ وَنُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ بِكَ حَقًّا عَلَيْنَا غَيْرَ شَكٍّ.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٤﴾ [يونس: ١٠٤].

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ عَجِبُوا أَنْ أَوْحَيْتُ إِلَيْكَ..

﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَلَا﴾ فَإِنِّي لَا..

﴿أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تُغْنِي عَنْ شَيْءٍ، فَتَشُكُّوا فِي صِحَّتِهِ.. وَهَذَا تَعْرِيضٌ وَلَحْنٌ مِنَ الْكَلَامِ لَطِيفٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ: إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي، فَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَشُكُّوا فِيهِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَشُكُّوا فِي الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ شَيْئًا، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَأَمَّا دِينِي فَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَشُكُّوا فِيهِ؛ لِأَنِّي أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَقْبِضُ الْخَلْقَ فَيُمِيتُهُمْ إِذْ شَاءَ، وَيَنْفَعُهُمْ وَيَضُرُّ مَنْ يَشَاءُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ عِبَادَةَ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَسْتَنْكِرُهَا ذُو فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ، وَأَمَّا عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ فَيُنْكِرُهَا كُلُّ ذِي لُبٍّ وَعَقْلٍ صَحِيحٍ..

﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ، فَيُمِيتُكُمْ عِنْدَ آجَالِكُمْ..

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يونس: ١٠٤] وَهُوَ الَّذِي أَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَنِي مِنْ عِنْدِهِ.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٥].

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ أَقِمْ نَفْسَكَ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ..

﴿حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ غَيْرَ مُعْوَجٍ عَنْهُ إِلَىٰ يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ وَلَا عِبَادَةِ وَثَنٍ..

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٥] وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ يُشْرِكُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

[يونس: ١٠٦].

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مَعْبُودِكَ، وَخَالِقِكَ..

﴿مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، يَعْنِي بِذَلِكَ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، يَقُولُ: لَا تَعْبُدْهَا رَاجِيًا نَفْعَهَا أَوْ خَائِفًا ضُرَّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ..

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فَدَعَوْتَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦] الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، الظَّالِمِي أَنْفُسِهِمْ.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ﴾ وَإِنْ يُصِبْكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِضُرٍّ﴾ بِشِدَّةٍ أَوْ بَلَاءٍ..

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ فَلَا كَاشِفَ لِذَلِكَ..

﴿إِلَّا هُوَ﴾ إِلَّا رَبُّكَ الَّذِي أَصَابَكَ بِهِ، دُونَ مَا يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿وَإِن يُرِدْكَ﴾ رَبُّكَ..

﴿بِخَيْرٍ﴾ بِرَخَاءٍ، أَوْ نِعْمَةٍ، وَعَافِيَةٍ، وَسُرُورٍ..

﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَلَا يَرُدَّكَ عَنْهُ، وَلَا يُحْرِمُكَهُ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَدُونَ مَا سِوَاهُ..

﴿يُصِيبُ﴾ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالرَّخَاءِ وَالْبَلَاءِ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ..

﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ مَنْ يَشَاءُ، وَيُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ وَأَنَابَ مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧] بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ وَأَطَاعَهُ أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ١٠٨﴾ [يونس: ١٠٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يَعْنِي: كِتَابَ اللهِ، فِيهِ بَيَانُ كُلِّ مَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ..

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ فَمَنِ اسْتَقَامَ فَسَلَكَ سَبِيلَ الْحَقِّ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْبَيَانِ..

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَقِيمُ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَيَسْلُكُ قَصْدَ السَّبِيلِ..

﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ فَإِيَّاهَا يَبْغِي الْخَيْرَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ لَا غَيْرَهَا..

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ وَمَنْ اعْوَجَّ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَتَاهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وخَالَفَ دِينَهُ، وَمَا بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا، وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ..

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فَإِنَّ ضَلَالَةَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَجْنِي بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ لَا عَلَىٰ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْخَذُ بِذَلِكَ غَيْرُهَا، وَلَا يُورِدُ بِضَلَالِهِ ذَلِكَ الْمَهَالِكَ سِوَىٰ نَفْسِهِ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]..

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ۝١٠٨﴾ [يونس: ١٠٨] وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُسَلَّطٍ عَلَىٰ تَقْوِيمِكُمْ، إِنَّمَا أَمْرُكُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَوِّمُ مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مُبَلِّغٌ، أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس: ١٠٩].

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ وَاتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ وَحْيَ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَتَنْزِيلَهُ الَّذِي يُنْزِلُهُ عَلَيْكَ، فَاعْمَلْ بِهِ..

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ فِي اللهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنَ الْأَذَىٰ، وَالْمَكَارِهِ، وَعَلَىٰ مَا نَالَكَ مِنْهُمْ..

﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ﴾ يَقْضِيَ..

﴿ٱللَّهُۚ﴾ فِيهِمْ، وَفِيكَ أَمْرَهُ بِفِعْلٍ فَاصِلٍ..

﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس: ١٠٩] وَهُوَ خَيْرُ الْقَاضِينَ، وَأَعْدَلُ الْفَاصِلِينَ، فَحَكَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَتَلَهُمْ بِالسَّيْفِ، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ، فِيمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ أَنْ يَسْلُكَ بِهِمْ سَبِيلَ مَنْ أُهْلِكَ مِنْهُمْ أَوْ يَتُوبُوا وَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ.. قَالَ عبدُ الرحمنِ بْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝١٠٩﴾: (هَذَا مَنْسُوخٌ، ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ﴾، حَكَمَ اللهُ بِجِهَادِهِمْ، وَأَمَرَهُ بِالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ



سُورَةُ هُودٍ (١١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ [هود: ١].

﴿الٓر﴾ قَدْ ذَكَرْنَا تَأْوِيلَه، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿كِتَٰبٌ﴾ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ الْقُرْآنُ..

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أَحْكَمَ اللهُ آيَاتَهُ مِنَ الدَّخَلِ، وَالْخَلَلِ، وَالْبَاطِلِ، وَذَلِكَ أَنَّ إِحْكَامَ الشَّيْءِ إِصْلَاحُهُ وَإِتْقَانُهُ، وَإِحْكَامُ آيَاتِ الْقُرْآنِ إِحْكَامُهَا مِنْ خَلَلٍ يَكُونُ فِيهَا أَوْ بَاطِلٍ يَقْدِرُ ذُو زَيْغٍ أَنْ يَطْعَنَ فِيهَا مِنْ قِبَلِهِ..

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ ثُمَّ فَصَّلَهَا، ومَيَّزَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَبُيِّنَ مِنْهَا الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ.. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يُفَسِّرُ قَوْلَهُ: ﴿فُصِّلَتْ﴾ بِمَعْنَىٰ: (فُسِّرَتْ)، وَذَلِكَ نَحْوُ الَّذِي قُلْنَا فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ.. وَقَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ: (بُيِّنَتْ)، وَهُوَ شَبِيهُ الْمَعْنَىٰ بِقَوْلِ مُجَاهِدٍ..

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ بِتَدْبِيرِ الْأَشْيَاءِ وَتَقْدِيرِهَا..

﴿خَبِيرٍ ①﴾ [هود: ١] بِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ عَوَاقِبُهَا.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ②﴾ [هود: ٢].

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ثُمَّ فُصِّلَتْ بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ..

﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿نَذِيرٌ﴾ يُنْذِرُكُمْ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ..

﴿وَبَشِيرٌ ②﴾ [هود: ٢] يُبَشِّرُكُمْ بِالْجَزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهَةِ لَهُ.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ③﴾ [هود: ٣].

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وَأَنِ اعْمَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُرْضِي رَبَّكُمْ عَنْكُمْ، فَيَسْتُرُ عَلَيْكُمْ عَظِيمَ ذُنُوبِكُمُ الَّتِي رَكِبْتُمُوهَا بِعِبَادَتِكُمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَإِشْرَاكِكُمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ فِي عِبَادَتِهِ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ثُمَّ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ وَبِأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ..

﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةَ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ، بَعْدَ خَلْعِكُمُ الْأَنْدَادَ، وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْ عِبَادَتِهَا، وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (وَتُوبُوا إِلَيْهِ)؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ مَعْنَاهَا الرُّجُوعُ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالِاسْتِغْفَارُ: اسْتِغْفَارٌ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، وَالْعَمَلُ للهِ لَا يَكُونُ عَمَلًا لَهُ إِلَّا بَعْدَ تَرْكِ الشِّرْكِ بِهِ، فَأَمَّا الشِّرْكُ فَإِنَّ عَمَلَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلشَّيْطَانِ، فَلِذَلِكَ أَمَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ الِاسْتِغْفَارِ مِنَ الشِّرْكِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُطِيعُونَ اللهَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَفْعَالِهِمْ، وَهُمْ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ مُقِيمُونَ..

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بَسَطَ عَلَيْكُمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَرَزَقَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا، وَأَنْسَأَ لَكُمْ فِي آجَالِكُمْ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي قَضَىٰ فِيهِ عَلَيْكُمُ الْمَوْتَ..

﴿وَيُؤْتِ﴾ وَيُثِيبُ..

﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ كُلَّ مَنْ تَفَضَّلَ بِفَضْلِ مَالِهِ، أَوْ قُوتِهِ، أَوْ مَعْرُوفِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ، مُحْتَسِبًا مُرِيدًا بِهِ وَجْهَ اللهِ، أَجْزَلَ..

﴿فَضْلَهُۥ﴾ ثَوَابُهُ وَفَضْلَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ وَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ، وَامْتَنَعُوا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ للهِ، وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ فَأَدْبَرُوا مُوَلِّينَ عَنْ ذَلِكَ..

﴿فَإِنِّىٓ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ③﴾ [هود: ٣] كَبِيرٌ شَأْنُهُ، عَظِيمٌ هَوْلُهُ، وَذَلِكَ ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ㉒﴾ [الجاثية: ٢٢].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ [هود: ٤].

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مَآبُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ، فَاحْذَرُوا عِقَابَهُ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِكُمُ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، فَإِنَّهُ مُخَلِّدُكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ، إِنْ هَلَكْتُمْ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ قَبْلَ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ [هود: ٤] وَهُوَ عَلَىٰ إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَعِقَابِكُمْ عَلَىٰ إِشْرَاكِكُمْ بِهِ الْأَوْثَانَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا أَرَادَ بِكُمْ وَبِغَيْرِكُمْ قَادِرٌ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ [هود: ٥].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ بعضَ المُنَافِقِين..

﴿يَثْنُونَ﴾ يَحْنُونَ..

﴿صُدُورَهُمْ﴾ وَيَكْنُونَهَا..

﴿لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ مِنَ اللهِ، كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ أَنَّهُ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا تُضْمِرُهُ نُفُوسُهُمْ، أَوْ تَنَاجُوهُ بَيْنَهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ سِرُّ أُمُورِهِمْ وَعَلَانِيَتِهَا عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ كَانُوا، تَغَشُّوا بِالثِّيَابِ أَوْ أَظْهَرُوا بِالْبِرَاز..

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يَتَغَطُّونَهَا وَيَلْبِسُونَها، يُقَالُ مِنْهُ: اسْتَغْشَىٰ ثَوْبَهُ وَتَغَشَّاهُ، قَالَ اللهُ: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]..

﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ بِرَبِّهِمْ، الظَّانُّونَ أَنَّ اللهَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا أَضْمَرَتْهُ صُدُورُهُمْ إِذَا حَنَوْهَا عَلَىٰ مَا فِيهَا وَثَنَوْهُ، وَمَا تَنَاجَوْهُ بَيْنَهُمْ فَأَخْفَوْهُ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ سَوَاءٌ عِنْدَهُ سَرَائِرُ عِبَادِهِ وَعَلَانِيَتُهُمْ..

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ [هود: ٥] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ مَا أَخْفَتْهُ صُدُورُ خَلْقِهِ مِنْ إِيمَانٍ، وَكُفْرٍ وَحَقٍّ وَبَاطِلٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ، وَمَا تَسْتَجِنُّهُ مِمَّا لَمْ تُجِنُّهُ بَعْدُ، فَاحْذَرُوا أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ، وَأَنْتُمْ مُضْمِرُونَ فِي صُدُورِكُمُ الشَّكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ تَوْحِيدِهِ أَوْ أَمْرِهِ أَوْ نَهْيِهِ، أَوْ فِيمَا أَلْزَمَكُمُ الْإِيمَانَ بِهِ وَالتَّصْدِيقَ، فَتَهْلِكُوا بِاعْتِقَادِكُمْ ذَلِكَ.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَمَا تَدِبُّ دَابَّةٌ فِي الأَرْضِ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ إِلَّا وَمِنَ اللهِ رِزْقُهَا الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهَا هُوَ بِهِ مُتَكَفِّلٌ، وَذَلِكَ قُوتُهَا وَغِذَاؤُهَا وَمَا بِهِ عَيْشُهَا..

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ حَيْثُ تَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَذَلِكَ مَأْوَاهَا الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا..

﴿وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ﴾ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُودِعُهَا، إِمَّا بِمَوْتِهَا فِيهِ أَوْ دَفْنِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مُسْتَقَرَّهَا فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعَهَا فِي الصُّلْبِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُسْتَقَرُّ: فِي الرَّحِمِ، وَالْمُسْتَوْدَعُ: حَيْثُ تَمُوتُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مُسْتَقَرَّهَا أَيَّامَ حَيَاتِهَا، وَمُسْتَودَعَهَا حَيْثُ تَمُوتُ فِيهِ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ فِيهِ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّ مَا رُزِقَتِ الدَّوَابُّ مِنْ رِزْقٍ فَمِنْهُ، فَأَوْلَىٰ أَنْ يَتْبَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ مَثْوَاهَا وَمُسْتَقَرَّهَا دُونَ الْخَبَرِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ الْأَصْلَابُ وَالْأَرْحَامُ..

﴿كُلٌّ﴾ عَدَدُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَمَبْلَغُ أَرْزَاقِهَا، وَقَدْرُ قَرَارِهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، وَمُدَّةُ لُبْثِهَا فِي مُسْتَوْدَعِهَا، كُلُّ ذَلِكَ..

﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ مُثْبَتٌ مَكْتُوبٌ..

﴿مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦] يُبَيِّنُ لِمَنْ قَرَأَهُ أَنَّ ذَلِكَ مُثْبَتٌ مَكْتُوبٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا، وَيُوجِدَهَا.. وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ، أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، وَأَثْبَتَهَا فِي كِتَابٍ عِنْدَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا وَيُوجِدَهَا؛ يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَمَنْ كَانَ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُوجِدَهُمْ، فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ إِذَا ثَنَوْا بِهِ صُدُورَهُمْ وَاسْتَغْشَوْا عَلَيْهِ ثِيَابَهُمْ؟!

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود: ٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وَاللهُ الَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ جَمِيعًا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، أَفَيَعْجَزُ مَنْ خَلَقَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَنْ يُعِيدَكُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ أَنْ يُمِيتَكُمْ؟!..

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ..

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَخَلَقَكُمْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لِيَخْتَبِرَكُمْ، أَيُّكُمْ أَحْسَنُ لَهُ طَاعَةً..

﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ﴾ أَحْيَاءً..

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، فَتَلَوْتَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ تَنْزِيلِي وَوَحْيِي..

﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾ لَيَقُولَنَّ مَا هَذَا الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِمَّا تَقُولُ..

﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ لِسَامِعِهِ..

﴿مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود: ٧] حَقِيقَتُهُ أَنَّهُ سِحْرٌ.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ [هود: ٨].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْعَذَابَ﴾ فَلَمْ نُعَجِّلْهُ لَهُمْ، وَأَنْسَأْنَا فِي آجَالِهِمْ..

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ وَوَقْتٍ مَحْدُودٍ وَسِنِينَ مَعْلُومَةٍ.. وَأَصْلُ الْأُمَّةِ مَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، أَنَّهَا الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ تَجْتَمِعُ عَلَىٰ مَذْهَبٍ وَدِينٍ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي مُعَانٍ كَثِيرَةٍ تَرْجِعُ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْأَصْلِ الَّذِي ذَكَرْتُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلسِّنِينَ الْمَعْدُودَةِ وَالْحِينِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَنَحْوِهِ أُمَّةٌ، لِأَنَّ فِيهَا تَكُونُ الْأُمَّةُ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ مَجِيءِ أُمَّةٍ وَانْقِرَاضِ أُخْرَىٰ قَبْلَهَا..

﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُهُ مِنْ تَعْجِيلِ الْعَذَابِ الَّذِي يَتَوَعَّدُنَا بِهِ؟ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِهِ، وَظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا أُخِّرَ عَنْهُمْ لِكَذِبِ الْمُتَوَعِّدِ..

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَحْقِيقًا لِوَعِيدِهِ وَتَصْحِيحًا لِخَبَرِهِ: أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي يُكَذِّبُونَ بِهِ..

﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لَيْسَ يَصْرِفُهُ عَنْهُمْ صَارِفٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ دَافِعٌ، وَلَكِنَّهُ يَحِلُّ بِهِمْ فَيُهْلِكُهُمْ..

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ وَنَزَلَ بِهِمْ وَأَصَابَهُمْ..

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ [هود: ٨] الَّذِي كَانُوا بِهِ يَسْخَرُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَكَانَ اسْتِهْزَاؤُهُمْ بِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ قِيلَهُمْ قَبْلَ نُزُولِهِ ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾ [هود: ٩].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ رَخَاءً وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ وَالْعَيْشِ، فَبَسَطْنَا عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا..

﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ ثُمَّ سَلَبْنَاهُ ذَلِكَ، فَأَصَابَتْهُ مَصَائِبُ أَجَاحَتْهُ فَذَهَبَتْ بِهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾ [هود: ٩] يَظَلُّ قَنِطًا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، آيِسًا مِنَ الْخَيْرِ.. وَقَوْلُهُ: (يَئُوسٌ) إِذَا كَانَ ذَلِكَ صِفَةً لَهُ.. وَقَوْلُهُ: ﴿كَفُورٌ ۝٩﴾، هُوَ كَفُورٌ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، قَلِيلُ الشُّكْرِ لِرَبِّهِ الْمُتَفَضِّلِ عَلَيْهِ بِمَا كَانَ وَهَبَ لَهُ مِنْ نِعْمَتِهِ.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ [هود: ١٠].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾ وَلَئِنْ نَحْنُ بَسَطْنَا لِلْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ، وَرَزَقْنَاهُ رَخَاءً فِي عَيْشِهِ، وَوَسَّعْنا عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ..

﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ بَعْدَ ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ كَانَ فِيهِ، وَعُسْرَةٍ كَانَ يُعَالِجُهَا..

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ ذَهَبَ الضِّيقُ وَالْعُسْرَةُ عَنِّي، وَزَالَتِ الشَّدَائِدُ وَالْمَكَارِهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ..

﴿لَفَرِحٌ﴾ بِالنِّعَمِ الَّتِي يُعْطَاهَا مَسْرُورٌ بِهَا..

﴿فَخُورٌ ۝١٠﴾ [هود: ١٠] ذُو فَخْرٍ بِمَا نَالَ مِنَ السَّعَةِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا بُسِطَ لَهُ فِيهَا مِنَ الْعَيْشِ، وَيَنْسَىٰ صُرُوفَهَا وَنَكَدَ الْعَوَائِصِ -الشدائد- فِيهَا، وَيَدَعُ طَلَبَ النَّعِيمِ الَّذِي يَبْقَىٰ، وَالسُّرُورَ الَّذِي يَدُومُ فَلَا يَزُولُ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ [هود: ١١].

﴿إِلَّا﴾ ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ الْإِنْسَانِ الَّذِي وَصَفَهُ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ.. وَإِنَّمَا جَازَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَعْنَىٰ الْجِنْسِ، وَمَعْنَىٰ الْجَمْعِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١- ٢-٣]..

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَأْتِيهُمْ شِدَّةٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَعُسْرَةٌ فِيهَا، لَمْ يُثْنِهِمْ ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَلَكِنَّهُمْ صَبَرُوا لِأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ، فَإِنْ نَالُوا فِيهَا رَخَاءً وَسَعَةً شَكَرُوهُ وَأَدَّوا حُقُوقَهُ بِمَا آتَاهُمْ مِنْهَا..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ يَغْفِرُهَا لَهُمْ، وَلَا يَفْضَحُهُمْ بِهَا فِي مَعَادِهِمْ..

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝﴾ [هود: ١١] وَلَهُمْ مِنَ اللهِ مَعَ مَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ ثَوَابٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا جَزِيلٌ، وَجَزَاءٌ عَظِيمٌ.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝﴾ [هود: ١٢].

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ فَلَعَلَّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ مِنْ رَبِّكَ أَنْ تُبَلِّغَهُ مَنْ أَمَرَكَ بِتَبْلِيغِهِ ذَلِكَ..

﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ﴾ وَضَائِقٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ..

﴿صَدْرُكَ﴾ فَلَا تُبَلِّغُهُ إِيَّاهُمْ مَخَافَةَ..

﴿أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ مُصَدِّقٌ بِأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَبَلِّغْهُمْ مَا أَوْحَيْتُهُ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ..

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ تُنْذِرُهُمْ عِقَابِي وَتُحَذِّرُهُمْ بَأْسِي عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِي، وَإِنَّمَا الْآيَاتُ الَّتِي يَسْأَلُونَكَهَا عِنْدِي، وَفِي سُلْطَانِي أُنْزِلُهَا إِذَا شِئْتُ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَالْإِنْذَارُ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝﴾ [هود: ١٢] وَاللهُ الْقَيِّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَبِيَدِهِ تَدْبِيرِهِ، فَانْفُذْ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ، وَلَا يَمْنَعُكَ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاكَ الْآيَاتِ، مِنْ تَبْلِيغِهِمْ وَحْيِي، وَالنُّفُوذِ لِأَمْرِي.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [هود: ١٣].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أَيَقُولُونَ افْتَرَاهُ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: كَفَاكَ حُجَّةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ، وَدَلَالَةً عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّتِكَ، هَذَا الْقُرْآنُ، مِنْ سَائِرِ الْآيَاتِ غَيْرِهِ، إِذْ كَانَتِ الْآيَاتُ إِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ أُعْطِيَهَا دَلَالَةً عَلَىٰ صِدْقِهِ، لِعَجْزِ جَمِيعِ الْخَلْقِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا، وَهَذَا الْقُرْآنُ جَمِيعُ الْخَلْقِ عَجَزَةٌ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، فَإِنْ هُمْ قَالُوا: افْتَرَيْتَهُ: أَيِ اخْتَلَقْتَهُ وَتَكَذَّبْتَهُ، فَـ

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: إِنْ كَانَ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ مُفْتَرًى، وَلَيْسَ بِآيَةٍ مُعْجِزَةٍ كَسَائِرِ مَا سُئِلْتُهُ مِنَ الْآيَاتِ، كَالْكَنْزِ الَّذِي قُلْتُمْ: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، أَوِ الْمَلَكِ الَّذِي قُلْتُمْ: هَلَّا جَاءَ مَعَهُ نَذِيرٌ لَهُ مُصَدِّقًا..

﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ مُفْتَعَلَاتٍ مُخْتَلَقَاتٍ.. فَإِنَّكُمْ قَوْمِي وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ لِسَانِي، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ وَمُحَالٌ أَنْ أَقْدِرَ أَخْلُقُ وَحْدِي مِئَةَ سُورَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سُورَةٍ، وَلَا تَقْدِرُوا بِأَجْمَعِكُمْ أَنْ تَفْتَرُوا وَتَخْتَلِقُوا عَشْرَ سُوَرٍ مِثْلِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا اسْتَعَنْتُمْ فِي ذَلِكَ بِمَنْ شِئْتُمْ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لَافْتِرَاءِ ذَلِكَ وَاخْتِلَاقِهِ، مِنَ الْآلِهَةِ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَىٰ أَنْ تَفْتَرُوا عَشْرَ سُوَرٍ مِثْلَهُ، فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّكُمْ كَذَبَةٌ فِي قَوْلِكُمُ افْتَرَاهُ، وَصَحَّتْ عِنْدَكُمْ حَقِيقَةُ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ أَنْ تَتَخَيَّرُوا الْآيَاتِ عَلَىٰ رَبِّكُمْ، وَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا تُكَذِّبُونَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِثْلُ الَّذِي تَسْأَلُونَ مِنَ الْحُجَّةِ وَتَرْغَبُونَ أَنَّكُمْ تُصَدِّقُونَ بِمَجِيئِهَا..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣] أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ افْتَرَاهُ مُحَمَّدٌ، فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ مَنْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ مُفْتَرَيَاتٍ، وَلَمْ تُطِيقُوا أَنْتُمْ وَهُمْ أَنْ تَأْتُوا بِذَلِكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ خِطَابٌ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ يَا مُحَمَّدُ، فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ، وَذَلِكَ تَأْوِيلٌ بَعِيدٌ مِنَ الْمَفْهُومِ..

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ وَأَيْقِنُوا، أَنَّهُ..

﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ مِنَ السَّمَاءِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ وَإِذْنِهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَفْتَرِهْ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَرِيَهُ..

﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وَأَيْقِنُوا أَيْضًا أَنْ لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْأُلُوهَةَ عَلَىٰ الْخَلْقِ إِلَّا اللهُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، فَاخْلَعُوا الْأَنْدَادَ وَالْآلِهَةَ، وَأَفْرِدُوا لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤] فَهَلْ أَنْتُمْ مُذْعِنُونَ للهِ بِالطَّاعَةِ، وَمُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ؟.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ١٥﴾ [هود: ١٥].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِهِ، يَطْلُبُ بِهِ..
﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وَأَثَاثَهَا..
﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ فِيهَا وَثَوَابَهَا..
﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا..
﴿لَا يُبْخَسُونَ ١٥﴾ [هود: ١٥] لَا يُنْقَصُونَ أَجْرَهَا، وَلَكِنَّهُمْ يُوَفَّوْنَهُ فِيهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَنَّا نُوَفِّيهُمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا..
﴿ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ يَصْلَوْنَهَا..
﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ وَذَهَبَ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا..
﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٦] لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَبْطَلَهُ اللهُ وَأَحْبَطَ عَامِلَهُ أَجْرَهُ.. وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، أَنَّ شُفَيًّا الْأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ دَخَلَ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا، قُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ بِحَقِّي لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَىٰ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، فقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَاشْتَدَّ بِهِ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَىٰ الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ، يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي ﷺ؟، قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟، قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**

لَهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَىٰ بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّىٰ لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَىٰ أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ؟ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ وَيُؤْتَىٰ بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقَالُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّىٰ قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُكْبَتِي، فقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ عُقْبَةُ: إِنَّ شُفَيًّا دَخَلَ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ -قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْوَلِيدُ وَحَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ- قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَحَدَّثَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ مِثْلُ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَىٰ مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ، وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، فقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قَدْ بَيَّنَ لَهُ دِينَهُ فَتَبَيَّنَهُ..

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هو مُحَمَّد ﷺ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ جِبْرَئِيلُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مَلَكٌ يَحْفَظُهُ.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ جِبْرَئِيلُ، لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عُلَيَّة وَسَلَّمَ لَمْ يَتْلُ قَبْلَ الْقُرْآنِ كِتَابَ مُوسَىٰ، فَيَكُونُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ لِسَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ مُحَمَّدٌ نَفْسُهُ، أَوْ عَلِيٌّ، عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ عَلِيٌّ، وَلَا يُعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا كَانَ تَلَا ذَلِكَ قَبْلَ الْقُرْآنِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِمَّنْ ذَكَرَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ أَنَّهُ عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ غَيْرُ جِبْرَئِيلَ عليه السلام..

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا﴾ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْتَمُّونَ بِهِ..

﴿وَرَحْمَةً﴾ مِنَ اللهِ تَلَاهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَهُوَ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ كَمَنْ هُوَ فِي الضَّلَالَةِ مُتَرَدِّدٌ، لَا يَهْتَدِي لِرُشْدٍ، وَلَا يَعْرِفُ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ، وَلَا يَطْلُبُ بِعَمَلِهِ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا؟ وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ عَقِيبُ قَوْلِهِ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [هود: ١٥] الْآيَةَ، ثُمَّ قِيلَ: أَهَذَا خَيْرٌ أَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ؟ وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا إِذَا كَانَ فِيمَا ذَكَرَتْ دَلَالَةٌ عَلَىٰ مُرَادِهَا عَلَىٰ مَا حَذَفَتْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ..

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يُصَدِّقُونَ وَيُقِرُّونَ بِهِ إِنْ كَفَرَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ..

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَيَجْحَدَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ وَهُمُ الْمُتَحَزِّبَةُ عَلَىٰ مِلَلِهِمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**الْكُفَّارُ أَحْزَابٌ كُلُّهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ**)..

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ يَصِيرُ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ بِتَكْذِيبِهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، أَوْ يَهُودِيٌّ، أَوْ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**».. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (**مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ وَجْهِهِ إِلَّا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ قَالَ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ»، فَقُلْتُ أَيْنَ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ حَتَّىٰ أَتَيْتُ عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ كُلِّهَا**)..

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ فَلَا تَكُ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ مَوْعِدَ مَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ مِنَ الْأَحْزَابِ النَّارُ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ثُمَّ ابْتَدَأَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْخَبَرَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ..

﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ، حَتَّىٰ قِيلَ لَهُ: فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ؟ قِيلَ: هَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ هُنَالِكَ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٧﴾ [هود: ١٧] لَا يُصَدِّقُونَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ وَأَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ تَعْذِيبًا مِمَّنِ اخْتَلَقَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا فَكَذَبَ عَلَيْهِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ..

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ شَهِدُوهُمْ وَحَفِظُوا عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَهُمْ جَمْعُ شَاهِدٍ، مِثْلُ الْأَصْحَابِ الَّذِي هُوَ جَمْعُ صَاحِبٍ..

﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ شَهِدَ هَؤُلَاءِ الْأَشْهَادُ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ رَبِّهِمْ. يَقُولُ اللهُ:..

﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨] أَلَا غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ الْمُعْتَدِينَ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ..

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِالْبَيْتِ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَهُوَ يَطُوفُ، إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَىٰ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، مَرَّتَيْنِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْلُغَ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: أَلَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ**».

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ [هود: ١٩].

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ..

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَفْتِنُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ مَنْ دَخَلَ فِيهِ..

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ وَيَلْتَمِسُونَ سَبِيلَ اللهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي دَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ..

﴿عِوَجًا﴾ زَيْغًا وَمَيْلًا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ..

﴿وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ وَهُمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ مَعَ صَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَبَغْيِهِمْ إِيَّاهَا عِوَجًا كَافِرُونَ..

﴿هُمْ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ [هود: ١٩] جَاحِدُونَ ذَلِكَ مُنْكِرُونَ.

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠﴾ [هود: ٢٠].

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِالَّذِينَ يُعْجِزُونَ رَبَّهُمْ بِهَرَبِهِمْ مِنْهُ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إِذَا أَرَادَ عِقَابَهُمْ وَالِانْتِقَامَ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَمُلْكِهِ، لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْهُ إِذَا أَرَادَهُمْ، وَلَا يَفُوتُونَهُ هَرَبًا إِذَا طَلَبَهُمْ..

﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾ وَلَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا أَرَادَ عِقَابَهُمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَهُمْ مِنَ اللهِ، وَيَحُولُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ إِذَا هُوَ عَذَّبَهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَنَعَةٌ يَمْتَنِعُونَ بِهَا مِمَّنْ أَرَادَهُمْ مِنَ النَّاسِ بِسُوءٍ..

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ يُزَادُ فِي عَذَابِهِمْ، فَيُجْعَلُ لَهُمْ مَكَانَ الْوَاحِدِ اثْنَانِ..

﴿مَا كَانُواْ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا الْحَقَّ سَمَاعَ مُنْتَفِعٍ..

﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠﴾ [هود: ٢٠] وَلَا يُبْصِرُونَهُ إِبْصَارَ مُهْتَدٍ، لِاشْتِغَالِهِمْ بِالْكُفْرِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، عَنِ اسْتِعْمَالِ جَوَارِحِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُمْ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ.. قَدْ خَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، فَلَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ، وَلَا يُبْصِرُونَ حُجَجَ اللهِ سَمَاعَ مُنْتَفِعٍ، وَلَا إِبْصَارَ مُهْتَدٍ.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١﴾ [هود: ٢١].

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ، هُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ غَبَنُوا..

﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١﴾ [هود: ٢١] وَبَطَلَ كَذِبُهُمْ وَإِفْكُهُمْ وَفِرْيَتُهُمْ عَلَىٰ اللهِ، بِادِّعَائِهِمْ لَهُ شُرَكَاءَ، فَسَلَكَ مَا كَانُوا يَدْعُونَهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللهِ غَيْرَ مَسْلَكِهِمْ، وَأَخَذَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِمْ، فَضَلَّ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ سَلَكَ بِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، وَصَارَتْ آلِهَتُهُمْ عَدَمًا لَا شَيْءَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا حِجَارَةً أَوْ خَشَبًا أَوْ نُحَاسًا، أَوْ كَانَ للهِ وَلِيًّا، فَسَلَكَ بِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرُ مَسْلَكِهِمْ، وَذَلِكَ أَيْضًا ضَلَالٌ عَنْهُمْ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: ٢٢].

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ، الَّذِينَ قَدْ بَاعُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجِنَانِ بِمَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ، جَرَمْتُ: كَسَبْتُ الذَّنْبَ وَجَرَمْتُهُ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَا مَنَعَ عَنْ أَنَّهُمْ، وَلَا صَدَّ عَنْ أَنَّهُمْ..

﴿أَنَّهُمْ﴾ عَنْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: ٢٢] الَّذِينَ قَدْ بَاعُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجِنَانِ بِمَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هود: ٢٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُوا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿الصَّالِحَاتِ﴾ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿وَأَخْبَتُوا﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْإِخْبَاتِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَأَنَابُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: وَخَافُوا.. وَقَالَ آخَرُونَ: اطْمَأَنُّوا.. وَقَالَ آخَرُونَ: خَشَعُوا.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةُ الْمَعَانِي، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهَا؛ لِأَنَّ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ اللهِ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَمِنَ الْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ للهِ بِالطَّاعَةِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْخُشُوعِ لَهُ، غَيْرَ أَنَّ نَفْسَ الْإِخْبَاتِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُعُ.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أَخْبَتُوا لِرَبِّهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَضَعُ (اللَّامَ) مَوْضِعَ (إِلَىٰ) و (إِلَىٰ) مَوْضِعَ (اللَّامِ) كَثِيرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ٥] بِمَعْنَىٰ: أَوْحَىٰ إِلَيْهَا، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ وُصِفُوا بِأَنَّهُمْ عَمَدُوا بِإِخْبَاتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ هُمْ سُكَّانُ الْجَنَّةِ..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هود: ٢٣] لَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا، وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا لَابِثُونَ إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ.

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤].

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ مَثَلُ فَرِيقَي الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ..

﴿كَٱلْأَعْمَىٰ﴾ كَمَثَلِ الْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا يَرَىٰ بِعَيْنِهِ شَيْئًا..

﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾ الَّذِي لَا يَسْمَعُ شَيْئًا؛ فَكَذَلِكَ فَرِيقُ الْكُفْرِ لَا يُبْصِرُ الْحَقَّ، فَيَتْبَعُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ؛ لِشُغْلِهِ بِكُفْرِهِ بِاللهِ، وَغَلَبَةِ خِذْلَانِ اللهِ عَلَيْهِ، لَا يَسْمَعُ دَاعِيَ اللهِ إِلَىٰ الرَّشَادِ، فَيُجِيبُهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ فَيَهْتَدِيَ بِهِ، فَهُوَ مُقِيمٌ فِي ضَلَالَتِهِ، يَتَرَدَّدُ فِي حِيرَتِهِ..

﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ فَكَذَلِكَ فَرِيقُ الْإِيمَانِ أَبْصَرَ حُجَجَ اللهِ، وَأَقَرَّ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ وَنُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَسَمِعَ دَاعِيَ اللهِ فَأَجَابَهُ، وَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ.. وَقِيلَ: كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ، وَالْمَعْنَىٰ: كَالْأَعْمَىٰ الْأَصَمِّ، وَكَذَلِكَ قِيلَ، وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ، وَالْمَعْنَىٰ: الْبَصِيرُ السَّمِيعُ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: قَامَ الظَّرِيفُ وَالْعَاقِلُ، وَهُوَ يَنْعَتُ بِذَلِكَ شَخْصًا وَاحِدًا.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ هَلْ يَسْتَوِي هَذَانِ الْفَرِيقَانِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ حَالَتَيْهِمَا فِي أَنْفُسِهِمَا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ؟ فَإِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ عِنْدَكُمْ، فَكَذَلِكَ حَالُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ لَا يَسْتَوِيَانِ عِنْدَ اللهِ.. فَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمُّ وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ فِي اللَّفْظِ أَرْبَعَةٌ، وَفِي الْمَعْنَىٰ اثْنَانِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤] أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَتَتَفَكَّرُونَ، فَتَعْلَمُوا حَقِيقَةَ اخْتِلَافِ أَمْرَيْهِمَا، فَتَنْزَجِرُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ؟

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود: ٢٥].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿نَذِيرٌ﴾ أُنْذِرُكُمْ بَأْسَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، فَآمِنُوا بِهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ..

﴿مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود: ٢٥] يُبِينُ لَكُمْ عَمَّا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، بـ.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٦].

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ وَأَفْرِدُوا اللهَ بِالتَّوْحِيدِ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، فَإِنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ...

﴿إِنِّيٓ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنْ لَمْ تَخُصُّوا اللهَ بِالْعِبَادَةِ، وَتُفْرِدُوهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَتَخْلَعُوا مَا دُونَهُ مِنَ

الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝﴾ [هود: ٢٦] مُؤْلِمٍ عِقَابُهُ وَعَذَابُهُ لِمَنْ عُذِّبَ فِيهِ، وَجَعَلَ الْأَلِيمَ مِنْ صِفَةِ الْيَوْمِ وَهُوَ مِنْ صِفَةِ الْعَذَابِ، إِذْ كَانَ الْعَذَابُ فِيهِ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وَإِنَّمَا السَّكَنُ مِنْ صِفَةِ مَا سَكَنَ فِيهِ دُونَ اللَّيْلِ.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝﴾ [هود: ٢٧].

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ فَقَالَ الْكُبَرَاءُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَأَشْرَافِهِمْ، وَهُمُ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ نَبِيِّهِمْ نُوحٍ عليه السلام..

﴿مَا نَرَىٰكَ﴾ يَا نُوحُ..

﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّهُ آدَمِيٌّ مِثْلُهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالصُّورَةِ وَالْجِنْسِ، كَأَنَّهُمْ كَانُوا مُنْكِرِينَ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُرْسِلُ مِنَ الْبَشَرِ رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِهِ..

﴿وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ سَفَلَتُنَا مِنَ النَّاسِ دُونَ الْكُبَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ..

﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ فِيمَا يُرَىٰ وَيَظْهَرُ لَنَا..

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ وَمَا نَتَبَيَّنُ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ نِلْتُمُوهُ بِمُخَالَفَتِكُمْ إِيَّانَا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ، فَنَتَّبِعُكُمْ طَلَبَ ذَلِكَ الْفَضْلِ، وَابْتِغَاءَ مَا أَصَبْتُمُوهُ بِخِلَافِكُمْ إِيَّانَا..

﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝﴾ [هود: ٢٧] وَهَذَا خِطَابٌ مِنْهُمْ لِنُوحٍ عليه السلام، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا كَذَّبُوا نُوحًا دُونَ أَتْبَاعِهِ؛ لِأَنَّ أَتْبَاعَهُ لَمْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَأَخْرَجَ الْخِطَابَ وَهُوَ وَاحِدٌ مَخْرَجَ خِطَابِ الْجَمِيعِ، كَمَا قِيلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: بَلْ نَظُنُّكَ يَا نُوحُ فِي دَعْوَاكَ أَنَّ اللهَ ابْتَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا كَاذِبًا.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝﴾ [هود: ٢٨].

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ، إِذْ كَذَّبُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ

عِنْدِ اللهِ مِنَ النَّصِيحَةِ..

﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ عَلَىٰ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَبَيَانٍ مِنَ اللهِ لِي مَا يُلْزِمُنِي لَهُ، وَيَجِبُ عَلَيَّ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَتَرْكِ إِشْرَاكِ الْأَوْثَانِ مَعَهُ فِيهَا..

﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ وَرَزَقَنِي مِنْهُ التَّوْفِيقَ وَالنُّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ، فَآمَنْتُ بِهِ وَأَطَعْتُهُ فِيمَا أَمَرَنِي وَنَهَانِي..

﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ فَعَمَاهَا اللهُ عَلَيْكُمْ، لِقُرْبِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾، فَأَضَافَ الرَّحْمَةَ إِلَىٰ اللهِ، فَكَذَلِكَ تَعْمِيَتُهُ عَلَىٰ الْآخَرِينَ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ أَوْلَىٰ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِمَّا حَوَّلَتِ الْعَرَبُ الْفِعْلَ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي يَعْمَىٰ عَنْ إِبْصَارِ الْحَقِّ، إِذْ يَعْمَىٰ عَنْ إِبْصَارِهِ، وَالْحَقُّ لَا يُوصَفُ بِالْعَمَىٰ إِلَّا عَلَىٰ الِاسْتِعْمَالِ الَّذِي قَدْ جَرَىٰ بِهِ الْكَلَامُ، وَهُوَ فِي جَوَازِهِ لِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ إِيَّاهُ، نَظِيرُ قَوْلِهِمْ: دَخَلَ الْخَاتَمُ فِي يَدِي، وَالْخُفُّ فِي رِجْلِي، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرِّجْلَ هِيَ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الْخُفِّ، وَالْأُصْبُعَ فِي الْخَاتَمِ، وَلَكِنَّهُمُ اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا الْمُرَادُ فِيهِ..

﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أَنَأْخُذُكُمْ بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَقَدْ عَمَّاهُ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ [هود: ٢٨] وَأَنْتُمْ لِإِلْزَامِنَاكُمُوهَا كَارِهُونَ، يَقُولُ: لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ نَكِلُ أَمْرَكُمْ إِلَىٰ اللهِ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَقْضِي فِي أَمْرِكُمْ مَا يَرَىٰ وَيَشَاءُ.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ [هود: ٢٩].

﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾ هَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ..

﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ نَصِيحَتِي لَكُمْ وَدِعَايَتِكُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿مَالًاۖ﴾ أَجْرًا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَتَتَّهِمُونِي فِي نَصِيحَتِي، وَتَظُنُّونَ أَنَّ فِعْلِي ذَلِكَ طَلَبُ عَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا..

﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾ مَا ثَوَابُ نَصِيحَتِي لَكُمْ وَدِعَايَتِكُمْ إِلَىٰ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُجَازِينِي، وَيُثِيبُنِي عَلَيْهِ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ وَمَا أَنَا بِمُقْصٍ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَأَقَرَّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَخَلَعِ الْأَوْثَانِ وَتَبَرَّأَ مِنْهَا بِأَنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ عِلْيَتِكُمْ وَأَشْرَافِكُمْ..

﴿إِنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَسْأَلُونِي طَرْدَهُمْ، صَائِرُونَ إِلَىٰ اللهِ، وَاللهُ سَائِلُهُمْ عَمَّا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ، لَا عَنْ شَرَفِهِمْ وَحَسَبِهِمْ.

﴿وَلَـٰكِنِّىٓ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢٩﴾ [هود: ٢٩] الْوَاجِبَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّ اللهِ، وَاللَّازِمَ لَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ جَهْلِكُمْ سَأَلْتُمُونِي أَنْ أَطْرُدَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ.

﴿وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠﴾ [هود: ٣٠].

﴿وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى﴾ فَيَمْنَعُنِي..

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ إِنْ هُوَ عَاقَبَنِي عَلَىٰ طَرْدِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ اللهَ..

﴿إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠﴾ [هود: ٣٠] أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا تَقُولُونَ، فَتَعْلَمُونَ خَطَأَهُ فَتَنْتَهُوا عَنْهُ.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٣١﴾

[هود: ٣١].

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ..

﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي لَا يُفْنِيهَا شَيْءٌ، فَأَدْعُوكُمْ إِلَىٰ اتِّبَاعِي عَلَيْهَا..

﴿وَلَآ أَعْلَمُ﴾ أَيْضًا..

﴿ٱلْغَيْبَ﴾ مَا خَفِيَ مِنْ سَرَائِرِ الْعِبَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَأَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِي..

﴿وَلَآ أَقُولُ﴾ أَيْضًا..

﴿إِنِّى مَلَكٌ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ، فَأَكُونُ كَاذِبًا فِي دَعْوَايَ ذَلِكَ، بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كَمَا تَقُولُونَ، أُمِرْتُ بِدُعَائِكُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ..

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ﴾ اتَّبَعُونِي وَآمَنُوا بِاللهِ وَوَحَّدُوهُ الَّذِينَ..

﴿تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ تَسْتَحْقِرُهُمْ أَعْيُنُكُمْ، وَقُلْتُمْ إِنَّهُمْ أَرَاذِلُكُمْ..

﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ وَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِاللهِ..

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ اللهُ أَعْلَمُ بِضَمَائِرِ صُدُورِهِمْ، وَاعْتِقَادِ قُلُوبِهِمْ، وَهُوَ وَلِيُّ أَمْرِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا لِي مِنْهُمْ مَا ظَهَرَ وَبَدَا، وَقَدْ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِاللهِ وَاتَّبَعُونِي، فَلَا أَطْرُدُهُمْ وَلَا أَسْتَحِلُّ ذَلِكَ..

﴿إِنِّيٓ﴾ إِنْ قُلْتُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِاللهِ وَتَصْدِيقِي: لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا، وَقَضَيْتُ عَلَىٰ سَرَائِرِهِمْ، بِخِلَافِ مَا أَبْدَتْهُ أَلْسِنَتُهُمْ لِي، عَلَىٰ غَيْرِ عِلْمٍ مِنِّي بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ، وَطَرَدْتُهُمْ، أَكُونُ بِفِعْلِي ذَلِكَ..

﴿إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ [هود: ٣١] لَمِنَ الْفَاعِلِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ فِعْلُهُ، الْمُعْتَدِينَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الظُّلْمُ.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾
[هود: ٣٢].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ نُوحٍ لِنُوحٍ عليه السلام..

﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ قَدْ خَاصَمْتَنَا..

﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ فَأَكْثَرْتَ خُصُومَتَنَا..

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾ [هود: ٣٢] فِي عِدَاتِكَ، وَدَعْوَاكَ أَنَّكَ للهِ رَسُولٌ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾ [هود: ٣٣].

﴿قَالَ﴾ نُوحٌ لِقَوْمِهِ حِينَ اسْتَعْجَلُوهُ الْعَذَابَ: يَا قَوْمِ لَيْسَ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ مِنَ الْعَذَابِ إِلَيَّ..

﴿إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ، هُوَ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِهِ إِنْ شَاءَ..

﴿وَمَآ أَنتُم﴾ وَلَسْتُمْ إِذَا أَرَادَ تَعْذِيبَكُمْ..

﴿بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾ [هود: ٣٣] بِفَائِتِيهِ هَرَبًا مِنْهُ؛ لِأَنَّكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، حُكْمُهُ عَلَيْكُمْ جَارٍ.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾ [هود: ٣٤].

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ تَحْذِيرِي عُقُوبَتَهُ، وَنُزُولَ سَطْوَتِهِ بِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ فِي تَحْذِيرِي إِيَّاكُمْ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ نُصْحِيَ لَا يَنْفَعُكُمْ لِأَنَّكُمْ لَا تَقْبَلُونَهُ..

﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُهْلِكَكُمْ بِعَذَابِهِ..

﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣٤﴾ [هود: ٣٤] وَإِلَيْهِ تُرَدُّونَ بَعْدَ الْهَلَاكِ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۝٣٥﴾ [هود: ٣٥].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ افْتَرَىٰ مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ، وَهَذَا الْخَبَرَ عَنْ نُوحٍ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ فَتَخَرَّصْتُهُ وَاخْتَلَقْتُهُ..

﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾ فَعَلَيَّ إِثْمِي فِي افْتِرَائِي مَا افْتَرَيْتُ عَلَىٰ رَبِّي دُونَكُمْ، لَا تُؤَاخَذُونَ بِذَنْبِي وَلَا إِثْمِي، وَلَا أُؤَاخَذُ بِذَنْبِكُمْ..

﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۝٣٥﴾ [هود: ٣٥] وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُذْنِبُونَ، وَتَأْثَمُونَ بِرَبِّكُمْ مِنَ افْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [هود: ٣٦].

﴿وَأُوحِىَ﴾ وَأَوْحَىٰ اللهُ..

﴿إِلَىٰ نُوحٍ﴾ لَمَّا حَقَّ عَلَىٰ قَوْمِهِ الْقَوْلُ وَأَظَلَّهُمْ أَمْرُ اللهِ..

﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ﴾ يَا نُوحُ بِاللهِ، فَيُوَحِّدُهُ وَيَتَّبِعُكَ عَلَىٰ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ..

﴿مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فَصَدَّقَ بِذَلِكَ وَاتَّبَعَكَ..

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فَلَا تَسْتَكِنْ، وَلَا تَحْزَنْ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [هود: ٣٦] فَإِنِّي مُهْلِكُهُمْ، وَمُنْقِذُكَ مِنْهُمْ، وَمَنْ اتَّبَعَكَ، وَأَوْحَىٰ اللهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا دَعَا عَلَيْهِمْ نُوحٌ بِالْهَلَاكِ، فَقَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦].

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [هود: ٣٧].

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾وَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، وَأَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ، وَهُوَ السَّفِينَةُ..

﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ بِعَيْنِ اللهِ..

﴿وَوَحۡيِنَا﴾ وَوَحْيِهِ كَمَا يَأْمُرُكَ..

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾ وَلَا تَسْأَلْنِي..

﴿فِي﴾ الْعَفْوِ عَنْ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أَنْفُسَهُمْ مِنْ قَوْمِكَ، فَأَكْسَبُوهَا تَعَدِّيًا مِنْهُمْ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ الْهَلَاكَ بِالْغَرَقِ..

﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [هود: ٣٧] بِالطُّوفَانِ.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود: ٣٨].

﴿وَيَصۡنَعُ﴾ نُوحٌ..

﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾ السَّفِينَةَ..

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ﴾ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ..

﴿مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ هَزِئُوا مِنْ نُوحٍ، وَيَقُولُونَ لَهُ: أَتَحَوَّلْتَ نَجَّارًا بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَتَعْمَلُ السَّفِينَةَ فِي الْبَرِّ..

﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ لَهُمْ نُوحٌ..

﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾ إِنْ تَهْزَءُوا مِنَّا الْيَوْمَ..

﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ فَإِنَّا نَهْزَأُ مِنْكُمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود: ٣٨] كَمَا تَهْزَءُونَ مِنَّا فِي الدُّنْيَا.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾ [هود: ٣٩].

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ إِذَا عَايَنْتُمْ عَذَابَ اللهِ، مَنِ الَّذِي كَانَ إِلَىٰ نَفْسِهِ مُسِيئًا مِنَّا..

﴿مَن يَأۡتِيهِ﴾ الَّذِي يَأْتِيهِ..

﴿عَذَابٌ﴾ عَذَابُ اللهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿يُخْزِيهِ﴾ يهينُهُ وَيُذِلُّهُ..

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ وَيَنْزِلُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ مَعَ ذَلِكَ..

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝﴾ [هود: ٣٩] دَائِمٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ، مُقِيمٌ عَلَيْهِ أَبَدًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝﴾ [هود: ٤٠].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ وَيَصْنَعُ نُوحٌ الْفُلْكَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا الَّذِي وَعَدْنَاهُ أَنْ يَجِيءَ قَوْمَهُ مِنَ الطُّوفَانِ الَّذِي يُغْرِقُهُمْ..

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ..

﴿قُلْنَا﴾ لِنُوحٍ حِينَ جَاءَ عَذَابُنَا قَوْمَهُ الَّذِي، وَعَدْنَا نُوحًا أَنْ نُعَذِّبَهُمْ بِهِ، وَفَارَ التَّنُّورُ الَّذِي جَعَلْنَا فَوَرَانَهُ بِالْمَاءِ آيَةَ مَجِيءِ عَذَابِنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ لِهَلَاكِ قَوْمِهِ..

﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ يَعْنِي فِي الْفُلْكِ..

﴿مِن كُلٍّ﴾ صِنْفٍ..

﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ..

﴿وَأَهْلَكَ﴾ وَاحْمِلْ أَهْلَكَ أَيْضًا فِي الْفُلْكِ، يَعْنِي بِالْأَهْلِ: وَلَدَهُ وَنِسَاءَهُ وَأَزْوَاجَهُ..

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ إِلَّا مَنْ قُلْتُ فِيهِمْ إِنِّي مُهْلِكُهُ مَعَ مَنْ أُهْلِكُ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ﴾ وَاحْمِلْ مَعَهُمْ مَنْ صَدَّقَكَ وَاتَّبَعَكَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝﴾ [هود: ٤٠] وَمَا أَقَرَّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ مَعَ نُوحٍ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا قَلِيلٌ، فَحَمَلَهُمْ نُوحٌ فِيهَا.

﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [هود: ٤١].

﴿۞ وَقَالَ﴾ نُوحٌ لَهُم..

﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ فِي الْفُلْكِ..

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ﴾ بِسْمِ اللهِ حِينَ تَجْرِي وَتَسِيرُ، وَحِينَ تُرْسِي وَتَقِفُ..

﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ لَسَاتِرٌ ذُنُوبَ مَنْ تَابَ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝﴾ [هود: ٤١] بِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢].

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ وَالْفُلْكُ تَجْرِي بِنُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِيهَا..

﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ يَامَ..

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عَنْهُ لَمْ يَرْكَبْ مَعَهُ الْفُلْكَ..

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ الْفُلْكَ..

﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢].

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣].

﴿قَالَ﴾ ابْنُ نُوحٍ لَمَّا دَعَاهُ نُوحٌ إِلَى أَنْ يَرْكَبَ مَعَهُ السَّفِينَةَ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْغَرَقِ..

﴿سَآوِي﴾ سَأَصِيرُ..

﴿إِلَى جَبَلٍ﴾ أَتَحَصَّنُ بِهِ..

﴿يَعْصِمُنِي﴾ فَيَمْنَعُنِي..

﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ أَنْ يُغْرِقَنِي..

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ﴾ لَا مَانِعَ..

﴿الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِالْخَلْقِ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْهَلَاكِ..

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَنَا، فَأَنْقَذَنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ الَّذِي يَمْنَعُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَيَعْصِمُ، فَـ(مَنْ) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: لَا عَاصِمَ يَعْصِمُ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا اللهُ.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ..

﴿الْمَوْجُ﴾ مَوْجُ الْمَاءِ..

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣] فَغَرِقَ، فَكَانَ مِمَّنْ أَهْلَكَهُ اللهُ بِالْغَرَقِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ﷺ.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤].

﴿وَقِيلَ﴾ وَقَالَ اللهُ لِلْأَرْضِ بَعْدَ مَا تَنَاهَى أَمْرُهُ فِي هَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ بِمَا أَهْلَكَهُمْ بِهِ مِنَ الْغَرَقِ..

﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي﴾ تَشَرَّبِي..
﴿مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أَمْسِكِي عَنِ الْمَطَرِ..
﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ ذَهَبَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَنَشَّفَتْهُ..
﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ قُضِيَ أَمْرُ اللهِ، فَمَضَىٰ بِهَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ..
﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ وأُرْسَتْ الْفُلْكَ..
﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ وَهُوَ جَبَلٌ -فِيمَا ذُكِرَ- بِنَاحِيَةِ الْمَوْصِلِ أَوْ الْجَزِيرَةِ..
﴿وَقِيلَ﴾ وَقَالَ اللهُ..
﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود: ٤٤] أَبْعَدَ اللهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ [هود: ٤٥].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ تُنْجِيَنِي مِنَ الْغَرَقِ وَالْهَلَاكِ وَأَهْلِي..
﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ وَقَدْ هَلَكَ ابْنِي، وَابْنِي مِنْ أَهْلِي..
﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ..
﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ [هود: ٤٥] بِالْحَقِّ، فَاحْكُمْ لِي بِأَنْ تَفِي بِمَا وَعَدْتَنِي مِنْ أَنْ تُنْجِيَ لِي أَهْلِي، وَتُرْجِعَ إِلَيَّ ابْنِي.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود: ٤٦].

﴿قَالَ﴾ اللهُ..
﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ يا نُوحُ إِنَّ الَّذِي غَرَّقْتُهُ فَأَهْلَكْتُهُ، الَّذِي تَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِكَ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ وَعَدْتُكَ أَنْ أُنْجِيَهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لِدِينِكَ مُخَالِفًا وَبِي كَافِرًا، وَكَانَ ابْنَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ ابْنُهُ، فَقَالَ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّهُ ابْنُهُ فَيَكُونَ بِخِلَافِ مَا أَخْبَرَ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ بِابْنِهِ، إِذْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ مُحْتَمِلًا مِنَ الْمَعْنَىٰ مَا ذَكَرْنَا، وَمُحْتَمِلًا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ، ثُمَّ يَحْذِفُ (الدِّينَ) فَيُقَالُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ سُؤَالَكَ إِيَّايَ مَا تَسْأَلُنِيهِ فِي ابْنِكَ الْمُخَالِفِ دِينَكَ، الْمُوَالِي أَهْلَ الشِّرْكِ بِي مِنَ النَّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ، وَقَدْ مَضَتْ إِجَابَتِي إِيَّاكَ فِي دُعَائِكَ: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦] مَا قَدْ مَضَىٰ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءِ أَحَدٍ مِنْهُمْ..

﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ لِأَنَّهُ مَسْأَلَةٌ مِنْكَ إِلَيَّ أَنْ لَا أَفْعَلَ مَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي الْقَوْلُ بِأَنِّي أَفْعَلُهُ فِي إِجَابَتِي مَسْأَلَتَكَ إِيَّايَ فِعْلَهُ، فَذَلِكَ هُوَ الْعَمَلُ غَيْرُ الصَّالِحِ..

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ نَهْيٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ نُوحًا أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ أَسْبَابِ أَفْعَالِهِ الَّتِي قَدْ طَوَىٰ عِلْمَهَا عَنْهُ، وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ..

﴿إِنِّيٓ﴾ يَا نُوحُ قَدْ أَخْبَرْتُكَ عَنْ سُؤَالِكَ سَبَبَ إِهْلَاكِي ابْنَكَ الَّذِي أَهْلَكْتُهُ، فَلَا تَسْأَلْنِ بَعْدَهَا عَمَّا قَدْ طَوَيْتُ عِلْمَهُ عَنْكَ مِنْ أَسْبَابِ أَفْعَالِي، وَلَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي..

﴿أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ [هود: ٤٦] فِي مَسْأَلَتِكَ إِيَّايَ عَنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾: (أَنْ تَبْلُغَ الْجَهَالَةُ بِكَ أَنْ لَا أَفِي لَكَ بِوَعْدٍ وَعَدْتُكَ حَتَّىٰ تَسْأَلَنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود: ٤٧]).

> ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود: ٤٧].

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ إِنَابَةِ نُوحٍ عليه السلام بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِنْ زَلَّتِهِ فِي مَسْأَلَتِهِ الَّتِي سَأَلَهَا رَبَّهُ فِي ابْنِهِ..

﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ أَسْتَجِيرُ بِكَ..

﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ أَنْ أَتَكَلَّفَ مَسْأَلَتَكَ..

﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِمَّا قَدِ اسْتَأْثَرْتَ بِعِلْمِهِ، وَطَوَيْتَ عِلْمَهُ عَنْ خَلْقِكَ، فَاغْفِرْ لِي زَلَّتِي فِي مَسْأَلَتِي إِيَّاكَ مَا سَأَلْتُكَ فِي ابْنِي..

﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْفِرْهَا لِي..

﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ فَتُنْقِذْنِي مِنْ غَضَبِكَ..

﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود: ٤٧] الَّذِينَ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا وَهَلَكُوا.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: ٤٨].

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ مِنَ الْفُلْكِ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿بِسَلَٰمٍ﴾ بِأَمْنٍ..

﴿مِّنَّا﴾ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنْ إِهْلَاكِنَا..

﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ وَبِبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ..

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ وَعَلَىٰ قُرُونٍ تَجِيءُ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ مَعَكَ مِنْ وَلَدِكَ، فَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ السَّعَادَةُ، وَبَارَكَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَأَصْلَابِ آبَائِهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نُوحًا عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ بِأَهْلِ الشَّقَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَقَالَ لَهُ..

﴿وَأُمَمٌ﴾ وَقُرُونٌ وَجَمَاعَةٌ..

﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ نَرْزُقُهُمْ فِي الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغُوا آجَالَهُمْ..

﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم﴾ ثُمَّ نُذِيقُهُمْ..

﴿مِّنَّا﴾ إِذَا وَرَدُوا عَلَيْنَا..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: ٤٨] عَذَابًا مُؤْلِمًا مُوجِعًا.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْقِصَّةُ الَّتِي أَنْبَأْتُكَ بِهَا -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ قِصَّةِ نُوحٍ وَخَبَرِهِ وَخَبَرِ قَوْمِهِ هِيَ..

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ مِنْ أَخْبَارِ..

﴿ٱلْغَيْبِ﴾ الَّتِي لَمْ تَشْهَدْهَا فَتَعْلَمُهَا..

﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ نَحْنُ فَنُعَرِّفُكَهَا..

﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ الْوَحْيِ الَّذِي نُوحِيهِ إِلَيْكَ..

﴿فَٱصْبِرْ﴾ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَمَا تَلْقَىٰ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، كَمَا صَبَرَ نُوحٌ..

﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ إِنَّ الْخَيْرَ مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ..

﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩] لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ، فَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ، وَاجْتَنَبَ مَعَاصِيَهُ، فَهُمُ الْفَائِزُونَ بِمَا يُؤَمِّلُونَ مِنَ النَّعِيمِ فِي الْآخِرَةِ، وَالظَّفَرِ فِي الدُّنْيَا بِالطَّلِبَةِ، كَمَا كَانَتْ عَاقِبَةُ نُوحٍ إِذْ صَبَرَ لِأَمْرِ

اللهِ أَنْ نَجَّاهُ مِنَ الْهَلَكَةِ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَأَعْطَاهُ فِي الْآخِرَةِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَغَرَّقَ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعَهُمْ.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

﴿وَإِلَىٰ﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ..

﴿عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، دُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ لَيْسَ لَكُمْ مَعْبُودٌ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ عَلَيْكُمْ غَيْرُهُ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوهُ بِالْأُلُوهَةِ..

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠] مَا أَنْتُمْ فِي إِشْرَاكِكُمْ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ إِلَّا أَهْلُ فِرْيَةٍ مُكَذِّبُونَ، تَخْتَلِقُونَ الْبَاطِلَ؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ سِوَاهُ.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١].

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هُودٍ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَىٰ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَخَلْعِ الْأَوْثَانِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهَا جَزَاءً وَثَوَابًا..

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ إِنْ ثَوَابِي وَجَزَائِي عَلَىٰ نَصِيحَتِي لَكُمْ، وَدُعَائِكُمْ إِلَىٰ اللهِ..

﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي خَلَقَنِي..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١] أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَبْتَغِي بِدِعَايَتِكُمْ إِلَىٰ اللهِ غَيْرَ النَّصِيحَةِ لَكُمْ، وَطَلَبَ الْحَظِّ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَلْتَمَسْتُ مِنْكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بَعْضَ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، وَطَلَبْتُ مِنْكُمُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ آمِنُوا بِهِ حَتَّىٰ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ.. وَالِاسْتِغْفَارُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّ هُودًا ﷺ، إِنَّمَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، كَمَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ:

﴿أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٣- ٤]..

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ ثُمَّ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ مِنْ سَالِفِ ذُنُوبِكُمْ، وَعِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ فَإِنَّكُمْ إِنْ آمَنْتُمْ بِاللهِ، وَتُبْتُمْ مِنْ كُفْرِكُمْ بِهِ، أَرْسَلَ قَطْرَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ يُدِرُّ لَكُمُ الْغَيْثَ فِي وَقْتِ حَاجَتِكُمْ إِلَيْهِ، وَتَحْيَا بِلَادُكُمْ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ..

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ شِدَّةً إِلَىٰ شِدَّتِكُمْ إِنْ آمَنْتُم..

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْاْ﴾ وَلَا تُدْبِرُوا عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾ [هود: ٥٢] كَافِرِينَ بِاللهِ.

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣﴾ [هود: ٥٣].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ هُودٍ لِهُودٍ..

﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ مَا أَتَيْتَنَا بِبَيَانٍ، وَلَا بُرْهَانٍ عَلَىٰ مَا تَقُولُ، فَنُسَلِّمُ لَكَ، وَنُقِرُّ بِأَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ..

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا لِقَوْلِكَ، أَوْ مِنْ أَجْلِ قَوْلِكَ..

﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ﴾ بِمَا تَدَّعِي مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ مِنَ اللهِ إِلَيْنَا..

﴿بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣﴾ [هود: ٥٣] بِمُصَدِّقِينَ.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤﴾ [هود: ٥٤].

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، عَنْ قَوْلِ قَوْمِ هُودٍ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ، إِذْ نَصَحَ لَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِهِ، وَخَلْعِ الْأَوْثَانِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهَا: لَا نَتْرُكُ عِبَادَةَ آلِهَتِنَا، وَمَا نَقُولُ إِلَّا أَنَّ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَمِّهَا وَالنَّهْيِ عَنْ عِبَادَتِهَا، أَنَّهُ أَصَابَكَ مِنْهَا خَبْلٌ مِنْ جُنُونٍ..

﴿قَالَ﴾ فَقَالَ هُودٌ لَهُمْ..

﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ عَلَىٰ نَفْسِي..

﴿وَٱشْهَدُوٓاْ﴾ وَأُشْهِدُكُمْ أَيْضًا أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤﴾ [هود: ٥٤] فِي عِبَادَةِ اللهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَوْثَانِكُمْ.

﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٥].

﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي﴾ فَاحْتَالُوا أَنْتُمْ..

﴿جَمِيعٗا﴾ وَآلِهَتُكُمْ فِي ضَرِّي وَمَكْرُوهِي..

﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٥] ثُمَّ لَا تُؤَخِّرُونَ ذَلِكَ، فَانْظُرُوا هَلْ تَنَالُونَنِي أَنْتُمْ وَهُمْ بِمَا زَعَمْتُمْ أَنَّ آلِهَتَكُمْ نَالَتْنِي بِهِ مِنَ السُّوءِ.

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦﴾ [هود: ٥٦].

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ إِنِّي عَلَىٰ اللهِ الَّذِي هُوَ مَالِكِي وَمَالِكُكُمْ وَالْقَيِّمُ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ، تَوَكَلْتُ مِنْ أَنْ تُصِيبُونِي أَنْتُمْ وَغَيْرُكُمْ مِنَ الْخَلْقِ بِسُوءٍ..

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يَدُبُّ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلَّا وَاللهُ مَالِكُهُ وَهُوَ فِي قَبْضَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ذَلِيلٌ لَهُ خَاضِعٌ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، فَخَصَّ بِالْأَخْذِ النَّاصِيَةَ دُونَ سَائِرِ أَمَاكِنِ الْجَسَدِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ فِي وَصْفِهَا مَنْ وَصَفَتْهُ بِالذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ، فَتَقُولُ: مَا نَاصِيَةُ فُلَانٌ إِلَّا بِيَدِ فُلَانٍ، أَيْ أَنَّهُ لَهُ مُطِيعٌ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ شَاءَ؛ وَكَانُوا إِذَا أَسَرُوا الْأَسِيرَ فَأَرَادُوا إِطْلَاقَهُ وَالْمَنَّ عَلَيْهِ جَزُّوا نَاصِيَتَهُ لِيَعْتَدُّوا بِذَلِكَ عَلَيْهِ فَخْرًا عِنْدَ الْمُفَاخَرَةِ، فَخَاطَبَهُمُ اللهُ بِمَا يَعْرِفُونَ فِي كَلَامِهِمْ..

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦﴾ [هود: ٥٦] إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ، يُجَازِي الْمُحْسِنَ مِنْ خَلْقِهِ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ بِهِ.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٥٧﴾ [هود: ٥٧].

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فَإِنْ أَدْبَرُوا مُعْرِضِينَ عَمَّا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ وَمَا عَلَىٰ الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ..

﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ يُهْلِكُكُمْ رَبِّي، ثُمَّ يَسْتَبْدِلُ رَبِّي مِنْكُمْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، يُوَحِّدُونَهُ وَيُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ وَلَا تَقْدُرُونَ لَهُ عَلَىٰ ضَرٍّ إِذَا أَرَادَ إِهْلَاكَكُمْ أَوْ أَهْلَكَكُمْ.. وَقَدْ قِيلَ: لَا يَضُرُّهُ هَلَاكُكُمْ إِذَا أَهْلَكَكُمْ لَا تَنْقُصُونَهُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ سَوَاءٌ عِنْدَهُ كُنْتُمْ أَوْ لَمْ تَكُونُوا..

﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧﴾ [هود: ٥٧] إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ ذُو حِفْظٍ وَعِلْمٍ، يَقُولُ: هُوَ الَّذِي يَحْفَظُنِي مِنْ أَنْ تَنَالُونِي بِسُوءٍ.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨﴾ [هود: ٥٨].

﴿وَلَمَّا جَآءَ﴾ قَوْمَ هُودٍ..

﴿أَمْرُنَا﴾ عَذَابُنَا..

﴿نَجَّيْنَا﴾ مِنْهُ..

﴿هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ..

﴿مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بِفَضْلٍ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَنِعْمَةٍ..

﴿وَنَجَّيْنَٰهُم﴾ أَيْضًا..

﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨﴾ [هود: ٥٨] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا نَجَّيْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّخْطَةِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا بِعَادٍ.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩﴾ [هود: ٥٩].

﴿وَتِلْكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَحْلَلْنَا بِهِمْ نِقْمَتَنَا وَعَذَابَنَا..

﴿عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ عَادٌ جَحَدُوا بِأَدِلَّةِ اللهِ وَحُجَجِهِ..

﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ لِلدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ..

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩﴾ [هود: ٥٩] مُسْتَكْبِرٍ عَلَىٰ اللهِ، حَائِدٍ عَنِ الْحَقِّ لَا يُذْعِنُ لَهُ، وَلَا يَقْبَلُهُ.

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝٦٠﴾ [هود: ٦٠].

﴿وَأُتْبِعُوا۟﴾ وَأُتْبِعَ عَادٌ قَوْمُ هُودٍ..

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ غَضَبًا مِنَ اللهِ..

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وَسَخطَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِثْلَهَا لَعْنَةٌ إِلَىٰ اللَّعْنَةِ الَّتِي سَلَفَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ٦٠﴾ [هود: ٦٠] أَبْعَدَهُمُ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١﴾ [هود: ٦١].

﴿* وَإِلَىٰ﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ..

﴿ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ، فَـ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تَجُوزُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ هُوَ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ، فَخَرَجَ الْخِطَابُ لَهُمْ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ فِعْلَهُ بِمَنْ هُمْ مِنْهُ..

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وَجَعَلَكُمْ عُمَّارًا فِيهَا، أَسْكَنَكُمْ فِيهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ..

﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ اعْمَلُوا عَمَلًا يَكُونُ سَبَبًا لِسِتْرِ اللهِ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ، لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ صَالِحٍ..

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ ثُمَّ اتْرُكُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَكْرَهُهُ رَبُّكُمْ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ وَيُحِبُّهُ..

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ مِمَّنْ أَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي التَّوْبَةِ..

﴿مُّجِيبٌ ٦١﴾ [هود: ٦١] لَهُ إِذَا دَعَاهُ.

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٦٢﴾ [هود: ٦٢].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتْ ثَمُودُ لِصَالِحٍ نَبِيِّهِمْ..

﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ كُنَّا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ فِينَا سَيِّدًا..

﴿قَبْلَ هَٰذَآۖ﴾ الْقَوْلِ الَّذِي قُلْتَهُ لَنَا، مِنْ أَنَّهُ مَالَنَا إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ..

﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ الْآلِهَةَ الَّتِي كَانَتْ آبَاؤُنَا تَعْبُدُ..

﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ يَعْنُونَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ صِحَّةَ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ

اللهِ، وَأَنَّ الْأُلُوهَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لَهُ خَالِصًا..

﴿مُرِيبٍ ۝﴾ [هود: ٦٢] يُوجِبُ التُّهْمَةَ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝﴾ [هود: ٦٣].

﴿قَالَ﴾ صَالِحٌ لِقَوْمِهِ مِنْ ثَمُودَ..

﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بُرْهَانٍ وَبَيَانٍ..

﴿مِّن رَّبِّي﴾ مِنَ اللهِ، قَدْ عَلِمْتُهُ وَأَيْقَنْتُهُ..

﴿وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ وَآتَانِي مِنْهُ النُّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْإِسْلَامَ..

﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ فَمَنِ الَّذِي يَدْفَعُ عَنِّي عِقَابَهُ إِذَا عَاقَبَنِي إِنْ أَنَا عَصَيْتُهُ، فَيُخَلِّصُنِي مِنْهُ..

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بِعُذْرِكُمُ الَّذِي تَعْتَذِرُونَ بِهِ مِنْ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ..

﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝﴾ [هود: ٦٣] لَكُمْ يُخْسِرُكُمْ حُظُوظَكُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝﴾ [هود: ٦٤].

﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ مِنْ ثَمُودَ، إِذْ قَالُوا لَهُ ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝﴾ [هود: ٦٢]، وَسَأَلُوهُ الْآيَةَ عَلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ: يَا قَوْمِ..

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ حُجَّةً وَعَلَامَةً، وَدَلَالَةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ..

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ رِزْقُهَا وَلَا مُؤْنَتُهَا..

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ لَا تَقْتُلُوهَا وَلَا تَنَالُوهَا بِعَقْرٍ..

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝﴾ [هود: ٦٤] فَإِنَّكُمْ إِنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ يَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ مِنَ اللهِ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيُهْلِكَكُمْ.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝﴾ [هود: ٦٥].

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فَعَقَرَتْ ثَمُودُ نَاقَةَ اللهِ، وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ

الظَّاهِرِ عَلَيْهِ، وَهُوَ: فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا..

﴿فَقَالَ﴾ لَهُمْ صَالِحٌ..

﴿تَمَتَّعُواْ﴾ اسْتَمْتِعُوا..

﴿فِي دَارِكُمْ﴾ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِحَيَاتِكُمْ..

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْأَجَلُ الَّذِي أَجَّلْتُكُمْ..

﴿وَعْدٌ﴾ مِنَ اللهِ، وَعَدَكُمْ بِانْقِضَائِهِ الْهَلَاكَ، وَنُزُولَ الْعَذَابِ بِكُمْ..

﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ ٦٥﴾ [هود: ٦٥] لَمْ يَكْذِبْكُمْ فِيهِ مَنْ أَعْلَمَكُمْ ذَلِكَ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود: ٦٦].

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ ثَمُودَ..

﴿أَمْرُنَا﴾ عَذَابُنَا..

﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِهِ..

﴿مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ﴾ بِنِعْمَةٍ وَفَضْلٍ..

﴿مِّنَّا﴾ مِنَ اللهِ..

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ﴾ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ هَوَانِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَذُلِّهِ بِذَلِكَ الْعَذَابِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود: ٦٦] فِي بَطْشِهِ إِذَا بَطَشَ بِشَيْءٍ أَهْلَكَهُ، كَمَا أَهْلَكَ ثَمُودَ حِينَ بَطَشَ بِهَا الْعَزِيزُ، فَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، بَلْ يَغْلِبُ كُلَّ شَيْءٍ وَيَقْهَرُهُ.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾ [هود: ٦٧].

﴿وَأَخَذَ﴾ وَأَصَابَ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فَعْلُهُ، مِنْ عَقْرِ نَاقَةِ اللهِ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾ [هود: ٦٧] قَدْ جَثَمَتْهُمُ الْمَنَايَا، وَتَرَكَتْهُمْ خُمُودًا بِأَفْنِيَتِهِمْ.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ٦٨﴾ [هود: ٦٨].

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ﴾ كَأَنْ لَمْ يَعِيشُوا فِيهَا، وَلَمْ يَعْمُرُوا بِهَا..

﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ﴾ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَجَحَدُوهَا..

﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝٦٨﴾ [هود: ٦٨] أَلَا أَبْعَدَ اللهُ ثَمُودَ؛ لِنُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾ [هود: ٦٩].

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ كَانُوا جِبْرَئِيلَ وَمَلَكَيْنِ آخَرَيْنِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمَلَكَيْنِ الْآخَرَيْنِ كَانَا مِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ مَعَهُ..

﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلَ اللهِ..

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بِالْبِشَارَةِ.. وَاخْتَلَفُوا فِي تِلْكَ الْبِشَارَةِ الَّتِي أَتَوْهُ بِهَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْبِشَارَةُ بِإِسْحَاقَ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْبِشَارَةُ بِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ﴾ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ سَلَامًا.. كَأَنَّهُ قِيلَ: قَالُوا قَوْلًا وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ..

﴿سَلَٰمٌۖ﴾ بِمَعْنَىٰ: عَلَيْكُمُ السَّلَامُ، أَوْ بِمَعْنَىٰ: سَلَامٌ مِنْكُمْ..

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾ [هود: ٦٩] مَحْنُوذٍ، وَالْمَحْنُوذُ: الْمَشْوِي.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾ [هود: ٧٠].

﴿فَلَمَّا رَءَآ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ الْعِجْلِ الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ، وَالطَّعَامِ الَّذِي قَدَّمَ إِلَيْهِمْ..

﴿نَكِرَهُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدَّمَ طَعَامَهُ ﷺ إِلَيْهِمْ -فِيمَا ذُكِرَ- كَفُّوا عَنْ أَكْلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَأْكُلُهُ، وَكَانَ إِمْسَاكُهُمْ عَنْ أَكْلِهِ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ ضِيفَانُهُ مُسْتَنْكَرًا، وَلَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ مَعْرِفَةٌ، وَرَاعَهُ أَمْرُهُمْ..

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ﴾ أَحَسَّ فِي نَفْسِهِ مِنْهُمْ خِيفَةً وَأَضْمَرَهَا.. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: **(كَانَ إِنْكَارُهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ، أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ، فَلَمْ يَطْعَمْ مِنْ طَعَامِهِمْ، ظَنُّوا أَنَّهُ لَمْ يَجِيءْ بِخَيْرٍ، وَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِشَرٍّ)**..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَمَّا رَأَتْ مَا بِإِبْرَاهِيمَ مِنَ الْخَوْفِ مِنْهُمْ..

﴿لَا تَخَفۡ﴾ لَا تخَفْ مِنَّا وَكُنْ آمِنًا، فَـ..

﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ [هود: ٧٠] إِنَّا مَلَائِكَةُ رَبِّكَ، أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود: ٧١].

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ سَارَةُ..

﴿قَآئِمَةٞ﴾ كَانَتْ قَائِمَةً مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ، تَسْتَمِعُ كَلَامَ الرُّسُلِ، وَكَلَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ: كَانَتْ قَائِمَةً تَخْدُمُ الرُّسُلَ، وَإِبْرَاهِيمُ جَالِسٌ مَعَ الرُّسُلِ..

﴿فَضَحِكَتۡ﴾ فَعَجِبَتْ مِنْ غَفْلَةِ قَوْمِ لُوطٍ عَمَّا قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَغَفْلَتِهِمْ عَنْهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا؛ لِأَنَّهُ ذُكِرَ عُقِيبَ قَوْلِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾، وَكَانَ لَا وَجْهَ لِلْضَحِكِ وَالتَّعَجُّبِ مِنْ قَوْلِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿لَا تَخَفۡ﴾، كَانَ الضَّحِكُ وَالتَّعَجُّبِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَمْرِ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا﴾ فَبَشَّرْنَا سَارَةَ امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ ثَوَابًا مِنَّا لَهَا عَلَىٰ نَكِيرِهَا وَعَجَبِهَا مِنْ فِعْلِ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿بِإِسۡحَٰقَ﴾ وَلَدًا لَهَا..

﴿وَمِن وَرَآءِ﴾ وَمِنْ خَلْفِ.. وَالْوَرَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: وَلَدُ الْوَلَدِ..

﴿إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود: ٧١] مِنَ ابْنِهَا إِسْحَاقَ.

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾ [هود: ٧٢].

﴿قَالَتۡ﴾ سَارَةُ لَمَّا بُشِّرَتْ بِإِسْحَاقَ أَنَّهَا تَلِدُ، تَعَجُّبًا مِمَّا قِيلَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ، إِذْ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتِ السِّنَّ الَّتِي لَا يَلِدُ مَنْ كَانَ قَدْ بَلَغَهَا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ يَوْمَئِذٍ ابْنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ..

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ مِنَ الشَّيْءِ، وَالِاسْتِنْكَارِ لِلشَّيْءِ..

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ..

﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ وَالْبَعْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الزَّوْجُ؛ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَيِّمُ أَمْرِهَا، كَمَا سَمَّوْا مَالِكَ الشَّيْءِ: بَعْلَهُ، وَكَمَا قَالُوا لِلْنخلِ الَّتِي تَسْتَغْنِي بِمَاءِ السَّمَاءِ عَنْ سَقْيِ مَاءِ الْأَنْهَارِ وَالْعُيُونِ الْبَعْلَ، لِأَنَّ مَالِكَ الشَّيْءِ الْقَيِّمُ بِهِ، وَالنَّخْلَ الْبَعْلَ بِمَاءِ السَّمَاءِ حَيَاتُهُ..

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾ [هود: ٧٢] إِنَّ كَوْنَ الْوَلَدِ مِنْ مِثْلِي وَمِثْلِ بَعْلِي عَلَىٰ السِّنِّ الَّتِي بِهَا نَحْنُ لَشَيْءٌ عَجِيبٌ.

﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾

[هود: ٧٣].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتِ الرُّسُلُ لَهَا..

﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرٍ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يَكُونَ، وَقَضَاءٍ قَضَاهُ اللهُ فِيكِ، وَفِي بَعْلِكِ؟..

﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ وَسَعَادَتُهُ..

﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ لَكُمْ..

﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ أَهْلَ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿حَمِيدٞ﴾ مَحْمُودٌ فِي تَفَضُّلِهِ عَلَيْكُمْ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ عَلَيْكُمْ، وَعَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ..

﴿مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: ٧٣] ذُو مَجْدٍ وَمَدْحٍ وَثَنَاءٍ كَرِيمٍ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤﴾ [هود: ٧٤].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَوْفُ الَّذِي أَوْجَسَهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ رُسُلِنَا حِينَ رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَىٰ طَعَامِهِ، وَأَمِنَ أَنْ يَكُونَ قُصِدَ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ بِسُوءٍ..

﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بِإِسْحَاقَ، وَقَدْ قِيلَ: وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ أَنَّهُمْ لَيْسُوا إِيَّاهُ يُرِيدُونَ..

﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤﴾ [هود: ٧٤] ظَلَّ يُخَاصِمُنَا بِجِدَالِ رُسُلِنَا.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [هود: ٧٥].

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ لَبَطِيءُ الْغَضَبِ..

﴿أَوَّٰهٞ﴾ مُتَذَلِّلٌ لِرَبِّهِ خَاشِعٌ لَهُ، مُنْقَادٌ لِأَمْرِهِ..

﴿مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [هود: ٧٥] رَجَّاعٌ إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ [هود: ٧٦].

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ وَذَلِكَ قِيلُهُمْ لَهُ حِينَ جَادَلَهُمْ فِي قَوْمِ لُوطٍ، فَقَالُوا: دَعْ عَنْكَ الْجِدَالَ فِي أَمْرِهِمْ وَالْخُصُومَةِ فِيهِ..

﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بِعَذَابِهِمْ، وَحَقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَمَضَىٰ فِيهِمْ بِهَلَاكِهِمُ الْقَضَاءُ..

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ قَوْمَ لُوطٍ..

﴿ءَاتِيهِمْ﴾ نَازِلٌ بِهِمْ..

﴿عَذَابٌ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝٧٦﴾ [هود: ٧٦] غَيْرُ مَدْفُوعٍ.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾ [هود: ٧٧].

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ مَلَائِكَتُنَا..

﴿لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ سَاءَهُ مَجِيئُهُمْ..

﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ وَضَاقَ بِمَجِيئِهِمْ..

﴿ذَرْعًا﴾ وَضَاقَتْ نَفْسُهُ غَمًّا بِمَجِيئِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللهِ فِي حَالِ مَا سَاءَهُ مَجِيئُهُمْ، وَعَلِمَ مِنْ قَوْمِهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِتْيَانِهِمُ الْفَاحِشَةَ، وَخَافَ عَلَيْهِمْ، فَضَاقَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِمَجِيئِهِمْ ذَرْعًا، وَعَلِمَ أَنَّهُ سَيَحْتَاجُ إِلَىٰ الْمُدَافَعَةِ عَنْ أَضْيَافِهِ..

﴿وَقَالَ﴾ وَلِذَلِكَ قَالَ لُوطٌ..

﴿هَٰذَا﴾ الْيَوْمُ..

﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾ [هود: ٧٧] شَدِيدٌ شَرُّهُ، عَظِيمٌ بَلَاؤُهُ.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨﴾ [هود: ٧٨].

﴿وَجَآءَهُۥ﴾ وَجَاءَ لُوطًا..

﴿قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يَسْتَحِثُّونَ إِلَيْهِ، يَرْعَدُونَ مَعَ سُرْعَةِ الْمَشْيِ، مِمَّا بِهِمْ مِنْ طَلَبِ الْفَاحِشَةِ..

﴿وَمِن قَبْلُ﴾ مَجِيئِهِمْ إِلَىٰ لُوطٍ..

﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ فِي أَدْبَارِهِمْ..

﴿قَالَ﴾ لُوطٌ لِقَوْمِهِ لَمَّا جَاءُوا يُرَاوِدُونَهُ عَنْ ضَيْفِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ نِسَاءَ أُمَّتِهِ فَانْكِحُوهُنَّ فَـ..

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ بَنَاتِي أَطْهَرُ لَكُمْ مِمَّا تُرِيدُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَاخْشَوُا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاحْذَرُوا عِقَابَهُ فِي إِتْيَانِكُمُ الْفَاحِشَةَ الَّتِي تَأْتُونَهَا وَتَطْلُبُونَهَا..

﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ وَلَا تُذِلُّونِي بِأَنْ تَرْكَبُوا مِنِّي..

﴿فِي ضَيْفِي﴾ مَا يَكْرَهُونَ أَنْ تَرْكَبُوهُ مِنْهُمْ، وَالضَّيْفُ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ جَمْعٍ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْوَاحِدَ وَالْجَمْعَ (ضَيْفًا) بِلَفْظٍ وَاحِدٍ كَمَا قَالُوا: رَجُلٌ عَدْلٌ، وَقَوْمٌ عَدْلٌ..

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨﴾ [هود: ٧٨] ذُو رَشَدٍ، يَنْهَىٰ مَنْ أَرَادَ رُكُوبَ الْفَاحِشَةِ مِنْ ضَيْفِي، فَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ؟!

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾ [هود: ٧٩].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ قَوْمُ لُوطٍ لِلُوطٍ..

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يَا لُوطُ..

﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ لِأَنَّهُنَّ لَسْنَ لَنَا أَزْوَاجًا..

﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا لُوطُ..

﴿لَتَعْلَمُ﴾ أَنَّ حَاجَتَنَا فِي غَيْرِ بَنَاتِكَ..

﴿مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾ [هود: ٧٩] وَأَنَّ الَّذِي نُرِيدُ هُوَ مَا تَنْهَانَا عَنْهُ.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [هود: ٨٠].

﴿قَالَ﴾ لُوطٌ لِقَوْمِهِ حِينَ أَبَوْا إِلَّا الْمُضِيَّ لِمَا قَدْ جَاءُوا لَهُ مِنْ طَلَبِ الْفَاحِشَةِ وَأَيِسَ مِنْ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ إِلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا عَرَضَ عَلَيْهِمْ..

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ بِأَنْصَارٍ تَنْصُرُنِي عَلَيْكُمْ وَأَعْوَانٍ تُعِينُنِي..

﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [هود: ٨٠] أَوْ أَنْضَمُّ إِلَىٰ عَشِيرَةٍ مَانِعَةٍ تَمْنَعُنِي مِنْكُمْ، لَحُلْتُ بَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ مَا جِئْتُمْ تُرِيدُونَهُ مِنِّي فِي أَضْيَافِي، وَحُذِفَ جَوَابُ ﴿لَوْ﴾ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ مَفْهُومٌ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ لُوطٍ؛ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ، إِذْ قَالَ ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾، مَا بَعَثَ اللهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ**».. وَالثَّرْوَةُ: الْكَثْرَةُ وَالْمَنَعَةُ.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾ [هود: ٨١].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِلُوطٍ لَمَّا قَالَ لُوطٌ لِقَوْمِهِ ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ [هود: ٨٠]، وَرَأَوْا مَا لَقِيَ مِنَ الْكَرْبِ بِسَبَبِهِمْ مِنْهُمْ..

﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أُرْسِلْنَا لِإِهْلَاكِهِمْ..

﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ وَإِنَّهُمْ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ، وَإِلَىٰ ضَيْفِكَ بِمَكْرُوهٍ، فَهَوِّنْ عَلَيْكَ الْأَمْرَ..

﴿فَأَسۡرِ﴾ فَاخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿بِأَهۡلِكَ﴾ أَنْتَ وَأَهْلُكَ..

﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ بِبَقِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ..

﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ، وَعَلَىٰ أَنَّ لُوطًا أُمِرَ أَنْ يَسْرِيَ بِأَهْلِهِ سِوَىٰ زَوْجَتِهِ، فَإِنَّهُ نُهِيَ أَنْ يَسْرِيَ بِهَا، وَأُمِرَ بِتَخْلِيفِهَا مَعَ قَوْمِهَا..

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا﴾ إِنَّهُ مُصِيبٌ امْرَأَتَكَ..

﴿مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾ إِنَّ مَوْعِدَ قَوْمِكَ لِلْهَلَاكِ الصُّبْحُ، فَاسْتَبْطَأَ ذَلِكَ مِنْهُمْ لُوطٌ، وَقَالَ لَهُمْ: بَلَىٰ عَجِّلُوا لَهُمُ الْهَلَاكَ فَقَالُوا..

﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾ [هود: ٨١] أَيْ عِنْدَ الصُّبْحِ نُزُولُ الْعَذَابِ بِهِمْ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢﴾ [هود: ٨٢].

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بِالْعَذَابِ وَقَضَاؤُنَا فِيهِمْ بِالْهَلَاكِ..

﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ عَالِيَ قَرْيَتِهِمْ..

﴿سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهَا..

﴿حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾ مِنْ طِينٍ، وَبِذَلِكَ وَصَفَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ فِي مَوْضِعٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤﴾ [الذاريات: ٣٣- ٣٤]..

﴿مَّنضُودٖ ٨٢﴾ [هود: ٨٢] صِفَةُ ذَلِكَ الطِّينِ أَنَّهُ نُضِدَ بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَيَصِيرُ حِجَارَةً.. وَلَوْ كَانَ التَّنْزِيلُ بِالنَّصْبِ (مَنْضُودَةً) لَكَانَ مِنْ نَعْتِ الْحِجَارَةِ حِينَئِذٍ.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ٨٣﴾ [هود: ٨٣].

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ مُعَلَّمَةً.. وَالْمُسَوَّمَةُ مِنْ نَعْتِ الْحِجَارَةِ، وَلِذَلِكَ نُصِبَتْ وَنُعِتَ بِهَا..

﴿عِندَ رَبِّكَۖ﴾ عِنْدَ اللهِ، أَعْلَمَهَا اللهُ..

﴿وَمَا هِيَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُتَهَدِّدًا مُشْرِكِي قُرَيْشٍ: وَمَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ الَّتِي أَمْطَرْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِبَعِيدٍ ٨٣﴾ [هود: ٨٣] أَنْ يُمْطَرُوهَا إِنْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ شِرْكِهِمْ.

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ٨٤﴾

[هود: ٨٤].

﴿۞ وَإِلَىٰ﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ وَلَدِ..

﴿مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ..

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أَطِيعُوهُ، وَتَذَلَّلُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ لِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ سِوَاهُ يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ..

﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ فِي..

﴿ٱلْمِكْيَالَ﴾ مِكْيَالِكُمْ..

﴿وَٱلْمِيزَانَۖ﴾ مِيزَانِكُمْ..

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم﴾ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿بِخَيْرٍ﴾ فِي الدُّنْيَا، مِنَ الْمَالِ، وَالزِّينَةِ، وَرُخْصِ السِّعْرِ..وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ شُعَيْبٌ؛ لِأَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا فِي سَعَةٍ مِنْ عَيْشِهِمْ، وَرُخْصٍ مِنْ أَسْعَارِهِمْ، كَثِيرَةٌ أَمْوَالُهُمْ..

﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ بِمُخَالَفَتِكُمْ أَمْرَ اللهِ وَبَخْسِكُمُ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَكَايِيلِكُمْ وَمَوَازِينِكُمْ أَنْ يُنْزِلَ بِكُمْ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ٨٤﴾ [هود: ٨٤] فَجَعَلَ الْمُحِيطَ نَعْتًا لِلْيَوْمِ، وَهُوَ مِنْ نَعْتِ الْعَذَابِ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ، وَكَانَ الْعَذَابُ فِي الْيَوْمِ.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ [هود: ٨٥].

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ﴾ النَّاسَ..

﴿ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ بِالْعَدْلِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُوَفُّوا أَهْلَ الْحُقُوقِ الَّتِي هِيَ مِمَّا يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ حُقُوقَهُمْ عَلَىٰ مَا وَجَبَ لَهُمْ مِنَ التَّمَامِ بِغَيْرِ بَخْسٍ وَلَا نَقْصٍ..

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ﴾ تُنْقِصُوا، وتَظْلِمُوا..

﴿ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ حُقُوقَهُمُ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُوَفُّوهُمْ كَيْلًا أَوْ وَزْنًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ..

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾ وَلَا تَسِيرُوا، وتَسْعَوْا..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ [هود: ٨٥] تَعْمَلُونَ فِيهَا بِمَعَاصِي اللهِ..كَنُقْصَانَ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ [هود: ٨٦].

﴿بَقِيَّتُ﴾ مَا أَبْقَاهُ..

﴿ٱللَّهِ﴾ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَفُّوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ، فَأَحَلَّهُ لَكُمْ..

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِنَ الَّذِي يَبْقَىٰ لَكُمْ بِبَخْسِكُمُ النَّاسَ مِنْ حُقُوقِهِمْ بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾ مُصَدِّقِينَ بُوعِدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ [هود: ٨٦] بِرَقِيبٍ أَرْقُبُكُمْ عِنْدَ كَيْلِكُمْ، وَوَزْنِكُمْ هَلْ تُوَفُّونَ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ أَمْ تَظْلِمُونَهُمْ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ أَنْ أُبَلِّغَكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمُوهَا.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ [هود: ٨٧].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ..

﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ﴾ عِبَادَةَ..

﴿مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ مِنْ كَسْرِ الدَّرَاهِمِ وَقَطْعِهَا، وَبَخْسِ النَّاسِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ..

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ﴾ الَّذِي لَا يَحْمِلُهُ الْغَضَبُ أَنْ يَفْعَلَ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهُ فِي حَالِ الرِّضَا..

﴿ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ [هود: ٨٧] فِي أَمْرِهِ إِيَّاهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ.. فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللهِ قَالُوا ذَلِكَ لَهُ اسْتِهْزَاءً بِهِ؛ وَإِنَّمَا سَفَّهُوهُ وَجَهَّلُوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨].

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بَيَانٍ وَبُرْهَانٍ..

﴿مِّن رَّبِّي﴾ فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَفِيمَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ إِفْسَادِ الْمَالِ..

﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ حَلَالًا طَيِّبًا..

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ بَلْ لَا أَفْعَلُ إِلَّا بِمَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَلَا أَنْتَهِي إِلَّا عَمَّا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿إِنۡ﴾ مَا..

﴿أُرِيدُ﴾ فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ إِلَّا إِصْلَاحَكُمْ وَإِصْلَاحَ أَمْرِكُمْ..

﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ مَا قَدَرْتُ عَلَىٰ إِصْلَاحِهِ لِئَلَّا يَنَالَكُمْ مِنَ اللهِ عُقُوبَةٌ مُنَكِّلَةٌ، بِخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ وَمَعْصِيَتِكُمْ رَسُولَهُ..

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾ إِصَابَتِي الْحَقَّ فِي مُحَاوَلَتِي إِصْلَاحَكُمْ وَإِصْلَاحَ أَمْرِكُمْ..

﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ فَإِنَّهُ هُوَ الْمُعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِنْ لَا يُعِنِّي عَلَيْهِ لَمْ أُصِبِ الْحَقَّ فِيهِ..

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ إِلَىٰ اللهِ أُفَوِّضُ أَمْرِي، فَإِنَّهُ ثِقَتِي وَعَلَيْهِ اعْتِمَادِي فِي أُمُورِي..

﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨] أُقْبِلُ بِالطَّاعَةِ وَأَرْجِعُ بِالتَّوْبَةِ.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ۝٨٩﴾ [هود: ٨٩].

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ يَحْمِلَنَّكُمْ..

﴿شِقَاقِيٓ﴾ عَدَاوَتِي وَبُغْضِي وَفِرَاقِ الدِّينِ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، عَلَىٰ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَبَخْسِ النَّاسِ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَتَرْكِ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ..

﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ فَيُصِيبُكُمْ..

﴿مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ مِنَ الْغَرَقِ..

﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ﴾ مِنَ الرَّجْفَةِ..

﴿وَمَا﴾ دَارُ..

﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾ الَّذِينَ ائْتَفَكَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ..

﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴿٨٩﴾﴾ [هود: ٨٩] هَلَاكُهُمْ، أَفَلَا تَتَّعِظُونَ بِهِ وَتَعْتَبِرُونَ؟ فَاعْتَبِرُوا بِهَؤُلَاءِ، وَاحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ بِشِقَاقِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠].

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ، وَبَخْسِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ فِي الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ..

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ..

﴿وَدُودٌ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠] ذُو مَحَبَّةٍ لِمَنْ أَنَابَ وَتَابَ إِلَيْهِ يَوَدُّهُ وَيُحِبُّهُ.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴿٩١﴾﴾ [هود: ٩١].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ لِشُعَيْبٍ..

﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ نَعْلَمُ..

﴿كَثِيرًا﴾ حَقِيقَةَ كَثِيرٍ..

﴿مِّمَّا تَقُولُ﴾ وَتُخْبِرُنَا بِهِ..

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ﴾ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ ضَرِيرًا..

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ وَيَقُولُونَ: لولا أَنْ نَتَقِي قومَكَ وعَشِيرَتَكَ..

﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ لَسَبَبْنَاكَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَتَلْنَاكَ..

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود: ٩١] مِمَّنْ يُكْرَمُ، فَيَعْظُمُ عَلَيْنَا إِذْلَالُهُ وَهَوَانُهُ، بَلْ ذَلِكَ عَلَيْنَا هَيِّنٌ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ [هود: ٩٢].

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أَعَزَزْتُمْ قَوْمَكُمْ، فَكَانُوا أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ..

﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ﴾ وَاسْتَخْفَفْتُمْ بِرَبِّكُمْ، فَجَعَلْتُمُوهُ خَلْفَ ظُهُورِكُمْ، لَا تَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِ، وَلَا تَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَلَا تُعَظِّمُونَهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ.. يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا لَمْ يَقْضِ حَاجَةَ الرَّجُلِ: نَبَذَ حَاجَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ: أَيْ تَرَكَهَا لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَإِذَا قَضَاهَا قِيلَ: جَعَلَهَا أَمَامَهُ وَنُصْبَ عَيْنَيْهِ؛ وَيُقَالُ: ظَهَرْتَ بِحَاجَتِي وَجَعَلْتَهَا ظِهْرِيَّةً: أَيْ خَلْفَ ظَهْرِكَ..

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ [هود: ٩٢] عِلْمُهُ بِعَمَلِكُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهِ عَاجِلًا وَآجِلًا.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ [هود: ٩٣].

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ عَلَىٰ تَمَكُّنِكُمْ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ..

﴿إِنِّي عَٰمِلٌۖ﴾ عَلَىٰ تُؤَدَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي أَعْمَلُهُ..

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّنَا الْجَانِي عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَالْمُخْطِئُ عَلَيْهَا، وَالْمُصِيبُ فِي فِعْلِهِ، الْمُحْسِنُ إِلَىٰ نَفْسِهِ..

﴿مَن﴾ الَّذِي..

﴿يَأْتِيهِ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يُذِلُّهُ وَيُهِينُهُ..

﴿وَمَنْ﴾ وَيَخْزِي أَيْضًا الَّذِي..

﴿هُوَ كَٰذِبٌۖ﴾ فِي قِيلِهِ وَخَبَرِهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾ انْتَظِرُوا وَتَفَقَّدُوا..

﴿إِنِّي﴾ أَيْضًا ذُو رِقْبَةٍ لِذَلِكَ الْعَذَابِ..

﴿مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝٩٣﴾ [هود: ٩٣] وَنَاظِرٌ إِلَيْهِ بِمَنْ هُوَ نَازِلٌ مِنَّا وَمِنْكُمْ.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٩٤﴾ [هود: ٩٤].

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ قَضَاؤُنَا فِي قَوْمِ شُعَيْبٍ بِعَذَابِنَا..

﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ رَسُولَنَا..

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِهِ فَصَدَّقُوهُ عَلَىٰ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿مَعَهُ﴾ مَعَ شُعَيْبٍ، مِنْ عَذَابِنَا الَّذِي بَعَثْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ لَهُ، وَلِمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ عَلَىٰ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ مِنَ السَّمَاءِ أَخْمَدَتْهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..وَقِيلَ: إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ، صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً أَخْرَجَتْ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْسَامِهِمْ..

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٩٤﴾ [هود: ٩٤] عَلَىٰ رُكَبِهِمْ وَصَرْعَىٰ بِأَفْنِيَتِهِمْ.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝٩٥﴾ [هود: ٩٥].

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا﴾ يَعِشْ قَوْمُ شُعَيْبٍ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ حِينَ أَصْبَحُوا جَاثِمِينَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي دِيَارِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ﴾ أَبْعَدَ اللهُ مَدْيَنَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِإِحْلَالِ نَقْمَتِهِ..

﴿كَمَا بَعِدَتْ﴾ مِنْ قَبْلِهِمْ..

﴿ثَمُودُ ۝٩٥﴾ [هود: ٩٥] مِنْ رَحْمَتِهِ بِإِنْزَالِ سَخَطِهِ بِهِمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝٩٦﴾ [هود: ٩٦].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بِأَدِلَّتِنَا عَلَىٰ تَوْحِيدِنَا..

﴿وَسُلْطَانٍ﴾ وَحُجَّةٍ..

﴿مُبِينٍ ۝٩٦﴾ [هود: ٩٦] تُبِينُ لِمَنْ عَايَنَهَا، وَتَأَمَّلَهَا بِقَلْبٍ صَحِيحٍ، أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَكَذِبِ كُلِّ مَنِ ادَّعَىٰ الرُّبُوبِيَّةَ دُونَهُ، وَبُطُولِ قَوْلِ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْأُلُوهَةِ غَيْرَهُ.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۝٩٧﴾ [هود: ٩٧].

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ يَعْنِي إِلَىٰ أَشْرَافِ جُنْدِهِ وَتُبَّاعِهِ.. فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ مُوسَىٰ، وَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَأَبَوْا قَبُولَ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ مَلَأُ فِرْعَوْنَ..

﴿أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ﴾ دُونَ أَمْرِ اللهِ، وَأَطَاعُوهُ فِي تَكْذِيبِ مُوسَىٰ وَرَدِّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۝٩٧﴾ [هود: ٩٧] لَا يَرْشُدُ أَمْرُ فِرْعَوْنَ مَنْ قَبِلَهُ مِنْهُ، فِي تَكْذِيبِ مُوسَىٰ، إِلَىٰ خَيْرٍ، وَلَا يَهْدِيهِ إِلَىٰ صَلَاحٍ، بَلْ يُورِدُهُ نَارَ جَهَنَّمَ.

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ۝٩٨﴾ [هود: ٩٨].

﴿يَقۡدُمُ﴾ فِرْعَوْنُ..

﴿قَوۡمَهُۥ﴾ يَقُودُهُمْ.. يَمْضِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ..

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ فَيَمْضِي بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ حَتَّىٰ يُورِدُهُمُوهَا، وَيَصْلِيهِمْ سَعِيرُهَا..

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ۝٩٨﴾ [هود: ٩٨] الَّذِي يَرِدُونَهُ.

﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ۝٩٩﴾ [هود: ٩٩].

﴿وَأُتۡبِعُواْ﴾ وَأَتْبَعَهُمُ اللهُ..

﴿فِي هَٰذِهِۦ﴾ الدُّنْيَا مَعَ الْعَذَابِ الَّذِي عَجَّلَهُ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ..

﴿لَعۡنَةٗ﴾ وَفِي..

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أَيْضًا، يُلْعَنُونَ لَعْنَةً أُخْرَىٰ..

﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ﴾ الْعَوْنُ..

﴿ٱلۡمَرۡفُودُ ۝٩٩﴾ [هود: ٩٩] الْمُعَانُ.. يعني: اللَّعْنَةُ الْمَزِيدَةُ فِيهَا أُخْرَىٰ مِنْهَا، تَرَادَفَتْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَتَانِ مِنَ اللهِ لَعْنَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَعْنَةٌ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ۝١٠٠﴾ [هود: ١٠٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الْقَصَصُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَكَ يا مُحَمَّد ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَالنَّبَأُ الَّذِي أَنْبَأْنَاكَهُ فِيهَا..

﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾ أَخْبَارِ..

﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ الَّتِي أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ..

﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ فَنُخْبِرُكَ بِهِ..

﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾ بُنْيَانُهُ عامرٌ غيرُ منهدِم، بَائِدٌ أَهْلِهِ..

﴿وَحَصِيدٌ ١٠٠﴾ وَمِنْهَا حَصِيدٌ خرَّ بُنْيَانُهُ، فلا يُرَىٰ لَهُ أَثَرٌ، فهو مُلْزَقٌ بِالْأَرْضِ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ١٠١﴾ [هود: ١٠١].

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ وما عاقبنَا أَهْلَ هَذِهِ الْقُرَىٰ الَّتِي اقْتَصَصْنَا نَبَأَهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ عُقُوبَتَنَا، فَنَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ وَضَعْنَا عُقُوبَتَنَا إِيَّاهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا..

﴿وَلَٰكِن﴾ ـنَهم..

﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ فأَوْجَبُوا لِـ..

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ بِمَعْصِيَتِهِمُ الله، وَكُفْرِهِمْ بِهِ، عُقُوبَتَهُ وَعَذَابَهُ، فَأَحَلُّوا بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَحُلُّوهُ بِهَا، وَأَوْجَبُوا لَهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يُوجِبُوهُ لَهَا..

﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ دفعَتْ..

﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَيَدْعُونَهَا أَرْبَابًا مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَعَذَابِهِ إِذَا أَحَلَّهُ بِهِمْ رَبُّهُمْ..

﴿مِن شَىْءٍ﴾ وَلَا رَدَّتْ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْهُ..

﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ﴾ قَضَاءُ..

﴿رَبِّكَ﴾ يا مُحَمَّدُ بِعَذَابِهِمْ، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ عِقَابُهُ، وَنَزَلَ بِهِمْ سَخَطُهُ..

﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ وَمَا زَادَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ عِنْدَ مَجِيءِ أَمْرِ رَبِّكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِعِقَابِ اللهِ..

﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ ١٠١﴾ [هود: ١٠١] تَخْسِيرٍ وَتَدْمِيرٍ وَإِهْلَاكٍ.. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلرَّجُلِ: تَبًّا لَكَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَخَذْتُ أَيُّهَا النَّاسُ أَهْلَ هَذِهِ الْقُرَىٰ الَّتِي اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَ أَهْلِهَا بِمَا أَخَذْتُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، عَلَىٰ خِلَافِهِمْ أَمْرِي، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلِي، وَجُحُودِهِمْ آيَاتِي فكَذَلِكَ..

﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ وَأَهْلَهَا إِذَا أَخَذْتُهُمْ بِعِقَابِي..

﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ وَهُمْ ظَلَمَةٌ لِأَنْفُسِهِمْ، بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَإِشْرَاكِهِمْ بِهِ غَيْرَهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ..

﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ﴾ إِنَّ أَخْذَ رَبِّكُمْ بِالْعِقَابِ مَنْ أَخَذَهُ..

﴿أَلِيمٞ﴾ مُوجِعٌ..

﴿شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: ١٠٢] الْإِيجَاعِ، وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ، تَحْذِيرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَسْلُكُوا فِي مَعْصِيَتِهِ طَرِيقَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْفَاجِرَةِ، فَيَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ..قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾».

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾ [هود: ١٠٣].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أَخْذِنَا مَنْ أَخَذْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ الَّتِي اقْتَصَصْنَا خَبَرَهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَأٓيَةٗ﴾ لَعِبْرَةً وَعِظَةً..

﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ﴾ عِقَابَ اللهِ، وَعَذَابَهُ فِي..

﴿ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ مِنْ عِبَادِهِ، وَحُجَّةً عَلَيْهِ لِرَبِّهِ، وَزَاجِرًا يَزْجُرُهُ عَنْ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ، وَيُخَالِفَهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ.. وَقِيلَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ بِأَنَّ اللهَ سَيَفِي لَهُ بِوَعْدِهِ..

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ﴾ الْقِيَامَةِ..

﴿مَّجۡمُوعٞ لَّهُ﴾ يَحْشُرُ اللهُ..

﴿ٱلنَّاسُ﴾ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَيَجْمَعُهُمْ فِيهِ لِلْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾ [هود: ١٠٣] تَشْهَدُهُ الْخَلَائِقُ لَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَيَنْتَقِمُ حِينَئِذٍ مِمَّنْ عَصَىٰ اللهَ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ١٠٤﴾ [هود: ١٠٤].

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ أَنْ نَجِيئَكُمْ بِهِ..

﴿إِلَّا لِأَجَلٖ﴾ لِأَنْ يُقْضَىٰ..

﴿مَّعۡدُودٖ ١٠٤﴾ [هود: ١٠٤] فَعَدَّهُ وَأَحْصَاهُ، فَلَا يَأْتِي إِلَّا لِأَجَلِهِ ذَلِكَ، لَا يَتَقَدَّمُ مَجِيئُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا يَتَأَخَّرُ.

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾ [هود: ١٠٥].

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَيُّهَا النَّاسُ، وَتَقُومُ السَّاعَةُ..

﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ إِنَّمَا هِيَ (لا تَتَكَلَّمُ)، فَحَذَفَ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ اجْتِزَاءً بِدَلَالَةِ الْبَاقِيَةِ مِنْهُمَا عَلَيْهَا..

﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهَا..

﴿فَمِنْهُمْ﴾ فَمِنْ هَذِهِ النُّفُوسِ الَّتِي لَا تَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهَا..

﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: ١٠٥].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود: ١٠٦].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ فِي الْحَلْقِ، وَهُوَ أَوَّلُ نُهَاقِ الْحِمَارِ وَشِبْهُهُ، وهو صَوْتٌ شَدِيدٌ..

﴿وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود: ١٠٦] فِي الصَّدْرِ، وَهُوَ آخِرُ نَهِيقِهِ إِذَا رَدَّدَهُ فِي الْجَوْفِ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ نُهَاقِهِ، وَهو صَوْتٌ ضَعِيفٌ.. وعَنْ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: ١٠٥] سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَعَلَامَ عَمِلْنَا؟ عَلَىٰ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَىٰ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ يَا عُمَرُ وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**».

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧].

﴿خَٰلِدِينَ﴾ لَابِثِينَ..

﴿فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أَبَدًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَصِفَ الشَّيْءَ بِالدَّوَامِ أَبَدًا، قَالَتْ: هَذَا دَائِمٌ دَوَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ دَائِمٌ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ: هُوَ بَاقٍ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَخَاطَبَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا يَتَعَارَفُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ وَالْمَعْنَىٰ فِي ذَلِكَ: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ اسْتَثْنَاهُ اللهُ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ إِذَا شَاءَ بَعْدَ أَنْ أَدْخَلَهُمُ النَّارَ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧] لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنْ فِعْلِ مَا أَرَادَ فِعْلَهُ بِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ مِنَ الانْتِقَامِ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، فَيُمْضِي فِعْلَهُ فِيهِمْ وَفِيمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ فعلَهُ وَقَضَاهُ.

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هود: ١٠٨].

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ رُزِقُوا السَّعَادَةَ بِرَحْمَةِ اللهِ..

﴿فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ هُمْ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَبَدًا..

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ مِنْ قَدْرِ مَا مَكَثُوا فِي النَّارِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَذَلِكَ فِيمَنْ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ..

﴿عَطَآءً﴾ مِنَ اللهِ..

﴿غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هود: ١٠٨] غَيْرَ مَقْطُوعٍ عَنْهُمْ.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾ [هود: ١٠٩].

﴿فَلَا تَكُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي مِرۡيَةٖ﴾ فِي شَكٍّ..

﴿مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ، وَأَنَّهُ بِاللهِ شِرْكٌ..

﴿مَا يَعۡبُدُونَ﴾ الْأَوْثَانِ..

﴿إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ اتِّبَاعًا مِنْهُمْ مِنْهَاجَ آبَائِهِمْ، وَاقْتِفَاءً مِنْهُمْ آثَارَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمُوهَا، لَا عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَلَا بِحُجَّةٍ تَبَيَّنُوهَا تُوجِبُ عَلَيْهِمْ عِبَادَتَهَا..

﴿مِّن قَبۡلُۚ﴾ عِبَادَتِهِمْ لَهَا..

﴿وَإِنَّا﴾ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ لِعِبَادَتِهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ..

﴿لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ حَظَّهُمْ مِمَّا وَعَدْتُهُمْ أَنْ أُوَفِّيَهُمُوهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ..

﴿غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾ [هود: ١٠٩] لَا أُنْقِصُهُمْ مِمَّا وَعَدْتُهُمْ، بَلْ أُتَمِّمُ ذَلِكَ لَهُمْ عَلَىٰ التَّمَامِ وَالْكَمَالِ.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠﴾ [هود: ١١٠].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُسَلِّيًا نَبِيَّهُ فِي تَكْذِيبِ مُشْرِكِي قَوْمِهِ إِيَّاهُ

فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِفِعْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمُوسَىٰ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَقُولُ لَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَلَا يَحْزُنْكَ يَا مُحَمَّدُ تَكْذِيبُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَكَ، وَامْضِ لِمَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، فَإِنَّ الَّذِي يَفْعَلُ بِكَ هَؤُلَاءِ مِنْ رَدِّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ النَّصِيحَةِ مِنْ فِعْلِ ضُرَبَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ وَسُنَّةٍ مَنْ سُنَنِهِم، ثُمَّ أَخْبَرَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا فَعَلَ قَوْمُ مُوسَىٰ بِهِ، فَقَالَ: لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ، كَمَا آتَيْنَاكَ الْفُرْقَانَ..

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ﴾ فَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ قَوْمُ مُوسَىٰ، فَكَذَّبَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَصَدَّقَ بِهِ بَعْضُهُمْ، كَمَا قَدْ فَعَلَ قَوْمُكَ بِالْفُرْقَانِ مِنْ تَصْدِيقِ بَعْضٍ بِهِ وَتَكْذِيبِ بَعْضٍ..

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ بِأَنَّهُ لَا يُعَجِّلُ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِالْعَذَابِ، وَلَكِنْ يَتَأَنَّىٰ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ..

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لَقُضِيَ بَيْنَ الْمُكَذِّبِ مِنْهُمْ بِهِ وَالْمُصَدِّقِ، بِإِهْلَاكِ اللهِ الْمُكَذِّبَ بِهِ مِنْهُمْ وَإِنْجَائِهِ الْمُصَدِّقَ بِهِ..

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْهُمْ..

﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ لَفِي شَكٍّ مِنْ حَقِيقَتِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مُرِيبٍ ١١٠﴾ [هود: ١١٠] يُرِيبُهُمْ فَلَا يَدْرُونَ أَحَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ، وَلَكِنَّهُمْ فِيهِ مُمْتَرُونَ.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١١﴾ [هود: ١١١].

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ وَإِنَّ كُلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ﴾ بِالصَّالِحِ مِنْهَا بِالْجَزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ، وَبِالطَّالِحِ مِنْهَا بِالشَّدِيدِ مِنَ الْعِقَابِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكَ..

﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿خَبِيرٌ ١١١﴾ [هود: ١١١] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِمْ بَلْ يَخْبُرُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَعْلَمُهُ وَيُحِيطُ بِهِ حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ جَزَاءَهُمْ.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢﴾ [هود: ١١٢].

﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ أَمْرِ رَبِّكَ وَالدِّينِ الَّذِي ابْتَعَثَكَ بِهِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ..

﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ كَمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ.. وَكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾:

(اسْتَقِمْ عَلَىٰ الْقُرْآنِ)..

﴿وَمَن تَابَ﴾ رَجَعَ..

﴿مَعَكَ﴾ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ..

﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ وَلَا تَعْدُوا أَمْرَهُ إِلَىٰ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا طَاعَتِهَا وَمَعْصِيَتِهَا..

﴿بَصِيرٌ ١١٢﴾ [هود: ١١٢] ذُو عِلْمٍ بِهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ لِجَمِيعِهَا مُبْصِرٌ.. فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ بِخِلَافِ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَهُوَ لَكُمْ بِالْمِرْصَادِ.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود: ١١٣].

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ وَلَا تَمِيلُوا أَيُّهَا النَّاسُ.. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: (الرُّكُونُ: الإِدْهَانُ، وَقَرَأَ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ٩﴾ [القلم: ٩])، قَالَ: (تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ، وَلَا تُنْكِرُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، وَقَدْ قَالُوا الْعَظِيمَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ)، قَالَ: (وَإِنَّمَا هَذَا لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَيْسَ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، أَمَا أَهْلُ الذُّنُوبِ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَاللهُ أَعْلَمُ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَالِحَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَلَا يَرْكَنُ إِلَيْهِ فِيهَا)..

﴿إِلَى﴾ قَوْلِ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كَفَرُوا بِاللهِ، فَتَقْبَلُوا مِنْهُمْ وَتَرْضَوْا أَعْمَالَهُمْ..

﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ بِفِعْلِكُمْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكُمْ وَوَلِيٍّ يَلِيكُمْ..

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود: ١١٣] فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ، بَلْ يُخَلِّيكُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ وَيُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ عَدُوَّكُمْ.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤].

﴿وَأَقِمِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الفجر، والمغرب..

﴿وَزُلَفًا﴾ جَمْع زُلْفَة، كَمَا تجْمعُ غُرْفَةَ غُرَف، وَحُجْرَةَ حُجَر، وهي سَاعَاتُ الْمَنْزِلَةِ وَالْقُرْبَةِ..

﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ صَلاةِ الْعِشَاءِ؛ لِأَنَّها تُصَلَّىٰ بَعْدَ مُضِيِّ زُلَفٌ مِنَ اللَّيْلِ..

﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ﴾ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا يُرْضِيهِ، والمقصود الصَّلَوَاتُ الْخَمْسِ الْمَكْتُوبَاتُ؛ لِصِحَّةِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَوَاتُرِهَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ عَلَىٰ بَابِ أَحَدِكُمْ يَنْغَمِسُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَاذَا يُبْقِينَ مِنْ دَرَنِهِ**»، وَإِنَّ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ أَمْرِ اللهِ بِإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ، وَالْوَعْدُ عَلَىٰ إِقَامَتِهَا الْجَزِيلُ مِنَ الثَّوَابِ عَقِيبِهَا أَوْلَىٰ مِنَ الْوَعْدِ عَلَىٰ مَا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ مِنْ صَالِحَاتِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ إِذَا خَصَّ بِالْقَصْدِ بِذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ..

﴿يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ آثَامَ مَعْصِيَةِ اللهِ وَيُكَفِّرُ الذُّنُوبَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَوْعَدْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرُّكُونِ إِلَىٰ الظُّلْمِ وَتَهَدَّدْتُ فِيهِ، وَالَّذِي وَعَدْتُ فِيهِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ اللَّوَاتِي يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ..

﴿ذِكۡرَىٰ﴾ تَذْكِرَةً ذَكَّرْتُ بِهَا..

﴿لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤] وَعْدَ اللهِ، فَيَرْجُونَ ثَوَابَهُ، وَوَعِيدَهُ فَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، لَا مَنْ قَدْ طُبِعَ عَلَىٰ قَلْبِهِ فَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا وَلَا يَسْمَعُ زَاجِرًا..وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ رَجُلٍ نَالَ مِنْ غَيْرِ زَوْجَتِهِ وَلَا مِلْكِ يَمِينِهِ بَعْضَ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ، فَتَابَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ.

﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ [هود: ١١٥].

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا تَلْقَىٰ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنَ الْأَذَىٰ فِي اللهِ وَالْمَكْرُوهِ رَجَاءَ جَزِيلِ ثَوَابِ اللهِ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ﴾ ثَوَابَ..

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ [هود: ١١٥] فَأَطَاعُوا اللهَ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ، فَيَذْهَبُ بِهِ، بَلْ يُوَفِّرُهُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُوا إِلَيْهِ.

﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هود: ١١٦].

﴿فَلَوۡلَا﴾ فَهلَّا..

﴿كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ الَّذِينَ أَهْلَكْتُهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّايَ وَكُفْرِهِمْ بِرُسُلِي..

﴿أُوْلُواْ﴾ ذُو..

﴿بَقِيَّةٖ﴾ مِنَ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ، يَعْتَبِرُونَ مَوَاعِظَ اللهِ وَيَتَدَبَّرُونَ حُجَجَهُ، فَيَعْرِفُونَ مَا لَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَعَلَيْهِمْ فِي الْكُفْرِ بِهِ..

﴿يَنۡهَوۡنَ﴾ أَهْلَ الْمَعَاصِي، وَأَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عَنْ مَعَاصِيهِمْ وكُفْرِهِمْ بِهِ فِي أَرْضِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا يَسِيرًا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ..

﴿مِّمَّنۡ﴾ وَهُمْ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ..

﴿أَنجَيۡنَا﴾ فَنَجَّاهُمُ اللهُ مِنْ عَذَابِهِ، حِينَ أَخَذَ..

﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ مَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ بعَذَابِهُ..

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أَنْفُسَهُمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ سَلَفَتْ، فَكَفَرُوا بِاللهِ..

﴿مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ مَا أُنْظِرُوا فِيهِ مِنْ لِذَاتِ الدُّنْيَا، فَكَفَرُوا واسْتَكْبَرُوا عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَتَجَبَّرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هود: ١١٦] وَكَانُوا مُكْتَسِبِي الْكُفْرَ بِاللهِ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [هود: ١١٧].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ الَّتِي أَهْلَكَهَا، الَّتِي قَصَّ عَلَيْكَ نَبَأَهَا..

﴿بِظُلۡمٍ﴾ فَيَكُونُ إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ ظُلْمًا..

﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [هود: ١١٧] فِي أَعْمَالِهِمْ، غَيْرُ مُسِيئِينَ، وَلَكِنَّهُ أَهْلَكَهَا بِكُفْرِ أَهْلِهَا بِاللهِ، وَتَمَادِيهِمْ فِي غَيِّهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ وَرُكُوبِهِمُ السَّيِّئَاتِ.. وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكَهُمْ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿بِظُلۡمٍ﴾، يَعْنِي: بِشِرْكٍ، وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَا يَتَظَالَمُونَ، وَلَكِنَّهُمْ يَتَعَاطَوْنَ الْحَقَّ بَيْنَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا يُهْلِكُهُمْ إِذَا تَظَالَمُوا.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨﴾ [هود: ١١٨].

﴿وَلَوۡ شَآءَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ﴾ كُلَّهَا..

﴿أُمَّةً﴾ جَمَاعَةً..

﴿وَٰحِدَةً﴾ عَلَىٰ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَدِينٍ وَاحِدٍ.. مُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ.

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ النَّاسُ..

﴿مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨] فِي أَدْيَانِهِمْ، وَأَهْوَائِهِمْ عَلَىٰ أَدْيَانٍ وَمِلَلٍ وَأَهْوَاءٍ شَتَّىٰ مِنْ بَيْنِ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَمَجُوسِيٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩].

﴿إِلَّا﴾ اسْتَثْنَىٰ اللهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فَآمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ وَعَلَىٰ عِلْمِهِ النَّافِذِ فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ، وَلِلاخْتِلَافِ بِالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ..

﴿خَلَقَهُمْ﴾ فَأَخْبَرَ عَنْ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ..

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ لِعِلْمِهِ السَّابِقِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ يَسْتَوْجِبُونَ العذاب..

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَهُ..

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ وَهِيَ مَا اجْتَنَّ عَنْ أَبْصَارِ بَنِي آدَمَ..

﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩] بَنِي آدَمَ.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكَ..

﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ فَلَا تَجْزَعْ مِنْ تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْ قَوْمِكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَلَا يَضِيقُ صَدْرُكَ فَتَتْرُكْ بَعْضَ مَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ قَالُوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢] إِذَا عَلِمْتَ مَا لَقِيَ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِي مِنْ أُمَمِهَا..

﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السُّورَةِ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ مَعَ مَا جَاءَكَ فِي سَائِرِ سُوَرِ الْقُرْآنِ..

﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ وَجَاءَكَ مَوْعِظَةٌ تَعِظُ الْجَاهِلِينَ بِاللهِ وَتُبَيِّنُ لَهُمْ عِبَرَهُ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ..

﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وَتَذْكِرَةٌ تُذَكِّرُ..

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠﴾ [هود: ١٢٠] بِاللهِ وَرُسُلِهِ كَيْ لَا يَغْفَلُوا عَنِ الْوَاجِبِ للهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝١٢١﴾ [هود: ١٢١].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَكَ وَلَا يُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ عَلَىٰ هَيْئَتِكُمْ وَتَمَكُّنِكُمْ مَا أَنْتُمْ عَامِلُوهُ..

﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝١٢١﴾ [هود: ١٢١] مَا نَحْنُ عَامِلُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَمَرَنَا اللهُ بِهَا.

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾ [هود: ١٢٢].

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ مَا وَعَدَكُمُ الشَّيْطَانُ، فَـ..

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾ [هود: ١٢٢] مَا وَعَدَنَا اللهُ مِنْ حَرْبِكُمْ وَنُصْرَتِنَا عَلَيْكُمْ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾ [هود: ١٢٣].

﴿وَلِلَّهِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿غَيْبُ﴾ مُلْكُ كُلِّ مَا غَابَ عَنْكَ فِي..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فَلَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَعْلَمْهُ، كُلُّ ذَلِكَ بِيَدِهِ وَبِعِلْمِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُهُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ وَمَا إِلَيْهِ مَصِيرُ أَمْرِهِمْ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَىٰ الشِّرْكِ أَوْ إِقْلَاعٍ عَنْهُ وَتَوْبَةٍ..

﴿وَإِلَيْهِ﴾ وَإِلَىٰ اللهِ..

﴿يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ مُعَادُ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ، وَهُوَ مَجَازٍ جَمِيعِهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ بِالْعَدْلِ..

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ فَاعْبُدْ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ وَثِقْ بِهِ وَبِكِفَايَتِهِ، فَإِنَّهُ كَافِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ..

﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِغَافِلٍ﴾ بِسَاهٍ..

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾ [هود: ١٢٣] عَمَّا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِهِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، فَلَا يَحْزُنْكَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْكَ، وَلَا تَكْذِيبُهُمْ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَامْضِ لِأَمْرِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا.. قال كَعْبُ الأحبار: (خَاتِمَةُ التَّوْرَاةِ، خَاتِمَةُ هُودَ).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ هُودٍ



سُورَةُ يُوسُفَ (١٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا يُوسُفُ ﷺ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ①﴾ [يوسف: ١].

﴿الٓر ۚ تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ①﴾ [يوسف: ١] لِمَنْ تَلَاهُ، وَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَنَهْيِهِ، وَسَائِرِ مَا حَوَاهُ مِنْ صُنُوفِ مَعَانِيهِ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ②﴾ [يوسف: ٢].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ هَذَا الْكِتَابَ الْمُبِينَ..

﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ عَلَى الْعَرَبِ، لِأَنَّ لِسَانَهُمْ وَكَلَامَهُمْ عَرَبِيٌّ، فَأَنْزَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ بِلِسَانِهِمْ..

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ②﴾ [يوسف: ٢] وَتَفْقَهُوا مِنْهُ.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ③﴾ [يوسف: ٣].

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ فَنُخْبِرُكَ فِيهِ عَنِ الْأَخْبَارِ الْمَاضِيَةِ، وَأَنْبَاءِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا فِي الْعُصُورِ الْخَالِيَةِ..

﴿وَإِن كُنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُوحِيَهُ إِلَيْكَ..

﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ③﴾ [يوسف: ٣] عَنْ ذَلِكَ، لَا تَعْلَمُهُ وَلَا شَيْئًا مِنْهُ.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ④﴾ [يوسف: ٤].

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ..

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ فِي مَنَامِي.. ورُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ كَانَتْ وَحْيًا..

﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ كَانَتْ إِخْوَتَهُ..

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أَبَوَيْهِ.. وَرُوِي مِنْ وَجْهٍ غَيْرِ مَحْمُودٍ أَبُوهُ وَخَالَتُهُ..

﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ فِي مَنَامِي.. فَكَرَّرَ الْفِعْلَ تَوْكِيدًا بِالتَّكْرِيرِ..

﴿لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف: ٤] وَالْكَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِنَّمَا يُخْبَرُ عَنْهَا بِفَاعِلَةٍ وَفَاعِلَاتٍ، لَا بِالْوَاوِ وَالنُّونِ، أو الياءِ والنُّونِ، إِنَّمَا هِيَ عَلَامَةُ جَمْعِ أَسْمَاءِ ذُكُورِ بَنِي آدَمَ أَوِ الْجِنِّ أَوِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ السُّجُودَ مِنْ أَفْعَالِ مَنْ يُجْمَعُ أَسْمَاءُ ذُكُورِهِمْ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، أَوِ الْوَاوِ وَالنُّونِ، فَأَخْرَجَ جَمْعَ أَسْمَائِهَا مَخْرَجَ جَمْعِ أَسْمَاءِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥﴾ [يوسف: ٥].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِابْنِهِ يُوسُفَ..

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ هَذِهِ..

﴿عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ فَيَحْسُدُوكَ..

﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ فَيَبْغُوكَ الْغَوَائِلَ، وَيُنَاصِبُوكَ الْعَدَاوَةَ، وَيُطِيعُوا فِيكَ الشَّيْطَانَ..

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ﴾ لِآدَمَ وَبَنِيهِ..

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥﴾ [يوسف: ٥] أَبَانَ لَهُمْ عَدَاوَتَهُ وَأَظْهَرَهَا، فَاحْذَرِ الشَّيْطَانَ أَنْ يُغْرِيَ إِخْوَتَكَ بِكَ بِالْحَسَدِ مِنْهُمْ لَكَ، إِنْ أَنْتَ قَصَصْتَ عَلَيْهِمْ رُؤْيَاكَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ [يوسف: ٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَهَكَذَا، كَمَا أَرَاكَ رَبُّكَ الْكَوَاكِبَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَكَ سُجُودًا، فَكَذَلِكَ..

﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يَصْطَفِيكَ..

﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ﴾ رَبُّكَ..

﴿مِن﴾ عِلْمِ..

﴿تَأْوِيلِ﴾ مَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ..

﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أَحَادِيثُ النَّاسِ عَمَّا يَرَوْنَهُ فِي مَنَامِهِمْ، وَذَلِكَ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا..

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بِاجْتِبَائِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَتَعْلِيمِهِ إِيَّاكَ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ..

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ وَعَلَىٰ أَهْلِ دِينِ يَعْقُوبَ وَمِلَّتِهِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَغَيْرِهِمْ..

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بِاتِّخَاذِهِ خَلِيلًا، وَتَنْجِيَتِهِ مِنَ النَّارِ..

﴿وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بِمَوَاضِعِ الْفَضْلِ، وَمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلاجْتِبَاءِ وَالنِّعْمَةِ..

﴿حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: ٦] فِي تَدْبِيرِهِ لِخَلْقِهِ.

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧].

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ الْأَحَدَ عَشَرَ..

﴿ءَايَٰتٌ﴾ عِبَرٌ..

﴿لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَقَصَصِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنَّمَا أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ يُعْلِمُهُ فِيهَا مَا لَقِيَ يُوسُفُ مِنْ إِخْوَتِهِ، وَإِذَايَتَهُ مِنَ الْحَسَدِ، مَعَ تَكْرِمَةِ اللهِ إِيَّاهُ، تَسْلِيَةً لَهُ بِذَلِكَ مِمَّا يَلْقَىٰ مِنْ إِذَايَتِهِ وَأَقَارِبِهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِمَنْ سَأَلَ عَنْ شَأْنِهِمْ.

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: ٨].

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ مِنْ أُمِّهِ..

﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ذَوُ عَدَدٍ، أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا..

﴿إِنَّ أَبَانَا﴾ يَعْقُوبَ..

﴿لَفِي ضَلَٰلٍ﴾ خَطَأٍ مِنْ فِعْلِهِ فِي إِيثَارِهِ يُوسُفَ وَأَخَاهُ مِنْ أُمِّهِ عَلَيْنَا بِالْمَحَبَّةِ..

﴿مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: ٨] يُبَيِّنُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ خَطَأٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ.

﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ [يوسف: ٩].

﴿ٱقْتُلُواْ﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اقْتُلُوا..

﴿يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ مَكَانًا مِنَ الْأَرْضِ..

﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ مِنْ شُغْلِهِ بِيُوسُفَ، فَإِنَّهُ قَدْ شَغَلَهُ عَنَّا، وَصَرَفَ وَجْهَهُ عَنَّا إِلَيْهِ..

﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [يوسف: ٩] يَعْنُونَ أَنَّهُمْ يَتُوبُونَ مِنْ قَتْلِهِمْ يُوسُفَ، وَذَنْبِهِمُ الَّذِي يَرْكَبُونَهُ فِيهِ، فَيَكُونُونَ بِتَوْبَتِهِمْ مِنْ قَتْلِهِ مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ يُوسُفَ قَوْمًا صَالِحِينَ.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾ [يوسف: ١٠].

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ..

﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ﴾ قَعْرِ..

﴿ٱلۡجُبِّ﴾ الْبِئْرِ غَيْرِ الْمَطْوِيَّةِ، حَيْثُ يَغِيبُ خَبَرُهُ..

﴿يَلۡتَقِطۡهُ﴾ يَأْخُذُهُ..

﴿بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ مَارَّةِ الطَّرِيقِ مِنَ الْمُسَافِرِينَ..

﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾ [يوسف: ١٠] مَا أَقُولُ لَكُمْ.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾ [يوسف: ١١].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِذْ تَآمَرُوا بَيْنَهُمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى الْفُرْقَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِهِ يَعْقُوبَ لِوَالِدِهِمْ يَعْقُوبَ..

﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ فَتَتْرُكُهُ مَعَنَا إِذَا نَحْنُ خَرَجْنَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ إِلَى الصَّحْرَاءِ..

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾ [يوسف: ١١] نَحُوطُهُ وَنَكْلَؤُهُ.

﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [يوسف: ١٢].

﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ﴾ يَسْعَ..

﴿وَيَلۡعَبۡ﴾ ويَلْهُو، وَيَنْشَطْ فِي الصَّحْرَاءِ..

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [يوسف: ١٢] مِنْ أَنْ يَنَالَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ أَوْ يُؤْذِيهِ.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾ [يوسف: ١٣].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لَهُمْ..

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ مَعَكُمْ إِلَىٰ الصَّحْرَاءِ..

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣﴾ [يوسف: ١٣] لَا تَشْعُرُونَ.

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤﴾ [يوسف: ١٤].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِوَالِدِهِمْ يَعْقُوبَ..

﴿لَئِنْ أَكَلَهُ﴾ لَئِنْ أَكَلَ يُوسُفَ..

﴿ٱلذِّئْبُ﴾ فِي الصَّحْرَاءِ..

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا مَعَهُ نَحْفَظُهُ..

﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤﴾ [يوسف: ١٤] لَعَجَزَةٌ هَالِكُونَ.. فَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾ [يوسف: ١٥].

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ رَأْيَهُمْ وَعَزَمُوا عَلَىٰ..

﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ يُوسُفَ..

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ لَتُخْبِرَنَّ إِخْوَتَكَ..

﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بِفِعْلِهِمْ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي فَعَلُوهُ بِكَ..

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾ [يوسف: ١٥] وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ يُوسُفَ أَنْ يُوسُفَ سَيُنَبِّئُ إِخْوَتَهُ بِفِعْلِهِمْ بِهِ مَا فَعَلُوهُ مِنْ إِلْقَائِهِ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِمْ إِيَّاهُ، وَسَائِرِ مَا صَنَعُوا بِهِ مِنْ صَنِيعِهِمْ.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦﴾ [يوسف: ١٦].

﴿وَجَآءُوٓ﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦﴾ [يوسف: ١٦] بَعْدَ مَا أَلْقُوا يُوسُفَ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [يوسف: ١٧].

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ وَمَا

أَنْتَ بِمُصَدِّقِنَا عَلَىٰ قِيلِنَا إِنَّ يُوسُفَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ..

﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ١٧] وَلَوْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ الَّذِينَ لَا يُتَّهَمُونَ لِسُوءِ ظَنِّكَ بِنَا، وَتُهْمَتِكَ لَنَا.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ﴾ وَسَمَّاهُ اللهُ كَذِبًا لِأَنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْقَمِيصِ وَهُوَ فِيهِ كَذَبُوا، فَقَالُوا لِيَعْقُوبَ: هُوَ دَمُ يُوسُفَ، وَلَمْ يَكُنْ دَمَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ دَمُ سَخْلَةٍ فِيمَا قِيلَ..

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ الَّذِينَ أَخْبَرُوهُ أَنَّ الذِّئْبَ أَكَلَ يُوسُفَ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِي خَبَرِهِمْ ذَلِكَ..مَا الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ..

﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زَيَّنَتْ..

﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ﴾ فِي يُوسُفَ وَحَسَّنَتْهُ فَفَعَلْتُمُوهُ..

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ فَصَبْرِي عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ بِي فِي أَمْرِ يُوسُفَ صَبْرٌ جَمِيلٌ، لَا جَزَعَ فِيهِ..

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ وَاللهُ أَسْتَعِينُ..

﴿عَلَىٰ﴾ كِفَايَتِي شَرَّ..

﴿مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨] مِنَ الْكَذِبِ.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يوسف: ١٩].

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ وَجَاءَتْ مَارَّةُ الطَّرِيقِ مِنَ الْمُسَافِرِينَ..

﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَرِدُ الْمَنْهَلَ وَالْمَنْزِلَ، وَوُرُودُهُ إِيَّاهُ: مَصِيرُهُ إِلَيْهِ وَدُخُولُهُ..

﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أَرْسَلَ..

﴿دَلْوَهُۥ ۖ﴾ فِي الْبِئْرِ، فَتَعَلَّقَ بِهِ يُوسُفُ فَخَرَجَ..

﴿قَالَ﴾ الْمُدَلِّي..

﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ﴾ وَأَسَرَّ وَارِدُ الْقَوْمِ الْمُدَلِّي دَلْوَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ رِفْقَتِهِ السَّيَّارَةِ أَمْرَ يُوسُفَ أَنَّهُمُ اشْتَرَوهُ خِيفَةَ مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَشْرِكُوهُمْ، وَقَالُوا لَهُمْ: هُوَ..

﴿بِضَٰعَةً﴾ أَبْضَعَهَا مَعَنَا أَهْلُ الْمَاءِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ﴾ ذُو عِلْمٍ..

﴿بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ [يوسف: ١٩] بِمَا يَعْمَلُهُ بَاعَةُ يُوسُفَ وَمُشْتَرُوهُ فِي أَمْرِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَ تَغْيِيرَ ذَلِكَ لِيَمْضِيَ فِيهِ وَفِيهِمْ حُكْمُهُ السَّابِقُ فِي عَلْمِهِ، وَلِيَرَىٰ إِخْوَةُ يُوسُفَ وَيُوسُفُ وَأَبُوهُ قُدْرَتَهُ فِيهِ.. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ يُوسُفَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ تَذْكِيرٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَتَسْلِيَةٌ مِنْهُ لَهُ عَمَّا كَانَ يَلْقَىٰ مِنْ أَقْرِبَائِهِ وَأَنْسَبَائِهِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَذَىٰ فِيهِ، يَقُولُ لَهُ: فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا نَالَكَ فِي اللهِ، فَإِنِّي قَادِرٌ عَلَىٰ تَغْيِيرِ مَا يَنَالُكَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، كَمَا كُنْتُ قَادِرًا عَلَىٰ تَغْيِيرِ مَا لَقِيَ يُوسُفُ مِنْ إِخْوَتِهِ فِي حَالِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِهِ مَا فَعَلُوا، وَلَمْ يَكُنْ تَرْكِي ذَلِكَ لِهَوَانِ يُوسُفَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِمَاضِيَ عِلْمِي فِيهِ وَفِي إِخْوَتِهِ، فَكَذَلِكَ تَرْكِي تَغْيِيرِ مَا يَنَالُكَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لِغَيْرِ هَوَانٍ بِكَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِسَابِقِ عِلْمِي فِيكَ وَفِيهِمْ، ثُمَّ يَصِيرُ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ إِلَىٰ عُلُوِّكَ عَلَيْهِمْ، وَإِذْعَانِهِمْ لَكَ، كَمَا صَارَ أَمْرُ إِخْوَةِ يُوسُفَ إِلَىٰ الْإِذْعَانِ لِيُوسُفَ بِالسُّؤْدُدِ عَلَيْهِمْ، وَعُلُوِّ يُوسُفُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ [يوسف: ٢٠].

﴿وَشَرَوْهُ﴾ وَبَاعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ يُوسُفَ..

﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ بِثَمَنٍ مَبْخُوسٍ مَنْقُوصٍ قليلٍ، حَرَامٌ عَلَيْهِمْ..

﴿دَرَٰهِمَ﴾ بَاعُوهُ بِدَرَاهِمَ..

﴿مَعْدُودَةٍ﴾ غَيْرِ مَوْزُونَةٍ، نَاقِصَةٍ غَيْرِ وَافِيَةٍ، قليلةٍ لِزُهْدِهِمْ فِيهِ.. وَلَيْسَ فِي الْعِلْمِ بِمَبْلَغِ وَزْنِ ذَلِكَ فَائِدَةٌ تَقَعُ فِي دِينٍ، وَلَا فِي الْجَهْلِ بِهِ دُخُولُ ضُرٍّ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ فَرْضٌ، وَمَا عَدَاهُ فَمَوضُوعٌ عَنَّا تَكَلُّفُ عِلْمِهِ..

﴿وَكَانُوا۟﴾ وَكَانَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿فِيهِ﴾ فِي يُوسُفَ..

﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ [يوسف: ٢٠] لَا يَعْلَمُونَ كَرَامَتَهُ عِنْدَ اللهِ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَهُ، فَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُحِبُّونَ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِهِ لِيَخْلُو لَهُمْ وَجْهُهُ مِنْهُ، وَيَقْطَعُوهُ عَنِ الْقُرْبِ مِنْهُ، لِتَكُونَ الْمَنَافِعُ الَّتِي كَانَتْ مَصْرُوفَةً إِلَىٰ يُوسُفَ دُونَهُمْ مَصْرُوفَةً إِلَيْهِمْ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾ اشْتَرَىٰ يُوسُفَ..

﴿مِن مِّصْرَ﴾ مِنْ بَائِعِهِ بِمِصْرَ..

﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ أَكْرِمِي مَوْضِعَ مَقَامِهِ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَثْوِي وَيُقِيمُ فِيهِ..

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ ذُكِرَ أَنَّ مُشْتَرِيَ يُوسُفَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لِامْرَأَتِهِ حِينَ دَفَعَهُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ، وَلَمْ يَأْتِ النِّسَاءَ، فَقَالَ لَهَا: أَكْرِمِيهِ عَسَىٰ أَنْ يَكْفِيَنَا بَعْضَ مَا نُعَانِي مِنْ أُمُورِنَا إِذَا فَهِمَ الْأُمُورَ الَّتِي نُكَلِّفُهَا وَعَرَفَهَا..

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾ نَتَبَنَّاهُ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَنْقَذْنَا يُوسُفَ مِنْ أَيْدِي إِخْوَتِهِ، وَقَدْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ، وَأَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْجُبِّ بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ فِيهِ، فَصَيَّرْنَاهُ إِلَىٰ الْكَرَامَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ عَزِيزِ مِصْرَ، كَذَلِكَ..

﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَجَعَلْنَاهُ عَلَىٰ خَزَائِنِهَا..

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ وَكَيْ نُعَلِّمَ يُوسُفَ..

﴿مِن تَأْوِيلِ﴾ مِنْ عِبَارَةِ..

﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾ الرُّؤْيَا..

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ﴾ مُسْتَوْلٍ..

﴿عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ عَلَىٰ أَمْرِ يُوسُفَ يَسُوسُهُ وَيُدَبِّرُهُ وَيَحُوطُهُ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ الَّذِينَ زَهَدُوا فِي يُوسُفَ فَبَاعُوهُ بِثَمَنٍ خَسِيسٍ، وَالَّذِي صَارَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حِينَ بِيعَ فِيهِمْ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١] مَا اللهُ بِيُوسُفَ صَانِعٌ، وَإِلَيْهِ يُوسُفُ مِنْ أَمْرِهِ صَائِرٌ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: ٢٢].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ يُوسُفُ..

﴿أَشُدَّهُۥٓ﴾ مُنْتَهَىٰ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ فِي شَبَابِهِ، وَذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ ثَمَانِي عَشْرَةَ إِلَىٰ سِتِّينَ سَنَةً، وَقِيلَ

إِلَىٰ أَرْبَعِينَ سَنَةً.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ ذَلِكَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَلَا دَلَالَةَ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا أَثَرَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا فِي إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ كَانَ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَوْجُودًا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْتُ، فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ، حَتَّىٰ تَثْبُتَ حُجَّةٌ بِصِحَّةِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ فَيُسَلَّمُ لَهَا حِينَئِذٍ..

﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ أَعْطَيْنَاهُ حِينَئِذٍ..

﴿حُكْمًا﴾ عقلًا..

﴿وَعِلْمًا﴾ وفهمًا، قَبْلَ النُّبُوَّةِ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وكَمَا جَزَيْتُ يُوسُفَ فَآتَيْتُهُ بِطَاعَتِهِ إِيَّايَ الْحُكْمَ وَالْعِلْمَ، وَمَكَّنْتُهُ فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَنْقَذْتُهُ مِنْ أَيْدِي إِخْوَتِهِ الَّذِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٢﴾ [يوسف: ٢٢] نَجْزِي مَنْ أَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ، فَأَطَاعَنِي فِي أَمْرِي وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَيْتُهُ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيَّ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ ظَاهِرِهِ عَلَىٰ كُلِّ مُحْسِنٍ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، يَقُولُ لَهُ عَزَّوَجَلَّ: كَمَا فَعَلْتُ هَذَا بِيُوسُفَ مِنْ بَعْدِ مَا لَقِيَ مِنْ إِخْوَتِهِ مَا لَقِيَ وَقَاسَىٰ مِنَ الْبَلَاءِ مَا قَاسَىٰ، فَمَكَّنْتُهُ فِي الْأَرْضِ، وَوَطَّأْتُ لَهُ فِي الْبِلَادِ، فَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِكَ فَأُنْجِيكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ يَقْصِدُونَكَ بِالْعَدَاوَةِ، وَأُمَكِّنُ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَأُوتِيكَ الْحُكْمَ وَالْعِلْمَ، لِأَنَّ ذَلِكَ جَزَائِي أَهْلَ الْإِحْسَانِ فِي أَمْرِي وَنَهْيِي.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ وَرَاوَدَت امْرَأَةُ الْعَزِيزِ..

﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ الَّتِي كَانَ يُوسُفُ..

﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أَنْ يُوَاقِعَهَا..

﴿وَغَلَّقَتِ﴾ الْمَرْأَةُ..

﴿ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ أَبْوَابَ الْبُيُوتِ، عَلَيْهَا وَعَلَىٰ يُوسُفَ لَمَّا أَرَادَتْ مِنْهُ وَرَاوَدَتْهُ عَلَيْهِ، بَابًا بَعْدَ بَابٍ..

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ﴾ هَلُمَّ لَكَ وَادْنُ وَتَقَرَّبْ..

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ إِذْ دَعَتْهُ الْمَرْأَةُ إِلَىٰ نَفْسِهَا، وَقَالَتْ لَهُ هَلُمَّ إِلَيَّ..

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أَعْتَصِمُ بِاللهِ مِنَ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ وَأَسْتَجِيرُ بِهِ مِنْهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ صَاحِبَكِ وَزَوْجَكِ..

﴿رَبِّىٓ﴾ سَيِّدِي..

﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ أَحْسَنَ مَنْزِلَتِي، وَأَكْرَمَنِي وَائْتَمَنَنِي، فَلَا أَخُونُهُ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ إِنَّهُ لَا يُدْرِكُ الْبَقَاءَ، وَلَا يَنْجَحُ..

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [يوسف: ٢٣] مَنْ ظَلَمَ فَفَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ، وَهَذَا الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنَ الْفُجُورِ ظُلْمٌ وَخِيَانَةٌ لِسَيِّدِي الَّذِي ائْتَمَنَنِي عَلَىٰ مَنْزِلِهِ.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ جَعَلَتْ تَذْكُرُ لَهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ، وَتُشَوِّقُهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا..

﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ بِحَدِيثِ الْمَرْءِ نَفْسِهِ بِمُوَاقَعَتِهِ مَا لَمْ يُوَاقِعْ..

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا﴾ يُوسُفُ..

﴿بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ زَجَرَتْهُ عَنْ رُكُوبِ مَا هَمَّ بِهِ يُوسُفُ مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْآيَةُ صُورَةُ يَعْقُوبَ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ صُورَةَ الْمَلِكِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْوَعِيدُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ الزِّنَا، وَلَا حُجَّةَ لِلْعُذْرِ قَاطِعَةً بِأَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَتَرْكُ مَا عَدَا ذَلِكَ إِلَىٰ عَالِمِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَرَيْنَا يُوسُفَ بُرْهَانَنَا عَلَىٰ الزَّجْرِ عَمَّا هَمَّ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ، كَذَلِكَ نُسَبِّبُ لَهُ فِي كُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ مِنْ هَمٍّ يَهِمُّ بِهِ فِيمَا لَا يَرْضَاهُ مَا يَزْجُرُهُ وَيَدْفَعُهُ عَنْهُ..

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ﴾ كَيْ نَصْرِفَ عَنْهُ..

﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ رُكُوبَ مَا حَرَّمْنَا عَلَيْهِ..

﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ وَإِتْيَانِ الزِّنَا، لِنُطَهِّرَهُ مِنْ دَنَسِ ذَلِكَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ يُوسُفَ..

﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف: ٢٤] الَّذِينَ أَخْلَصْنَاهُمْ لِأَنْفُسِنَا، وَاخْتَرْنَاهُمْ لِنُبُوَّتِنَا وَرِسَالَتِنَا..وَقَرَأَ بَعْضُ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ:﴿ٱلْمُخْلِصِينَ ۝٢٤﴾ بِكَسْرِ اللَّامِ، بِمَعْنَىٰ: أَنْ يُوسُفَ مِنْ عِبَادِنَا الَّذِينَ أَخْلَصُوا تَوْحِيدَنَا وَعِبَادَتَنَا، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِنَا شَيْئًا، وَلَمْ يَعْبُدُوا شَيْئًا غَيْرَنَا..وَهُمَا

قَرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِهِمَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهُمَا مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَخْلَصَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ فَاخْتَارَهُ، فَهُوَ مُخْلِصٌ للهِ التَّوْحِيدَ وَالْعِبَادَةَ، وَمَنْ أَخْلَصَ تَوْحِيدَ اللهِ وَعِبَادَتَهُ فَلَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا، فَهُوَ مَنْ أَخْلَصَهُ اللهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَهُوَ الصَّوَابُ مُصِيبٌ.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٥﴾ [يوسف: ٢٥].

﴿وَٱسْتَبَقَا﴾ يُوسُفُ وَامْرَأَةُ الْعَزِيزِ، أَمَّا يُوسُفُ فَفِرَارًا مِنْ رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ لَمَّا رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ فَزَجَرَهُ عَنْهَا، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَطَلَبَهَا يُوسُفَ لِتَقْضِيَ حَاجَتَهَا مِنْهُ الَّتِي رَاوَدَتْهُ عَلَيْهَا..

﴿ٱلْبَابَ﴾ بَابَ الْبَيْتِ..فَأَدْرَكَتْهُ..

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ﴾ فَتَعَلَّقَتْ بِقَمِيصِهِ، فَجَذَبَتْهُ إِلَيْهَا مَانِعَةً لَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَابِ، فَقَدَّتْهُ..

﴿مِن دُبُرٍ﴾ شَقَّتْهُ مِنْ خَلْفٍ لَا مِنْ قُدَّامٍ، لِأَنَّ يُوسُفَ كَانَ هُوَ الْهَارِبُ وَكَانَتْ هِيَ الطَّالِبَةُ..

﴿وَأَلْفَيَا﴾ وَصَادَفَا..

﴿سَيِّدَهَا﴾ وَهُوَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ..

﴿لَدَا﴾ عِنْدَ..

﴿ٱلْبَابِۚ قَالَتْ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِزَوْجِهَا لَمَّا أَلْفَيَاهُ عِنْدَ الْبَابِ، فَخَافَتْ أَنْ يَتَّهِمَهَا بِالْفُجُورِ..

﴿مَا جَزَآءُ﴾ مَا ثَوَابُ..

﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ﴾ بِامْرَأَتِكَ..

﴿سُوٓءًا﴾ الزِّنَا..

﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ فِي السِّجْنِ..

﴿أَوْ﴾ إِلَّا..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٥﴾ [يوسف: ٢٥] مُوجِعٌ.

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦﴾ [يوسف: ٢٦].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لَمَّا قَذَفَتْهُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ بِمَا قَذَفَتْهُ مِنْ إِرَادَتِهِ الْفَاحِشَةَ مِنْهَا مُكَذِّبًا لَهَا فِيمَا قَذَفَتْهُ بِهِ، وَدَفْعًا لِمَا نُسِبَ إِلَيْهِ..

﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ مَا أَنَا رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، بَلْ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ لَمْ يُرِدْ ذِكْرَ ذَلِكَ لَوْ لَمْ تَقْذِفْهُ عِنْدَ سَيِّدِهَا بِمَا قَذَفَتْهُ بِهِ..

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ كَانَ صَبِيًّا فِي الْمَهْدِ؛ لِلْخَبَرِ الَّذِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، فَذَكَرَ أَنَّ أَحَدَهُمْ صَاحِبُ يُوسُفَ..

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ إِذَا كَانَ هَارِبًا فَإِنَّمَا يُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ دُبُرِهِ، فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الشَّقَّ لَوْ كَانَ مِنْ قُبُلٍ لَمْ يَكُنْ هَارِبًا مَطْلُوبًا، وَلَكِنْ كَانَ يَكُونُ طَالِبًا مَدْفُوعًا..

﴿وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [يوسف: ٢٦] وَيَكُونُ ذَلِكَ شَهَادَةً عَلَىٰ كَذِبِهِ.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يوسف: ٢٧].

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَأْتِي الْمَرْأَةَ مِنْ دُبُرٍ..

﴿وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يوسف: ٢٧].

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨].

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زَوْجُ الْمَرْأَةِ..

﴿قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ كَيْدِهَا..

﴿قَالَ﴾ زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وقِيلَ: القَائِلُ هُوَ الشَّاهِدُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الْفِعْلَ..

﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾ أَيْ صَنِيعُكُنَّ، يَعْنِي مِنْ صَنِيعِ النِّسَاءِ..

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨].

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف: ٢٩].

﴿يُوسُفُ﴾ يا يُوسُفُ..

﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أَعْرِض عَنْ ذِكْرِ مَا كَانَ مِنْهَا إِلَيْكَ، فِيمَا رَاوَدَتْكَ عَلَيْهِ فَلَا تَذْكُرْهُ لِأَحَدٍ..

﴿وَٱسْتَغْفِرِى﴾ أَنْتِ زَوْجَكِ..

﴿لِذَنۢبِكِ﴾ فَسَلِيهِ أَنْ لَا يُعَاقِبَكِ عَلَىٰ ذَنْبِكِ الَّذِي أَذْنَبْتِ، وَأَنْ يَصْفَحَ عَنْهُ فَيَسْتُرَهُ عَلَيْكِ..

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ۝٢٩﴾ [يوسف: ٢٩] الْمُذْنِبِينَ فِي مُرَاوَدَةِ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ..ولَمْ يَقُلْ: مِنَ الْخَاطِئَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ قَصْدَ الْخَبَرِ عَنِ النِّسَاءِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ بِهِ الْخَبَرَ عَمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَيُخْطِئُ.

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ [يوسف: ٣٠].

﴿۞ وَقَالَ﴾ وَتَحَدَّثَ..

﴿نِسْوَةٌ﴾ النِّسَاءُ بِأَمْرِ يُوسُفَ وَأَمْرِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ..

﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ فِي مَدِينَةِ مِصْرَ، وَشَاعَ مِنْ أَمْرِهِمَا فِيهَا مَا كَانَ، فَلَمْ يَنْكَتِمْ، وَقُلْنَ..

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ امرأةُ الْمَلِكِ..

﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ عَبْدَهَا..

﴿عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قَدْ وَصَلَ حُبُّ يُوسُفَ إِلَىٰ شَغَافِ قَلْبِهَا، فَدَخَلَ تَحْتَهُ حَتَّىٰ غَلَبَ عَلَىٰ قَلْبِهَا، وَشَغَافُ الْقَلْبِ حِجَابُهُ وَغِلَافُهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ..

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا﴾ قُلْنَ: إِنَّا لَنَرَىٰ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ فِي مُرَاوَدَتِهَا فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَبَةِ حُبِّهِ عَلَيْهَا..

﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ فِي خَطَأٍ مِنَ الْفِعْلِ وَجَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ [يوسف: ٣٠] لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَلِمَهُ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَخَطَأٌ غَيْرُ صَوَابٍ وَلَا سَدَادَ، وَإِنَّمَا كَانَ قِيلُهُنَّ مَا قُلْنَ مِنْ ذَلِكَ، وَتَحَدُّثُهُنَّ بِمَا تَحَدَّثْنَ بِهِ مِنْ شَأْنِهَا وَشَأْنِ يُوسُفَ مَكْرًا مِنْهُنَّ، فِيمَا ذُكِرَ لِتُرِيهِنَّ يُوسُفَ.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [يوسف: ٣١].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ..

﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ بِمَكْرِ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قُلْنَ فِي الْمَدِينَةِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ عَنْهُنَّ، وَبِقَوْلِهِنَّ وحَدِيثِهِنَّ: تُرَاوِدُ عَبْدَهَا، مَكْرًا بِهَا لِتُرِيَهُنَّ يُوسُفَ، وَكَانَ يُوصَفُ لَهُنَّ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ..

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أَرْسَلَتْ إِلَىٰ النِّسْوَةِ اللَّاتِي تَحَدَّثْنَ بِشَأْنِهَا وَشَأْنِ يُوسُفَ..

﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾ أَعَدَّتْ..

﴿لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ مَجْلِسًا لِلطَّعَامِ، وَمَا يَتَّكِئْنَ عَلَيْهِ مِنَ النَّمَارِقِ وَالْوَسَائِدِ..

﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ النِّسْوَةِ اللَّاتِي حَضَرْنَهَا سِكِّينًا لِتَقْطَعَ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ مَا تَقْطَعُ بِهِ، وَذَلِكَ مِنَ الْأُتْرُجِّ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُقْطَعُ بِالسِّكِّينِ..

﴿وَقَالَتِ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ..

﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾ فَخَرَجَ عَلَيْهِنَّ يُوسُفُ..

﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ﴾ فَلَمَّا رَأَيْنَ يُوسُفَ..

﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ أَعْظَمْنَهُ وَأَجْلَلْنَهُ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ شَطْرَ الْحُسْنِ**»..

﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ وَهُنَّ لَا يَشْعُرْنَ، لِإِعْظَامِ يُوسُفَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ قَطْعًا بِإِبَانَةٍ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ قَطْعَ حَزٍّ وَخَدْشٍ، وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَصْوَبُ مِنَ التَّسْلِيمِ لِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ.

﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ التَّنْزِيهِ للهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَعَاذَ اللهِ..

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ قُلْنَ مَا هَذَا بَشَرًا؛ لِأَنَّهُنَّ لَمْ يَرَيْنَ فِي حُسْنِ صُورَتِهِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا، فَقُلْنَ: لَوْ كَانَ مِنَ الْبَشَرِ لَكَانَ كَبَعْضِ مَا رَأَيْنَا مِنْ صُورَةِ الْبَشَرِ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا مِنَ الْبَشَرِ..

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ [يوسف: ٣١] قُلْنَ مَا هَذَا إِلَّا مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

> ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف: ٣٢].

﴿قَالَتۡ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِلنِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ..

﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ فَهَذَا أَصَابَكُنَّ فِي رُؤْيَتِكُنَّ إِيَّاهُ، وَفِي نَظْرَةٍ مِنْكُنَّ نَظَرْتُنَّ إِلَيْهِ مَا أَصَابَكُنَّ مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ وَغُرُوبِ الْفَهْمِ، وَلَهًا إِلَيْهِ حَتَّىٰ قَطَّعْتُنَّ أَيْدِيَكُنَّ، هُوَ..

﴿ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ لُمْتُنَّنِي فِي حِبِّي إِيَّاهُ، وَشَغَفُ فُؤَادِي بِهِ، فَقُلْتُنَّ: قَدْ شَغَفَ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ فَتَاهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، ثُمَّ أَقَرَّتْ لَهُنَّ بِأَنَّهَا قَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنَّ الَّذِي تَحَدَّثْنَ بِهِ عَنْهَا فِي أَمْرِهِ حَقٌّ، فَقَالَتْ..

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ فَامْتَنَعَ مِمَّا رَاوَدْتُهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ وَلَئِنْ لَمْ يُطَاوِعْنِي عَلَىٰ مَا أَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ حَاجَتِي إِلَيْهِ..

﴿لَيُسۡجَنَنَّ﴾ لَيُحْبَسَنَّ فِي السِّجْنِ..

﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝٣٢﴾ [يوسف: ٣٢] وَلَيَكُونًا مِنْ أَهْلِ الصَّغَارِ وَالذِّلَّةِ بِالْحَبْسِ وَالسِّجْنِ، وَلَأُهِينَنَّهُ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣﴾ [يوسف: ٣٣].

﴿قَالَ رَبِّ﴾ قَالَ يُوسُفُ يَا رَبِّ..

﴿ٱلسِّجْنُ﴾ الْحَبْسُ فِي السِّجْنِ..

﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ مِنْ مَعْصِيَتِكَ وَيُرَاوِدْنَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ.. وَهَذَا الْخَبَرُ مِنَ اللهِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ قَدْ عَاوَدَتْ يُوسُفَ فِي الْمُرَاوَدَةِ عَنْ نَفْسِهِ، وَتَوَعَّدَتْهُ بِالسِّجْنِ وَالْحَبْسِ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَاخْتَارَ السِّجْنَ عَلَىٰ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ عَاوَدَتْهُ وَتَوَعَّدَتْهُ بِذَلِكَ، كَانَ مُحَالًا أَنْ يَقُولَ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ وَهُوَ لَا يُدْعَىٰ إِلَىٰ شَيْءٍ وَلَا يُخَوَّفُ بِحَبْسٍ، وَالسِّجْنُ هُوَ الْحَبْسُ نَفْسُهُ، وَهُوَ بَيْتُ الْحَبْسِ..

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي﴾ وَإِنْ لَمْ تَدْفَعْ عَنِّي يَا رَبِّ.. قَالَ ابنُ زَيْدٍ: **(إِلَّا يَكُنْ مِنْكَ أَنْتَ الْعَوْنُ وَالْمَنْعَةُ، لا يَكُنْ مِنِّي وَلا عِنْدِي)**..

﴿كَيْدَهُنَّ﴾ فِعْلَهُنَّ الَّذِي يَفْعَلْنَ بِي فِي مُرَاوَدَتِهِنَّ إِيَّايَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِنَّ..

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أَمِيلُ إِلَيْهِنَّ، وَأُتَابِعُهُنَّ عَلَىٰ مَا يُرِدْنَ مِنِّي، وَيَهْوِينَ..

﴿وَأَكُن﴾ بِصَبْوَتِي إِلَيْهِنَّ..

﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣﴾ [يوسف: ٣٣] الَّذِينَ جَهِلُوا حَقَّكَ وَخَالَفُوا أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٤﴾ [يوسف: ٣٤].

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ فَاسْتَجَابَ اللهُ لِيُوسُفَ دُعَاءَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وَلَا مَسْأَلَةَ تَقَدَّمَتْ مِنْ يُوسُفَ لِرَبِّهِ، وَلَا دَعَا بِصَرْفِ كَيْدِهِنَّ عَنْهُ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ رَبَّهُ أَنَّ السِّجْنَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؟ قِيلَ: إِنَّ فِي إِخْبَارِهِ بِذَلِكَ شِكَايَةً مِنْهُ إِلَىٰ رَبِّهِ مِمَّا لَقِيَ مِنْهُنَّ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، مَعْنَىٰ دُعَاءٍ وَمَسْأَلَةٍ مِنْهُ رَبَّهُ صَرْفَ كَيْدِهِنَّ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾..

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ فَصَرَفَ عَنْهُ مَا أَرَادَتْ مِنْهُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَصَوَاحِبَاتُهَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ دُعَاءَ يُوسُفَ حِينَ دَعَاهُ بِصَرْفِ كَيْدِ النِّسْوَةِ عَنْهُ، وَدُعَاءَ كُلِّ دَاعٍ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف: ٣٤] بِمَطْلَبِهِ وَحَاجَتِهِ، وَمَا يُصْلِحُهُ، وَبِحَاجَةِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ٣٥﴾ [يوسف: ٣٥].

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ ثُمَّ بَدَا لِلْعَزِيزِ زَوْجِ الْمَرْأَةِ الَّتِي رَاوَدَتْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ.. وَقِيلَ: ﴿بَدَا لَهُم﴾، وَهُوَ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُذْكَرْ بِاسْمِهِ، وَيُقْصَدُ بِعَيْنِهِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَقِيلَ: إِنَّ قَائِلَ ذَلِكَ كَانَ وَاحِدًا.. وَقِيلَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ فِي الرَّأْيِ الَّذِي كَانُوا رَأَوْهُ مِنْ تَرْكِ يُوسُفَ مُطْلَقًا، وَرَأَوْا أَنْ يَسْجُنُوهُ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ بِبَرَاءَتِهِ مِمَّا قَذَفَتْهُ بِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ كَانَتْ: قَدَّ الْقَمِيصِ مِنْ دُبُرٍ، وَخَمْشًا فِي الْوَجْهِ، وَقَطْعَ أَيْدِيهِنَّ..

﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ٣٥﴾ [يوسف: ٣٥] لَيَسْجُنُنَّهُ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي يَرَوْنَ فِيهِ رَأْيَهُمْ، فَسَجَنُوهُ وَأَدْخَلُوهُ السِّجْنَ.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: ٣٦].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾ وَدَخَلَ مَعَ يُوسُفَ..

﴿ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ وَكَانَ الْفَتَيَانُ فِيمَا ذُكِرَ: غُلَامَيْنِ مِنْ غِلْمَانِ مَلِكِ مِصْرَ الْأَكْبَرِ: أَحَدُهُمَا صَاحِبُ شَرَابِهِ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ طَعَامِهِ، وَكَانَ سَبَبُ حَبْسِ الْمَلِكِ الْفَتَيَيْنِ فِيمَا ذُكِرَ أَنَّ الْمَلِكَ غَضِبَ عَلَىٰ خَبَّازِهِ؛ بَلَغَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسُمَّهُ، فَحَبَسَهُ وَحَبَسَ صَاحِبَ شَرَابِهِ، ظَنَّ أَنَّهُ مَالَأَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَحَبَسَهُمَا جَمِيعًا..

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾ فِي نَوْمِي..

﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أَعْصِرُ عِنَبًا..

﴿وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ﴾ مِنَ الْفَتَيَيْنِ..

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾ فِي مَنَامِي..

﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا﴾ أَحْمِلُ عَلَىٰ رَأْسِي، فَوُضِعَتْ «فَوْقَ» مَكَانَ «عَلَىٰ»..

﴿تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ مِنَ الْخُبْزِ..

﴿نَبِّئۡنَا﴾ أَخْبِرْنَا..

﴿بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ بِمَا يَئُولُ إِلَيْهِ مَا أَخْبَرْنَاكَ أَنَّا رَأَيْنَاهُ فِي مَنَامِنَا وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ..

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: ٣٦] نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِ رُؤْيَانَا مُحْسِنًا إِلَيْنَا فِي إِخْبَارِكَ إِيَّانَا بِذَلِكَ، كَمَا نَرَاكَ تُحْسِنُ فِي سَائِرِ أَفْعَالِكَ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَنَّهُ كَانَ يَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيُعَزِّي حَزِينَهُمْ، وَإِذَا احْتَاجَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ جَمَعَ لَهُ.

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: ٣٧].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِلْفَتَيَيْنِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَرَاهُ الرُّؤْيَا..

﴿لَا يَأۡتِيكُمَا﴾ أَيُّهَا الْفَتَيَانُ فِي مَنَامِكُمَا..

﴿طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ وَيَصِيرُ مَا رَأَيَا فِي مَنَامِهِمَا مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي رَأَيَا أَنَّهُ أَتَاهُمَا فِيهِ..

﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾ فِي يَقَظَتِكُمَا..

﴿ذَٰلِكُمَا﴾ هَذَا الَّذِي أَذْكُرُ أَنِّي أَعْلَمُهُ مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا..

﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ فَعَلِمْتُهُ..

﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إِنِّي بَرِئْتُ مِنْ مِلَّةِ مَنْ لَا يُصَدِّقُ بِاللهِ، وَيُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿وَهُم﴾ مَعَ تَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: ٣٧] لَا يُقِرُّونَ بِالْمِعَادِ وَالْبَعْثِ وَلَا بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ.

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٨].

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ وَاتَّبَعْتُ دِينَهُمْ لَا دِينَ أَهْلِ الشِّرْكِ..

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ مَا جَازَ لَنَا أَنْ نَجْعَلَ للهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، بَلِ الَّذِي عَلَيْنَا إِفْرَادُهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالْعِبَادَةِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ اتِّبَاعِي مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَتَرْكِي ﴿مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: ٣٧]..

﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ مِنْ فَضْلِ اللهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا، فَأَنْعَمَ إِذْ أَكْرَمَنَا بِهِ..

﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وَذَلِكَ أَيْضًا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَرْسَلَنَا إِلَيْهِمْ دُعَاةً إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٣٨﴾ [يوسف: ٣٨] وَلَكِنَّ مَنْ يَكْفُرُ بِاللهِ لَا يَشْكُرُ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَنْ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُ الْمُتَفَضِّلَ بِهِ.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ يَا مَنْ هُوَ فِي السِّجْنِ، وَجَعَلَهُمَا صَاحِبَيْهِ لِكَوْنِهِمَا فِيهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِسُكَّانِ الْجَنَّةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢﴾ [البقرة: ٨٢]، وَكَذَلِكَ قَالَ لِأَهْلِ النَّارِ، وَسَمَّاهُمْ أَصْحَابَهَا لِكَوْنِهِمْ فِيهَا..

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ﴾ أَعِبَادَةُ أَرْبَابٍ شَتَّىٰ مُتَفَرِّقِينَ، وَآلِهَةٍ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ خَيْرٌ..

﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ﴾ أَمْ عِبَادَةُ الْمَعْبُودِ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا ثَانِيَ لَهُ فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ..

﴿ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩] الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ فَذَلَّلَهُ وَسَخَّرَهُ فَأَطَاعَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا.

﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.. وَقَالَ: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾، وَقَدِ ابْتَدَأَ الْخِطَابَ بِخِطَابِ اثْنَيْنِ، فَقَالَ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾؛ لِأَنَّهُ قَصَدَ الْمُخَاطَبَ بِهِ وَمَنْ هُوَ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ مُقِيمٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَ لِلْمُخَاطَبِ بِذَلِكَ: مَا تَعْبُدُ أَنْتَ وَمَنْ هُوَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ وَذَلِكَ تَسْمِيَتُهُمْ أَوْثَانَهُمْ آلِهَةً أَرْبَابًا، شِرْكًا مِنْهُمْ وَتَشْبِيهًا لَهَا فِي أَسْمَائِهَا الَّتِي سَمُّوهَا بِهَا بِاللهِ، تَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ أَوْ شَبِيهٌ..

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ سَمُّوهَا بِأَسْمَاءٍ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ بِتَسْمِيَتِهَا، وَلَا وَضَعَ لَهُمْ عَلَىٰ أَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ أَسْمَاؤُهَا دَلَالَةً وَلَا حُجَّةً، وَلَكِنَّهَا اخْتِلَاقٌ مِنْهُمْ لَهَا وَافْتِرَاءٌ.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا أَنْتُمْ وَجَمِيعَ خَلْقِهِ إِلَّا اللهَ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ خَالِصَةً دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي دَعَوْتُكُمَا إِلَيْهِ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَىٰ اللهِ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ تُخْلِصَا

الْعِبَادَةَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ..

﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ هُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَالْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠] وَلَكِنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ بِاللهِ يَجْهَلُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝٤١﴾ [يوسف: ٤١].

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ يُوسُفَ لِلَّذَيْنِ دَخَلَا مَعَهُ السِّجْنَ..

﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ وَهُوَ الَّذِي رَأَىٰ أَنَّهُ يَعْصِرُ خَمْرًا..

﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾ يَعْنِي سَيِّدَهُ، وَهُوَ مَلِكُهُمْ..

﴿خَمْرًا﴾ فَيَكُونُ صَاحِبَ شَرَابِهِ..

﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾ وَهُوَ الَّذِي رَأَىٰ أَنَّ عَلَىٰ رَأْسِهِ خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ..

﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ فَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا عَبَّرَ مَا أَخْبَرَاهُ بِهِ أَنَّهُمَا رَأَيَاهُ فِي مَنَامِهِمَا، قَالَا لَهُ: مَا رَأَيْنَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهُمَا..

﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝٤١﴾ [يوسف: ٤١] فُرِغَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ اسْتَفْتَيْتُمَا، وَوَجَبَ حُكْمُ اللهِ عَلَيْكُمَا بِالَّذِي أَخْبَرْتُكُمَا بِهِ.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝٤٢﴾ [يوسف: ٤٢].

﴿وَقَالَ﴾ يُوسُفُ..

﴿لِلَّذِى ظَنَّ﴾ عَلِمَ.. وَكَانَ قَتَادَةُ يُوَجِّهُ مَعْنَىٰ الظَّنِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَىٰ الظَّنِّ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْيَقِينِ: (وَإِنَّمَا عِبَارَةُ الرُّؤْيَا بِالظَّنِّ، فَيَحِقُّ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيَبْطُلُ مَا يَشَاءُ)، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ قَتَادَةُ مِنْ أَنَّ عِبَارَةَ الرُّؤْيَا ظَنٌّ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَغَيْرُ جَائِزٍ مِنْهَا أَنْ تُخْبِرَ بِخَبَرٍ عَنْ أَمْرٍ أَنَّهُ كَائِنٌ ثُمَّ لَا يَكُونُ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ ثُمَّ يَكُونُ مَعَ شَهَادَتِهَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ أَنَّهُ كَائِنٌ أَوْ غَيْرُ كَائِنٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ جَازَ عَلَيْهَا فِي إِخْبَارِهَا لَمْ يُؤْمَنْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ أَخْبَارِهَا، وَإِذَا لَمْ يُؤْمَنْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِهَا سَقَطَتْ حُجَّتُهَا عَلَىٰ مَنْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ

كَذَلِكَ كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَيْهَا أَنْ تُخْبِرَ بِخَبَرٍ إِلَّا وَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، فَمَعْلُومٌ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ أَنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقْطَعِ الشَّهَادَةَ عَلَىٰ مَا أَخْبَرَ الْفَتَيَيْنِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَرَاهُ أَنَّهُ كَائِنٌ، فَيَقُولُ لِأَحَدِهِمَا: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٤١] ثُمَّ يُؤَكِّدُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٤١] عِنْدَ قَوْلِهِمَا: لَمْ نَرَ شَيْئًا، إِلَّا وَهُوَ عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّ مَا أَخْبَرَهُمَا بِحُدُوثِهِ، وَكَوْنِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ لَا شَكَّ فِيهِ، وَلِيَقِينِهِ بِكَوْنِ ذَلِكَ قَالَ لِلنَّاجِي مِنْهُمَا: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾..

﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ مِنْ صَاحِبَيْهِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَرَاهُ الرُّؤْيَا..

﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ اذْكُرْنِي عِنْدَ سَيِّدِكَ، وَأَخْبِرْهُ بِمَظْلَمَتِي وَأَنِّي مَحْبُوسٌ بِغَيْرِ جُرْمٍ..

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ غَفْلَةٍ عَرَضَتْ لِيُوسُفَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ نَسِيَ لَهَا ذِكْرَ رَبِّهِ الَّذِي لَوْ بِهِ اسْتَغَاثَ لَأَسْرَعَ بِمَا هُوَ فِيهِ خَلَاصُهُ، وَلَكِنَّهُ زَلَّ بِهَا، فَأَطَالَ مِنْ أَجْلِهَا فِي السِّجْنِ حَبْسَهُ، وَأَوْجَعَ لَهَا عُقُوبَتَهُ..

﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢] وَالصَّوَابُ فِي الْبِضْعِ مِنَ الثَّلَاثِ إِلَىٰ التِّسْعِ إِلَىٰ الْعَشْرِ، وَلَا يَكُونُ دُونَ الثَّلَاثِ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: ٤٣].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ وَقَالَ مَلِكُ مِصْرَ..

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ فِي الْمَنَامِ..

﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ مِنَ الْبَقَرِ..

﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ وَقَالَ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ فِي مَنَامِي.. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ رَأَىٰ فِي مَنَامِهِ وَلَا فِي غَيْرِهِ، لِتَعَارُفِ الْعَرَبِ بَيْنَهَا فِي كَلَامِهَا إِذَا قَالَ الْقَائِلُ مِنْهُمْ: أَرَىٰ أَنِّي أَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، أَنَّهُ خَبَرٌ عَنْ رُؤْيَتِهِ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ النَّوْمَ..

﴿وَأُخَرَ﴾ وَسَبْعًا أُخَرَ مِنَ السُّنْبُلِ..

﴿يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى﴾ يَا أَيُّهَا الْأَشْرَافُ مِنْ رِجَالِي وَأَصْحَابِي..

﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ فَاعْبُرُوهَا..

﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: ٤٣] إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا عَبَرَةً.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ [يوسف: ٤٤].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ سَأَلَهُمْ مَلِكُ مِصْرَ عَنْ تَعْبِيرِ رُؤْيَاهُ: رُؤْيَاكَ هَذِهِ..

﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ يَعْنُونَ أَنَّهَا أَخْلاطُ رُؤْيَا كَاذِبَةٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا.. وَهِيَ جَمْعُ ضِغْثٍ، وَالضِّغْثُ: أَصْلُهُ الحِزْمَةُ مِنَ الحَشِيشِ، يُشَبَّهُ بِهَا الأَحْلَامَ الْمُخْتَلَطَةَ الَّتِي لَا تَأْوِيلَ لَهَا.. وَالأَحْلَامُ جَمْعُ حُلْمٍ، وَهُوَ مَا لَمْ يُصَدَّقْ مِنَ الرُّؤْيَا..

﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ [يوسف: ٤٤] وَمَا نَحْنُ بِمَا تَئُولُ إِلَيْهِ الأَحْلَامُ الْكَاذِبَةُ بِعَالِمِينَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥﴾ [يوسف: ٤٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا﴾ مِنَ الْقَتْلِ..

﴿مِنۡهُمَا﴾ مِنْ صَاحِبَي السِّجْنِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَرَا يُوسُفَ الرُّؤْيَا..

﴿وَٱدَّكَرَ﴾ وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ نَسِيَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ، وَذَكَرَ حَاجَتَهُ لِلْمَلِكِ الَّتِي كَانَ سَأَلَهُ عِنْدَ تَعْبِيرِهِ رُؤْيَاهُ أَنْ يَذْكُرَهَا لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]..

﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ بَعْدَ حِينٍ..

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ أَنَا أُخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ..

﴿فَأَرۡسِلُونِ ٤٥﴾ [يوسف: ٤٥] فَأَطْلِقُونِي أَمْضِي لِآتِيَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ مِنْ عِنْدِ الْعَالِمِ بِهِ، فَأَرْسَلُوهُ فَأَتَى يُوسُفَ، فَقَالَ لَهُ: يَا.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦﴾ [يوسف: ٤٦].

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ رُئِينَ فِي الْمَنَامِ.. وَهِيَ السِّنُونَ الْمُخْصِبَةُ..

﴿يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ﴾ مِنْهَا..

﴿عِجَافٞ﴾ جَمْعُ عِجْفٍ، وَهِيَ الْمَهَازِيلُ..

﴿وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ وَفِي سَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ رُئِينَ أَيْضًا.. وَهُنَّ السِّنُونَ الْمَخَاصِيبُ..

﴿وَأُخَرَ﴾ وَسَبْعًا أُخَرَ مِنْهُنَّ..

﴿يَابِسَٰتٖ﴾ وَهُنَّ الْجُدُوبُ الْمُحُولُ..

﴿لَعَلِّيٓ﴾ كَيْ..

﴿أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ فَأُخْبِرَهُمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يوسف: ٤٦] لِيَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ مِنَ الرُّؤْيَا.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف: ٤٧].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِسَائِلِهِ عَنْ رُؤْيَا الْمَلِكِ..

﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ تَزْرَعُونَ هَذِهِ السَّبْعَ السِّنِينَ..

﴿دَأَبًا﴾ كَمَا كُنْتُمْ تَزْرَعُونَ سَائِرَ السِّنِينَ قَبْلَهَا عَلَىٰ عَادَتِكُمْ فِيمَا مَضَىٰ، وَالدَّأْبُ: الْعَادَةُ..

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف: ٤٧] وَهَذِهِ مَشُورَةٌ أَشَارَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْقَوْمِ، وَرَأْيٌ رَآهُ لَهُمْ صَلَاحًا يَأْمُرُهُمْ بِاسْتِبْقَاءِ طَعَامِهِمْ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [يوسف: ٤٨].

﴿ثُمَّ يَأْتِي﴾ ثُمَّ يَجِيءُ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ السِّنِينَ السَّبْعِ الَّتِي تَزْرَعُونَ فِيهَا دَأَبًا..

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ سِنُونَ سَبْعٌ شِدَادٌ؛ يَقُولُ: جُدُوبٌ قَحِطَةٌ..

﴿يَأْكُلْنَ﴾ يُؤْكَلُ فِيهِنَّ، فَوَصَفَ السِّنِينَ بِأَنَّهُنَّ يَأْكُلُهُنَّ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَىٰ: أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ يَأْكُلُونَ فِيهِنَّ..

﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ مَا قَدَّمْتُمْ فِي إِعْدَادِ مَا أَعْدَدْتُمْ لَهُنَّ فِي السِّنِينَ السَّبْعَةِ الْخَصْبَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْأَقْوَاتِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إِلَّا يَسِيرًا..

﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [يوسف: ٤٨] مِمَّا تُحْرِزُونَهُ، وَمِمَّا تَدَّخِرُونَ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٩].

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْقَوْمِ عَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي رُؤْيَا مَلِكِهِمْ، وَلَكِنَّهُ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ دَلَالَةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ وَحُجَّةً عَلَىٰ صِدْقِهِ..

﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بِالْمَطَرِ وَالْغَيْثِ..

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾ [يوسف: ٤٩] الْعِنَبَ وَالسِّمْسِمَ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ.. وَكَانَ بَعْضُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِأَقْوَالِ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِمَّنْ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ عَلَىٰ مَذْهَبِ كَلَامِ الْعَرَبِ يُوَجِّهُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾ إِلَىٰ: وَفِيهِ يَنْجُونَ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ بِالْغَيْثِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنَ الْعَصْرِ، وَالْعَصَرُ الَّتِي بِمَعْنَىٰ الْمَنْجَاةِ، وَذَلِكَ تَأْوِيلٌ يَكْفِي مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَىٰ خَطَئِهِ، خِلَافُهُ قَوْلَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ [يوسف: ٥٠].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ الَّذِي أَرْسَلُوهُ إِلَىٰ يُوسُفَ، الَّذِي قَالَ: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ۝٤٥﴾ [يوسف: ٤٥]، فَأَخْبَرَهُمْ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَا الْمَلِكِ عَنْ يُوسُفَ، عَلِمَ الْمَلِكُ حَقِيقَةَ مَا أَفْتَاهُ بِهِ مِنْ تَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ، وَصِحَّةَ ذَلِكَ، وَقَالَ الْمَلِكُ: ائْتُونِي بِالَّذِي عَبَّرَ رُؤْيَايَ هَذِهِ..

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْمَلِكِ..

﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قَالَ يُوسُفُ لِلرَّسُولِ: ارْجِعْ إِلَىٰ سَيِّدِكَ..

﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ﴾ وَأَبَىٰ أَنْ يَخْرُجَ مَعَ الرَّسُولِ، وَإِجَابَةَ الْمَلِكِ حَتَّىٰ يَعْرِفَ صِحَّةَ أَمْرِهِ عِنْدَهُمْ مِمَّا كَانُوا قَذَفُوهُ بِهِ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: سَلِ الْمَلِكَ مَا شَأْنُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وَالْمَرْأَةِ الَّتِي سُجِنْتُ بِسَبَبِهَا.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِي**»..

﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ [يوسف: ٥٠] إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ذُو عِلْمٍ بِصَنِيعِهِنَّ وَأَفْعَالِهِنَّ الَّتِي فَعَلْنَ بِي، وَيَفْعَلْنَ بِغَيْرِي مِنَ النَّاسِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ جَزَائِهِنَّ عَلَىٰ ذَلِكَ.. فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَىٰ الْمَلِكِ مِنْ عِنْدِ يُوسُفَ بِرِسَالَتِهِ، فَدَعَا الْمَلِكُ النِّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ، فَقَالَ لَهُنَّ:.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف: ٥١].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ مَا كَانَ أَمْرُكُنَّ، وَمَا كَانَ شَأْنُكُنَّ..

﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ فَأَجَبْنَهُ..

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ﴾ تبيَّنَ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ وانْكَشَفَ فَظَهَرَ.. وَأَصْلُ حَصْحَصَ: حَصَّ؛ وَلَكِنْ قِيلَ: حَصْحَصَ، كَمَا قِيلَ: ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ [الشعراء: ٩٤]، فِي (كُبُّوا)، وَقِيلَ: (كَفْكَفَ) فِي (كَفَّ)، وَأَصْلُ الْحَصِّ: اسْتِئْصَالُ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: حَصَّ شَعْرَهُ: إِذَا اسْتَأْصَلَهُ جَزًّا، وَإِنَّمَا أُرِيدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: حَصْحَصَ الْحَقُّ: ذَهَبَ الْبَاطِلُ وَالْكَذِبُ، فَانْقَطَعَ، وَتَبَيَّنَ الْحَقُّ فَظَهَرَ..

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ يُوسُفَ..

﴿لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف: ٥١] فِي قَوْلِهِ «هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي»[يوسف: ٢٦].

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْتُهُ مِنْ رَدِّي رَسُولَ الْمَلِكِ إِلَيْهِ، وَتَرْكِي إِجَابَتَهُ وَالْخُرُوجَ إِلَيْهِ، وَمَسْأَلَتِي إِيَّاهُ أَنْ يَسْأَلَ النِّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، عَنْ شَأْنِهِنَّ إِذْ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، إِنَّمَا فَعَلْتُهُ..

﴿لِيَعْلَمَ﴾ سَيِّدِي..

﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ فِي زَوْجَتِهِ..

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ لَمْ أَرْكَبْ مِنْهَا فَاحِشَةً فِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنِّي، وَإِذَا لَمْ يَرْكَبْ ذَلِكَ بِمَغِيبِهِ، فَهُوَ فِي حَالِ مَشْهَدِهِ إِيَّاهُ أَحْرَىٰ أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا عَنْ رُكُوبِهِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢] وَإِنَّ اللهَ لَا يُسَدِّدُ صَنِيعَ مَنْ خَانَ الْأَمَانَاتِ، وَلَا يُرْشِدُ فِعَالَهُمْ فِي خِيَانَتِهِمُوهَا.. وَاتَّصَلَ قَوْلَهُ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ بِقَوْلِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف: ٥١]، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ لِمَعْنَاهُ، كَاتِّصَالِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٣٤﴾ [النمل: ٣٤] بِقَوْلِ الْمَرْأَةِ: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةًۚ﴾ [النمل: ٣٤].

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ﴾ يَقُولُ يُوسُفُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ فَأُزَكِّيهَا..

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ إِنَّ نُفُوسَ الْعِبَادِ..

﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾ تَأْمُرُهُمْ..

﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ بِمَا تَهْوَاهُ، وَإِنْ كَانَ هَوَاهَا فِي غَيْرِ مَا فِيهِ رِضَا اللهِ..

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَ رَبِّي مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُنْجِيَهِ مِنِ اتِّبَاعِ هَوَاهَا وَطَاعَتِهِ فِيمَا تَأْمُرُهُ بِهِ مِنَ السُّوءِ..

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ ذُو صَفْحٍ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهَا وَفَضِيحَتَهُ بِهَا..

﴿رَّحِيمٌ ۝٥٣﴾ [يوسف: ٥٣] بِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُ عَلَيْهَا.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾ [يوسف: ٥٤].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ حِينَ تَبَيَّنَ عُذْرَ يُوسُفَ، وَعَرَفَ أَمَانَتَهُ وَعِلْمَهُ..

﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ أَجْعَلْهُ مِنْ خُلَصَائِي دُونَ غَيْرِي..

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ فَلَمَّا كَلَّمَ الْمَلِكُ يُوسُفَ، وَعَرَفَ بَرَاءَتَهُ وَعِظَمَ أَمَانَتِهِ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ..

﴿إِنَّكَ﴾ يَا يُوسُفُ..

﴿ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ مُتَمَكِّنٌ مِمَّا أَرَدْتَ، وَعُرِضَ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ قِبَلَنَا، لِرِفْعَةِ مَكَانِكَ وَمَنْزِلَتِكَ لَدَيْنَا..

﴿أَمِينٌ ۝٥٤﴾ [يوسف: ٥٤] عَلَىٰ مَا اؤْتُمِنْتَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ [يوسف: ٥٥].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِلْمَلِكِ..

﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ﴾ جَمْعُ خِزَانَةٍ..

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أَرْضِكَ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ دَخَلَتَا فِي الْأَرْضِ خَلَفًا مِنَ الْإِضَافَةِ.. وَهَذَا مِنْ يُوسُفَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ مَسْأَلَةٌ مِنْهُ لِلْمَلِكِ أَنْ يُوَلِّيَهُ أَمْرَ طَعَامِ بَلَدِهِ وَخَرَاجِهَا، وَالْقِيَامَ بِأَسْبَابِ بَلَدِهِ..

﴿إِنِّى حَفِيظٌ﴾ إِنِّي حَافِظٌ لِمَا اسْتَوْدَعْتَنِي..

﴿عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ [يوسف: ٥٥] عَالِمٌ بِمَا أَوْلَيْتَنِي.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف: ٥٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَهَكَذَا..

﴿مَكَّنَّا﴾ وَطَّأْنَا..

﴿لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أَرْضَ مِصْرَ..

﴿يَتَبَوَّأُ﴾ يَتَّخِذُ..

﴿مِنْهَا﴾ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مَنْزِلًا..

﴿حَيْثُ يَشَآءُ﴾ بَعْدَ الْحَبْسِ وَالضِّيقِ..

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِنَا، كَمَا أَصَبْنَا يُوسُفَ بِهَا، فَمَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الْعُبُودَةِ وَالْإِسَارِ، وَبَعْدَ الْإِلْقَاءِ فِي الْجُبِّ..

﴿وَلَا نُضِيعُ﴾ وَلَا نُبْطِلُ..

﴿أَجْرَ﴾ جَزَاءَ عَمَلِ..

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف: ٥٦] مَنْ أَحْسَنَ فَأَطَاعَ رَبَّهُ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، كَمَا لَمْ نُبْطِلْ جَزَاءَ عَمَلِ يُوسُفَ إِذْ أَحْسَنَ فَأَطَاعَ اللهَ.

> ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٧﴾ [يوسف: ٥٧].

﴿وَلَأَجْرُ﴾ وَلَثَوَابُ اللهِ فِي..

﴿ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لِلَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ مِمَّا أَعْطَىٰ يُوسُفَ فِي الدُّنْيَا مِنْ تَمْكِينِهِ لَهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ..

﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٧﴾ [يوسف: ٥٧] اللهَ فَيَخَافُونَ عِقَابَهُ فِي خِلَافِ أَمْرِهِ وَاسْتِحْلَالِ مَحَارِمِهِ، فَيُطِيعُونَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

> ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾ [يوسف: ٥٨].

﴿وَجَآءَ﴾ يُوسُفَ..

﴿إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ يُوسُفَ..

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾ [يوسف: ٥٨] لَا يَعْرِفُونَهُ.

> ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾ [يوسف: ٥٩].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وَلَمَّا حَمَلَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ أَبَاعِرَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ، فَأَوْقَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ

مِنْهُمْ بَعِيرَهُ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ كَيْمَا أَحْمِلَ لَكُمْ بَعِيرًا آخَرَ فَتَزْدَادُوا بِهِ حِمْلَ بَعِيرٍ آخَرَ..

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾ فَلَا أَبْخَسُهُ أَحَدًا..

﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾ [يوسف: ٥٩] وَأَنَا خَيْرُ مَنْ أَنْزَلَ ضَيْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ، فَأَنَا أُضَيِّفُكُمْ.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠﴾ [يوسف: ٦٠].

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ﴾ بِأَخِيكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ..

﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾ فَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدِي طَعَامٌ أَكِيلَهُ لَكُمْ..

﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠﴾ [يوسف: ٦٠] وَلَا تَقْرَبُوا بِلَادِي.

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١﴾ [يوسف: ٦١].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ..

﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُخَلِّيَهِ مَعَنَا حَتَّىٰ نَجِيءَ بِهِ إِلَيْكَ..

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١﴾ [يوسف: ٦١] مَا قُلْنَا لَكَ أَنَّا نَفْعَلُهُ مِنْ مُرَاوَدَةِ أَبِينَا عَنْ أَخِينَا مِنْهُ وَلَنَجْتَهِدَنَّ.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٦٢﴾ [يوسف: ٦٢].

﴿وَقَالَ﴾ يُوسُفُ..

﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾ وَهُمْ غِلْمَانُهُ..

﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ اجْعَلُوا أَثْمَانَ الطَّعَامِ الَّذِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُمْ..

﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٦٢﴾ [يوسف: ٦٢] فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَلِأَيَّةِ عِلَّةٍ أَمَرَ يُوسُفُ فِتْيَانَهُ أَنْ يَجْعَلُوا بِضَاعَةَ إِخْوَتِهِ فِي رِحَالِهِمْ؟ قِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَشِيَ أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدَ أَبِيهِ دَرَاهِمُ، إِذْ كَانَتِ السَّنَةُ سَنَةَ جَدْبٍ وَقَحْطٍ، فَيَضُرُّ أَخْذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَتَّسِعَ بِهَا أَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ مَعَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ

مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ سَبَبَ رَدِّهِ تَكَرُّمًا وَتَفَضُّلًا، أَو أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ لَا يُخْلِفُوهُ الْوَعْدَ فِي الرُّجُوعِ، إِذَا وَجَدُوا فِي رِحَالِهِمْ ثَمَنَ طَعَامٍ قَدْ قَبَضُوهُ وَمَلَكَهُ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ عِوَضًا مِنْ طَعَامِهِمْ، وَيَتَحَرَّجُوا مِنْ إِمْسَاكِهِمْ ثَمَنَ طَعَامٍ قَدْ قَبَضُوهُ حَتَّىٰ يُؤَدُّوهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَىٰ لَهُمْ إِلَىٰ الْعَوْدِ إِلَيْهِ.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ [يوسف: ٦٣].

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ﴾ فَلَمَّا رَجَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ فَوْقَ الْكَيْلِ الَّذِي كِيلَ لَنَا، وَلَمْ يُكَلْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنَّا إِلَّا كَيْلَ بَعِيرٍ..

﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بِنْيَامِينَ..

﴿نَكۡتَلۡ﴾ يَكْتَلْ لِنَفْسِهِ كَيْلَ بَعِيرٍ آخَرَ زِيَادَةً عَلَىٰ كَيْلِ أَبَاعِرِنَا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ: (يَكْتَلْ بِالْيَاءِ، بِمَعْنَىٰ يَكْتَلْ هُوَ لِنَفْسِهِ كَمَا نَكْتَالُ لِأَنْفُسِنَا)..

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ [يوسف: ٦٣] مِنْ أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ فِي سَفَرِهِ فـ.

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤].

﴿قَالَ﴾ لهم أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ..

﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ أَخِيكُمْ مِنْ أَبِيكُمُ الَّذِي تَسْأَلُونِي أَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ..

﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يُوسُفَ..

﴿مِن قَبۡلُ﴾ مِنْ قَبْلِهِ..

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ فَاللهُ خَيْرُكُمْ حَافِظًا..

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤] أَرْحَمُ رَاحِمٍ بِخَلْقِهِ، يَرْحَمُ ضَعْفِي عَلَىٰ كِبَرِ سِنِّي، وَوِحْدَتِي بِفَقْدِ وَلَدِي، فَلَا يُضَيِّعُهُ، وَلَكِنَّهُ يَحْفَظُهُ حَتَّىٰ يَرُدَّهُ عَلَيَّ لِرَحْمَتِهِ.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ [يوسف: ٦٥].

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا﴾ لِأَبِيهِمْ..

﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ تَطْيِيبًا مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ بِمَا صَنَعَ بِهِمْ فِي رَدِّ بِضَاعَتِهِمْ إِلَيْهِ..

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ وَنَطْلُبُ لِأَهْلِنَا طَعَامًا فَنَشْتَرِيهُ لَهُمْ..

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ الَّذِي تُرْسِلُهُ مَعَنَا..

﴿وَنَزْدَادُ﴾ عَلَى أَحْمَالِنَا مِنَ الطَّعَامِ..

﴿كَيْلَ﴾ حِمْلَ..

﴿بَعِيرٍ﴾ يُكَالُ لَنَا مَا حَمَلَ بَعِيرٌ آخَرَ مِنْ إِبِلِنَا..

﴿ذَلِكَ﴾ هَذَا..

﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ [يوسف: ٦٥] حِمْلٌ يَسِيرٌ.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف: ٦٦].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ..

﴿لَنْ أُرْسِلَهُ﴾ لَنْ أُرْسِلَ أَخَاكُمْ..

﴿مَعَكُمْ﴾ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ..

﴿حَتَّى تُؤْتُونِ﴾ تُعْطُونِ..

﴿مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ وَهُوَ مَا يُوثَقُ بِهِ مِنْ يَمِينٍ وَعَهْدٍ..

﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ لَتَأْتُنَّنِي بِأَخِيكُمْ..

﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إِلَّا أَنْ يُحِيطَ بِجَمِيعِكُمْ مَا لَا تَقْدِرُونَ مَعَهُ عَلَى أَنْ تَأْتُونِي بِهِ..

﴿فَلَمَّا آتَوْهُ﴾ أَعْطَوْهُ..

﴿مَوْثِقَهُمْ﴾ عهدَهُمْ..

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ..

﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أَنَا وَأَنْتُمْ..

﴿وَكِيلٌ ۝٦٦﴾ [يوسف: ٦٦] شَهِيدٌ عَلَيْنَا بِالْوَفَاءِ بِمَا نَقُولُ جَمِيعًا.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٦٧﴾ [يوسف: ٦٧].

﴿وَقَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ لَمَّا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِ إِلَىٰ مِصْرَ لِيَمْتَارُوا الطَّعَامَ..

﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ﴾ مِصْرَ..

﴿مِنۢ بَابٖ﴾ طَرِيقٍ..

﴿وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ وَذُكِرَ أَنَّهُ قَالَ ذَٰلِكَ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا رِجَالًا لَهُمْ جَمَالٌ وَهَيْبَةٌ، فَخَافَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ إِذَا دَخَلُوا جَمَاعَةً مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ وَهُمْ وَلَدُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْتَرِقُوا فِي الدُّخُولِ إِلَيْهَا..

﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم﴾ وَمَا أَقْدِرُ أَنْ أَدْفَعَ عَنْكُمْ..

﴿مِّنَ﴾ قَضَاءِ..

﴿ٱللَّهِ﴾ الَّذِي قَدْ قَضَاهُ عَلَيْكُمْ..

﴿مِن شَيْءٍۖ﴾ صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ، لِأَنَّ قَضَاءَهُ نَافِذٌ فِي خَلْقِهِ..

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ مَا الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ..

﴿إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُ يَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، فَيَنْفُذُ فِيهِمْ حُكْمُهُ، وَيَقْضِي فِيهِمْ، وَلَا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ..

﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ اللهِ..

﴿تَوَكَّلْتُۖ﴾ فَوَثِقْتُ بِهِ فِيكُمْ، وَفِي حِفْظِكُمْ عَلَيَّ حَتَّىٰ يَرُدَّكُمْ إِلَيَّ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ مُعَافُونَ، لَا عَلَىٰ دُخُولِكُمْ مِصْرَ إِذَا دَخَلْتُمُوهَا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ..

﴿وَعَلَيْهِ﴾ وَإِلَىٰ اللهِ..

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ فَلْيُفَوِّضْ أُمُورَهُمْ..

﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٦٧﴾ [يوسف: ٦٧] الْمُفَوِّضُونَ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٖ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾ [يوسف: ٦٨].

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ وَلَمَّا دَخَلَ وَلَدُ يَعْقُوبَ..

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ وَذَلِكَ دُخُولُهُمْ مِصْرَ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ..

﴿مَّا كَانَ يُغْنِي﴾ دُخُولُهُمْ إِيَّاهَا كَذَلِكَ..

﴿عَنْهُم﴾ قَضَاءِ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي قَضَاهُ فِيهِمْ فَحَتَمَهُ..

﴿مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ إِلَّا أَنَّهُمْ قَضَوْا وَطَرًا لِيَعْقُوبَ بِدُخُولِهِمْ لَا مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ عَلَيْهِمْ، فَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ أَنْ يَكُونُوا أُوتُوا مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ، أَوْ نَالَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ مَكْرُوهٌ..

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ يَعْقُوبَ..

﴿لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ لذو علم لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: وَإِنَّهُ لَذُو حِفْظٍ لِمَا اسْتَوْدَعْنَا صَدْرَهُ مِنَ الْعِلْمِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ غَيْرِ يَعْقُوبَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾ [يوسف: ٦٨] مَا يَعْلَمُهُ، لِأَنَّا حَرَمْنَاهُ ذَلِكَ فَلَمْ يَعْلَمْهُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٦٩﴾ [يوسف: ٦٩].

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ وَلَمَّا دَخَلَ وَلَدُ يَعْقُوبَ..

﴿عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾ ضَمَّ..

﴿إِلَيْهِ أَخَاهُۖ﴾ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَكُلٌّ أَخُوهُ لِأَبِيهِ، فَلَمَّا خَلَا بِهِ..

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يُوسُفُ..

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فَلَا تَحْزَنْ وَلَا تَسْتَكِنْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٦٩﴾ [يوسف: ٦٩] لِشَيْءٍ سَلَفَ مِنْ إِخْوَتِكَ إِلَيْكَ فِي نَفْسِكَ وَفِي أَخِيكَ مِنْ أُمِّكَ، وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ قَبْلَ الْيَوْمِ بِكَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَلَا تُعْلِمْهُمْ شَيْئًا مِمَّا أَعْلَمْتُكَ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ [يوسف: ٧٠].

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وَلَمَّا حَمَّلَ يُوسُفُ إِبِلَ إِخْوَتِهِ وحَمَّلَهَا مِنَ الْمِيرَةِ وَقَضَىٰ حَاجَتَهُمْ..

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ جَعَلَ الإِنَاءَ الَّذِي كَانَ يَشْرَبُ فِيهِ الْمَلِكُ وَيَكِيلُ بِهِ الطَّعَامَ..

﴿فِى رَحْلِ﴾ فِي مَتَاعِ..

﴿أَخِيهِ﴾ ابْنِ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَهُوَ بِنْيَامِينَ..

﴿ثُمَّ أَذَّنَ﴾ ثُمَّ نَادَىٰ..

﴿مُؤَذِّنٌ﴾ مُنَادٍ..

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ وَهِيَ الْقَافِلَةُ فِيهَا الأَحْمَالُ..

﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ [يوسف: ٧٠] فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ جَازَ لِيُوسُفَ أَنْ يَجْعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ يُسَرِّقَ قَوْمًا أَبْرِيَاءَ مِنَ السَّرَقِ، وَيَقُولُ ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾؟! قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ مُؤَذِّنٍ أَذَّنَ بِهِ، لَا خَبَرٌ عَنْ يُوسُفَ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَذِّنُ أَذَّنَ بِذَلِكَ أَنْ فُقِدَ الصُّوَاعُ وَلَا يَعْلَمُ بِصَنِيعِ يُوسُفَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ بِذَلِكَ عَنْ أَمْرِ يُوسُفَ، وَاسْتَجَازَ الأَمْرُ بِالنِّدَاءِ بِذَلِكَ لِعِلْمِهِ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا سَرَقُوا سَرِقَةً فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنُ أَنْ يُنَادِيَهُمْ بِوَصْفِهِمْ بِالسَّرَقِ، وَيُوسُفُ يَعْنِي ذَلِكَ السَّرَقَ، لَا سَرَقَهُمُ الصُّوَاعَ.

﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١﴾ [يوسف: ٧١].

﴿قَالُوا۟﴾ بَنُو يَعْقُوبَ..

﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾ وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ الْمُنَادِي وَمَنْ بِحَضْرَتِهِمْ يَقُولُونَ لَهُمْ..

﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١﴾ [يوسف: ٧١] مَا الَّذِي تَفْقِدُونَ؟

﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ۝٧٢﴾ [يوسف: ٧٢].

﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ مَشْرَبَةَ..

﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾ بِالصُّوَاعِ..

﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ مِنَ الطَّعَامِ..

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾ وَأَنَا بِأَنْ أُوَفِّيَهُ حِمْلَ بَعِيرٍ مِنَ الطَّعَامِ إِذَا جَاءَنِي بِصُوَاعِ الْمَلِكِ..

﴿زَعِيمٌ ۝٧٢﴾ [يوسف: ٧٢] كَفِيلٌ.. وَأَصْلُ الزَّعِيمِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْقَوْمِ، وَكَذَلِكَ الْكَفِيلُ وَالْحَمِيلُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: رَئِيسُ الْقَوْمِ زَعِيمُهُمْ وَمُدَبِّرُهُمْ.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۝٧٣﴾ [يوسف: ٧٣].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿تَاللَّهِ﴾ وَاللهِ، وَهَذِهِ التَّاءُ فِي ﴿تَاللَّهِ﴾ إِنَّمَا هِيَ وَاوٌ قُلِبَتْ تَاءً، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي التَّوْرِيَةِ وَهِيَ مِنْ وَرَّيْتُ، وَالتُّرَاثُ وَهِيَ مِنْ وَرِثْتُ، وَالتُّخْمَةُ وَهِيَ مِنَ الْوَخَامَةِ، قُلِبَتِ الْوَاوُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَاءً، وَالْوَاوُ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ كُلِّهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ فِي ﴿تَاللَّهِ﴾؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا هِيَ وَاوُ الْقَسَمِ، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ تَاءً لِكَثْرَةِ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ أَلْسُنِ الْعَرَبِ فِي الْأَيْمَانِ فِي قَوْلِهِمْ (وَاللهِ)، فَخُصَّتْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِأَنْ قُلِبَتْ تَاءً، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فِي اسْمِ اللهِ، فَقَالَ: ﴿تَاللَّهِ﴾ لَمْ يَقُلْ تَالرَّحْمَنِ، وَتَالرَّحِيمِ، وَلَا مَعَ شَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَلَا مَعَ شَيْءٍ مِمَّا يُقْسَمُ بِهِ، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِي ﴿تَاللَّهِ﴾ وَحْدَهُ..

﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ﴾ لِنَعْصِيَ اللهَ..

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فِي أَرْضِكُمْ..

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۝٧٣﴾ [يوسف: ٧٣] فَلَوْ كُنَّا سُرَّاقًا لَمْ نَرُدَّ عَلَيْكُمُ الْبِضَاعَةَ الَّتِي وَجَدْنَاهَا فِي رِحَالِنَا.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ۝٧٤﴾ [يوسف: ٧٤].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ أَصْحَابُ يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ..

﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ فَمَا ثَوَابُ السَّرَقِ..

﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ۝٧٤﴾ [يوسف: ٧٤] فِي قَوْلِكُمْ.

﴿قَالُواْ جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝٧٥﴾ [يوسف: ٧٥].

﴿قَالُواْ﴾ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿جَزَاؤُهُ﴾ ثَوَابُ السَّرَقِ..

﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ بِأَنْ يُسَلَّمَ بِسَرِقَتِهِ إِلَىٰ مَنْ سَرَقَ مِنْهُ حَتَّىٰ يَسْتَرِقَّهُ..

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي﴾ نَفْعَلُ بِـ..

﴿الظَّالِمِينَ ۝٧٥﴾ [يوسف: ٧٥] الَّذِي فَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ مِنْ أَخْذِهِ مَالَ غَيْرِهِ سَرَقًا.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ فَفَتَّشَ يُوسُفُ أَوْعِيَتَهُمْ وَرِحَالَهُمْ طَالِبًا بِذَلِكَ صُوَاعَ الْمَلِكِ، فَبَدَأَ فِي تَفْتِيشِهِ بِأَوْعِيَةِ إِخْوَتِهِ مِنْ أَبِيهِ، فَجَعَلَ يُفَتِّشُهَا وِعَاءً وِعَاءً..

﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَإِنَّهُ أَخَّرَ تَفْتِيشَهُ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ثُمَّ فَتَّشَ آخِرَهَا وِعَاءَ أَخِيهِ، فَاسْتَخْرَجَ الصُّوَاعَ مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿كِدْنَا﴾ صَنَعْنَا..

﴿لِيُوسُفَ﴾ حَتَّىٰ يُخَلِّصَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ مِنْ إِخْوَتِهِ لِأَبِيهِ، بِإِقْرَارٍ مِنْهُمْ أَنَّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُمْ وَيَحْتَبِسَهُ فِي يَدَيْهِ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَكَادَ اللهُ لِيُوسُفَ كَمَا وَصَفَ لَنَا حَتَّىٰ أَخَذَ أَخَاهُ مِنْهُمْ، فَصَارَ عِنْدَهُ بِحُكْمِهِمْ وَصُنْعِ اللهِ لَهُ..

﴿مَا كَانَ﴾ يُوسُفُ..

﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ﴾ فِي حُكْمِ..

﴿ٱلْمَلِكِ﴾ مَلِكِ مِصْرَ وَقَضَائِهِ وَطَاعَتِهِ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ حُكْمِ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَقَضَائِهِ أَنْ يُسْتَرَقَّ أَحَدٌ بِالسَّرَقِ، فَلَمْ يَكُنْ لِيُوسُفَ أَخْذُ أَخِيهِ فِي حُكْمِ مَلِكِ أَرْضِهِ..

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ بِكَيْدِهِ الَّذِي كَادَهُ لَهُ، حَتَّىٰ أَسْلَمَ مَنْ وُجِدَ فِي وِعَائِهِ الصُّوَاعُ إِخْوَتُهُ وَرُفَقَاؤُهُ بِحُكْمِهِمْ عَلَيْهِ وَطَابَتْ أَنْفُسُهُمْ بِالتَّسْلِيمِ..

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ نَرْفَعُ مَنْ نَشَاءُ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ فِي الْعِلْمِ عَلَىٰ غَيْرِهِ، كَمَا رَفَعْنَا يُوسُفَ، وقرأ آخرون (**نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ**) بِإِضَافَةِ الدَّرَجَاتِ إِلَىٰ ﴿مَّن﴾ بِمَعْنَىٰ: نَرْفَعُ مَنَازِلَ مَنْ نَشَاءُ، وَرَفْعُ مَنَازِلِهِ وَمَرَاتِبِهِ فِي الدُّنْيَا بِالْعِلْمِ عَلَىٰ غَيْرِهِ، كَمَا رَفَعْنَا مَرْتَبَةَ يُوسُفَ فِي ذَلِكَ وَمَنْزِلَتَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَنَازِلِ إِخْوَتِهِ وَمَرَاتِبِهِمْ..

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ وَفَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ مَنْ هُوَ..

﴿عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ [يوسف: ٧٦] أَعْلَمُ مِنْهُ حَتَّىٰ يَنْتَهِي ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّ يُوسُفَ أَعْلَمُ إِخْوَتِهِ، وَأَنَّ فَوْقَ يُوسُفَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْ يُوسُفَ، حَتَّىٰ يَنْتَهِي ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿* قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: ٧٧].

﴿* قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ﴾ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ وَهُوَ يُوسُفُ..

﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّرَقِ الَّذِي وَصَفُّوا بِهِ يُوسُفَ: فقال بعضهم: كَانَ صَنَمًا لِجَدِّهِ أَبِي أُمِّهِ كَسَرَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ.. وقال بعضهم: كَانَ بَنُو يَعْقُوبَ عَلَىٰ طَعَامٍ، اضْطُرَّ يُوسُفُ إِلَىٰ عِرْقٍ فَخَبَّأَهُ، فَعَيَّرُوهُ بِذَلِكَ.. وقال بعضهم: أَنَّ عَمَّتَهُ ابْنَةَ إِسْحَاقَ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ وَلَدِ إِسْحَاقَ، وَكَانَتْ إِلَيْهَا مِنْطَقَةُ إِسْحَاقَ، وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَهَا بِالْكِبَرِ، فَكَانَ مَنِ اخْتُصَّ بِهَا مِمَّنْ وَلِيَهَا كَانَ لَهُ سَلَمًا لَا يُنَازَعُ فِيهِ، يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ وَكَانَ يَعْقُوبُ حِينَ وُلِدَ لَهُ يُوسُفُ، كَانَ قَدْ حَضَنَتْهُ عَمَّتُهُ، فَكَانَ مَعَهَا وَإِلَيْهَا، فَلَمْ يُحِبَّ أَحَدٌ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ حُبَّهَا إِيَّاهُ، حَتَّىٰ إِذَا تَرَعْرَعَ وَبَلَغَ سَنَوَاتٍ، وَوَقَعَتْ نَفْسُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ، أَتَاهَا فَقَالَ: يَا أُخَيَّةُ، سَلِّمِي إِلَيَّ يُوسُفَ، فَوَاللهِ مَا أَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَغِيبَ عَنِّي سَاعَةً فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَنَا بِتَارِكَتِهِ، وَاللهِ مَا أَقْدِرُ أَنْ يَغِيبَ عَنِّي سَاعَةً قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَنَا بِتَارِكِهِ قَالَتْ: فَدَعْهُ عِنْدِي أَيَّامًا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَسْكُنُ عَنْهُ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُسَلِّينِي عَنْهُ أَوْ كَمَا قَالَتْ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا يَعْقُوبُ عَمَدَتْ إِلَىٰ مِنْطَقَةِ إِسْحَاقَ فَحَزَّمَتْهَا عَلَىٰ يُوسُفَ مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَقَدْ فَقَدْتُ مِنْطَقَةَ إِسْحَاقَ، فَانْظُرُوا مَنْ أَخَذَهَا وَمَنْ أَصَابَهَا فَالْتُمِسَتْ، ثُمَّ قَالَتِ: اكْشِفُوا أَهْلَ الْبَيْتِ فَكَشَفُوهُمْ، فَوَجَدُوهَا مَعَ يُوسُفَ، فَقَالَتْ: وَاللهِ إِنَّهُ لِي لَسَلْمٌ أَصْنَعُ فِيهِ مَا شِئْتُ، قَالَ: وَأَتَاهَا يَعْقُوبُ فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ وَذَاكَ، إِنْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ سَلْمٌ لَكِ، مَا أَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَأَمْسَكَتْهُ، فَمَا قَدَرَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ حَتَّىٰ مَاتَتْ، فَهُوَ الَّذِي تَقُولُ إِخْوَةُ يُوسُفَ حِينَ صَنَعَ بِأَخِيهِ مَا صَنَعَ حِينَ أَخَذَهُ...فَلَمَّا سَمِعَهَا يُوسُفُ..

﴿فَأَسَرَّهَا﴾ فَأَضْمَرَهَا.. وأَنَّثَ؛ لِأَنَّهُ عَنَىٰ بِهَا الْكَلِمَةَ، وَهِيَ ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ [النحل: ١١٠]، فَقَالَ: ﴿بَعۡدِهَا﴾ وَلَمْ يَجْرِ قَبْلَ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِاسْمٍ مُؤَنَّثٍ، وَلَوْ كَانَتْ جَاءَتْ بِالتَّذْكِيرِ كَانَ جَائِزًا، كَمَا قِيلَ: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [هود: ٤٩]، وَ ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [هود: ١٠٠]، وَكَنَّىٰ عَنِ الْكَلِمَةِ، وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ مُتَقَدِّمٌ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا، إِذَا كَانَ مَفْهُومًا الْمَعْنَىٰ الْمُرَادُ عِنْدَ سَامِعِي الْكَلَامِ..

﴿يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مَنزِلًا مِمَّنْ وَصَفْتُمُوهُ بِأَنَّهُ سَرَق، وَأَخْبَثُ مَكَانًا بِمَا سَلَفَ مِنْ أَفْعَالِكُمْ..

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧﴾ [يوسف: ٧٧] وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكْذِبُونَ فِيمَا تَصِفُونَ بِهِ أَخَاهُ بِنْيَامِينَ.. وَإِنْ جَهِلَهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ حَضَرَ مِنَ النَّاسِ.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٧٨﴾ [يوسف: ٧٨].

﴿قَالُوا﴾ قَالَتْ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ..

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ يا أَيُّها الْمَلِكُ..

﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ كَلِفًا بِحُبِّهِ، يَعْنُونَ يَعْقُوبَ..

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ بَدَلًا مِنْ بِنْيَامِينَ، وَخَلِّ عَنْهُ..

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٧٨﴾ [يوسف: ٧٨] فِي أَفْعَالِكَ.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ۝٧٩﴾ [يوسف: ٧٩].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ..

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أَعُوذُ بِاللهِ، يَقُولُ: أَسْتَجِيرُ بِاللهِ مِنْ..

﴿أَن نَّأْخُذَ﴾ بَرِيئًا بِسَقِيمٍ..

﴿إِلَّا﴾ غَيْرَ..

﴿مَن﴾ الَّذِي..

﴿وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ۝٧٩﴾ [يوسف: ٧٩] إِنَّا إِذًا نَفْعَلُ مَا لَيْسَ لَنَا فِعْلُهُ، وَنَجُورُ عَلَى النَّاسِ.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝٨٠﴾ [يوسف: ٨٠].

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ مِنْ أَنْ يُخَلِّيَ يُوسُفُ عَنْ بِنْيَامِينَ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ وَاحِدًا مَكَانَهُ، وَأَنْ يُجِيبَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، لَا يَخْتَلِطُ بِهِمْ غَيْرُهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: مَاذَا تَرَوْنَ؟..

﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ فِي السِّنِّ..

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَنَّ أَبَاكُمۡ﴾ يَعْقُوبَ..

﴿قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لَنَأْتِيَنَّهُ بِهِ جَمِيعًا، إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ..

﴿وَمِن قَبۡلُ﴾ فِعْلَتِكُمْ هَذِهِ..

﴿مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾ تَفْرِيطُكُمْ فِي يُوسُفَ..

﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ الَّتِي أَنَا بِهَا وَهِيَ مِصْرُ فَأُفَارِقُهَا..

﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا..

﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا وَتَرْكِ أَخِي بِنْيَامِينَ، وَإِلَّا فَإِنِّي غَيْرُ خَارِجٍ..

﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨٠﴾ [يوسف: ٨٠] وَاللهُ خَيْرُ مَنْ حَكَمَ وَأَعْدَلُ مَنْ فَصَلَ بَيْنَ النَّاسِ.

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١﴾ [يوسف: ٨١].

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ﴾ يا إِخْوَتِي..

﴿إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ﴾ يَعْقُوبَ..

﴿فَقُولُواْ﴾ لَهُ..

﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ﴾ بِنْيَامِينَ..

﴿سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ﴾ وَمَا قُلْنَا إِنَّهُ سَرَقَ..

﴿إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ إِلَّا بِظَاهِرِ عِلْمِنَا بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ صُوَاعَ الْمَلِكِ أُصِيبَ فِي وِعَائِهِ دُونَ أَوْعِيَةِ غَيْرِهِ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ لَا عِلْمَ لَنَا بِالْغَيْبِ..

﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١﴾ [يوسف: ٨١] وَمَا كُنَّا نَرَى أَنَّ ابْنَكَ يَسْرِقُ وَيَصِيرُ أَمْرُنَا إِلَى هَذَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥]، مِمَّا لَنَا إِلَى حِفْظِهِ مِنْهُ السَّبِيلُ.

﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٨٢﴾ [يوسف: ٨٢].

﴿وَسۡـَٔلِ﴾ وَإِنْ كُنْتَ مُتَّهِمًا لَنَا لَا تُصَدِّقُنَا عَلَى مَا نَقُولُ مِنْ أَنَّ ابْنَكَ سَرَقَ، فَاسْأَلِ..

﴿ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ وَهِيَ مِصْرُ، سَلْ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِهَا..

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وَهِيَ الْقَافِلَةُ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، الَّتِي أَقْبَلْنَا مَعَهَا، عَنْ خَبَرِ ابْنِكَ، وَحَقِيقَةِ مَا أَخْبَرْنَاكَ عَنْهُ مِنْ سَرَقِهِ، فَإِنَّكَ تُخْبَرُ مِصْدَاقَ ذَلِكَ..

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٨٢﴾ [يوسف: ٨٢] فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ مِنْ خَبَرِهِ.. فَرَجَعَ إِخْوَةُ بِنْيَامِينَ إِلَىٰ أَبِيهِمْ، وَتَخَلَّفَ أكبرُهم، فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهُ، فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ أَنَّهُ سَرَقَ.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨٣﴾ [يوسف: ٨٣].

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ بَلْ زَيَّنَتْ..

﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ هَمَمْتُمْ بِهِ وَأَرَدْتُمُوهُ..

﴿فَصَبْرٌ﴾ فَصَبْرِي عَلَىٰ مَا نَالَنِي مِنْ فَقْدِ وَلَدِي صَبْرٌ..

﴿جَمِيلٌ﴾ لَا جَزَعَ فِيهِ وَلَا شِكَايَةَ..

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بِأَوْلَادِي، بِيُوسُفَ، وَأَخِيهِ بنيامين، وأخيهم الأكبر رُوبِيلَ..

﴿جَمِيعًا﴾ فَيَرُدُّهُمْ عَلَيَّ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِوِحْدَتِي وَبِفَقْدِهِمْ وَحُزْنِي عَلَيْهِمْ، وَصِدْقِ مَا يَقُولُونَ مِنْ كَذِبِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٨٣﴾ [يوسف: ٨٣] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَه.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤﴾ [يوسف: ٨٤].

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ يَعْقُوبُ..

﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يَا حُزْنًا عَلَيْهِ، يُقَالُ: إِنَّ الْأَسَفَ هُوَ أَشَدُّ الْحُزْنِ وَالتَّنَدُّمِ..

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ وَابْيَضَّتْ عَيْنَا يَعْقُوبَ..

﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤﴾ [يوسف: ٨٤] فَهُوَ مَكْظُومٌ عَلَىٰ الْحُزْنِ، يَعْنِي أَنَّهُ مَمْلُوءٌ مِنْهُ، مُمْسِكٌ عَلَيْهِ، لَا يُبَيِّنُهُ.. قَالَ قَتَادَةَ: **(يُرَدِّدُ حُزْنَهُ فِي جَوْفِهِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِسُوءٍ)**.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(الْكَظِيمُ: الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ، بَلَغَ بِهِ الْحُزْنُ حَتَّىٰ كَانَ لَا يُكَلِّمُهُمْ)**.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ [يوسف: ٨٥].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ وَلَدُ يَعْقُوبَ -الَّذِينَ انْصَرَفُوا إِلَيْهِ مِنْ مِصْرَ- لَهُ حِينَ قَالَ ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]..

﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ لَا تَزَالُ مَا تَفْتُرُ مِنْ حُبِّهِ..

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ حَتَّىٰ تَكُونَ دَنِفَ الْجِسْمِ، مَخْبُولَ الْعَقْلِ.. وَأَصْلُ الْحَرَضِ: الْفَسَادُ فِي الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ مِنَ الْحُزْنِ أَوِ الْعِشْقِ.. والْحَرَضُ: الشَّيْءُ الْبَالِي الْفَانِي.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْحَرَضُ: الَّذِي قَدْ رُدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ حَتَّىٰ لَا يَعْقِلَ، أَوْ تَهْلِكَ فَتَكُونَ هَالِكًا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ [يوسف: ٨٥] أَوْ تَكُونُ مِمَّنْ هَلَكَ بِالْمَوْتِ.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: ٨٦].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِلْقَائِلِينَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ [يوسف: ٨٥]..

﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لَسْتُ إِلَيْكُمْ أَشْكُو هَمِّي وَحُزْنِي، وَإِنَّمَا أَشْكُو ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْبَثَّ أَشَدُّ الْحُزْنِ، وَهُوَ عِنْدِي مِنْ بَثِّ الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ مِنْهُ: إِنَّمَا أَشْكُو خَبَرِي الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الْهَمِّ، وَأَبُثُّ حَدِيثِي وَحُزْنِي إِلَىٰ اللهِ..

﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: ٨٦] أَعْلَمُ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ، وَأَنِّي سَأَسْجُدُ لَهُ.. قَالَ قَتَادَةَ: (ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ يَعْقُوبَ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ بَلَاءٌ قَطُّ إِلَّا أَتَىٰ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللهِ مِنْ وَرَائِهِ).

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿يَٰبَنِيَّ﴾ حِينَ طَمِعَ يَعْقُوبُ فِي يُوسُفَ قَالَ لِبَنِيهِ: يَا بَنِيَّ..

﴿ٱذۡهَبُواْ﴾ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي جِئْتُمْ مِنْهُ، وَخَلَّفْتُمْ أَخَوَيْكُمْ بِهِ..

﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾ الْتَمِسُوا يُوسُفَ وَتَعَرَّفُوا مِنْ خَبَرِهِ..

﴿وَأَخِيهِ﴾ بِنْيَامِينَ..

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ وَلَا تَقْنَطُوا مِنْ أَنْ يُرَوِّحَ اللهُ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَخِيهِ بِفَرَجٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُرِيَنِيهِمَا..

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ لَا يَقْنَطُ مِنْ فَرَجِهِ وَرَحْمَتِهِ وَيَقْطَعُ رَجَاءَهُ مِنْهُ..

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧] الَّذِينَ يَجْحَدُونَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا شَاءَ تَكْوِينَهُ.. فَخَرَجُوا رَاجِعِينَ إِلَىٰ مِصْرَ حَتَّىٰ صَارُوا إِلَيْهَا، فَدَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾ [يوسف: ٨٨].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ أَيِ الشِّدَّةُ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ، رَجَاءَ أَنْ يَرْحَمَهُمْ فِي شَأْنِ أَخِيهِمْ..

﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ قَلِيلَةٍ، لَا تَبْلُغُ مَا كَانُوا يَتَبَايَعُونَ بِهِ، إِلَّا أَنْ يُتَجَاوَزَ لَهُمْ فِيهَا.. وَأَصْلُ الْإِزْجَاءِ: السَّوْقُ بِالدَّفْعِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ نَافِقَةٍ، وَإِنَّمَا تَجُوزُ تَجْوِيزًا عَلَىٰ نَفْعٍ مِنْ آخِذِيهَا..

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ بِهَا، وَأَعْطِنَا بِهَا مَا كُنْتَ تُعْطِينَا قَبْلُ بِالثَّمَنِ الْجَيِّدِ وَالدَّرَاهِمِ الْجَائِزَةِ الْوَافِيَةِ الَّتِي لَا تُرَدُّ..

﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِمَا بَيْنَ سِعْرِ الْجِيَادِ وَالرَّدِيَّةِ، فَلَا تُنْقِصْنَا مِنْ سِعْرِ طَعَامِكَ لِرَدِيِّ بِضَاعَتِنَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِرَدِّ أَخِينَا إِلَيْنَا، وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ، فَلَيْسَ بِالْقَوْلِ الْمُخْتَارِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾؛ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ فِي الْمُتَعَارَفِ إِنَّمَا هِيَ إِعْطَاءُ الرَّجُلِ ذَا الْحَاجَةِ بَعْضَ أَمْلَاكِهِ ابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةً، فَتَوْجِيهُ تَأْوِيلِ كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ مِنْ مَعْنَاهُ فِي كَلَامِ مَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِ أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي﴾ يُثِيبُ..

﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾ [يوسف: ٨٨] الْمُتَفَضِّلِينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَاجَةِ بِأَمْوَالِهِمْ.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يوسف: ٨٩].

﴿قَالَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ يُوسُفَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمَّا قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف: ٨٨] أَدْرَكَتْهُ الرِّقَّةُ وَبَاحَ لَهُمْ بِمَا كَانَ يَكْتُمُهُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَقَالَ لَهُمْ..

﴿هَلْ عَلِمْتُم﴾ هَلْ تَذْكُرُونَ..

﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ إِذْ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَصَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ..

﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يوسف: ٨٩] يَعْنِي فِي حَالِ جَهْلِكُمْ بِعَاقِبَةِ مَا تَفْعَلُونَ بِيُوسُفَ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرُ أَمْرِهِ وَأَمْرِكُمْ؟.

﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ حِينَ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ يُوسُفُ..

﴿أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ فَـ..

﴿قَالَ﴾ نَعَمْ..

﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِأَنْ جَمَعَ بَيْنَنَا بَعْدَ مَا فَرَّقْتُمْ بَيْنَنَا..

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ اللهَ فَيُرَاقِبُهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَيَصْبِرْ﴾ وَيَكُفُّ نَفْسَهُ، فَيَحْبِسُهَا عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ مِنَ اللهِ..

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠] فَإِنَّ اللهَ لَا يُبْطِلُ ثَوَابَ إِحْسَانِهِ وَجَزَاءَ طَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف: ٩١].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ..

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ﴾ فَضَّلَكَ..

﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ وَآثَرَكَ بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْفَضْلِ..

﴿وَإِن كُنَّا﴾ وَمَا كُنَّا فِي فِعْلِنَا الَّذِي فَعَلْنَا بِكَ فِي تَفْرِيقِنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِيكَ وَأَخِيكَ، وَغَيْرِ

ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِنَا الَّذِي صَنَعْنَا بِكَ..

﴿لَخَاطِئِينَ ۝٩١﴾ [يوسف: ٩١] إِلَّا خَاطِئِينَ، يَعْنُونَ: مُخْطِئِينَ.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف: ٩٢].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ..

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ لَا تَغْيِيرَ عَلَيْكُمْ وَلَا إِفْسَادَ لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْحُرْمَةِ وَحَقِّ الْأُخُوَّةِ، وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي الصَّفْحُ وَالْعَفْوُ..

﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَهَذَا دُعَاءٌ مِنْ يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ بِأَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَنْبَهُمْ فِيمَا أَتَوْا إِلَيْهِ، وَرَكِبُوا مِنْهُ مِنَ الظُّلْمِ، يَقُولُ: عَفَا اللهُ لَكُمْ عَنْ ذَنْبِكُمْ وَظُلْمِكُمْ، فَسَتَرَهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف: ٩٢] وَاللهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِمَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَأَنَابَ إِلَى طَاعَتِهِ بِالتَّوْبَةِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣﴾ [يوسف: ٩٣].

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ ذُكِرَ أَنَّ يُوسُفَ ﷺ لَمَّا عَرَّفَ نَفْسَهُ إِخْوَتَهُ، سَأَلَهُمْ عَنْ أَبِيهِمْ، فَقَالُوا: ذَهَبَ بَصَرُهُ مِنَ الْحُزْنِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَعْطَاهُمْ قَمِيصَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾..

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يَعُدْ بَصِيرًا..

﴿وَأْتُونِي﴾ وَجِيئُونِي..

﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣﴾ [يوسف: ٩٣] بِجَمِيعِ أَهْلِكُمْ.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾ [يوسف: ٩٤].

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ وَلَمَّا فَصَلَتْ عِيرُ بَنِي يَعْقُوبَ مِنْ عِنْدِ يُوسُفَ مُتَوَجِّهَةً إِلَى يَعْقُوبَ..

﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يَعْقُوبُ..

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ الرِّيحَ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تَأْتِيَ يَعْقُوبَ بِرِيحِ يُوسُفَ

قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْبَشِيرُ، فَأَذِنَ لَهَا، فَأَتَتْهُ بِهَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**هَاجَتْ رِيحٌ، فَجَاءَتْ بِرِيحِ يُوسُفَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَمَانِ لَيَالٍ**)..

﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾ [يوسف: ٩٤] لَوْلَا أَنْ تُعَنِّفُونِي، وَتُعَجِّزُونِي، وَتَلُومُونِي، وَتُكَذِّبُونِي.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَصْلَ التَّفْنِيدِ الْإِفْسَادُ.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف: ٩٥].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ مِنْ وَلَدِهِ ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾ [يوسف: ٩٤]..

﴿تَٱللَّهِ﴾ أَيُّهَا الرَّجُلُ..

﴿إِنَّكَ﴾ مِنْ حُبِّ يُوسُفَ وَذِكْرِهِ..

﴿لَفِى ضَلَٰلِكَ﴾ لَفِي خَطَئِكَ وَزَلَلِكَ..

﴿ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف: ٩٥] لَا تَنْسَاهُ، وَلَا تَتَسَلَّىٰ عَنْهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**قَالُوا لِوَالِدِهِمْ كَلِمَةً غَلِيظَةً، لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوهَا لِوَالِدِهِمْ وَلَا لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ**).

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾ [يوسف: ٩٦].

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ﴾ يَعْقُوبَ..

﴿ٱلْبَشِيرُ﴾ مِنْ عِنْدِ ابْنِهِ يُوسُفَ، وَهُوَ الْمُبَشِّرُ بِرِسَالَةِ يُوسُفَ، وَذَلِكَ بَرِيدٌ فِيمَا ذُكِرَ كَانَ يُوسُفُ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ الْبَرِيدُ فِيمَا ذُكِرَ وَالْبَشِيرُ يَهُوذَا بْنُ يَعْقُوبَ أَخَا يُوسُفَ لِأَبِيهِ..

﴿أَلْقَىٰهُ﴾ أَلْقَىٰ الْبَشِيرُ قَمِيصَ يُوسُفَ..

﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ عَلَىٰ وَجْهِ يَعْقُوبَ..

﴿فَٱرْتَدَّ﴾ رَجَعَ وَعَادَ..

﴿بَصِيرًا﴾ مُبْصِرًا بِعَيْنَيْهِ بَعْدَ مَا قَدْ عَمِيَ..

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِمَنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ حِينَئِذٍ مِنْ وَلَدِهِ..

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يَا بَنِيَّ..

﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أَنَّهُ سَيَرُدُّ عَلَيَّ يُوسُفَ، وَيَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ..

﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٩٦﴾ [يوسف: ٩٦] وَكُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا كُنْتُ أَعْلَمُهُ، لِأَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ كَانَتْ صَادِقَةً، وَكَانَ اللهُ قَدْ قَضَىٰ أَنْ أَخِرَّ أَنَا وَأَنْتُمْ لَهُ سُجُودًا، فَكُنْتُ مُوقِنًا بِقَضَائِهِ.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾ [يوسف: ٩٧].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ وَلَدُ يَعْقُوبَ الَّذِينَ كَانُوا فَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ يُوسُفَ..

﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ سَلْ لَنَا رَبَّكَ يَعْفُ عَنَّا، وَيَسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا الَّتِي أَذْنَبْنَاهَا فِيكَ وَفِي يُوسُفَ، فَلَا يُعَاقِبْنَا بِهَا فِي الْقِيَامَةِ..

﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾ [يوسف: ٩٧] فِيمَا فَعَلْنَا بِهِ، فَقَدِ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا.

﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾ [يوسف: ٩٨].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ..

﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾ سَوْفَ أَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَعْفُوَ عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمُ الَّتِي أَذْنَبْتُمُوهَا فِيَّ وَفِي يُوسُفَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبِّي..

﴿هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ السَّاتِرُ عَلَىٰ ذُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾ [يوسف: ٩٨] بِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ [يوسف: ٩٩].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ فَلَمَّا دَخَلَ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ وَأَهْلُوهُمْ..

﴿عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ ضَمَّ إِلَيْهِ..

﴿أَبَوَيۡهِ﴾ قِيلَ: عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أَبُوهُ وَخَالَتُهُ، وَقَالَ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ: كَانَتْ أُمُّ يُوسُفَ قَدْ مَاتَتْ قَبْلُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ عِنْدَ يَعْقُوبَ يَوْمَئِذٍ خَالَتُهُ أُخْتُ أُمِّهِ، كَانَ نَكَحَهَا بَعْدَ أُمِّهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَهُوَ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ وَالْمُتَعَارَفِ بَيْنَهُمْ فِي (أَبَوَيْنِ)، إِلَّا أَنْ يَصِحَّ مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ أُمَّ يُوسُفَ كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، فَيُسَلَّمُ حِينَئِذٍ لَهَا..

﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ [يوسف: ٩٩] مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ فِي بَادِيَتِكُمْ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ بَعْدَمَا دَخَلُوهَا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا دَخَلُوهَا عَلَىٰ يُوسُفَ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ قَالَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ قِيلَ: إِنَّ يَعْقُوبَ إِنَّمَا دَخَلَ عَلَىٰ يُوسُفَ هُوَ وَوَلَدُهُ، وَآوَىٰ يُوسُفُ أَبَوَيْهِ إِلَيْهِ قَبْلَ دُخُولِ مِصْرَ، وَذَلِكَ أَنَّ يُوسُفَ تَلَقَّىٰ أَبَاهُ -تَكْرِمَةً لَهُ- قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ، فَآوَاهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ بِهَا قَبْلَ الدُّخُولِ.. فَإِنَّ ذَلِكَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ كَذَلِكَ.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ عَلَىٰ السَّرِيرِ..

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ وَخَرَّ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ وَأُمُّهُ لِيُوسُفَ سُجَّدًا، وَكَانَتْ تِلْكَ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**وَكَانَتْ تَحِيَّةَ مَنْ قَبْلَكُمْ، كَانَ بِهَا يُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَأَعْطَىٰ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ السَّلَامَ، تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَرَامَةً مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَجَّلَهَا لَهُمْ، وَنِعْمَةً مِنْهُ**).. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**ذَلِكَ السُّجُودُ تَشْرِفَةٌ، كَمَا سَجَدَتِ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ تَشْرِفَةً، لَيْسَ بِسُجُودِ عِبَادَةٍ**)..

﴿وَقَالَ﴾ يُوسُفُ لِأَبِيهِ..

﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا﴾ السُّجُودُ الَّذِي سَجَدْتَ أَنْتَ وَأُمِّي وَإِخْوَتِي لِي..

﴿تَأۡوِيلُ﴾ مَا آلَتْ إِلَيْهِ..

﴿رُءۡيَٰيَ﴾ الَّتِي كُنْتُ رَأَيْتُهَا..

﴿مِن قَبۡلُ﴾ وَهِيَ رُؤْيَاهُ الَّتِي كَانَ رَآهَا قَبْلَ صَنِيعِ إِخْوَتِهِ مَا صَنَعُوا، أَنَّ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَهُ سَاجِدُونَ..

﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ قَدْ حَقَّقَهَا رَبِّي لِمَجِيءِ تَأْوِيلِهَا عَلَىٰ الصِّحَّةِ.

﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ يُوسُفَ: وَقَدْ أَحْسَنَ اللهُ بِي..

﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي﴾ فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّايَ..

﴿مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ مَحْبُوسًا..

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ وَفِي مَجِيئِهِ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَسْكَنَ يَعْقُوبَ وَوَلَدِهِ فِيمَا ذُكِرَ

كَانَ بِبَادِيَةِ فِلَسْطِينَ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَفْسَدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَجَهِلَ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ، يُقَالُ مِنْهُ: نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، يَنْزَغُ نَزْغًا وَنُزُوغًا..

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ إِنَّ رَبِّي ذُو لُطْفٍ وَصُنْعٍ لِمَا يَشَاءُ، وَمِنْ لُطْفِهِ وَصُنْعِهِ أَنَّهُ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِأَهْلِي مِنَ الْبَدْوِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ بُعْدِ الدَّارِ، وَبَعْدَ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الْعُبُودَةِ، وَالرِّقِّ، وَالْإِسَارِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَبَادِي الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا..

﴿ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠] فِي تَدْبِيرِهِ.. ثم قَالَ يُوسُفُ بَعْدَ مَا جَمَعَ اللهُ لَهُ أَبَوَيْهِ وَإِخْوَتَهُ، وَبَسَطَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسَطَ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمَكَّنَهُ فِي الْأَرْضِ، مُتَشَوِّقًا إِلَىٰ لِقَاءِ آبَائِهِ الصَّالِحِينَ.

> ﴿۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ مُلْكِ مِصْرَ..

﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ مِنْ عِبَارَةِ الرُّؤْيَا، تَعْدِيدًا لِنِعَمِ اللهِ وَشُكْرًا لَهُ عَلَيْهَا..

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يَا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا خَالِقَهَا وَبَارِئَهَا..

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أَنْتَ وَلِيِّي فِي دُنْيَايَ عَلَىٰ مَنْ عَادَانِي وَأَرَادَنِي بِسُوءٍ بِنَصْرِكَ، وَتَغْذُونِي فِيهَا بِنِعْمَتِكَ..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ وَتَلِينِي فِي الْآخِرَةِ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ..

﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾ اقْبِضْنِي إِلَيْكَ مُسْلِمًا..

﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١] وَأَلْحِقْنِي بِصَالِحِ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَتَمَنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَوْتَ قَبْلَ يُوسُفَ.

> ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾
> [يوسف: ١٠٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْخَبَرُ الَّذِي أَخْبَرْتُكَ بِهِ مِنْ خَبَرِ يُوسُفَ وَوَالِدِهِ يَعْقُوبَ وَإِخْوَتِهِ وَسَائِرَ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾ مِنْ أَخْبَارِ..

﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ الَّذِي لَمْ تُشَاهِدْهُ، وَلَمْ تُعَايِنْهُ، وَلَكِنَّا..

﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾ وَنُعَرِّفُكَهُ، لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَنُشَجِّعَ بِهِ قَلْبَكَ، وَتَصْبِرُ عَلَىٰ مَا نَالَكَ مِنَ الْأَذَىٰ مِنْ قَوْمِكَ فِي ذَاتِ اللهِ، وَتَعْلَمْ أَنَّ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِ اللهِ إِذْ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا نَالَهُمْ فِيهِ، وَأَخَذُوا بِالْعَفْوِ، وَأَمَرُوا بِالْعُرْفِ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْجَاهِلِينَ، فَازُوا بِالظَّفَرِ، وَأُيِّدُوا بِالنَّصْرِ، وَمُكِّنُوا فِي الْبِلَادِ، وَغَلَبُوا مَنْ قَصَدُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ دِينِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَبِهِمْ يَا مُحَمَّدُ فَتَأَسَّ، وَآثَارَهُمْ فَقُصَّ..

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ وَمَا كُنْتَ حَاضِرًا عِنْدَ إِخْوَةِ يُوسُفَ..

﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ وَاتَّفَقَتْ آرَاؤُهُمْ، وَصَحَّتْ عَزَائِمُهُمْ..

﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ۝١٠٢﴾ [يوسف: ١٠٢] عَلَىٰ أَنْ يُلْقُوا يُوسُفَ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ، وَذَلِكَ كَانَ مَكْرُهُمْ.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣].

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ وَمَا أَكْثَرُ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ عَلَىٰ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكَ فَيُصَدِّقُوكَ، وَيَتَّبِعُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣] بِمُصَدِّقِيكَ وَلَا مُتَّبِعِيكَ.

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤].

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ وَمَا تَسْأَلُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ نُبُوَّتَكَ وَيَمْتَنِعُونَ مِنْ تَصْدِيقِكَ وَالْإِقْرَارِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِرَبِّكَ، وَهَجْرِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ..

﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾ مِنْ ثَوَابٍ وَجَزَاءٍ مِنْهُمْ، بَلْ إِنَّمَا ثَوَابُكَ وَأَجْرُ عَمَلِكَ عَلَىٰ اللهِ.. مَا تَسْأَلُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ ثَوَابًا، فَيَقُولُوا لَكَ: إِنَّمَا تُرِيدُ بِدُعَائِكَ إِيَّانَا إِلَىٰ اتِّبَاعِكَ لِنَنْزِلَ لَكَ عَنْ أَمْوَالِنَا إِذَا سَأَلْتَنَا ذَلِكَ، وَإِذْ كُنْتَ لَا تَسْأَلُهُمْ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّكَ إِنَّمَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اتِّبَاعًا مِنْكَ لِأَمْرِ رَبِّكَ، وَنَصِيحَةً مِنْكَ لَهُمْ، وَأَنْ لَا يَسْتَغْشُوكَ..

﴿إِنۡ هُوَ﴾ مَا هَذَا الَّذِي أَرْسَلَكَ بِهِ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ..

﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ إِلَّا عِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ..

﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤] لِيَتَّعِظُوا وَيَتَذَكَّرُوا بِهِ.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥].

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ للهِ، وَعِبْرَةٍ وَحُجَّةٍ، وَذَلِكَ كَالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالنُّجُومِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ السَّمَوَاتِ، وَكَالْجِبَالِ، وَالْبِحَارِ، وَالنَّبَاتِ، وَالْأَشْجَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْأَرْضِ..

﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ يُعَايِنُونَهَا فَيَمُرُّونَ بِهَا مُعْرِضِينَ عَنْهَا..

﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥] لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيهَا، وَفِيمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّهَا، وَأَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ لَا تَبْتَغِي إِلَّا لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الَّذِي خَلَقَهَا وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَدَبَّرَهَا.

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ﴾ وَمَا يُقِرُّ..

﴿أَكۡثَرُهُم﴾ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ عَزَّوَجَلَّ صِفَتَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥]..

﴿بِٱللَّهِ﴾ أَنَّهُ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿إِلَّا وَهُم﴾ بِهِ..

﴿مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَاتِّخَاذِهِمْ مِنْ دُونِهِ أَرْبَابًا، وَزَعْمِهِمْ أَنَّهُ لَهُ وَلَدًا، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ.. قَالَ قَتَادَةُ: (قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ فِي إِيمَانِهِمْ هَذَا، إِنَّكَ لَسْتَ تَلْقَى أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْبَأَكَ أَنَّ اللهَ رَبُّهُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَرَزَقَهُ، وَهُوَ مُشْرِكٌ فِي عِبَادَتِهِ).. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ، وَيَعْرِفُ أَنَّ اللهَ رَبُّهُ، وَأَنَّ اللهَ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، وَهُوَ يُشْرِكُ بِهِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧] قَدْ عَرَفَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَعَ مَا يَعْبُدُونَ، قَالَ: فَلَيْسَ أَحَدٌ يُشْرِكُ بِهِ إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ كَانَتِ الْعَرَبُ تُلَبِّي، تَقُولُ: لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ؟ الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَقُولُونَ هَذَا).

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾ [يوسف: ١٠٧].

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ﴾ أَفَأَمِنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ غَيْرَهُ..

﴿أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ تَغْشَاهُمْ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ وَعَذَابِهِ، عَلَىٰ شِرْكِهِمْ بِاللهِ..

﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ الْقِيَامَةُ..

﴿بَغۡتَةٗ﴾ فَجْأَةً وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَيُخَلِّدُهُمُ اللهُ ﷻ فِي نَارِهِ..

﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾ [يوسف: ١٠٧] وَهُمْ لَا يَدْرُونَ بِمَجِيئِهَا وَقِيَامِهَا.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدَّعْوَةُ الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا، وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ..

﴿سَبِيلِيٓ﴾ وَطَرِيقَتِي وَدَعْوَتِي..

﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بِذَلِكَ وَيَقِينِ عِلْمٍ مِنِّي بِهِ..

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ وَيَدْعُو إِلَيْهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَيْضًا مَنِ اتَّبَعَنِي وَصَدَّقَنِي وَآمَنَ بِي.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(هَذِهِ سَبِيلِي، هَذَا أَمْرِي وَسُنَّتِي وَمِنْهَاجِي، وَحَقُّ اللهِ وَعَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَيُذَكِّرُ بِالْقُرْآنِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَيَنْهَىٰ عَنْ مَعَاصِي اللهِ)**..

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ وَقُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، تَنْزِيهًا للهِ، وَتَعْظِيمًا لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، أَوْ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فِي سُلْطَانِهِ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨] وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، لَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا هُمْ مِنِّي.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾

[يوسف: ١٠٩].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ لَا نِسَاءَ وَلَا مَلَائِكَةَ..

﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ آيَاتِنَا بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِنَا وَإِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لَنَا..

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ يَعْنِي مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ، دُونَ أَهْلِ الْبَوَادِي..

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ، وَيُنْكِرُونَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ فِي الْأَرْضِ..

﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾ إِذْ كَذَّبُوا رُسُلَنَا، أَلَمْ نَحِلَّ بِهِمْ عُقُوبَتَنَا، فَنُهْلِكَهُمْ بِهَا، وَنُنْجِ مِنْهَا رُسُلَنَا وَأَتْبَاعَنَا، فَيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا؟..

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ هَذَا فِعْلُنَا فِي الدُّنْيَا بِأَهْلِ وِلَايَتِنَا وَطَاعَتِنَا، إِنَّ عُقُوبَتَنَا إِذَا نَزَلَتْ بِأَهْلِ مَعَاصِينَا وَالشِّرْكِ بِنَا أَنْجَيْنَاهُمْ مِنْهَا، وَمَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لَهُمْ خَيْرٌ، وَتَرَكَ ذِكْرَ مَا ذَكَرْنَا اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ عَلَيْهِ، وَأُضِيفَتِ الدَّارُ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، وَهِيَ الْآخِرَةُ، لِاخْتِلَافِ لَفْظِهِمَا، كَمَا قِيلَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥]، وَكَمَا قِيلَ: أَتَيْتُكَ عَامَ الْأَوَّلِ، وَبَارِحَةَ الْأُولَىٰ، وَلَيْلَةَ الْأُولَىٰ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ..

﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩] أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ حَقِيقَةَ مَا نَقُولُ لَهُمْ وَنُخْبِرُهُمْ بِهِ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكُفْرِ، وَغِبِّ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُ أَهْلِهِ مَعَ مَا قَدْ عَايَنُوا وَرَأَوْا وَسَمِعُوا مِمَّا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَ رَبِّهَا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ، فَدَعَوْا مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوهُمْ، وَرَدُّوا مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، وَيُصَدِّقُوهُمْ فِيمَا أَتَوْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وَظَنَّ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ..

﴿أَنَّهُمۡ﴾ أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ..

﴿قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ قَدْ كَذَبُوهُمْ فِيمَا كَانُوا أَخْبَرُوهُمْ عَنِ اللهِ مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهُمْ، فَنَصْرَهُمْ عَلَيْهِمْ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (لَمَّا أَيِسَتِ الرُّسُلُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ قَوْمُهُمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمْ أَنَّ

الرُّسُلَ قَدْ كَذَبُوهُمْ، جاءَهُمُ النَّصْرُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَنُنْجِي مَنْ نَشاءُ).. وقَالَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: (اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمْ حِينَ أَبْطَأَ الْأَمْرُ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا، بِالتَّخْفِيفِ).. وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ أَنْ يُسْلِمَ قَوْمُهُمْ، وَظَنَّ قَوْمُ الرُّسُلِ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبُوا، جاءَهُمْ نَصْرُنَا).. قَالَ مُجَاهِد: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ أَنْ يُصَدِّقَهُمْ قَوْمُهُمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمْ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبُوا، جاءَ الرُّسُلَ نَصْرُنَا).. وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ أَنْ يُؤْمِنَ قَوْمُهُمْ بِهِمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمُ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كُذِبُوا مَا وَعَدَهُمُ اللهُ مِنْ نَصْرِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِمْ، وَخُلِفُوا، جاءُ الرُّسُلَ النَّصْرُ حِينَئِذٍ).. وَالْقِرَاءَةُ عَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿كُذِبُواْ﴾ بِضَمِّ الْكَافِ وَتَخْفِيفِ الذَّالِ، وَذَلِكَ أَيْضًا قِرَاءَةُ بَعْضِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعَامَّةِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا هَذَا التَّأْوِيلَ وَهَذِهِ الْقِرَاءَةَ، لِأَنَّ ذَلِكَ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩]، فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّ إِيَاسَ الرُّسُلِ كَانَ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِمُ الَّذِينَ أُهْلِكُوا، وَأَنَّ الْمُضْمَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ إِنَّمَا هُوَ مِنْ ذِكْرِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ، وَزَادَ ذَلِكَ وُضُوحًا أَيْضًا إِتْبَاعُ اللهِ فِي سِيَاقِ الْخَبَرِ عَنِ الرُّسُلِ وَأُمَمِهِمْ، قَوْلَهُ: ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾؛ إِذِ الَّذِينَ أُهْلِكُوا هُمُ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبَتْهُمْ، فَكَذَّبُوهُمْ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوهُمْ.. وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ مِمَّنْ قَرَأَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ إِلَىٰ غَيْرِ التَّأْوِيلِ الَّذِي اخْتَرْنَا، وَوَجَّهُوا مَعْنَاهُ إِلَىٰ: حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِمْ، وَظَنَّتِ الرُّسُلُ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا فِيمَا وُعِدُوا مِنَ النَّصْرِ.. فَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ قَالَ: (كَانُوا بَشَرًا، ضَعُفُوا وَيَئِسُوا).. وَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: (أَلَمْ يَكُونُوا بَشَرًا).. وَقَوْلُ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَوْلَىٰ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، وَخِلَافُهُ مِنَ الْقَوْلِ أَشْبَهُ بِصِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، إِنْ جَازَ أَنْ يَرْتَابُوا بِوَعْدِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَيَشُكُّوا فِي حَقِيقَةِ خَبَرِهِ، مَعَ مُعَايَنَتِهِمْ مِنْ حُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ مَا لَا يُعَايِنُهُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ، فَيُعْذَرُوا فِي ذَلِكَ؛ إِنَّ الْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ لَأَوْلَىٰ فِي ذَلِكَ مِنْهُمْ بِالْعُذْرِ، وَذَلِكَ قَوْلٌ إِنْ قَالَهُ قَائِلٌ لَا يَخْفَىٰ أَمْرُهُ.. وَقَدْ ذُكِرَ هَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَخِيرًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِعَائِشَةَ، فَأَنْكَرَتْهُ أَشَدَّ النُّكْرَةِ، فَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ

﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ فقَالَ: (كَانُوا بَشَرًا ضَعُفُوا وَيَئِسُوا)، قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُرْوَةَ، فقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: (مَعَاذَ اللهِ، مَا حَدَّثَ اللهُ رَسُولَهُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا عَلِمَ أَنَّهُ سَيَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ بِالرُّسُلِ، حَتَّىٰ ظَنَّ الْأَنْبِيَاءُ أَنَّ مَنْ تَبِعَهُمْ قَدْ كَذَبُوهُمْ)، فَكَانَتْ تَقْرَؤُهَا: (قَدْ كُذِّبُوا تُثَقِّلُهَا).. فَهَذَا مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ، غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقْرَأُ: (كُذِّبُوا) بِالتَّشْدِيدِ وَضَمِّ الْكَافِ، بِمَعْنَىٰ مَا ذَكَرْنَا عَنْهَا، مِنْ أَنَّ الرُّسُلَ ظَنَّتْ بِأَتْبَاعِهَا الَّذِينَ قَدْ آمَنُوا بِهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ، فَارْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ، اسْتِبْطَاءً مِنْهُمْ لِلنَّصْرِ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الَّذِي نَخْتَارُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ وَالتَّأْوِيلِ غَيْرُهُ فِي هَذَا الْحَرْفِ خَاصَّةً.. وَقَالَ آخَرُونَ مِمَّنْ قَرَأَ قَوْلَهُ: (كُذِّبُوا) بِضَمِّ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ، مَعْنَىٰ ذَلِكَ: حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ قَوْمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ وَيُصَدِّقُوهُمْ، وَظَنَّتِ الرُّسُلُ: بِمَعْنَىٰ وَاسْتَيْقَنَتْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبَهُمْ أُمَمُهُمْ، جَاءَتِ الرُّسُلَ نُصْرَتُنَا، وَقَالُوا: الظَّنُّ فِي هَذَا بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ، وَهُوَ مَرْوِي عَنِ الحَسَنِ وَقَتَادَةِ.. وَبِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ كَانَتْ تَقْرَأُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ، أَعْنِي بِتَشْدِيدِ الذَّالِ مِنْ (كُذِّبُوا)، وَضَمِّ كَافِهَا، وَهَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ فِي ذَلِكَ إِذَا قُرِئَ بِتَشْدِيدِ الذَّالِ وَضَمِّ الْكَافِ خِلَافٌ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَقْوَالِ جَمِيعِ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوَجِّهِ الظَّنَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ، مَعَ أَنَّ الظَّنَّ إِنَّمَا اسْتَعْمَلَهُ الْعَرَبُ فِي مَوْضِعِ الْعِلْمِ فِيمَا كَانَ مِنْ عِلْمٍ أُدْرِكَ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ، أَوْ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ الْمُشَاهَدَةِ وَالْمُعَايَنَةِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ عِلْمٍ أُدْرِكَ مِنْ وَجْهِ الْمُشَاهَدَةِ وَالْمُعَايَنَةِ فَإِنَّهَا لَا تَسْتَعْمِلُ فِيهِ الظَّنَّ، لَا تَكَادُ تَقُولُ: أَظُنُّنِي حَيًّا وَأَظُنُّنِي إِنْسَانًا، بِمَعْنَىٰ: أَعْلَمُنِي إِنْسَانًا وَأَعْلَمُنِي حَيًّا، وَالرُّسُلُ الَّذِينَ كَذَّبَتْهُمْ أُمَمُهُمْ لَا شَكَّ أَنَّهَا كَانَتْ لِأُمَمِهَا شَاهِدَةٌ وَلِتَكْذِيبِهَا إِيَّاهَا مِنْهَا سَامِعَةٌ، فَيُقَالُ فِيهَا: ظَنَّتْ بِأُمَمِهَا أَنَّهَا كَذَّبَتْهَا..

﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ فَنُنَجِّي الرُّسُلَ وَمَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ إِذَا جَاءَ نَصْرُنَا..

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ وَلَا تُرَدُّ عُقُوبَتُنَا وَبَطْشُنَا بِمَنْ بَطَشْنَا بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِنَا..

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠] عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَجْرَمُوا، فَكَفَرُوا بِاللهِ وَخَالَفُوا رُسُلَهُ، وَمَا أَتَوْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف: ١١١].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ..

﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ عِبْرَةٌ لِأَهْلِ الحِجَا وَالْعُقُولِ، يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَمَوْعِظَةٌ يَتَّعِظُونَ بِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ يُوسُفُ فِي الْجُبِّ لِيَهْلِكَ، ثُمَّ بِيعَ بَيْعَ الْعَبِيدِ بِالْخَسِيسِ مِنَ الثَّمَنِ، وَبَعْدَ الْإِسَارِ وَالْحَبْسِ الطَّوِيلِ، مَلَّكَهُ مِصْرَ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْلَاهُ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُ سُوءًا مِنْ إِخْوَتِهِ، وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدَيْهِ وَإِخْوَتِهِ بِقُدْرَتِهِ بَعْدَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ، وَجَاءَ بِهِمْ إِلَيْهِ مِنَ الشُّقَّةِ النَّائِيَةِ الْبَعِيدَةِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ قَوْمِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَوِ اعْتَبَرْتُمْ بِهِ أَنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ بِيُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ثُمَّ يُظْهِرُهُ عَلَيْكُمْ وَيُمَكِّنُ لَهُ فِي الْبِلَادِ، وَيُؤَيِّدُهُ بِالْجُنْدِ وَالرِّجَالِ مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ، وَإِنْ مَرَّتْ بِهِ شَدَائِدُ، وَأَتَتْ دُونَهُ الْأَيَّامُ، وَاللَّيَالِي، وَالدُّهُورُ، وَالْأَزْمَانُ..

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ مَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ حَدِيثًا يُخْتَلَقُ وَيُتَكَذَّبُ وَيُتَخَرَّصُ..

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وَلَكِنَّهُ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا قَبْلَهُ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، كَالتَّوْرَاةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ جَمِيعَهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وَهُوَ أَيْضًا تَفْصِيلُ كُلِّ مَا بِالْعِبَادِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ بَيَانِ أَمْرِ اللهِ، وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَمَعْصِيَتِهِ..

﴿وَهُدًى﴾ وَهُوَ بَيَانُ أَمْرِهِ، وَرَشَادُ مَنْ جَهِلَ سَبِيلَ الْحَقِّ فَعَمِيَ عَنْهُ إِذَا تَبِعَهُ، فَاهْتَدَىٰ بِهِ مِنْ ضَلَالَتِهِ..

﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، يُنْقِذُهُ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، وَيُوَرِّثُهُ فِي الْآخِرَةِ جِنَانَهُ، وَالْخُلُودَ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ..

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١١١﴾ [يوسف: ١١١] لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ وَعْدِ اللهِ، وَوَعِيدِهِ، وَأَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا فِيهِ مِنْ نَهْيِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ يُوسُفَ



سُورَةُ الرَّعْدِ (١٣)
مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَلاثٌ وَأَرْبَعُونَ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الرَّعْدُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ①﴾ [الرعد: ١].

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ﴾ الَّتِي قَصَصْتُ عَلَيْكَ خَبَرَهَا..

﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، إِلَىٰ مَنْ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِ مِنْ رُسُلِي قَبْلَكَ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ: التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ..

﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، فَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ وَاعْتَصِمْ بِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ①﴾ [الرعد: ١] لَا يُصَدِّقُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَلَا يُقِرُّونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنْ مُحْكَمِ آيِهِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ②﴾ [الرعد: ٢].

﴿ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ هُوَ..

﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السَّبْعَ..

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ﴾ فَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ سَقْفًا مَسْمُوكًا، وَالْعَمَدُ جَمْعُ عَمُودٍ، وَهِيَ السَّوَارِي، وَمَا يُعْمَدُ بِهِ الْبِنَاءُ، فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ بِغَيْرِ عَمَدٍ نَرَاهَا..

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ عَلَا..

﴿عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الِاسْتِوَاءِ وَاخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِ، وَالصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِيمَا قَالُوا فِيهِ بِشَوَاهِدِهِ فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَسَخَّرَ﴾ وَأَجْرَىٰ..

﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ فِي السَّمَاءِ فَسَخَّرَهُمَا فِيهَا لِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَذَلَّلَهُمَا لِمَنَافِعِهِمْ، لِيَعْلَمُوا بِجَرْيِهِمَا فِيهَا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ، وَيَفْصِلُوا بِهِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..

﴿كُلّٞ﴾ كُلُّ ذَلِكَ..

﴿يَجۡرِي لِأَجَلٖ﴾ لِوَقْتٍ..

﴿مُّسَمّٗىۚ﴾ مَعْلُوم، وَذَلِكَ إِلَىٰ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَقِيَامِ الْقِيَامَةِ الَّتِي عِنْدَهَا تُكَوَّرُ الشَّمْسُ، وَيُخْسَفُ الْقَمَرُ، وَتَنْكَدِرُ النُّجُومُ، وَحُذِفَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ لِفَهْمِ السَّامِعِينَ مِنْ أَهْلِ لِسَانِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ الْقُرْآنُ مَعْنَاهُ..

﴿يُدَبِّرُ﴾ يَقْضِي اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا..

﴿ٱلۡأَمۡرَ﴾ أُمُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلَّهَا، وَيُدَبِّرُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَحْدَهُ، بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا ظَهِيرٍ وَلَا مُعِينٍ سُبْحَانَهُ..

﴿يُفَصِّلُ﴾ لَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ آيَاتِ كِتَابِهِ، فَيُبَيِّنُهَا لَكُمُ احْتِجَاجًا بِهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد: ٢] لِتُوقِنُوا بِلِقَاءِ اللهِ، وَالْمَعَادِ إِلَيْهِ، فَتُصَدِّقُوا بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَتَنْزَجِرُوا عَنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ إِذَا تَيَقَّنْتُمْ ذَلِكَ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٣].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ وَاللهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ فَبَسَطَهَا طُولًا وَعَرْضًا..

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَابِتَةً.. وَالرَّوَاسِي: جَمْعُ رَاسِيَةٍ وَهِيَ الثَّابِتَةُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَرْسَيْتُ الْوَتَدَ فِي الْأَرْضِ: إِذَا أَثْبَتَّهُ..

﴿وَأَنۡهَٰرٗاۖ﴾ وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ أَنْهَارًا مِنْ مَاءٍ..

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، وَعَنَىٰ بِزَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ: مِنْ كُلِّ ذَكَرٍ اثْنَانِ، وَمِنْ كُلِّ أُنْثَىٰ اثْنَانِ، فَذَلِكَ أَرْبَعَةٌ، مِنَ الذُّكُورِ اثْنَانِ، وَمِنَ الْإِنَاثِ اثْنَانِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الِاثْنَيْنِ زَوْجَيْنِ، وَالْوَاحِدُ مِنَ الذُّكُورِ زَوْجًا لِأُنْثَاهُ، وَكَذَلِكَ الْأُنْثَىٰ الْوَاحِدَةُ زَوْجًا وَزَوْجَةً لِذَكَرِهَا، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَيَزِيدُ ذَلِكَ إِيضَاحًا قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ [النجم: ٤٥]، فَسَمَّىٰ الِاثْنَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ زَوْجَيْنِ وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [هود: ٤٠]: نَوْعَيْنِ وَضَرْبَيْنِ..

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يُجَلِّلُ اللَّيْلَ النَّهَارَ فَيُلْبِسُهُ ظُلْمَتَهُ، وَالنَّهَارَ اللَّيْلَ بِضِيَائِهِ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا وَصَفْتُ وَذَكَرْتُ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ الَّتِي خَلَقَ بِهَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ..

﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لَدَلَالَاتٍ وَحُجَجًا وَعِظَاتٍ..

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٣] فِيهَا، فَيَسْتَدِلُّونَ وَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ، وَلَا تَجُوزُ، إِلَّا لِمَنْ خَلَقَهَا، وَدَبَّرَهَا، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ضُرٍّ، وَلَا نَفْعٍ، وَلَا لِشَيْءٍ غَيْرِهَا، إِلَّا لِمَنْ أَنْشَأَ ذَلِكَ فَأَحْدَثَهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي أَبْدَعَ بِهَا ذَلِكَ هِيَ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِحْيَاءُ مَنْ هَلَكَ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِعَادَةِ مَا فَنِيَ مِنْهُ، وَابْتِدَاعِ مَا شَاءَ ابْتِدَاعَهُ بِهَا.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد: ٤].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مِنْهَا مُتَقَارِبَاتٌ مُتَدَانِيَاتٌ، يَقْرُبُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ بِالْجِوَارِ، وَتَخْتَلِفُ بِالتَّفَاضُلِ مَعَ تَجَاوُرِهَا وَقُرْبِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، فَمِنْهَا قِطْعَةٌ سَبِخَةٌ لَا تُنْبِتُ شَيْئًا، فِي جِوَارِ قِطْعَةٍ طَيِّبَةٍ تُنْبِتُ وَتَنْفَعُ..

﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ وَفِي الْأَرْضِ مَعَ الْقِطَعِ الْمُخْتَلِفَاتِ الْمَعَانِي مِنْهَا بِالْمُلُوحَةِ وَالْعُذُوبَةِ، وَالْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ، مَعَ تَجَاوُرِهَا وَتَقَارُبِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ..

﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ وَبَسَاتِينُ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ أَيْضًا، مُتَقَارِبَةٌ فِي الْخِلْقَةِ مُخْتَلِفَةٌ فِي الطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ، مَعَ اجْتِمَاعِ جَمِيعِهَا عَلَىٰ شِرْبٍ وَاحِدٍ، فَمِنْ طَيِّبٍ طَعْمُهُ مِنْهَا حَسَنٌ مَنْظَرُهُ طَيِّبَةٌ رَائِحَتُهُ، وَمِنْ حَامِضٍ طَعْمُهُ وَلَا رَائِحَةَ لَهُ..

﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ جَمْعُ صِنْوٍ، وَهِيَ النَّخَلَاتُ يَجْمَعُهُنَّ أَصْلٌ وَاحِدٌ..

﴿يُسْقَىٰ﴾ تُسْقَىٰ الْجَنَّاتُ وَالنَّخْلُ وَالزَّرْعُ..

﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ عَذْبٍ دُونَ الْمَالِحِ..

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ وَيُخَالِفُ اللهُ بَيْنَ طُعُومِ ذَلِكَ، فَيُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الطَّعْمِ، فَهَذَا حُلْوٌ وَهَذَا حَامِضٌ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي مُخَالَفَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بَيْنَ هَذِهِ الْقِطَعِ مِنَ الْأَرْضِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَثِمَارِ

جَنَّاتِهَا وَزُرُوعِهَا عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا وَبَيَّنَّا..

﴿لَآيَٰتٍ﴾ لَدَلِيلًا وَاضِحًا وَعِبْرَةً..

﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد: ٤] اخْتِلَافَ ذَٰلِكَ، أَنَّ الَّذِي خَالَفَ بَيْنَهُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الَّذِي خَالَفَ بَيْنَهُ، هُوَ الْمُخَالِفُ بَيْنَ خَلْقِهِ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ هِدَايَةٍ وَضَلَالٍ وَتَوْفِيقٍ وَخِذْلَانٍ، فَوَفَّقَ هَذَا وَخَذَلَ هَذَا، وَهَدَىٰ ذَا وَأَضَلَّ ذَا، وَلَوْ شَاءَ لَسَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ، كَمَا لَوْ شَاءَ سَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِ أُكُلِ ثِمَارِ الْجَنَّةِ الَّتِي تَشْرَبُ شُرْبًا وَاحِدًا، وَتُسْقَىٰ سَقْيًا وَاحِدًا، وَهِيَ مُتَفَاضِلَةٌ فِي الْأُكُلِ.

﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾

[الرعد: ٥].

﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُتَّخِذِينَ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِي..

﴿فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ وَبَلِينَا فَعَدِمْنَا..

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ أَئِنَّا لَمُجَدَّدٌ إِنْشَاؤُنَا وَإِعَادَتُنَا خَلْقًا جَدِيدًا، كَمَا كُنَّا قَبْلَ وَفَاتِنَا؟! تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِقُدْرَةِ اللهِ، وَجُحُودًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ وَجَحَدُوا الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَقَالُوا ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ هُمُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا قُدْرَةَ رَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ فِي أَعْنَاقِهِمُ الْأَغْلَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ هُمْ سُكَّانُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾ [الرعد: ٥] هُمْ فِيهَا مَاكِثُونَ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٦﴾ [الرعد: ٦].

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ..

﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بِالْبَلَاءِ وَالْعُقُوبَةِ..

﴿قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ قَبْلَ الرَّخَاءِ وَالْعَافِيَةِ، فَيَقُولُونَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢]..

﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا حَلَّ بِمَنْ خَلَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي عَصَتْ رَبَّهَا، وَكَذَّبَتْ رُسُلَهَا، مِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ وَعَظِيمِ بَلَائِهِ، فَمِنْ بَيْنَ أُمَّةٍ مُسِخَتْ قِرَدَةً وَأُخْرَىٰ خَنَازِيرَ، وَمِنْ بَيْنَ أُمَّةٍ أُهْلِكَتْ بِالرَّجْفَةِ، وَأُخْرَىٰ بِالْخَسْفِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَثُلَاتُ.. وَالْمَثُلَاتُ: الْعُقُوبَاتُ الْمُنْكِلَاتُ، وَالْوَاحِدَةُ مِنْهَا: مَثُلَةٌ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَضَمِّ الثَّاءِ، ثُمَّ تُجْمَعُ مَثُلَاتٍ، كَمَا وَاحِدَةُ الصَّدَقَاتِ صَدَقَةٌ، ثُمَّ تَجْمَعُ صَدَقَاتٍ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَذُو مَغۡفِرَةٖ﴾ لَذُو سِتْرٍ عَلَىٰ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ..

﴿لِّلنَّاسِ﴾ مِنَ النَّاسِ، فَتَارِكٌ فَضِيحَتَهُ بِهَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، وَصَافِحٌ لَهُ عَنْ عِقَابِهِ عَلَيْهَا عَاجِلًا وَآجِلًا..

﴿عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ لَهُمْ بِفِعْلِهِ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾ [الرعد: ٦] لِمَنْ هَلَكَ مُصِرًّا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ فِي الْقِيَامَةِ، إِنْ لَمْ يُعَجِّلْ لَهُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، أَوْ يَجْمَعُهُمَا لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرُ خَيْرٍ، فَإِنَّهُ وَعِيدٌ مِنَ اللهِ وَتَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِنْ هُمْ لَمْ يُنِيبُوا وَيَتُوبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ قَبْلَ حُلُولِ نِقْمَةِ اللهِ بِهِمْ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾ [الرعد: ٧].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ﴾ هَلَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، يَعْنُونَ: عَلَامَةً وَحُجَّةً لَهُ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ [هود: ١٢]، يَقُولُ اللهُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ لَهُمْ، تُنْذِرُهُمْ بَأْسَ اللهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ..

﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾ [الرعد: ٧] وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِمَامٌ يَأْتَمُّونَ بِهِ وَهَادٍ يَتَقَدَّمُهُمْ، فَيَهْدِيهِمْ إِمَّا إِلَىٰ خَيْرٍ وَإِمَّا إِلَىٰ شَرٍّ، وَأَصْلُهُ مِنْ هَادِي الْفَرَسِ، وَهُوَ عُنُقُهُ الَّذِي يَهْدِي سَائِرَ جَسَدِهِ.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد: ٨].

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ وَمَا تَنْقُصُ الْأَرْحَامُ مِنْ حَمْلِهَا فِي الْأَشْهُرِ التِّسْعَةِ، بِإِرْسَالِهَا دَمَ الْحَيْضِ..

﴿وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ فِي حَمْلِهَا عَلَىٰ الْأَشْهُرِ التِّسْعَةِ، لِتَمَامِ مَا نَقَصَ مِنَ الْحَمْلِ فِي الْأَشْهُرِ التِّسْعَةِ بِإِرْسَالِهَا دَمَ الْحَيْضِ، قال ابْنُ عَبَّاسٍ: (**مَا رَأَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ يَوْمٍ دَمًا عَلَىٰ حَمْلِهَا زَادَ فِي الْحَمْلِ يَوْمًا**).. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿۞وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ [الرعد: ٥]، مُنْكِرِينَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِعَادَتِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ فَنَائِهِمْ وَبَلَائِهِمْ، وَلَا يُنْكِرُونَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ ابْتِدَائِهِمْ وَتَصْوِيرِهِمْ فِي الْأَرْحَامِ وَتَدْبِيرِهِمْ وَتَصْرِيفِهِمْ فِيهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَابْتَدَأَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ ابْتِدَاءً، وَالْمَعْنَىٰ فِيهِ مَا وَصَفْتُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾..

﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد: ٨] لَا يُجَاوِزُ شَيْءٌ مِنْ قَدَرِهِ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَقْصُرُ أَمْرٌ أَرَادَهُ فَدَبَّرَهُ عَنْ تَدْبِيرِهِ، كَمَا لَا يَزْدَادُ حَمْلُ أُنْثَىٰ عَلَىٰ مَا قُدِّرَ لَهُ مِنَ الْحَمْلِ، وَلَا يَقْصُرُ عَمَّا حَدَّ لَهُ مِنَ الْقَدْرِ.. وَالْمِقْدَارُ: مِفْعَالٌ مِنَ الْقَدْرِ.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩].

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ وَاللهُ عَالِمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ، وَعَنْ أَبْصَارِكُمْ، فَلَمْ تَرَوْهُ..

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وَمَا شَاهَدْتُمُوهُ، فَعَايَنْتُمْ بِأَبْصَارِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ لِأَنَّهُمْ خَلْقُهُ وَتَدْبِيرُهُ..

﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ..

﴿ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩] الْمُسْتَعْلِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ، وَهُوَ الْمُتَفَاعِلُ مِنَ الْعُلُوِّ مِثْلُ الْمُتَقَارِبِ مِنَ الْقُرْبِ، وَالْمُتَدَانِي مِنَ الدُّنُوِّ.

﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ١٠].

﴿سَوَآءٞ﴾ مُعْتَدِلٌ عِنْدَ اللهِ..

﴿مِّنكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّنۡ﴾ الَّذِي..

﴿أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن﴾ وَالَّذِي..

﴿جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ﴾ وَالَّذِي..

﴿هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ بِفِسْقِهِ وَرِيبَتِهِ..

﴿بِٱلَّيْلِ﴾ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿وَسَارِبٌ﴾ وَظَاهِرٌ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ.. يُقَالُ مِنْهُ: سَرَبَ يَسْرُبُ سُرُوبًا إِذَا ظَهَرَ..

﴿بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ١٠] فِي ضَوْءِ النَّهَارِ، مُمْتَنِعًا بِجُنْدِهِ وَحَرَسِهِ.. لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ سِرُّ خَلْقِهِ وَعَلَانِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَتِرُ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَلَا يَخْفَىٰ.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾

[الرعد: ١١].

﴿لَهُۥ﴾ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُۥ﴾ مِنْ ذِكْرِ ﴿مَنْ﴾ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ﴾ [الرعد: ١٠]..

﴿مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ حَرَسُهُ وَجَلَاوِزَتُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَكَرَ قَوْمًا أَهْلَ مَعْصِيَةٍ لَهُ وَأَهْلَ رِيبَةٍ، يَسْتَخْفُونَ بِاللَّيْلِ وَيَظْهَرُونَ بِالنَّهَارِ، وَيَمْتَنِعُونَ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ بِحَرَسٍ يَحْرُسُهُمْ، وَمَنَعَةٍ تَمْنَعُهُمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَأْتُونَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِذَا أَرَادَ بِهِمْ سُوءًا لَمْ يَنْفَعْهُمْ حَرَسُهُمْ، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ حِفْظُهُمْ.. وَالتَّعْقِيبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْعَوْدُ بَعْدَ الْبَدْءِ، وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ الشَّيْءِ بَعْدَ الِانْصِرَافِ عَنْهُ، ومِنْه قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠]، أَيْ لَمْ يَرْجِعْ، وَأَتَاهَا التَّأْنِيثُ وَهِيَ مِنْ صِفَةِ الْحَرَسِ الَّذِي يَحْرُسُونَ الْمُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ وَالسَّارِبِ بِالنَّهَارِ؛ لِأَنَّهُ عُنِيَ بِهَا حَرَسٌ مُعَقِّبَةٌ، ثُمَّ جُمِعَتِ الْمُعَقِّبَةُ، فَقِيلَ: مُعَقِّبَاتٌ، فَذَلِكَ جَمْعُ جَمْعِ الْمُعَقِّبِ، وَالْمُعَقِّبُ: وَاحِدُ الْمُعَقِّبَةِ، وَالْمُعَقِّبَاتُ جَمْعُهَا، ثُمَّ قَالَ: يَحْفَظُونَهُ، فَرَدَّ الْخَبَرَ إِلَىٰ تَذْكِيرِ الْحَرَسِ وَالْجُنْدِ..

﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ أُولَئِكَ الْحَرَسُ الَّذِينَ يَتَعَقَّبُونَ هَذَا الْمُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ، وَهِيَ تَحْرُسُهُ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْهُ..

﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ مِنْ أَهْلِ طَاعَةِ اللهِ، أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يُقِيمُوا حَدَّ اللهِ عَلَيْهِ.. فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ حَرَسَهُ ذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا إِذَا جَاءَ أَمْرُهُ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ مِنْ عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ فَيُزِيلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَيُهْلِكَهُمْ..

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ مِنْ ذَلِكَ، بِظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَاعْتِدَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَتَحِلَّ بِهِمْ حِينَئِذٍ عُقُوبَتُهُ وَتَغْيِيرُهُ..

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ﴾ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَخْفُونَ بِاللَّيْلِ وَيَسْرَبُونَ بِالنَّهَارِ، لَهُمْ جُنْدٌ وَمَنَعَةٌ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ، يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ..

﴿سُوٓءٗا﴾ هَلَاكًا وَخِزْيًا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا..

﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ فَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ رَدِّ ذَلِكَ عَنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ..

﴿وَمَا لَهُم﴾ وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي ﴿لَهُم﴾ مِنْ ذِكْرِ الْقَوْمِ الَّذِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾..

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿مِن وَالٍ ⑪﴾ [الرعد: ١١] يَلِيهِمْ وَيَلِي أَمْرَهُمْ وَعُقُوبَتَهُمْ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ⑫﴾ [الرعد: ١٢].

﴿هُوَ﴾ الرَّبُّ..

﴿ٱلَّذِي يُرِيكُمُ﴾ يُرِي عِبَادَهُ..

﴿ٱلۡبَرۡقَ﴾ الْمَاءَ.. كَذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿خَوۡفٗا﴾ لِلْمُسَافِرِ فِي أَسْفَارِهِ، يَخَافُ أَذَاهُ وَمَشَقَّتَهُ..

﴿وَطَمَعٗا﴾ لِلْمُقِيمِ أَنْ يُمْطَرَ فَيَنْتَفِعَ، وَيَطْمَعُ فِي رِزْقِ اللهِ..

﴿وَيُنشِئُ﴾ وَيُثِيرُ، وَيُبْدِئُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَنْشَأَ اللهُ السَّحَابَ: إِذَا أَبْدَأَهُ، وَنَشَأَ السَّحَابُ: إِذَا بَدَأَ يَنْشَأُ نَشَأً..

﴿ٱلسَّحَابَ﴾ بِالْمَطَرِ..

﴿ٱلثِّقَالَ ⑫﴾ [الرعد: ١٢] الَّذِي فِيهِ الْمَاءُ.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ⑬﴾ [الرعد: ١٣].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ وَيُعَظِّمُ اللهَ الرَّعْدُ وَيُمَجِّدُهُ، فَيُثْنِي عَلَيْهِ بِصِفَاتِهِ، وَيُنَزِّهُهُ مِمَّا أَضَافَ إِلَيْهِ أَهْلُ الشِّرْكِ بِهِ، وَمِمَّا وَصَفُوهُ بِهِ مِنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، تَعَالَىٰ رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ..

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَةِ اللهِ وَرَهْبَتِهِ.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصَابَهُمُ اللهُ بِالصَّوَاعِقِ أَصَابَهُمْ فِي حَالِ خُصُومَتِهِمْ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ..

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ [الرعد: ١٣] وَاللهُ شَدِيدَةٌ مُمَاحَلَتُهُ فِي عُقُوبَةِ مَنْ طَغَىٰ عَلَيْهِ وَعَتَا وَتَمَادَىٰ فِي كُفْرِهِ.. وَالْمِحَالُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَاحَلْتُ فُلَانًا فَأَنَا أُمَاحِلُهُ، إِذَا عَرَّضَ رَجُلٌ رَجُلًا لِمَا يُهْلِكُهُ.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ [الرعد: ١٤].

﴿لَهُۥ﴾ للهِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ الدَّعْوَةُ الْحَقُّ، وَالدَّعْوَةُ هِيَ الْحَقُّ كَمَا أُضِيفَتِ الدَّارُ إِلَىٰ الْآخِرَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالدَّعْوَةِ الْحَقِّ: تَوْحِيدَ اللهِ، وَشَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ وَالْآلِهَةُ الَّتِي يَدْعُونَهَا الْمُشْرِكُونَ أَرْبَابًا وَآلِهَةً..

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾ لَا تُجِيبُ هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي يَدْعُوهَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً..

﴿لَهُم بِشَىْءٍ﴾ يُرِيدُونَهُ مِنْ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ..

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ لَا يَنْفَعُ دَاعِي الْآلِهَةِ دُعَاؤُهُ إِيَّاهَا، إِلَّا كَمَا يَنْفَعُ بَاسِطَ كَفَّيْهِ إِلَىٰ الْمَاءِ بَسْطُهُ إِيَّاهُمَا إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَيْهِ فِي إِنَاءٍ، وَلَكِنْ لِيَرْتَفِعَ إِلَيْهِ بِدُعَائِهِ إِيَّاهُ وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهِ وَقَبْضِهِ عَلَيْهِ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ لِمَنْ سَعَىٰ فِيمَا لَا يُدْرِكُهُ مَثَلًا بِالْقَابِضِ عَلَىٰ الْمَاءِ.. فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ، أَيْ هَذَا الَّذِي يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ هَذَا الْوَثَنَ وَهَذَا الْحَجَرَ، لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، وَلَا يَسُوقُ إِلَيْهِ خَيْرًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ سُوءًا، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، كَمَثَلِ هَذَا الَّذِي بَسَطَ ذِرَاعَيْهِ إِلَىٰ الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَلَا يَبْلُغُ فَاهُ وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَمُوتَ عَطَشًا..

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وَمَا دُعَاءُ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مَا يَدْعُو مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ..

﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ [الرعد: ١٤] إِلَّا فِي غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ وَلَا هُدَىٰ؛ لِأَنَّهُ يُشْرِكُ بِاللهِ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ۝١٥﴾ [الرعد: ١٥].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فَإِنِ امْتَنَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ للهِ شُرَكَاءَ مِنْ إِفْرَادِ الطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصِ بِالْعِبَادَةِ لَهُ، فَللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ..

﴿طَوْعًا﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿وَكَرْهًا﴾ فَأَمَّا الْكَافِرُونَ بِهِ فَإِنَّهُمْ يَسْجُدُونَ لَهُ كَرْهًا، حِينَ يُكْرَهُونَ عَلَىٰ السُّجُودِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَسْجُدُ طَائِعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَسْجُدُ كَارِهًا..

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ وَيَسْجُدُ أَيْضًا ظِلَالُ كُلِّ مَنْ سَجَدَ لِلهِ طَوْعًا وَكَرْهًا..

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥] بِالْغَدَوَاتِ وَالْعَشَايَا، وَذَلِكَ أَنَّ ظِلَّ كُلِّ شَخْصٍ فَإِنَّهُ يَفِيءُ بِالْعَشِيِّ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨].. وَالْآصَالُ: جَمْعُ أُصُلٍ، وَالْأُصُلُ: جَمْعُ أَصِيلٍ، وَالْأَصِيلُ: هُوَ الْعَشِيُّ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَمُدَبِّرُهَا، فَإِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ اللهُ..

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ: اللهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: رَبُّهَا الَّذِي خَلَقَهَا وَأَنْشَأَهَا، هُوَ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: فَإِذَا أَجَابُوكَ بِذَلِكَ فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا﴾ أَوْلِيَاءَ لَا تَمْلِكُ لِأَنْفُسِهَا نَفْعًا تَجْلِبُهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا..

﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تَدْفَعُهُ عَنْهَا، وَهِيَ إِذْ لَمْ تَمْلِكْ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهَا، فَمِنْ مِلْكِهِ لِغَيْرِهَا أَبْعَدُ، فَعَبَدْتُمُوهَا وَتَرَكْتُمْ عِبَادَةَ مَنْ بِيَدِهِ النَّفْعُ، وَالضَّرُّ، وَالْحَيَاةُ، وَالْمَوْتُ، وَتَدْبِيرُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَثَلًا، فَقَالَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا مِنْ دُونِ اللهِ الَّذِي بِيَدِهِ نَفْعُهُمْ وَضَرُّهُمْ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ..

﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، وَلَا يَهْتَدِي لِمَحَجَّةٍ يَسْلُكُهَا إِلَّا بِأَنْ يُهْدَىٰ..

﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ الَّذِي يَهْدِي الْأَعْمَىٰ لِمَحَجَّةِ الطَّرِيقِ الَّذِي لَا يُبْصِرُ؟ إِنَّهُمَا لَا شَكَّ لَغَيْرُ مُسْتَوِيَيْنِ يَقُولُ: فَكَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُبْصِرُ الْحَقَّ فَيَتَّبِعُهُ، وَيَعْرِفُ الْهُدَىٰ فَيَسْلُكُهُ؛ وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ لَا تَعْرِفُونَ حَقًّا، وَلَا تُبْصِرُونَ رُشْدًا..

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ وَهَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ الَّتِي لَا تُرَىٰ فِيهَا الْمَحَجَّةُ فَتُسْلَكُ وَلَا يُرَىٰ فِيهَا السَّبِيلُ فَيُرْكَبُ..

﴿وَٱلنُّورُ﴾ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ الْأَشْيَاءَ وَيَجْلُو ضَوْءُهُ الظَّلَامَ؟ يَقُولُ: إِنَّ هَذَيْنِ لَا شَكَّ لَغَيْرُ مُسْتَوِيَيْنِ، فَكَذَلِكَ الْكُفْرُ بِاللهِ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي حِيرَةٍ يَضْرِبُ أَبَدًا فِي غَمْرَةٍ لَا يَرْجِعُ مِنْهُ إِلَىٰ حَقِيقَةٍ، وَالْإِيمَانُ بِاللهِ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي ضِيَاءٍ يَعْمَلُ عَلَىٰ عِلْمٍ بِرَبِّهِ، وَمَعْرِفَةٍ مِنْهُ بِأَنَّ لَهُ مُثِيبًا يُثِيبُهُ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَمُعَاقِبًا يُعَاقِبُهُ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ، وَرَازِقًا يَرْزُقُهُ، وَنَافِعًا يَنْفَعُهُ..

﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَخَلَقَ أَوْثَانُكُمُ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ كَخَلْقِ اللهِ، فَاشْتَبَهَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهَا فِيمَا خَلَقَتْ وَخَلَقَ اللهُ، فَجَعَلْتُمُوهَا لَهُ شُرَكَاءَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، أَمْ إِنَّمَا بِكُمُ الْجَهْلُ وَالذَّهَابُ عَنِ الصَّوَابِ؟ فَإِنَّهُ لَا يَشْكِلُ عَلَىٰ ذِي عَقْلٍ أَنَّ عِبَادَةَ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ مِنَ الْفِعْلِ جَهْلٌ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ إِنَّمَا تَصْلُحُ لِلَّذِي يُرْجَىٰ نَفْعُهُ، وَيُخْشَىٰ ضَرُّهُ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُشْكِلٍ خَطَؤُهُ وَجَهْلُ فَاعِلِهِ، كَذَلِكَ لَا يُشْكِلُ جَهْلُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ مَنْ يَرْزُقُهُ وَيَكْفُلُهُ وَيَمُونُهُ، عِبَادَةَ مَنْ لَا يَقْدِرُ لَهُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ..

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا أَقَرُّوا لَكَ أَنَّ أَوْثَانَهُمُ الَّتِي أَشْرَكُوهَا فِي عِبَادَةِ اللهِ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا، فَـ..

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ اللهُ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ أَوْثَانِكُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَا وَجْهُ إِشْرَاكِكُمْ مَا لَا تَخْلُقُ وَلَا تَضُرُّ..

﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الْفَرْدُ الَّذِي لَا ثَانِيَ لَهُ..

﴿ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [الرعد: ١٦] الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْأُلُوهَةَ وَالْعِبَادَةَ، لَا الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ۝١٧﴾ [الرعد: ١٧].

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ وَالْكُفْرِ، فَمَثَلُ الْحَقِّ

فِي ثَبَاتِهِ وَالْبَاطِلِ فِي اضْمِحْلَالِهِ مَثَلُ مَاءٍ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ فَاحْتَمَلَتْهُ الْأَوْدِيَةُ بِمِلْئِهَا، الْكَبِيرُ بِكِبَرِهِ، وَالصَّغِيرُ بِصِغَرِهِ..

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ﴾ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ الَّذِي حَدَثَ عَنْ ذَلِكَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ زَبَدًا عَالِيًا فَوْقَ السَّيْلِ، فَهَذَا أَحَدُ مَثَلَي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَالْحَقُّ هُوَ الْمَاءُ الْبَاقِي الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ، وَالزَّبَدُ الَّذِي لَا يُنْتَفَعُ بِهِ هُوَ الْبَاطِلُ..

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ وَالْمَثَلُ الْآخَرُ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَثَلُ فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ يُوقِدُ عَلَيْهَا النَّاسُ فِي النَّارِ..

﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ طَلَبَ حِلْيَةٍ يَتَّخِذُونَهَا..

﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ وَذَلِكَ مِنَ النُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ، يُوقَدُ عَلَيْهِ لِيُتَّخَذَ مِنْهُ مَتَاعٌ يُنْتَفَعُ بِهِ..

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ زَبَدٌ مِثْلُهُ، بِمَعْنَىٰ: مِثْلُ زَبَدِ السَّيْلِ، لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَيَذْهَبُ بَاطِلًا، كَمَا لَا يُنْتَفَعُ بِزَبَدِ السَّيْلِ وَيَذْهَبُ بَاطِلًا، فَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ زَبَدٌ مِثْلُ زَبَدِ السَّيْلِ فِي بُطُولِ زَبَدِهِ، وَبَقَاءِ خَالِصِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا مَثَّلَ اللهُ الْإِيمَانَ وَالْكُفْرَ فِي بُطُولِ الْكُفْرِ وَخَيْبَةِ صَاحِبِهِ عِنْدَ مُجَازَاةِ اللهِ بِالْبَاقِي النَّافِعِ مِنْ مَاءِ السَّيْلِ وَخَالِصِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، كَذَلِكَ..

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ يُمَثِّلُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ..

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ الَّذِي عَلَا السَّيْلَ، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ وَالرَّصَاصُ عِنْدَ الْوَقُودِ عَلَيْهَا..

﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ بِدَفْعِ الرِّيَاحِ، وَقَذْفِ الْمَاءِ بِهِ، وَتَعَلُّقِهِ بِالْأَشْجَارِ وَجَوَانِبِ الْوَادِي..

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِنَ الْمَاءِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالرَّصَاصِ وَالنُّحَاسِ..

﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَالْمَاءُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ فَتَشْرَبُهُ، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ تَمْكُثُ لِلنَّاسِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا مَثَّلَ هَذَا الْمَثَلَ لِلْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ..

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧] كَذَلِكَ يُمَثِّلُ الْأَمْثَالَ.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨].

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ فَآمَنُوا بِهِ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ، وَأَطَاعُوهُ فَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، وَصَدَّقُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَإِنَّ لَهُمْ..

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وَهِيَ الْجَنَّةُ..

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَلَمْ يُطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رَسُولَهُ فَيُصَدِّقُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَـ..

﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِنْ شَيْءٍ..

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ مِلْكًا لَهُمْ، ثُمَّ مِثْلُ ذَلِكَ، وَقُبِلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بَدَلًا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَعِوَضًا..

﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ..

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا للهِ..

﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ كُلِّهَا، فَلَا يَغْفِرُ لَهُمْ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَكِنْ يُعَذِّبُهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا..

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وَمَسْكَنُهُمُ الَّذِي يَسْكُنُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٨﴾ [الرعد: ١٨] وَبِئْسَ الْفِرَاشُ وَالْوِطَاءُ جَهَنَّمُ، الَّتِي هِيَ مَأْوَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٩﴾ [الرعد: ١٩].

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ أَهَذَا الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ حَقٌّ، فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُصَدِّقُ وَيَعْمَلُ بِمَا فِيهِ..

﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ كَالَّذِي هُوَ أَعْمَىٰ فَلَا يَعْرِفُ مَوْقِعَ حُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِ بِهِ وَلَا يَعْلَمُ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ فَرَائِضِهِ..

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٩﴾ [الرعد: ١٩] إِنَّمَا يَتَّعِظُ بِآيَاتِ اللهِ، وَيَعْتَبِرُ بِهَا ذَوُو الْعُقُولِ، وَهِيَ الْأَلْبَابُ، وَاحِدُهَا: لُبٌّ.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ۝٢٠﴾ [الرعد: ٢٠].

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ إِنَّمَا يَتَّعِظُ وَيَعْتَبِرُ بِآيَاتِ اللهِ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِوَصِيَّةِ اللهِ الَّتِي أَوْصَاهُمْ..

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ۝٢٠﴾ [الرعد: ٢٠] وَلَا يُخَالِفُونَ الْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ خِلَافِهِ، فَيَعْمَلُوا بِغَيْرِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَيُخَالِفُوا إِلَىٰ مَا نَهَىٰ عَنْهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(فَعَلَيْكُمْ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَلَا تَنْقُضُوا هَذَا الْمِيثَاقَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ نَهَىٰ وَقَدَّمَ فِيهِ أَشَدَّ التَّقْدِمَةِ، فَذَكَرَهُ فِي بِضْعٍ وَعِشْرِينَ**

مَوْضِعًا، نَصِيحَةً لَكُمْ وَتَقْدِمَةً إِلَيْكُمْ وَحُجَّةً عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا يَعْظُمُ الْأَمْرُ بِمَا عَظَّمَهُ اللهُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ، فَعَظِّمُوا مَا عَظَّمَ اللهُ).

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١].

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ الرَّحِمَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِوَصْلِهَا فَلَا يَقْطَعُونَهَا..

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وَيَخَافُونَ اللهَ فِي قَطْعِهَا أَنْ يَقْطَعُوهَا، فَيُعَاقِبُهُمْ عَلَىٰ قَطْعِهَا وَعَلَىٰ خِلَافِهِمْ أَمْرِهِ فِيهَا..

﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١] وَيَحْذَرُونَ مُنَاقَشَةَ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الْحِسَابِ، ثُمَّ لَا يَصْفَحُ لَهُمْ عَنْ ذَنْبٍ، فَهُمْ لِرَهْبَتِهِمْ ذَلِكَ جَادُّونَ فِي طَاعَتِهِ، مُحَافِظُونَ عَلَىٰ حُدُودِهِ.. قَالَ إِبْرَاهِيمُ النخعي: (سُوءُ الْحِسَابِ أَنْ يُحَاسِبَ مَنْ لا يَغْفِرُ لَهُ، يُحَاسَبُ الْعَبْدُ بِذَنْبِهِ كُلِّهِ، لا يُغْفَرُ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ).

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢].

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللهِ وَتَرْكِ نَقْضِ الْمِيثَاقِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (فَصَبْرٌ للهِ عَلَىٰ مَا أَحَبَّ وَإِنْ ثَقُلَ عَلَىٰ الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ، وَصَبْرٌ عَمَّا يَكْرَهُ وَإِنْ نَازَعَتْ إِلَيْهِ الْأَهْوَاءُ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَقَرَأَ: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾)..

﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ طَلَبَ تَعْظِيمِ اللهِ، وَتَنْزِيهًا لَهُ أَنْ يُخَالِفَ فِي أَمْرِهِ، أَوْ يَأْتِي أَمْرًا كَرِهَ إِتْيَانَهُ فَيَعْصِيهِ بِهِ..

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وَأَدُّوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا..

﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ وَأَدُّوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ زَكَاتَهَا الْمَفْرُوضَةَ، وَأَنْفَقُوا مِنْهَا فِي السُّبُلِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِالنَّفَقَةِ فِيهَا، سِرًّا فِي خَفَاءٍ، وَعَلَانِيَةً فِي الظَّاهِرِ..

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ وَيَدْفَعُونَ إِسَاءَةَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّاسِ، بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ..

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢] هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ هُمُ الَّذِينَ لَهُمْ عُقْبَىٰ الدَّارِ، يَقُولُ: هُمُ الَّذِينَ أَعْقَبَهُمُ اللهُ دَارَ الْجِنَانِ مِنْ دَارِهِمِ الَّتِي لَوْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ كَانَتْ لَهُمْ فِي النَّارِ، فَأَعْقَبَهُمُ اللهُ مِنْ تِلْكَ هَذِهِ.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣﴾ [الرعد: ٢٣].

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ تَرْجَمَةٌ عَنْ عُقْبَىٰ الدَّارِ، كَمَا يُقَالُ: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، فَعَبْدُ اللهِ هُوَ الرَّجُلُ الْمَقُولُ لَهُ: نِعْمَ الرَّجُلُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: أُولَئِكَ لَهُمْ عَقِيبَ طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمُ الدَّارُ الَّتِي هِيَ جَنَّاتُ عَدْنٍ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿عَدۡنٖ﴾، وَأَنَّهُ بِمَعْنَىٰ الْإِقَامَةِ الَّتِي لَا ظَعْنَ مَعَهَا..

﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُهَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَفَعَلُوا الْأَفْعَالَ الَّتِي ذَكَرَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَزْوَاجِهِمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَصَلَاحُهُمْ إِيمَانُهُمْ بِاللهِ، وَاتِّبَاعُهُمْ أَمْرَهُ، وَأَمْرَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم﴾ وَتَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣﴾ [الرعد: ٢٣] مِنْهَا، يَقُولُونَ لَهُمْ.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٤].

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّكُمْ فِي الدُّنْيَا.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(صَبَرُوا عَمَّا كَرِهَ اللهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا ثَقُلَ عَلَيْهِمْ وَأَحَبَّهُ اللهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ)**..

﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٤] وَذُكِرَ أَنَّ لِجَنَّاتِ عَدْنٍ خَمْسَةَ آلَافِ بَابٍ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: **(إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا يُقَالُ لَهُ عَدْنٌ، حَوْلَهُ الْبُرُوجُ وَالْمُرُوجُ، فِيهِ خَمْسَةُ آلَافِ بَابٍ، عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ خَمْسَةُ آلَافِ حِبَرَةٍ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ)**.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد: ٢٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ.. وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ: خِلَافُهُمْ أَمْرَ اللهِ، وَعَمَلُهُمْ بِمَعْصِيَتِهِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا وَثَّقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ للهِ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِمْ..

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وَيَقْطَعُونَ الرَّحِمَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِوَصْلِهَا..

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَسَادُهُمْ فِيهَا: عَمَلُهُمْ بِمَعَاصِي اللهِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ فَهَؤُلَاءِ لَهُمُ اللَّعْنَةُ، وَهِيَ الْبُعْدُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَالْإِقْصَاءُ مِنْ جِنَانِهِ..

﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد: ٢٥] وَلَهُمْ مَا يَسُوءُهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.. وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: (سَأَلْتُ أَبِي عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤] أَهُمُ الْحَرُورِيَّةُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْحَرُورِيَّةَ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾، فَكَانَ سَعْدٌ يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ).

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ۝٢٦﴾ [الرعد: ٢٦].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ اللهُ يُوَسِّعُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فِي رِزْقِهِ، فَيَبْسُطُ لَهُ مِنْهُ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ذَلِكَ..

﴿وَيَقْدِرُ﴾ وَيَقْتُرُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فِي رِزْقِهِ وَعَيْشِهِ، فَيُضَيِّقُهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْإِقْتَارُ..

﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَفَرِحَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَسَطَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الرِّزْقِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا بَسَطَ لَهُمْ فِيهَا، وَجَهِلُوا مَا عِنْدَ اللهِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قَدْرِ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا فِيمَا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ وَأَعْلَمَ عِبَادَهُ قِلَّتَهُ، فَقَالَ..

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ۝٢٦﴾ [الرعد: ٢٦] وَمَا جَمِيعُ مَا أَعْطَىٰ هَؤُلَاءِ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّعَةِ، وَبَسَطَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الرِّزْقِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ فِيمَا عِنْدَ اللهِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَشَيْءٌ حَقِيرٌ ذَاهِبٌ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧﴾ [الرعد: ٢٧].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَيَقُولُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ..

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْكَ آيَةٌ مِنْ رَبِّكَ، إِمَّا مَلَكٌ يَكُونُ مَعَكَ نَذِيرًا، أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ كَنْزٌ، فـ..

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مِنْكُمْ مَنْ يَشَاءُ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَيَخْذُلُهُ عَنْ تَصْدِيقِي وَالْإِيمَانِ بِمَا جِئْتُهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي..

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] فَرَجَعَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْ كُفْرِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَيُوَفِّقُهُ لِاتِّبَاعِي وَتَصْدِيقِي بِهِ عَلَىٰ مَا جِئْتُهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَلَيْسَ ضَلَالُ مَنْ يَضِلَّ مِنْكُمْ بِأَنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ آيَةٌ مِنْ رَبِّي، وَلَا هِدَايَةُ مَنْ يَهْتَدِي مِنْكُمْ بِأَنَّهَا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِيَدِ اللهِ، يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ لِلْإِيمَانِ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ فَلَا يُؤْمِنُ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ بِالتَّوْبَةِ الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وَتَسْكُنُ قُلُوبُهُمْ وَتَسْتَأْنِسُ بِذِكْرِ اللهِ..

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَسْكُنُ وَتَسْتَأْنِسُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ الْعَمَلُ بِمَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: نِعْمَ مَا لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ غِبْطَةٌ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: فَرَحٌ وَقُرَّةُ عَيْنٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: حُسْنَىٰ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: خَيْرٌ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْجَنَّةِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: الْجَنَّةُ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩] وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِىٓ أُمَّةٍ﴾ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، يَعْنِي إِلَىٰ جَمَاعَةٍ..

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا جَمَاعَاتٌ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، فَمَضَتْ..

﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ لِتُبَلِّغَهُمْ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ وَحْيِي الَّذِي أَوْحَيْتُهُ إِلَيْكَ..

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وَهُمْ يَجْحَدُونَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَيُكَذِّبُونَ بِهَا..

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ إِنْ كَفَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ بِالرَّحْمَنِ فَقُلْ: أَنْتَ اللهُ رَبِّي..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد: ٣٠] وَإِلَيْهِ مَرْجِعِي وَأَوْبَتِي، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: تُبْتُ مَتَابًا وَتَوْبَةً.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١﴾ [الرعد: ٣١].

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ سِوَى هَذَا الْقُرْآنِ كَانَ..

﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ لَسُيِّرَ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ لَقُطِّعَتْ بِهَذَا..

﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لَكُلِّمَ بِهَذَا، وَلَوْ يُفْعَلُ بِقُرْآنٍ قَبْلَ هَذَا الْقُرْآنِ لَفُعِلَ بِهَذَا..

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الْإِيمَانِ فَيُوَفِّقُهُ لَهُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ..

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ إِذْ طَمِعُوا فِي إِجَابَتِي مَنْ سَأَلَ نَبِيَّهِمْ مِنْ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ عَنْهُمْ وَتَقْرِيبِ أَرْضِ الشَّامِ عَلَيْهِمْ وَإِحْيَاءِ مَوْتَاهُمْ..

﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ مِنْ غَيْرِ إِيجَادِ آيَةٍ وَلَا إِحْدَاثِ شَيْءٍ مِمَّا سَأَلُوا إِحْدَاثَهُ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَمَا مَعْنَى مَحَبَّتِهِمْ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ الْهِدَايَةَ وَالْإِهْلَاكَ إِلَيَّ وَبِيَدِي، أَنْزَلْتُ آيَةً أَوْ لَمْ أُنْزِلْهَا، أَهْدِي مَنْ أَشَاءُ بِغَيْرِ إِنْزَالِ آيَةٍ، وَأُضِلُّ مَنْ أَرَدْتُ مَعَ إِنْزَالِهَا..

﴿وَلَا يَزَالُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟﴾ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَإِخْرَاجِهِمْ لَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿قَارِعَةٌ﴾ وَهِيَ مَا يُقْرِعُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ وَالنِّقَمِ، بِالْقَتْلِ أَحْيَانًا، وَبِالْحُرُوبِ أَحْيَانًا، وَالْقَحْطِ أَحْيَانًا..

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ وتَنْزِلُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ بِجَيْشِكَ وَأَصْحَابِكَ..

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي وَعَدَكَ فِيهِمْ، وَذَلِكَ ظُهُورُكَ عَلَيْهِمْ، وَفَتْحُكَ أَرْضَهُمْ، وَقَهْرُكَ إِيَّاهُمْ بِالسَّيْفِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١﴾ [الرعد: ٣١] إِنَّ اللهَ مُنْجِزُكَ يَا مُحَمَّدُ مَا وَعَدَكَ مِنَ الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٣٢﴾ [الرعد: ٣٢].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ يَسْتَهْزِئْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، وَيَطْلُبُوا مِنْكَ الْآيَاتِ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَاصْبِرْ عَلَىٰ أَذَاهُمْ لَكَ، وَامْضِ لِأَمْرِ رَبِّكَ فِي إِعْذَارِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَلَقَدِ اسْتَهْزَأَتْ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكَ قَدْ خَلَتْ فَمَضَتْ بِرُسُلِي..

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فَأَطَلْتُ لَهُمْ فِي الْمَهَلِ، وَمَدَدْتُ لَهُمْ فِي الْأَجَلِ.. وَالْإِمْلَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْإِطَالَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: تَمَلَّيْتُ حِينًا، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ: (**الْمَلَوَانِ**) لِطُولِهِمَا..

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ﴾ ثُمَّ أَحْلَلْتُ بِهِمْ عَذَابِي وَنِقْمَتِي حِينَ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ..

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٣٢﴾ [الرعد: ٣٢] فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابِي إِيَّاهُمْ حِينَ عَاقَبْتُهُمْ، أَلَمْ أُذِقْهُمْ أَلِيمَ الْعَذَابِ، وَأَجْعَلْهُمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ [الرعد: ٣٣].

﴿أَفَمَنْ هُوَ﴾ أَفَالرَّبُّ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ لَا يَبِيدُ وَلَا يَهْلِكُ..

﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾ قَائِمٌ بِحِفْظِ أَرْزَاقِ جَمِيعِ الْخَلْقِ، مُتَضَمِّنٌ لَهَا، عَالِمٌ بِهِمْ وَبِمَا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ أَيْنَمَا كَانُوا، كَمَنْ هُوَ هَالِكٌ بَائِدٌ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَفْهَمُ شَيْئًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا عَمَّنْ يَعْبُدُهُ ضَرًّا، وَلَا يَجْلِبُ إِلَيْهِمَا نَفْعًا؟ كِلَاهُمَا سَوَاءٌ؟ وَحُذِفَ الْجَوَابُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يُقَلْ، وَقَدْ قِيلَ ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾

كَذَا وَكَذَا، اكْتِفَاءً بِعِلْمِ السَّامِعِ بِمَا ذُكِرَ عَمَّا تُرِكَ ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ عُلِمَ أَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ كَشُرَكَائِهِمُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا آلِهَةً..

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَنَا الْقَائِمُ بِأَرْزَاقِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ، وَالْحَافِظُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَجَعَلُوا لِي شُرَكَاءَ مِنْ خَلْقِي يَعْبُدُونَهَا دُونِي، قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: سَمُّوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكْتُمُوهُمْ فِي عِبَادَةِ اللهِ..

﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أَتُخْبِرُونَهُ بِأَنَّ فِي الْأَرْضِ إِلَهًا، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ..

﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ فَإِنَّهُمْ إِنْ قَالُوا آلِهَةً فَقَدْ كَذَبُوا؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ مَا للهِ مِنْ شَرِيكٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ زُيِّنَ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا مَكْرُهُمْ، وَذَلِكَ افْتِرَاؤُهُمْ وَكَذِبُهُمْ عَلَى اللهِ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: (مَعْنَى الْمَكْرُ هَهُنَا: الْقَوْلُ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَوْلُهُمْ بِالشِّرْكِ بِاللهِ)..

﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ فَإِنَّ الْقُرَّاءَ اخْتَلَفَتْ فِي قِرَاءَتِهِ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الرعد: ٣٣] بِضَمِّ الصَّادِ، بِمَعْنَىٰ: وَصَدَّهُمُ اللهُ عَنْ سَبِيلِهِ لِكُفْرِهِمْ بِهِ، ثُمَّ جُعِلَتِ الصَّادُ مَضْمُومَةً، إِذْ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.. وَأَمَّا عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ، فَقَرَءُوهُ بِفَتْحِ الصَّادِ، عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ صَدُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَئِمَّةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ كَانُوا مَصْدُودِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَانُوا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُمْ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦]..

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ [الرعد: ٣٣] وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ بِخُذْلَانِهِ إِيَّاهُ، فَمَا لَهُ أَحَدٌ يَهْدِيهِ لِإِصَابَتِهِمَا، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَالُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ وَمَعُونَتِهِ، وَذَلِكَ بِيَدِ اللهِ وَإِلَيْهِ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاهُ.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤﴾ [الرعد: ٣٤].

﴿لَّهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْإِسَارِ وَالْآفَاتِ الَّتِي يُصِيبُهُمُ اللهُ بِهَا..

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ وَلَتَعْذِيبُ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ تَعْذِيبِهِ إِيَّاهُمْ فِي

الدُّنْيَا وَأَشَقُّ..

﴿وَمَا لَهُم﴾ وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ أَحَدٍ يَقِيهِمْ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا عَذَّبَهُمْ..

﴿مِن وَاقٍ ٣٤﴾ [الرعد: ٣٤] لَا حَمِيمٌ وَلَا وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَا يُعَادِهِ أَحَدٌ فَيَقْهَرَهُ فَيُخَلِّصُهُ مِنْ عَذَابِهِ بِالْقَهْرِ، وَلَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَيْسَ يَأْذَنُ لِأَحَدٍ فِي الشَّفَاعَةِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ فَمَاتَ عَلَىٰ كُفْرِهِ قَبْلَ التَّوْبَةِ مِنْهُ.

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد: ٣٥].

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صِفَةُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، مَعْنَاهُ: وَللهِ الصِّفَةُ الْعُلْيَا..

﴿ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا﴾ مَا يُؤْكَلُ فِيهَا..

﴿دَآئِمٌ﴾ هُوَ دَائِمٌ لِأَهْلِهَا، لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ، وَلَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ، وَلَكِنَّهُ ثَابِتٌ إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿وَظِلُّهَا﴾ أَيْضًا دَائِمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا شَمْسَ فِيهَا.

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ عَاقِبَةَ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ، فَاجْتَنَبُوا مَعَاصِيهِ، وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ..

﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد: ٣٥] وَعَاقِبَةُ الْكَافِرِينَ بِاللهِ النَّارُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد: ٣٦].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَالَّذِينَ أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكِتَابَ مِمَّنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ مِنْهُ..

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُتَحَزِّبِينَ عَلَيْكَ، وَهُمْ أَهْلُ أَدْيَانٍ شَتَّىٰ..

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ..

﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ فَأَجْعَلَ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِي، فَأَعْبُدُ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، بَلْ أُخْلِصُ لَهُ الدِّينَ حَنِيفًا مُسْلِمًا..

﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ أَدْعُو النَّاسَ..

﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد: ٣٦] وَإِلَيْهِ مَصِيرِي، وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: آبَ يَئُوبُ أَوْبًا وَمَآبًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧﴾ [الرعد: ٣٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْكَرَهُ بَعْضُ الْأَحْزَابِ، كَذَلِكَ أَيْضًا..

﴿أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أَنْزَلْنَا الْحُكْمَ وَالدِّينَ حُكْمًا عَرَبِيًّا، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَرَبِيًّا، وَوَصَفَهُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ عَرَبِيٌّ، فَنُسِبَ الدِّينُ إِلَيْهِ إِذْ كَانَ عَلَيْهِ أُنْزِلَ، فَكَذَّبَ بِهِ الْأَحْزَابُ، ثُمَّ نَهَاهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ تَرْكِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَاتِّبَاعِ الْأَحْزَابِ، وَتَهَدَّدَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِنْ فَعَلَهُ، فَقَالَ..

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَهْوَآءَهُم﴾ أَهْوَاءَ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابِ وَرِضَاهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ، وَانْتَقَلْتَ مِنْ دِينِكَ إِلَىٰ دِينِهِمْ..

﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ﴾ مَا لَكَ مَنْ يَقِيكَ..

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِنْ عَذَّبَكَ عَلَىٰ اتِّبَاعِكَ أَهْوَاءَهُمْ..

﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧﴾ [الرعد: ٣٧] وَمَا لَكَ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكَ فَيَسْتَنْقِذَكَ مِنَ اللهِ إِنْ هُوَ عَاقَبَكَ، يَقُولُ: فَاحْذَرْ أَنْ تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [الرعد: ٣٨].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ إِلَىٰ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ أُمَّتِكَ..

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ بَشَرًا مِثْلَكَ، لَهُمْ أَزْوَاجٌ يَنْكِحُونَ..

﴿وَذُرِّيَّةً﴾ أَنْسَلُوهُمْ، وَلَمْ نَجْعَلْهُمْ مَلَائِكَةً لَا يَأْكُلُونَ، وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْكِحُونَ، فَنَجْعَلُ الرَّسُولَ إِلَىٰ قَوْمِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِثْلَهُمْ، وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ مَنْ

قَبْلِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ بَشَرًا مِثْلَهُمْ..
﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ وَمَا يَقْدِرُ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ..
﴿أَن يَأْتِيَ﴾ أُمَّتَهُ..
﴿بِـَٔايَةٍ﴾ وَعَلَامَةٍ، مِنْ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ، وَنَقْلِ بَلْدَةٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ..
﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ الْجِبَالَ بِالسَّيْرِ، وَالْأَرْضَ بِالِانْتِقَالِ، وَالْمَيِّتَ بِأَنْ يَحْيَا..
﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [الرعد: ٣٨] لِكُلِّ أَجَلٍ أَمْرٌ قَضَاهُ اللهُ كِتَابٌ قَدْ كَتَبَهُ، فَهُوَ عِنْدَهُ، وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَاهُ: لِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ أَجَلٌ، وَهَذَا عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقْرَأُهَا: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ)، وَذَلِكَ أَنَّ سَكْرَةَ الْمَوْتِ تَأْتِي بِالْحَقِّ، وَالْحَقُّ يَأْتِي بِهَا، فَكَذَلِكَ الْأَجَلُ لَهُ كِتَابٌ، وَلِلْكِتَابِ أَجَلٌ.

﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٩].

﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ تَوَعَّدَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْآيَاتِ بِالْعُقُوبَةِ وَتَهَدَّدَهُمْ بِهَا وَقَالَ لَهُمْ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [الرعد: ٣٨]، يُعْلِمُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّ لِقَضَائِهِ فِيهِمْ أَجَلًا مُثْبَتًا فِي كِتَابٍ هُمْ مُؤَخَّرُونَ إِلَىٰ وَقْتِ مَجِيءِ ذَلِكَ الْأَجَلِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْأَجَلُ يَجِيءُ اللهُ بِمَا شَاءَ مِمَّنْ قَدْ دَنَا أَجَلُهُ، وَانْقَطَعَ رِزْقُهُ، أَوْ حَانَ هَلَاكُهُ، أَوِ اتِّضَاعُهُ مِنْ رِفْعَةٍ، أَوْ هَلَاكِ مَالٍ، فَيَقْضِي ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ، فَذَلِكَ مَحْوُهُ..
﴿وَيُثْبِتُ﴾ مَا شَاءَ مِمَّنْ بَقِيَ أَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَأَكْلُهُ، فَيَتْرُكُهُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا يَمْحُوهُ..
﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٩] وَعِنْدَهُ أَصْلُ الْكِتَابِ وَجُمْلَتُهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ فَكَانَ بَيِّنًا أَنَّ مَعْنَاهُ: وَعِنْدَهُ أَصْلُ الْمُثْبَتِ مِنْهُ وَالْمَمْحُوِّ وَجُمْلَتُهُ، فِي كِتَابٍ لَدَيْهِ.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾
[الرعد: ٤٠].

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ فِي حَيَاتِكَ..
﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنَ الْعِقَابِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..
﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبْلَ أَنْ نُرِيَكَ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّكَ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَتَهُ، لَا طَلَبُ صَلَاحِهِمْ وَلَا فَسَادِهِمْ..

﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝﴾ [الرعد: ٤٠] وَعَلَيْنَا مُحَاسَبَتُهُمْ فَمُجَازَاتُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝﴾ [الرعد: ٤١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ بِظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَيْهَا، وَقَهْرِهِمْ أَهْلَهَا، أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ بِذَلِكَ فَيَخَافُونَ ظُهُورَهُمْ عَلَىٰ أَرْضِهِمْ وَقَهْرَهُمْ إِيَّاهُمْ؟ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَوَعَّدَ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَهُ الْآيَاتِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝﴾ [الرعد: ٤٠]، ثُمَّ وَبَّخَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِسُوءِ اعْتِبَارِهِمْ مَا يُعَايِنُونَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِضُرَبَائِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْأَلُونَ الْآيَاتِ، فَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ بِقَهْرِ أَهْلِهَا، وَالْغَلَبَةِ عَلَيْهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَجَوَانِبِهَا، وَهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ بِمَا يَرَوْنَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَٱللَّهُ﴾ هُوَ الَّذِي..

﴿يَحْكُمُ﴾ فَيُنَفِّذُ حُكْمَهُ، وَيَقْضِي فَيَمْضِي قَضَاؤُهُ، وَإِذَا جَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ حُكْمُ اللهِ وَقَضَاؤُهُ لَمْ يَسْتَطِيعُوا رَدَّهُ..

﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَالْمُعَقِّبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ الَّذِي يَكُرُّ عَلَىٰ الشَّيْءِ..

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝﴾ [الرعد: ٤١] يُحْصِي أَعْمَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ جَزَائِهِمْ عَلَيْهَا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝﴾ [الرعد: ٤٢].

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَلَفَتْ بِأَنْبِيَاءَ اللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ﴾ فللهِ أَسْبَابُ الْمَكْرِ جمِيعًا، وَبِيَدِهِ وَإِلَيْهِ، لَا يَضُرُّ مَكْرُ مَنْ مَكَرَ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَرَادَ ضُرَّهُ بِهِ، يَقُولُ: فَلَمْ يَضُرَّ الْمَاكِرُونَ بِمَكْرِهِمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا ضَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَسْخَطُوا رَبَّهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ أَهْلَكَهُمْ وَنَجَّىٰ رُسُلَهُ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ يَمْكُرُونَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَاللهُ مُنْجِيكَ مِنْ مَكْرِهِمْ، وَمُلْحِقٌ ضَرَّ مَكْرِهِمْ بِهِمْ دُونَكَ..

﴿يَعْلَمُ﴾ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ﴾ مَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، وَمَا يَسْعَوْنَ فِيهِ مِنَ الْمَكْرِ بِكَ، وَيَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا..

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ وَسَيَعْلَمُونَ إِذَا قَدِمُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾ [الرعد: ٤٢] لِمَنْ عَاقِبَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ حِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، وَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْجَنَّةَ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾ [الرعد: ٤٣].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَسْتَ مُرْسَلٗاۚ﴾ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ لَكَ، وَجُحُودًا لِنُبُوَّتِكَ، فَـ..

﴿قُلۡ﴾ لَهُمْ إِذَا قَالُوا ذَلِكَ..

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ..

﴿شَهِيدَۢا﴾ شَاهِدًا..

﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ بِصِدْقِي وَكَذِبِكُمْ..

﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ وَالَّذِينَ عِنْدَهُمْ..

﴿عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾ [الرعد: ٤٣] الْكُتُبُ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ الْقُرْآنِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانُوا يَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ وَيُقِرُّونَ بِهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ)**.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الرَّعْدِ

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ (١٤)
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

تَفْسِيرُ سُوْرَةِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾ [إبراهيم: ١].

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ لِتَهْدِيهِمْ بِهِ.. وَأَضَافَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِخْرَاجَ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ لَهُمْ بِذَلِكَ، إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، وَهُوَ الْهَادِي خَلْقَهُ وَالْمُوَفِّقُ مَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ؛ إِذْ كَانَ مِنْهُ دُعَاؤُهُمْ إِلَيْهِ، وَتَعْرِيفُهُمْ مَا لَهُمْ فِيهِ وَعَلَيْهِمْ، فَبَيَّنَ بِذَلِكَ صِحَّةَ قَوْلِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ الَّذِينَ أَضَافُوا أَفْعَالَ الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَسْبًا، وَإِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنْشَاءً وَتَدْبِيرًا، وَفَسَادُ قَوْلِ أَهْلِ الْقَدَرِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ للهِ فِي ذَلِكَ صُنْعٌ..

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ مِنْ ظُلُمَاتِ الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ..

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إِلَىٰ نُورِ الْإِيمَانِ وَضِيَائِهِ، وَتُبَصِّرُ بِهِ أَهْلَ الْجَهْلِ وَالْعَمَىٰ سُبُلَ الرَّشَادِ وَالْهُدَىٰ..

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بِتَوْفِيقِ رَبِّهِمْ لَهُمْ بِذَلِكَ وَلُطْفِهِ بِهِمْ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾ [إبراهيم: ١] إِلَىٰ طَرِيقِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ دِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ وَشَرَعَهُ لِخَلْقِهِ.. وَالْحَمِيدُ: الْمَحْمُودُ بِآلَائِهِ.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ②﴾ [إبراهيم: ٢].

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ اللهُ الَّذِي يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ لِتَدْعُوَ عِبَادِي إِلَىٰ عِبَادَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَيَدَعُوا عِبَادَةَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، ثُمَّ تَوَعَّدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ

كَفَرَ بِهِ وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعَاءِ رَسُولِهِ إِلَىٰ مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ، فَقَالَ..

﴿وَوَيْلٌ﴾ الْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ..

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ لِمَنْ جَحَدَ وَحْدَانِيَّتَهُ وَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ..

﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ [إبراهيم: ٢] مِنْ عَذَابِ اللهِ الشَّدِيدِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾ [إبراهيم: ٣].

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ..

﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وَمَتَاعَهَا، وَمَعَاصِي اللهِ فِيهَا..

﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ رِضَاهُ، مِنَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ﴾ وَيَمْنَعُونَ مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ..

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ وَيَلْتَمِسُونَ سَبِيلَ اللهِ، وَهِيَ دِينُهُ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ..

﴿عِوَجًاۚ﴾ تَحْرِيفًا وَتَبْدِيلًا بِالْكَذِبِ وَالزُّورِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ..

﴿فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾ [إبراهيم: ٣] هُمْ فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ بَعِيدٍ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ، وَجَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَبْلِكَ وَمِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ..

﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ إِلَّا بِلِسَانِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهَا وَلُغَتِهِمْ..

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ لِيُفْهِمَهُمْ مَا أَرْسَلَهُ اللهُ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لِيُثْبِتَ حُجَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ التَّوْفِيقُ وَالْخِذْلَانُ بِيَدِ اللهِ..

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ فَيَخْذِلَ عَنْ قَبُولِ مَا أَتَاهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ..

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وَيُوَفِّقُ لِقَبُولِهِ مَنْ شَاءَ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ مِمَّا أَرَادَهُ مِنْ ضَلَالٍ أَوْ هِدَايَةٍ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ بِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤] فِي تَوْفِيقِهِ لِلْإِيمَانِ مَنْ وَفَّقَهُ لَهُ وَهِدَايَتُهُ لَهُ مَنْ هَدَاهُ إِلَيْهِ، وَفِي إِضْلَالِهِ مَنْ أَضَلَّ عَنْهُ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم: ٥].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بِأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ، كَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَىٰ قَوْمِكَ بِمِثْلِهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ..

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْكِتَابَ، لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ..

﴿وَذَكِّرْهُم﴾ وَعِظْهُمْ..

﴿بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ بِمَا سَلَفَ مِنْ نِعَمِي عَلَيْهِمْ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي خَلَتْ، فَاجْتُزِئَ بِذِكْرِ الْأَيَّامِ مِنْ ذِكْرِ النِّعَمِ الَّتِي عَنَاهَا؛ لِأَنَّهَا أَيَّامٌ كَانَتْ مَعْلُومَةٌ عِنْدَهُمْ، أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا نِعَمًا جَلِيلَةً، أَنْقَذَهُمْ فِيهَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ بَعْدَ مَا كَانُوا فِيمَا كَانُوا مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، وَغَرَّقَ عَدُوَّهُمْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي سَلَفَتْ بِنِعَمِي عَلَيْهِمْ، يَعْنِي عَلَىٰ قَوْمِ مُوسَىٰ..

﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لَعِبَرًا وَمَوَاعِظَ..

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم: ٥] لِكُلِّ ذِي صَبْرٍ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَشُكْرٍ لَهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ [إبراهيم: ٦].

﴿وَإِذْ﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ بْنُ عِمْرَانَ..

﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ..

﴿إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ حِينَ أَنْجَاكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِ فِرْعَوْنَ وَطَاعَتِهِ..

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يُذِيقُونَكُمْ شَدِيدَ الْعَذَابِ..

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أُدْخِلَتِ الْوَاوُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّهُ أُرِيدَ الْخَبَرُ عَنْ أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ غَيْرِ التَّذْبِيحِ وَبِالتَّذْبِيحِ، وَأَمَّا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ جَاءَ بِغَيْرِ الْوَاوِ: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، فِي مَوْضِعٍ، وَفِي مَوْضِعٍ: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وَلَمْ تَدْخُلِ الْوَاوُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْ فِيهَا لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِقَوْلِهِ: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، وَبِقَوْلِهِ: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ تَبْيِينُهُ صِفَاتِ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا يَسُومُونَهُمْ، وَكَذَلِكَ الْعَمَلُ فِي كُلِّ جُمْلَةٍ أُرِيدَ تَفْصِيلُهَا فَبِغَيْرِ (الْوَاوِ) تَفْصِيلُهَا، وَإِذَا أُرِيدَ الْعَطْفُ عَلَيْهَا بِغَيْرِهَا وَغَيْرِ تَفْصِيلِهَا فَبِـ(الْوَاوِ)..

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ وَيُبْقُونَ نِسَاءَكُمْ فَيَتْرُكُونَ قَتْلَهُنَّ، وَذَلِكَ اسْتِحْيَاؤُهُمْ كَانَ إِيَّاهُنَّ..

﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ وَفِيمَا يَصْنَعُ بِكُمْ آلُ فِرْعَوْنَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ..

﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ [إبراهيم: ٦] ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ، وَقَدْ يَكُونُ الْبَلَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَعْمَاءَ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهُ: مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي قَدْ يُصِيبُ النَّاسَ فِي الشَّدَائِدِ وَغَيْرِهَا.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾

[إبراهيم: ٧].

﴿وَإِذْ﴾ اذْكُرُوا أَيْضًا حِينَ..

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ آذَنَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ رَبَّكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فِي أَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، وَنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، عَلَىٰ مَا قَدْ أَعْطَاكُمْ مِنَ النَّجَاةِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَالْخَلَاصِ مِنْ عَذَابِهِمْ..

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ نِعْمَةَ اللهِ، فَجَحَدْتُمُوهَا، بِتَرْكِ شُكْرِهِ عَلَيْهَا، وَخِلَافِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَرُكُوبِكُمْ مَعَاصِيهِ..

﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧] أُعَذِّبُكُمْ كَمَا أُعَذِّبُ مَنْ كَفَرَ بِي مِنْ خَلْقِي.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾
[إبراهيم: ٨].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لِقَوْمِهِ..

﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَتَجْحَدُوا نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ..

﴿أَنتُمْ﴾ أَنْتُمْ، وَيَفْعَلُ فِي ذَٰلِكَ مِثْلَ فِعْلِكُمْ..

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عَنْكُمْ وَعَنْهُمْ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ شُكْرِكُمْ إِيَّاهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ عِنْدَ جَمِيعِكُمْ..

﴿حَمِيدٌ ٨﴾ [إبراهيم: ٨] ذُو حَمْدٍ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٩﴾ [إبراهيم: ٩].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ خَبَرُ..

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي مَضَتْ قَبْلَكُمْ..

﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ وَثَمُودَ..

﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ وَلَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهُمْ إِلَّا اللهُ..

﴿جَآءَتْهُمْ﴾ جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمَ..

﴿رُسُلُهُم﴾ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَيْهِمْ بِدُعَائِهِمْ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ، وَالدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَاتِ الظَّاهِرَاتِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ مُعْجِزَاتٍ..

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ فَعَضُّوا عَلَيْهَا غَيْظًا عَلَىٰ الرُّسُلِ، كَمَا وَصَفَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ﴾ [آل عمران: ١١٩]، فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْمَعْرُوفُ وَالْمَعْنَىٰ الْمَفْهُومُ مِنْ رَدِّ الْيَدِ إِلَىٰ الْفَمِ، وَهُوَ قَوْلُ ابنِ مَسْعُودٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدٍ..

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ لِرُسُلِهِمْ..

﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلَكُمْ بِهِ مَنْ أَرْسَلَكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ﴾ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِنْ حَقِيقَةِ مَا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ..

﴿مُرِيبٍ ۝٩﴾ [إبراهيم: ٩] يُرِيبُنَا ذَلِكَ الشَّكُّ، أَيْ يُوجِبُ لَنَا الرِّيبَةَ وَالتُّهَمَةَ فِيهِ، يُقَالُ مِنْهُ: أَرَابَ الرَّجُلُ: إِذَا أَتَىٰ بِرِيبَةٍ، يَرِيبُ إِرَابَةً.

﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ قَالَتْ رُسُلُ الْأُمَمِ الَّتِي أَتَتْهَا رُسُلُهَا..

﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أَفِي اللهِ أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، شَكٌّ؟..

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿يَدْعُوكُمْ﴾ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فَيَسْتُرَ عَلَيْكُمْ بَعْضَ ذُنُوبِكُمْ بِالْعَفْوِ عَنْهَا، فَلَا يُعَاقِبُكُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ وَيُنْسِئُ فِي آجَالِكُمْ، فَلَا يُعَاقِبُكُمْ فِي الْعَاجِلِ فَيُهْلِكَكُمْ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُكُمْ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي كَتَبَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ أَنَّهُ يَقْبِضُكُمْ فِيهِ، وَهُوَ الْأَجَلُ الَّذِي سَمَّىٰ لَكُمْ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ فَقَالَتِ الْأُمَمُ لَهُمْ..

﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فِي الصُّورَةِ وَالْهَيْئَةِ، وَلَسْتُمْ مَلَائِكَةً، وَإِنَّمَا..

﴿تُرِيدُونَ﴾ بِقَوْلِكُمْ هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ لَنَا..

﴿أَن تَصُدُّونَا﴾ أَنْ تَصْرِفُونَا بِقَوْلِكُمْ..

﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ عَنْ عِبَادَةِ مَا كَانَ يَعْبُدُهُ مِنَ الْأَوْثَانِ آبَاؤُنَا..

﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [إبراهيم: ١٠] فَأْتُونَا بِحُجَّةٍ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ تُبَيِّنُ لَنَا حَقِيقَتَهُ وَصِحَّتَهُ، فَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ فِيمَا تَقُولُونَ مُحِقُّونَ.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ قَالَتِ الرُّسُلُ الَّتِي أَتَتْهُمْ لَهُمْ..

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ صَدَقْتُمْ فِي قَوْلِكُمْ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، فَمَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، إِنْسٌ مِثْلُكُمْ..

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَهْدِيهِ وَيُوَفِّقُهُ لِلْحَقِّ، وَيُفَضِّلُهُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ﴾ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَىٰ مَا نَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ لَنَا بِذَلِكَ..

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١] وَبِاللهِ فَلْيَثِقْ بِهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ، فَإِنَّا بِهِ نَثِقُ، وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢].

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الرُّسُلِ لِأُمَمِهَا: وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ، فَنَثِقُ بِهِ وَبِكِفَايَتِهِ وَدِفَاعِهِ إِيَّاكُمْ عَنَّا..

﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ وَقَدْ بَصَّرَنَا طَرِيقَ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِهِ، فَبَيَّنَ لَنَا..

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ فِي اللهِ وَعَلَىٰ مَا نَلْقَىٰ مِنْكُمْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِيهِ بِسَبَبِ دُعَائِنَا إِلَيْكُمْ إِلَىٰ مَا نَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢] وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلْ مَنْ كَانَ بِهِ وَاثِقًا مِنْ خَلْقِهِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ بِهِ كَافِرًا فَإِنَّ وَلِيَّهُ الشَّيْطَانَ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم: ١٣].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ..

﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ حِينَ دَعَوْهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَفِرَاقِ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ مِنْ بِلَادِنَا، فَنَطْرُدُكُمْ عَنْهَا..

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ إِلَّا أَنْ تَعُودُوا فِي دِينِنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ..

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣﴾ [إبراهيم: ١٣] الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَوْجَبُوا لَهَا عِقَابَ اللهِ بِكُفْرِهِمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لَهُمُ الظَّالِمُونَ؛ لِعِبَادَتِهِمْ مَنْ لَا تَجُوزُ عِبَادَتُهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ، فَيَكُونُ بِوَضْعِهِمُ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا إِذْ كَانَ ظُلْمًا سُمُّوا بِذَلِكَ ظَالِمِينَ.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ [إبراهيم: ١٤].

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾ هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ مَنْ وَعَدَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ النَّصْرَ عَلَىٰ الْكَفَرَةِ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، يَقُولُ: لَمَّا تَمَادَتْ أُمَمُ الرُّسُلِ فِي الْكُفْرِ، وَتَوَعَّدُوا رُسُلَهُمْ بِالْوُقُوعِ بِهِمْ، أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِمْ بِإِهْلَاكِ مَنْ كَفَرَ بِهِمْ مِنْ أُمَمِهِمْ، وَوَعَدَهُمُ النَّصْرَ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنَ اللهِ وَعِيدًا وَتَهْدِيدًا لِمُشْرِكِي قَوْمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ، وَتَثْبِيتًا لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَمْرًا لَهُ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا لَقِيَ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِيهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، كَمَا صَبَرَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنْ رُسُلِهِ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِ مَنْ كَفَرَ بِهِ الْهَلَاكُ، وَعَاقِبَتَهُ النَّصْرُ عَلَيْهِمْ، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ [الأحزاب: ٣٨]..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا فِعْلِي..

﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ لِمَنْ خَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيَّ..

﴿وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ [إبراهيم: ١٤] وَخَافَ وَعِيدِي، فَاتَّقَانِي بِطَاعَتِهِ وَتَجَنَّبَ سَخَطِي، أَنْصُرُهُ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا وَبَغَاهُ مَكْرُوهًا مِنْ أَعْدَائِي، أُهْلِكُ عَدُوَّهُ وَأُخْزِيهِ، وَأُوَرِّثُهُ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ١٥﴾ [إبراهيم: ١٥].

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ وَاسْتَفْتَحَتِ الرُّسُلُ عَلَىٰ قَوْمِهَا، أَيِ اسْتَنْصَرَتِ اللهَ عَلَيْهَا..

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ١٥﴾ [إبراهيم: ١٥] وَهَلَكَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ جَائِرٍ حَائِدٍ عَنِ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦﴾ [إبراهيم: ١٦].

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ مِنْ أَمَامِ كُلِّ جَبَّارٍ.. وَ(وَرَاء) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: يَعْنِي أَمَامَ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّ الْمَوْتَ مِنْ وَرَائِكَ: أَيْ قُدَّامِكَ، وَقَوْلُهُ ﴿وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ [الكهف: ٧٩] مِنْ هَذَا الْمَعْنَىٰ..

﴿جَهَنَّمُ﴾ يَرِدُونَهَا..

﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ﴾ ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ الْمَاءَ وَمَا هُوَ، فَقَالَ: هُوَ..

﴿صَدِيدٖ ١٦﴾ [إبراهيم: ١٦] هُوَ الْقَيْحُ وَالدَّمُ.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ [إبراهيم: ١٧].

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يَتَحَسَّاهُ..

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ وَلَا يَكَادُ يَزْدَرِدُهُ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهَتِهِ، وَهُوَ يُسِيغُهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ.. وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ (لَا يَكَادُ) فِيمَا قَدْ فُعِلَ، وَفِيمَا لَمْ يُفْعَلْ، فَأَمَّا مَا قَدْ فُعِلَ فَمِنْهُ هَذَا، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ لَهُمْ ذَلِكَ شَرَابًا، وَأَمَّا مَا لَمْ يُفْعَلْ وَقَدْ دَخَلَتْ فِيهِ (كَادَ) فَقَوْلُهُ: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ النور: ٤٠] فَهُوَ لَا يَرَاهَا..

﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَمِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ..

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ﴾ لِأَنَّهُ لَا تَخْرُجُ نَفْسُهُ فَيَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا، لِتَعَلُّقِ نَفْسِهِ بِالْحَنَاجِرِ، فَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَانِهَا..

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ [إبراهيم: ١٧] وَمِنْ وَرَاءِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، يَعْنِي أَمَامَهُ وَقُدَّامَهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: ١٨].

﴿مَّثَلُ﴾ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ، فَقَالَ: مَثَلُ أَعْمَالِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ اللهَ بِهَا..

﴿كَرَمَادٍ﴾ مَثَل رَمَادٍ..

﴿ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ عَصَفَتِ الرِّيحُ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ رِيحٍ عَاصِفٍ، فَنسَفَتْهُ وَذَهَبَتْ بِهِ، فَكَذَلِكَ أَعْمَالُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَقِيلَ: ﴿فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ وَهُوَ مِنْ صِفَةِ الرِّيحِ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ تَكُونُ فِيهِ، كَمَا يُقَالُ: يَوْمٌ بَارِدٌ، وَيَوْمٌ حَارٌّ، لِأَنَّ الْبَرْدَ وَالْحَرَارَةَ يَكُونَانِ فِيهِ..

﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾ لَا يَجِدُونَ مِنْهَا شَيْئًا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللهِ فَيُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَهَا للهِ خَالِصًا، بَلْ كَانُوا يُشْرِكُونَ فِيهَا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٨﴾ [إبراهيم: ١٨] أَيِ الْخَطَأُ الْبَيِّنُ الْبَعِيدُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، يَعْنِي أَعْمَالَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، الَّتِي يُشْرِكُونَ فِيهَا مَعَ اللهِ شُرَكَاءَ، هِيَ أَعْمَالٌ عُمِلَتْ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ وَاسْتِقَامَةٍ، بَلْ عَلَىٰ جَوْرٍ عَنِ الْهُدَىٰ بَعِيدٍ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ شَدِيدٍ.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٩﴾ [إبراهيم: ١٩].

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ، فَتَعْلَمَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ﴾ أَنْشَأَ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ مُنْفَرِدًا بِإِنْشَائِهَا بِغَيْرِ ظَهِيرٍ وَلَا مُعِينٍ..

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ إِنَّ الَّذِي تَفَرَّدَ بِخَلْقِ ذَلِكَ وَإِنْشَائِهِ مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا شَرِيكٍ، إِنْ هُوَ شَاءَ أَنْ يُذْهِبَكُمْ فَيُفْنِيَكُمْ أَذْهَبَكُمْ وَأَفْنَاكُمْ..

﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ﴾ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ..

﴿جَدِيدٖ ۝١٩﴾ [إبراهيم: ١٩] فَيُجَدِّدَ خَلْقَهُمْ.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: ٢٠].

﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ وَمَا إِذْهَابُكُمْ، وَإِفْنَاؤُكُمْ، وَإِنْشَاءُ خَلْقٍ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: ٢٠] عَلَىٰ اللهِ بِمُمْتَنِعٍ وَلَا مُتَعَذِّرٍ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١].

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ وَظَهَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ فَصَارُوا بِالْبَرَازِ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿جَمِيعًا﴾ كُلُّهُمْ..

﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ التُّبَّاعُ مِنْهُمْ..

﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ لِلْمَتْبُوعِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ فِي الدُّنْيَا عَنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَاتِّبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ..

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَعُ: جَمْعُ تَابِعٍ، كَمَا الْغَيَبُ جَمْعُ غَائِبٍ، وَإِنَّمَا عَنَوْا أَنَّهُمْ كَانُوا أَتْبَاعَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يَأْتَمِرُونَ لِمَا يَأْمُرُونَهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْكُفْرِ بِاللهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَوْهُمْ عَنْهُ مِنِ اتِّبَاعِ رُسُلِ اللهِ..

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ دَافِعُونَ عَنَّا الْيَوْمَ..

﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا﴾ الْقَادَةُ عَلَى الْكُفْرِ بِاللهِ لِتُبَّاعِهَا..

﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ لَوْ بَيَّنَ لَنَا شَيْئًا نَدْفَعُ بِهِ عَذَابَهُ عَنَّا الْيَوْمَ..

﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لَبَيَّنَّا ذَلِكَ لَكُمْ حَتَّى تَدْفَعُوا الْعَذَابَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَكِنَّا قَدْ جَزِعْنَا مِنَ الْعَذَابِ..

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ فَلَمْ يَنْفَعْنَا جَزَعُنَا مِنْهُ وَصَبْرُنَا عَلَيْهِ..

﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١] مَا لَهُمْ مِنْ مَزَاغٍ يَزُوغُونَ عَنْهُ، يُقَالُ مِنْهُ: حَاصَ عَنْ كَذَا إِذَا زَاغَ عَنْهُ.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ وَقَالَ إِبْلِيسُ..

﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لَمَّا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وَاسْتَقَرَّ بِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ قَرَارُهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْأَتْبَاعُ..

﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ النَّارَ..

﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ النُّصْرَةَ..

﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وَعْدِي، وَوَفَّىٰ اللهُ لَكُمْ بِوَعْدِهِ..

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم﴾ فِيمَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ النُّصْرَةِ..

﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ مِنْ حُجَّةٍ تَثْبُتُ لِي عَلَيْكُمْ بِصِدْقِ قَوْلِي..

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ وَهَذَا الِاسْتِثْنَاءُ الْمُنْقَطِعُ عَنِ الْأَوَّلِ كَمَا تَقُولُ: مَا ضَرَبْتُهُ إِلَّا أَنَّهُ أَحْمَقُ، وَمَعْنَاهُ: وَلَكِنْ دَعَوْتُكُمْ، يقول: إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِي وَمَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ فَاسْتَجَبْتُمْ لِدُعَائِي..

﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ عَلَىٰ إِجَابَتِكُمْ إِيَّايَ..

﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ عَلَيْهَا..

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ مَا أَنَا بِمُغِيثِكُمْ..

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ وَلَا أَنْتُمْ بِمُغِيثِيَّ مِنْ عَذَابِ اللهِ فَمُنَجِّيَّ مِنْهُ..

﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾ إِنِّي جَحَدْتُ..

﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا للهِ فِيمَا أَشْرَكْتُمُونِي فِيهِ مِنْ عِبَادَتِكُمْ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إِنَّ الْكَافِرِينَ بِاللهِ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢] مُوجِعٌ.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣].

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، فَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَبِرِسَالَةِ رُسُلِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقٌّ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللهِ، فَانْتَهُوا إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ..

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ادْخُلُوهَا بِأَمْرِ اللهِ لَهُمْ بِالدُّخُولِ..

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣] وَذَلِكَ كَمَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: (**الْمَلَائِكَةُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ**).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَتَعْلَمَ..

﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ كَيْفَ مَثَّلَ اللهُ مَثَلًا وَشَبَّهَ شَبَهًا..

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وَيَعْنِي بِالطَّيِّبَةِ: الْإِيمَانَ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ الثَّمَرَةِ، وَتَرَكَ ذِكْرَ الثَّمَرَةِ اسْتِغْنَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ عَنْ ذِكْرِهَا بِذِكْرِ الشَّجَرَةِ.. والشَّجَرَةُ الَّتِي جُعِلَتْ مَثَلًا لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ هِيَ النَّخْلَةُ؛ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: (**صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُتِيَ بِجُمَّارٍ، فَقَالَ: «مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ مَثَلُهَا مَثَلُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ»، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَسَكَتُّ**)..

﴿أَصْلُهَا﴾ هَذِهِ الشَّجَرَةِ..

﴿ثَابِتٌ﴾ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَفَرْعُهَا﴾ وَهُوَ أَعْلَاهَا..

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤] مُرْتَفِعٌ عُلُوًّا نَحْوَ السَّمَاءِ.

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٥].

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا﴾ تُطْعِمُ مَا يُؤْكَلُ مِنْ ثَمَرِهَا..

﴿كُلَّ حِينٍۭ﴾ كُلَّ غَدَاةٍ وَعَشِيَّةٍ، وَكُلَّ سَاعَةٍ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ ضَرَبَ مَا تُؤْتِي هَذِهِ الشَّجَرَةُ كُلَّ حِينٍ مِنَ الْأَكْلِ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ وَكَلَامِهِ مَثَلًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُرْفَعُ لَهُ إِلَى اللهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَالِحٌ مِنَ الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيُّ نَخْلَةٍ تُؤْتِي فِي كُلِّ وَقْتٍ أُكُلًا صَيْفًا وَشِتَاءً؟ قِيلَ: أَمَّا فِي الشِّتَاءِ فَإِنَّ الطَّلْعَ مِنْ أُكُلِهَا، وَأَمَّا فِي الصَّيْفِ فَالْبَلَحُ، وَالْبُسْرُ، وَالرُّطَبُ، وَالتَّمْرُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ أُكُلِهَا..

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ﴾ وَيُمَثِّلُ اللهُ..

﴿ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ وَيُشَبِّهُ لَهُمُ الْأَشْيَاءَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾ [إبراهيم: ٢٥] لِيَتَذَكَّرُوا حُجَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَيَعْتَبِرُوا بِهَا وَيَتَّعِظُوا، فَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٦].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وَمَثَلُ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ..

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ: هِيَ الْحَنْظَلُ، وَهُوَ الثَّابِتُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَإِلَّا فَإِنَّهَا شَجَرَةٌ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ بِهَا..

﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ اسْتُؤْصِلَتْ، يُقَالُ مِنْهُ: اجْتَثَثْتُ الشَّيْءَ أَجْتَثُّهُ اجْتِثَاثًا: إِذَا اسْتَأْصَلْتَهُ...

﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا﴾ مَا لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ..

﴿مِن قَرَارٍ ۝٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٦] وَلَا أَصْلَ فِي الْأَرْضِ تَنْبُتُ عَلَيْهِ وَتَقُومُ، وَإِنَّمَا ضُرِبَتْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِكُفْرِ الْكَافِرِ وَشِرْكِهِ بِهِ مَثَلًا، يَقُولُ: لَيْسَ لِكُفْرِ الْكَافِرِ وَعَمَلِهِ الَّذِي هُوَ مَعْصِيَةُ اللهِ فِي الْأَرْضِ ثَبَاتٌ، وَلَا لَهُ فِي السَّمَاءِ مَصْعَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصْعَدُ إِلَىٰ اللهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يُحَقِّقُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ..

﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ بِالْقَوْلِ الْحَقِّ، وَهُوَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ..

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَذَلِكَ تَثْبِيتُهُ إِيَّاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بِمِثْلِ الَّذِي ثَبَّتَهُمْ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ حِينَ يُسْأَلُونَ عَنِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ ﷺ.. فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾»**..

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وَلَا يُوَفِّقُ الْمُنَافِقَ وَالْكَافِرَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ، لِمَا هُدِيَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ الْمُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧] وَبِيَدِ اللهِ الْهِدَايَةُ وَالْإِضْلَالُ، فَلَا تُنْكِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ قُدْرَتَهُ وَلَا اهْتِدَاءَ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ضَالًّا، وَلَا ضَلَالَ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُهْتَدِيًا، فَإِنَّ بِيَدِهِ تَصْرِيفَ خَلْقِهِ وَتَقْلِيبَ قُلُوبِهِمْ، يَفْعَلُ فِيهِمْ مَا يَشَاءُ.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ٢٨﴾ [إبراهيم: ٢٨].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟﴾ غَيَّرُوا..

﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، فَجَعَلُوهَا..

﴿كُفْرًا﴾ بِهِ، وَكَانَ تَبْدِيلُهُمْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا فِي نَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ قُرَيْشٍ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهُمْ وَابْتَعَثَهُ فِيهِمْ رَسُولًا، رَحْمَةً لَهُمْ وَنِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْهِمْ، فَكَفَرُوا بِهِ، وَكَذَّبُوهُ، فَبَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِهِ كُفْرًا..

﴿وَأَحَلُّوا۟﴾ وَأَنْزَلُوا..

﴿قَوْمَهُمْ﴾ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ ٢٨﴾ [إبراهيم: ٢٨] وَهِيَ دَارُ الْهَلَاكِ، يُقَالُ مِنْهُ: بَارَ الشَّيْءُ يَبُورُ بَوْرًا: إِذَا هَلَكَ وَبَطَلَ.. وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَسَأَلَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ٢٨﴾؟ قَالَ: (هُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ).. وقال ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ٢٨﴾، قَالَ: (هُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ).

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٩].

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٩] وَبِئْسَ الْمُسْتَقَرُّ هِيَ جَهَنَّمُ لِمَنْ صَلَاهَا.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾ [إبراهيم: ٣٠].

﴿وَجَعَلُوا۟﴾ وَجَعَلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا..

﴿لِلَّهِ﴾ لِرَبِّهِمْ..

﴿أَندَادًا﴾ وَهِيَ جِمَاعُ نِدٍّ، وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعْنَىٰ النِّدِّ فِيمَا مَضَىٰ بِشَوَاهِدِهِ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ..

﴿لِيُضِلُّواْ﴾ كَيْ يُضِلُّوا النَّاسَ..

﴿عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِمَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ..

﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿تَمَتَّعُواْ﴾ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعِيدًا مِنَ اللهِ لَهُمْ، لَا إِبَاحَةَ لَهُمُ التَّمَتُّعَ بِهَا، وَلَا أَمْرًا عَلَىٰ وَجْهِ الْعِبَادَةِ، وَلَكِنْ تَوْبِيخًا وَتَهَدُّدًا وَوَعِيدًا، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ..

﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٣٠﴾ [إبراهيم: ٣٠] اسْتَمْتِعُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الزَّوَالِ عَنْكُمْ، وَإِلَىٰ النَّارِ تَصِيرُونَ عَنْ قَرِيبٍ، فَتَعْلَمُونَ هُنَالِكَ غِبَّ تَمَتُّعِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَعَاصِي اللهِ وَكُفْرِكُمْ فِيهَا بِهِ.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۝٣١﴾ [إبراهيم: ٣١].

﴿قُل﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِكَ وَصَدَّقُوا أَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قُلْ لَهُمْ: فَلْيُقِيمُوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ بِحُدُودِهَا..

﴿وَيُنفِقُواْ﴾ وَلْيُنْفِقُوا..

﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ فَخَوَّلْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِنَا..

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ فَلْيُؤَدُّوا مَا أَوْجَبْتُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ فِيهَا سِرًّا وَإِعْلَانًا..

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ لَا يُقْبَلُ فِيهِ فِدْيَةٌ وَعِوَضٌ مِنْ نَفْسٍ وَجَبَ عَلَيْهَا عِقَابُ اللهِ، بِمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَقْبَلُ مِنْهَا الْفِدْيَةَ، وَتُتْرَكُ فَلَا تُعَاقَبُ، فَسَمَّىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْفِدْيَةَ عِوَضًا، إِذْ كَانَ أَخْذَ عِوَضٍ مِنْ مُعْتَاضٍ مِنْهُ..

﴿وَلَا خِلَٰلٌ ۝٣١﴾ [إبراهيم: ٣١] وَلَيْسَ هُنَاكَ مُخَالَّةُ خَلِيلٍ، فَيَصْفَحُ عَمَّنِ اسْتَوْجَبَ الْعُقُوبَةَ عَنِ الْعِقَابِ لِمُخَالَّتِهِ، بَلْ هُنَالِكَ الْعَدْلُ وَالْقِسْطُ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢﴾ [إبراهيم: ٣٢].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ أَنْشَأَ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ غَيْثًا..

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أَحْيَا بِهِ الشَّجَرَ وَالزَّرْعَ، فَأَثْمَرَتْ..

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تَأْكُلُونَهُ..

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ وَهِيَ السُّفُنُ..

﴿لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ لَكُمْ تَرْكَبُونَهَا، وَتَحْمِلُونَ فِيهَا أَمْتِعَتَكُمْ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ..

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ٣٢﴾ [إبراهيم: ٣٢] مَاؤُهَا شَرَابٌ لَكُمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ وَإِخْلَاصَ الطَّاعَةِ لَهُ، مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ، مِنْ أَوْثَانِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ وَآلِهَتِكُمْ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣﴾ [إبراهيم: ٣٣].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَفَعَلَ الْأَفْعَالَ الَّتِي وَصَفَ، وسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لِصَلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ..

﴿دَآئِبَيْنِ﴾ فِي اخْتِلَافِهِمَا عَلَيْكُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُمَا دَائِبَانِ فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣﴾ [إبراهيم: ٣٣] يَخْتَلِفَانِ عَلَيْكُمْ بِاعْتِقَابٍ، إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا بِمَنَافِعِكُمْ وَصَلَاحِ أَسْبَابِكُمْ، فَهَذَا لَكُمْ لِتَصَرُّفِكُمْ فِيهِ لِمَعَاشِكُمْ، وَهَذَا لَكُمْ لِلسَّكَنِ تَسْكُنُونَ فِيهِ، وَرَحْمَةً مِنْهُ بِكُمْ.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ وَأَعْطَاكُمْ مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ تَسْخِيرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَخَّرَهَا لَكُمْ، وَالرِّزْقَ الَّذِي رَزَقَكُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَغُرُوسِهَا..

﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ وَرَغِبْتُمْ إِلَيْهِ شَيْئًا، وَحَذَفَ الشَّيْءَ الثَّانِي اكْتِفَاءً بِمَا الَّتِي أُضِيفَتْ إِلَيْهَا ﴿كُلِّ﴾، وَإِنَّمَا جَازَ حَذْفُهُ، لِأَنَّ (مِنْ) تُبَعِّضُ مَا بَعْدَهَا، فَكَفَتْ بِدَلَالَتِهَا عَلَىٰ التَّبْعِيضِ مِنَ الْمَفْعُولِ، فَلِذَلِكَ جَازَ حَذْفُهُ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، يَعْنِي بِهِ: وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي زَمَانِهَا شَيْئًا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا قِيلَ عَلَىٰ التَّكْثِيرِ، نَحْوَ قَوْلِ الْقَائِلِ: فُلَانٌ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَتَاهُ كُلُّ النَّاسِ، وَهُوَ يَعْنِي بَعْضَهُمْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ، فَقِيلَ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ

مَاسَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أَيْ قَدْ أَتَىٰ بَعْضَكُمْ مِنْهُ شَيْئًا، وَأَتَىٰ آخَرَ شَيْئًا مِمَّا قَدْ سَأَلَهُ..

﴿وَإِن تَعُدُّواْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ..

﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لَا تُطِيقُوا إِحْصَاءَ عَدَدِهَا، وَالْقِيَامَ بِشُكْرِهَا، إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ لَكُمْ عَلَيْهَا..

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الَّذِي بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا..

﴿لَظَلُومٌ﴾ لَشَاكِرٌ غَيْرَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، فَهُوَ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ وَاضِعُ الشُّكْرِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِمَا أَنْعَمَ، وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ، فَعَبَدَ غَيْرَهُ، وَجَعَلَ لَهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَذَلِكَ هُوَ ظُلْمُهُ..

﴿كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤] هُوَ جُحُودُ نِعْمَةِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ؛ لِصَرْفِهِ الْعِبَادَةَ إِلَىٰ غَيْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَتَرْكِهِ طَاعَةَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

[إبراهيم: ٣٥].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ الْحَرَمَ..

﴿ءَامِنًا﴾ بَلَدًا آمِنًا أَهْلُهُ وَسُكَّانُهُ..

﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] أَبْعِدْنِي وَبَنِيَّ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.. وَالْأَصْنَامُ: جَمْعُ صَنَمٍ، وَالصَّنَمُ: هُوَ التِّمْثَالُ الْمُصَوَّرُ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: **(فَاسْتَجَابَ اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ دَعْوَتَهُ فِي وَلَدِهِ، فَلَمْ يَعْبُدْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ صَنَمًا بَعْدَ دَعْوَتِهِ)**، وَالصَّنَمُ: التِّمْثَالُ الْمُصَوَّرُ، مَا لَمْ يَكُنْ مُصَوَّرًا فَهُوَ وَثَنٌ، قَالَ: **(وَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ، وَجَعَلَ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَرَزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَجَعَلَهُ إِمَامًا، وَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتَقَبَّلَ دُعَاءَهُ، فَأَرَاهُ مَنَاسِكَهُ، وَتَابَ عَلَيْهِ)**.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦].

﴿رَبِّ﴾ يَا رَبِّ..

﴿إِنَّهُنَّ﴾ إِنَّ الْأَصْنَامَ..

﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَىٰ وَسَبِيلِ الْحَقِّ حَتَّىٰ عَبَدُوهُنَّ، وَكَفَرُوا بِكَ..

﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَكَ وَفِرَاقِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ فَإِنَّهُ مُسْتَنٌّ بِسُنَّتِي، وَعَامِلٌ بِمِثْلِ عَمَلِي..

﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ وَمَنْ خَالَفَ أَمْرِي، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنِّي مَا دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ، وَأَشْرَكَ بِكَ..

﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ الْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ بِفَضْلِكَ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٣٦﴾ [إبراهيم: ٣٦] بِعِبَادِكَ، تَعْفُو عَمَّنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**اسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ خَلِيلِ اللهِ إِبْرَاهِيمَ، لا وَاللهِ مَا كَانُوا طَعَّانِينَ وَلا لَعَّانِينَ، وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّ مِنْ أَشَرِّ عِبَادِ اللهِ كُلَّ طَعَّانٍ لَعَّانٍ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة: ١١٨]**).

> ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ بَعْضَ وَلَدِي..

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ يَوْمَئِذٍ مَاءٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هُنَالِكَ مَاءٌ لَمْ يَصِفْهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ ذِي..

﴿زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ عِنْدَ بَيْتِكَ الَّذِي حَرَّمْتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِكَ أَنْ يَسْتَحِلُّوهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ حِينَ أَسْكَنَ ابْنَهُ مَكَّةَ ﴿إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ وَقَدْ بَنَىٰ إِبْرَاهِيمُ الْبَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ؟ قِيلَ: قَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ قَدْ ذَكَرْتُهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مِنْهَا أَنَّ مَعْنَاهُ: عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ أَنْ تَرْفَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ حِينَ رَفَعْتَهُ أَيَّامَ الطُّوفَانِ، وَمِنْهَا: عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ الَّذِي قَدْ مَضَىٰ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ أَنَّهُ يَحْدُثُ فِي هَذَا الْبَلَدِ.. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ هَذَا الْقَوْلَ حِينَ أَسْكَنَ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجَرَ مَكَّةَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَىٰ سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّىٰ وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ**

رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّىٰ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّىٰ جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» (فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَىٰ المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهٍ - تُرِيدُ نَفْسَهَا - ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّىٰ ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: (فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيِّعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَىٰ مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَلْفَىٰ ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ».. الحديث..

﴿ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ مِنِ اسْتِحْلاَلِ حُرُمَاتِ اللهِ فِيهِ، وَالاِسْتِخْفَافِ بِحَقِّهِ..

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فَعَلْتُ ذَلِكَ يَا رَبَّنَا كَيْ تُؤَدَّىٰ فَرَائِضُكَ مِنَ الصَّلاَةِ الَّتِي أَوْجَبْتَهَا عَلَيْهِمْ فِي بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ..

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ يُخْبِرُ بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ سَأَلَهُ فِي دُعَائِهِ أَنْ يَجْعَلَ قُلُوبَ بَعْضِ خَلْقِهِ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَسَاكِنِ ذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ أَسْكَنَهُمْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ

بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ، وَذَلِكَ مِنْهُ دُعَاءٌ لَهُمْ بِأَنْ يَرْزُقَهُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: (**لَوْ كَانَتْ أَفْئِدَةُ النَّاسِ، لَازْدَحَمَتْ عَلَيْهِ فَارِسُ وَالرُّومُ، وَلَكِنَّهُ** ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾)..

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وَارْزُقْهُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ مَا رَزَقْتَ سُكَّانَ الْأَرْيَافِ وَالْقُرَىٰ الَّتِي هِيَ ذَوَاتُ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ، وَإِنْ كُنْتَ أَسْكَنْتَهُمْ وَادِيًا غَيْرَ ذِي زَرْعٍ وَلَا مَاءٍ، فَرَزَقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧] لِيَشْكُرُوكَ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ وَتُنْعِمُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: ٣٨].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي قُلُوبُنَا عِنْدَ مَسْأَلَتِنَا مَا نَسْأَلُكَ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِنَا..

﴿وَمَا نُعْلِنُ﴾ مِنْ دُعَائِنَا، فَنَجْهَرُ بِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِنَا..

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ يَا رَبَّنَا..

﴿مِن شَيْءٍ﴾ يَكُونُ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: ٣٨] لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ ظَاهِرٌ لَكَ مُتَجَلٍّ بَادٍ، لِأَنَّكَ مُدَبِّرُهُ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيْكَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ اسْتِشْهَادِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا نَوَىٰ وَقَصَدَ بِدُعَائِهِ وَقِيلِهِ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]، الْآيَةَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ بِذَلِكَ رِضَا اللهِ عَنْهُ فِي مَحَبَّتِهِ أَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ للهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُوَ لَهُ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَزَقَنِي عَلَىٰ كِبَرٍ مِنَ السِّنِّ وَلَدًا..

﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩] إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ دُعَائِيَ الَّذِي أَدْعُوهُ بِهِ، وَقَوْلِي: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ دُعَائِي وَدُعَاءِ غَيْرِي، وَجَمِيعِ مَا نَطَقَ بِهِ نَاطِقٌ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُؤَدِّيًا مَا أَلْزَمْتَنِي مِنْ فَرِيضَتِكَ الَّتِي فَرَضْتَهَا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ وَاجْعَلْ أَيْضًا مِنْ ذُرِّيَّتِي مُقِيمِي الصَّلَاةِ لَكَ..

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠] رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ عَمَلِي الَّذِي أَعْمَلُهُ لَكَ، وَعِبَادَتِي إِيَّاكَ، وَهَذَا نَظِيرُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]».

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم: ٤١].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وَهَذَا دُعَاءٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَاسْتِغْفَارٌ مِنْهُ لَهُمَا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ﴿ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ۝١١٤﴾ [التوبة: ١١٤]، وَقَدْ بَيَّنَّا وَقْتَ تَبَرُّئِهِ مِنْهُ فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بِكَ مِمَّنْ تَبِعَنِي عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، فَأَطَاعَكَ فِي أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ..

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم: ٤١] يَقُومُ النَّاسُ لِلْحِسَابِ، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْحِسَابِ مِنْ ذِكْرِ النَّاسِ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٤٢﴾ [إبراهيم: ٤٢].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿غَٰفِلًا﴾ سَاهِيًا..

﴿عَمَّا يَعۡمَلُ﴾ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، بَلْ هُوَ عَالِمٌ بِهِمْ وَبِأَعْمَالِهِمْ، مُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ، لِيَجْزِيَهُمْ جَزَاءَهُمْ فِي الْحِينِ الَّذِي قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَجْزِيهِمْ فِيهِ..

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ..

﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢﴾ [إبراهيم: ٤٢] إِنَّمَا يُؤَخِّرُ عِقَابَهُمْ وَإِنْزَالَ الْعَذَابِ بِهِمْ، إِلَىٰ يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ أَبْصَارُ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**شَخُصَتْ فِيهِ وَاللهِ أَبْصَارُهُمْ، فَلَا تَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ**).

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣].

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مُسْرِعِينَ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**مُنْطَلِقِينَ عَامِدِينَ إِلَىٰ الدَّاعِي**).. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مُدِيمِي النَّظَرِ.. وَالْإِهْطَاعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِمَعْنَىٰ الْإِسْرَاعِ أَشْهَرُ مِنْهُ بِمَعْنَىٰ إِدَامَةِ النَّظَرِ..

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رَافِعِي رُءُوسِهِمْ وَإِقْنَاعِ الرَّأْسِ: رَفْعُهُ.. قَالَ الْحَسَنُ: (**وُجُوهُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ لا يَنْظُرُ أَحَدٌ إِلَىٰ أَحَدٍ**).. وَقَالَ قَتَادَةُ: (**الْمُقْنِعُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ شَاخِصًا بَصَرُهُ، لا يَطْرِفُ**)..

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ لِشِدَّةِ النَّظَرِ أَبْصَارُهُمْ..

﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣] خَالِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا تَعْقِلُ شَيْئًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي كُلَّ أَجْوَفَ خَاوٍ: هَوَاءً.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الْأَفْئِدَةُ: الْقُلُوبُ، هَوَاءٌ كَمَا قَالَ اللهُ، لَيْسَ فِيهَا عَقْلٌ وَلَا مَنْفَعَةٌ**).

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝٤٤﴾ [إبراهيم: ٤٤].

﴿وَأَنذِرِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلنَّاسَ﴾ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ دَاعِيًا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ نَازِلٌ بِهِمْ..

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عَذَابُ اللهِ فِي الْقِيَامَةِ..

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، فَظَلَمُوا بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ..

﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ أَخِّرْ عَنَّا عَذَابَكَ، وَأَمْهِلْنَا..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ الْحَقَّ، فَنُؤْمِنُ بِكَ، وَلَا نُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا..

﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ وَنُصَدِّقُ رُسُلَكَ فَنَتَّبِعْهُمْ عَلَىٰ مَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَاتِّبَاعِ أَمْرِكَ..

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟﴾ وَهَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوا النَّارَ، بِإِنْكَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ، يَقُولُ لَهُمْ إِذْ سَأَلُوهُ رَفْعَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ وَتَأْخِيرَهُمْ لِيُنِيبُوا

وَيَتُوبُوا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝٤٤﴾ [إبراهيم: ٤٤] مَا لَكُمْ مِنِ انْتِقَالٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَىٰ الْآخِرَةِ، وَأَنَّكُمْ إِنَّمَا تَمُوتُونَ، ثُمَّ لَا تُبْعَثُونَ.

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۝٤٥﴾ [إبراهيم: ٤٥].

﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ كَفَرُوا بِاللهِ، فَظَلَمُوا بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَكُمْ..

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ وَعَلِمْتُمْ كَيْفَ أَهْلَكْنَاهُمْ حِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَتَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ..

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۝٤٥﴾ [إبراهيم: ٤٥] وَمَثَّلْنَا لَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ مُقِيمِينَ الْأَشْبَاهَ، فَلَمْ تُنِيبُوا، وَلَمْ تَتُوبُوا مِنْ كُفْرِكُمْ، فَالْآنَ تَسْأَلُونَ التَّأْخِيرَ لِلتَّوْبَةِ حِينَ نَزَلَ بِكُمْ مَا قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، إِنَّ ذَلِكَ لَغَيْرُ كَائِنٍ.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝٤٦﴾ [إبراهيم: ٤٦].

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ﴾ قَدْ مَكَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَسَكَنْتُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ..

﴿مَكْرَهُمْ﴾ فَأَشْرَكَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِرَبِّهِمْ وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ فِرْيَتَهُمْ عَلَيْهِ..

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ وَعِنْدَ اللهِ عِلْمُ شِرْكِهِمْ بِهِ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُعَاقِبُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ عُقُوبَتَهُمُ الَّتِي هُمْ أَهْلُهَا..

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وَمَا كَانَ شِرْكُهُمْ وَفِرْيَتُهُمْ عَلَىٰ اللهِ..

﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝٤٦﴾ [إبراهيم: ٤٦] بَلْ مَا ضَرُّوا بِذَلِكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَلَا عَادَتْ بُغْيَةٌ مَكْرُوهَةٌ إِلَّا عَلَيْهِمْ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧﴾ [إبراهيم: ٤٧].

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يَا مُحَمَّد..

﴿ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ﴾ الَّذِي وَعَدَهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ، وَجَحَدَ مَا أَتَوْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَإِنَّمَا قَالَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ تَثْبِيتًا وَتَشْدِيدًا لِعَزِيمَتِهِ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّهُ مُنَزِّلٌ مِنْ سَخَطِهِ بِمَنْ كَذَّبَهُ وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَتَاهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِثْلَ مَا أَنْزَلَ بِمَنْ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ مِنْهَاجِهِمْ مِنْ تَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ، وَجُحُودِ نُبُوَّتِهِمْ، وَرَدِّ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ﴾ لَا يُمَانِعُ مِنْهُ شَيْءٌ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ، قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ، لَا يَفُوتُهُ بِالْهَرَبِ مِنْهُ..

﴿ذُو ٱنتِقَامٖ ٤٧﴾ [إبراهيم: ٤٧] مِمَّنْ كَفَرَ بِرُسُلِهِ وَكَذَّبَهُمْ، وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُمْ، وَأَشْرَكَ بِهِ وَاتَّخَذَ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ.

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨].

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ إِنَّ اللهَ ذُو انْتِقَامٍ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَسَائِرِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَجَحَدَ نُبُوَّتَكَ وَنُبُوَّةَ رُسُلِهِ مِنْ قَبْلِكَ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَهَا، وَكَذَلِكَ السَّمَوَاتُ الْيَوْمَ تُبَدَّلُ غَيْرَهَا.. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ، وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: «**عَلَىٰ الصِّرَاطِ**».. وَعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: سَأَلَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**»..

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ وَظَهَرُوا للهِ..

﴿ٱلۡوَٰحِدِ﴾ الْمُنْفَرِدِ بِالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨] الَّذِي يَقْهَرُ كُلَّ شَيْءٍ فَيَغْلِبُهُ وَيُصَرِّفُهُ لِمَا يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَيُحْيِي خَلْقَهُ إِذَا شَاءَ، وَيُمِيتُهُمْ إِذَا شَاءَ، لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ، مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩﴾ [إبراهيم: ٤٩].

﴿وَتَرَى﴾ وَتُعَايِنُ..

﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، فَاجْتَرَمُوا فِي الدُّنْيَا الشِّرْكَ..

﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ..

﴿مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩﴾ [إبراهيم: ٤٩] مُقَرَّنَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِلَىٰ رِقَابِهِمْ بِالْأَصْفَادِ، وَهِيَ الْوَثَاقُ مِنْ غُلٍّ وَسِلْسِلَةٍ، وَاحِدُهَا: صَفَدٌ، وَالصِّفَادُ: الْقَيْدُ.

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ٥٠].

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قُمُصُهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا، وَاحِدُهَا: سِرْبَالٌ..

﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ الَّذِي يَهْنَأُ بِهِ الْإِبِلُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْقَطِرَانُ: النُّحَاسُ..

﴿وَتَغْشَىٰ﴾ وَتَلْفَحُ..

﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ٥٠] فَتَحْرِقُهَا.

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾ [إبراهيم: ٥١].

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ جَزَاءً لَهُمْ بِمَا كَسَبُوا مِنَ الْآثَامِ فِي الدُّنْيَا، كَيْمَا يُثِيبَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيَجْزِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾ [إبراهيم: ٥١] إِنَّ اللهَ عَالِمٌ بِعَمَلِ كُلِّ عَامِلٍ، فَلَا يَحْتَاجُ فِي إِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ إِلَىٰ عَقْدِ كَفٍّ وَلَا مُعَانَاةٍ، وَهُوَ سَرِيعٌ حِسَابُهُ لِأَعْمَالِهِمْ، قَدْ أَحَاطَ بِهَا عِلْمًا، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

﴿هَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ..

﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أَبْلَغَ اللهُ بِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَأَعْذَرَ إِلَيْهِمْ بِمَا أَنْزَلَ فِيهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَعِبَرِهِ..

﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ وَلِيُنْذَرُوا عِقَابَ اللهِ، وَيَحْذَرُوا بِهِ نِقْمَاتِهِ، أَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ..

﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟﴾ بِمَا احْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُجَجِ فِيهِ..

﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لَا آلِهَةٌ شَتَّىٰ، كَمَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، الَّذِي سَخَّرَ لَهُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَهُمْ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَهُمُ الْأَنْهَارَ..

﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾ وَلْيَتَذَكَّرَ فَيَتَّعِظَ بِمَا احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ حُجَجِهِ الَّتِي فِي هَذَا الْقُرْآنِ، فَيَنْزَجِرَ

عَنْ أَنْ يَجْعَلَ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرُهُ، وَيُشْرِكَ فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا سِوَاهُ..

﴿أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢] أَهْلُ الْحِجَىٰ وَالْعُقُولِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الِاعْتِبَارِ وَالِادِّكَارِ، دُونَ الَّذِينَ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَلَا أَفْهَامَ، فَإِنَّهُمْ كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ



سُورَةُ الحِجْرِ (١٥)
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الحِجْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ①﴾ [الحجر: ١].

﴿الٓر تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْآيَاتُ..

﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ آيَاتُ الْكُتُبِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ الْقُرْآنِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿وَقُرْءَانٍ﴾ وَآيَاتُ قُرْآنٍ..

﴿مُّبِينٍ ①﴾ [الحجر: ١] يَبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ رُشْدَهُ وَهُدَاهُ.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ②﴾ [الحجر: ٢].

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ فَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ..

﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ②﴾ [الحجر: ٢] لَوْ كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا مُسْلِمِينَ.. قال إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِي: (**إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَقُولُونَ: كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ وَكُفْرٍ، فَمَا شَأْنُ هَؤُلَاءِ الْمُوَحِّدِينَ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُ؟ فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ②﴾**).

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③﴾ [الحجر: ٣].

﴿ذَرْهُمْ﴾ ذَرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَأْكُلُوا۟﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَا هُمْ آكِلُوهُ..

﴿وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ مِنْ لَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهِمْ فِيهَا إِلَىٰ أَجَلِهِمُ الَّذِي أَجَّلْتُ لَهُمْ..

﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ عَنِ الْأَخْذِ بِحَظِّهِمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِيهَا، وَتَزَوُّدِهِمْ لِمَعَادِهِمْ مِنْهَا بِمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ..

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③﴾ [الحجر: ٣] غَدًا إِذَا وَرَدُوا عَلَيْهِ وَقَدْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَشِرْكِهِمْ، حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابَ اللهِ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ تَمَتُّعِهِمْ بِمَا كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا مِنَ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ كَانُوا فِي خَسَارٍ وَتَبَابٍ.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤﴾ [الحجر: ٤].

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن﴾ أَهْلِ..

﴿قَرۡيَةٍ﴾ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ الَّتِي أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا فِيمَا مَضَىٰ..

﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤﴾ [الحجر: ٤] إِلَّا وَلَهَا أَجَلٌ مُؤَقَّتٌ وَمُدَّةٌ مَعْرُوفَةٌ، لَا نُهْلِكُهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغُوهَا، فَإِذَا بَلَغُوهَا أَهْلَكْنَاهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَكَذَلِكَ أَهْلُ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَنْتَ مِنْهَا وَهِيَ مَكَّةُ، لَا نُهْلِكُ مُشْرِكِي أَهْلِهَا إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ كِتَابِهِمْ أَجَلَهُ، لِأَنَّ مِنْ قَضَائِي أَنْ لَا أُهْلِكَ أَهْلَ قَرْيَةٍ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ كِتَابِهِمْ أَجَلَهُ.

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥﴾ [الحجر: ٥].

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ مَا يَتَقَدَّمُ هَلَاكُ أُمَّةٍ قَبْلَ أَجَلِهَا الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ أَجَلًا لِهَلَاكِهَا..

﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥﴾ [الحجر: ٥] وَلَا يَسْتَأْخِرُ هَلَاكُهَا عَنِ الْأَجَلِ الَّذِي جُعِلَ لَهَا أَجَلًا.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ [الحجر: ٦].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَكَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِيهِ مَوَاعِظَ خَلْقِهِ..

﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ [الحجر: ٦] فِي دُعَائِكَ إِيَّانَا إِلَىٰ أَنْ نَتَّبِعَكَ وَنَذَرَ آلِهَتَنَا.

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ٧﴾ [الحجر: ٧].

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ شَاهِدَةً لَكَ عَلَىٰ صِدْقِ مَا تَقُولُ.. وَالْعَرَبُ تَضَعُ مَوْضِعَ (لَوْ مَا) (لَوْلَا)، وَمَوْضِعَ (لَوْلَا) (لَوْ مَا).

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ٧﴾ [الحجر: ٧] إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابًا، فَإِنَّ الرَّبَّ الَّذِي فَعَلَ مَا تَقُولُ بِكَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِرْسَالُ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ مَعَكَ، حُجَّةً لَكَ عَلَيْنَا، وَآيَةً لَكَ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ وَصِدْقِ مَقَالَتِكَ.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨﴾ [الحجر: ٨].

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ بِالرِّسَالَةِ إِلَىٰ رُسُلِنَا، أَوْ بِالْعَذَابِ لِمَنْ أَرَدْنَا تَعْذِيبَهُ..

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨﴾ [الحجر: ٨] وَلَوْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ مَا يَسْأَلُونَ إِرْسَالَهُمْ مَعَكَ آيَةً فَكَفَرُوا، لَمْ يُنْظَرُوا فَيُؤَخَّرُوا بِالْعَذَابِ، بَلْ عُوجِلُوا بِهِ كَمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ حِينَ سَأَلُوا الْآيَاتِ، فَكَفَرُوا حِينَ أَتَتْهُمُ الْآيَاتِ، فَعَاجَلْنَاهُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ..

﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ وَإِنَّا لِلْقُرْآنِ..

﴿لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩] مِنْ أَنْ يُزَادَ فِيهِ بَاطِلٌ مَا لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ يُنْقَصُ مِنْهُ مَا هُوَ مِنْهُ، مِنْ أَحْكَامِهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠﴾ [الحجر: ١٠].

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠﴾ [الحجر: ١٠] مِنْ قَبْلِكَ فِي الْأُمَمِ الْأَوَّلِينَ رُسُلًا، وَتَرَكَ ذِكْرَ الرُّسُلِ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ عَلَيْهِ، وَعَنَىٰ بِشِيَعِ الْأَوَّلِينَ: أُمَمَ الْأَوَّلِينَ، وَاحِدَتُهَا شِيعَةٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا لِأَوْلِيَاءِ الرَّجُلِ: شِيعَتُهُ.

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١﴾ [الحجر: ١١].

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم﴾ وَمَا يَأْتِي شِيَعَ الْأَوَّلِينَ..

﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ مِنَ اللهِ يُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَالْإِذْعَانِ بِطَاعَتِهِ..

﴿إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١﴾ [الحجر: ١١] إِلَّا كَانُوا يَسْخَرُونَ بِالرَّسُولِ الَّذِي يُرْسِلُهُ اللهُ إِلَيْهِمْ، عُتُوًّا مِنْهُمْ وَتَمَرُّدًا عَلَىٰ رَبِّهِمْ؟

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحجر: ١٢].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا سَلَكْنَا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِ شِيَعِ الْأَوَّلِينَ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِالرُّسُلِ، كَذَلِكَ..

﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ نَفْعَلُ ذَلِكَ.. وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ مِنْ ذِكْرِ الِاسْتِهْزَاءِ بِالرُّسُلِ وَالتَّكْذِيبِ بِهِمْ..

﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحجر: ١٢] فِي قُلُوبِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا بِالْكُفْرِ بِاللهِ.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الحجر: ١٣].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالذِّكْرِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ.. قَالَ قَتَادَةُ: إِذَا كَذَّبُوا سَلَكَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ..

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الحجر: ١٣] لَا يُؤْمِنُ بِهَذَا الْقُرْآنِ قَوْمُكَ الَّذِينَ سَلَكْتُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّكْذِيبَ، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٢٠١﴾ [الشعراء: ٢٠١] أَخْذًا مِنْهُمْ سُنَّةَ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَهُمْ، مِنْ قَوْمِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَضُرَبَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، فَلَمْ تُؤْمِنْ بِمَا جَاءَهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، حَتَّىٰ حَلَّ بِهَا سَخَطُ اللهِ فَهَلَكَتْ.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾ [الحجر: ١٤].

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾ [الحجر: ٧]..

﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾ [الحجر: ١٤] فَظَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ تَعْرُجُ فِيهِ وَهُمْ يَرَوْنَهُمْ عِيَانًا، ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [الحجر: ١٥].. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ بَنُو آدَمَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا هُمْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥].. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: يَرْقَوْنَ فِيهِ وَيَصْعَدُونَ، يُقَالُ مِنْهُ: عَرَجَ يَعْرُجُ عُرُوجًا إِذَا رَقِيَ وَصَعِدَ، وَوَاحِدَةُ الْمَعَارِجِ: مَعْرَجٌ وَمِعْرَاجٌ.

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [الحجر: ١٥].

﴿لَقَالُوٓاْ﴾ لَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ..

﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ مَا هَذَا بِحَقٍّ إِنَّمَا أُخِذَتْ أَبْصَارُنَا وَسُحِرَتْ، فَلَا تُبْصِرُ الشَّيْءَ عَلَىٰ مَا هُوَ بِهِ، وَذَهَبَ حَدُّ أَبْصَارِنَا وَانْطَفَأَ نُورُهُ، كَمَا يُقَالُ لِلشَّيْءِ الْحَارِّ إِذَا ذَهَبَتْ فَوْرَتُهُ وَسَكَنَ حَدُّ حَرِّهِ: قَدْ سَكَرَ يَسْكُرُ..

﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [الحجر: ١٥].

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر: ١٦].

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ﴾ الدُّنْيَا..

﴿بُرُوجًا﴾ مَنَازِلَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهِيَ كَوَاكِبُ يَنْزِلُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ..

﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ بِالْكَوَاكِبِ..

﴿لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر: ١٦] لِمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَأَبْصَرَهَا.

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٧].

﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ وَحَفِظْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا..

﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٧] لَعِينٍ قَدْ رَجَمَهُ اللهُ وَلَعَنَهُ.

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٨].

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ لَكِنْ قَدْ يَسْتَرِقُ مِنَ الشَّيَاطِينِ السَّمْعَ مِمَّا يَحْدُثُ فِي السَّمَاءِ بَعْضُهَا..

﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ فَيَتْبَعُهُ شِهَابٌ مِنَ النَّارِ..

﴿مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٨] يَبِينُ أَثَرُهُ فِيهِ، إِمَّا بِإِخْبَالِهِ وَإِفْسَادِهِ، أَوْ بِإِحْرَاقِهِ.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر: ١٩].

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ وَالأَرْضَ دَحَوْنَاهَا فَبَسَطْنَاهَا..

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾ وَأَلْقَيْنَا فِي ظُهُورِهَا..

﴿رَوَاسِيَ﴾ جِبَالًا ثَابِتَةً..

﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا﴾ فِي الأَرْضِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر: ١٩] مُقَدَّرٍ، وَبِحَدٍّ مَعْلُومٍ.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجر: ٢٠].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الأَرْضِ..

﴿مَعَايِشَ﴾ جَمْعُ مَعِيشَةٍ..

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجر: ٢٠] مِنَ الْعَبِيدِ، وَالإِمَاءِ، وَالدَّوَابِّ، وَالأَنْعَامِ، فَمَعْنَى

ذَلِكَ: وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، وَالْعَبِيدَ، وَالْإِمَاءَ، وَالدَّوَابَّ، وَالْأَنْعَامَ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، حَسُنَ أَنْ تُوضَعَ حِينَئِذٍ مَكَانَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ وَالدَّوَابِّ (مَنْ) وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا أَرَادَتِ الْخَبَرَ عَنِ الْبَهَائِمِ مَعَهَا بَنُو آدَمَ.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

﴿وَإِن﴾ وَمَا..

﴿مِّن شَيْءٍ﴾ مِنَ الْأَمْطَارِ..

﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ﴾ إِلَّا بِقَدَرٍ، لِكُلِّ أَرْضٍ..

﴿مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١] عِنْدَنَا حَدُّهُ وَمَبْلَغُهُ.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: ٢٢].

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ تُلْقِحُ السَّحَابَ وَالْأَشْجَارَ، فَهِيَ لَاقِحَةٌ مُلْقِحَةٌ، وَلَقْحُهَا: حَمْلُهَا الْمَاءَ، وَإِلْقَاحُهَا السَّحَابَ وَالشَّجَرَ عَمَلُهَا فِيهِ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (**يُرْسِلُ اللهُ الرِّيَاحَ فَتَحْمِلُ الْمَاءَ، فَتَجْرِي السَّحَابَ، فَتَدِرُّ كَمَا تُدِرُّ اللَّقْحَةُ ثُمَّ تُمْطِرُ**).. فَقَدْ بَيَّنَ عَبْدُ اللهِ بِقَوْلِهِ: يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتَحْمِلُ الْمَاءَ، أَنَّهَا هِيَ اللَّاقِحَةُ بِحَمْلِهَا الْمَاءَ، وَإِنْ كَانَتْ مُلْقِحَةً بِإِلْقَاحِهَا السَّحَابَ وَالشَّجَرَ.

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَأَسْقَيْنَاكُمْ ذَلِكَ الْمَطَرَ لِشُرْبِ أَرْضِكُمْ وَمَوَاشِيكُمْ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ: أَنْزَلْنَاهُ لِتَشْرَبُوهُ، لَقِيلَ: فَسَقَيْنَاكُمُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ إِذَا سَقَتِ الرَّجُلُ مَاءً شَرِبَهُ أَوْ لَبَنًا أَوْ غَيْرَهُ: (**سَقَيْتُهُ**) بِغَيْرِ أَلِفٍ إِذَا كَانَ لِسَقْيِهِ، وَإِذَا جَعَلُوا لَهُ مَاءً لِشُرْبِ أَرْضِهِ أَوْ مَاشِيَتِهِ، قَالُوا: أَسْقَيْتُهُ وَأَسْقَيْتُ أَرْضَهُ وَمَاشِيَتَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا اسْتَسْقَتْ لَهُ، قَالُوا: أَسْقَيْتُهُ وَاسْتَسْقَيْتُهُ..

﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: ٢٢] وَلَسْتُمْ بِخَازِنِي الْمَاءَ الَّذِي أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ، فَتَمْنَعُوهُ مَنْ أُسْقِيهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِيَّ وَإِلَيَّ، أَسْقِيهِ مَنْ أَشَاءُ وَأَمْنَعُهُ مَنْ أَشَاءُ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر: ٢٣].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾ مَنْ كَانَ مَيِّتًا إِذَا أَرَدْنَا..

﴿وَنُمِيتُ﴾ مَنْ كَانَ حَيًّا إِذَا شِئْنَا..

﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر: ٢٣] وَنَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا بِأَنْ نُمِيتَ جَمِيعَهُمْ، فَلَا يَبْقَىٰ حَيٌّ سِوَانَا إِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْأَجَلُ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر: ٢٤].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الْأَمْوَاتَ..

﴿مِنكُمْ﴾ يَا بَنِي آدَمَ فَتَقَدَّمَ مَوْتُهُ..

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر: ٢٤] الَّذِينَ اسْتَأْخَرَ مَوْتُهُمْ مِمَّنْ هُوَ حَيٌّ، وَمَنْ هُوَ حَادِثٌ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَحْدُثْ بَعْدُ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَمَّ بِالْمَعْنَىٰ الْمُرَادِ مِنْهُ جَمِيعَ الْخَلْقِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: قَدْ عَلِمْنَا مَا مَضَىٰ مِنَ الْخَلْقِ وَأَحْصَيْنَاهُمْ، وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَمَنْ هُوَ حَيٌّ مِنْكُمْ وَمَنْ هُوَ حَادِثٌ بَعْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَعْمَالَ جَمِيعِكُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، وَأَحْصَيْنَا جَمِيعَ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَحْشُرُ جَمِيعَهُمْ، فَنُجَازِي كُلًّا بِأَعْمَالِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، فَيَكُونُ ذَلِكَ تَهْدِيدًا لِكُلِّ مَنْ تَعَدَّىٰ حَدَّ اللهِ، وَعَمِلَ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ لَهُ بِهِ، وَوَعْدًا لِمَنْ سَارَعَ إِلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ فِي أَفْعَالِهِ كُلِّهَا.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٥].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ هُوَ يَجْمَعُ جَمِيعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَهْلُ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ وَالْمَعْصِيَةِ، وَكُلُّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْهُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكَ..

﴿حَكِيمٌ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ فِي إِحْيَائِهِمْ إِذَا أَحْيَاهُمْ، وَفِي إِمَاتَتِهِمْ إِذَا أَمَاتَهُمْ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٥] بِعَدَدِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَبِالْحَيِّ مِنْهُمْ، وَالْمَيِّتِ، وَالْمُسْتَقْدِمِ مِنْهُمْ، وَالْمُسْتَأْخِرِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: ٢٦].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ وَهُوَ الْإِنْسَانُ..

﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ هُوَ الطِّينُ الْيَابِسُ لَمْ تُصِبْهُ نَارٌ، فَإِذَا نَقَرْتَهُ صَلَّ فَسَمِعْتَ لَهُ صَلْصَلَةً، وَذَلِكَ

أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن: ١٤]، فَشَبَّهَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِأَنَّهُ كَانَ كَالْفَخَّارِ فِي يُبْسِهِ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْمُنْتِنَ لَمْ يُشَبِّهْهُ بِالْفَخَّارِ، لِأَنَّ الْفَخَّارَ لَيْسَ بِمُنْتِنٍ، فَيُشَبَّهُ بِهِ فِي النَّتَنِ غَيْرُهُ..

﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ جَمْعُ حَمْأَةٍ، وَهُوَ الطِّينُ الْمُتَغَيِّرُ إِلَىٰ السَّوَادِ..

﴿مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: ٢٦] هُوَ الْمُتَغَيِّرُ، كَأَنَّهُ أُخِذَ مِنْ سَنَنْتُ الْحَجَرَ عَلَىٰ الْحَجَرِ، وَذَلِكَ أَنْ يُحَكَّ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، يُقَالُ مِنْهُ: سَنَنْتُهُ أَسُنُّهُ سَنًّا فَهُوَ مَسْنُونٌ، قَالَ: وَيُقَالُ لِلَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا: سَنِينَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مُنْتِنًا، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمِسَنُّ، لِأَنَّ الْحَدِيدَ يُسَنُّ عَلَيْهِ.

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الحجر: ٢٧].

﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ عَنَيَ بِالْجَانِّ هَهُنَا: إِبْلِيسَ أَبَا الْجِنِّ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَإِبْلِيسُ..

﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ إِبْلِيسُ خُلِقَ قَبْلَ آدَمَ..

﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الحجر: ٢٧] الْحَارَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨﴾ [الحجر: ٢٨].

﴿وَإِذْ﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ، إِذْ..

﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨﴾ [الحجر: ٢٨].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: ٢٩].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فَإِذَا صَوَّرْتُهُ فَعَدَلْتُ صُورَتَهُ..

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فَصَارَ بَشَرًا حَيًّا..

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: ٢٩] سُجُودُ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِمَةٍ لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾ [الحجر: ٣٠].

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾ فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ الْبَشَرَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ بَعْدَ أَنْ سَوَّاهُ سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ جَمِيعًا.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾ [الحجر: ٣١].

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فَإِنَّهُ..

﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾ [الحجر: ٣١] فِي سُجُودِهِمْ لِآدَمَ حِينَ سَجَدُوا، فَلَمْ يَسْجُدْ لَهُ مَعَهُمْ تَكَبُّرًا وَحَسَدًا وَبَغْيًا.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢﴾ [الحجر: ٣٢].

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ مَا مَنَعَكَ مِنْ..

﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢﴾ [الحجر: ٣٢].

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣﴾ [الحجر: ٣٣].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ..

﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣﴾ [الحجر: ٣٣] وَهُوَ مِنْ طِينٍ وَأَنَا مِنْ نَارٍ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الطِّينَ.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤﴾ [الحجر: ٣٤].

﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِإِبْلِيسَ..

﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤﴾ [الحجر: ٣٤] وَالرَّجِيمُ الْمَرْجُومُ، وَهُوَ الْمَشْتُومُ.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾ [الحجر: ٣٥].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ وَإِنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْكَ بِإِخْرَاجِهِ إِيَّاكَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَطَرْدِكَ عَنْهَا..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾ [الحجر: ٣٥] إِلَىٰ يَوْمِ الْمُجَازَاةِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦﴾ [الحجر: ٣٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ..

﴿رَبِّ﴾ فَإِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السَّمَوَاتِ وَلَعَنْتَنِي..

﴿فَأَنظِرْنِيٓ﴾ فَأَخِّرْنِي..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦﴾ [الحجر: ٣٦] إِلَىٰ يَوْمِ تَبْعَثُ خَلْقَكَ مِنْ قُبُورِهِمْ فَتَحْشُرُهُمْ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧﴾ [الحجر: ٣٧].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ..

﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧﴾ [الحجر: ٣٧] فَإِنَّكَ مِمَّنْ أُخِّرَ هَلَاكُهُ.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨﴾ [الحجر: ٣٨].

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨﴾ [الحجر: ٣٨] لِهَلَاكِ جَمِيعِ خَلْقِي، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ دَيَّارٌ.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩﴾ [الحجر: ٣٩].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ بِإِغْوَائِكَ.. وَكَأَنَّ قَوْلَهُ: «بِمَا أَغْوَيْتَنِي» خَرَجَ مَخْرَجَ الْقَسَمِ، كَمَا يُقَالُ: بِاللهِ، أَوْ بِعِزَّةِ اللهِ لَأُغْوِيَنَّهُمْ..

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لَأُحَسِّنَنَّ لَهُمْ مَعَاصِيكَ، وَلَأُحَبِّبَنَّهَا إِلَيْهِمْ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩﴾ [الحجر: ٣٩] وَلَأُضِلَّنَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر: ٤٠].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر: ٤٠] إِلَّا مَنْ أَخْلَصْتَهُ بِتَوْفِيقِكَ فَهَدَيْتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّنْ لَا سُلْطَانَ لِي عَلَيْهِ، وَلَا طَاقَةَ لِي بِهِ.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾ [الحجر: ٤١].

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾ [الحجر: ٤١] هَذَا طَرِيقٌ مَرْجِعُهُ إِلَيَّ فَأُجَازِي كُلًّا بِأَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ١٤]، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ لِمَنْ يَتَوَعَّدُهُ وَيَتَهَدَّدُهُ: (طَرِيقُكَ عَلَيَّ)، وَ(أَنَا عَلَىٰ طَرِيقِكَ)، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ مَعْنَاهُ: هَذَا طَرِيقٌ عَلَيَّ، وَهَذَا طَرِيقٌ إِلَيَّ.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: ٤٢].

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ لَكَ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ..

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ عَلَىٰ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ..

﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: ٤٢] مِنَ الضَّلَالَةِ مِمَّنْ غَوَىٰ وَهَلَكَ.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣﴾ [الحجر: ٤٣].

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِإِبْلِيسَ: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُ مَنْ

تبعَكَ أجمَعِينَ.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤].

﴿لَهَا﴾ لِجَهَنَّم..

﴿سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ سَبْعَةُ أَطْبَاقٍ..

﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ لِكُلِّ طَبَقٍ مِنْهُم..

﴿جُزْءٌ﴾ مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ..

﴿مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤] قِسْمًا وَنَصِيبًا مَقْسُومًا.. وَذُكِرَ أَنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ طَبَقَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، قال حِطَّانُ البَصْرِيُّ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: (**إِنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ هَكَذَا، وَوَضَعَ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ عَلَىٰ الأُخْرَىٰ**).. قَالَ قَتَادَةُ: (**وَهِيَ وَاللهِ مَنَازِلُ بِأَعْمَالِهِمْ**).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ بِطَاعَتِهِ وَخَافُوهُ، فَتَجَنَّبُوا مَعَاصِيهِ..

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥] يُقَالُ لَهُمْ.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦].

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦] أَنْ تُسْلَبُوا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَكَرَامَةً أَكْرَمَكُمْ بِهَا.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿وَنَزَعْنَا﴾ وَأَخْرَجْنَا..

﴿مَا فِى صُدُورِهِم﴾ مَا فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ مِنْ حِقْدٍ وَضَغِينَةٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ**»..

﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جَمْعُ سَرِيرٍ..

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧] **يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ وَجْهَ بَعْضٍ، لَا يَسْتَدْبِرُهُ فَيَنْظُرَ فِي قَفَاهُ.**

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨].

﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾ لَا يَمَسُّ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ..

﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾ تَعَبٌ..

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا﴾ وَمَا هُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ فِيهَا..

﴿بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] بَلْ ذَلِكَ دَائِمٌ أَبَدًا.

﴿* نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩].

﴿* نَبِّئْ﴾ أَخْبِرْ..

﴿عِبَادِي﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ﴾ الَّذِي أَسْتُرُ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ إِذَا تَابُوا مِنْهَا وَأَنَابُوا، بِتَرْكِ فَضِيحَتِهِمْ بِهَا وَعُقُوبَتِهِمْ عَلَيْهَا..

﴿الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩] بِهِمْ أَنْ أُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا عَلَيْهَا.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٥٠].

﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ وَأَخْبِرْهُمْ أَيْضًا أَنَّ عَذَابِي لِمَنْ أَصَرَّ عَلَىٰ مَعَاصِيَّ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا..

﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٥٠] الْمُوجِعُ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ عَذَابٌ، وَهَذَا مِنَ اللهِ تَحْذِيرٌ لِخَلْقِهِ التَّقَدُّمَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، وَأَمْرٌ مِنْهُ لَهُمْ بِالْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ [الحجر: ٥١].

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ وَأَخْبِرْ عِبَادِي يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ [الحجر: ٥١] يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ دَخَلُوا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ حِينَ أَرْسَلَهُمْ رَبُّهُمْ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ لِيُهْلِكُوهُمْ.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحجر: ٥٢].

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا﴾ فَقَالَ الضَّيْفُ لِإِبْرَاهِيمَ.. فَجَمَعَ الْخَبَرَ عَنْهُمْ وَهُمْ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ الضَّيْفَ اسْمٌ لِلْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ مِثْلَ الْوَزْنِ وَالْقَطْرِ وَالْعَدْلِ، فَلِذَلِكَ جَمَعَ خَبَرَهُ وَهُوَ لَفْظٌ وَاحِدٌ..

﴿سَلَٰمٗا قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ۝٥٢﴾ [الحجر: ٥٢] خَائِفُونَ.

﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٥٣﴾ [الحجر: ٥٣].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الضَّيْفُ لِإِبْرَاهِيمَ..

﴿لَا تَوۡجَلۡ﴾ لَا تَخَفْ..

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٥٣﴾ [الحجر: ٥٣].

﴿قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤﴾ [الحجر: ٥٤].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ..

﴿أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤﴾ [الحجر: ٥٤] فَبِأَيِّ شَيْءٍ تُبَشِّرُونَ.

﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝٥٥﴾ [الحجر: ٥٥].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ لَهُ..

﴿بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بَشَّرْنَاكَ بِحَقٍّ يَقِينٍ، وَعِلْمٍ مِنَّا بِأَنَّ اللهَ قَدْ وَهَبَ لَكَ غُلَامًا عَلِيمًا..

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝٥٥﴾ [الحجر: ٥٥] الَّذِينَ يَقْنَطُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ فَيَيْأَسُونَ مِنْهُ، وَلَكِنْ أَبْشِرْ بِمَا بَشَّرْنَاكَ بِهِ وَاقْبَلِ الْبُشْرَىٰ.

﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِلضَّيْفِ..

﴿وَمَن يَقۡنَطُ﴾ وَمَنْ يَيْأَسُ..

﴿مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦] إِلَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ قَدْ أَخْطَئُوا سَبِيلَ الصَّوَابِ، وَتَرَكُوا قَصْدَ السَّبِيلِ فِي تَرْكِهِمْ رَجَاءَ اللهِ، وَلَا يَخِيبُ مَنْ رَجَاهُ، فَضَلُّوا بِذَلِكَ عَنْ دِينِ اللهِ.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٧﴾ [الحجر: ٥٧].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِلْمَلَائِكَةِ..

﴿فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾ فَمَا شَأْنُكُمْ؟..

﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧﴾ [الحجر: ٥٧] مَا أَمْرُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ؟

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨﴾ [الحجر: ٥٨].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ..

﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨﴾ [الحجر: ٥٨] قَدِ اكْتَسَبُوا الْكُفْرَ بِاللهِ.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩﴾ [الحجر: ٥٩].

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ إِلَّا أَتْبَاعَ لُوطٍ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ، فَـ..

﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩﴾ [الحجر: ٥٩] إِنَّا لَنْ نُهْلِكَهُمْ، بَلْ نُنْجِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أُمِرْنَا أَنْ نُعَذِّبَ بِهِ قَوْمَ لُوطٍ.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر: ٦٠].

﴿إِلَّا﴾ سِوَىٰ..

﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ امْرَأَةَ لُوطٍ..

﴿قَدَّرْنَآ﴾ قَضَىٰ اللهُ فِيهَا..

﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر: ٦٠] الْبَاقِينَ، ثُمَّ هِيَ مُهْلَكَةٌ بَعْدُ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١﴾ [الحجر: ٦١].

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ فَلَمَّا أَتَىٰ رُسُلُ اللهِ..

﴿ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١﴾ [الحجر: ٦١] أَنْكَرَهُمْ لُوطٌ فَلَمْ يَعْرِفْهُمْ وَ.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾ [الحجر: ٦٢].

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾ [الحجر: ٦٢] نُنْكِرُكُمْ لَا نَعْرِفُكُمْ.

﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣﴾ [الحجر: ٦٣].

﴿قَالُواْ﴾ فَقَالَتْ لَهُ الرُّسُلُ..

﴿بَلْ﴾ نَحْنُ رُسُلُ اللهِ..

﴿جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ﴾ جِئْنَاكَ بِمَا كَانَ فِيهِ قَوْمُكَ..

﴿يَمۡتَرُونَ ٦٣﴾ [الحجر: ٦٣] يَشُكُّونَ أَنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ.

﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٦٤﴾ [الحجر: ٦٤].

﴿وَأَتَيۡنَٰكَ﴾ وَقَالَتِ الرُّسُلُ لِلُوطٍ: وَجِئْنَاكَ..

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الْيَقِينِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَذَلِكَ الْحَقُّ هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي عَذَّبَ اللهُ بِهِ قَوْمَ لُوطٍ، وَقَدْ ذَكَرْتُ خَبَرَهُمْ وَقَصَصَهُمْ فِي سُورَةِ هُودٍ وَغَيْرِهَا، حِينَ بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهِ..

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٦٤﴾ [الحجر: ٦٤] فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ يَا لُوطُ مِنْ أَنَّ اللهَ مُهْلِكُ قَوْمِكَ.

﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ٦٥﴾ [الحجر: ٦٥].

﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ رُسُلِهِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلُوطٍ: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِبَقِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ..

﴿وَٱتَّبِعۡ﴾ واتبعْ يَا لُوطُ..

﴿أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ أَدْبَارَ أَهْلِكَ الَّذِينَ تَسْرِي بِهِمْ، وَكُنْ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَسِرْ خَلْفَهُمْ وَهُمْ أَمَامَكَ..

﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ﴾ وَرَاءَهُ..

﴿أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ٦٥﴾ [الحجر: ٦٥] وَامْضُوا حَيْثُ يَأْمُرُكُمُ اللهُ.

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ٦٦﴾ [الحجر: ٦٦].

﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ وَفَرَغْنَا..

﴿إِلَيۡهِ﴾ إِلَىٰ لُوطٍ مِنْ..

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ وَأَوْحَيْنَا..

﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إِنَّ آخِرَ قَوْمِكَ وَأَوَّلَهُمْ..

﴿مَقۡطُوعٞ﴾ مَجْذُوذٌ مُسْتَأْصَلٌ..

﴿مُّصۡبِحِينَ ٦٦﴾ [الحجر: ٦٦] صَبَاحَ لَيْلَتِهِمْ.

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧﴾ [الحجر: ٦٧].

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ وَجَاءَ أَهْلُ مَدِينَةِ سَدُومَ وَهُمْ قَوْمُ لُوطٍ لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ ضَيْفًا قَدْ ضَافَ لُوطًا..

﴿يَسْتَبْشِرُونَ ۝٦٧﴾ [الحجر: ٦٧] مُسْتَبْشِرِينَ بِنُزُولِهِمْ مَدِينَتَهِمْ، طَمَعًا مِنْهُمْ فِي رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨﴾ [الحجر: ٦٨].

﴿قَالَ﴾ لُوطٌ لِقَوْمِهِ..

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ الَّذِينَ جِئْتُمُوهُمْ تُرِيدُونَ مِنْهُمُ الْفَاحِشَةَ..

﴿ضَيْفِي﴾ وَحَقٌّ عَلَىٰ الرَّجُلِ إِكْرَامُ ضَيْفِهِ..

﴿فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨﴾ [الحجر: ٦٨] أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي ضَيْفِي، وَأَكْرِمُونِي فِي تَرْكِكُمُ التَّعَرُّضَ لَهُمْ بِالْمَكْرُوهِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝٦٩﴾ [الحجر: ٦٩].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ فِيَّ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عِقَابُهُ..

﴿وَلَا تُخْزُونِ ۝٦٩﴾ [الحجر: ٦٩] وَلَا تُذِلُّونِي وَلَا تُهِينُونِي فِيهِمْ بِالتَّعَرُّضِ لَهُمْ بِالْمَكْرُوهِ.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٧٠﴾ [الحجر: ٧٠].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ لِلُوطٍ قَوْمُهُ..

﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٧٠﴾ [الحجر: ٧٠] أَوَلَمْ نَنْهَكَ أَنْ تُضَيِّفَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ؟

﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝٧١﴾ [الحجر: ٧١].

﴿قَالَ﴾ لُوطٌ لِقَوْمِهِ..

﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ فَأْتُوهُنَّ، وَلَا تَفْعَلُوا مَا قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ إِتْيَانِ الرِّجَالِ..

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝٧١﴾ [الحجر: ٧١] مَا آمُرُكُمْ بِهِ وَمُنْتَهِينَ إِلَىٰ أَمْرِي.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: ٧٢].

﴿لَعَمْرُكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ قَوْمَكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ لَفِي ضَلَالَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ..

﴿يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: ٧٢] يَتَرَدَّدُونَ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣﴾ [الحجر: ٧٣].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ، وَهِيَ الصَّيْحَةُ.. يُقَالُ مِنْهُ: صِيحَ بِهِمْ، إِذَا أُهْلِكُوا..

﴿مُشْرِقِينَ ۝٧٣﴾ [الحجر: ٧٣] إِذْ أَشْرَقُوا، وَمَعْنَاهُ: إِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَنَصَبَ ﴿مُشْرِقِينَ ۝٧٣﴾ وَ﴿مُّصْبِحِينَ ۝٦٦﴾ [الحجر: ٦٦] عَلَىٰ الحَالِ، بِمَعْنَىٰ: إِذَا أَصْبَحُوا، وَإِذْ أَشْرَقُوا.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾ [الحجر: ٧٤].

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَ أَرْضِهِمْ سَافِلَهَا..

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾ [الحجر: ٧٤] مِنْ طِينٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر: ٧٥].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي فَعَلْنَا بِقَوْمِ لُوطٍ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ، وَأَحْلَلْنَا بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ لَعَلَامَاتٌ وَدَلَالَاتٌ..

﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر: ٧٥] لِلْمُتَفَرِّسِينَ الْمُعْتَبِرِينَ بِعَلَامَاتِ اللهِ، وَعِبْرَةً عَلَىٰ عَوَاقِبِ أُمُورِ أَهْلِ مَعَاصِيهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ قَوْمَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ، يَقُولُ: فَلِقَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ فِي قَوْمِ لُوطٍ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ وَتَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ، مُعْتَبَرٌ.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾ [الحجر: ٧٦].

﴿وَإِنَّهَا﴾ وَإِنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ، مَدِينَةَ سَدُومٍ..

﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ لَبِطَرِيقٍ وَاضِحٍ..

﴿مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾ [الحجر: ٧٦] يَرَاهَا الْمُجْتَازُ بِهَا، لَا خَفَاءَ بِهَا، وَلَا يَبْرَحُ مَكَانَهَا، فَيَجْهَلُ ذُو لُبٍّ أَمْرَهَا، وَغِبَّ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَالْكُفْرِ بِهِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ [الحجر: ٧٧].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي صَنِيعِنَا بِقَوْمِ لُوطٍ مَا صَنَعْنَا بِهِمْ..

﴿لَأٓيَةً﴾ لَعَلَامَةٌ وَدَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ..

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ [الحجر: ٧٧] لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ عَلَىٰ انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَإِنْقَاذِهِ مِنْ عَذَابِهِ،

إِذَا نَزَلَ بِقَوْمٍ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِهِ مِنْهُمْ.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨﴾ [الحجر: ٧٨].

﴿وَإِن﴾ وَقَدْ..

﴿كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ كَانَ أَصْحَابُ الْغَيْضَةِ.. وَالْأَيْكَةُ: الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ الْمُجْتَمِعُ، وَكَانُوا يَأْكُلُونَ فِي الصَّيْفِ الْفَاكِهَةَ الرَّطْبَةَ، وَفِي الشِّتَاءِ الْيَابِسَةَ..

﴿لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨﴾ [الحجر: ٧٨] كَانُوا بِاللهِ كَافِرِينَ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(وَكَانَ رَسُولُهُمْ فِيمَا بَلَغَنَا شُعَيْبٌ ﷺ، أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ، أُرْسِلَ إِلَىٰ أُمَّتَيْنِ مِنَ النَّاسِ، وَعُذِّبَتَا بِعَذَابَيْنِ شَتَّىٰ، أَمَّا أَهْلُ مَدْيَنَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ، فَكَانُوا أَهْلَ شَجَرٍ مُتَكَاوِسٍ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْحَرُّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، لَا يُظِلُّهُمْ مِنْهُ ظِلٌّ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ سَحَابَةً، فَحَلُّوا تَحْتَهَا يَلْتَمِسُونَ الرَّوْحَ فِيهَا، فَجَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا، بَعَثَ عَلَيْهِمْ نَارًا فَاضْطَرَمَتْ عَلَيْهِمْ فَأَكَلَتْهُمْ، فَذَلِكَ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)**.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ۝٧٩﴾ [الحجر: ٧٩].

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْ ظَلَمَةِ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ..

﴿وَإِنَّهُمَا﴾ وَإِنَّ مَدِينَةَ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ وَمَدِينَةَ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿لَبِإِمَامٖ﴾ لَبِطَرِيقٍ يَأْتَمُّونَ بِهِ فِي سَفَرِهِمْ وَيَهْتَدُونَ بِهِ..

﴿مُّبِينٖ ۝٧٩﴾ [الحجر: ٧٩] يَبِينُ لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ اسْتِقَامَتُهُ، وَإِنَّمَا جُعِلَ الطَّرِيقُ إِمَامًا لِأَنَّهُ يُؤَمُّ وَيُتَّبَعُ.

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر: ٨٠].

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ سُكَّانُ الْحِجْرِ، وَجُعِلُوا لِسُكْنَاهُمْ فِيهَا وَمَقَامُهُمْ بِهَا أَصْحَابُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف: ٤٤]، فَجَعَلَهُمْ أَصْحَابَهَا لِسُكْنَاهُمْ فِيهَا وَمَقَامُهُمْ بِهَا، وَالْحِجْرِ: مَدِينَةُ ثَمُودَ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ الْحِجْرِ: **(أَصْحَابُ الْوَادِي)**..

﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر: ٨٠] قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّىٰ خَلَّفَهَا»**.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٨١﴾ [الحجر: ٨١].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وَأَرَيْنَاهُمْ..

﴿ءَايَٰتِنَا﴾ أَدِلَّتَنَا وَحُجَجِنَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْهِمْ رَسُولَنَا صَالِحًا..

﴿فَكَانُواْ عَنْهَا﴾ فَكَانُوا عَنْ آيَاتِنَا الَّتِي آتَيْنَاهُمُوهَا..

﴿مُعْرِضِينَ ٨١﴾ [الحجر: ٨١] لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا وَلَا يَتَّعِظُونَ.

﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾ [الحجر: ٨٢].

﴿وَكَانُواْ﴾ وَكَانَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ، وَهُمْ ثَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ..

﴿يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾ [الحجر: ٨٢] مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَقِيلَ: آمِنِينَ مِنَ الْخَرَابِ أَنْ تُخَرَّبَ بُيُوتُهُمُ الَّتِي نَحَتُوهَا مِنَ الْجِبَالِ، وَقِيلَ: آمِنِينَ مِنَ الْمَوْتِ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ٨٣﴾ [الحجر: ٨٣].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةُ الْهَلَاكِ..

﴿مُصْبِحِينَ ٨٣﴾ [الحجر: ٨٣] حِينَ أَصْبَحُوا مِنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي وُعِدُوا الْعَذَابَ، وَقِيلَ لَهُمْ: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٨٤﴾ [الحجر: ٨٤].

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾ فَمَا دَفَعَ..

﴿عَنْهُم﴾ عَذَابَ اللهِ..

﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٨٤﴾ [الحجر: ٨٤] مَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ قَبْلَ ذَلِكَ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر: ٨٥].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وَمَا خَلَقْنَا الْخَلَائِقَ كُلَّهَا، سَمَاءَهَا وَأَرْضَهَا، مَا فِيهِمَا..

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ مِمَّا فِي أَطْبَاقِ ذَلِكَ..

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، لَا بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَظْلِمْ أَحَدًا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي اقْتَصَّ قَصَصَهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَصَصَ إِهْلَاكِهِ إِيَّاهَا بِمَا فَعَلَ بِهِ

مِنْ تَعْجِيلِ النِّقْمَةِ لَهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ، فَيُعَذِّبُهُ وَيُهْلِكُهُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَلَكِنَّهُ خَالِقُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ..

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَإِنَّ السَّاعَةَ، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ..

﴿لَآتِيَةٌ﴾ لَجَائِيَةٌ، فَارْضَ بِهَا لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ وَرَدُّوا عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر: ٨٥] فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ إِعْرَاضًا جَمِيلًا، وَاعْفُ عَنْهُمْ عَفْوًا حَسَنًا.. قَالَ قَتَادَةُ: (**نَسَخَ ذَلِكَ بَعْدُ، فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقِتَالِهِمْ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، لا يَقْبَلُ مِنْهُمْ غَيْرَهُ**).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحجر: ٨٦].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحجر: ٨٦] وَهُوَ عَالِمٌ بِهِمْ وَبِتَدْبِيرِهِمْ وَمَا يَأْتُونَ مِنَ الْأَفْعَالِ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: ٨٧].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعَ آيَاتٍ مِمَّا يَثْنِي بَعْضُ آيِهِ بَعْضًا، هُنَّ آيَاتُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُنَّ سَبْعُ آيَاتٍ؛ وَلِصِحَّةِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ: «**أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً، لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلا فِي الزَّبُورِ، وَلا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَكَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلاةِ؟**» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْكِتَابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فِي التَّوْرَاةِ، وَلا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلا فِي الزَّبُورِ، وَلا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**».. وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّىٰ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَصَلَّىٰ، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟**» قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** [الأنفال: ٢٤] **؟**» قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَثَانِي؛ لِأَنَّهَا تُثْنَىٰ فِي كُلِّ صَلاةٍ، أَوْ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ اسْتَثْنَاهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ دُونَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِ، فَادَّخَرَهَا لَهُ..

﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ جَمْعُ مَثْنَاةٍ، وَهِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ، مَوْصُوفَةٌ بِذَلِكَ، لِأَنَّ بَعْضَهَا يَثْنِي بَعْضًا،

وبَعْضَهَا يَتْلُو بَعْضًا بِفُصُولٍ تَفْصِلُ بَيْنَهَا، فَيُعْرَفُ انْقِضَاءُ الْآيَةِ وَابْتِدَاءُ الَّتِي تَلِيهَا، كَمَا وَصَفَهَا بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَقَالَ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لَهُ مَثَانِي؛ لِأَنَّ الْقَصَصَ وَالْأَخْبَارَ كُرِّرَتْ فِيهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ..

﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧] الْقُرْآنَ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ السَّبْعِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْقُرْآنِ.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨].

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ لَا تَتَمَنَّيَنَّ يَا مُحَمَّدُ مَا جَعَلْنَا مِنْ زِينَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعًا لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِمْ عَذَابًا غَلِيظًا..

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَىٰ مَا مُتِّعُوا بِهِ فَعُجِّلَ لَهُمْ، فَإِنَّ لَكَ فِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، مَعَ الَّذِي قَدْ عَجَّلْنَا لَكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَرَامَةِ بِإِعْطَائِنَا السَّبْعَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.. وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»، أَيْ مَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ بِهِ، وَيَقُولُ: أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧- ٨٨]، فَأَمَرَهُ بِالِاسْتِغْنَاءِ بِالْقُرْآنِ عَنِ الْمَالِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ الْآخَرِ: مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَرَأَىٰ أَنَّ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيرًا وَصَغَّرَ عَظِيمًا..

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨] وَأَلِنْ لِمَنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ وَاتَّبَعَ كَلَامَكَ، وَقَرِّبْهُمْ مِنْكَ، وَلَا تَجْفُ بِهِمْ، وَلَا تَغْلُظْ عَلَيْهِمْ يَأْمُرُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالرِّفْقِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْجَنَاحَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ: جَنْبَاهُ، وَالْجَنَاحَانِ: النَّاحِيَتَانِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢]، قِيلَ: مَعْنَاهُ: إِلَىٰ نَاحِيَتِكَ وَجَنْبِكَ.

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [الحجر: ٨٩].

﴿وَقُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ..

﴿إِنِّىٓ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [الحجر: ٨٩] الَّذِي قَدْ أَبَانَ إِنْذَارَهُ لَكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعِقَابِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مِنَ اللهِ عَلَىٰ تَمَادِيكُمْ فِي غَيِّكُمْ.

﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ۝٩٠﴾ [الحجر: ٩٠].

﴿كَمَآ﴾ مِثْلَ الَّذِي..

﴿أَنزَلۡنَا﴾ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعِقَابِ..

﴿عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ۝٩٠﴾ [الحجر: ٩٠] جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِالْمُقْتَسِمِينَ: أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ؛ لِأَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا كِتَابَ اللهِ، فَأَقَرَّتِ الْيَهُودُ بِبَعْضِ التَّوْرَاةِ وَكَذَّبَتْ بِبَعْضِهَا، وَكَذَّبَتْ بِالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، وَأَقَرَّتِ النَّصَارَىٰ بِبَعْضِ الْإِنْجِيلِ وَكَذَّبَتْ بِبَعْضِهِ وَبِالْفُرْقَانِ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ؛ لِأَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا الْقُرْآنَ، فَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ شِعْرًا وَبَعْضٌ كَهَانَةً، وَبَعْضٌ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِهِ الْفَرِيقَانِ.. فَإِذْ لَمْ يَكُنْ فِي التَّنْزِيلِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ عُنِيَ بِهِ أَحَدٌ دُونَ الْآخَرِينَ، وَلَا فِي خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا فِي فِطْرَةِ عَقْلٍ، وَكَانَ ظَاهِرُ الْآيَةِ مُحْتَمِلًا مَا وَصَفْتُ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُقْتَضِيًا بِأَنَّ كُلَّ مَنِ اقْتَسَمَ كِتَابًا للهِ بِتَكْذِيبِ بَعْضٍ وَتَصْدِيقِ بَعْضٍ، وَاقْتَسَمَ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ مِمَّنْ حَلَّ بِهِ عَاجِلُ نِقْمَةِ اللهِ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَدَاخِلٌ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لِأَشْكَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ كَانُوا عِبْرَةً، وَلِلْمُتَّعِظِينَ بِهِمْ مِنْهُمْ عِظَةً.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١].

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ﴾ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا..

﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فَجَعَلُوهُ..

﴿عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١] كَانَ عَضْهُهُمْ إِيَّاهُ: قَذْفُهُمُوهُ بِالْبَاطِلِ، وَقِيلِهِمْ إِنَّهُ شِعْرٌ وَسِحْرٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: ٩٢].

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ فَوَرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾ لَنَسْأَلَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا عِضِينَ..

﴿أَجۡمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: ٩٢] فِي الْآخِرَةِ.

﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: ٩٣].

﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: ٩٣] فِي الدُّنْيَا فِيمَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَفِيمَا بَعَثْنَاكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ آيِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِمْ، وَفِيمَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهِ، وَمِنْ تَوْحِيدِي، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ فَأَمْضِ وَافْرُقْ بِالْقُرْآنِ الَّذِي يُوحَىٰ إِلَيْكَ فَبَلِّغْهُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: ٩٤] بَلِّغْ قَوْمَكَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَاكْفُفْ عَنْ حَرْبِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ وَقِتَالِهِمْ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِ جِهَادُهُمْ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥].

﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ٩٥].

﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ٩٥] يَا مُحَمَّدُ، الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِكَ وَيَسْخَرُونَ مِنْكَ، فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللهِ، وَلَا تَخَفْ شَيْئًا سِوَىٰ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ كَافِيكَ مَنْ نَاصَبَكَ وَآذَاكَ كَمَا كَفَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٩٦﴾ [الحجر: ٩٦].

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ﴾ هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَتَهْدِيدٌ لِلْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ قَدْ كَفَاهُ أَمْرَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّا كَفَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ السَّاخِرِينَ مِنْكَ، الْجَاعِلِينَ مَعَ اللهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ..

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٩٦﴾ [الحجر: ٩٦] مَا يَلْقَوْنَ مِنْ عَذَابِ اللهِ عِنْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ.

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧﴾ [الحجر: ٩٧].

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧] بِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُحْرِجُكَ.

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨﴾ [الحجر: ٩٨].

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨﴾ [الحجر: ٩٨] فَافْزَعْ فِيمَا نَابَكَ مِنْ أَمْرٍ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ إِلَىٰ الشُّكْرِ للهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ، يَكْفِكَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَهَذَا نَحْوُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ «كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ».

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩].

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ، الَّذِي هُوَ مُوقَنٌ بِهِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الْيَقِينُ: الْمَوْتُ؛ إِذَا جَاءَهُ الْمَوْتُ جَاءَهُ تَصْدِيقُ مَا قَالَ اللهُ لَهُ وَحَدَّثَهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ**).. وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ خَارِجَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ -امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ- أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا الْمُهَاجِرِينَ قُرْعَةً، قَالَتْ: وَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ -يعني: أمَّ العَلاءِ-: يَا عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَهْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَوَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ**».

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورةِ الحِجْرِ



سُورَةُ النَّحْلِ (١٦)
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّحْلِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ①﴾ [النحل: ١].

﴿أَتَىٰ﴾ فَقَرُبَ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَدَنَا..

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِأَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، أَخْبَرَهُمْ أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ قَرُبَتْ، وَأَنَّ عَذَابَهُمْ قَدْ حَضَرَ أَجَلُهُ فَدَنَا..

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا وقُوعَهُ..

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾ تَنْزِيهًا للهِ وَعُلُوًّا لَهُ..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ①﴾ [النحل: ١] عَنِ الشِّرْكِ الَّذِي كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ عَلَىٰ مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ يَدِينُ بِهِ.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ②﴾ [النحل: ٢].

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ يُنَزِّلُ اللهُ مَلَائِكَتَهُ..

﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ بِمَا يَحْيَا بِهِ الْحَقُّ وَيَضْمَحِلُّ بِهِ..

﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ رُسُلِهِ، بِـ..

﴿أَنْ أَنذِرُوا﴾ عِبَادِي سَطْوَتِي عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِي وَإِشْرَاكِهِمْ فِي اتِّخَاذِهِمْ مَعِي الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، فَـ..

﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لِي، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يُعْبَدَ شَيْءٌ سِوَايَ..

﴿فَاتَّقُونِ ②﴾ [النحل: ٢] فَاحْذَرُونِي بِأَدَاءِ فَرَائِضِي، وَإِفْرَادِ الْعِبَادَةِ وَإِخْلَاصِ الرُّبُوبِيَّةِ لِي، فَإِنَّ ذَلِكَ نَجَاتُكُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣﴾ [النحل: ٣].

﴿خَلَقَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَرِّفًا خَلْقَهُ حُجَّتَهُ عَلَيْهِمْ فِي تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ: خَلَقَ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ الْحَقُّ، مُنْفَرِدًا بِخَلْقِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي إِنْشَائِهَا وَإِحْدَاثِهَا شَرِيكٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَيْهِ مُعِينٌ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ شَرِيكٌ..

﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣﴾ [النحل: ٣] عَلَا رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَنْ شِرْكِكُمْ وَدَعْوَاكُمْ إِلَهًا دُونَهُ، فَارْتَفَعَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ أَوْ شَرِيكٌ أَوْ ظَهِيرٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا مَنْ يَخْلُقُ وَيُنْشِئُ بِقُدْرَتِهِ مِثْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَبْتَدِعُ الْأَجْسَامَ فَيُحْدِثُهَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي قُدْرَةِ أَحَدٍ سِوَىٰ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٤﴾ [النحل: ٤].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ عَلَيْكُمْ أَيْضًا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ، فَأَحْدَثَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ خَلْقًا عَجِيبًا، قَلَبَهُ تَارَاتٍ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَىٰ ضِيَاءِ الدُّنْيَا بَعْدَ مَا تَمَّ خَلْقُهُ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، فَغَذَّاهُ وَرَزَقَهُ الْقُوتَ وَنَمَّاهُ.. عَنَىٰ بِالْإِنْسَانِ: جَمِيعَ النَّاسِ، أُخْرِجَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ وَهُوَ فِي مَعْنَىٰ الْجَمِيعِ..

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ كَفَرَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، وَجَحَدَ مُدَبِّرَهُ، وَعَبَدَ مَنْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَخَاصَمَ إِلَهَهُ، فَقَالَ ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨﴾ [يس: ٧٨]، وَنَسِيَ الَّذِي خَلَقَهُ فَسَوَّاهُ خَلْقًا سَوِيًّا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ..

﴿مُّبِينٌ ٤﴾ [النحل: ٤] يُبِينُ عَنْ خُصُومَتِهِ بِمَنْطِقِهِ، وَيُجَادِلُ بِلِسَانِهِ، فَذَلِكَ إِبَانَتُهُ.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥﴾ [النحل: ٥].

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، فَسَخَّرَهَا لَكُمْ..

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا مَلَابِسَ تَدْفَئُونَ بِهَا..

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَظُهُورِهَا تَرْكَبُونَهَا..

﴿وَمِنْهَا﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ مَا.. وَحُذِفَتْ (مَا) مِنَ الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ مِنْ عَلَيْهَا..

﴿تَأْكُلُونَ ٥﴾ [النحل: ٥] لَحْمَهُ كَالْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَسَائِرِ مَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [النحل: ٦].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ وَلَكُمْ فِي هَذِهِ الْأَنْعَامِ وَالْمَوَاشِي الَّتِي خَلَقَهَا لَكُمْ..

﴿جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تَرُدُّونَهَا بِالْعَشِيِّ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَىٰ مَرَاحِهَا وَمَنَازِلِهَا الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا..

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [النحل: ٦] وَفِي وَقْتِ إِخْرَاجِكُمُوهَا غُدْوَةً مِنْ مَرَاحِهَا إِلَىٰ مَسَارِحِهَا.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل: ٧].

﴿وَتَحْمِلُ﴾ هَذِهِ الْأَنْعَامُ..

﴿أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ آخَرَ..

﴿لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ إِلَّا بِجَهْدٍ مِنْ أَنْفُسِكُمْ شَدِيدٍ، وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ..

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَرَءُوفٌ﴾ ذُو رَأْفَةٍ بِكُمْ وَرَحْمَةٍ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل: ٧] وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ، خَلَقَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَدِلَّةً لَكُمْ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ وَمَعْرِفَةِ إِلَهِكُمْ، لِتَشْكُرُوهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، فَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨].

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ وَخَلَقَ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَكُمْ أَيْضًا..

﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ وَجَعَلَهَا لَكُمْ زِينَةً تَتَزَيَّنُونَ بِهَا مَعَ الْمَنَافِعِ الَّتِي فِيهَا لَكُمْ، لِلرُّكُوبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَيَخْلُقُ﴾ رَبُّكُمْ مَعَ خَلْقِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي ذَكَرَهَا لَكُمْ..

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨] مِمَّا أَعَدَّ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا، وَفِي النَّارِ لِأَهْلِهَا، مِمَّا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَلَا سَمِعَتْهُ أُذُنٌ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل: ٩].

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ بَيَانُ طَرِيقِ الْحَقِّ لَكُمْ، فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ، فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَالسَّبِيلُ: هِيَ الطَّرِيقُ، وَالْقَصْدُ مِنَ الطَّرِيقِ: الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ..

﴿وَمِنْهَا﴾ وَمِنَ السَّبِيلِ..

﴿جَآئِرٌ﴾ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ مُعْوَجٌّ، فَالْقَاصِدُ مِنَ السَّبِيلِ: الْإِسْلَامُ، وَالْجَائِرُ مِنْهَا: الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مِلَلِ الْكُفْرِ، كُلُّهَا جَائِرٌ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَقَصْدِهَا، سِوَىٰ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَقِيلَ: وَمِنْهَا جَائِرٌ، لِأَنَّ السَّبِيلَ يُؤَنَّثُ وَيُذَكَّرُ، فَأُنِّثَتْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَمِنْهَا﴾ لِأَنَّ السَّبِيلَ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهَا لَفْظُ وَاحِدٍ فَمَعْنَاهَا الْجَمْعُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل: ٩] وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَلَطَفَ بِجَمِيعِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَوْفِيقِهِ، فَكُنْتُمْ تَهْتَدُونَ وَتَلْزَمُونَ قَصْدَ السَّبِيلِ، وَلَا تَجُورُونَ عَنْهُ فَتَتَفَرَّقُونَ فِي سُبُلٍ عَنِ الْحَقِّ جَائِرَةٍ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠﴾ [النحل: ١٠].

﴿هُوَ﴾ وَالَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمِ وَخَلَقَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ وَالْخَيْلَ وَسَائِرَ الْبَهَائِمِ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، هُوَ الرَّبُّ..

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مَطَرًا..

﴿لَّكُم مِّنْهُ﴾ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ..

﴿شَرَابٌ﴾ تَشْرَبُونَهُ..

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ وَمِنْهُ شَرَابُ أَشْجَارِكُمْ، وَحَيَاةُ غُرُوسِكُمْ وَنَبَاتِهَا..

﴿فِيهِ﴾ فِي الشَّجَرِ الَّذِي يَنْبُتُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿تُسِيمُونَ ۝١٠﴾ [النحل: ١٠] تَرْعُوْنَ، يُقَالُ مِنْهُ: أَسَامَ فُلَانٌ إِبِلَهُ يُسِيمُهَا إِسَامَةً إِذَا أَرْعَاهَا، وَسَوَّمَهَا أَيْضًا يُسَوِّمُهَا، وَسَامَتْ هِيَ: إِذْ رَعَتْ، فَهِيَ تَسُومُ، وَهِيَ إِبِلٌ سَائِمَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْمَوَاشِي الْمُطْلَقَةِ فِي الْفَلَاةِ وَغَيْرِهَا لِلرَّعْيِ سَائِمَةٌ، وَقَدْ وَجَّهَ بَعْضُهُمْ مَعْنَىٰ السَّوْمِ فِي الْبَيْعِ إِلَىٰ أَنَّهُ مِنْ هَذَا، وَأَنَّهُ ذَهَابُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَبَايِعَيْنِ فِيمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ زِيَادَةِ ثَمَنٍ وَنُقْصَانِهِ، كَمَا تَذْهَبُ سَوَائِمُ الْمَوَاشِي حَيْثُ شَاءَتْ مِنْ مَرَاعِيهَا.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحل: ١١].

﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿بِهِ﴾ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾ زرعكُمْ، وزَيْتُونكُمْ، ونَخِيلكُمْ، وأَعْنابكُمْ..

﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وَمِنْ كُلِّ الْفَوَاكِهِ غَيْرِ ذَلِكَ أَرْزَاقًا لَكُمْ وَأَقْوَاتًا وَإِدَامًا وَفَاكِهَةً، نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَتَفَضُّلًا، وَحُجَّةً عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْكُمْ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِخْرَاجِ اللهِ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ مَا وَصَفَ لَكُمْ..

﴿لَآيَةً﴾ لَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ وَعَلَامَةٌ بَيِّنَةٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل: ١١] لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ مَوَاعِظَ اللهِ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَجِهِ، فَيَتَذَكَّرُونَ وَيُنِيبُونَ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل: ١٢].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وَمِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَعَ الَّتِي ذَكَرَهَا قَبْلُ أَنْ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمْ، هَذَا لِتَصَرُّفِكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ وَهَذَا لِسَكَنِكُمْ فِيهِ..

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ أَزْمِنَتِكُمْ، وَشُهُورِكُمْ، وَسِنِينِكُمْ، وَصَلَاحِ مَعَايِشِكُمْ..

﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ لَكُمْ، تَجْرِي فِي فَلَكِهَا لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..

﴿بِأَمْرِهِ﴾ بِأَمْرِ اللهِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي تَسْخِيرِ اللهِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا سَخَّرَهُ..

﴿لَآيَاتٍ﴾ لَدَلَالَاتٌ وَاضِحَاتٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل: ١٢] حُجَجَ اللهِ وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ تَنْبِيهَهُ إِيَّاهُمْ.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل: ١٣].

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا خَلَقَ لَكُمْ..

﴿فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ مِنَ الدَّوَابِّ وَمِنَ الشَّجَرِ وَالثِّمَارِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل: ١٣].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤].

﴿وَهُوَ﴾ وَالَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ بِكُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ النِّعَمَ..

﴿ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ وَهُوَ كُلُّ نَهْرٍ مِلْحًا مَاؤُهُ أَوْ عَذْبًا..

﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وَهُوَ السَّمَكُ الَّذِي يُصْطَادُ مِنْهُ..

﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ وَهُوَ اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ..

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ السُّفُنَ..

﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ مَوَاخِرُ: جَمْعُ مَاخِرَةٍ، وَالْمَخْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: صَوْتُ هُبُوبِ الرِّيحِ إِذَا اشْتَدَّ هُبُوبُهَا، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: صَوْتُ جَرْيِ السَّفِينَةِ بِالرِّيحِ إِذَا عَصَفَتْ وَشَقَّهَا الْمَاءَ حِينَئِذٍ بِصَدْرِهَا، يُقَالُ مِنْهُ: مَخَرَت السَّفِينَةُ تَمْخُرُ مَخْرًا وَمُخُورًا، وَهِيَ مَاخِرَةٌ، وَيُقَالُ: امْتَخَرْتَ الرِّيحَ وَتَمَخَّرْتُهَا: إِذَا نَظَرْتَ مِنْ أَيْنَ هُبُوبُهَا، وَتَسَمَّعْتَ صَوْتَ هُبُوبِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ وَاصِلٍ مَوْلَىٰ ابْنِ عُيَيْنَةَ:(**كَانَ يُقَالُ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الْبَوْلَ فَلْيَتَمَخَّرِ الرِّيحَ**)، يُرِيدُ بِذَلِكَ: لِيَنْظُرْ مِنْ أَيْنَ مَجْرَاهَا وَهُبُوبُهَا لِيَسْتَدْبِرَهَا فَلَا تُرْجِعُ عَلَيْهِ الْبَوْلَ وَتَرُدُّهُ عَلَيْهِ..

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وَلْتَتَصَرَّفُوا فِي طَلَبِ مَعَايِشِكُمْ بِالتِّجَارَةِ سَخَّرَ لَكُمْ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤] وَلِتَشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، سَخَّرَ لَكُمْ مَا سَخَّرَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَدَّدَهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل: ١٥].

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ﴾ وَمِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَيْضًا، أَنْ أَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ، جَمْعُ رَاسِيَةٍ، وَهِيَ الثَّوَابِتُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِبَالِ..

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا﴾ أَنْ لَا تَمِيدَ بِكُمْ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]، وَالْمَعْنَىٰ: أَنْ لَا تَضِلُّوا، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَرْسَىٰ الْأَرْضَ بِالْجِبَالِ لِئَلَّا يَمِيدَ خَلْقُهُ الَّذِي عَلَىٰ ظَهْرِهَا، بَلْ وَقَدْ كَانَتْ مَائِدَةً قَبْلَ أَنْ تُرْسَىٰ بِهَا، كَمَا قال الحَسَنُ: (**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمُورُ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هَذِهِ بِمُقِرَّةٍ عَلَىٰ ظَهْرِهَا أَحَدًا فَأَصْبَحَتْ صُبْحًا وَفِيهَا رَوَاسِيهَا**).. وَالْمَيْدُ: هُوَ الِاضْطِرَابُ وَالتَّكَفُّؤُ، يُقَالُ: مَادَتِ السَّفِينَةُ تَمِيدُ مَيْدًا: إِذَا تَكَفَّأَتْ بِأَهْلِهَا وَمَالَتْ، وَمِنْهُ الْمَيْدُ الَّذِي يَعْتَرِي رَاكِبَ الْبَحْرِ، وَهُوَ الدُّوَارُ..

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ وجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا، فَعَطَفَ بِالْأَنْهَارِ عَلَىٰ الرَّوَاسِي، وَأَعْمَلَ فِيهَا مَا أَعْمَلَ فِي الرَّوَاسِي، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ..

﴿وَسُبُلًا﴾ جَمْعُ سَبِيلٍ، كَمَا الطُّرُقُ جَمْعُ طَرِيقٍ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَجَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي الْأَرْضِ سُبُلًا وَفِجَاجًا تَسْلُكُونَهَا وَتَسِيرُونَ فِيهَا فِي حَوَائِجِكُمْ، وَطَلَبِ مَعَايِشِكُمْ، رَحْمَةً بِكُمْ، وَنِعْمَةً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ عَمَّاهَا عَلَيْكُمْ لَهَلَكْتُمْ ضَلَالًا وَحِيرَةً..

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥﴾ [النحل: ١٥] لِكَيْ تَهْتَدُوا بِهَذِهِ السُّبُلِ الَّتِي جَعَلَهَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَقْصِدُونَ، وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي تُرِيدُونَ، فَلَا تَضِلُّوا وَتَتَحَيَّرُوا.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾ [النحل: ١٦].

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِالْعَلَامَاتِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا مَعَالِمُ الطُّرُقِ بِالنَّهَارِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهَا النُّجُومُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهَا الْجِبَالُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَدَّدَ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ نِعَمِهِ، إِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي يَهْتَدُونَ بِهَا فِي مَسَالِكِهِمْ وَطُرُقِهِمُ الَّتِي يَسِيرُونَهَا، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ بَعْضَ الْعَلَامَاتِ دُونَ بَعْضٍ، فَكُلُّ عَلَامَةٍ اسْتَدَلَّ بِهَا النَّاسُ عَلَىٰ طُرُقِهِمْ وَفِجَاجِ سُبُلِهِمْ فَدَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾، فَالطُّرُقُ الْمَسْبُولَةِ الْمَوْطُوءَةِ، عَلَامَةٌ لِلنَّاحِيَةِ الْمَقْصُودَةِ، وَالْجِبَالُ عَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهِنَّ إِلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ بِاللَّيْلِ.. غَيْرَ أَنَّ الَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ الْعَلَامَاتُ مِنْ أَدِلَّةِ النَّهَارِ؛ إِذْ كَانَ اللهُ قَدْ فَصَلَ مِنْهَا أَدِلَّةَ اللَّيْلِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَشْبَهَ وَأَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ الْعَلَامَاتِ مَعَالِمُ الطُّرُقِ وَأَمَارَاتُهَا الَّتِي يُهْتَدَىٰ بِهَا إِلَىٰ الْمُسْتَقِيمِ مِنْهَا نَهَارًا، وَأَنْ يَكُونَ النَّجْمُ الَّذِي يُهْتَدَىٰ بِهِ لَيْلًا هُوَ الْجَدْيُ وَالْفَرْقَدَانِ؛ لِأَنَّ بِهَا اهْتِدَاءُ السَّفَرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النُّجُومِ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: وَجَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَامَاتٍ تَسْتَدِلُّونَ بِهَا نَهَارًا عَلَىٰ طُرُقِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ..

﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾ [النحل: ١٦] وَنُجُومًا تَهْتَدُونَ بِهَا لَيْلًا فِي سُبُلِكُمْ.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النحل: ١٧].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ: أَفَمَنْ يَخْلُقُ هَذِهِ الْخَلَائِقَ الْعَجِيبَةَ الَّتِي عَدَدْنَاهَا عَلَيْكُمْ وَيُنْعِمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ..

﴿كَمَن﴾ و (مَنْ) لِذَوِي التَّمْيِيزِ خَاصَّةً، فَجُعِلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِغَيْرِهِمْ لِلتَّمْيِيزِ، إِذْ وَقَعَ تَفْصِيلًا بَيْنَ مَنْ يَخْلُقُ وَمَنْ لَا يَخْلُقُ، وَمَحْكِيٌّ عَنِ الْعَرَبِ: اشْتَبَهَ عَلَيَّ الرَّاكِبُ وَجَمَلُهُ، فَمَا أَدْرِي مَنْ ذَا وَمَنْ ذَا، حَيْثُ جُمِعَا وَأَحَدُهُمَا إِنْسَانٌ، حَسُنَتْ (مَنْ) فِيهِمَا جَمِيعًا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]..

﴿لَا يَخْلُقُ﴾ شَيْئًا وَلَا يُنْعِمُ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً؟ يَقُولُ: أَتُشْرِكُونَ هَذَا فِي عِبَادَةِ هَذَا؟ يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ عِظَمَ جَهْلِهِمْ، وَسُوءِ نَظَرِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، وَقِلَّةِ شُكْرِهِمْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الَّتِي عَدَّدَهَا عَلَيْهِمْ، الَّتِي لَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ، قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُوَبِّخُهُمْ..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [النحل: ١٧] أَيُّهَا النَّاسُ، أَفَلَا تَذْكُرُونَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَعَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا شَاءَ، وَعَجْزِ أَوْثَانِكُمْ، وَضَعْفِهَا، وَمَهَانَتِهَا، وَأَنَّهَا لَا تَجْلِبُ إِلَىٰ نَفْسِهَا نَفْعًا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهَا ضَرًّا، فَتَعْرِفُوا بِذَلِكَ خَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمُوهَا، وَإِقْرَارِكُمْ لَهَا بِالْأُلُوهَةِ؟

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨].

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ لَا تُطِيقُوا أَدَاءَ شُكْرِهَا..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لِمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي شُكْرِ بَعْضِ ذَلِكَ إِذَا تُبْتُمْ وَأَنَبْتُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨] بِكُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَالتَّوْبَةِ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩﴾ [النحل: ١٩].

﴿وَاللَّهُ﴾ الَّذِي هُوَ إِلَهُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ ضَمَائِرِكُمْ، فَتُخْفُونَهُ عَنْ غَيْرِكُمْ..

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩﴾ [النحل: ١٩] وَمَا تُبْدُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ، وَمَا تُعْلِنُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَهُوَ مَحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ مِنْكُمْ بِإِسَاءَتِهِ، وَمُسَائِلُكُمْ عَمَّا كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الشُّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ، مِنْهَا الَّتِي أَحْصَيْتُمْ وَالَّتِي لَمْ تُحْصُوا.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠].

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وَأَوْثَانُكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا..

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠] وَهِيَ تُخْلَقُ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا مَا كَانَ مَصْنُوعًا مُدَبَّرًا لَا تَمْلِكُ لِأَنْفُسِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؟

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢١].

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ: وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَيُّهَا النَّاسُ، أَمْوَاتًا غَيْرَ أَحْيَاءٍ، إِذْ كَانَتْ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وَمَا تَدْرِي أَصْنَامُكُمُ الَّتِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ الْكُفَّارَ، أَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ..

﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢١] مَتَىٰ يُبْعَثُونَ.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢].

﴿إِلَهُكُمْ﴾ مَعْبُودُكُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ، وَإِفْرَادَ الطَّاعَةِ لَهُ دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ..

﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، فَأَفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَهُ شَرِيكًا سِوَاهُ..

﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ فَالَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِوَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ وَلَا يُقِرُّونَ بِالْمَعَادِ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ مُسْتَنْكِرَةٌ لِمَا نَقُصُّ عَلَيْهِمْ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَمِيلِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ، وَالْأُلُوهَةُ لَيْسَتْ لِشَيْءٍ غَيْرِهِ..

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢] عَنْ إِفْرَادِ اللهِ بِالْأُلُوهَةِ، وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِمَا مَضَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ أَسْلَافُهُمْ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣].

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًا..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ إِنْكَارِهِمْ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَنْبَاءِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَاعْتِقَادِهِمْ نكِيرَ قَوْلِنَا لَهُمْ: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾ [النحل: ٢٢]، وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوهُ، وَيَخْلَعُوا مَا دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَنْزَلَ رَبُّكُمْ؟..

﴿قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤] قَالُوا: الَّذِي أَنْزَلَ مَا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ مِنْ قَبْلِنَا مِنَ الْأَبَاطِيلِ.

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لِتَكُونَ لَهُمْ ذُنُوبُهُمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ مِنْ تَكْذِيبِهِمُ اللهَ، وَكُفْرِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ وَمِنْ ذُنُوبِ الَّذِينَ يَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ يَضِلُّونَ يُفْتَنُونَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥] أَلَا سَاءَ الْإِثْمُ الَّذِي يَأْثَمُونَ، وَالثِّقَلُ الَّذِي يَتَحَمَّلُونَ.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل: ٢٦].

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ

سَبِيلِ اللهِ مَنْ أَرَادَ اتِّبَاعَ دِينِ اللهِ، فَرَامُوا مُغَالَبَةَ اللهِ بِبِنَاءِ بَنَوْهُ، يُرِيدُونَ بِزَعْمِهِمُ الِارْتِفَاعَ إِلَىٰ السَّمَاءِ لِحَرْبِ مَنْ فِيهَا..

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ هَدَمَ اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنْ أَصْلِهِ.. وَالْقَوَاعِدُ: جَمْعُ قَاعِدَةٍ، وَهِيَ الْأَسَاسُ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: هَذَا مَثَلٌ لِلِاسْتِئْصَالِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِنَّ اللهَ اسْتَأْصَلَهُمْ، وَقَالَ: الْعَرَبُ تَقُولُ ذَلِكَ إِذَا اسْتُؤْصِلَ الشَّيْءُ..

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ تَسَاقَطَتْ عَلَيْهِمْ سُقُوفُ بُيُوتِهِمْ، إِذْ أَتَىٰ أُصُولَهَا وَقَوَاعِدَهَا أَمْرُ اللهِ، فَائْتَفَكَتْ بِهِمْ مَنَازِلُهُمْ..

﴿وَأَتَىٰهُمُ﴾ وَأَتَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَكَرُوا مِنْ قَبْلِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿ٱلْعَذَابُ﴾ عَذَابَ اللهِ..

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٢٦﴾ [النحل: ٢٦] مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرُونَ، فَإِنَّهُ أَتَاهُمْ مِنْ مَأْمَنِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ مِنْ أَسَاسِ الصَّرْحِ.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٧﴾ [النحل: ٢٧].

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فَعَلَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَكَرُوا الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمْرَهُمْ مَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ تَعْجِيلِ الْعَذَابِ لَهُمْ وَالِانْتِقَامِ بِكُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ وَحْدَانِيَّتَهُ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿يُخْزِيهِمْ﴾ مُخْزِيهِمْ فَمُذِلُّهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ..

﴿وَيَقُولُ﴾ وَقَائِلٌ لَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ..

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقْرِيعًا لِلْمُشْرِكِينَ بِعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ: أَيْنَ شُرَكَائِي؟ يَقُولُ: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ شُرَكَائِي الْيَوْمَ؟ مَا لَهُمْ لَا يَحْضُرُونَكُمْ فَيَدْفَعُوا عَنْكُمْ مَا أَنَا مُحِلٌّ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَتَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَالْوَلِيُّ يَنْصُرُ وَلِيَّهُ؟ وَكَانَتْ مُشَاقَّتُهُمُ اللهَ فِي أَوْثَانِهِمْ مُخَالَفَتَهُمْ إِيَّاهُ فِي عِبَادَتِهِمْ.. وَ﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ أَصْلُهُ: مِنْ شَاقَقْتُ فُلَانًا فَهُوَ يُشَاقُّنِي، وَذَلِكَ إِذَا فَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ﴾ الذِّلَّةَ وَالْهَوَانَ..

﴿ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾ يَعْنِي: عَذَابَ اللهِ..

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٧﴾ [النحل: ٢٧] عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ فَجَحَدَ وَحْدَانِيَّتَهُ.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨﴾ [النحل: ٢٨].

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الَّذِينَ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ بِاللهِ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ مَنْ قُتِلَ مِنْ قُرَيْشٍ بِبَدْرٍ وَقَدْ أُخْرِجَ إِلَيْهَا كَرْهًا..

﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ فَاسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِهِ، وَانْقَادُوا لَهُ حِينَ عَايَنُوا الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ..

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اسْتُغْنِيَ بِفَهْمِ سَامِعِيهِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَهُوَ: (قَالُوا) مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ، يُخْبِرُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا وَقَالُوا: مَا كُنَّا نَعْصِي اللهَ، اعْتِصَامًا مِنْهُمْ بِالْبَاطِلِ، رَجَاءَ أَنْ يَنْجُوا بِذَلِكَ، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ فَقَالَ..

﴿بَلَىٰٓ﴾ بَلْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ السُّوءَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ﴾ إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨﴾ [النحل: ٢٨] فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِيهِ، وَتَأْتُونَ فِيهَا مَا يُسْخِطُهُ.

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ [النحل: ٢٩].

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الظَّلَمَةِ أَنْفُسِهِمْ حِينَ يَقُولُونَ لِرَبِّهِمْ: مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ، يَعْنِي: طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا..

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ [النحل: ٢٩] فَلَبِئْسَ مَنْزِلُ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَىٰ اللهِ، وَلَمْ يُقِرَّ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَيُصَدِّقْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ جَهَنَّمُ.

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾ [النحل: ٣٠].

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ وَقِيلَ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ وَتَقْوَىٰ للهِ..

﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾ قَالُوا: أَنْزَلَ خَيْرًا.. فَالْكُفَّارُ جَحَدُوا التَّنْزِيلَ، فَقَالُوا حِينَ سَمِعُوهُ: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾، أَيْ هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَلَمْ يُنَزِّلِ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا،

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَصَدَّقُوا التَّنْزِيلَ، فَـ ﴿قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ بِمَعْنَى أَنَّهُ أَنْزَلَ خَيْرًا.. ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرُ، فَقَالَ..

﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَطَاعُوهُ..

﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وَدَعَوْا عِبَادَ اللهِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ..

﴿حَسَنَةٞ﴾ كَرَامَةٌ مِنَ اللهِ..

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَكَرَامَةُ اللهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ فِيهَا أَعْظَمُ مِنْ كَرَامَتِهِ الَّتِي عَجَّلَهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠﴾ [النحل: ٣٠] الَّذِينَ خَافُوا اللهَ فِي الدُّنْيَا فَاتَّقَوْا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَتَجَنُّبِ مَعَاصِيهِ، دَارُ الْآخِرَةِ.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١﴾ [النحل: ٣١].

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ بَسَاتِينُ لِلْمَقَامِ..

﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ يَدْخُلُونَ جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿لَهُمۡ﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا..

﴿فِيهَا﴾ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿مَا يَشَآءُونَۚ﴾ مِمَّا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ وَتَلَذُّ أَعْيُنُهُمْ...

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا يَجْزِي اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَا وَصَفَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّهُ جَزَاهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَذَلِكَ..

﴿يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١﴾ [النحل: ٣١] يَجْزِي الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢].

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ مَلَائِكَةُ اللهِ، وَهُمْ طَيِّبُونَ بِتَطْيِيبِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِنَظَافَةِ الْإِيمَانِ، وَطُهْرِ الْإِسْلَامِ، فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ وَحَالِ مَمَاتِهِمْ..

﴿يَقُولُونَ﴾ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ وَهِيَ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ..

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ صِيرُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، بِشَارَةً مِنَ اللهِ تُبَشِّرُهُمْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل: ٣٢] بِمَا كُنْتُمْ تُصِيبُونَ فِي الدُّنْيَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ فِيهَا طَاعَةَ اللهِ طَلَبَ مَرْضَاتِهِ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٣٣﴾ [النحل: ٣٣].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ..

﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بِحَشْرِهِمْ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَمَا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ مِنِ انْتِظَارِهِمْ مَلَائِكَةَ اللهِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، أَوْ إِتْيَانِ أَمْرِ اللهِ، فَعَلَ أَسْلَافُهُمْ مِنَ الْكَفَرَةِ بِاللهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ فِي كُلِّ مُشْرِكٍ بِاللهِ..

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ بِإِحْلَالِ سَخَطِهِ..

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٣٣﴾ [النحل: ٣٣] بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِهِ، حَتَّىٰ اسْتَحَقُّوا عِقَابَهُ، فَعَجَّلَ لَهُمْ.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٤﴾ [النحل: ٣٤].

﴿فَأَصَابَهُمْ﴾ فَأَصَابَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِعْلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ عُقُوبَاتُ ذُنُوبِهِمْ، وَنِقَمِ مَعَاصِيهِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا..

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٤﴾ [النحل: ٣٤] مِنْهُ، وَيَسْخَرُونَ عِنْدَ إِنْذَارِهِمْ ذَلِكَ رُسُلُ اللهِ، وَنَزَلَ ذَلِكَ بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٣٥﴾ [النحل: ٣٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ مَا نَعْبُدُ هَٰذِهِ الْأَصْنَامَ إِلَّا لِأَنَّ اللهَ قَدْ رَضِيَ عِبَادَتَنَا هَؤُلَاءِ، وَلَا نُحَرِّمُ مَا حَرَّمْنَا مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ إِلَّا

أَنَّ اللهَ شَاءَ مِنَّا وَمِنْ آبَائِنَا تَحْرِيمنَاهَا وَرَضِيَهُ، لَوْلَا ذَلِكَ لَقَدْ غَيَّرَ ذَلِكَ بِبَعْضِ عُقُوبَاتِهِ، أَوْ بِهِدَايَتِهِ إِيَّانَا إِلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ..

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الْمُشْرِكَةِ الَّذِينَ اسْتَنَّ هَؤُلَاءِ سُنَّتَهُمْ، فَقَالُوا مِثْلَ قَوْلِهِمْ، وَسَلَكُوا سَبِيلَهُمْ فِي تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ أَفْعَالِ آبَائِهِمُ الضُّلَّالِ..

﴿فَهَلۡ﴾ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا..

﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾ الَّذِينَ نُرْسِلُهُمْ بِإِنْذَارِكُمْ عُقُوبَتَنَا عَلَىٰ كُفْرِكُمْ..

﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٥﴾ [النحل: ٣٥] إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَكُمْ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الرِّسَالَةِ وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ ﴿ٱلۡمُبِينُ ۝٣٥﴾ الَّذِي يُبِينُ عَنْ مَعْنَاهُ لِمَنْ أَبْلَغَهُ، وَيَفْهَمُهُ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِي كُلِّ أُمَّةٖ﴾ سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ..

﴿رَّسُولًا﴾ كَمَا بَعَثْنَا فِيكُمْ بِـ..

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ وَابْعِدُوا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاحْذَرُوا أَنْ يُغْوِيَكُمْ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَتَضِلُّوا..

﴿فَمِنۡهُم﴾ فَمِمَّنْ بَعَثْنَا فِيهِمْ رُسُلَنَا..

﴿مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فَوَفَّقَهُ لِتَصْدِيقِ رُسُلِهِ وَالْقَبُولِ مِنْهَا وَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، فَفَازَ وَأَفْلَحَ وَنَجَا مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿وَمِنۡهُم﴾ وَمِمَّنْ بَعَثْنَا رُسُلَنَا إِلَيْهِ..

﴿مَّنۡ﴾ الْأُمَمِ آخَرُونَ..

﴿حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةَ، فَجَارُوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، فَكَفَرُوا بِاللهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا الطَّاغُوتَ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ بَأْسَهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ..

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: إِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرَ مُصَدِّقِي رَسُولِنَا فِيمَا يُخْبِرُكُمْ بِهِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ مِنْ بَأْسِنَا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَتَكْذِيبِهِمْ

رَسُولَهُ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ الَّتِي كَانُوا يَسْكُنُونَهَا وَالْبِلَادِ الَّتِي كَانُوا يَعْمُرُونَهَا..

﴿فَٱنظُرُواْ﴾ إِلَىٰ آثَارِ اللهِ فِيهِمْ وَآثَارِ سَخَطِهِ النَّازِلِ بِهِمْ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦] كَيْفَ أَعْقَبَهُمْ تَكْذِيبُهُمْ رُسُلَ اللهِ مَا أَعْقَبَهُمْ، فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ، وَتَعْلَمُونَ بِهِ صِحَّةَ الْخَبَرِ الَّذِي يُخْبِرُكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٧].

﴿إِن تَحْرِصْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ عَلَىٰ هُدَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ فَإِنَّ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، فَلَا تُجْهِدْ نَفْسَكَ فِي أَمْرِهِ، وَبَلِّغْهُ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، لِتَتِمَّ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٧] وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ إِذَا أَرَادَ عُقُوبَتَهُمْ، فَيَحُولُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ مَا أَرَادَ مِنْ عُقُوبَتِهِمْ.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨].

﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ وَحَلَفَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ حَلِفُهُمْ..

﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَكَذَبُوا وَأَبْطَلُوا فِي أَيْمَانِهِمُ الَّتِي حَلَفُوا بِهَا كَذَلِكَ..

﴿بَلَىٰ﴾ بَلْ سَيَبْعَثُهُ اللهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ..

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وَعْدًا عَلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَهُمْ، وَعَدَ عِبَادَهُ، وَاللهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨] وَلَكِنَّ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ لَا يَعْلَمُونَ وَعْدَ اللهِ عِبَادَهُ أَنَّهُ بَاعِثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ أَحْيَاءً.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

[النحل: ٣٩].

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ بَلْ لَيَبْعَثَنَّ اللهُ مَنْ يَمُوتُ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا، لِيُبَيِّنَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ لَا يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ وَلِغَيْرِهِمُ..

﴿ٱلَّذِى يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مِنْ إِحْيَاءِ اللهِ خَلْقَهُ بَعْدَ فَنَائِهِمْ..

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ جَحَدُوا صِحَّةَ ذَلِكَ وَأَنْكَرُوا حَقِيقَتَهُ..

﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾ [النحل: ٣٩] فِي قِيلِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ.

﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل: ٤٠] إِنَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَبْعَثَ مَنْ يَمُوتُ فَلَا تَعَبَ عَلَيْنَا وَلَا نَصَبَ فِي إِحْيَائِنَاهُمْ، وَلَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَخْلُقُ وَنُكَوِّنُ وَنُحْدِثُ، لِأَنَّا إِذَا أَرَدْنَا خَلْقَهُ وَإِنْشَاءَهُ فَإِنَّمَا نَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، لَا مُعَانَاةَ فِيهِ وَلَا كُلْفَةَ عَلَيْنَا.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [النحل: ٤١].

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ وَالَّذِينَ فَارَقُوا قَوْمَهُمْ وَدُورَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ عَدَاوَةً لَهُمْ..

﴿فِي ٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ إِلَىٰ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا نِيلَ مِنْهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْمَكَارِهِ فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ لَنُسْكِنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا مَسْكَنًا يَرْضَوْنَهُ صَالِحًا..

﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾ وَلَثَوَابُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ هِجْرَتِهِمْ فِيهِ فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرُ، لِأَنَّ ثَوَابَهُ إِيَّاهُمْ هُنَالِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي يَدُومُ نَعِيمُهَا وَلَا يَبِيدُ..

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [النحل: ٤١].

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ [النحل: ٤٢].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ، وَآتَيْنَاهُمُ الثَّوَابَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ الَّذِينَ..

﴿صَبَرُواْ﴾ فِي اللهِ عَلَىٰ مَا نَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ [النحل: ٤٢] وَبِاللهِ يَثِقُونَ فِي أُمُورِهِمْ، وَإِلَيْهِ يَسْتَنِدُونَ فِي نَوَائِبِ الْأُمُورِ الَّتِي تَنُوبُهُمْ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ، لِلدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِنَا وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا..

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿نُّوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ وَحْيَنَا، لَا مَلَائِكَةً، يَقُولُ: فَلَمْ نُرْسِلْ إِلَىٰ قَوْمِكَ إِلَّا مِثْلَ الَّذِي كُنَّا نُرْسِلُ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ جِنْسِهِمْ وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ..

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [النحل: ٤٣] يَقُولُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ كُنَّا نُرْسِلُ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ رِجَالٌ مِنْ بَنِي آدَمَ مِثْلُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقُلْتُمْ هُمْ مَلَائِكَةٌ، أَيْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ قَدْ قَرَءُوا الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِهِمُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ، أَبَشَرًا كَانَتِ الرُّسُلُ الَّتِي أَتَتْكُمْ أَمْ مَلَائِكَةً؟ فَإِنْ كَانُوا مَلَائِكَةً أَنْكَرْتُمْ، وَإِنْ كَانُوا بَشَرًا فَلَا تُنْكِرُوا أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولًا.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [النحل: ٤٤].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ، أَرْسَلْنَاهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ.. وَالْبَيِّنَاتِ: هِيَ الْأَدِلَّةُ وَالْحُجَجُ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ رُسُلَهُ أَدِلَّةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِمْ شَاهِدَةً لَهُمْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَتَوْا بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ.. وَالزُّبُرُ: هِيَ الْكُتُبُ، وَهِيَ جَمْعُ زَبُورٍ، مِنْ زَبَرْتُ الْكِتَابَ وَزَبَرْتُهُ: إِذَا كَتَبْتُهُ..

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلذِّكْرَ﴾ هَذَا الْقُرْآنَ تَذْكِيرًا لِلنَّاسِ وَعِظَةً لَهُمْ..

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ لِتُعَرِّفَهُمْ..

﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [النحل: ٤٤] وَلِيَتَذَكَّرُوا فِيهِ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ، أَيْ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ، وَقَدْ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾، قَالَ: (يُطِيعُونَ).

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [النحل: ٤٥].

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَامُوا أَنْ يَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ قَالُوا إِذْ قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، صَدًّا مِنْهُمْ لِمَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللهِ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ..

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ اللهِ..

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النحل: ٤٥] مِنْ مَكَانٍ لَا يَشْعُرُ بِهِ وَلَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ يَأْتِيَهُ؟.. وَذَلِكَ تَهْدِيدٌ مِنَ اللهِ أَهْلَ الشِّرْكِ بِهِ، وَهُوَ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، فَكَانَ تَهْدِيدُ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِحُجَّةِ اللهِ الَّذِي جَرَىٰ الْكَلَامُ بِخِطَابِهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [النحل: ٤٦].

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ أَوْ يُهْلِكَهُمْ..

﴿فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ فِي تَصَرُّفِهِمْ فِي الْبِلَادِ وَتَرَدُّدِهِمْ فِي أَسْفَارِهِمْ..

﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [النحل: ٤٦] فَإِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ اللهَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ أَرَادَ أَخْذَهُمْ كَذَلِكَ.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٧].

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أَوْ يُهْلِكَهُمْ بِتَخَوُّفٍ، وَذَلِكَ بِنَقْصٍ مِنْ أَطْرَافِهِمْ وَنَوَاحِيهِمُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ، حَتَّىٰ يُهْلِكَ جَمِيعَهُمْ، يُقَالُ مِنْهُ: تَخَوَّفَ مَالَ فُلَانٍ الْإِنْفَاقُ: إِذَا انْتَقَصَهُ، وَنَحْوُ تَخَوُّفِهِ مِنَ التَّخَوُّفِ بِمَعْنَىٰ التَّنَقُّصِ..

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ﴾ إِنْ لَمْ يَأْخُذْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ بِعَذَابٍ مُعَجَّلٍ لَهُمْ، وَأَخَذَهُمْ بِمَوْتٍ وَتَنَقَّصَ بَعْضَهُمْ فِي أَثَرِ بَعْضٍ..

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٧] لَرَءُوفٌ بِخَلْقِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ لَمْ يَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَلَمْ يُعَجِّلْ لَهُمُ الْعَذَابَ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُهُمْ وَيُنْقِصُهُمْ بِمَوْتٍ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أَوَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ..

﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ جِسْمٍ قَائِمٍ، شَجَرٍ، أَوْ جَبَلٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ..

﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ يَرْجِعُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، فَهُوَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ عَلَىٰ حَالٍ، ثُمَّ يَتَقَلَّصُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَىٰ حَالٍ أُخْرَىٰ فِي آخِرِ النَّهَارِ..

﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ ظِلَالُ الْأَشْيَاءِ هِيَ الَّتِي تَسْجُدُ، وَسُجُودُهَا: مَيَلَانُهَا وَدَوَرَانُهَا مِنْ جَانِبٍ إِلَىٰ جَانِبٍ، وَنَاحِيَةٍ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: سَجَدَتِ النَّخْلَةُ إِذَا مَالَتْ، وَسَجَدَ الْبَعِيرُ وَأُسْجِدَ: إِذَا أُمِيلَ لِلرُّكُوبِ..

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨] وَهُمْ صَاغِرُونَ، يُقَالُ مِنْهُ: دَخَرَ فُلَانٌ للهِ يَدْخُرُ دَخَرًا وَدُخُورًا: إِذَا ذَلَّ لَهُ وَخَضَعَ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٩].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ وَللهِ يَخْضَعُ وَيَخْشَعُ وَيَسْتَسْلِمُ لِأَمْرِهِ..

﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ تَدِبُّ عَلَيْهَا..

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ..

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٩] عَنِ التَّذَلُّلِ لَهُ بِالطَّاعَةِ ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢]، وَظِلَالُهُمْ تَتَفَيَّأُ عَنِ الْيَمِينِ، وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

﴿يَخَافُونَ﴾ يَخَافُ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ..

﴿رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ إِنْ عَصَوْا أَمْرَهُ..

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠] وَيَفْعَلُونَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، فَيُؤَدُّونَ حُقُوقَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ سَخَطَهُ.

﴿۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١].

﴿۞ وَقَالَ اللَّهُ﴾ لِعِبَادِهِ..

﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ لَا تَتَّخِذُوا لِي شَرِيكًا أَيُّهَا النَّاسُ، وَلَا تَعْبُدُوا..

﴿إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ مَعْبُودَيْنِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا عَبَدْتُمْ مَعِي غَيْرِي جَعَلْتُمْ لِي شَرِيكًا، وَلَا شَرِيكَ لِي..

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وَمَعْبُودٌ وَاحِدٌ، وَأَنَا ذَلِكَ..

﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١] فَإِيَّايَ فَاتَّقُوا، وَخَافُوا عِقَابِي بِمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّايَ إِنْ عَصَيْتُمُونِي وَعَبَدْتُمْ غَيْرِي، أَوْ أَشْرَكْتُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ لِي شَرِيكًا.

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢﴾ [النحل: ٥٢].

﴿وَلَهُۥ﴾ وَللهِ..

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ، وَبِيَدِهِ حَيَاتُهُمْ وَمَوْتُهُمْ..

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ وَلَهُ الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ..

﴿وَاصِبًاۚ﴾ دَائِمًا ثَابِتًا وَاجِبًا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: «**وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ**»[الصافات: ٩]..

﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿تَتَّقُونَ ٥٢﴾ [النحل: ٥٢] تَرْهَبُونَ وَتَحْذَرُونَ أَنْ يَسْلُبَكُمْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِإِخْلَاصِكُمُ الْعِبَادَةَ لِرَبِّكُمْ، وَإِفْرَادِكُمُ الطَّاعَةَ لَهُ، وَمَا لَكُمْ نَافِعٌ سِوَاهُ.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

﴿وَمَا بِكُم﴾ مَا يَكُنْ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ فِي أَبْدَانِكُمْ مِنْ عَافِيَةٍ وَصِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَفِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ نَمَاءٍ..

﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ فَاللهُ الْمُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ لَا غَيْرُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ..

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾ إِذَا أَصَابَكُمْ..

﴿ٱلضُّرُّ﴾ سَقَمٌ وَمَرَضٌ وَعِلَّةٌ عَارِضَةٌ فِي أَبْدَانِكُمْ، وَشِدَّةٌ مِنْ عَيْشٍ..

﴿فَإِلَيۡهِ﴾ فَإِلَى اللهِ..

﴿تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣] تَصْرُخُونَ بِالدُّعَاءِ وَتَسْتَغِيثُونَ بِهِ، لِيَكْشِفَ ذَلِكَ عَنْكُمْ وَأَصْلُهُ: مِنْ جُؤَارِ الثَّوْرِ، يُقَالُ مِنْهُ: جَأَرَ الثَّوْرُ يَجْأَرُ جُؤَارًا، وَذَلِكَ إِذَا رَفَعَ صَوْتًا شَدِيدًا مِنْ جُوعٍ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤﴾ [النحل: ٥٤].

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ﴾ ثُمَّ إِذَا وَهَبَ لَكُمْ رَبُّكُمُ الْعَافِيَةَ، وَرَفَعَ عَنْكُمْ مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْمَرَضِ فِي أَبْدَانِكُمْ وَمِنَ الشِّدَّةِ فِي مَعَاشِكُمْ، وَفَرَّجَ الْبَلَاءَ عَنْكُمْ..

﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤﴾ [النحل: ٥٤] إِذَا جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ يَجْعَلُونَ للهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ، فَيَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَيَذْبَحُونَ لَهَا الذَّبَائِحَ شُكْرًا لِغَيْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْفَرَجِ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الضُّرِّ.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٥٥﴾ [النحل: ٥٥].

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ لِيَجحَدُوا اللهَ نِعْمَتَهُ فِيمَا آتَاهُمْ مِنْ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُمْ..

﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٥٥﴾ [النحل: ٥٥] وَهَذَا مِنَ اللهِ وَعِيدٌ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: تَمَتَّعُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَىٰ أَنْ تُوَافِيَكُمْ آجَالُكُمْ، وَتَبْلُغُوا الْمِيقَاتَ الَّذِي وَقَّتَهُ لِحَيَاتِكُمْ وَتَمَتُّعِكُمْ فِيهَا، فَإِنَّكُمْ مِنْ ذَلِكَ سَتَصِيرُونَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، فَتَعْلَمُونَ بِلِقَائِهِ وَبَالَ مَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَتَعْرِفُونَ سُوءَ مَغَبَّةِ أَمْرِكُمْ، وَتَنْدَمُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُكُمُ النَّدَمُ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۝٥٦﴾ [النحل: ٥٦].

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ وَيَجْعَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْهُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا..

﴿نَصِيبًا﴾ حَظًّا وَجَزَاءً..

﴿مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ، إِشْرَاكًا مِنْهُمْ لَهُ، الَّذِي يَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ وَيَضُرُّهُمْ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿تَٱللَّهِ﴾ وَاللهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْجَاعِلُونَ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ نَصِيبًا فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ شِرْكًا بِاللهِ وَكُفْرًا..

﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ لَيَسْأَلَنَّكُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَمَّا كُنتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تَفْتَرُونَ ۝٥٦﴾ [النحل: ٥٦] تَخْتَلِقُونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْإِفْكِ عَلَىٰ اللهِ بِدَعْوَاكُمْ لَهُ شَرِيكًا، وَتَصْيِيرِكُمْ لِأَوْثَانِكُمْ فِيمَا رَزَقَكُمْ نَصِيبًا، ثُمَّ لَيُعَاقِبَنَّكُمْ عُقُوبَةً، تَكُونُ جَزَاءً لِكُفْرَانِكُمْ نِعَمَهُ وَافْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾ [النحل: ٥٧].

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ﴾ وَمِنْ جَهْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَخُبْثِ فِعْلِهِمْ وَقُبْحِ فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لِمَنْ خَلَقَهُمْ وَدَبَّرَهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، فَاسْتَوْجَبَ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِمُ الشُّكْرَ، وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْحَمْدَ..

﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ للهِ وَلَدٌ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نَزَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ عَمَّا أَضَافُوا إِلَيْهِ وَنَسَبُوهُ مِنَ الْبَنَاتِ..

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾ [النحل: ٥٧] وَلَهُمُ الْبَنِينَ الَّذِينَ يَشْتَهُونَ.. فَلَمْ يَرْضَوْا بِجَهْلِهِمْ، إِذْ

أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا لَا يَنْبَغِي إِضَافَتُهِ إِلَيْهِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ، أَنْ يُضِيفُوا إِلَيْهِ مَا يَشْتَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَيُحِبُّونَهُ لَهَا، وَلَكِنَّهُمْ أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَرْضَوْنَهُ لَهَا مِنَ الْبَنَاتِ، مَا يَقْتُلُونَهَا إِذَا كَانَتْ لَهُمْ.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: ٥٨].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا للهِ الْبَنَاتِ..

﴿بِالْأُنثَىٰ﴾ بِوِلَادَةِ مَا يُضِيفُهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لَهُ..

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ مِنْ كَرَاهَتِهِ لَهُ..

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: ٥٨] قَدْ كَظَمَ الْحُزْنَ وَامْتَلَأَ غَمًّا بِوِلَادَتِهِ لَهُ، فَهُوَ لَا يُظْهِرُ ذَلِكَ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(وَهَذَا صَنِيعُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، أَخْبَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِخُبْثِ صَنِيعِهِمْ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يَرْضَىٰ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، وَقَضَاءُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ قَضَاءِ الْمَرْءِ لِنَفْسِهِ، وَلَعَمْرِي مَا يَدْرِي أَنَّهُ خَيْرٌ، لَرُبَّ جَارِيَةٍ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ غُلَامٍ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَكُمُ اللهُ بِصَنِيعِهِمْ لِتَجْتَنِبُوهُ وَتَنْتَهُوا عَنْهُ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَغْذُو كَلْبَهُ وَيَئِدُ ابْنَتَهُ).**

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٩].

﴿يَتَوَارَىٰ﴾ هَذَا الْمُبَشَّرُ بِوِلَادَةِ الْأُنْثَىٰ مِنَ الْوَلَدِ لَهُ..

﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ فَيَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ..

﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ مِنْ مَسَاءَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ﴾ يَدْفِنُهُ حَيًّا فِي التُّرَابِ فَيَئِدُهُ..

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٩] أَلَا سَاءَ الْحُكْمُ الَّذِي يَحْكُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ أَنْ جَعَلُوا للهِ مَا لَا يَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَجَعَلُوا لِمَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ شِرْكًا فِيمَا رَزَقَهُمُ اللهُ، وَعَبَدُوا غَيْرَ مَنْ خَلَقَهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل: ٦٠].

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ لِلَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ وَهُوَ الْقَبِيحُ مِنَ الْمَثَلِ، وَمَا يَسُوءُ مَنْ ضُرِبَ لَهُ ذَلِكَ الْمَثَلُ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: ٥٨]، وَالْآيَةُ

الَّتِي بَعْدَهَا، مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جعَلُوا للهِ الْبَنَاتِ..

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وَهُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَطْيَبُ، وَالْأَحْسَنُ، وَالْأَجْمَلُ، وَذَلِكَ التَّوْحِيدُ وَالْإِذْعَانُ لَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ **شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**).. وَقَالَ: (**الإِخْلَاصُ وَالتَّوْحِيدُ**)..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ وَاللهُ ذُو الْعِزَّةِ الَّتِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَعَهَا عُقُوبَةُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَلَا عُقُوبَةُ مَنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ وَشَاءَهُ، لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل: ٦٠] فِي تَدْبِيرِهِ، فَلَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ وَلَا خَطَأٌ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل: ٦١].

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ﴾ عُصَاةَ..

﴿ٱلنَّاسَ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿بِظُلْمِهِم﴾ بِمَعَاصِيهِمْ..

﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ عَلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ تَدُبُّ عَلَيْهَا..

﴿وَلَٰكِن﴾ بِحِلْمِهِ..

﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يُؤَخِّرُ هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةِ فَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَىٰ وَقْتِهِمُ الَّذِي وَقَّتَ لَهُمْ..

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي وَقَّتَ لِهَلَاكِهِمْ..

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عَنِ الْهَلَاكِ..

﴿سَاعَةً﴾ فَيُمْهَلُونَ..

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل: ٦١] لَهُ حَتَّىٰ يَسْتَوفُوا آجَالَهُمْ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝٦٢﴾ [النحل: ٦٢].

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ وَيَجْعَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿وَتَصِفُ﴾ وتقول..

﴿أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ وتفتريه، ويجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم، ويزعمون..

﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ الَّذِي يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمُ الْبَنَاتُ يَجْعَلُونَهُنَّ للهِ تَعَالَىٰ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، وَأَمَّا الْحُسْنَىٰ الَّتِي جعلوها لِأَنْفُسِهِمْ، فَالذُّكُورُ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَئِدُونَ الْإِنَاثَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ، وَيَسْتَبْقُونَ الذُّكُورَ مِنْهُمْ، وَيَقُولُونَ: لَنَا الذُّكُورُ وَللهِ الْبَنَاتُ، وَهُوَ نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل: ٥٧]..

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا واجبًا..

﴿أَنَّ لَهُمُ﴾ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ للهِ الْبَنَاتِ، الْجَاعِلِينَ لَهُ مَا يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلِأَنْفُسِهِمُ الْحُسْنَىٰ..

﴿النَّارَ﴾ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل: ٦٢] وَأَنَّهُمْ مُخَلَّفُونَ مَتْرُوكُونَ فِي النَّارِ، مَنْسِيُّونَ فِيهَا.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: ٦٣].

﴿تَاللَّهِ﴾ وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ..

﴿إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَىٰ أُمَّتِكَ، مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ للهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ..

﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فَحَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مُقِيمِينَ، حَتَّىٰ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿فَهُوَ﴾ فَالشَّيْطَانُ..

﴿وَلِيُّهُمُ﴾ نَاصِرُهُمْ..

﴿الْيَوْمَ﴾ فِي الدُّنْيَا، وَبِئْسَ النَّاصِرُ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: ٦٣] فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ حِينَئِذٍ وِلَايَةُ الشَّيْطَانِ، وَلَا هِيَ نَفَعَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا بَلْ ضَرَّتْهُمْ فِيهَا وَهِيَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَضَرُّ.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤].

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وبَعَثْنَاكَ رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِنَا..

﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ مِنْ دِينِ اللهِ، فَتُعَرِّفُهُمُ الصَّوابَ مِنْهُ، والْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَتُقِيمُ عَلَيْهِمْ بِالصَّوَابِ مِنْهُ حُجَّةَ اللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِهَا..

﴿وَهُدًى﴾ وَبَيَانًا مِنَ الضَّلَالَةِ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْكِتَابَ..

﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤] بِهِ، فَيُصَدِّقُونَ بِمَا فِيهِ، وَيُقِرُّونَ بِمَا تَضَمَّنَ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ.. وَعَطَفَ بِالْهُدَىٰ عَلَىٰ مَوْضِعِ ﴿لِتُبَيِّنَ﴾، لِأَنَّ مَوْضِعَهَا نَصْبٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا بَيَانًا لِلنَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ هُدًىٰ وَرَحْمَةً.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل: ٦٥].

﴿وَٱللَّهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُنَبِّهً خَلْقِهِ عَلَىٰ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ فِي تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَعْبُودُكُمُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مَطَرًا..

﴿فَأَحْيَا﴾ فَأَنْبَتَ..

﴿بِهِ﴾ بِمَا أَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ الْمَيْتَةَ الَّتِي لَا زَرْعَ بِهَا، وَلَا عُشْبَ، وَلَا نَبْتَ..

﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ بَعْدَ مَا هِيَ مَيْتَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِحْيَائِنَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بِمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ..

﴿لَءَايَةً﴾ لَدَلِيلًا وَاضِحًا وَحُجَّةً قَاطِعَةً عُذْرَ مَنْ فَكَّرَ فِيهِ..

﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل: ٦٥] هَذَا الْقَوْلَ فَيَتَدَبَّرُونَهُ وَيَعْقِلُونَهُ، وَيُطِيعُونَ اللهَ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الَّتِي نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ..

﴿لَعِبْرَةً﴾ لَعِظَةً..

﴿نُّسْقِيكُم﴾ دَائِمًا..

﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ وَقَدْ ذَكَرَ الْأَنْعَامَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَهِيَ جَمْعٌ، وَالْهَاءُ فِي الْبُطُونِ مُوَحَّدَةٌ، فَإِنَّ لِأَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ: الأَوَّلُ: أَنَّ النَّعَمَ وَالْأَنْعَامَ شَيْءٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُمَا جَمِيعًا جَمْعَانِ، فَرَدَّ الْكَلَامَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ إِلَىٰ التَّذْكِيرِ، مُرَادًا بِهِ مَعْنَىٰ النَّعَمِ، إِذْ كَانَ يُؤَدِّي عَنِ الْأَنْعَامِ، والثاني: إِنَّمَا قَالَ: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ: مِمَّا فِي بُطُونِ مَا ذَكَرْنَا، وَيَقُولُ: مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٨]، بِمَعْنَىٰ: هَذَا الشَّيْءُ الطَّالِعُ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ [عبس: ١١- ١٢]، وَلَمْ يَقُلْ ذَكَرَهَا، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ هَذَا الشَّيْءَ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٥-٣٦]، وَلَمْ يَقُلْ (جَاءَتْ)..

﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ نُسْقِيكُمْ لَبَنًا، نُخْرِجُهُ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ خَالِصًا، يَقُولُ: خَلَصَ مِنْ مُخَالَطَةِ الدَّمِ وَالْفَرْثِ فَلَمْ يَخْتَلِطَا بِهِ..

﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦﴾ [النحل: ٦٦] يَسُوغُ لِمَنْ شَرِبَهُ، فَلَا يَغَصُّ بِهِ كَمَا يَغَصُّ الْغَاصُّ بِبَعْضِ مَا يَأْكُلُهُ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يُغَصَّ أَحَدٌ بِاللَّبَنِ قَطُّ.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾
[النحل: ٦٧].

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ وَلَكُمْ أَيْضًا أَيُّهَا النَّاسُ عِبْرَةٌ مَعَ مَا نُسْقِيكُمْ مِنْ بُطُونِ الْأَنْعَامِ مِنَ اللَّبَنِ الْخَارِجِ مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ، نُسْقِيكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ مَا..

﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ هُوَ كُلُّ مَا كَانَ حَلَالًا شُرْبُهُ، كَالنَّبِيذِ الْحَلَالِ، وَالْخَلِّ، وَالرُّطَبِ..

فَالسَّكَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَىٰ أَحَدِ أَوْجُهٍ أَرْبَعَةٍ: أَحَدُهَا: مَا أَسْكَرَ مِنَ الشَّرَابِ، وَالثَّانِي: مَا طَعِمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالثَّالِثُ: السُّكُونُ، وَالرَّابِعُ: الْمَصْدَرُ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَكِرَ فُلَانٌ يَسْكَرُ سُكْرًا وَسَكْرًا وَسَكَرًا.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مَا يُسْكِرُ مِنَ الشَّرَابِ حَرَامًا، وَكَانَ غَيْرُ جَائِزٍ لَنَا أَنْ نَقُولَ: هُوَ مَنْسُوخٌ، دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ السَّكَرَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ الْخَمْرِ، وَغَيْرُ مَا يُسْكِرُ مِنَ الشَّرَابِ، إِذْ كَانَ السَّكَرُ أَحَدُ مَعَانِيهِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَمَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ الْقُرْآنُ، هُوَ كُلُّ مَا طُعِمَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ ذَلِكَ، إِذْ

لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِ التَّنْزِيلِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ، أَوْ وَرَدَ بِأَنَّهُ مَنْسُوخٌ خَبَرٌ مِنَ الرَّسُولِ، وَلَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، فَوَجَبَ الْقَوْلُ بِمَا قُلْنَا، وَفَسَدَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْخَمْرُ أَوْ مَا يُسْكِرُ مِنَ الشَّرَابِ، وَخَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ السَّكَرُ نَفْسُهُ، إِذْ كَانَ السَّكَرُ لَيْسَ مِمَّا يُتَّخَذُ مِنَ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ، وَمِنْ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ السُّكُونِ..

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ التَّمْرُ وَالزَّبِيبُ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي مَا صَفْنَا لَكُمْ مِنْ نِعَمِنَا الَّتِي آتَيْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالنَّخْلِ وَالْكَرْمِ..

﴿لَآيَةً﴾ لَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ وَآيَةٌ بَيِّنَةٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [النحل: ٦٧] عَنِ اللهِ حُجَجَهُ، وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ مَوَاعِظَهُ فَيَتَّعِظُونَ بِهَا.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨﴾ [النحل: ٦٨].

﴿وَأَوْحَىٰ﴾ وَأَلْهَمَ..

﴿رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨﴾ [النحل: ٦٨] وَمِمَّا يَبْنُونَ مِنَ السُّقُوفِ، فَرَفَعُوهَا بِالْبِنَاءِ.. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَعْرِشُونَ ۝٦٨﴾: **(الْكَرْمُ)**.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩﴾ [النحل: ٦٩].

﴿ثُمَّ كُلِى﴾ أَيَّتُهَا النَّحْلُ..

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فَاسْلُكِي طُرُقَ رَبِّكِ..

﴿ذُلُلًا﴾ مُذَلَّلَةً لَكِ، وَالذُّلُلُ: جَمْعُ ذَلُولٍ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: **(لَا يَتَوَعَّرُ عَلَيْهَا مَكَانٌ سَلَكَتْهُ)**..

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِ النَّحْلِ..

﴿شَرَابٌ﴾ وَهُوَ الْعَسَلُ..

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ لِأَنَّ فِيهَا أَبْيَضَ، وَأَحْمَرَ، وَأَسْحَرَ -أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ مِثْلُ أَبْيَضَ، يَضْرِبُ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ- وَغَيْرَ ذَٰلِكَ مِنَ الْأَلْوَانِ..

﴿فِيهِ﴾ فِي الْعَسَلِ..

﴿شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ جاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ أَنَّ أَخاهُ اشْتَكَىٰ بَطْنَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اذْهَبْ فاسْقِ أَخَاكَ عَسَلًا**»، ثُمَّ جاءَهُ فَقالَ: مَا زَادَهُ إِلَّا شِدَّةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اذْهَبْ فاسْقِ أَخاكَ عَسَلًا، فَقَدْ صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ**»، فَسَقَاهُ، فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِخْرَاجِ اللهِ مِنْ بُطُونِ هَذِهِ النَّحْلِ: الشَّرَابَ الْمُخْتَلِفَ، الَّذِي هُوَ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ..

﴿لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩﴾ [النحل: ٦٩] لَدَلَالَةً وَحُجَّةً وَاضِحَةً عَلَىٰ مَنْ سَخَّرَ النَّحْلَ وَهَدَاهَا لِأَكْلِ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تَأْكُلُ، وَاتِّخَاذِهَا الْبُيُوتَ الَّتِي تُنْحَتُ مِنَ الْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْعُرُوشِ، وَأَخْرَجَ مِنْ بُطُونِهَا مَا أَخْرَجَ مِنَ الشِّفَاءِ لِلنَّاسِ، أَنَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، وَلَا تَصِحُّ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٧٠﴾ [النحل: ٧٠].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَوْجَدَكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، لَا الْآلِهَةُ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ، فَاعْبُدُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ﴾ ثُمَّ يَقْبِضُكُمْ..

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ وَمِنْكُمْ مَنْ يَهْرَمُ فَيَصِيرُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَهُوَ أَرْدَؤُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: رَذُلَ الرَّجُلُ وَفَسُلَ، يَرْذُلُ رَذَالَةً وَرُذُولَةً وَرَذَلْتُهُ أَنَا..

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ﴾ إِنَّمَا نَرُدُّهُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِيَعُودَ جَاهِلًا كَمَا كَانَ فِي حَالِ طُفُولَتِهِ وَصِبَاهُ..

﴿بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ﴾ لِئَلَّا يَعْلَمَ شَيْئًا بَعْدَ عِلْمٍ كَانَ يَعْلَمُهُ فِي شَبَابِهِ، فَذَهَبَ ذَلِكَ بِالْكِبَرِ وَنَسِيَ، فَلَا يَعْلَمُ مِنْهُ شَيْئًا، وَانْسَلَخَ مِنْ عَقْلِهِ، فَصَارَ مِنْ بَعْدِ عَقْلٍ كَانَ لَهُ، لَا يَعْقِلُ شَيْئًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَنْسَىٰ وَلَا يَتَغَيَّرُ عِلْمُهُ، عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا كَانَ وَيَكُونُ..

﴿قَدِيرٌ ۝٧٠﴾ [النحل: ٧٠] عَلَىٰ مَا شَاءَ، لَا يَجْهَلُ شَيْئًا وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٧١﴾ [النحل: ٧١].

﴿وَٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ الَّذِي رَزَقَكُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ فَمَا الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ بِمَا رَزَقَهُمْ..

﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ بِمُشْرِكِي مَمَالِيكِهِمْ فِيمَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَزْوَاجِ..

﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ حَتَّىٰ يَسْتَوُوا هُمْ فِي ذَلِكَ وَعَبِيدُهُمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَهُمْ لَا يَرْضَوْنَ بِأَنْ يَكُونُوا هُمْ وَمَمَالِيكِهِمْ فِيمَا رَزَقْتُهُمْ سَوَاءٌ، وَقَدْ جَعَلُوا عَبِيدِي شُرَكَائِي فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي، وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِاللهِ وَقِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللهِ مِنَ النَّصَارَىٰ..

﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي رَزَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل: ٧١] بِإِشْرَاكِهِمْ غَيْرَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ؟

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢].

﴿وَٱللَّهُ﴾ الَّذِي..

﴿جَعَلَ لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يَعْنِي أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ آدَمَ زَوْجَتَهُ حَوَّاءَ..

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: **(وَاللهُ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ خَلَقَ زَوْجَتَهُ مِنْهُ، ثُمَّ جَعَلَ لَكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً)**.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّينَ بِالْحَفَدَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْأَخْتَانُ، أَخْتَانُ الرَّجُلِ عَلَىٰ بَنَاتِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ أَعْوَانُ الرَّجُلِ وَخَدَمِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ وَلَدُ الرَّجُلِ وَوَلَدُ وَلَدِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ بَنُو امْرَأَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ عِبَادَهُ مُعَرِّفَهُمْ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ، فِيمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْبَنِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً، وَالْحَفَدَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: جَمْعُ حَافِدٍ، كَمَا الْكَذَبَةُ: جَمْعُ كَاذِبٍ، وَالْفَسَقَةُ: جَمْعُ فَاسِقٍ، وَالْحَافِدُ فِي كَلَامِهِمْ: هُوَ الْمُتَخَفِّفُ فِي الْخِدْمَةِ وَالْعَمَلِ، وَالْحَفْدُ: خِفَّةُ الْعَمَلِ، يُقَالُ: مَرَّ الْبَعِيرُ يَحْفِدُ حَفَدَانًا، إِذَا مَرَّ يُسْرِعُ فِي سَيْرِهِ،

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: إِلَيْكَ نَسْعَىٰ وَنَحْفِدُ، أَيْ نُسْرِعُ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ، وَإِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الْحَفَدَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُمُ الْمُسْرِعُونَ فِي خِدْمَةِ الرَّجُلِ الْمُتَخَفِّفُونَ فِيهَا، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَنَا أَنَّ مِمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا أَنْ جَعَلَ لَنَا حَفَدَةً تَحْفِدُ لَنَا، وَكَانَ أَوْلَادُنَا وَأَزْوَاجُنَا الَّذِينَ يُصْلِحُونَ لِلْخِدْمَةِ مِنَّا وَمِنْ غَيْرِنَا، وَأَخْتَانُنَا الَّذِينَ هُمْ أَزْوَاجُ بَنَاتِنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا، وَخَدَمُنَا مِنْ مَمَالِيكِنَا، إِذَا كَانُوا يَحْفِدُونَنَا فَيَسْتَحِقُّونَ اسْمَ حَفَدَةٍ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ دَلَّ بِظَاهِرِ تَنْزِيلِهِ وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَا بِحُجَّةِ عَقْلٍ، عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ نَوْعًا مِنَ الْحَفَدَةِ دُونَ نَوْعٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ قَدْ أَنْعَمَ بِكُلِّ ذَلِكَ عَلَيْنَا، لَمْ يَكُنْ لَنَا أَنْ نُوَجِّهَ ذَلِكَ إِلَىٰ خَاصٍّ مِنَ الْحَفَدَةِ دُونَ عَامٍ، إِلَّا مَا اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ أَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهِمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلِكُلِّ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَجْهٌ فِي الصِّحَّةِ، وَمَخْرَجٌ فِي التَّأْوِيلِ، وَإِنْ كَانَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ مِنَ الْقَوْلِ مَا اخْتَرْنَا لِمَا بَيَّنَّا مِنَ الدَّلِيلِ..

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَرَزَقَكُمْ مِنْ حَلَالِ الْمَعَاشِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَقْوَاتِ..

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَالْوَصَائِلِ، فَيُصَدِّقُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ﴾ وَبِمَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِإِحْلَالِهِ..

﴿يَكۡفُرُونَ ۝٧٢﴾ [النحل: ٧٢] يُنْكِرُونَ تَحْلِيلَهُ، وَيَجْحَدُونَ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَحَلَّهُ.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٧٣﴾

[النحل: ٧٣].

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَيَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ دُونِهِ..

﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أَوْثَانًا لَا تَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ إِنْزَالِ قَطْرٍ مِنْهَا لِإِحْيَاءِ مَوَتَانِ الْأَرَضِينَ..

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وَلَا تَمْلِكُ لَهُمْ أَيْضًا رِزْقًا مِنَ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ إِخْرَاجِ شَيْءٍ مِنْ نَبَاتِهَا وَثِمَارِهَا لَهُمْ، وَلَا..

﴿شَيۡـٔٗا﴾ مِمَّا عَدَّدَ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٧٣﴾ [النحل: ٧٣] وَلَا تَمْلِكُ أَوْثَانُهُمْ شَيْئًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بَلْ هِيَ وَجَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ للهِ مِلْكٌ.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل: ٧٤].

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فَلَا تُمَثِّلُوا للهِ الْأَمْثَالَ، وَلَا تُشَبِّهُوا لَهُ الْأَشْبَاهَ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا شِبْهَ..

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ وَاللهُ أَيُّهَا النَّاسُ يَعْلَمُ خَطَأَ مَا تُمَثِّلُونَ وَتَضْرِبُونَ مِنَ الْأَمْثَالِ وَصَوَابَهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ..

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل: ٧٤] صَوَابَ ذَلِكَ مِنْ خَطَئِهِ.

﴿۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [النحل: ٧٥].

﴿۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ وَشَبَّهَ لَكُمْ شَبَهًا أَيُّهَا النَّاسُ لِلْكَافِرِ مِنْ عَبِيدِهِ وَالْمُؤْمِنِ بِهِ مِنْهُمْ، فَأَمَّا مَثَلُ الْكَافِرِ: فَإِنَّهُ..

﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لَا يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَلَا يَأْتِي خَيْرًا، وَلَا يُنْفِقُ فِي شَيْءٍ مِنْ سَبِيلِ اللهِ مَالَهُ، لِغَلَبَةِ خِذْلَانِ اللهِ عَلَيْهِ، كَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ فَيُنْفِقُهُ..

﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ﴾ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ بِاللهِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَيُنْفِقُ فِي سَبِيلِهِ مَالَهُ، كَالْحُرِّ الَّذِي آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ..

﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾ بِعِلْمٍ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ هَلْ يَسْتَوِي الْعَبْدُ الَّذِي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهَذَا الْحُرُّ الَّذِي قَدْ رَزَقَهُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ كَمَا وَصَفَ؟ فَكَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْكَافِرُ الْعَامِلُ بِمَعَاصِي اللهِ الْمُخَالِفُ أَمْرَهُ، وَالْمُؤْمِنُ الْعَامِلُ بِطَاعَتِهِ..

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الْحَمْدُ الْكَامِلُ للهِ خَالِصًا دُونَ مَا تَدْعُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ فَإِيَّاهُ فَاحْمَدُوا دُونَهَا..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [النحل: ٧٥] مَا الْأَمْرُ كَمَا تَفْعَلُونَ، وَلَا الْقَوْلُ كَمَا تَقُولُونَ، مَا لِلْأَوْثَانِ عِنْدَهُمْ مِنْ يَدٍ وَلَا مَعْرُوفٍ فَتُحْمَدَ عَلَيْهِ، إِنَّمَا الْحَمْدُ للهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَهُمْ بِجَهْلِهِمْ بِمَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ يَجْعَلُونَهَا للهِ شُرَكَاءَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْحَمْدِ.. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: **(ضَرَبَ اللهُ هَذَا الْمَثَلَ، وَالْمَثَلَ الْآخَرَ الَّذِي بَعْدَهُ لِنَفْسِهِ، وَلِلْآلِهَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ)**.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٦].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ وَالْآلِهَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الصَّنَمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا وَلَا يَنْطِقُ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا خَشَبٌ مَنْحُوتٌ، وَإِمَّا نُحَاسٌ مَصْنُوعٌ..

﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ نَفْعٍ لِمَنْ خَدَمَهُ، وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ عَنْهُ..

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ وَهُوَ عِيَالٌ عَلَىٰ ابْنِ عَمِّهِ وَحُلَفَائِهِ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِ، فَكَذَلِكَ الصَّنَمُ كَلٌّ عَلَىٰ مَنْ يَعْبُدُهُ، يَحْتَاجُ أَنْ يَحْمِلَهُ وَيَضَعَهُ وَيَخْدِمَهُ، كَالْأَبْكَمِ مِنَ النَّاسِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ مِنْ بَنِي أَعْمَامِهِ وَغَيْرِهِمْ..

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ حَيْثُمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ نَفْسِهِ مَا يُرِيدُ، فَهُوَ لَا يَفْهَمُ وَلَا يُفْهَمُ عَنْهُ، فَكَذَلِكَ الصَّنَمُ لَا يَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهُ، فَيَأْتَمِرُ لِأَمْرِ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا يَنْطِقُ فَيَأْمُرُ وَيَنْهَىٰ..

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ هَلْ يَسْتَوِي هَذَا الْأَبْكَمُ الْكَلُّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ حَيْثُ تَوَجَّهَ..

﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ وَمَنْ هُوَ نَاطِقٌ مُتَكَلِّمٌ يَأْمُرُ بِالْحَقِّ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، وَهُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الَّذِي يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ؟ يَقُولُ: لَا يَسْتَوِي هُوَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَالصَّنَمُ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفَ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٦] وَهُوَ مَعَ أَمْرِهِ بِالْعَدْلِ، عَلَىٰ طَرِيقٍ مِنَ الْحَقِّ فِي دُعَائِهِ إِلَىٰ الْعَدْلِ، وَأَمْرُهُ بِهِ مُسْتَقِيمٌ، لَا يَعْوَجُّ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا يَزُولُ عَنْهُ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٧٧].

﴿وَلِلَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكُ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ دُونَ آلِهَتِكُمُ الَّتِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، لَا يَمْلِكُ ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ..

﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ وَمَا أَمْرُ قِيَامِ الْقِيَامَةِ وَالسَّاعَةِ الَّتِي تُنْشَرُ فِيهَا الْخَلْقُ لِلْوُقُوفِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا كَنَظْرَةٍ مِنَ الْبَصَرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ أَنْ يُقَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ..

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ مَنْ لَمْحِ الْبَصَرِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٧٧﴾ [النحل: ٧٧] إِنَّ اللهَ عَلَىٰ إِقَامَةِ السَّاعَةِ فِي أَقْرَبِ مَنْ لَمْحِ الْبَصَرِ قَادِرٌ، وَعَلَىٰ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

﴿وَٱللَّهُ﴾ تَعَالَىٰ أَعْلَمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِنْ بَعْدِ مَا..

﴿أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ لَا تَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا تَعْلَمُونَ، فَرَزَقَكُمْ عُقُولًا تَفْقَهُونَ بِهَا، وَتُمَيِّزُونَ بِهَا الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَبَصَّرَكُمْ بِهَا مَا لَمْ تَكُونُوا تُبْصِرُونَ..

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ الَّذِي تَسْمَعُونَ بِهِ الْأَصْوَاتَ، فَيَفْقَهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ مَا تَتَحَاوَرُونَ بِهِ بَيْنَكُمْ..

﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا الْأَشْخَاصَ فَتَتَعَارَفُونَ بِهَا وَتُمَيِّزُونَ بِهَا بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ..

﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ وَالْقُلُوبَ الَّتِي تَعْرِفُونَ بِهَا الْأَشْيَاءَ فَتَحْفَظُونَهَا وَتُفَكِّرُونَ فَتَفْقَهُونَ بِهَا..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨] فَعَلْنَا ذَلِكَ بِكُمْ، فَاشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، فَجَعَلْتُمْ لَهُ شُرَكَاءَ فِي الشُّكْرِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ شَرِيكٌ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٧٩﴾ [النحل: ٧٩].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ فِي هَوَاءِ السَّمَاءِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ..

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ مَا طَيَرَانُهَا فِي الْجَوِّ إِلَّا بِاللهِ وَبِتَسْخِيرِهِ إِيَّاهَا بِذَلِكَ، وَلَوْ سَلَبَهَا مَا أَعْطَاهَا مِنَ الطَّيَرَانِ لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ النُّهُوضِ ارْتِفَاعًا..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي تَسْخِيرِ اللهِ الطَّيْرَ وَتَمْكِينِهُ لَهَا الطَّيَرَانَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ..

﴿لَآيَاتٍ﴾ لَعَلَامَاتٍ وَدَلَالَاتٍ عَلَىٰ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا حَظَّ لِلْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأُلُوهَةِ..

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٧٩﴾ [النحل: ٧٩] لِقَوْمٍ يُقِرُّونَ بِوُجْدَانِ مَا تُعَايِنُهُ أَبْصَارُهُمْ، وَتَحُسُّهُ حَوَاسُّهُمْ.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾ [النحل: ٨٠].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ..

﴿سَكَنًا﴾ تَسْكُنُونَ أَيَّامَ مَقَامِكُمْ فِي دُورِكُمْ وَبِلَادِكُمْ..

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ وَهِيَ الْبُيُوتُ مِنَ الْأَنْطَاعِ وَالْفَسَاطِيطِ مِنَ الشَّعْرِ وَالصُّوفِ وَالْوَبَرِ..

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ تَسْتَخِفُّونَ حَمْلَهَا وَنَقْلَهَا..

﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ مِنْ بِلَادِكُمْ وَأَمْصَارِكُمْ لِأَسْفَارِكُمْ..

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ فِي بِلَادِكُمْ وَأَمْصَارِكُمْ...

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ جَمْعُ شَعْرٍ، وَوَاحِدُ الشَّعْرِ شَعْرَةٌ..

﴿أَثَٰثًا﴾ الْأَثَاثُ مَتَاعُ الْبَيْتِ، لَمْ يُسْمَعْ لَهُ بِوَاحِدٍ، وَهُوَ فِي أَنَّهُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِثْلُ الْمَتَاعِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ النَّحْوِيِّينَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: وَاحِدُ الْأَثَاثِ أَثَاثَةٌ، وَلَمْ أَرَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَأَنَا أَرَىٰ أَصْلَ الْأَثَاثِ اجْتِمَاعُ بَعْضِ الْمَتَاعِ إِلَىٰ بَعْضٍ حَتَّىٰ يَكْثُرَ، كَالشَّعْرِ الْأَثِيثِ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ، يُقَالُ مِنْهُ، أَثَّ شَعْرُ فُلَانٍ يَئِثُّ أَثًّا: إِذَا كَثُرَ وَالْتَفَّ وَاجْتَمَعَ..

﴿وَمَتَٰعًا﴾ جَعَلَ ذَلِكَ لَهُمْ بَلَاغًا، يَتَبَلَّغُونَ وَيَكْتَفُونَ بِهِ..

﴿إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾ [النحل: ٨٠] آجَالِهِمْ لِلْمَوْتِ.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝٨١﴾ [النحل: ٨١].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ وَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ مِنَ الْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا..

﴿ظِلَٰلًا﴾ تَسْتَظِلُّونَ بِهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَهِيَ جَمْعُ ظِلٍّ..

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ مَوَاضِعَ تَسْكُنُونَ فِيهَا، وَهِيَ جَمْعُ كِنٍّ..

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ يَعْنِي ثِيَابَ الْقُطْنِ، وَالْكَتَّانِ، وَالصُّوفِ، وَقُمُصَهَا..

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ وَدُرُوعًا تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ، وَالْبَأْسُ: هُوَ الْحَرْبُ، وَالْمَعْنَىٰ: تَقِيكُمْ فِي بَأْسِكُمُ السِّلَاحَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ، فَخَصَّ بِالذِّكْرِ الْحَرَّ دُونَ الْبَرْدِ، وَهِيَ تَقِي الْحَرَّ وَالْبَرْدَ؟ أَمْ كَيْفَ قِيلَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ مَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ السَّهْلِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ قَدْرِ مَعْرِفَتِهِمْ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾، وَمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ السُّهُولِ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ جِبَالٍ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾ [النحل: ٨٠] وَمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْهُ وَأَكْثَرَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ وَبَرٍ وَشَعَرٍ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]، يُعَجِّبُهُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ وَمَا أَنْزَلَ مِنَ الثَّلْجِ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُعْرَفُونَ بِهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ وَمَا تَقِي مِنَ الْبَرْدِ، أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ؟ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ حَرٍّ، فَالسَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ السَّرَابِيلَ بِأَنَّهَا تَقِي الْحَرَّ دُونَ الْبَرْدِ هُوَ أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ كَانُوا أَصْحَابَ حَرٍّ، فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَقِيهِمْ مَكْرُوهَ مَا بِهِ عَرَفُوا مَكْرُوهَهُ دُونَ مَا لَمْ يَعْرِفُوا مَبْلَغَ مَكْرُوهِهِ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَحْرُفِ الْأُخَرِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَعْطَاكُمْ رَبُّكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي وَصَفَهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ نِعْمَةً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَكَذَا..

﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝٨١﴾ [النحل: ٨١] لِتَخْضَعُوا للهِ بِالطَّاعَةِ، وَتَذِلَّ مِنْكُمْ بِتَوْحِيدِهِ النُّفُوسُ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٢﴾ [النحل: ٨٢].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ عَمَّا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٢﴾ [النحل: ٨٢] فَمَا عَلَيْكَ مِنْ لَوْمٍ وَلَا عَذْلٍ، لِأَنَّكَ قَدْ أَدَّيْتَ مَا عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا بَلَاغُهُمْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ «الْمُبِينُ» الَّذِي يُبِينُ لِمَنْ سَمِعَهُ حَتَّىٰ يَفْهَمَهُ.

﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ [النحل: ٨٣].

﴿يَعۡرِفُونَ﴾ يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ، دَاعِيًا إِلَىٰ مَا بَعَثَهُ بِدُعَائِهِمْ إِلَيْهِ..

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ثُمَّ يُنْكِرُونَكَ وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ..

﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ [النحل: ٨٣] وَأَكْثَرُ قَوْمِكَ الْجَاحِدُونَ نُبُوَّتَكَ، لَا الْمُقِرُّونَ بِهَا.

﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٨٤﴾ [النحل: ٨٤].

﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ وَيَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا الْيَوْمَ وَيَسْتَنْكِرُونَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا، وَهُوَ الشَّاهِدُ عَلَيْهَا بِمَا أَجَابَتْ دَاعِيَ اللهِ، وَهُوَ رَسُولُهُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ..

﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فِي الِاعْتِذَارِ، فَيَعْتَذِرُوا مِمَّا كَانُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ يَكْفُرُونَ..

﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٨٤﴾ [النحل: ٨٤] فَيَتْرُكُوا الرُّجُوعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا فَيُنِيبُوا وَيَتُوبُوا، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ [المرسلات: ٣٥- ٣٦].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٥﴾ [النحل: ٨٥].

﴿وَإِذَا رَءَا﴾ وَإِذَا عَايَنَ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ يَا مُحَمَّدُ وَجَحَدُوا نُبُوَّتَكَ وَالْأُمَمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ عَذَابَ اللهِ..

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ﴾ فَلَا يُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ فَيُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ بِالْعُذْرِ الَّذِي يَدَّعُونَهُ..

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٥﴾ [النحل: ٨٥] وَلَا يُرْجَئُونَ بِالْعِقَابِ، لِأَنَّ وَقْتَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ قَدْ فَاتَ، فَلَيْسَ ذَلِكَ وَقْتًا لَهُمَا، وَإِنَّمَا هُوَ وَقْتٌ لِلْجَزَاءِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، فَلَا يُنْظَرُ بِالْعِتَابِ لِيُعْتَبَ بِالتَّوْبَةِ.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل: ٨٦].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ وَإِذَا رَأَىٰ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿شُرَكَآءَهُمْ﴾ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ..

﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾ فِي الْكُفْرِ بِكَ..

﴿ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ﴾ الشُّرَكَاء الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿فَأَلْقَوْاْ﴾ شُرَكَاءَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ قَالُوا لَهُمْ..

﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل: ٨٦] أَيُّهَا الْمُشْرِكِينَ، مَا كُنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِنَا.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [النحل: ٨٧].

﴿وَأَلْقَوْاْ﴾ وَأَلْقَىٰ الْمُشْرِكُونَ.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَلْقَيْتُ إِلَيْهِ كَذَا تَعْنِي بِذَلِكَ قُلْتُ لَهُ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ اسْتَسْلَمُوا يَوْمَئِذٍ، وَذَلُّوا لِحُكْمِهِ فِيهِمْ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَدْعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَتَبَرَّأَتْ مِنْهُمْ، وَلَا قَوْمُهُمْ وَلَا عَشَائِرُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُدَافِعُونَ عَنْهُمْ..

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وَأَخْطَأَهُمْ مِنْ آلِهَتِهِمْ..

﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [النحل: ٨٧] مَا كَانُوا يَأْمُلُونَ مِنَ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ اللهِ بِالنَّجَاةِ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨].

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا يَا مُحَمَّدُ نُبُوَّتَكَ وَكَذَّبُوكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَصَدُّوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَمَنْ أَرَادَهُ..

﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ..

﴿فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يُزَادُوهُ، وَقِيلَ: تِلْكَ الزِّيَادَةُ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللهُ أَنْ يَزِيدَهُمُوهَا عَقَارِبُ وَحَيَّاتٌ.. قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: (**زِيدُوا عَقَارِبَ لَهَا أَنْيَابٌ كَالنَّخْلِ الطِّوَالِ**)..

﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨] زِدْنَاهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَا بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، بِمَا

كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْصُونَ اللهَ، وَيَأْمُرُونَ عِبَادَهُ بِمَعْصِيَتِهِ، فَذَلِكَ كَانَ إِفْسَادُهُمْ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ، يَا مَالِكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ نَسْأَلُ نَبِيَّهُمُ الَّذِي بَعَثْنَاهُ إِلَيْهِمْ لِلدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِنَا، وَقَالَ: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَانَ يَبْعَثُ إِلَىٰ أُمَمِ أَنْبِيَاءَهَا مِنْهَا، مَاذَا أَجَابُوكُمْ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكُمْ؟..

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَجِئْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ شَاهِدًا عَلَىٰ قَوْمِكَ وَأُمَّتِكَ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ بِمَا أَجَابُوكَ وَمَاذَا عَمِلُوا فِيمَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ بَيَانًا لِكُلِّ مَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ مِنْ حُدُودِ اللهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ..

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] وَبِشَارَةً لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ، وَخَضَعَ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَذْعَنَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، يُبَشِّرُهُ بِجَزِيلِ ثَوَابِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَعَظِيمِ كَرَامَتِهِ.

﴿* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

﴿* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ﴾ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِالْعَدْلِ﴾ وَهُوَ الْإِنْصَافُ، وَمِنَ الْإِنْصَافِ الْإِقْرَارُ بِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمَتِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَىٰ إِفْضَالِهِ، وَنُولِي الْحَمْدَ أَهْلَهُ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ وَلَمْ يَكُنْ لِلْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ عِنْدَنَا يَدٌ تَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَيْهَا، كَانَ جَهْلًا بِنَا حَمْدُهَا وَعِبَادَتُهَا، وَهِيَ لَا تُنْعِمُ فَتُشْكَرُ وَلَا تَنْفَعُ فَتُعْبَدُ، فَلَزِمَنَا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ مَنْ قَالَ: الْعَدْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ فَإِنَّ الإِحْسَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ، هُوَ الصَّبْرُ للهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالْمَكْرَهِ وَالْمَنْشَطِ، وَذَلِكَ هُوَ أَدَاءُ فَرَائِضِهِ..

﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وَإِعْطَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ الْحَقَّ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ بِسَبَبِ الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ..

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ الزِّنَا..

﴿وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ عُنِيَ بِالْبَغْيِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْكِبْرُ وَالظُّلْمُ.. وَأَصْلُ الْبَغْيِ: التَّعَدِّي وَمُجَاوَزَةُ الْقَدْرِ وَالْحَدِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿يَعِظُكُمْ﴾ يُذَكِّرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ رَبُّكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠] لِتَذَّكَّرُوا فَتُنِيبُوا إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ أَوْ لِشَرٍّ، آيَةٌ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآيَةَ).

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ [النحل: ٩١].

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وَأَوْفُوا بِمِيثَاقِ اللهِ..

﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ إِذَا وَاثَقْتُمُوهُ، وَعَقْدِهِ إِذَا عَاقَدْتُمُوهُ، فَأَوْجَبْتُمْ بِهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ حَقًّا لِمَنْ عَاقَدْتُمُوهُ بِهِ وَوَاثَقْتُمُوهُ عَلَيْهِ..

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ وَلَا تُخَالِفُوا الْأَمْرَ الَّذِي تَعَاقَدْتُمْ فِيهِ الْأَيْمَانَ، يَعْنِي بَعْدَ مَا شَدَدْتُمُ الْأَيْمَانَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَتَحْنَثُوا فِي أَيْمَانِكُمْ وَتُكَذِّبُوا فِيهَا وَتَنْقُضُوهَا بَعْدَ إِبْرَامِهَا، يُقَالُ مِنْهُ: وَكَّدَ فُلَانٌ يَمِينَهُ يُوَكِّدُهَا تَوْكِيدًا: إِذَا شَدَّدَهَا، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَمَّا أَهْلُ نَجْدٍ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَكَّدْتُهَا أُؤَكِّدُهَا تَأْكِيدًا..

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ بِالْوَفَاءِ بِمَا تَعَاقَدْتُمْ عَلَيْهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ رَاعِيًا يَرْعَىٰ الْمُوفِي مِنْكُمْ بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي عَاهَدَ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِهِ وَالنَّاقِضَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ [النحل: ٩١] فِي الْعُهُودِ الَّتِي تُعَاهِدُونَ اللهَ مِنَ الْوَفَاءِ بِهَا، وَالْأَحْلَافِ وَالْأَيْمَانِ الَّتِي تُؤَكِّدُونَهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، أَتَبَرُّونَ فِيهَا أَمْ تَنْقُضُونَهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِكُمْ، مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ مُسَائِلُكُمْ عَنْهَا وَعَمَّا عَمِلْتُمْ فِيهَا، يَقُولُ: فَاحْذَرُوا اللهَ أَنْ تَلْقَوْهُ وَقَدْ خَالَفْتُمْ فِيهَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ مِنْهُ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ مِنْ أَلَمِ عِقَابِهِ.. فَإِنَّ اللهَ

تَعَالَىٰ أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِبَادَهُ بِالْوَفَاءِ بِعُهُودِهِ الَّتِي يَجْعَلُونَهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ نَقْضِ الْأَيْمَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لِآخَرِينَ بِعُقُودٍ تَكُونُ بَيْنَهُمْ بِحَقٍّ مِمَّا لَا يَكْرَهُهُ اللهُ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنَهْيِهِمْ عَنْ نَقْضِ بَيْعَتِهِمْ حَذَرًا مِنْ قِلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدَدِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ أَرَادُوا الِانْتِقَالَ بِحِلْفِهِمْ عَنْ حُلَفَائِهِمْ لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ فِي آخَرِينَ لِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ تَثْبُتُ بِهِ الْحُجَّةُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ دُونَ شَيْءٍ، وَلَا دَلَالَةَ فِي كِتَابٍ وَلَا عَقْلٍ أَيُّ ذَلِكَ عُنِيَ بِهَا، وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِمَّا قُلْنَا؛ لِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ الْآيَةَ كَانَتْ قَدْ تَنْزِلُ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَيَكُونُ الْحُكْمُ بِهَا عَامًّا فِي كُلِّ مَا كَانَ بِمَعْنَى السَّبَبِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل: ٩٢].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَاهِيًا عِبَادَهُ عَنْ نَقْضِ الْأَيْمَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَآمِرًا بِوَفَاءِ الْعُهُودِ، وَمُمَثِّلًا نَاقِضَ ذَلِكَ بِنَاقِضَةِ غَزْلِهَا مِنْ بَعْدَ إِبْرَامِهِ وَنَاكِثَتِهِ مِنْ بَعْدِ إِحْكَامِهِ، وَلَا تَكُونُوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي نَقْضِكُمْ أَيْمَانَكُمْ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَإِعْطَائِكُمُ اللهَ بِالْوَفَاءِ بِذَلِكَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ..

﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ مِنْ بَعْدِ إِبْرَامٍ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: الْقُوَّةُ: مَا غُزِلَ عَلَىٰ طَاقَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَمْ يُثَنَّ، وَقِيلَ: إِنَّ الَّتِي كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ امْرَأَةٌ حَمْقَاءُ مَعْرُوفَةٌ بِمَكَّةَ..

﴿أَنكَٰثًا﴾ أَنْقَاضًا، وَكُلُّ شَيْءٍ نُقِضَ بَعْدَ الْفَتْلِ فَهُوَ أَنْكَاثٌ، وَاحِدُهَا: نِكْثٌ، حَبْلًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ غَزْلًا، يُقَالُ مِنْهُ: نَكَثَ فُلَانٌ هَذَا الْحَبْلَ فَهُوَ يَنْكُثُهُ نَكْثًا، وَالْحَبْلُ مُنْتَكِثٌ: إِذَا انْتَقَضَتْ قُوَاهُ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَكْثَ الْعَهْدِ وَالْعَقْدِ..

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ تَجْعَلُونَ أَيْمَانَكُمُ الَّتِي تَحْلِفُونَ بِهَا عَلَىٰ أَنَّكُمْ مُوفُونَ بِالْعَهْدِ لِمَنْ عَاقَدْتُمُوهُ..

﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ خَدِيعَةً وَغُرُورًا لِيَطْمَئِنُّوا إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ مُضْمِرُونَ لَهُمُ الْغَدْرَ، وَتَرْكَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالنُّقْلَةَ عَنْهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ.. وَالدَّخَلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: كُلُّ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا..

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّ غَيْرَهُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْهُمْ..

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ إِنَّمَا يَخْتَبِرُكُمُ اللهُ بِأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، لِيَتَبَيَّنَ

الْمُطِيعَ مِنْكُمُ الْمُنْتَهِي إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، مِنَ الْعَاصِي لَهُ الْمُخَالِفِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ رَبُّكُمْ..

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إِذَا وَرَدْتُمْ عَلَيْهِ بِمُجَازَاةِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ عَلَىٰ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، الْمُحْسِنِ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٩٢﴾ [النحل: ٩٢] وَالَّذِي كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللهِ كَانَ يُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَيُصَدِّقُ بِمَا ابْتَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، وَكَانَ يُكَذِّبُ بِذَلِكَ كُلِّهِ الْكَافِرُ، فَذَلِكَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الدُّنْيَا الَّذِي وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْبَيَانِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [النحل: ٩٣].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لَلَطَفَ بِكُمْ بِتَوْفِيقٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَصِرْتُمْ جَمِيعًا جَمَاعَةً وَاحِدَةً وَأَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ لَا تَخْتَلِفُونَ وَلَا تَفْتَرِقُونَ..

﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ﴾ وَلَكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَالَفَ بَيْنَكُمْ فَجَعَلَكُمْ أَهْلَ مِلَلٍ شَتَّىٰ، بِأَنْ وَفَّقَ هَؤُلَاءِ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ فَكَانُوا مُؤْمِنِينَ، وَخَذَلَ هَؤُلَاءِ فَحَرَمَهُمْ تَوْفِيقَهُ فَكَانُوا كَافِرِينَ..

﴿وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ وَلَيَسْأَلَنَّكُمُ اللهُ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [النحل: ٩٣] فِي الدُّنْيَا فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، ثُمَّ لَيُجَازِيَنَّكُمْ جَزَاءَ الْمُطِيعِ مِنْكُمْ بِطَاعَتِهِ، وَالْعَاصِي لَهُ بِمَعْصِيَتِهِ.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٩٤﴾ [النحل: ٩٤].

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ بَيْنَكُمْ دَخَلًا وَخَدِيعَةً بَيْنَكُمْ، تَغُرُّونَ بِهَا النَّاسَ..

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ فَتَهْلِكُوا بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مِنَ الْهَلَاكِ آمِنِينَ، وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ لِكُلِّ مُبْتَلَىٰ

بَعْدَ عَافِيَةٍ، أَوْ سَاقِطٍ فِي وَرْطَةٍ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ: (زَلَّتْ قَدَمُهُ)..

﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ وَتَذُوقُوا أَنْتُمُ السُّوءَ، وَذَلِكَ السُّوءُ هُوَ عَذَابُ اللهِ الَّذِي يُعَذِّبُ بِهِ أَهْلَ مَعَاصِيهِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ بَعْضُ مَا عُذِّبَ بِهِ أَهْلُ الْكُفْرِ..

﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بِمَا فَتَنْتُمْ مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ عَنِ الْإِيمَانِ..

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٩٤﴾ [النحل: ٩٤] فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ نَارُ جَهَنَّمَ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١] وَالْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا، أَنَّهُ عُنِيَ بِذَلِكَ: الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، عَنْ مُفَارَقَةِ الْإِسْلَامِ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ وَكَثْرَةِ أَهْلِ الشِّرْكِ هُوَ الصَّوَابُ، دُونَ الَّذِي قَالَ أَنَّهُمْ عَنَىٰ بِهِ انْتِقَالَ قَوْمٍ تَحَالَفُوا عَنْ حُلَفَائِهِمْ إِلَىٰ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَاعِلِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ بِاتِّخَاذِهِمُ الْأَيْمَانَ دَخَلًا بَيْنَهُمْ وَنَقْضِهِمُ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، صَادُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ ضَلَالٍ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، وَهَذِهِ صِفَةُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، لَا صِفَةُ أَهْلِ النُّقْلَةِ بِالْحِلْفِ عَنْ قَوْمٍ إِلَىٰ قَوْمٍ.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩٥﴾
[النحل: ٩٥].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وَلَا تَنْقُضُوا عُهُودَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَعُقُودَكُمُ الَّتِي عَاقَدْتُمُوهَا مَنْ عَاقَدْتُمْ مُؤَكِّدِيهَا بِأَيْمَانِكُمْ، تَطْلُبُونَ بِنَقْضِكُمْ ذَلِكَ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلًا، وَلَكِنْ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِالْوَفَاءِ بِهِ يُثِبْكُمُ اللهُ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِهِ..

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ لَكُمْ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِذَلِكَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩٥﴾ [النحل: ٩٥] فَضْلَ مَا بَيْنَ الْعِوَضَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحَدُهُمَا الثَّمَنُ الْقَلِيلُ الَّذِي تَشْتَرُونَ بِنَقْضِ عَهْدِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخَرُ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِهِ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْعِوَضَيْنِ وَفَضْلَ مَا بَيْنَ الثَّوَابَيْنِ، فَقَالَ.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [النحل: ٩٦].

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ مَا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِمَّا تَتَمَلَّكُونَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَثُرَ فَنَافِدٌ فَانٍ..

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لِمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَطَاعَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ..

﴿بَاقٍۗ﴾ غَيْرِ فَانٍ، فَلِمَا عِنْدَهُ فَاعْمَلُوا، وَعَلَى الْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَى فَاحْرِصُوا..

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ وَلَيُثِيبَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ..

﴿أَجْرَهُم﴾ ثَوَابَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صَبْرِهِمْ عَلَيْهَا وَمُسَارَعَتِهِمْ فِي رِضَاهُ..

﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [النحل: ٩٦] مِنَ الْأَعْمَالِ دُونَ أَسْوَئِهَا، وَلَيَغْفِرَنَّ اللهُ لَهُمْ سَيِّئَهَا بِفَضْلِهِ.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ، وَأَوْفَى بِعُهُودِ اللهِ إِذَا عَاهَدَ..

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وَهُوَ مُصَدِّقٌ بِثَوَابِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَبِوَعِيدِ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ..

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَى أَنَّهُ يُحْيِيهِمْ فِي الدُّنْيَا مَا عَاشُوا فِيهَا بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ﴾ بِأَنْ نَرْزُقَهُ الْقَنَاعَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يَعْنِي بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْحَيَاةَ مُؤْمِنًا بِاللهِ عَامِلًا بِطَاعَتِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ السَّعَادَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: الْحَيَاةُ فِي الْجَنَّةِ.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: تَأْوِيلُ ذَلِكَ: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً بِالْقَنَاعَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَنَّعَهُ اللهُ بِمَا قَسَمَ لَهُ مِنْ رِزْقٍ لَمْ يَكْثُرْ لِلدُّنْيَا تَعَبُهُ، وَلَمْ يَعْظُمْ فِيهَا نَصَبُهُ، وَلَمْ يَتَكَدَّرْ فِيهَا عَيْشُهُ بِاتِّبَاعِهِ بُغْيَةَ مَا فَاتَهُ مِنْهَا، وَحِرْصُهُ عَلَى مَا لَعَلَّهُ لَا يُدْرِكُهُ فِيهَا، وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ أَوْلَى التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ بِالْآيَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَوْعَدَ قَوْمًا قَبْلَهَا عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ إِنْ عَصَوْهُ أَذَاقَهُمُ السُّوءَ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤]، فَهَذَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَهَذَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ مَا لِمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِ اللهِ وَأَطَاعَهُ فَقَالَ تَعَالَى: مَا عِنْدَكُمْ فِي الدُّنْيَا يَنْفَدُ، وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ، فَالَّذِي أَوْعَدَ أَهْلَ الْمَعَاصِي بِإِذَاقَتِهِمْ هَذِهِ السَّيِّئَةَ بِحِكْمَتِهِ أَرَادَ أَنْ يُعَقِّبَ ذَلِكَ الْوَعْدَ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ بِالْإِحْسَانِ فِي الدُّنْيَا، وَالْغُفْرَانِ فِي الْآخِرَةِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ الرِّزْقُ الْحَلَالُ، فَهُوَ مُحْتَمِلٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى يُقَنِّعُهُ فِي الدُّنْيَا بِالَّذِي يَرْزُقُهُ مِنَ الْحَلَالِ

وَإِنْ قَلَّ، فَلَا تَدْعُوهُ نَفْسُهُ إِلَىٰ الْكَثِيرِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، لَا أَنَّهُ يَرْزُقُهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَلَالِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ الْعَامِلِينَ للهِ تَعَالَىٰ بِمَا يَرْضَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ لَمْ نَرَهُمْ رُزِقُوا الرِّزْقَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَلَالِ فِي الدُّنْيَا، وَوَجَدْنَا ضِيقَ الْعَيْشِ عَلَيْهِمْ أَغْلَبَ مِنَ السَّعَةِ..

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل: ٩٧] فَذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨].

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وَإِذَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ قَارِئًا الْقُرْآنَ..

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨] وَلَيْسَ بِالْأَمْرِ اللَّازِمِ، وَإِنَّمَا هُوَ إِعْلَامٌ وَنَدْبٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَبْلَ قِرَاءَتِهِ أَوْ بَعْدَهَا أَنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْ فَرْضًا وَاجِبًا.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (**فَهَذَا دَلِيلٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ دَلَّ عِبَادَهُ عَلَيْهِ**).

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ [النحل: ٩٩].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ..

﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ﴾ لَيْسَتْ لَهُ حُجَّةٌ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ..

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ [النحل: ٩٩] فِيمَا نَابَهُمْ مِنْ مُهِمَّاتِ أُمُورِهِمْ.

﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل: ١٠٠].

﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ إِنَّمَا حُجَّتُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُ..

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل: ١٠٠] وَالَّذِينَ هُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ، أَشْرَكُوا الشَّيْطَانَ فِي أَعْمَالِهِمْ.. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُشْرِكُونَهُ بِاللهِ فِي عِبَادَتِهِمْ، وَذَبَائِحِهِمْ، وَمَطَاعِمِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ، لَا أَنَّهُمْ يُشْرِكُونَ بِالشَّيْطَانِ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ مَا قَالوه، لَكَانَ التَّنْزِيلُ: (**الَّذِينَ هُمْ مُشْرِكُوهُ**)، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ ﴿بِهِۦ﴾، فَكَانَ يَكُونُ لَوْ كَانَ التَّنْزِيلُ كَذَلِكَ: (**وَالَّذِينَ هُمْ مُشْرِكُوهُ فِي أَعْمَالِهِمْ**)، إِلَّا أَنْ يُوَجِّهَ مُوَجِّهٌ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَدِينُونَ بِأُلُوهَةِ الشَّيْطَانِ وَيُشْرِكُونَ اللهَ بِهِ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَصِحُّ حِينَئِذٍ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَيَخْرُجُ عَمَّا جَاءَ

التَّنْزِيلُ بِهِ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَ الْمُشْرِكِينَ فِي سَائِرِ سُوَرِ الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا، وَقَالَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالزَّجْرِ عَنْ ذَلِكَ: (لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا)، وَلَمْ نَجِدْ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّنْزِيلِ: (لَا تُشْرِكُوا اللهَ بِشَيْءٍ)، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ خَبَرًا مِنَ اللهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا اللهَ بِشَيْءٍ، فَيَجُوزُ لَنَا تَوْجِيهُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ إِلَىٰ وَالَّذِينَ هُمْ بِالشَّيْطَانِ مُشْرِكُو اللهِ، فَبَيِّنَ إِذًا -إِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ- أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ (الرَّبِّ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ وَإِذَا نَسَخْنَا حُكْمَ آيَةٍ فَأَبْدَلْنَا مَكَانَهُ حُكْمَ أُخْرَىٰ..

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي هُوَ أَصْلَحُ لِخَلْقِهِ فِيمَا يُبَدِّلُ وَيُغَيِّرُ مِنْ أَحْكَامِهِ..

﴿قَالُوٓا۟﴾ قَالَ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْمُكَذِّبُو رَسُولِهِ لِرَسُولِهِ..

﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مُفْتَرٍۭ﴾ مُكَذِّبٌ، تَخْرُصُ بِتَقَوُّلِ الْبَاطِلِ عَلَىٰ اللهِ..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ جُهَّالٌ بِأَنَّ الَّذِي تَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١] حَقِيقَةَ صِحَّتِهِ.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لَكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ فِيمَا تَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ آيِ كِتَابِنَا..

﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ قُلْ جَاءَ بِهِ جِبْرَئِيلُ..

﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّي بِالْحَقِّ..

﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قُلْ نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ، نَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، رُوحُ الْقُدُسِ عَلَيَّ مِنْ رَبِّي، تَثْبِيتًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْوِيَةً لِإِيمَانِهِمْ، لِيَزْدَادُوا بِتَصْدِيقِهِمْ لِنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ إِيمَانًا لِإِيمَانِهِمْ..

﴿وَهُدًى﴾ لَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢] الَّذِينَ اسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِ اللهِ، وَانْقَادُوا لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمَا أَنْزَلَهُ فِي آيِ كِتَابِهِ، فَأَقَرُّوا بِكُلِّ ذَلِكَ وَصَدَّقُوا بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ﴾ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَقُولُونَ﴾ جَهْلًا مِنْهُمْ..

﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ إِنَّمَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ..

﴿بَشَرٌ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ: أَلَا تَعْلَمُونَ كَذِبَ مَا تَقُولُونَ؟..

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ إِنَّ لِسَانَ الَّذِي تُلْحِدُونَ إِلَيْهِ، يَقُولُ: تَمِيلُونَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا..

﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِي يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا هَذَا الْقُرْآنَ عَبْدٌ رُومِيٌّ، فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ..

﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣] وَهَذَا الْقُرْآنُ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ [النحل: ١٠٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ، فَيُصَدِّقُونَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ..

﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ لَا يُوَفِّقُهُمُ اللهُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَلَا يَهْدِيهِمْ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ وَعِنْدَ اللهِ إِذَا وَرَدُوا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ [النحل: ١٠٤] عَذَابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ..

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْفِرْيَةِ وَالْكَذِبِ، لَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ، وَبَرَّأَ مِنْ ذَلِكَ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، فَقَالَ.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥].

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى﴾ إِنَّمَا يَتَخَرَّصُ..

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ وَيَتَقَوَّلُ الْبَاطِلَ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بِحُجَجِ اللهِ وَإِعْلَامِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ عَلَىٰ الصِّدْقِ ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُونَ عَلَىٰ الْكَذِبِ عِقَابًا، فَهُمْ أَهْلُ الْإِفْكِ وَافْتِرَاءِ الْكَذِبِ، لَا مَنْ كَانَ رَاجِيًا مِنَ اللهِ عَلَىٰ الصِّدْقِ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَخَائِفًا عَلَىٰ الْكَذِبِ الْعِقَابَ الْأَلِيمَ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ..

﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥] هُمْ أَهْلُ الْكَذِبِ، لَا الْمُؤْمِنُونَ.

> ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ عَلَىٰ الْكُفْرِ فَنَطَقَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ بِلِسَانِهِ..

﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ مُوقِنٌ بِحَقِيقَتِهِ، صَحِيحٌ عَلَيْهِ عَزْمُهُ، غَيْرُ مَفْسُوحِ الصَّدْرِ بِالْكُفْرِ..

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فَاخْتَارَهُ وَآثَرَهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ، وَبَاحَ بِهِ طَائِعًا..

﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦] حَلَّ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ غَضَبُ اللهِ، وَوَجَبَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ.

> ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل: ١٠٧].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ اخْتَارُوا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ عَلَىٰ نَعِيمِ الْآخِرَةِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل: ١٠٧] وَلِأَنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ آيَاتِهِ مَعَ إِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ جُحُودِهَا.

> ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٠٨﴾ [النحل: ١٠٨].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَيُّهَا النَّاسُ، هُمُ الْقَوْمُ..

﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فَخَتَمَ عَلَيْهَا بِطَابَعِهِ، فَلَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ..

﴿وَسَمْعِهِمْ﴾ وَأَصَمَّ أَسْمَاعَهُمْ فَلَا يَسْمَعُونَ دَاعِيَ اللهِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ..

﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ، فَلَا يُبْصِرُونَ بِهَا حُجَجَ اللهِ إِبْصَارَ مُعْتَبِرٍ وَمُتَّعِظٍ..

﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ..

﴿هُمُ الْغَافِلُونَ ۝١٠٨﴾ [النحل: ١٠٨] السَّاهُونَ عَمَّا أَعَدَّ اللهُ لِأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَعَمَّا يُرَادُ بِهِمْ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝١٠٩﴾ [النحل: ١٠٩].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝١٠٩﴾ [النحل: ١٠٩] الْهَالِكُونَ، الَّذِينَ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١١٠﴾ [النحل: ١١٠].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مِنْ دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَانْتَقَلُوا عَنْهُمْ إِلَىٰ دِيَارِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَمَسَاكِنِهِمْ وَأَهْلِ وَلَايَتِهِمْ..

﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَهُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَبْلَ هِجْرَتِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ..

﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيْدِيهِمْ بِالسَّيْفِ وَبِأَلْسِنَتِهِمْ بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿وَصَبَرُوا﴾ عَلَىٰ جِهَادِهِمْ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ فِعْلَتِهِمْ هَذِهِ لَهُمْ..

﴿لَغَفُورٌ﴾ لَذُو سَتْرٍ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الْمُشْرِكِينَ مَا أَرَادُوا مِنْهُمْ مِنْ كَلِمَةِ الْكُفْرِ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ لِغَيْرِهَا مُضْمِرُونَ وَلِلْإِيمَانِ مُعْتَقِدُونَ..

﴿رَحِيمٌ ۝١١٠﴾ [النحل: ١١٠] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا مَعَ إِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ وَتَوْبَتِهِمْ.

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١١١﴾ [النحل: ١١١].

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ

نَفْسٍ تُخَاصِمُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَحْتَجُّ عَنْهَا بِمَا أَسْلَفَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ..

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل: ١١١] وَهُمْ لَا يُفْعَلُ بِهِمْ إِلَّا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ وَيَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَا قَدَّمُوهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَلَا يُجْزَىٰ الْمُحْسِنُ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ، وَلَا الْمُسِيءُ إِلَّا بِالَّذِي أَسْلَفَ مِنَ الْإِسَاءَةِ، لَا يُعَاقَبُ مُحْسِنٌ، وَلَا يُبْخَسُ جَزَاءَ إِحْسَانِهِ، وَلَا يُثَابُ مُسِيءٌ إِلَّا ثَوَابَ عَمَلِهِ.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

[النحل: ١١٢].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ وَمَثَّلَ اللهُ مَثَلًا لِمَكَّةَ الَّتِي سُكَّانُهَا أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ هِيَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً، وَكَانَ أَمْنُهَا أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَتَعَادَىٰ وَيَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهَا بَعْضًا، وَأَهْلُ مَكَّةَ لَا يُغَارُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُحَارَبُونَ فِي بَلَدِهِمْ، فَذَلِكَ كَانَ أَمْنُهَا..

﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ قَارَّةً بِأَهْلِهَا، لَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَىٰ النُّجَعِ كَمَا كَانَ سُكَّانُ الْبَوَادِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا..

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ يَأْتِي أَهْلَهَا مَعَايِشُهُمْ وَاسِعَةً كَثِيرَةً..

﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ مِنْ كُلِّ فَجٍّ مِنْ فِجَاجِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَمِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فِيهَا..

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ فَكَفَرَ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ بِأَنْعُمِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهَا..

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾ فَأَذَاقَ اللهُ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ..

﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ وَذَلِكَ جُوعٌ خَالَطَ أَذَاهُ أَجْسَامَهُمْ، فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ذَلِكَ لِمُخَالَطَتِهِ أَجْسَامَهُمْ بِمَنْزِلَةِ اللِّبَاسِ لَهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْجُوعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةً بِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَكَلُوا الْعِلْهِزَ، وَالْجِيَفَ، وَالْعِلْهِزَ: الْوَبَرُ يُعْجَنُ بِالدَّمِ وَالْقُرَادِ يَأْكُلُونَهُ..

﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ خَوْفُهُمْ مِنْ سَرَايَا رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي كَانَتْ تُطِيفُ بِهِمْ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢] مِنَ الْكُفْرِ بِأَنْعُمِ اللهِ، وَيَجْحَدُونَ آيَاتِهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٣].

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ وَلَقَدْ جَاءَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ صِفَتَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿رَسُولٌ﴾ رَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَعْرِفُونَهُ، وَيَعْرِفُونَ نَسَبَهُ، وَصِدْقَ لَهْجَتِهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ..

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ وَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وَذَلِكَ لِبَاسُ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ مَكَانُ الْأَمْنِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالرِّزْقِ الْوَاسِعِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُرْزَقُونَهُ، وَقَتْلٌ بِالسَّيْفِ..

﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٣] وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُتِلَ عُظَمَاؤُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ عَلَىٰ الشِّرْكِ.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: ١١٤].

﴿فَكُلُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ مِنْ بَهَائِمِ الْأَنْعَامِ الَّتِي أَحَلَّهَا لَكُمْ..

﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مُذَكَّاةً غَيْرَ مُحَرَّمَةٍ عَلَيْكُمْ..

﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ وَاشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ فِي تَحْلِيلِهِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ..

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: ١١٤] إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ، فَتُطِيعُونَهُ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [النحل: ١١٥].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُحَرِّمُونَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْبَحَائِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ: مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا..

﴿الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وَمَا ذُبِحَ لِلْأَنْصَابِ فَسُمِّيَ عَلَيْهِ غَيْرُ اللهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ ذَبَائِحِ مَنْ لَا يَحِلُّ أَكْلُ ذَبِيحَتِهِ..

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إِلَىٰ ذَلِكَ أَوْ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ لِمَجَاعَةٍ حَلَّتْ فَأَكَلَهُ..

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ذُو سَتْرٍ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَاخِذَهُ بِأَكْلِهِ ذَلِكَ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ..

﴿رَّحِيمٌ ١١٥﴾ [النحل: ١١٥] بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَيْهِ.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ١١٦﴾ [النحل: ١١٦].

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ وَلَا تَقُولُوا لِوَصْفِ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ فِيمَا رَزَقَ اللهُ عِبَادَهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ..

﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ﴾ كَيْ تَفْتَرُوا..

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بِقِيلِكُمْ ذَلِكَ..

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ مِنْ ذَلِكَ مَا تُحَرِّمُونَ، وَلَا أَحَلَّ كَثِيرًا مِمَّا تُحِلُّونَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالْوَعِيدِ عَلَىٰ كَذِبِهِمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتَخَرَّصُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَيَخْتَلِقُونَهُ..

﴿لَا يُفْلِحُونَ ١١٦﴾ [النحل: ١١٦] لَا يُخَلَّدُونَ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَبْقَوْنَ فِيهَا، إِنَّمَا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا قَلِيلًا وَقَالَ.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١٧﴾ [النحل: ١١٧].

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، أَوْ لَهُمْ مَتَاعٌ قَلِيلٌ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١٧﴾ [النحل: ١١٧] ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ وَمَعَادُهُمْ، وَلَهُمْ عَلَىٰ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ عَذَابٌ عِنْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ أَلِيمٌ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٨﴾ [النحل: ١١٨].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُۖ﴾ وَحَرَّمْنَا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ الْيَهُودِ مَا أَنْبَأْنَاكَ بِهِ مِنْ قَبْلُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَذَاكَ كُلُّ ذِي ظُفُرٍ، ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾..

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بِتَحْرِيمِنَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٨﴾ [النحل: ١١٨] فَجَزَيْنَاهُمْ ذَلِكَ بِبَغْيِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَأَوْرَثَهُمْ ذَلِكَ عُقُوبَةَ اللهِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَصَوْا اللهَ..

﴿بِجَهَالَةٍ﴾ فَجَهِلُوا بِرُكُوبِهِمْ مَا رَكِبُوا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَسَفِهوا بِذَلِكَ..

﴿ثُمَّ تَابُوا﴾ ثُمَّ رَاجَعُوا طَاعَةَ اللهِ، وَالنَّدَمَ عَلَيْهَا، وَالِاسْتِغْفَارَ، وَالتَّوْبَةَ مِنْهَا..

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ مِنْ بَعْدَ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ رُكُوبِ الْمَعْصِيَةِ..

﴿وَأَصْلَحُوا﴾ وَأَصْلَحَ، فَعَمِلَ بِمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَاهُ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩] إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِمْ لَهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ خَلِيلَ اللهِ..

﴿كَانَ أُمَّةً﴾ كَانَ مُعَلِّمَ خَيْرٍ يَأْتَمُّ بِهِ أَهْلُ الْهُدَىٰ..

﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ مُطِيعًا للهِ..

﴿حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠] وَلَمْ يَكُ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، فَيَكُونُ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَهْلَ الشِّرْكِ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَأَنَّهُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: ١٢١].

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ كَانَ يُخْلِصُ الشُّكْرَ للهِ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجْعَلُ مَعَهُ فِي شُكْرِهِ فِي نِعَمِهِ عَلَيْهِ شَرِيكًا مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا يَفْعَلُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ..

﴿اجْتَبَاهُ﴾ اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ لِخُلَّتِهِ..

﴿وَهَدَاهُ﴾ وَأَرْشَدَهُ..

﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: ١٢١] وَذَلِكَ دِينُ الْإِسْلَامِ، لَا الْيَهُودِيَّةُ وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٢].

﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ وَآتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قُنُوتِهِ للهِ وَشُكْرِهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ وَإِخْلَاصِهِ الْعِبَادَةَ لَهُ..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ذِكْرًا حَسَنًا، وَثَنَاءً جَمِيلًا بَاقِيًا عَلَىٰ الْأَيَّامِ..

﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ وَإِنَّهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢﴾ [النحل: ١٢٢] لَمِمَّنْ صَلُحَ أَمْرُهُ وَشَأْنُهُ عِنْدَ اللهِ، وَحَسُنَتْ فِيهَا مَنْزِلَتُهُ وَكَرَامَتُهُ.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَقُلْنَا لَكَ..

﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ..

﴿حَنِيفًا﴾ مُسْلِمًا عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣] بَرِيئًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُكَ، كَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ تَبَرَّأَ مِنْهَا.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤﴾ [النحل: ١٢٤].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ مَا فَرَضَ اللهُ أَيُّهَا النَّاسُ تَعْظِيمَ يَوْمِ السَّبْتِ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَعْظَمُ الْأَيَّامِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَغَ مِنْ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ سَبَتَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَعْظَمُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْأَحَدِ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيهِ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ، فَاخْتَارُوهُ، وَتَرَكُوا تَعْظِيمَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمَهُ وَاسْتَحَلُّوهُ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ لَيَحْكُمُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ بَيْنَهُمْ فِي اسْتِحْلَالِ السَّبْتِ وَتَحْرِيمِهِ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ عِنْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ..

﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤﴾ [النحل: ١٢٤] مِمَّا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فِي الدُّنْيَا بِالْحَقِّ، وَيَفْصِلُ بِالْعَدْلِ بِمُجَازَاةِ الْمُصِيبِ فِيهِ جَزَاءَهُ، وَالْمُخْطِئِ فِيهِ مِنْهُمْ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿ٱدْعُ﴾ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَرْسَلَكَ إِلَيْهِ رَبُّكَ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إِلَىٰ شَرِيعَةِ رَبِّكَ الَّتِي شَرَعَهَا لِخَلْقِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بِوَحْيِ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَكِتَابِهِ الَّذِي يُنْزِلُهُ عَلَيْكَ..

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وَبِالْعِبَرِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَذَكَّرَهُمْ بِهَا فِي تَنْزِيلِهِ، كَالَّتِي عَدَّدَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ حُجَجِهِ، وَذَكَّرَهُمْ فِيهَا مَا ذَكَّرَهُمْ مِنْ آلَائِهِ..

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وَخَاصِمْهُمْ بِالْخُصُومَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهَا، أَنْ تَصْفَحَ عَمَّا نَالُوا بِهِ عِرْضَكَ مِنَ الْأَذَىٰ، وَلَا تَعْصِهِ فِي الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْكَ مِنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ بِمَنْ جَارَ..

﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي السَّبْتِ وَغَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَحَادَّ اللهَ..

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥] وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ سَالِكًا قَصْدَ السَّبِيلِ وَمَحَجَّةَ الْحَقِّ، وَهُوَ مُجَازٍ جَمِيعَهُمْ جَزَاءَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾
[النحل: ١٢٦].

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَنْ ظَلَمَكُمْ وَاعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ..

﴿فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ فَعَاقِبُوهُ بِمِثْلِ الَّذِي نَالَكُمْ بِهِ ظَالِمُكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ..

﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عَنْ عُقُوبَتِهِ وَاحْتَسَبْتُمْ عِنْدَ اللهِ مَا نَالَكُمْ بِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَوَكَلْتُمْ أَمْرَهُ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الْمُتَوَلِّي عُقُوبَتَهُ..

﴿لَهُوَ﴾ لَلصَّبْرُ عَنْ عُقُوبَتِهِ بِذَلِكَ..

﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦] خَيْرٌ لِأَهْلِ الصَّبْرِ، احْتِسَابًا وَابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ، لِأَنَّ اللهَ يُعَوِّضُهُ مِنَ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَنَالَهُ بِانْتِقَامِهِ مِنْ ظَالِمِهِ عَلَىٰ ظُلْمِهِ إِيَّاهُ مِنْ لَذَّةِ الِانْتِصَارِ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَقِيلَ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ أَوْ مُحْكَمَةٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ أَقْسَمُوا حِينَ فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ مَا فَعَلُوا بِقَتْلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّمْثِيلِ بِهِمْ أَنْ يُجَاوِزُوا فِعْلَهُمْ فِي الْمُثْلَةِ بِهِمْ إِنْ رُزِقُوا الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ يَوْمًا، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْتَصِرُوا فِي التَّمْثِيلِ بِهِمْ إِنْ هُمْ ظَفِرُوا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِتَرْكِ التَّمْثِيلِ وَإِيثَارِ الصَّبْرِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، فَنُسِخَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مَا كَانَ أَذِنَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمُثْلَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ:

نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي بَرَاءَةَ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٦] قَالُوا: وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، خَبَرًا مِنَ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَبْدَءُوهُمْ بِقِتَالٍ حَتَّىٰ يَبْدَءُوهُمْ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠].. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] نَبِيَّ اللهِ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ أَصْحَابِهِ، فَكَانَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ لَهُ عَزِيمَةً مِنَ اللهِ دُونَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: لَمْ يُعْنَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِمَا أَنَّ مَنْ ظُلِمَ بِظُلَامَةٍ فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَنَالَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَ الظَّالِمُ مِنْهُ، وَقَالُوا: الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَمَرَ مَنْ عُوقِبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعُقُوبَةٍ أَنْ يُعَاقِبَ مَنْ عَاقَبَهُ بِمِثْلِ الَّذِي عُوقِبَ بِهِ، إِنِ اخْتَارَ عُقُوبَتَهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ تَرْكِ عُقُوبَتِهِ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْهِ خَيْرٌ، وَعَزَمَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَصْبِرَ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَالتَّأْوِيلَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مُحْتَمِلَتُهَا الْآيَةُ كُلُّهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ عُنِيَ بِهَا مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ يُقَالَ: هِيَ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ أَنْ لَا يَتَجَاوَزُوا فِيمَا وَجَبَ لَهُمْ قِبَلَ غَيْرِهِمْ مِنْ حَقٍّ -مِنْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ- الْحَقَّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَأَنَّهَا غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ؛ إِذْ كَانَ لَا دَلَالَةَ عَلَىٰ نَسْخِهَا، وَأَنَّ لِلْقَوْلِ بِأَنَّهَا مُحْكَمَةٌ وَجْهًا صَحِيحًا مَفْهُومًا.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

[النحل: ١٢٧].

﴿وَاصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ مِنْ أَذًىٰ فِي اللهِ..

﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وَمَا صَبْرُكَ إِنْ صَبَرْتَ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاكَ لِذَلِكَ..

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ وَيُنْكِرُونَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فِي آنٍ وَلَّوْا عَنْكَ وَأَعْرَضُوا عَمَّا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ..

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ وَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْجَهْلِ، وَنِسْبَتُهُمْ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ إِلَىٰ أَنَّهُ سِحْرٌ أَوْ شِعْرٌ أَوْ كَهَانَةٌ..

﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧] مِمَّا يَحْتَالُونَ بِالْخِدَعِ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِكَ وَالتَّصْدِيقَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ اللهَ فِي مَحَارِمِهِ فَاجْتَنَبُوهَا، وَخَافُوا عِقَابَهُ عَلَيْهَا، فَأَحْجَمُوا عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهَا..

﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨] وَهُوَ مَعَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ رِعَايَةَ فَرَائِضِهِ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ وَلُزُومَ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورةِ النَّحْلِ



سُورَةُ الإِسْرَاءِ (١٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الإِسْرَاءِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ تَنْزِيهًا لِلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، وَتَبْرِئَةً لَهُ مِمَّا يَقُولُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ شَرِيكًا، وَأَنَّ لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَدًا، وَعُلُوًّا لَهُ وَتَعْظِيمًا عَمَّا أَضَافُوهُ إِلَيْهِ، وَنَسَبُوهُ مِنْ جَهَالَاتِهِمِ وَخَطَأَ أَقْوَالِهِمْ.. وَالْإِسْرَاءُ وَالسُّرَى: سَيْرُ اللَّيْلِ.. فَإِنَّ اللهَ أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عِبَادَهُ، وَكَمَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ اللهَ حَمَلَهُ عَلَى الْبُرَاقِ حِينَ أَتَاهُ بِهِ، وَصَلَّى هُنَالِكَ بِمَنْ صَلَّى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَأَرَاهُ مَا أَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: أَسْرَى بِرُوحِهِ دُونَ جَسَدِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَلَا حُجَّةً لَهُ عَلَى رِسَالَتِهِ، وَلَا كَانَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا حَقِيقَةَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، كَانُوا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ صِدْقِهِ فِيهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا عِنْدَهُمْ، وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يَرَى الرَّائِي مِنْهُمْ فِي الْمَنَامِ مَا عَلَى مَسِيرَةِ سَنَةٍ، فَكَيْفَ مَا هُوَ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ أَوْ أَقَلَّ؟.. وَبَعْدُ فَإِنَّ اللهَ إِنَّمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ أَسْرَى بِعَبْدِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا أَنَّهُ أَسْرَى بِرُوحِ عَبْدِهِ، وَلَيْسَ جَائِزًا لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّى مَا قَالَ اللهُ إِلَى غَيْرِهِ، بَلِ الْأَدِلَّةُ الْوَاضِحَةُ، وَالْأَخْبَارُ الْمُتَتَابِعَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ أَسْرَى بِهِ عَلَى دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ، وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ لَمْ تَكُنِ الرُّوحُ مَحْمُولَةً عَلَى الْبُرَاقِ، إِذْ كَانَتِ الدَّوَابُّ لَا تَحْمِلُ إِلَّا الْأَجْسَامَ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِنَا: أَسْرَى بِرُوحِهِ: رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ عَلَى الْبُرَاقِ، فَيُكَذِّبُ حِينَئِذٍ بِمَعْنَى الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ جِبْرَئِيلَ حَمَلَهُ عَلَى الْبُرَاقِ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مَنَامًا عَلَى قَوْلِ قَائِلِ هَذَا الْقَوْلِ، وَلَمْ تَكُنِ الرُّوحُ عِنْدَهُ مِمَّا تَرْكَبُ الدَّوَابَّ، وَلَمْ يُحْمَلْ عَلَى الْبُرَاقِ جِسْمُ النَّبِيِّ ﷺ، لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَوْلِهِ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ لَا جِسْمُهُ، وَلَا شَيْءٌ مِنْهُ، وَصَارَ الْأَمْرُ عِنْدَهُ كَبَعْضِ

أَحْلَامِ النَّائِمِينَ، وَذَلِكَ دَفْعٌ لِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَمَا تَتَابَعَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنِ الْأَئِمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ..

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَفِيهِ كَانَ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ هُوَ الَّذِي يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ إِذَا ذَكَرُوهُ..

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ لَهُ: الْأَقْصَىٰ؛ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُزَارُ، وَيَنْبَغِي فِي زِيَارَتِهِ الْفَضْلُ بَعْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: تَنْزِيهًا للهِ، وَتَبْرِئَةً لَهُ مِمَّا نَحَلَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْإِشْرَاكِ وَالْأَنْدَادِ وَالصَّاحِبَةِ، وَمَا يَجِلُّ عَنْهُ جَلَّ جَلَالُهُ، الَّذِي سَارَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ بَيْتِهِ الْحَرَامِ إِلَىٰ بَيْتِهِ الْأَقْصَىٰ..

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ الَّذِي جَعَلْنَا حَوْلَهُ الْبَرَكَةَ لِسُكَّانِهِ فِي مَعَايِشِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَغُرُوسِهِمْ..

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ كَيْ نُرِيَ عَبْدَنَا مُحَمَّدًا..

﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ مِنْ عِبَرِنَا وَأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا، وَذَلِكَ هُوَ مَا قَدْ ذُكِرَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُرِيهِ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَعْدَ مَصِيرِهِ إِلَيْهِ مِنْ عَجَائِبِ الْعِبَرِ وَالْمَوَاعِظِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ..

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي مَسْرَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَوْلِ غَيْرِهِمْ..

﴿ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١] بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ عِلْمًا، وَمُحْصِيهِ عَدَدًا، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، لِيَجْزِيَ جَمِيعَهُمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسراء: ٢].

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا، وَآتَىٰ مُوسَىٰ الْكِتَابَ، وَعَنَىٰ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُوتِيَ مُوسَىٰ: التَّوْرَاةَ..

﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ وَجَعَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِي هُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بَيَانًا لِلْحَقِّ، وَدَلِيلًا لَهُمْ عَلَىٰ مَحَجَّةِ الصَّوَابِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ،

وَأَمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسراء: ٢] أَلَّا تَتَّخِذُوا حَفِيظًا لَكُمْ سِوَايَ.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣].

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ﴾ عَنَىٰ بِالذُّرِّيَّةِ: جَمِيعَ مَنِ احْتَجَّ عَلَيْهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ، عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ حَمَلَهُ اللهُ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ نُوحًا..

﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣] للهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ.. قال سَلْمَانُ الفارسي: (**كَانَ نُوحٌ إِذَا لَبِسَ ثَوْبًا أَوْ أَكَلَ طَعَامًا حَمِدَ اللهَ، فَسُمِّيَ عَبْدًا شَكُورًا**).

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾
[الإسراء: ٤].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَفَرَغَ رَبُّكَ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ عَلَىٰ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِإِعْلَامِهِ إِيَّاهُمْ، وَإِخْبَارِهِ لَهُمْ..

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ لَتَعْصُنَّ اللهَ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَتُخَالِفُنَّ أَمْرَهُ فِي بِلَادِهِ مَرَّتَيْنِ.. وكَانَ إِفْسَادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ الْمَرَّةَ الْأُولَىٰ قَتْلَهُمْ زَكَرِيَّا نَبِيَّ اللهِ، مَعَ مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ، إِلَىٰ أَنْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ أَحَلَّ عَلَىٰ يَدِهِ بِهِمْ نِقْمَتَهُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَعُتُوِّهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ.. وَأَمَّا إِفْسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ، فَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ قَتْلَهُمْ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا..

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾ [الإسراء: ٤] وَلَتَسْتَكْبِرُنَّ عَلَىٰ اللهِ بِاجْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا شَدِيدًا.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ [الإسراء: ٥].

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَىٰ الْمَرَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ يُفْسِدُونَ بِهِمَا فِي الْأَرْضِ..

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ وَجَّهْنَا إِلَيْكُمْ، وَأَرْسَلْنَا عَلَيْكُمْ..

﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذَوِي بَطْشٍ فِي الْحُرُوبِ شَدِيدٍ..

﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ فترَدَّدُوا بيْنَ الدُّورِ وَالْمَسَاكِنِ، وَذَهَبُوا وَجَاءُوا

﴿وَكَانَ﴾ جَوْسُ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَبْعَثُ عَلَيْهِم خِلَالَ دِيَارِهِمْ..

﴿وَعۡدًا﴾ مِنَ اللهِ لَهُمْ..

﴿مَّفۡعُولًا ٥﴾ [الإسراء: ٥] ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُفُ الْمِيعَادَ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ الَّذِي بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ جَالُوتَ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، وهو قول قتادة، ويُروىٰ عن ابن عباس.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ بَعَثَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ سَنْحَارِيبَ، وهو قولُ ابنِ جبير، وابنِ المسيَّب.. وَقَالَ آخَرُونَ: يَعْنِي بِذَلِكَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، قَالُوا: وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ قِتَالٌ، وهو قول مجاهد.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ [الإسراء: ٦].

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ثُمَّ أَدَلْنَاكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يَبْعَثُهُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْإِدَالَةُ وَالْكَرَّةُ لَهُمْ عَلَيْهِمْ، فِيمَا ذَكَرَ السُّدِّيُّ فِي خَبَرِهِ: (أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَزَوْهُمْ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ، وَاسْتَنْقَذُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهُمْ).. وَفِي قَوْلِ آخَرِينَ: إِطْلَاقُ الْمَلِكِ الَّذِي غَزَاهُمْ مَا فِي يَدَيْهِ مِنْ أَسْرَاهُمْ، وَرَدَّ مَا كَانَ أَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.. وَفِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي رَوَاهُ عَطِيَّةُ عَنْهُ هِيَ إِدَالَةُ اللهِ إِيَّاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ جَالُوتَ حَتَّىٰ قَتَلُوهُ.

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾ وَزِدْنَا فِيمَا أَعْطَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ..

﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ [الإسراء: ٦] وَصَيَّرْنَاكُمْ أَكْثَرَ عَدَدٍ نَافِرٍ.

﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧﴾ [الإسراء: ٧].

﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا قَضَىٰ إِلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ: إِنْ أَحْسَنْتُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَطَعْتُمُ اللهَ وَأَصْلَحْتُمْ أَمْرَكُمْ وَلَزِمْتُمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿أَحۡسَنتُمۡ﴾ وَفَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿لِأَنفُسِكُمۡ﴾ لِأَنَّكُمْ إِنَّمَا تَنْفَعُونَ بِفَعْلَتِكُمْ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ أَنْفُسَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنْكُمْ مَنْ بَغَاكُمْ سُوءًا، وَيُنَمِّي لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَيَزِيدُكُمْ إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ قُوَّةً، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُثِيبُكُمْ بِهِ جِنَانَهُ..

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ وَإِنْ عَصَيْتُمُ اللهَ وَرَكِبْتُمْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ حِينَئِذٍ..

﴿فَلَهَا﴾ فَإِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تُسِيئُونَ، لِأَنَّكُمْ تُسْخِطُونَ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ رَبَّكُمْ، فَيُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا عَدُوَّكُمْ، وَيُمَكِّنُ مِنْكُمْ مَنْ بَغَاكُمْ سُوءًا، وَيُخَلِّدُكُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ.. وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، وَالْمَعْنَىٰ: فَإِلَيْهَا كَمَا قَالَ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝﴾ [الزلزلة: ٥]، وَالْمَعْنَىٰ: أَوْحَىٰ إِلَيْهَا..

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ مِنْ مَرَّتَيْ إِفْسَادِكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ..

﴿لِيَسُوءُوا﴾ لِيَسُوءَ مَجِيءُ ذَلِكَ الْوَعْدِ لِلْمَرَّةِ الْآخِرَةِ..

﴿وُجُوهَكُمْ﴾ فَيُقَبِّحَهَا..

﴿وَلِيَدْخُلُوا﴾ وَلْيَدْخُلْ عَدُوُّكُمُ الَّذِي أَبْعَثُهُ عَلَيْكُمْ..

﴿الْمَسْجِدَ﴾ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَهْرًا مِنْهُمْ لَكُمْ وَغَلَبَةً..

﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حِينَ أَفْسَدْتُمُ الْفَسَادَ الْأَوَّلَ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا﴾ وَلْيُدَمِّرُوا مَا غَلَبُوا عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِكُمْ..

﴿تَتْبِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٧] تَدْمِيرًا.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٨].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ لَعَلَّ رَبَّكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بَعْدَ انْتِقَامِهِ مِنْكُمْ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيَسُوءَ مَبْعَثُهُ عَلَيْكُمْ وُجُوهَكُمْ، وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَيَنْتَشِلُكُمْ مِنَ الذُّلِّ الَّذِي يُحِلُّهُ بِكُمْ، وَيَرْفَعُكُمْ مِنَ الْخُمُولَةِ الَّتِي تَصِيرُونَ إِلَيْهَا، فَيُعِزُّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَ(عَسَىٰ) مِنَ اللهِ وَاجِبٌ، وَفَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ، فَكَثَّرَ عَدَدَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَرَفَعَ خَسَاسَتَهُمْ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْمُلُوكَ وَالْأَنْبِيَاءَ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ..

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَعْصِيَتِي وَخِلَافِ أَمْرِي، وَقَتْلِ رُسُلِي..

﴿عُدْنَا﴾ عَلَيْكُمْ بِالْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ، وَإِحْلَالِ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ بِكُمْ، فَعَادُوا، فَعَادَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِعِقَابِهِ وَإِحْلَالِ سَخَطِهِ بِهِمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**عَادَ الْقَوْمُ بِشَرِّ مَا يَحْضُرُهُمْ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَ مِنْ نِقْمَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ، ثُمَّ كَانَ خِتَامُ ذَلِكَ أَنْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، فَهُمْ يُعْطُونَ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**)..

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨﴾ [الإسراء: ٨] وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ فِرَاشًا وَمِهَادًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْبِسَاطَ الصَّغِيرَ حَصِيرًا، وَمِنْه قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩﴾ [الإسراء: ٩].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿يَهْدِى﴾ يُرْشِدُ وَيُسَدِّدُ مَنِ اهْتَدَىٰ بِهِ..

﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ لِلسَّبِيلِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ السُّبُلِ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَهَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي عِبَادَ اللهِ الْمُهْتَدِينَ بِهِ إِلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ الَّتِي ضَلَّ عَنْهَا سَائِرُ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ..

﴿وَيُبَشِّرُ﴾ أَيْضًا مَعَ هِدَايَتِهِ مَنِ اهْتَدَىٰ بِهِ لِلسَّبِيلِ الْأَقْصَدِ..

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فِي دُنْيَاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ ثَوَابًا مِنَ اللهِ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحَاتِ..

﴿كَبِيرًا ٩﴾ [الإسراء: ٩] عَظِيمًا، وَجَزَاءً جَزِيلًا، وَذَلِكَ هُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِمَنْ رَضِيَ عَمَلَهُ.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٠﴾ [الإسراء: ١٠].

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا، فَهُمْ لِذَلِكَ لَا يَتَحَاشَوْنَ مِنْ رُكُوبِ مَعَاصِي اللهِ..

﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ أَعْدَدْنَا لَهُمْ، لِقُدُومِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابًا أَلِيمًا ١٠﴾ [الإسراء: ١٠] مُوجِعًا، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ١١﴾ [الإسراء: ١١].

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُذَكِّرًا عِبَادَهُ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَيَدْعُو الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ..

﴿بِٱلشَّرِّ﴾ فَيَقُولُ: اللهُمَّ أَهْلِكْهُ وَالْعَنْهُ، عِنْدَ ضَجَرِهِ وَغَضَبِهِ..

﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ كَدُعَائِهِ بِالْخَيْرِ، يَقُولُ: كَدُعَائِهِ رَبَّهُ بِأَنْ يَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ، وَيَرْزُقَهُ السَّلَامَةَ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، يَقُولُ: فَلَوِ اسْتُجِيبَ لَهُ فِي دُعَائِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ بِالشَّرِّ كَمَا يُسْتَجَابُ لَهُ فِي الْخَيْرِ هَلَكَ، وَلَكِنَّ اللهَ بِفَضْلِهِ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ فِي ذَلِكَ..

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١] قَالَ مُجَاهِد: ذَلِكَ دُعَاءُ الْإِنْسَانِ بِالشَّرِّ عَلَىٰ وَلَدِهِ وَعَلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَيُعَجِّلُ فَيَدْعُو عَلَيْهِ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يُصِيبَهُ.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ وَمِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، مُخَالَفَتِهِ بَيْنَ عَلَامَةِ اللَّيْلِ وَعَلَامَةِ النَّهَارِ..

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ بِإِظْلَامِهِ عَلَامَةَ اللَّيْلِ، وَإِضَاءَتِهِ عَلَامَةَ النَّهَارِ..

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لِتَسْكُنُوا فِي هَذَا، وَتَتَصَرَّفُوا فِي ابْتِغَاءِ رِزْقِ اللهِ الَّذِي قَدَّرَهُ لَكُمْ بِفَضْلِهِ فِي هَذَا..

﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ وَلِتَعْلَمُوا بِاخْتِلَافِهِمَا عَدَدَ السِّنِينَ وَانْقِضَاءَهَا، وَابْتِدَاءَ دُخُولِهَا، وَحِسَابَ سَاعَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهَا..

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢] وَكُلُّ شَيْءٍ بَيَّنَّاهُ بَيَانًا شَافِيًا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لِتَشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء: ١٣].

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ بَنِي آدَمَ، أَلْزَمْنَاهُ نَحْسَهُ وَسَعْدَهُ وَشَقَاءَهُ وَسَعَادَتَهُ، بِمَا سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِنَا أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَعَامِلٌ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي عُنُقِهِ، فَلَا يُجَاوِزُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ مَا قَضَيْنَا عَلَيْهِ أَنَّهُ عَامِلُهُ، وَمَا كَتَبْنَا لَهُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ.. وَقَوْلُهُ ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ مَثَلٌ لِمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَتَفَاءَلُ بِهِ أَوْ تَتَشَاءَمُ مِنْ سَوَانِحِ الطَّيْرِ وَبَوَارِحِهَا، فَأَعْلَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ قَدْ أَلْزَمَهُ رَبُّهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ، نَحِسًا كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَلْزَمَهُ مِنَ الطَّائِرِ، وَشَقَاءً يُورِدُهُ سَعِيرًا، أَوْ كَانَ سَعْدًا يُورِدُهُ جَنَّاتِ عَدْنٍ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (أَلْزَمْنَاهُ فِي يَدَيْهِ) أَوْ (رِجْلَيْهِ) أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ

الْعُنُقَ هُوَ مَوْضِعُ السِّمَاتِ، وَمَوْضِعُ الْقَلَائِدِ وَالْأَطْوِقَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَزِينُ أَوْ يَشِينُ، فَجَرَىٰ كَلَامُ الْعَرَبِ بِنِسْبَةِ الْأَشْيَاءِ اللَّازِمَةِ بَنِي آدَمَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَضَافُوا الْأَشْيَاءَ اللَّازِمَةَ سَائِرَ الْأَبْدَانِ إِلَىٰ الْأَعْنَاقِ، كَمَا أَضَافُوا جِنَايَاتِ أَعْضَاءِ الْأَبْدَانِ إِلَىٰ الْيَدِ، فَقَالُوا: ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي جَرَّ عَلَيْهِ لِسَانُهُ أَوْ فَرْجُهُ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾..

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣﴾ [الإسراء: ١٣] وَنَحْنُ نُخْرِجُ لَهُ إِذَا وَافَانَا كِتَابًا يُصَادِفُهُ مَنْشُورًا بِأَعْمَالِهِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الدُّنْيَا، وَبِطَائِرِهِ الَّذِي كَتَبْنَا لَهُ، وَأَلْزَمْنَاهُ إِيَّاهُ فِي عُنُقِهِ، قَدْ أَحْصَىٰ عَلَيْهِ رَبُّهُ فِيهِ كُلَّ مَا سَلَفَ فِي الدُّنْيَا، فَنَقُولُ لَهُ.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤﴾ [الإسراء: ١٤].

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ اقْرَأْ كِتَابَ عَمَلِكَ الَّذِي عَمِلْتَهُ فِي الدُّنْيَا، الَّذِي كَانَ كُتَّابُنَا يَكْتُبَانِهِ، وَنُحْصِيهِ عَلَيْكَ..

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤﴾ [الإسراء: ١٤] حَسْبُكَ الْيَوْمَ نَفْسُكَ عَلَيْكَ حَاسِبًا يَحْسِبُ عَلَيْكَ أَعْمَالَكَ، فَيُحْصِيهَا عَلَيْكَ، لَا نَبْتَغِي عَلَيْكَ شَاهِدًا غَيْرَهَا، وَلَا نَطْلُبُ عَلَيْكَ مُحْصِيًا سِوَاهَا.. قَالَ قَتَادَةُ: (سَيَقْرَأُ يَوْمَئِذٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا).

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مَنِ اسْتَقَامَ عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ فَاتَّبَعَهُ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾ فَلَيْسَ يَنْفَعُ بِلُزُومِهِ الِاسْتِقَامَةَ وَإِيمَانِهِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ..

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ وَمَنْ جَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، فَأَخَذَ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ، وَكَفَرَ بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فَلَيْسَ يَضُرُّ بِضَلَالِهِ وَجَوْرِهِ عَنِ الْهُدَىٰ غَيْرَ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يُوجِبُ لَهَا بِذَلِكَ غَضَبَ اللهِ وَأَلِيمَ عَذَابِهِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فَإِنَّمَا يَكْسِبُ إِثْمَ ضَلَالِهِ عَلَيْهَا لَا عَلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وَلَا تَحْمِلُ حَامِلَةٌ حِمْلَ أُخْرَىٰ غَيْرَهَا مِنَ الْآثَامِ، وَقَالَ: ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَىٰ﴾، لِأَنَّ مَعْنَاهَا: وَلَا تَزِرُ نَفْسٌ وَازِرَةٌ وِزْرَ نَفْسٍ أُخْرَىٰ، وَالْوِزْرُ: هُوَ الْإِثْمُ، يُجْمَعُ أَوْزَارًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧]، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَا تَأْثَمُ آثِمَةٌ إِثْمَ أُخْرَىٰ، وَلَكِنْ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ إِثْمُهَا دُونَ إِثْمِ غَيْرِهَا مِنَ الْأَنْفُسِ..

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥] وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي قَوْمٍ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِالرُّسُلِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ عُذْرَهُمْ.. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَسَمَ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْفَتْرَةِ وَالْمَعْتُوهَ وَالْأَصَمَّ وَالْأَبْكَمَ، وَالشُّيُوخَ الَّذِينَ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَدْ خَرِفُوا، ثُمَّ أَرْسَلَ رَسُولًا أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، فَيَقُولُونَ: كَيْفَ وَلَمْ يَأْتِنَا رَسُولٌ؟! وَايْمُ اللهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، فَيُطِيعُهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطِيعَهُ قَبْلُ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾).

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾
[الإسراء: ١٦].

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أَمَرْنَا أَهْلَهَا بِالطَّاعَةِ؛ لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعْنَىٰ أَمَرْنَا: الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ خِلَافُ النَّهْيِ دُونَ غَيْرِهِ، وَتَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ الْأَشْهَرِ الْأَعْرَفِ مِنْ مَعَانِيهِ أَوْلَىٰ -مَا وُجِدَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ- مِنْ غَيْرِهِ..

﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ فَعَصَوْا وَفَسَقُوا، فَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ فِيهَا، وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ..

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ وَفُسُوقِهِمْ فِيهَا، وَعِيدُ اللهِ الَّذِي أَوْعَدَ مَنْ كَفَرَ بِهِ وَخَالَفَ رُسُلَهُ مِنَ الْهَلَاكِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ بِالرُّسُلِ وَالْحُجَجِ..

﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾ [الإسراء: ١٦] فَخَرَّبْنَاهَا عِنْدَ ذَلِكَ تَخْرِيبًا، وَأَهْلَكْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ أَهْلِهَا إِهْلَاكًا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝١٧﴾
[الإسراء: ١٧].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ﴾ وَقَدْ أَهْلَكْنَا أَيُّهَا الْقَوْمُ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ إِلَىٰ زَمَانِكُمْ قُرُونًا كَثِيرَةً، كَانُوا مِنْ جُحُودِ آيَاتِ اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتُمْ بِأَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ أَحَدٍ وَبَيْنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَيُعَذِّبُ

قَوْمًا بِمَا لَا يُعَذِّبُ بِهِ آخَرِينَ، أَوْ يَعْفُو عَنْ ذُنُوبِ نَاسٍ فَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا آخَرِينَ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَأَنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ رَبِّكُمْ، فَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يُنَبِّهُكُمْ عَلَىٰ حُجَجِنَا عَلَيْكُمْ، وَيُوقِظُكُمْ مِنْ غَفْلَتِكُمْ، وَلَمْ نَكُنْ لِنُعَذِّبَ قَوْمًا حَتَّىٰ نَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَىٰ حُجَجِ اللهِ، وَأَنْتُمْ عَلَىٰ فُسُوقِكُمْ مُقِيمُونَ..

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ وَحَسْبُكَ يَا مُحَمَّدُ بِاللهِ خَابِرًا بِذُنُوبِ خَلْقِهِ عَالِمًا، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَا أَفْعَالِ غَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ هُوَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ عَالِمٌ خَابِرٌ..

﴿بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء: ١٧] يُبْصِرُ ذَلِكَ كُلَّهُ فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبِي رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَتَهْدِيدُهُ لَهُمْ بِالْعِقَابِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ تَكْذِيبِهِم رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ سَخَطَهُ، وَمُنْزِلٌ بِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ مَا أَنْزَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ سَلَكُوا فِي الْكُفْرِ بِاللهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ سَبِيلَهُمْ.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: مَنْ كَانَ طَلَبُهُ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَلَهَا يَعْمَلُ وَيَسْعَىٰ، وَإِيَّاهَا يَبْتَغِي، لَا يُوقِنُ بِمَعَادٍ وَلَا يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا مِنْ رَبِّهِ عَلَىٰ عَمَلِهِ..

﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ يُعَجِّلُ اللهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَا يَشَاءُ مِنْ بَسْطِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ، أَوْ تَقْتِيرِهَا لِمَنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ، أَوْ إِهْلَاكِهِ بِمَا يَشَاءُ مِنْ عُقُوبَاتِهِ..

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ ثُمَّ أَصْلَيْنَاهُ عِنْدَ مَقْدَمِهِ عَلَيْنَا فِي الْآخِرَةِ جَهَنَّمَ..

﴿مَذْمُومًا﴾ عَلَىٰ قِلَّةِ شُكْرِهِ إِيَّانَا وَسُوءِ صَنِيعِهِ فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَادِينَا عِنْدَهُ فِي الدُّنْيَا..

﴿مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨] مُبْعَدًا، مُقْصًىٰ فِي النَّارِ.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ وَإِيَّاهَا طَلَبَ..

﴿وَسَعَىٰ لَهَا﴾ وَلَهَا عَمِلَ عَمَلَهَا الَّذِي هُوَ طَاعَةُ اللهِ وَمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ..

﴿سَعْيَهَا﴾ وَأَضَافَ السَّعْيَ إِلَىٰ الْهَاءِ وَالْأَلِفِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: وَسَعَىٰ لِلْآخِرَةِ سَعْيَ الْآخِرَةِ، وَمَعْنَاهُ: وَعَمِلَ لَهَا عَمَلَهَا لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَىٰ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهُ لَهَا..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مُصَدِّقٌ بِثَوَابِ اللهِ، وَعَظِيمِ جَزَائِهِ عَلَىٰ سَعْيِهِ لَهَا، غَيْرُ مُكَذِّبٍ بِهِ تَكْذِيبَ مَنْ أَرَادَ الْعَاجِلَةَ..

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ..

﴿كَانَ سَعْيُهُم﴾ يَعْنِي عَمَلَهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿مَّشْكُورًا ١٩﴾ [الإسراء: ١٩] وَشُكْرُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ سَعْيِهِمْ ذَلِكَ حُسْنُ جَزَائِهِ لَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَتَجَاوُزُهُ لَهُمْ عَنْ سَيِّئِهَا بِرَحْمَتِهِ.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠﴾ [الإسراء: ٢٠].

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ﴾ يَمُدُّ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ مُرِيدِي الْعَاجِلَةِ وَمُرِيدِي الْآخِرَةِ، السَّاعِي لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا..

﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ فَيَرْزُقُهُمَا جَمِيعًا مِنْ رِزْقِهِ إِلَىٰ بُلُوغِهِمَا الْأَمَدَ وَاسْتِيفَائِهِمَا الْأَجَلَ مَا كُتِبَ لَهُمَا، ثُمَّ تَخْتَلِفُ بِهِمَا الْأَحْوَالُ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَتَفْتَرِقُ بِهِمَا بَعْدَ الْوُرُودِ الْمَصَادِرُ، فَفَرِيقُ مُرِيدِي الْعَاجِلَةِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ مَصْدَرُهُمْ، وَفَرِيقُ مُرِيدِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ مَآبُهُمْ..

﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ الَّذِي يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿مَحْظُورًا ٢٠﴾ [الإسراء: ٢٠] مَمْنُوعًا عَمَّنْ بَسَطَهُ عَلَيْهِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مَنْعَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ.

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ٢١﴾
[الإسراء: ٢١].

﴿انظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ إِلَىٰ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ هَمُّ أَحَدِهِمَا الدَّارُ الْعَاجِلَةُ، وَإِيَّاهَا يَطْلُبُ وَلَهَا يَعْمَلُ، وَالْآخَرُ الَّذِي يُرِيدُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَهَا يَسْعَىٰ مُوقِنًا بِثَوَابِ اللهِ عَلَىٰ سَعْيِهِ..

﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كَيْفَ فَضَّلْنَا أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ الْآخَرِ، بِأَنْ بَصَّرْنَا هَذَا

رُشْدَهُ، وَهَدَيْنَاهُ لِلسَّبِيلِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَيَسَّرْنَاهُ لِلَّذِي هُوَ أَهْدَىٰ وَأَرْشَدُ، وَخَذَلْنَا هَذَا الْآخَرُ، فَأَضْلَلْنَاهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَغْشَيْنَا بَصَرَهُ عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ..

﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ وَفَرِيقُ مُرِيدُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ دَرَجَاتٍ، بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِتَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١﴾ [الإسراء: ٢١] بِتَفْضِيلِ اللهِ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفَرِيقِ الْآخَرِينَ فِي الدُّنْيَا فِيمَا بَسَطْنَا لَهُمْ فِيهَا.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء: ٢٢].

﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ شَرِيكًا فِي أُلُوهَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَلَكِنْ أَخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدْ لَهُ الْأُلُوهَةَ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ فَإِنَّكَ إِنْ تَجْعَلْ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ، وَتَعْبُدُ مَعَهُ سِوَاهُ تَقْعُدَ مَلُومًا عَلَىٰ مَا ضَيَّعْتَ مِنْ شُكْرِ اللهِ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمِهِ، وَتَصْيِيرِكَ الشُّكْرَ لِغَيْرِ مَنْ أَوْلَاكَ الْمَعْرُوفَ، وَفِي إِشْرَاكِكَ فِي الْحَمْدِ مَنْ لَمْ يُشْرِكْهُ فِي النِّعْمَةِ عَلَيْكَ غَيْرُهُ..

﴿مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء: ٢٢] قَدْ أَسْلَمَكَ رَبُّكَ لِمَنْ بَغَاكَ سُوءًا، وَإِذَا أَسْلَمَكَ رَبُّكَ الَّذِي هُوَ نَاصِرُ أَوْلِيَائِهِ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ يَنْصُرُكَ وَيَدْفَعُ عَنْكَ.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ حَكَمَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ بِأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ..

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُهُ..

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وَأَمَرَكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمَا وَتَبَرُّوهُمَا، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَأَمَرَكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ، فَلَمَّا حُذِفَتْ (أَنْ) تَعَلَّقَ الْقَضَاءُ بِالْإِحْسَانِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: آمُرُكَ بِهِ خَيْرًا، وَأُوصِيكَ بِهِ خَيْرًا، بِمَعْنَىٰ: آمُرُكَ أَنْ تَفْعَلَ بِهِ خَيْرًا، ثُمَّ تُحْذَفُ (أَنْ) فَيَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ وَالْوَصِيَّةُ بِالْخَيْرِ..

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ فَلَا تُؤَفِّفْ مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ مِنْ

أَحَدِهِمَا أَوْ مِنْهُمَا مِمَّا يَتَأَذَّىٰ بِهِ النَّاسُ، وَلَكِنِ اصْبِرْ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْهُمَا، وَاحْتَسِبْ فِي الْأَجْرِ صَبْرَكَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا، كَمَا صَبَرَا عَلَيْكَ فِي صِغَرِكَ..

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ وَلَا تَزْجُرْهُمَا..

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣] قَوْلًا جَمِيلًا حَسَنًا.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

[الإسراء: ٢٤].

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ وَكُنْ لَهُمَا ذَلِيلًا رَحْمَةً مِنْكَ بِهِمَا تُطِيعُهُمَا فِيمَا أَمَرَاكَ بِهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ للهِ مَعْصِيَةً، وَلَا تُخَالِفْهُمَا فِيمَا أَحَبَّا..

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤] ادْعُ اللهَ لِوَالِدَيْكَ بِالرَّحْمَةِ، ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ وَتَعَطَّفْ عَلَيْهِمَا بِمَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ، كَمَا تَعَطَّفَا عَلَيَّ فِي صِغَرِي، فَرَحِمَانِي وَرَبَّيَانِي صَغِيرًا، حَتَّىٰ اسْتَقْلَلْتُ بِنَفْسِي، وَاسْتَغْنَيْتُ عَنْهُمَا.. وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وَقَدْ تَحْتَمِلُ هَذِهِ الْآيَةُ أَنْ تَكُونَ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهَا عَامًّا فِي كُلِّ الْآبَاءِ بِغَيْرِ مَعْنَىٰ النَّسْخِ، بِأَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهَا عَلَىٰ الْخُصُوصِ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ إِذَا كَانَا مُؤْمِنَيْنِ، ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾، فَتَكُونُ مُرَادًا بِهَا الْخُصُوصُ عَلَىٰ مَا قُلْنَا غَيْرُ مَنْسُوخٍ مِنْهَا شَيْءٌ.. وَعَنِي بِقَوْلِ ﴿رَبَّيَانِي﴾: نَمَّيَانِي.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

[الإسراء: ٢٥].

﴿رَبُّكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَعْلَمُ﴾ مِنْكُمْ..

﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ مِنْ تَعْظِيمِكُمْ أَمْرَ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، وَتَكْرِمَتِهِمْ وَالْبِرِّ بِهِمْ، وَمَا فِيهَا مِنِ اعْتِقَادِ الِاسْتِخْفَافِ بِحُقُوقِهِمْ، وَالْعُقُوقِ لَهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ حَسَنِ ذَلِكَ وَسَيِّئِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُضْمِرُوا لَهُمْ سُوءًا،

وَتَعْقُدُوا لَهُمْ عُقُوقًا..

﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾ إِنْ أَنْتُمْ أَصْلَحْتُمْ نِيَّاتِكُمْ فِيهِمْ، وَأَطَعْتُمُ اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْبِرِّ بِهِمْ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ عَلَيْكُمْ، بَعْدَ هَفْوَةٍ كَانَتْ مِنكُمْ، أَوْ زَلَّةٍ فِي وَاجِبٍ لَهُمْ عَلَيْكُمْ، مَعَ الْقِيَامِ بِمَا أَلْزَمَكُمْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِهِ..

﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٥] فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ بَعْدَ الزَّلَّةِ، وَالتَّائِبِينَ بَعْدَ الْهَفْوَةِ غَفُورًا لَهُمْ.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦].

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ وَأَعْطِ يَا مُحَمَّدُ ذَا قَرَابَتِكَ حَقَّهُ مِنْ صِلَتِكَ إِيَّاهُ، وَبِرِّكَ بِهِ، وَالْعَطْفِ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَقَّبَ ذَلِكَ عَقِيبَ حَضِّهِ عِبَادَهُ عَلَىٰ بِرِّ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَضًّا عَلَىٰ صِلَةِ أَنْسَابِهِمْ دُونَ أَنْسَابِ غَيْرِهِمُ الَّتِي لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ.. وَخَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِحُكْمِهِ جَمِيعَ مَنْ لَزِمَتْهُ فَرَائِضُ اللهِ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ ابْتِدَاؤُهُ الْوَصِيَّةَ بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فَوَجَّهَ الْخِطَابَ بِقَوْلِهِ ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣] إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فَرَجَعَ بِالْخِطَابِ بِهِ إِلَىٰ الْجَمِيعِ، ثُمَّ صَرَفَ الْخِطَابَ بِقَوْلِهِ ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، إِلَىٰ إِفْرَادِهِ بِهِ، وَالْمَعْنِيُّ بِكُلِّ ذَلِكَ جَمِيعُ مَنْ لَزِمَتْهُ فَرَائِضُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أُفْرِدَ بِالْخِطَابِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ، أَوْ عُمَّ بِهِ هُوَ وَجَمِيعُ أُمَّتِهِ..

﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ وَهُوَ ذُو الذِّلَّةِ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ..

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الْمُسَافِرَ الْمُنْقَطَعَ بِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَصِلْ قَرَابَتَكَ، فَأَعْطِهِ حَقَّهُ مِنْ صِلَتِكَ إِيَّاهُ، وَالْمِسْكِينَ ذَا الْحَاجَةِ، وَالْمُجْتَازَ بِكَ الْمُنْقَطَعَ بِهِ، فَأَعِنْهُ، وَقَوِّهِ عَلَىٰ قَطْعِ سَفَرِهِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِالْأَمْرِ بِإِتْيَانِ ابْنِ السَّبِيلِ حَقَّهُ أَنْ يُضَافَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ عِنْدِي أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُخَصِّصْ مِنْ حُقُوقِهِ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، فَذَلِكَ عَامٌّ فِي كُلِّ حَقٍّ لَهُ أَنْ يُعْطَاهُ مِنْ ضِيَافَةٍ أَوْ حَمُولَةٍ أَوْ مَعُونَةٍ عَلَىٰ سَفَرِهِ..

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦] وَلَا تُفَرِّقْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنْ مَالٍ فِي مَعْصِيَتِهِ تَفْرِيقًا.. وَأَصْلُ التَّبْذِيرِ: التَّفْرِيقُ فِي السَّرَفِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**بَدَأَ بِالْوَالِدَيْنِ قَبْلَ هَذَا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَحَقِّهِمَا، ذَكَرَ هَؤُلَاءِ وَقَالَ** ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ **لَا تُعْطِ فِي مَعَاصِي اللهِ**).

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧].

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ إِنَّ الْمُفَرِّقِينَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، الْمُنْفِقِيهَا فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ، أَوْلِيَاءُ الشَّيَاطِينِ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ مُلَازِمِ سُنَّةَ قَوْمٍ وَتَابِعِ أَثَرِهِمْ: هُوَ أَخُوهُمْ..

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧] وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِ جَحُودًا لَا يَشْكُرُهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَكْفُرُهَا بِتَرْكِ طَاعَةِ اللهِ، وَرُكُوبِهِ مَعْصِيَتَهُ، وَكَذَلِكَ إِخْوَانُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ الْمُبَذِّرُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، لَا يَشْكُرُونَ اللهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَيَعْصُونَهُ، وَيَسْتَنُّونَ فِيمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي خَوَّلَهُمُوهَا عَزَّوَجَلَّ سُنَّتَهُ مَنْ تَرَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهَا، وَتَلَقَّاهَا بِالْكُفْرَانِ.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ [الإسراء: ٢٨].

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ وَإِنْ تُعْرِضْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنْهُمُ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ -الَّذِينَ أَمَرْتُكَ أَنْ تُؤْتِيَهُمْ حُقُوقَهُمْ إِذَا وَجَدْتَ إِلَيْهَا السَّبِيلَ- بِوَجْهِكَ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاكَ، مَا لَا تَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، حَيَاءً مِنْهُمْ وَرَحْمَةً لَهُمْ..

﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ انْتِظَارَ رِزْقٍ تَنْتَظِرُهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿تَرْجُوهَا﴾ وَتَرْجُو تَيْسِيرَ اللهِ إِيَّاهُ لَكَ..

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ [الإسراء: ٢٨] فَلَا تُؤَيِّسْهُمْ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا، يَقُولُ: وَلَكِنْ عِدْهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا، بِأَنْ تَقُولَ: سَيَرْزُقُ اللهُ فَأُعْطِيكُمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ اللَّيِّنِ غَيْرِ الْغَلِيظِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحىٰ: ١٠].. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: **(قَوْلِهِ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَوْصَيْنَاكَ بِهِمْ ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ إِذَا خَشِيتَ إِنْ أَعْطَيْتَهُمْ أَنْ يَتَقَوَّوْا بِهَا عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَيْهَا فَرَأَيْتَ أَنْ تَمْنَعَهُمْ خَيْرًا، فَإِذَا سَأَلُوكَ ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ قَوْلًا جَمِيلًا: رَزَقَكَ اللهُ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ)**.. وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ -مَعَ خِلَافِهِ أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ- بَعِيدُ بِالْمَعْنَىٰ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ إِذَا كَانَ إِعْرَاضُهُ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ انْتِظَارَ رَحْمَةٍ مِنْهُ يَرْجُوهَا مِنْ رَبِّهِ ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾، وَذَلِكَ الْإِعْرَاضُ ابْتِغَاءَ الرَّحْمَةِ، لَنْ يَخْلُوَ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِعْرَاضًا مِنْهُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنَ

اللهِ يَرْجُوهَا لِنَفْسِهِ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ كَمَا قُلْنَاهُ وَقَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَخِلَافَ قَوْلِهِ، أَوْ يَكُونَ إِعْرَاضًا مِنْهُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ يَرْجُوهَا لِلسَّائِلِينَ الَّذِينَ أُمِرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ -بِزَعْمِهِ- أَنْ يَمْنَعَهُمْ مَا سَأَلُوهُ خَشْيَةً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُنْفِقُوهُ فِي مَعَاصِي اللهِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ سَخَطَ اللهِ عَلَىٰ مَنْ كَانَ غَيْرَ مَأْمُونٍ مِنْهُ صَرْفُ مَا أُعْطِيَ مِنْ نَفَقَةٍ لِيَتَقَوَّىٰ بِهَا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِي مَعَاصِيهِ، أَخْوَفُ مِنْ رَجَاءِ رَحْمَتِهِ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ إِنَّمَا تُرْجَىٰ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، لَا لِأَهْلِ مَعَاصِيهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ تَوْجِيهَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِمَنْعِهِمْ مَا سَأَلُوهُ لِيُنِيبُوا مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَيَتُوبُوا بِمَنْعِهِ إِيَّاهُمْ مَا سَأَلُوهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا يَحْتَمِلُهُ تَأْوِيلُ الْآيَةِ، وَإِنْ كَانَ لِقَوْلِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مُخَالِفًا.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

[الإسراء: ٢٩].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْمُمْتَنِعِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي الْحُقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا فِي أَمْوَالِ ذَوِي الْأَمْوَالِ، فَجَعَلَهُ كَالْمَشْدُودَةِ يَدُهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْأَخْذِ بِهَا وَالْإِعْطَاءِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَا تُمْسِكْ يَا مُحَمَّدُ يَدَكَ بُخْلًا عَنِ النَّفَقَةِ فِي حُقُوقِ اللهِ، فَلَا تُنْفِقْ فِيهَا شَيْئًا إِمْسَاكَ الْمَغْلُولَةِ يَدُهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ بَسْطَهَا..

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وَلَا تَبْسُطْهَا بِالْعَطِيَّةِ كُلَّ الْبَسْطِ، فَتَبْقَىٰ لَا شَيْءَ عِنْدَكَ، وَلَا تَجِدُ إِذَا سُئِلْتَ شَيْئًا تُعْطِيهِ سَائِلَكَ..

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ فَتَقْعُدَ يَلُومُكَ سَائِلُوكَ إِذَا لَمْ تُعْطِهِمْ حِينَ سَأَلُوكَ، وَتَلُومُكَ نَفْسُكَ عَلَىٰ الْإِسْرَاعِ فِي مَالِكَ وَذَهَابِهِ..

﴿مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩] مَعِيبًا، قَدِ انْقُطِعَ بِكَ، لَا شَيْءَ عِنْدَكَ تُنْفِقُهُ.. وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلدَّابَّةِ الَّتِي قَدْ سِيرَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ انْقَطَعَ سَيْرُهَا وَكَلَّتْ وَرَزَحَتْ مِنَ السَّيْرِ، بِأَنَّهُ حَسِيرٌ، يُقَالُ مِنْهُ: حَسَرْتُ الدَّابَّةَ فَأَنَا أَحْسِرُهَا، وَأَحْسُرُهَا حَسْرًا، وَذَلِكَ إِذَا أَنْضَيْتَهُ بِالسَّيْرِ، وَحَسَرْتُهُ بِالْمَسْأَلَةِ إِذَا سَأَلْتَهُ فَأَلْحَفْتَ، وَحَسَرَ الْبَصَرُ فَهُوَ يَحْسِرُ، وَذَلِكَ إِذَا بَلَغَ أَقْصَىٰ الْمَنْظَرِ فَكَلَّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَلَّ وَأَزْحَفَ حَتَّىٰ يَضْنَىٰ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: ٣٠].

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ يَبْسُطُ رِزْقَهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيُوَسِّعُ عَلَيْهِ..

﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾ وَيُقَتِّرُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، فَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكَ..

﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا﴾ ذُو خِبْرَةٍ بِعِبَادِهِ، وَمَنِ الَّذِي تُصْلِحُهُ السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَتُفْسِدُهُ، وَمَنِ الَّذِي يُصْلِحُهُ الْإِقْتَارُ وَالضِّيقُ وَيُهْلِكُهُ..

﴿بَصِيرٗا ۝٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠] ذُو بَصَرٍ بِتَدْبِيرِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ، يَقُولُ: فَانْتَهِ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ أَمْرِنَا فِيمَا أَمَرْنَاكَ وَنَهَيْنَاكَ مِنْ بَسْطِ يَدِكَ فِيمَا تَبْسُطُهَا فِيهِ، وَفِيمَنْ تَبْسُطُهَا لَهُ، وَمِنْ كَفِّهَا عَمَّنْ تَكُفُّهَا عَنْهُ، وَتَكُفُّهَا فِيهِ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ مِنْكَ، وَمِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَأَبْصَرُ بِتَدْبِيرِهِمْ.

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ۝٣١﴾
[الإسراء: ٣١].

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ عَطْفًا عَلَىٰ ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ [الإسراء: ٢٣]..

﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾ خَوْفَ إِقْتَارٍ وَفَقْرٍ.. وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ لِلْعَرَبِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الْإِنَاثَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ خَوْفَ الْعَيْلَةِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِنَّ..

﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ۝٣١﴾ [الإسراء: ٣١] كَانَ إِثْمًا وَخَطِيئَةً، لَا خَطأً مِنَ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ عَمْدًا لَا خَطأً، وَعَلَىٰ عَمْدِهِمْ ذَلِكَ عَاتَبَهُمْ رَبُّهُمْ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ۝٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾ وَقَضَىٰ أَيْضًا أَنْ (لَا تَقْرَبُوا أَيُّهَا النَّاسُ)..

﴿ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾ إِنَّ الزِّنَا كَانَ فَاحِشَةً..

﴿وَسَآءَ سَبِيلٗا ۝٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢] وَسَاءَ طَرِيقُ الزِّنَا طَرِيقًا؛ لِأَنَّهُ طَرِيقَ أَهْلِ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَالْمُخَالِفِينَ أَمْرَهُ، فَأَسْوِئْ بِهِ طَرِيقًا يُورِدُ صَاحِبَهُ نَارَ جَهَنَّمَ.

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ۝٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣].

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ﴾ وَقَضَىٰ أَيْضًا أَنْ ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قَتْلَهَا..

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ وَحَقُّهَا أَنْ لَا تُقْتَلَ إِلَّا بِكُفْرٍ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَوَدٍ بِنَفْسٍ، وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً لَمْ يَتَقَدَّمْ كُفْرَهَا إِسْلَامٌ، فَأَنْ لَا يَكُونَ تَقَدَّمَ قَتْلَهَا لَهَا عَهْدٌ وَأَمَانٌ.. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**».. وَقَدْ قِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَتَقْتُلُ مَنْ يَرَىٰ أَنْ لَا يُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ؟! قَالَ: (**لَوْ مَنَعُونِي شَيْئًا مِمَّا أَقَرُّوا بِهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ**)، فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: (**هَذَا مِنْ حَقِّهَا**)..

﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا﴾ وَمَنْ قُتِلَ بِغَيْرِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِذَا قُتِلَ بِهَا كَانَ قَتْلًا بِحَقٍّ..

﴿فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا سُلْطَانًا عَلَىٰ قَاتِلِ وَلِيِّهِ، فَإِنْ شَاءَ اسْتَقَادَ مِنْهُ فَقَتَلَهُ بِوَلِيِّهِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**أَلَا وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَ أَوْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ**»..

﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾ اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ: فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (**فَلَا تُسْرِفْ**) بِمَعْنَىٰ الْخِطَابِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ، يَقُولُ: فَلَا تَقْتُلْ بِالْمَقْتُولِ ظُلْمًا غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، إِذَا قَتَلَ رَجُلٌ رَجُلًا عَمَدَ وَلِيُّ الْقَتِيلِ إِلَىٰ الشَّرِيفِ مِنْ قَبِيلَةِ الْقَاتِلِ، فَقَتَلَهُ بِوَلِيِّهِ وَتَرَكَ الْقَاتِلَ، فَنَهَىٰ اللهُ ﷻ عَنْ ذَلِكَ عِبَادَهُ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: قَتْلُ غَيْرِ الْقَاتِلِ بِالْمَقْتُولِ مَعْصِيَةٌ وَسَرَفٌ، فَلَا تَقْتُلْ بِهِ غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَإِنْ قَتَلْتَ الْقَاتِلَ بِالْمَقْتُولِ فَلَا تُمَثِّلْ بِهِ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿فَلَا يُسۡرِف﴾ بِالْيَاءِ، بِمَعْنَىٰ فَلَا يُسْرِفْ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ، فَيَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِ وَلِيِّهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ خِطَابَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ قَضَاءٌ مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَىٰ جَمِيعِ عِبَادِهِ، وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ بَعْضَهُمْ، أَمْرٌ مِنْهُ وَنَهْيٌ جَمِيعَهُمْ، إِلَّا فِيمَا دَلَّ فِيهِ عَلَىٰ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهِ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ خِطَابَهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾ نَبِيَّهُ ﷺ، وَإِنْ كَانَ مُوَجَّهًا إِلَيْهِ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ جَمِيعُ عِبَادِهِ، فَكَذَلِكَ نَهْيُهُ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ أَوِ الْقَاتِلَ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ، وَالتَّعَدِّي فِيهِ، نَهْيٌ لِجَمِيعِهِمْ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣] فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ عَنَىٰ بِالْهَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّهُۥ﴾ وَعَلَىٰ مَا هِيَ عَائِدَةٌ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ عَائِدَةٌ عَلَىٰ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ، وَهُوَ الْمَعْنِيُّ بِهَا،

وَهُوَ الْمَنْصُورُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِهَا الْمَقْتُولَ، فَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ هِيَ عَائِدَةٌ عَلَىٰ (مَنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾.. وَأَشْبَهُ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهَا الْوَلِيُّ، وَعَلَيْهِ عَادَتْ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَظْلُومُ، وَوَلِيُّهُ الْمَقْتُولُ، وَهِيَ إِلَىٰ ذِكْرِهِ أَقْرَبُ مِنْ ذِكْرِ الْمَقْتُولِ، وَهُوَ الْمَنْصُورُ أَيْضًا، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَضَىٰ فِي كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ أَنْ سَلَّطَهُ عَلَىٰ قَاتِلِ وَلِيِّهِ وَحَكَّمَهُ فِيهِ بِأَنْ جَعَلَ إِلَيْهِ قَتْلَهُ إِنْ شَاءَ، وَاسْتِبْقَاءَهُ عَلَىٰ الدِّيَةِ إِنْ أَحَبَّ، وَالْعَفْوَ عَنْهُ إِنْ رَأَىٰ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ نُصْرَةً لَهُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا: هُوَ الْمَعْنِيُّ بِالْهَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وَقَضَىٰ أَيْضًا أَنْ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ بِأَكْلٍ، إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا، وَلَكِنِ اقْرَبُوهُ بِالْفَعْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالْخَلَّةِ الَّتِي هِيَ أَجْمَلُ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَصَرَّفُوا فِيهِ لَهُ بِالتَّثْمِيرِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْحَيْطَةِ.. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (**لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانُوا لَا يُخَالِطُونَهُمْ فِي طَعَامٍ أَوْ أَكْلٍ وَلَا غَيْرِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ** ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، **فَكَانَتْ هَذِهِ لَهُمْ فِيهَا رُخْصَةٌ**).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ: (**الْأَكْلُ بِالْمَعْرُوفِ، أَنْ تَأْكُلَ مَعَهُ إِذَا احْتَجْتَ إِلَيْهِ، كَانَ أَبِي يَقُولُ ذَلِكَ**)..

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ حَتَّىٰ يَبْلُغَ وَقْتَ اشْتِدَادِهِ فِي الْعَقْلِ، وَتَدْبِيرِ مَالِهِ، وَصَلَاحِ حَالِهِ فِي دِينِهِ..

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ وَأَوْفُوا بِالْعَقْدِ الَّذِي تُعَاقِدُونَ النَّاسَ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْإِسْلَامِ، وَفِيمَا بَيْنَكُمْ أَيْضًا، وَالْبُيُوعِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْإِجَارَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُودِ..

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤] إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَائِلٌ نَاقِضَ الْعَهْدِ عَنْ نَقْضِهِ إِيَّاهُ، يَقُولُ: فَلَا تَنْقُضُوا الْعُهُودَ الْجَائِزَةَ بَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ مَنْ عَاهَدْتُمُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ فَتَخْفِرُوهُ، وَتَغْدِرُوا بِمَنْ أَعْطَيْتُمُوهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَطْلُوبًا، يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: لَيُسْأَلَنَّ فُلَانٌ عَهْدَ فُلَانٍ.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٥].

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ وَقَضَىٰ أَنْ تُوفُوا الْكَيْلَ لِلنَّاسِ..

﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ قِبَلَكُمْ، وَلَا تَبْخَسُوهُمْ..

﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ وَقَضَىٰ أَنْ زِنُوا أَيْضًا إِذَا وَزَنْتُمْ لَهُمْ بِالْمِيزَانِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَلَا دَغَلَ، وَلَا خَدِيعَةَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِيفَاؤُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ تَكِيلُونَ لَهُ الْكَيْلَ، وَوَزْنُكُمْ بِالْعَدْلِ لِمَنْ تُوفُونَ لَهُ..

﴿خَيْرٌ﴾ لَكُمْ مِنْ بَخْسِكُمْ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ، وَظُلْمُكُمُوهُمْ فِيهِ..

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٣٥﴾ [الإسراء: ٣٥] وَأَحْسَنُ مَرْدُودًا عَلَيْكُمْ، وَأَوْلَىٰ إِلَيْهِ فِيهِ فِعْلُكُمْ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَرْضَىٰ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَيُحْسِنُ لَكُمْ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَا تَقُلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: وَلَا تَرْمِ.. وَهَذَانِ التَّأْوِيلَانِ مُتَقَارِبَا الْمَعْنَىٰ، لِأَنَّ الْقَوْلَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ الْقَائِلُ يَدْخُلُ فِيهِ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَرَمْيُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَادِّعَاءُ سَمَاعِ مَا لَمْ يَسْمَعْهُ، وَرُؤْيَةُ مَا لَمْ يَرَهُ.. وَأَصْلُ الْقَفْوِ: الْعَضْهُ وَالْبَهْتُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لَا نَقْفُو أُمَّنَا، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا**».. وَكَانَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ يَزْعُمُ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿تَقْفُ﴾، لَا تَتَّبِعْ مَا لَا تَعْلَمُ، وَلَا يَعْنِيكَ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، يَزْعُمُ أَنَّ أَصْلَهُ الْقِيَافَةُ، وَهِيَ اتِّبَاعُ الْأَثَرِ، وَإِذَا كَانَ كَمَا ذَكَرُوا وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ: (**وَلَا تَقُفْ**) بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِ الْفَاءِ، مِثْلُ: وَلَا تَقُلْ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: قَفَوْتُ أَثَرَهُ، وَقُفْتُ أَثَرَهُ، فَتُقَدِّمُ أَحْيَانًا الْوَاوَ عَلَىٰ الْفَاءِ وَتُؤَخِّرُهَا أَحْيَانًا بَعْدَهَا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تَقُلْ لِلنَّاسِ وَفِيهِمْ مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَتَرْمِيهُمْ بِالْبَاطِلِ، وَتَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَذَلِكَ هُوَ الْقَفْوُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِيهِ بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْغَالِبُ مِنِ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ (**الْقَفْوَ**) فِيهِ..

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦] إِنَّ اللهَ سَائِلٌ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ عَمَّا قَالَ صَاحِبُهَا، مِنْ أَنَّهُ سَمِعَ أَوْ أَبْصَرَ أَوْ عَلِمَ، تَشْهَدُ عَلَيْهِ جَوَارِحُهُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْحَقِّ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧].

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مُخْتَالًا مُسْتَكْبِرًا..

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ إِنَّكَ لَنْ تَقْطَعَ الْأَرْضَ بِاخْتِيَالِكَ..

﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧] بِفَخْرِكَ وَكِبْرِكَ، وَإِنَّمَا هَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ عَنِ

الْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ، وَتَقَدَّمَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ فِيهِ مُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ بِكِبْرِهِمْ وَفِخَارِهِمْ شَيْئًا يَقْصُرُ عَنْهُ غَيْرُهُمْ.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾ [الإسراء: ٣٨].

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ كُلُّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي عَدَدْنَا مِنْ مُبْتَدَإِ قَوْلِنَا ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].. إِلَىٰ قَوْلِنَا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ﴾ [الإسراء: ٣٧]..

﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ سَيِّئُ مَا عَدَدْنَا عَلَيْكَ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا.. وَإِنَّمَا قِيلَ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ بِالْإِضَافَةِ؛ لِأَنَّ فِيمَا عَدَدْنَا مِنْ قَوْلِهِ ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أُمُورًا، هِيَ أَمْرٌ بِالْجَمِيلِ، كَقَوْلِهِ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وَقَوْلُهُ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَلَيْسَ كُلُّ مَا فِيهِ نَهْيًا عَنْ سَيِّئَةٍ، بَلْ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ سَيِّئَةٍ، وَأَمْرٌ بِحَسَنَاتٍ، فَلِذَلِكَ قَرَأْنَا ﴿سَيِّئُهُۥ﴾..

﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾ [الإسراء: ٣٨] كَانَ سَيِّئُهُ مَكْرُوهًا عِنْدَ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، يَكْرَهُهُ وَيَنْهَىٰ عَنْهُ وَلَا يَرْضَاهُ، فَاتَّقِ مُوَاقِعَتَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾ [الإسراء: ٣٩].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي بَيَّنَّا لَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي أَمَرْنَاكَ بِجَمِيلِهَا، وَنَهَيْنَاكَ عَنْ قَبِيحِهَا..

﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ﴾ مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي أَوْحَيْنَاهَا إِلَيْكَ فِي كِتَابِنَا هَذَا..

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِكَ..

﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تَلُومُكَ نَفْسُكَ وَعَارِفُوكَ مِنَ النَّاسِ..

﴿مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾ [الإسراء: ٣٩] مُبْعَدًا مَقْصِيًّا فِي النَّارِ، وَلَكِنْ أَخْلِصِ الْعِبَادَةَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَتَنْجُو مِنْ عَذَابِهِ.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [الإسراء: ٤٠].

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلَّذِينَ قَالُوا مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ أَفَخَصَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ بِالذُّكُورِ مِنَ الْأَوْلَادِ..

﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَهُنَّ لِأَنْفُسِكُمْ، بَلْ تَئِدُونَهُنَّ، وَتَقْتُلُونَهُنَّ، فَجَعَلْتُمْ للهِ مَا لَا تَرْضَوْنَهُ لِأَنْفُسِكُمْ..

﴿إِنَّكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا مِنَ الْفِرْيَةِ عَلَىٰ اللهِ مَا ذَكَرْنَا: إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَتَقُولُونَ﴾ بِقِيلِكُمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ..

﴿قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء: ٤٠] وَتَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ فِرْيَةً مِنْكُمْ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ..

﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ الْعِبَرَ وَالْآيَاتِ وَالْحُجَجَ، وَضَرَبْنَا لَهُمْ فِيهِ الْأَمْثَالَ، وَحَذَّرْنَاهُمْ فِيهِ وَأَنْذَرْنَاهُمْ..

﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ لِيَتَذَكَّرُوا تِلْكَ الْحُجَجَ عَلَيْهِمْ، فَيَعْقِلُوا خَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، وَيَعْتَبِرُوا بِالْعِبَرِ، فَيَتَّعِظُوا بِهَا، وَيُنِيبُوا مِنْ جَهَالَتِهِمْ، فَمَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ..

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَذْكِيرُنَا إِيَّاهُمْ..

﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١] إِلَّا ذَهَابًا عَنِ الْحَقِّ، وَبُعْدًا مِنْهُ وَهَرَبًا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ..

﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ: مِنْ أَنَّ مَعَهُ آلِهَةً، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا تَقُولُونَ..

﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢] إِذَنْ لَابْتَغَتْ تِلْكَ الْآلِهَةُ الْقُرْبَةَ مِنَ اللهِ ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْتَمَسَتِ الزُّلْفَةَ إِلَيْهِ، وَالْمَرْتَبَةَ مِنْهُ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: **(لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ إِذَنْ لَعَرَفُوا فَضْلَهُ وَمَرْتَبَتَهُ وَمَنْزِلَتَهُ عَلَيْهِمْ، فَابْتَغَوْا مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ)**.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [إسراء: ٤٣].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ وَهَذَا تَنْزِيهٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، الْجَاعِلُونَ مَعَهُ آلِهَةً غَيْرَهُ، الْمُضِيفُونَ إِلَيْهِ الْبَنَاتِ، فَقَالَ: تَنْزِيهًا للهِ وَعُلُوًّا لَهُ..

﴿عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝﴾ [إسراء: ٤٣] عَمَّا تَقُولُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، مِنَ الْفِرْيَةِ وَالْكَذِبِ، فَإِنَّ مَا تُضِيفُونَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ صِفَةٌ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (يُسَبِّحُ نَفْسَهُ إِذْ قِيلَ عَلَيْهِ الْبُهْتَانُ).

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝﴾ [إسراء: ٤٤].

﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تنَزَّهَ اللهُ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ عَمَّا وَصَفْتُمُوهُ بِهِ إِعْظَامًا لَهُ وَإِجْلَالًا..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَنْتُمْ مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمْ، وَجَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، تَفْتَرُونَ عَلَيْهِ بِمَا تَفْتَرُونَ..

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَ مَا عَدَا تَسْبِيحِ مَنْ كَانَ يُسَبِّحُ بِمِثْلِ أَلْسِنَتِكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ حَلِيمًا، لَا يَعْجَلُ عَلَىٰ خَلْقِهِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ، وَيَكْفُرُونَ بِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَعَاجَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ بِالْعُقُوبَةِ..

﴿غَفُورٗا ۝﴾ [إسراء: ٤٤] سَاتِرًا ذُنُوبَهُمْ، إِذَا هُمْ تَابُوا مِنْهَا بِالْعَفْوِ مِنْهُ لَهُمْ.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ۝﴾ [الإسراء: ٤٥].

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا﴾ يَحْجُبُ قُلُوبَهُمْ عَنْ أَنْ يَفْهَمُوا مَا تَقْرَؤُهُ عَلَيْهِمْ، فَيَنْتَفِعُوا بِهِ، عُقُوبَةً مِنَّا لَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿مَّسۡتُورٗا ۝﴾ [الإسراء: ٤٥] عَنِ الْعِبَادِ فَلَا يَرَوْنَهُ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ سَتَرَهُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاسِ فَلَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُهُمْ.

﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ۝﴾ [الإسراء: ٤٦].

﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عِنْدَ قِرَاءَتِكَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ..

﴿أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ وَهِيَ جَمْعُ كِنَانٍ، وَذَلِكَ مَا يَتَغَشَّاهَا مِنْ خِذْلَانِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنْ فَهْمِ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ..

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ﴾ وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا عَنْ سَمَاعِهِ، وَصَمَمًا.. وَالْوَقْرُ بِالْفَتْحِ فِي الْأُذُنِ: الثِّقَلُ.. وَالْوِقْرُ بِالْكَسْرِ: الْحِمْلُ..

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ وَإِذَا قُلْتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي الْقُرْآنِ وَأَنْتَ تَتْلُوهُ..

﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ۝٤٦﴾ [الإسراء: ٤٦] انْفَضُّوا، فَذَهَبُوا عَنْكَ نُفُورًا مِنْ قَوْلِكَ، واسْتِكْبَارًا لَهُ، وَاسْتِعْظَامًا مِنْ أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ تَعَالَىٰ.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ بِمَا يَسْتَمِعُ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ وَأَنْتَ تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ..

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: النَّجْوَىٰ: فِعْلُهُمْ، فَجَعَلَهُمْ هُمُ النَّجْوَىٰ، كَمَا يَقُولُ: هُمْ قَوْمٌ رِضًا، وَإِنَّمَا رِضًا: فِعْلُهُمْ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: **(هِيَ مِثْلُ قِيلِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَمَنْ مَعَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ)**.. قَالَ قَتَادَةُ: **(وَنَجْوَاهُمْ أَنْ زَعَمُوا أَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَأَنَّهُ سَاحِرٌ)**..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧] مَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَذْهَبُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ إِلَىٰ مَعْنَىٰ: مَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا لَهُ سَحْرٌ، أَيْ لَهُ رِئَةٌ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الرِّئَةَ سَحْرًا، وَالْمُسَحَّرُ، مِنْ قَوْلِهِمْ لِلرَّجُلِ إِذَا جَبُنَ: قَدِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِكُلِّ مَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مِنْ آدَمِيٍّ وَغَيْرِهِ: مَسْحُورٌ وَمُسَحَّرٌ، فَكَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ كَانَ: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا لَهُ رِئَةٌ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ، لَا مَلَكًا لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالَّذِي قَالَ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الصَّوَابِ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٤٨﴾ [الإسراء: ٤٨].

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَاعْتَبِرْ..

﴿كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ كَيْفَ مَثَّلُوا لَكَ الْأَمْثَالَ، وَشَبَّهُوا لَكَ الْأَشْبَاهَ، بِقَوْلِهِمْ: هُوَ مَسْحُورٌ، وَهُوَ شَاعِرٌ، وَهُوَ مَجْنُونٌ..

﴿فَضَلُّواْ﴾ فَجَارُوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ بِقِيلِهِمْ مَا قَالُوا..

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨] فَلَا يَهْتَدُونَ لِطَرِيقِ الْحَقِّ لِضَلَالِهِمْ عَنْهُ، وَبُعْدِهِمْ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ خَذَلَهُمْ عَنْ إِصَابَتِهِ، فَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الْمَخْرَجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ كُفْرِهِمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩].

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَقَالُوا بِعَنَتِهِمْ..

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ لَمْ نَتَحَطَّمْ، وَلَمْ نَتَكَسَّرْ بَعْدَ مَمَاتِنَا وَبِلَانَا..

﴿وَرُفَٰتًا﴾ تُرَابًا فِي قُبُورِنَا..

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ قَالُوا: إِنْكَارًا مِنْهُمْ لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ: إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ بَعْدَ مَصِيرِنَا فِي الْقُبُورِ عِظَامًا غَيْرَ مُنْحَطِمَةٍ، وَرُفَاتًا مُنْحَطِمَةٍ، وَقَدْ بَلِينَا فَصِرْنَا فِيهَا تُرَابًا..

﴿خَلْقًا﴾ مُنْشَأً، كَمَا كُنَّا قَبْلَ الْمَمَاتِ..

﴿جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩] نُعَادُ كَمَا بُدِئْنَا؟ فَأَجَابَهُمْ جَلَّ جَلَالُهُ يُعَرِّفُهُمْ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ بَعْثِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَإِنْشَائِهِ لَهُمْ كَمَا كَانُوا قَبْلَ بِلَاهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا، عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ كَانُوا مِنَ الْأَحْوَالِ، عِظَامًا أَوْ رُفَاتًا، أَوْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَعْظُمُ عِنْدَهُمْ أَنْ يُحْدِثَ مِثْلُهُ خَلْقًا أَمْثَالَهُمْ أَحْيَاءً.

﴿۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ [الإسراء: ٥٠].

﴿۞ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنْ قَوْمِكَ الْقَائِلِينَ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩]..

﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ [الإسراء: ٥٠] كُونُوا إِنْ عَجِبْتُمْ مِنْ إِنْشَاءِ اللهِ إِيَّاكُمْ وَإِعَادَتِهِ أَجْسَامَكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ بِلَاكُمْ فِي التُّرَابِ، وَمَصِيرِكُمْ رُفَاتًا، وَأَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١﴾ [الإسراء: ٥١].

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَإِنِّي أُحْيِيكُمْ وَأَبْعَثُكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ مَصِيرِكُمْ كَذَلِكَ كَمَا بَدَأْتُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِقَوْلِهِ ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهِ الْمَوْتَ، وَأُرِيدَ بِهِ: أَوْ كُونُوا الْمَوْتَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمُوهُ أَمَتُّكُمْ ثُمَّ بَعَثْتُكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ الْبَعْثِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أُرِيدَ بِذَلِكَ: كُونُوا مَا شِئْتُمْ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَالَ: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ بِهِ الْمَوْتَ؛ لِأَنَّهُ عَظِيمٌ فِي صُدُورِ بَنِي آدَمَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا بَيَانَ فِي ذَلِكَ أَبْيَنَ مِمَّا بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُوَ كُلُّ مَا كَبُرَ فِي صُدُورِ بَنِي آدَمَ مِنْ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخَصِّصْ مِنْهُ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ..

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ فَسَيَقُولُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..

﴿مَن يُعِيدُنَا﴾ خَلْقًا جَدِيدًا، إِنْ كُنَّا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِنَا؟ فَـ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ: يُعِيدُكُمْ..

﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يُعِيدُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ تَصِيرُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا إِنْسًا أَحْيَاءَ، الَّذِي خَلَقَكُمْ إِنْسًا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ..

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَسَيَهُزُّونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ بِرَفْعٍ وَخَفْضٍ، وَكَذَلِكَ النَّغْضُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِنَّمَا هُوَ حَرَكَةٌ بِارْتِفَاعٍ ثُمَّ انْخِفَاضٍ، أَوِ انْخِفَاضٍ ثُمَّ ارْتِفَاعٍ، يقولن: نَغَضَتْ سِنُّهُ: إِذَا تَحَرَّكَتْ وَارْتَفَعَتْ مِنْ أَصْلِهَا.. قَالَ قَتَادَةُ: **(يُحَرِّكُونَ رُءُوسَهُمْ تَكْذِيبًا وَاسْتِهْزَاءً)**..

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ الْبَعْثُ؟ وَفِي أَيِّ حَالٍ وَوَقْتٍ يُعِيدُنَا خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا كُنَّا أَوَّلَ مَرَّةٍ؟ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالُوا لَكَ: مَتَىٰ هُوَ، مَتَىٰ هَذَا الْبَعْثُ الَّذِي تَعِدُنَا؟..

﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١﴾ [الإسراء: ٥١] وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: هُوَ قَرِيبٌ، لِأَنَّ عَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ**»؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَانَ قَدْ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ [الإسراء: ٥٢].

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَعْثُكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ قَرِيبًا، ذَلِكَ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ رَبُّكُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ..

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ فَتَسْتَجِيبُونَ للهِ مِنْ قُبُورِكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَدُعَائِهِ إِيَّاكُمْ، وَللهِ الْحَمْدُ فِي كُلِّ حَالٍ.. كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: فَعَلْتُ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِحَمْدِ اللهِ، يَعْنِي: للهِ الْحَمْدُ عَلَىٰ كُلِّ مَا فَعَلْتُهُ..

﴿وَتَظُنُّونَ﴾ وَتَحْسَبُونَ عِنْدَ مُوَافَاتِكُمُ الْقِيَامَةَ مِنْ هَوْلِ مَا تُعَايِنُونَ فِيهَا..

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ [الإسراء: ٥٢] مَا لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ يَقُلْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْمُحَاوَرَةِ وَالْمُخَاطَبَةِ..

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ يَسُوءُ مُحَاوَرَةَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا..

﴿يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ﴾ يُفْسِدُ بَيْنَهُمْ، يُهَيِّجُ بَيْنَهُمُ الشَّرَّ..

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ..

﴿عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣] قَدْ أَبَانَ لَهُمْ عَدَاوَتَهُ بِمَا أَظْهَرَ لِآدَمَ مِنَ الْحَسَدِ، وَغُرُورِهِ إِيَّاهُ حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝٥٤﴾ [الإسراء: ٥٤].

﴿رَّبُّكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ قَالُوا ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨﴾ [الإسراء: ٩٨]: رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَعْلَمُ بِكُمْۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فَيَتُوبُ عَلَيْكُمْ بِرَحْمَتِهِ، حَتَّىٰ تُنِيبُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بِأَنْ يَخْذُلَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، فَتَمُوتُوا عَلَىٰ شِرْكِكُمْ، فَيُعَذِّبُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الإسراء: ٥٤] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِ لِتَدْعُوهُ إِلَىٰ طَاعَتِنَا رِبًّا وَلَا رَقِيبًا، إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ لِتُبَلِّغَهُمْ رِسَالَاتِنَا، وَبِأَيْدِينَا صَرْفُهُمْ وَتَدْبِيرُهُمْ، فَإِنْ شِئْنَا رَحِمْنَاهُمْ، وَإِنْ شِئْنَا عَذَّبْنَاهُمْ.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ وَمَا يُصْلِحُهُمْ، فَإِنَّهُ هُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ وَمُدَبِّرُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلتَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْعَذَابِ، أَهْدَي لِلْحَقِّ مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنِّي الرَّحْمَةُ وَالسَّعَادَةُ، وَأُضِلُّ مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنِّي الشَّقَاءُ وَالْخِذْلَانُ، يَقُولُ: فَلَا يَكْبُرَنَّ ذَٰلِكَ عَلَيْكَ..

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ فِعْلِي بِهِمْ لِتَفْضِيلِي بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ، بِإِرْسَالِ بَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ الْخَلْقِ، وَبَعْضِهِمْ إِلَىٰ الْجَمِيعِ، وَرَفْعِي بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ..

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥] قَالَ قَتَادَةُ: (**كُنَّا نُحَدَّثُ لِأَنَّهُ دُعَاءٌ عَلَّمَهُ دَاوُدَ، تَحْمِيدٌ وَتَمْجِيدٌ، لَيْسَ فِيهِ حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، وَلَا فَرَائِضُ وَلَا حُدُودٌ**).

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَعُزَيْرًا وَالْمَسِيحَ، وَبَعْضُهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ..

﴿ٱدْعُواْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أَنَّهُمْ أَرْبَابٌ وَآلِهَةٌ..

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ عِنْدَ ضُرٍّ يَنْزِلُ بِكُمْ..

﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦] فَانْظُرُوا هَلْ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ دَفْعِ ذَلِكَ عَنْكُمْ، أَوْ تَحْوِيلِهِ عَنْكُمْ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ، فَتَدْعُوهُمْ آلِهَةً، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَا يَمْلِكُونَهُ، وَإِنَّمَا يَمْلِكُهُ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُهُمْ.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧].

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَرْبَابًا..

﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ يَبْتَغِي الْمُدَّعُونَ أَرْبَابًا إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْقُرْبَةَ وَالزُّلْفَةَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ بِهِ، وَالْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أَيُّهُمْ بِصَالِحِ عَمَلِهِ وَاجْتِهَادِهِ فِي عِبَادَتِهِ أَقْرَبُ عِنْدَهُ زُلْفَةً..

﴿وَيَرۡجُونَ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ تِلْكَ..

﴿رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ﴾ بِخِلَافِهِمْ أَمْرَهُ..

﴿عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧] مُتَّقَىٰ.

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨].

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ﴾ وَمَا مِنْ قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَىٰ..

﴿إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا﴾ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُو أَهْلِهَا بِالْفَنَاءِ، فَمُبِيدُوهُمُ اسْتِئْصَالًا..

﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾ أَوْ مُعَذِّبُوهَا، إِمَّا بِبَلَاءِ مَنْ قُتِلَ بِالسَّيْفِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْعَذَابِ عَذَابًا شَدِيدًا..

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨] فِي الْكِتَابِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ كُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ، وَذَلِكَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الَّتِي سَأَلَهَا قَوْمُكَ..

﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ إِلَّا أَنْ كَانَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، سَأَلُوا ذَلِكَ مِثْلَ سُؤَالِهِمْ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مَا سَأَلُوا مِنْهُ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا مَعَ مَجِيءِ الْآيَاتِ فَعُوجِلُوا، فَلَمْ

نُرْسِلَ إِلَىٰ قَوْمِكَ بِالْآيَاتِ، لِأَنَّا لَوْ أَرْسَلْنَا بِهَا إِلَيْهَا، فَكَذَّبُوا بِهَا، سَلَكْنَا فِي تَعْجِيلِ الْعَذَابِ لَهُمْ مَسْلَكَ الْأُمَمِ قَبْلَهَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ، فَيَزْرَعُوا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، قَالَ: «لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾**)..

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ﴾ وَقَدْ سَأَلَ الْآيَاتِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ ثَمُودُ فَآتَيْنَاهَا مَا سَأَلَتْ، وَجَعَلْنَا تِلْكَ الْآيَةَ..

﴿ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ جَعَلَ الْإِبْصَارَ لِلنَّاقَةِ، كَمَا تَقُولُ لِلشَّجَّةِ: مُوضِحَةٌ، وَهَذِهِ حُجَّةٌ مُبَيِّنَةٌ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْمُبْصِرَةِ: الْمُضِيئَةِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي مَنْ يَرَاهَا كَانُوا أَهْلَ بَصَرٍ بِهَا أَنَّهَا للهِ حُجَّةٌ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]..

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ فَكَانَ بِهَا ظُلْمُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَتَلُوهَا وَعَقَرُوهَا، فَكَانَ ظُلْمُهُمْ بِعَقْرِهَا وَقَتْلِهَا، وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَكَفَرُوا بِهَا، وَلَا وَجْهَ لِذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُ: أَرَادَ: فَكَفَرُوا بِاللهِ بِقَتْلِهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا..

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩] وَمَا نُرْسِلُ بِالْعِبَرِ وَالذِّكْرِ إِلَّا تَخْوِيفًا لِلْعِبَادِ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ [الإسراء: ٦٠].

﴿وَإِذْ﴾ هَذَا حَضٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، عَلَىٰ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ سَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ بَغَاهُ سُوءًا وَهَلَاكًا، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ﴾ قُدْرَةً، فَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الْخُرُوجِ مِنْ مَشِيئَتِهِ، وَنَحْنُ مَانِعُوكَ مِنْهُمْ، فَلَا تَتَهَيَّبْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَامْضِ لِمَا أَمَرْنَاكَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَتِنَا..

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ وَمَا جَعَلْنَا رُؤْيَاكَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَسْرَيْنَا بِكَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ..

﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ إِلَّا بَلَاءً لِلنَّاسِ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ -لَمَّا أُخْبِرُوا بِالرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَلِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ ازْدَادُوا بِسَمَاعِهِمْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَمَادِيًا فِي غَيِّهِمْ، وَكُفْرًا إِلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ - وَهِي شَجَرَةَ الزَّقُّومِ- إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ، فَكَانَتْ فِتْنَتُهُمْ فِي الرُّؤْيَا مَا ذَكَرْتُ مِنَ ارْتِدَادِ مَنِ ارْتَدَّ، وَتَمَادِي أَهْلِ الشِّرْكِ فِي شِرْكِهِمْ، حِينَ أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا أَرَاهُ اللهُ فِي مَسِيرِهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، وَكَانَتْ فِتْنَتُهُمْ فِي الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ قَوْلَ أَبِي جَهْلٍ وَالْمُشْرِكِينَ مَعَهُ: يُخْبِرُنَا مُحَمَّدٌ أَنَّ فِي النَّارِ شَجَرَةً نَابِتَةً، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ، فَكَيْفَ تَنْبُتُ فِيهَا؟..

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ وَنُخَوِّفُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِمَا نَتَوَعَّدُهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَالنَّكَالِ..

﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَخْوِيفُنَا..

﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: ٦٠] إِلَّا تَمَادِيًا وَغَيًّا كَبِيرًا فِي كُفْرِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا خُوِّفُوا بِالنَّارِ الَّتِي طَعَامُهُمْ فِيهَا الزَّقُّومُ، دُعُوا بِالتَّمْرِ وَالزُّبْدِ، وَقَالُوا: تَزَقَّمُوا مِنْ هَذَا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: ٦١].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ إِذْ..

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فَإِنَّهُ اسْتَكْبَرَ وَ..

﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: ٦١] لِمَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.. فَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ تَمَادِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي غِيِّهِمْ وَارْتِدَادِهِمْ، عُتُوًّا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، بِتَخْوِيفِهِ إِيَّاهُمْ، تَحْقِيقَهُمْ قَوْلَ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ وَالِدِهِمْ، حِينَ أَمَرَهُ رَبُّهُ بِالسُّجُودِ لَهُ فَعَصَاهُ وَأَبَىٰ السُّجُودَ لَهُ، حَسَدًا وَاسْتِكْبَارًا ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢]، وَكَيْفَ صَدَّقُوا ظَنَّهُ فِيهِمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ وَطَاعَتِهِ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ وَالِدِهِمْ.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢].

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ، فَأَمَرْتَنِي بِالسُّجُودِ لَهُ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ آدَمَ..

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أَقْسَمَ عَدُوُّ اللهِ، فَقَالَ لِرَبِّهِ: لَئِنْ أَخَّرْتَ إِهْلَاكِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢] لَأَسْتَوْلِيَنَّ عَلَيْهِمْ، وَلَأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ، وَلَأَسْتَمِيلَنَّهُمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: احْتَنَكَ فُلَانٌ مَا عِنْدَ فُلَانٍ مِنْ مَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ٦٣﴾ [الإسراء: ٦٣].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِإِبْلِيسَ إِذْ قَالَ لَهُ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢]..

﴿ٱذْهَبْ﴾ فَقَدْ أَخَّرْتُكَ..

﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَطَاعَكَ..

﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ جَزَاؤُكَ وَجَزَاؤُهُمْ، يَقُولُ: ثَوَابُكَ عَلَىٰ دُعَائِكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِي، وَثَوَابُهُمْ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِمْ إِيَّاكَ وَخِلَافِهِمْ أَمْرِي..

﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا ٦٣﴾ [الإسراء: ٦٣] ثَوَابًا مَكْثُورًا مُكَمَّلًا.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾ [الإسراء: ٦٤].

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ وَاسْتَخْفِفْ وَاسْتَجْهِلْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: اسْتَفَزَّ فُلَانًا كَذَا وَكَذَا فَهُوَ يَسْتَفِزُّهُ..

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهِ: صَوْتَ الْغِنَاءِ وَاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ ﴿بِصَوْتِكَ﴾ بِدُعَائِكَ إِيَّاهُ إِلَىٰ طَاعَتِكَ وَمَعْصِيَةِ اللهِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ لِإِبْلِيسَ: وَاسْتَفْزِزْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ مَنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَسْتَفِزَّهُ بِصَوْتِكَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ صَوْتًا دُونَ صَوْتٍ، فَكُلُّ صَوْتٍ كَانَ دُعَاءً إِلَيْهِ وَإِلَىٰ عَمَلِهِ وَطَاعَتِهِ، وَخِلَافًا لِلدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي مَعْنَىٰ صَوْتِهِ..

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ وَأَجْمِعْ عَلَيْهِمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: أَجْلَبَ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ إِجْلَابًا: إِذَا صَاحَ عَلَيْهِ، وَالْجَلَبَةُ: الصَّوْتُ..

﴿بِخَيْلِكَ﴾ مِنْ رُكْبَانِ جُنْدِكَ..

﴿وَرَجِلِكَ﴾ وَمُشَاتِهِمْ مَنْ يَجْلِبُ عَلَيْهَا بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِكَ، وَالصَّرْفِ عَنْ طَاعَتِي..

﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ كُلَّ مَالٍ عُصِيَ اللهُ فِيهِ بِإِنْفَاقٍ فِي حَرَامٍ، أَوِ اكْتِسَابٍ مِنْ حَرَامٍ، أَوْ ذَبْحٍ لِلْآلِهَةِ، أَوْ تَسْيِيبٍ، أَوْ بَحْرٍ لِلشَّيْطَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ مَعْصِيًّا بِهِ أَوْ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾، فَكُلُّ مَا أُطِيعَ الشَّيْطَانُ فِيهِ مِنْ مَالٍ وَعُصِيَ اللهُ فِيهِ، فَقَدْ شَارَكَ فَاعِلُ ذَلِكَ فِيهِ إِبْلِيسَ، فَلَا وَجْهَ لِخُصُوصِ بَعْضِ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ..

﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ كُلُّ وَلَدٍ وَلَدَتْهُ أُنْثَىٰ عُصِيَ اللهُ بِتَسْمِيَتِهِ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ، أَوْ بِإِدْخَالِهِ فِي غَيْرِ الدِّينِ

الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ، أَوْ بِالزِّنَا بِأُمِّهِ، أَوْ قَتْلِهِ وَوَأْدِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي يُعْصَىٰ اللهُ بِهَا بِفِعْلِهِ بِهِ أَوْ فِيهِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي مُشَارَكَةِ إِبْلِيسَ فِيهِ مِنْ وَلَدِ ذَلِكَ الْمَوْلُودِ لَهُ أَوْ مِنْهُ، لِأَنَّ اللهَ لَمْ يُخَصِّصْ بِقَوْلِهِ ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ﴾ مَعْنَىٰ الشَّرِكَةِ فِيهِ بِمَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، فَكُلُّ مَا عُصِيَ اللهُ فِيهِ أَوْ بِهِ، وَأُطِيعَ بِهِ الشَّيْطَانُ أَوْ فِيهِ، فَهُوَ مُشَارَكَةُ مَنْ عُصِيَ اللهُ فِيهِ أَوْ بِهِ إِبْلِيسَ فِيهِ..

﴿وَعِدْهُمْ﴾ وَعِدْ أَتْبَاعَكَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ النُّصْرَةَ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ..

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤] لِأَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ شَيْئًا، فَهُمْ مِنْ عِدَاتِهِ فِي بَاطِلٍ وَخَدِيعَةٍ، كَمَا قَالَ لَهُمْ عَدُوُّ اللهِ حِينَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥].

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الَّذِينَ أَطَاعُونِي فَاتَّبَعُوا أَمْرِي وَعَصَوْكَ يَا إِبْلِيسُ..

﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ..

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥] وَكَفَاكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ حَفِيظًا، وَقَيِّمًا بِأَمْرِكَ، فَانْقَدْ لِأَمْرِهِ، وَبَلِّغْ رِسَالَاتِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَخَفْ أَحَدًا، فَإِنَّهُ قَدْ تَوَكَّلَ بِحِفْظِكَ وَنُصْرَتِكَ.

﴿رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ [الإسراء: ٦٦].

﴿رَّبُّكُمُ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُ لَكُمُ السُّفُنَ فِي الْبَحْرِ، فَيَحْمِلُكُمْ فِيهَا..

﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ لِتَوَصَّلُوا بِالرُّكُوبِ فِيهَا إِلَىٰ أَمَاكِنِ تِجَارَاتِكُمْ وَمَطَالِبِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ، وَتَلْتَمِسُونَ مِنْ رِزْقِهِ..

﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ [الإسراء: ٦٦] حِينَ أَجْرَىٰ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ، تَسْهِيلًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمُ التَّصَرُّفُ فِي طَلَبِ فَضْلِهِ فِي الْبِلَادِ النَّائِيَةِ، الَّتِي لَوْلَا تَسْهِيلُهُ ذَلِكَ لَكُمْ لَصَعُبَ عَلَيْكُمُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧].

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ وَإِذَا نَالَتْكُمُ الشِّدَّةُ وَالْجَهْدُ فِي الْبَحْرِ..

﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ فَقَدْتُمْ مَنْ تَدْعُونَ مِنْ دُونَ اللهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَجَارَ عَنْ طَرِيقِكُمْ فَلَمْ يُغِثْكُمْ..

﴿إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ وَلَمْ تَجِدُوا غَيْرَ اللهِ مُغِيثًا يُغِيثُكُمْ دَعَوْتُمُوهُ..

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ فَلَمَّا دَعَوْتُمُوهُ وَأَغَاثَكُمْ، وَأَجَابَ دُعَاءَكُمْ وَنَجَّاكُمْ مِنْ هَوْلِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ فِي الْبَحْرِ..

﴿أَعْرَضْتُمْۚ﴾ عَمَّا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ رَبُّكُمْ مِنْ خَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْأُلُوهَةِ كُفْرًا مِنْكُمْ بِنِعْمَتِهِ..

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧] وَكَانَ الْإِنْسَانُ ذا جَحْدٍ لِنِعَمِ رَبِّهِ.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ٦٨﴾ [الإسراء: ٦٨].

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ رَبِّكُمْ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ نِعْمَتَهُ بِتَنْجِيَتِهِ إِيَّاكُمْ مِنْ هَوْلِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ فِي الْبَحْرِ، وَعَظِيمِ مَا كُنْتُمْ قَدْ أَشْرَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْهَلَاكِ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ وَصِرْتُمْ إِلَى الْبَرِّ كَفَرْتُمْ، وَأَشْرَكْتُمْ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَهُ..

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ نَاحِيَةَ الْبَرِّ..

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أَوْ يُمْطِرَكُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ تَقْتُلُكُمْ، كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوطٍ..

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ٦٨﴾ [الإسراء: ٦٨] ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ مَا يَقُومُ بِالْمُدَافَعَةِ عَنْكُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ٦٩﴾ [الإسراء: ٦٩].

﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ رَبِّكُمْ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِهِ بَعْدَ إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ عَلِمْتُمْ..

﴿أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِي الْبَحْرِ..

﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ مَرَّةً أُخْرَىٰ..

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ وَهِيَ الَّتِي تَقْصِفُ مَا مَرَّتْ بِهِ فَتُحَطِّمُهُ وَتَدُقُّهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَصَفَ فُلَانٌ ظَهْرَ فُلَانٍ: إِذَا كَسَرَهُ..

﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ اللهُ بِهَذِهِ الرِّيحِ الْقَاصِفِ..

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بِكُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ﴾ بِمَا فَعَلْنَا بِكُمْ..

﴿تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء: ٦٩] تَابِعًا يَتْبَعُنَا، وَلَا ثَائِرًا يَثْأَرُنَا بِإِهْلَاكِنَا إِيَّاكُمْ.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بِتَسْلِيطِنَا إِيَّاهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ، وَتَسْخِيرِنَا سَائِرَ الْخَلْقِ لَهُمْ..

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ عَلَىٰ ظُهُورِ الدَّوَابِّ وَالْمَرَاكِبِ..

﴿وَالْبَحْرِ﴾ وَفِي الْبَحْرِ، فِي الْفُلْكِ الَّتِي سَخَّرْنَاهَا لَهُمْ..

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ مِنْ طَيِّبَاتِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَهِيَ حَلَالُهَا وَلَذِيذَاتُهَا..

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠] بِتَمَكُّنِهِمْ مِنَ الْعَمَلِ بِأَيْدِيهِمْ، وَأَخْذِ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ بِهَا، وَرَفْعِهَا بِهَا إِلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ، وَذَلِكَ غَيْرُ مُتَيَسِّرٍ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: ٧١].

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ﴾ الَّذِي كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِ، وَيَأْتَمُّونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فَمَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ عَمَلِهِ بِيَمِينِهِ..

﴿فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَعْرِفُوا جَمِيعَ مَا فِيهِ..

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ وَلَا يَظْلِمُهُمُ اللهُ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ..

﴿فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: ٧١] وَهُوَ الْمُنْفَتِلُ الَّذِي فِي شَقِّ بَطْنِ النَّوَاةِ.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ﴾ الدُّنْيَا..

﴿أَعْمَىٰ﴾ عَنْ حُجَجِ اللهِ عَلَىٰ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِخَلْقِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَتَصْرِيفِ مَا فِيهَا..

﴿فَهُوَ فِي﴾ أَمْرِ..

﴿الْآخِرَةِ﴾ الَّتِي لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يُعَايِنْهَا، وَفِيمَا هُوَ كَائِنٌ فِيهَا..

﴿أَعْمَىٰ﴾ أَشَدُّ عَمًى.. وَذَلِكَ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ التَّفَاوتُ، فَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ عَمَىٰ قُلُوبِ الْكُفَّارِ عَنْ حُجَجِ اللهِ الَّتِي قَدْ عَايَنَتْهَا أَبْصَارُهُمْ، فَلِذَلِكَ جَازَ ذَلِكَ وَحَسُنَ..

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ [الإسراء: ٧٢] وَأَضَلُّ طَرِيقًا مِنْهُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ عَايَنَهَا وَرَآهَا.

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣﴾ [الإسراء: ٧٣].

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي كَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَفْتِنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا عَنِ الَّذِي أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ الْإِلْمَامُ بِالْآلِهَةِ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ دَعَوْهُ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَهَمَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَمَّ أَنْ يُنْظِرَ قَوْمًا بِإِسْلَامِهِمْ إِلَىٰ مُدَّةٍ سَأَلُوهُ الْإِنْظَارَ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ ثَقِيفًا كَانُوا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجِّلْنَا سَنَةً حَتَّىٰ يُهْدَىٰ لِآلِهَتِنَا، فَإِذَا قَبَضْنَا الَّذِي يُهْدَىٰ لِآلِهَتِنَا أَخَذْنَاهُ، ثُمَّ أَسْلَمْنَا وَكَسَرْنَا الْآلِهَةَ، فَهَمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُعْطِيَهُمْ، وَأَنْ يُؤَجِّلَهُمْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَادُوا أَنْ يَفْتِنُوهُ عَمَّا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيْهِ لِيَعْمَلَ بِغَيْرِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الِافْتِرَاءُ عَلَىٰ اللهِ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ مَا ذُكِرَ عَنْهُمْ مِنْ ذِكْرِ أَنَّهُمْ دَعَوْهُ أَنْ يَمَسَّ آلِهَتَهُمْ وَيُلِمَّ بِهَا.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ ثَقِيفٍ، وَمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ مَا سَأَلُوهُ مِمَّا ذَكَرْنَا.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَلَا بَيَانَ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي خَبَرٍ يَقْطَعُ الْعُذْرَ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ، وَالِاخْتِلَافُ فِيهِ مَوْجُودٌ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا.. فَلَا شَيْءَ فِيهِ أَصْوَبُ مِنَ الْإِيمَانِ بِظَاهِرِهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ خَبَرٌ يَجِبُ التَّسْلِيمَ لَهُ بِبَيَانِ مَا عَنَىٰ بِذَلِكَ مِنْهُ..

﴿وَإِذًا﴾ وَلَوْ فَعَلْتَ مَا دَعَوْكَ إِلَيْهِ مِنَ الْفِتْنَةِ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ..

﴿لَّاتَّخَذُوكَ﴾ إِذًا لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿خَلِيلًا ۝٧٣﴾ [الإسراء: ٧٣] وَكُنْتَ لَهُمْ وَكَانُوا لَكَ أَوْلِيَاءَ.

﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤].

﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعِصْمَتِنَا إِيَّاكَ عَمَّا دَعَاكَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ..

﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤] لَقَدْ كِدْتَ تَمِيلُ إِلَيْهِمْ وَتَطْمَئِنُّ شَيْئًا قَلِيلًا، وَذَلِكَ مَا كَانَ ﷺ هَمَّ بِهِ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ بَعْضَ الَّذِي كَانُوا سَأَلُوهُ فِعْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا ذُكِرَ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «لَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ».

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ٧٥﴾ [الإسراء: ٧٥].

﴿إِذًا﴾ لَوْ رَكَنْتَ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ شَيْئًا قَلِيلًا فِيمَا سَأَلُوكَ إِذَنْ..

﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ..

﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ..

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِنْ نَحْنُ أَذَقْنَاكَ لِرُكُونِكَ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَوْ رَكَنْتَ إِلَيْهِمْ عَذَابَ الْحَيَاةِ وَعَذَابَ الْمَمَاتِ..

﴿عَلَيْنَا نَصِيرًا ٧٥﴾ [الإسراء: ٧٥] يَنْصُرُكَ عَلَيْنَا، وَيَمْنَعُكَ مِنْ عَذَابِكَ، وَيُنْقِذُكَ مِمَّا نَالَكَ مِنَّا مِنْ عُقُوبَتِهِ.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦﴾ [الإسراء: ٧٦].

﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ وَإِنْ كَادَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ..

﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ لَيَسْتَخِفُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ بِهَا لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا.. وَكَانَ الْقَوْمُ الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ قُرَيْشًا، وَالْأَرْضُ مَكَّةَ..

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦﴾ [الإسراء: ٧٦] وَلَوْ أَخْرَجُوكَ مِنْهَا لَمْ يَلْبَثُوا بَعْدَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّىٰ أُهْلِكَهُمْ بِعَذَابٍ عَاجِلٍ.. وَالْقَلِيلُ الَّذِي اسْتَثْنَاهُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فَإِنَّهُ فِيمَا قِيلَ: مَا بَيْنَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَنْ قَتَلَ اللهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ مُشْرِكِيهِمْ بِبَدْرٍ.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ٧٧﴾ [الإسراء: ٧٧].

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ لَوْ أَخْرَجُوكَ لَمْ يَلْبَثُوا خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَأَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِنَا، سُنَّتُنَا فِيمَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا، فَإِنَّا كَذَلِكَ كُنَّا نَفْعَلُ بِالْأُمَمِ إِذَا أَخْرَجَتْ رُسُلَهَا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ٧٧﴾ [الإسراء: ٧٧] عَمَّا جَرَتْ بِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (سُنَّةُ الْأُمَمِ وَالرُّسُلِ

كَانَتْ قَبْلَكَ كَذَلِكَ، إِذَا كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ، لَمْ يُنَاظَرُوا أَنَّ اللهَ عَاجِلٌ عَلَيْهِمْ عَذَابَهُ).

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨].

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ دُلُوكُ الشَّمْسِ: مَيْلُهَا لِلزَّوَالِ، وَالصَّلَاةُ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِقَامَتِهَا عِنْدَ دُلُوكِهَا: الظُّهْرُ.. وَذَلِكَ أَنَّ الدُّلُوكَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَيْلُ، يُقَالُ مِنْهُ: دَلَكَ فُلَانٌ إِلَىٰ كَذَا: إِذَا مَالَ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ الْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: (أَيُدَالِكُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ؟) يَعْنِي بِذَلِكَ: أَيَمِيلُ بِهَا إِلَىٰ الْمُمَاطَلَةِ بِحَقِّهَا.. فَإِذَا كَانَ مَعْنَىٰ الدُّلُوكِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْمَيْلُ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا زَالَتْ عَنْ كَبِدِ السَّمَاءِ، فَقَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، وَذَلِكَ وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ..

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ الصَّلَاةُ الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِقَامَتِهَا عِنْدَ غَسَقِ اللَّيْلِ هِيَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ دُونَ غَيْرِهَا، لِأَنَّ غَسَقَ اللَّيْلِ هُوَ مِنْ إِقْبَالِ اللَّيْلِ وَظَلَامِهِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، فَأَمَّا صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَإِنَّهَا مِمَّا تُقَامُ بَيْنَ ابْتِدَاءِ دُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ، لَا عِنْدَ غَسَقِ اللَّيْلِ.. فَبَيِّنٌ إِذَنْ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ أَنَّ صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِحُدُودِهِمَا مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكَ فِيهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا الصَّلَاتَانِ اللَّتَانِ فَرَضَهُمَا اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مِنْ وَقْتِ دُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ، وَغَسَقُ اللَّيْلِ: هُوَ إِقْبَالُهُ وَدُنُوُّهُ بِظَلَامِهِ..

﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ وَأَقِمْ قُرْآنَ الْفَجْرِ، أَيْ مَا تَقْرَأُ بِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨] إِنَّ مَا تَقْرَأُ بِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ مَشْهُودًا، يَشْهَدُهُ فِيمَا ذُكِرَ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَجَاءَتِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي: (كَانُوا يَقُولُونَ تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فَتَشْهَدُ فِيهَا جَمِيعًا، ثُمَّ يَصْعَدُ هَؤُلَاءِ وَيُقِيمُ هَؤُلَاءِ).

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ﴾ فَاسْهَرْ بَعْدَ نَوْمَةٍ يَا مُحَمَّدُ، فَرْضًا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ.. وَالتَّهَجُّدُ: التَّيَقُّظُ وَالسَّهَرُ بَعْدَ نَوْمَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَمَّا الْهُجُودُ نَفْسُهُ: فَالنَّوْمُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالْقُرْآنِ..

﴿نَافِلَةٗ﴾ نَفْلًا عَنْ فَرَائِضِكَ الَّتِي فَرَضْتُهَا عَلَيْكَ..

﴿لَّكَ﴾ خَالِصَةً دُونَ أُمَّتِكَ.. وَالْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خُصَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَعَ كَوْنِ صَلَاةِ كُلِّ مُصَلٍّ بَعْدَ هُجُودِهِ، إِذَا كَانَ قَبْلَ هُجُودِهِ قَدْ كَانَ أَدَّىٰ فَرَائِضَهُ نَافِلَةً فَضْلًا، إِذْ كَانَتْ غَيْرَ وَاجِبَةٍ عَلَيْهِ، هُوَ أَنَّهَا كَانَتْ فَرِيضَةً عَلَيْهِ، وَهِيَ لِغَيْرِهِ تَطَوُّعٌ، وَقِيلَ لَهُ: أَقِمْهَا نَافِلَةً لَكَ: أَيْ فَضْلًا لَكَ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضْتُهَا عَلَيْكَ عَمَّا فَرَضْتُ عَلَىٰ غَيْرِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ قِيلَ ذَلِكَ لَهُ ﷺ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ ذَلِكَ يُكَفِّرُ عَنْهُ شَيْئًا مِنَ الذُّنُوبِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَانَ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَكَانَ لَهُ نَافِلَةَ فَضْلٍ، فَأَمَّا غَيْرُهُ فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَلَيْسَ هُوَ لَهُ نَافِلَةً، وَهَذَا قَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ، لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ أَكْثَرُ مَا كَانَ اسْتِغْفَارًا لِذُنُوبِهِ بَعْدَ نُزُولِ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] عَامَ قُبِضَ، وَقِيلَ لَهُ فِيهَا ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ٣]، فَكَانَ يُعَدُّ لَهُ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ اسْتِغْفَارَ مِائَةِ مَرَّةٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ إِلَّا لِمَا يُغْفَرُ لَهُ بِاسْتِغْفَارِهِ ذَلِكَ، فَبَيِّنٌ إِذَنْ وَجْهُ فَسَادِهِ..

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ﴾ لَعَلَّ رَبَّكَ يَبْعَثُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَعَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ، وَإِنَّمَا وَجْهُ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ، لِعِلْمِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللهَ لَا يَدَعُ أَنْ يَفْعَلَ بِعِبَادِهِ مَا أَطْمَعَهُمْ فِيهِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَالْعِوَضِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ إِذْ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ الْغُرُورُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ أَطْمَعَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ لَهُ فِي نَفْعِهِ، إِذَا هُوَ تَعَاهَدَهُ وَلَزِمَهُ، فَإِنْ لَزِمَ الْمَقُولُ لَهُ ذَلِكَ وَتَعَاهَدَهُ ثُمَّ لَمْ يَنْفَعْهُ، وَلَا سَبَبَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْعِهِ إِيَّاهُ مَعَ الْإِطْمَاعِ الَّذِي تَقَدَّمَ مِنْهُ لِصَاحِبِهِ عَلَىٰ تَعَاهُدِهِ إِيَّاهُ وَلُزُومِهِ، فَإِنَّهُ لِصَاحِبِهِ غَارٌّ بِمَا كَانَ مِنْ إِخْلَافِهِ إِيَّاهُ فِيمَا كَانَ أَطْمَعَهُ فِيهِ بِقَوْلِهِ الَّذِي قَالَ لَهُ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ صِفَتِهِ الْغُرُورُ لِعِبَادِهِ صَحَّ وَوَجَبَ أَنَّ كُلَّ مَا أَطْمَعَهُمْ فِيهِ مِنْ طَمَعٍ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، أَوْ عَلَىٰ فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ، أَوْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ أَمَرَهُمْ بِهِ، أَوْ نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مُوَفٍّ لَهُمْ بِهِ، وَإِنَّهُ مِنْهُ كَالْعِدَةِ الَّتِي لَا يُخْلَفُ الْوَفَاءُ بِهَا، قَالُوا: (عَسَىٰ) وَ(لَعَلَّ) مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: أَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ يَا مُحَمَّدُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِإِقَامَتِهَا فِيهَا، وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ فَرْضًا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ، لَعَلَّ رَبَّكَ يَبْعَثُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقَامًا تَقُومُ فِيهِ مَحْمُودًا تُحْمَدُهُ، وَتُغْبَطُ فِيهِ..

﴿مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩] مَقَامًا تَقُومُ فِيهِ مَحْمُودًا تُحْمَدُهُ، وَتُغْبَطُ فِيهِ..قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ: ذَلِكَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي هُوَ يَقُومُهُ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلشَّفَاعَةِ لِلنَّاسِ لِيُرِيحَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ عَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَتَدْنُو حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْعَرَقُ**

نِصْفَ الْأُذُنِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ صَاحِبَ ذَلِكَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ ﷺ، فَيَقُولُ كَذَلِكَ، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ فَيَشْفَعُ بَيْنَ الْخَلْقِ فَيَمْشِي حَتَّىٰ يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَامًا مَحْمُودًا».

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ﴾ يَا رَبِّ..

﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ مُدْخَلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، حِينَ هَاجَرَ إِلَيْهَا..

﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ وَمُخْرَجَ الصِّدْقِ: مَخْرَجَهُ مِنْ مَكَّةَ، حِينَ خَرَجَ مِنْهَا مُهَاجِرًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦]، وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ أَهْلَ مَكَّةَ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ عَقِيبَ خَبَرِ اللهِ عَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ أَرَادُوا مِنِ اسْتِفْزَازِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لِيُخْرِجُوهُ عَنْ مَكَّةَ، كَانَ بَيِّنًا، إِذْ كَانَ اللهُ قَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا، أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، أَمْرٌ مِنْهُ لَهُ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ الْبَلْدَةِ الَّتِي هَمَّ الْمُشْرِكُونَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْهَا مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَأَنْ يُدْخِلَهُ الْبَلْدَةَ الَّتِي نَقَلَهُ اللهُ إِلَيْهَا مُدْخَلَ صِدْقٍ..

﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠] وَاجْعَلْ لِي مُلْكًا نَاصِرًا يَنْصُرُنِي عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَنِي، وَعِزًّا أُقِيمُ بِهِ دِينَكَ، وَأَدْفَعُ بِهِ عَنْهُ مَنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ.. وَذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُؤْتِيَهُ سُلْطَانًا نَصِيرًا لَهُ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُ وَكَادَهُ، وَحَاوَلَ مَنْعَهُ مِنْ إِقَامَتِهِ فَرَائِضَ اللهِ فِي نَفْسِهِ وَعِبَادِهِ؛ وَذَلِكَ عَقِيبَ خَبَرِ اللهِ عَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ هَمُّوا بِهِ مِنْ إِخْرَاجِهِ مِنْ مَكَّةَ، فَأَعْلَمَهُ اللهُ ﷻ أَنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ عُوجِلُوا بِالْعَذَابِ عَنْ قَرِيبٍ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِخْرَاجَ صِدْقٍ يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِمْ، وَيُدْخِلُهُ بَلْدَةً غَيْرَهَا، بِمُدْخَلِ صِدْقٍ يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِمْ وَلِأَهْلِهَا فِي دُخُولِهَا إِلَيْهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُ سُلْطَانًا نَصِيرًا عَلَىٰ أَهْلِ الْبَلْدَةِ الَّتِي أَخْرَجَهُ أَهْلُهَا مِنْهَا، وَعَلَىٰ كُلِّ مَنْ كَانَ لَهُمْ شَبِيهًا، وَإِذَا أُوتِيَ ذَلِكَ، فَقَدْ أُوتِيَ لَا شَكَّ حُجَّةً بَيِّنَةً.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿وَقُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَادُوا أَنْ يَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا..

﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ﴾ أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ الْحَقَّ قَدْ جَاءَ، وَهُوَ كُلُّ مَا كَانَ للهِ فِيهِ رِضًا وَطَاعَةٌ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ قَدْ زَهَقَ، وَذَهَبَ كُلُّ مَا كَانَ لَا رِضًا للهِ فِيهِ وَلَا طَاعَةٌ مِمَّا هُوَ لَهُ مَعْصِيَةٌ وَلِلشَّيْطَانِ طَاعَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ: هُوَ كُلُّ مَا خَالَفَ طَاعَةَ إِبْلِيسَ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ: هُوَ كُلُّ مَا وَافَقَ طَاعَتَهُ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ بِالْخَبَرِ عَنْ بَعْضِ طَاعَاتِهِ، وَلَا ذَهَابِ بَعْضِ مَعَاصِيهِ، بَلْ عَمَّ الْخَبَرَ عَنْ مَجِيءِ جَمِيعِ الْحَقِّ، وَذَهَابِ جَمِيعِ الْبَاطِلِ، وَبِذَلِكَ جَاءَ الْقُرْآنُ وَالتَّنْزِيلُ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ الشِّرْكِ بِاللهِ، أَعْنِي عَلَىٰ إِقَامَةِ جَمِيعِ الْحَقِّ، وَإِبْطَالِ جَمِيعِ الْبَاطِلِ..

﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] ذَاهِبًا.. مِنْ قَوْلِهِمْ: زَهَقَتْ نَفْسُهُ: إِذَا خَرَجَتْ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾
[الإسراء: ٨٢].

﴿وَنُنَزِّلُ﴾ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ يُسْتَشْفَىٰ بِهِ مِنَ الْجَهْلِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيُبَصَّرُ بِهِ مِنَ الْعَمَىٰ..

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ دُونَ الْكَافِرِينَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، وَيُحِلُّونَ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، فَيُدْخِلُهُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ، وَيُنَجِّيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ، فَهُوَ لَهُمْ رَحْمَةٌ وَنِعْمَةٌ مِنَ اللهِ، أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ هَذَا الَّذِي نُنَزِّلُ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ بِهِ..

﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] إِلَّا إِهْلَاكًا؛ لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا نَزَلَ فِيهِ أَمْرٌ مِنَ اللهِ بِشَيْءٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ شَيْءٍ كَفَرُوا بِهِ، فَلَمْ يَأْتَمِرُوا لِأَمْرِهِ، وَلَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ خَسَارًا إِلَىٰ مَا كَانُوا فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْخَسَارِ، وَرِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ قَبْلُ.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ فَنَجَّيْنَاهُ مِنْ كَرْبِ مَا هُوَ فِيهِ فِي الْبَحْرِ، وَهَوْلِ مَا قَدْ أَشْرَفَ فِيهِ عَلَيْهِ مِنَ الْهَلَاكِ بِعُصُوفِ الرِّيحِ عَلَيْهِ، إِلَىٰ الْبَرِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِنَا..

﴿أَعْرَضَ﴾ عَنْ ذِكْرِنَا، وَقَدْ كَانَ بِنَا مُسْتَغِيثًا دُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَانَا فِي حَالِ الشِّدَّةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا..

﴿وَنَـَٔا﴾ وَبَعُدَ مِنَّا..

﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ بِنَفْسِهِ، كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ وَالشِّدَّةُ..

﴿كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣] كَانَ قَنُوطًا مِنَ الْفَرَجِ وَالرَّوْحِ.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّكُمْ..

﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ عَلَىٰ نَاحِيَتِهِ وَطَرِيقَتِهِ..

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٤] رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ مِنْكُمْ أَهْدَىٰ طَرِيقًا إِلَىٰ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِهِ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ الْكُفَّارُ بِاللهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ مَا هِيَ؟.. وَذُكِرَ أَنَّ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ عَنْهَا، كَانُوا قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: **(كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ عَسِيبٌ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ، فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَىٰ عَسِيبِهِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَمْ نَقُلْ لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ)**..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي يَعْلَمُهُ اللهُ ﷻ دُونَكُمْ، فَلَا تَعْلَمُونَهُ، وَيَعْلَمُ مَا هُوَ..

﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ أَنْتُمْ وَجَمِيعُ النَّاسِ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ خِطَابًا لِمَنْ خُوطِبَ بِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ..

﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥] لِأَنَّ عِلْمَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَىٰ اللهِ وَإِنْ كَثُرَ فِي عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَمَا أُوتِيتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَعْلَمُ اللهُ.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ٨٦﴾ [الإسراء: ٨٦].

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي آتَيْنَاكَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، لَنَذْهَبَنَّ بِهِ فَلَا تَعْلَمُهُ..

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ٨٦﴾ [الإسراء: ٨٦] ثُمَّ لَا تَجِدُ لِنَفْسِكَ بِمَا نَفْعَلُ بِكَ مِنْ ذَلِكَ وَكِيلًا، يَعْنِي: قَيِّمًا يَقُومُ لَكَ، فَيَمْنَعُنَا مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ بِكَ، وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُكَ، فَيَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نُرِيدُ بِكَ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَتَأَوَّلُ مَعْنَىٰ ذَهَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِهِ: (رَفْعَهُ مِنْ صُدُورِ قَارِئِيهِ).

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ٨٧﴾ [الإسراء: ٨٧].

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، وَلَكِنَّهُ لَا يَشَاءُ ذَلِكَ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَتَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْكَ..

﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ٨٧﴾ [الإسراء: ٨٧] بِاصْطِفَائِهِ إِيَّاكَ لِرِسَالَتِهِ، وَإِنْزَالِهِ عَلَيْكَ كِتَابَهُ، وَسَائِرَ نِعَمِهِ عَلَيْكَ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ.

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ قَالُوا لَكَ: إِنَّا نَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ﴾ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ..

﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ لَا يَأْتُونَ أَبَدًا بِمِثْلِهِ..

﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨] وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَوْنًا وَظَهْرًا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ٨٩﴾ [الإسراء: ٨٩].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ وَلَقَدْ بَيَّنَّا..

﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ احْتِجَاجًا بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَيْهِمْ، وَتَذْكِيرًا لَهُمْ، وَتَنْبِيهًا عَلَىٰ الْحَقِّ لِيَتَّبِعُوهُ وَيَعْمَلُوا بِهِ..

﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾ [الإسراء: ٨٩] فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا جُحُودًا لِلْحَقِّ، وَإِنْكَارًا لِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ -يَا مُحَمَّدُ- الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ لَكَ..

﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ لَنْ نُصَدِّقَكَ..

﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنْ أَرْضِنَا هَذِهِ..

﴿يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠] عَيْنًا تَنْبُعُ لَنَا بِالْمَاءِ.

﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١﴾ [الإسراء: ٩١].

﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ﴾ وَقَالَ لَكَ -يَا مُحَمَّدُ- مُشْرِكُو قَوْمِكَ: لَنْ نُصَدِّقَكَ حَتَّىٰ يَكُونَ لَكَ بُسْتَانٌ، وَهُوَ الْجَنَّةُ..

﴿مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ بِأَرْضِنَا هَذِهِ الَّتِي نَحْنُ بِهَا..

﴿خِلَٰلَهَا﴾ خِلَالَ النَّخِيلِ وَالْكُرُومِ..

﴿تَفۡجِيرًا ٩١﴾ [الإسراء: ٩١] بِسَبَبِ أَبْنِيَتِهَا.

﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾

[الإسراء: ٩٢].

﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا﴾ (كِسْفًا) قِطَعًا، فَحُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: أَعْطِنِي كِسْفَةً مِنْ هَذَا الثَّوْبِ: أَيْ قِطْعَةً مِنْهُ، يُقَالُ مِنْهُ: جَاءَنَا بِثَرِيدٍ كِسْفٍ: أَيْ قِطَعِ خُبْزٍ.. فَسَأَلُوا أَنْ يُسْقِطَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ قِطَعًا..

﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾ [الإسراء: ٩٢] عِيَانًا نُقَابِلُهُمْ مُقَابَلَةً، فَنُعَايِنُهُمْ مُعَايَنَةً.

﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ [الإسراء: ٩٣].

﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَمْرَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: أَوْ يَكُونَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَهُوَ الزُّخْرُفُ..

﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَوْ تَصْعَدُ فِي دَرَجٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا قِيلَ فِي السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا يَرْقَىٰ إِلَيْهَا لَا فِيهَا، لِأَنَّ الْقَوْمَ قَالُوا: أَوْ تَرْقَىٰ فِي سُلَّمٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَأُدْخِلَتْ ﴿فِي﴾ فِي الْكَلَامِ لِيَدُلَّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ..

﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وَلَنْ نُصَدِّقَكَ مِنْ أَجْلِ رُقِيِّكَ إِلَىٰ السَّمَاءِ..

﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ مَنْشُورًا..

﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾ فِيهِ أَمْرُنَا بِاتِّبَاعِكَ وَالْإِيمَانِ بِكَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ الْقَائِلِينَ لَكَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ..

﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تَنْزِيهًا للهِ عَمَّا يَصِفُونَهُ بِهِ، وَتَعْظِيمًا لَهُ مِنْ أَنْ يُؤْتَىٰ بِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، أَوْ يَكُونَ لِي سَبِيلٌ إِلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا تَسْأَلُونِيهِ..

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا﴾ هَلْ أَنَا إِلَّا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَكَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مَا سَأَلْتُمُونِي مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَإِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا خَالِقِي وَخَالِقُكُمْ..

﴿رَّسُولًا ۝٩٣﴾ [الإسراء: ٩٣] وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَالَّذِي سَأَلْتُمُونِي أَنْ أَفْعَلَهُ بِيَدِ اللهِ الَّذِي أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ لَهُ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُهُ.. وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ كُلِّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا ذُكِرَ كَانَ مِنْ مَلَإٍ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا لِمُنَاظَرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُحَاجَّتِهِ، فَكَلَّمُوهُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤﴾

[الإسراء: ٩٤].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ وَمَا مَنَعَ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكِي قَوْمِكَ الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الْبَيَانُ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِحَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ وَصِحَّةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ إِلَّا قَوْلُهُمْ جَهْلًا مِنْهُمْ..

﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۝٩٥﴾

[الإسراء: ٩٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَبَوُا الْإِيمَانَ بِكَ وَتَصْدِيقَكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي،

اسْتِنْكَارًا لِأَنْ يَبْعَثَ اللهُ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ..

﴿لَّوْ كَانَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥] لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَّمَا تَرَاهُمْ أَمْثَالُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ خَصَّهُ اللهُ مِنْ بَنِي آدَمَ بِرُؤْيَتِهَا، فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ رُؤْيَتِهَا، فَكَيْفَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الرُّسُلَ، وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ رُؤْيَتِهِمْ وَهُمْ بِهَيْئَاتِهِمُ الَّتِي خَلَقَهُمُ اللهُ بِهَا، وَإِنَّمَا يُرْسِلُ إِلَىٰ الْبَشَرِ الرَّسُولَ مِنْهُمْ، كَمَا لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ، ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَرْسَلْنَاهُ مِنْهُمْ مَلَكًا مِثْلَهُمْ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لَكَ: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤]..

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ فَإِنَّهُ نِعْمَ الْكَافِي وَالْحَاكِمُ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِأُمُورِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَالْمُحِقُّ مِنْهُمْ وَالْمُبْطِلُ، وَالْمَهْدِيُّ وَالضَّالُّ..

﴿بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٦] بِتَدْبِيرِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ وَتَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ، وَكَيْفَ شَاءَ وَأَحَبَّ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَهُوَ مُجَازٍ جَمِيعَهُمْ بِمَا قَدَّمَ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَلِتَصْدِيقِكَ وَتَصْدِيقِ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، فَوَفَّقَهُ لِذَلِكَ..

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الرَّشِيدُ الْمُصِيبُ الْحَقَّ، لَا مَنْ هَدَاهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّ الْهِدَايَةَ بِيَدِهِ..

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ اللهُ عَنِ الْحَقِّ، فَيَخْذُلُهُ عَنْ إِصَابَتِهِ، وَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِلْإِيمَانِ بِاللهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يَنْصُرُونَهُمْ..

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ إِذَا أَرَادَ اللهُ عُقُوبَتَهُمْ وَالِاسْتِنْقَاذَ مِنْهُمْ..

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وَنَجْمَعُهُمْ بِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، مِنْ بَعْدِ تَفَرُّقِهِمْ فِي الْقُبُورِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا﴾ جَمْعُ أَبْكَمَ، وَيَعْنِي بِالْبَكَمِ: الْخَرَسَ..

﴿وَصُمًّا﴾ جَمْعُ أَصَمَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ وَصَفَ اللهُ هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا، وَقَدْ قَالَ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ، وَقَالَ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان: ١٢]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ، يَسْمَعُونَ وَيَنْطِقُونَ؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْعَمَىٰ وَالْبَكَمِ وَالصَّمَمِ يَكُونُ صِفَتَهُمْ فِي حَالِ حَشْرِهِمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُجْعَلُ لَهُمْ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ وَمَنْطِقٌ فِي أَحْوَالٍ أُخَرَ غَيْرِ حَالِ الْحَشْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ: ﴿عُمْيًا﴾ فَلَا يَرَوْنَ شَيْئًا يَسُرُّهُمْ، ﴿وَبُكْمًا﴾ لَا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ، ﴿وَصُمًّا﴾ لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا يَسُرُّهُمْ..

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مَصِيرُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، وَفِيهَا مَسَاكِنُهُمْ، وَهُمْ وَقُودُهَا..

﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ لَانَتْ وَسَكَنَتْ، وَذَلِكَ إِذَا أَحْرَقَتْهُمْ فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ شَيْئًا..

﴿زِدْنَٰهُمْ﴾ زِدْنَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ..

﴿سَعِيرًا ۝٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧] وَذَلِكَ إِسْعَارُ النَّارِ عَلَيْهِمْ وَالْتِهَابُهَا فِيهِمْ وَتَأَجُّجُهَا بَعْدَ خُبُوِّهَا، فِي أَجْسَامِهِمْ.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨﴾ [الإسراء: ٩٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي وَصَفْنَا مِنْ فِعْلِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مَا ذَكَرْتُ أَنَّا نَفْعَلُ بِهِمْ مِنْ حَشْرِهِمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا، وَإِصْلَائِنَا إِيَّاهُمُ النَّارَ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا مِنْ حَالَتِهِمْ فِيهَا..

﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ﴾ ثَوَابُهُمْ بِكُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِأَدِلَّتِهِ وَحُجَجِهِ، وَهُمْ رُسُلُهُ الَّذِينَ دَعَوْهُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَإِفْرَادِهِمْ إِيَّاهُ بِالْأُلُوهَةِ دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ وَبِقَوْلِهِمْ إِذَا أُمِرُوا بِالْإِيمَانِ بِالْمِيعَادِ، وَبِثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ بَالِيَةً..

﴿وَرُفَٰتًا﴾ قَدْ صِرْنَا تُرَابًا..

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨﴾ [الإسراء: ٩٨] نُبْعَثُ بَعْدَ ذَلِكَ خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا ابْتَدَأْنَاهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي الدُّنْيَا، اسْتِنْكَارًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ، وَاسْتِعْظَامًا وَتَعَجُّبًا مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ.

﴿* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: ٩٩].

﴿* أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أَوْ لَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٨] بِعُيُونِ قُلُوبِهِمْ، فَيَعْلَمُونَ..

﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فَابْتَدَعَهَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَأَقَامَهَا بِقُدْرَتِهِ..

﴿قَادِرٌ﴾ بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ..

﴿عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ مِثْلَهُمْ أَشْكَالَهُمْ وَأَمْثَالَهُمْ مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَقَبْلَ ذَلِكَ وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ إِعَادَتُهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا، بَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا..

﴿وَجَعَلَ﴾ اللهُ..

﴿لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَجَلًا﴾ لِهَلَاكِهِمْ، وَوَقْتًا لِعَذَابِهِمْ..

﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ آتِيهِمْ ذَلِكَ الْأَجَلُ..

﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ فَأَبَىٰ الْكَافِرُونَ..

﴿إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: ٩٩] إِلَّا جُحُودًا بِحَقِيقَةِ وَعِيدِهِ الَّذِي أَوْعَدَهُمْ وَتَكْذِيبًا بِهِ.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَّوْ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ أَمْلَاكِ رَبِّي مِنَ الْأَمْوَالِ، وَعَنَىٰ بِالرَّحْمَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَالَ..

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ إِذَنْ لَبَخِلْتُمْ بِهِ، فَلَمْ تَجُودُوا بِهَا عَلَىٰ غَيْرِكُمْ خَشْيَةً مِنَ الْإِنْفَاقِ وَالْإِقْتَارِ..

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠] وَكَانَ الْإِنْسَانُ بَخِيلًا مُمْسِكًا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠١].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ﴾ تَبِينُ لِمَنْ رَآهَا أَنَّهَا حُجَجٌ لِمُوسَىٰ شَاهِدَةٌ عَلَىٰ صِدْقِهِ وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: التِّسْعُ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ: يَدُهُ، وَعَصَاهُ، وَلِسَانُهُ، وَالْبَحْرُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ آيَاتٌ مُفَصَّلَاتٌ..

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ فَإِنَّ عَامَّةَ قُرَّاءِ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ قِرَاءَتِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَمْرِ بِمَعْنَىٰ: فَاسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ..

﴿فَقَالَ لَهُۥ﴾ لِمُوسَىٰ..

﴿فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠١] إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ تَتَعَاطَىٰ عِلْمَ السِّحْرِ، فَهَٰذِهِ الْعَجَائِبُ الَّتِي تَفْعَلُهَا مِنْ سِحْرِكَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ سَاحِرًا، فَوُضِعَ مَفْعُولٌ مَوْضِعَ فَاعِلٍ، كَمَا قِيلَ: إِنَّكَ مَشْئُومٌ عَلَيْنَا وَمَيْمُونٌ، وَإِنَّمَا هُوَ شَائِمٌ وَيَامِنٌ، وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ حِجَابًا مَسْتُورًا، بِمَعْنًى: حِجَابًا سَاتِرًا، وَالْعَرَبُ قَدْ تُخْرِجُ فَاعِلًا بِلَفْظِ مَفْعُولٍ كَثِيرًا.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ..

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يَا فِرْعَوْنُ..

﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الْآيَاتِ التِّسْعِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَرَيْتُكَهَا حُجَّةً لِي عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ، وَشَاهِدَةً لِي عَلَىٰ صِدْقِ وَصِحَّةِ قَوْلِي أَنِّي للهِ رَسُولٌ، مَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ..

﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا عَلَىٰ أَمْثَالِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ.. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ أَنَّهُمْ جَحَدُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنَ الْآيَاتِ التِّسْعِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ بِقَوْلِهِ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٢-١٣-١٤]، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: هِيَ سِحْرٌ مَعَ عِلْمِهِمْ وَاسْتِيقَانِ أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ مِنْ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِأَنَّهَا آيَاتٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ،

وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ احْتَجَّ فِي ذَلِكَ بِمِثْلِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنَ الْحُجَّةِ..

﴿بَصَآئِرَ﴾ يَعْنِي بِالْبَصَائِرِ: الْآيَاتِ، أَنَّهُنَّ بَصَائِرُ لِمَنْ اسْتَبْصَرَ بِهِنَّ، وَهُدًى لِمَنِ اهْتَدَىٰ بِهِنَّ، يَعْرِفُ بِهِنَّ مَنْ رَآهُنَّ أَنَّ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ فَمُحِقٌّ، وَأَنَّهُنَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَا مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، إِذْ كُنَّ مُعْجِزَاتٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِنَّ وَلَا عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُنَّ سِوَىٰ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ جَمْعُ بَصِيرَةٍ..

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢] إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَلْعُونًا مَمْنُوعًا مِنَ الْخَيْرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَا ثَبَرَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ: أَيْ مَا مَنَعَكَ مِنْهُ، وَمَا صَدَّكَ عَنْهُ؟ وَثَبَرَهُ اللهُ فَهُوَ يَثْبُرُهُ وَيَثْبِرُهُ لُغَتَانِ، وَرَجُلٌ مَثْبُورٌ: مَحْبُوسٌ عَنِ الْخَيْرَاتِ هَالِكٌ.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝١٠٣﴾ [الإسراء: ١٠٣].

﴿فَأَرَادَ﴾ فِرْعَوْنُ..

﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَنْ يَسْتَفِزَّ مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ فِي الْبَحْرِ..

﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ مِنْ جُنْدِهِ..

﴿جَمِيعًا ۝١٠٣﴾ [الإسراء: ١٠٣] وَنَجَّيْنَا مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝١٠٤﴾ [الإسراء: ١٠٤].

﴿وَقُلْنَا﴾ لَهُمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ..

﴿لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أَرْضَ الشَّامِ..

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فَإِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ، وَهِيَ وَعْدُ الْآخِرَةِ..

﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ حَشَرْنَاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿لَفِيفًا ۝١٠٤﴾ [الإسراء: ١٠٤] مُخْتَلِطِينَ، قَدِ الْتَفَّ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، لَا تَتَعَارَفُونَ، وَلَا يَنْحَازُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ قَبِيلَتِهِ وَحَيِّهِ.. مِنْ قَوْلِكَ: لَفَفْتُ الْجُيُوشَ: إِذَا ضَرَبْتُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، فَاخْتَلَطَ الْجَمِيعُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ خُلِطَ بِشَيْءٍ فَقَدْ لُفَّ بِهِ.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝١٠٥﴾ [الإسراء: ١٠٥].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ، يَقُولُ: أَنْزَلْنَاهُ نَأْمُرُ فِيهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ

وَالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَالْأُمُورِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الْحَمِيدَةِ، وَنَنْهَىٰ فِيهِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْأُمُورِ الْقَبِيحَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّدِيَّةِ، وَالْأَفْعَالِ الذَّمِيمَةِ..

﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ وَبِذَلِكَ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِنَا..

﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بِالْجَنَّةِ مَنْ أَطَاعَنَا، فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا..

﴿وَنَذِيرًا ۝١٠٥﴾ [الإسراء: ١٠٥] وَمُنْذِرًا لِمَنْ عَصَانَا وَخَالَفَ أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ أَحْكَمْنَاهُ وَفَصَّلْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.. وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهُ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾ بِمَعْنَىٰ: نَزَّلْنَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، وَقِصَّةً بَعْدَ قِصَّةٍ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا، الْقِرَاءَةُ الْأُولَىٰ؛ لِأَنَّهَا الْقِرَاءَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْحُجَّةُ مُجْمِعَةٌ، وَلَا يَجُوزُ خِلَافُهَا فِيمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مُجْمِعَةٌ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَفَصَّلْنَاهُ قُرْآنًا، وَبَيَّنَّاهُ وَأَحْكَمْنَاهُ، لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ.

﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ تُؤَدَةٍ، فَتُرَتِّلَهُ وَتُبَيِّنَهُ، وَلَا تَعْجَلْ فِي تِلَاوَتِهِ، فَلَا يُفْهَمْ عَنْكَ..

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦] فَرَّقْنَا تَنْزِيلَهُ، وَأَنْزَلْنَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧﴾ [الإسراء: ١٠٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ لَكَ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠]..

﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾ آمِنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي لَوِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، لَمْ يَأْتُوا بِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا..

﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا بِهِ، فَإِنَّ إِيمَانَكُمْ بِهِ لَنْ يَزِيدَ فِي خَزَائِنِ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَا تَرْكُكُمُ الْإِيمَانَ بِهِ يَنْقُصُ ذَلِكَ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ وَإِنْ تَكْفُرُوا بِهِ، فَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ مِنْ قَبْلِ نُزُولِهِ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ..

﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿يَخِرُّونَ﴾ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَكْرِيمًا، وَعِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ لِأَذْقَانِهِمْ.. وَالْأَذْقَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: جَمْعُ ذَقَنٍ وَهُوَ مَجْمَعُ اللَّحْيَيْنِ..

﴿سُجَّدًا ۝١٠٧﴾ [الإسراء: ١٠٧] بِالْأَرْضِ.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨﴾ [الإسراء: ١٠٨].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ، إِذْ خَرُّوا لِلْأَذْقَانِ سُجُودًا عِنْدَ سَمَاعِهِمُ الْقُرْآنَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ..

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تَنْزِيهًا لِرَبِّنَا وَتَبْرِئَةً لَهُ مِمَّا يُضِيفُ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ..

﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ مَا كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ..

﴿لَمَفْعُولًا ۝١٠٨﴾ [الإسراء: ١٠٨] إِلَّا مَفْعُولًا حَقًّا يَقِينًا، إِيمَانٌ بِالْقُرْآنِ وَتَصْدِيقٌ بِهِ.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٩].

﴿وَيَخِرُّونَ﴾ وَيَخِرُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الْفُرْقَانِ، إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ..

﴿لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ لِأَذْقَانِهِمْ يَبْكُونَ..

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ..

﴿خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٩] خُضُوعًا لِأَمْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَاسْتِكَانَةً لَهُ.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الْمُنْكِرِينَ دُعَاءَ الرَّحْمَنِ..

﴿ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ بِأَيِّ أَسْمَائِهِ جَلَّ جَلَالُهُ تَدْعُونَ رَبَّكُمْ، فَإِنَّمَا تَدْعُونَ وَاحِدًا..

﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لَهُ ﷺ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا ذُكِرَ سَمِعُوا النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ: يَا رَبَّنَا اللهُ، وَيَا رَبَّنَا الرَّحْمَنُ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَهَيْنِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذِهِ الْآيَةَ احْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِم.

﴿وَلَا تَجْهَرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِصَلَاتِكَ﴾ بِقِرَاءَتِكَ فِي صَلَاتِكَ وَدُعَائِكَ فِيهَا رَبَّكَ وَمَسْأَلَتِكَ إِيَّاهُ، وَذِكْرِكَ فِيهَا، فَيُؤْذِيكَ بِجَهْرِكَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ..

﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فَلَا يَسْمَعُهَا أَصْحَابُكَ..

﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠] وَلَكِنِ الْتَمِسْ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمُخَافَتَةِ طَرِيقًا إِلَىٰ أَنْ تُسْمِعَ أَصْحَابَكَ، وَلَا يَسْمَعُهُ الْمُشْرِكُونَ فَيُؤْذُوكَ.. وَلَوْلَا أَنَّ أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مَضَتْ بِمَا ذَكَرْتُ عَنْهُمْ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَأَنَّا لَا نَسْتَجِيزُ خِلَافَهُمْ فِيمَا جَاءَ عَنْهُمْ، لَكَانَ وَجْهًا يَحْتَمِلُهُ التَّأْوِيلُ أَنْ يُقَالَ: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ الَّتِي أَمَرْنَاكَ بِالْمُخَافَتَةِ بِهَا، وَهِيَ صَلَاةُ النَّهَارِ لِأَنَّهَا عَجْمَاءُ، لَا يُجْهَرُ بِهَا، وَلَا تُخَافِتْ بِصَلَاتِكَ الَّتِي أَمَرْنَاكَ بِالْجَهْرِ بِهَا، وَهِيَ صَلَاةُ اللَّيْلِ، فَإِنَّهَا يُجْهَرُ بِهَا ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ بِأَنْ تَجْهَرَ بِالَّتِي أَمَرْنَاكَ بِالْجَهْرِ بِهَا، وَتُخَافِتْ بِالَّتِي أَمَرْنَاكَ بِالْمُخَافَتَةِ بِهَا، لَا تَجْهَرْ بِجَمِيعِهَا، وَلَا تُخَافِتْ بِكُلِّهَا، فَكَانَ ذَلِكَ وَجْهًا غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الصِّحَّةِ، وَلَكِنَّا لَا نَرَىٰ ذَلِكَ صَحِيحًا لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ خِلَافِهِ.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿وَقُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فَيَكُونُ مَرْبُوبًا لَا رَبًّا، لِأَنَّ رَبَّ الْأَرْبَابِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ..

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ فَيَكُونُ عَاجِزًا ذَا حَاجَةٍ إِلَىٰ مَعُونَةِ غَيْرِهِ ضَعِيفًا، وَلَا يَكُونُ إِلَهًا مَنْ يَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَىٰ مُعِينٍ عَلَىٰ مَا حَاوَلَ، وَلَمْ يَكُنْ مُنْفَرِدًا بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ..

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيفٌ حَالَفَهُ مِنَ الذُّلِّ الَّذِي بِهِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ ذَا حَاجَةٍ إِلَىٰ نُصْرَةِ غَيْرِهِ، فَذَلِيلٌ مَهِينٌ، وَلَا يَكُونُ مَنْ كَانَ ذَلِيلًا مَهِينًا يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَاصِرٍ إِلَهًا يُطَاعُ..

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١] وَعَظِّمْ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ بِمَا أَمَرْنَاكَ أَنْ تُعَظِّمَهُ بِهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَأَطِعْهُ فِيمَا أَمَرَكَ وَنَهَاكَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

آخِرُ تَفْسِيْرِ سُورِة إِسْرَاءِ

سُورَةُ الْكَهْفِ (١٨)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا عَشْرٌ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَهْفِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ①﴾ [الكهف: ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَصَّ بِرِسَالَتِهِ مُحَمَّدًا وَانْتَخَبَهُ لِبَلَاغِهَا عَنْهُ، فَابْتَعَثَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ قَيِّمًا.. وَقِيلَ: إِنَّمَا افْتَتَحَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَذِهِ السُّورَةَ بِذِكْرِ نَفْسِهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَبِالْخَبَرِ عَنْ إِنْزَالِ كِتَابِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ، إِخْبَارًا مِنْهُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ عَلَّمَهُمُوهَا الْيَهُودُ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَأَمَرُوهُمْ بِمَسْأَلَتِهِمُوهُ عَنْهَا، وَقَالُوا: إِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهَا فَهُوَ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يُخْبِرْكُمْ بِهَا فَهُوَ مُتَقَوِّلٌ، فَوَعَدَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْجَوَابِ عَنْهَا مَوْعِدًا، فَأَبْطَأَ الْوَحْيُ عَنْهُ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ، وَتَأَخَّرَ مَجِيءُ جِبْرَائِيلَ عليه السلام عَنْهُ عَنْ مِيعَادِهِ الْقَوْمَ، فَتَحَدَّثَ الْمُشْرِكُونَ بِأَنَّهُ أَخْلَفَهُمْ مَوْعِدَهُ، وَأَنَّهُ مُتَقَوِّلٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ السُّورَةَ جَوَابًا عَنْ مَسَائِلِهِمْ، وَافْتَتَحَ أَوَّلَهَا بِذِكْرِهِ، وَتَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي أُحْدُوثَتِهِمُ الَّتِي تَحَدَّثُوهَا بَيْنَهُمْ..

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ①﴾ [الكهف: ١] وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ مُلْتَبَسًا.

﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ②﴾ [الكهف: ٢].

﴿قَيِّمًا﴾ مُسْتَقِيمًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَفَاوُتَ، بَلْ بَعْضُهُ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُ يَشْهَدُ لِبَعْضٍ، لَا عِوَجَ فِيهِ، وَلَا مَيْلَ عَنِ الْحَقِّ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِهِ: أَنَّهُ قَيِّمٌ عَلَىٰ سَائِرِ الْكُتُبِ يُصَدِّقُهَا وَيَحْفَظُهَا.. وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْنَاه؛ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ①﴾ [الكهف: ١]..

﴿لِيُنْذِرَ﴾ أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْقُرْآنَ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا لَا عِوَجَ فِيهِ لِيُنْذِرَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ مَفْعُولُ قَوْلِهِ ﴿لِيُنْذِرَ﴾؟ قيل: إِنَّ مَفْعُولَهُ مَحْذُوفٌ، اكْتُفِيَ بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ، وَهُوَ مُضْمَرٌ مُتَّصِلٌ بِيُنْذِرَ قَبْلَ الْبَأْسِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِيُنْذِرَكُمْ بَأْسًا، كَمَا قِيلَ:

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، إِنَّمَا هُوَ: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ..

﴿بَأْسًا﴾ عَذَابًا عَاجِلًا، وَنَكَالًا حَاضِرًا، وَسَطْوَةً..

﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ الَّذِي بَعَثَكَ رَسُولًا..

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَيُبَشِّرَ الْمُصَدِّقِينَ اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَهُوَ الْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، وَالِانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ..

﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ٢] ثَوَابًا جَزِيلًا لَهُمْ مِنَ اللهِ عَلَى إِيمَانِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمَلِهِمْ فِي الدُّنْيَا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ الثَّوَابُ: هُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي وَعَدَهَا الْمُتَّقُونَ.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف: ٣].

﴿مَّٰكِثِينَ﴾ خَالِدِينَ.. وَنَصَبَ مَاكِثِينَ عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ٢] فِي هَذِهِ الْحَالِ، فِي حَالِ مُكْثِهِمْ فِي ذَلِكَ الْأَجْرِ..

﴿فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف: ٣] لَا يَنْتَقِلُونَ عَنْهُ، وَلَا يُنْقَلُونَ.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ [الكهف: ٤].

﴿وَيُنذِرَ﴾ وَيُحَذِّرُ أَيْضًا مُحَمَّدٌ بَأْسَ اللهِ وَعَاجِلَ نِقْمَتِهِ، وَآجِلَ عَذَابِهِ، الْقَوْمَ..

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ [الكهف: ٤] مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ، عَلَى قِيلِهِمْ ذَلِكَ.. وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَقُولُ: إِنَّمَا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهُنَّ بَنَاتُ اللهِ.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥].

﴿مَا لَهُم﴾ مَا لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾..

﴿بِهِۦ﴾ بِاللهِ..

﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، فَلِجَهْلِهِمْ بِاللهِ وَعَظَمَتِهِ قَالُوا ذَلِكَ..

﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ﴾ وَلَا لِأَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ عَلَى مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، كَانَ لَهُمْ بِاللهِ وَبِعَظَمَتِهِ عِلْمٌ..

﴿كَبُرَتْ﴾ عَظُمَتِ الْكَلِمَةُ..

﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④﴾، وَالْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ..

﴿إِن يَقُولُونَ﴾ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④﴾ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿إِلَّا كَذِبًا ⑤﴾ [الكهف: ٥] وَفِرْيَةً افْتَرَوْهَا عَلَىٰ اللهِ.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ⑥﴾ [الكهف: ٦].

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَاخِعٌ﴾ قَاتِلٌ..

﴿نَّفْسَكَ﴾ وَمُهْلِكُهَا..

﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ عَلَىٰ آثَارِ قَوْمِكَ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ⑨⓪﴾ [الإسراء: ٩٠]، تَمَرُّدًا مِنْهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ إِنْ هُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا..

﴿بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَيْكَ، فَيُصَدِّقُوا بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أَسَفًا ⑥﴾ [الكهف: ٦] حُزْنًا وَتَلَهُّفًا وَوَجْدًا، بِإِدْبَارِهِمْ عَنْكَ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَمَّا أَتَيْتَهُمْ بِهِ وَتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِكَ.. وَهَذِهِ مُعَاتَبَةٌ مِنَ اللهِ رَسُولَهُ عَلَىٰ وَجْدِهِ بِمُبَاعَدَةِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَكَانَ بِهِمْ رَحِيمًا.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦﴾ [الكهف: ٧].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ زِينَةً لِلْأَرْضِ..

﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لِنَخْتَبِرَ عِبَادَنَا..

﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦﴾ [الكهف: ٧] أَيُّهُمْ أَتْرَكُ لَهَا، وَأَتْبَعُ لِأَمْرِنَا وَنَهْيِنَا، وَأَعْمَلُ فِيهَا بِطَاعَتِنَا.. قال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**».

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ⑧﴾ [الكهف: ٨].

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ⑧﴾ [الكهف: ٨] وَإِنَّمَا لَمُخَرِّبُوهَا بَعْدَ عِمَارَتِنَاهَا بِمَا جَعَلْنَا

عَلَيْهَا مِنَ الزِّينَةِ، فَمُصَيِّرُوهَا صَعِيدًا جُرُزًا لَا نَبَاتَ عَلَيْهَا وَلَا زَرْعَ وَلَا غَرْسَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ أُرِيدَ بِالصَّعِيدِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمُسْتَوِي بِوَجْهِ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ هُوَ شَبِيهٌ بِمَعْنَىٰ قَوْلِنَا فِي ذَلِكَ.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٩].

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ كَهْفُ الْجَبَلِ الَّذِي أَوَىٰ إِلَيْهِ الْقَوْمُ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ شَأْنَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿وَالرَّقِيمِ﴾ لَوْحٌ، أَوْ حَجَرٌ، أَوْ شَيْءٌ كُتِبَ فِيهِ كِتَابٌ.. وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ: (**إِنَّ ذَلِكَ لَوْحٌ كُتِبَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَخَبَرُهِمْ حِينَ أَوَوْا إِلَىٰ الْكَهْفِ**)..

﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٩] فَإِنَّ مَا خَلَقْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَحُجَّتِي بِكُلِّ ذَلِكَ ثَابِتَةٌ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ عِبَادِي.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الكهف: ١٠].

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ أَصْحَابُ الْكَهْفِ..

﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ إِلَىٰ كَهْفِ الْجَبَلِ، هَرَبًا بِدِينِهِمْ إِلَىٰ اللهِ..

﴿فَقَالُوا﴾ إِذْ آوَوْهُ..

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ رَغْبَةً مِنْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، فِي أَنْ يَرْزُقَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ رَحْمَةً..

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ وَقَالُوا: يَسِّرْ لَنَا مِمَّا نَبْتَغِي وَنَلْتَمِسُ مِنْ رِضَاكَ، وَالْهَرَبِ مِنَ الْكُفْرِ بِكَ، وَمِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّتِي يَدْعُونَا إِلَيْهَا قَوْمُنَا سَدَادًا إِلَىٰ الْعَمَلِ بِالَّذِي تُحِبُّ.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ [الكهف: ١١].

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ بِالنَّوْمِ..

﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ [الكهف: ١١] سِنِينَ مَعْدُودَةً.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف: ١٢].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ أَوَوْا إِلَىٰ الْكَهْفِ بَعْدَ مَا ضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِيهِ سِنِينَ عَدَدًا مِنْ رَقْدَتِهِمْ..

﴿لِنَعْلَمَ﴾ لِيَنْظُرَ عِبَادِي فَيَعْلَمُوا بِالْبَحْثِ..

﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ أَيَّ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اخْتَلَفَتَا فِي قَدْرِ مَبْلَغِ مُكْثِ الْفِتْيَةِ فِي كَهْفِهِمْ رُقُودًا..

﴿أَحْصَىٰ﴾ أَصْوَبُ..

﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف: ١٢] لِقَدْرِ لُبْثِهِمْ فِيهِ أَمَدًا، وَيَعْنِي بِالْأَمَدِ: الْغَايَةَ.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣].

﴿نَّحْنُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ نَقُصُّ عَلَيْكَ خَبَرَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ أَوَوْا إِلَىٰ الْكَهْفِ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ أَوَوْا إِلَىٰ الْكَهْفِ، الَّذِينَ سَأَلَكَ عَنْ نَبَئِهِمُ الْمَلَأُ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ﴾ إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣] إِيمَانًا، وَبَصِيرَةً بِدِينِهِمْ، حَتَّىٰ صَبَرُوا عَلَىٰ هِجْرَانِ دَارِ قَوْمِهِمْ، وَالْهَرَبِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ بِدِينِهِمْ إِلَىٰ اللهِ، وَفِرَاقِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَلِينِهِ، إِلَىٰ خُشُونَةِ الْمُكْثِ فِي كَهْفِ الْجَبَلِ.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ١٤].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَأَلْهَمْنَاهُمُ الصَّبْرَ، وَشَدَدْنَا قُلُوبَهُمْ بِنُورِ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ عَزَفَتْ أَنْفُسُهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ..

﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟﴾ حِينَ قَامُوا بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ دقينوس، فَقَالُوا لَهُ إِذْ عَاتَبَهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهِمْ عِبَادَةَ آلِهَتِهِ..

﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ رَبُّنَا مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ، وَآلِهَتُكَ مَرْبُوبَةٌ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لَنَا أَنْ نَتْرُكَ عِبَادَةَ الرَّبِّ وَنَعْبُدَ الْمَرْبُوبَ..

﴿لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ﴾ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَهًا؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَإِنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ فَهُوَ خَلْقُهُ..

﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا﴾ لَئِنْ دَعَوْنَا إِلَهًا غَيْرَ إِلَهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَنْ بِدُعَائِنَا غَيْرَهُ إِلَهًا..

﴿شَطَطًا ١٤﴾ [الكهف: ١٤] مِنَ الْقَوْلِ: يَعْنِي غَالِيًا مِنَ الْكَذِبِ، مُجَاوِزًا مِقْدَارُهُ فِي الْبُطُولِ وَالْغُلُوِّ.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾ [الكهف: ١٥].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ﴾ يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ: هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونَ اللهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ..

﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾ هَلَّا يَأْتُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اجْتُزِئَ بِمَا ظَهَرَ عَمَّا حُذِفَ، فَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي عَلَيْهِمْ مِنْ ذِكْرِ الْآلِهَةِ، وَالْآلِهَةُ لَا يُؤْتَىٰ عَلَيْهَا بِسُلْطَانٍ، وَلَا يُسْأَلُ السُّلْطَانُ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُسْأَلُ عَابِدُوهَا السُّلْطَانَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمُوهَا، فَمَعْلُومٌ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، أَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمُوهَا، وَاتِّخَاذِهِمُوهَا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ..

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ وَمَنْ أَشَدُّ اعْتِدَاءً وَإِشْرَاكًا بِاللهِ..

﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾ [الكهف: ١٥] مِمَّنِ اخْتَلَقَ، فَتَخَرَّصَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، وَأَشْرَكَ مَعَ اللهِ فِي سُلْطَانِهِ شَرِيكًا يَعْبُدُهُ دُونَهُ، وَيَتَّخِذُهُ إِلَهًا.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ [الكهف: ١٦].

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ وَإِذَا اعْتَزَلْتُمْ أَيُّهَا الْفِتْيَةُ قَوْمَكُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً..

﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وَإِذَا اعْتَزَلْتُمْ قَوْمَكُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِهَةِ سِوَىٰ اللهِ..

﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ فَصِيرُوا إِلَىٰ غَارِ الْجَبَلِ الَّذِي يُسَمَّىٰ بنجلوس.. فَقَوْلُهُ: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى

﴿ٱلۡكَهۡفِ﴾ جوَابُ لِإِذْ، كَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَإِذِ اعْتَزَلْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ قَوْمَكُمْ، فَأْوُوا إِلَىٰ الْكَهْفِ، كَمَا يُقَالُ: إِذْ أَذْنَبْتَ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ..

﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ يَبْسُطُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِتَيْسِيرِهِ لَكُمُ الْمَخْرَجَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ رُمِيتُمْ بِهِ مِنَ الْكَافِرِ دقينوس، وَطَلَبِهِ إِيَّاكُمْ لِعَرْضِكُمْ عَلَىٰ الْفِتْنَةِ..

﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم﴾ وَيُيَسِّرْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ خَوْفًا مِنْكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَدِينِكُمْ..

﴿مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ [الكهف: ١٦] مَا تَرْتَفِقُونَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف: ١٧].

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ تَعْدِلُ وَتَمِيلُ، مِنَ الزَّوَرِ: وَهُوَ الْعِوَجُ وَالْمَيْلُ، يُقَالُ مِنْهُ: فِي هَذِهِ الْأَرْضِ زَوَرٌ: إِذَا كَانَ فِيهَا اعْوِجَاجٌ، وَفِي فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ ازْوِرَارٌ، إِذَا كَانَ فِيهِ عَنْهُ إِعْرَاضٌ..

﴿عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾ فَتَطْلُعُ عَلَيْهِ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ، لِئَلَّا تُصِيبَ الْفِتْيَةَ؛ لِأَنَّهَا لَوْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ قُبَالَهُمْ لَأَحْرَقَتْهُمْ وَثِيَابَهُمْ، أَوْ أَشْحَبَتْهُمْ..

﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾ الشَّمْسُ..

﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ تَتْرُكُهُمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: قَرَضْتُ مَوْضِعَ كَذَا: إِذَا قَطَعْتُهُ فَجَاوَزْتُهُ..

﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ فَلَا تُصِيبُهُمْ..

﴿وَهُمۡ﴾ وَالْفِتْيَةُ الَّذِينَ أَوَوْا إِلَيْهِ..

﴿فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ فِي مُتَّسَعٍ مِنْهُ، يُجْمَعُ: فَجَوَاتٌ، وَفِجَاءٌ مَمْدُودًا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ فَعَلْنَا هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكُمْ أَمْرَهُمْ مِنْ تَصْيِيرِنَاهُمْ، إِذْ أَرَدْنَا أَنْ نَضْرِبَ عَلَىٰ آذَانِهِمْ، بِحَيْثُ تَزَاوَرُ الشَّمْسُ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ إِذَا هِيَ طَلَعَتْ، وَتَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ إِذَا هِيَ غَرَبَتْ، مَعَ كَوْنِهِمْ فِي الْمُتَّسَعِ مِنَ الْمَكَانِ، بِحَيْثُ لَا تَحْرِقُهُمُ الشَّمْسُ فَتُشْحِبُهُمْ، وَلَا تَبْلَىٰ عَلَىٰ طُولِ رَقْدَتِهِمْ ثِيَابُهُمْ، فَتَعْفَنُ عَلَىٰ أَجْسَادِهِمْ..

﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ حُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَالْأَدِلَّةُ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا أُولُو الْأَلْبَابِ

عَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ..

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ مَنْ يُوَفِّقْهُ اللهُ لِلاهْتِدَاءِ بِآيَاتِهِ وَحُجَجِهِ إِلَىٰ الْحَقِّ الَّتِي جَعَلَهَا أَدِلَّةً عَلَيْهِ..

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ فَهُوَ الَّذِي قَدْ أَصَابَ سَبِيلَ الْحَقِّ..

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْ آيَاتِهِ وَأَدِلَّتِهِ، فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِلاسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾ [الكهف: ١٧] فَلَنْ تَجِدَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ خَلِيلًا وَحَلِيفًا يُرْشِدُهُ لِإِصَابَتِهَا؛ لِأَنَّ التَّوْفِيقَ وَالْخِذْلَانَ بِيَدِ اللهِ، يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَخْذُلُ مَنْ أَرَادَ، يَقُولُ: فَلَا يَحْزُنْكَ إِدْبَارُ مَنْ أَدْبَرَ عَنْكَ مِنْ قَوْمِكَ وَتَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ، فَإِنِّي لَوْ شِئْتُ هَدَيْتُهُمْ فَآمَنُوا، فَبِيَدِي الْهِدَايَةُ وَالضَّلَالُ.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۝١٨﴾ [الكهف: ١٨].

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ وَتَحْسَبُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ قِصَّتَهُمْ، لَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي حَالِ ضَرْبِنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي كَهْفِهِمُ الَّذِي أَوَوْا إِلَيْهِ..

﴿أَيْقَاظًا﴾ جَمْعُ يَقِظٍ..

﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ وَهُمْ نِيَامٌ.. وَالرُّقُودُ: جَمْعُ رَاقِدٍ، كَالْجُلُوسِ: جَمْعُ جَالِسٍ، وَالْقُعُودُ: جَمْعُ قَاعِدٍ..

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ وَنُقَلِّبُ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ فِي رَقْدَتِهِمْ..

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ مَرَّةً لِلْجَنْبِ الْأَيْمَنِ، وَمَرَّةً لِلْجَنْبِ الْأَيْسَرِ..

﴿وَكَلْبُهُم﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ كَلْبٌ مِنْ كِلَابِهِمْ كَانَ مَعَهُمْ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ إِنْسَانًا مِنَ النَّاسِ طَبَّاخًا لَهُمْ تَبِعَهُمْ..

﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ الْوَصِيدُ: الْبَابُ، أَوْ فِنَاءُ الْبَابِ حَيْثُ يُغْلَقُ الْبَابُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَابَ يُوصَدُ، وَإِيصَادُهُ إِطْبَاقُهُ وَإِغْلَاقُهُ، مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨]..

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ فِي رَقْدَتِهِمُ الَّتِي رَقَدُوهَا فِي كَهْفِهِمْ، لَأَدْبَرْتَ عَنْهُمْ هَارِبًا مِنْهُمْ فَارًّا..

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ﴾ وَلَمُلِئَتْ نَفْسُكَ مِنَ اطِّلَاعِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٨] فَزَعًا، لَمَّا كَانَ اللهُ أَلْبَسَهُمْ مِنَ الْهَيْبَةِ، كَيْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ وَاصِلٌ، وَلَا تَلْمِسَهُمْ يَدُ لَامِسٍ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجَلَهُ، وَتُوقِظَهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ قُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ عِبْرَةً لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَآيَةً لِمَنْ أَرَادَ الِاحْتِجَاجَ بِهِمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف: ١٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَرْقَدْنَا هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ فِي الْكَهْفِ، فَحَفِظْنَاهُمْ مِنْ وُصُولِ وَاصِلٍ إِلَيْهِمْ، وَعَيْنِ نَاظِرٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، وَحَفِظْنَا أَجْسَامَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَىٰ طُولِ الزَّمَانِ، وَثِيَابَهُمْ مِنَ الْعَفَنِ عَلَىٰ مَرِّ الْأَيَّامِ بِقُدْرَتِنَا، فَكَذَلِكَ..

﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ مِنْ رَقْدَتِهِمْ، وَأَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ، لِنُعَرِّفَهُمْ عَظِيمَ سُلْطَانِنَا، وَعَجِيبَ فِعْلِنَا فِي خَلْقِنَا، وَلِيَزْدَادُوا بَصِيرَةً فِي أَمْرِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَرَاءَتِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ، وَإِخْلَاصِهِمْ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِذَا تَبَيَّنُوا طُولَ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ بِهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا..

﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ﴾ بَعَثْهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، كَذَلِكَ أَخْبَرَ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنَّ اللهَ أَعْثَرَ عَلَيْهِمُ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَعْثَرَهُمْ عَلَيْهِمْ، لِيَتَحَقَّقَ عِنْدَهُمْ بِبَعْثِ اللهِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ مِنْ رَقْدَتِهِمْ -بَعْدَ طُولِ مُدَّتِهَا بِهَيْئَتِهِمْ يَوْمَ رَقَدُوا، وَلَمْ يَشِيبُوا عَلَىٰ مَرِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَهْرَمُوا عَلَىٰ كَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ فِيهِمْ- قُدْرَتُهُ عَلَىٰ بَعْثِ مَنْ أَمَاتَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ قَبْرِهِ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ أَخْبَرَنَا، فَقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ [الكهف: ٢١]..

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ فَتَسَاءَلُوا فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لِأَصْحَابِهِ..

﴿كَمْ لَبِثْتُمْۖ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمُ اسْتَنْكَرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ طُولَ رَقْدَتِهِمْ..

﴿قَالُواْ﴾ فَأَجَابَهُ الْآخَرُونَ فَقَالُوا..

﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ﴾ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ..

﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فَسَلَّمُوا الْعِلْمَ إِلَىٰ اللهِ..

﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يَعْنِي مَدِينَتَهُمُ الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا هِرَابًا، الَّتِي

تُسَمَّىٰ أفسوس..

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾ فَأُضِيفَ إِلَىٰ كِنَايَةِ الْمَدِينَةِ، وَالْمُرَادُ بِهَا أَهْلُهَا؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَ الْكَلَامِ: فَلْيَنْظُرْ أَيَّ أَهْلِهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِ بِالْمُرَادِ مِنَ الْكَلَامِ..

﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أَحَلَّ وَأَطْهَرُ طَعَامًا، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا فَارَقُوا قَوْمَهُمْ وَهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، فَلَمْ يَسْتَجِيزُوا أَكْلَ ذَبِيحَتِهِمْ..

﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ فَلْيَأْتِكُمْ بِقُوتٍ مِنْهُ تَقْتَاتُونَهُ، وَطَعَامٌ تَأْكُلُونَهُ..

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وَلِيَتَرَفَّقْ فِي شِرَائِهِ مَا يَشْتَرِي، وَفِي طَرِيقِهِ وَدُخُولِهِ الْمَدِينَةَ..

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩﴾ [الكهف: ١٩] وَلَا يُعْلِمَنَّ بِكُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۝٢٠﴾ [الكهف: ٢٠].

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يَعْنُونَ بِذَلِكَ: دقينوس وَأَصْحَابَهُ، قَالُوا: إِنَّ دقينوس وَأَصْحَابَهُ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ، فَيَعْلَمُوا مَكَانَكُمْ..

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ شَتْمًا بِالْقَوْلِ..

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أَوْ يَرُدُّوكُمْ فِي دِينِهِمْ، فَتَصِيرُوا كُفَّارًا بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَلَن تُفْلِحُوا﴾ وَلَنْ تُدْرِكُوا الْفَلَاحَ، وَهُوَ الْبَقَاءُ الدَّائِمُ وَالْخُلُودُ فِي الْجِنَانِ..

﴿إِذًا﴾ إِنْ أَنْتُمْ عُدْتُمْ فِي مِلَّتِهِمْ..

﴿أَبَدًا ۝٢٠﴾ [الكهف: ٢٠] أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾ [الكهف: ٢١].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا بَعَثْنَاهُمْ بَعْدَ طُولِ رَقْدَتِهِمْ كَهَيْئَتِهِمْ سَاعَةَ رَقَدُوا، لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، فَيَزْدَادُوا بِعَظِيمِ سُلْطَانِ اللهِ بَصِيرَةً، وَبِحُسْنِ دِفَاعِ اللهِ عَنْ أَوْلِيَائِهِ مَعْرِفَةً، كَذَلِكَ..

﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كَذَلِكَ أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمُ الْفَرِيقَ الْآخَرَ الَّذِينَ كَانُوا فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَفِي مِرْيَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ أَجْسَامِ خَلْقِهِ، كَهَيْئَتِهِمْ يَوْمَ قَبَضَهُمْ بَعْدَ الْبِلَىٰ..

﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: (أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمَ مَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا)..

﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ الَّذِينَ أُعْثِرُوا عَلَىٰ الْفِتْيَةِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ، وَإِحْيَاءِ اللهِ الْمَوْتَىٰ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، حِينَ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فِيمَا اللهُ فَاعِلٌ بِمَنْ أَفْنَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَبْلَاهُ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، أَمُنْشِئُهُمْ هُوَ أَمْ غَيْرُ مُنْشِئِهِمْ؟..

﴿فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ فَقَالَ الَّذِينَ أَعْثَرْنَاهُمْ عَلَىٰ أَصْحَابِ الْكَهْفِ: ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا..

﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ رَبُّ الْفِتْيَةِ أَعْلَمُ بِالْفِتْيَةِ وَشَأْنِهِمْ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ قَالَ الْقَوْمُ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ..

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [الكهف: ٢١] وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي قَائِلِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ، أَهُمُ الرَّهْطُ الْمُسْلِمُونَ، أَمْ هُمُ الْكُفَّارُ؟.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾ [الكهف: ٢٢].

﴿سَيَقُولُونَ﴾ سَيَقُولُ بَعْضُ الْخَائِضِينَ فِي أَمْرِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ..

﴿ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ هُمْ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ..

﴿وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُمْ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ..

﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ قَذْفًا بِالظَّنِّ غَيْرَ يَقِينِ عِلْمٍ..

﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُمْ ﴿سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَائِلِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي عَدَدِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ رَجْمًا مِنْهُمْ بِالْغَيْبِ..

﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ﴾ مَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ..

﴿إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿فَلَا تُمَارِ﴾ لَا تُجَادِلْ يَا مُحَمَّدُ أَهْلَ الْكِتَابِ..

﴿فِيهِمۡ﴾ فِي عِدَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَحُذِفَتِ الْعِدَّةُ اكْتِفَاءً بِذِكْرِهِمْ فِيهَا، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِالْمُرَادِ..

﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَا قَصَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ، أُبِيحَ لَهُ أَنْ يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُمَارِيهِمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمِرَاءُ الظَّاهِرُ هُوَ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، وَنَحْوُ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، لَيْسَ تَعْلَمُونَ عِدَّتَهُمْ، إِنْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا فَقُلْ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ عِدَّتَهُمْ، وَقَرَأَ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿رَجْمَۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]).

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ وَلَا تَسْتَفْتِ فِي عِدَّةِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿أَحَدًا ۝﴾ [الكهف: ٢٢] لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عِدَّتَهُمْ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ فِيهِمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ، لَا يَقِينًا مِنَ الْقَوْلِ.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝﴾ [الكهف: ٢٣].

﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝﴾ [الكهف: ٢٣] كَمَا قُلْتَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوكَ عَنْ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَالْمَسَائِلِ الَّتِي سَأَلُوكَ عَنْهَا: سَأُخْبِرُكُمْ عَنْهَا غَدًا.. وَهَذَا تَأْدِيبٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، عَهِدَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَجْزِمَ عَلَىٰ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْأُمُورِ أَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، إِلَّا أَنْ يَصِلَهُ بِمَشِيئَةِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ.. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ -فِيمَا بَلَغَنَا- مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَعَدَ سَائِلِيهِ عَنِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ اللَّوَاتِي قَدْ ذَكَرْنَاهَا فِيمَا مَضَىٰ، اللَّوَاتِي إِحْدَاهُنَّ الْمَسْأَلَةُ عَنْ أَمْرِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَنْ يُجِيبَهُمْ عَنْهُنَّ غَدَ يَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَاحْتُبِسَ الْوَحْيُ عَنْهُ فِيمَا قِيلَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ، حَتَّىٰ حَزَّنَهُ إِبْطَاؤُهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَوَابَ عَنْهُنَّ، وَعَرَّفَ نَبِيَّهُ سَبَبَ احْتِبَاسِ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَعَلَّمَهُ مَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي عِدَاتِهِ وَخَبَرِهِ عَمَّا يَحْدُثُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يَأْتِهِ مِنَ اللهِ بِهَا تَنْزِيلٌ.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝﴾ [الكهف: ٢٤].

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إِلَّا أَنْ تَقُولَ مَعَهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَتَرَكَ ذِكْرَ (تَقُولُ) اكْتِفَاءً بِمَا ذُكِرَ مِنْهُ، إِذْ

كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَيْهِ..

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وَاسْتَثْنِ فِي يَمِينِكَ إِذَا ذَكَرْتَ أَنَّكَ نَسِيتَ ذَلِكَ فِي حَالِ الْيَمِينِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَجَائِزٌ لِلرَّجُلِ أَنْ يَسْتَثْنِيَ فِي يَمِينِهِ -إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ مَا ذَكَرْتَ- بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ حَالِ حَلِفِهِ؟ قِيلَ: الصَّوَابُ أَنْ يَسْتَثْنِيَ وَلَوْ بَعْدَ حِنْثِهِ فِي يَمِينِهِ، فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لِيَخْرُجَ بِقِيلِهِ ذَلِكَ مِمَّا أَلْزَمَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَيَسْقُطُ عَنْهُ الْحَرَجُ بِتَرْكِهِ مَا أَمَرَهُ بِقِيلِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَأَمَّا الْكَفَّارَةُ فَلَا تَسْقُطُ عَنْهُ بِحَالٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاؤُهُ مَوْصُولًا بِيَمِينِهِ.. فَإِنْ قَالَ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَهُ ثُنْيَاهُ وَلَوْ بَعْدَ سَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَهُ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْدَ شَهْرٍ، وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ نَحْوُ مَعْنَانَا فِي أَنَّ ذَلِكَ لَهُ وَلَوْ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ، وَأَنَّهُ بِاسْتِثْنَائِهِ وَقِيلِهِ (إِنْ شَاءَ اللهُ) بَعْدَ حِينٍ مِنْ حَالِ حَلِفِهِ، يَسْقُطُ عَنْهُ الْحَرَجُ الَّذِي لَوْ لَمْ يَقُلْهُ كَانَ لَهُ لَازِمًا، فَأَمَّا الْكَفَّارَةُ فَلَهُ لَازِمَةٌ بِالْحِنْثِ بِكُلِّ حَالٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاؤُهُ كَانَ مَوْصُولًا بِالْحَلِفِ، وَذَلِكَ أَنَّا لَا نَعْلَمُ قَائِلًا قَالَ مِمَّنْ قَالَ لَهُ الثُّنْيَا بَعْدَ حِينٍ يَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ يَضَعُ عَنْهُ الْكَفَّارَةَ إِذَا حَنِثَ، فَفِي ذَلِكَ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ الْقَوْلِ فِيهِ، كَانَ نَحْوَ مَعْنَانَا فِيهِ..

﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾ [الكهف: ٢٤] يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنِي فَيُسَدِّدَنِي لِأَسَدَّ مِمَّا وَعَدْتُكُمْ وَأَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ، إِنْ هُوَ شَاءَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مِمَّا أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَهُ إِذَا نَسِيَ الِاسْتِثْنَاءَ فِي كَلَامِهِ، الَّذِي هُوَ عِنْدَهُ فِي أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ مَعَ قَوْلِهِ: إِنْ شَاءَ اللهُ، إِذَا ذَكَرَ.

> ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [الكهف: ٢٥].

﴿وَلَبِثُواْ﴾ وَلَبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ..

﴿فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ رُقُودًا إِلَىٰ أَنْ بَعَثَهُمُ اللهُ، لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، وَإِلَىٰ أَنْ أَعْثَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ أَعْثَرَ..

﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [الكهف: ٢٥] ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَتِسْعَ سِنِينَ.

> ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ [الكهف: ٢٦].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ بَعْدَ أَنْ قَبَضَ أَرْوَاحَهُمْ، مِنْ بَعْدِ أَنْ بَعَثَهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِهِمْ

هَذَا، لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ غَيْرُ اللهِ، وَغَيْرُ مَنْ أَعْلَمَهُ اللهُ ذَلِكَ..

﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للهِ عِلْمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، يَقُولُ: فَسَلِّمُوا لَهُ عِلْمَ مَبْلَغِ مَا لَبِثَتِ الْفِتْيَةُ فِي الْكَهْفِ إِلَىٰ يَوْمِكُمْ هَذَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ سِوَىٰ الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ..

﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أَبْصِرْ بِاللهِ وَأَسْمِعْ، وَذَلِكَ بِمَعْنَىٰ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدْحِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا أَبْصَرَهُ وَأَسْمَعَهُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: مَا أَبْصَرَ اللهَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَأَسْمَعَهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ..

﴿مَا لَهُم﴾ مَا لِخَلْقِهِ..

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ دُونَ رَبِّهِمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ..

﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يَلِي أَمْرَهُمْ وَتَدْبِيرَهُمْ، وَصَرْفَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مُصَرَّفُونَ..

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ﴾ وَلَا يَجْعَلُ اللهُ فِي قَضَائِهِ، وَحُكْمِهِ فِي خَلْقِهِ..

﴿أَحَدًا ٢٦﴾ [الكهف: ٢٦] سِوَاهُ شَرِيكًا، بَلْ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ فِيهِمْ، وَتَدْبِيرِهِمْ وَتَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ٢٧﴾ [الكهف: ٢٧].

﴿وَٱتْلُ﴾ وَاتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ..

﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ هَذَا، وَلَا تَتْرُكَنَّ تِلَاوَتَهُ وَاتِّبَاعَ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَالْعَمَلِ بِحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَصِيرَ مَنْ خَالَفَهُ، وَتَرَكَ اتِّبَاعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ..

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لَا مُغَيِّرَ لِمَا أَوْعَدَ بِكَلِمَاتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْكَ أَهْلَ مَعَاصِيهِ، وَالْعَامِلِينَ بِخِلَافِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ..

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ إِنْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَمْ تَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ فَتَتْبَعُهُ وَتَأْتَمُّ بِهِ، فَنَالَكَ وَعِيدُ اللهِ الَّذِي أَوْعَدَ فِيهِ الْمُخَالِفِينَ حُدُودَهُ، لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿مُلْتَحَدًا ٢٧﴾ [الكهف: ٢٧] مَوْئِلًا تَئِلُ إِلَيْهِ، وَمَعْدِلًا تَعْدِلُ عَنْهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ اللهِ مُحِيطَةٌ بِكَ وَبِجَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْهَرَبِ مِنْ أَمْرٍ أَرَادَ بِهِ.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾

[الكهف: ٢٨].

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿نَفۡسَكَ مَعَ﴾ أَصْحابِكَ..

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ بِذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالدُّعَاءِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ وَغَيْرِهَا..

﴿يُرِيدُونَ﴾ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿وَجۡهَهُۥ﴾ لَا يُرِيدُونَ عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا..

﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ وَلَا تَصْرِفْ عَيْنَاكَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَصْبِرَ نَفْسَكَ مَعَهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَا تُجَاوِزْهُمْ إِلَيْهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَدَوْتُ ذَلِكَ، فَأَنَا أَعْدُوهُ: إِذَا جَاوَزْتُهُ..

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ مُجَالَسَةَ أُولَئِكَ الْعُظَمَاءِ الْأَشْرَافِ.. وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ -فِيمَا ذُكِرَ- قَوْمٌ مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ مِنْ عُظَمَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مِمَّنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُمْ بِالْإِسْلَامِ، فَرَأَوْهُ جَالِسًا مَعَ خَبَّابٍ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُقِيمَهُمْ عَنْهُ إِذَا حَضَرُوا، قَالُوا: فَهَمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ثُمَّ كَانَ يَقُومُ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ، وَيَتْرُكُهُمْ قُعُودًا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] الْآيَةَ، ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٢٨] يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: مُجَالَسَةَ أُولَئِكَ الْعُظَمَاءِ الْأَشْرَافِ..

﴿وَلَا تُطِعۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ﴾ مَنْ شَغَلْنَا قَلْبَهُ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ سَأَلُوكَ طَرْدَ الرَّهْطِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ عَنْكَ..

﴿عَن ذِكۡرِنَا﴾ بِالْكُفْرِ وَغَلَبَةِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِ..

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وَتَرَكَ اتِّبَاعَ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَآثَرَ هَوَىٰ نَفْسِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ: عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَذَوُوهُمْ..

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾ وَكَانَ أَمْرُ هَذَا الَّذِي أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا فِي الرِّيَاءِ وَالْكِبْرِ وَاحْتِقَارِ أَهْلِ الْإِيمَانِ..

﴿فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف: ٢٨] سَرَفًا قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ، فَضَيَّعَ بِذَلِكَ الْحَقَّ وَهَلَكَ.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾

[الكهف: ٢٩].

﴿وَقُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُمْ عَنْ ذِكْرِنَا، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، وَإِلَيْهِ التَّوْفِيقُ وَالْخِذْلَانُ، وَبِيَدِهِ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالُ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ لِلرَّشَادِ فَيُؤْمِنُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ عَنِ الْهُدَىٰ فَيَكْفُرُ، لَيْسَ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَسْتُ بِطَارِدٍ لِهَوَاكُمْ مَنْ كَانَ لِلْحَقِّ مُتَّبِعًا، وَبِاللهِ وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مُؤْمِنًا..

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ فَإِنْ شِئْتُمْ فَآمِنُوا، وَإِنْ شِئْتُمْ فَاكْفُرُوا..

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ فَإِنَّكُمْ إِنْ كَفَرْتُمْ فَقَدْ أَعَدَّ لَكُمْ رَبُّكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ نَارًا أَحَاطَ بِكُمْ سُرَادِقُهَا، وَذَلِكَ فِيمَا قِيلَ: حَائِطٌ مِنْ نَارٍ يُطِيفُ بِهِمْ كَسُرَادِقِ الْفُسْطَاطِ، وَهِيَ الْحُجْرَةُ الَّتِي تُطِيفُ بِالْفُسْطَاطِ، وَإِنْ آمَنْتُمْ بِهِ وَعَمِلْتُمْ بِطَاعَتِهِ، فَإِنَّ لَكُمْ مَا وَصَفَ اللهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ..

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾ وَإِنْ يَسْتَغِثْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ مِنْ شِدَّةِ مَا بِهِمْ مِنَ الْعَطَشِ، فَيَطْلُبُونَ الْمَاءَ..

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ يُغَاثُوا بِمَاءِ الْمُهْلِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ كُلُّ شَيْءٍ أُذِيبَ وَانْمَاعَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْقَيْحُ وَالدَّمُ الْأَسْوَدُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهُ.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ بِهَا أَلْفَاظُ قَائِلِيهَا، فَمُتَقَارِبَاتُ الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَا أُذِيبَ مِنْ رَصَاصٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَقَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهُ، وَأَنَّ مَا أُوقِدَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ حَتَّىٰ صَارَ كَدُرْدِيِّ الزَّيْتِ، فَقَدِ انْتَهَىٰ أَيْضًا حَرُّهُ..

﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ﴾ يَشْوِي ذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي يُغَاثُونَ بِهِ وُجُوهَهُمْ..

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هَذَا الْمَاءُ الَّذِي يُغَاثُ بِهِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ فِي جَهَنَّمَ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وُصِفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿وَسَآءَتْ﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي أَعْتَدْنَاهَا لِهَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ..

﴿مُرۡتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الكهف: ٢٩] وَالْمُرْتَفَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمُتَّكَأُ، يُقَالُ مِنْهُ: ارْتَفَقْتُ إِذَا اتَّكَأْتُ، وَقَدِ ارْتَفَقَ الرَّجُلُ: إِذَا بَاتَ عَلَىٰ مِرْفَقِهِ لَا يَأْتِيهِ نَوْمٌ، وَهُوَ مُرْتَفِقٌ، وَإِمَّا مِنَ الرِّفْقِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: قَدِ ارْتَفَقْتُ بِكَ مُرْتَفقًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: ٣٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَأَيْنَ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ خَبَرُهَا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا، فَتَرَكَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ، وَاعْتَمَدَ عَلَىٰ الثَّانِي بِنِيَّةِ التَّكْرِيرِ، كَمَا قِيلَ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٢١٧]، بِمَعْنَىٰ: عَنْ قِتَالٍ فِيهِ، عَلَىٰ التَّكْرِيرِ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جَزَاءً، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَـ(إِنَّا) لَا نُضِيعُ أَجْرَهُ، فَتُضْمَرُ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّا﴾.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ خَبَرُهَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ﴾ [الكهف: ٣١]، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللهِ، وَانْتَهَوْا إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ﴾ ثَوَابَ..

﴿مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: ٣٠] فَأَطَاعَ اللهَ، وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، بَلْ نُجَازِيهِ بِطَاعَتِهِ وَعَمَلِهِ الْحَسَنَ جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ۝٣١﴾ [الكهف: ٣١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..

﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ يَعْنِي بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ فِي الْآخِرَةِ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ تَجْرِي مِنْ دُونِهِمْ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْأَنْهَارُ..

﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ يَلْبَسُونَ فِيهَا مِنَ الْحُلِيِّ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْأَسَاوِرُ: جَمْعُ إِسْوَارٍ..

﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ﴾ السُّنْدُسُ: جَمْعٌ، وَاحِدُهَا سُنْدُسَةٌ، وَهِيَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ..

﴿وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ وَالْإِسْتَبْرَقُ: مَا غَلُظَ مِنْهُ وَثَخُنَ..

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ مُتَّكِئِينَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وَهِيَ السُّرُرُ فِي الْحِجَالِ، وَاحِدَتُهَا: أَرِيكَةٌ.

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ، وَمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ جَعَلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..

﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١] وَحَسُنَتْ هَذِهِ الْأَرَائِكُ فِي هَذِهِ الْجِنَانِ الَّتِي وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُتَّكَأً، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ فَأَنَّثَ الْفِعْلَ بِمَعْنَىٰ: وَحَسُنَتْ هَذِهِ الْأَرَائِكُ مُرْتَفَقًا، وَلَوْ ذُكِّرَ لِتَذْكِيرِ الْمُرْتَفَقِ كَانَ صَوَابًا؛ لِأَنَّ (نِعْمَ) وَ(بِئْسَ) إِنَّمَا تُدْخِلُهُمَا الْعَرَبُ فِي الْكَلَامِ لِتَدُلَّا عَلَىٰ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ لَا لِلْفِعْلِ، فَلِذَلِكَ تُذَكِّرُهُمَا مَعَ الْمُؤَنَّثِ، وَتُوَحِّدُهُمَا مَعَ الِاثْنَيْنِ وَالْجَمَاعَةِ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢].

﴿وَٱضْرِبْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، الَّذِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تَطْرُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ..

﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ جَعَلْنَا لَهُ بُسْتَانَيْنِ..

﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ مِنْ كُرُومٍ..

﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ وَأَطَفْنَا هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ بِنَخْلٍ..

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢] وَجَعَلْنَا وَسَطَ هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ زَرْعًا.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣].

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ كِلَا الْبُسْتَانَيْنِ أَطْعَمَ ثَمَرَهُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْغُرُوسِ مِنَ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ وَصُنُوفِ الزَّرْعِ.. وَقَالَ: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿ءَاتَتْ﴾، فَوَحَّدَ الْخَبَرَ، لِأَنَّ كِلْتَا لَا يُفْرَدُ وَاحِدَتُهَا، وَأَصْلُهُ كُلٌّ، وَقَدْ تُفْرِدُ الْعَرَبُ كِلْتَا أَحْيَانًا، وَيَذْهَبُونَ بِهَا وَهِيَ مُفْرَدَةٌ إِلَىٰ التَّثْنِيَةِ..

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ وَلَمْ تَنْقُصْ مِنَ الْأَكْلِ شَيْئًا، بَلْ أَتَتْ ذَلِكَ تَامًّا كَامِلًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: ظَلَمَ فُلَانٌ فُلَانًا حَقَّهُ: إِذَا بَخَسَهُ وَنَقَصَهُ..

﴿وَفَجَّرْنَا﴾ وَسَيَّلْنَا، فَثَقَّلَ الْجِيمَ مِنْهُ، لِأَنَّ التَّفْجِيرَ فِي النَّهْرِ كُلِّهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَمِيدُ مَاءً فَيَسِيلُ بَعْضُهُ بَعْضًا..

﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ٣٣﴾ [الكهف: ٣٣] خِلَالَ هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ نَهْرًا، يَعْنِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَشْجَارِهِمَا نَهْرًا.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ٣٤﴾ [الكهف: ٣٤].

﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مِنْ جَنَّتَيْهِ..

﴿ثَمَرٌ﴾ أَنْوَاعٌ مِنَ الثِّمَارِ، فَكَانَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْكُرُومِ وَالنَّخْلِ وَالزَّرْعِ ثَمَرٌ..

﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ فَقَالَ هَذَا الَّذِي جَعَلْنَا لَهُ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ، لِصَاحِبِهِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وَهُوَ يُخَاطِبُهُ..

﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ٣٤﴾ [الكهف: ٣٤] وَأَعَزُّ عَشِيرَةً وَرَهْطًا، كَمَا قَالَ عُيَيْنَةُ وَالْأَقْرَعُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: (**نَحْنُ سَادَاتُ الْعَرَبِ، وَأَرْبَابُ الْأَمْوَالِ، فَنَحِّ عَنَّا سَلْمَانَ وَخَبَّابًا وَصُهَيْبًا**)، احْتِقَارًا لَهُمْ، وَتَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ٣٥﴾ [الكهف: ٣٥].

﴿وَدَخَلَ﴾ هَذَا الَّذِي جَعَلْنَا لَهُ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ..

﴿جَنَّتَهُۥ﴾ بُسْتَانَهُ..

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وَظُلْمُهُ نَفْسَهُ: كُفْرُهُ بِالْبَعْثِ، وَشَكُّهُ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ، وَنِسْيَانُهُ الْمَعَادَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَأَوْجَبَ لَهَا بِذَلِكَ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ..

﴿قَالَ﴾ لَمَّا عَايَنَ جَنَّتَهُ، وَرَآهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَشْجَارِ وَالثِّمَارِ وَالزُّرُوعِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ شَكًّا فِي الْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ..

﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ﴾ الْجَنَّةُ..

﴿أَبَدًا ٣٥﴾ [الكهف: ٣٥] وَلَا تَفْنَىٰ وَلَا تَخْرَبُ.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ٣٦﴾ [الكهف: ٣٦].

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ﴾ الَّتِي وَعَدَ اللهُ خَلْقَهُ الْحَشْرَ فِيهَا..

﴿قَآئِمَةً﴾ تَقُومُ فَتَحْدُثُ، ثُمَّ تَمَنَّىٰ أُمْنِيَةً أُخْرَىٰ عَلَىٰ شَكٍّ مِنْهُ..

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَيْرُ مُوقِنٍ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ..

﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِي هَذِهِ عِنْدَ اللهِ..

﴿مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦] إِنْ رُدِدْتُ إِلَيْهِ مَرْجِعًا وَمَرَدًّا، يَقُولُ: لَمْ يُعْطِنِي هَذِهِ الْجَنَّةَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَلِي عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْمَعَادِ إِنْ رُدِدْتُ إِلَيْهِ.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف: ٣٧].

﴿قَالَ لَهُۥ﴾ قَالَ لِصَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ..

﴿صَاحِبُهُۥ﴾ الَّذِي هُوَ أَقَلُّ مِنْهُ مَالًا وَوَلَدًا..

﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ وَهُوَ يُخَاطِبُهُ وَيُكَلِّمُهُ..

﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يَعْنِي خَلَقَ أَبَاكَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ..

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ثُمَّ أَنْشَأَكَ مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ..

﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف: ٣٧] ثُمَّ عَدَّلَكَ بَشَرًا سَوِيًّا رَجُلًا، ذَكَرًا لَا أُنْثَىٰ، يَقُولُ: أَكَفَرْتَ بِمَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا أَنْ يُعِيدَكَ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ مَا تَصِيرُ رُفَاتًا.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٨].

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أَمَّا أَنَا فَلَا أَكْفُرُ بِرَبِّي، وَلَكِنْ أَنَا أَقُولُ..

﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٨].

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ٣٩].

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ وَهَلَّا إِذْ دَخَلْتَ بُسْتَانَكَ، فَأَعْجَبَكَ مَا رَأَيْتَ مِنْهُ..

﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ كَانَ، وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَهُوَ جَوَابُ الْجَزَاءِ، وَذَلِكَ (كَانَ)..

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ لَا قُوَّةَ عَلَىٰ مَا نُحَاوِلُ مِنْ طَاعَتِهِ إِلَّا بِهِ..

﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ٣٩] وَهُوَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وَلَا عَشِيرَةَ، مِثْلُ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ وَعَشِيرَتِهِ، وَهُوَ مِثْلُ سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَخَبَّابٍ، يَقُولُ: قَالَ الْمُؤْمِنُ لِلْكَافِرِ:

إِنْ تَرَنِ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ۝٤٠﴾ [الكهف: ٤٠].

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمُؤْمِنِ الْمُوقِنِ لِلْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ لِلْكَافِرِ الْمُرْتَابِ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ: إِنْ تَرَنِ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فِي الدُّنْيَا، فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَرْزُقَنِي خَيْرًا مِنْ بُسْتَانِكَ هَذَا..

﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ عَلَىٰ جَنَّةِ الْكَافِرِ الَّتِي قَالَ لَهَا: مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا..

﴿حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ تُرْمَىٰ بِهِ رَمْيًا وَتُقْذَفُ، وَالْحُسْبَانُ: جَمْعُ حُسْبَانَةٍ، وَهِيَ الْمَرَامِي..

﴿فَتُصۡبِحَ﴾ فَتُصْبِحَ جَنَّتُكَ هَذِهِ أَيُّهَا الرَّجُلُ..

﴿صَعِيدٗا﴾ أَرْضًا مَلْسَاءَ لَا شَيْءَ فِيهَا، قَدْ ذَهَبَ كُلُّ مَا فِيهَا مِنْ غَرْسٍ وَنَبْتٍ، وَعَادَتْ خَرَابًا بَلَاقِعَ..

﴿زَلَقًا ۝٤٠﴾ [الكهف: ٤٠] لَا يَثْبُتُ فِي أَرْضِهَا قَدَمٌ لِإِمْلِسَاسِهَا، وَدُرُوسِ مَا كَانَ نَابِتًا فِيهَا.

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١﴾ [الكهف: ٤١].

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤُهَا غَائِرًا، ذَاهِبًا، قَدْ غَارَ فِي الْأَرْضِ، فَذَهَبَ فَلَا تَلْحَقُهُ الرِّشَاءُ، فَوَضَعَ الْغَوْرَ وَهُوَ مَصْدَرٌ مَكَانَ الْغَائِرِ.. وَالْعَرَبُ تُوَحِّدُ الْغَوْرَ مَعَ الْجَمْعِ وَالِاثْنَيْنِ، وَتُذَكِّرُ مَعَ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، تَقُولُ: مَاءٌ غَوْرٌ، وَمَاءَانِ غَوْرٌ وَمِيَاهٌ غَوْرٌ..

﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١﴾ [الكهف: ٤١] فَلَنْ تُطِيقَ أَنْ تُدْرِكَ الْمَاءَ الَّذِي كَانَ فِي جَنَّتِكَ بَعْدَ غَوْرِهِ، بِطَلَبِكَ إِيَّاهُ.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٤٢﴾ [الكهف: ٤٢].

﴿وَأُحِيطَ﴾ وَأَحَاطَ الْهَلَاكُ وَالْجَوَائِحُ..

﴿بِثَمَرِهِۦ﴾ وَهِيَ صُنُوفُ ثِمَارِ جَنَّتِهِ الَّتِي كَانَ يَقُولُ لَهَا: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ۝٣٥﴾ [الكهف: ٣٥]..

﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ فَأَصْبَحَ هَذَا الْكَافِرُ صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ، يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، تَلَهُّفًا وَأَسَفًا عَلَىٰ ذَهَابِ نَفَقَتِهِ الَّتِي أَنْفَقَ فِي جَنَّتِهِ..

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ وَهِيَ خَالِيَةٌ عَلَىٰ نَبَاتِهَا وَبُيُوتِهَا..

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ [الكهف: ٤٢] يَتَمَنَّىٰ هَذَا الْكَافِرُ بَعْدَ مَا أُصِيبَ بِجَنَّتِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَانَ أَشْرَكَ بِرَبِّهِ أَحَدًا، يَعْنِي بِذَلِكَ: هَذَا الْكَافِرُ إِذَا هَلَكَ وَزَالَتْ عَنْهُ دُنْيَاهُ وَانْفَرَدَ بِعَمَلِهِ، وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَفَرَ بِاللهِ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ شَيْئًا.

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣﴾ [الكهف: ٤٣].

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ..

﴿فِئَةٞ﴾ وَهُمُ الْجَمَاعَةُ..

﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ يَمْنَعُونَهُ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عِقَابِ اللهِ وَعَذَابِ اللهِ إِذَا عَاقَبَهُ وَعَذَّبَهُ..

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣﴾ [الكهف: ٤٣] وَلَمْ يَكُنْ مُمْتَنِعًا مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا عَذَّبَهُ.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤﴾ [الكهف: ٤٤].

﴿هُنَالِكَ﴾ ثَمَّ، وَذَلِكَ حِينَ حَلَّ عَذَابُ اللهِ بِصَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ فِي الْقِيَامَةِ..

﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ الْمُوَالَاةُ للهِ، كَقَوْلِ اللهِ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [محمد: ١١] يَذْهَبُونَ بِهَا إِلَىٰ الْوَلَايَةِ فِي الدِّينِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (الْوِلَايَةُ) بِكَسْرِ الْوَاوِ: مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَلِيتُ عَمَلَ كَذَا، أَوْ بَلْدَةَ كَذَا أَلِيهِ وِلَايَةً، وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِكَسْرِ الْوَاوِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَقَّبَ ذَلِكَ خَبَرَهُ عَنْ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَنَّ مَنْ أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا نَاصِرَ لَهُ يَوْمَئِذٍ، فَاتِّبَاعُ ذَلِكَ الْخَبَرَ عَنِ انْفِرَادِهِ بِالْمَمْلَكَةِ وَالسُّلْطَانِ أَوْلَىٰ مِنَ الْخَبَرِ عَنِ الْمُوَالَاةِ الَّتِي لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ وَلَا مَعْنًىٰ، لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: لَا يُسَمَّىٰ سُلْطَانُ اللهِ وِلَايَةً، وَإِنَّمَا يُسَمَّىٰ ذَلِكَ سُلْطَانُ الْبَشَرِ، لِأَنَّ الْوِلَايَةَ مَعْنَاهَا أَنَّهُ يَلِي أَمْرَ خَلْقِهِ مُنْفَرِدًا بِهِ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا أَنَّهُ يَكُونُ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ..

﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ مِنْ نَعْتِ اللهِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ للهِ الْحَقِّ أُلُوهِيَّتُهُ، لَا الْبَاطِلِ بِطُولِ أُلُوهِيَّتِهِ الَّتِي يَدْعُوهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ آلِهَةً..

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ خَيْرٌ لِلْمُنِيبِينَ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ..

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] وَخَيْرُهُمْ عَاقِبَةً فِي الْآجِلِ إِذَا صَارَ إِلَيْهِ الْمُطِيعُ لَهُ، الْعَامِلُ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ، وَالْمُنْتَهِي عَمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ.. وَالْعُقْبُ هُوَ الْعَاقِبَةُ، يُقَالُ: عَاقِبَةُ أَمْرِ كَذَا وَعُقْبَاهُ وَعُقْبُهُ، وَذَلِكَ آخِرُهُ وَمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾ وَاضْرِبْ لِحَيَاةِ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ: اطْرُدْ عَنْكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ..

﴿مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شَبَهًا لِلدُّنْيَا..

﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كَمَطَرٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ فَاخْتَلَطَ بِالْمَاءِ نَبَاتُ الْأَرْضِ..

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ فَأَصْبَحَ نَبَاتُ الْأَرْضِ يَابِسًا مُتَفَتِّتًا..

﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ تُطَيِّرُهُ الرِّيَاحُ وَتُفَرِّقُهُ..

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ تَخْرِيبِ جَنَّةِ هَذَا الْقَائِلِ حِينَ دَخَلَ جَنَّتَهُ: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥- ٣٦]، وَإِهْلَاكِ أَمْوَالِ ذِي الْأَمْوَالِ الْبَاخِلِينَ بِهَا عَنْ حُقُوقِهَا، وَإِزَالَةِ دُنْيَا الْكَافِرِينَ بِهِ عَنْهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ..

﴿مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] قَادِرٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يُعْيِيهِ أَمْرٌ أَرَادَهُ، يَقُولُ: فَلَا يَفْخَرْ ذُو الْأَمْوَالِ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ، وَلَا يَسْتَكْبِرْ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِهَا، وَلَا يَغْتَرَّنَّ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ، فَإِنَّمَا مَثَلُهَا مَثَلُ هَذَا النَّبَاتِ الَّذِي حَسُنَ اسْتِوَاؤُهُ بِالْمَطَرِ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا رَيْثَ أَنِ انْقَطَعَ عَنْهُ الْمَاءُ، فَتَنَاهَىٰ نِهَايَتَهُ، عَادَ يَابِسًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، فَاسِدًا، تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاظِرِينَ، وَلَكِنْ لِيَعْمَلْ لِلْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَىٰ، وَالدَّائِمِ الَّذِي لَا يَبِيدُ وَلَا يَتَغَيَّرُ.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، الَّتِي يَفْخَرُ بِهَا عُيَيْنَةُ وَالْأَقْرَعُ، وَيَتَكَبَّرَانِ بِهَا عَلَىٰ سَلْمَانَ وَخَبَّابٍ وَصُهَيْبٍ..

﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مِمَّا يَتَزَيَّنُ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَا مِنْ عِدَادِ الْآخِرَةِ..

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ وَمَا يَعْمَلُ سَلْمَانُ وَخَبَّابٌ وَصُهَيْبٌ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَدُعَائِهِمْ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، الْبَاقِي لَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَعْدَ فَنَاءِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ الَّتِي يَفْتَخِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِهَا، الَّتِي تَفْنَىٰ فَلَا تَبْقَىٰ لِأَهْلِهَا..

﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦] وَمَا يُؤَمِّلُ مِنْ ذَلِكَ سَلْمَانُ وَصُهَيْبٌ وَخَبَّابٌ، خَيْرٌ مِمَّا يُؤَمِّلُ عُيَيْنَةُ وَالْأَقْرَعُ مِنْ أَمْوَالِهِمَا وَأَوْلَادِهِمَا.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ عَنِ الْأَرْضِ، فَنَبُسُّهَا بَسًّا، وَنَجْعَلُهَا هَبَاءً مُنْبَثًّا..

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظَاهِرَةً، وَظُهُورُهَا لِرَأْيِ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يَسْتُرُهَا مِنْ جَبَلٍ وَلَا شَجَرٍ هُوَ بُرُوزُهَا..

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ جَمَعْنَاهُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧] فَلَمْ نَتْرُكْ، وَلَمْ نُبْقِ مِنْهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ أَحَدًا.

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ وَعُرِضَ الْخَلْقُ عَلَىٰ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ صَفًّا..

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يُقَالُ لَهُمْ إِذْ عُرِضُوا عَلَىٰ اللهِ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا أَيُّهَا النَّاسُ أَحْيَاءً.. وَحُذِفَ (يُقَالُ) مِنَ الْكَلَامِ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِأَنَّهُ مُرَادٌ فِي الْكَلَامِ..

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ كَهَيْئَتِكُمْ حِينَ خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ..

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: ٤٨] هَذَا الْكَلَامُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنْ خِطَابِ اللهِ بِهِ الْجَمِيعَ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْخُصُوصُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَرِدُ الْقِيَامَةَ خَلْقٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْبَعْثِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُقَالُ يَوْمَئِذٍ لِمَنْ وَرَدَهَا مِنْ أَهْلِ التَّصْدِيقِ بِوَعْدِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَهْلِ الْيَقِينِ فِيهَا بِقِيَامِ السَّاعَةِ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمُ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالْحَشْرَ إِلَىٰ الْقِيَامَةِ مَوْعِدًا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُكَذِّبًا بِالْبَعْثِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

[الكهف: ٤٩].

﴿وَوُضِعَ﴾ وَوَضَعَ اللهُ يَوْمَئِذٍ..

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ كِتَابُ أَعْمَالِ عِبَادِهِ فِي أَيْدِيهِمْ، فَأَخَذَ وَاحِدٌ بِيَمِينِهِ، وَأَخَذَ وَاحِدٌ بِشِمَالِهِ..

﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿مُشْفِقِينَ﴾ خَائِفِين وَجِلِينَ..

﴿مِمَّا فِيهِ﴾ مَكْتُوبٌ مِنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا أَنْ يُؤَاخَذُوا بِهَا..

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إِذَا قَرَءُوا كِتَابَهُمْ، وَرَأَوْا مَا قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ صغائرِ ذُنُوبِهِمْ وَكَبَائِرِهَا..

﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ نَادَوْا بِالْوَيْلِ حِينَ أَيْقَنُوا بِعَذَابِ اللهِ، وَضَجُّوا مِمَّا قَدْ عَرَفُوا مِنْ أَفْعَالِهِمُ الْخَبِيثَةُ الَّتِي قَدْ أَحْصَاهَا كِتَابُهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُنْكِرُوا صِحَّتَهَا..

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ مَا شَأْنُ هَذَا الْكِتَابِ..

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ لَا يُبْقِي صَغِيرَةً مِنْ ذُنُوبِنَا وَأَعْمَالِنَا..

﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ مِنْهَا..

﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ إِلَّا حَفِظَهَا..

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ..

﴿حَاضِرًا﴾ فِي كِتَابِهِمْ ذَلِكَ مَكْتُوبًا مُثْبَتًا، فَجُوزُوا بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَالْحَسَنَةِ مَا اللهُ جَازِيهِمْ بِهَا..

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩] وَلَا يُجَازِي رَبُّكَ أَحَدًا -يَا مُحَمَّدُ- بِغَيْرِ مَا هُوَ أَهْلُهُ، لَا يُجَازِي بِالْإِحْسَانِ إِلَّا أَهْلَ الْإِحْسَانِ، وَلَا بِالسَّيِّئَةِ إِلَّا أَهْلَ السَّيِّئَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُذَكِّرًا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ حَسَدَ إِبْلِيسَ أَبَاهُمْ وَمُعَلِّمَهُمْ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ كِبْرِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ عَلَيْهِ حِينَ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَأَنَّهُ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ لَهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي

كَانَ عَلَيْهِ لِأَبِيهِمْ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الَّذِي يُطِيعُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ، وَيُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ لَهُ اسْتِكْبَارًا عَلَىٰ اللهِ، وَحَسَدًا لِآدَمَ..

﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ فَخَرَجَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَعَدَلَ عَنْهُ وَمَالَ، وَكَذَلِكَ الْفِسْقُ فِي الدِّينِ إِنَّمَا هُوَ الِانْعِدَالُ عَنِ الْقَصْدِ، وَالْمَيْلُ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (**عَصَىٰ فِي السُّجُودِ لِآدَمَ**)..

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ أَفَتُوَالُونَ يَا بَنِي آدَمَ مَنِ اسْتَكْبَرَ عَلَىٰ أَبِيكُمْ وَحَسَدَهُ، وَكَفَرَ نِعْمَتِي عَلَيْهِ، وَغَرَّهُ حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِ عَيْشِهِ فِيهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ وَضِيقِ الْعَيْشِ فِيهَا، وَتُطِيعُونَهُ..

﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ مِنْ دُونِ اللهِ.. وَذُرِّيَّةُ إِبْلِيسَ: الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ يُغْرُونَ بَنِي آدَمَ..

﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ مَعَ عَدَاوَتِهِ لَكُمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَتَتْرُكُونَ طَاعَةَ رَبِّكُمُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَأَكْرَمَكُمْ، بِأَنْ أَسْجَدَ لِوَالِدِكُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّاتِهِ، وَآتَاكُمْ مِنْ فَوَاضِلِ نِعَمِهِ مَا لَا يُحْصَىٰ عَدَدُهُ..

﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف: ٥٠] بِئْسَ الْبَدَلُ لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ اتِّخَاذُ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ، مِنْ تَرْكِهِمُ اتِّخَاذَ اللهِ وَلِيًّا بِاتِّبَاعِهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَهُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَبِيهِمْ آدَمَ مِنْ قَبْلِهِمْ، الْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَوَاضِلِ مَا لَا يُحْصَىٰ بَدَلًا.

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١﴾ [الكهف: ٥١].

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ مَا أَشْهَدْتُ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ..

﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مَا أَحْضَرْتُهُمْ ذَلِكَ فَأَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَىٰ خَلْقِهَا..

﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ وَلَا أَشْهَدْتُ بَعْضَهُمْ أَيْضًا خَلْقَ بَعْضٍ مِنْهُمْ، فَأَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بَلْ تَفَرَّدْتُ بِخَلْقِ جَمِيعِ ذَلِكَ بِغَيْرِ مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ، يَقُولُ: فَكَيْفَ اتَّخَذُوا عَدُوَّهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي، وَهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ أَمْثَالِهِمْ، وَتَرَكُوا عِبَادَتِي وَأَنَا الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَسْلَافِهِمْ، وَخَالِقُهُمْ وَخَالِقُ مَنْ يُوَالُونَهُ مِنْ دُونِي مُنْفَرِدًا بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ..

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ، وَلَكِنَّهُ يَضِلُّ، فَمَنْ تَبِعَهُ يَجُورُ بِهِ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿عَضُدًا ۝٥١﴾ [الكهف: ٥١] أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ يُعَضِّدُ فُلَانًا، إِذَا كَانَ يُقَوِّيهِ وَيُعِينُهُ.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ [الكهف: ٥٢].

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ..

﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ادْعُوا الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَائِي فِي الْعِبَادَةِ لِيَنْصُرُوكُمْ وَيَمْنَعُوكُمْ مِنِّي..

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ فَاسْتَغَاثُوا بِهِمْ..

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ فَلَمْ يُغِيثُوهُمْ..

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ [الكهف: ٥٢] وَجَعَلْنَا فِعْلَهُمْ ذَلِكَ لَهُمْ مَهْلِكًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: وَجَعَلْنَا بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَمَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ فِي الدُّنْيَا يَوْمَئِذٍ عَدَاوَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ اسْمُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، أَنَّهُ الْمُهْلِكُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ [الشورى: ٣٤]، بِمَعْنَىٰ: يُهْلِكْهُنَّ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَهْلِكُ الَّذِي جَعَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، هُوَ الْوَادِي الَّذِي ذُكِرَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْعَدَاوَةَ.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ [الكهف: ٥٣].

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ وَعَايَنَ الْمُشْرِكُونَ النَّارَ يَوْمَئِذٍ..

﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ دَاخِلُوهَا..

﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ [الكهف: ٥٣] وَلَمْ يَجِدُوا عَنِ النَّارِ الَّتِي رَأَوْا مَعْدِلًا يَعْدِلُونَ عَنْهَا إِلَيْهِ، يَقُولُ: لَمْ يَجِدُوا مِنْ مُوَاقَعَتِهَا بُدًّا، لِأَنَّ اللهَ قَدْ حَتَّمَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف: ٥٤].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ وَلَقَدْ مَثَّلْنَا..

﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ وَوَعْظَنَاهُمْ فِيهِ مِنْ كُلِّ عِظَةٍ، وَاحْتَجَجْنَا عَلَيْهِمْ فِيهِ بِكُلِّ حُجَّةٍ لِيَتَذَكَّرُوا فَيُنِيبُوا، وَيَعْتَبِرُوا فَيَتَّعِظُوا، وَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤] وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ مِرَاءً وَخُصُومَةً، لَا يُنِيبُ لِحَقٍّ، وَلَا يَنْزَجِرُ لِمَوْعِظَةٍ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ وَمَا مَنَعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ الْإِيمَانَ بِاللهِ..

﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ بَيَانُ اللهِ، وَعَلِمُوا صِحَّةَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَحَقِيقَتَهُ..

﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ شِرْكِهِمْ..

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إِلَّا مَجِيئُهُمْ سُنَّتَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا قَبْلَهُمْ..

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥] أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ عِيَانًا، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَأْتِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَانٌ وَضُرُوبٌ، وَالْقُبُلَ جَمْعُ قَبِيلٍ، كَمَا يُجْمَعُ الْقَتِيلُ: الْقُتُلُ، وَالْجَدِيدُ: الْجُدُدُ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: ٥٦].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ وَمَا نُرْسِلُ إِلَّا لِيُبَشِّرُوا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ بِجَزِيلِ ثَوَابِهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَمُنذِرِينَۚ﴾ وَلِيُنْذِرُوا أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ وَالتَّكْذِيبِ عَظِيمَ عِقَابِهِ، وَأَلِيمَ عَذَابِهِ، فَيَنْتَهُوا عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَيَنْزَجِرُوا عَنِ الْكُفْرِ بِهِ وَمَعَاصِيهِ..

﴿وَيُجَٰدِلُ﴾ وَيُخَاصِمُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كَقَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنَا عَنْ حَدِيثِ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ لَمْ يُدْرَ مَا

شَأْنُهُمْ، وَعَنِ الرَّجُلِ الَّذِي بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَعَنِ الرُّوحِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا كَانُوا يُخَاصِمُونَهُ بِهِ، يَبْتَغُونَ إِسْقَاطَهُ، تَعْنِيتًا لَهُ ﷺ، فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: إِنَّا لَسْنَا نَبْعَثُ إِلَيْكُمْ رُسُلَنَا لِلْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، وَإِنَّمَا نَبْعَثُهُمْ مُبَشِّرِينَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرِينَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِالنَّارِ، وَأَنْتُمْ تُجَادِلُونَهُمْ بِالْبَاطِلِ طَلَبًا مِنْكُمْ بِذَلِكَ أَنْ تُبْطِلُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ رَسُولِي..

﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ﴾ لِيُبْطِلُوا بِهِ الْحَقَّ، وَيُزِيلُوهُ وَيَذْهَبُوا بِهِ.. يُقَالُ مِنْهُ: دَحَضَ الشَّيْءُ: إِذَا زَالَ وَذَهَبَ، وَيُقَالُ: هَذَا مَكَانٌ دَحْضٌ: أَيْ مُزِلٌّ مُزْلِقٌ لَا يَثْبُتُ فِيهِ خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا قَدَمٌ..

﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ﴾ الْكَافِرُونَ بِاللهِ..

﴿ءَايَٰتِي﴾ حُجَجَهُ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَكِتَابَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ..

﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ وَالنُّذُرَ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ بِهَا..

﴿هُزُوٗا ٥٦﴾ [الكهف: ٥٦] سِخْرِيًّا يَسْخَرُونَ بِهَا، يَقُولُونَ: إِنْ هَذَا إِلَّا ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان: ٥] وَ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

> ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧﴾
>
> [الكهف: ٥٧].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ وَأَيُّ النَّاسِ أَوْضَعُ لِلْإِعْرَاضِ وَالصَّدِّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِمَا..

﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ مِمَّنْ ذَكَّرَهُ بِآيَاتِهِ وَحُجَجِهِ، فَدَلَّهُ بِهَا عَلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَهَدَاهُ بِهَا إِلَىٰ طَرِيقِ النَّجَاةِ..

﴿فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ آيَاتِهِ وَأَدِلَّتِهِ، الَّتِي فِي اسْتِدْلَالِهِ بِهَا الْوُصُولُ إِلَىٰ الْخَلَاصِ مِنَ الْهَلَاكِ..

﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ﴾ وَنَسِيَ مَا أَسْلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُهْلِكَةِ فَلَمْ يَتُبْ، وَلَمْ يُنِبْ..

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِ اللهِ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا..

﴿أَكِنَّةً﴾ أَغْطِيَةً..

﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ لِئَلَّا يَفْقَهُوهُ، لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ أَنْ يَفْقَهُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ..

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ فِي آذَانِهِمْ ثِقَلًا لِئَلَّا يَسْمَعُوهُ..

﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ وَإِنْ تَدعُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ اللهِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ بِهَا..

﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ إِلَىٰ الاِسْتِقَامَةِ عَلَىٰ مَحَجَّةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ، وَمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾ فَلَنْ يَسْتَقِيمُوا..

﴿إِذًا أَبَدًا ۝٥٧﴾ [الكهف: ٥٧] عَلَىٰ الْحَقِّ، وَلَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ، لِأَنَّ اللهَ قَدْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝٥٨﴾ [الكهف: ٥٨].

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾ السَّاتِرُ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَىٰ ذُنُوبِ عِبَادِهِ بِعَفْوِهِ عَنْهُمْ إِذَا تَابُوا مِنْهُمْ..

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ بِهِمْ..

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِهِ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا..

﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ بِمَا كَسَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ..

﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ وَلَكِنَّهُ لِرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ غَيْرُ فَاعِلٍ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَىٰ مِيقَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ..

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ لَكِنْ لَهُمْ مَوْعِدٌ، وَذَلِكَ مِيقَاتُ مَحَلِّ عَذَابِهِمْ، وَهُوَ يَوْمُ بَدْرٍ..

﴿لَّن يَجِدُواْ﴾ لَنْ يَجِدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَإِنْ لَمْ يُعَجِّلْ لَهُمُ الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا..

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دُونِ الْمَوْعِدِ الَّذِي جَعَلْتُهُ مِيقَاتًا لِعَذَابِهِمْ..

﴿مَوْئِلًا ۝٥٨﴾ [الكهف: ٥٨] يَلْجَئُونَ إِلَيْهِ، وَمَنْجَىٰ يَنْجُونَ مَعَهُ، يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَعْقِلًا يَعْتَقِلُونَ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩].

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ..

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا..

﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ فَكَفَرُوا بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩] مِيقَاتًا وَأَجَلًا، حِينَ بَلَغُوهُ جَاءَهُمْ عَذَابٌ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِهِ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدُ- الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ أَبَدًا مَوْعِدًا، إِذَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ الْمَوْعِدُ أَهْلَكْنَاهُمْ، سُنَّتَنَا فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ

ضُرَبَائِهِمْ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾ [الكهف: ٦٠].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ بْنُ عِمْرَانَ..

﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يُوشَعَ..

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لَا أَزَالُ أَسِيرُ..

﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ اجْتِمَاعُ بَحْرِ فَارِسَ وَالرُّومِ.. وَالْمَجْمَعُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: جَمَعَ يَجْمَعُ.. وَبَحْرُ الرُّومِ مِمَّا يَلِي الْمَغْرِبَ، وَبَحْرُ فَارِسَ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ..

﴿أَوْ أَمْضِىَ﴾ أَوْ أَسِيرَ..

﴿حُقُبًا ۝٦٠﴾ [الكهف: ٦٠] زَمَانًا وَدَهْرًا، وَهُوَ وَاحِدٌ، وَيُجْمَعُ كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ: أَحْقَابٌ.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١﴾ [الكهف: ٦١].

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مُوسَىٰ وَفَتَاهُ..

﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ..

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: (أَضَلَّاهُ).. قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: إِنَّ الْحُوتَ كَانَ مَعَ يُوشَعَ، وَهُوَ الَّذِي نَسِيَهُ، فَأُضِيفَ النِّسْيَانُ إِلَيْهِمَا، كَمَا قَالَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢]، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمِلْحِ دُونَ الْعَذْبِ، وَإِنَّمَا جَازَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: ﴿نَسِيَا﴾؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا جَمِيعًا تَزَوَّدَاهُ لِسَفَرِهِمَا، فَكَانَ حَمْلُ أَحَدِهِمَا ذَلِكَ مُضَافًا إِلَىٰ أَنَّهُ حَمْلٌ مِنْهُمَا، كَمَا يُقَالُ: خَرَجَ الْقَوْمُ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا، وَحَمَلُوا مَعَهُمْ كَذَا مِنَ الزَّادِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ أَحَدُهُمْ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ عَنْ رَأْيِهِمْ وَأَمْرِهِمْ أُضِيفَ ذَلِكَ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، فَكَذَلِكَ إِذَا نَسِيَهُ حَامِلُهُ فِي مَوْضِعٍ، قِيلَ: نَسِيَ الْقَوْمُ زَادَهُمْ، فَأُضِيفَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْجَمِيعِ بِنِسْيَانِ حَامِلِهِ ذَلِكَ، فَيَجْرِي الْكَلَامُ عَلَىٰ الْجَمِيعِ، وَالْفِعْلُ مِنْ وَاحِدٍ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ خَاطَبَ الْعَرَبَ بِلُغَتِهَا، وَمَا يَتَعَارَفُونَهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْكَلَامِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢]، فَإِنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِخِلَافِ مَا قَالَ فِيهِ، وَسَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ..

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١﴾ [الكهف: ٦١] يَعْنِي أَنَّ الْحُوتَ اتَّخَذَ طَرِيقَهُ الَّذِي سَلَكَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَيَعْنِي بِالسَّرَبِ: الْمَسْلَكُ وَالْمَذْهَبُ، يَسْرُبُ فِيهِ: يَذْهَبُ فِيهِ وَيَسْلُكُهُ، ثُمَّ اخْتَلَفَ

أَهْلُ الْعِلْمِ فِي صِفَةِ اتِّخَاذِهِ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: صَارَ طَرِيقُهُ الَّذِي يَسْلُكُ فِيهِ كَالْحَجَرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ صَارَ طَرِيقُهُ فِي الْبَحْرِ مَاءً جَامِدًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ صَارَ طَرِيقُهُ فِي الْبَحْرِ حَجَرًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِنَّمَا اتَّخَذَ سَبِيلَهُ سَرَبًا فِي الْبَرِّ إِلَىٰ الْمَاءِ، حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيْهِ لَا فِي الْبَحْرِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَاتَّخَذَ الْحُوتُ طَرِيقَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ السَّرَبُ كَانَ بِانْجِيَابِ الْمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِجُمُودِ الْمَاءِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِتَحَوُّلِهِ حَجَرًا، وَأَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِيهِ مَنْ قَالَ: صَارَ طَرِيقُهُ الَّذِي يَسْلُكُ فِيهِ كَالْحَجَرِ، حتىٰ رَجَعَ إِلَيهِ مُوسَىٰ فَرَأَىٰ مَسْلَكَهُ، فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ فَلَمَّا جَاوَزَ مُوسَىٰ وَفَتَاهُ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يُوشَعَ..

﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ جِئْنَا بِغَدَائِنَا وَأَعْطِنَاهُ..

﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢] لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا عَنَاءً وَتَعَبًا، وَقَالَ ذَلِكَ مُوسَىٰ، فِيمَا ذُكِرَ، بَعْدَ مَا جَاوَزَ الصَّخْرَةَ، حِينَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ الْجُوعُ لِيَتَذَكَّرَ الْحُوتَ، وَيَرْجِعَ إِلَىٰ مَوْضِعِ مَطْلَبِهِ.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣].

﴿قَالَ﴾ فَتَىٰ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ حِينَ قَالَ لَهُ: ﴿آتِنا غَدَاءَنَا﴾ لِنَطْعَمَ..

﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ هُنَالِكَ..

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وَمَا أَنْسَانِي الْحُوتَ إِلَّا الشَّيْطَانُ..

﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ وَمَا أَنْسَانِي أَنْ أَذْكُرَ الْحُوتَ إِلَّا الشَّيْطَانُ..

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣] وَاتَّخَذَ مُوسَىٰ طَرِيقَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا، فَكَانَ يُعْجَبُ مِنْهُ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (**مُوسَىٰ يَعْجَبُ مِنْ أَثَرِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، وَدَوَّرَاتِهِ الَّتِي غَابَ**

فِيهَا، فَوَجَدَ عِنْدَهَا خَضِرًا).. قَالَ قَتَادَةُ: (يَعْجَبُ مِنْ سَرَبِ الْحُوتِ).. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (عَجَبٌ وَاللهِ، حُوتٌ كَانَ يُؤْكَلُ مِنْهُ أَدْهُرًا، أَيُّ شَيْءٍ أَعْجَبُ مِنْ حُوتٍ كَانَ دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ يُؤْكَلُ مِنْهُ، ثُمَّ صَارَ حَيًّا حَتَّىٰ حُشِرَ فِي الْبَحْرِ).

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ نِسْيَانُكَ الْحُوتَ..

﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ الَّذِي كُنَّا نَلْتَمِسُ وَنَطْلُبُ؛ لِأَنَّ مُوسَىٰ كَانَ قِيلَ لَهُ صَاحِبُكَ الَّذِي تُرِيدُهُ حَيْثُ تَنْسَىٰ الْحُوتَ..

﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤] فَرَجَعَا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي كَانَا قَطَعَاهُ، نَاكِصَيْنِ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمَا يَقُصَّانِ آثَارِهِمَا الَّتِي كَانَا سَلَكَاهُمَا.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ وَهَبْنَا لَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا..

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥] وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا أَيْضًا عِلْمًا.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦].

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِلْعَالِمِ..

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَكَ اللهُ..

﴿رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦] مَا هُوَ رَشَادٌ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَدَلِيلٌ عَلَىٰ هُدًىٰ؟.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف: ٦٧].

﴿قَالَ﴾ الْعَالِمُ..

﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف: ٦٧] إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ الصَّبْرَ مَعِي؛ وَذَلِكَ أَنِّي أَعْمَلُ بِبَاطِنِ عِلْمٍ عَلَّمَنِيهِ اللهُ، وَلَا عِلْمَ لَكَ إِلَّا بِظَاهِرٍ مِنَ الْأُمُورِ، فَلَا تَصْبِرْ عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنَ الْأَفْعَالِ.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ الْعَالِمِ لِمُوسَىٰ: وَكَيْفَ تَصْبِرُ يَا مُوسَىٰ..

﴿عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨] عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنِّي مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا عِلْمَ لَكَ بِوُجُوهِ صَوَابِهَا، وَتُقِيمُ مَعِي عَلَيْهَا، وَأَنْتَ إِنَّمَا تَحْكُمُ عَلَىٰ صَوَابِ الْمُصِيبِ وَخَطَأِ الْمُخْطِئِ بِالظَّاهِرِ الَّذِي عِنْدَكَ، وَبِمَبْلَغِ عِلْمِكَ، وَأَفْعَالِي تَقَعُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ ظَاهِرٍ لِرَأْيِ عَيْنِكَ عَلَىٰ صَوَابِهَا؛ لِأَنَّهَا تُبْتَدَأُ لِأَسْبَابٍ تَحْدُثُ آجِلَةً غَيْرَ عَاجِلَةٍ، لَا عِلْمَ لَكَ بِالْحَادِثِ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا غَيْبٌ، وَلَا تُحِيطُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ ﴿خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾، يَقُولُ: عِلْمًا.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: ٦٩].

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ عَلَىٰ مَا أَرَىٰ مِنْكَ، وَإِنْ كَانَ خِلَافًا لِمَا هُوَ عِنْدِي صَوَابٌ..

﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: ٦٩] وَأَنْتَهِي إِلَىٰ مَا تَأْمُرُنِي، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا هَوَايَ.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٧٠].

﴿قَالَ﴾ الْعَالِمُ لِمُوسَىٰ..

﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي﴾ الْآنَ..

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ أَعْمَلُهُ مِمَّا تَسْتَنْكِرُهُ، فَإِنِّي قَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ عَلَىٰ الْغَيْبِ الَّذِي لَا تُحِيطُ بِهِ عِلْمًا..

﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ﴾ أَنَا..

﴿لَكَ مِنْهُ﴾ مِمَّا تَرَىٰ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي أَفْعَلُهَا الَّتِي تَسْتَنْكِرُهَا..

﴿ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٧٠] أَذْكُرُهَا لَكَ وَأُبَيِّنُ لَكَ شَأْنَهَا، وَأَبْتَدِئُكَ الْخَبَرَ عَنْهَا.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف: ٧١].

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ فَانْطَلَقَ مُوسَىٰ وَالْعَالِمُ يَسِيرَانِ يَطْلُبَانِ سَفِينَةً يَرْكَبَانِهَا..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ أَصَابَاهَا..

﴿رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ فَلَمَّا رَكِبَاهَا..

﴿خَرَقَهَا﴾ خَرَقَ الْعَالِمُ السَّفِينَةَ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَىٰ..

﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ بَعْدَ مَا لَجَجْنَا فِي الْبَحْرِ..

﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٧١﴾ [الكهف: ٧١] لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا عَظِيمًا، وَفَعَلْتَ فِعْلًا مُنْكَرًا.. وَالْإِمْرُ: فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الدَّاهِيَةُ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَقُولُ: أَصْلُهُ: كُلُّ شَيْءٍ شَدِيدٌ كَثِيرٌ، وَيَقُولُ مِنْهُ: قِيلَ لِلْقَوْمِ: قَدْ أَمِرُوا: إِذَا كَثُرُوا وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢﴾ [الكهف: ٧٢].

﴿قَالَ﴾ الْعَالِمُ لِمُوسَىٰ، إِذْ قَالَ لَهُ مَا قَالَ..

﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢﴾ [الكهف: ٧٢] عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ أَفْعَالِي، لِأَنَّكَ تَرَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝٧٣﴾ [الكهف: ٧٣].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْعَالِمِ..

﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ سَأَلَ صَاحِبَهُ أَنْ لَا يُؤَاخِذَهُ بِمَا نَسِيَ فِيهِ عَهْدَهُ مِنْ سُؤَالِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ وَجْهِ مَا فَعَلَ وَسَبَبُهُ، لَا بِمَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَهُوَ لِعَهْدِهِ ذَاكِرٌ، لِلصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: كَانَتِ الْأُولَىٰ مِنْ مُوسَىٰ نِسْيَانًا..

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝٧٣﴾ [الكهف: ٧٣] لَا تُغْشِنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، يَقُولُ: لَا تُضَيِّقْ عَلَيَّ أَمْرِي مَعَكَ، وَصُحْبَتِي إِيَّاكَ.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝٧٤﴾ [الكهف: ٧٤].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ الْعَالِمُ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَىٰ..

﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ بِمَعْنَىٰ: التَّائِبَةِ الْمَغْفُورِ لَهَا ذُنُوبَهَا.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: (زَاكِيَةً) وَقَالُوا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: الْمُطَهَّرَةَ الَّتِي لَا ذَنْبَ لَهَا، وَلَمْ تُذْنِبْ قَطُّ لِصِغَرِهَا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَقُولُ: مَعْنَىٰ الزَّكِيَّةِ وَالزَّاكِيَةِ وَاحِدٌ، كَالْقَاسِيَةِ وَالْقَسِيَّةِ، وَيَقُولُ: هِيَ الَّتِي لَمْ تَجْنِ شَيْئًا، وَذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ عِنْدِي لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ فَرْقًا بَيْنَهُمَا فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ ذَلِكَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ؛ لِأَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ

مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ..

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بِغَيْرِ قِصَاصٍ بِنَفْسٍ قُتِلَتْ، فَلَزِمَهَا الْقَتْلُ قَوَدًا بِهَا..

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ٧٤﴾ [الكهف: ٧٤] لَقَدْ جِئْتَ بِشَيْءٍ مُنْكَرٍ، وَفَعَلْتَ فِعْلًا غَيْرَ مَعْرُوفٍ.. قَالَ قَتَادَةُ: (وَالنُّكْرُ أَشَدُّ مِنَ الإِمْرِ).

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٥﴾ [الكهف: ٧٥].

﴿۞ قَالَ﴾ الْعَالِمُ لِمُوسَىٰ..

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٥﴾ [الكهف: ٧٥] عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ أَفْعَالِي الَّتِي لَمْ تُحِطْ بِهَا خُبْرًا.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ٧٦﴾ [الكهف: ٧٦].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لَهُ..

﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ بَعْدَ هَٰذِهِ الْمَرَّةِ..

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فَفَارِقْنِي، فَلَا تَكُنْ لِي مُصَاحِبًا..

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ٧٦﴾ [الكهف: ٧٦] قَدْ بَلَغْتَ الْعُذْرَ فِي شَأْنِي.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ٧٧﴾ [الكهف: ٧٧].

﴿فَانطَلَقَا﴾ فَانْطَلَقَ مُوسَىٰ وَالْعَالِمُ..

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يُطْعِمُوهُمَا، وَاسْتَضَافَاهُمْ..

﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ قَالَ قَتَادَةُ: (شَرُّ الْقُرَىٰ الَّتِي لَا تُضِيفُ الضَّيْفَ، وَلَا تَعْرِفُ لِابْنِ السَّبِيلِ حَقَّهُ)..

﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾ وَجَدَا فِي الْقَرْيَةِ..

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ حَائِطًا يُرِيدُ أَنْ يَسْقُطَ وَيَقَعَ، يُقَالُ مِنْهُ: انْقَضَّتِ الدَّارُ: إِذَا انْهَدَمَتْ وَسَقَطَتْ، وَمِنْهُ انْقِضَاضُ الْكَوْكَبِ، وَذَلِكَ سُقُوطُهُ وَزَوَالُهُ عَنْ مَكَانِهِ..

﴿فَأَقَامَهُ﴾ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: (هَدَمَهُ ثُمَّ قَعَدَ يَبْنِيهِ).. وَقَالَ آخَرُونَ: رَفَعَ الْجِدَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ صَاحِبَ مُوسَىٰ وَمُوسَىٰ

وَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ صَاحِبُ مُوسَىٰ، بِمَعْنَىٰ: عَدَلَ مَيْلَهُ حَتَّىٰ عَادَ مُسْتَوِيًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَٰلِكَ بِإِصْلَاحٍ بَعْدَ هَدْمٍ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِرَفْعٍ مِنْهُ لَهُ بِيَدِهِ، فَاسْتَوَىٰ بِقُدْرَةِ اللهِ، وَزَالَ عَنْهُ مَيْلُهُ بِلُطْفِهِ، وَلَا دَلَالَةَ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَلَا خَبَرِ لِلْعُذْرِ قَاطِعٌ بِأَيِّ ذَٰلِكَ كَانَ مِنْ أَيٍّ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِصَاحِبِهِ..

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ [الكهف: ٧٧] لَوْ شِئْتَ لَمْ تُقِمْ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ جِدَارَهُمْ حَتَّىٰ يُعْطُوكَ عَلَىٰ إِقَامَتِكَ أَجْرًا.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ [الكهف: ٧٨].

﴿قَالَ﴾ صَاحِبُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي قُلْتَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ [الكهف: ٧٧]..

﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فُرْقَةُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، أَيْ مُفَرِّقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ..

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ سَأُخْبِرُكَ..

﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ [الكهف: ٧٨] بِمَا يَئُولُ إِلَيْهِ عَاقِبَةُ أَفْعَالِي الَّتِي فَعَلْتُهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيَّ تَرْكَ الْمَسْأَلَةِ عَنْهَا، وَعَنِ النَّكِيرِ عَلَيَّ فِيهَا صَبْرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ [الكهف: ٧٩].

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ أَمَّا فِعْلِي مَا فَعَلْتُ بِالسَّفِينَةِ، فَلِأَنَّهَا كَانَتْ لِقَوْمٍ مَسَاكِينَ..

﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ بِالْخَرْقِ الَّذِي خَرَقْتُهَا..

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ وَكَانَ أَمَامَهُمْ وَقُدَّامَهُمْ مَلِكٌ.. وَإِنَّمَا قِيلَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: هُوَ وَرَائِي، لِأَنَّكَ مِنْ وَرَائِهِ، فَأَنْتَ مُلَاقِيهِ كَمَا هُوَ مُلَاقِيكَ، فَصَارَ إِذْ كَانَ مُلَاقِيكَ، كَأَنَّهُ مِنْ وَرَائِكَ وَأَنْتَ أَمَامَهُ..

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ [الكهف: ٧٩] وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا، وَإِنَّمَا عِبْتُهَا لِأَرُدَّهُ عَنْهَا.

﴿وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠﴾ [الكهف: ٨٠].

﴿وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ، فَإِنَّهُ كَانَ كَافِرًا، طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ..

﴿فَخَشِينَآ﴾ فَعَلِمْنَا.. وَالْخَشْيَةُ وَالْخَوْفُ تُوَجِّهُهُمَا الْعَرَبُ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الظَّنِّ، وَتُوَجِّهُ هَذِهِ الْحُرُوفَ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُدْرَكُ مِنْ غَيْرِ جِهَةِ الْحِسِّ وَالْعِيَانِ..

﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ أَنَّهُ يُغَشِّيهِمَا..

﴿طُغْيَٰنًا﴾ وَهُوَ الِاسْتِكْبَارُ عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَكُفْرًا ۝٨٠﴾ [الكهف: ٨٠] بِهِ.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾ [الكهف: ٨١].

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ قِيلَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَبْدَلَ أَبَوَيِ الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ صَاحِبُ مُوسَىٰ مِنْهُ بِجَارِيَةٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَبْدَلَهُمَا رَبُّهُمَا بِغُلَامٍ مُسْلِمٍ.

﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ خَيْرًا مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ..

﴿زَكَوٰةً﴾ صَلَاحًا وَدِينًا..

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾ [الكهف: ٨١] وَأَقْرَبُ مِنَ الْمَقْتُولِ أَنْ يَرْحَمَ وَالِدَيْهِ فَيَبَرُّهُمَا.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾ [الكهف: ٨٢].

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ وَأَمَّا الْحَائِطُ الَّذِي أَقَمْتُهُ..

﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ كَانَ مَالًا مَكْنُوزًا..

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (حُفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا، وَمَا ذُكِرَ مِنْهُمَا صَلَاحٌ)..

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يُدْرِكَا وَيَبْلُغَا قُوَّتَهُمَا وَشِدَّتَهُمَا..

﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ حِينَئِذٍ..

﴿كَنزَهُمَا﴾ الْمَكْنُوزَ تَحْتَ الْجِدَارِ الَّذِي أَقَمْتُهُ..

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ بِهِمَا.. يَقُولُ: فَعَلْتُ فِعْلَ هَذَا بِالْجِدَارِ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِلْيَتِيمَيْنِ..

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ وَمَا فَعَلْتُ يَا مُوسَىٰ جَمِيعَ الَّذِي رَأَيْتَنِي فَعَلْتُهُ..

﴿عَنْ أَمْرِى﴾ عَنْ رَأْيِي وَمِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّايَ بِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا فَعَلْتُ الْأَفْعَالَ الَّتِي اسْتَنْكَرْتَهَا مِنِّي..

﴿تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ [الكهف: ٨٢] مَا تَئُولُ إِلَيْهِ وَتَرْجِعُ الْأَفْعَالُ الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَىٰ تَرْكِ مَسْأَلَتِكَ إِيَّايَ عَنْهَا، وَإِنْكَارِكَ لَهَا صَبْرًا.. وَهَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِهَا عَنْ مُوسَىٰ وَصَاحِبِهِ، تَأْدِيبٌ مِنْهُ لَهُ، وَتَقَدُّمٌ إِلَيْهِ بِتَرْكِ الِاسْتِعْجَالِ بِعُقُوبَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ وَبِكِتَابِهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُ أَنَّ أَفْعَالَهُ بِهِمْ وَإِنْ جَرَتْ فِيمَا تَرَىٰ الْأَعْيُنُ بِمَا قَدْ يَجْرِي مِثْلُهُ أَحْيَانًا لِأَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّ تَأْوِيلَهُ صَائِرٌ بِهِمْ إِلَىٰ أَحْوَالِ أَعْدَائِهِ فِيهَا، كَمَا كَانَتْ أَفْعَالُ صَاحِبِ مُوسَىٰ وَاقِعَةً بِخِلَافِ الصِّحَّةِ فِي الظَّاهِرِ عِنْدَ مُوسَىٰ، إِذْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِعَوَاقِبِهَا، وَهِيَ مَاضِيَةٌ عَلَىٰ الصِّحَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَآيِلَةٌ إِلَىٰ الصَّوَابِ فِي الْعَاقِبَةِ، يُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨﴾ [الكهف: ٥٨]، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقِصَّةِ مُوسَىٰ وَصَاحِبِهِ، يُعَلِّمُ نَبِيَّهُ أَنَّ تَرْكَهُ جَلَّ جَلَالُهُ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِغَيْرِ نَظَرٍ مِنْهُ لَهُمْ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِيمَا يَحْسِبُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا اللهُ مُدَبِّرٌ فِيهِمْ، نَظَرًا مِنْهُ لَهُمْ؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ صَائِرٌ إِلَىٰ هَلَاكِهِمْ وَبَوَارِهِمْ بِالسَّيْفِ فِي الدُّنْيَا، وَاسْتِحْقَاقِهِمْ مِنَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ الْخِزْيَ الدَّائِمَ.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾ [الكهف: ٨٣].

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَمْرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ مَا كَانَ شَأْنُهُ؟ وَمَا كَانَتْ قِصَّتُهُ؟ فَـ..

﴿قُلۡ﴾ لَهُمْ..

﴿سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾ [الكهف: ٨٣] سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْ خَبَرِهِ ذِكْرًا، يَقُولُ: سَأَقُصُّ عَلَيْكُمْ مِنْهُ خَبَرًا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قِيلَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ: ذُو الْقَرْنَيْنِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ضَرَبَ عَلَىٰ قَرْنِهِ فَهَلَكَ، ثُمَّ أُحْيِيَ فَضُرِبَ عَلَىٰ الْقَرْنِ الْآخَرِ فَهَلَكَ، وَهُوَ الثَّابِتُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ كَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مَلِكًا، فَقِيلَ لَهُ: فَلِمَ سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ؟ قَالَ: اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَلَكَ الرُّومَ وَفَارِسَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ فِي رَأْسِهِ شِبْهُ الْقَرْنَيْنِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا سُمِّيَ ذَلِكَ لِأَنَّ صَفْحَتَيْ رَأْسِهِ كَانَتَا مِنْ نُحَاسٍ.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾ [الكهف: ٨٤].

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إِنَّا وَطَّأْنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾ [الكهف: ٨٤] وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يَعْنِي: مَا يَتَسَبَّبُ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِهِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا).

﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ [الكهف: ٨٥].

﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ [الكهف: ٨٥] قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: (فَاتَّبَعَ) بِوَصْلِ الْأَلِفِ، وَتَشْدِيدِ التَّاءِ، بِمَعْنَىٰ: سَلَكَ وَسَارَ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: اتَّبَعْتُ أَثَرَ فُلَانٍ: إِذَا قَفَوْتُهُ، وَسِرْتُ وَرَاءَهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الكُوفَةِ ﴿فَأَتۡبَعَ﴾ بِهَمْزٍ، وَتَخْفِيفِ التَّاءِ، بِمَعْنَىٰ لَحِقَ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: ﴿فَأَتۡبَعَ﴾ بِوَصْلِ الْأَلِفِ، وَتَشْدِيدِ التَّاءِ، لِأَنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ مَسِيرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي مُكِّنَ لَهُ فِيهَا، لَا عَنْ لِحَاقِهِ السَّبَبَ، وَبِذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ ﴿سَبَبًا﴾: (مَنْزِلًا وَطَرِيقًا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ).. وَقَالَ قَتَادَةُ: (﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ اتَّبَعَ مَنَازِلَ الْأَرْضِ وَمَعَالِمَهَا).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (هَذِهِ الْآنَ سَبَبُ الطُّرُقِ كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طُرُقَ السَّمَاوَاتِ).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ [الكهف: ٨٦].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ﴾ ذُو الْقَرْنَيْنِ..

﴿مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ قَرَأَهُ بَعْضُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ بِمَعْنَىٰ: أَنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ مَاءٍ ذَاتِ حَمْأَةٍ.. وَقَرَأَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ، وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) يَعْنِي: أَنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ مَاءٍ حَارَّةٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ صَحِيحٌ وَمَعْنًىٰ مَفْهُومٌ، وَكِلَا وَجْهَيْهِ غَيْرُ مُفْسِدٍ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الشَّمْسُ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَارَّةٍ ذَاتِ حَمْأَةٍ وَطِينٍ، فَيَكُونُ الْقَارِئُ (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) بِصِفَتِهَا الَّتِي هِيَ لَهَا، وَهِيَ الْحَرَارَةُ، وَيَكُونُ الْقَارِئُ ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ وَاصِفَهَا بِصِفَتِهَا الَّتِي هِيَ بِهَا، وَهِيَ أَنَّهَا ذَاتُ حَمْأَةٍ وَطِينٍ، وَقَدْ رُوِيَ بِكِلَا صِيغَتَيْهَا اللَّتَيْنِ قُلْتُ إِنَّهُمَا مِنْ صِفَتَيْهَا أَخْبَارٌ..

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ إِمَّا أَنْ تَقْتُلَهُمْ إِنْ هُمْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَيُذْعِنُوا لَكَ بِمَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ..

﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٦] وَإِمَّا أَنْ تَأْسِرَهُمْ فَتُعَلِّمَهُمُ الْهُدَىٰ وَتُبَصِّرَهُمُ الرَّشَادَ.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: ٨٧].

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أَمَّا مَنْ كَفَرَ فَسَوْفَ نَقْتُلُهُ..

﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ قَتْلِهِ..

﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: ٨٧] فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا عَظِيمًا، وَهُوَ النُّكْرُ، وَذَٰلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٨].

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ وَأَمَّا مَنْ صَدَّقَ اللهَ مِنْهُمْ وَوَحَّدَهُ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ..

﴿فَلَهُۥ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿جَزَآءً﴾ ثَوَابًا عَلَىٰ إِيمَانِهِ، وَطَاعَتِهِ رَبَّهُ..

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الْجَنَّةُ..

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٨] وَسَنُعَلِّمُهُ نَحْنُ فِي الدُّنْيَا مَا تَيَسَّرَ لَنَا تَعْلِيمُهُ، مِمَّا يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ، وَيَلِينُ لَهُ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: ٨٩].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: ٨٩] ثُمَّ سَارَ وَسَلَكَ ذُو الْقَرْنَيْنِ طُرُقًا وَمَنَازِلَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف: ٩٠].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ وَوَجَدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ الشَّمْسَ تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ..

﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف: ٩٠] وَذَٰلِكَ أَنَّ أَرْضَهُمْ لَا جَبَلَ فِيهَا وَلَا شَجَرَ، وَلَا تَحْتَمِلُ بِنَاءً، فَيَسْكُنُوا الْبُيُوتَ، وَإِنَّمَا يَغُورُونَ فِي الْمِيَاهِ، وَيُسَرِّبُونَ فِي الْأَسْرَابِ.

﴿كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ۝٩١﴾ [الكهف: ٩١].

﴿كَذَٰلِكَۖ﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا كَذَلِكَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلَعَ الشَّمْسِ، وَ﴿كَذَٰلِكَۖ﴾ مِنْ صِلَةِ أَتْبَعَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا، حَتَّىٰ بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ، كَمَا أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ بَلَغَ مَغْرِبَهَا..

﴿وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ۝٩١﴾ [الكهف: ٩١] وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا عِنْدَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ عِلْمًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا مِمَّا هُنَالِكَ مِنَ الْخَلْقِ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ شَيْءٌ.

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٩٢﴾ [الكهف: ٩٢].

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٩٢﴾ [الكهف: ٩٢] ثُمَّ سَارَ طُرُقًا وَمَنَازِلَ، وَسَلَكَ سُبُلًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝٩٣﴾ [الكهف: ٩٣].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ وَالسَّدُّ وَالسُّدُّ جَمِيعًا الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَهُمَا هَهُنَا فِيمَا ذُكِرَ، جَبَلَانِ سُدَّ مَا بَيْنَهُمَا، فَرَدَمَ ذُو الْقَرْنَيْنِ حَاجِزًا بَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ، لِيَقْطَعَ مَادَّ غَوَائِلِهِمْ وَعَيْثِهِمْ عَنْهُمْ..

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ وَجَدَ مِنْ دُونِ السَّدَّيْنِ..

﴿قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝٩٣﴾ [الكهف: ٩٣] قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلَ قَائِلٍ سِوَىٰ كَلَامِهِمْ.. وَقَدِ اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ ﴿يَفۡقَهُونَ﴾: فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ ﴿يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝٩٣﴾، بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْيَاءِ، مِنْ فَقِهَ الرَّجُل يَفْقَهُ فِقْهًا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ (يُفْقِهُونَ) قَوْلًا بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْقَافِ، مِنْ أَفْقَهْتُ فُلَانًا كَذَا، أُفْقِهُهُ إِفْقَاهًا: إِذَا فَهَّمْتُهُ ذَلِكَ.. وَالصَّوَابُ عِنْدِي مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، غَيْرُ دَافِعَةٍ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ هَذَا الْخَبَرَ جَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا لِغَيْرِهِمْ عَنْهُمْ، فَيَكُونُ صَوَابًا الْقِرَاءَةُ بِذَلِكَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا مَعَ كَوْنِهِمْ كَذَلِكَ كَانُوا لَا يَكَادُونَ أَنْ يُفْقِهُوا غَيْرَهُمْ لِعِلَلٍ، إِمَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَإِمَّا بِمَنْطِقِهِمْ، فَتَكُونُ الْقِرَاءَةُ بِذَلِكَ أَيْضًا صَوَابًا.

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ۝٩٤﴾ [الكهف: ٩٤].

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْإِفْسَادِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ بِهِ هَاتَيْنِ الْأُمَّتَيْنِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ

ذَلِكَ: أَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ سَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ لَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُفْسِدُونَ.. قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرَكُوهُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَيُنْشِفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَرْجِعُ فِيهَا كَهَيْئَةِ الدِّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَتَقْتُلُهُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكُرُ مِنْ لُحُومِهِمْ».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، فَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَىٰ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ، فَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّىٰ يَتْرُكُوهُ يَابِسًا، حَتَّىٰ إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ، فَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ هَا هُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا انْحَازَ إِلَىٰ حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ، قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخَضَّبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَالنَّغَفِ، فَتَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَىٰ، لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ، فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ الْعَدُوُّ، قَالَ: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ، قَدْ وَطَّنَهَا عَلَىٰ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَىٰ، بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيهِمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا شَكَرَتْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْ قَطُّ».. فَالْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ سَيَكُونُ مِنْهُمُ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا دَلَالَةَ فِيهَا أَنَّهُمْ قَدْ كَانَ مِنْهُمْ قَبْلَ إِحْدَاثِ ذِي الْقَرْنَيْنِ السَّدَّ الَّذِي أَحْدَثَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ فِي النَّاسِ غَيْرِهِمْ إِفْسَادٌ.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بِالَّذِي بَيَّنَّا، فَالصَّحِيحُ مِنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ سَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ..

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ: ﴿خَرْجًا﴾ كَأَنَّهُمْ نَحَوْا بِهِ نَحْوَ الْمَصْدَرِ، مِنْ خَرْجِ الرَّأْسِ، وَذَلِكَ جَعْلُهُ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: (خَرَاجًا) بِالْأَلِفِ، وَكَأَنَّهُمْ نَحَوْا بِهِ نَحْوَ الِاسْمِ، وَعَنَوْا بِهِ أُجْرَةً عَلَىٰ بِنَائِكَ لَنَا سَدًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ: (خَرَاجًا) بِالْأَلِفِ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ، إِنَّمَا عَرَضُوا عَلَىٰ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنْ يُعْطُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ بِنَاءِ

السَّدِّ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝﴾ [الكهف: ٩٥]، وَلَمْ يَعْرِضُوا عَلَيْهِ جِزْيَةَ رُءُوسِهِمْ، وَالْخَرَاجُ عِنْدَ الْعَرَبِ: هُوَ الْغَلَّةُ..

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ﴾ قَالُوا لَهُ: هَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجًا حَتَّىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ..

﴿سَدًّا ۝﴾ [الكهف: ٩٤] حَاجِزًا يَحْجِزُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْنَا. وَهُوَ السَّدُّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝﴾ [الكهف: ٩٥].

﴿قَالَ﴾ ذُو الْقَرْنَيْنِ..

﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ﴾ الَّذِي مَكَّنَنِي فِي عَمَلِ مَا سَأَلْتُمُونِي مِنَ السَّدِّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ..

﴿رَبِّي﴾ وَوَطَّأَهُ لِي، وَقَوَّانِي عَلَيْهِ..

﴿خَيْرٌ﴾ مِنْ جَعْلِكُمْ وَالْأُجْرَةِ الَّتِي تَعْرِضُونَهَا عَلَيَّ لِبِنَاءِ ذَلِكَ، وَأَكْثَرُ وَأَطْيَبُ..

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ وَلَكِنْ أَعِينُونِي مِنْكُمْ بِقُوَّةٍ، أَعِينُونِي بِفَعَلَةٍ وَصُنَّاعٍ يُحْسِنُونَ الْبِنَاءَ وَالْعَمَلَ..

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ..

﴿رَدْمًا ۝﴾ [الكهف: ٩٥] وَالرَّدْمُ: حَاجِزُ الْحَائِطِ وَالسَّدِّ، إِلَّا أَنَّهُ أَمْنَعُ مِنْهُ وَأَشَدُّ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ رَدَمَ فُلَانٌ مَوْضِعَ كَذَا يَرْدِمُهُ رَدْمًا وَرُدَامًا، وَيُقَالُ أَيْضًا: رَدَّمَ ثَوْبَهُ يُرَدِّمُهُ، وَهُوَ ثَوْبٌ مُرَدَّمٌ: إِذَا كَانَ كَثِيرَ الرِّقَاعِ.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝﴾ [الكهف: ٩٦].

﴿ءَاتُونِي﴾ قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لِلَّذِينَ سَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ سَدًّا: جِيئُونِي بِـ..

﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ وَهِيَ جَمْعُ زُبْرَةٍ، وَالزُّبْرَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْحَدِيدِ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ فَأَتَوْهُ زُبَرَ الْحَدِيدِ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ بِمَا جَعَلَ بَيْنَهُمَا مِنْ زُبَرِ الْحَدِيدِ.. وَالصَّدَفَانِ: مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيِ الْجَبَلَيْنِ وَرُءُوسِهِمَا..

﴿قَالَ﴾ لِلْفَعَلَةِ..

﴿ٱنفُخُوا۟﴾ النَّارَ عَلَىٰ هَذِهِ الزُّبَرِ مِنَ الْحَدِيدِ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ فَنَفَخُوا، حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَ مَا بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ مِنَ الْحَدِيدِ نَارًا..

﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾ أَعْطُونِي..

﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ﴾ أَصُبُّ عَلَيْهِ..

﴿قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف: ٩٦] وَالْقِطْرُ: النُّحَاسُ.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ [الكهف: ٩٧].

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ فَمَا اسْطَاعَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أَنْ يَعْلُوا الرَّدْمَ الَّذِي جَعَلَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ حَاجِزًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ، فَيَصِيرُوا فَوْقَهُ وَيَنْزِلُوا مِنْهُ إِلَىٰ النَّاسِ.

﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ [الكهف: ٩٧] وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُنَقِّبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾ [الكهف: ٩٨].

﴿قَالَ﴾ لَمَّا رَأَىٰ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَظْهَرُوا مَا بَنَىٰ مِنَ الرَّدْمِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ نَقْبِهِ، قَالَ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي بَنَيْتُهُ وَسَوَّيْتُهُ حَاجِزًا بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمَنْ دُونَ الرَّدْمِ..

﴿رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ رَحِمَ بِهَا مَنْ دُونَ الرَّدْمِ مِنَ النَّاسِ، فَأَعَانَنِي بِرَحْمَتِهِ لَهُمْ حَتَّىٰ بَنَيْتُهُ وَسَوَّيْتُهُ؛ لِيَكُفَّ بِذَلِكَ غَائِلَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْهُمْ..

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ الَّذِي جَعَلَهُ مِيقَاتًا لِظُهُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَخُرُوجِهَا مِنْ وَرَاءِ هَذَا الرَّدْمِ لَهُمْ..

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ سَوَّاهُ بِالْأَرْضِ، فَأَلْزَقَهُ بِهَا.. مِنْ قَوْلِهِمْ: نَاقَةٌ دَكَّاءُ: مُسْتَوِيَةُ الظَّهْرِ لَا سَنَامَ لَهَا.. وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: جَعَلَهُ مَدْكُوكًا، فَقِيلَ: دَكَّاءُ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ كَذَلِكَ بَعْدَ قَتْلِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام الدَّجَّالَ)**..

﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي الَّذِي وَعَدَ خَلْقَهُ فِي دَكِّ هَذَا الرَّدْمِ، وَخُرُوجِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَىٰ النَّاسِ، وَعَيْثِهِمْ فِيهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَعْدِهِ..

﴿حَقّٗا ٩٨﴾ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُفُ الْمِيعَادَ فَلَا يَقَعُ غَيْرَ مَا وَعَدَ أَنَّهُ كَائِنٌ.

﴿۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: ٩٩].

﴿۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾ وَتَرَكْنَا عِبَادَنَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ وَعْدُنَا الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ، بِأَنَّا نَدُكُّ الْجِبَالَ وَنَنْسِفُهَا عَنِ الْأَرْضِ نَسْفًا، فَنَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، بَعْضُهُمْ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ، يَقُولُ: يَخْتَلِطُ جِنُّهُمْ بِإِنْسِهِمْ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: ٩٩] فَجَمَعْنَا جَمِيعَ الْخَلْقِ حِينَئِذٍ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ جَمِيعًا.

﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾ [الكهف: ١٠٠].

﴿وَعَرَضۡنَا﴾ وَأَبْرَزْنَا..

﴿جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ..

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾ [الكهف: ١٠٠] فَأَظْهَرْنَاهَا لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ، حَتَّىٰ يَرَوْهَا وَيُعَايِنُوهَا كَهَيْئَةِ السَّرَابِ.

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ [الكهف: ١٠١].

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَانُوا لَا يَنْظُرُونَ فِي آيَاتِ اللهِ، فَيَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَلَا يَتَأَمَّلُونَ حُجَجَهُ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، فَيَتَذَكَّرُونَ وَيُنِيبُونَ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَيَنْقَادُونَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ [الكهف: ١٠١] وَكَانُوا لَا يُطِيقُونَ أَنْ يَسْمَعُوا ذِكْرَ اللهِ الَّذِي ذَكَّرَهُمْ بِهِ، وَبَيَانُهُ الَّذِي بَيَّنَهُ لَهُمْ فِي أَيِّ كِتَابِهِ، بِخِذْلَانِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَغَلَبَةِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِمْ، وَشُغْلِهِمْ بِالْكُفْرِ بِاللهِ وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَيَتَّعِظُونَ بِهِ، وَيَتَدَبَّرُونَهُ، فَيَعْرِفُونَ الْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالْكُفْرَ مِنَ الْإِيمَانِ.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢﴾

[الكهف: ١٠٢].

﴿أَفَحَسِبَ﴾ أَفَظَنَّ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِاللهِ مِنْ عَبَدَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَسِيحِ..

﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي﴾ الَّذِينَ عَبَدُوهُمْ..

﴿مِن دُونِيٓ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ يَقُولُ: كَلَّا بَلْ هُمْ لَهُمْ أَعْدَاءُ..

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢﴾ [الكهف: ١٠٢] أَعْدَدْنَا لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ جَهَنَّمَ مَنْزِلًا.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٣].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْغُونَ عَنَتَكَ وَيُجَادِلُونَكَ بِالْبَاطِلِ، وَيُحَاوِرُونَكَ بِالْمَسَائِلِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ: الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ..

﴿هَلۡ نُنَبِّئُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٣] بِالَّذِينَ أَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عَمَلٍ يَبْغُونَ بِهِ رِبْحًا وَفَضْلًا، فَنَالُوا

بِهِ عَطَبًا وَهَلَاكًا وَلَمْ يُدْرِكُوا طَلَبًا، كَالْمُشْتَرِي سِلْعَةً يَرْجُو بِهَا فَضْلًا وَرِبْحًا، فَخَابَ رَجَاؤُهُ وَخَسِرَ بَيْعُهُ، وَوُكِسَ فِي الَّذِي رَجَا فَضْلَهُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِينَ عُنُوا بِذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ الرُّهْبَانُ وَالْقُسُوسُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمْ جَمِيعُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمُ الْخَوَارِجُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: ١٠٣]، كُلَّ عَامِلٍ عَمَلًا يَحْسِبُهُ فِيهِ مُصِيبًا، وَأَنَّهُ للهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ مُطِيعٌ مُرْضٍ، وَهُوَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ للهِ مُسْخِطٌ، وَعَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ جَائِرٌ، كَالرَّهَابِنَةِ وَالشَّمَامِسَةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ فِي ضَلَالَتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ بِاللهِ كَفَرَةٌ مِنْ أَهْلِ أَيِّ دِينٍ كَانُوا.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤].

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُمُ الَّذِي عَمِلُوهُ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ هُدًىٰ وَاسْتِقَامَةٍ، بَلْ كَانَ عَلَىٰ جَوْرٍ وَضَلَالَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِغَيْرِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ بَلْ عَلَىٰ كُفْرٍ مِنْهُمْ بِهِ..

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤] وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ للهِ مُطِيعُونَ، وَفِيمَا نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مُجْتَهِدُونَ.. وَهَذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَىٰ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَقْصِدُ إِلَىٰ الْكُفْرِ بَعْدَ الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ سَعْيَهُمُ الَّذِي سَعَوْا فِي الدُّنْيَا ذَهَبَ ضَلَالًا، وَقَدْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ فِي صُنْعِهِمْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ كَمَا قَالَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فِي عَمَلِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ فِيهِ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعَهُ، كَانُوا مُثَابِينَ مَأْجُورِينَ عَلَيْهَا، وَلَكِنِ الْقَوْلُ بِخِلَافِ مَا قَالُوا، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ بِاللهِ كَفَرَةٌ، وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَابِطَةٌ.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥].

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ، الْأَخْسَرُونَ أَعْمَالًا..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِحُجَجِ رَبِّهِمْ وَأَدِلَّتِهِ، وَأَنْكَرُوا لِقَاءَهُ..

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ فَبَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا ثَوَابٌ يَنْفَعُ أَصْحَابَهَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ لَهُمْ مِنْهَا عَذَابٌ وَخِزْيٌ طَوِيلٌ..

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] فَلَا نَجْعَلُ لَهُمْ ثِقَلًا، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَا تَثْقُلُ بِهِمْ مَوَازِينُهُمْ، لِأَنَّ الْمَوَازِينَ إِنَّمَا تَثْقُلُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَيْسَ لِهَؤُلَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَثْقُلَ بِهِ مَوَازِينُهُمْ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**».

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٦].

﴿ذَلِكَ﴾ أُولَئِكَ..

﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ ثَوَابُهُمْ..

﴿جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ جَهَنَّمُ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ وَاتِّخَاذِهِمْ آيَاتِ كِتَابِهِ..

﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٦] وَحُجَجَ رُسُلِهِ سِخْرِيًّا، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِرُسُلِهِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ كُتُبِهِ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ..

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ﴾ بَسَاتِينُ..

﴿الْفِرْدَوْسِ﴾ قَالَ ﷺ: «**الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ عَامٍ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً، وَمِنْهَا الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِهَا، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ**».. وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ**»..

﴿نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] مَنَازِلَ وَمَسَاكِنَ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

﴿خَالِدِينَ﴾ لَابِثِينَ..

﴿فِيهَا﴾ أَبَدًا..

﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] لَا يُرِيدُونَ عَنْهَا تَحَوُّلًا.. قَالَ مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِ أَنَسٍ يَقُولُ: (**يَقُولُ أَوَّلُهُمْ دُخُولًا: إِنَّمَا أَدْخَلَنِي اللهُ أَوَّلَهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنِّي،**

وَيَقُولُ آخِرُهُمْ دُخُولًا: إِنَّمَا أَخَّرَنِي اللهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْطَاهُ اللهُ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَانِي).

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ لِلْقَلَمِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ..

﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ﴾ مَاءُ..

﴿ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] وَلَوْ مَدَدْنَا الْبَحْرَ بِمِثْلِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مَدَدًا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: جِئْتُكَ مَدَدًا لَكَ، وَذَلِكَ مِنْ مَعْنَىٰ الزِّيَادَةِ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ: ﴿مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾، كَأَنَّ قَارِئَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَرَادَ: لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي، وَلَوْ زِدْنَا بِمِثْلِ مَا فِيهِ مِنَ الْمِدَادِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ مِدَادًا.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿قُلْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ لَا عِلْمَ لِي إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ..

﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ وَإِنَّ اللهَ يُوحِي إِلَيَّ..

﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ أَنَّ مَعْبُودَكُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا..

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا ثَانِيَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ..

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ فَمَنْ يَخَافُ رَبَّهُ يَوْمَ لِقَائِهِ، وَيُرَاقِبُهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، وَيَرْجُو ثَوَابَهُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ فَلْيُخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلْيُفْرِدْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ..

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] وَلَا يَجْعَلْ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ إِيَّاهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ جَاعِلًا لَهُ شَرِيكًا بِعِبَادَتِهِ إِذَا رَاءَىٰ بِعَمَلِهِ الَّذِي ظَاهِرُهُ أَنَّهُ لِلهِ وَهُوَ مُرِيدٌ بِهِ غَيْرَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَهْفِ



سُورَةُ مَرْيَمَ (١٩)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿كهيعص ①﴾ [مريم: ١].

﴿كهيعص ①﴾ [مريم: ١] الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا نَظِيرُ الْقَوْلِ فِي ﴿الم ①﴾ [البقرة: ١]، وَسَائِرِ فَوَاتِحِ سُوَرِ الْقُرْآنِ، الَّتِي افْتُتِحَتْ أَوَائِلُهَا بِحُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى قَبْلُ، فَأَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ②﴾ [مريم: ٢].

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ②﴾ [مريم: ٢] هَذَا ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③﴾ [مريم: ٣].

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③﴾ [مريم: ٣] حِينَ دَعَا رَبَّهُ، وَسَأَلَهُ بِنِدَاءٍ خَفِيٍّ، يَعْنِي: وَهُوَ مُسْتَسِرٌّ بِدُعَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ مَا سَأَلَ، كَرَاهَتَهُ مِنْهُ لِلرِّيَاءِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④﴾ [مريم: ٤].

﴿قَالَ﴾ فَكَانَ نِدَاؤُهُ الْخَفِيُّ الَّذِي نَادَىٰ بِهِ رَبَّهُ أَنْ قَالَ..

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضَعُفَ وَرَقَّ مِنَ الْكِبَرِ..

﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④﴾ [مريم: ٤] وَلَمْ أَشْقَ يَا رَبِّ بِدُعَائِكَ، لِأَنَّكَ لَمْ تُخَيِّبْ دُعَائِي قَبْلُ إِذْ كُنْتُ أَدْعُوكَ فِي حَاجَتِي إِلَيْكَ، بَلْ كُنْتَ تُجِيبُ وَتَقْضِي حَاجَتِي قِبَلَكَ.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: ٥].

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ وَإِنِّي خِفْتُ بَنِي عَمِّي وَعَصَبَتِي..

﴿مِن وَرَآءِى﴾ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَرِثُونِي..

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ وَكَانَتْ زَوْجَتِي لَا تَلِدُ..

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: ٥] فَارْزُقْنِي مِنْ عِنْدَكَ وَلَدًا وَارِثًا وَمُعِينًا.

﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٦].

﴿يَرِثُنِى﴾ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِي مَالِيَ..

﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ النُّبُوَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّ زَكَرِيَّا كَانَ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ..

﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٦] وَاجْعَلْ يَا رَبِّ الْوَلِيَّ الَّذِي تَهَبُهُ لِي مَرْضِيًّا، تَرْضَاهُ أَنْتَ وَيَرْضَاهُ عِبَادُكَ دِينًا وَخُلُقًا وَخَلْقًا.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧].

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِهِبَتِنَا لَكَ غُلَامًا اسْمُهُ يَحْيَىٰ.. كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (**إِنَّمَا سَمَّاهُ اللهُ يَحْيَىٰ لِإِحْيَائِهِ إِيَّاهُ بِالْإِيمَانِ**)..

﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ﴾ لَمْ نَجْعَلْ لِلْغُلَامِ الَّذِي نَهَبُ لَكَ الَّذِي اسْمُهُ يَحْيَىٰ..

﴿مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧] مِنْ قَبْلِهِ أَحَدًا مُسَمًّى بِاسْمِهِ.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم: ٨].

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا لَمَّا بَشَّرَهُ اللهُ بِيَحْيَىٰ..

﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ وَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَكُونُ لِي ذَلِكَ..

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ لَا تَحْبَلُ..

﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم: ٨] وَقَدْ ضَعُفْتُ مِنَ الْكِبَرِ عَنْ مُبَاضَعَةِ النِّسَاءِ، أَبِأَنْ تُقَوِّيَنِي عَلَىٰ مَا ضَعُفْتُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَتَجْعَلَ زَوْجَتِي وَلُودًا -فَإِنَّكَ الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَىٰ

مَا تَشَاءُ- أَمْ بِأَنْ أَنْكِحَ زَوْجَةً غَيْرَ زَوْجَتِي الْعَاقِرِ؟ يَسْتَثْبِتُ رَبَّهُ الْخَبَرَ، عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ قِبَلِهِ لَهُ الْوَلَدُ الَّذِي بَشَّرَهُ اللهُ بِهِ، لَا إِنْكَارًا مِنْهُ ﷺ حَقِيقَةَ كَوْنِ مَا وَعَدَهُ اللهُ مِنَ الْوَلَدِ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ إِنْكَارًا لِأَنْ يَرْزُقَهُ الْوَلَدُ الَّذِي بَشَّرَهُ بِهِ، وَهُوَ الْمُبْتَدِئُ مَسْأَلَةَ رَبِّهِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥- ٦]، بَعْدَ قَوْلِهِ ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].. وقوله ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ يَعْنِي: وَقَدْ عَتَوْتُ مِنَ الْكِبَرِ فَصِرْتُ نَحِلَ الْعِظَامِ يَابِسَهَا، يُقَالُ مِنْهُ لِلْعُودِ الْيَابِسِ: عُودٌ عَاتٍ وَعَاسٍ، وَقَدْ عَتَا يَعْتُو عِتِيًّا وَعُتُوًّا، وَعَسَىٰ يَعْسُو عِسِيًّا وَعُسُوًّا، وَكُلُّ مُتَنَاهٍ إِلَىٰ غَايَتِهِ فِي كِبَرٍ أَوْ فَسَادٍ، أَوْ كُفْرٍ، فَهُوَ عَاتٍ وَعَاسٍ.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾ [مريم: ٩].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِزَكَرِيَّا مُجِيبًا لَهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا الْأَمْرُ، كَمَا تَقُولُ مِنْ أَنَّ امْرَأَتَكَ عَاقِرٌ، وَإِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ الْعِتِيَّ..

﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ وَلَكِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ..

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ خَلْقُ مَا بَشَّرْتُكَ بِهِ مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّ اسْمَهُ يَحْيَىٰ عَلَيَّ هَيِّنٌ..

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ وَلَيْسَ خَلْقُ مَا وَعَدْتُكَ أَنْ أَهَبَهُ لَكَ -مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَمْرَهُ- مِنْكَ مَعَ كِبَرِ سِنِّكَ وَعُقْمِ زَوْجَتِكَ، بِأَعْجَبَ مِنْ خَلْقِكَ، فَإِنِّي قَدْ خَلَقْتُكَ، فَأَنْشَأْتُكَ بَشَرًا سَوِيًّا..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ خَلْقِي مَا بَشَّرْتُكَ بِأَنِّي وَاهِبُهُ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ..

﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾ [مريم: ٩] فَكَذَلِكَ أَخْلُقُ لَكَ الْوَلَدَ الَّذِي بَشَّرْتُكَ بِهِ مِنْ زَوْجَتِكَ الْعَاقِرِ، مَعَ عِتِيِّكَ وَوَهَنِ عِظَامِكَ، وَاشْتِعَالِ شَيْبِ رَأْسِكَ.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾ [مريم: ١٠].

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا..

﴿رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً﴾ يَا رَبِّ اجْعَلْ لِي عِلْمًا وَدَلِيلًا عَلَىٰ مَا بَشَّرَتْنِي بِهِ مَلَائِكَتُكَ مِنْ هَذَا الْغُلَامِ عَنْ أَمْرِكَ وَرِسَالَتِكَ، لِيَطْمَئِنَّ إِلَىٰ ذَلِكَ قَلْبِي.

﴿قَالَ﴾ اللهُ..

﴿ءَايَتُكَ﴾ عَلَامَتُكَ لِذَلِكَ، وَدَلِيلُكَ عَلَيْهِ..

﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ..

﴿سَوِيًّا ۝١٠﴾ [مريم: ١٠] وَأَنْتَ سَوِيٌّ صَحِيحٌ، لَا عِلَّةَ بِكَ مِنْ خَرَسٍ وَلَا مَرَضٍ يَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلَامِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: السَّوِيُّ مِنْ صِفَةِ الْأَيَّامِ، قَالُوا: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: قَالَ: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَتَابِعَاتٍ.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم: ١١].

﴿فَخَرَجَ﴾ زَكَرِيَّا..

﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ مِنْ مُصَلَّاهُ حِينَ حُبِسَ لِسَانُهُ عَنْ كَلَامِ النَّاسِ آيَةً مِنَ اللهِ لَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ وَعْدِهِ إِيَّاهُ مَا وَعَدَ.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أَشَارَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ تَكُونُ تِلْكَ الْإِشَارَةُ بِالْيَدِ أَوْ بِالْكِتَابِ أَوْبِغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُفْهَمُ بِهِ عَنْهُ مَا يُرِيدُ..

﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم: ١١] قَدْ بَيَّنْتُ فِيمَا مَضَىٰ الْوُجُوهَ الَّتِي يَنْصَرِفُ فِيهَا التَّسْبِيحُ، وَقَدْ يَجُوزُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ بِهِ التَّسْبِيحَ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللهِ، فَيَكُونَ أَمَرَهُمْ بِالْفَرَاغِ لِذِكْرِ اللهِ فِي طَرَفَيِ النَّهَارِ بِالتَّسْبِيحِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ بِهِ الصَّلَاةَ، فَيَكُونَ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم: ١٢].

﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ فَوُلِدَ لِزَكَرِيَّا يَحْيَىٰ، فَلَمَّا وُلِدَ، قَالَ اللهُ لَهُ: يَا يَحْيَىٰ..

﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدٍّ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ وَأَعْطَيْنَاهُ..

﴿ٱلْحُكْمَ﴾ الْفَهْمَ لِكِتَابِ اللهِ..

﴿صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم: ١٢] فِي حَالِ صِبَاهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَسْنَانَ الرِّجَالِ.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣﴾ [مريم: ١٣].

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ وَرَحْمَةً مِنَّا وَمَحَبَّةً لَهُ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا.. وَلِلْعَرَبِ فِي حَنَانِكَ لُغَتَانِ: حَنَانَكَ يَا رَبَّنَا، وَحَنَانَيْكَ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي (حَنَانَيْكَ): فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ تَثْنِيَةُ

(حَنَانٍ).. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ لُغَةٌ لَيْسَتْ بِتَثْنِيَةٍ، قَالُوا: وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: حَوَالَيْكَ.. وَقَدْ سَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِ ذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا حَنَانَيْكَ تَثْنِيَةٌ، فِي أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ تَثْنِيَةٌ.. وَأَصْلُ ذَلِكَ أَعْنِي الْحَنَانَ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: حَنَّ فُلَانٌ إِلَىٰ كَذَا، وَذَلِكَ إِذَا ارْتَاحَ إِلَيْهِ وَاشْتَاقَ، ثُمَّ يُقَالُ: تَحَنَّنَ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ، إِذَا وُصِفَ بِالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِ وَالرِّقَّةِ بِهِ، وَالرَّحْمَةِ لَهُ.. فَالْحَنَانُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: حَنَّ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ، يُقَالُ مِنْهُ: حَنَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَنَا أَحِنُّ عَلَيْهِ حَنِينًا وَحَنَانًا، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِزَوْجَةِ الرَّجُلِ: حَنَّتُهُ، لِتَحَنُّنِهِ عَلَيْهَا وَتَعَطُّفِهِ.

﴿وَزَكَوٰةً﴾ آتَيْنَا يَحْيَىٰ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَزَكَاةً، وَهُوَ الطَّهَارَةُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَاسْتِعْمَالُ بَدَنِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، فَالزَّكَاةُ عَطْفٌ عَلَىٰ الْحُكْمِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾.. قَالَ قَتَادَةُ: (**الزَّكَاةُ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ**).

﴿وَكَانَ تَقِيًّا ⑬﴾ وَكَانَ للهِ خَائِفًا، مُؤَدِّيًا فَرَائِضَهُ، مُجْتَنِبًا مَحَارِمَهُ، مُسَارِعًا فِي طَاعَتِهِ.

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ⑭﴾ [مريم: ١٤].

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وَكَانَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ، مُسَارِعًا فِي طَاعَتِهِمَا وَمَحَبَّتِهِمَا، غَيْرَ عَاقٍّ بِهِمَا..

﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ⑭﴾ [مريم: ١٤] وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَكْبِرًا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَطَاعَةِ وَالِدَيْهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ للهِ وَلِوَالِدَيْهِ مُتَوَاضِعًا مُتَذَلِّلًا، يَأْتَمِرُ لِمَا أُمِرَ بِهِ، وَيَنْتَهِي عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، لَا يَعْصِي رَبَّهُ، وَلَا وَالِدَيْهِ.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑮﴾ [مريم: ١٥].

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ وَأَمَانٌ مِنَ اللهِ يَوْمَ وُلِدَ مِنْ أَنْ يَنَالَهُ الشَّيْطَانُ مِنَ السُّوءِ، بِمَا يَنَالُ بِهِ بَنِي آدَمَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا**»..

﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ وَأَمَانٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُ مِنْ فَتَّانِي الْقَبْرِ، وَمِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ..

﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑮﴾ [مريم: ١٥] وَأَمَانٌ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، مِنْ أَنْ يُرَوِّعَهُ شَيْءٌ، أَوْ أَنْ يُفْزِعَهُ مَا يُفْزِعُ الْخَلْقَ.. وَقَدْ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي ذَلِكَ: (**أَوْحَشُ مَا يَكُونُ الْخَلْقُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: يَوْمَ يُولَدُ، فَيَرَىٰ نَفْسَهُ خَارِجًا مِمَّا كَانَ فِيهِ، وَيَوْمَ يَمُوتُ، فَيَرَىٰ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ عَايَنَهُمْ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ، فَيَرَىٰ نَفْسَهُ فِي مَحْشَرٍ عَظِيمٍ، فَأَكْرَمَ اللهُ فِيهَا يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا، فَخَصَّهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ** ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑮﴾).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦﴾ [مريم: ١٦].

﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فِي كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ..

﴿مَرۡيَمَ﴾ ابْنَةَ عِمْرَانَ..

﴿إِذِ﴾ حِينَ..

﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾ اعْتَزَلَتْ.. وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ النَّبْذِ، وَالنَّبْذُ: الطَّرْحُ..

﴿مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ وَانْفَرَدَتْ عَنْهُمْ..

﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦﴾ [مريم: ١٦] فَتَنَحَّتْ وَاعْتَزَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا فِي مَوْضِعٍ قِبَلَ مُشْرِقِ الشَّمْسِ دُونَ مَغْرِبِهَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**إِنِّي لَأَعْلَمُ خَلْقِ اللهِ لِأَيِّ شَيْءٍ اتَّخَذَتِ النَّصَارَىٰ الْمَشْرِقَ قِبْلَةً؟ لِقَوْلِ اللهِ: فَانْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذُوا مِيلَادِ عِيسَىٰ قِبْلَةً**).. وَقَالَ قَتادَةُ: (**قِيلَ: إِنَّهَا إِنَّمَا صَارَتْ بِمَكَانٍ يَلِي مَشْرِقَ الشَّمْسِ، لِأَنَّ مَا يَلِي الْمَشْرِقَ عِنْدَهُمْ كَانَ خَيْرًا مِمَّا يَلِي الْمَغْرِبَ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِيمَا ذُكِرَ عِنْدَ الْعَرَبِ**).

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝١٧﴾ [مريم: ١٧].

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِ أَهْلِهَا..

﴿حِجَابٗا﴾ سِتْرًا يَسْتُرُهَا عَنْهُمْ وَعَنِ النَّاسِ..

﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا﴾ حِينَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، وَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا..

﴿رُوحَنَا﴾ جِبْرِيلَ..

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ فَتَشَبَّهَ لَهَا..

﴿بَشَرٗا﴾ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ..

﴿سَوِيّٗا ۝١٧﴾ [مريم: ١٧] سَوِيَّ الْخَلْقِ مِنْهُمْ، يَعْنِي: فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي آدَمَ مُعْتَدِلِ الْخَلْقِ.

﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨﴾ [مريم: ١٨].

﴿قَالَتۡ﴾ فَخَافَتْ مَرْيَمُ رَسُولَنَا، إِذْ تَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، وَظَنَّتْهُ رَجُلًا يُرِيدُهَا عَلَىٰ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ..

﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ﴾ أَيُّهَا الرَّجُلُ، وأَسْتَجِيرُ..

﴿بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ أَنْ تَنَالَ مِنِّي مَا حَرَّمَهُ عَلَيْكَ..

﴿إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: ١٨] إِنْ كُنْتَ ذَا تَقْوَىٰ لَهُ تَتَّقِي مَحَارِمَهُ، وَتَجْتَنِبَ مَعَاصِيهِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ للهِ تَقِيًّا، فَإِنَّهُ يَجْتَنِبُ ذَلِكَ.. وَلَوْ وُجِّهَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّهَا عَنَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَتَّقِي اللهَ فِي اسْتِجَارَتِي وَاسْتِعَاذَتِي بِهِ مِنْكَ كَانَ وَجْهًا.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم: ١٩].

﴿قَالَ﴾ فَقَالَ لَهَا رُوحُنَا..

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ يَا مَرْيَمُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكِ..

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم: ١٩]وَالْغُلَامُ الزَّكِيُّ: هُوَ الطَّاهِرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ: غُلَامٌ زَاكٍ وَزَكِيٌّ، وَعَالٍ وَعَلِيٌّ.

﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾ [مريم: ٢٠].

﴿قَالَتۡ﴾ مَرْيَمُ لِجِبْرِيلَ..

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَكُونُ لِي غُلَامٌ؟ أَمِنْ قِبَلِ زَوْجٍ أَتزَوَّجُ، فَأُرْزَقُهُ مِنْهُ، أَمْ يَبْتَدِئُ اللهُ فِي خَلْقِهِ ابْتِدَاءً..

﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ مِنْ وَلَدِ آدَمَ بِنِكَاحٍ حَلَالٍ..

﴿وَلَمۡ أَكُ﴾ إِذْ لَمْ يَمْسَسْنِي مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَىٰ وَجْهِ الْحَلَالِ..

﴿بَغِيّٗا ٢٠﴾ [مريم: ٢٠] بَغَيْتُ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مِنَ الْوَجْهِ الْحَرَامِ، فَحَمَلْتُهُ مِنْ زِنًا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: ٢١].

﴿قَالَ﴾ لَهَا جِبْرِيلُ..

﴿كَذَٰلِكِ﴾ هَكَذَا الْأَمْرُ كَمَا تَصِفِينَ، مِنْ أَنَّكِ لَمْ يَمْسَسْكِ بَشَرٌ وَلَمْ تَكُونِي بَغِيًّا..

﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ وَلَكِنَّ رَبَّكِ قَالَ..

﴿هُوَ﴾ أَيْ خَلْقُ الْغُلَامِ الَّذِي قُلْتُ أَنْ أَهَبَهُ لَكِ..

﴿عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيَّ خَلْقُهُ وَهِبَتُهُ لَكِ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ يَفْتَحِلُكِ..

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ وَكَيْ نَجْعَلَ الْغُلَامَ الَّذِي نَهَبُهُ لَكِ عَلَامَةً وَحُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِي أَهَبُهُ لَكِ..

﴿وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾ وَرَحْمَةً مِنَّا لَكِ، وَلِمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ أَخْلُقُهُ مِنْكِ..

﴿وَكَانَ﴾ خَلْقُهُ مِنْكَ..

﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا ٢١﴾ [مريم: ٢١] أَمْرًا قَدْ قَضَاهُ اللهُ، وَمَضَىٰ فِي حُكْمِهِ وَسَابِقُ عِلْمِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْكِ.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢﴾ [مريم: ٢٢].

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ﴾ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ مِنْهُ عَنْهُ، وهو ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، بِغُلَامٍ ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ﴾..

﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ فَاعْتَزَلَتْ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالَّذِي حَمَلَتْهُ، وَهُوَ عِيسَىٰ، وَتَنَحَّتْ بِهِ عَنِ النَّاسِ..

﴿مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢﴾ [مريم: ٢٢] مَكَانًا نَائِيًا قَاصِيًا عَنِ النَّاسِ، يُقَالُ: هُوَ بِمَكَانٍ قَاصٍ، وَقَصِيٍّ بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ، يُقَالُ مِنْهُ: قَصَا الْمَكَانُ يَقْصُو قُصُوًّا: إِذَا تَبَاعَدَ، وَأَقْصَيْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَبْعَدْتُهُ وَأَخَّرْتُهُ.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ٢٣﴾ [مريم: ٢٣].

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ فَجَاءَ بِهَا.. كَمَا يُقَالُ: أَتَيْتُكَ بِزَيْدٍ، فَإِذَا حَذَفْتَ الْبَاءَ قِيلَ آتَيْتُكَ زَيْدًا، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ﴾ [الكهف: ٩٦]، وَالْمَعْنَىٰ: ائْتُونِي بِزُبَرِ الْحَدِيدِ، وَلَكِنَّ الْأَلِفَ مُدَّتْ لَمَّا حُذِفَتِ الْبَاءُ.. وَإِنَّمَا تَأَوَّلَ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ: أَلْجَأَهَا، لِأَنَّ الْمَخَاضَ لَمَّا جَاءَهَا إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ، كَانَ قَدْ أَلْجَأَهَا إِلَيْهِ..

﴿ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: **(كَانَ ذَلِكَ فِي أَدْنَىٰ أَرْضِ مِصْرَ، وَآخِرُ أَرْضِ الشَّامِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا هَرَبَتْ مِنْ قَوْمِهَا لَمَّا حَمَلَتْ، فَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ مِصْرَ هَارِبَةً مِنْهُمْ)**..

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ ذُكِرَ أَنَّهَا قَالَتْ ذَلِكَ فِي حَالِ الطَّلْقِ اسْتِحْيَاءً مِنَ النَّاسِ..

﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ٢٣﴾ [مريم: ٢٣] شَيْئًا نُسِيَ فَتُرِكَ طَلَبُهُ، كَخِرَقِ الْحَيْضِ الَّتِي إِذَا أُلْقِيَتْ وَطُرِحَتْ لَمْ تُطْلَبْ وَلَمْ تُذْكَرْ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ نُسِيَ وَتُرِكَ وَلَمْ يُطْلَبْ فَهُوَ نَسْيٌ.. وَنِسْيٌّ بِفَتْحِ

النُّونِ وَكَسْرِهَا لُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، مِثْلُ الْوَتْرِ وَالْوِتْرِ، وَالْجِسْرُ وَالْجَسْرُ، وَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ عِنْدَنَا.. وَلَوْ وُجِّهَ النَّسْيُ إِلَىٰ الْمَصْدَرِ مِنَ النِّسْيَانِ كَانَ صَوَابًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهَا تَقُولُ: نَسِيتُهُ نِسْيَانًا وَنَسْيًا، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ طَاعَةِ الرَّبِّ وَعَصْيِ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي وَعِصْيَانِ، وَكَمَا تَقُولُ أَتَيْتُهُ إِتْيَانًا وَأَتْيًا.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤].

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ هَكَذَا قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾، بِمَعْنَىٰ: فَنَادَاهَا جَبْرَائِيلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا عَلَىٰ اخْتِلَافٍ مِنْهُمْ فِي تَأْوِيلِهِ، فَمِنْ مُتَأَوِّلٍ مِنْهُمْ إِذَا قَرَأَهُ كَذَلِكَ، وَمِنْ مُتَأَوِّلٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ عِيسَىٰ، وَأَنَّهُ نَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا بَعْدَ مَا وَلَدَتْهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: (مَنْ تَحْتَهَا) بِفَتْحِ التَّاءَيْنِ مِنْ تَحْتُ، بِمَعْنَىٰ: فَنَادَاهَا الَّذِي تَحْتَهَا، عَلَىٰ أَنَّ الَّذِيَ تَحْتَهَا عِيسَىٰ، وَأَنَّهُ الَّذِي نَادَىٰ أُمَّهُ.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: الَّذِي نَادَاهَا ابْنُهَا عِيسَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ كِنَايَةِ ذِكْرِهِ أَقْرَبُ مِنْهُ مِنْ ذِكْرِ جَبْرَائِيلَ، فَرَدُّهُ عَلَىٰ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ أَوْلَىٰ مِنْ رَدِّهِ عَلَىٰ الَّذِي هُوَ أَبْعَدُ مِنْهُ، أَلَا تَرَىٰ فِي سِيَاقِ قَوْلِهِ ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: ٢٢]، يَعْنِي بِهِ: فَحَمَلَتْ عِيسَىٰ فَانْتَبَذَتْ بِهِ، ثُمَّ قِيلَ: فَنَادَاهَا نَسَقًا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ عِيسَىٰ وَالْخَبَرِ عَنْهُ، وَلِعِلَّةٍ أُخْرَىٰ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩]، وَلَمْ تُشِرْ إِلَيْهِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّهُ نَاطِقٌ فِي حَالِهِ تِلْكَ، وَلِلَّذِي كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ وَوَثَقَتْ بِهِ مِنْهُ بِمُخَاطَبَتِهِ إِيَّاهَا بِقَوْلِهِ لَهَا: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾، وَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهَا أَشِيرِي لِلْقَوْمِ إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ قَوْلًا مِنْ جَبْرَائِيلَ، لَكَانَ خَلِيقًا أَنْ يَكُونَ فِي ظَاهِرِ الْخَبَرِ، مُبَيَّنًا أَنَّ عِيسَىٰ سَيَنْطِقُ وَيَحْتَجُّ عَنْهَا لِلْقَوْمِ، وَأَمْرٌ مِنْهُ لَهَا بِأَنْ تُشِيرَ إِلَيْهِ لِلْقَوْمِ إِذَا سَأَلُوهَا عَنْ حَالِهَا وَحَالِهِ.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي بَيَّنَّا، فَبَيِّنٌ أَنَّ كِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ أَعْنِي ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ بِالْكَسْرِ، وَ (مَنْ تَحْتَهَا) بِالْفَتْحِ صَوَابٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قُرِئَ بِالْكَسْرِ كَانَ فِي قَوْلِهِ ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ ذِكْرٌ مِنْ عِيسَىٰ، وَإِذَا قُرِئَ (مَنْ تَحْتَهَا) بِالْفَتْحِ، كَانَ الْفِعْلُ لِمَنْ وَهُوَ عِيسَىٰ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: فَنَادَاهَا الْمَوْلُودُ مِنْ تَحْتِهَا..

﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ يَا أُمَّهْ..

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤] السَّرِيُّ مَعْرُوفٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّهُ النَّهْرُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ الْجَدْوَلُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَعْلَمَهَا مَا قَدْ أَعْطَاهَا اللهُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي جَعَلَهُ عِنْدَهَا، وَقَالَ لَهَا ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي﴾ [مريم: ٢٥- ٢٦]، مِنْ هَذَا الرُّطَبِ ﴿وَٱشْرَبِي﴾

[مريم: ٢٦]، مِنْ هَذَا الْمَاءِ، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٦] بِوَلَدِكِ.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥﴾ [مريم: ٢٥].

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ ذُكِرَ أَنَّ الْجِذْعَ كَانَ جِذْعًا يَابِسًا، وَأَمَرَهَا أَنْ تَهُزَّهُ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ، وَهَزُّهَا إِيَّاهُ كَانَ تَحْرِيكُهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِالنَّخْلَةِ، وَأُدْخِلَتِ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِجِذْعِ﴾؛ كَمَا يُقَالُ: زَوَّجْتُكَ فُلَانَةَ، وَزَوَّجْتُكَ بِفُلَانَةَ، وَكَمَا قَالَ ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، بِمَعْنَىٰ: تُنْبِتُ الدُّهْنَ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ الْعَرَبُ بِذَلِكَ، لِأَنَّ الْأَفْعَالَ يُكَنَّىٰ عَنْهَا بِالْبَاءِ، فَيُقَالُ إِذَا كَنَّيْتَ عَنْ ضَرَبْتُ عَمْرًا: فَعَلْتُ بِهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فِعْلٍ، فَلِذَلِكَ تَدْخُلُ الْبَاءُ فِي الْأَفْعَالِ وَتَخْرُجُ، فَيَكُونُ دُخُولُهَا وَخُرُوجُهَا بِمَعْنًى، فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَهُزِّي إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ..

﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿تُسَٰقِطْ﴾: فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ: (تَسَّاقَطْ) بِالتَّاءِ مِنْ تَسَّاقَطْ، وَتَشْدِيدِ السِّينِ، بِمَعْنَىٰ: تَتَسَاقَطُ عَلَيْكِ النَّخْلَةُ رُطَبًا جَنِيًّا، ثُمَّ تُدْغَمُ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ فِي الْأُخْرَىٰ فَتُشَدَّدُ، وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ وَجَّهُوا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطُ النَّخْلَةُ عَلَيْكِ رُطَبًا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: ﴿تُسَٰقِطْ﴾ بِالتَّاءِ وَتَخْفِيفِ السِّينِ، وَوُجِّهَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، إِلَىٰ مِثْلِ مَا وَجَّهَ إِلَيْهِ مُشَدِّدُوهَا، غَيْرَ أَنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ.. وَرُوِي عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ: (يَسَّاقَطْ) بِالْيَاءِ، وَكَأَنَّهُ وَجَّهَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ يَتَسَاقَطُ الْجِذْعُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ الثَّلَاثَ قِرَاءَاتٌ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قُرَّاءٌ مِنْ أَهْلِ مَعْرِفَةٍ بِالْقُرْآنِ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجِذْعَ إِذَا تَسَاقَطَ رُطَبًا، وَهُوَ ثَابِتٌ غَيْرُ مَقْطُوعٍ، فَقَدْ تَسَاقَطَتِ النَّخْلَةُ رُطَبًا، وَإِذَا تَسَاقَطَتِ النَّخْلَةُ رُطَبًا، فَقَدْ تَسَاقَطَتِ النَّخْلَةُ بِأَجْمَعِهَا، جِذْعُهَا وَغَيْرُ جِذْعِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ النَّخْلَةَ مَا دَامَتْ قَائِمَةً عَلَىٰ أَصْلِهَا، فَإِنَّمَا هِيَ جِذْعٌ وَجَرِيدٌ وَسَعَفٌ، فَإِذَا قُطِعَتْ صَارَتْ جِذْعًا، فَالْجِذْعُ الَّذِي أُمِرَتْ مَرْيَمُ بِهَزِّهِ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ نَعْلَمُهُ أَنَّهُ كَانَ جِذْعًا مَقْطُوعًا غَيْرُ السُّدِّيِّ، وَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ عَادَ بِهَزِّهَا إِيَّاهُ نَخْلَةً، فَقَدْ صَارَ مَعْنَاهُ وَمَعْنَىٰ مَنْ قَالَ: كَانَ الْمُتَسَاقِطُ عَلَيْهَا رُطَبًا نَخْلَةً، وَاحِدًا، فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ صِحَّةُ مَا قُلْنَا..

﴿جَنِيًّا ۝٢٥﴾ [مريم: ٢٥] يَعْنِي مَجْنِيًّا، وَالْمَجْنِيُّ: الْمَأْخُوذُ طَرِيًّا، وَكُلُّ مَا أُخِذَ مِنْ ثَمَرِهِ، أَوْ نُقِلَ مِنْ مَوْضِعِهِ بِطَرَاوَتِهِ فَقَدِ اجْتُنِيَ.

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ٢٦﴾ [مريم: ٢٦].

﴿فَكُلِي﴾ مِنَ الرُّطَبِ الَّذِي يَتَسَاقَطُ عَلَيْكِ..

﴿وَٱشْرَبِي﴾ مِنْ مَاءِ السَّرِيِّ الَّذِي جَعَلَهُ رَبُّكِ تَحْتَكِ، لَا تَخْشَيْ جُوعًا وَلَا عَطَشًا..

﴿وَقَرِّي عَيْنًاۖ﴾ وَطِيبِي نَفْسًا وَافْرَحِي بِوِلَادَتِكِ إِيَّايَ وَلَا تَحْزَنِي.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فَإِنْ رَأَيْتِ مِنَ بَنِي آدَمَ أَحَدًا يُكَلِّمُكَ أَوْ يَسْأَلُكِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكِ وَأَمْرِ وَلَدِكِ وَسَبَبِ وِلَادَتِكِهِ..

﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ إِنِّي أَوْجَبْتُ عَلَىٰ نَفْسِي للهِ صَمْتًا أَلَّا أُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْ بَنِي آدَمَ الْيَوْمَ..

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ٢٦﴾ [مريم: ٢٦] وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَمَرَهَا بِالصَّوْمِ عَنْ كَلَامِ الْبَشَرِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرَهَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا حُجَّةٌ عِنْدَ النَّاسِ ظَاهِرَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهَا جَاءَتْ وَهِيَ أَيِّمٌ بِوَلَدٍ، فَأُمِرَتِ بِالْكَفِّ عَنِ الْكَلَامِ لِيَكْفِيهَا الْكَلَامَ وَلَدُهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ آيَةً لِمَرْيَمَ وَابْنِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَتْ صَائِمَةً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَالصَّائِمُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانَ يَصُومُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَكَلَامِ النَّاسِ، فَأُذِنَ لِمَرْيَمَ فِي قَدْرِ هَذَا الْكَلَامِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَهِيَ صَائِمَةٌ.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ٢٧﴾ [مريم: ٢٧].

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ عِيسَىٰ لِأُمِّهِ اطْمَأَنَّتْ نَفْسُهَا، وَسَلَّمَتْ لِأَمْرِ اللهِ، وَحَمَلَتْهُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا..

﴿قَالُواْ﴾ فَلَمَّا رَأَوْا مَرْيَمَ، وَرَأَوْا مَعَهَا الْوَلَدَ الَّذِي وَلَدَتْهُ، قَالُوا لَهَا..

﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ٢٧﴾ [مريم: ٢٧] يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ بِأَمْرٍ عَجِيبٍ، وَأَحْدَثْتِ حَدَثًا عَظِيمًا، وَكُلُّ عَامِلٍ عَمَلًا أَجَادَهُ وَأَحْسَنَهُ فَقَدْ فَرَاهُ.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ٢٨﴾ [مريم: ٢٨].

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ نِسْبَةٌ مِنْهُمْ لَهَا إِلَىٰ الصَّلَاحِ، لِأَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ فِيهِمْ كَانُوا يُسَمَّوْنَ هَارُونَ، وَلَيْسَ بِهَارُونَ أَخِي مُوسَىٰ، وَأَنَّهَا نُسِبَتْ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا..

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ مَا كَانَ أَبُوكِ رَجُلَ سُوءٍ يَأْتِي الْفَوَاحِشَ..

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨﴾ [مريم: ٢٨] وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ زَانِيَةً.. وَقَالَ: ﴿بَغِيًّا ۝٢٨﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (بَغِيَّةً)؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُوصَفُ بِهِ النِّسَاءُ دُونَ الرِّجَالِ، فَجَرَىٰ مَجْرَىٰ: امْرَأَةٌ حَائِضٌ وَطَالِقٌ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُشَبِّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ، وَامْرَأَةٌ قَتِيلٌ.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩﴾ [مريم: ٢٩].

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ فَلَمَّا قَالَ قَوْمُهَا ذَلِكَ لَهَا قَالَتْ لَهُمْ مَا أَمَرَهَا عِيسَىٰ بِقِيلِهِ لَهُمْ، ثُمَّ أَشَارَتْ لَهُمْ إِلَىٰ عِيسَىٰ أَنْ كَلِّمُوهُ..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ قَوْمُهَا لَهَا..

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩﴾ [مريم: ٢٩] كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ وُجِدَ فِي الْمَهْدِ؟.. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِالْمَهْدِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: حِجْرَ أُمِّهِ، وَالْمَهْدُ: الْحِجْرُ.

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [مريم: ٣٠].

﴿قَالَ﴾ فَلَمَّا قَالَ قَوْمُ مَرْيَمَ لَهَا ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩﴾ [مريم: ٢٩]، حِينَ أَشَارَتْ لَهُمْ إِلَىٰ عِيسَىٰ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ غَضِبُوا وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْهَا اسْتِهْزَاءً بِهِمْ، قَالَ عِيسَىٰ لَهُم مُتَكَلِّمًا عَنْ أُمِّهِ..

﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وَقَضَىٰ يَوْمَ قَضَىٰ أُمُورَ خَلْقِهِ إِلَىٰ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْكِتَابَ..

﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [مريم: ٣٠] وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعْنَىٰ النَّبِيِّ وَاخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِ، وَالصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ عِنْدَنَا بِشَوَاهِدِهِ فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [مريم: ٣١].

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَجَعَلَنِي نَفَّاعًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ بَرَكَتُهُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: جَعَلَنِي مُعَلِّمَ الْخَيْرِ..

﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ حَيْثُمَا كُنْتُ..

﴿وَأَوْصَـٰنِى﴾ وَقَضَىٰ أَنْ يُوصِينِي..

﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ يَعْنِي الْمُحَافَظَةَ عَلَىٰ حُدُودِ الصَّلَاةِ وَإِقَامَتِهَا عَلَىٰ مَا فَرَضَهَا عَلَيَّ..

﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وَفِي الزَّكَاةِ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا: زَكَاةُ الْأَمْوَالِ أَنْ يُؤَدِّيَهَا، وَالْآخَرُ: تَطْهِيرُ

الْجَسَدِ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: وَأَوْصَانِي بِتَرْكِ الذُّنُوبِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي..

﴿مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [مريم: ٣١] فِي الدُّنْيَا مَوْجُودًا، وَهَذَا يُبِينُ عَنْ أَنَّ مَعْنَىٰ الزَّكَاةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَطْهِيرُ الْبَدَنِ مِنَ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يُوصَفُ بِهِ عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ، فَتَجِبُ عَلَيْهِ زَكَاةُ الْمَالِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الزَّكَاةُ الَّتِي كَانَتْ فُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَةَ بِكُلِّ مَا فَضَلَ عَنْ قُوتِهِ، فَيَكُونُ ذَٰلِكَ وَجْهًا صَحِيحًا.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [مريم: ٣٢].

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ أَيْ: جَعَلَنِي بَرًّا بِوَالِدَتِي، وَالْبَرُّ هُوَ الْبَارُّ..

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ وَلَمْ يَجْعَلْنِي مُسْتَكْبِرًا عَلَىٰ اللهِ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ، وَنَهَانِي عَنْهُ..

﴿شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [مريم: ٣٢] وَلَكِنْ ذَلَّلَنِي لِطَاعَتِهِ، وَجَعَلَنِي مُتَوَاضِعًا.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: ٣٣].

﴿وَالسَّلَامُ﴾ وَالْأَمَنَةُ مِنَ اللهِ..

﴿عَلَيَّ﴾ مِنَ الشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ..

﴿يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ أَنْ يَنَالُوا مِنِّي مَا يَنَالُونَ مِمَّنْ يُولَدُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ، مِنَ الطَّعْنِ فِيهِ..

﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ..

﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: ٣٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنْ يَنَالَنِي الْفَزَعُ الَّذِي يَنَالُ النَّاسَ بِمُعَايَنَتِهِمْ أَهْوَالَ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم: ٣٤].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي بَيَّنْتُ لَكُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبَرْتُكُمْ خَبَرَهُ، مِنْ أَمْرِ الْغُلَامِ الَّذِي حَمَلَتْهُ مَرْيَمُ، هُوَ..

﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَهَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُ، وَهَذَا الْخَبَرُ خَبَرُهُ، وَهُوَ..

﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ الَّذِي قَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ قَوْلُ الْحَقِّ، وَالْكَلَامُ الَّذِي تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ قَوْلُ اللهِ وَخَبَرُهُ، لَا خَبَرُ غَيْرِهِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْوَهْمُ وَالشَّكُّ، وَالزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ، عَلَىٰ مَا كَانَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَقُولُوا فِي عِيسَىٰ أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي أَخْبَرَكُمُ اللهُ بِهِ عَنْهُ، لَا مَا قَالَتْهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ، وَأَنَّهُ كَانَ سَاحِرًا كَذَّابًا، وَلَا مَا قَالَتْهُ النَّصَارَىٰ، مِنْ أَنَّهُ

كَانَ للهِ وَلَدًا، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لَهُ.. وَلَوْ وُجِّهَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ إِلَىٰ ذَلِكَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ الْقَوْلُ الْحَقُّ، بِمَعْنَىٰ ذَلِكَ الْقَوْلُ الْحَقُّ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ مِنَ الْقَوْلِ، وَأُضِيفَ إِلَىٰ الْحَقِّ، كَمَا قِيلَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥]، وَكَمَا قِيلَ: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝١٦﴾ [الأحقاف: ١٦]، كَانَ تَأْوِيلًا صَحِيحًا.. وَقَدِ اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ: فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ: (**قَوْلُ الْحَقِّ**) بِرَفْعِ الْقَوْلِ، عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ مِنَ الْمَعْنَىٰ، وَرَفْعُهُ عِنْدِي بِمُضْمَرٍ، وَهُوَ: هَذَا قَوْلُ الْحَقِّ، عَلَىٰ الِابْتِدَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ قَدْ تَنَاهَىٰ عَنْ قِصَّةِ عِيسَىٰ وَأُمِّهِ عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ بِأَنَّ الْحَقَّ فِيمَا فِيهِ تَمْتَرِي الْأُمَمُ مِنْ أَمْرِ عِيسَىٰ، هُوَ هَذَا الْقَوْلُ، الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْهُ عِبَادَهُ، دُونَ غَيْرِهِ.. وَقَدْ قَرَأَ ذَلِكَ عَاصِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ بِالنَّصْبِ، وَكَأَنَّهُمَا أَرَادَا بِذَلِكَ الْمَصْدَرَ: ذَلِكَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلًا حَقًّا، ثُمَّ أُدْخِلَتْ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: الرَّفْعُ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ.

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم: ٣٤] الَّذِي فِيهِ يَخْتَصِمُونَ وَيَخْتَلِفُونَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَارَيْتُ فُلَانًا: إِذَا جَادَلْتُهُ وَخَاصَمْتُهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾** [مريم: ٣٧]، **اخْتَلَفُوا فِيهِ فَصَارُوا أَحْزَابًا**).

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٣٥﴾ [مريم: ٣٥].

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ لَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ عِيسَىٰ ابْنُ اللهِ، وَأَعْظَمُوا الْفِرْيَةَ عَلَيْهِ، فَمَا يَنْبَغِي للهِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا، وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ فَخَلْقُهُ.

﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تَنْزِيهًا للهِ وَتَبْرِئَةً لَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْكَافِرُونَ الْقَائِلُونَ: عِيسَىٰ ابْنُ اللهِ..

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾ إِنَّمَا ابْتَدَأَ اللهُ خَلْقَ عِيسَىٰ ابْتِدَاءً، وَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ افْتَحَلَ أُمَّهُ، وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُ..

﴿كُن فَيَكُونُ ۝٣٥﴾ [مريم: ٣٥] لِأَنَّهُ كَذَلِكَ يَبْتَدِعُ الْأَشْيَاءَ وَيَخْتَرِعُهَا، إِنَّمَا يَقُولُ: إِذَا قَضَىٰ خَلْقَ شَيْءٍ أَوْ إِنْشَاءَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ مَوْجُودًا حَادِثًا، لَا يَعْظُمُ عَلَيْهِ خَلْقُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُقُهُ بِمُعَانَاةٍ وَكُلْفَةٍ، وَلَا يُنْشِئُهُ بِمُعَالَجَةٍ وَشِدَّةٍ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [مريم: ٣٦].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ وَإِنِّي وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ جَمِيعًا للهِ عَبِيدٌ، فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا دُونَ غَيْرِهِ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَأَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِهِ هُوَ..

﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٣٦﴾ [مريم: ٣٦] الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ نَجَا، وَمَنْ رَكِبَهُ اهْتَدَىٰ؛ لِأَنَّهُ دِينُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾ [مريم: ٣٧].

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ﴾ فَاخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ فِي عِيسَىٰ، فَصَارُوا أَحْزَابًا مُتَفَرِّقِينَ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا رُفِعَ ابْنُ مَرْيَمَ، انْتَخَبَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَرْبَعَةً مِنْ فُقَهَائِهِمْ، فَقَالُوا لِلْأَوَّلِ: مَا تَقُولُ فِي عِيسَىٰ؟ قَالَ: هُوَ اللهُ هَبَطَ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَخَلَقَ مَا خَلَقَ، وَأَحْيَا مَا أَحْيَا، ثُمَّ صَعِدَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَتَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَتِ الْيَعْقُوبِيَّةُ مِنَ النَّصَارَىٰ، وَقَالَ الثَّلَاثَةُ الْآخَرُونَ: نَشْهَدُ أَنَّكَ كَاذِبٌ، فَقَالُوا لِلثَّانِي: مَا تَقُولُ فِي عِيسَىٰ؟ قَالَ: هُوَ ابْنُ اللهِ، فَتَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَتِ النَّسْطُورِيَّةُ مِنَ النَّصَارَىٰ، وَقَالَ الِاثْنَانِ الْآخَرَانِ: نَشْهَدُ أَنَّكَ كَاذِبٌ، فَقَالُوا لِلثَّالِثِ: مَا تَقُولُ فِي عِيسَىٰ؟ قَالَ: هُوَ إِلَهٌ، وَأُمُّهُ إِلَهٌ، وَاللهُ إِلَهٌ، فَتَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ مِنَ النَّصَارَىٰ، فَقَالَ الرَّابِعُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ كَاذِبٌ، وَلَكِنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هُوَ كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ، فَاخْتَصَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ مَا تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: لَا يَطْعَمُ الطَّعَامَ قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ يَنَامُ؟ قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ فَخَصَمَهُمُ الْمُسْلِمُ، قَالَ: فَاقْتَتَلَ الْقَوْمُ، قَالَ: فَذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْيَعْقُوبِيَّةَ ظَهَرَتْ يَوْمَئِذٍ وَأُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ [آل عمران: ٢١]**)..

﴿فَوَيْلٌ﴾ فَوَادِي جَهَنَّمَ الَّذِي يُدْعَىٰ وَيْلًا..

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ، مِنَ الزَّاعِمِينَ أَنَّ عِيسَىٰ للهِ وَلَدٌ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾ [مريم: ٣٧] مِنْ شُهُودِهِمْ يَوْمًا عَظِيمًا شَأْنُهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٨﴾ [مريم: ٣٨].

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ حَالِ الْكَافِرِينَ بِهِ، الْجَاعِلِينَ لَهُ أَنْدَادًا، وَالزَّاعِمِينَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا يَوْمَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ: لَئِنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا عُمْيًا عَنْ إِبْصَارِ

الْحَقِّ، وَالنَّظَرِ إِلَىٰ حُجَجِ اللهِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، صُمًّا عَنْ سَمَاعِ آيِ كِتَابِهِ، وَمَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللهِ فِيهَا مِنَ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ، وَمَا بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، فَمَا أَسْمَعَهُمْ يَوْمَ قُدُومِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَأَبْصَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِبْصَارُ وَالسَّمَاعُ..

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لكِنِ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ، وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ الْكَذِبَ..

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ فِي ذَهَابٍ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ..

﴿مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ [مريم: ٣٨] مُبِينٌ أَنَّهُ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ وَالْهُدَىٰ، لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَفَكَّرَ فِيهِ، فَهُدِيَ لِرُشْدِهِ.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم: ٣٩].

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ وَأَنْذِرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ يَوْمَ حَسْرَتِهِمْ وَنَدَمِهِمْ، عَلَىٰ مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، وَأُورِثَتْ مَسَاكِنُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالطَّاعَةِ لَهُ، وَأُدْخِلُوهُمْ مَسَاكِنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيْقَنَ الْفَرِيقَانِ بِالْخُلُودِ الدَّائِمِ، وَالْحَيَاةِ الَّتِي لَا مَوْتَ بَعْدَهَا، فَيَا لَهَا حَسْرَةً وَنَدَامَةً.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ وَأَشَارَ بِيَدِهِ فِي الدُّنْيَا»**..

﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ إِذْ فُرِغَ مِنَ الْحُكْمِ لِأَهْلِ النَّارِ بِالْخُلُودِ فِيهَا، وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِمُقَامِ الْأَبَدِ فِيهَا، بِذَبْحِ الْمَوْتِ..

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ يَأْتُونَهُ خَارِجِينَ إِلَيْهِ مِنْ قُبُورِهِمْ، مِنْ تَخْلِيدِهِ إِيَّاهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَتَوْرِيثِهِ مَسَاكِنَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غَيْرَهُمْ..

﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم: ٣٩] وَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ، وَمُجَازَاةِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ، بِمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ مُجَازِيهِمْ بِهِ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾ [مريم: ٤٠].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ لَا يَحْزُنْكَ تَكْذِيبُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَكَ -يَا مُحَمَّدُ- فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ إِلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ وَمَرجِعَ جَمِيعِ الْخَلْقِ غَيْرِهِمْ، وَنَحْنُ وَارِثُو الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ بِفَنَائِهِمْ مِنْهَا، وَبَقَائِهَا لَا مَالِكَ لَهَا غَيْرُنَا..

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾ [مريم: ٤٠] ثُمَّ عَلَيْنَا جَزَاءُ كُلِّ عَامِلٍ مِنْهُمْ بِعَمَلِهِ، عِنْدَ مَرْجِعِهِ إِلَيْنَا، الْمُحْسِنُ مِنْهُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي كِتَابِ اللهِ..

﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَاقْصُصْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَصَصَهُ وَقَصَصَ أَبِيهِ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ فِي حَدِيثِهِ وَأَخْبَارِهِ وَمَوَاعِيدِهِ، لَا يَكْذِبُ..

﴿نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١] كَانَ اللهُ قَدْ نَبَّأَهُ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢﴾ [مريم: ٤٢].

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ اذْكُرْهُ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ..

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ مَا تَصْنَعُ بِعِبَادَةِ الْوَثَنِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ..

﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ شَيْئًا..

﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢﴾ [مريم: ٤٢] وَلَا يَدْفَعُ عَنْكَ ضُرَّ شَيْءٍ، إِنَّمَا هُوَ صُورَةٌ مُصَوَّرَةٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، يَقُولُ مَا تَصْنَعُ بِعِبَادَةِ مَا هَذِهِ صِفَتُهُ؟ اعْبُدِ الَّذِي إِذَا دَعَوْتَهُ سَمِعَ دُعَاءَكَ، وَإِذَا أُحِيطَ بِكَ أَبْصَرَكَ فَنَصَرَكَ، وَإِذَا نَزَلَ بِكَ ضُرٌّ دَفَعَ عَنْكَ.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣﴾ [مريم: ٤٣].

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ آتَانِي اللهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُؤْتِكَ..

﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ﴾ فَاقْبَلْ مِنِّي نَصِيحَتِي..

﴿أَهْدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم: ٤٣] أُبَصِّرُكَ هُدَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَوِي الَّذِي لَا تَضِلُّ فِيهِ إِنْ لَزِمْتَهُ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ [مريم: ٤٤].

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ [مريم: ٤٤] وَالْعَصِيُّ هُوَ ذُو الْعِصْيَانِ، كَمَا الْعَلِيمُ ذُو الْعِلْمِ، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: الْعَصِيُّ: هُوَ الْعَاصِي، وَالْعَلِيمُ هُوَ الْعَالِمُ، وَقَالُوا: قَالَ عَرِيفُهُمْ، وَهُوَ يُرِيدُ: عَارِفُهُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: ٤٥].

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَىٰ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ يَمَسُّكَ عَذَابٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ.. وَالْخَوْفُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ، كَمَا الْخَشْيَةُ بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠﴾ [الكهف: ٨٠]..

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: ٤٥] تَكُونُ لَهُ وَلِيًّا دُونَ اللهِ، وَيَتَبَرَّأُ اللهُ مِنْكَ فَتَهْلِكُ.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: ٤٦].

﴿قَالَ﴾ أَبُو إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ، حِينَ دَعَاهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾ أَرَاغِبٌ أَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمُ عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِي؟..

﴿لَئِن﴾ أَنْتَ..

﴿لَّمۡ تَنتَهِ﴾ عَنْ ذِكْرِهَا بِسُوءٍ..

﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ بِالْكَلَامِ، وَذَلِكَ السَّبُّ، وَالْقَوْلُ الْقَبِيحُ.

﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: ٤٦] وَاهْجُرْنِي سَوِيًّا سَالِمًا مِنْ عُقُوبَتِي إِيَّاكَ، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَاهْجُرْنِي وَعِرْضُكَ وَافِرٌ مِنْ عُقُوبَتِي، وَجِسْمُكَ مُعَافًى مِنْ أَذَايَ؛ لِأَنَّهُ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ [مريم: ٤٦]، وَذَلِكَ وَعِيدٌ مِنْهُ لَهُ إِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِ بِالسُّوءِ أَنْ يَرْجُمَهُ بِالْقَوْلِ السَّيِّءِ، وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِأَنْ يَتْبَعَ ذَلِكَ التَّقَدُّمُ إِلَيْهِ بِالِانْتِهَاءِ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ تَنَالَهُ الْعُقُوبَةُ، فَأَمَّا الْأَمْرُ بِطُولِ هِجْرِهِ فَلَا وَجْهَ لَهُ.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧﴾ [مريم: ٤٧].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ حِينَ تَوَعَّدَهُ عَلَىٰ نَصِيحَتِهِ إِيَّاهُ وَدُعَائِهِ إِلَىٰ اللهِ بِالْقَوْلِ السَّيِّئِ وَالْعُقُوبَةِ..

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ﴾ يَا أَبَتِ، يَقُولُ: أَمَنَةً مِنِّي لَكَ أَنْ أُعَاوِدَكَ فِيمَا كَرِهْتَ، وَلِدُعَائِكَ إِلَيَّ مَا تَوَعَّدْتَنِي عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ وَلَكِنِّي..

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ سَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْكَ ذُنُوبَكَ بِعَفْوِهِ إِيَّاكَ عَنْ عُقُوبَتِكَ عَلَيْهَا..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧﴾ [مريم: ٤٧] إِنَّ رَبِّي عَهِدْتُهُ بِي لَطِيفًا يُجِيبُ دُعَائِي إِذَا دَعَوْتُهُ.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨﴾ [مريم: ٤٨].

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ وَأَجْتَنِبُكُمْ..

﴿وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَإِفْرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨﴾ [مريم: ٤٨] عَسَىٰ أَنْ لَا أَشْقَىٰ بِدُعَاءِ رَبِّي، وَلَكِنْ يُجِيبُ دُعَائِي، وَيُعْطِينِي مَا أَسْأَلُهُ.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩﴾ [مريم: ٤٩].

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَ إِبْرَاهِيمُ قَوْمَهُ..

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَعِبَادَةَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونَ اللهِ مِنَ الْأَوْثَانِ..

﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ﴾ آنَسْنَا وَحْشَتَهُ مِنْ فِرَاقِهِمْ، وَأَبْدَلْنَاهُ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُمْ، فَوَهَبْنَا لَهُ ابْنَهُ إِسْحَاقَ، وَابْنَ ابْنِهِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ..

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩﴾ [مريم: ٤٩] وَجَعَلْنَاهُمْ كُلَّهُمْ، يَعْنِي بِالْكُلِّ: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْبِيَاءَ، وَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩﴾ فَوَحَّدَ، وَلَمْ يَقُلْ أَنْبِيَاءَ، لِتَوْحِيدِ لَفْظِ كُلٍّ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ٥٠﴾ [مريم: ٥٠].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ وَرَزَقْنَا جَمِيعَهُمْ، يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..

﴿مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ وَكَانَ الَّذِي وَهَبَ لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ سَعَةِ رِزْقِهِ، وَأَغْنَاهُمْ بِفَضْلِهِ..

﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾ [مريم: ٥٠] وَرَزَقْنَاهُمُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ، وَالذِّكْرَ الْجَمِيلَ مِنَ النَّاسِ.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١﴾ [مريم: ٥١].

﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فِي كِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ..

﴿مُوسَىٰٓ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ وَاقْصُصْ عَلَىٰ قَوْمِكَ نَبَأَهُ، إِنَّهُ كَانَ..

﴿مُخۡلَصٗا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضِ الْكُوفِيِّينَ: (**مُخْلِصًا**) بِكَسْرِ اللَّامِ، مِنَ الْمُخْلِصِ، بِمَعْنَىٰ: إِنَّهُ كَانَ يُخْلِصُ للهِ الْعِبَادَةَ، وَيُفْرِدُهُ بِالْأُلُوهَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ فِيهَا شَرِيكًا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ خَلَا عَاصِمٍ: ﴿مُخۡلَصٗا﴾، بِفَتْحِ اللَّامِ مِنْ مُخْلَصٍ، بِمَعْنَىٰ: إِنَّ مُوسَىٰ كَانَ اللهُ قَدْ أَخْلَصَهُ وَاصْطَفَاهُ لِرِسَالَتِهِ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا مُرْسَلًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّهُ كَانَ ﷺ مُخْلِصًا عِبَادَةَ اللهِ، مُخْلَصًا لِلرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ..

﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١﴾ [مريم: ٥١] وَكَانَ للهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ نَبِيًّا.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢].

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ وَنَادَيْنَا مُوسَىٰ..

﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَبَلِ..

﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ يَمِينِ مُوسَىٰ، لِأَنَّ الْجَبَلَ لَا يَمِينَ لَهُ وَلَا شِمَالَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَمَا يُقَالُ: قَامَ عَنْ يَمِينِ الْقِبْلَةِ وَعَنْ شِمَالِهَا..

﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢] وَأَدْنَيْنَاهُ مُنَاجِيًا، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ نَدِيمُ فُلَانٍ وَمُنَادِمُهُ، وَجَلِيسُ فُلَانٍ وَمُجَالِسُهُ، وَذُكِرَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَدْنَاهُ حَتَّىٰ سَمِعَ صَرِيفَ الْقَلَمِ، وَهُوَ الثَّابِتُ عن ابنِ عباسٍ، ومجاهدٍ، وأبي العَالِيَةِ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم: ٥٣].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾ وَوَهَبْنَا لِمُوسَىٰ..

﴿مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم: ٥٣] رَحْمَةً مِنَّا أَيَّدْنَاهُ بِنُبُوَّتِهِ، وَأَعَنَّاهُ بِهَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَانَ هَارُونُ أَكْبَرَ مِنْ مُوسَىٰ، وَلَكِنْ أَرَادَ وَهْبَ لَهُ نُبُوَّتَهُ).

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ﴾ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، فَاقْصُصْ خَبَرَهُ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يَكْذِبُ وَعْدَهُ، وَلَا يَخْلُفُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَعَدَ رَبَّهُ، أَوْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ وَعْدًا وَفَّىٰ بِهِ..

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريم: ٥٥].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ..

﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ..

﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريم: ٥٥] عَمَلُهُ، مَحْمُودًا فِيمَا كَلَّفَهُ رَبُّهُ، غَيْرَ مَقَصِّرٍ فِي طَاعَتِهِ.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ [مريم: ٥٦].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي كِتَابِنَا هَذَا..

﴿إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ لَا يَقُولُ الْكَذِبَ..

﴿نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ [مريم: ٥٦] نُوحِي إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِنَا مَا نَشَاءُ.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧].

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧] ذُكِرَ أَنَّ اللهَ رَفَعَهُ وَهُوَ حَيٌّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ يَعْنِي بِهِ إِلَىٰ مَكَانٍ ذِي عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ أَنْبَاءَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بِتَوْفِيقِهِ، فَهَدَاهُمْ لِطَرِيقِ الرُّشْدِ..

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ..

﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ فَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ: إِدْرِيسُ..

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٖ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ فِي الْفُلْكِ.. وَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ: إِبْرَاهِيمُ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ.. وَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ: إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَإِسْمَاعِيلُ..

﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ.. وَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ: مُوسَىٰ وَهَارُونُ وَزَكَرِيَّا وَعِيسَىٰ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ.. وَلِذَلِكَ فَرَّقَ تَعَالَىٰ ذِكْرَهُ أَنْسَابَهُمْ وَإِنْ كَانَ يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ آدَمُ؛ لِأَنَّ فِيهِمْ مَنْ لَيْسَ مِنْ وَلَدِ مَنْ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَإِدْرِيسُ جَدُّ نُوحٍ.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ لِلْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿وَٱجْتَبَيْنَآۚ﴾ وَمِمَّنْ اصْطَفَيْنَا وَاخْتَرْنَا لِرِسَالَتِنَا وَوَحْيِنَا..

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ..

﴿ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أَدِلَّةُ اللهِ وَحُجَجُهُ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ..

﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا﴾ خَرُّوا للهِ سُجَّدًا، اسْتِكَانَةً لَهُ وَتَذَلُّلًا وَخُضُوعًا لِأَمْرِهِ وَانْقِيَادًا..

﴿وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨] خَرُّوا سُجَّدًا وَهُمْ بَاكُونَ، وَالْبُكِيُّ: جَمْعُ بَاكٍ، كَمَا الْعُتِيُّ: جَمْعُ عَاتٍ، وَالْجُثِيُّ: جَمْعُ جَاثٍ، كَمَا يُجْمَعُ الْقَاعِدُ قُعُودًا، وَالْجَالِسُ جُلُوسًا.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبُكِيُّ هُوَ الْبُكَاءُ بِعَيْنِهِ، وَقَدْ قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سُورَةَ مَرْيَمَ فَسَجَدَ وَقَالَ: (**هَذَا السُّجُودُ، فَأَيْنَ الْبُكِيُّ؟**) يُرِيدُ: فَأَيْنَ الْبُكَاءُ.

﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

﴿۞فَخَلَفَ﴾ فَحَدَثَ..

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ، وَوَصَفْتُ

صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿خَلْفٌ﴾ خَلْفُ سُوءٍ خَلَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ..

﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ إِضَاعَتِهِمُ الصَّلَاةَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ إِضَاعَتُهُمُوهَا تَأْخِيرَهُمْ إِيَّاهَا عَنْ مَوَاقِيتِهَا، وَتَضْيِيعَهِمْ أَوْقَاتَهَا، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللهَ يُكْثِرُ ذِكْرَ الصَّلَاةِ فِي الْقُرْآنِ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [الماعون: ٥]، وَ ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝﴾ [المعارج: ٢٣]، وَ ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩٢]؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (عَلَىٰ مَوَاقِيتِهَا)، قَالُوا: مَا كُنَّا نَرَىٰ ذَلِكَ إِلَّا عَلَىٰ التَّرْكِ، قَالَ: (ذَاكَ الْكُفْرُ).. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَتْ إِضَاعَتُهُمُوهَا تَرْكَهَا.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِضَاعَتُهُمُوهَا تَرْكَهُمْ إِيَّاهَا، لِدَلَالَةِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بَعْدَهُ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [مريم: ٦٠]، فَلَوْ كَانَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ ضَيَّعُوهَا مُؤْمِنِينَ لَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، وَهُمْ مُؤْمِنُونَ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا لَا يَعْمَلُونَ للهِ، وَلَا يُؤَدُّونَ لَهُ فَرِيضَةً، فَسَقَةً..

﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ آثَرُوا شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذِهَابِ صَالِحِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَنْزُو بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَزِقَّةِ زُنَاةٌ)..

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ﴾ يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخُلْفُ الَّذِينَ خَلَفُوا بَعْدَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ سَيَدْخُلُونَ..

﴿غَيًّا ۝﴾ [مريم: ٥٩] وَهُوَ اسْمُ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ، أَوِ اسْمُ بِئْرٍ مِنْ آبَارِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِالْغَيِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْخُسْرَانَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِهِ الشَّرَّ.. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ وَرَدَ الْبِئْرَ، أو الْوَادِي فِي جَهَنَّمَ، فَدَخَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ لَاقَىٰ خُسْرَانًا وَشَرًّا، حَسْبُهُ بِهِ شَرًّا.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝﴾ [مريم: ٦٠].

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ فَسَوْفَ يَلْقَىٰ هَؤُلَاءِ الْخَلَفُ السُّوءُ الَّذِينَ وُصِفَ صِفَتُهُمْ غَيًّا، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا..

﴿وَءَامَنَ﴾ فَرَاجَعُوا أَمْرَ اللهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ وَأَطَاعَ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ عَنْهُ، وَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ، وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَإِنَّ أُولَئِكَ مِنْهُمْ خَاصَّةً..

﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ دُونَ مَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَإِضَاعَتِهِ الصَّلَاةَ وَاتِّبَاعِهِ الشَّهَوَاتِ..

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠﴾ [مريم: ٦٠] وَلَا يُبْخَسُونَ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا، وَلَا يُجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ هَلَكُوا مِنَ الْخَلَفِ السُّوءِ مِنْهُمْ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ مِنْ ضَلَالِهِمْ، وَقَبْلَ إِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ فِي جَهَنَّمَ، وَلَكِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مَدْخَلَ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝٦١﴾ [مريم: ٦١].

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ..

﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ هَذِهِ الْجَنَّاتُ هِيَ الْجَنَّاتُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوهَا بِالْغَيْبِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهَا وَلَمْ يُعَايِنُوهَا، فَهِيَ غَيْبٌ لَهُمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ وَوَعْدُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَوْعُودُهُ، وَهُوَ الْجَنَّةُ..

﴿مَأْتِيًّا ۝٦١﴾ [مريم: ٦١] يَأْتِيهِ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ الَّذِينَ يُدْخِلُهُمُوهَا اللهُ.. وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ: خَرَجَ الْخَبَرُ عَلَىٰ أَنَّ الْوَعْدَ هُوَ الْمَأْتِيُّ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي، وَلَمْ يَقُلْ: وَكَانَ وَعْدُهُ آتِيًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا أَتَاكَ فَأَنْتَ تَأْتِيهِ، وَقَالَ: أَلَا تَرَىٰ أَنَّكَ تَقُولُ: أَتَيْتُ عَلَىٰ خَمْسِينَ سَنَةً، وَأَتَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ سَنَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ صَوَابٌ.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢﴾ [مريم: ٦٢].

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ لَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِيهَا..

﴿لَغْوًا﴾ وَهُوَ الْهَذْيُ وَالْبَاطِلُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْكَلَامِ..

﴿إِلَّا سَلَٰمًا ۖ﴾ وَهَذَا مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ، وَمَعْنَاهُ: وَلَكِنْ يَسْمَعُونَ سَلَامًا، وَهُوَ تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُمْ..

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾ وَلَهُمْ طَعَامُهُمْ وَمَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ..

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢﴾ [مريم: ٦٢] فِي قَدْرِ وَقْتِ الْبُكْرَةِ وَوَقْتِ الْعَشِيِّ مِنْ نَهَارِ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي أَنَّ الَّذِي بَيْنَ غَدَائِهِمْ وَعَشَائِهِمْ فِي الْجَنَّةِ قَدْرُ مَا بَيْنَ غَدَاءِ أَحَدِنَا فِي الدُّنْيَا وَعَشَائِهِ، وَكَذَلِكَ مَا بَيْنَ الْعَشَاءِ وَالْغَدَاءِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا لَيْلَ فِي الْجَنَّةِ وَلَا نَهَارَ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، وَ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، يَعْنِي بِهِ: مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ الَّتِي وَصَفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ صِفَتَهَا، هِيَ الْجَنَّةُ..

﴿ٱلَّتِي نُورِثُ﴾ الَّتِي نُورِثُهَا، يَقُولُ: نُورِثُ مَسَاكِنَ أَهْلِ النَّارِ فِيهَا..

﴿مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣] مَنْ كَانَ ذَا اتِّقَاءِ عَذَابِ اللهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤].

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ اسْتِبْطَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ جِبْرَائِيلَ بِالْوَحْيِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجِبْرَائِيلَ: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟ فَنَزَلَتْ** ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾».. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: فَلَا تَسْتَبْطِئْنَا يَا مُحَمَّدُ فِي تَخَلُّفِنَا عَنْكَ، فَإِنَّا لَا نَتَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَنَا بِالنُّزُولِ إِلَيْهَا..

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ للهِ مَا هُوَ حَادِثٌ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَمْ تَأْتِ وَهِيَ آتِيَةٌ..

﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ وَمَا قَدْ مَضَى فَخَلَّفْنَاهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا..

﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وَمَا بَيْنَ وَقْتِنَا هَذَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، بِيَدِهِ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَهُوَ مَالِكُهُ وَمُصَرِّفُهُ، لَا يَمْلِكُ ذَلِكَ غَيْرُهُ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُحْدِثَ فِي سُلْطَانِهِ أَمْرًا إِلَّا بِأَمْرِهِ إِيَّانَا بِهِ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤] وَلَمْ يَكُنْ رَبُّكَ ذَا نِسْيَانٍ، فَيَتَأَخَّرُ نُزُولِي إِلَيْكَ بِنِسْيَانِهِ إِيَّاكَ، بَلْ هُوَ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، فَتَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَكِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُدَبِّرُ وَيَقْضِي فِي خَلْقِهِ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا نَسِيًّا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ نَسِيًّا لَمْ يَسْتَقِمْ ذَلِكَ وَلَهَلَكَ، لَوْلَا حِفْظُهُ إِيَّاهُ..

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ فَالْزَمْ طَاعَتَهُ، وَذِلَّ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى النُّفُوذِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، تَفُزْ بِرِضَاهُ

عَنْكَ، فَإِنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا عَدْلَ وَلَا شَبِيهَ فِي جُودِهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ..

﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُۥ﴾ لِرَبِّكَ هَذَا الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِعِبَادَتِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥] مِثْلًا فِي كَرَمِهِ وَجُودِهِ، فَتَعْبُدُهُ رَجَاءَ فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ دُونَهُ؟ كَلَّا، مَا ذَلِكَ بِمَوْجُودٍ.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾ [مريم: ٦٦].

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الْكَافِرُ الَّذِي لَا يُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ..

﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾ [مريم: ٦٦] أُخْرَجُ حَيًّا، فَأُبْعَثُ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَبَعْدَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ، إِنْكَارًا مِنْهُ ذَلِكَ.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧﴾ [مريم: ٦٧].

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الْمُتَعَجِّبُ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْكِرُ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ بَعْدَ فَنَائِهِ، وَإِيجَادِهِ بَعْدَ عَدَمِهِ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ..

﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ﴾ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ مَمَاتِهِ، فَأَنْشَأَهُ بَشَرًا سَوِيًّا..

﴿وَلَمْ يَكُ﴾ مِنْ قَبْلِ إِنْشَائِهِ إِيَّاهُ..

﴿شَيْـًٔا ۝٦٧﴾ [مريم: ٦٧] فَيَعْتَبِر بِذَلِكَ وَيَعْلَمُ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ لَا يَعْجَزُ عَنْ إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَإِيجَادِهِ بَعْدَ فَنَائِهِ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ [مريم: ٦٨].

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ لَنَحْشُرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: أَئِذَا مِتْنَا لَسَوْفَ نُخْرَجُ أَحْيَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ، مُقْرَّنِينَ بِأَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ..

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ [مريم: ٦٨] وَالْجِثِيُّ: جَمْعُ الْجَاثِي، يَعْنِي: الْقُعُودَ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨].

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩﴾ [مريم: ٦٩].

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ ثُمَّ لَنَأْخُذَنَّ..

﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ مِنْ كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ.. وَالشِّيعَةُ هُمُ الْجَمَاعَةُ الْمُتَعَاوِنُونَ عَلَىٰ الْأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: تَشَايَعَ الْقَوْمُ: إِذَا تَعَاوَنُوا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلرَّجُلِ الشُّجَاعِ: إِنَّهُ لَمُشَيَّعٌ: أَيْ مُعَانٌ، وَالتَّشَايُعُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ: التَّفَرُّقُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، يَعْنِي: فِرَقًا، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ أَوْ سَعْدٍ: (**إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَيَقُولُ: شَيَّعْتَ بَيْنَ أُمَّتِي**)، بِمَعْنَىٰ: فَرَّقْتَ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ جَمَاعَةٍ تَشَايَعَتْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩﴾ [مريم: ٦٩] أَشَدُّهُمْ عَلَىٰ اللهِ عُتُوًّا وَتَمَرُّدًا فَلَنَبْدَأَنَّ بِإِصْلَائِهِ جَهَنَّمَ.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ [مريم: ٧٠].

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَنْزِعُهُمْ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ..

﴿بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ [مريم: ٧٠] أَوْلَاهُمْ بِشِدَّةِ الْعَذَابِ، وَأَحَقُّهُمْ بِعَظِيمِ الْعُقُوبَةِ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضِ طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ صِلِيًّا.. وَالصِّلِيُّ: مَصْدَرُ صَلَّيْتُ تَصْلِي صِلِيًّا، وَالصِّلِيُّ: فُعُولٌ، وَلَكِنْ وَاوُهَا انْقَلَبَتْ يَاءً فَأُدْغِمَتْ فِي الْيَاءِ الَّتِي بَعْدَهَا الَّتِي هِيَ لَامُ الْفِعْلِ، فَصَارَتْ يَاءً مُشَدَّدَةً.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١].

﴿وَإِنْ مِّنكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ إِلَّا وَارِدُ جَهَنَّمَ.. يَرِدُهَا الْجَمِيعُ ثُمَّ يَصْدُرُ عَنْهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَيُنَجِّيهِمُ اللهُ، وَيَهْوِي فِيهَا الْكُفَّارُ، وَوُرُودُهُمُوهَا هُوَ مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مُرُورِهِمْ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمُكَدَّسٌ فِيهَا.. فَعَنْ جَابِرٍ، عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**»، قَالَتْ: فَقَالَتْ حَفْصَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَهْ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾**».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوضَعُ الصِّرَاطُ**

بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَجْرُوحٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ وَمُكَدَّسٌ فِيهَا، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ تَفَقَّدَ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا، لَا نَرَاهُمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَىٰ النَّارِ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ ثَدْيَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَلَمْ تَغْشَ الْوُجُوهَ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَيَطْرَحُونَهُمْ مَاءِ الْحَيَاةِ»، قِيلَ: وَمَا مَاءُ الْحَيَاةِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ تَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَىٰ مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مُتَطَوِّعًا، لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ بِحَرَسٍ، لَمْ يَرَ النَّارَ بِعَيْنِهِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا».. وَقَالَ ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»، يَعْنِي: الْوُرُودَ..

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِيرَادُهُمُوهَا..

﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١] قَضَاءً مَقْضِيًّا، قَدْ قَضَىٰ ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢].

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مِنَ النَّارِ بَعْدَ وُرُودِ جَمِيعِهِمْ إِيَّاهَا..

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ فَخَافُوهُ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وَنَدَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَعَبَدُوا غَيْرَ اللهِ، وَعَصَوْا رَبَّهُمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿فِيهَا﴾ فِي النَّارِ..

﴿جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢] بُرُوكًا عَلَىٰ رُكَبِهِمْ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم: ٧٣].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَى النَّاسِ..

﴿ءَايَٰتُنَا﴾ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا وَفَكَّرَ فِيهَا أَنَّهَا أَدِلَّةٌ عَلَىٰ مَا جَعَلَهَا اللهُ أَدِلَّةً عَلَيْهِ لِعِبَادِهِ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَآيَاتِهِ، وَهُمْ قُرَيْشٌ..

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فَصَدَّقُوا بِهِ، وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ..

﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أَوْسَعُ عَيْشًا، وَأَنْعَمُ بَالًا، وَأَفْضَلُ مَسْكَنًا.. وَيَعْنِي بِالْمَقَامِ: مَوْضِعَ إِقَامَتِهِمْ، وَهِيَ مَسَاكِنُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ..

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم: ٧٣] وَأَحْسَنُ مَجْلِسًا، وَأَجْمَعُ عَدَدًا وَغَاشِيَةً فِي الْمَجْلِسِ، نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟.. يُقَالُ مِنْهُ: نَدَوْتُ الْقَوْمَ أَنْدُوهُمْ نُدُوًّا: إِذَا جَمَعْتُهُمْ فِي مَجْلِسٍ، وَيُقَالُ: هُوَ فِي نَدِيِّ قَوْمِهِ وَفِي نَادِيهِمْ: بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [مريم: ٧٤].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا، وَأَحْسَنُ نَدِيًّا، مَجَالِسَ..

﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ هُمْ أَكْثَرُ مَتَاعَ مَنَازِلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ..

﴿وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [مريم: ٧٤] وَأَحْسَنُ مِنْهُمْ مَنْظَرًا وَأَجْمَلُ صُوَرًا، فَأَهْلَكْنَا أَمْوَالَهُمْ، وَغَيَّرْنَا صُوَرَهُمْ.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم: ٧٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ، الْقَائِلِينَ: إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا، أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ مِنَّا وَمِنْكُمْ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا..

﴿مَن كَانَ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ جَائِرًا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، سَالِكًا غَيْرَ سَبِيلِ الْهُدَىٰ..

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ فَلْيُطَوِّلْ لَهُ اللهُ فِي ضَلَالَتِهِ، وَلْيُمْلِهِ فِيهَا إِمْلَاءً..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ قُلْ لَهُمْ: مَنْ كَانَ مِنَّا وَمِنْكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ فِي ضَلَالَتِهِ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ..

﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ إِمَّا عَذَابٌ عَاجِلٌ، أَوْ يُلْقُوا رَبَّهُمْ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ الَّتِي وَعَدَ اللهُ خَلْقَهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ لَهَا، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَتَاهُمْ وَعْدُ اللهِ بِأَحَدِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ..

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ وَمَسْكَنًا مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ..

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥﴾ [مريم: ٧٥] أَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ؟ وَيَتَبَيَّنُونَ حِينَئِذٍ أَيَّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا، وَأَحْسَنُ نَدِيًّا.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾ [مريم: ٧٦].

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ وَيَزِيدُ اللهُ مَنْ سَلَكَ قَصْدَ الْمَحَجَّةِ، وَاهْتَدَىٰ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ، فَآمَنَ بِرَبِّهِ، وَصَدَّقَ بِآيَاتِهِ، فَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ..

﴿هُدًىۗ﴾ بِمَا يَتَجَدَّدُ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي يَفْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُقِرُّ بِلُزُومِ فَرْضِهَا إِيَّاهُ، وَيَعْمَلُ بِهَا، فَذَلِكَ زِيَادَةٌ مِنَ اللهِ فِي اهْتِدَائِهِ بِآيَاتِهِ هُدًىٰ عَلَىٰ هُدَاهُ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].. وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ﴾ بِنَاسِخِ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخِهِ، فَيُؤْمِنُ بِالنَّاسِخِ، كَمَا آمَنَ مِنْ قَبْلُ بِالْمَنْسُوخِ، فَذَلِكَ زِيَادَةُ هُدًىٰ مِنَ اللهِ لَهُ عَلَىٰ هُدَاهُ مِنْ قَبْلُ..

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ وَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ وَرَضِيَهَا مِنْهُمْ، الْبَاقِيَاتُ لَهُمْ غَيْرُ الْفَانِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ جَزَاءً لِأَهْلِهَا..

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾ [مريم: ٧٦] عَلَيْهِمْ مِنْ مَقَامَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، وَأَنْدِيَتِهِمُ الَّتِي يَفْتَخِرُونَ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ [مريم: ٧٧].

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ حُجَجِنَا فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا، وَأَنْكَرَ وَعِيدَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ..

﴿وَقَالَ﴾ وَهُوَ بِاللهِ كَافِرٌ وَبِرَسُولِهِ..

﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ [مريم: ٧٧] ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ أُنْزِلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَعَنْ خَبَّابٍ، قَالَ: (**كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا، وَكَانَ لِي عَلَىٰ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَقْضِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ حَتَّىٰ تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: فَقَالَ: فَإِذَا أَنَا مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ كَمَا تَقُولُ، جِئْتَنِي وَلِي مَالٌ وَوَلَدٌ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ [مريم: ٧٧-٧٨] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾ [مريم: ٨٠]**).

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ [مريم: ٧٨].

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أَعَلِمَ هَذَا الْقَائِلُ هَذَا الْقَوْلَ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مَالًا وَوَلَدًا بِاطِّلَاعِهِ عَلَىٰ عِلْمِ مَا غَابَ عَنْهُ..

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ [مريم: ٧٨] أَمْ آمَنَ بِاللهِ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، فَكَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا أَنْ يُؤْتِيَهُ مَا يَقُولُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ.

﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩﴾ [مريم: ٧٩].

﴿كَلَّا ۚ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، مَا اطَّلَعَ الْغَيْبَ، فَعَلِمَ صِدْقَ مَا يَقُولُ، وَحَقِيقَةَ مَا يُذْكَرُ، وَلَا اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، بَلْ كَذَّبَ وَكَفَرَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ هَذَا الْكَافِرُ بِرَبِّهِ، الْقَائِلُ ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ [مريم: ٧٧] فِي الْآخِرَةِ ﴿مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ [مريم: ٧٧]..

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩﴾ [مريم: ٧٩] وَنَزِيدُهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي جَهَنَّمَ بِقِيلِهِ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا، زِيَادَةً عَلَىٰ عَذَابِهِ بِكُفْرِهِ بِاللهِ.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾ [مريم: ٨٠].

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ وَنَسْلُبُ هَذَا الْقَائِلَ: لَأُوتَيَنَّ فِي الْآخِرَةِ مَالًا وَوَلَدًا، مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَيَصِيرُ لَنَا مَالُهُ وَوَلَدُهُ دُونَهُ..

﴿وَيَأْتِينَا﴾ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فَرْدًا ۝٨٠﴾ [مريم: ٨٠] وَحْدَهُ لَا مَالَ مَعَهُ وَلَا وَلَدَ.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾ [مريم: ٨١].

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ وَاتَّخَذَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا..

﴿مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾ [مريم: ٨١] لِتَكُونَ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةُ لَهُمْ عِزًّا، يَمْنَعُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَيَتَّخِذُونَ عِبَادَتَهُمُوهَا عِنْدَ اللهِ زُلْفَىٰ.

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨٢].

﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنُّوا وَأَمَّلُوا مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، فِي أَنَّهَا تُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَتُنْجِيهِمْ مِنْهُ، وَمِنْ سُوءٍ إِنْ أَرَادَهُ بِهِمْ رَبُّهُمْ..

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ وَلَكِنْ سَيَكْفُرُ الْآلِهَةُ فِي الْآخِرَةِ بِعِبَادَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِيَّاهَا، وَكُفْرِهِمْ بِهَا قِيلُهُمْ لِرَبِّهِمْ: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣﴾، فَجَحَدُوا أَنْ يَكُونُوا عَبَدُوهُمْ أَوْ أَمَرُوهُمْ بِذَلِكَ، وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ، وَذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ..

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨٢] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَتَكُونُ آلِهَتُهُمْ عَلَيْهِمْ عَوْنًا، وَقَالُوا: الضِّدُّ: الْعَوْنُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِالضِّدِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْقُرَنَاءَ، يَعْنِي: قُرَنَاءَ فِي النَّارِ، يَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَبَرَّأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الضِّدِّ هَهُنَا: الْعَدُوُّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الضِّدِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْبَلَاءُ.. وَالضِّدُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ الْخِلَافُ، يُقَالُ: فُلَانٌ يُضَادُّ فُلَانًا فِي كَذَا، إِذَا كَانَ يُخَالِفُهُ فِي صَنِيعِهِ، فَيُفْسِدُ مَا أَصْلَحَهُ، وَيُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، وَكَانَتْ آلِهَةُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَتَبَرَّءُونَ مِنْهُمْ، وَيَنْتَفُونَ يَوْمَئِذٍ، صَارُوا لَهُمْ أَضْدَادًا، فَوُصِفُوا بِذَلِكَ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝٨٣﴾ [مريم: ٨٣].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ تُحَرِّكُهُمْ بِالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، فَتُزْعِجُهُمْ إِلَىٰ مَعَاصِي اللهِ، وَتُغْرِيهِمْ بِهَا حَتَّىٰ يُوَاقِعُوهَا..

﴿أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣] إِزْعَاجًا وَإِغْوَاءً.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤].

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِطَلَبِ الْعَذَابِ لَهُمْ وَالْهَلَاكِ، يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤] فَإِنَّمَا نُؤَخِّرُ إِهْلَاكَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ أَعْمَالَهُمْ كُلَّهَا وَنُحْصِيهَا حَتَّىٰ أَنْفَاسَهُمْ لِنُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا، وَلَمْ نَتْرُكْ تَعْجِيلَ هَلَاكِهِمْ لِخَيْرٍ أَرَدْنَاهُ بِهِمْ.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يَوْمَ نَجْمَعُ الَّذِينَ اتَّقَوْا فِي الدُّنْيَا فَخَافُوا عِقَابَهُ، فَاجْتَنَبُوا لِذَلِكَ مَعَاصِيَهُ، وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] يَعْنِي بِالْوَفْدِ: الرُّكْبَانَ، يُقَالُ: وَفَدْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ: إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ، وَأَوْفَدَ الْقَوْمُ وَفْدًا عَلَىٰ أَمِيرِهِمْ، إِذَا بَعَثُوا مِنْ قِبَلِهِمْ بَعْثًا، وَالْوَفْدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ الْجَمْعِ، وَلَكِنَّهُ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ وَاحِدُهِمْ وَافِدٌ.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦].

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وَنَسُوقُ الْكَافِرِينَ بِاللهِ الَّذِينَ أَجْرَمُوا..

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦] عِطَاشًا.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧].

﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ لَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ يَا مُحَمَّدُ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللهُ الْمُتَّقِينَ إِلَيْهِ وَفْدًا..

﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ حِينَ يَشْفَعُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ اللهِ، فَيَشْفَعُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ مِنْهُمْ..

﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مريم: ٨٧] بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ بِهِ.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨﴾ [مريم: ٨٨].

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨﴾ [مريم: ٨٨] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْقَائِلِينَ ذَٰلِكَ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩﴾ [مريم: ٨٩].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩﴾ [مريم: ٨٩] شَيْئًا عَظِيمًا مِنَ الْقَوْلِ مُنْكَرًا.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ [مريم: ٩٠].

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَشَقَّقْنَ قِطَعًا مِنْ قِيلِهِمْ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨﴾ [مريم: ٨٨]، وَمِنْهُ قِيلَ: فَطَرَ نَابُهُ: إِذَا انْشَقَّ..

﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ وَتَكَادُ الْأَرْضُ تَنْشَقُّ فَتَنْصَدِعُ مِنْ ذَٰلِكَ..

﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ [مريم: ٩٠] وَتَكَادُ الْجِبَالُ يَسْقُطُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ سُقُوطًا، وَالْهَدُّ: السُّقُوطُ.

﴿أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ [مريم: ٩١].

﴿أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ [مريم: ٩١] وَتَكَادُ الْجِبَالُ أَنْ تَخِرَّ انْقِضَاضًا، لِأَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم: ٩٢].

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم: ٩٢] وَمَا يَصْلُحُ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَالْخَلْقِ الَّذِينَ تَغْلِبُهُمُ الشَّهَوَاتُ، وَتَضْطَرُّهُمُ اللَّذَّاتُ إِلَىٰ جِمَاعِ الْإِنَاثِ، وَلَا وَلَدٌ يَحْدُثُ إِلَّا مِنْ أُنْثَىٰ، وَاللهُ يَتَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَخَلْقِهِ.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣].

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مَا جَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَفِي الْأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ..

﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣] إِلَّا يَأْتِي رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدًا لَهُ، ذَلِيلًا خَاضِعًا، مُقِرًّا لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، لَا نَسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾ [مريم: ٩٤].

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ لَقَدْ أَحْصَىٰ الرَّحْمَنُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ..

﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾ [مريم: ٩٤] فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَبْلَغُ جَمِيعِهِمْ، وَعَرَفَ عَدَدَهُمْ فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم: ٩٥].

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ﴾ وَجَمِيعُ خَلْقِهِ سَوْفَ يَرِدُ عَلَيْهِ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ..

﴿فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم: ٩٥] وَحِيدًا، لَا نَاصِرَ لَهُ مِنَ اللهِ، وَلَا دَافِعَ عَنْهُ، فَيَقْضِي اللهُ فِيهِ مَا هُوَ قَاضٍ، وَيَصْنَعُ بِهِ مَا هُوَ صَانِعٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فَعَمِلُوا بِهِ، فَأَحَلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ..

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦] فِي الدُّنْيَا، فِي صُدُورِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧﴾ [مريم: ٩٧].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿بِلِسَانِكَ﴾ تَقْرَؤُهُ..

﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللهِ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، بِالْجَنَّةِ..

﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧﴾ [مريم: ٩٧]وَلِتُنْذِرَ بِهَذَا الْقُرْآنِ عَذَابَ اللهِ قَوْمَكَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُمْ

أَهْلُ لَدَدٍ وَجَدَلٍ بِالْبَاطِلِ، لَا يَقْبَلُونَ الْحَقَّ، وَاللَّدُّ: شِدَّةُ الْخُصُومَةِ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ٩٨﴾ [مريم: ٩٨].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ وَكَثِيرًا أَهْلَكْنَا يَا مُحَمَّدُ قَبْلَ قَوْمِكَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿مِّن قَرْنٍ﴾ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، إِذَا سَلَكُوا فِي خِلَافِي وَرُكُوبِ مَعَاصِيَّ مَسْلَكَهُمْ..

﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ فَهَلْ تُحِسُّ أَنْتَ مِنْهُمْ أَحَدًا يَا مُحَمَّدُ فَتَرَاهُ وَتُعَايِنُهُ..

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ٩٨﴾ [مريم: ٩٨] أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا، بَلْ بَادُوا وَهَلَكُوا، وَخَلَتْ مِنْهُمْ دُورُهُمْ، وَأَوْحَشَتْ مِنْهُمْ مَنَازِلُهُمْ، وَصَارُوا إِلَىٰ دَارٍ لَا يَنْفَعُهُمْ فِيهَا إِلَّا صَالِحٌ مِنْ عَمَلٍ قَدَّمُوهُ، فَكَذَلِكَ قَوْمُكَ هَؤُلَاءِ، صَائِرُونَ إِلَىٰ مَا صَارَ إِلَيْهِ أُولَئِكَ، إِنْ لَمْ يُعَالِجُوا التَّوْبَةَ قَبْلَ الْهَلَاكِ، وَالرِّكْزُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورِةِ مَرْيَمَ



سُورَةُ طه (٢٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ طه

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طه ①﴾ [طه: ١].

﴿طه ①﴾ [طه: ١] يَا رَجُلُ؛ لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي عَكٍّ فِيمَا بَلَغَنِي، وَأَنَّ مَعْنَاهَا فِيهِمْ: يَا رَجُلُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا فِيهِمْ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُوَجَّهَ تَأْوِيلُهُ إِلَىٰ الْمَعْرُوفِ فِيهِمْ مِنْ مَعْنَاهُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا وَافَقَ ذَلِكَ تَأْوِيلَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: يَا رَجُلُ.

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ②﴾ [طه: ٢].

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ②﴾ مَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِتَشْقَىٰ بِهِ، فَنُكَلِّفَكَ مَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③﴾ [طه: ٣].

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ إِلَّا تَذْكِرَةً..

﴿لِّمَن يَخْشَىٰ ③﴾ [طه: ٣] عِقَابَ اللهِ، فَيَتَّقِيهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ رَبِّهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ④﴾ [طه: ٤].

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّبِّ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ..

﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ④﴾ [طه: ٤] جَمْعُ عُلْيَا.

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ⑤﴾ [طه: ٥].

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ عَرْشِهِ.. وَلِلرَّفْعِ فِي الرَّحْمَنِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا بِمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: تَنْزِيلًا، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: نَزَّلَهُ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ، نَزَّلَهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي عَلَىٰ الْعَرْشِ

اسْتَوَىٰ، وَالْآخَرُ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ اسْتَوَىٰ، ذِكْرًا مِنَ الرَّحْمَنِ..

﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ارْتَفَعَ وَعَلَا.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٦].

﴿لَهُۥ﴾ للهِ..

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مُلْكًا لَهُ، وَهُوَ مُدَبِّرُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَمُصَرِّفُ جَمِيعِهِ..

﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٦] وَيَعْنِي بِالثَّرَىٰ: النَّدَىٰ، يُقَالُ لِلتُّرَابِ الرَّطْبِ الْمُبْتَلِّ: ثَرَىٰ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ: وَمَا تَحْتَ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧].

﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلْقَوْلِ﴾ أَوْ تُخْفِ بِهِ، فَسَوَاءٌ عِنْدَ رَبِّكَ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..

﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا اسْتَسْرَرْتَهُ فِي نَفْسِكَ، فَلَمْ تُبْدِهِ بِجَوَارِحِكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ بِلِسَانِكَ، وَلَمْ تَنْطِقْ بِهِ..

﴿وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧] مِنَ السِّرِّ، وَهُوَ مَا عَلِمَ اللهُ مِمَّا أَخْفَىٰ عَنِ الْعِبَادِ، وَلَمْ يَعْلَمُوهُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ وَلَمَّا يَكُنْ؛ لِأَنَّ مَا ظَهَرَ وَكَانَ فَغَيْرُ سِرٍّ، وَأَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ وَهُوَ غَيْرُ كَائِنٍ فَلَا شَيْءَ، وَأَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ وَهُوَ كَائِنٌ فَهُوَ أَخْفَىٰ مِنَ السِّرِّ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَنْ أَعْلَمَهُ ذَلِكَ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، يَقُولُ: فَإِيَّاهُ فَاعْبُدوا أَيُّهَا النَّاسُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿لَهُ﴾ لِمَعْبُودُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨] فَقَالَ: الْحُسْنَىٰ، فَوَحَّدَ، وَهُوَ نَعْتٌ لِلْأَسْمَاءِ، وَلَمْ يَقُلِ الْأَحَاسِنُ، لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ تَقَعُ عَلَيْهَا هَذِهِ، فَيُقَالُ: هَذِهِ أَسْمَاءٌ، وَهَذِهِ فِي لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ، كَمَا قَالَ: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ [طه: ١٨]، فَوَحَّدَ أُخْرَىٰ، وَهِيَ نَعْتٌ لِمَآرِب، وَالْمَآرِبُ: جَمْعٌ، وَاحِدَتُهَا: مَأْرُبَةٌ، وَلَمْ يَقُلْ أُخَرُ، لِمَا وَصَفْنَا، وَلَوْ قِيلَ: أُخَرُ، لَكَانَ صَوَابًا.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: ٩].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُسَلِّيهِ عَمَّا يَلْقَىٰ مِنَ الشِّدَّةِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، وَمَعْرِّفَةَ مَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُهُ وَأَمْرُهُمْ، وَأَنَّهُ مُعْلِيهِ عَلَيْهِمْ، وَمُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ، وَيَحُثُّهُ عَلَىٰ الْجِدِّ فِي أَمْرِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ فِيمَا يَنُوبُهُ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ، وَفِيمَا يُزَاوِلُ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ، مَا نَابَ أَخَاهُ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ عَدُوِّهِ، ثُمَّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَا لَقِيَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالشِّدَّةِ طِفْلًا صَغِيرًا، ثُمَّ يَافِعًا مُتَرَعْرِعًا، ثُمَّ رَجُلًا كَامِلًا: هَلْ أَتَاكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ بْنِ عِمْرَانَ.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ [طه: ١٠].

﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الشِّتَاءِ لَيْلًا، وَأَنَّ مُوسَىٰ كَانَ أَضَلَّ الطَّرِيقَ، فَلَمَّا رَأَىٰ ضَوْءَ النَّارِ..

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ آنَسْتُ: وَجَدْتُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأُنْسِ..

﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا﴾ لَعَلِّي أَجِيئُكُمْ مِنَ النَّارِ الَّتِي آنَسْتُ..

﴿بِقَبَسٍ﴾ بِشُعْلَةٍ، وَالْقَبَسُ: هُوَ النَّارُ فِي طَرَفِ الْعُودِ أَوِ الْقَصَبَةِ، يَقُولُ الْقَائِلُ لِصَاحِبِهِ: أَقْبِسْنِي نَارًا، فَيُعْطِيهِ إِيَّاهَا فِي طَرَفِ عُودٍ أَوْ قَصَبَةٍ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مُوسَىٰ بِقَوْلِهِ لِأَهْلِهِ: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ لَعَلِّي آتِيكُمْ بِذَلِكَ لِتَصْطَلُوا بِهِ..

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ [طه: ١٠] دَلَالَةً تَدُلُّ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الَّذِي أَضْلَلْنَاهُ، إِمَّا مِنْ خَبَرٍ هَادٍ يَهْدِينَا إِلَيْهِ، وَإِمَّا مِنْ بَيَانٍ وَعِلْمٍ نَتَبَيَّنُهُ بِهِ وَنَعْرِفُهُ.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١﴾ [طه: ١١].

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ فَلَمَّا أَتَىٰ النَّارَ مُوسَىٰ..

﴿نُودِىَ﴾ نَادَاهُ رَبُّهُ..

﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١﴾ [طه: ١١].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه: ١٢].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ لِيُبَاشِرَ بِقَدَمَيْهِ بَرَكَةَ الْوَادِي، إِذْ كَانَ وَادِيًا مُقَدَّسًا، وَإِنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ بِعَقِبِهِ، دَلِيلًا وَاضِحًا، عَلَىٰ أَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُ بِخَلْعِهِمَا لِمَا ذَكَرْنَا.. وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ عَلَىٰ أَنَّهُ أَمَرَ بِخَلْعِهِمَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمَا مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ وَلَا لِنَجَاسَتِهِمَا، وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ عَمَّنْ يَلْزَمُ بِقَوْلِهِ الْحُجَّةُ.

﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُطَهَّرِ الْمُبَارَكِ..

﴿طُوٗى ١٢﴾ [طه: ١٢] اسْمُ الْوَادِي.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: ١٣].

﴿وَأَنَا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ قَرَءُوا: (وَأَنَّا) بِتَشْدِيدِ النُّونِ، وَ بِفَتْحِ الْأَلِفِ مِنْ (أَنَّا) رَدًّا عَلَىٰ: نُودِيَ يَا مُوسَىٰ، كَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ: نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ، وَأَنَّا اخْتَرْتُكَ، وَبِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ قَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ.. وَأَمَّا عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَرَءُوهُ: ﴿وَأَنَا﴾ بِتَخْفِيفِ النُّونِ، عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ مِنَ اللهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ اخْتَارَهُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا قُرَّاءُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ، مَعَ اتِّفَاقِ مَعْنَيَيْهِمَا، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِيهِ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: نُودِيَ أَنَّا..

﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ اخْتَرْنَاكَ، فَاجْتَبَيْنَاكَ لِرِسَالَتِنَا إِلَىٰ مَنْ نُرْسِلُكَ إِلَيْهِ..

﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: ١٣] فَاسْتَمِعْ لِوَحْيِنَا الَّذِي نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَعِهِ، وَاعْمَلْ بِهِ.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إِنَّنِي أَنَا الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ فَلَا تَعْبُدْ غَيْرِي، فَإِنَّهُ لَا مَعْبُودَ تَجُوزُ أَوْ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ سِوَايَ..

﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ فَأَخْلِصِ الْعِبَادَةَ لِي دُونَ كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِي..

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤] أَقِمِ الصَّلَاةَ لِي، فَإِنَّكَ إِذَا أَقَمْتَهَا ذَكَرْتَنِي، فَمَعْنَاهُ: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذْكُرَنِي فِيهَا.. وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ: حِينَ تَذْكُرُهَا، لَكَانَ التَّنْزِيلُ: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَهَا.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ [طه: ١٥].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ الَّتِي يَبْعَثُ اللهُ فِيهَا الْخَلَائِقَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿ءَاتِيَةٌ﴾ جائِيَةٌ..

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ مِنْ نَفْسِي، لِئَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَبِذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ.. فَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَاطَبَ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبَ عَلَىٰ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ كَلَامِهِمْ وَجَرَىٰ بِهِ خِطَابُهُمْ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ مَعْرُوفًا فِي كَلَامِهِمْ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ فِي الْخَبَرِ عَنْ إِخْفَائِهِ شَيْئًا هُوَ لَهُ مُسِرٌّ: قَدْ كِدْتُ أَنْ أُخْفِيَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ نَفْسِي، مِنْ شِدَّةِ اسْتِسْرَارِي بِهِ، وَلَوْ قَدَرْتُ أُخْفِيهِ عَنْ نَفْسِي أَخْفَيْتُهُ، خَاطَبَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَدْ جَرَىٰ بِهِ اسْتِعْمَالُهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ بَيْنَهُمْ، وَمَا قَدْ عَرَفُوهُ فِي مَنْطِقِهِمْ.. وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ غَيْرُ مَا قُلْنَا، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا هَذَا الْقَوْلَ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ لِمُوَافَقَةِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، إِذْ كُنَّا لَا نَسْتَجِيزُ الْخِلَافَ عَلَيْهِمْ، فِيمَا اسْتَفَاضَ الْقَوْلُ بِهِ مِنْهُمْ، وَجَاءَ عَنْهُمْ مَجِيئًا يَقْطَعُ الْعُذْرَ.. فَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا فِي ذَلِكَ غَيْرَ قَوْلِنَا مِمَّنْ قَالَ فِيهِ عَلَىٰ وَجْهِ الِانْتِزَاعِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْزُوهُ إِلَىٰ إِمَامٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَوِ التَّابِعِينَ، وَعَلَىٰ وَجْهٍ يَحْتَمِلُ الْكَلَامُ غَيْرَ وَجْهِهِ الْمَعْرُوفِ، فَإِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ بَيْنَهُمْ، وَغَيْرُ جَائِزٍ تَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ غَيْرِ الْأَغْلَبِ عَلَيْهِ مِنْ وُجُوهِهِ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ، فَفِي ذَلِكَ مَعَ خِلَافِهِمْ تَأْوِيلَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيهِ، شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَىٰ خَطَأِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِيهِ..

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ لِتُثَابَ كُلُّ نَفْسٍ امْتَحَنَهَا رَبُّهَا بِالْعِبَادَةِ فِي الدُّنْيَا..

﴿بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥] بِمَا تَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٦].

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ فَلَا يَرُدَّنَّكَ يَا مُوسَىٰ..

﴿عَنْهَا﴾ عَنِ التَّأَهُّبِ لِلسَّاعَةِ..

﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ مَنْ لَا يُقِرُّ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَا يُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَلَا يَرْجُو ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُ عِقَابًا..

﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ اتَّبَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ..

﴿فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٦] فَتَهْلِكَ إِنْ أَنْتَ انْصَدَدْتَ عَنِ التَّأَهُّبِ لِلسَّاعَةِ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَبِأَنَّ اللهَ بَاعِثُ الْخَلْقِ لِقِيَامِهَا مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ بِصَدِّ مَنْ كَفَرَ بِهَا.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧].

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧] وَمَا هَذِهِ الَّتِي فِي يَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ؟.. وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ

يَقُولَ: وَمَا وَجْهُ اسْتِخْبَارِ اللهِ مُوسَىٰ عَمَّا فِي يَدِهِ؟ أَلَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِأَنَّ الَّذِي فِي يَدِهِ عَصًا؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ الَّذِي ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ -عَزَّ ذِكْرُهُ- لَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَوِّلَهَا حَيَّةً تَسْعَىٰ، وَهِيَ خَشَبَةٌ، فَنَبَّهَهُ عَلَيْهَا، وَقَرَّرَهُ بِأَنَّهَا خَشَبَةٌ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا، وَيَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِهِ، لِيُعَرِّفَهُ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، وَعِظَمِ سُلْطَانِهِ، وَنَفَاذِ أَمْرِهِ فِيمَا أَحَبَّ بِتَحْوِيلِهِ إِيَّاهَا حَيَّةً تَسْعَىٰ، إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ بِهِ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ لِمُوسَىٰ آيَةً مَعَ سَائِرِ آيَاتِهِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ١٨﴾

[طه: ١٨].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ مُجِيبًا لِرَبِّهِ..

﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ أَضْرِبُ بِهَا الشَّجَرَ الْيَابِسَ فَيَسْقُطُ وَرَقُهَا وَتَرْعَاهُ غَنَمِي، يُقَالُ مِنْهُ: هَشَّ فُلَانٌ الشَّجَرَ يَهُشُّ هَشًّا: إِذَا اخْتَبَطَ وَرَقَ أَغْصَانِهَا فَسَقَطَ وَرَقُهَا..

﴿وَلِيَ فِيهَا﴾ وَلِي فِي عَصَايَ هَذِهِ..

﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ١٨﴾ [طه: ١٨] حَوَائِجُ أُخْرَىٰ، وَهِيَ جَمْعُ مَأْرُبَةٍ.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩﴾ [طه: ١٩].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩﴾ [طه: ١٩] أَلْقِ عَصَاكَ الَّتِي بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ.

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ٢٠﴾ [طه: ٢٠].

﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ مُوسَىٰ..

﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ٢٠﴾ [طه: ٢٠] فَجَعَلَهَا اللهُ حَيَّةً تَسْعَىٰ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ خَشَبَةً يَابِسَةً، وَعَصًا يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَيَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِهِ، فَصَارَتْ حَيَّةً بِأَمْرِ اللهِ.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ٢١﴾ [طه: ٢١].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿خُذْهَا﴾ خُذِ الْحَيَّةَ..

﴿وَلَا تَخَفْ﴾ مِنْ هَذِهِ الْحَيَّةِ..

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ٢١﴾ [طه: ٢١] فَإِنَّا سَنُعِيدُهَا لِهَيْئَتِهَا الْأُولَىٰ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا قَبْلَ

أَنْ نُصَيِّرَهَا حَيَّةً، وَنَرُدَّهَا عَصًا كَمَا كَانَتْ، يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ أَمْرٍ فَتَرَكَهُ، وَتَحَوَّلَ عَنْهُ ثُمَّ رَاجَعَهُ: عَادَ فُلَانٌ سِيرَتَهُ الْأُولَىٰ، وَعَادَ لِسِيرَتِهِ الْأُولَىٰ، وَعَادَ إِلَىٰ سِيرَتِهِ الْأُولَىٰ.

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢].

﴿وَٱضۡمُمۡ﴾ يا مُوسَىٰ..

﴿يَدَكَ﴾ فَضَعْهَا..

﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ تَحْتَ عَضُدِكَ، وَالْجَنَاحَانِ هُمَا الْيَدَانِ، كَذَلِكَ رُوِيَ الْخَبَرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُمَا الْجَنْبَانِ..

﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ ذُكِرَ أَنَّ مُوسَىٰ ﷺ كَانَ رَجُلًا آدَمَ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ، مِثْلَ الثَّلْجِ، ثُمَّ رَدَّهَا، فَخَرَجَتْ كَمَا كَانَتْ عَلَىٰ لَوْنِهِ..

﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢] وَهَذِهِ عَلَامَةٌ وَدِلَالَةٌ أُخْرَىٰ غَيْرَ الْآيَةِ الَّتِي أَرَيْنَاكَ قَبْلَهَا مِنْ تَحْوِيلِ الْعَصَا حَيَّةً تَسْعَىٰ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا بَعَثْنَاكَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ لِمَنْ بَعَثْنَاكَ إِلَيْهِ.

﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٢٣].

﴿لِنُرِيَكَ﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ يَا مُوسَىٰ إِلَىٰ جَنَاحِكَ، تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، كَيْ نُرِيَكَ..

﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٢٣] مِنْ أَدِلَّتِنَا الْكُبْرَىٰ عَلَىٰ عَظِيمِ سُلْطَانِنَا وَقُدْرَتِنَا، وَقَالَ: ﴿ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾﴾، فَوَحَّدَ، وَقَدْ قَالَ: ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ كَمَا قَالَ: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ هُنَالِكَ.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤].

﴿ٱذۡهَبۡ﴾ يا مُوسَىٰ..

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ فَادْعُهُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِرْسَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَكَ..

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤] إِنَّهُ تَجَاوَزَ قَدْرَهُ، وَتَمَرَّدَ عَلَىٰ رَبِّهِ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه: ٢٥].

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه: ٢٥] لِأَعِيَ عَنْكَ مَا تُودِعُهُ مِنْ وَحْيِكَ، وَأَجْتَرِئَ بِهِ عَلَىٰ خِطَابِ فِرْعَوْنَ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِ اللهِ ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾﴾، قَالَ: (جُرْأَةً لِي).

﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾ [طه: ٢٦].

﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾ [طه: ٢٦] وَسَهِّلْ عَلَيَّ الْقِيَامَ بِمَا تُكَلِّفُنِي مِنَ الرِّسَالَةِ، وَتَحْمِلُنِي مِنَ الطَّاعَةِ.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه: ٢٧].

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه: ٢٧] وَأَطْلِقْ لِسَانِي بِالْمَنْطِقِ، وَكَانَتْ فِيهِ -فِيمَا ذُكِرَ- عُجْمَةٌ عَنِ الْكَلَامِ لِلَّذِي كَانَ مِنْ إِلْقَائِهِ الْجَمْرَةَ إِلَىٰ فِيهِ يَوْمَ هَمَّ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ.

﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه: ٢٨].

﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه: ٢٨] يَفْقَهُوا عَنِّي مَا أُخَاطِبُهُمْ وَأُرَاجِعُهُمْ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ [طه: ٢٩].

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ [طه: ٢٩] وَاجْعَلْ لِي عَوْنًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي.

﴿هَٰرُونَ أَخِي ٣٠﴾ [طه: ٣٠].

﴿هَٰرُونَ أَخِي ٣٠﴾ [طه: ٣٠] وَفِي نَصْبِ هَارُونَ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿وَٱجۡعَل﴾، فيكون (الْوَزِير) علىٰ هذا الوجهِ إذا نُصِب فعلًا لـ﴿هَٰرُونَ﴾، والآخر: أَنْ يَكُونَ ﴿هَٰرُونَ﴾ مَنْصُوبًا عَلَىٰ التَّرْجَمَةِ عَنِ (الْوَزِير).

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١﴾ [طه: ٣١].

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١﴾ [طه: ٣١] قَوِّ ظَهْرِي، وَأَعِنِّي بِهِ.

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه: ٣٢].

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه: ٣٢] وَاجْعَلْهُ نَبِيًّا مِثْلَ مَا جَعَلْتَنِي نَبِيًّا، وَأَرْسِلْهُ مَعِي إِلَىٰ فِرْعَوْنَ.

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣﴾ [طه: ٣٣].

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣﴾ [طه: ٣٣] كَيْ نُعَظِّمَكَ بِالتَّسْبِيحِ لَكَ كَثِيرًا.

﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [طه: ٣٤].

﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [طه: ٣٤] فَنُمَجِّدَكَ.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥﴾ [طه: ٣٥].

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥﴾ [طه: ٣٥] إِنَّكَ كُنْتَ ذَا بَصَرٍ بِنَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مِنْ أَفْعَالِنَا شَيْءٌ.

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه: ٣٦].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ ﷺ..

﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه: ٣٦] قَدْ أُعْطِيتَ مَا سَأَلْتَ يَا مُوسَىٰ رَبَّكَ مِنْ شَرْحِهِ صَدْرَكَ وَتَيْسِيرِهِ لَكَ أَمْرَكَ، وَحَلِّ عُقْدَةِ لِسَانِكَ، وَتَصْيِيرِ أَخِيكَ هَارُونَ وَزِيرًا لَكَ، وَشَدِّ أَزْرِكَ بِهِ، وَإِشْرَاكِهِ فِي الرِّسَالَةِ مَعَكَ.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧﴾ [طه: ٣٧].

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧﴾ [طه: ٣٧] وَلَقَدْ تَطَوَّلْنَا عَلَيْكَ يَا مُوسَىٰ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ.

﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨﴾ [طه: ٣٨].

﴿إِذۡ﴾ وَذَلِكَ حِينَ..

﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ، إِذْ وَلَدَتْكَ فِي الْعَامِ الَّذِي كَانَ فِرْعَوْنُ يَقْتُلُ كُلَّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿مَا يُوحَىٰٓ ٣٨﴾ [طه: ٣٨] مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْهَا، ثُمَّ فَسَّرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ أُمِّهِ، فَقَالَ.

﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩].

﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ أَنِ اقْذِفِي ابْنَكِ مُوسَىٰ -حِينَ وَلَدَتْكَ- فِي التَّابُوتِ..

﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ يَعْنِي بِالْيَمِّ: النِّيلَ..

﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ، يُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ، وَهُوَ جَزَاءٌ أُخْرِجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ،

كَأَنَّ الْيَمَّ هُوَ الْمَأْمُورُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، يَعْنِي: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا نَحْمِلْ عَنْكُمْ خَطَايَاكُمْ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أُمُّهُ بِهِ فَأَلْقَاهُ الْيَمُّ بِمَشْرَعَةِ آلِ فِرْعَوْنَ..

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ فِرْعَوْنُ هُوَ الْعَدُو، كَانَ للهِ وَلِمُوسَىٰ..

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ أَلْقَى مَحَبَّتَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَحَبَّبَهُ إِلَىٰ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، حَتَّىٰ تَبَنَّتْهُ وَغَذَّتْهُ وَرَبَّتْهُ، وَإِلَىٰ فِرْعَوْنَ، حَتَّىٰ كَفَّ عَنْهُ عَادِيَتَهُ وَشَرَّهُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾؛ لِأَنَّهُ حَبَّبَهُ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ رَآهُ..

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩] وَلِتُغَذَّىٰ وَتُرَبَّىٰ عَلَىٰ مَحَبَّتِي وَإِرَادَتِي.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(جَعَلَهُ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ، يَنْعَمُ وَيَتْرَفُ غِذَاؤُهُ عِنْدَهُمْ غِذَاءُ الْمَلِكِ، فَتِلْكَ الصَّنْعَةُ)**.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾ [طه: ٤٠].

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ حِينَ تَمْشِي أُخْتُكَ تَتْبَعُكَ حَتَّىٰ وَجَدَتْكَ، ثُمَّ تَأْتِي مَنْ يَطْلُبُ الْمَرَاضِعَ لَكَ..

﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ وَحُذِفَ مِنَ الْكَلَامِ مَا ذَكَرْتُ بَعْدَ قَوْلِهِ ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ فَرَدَدْنَاكَ..

﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ بَعْدَ مَا صِرْتَ فِي أَيْدِي آلِ فِرْعَوْنَ..

﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ كَيْمَا تَقَرَّ عَيْنُهَا بِسَلَامَتِكَ وَنَجَاتِكَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْغَرَقِ فِي الْيَمِّ..

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ وَكَيلَا تَحْزَنَ عَلَيْكَ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ فِرْعَوْنَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْتُلَكَ..

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ قَتْلَهُ الْقِبْطِيَّ الَّذِي قَتَلَهُ حِينَ اسْتَغَاثَهُ عَلَيْهِ الْإِسْرَائِيلِيُّ، فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ..

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ فَنَجَّيْنَاكَ مِنْ غَمِّكَ بِقَتْلِكَ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلْتَ، إِذْ أَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوكَ بِهَا فَخَلَّصْنَاكَ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ هَرَبْتَ إِلَىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ قَتْلِكَ وَقَوَدِكَ، وَكَانَ قَتْلُهُ إِيَّاهُ فِيمَا ذُكِرَ خَطَأً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَىٰ الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، فَقَالَ اللهُ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾»**.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ ابْتَلَيْنَاكَ ابْتِلَاءً وَاخْتَبَرْنَاكَ اخْتِبَارًا.. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ

عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِ اللهِ، لِمُوسَىٰ ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ فَسَأَلْتُهُ عَلَىٰ الْفُتُونِ مَا هِيَ؟ فَقَالَ لِي: اسْتَأْنِفِ النَّهَارَ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ فَإِنَّ لَهَا حَدِيثًا طَوِيلًا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ لِأَنْتَجِزَ مِنْهُ ما وعدني مِنْ حَدِيثِ الْفُتُونِ، فَقَالَ: (تَذَاكَرَ فِرْعَوْنُ وَجُلَسَاؤُهُ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ مَا يَشُكُّونَ فِيهِ، وَقَدْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، فَلَمَّا هَلَكَ قَالُوا: لَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ فِرْعَوْنُ: فَكَيْفَ تَرَوْنَهُ؟ فَأْتَمَرُوا وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رِجَالًا مَعَهُمُ الشِّفَارُ يَطُوفُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْلُودًا ذَكَرًا إِلَّا ذَبَحُوهُ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْكِبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمُوتُونَ بِآجَالِهِمْ، وَالصِّغَارَ يُذْبَحُونَ، قَالُوا: يُوشِكُ أَنْ تُفْنُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَصِيرُونَ إِلَىٰ أَنْ تُبَاشِرُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي كَانُوا يَكْفُونَكُمْ، فَاقْتُلُوا عَامًا كُلَّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ، فَيَقِلَّ نَبَاتُهُمْ، وَدَعُوا عَامًا فَلَا يُقْتَلُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَيَنْشَأُ الصِّغَارُ مَكَانَ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْكِبَارِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَكْثُرُوا بِمَنْ تَسْتَحْيُونَ مِنْهُمْ فَتَخَافُوا مُكَاثَرَتَهُمْ إِيَّاكُمْ، وَلَنْ يُفْنَوْا بِمَنْ تَقْتُلُونَ فَتَحْتَاجُونَ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَىٰ بِهَارُونَ فِي الْعَامِ الَّذِي لا يُذْبَحُ فِيهِ الْغِلْمَانُ، فَوَلَدَتْهُ عَلَانِيَةً آمِنَةً، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ حَمَلَتْ بِمُوسَىٰ فَوَقَعَ فِي قَلْبِهَا الْهَمُّ وَالْحُزْنُ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ- مَا دَخَلَ مِنْهُ فِي قَلْبِ أُمِّهِ مِمَّا يُرَادُ بِهِ، فَأَوْحَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَيْهَا ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: ٧]، وَأَمَرَهُمْ إِذَا وَلَدَتْ أَنْ تَجْعَلَهُ فِي تَابُوتٍ، ثُمَّ تُلْقِيهِ فِي الْيَمِّ، فَلَمَّا وَلَدَتْ فَعَلَتْ ذَلِكَ بِهِ، فَلَمَّا تَوَارَىٰ عَنْهَا ابْنُهَا أَتَاهَا الشَّيْطَانُ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: مَا صَنَعْتُ بِابْنِي، لَوْ ذُبِحَ عِنْدِي فَوَارَيْتُهُ وَكَفَّنْتُهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُلْقِيَهُ بِيَدِي إِلَىٰ زَفَرَاتِ الْبَحْرِ وَحِيتَانِهِ، فَانْتَهَىٰ الْمَاءُ بِهِ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ بِهِ فُرْضَةَ مُسْتَقَىٰ جَوَارِي امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَخَذْنَهُ، فَهَمَمْنَ أَنْ يَفْتَحْنَ التَّابُوتَ، فَقَالَ بَعْضُهُنَّ: إِنَّ فِي هَذَا مَالًا وَإِنَّا إِنْ فَتَحْنَاهُ لَمْ تُصَدِّقْنَا امْرَأَةُ الْمَلِكِ بِمَا وَجَدْنَا فِيهِ، فَحَمَلْنَهُ بِهَيْئَتِهِ لَمْ يُحَرِّكْنَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ دَفَعْنَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ فِيهِ غُلَامًا فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ مِنْهَا مَحَبَّةٌ لَمْ تَجِدْ مِثْلَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ قَطُّ، فَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا مِنْ ذِكْرِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ، فَلَمَّا سَمِعَ الذَّبَّاحُونَ بِأَمْرِهِ أَقْبَلُوا بِشِفَارِهِمْ إِلَىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ لِيَذْبَحُوهُ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ- فَقَالَتْ لَهُمْ: اتْرُكُوهُ، فَإِنَّ هَذَا الْوَاحِدَ لا يَزِيدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّىٰ آتِيَ فِرْعَوْنَ فَأَسْتَوْهِبَهُ مِنْهُ، فَإِنْ وَهَبَهُ لِي كُنْتُمْ قَدْ أَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ، وَإِنْ أَمَرَ بِذَبْحِهِ لَمْ أَلُمْكُمْ، فَأَتَتْ بِهِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَتْ: قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، قَالَ فِرْعَوْنُ: يَكُونُ لَكِ، فَأَمَّا لِي فَلَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ)، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي أَحْلِفُ بِهِ، لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ بِأَنْ يَكُونَ

لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ لَهَدَاهُ اللهُ بِهِ كَمَا هَدَىٰ امْرَأَتَهُ، وَلَكِنْ حَرَمَهُ ذَلِكَ»، (فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ مَنْ حَوْلَهَا مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ لَهَا لَبَنٌ لِتَخْتَارَ لَهُ ظِئْرًا، فَجَعَلَ كُلَّمَا أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ لِتُرْضِعَهُ لَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَهَا حَتَّىٰ أَشْفَقَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنَ اللَّبَنِ فَيَمُوتَ، فَأَحْزَنَهَا ذَلِكَ، فَأُخْرِجَ إِلَىٰ السُّوقِ وَمَجْمَعِ النَّاسِ تَرْجُو أَنْ تَجِدَ لَهُ ظِئْرًا يَأْخُذُ مِنْهَا فَلَمْ يَقْبَلْ، فَأَصْبَحَتْ أُمُّ مُوسَىٰ وَالِهَةً، فَقَالَتْ لِأُخْتِهِ: قُصِّيهِ -قُصِّي أَثَرَهُ- وَاطْلُبِيهِ، هَلْ تَسْمَعِينَ لَهُ ذِكْرًا؟ أَحَيٌّ ابْنِي أَمْ قَدْ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ، وَنَسِيَتْ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَهَا فِيهِ، فَبَصُرَتْ بِهِ أُخْتُهُ، عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ - وَالْجُنُبُ أَنْ يَسْمُوَ بَصَرُ الْإِنْسَانِ إِلَىٰ الشَّيْءِ الْبَعِيدِ وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِهِ لا يَشْعُرُ بِهِ- فَقَالَتْ مِنَ الْفَرَحِ حِينَ أَعْيَاهُمُ الظُّؤَارُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ، فَأَخَذُوهَا فَقَالُوا: مَا يُدْرِيكِ مَا نُصْحُهُمْ لَهُ؟ هَلْ تَعْرِفُونَهُ؟ حَتَّىٰ شَكُّوا فِي ذَلِكَ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ- فَقَالَتْ: نَصِيحَتُهُمْ لَهُ وَشَفَقَتُهُمْ عَلَيْهِ رَغْبَةً فِي صِهْرِ الْمَلِكِ وَرَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ، فَأَرْسَلُوهَا، فَانْطَلَقَتْ إِلَىٰ أُمِّهَا فَأَخْبَرَتْهَا الْخَبَرَ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا نَزَا إِلَىٰ ثَدْيِهَا فَمَصَّهُ حَتَّىٰ امْتَلَأَ جَنْبَاهُ رِيًّا وَانْطَلَقَ الْبَشِيرُ إِلَىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ يُبَشِّرُهَا أَنْ قَدْ وَجَدْنَا لِابْنِكِ ظِئْرًا، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا، فَأُتِيَتْ بِهَا وَبِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا يَصْنَعُ بِهَا، قَالَتْ لَهَا: امْكُثِي عِنْدِي تُرْضِعِينَ ابْنِي هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أُحِبَّ حُبَّهُ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَتْ أُمُّ مُوسَىٰ: لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَعَ بَيْتِي وَوَلَدِي فَنَضِيعُ، فَإِنْ طَابَتْ نَفْسُكِ أَنْ تُعْطِينِيهِ فَأَذْهَبَ بِهِ إِلَىٰ بَيْتِي فَيَكُونَ مَعِي لا آلُوهُ خَيْرًا، وَإِلَّا فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكَةٍ بَيْتِي وَوَلَدِي، وَذَكَرَتْ أُمُّ مُوسَىٰ مَا كَانَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَعَدَهَا، فَتَعَاسَرَتْ عَلَىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَأَيْقَنَتْ أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، فَرَجَعَتْ إِلَىٰ بَيْتِهَا بِابْنِهَا، فَأَصْبَحَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ مُجْتَمِعِينَ يَمْتَنِعُونَ مِنَ السُّخْرَةِ وَالظُّلْمِ مَا كَانَ فِيهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا تَرَعْرَعَ، قَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لِأُمِّ مُوسَىٰ: أُرِيدُ أَنْ تُرِينِي ابْنِي، فَوَعَدَتْهَا يَوْمًا تُرِيهَا إِيَّاهُ، فَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لِخُزَّانِهَا وَقَهَارِمَتِهَا وَظُئُورَتِهَا: لا يَبْقَيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا اسْتَقْبَلَ ابْنِي الْيَوْمَ بِهَدِيَّةٍ وَكَرَامَةٍ لِأَرَىٰ ذَلِكَ فِيهِ، وَأَنَا بَاعِثَةٌ أَمِينًا يُحْصِي كُلَّ مَا يَصْنَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ، فَلَمْ تَزَلِ الْهَدَايَا وَالْكَرَامَةُ وَالنِّحَلُ تَسْتَقْبِلُهُ مِنْ حِينِ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ أُمِّهِ إِلَىٰ أَنْ أُدْخِلَ عَلَىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا بَجَّلَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ وَفَرِحَتْ بِهِ وَأَعْجَبَهَا، وَبَجَّلَتْ أُمَّهُ بِحُسْنِ أَثَرِهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَآتِيَنَّ بِهِ فِرْعَوْنَ فَلَيُبَجِّلَنَّهُ وَلَيُكْرِمَنَّهُ، فَلَمَّا دَخَلَتْ بِهِ عَلَيْهِ جَعَلَتْهُ فِي حِجْرِهِ، فَتَنَاوَلَ مُوسَىٰ لِحْيَةَ فِرْعَوْنَ فَمَدَّهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَقَالَ الْغُوَاةُ أَعْدَاءُ اللهِ لِفِرْعَوْنَ: أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَّهُ أَنَّهُ يَرُبُّكَ وَيَعْلُوكَ وَيَصْرَعُكَ؟ فَأَرْسَلَ إِلَىٰ الذَّبَّاحِينَ لِيَذْبَحُوهُ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ- بَعْدَ كُلِّ بَلَاءٍ ابْتُلِيَ، وَأُرِيدَ بِهِ فُتُونًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تَسْعَىٰ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَقَالَتْ: مَا بَدَا لَكَ فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي

وَهَبْتَهُ لِي؟ قَالَ: تَرَيْنَهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَصْرَعُنِي وَيَعْلُونِي، قَالَتِ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَمْرًا تَعْرِفُ الْحَقَّ فِيهِ ائْتِ بِجَمْرَتَيْنِ وَلُؤْلُؤَتَيْنِ فَقَرِّبْهُنَّ إِلَيْهِ، فَإِنْ بَطَشَ بِاللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَاجْتَنَبَ الْجَمْرَتَيْنِ عَرَفْتَ أَنَّهُ يَعْقِلُ، وَإِنْ تَنَاوَلَ الْجَمْرَتَيْنِ وَلَمْ يُرِدِ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا لَا يُؤْثِرُ الْجَمْرَتَيْنِ عَلَىٰ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَهُوَ يَعْقِلُ، فَقَرَّبَ ذَلِكَ، فَتَنَاوَلَ الْجَمْرَتَيْنِ فَانْتَزَعُوهُمَا مِنْ يَدِهِ مَخَافَةَ أَنْ تَحْرِقَاهُ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَلَا تَرَىٰ؟ فَصَرَفَهُ اللهُ عَنْهُ بَعْدَمَا كَانَ قَدْ هَمَّ بِهِ، كَانَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بَالِغًا فِيهِ أَمْرَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَكَانَ مِنَ الرِّجَالِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَخْلُصُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ بِظُلْمٍ وَلَا سُخْرَةٍ حَتَّىٰ امْتَنَعُوا كُلَّ الِامْتِنَاعِ فَبَيْنَمَا مُوسَىٰ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ إِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ أَحَدُهُمَا فِرْعَوْنِيٌّ وَالْآخَرُ إِسْرَائِيلِيٌّ، فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَىٰ الْفِرْعَوْنِيِّ، فَغَضِبَ مُوسَىٰ غَضَبًا شَدِيدًا لِأَنَّهُ تَنَاوَلَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ مَنْزِلَةَ مُوسَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَحِفْظَهُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا أُمُّ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللهُ أَطْلَعَ مُوسَىٰ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، فَوَكَزَ مُوسَىٰ الْفِرْعَوْنِيَّ فَقَتَلَهُ وَلَيْسَ يَرَاهُمَا أَحَدٌ إِلَّا اللهُ وَالْإِسْرَائِيلِيُّ، فَقَالَ مُوسَىٰ حِينَ قَتَلَ الرَّجُلَ: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [القصص: ١٥]، ثُمَّ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦﴾ [القصص: ١٦]، وَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ الْأَخْبَارَ، فَأُتِيَ فِرْعَوْنُ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ فَخُذْ لَنَا حَقَّنَا وَلَا تُرَخِّصْ لَهُمْ، فَقَالَ: ابْغُونِي قَاتِلَهُ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْمَلِكَ وَإِنْ كَانَ صَفْوُهُ مَعَ قَوْمٍ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ أَنْ يُقِيدَ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبْتٍ، فَاطْلُبُوا لِي عِلْمَ ذَلِكَ آخُذْ لَكُمْ بِحَقِّكُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَطُوفُونَ لَا يَجِدُونَ ثَبْتًا إِذَا مُوسَىٰ قَدْ رَأَىٰ مِنَ الْغَدِ ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يُقَاتِلُ رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ آخَرَ، فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَىٰ الْفِرْعَوْنِيِّ، فَصَادَفَ مُوسَىٰ قَدْ نَدِمَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ، فَكَرِهَ الَّذِي رَأَىٰ لِغَضَبِ الْإِسْرَائِيلِيِّ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ، فَقَالَ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ -لِمَا فَعَلَ أَمْسِ وَالْيَوْمَ- ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [القصص: ١٨]، فَنَظَرَ الْإِسْرَائِيلِيُّ إِلَىٰ مُوسَىٰ حِينَ قَالَ لَهُ مَا قَالَ فَإِذَا هُوَ غَضْبَانُ كَغَضَبِهِ بِالْأَمْسِ، فَخَافَ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ وَمَا أَرَادَ الْفِرْعَوْنِيَّ، وَلَمْ يَكُنْ أَرَادَهُ إِنَّمَا أَرَادَ الْفِرْعَوْنِيَّ فَخَافَ الْإِسْرَائِيلِيُّ فَحَاجَزَ الْفِرْعَوْنِيَّ، وَ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ﴾ [القصص: ١٩]، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ مُوسَىٰ لِيَقْتُلَهُ، وَتَنَازَعَا وَتَطَاوَعَا، وَانْطَلَقَ الْفِرْعَوْنِيُّ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ مِنَ الْخَبَرِ حِينَ يَقُولُ: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ﴾ [القصص: ١٩]، فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ الذَّبَّاحِينَ لِيَقْتُلُوا مُوسَىٰ، فَأَخَذَ رُسُلُ فِرْعَوْنَ الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ يَمْشُونَ عَلَىٰ هَيْئَتِهِمْ يَطْلُبُونَ لِمُوسَىٰ وَهُمْ لَا يَخَافُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ مُوسَىٰ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ فَاخْتَصَرَ

طَرِيقًا قَرِيبًا حَتَّىٰ يَسْبِقَهُمْ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ)..

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وَهَذَا الْكَلَامُ قَدْ حُذِفَ مِنْهُ بَعْضٌ مَا بِهِ تَمَامُهُ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ عَمَّا حُذِفَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا، فَخَرَجْتَ خَائِفًا إِلَىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ، فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيهِمْ..

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾ [طه: ٤٠] ثُمَّ جِئْتَ لِلْوَقْتِ الَّذِي أَرَدْنَا إِرْسَالَكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا وَلِمِقْدَارِهِ.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝٤١﴾ [طه: ٤١].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ يَا مُوسَىٰ هَذِهِ النِّعَمَ، وَمَنَنْتُ عَلَيْكَ هَذِهِ الْمِنَنَ..

﴿لِنَفْسِي ۝٤١﴾ [طه: ٤١] اجْتِبَاءً مِنِّي لَكَ، وَاخْتِيَارًا لِرِسَالَتِي وَالْبَلَاغِ عَنِّي، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِي وَنَهْيِي.

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝٤٢﴾ [طه: ٤٢].

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ هَارُونُ..

﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ بِأَدِلَّتِي وَحُجَجِي..

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ وَلَا تَضْعُفَا..

﴿فِي ذِكْرِي ۝٤٢﴾ [طه: ٤٢] فِي أَنْ تَذْكُرَانِي فِيمَا أَمَرْتُكُمَا وَنَهَيْتُكُمَا، فَإِنَّ ذِكْرَكُمَا إِيَّايَ يُقَوِّي عَزَائِمَكُمَا، وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمَا، لِأَنَّكُمَا إِذَا ذَكَرْتُمَانِي ذَكَرْتُمَا مِنِّي عَلَيْكُمَا نِعَمًا جَمَّةً، وَمِنَنًا لَا تُحْصَىٰ كَثْرَةً.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣﴾ [طه: ٤٣].

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بِهَا إِنَّهُ تَمَرَّدَ فِي ضَلَالِهِ وَغَيِّهِ..

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣﴾ [طه: ٤٣] فَأَبْلِغَاهُ رِسَالَاتِي.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤].

﴿فَقُولَا لَهُۥ﴾ لِفِرْعَوْنَ..

﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ ذُكِرَ أَنَّ الْقَوْلَ اللَّيِّنَ الَّذِي أَمَرَهُمَا اللهُ أَنْ يَقُولَاهُ لَهُ، هُوَ أَنْ يُكَنِّيَاهُ..

﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤] اخْتَلَفَ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «لَعَلَّهُ» فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهَا هَهُنَا الِاسْتِفْهَامُ، كَأَنَّهُمْ وَجَّهُوا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا، فَانْظُرَا هَل

يَتَذَكَّرُ وَيُرَاجِعُ، أَوْ يَخْشَىٰ اللهَ فَيَرْتَدِعَ عَنْ طُغْيَانِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ لَعَلَّ هَهُنَا كَيْ، وَوَجَّهُوا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣﴾ فَادْعُوَاهُ وَعِظَاهُ لِيَتَذَكَّرَ أَوْ يَخْشَىٰ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: اعْمَلْ عَمَلَكَ لَعَلَّكَ تَأْخُذُ أَجْرَكَ، بِمَعْنَىٰ: لِتَأْخُذَ أَجْرَكَ، وَافْرُغْ مِنْ عَمَلِكَ لَعَلَّنَا نَتَغَدَّىٰ، بِمَعْنَىٰ: لِنَتَغَدَّىٰ، أَوْ حَتَّىٰ نَتَغَدَّىٰ، وَلِكِلَا هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ وَجْهٌ حَسَنٌ، وَمَذْهَبٌ صَحِيحٌ.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥﴾ [طه: ٤٥].

﴿قَالَا﴾ قَالَ مُوسَىٰ وَهَارُونُ..

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ﴾ فِرْعَوْنَ إِنْ نَحْنُ دَعَوْنَاهُ إِلَىٰ مَا أَمَرْتَنَا أَنْ نَدْعُوهُ إِلَيْهِ..

﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أَنْ يَعْجَلَ عَلَيْنَا بِالْعُقُوبَةِ.. وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَطَ مِنِّي إِلَىٰ فُلَانٍ أَمْرٌ: إِذَا سَبَقَ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ: فَارِطُ الْقَوْمِ، وَهُوَ الْمُتَعَجِّلُ الْمُتَقَدِّمُ أَمَامَهُمْ إِلَىٰ الْمَاءِ أَوِ الْمَنْزِلِ.. وَأَمَّا الْإِفْرَاطُ: فَهُوَ الْإِسْرَافُ وَالْإِشْطَاطُ وَالتَّعَدِّي، يُقَالُ مِنْهُ: أَفْرَطْتَ فِي قَوْلِكَ: إِذَا أَسْرَفَ فِيهِ وَتَعَدَّىٰ.. وَأَمَّا التَّفْرِيطُ: فَإِنَّهُ التَّوَانِي، يُقَالُ مِنْهُ: فَرَّطْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَتَّىٰ فَاتَ: إِذَا تَوَانَىٰ فِيهِ..

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥﴾ [طه: ٤٥] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: نَخَافُ أَنْ يَعْجَلَ عَلَيْنَا إِذْ نُبَلِّغُهُ كَلَامَكَ أَوْ أَمْرَكَ، يَفْرُطُ وَيَعْجَلُ.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ..

﴿لَا تَخَافَآ ۖ﴾ فِرْعَوْنَ..

﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ أُعِينُكُمَا عَلَيْهِ، وَأُبَصِّرُكُمَا..

﴿أَسْمَعُ﴾ مَا يَجْرِي بَيْنَكُمَا وَبَيْنَهُ، فَأُفْهِمُكُمَا مَا تُحَاوِرَانِهِ بِهِ..

﴿وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦] مَا تَفْعَلَانِ وَيَفْعَلُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٤٧﴾ [طه: ٤٧].

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ﴾ لَهُ..

﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ..

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يَأْمُرُكَ أَنْ تُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسِلْهُمْ مَعَنَا..

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ﴾ بِمَا تُكَلِّفُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الرَّدِيئَةِ..

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ مُعْجِزَةٍ..

﴿مِّن رَّبِّكَۖ﴾ عَلَىٰ أَنَّهُ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ بِذَلِكَ، إِنْ أَنْتَ لَمْ تُصَدِّقْنَا فِيمَا نَقُولُ لَكَ أَرَيْنَاكَهَا..

﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ وَالسَّلَامَةُ..

﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٤٧﴾ [طه: ٤٧] وَهُوَ بَيَانُهُ.. يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، وَلِمَنِ اتَّبَعَ، بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٤٨﴾ [طه: ٤٨].

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِرَسُولِهِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ: قُولَا لِفِرْعَوْنَ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا رَبُّكَ..

﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ أَنَّ عَذَابَهُ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ، وَلَا انْقِطَاعَ..

﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بِمَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِجَابَةِ رُسُلِهِ..

﴿وَتَوَلَّىٰ ۝٤٨﴾ [طه: ٤٨] وَأَدْبَرَ مُعْرِضًا عَمَّا جِئْنَاهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ [طه: ٤٩].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لَهُمَا.. وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ، تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ عَنْهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: فَأَتَيَاه فَقَالَا لَهُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَبُّهُمَا وَأَبْلَغَاهُ رِسَالَتَهُ، فَقَالَ فِرْعَوْنُ لَهُمَا..

﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ [طه: ٤٩] فَخَاطَبَ مُوسَىٰ وَحْدَهُ بِقَوْلِهِ: يَا مُوسَىٰ، وَقَدْ وَجَّهَ الْكَلَامَ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْمُجَاوَبَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْوَاحِدِ -وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ لِجَمَاعَةٍ- لَا مِنَ الْجَمِيعِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وَكَانَ الَّذِي يَحْمِلُ الْحُوتَ وَاحِدٌ، وَهُوَ فَتَىٰ مُوسَىٰ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣].

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لَهُ مُجِيبًا..

﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ يَعْنِي: نَظِيرَ خَلْقِهِ فِي الصُّورَةِ وَالْهَيْئَةِ، كَالذُّكُورِ مِنْ بَنِي

آدَمَ، أَعْطَاهُمْ نَظِيرَ خَلْقِهِمْ مِنَ الْإِنَاثِ أَزْوَاجًا، وَكَالذُّكُورِ مِنَ الْبَهَائِمِ، أَعْطَاهَا نَظِيرَ خَلْقِهَا، وَفِي صُورَتِهَا وَهَيْئَتِهَا مِنَ الْإِنَاثِ أَزْوَاجًا، فَلَمْ يُعْطِ الْإِنْسَانَ خِلَافَ خَلْقِهِ، فَيُزَوِّجَهُ بِالْإِنَاثِ مِنَ الْبَهَائِمِ، وَلَا الْبَهَائِمَ بِالْإِنَاثِ مِنَ الْإِنْسِ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَلَا يُعْطِي الْمُعْطِي نَفْسَهُ، بَلْ إِنَّمَا يُعْطِي مَا هُوَ غَيْرُهُ، لِأَنَّ الْعَطِيَّةَ تَقْتَضِي الْمُعْطِي وَالْمُعْطَىٰ وَالْعَطِيَّةَ، وَلَا تَكُونُ الْعَطِيَّةُ هِيَ الْمُعْطَىٰ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ هِيَ هُوَ، وَكَانَتْ غَيْرَهُ، وَكَانَتْ صُورَةُ كُلِّ خَلْقٍ بَعْضَ أَجْزَائِهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: أَعْطَىٰ الْإِنْسَانَ صُورَتَهُ، إِنَّمَا يَعْنِي أَنَّهُ أَعْطَىٰ بَعْضَ الْمَعَانِي الَّتِي بِهِ مَعَ غَيْرِهِ دُعِيَ إِنْسَانًا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالْأَصْوَبُ مِنْ مَعَانِيهِ أَنْ يَكُونَ مُوَجَّهًا إِلَىٰ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَاهُ رَبُّهُ مِثْلَ خَلْقِهِ، فَزَوَّجَهُ بِهِ، ثُمَّ هَدَاهُ، لِمَا بَيَّنَّا، ثُمَّ تَرَكَ ذِكْرَ مِثْلٍ، وَقِيلَ «**أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**» كَمَا يُقَالُ: عَبْدُ اللهِ مِثْلُ الْأَسَدِ، ثُمَّ يُحْذَفُ مِثْلُ، فَيَقُولُ: عَبْدُ اللهِ الْأَسَدُ..

﴿**ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ [طه: ٥٠] ثُمَّ هَدَاهُمْ لِلْمَأْتَىٰ الَّذِي مِنْهُ النَّسْلُ وَالنَّمَاءُ كَيْفَ يَأْتِيهِ، وَلِسَائِرِ مَنَافِعِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿**قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ**﴾ [طه: ٥١].

﴿**قَالَ**﴾ فِرْعَوْنُ لِمُوسَىٰ إِذْ وَصَفَ مُوسَىٰ رَبَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ مِنْ عَظِيمِ السُّلْطَانِ، وَكَثْرَةِ الْإِنْعَامِ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَالْإِفْضَالِ..

﴿**فَمَا بَالُ**﴾ فَمَا شَأْنُ..

﴿**ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ**﴾ [طه: ٥١] الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنْ قَبْلِنَا، لَمْ تُقِرَّ بِمَا تَقُولُ، وَلَمْ تُصَدِّقْ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ، وَلَمْ تُخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَكِنَّهَا عَبَدَتِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا تَصِفُ مِنْ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا خَلْقُهُ، وَأَنَّهَا فِي نِعَمِهِ تَتَقَلَّبُ، وَفِي مِنَنِهِ تَتَصَرَّفُ؟ فَأَجَابَهُ مُوسَىٰ فـ.

﴿**قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ [طه: ٥٢].

﴿**قَالَ عِلْمُهَا**﴾ عِلْمُ هَذِهِ الْأُمَمِ الَّتِي مَضَتْ مِنْ قَبْلِنَا فِيمَا فَعَلَتْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿**عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ**﴾ يَعْنِي فِي أُمِّ الْكِتَابِ، لَا عِلْمَ لِي بِأَمْرِهَا، وَمَا كَانَ سَبَبُ ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ مِنْهُمْ فَذَهَبَ عَنْ دِينِ اللهِ..

﴿**لَّا يَضِلُّ رَبِّي**﴾ لَا يُخْطِئُ رَبِّي فِي تَدْبِيرِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَإِنْ كَانَ عَذَّبَ تِلْكَ الْقُرُونَ فِي عَاجِلٍ،

وَعَجَّلَ هَلَاكَهَا، فَالصَّوَابُ مَا فَعَلَ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَ عِقَابَهَا إِلَىٰ الْقِيَامَةِ، فَالْحَقُّ مَا فَعَلَ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُ، لَا يُخْطِئُ رَبِّي..

﴿وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢] فَيَتْرُكَ فِعْلَ مَا فِعْلُهُ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣﴾ [طه: ٥٣].

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: (مِهَادًا) بِكَسْرِ الْمِيمِ مِنَ الْمِهَادِ، وَإِلْحَاقِ أَلِفٍ فِيهِ بَعْدَ الْهَاءِ، وَكَذَلِكَ عَمَلُهُمْ ذَلِكَ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، وَزَعَمَ بَعْضُ مَنِ اخْتَارَ قِرَاءَةَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، أَنَّهُ إِنَّمَا اخْتَارَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْمِهَادَ: اسْمُ الْمَوْضِعِ، وَأَنَّ الْمَهْدَ الْفِعْلُ، قَالَ: وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْشِ وَالْفِرَاشِ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: ﴿مَهْدًا﴾ بِمَعْنَىٰ: الَّذِي مَهَّدَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ مَشْهُورَتَانِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِيهَا..

﴿وَسَلَكَ﴾ وَأَنْهَجَ..

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ فِي الْأَرْضِ..

﴿سُبُلًا﴾ طُرُقًا..

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مَطَرًا..

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ نَحْنُ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِهِۦٓ﴾ بِمَا نُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ..

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أَلْوَانًا..

﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣﴾ [طه: ٥٣] مُخْتَلِفَةَ الطُّعُومِ، وَالْأَرَايِيحِ، وَالْمَنْظَرِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ إِنْعَامِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِمَا يُحْدِثُ لَهُمْ مِنَ الْغَيْثِ الَّذِي يُنْزِلُهُ مِنْ سَمَائِهِ إِلَىٰ أَرْضِهِ، بَعْدَ تَنَاهِي خَبَرِهِ عَنْ جَوَابِ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ عَمَّا سَأَلَهُ عَنْهُ، وَثَنَائِهِ عَلَىٰ رَبِّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤﴾ [طه: ٥٤].

﴿كُلُوا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ طَيِّبِ مَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ بِالْغَيْثِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ ثِمَارِ ذَلِكَ وَطَعَامِهِ، وَمَا هُوَ مِنْ أَقْوَاتِكُمْ وَغِذَائِكُمْ..

﴿وَٱرۡعَوۡاْ﴾ فِيمَا هُوَ أَرْزَاقُ بِهَائِمِكُمْ مِنْهُ وَأَقْوَاتُهَا..

﴿أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا وَصَفْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ قُدْرَةِ رَبِّكُمْ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ..

﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لَدَلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ تَدُلُّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ، وَأَنْ لَا إِلَهَ لَكُمْ غَيْرُهُ..

﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤﴾ [طه: ٥٤] أَهْلِ الْحِجَىٰ وَالْعُقُولِ.. وَالنُّهَىٰ: جَمْعُ نُهْيَةٍ.. وَخَصَّ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ آيَاتٌ لِأُولِي النُّهَىٰ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ، وَأَهْلُ التَّدَبُّرِ وَالِاتِّعَاظِ.

﴿۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾ [طه: ٥٥].

﴿۞ مِنۡهَا﴾ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَنْشَأْنَاكُمْ أَجْسَامًا نَاطِقَةً..

﴿وَفِيهَا﴾ وَفِي الْأَرْضِ..

﴿نُعِيدُكُمۡ﴾ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَنُصَيِّرُكُمْ تُرَابًا، كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ إِنْشَائِنَا لَكُمْ بَشَرًا سَوِيًّا..

﴿وَمِنۡهَا﴾ وَمِنَ الْأَرْضِ..

﴿نُخۡرِجُكُمۡ﴾ نُخْرِجُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ أَحْيَاءً، فَنُنْشِئُكُمْ مِنْهَا، كَمَا أَنْشَأْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ..

﴿تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾ [طه: ٥٥] مَرَّةً أُخْرَىٰ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: مِنَ الْأَرْضِ أَخْرَجْنَاكُمْ -وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا- خَلْقًا سَوِيًّا، وَسَنُخْرِجُكُمْ مِنْهَا بَعْدَ مَمَاتِكُمْ مَرَّةً أُخْرَىٰ، كَمَا أَخْرَجْنَاكُمْ مِنْهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ.

﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾ [طه: ٥٦].

﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَا فِرْعَوْنَ..

﴿ءَايَٰتِنَا﴾ أَدِلَّتَنَا وَحُجَجَنَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ رَسُولَيْنَا -مُوسَىٰ وَهَارُونَ- إِلَيْهِ..

﴿كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾ [طه: ٥٦] أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ مَا جَاءَا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمَا مِنَ الْحَقِّ اسْتِكْبَارًا وَعُتُوًّا.

﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧﴾ [طه: ٥٧].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لَمَّا أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا لِرَسُولِنَا مُوسَىٰ..

﴿أَجِئۡتَنَا﴾ يَا مُوسَىٰ..

﴿لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا﴾ لِتُخْرِجَنَا مِنْ مَنَازِلِنَا وَدُورِنَا..

﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧﴾ [طه: ٥٧] بِسِحْرِكَ هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ [طه: ٥٨].

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لَا نَتَعَدَّاهُ، لِنَجِيءَ بِسَحْرٍ مِثْلِ الَّذِي جِئْتَ بِهِ، فَنَنْظُرَ أَيُّنَا يَغْلِبُ صَاحِبَهُ..

﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾، لَا نُخْلِفُ ذَلِكَ الْمَوْعِدَ..

﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ [طه: ٥٨] بِمَكَانٍ عَدْلٍ نِصْفٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(مَكَانًا مُسْتَوِيًا يَتَبَيَّنُ لِلنَّاسِ مَا فِيهِ، لَا يَكُونُ صُوبٌ -كثبة من تراب- وَلَا شَيْءٌ فَيَغِيبَ بَعْضُ ذَلِكَ عَنْ بَعْضٍ، مُسْتَوٍ حِينَ يُرَونَ).**

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩﴾ [طه: ٥٩].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ، حِينَ سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَوْعِدًا لِلِاجْتِمَاعِ..

﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ لِلِاجْتِمَاعِ..

﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يَوْمَ عِيدٍ كَانَ لَهُمْ، أَوْ سُوقٍ كَانُوا يَتَزَيَّنُونَ فِيهِ..

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ وَأَنْ يُسَاقَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَنَاحِيَةٍ..

﴿ضُحًى ۝٥٩﴾ [طه: ٥٩] فَذَلِكَ مَوْعِدُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِلِاجْتِمَاعِ.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ [طه: ٦٠].

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ فَأَدْبَرَ فِرْعَوْنُ مُعْرِضًا عَمَّا أَتَاهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ فَجَمَعَ مَكْرَهُ، وَذَلِكَ جَمْعُهُ سَحَرَتَهُ بَعْدَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ بِتَعَلُّمِهِ..

﴿ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ [طه: ٦٠] ثُمَّ جَاءَ لِلْمَوْعِدِ الَّذِي وَعَدَهُ مُوسَىٰ، وَجَاءَ بِسَحَرَتِهِ.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١﴾ [طه: ٦١].

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِلسَّحَرَةِ لَمَّا جَاءَ بِهِمْ فِرْعَوْنُ..

﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لَا تَخْتَلِفُوا عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، وَلَا تَتَقَوَّلُوهُ.

﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ فَيَسْتَأْصِلكُمْ بِهَلَاكٍ فَيُبِيدَكُمْ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝﴾ [طه: ٦١] وَلَمْ يَظْفَرْ مَنْ يَخْلُقْ كَذِبًا وَيَقُولُهُ، بِكَذِبِهِ ذَلِكَ، بِحَاجَتِهِ الَّتِي طَلَبَهَا بِهِ، وَرَجَا إِدْرَاكَهَا بِهِ.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ۝﴾ [طه: ٦٢].

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ فَتَنَازَعَ السَّحَرَةُ..

﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ وَكَانَ تَنَازُعُهُمْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا أُسْنِدَ عن قَتَادَةَ، فقال: قَالَ السَّحَرَةُ بَيْنَهُمْ: إِنْ كَانَ هَذَا سَاحِرًا فَإِنَّا سَنَغْلِبُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَهُ أَمْرٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضٍ: مَا هَذَا الْقَوْلُ بِقَوْلِ سَاحِرٍ..

﴿وَأَسَرُّواْ﴾ وَأَسَرُّوا السَّحَرَةُ..

﴿ٱلنَّجْوَىٰ ۝﴾ [طه: ٦٢] الْمُنَاجَاةَ بَيْنَهُمْ مِنْ دُونِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، قَال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي نَجْوَاهُمْ: إِنْ كَانَ هَذَا سَاحِرًا فَإِنَّا سَنَغْلِبُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْرِ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ سَيَغْلِبُنَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ بِتَنَاجٍ: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ [طه: ٦٣].

﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝﴾ [طه: ٦٣].

﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ يَعْنُونَ بِقَوْلِهِمْ: إِنْ هَذَانِ مُوسَىٰ وَهَارُونُ، لَسَاحِرَانِ..

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ وَيَغْلِبَا عَلَىٰ سَادَاتِكُمْ وَأَشْرَافِكُمْ..

﴿ٱلْمُثْلَىٰ ۝﴾ [طه: ٦٣] تَأْنِيثُ الأَمْثَلِ، يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ، خُذِ الْمُثْلَىٰ مِنْهُمَا، وَفِي الْمُذَكَّرِ: خُذِ الأَمْثَلَ مِنْهُمَا، وَوُحِّدَتِ الْمُثْلَىٰ، وَهِيَ صِفَةٌ وَنَعْتٌ لِلْجَمَاعَةِ، كَمَا قِيلَ: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝﴾ [طه: ٨]، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُثْلَىٰ أُنِّثَتْ لِتَأْنِيثِ الطَّرِيقَةِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ، قَوْلُهُ: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝﴾ قَالَ: **(أُولِي الْعَقْلِ وَالشَّرَفِ وَالأَنْسَابِ)**.. وَقَالَ قَتَادَةُ: **(وَطَرِيقَتُهُمُ الْمُثْلَىٰ يَوْمَئِذٍ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانُوا أَكْثَرَ الْقَوْمِ عَدَدًا وَأَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، فَقَالَ عَدُوُّ اللهِ: إِنَّمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَذْهَبَا بِهِمْ لأَنْفُسِهِمَا)**.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَيُغَيِّرَا سُنَّتَكُمْ وَدِينَكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ حَسَنُ الطَّرِيقَةِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(يَذْهَبَا بِالَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، يُغَيِّرُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ،**

وَقَرَأَ: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر: ٢٦])، قَالَ: (هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣﴾) وَقَالَ: (يَقُولُ طَرِيقَتُكُمُ الْيَوْمَ طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ، فَإِذَا غُيِّرَتْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ).. وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ، فَإِنَّ تَأْوِيلَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ خِلَافُهُ، فَلَا أَسْتَجِيزُ لِذَلِكَ الْقَوْلَ بِهِ.

﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ [طه: ٦٤].

﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ فَأَحْكِمُوا كَيْدَكُم، وَاعْزِمُوا عَلَيْهِ، من قولهم: أَجْمَعَ فُلَانٌ الخُرُوجَ، وَأَجْمَعَ عَلَىٰ الخُرُوجِ، وَمِنْه قولُ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلَىٰ الصَّوْمِ مِن اللَّيْلِ فَلا صَوْم لَهُ..

﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ﴾ احْضُرُوا وَجِيئُوا..

﴿صَفّٗاۚ﴾ صُفُوفًا..

﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ﴾ قَدْ ظَفِرَ بِحَاجَتِهِ..

﴿ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ [طه: ٦٤] مَنْ عَلَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ فَقَهَرَهُ.. فَأَجْمَعَتِ السَّحَرَةُ كَيْدَهُمْ، ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا فَـ

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾ [طه: ٦٥].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اخْتَرْ يَا مُوسَىٰ أَحَدَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ..

﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ مَا مَعَكَ قَبْلَنَا..

﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾ [طه: ٦٥] وَإِمَّا أَنْ نُلْقِيَ مَا مَعَنَا قَبْلَكَ.

﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾ [طه: ٦٦].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلسَّحَرَةِ..

﴿بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ أَنْتُمْ مَا مَعَكُمْ قَبْلِي، فَأَلْقَوْا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ..

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾ [طه: ٦٦] وَذُكِرَ أَنَّ السَّحَرَةَ سَحَرُوا عَيْنَ مُوسَىٰ وَأَعْيُنَ النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يُلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، فَخُيِّلَ حِينَئِذٍ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّهَا تَسْعَىٰ.

﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه: ٦٧].

﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه: ٦٧] فَأَوْجَسَ مُوسَىٰ فِي نَفْسِهِ خَوْفًا فَوَجَدَهُ.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٨].

﴿قُلْنَا﴾ لِمُوسَىٰ إِذْ أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً..

﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٨] عَلَىٰ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةِ، وَعَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ، وَالْقَاهِرُ لَهُمْ.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ تَبْتَلِعْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمُ الَّتِي سَحَرُوهَا حَتَّىٰ خُيِّلَ إِلَيْكَ أَنَّهَا تَسْعَىٰ..

﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْض قُرَّاءِ الْكُوفَةِ ﴿سَٰحِرٖۖ﴾ بِرَفْعِ كَيْدَ وَبِالْأَلِفِ فِي سَاحِرٍ، بِمَعْنَىٰ: إِنَّ الَّذِي صَنَعَهُ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةُ كَيْدٌ مِنْ سَاحِرٍ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (سِحْرٍ) بِرَفْعِ الْكَيْدِ وَبِغَيْرِ الْأَلِفِ فِي السِّحْرِ، بِمَعْنَىٰ إِنَّ الَّذِي صَنَعُوهُ كَيْدُ سِحْرٍ.. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَيْدَ هُوَ الْمَكْرُ وَالْخِدْعَةُ، فَالسَّاحِرُ مَكْرُهُ وَخِدْعَتُهُ مِنْ سِحْرٍ يُسْحَرُ، وَمَكْرُ السِّحْرِ وَخِدْعَتُهُ: تَخَيُّلُهُ إِلَىٰ الْمَسْحُورِ، عَلَىٰ خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ فِي حَقِيقَتِهِ، فَالسَّاحِرُ كَائِدٌ بِالسِّحْرِ، وَالسِّحْرُ كَائِدٌ بِالتَّخْيِيلِ، فَإِلَىٰ أَيِّهِمَا أَضَفْتُ الْكَيْدَ فَهُوَ صَوَابٌ..

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩] وَلَا يَظْفَرُ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ بِمَا طَلَبَ أَيْنَ كَانَ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: **(أَنَّ السَّاحِرَ يُقْتَلُ حَيْثُ وُجِدَ)**.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠].

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠] لَوْ كَانَ هَذَا سِحْرًا مَا غَلَبَنَا.. وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ قَدِ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ مَا تُرِكَ عَلَيْهِ وَهُوَ: فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ، فَتَلَقَّفَتْ مَا صَنَعُوا، فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ.. وَذُكِرَ أَنَّ مُوسَىٰ لَمَّا أَلْقَىٰ مَا فِي يَدِهِ تَحَوَّلَ ثُعْبَانًا، فَالْتَقَمَ كُلَّ مَا كَانَتِ السَّحَرَةُ أَلْقَتْهُ مِنَ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لِلسَّحَرَةِ..

﴿ءَامَنتُمْ﴾ أَصَدَّقْتُمْ وَأَقْرَرْتُمْ..

﴿لَهُۥ﴾ لِمُوسَىٰ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ..

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُطْلِقَ ذَلِكَ لَكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ مُوسَىٰ..

﴿لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ لَعَظِيمُ السُّحَّارِ الَّذِي عَلَّمَكُمْ..

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ مُخَالِفًا بَيْنَ قَطْعِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ يُمْنَىٰ الْيَدَيْنِ وَيُسْرَىٰ الرِّجْلَيْنِ، أَوْ يُسْرَىٰ الْيَدَيْنِ، وَيُمْنَىٰ الرِّجْلَيْنِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ قَطْعًا مِنْ خِلَافٍ..

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ عَلَىٰ جُذُوعِ النَّخْلِ، وَإِنَّمَا قِيلَ: فِي جُذُوعٍ، لِأَنَّ الْمَصْلُوبَ عَلَىٰ الْخَشَبَةِ يُرْفَعُ فِي طُولِهَا، ثُمَّ يَصِيرُ عَلَيْهَا، فَيُقَالُ: صُلِبَ عَلَيْهَا..

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أَيُّهَا السَّحَرَةُ..

﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ لَكُمْ..

﴿وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١] وَأَدْوَمُ، أَنَا أَوْ مُوسَىٰ.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ [طه: ٧٢].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَتِ السَّحَرَةُ لِفِرْعَوْنَ لَمَّا تَوَعَّدَهُمْ بِمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ..

﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ فَنَتَّبِعَكَ وَنُكَذِّبَ مِنْ أَجْلِكَ مُوسَىٰ..

﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يَعْنِي مِنَ الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مُوسَىٰ..

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ قَالُوا: لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ الَّذِي جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ، وَعَلَىٰ الَّذِي خَلَقَنَا.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ خَفْضًا عَلَىٰ الْقَسَمِ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَاللهِ..

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ، وَاعْمَلْ بِنَا مَا بَدَا لَكَ..

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝﴾ [طه: ٧٢] إِنَّمَا تَقْدِرُ أَنْ تُعَذِّبَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي تَفْنَىٰ، وَنَصَبَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْوَقْتِ، وَجُعِلَتْ إِنَّمَا حَرْفًا وَاحِدًا.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝﴾ [طه: ٧٣].

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ إِنَّا أَقْرَرْنَا بِتَوْحِيدِ رَبِّنَا، وَصَدَّقْنَا بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ حَقٌّ..

﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ لِيَعْفُوَ لَنَا عَنْ ذُنُوبِنَا فَيَسْتُرَهَا عَلَيْنَا..

﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ لِيَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَتَعَلُّمَنَا مَا تَعَلَّمْنَاهُ مِنَ السِّحْرِ، وَعَمِلْنَا بِهِ الَّذِي أَكْرَهْتَنَا عَلَىٰ تَعَلُّمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**أَمَرَهُمْ بِتَعَلُّمِ السِّحْرِ، فَتَرَكُوا كِتَابَ اللهِ، وَأَمَرُوا قَوْمَهُمْ بِتَعْلِيمِ السِّحْرِ** ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ **أَمَرْتَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَهُ**)..

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ مِنْكَ يَا فِرْعَوْنُ جَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ..

﴿وَأَبْقَىٰٓ ۝﴾ [طه: ٧٣] عَذَابًا لِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝﴾ [طه: ٧٤].

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ السَّحَرَةِ لِفِرْعَوْنَ: «**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ**» مِنْ خَلْقِهِ..

﴿مُجْرِمًا﴾ مُكْتَسِبًا الْكُفْرَ بِهِ..

﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ مَأْوَىٰ وَمَسْكَنًا، جَزَاءً لَهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ..

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ..

﴿وَلَا يَحْيَىٰ ۝﴾ [طه: ٧٤] فَتَسْتَقِرَّ نَفْسُهُ فِي مَقَرِّهَا فَتَطْمَئِنَّ، وَلَكِنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِالْحَنَاجِرِ مِنْهُمْ.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝﴾ [طه: ٧٥].

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ مُوَحِّدًا لَا يُشْرِكُ بِهِ..

﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قَدْ عَمِلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ..

﴿فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝﴾ [طه: ٧٥] فَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ الْعُلَىٰ، ثُمَّ بَيَّنَ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ مَا هِيَ، فَقَالَ: هُنَّ.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧٦].

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ لَا ظَعْنَ عَنْهَا وَلَا نَفَادَ لَهَا وَلَا فَنَاءَ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا إِلَىٰ غَيْرِ غَايَةٍ مَحْدُودَةٍ..

﴿وَذَٰلِكَ﴾ وَهَذِهِ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ الَّتِي هِيَ جَنَّاتُ عَدْنٍ عَلَىٰ مَا وَصَفَ جَلَّ جَلَالُهُ..

﴿جَزَآءُ﴾ ثَوَابُ..

﴿مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧٦] مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَأَطَاعَ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ، وَلَمْ يُدَنِّسْ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَتِهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ.

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ [طه: ٧٧].

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ نَبِيِّنَا، إِذْ تَابَعْنَا لَهُ الْحُجَجَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَأَبَىٰ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِأَمْرِ رَبِّهِ، وَطَغَىٰ وَتَمَادَىٰ فِي طُغْيَانِهِ..

﴿أَنۡ أَسۡرِ﴾ لَيْلًا..

﴿بِعِبَادِي﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ فَاتَّخِذْ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ طَرِيقًا يَابِسًا..

﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ..

﴿دَرَكٗا﴾ أَنْ يُدْرِكُوكَ مِنْ وَرَائِكَ..

﴿وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ [طه: ٧٧] غَرَقًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَوَحَلًا.

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ [طه: ٧٨].

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ فَسَرَىٰ مُوسَىٰ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَسْرِ بِهِمْ، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ حِينَ قَطَعُوا الْبَحْرَ..

﴿فَغَشِيَهُم﴾ فَغَشِيَ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ..

﴿مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ [طه: ٧٨] فَغَرِقُوا جَمِيعًا.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ [طه: ٧٩].

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ وَجَاوَزَ فِرْعَوْنُ بِقَوْمِهِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَأَخَذَ بِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ أَهْلِ النَّارِ، بِأَمْرِهِمْ بِالْكُفْرِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ..

﴿وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ [طه: ٧٩] وَمَا سَلَكَ بِهِمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ مُوسَىٰ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، فَأَطَاعُوهُ، فَلَمْ يَهْدِهِمْ بِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَهْتَدُوا بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ.. فَلَمَّا نَجَا مُوسَىٰ بِقَوْمِهِ مِنَ الْبَحْرِ، وَغَشِيَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ، قُلْنَا لِقَوْمِ مُوسَىٰ.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ٨٠﴾ [طه: ٨٠].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فِرْعَوْنَ..

﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ٨٠﴾ [طه: ٨٠] وَقَدْ ذَكَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ مُوَاعَدَةُ اللهِ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَقَدْ بَيَّنَّا الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ بِاخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَذَكَرْنَا الشَّوَاهِدَ عَلَىٰ الصَّوَابِ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ٨١﴾ [طه: ٨١].

﴿كُلُواْ﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ مِنْ شَهِيَّاتِ رِزْقِنَا الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ، وَحَلَالِهِ الَّذِي طَيَّبْنَاهُ لَكُمْ..

﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾ وَلَا تَعْتَدُوا فِيهِ، وَلَا يَظْلِمْ فِيهِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ فَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ عُقُوبَتِي.. وَقَدْ حَذَّرَ اللهُ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وُقُوعَ بَأْسِهِ بِهِمْ، وَنُزُولِهِ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ إِنْ هُمْ عَصَوْهُ، وَخَوَّفَهُمْ وُجُوبَهُ لَهُمْ..

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ وَمَنْ يَجِبْ عَلَيْهِ غَضَبِي، فَيَنْزِلُ بِهِ..

﴿فَقَدْ هَوَىٰ ٨١﴾ [طه: ٨١] فَقَدْ تَرَدَّىٰ فَشَقِيَ.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه: ٨٢].

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ وَإِنِّي لَذُو غُفْرٍ..

﴿لِّمَن تَابَ﴾ مِنْ شِرْكِهِ، فَرَجَعَ مِنْهُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ لِي..

﴿وَءَامَنَ﴾ وَأَخْلَصَ لِي الْأُلُوهَةَ، وَلَمْ يُشْرِكْ فِي عِبَادَتِهِ إِيَّايَ غَيْرِي..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَأَدَّىٰ فَرَائِضِي الَّتِي افْتَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، وَاجْتَنَبَ مَعَاصِيَّ..

﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه: ٨٢] ثُمَّ لَزِمَ ذَلِكَ، فَاسْتَقَامَ وَلَمْ يُضَيِّعْ شَيْئًا مِنْهُ.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣﴾ [طه: ٨٣].

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْجَلَكَ.. وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُوسَىٰ: مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ؟ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فِيمَا بَلَغَنَا حِينَ نَجَّاهُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَطَعَ بِهِمُ الْبَحْرَ، وَعَدَهُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ، فَتَعَجَّلَ مُوسَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَأَقَامَ هَارُونُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَسِيرُ بِهِمْ عَلَىٰ أَثَرِ مُوسَىٰ.

﴿عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣﴾ [طه: ٨٣] فَتَقَدَّمْتَهُمْ وَخَلَّفْتَهُمْ وَرَاءَكَ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ.

﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه: ٨٤].

﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ﴾ قَوْمِي..

﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ يَلْحَقُونَ بِي..

﴿وَعَجِلْتُ﴾ أَنَا فَسَبَقْتُهُمْ..

﴿إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه: ٨٤] كَيْمَا تَرْضَىٰ عَنِّي.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥﴾ [طه: ٨٥].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿فَإِنَّا﴾ يَا مُوسَىٰ..

﴿قَدْ فَتَنَّا﴾ قَدِ ابْتَلَيْنَا..

﴿قَوْمَكَ﴾ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَذَلِكَ كَانَ فِتْنَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ..

﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ فِرَاقِكَ إِيَّاهُمْ..

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥﴾ [طه: ٨٥] وَكَانَ إِضْلَالُ السَّامِرِيِّ إِيَّاهُمْ دُعَاءَهُ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْعِجْلِ.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ۞﴾ [طه: ٨٦].

﴿فَرَجَعَ﴾ فَانْصَرَفَ..

﴿مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْأَرْبَعِينَ لَيْلَةً..

﴿غَضْبَٰنَ﴾ مُتَغَيِّظًا عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿أَسِفًا﴾ حَزِينًا لِمَا أَحْدَثُوهُ بَعْدَهُ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ.. وَقَالَ فِي الزُّخْرُفِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]، يَقُولُ: أَغْضَبُونَا، وَالْأَسَفُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: الْغَضَبُ، وَالْحُزْنُ..

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ أَنَّهُ غَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ؟ وَيَعِدُكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ..

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ بِي، وَبِجَمِيلِ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكُمْ، وَأَيَادِيهِ لَدَيْكُمْ..

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجِبَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَسْتَحِقُّوهُ بِعِبَادَتِكُمُ الْعِجْلَ، وَكُفْرِكُمْ بِاللهِ..

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ۞﴾ [طه: ٨٦] وَكَانَ إِخْلَافُهُمْ مَوْعِدَهُ عُكُوفَهُمْ عَلَىٰ الْعِجْلِ، وَتَرْكَهُمُ السَّيْرَ عَلَىٰ أَثَرِ مُوسَىٰ لِلْمَوْعِدِ الَّذِي كَانَ اللهُ وَعَدَهُمْ، وَقَوْلَهُمْ لِهَارُونَ إِذْ نَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ السَّيْرِ مَعَهُ فِي أَثَرِ مُوسَىٰ: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۞﴾ [طه: ٩١].

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ۞﴾ [طه: ٨٧].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ..

﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ يَعْنُونَ بِمَوْعِدِهِ: عَهْدَهُ الَّذِي كَانَ عَهِدَهُ إِلَيْهِمْ..

﴿بِمَلْكِنَا﴾ يُخْبِرُ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَقَرُّوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْخَطَأِ، وَقَالُوا: إِنَّا لَمْ نَطِقْ حَمْلَ أَنْفُسِنَا عَلَىٰ الصَّوَابِ، وَلَمْ نَمْلِكْ أَمْرَنَا حَتَّىٰ وَقَعْنَا فِي الَّذِي وَقَعْنَا فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: بِطَاقَتِنَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِهَوَانَا، وَلَكِنَّا لَمْ نَمْلِكْ أَنْفُسَنَا.. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ فِي ذَلِكَ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعْنَىٰ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ، لِغَلَبَةِ هَوَاهُ عَلَىٰ مَا أُمِرَ، فَإِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يُقَالَ: فَعَلَ فُلَانٌ هَذَا الْأَمْرَ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَفِعْلَهُ، وَهُوَ لَا يَضْبِطُهَا وَفِعْلَهُ، وَهُوَ لَا يُطِيقُ تَرْكَهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا يُوَجَّهُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ

وَنَحْنُ نَمْلِكُ الْوَفَاءَ بِهِ، لِغَلَبَةِ أَنْفُسِنَا إِيَّانَا عَلَىٰ خِلَافِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾ وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَثْقَالًا وَأَحْمَالًا..

﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ مِنْ حُلِيِّ آلِ فِرْعَوْنَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا أَرَادَ مُوسَىٰ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ لَيْلًا مِنْ مِصْرَ بِأَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَعِيرُوا مِنْ أَمْتِعَةِ آلِ فِرْعَوْنَ وَحُلِيِّهِمْ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ مُغْنِمُكُمْ ذَلِكَ، فَفَعَلُوا، وَاسْتَعَارُوا مِنْ حُلِيِّ نِسَائِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الْحُلِيُّ الَّذِي اسْتَعَارُوهُ وَالثِّيَابُ لَيْسَتْ مِنَ الذُّنُوبِ فِي شَيْءٍ**)..

﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ فَأَلْقَيْنَا تِلْكَ الْأَوْزَارَ مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فِي الْحُفْرَةِ..

﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ فَكَمَا قَذَفْنَا نَحْنُ تِلْكَ الْأَثْقَالَ، فَكَذَلِكَ..

﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ [طه: ٨٧] مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ تُرْبَةِ حَافِرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه: ٨٨].

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السَّامِرِيُّ مِمَّا قَذَفُوهُ وَمِمَّا أَلْقَاهُ..

﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ وَيَعْنِي بِالْخُوَارِ: الصَّوْتُ، وَهُوَ صَوْتُ الْبَقَرِ..

﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [٨٨: طه] فَضَلَّ وَتَرَكَ.. وَذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ السَّامِرِيِّ أَنَّهُ وَصَفَ مُوسَىٰ بِأَنَّهُ نَسِيَ رَبَّهُ، وَأَنَّهُ رَبَّهُ الَّذِي ذَهَبَ يُرِيدُهُ هُوَ الْعِجْلُ الَّذِي أَخْرَجَهُ السَّامِرِيُّ.. فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُوَبِّخًا عَبَدَةَ الْعِجْلِ وَالْقَائِلِينَ لَهُ ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ وَعَابَهُمْ بِذَلِكَ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ بِمَا فَعَلُوا وَنَالُوا مِنْهُ.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩].

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أَنَّ الْعِجْلَ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ إِلَهُهُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ..

﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لَا يُكَلِّمُهُمْ، وَإِنْ كَلَّمُوهُ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا..

﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩] وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَا كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ إِلَهًا؟

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾ [طه: ٩٠].

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ لَقَدْ قَالَ لِعَبَدَةِ الْعِجْلِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ﴾ مِنْ قَبْلِ رُجُوعِ مُوسَىٰ إِلَيْهِمْ، وَقِيلِهِ لَهُمْ مَا قَالَ، مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ..

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم﴾ إِنَّمَا اخْتَبَرَ اللهُ إِيمَانَكُمْ وَمُحَافَظَتَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ..

﴿بِهِۦۖ﴾ بِهَذَا الْعِجْلِ، الَّذِي أَحْدَثَ فِيهِ الْخُوَارَ، لِيَعْلَمَ بِهِ الصَّحِيحَ الْإِيمَانِ مِنْكُمْ مِنَ الْمَرِيضِ الْقَلْبِ، الشَّاكِّ فِي دِينِهِ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الَّذِي يَعُمُّ جَمِيعَ الْخَلْقِ نِعَمُهُ..

﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ عَلَىٰ مَا آمُرُكُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْعِجْلِ..

﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠﴾ [طه: ٩٠] فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ.

﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ [طه: ٩١].

﴿قَالُواْ﴾ عَبَدَةُ الْعِجْلِ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ..

﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ [طه: ٩١] لَنْ نَزَالَ عَلَىٰ الْعِجْلِ مُقِيمِينَ نَعْبُدُهُ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢﴾ [طه: ٩٢].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خِطَابِ قَوْمِهِ وَمُرَاجَعَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ خَطَأِ فِعْلِهِمْ..

﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ..

﴿إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢﴾ [طه: ٩٢] عَنْ دِينِهِمْ، فَكَفَرُوا بِاللهِ وَعَبَدُوا الْعِجْلَ.

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣﴾ [طه: ٩٣].

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣﴾ [طه: ٩٣] لَامَهُ مُوسَىٰ عَلَىٰ تَرْكِهِ السَّيْرَ بِمَنْ أَطَاعَهُ فِي أَثَرِهِ عَلَىٰ مَا كَانَ عَهِدَ إِلَيْهِ.. ثُمَّ أَخَذَ مُوسَىٰ بِلِحْيَةِ أَخِيهِ هَارُونَ وَرَأْسُهُ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ، فَـ

﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۝٩٤﴾ [طه: ٩٤].

﴿قَالَ﴾ هَارُونُ..

﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قَالَ لَهُ هَارُونُ:

إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ، فَرَّقْتَ بَيْنَ جَمَاعَتِهِمْ، فَتَرَكْتَ بَعْضَهُمْ وَرَاءَكَ، وَجِئْتَ بِبَعْضِهِمْ، وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي قَوْلِ هَارُونَ لِلْقَوْمِ ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠﴾ [طه: ٩٠]، وَفِي جَوَابِ الْقَوْمِ لَهُ وَقِيلِهِمْ ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ [طه: ٩١].

﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۝٩٤﴾ [طه: ٩٤] وَلَمْ تَنْظُرْ قَوْلِي وَتَحْفَظْهُ.. مِنْ مُرَاقَبَةِ الرَّجُلِ الشَّيْءَ، وَهِيَ مُنَاظَرَتُهُ بِحِفْظِهِ.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾ [طه: ٩٥].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلسَّامِرِيِّ..

﴿فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾ [طه: ٩٥] فَمَا شَأْنُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ وَمَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَىٰ مَا فَعَلْتَهُ؟

﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ۝٩٦﴾ [طه: ٩٦].

﴿قَالَ﴾ السَّامِرِيُّ..

﴿بَصُرۡتُ﴾ عَلِمْتُ.. وَهُوَ مِنَ الْبَصِيرَةِ: أَيْ صِرْتُ بِمَا عَلِمْتُ بَصِيرًا عَالِمًا..

﴿بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ..

﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ فَأَخَذْتُ بِكَفِّي تُرَابًا مِنْ تُرَابِ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ جِبْرِيلَ..

﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾ فَأَلْقَيْتُهَا..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا فَعَلْتُ مِنْ إِلْقَائِي الْقَبْضَةَ الَّتِي قَبَضْتُ مِنْ أَثَرِ الْفَرَسِ عَلَىٰ الْحِلْيَةِ الَّتِي أَوْقَدَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ انْسَبَكَتْ فَصَارَتْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ..

﴿سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ۝٩٦﴾ [طه: ٩٦] زَيَّنَتْ لِي نَفْسِي أَنَّهُ يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ۝٩٧﴾ [طه: ٩٧].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلسَّامِرِيِّ..

﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ فَإِنَّ لَكَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِكَ..

﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ أَيْ لَا أَمَسُّ، وَلَا أُمَسُّ، وَذُكِرَ أَنَّ مُوسَىٰ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ لَا

يُؤَاكِلُوهُ، وَلَا يُخَالِطُوهُ، وَلَا يُبَايِعُوهُ، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ: إِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ، فَبَقِيَ ذَلِكَ فِيمَا ذُكِرَ فِي قَبِيلَتِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**كَانَ وَاللهِ السَّامِرِيُّ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنْ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهَا سَامِرَةُ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللهِ نَافَقَ بَعْدَ مَا قَطَعَ الْبَحْرَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَقَايَاهُمُ الْيَوْمَ يَقُولُونَ لَا مِسَاسَ**)..

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لِعَذَابِكَ وَعُقُوبَتِكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ مِنْ إِضْلَالِكَ قَوْمِي حَتَّىٰ عَبَدُوا الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ لَنْ يُخْلِفَكَهُ اللهُ، وَلَكِنْ يُذِيقَكَهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَأَبُو نَهِيكٍ: (**لَنْ تُخْلِفَهُ**) بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ اللَّامِ، بِمَعْنَىٰ: وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ أَنْتَ يَا سَامِرِيّ، وَتَأَوَّلُوهُ بِمَعْنَىٰ: لَنْ تَغِيبَ عَنْهُ.. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ اللهَ مُوَفٍّ وَعْدَهُ لِخَلْقِهِ بِحَشْرِهِمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ مُوافُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَلَا اللهُ مُخْلِفُهُمْ ذَلِكَ، وَلَا هُمْ مُخْلِفُوهُ بِالتَّخَلُّفِ عَنْهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ..

﴿وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ وَانْظُرْ إِلَىٰ مَعْبُودِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ مُقِيمًا تَعْبُدُهُ..

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بِالنَّارِ قِطْعَةً قِطْعَةً..

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: ٩٧] ثُمَّ لَنُذْرِيَنَّهُ فِي الْبَحْرِ تَذْرِيَةً.. يُقَالُ مِنْهُ: نَسَفَ فُلَانٌ الطَّعَامَ بِالْمِنْسَفِ: إِذَا ذَرَاهُ فَطَيَّرَ عَنْهُ قُشُورَهُ وَتُرَابَهُ بِالْيَدِ أَوِ بِالرِّيحِ.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨].

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مَا لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ مَعْبُودٌ، إِلَّا الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ جَمِيعِ الْخَلْقِ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ، وَلَا تَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَهُ.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨] أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فَعَلِمَهُ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَضِيقُ عَلَيْهِ عِلْمُ جَمِيعِ ذَلِكَ.. يُقَالُ مِنْهُ: فُلَانٌ يَسَعُ لِهَذَا الْأَمْرِ: إِذَا أَطَاقَهُ وَقَوِيَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسَعُ لَهُ: إِذَا عَجَزَ عَنْهُ فَلَمْ يُطِقْهُ وَلَمْ يَقْوَ عَلَيْهِ.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: ٩٩].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَأَ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَأَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

مَعَ مُوسَىٰ كَذَلِكَ..

﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ نُخْبِرُكَ..

﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾ بِأَنْبَاءِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ سَبَقَتْ مِنْ قَبْلِكَ، فَلَمْ تُشَاهِدْهَا وَلَمْ تُعَايِنْهَا..

﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن لَّدُنَّا﴾ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿ذِكۡرٗا ٩٩﴾ [طه: ٩٩] يَتَذَكَّرُ بِهِ وَيَتَّعِظُ بِهِ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَهُ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ.

﴿مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠﴾ [طه: ١٠٠].

﴿مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ﴾ مَنْ وَلَّىٰ عَنْهُ فَأَدْبَرَ فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ وَلَمْ يُقِرَّ..

﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠﴾ [طه: ١٠٠] فَإِنَّهُ يَأْتِي رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ حِمْلًا ثَقِيلًا، وَذَلِكَ الْإِثْمُ الْعَظِيمُ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾ [طه: ١٠١].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾ خَالِدِينَ فِي وِزْرِهِمْ، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ ذِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي أَوْزَارِهِمْ، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي النَّارِ بِأَوْزَارِهِمْ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا الْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ اكْتَفَىٰ بِمَا ذَكَرَ عَمَّا لَمْ يَذْكُرْ..

﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾ [طه: ١٠١] وَسَاءَ ذَلِكَ الْحِمْلُ وَالثِّقْلُ مِنَ الْإِثْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا، وَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يَسُوءَهُمْ ذَلِكَ، وَقَدْ أَوْرَدَهُمْ مَهْلَكَةً لَا مَنْجَىٰ مِنْهَا.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢﴾ [طه: ١٠٢].

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَقَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ رَدٌّ عَلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَنَحۡشُرُ﴾ وَنَسُوقُ..

﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿زُرۡقٗا ١٠٢﴾ [طه: ١٠٢] مَا يَظْهَرُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ الَّذِي يَكُونُ بِهِمْ عِنْدَ الْحَشْرِ لِرَأْيِ

الْعَيْنِ، مِنَ الزَّرَقِ.. وَقِيلَ: أُرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عُمْيًا، كَالَّذِي قَالَ اللهُ ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ١٠٣﴾ [طه: ١٠٣].

﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يَتَهَامَسُونَ بَيْنَهُمْ، وَيُسِرُّ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ١٠٣﴾ [طه: ١٠٣] مَا لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَشْرًا.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ١٠٤﴾ [طه: ١٠٤].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ عِنْدَ إِسْرَارِهِمْ وَتَخَافُتِهِمْ بَيْنَهُمْ بِقِيلِهِمْ ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ١٠٣﴾ [طه: ١٠٣] بِمَا يَقُولُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا مِمَّا يَتَسَارَرُونَهُ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ..

﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ حِينَ يَقُولُ أَوْفَاهُمْ عَقْلًا، وَأَعْلَمُهُمْ فِيهِمْ..

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ١٠٤﴾ [طه: ١٠٤] إِنْ لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمًا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ١٠٥﴾ [طه: ١٠٥].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ قَوْمُكَ..

﴿عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ١٠٥﴾ [طه: ١٠٥] يُذَرِّيهَا رَبِّي تَذْرِيَةً، وَيُطَيِّرُهَا بِقَلْعِهَا وَاسْتِئْصَالِهَا مِنْ أُصُولِهَا، وَدَكِّ بَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَتَصْيِيرِهِ إِيَّاهَا هَبَاءً مُنْبَثًّا.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ١٠٦﴾ [طه: ١٠٦].

﴿فَيَذَرُهَا﴾ فَيَدَعُ أَمَاكِنَهَا مِنَ الْأَرْضِ إِذَا نَسَفَهَا نَسْفًا..

﴿قَاعًا﴾ أَرْضًا مَلْسَاءَ..

﴿صَفْصَفًا ١٠٦﴾ [طه: ١٠٦] مُسْتَوِيًا لَا نَبَاتَ فِيهِ، وَلَا نَشَزَ، وَلَا ارْتِفَاعَ.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ١٠٧﴾ [طه: ١٠٧].

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا﴾ لَا تَرَىٰ فِي الْأَرْضِ..

﴿عِوَجًا﴾ مَيْلًا، وَذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ فِي الْأَرْضِ الْيَوْمَ مِنْ عِوَجٍ، فَيُقَالُ: لَا تَرَىٰ فِيهَا يَوْمَئِذٍ عِوَجًا؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَيْسَ فِيهَا أَوْدِيَةٌ وَمَوَانِعُ

تَمْنَعُ النَّاظِرَ أَوِ السَّائِرَ فِيهَا عَنِ الْأَخْذِ عَلَىٰ الِاسْتِقَامَةِ، كَمَا يَحْتَاجُ الْيَوْمَ مَنْ أَخَذَ فِي بَعْضِ سُبُلِهَا إِلَىٰ الْأَخْذِ أَحْيَانًا يَمِينًا، وَأَحْيَانًا شِمَالًا، لِمَا فِيهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالْبِحَارِ..

﴿وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: ١٠٧] الْأَمْتُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الِانْثِنَاءُ وَالضَّعْفُ، مَسْمُوعٌ مِنْهُمْ: مَدَّ حَبْلَهُ حَتَّىٰ مَا تَرَكَ فِيهِ أَمْتًا: أَيِ انْثِنَاءً، وَمَلَأَ سِقَاءَهُ حَتَّىٰ مَا تَرَكَ فِيهِ أَمْتًا، فَالْوَاجِبُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَىٰ الْأَمْتِ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونَ أَصْوَبَ الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِهِ: وَلَا ارْتِفَاعَ وَلَا انْخِفَاضَ، لِأَنَّ الِانْخِفَاضَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَنِ ارْتِفَاعٍ.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: لَا تَرَىٰ فِيهَا مَيْلًا عَنِ الِاسْتِوَاءِ، وَلَا ارْتِفَاعًا، وَلَا انْخِفَاضًا، وَلَكِنَّهَا مُسْتَوِيَةٌ مَلْسَاءُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦﴾ [طه: ١٠٦].

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾ [طه: ١٠٨].

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُ النَّاسُ..

﴿ٱلدَّاعِيَ﴾ صَوْتَ دَاعِي اللهِ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، فَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ..

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ لَا عِوَجَ لَهُمْ عَنْهُ وَلَا انْحِرَافَ، وَلَكِنَّهُمْ سِرَاعًا إِلَيْهِ يَنْحَشِرُونَ.. وَقِيلَ: لَا عِوَجَ لَهُ، وَالْمَعْنَىٰ: لَا عِوَجَ لَهُمْ عَنْهُ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ لَا يُعْوِجُونَ لَهُ وَلَا عَنْهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَؤُمُّونَهُ وَيَأْتُونَهُ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: دَعَانِي فُلَانٌ دَعْوَةً لَا عِوَجَ لِي عَنْهَا: أَيْ لَا أَعْوِجُ عَنْهَا..

﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ وَسَكَنَتْ أَصْوَاتُ الْخَلَائِقِ لِلرَّحْمَنِ، فَوَصَفَ الْأَصْوَاتَ بِالْخُشُوعِ، وَالْمَعْنَىٰ لِأَهْلِهَا، إِنَّهُمْ خُضَّعٌ جَمِيعُهُمْ لِرَبِّهِمْ، فَلَا تَسْمَعُ لِنَاطِقٍ مِنْهُمْ مَنْطِقًا إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ..

﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾ [طه: ١٠٨] إِنَّهُ وَطْءُ الْأَقْدَامِ إِلَىٰ الْمَحْشَرِ.. وَأَصْلُهُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، يُقَالُ هَمَسَ فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ بِحَدِيثِهِ، إِذَا أَسَرَّهُ إِلَيْهِ وَأَخْفَاهُ.

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩].

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا﴾ شَفَاعَةُ..

﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أَنْ يَشْفَعَ..

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠].

﴿يَعۡلَمُ﴾ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ مَا بَيْنَ أَيْدِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ مِنْ أَمْرِ الْقِيَامَةِ، وَمَا الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ وَيَعْلَمُ أَمْرَ مَا خَلَّفُوهُ وَرَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا..

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠] وَلَا يُحِيطُ خَلْقُهُ بِهِ عِلْمًا.. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّهُ مُحِيطٌ بِعِبَادِهِ عِلْمًا، وَلَا يُحِيطُ عِبَادُهُ بِهِ عِلْمًا.

﴿۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾ [طه: ١١١].

﴿۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ اسْتَأْسَرَتْ وُجُوهُ الْخَلْقِ، وَاسْتَسْلَمَتْ.. وَأَصْلُ الْعُنُوِّ: الذُّلُّ، يُقَالُ مِنْهُ: عَنَا وَجْهُهُ لِرَبِّهِ، يَعْنُو عُنُوًّا، يَعْنِي خَضَعَ لَهُ وَذَلَّ، وَكَذَلِكَ قِيلَ لِلْأَسِيرِ: عَانٍ، لِذِلَّةِ الْأَسْرِ.. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: أَخَذْتُ الشَّيْءَ عَنْوَةً، فَإِنَّهُ يَكُونُ وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ يَئُولُ إِلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ غَلَبَةً، وَيَكُونُ أَخَذَهُ عَنْ تَسْلِيمٍ وَطَاعَةٍ.

﴿لِلۡحَيِّ﴾ الَّذِي لَا يَمُوتُ..

﴿ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ عَلَى خَلْقِهِ بِتَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ، وَتَصْرِيفِهِمْ لِمَا شَاءُوا..

﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ وَلَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَطِلْبَتِهِ..

﴿مَنۡ حَمَلَ﴾ إِلَى مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿ظُلۡمٗا ١١١﴾ [طه: ١١١] شِرْكًا بِاللهِ، وَكُفْرًا بِهِ، وَعَمَلًا بِمَعْصِيَتِهِ.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: ١١٢].

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَذَلِكَ فِيمَا قِيلَ أَدَاءُ فَرَائِضِ اللهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَى عِبَادِهِ..

﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ وَهُوَ مُصَدِّقٌ بِاللهِ، وَأَنَّهُ مُجَازٍ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَأَهْلَ مَعَاصِيهِ عَلَى مَعَاصِيهِمْ..

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا﴾ فَلَا يَخَافُ مِنَ اللهِ أَنْ يَظْلِمَهُ، فَيَحْمِلُ عَلَيْهِ سَيِّئَاتِ غَيْرِهِ، فَيُعَاقِبُهُ عَلَيْهَا..

﴿وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: ١١٢] لَا يَخَافُ أَنْ يَهْضِمَهُ حَسَنَاتِهِ، فَيَنْقُصُهُ ثَوَابَهَا.. وَأَصْلُ الْهَضْمِ: النَّقْصُ، يُقَالُ: هَضَمَنِي فُلَانٌ حَقِّي، وَمِنْهُ امْرَأَةٌ هَضِيمٌ: أَيْ ضَامِرَةُ الْبَطْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: قَدْ هُضِمَ

الطَّعَامُ: إِذَا ذَهَبَ، وَهَضَمْتُ لَكَ مِنْ حَقِّكَ: أَيْ حَطَطْتُكَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا رَغَّبْنَا أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ، بِوَعْدِنَاهُمْ مَا وَعَدْنَاهُمْ، كَذَلِكَ..

﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حَذَّرْنَا بِالْوَعِيدِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِالْمُقَامِ عَلَىٰ مَعَاصِينَا، وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِنَا، فَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا، إِذْ كَانُوا عَرَبًا..

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ فَبَيَّنَّاهُ، يَقُولُ: وَخَوَّفْنَاهُمْ فِيهِ بِضُرُوبٍ مِنَ الْوَعِيدِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كَيْ يَتَّقُونَا، بِتَصْرِيفِنَا مَا صَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ..

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣] أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ هَذَا الْقُرْآنُ تَذْكِرَةً، فَيَعْتَبِرُونَ وَيَتَّعِظُونَ بِفِعْلِنَا بِالْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتِ الرُّسُلَ قَبْلَهَا، وَيَنْزَجِرُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

﴿فَتَعَٰلَى﴾ فَارْتَفَعَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الَّذِي قَهَرَ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَلِكٍ وَجَبَّارٍ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلْقُرْءَانِ﴾ فَتُقْرِئَهُ أَصْحَابَكَ، أَوْ تَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْكَ بَيَانُ مَعَانِيهِ، فَعُوتِبَ عَلَىٰ إِكْتَابِهِ وَإِمْلَائِهِ مَا كَانَ اللهُ يُنَزِّلُهُ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ مَنْ كَانَ يُكْتِبُهُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ مَعَانِيهِ، وَقِيلَ لَهُ: لَا تَتْلُهُ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا تُمْلِهِ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ نُبَيِّنَهُ لَكَ.

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤] إِلَىٰ مَا عَلَّمْتَنِي، أَمَرَهُ بِمَسْأَلَتِهِ مِنْ فَوَائِدِ الْعِلْمِ مَا لَا يَعْلَمُ.. وَإِنْ

يُضَيِّع يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نُصَرِّفُ لَهُمْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنَ الْوَعِيدِ عَهْدِي، وَيُخَالِفُوا أَمْرِي، وَيَتْرُكُوا طَاعَتِي، وَيَتَّبِعُوا أَمْرَ عَدُوِّهِمْ إِبْلِيسَ، وَيُطِيعُوهُ فِي خِلَافِ أَمْرِي، فَقَدِيمًا مَا فَعَلَ ذَلِكَ أَبُوهُمْ آدَمُ.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾ [طه: ١١٥].

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا آدَمَ وَقُلْنَا لَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: ١١٧]، فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَأَطَاعَهُ، وَخَالَفَ أَمْرِي، فَحَلَّ بِهِ مِنْ عُقُوبَتِي مَا حَلَّ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ أَنَّهُ صَرَّفَ لَهُمُ الْوَعِيدَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿فَنَسِىَ﴾ فَتَرَكَ عَهْدِي..

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾ [طه: ١١٥] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ الصَّبْرُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: الْحِفْظُ، قَالُوا: وَمَعْنَاهُ: وَلَمْ نَجِدْ لَهُ حِفْظًا لِمَا عَهِدْنَا إِلَيْهِ.. وَأَصْلُ الْعَزْمِ اعْتِقَادُ الْقَلْبِ عَلَىٰ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: عَزَمَ فُلَانٌ عَلَىٰ كَذَا: إِذَا اعْتَقَدَ عَلَيْهِ وَنَوَاهُ، وَمِنِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ: حِفْظُ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ الصَّبْرُ عَلَىٰ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجْزَعُ جَازِعٌ إِلَّا مِنْ خَوَرِ قَلْبِهِ وَضَعْفِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا مَعْنَىٰ لِذَلِكَ أَبْلَغُ مِمَّا بَيَّنَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾، فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ: وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمَ قَلْبٍ، عَلَىٰ الْوَفَاءِ للهِ بِعَهْدِهِ، وَلَا عَلَىٰ حِفْظِ مَا عَهِدَ إِلَيْهِ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝١١٦﴾ [طه: ١١٦].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَلِّمًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، مَا كَانَ مِنْ تَضْيِيعِ آدَمَ عَهْدَهِ، وَمُعَرِّفَهُ بِذَلِكَ أَنَّ وَلَدَهُ لَنْ يَعْدُوا أَنْ يَكُونُوا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝١١٦﴾ [طه: ١١٦] أَنْ يَسْجُدَ لَهُ.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧﴾ [طه: ١١٧].

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا﴾ وَلِذَلِكَ مِنْ شَنَآنِهِ لَمْ يَسْجُدْ لَكَ، وَخَالَفَ أَمْرِي فِي ذَلِكَ وَعَصَانِي، فَلَا تُطِيعَاهُ فِيمَا يَأْمُرُكُمَا بِهِ..

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ فَيُخرِجُكُما بِمَعْصِيَتِكُما رَبَّكُما، وَطَاعَتِكُما لَهُ..

﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: ١١٧] فَيَكُونُ عَيْشُكَ مِنْ كَدِّ يَدِكَ، فَذَلِكَ شَقَاؤُهُ الَّذِي حَذَّرَهُ بِهِ.. وَلَمْ يَقُلْ: (فَتَشْقَيَا)، وَقَدْ قَالَ: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾؛ لِأَنَّ ابْتِدَاءَ الْخِطَابِ مِنَ اللهِ كَانَ لِآدَمَ ﷺ فَكَانَ فِي إِعْلَامِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ، الْكِفَايَةَ مِنْ ذِكْرِ الْمَرْأَةِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ حُكْمَهَا فِي ذَلِكَ حُكْمُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧]، اجْتُزِئَ بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ، مِنْ ذِكْرِ فِعْلِ صَاحِبِهِ.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ [طه: ١١٨].

﴿إِنَّ لَكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِ لِآدَمَ حِينَ أَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ: ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يَا آدَمُ..

﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ [طه: ١١٨].

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٩].

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا﴾ لَا تَعْطَشُ فِي الْجَنَّةِ مَا دُمْتَ فِيهَا..

﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٩] لَا تَظْهَرُ لِلشَّمْسِ فَيُؤْذِيكَ حَرُّهَا.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: ١٢٠].

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فَأَلْقَىٰ إِلَىٰ آدَمَ الشَّيْطَانُ وَحَدَّثَهُ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ..

﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ إِنْ أَكَلْتَ مِنْهَا خُلِّدْتَ فَلَمْ تَمُتْ..

﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: ١٢٠] وَمُلِّكْتَ مُلْكًا لَا يَنْقَضِي فَيَبْلَىٰ.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢١].

﴿فَأَكَلَا﴾ فَأَكَلَ آدَمُ وَحَوَّاءُ..

﴿مِنْهَا﴾ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا، وَأَطَاعَا أَمْرَ إِبْلِيسَ، وَخَالَفَا أَمْرَ رَبِّهِمَا..

﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ فَانْكَشَفَتْ لَهُمَا عَوْرَاتُهُمَا، وَكَانَتْ مَسْتُورَةً عَنْ أَعْيُنِهِمَا..

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أَقْبَلَا يَشُدَّانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ.

﴿وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢١] وَخَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ، فَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَتَعَدَّىٰ إِلَيْهِ، مِنَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢].

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ﴾ اصْطَفَاهُ..

﴿رَبُّهُۥ﴾ مِنْ بَعْدِ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فَرَزَقَهُ الرُّجُوعَ إِلَىٰ مَا يَرْضَىٰ عَنْهُ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ، وَذَلِكَ هُوَ كَانَتْ تَوْبَتُهُ الَّتِي تَابَهَا عَلَيْهِ..

﴿وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢] وَهَدَاهُ لِلتَّوْبَةِ، فَوَفَّقَهُ لَهَا.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ..

﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أَنْتُمَا عَدُوُّ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتُهُ، وَإِبْلِيسُ عَدُوُّكُمَا وَعَدُوُّ ذُرِّيَّتِكُمَا..

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ فَإِنْ يَأْتِكُمْ يَا آدَمُ وَحَوَّاءُ وَإِبْلِيسُ..

﴿مِّنِّي هُدًى﴾ بَيَانٌ لِسَبِيلِي، وَمَا اخْتَارُهُ لِخَلْقِي مِنْ دِينٍ..

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ فَمَنِ اتَّبَعَ بَيَانِي ذَلِكَ وَعَمِلَ بِهِ، وَلَمْ يَزِغْ مِنْهُ..

﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ فَلَا يَزُولُ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَلَكِنَّهُ يَرْشُدُ فِي الدُّنْيَا وَيَهْتَدِي..

﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣] فِي الْآخِرَةِ بِعِقَابِ اللهِ، لِأَنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَيُنَجِّيهِ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ الَّذِي أُذَكِّرُهُ بِهِ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُ وَلَمْ يَقْبَلْهُ وَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِهِ فَيَنْزَجِرُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنْ خِلَافِهِ أَمْرَ رَبِّهِ..

﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَيِّقَةً، وَذَلِكَ لَهُمْ فِي الْبَرْزَخِ، وَهُوَ عَذَابُ الْقَبْرِ؛

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ قَبْلَ عَذَابِ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ فِي الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾ مَعْنًى مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقَدَّمَهُ عَذَابٌ لَهُمْ قَبْلَ الْآخِرَةِ، حَتَّىٰ يَكُونَ الَّذِي فِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ مِنْهُ، بَطَلَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا تَخْلُو تِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، أَوْ فِي قُبُورِهِمْ قَبْلَ الْبَعْثِ، إِذْ كَانَ لَا وَجْهَ لِأَنْ تَكُونَ فِي الْآخِرَةِ لِمَا قَدْ بَيَّنَّا، فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ مِنَ الْكُفَّارِ، فَإِنَّ مَعِيشَتَهُ فِيهَا ضَنْكٌ، وَفِي وُجُودِنَا كَثِيرًا مِنْهُمْ أَوْسَعَ مَعِيشَةً مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُقْبِلِينَ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الْقَانِتِينَ لَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِذْ خَلَا الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ صَحَّ الْوَجْهُ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَنَّ ذَلِكَ فِي الْبَرْزَخِ..

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٤] قَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ عَمًى عَنِ الْحُجَّةِ، لَا عَمًى عَنِ الْبَصَرِ.. وَقِيلَ: يُحْشَرُ أَعْمَىٰ الْبَصَرِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَهُوَ أَنَّهُ يُحْشَرُ أَعْمَىٰ عَنِ الْحُجَّةِ وَرُؤْيَةِ الشَّيْءِ، كَمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَعَمَّ وَلَمْ يُخَصِّصْ.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥﴾ [طه: ١٢٥].

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ عَنْ حُجَّتِي وَرُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ..

﴿وَقَدْ كُنتُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿بَصِيرًا ١٢٥﴾ [طه: ١٢٥] ذَا بَصَرٍ بِذَلِكَ كُلِّهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ هَذَا لِرَبِّهِ: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ مَعَ مُعَايَنَتِهِ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ، أَجَهِلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ أَنْ يَكُونَ للهِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا شَاءَ، أَمْ مَا وَجْهُ ذَلِكَ؟ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ مَسْأَلَةٌ لِرَبِّهِ يُعَرِّفُهُ الْجُرْمَ الَّذِي اسْتَحَقَّ بِهِ ذَلِكَ، إِذْ كَانَ قَدْ جَهِلَهُ، وَظَنَّ أَنْ لَا جُرْمَ لَهُ، اسْتَحَقَّ ذَلِكَ بِهِ مِنْهُ، فَقَالَ: رَبِّ لِأَيِّ ذَنْبٍ وَلِأَيِّ جُرْمٍ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ، وَقَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا بَصِيرًا وَأَنْتَ لَا تُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا بِدُونِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنْكَ مِنَ الْعِقَابِ.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه: ١٢٦].

﴿قَالَ﴾ اللهُ حِينَئِذٍ لِلْقَائِلِ لَهُ: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥﴾ [طه: ١٢٥] فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ، فَحَشَرْتُكَ أَعْمَىٰ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا..

﴿أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا﴾ أَتتكَ آيَاتِي، وَهِيَ حُجَجُهُ وَأَدِلَّتُهُ وَبَيَانُهُ الَّذِي بَيَّنَهُ فِي كِتَابِهِ..

﴿فَنَسِيتَهَاۖ﴾ فتركْتَهَا وَأَعْرَضْتَ عَنْهَا، وَلَمْ تُؤْمِنْ بِهَا، وَلَمْ تَعْمَلْ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ فكَمَا نَسِيتَ آيَاتِنَا فِي الدُّنْيَا، فتَرَكْتَهَا وَأَعْرَضْتَ عَنْهَا، فكَذَلِكَ..

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه: ١٢٦] فَنَتْرُكُكَ فِي النَّارِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾ [طه: ١٢٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَهَكَذَا..

﴿نَجۡزِي﴾ نُثِيبُ..

﴿مَنۡ أَسۡرَفَ﴾ فَعَصَىٰ رَبَّهُ..

﴿وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ﴾ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، فَنَجْعَلُ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا فِي الْبَرْزَخِ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ..

﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ﴾ وَلَعَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ لَهُمْ مِمَّا وَعَدْتُهُمْ فِي الْقَبْرِ مِنَ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ..

﴿وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾ [طه: ١٢٧] وَأَدْوَمُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ إِلَىٰ غَيْرِ أَمَدٍ وَلَا نِهَايَةَ.

﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾ [طه: ١٢٨].

﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ﴾ أَفَلَمْ يُبَيِّنْ لِقَوْمِكَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ كَثْرَةَ مَا أَهْلَكْنَا..

﴿قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَلَكَتْ قَبْلَهَا الَّتِي..

﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ﴾ وَدُورِهِمْ، وَيَرَوْنَ آثَارَ عُقُوبَاتِنَا الَّتِي أَحْلَلْنَاهَا بِهِمْ سُوءَ مَغَبَّةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِآيَاتِنَا، وَيَتَّعِظُوا بِهِمْ، وَيَعْتَبِرُوا وَيُنِيبُوا إِلَىٰ الْإِذْعَانِ، وَيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، خَوْفًا أَنْ يُصِيبَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا يُعَايِنُ هَؤُلَاءِ وَيَرَوْنَ مِنْ آثَارِ وَقَائِعِنَا بِالْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلِهَا قَبْلَهُمْ، وَحُلُولِ مَثُلَاتِنَا بِهِمْ لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿لَآيَٰتٍ﴾ لَدَلَالَاتٍ وَعِبَرًا وَعِظَاتٍ..

﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۝١٢٨﴾ [طه: ١٢٨] لِأَهْلِ الْحِجَىٰ وَالْعُقُولِ، وَمَنْ يَنْهَاهُ عَقْلُهُ وَفَهْمُهُ وَدِينُهُ عَنْ مُوَاقَعَةِ مَا يَضُرُّهُ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ۝١٢٩﴾ [طه: ١٢٩].

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَضَىٰ لَهُ أَجَلًا فَإِنَّهُ لَا يَخْتَرِمُهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَجَلَهُ..

﴿لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ۝١٢٩﴾ [طه: ١٢٩] وَوَقْتٌ مُسَمًّىٰ عِنْدَ رَبِّكَ سَمَّاهُ لَهُمْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَخَطَّهُ فِيهِ، هُمْ بَالِغُوهُ وَمُسْتَوْفُوهُ، ﴿لَكَانَ لِزَامٗا﴾ لَلَازَمَهُمُ الْهَلَاكُ عَاجِلًا.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مُسَمًّىٰ لَكَانَ لِزَامًا، فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ۝١٣٠﴾ [طه: ١٣٠].

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ عَلَىٰ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ قَوْمِكَ لَكَ إِنَّكَ سَاحِرٌ، وَإِنَّكَ مَجْنُونٌ وَشَاعِرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ وَصَلِّ بِثَنَائِكَ عَلَىٰ رَبِّكَ، وَقَالَ: ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، وَالْمَعْنَىٰ: بِحَمْدِكَ رَبَّكَ، كَمَا تَقُولُ: أَعْجَبَنِي ضَرْبُ زَيْدٍ، وَالْمَعْنَىٰ: ضَرْبِي زَيْدًا..

﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ وَذَلِكَ صَلَاةُ الصُّبْحِ..

﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ وَهِيَ الْعَصْرُ..

﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ وَهِيَ سَاعَاتُ اللَّيْلِ، وَاحِدُهَا: إِنْيٌ..

﴿فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ يَعْنِي صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْمَغْرِبِ، وَقِيلَ: أَطْرَافُ النَّهَارِ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ الصَّلَاتَانِ اللَّتَانِ ذَكَرْنَا، لِأَنَّ صَلَاةَ الظُّهْرِ فِي آخِرِ طَرَفِ النَّهَارِ الْأَوَّلِ، وَفِي أَوَّلِ طَرَفِ النَّهَارِ الْآخِرِ، فَهِيَ فِي طَرَفَيْنِ مِنْهُ، وَالطَّرَفُ الثَّالِثُ: غُرُوبُ الشَّمْسِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تُصَلَّىٰ الْمَغْرِبُ، فَلِذَلِكَ قِيلَ أَطْرَافَ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: أُرِيدَ بِهِ طَرَفَا النَّهَارِ، وَقِيلَ: أَطْرَافَ، كَمَا قِيلَ ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤]، فَجَمَعَ، وَالْمُرَادُ: قَلْبَانِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ طَرَفِ النَّهَارِ الْآخِرِ، وَآخِرَ طَرَفِهِ الْأَوَّلِ.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠] قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ: ﴿تَرْضَىٰ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ.. وَكَانَ عَاصِمٌ وَالْكِسَائِيُّ يَقْرَآنِ ذَلِكَ: (تُرْضَىٰ) بِضَمِّ التَّاءِ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ.. وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ بِالْفَتْحِ، ذَهَبُوا إِلَىٰ مَعْنَىٰ: إِنَّ اللهَ يُعْطِيكَ، حَتَّىٰ تَرْضَىٰ عَطِيَّتَهُ وَثَوَابَهُ إِيَّاكَ، وَكَذَلِكَ تَأَوَّلَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.. وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ بِالضَّمِّ، وَجَّهُوا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ لَعَلَّ اللهَ يُرْضِيكَ مِنْ عِبَادَتِكَ إِيَّاهُ، وَطَاعَتِكَ لَهُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَىٰ، غَيْرُ مُخْتَلِفَتَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِذَا أَرْضَاهُ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَرْضَىٰ، وَأَنَّهُ إِذَا رَضِيَ فَقَدْ أَرْضَاهُ اللهُ، فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْأُخْرَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ١٣١﴾ [طه: ١٣١].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَلَا تَنْظُرْ..

﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ إِلَىٰ مَا جَعَلْنَا لِأَشْكَالِ هَؤُلَاءِ وَضُرَبَائِهِمُ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ مُتْعَةً فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، يَتَمَتَّعُونَ بِهَا..

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ زَهْرَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَةً لَهُمْ فِيهَا..

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ﴾ لِنَخْتَبِرَهُمْ فِيمَا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَبْتَلِيَهُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَانٍ زَائِلٌ، وَغُرُورٌ وَخِدَعٌ تَضْمَحِلُّ..

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ الَّذِي وَعَدَكَ أَنْ يَرْزُقَكَهُ فِي الْآخِرَةِ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَهُوَ ثَوَابُهُ إِيَّاهُ..

﴿خَيْرٌ﴾ لَكَ مِمَّا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿وَأَبْقَىٰ ١٣١﴾ [طه: ١٣١] وَأَدْوَمُ؛ لِأَنَّهُ لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا نَفَاذَ.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [طه: ١٣٢].

﴿وَأْمُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ﴾ وَاصْطَبِرْ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِهَا، وَأَدَائِهَا بِحُدُودِهَا أَنْتَ..

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ﴾ لَا نَسْأَلُكَ مَالًا، بَلْ نُكَلِّفُكَ عَمَلًا بِبَدَنِكَ، نُؤْتِيكَ عَلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَثَوَابًا جَزِيلًا..

﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾ نَحنُ نُعطِيكَ المَالَ ونُكسِبُكَهُ، ولَا نَسأَلُكَهُ..

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ الصَّالِحَةُ مِنْ عَمِلِ كُلِّ عَامِلٍ..

﴿لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه: ١٣٢] لِأَهْلِ التَّقْوَىٰ وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ دُونَ مَنْ لَا يَخَافُ لَهُ عِقَابًا، وَلَا يَرْجُو لَهُ ثَوَابًا.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ [طه: ١٣٣].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْآيَاتِ قَبْلُ..

﴿لَوۡلَا﴾ هَلَّا..

﴿يَأۡتِينَا﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ كَمَا أَتَىٰ قَوْمَهُ صَالِحٌ بِالنَّاقَةِ، وَعِيسَىٰ بِإِحيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ..

﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ [طه: ١٣٣] أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيَانُ مَا فِي الْكُتُبِ الَّتِي قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمُ الَّتِي أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا سَأَلُوا الْآيَاتِ، فَكَفَرُوا بِهَا لَمَّا أَتَتْهُمْ، كَيْفَ عَجَّلْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ، وَأَنْزَلْنَا بَأْسَنَا بِكُفْرِهِمْ بِهَا، يَقُولُ: فَمَاذَا يُؤَمِّنُهُمْ إِنْ أَتَتْهُمُ الْآيَةُ أَنْ يَكُونَ حَالُهُمْ حَالَ أُولَئِكَ.

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤﴾ [طه: ١٣٤].

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنَزِّلَهُ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْعَثَ دَاعِيًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيهِ بِعَذَابٍ نُنَزِّلُهُ بِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿لَقَالُواْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ وَرَدُوا عَلَيْنَا، فَأَرَدْنَا عِقَابَهُمْ..

﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدْعُونَا إِلَىٰ طَاعَتِكَ..

﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ فَنَتَّبِعَ حُجَّتَكَ وَأَدِلَّتَكَ، وَمَا تُنَزِّلُهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ..

﴿مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بِتَعْذِيبِكَ إِيَّانَا..

﴿وَنَخۡزَىٰ ١٣٤﴾ [طه: ١٣٤] بِهِ.

﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾ [طه: ١٣٥].

﴿قُلۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿كُلّٞ﴾ كُلُّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾ مُنْتَظِرٌ لِمَنْ يَكُونُ الْفَلَاحُ، وَإِلَىٰ مَا يَئُولُ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ، مُتَوَقِّفٌ يَنْتَظِرُ دَوَائِرَ الزَّمَانِ..

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ فترَقَّبُوا وانْتَظِرُوا..

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَهْلُ الطَّرِيقِ..

﴿ٱلسَّوِيِّ﴾ الْمُسْتَقِيمِ الْمُعْتَدِلِ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ، أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟..

﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾ [طه: ١٣٥] وَسَتَعْلَمُونَ حِينَئِذٍ مَنِ الْمُهْتَدِي الَّذِي هُوَ عَلَىٰ سَنَنِ الطَّرِيقِ، الْقَاصِدُ غَيْرُ الْجَائِرِ عَنْ قَصْدِهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورِة طَه



سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ (٢١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشَرَةَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ①﴾ [الأنبياء: ١].

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ دَنَا حِسَابُ النَّاسِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَنِعَمِهِمُ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ فِيهَا، فِي أَبْدَانِهِمْ، وَأَجْسَامِهِمْ، وَمَطَاعِمِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ، وَمَلَابِسِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ عِنْدَهُمْ، وَمَسْأَلَتِهُ إِيَّاهُمْ مَاذَا عَمِلُوا فِيهَا، وَهَلْ أَطَاعُوهُ فِيهَا، فَانْتَهَوْا إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي جَمِيعِهَا، أَمْ عَصَوْهُ فَخَالَفُوا أَمْرَهُ فِيهَا؟..

﴿وَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا عَمَّا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَنْ دُنُوِّ مُحَاسَبَتِهِ إِيَّاهُمْ مِنْهُمْ، وَاقْتِرَابِهِ لَهُمْ..

﴿فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ①﴾ [الأنبياء: ١] فِي سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، وَقَدْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ، فَتَرَكُوا الْفِكْرَ فِيهِ، وَالِاسْتِعْدَادَ لَهُ وَالتَّأَهُّبَ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِمَا هُمْ لَاقُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ، وَشَدِيدِ الْأَهْوَالِ.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ②﴾ [الأنبياء: ٢].

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ مَا يُحْدِثُ اللهُ مِنْ تَنْزِيلِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ وَيُذَكِّرُهُمْ بِهِ، وَيَعِظُهُمْ..

﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ②﴾ [الأنبياء: ٢] مَا يَسْتَمِعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ هَذَا الْقُرْآنَ إِلَّا وَهُمْ يَلْعَبُونَ.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ③﴾ [الأنبياء: ٣].

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ غَافِلَةً عَنْهُ قُلُوبُهُمْ، لَا يَتَدَبَّرُونَ حُكْمَهُ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا أَوْدَعَهُ اللهُ مِنَ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَأَسَرُّواْ﴾ وَأَسَرَّ هَؤُلَاءِ النَّاسُ الَّذِينَ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ مِنْهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ..

﴿ٱلنَّجْوَى﴾ بَيْنَهُمْ، وَأَظْهَرُوا الْمُنَاجَاةَ بَيْنَهُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فَوَصَفَهُمْ بِالظُّلْمِ بِفِعْلِهِمْ، وَقِيلِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ وَيَقُولُونَ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِرَسُولِهِ، فَقَالُوا..

﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ..

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إِلَّا إِنْسَانٌ مِثْلُكُمْ فِي صُوَرِكُمْ وَخَلْقِكُمْ؟ يَعْنُونَ بِذَلِكَ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أَتَقْبَلُونَ السِّحْرَ وَتُصَدِّقُونَ بِهِ.. يَعْنُونَ بِذَلِكَ الْقُرْآنَ..

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء: ٣] وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ سِحْرٌ.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ [الأنبياء: ٤].

﴿قَالَ﴾ مُحَمَّدٌ.. وقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ: (قُلْ) عَلَىٰ وَجْهِ الْأَمْرِ.. وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَءُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَمْرِ أَرَادُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء: ٣].. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قَرَأَةِ الْأَمْصَارِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَجَاءَتْ بِهِمَا مَصَاحِفُ الْمُسْلِمِينَ، مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ إِذَا أَمَرَ مُحَمَّدًا بِقِيلِ ذَلِكَ قَالَهُ، وَإِذَا قَالَهُ فَعَنْ أَمْرِ اللهِ قَالَهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي قِرَاءَتِهِ..

﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ رَبِّي يَعْلَمُ قَوْلَ كُلِّ قَائِلٍ..

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْكَذِبِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ [الأنبياء: ٤] بِصِدْقِي، وَحَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَبَاطِلِ مَا تَقُولُونَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ [الأنبياء: ٥].

﴿بَلْ﴾ مَا صَدَّقُوا بِحِكْمَةِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَلَا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَا أَقَرُّوا بِأَنَّهُ وَحْيٌ أَوْحَىٰ اللهُ

إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ..

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ هُوَ أَهَاوِيلُ رُؤْيَا رَآهَا فِي النَّوْمِ..

﴿بَلِ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ..

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هُوَ فِرْيَةٌ وَاخْتِلَاقٌ افْتَرَاهُ، وَاخْتَلَقَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ..

﴿بَلْ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ..

﴿هُوَ شَاعِرٌ﴾ مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ، وَهَذَا الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ شِعْرٌ..

﴿فَلْيَأْتِنَا﴾ قَالُوا: فَلْيَجِئْنَا مُحَمَّدٌ إِنْ كَانَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ بَعَثَهُ رَسُولًا إِلَيْنَا، وَإِنَّ هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْنَا وَحْيٌ مِنَ اللهِ أَوْحَاهُ إِلَيْنَا..

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ بِحُجَّةٍ، وَدِلَالَةٍ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا يَقُولُ وَيَدَّعِي..

﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ [الأنبياء: ٥] كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ الْأَوَّلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَإِبْراءِ الْأَكْمَهِ، وَالْأَبْرَصِ، وَكَنَاقَةِ صَالِحٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ، وَلَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [الأنبياء: ٦].

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم﴾ مَا آمَنَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مُحَمَّدًا مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالُوا: فَلْيَأْتِنَا مُحَمَّدٌ بِآيَةٍ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ قَبْلَهُ..

﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ عَذَّبْنَاهُمْ بِالْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا، إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا إِلَيْهِمْ بِآيَةٍ مُعْجِزَةٍ..

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [الأنبياء: ٦] أَفَهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا السَّائِلُوهُ الْآيَةَ يُؤْمِنُونَ بِهِ إِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ، وَلَمْ تُؤْمِنْ قَبْلَهُمْ أَسْلَافُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا بِرُسُلِهَا مَعَ مَجِيئِهَا؟

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾
[الأنبياء: ٧].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَبْلَكَ﴾ رَسُولًا إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَتْ قَبْلَ أُمَّتِكَ..

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ مِثْلَهُمْ..

﴿نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ مَا نُرِيدُ أَنْ نُوحِيَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا، لَا مَلَائِكَةً، فَمَاذَا أَنْكَرُوا مِنْ إِرْسَالِنَا لَكَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْتَ رَجُلٌ كَسَائِرِ الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلَكَ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ؟..

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ يَقُولُ لِلْقَائِلِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي تَنَاجِيهِمْ بَيْنَهُمْ: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]: فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ وَجَهِلْتُمْ أَمْرَ الرُّسُلِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ إِنْسًا كَانُوا أَمْ مَلَائِكَةً، فَاسْأَلُوا..

﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أَهْلَ الْكُتُبِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا كَانُوا؟ يُخْبِرُوكُمْ أَنَّ الرُّسُلَ كَانُوا رِجَالًا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ.. وَقِيلَ: أَهْلُ الذِّكْرِ: أَهْلُ الْقُرْآنِ..

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: ٧] أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ إِنْسًا كَانُوا أَمْ مَلَائِكَةً، فَاسْأَلُوا.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾ [الأنبياء: ٨].

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ أُمَّتِكَ..

﴿جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ لَمْ نَجْعَلْهُمْ مَلَائِكَةً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُمْ أَجْسَادًا مِثْلَكَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ.. فَوَحَّدَ (**الْجَسَدَ**)، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَسَدَ بِمَعْنَىٰ الْمَصْدَرِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: وَمَا جَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا لَا يَأْكُلُونَ..

﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾ [الأنبياء: ٨] وَلَا كَانُوا أَرْبَابًا لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَفْنُونَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا بَشَرًا أَجْسَادًا فَمَاتُوا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا قَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢﴾ [الإسراء: ٩٢]، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُمْ: مَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَحَدٍ قَبْلَكُمْ، فَنَفْعَلَ بِكُمْ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا نُوحِي إِلَيْهِ أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ [الأنبياء: ٩].

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ﴾ ثُمَّ صَدَقْنَا رُسُلَنَا الَّذِينَ كَذَّبَتْهُمْ أُمَمُهُمْ وَسَأَلَتْهُمُ الْآيَاتِ، فَأَتَيْنَاهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَقَامُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهَا، وَأَصَرُّوا عَلَىٰ جُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهَا بَعْدَ الَّذِي أَتَتْهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِ رَبِّهَا..

﴿ٱلْوَعْدَ﴾ وَعَدْنَا الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَىٰ إِقَامَتِهِمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِرَبِّهِمْ بَعْدَ مَجِيءِ الْآيَةِ الَّتِي سَأَلُوا، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود: ٦٤]، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاعِيدِ الَّتِي وُعِدَ الْأُمَمُ مَعَ مَجِيءِ الْآيَاتِ..

﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ فَأَنْجَيْنَا الرُّسُلَ عِنْدَ إِصْرَارِ أُمَمِهَا عَلَىٰ تَكْذِيبِهَا بَعْدَ الْآيَاتِ..

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ وَهُمْ أَتْبَاعُهَا الَّذِينَ صَدَّقُوهَا، وَآمَنُوا بِهَا..

﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩] وَأَهْلَكْنَا الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠].

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ فِيهِ شَرَفُكُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ شَرَفٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠].

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١].

﴿وَكَمْ﴾ وَكَثِيرًا..

﴿قَصَمْنَا﴾ وَالْقَصْمُ: أَصْلُهُ الْكَسْرُ، يُقَالُ مِنْهُ: قَصَمْتُ ظَهْرَ فُلَانٍ، إِذَا كَسَرْتُهُ، وَانْقَصَمَتْ سِنُّهُ: إِذَا انْكَسَرَتْ وَهُوَ هَهُنَا مَعْنِيٌّ بِهِ: أَهْلَكْنَا..

﴿مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ أَجْرَىٰ الْكَلَامَ عَلَىٰ الْقَرْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِهَا أَهْلُهَا لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَاهُ، وَكَأَنَّ ظُلْمَهَا: كُفْرُهَا بِاللهِ، وَتَكْذِيبُهَا رُسُلَهُ..

﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وَأَحْدَثْنَا..

﴿بَعْدَهَا﴾ بَعْدَ مَا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الَّتِي قَصَمْنَاهَا بِظُلْمِهَا..

﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١] سِوَاهُمْ.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٢].

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾ فَلَمَّا عَايَنُوا عَذَابَنَا قَدْ حَلَّ بِهِمْ، وَرَأَوْهُ وَوَجَدُوا مَسَّهُ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ أَحْسَسْتُ مِنْ فُلَانٍ ضَعْفًا، وَأَحَسْتُهُ مِنْهُ..

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا﴾ إِذَا هُمْ مِمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا النَّازِلَ بِهِمْ..

﴿يَرْكُضُونَ ۝١٢﴾ [الأنبياء: ١٢] يَهْرُبُونَ سِرَاعًا عَجْلَىٰ، يَعْدُونَ مُنْهَزِمِينَ، يُقَالُ مِنْهُ: رَكَضَ فُلَانٌ فَرَسَهُ: إِذَا كَدَّهُ بِسَاقَيْهِ.

﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣﴾ [الأنبياء: ١٣].

﴿لَا تَرْكُضُوا۟﴾ لَا تَهْرُبُوا..

﴿وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُنْعِمْتُمْ فِيهِ مِنْ عِيشَتِكُمْ، وَمَسَاكِنِكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣﴾ [الأنبياء: ١٣] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ، وَتَفْهَمُونَ بِالْمَسْأَلَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ مِنْ دُنْيَاكُمْ شَيْئًا، عَلَىٰ وَجْهِ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤﴾ [الأنبياء: ١٤].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَحَلَّ اللهُ بِهِمْ بَأْسَهُ بِظُلْمِهِمْ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ بَأْسُ اللهِ..

﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤﴾ [الأنبياء: ١٤] بِكُفْرِنَا بِرَبِّنَا.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۝١٥﴾ [الأنبياء: ١٥].

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ فَلَمْ تَزَلْ دَعْوَاهُمْ، حِينَ أَتَاهُمْ بَأْسُ اللهِ، بِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤﴾ [الأنبياء: ١٤]..

﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ حَتَّىٰ قَتَلَهُمُ اللهُ فَحَصَدَهُمْ بِالسَّيْفِ، كَمَا يُحْصَدُ الزَّرْعُ، وَيُسْتَأْصَلُ قَطْعًا بِالْمَنَاجِلِ..

﴿خَٰمِدِينَ ۝١٥﴾ [الأنبياء: ١٥] هَالِكِينَ، قَدِ انْطَفَأَتْ شَرَارَتُهُمْ، وَسَكَنَتْ حَرَكَتُهُمْ، فَصَارُوا هُمُودًا كَمَا تَخْمَدُ النَّارُ فَتُطْفَأُ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦﴾ [الأنبياء: ١٦].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إِلَّا حُجَّةً عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَلِتَعْتَبِرُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ، فَتَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي دَبَّرَهُ وَخَلَقَهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ لَا تَكُونُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ غَيْرِهِ..

﴿لَٰعِبِينَ ۝١٦﴾ [الأنبياء: ١٦] وَلَمْ يَخْلُقْ ذَلِكَ عَبَثًا وَلَعِبًا.

﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ [الأنبياء: ١٧].

﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ زَوْجَةً وَوَلَدًا.. وَاللَّهْوُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ: الْمَرْأَةُ..

﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ﴾ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ..

﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ [الأنبياء: ١٧] وَلَكِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِعْلُهُ، وَلَا يَنْبَغِي، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ للهِ وَلَدٌ، وَلَا صَاحِبَةٌ.

﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ [الأنبياء: ١٨].

﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ وَلَكِنْ نُنَزِّلُ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِنَا، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ..

﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ وَأَهْلِهِ..

﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ فَيُهْلِكُهُ، كَمَا يَدْمَغُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ بِأَنْ يَشُجَّهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ شَجَّةً تَبْلُغُ الدِّمَاغَ، وَإِذَا بَلَغَتِ الشَّجَّةُ ذَلِكَ مِنَ الْمَشْجُوجِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدَهَا حَيَاةٌ..

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ فَإِذَا هُوَ هَالِكٌ مُضْمَحِلٌّ..

﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ [الأنبياء: ١٨] وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِنْ وَصْفِكُمْ رَبَّكُمْ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، وَقِيلِكُمْ إِنَّهُ اتَّخَذَ زَوْجَةً وَوَلَدًا، وَفِرْيَتِكُمْ عَلَيْهِ.. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: مَعْنَىٰ ﴿تَصِفُونَ ١٨﴾ تَكْذِبُونَ، وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: تُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ بِهِ الْأَلْفَاظُ فَمُتَّفِقَةٌ مَعَانِيهِ، لِأَنَّ مَنْ وَصَفَ اللهَ بِأَنَّ لَهُ صَاحِبَةً فَقَدْ كَذَبَ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، وَأَشْرَكَ بِهِ، وَوَصَفَهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، غَيْرَ أَنَّ أَوْلَىٰ الْعِبَارَاتِ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا عَنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ أَقْرَبُهَا إِلَىٰ فَهْمِ سَامِعِيهِ.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ [الأنبياء: ١٩].

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَ اللهُ لَهْوًا، وَلَهُ مُلْكُ جَمِيعِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ وَالَّذِينَ عِنْدَهُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ لَا يَسْتَنْكِفُونَ..

﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ عَنْ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩﴾ [الأنبياء: ١٩] وَلَا يَعْيَوْنَ مِنْ طُولِ خِدْمَتِهِمْ لَهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْبِدُ وَالِدٌ وَلَدَهُ، وَلَا صَاحِبَتَهُ، وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَبِيدُهُ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ صَاحِبَةٌ وَوَلَدٌ؟ يَقُولُ: أَوَ لَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا تَفْتَرُونَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَىٰ رَبِّكُمْ؟

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠].

﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يُسَبِّحُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عِنْدَهُ مِنْ مَلَائِكَةِ رَبِّهِمْ..

﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠] مِنْ تَسْبِيحِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۝٢١﴾ [الأنبياء: ٢١].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ..

﴿هُمْ﴾ هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا..

﴿يُنشِرُونَ ۝٢١﴾ [الأنبياء: ٢١] تُنْشِرُ الْأَمْوَاتَ، يَقُولُ: يُحْيُونَ الْأَمْوَاتَ؟ وَيُنْشِرُونَ الْخَلْقَ؟ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ لَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿ءَالِهَةٌ﴾ تَصْلُحُ لَهُمُ الْعِبَادَةُ..

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ سِوَىٰ اللهِ الَّذِي هُوَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ، وَلَهُ الْعِبَادَةُ وَالْأُلُوهَةُ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ..

﴿لَفَسَدَتَا﴾ لَفَسَدَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فَتَنْزِيهٌ للهِ، وَتَبْرِئَةٌ لَهُ..

﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء: ٢٢] مِمَّا يَفْتَرِي بِهِ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لَا سَائِلَ يَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ عَنِ الَّذِي يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مِنْ تَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ مِنْ حَيَاةٍ، وَمَوْتٍ، وَإِعْزَازٍ، وَإِذْلَالٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُكْمِهِ فِيهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، وَجَمِيعُهُمْ فِي مِلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ، وَالْقَضَاءُ قَضَاؤُهُ، لَا شَيْءَ فَوْقَهُ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَفْعَلُ

فَيَقُولُ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ؟ وَلِمَ لَمْ تَفْعَلْ؟..

﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣] وَجَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ عِبَادِهِ مَسْئُولُونَ عَنْ أَفْعَالِهِمْ، وَمُحَاسَبُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ فَوْقَهُمْ وَمَالِكُهُمْ، وَهُمْ فِي سُلْطَانِهِ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ٢٤﴾ [الأنبياء: ٢٤].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ أَتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ﴾ تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، وَتَخْلُقُ، وَتُحْيِي وَتُمِيتُ؟..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ﴾ يَعْنِي: حُجَّتَكُمْ، يَقُولُ: هَاتُوا إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ مُحِقُّونَ فِي قِيلِكُمْ ذَلِكَ حُجَّةً وَدَلِيلًا عَلَىٰ صِدْقِكُمْ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالتَّنْزِيلِ..

﴿ذِكْرُ﴾ خَبَرُ..

﴿مَن مَّعِيَ﴾ مِمَّا لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ اللهِ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِهِ، وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿وَذِكْرُ﴾ وَخَبَرُ..

﴿مَن قَبْلِي﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَلَفَتْ قَبْلِي، وَمَا فَعَلَ اللهُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ﴾ لَا يَعْلَمُونَ الصَّوَابَ فِيمَا يَقُولُونَ وَلَا فِيمَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ..

﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ ٢٤﴾ [الأنبياء: ٢٤] عَنِ الْحَقِّ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِهِ، وَقِلَّةَ فَهْمٍ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ..

﴿إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لَهُ سِوَايَ..

﴿فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] فَأَخْلِصُوا لِيَ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوا لِيَ الْأُلُوهَةَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عَمَلٌ حَتَّىٰ يُقِرُّوا بِهِ، وَالشَّرَائِعُ مُخْتَلِفَةٌ، فِي التَّوْرَاةِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْقُرْآنِ شَرِيعَةٌ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْإِخْلَاصِ للهِ، وَالتَّوْحِيدِ لَهُ.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ..

﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اسْتِعْظَامًا مِمَّا قَالُوا، وَتَبَرِّيًا مِمَّا وَصَفُوهُ بِهِ..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنْ ذَلِكَ، مَا ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِ..

﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦] مَا الْمَلَائِكَةُ كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَلَكِنَّهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، يَقُولُ: أَكْرَمُهُمُ اللهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**هُمْ عِبَادٌ أَكْرَمُهُمُ اللهُ بِعِبَادَتِهِ**).

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧].

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ..

﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧] وَلَا يَعْمَلُونَ عَمَلًا إِلَّا بِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**يُثْنِي عَلَيْهِمْ**).

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِي مَلَائِكَتِهِ مَا لَمْ يَبْلُغُوهُ، مَا هُوَ، وَمَا هُمْ فِيهِ قَائِلُونَ وَعَامِلُونَ..

﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ وَمَا مَضَىٰ مِنْ قَبْلِ الْيَوْمِ، مِمَّا خَلَّفُوهُ وَرَاءَهُمْ مِنَ الْأَزْمَانِ وَالدُّهُورِ مَا عَمِلُوا فِيهِ، قَالُوا: ذَلِكَ كُلُّهُ مُحْصًىٰ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ..

﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ وَلَا تَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ..

﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ﴾ وَهُمْ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَحِذَارِ عِقَابِهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ..

﴿مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨] حَذِرُونَ أَنْ يَعْصُوهُ، وَيُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩].

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ﴾ الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ مِنْهُمْ..

﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ نُثِيبُهُ عَلَىٰ قِيلِهِ ذَلِكَ جَهَنَّمَ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا نَجْزِي مَنْ قَالَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللهِ جَهَنَّمَ، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩] نَجْزِي كُلَّ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَكَفَرَ بِاللهِ، وَعَبَدَ غَيْرَهُ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِبْلِيسَ، وَقَالَ قَائِلُو ذَلِكَ: إِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللهِ سِوَاهُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الَّذِي كَفَرُوا بِاللهِ بِأَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ، فَيَرَوْا بِهَا، وَيَعْلَمُوا..

﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ لَيْسَ فِيهِمَا ثُقْبٌ، بَلْ كَانَتَا مُلْتَصِقَتَيْنِ.. وَوَحَّدَ الرَّتْقَ، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَقَدْ جَاءَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿كَانَتَا﴾؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، مِثْلُ قَوْلِ الزُّورِ وَالصَّوْمِ وَالْفِطْرِ..

﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ فَصَدَعْنَاهُمَا، وَفَرَجْنَاهُمَا، فَفَتَقَ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ، وَالْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يُعَقِّبْ ذَلِكَ بِوَصْفِ الْمَاءِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا وَالَّذِي تَقَدَّمَهُ مِنْ ذِكْرِ أَسْبَابِهِ..

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ وَأَحْيَيْنَا بِالْمَاءِ الَّذِي نُنَزِّلُهُ مِنَ السَّمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ..

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠] أَفَلَا يُصَدِّقُونَ بِذَلِكَ، وَيُقِرُّونَ بِأُلُوهَةِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَيُفْرِدُونَهُ بِالْعِبَادَةِ؟

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١﴾

[الأنبياء: ٣١].

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أَوَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ أَيْضًا مِنْ حُجَجِنَا عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِنَا، أَنَّا جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جِبَالًا رَاسِيَةً؟.. وَالرَّوَاسِي: جَمْعُ رَاسِيَةٍ، وَهِيَ الثَّابِتَةُ..

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أَنْ لَا تَتَكَفَّأَ بِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَجَعَلْنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ هَذِهِ الرَّوَاسِيَ مِنَ الْجِبَالِ، فَثَبَّتْنَاهَا لِئَلَّا تَتَكَفَّأَ بِالنَّاسِ، وَلِيَقْدِرُوا بِالثَّبَاتِ عَلَىٰ ظَهْرِهَا..

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ مَسَالِكَ، وَاحِدُهَا فَجٌّ..

﴿سُبُلًا﴾ طُرُقًا، وَهِيَ جَمْعُ السَّبِيلِ.. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ -فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ- يَقُولُ: (إِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾، وَجَعَلْنَا فِي الرَّوَاسِي)، فَالْهَاءُ وَالْأَلِفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ مِنْ ذِكْرِ الرَّوَاسِي.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الْآخَرَ فِي ذَلِكَ وَجَعَلْنَا الْهَاءَ وَالْأَلِفَ مِنْ ذِكْرِ (الْأَرْضِ)؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ مِنْ ذِكْرِهَا دَاخِلٌ فِي ذَلِكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْأَرْضِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِخَلْقِهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فِجَاجًا سُبُلًا، وَلَا دَلَالَةَ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ فِجَاجَ بَعْضِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلَهَا لَهُمْ سُبُلًا دُونَ بَعْضٍ، فَالْعُمُومُ بِهَا أَوْلَىٰ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١﴾ [الأنبياء: ٣١] جَعَلْنَا هَذِهِ الْفِجَاجَ فِي الْأَرْضِ لِيَهْتَدُوا إِلَىٰ السَّيْرِ فِيهَا.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ لِلْأَرْضِ مَسْمُوكًا..

﴿مَّحْفُوظًا ۖ﴾ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ..

﴿وَهُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ عَنْ آيَاتِ السَّمَاءِ، وَيَعْنِي بِآيَاتِهَا: شَمْسَهَا، وَقَمَرَهَا، وَنُجُومَهَا..

﴿مُعْرِضُونَ ۝٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢] يُعْرِضُونَ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيهَا، وَتَدَبُّرِ مَا فِيهَا مِنْ حُجَجِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَدِلَالَتِهَا عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ خَالِقِهَا، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ إِلَّا لِمَنْ دَبَّرَهَا وَسَوَّاهَا، وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ، وَحُجَّةً، وَدِلَالَةً عَلَىٰ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَأَنَّ الْأُلُوهَةَ لَهُ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَهُمَا يَخْتَلِفَانِ عَلَيْكُمْ لِصَلَاحِ مَعَايِشِكُمْ، وَأُمُورِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ..

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ أَيْضًا..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّ ذَلِكَ..

﴿فِي فَلَكٍ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْفَلَكِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ كَهَيْئَةِ حَدِيدَةِ الرَّحَىٰ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْفَلَكُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ سُرْعَةُ جَرْيِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَغَيْرِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَلَكُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ فِيهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي تَدُورُ بِهِ النُّجُومُ.. وَذُكِرَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (**الْفَلَكُ طَاحُونَةٌ كَهَيْئَةِ فَلْكَةِ الْمِغْزَلِ**).. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْفَلَكُ كَحَدِيدَةِ الرَّحَىٰ، وَكَمَا ذُكِرَ عَنِ الْحَسَنِ كَطَاحُونَةِ الرَّحَىٰ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَوْجًا مَكْفُوفًا، وَأَنْ يَكُونَ قُطْبَ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَلَكَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ دَائِرٍ، فَجَمْعُهُ أَفْلَاكٌ، وَإِذْ كَانَ كُلُّ مَا دَارَ فِي كَلَامِهَا فَلَكًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا فِي خَبَرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا عَمَّنْ يُقْطَعُ بِقَوْلِهِ الْعُذْرُ، دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ هُوَ مِنْ أَيٍّ، كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ نَقُولَ فِيهِ مَا قَالَ، وَنَسْكُتَ عَمَّا لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ، فَإِذَا كَانَ الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا مَا ذَكَرْنَا، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كُلُّ ذَلِكَ فِي دَائِرٍ يَسْبَحُونَ..

﴿يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣] يَجْرُونَ.. وَقِيلَ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنْ بَنِي آدَمَ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ، وَلَمْ يَقُلْ: يَسْبَحْنَ، أَوْ تَسْبَحُ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف: ٤]، لِأَنَّ السُّجُودَ مِنْ أَفْعَالِ بَنِي آدَمَ، فَلَمَّا وُصِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِمِثْلِ أَفْعَالِهِمْ أَجْرَىٰ الْخَبَرَ عَنْهُمَا مَجْرَىٰ الْخَبَرِ عَنْهُمْ.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ [الأنبياء: ٣٤].

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ وَمَا خَلَّدْنَا أَحَدًا مِنْ بَنِي آدَمَ يَا مُحَمَّدُ قَبْلَكَ فِي الدُّنْيَا فَنُخَلِّدَكَ فِيهَا..

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَمُوتَ كَمَا مَاتَ مِنْ قَبْلِكَ رُسُلُنَا..

﴿فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ [الأنبياء: ٣٤] فَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ هُمُ الْخَالِدُونَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَكَ؟

لَا، مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ هُمْ مَيِّتُونَ بِكُلِّ حَالٍ، عِشْتَ أَوْ مِتَّ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ مَنْفُوسَةٍ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ مُعَالِجَةٌ غُصَصَ الْمَوْتِ، وَمُتَجَرِّعَةٌ كَأْسَهَا..

﴿وَنَبْلُوكُم﴾ وَنَخْتَبِرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِٱلشَّرِّ﴾ وَهُوَ الشِّدَّةُ، نَبْتَلِيكُمْ بِهَا..

﴿وَٱلْخَيْرِ﴾ وَبِالْخَيْرِ وَهُوَ الرَّخَاءُ وَالسَّعَةُ الْعَافِيَةُ..

﴿فِتْنَةً﴾ فَنَفْتِنُكُمْ بِهِمَا.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (نَبْلُوهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ وَبِمَا يَكْرَهُونَ، نَخْتَبِرُهُمْ بِذَلِكَ لِنَنْظُرَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ فِيمَا يُحِبُّونَ، وَكَيْفَ صَبْرُهُمْ فِيمَا يَكْرَهُونَ)..

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥] وَإِلَيْنَا يُرَدُّونَ فَيُجَازُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنبياء: ٣٦].

﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِاللهِ..

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا سُخْرِيًّا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بِسُوءٍ، وَيَعِيبُهَا، تَعَجُّبًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَيَعْجَبُونَ مِنْ ذِكْرِكَ يَا مُحَمَّدُ آلِهَتَهُمُ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ بِسُوءٍ..

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنبياء: ٣٦] الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، وَمِنْهُ نَفْعُهُمْ، وَبِيَدِهِ ضُرُّهُمْ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنْهُمْ، أَنْ يَذْكُرُوهُ بِهِ كَافِرُونَ.. وَالْعَرَبُ تَضَعُ الذِّكْرَ مَوْضِعَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، فَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا فُلَانًا يَذْكُرُ فُلَانًا، وَهُمْ يُرِيدُونَ سَمِعْنَاهُ يَذْكُرُهُ بِقَبِيحٍ وَيَعِيبُهُ.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ [الأنبياء: ٣٧].

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يَعْنِي آدَمَ..

﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أَيْ مِنْ تَعْجِيلٍ فِي خَلْقِ اللهِ إِيَّاهُ، وَمِنْ سُرْعَةٍ فِيهِ، وَعَلَى عَجَلٍ، خَلَقَهُ اللهُ فِي

آخِرِ النَّهَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عَلَىٰ عَجَلٍ فِي خَلْقِهِ إِيَّاهُ قَبْلَ مَغِيبِهَا، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِدِلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ**»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: (قَدْ عَلِمْتُ أَيَّ سَاعَةٍ هِيَ، هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، قَالَ اللهُ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾)..
فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَا كَانَ الصَّوَابُ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ مَا قُلْنَا بِمَا بِهِ اسْتَشْهَدْنَا: «**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**» وَلِذَلِكَ يَسْتَعْجِلُ رَبَّهُ بِالْعَذَابِ..

﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ رَبَّهُمْ بِالْآيَاتِ، الْقَائِلُونَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: بَلْ هُوَ شَاعِرٌ، فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ..

﴿ءَايَٰتِي﴾ كَمَا أَرَيْتُهَا مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا بِتَكْذِيبِهَا الرُّسُلَ، إِذْ أَتَتْهَا الْآيَاتُ..

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ [الأنبياء: ٣٧] فَلَا تَسْتَعْجِلُوا رَبَّكُمْ، فَإِنَّا سَنَأْتِيكُمْ بِهَا، وَنُرِيكُمُوهَا.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٨].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلُونَ رَبَّهُمْ بِالْآيَاتِ وَالْعَذَابِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ مَتَىٰ يَجِيئُنَا هَذَا الَّذِي تَعِدُنَا مِنَ الْعَذَابِ.. وَقِيلَ: ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وَالْمَعْنَىٰ: الْمَوْعُودُ، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٨] فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ؟.. وَقِيلَ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾، كَأَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩﴾ [الأنبياء: ٣٩].

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لَوْ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُسْتَعْجِلُونَ عَذَابَ رَبِّهِمْ مَاذَا لَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ..

﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ حِينَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ، وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ، فَلَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ الَّتِي تَلْفَحُهَا..

﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ فَيَدْفَعُونَهَا عَنْهَا بِأَنْفُسِهِمْ..

﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩﴾ [الأنبياء: ٣٩] وَلَا لَهُمْ نَاصِرٌ يَنْصُرُهُمْ، فَيَسْتَنْقِذُهُمْ حِينَئِذٍ مِنْ عَذَابِ اللهِ، لَمَا أَقَامُوا عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَلَسَارَعُوا إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ، وَلَمَا اسْتَعْجَلُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْبَلَاءَ.

﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠﴾ [الأنبياء: ٤٠].

﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ﴾ لَا تَأْتِي هَذِهِ النَّارُ الَّتِي تَلْفَحُ وُجُوهَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ وَصَفَ أَمْرَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ حِينَ تَأْتِيهِمْ عَنْ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِوَقْتِهَا، وَلَكِنَّهَا تَأْتِيهِمْ مُفَاجَأَةً لَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهَا..

﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ فَتَغْشَاهُمْ فَجْأَةً، وَتَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ مُعَايَنَةً، كَالرَّجُلِ يَبْهَتُ الرَّجُلَ فِي وَجْهِهِ بِالشَّيْءِ، حَتَّىٰ يَبْقَىٰ الْمَبْهُوتُ كَالْحَيْرَانِ مِنْهُ..

﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ فَلَا يُطِيقُونَ حِينَ تَبْغَتُهُمْ فَتَبْهَتُهُمْ دَفْعَهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ..

﴿وَلَا هُمۡ﴾ وَإِنْ لَمْ يُطِيقُوا دَفْعَهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ..

﴿يُنظَرُونَ ٤٠﴾ [الأنبياء: ٤٠] يُؤَخَّرُونَ بِالْعَذَابِ بِهَا لِتَوْبَةٍ يُحْدِثُونَهَا، وَإِنَابَةٍ يُنِيبُونَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ حِينَ عَمَلٍ، وَسَاعَةَ تَوْبَةٍ وإنابةٍ، بَلْ هِيَ سَاعَةُ مُجَازَاةٍ وَإِثَابَةٍ.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١﴾ [الأنبياء: ٤١].

﴿وَلَقَدِ﴾ إِنْ يَتَّخِذْكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ لَكَ: هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ إِذْ رَأَوْكَ هُزُوًا، وَيَقُولُونَ: هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ، كُفْرًا مِنْهُمْ بِاللهِ، وَاجْتِرَاءً عَلَيْهِ، فَلَقَدِ..

﴿ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ﴾ مِنْ رُسُلِنَا الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ..

﴿مِّن قَبۡلِكَ﴾ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ..

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم﴾ فَوَجَبَ وَنَزَلَ بِالَّذِينَ اسْتَهْزَءُوا بِهِمْ، وَسَخِرُوا مِنْهُمْ مِنْ أُمَمِهِمْ..

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١﴾ [الأنبياء: ٤١] حَلَّ بِهِمُ الَّذِي كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ الَّذِي كَانَتْ رُسُلُهُمْ تُخَوِّفُهُمْ نُزُولَهُ بِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَلَنْ يَعْدُوَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئُونَ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ أَنْ يَكُونُوا كَأَسْلَافِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا، فَيَنْزِلُ بِهِمْ

مِنْ عَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ بِاسْتِهْزَائِهِمْ بِكَ نَظِيرُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِيكَ بِالْعَذَابِ، الْقَائِلِينَ: مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ..

﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، يَقُولُ: مَنْ يَحْفَظُكُمْ، وَيَحْرُسُكُمْ..

﴿بِالَّيْلِ﴾ إِذَا نِمْتُمْ..

﴿وَالنَّهَارِ﴾ وَبِالنَّهَارِ إِذَا تَصَرَّفْتُمْ..

﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ مِنْ أَمْرِ الرَّحْمَنِ إِنْ نَزَلَ بِكُمْ، وَمِنْ عَذَابِهِ إِنْ حَلَّ بِكُمْ.. وَتَرَكَ ذِكْرَ الْأَمْرِ، وَقِيلَ ﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ اجْتِزَاءً، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ لِمَعْنَاهُ مِنْ ذِكْرِهِ..

﴿بَلْ﴾ تَحْقِيقٌ لِجَحْدٍ قَدْ عَرَفَهُ الْمُخَاطَبُونَ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ظَاهِرًا، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا كَالِئَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِذَا هُوَ حَلَّ بِهِمْ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، بَلْ..

﴿هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ هُمْ عَنْ ذِكْرِ مَوَاعِظِ رَبِّهِمْ، وَحُجَجِهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ..

﴿مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٢] لَا يَتَدَبَّرُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهِ، جَهْلًا مِنْهُمْ وَسَفَهًا.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء: ٤٣].

﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أَلِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِي رَبَّهُمْ بِالْعَذَابِ..

﴿آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ إِنْ نَحْنُ أَحْلَلْنَا بِهِمْ عَذَابَنَا، وَأَنْزَلْنَا بِهِمْ بَأْسَنَا..

﴿مِّن دُونِنَا﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ مِنْ دُونِنَا تَمْنَعُهُمْ مِنَّا؟ ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْآلِهَةَ بِالضَّعْفِ، وَالْمَهَانَةِ، وَمَا هِيَ بِهِ مِنْ صِفَتِهَا، فَقَالَ..

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِنَا أَنْ تَمْنَعَهُمْ مِنَّا؟ وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَ أَنْفُسِهَا..

﴿وَلَا هُمْ﴾ الْكُفَّارُ..

﴿مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء: ٤٣] يُجَارُونَ، يُصْحَبُونَ بِالْجِوَارِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ مَحْكِيٌّ عَنْهَا:

أَنَا لَكَ جَارٌ مِنْ فُلَانٍ وَصَاحِبٌ، بِمَعْنَىٰ: أُجِيرُكَ، وَأَمْنَعُكَ، وَهُمْ إِذَا لَمْ يُصْحَبُوا بِالْجِوَارِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَانِعٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ مَعَ سَخَطِ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يُصْحَبُوا بِخَيْرٍ، وَلَمْ يُنْصَرُوا.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٤٤﴾ [الأنبياء: ٤٤].

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ﴾ مَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ آلِهَةٍ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا، وَلَا جَارٌ يُجِيرُهُمْ مِنْ عَذَابِنَا، إِذَا نَحْنُ أَرَدْنَا عَذَابَهُمْ، فَاتَّكَلُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَعَصَوْا رُسُلَنَا اتِّكَالًا مِنْهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَكِنَّا مَتَّعْنَاهُمْ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿وَءَابَاءَهُمْ﴾ مِنْ قَبْلِهِمْ..

﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ وَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ مُقِيمُونَ، لَا تَأْتِيهِمْ مِنَّا وَاعِظَةٌ مِنْ عَذَابٍ، وَلَا زَاجِرَةٌ مِنْ عِقَابٍ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَنَا، وَعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، فَنَسُوا عَهْدَنَا، وَجَهِلُوا مَوْقِعَ نِعْمَتِنَا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَوْضِعَ الشُّكْرِ..

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أَفَلَا يَرَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، السَّائِلُو مُحَمَّدًا ﷺ الْآيَاتِ، الْمُسْتَعْجِلُو بِالْعَذَابِ..

﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ نُخَرِّبُهَا مِنْ نَوَاحِيهَا، بِقَهْرِنَا أَهْلَهَا، وَغَلَبَتِنَاهُمْ، وَإِجْلَائِهِمْ عَنْهَا، وَقَتْلِهِمْ بِالسُّيُوفِ، فَيَعْتَبِرُوا بِذَلِكَ، وَيَتَّعِظُوا بِهِ، وَيَحْذَرُوا مِنَّا أَنْ نُنْزِلَ مِنْ بَأْسِنَا بِهِمْ نَحْوَ الَّذِي قَدْ أَنْزَلْنَا بِمَنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَطْرَافِ؟..

﴿أَفَهُمُ﴾ أَفَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْتَعْجِلُو مُحَمَّدًا بِالْعَذَابِ..

﴿ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٤٤﴾ [الأنبياء: ٤٤] الْغَالِبُونَا؟ وَقَدْ رَأَوْا قَهْرَنَا مَنْ أَحْلَلْنَا بِسَاحَتِهِ بَأْسَنَا فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ؟ لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ نَحْنُ الْغَالِبُونَ، وَإِنَّمَا هَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ بِجَهْلِهِمْ، يَقُولُ: أَفَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَغْلِبُونَ مُحَمَّدًا وَيَقْهَرُونَهُ، وَقَدْ قَهَرَ مَنْ نَاوَأَهُ مِنْ أَهْلِ أَطْرَافِ الْأَرْضِ غَيْرُهُمْ؟

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥﴾ [الأنبياء: ٤٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ..

﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿بِٱلْوَحْيِ﴾ بِتَنْزِيلِ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَىٰ مَنْ عِنْدَهُ، وَأُخَوِّفُكُمْ بِهِ بَأْسَهُ..

﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥﴾ [الأنبياء: ٤٥] وَلَا يُصْغِي الْكَافِرُ بِاللهِ بِسَمْعِ قَلْبِهِ إِلَىٰ تَذَكُّرِ مَا فِي وَحْيِ اللهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالذِّكْرِ، فَيَتَذَكَّرُ بِهِ وَيَعْتَبِرُ، فَيَنْزَجِرَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنْ ضَلَالَةٍ إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِ وَأُرِيدَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ يُعْرِضُ عَنِ الِاعْتِبَارِ بِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، فِعْلَ الْأَصَمِّ الَّذِي لَا يَسْمَعُ مَا يُقَالُ لَهُ فَيَعْمَلُ بِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (إِنَّ الْكَافِرَ قَدْ صَمَّ عَنْ كِتَابِ اللهِ لَا يَسْمَعُهُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَلَا يَعْقِلُهُ، كَمَا يَسْمَعُهُ الْمُؤْمِنُ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ).

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٤٦﴾ [الأنبياء: ٤٦].

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿نَفْحَةٌ﴾ نَصِيبٌ وَحَظٌّ..

﴿مِّنْ عَذَابِ﴾ مِنْ عُقُوبَةٍ..

﴿رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِتَكْذِيبِهِمْ بِكَ، وَكُفْرِهِمْ، لَيَعْلَمُنَّ حِينَئِذٍ غِبَّ تَكْذِيبِهِمْ بِكَ، وَلَيَعْتَرِفُنَّ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِنِعْمَةِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَكُفْرَانِهِمْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَ..

﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٤٦﴾ [الأنبياء: ٤٦] فِي عِبَادَتِنَا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، وَتَرْكِنَا عِبَادَةَ اللهِ الَّذِي خَلَقَنَا، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا، وَوَضْعِنَا الْعِبَادَةَ غَيْرَ مَوْضِعِهَا.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ الْعَدْلَ وَهُوَ..

﴿ٱلْقِسْطَ﴾ وَجَعَلَ الْقِسْطَ وَهُوَ مُوَحَّدٌ مِنْ نَعْتِ الْمَوَازِينَ، وَهُوَ جَمْعٌ، لِأَنَّهُ فِي مَذْهَبِ عَدْلٍ وَرِضًا وَنَظَرٍ..

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لِأَهْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ وَرَدَ عَلَىٰ اللهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ خَلْقِهِ.. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يُوَجِّهُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ (فِي) كَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ فَلَا يَظْلِمُ اللهُ نَفْسًا مِمَّنْ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ..

﴿شَيْـًٔا﴾ بِأَنْ يُعَاقِبَهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَعْمَلْهُ أَوْ يَبْخَسَهُ ثَوَابَ عَمَلٍ عَمِلَهُ، وَطَاعَةٍ أَطَاعَهُ بِهَا، وَلَكِنْ يُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَلَا يُعَاقِبُ مُسِيئًا إِلَّا بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَإِن كَانَ﴾ الَّذِي لَهُ مَنْ عَمَلِ الْحَسَنَاتِ، أَوْ عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ..

﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ وَزْنُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ..

﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ جِئْنَا بِهَا فَأَحْضَرْنَاهَا إِيَّاهُ..

﴿وَكَفَىٰ﴾ وَحَسْبُ مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ..

﴿بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧] لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِهِمْ وَمَا سَلَفَ فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ مِنَّا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿وَهَٰرُونَ﴾ وَأَخَاهُ هَارُونَ..

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ الْكِتَابَ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَذَلِكَ هُوَ التَّوْرَاةُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ **الْحَقُّ آتَاهُ اللهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ، فَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ، وَقَرَأَ:** ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، **يَوْمَ بَدْرٍ**).. وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَذَلِكَ لِدُخُولِ الْوَاوِ فِي الضِّيَاءِ، وَلَوْ كَانَ الْفُرْقَانُ هُوَ التَّوْرَاةَ كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، لَكَانَ التَّنْزِيلُ: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً، لِأَنَّ الضِّيَاءَ الَّذِي آتَىٰ اللهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ هُوَ التَّوْرَاةُ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهُمَا، وَلِمَنِ اتَّبَعَهُمَا أَمْرَ دِينِهِمْ، فَبَصَّرَهُمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ضِيَاءَ الْإِبْصَارِ، وَفِي دُخُولِ الْوَاوِ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْفُرْقَانَ غَيْرُ التَّوْرَاةِ الَّتِي هِيَ ضِيَاءٌ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ (**الضِّيَاءُ**) مِنْ نَعْتِ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ وَاوٌ، فَيَكُونَ مَعْنَاهُ: وَضِيَاءً آتَيْنَاهُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا﴾ [الصافات: ٧] ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ يَحْتَمِلُهُ، فَإِنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعَانِيهِ مَا قُلْنَا، وَالْوَاجِبُ أَنْ يُوَجَّهَ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ الْأَشْهَرِ مِنْ وُجُوهِهَا الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، مَا لَمْ يَكُنْ بِخِلَافِ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ مِنْ حُجَّةِ خَبَرٍ، أَوْ عَقْلٍ..

﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨] وَتَذْكِيرًا لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ بِطَاعَتِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، ذَكَّرَهُمْ بِمَا آتَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ مِنَ التَّوْرَاةِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ٤٩﴾ [الأنبياء: ٤٩].

﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ، الذِّكْرَ الَّذِي آتَيْنَاهُمَا لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ، يَعْنِي فِي الدُّنْيَا أَنْ يُعَاقِبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْهِ بِتَضْيِيعِهِمْ مَا أَلْزَمُهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ يُحَافِظُونَ عَلَىٰ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ..

﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ..

﴿مُشۡفِقُونَ ٤٩﴾ [الأنبياء: ٤٩] حَذِرُونَ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِمْ، فَيَرِدُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَدْ فَرَّطُوا فِي الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ للهِ، فَيُعَاقِبَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِمَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ.

﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠].

﴿وَهَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ذِكۡرٞ﴾ لِمَنْ تَذَكَّرَ بِهِ، وَمَوْعِظَةٌ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهِ..

﴿مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ..

﴿أَفَأَنتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لَهُۥ﴾ لِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ..

﴿مُنكِرُونَ ٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠] وَتَقُولُونَ: هُوَ ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥﴾ [الأنبياء: ٥]، وَإِنَّمَا الَّذِي آتَيْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ، كَالَّذِي آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ.

﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾ [الأنبياء: ٥١].

﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، وَوَفَّقْنَاهُ لِلْحَقِّ، وَأَنْقَذْنَاهُ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، كَمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فَأَنْقَذْنَاهُ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهَدَيْنَاهُ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ تَوْفِيقًا مِنَّا لَهُ..

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾ [الأنبياء: ٥١] وَكُنَّا عَالِمِينَ بِهِ أَنَّهُ ذُو يَقِينٍ وَإِيمَانٍ بِاللهِ، وَتَوْحِيدٍ لَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢].

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ﴾ فِي وَقْتِ قِيلِهِ، وَحِينَ قِيلِهِ لَهُمْ..

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ الصُّوَرُ.. وَكَانَتْ تِلْكَ التَّمَاثِيلُ أَصْنَامَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا..

﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢] الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ؟.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا أَنَّ الْعَاكِفَ عَلَىٰ الشَّيْءِ: الْمُقِيمُ عَلَيْهِ.

﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣﴾ [الأنبياء: ٥٣].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُهُ لِإِبْرَاهِيمَ..

﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا﴾ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لِهَذِهِ الْأَوْثَانِ..

﴿عَٰبِدِينَ ۝٥٣﴾ [الأنبياء: ٥٣] فَنَحْنُ عَلَىٰ مِلَّةِ آبَائِنَا نَعْبُدُهَا كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ.

﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٥٤﴾ [الأنبياء: ٥٤].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ﴾ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا..

﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ فِي ذَهَابٍ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَجَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿مُّبِينٖ ۝٥٤﴾ [الأنبياء: ٥٤] بَيِّنٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ بِعَقْلٍ أَنَّكُمْ كَذَلِكَ فِي جَوْرٍ عَنِ الْحَقِّ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥﴾ [الأنبياء: ٥٥].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ لَهُ..

﴿أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ فِيمَا تَقُولُ..

﴿أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥﴾ [الأنبياء: ٥٥] هَازِلٌ لَاعِبٌ.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ [الأنبياء: ٥٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ..

﴿بَل﴾ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ لَا اللَّعِبِ..

﴿رَبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ الَّذِي خَلَقَهُنَّ..

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ مِنْ أَنَّ رَبَّكُمْ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ دُونَ التَّمَاثِيلِ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، وَدُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاهُ شَاهِدٌ..

﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ [الأنبياء: ٥٦] فَإِيَّاهُ فَاعْبُدوا، لَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي هِيَ خَلْقُهُ، الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الأنبياء: ٥٧] ذُكِرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حَلَفَ بِهَذِهِ الْيَمِينِ فِي سِرٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَخَفَاءٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا الَّذِي أَفْشَاهُ عَلَيْهِ حِينَ قَالُوا ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩] فَـ ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠].. قَالَ مُجَاهِدٌ: **(قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ حِينَ اسْتَتْبَعَهُ قَوْمُهُ إِلَىٰ وَعِيدٍ لَهُمْ، فَأَبَىٰ وَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ، فَسَمِعَ مِنْهُ وَعِيدَ أَصْنَامِهِمْ رَجُلٌ مِنْهُمُ اسْتَأْخَرَ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠])**.. وَقَالَ قَتَادَةُ: **(نَرَىٰ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ حَيْثُ لَمْ يَسْمَعُوهُ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ)**.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٨].

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ حُطَامًا، مَصْدَرٌ، مِثْلُ الرُّفَاتِ، وَالْفُتَاتِ، وَالدُّقَاقِ، لَا وَاحِدَ لَهُ..

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ إِلَّا عَظِيمًا لِلْآلِهَةِ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكْسِرْهُ، وَلَكِنَّهُ فِيمَا ذُكِرَ عَلَّقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ..

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٨] فَعَلَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بِآلِهَتِهِمْ لِيَعْتَبِرُوا، وَيَعْلَمُوا أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهَا مَا فَعَلَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ، فَهِيَ مِنْ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ غَيْرِهَا مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَبْعَدُ، فَيَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَتِهَا إِلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ، وَتَوْحِيدِ اللهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ.

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا رَأَوْا آلِهَتَهُمْ قَدْ جُذَّتْ، إِلَّا الَّذِي رَبَطَ بِهِ الْفَأْسَ إِبْرَاهِيمُ..

﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ إِنَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا..

﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩] لَمِنَ الْفَاعِلِينَ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلُهُ.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الَّذِينَ سَمِعُوهُ يَقُولُ ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ٥٧﴾ [الأنبياء: ٥٧]..

﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بِعَيْبٍ..

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠] لَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ ذَلِكَ غَيْرَهُ، وَهُوَ الَّذِي نَظُنُّ صَنَعَ هَذَا بِهَا.

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١﴾ [الأنبياء: ٦١].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿فَأْتُواْ بِهِۦ﴾ فَأْتُوا بِالَّذِي فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا، الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ يَذْكُرُهَا بِعَيْبٍ، وَيَسُبُّهَا، وَيَذُمُّهَا..

﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ عَلَىٰ رُءُوسِ النَّاسِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِأَعْيُنِ النَّاسِ وَمَرْأَىٰ مِنْهُمْ، وَقَالُوا: إِنَّمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ: أَظْهِرُوا الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ إِذَا ظَهَرَ الْأَمْرُ وَشَهُرَ: كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ، يُرَادُ بِهِ كَانَ بِأَيْدِي النَّاسِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١﴾ [الأنبياء: ٦١] عُقُوبَتَنَا إِيَّاهُ.. فَأَتَوْا بِإِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ٦٢﴾ [الأنبياء: ٦٢].

﴿قَالُوٓاْ﴾ لَهُ..

﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ مِنَ الْكَسْرِ بِهَا..

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ٦٢﴾ [الأنبياء: ٦٢] فَأَجَابَهُمْ إِبْرَاهِيمُ.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٣].

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وَعَظِيمُهُمْ..

﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ فَاسْأَلُوا الْآلِهَةَ: مَنْ فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ وَكَسَرَهَا..

﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٣] إِنْ كَانَتْ تَنْطِقُ أَوْ تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهَا.. وَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَذِنَ لِخَلِيلِهِ فِي ذَلِكَ، لِيُقَرِّعَ قَوْمَهُ بِهِ، وَيَحْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَيُعَرِّفَهُمْ مَوْضِعَ

خَطَئِهِمْ، وَسُوءَ نَظَرِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، كَمَا قَالَ مُؤَذِّنُ يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف: ٧٠]، وَلَمْ يَكُونُوا سَرَقُوا شَيْئًا.

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنبياء: ٦٤].

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾ فَذَكَرُوا حِينَ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣] فِي أَنْفُسِهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ عُقُولِهِمْ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ﴾ مَعْشَرَ الْقَوْمِ..

﴿أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنبياء: ٦٤] هَذَا الرَّجُلَ فِي مَسْأَلَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَقِيلِكُمْ لَهُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، وَهَذِهِ آلِهَتُكُمُ الَّتِي فُعِلَ بِهَا مَا فُعِلَ حَاضِرَتُكُمْ، فَاسْأَلُوهَا.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء: ٦٥].

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ ثُمَّ غُلِبُوا فِي الْحُجَّةِ، فَاحْتَجُّوا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ.. ونَكْسُ الشَّيْءِ عَلَىٰ رَأْسِهِ، قَلْبُهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَتَصْيِيرُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُقْلَبُوا عَلَىٰ رُءُوسِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا نُكِسَتْ حُجَّتُهُمْ، فَأُقِيمَ الْخَبَرُ عَنْهُمْ مَقَامَ الْخَبَرِ عَنْ حُجَّتِهِمْ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَنَكْسُ الْحُجَّةِ لَا شَكَّ إِنَّمَا هُوَ احْتِجَاجُ الْمُحْتَجِّ عَلَىٰ خَصْمِهِ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ لِخَصْمِهِ.. فَقَالُوا..

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء: ٦٥] لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ يَنْطِقُونَ.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ..

﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦] وَأَنْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا لَمْ تَمْنَعْ نَفْسَهَا مِمَّنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ، وَلَا هِيَ تَقْدِرُ أَنْ تَنْطِقَ إِنْ سُئِلَتْ عَمَّنْ يَأْتِيهَا بِسُوءٍ، فَتُخْبِرَ بِهِ، أَفَلَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ عِبَادَةِ مَا كَانَ هَكَذَا؟.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٧].

﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ قُبْحًا لَكُمْ..

﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَلِلْآلِهَةِ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٧] قُبْحَ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمْ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، فَتَتْرُكُوا عِبَادَتَهُ، وَتَعْبُدُوا اللهَ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ؟

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾ [الأنبياء: ٦٨].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ بَعْضُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ لِبَعْضٍ..

﴿حَرِّقُوهُ﴾ حَرِّقُوا إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ..

﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾ [الأنبياء: ٦٨] إِنْ كُنْتُمْ نَاصِرِيهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا تَرْكَ عِبَادَتِهَا.. فَأَوْقَدُوا لَهُ نَارًا لِيُحَرِّقُوهُ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِيهَا.

﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩].

﴿قُلۡنَا﴾ لِلنَّارِ..

﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩] وَذُكِرَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا إِحْرَاقَهُ بَنَوْا لَهُ بُنْيَانًا.. قَالَ قَتَادَةُ: (**لَمْ تَأْتِ يَوْمَئِذٍ دَابَّةٌ إِلَّا أَطْفَأَتْ عَنْهُ النَّارَ، إِلَّا الْوَزَغُ**).. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: (**أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِهِ، وَسَمَّاهُ فُوَيْسِقًا**).

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠﴾ [الأنبياء: ٧٠].

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ﴾ وَأَرَادُوا بِإِبْرَاهِيمَ..

﴿كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠﴾ [الأنبياء: ٧٠] يَعْنِي الْهَالِكِينَ.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾ [الأنبياء: ٧١].

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ وَنَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ..

﴿وَلُوطًا﴾ مِنْ أَعْدَائِهِمَا نَمْرُودَ وَقَوْمِهِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ..

﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾ [الأنبياء: ٧١] وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ، فَارَقَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ قَوْمَهُ وَدِينَهُمْ، وَهَاجَرَ إِلَى الشَّامِ.. وَهَذِهِ الْقِصَّةُ الَّتِي قَصَّ اللهُ مِنْ نَبَأِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ تَذْكِيرٌ مِنْهُ بِهَا قَوْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ، أَنَّهُمْ قَدْ سَلَكُوا فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ، وَأَذَاهُمْ مُحَمَّدًا عَلَى نَهْيِهِ

عَنْ عِبَادَتِهَا، وَدُعَائِهِمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، مَسْلَكَ أَعْدَاءِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَمُخَالَفَتِهِمْ دِينَهُ.. وَأَنَّ مُحَمَّدًا فِي بَرَاءَتِهِ مِنْ عِبَادَتِهَا، وَإِخْلَاصِهِ الْعِبَادَةَ للهِ، وَفِي دُعَائِهِمْ إِلَىٰ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَفِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَلْقَىٰ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ سَالِكٌ مِنْهَاجَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ.. وَأَنَّهُ مُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ كَمَا أَخْرَجَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ قَوْمِهِ حِينَ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ إِلَىٰ مُهَاجَرِهِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ.. وَمُسَلٍّ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا يَلْقَىٰ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَالْأَذَىٰ، وَمُعَلِّمُهُ أَنَّهُ مُنَجِّيهِ مِنْهُمْ كَمَا نَجَّىٰ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ كَفَرَةِ قَوْمِهِ.. وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ هِجْرَةَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْعِرَاقِ كَانَتْ إِلَىٰ الشَّامِ، وَبِهَا كَانَ مَقَامُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ كَانَ قَدِمَ مَكَّةَ، وَبَنَىٰ بِهَا الْبَيْتَ، وَأَسْكَنَهَا إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ مَعَ أُمِّهِ هَاجَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُقِمْ بِهَا، وَلَمْ يَتَّخِذْهَا وَطَنًا لِنَفْسِهِ، وَلَا لُوطٌ، وَاللهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ أَنَّهُ أَنْجَاهُمَا إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ٧٢].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ وَوَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ..

﴿إِسْحَٰقَ﴾ وَلَدًا..

﴿وَيَعْقُوبَ﴾ وَلَدَ وَلَدِهِ..

﴿نَافِلَةً﴾ النَّافِلَةُ الْفَضْلُ مِنَ الشَّيْءِ يَصِيرُ إِلَىٰ الرَّجُلِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ ذَلِكَ، وَكِلَا وَلَدَيْهِ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ كَانَ فَضْلًا مِنَ اللهِ، تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَهِبَةً مِنْهُ لَهُ..

﴿وَكُلًّا﴾ إِبْرَاهِيم، وَإِسْحَاق، وَيَعْقُوب..

﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ٧٢] عَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللهِ، مُجْتَنِبِينَ مَحَارِمَهُ.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣].

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وَجَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..

﴿أَئِمَّةً﴾ يُؤْتَمُّ بِهِمْ فِي الْخَيْرِ فِي طَاعَةِ اللهِ فِي اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُقْتَدَىٰ بِهِمْ، وَيُتَّبَعُونَ عَلَيْهِ..

﴿يَهْدُونَ﴾ يَهْدُونَ النَّاسَ..

﴿بِأَمْرِنَا﴾ بِأَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ عِبَادَتِهِ..

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وَأَوْحَيْنَا فِيمَا أَوْحَيْنَا أَنِ افْعَلُوا الْخَيْرَاتِ..

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ بِأَمْرِنَا بِذَلِكَ..

﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ [الأنبياء: ٧٣] كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ طَاعَتِنَا وَعِبَادَتِنَا.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾ [الأنبياء: ٧٤].

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ﴾ وَآتَيْنَا لُوطًا..

﴿حُكْمًا﴾ وَهُوَ فَصْلُ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخُصُومِ..

﴿وَعِلْمًا﴾ وَآتَيْنَاهُ أَيْضًا عِلْمًا بِأَمْرِ دِينِهِ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ للهِ مِنْ فَرَائِضِهِ..

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَۚ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ عَذَابِنَا الَّذِي أَحْلَلْنَاهُ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ، وَهِيَ قَرْيَةُ سَدُومَ، الَّتِي كَانَ لُوطٌ بُعِثَ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَكَانَتِ الْخَبَائِثُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا إِتْيَانَ الذُّكْرَانِ فِي أَدْبَارِهِمْ، وَخَذْفَهُمُ النَّاسَ، وَتَضَارُطَهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ، مَعَ أَشْيَاءَ أُخَرَ كَانُوا يَعْمَلُونَهَا مِنَ الْمُنْكَرِ، فَأَخْرَجَهُ اللهُ حِينَ أَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾ [الأنبياء: ٧٤] مُخَالِفِينَ أَمْرَ اللهِ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَمَا يَرْضَىٰ مِنَ الْعَمَلِ.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [الأنبياء: ٧٥].

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ﴾ وَأَدْخَلْنَا لُوطًا..

﴿فِي رَحْمَتِنَآۖ﴾ بِإِنْجَائِنَا إِيَّاهُ مِمَّا أَحْلَلْنَا بِقَوْمِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ، وَإِنْقَاذِنَاهُ مِنْهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ لُوطًا..

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [الأنبياء: ٧٥] مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِطَاعَتِنَا وَيَنْتَهُونَ إِلَىٰ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا وَلَا يَعْصُونَنَا.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ٧٦﴾ [الأنبياء: ٧٦].

﴿وَنُوحًا﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ نُوحًا..

﴿إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ مِنْ قَبْلِكَ، وَمِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا، وَسَأَلَنَا أَنْ نُهْلِكَ

قَوْمَهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللهَ فِيمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ مِنْ وَعِيدِهِ، وَكَذَّبُوا نُوحًا فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦]..

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دُعَاءَهُ..

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنْ وَلَدِهِ وَحَلَائِلِهِمْ..

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦] مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَحَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنَ الطُّوفَانِ وَالْغَرَقِ، وَالْكَرْبُ: شِدَّةُ الْغَمِّ.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

[الأنبياء: ٧٧].

﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ وَنَصَرْنَا نُوحًا..

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ عَلَى الْقَوْمِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الَّذِي كَذَّبُوا بِحُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ إِنَّ قَوْمَ نُوحٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ، يُسِيئُونَ الْأَعْمَالَ، فَيَعْصُونَ اللهَ، وَيُخَالِفُونَ أَمْرَهُ..

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٧] فَأَنْجَيْنَاهُ مِنْهُمْ.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنبياء: ٧٨].

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ وَاذْكُرْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ وَالْحَرْثُ: إِنَّمَا هُوَ حَرْثُ الْأَرْضِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ زَرْعًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غَرْسًا، وَغَيْرُ ضَائِرِ الْجَهْلُ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ..

﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ﴾ حِينَ دَخَلَتْ فِي هَذَا الْحَرْثِ..

﴿غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ الْآخَرِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْحَرْثِ لَيْلًا، فَرَعَتْهُ وَأَفْسَدَتْهُ..

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ وَكُنَّا لِحُكْمِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَالْقَوْمِ الَّذِينَ حَكَمَا بَيْنَهُمْ فِيمَا أَفْسَدَتْ غَنَمُ أَهْلِ الْغَنَمِ مِنْ حَرْثِ أَهْلِ الْحَرْثِ..

﴿شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنبياء: ٧٨] لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَغِيبُ عَنَّا عِلْمُهُ.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ فَفَهِمْنَا الْقَضِيَّةَ فِي ذَلِكَ..

﴿سُلَيْمَٰنَۚ﴾ دُونَ دَاوُدَ..

﴿وَكُلًّا﴾ وَكُلُّهُمْ مِنْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَالرُّسُلِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ وَهُوَ النُّبُوَّةُ..

﴿وَعِلْمًاۚ﴾ بِأَحْكَامِ اللهِ.. وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَرَامِ بْنِ مُحَيِّصَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: دَخَلَتْ نَاقَةٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ فَأَفْسَدَتْهُ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، فَقَضَىٰ عَلَىٰ الْبَرَاءِ بِمَا أَفْسَدَتْهُ النَّاقَةُ، وَقَالَ: «**عَلَىٰ أَصْحَابِ الْمَاشِيَةِ حِفْظُ الْمَاشِيَةِ بِاللَّيْلِ، وَعَلَىٰ أَصْحَابِ الْحَوَائِطِ حِفْظُ حِيطَانِهِمْ بِالنَّهَارِ**»، قَالَ الزُّهْرِيُّ: **(وَكَانَ قَضَاءُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ فِي ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَتْ مَاشِيَتُهُ زَرْعًا لِرَجُلٍ فَأَفْسَدَتْهُ، وَلَا يَكُونُ النُّفُوشُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، فَارْتَفَعَا إِلَىٰ دَاوُدَ، فَقَضَىٰ بِغَنَمِ صَاحِبِ الْغَنَمِ لِصَاحِبِ الزَّرْعِ، فَانْصَرَفَا، فَمَرَّا بِسُلَيْمَانَ، فَقَالَ: بِمَاذَا قَضَىٰ بَيْنَكُمَا نَبِيُّ اللهِ؟ فَقَالَا: قَضَىٰ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الزَّرْعِ، فَقَالَ: إِنَّ الْحُكْمَ لَعَلَىٰ غَيْرِ هَذَا، انْصَرِفَا مَعِي فَأَتَىٰ أَبَاهُ دَاوُدَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، قَضَيْتَ عَلَىٰ هَذَا بِغَنَمِهِ لِصَاحِبِ الزَّرْعِ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ الْحُكْمَ لَعَلَىٰ غَيْرِ هَذَا، قَالَ: وَكَيْفَ يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: تَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَىٰ صَاحِبِ الزَّرْعِ فَيُصِيبُ مِنْ أَلْبَانِهَا وَسُمُونِهَا وَأَصْوَافِهَا، وَتَدْفَعُ الزَّرْعَ إِلَىٰ صَاحِبِ الْغَنَمِ يَقُومُ عَلَيْهِ، فَإِذَا عَادَ الزَّرْعُ إِلَىٰ حَالِهِ الَّتِي أَصَابَتْهُ الْغَنَمُ عَلَيْهَا رُدَّتِ الْغَنَمُ عَلَىٰ صَاحِبِ الْغَنَمِ، وَرُدَّ الزَّرْعُ إِلَىٰ صَاحِبِ الزَّرْعِ، فَقَالَ دَاوُدُ: لَا يَقْطَعُ اللهُ فَمَكَ، فَقَضَىٰ بِمَا قَضَىٰ سُلَيْمَانُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩])**..

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ﴾ يُسَبِّحْنَ مَعَهُ إِذَا سَبَّحَ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: **(يُصَلِّينَ مَعَ دَاوُدَ إِذَا صَلَّىٰ)**..

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩] وَكُنَّا قَدْ قَضَيْنَا أَنَّا فَاعِلُو ذَلِكَ، وَمُسَخِّرُو الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠].

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ وَعَلَّمْنَا دَاوُدَ..

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ وَاللَّبُوسُ عِنْدَ الْعَرَبِ: السِّلَاحُ كُلُّهُ، دِرْعًا كَانَ، أَوْ جَوْشَنًا، أَوْ سَيْفًا، أَوْ رُمْحًا، وَأَمَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ قَالُوا: عَنِيَ الدُّرُوعَ..

﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ لِيُحْرِزَكُمْ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ: قَدْ أَحْصَنَ فُلَانٌ جَارِيَتَهُ.

﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ وَالْبَأْسُ: الْقِتَالُ، وَعَلَّمْنَا دَاوُدَ صَنْعَةَ سِلَاحٍ لَكُمْ لِيُحْرِزَكُمْ إِذَا لَبِسْتُمُوهُ وَلَقِيتُمْ فِيهِ أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ..

﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿شَٰكِرُونَ ٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠] شَاكِرُو اللهِ عَلَىٰ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ بِمَا عَلَّمَكُمْ مِنْ صَنْعَةِ اللَّبُوسِ الْمُحْصِنِ فِي الْحَرْبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، يَقُولُ: فَاشْكُرُونِي عَلَىٰ ذَلِكَ.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾ وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ..

﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وَعُصُوفُهَا: شِدَّةُ هُبُوبِهَا..

﴿تَجْرِى﴾ الرِّيحُ..

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بِأَمْرِ سُلَيْمَانَ..

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ إِلَىٰ الشَّامِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ تَجْرِي بِسُلَيْمَانَ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ سُلَيْمَانُ، ثُمَّ تَعُودُ بِهِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ بِالشَّامِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١]..

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾ [الأنبياء: ٨١] وَكُنَّا عَالِمِينَ بِأَنَّ فِي فِعْلِنَا مَا فَعَلْنَا لِسُلَيْمَانَ مِنْ تَسْخِيرِنَا لَهُ، وَإِعْطَائِنَا مَا أَعْطَيْنَاهُ مِنَ الْمُلْكِ، صَلَاحَ الْخَلْقِ، فَعَلَىٰ عِلْمٍ مِنَّا بِمَوْضِعِ مَا فَعَلْنَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَعَلْنَا، وَنَحْنُ عَالِمُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ [الأنبياء: ٨٢].

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وَسَخَّرْنَا أَيْضًا لِسُلَيْمَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ..

﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ فِي الْبَحْرِ..

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ مِنَ الْبُنْيَانِ وَالتَّمَاثِيلِ وَالْمَحَارِيبِ..

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝٨٢﴾ [الأنبياء: ٨٢] وَكُنَّا لِأَعْمَالِهِمْ، وَلِأَعْدَادِهِمْ حَافِظِينَ، لَا يَئُودُنَا حِفْظُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣].

﴿۞ وَأَيُّوبَ﴾ وَاذْكُرْ أَيُّوبَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَقَدْ مَسَّهُ الضُّرُّ وَالْبَلَاءُ..

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣] وَكَانَ الضُّرُّ الَّذِي أَصَابَهُ وَالْبَلَاءُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، امْتِحَانًا مِنَ اللهِ لَهُ وَاخْتِبَارًا.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٤].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ فَلَمَّا انْتَهَىٰ الْأَجَلُ، وَقَضَىٰ اللهُ أَنَّهُ كَاشِفٌ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ أَذِنَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ، وَيَسَّرَهُ لَهُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: لَا يَنْبَغِي لِعَبْدِي أَيُّوبَ أَنْ يَدْعُوَنِي ثُمَّ لَا أَسْتَجِيبَ لَهُ فَلَمَّا دَعَا اسْتَجَابَ لَهُ..

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ وَأَبْدَلَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ذَهَبَ لَهُ ضِعْفَيْنِ، رَدَّ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٤٤﴾ [ص: ٤٤].. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْأَهْلِ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: أَهُمْ أَهْلُهُ الَّذِينَ أُوتِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، أَمْ ذَلِكَ وَعْدٌ وَعَدَهُ اللهُ أَيُّوبَ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ؟..

﴿رَحْمَةً﴾ فَعَلْنَا بِهِمْ ذَلِكَ رَحْمَةً..

﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ مِنَّا لَهُ..

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٤] وَتَذْكِرَةً لِلْعَابِدِينَ رَبَّهُمْ، فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِ لِيَعْتَبِرُوا بِهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ يَبْتَلِي أَوْلِيَاءَهُ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا بِضُرُوبٍ مِنَ الْبَلَاءِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، مِنْ غَيْرِ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنِ اخْتِبَارًا مِنْهُ لَهُ، لِيَبْلُغَ بِصَبْرِهِ عَلَيْهِ، وَاحْتِسَابِهِ إِيَّاهُ،

وَحُسْنِ يَقِينِهِ مَنْزِلَتَهُ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥].

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ بْنَ إِبْرَاهِيمَ صَادِقَ الْوَعْدِ..

﴿وَإِدْرِيسَ﴾ وَبِإِدْرِيسَ..

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ رَجُلًا تَكَفَّلَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ، إِمَّا مِنْ نَبِيٍّ وَإِمَّا مِنْ مَلِكٍ مِنْ صَالِحِي الْمُلُوكِ، بِعَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِ حُسْنَ وَفَائِهِ بِمَا تَكَفَّلَ بِهِ، وَجَعَلَهُ مِنَ الْمَعْدُودِينَ فِي عِبَادِهِ، مَعَ مَنْ حُمِدَ صَبْرُهُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي أَمْرِهِ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ سَلَفِ الْعُلَمَاءِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: **(رَجُلٌ صَالِحٌ غَيْرُ نَبِيٍّ، تَكَفَّلَ لِنَبِيٍّ قَوْمِهِ أَنْ يَكْفِيَهُ أَمْرَ قَوْمِهِ، وَيُقِيمَهُ لَهُمْ، وَيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَسُمِّيَ ذَا الْكِفْلِ)**..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّهُمْ..

﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥] مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ فِيمَا نَابَهُمْ فِي اللهِ.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٦].

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾ وَأَدْخَلْنَا إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ..

﴿فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٦] إِنَّهُمْ مِمَّنْ صَلُحَ، فَأَطَاعَ اللهَ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ ذَا النُّونِ، يَعْنِي صَاحِبَ النُّونِ، وَالنُّونُ: الْحُوتُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذِي النُّونِ: يُونُسَ بْنَ مَتَّىٰ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّتَهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ حِينَ ذَهَبَ مُغَاضِبًا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ ذَهَابِهِ مُغَاضِبًا، وَعَمَّنْ كَانَ ذَهَابُهُ، وَعَلَىٰ مَنْ كَانَ غَضَبُهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ذَهَابُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَإِيَّاهُمْ غَاضَبَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ذَهَبَ عَنْ قَوْمِهِ مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ، إِذْ كُشِفَ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بَعْدَمَا وَعَدَهُمُوهُ.. عَلَىٰ أَنَّ

الَّذِينَ وَجَّهُوا تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّهُ ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ، إِنَّمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتِنْكَارًا مِنْهُمْ أَنْ يُغَاضِبَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ رَبَّهُ، وَاسْتِعْظَامًا لَهُ.. وَهُمْ بِقِيلِهِمْ أَنَّهُ ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ قَدْ دَخَلُوا فِي أَمْرٍ أَعْظَمَ مِمَّا أَنْكَرُوا، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ ذَهَابِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ كَرَاهَةَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ جَرَّبُوا عَلَيْهِ الْخُلْفَ فِيمَا وَعَدَهُمْ، وَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمِ السَّبَبَ الَّذِي دُفِعَ بِهِ عَنْهُمُ الْبَلَاءُ.. وَقَالَ بَعْضُ مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ: كَانَ مِنْ أَخْلَاقِ قَوْمِهِ الَّذِينَ فَارَقَهُمْ قَتْلُ مَنْ جَرَّبُوا عَلَيْهِ الْكَذِبَ، عَسَىٰ أَنْ يَقْتُلُوهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَعَدَهُمُ الْعَذَابَ، فَلَمْ يَنْزِلْ بِهِمْ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِنَّمَا غَاضَبَ رَبَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَمَرَ بِالْمَصِيرِ إِلَىٰ قَوْمٍ لِيُنْذِرَهُمْ بَأْسَهُ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُنْظِرَهُ لِيَتَأَهَّبَ لِلشُّخُوصِ إِلَيْهِمْ، فَقِيلَ لَهُ: الْأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُنْظَرْ، حَتَّىٰ شَاءَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَىٰ أَنْ يَأْخُذَ نَعْلًا لِيَلْبَسَهَا، فَقِيلَ لَهُ نَحْوُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ رَجُلًا فِي خُلُقِهِ ضِيقٌ، فَقَالَ: أَعْجَلَنِي رَبِّي أَنْ آخُذَ نَعْلًا فَذَهَبَ مُغَاضِبًا.. وَلَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ مِنْ وَصْفِ نَبِيِّ اللهِ يُونُسَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ دُونَ مَا وَصَفَهُ بِمَا وَصَفَهُ الَّذِينَ قَالُوا: ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ؛ لِأَنَّ ذَهَابَهُ عَنْ قَوْمِهِ مُغَاضِبًا لَهُمْ، وَقَدْ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْمُقَامِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لِيُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَهُ، وَيُحَذِّرَهُمْ بَأْسَهُ وَعُقُوبَتَهُ عَلَىٰ تَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ، لَا شَكَّ أَنَّ فِيهِ مَا فِيهِ.. وَلَوْلَا أَنَّهُ قَدْ كَانَ ﷺ أَتَىٰ مَا قَالَهُ الَّذِينَ وَصَفُوهُ بِإِتْيَانِ الْخَطِيئَةِ، لَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِيُعَاقِبَهُ الْعُقُوبَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ، وَيَصِفَهُ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ بِهَا، فَيَقُولَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨﴾ [القلم: ٤٨]، وَيَقُولَ: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣]..

﴿فَظَنَّ﴾ يُونُسُ..

﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أَنْ لَنْ نَحْبِسَهُ، وَنُضَيِّقَ عَلَيْهِ، عُقُوبَةً لَهُ عَلَىٰ مُغَاضَبَتِهِ رَبَّهُ..

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّهُ نَادَىٰ فِي ظُلْمَةِ جَوْفِ حُوتٍ فِي جَوْفِ حُوتٍ آخَرَ فِي الْبَحْرِ، قَالُوا: فَذَلِكَ هُوَ الظُّلُمَاتُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: لَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ عَنَىٰ بِإِحْدَىٰ الظُّلُمَاتِ: بَطْنَ الْحُوتِ، وَبِالْأُخْرَىٰ: ظُلْمَةَ الْبَحْرِ، وَفِي الثَّالِثَةِ اخْتِلَافٌ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الثَّالِثَةُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ كَوْنَ الْحُوتِ فِي جَوْفِ حُوتٍ آخَرَ، وَلَا دَلِيلَ

يَدُلُّ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِنَ التَّسْلِيمِ لِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ.

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ نَادَىٰ يُونُسُ بِهَذَا الْقَوْلِ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ، تَائِبًا مِنْ خَطِيئَتِهِ..

﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] فِي مَعْصِيَتِي إِيَّاكَ.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٨].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لِيُونُسَ دُعَاءَهُ إِيَّانَا، إِذْ دَعَانَا فِي بَطْنِ الْحُوتِ..

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِحَبْسِنَاهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَغَمِّهِ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَنْجَيْنَا يُونُسَ مِنْ كَرْبِ الْحَبْسِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ إِذْ دَعَانَا، كَذَلِكَ..

﴿نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٨] مِنْ كَرْبِهِمْ إِذَا اسْتَغَاثُوا بِنَا وَدَعَوْنَا.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿وَزَكَرِيَّآ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ زَكَرِيَّا..

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ حِينَ نَادَىٰ رَبَّهُ..

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ وَحِيدًا..

﴿فَرْدًا﴾ لَا وَلَدَ لِي وَلَا عَقِبَ، فَارْزُقْنِي وَارِثًا مِنْ آلِ يَعْقُوبَ يَرِثُنِي، ثُمَّ رَدَّ الْأَمْرَ إِلَىٰ اللهِ فَقَالَ..

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لِزَكَرِيَّا دُعَاءَهُ..

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ وَلَدًا، وَوَارِثًا يَرِثُهُ..

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ بِأَنْ جَعَلَهَا وَلُودًا، حَسَنَةَ الْخُلُقِ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي إِصْلَاحِهِ إِيَّاهَا، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، وَلَا وَضَعَ عَلَىٰ خُصُوصِ ذَلِكَ دَلَالَةً، فَهُوَ عَلَىٰ الْعُمُومِ، مَا لَمْ يَأْتِ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِأَنَّ ذَلِكَ مُرَادٌ بِهِ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ يَعْنِي زَكَرِيَّا وَزَوْجَهُ وَيَحْيَىٰ..

﴿كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فِي طَاعَتِنَا، وَالْعَمَلِ بِمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْنَا..

﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ وَكَانُوا يَعْبُدُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا، وَعَنَىٰ بِالدُّعَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْعِبَادَةَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝٤٨﴾ [مريم: ٤٨]..

﴿رَغَبًا﴾ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِيمَا يَرْجُونَ مِنْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ..

﴿وَرَهَبًا﴾ رَهْبَةً مِنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، بِتَرْكِهِمْ عِبَادَتَهُ، وَرُكُوبِهِمْ مَعْصِيَتَهُ..

﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] مُتَوَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِنَا وَدُعَائِنَا.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ [الأنبياء: ٩١].

﴿وَٱلَّتِيٓ﴾ وَاذْكُرِ -يَا مُحَمَّدُ- الَّتِي..

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حَفِظَتْ، وَمَنَعَتْ فَرْجَهَا مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا إِبَاحَتَهُ فِيهِ، يَعْنِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ..

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا﴾ وَجَعَلْنَا مَرْيَمَ..

﴿وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾ عِبْرَةً.. وَقِيلَ آيَةً، وَلَمْ يَقُلْ آيَتَيْنِ، وَقَدْ ذَكَرَ آيَتَيْنِ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: جَعَلْنَاهُمَا عَلَمًا لَنَا، وَحُجَّةً، فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فِي مَعْنَىٰ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ اللهِ، وَعَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، يَقُومُ مَقَامَ الْآخَرِ، إِذْ كَانَ أَمْرُهُمَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ اللهِ وَاحِدًا.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ [الأنبياء: ٩١] لِعَالَمَيْ زَمَانِهِمَا، يَعْتَبِرُونَ بِهِمَا، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي أَمْرِهِمَا، فَيَعْلَمُونَ عَظِيمَ سُلْطَانِنَا، وَقُدْرَتِنَا عَلَىٰ مَا نَشَاءُ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ إِنَّ هَذِهِ مِلَّتُكُمْ..

﴿أُمَّةً﴾ مِلَّةً..

﴿وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢] دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَسَائِرِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِي.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾ [الأنبياء: ٩٣].

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ وَتفرَّقَ النَّاسُ..

﴿أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ فِي دِينِهِمُ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَصَارُوا فِيهِ أَحْزَابًا، فَهُوِّدَتِ الْيَهُودُ، وَتَنَصَّرَتِ النَّصَارَىٰ، وعُبِدَتِ الْأَوْثَانُ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ..

﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾ [الأنبياء: ٩٣] وَأَنَّ مَرْجِعَ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ إِلَيْهِ، مُتَوَعِّدًا بِذَلِكَ أَهْلَ الزَّيْغِ مِنْهُمْ وَالضَّلَالِ، وَمُعْلِمُهُمْ أَنَّهُ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، وَأَنَّهُ مُجَازٍ جَمِيعَهُمْ جَزَاءَ الْمُحْسِنِ بِإِحسْانِهِ، وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾ [الأنبياء: ٩٤].

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ﴾ فَمَنْ عَمِلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا فِي دِينِهِمْ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ..

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَطَاعَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ وَهُوَ مُقِرٌّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، مُصَدِّقٌ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، مُتَبَرِّئٌ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ..

﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ فَإِنَّ اللهَ يَشْكُرُ عَمَلَهُ الَّذِي عَمِلَ لَهُ، مُطِيعًا لَهُ، وَهُوَ بِهِ مُؤْمِنٌ، فَيُثِيبُهُ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابَهُ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَنْ يُثِيبَهُمُوهُ، وَلَا يَكْفُرُ ذَلِكَ لَهُ، فَيَجْحَدُهُ، وَيَحْرِمُهُ ثَوَابَهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ الصَّالِحِ..

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾ [الأنبياء: ٩٤] وَنَحْنُ نَكْتُبُ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ كُلَّهَا فَلَا نَتْرُكُ مِنْهَا شَيْئًا لِنَجْزِيهِ عَلَىٰ صَغِيرِ ذَلِكَ وَكَبِيرِهِ وَقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾ [الأنبياء: ٩٥].

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾ حَرَامٌ عَلَىٰ أَهْلِ قَرْيَةٍ..

﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ بِطَبْعِنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَخَتْمِنَا عَلَىٰ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، إِذْ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِنَا، وَكَفَرُوا بِآيَاتِنَا، أَنْ يَتُوبُوا، وَيُرَاجِعُوا الْإِيمَانَ بِنَا، وَاتِّبَاعَ أَمْرِنَا، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِنَا..

﴿أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾ [الأنبياء: ٩٥] لَمْ يَكُنْ لِيَرْجِعَ مِنْهُمْ رَاجِعٌ، حَرَامٌ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ﴾ عَنْ..

﴿يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ وهُمَا أُمَّتَانِ مِنَ الأُمَمِ رَدْمُهما.. عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ، وَذَكَرَ أَمْرَهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ يَقْتُلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ: يَا عِيسَىٰ، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ فَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَنْزِلُ آخِرُهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَاءٌ مَرَّةً، فَيُحَاصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ يَوْمَئِذٍ خَيْرًا لِأَحَدِهِمْ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ مَوْتَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعًا إِلَّا قَدْ مَلَأَهُ زُهْمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لا يُكَنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ»..

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ وَنَشَزٍ وَأَكَمَةٍ..

﴿يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦] يَخْرُجُونَ مُشَاةً مُسْرِعِينَ فِي مَشْيِهِمْ كَنَسَلَانِ الذِّئْبِ.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٧].

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ، وَذَلِكَ وَعْدُ اللهِ الَّذِي وَعَدَ عِبَادَهُ أَنَّهُ يَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهُوَ لَا شَكَّ حَقٌّ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فَإِذَا أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ شَخِصَتْ عِنْدَ مَجِيءِ الْوَعْدِ الْحَقِّ بِأَهْوَالِهِ، وَقِيَامِ السَّاعَةِ بِحَقَائِقِهَا، وَهُمْ يَقُولُونَ..

﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا﴾ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ الَّذِي نَرَىٰ وَنُعَايِنُ، وَنَزَلَ بِنَا مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ..

﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٧] مَا كُنَّا نَعْمَلُ لِهَذَا الْيَوْمِ مَا يُنْجِينَا مِنْ شَدَائِدِهِ، بَلْ كُنَّا

ظَالِمِينَ بِمَعْصِيَتِنَا رَبَّنَا، وَطَاعَتِنَا إِبْلِيسَ وَجُنْدَهُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨].

﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، الْعَابِدُونَ مِنْ دُونِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ..

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ تُقْذَفُ جَهَنَّمَ بِهِمْ، وَيُرْمَىٰ بِهِمْ فِيهَا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ الْحَصْبَ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ: الْحَطَبُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ أَيْضًا وَجْهٌ صَحِيحٌ، وَأَمَّا مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ الرَّمْيِ، فَإِنَّهُ فِي لُغَةِ أَهْلِ نَجْدٍ..

﴿أَنتُمْ لَهَا﴾ أَنْتُمْ عَلَيْهَا أَيُّهَا النَّاسُ أَوْ إِلَيْهَا..

﴿وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] دَاخِلُونَ.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩].

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، وَهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَارِدُو جَهَنَّمَ، وَلَوْ كَانَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً..

﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ بَلْ كَانَتْ تَمْنَعُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُورِدَكُمُوهَا إِذْ كُنْتُمْ لَهَا فِي الدُّنْيَا عَابِدِينَ، وَلَكِنَّهَا إِذْ كَانَتْ لَا نَفْعَ عِنْدَهَا لِأَنْفُسِهَا، وَلَا عِنْدَهَا دَفْعُ ضُرٍّ عَنْهَا، فَهِيَ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَهَا لِغَيْرِهَا أَبْعَدُ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ بَيِّنًا بُعْدُهُ مِنَ الْأُلُوهَةِ، وَأَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مَقْدُورًا عَلَيْهِ فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا..

﴿وَكُلٌّ﴾ يَعْنِي الْآلِهَةَ وَمَنْ عَبَدَهَا..

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩] مَاكِثُونَ فِي النَّارِ أَبَدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: كُلُّكُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

﴿لَهُمْ﴾ الْمُشْرِكِينَ وَآلِهَتَهُمْ..

﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ لِكُلِّهِمْ فِي جَهَنَّمَ زَفِيرٌ..

﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ وَهُمْ فِي النَّارِ..

﴿لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مُحَقِّقٍ لِأَمْرٍ كَانَ يُنْكِرُهُ قَوْمٌ، فَكَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، مَا الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ، لِأَنَّا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَيَعْبُدُ آخَرُونَ الْمَسِيحَ، وَعُزَيْرًا، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ رَدًّا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَيْسَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ..

﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١] لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْنِيِّينَ بِقَوْلِنَا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].. وَأَمَّا الْحُسْنَىٰ فَإِنَّهَا الْفُعْلَىٰ مِنَ الْحُسْنِ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهَا السَّعَادَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

﴿لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ لَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ..

﴿حَسِيسَهَا﴾ حَسِيسَ النَّارِ، وَيَعْنِي بِالْحَسِيسِ: الصَّوْتَ وَالْحِسَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ جَهَنَّمَ يُؤْتَىٰ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَزْفُرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَىٰ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، إِلَّا جَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ خَوْفًا مِنْهَا، قِيلَ: إِنَّ الْحَالَ الَّتِي لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا حَسِيسَهَا هِيَ غَيْرُ تِلْكَ الْحَالِ، بَلْ هِيَ الْحَالُ الَّتِي إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ وَهُمْ فِيمَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ مِنْ نَعِيمِهَا وَلَذَّاتِهَا..

﴿خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٢] مَاكِثُونَ فِيهَا، لَا يَخَافُونَ زَوَالًا عَنْهَا وَلَا انْتِقَالًا عَنْهَا.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ ذَلِكَ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْزُنْهُ ذَلِكَ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَآمَنَ مِنْهُ، فَهُوَ مِمَّا بَعْدَهُ أَحْرَىٰ أَنْ لَا يَفْزَعَ، وَأَنَّ مَنْ أَفْزَعَهُ ذَلِكَ فَغَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ الْفَزَعُ مِمَّا بَعْدَهُ..

﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وَتَسْتَقْبِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يُهَنِّئُونَهُمْ يَقُولُونَ..

﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فِيهِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ وَالْحِبَاءُ، وَالْجَزِيلُ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ مَا كُنتُمْ تَنْصِبُونَ فِي الدُّنْيَا للهِ فِي طَاعَتِهِ.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ..

﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ كَطَيِّ السِّجِلِّ عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ (لِلْكِتَابِ) بِمَعْنَىٰ: عَلَىٰ..

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ نُعِيدُ الْخَلْقَ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا بَدَأْنَاهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي حَالِ خَلْقِنَاهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ..

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ وَعَدْنَاكُمْ ذَٰلِكَ وَعْدًا حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ نُوفِيَ بِمَا وَعَدْنَا..

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إِنَّا كُنَّا فَاعِلِي مَا وَعَدْنَاكُمْ مِنْ ذَٰلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَ فِي حُكْمِنَا وَقَضَائِنَا أَنْ نَفْعَلَهُ، عَلَىٰ يَقِينٍ بِأَنَّ ذَٰلِكَ كَائِنٌ، وَاسْتَعِدُّوا وَتَأَهَّبُوا.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا﴾ وَلَقَدْ قَضَيْنَا، فَأَثْبَتْنَا قَضَاءَنَا..

﴿فِى ٱلزَّبُورِ﴾ فِي كُتُبِ الأنبياءِ كلِّها التي أنزلَها اللهُ عليهِم..

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ مِنْ بَعْدِ أُمِّ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَ اللهُ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ فِيهِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أَنَّ أَرْضَ الْجَنَّةِ..

﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] الْعَامِلُونَ بِطَاعَتِهِ، الْمُنْتَهُونَ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مِنْ عِبَادِهِ، دُونَ الْعَامِلِينَ بِمَعْصِيَتِهِ مِنْهُمْ، الْمُؤْثِرِينَ طَاعَةَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦] لَبَلَاغًا لِمَنْ عَبَدَ اللهَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي

فَرَضَهَا اللهُ إِلَىٰ رِضْوَانِهِ، وَإِدْرَاكِ الطَّلِبَةِ عِنْدَهُ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ خَلْقِنَا..

﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أَرْسَلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً لِجَمِيعِ الْعَالَمِ، مُؤْمِنِهِمْ، وَكَافِرِهِمْ، فَأَمَّا مُؤْمِنُهُمْ فَإِنَّ اللهَ هَدَاهُ بِهِ، وَأَدْخَلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْجَنَّةَ، وَأَمَّا كَافِرُهُمْ فَإِنَّهُ دَفَعَ بِهِ عَنْهُ عَاجِلَ الْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ بِالْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا مِنْ قَبْلِهِ.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ مَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِلَّا أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لِغَيْرِهِ..

﴿أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فَهَلْ أَنْتُمْ مُذْعِنُونَ لَهُ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْعَابِدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ بِالْخُضُوعِ لِذَلِكَ، وَمُتَبَرِّئُونَ مِنْ عِبَادَةِ مَا دُونَهُ مِنْ آلِهَتِكُمْ؟

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾
[الأنبياء: ١٠٩].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْإِيمَانِ، بِأَنْ لَا إِلَهَ لَهُمْ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَأَبَوُا الْإِجَابَةَ إِلَيْهِ..

﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ: قَدْ..

﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ﴾ أَعْلَمْهُمْ أَنَّكَ وَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ أَنَّ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ حَرْبٌ، لَا صُلْحَ بَيْنَكُمْ، وَلَا سِلْمَ وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ [الأنبياء: ١٠٩] وَقُلْ: مَا أَدْرِي مَتَىٰ الْوَقْتُ الَّذِي يَحِلُّ بِكُمْ عِقَابُ اللهِ الَّذِي وَعَدَكُمْ، فَيَنْتَقِمُ بِهِ مِنْكُمْ أَقَرِيبٌ نُزُولُهُ بِكُمْ؟ أَمْ بَعِيدٌ؟.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ١١٠﴾ [الأنبياء: ١١٠].

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ الْجَهْرَ الَّذِي يَجْهَرُونَ بِهِ..

﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ١١٠﴾ [الأنبياء: ١١٠] وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَهُ فَلَا تَجْهَرُونَ بِهِ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ خَفِيُّهُ وَظَاهِرُهُ، وَسِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، إِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَإِنْ أَخَّرَ عَنْكُمْ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَا تُخْفُونَ مِنَ الشِّرْكِ بِهِ، أَوْ تَجْهَرُونَ بِهِ.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١﴾ [الأنبياء: ١١١].

﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ فَمَا أَدْرِي مَا السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ يُؤَخِّرُ ذَلِكَ عَنْكُمْ؟..

﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ لَعَلَّ تَأْخِيرَهُ ذَلِكَ عَنْكُمْ مَعَ وَعْدِهِ إِيَّاكُمْ لِفِتْنَةٍ يُرِيدُهَا بِكُمْ..

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١﴾ [الأنبياء: ١١١] وَلِتَتَمَتَّعُوا بِحَيَاتِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ قَدْ جَعَلَهُ لَكُمْ تَبْلُغُونَهُ، ثُمَّ يُنْزِلُ بِكُمْ حِينَئِذٍ نِقْمَتَهُ.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء: ١١٢].

﴿قَٰلَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ: يَا..

﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ افْصِلْ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ كَذَّبَنِي مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِي، وَكَفَرَ بِكَ، وَعَبَدَ غَيْرَكَ، بِإِحْلَالِ عَذَابِكَ، وَنِقْمَتِكَ بِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ الْحُكْمَ بِهِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩]..

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ: وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الَّذِي يَرْحَمُ عِبَادَهُ، وَيَعُمُّهُمْ بِنِعْمَتِهِ..

﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ الَّذِي أَسْتَعِينُهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَقُولُونَ..

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء: ١١٢] مِنْ قَوْلِكُمْ لِي فِيمَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ٣﴾ [الأنبياء: ٣]، وَقَوْلِكُمْ: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]، وَفِي كَذِبِكُمْ عَلَىٰ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَقِيلِكُمْ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ٨٨﴾ [مريم: ٨٨]، فَإِنَّهُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ تَغْيِيرُ ذَلِكَ، وَفَصْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لَكُمْ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ مِنْ ذَلِكَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

سُورَةُ الحَجِّ (٢٢)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الحَجِّ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ [الحج: ١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا﴾ يا أَيُّها النَّاسُ احْذَرُوا عِقَابَ..

﴿رَبَّكُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ، فَأَطِيعُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ، فَإِنَّ عِقَابَهُ لِمَنْ عَاقَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَدِيدٌ، ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَوْلَ أَشْرَاطِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَبُدُوَّهُ، فَقَالَ..

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ [الحج: ١] قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ كَائِنَةٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْهُ ﷺ..فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ وَقَدْ فَاوَتَ السَّيْرَ بِأَصْحَابِهِ، إِذْ نَادَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾، قَالَ: فَحَثُّوا الْمَطِيَّ، حَتَّىٰ كَانُوا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَلِكَ يَوْمَ يُنَادَىٰ آدَمُ، يُنَادِيهِ رَبُّهُ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ، وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَىٰ النَّارِ**».. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُقَالُ لِآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: فَيَقُولُ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ، قَالَ: قُلْنَا فَأَيْنَ النَّاجِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ، وَأَلْفًا مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا وَحَمِدْنَا اللهَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا وَحَمِدْنَا اللهَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي النَّاسِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ**».

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يوْمَ ترَوْنَ أَيُّهَا النَّاسُ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ..

﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ تَنْسَىٰ وَتَتْرُكَ كُلُّ وَالِدَةِ مَوْلُودٍ تُرْضِعُ وَلَدَهَا عَمَّا أَرْضَعَتْ..

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ وَتَسْقُطُ كُلُّ حَامِلٍ -مِنْ شِدَّةِ كَرْبِ ذَلِكَ- حَمْلَهَا..

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عَظِيمِ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْكَرْبِ وَشِدَّتِهِ..

﴿سُكَٰرَىٰ﴾ مِنَ الْفَزَعِ..

﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ..

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢] وَلَكِنَّهُمْ صَارُوا سُكَارَىٰ مِنْ خَوْفِ عَذَابِ اللهِ عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا عَايَنُوا مِنْ كَرْبِ ذَلِكَ، وَعَظِيمِ هَوْلِهِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِشِدَّةِ عَذَابِ اللهِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ [الحج: ٣].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ مَنْ يُخَاصِمُ فِي اللهِ، فَيَزْعُمُ أَنَّ اللهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ إِحْيَاءِ مَنْ قَدْ بَلِيَ وَصَارَ تُرَابًا..

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يَعْلَمُهُ، بَلْ بِجَهْلٍ مِنْهُ بِمَا يَقُولُ..

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ [الحج: ٣] وَيَتَّبِعُ فِي قِيلِهِ ذَلِكَ وَجِدَالِهِ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٤].

﴿كُتِبَ﴾ قُضِيَ..

﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ..

﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ مِنْ أَتْبَاعِهِ..

﴿فَأَنَّهُۥ﴾ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ..

﴿يُضِلُّهُۥ﴾ يُضِلُّ مَنْ تَوَلَّاهُ، وَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿وَيَهْدِيهِ﴾ وَيَسُوقُ مَنِ اتَّبَعَهُ.. وَسِيَاقُهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِ بِدُعَائِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَمَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ،

فَذَلِكَ هِدَايَتُهُ مَنْ تَبِعَهُ..

﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٤] إِلَىٰ عَذَابِ جَهَنَّمَ الْمُوقَدَةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَتِنَا..

﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ عَلَىٰ بَعْثِكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ وَبِلَاكُمْ، اسْتِعْظَامًا مِنْكُمْ لِذَلِكَ..

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ فَإِنَّ فِي ابْتِدَائِنَا خَلْقَ أَبِيكُمْ آدَمَ ﷺ مِنْ تُرَابٍ..

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ثُمَّ إِنْشَائِنَاكُمْ مِنْ نُطْفَةِ آدَمَ..

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ ثُمَّ تَصْرِيفِنَاكُمْ أَحْوَالًا، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، مِنْ نُطْفَةٍ إِلَىٰ عَلَقَةٍ..

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ إِلَىٰ مُضْغَةٍ، لَكُمْ مُعْتَبَرًا وَمُتَّعَظًا تَعْتَبِرُونَ بِهِ، فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَغَيْرُ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ إِعَادَتُكُمْ بَعْدَ فَنَائِكُمْ، كَمَا كُنْتُمْ أَحيَاءً قَبْلَ الْفَنَاءِ.. وَهَذَا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، اتِّبَاعًا مِنْهُ لِلشَّيْطَانِ الْمَرِيدِ، وَتَنْبِيهٌ لَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ خَطَأِ قِيلِهِ، وَإِنْكَارِهِ مَا أَنْكَرَ مِنْ قُدْرَةِ رَبِّهِ.

﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ مُصَوَّرَةٌ خَلْقًا تَامًّا سَوِيًّا..

﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ وَهُوَ السِّقْطُ قَبْلَ تَمَامِ خَلْقِهِ؛ بِأَنْ تُلْقِيَهُ الْأُمُّ مُضْغَةً، وَلَا تُصَوَّرُ، وَلَا يُنْفَخُ فِيهَا الرُّوحُ..

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ جَعَلْنَا الْمُضْغَةَ: مِنْهَا الْمُخَلَّقَةُ التَّامَّةُ، وَمِنْهَا السِّقْطُ غَيْرُ التَّامِّ، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ قُدْرَتَنَا عَلَىٰ مَا نَشَاءُ، وَنُعَرِّفَكُمُ ابْتِدَاءَنَا خَلْقَكُمْ..

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مَنْ كُنَّا كَتَبْنَا لَهُ بَقَاءً وَحَيَاةً إِلَىٰ أَمَدٍ وَغَايَةٍ، فَإِنَّا نُقِرُّهُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ إِلَىٰ وَقْتِهِ الَّذِي جَعَلْنَا لَهُ أَنْ يَمْكُثَ فِي رَحِمِهَا فَلَا تُسْقِطَهُ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَجَلَهُ، فَإِذَا بَلَغَ وَقْتَ خُرُوجِهِ مِنْ رَحِمِهَا أَذِنَّا لَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا، فَيَخْرُجُ..

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ مِنْ أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ إِذَا بَلَغْتُمُ الْأَجَلَ الَّذِي قَدَّرْتُهُ لِخُرُوجِكُمْ مِنْهَا..

﴿طِفْلًا﴾ صِغَارًا، وَوَحَّدَ الطِّفْلَ، وَهُوَ صِفَةٌ لِلْجَمِيعِ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ..

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا كَمَالَ عُقُولِكُمْ، وَنِهَايَةَ قُوَاكُمْ بِعُمُرِكُمْ.

﴿وَمِنكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ فَيَمُوتُ..

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنْسَأُ فِي أَجَلِهِ فَيُعَمَّرُ حَتَّىٰ يَهْرَمَ، فَيُرَدُّ مِنْ بَعْدِ انْتِهَاءِ شَبَابِهِ، وَبُلُوغِهِ غَايَةَ أَشُدِّهِ إِلَىٰ أَرْذَلِ عُمْرِهِ، وَذَلِكَ الْهَرَمُ..

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ حَتَّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ فِي حَالِ صِبَاهُ لَا يَعْقِلُ مِنْ بَعْدِ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ شَيْئًا..

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَامِدَةً﴾ يَابِسَةً دَارِسَةَ الْآثَارِ مِنَ النَّبَاتِ وَالزَّرْعِ..

﴿فَإِذَآ﴾ نَحْنُ..

﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهَا﴾ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا..

﴿ٱلْمَآءَ﴾ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ..

﴿وَرَبَتْ﴾ وَأَضْعَفَتِ النَّبَاتَ بِمَجِيءِ الْغَيْثِ..

﴿وَأَنۢبَتَتْ﴾ هَذِهِ الْأَرْضُ الْهَامِدَةُ بِذَلِكَ الْغَيْثِ..

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ..

﴿بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥] يَعْنِي بِالْبَهِيجِ: الْبَهِجَ، وَهُوَ الْحَسَنُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج: ٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ بَدْئِنَا خَلْقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ، وَوَصْفِنَا أَحْوَالَكُمْ قَبْلَ الْمِيلَادِ وَبَعْدَهُ، طِفْلًا، وَكَهْلًا، وَشَيْخًا هَرِمًا، وَتَنْبِيهِنَاكُمْ عَلَىٰ فِعْلِنَا بِالْأَرْضِ الْهَامِدَةِ بِمَا نُنَزِّلُ عَلَيْهَا مِنَ الْغَيْثِ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ لِتُؤْمِنُوا وَتُصَدِّقُوا بِأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ اللهُ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَنَّ مَنْ سِوَاهُ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وَتَعلَمُوا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي جَعَلَ بِهَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْعَجِيبَةَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا أَنْ يُحْيِيَ بِهَا الْمَوْتَىٰ بَعْدَ فَنَائِهَا وَدُرُوسِهَا فِي التُّرَابِ..

﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج: ٦] وَأَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ عَلَىٰ كُلِّ مَا أَرَادَ وَشَاءَ مِنْ شَيْءٍ قَادِرٌ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٧].

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ وَلِتُوقِنُوا بِذَلِكَ أَنَّ السَّاعَةَ الَّتِي وَعَدْتُكُمْ أَنْ أَبْعَثَ فِيهَا الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ جَائِيَةٌ لَا مَحَالَةَ..

﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لَا شَكَّ فِي مَجِيئِهَا وَحُدُوثِهَا..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٧] حِينَئِذٍ مَنْ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ أَحْيَاءً إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ، فَلَا تَشُكُّوا فِي ذَلِكَ، وَلَا تَمْتَرُوا فِيهِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ [الحج: ٨].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ مَنْ يُخَاصِمُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْأُلُوهَةِ..

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مِنْهُ بِمَا يُخَاصِمُ بِهِ..

﴿وَلَا هُدًى﴾ وَبِغَيْرِ بَيَانٍ مَعَهُ لِمَا يَقُولُ وَلَا بُرْهَانٍ..

﴿وَلَا كِتَٰبٍ﴾ وَبِغَيْرِ كِتَابٍ مِنَ اللهِ أَتَاهُ لِصِحَّةِ مَا يَقُولُ..

﴿مُّنِيرٍ ۝٨﴾ [الحج: ٨] يُنِيرُ عَنْ حُجَّتِهِ، وَإِنَّمَا يَقُولُ مَا يَقُولُ مِنَ الْجَهْلِ ظَنًّا مِنْهُ وَحُسْبَانًا.. يُجَادِلُ هَذَا الَّذِي يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾ [الحج: ٩].

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَصَفَهُ بِذَلِكَ لِتَكَبُّرِهِ وَتَبَخْتُرِهِ، وَذُكِرَ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهَا تَقُولُ: جَاءَنِي فُلَانٌ ثَانِيَ عِطْفِهِ: إِذَا جَاءَ مُتَبَخْتِرًا مِنَ الْكِبْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَاوٍ رَقَبَتَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ يُعْرِضُ عَمَّا يُدْعَىٰ إِلَيْهِ، فَلَا يَسْمَعُ لَهُ.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَ ذَا اسْتِكْبَارٍ فَمِنْ شَأْنِهِ الْإِعْرَاضُ عَمَّا هُوَ مُسْتَكْبِرٌ عَنْهُ، وَلَيُّ عُنُقِهِ عَنْهُ، وَالْإِعْرَاضُ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ وَصَفَ هَذَا الْمُخَاصِمَ فِي

اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ إِذَا دُعِيَ إِلَىٰ اللهِ أَعْرَضَ عَنْ دَاعِيهِ، وَلَوَىٰ عُنُقَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَسْمَعْ مَا يُقَالُ لَهُ اسْتِكْبَارًا..

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ يُجَادِلُ هَذَا الْمُشْرِكُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، مُعْرِضًا عَنِ الْحَقِّ اسْتِكْبَارًا، لِيَصُدَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ عَنْ دِينِهِمُ الَّذِي هَدَاهُمْ لَهُ، وَيَسْتَزِلَّهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُۥ﴾ لِهَذَا الْمُجَادِلِ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ وَهُوَ الْقَتْلُ وَالذُّلُّ وَالْمَهَانَةُ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَتَلَهُ اللهُ بِأَيْدِيهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ..

﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩﴾ [الحج: ٩] وَنُحَرِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالنَّارِ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠﴾ [الحج: ١٠].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ وَيُقَالُ لَهُ إِذَا أُذِيقَ عَذَابَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي نُذِيقُكَهُ الْيَوْمَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ، وَاكْتَسَبْتَهُ فِيهَا مِنَ الإِجْرَامِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠﴾ [الحج: ١٠] وَفَعَلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، فَيُعَاقِبَ بَعْضَ عَبِيدِهِ عَلَىٰ جُرْمٍ وَهُوَ يَغْفِرُ مِثْلَهُ مِنْ آخَرَ غَيْرِهِ، أَوْ يَحْمِلَ ذَنْبَ مُذْنِبٍ عَلَىٰ غَيْرِ مُذْنِبٍ فَيُعَاقِبَهُ بِهِ، وَيَعْفُوَ عَنْ صَاحِبِ الذَّنْبِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا عَلَىٰ جُرْمِهِ، وَلَا يُعَذِّبُ أَحَدًا عَلَىٰ ذَنْبٍ يَغْفِرُ مِثْلَهُ لِآخَرَ إِلَّا بِسَبَبٍ اسْتَحَقَّ بِهِ مِنْهُ مَغْفِرَتَهُ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١﴾ [الحج: ١١].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أَعْرَابًا كَانُوا يَقْدَمُونَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُهَاجِرِينَ مِنْ بَادِيَتِهِمْ..

﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ عَلَىٰ شَكٍّ، فَإِنْ نَالُوا رَخَاءً مِنْ عَيْشٍ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَالدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ أَقَامُوا عَلَىٰ الإِسْلَامِ، وَإِلَّا ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ..

﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ﴾ وَهُوَ السَّعَةُ مِنَ الْعَيْشِ وَمَا يُشْبِهُهُ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا..

﴿ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ اسْتَقَرَّ بِالإِسْلَامِ، وَثَبَتَ عَلَيْهِ..

﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ وَهُوَ الضِّيقُ بِالْعَيْشِ وَمَا يُشْبِهُهُ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا..

﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ ارْتَدَّ فَانْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿خَسِرَ﴾ غَبِنَ هَذَا الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُ..

﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ لِأَنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ مِنْهَا بِمَا كَانَ مِنْ عِبَادَتِهِ اللهَ عَلَىٰ الشَّكِّ، وَوُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ فَلَمْ يَرْبَحْ..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ وَخَسِرَ الْآخِرَةَ، فَإِنَّهُ مُعَذَّبٌ فِيهَا بِنَارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ..

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ﴾ وَخَسَارَتُهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هِيَ الْخُسْرَانُ يَعْنِي الْهَلَاكَ..

﴿ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج: ١١] يَبِينُ لِمَنْ فَكَّرَ فِيهِ وَتَدَبَّرَهُ أَنَّهُ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ [الحج: ١٢].

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَإِنْ أَصَابَتْ هَذَا الَّذِي يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فِتْنَةٌ، ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللهِ، يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً..

﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ لَا تَضُرُّهُ إِنْ لَمْ يَعْبُدْهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ وَلَا تَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، إِنْ عَبَدَهَا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ ارْتِدَادُهُ ذَلِكَ دَاعِيًا مِنْ دُونِ اللهِ هَذِهِ الْآلِهَةَ..

﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ [الحج: ١٢] هُوَ الْأَخْذُ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ، وَالذَّهَابُ عَنْ دِينِ اللهِ ذَهَابًا بَعِيدًا.

﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾ [الحج: ١٣].

﴿يَدۡعُواْ﴾ هَذَا الْمُنْقَلِبُ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ أَنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ آلِهَةً..

﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ لَضَرُّهَا فِي الْآخِرَةِ لَهُ..

﴿أَقۡرَبُ﴾ وَأَسْرَعُ إِلَيْهِ..

﴿مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ مِنْ نَفْعِهَا..

﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ لَبِئْسَ ابْنُ الْعَمِّ هَذَا الَّذِي يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ..

﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾ [الحج: ١٣] وَلَبِئْسَ الْخَلِيطُ الْمُعَاشِرُ، وَالصَّاحِبُ هُوَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ [الحج: ١٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ فِيهَا..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: ١٤] فَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ كَرَامَتِهِ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَمَا شَاءَ مِنَ الْهَوَانِ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥].

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ مَنْ كَانَ يَحْسِبُ..

﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أَنْ لَنْ يَرْزُقَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأُمَّتَهُ..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فَيُوسِّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ فِيهَا..

﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ وَيَرْزُقَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ سَنِيِّ عَطَايَاهُ وَكَرَامَتِهِ، اسْتِبْطَاءً مِنْهُ فِعْلَ اللهِ ذَلِكَ بِهِ وَبِهِمْ..

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ فَلْيَمْدُدْ بِحَبْلٍ..

﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فَوْقَهُ، إِمَّا سَقْفِ بَيْتٍ، أَوْ غَيْرِهِ، مِمَّا يُعَلَّقُ بِهِ السَّبَبُ مِنْ فَوْقِهِ..

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ثُمَّ يَخْتَنِقْ إِذَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَا قَضَىٰ اللهُ فَاسْتَعْجَلَ انْكِشَافَ ذَلِكَ عَنْهُ..

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥] هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ اخْتِنَاقُهُ كَذَلِكَ مَا يَغِيظُ؟ فَإِنْ لَمْ يُذْهِبْ ذَلِكَ غَيْظَهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِالْفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ فَيُذْهِبَهُ، فَكَذَلِكَ اسْتِعْجَالُهُ نَصْرَ اللهِ مُحَمَّدًا وَدِينَهُ لَنْ يُؤَخِّرَ مَا قَضَىٰ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ مِيقَاتِهِ، وَلَا يُعَجِّلَ قَبْلَ حِينِهِ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي (أَسَدٍ) وَ(غَطَفَانَ)، تَبَاطَئُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: نَخَافُ أَنْ لَا يُنْصَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَنْقَطِعَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ حُلَفَائِنَا مِنَ الْيَهُودِ فَلَا يَمِيرُونَنَا، وَلَا يُرَوُّونَنَا، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُمْ: مَنِ اسْتَعْجَلَ مِنَ اللهِ نَصْرَ مُحَمَّدٍ، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَلْيَخْتَنِقْ، فَلْيَنْظُرِ اسْتِعْجَالَهُ بِذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، هَلْ هُوَ مُذْهِبٌ غَيْظَهُ؟ فَكَذَلِكَ اسْتِعْجَالُهُ مِنَ اللهِ نَصْرَ مُحَمَّدٍ، غَيْرَ مُقَدِّمٍ نَصْرَهُ قَبْلَ حِينِهِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الحج: ١٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ حُجَجِي عَلَىٰ مَنْ جَحَدَ قُدْرَتِي عَلَىٰ إِحْيَاءِ مَنْ مَاتَ مِنَ

الْخَلْقِ بَعْدَ فَنَائِهِ، فَأَوْضَحْتُهَا أَيُّهَا النَّاسُ، كَذَلِكَ..

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أَنْزَلْنَا إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿ءَايَٰتِۭ﴾ دِلَالَاتٍ..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ، يَهْدِينَ مَنْ أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الحج: ١٦] وَلِأَنَّ اللهَ يُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ، وَلِسَبِيلِ الْحَقِّ مَنْ أَرَادَ، أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ إِنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللهِ فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَالَّذِينَ هَادُوا، وَهُمُ الْيَهُودُ، وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ، وَالْمَجُوسِ الَّذِينَ عَظَّمُوا النِّيرَانَ وَخَدَمُوهَا، وَبَيْنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، إِلَىٰ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ وَسَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَدْلٍ مِنَ الْقَضَاءِ، وَفَصْلُهُ بَيْنَهُمْ إِدْخَالُهُ النَّارَ الْأَحْزَابَ كُلَّهُمْ، وَالْجَنَّةَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ مِنَ اللهِ بَيْنَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ أَعْمَالِ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا..

﴿شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧] لَا يَخْفَىٰ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ، فَتَعْلَمَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ..

﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ فِي السَّمَاءِ..

﴿وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ فِي الْأَرْضِ، وَسُجُودُ ذَلِكَ: ظِلَالُهُ حِينَ تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَحِينَ تَزُولُ، إِذَا تَحَوَّلَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ سُجُودُهُ..

﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ وَيَسْجُدُ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ..

﴿وَكَثِيرٌ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ حَقَّ عَلَيْهِ عَذَابُ اللهِ فَوَجَبَ عَلَيْهِ بِكُفْرِهِ بِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَسْجُدُ للهِ ظِلُّهُ..

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ يُهِنْهُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ فَيُشْقِهِ..

﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ بِالسَّعَادَةِ يُسْعِدُهُ بِهَا، لِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ، يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ لِطَاعَتِهِ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُشْقِي مَنْ أَرَادَ، وَيُسْعِدُ مَنْ أَحَبَّ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج: ١٨] إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ إِهَانَةِ مَنْ أَرَادَ إِهَانَتَهُ، وَإِكْرَامِ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ، لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج: ١٩].

﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي دِينِ رَبِّهِمْ، وَاخْتِصَامُهُمْ فِي ذَلِكَ مُعَادَاةُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمَا الْفَرِيقَ الْآخَرَ، وَمُحَارَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَىٰ دِينِهِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ: أَهْلُ الْإِيمَانِ، وَالْفَرِيقُ الْآخَرُ: عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: **(أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةَ، وَعَلِيٍّ، وَعُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَي رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ)**، قَالَ –يعني: قيس-: وَقَالَ عَلِيٌّ: **(إِنِّي لَأَوَّلُ أَوْ مِنْ أَوَّلِ مَنْ يَجْثُو لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)**.. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلِ الْفَرِيقُ الْآخَرُ الْكُفَّارُ كُلُّهُمْ مِنْ أَيِّ مِلَّةٍ كَانُوا.. وَأَوْلَىٰ هَذَانِ الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهُهَا بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالْخَصْمَيْنِ جَمِيعُ الْكُفَّارِ مِنْ أَيِّ أَصْنَافِ الْكُفْرِ كَانُوا، وَجَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ذَكَرَ قَبْلَ ذَلِكَ صِنْفَيْنِ مِنْ خَلْقِهِ: أَحَدُهُمَا أَهْلُ طَاعَةٍ لَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْآخَرُ: أَهْلُ مَعْصِيَةٍ لَهُ قَدْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ، فَقَالَ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾

[الحج: ١٨]، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ صِفَةَ الصِّنْفَيْنِ كِلَيْهِمَا وَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمَا، فَقَالَ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الحج: ١٩]، وَقَالَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الحج: ٢٣]، فَكَانَ بَيِّنًا بِذَلِكَ أَنَّ مَا بَيْنَ ذَلِكَ خَبَرٌ عَنْهُمَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ فِي قَوْلِهِ: (**إِنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ؟**) قِيلَ: ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ كَمَا رُوِيَ عَنْهُ، وَلَكِنَّ الْآيَةَ قَدْ تَنْزِلُ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، ثُمَّ تَكُونُ عَامَّةً فِي كُلِّ مَا كَانَ نَظِيرَ ذَلِكَ السَّبَبِ، وَهَذِهِ مِنْ تِلْكَ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ تَبَارَزُوا إِنَّمَا كَانَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ أَهْلَ شِرْكٍ وَكُفْرٍ بِاللهِ، وَالْآخَرُ أَهْلَ إِيمَانٍ بِاللهِ وَطَاعَةٍ لَهُ، فَكُلُّ كَافِرٍ فِي حُكْمِ فَرِيقِ الشِّرْكِ مِنْهُمَا فِي أَنَّهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ خَصْمٌ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُؤْمِنٍ فِي حُكْمِ فَرِيقِ الْإِيمَانِ مِنْهُمَا فِي أَنَّهُ لِأَهْلِ الشِّرْكِ خَصْمٌ..

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فَأَمَّا الْكَافِرُ بِاللهِ مِنْهُمَا..

﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ يُقَطَّعُ لَهُ قَمِيصٌ مِنْ نُحَاسٍ مِنْ نَارٍ..

﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج: ١٩] يُصَبُّ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ مَاءٌ مُغْلًىٰ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ، فَيَنْفُذُ الْجُمْجُمَةَ، حَتَّىٰ يَخْلُصَ إِلَىٰ جَوْفِهِ، فَيَسْلِتَ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ، وَهِيَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ**».

﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠﴾ [الحج: ٢٠].

﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠﴾ [الحج: ٢٠] يُذَابُ بِالْحَمِيمِ الَّذِي يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنَ الشُّحُومِ، وَتُشْوَىٰ جُلُودُهُمْ مِنْهُ فَتَتَسَاقَطُ.. وَالصَّهْرُ: هُوَ الْإِذَابَةُ، يُقَالُ مِنْهُ: صَهَرْتُ الْأَلْيَةَ بِالنَّارِ: إِذَا أَذَبْتُهَا، أَصْهَرُهَا صَهْرًا.

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾ [الحج: ٢١].

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾ [الحج: ٢١] تَضْرِبُ رُءُوسَهُمْ بِهَا الْخَزَنَةُ إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ تُرْجِعَهُمْ إِلَيْهَا.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج: ٢٢].

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾ كُلَّمَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ..

﴿أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ..

﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ مِمَّا نَالَهُمْ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ..

﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ رُدُّوا إِلَيْهَا..

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج: ٢٢] وَيُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ، وَقِيلَ: عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَالْمَعْنَىٰ: الْمُحْرِقِ، كَمَا قِيلَ: الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، بِمَعْنَىٰ: الْمُؤْلِمُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ [الحج: ٢٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَأَطَاعُوهُمَا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللهَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ فَيُحَلِّيهِمْ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا..

﴿وَلِبَاسُهُمۡ﴾ وَلُبُوسُهُمُ الَّتِي تَلِي أَبْشَارَهُمْ..

﴿فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ [الحج: ٢٣] فِيهَا ثِيَابُ حَرِيرٍ.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج: ٢٤].

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وَهَدَاهُمْ رَبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج: ٢٤] وَهَدَاهُمْ رَبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ طَرِيقِ الرَّبِّ الْحَمِيدِ، وَطَرِيقُهُ: دِينُهُ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ لِخَلْقِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْلُكُوهُ.. وَالْحَمِيدُ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ مَحْمُودٌ عِنْدَ أَوْلِيَائِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ [الحج: ٢٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَأَنْكَرُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنْ دِينِ اللهِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ..

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لِلنَّاسِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ كَافَّةً، لَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ..

﴿سَوَآءً﴾ مُعْتَدِلٌ فِي الْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنْ تَعْظِيمِ حُرْمَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَقَضَاءِ نُسُكِهِ بِهِ..

﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾ وَالنُّزُول فِيهِ حَيْثُ شَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ، وَهُوَ الْمُقِيمُ بِهِ..

﴿وَٱلْبَادِۚ﴾ وَهُوَ الْمُنْتَابُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ..

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادِۭ بِظُلْمٍ﴾ وَهُوَ أَنْ يَمِيلَ فِي الْبَيْتِ الْحَرَام بظُلْمٍ.. وَمَعْنِيٌّ بِالظُّلْمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كُلُّ مَعْصِيَةٍ لِلهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ، وَلَمْ يُخَصِّص بِهِ ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ فِي خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَمَنْ يُرِدْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِأَنْ يَمِيلَ بِظُلْمٍ، فَيَعْصِيَ اللهَ فِيهِ..

﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾ [الحج: ٢٥] نُذِقْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابٍ مُوجِعٍ لَهُ.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج: ٢٦].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُعْلِمَهُ عَظِيمَ مَا رَكِبَ مِنْ قَوْمِهِ قُرَيْشٍ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ بِعِبَادَتِهِمْ فِي حَرَمِهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ ﷺ بِبِنَائِهِ وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الْآفَاتِ وَالرِّيَبِ وَالشِّرْكِ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ ابْتَدَأْنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي يَعْبُدُ قَوْمُكَ فِيهِ غَيْرِي، إِذْ..

﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ وَطَّأْنَا لِخَلِيلِنَا إِبْرَاهِيمَ..

﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ الْكَعْبَةَ..

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ فِي عِبَادَتِكَ إِيَّايَ..

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ الَّذِي بَنَيْتَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ بِهِ..

﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ قِيَامٌ فِي صَلَاتِهِمْ..

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج: ٢٦] فِي صَلَاتِهِمْ حَوْلَ الْبَيْتِ.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ [الحج: ٢٧].

﴿وَأَذِّن﴾ وَعَهِدْنَا إِلَيْهِ أَيْضًا أَنْ أَعْلِمْ وَنَادِ..

﴿فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أَنْ حُجُّوا أَيُّهَا النَّاسُ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ.. وَذُكِرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِالتَّأْذِينِ بِالْحَجِّ، قَامَ عَلَىٰ مَقَامِهِ فَنَادَىٰ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا بَيْتَهُ الْعَتِيقَ**)..

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ فَإِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ الْبَيْتَ الَّذِي تَأْمُرُهُمْ بِحَجِّهِ مُشَاةً عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ..

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ وَرُكْبَانًا عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ وَهِيَ الْإِبِلُ الْمَهَازِيلُ..

﴿يَأْتِينَ﴾ تَأْتِي هَذِهِ الضَّوَامِرُ.. وَقِيلَ يَأْتِينَ فَجُمِعَ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِكُلِّ ضَامِرٍ النُّوقُ وَمَعْنَىٰ الْكُلِّ الْجَمْعُ فَلِذَلِكَ قِيلَ يَأْتِينَ..

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ [الحج: ٢٧] مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَمَكَانٍ وَمَسْلَكٍ بَعِيدٍ.

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨﴾ [الحج: ٢٨].

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي يُرْضِي اللهَ وَالتِّجَارَةَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ لَهُمْ مَنَافِعَ جَمِيعِ مَا يَشْهَدُ لَهُ الْمَوْسِمُ، وَيَأْتِي لَهُ مَكَّةَ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ مِنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا مِنْ مَنَافِعِهِمْ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ الْعُمُومِ فِي الْمَنَافِعِ الَّتِي وَصَفْتُ..

﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ وَكَيْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ..

﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ وَهُنَّ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.. وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَيَّامُ الْعَشْرِ.. وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ..

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالْبُدْنِ الَّتِي أَهْدَوْهَا مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ..

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ كُلُوا مِنْ بَهَائِمِ الْأَنْعَامِ الَّتِي ذَكَرْتُمُ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا أَيُّهَا النَّاسُ هُنَالِكَ، وَهَذَا الْأَمْرُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمْرُ إِبَاحَةٍ، لَا أَمْرُ إِيجَابٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ الْحُجَّةِ أَنَّ ذَابِحَ هَدْيِهِ أَوْ بَدَنَتِهِ هُنَالِكَ إِنْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ هَدْيِهِ أَوْ بَدَنَتِهِ، أَنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْ لَهُ فَرْضًا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ..

﴿وَأَطْعِمُوا۟﴾ مِمَّا تَذْبَحُونَ أَوْ تَنْحَرُونَ هُنَالِكَ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ مِنْ هَدْيِكُمْ، وَبُدْنِكُمْ..

﴿ٱلْبَآئِسَ﴾ الَّذِي بِهِ ضُرُّ الْجُوعِ وَالزَّمَانَةِ وَالْحَاجَةِ، وَ..

﴿ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨﴾ [الحج: ٢٨] الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩].

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاسِكِ حَجِّهِمْ، مِنْ حَلْقِ شَعَرٍ، وَأَخْذِ شَارِبٍ، وَرَمْيِ جَمْرَةٍ، وَطَوَافٍ بِالْبَيْتِ..

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ وَلْيُوفُوا اللهَ بِمَا نَذَرُوا مِنْ هَدْيٍ، وَبَدَنَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ عُنِيَ بِالطَّوَافِ الَّذِي أَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حَاجَّ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ الَّذِي يُطَافُ بِهِ بَعْدَ التَّعْرِيفِ، إِمَّا يَوْمَ النَّحْرِ، وَإِمَّا بَعْدَهُ، لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ..

﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩] بِبَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ ذَلِكَ لِبَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، لِأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ تَخْرِيبِهِ وَهَدْمِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ لَهُ عَتِيقٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقِدَمِهِ.. وَلِكُلٍّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَجْهٌ صَحِيحٌ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي قَالَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقِدَمِهِ، أَغْلَبُ مَعَانِيهِ عَلَيْهِ فِي الظَّاهِرِ.

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠].

﴿ذَلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَمَرَ بِهِ مِنْ قَضَاءِ التَّفَثِ، وَالْوَفَاءِ بِالنُّذُورِ، وَالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، هُوَ الْفَرْضُ الْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي حَجِّكُمْ..

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ وَمَنْ يَجْتَنِبْ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِاجْتِنَابِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ تَعْظِيمًا مِنْهُ لِحُدُودِ اللهِ أَنْ يُوَاقِعَهَا، وَحُرَمِهِ أَنْ يَسْتَحِلَّهَا..

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَأُحِلَّتْ﴾ وَأَحَلَّ اللهُ..

﴿لَكُمُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿الْأَنْعَامُ﴾ أَنْ تَأْكُلُوهَا إِذَا ذَكَّيْتُمُوهَا، فَلَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْكُمْ مِنْهَا بَحِيرَةً، وَلَا سَائِبَةً، وَلَا وَصِيلَةً، وَلَا حَامًا، وَلَا مَا جَعَلْتُمُوهُ مِنْهَا لِآلِهَتِكُمْ..

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فِي كِتَابِ اللهِ، وَذَلِكَ: الْمَيْتَةُ، وَالدَّمُ، وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ، وَالْمَوْقُوذَةُ، وَالْمُتَرَدِّيَةُ، وَالنَّطِيحَةُ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ، وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ النُّصُبِ،

فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ رِجْسٌ..

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ فاتَّقُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَطَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِي عِبَادَتِهَا، فَإِنَّهَا رِجْسٌ..

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج: ٣٠] وَاتَّقُوا قَوْلَ الْكَذِبِ، وَالْفِرْيَةَ عَلَىٰ اللهِ بِقَوْلِكُمْ فِي الْآلِهَةِ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وَقَوْلِكُمْ لِلْمَلَائِكَةِ: هِيَ بَنَاتُ اللهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ، وَزُورٌ، وَشِرْكٌ بِاللهِ.. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ: اجْتَنِبُوا أَنْ تَرْجُسُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَوْثَانِ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ مِنَ الْأَوْثَانِ مَا لَيْسَ بِرِجْسٍ حَتَّىٰ قِيلَ: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْهَا؟ قِيلَ: كُلُّهَا رِجْسٌ، وَلَيْسَ الْمَعْنَىٰ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْأَوْثَانِ، أَيْ: عِبَادَتَهَا، فَالَّذِي أَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ مِنْهَا اتِّقَاءُ عِبَادَتِهَا، وَتِلْكَ الْعِبَادَةُ هِيَ الرِّجْسُ.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١].

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ اجْتَنِبُوا أَيُّهَا النَّاسُ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَقَوْلَ الشِّرْكِ، مُسْتَقِيمِينَ للهِ عَلَىٰ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ، وَإِفْرَادِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ، خَالِصًا دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ شَيْئًا مِنْ دُونِهِ..

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ فَإِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا مِنْ دُونِهِ..

﴿فَكَأَنَّمَا﴾ فَمَثَلُهُ فِي بُعْدِهِ مِنَ الْهُدَىٰ، وَإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَهَلَاكِهِ، وَذَهَابِهِ عَنْ رَبِّهِ..

﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مَثَلُ مَنْ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ فَهَلَكَ..

﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أَوْ هَوَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ..

﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١] مِنْ بَعِيدٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ، وَفِيهِ لُغَتَانِ: أَسْحَقَتْهُ الرِّيحُ، وَسَحَقَتْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلنَّخْلَةِ الطَّوِيلَةِ: نَخْلَةٌ سَحُوقٌ.. فَهَكَذَا مَثَلُ الْمُشْرِكِ بِاللهِ فِي بُعْدِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَمِنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ، كَبُعْدِ هَذَا الْوَاقِعِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، أَوْ كَهَلَاكِ مَنِ اخْتَطَفَتْهُ الطَّيْرُ مِنْهُمْ فِي الْهَوَاءِ.. وَقِيلَ: ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾، وَقَدْ قِيلَ قَبْلَهُ: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وَخَرَّ فِعْلٌ مَاضٍ، وَتَخْطَفُهُ مُسْتَقْبَلٌ، فَعَطَفَ بِالْمُسْتَقْبَلِ عَلَىٰ الْمَاضِي، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ

فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ﴾ [الحج: ٢٥]، وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَٰلِكَ هُنَاكَ.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ اجْتِنَابِ الرِّجْسِ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَاجْتِنَابِ قَوْلِ الزُّورِ، حُنَفَاءَ للهِ..

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ وَهُوَ اسْتِحْسَانُ الْبُدْنِ، وَاسْتِسْمَانُهَا، وَأَدَاءُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ عَلَىٰ مَا أَمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج: ٣٢] مِنْ تَقْوَىٰ قُلُوبِكُمْ.. وَقَالَ: (إِنَّهَا) وَأَنَّثَ وَلَمْ يَقُلْ: (فَإِنَّهُ)؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِذَلِكَ: فَإِنَّ تِلْكَ التَّعْظِيمَةَ مَعَ اجْتِنَابِ الرِّجْسِ مِنَ الْأَوْثَانِ مِنْ تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣]، وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ فَإِنَّهَا مِنْ وَجَلِ الْقُلُوبِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَحَقِيقَةِ مَعْرِفَتِهَا بِعَظَمَتِهِ، وَإِخْلَاصِ تَوْحِيدِهِ.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٣٣﴾ [الحج: ٣٣].

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ فِي هَذِهِ الشَّعَائِرِ..

﴿مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فَمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ الشَّعَائِرِ بُدْنًا وَهَدْيًا، فَمَنَافِعُهَا لَكُمْ مِنْ حِينَ تَمْلِكُونَ، إِلَىٰ أَنْ أَوْجَبْتُمُوهَا هَدَايَا وَبُدْنًا، وَمَا كَانَ مِنْهَا أَمَاكِنَ يُنْسَكُ للهِ عِنْدَهَا، فَمَنَافِعُهَا التِّجَارَةُ للهِ عِنْدَهَا، وَالْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ بِهِ إِلَىٰ الشُّخُوصِ عَنْهَا، وَمَا كَانَ مِنْهَا أَوْقَاتًا بِأَنْ يُطَاعَ اللهُ فِيهَا بِعَمَلِ أَعْمَالِ الْحَجِّ، وَبِطَلَبِ الْمَعَاشِ فِيهَا بِالتِّجَارَةِ، إِلَىٰ أَنْ يُطَافَ بِالْبَيْتِ فِي بَعْضٍ، أَوْ يُوَافَىٰ الْحَرَمُ فِي بَعْضٍ، وَيُخْرَجُ عَنِ الْحَرَمِ فِي بَعْضٍ..

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ ثُمَّ مَحِلُّ الشَّعَائِرِ الَّتِي لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ..

﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٣٣﴾ [الحج: ٣٣] فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ هَدْيًا أَوْ بُدْنًا فَبِمُوَافَاتِهِ الْحَرَمَ فِي الْحَرَمِ، وَمَا كَانَ مِنْ نُسُكٍ فَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ [الحج: ٣٤].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ وَلِكُلِّ جَمَاعَةٍ سَلَفٍ فِيكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ جعَلْنَا ذَبْحًا يُهْرِيقُونَ دَمَهُ..

﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بِذَلِكَ، لِأَنَّ مِنَ الْبَهَائِمِ مَا لَيْسَ مِنَ الْأَنْعَامِ، كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لِلْبَهَائِمِ: بَهَائِمُ؛ لِأَنَّهَا لَا تَتَكَلَّمُ..

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ، فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا، وَلَهُ أَخْلِصُوا الْأُلُوهَةَ..

﴿فَلَهُۥٓ﴾ فَلِإِلَهِكُمْ..

﴿أَسْلِمُوا۟﴾ فَاخْضَعُوا بِالطَّاعَةِ، وَلَهُ فَذِلُّوا بِالْإِقْرَارِ بِالْعُبُودِيَّةِ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ [الحج: ٣٤] الْخَاضِعِينَ للهِ بِالطَّاعَةِ، الْمُذْعِنِينَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، الْمُنِيبِينَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ [الحج: ٣٥].

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فَهَذَا مِنْ نَعْتِ الْمُخْبِتِينَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ تَخْشَعُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ، وَتَخْضَعُ مِنْ خَشْيَتِهِ، وَجَلًا مِنْ عِقَابِهِ، وَخَوْفًا مِنْ سَخَطِهِ..

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الْمَفْرُوضَةَ..

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ..

﴿يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ [الحج: ٣٥] فِي الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ إِنْفَاقُهَا فِيهِ، فِي زَكَاةٍ، وَنَفَقَةِ عِيَالٍ، وَمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ.

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦﴾ [الحج: ٣٦].

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ وَهِيَ جَمْعُ بَدَنَةٍ، وَقَدْ يُقَالُ لِوَاحِدِهَا: بَدَنٌ، وَإِذَا قِيلَ: بَدَنٌ، احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ جَمْعًا وَوَاحِدًا.. وَالْبَدَنُ: هُوَ الضَّخْمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِامْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ

صَاحِبِ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ: الْبَدَنُ، لِضِخَمِهِ، وَاسْتِرْخَاءِ لَحْمِهِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: قَدْ بَدَّنَ تَبْدِينًا.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَالْإِبِلُ الْعِظَامُ الْأَجْسَامِ، الضِّخَامُ..

﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ أَعْلَامِ أَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ فِي مَنَاسِكِ حَجِّكُمْ إِذَا قَلَّدْتُمُوهَا وَجَلَّلْتُمُوهَا وَأَشْعَرْتُمُوهَا، عَلِمَ بِذَلِكَ، وَشُعِرَ أَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ..

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ لَكُمْ فِي الْبُدْنِ..

﴿خَيْرٌ﴾ وَذَلِكَ الْخَيْرُ هُوَ الْأَجْرُ فِي الْآخِرَةِ بِنَحْرِهَا، وَالصَّدَقَةُ بِهَا، وَفِي الدُّنْيَا: الرُّكُوبُ إِذَا احْتَاجَ إِلَىٰ رُكُوبِهَا..

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَىٰ الْبُدْنِ عِنْدَ نَحْرِكُمْ إِيَّاهَا..

﴿صَوَآفَّ﴾ مُصْطَفَّةً، وَاحِدُهَا: صَافَّةٌ، وَقَدْ صُفَّتْ بَيْنَ أَيْدِيهَا..قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قِيَامًا عَلَىٰ ثَلَاثِ قَوَائِمَ مَعْقُولَةٍ؛ بِاسْمِ اللهِ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ..

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾ فَإِذَا سَقَطَتْ فَوَقَعَتْ.. وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ: إِذَا غَابَتْ فَسَقَطَتْ لِلتَّغَيُّبِ..

﴿جُنُوبُهَا﴾ إِلَىٰ الْأَرْضِ بَعْدَ النَّحْرِ..

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ هَذَا مَخْرَجُهُ مَخْرَجُ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ الْإِبَاحَةِ وَالْإِطْلَاقِ؛ يَقُولُ اللهُ: فَإِذَا نُحِرَتْ فَسَقَطَتْ مَيِّتَةً بَعْدَ النَّحْرِ فَقَدْ حَلَّ لَكُمْ أَكْلُهَا، وَلَيْسَ بِأَمْرِ إِيجَابٍ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (**إِنْ شَاءَ أَكَلَ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَأْكُلْ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ:** ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢]).. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (**الْمُشْرِكُونَ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ، فَرُخِّصَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَمَنْ شَاءَ أَكَلَ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَأْكُلْ**)..

﴿وَأَطْعِمُواْ﴾ فَأَطْعِمُوا مِنْهَا..

﴿ٱلْقَانِعَ﴾ السَّائِلَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمَعْنِيُّ بِالْقَانِعِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُكْتَفِي بِمَا عِنْدَهُ وَالْمُسْتَغْنِي بِهِ، لَقِيلَ: وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالسَّائِلَ، وَلَمْ يَقُلْ: وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَنَعَ فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ، بِمَعْنَىٰ سَأَلَهُ وَخَضَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ يَقْنَعُ قُنُوعًا؛ وَأَمَّا الْقَانِعُ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ الْمُكْتَفِي، فَإِنَّهُ مِنْ قَنِعْتُ بِكَسْرِ النُّونِ..

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ الَّذِي يَأْتِيكَ يَتَعَرَّضُ لَكَ وَلَا يَسْأَلُكَ، لِتُعْطِيَهُ وَتُطْعِمَهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿سَخَّرْنَٰهَا﴾ سَخَّرْنَا الْبُدْنَ..

﴿لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦﴾ [الحج: ٣٦] لِتَشْكُرُونِي عَلَىٰ تَسْخِيرِهَا لَكُمْ.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾ [الحج: ٣٧].

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ لَنْ يَصِلَ إِلَىٰ اللهِ لُحُومُ بُدْنِكُمْ..

﴿وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ﴾ وَلَكِنْ يَنَالُهُ اتِّقَاؤُكُمْ إِيَّاهُ إِنِ اتَّقَيْتُمُوهُ فِيهَا، فَأَرَدْتُمْ بِهَا وَجْهَهُ، وَعَمِلْتُمْ فِيهَا بِمَا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَكُمْ بِهِ فِي أَمْرِهَا، وَعَظَّمْتُمْ بِهَا حُرُمَاتِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ سَخَّرَ لَكُمُ الْبُدْنَ..

﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ كَيْ تُعَظِّمُوا اللهَ..

﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ عَلَىٰ تَوْفِيقِهِ إِيَّاكُمْ لِدِينِهِ، وَلِلنُّسُكِ فِي حَجِّكُمْ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾ [الحج: ٣٧] الَّذِينَ أَطَاعُوا اللهَ، فَأَحْسَنُوا فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا بِالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ غَائِلَةَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ﴾ يَخُونُ اللهَ فَيُخَالِفُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَيَعْصِيهِ، وَيُطِيعُ الشَّيْطَانَ..

﴿كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج: ٣٨] جَحُودٍ لِنِعَمِهِ عِنْدَهُ، لَا يَعْرِفُ لِمُنْعِمِهَا حَقَّهُ فَيَشْكُرُهُ عَلَيْهَا.. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ دَفْعَ اللهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ عَمَّنْ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ هِجْرَتِهِمْ.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

﴿أُذِنَ﴾ أَذِنَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ..

﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِهِ..

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ ظَلَمُوهُمْ بِقِتَالِهِمْ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾ وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩] لَقَادِرٌ، وَقَدْ نَصَرَهُمْ فَأَعَزَّهُمْ، وَرَفَعَهُمْ، وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ، وَأَذَلَّهُمْ بِأَيْدِيهِمْ.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، فَـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثَّانِيَةُ رَدٌّ عَلَىٰ (الَّذِينَ) الأُولَىٰ..

﴿أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ وَعَنَىٰ بِالْمُخْرَجِينَ مِنْ دُورِهِمُ: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْ مَكَّةَ.. وَكَانَ إِخْرَاجُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ دُورِهِمْ وَتَعْذِيبُهُمْ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَسَبُّهُمْ بَعْضَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَوَعِيدُهُمْ إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ الْخُرُوجِ عَنْهُمْ..

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَكَانَ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ بِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ بَاطِلٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ..

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ لَمْ يُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ: رَبُّنَا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْلِمِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَوْلَا الْقِتَالُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمَّنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِمَنْ أَوْجَبَ قَبُولَ شَهَادَتِهِ فِي الْحُقُوقِ تَكُونُ لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ عَمَّنْ لَا يَجُوزُ قَبُولُ شَهَادَتِهِ وَغَيْرِهِ، فَأَحْيَا بِذَلِكَ مَالَ هَذَا، وَيُوقَىٰ بِسَبَبِ هَذَا إِرَاقَةُ دَمِ هَذَا، وَتَرَكُوا الْمَظَالِمَ مِنْ أَجْلِهِ، لَتَظَالَمَ النَّاسُ فَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْلَا دِفَاعُهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، لَهُدِّمَ مَا ذَكَرَ، مِنْ دَفْعِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، وَكَفِّهِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْلِمِينَ عَنْ ذَلِكَ؛ وَمِنْهُ كَفُّهُ بِبَعْضِهِمُ التَّظَالُمَ،

كَالسُّلْطَانِ الَّذِي كَفَّ بِهِ رَعِيَّتَهُ عَنِ التَّظَالُمِ بَيْنَهُمْ؛ وَمِنْهُ كَفُّهُ لِمَنْ أَجَازَ شَهَادَتَهُ بَيْنَهُمْ بِبَعْضِهِمْ عَنِ الذَّهَابِ بِحَقِّ مَنْ لَهُ قِبَلَهُ حَقٌّ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ دَفْعٌ مِنْهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَظَالَمُوا، فَهَدَّمَ الْقَاهِرُونَ صَوَامِعَ الْمَقْهُورِينَ، وَبِيَعَهُمْ، وَمَا سَمَّىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَلَمْ يَضَعِ اللهُ تَعَالَىٰ دَلَالَةً فِي عَقْلٍ عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، وَلَا جَاءَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ خَبَرٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، فَذَلِكَ عَلَىٰ الظَّاهِرِ وَالْعُمُومِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنْتُهُ قَبْلُ، لِعُمُومِ ظَاهِرِ ذَلِكَ جَمِيعَ مَا ذَكَرْنَا..

﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ الرُّهْبَانِ..

﴿وَبِيَعٌ﴾ وَبِيَعُ النَّصَارَىٰ..

﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ وَصَلَوَاتُ الْيَهُودِ، وَهِيَ كَنَائِسُهُمْ..

﴿وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ وَمَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا..

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾ وَلَيُعِينَنَّ اللهُ..

﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ مَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا عَلَىٰ عَدُوِّهِ؛ فَنَصْرُ اللهِ عَبْدَهُ: مَعُونَتُهُ إِيَّاهُ، وَنَصْرُ الْعَبْدِ رَبَّهُ: جِهَادُهُ فِي سَبِيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ عَلَىٰ نَصْرِ مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠] فِي مُلْكِهِ، يَقُولُ: مَنِيعٌ فِي سُلْطَانِهِ، لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤١].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ، فَـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هَاهُنَا رَدٌّ عَلَىٰ ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩]..

﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إِنْ وَطَّنَّا لَهُمْ فِي الْبِلَادِ، فَقَهَرُوا الْمُشْرِكِينَ، وَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنْ نَصَرْنَاهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَقَهَرُوا مُشْرِكِي مَكَّةَ، أَطَاعُوا اللهَ، فَـ..

﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وَأَعْطَوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ مَنْ جَعَلَهَا اللهُ لَهُ..

﴿وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَدَعُوا النَّاسَ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَمَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ وَنَهُوا عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِمَعَاصِيهِ، الَّذِي يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤١] وَللهِ آخِرُ أُمُورِ الْخَلْقِ، يَعْنِي: أَنَّ إِلَيْهِ مَصِيرَهَا فِي الثَّوَابِ عَلَيْهَا، وَالْعِقَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢﴾ [الحج: ٤٢].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُسَلِّيًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا يَنَالُهُ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، وَحَاضًّا لَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَلْحَقُهُ مِنْهُمْ مِنَ السَّبِّ وَالتَّكْذِيبِ: وَإِنْ يُكَذِّبْكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ عَلَىٰ مَا آتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ، وَمَا تَعِدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، فَذَلِكَ سُنَّةُ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَ اللهِ الْمُشْرِكَةِ بِاللهِ، وَمِنْهَاجُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّكَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَذَابَ الْمُهِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَنَصْرِي إِيَّاكَ وَأَتْبَاعَكَ عَلَيْهِمْ آتِيهِمْ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، كَمَا أَتَىٰ عَذَابِي عَلَىٰ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بَعْدَ الْإِمْهَالِ إِلَىٰ بُلُوغِ الْآجَالِ..

﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قَبْلَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢﴾ [الحج: ٤٢] قَوْمُ نُوحٍ، وَقَوْمُ عَادٍ، وَثَمُودَ.

﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣﴾ [الحج: ٤٣].

﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣﴾ [الحج: ٤٣] وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ.

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤﴾ [الحج: ٤٤].

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ﴾ وَهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ، يَقُولُ: كَذَّبَ كُلُّ هَؤُلَاءِ رُسُلَهُمْ..

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (وَقَوْمُ مُوسَىٰ)؛ لِأَنَّ قَوْمَ مُوسَىٰ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتْ قَدِ اسْتَجَابَتْ لَهُ، وَلَمْ تُكَذِّبْهُ، وَإِنَّمَا كَذَّبَهُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنَ الْقِبْطِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِيهِمْ، كَمَا وُلِدَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ..

﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ فَأَمْهَلْتُ..

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ، فَلَمْ أُعَاجِلْهُمْ بِالنِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ..

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ ثُمَّ أَحْلَلْتُ بِهِمُ الْعِقَابَ بَعْدَ الْإِمْلَاءِ..

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴿٤٤﴾﴾ [الحج: ٤٤] فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ تَغْيِيرِي مَا كَانَ بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ، وَتنكُّرِي لَهُمْ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، أَلَمْ أُبْدِلْهُمْ بِالْكَثْرَةِ قِلَّةً؟ وَبِالْحَيَاةِ مَوْتًا وَهَلَاكًا؟ وَبِالْعِمَارَةِ خَرَابًا؟ يَقُولُ: فَكَذَلِكَ فِعْلِي بِمُكَذِّبِيكَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَإِنْ أَمْلَيْتُ لَهُمْ إِلَىٰ آجَالِهِمْ، فَإِنِّي مُنْجِزُكَ وَعْدِي فِيهِمْ، كَمَا أَنْجَزْتُ غَيْرَكَ مِنْ رُسُلِي وَعْدِي فِي أُمَمِهِمْ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ، وَأَنْجَيْتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥].

﴿فَكَأَيِّن﴾ وَكَمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ أَهْلَهَا..

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ وَهُمْ ظَالِمُونَ؛ يَقُولُ: وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ، وَيَعْصُونَ مَنْ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْصُوهُ..

﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ فَبَادَ أَهْلُهَا وَخَلَتْ، وَخَوَتْ مِنْ سُكَّانِهَا، فَخَرِبَتْ وَتَدَاعَتْ، وَتَسَاقَطَتْ عَلَىٰ عُرُوشِهَا؛ يَعْنِي عَلَىٰ بِنَائِهَا وَسُقُوفِهَا..

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا، وَمِنْ بِئْرٍ عَطَّلْنَاهَا، بِإِفْنَاءِ أَهْلِهَا، وَهَلَاكِ وَارِدِيهَا، فَانْدَفَنَتْ وَتَعَطَّلَتْ، فَلَا وَارِدَةَ لَهَا، وَلَا شَارِبَةَ مِنْهَا..

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴿٤٥﴾﴾ وَمِنْ قَصْرٍ مَشِيدٍ، رَفِيعٍ بِالصُّخُورِ وَالْجَصِّ، قَدْ خَلَا مِنْ سُكَّانِهِ، بِمَا أَذَقْنَا أَهْلَهُ مِنْ عَذَابِنَا بِسُوءِ فِعَالِهِمْ، فَبَادُوا، وَبَقِيَ قُصُورُهُمُ الْمُشَيَّدَةُ خَالِيَةً مِنْهُمْ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَالْجَاحِدُونَ قُدْرَتَهُ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فِي الْبِلَادِ، فَيَنْظُرُوا إِلَىٰ مَصَارِعِ ضُرَبَائِهِمْ مِنْ مُكَذِّبِي رُسُلِ اللهِ، الَّذِينَ خَلَوْا

مِنْ قَبْلِهِمْ، كَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَشُعَيْبٍ، وَأَوْطَانِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، فَيَتَفَكَّرُوا فِيهَا، وَيَعْتَبِرُوا بِهَا، وَيَعْلَمُوا بِتَدَبُّرِهِمْ أَمْرَهَا، وَأَمْرَ أَهْلِهَا سُنَّةَ اللهِ فِيمَنْ كَفَرَ، وَعَبَدَ غَيْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، فَيُنِيبُوا مِنْ عُتُوِّهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، وَيَكُونُ لَهُمْ إِذَا تَدَبَّرُوا ذَلِكَ، وَاعْتَبَرُوا بِهِ، وَأَنَابُوا إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ حُجَجَ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَقُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا..

﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أَوْ آذَانٌ تُصْغِي لِسَمَاعِ الْحَقِّ فَتَعِي ذَلِكَ، وَتُمَيِّزُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَاطِلِ..

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ أَبْصَارُهُمْ أَنْ يُبْصِرُوا بِهَا الْأَشْخَاصَ وَيَرَوْهَا، بَلْ يُبْصِرُونَ ذَلِكَ بِأَبْصَارِهِمْ..

﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] وَلَكِنْ تَعْمَىٰ قُلُوبُهُمُ الَّتِي فِي صُدُورِهِمْ عَنْ إِبْصَارِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ..

﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ بِمَا تَعِدُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ الَّذِي وَعَدَكَ فِيهِمْ مِنْ إِحْلَالِ عَذَابِهِ وَنِقْمَتِهِ بِهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَوَفَىٰ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ، فَقَتَلَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ..

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ وَإِنَّ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمٌ وَاحِدٌ..

﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧] كَأَلْفِ سَنَةٍ مِنْ عَدَدِكُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُ بِبَعِيدٍ، وَهُوَ عِنْدَكُمْ بَعِيدٌ؛ فَلِذَلِكَ لَا يُعَجِّلُ بِعُقُوبَةِ مَنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ غَايَةَ مُدَّتِهِ، فَنَفَىٰ الْعَجَلَةَ عَنْ نَفْسِهِ، وَوَصَفَهَا بِالْأَنَاةِ وَالِانْتِظَارِ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٨].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أَمْهَلْتُهُمْ، وَأَخَّرْتُ عَذَابَهُمْ..

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ وَهُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ، وَلِأَمْرِهِ مُخَالِفُونَ وَذَلِكَ كَانَ ظُلْمَهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ

بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَلَمْ أَعْجَلْ بِعَذَابِهِمْ..

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بِالْعَذَابِ، فَعَذَّبْتُهَا فِي الدُّنْيَا بِإِحْلَالِ عُقُوبَتِنَا بِهِمْ..

﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٨] وَإِلَيَّ مَصِيرُهُمْ أَيْضًا بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، فَيَلْقَوْنَ مِنَ الْعَذَابِ حِينَئِذٍ مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَذَلِكَ حَالُ مُسْتَعْجِلِيكَ بِالْعَذَابِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، وَإِنْ أَمْلَيْتُ لَهُمْ إِلَىٰ آجَالِهِمُ الَّتِي أَجَّلْتُهَا لَهُمْ، فَإِنِّي آخُذُهُمْ بِالْعَذَابِ، فَقَاتِلُهُمْ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ إِلَيَّ مَصِيرُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمُوجِعُهُمْ إِذَنْ عُقُوبَةً عَلَىٰ مَا قَدَّمُوا مِنْ آثَامِهِمْ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الحج: ٤٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِكُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أُنْذِرُكُمْ عِقَابَ اللهِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابَهُ فِي الْآخِرَةِ أَنْ تَصِلُوهُ..

﴿مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الحج: ٤٩] أُبَيِّنُ لَكُمْ إِنْذَارِي ذَلِكَ، وَأُظْهِرُهُ، لِتُنِيبُوا مِنْ شِرْكِكُمْ، وَتَحْذَرُوا مَا أُنْذِرُكُمْ مِنْ ذَلِكَ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَعْجِيلُ الْعِقَابِ، وَتَأْخِيرُهُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَنِي بِهِ فَإِلَىٰ اللهِ، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ وَصَفَ نِذَارَتَهُ، وَبِشَارَتَهُ، وَلَمْ يَجْرِ لِلْبِشَارَةِ ذِكْرٌ، وَلَمَّا ذُكِرَتِ النِّذَارَةُ عَلَىٰ عَمَلٍ، عُلِمَ أَنَّ الْبِشَارَةَ عَلَىٰ خِلَافِهِ، فَقَالَ:.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الحج: ٥٠].

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَمِنْ غَيْرِكُمْ..

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لَهُمْ مِنَ اللهِ سَتْرُ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الحج: ٥٠] وَرِزْقٌ حَسَنٌ فِي الْجَنَّةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: ٥١].

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا فِي حُجَجِنَا، فَصَدُّوا عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِنَا، وَالْإِقْرَارِ بِكِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ..

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: مُشَاقِّينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ

يُعْجِزُونَ اللهَ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ.. وَأَمَّا بَعْضُ قُرَّاءِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ فَإِنَّهُ قَرَأَهُ: (مُعَجِّزِينَ) بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ، بِغَيْرِ أَلِفٍ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ عَجَّزُوا النَّاسَ، وَثَبَّطُوهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ عَجَّزَ عَنْ آيَاتِ اللهِ، فَقَدْ عَاجَزَ اللهَ، وَمِنْ مُعَاجَزَةِ اللهِ التَّعْجِيزُ عَنْ آيَاتِ اللهِ، وَالْعَمَلُ بِمَعَاصِيهِ، وَخِلَافُ أَمْرِهِ، وَكَانَ مِنْ صِفَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُبَطِّئُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ، وَيُغَالِبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَهُ، وَيَغْلِبُونَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ لَهُ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ مُعَاجَزَتَهُمُ اللهَ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ.. وَأَمَّا الْمُعَاجَزَةُ فَإِنَّهَا الْمُفَاعَلَةُ، مِنَ الْعَجْزِ، وَمَعْنَاهُ: مُغَالَبَةُ اثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، أَيُّهُمَا يُعْجِزُهُ فَيَغْلِبُهُ الْآخَرُ وَيَقْهَرُهُ، وَأَمَّا التَّعْجِيزُ: فَإِنَّهُ التَّضْعِيفُ، وَهُوَ التَّفْعِيلُ مِنَ الْعَجْزِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ هُمْ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝٥١﴾ [الحج: ٥١] سُكَّانُ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ [الحج: ٥٢].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ وَلَمْ يُرْسَلْ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَلَا نَبِيٍّ مُحَدَّثٍ لَيْسَ بِمُرْسَلٍ..

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ إِلَّا إِذَا تَلَا كِتَابَ اللهِ، وَقَرَأَ، أَوْ حَدَّثَ وَتَكَلَّمَ..

﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي كِتَابِ اللهِ الَّذِي تَلَاهُ وَقَرَأَهُ، أَوْ فِي حَدِيثِهِ الَّذِي حَدَّثَ وَتَكَلَّمَ..

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فَيُذْهِبُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ وَيُبْطِلُهُ..

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ثُمَّ يُخَلِّصُ اللهُ آيَاتِ كِتَابِهِ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَحْدُثُ فِي خَلْقِهِ مِنْ حَدَثٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ [الحج: ٥٢] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَصَرْفِهِ لَهُمْ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: ٥٣].

﴿لِيَجْعَلَ﴾ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ، كَيْ يَجْعَلَ..

﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فِي أُمْنِيَّةِ نَبِيِّهِ مِنَ الْبَاطِلِ..

﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ اخْتِبَارًا يَخْتَبِرُ بِهِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِنَ النِّفَاقِ؛ وَذَلِكَ الشَّكُّ فِي صِدْقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحَقِيقَةِ مَا يُخْبِرُهُمْ بِهِ..

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وَإِنَّ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: ٥٣] لَفِي خِلَافِ اللهِ فِي أَمْرِهِ، بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وَكَيْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِاللهِ أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي أَحْكَمَهَا لِرَسُولِهِ وَنَسَخَ مَا أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِيهِ..

﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ فَيُصَدِّقُوا بِهِ..

﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ فَتَخْضَعَ لِلْقُرْآنِ قُلُوبُهُمْ، وَتُذْعِنَ بِالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا فِيهِ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ﴾ وَإِنَّ اللهَ لَمُرْشِدُ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤] إِلَىٰ الْحَقِّ الْقَاصِدِ، وَالْحَقِّ الْوَاضِحِ، بِنَسْخِ مَا أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّةِ رَسُولِهِ، فَلَا يَضُرُّهُمْ كَيْدُ الشَّيْطَانِ وَإِلْقَاؤُهُ الْبَاطِلَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِمْ.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٥].

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ..

﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ فِي شَكٍّ..

﴿مِّنْهُ﴾ مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَحْكَمَ اللهُ آيَاتِهِ..

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ لَا يَزَالُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْقُرْآنِ إِلَىٰ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ..

﴿بَغْتَةً﴾ وَهِيَ سَاعَةُ حَشْرِ النَّاسِ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ بَغْتَةً، يَقُولُ: فَجْأَةً، فَيَصِيرُوا إِلَىٰ الْعَذَابِ الْعَقِيمِ..

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ [الحج: ٥٥] لَهُ، فَلَا يُنْظَرُوا فِيهِ إِلَىٰ اللَّيْلِ، وَلَا يُؤَخَّرُوا فِيهِ إِلَىٰ الْمَسَاءِ، لَكِنَّهُمْ يُقْتَلُونَ قَبْلَ الْمَسَاءِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (يَوْمُ بَدْرٍ).. وَهَذَا الْقَوْلُ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ: لَا يَزَالُونَ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً، أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ السَّاعَةَ هِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ كَانَ الْيَوْمُ الْعَقِيمُ أَيْضًا هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ مَا قُلْنَا مِنْ تَكْرِيرِ ذِكْرِ السَّاعَةِ مَرَّتَيْنِ بِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ، وَذَلِكَ مَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ [الحج: ٥٦].

﴿ٱلْمُلْكُ﴾ السُّلْطَانُ وَالْمُلْكُ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ..

﴿لِّلَّهِ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يُنَازِعُهُ يَوْمَئِذٍ مُنَازِعٌ، وَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُلُوكٌ يُدْعَوْنَ بِهَذَا الِاسْمِ، وَلَا أَحَدَ يَوْمَئِذٍ يُدْعَىٰ مَلِكًا سِوَاهُ..

﴿يَحْكُمُ﴾ يَفْصِلُ..

﴿بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ خَلْقِهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ..

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَبِمَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ مِنْ حَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ، وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ..

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ [الحج: ٥٦] يَوْمَئِذٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧﴾ [الحج: ٥٧].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ كِتَابِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَقَالُوا: لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، إِنَّمَا هُوَ إِفْكٌ افْتَرَاهُ مُحَمَّدٌ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ فَالَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿لَهُمْ﴾ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧﴾ [الحج: ٥٧] عَذَابٌ مُذِلٌّ فِي جَهَنَّمَ.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝٥٨﴾ [الحج: ٥٨].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَالَّذِينَ فَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فتَرَكُوا ذَلِكَ فِي رِضَا اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ..

﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ وَهُمْ كَذَلِكَ..

﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَّاتِهِ..

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يَعْنِي بِالْحَسَنِ: الْكَرِيمَ؛ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِالرِّزْقِ الْحَسَنِ: الثَّوَابَ الْجَزِيلَ..

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝٥٨﴾ [الحج: ٥٨] وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ مَنْ بَسَطَ فَضْلَهُ عَلَىٰ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَأَكْرَمَهُمْ.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝٥٩﴾ [الحج: ٥٩].

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾ لَيُدْخِلَنَّ اللهُ الْمَقْتُولَ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْمَيِّتَ مِنْهُمْ..

﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ وَذَلِكَ الْمُدْخَلُ هُوَ الْجَنَّةُ..

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بِمَنْ يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِهِ مِمَّنْ يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ طَلَبَ الْغَنِيمَةِ أَوْ عَرَضٍ مِنْ عُرُوضِ الدُّنْيَا..

﴿حَلِيمٌ ۝٥٩﴾ [الحج: ٥٩] عَنْ عُصَاةِ خَلْقِهِ، بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَتَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾ [الحج: ٦٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ لِهَذَا، لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا..

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ اللهَ يَعِدُهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ إِنَّ اللهَ لَذُو عفْو، وَصَفْحٍ لِمَنِ انْتَصَرَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمَهُ الظَّالِمُ بِحَقٍّ..

﴿غَفُورٌ ٦٠﴾ [الحج: ٦٠] لِمَا فَعَلَ بِبَادِئِهِ بِالظُّلْمِ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ، غَيْرُ مُعَاقِبِهِ عَلَيْهِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٦١﴾ [الحج: ٦١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا النَّصْرُ الَّذِي أَنْصُرُهُ عَلَىٰ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ عَلَىٰ الْبَاغِي..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الْقَادِرُ عَلَىٰ مَا أَشَاءُ، فَمِنْ قُدْرَتِهِ أَنَّ اللهَ..

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ يُدْخِلُ مَا يَنْقُصُ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ، فَمَا نَقَصَ مِنْ هَذَا زَادَ فِي هَذَا..

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ وَيُدْخِلُ مَا انْتَقَصَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، فَمَا نَقَصَ مِنْ طُولِ هَذَا زَادَ فِي طُولِ هَذَا، وَبِالْقُدْرَةِ الَّتِي يَفْعَلُ ذَلِكَ يَنْصُرُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهِمْ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ وَفَعَلَ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَنَّهُ ذُو سَمْعٍ لِمَا يَقُولُونَ مِنْ قَوْلٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿بَصِيرٌ ٦١﴾ [الحج: ٦١] بِمَا يَعْمَلُونَ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، كُلُّ ذَلِكَ مَعَهُ بِمَرْأًىٰ وَمَسْمَعٍ، وَهُوَ الْحَافِظُ لِكُلِّ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَهُمْ عَلَىٰ مَا قَالُوا وَعَمِلُوا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ جَزَاءَهُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْتُ مِنْ إِيلَاجِي اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَإِيلَاجِي النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ لِأَنِّي أَنَا الْحَقُّ الَّذِي لَا مِثْلَ لِي، وَلَا شَرِيكَ، وَلَا نِدَّ..

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ وَأَنَّ الَّذِي يَدْعُوهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَهًا مِنْ دُونِهِ..

﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ صَنْعَةِ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ الْمَصْنُوعُ، يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَفَتَتْرُكُونَ أَيُّهَا الْجُهَّالُ عِبَادَةَ مَنْ مِنْهُ النَّفْعُ، وَبِيَدِهِ الضُّرُّ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَتَعْبُدُونَ الْبَاطِلَ الَّذِي لَا تَنْفَعُكُمْ عِبَادَتُهُ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ ذُو الْعُلُوِّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ..

﴿ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢] الْعَظِيمُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝٦٣﴾ [الحج: ٦٣].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مَطَرًا..

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بِمَا يَنْبُتُ فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بِاسْتِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ بِذَلِكَ الْمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ابْتِدَاعِ مَا شَاءَ أَنْ يَبْتَدِعَهُ..

﴿خَبِيرٌ ۝٦٣﴾ [الحج: ٦٣] بِمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ النَّبْتِ مِنَ الْحَبِّ وَبِهِ.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦٤﴾ [الحج: ٦٤].

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، هُمْ عَبِيدُهُ وَمَمَالِيكُهُ وَخَلْقُهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عَنْ كُلِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُمُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ..

﴿ٱلْحَمِيدُ ۝٦٤﴾ [الحج: ٦٤] عِنْدَ عِبَادِهِ فِي إِفْضَالِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج: ٦٥].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ، فَذَلِكَ كُلُّهُ لَكُمْ، تُصَرِّفُونَهُ فِيمَا أَرَدْتُمْ مِنْ حَوَائِجِكُمْ..

﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ السُّفُنَ..

﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ يَعْنِي بِقُدْرَتِهِ، وَتَذْلِيلِهِ إِيَّاهَا لَكُمْ كَذَلِكَ..

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ بِقُدْرَتِهِ..

﴿أَن تَقَعَ﴾ أَنْ لَا تَقَعَ..

﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج: ٦٥] إِنَّهُ بِهِمْ لَذُو رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ، فَمِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ، أَمْسَكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ۝٦٦﴾ [الحج: ٦٦].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ، هُوَ..

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَجْسَامًا أَحْيَاءً، بِحَيَاةٍ أَحْدَثَهَا فِيكُمْ، وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا..

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ ثُمَّ هُوَ يُمِيتُكُمْ مِنْ بَعْدِ حَيَاتِكُمْ فَيُفْنِيكُمْ عِنْدَ مَجِيءِ آجَالِكُمْ..

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ عِنْدَ بَعْثِكُمْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ۝٦٦﴾ [الحج: ٦٦] إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَجَحُودٌ لِنِعَمِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ خَلْقِهِ إِيَّاهُ، وَتَسْخِيرِهِ لَهُ مَا سَخَّرَ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَتَرْكِهِ إِهْلَاكَهُ بِإِمْسَاكِهِ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الْأَرْضِ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَرْكِهِ إِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصَ التَّوْحِيدِ لَهُ.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝٦٧﴾ [الحج: ٦٧].

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ لِكُلِّ جَمَاعَةِ قَوْمٍ هِيَ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكَ..

﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ جَعَلْنَا مَأْلَفًا يَأْلَفُونَهُ، وَمَكَانًا.. عُنِيَ بِذَلِكَ إِرَاقَةُ الدَّمِ أَيَّامَ النَّحْرِ بِمِنًىٰ؛ لِأَنَّ الْمَنَاسِكَ الَّتِي كَانَ الْمُشْرِكُونَ جَادَلُوا فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَتْ إِرَاقَةَ الدَّمِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، عَلَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا جَادَلُوهُ فِي إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ الَّتِي هِيَ دِمَاءُ ذَبَائِحِ الْأَنْعَامِ، بِمَا قَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ لَمْ تَكُنْ مَنَاسِكَ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ مَنَاسِكُ فَإِنَّمَا هِيَ هَدَايَا أَوْ ضَحَايَا؛ وَلِذَلِكَ قُلْنَا: عُنِيَ بِالْمَنْسَكِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الذَّبْحُ، الَّذِي هُوَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا..

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ يَعْتَادُونَهُ لِعِبَادَتِي فِيهِ، وَقَضَاءِ فَرَائِضِي، وَعَمَلًا يَلْزَمُونَهُ.. وَأَصْلُ الْمَنْسَكِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْمَوْضِعُ الْمُعْتَادُ الَّذِي يَعْتَادُهُ الرَّجُلُ وَيَأْلَفُهُ لَخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ يُقَالُ: إِنَّ لِفُلَانٍ مَنْسَكًا يَعْتَادُهُ: يُرَادُ مَكَانًا يَغْشَاهُ وَيَأْلَفُهُ لَخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَنَاسِكُ الْحَجِّ بِذَلِكَ، لِتَرَدُّدِ النَّاسِ إِلَىٰ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُعْمَلُ فِيهَا أَعْمَالُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ..

﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فِي ذَبْحِكَ وَمَنْسَكِكَ بِقَوْلِهِمْ: أَتَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ، وَلَا تَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ الَّتِي قَتَلَهَا اللهُ؟ فَإِنَّكَ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِنْهُمْ، لِأَنَّكَ مُحِقٌّ وَهُمْ مُبْطِلُونَ..

﴿وَٱدْعُ﴾ يَا مُحَمَّدُ مُنَازِعِيكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ فِي نُسُكِكَ وَذَبْحِكَ..

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إِلَىٰ اتِّبَاعِ أَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ، بِأَنْ لَا يَأْكُلُوا إِلَّا مَا ذَبَحُوهُ بَعْدَ اتِّبَاعِكَ، وَبَعْدَ التَّصْدِيقِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَتَجَنَّبُوا الذَّبْحَ لِلْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا..

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝٦٧﴾ [الحج: ٦٧] إِنَّكَ لَعَلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ غَيْرِ زَائِلٍ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَالصَّوَابِ فِي نُسُكِكَ الَّذِي جَعَلَهُ لَكَ وَلِأُمَّتِكَ رَبُّكَ، وَهُمُ الضُّلَّالُ عَلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ، لِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ اللهِ فِي ذَبَائِحِهِمْ وَمَطَاعِمِهِمْ وَعِبَادَتِهِمُ الْآلِهَةَ.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨﴾ [الحج: ٦٨].

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ وَإِنْ جَادَلَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ فِي نُسُكِكَ..

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨﴾ [الحج: ٦٨] وَنَعْمَلُ.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٦٩﴾ [الحج: ٦٩].

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ وَاللهُ يَقْضِي..

﴿بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ..

﴿تَخْتَلِفُونَ ۝٦٩﴾ [الحج: ٦٩] فَتَعْلَمُونَ حِينَئِذٍ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُحِقَّ مِنَ الْمُبْطِلِ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ حَاكِمٌ بَيْنَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِجَمِيعِ مَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، فَمُجَازِي الْمُحْسِنَ مِنْهُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ عِلْمَهُ بِذَلِكَ..

﴿فِي كِتَابٍ﴾ وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ كِتَابَ الْقَلَمِ الَّذِي أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠] هَيِّنٌ.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ۝٧١﴾ [الحج: ٧١].

﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ وَيَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ..

﴿سُلۡطَٰنٗا﴾ حُجَّةً مِنَ السَّمَاءِ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ رُسُلِهِ، بِأَنَّهَا آلِهَةٌ تَصْلُحُ عِبَادَتُهَا فَيَعْبُدُوهَا، بِأَنَّ اللهَ أَذِنَ لَهُمْ فِي عِبَادَتِهَا..

﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ أَنَّهَا آلِهَةٌ..

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وَمَا لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ هَذِهِ الْأَوْثَانَ..

﴿مِن نَّصِيرٖ ۝٧١﴾ [الحج: ٧١] مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عِقَابَهُ إِذَا أَرَادَ عِقَابَهُمْ.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٧٢﴾ [الحج: ٧٢].

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الْعَابِدِينَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا..

﴿ءَايَٰتُنَا﴾ آيَاتِ الْقُرْآنِ..

﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ وَاضِحَاتٍ حُجَجُهَا وَأَدِلَّتُهَا فِيمَا أُنْزِلَتْ فِيهِ..

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تَتَبَيَّنُ فِي وُجُوهِهِمْ..

﴿ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ مَا يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ مِنْ تَغَيُّرِهَا، لِسَمَاعِهِمْ بِالْقُرْآنِ..

﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ﴾ يَكَادُونَ يَبْطِشُونَ..

﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ كِتَابِ اللهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، لِشِدَّةِ تَكَرُّهِهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ، وَيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ..

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أَفَأُنَبِّئُكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِأَكْرَهَ إِلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَكَرَّهُونَ قِرَاءَتَهُمُ الْقُرْآنَ عَلَيْكُمْ، هِيَ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (**إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: وَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ لَشَرُّ خَلْقِ اللهِ، فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ هَذَا الْقَوْلَ بِشَرٍّ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَعَدَهُمُ اللهُ النَّارَ**).

﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَشْرَارُ الْخَلْقِ لَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ..

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: ٧٢] وَبِئْسَ الْمَكَانُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

> ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُۥٓ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ جُعِلَ للهِ.. وَمَعْنَىٰ ﴿ضُرِبَ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: جَعَلَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَرَبَ السُّلْطَانُ الْجِزْيَةَ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ، بِمَعْنَىٰ جَعَلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿مَثَلٌ﴾ وَذِكْرٌ.. وَالْمَثَلُ: الشَّبَهُ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: جُعِلَ لِي شَبَهٌ أَيُّهَا النَّاسُ، يَعْنِي بِالشَّبَهِ وَالْمِثْلِ: الْآلِهَةَ، يَقُولُ: جَعَلَ لِيَ الْمُشْرِكُونَ الْأَصْنَامَ شَبَهًا، فَعَبَدُوهَا مَعِي، وَأَشْرَكُوهَا فِي عِبَادَتِي..

﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُۥٓ﴾ فَاسْتَمِعُوا حَالَ مَا مَثَّلُوهُ وَجَعَلُوهُ لِي فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ شَبَهًا وَصِفَتُهُ..

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ إِنَّ جَمِيعَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ لَوْ جُمِعَتْ..

﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا فِي صِغَرِهِ وَقِلَّتِهِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا تُطِيقُهُ..

﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُۥ﴾ وَلَوِ اجْتَمَعَ لِخَلْقِهِ جَمِيعُهَا..

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾ وَإِنْ يَسْلُبِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿الذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مِمَّا عَلَيْهَا مِنْ طِيبٍ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ شَيْءٍ..

﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ لَا تَقْدِرُ الْآلِهَةُ أَنْ تَسْتَنْقِذَ ذَلِكَ مِنْهُ..

﴿ضَعُفَ﴾ وَعَجَزَ..

﴿ٱلطَّالِبُ﴾ وَهُوَ الْآلِهَةُ أَنْ تَسْتَنْقِذَ مِنَ الذُّبَابِ مَا سَلَبَهَا إِيَّاهُ، وَهُوَ الطِّيبُ وَمَا أَشْبَهَهُ..

﴿وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج: ٧٣] الذُّبَابُ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْآلِهَةِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ ضَعْفِهَا وَمَهَانَتِهَا، تَقْرِيعًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَبَدَتَهَا مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: كَيْفَ يُجْعَلُ مِثْلًا فِي الْعِبَادَةِ، وَيُشْرَكُ فِيهَا مَعِي، مَا لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَىٰ خَلْقِ ذُبَابٍ، وَإِنْ أَخَذَ لَهُ الذُّبَابُ فَسَلَبَهُ شَيْئًا عَلَيْهِ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ وَلَا يَنْتَصِرَ، وَأَنَا الْخَالِقُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ، وَالْمُحْيِي مَنْ أَرَدْتُ، وَالْمُمِيتُ مَا أَرَدْتُ، وَمَنْ أَرَدْتُ، إِنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج: ٧٤].

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ مَا عَظَّمَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْآلِهَةَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ حَقَّ عَظَمَتِهِ حِينَ أَشْرَكُوا بِهِ غَيْرَهُ، فَلَمْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَا عَرَفْتَ لِفُلَانٍ قَدْرَهُ، إِذَا خَاطَبُوا بِذَلِكَ مِنْ قَصَّرَ بِحَقِّهِ، وَهُمْ يُرِيدُونَ تَعْظِيمَهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاءُ مِنْ صَغِيرِ مَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ وَكَبِيرِهِ..

﴿عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤] مَنِيعٌ فِي مُلْكِهِ، لَا يَقْدِرُ شَيْءٌ دُونَهُ أَنْ يَسْلُبَهُ مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا، وَلَيْسَ كَآلِهَتِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ خَلْقِ ذُبَابٍ، وَلَا عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنَ الذُّبَابِ إِذَا اسْتَلَبَهَا شَيْئًا ضَعْفًا وَمَهَانَةً.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج: ٧٥].

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ اللهُ يَخْتَارُ..

﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ اللَّذَيْنِ كَانَا يُرْسِلُهُمَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ كَأَنْبِيَائِهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، وَمِنَ النَّاسِ أَيْضًا رُسُلًا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا، فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: ذَلِكَ إِلَيَّ، وَبِيَدِي دُونَ خَلْقِي، أَخْتَارُ مَنْ شِئْتُ مِنْهُمْ لِلرِّسَالَةِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لِمَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج: ٧٥] بِمَنْ يَخْتَارُهُ لِرِسَالَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦﴾ [الحج: ٧٦].

﴿يَعْلَمُ﴾ اللهُ يَعْلَمُ..

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مَا كَانَ بَيْنَ أَيْدِي مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ..

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وَيَعْلَمُ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ فَنَائِهِمْ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦﴾ [الحج: ٧٦] إِلَىٰ اللهِ فِي الْآخِرَةِ تَصِيرُ إِلَيْهِ أُمُورُ الدُّنْيَا، وَإِلَيْهِ تَعُودُ كَمَا كَانَ مِنْهُ الْبَدْءُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ۩ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱرْكَعُوا۟﴾ للهِ فِي صَلَاتِكُمْ..

﴿وَٱسْجُدُوا۟﴾ لَهُ فِيهَا..

﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وَذِلُّوا لِرَبِّكُمْ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ..

﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ الَّذِي أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِفِعْلِهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ [الحج: ٧٧] لِتُفْلِحُوا بِذَلِكَ، فَتُدْرِكُوا بِهِ طَلِبَاتِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ.

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ عَنَىٰ بِهِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنَ الْجِهَادِ ذَلِكَ، وَهُوَ الْأَغْلَبُ عَلَىٰ قَوْلِ الْقَائِلِ: جَاهَدْتُ فِي اللهِ..

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ هُوَ اسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ فِيهِ..

﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ هُوَ اخْتَارَكُمْ لِدِينِهِ، وَاصْطَفَاكُمْ لِحَرْبِ أَعْدَائِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ..

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ رَبُّكُمْ..

﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ الَّذِي تَعَبَّدَكُمْ بِهِ..

﴿مِنۡ حَرَجٖ﴾ مِنْ ضِيقٍ، لَا مَخْرَجَ لَكُمْ مِمَّا ابْتُلِيتُمْ بِهِ فِيهِ؛ بَلْ وَسَّعَ عَلَيْكُمْ، فَجَعَلَ التَّوْبَةَ مِنْ بَعْضٍ مَخْرَجًا، وَالْكَفَّارَةَ مِنْ بَعْضٍ، وَالْقِصَاصَ مِنْ بَعْضٍ، فَلَا ذَنْبَ يُذْنِبُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا وَلَهُ مِنْهُ فِي دَيْنِ الْإِسْلَامِ مَخْرَجٌ..

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، بَلْ وَسَّعَهُ، كَمِلَّةِ أَبِيكُمْ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ كَأَنَّهُ قِيلَ: ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَالْزَمُوا مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ..

﴿هُوَ﴾ اللهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: إِبْرَاهِيمُ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ؛ وَقَالُوا هُوَ كِنَايَةٌ مِنْ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ.. وَلَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يُسَمِّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مُسْلِمِينَ فِي الْقُرْآنِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِهِ بِدَهْرٍ طَوِيلٍ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾، وَلَكِنَّ الَّذِي سَمَّانَا مُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَفِي الْقُرْآنِ، اللهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ..

﴿سَمَّىٰكُمُ﴾ يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَهُ..

﴿وَفِي هَٰذَا﴾ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ..

﴿لِيَكُونَ﴾ اجْتَبَاكُمُ اللهُ وَسَمَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَآيَاتِهِ، مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُسْلِمِينَ، لِيَكُونَ..

﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ مَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْكُمْ..

﴿وَتَكُونُواْ﴾ أَنْتُمْ..

﴿شُهَدَآءَ﴾ حِينَئِذٍ..

﴿عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ عَلَىٰ الرُّسُلِ أَجْمَعِينَ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا أُمَمَهُمْ مَا أُرْسِلُوا بِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فَأَدُّوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ للهِ عَلَيْكُمْ بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ وَثِقُوا بِاللهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي أُمُورِكُمْ..

﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ فَنِعْمَ الْوَلِيُّ اللهُ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَىٰ الزَّكَاةَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَاعْتَصَمَ بِهِ..

﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨] وَنِعْمَ النَّاصِرُ هُوَ لَهُ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُ بِسُوءٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَجِّ



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ (٢٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمانِيَ عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُوْرَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ①﴾ [المؤمنون: ١].

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قَدْ أَدْرَكَ الْخُلُودَ فِي جَنَّاتِ رَبِّهِمْ وَفَازُوا بِطِلْبَتِهِمْ لَدَيْهِ..

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَعَمِلُوا بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِمَّا سُمِّيَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②﴾ [المؤمنون: ٢].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ﴾ إِذَا قَامُوا فِيهَا..

﴿خَاشِعُونَ ②﴾ [المؤمنون: ٢] وَخُشُوعُهُمْ فِيهَا تَذَلُّلُهُمْ للهِ فِيهَا بِطَاعَتِهِ، وَقِيَامُهُمْ فِيهَا بِمَا أَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ بِهِ فِيهَا، وَإِذَا تَذَلَّلَ للهِ فِيهَا الْعَبْدُ رُؤِيَتْ ذِلَّةُ خُضُوعِهِ فِي سُكُونِ أَطْرَافِهِ، وَشُغْلِهِ بِفَرْضِهِ، وَتَرْكِهِ مَا أُمِرَ بِتَرْكِهِ فِيهَا.. وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ فِيهَا إِلَى السَّمَاءِ قَبْلَ نُزُولِهَا، فَنُهُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَنْ ذَلِكَ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③﴾ [المؤمنون: ٣].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③﴾ [المؤمنون: ٣] وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْبَاطِلِ وَمَا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ مُعْرِضُونَ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④﴾ [المؤمنون: ٤].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِزَكَاةِ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا..

﴿فَاعِلُونَ ④﴾ [المؤمنون: ٤] مُؤَدُّونَ، وَفِعْلُهُمُ الَّذِي وُصِفُوا بِهِ هُوَ أَدَاؤُهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: ٥].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ﴾ لِفُرُوجِ أَنْفُسِهِمْ، وَعُنِيَ بِالْفُرُوجِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فُرُوجُ الرِّجَالِ، وَذَلِكَ أَقْبَالُهُمْ..

﴿حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: ٥] يَحْفَظُونَهَا مِنْ إِعْمَالِهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْفُرُوجِ.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: ٦].

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ إِلَّا مِنْ أَزْوَاجِهِمُ اللَّاتِي أَحَلَّهُنَّ اللهُ لِلرِّجَالِ بِالنِّكَاحِ..

﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: إِمَاءَهُمْ.. وَ (مَا) فِي مَحِلِّ خَفْضٍ عَطْفًا عَلَىٰ الْأَزْوَاجِ..

﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: ٦] فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ فَرْجَهُ عَنْ زَوْجِهِ وَمِلْكِ يَمِينِهِ، وَحَفِظَهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُوَبَّخٍ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا مَذْمُومٍ، وَلَا هُوَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ رَاكِبٌ ذنبًا يُلَامُ عَلَيْهِ.

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٧].

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ فَمَنِ الْتَمَسَ لِفَرْجِهِ مَنْكَحًا سِوَىٰ زَوْجَتِهِ وَمِلْكِ يَمِينِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٧] فَهُمُ الْعَادُونَ حُدُودَ اللهِ، الْمُجَاوِزُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾ الَّتِي ائْتُمِنُوا عَلَيْهَا..

﴿وَعَهۡدِهِمۡ﴾ وَهُوَ عُقُودُهُمُ الَّتِي عَاقَدُوا النَّاسَ..

﴿رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨] حَافِظُونَ لَا يُضَيِّعُونَ، وَلَكِنَّهُمْ يُوفُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ أَوْقَاتِ صَلَاتِهِمْ..

﴿يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩] فَلَا يُضَيِّعُونَهَا وَلَا يَشْتَغِلُونَ عَنْهَا حَتَّىٰ تَفُوتَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُرَاعُونَهَا حَتَّىٰ يُؤَدُّوهَا فِيهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠] يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١١].

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ الْبُسْتَانَ ذَا الْكَرْمِ، وَهُوَ الْفِرْدَوْسُ عِنْدَ الْعَرَبِ.. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: الْفِرْدَوْسُ: بُسْتَانٌ بِالرُّومِيَّةِ..

﴿هُمۡ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ..

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١١] مَاكِثُونَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ [المؤمنون: ١٢].

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ابْنَ آدَمَ..

﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ [المؤمنون: ١٢] مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ، وَآدَمُ هُوَ الطِّينُ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْهُ.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣﴾ [المؤمنون: ١٣].

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا الْإِنْسَانَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ..

﴿نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣﴾ [المؤمنون: ١٣] وَهُوَ حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ فِيهِ نُطْفَةُ الرَّجُلِ مِنْ رَحِمِ الْمَرْأَةِ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَكِينٌ؛ لِأَنَّهُ مُكِّنَ لِذَلِكَ وَهُيِّئَ لَهُ لِيَسْتَقِرَّ فِيهِ إِلَىٰ بُلُوغِ أَمْرِهِ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُ قَرَارًا.

﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤].

﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ﴾ ثُمَّ صَيَّرْنَا النُّطْفَةَ الَّتِي جَعَلْنَاهَا فِي قَرَارٍ مَكِينٍ عَلَقَةً، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الدَّمِ..

﴿فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ﴾ فَجَعَلْنَا ذَلِكَ الدَّمَ مُضْغَةً، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ..

﴿فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا﴾ فَجَعَلْنَا تِلْكَ الْمُضْغَةَ اللَّحْمَ عِظَامًا..

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ فَأَلْبَسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا..

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ نَفْخَ الرُّوحِ فِيهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ يَتَحَوَّلُ خَلْقًا آخَرَ إِنْسَانًا، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِالْأَحْوَالِ الَّتِي وَصَفَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ بِهَا، مِنْ نُطْفَةٍ وَعَلَقَةٍ وَمُضْغَةٍ وَعَظْمٍ، وَبِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ يَتَحَوَّلُ عَنْ تِلْكَ الْمَعَانِي كُلِّهَا إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَمَا تَحَوَّلَ أَبُوهُ آدَمُ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِي الطِّينَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا إِنْسَانًا وَخَلْقًا آخَرَ، غَيْرَ الطِّينِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ..

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤] فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الصَّانِعِينَ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥﴾ [المؤمنون: ١٥].

﴿ثُمَّ إِنَّكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدِ إِنْشَائِكُمْ خَلْقًا آخَرَ وَتَصْيِيرِنَاكُمْ إِنْسَانًا سَوِيًّا..

﴿لَمَيِّتُونَ ١٥﴾ [المؤمنون: ١٥] وَعَائِدُونَ تُرَابًا كَمَا كُنْتُمْ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ١٦﴾ [المؤمنون: ١٦].

﴿ثُمَّ إِنَّكُم﴾ بَعْدَ مَوْتِكُمْ وَعَوْدِكُمْ رُفَاتًا بَالِيًا..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ١٦﴾ [المؤمنون: ١٦] مِنَ التُّرَابِ خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا بَدَأْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾ [المؤمنون: ١٧].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ؛ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ شَيْءٍ فَوْقَ شَيْءٍ طَرِيقَةً، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ سَبْعَ طَرَائِقَ، لِأَنَّ بَعْضَهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ، فَكُلُّ سَمَاءٍ مِنْهُنَّ طَرِيقَةٌ..

﴿وَمَا كُنَّا﴾ فِي خَلْقِنَا السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ فَوْقَكُمْ..

﴿عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ عَنْ خَلْقِنَا الَّذِي تَحْتَهَا..

﴿غَٰفِلِينَ ١٧﴾ [المؤمنون: ١٧] بَلْ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْهِمْ فَتُهْلِكَهُمْ.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾ [المؤمنون: ١٨].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَاءٍ،

فَأَسْكَنَّاهُ فِيهَا..

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ الْمَاءِ الَّذِي أَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ..

﴿لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٨] أَنْ نَذْهَبَ بِهِ، فَتَهْلِكُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَطَشًا، وَتَخْرَبَ أَرَضُوكُمْ، فَلَا تُنْبِتُ زَرْعًا وَلَا غَرْسًا، وَتَهْلَكَ مَوَاشِيكُمْ، يَقُولُ: فَمِنْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ تَرْكِي ذَلِكَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ جَارِيًا.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٩].

﴿فَأَنشَأْنَا﴾ فَأَحْدَثْنَا..

﴿لَكُم بِهِۦ﴾ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ لَكُمْ فِي الْجَنَّاتِ.. وَخَصَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْجَنَّاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ دُونَ وَصْفِهَا بِسَائِرِ ثِمَارِ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الثِّمَارِ كَانَا هُمَا أَعْظَمَ ثِمَارِ الْحِجَازِ وَمَا قَرُبَ مِنْهَا، فَكَانَتِ النَّخِيلُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَالْأَعْنَابُ لِأَهْلِ الطَّائِفِ، فَذَكَّرَ الْقَوْمَ بِمَا يَعْرِفُونَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ، بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ ثِمَارِهَا..

﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٩] وَمِنَ الْفَوَاكِهِ تَأْكُلُونَ.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٠].

﴿وَشَجَرَةً﴾ وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ أَيْضًا شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ، وَيَعْنِي بِهَا: شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ..

﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ تَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ يُنْبِتُ الْأَشْجَارَ.. وَ﴿سَيْنَآءَ﴾ اسْمٌ أُضِيفَ إِلَيْهِ الطُّورُ يُعْرَفُ بِهِ، كَمَا قِيلَ جَبَلَا طَيِّئٍ، فَأُضِيفَا إِلَىٰ طَيِّئٍ، وَأَنَّهُ جَبَلٌ عُرِفَ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ الْجَبَلُ الَّذِي نُودِيَ مِنْهُ مُوسَىٰ ﷺ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُبَارَكٌ، لَا أَنَّ مَعْنَىٰ سَيْنَاءَ مَعْنَىٰ مُبَارَكٍ..

﴿تَنۢبُتُ﴾ هَذِهِ الشَّجَرَةُ..

﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ بِثَمَرِ الدُّهْنِ، وَالدُّهْنُ الَّذِي هُوَ مِنْ ثَمَرِهِ الزَّيْتُ..

﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٠] تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَبِصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ، يَصْطَبِغُ بِالزَّيْتِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَهُ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المؤمنون: ٢١].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ تَعْتَبِرُونَ بِهَا، فَتَعْرِفُونَ بِهَا أَيَادِيَ اللهِ عِنْدَكُمْ، وَقُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، وَأَنَّهُ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ شَاءَهُ..

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ مِنَ اللَّبَنِ الْخَارِجِ مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ..

﴿وَلَكُمْ﴾ مَعَ ذَٰلِكَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْأَنْعَامِ..

﴿مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ وَذَٰلِكَ كَالْإِبِلِ الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَيُرْكَبُ ظَهْرُهَا، وَيُشْرَبُ دَرُّهَا..

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المؤمنون: ٢١] مِنْ لُحُومِهَا تَأْكُلُونَ.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢٢].

﴿وَعَلَيْهَا﴾ وَعَلَىٰ الْأَنْعَامِ..

﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ وَعَلَىٰ السُّفُنِ..

﴿تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢٢] عَلَىٰ هَٰذِهِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَىٰ هَٰذِهِ فِي الْبَحْرِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ دَاعِيهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِنَا وَتَوْحِيدِنَا وَالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَانَا..

﴿فَقَالَ﴾ لَهُمْ نُوحٌ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قَالَ لَهُمْ: ذِلُّوا يَا قَوْمِ للهِ بِالطَّاعَةِ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ يَقُولُ: مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ يَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ غَيْرُهُ..

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣] أَفَلَا تَخْشَوْنَ بِعِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ عِقَابَهُ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٤].

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ فَقَالَتْ جَمَاعَةُ أَشْرَافِ قَوْمِ نُوحٍ، الَّذِينَ جَحَدُوا

تَوْحِيدَ اللهِ وَكَذَّبُوهُ، لِقَوْمِهِمْ..

﴿مَا هَٰذَآ﴾ مَا نُوحٌ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ إِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ مِثْلُكُمْ وَكَبَعْضِكُمْ..

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكُمْ، فَيَكُونَ مَتْبُوعًا وَأَنْتُمْ لَهُ تَبَعٌ..

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَنْ لَا نَعْبُدَ شَيْئًا سِوَاهُ..

﴿لَأَنزَلَ﴾ لَأَرْسَلَ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ نُوحٌ..

﴿مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ تُؤَدِّي إِلَيْكُمْ رِسَالَتَهُ..

﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ نُوحٌ مِنْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُ اللهِ..

﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [المؤمنون: ٢٤] فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، وَهِيَ آبَاؤُهُمُ الْأَوَّلُونَ.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾ [المؤمنون: ٢٥].

﴿إِنۡ هُوَ﴾ كِنَايَةُ اسْمِ نُوحٍ..

﴿إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ﴾ مَا نُوحٌ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جُنُونٌ..

﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ﴾ فَتَلَبَّثُوا بِهِ، وَتَنَظَّرُوا بِهِ..

﴿حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾ [المؤمنون: ٢٥] إِلَىٰ وَقْتٍ مَا، وَلَمْ يَعْنُوا بِذَلِكَ وَقْتًا مَعْلُومًا، إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: دَعْهُ إِلَىٰ يَوْمٍ مَا، أَوْ إِلَىٰ وَقْتٍ مَا.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ [المؤمنون: ٢٦].

﴿قَالَ﴾ نُوحٌ دَاعِيًا رَبَّهُ مُسْتَنْصِرًا بِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ، لَمَّا طَالَ أَمْرُهُ وَأَمْرُهُمْ، وَتَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ..

﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ عَلَىٰ قَوْمِي..

﴿بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ [المؤمنون: ٢٦] يَعْنِي بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ، فِيمَا بَلَّغْتُهُمْ مِنْ رِسَالَتِكَ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِكَ.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم﴾

[المؤمنون: ٢٧].

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ فَقُلْنَا لَهُ حِينَ اسْتَنْصَرَنَا عَلَىٰ كَفَرَةِ قَوْمِهِ..

﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ وَهِيَ السَّفِينَةُ..
﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ بِمَرْأًى مِنَّا وَمَنْظَرٍ..
﴿وَوَحۡيِنَا﴾ وَبِتَعْلِيمِنَا إِيَّاكَ صَنْعَتَهَا..
﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ فَإِذَا جَاءَ قَضَاؤُنَا فِي قَوْمِكَ، بِعَذَابِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ..
﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَضَىٰ اخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي صِفَةِ التَّنُّورِ وَالصَّوَابَ عِنْدَنَا مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ بِشَوَاهِدِهِ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..
﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ فَأَدْخِلْ فِي الْفُلْكِ وَاحْمِلْ..
﴿مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ﴾ وَهُمْ وَلَدُهُ وَنِسَاؤُهُمْ..
﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ مِنَ اللهِ بِأَنَّهُ هَالِكٌ فِيمَنْ يَهْلِكُ مِنْ قَوْمِكَ، فَلَا تَحْمِلْهُ مَعَكَ..
﴿مِنۡهُمۡۖ﴾ مِنْ أَهْلِكَ..
﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾ وَلَا تَسْأَلْنِي..
﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ أَنْ أُنَجِّيَهُمْ..
﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ۝٢٧﴾ [المؤمنون: ٢٧] فَإِنِّي قَدْ حَتَّمْتُ عَلَيْهِمْ أَنْ أُغْرِقَ جَمِيعَهُمْ.

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨﴾ [المؤمنون: ٢٨].

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ﴾ فَإِذَا اعْتَدَلْتَ فِي السَّفِينَةِ..
﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾ مِمَّنْ حَمَلْتَهُ مَعَكَ مِنْ أَهْلِكَ..
﴿عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ رَاكِبًا فِيهَا عَالِيًا فَوْقَهَا..
﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨﴾ [المؤمنون: ٢٨] يَعْنِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٢٩﴾ [المؤمنون: ٢٩].

﴿وَقُل﴾ إِذَا سَلَّمَكَ اللهُ وَأَخْرَجَكَ مِنَ الْفُلْكِ فَنَزَلْتَ عَنْهَا..
﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا﴾ مِنَ الْأَرْضِ..
﴿مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٢٩﴾ [المؤمنون: ٢٩] مَنْ أَنْزَلَ عِبَادَهُ الْمَنَازِلَ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ۝٣٠﴾ [المؤمنون: ٣٠].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا فَعَلْنَا بِقَوْمِ نُوحٍ يَا مُحَمَّدُ مِنْ إِهْلَاكِنَاهُمْ إِذْ كَذَّبُوا رُسُلَنَا، وَجَحَدُوا

وَحْدَانِيَّتِنَا، وعَبَدُوا الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿لَآيَٰتٍ﴾ لِعِبَرًا لِقَوْمِكَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَعِظَاتٍ، وَحُجَجًا لَنَا، يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَىٰ سُنَّتِنَا فِي أَمْثَالِهِمْ، فَيَنْزَجِرُوا عَنْ كُفْرِهِمْ، وَيَرْتَدِعُوا عَنْ تَكْذِيبِكَ، حَذَرًا أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠﴾ [المؤمنون: ٣٠] وَكُنَّا مُخْتَبِرِيهِمْ بِتَذْكِيرِنَا إِيَّاهُمْ بِآيَاتِنَا، لِنَنْظُرَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ نُزُولِ عُقُوبَتِنَا بِهِمْ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١﴾ [المؤمنون: ٣١].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ ثُمَّ أَحْدَثْنَا..

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مِنْ بَعْدِ مَهْلِكِ قَوْمِ نُوحٍ..

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١﴾ [المؤمنون: ٣١] فَأَوْجَدْنَاهُمْ.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢﴾ [المؤمنون: ٣٢].

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ دَاعِيًا لَهُمْ.. وَعُنِيَ بِالرَّسُولِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: صَالِحًا، وَبِقَوْمِهِ: ثَمُودَ..

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يا قَوْمِ، وَأَطِيعُوهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ يَصْلُحُ أَنْ تَعْبُدُوا سِوَاهُ..

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢﴾ [المؤمنون: ٣٢] أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَ اللهِ بِعِبَادَتِكُمْ شَيْئًا دُونَهُ، وَهُوَ الْإِلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣﴾ [المؤمنون: ٣٣].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ وَقَالَتِ الْأَشْرَافُ..

﴿مِن قَوْمِهِ﴾ مِنْ قَوْمِ الرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلْنَا بَعْدَ نُوحٍ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ..

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَنَعَّمْنَاهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، بِمَا وَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ

وَبَسَطْنَا لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، حَتَّىٰ بَطِرُوا وَعَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا..

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ قَالُوا: بَعَثَ اللهُ صَالِحًا إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ بَيْنِنَا، وَخَصَّهُ بِالرِّسَالَةِ دُونَنَا، وَهُوَ إِنْسَانٌ مِثْلُنَا..

﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ يَأْكُلُ مِمَّا نَأْكُلُ مِنْهُ مِنَ الطَّعَامِ..

﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣﴾ [المؤمنون: ٣٣] وَيَشْرَبُ مِنْ شَرَابِكُمْ، فَكَيْفَ لَمْ يُرْسِلْ مَلَكًا مِنْ عِنْدِهِ يُبَلِّغُنَا رِسَالَتَهُ؟

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون: ٣٤].

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَقَبِلْتُمْ مَا يَقُولُ وَصَدَّقْتُمُوهُ..

﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون: ٣٤] إِنَّكُمْ إِذَنْ لَمَغْبُونُونَ حُظُوظَكُمْ مِنَ الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا، بِاتِّبَاعِكُمْ إِيَّاهُ.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ٣٥﴾ [المؤمنون: ٣٥].

﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ صَالِحٌ..

﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا﴾ فِي قُبُورِكُمْ..

﴿وَعِظَٰمًا﴾ قَدْ ذَهَبَتْ لُحُومُ أَجْسَادِكُمْ، وَبَقِيَتْ عِظَامُهَا..

﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ٣٥﴾ [المؤمنون: ٣٥] مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ؟

﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾ [المؤمنون: ٣٦].

﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بَعِيدٌ بَعِيدٌ..

﴿لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾ [المؤمنون: ٣٦] مَا تُوعَدُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، مِنْ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ وَمَصِيرِكُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا مُخْرَجُونَ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِكُمْ، يَقُولُونَ: ذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧].

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ مَا حَيَاةٌ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الَّتِي نَحْنُ فِيهَا..

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ تَمُوتُ الْأَحْيَاءُ مِنَّا، فَلَا تَحْيَا، وَيُحْدَثُ آخَرُونَ مِنَّا فَيُولَدُونَ أَحْيَاءً..

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧] وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ۝٣٨﴾ [المؤمنون: ٣٨].

﴿إِنْ هُوَ﴾ مَا صَالِحٌ..

﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ﴾ اخْتَلَقَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فِي قَوْلِهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُ اللهِ، وَفِي وَعْدِهِ إِيَّاكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ..

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ۝٣٨﴾ [المؤمنون: ٣٨] فِيمَا يَقُولُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُ اللهِ، وَفِيمَا يَعِدُنَا مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩﴾ [المؤمنون: ٣٩].

﴿قَالَ﴾ صَالِحٌ لَمَّا أَيِسَ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِ بِاللهِ وَمِنْ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِمْ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ..

﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ..

﴿بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩﴾ [المؤمنون: ٣٩] بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ فِيمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، فَاسْتَغَاثَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بِرَبِّهِ مِنْ أَذَاهُمْ إِيَّاهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾ [المؤمنون: ٤٠].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ مُجِيبًا فِي مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ مَا سَأَلَ..

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ عَنْ قَلِيلٍ يَا صَالِحُ..

﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾ مُكَذِّبُوكَ مِنْ قَوْمِكَ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ..

﴿نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾ [المؤمنون: ٤٠] وَذَلِكَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمْ نِقْمَتُنَا فَلَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾ [المؤمنون: ٤١].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الصَّيْحَةَ فَأَخَذَتْهُمْ بِالْحَقِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَاقَبَهُمْ بِاسْتِحْقَاقِهِمُ الْعِقَابَ مِنْهُ بِكُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ..

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ فَصَيَّرْنَاهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْغُثَاءِ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ عَلَىٰ السَّيْلِ وَنَحْوِهِ، كَمَا لَا يُنْتَفَعُ

بِهِ فِي شَيْءٍ، فَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ، وَالْمَعْنَىٰ: فَأَهْلَكْنَاهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ كَالشَّيْءِ الَّذِي لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ.

﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾ [المؤمنون: ٤١] فَأَبْعَدَ اللهُ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ بِهَلَاكِهِمْ، إِذْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝٤٢﴾ [المؤمنون: ٤٢].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ ثُمَّ أَحْدَثْنَا..

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝٤٢﴾ [المؤمنون: ٤٢] مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ ثَمُودَ قَوْمًا آخَرِينَ.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٤٣﴾ [المؤمنون: ٤٣].

﴿مَّا تَسْبِقُ﴾ مَا يَتَقَدَّمُ هَلَاكُ أُمَّةٍ..

﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ الَّتِي أَنْشَأْنَاهَا بَعْدَ ثَمُودَ..

﴿أَجَلَهَا﴾ قَبْلَ الْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلْنَا لِهَلَاكِهَا..

﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٤٣﴾ [المؤمنون: ٤٣] وَلَا يَسْتَأْخِرُ هَلَاكُهَا عَنِ الْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلْنَا لِهَلَاكِهَا، وَالْوَقْتِ الَّذِي وَقَّتْنَا لِفَنَائِهَا؛ وَلَكِنَّهَا تَهْلِكُ لِمَجِيئِهِ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِمُشْرِكِي قَوْمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ تَأْخِيرَهُ فِي آجَالِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، لِيَبْلُغُوا الْأَجَلَ الَّذِي أَجَّلَ لَهُمْ، فَيُحِلَّ بِهِمْ نِقْمَتَهُ، كَسُنَّتِهِ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٤٤﴾ [المؤمنون: ٤٤].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ إِلَىٰ الْأُمَمِ الَّتِي أَنْشَأْنَا بَعْدَ ثَمُودَ..

﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَبَعْضُهَا فِي أَثَرِ بَعْضٍ..

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ مِنْ تِلْكِ الْأُمَمِ الَّتِي أَنْشَأْنَاهَا بَعْدَ ثَمُودَ..

﴿رَّسُولُهَا﴾ الَّذِي نُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ..

﴿كَذَّبُوهُ﴾ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَ تِلْكَ الْأُمَمِ بَعْضًا بِالْهَلَاكِ، فَأَهْلَكْنَا بَعْضَهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ..

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لِلنَّاسِ، وَمَثَلًا يُتَحَدَّثُ بِهِمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ حَدِيثٍ، وَإِنَّمَا

قِيلَ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ جُعِلُوا حَدِيثًا، وَمَثَلًا يُتَمَثَّلُ بِهِمْ فِي الشَّرِّ، وَلَا يُقَالُ فِي الْخَيْرِ: جَعَلْتُهُ حَدِيثًا، وَلَا أُحْدُوثَةً..

﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ﴾ فَأَبْعَدَ اللهُ قَوْمًا..

﴿لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤] بِاللهِ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ.

> ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ بَعْدَ الرُّسُلِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥] بِحُجَجِنَا.

> ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤمنون: ٤٦].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ مِنَ الْقِبْطِ..

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عَنِ اتِّبَاعِهَا، وَالْإِيمَانِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤمنون: ٤٦] عَلَىٰ أَهْلِ نَاحِيَتِهِمْ وَمَنْ فِي بِلَادِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ بِالظُّلْمِ، قَاهِرِينَ لَهُمْ.

> ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧].

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ فَقَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ..

﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ فَنَتَّبِعُهُمَا..

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧] يَعْنُونَ أَنَّهُمْ لَهُمْ مُطِيعُونَ مُتَذَلِّلُونَ، يَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِمْ، وَيَدِينُونَ لَهُمْ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ مَنْ دَانَ لِمَلِكٍ عَابِدًا لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِأَهْلِ الْحِيرَةِ: الْعِبَادُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ طَاعَةٍ لِمُلُوكِ الْعَجَمِ.

> ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون: ٤٨].

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ..

﴿فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون: ٤٨] فَكَانُوا مِمَّنْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ كَمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ بِتَكْذِيبِهَا رُسُلَهَا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٤٩﴾ [المؤمنون: ٤٩].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٤٩﴾ [المؤمنون: ٤٩] لِيَهْتَدِيَ بِهَا قَوْمُهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ [المؤمنون: ٥٠].

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ حُجَّةً لَنَا عَلَىٰ مَنْ كَانَ بَيْنَهُمْ، وَعَلَىٰ قُدْرَتِنَا عَلَىٰ إِنْشَاءِ الْأَجْسَامِ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، كَمَا أَنْشَأْنَا خَلْقَ عِيسَىٰ مِنْ غَيْرِ أَبٍ..

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ وَضَمَمْنَاهُمَا وَصَيَّرْنَاهُمَا..

﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ إِلَىٰ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ عَلَىٰ مَا حَوْلَهُ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلرَّجُلِ يَكُونُ فِي رِفْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعِزٍّ وَشَرَفٍ وَعَدَدٍ: هُوَ فِي رَبْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَفِيهَا لُغَتَانِ: ضَمُّ الرَّاءِ، وَكَسْرُهَا إِذَا أُرِيدَ بِهَا الِاسْمُ، وَإِذَا أُرِيدَ بِهَا الْفَعْلَةُ مِنَ الْمَصْدَرِ قِيلَ: رَبَا رَبْوَةً..

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ [المؤمنون: ٥٠] مِنْ صِفَةِ الرَّبْوَةِ الَّتِي أَوَيْنَا إِلَيْهَا مَرْيَمَ وَابْنَهَا عِيسَىٰ، أَنَّهَا أَرْضٌ مُنْبَسِطَةٌ، وَسَاحَةٌ وَذَاتُ مَاءٍ ظَاهِرٍ لِغَيْرِ الْبَاطِنِ جَارٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ [المؤمنون: ٥١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ وَقُلْنَا لِعِيسَىٰ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ..

﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ كُلُوا مِنَ الْحَلَالِ الَّذِي طَيَّبَهُ اللهُ لَكُمْ دُونَ الْحَرَامِ..

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ تَقُولُ فِي الْكَلَامِ لِلرَّجُلِ الْوَاحِدِ: أَيُّهَا الْقَوْمُ كُفُّوا عَنَّا أَذَاكُمْ، وَكَمَا قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَهُوَ رَجُلٌ وَاحِدٌ..

﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ [المؤمنون: ٥١] إِنِّي بِأَعْمَالِكُمْ ذُو عِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنَا مُجَازِيكُمْ بِجَمِيعِهَا، وَمُوَفِّيكُمْ أُجُورَكُمْ وَثَوَابَكُمْ عَلَيْهَا، فَخُذُوا فِي صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ وَاجْتَهِدُوا.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ [المؤمنون: ٥٢].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وَقُلْنَا لِعِيسَىٰ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَقُلْنَا: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً.. وَقِيلَ: إِنَّ الْأُمَّةَ الَّذِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الدِّينُ وَالْمِلَّةُ..

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ..

﴿فَاتَّقُونِ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٢] بِطَاعَتِي تَأْمَنُوا عِقَابِي.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٣].

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ اللهُ بِلُزُومِ دِينِهِ بَيْنَهُمْ..

﴿زُبُرًا﴾ كُتُبًا، فَدَانَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِكِتَابٍ غَيْرِ الْكِتَابِ الَّذِينَ دَانَ بِهِ الْفَرِيقُ الْآخَرُ، كَالْيَهُودِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ دَانُوا بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ، وَكَذَّبُوا بِحُكْمِ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَكَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ دَانُوا بِالْإِنْجِيلِ بِزَعْمِهِمْ وَكَذَّبُوا بِحُكْمِ الْفُرْقَانِ..

﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ..

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بِمَا اخْتَارُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الدِّينِ وَالْكُتُبِ..

﴿فَرِحُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٣] مُعْجَبُونَ بِهِ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ سِوَاهُ.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٤].

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فَدَعْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا..

﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ فِي ضَلَالَتِهِمْ وَغَيِّهِمْ..

﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٤] إِلَىٰ أَجَلٍ سَيَأْتِيهِمْ عِنْدَ مَجِيئِهِ عَذَابِي.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٥].

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ أَيَحْسَبُ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابُ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ زُبُرًا..

﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٥] أَنَّ الَّذِيَ نُعْطِيهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ.

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٦].

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ نُسَابِقُ لَهُمْ..

﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فِي خَيْرَاتِ الْآخِرَةِ، وَنُبَادِرُ لَهُمْ فِيهَا؟

﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٦] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَكْذِيبًا لَهُمْ: مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ بَلْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ إِمْدَادِيَ إِيَّاهُمْ بِمَا أُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ إِمْلَاءٌ وَاسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِمْ وَخَوْفِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧] فَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ دَائِبُونَ فِي طَاعَتِهِ، جَادُّونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المؤمنون: ٥٨].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ كِتَابِهِ وَحُجَجِهِ..

﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المؤمنون: ٥٨] مُصَدِّقُونَ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩] وَالَّذِينَ يُخْلِصُونَ لِرَبِّهِمْ عِبَادَتَهُمْ، فَلَا يَجْعَلُونَ لَهُ فِيهَا لِغَيْرِهِ شِرْكًا لِوَثَنٍ وَلَا لِصَنَمٍ، وَلَا يُرَاءُونَ بِهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَعْمَالَهُمْ لِوَجْهِهِ خَالِصًا، وَإِيَّاهُ يَقْصِدُونَ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ وَالَّذِينَ يُعْطُونَ أَهْلَ سُهْمَانَ الصَّدَقَةِ مَا فَرَضَ اللهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ..

﴿مَآ ءَاتَوا۟﴾ مَا أَعْطَوْهُمْ إِيَّاهُ مِنْ صَدَقَةٍ، وَيُؤَدُّونَ حُقُوقَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ إِلَىٰ أَهْلِهَا..

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خَائِفَةٌ..

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠] مِنْ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، فَلَا يُنَجِّيهِمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَهُمْ خَائِفُونَ مِنَ الْمَرْجِعِ إِلَىٰ اللهِ لِذَلِكَ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً.. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «**لَا يَا ابْنَةَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ**».

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦١].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُهُمْ..

﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ يُبَادِرُونَ..

﴿فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَطْلُبُونَ الزُّلْفَةَ عِنْدَ اللهِ بِطَاعَتِهِ..

﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٦١] سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ السَّعَادَةُ قَبْلَ مُسَارَعَتِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ، وَلَمَّا سَبَقَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ سَارَعُوا فِيهَا.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾ [المؤمنون: ٦٢].

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا مَا يَسَعُهَا وَيَصْلُحُ لَهَا مِنَ الْعِبَادَةِ؛ وَلِذَلِكَ كَلَّفْنَاهَا مَا كَلَّفْنَاهَا مِنْ مَعْرِفَةِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَشَرَعْنَا لَهَا مَا شَرَعْنَا مِنَ الشَّرَائِعِ..

﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ﴾ وَعِنْدَنَا كِتَابُ أَعْمَالِ الْخَلْقِ بِمَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يُبَيِّنُ بِالصِّدْقِ عَمَّا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فِي الدُّنْيَا، لَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ، وَلَا نُقْصَانَ، وَنَحْنُ مُوَفُّو جَمِيعِهِمْ أُجُورَهُمْ، الْمُحْسِنُ مِنْهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾ [المؤمنون: ٦٢] بِأَنْ يُزَادَ عَلَىٰ سَيِّئَاتِ الْمُسِيءِ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَعْمَلْهُ فَيُعَاقَبَ عَلَىٰ غَيْرِ جُرْمِهِ، وَيُنْقَصَ الْمُحْسِنُ عَمَّا عَمِلَ مِنْ إِحْسَانِهِ، فَيُنْقَصَ عَمَّا لَهُ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣﴾ [المؤمنون: ٦٣].

﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَحْسِبُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، مِنْ أَنَّ إِمْدَادَنَاهُمْ بِمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ، بِخَيْرٍ نَسُوقُهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَالرِّضَا مِنَّا عَنْهُمْ؛ وَلَكِنَّ قُلُوبَهُمْ..

﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾ فِي عَمًىٰ، وَعُنِيَ بِالْغَمْرَةِ: مَا غَمَرَ قُلُوبَهُمْ فَغَطَّاهَا..

﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، عَنْ فَهْمِ مَا أَوْدَعَ اللهُ كِتَابَهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ وَالْحُجَجِ..

﴿وَلَهُمۡ﴾ وَلِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ..

﴿أَعۡمَٰلٞ﴾ لَا يَرْضَاهَا اللهُ مِنَ الْمَعَاصِي..

﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ دُونِ أَعْمَالِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَأَهْلِ التَّقْوَىٰ وَالْخَشْيَةِ لَهُ..

﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣﴾ [المؤمنون: ٦٣] لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤﴾ [المؤمنون: ٦٤].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ﴾ وَلِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ قُرَيْشٍ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ، إِلَىٰ أَنْ يُؤْخَذَ أَهْلُ النِّعْمَةِ وَالْبَطَرِ مِنْهُمْ بِالْعَذَابِ..

﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤﴾ [المؤمنون: ٦٤] فَإِذَا أَخَذْنَاهُمْ بِهِ جَأَرُوا، وَضَجُّوا وَاسْتَغَاثُوا مِمَّا حَلَّ بِهِمْ

مِنْ عَذَابِنَا، وَالْجُؤَارُ: رَفْعُ الصَّوْتِ، كَمَا يَجْأَرُ الثَّوْرُ.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥﴾ [المؤمنون: ٦٥].

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟﴾ لَا تَضِجُّوا وَتَسْتَغِيثُوا..

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ وَقَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْعَذَابُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَإِنَّ ضَجِيجَكُمْ غَيْرُ نَافِعِكُمْ، وَلَا دَافِعٍ عَنْكُمْ شَيْئًا مِمَّا قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنْ سَخَطِ اللهِ..

﴿إِنَّكُم مِّنَّا﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عَذَابِنَا الَّذِي قَدْ حَلَّ بِكُمْ..

﴿لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥﴾ [المؤمنون: ٦٥] لَا تُسْتَنْقَذُونَ، وَلَا يُخَلِّصُكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ [المؤمنون: ٦٦].

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ: لَا تَضِجُّوا الْيَوْمَ وَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ سَخَطُ اللهِ وَعَذَابُهُ، بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَاسْتَوْجَبْتُمُوهُ بِكُفْرِكُمْ بِآيَاتِ رَبِّكُمْ، قَدْ كَانَتْ آيَاتُ كِتَابِ اللهِ..

﴿تُتْلَىٰ﴾ تُقْرَأُ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ فَتُكَذِّبُونَ بِهَا..

﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ [المؤمنون: ٦٦] وَتَرْجِعُونَ مُوَلِّينَ عَنْهَا إِذَا سَمِعْتُمُوهَا، كَرَاهِيَةً مِنْكُمْ لِسَمَاعِهَا.. وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ: نَكَصَ فُلَانٌ عَلَىٰ عَقِبِهِ.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ [المؤمنون: ٦٧].

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بُحَرَمِ اللهِ، يَقُولُونَ: لَا يَظْهَرُ عَلَيْنَا فِيهِ أَحَدٌ، لِأَنَّا أَهْلُ الْحَرَمِ..

﴿سَٰمِرًا﴾ تَسْمُرُونَ بِاللَّيْلِ حَوْلَ الْبَيْتِ..

﴿تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ [المؤمنون: ٦٧] وَصَفَهُمْ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقُرْآنِ أَوِ الْبَيْتِ، أَوْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَفْضِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ شَيْئًا مِنَ الْقَوْلِ، كَمَا يَهْجُرُ الرَّجُلُ فِي مَنَامِهِ، وَذَلِكَ إِذَا هَذَىٰ؛ فَكَأَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ مِنَ الْقَوْلِ، وَذَلِكَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ بَاطِلًا مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ [المؤمنون: ٦٨].

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟﴾ أَفَلَمْ يَتَدَبَّرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿ٱلْقَوْلَ﴾ تَنْزِيلَ اللهِ وَكَلَامَهُ، فَيَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ، وَيَعْرِفُوا حُجَجَ اللهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِ فِيهِ؟..

﴿أَمْ جَآءَهُم﴾ أَمْرٌ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ ﴿أَمْ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ: (بَلْ)، فَيَكُونُ تَأْوِيلِ الْكَلَامِ: أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ؟ بَلْ جَاءَهُمْ..

﴿مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ [المؤمنون: ٦٨] مَا لَمْ يَأْتِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَسْلَافِهِمْ، فَتَرَكُوا لِذَلِكَ التَّدَبُّرَ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنْ آبَائِهِمْ ذَلِكَ، فَقَدْ جَاءَتِ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَأُنْزِلَتْ مَعَهُمُ الْكُتُبَ.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ [المؤمنون: ٦٩].

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ..

﴿رَسُولَهُمْ﴾ مُحَمَّدًا، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ؟..

﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ [المؤمنون: ٦٩] فَيُنْكِرُوا قَوْلَهُ، أَوَ لَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصِّدْقِ، وَيَحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، فَكَيْفَ يُكَذِّبُونَهُ وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ فِيهِمْ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ؟

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠﴾ [المؤمنون: ٧٠].

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ أَيَقُولُونَ بِمُحَمَّدٍ جُنُونٌ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ، وَلَا يَفْهَمُ وَلَا يَدْرِي مَا يَقُولُ..

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ فَإِنْ يَقُولُوا ذَلِكَ، فَكَذِبُهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ وَاضِحٌ بَيِّنٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَجْنُونَ يَهْذِي فَيَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ، وَلَا يُعْقَلُ وَلَا يُفْهَمُ، وَالَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحِكْمَةُ الَّتِي لَا أَحْكَمَ مِنْهَا، وَالْحَقُّ الَّذِي لَا تَخْفَىٰ صِحَّتُهُ عَلَىٰ ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: هُوَ كَلَامُ مَجْنُونٍ؟..

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠﴾ [المؤمنون: ٧٠] مَا بِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مُحَمَّدًا بِالصِّدْقِ، وَلَا أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَهُمْ مَجْنُونٌ، بَلْ قَدْ عَلِمُوهُ صَادِقًا مُحِقًّا فِيمَا يَقُولُ وَفِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لِلْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ، وَلِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ سَاخِطُونَ، حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ، وَبَغْيًا عَلَيْهِ وَاسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: ٧١].

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وَلَوْ عَمِلَ الرَّبُّ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِمَا يَهْوَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَأَجْرَىٰ التَّدْبِيرَ عَلَىٰ مَشِيئَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، وَتَرَكَ الْحَقَّ الَّذِي هُمْ لَهُ كَارِهُونَ..

﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ، وَالصَّحِيحَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْفَاسِدَ، فَلَوْ كَانَتِ الْأُمُورُ جَارِيَةً عَلَىٰ مَشِيئَتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ مَعَ إِيثَارِ أَكْثَرِهِمُ الْبَاطِلَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَمْ تَقِرَّ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ خَلْقِ اللهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ قَامَ بِالْحَقِّ..

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ الذِّكْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ بَيَانُ الْحَقِّ لَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِشَرَفِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَانَ شَرَفًا لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَكَفَرُوا بِهِ، وَقَالُوا: ذَلِكَ نظيرُ قَوْلِهِ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤].. وَهَذَانِ الْقَوْلَانِ مُتَقَارِبَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ بَيَانًا بَيَّنَ فِيهِ مَا لِخَلْقِهِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ وَقَوْمِهِ، وَشَرَفٌ لَهُمْ..

﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: ٧١].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [المؤمنون: ٧٢].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ أَمْ تَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿خَرْجًا﴾ أَجْرًا عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْحَقِّ..

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ فَأَجْرُ رَبِّكَ عَلَىٰ نَفَاذِكَ لِأَمْرِهِ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ..

﴿خَيْرٌ﴾ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ ﷺ عَلَىٰ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَجْرًا، قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ لَهُ، وَأَمَرَهُ بِقِيلِهِ لَهُمْ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ﴾ [الشورىٰ: ٢٣]، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: أَمْ تَسْأَلُهُمْ عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ أَجْرًا، فَنَكَصُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ إِذَا تَلَوْتَهُ عَلَيْهِمْ، مُسْتَكْبِرِينَ بِالْحَرَمِ، فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ..

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [المؤمنون: ٧٢] وَاللهُ خَيْرُ مَنْ أَعْطَىٰ عِوَضًا عَلَىٰ عَمَلٍ وَرَزَقَ رِزْقًا.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣﴾ [المؤمنون: ٧٣].

﴿وَإِنَّكَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿لَتَدْعُوهُمْ﴾ لتدْعُو هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣﴾ [المؤمنون: ٧٣] إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْقَاصِدُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ۝٧٤﴾ [المؤمنون: ٧٤].

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَمُجَازَاةِ اللهِ عِبَادَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ..

﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَقَصْدِ السَّبِيلِ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ..

﴿لَنَاكِبُونَ ۝٧٤﴾ [المؤمنون: ٧٤] لَعَادِلُونَ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ نَكَبَ فُلَانٌ عَنْ كَذَا: إِذَا عَدَلَ عَنْهُ، وَنَكَبَ عَنْهُ: أَيْ عَدَلَ عَنْهُ.

﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾ [المؤمنون: ٧٥].

﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ وَلَوْ رَحِمْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..

﴿وَكَشَفْنَا﴾ وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ..

﴿مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ مَا بِهِمْ مِنَ الْقَحْطِ وَالْجَدْبِ وَضُرِّ الْجُوعِ وَالْهُزَالِ..

﴿لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ فِي عُتُوِّهِمْ وَجُرْأَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾ [المؤمنون: ٧٥] يَتَرَدَّدُونَ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٦].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِالْعَذَابِ﴾ بِعَذَابِنَا، وَأَنْزَلْنَا بِهِمْ بَأْسَنَا، وَسُخْطَنَا، وَضَيَّقْنَا عَلَيْهِمْ مَعَايِشَهُمْ، وَأَجْدَبْنَا بِلَادَهُمْ، وَقَتَلْنَا سُرَاتَهُمْ بِالسَّيْفِ..

﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ فَمَا خَضَعُوا لِرَبِّهِمْ فَيَنْقَادُوا لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٦] وَمَا يَتَذَلَّلُونَ لَهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ أَخَذَ اللهُ قُرَيْشًا بِسِنِيِّ الْجَدْبِ، وَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابَ الْمَجَاعَةِ وَالضُّرِّ، وَهُوَ الْبَابُ ذُو الْعَذَابِ الشَّدِيدِ؛ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي قِصَّةِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي أَصَابَتْ قُرَيْشًا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ..

﴿إِذَا هُمۡ﴾ إِذَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧] حَزَانَىٰ نَادِمُونَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ، فِي حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ وَالْحُزْنُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [المؤمنون: ٧٨].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾ الَّذِي أَحْدَثَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ الَّذِي تَسْمَعُونَ بِهِ..

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا..

﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ الَّتِي تَفْقَهُونَ بِهَا، فَكَيْفَ يَتَعَذَّرُ عَلَىٰ مَنْ أَنْشَأَ ذَلِكَ ابْتِدَاءً إِعَادَتُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ وَفَقْدِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُوجِدُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِذَا شَاءَ، وَيُفْنِيهِ إِذَا أَرَادَ..

﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [المؤمنون: ٧٨] أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ خَبَرَ اللهِ مِنْ عَطَائِكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩﴾ [المؤمنون: ٧٩].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ﴾ خَلَقَكُمْ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩﴾ [المؤمنون: ٧٩] مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، ثُمَّ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾ [المؤمنون: ٨٠].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِي يُحۡيِۦ﴾ خَلْقَهُ، فَيَجْعَلُهُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ أَنْ كَانُوا نُطَفًا أَمْوَاتًا، بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهَا بَعْدَ

التَّارَاتِ الَّتِي تَأْتِي عَلَيْهَا..

﴿وَيُمِيتُ﴾ وَيُمِيتُهُمْ بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُمْ..

﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مُخْتَلِفَيْنِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: لَكَ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، بِمَعْنَىٰ: إِنَّكَ تَمُنُّ وَتُفْضِلُ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٠] أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الَّذِيَ فَعَلَ هَٰذِهِ الْأَفْعَالَ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ إِحْيَاءُ الْأَمْوَاتِ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَإِنْشَاءُ مَا شَاءَ إِعْدَامَهُ بَعْدَ إِنْشَائِهِ.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨١].

﴿بَلْ﴾ مَا اعْتَبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَلَا تَدَبَّرُوا مَا احْتَجَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُجَجِ وَالدَلَالَةِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ فِعْلِ كُلِّ مَا يَشَاءُ، وَلَكِنْ..

﴿قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨١] أَسْلَافُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا قَبْلَهُمْ.

﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٢].

﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَعُدْنَا تُرَابًا قَدْ بَلِيَتْ أَجْسَامُنَا، وَبَرَأَتْ عِظَامُنَا مِنْ لُحُومِنَا..

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٢] مِنْ قُبُورِنَا أَحْيَاءً كَهَيْئَتِنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ غَيْرُ كَائِنٍ.. قَالُوا.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٣].

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا الْوَعْدَ الَّذِي تَعِدُنَا يَا مُحَمَّدُ، وَوَعَدَ آبَاءَنَا مِنْ قَبْلِنَا قَوْمٌ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ للهِ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ، فَلَمْ نَرَهُ حَقِيقَةً..

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ مَا هَذَا الَّذِي تَعِدُنَا مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٣] مَا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ الَّتِي لَا صِحَّةَ لَهَا وَلَا حَقِيقَةَ.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٤].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْآخِرَةِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾ لِمَنْ مُلْكُ الْأَرْضِ..

﴿وَمَن فِيهَآ﴾ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤﴾ [المؤمنون: ٨٤] مَنْ مَالِكُهَا؟

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٥].

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ ثُمَّ أَعْلَمَهُ أَنَّهُمْ سَيُقِرُّونَ بِأَنَّهَا للهِ مُلْكًا، دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ..

﴿قُلْ﴾ فَقُلْ لَهُمْ إِذَا أَجَابُوكَ بِذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٥] فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ خَلْقًا سَوِيًّا بَعْدَ فَنَائِهِمْ؟

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦﴾ [المؤمنون: ٨٦].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦﴾ [المؤمنون: ٨٦] الْمُحِيطِ بِذَلِكَ؟

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧﴾ [المؤمنون: ٨٧].

﴿سَيَقُولُونَ﴾ ذَلِكَ كُلُّهُ..

﴿لِلَّهِۚ﴾ وَهُوَ رَبُّهُ..

﴿قُلْ﴾ فَقُلْ لَهُمْ..

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧﴾ [المؤمنون: ٨٧] عِقَابَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِكُمْ خَبَرَهُ وَخَبَرَ رَسُولِهِ؟

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨﴾ [المؤمنون: ٨٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ؟..

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ مَنْ أَرَادَ مِمَّنْ قَصَدَهُ بِسُوءٍ..

﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ وَلَا أَحَدَ يَمْتَنِعُ مَنْ أَرَادَهُ هُوَ بِسُوءٍ، فَيَدْفَعَ عَنْهُ عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨﴾ [المؤمنون: ٨٨] مِنْ ذَلِكَ صِفَتَهُ.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٩].

﴿سَيَقُولُونَ﴾ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ..

﴿لِلَّهِۚ﴾ إِنَّ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُدْرَةَ عَلَىٰ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا لله..

﴿قُلۡ﴾ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٩] فَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ تُصْرَفُونَ عَنِ التَّصْدِيقِ بِآيَاتِ اللهِ، وَالْإِقْرَارِ بِأَخْبَارِهِ، وَأَخْبَارِ رَسُولِهِ، وَالْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ وَعَلَىٰ بَعْثِكُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، مَعَ عِلْمِكُمْ بِمَا تَقُولُونَ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ؟.. وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيمَا مَضَىٰ السِّحْرَ: أَنَّهُ تَخْيِيلُ الشَّيْءِ إِلَىٰ النَّاظِرِ أَنَّهُ عَلَىٰ خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ مِنْ هَيْئَتِهِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾، إِنَّمَا مَعْنَاهُ: فَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ يُخَيَّلُ إِلَيْكُمُ الْكَذِبُ حَقًّا، وَالْفَاسِدُ صَحِيحًا، فَتُصْرَفُونَ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْحَقِّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠﴾ [المؤمنون: ٩٠].

﴿بَلۡ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، وَأَنَّ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ آلِهَةٌ دُونَ اللهِ، بَلْ..

﴿أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ الْيَقِينِ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي ابْتَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَذَلِكَ الْإِسْلَامُ، وَلَا يُعْبَدُ شَيْءٌ سِوَىٰ اللهِ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَكَٰذِبُونَ ٩٠﴾ [المؤمنون: ٩٠] فِيمَا يُضِيفُونَ إِلَىٰ اللهِ وَيَنْحِلُونَهُ مِنَ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ﴾ مَا للهِ مِنْ وَلَدٍ..

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾ وَلَا كَانَ مَعَهُ فِي الْقَدِيمِ، وَلَا حِينَ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ مَنْ تَصْلُحُ عِبَادَتُهُ، وَلَوْ كَانَ مَعَهُ فِي الْقَدِيمِ، أَوْ عِنْدَ خَلْقِهِ الْأَشْيَاءَ مِنْ تَصْلُحُ عِبَادَتُهُ مِنْ إِلَهٍ..

﴿إِذٗا لَّذَهَبَ﴾ إِذًا لَاعْتَزَلَ..

﴿كُلُّ إِلَٰهِۭ﴾ مِنْهُمْ..

﴿بِمَا خَلَقَ﴾ مِنْ شَيْءٍ، فَانْفَرَدَ بِهِ، وَلَتَغَالَبُوا..

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وَغَلَبَ الْقَوِيُّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ؛ لِأَنَّ الْقَوِيَّ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يَعْلُوَهُ ضَعِيفٌ، وَالضَّعِيفَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَبْلَغَهَا مِنْ حُجَّةٍ وَأَوْجَزَهَا لِمَنْ عَقِلَ وَتَدَبَّرَ..

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تَنْزِيهًا للهِ..

﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١] عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ وَلَدًا، وَعَمَّا قَالُوهُ مِنْ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، أَوْ أَنَّ مَعَهُ فِي الْقِدَمِ إِلَهًا يُعْبَدُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٢].

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ هُوَ عَالِمُ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَلَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يُشَاهِدُوهُ..

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ وَمَا رَأَوْهُ وَشَاهَدُوهُ.. إِنَّمَا هَذَا مِنَ اللهِ خَبَرٌ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وعَبَدُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً، أَنَّهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ مُبْطِلُونَ مُخْطِئُونَ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ مِنْ قَوْلٍ فِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ، بَلْ عَنْ جَهْلٍ مِنْهُمْ بِهِ؛ وَإِنَّ الْعَالِمَ بِقَدِيمِ الْأُمُورِ، وَبِحَدِيثِهَا، وَشَاهِدِهَا وَغَائِبِهَا عَنْهُمْ، اللهُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَخَبَرُهُ هُوَ الْحَقُّ دُونَ خَبَرِهِمْ..

﴿فَتَعَالَىٰ﴾ فَارْتَفَعَ اللهُ وَعَلَا..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٢] عَنْ شِرْكِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَوَصْفِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا يَصِفُونَ.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [المؤمنون: ٩٣].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ رَبِّ إِنْ تُرِيَنِّي فِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [المؤمنون: ٩٣] مَا تَعِدُهُمْ مِنْ عَذَابِكَ.

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون: ٩٤].

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ فَلَا تُهْلِكْنِي بِمَا تُهْلِكُهُمْ بِهِ، وَنَجِّنِي مِنْ عَذَابِكَ وَسَخَطِكَ، فَلَا تَجْعَلْنِي..

﴿فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون: ٩٤] الْمُشْرِكِينَ؛ وَلَكِنِ اجْعَلْنِي مِمَّنْ رَضِيتَ عَنْهُ مِنْ أَوْلِيَائِكَ.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ۝٩٥﴾ [المؤمنون: ٩٥].

﴿وَإِنَّا﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ﴾ فِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَا نَعِدُهُمْ﴾ مِنْ تَعْجِيلِ الْعَذَابِ لَهُمْ..

﴿لَقَٰدِرُونَ ۝٩٥﴾ [المؤمنون: ٩٥] فَلَا يَحْزُنَنَّكَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ بِمَا نَعِدُهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا نُؤَخِّرُ ذَلِكَ لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦].

﴿ٱدْفَعْ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بِالْخَلَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَذَلِكَ الْإِغْضَاءُ وَالصَّفْحُ عَنْ جَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، وَذَلِكَ أَمْرُهُ إِيَّاهُ قَبْلَ أَمْرِهِ بِحَرْبِهِمْ..

﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُ، وَتَكْذِيبَهُمْ لَهُ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَقُولُ لَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: اصْبِرْ عَلَىٰ مَا تَلْقَىٰ مِنْهُمْ فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦] اللهَ بِهِ، وَيَنْحُلُونَهُ مِنَ الْأَكَاذِيبِ، وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَبِمَا يَقُولُونَ فِيكَ مِنَ السُّوءِ، وَنَحْنُ مُجَازُوهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَلَا يَحْزُنْكَ مَا تَسْمَعُ مِنْهُمْ مِنْ قَبِيحِ الْقَوْلِ.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧﴾ [المؤمنون: ٩٧].

﴿وَقُل﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾رَبِّ أَسْتَجِيرُ بِكَ..

﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧﴾ [المؤمنون: ٩٧] مِنْ خَنْقِ الشَّيَاطِينِ وَهَمَزَاتِهَا، وَالْهَمْزُ: هُوَ الْغَمْزُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْهَمْزِ فِي الْكَلَامِ: هَمْزَةٌ، وَالْهَمَزَاتُ جَمْعُ هَمْزَةٍ.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٨].

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ﴾ وَقُلْ أَسْتَجِيرُ بِكَ رَبِّ..

﴿أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٨] فِي أُمُورِي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿ٱلْمَوْتُ﴾ وَعَايَنَ نُزُولَ أَمْرِ اللهِ بِهِ..

﴿قَالَ﴾ لِعَظِيمِ مَا يُعَايِنُ مِمَّا يَقْدُمُ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَنَدُّمًا عَلَىٰ مَا فَاتَ، وَتَلَهُّفًا عَلَىٰ مَا فَرَّطَ فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَمَسْأَلَتِهِ لِلْإِقَالَةِ..

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩] إِلَىٰ الدُّنْيَا فَرُدُّونِي إِلَيْهَا.. وَقِيلَ: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ فَابْتَدَأَ الْكَلَامَ بِخِطَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، ثُمَّ قِيلَ: ﴿ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾، فَصَارَ إِلَىٰ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ مَسْأَلَةَ الْقَوْمِ الرَّدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَتْ مِنْهُمْ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ رُوحَهُمْ، وَإِنَّمَا ابْتُدِئَ الْكَلَامُ بِخِطَابِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُمُ اسْتَغَاثُوا بِهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ مَسْأَلَةِ الْمَلَائِكَةِ الرُّجُوعَ وَالرَّدَ إِلَىٰ الدُّنْيَا.

﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ كَيْ أَعْمَلَ صَالِحًا..

﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قَبْلَ الْيَوْمِ مِنَ الْعَمَلِ فَضَيَّعْتُهُ وَفَرَّطْتُ فِيهِ..

﴿كَلَّآ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا قَالَ هَذَا الْمُشْرِكُ؛ لَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَلَنْ يُعَادَ إِلَيْهَا..

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩]، كَلِمَةٌ..

﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ هَذَا الْمُشْرِكُ هُوَ قَائِلُهَا..

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ وَمِنْ أَمَامِهِمْ..

﴿بَرْزَخٌ﴾ حَاجِزٌ يَحْجُزُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرُّجُوعِ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠] مِنْ قُبُورِهِمْ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ وَالْبَرْزَخُ وَالْحَاجِزُ وَالْمُهْلَةُ، مُتَقَارِبَاتٌ فِي الْمَعْنَىٰ.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ النَّفْخَةُ الْأُولَىٰ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ..

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ يَتَوَاصَلُونَ بِهَا..

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١] وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، فَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ.

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ، وَخَفَّتْ مَوَازِينُ سَيِّئَاتِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢﴾ [المؤمنون: ١٠٢] الْخَالِدُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ، فَرَجَحَتْ بِهَا مَوَازِينَ سَيِّئَاتِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٣] هُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يَسْفَعُ وُجُوهَهُمْ لَهَبُ النَّارِ فَتحْرِقُهَا..

﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٤] وَهُمْ فِيهَا مُتَقَلِّصُو الشِّفَاهِ عَنِ الْأَسْنَانِ مِنْ إِحْرَاقِ النَّارِ وُجُوهَهُمْ.. وَالْكُلُوحُ: أَنْ تَتَقَلَّصَ الشَّفَتَانِ عَنِ الْأَسْنَانِ حَتَّىٰ تَبْدُوَ الْأَسْنَانُ.

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي﴾ آيَاتِ الْقُرْآنِ..

﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ: (شَقَاوَتُنَا) بِفَتْحِ الشِّينِ، وَالْأَلِفِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، وَقَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: قَالُوا: رَبَّنَا غَلَبَ عَلَيْنَا مَا سَبَقَ لَنَا فِي سَابِقِ عِلْمِكَ، وَخُطَّ لَنَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ..

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ١٠٦﴾ [المؤمنون: ١٠٦] كُنَّا قَوْمًا ضَلَلْنَا عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَقَصْدِ الْحَقِّ.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الَّذِينَ خَفَّتْ مَوَازِينُ صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ..

﴿فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فَإِنْ عُدْنَا لِمَا تَكْرَهُ مِنَّا مِنْ عَمَلٍ فَإِنَّا ظَالِمُونَ.

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

﴿قَالَ﴾ الرَّبُّ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُجِيبًا..

﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ اقْعُدُوا فِي النَّارِ..

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فَعِنْدَ ذَلِكَ أَيِسَ الْمَسَاكِينُ مِنَ الْفَرَجِ، وَلَقَدْ كَانُوا طَامِعِينَ فِيهِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ عِبَادِي، وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿يَقُولُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذُنُوبَنَا..

﴿وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون: ١٠٩] وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ رَحِمَ أَهْلَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُعَذِّبْنَا بِعَذَابِكَ.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١١٠﴾ [المؤمنون: ١١٠].

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ فَاتَّخَذْتُمْ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ لِرَبِّهِمْ ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ١٠٦﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، فِي الدُّنْيَا، الْقَائِلِينَ فِيهَا ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون: ١٠٩]..

﴿سِخْرِيًّا﴾ فَاتَّخَذْتُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِي فِي الدُّنْيَا هُزُوًا وَلَعِبًا، تَهْزَؤُونَ بِهِمْ، حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ: (سُخْرِيًّا) بِضَمِّ السِّينِ، وَقَالُوا: مَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ فِي

الضَّمِّ وَالْكَسْرِ وَاحِدٌ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ وَلُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، قَدْ قَرَأَ بِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ ذَلِكَ فَمُصِيبٌ، وَلَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِذَا كُسِرَتِ السِّينُ وَإِذَا ضُمَّتْ..

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ لَمْ يَزَلِ اسْتِهْزَاؤُكُمْ بِهِمْ، أَنْسَاكُمْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِكُمْ بِهِمْ ذِكْرِي، فَأَلْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾ [المؤمنون: ١١٠] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (أَنْسَىٰ هَؤُلَاءِ اللهَ اسْتِهْزَاؤُهُمْ بِهِمْ، وَضَحِكُهُمْ بِهِمْ، وَقَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ [المطففين: ٢٩]، حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ [المطففين: ٣٢]).

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾ [المؤمنون: ١١١].

﴿إِنِّي﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْمُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ..

﴿جَزَيۡتُهُمُ﴾ جَزَيْتُ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ فِي الدُّنْيَا سُخْرِيًّا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي، وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ..

﴿ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ بَيْنَكُمْ مِنْ أَذَىٰ سُخْرِيَّتِكُمْ وَضَحِكِكُمْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَنَّهُمۡ﴾ الْيَوْمَ..

﴿هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾ [المؤمنون: ١١١] بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالْكَرَامَةِ الْبَاقِيَةِ أَبَدًا، بِمَا عَمِلُوا مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا، وَلَقُوا فِي طَلَبِ رِضَايَ مِنَ الْمَكَارِهِ فِيهَا.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ [المؤمنون: ١١٢].

﴿قَٰلَ﴾ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَهُمْ فِي النَّارِ..

﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ [المؤمنون: ١١٢] فَنَسِيَ الْأَشْقِيَاءُ، لِعَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ، مُدَّةَ مُكْثِهِمُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَقَصُرَ عِنْدَهُمْ أَمَدُ مُكْثِهِمُ الَّذِي كَانَ فِيهَا، لِمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٣].

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ حَسِبُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَكَثُوا فِيهَا إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وَلَعَلَّ

بَعْضَهُمْ كَانَ قَدْ مَكَثَ فِيهَا الزَّمَانَ الطَّوِيلَ، وَالسِّنِينَ الْكَثِيرَةَ..

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٣] لِأَنَّا لَا نَدْرِي، قَدْ نَسِينَا ذَلِكَ.. وَالعَادُّون: هُمُ الَّذِينَ يَعُدُّونَ عَدَدَ الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا الْمَلَائِكَةَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا بَنِي آدَمَ وَغَيْرَهُمْ، وَلَا حُجَّةَ بِأَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ ثَبَتَتْ صِحَّتُهَا فَغَيْرُ جَائِزٍ تَوْجِيهُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ بَعْضِ الْعَادِّينَ دُونَ بَعْضٍ.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤﴾ [المؤمنون: ١١٤].

﴿قَٰلَ﴾ اللهُ لَهُمْ..

﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ مَا لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يَسِيرًا..

﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤﴾ [المؤمنون: ١١٤] قَدْرَ لُبْثِكُمْ فِيهَا.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أَيُّهَا الأَشْقِيَاءُ أَنَّا..

﴿أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ إِذْ خَلَقْنَاكُمْ..

﴿عَبَثًا﴾ لَعِبًا وَبَاطِلًا..

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا﴾ وَأَنَّكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ..

﴿لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥] لَا تَصِيرُونَ أَحْيَاءً، فَتُجْزَوْنَ بِمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ؟

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦].

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، وَعَمَّا يُضِيفُونَ إِلَيْهِ مِنَ اتِّخَاذِ الْبَنَاتِ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ تَنْبَغِي لَهُ الْعُبُودَةُ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ..

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦] رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧].

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ الْمَعْبُودِ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مَعْبُودًا آخَرَ..

﴿لَا بُرْهَٰنَ﴾ لَا حُجَّةَ..

﴿لَهُۥ بِهِۦ﴾ بِمَا يَقُولُ وَيَعْمَلُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا بَيِّنَةَ..

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ فَإِنَّمَا حِسَابُ عَمَلِهِ السَّيِّئِ..

﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ وَهُوَ مُوَفِّيهِ جَزَاءَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ إِنَّهُ لَا يَنْجَحُ عِنْدَهُ..

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧] أَهْلُ الْكُفْرِ بِاللهِ وَلَا يُدْرِكُونَ الْخُلُودَ وَالْبَقَاءَ فِي النَّعِيمِ.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١١٨].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾ رَبِّ اسْتُرْ عَلَيَّ ذُنُوبِي بِعَفْوِكَ عَنْهَا..

﴿وَٱرْحَمْ﴾ وَارْحَمْنِي بِقَبُولِ تَوْبَتِكَ، وَتَرْكِكَ عِقَابِي عَلَىٰ مَا اجْتَرَمْتُ..

﴿وَأَنتَ﴾ وَقُلْ: أَنْتَ يَا رَبِّ..

﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١١٨] خَيْرُ مَنْ رَحِمَ ذَا ذَنْبٍ فَقَبِلَ تَوْبَتَهُ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ عَلَىٰ ذَنْبِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ



سُورَةُ النُّورِ (٢٤)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَستُّونَ

تَفْسِيْرُ سُوْرَةِ النُّورِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ①﴾ [النور: ١].

﴿سُورَةٌ﴾ وَهَذِهِ السُّورَةُ..

﴿أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ، بِمَعْنَىٰ: أَوْجَبْنَا مَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَيْكُمْ، وَأَلْزَمْنَاكُمُوهُ، وَبَيَّنَّا ذَلِكَ لَكُمْ.. وقَرَأَهُ بَعْضُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: (وَفَرَّضْنَاهَا)، وَيَتَأَوَّلُونَهُ: وَفَصَّلْنَاهَا، وَنَزَّلْنَا فِيهَا فَرَائِضَ مُخْتَلِفَةً، وَقَدْ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ إِذَا قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: وَفَرَّضْنَاهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ مَنْ بَعْدَكُمْ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَدْ فَصَّلَهَا، وَأَنْزَلَ فِيهَا ضُرُوبًا مِنَ الْأَحْكَامِ، وَأَمَرَ فِيهَا وَنَهَىٰ، وَفَرَضَ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِيهَا فَرَائِضَ، فَفِيهَا الْمَعْنَيَانِ كِلَاهُمَا: التَّفْرِيضُ، وَالْفَرْضُ..

﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ﴾ وَأَنْزَلْنَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿ءَايَٰتِۭ﴾ عَلَامَاتٍ، وَدَلَالَاتٍ عَلَىٰ الْحَقِّ..

﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ وَاضِحَاتٍ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا، وَفَكَّرَ فِيهَا بِعَقْلٍ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَإِنَّهَا الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَإِنَّهَا تَهْدِي إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ..

﴿لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ①﴾ [النور: ١] لِتَتَذَكَّرُوا بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ②﴾ [النور: ٢].

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ مَنْ زَنَىٰ مِنَ الرِّجَالِ، أَوْ زَنَتْ مِنَ النِّسَاءِ، وَهُوَ حُرٌّ بِكْرٌ غَيْرُ مُحْصَنٍ بِزَوْجٍ..

﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ فَاجْلِدُوهُ ضَرْبًا مِائَةَ جَلْدَةٍ، عُقُوبَةً لِمَا صَنَعَ وَأَتَىٰ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا﴾ لَا تَأْخُذُكُمْ بِالزَّانِي وَالزَّانِيَةِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿رَأْفَةٌ﴾ وَهِيَ رِقَّةُ الرَّحْمَةِ.. وَهُوَ تَرْكُ إِقَامَةِ حَدِّ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَأَمَّا إِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِمَا الْحَدُّ فَلَمْ تَأْخُذْهُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ.. فَـ (**إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّ جَارِيَةً لَهُ، فَقَالَ لِلْجَالِدِ، وَأَشَارَ إِلَىٰ رِجْلِهَا وَإِلَىٰ أَسْفَلِهَا**)، فقالَ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ: (**فَأَيْنَ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾؟!**) قَالَ: (**أَفَأَقْتُلُهَا؟!**).. وقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: (**لَيْسَ لِلسُّلْطَانِ إِذَا رُفِعُوا إِلَيْهِ أَنْ يَدَعَهُمْ رَحْمَةً لَهُمْ حَتَّىٰ يُقِيمَ الْحَدَّ**).. وَهُوَ قَوْلُ مجاهدٍ، وابنِ جُبيرٍ، وابنِ زيدٍ، وعطاءٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ فَتُخَفِّفُوا الضَّرْبَ عَنْهُمَا، وَلَكِنْ أَوْجِعُوهُمَا ضَرْبًا، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ و حَمَّادٍ، والزُّهْرِيِّ.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي إِقَامَةِ حَدِّ اللهِ عَلَيْهِمَا الَّذِي افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ إِقَامَتَهُ عَلَيْهِمَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ بِالصَّوَابِ، لِدَلَالَةِ قَوْلِ اللهِ بَعْدَهُ..

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي: فِي طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمَا عَلَىٰ مَا أَلْزَمَكُمْ بِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ دِينَ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ فِي الزَّانِيَيْنِ: إِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَيْهِمَا، عَلَىٰ مَا أَمَرَ مِنْ جَلْدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ، مَعَ أَنَّ الشِّدَّةَ فِي الضَّرْبِ لَا حَدَّ لَهَا يُوقَفُ عَلَيْهِ، وَكُلُّ ضَرْبٍ أَوْجَعَ فَهُوَ شَدِيدٌ، وَلَيْسَ لِلَّذِي يُوجِعُ فِي الشِّدَّةِ حَدٌّ لَا زِيَادَةَ فِيهِ فَيُؤْمَرُ بِهِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ وَصْفُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُ أَمَرَ بِمَا لَا سَبِيلَ لِلْمَأْمُورِ بِهِ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالَّذِي لِلْمَأْمُورِينَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ السَّبِيلُ هُوَ عَدَدُ الْجَلْدِ عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ إِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَىٰ مَا قُلْنَا..

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إِنْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ بِاللهِ رَبِّكُمْ..

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنَّكُمْ فِيهِ مَبْعُوثُونَ لِحَشْرِ الْقِيَامَةِ، وَلِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ بِذَلِكَ مُصَدِّقًا فَإِنَّهُ لَا يُخَالِفُ اللهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ خَوْفَ عِقَابِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ..

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ وَلْيَحْضُرْ جَلْدَ الزَّانِيَيْنِ الْبِكْرَيْنِ وَحَدَّهُمَا إِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِمَا..

﴿طَائِفَةٌ﴾ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْوَاحِدَ فَمَا زَادَ: طَائِفَةً.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَبْلَغِ عَدَدِ الطَّائِفَةِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِشُهُودِ عَذَابِ الزَّانِيَيْنِ الْبِكْرَيْنِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَقَلُّهُ وَاحِدٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَقَلُّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ رَجُلَانِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَقَلُّ ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ فَصَاعِدًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَقَلُّ ذَلِكَ أَرْبَعَةٌ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَقَلُّ مَا يَنْبَغِي حُضُورُ ذَلِكَ مِنْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ: الْوَاحِدُ فَصَاعِدًا وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾، وَالطَّائِفَةُ: قَدْ تَقَعُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَىٰ الْوَاحِدِ فَصَاعِدًا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَضَعَ

دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَهُ مِنْ ذَلِكَ خَاصٌّ مِنَ الْعَدَدِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ حُضُورَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ أَدْنَىٰ اسْمِ الطَّائِفَةِ ذَلِكَ الْمَحْضَرَ مُخْرِجٌ مُقِيمَ الْحَدِّ مِمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾، غَيْرَ أَنِّي وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ، أَسْتَحِبُّ أَنْ لَا يُقْصَرَ بِعَدَدِ مَنْ يَحْضُرُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ عَنْ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ، عَدَدِ مَنْ تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ عَلَىٰ الزِّنَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمْعِ أَنَّهُ قَدْ أَدَّىٰ الْمُقِيمُ الْحَدَّ مَا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَهُمْ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ مُخْتَلِفُونَ..

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢] مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣].

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَعْضِ مَنِ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نِكَاحِ نِسْوَةٍ كُنَّ مَعْرُوفَاتٍ بِالزِّنَا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَكُنَّ أَصْحَابَ رَايَاتٍ، يُكْرِينَ أَنْفُسَهُنَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَحْرِيمَهُنَّ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: الزَّانِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَزَوَّجُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً؛ لِأَنَّهُنَّ كَذَلِكَ، وَالزَّانِيَةُ مِنْ أُولَئِكَ الْبَغَايَا لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوِ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ مُشْرِكٌ مِثْلُهَا؛ لِأَنَّهُنَّ كُنَّ مُشْرِكَاتٍ ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ فَحَرَّمَ اللهُ نِكَاحَهُنَّ فِي قَوْلِ أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: الزَّانِي لَا يَزْنِي إِلَّا بِزَانِيَةٍ أَوْ مُشْرِكَةٍ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَزْنِي بِهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ. قَالُوا: وَمَعْنَىٰ النِّكَاحِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْجِمَاعُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ هَذَا حُكْمَ اللهِ فِي كُلِّ زَانٍ وَزَانِيَةٍ، حَتَّىٰ نَسَخَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، فَأَحَلَّ نِكَاحَ كُلِّ مُسْلِمَةٍ، وَإِنْكَاحَ كُلِّ مُسْلِمٍ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالنِّكَاحِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْوَطْءُ، وَأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْبَغَايَا الْمُشْرِكَاتِ ذَوَاتِ الرَّايَاتِ، وَذَلِكَ لِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الزَّانِيَةَ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ حَرَامٌ عَلَىٰ كُلِّ مُشْرِكٍ، وَأَنَّ الزَّانِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَرَامٌ عَلَيْهِ كُلُّ مُشْرِكَةٍ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، فَمَعْلُومٌ إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُعْنَ بِالْآيَةِ أَنَّ الزَّانِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَعْقِدُ عَقْدَ نِكَاحٍ عَلَىٰ عَفِيفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ، وَلَا يُنْكَحُ إِلَّا بِزَانِيَةٍ أَوْ مُشْرِكَةٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبَيِّنٌ أَنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: الزَّانِي لَا يَزْنِي إِلَّا بِزَانِيَةٍ لَا تَسْتَحِلُّ الزِّنَا، أَوْ بِمُشْرِكَةٍ تَسْتَحِلُّهُ..

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ وَحُرِّمَ الزِّنَا..

﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣] بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ [النور: ٤].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ﴾ وَالَّذِينَ يَشْتِمُونَ..

﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ الْعَفَائِفَ مِنْ حَرَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَرْمُونَهُنَّ بِالزِّنَا..

﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ﴾ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا عَلَىٰ مَا رَمُوهُنَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ عُدُولٍ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِنَّ أَنَّهُنَّ رَأَوْهُنَّ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ..

﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ فَاجْلِدُوا الَّذِينَ رَمُوهُنَّ بِذَلِكَ..

﴿ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ [النور: ٤] الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ، وَخَرَجُوا مِنْ طَاعَتِهِ، فَفَسَقُوا عَنْهَا.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ رَمَوْا عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا رَمَوْهَا بِهِ مِنَ الْإِفْكِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [النور: ٥].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي اسْتُثْنِيَ مِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتُثْنِيَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ [النور: ٤]، وَقَالُوا: إِذَا تَابَ الْقَاذِفُ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ، وَزَالَ عَنْهُ اسْمُ الْفِسْقِ، حُدَّ فِيهِ، أَوْ لَمْ يُحَدَّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الِاسْتِثْنَاءُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ [النور: ٤]، وأما قوله ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ [النور: ٤] فَقَدْ وُصِلَ بِالْأَبَدِ، وَلَا يَجُوزُ قَبُولُهَا أَبَدًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ جَمِيعًا، أَعْنِي مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ [النور: ٤]، وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ [النور: ٤]؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِذَا لَمْ يُحَدَّ فِي الْقَذْفِ حَتَّىٰ تَابَ، إِمَّا بِأَنْ يُرْفَعَ إِلَىٰ السُّلْطَانِ بِعَفْوِ الْمَقْذُوفَةِ عَنْهُ، وَإِمَّا بِأَنْ مَاتَتْ قَبْلَ الْمُطَالَبَةِ بِحَدِّهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا طَالِبٌ يَطْلُبُ بِحَدِّهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَحَدَثَتْ مِنْهُ تَوْبَةٌ صَحَّتْ لَهُ بِهَا الْعَدَالَةُ، وَكَانَ مِنَ الْجَمِيعِ إِجْمَاعًا، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ شَرَطَ فِي كِتَابِهِ أَنْ لَا تُقْبَلَ شَهَادَتُهُ أَبَدًا بَعْدَ الْحَدِّ فِي رَمْيِهِ، بَلْ نَهَىٰ عَنْ قَبُولِ شَهَادَتِهِ فِي الْحَالِ الَّتِي أَوْجَبَ عَلَيْهِ فِيهَا الْحَدَّ، وَسَمَّاهُ فِيهَا فَاسِقًا، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ إِقَامَةَ الْحَدِّ عَلَيْهِ فِي رَمْيِهِ، لَا تُحْدِثُ فِي شَهَادَتِهِ مَعَ التَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِهِ، مَا لَمْ يَكُنْ حَادِثًا فِيهَا قَبْلَ إِقَامَتِهِ

عَلَيْهِ، بَلْ تَوْبَتُهُ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ أَحْرَىٰ أَنْ تَكُونَ شَهَادَتُهُ مَعَهَا أَجْوَزَ مِنْهَا قَبْلَ إِقَامَتِهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْحَدَّ يَزِيدُ الْمَحْدُودَ عَلَيْهِ تَطْهِيرًا مِنْ جُرْمِهِ الَّذِي اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ الْحَدَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الِاسْتِثْنَاءُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]، فَتَكُونُ التَّوْبَةُ مُسْقِطَةً عَنْهُ الْحَدَّ، كَمَا كَانَتْ لِشَهَادَتِهِ عِنْدَكَ قَبْلَ الْحَدِّ وَبَعْدَهُ مُجِيزَةً، وَلِاسْمِ الْفِسْقِ عَنْهُ مُزِيلَةً؟ قِيلَ: ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ عِنْدَنَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدَّ حَقٌّ عِنْدَنَا لِلْمَقْذُوفَةِ كَالْقِصَاصِ الَّذِي يَجِبُ لَهَا مِنْ جِنَايَةٍ يَجْنِيهَا عَلَيْهَا مِمَّا فِيهِ الْقِصَاصُ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ تَوْبَتَهُ مِنْ ذَلِكَ لَا تَضَعُ عَنْهُ الْوَاجِبَ لَهَا مِنَ الْقِصَاصِ مِنْهُ، فَكَذَلِكَ تَوْبَتُهُ مِنَ الْقَذْفِ لَا تَضَعُ عَنْهُ الْوَاجِبَ لَهَا مِنَ الْحَدِّ، لِأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لَهَا، إِنْ شَاءَتْ عَفَتْهُ، وَإِنْ شَاءَتْ طَالَبَتْ بِهِ، فَتَوْبَةُ الْعَبْدِ مِنْ ذَنْبِهِ إِنَّمَا تَضَعُ عَنِ الْعَبْدِ الْأَسْمَاءَ الذَّمِيمَةَ وَالصِّفَاتِ الْقَبِيحَةَ، فَأَمَّا حُقُوقُ الْآدَمِيِّينَ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ لِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَلَا تَزُولُ بِهَا وَلَا تَبْطُلُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي صِفَةِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ الَّتِي تُقْبَلُ مَعَهَا شَهَادَتُهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ إِكْذَابُهُ نَفْسَهُ فِيهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: تَوْبَتُهُ مِنْ ذَلِكَ صَلَاحُ حَالِهِ، وَنَدَمُهُ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَالِاسْتِغْفَارُ مِنْهُ، وَتَرْكُهُ الْعَوْدَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْجُرْمِ، وَذَلِكَ قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ قَائِلِيهِ فِيمَا مَضَىٰ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ.. وَهَذَا الْقَوْلُ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ جَعَلَ تَوْبَةَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ تَرْكَهُ الْعَوْدَ مِنْهُ، وَالنَّدَمَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ، وَاسْتِغْفَارَ رَبِّهِ مِنْهُ، فِيمَا كَانَ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَهُ، دُونَ مَا كَانَ مِنْ حُقُوقِ عِبَادِهِ وَمَظَالِمِهِمْ بَيْنَهُمْ، وَالْقَاذِفُ إِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِ فِيهِ الْحَدُّ أَوْ عُفِيَ عَنْهُ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا تَوْبَتُهُ مِنْ جُرْمِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَسَبِيلُ تَوْبَتِهِ مِنْهُ سَبِيلُ تَوْبَتِهِ مِنْ سَائِرِ أَجْرَامِهِ.. فَإِذْ كَانَ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ مَا وَصَفْنَا، فَتأويلُ الكلامِ: وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ جُرْمِهِمُ الَّذِي اجْتَرَمُوهُ بِقَذْفِهِمُ الْمُحْصَنَاتِ مِنْ بَعْدِ اجْتِرَامِهِمُوهُ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ سَاتِرٌ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [النور: ٥] بِهِمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، فَاقْبَلُوا شَهَادَتَهُمْ، وَلَا تُسَمُّوهُمْ فَسَقَةً، بَلْ سَمُّوهُمْ بِأَسْمَائِهِمُ الَّتِي هِيَ لَهُمْ فِي حَالِ تَوْبَتِهِمْ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾ [النور: ٦].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿أَزْوَٰجَهُمْ﴾ بِالْفَاحِشَةِ، فَيَقْذِفُونَهُنَّ بِالزِّنَا..

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ يَشْهَدُونَ لَهُمْ بِصِحَّةِ مَا رَمُوهُنَّ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ..

﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ فَعَلَىٰ أَحَدِهِمْ أَنْ يَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ، تَقُومُ مَقَامَ الشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي دَفْعِ الْحَدِّ عَنْهُ، فَتَرَكَ ذِكْرَ تَقُومُ مَقَامَ الشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعَةِ، اكْتِفَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَا ذُكِرَ مِنَ الْكَلَامِ..

﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ فَيَحْلِفُ أَحَدُهُمْ أَرْبَعَ أَيْمَانٍ بِاللهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾ [النور: ٦] فِيمَا رَمَىٰ زَوْجَتَهُ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ [النور: ٧].

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ وَالشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ..

﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إِنَّ لَعْنَةَ اللهِ لَهُ وَاجِبَةٌ، وَعَلَيْهِ حَالَّةٌ..

﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ [النور: ٧] إِنْ كَانَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ مِنَ الْكَاذِبِينَ.. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَتْ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا قَذَفَ هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ امْرَأَتَهُ، قِيلَ لَهُ: وَاللهِ لَيَجْلِدَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، قَالَ: اللهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ، أَنْ يَضْرِبَنِي ضَرْبَةً وَقَدْ عَلِمَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ حَتَّىٰ اسْتَيْقَنْتُ، وَسَمِعْتُ حَتَّىٰ اسْتَثْبَتُّ، لَا وَاللهِ لَا يَضْرِبُنِي أَبَدًا فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمُلَاعَنَةِ، فَدَعَا بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ نَزَلَتِ الْآيَةُ، فَقَالَ: «**اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ**»؟ فَقَالَ هِلَالٌ: وَاللهِ إِنِّي لَصَادِقٌ. فَقَالَ لَهُ: «**احْلِفْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: إِنِّي لَصَادِقٌ**»، يَقُولُ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَعَلَيَّ لَعْنَةُ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قِفُوهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ**» فَحَلَفَ، ثُمَّ قَالَتْ أَرْبَعًا: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَعَلَيْهَا غَضَبُ اللهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**قِفُوهَا عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ**» فَتَرَدَّدَتْ، وَهَمَّتْ بِالِاعْتِرَافِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي.

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨﴾ [النور: ٨].

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ وَيَدْفَعُ عَنْهَا الْحَدَّ جَلْدَ مِائَةٍ إِنْ كَانَتْ بِكْرًا، أَوِ الرَّجْمَ إِنْ كَانَتْ ثَيِّبًا قَدْ أُحْصِنَتْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ الْحَبْسُ، وَقَالُوا: الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهَا إِنْ هِيَ لَمْ تَشْهَدِ

الشَّهَادَاتِ الْأَرْبَعَ بَعْدَ شَهَادَاتِ الزَّوْجِ الْأَرْبَعِ وَالْتِعَانِهِ: الْحَبْسُ دُونَ الْحَدِّ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: الْوَاجِبُ عَلَيْهَا إِذَا هِيَ امْتَنَعَتْ مِنَ الِالْتِعَانِ بَعْدَ الْتِعَانِ الزَّوْجِ الْحَدُّ الَّذِي وَصَفْنَا، قِيَاسًا عَلَىٰ إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ الْحَدَّ إِذَا زَالَ عَنِ الزَّوْجِ بِالشَّهَادَاتِ الْأَرْبَعِ عَلَىٰ تَصْدِيقِهِ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ، أَنَّ الْحَدَّ عَلَيْهَا وَاجِبٌ، فَجَعَلَ اللهُ أَيْمَانَهُ الْأَرْبَعَ وَالْتِعَانَهُ فِي الْخَامِسَةِ مَخْرَجًا لَهُ مِنَ الْحَدِّ الَّذِي يَجِبُ لَهَا بِرَمْيِهِ إِيَّاهَا، كَمَا جَعَلَ الشُّهَدَاءَ الْأَرْبَعَةَ مَخْرَجًا لَهُ مِنْهُ فِي ذَلِكَ وَزَائِلًا بِهِ عَنْهُ الْحَدُّ؛ فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ بِزَوَالِ الْحَدِّ عَنْهُ بِذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْهَا حَدُّهَا، كَمَا كَانَ بِزَوَالِهِ عَنْهُ بِالشُّهُودِ وَاجِبًا عَلَيْهَا، لَا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ..

﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ أَنْ تَحْلِفَ بِاللهِ أَرْبَعَ أَيْمَانٍ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ زَوْجَهَا الَّذِي رَمَاهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ..

﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨﴾ [النور: ٨] فِيمَا رَمَاهَا مِنَ الزِّنَا.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور: ٩].

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ﴾ وَالشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ..

﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ﴾ زَوْجُهَا..

﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور: ٩] فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزِّنَا.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [النور: ١٠].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بِكُمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ عَوَّادٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِلُطْفِهِ وَطَوْلِهِ..

﴿حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [النور: ١٠] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ، وَسِيَاسَتِهِ لَهُمْ؛ لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَعَاصِيكُمْ، وَفَضَحَ أَهْلَ الذُّنُوبِ مِنْكُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُ سَتَرَ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَتَرَكَ فَضِيحَتَكُمْ بِهَا عَاجِلًا، رَحْمَةً مِنْهُ بِكُمْ، وَتَفَضُّلًا عَلَيْكُمْ، فَاشْكُرُوا نِعَمَهُ، وَانْتَهُوا عَنِ التَّقَدُّمِ عَمَّا عَنْهُ نَهَاكُمْ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [النور: ١١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ.. وَكَانَ سَبَبَ مَجِيءِ أَهْلِ الْإِفْكِ

مَا أُسْنِدَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الحَدِيثِ وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْ بَعْضٍ الَّذِي حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَىٰ رَحْلِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلاَ مُجِيبٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّىٰ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَىٰ يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ الإِفْكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَاكَ الَّذِي يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّىٰ خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ، فَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا

لَيْلًا إِلَىٰ لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي التَّبَرُّزِ قِبَلَ الغَائِطِ، فَكُنَّا نَتَأَذَّىٰ بِالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي، وَقَدْ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَىٰ مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ بَيْتِي، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعْنِي سَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**كَيْفَ تِيكُمْ**» فَقُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللهِ، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهْلَكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «**أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟**» قَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاسْتَعْذَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ: «**يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا مَعِي**» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ

لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، فَتَثَاوَرَ الحَيَّانِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ حَتَّىٰ هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا، وَسَكَتَ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ: فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَلاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، يَظُنَّانِ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ «لَبِثَ» شَهْرًا لاَ يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَىٰ اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ، حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ، قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف: ١٨]، قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَىٰ، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ حَتَّىٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «**يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ**» فَقَالَتْ أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: لاَ وَاللهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ العَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي،

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﵁ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: «**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَىٰ وَالمَسَاكِينَ وَالمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا، أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «**يَا زَيْنَبُ مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟**» فَقَالَتْ: (**يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا**)، قَالَتْ: (**وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الإِفْكِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ بْنُ شِهَابٍ: هَذَا الَّذِي انْتَهَىٰ إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلاَءِ الرَّهْطِ**)..

﴿عُصۡبَةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿مِّنكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ.. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي عَنَىٰ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡ﴾ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّهُ كَتَبَ إِلَىٰ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: (**كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي فِي الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ، وَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡ﴾ **وَأَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَهُوَ يُقَالُ فِي آخَرِينَ لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ؛ غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ كَمَا قَالَ اللهُ**)..

﴿لَا تَحۡسَبُوهُ﴾ لَا تَظُنُّوا مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْإِفْكِ..

﴿شَرّٗا لَّكُم﴾ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ النَّاسِ..

﴿بَلۡ هُوَ﴾ بَلْ ذَلِكَ..

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ عِنْدَهُ وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِلْمَرْمِيِّ بِهِ، وَيُظْهِرُ بَرَاءَتَهُ مِمَّا رُمِيَ بِهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ مِنْهُ مَخْرَجًا..

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ -مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ- عِنْدَ اللهِ جَزَاءُ..

﴿مَّا ٱكۡتَسَبَ﴾ مَا اجْتَرَمَ..

﴿مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾ بِمَجِيئِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الإِفْكِ..

﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ وَالَّذِي تَحَمَّلَ مُعْظَمَ ذَلِكَ الْإِثْمِ وَالْإِفْكِ.. وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالسِّيَرِ، أَنَّ الَّذِي بَدَأَ بِذِكْرِ الْإِفْكِ، وَكَانَ يَجْمَعُ أَهْلَهُ

وَيُحَدِّثُهُمْ، عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَفِعْلُهُ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ كَانَ تَوَلِّيَهُ كِبْرَ ذَلِكَ الْأَمْرِ.. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (**وَكَانَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِسْطَحٌ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالْمُنَافِقُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ**)..

﴿مِّنْهُمْ﴾ هُوَ الَّذِي بَدَأَ بِالْخَوْضِ فِيهِ..

﴿لَهُۥ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑪﴾ [النور: ١١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ⑫﴾ [النور: ١٢].

﴿لَّوْلَآ﴾ هَلَّا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ إِذْ سَمِعْتُمْ مَا قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ فِي عَائِشَةَ..

﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ مِنْكُمْ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، يَقُولُ: ظَنَنْتُمْ بِمَنْ قُرِفَ بِذَلِكَ مِنْكُمْ خَيْرًا، وَلَمْ تَظُنُّوا بِهِ أَنَّهُ أَتَىٰ الْفَاحِشَةَ.. وَقَالَ ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ كُلَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مَا هَذَا الْخَيْرُ؟ ظَنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْجُرَ بِأُمِّهِ، وَأَنَّ الْأُمَّ لَمْ تَكُنْ لِتَفْجُرَ بِابْنِهَا، إِنْ أَرَادَ أَنْ يَفْجُرَ فَجَرَ بِغَيْرِ أُمِّهِ يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَتْ عَائِشَةُ أُمًّا، وَالْمُؤْمِنُونَ بَنُونَ لَهَا، مُحَرَّمًا عَلَيْهَا، وَقَرَأَ: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ الْآيَةَ..

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ..

﴿هَٰذَآ﴾ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ عَائِشَةُ مِنَ الْفَاحِشَةِ..

﴿إِفْكٌ﴾ كَذِبٌ وَإِثْمٌ..

﴿مُّبِينٌ ⑫﴾ [النور: ١٢] يَبِينُ لِمَنْ عَقِلَ وَفَكَّرَ فِيهِ أَنَّهُ كَذِبٌ، وَإِثْمٌ، وَبُهْتَانٌ.. وَهَذَا عِتَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ فِيمَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ إِرْجَافِ مَنْ أَرْجَفَ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ بِمَا أَرْجَفَ بِهِ.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ⑬﴾ [النور: ١٣].

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ﴾ هَلَّا جَاءَ هَؤُلَاءِ الْعُصْبَةُ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ، وَرَمَوْا عَائِشَةَ بِالْبُهْتَانِ..

﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ يَشْهَدُونَ عَلَىٰ مَقَالَتِهِمْ فِيهَا، وَمَا رَمَوْهَا بِهِ..

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ الْأَرْبَعَةِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا رَمَوْهَا بِهِ..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ فَالْعُصْبَةُ الَّذِينَ رَمَوْهَا بِذَلِكَ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور: ١٣] فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْإِفْكِ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور: ١٤].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْخَائِضُونَ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ، الْمُشِيعُونَ فِيهَا الْكَذِبَ وَالْإِثْمَ، بِتَرْكِهِ تَعْجِيلَ عُقُوبَتِكُمْ..

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ إِيَّاكُمْ، لِعَفْوِهِ عَنْكُمْ..

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بِقَبُولِ تَوْبَتِكُمْ مِمَّا كَانَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ لَمَسَّكُمْ فِيمَا خُضْتُمْ فِيهِ..

﴿فِيهِ﴾ مِنْ أَمْرِهَا..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور: ١٤] عَاجِلٌ فِي الدُّنْيَا.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥].

﴿إِذْ﴾ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ مِنْ شَأْنِ عَائِشَةَ عَذَابٌ عَظِيمٌ، حِينَ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ..

﴿تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ تَتَلَقَّوْنَ الْإِفْكَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْعُصْبَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَتَقْبَلُونَهُ، وَيَرْوِيهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ؛ يُقَالُ: تَلَقَّيْتُ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ فُلَانٍ، بِمَعْنَىٰ أَخَذْتُهُ مِنْهُ؛ وَقِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ فِيمَا ذُكِرَ يَلْقَىٰ آخَرَ فَيَقُولُ: أَوَ مَا بَلَغَكَ كَذَا وَكَذَا عَنْ عَائِشَةَ؟ لِيُشِيعَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ الْفَاحِشَةَ..

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي تَرْوُونَهُ، فَتَقُولُونَ: سَمِعْنَا أَنَّ عَائِشَةَ فَعَلَتْ كَذَا وَكَذَا، وَلَا تَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ، وَلَا صِحَّتَهُ..

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾ وَتَظُنُّونَ أَنَّ قَوْلَكُمْ ذَلِكَ وَرِوَايَتَكُمُوهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتَلَقِّيَكُمُوهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ..

﴿هَيِّنًا﴾ سَهْلًا، لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ وَلَا حَرَجٌ..

﴿وَهُوَ﴾ وَتَلَقِّيكُمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَقَوْلُكُمُوهُ بِأَفْوَاهِكُمْ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ [النور: ١٥] مِنَ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تُؤْذُونَ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَحَلِيلَتَهُ.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ [النور: ١٦].

﴿وَلَوْلَا﴾ أَيُّهَا الْخَائِضُونَ فِي الْإِفْكِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ..

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ..

﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ مَا يَحِلُّ لَنَا..

﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَفَوَّهَ بِهِ..

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ، وَبَرَاءَةً إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ..

﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ [النور: ١٦] هَذَا الْقَوْلُ بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ [النور: ١٧].

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ يُذَكِّرُكُمُ اللهُ، وَيَنْهَاكُمْ بِآيِ كِتَابِهِ..

﴿أَن تَعُودُوا۟﴾ لِئَلَّا تَعُودُوا..

﴿لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ لِمِثْلِ فِعْلِكُمُ الَّذِي فَعَلْتُمُوهُ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ مِنْ تَلَقِّيكُمُ الْإِفْكَ الَّذِي رُوِيَ عَلَيْهَا بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَقَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فِيهَا أَبَدًا..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ [النور: ١٧] إِنْ كُنْتُمْ تَتَّعِظُونَ بِعِظَاتِ اللهِ، وَتَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِ، وَتَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٨﴾ [النور: ١٨].

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ﴾ وَيُفَصِّلُ اللهُ لَكُمْ..

﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ حُجَجَهُ عَلَيْكُمْ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لِيَتَبَيَّنَ الْمُطِيعُ لَهُ مِنْكُمْ مِنَ الْعَاصِي..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِكُمْ، وَبِأَفْعَالِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿حَكِيمٌ ۝١٨﴾ [النور: ١٨] فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ، وَتَكْلِيفِهِ مَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَفَرْضِهِ مَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَفْعَالِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ اللهَ أَعْلَمَنَا هَذَا لِكَيْلَا نَقَعَ فِيهِ، لَوْلَا أَنَّ اللهَ أَعْلَمَنَا لَهَلَكْنَا كَمَا

هَلَكَ الْقَوْمُ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَنَا سَمِعْتُهُ، وَلَمْ أَخْتَرِقْهُ، وَلَمْ أَتَقَوَّلْهُ، فَكَانَ خَيْرًا حِينَ أَعْلَمَنَاهُ اللهُ، لِئَلَّا نَدْخُلَ فِي مِثْلِهِ أَبَدًا، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ يَذِيعَ الزِّنَا..

﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فِي الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَظْهَرَ ذَلِكَ فِيهِمْ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وَجِيعٌ..

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بِالْحَدِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ حَدًّا لِرَامِي الْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحْصَنِينَ إِذَا رَمَوْهُمْ بِذَلِكَ..

﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابُ جَهَنَّمَ إِنْ مَاتَ مُصِرًّا عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرَ تَائِبٍ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ كَذِبَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ مِنْ صِدْقِهِمْ..

﴿وَأَنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩] ذَلِكَ؛ لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ ذَلِكَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، يَقُولُ: فَلَا تَرْوُوا مَا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ مِنَ الْإِفْكِ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَلَا سِيَّمَا عَلَىٰ حَلَائِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَهْلِكُوا.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ وَلَوْ لَا أَنْ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَرَحِمَكُمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠] وَأَنَّ اللهَ ذُو رَأْفَةٍ، وَرَحْمَةٍ بِخَلْقِهِ، لَهَلَكْتُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ، وَعَاجَلَتْكُمْ مِنَ اللهِ الْعُقُوبَةُ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَتَّبِعُوا۟﴾ لَا تَسْلُكُوا..

﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ سَبِيلَ الشَّيْطَانِ وَطُرُقَهُ، وَلَا تَقْتَفُوا آثَارَهُ، بِإِشَاعَتِكُمُ الْفَاحِشَةَ فِي الَّذِينَ آمَنُوا، وَإِذَاعَتِكُمُوهَا فِيهِمْ، وَرِوَايَتِكُمْ ذَلِكَ عَمَّنْ جَاءَ بِهِ..

﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ﴾ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْمُرُ..

﴿بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ وَهِيَ الزِّنَا..

﴿وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ لَكُمْ..

﴿مَا زَكَىٰ﴾ مَا تَطَهَّرَ..

﴿مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِ وَشِرْكِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾ وَلَكِنَّ اللهَ يُطَهِّرُ..

﴿مَن يَشَآءُۗ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِكُمْ..

﴿عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور: ٢١] بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِكُمْ، مُحِيطٌ بِهِ، مُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ، لِيُجَازِيَكُمْ بِكُلِّ ذَلِكَ.

﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور: ٢٢].

﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾ وَلَا يَحْلِفْ بِاللهِ..

﴿أُوْلُواْ﴾ ذَوُو..

﴿ٱلۡفَضۡلِ﴾ التَّفَضُّلِ..

﴿مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ وَالْجِدَةِ.. وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي حَلِفِهِ بِاللهِ، لَا يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَلَا يَحْلِفْ مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ مِنْ مَالٍ وَسِعَةٍ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ..

﴿أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾ أَلَّا يُعْطُوا..

﴿أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَتِهِمْ، فَيَصِلُوا بِهِ أَرْحَامَهُمْ، كَمِسْطَحٍ، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ..

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾ وَذَوِي خَلَّةِ الْحَاجَةِ، وَكَانَ مِسْطَحٌ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا مُحْتَاجًا..

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَكَانَ مِسْطَحٌ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا..

﴿وَلْيَعْفُوا۟﴾ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ جُرْمٍ، وَذَلِكَ كَجُرْمِ مِسْطَحٍ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ فِي إِشَاعَتِهِ عَلَىٰ ابْنَتِهِ عَائِشَةَ مَا أَشَاعَ مِنَ الْإِفْكِ..

﴿وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ وَلْيَتْرُكُوا عُقُوبَتَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، بِحِرْمَانِهِمْ مَا كَانُوا يُؤْتُونَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لِيَعُودُوا لَهُمْ إِلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانُوا لَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ..

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَسْتُرَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِإِفْضَالِكُمْ عَلَيْهِمْ، فَيَتْرُكَ عُقُوبَتَكُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ مَنْ أَطَاعَهُ، وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾ [النور: ٢٢] بِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ مَعَ اتِّبَاعِهِمْ أَمْرَهُ، وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، عَلَىٰ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ زَلَّةٍ وَهَفْوَةٍ قَدِ اسْتَغْفَرُوهُ مِنْهَا، وَتَابُوا إِلَيْهِ مِنْ فِعْلِهَا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ [النور: ٢٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ بِالْفَاحِشَةِ..

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الْعَفِيفَاتِ..

﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عَنِ الْفَوَاحِشِ..

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أُبْعِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿وَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ [النور: ٢٣] وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور: ٢٤].

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ وَذَلِكَ حِينَ يَجْحَدُ أَحَدُهُمَا مَا اكْتَسَبَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ عِنْدَ تَقْرِيرِ اللهِ إِيَّاهُ بِهَا، فَيَخْتِمُ اللهُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ..

﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤] وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ حِينَ يُخْتَمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ؟ قِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّ أَلْسِنَةَ بَعْضِهِمْ تَشْهَدُ عَلَىٰ بَعْضٍ، لَا أَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ تَنْطِقُ وَقَدْ خُتِمَ عَلَىٰ الْأَفْوَاهِ.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ..

﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ﴾ يُوَفِّيهِمُ اللهُ حِسَابَهُمْ وَجَزَاءَهُمْ.. وَالدِّينُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ..

﴿ٱلْحَقَّ﴾ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ يَوْمَئِذٍ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥] أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يُبَيِّنُ لَهُمْ حَقَائِقَ مَا كَانَ يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، وَيَزُولُ حِينَئِذٍ الشَّكُّ فِيهِ عَنْ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا فِيمَا كَانَ يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا يَمْتَرُونَ.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٦].

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ مِنَ الْقَوْلِ، وَذَلِكَ قَبِيحُهُ وَسَيِّئُهُ..

﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ..

﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ مِنَ الْقَوْلِ؛ هُمْ بِهَا أَوْلَىٰ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا..

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِنَ الْقَوْلِ وَذَلِكَ حَسَنُهُ وَجَمِيلُهُ..

﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِنَ الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا وَأَحَقُّ بِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: الْخَبِيثَاتُ مِنَ النِّسَاءِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ الرِّجَالِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلُ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، لِأَنَّ الْآيَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَتْ بِتَوْبِيخِ اللهِ لِلْقَائِلِينَ فِي عَائِشَةَ

الْإِفْكَ، وَالرَّامِينَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَإِخْبَارِهِمْ مَا خَصَّهُمْ بِهِ عَلَىٰ إِفْكِهِمْ، فَكَانَ خَتْمُ الْخَبَرِ عَنْ أَوْلَىٰ الْفَرِيقَيْنِ بِالْإِفْكِ مِنَ الرَّامِي وَالْمَرْمِيِّ بِهِ أَشْبَهَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ غَيْرِهِمْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ..

﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ مُبَرَّءُونَ مِنْ خَبِيثَاتِ الْقَوْلِ، إِنْ قَالُوهَا فَإِنَّ اللهَ يَصْفَحُ لَهُمْ عَنْهَا، وَيَغْفِرُهَا لَهُمْ، وَإِنْ قِيلَتْ فِيهِمْ ضَرَّتْ قَائِلَهَا وَلَمْ تَضُرَّهُمْ، كَمَا لَوْ قَالَ الطَّيِّبَ مِنَ الْقَوْلِ الْخَبِيثُ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِهِ، لِأَنَّ اللهَ لَا يَتَقَبَّلُهُ، وَلَوْ قِيلَتْ لَهُ لَضَرَّتْهُ؛ لِأَنَّهُ يَلْحَقُهُ عَارُهَا فِي الدُّنْيَا، وَذُلُّهَا فِي الْآخِرَةِ.. كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: (**فَمَنْ كَانَ طَيِّبًا فَهُوَ مُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ خَبِيثٍ، يَقُولُ: يَغْفِرُهُ اللهُ؛ وَمَنْ كَانَ خَبِيثًا فَهُوَ مُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ صَالِحٍ، فَإِنَّهُ يَرُدُّهُ اللهُ عَلَيْهِ لَا يَقْبَلُهُ مِنْهُ**).. وَقَدْ قِيلَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ عَائِشَةُ، وَصَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ، فَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ قِيلَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَجَمَعَ، وَالْمُرَادُ: ذَانِكَ، كَمَا قِيلَ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]، وَالْمُرَادُ أَخَوَانِ..

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ..

﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ مِنَ اللهِ لِذُنُوبِهِمْ وَالْخَبِيثِ مِنَ الْقَوْلِ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ..

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٢٦﴾ [النور: ٢٦] وَلَهُمْ أَيْضًا مَعَ الْمَغْفِرَةِ عَطِيَّةٌ مِنَ اللهِ كَرِيمَةٌ، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ.

> ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ [النور: ٢٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ﴾ حَتَّىٰ تُسَلِّمُوا وَتَسْتَأْذِنُوا.. وَهُوَ مِنَ الْمُقَدَّمِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّأْخِيرُ، إِنَّمَا هُوَ: حَتَّىٰ تُسَلِّمُوا وَتَسْتَأْذِنُوا..

﴿عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ وَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلُ؟.. وَالِاسْتِئْنَاسُ: الِاسْتِفْعَالُ مِنَ الْأُنْسِ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أَهْلَ الْبَيْتِ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِمْ، مُخْبِرًا بِذَلِكَ مَنْ فِيهِ، وَهَلْ فِيهِ أَحَدٌ؟ وَلْيُؤْذِنْهُمْ أَنَّهُ دَاخِلٌ عَلَيْهِمْ، فَلْيَأْنَس إِلَىٰ إِذْنِهِمْ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَيَأْنَسُوا إِلَىٰ اسْتِئْذَانِهِ إِيَّاهُمْ وَقَدْ حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: اذْهَبْ فَاسْتَأْنِسْ، هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا فِي الدَّارِ؟ بِمَعْنَىٰ: انْظُرْ هَلْ تَرَىٰ فِيهَا أَحَدًا؟..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ اسْتِئْنَاسُكُمْ وَتَسْلِيمُكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِي تُرِيدُونَ دُخُولَهُ، فَإِنَّ دُخُولَكُمُوهُ..

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ لِأَنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ أَنَّكُمْ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ بِغَيْرِ إِذْنٍ، عَلَىٰ مَاذَا تَهْجُمُونَ؟ عَلَىٰ مَا يَسُوءُكُمْ أَوْ يَسُرُّكُمْ؟ وَأَنْتُمْ إِذَا دَخَلْتُمْ بِإِذْنٍ، لَمْ تَدْخُلُوا عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ، وَأَدَّيْتُمْ بِذَلِكَ أَيْضًا حَقَّ اللهِ عَلَيْكُمْ فِي الِاسْتِئْذَانِ وَالسَّلَامِ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ [النور: ٢٧] لِتَتَذَكَّرُوا بِفِعْلِكُمْ ذَلِكَ أَمْرَ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَاللَّازِمَ لَكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ، فَتُطِيعُوهُ.

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٢٨﴾ [النور: ٢٨].

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي تَسْتَأْذِنُونَ..

﴿فِيهَآ أَحَدٗا﴾ يَأْذَنُ لَكُمْ بِالدُّخُولِ إِلَيْهَا..

﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا﴾ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ لَكُمْ، فَلَا يَحِلُّ لَكُمْ دُخُولُهَا إِلَّا بِإِذْنِ أَرْبَابِهَا..

﴿حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ﴾ فَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ أَرْبَابُهَا أَنْ تَدْخُلُوهَا فَادْخُلُوهَا..

﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ وَإِنْ قَالَ لَكُمْ أَهْلُ الْبُيُوتِ الَّتِي تَسْتَأْذِنُونَ فِيهَا..

﴿ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ﴾ فَلَا تَدْخُلُوهَا، فَارْجِعُوا عَنْهَا وَلَا تَدْخُلُوهَا..

﴿هُوَ﴾ رُجُوعُكُمْ عَنْهَا إِذَا قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا، وَلَمْ يُؤْذَنْ لَكُمْ بِالدُّخُولِ فِيهَا..

﴿أَزۡكَىٰ﴾ أَطْهَرُ..

﴿لَكُمۡۚ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ مِنْ رُجُوعِكُمْ بَعْدَ اسْتِئْذَانِكُمْ فِي بُيُوتِ غَيْرِكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا وَتَرْكِ رُجُوعِكُمْ عَنْهَا وَطَاعَتِكُمُ اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿عَلِيمٞ ۝٢٨﴾ [النور: ٢٨] ذُو عِلْمٍ مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ مُحْصٍ جَمِيعَهُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ.

﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ۝٢٩﴾ [النور: ٢٩].

﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿جُنَاحٌ﴾ إِثْمٌ وَحَرَجٌ..

﴿أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ﴾ أَنْ تَدخُلوا بُيُوتًا لَا سَاكِنَ بِهَا بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ..

﴿فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهَا الْخَانَاتِ وَالْبُيُوتَ الْمَبْنِيَّةَ بِالطُّرُقِ الَّتِي لَيْسَ بِهَا سُكَّانٌ مَعْرُوفُونَ، وَإِنَّمَا بُنِيَتْ لِمَارَّةِ الطَّرِيقِ وَالسَّابِلَةِ لِيَأْوُوا إِلَيْهَا، وَيُؤْوُوا إِلَيْهَا أَمْتِعَتَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ بُيُوتُ مَكَّةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْبُيُوتُ الْخَرِبَةُ، وَالْمَتَاعُ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهَا لَكُمْ: قَضَاءُ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلَاءِ وَالْبَوْلِ فِيهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ بُيُوتَ التُّجَّارِ الَّتِي فِيهَا أَمْتِعَةُ النَّاسِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَمَّ كُلَّ بَيْتٍ لَا سَاكِنَ بِهِ لَنَا فِيهِ مَتَاعٌ نَدْخُلُهُ بِغَيْرِ إِذْنٍ؛ لِأَنَّ الْإِذْنَ إِنَّمَا يَكُونُ لِيُؤْنِسَ الْمَأْذُونَ عَلَيْهِ قَبْلَ الدُّخُولِ، أَوْ لِيَأْذَنَ لِلدَّاخِلِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالِكًا، أَوْ كَانَ فِيهِ سَاكِنًا، فَأَمَّا إِنْ كَانَ لَا مَالِكَ لَهُ، فَيُحْتَاجُ إِلَىٰ إِذْنِهِ لِدُخُولِهِ وَلَا سَاكِنَ فِيهِ، فَيَحْتَاجُ الدَّاخِلُ إِلَىٰ إِينَاسِهِ، وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِئَلَّا يَهْجُمَ عَلَىٰ مَا لَا يُحِبُّ رُؤْيَتَهُ مِنْهُ، فَلَا مَعْنَىٰ لِلِاسْتِئْذَانِ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَلَا وَجْهَ لِتَخْصِيصِ بَعْضٍ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ، فَكُلُّ بَيْتٍ لَا مَالِكَ لَهُ وَلَا سَاكِنَ مِنْ بَيْتٍ مَبْنِيٍّ بِبَعْضِ الطُّرُقِ لِلْمَارَّةِ وَالسَّابِلَةِ لِيَأْوُوا إِلَيْهِ، أَوْ بَيْتٍ خَرَابٍ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَلَا سَاكِنَ فِيهِ، حَيْثُ كَانَ ذَلِكَ، فَإِنَّ لِمَنْ أَرَادَ دُخُولَهُ أَنْ يَدْخُلَ بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ، لِمَتَاعٍ لَهُ يُؤْوِيهُ إِلَيْهِ، أَوْ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِهِ لِقَضَاءِ حَقِّهِ مِنْ بَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.. وَأَمَّا بُيُوتُ التُّجَّارِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ دُخُولُهَا إِلَّا بِإِذْنِ أَرْبَابِهَا وَسُكَّانِهَا، فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ التَّاجِرَ إِذَا فَتَحَ دُكَّانَهُ، وَقَعَدَ لِلنَّاسِ، فَقَدْ أَذِنَ لِمَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فِي دُخُولِهِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ دُخُولُ مِلْكِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ أَلْجَأَتْهُ إِلَيْهِ، أَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ أَبَاحَ لَهُ دُخُولَهُ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهِ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِيهِ مَتَاعٌ؛ فَإِنْ كَانَ التَّاجِرُ قَدْ عُرِفَ مِنْهُ أَنَّ فَتْحَهُ حَانُوتَهُ إِذْنٌ مِنْهُ لِمَنْ أَرَادَ دُخُولَهُ فِي الدُّخُولِ، فَذَلِكَ بَعْدُ رَجَعَ إِلَىٰ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُ مَنْ دَخَلَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ مِنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ﴾ فِي شَيْءٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّتِي وَضَعَ اللهُ عَنَّا الْجُنَاحَ فِي دُخُولِهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ الْبُيُوتِ، هِيَ مَا لَمْ يَكُنْ مَسْكُونًا، إِذْ حَانُوتُ التَّاجِرِ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ دُخُولِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَسْكُونٌ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مِمَّا عَنَىٰ اللهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْزِلٍ..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُظْهِرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ بِأَلْسِنَتِكُمْ مِنَ الِاسْتِئْذَانِ إِذَا اسْتَأْذَنْتُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْبُيُوتِ الْمَسْكُونَةِ..

﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾ [النور: ٢٩] وَمَا تُضْمِرُونَهُ فِي صُدُورِكُمْ عِنْدَ فِعْلِكُمْ ذَلِكَ، مَا الَّذِي

تَقْصِدُونَ بِهِ: إِطَاعَةُ اللهِ وَالِانْتِهَاءُ إِلَىٰ أَمْرِهِ، أَمْ غَيْرُ ذَلِكَ؟

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠].

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِاللهِ وَبِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يَكُفُّوا مِنْ نَظَرِهِمْ إِلَىٰ مَا يَشْتَهُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ مِمَّا قَدْ نَهَاهُمُ اللهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**يَغُضُّ مِنْ بَصَرِهِ: أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ مَا لا يَحِلُّ لَهُ، إِذَا رَأَىٰ مَا لا يَحِلُّ لَهُ غَضَّ مِنْ بَصَرِهِ، لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ كُلَّهُ**)..

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ أَنْ يَرَاهَا مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ رُؤْيَتُهَا، بِلُبْسِ مَا يَسْتُرُهَا عَنْ أَبْصَارِهِمْ.. قَالَ أَبو الْعَالِيَةِ: (**كُلُّ فَرْجٍ ذُكِرَ حِفْظُهُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ مِنَ الزِّنَا، إِلَّا هَذِهِ، فَإِنَّهُ يَعْنِي السِّتْرَ**)..

﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ فَإِنَّ غَضَّهَا مِنَ النَّظَرِ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَحِفْظَ الْفَرْجِ عَنْ أَنْ يَظْهَرَ لِأَبْصَارِ النَّاظِرِينَ أَطْهَرُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ وَأَفْضَلُ..

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠] إِنَّ اللهَ ذُو خِبْرَةٍ بِمَا تَصْنَعُونَ أَيُّها النَّاسُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ غَضِّ أَبْصَارِكُمْ عَمَّا أَمَرَكُمْ بِالْغَضِّ عَنْهُ وَحِفْظِ فُرُوجِكُمْ عَنْ إِظْهَارِهَا لِمَنْ نَهَاكُمْ عَنْ إِظْهَارِهَا لَهُ.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ مِنْ أُمَّتِكَ..

﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عَمَّا يَكْرَهُ اللهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ مِمَّا نَهَاكُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ..

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنْ أَنْ يَرَاهَا مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ رُؤْيَتُهَا، بِلُبْسِ مَا

يَسْتُرُهَا عَنْ أَبْصَارِهِمْ..

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ وَلَا يُظْهِرْنَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ لَيْسُوا لَهُنَّ بِمَحْرَمٍ زِينَتَهُنَّ، وَهُمَا زِينَتَانِ: إِحْدَاهُمَا: مَا خَفِيَ، وَذَلِكَ كَالْخَلْخَالِ وَالسِّوَارَيْنِ وَالْقُرْطَيْنِ وَالْقَلَائِدِ، وَالْأُخْرَىٰ: مَا ظَهَرَ مِنْهَا..

﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وَذَلِكَ مُخْتَلَفٌ فِي الْمَعْنِيِّ مِنْهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: زِينَةُ الثِّيَابِ الظَّاهِرَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الظَّاهِرُ مِنَ الزِّينَةِ الَّتِي أُبِيحَ لَهَا أَنْ تُبْدِيَهُ: الْكُحْلُ، وَالْخَاتَمُ، وَالسِّوَارَانِ، وَالْوَجْهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِهِ الْوَجْهَ وَالثِّيَابَ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ، يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ الْكُحْلُ، وَالْخَاتَمُ، وَالسِّوَارُ، وَالْخِضَابُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالتَّأْوِيلِ، لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ عَلَىٰ كُلِّ مُصَلٍّ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهُ فِي صَلَاتِهِ، وَأَنَّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَكْشِفَ وَجْهَهَا وَكَفَّيْهَا فِي صَلَاتِهَا، وَأَنَّ عَلَيْهَا أَنْ تُسْتَرَ مَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ بَدَنِهَا إِلَّا مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَبَاحَ لَهَا أَنْ تُبْدِيَهُ مِنْ ذِرَاعِهَا إِلَىٰ قَدْرِ النِّصْفِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِهِمْ إِجْمَاعًا، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ لَهَا أَنْ تُبْدِيَ مِنْ بَدَنِهَا مَا لَمْ يَكُنْ عَوْرَةً كَمَا ذَلِكَ لِلرِّجَالِ؛ لِأَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ عَوْرَةً فَغَيْرُ حَرَامٍ إِظْهَارُهُ. وَإِذَا كَانَ لَهَا إِظْهَارُ ذَلِكَ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ مِمَّا اسْتَثْنَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ مِنْهَا..

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وَلْيُلْقِينَ خُمُرَهُنَّ، وَهِيَ جَمْعُ خِمَارٍ..

﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ لِيَسْتُرْنَ بِذَلِكَ شُعُورَهُنَّ، وَأَعْنَاقَهُنَّ وَقُرْطَهُنَّ..

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الَّتِي هِيَ غَيْرُ ظَاهِرَةٍ بَلِ الْخَفِيَّةُ مِنْهَا، وَذَلِكَ الْخَلْخَالُ وَالْقُرْطُ وَالدُّمْلُجُ، وَمَا أُمِرَتْ بِتَغْطِيَتِهِ بِخِمَارِهَا مِنْ فَوْقِ الْجَيْبِ، وَمَا وَرَاءَ مَا أُبِيحَ لَهَا كَشْفُهُ، وَإِبْرَازُهُ فِي الصَّلَاةِ وَلِلْأَجْنَبِيِّينَ مِنَ النَّاسِ، وَالذِّرَاعَيْنِ إِلَىٰ فَوْقِ ذَلِكَ..

﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ الْحَرَائِرِ لَا يُظْهِرْنَ هَذِهِ الزِّينَةَ الْخَفِيَّةَ الَّتِي لَيْسَتْ بِالظَّاهِرَةِ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، وَهُمْ أَزْوَاجُهُنَّ، وَاحِدُهُمْ: بَعْلٌ..

﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ أَوْ لِآبَائِهِنَّ..

﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ أَوْ لِأَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ..

﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ﴾ أَوْ لِإِخْوَانِهِنَّ..

﴿أَوْ بَنِىٓ إِخْوَانِهِنَّ﴾ أَوْ لِبَنِي إِخْوَانِهِنَّ..

﴿أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ أَوْ لِبَنِي أَخَوَاتِهِنَّ..

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ قِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيٍّ: أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ تُقَبِّلَ النَّصْرَانِيَّةُ الْمُسْلِمَةَ، أَوْ تَرَىٰ عَوْرَتَهَا، وَيَتَأَوَّلُ: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾..

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: أَوْ مَمَالِيكُهُنَّ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهَا أَنْ تُظْهِرَ لَهُمْ مِنْ زِينَتِهَا مَا تُظْهِرُهُ لِهَؤُلَاءِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنْ إِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَبْلُ مِنْ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾، عَنَىٰ بِهِنَّ النِّسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ دُونَ الْمُشْرِكَاتِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الْإِمَاءِ الْمُشْرِكَاتِ..

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ وَالَّذِينَ يَتْبَعُونَكُمْ لِطَعَامٍ يَأْكُلُونَهُ عِنْدَكُمْ..

﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ مِمَّنْ لَا أَرَبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِنَّ، وَلَا يُرِيدُهُنَّ.. وَالْإِرْبَةُ: الْفِعْلَةُ مِنَ الْأَرَبِ، مِثْلُ الْجِلْسَةِ مِنَ الْجُلُوسِ، وَالْمِشْيَةُ مِنَ الْمَشْيِ، وَهِيَ الْحَاجَةُ؛ يُقَالُ: لَا أَرَبَ لِي فِيكَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ؛ وَكَذَا أَرِبْتُ لِكَذَا وَكَذَا، إِذَا احْتَجْتُ إِلَيْهِ..

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَكْشِفُوا عَنْ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ بِجِمَاعِهِنَّ فَيَظْهَرُوا عَلَيْهِنَّ لِصِغَرِهِنَّ..

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ وَلَا يَجْعَلْنَ فِي أَرْجُلِهِنَّ مِنَ الْحُلِيِّ مَا إِذَا مَشَيْنَ أَوْ حَرَّكْنَهُنَّ عَلِمَ النَّاسُ الَّذِينَ مَشَيْنَ بَيْنَهُمْ مَا يُخْفِينَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وَارْجِعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ، وَحِفْظِ الْفَرْجِ، وَتَرْكِ دُخُولِ بُيُوتٍ غَيْرِ بُيُوتِكُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ وَلَا تَسْلِيمٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١] لِتُفْلِحُوا وَتُدْرِكُوا طَلِبَاتِكُمْ لَدَيْهِ، إِذَا أَنْتُمْ أَطَعْتُمُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٣٢﴾ [النور: ٣٢].

﴿وَأَنكِحُواْ﴾ وَزَوِّجُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْ أَحْرَارِ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ.. وَالْأَيَامَىٰ: جَمْعُ أَيِّمٍ، وَإِنَّمَا جُمِعَ أَيَامَىٰ؛ لِأَنَّهَا فَعِيلَةٌ فِي الْمَعْنَىٰ، فَجُمِعَتْ كَذَلِكَ كَمَا جُمِعَتِ الْيَتِيمَةُ: يَتَامَىٰ، وَالْأَيِّمُ يُوصَفُ

بِهِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَىٰ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَيِّمٌ، وَامْرَأَةٌ أَيِّمٌ وَأَيِّمَةٌ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا زَوْجٌ..

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ وَمِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ مِنْ عَبِيدِكُمْ وَمَمَالِيكِكُمْ..

﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ إِنْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُنْكِحُونَهُمْ مِنْ أَيَامَىٰ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَعَبِيدِكُمْ وَإِمَائِكُمْ أَهْلَ فَاقَةٍ وَفَقْرٍ..

﴿يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فَإِنَّ اللهَ يُغْنِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَلَا يَمْنَعَنَّكُمْ فَقْرُهُمْ مِنْ إِنْكَاحِهِمْ..

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الْفَضْلِ، جَوَادٌ بِعَطَايَاهُ، فَزَوِّجُوا إِمَاءَكُمْ، فَإِنَّ اللهَ وَاسِعٌ يُوَسِّعُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ كَانُوا فُقَرَاءَ..

﴿عَلِيمٌ ۝٣٢﴾ [النور: ٣٢] هُوَ ذُو عِلْمٍ بِالْفَقِيرِ مِنْهُمْ وَالْغَنِيِّ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ حَالُ خَلْقِهِ فِي شَيْءٍ وَتَدْبِيرُهُمْ.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٣﴾ [النور: ٣٣].

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ عَنْ إِتْيَانِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ..

﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْكِحُونَ بِهِ النِّسَاءَ..

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن﴾ سَعَةٍ..

﴿فَضْلِهِ﴾ وَيُوَسِّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ رِزْقِهِ..

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وَالَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْمُكَاتَبَةَ مِنْكُمْ مِنْ مَمَالِيكِكُمْ..

﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ فُرِضَ عَلَىٰ الرَّجُلِ أَنْ يُكَاتِبَ عَبْدَهُ الَّذِي قَدْ عَلِمَ فِيهِ خَيْرًا إِذَا سَأَلَهُ الْعَبْدُ ذَلِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ظَاهِرُ أَمْرٍ، وَأَمْرُ اللهِ فَرْضُ الِانْتِهَاءِ إِلَيْهِ، مَا لَمْ يَكُنْ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ عَلَىٰ أَنَّهُ نَدْبٌ..

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ إِذَا عَلِمُوا فِيهِمْ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ الِاحْتِرَافِ وَالْكَسْبِ لِأَدَاءِ مَا كُوتِبُوا عَلَيْهِ..فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُكَاتِبَ مَمْلُوكَهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حِرْفَةٌ، قَالَ: (**تُطْعِمُنِي أَوْسَاخَ النَّاسِ؟**).. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ صِدْقًا وَوَفَاءً وَأَدَاءً.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنْ عَلِمْتُمْ لَهُمْ مَالًا.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ

فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ قُوَّةً عَلَىٰ الِاحْتِرَافِ وَالِاكْتِسَابِ، وَوَفَاءً بِمَا أَوْجَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأَلْزَمَهَا، وَصِدْقَ لَهْجَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ هِيَ الْأَسْبَابُ الَّتِي بِمَوْلَىٰ الْعَبْدِ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا إِذَا كَاتَبَ عَبْدَهُ مِمَّا يَكُونُ فِي الْعَبْدِ؛ فَأَمَّا الْمَالُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْخَيْرِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي الْعَبْدِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَهُ أَوْ لَهُ، لَا فِيهِ، وَاللهُ إِنَّمَا أَوْجَبَ عَلَيْنَا مُكَاتَبَةَ الْعَبْدِ إِذَا عَلِمْنَا فِيهِ خَيْرًا، لَا إِذَا عَلِمْنَا عِنْدَهُ أَوْ لَهُ، فَلِذَلِكَ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ الْخَيْرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنِيٌّ بِهِ الْمَالُ..

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وَأَعْطُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي أَعْطَاكُمْ.. وَذَلِكَ حَضٌّ مِنَ اللهِ أَهْلَ الْأَمْوَالِ عَلَىٰ أَنْ يُعْطُوهُمْ سَهْمَهُمُ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْمَفْرُوضَةِ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠]، فَالرِّقَابُ الَّتِي جَعَلَ فِيهَا أَحَدَ سِهْمَانِ الصَّدَقَةِ الثَّمَانِيَةِ هُمُ الْمُكَاتَبُونَ، وَإِيَّاهُ عَنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾، أَيْ: سَهْمَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِإِعْطَاءِ الْمُكَاتَبِ مِنْ مَالِ اللهِ هُوَ مَوْلَىٰ الْعَبْدِ الْمُكَاتَبِ، وَمَالُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِإِعْطَائِهِ مِنْهُ هُوَ مَالُ الْكِتَابَةِ، وَالْقَدَرُ الَّذِي أُمِرَ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْهُ: الرُّبُعُ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِإِيتَاءِ الْمُكَاتَبِينَ مِنْ مَالِهِ الَّذِي آتَىٰ أَهْلَ الْأَمْوَالِ، وَأَمْرُ اللهِ فَرْضٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الِانْتِهَاءُ إِلَيْهِ، مَا لَمْ يُخْبِرْهُمْ أَنَّ مُرَادَهُ النَّدْبُ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ أَخْبَرَنَا فِي كِتَابِهِ وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّهُ نَدْبٌ، فَفَرْضٌ وَاجِبٌ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتِ الْحُجَّةُ قَدْ قَامَتْ أَنْ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ فِي مَالِ أَحَدٍ غَيْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا أَوْجَبَهُ اللهُ لِأَهْلِ سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ، وَكَانَتِ الْكِتَابَةُ الَّتِي يَقْتَضِيهَا سَيِّدُ الْمُكَاتَبِ مِنْ مُكَاتَبِهِ مَالًا مِنْ مَالِ سَيِّدِ الْمُكَاتَبِ؛ فَيُفَادُ أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي أَوْجَبَ اللهُ لَهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْتُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ هُوَ مَا فَرَضَ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ لَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَةِ، إِذْ كَانَ لَا حَقَّ فِي أَمْوَالِهِمْ لِأَحَدٍ سِوَاهَا..

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ زَوِّجُوا الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ، وَلَا تُكْرِهُوا إِمَاءَكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ، وَهُوَ الزِّنَا..

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ إِنْ أَرَدْنَ تَعَفُّفًا عَنِ الزِّنَا..

﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ لِتَلْتَمِسُوا بِإِكْرَاهِكُمْ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ الزِّنَا..

﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَذَلِكَ مَا تَعْرِضُ لَهُمْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ رِيَاشِهَا وَزِينَتِهَا، وَأَمْوَالِهَا..

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ وَمَنْ يُكْرِهْ فَتَيَاتِهِ عَلَىٰ الْبِغَاءِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ﴾ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ ذَلِكَ، لَهُمْ..

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٣﴾ [النور: ٣٣] وَوِزْرُ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ دُونَهُنَّ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَعَنْ جَابِرٍ: (أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ يُقَالُ لَهَا: مُسَيْكَةُ، وَأُخْرَىٰ يُقَالُ لَهَا: أُمَيْمَةُ، فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا عَلَى الزِّنَا، فَشَكَتَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٣﴾).

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤﴾ [النور: ٣٤].

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ءَايَٰتٖ﴾ دِلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ..

﴿مُّبَيِّنَٰتٖ﴾ مُفَصِّلَاتِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَمُوَضِّحَاتِ ذَلِكَ، بِمَعْنَىٰ أَنَّ الْآيَاتِ هُنَّ تُبَيِّنَّ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ لِلنَّاسِ وَتَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ: (مُبَيَّنَاتٍ) بِفَتْحِ الْيَاءِ: بِمَعْنَىٰ مُفَصَّلَاتٍ، وَأَنَّ اللهَ فَصَّلَهُنَّ وَبَيَّنَهُنَّ لِعِبَادِهِ، فَهُنَّ مُفَصَّلَاتٌ مُبَيَّنَاتٌ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، وَقَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ إِذْ فَصَّلَهَا وَبَيَّنَهَا صَارَتْ مُبَيِّنَةً بِنَفْسِهَا الْحَقَّ لِمَنْ الْتَمَسَهُ مِنْ قِبَلِهَا، وَإِذَا بَيَّنَتْ ذَلِكَ لِمَنِ الْتَمَسَهُ مِنْ قِبَلِهَا، فَيُبَيِّنُ اللهُ ذَلِكَ فِيهَا، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ فِي قِرَاءَتِهِ الصَّوَابَ..

﴿وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ مِنَ الْأُمَمِ..

﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤﴾ [النور: ٣٤] وَمَوْعِظَةً لِمَنِ اتَّقَى اللهَ، فَخَافَ عِقَابَهُ، وَخَشِيَ عَذَابَهُ.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: ٣٥].

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ هَادِي مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُمْ بِنُورِهِ إِلَى الْحَقِّ يَهْتَدُونَ، وَبِهُدَاهُ مِنْ حَيْرَةِ الضَّلَالَةِ يَعْتَصِمُونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: اللهُ مُدَبِّرُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ النُّورِ الضِّيَاءَ، وَقَالُوا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ضِيَاءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: (بَدَأَ بِنُورِ نَفْسِهِ، فَذَكَرَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ نُورَ الْمُؤْمِنِ).. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٣٤﴾ [النور: ٣٤]، فَكَانَ ذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْ مَوْقِعِ يَقَعُ تَنْزِيلُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ مَدْحِ مَا ابْتَدَأَ بِذِكْرِ مَدْحِهِ، أَوْلَىٰ وَأَشْبَهُ، مَا لَمْ يَأْتِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ انْقِضَاءِ الْخَبَرِ عَنْهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٣٤﴾ [النور: ٣٤]، فَهَدَيْنَاكُمْ بِهَا، وَبَيَّنَّا لَكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ بِهَا، لِأَنِّي هَادِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ.. وَتَرَكَ وَصْلَ الْكَلَامِ بِاللَّامِ، وَابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْ هِدَايَةِ خَلْقِهِ ابْتِدَاءً، وَفِيهِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي ذَكَرْتُ، اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فِي الْخَبَرِ عَنْ مَثَلِ هِدَايَتِهِ خَلْقَهُ بِالْآيَاتِ الْمُبَيِّنَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ..

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ مَثَلُ مَا أَنَارَ مِنَ الْحَقِّ بِهَذَا التَّنْزِيلِ فِي بَيَانِهِ.. وَذَلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْقُرْآنِ فِي قَلْبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، فَقَالَ: مَثَلُ نُورِ اللهِ الَّذِي أَنَارَ بِهِ لِعِبَادِهِ سَبِيلَ الرَّشَادِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ، فَآمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوا بِمَا فِيهِ، فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كَمَثَلِ مِشْكَاةٍ، وَهِيَ عَمُودُ الْقِنْدِيلِ الَّذِي فِيهِ الْفَتِيلَةُ؛ وَذَلِكَ هُوَ نَظِيرُ الْكَوَّةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْحِيطَانِ الَّتِي لَا مَنْفَذَ لَهَا، وَإِنَّمَا جُعِلَ ذَلِكَ الْعَمُودُ مِشْكَاةً؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ نَافِذٍ، وَهُوَ أَجْوَفُ، مَفْتُوحُ الْأَعْلَىٰ، فَهُوَ كَالْكَوَّةِ الَّتِي فِي الْحَائِطِ الَّتِي لَا تَنْفُذُ..

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وَهُوَ السِّرَاجُ، وَجَعَلَ السِّرَاجَ، وَهُوَ الْمِصْبَاحُ مَثَلًا لِمَا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْآيَاتِ الْمُبَيِّنَاتِ..

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّ السِّرَاجَ الَّذِي فِي الْمِشْكَاةِ فِي الْقِنْدِيلِ، وَهُوَ الزُّجَاجَةُ، وَذَلِكَ مَثَلٌ لِلْقُرْآنِ، يَقُولُ: الْقُرْآنُ الَّذِي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي أَنَارَ اللهُ قَلْبَهُ فِي صَدْرِهِ..

﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ وَذَلِكَ صَدْرُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي فِيهِ قَلْبُهُ..

﴿كَأَنَّهَا﴾ كَأَنَّ الزُّجَاجَةَ، وَذَلِكَ مَثَلٌ لِصَدْرِ الْمُؤْمِنِ فِي خُلُوصِهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَالشَّكِّ فِيهِ، وَاسْتِنَارَتِهِ بِنُورِ الْقُرْآنِ، وَاسْتِضَاءَتِهِ بِآيَاتِ رَبِّهِ الْمُبَيِّنَاتِ، وَمَوَاعِظِهِ فِيهَا كَمَثَلِ الـ..

﴿كَوْكَبٌ﴾ فِي صَفَائِهَا وَضِيَائِهَا وَحُسْنِهَا، وَإِنَّمَا يَصِفُ صَدْرَهُ بِالنَّقَاءِ مِنْ كُلِّ رَيْبٍ وَشَكٍّ فِي

أَسْبَابِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَبُعْدِهِ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي، كَالْكَوْكَبِ الـ..

﴿دُرِّيٌّ﴾ الَّذِي يُشْبِهُ الدُّرَّ فِي الصَّفَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحُسْنِ..

﴿يُوقَدُ﴾ قَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَالْمَدَنِيِّينَ وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ: (تَوَقَّدَ) بِالتَّاءِ، وَفَتْحِهَا، وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، وَفَتْحِ الدَّالِ، وَكَأَنَّهُمْ وَجَّهُوا مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ تَوَقُّدِ الْمِصْبَاحِ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ.. وَقَرَأَهُ بَعْضُ عَامَّةِ قُرَّاءِ الْمَدَنِيِّينَ (يُوقَدُ) بِالْيَاءِ، وَتَخْفِيفِ الْقَافِ، وَرَفْعِ الدَّالِ؛ بِمَعْنَىٰ: يُوقِدُ الْمِصْبَاحُ مُوقِدُهُ مِنْ شَجَرَةٍ، ثُمَّ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (تُوقَدُ) بِضَمِّ التَّاءِ، وَتَخْفِيفِ الْقَافِ وَرَفْعِ الدَّالِ، بِمَعْنَىٰ: يُوقِدُ الزُّجَاجَةُ مُوقِدُهَا مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.. وَقَرَأَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ: (تَوَقَّدُ) بِفَتْحِ التَّاءِ، وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، وَضَمِّ الدَّالِ؛ بِمَعْنَىٰ: تَتَوَقَّدُ الزُّجَاجَةُ مِنْ شَجَرَةٍ، ثُمَّ أُسْقِطَتْ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ اكْتِفَاءً بِالْبَاقِيَةِ مِنَ الذَّاهِبَةِ.. وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الْأَلْفَاظُ بِهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الزُّجَاجَةَ إِذَا وُصِفَتْ بِالتَّوَقُّدِ أَوْ بِأَنَّهَا تُوقَدُ، فَمَعْلُومٌ مَعْنَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ تَوَقَّدَ فِيهَا الْمِصْبَاحُ، أَوْ يُوقَدُ فِيهَا الْمِصْبَاحُ، وَلَكِنْ وَجَّهُوا الْخَبَرَ إِلَىٰ أَنَّ وَصْفَهَا بِذَلِكَ أَقْرَبُ فِي الْكَلَامِ مِنْهَا، وَفَهْمِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ، وَالْمُرَادِ مِنْهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَبِأَيِّ الْقِرَاءَاتِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، غَيْرَ أَنَّ أَعْجَبَ الْقِرَاءَاتِ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فِي ذَلِكَ: (تَوَقَّدَ) بِفَتْحِ التَّاءِ، وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، وَفَتْحِ الدَّالِ، بِمَعْنَىٰ وَصْفِ الْمِصْبَاحِ بِالتَّوَقُّدِ؛ لِأَنَّ التَّوَقُّدَ وَالِاتِّقَادَ لَا شَكَّ أَنَّهُمَا مِنْ صِفَتِهِ، دُونَ الزُّجَاجَةِ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَنْ: كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ..

﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ مِنْ دُهْنِ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ.. وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِهِ: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ كَلَامُهُ، جَعَلَ مَثَلَهُ وَمَثَلَ كَوْنِهِ مِنْ عِنْدِهِ مَثَلَ الْمِصْبَاحِ الَّذِي يُوقَدُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي وَصَفَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ لَيْسَتْ شَرْقِيَّةً وَحْدَهَا حَتَّىٰ لَا تُصِيبَهَا الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ، وَإِنَّمَا لَهَا نَصِيبُهَا مِنَ الشَّمْسِ بِالْغَدَاةِ مَا دَامَتْ بِالْجَنْبِ الَّذِي يَلِي الشَّرْقَ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهَا نَصِيبٌ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَىٰ جَانِبِ الْغَرْبِ..

﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ وَلَا هِيَ غَرْبِيَّةٌ وَحْدَهَا، فَتُصِيبُهَا الشَّمْسُ بِالْعَشِيِّ إِذَا مَالَتْ إِلَىٰ جَانِبِ الْغَرْبِ، وَلَا تُصِيبُهَا بِالْغَدَاةِ؛ وَلَكِنَّهَا شَرْقِيَّةٌ غَرْبِيَّةٌ، تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ بِالْغَدَاةِ، وَتَغْرُبُ عَلَيْهَا، فَيُصِيبُهَا حَرُّ الشَّمْسِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، وإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ، كَانَ أَجْوَدَ لِزَيْتِهَا؛ لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا وَصَفَ الزَّيْتَ

الَّذِي يُوقَدُ عَلَىٰ هَذَا الْمِصْبَاحِ بِالصَّفَاءِ وَالْجَوْدَةِ، فَإِذَا كَانَ شَجَرُهُ شَرْقِيًّا غَرْبِيًّا كَانَ زَيْتُهُ لَا شَكَّ أَجْوَدَ وَأَصْفَىٰ وَأَضْوَأَ..

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ يَكَادُ زَيْتُ هَذِهِ الزَّيْتُونَةِ..

﴿يُضِيٓءُ﴾ مِنْ صَفَائِهِ، وَحُسْنِ ضِيَائِهِ.. وَعُنِيَ بِذَلِكَ: أَنَّ حُجَجَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ تَكَادُ مِنْ بَيَانِهَا وَوُضُوحِهَا تُضِيءُ لِمَنْ فَكَّرَ فِيهَا وَنَظَرَ، أَوْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَلَهَا...

﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فَكَيْفَ إِذَا مَسَّتْهُ النَّارُ؟.. يَقُولُ: وَلَوْ لَمْ يَزِدْهَا اللهُ بَيَانًا وَوُضُوحًا بِإِنْزَالِهِ هَذَا الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ، مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ، فَكَيْفَ إِذَا نَبَّهَهُمْ بِهِ، وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِهِ، فَزَادَهُمْ بِهِ حُجَّةً إِلَىٰ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ؟ فَذَلِكَ بَيَانٌ مِنَ اللهِ، وَنُورٌ عَلَىٰ الْبَيَانِ، وَالنُّورُ الَّذِي كَانَ قَدْ وَضَعَهُ لَهُمْ وَنَصَبَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ..

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يَعْنِي النَّارَ عَلَىٰ هَذَا الزَّيْتِ الَّذِي كَادَ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ النَّارُ، وَهُوَ مَثَلُ الْقُرْآنِ، نُورٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَنْزَلَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ، ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾ عَلَىٰ الْحُجَجِ وَالْبَيَانِ الَّذِي قَدْ نَصَبَهُ لَهُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْقُرْآنِ، وَإِنْزَالِهِ إِيَّاهُ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ حَقِيقَةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، فَذَلِكَ بَيَانٌ مِنَ اللهِ، وَنُورٌ عَلَىٰ الْبَيَانِ، وَالنُّورُ الَّذِي كَانَ وَضَعَهُ لَهُمْ وَنَصَبَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ..

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ يُوَفِّقُ اللهُ لِاتِّبَاعِ نُورِهِ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ وَيُمَثِّلُ اللهُ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ لِلنَّاسِ، كَمَا مَثَّلَ لَهُمْ مَثَلَ هَذَا الْقُرْآنِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِالْمِصْبَاحِ فِي الْمِشْكَاةِ، وَسَائِرِ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ..

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾ [النور: ٣٥] وَاللهُ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، ذُو عِلْمٍ.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦﴾

[النور: ٣٦].

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، فِي بُيُوتٍ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ (مِنْ) فِي صِلَةِ (تَوَقَّدَ) فَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ: تَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ذَلِكَ الْمِصْبَاحُ فِي بُيُوتٍ.. وَعُنِيَ بِالْبُيُوتِ الْمَسَاجِدُ؛ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]، عَلَىٰ أَنَّهَا بُيُوتٌ بُنِيَتْ لِلصَّلَاةِ؛ فَلِذَلِكَ قُلْنَا هِيَ الْمَسَاجِدُ..

﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ بِنَاءً، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ مِنْ مَعْنَىٰ الرَّفْعِ فِي الْبُيُوتِ وَالْأَبْنِيَةِ..

﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ وَأَذِنَ لِعِبَادِهِ أَنْ يَذْكُرُوا اسْمَهُ فِيهَا، وَقَدْ قِيلَ: عُنِيَ بِهِ أَنَّهُ أَذِنَ لَهُمْ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَهَذَا الْقَوْلُ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِمَّا قُلْنَاهُ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ تِلَاوَةَ كِتَابِ اللهِ مِنْ مَعَانِي ذِكْرِ اللهِ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي قُلْنَا بِهِ أَظْهَرُ مَعْنَيَيْهِ، فَلِذَلِكَ اخْتَرْنَا الْقَوْلَ بِهِ..

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾ [النور: ٣٦] يُصَلِّي لَهُ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ بِالْغُدُوَاتِ وَالْعَشِيَّاتِ رِجَالٌ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**كُلُّ تَسْبِيحٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ صَلَاةٌ**).

﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور: ٣٧].

﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ لَا يَشْغَلُ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الَّتِي أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فِيهَا.. فَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: (**أَنَّهُ نَظَرَ إِلَىٰ قَوْمٍ مِنَ السُّوقِ قَامُوا وَتَرَكُوا بِيَاعَاتِهِمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ: لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ للهِ**)..

﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وَلَا يَشْغَلُهُمْ ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا..

﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وَإِخْلَاصُ الطَّاعَةِ للهِ.. كما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النور: ٥٦]، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [مريم: ١٣]، وَنَحْوُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: (**يَعْنِي بِالزَّكَاةِ: طَاعَةَ اللهِ وَالإِخْلَاصَ**)..

﴿يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ﴾ مِنْ هَوْلِهِ، بَيْنَ طَمَعٍ بِالنَّجَاةِ وَحَذَرٍ بِالْهَلَاكِ..

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور: ٣٧] أَيُّ نَاحِيَةٍ يُؤْخَذُ بِهِمْ: أَذَاتَ الْيَمِينِ؟ أَمْ ذَاتَ الشِّمَالِ؟ وَمِنْ أَيْنَ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ: أَمِنْ قِبَلِ الْأَيْمَانِ، أَوْ مِنْ قِبَلِ الشَّمَائِلِ؟ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٨﴾ [النور: ٣٨].

﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ فَعَلُوا ذَلِكَ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَمْ تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ

اللهِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَطَاعُوا رَبَّهُمْ، مَخَافَةَ عَذَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَيْ يُثِيبَهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَيَزِيدَهُم﴾ عَلَىٰ ثَوَابِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ فَيُفْضِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَحَبَّ مِنْ كَرَامَتِهِ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ وَأَرَادَ مِنْ طَوْلِهِ وَكَرَامَتِهِ، مِمَّا لَمْ يَسْتَحِقَّهُ بِعَمَلِهِ، وَلَمْ يَبْلُغْهُ بِطَاعَتِهِ..

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾ [النور: ٣٨] بِغَيْرِ مُحَاسَبَةٍ عَلَىٰ مَا بَذَلَ لَهُ، وَأَعْطَاهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٣٩﴾ [النور: ٣٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِأَعْمَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، فَقَالَ: وَالَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ وَكَذَّبُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ وَبِمَنْ جَاءَ بِهِ، مَثَلُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا..

﴿كَسَرَابِۭ﴾ مِثْلِ سَرَابٍ، وَالسَّرَابُ مَا لَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَذَلِكَ يَكُونُ نِصْفَ النَّهَارِ، وَحِينَ يَشْتَدُّ الْحَرُّ..

﴿بِقِيعَةٖ﴾ جَمْعُ قَاعٍ، كَالْجِيرَةِ جَمْعُ جَارٍ، وَالْقَاعُ مَا انْبَسَطَ مِنَ الْأَرْضِ وَاتَّسَعَ، وَفِيهِ يَكُونُ السَّرَابُ..

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ يَظُنُّ الْعَطْشَانُ مِنَ النَّاسِ السَّرَابَ مَاءً..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ الظَّمْآنُ السَّرَابَ مُلْتَمِسًا مَاءً يَسْتَغِيثُ بِهِ مِنْ عَطَشِهِ..

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـٔٗا﴾ فَكَذَلِكَ الْكَافِرُونَ بِاللهِ، مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي غُرُورٍ، يَحْسِبُونَ أَنَّهَا مُنْجِيَتُهُمْ عِنْدَ اللهِ مِنْ عَذَابِهِ، كَمَا حَسِبَ الظَّمْآنُ الَّذِي رَأَىٰ السَّرَابَ، فَظَنَّهُ مَاءً يَرْوِيهِ مِنْ ظَمَئِهِ؛ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ وَصَارَ إِلَىٰ الْحَاجَةِ إِلَىٰ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَرَىٰ أَنَّهُ نَافِعُهُ عِنْدَ اللهِ، لَمْ يَجِدْهُ يَنْفَعُهُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَمَلُهُ عَلَىٰ كُفْرٍ بِاللهِ..

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ﴾ هَذَا الْكَافِرُ..

﴿عِندَهُۥ﴾ عِنْدَ هَلَاكِهِ بِالْمِرْصَادِ..

﴿فَوَفَّىٰهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿حِسَابَهُۥۗ﴾ حِسَابَ أَعْمَالِهِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الدُّنْيَا، وَجَازَاهُ بِهَا جَزَاءَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ مِنْهُ..

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور: ٣٩] وَاللهُ سَرِيعٌ حِسَابُهُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ عَقْدِ أَصَابِعَ وَلَا حِفْظٍ بِقَلْبٍ، وَلَكِنَّهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَهُ الْعَبْدُ، وَمِنْ بَعْدِ مَا عَمِلَهُ.

﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ [النور: ٤٠].

﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ آخَرُ ضَرَبَهُ اللهُ لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَمَثَلُ أَعْمَالِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فِي أَنَّهَا عُمِلَتْ عَلَىٰ خَطَأٍ وَفَسَادٍ وَضَلَالَةٍ وَحَيْرَةٍ مِنْ عُمَّالِهَا فِيهَا، وَعَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ، مَثَلُ ظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وَنَسَبَ الْبَحْرَ إِلَىٰ اللُّجَّةِ، وَصْفًا لَهُ بِأَنَّهُ عَمِيقٌ كَثِيرُ الْمَاءِ، وَلُجَّةُ الْبَحْرِ: مُعْظَمُهُ..

﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ﴾ يَغْشَىٰ الْبَحْرَ مَوْجٌ..

﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾ مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ مَوْجٌ آخَرُ يَغْشَاهُ..

﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ﴾ مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ الثَّانِي الَّذِي يَغْشَىٰ الْمَوْجَ الْأَوَّلَ سَحَابٌ..

﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ فَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ مَثَلًا لِأَعْمَالِهِمْ، وَالْبَحْرَ اللُّجِّيَّ مَثَلًا لِقَلْبِ الْكَافِرِ، يَقُولُ: عَمِلَ بِنِيَّةِ قَلْبٍ قَدْ غَمَرَهُ الْجَهْلُ، وَتَغَشَّتْهُ الضَّلَالَةُ وَالْحَيْرَةُ، كَمَا يَغْشَىٰ هَذَا الْبَحْرَ اللُّجِّيَ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، فَكَذَلِكَ قَلْبُ هَذَا الْكَافِرِ الَّذِي مَثَلُ عَمَلِهِ مَثَلُ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ، يَغْشَاهُ الْجَهْلُ بِاللهِ، بِأَنَّ اللهَ خَتَمَ عَلَيْهِ، فَلَا يَعْقِلُ عَنِ اللهِ، وَعَلَىٰ سَمْعِهِ، فَلَا يَسْمَعُ مَوَاعِظَ اللهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَلَا يُبْصِرُ بِهِ حُجَجَ اللهِ، فَتِلْكَ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ..

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ إِذَا أَخْرَجَ النَّاظِرُ يَدَهُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ، لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا، مَعَ شِدَّةِ هَذِهِ الظُّلْمَةِ الَّتِي وَصَفَ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: لَمْ أَكَدْ أَرَىٰ فُلَانًا، إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ رُؤْيَتَهُ بَعْدَ جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، وَمِنْ دُونِ الظُّلُمَاتِ الَّتِي وُصِفَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا لَا يَرَىٰ النَّاظِرُ يَدَهُ إِذَا أَخْرَجَهَا فِيهِ، فَكَيْفَ فِيهَا؟ قِيلَ: إِنَّمَا حَسُنَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَثَلٌ، لَا خَبَرٌ عَنْ كَائِنٍ كَانَ..

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ وَمَنْ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ إِيمَانًا، وَهُدًىٰ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَمَعْرِفَةً بِكِتَابِهِ..

﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ [النور: ٤٠] فَمَا لَهُ مِنْ إِيمَانٍ، وَهُدًىٰ، وَمَعْرِفَةٍ بِكِتَابِهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ [النور: ٤١].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَتَعْلَمَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَنَّ اللهَ يُصَلِّي لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَلَكٍ وَإِنْسٍ وَجِنٍّ..

﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ﴾ فِي الْهَوَاءِ أَيْضًا تُسَبِّحُ لَهُ..

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ﴾ كُلُّ مُصَلٍّ مِنْهُمْ وَمُسَبِّحٍ، قَدْ عَلِمَ اللهُ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ [النور: ٤١] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يَفْعَلُ كُلُّ مُصَلٍّ وَمُسَبِّحٍ مِنْهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِهِمْ، طَاعَتُهَا وَمَعْصِيَتُهَا، مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٢﴾ [النور: ٤٢].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَللهِ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكُهَا، دُونَ كُلِّ مَنْ هُوَ دُونَهُ مِنْ سُلْطَانٍ وَمَلِكٍ، فَإِيَّاهُ فَارْهَبُوا أَيُّهَا النَّاسُ، وَإِلَيْهِ فَارْغَبُوا لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَإِنَّ بِيَدِهِ خَزَائِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَخْشَىٰ بِعَطَايَاكُمْ مِنْهَا فَقْرًا..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٢﴾ [النور: ٤٢] وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِكُمْ، مَصِيرُكُمْ، وَمَعَادُكُمْ، فَيُوَفِّيكُمْ أُجُورَ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي عَمِلْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا، فَأَحْسِنُوا عِبَادَتَهُ، وَاجْتَهِدُوا فِي طَاعَتِهِ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمُ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٣﴾ [النور: ٤٣].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي﴾ يَسُوقُ..

﴿سَحَابًا﴾ حَيْثُ يُرِيدُ..

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَ السَّحَابِ، وَتَأْلِيفُ اللهِ السَّحَابَ: جَمْعُهُ بَيْنَ مُتَفَرِّقِهَا..

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ﴾ ثُمَّ يَجْعَلُ السَّحَابَ الَّذِي يُزْجِيهِ وَيُؤَلِّفُ بَعْضَهُ إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿رُكَامًا﴾ مُتَرَاكِمًا بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ فَتَرَىٰ الْمَطَرَ..

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ..

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَعْنَاهُ: وَأَنَّ اللهَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِي السَّمَاءِ مِنْ بَرَدٍ، مَخْلُوقَةً هُنَالِكَ خِلْقَةً، كَأَنَّ الْجِبَالَ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ، هِيَ مِنْ بَرَدٍ، كَمَا يُقَالُ: جِبَالٌ مِنْ طِينٍ.. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّ اللهَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ قَدْرَ جِبَالٍ، وَأَمْثَالَ جِبَالٍ مِنْ بَرَدٍ إِلَىٰ الْأَرْضِ، كَمَا يُقَالُ: عِنْدِي بَيْتَانِ تِبْنًا، وَالْمَعْنَىٰ: قَدْرَ بَيْتَيْنِ مِنَ التِّبْنِ، وَالْبَيْتَانِ لَيْسَا مِنَ التِّبْنِ..

﴿فَيُصِيبُ﴾ فَيُعَذِّبُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ فَيُهْلِكُهُ، أَوْ يُهْلِكُ بِهِ زُرُوعَهُ وَمَالَهُ..

﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن﴾ زُرُوعِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿مَّن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ يَكَادُ شِدَّةُ ضَوْءِ بَرْقِ هَذَا السَّحَابِ..

﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ٤٣﴾ [النور: ٤٣] يَذْهَبُ بِأَبْصَارِ مَنْ لَاقَىٰ بَصَرَهُ.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ٤٤﴾ [النور: ٤٤].

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يُعَقِّبُ اللهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَيُصَرِّفُهُمَا، إِذَا أَذْهَبَ هَذَا، جَاءَ هَذَا، وَإِذَا أَذْهَبَ هَذَا، جَاءَ هَذَا..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِنْشَاءِ اللهِ السَّحَابَ، وَإِنْزَالِهِ مِنْهُ الْوَدْقَ، وَمِنَ السَّمَاءِ الْبَرْدَ، وَفِي تَقْلِيبِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ..

﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ٤٤﴾ [النور: ٤٤] لَعِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرَ بِهِ، وَعِظَةً لِمَنِ اتَّعَظَ بِهِ مِمَّنْ لَهُ فَهْمٌ وَعَقْلٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُنْبِئُ وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ لَهُ مُدَبِّرًا وَمُصَرِّفًا وَمُقَلِّبًا، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٤٥﴾ [النور: ٤٥].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ يَعْنِي: مِنْ نُطْفَةٍ..

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كَالْحَيَّاتِ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ وَالْمَشْيِ لَا يَكُونُ عَلَىٰ الْبَطْنِ؛ لِأَنَّ الْمَشْيَ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَا لَهُ قَوَائِمُ، عَلَىٰ التَّشْبِيهِ، وَأَنَّهُ لَمَّا خَالَطَ مَا لَهُ قَوَائِمُ مَا لَا قَوَائِمَ لَهُ، جَازَ، كَمَا قَالَ..

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كَالطَّيْرِ..

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ﴾ كَالْبَهَائِمِ.

﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ﴾ يُحْدِثُ اللهُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٥] إِنَّ اللهَ عَلَىٰ إِحْدَاثِ ذَلِكَ وَخَلْقِهِ وَخَلْقِ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ، ذُو قُدْرَةٍ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَ.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦].

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ءَايَٰتٍ﴾ عَلَامَاتٍ..

﴿مُّبَيِّنَٰتٍۚ﴾ وَاضِحَاتٍ، دَالَّاتٍ عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَسَبِيلِ الرَّشَادِ..

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي﴾ وَاللهُ يُرْشِدُ..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ بِتَوْفِيقِهِ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦] فَيَهْدِيهِ إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَالطَّرِيقُ الْقَاصِدُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور: ٤٧].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ الْمُنَافِقُونَ..

﴿ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا..

﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ..

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ ثُمَّ تُدْبِرُ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَدْعُو إِلَىٰ الْمُحَاكَمَةِ إِلَىٰ غَيْرِهِ خَصْمَهَا..

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَلَيْسَ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ، يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾..

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾ [النور: ٤٧] لِتَرْكِهِمُ الِاحْتِكَامَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ إِذَا دُعُوا إِلَيْهِ.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ٤٨﴾ [النور: ٤٨].

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ﴾ وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ..

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فِيمَا اخْتَصَمُوا فِيهِ بِحُكْمِ اللهِ..

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ٤٨﴾ [النور: ٤٨] عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالرِّضَا بِحُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ٤٩﴾ [النور: ٤٩].

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَيَأْبَوْنَ وَيُعْرِضُونَ عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ ذَلِكَ، قِبَلَ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ يَأْتُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ..

﴿مُذْعِنِينَ ٤٩﴾ [النور: ٤٩] مُنْقَادِينَ لِحُكْمِهِ، مُقِرِّينَ بِهِ، طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ؛ يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ أَذْعَنَ فُلَانٌ بِحَقِّهِ، إِذَا أَقَرَّ بِهِ طَائِعًا غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَانْقَادَ لَهُ وَسَلَّمَ.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾ [النور: ٥٠].

﴿أَفِي قُلُوبِهِم﴾ أَفِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ..

﴿مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ للهِ رَسُولٌ، فَهُمْ يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ حُكْمِهِ وَالرِّضَا بِهِ؟..

﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ إِذَا احْتَكَمُوا إِلَىٰ حُكْمِ كِتَابِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ؟.. وَالْمَعْنَىٰ: أَنْ يَحِيفَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَبَدَأَ بِاللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَعْظِيمًا للهِ، كَمَا يُقَالُ: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ، بِمَعْنَىٰ شِئْتَ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النور: ٤٨]، فَأَفْرَدَ الرَّسُولَ بِالْحُكْمِ، وَلَمْ يَقُلْ: لِيَحْكُمَا..

﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾ [النور: ٥٠] مَا خَافَ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ، إِذْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ ذَلِكَ مِمَّا دُعُوا إِلَيْهِ أَنْ يَحِيفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ، فَيَجُورَ فِي

حُكْمِهِ عَلَيْهِمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ أَهْلُ ظُلْمٍ لِأَنْفُسِهِمْ بِخِلَافِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ مِنَ الرِّضَا بِحُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا أَحَبُّوا وَكَرِهُوا، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ.. وَلَمْ يَعْنِ بِكَانَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْخَبَرَ عَنْ أَمْرٍ قَدْ مَضَىٰ فَتَقَضَّىٰ، وَلَكِنَّهُ تَأْنِيبٌ مِنَ اللهِ الَّذِينَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِسَبَبِهِمْ، وَتَأْدِيبٌ مِنْهُ آخَرِينَ غَيْرَهُمْ..

﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَإِلَىٰ حُكْمِ رَسُولِهِ..

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ..

﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا﴾ مَا قِيلَ لَنَا..

﴿وَأَطَعْنَا﴾ مَنْ دَعَانَا إِلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَأُولَئِكَ﴾ وَالَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ، أَنْ يَقُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا..

﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١] هُمُ الْمُنْجِحُونَ الْمُدْرِكُونَ طَلِبَاتِهِمْ، بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ، الْمُخَلَّدُونَ فِي جَنَّاتِ اللهِ.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ، وَيُسَلِّمْ لِحُكْمِهِمَا لَهُ وَعَلَيْهِ..

﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ وَيَخَفْ عَاقِبَةَ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَيَحْذَرْهُ..

﴿وَيَتَّقْهِ﴾ وَيَتَّقِ عَذَابَ اللهِ بِطَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿فَأُولَئِكَ﴾ فَالَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ..

﴿هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢] بِرِضَا اللهِ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمْنِهِمْ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور: ٥٣].

﴿۞ وَأَقْسَمُوا﴾ وَحَلَفَ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ إِذْ دُعُوا إِلَيْهِ..

﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أَغْلَظَ أَيْمَانِهِمْ وَأَشَدَّهَا..

﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِالْخُرُوجِ إِلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟﴾ لَا تَحْلِفُوا، فَإِنَّ هَٰذِهِ..

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ مِنْكُمْ، فِيهَا التَّكْذِيبُ.. كَمَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ: قَدْ عَرَفْتُ طَاعَتَكُمْ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٥٣﴾ [النور: ٥٣] إِنَّ اللهَ ذُو خِبْرَةٍ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَتِكُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ خِلَافِكُمْ أَمْرَهُمَا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِكُلِّ ذَلِكَ.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: ٥٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، لِهَؤُلَاءِ الْمُقْسِمِينَ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُمَّتِكَ..

﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فَإِنَّ طَاعَتَهُ للهِ طَاعَةٌ..

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فَإِنْ تُعْرِضُوا وَتُدْبِرُوا عَمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَتَأْبَوْا أَنْ تُذْعِنُوا لِحُكْمِهِ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ فِعْلُ مَا أُمِرَ بِفِعْلِهِ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللهِ إِلَيْكُمْ، عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُ مِنَ التَّبْلِيغِ..

﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ وَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَفْعَلُوا مَا أَلْزَمَكُمْ وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ مِنَ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ وَإِنْ تُطِيعُوا أَيُّهَا النَّاسُ رَسُولَ اللهِ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ..

﴿تَهْتَدُوا۟﴾ تَرْشُدُوا وَتُصِيبُوا الْحَقَّ فِي أُمُورِكُمْ..

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: ٥٤] وَغَيْرُ وَاجِبٍ عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمٍ بِرِسَالَةٍ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَهُ بَلَاغًا يُبَيِّنُ لَهُمْ ذَلِكَ الْبَلَاغُ عَمَّا أَرَادَ اللهُ بِهِ، يَقُولُ: فَلَيْسَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا أَدَاءُ رِسَالَةِ اللهِ إِلَيْكُمْ، وَعَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ؛ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُ لِحُظُوظِ أَنْفُسِكُمْ تُصِيبُونَ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُ بِأَنْفُسِكُمْ فَتُوبِقُونَ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مِنكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَأَطَاعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَاهُ وَنَهَيَاهُ..

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لَيُوَرِّثَنَّهُمُ اللهُ أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَيَجْعَلُهُمْ مُلُوكَهَا وَسَاسَتَهَا..

﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَمَا فَعَلَ مِنْ قَبْلِهِمْ ذَلِكَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ أَهْلَكَ الْجَبَابِرَةَ بِالشَّامِ، وَجَعَلَهُمْ مُلُوكَهَا وَسُكَّانَهَا..

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ﴾ وَلَيُوَطِّئَنَّ..

﴿لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ يَعْنِي: مِلَّتَهُمُ..

﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ الَّتِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ فَأَمَرَهُمْ بِهَا..

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وَلَيُغَيِّرَنَّ حَالَهُمْ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ إِلَىٰ الْأَمْنِ..

﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ يَخْضَعُونَ لِي بِالطَّاعَةِ، وَيَتَذَلَّلُونَ لِأَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ لَا يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّايَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ وَلَا شَيْئًا غَيْرَهَا، بَلْ يُخْلِصُونَ لِيَ الْعِبَادَةَ فَيُفْرِدُونَهَا إِلَيَّ دُونَ كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِي.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ شِكَايَةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مِنَ الْعَدُوِّ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ، وَمَا يُلْقَوْنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْأَذَىٰ وَالْمَكْرُوهِ..

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥] فَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَىٰ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَآمَنُوا، ثُمَّ تَجَبَّرُوا، فَغَيَّرَ اللهُ مَا بِهِمْ، وَكَفَرُوا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، فَأَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ الَّذِي كَانَ رَفَعَهُ عَنْهُمْ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦].

﴿وَأَقِيمُواْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا، فَلَا تُضَيِّعُوهَا..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَهَا..

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وَأَطِيعُوا رَسُولَ رَبِّكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦﴾ [النور: ٥٦] كَيْ يَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ فَيُنَجِّيَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٥٧﴾ [النور: ٥٧].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ..

﴿مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ إِذَا أَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ..

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ﴾ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ..

﴿ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٥٧﴾ [النور: ٥٧] الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمَأْوَى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحُۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٨﴾ [النور: ٥٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ فِي الدُّخُولِ عَلَيْكُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ عَبِيدُكُمْ وَإِمَاؤُكُمْ، فَلَا يَدْخُلُوا عَلَيْكُمْ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْكُمْ لَهُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ وَالَّذِينَ لَمْ يَحْتَلِمُوا مِنْ أَحْرَارِكُمْ..

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ مِنْ سَاعَاتِ لَيْلِكُمْ وَنَهَارِكُمْ..

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ﴾ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ الْقُرَظِيِّ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سُوَيْدٍ الْحَارِثِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَنِ الْإِذْنِ فِي الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ، فَقَالَ: (**إِذَا وَضَعْتُ ثِيَابِي مِنَ الظَّهِيرَةِ، لَمْ يَلِجْ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْخَدَمِ الَّذِي بَلَغَ الْحُلُمَ، وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ مِنَ الْأَحْرَارِ، إِلَّا بِإِذْنٍ**).. وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: (**إِذَا أَبَاتَ الرَّجُلُ خَادِمَهُ مَعَهُ فَهُوَ إِذْنُهُ، وَإِنْ لَمْ يُبِتْهُ مَعَهُ اسْتَأْذَنَ فِي هَذِهِ السَّاعَاتِ**)..

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ﴾ هَذِهِ الْأَوْقَاتُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَمَرْنَاكُمْ بِأَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكُمْ فِيهَا مَنْ ذَكَرْنَا إِلَّا

بِإِذْنٍ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ تَضَعُونَ فِيهَا ثِيَابَكُمْ، وَتَخْلُونَ بِأَهْلِيكُمْ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: ﴿ثَلَٰثَ عَوۡرَٰتٍ﴾ بِنَصْبِ (الثَّلَاثِ) عَلَىٰ الرَّدِّ عَلَىٰ (الثَّلَاثِ) الْأُولَىٰ، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَقَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾ مَعْشَرَ أَرْبَابِ الْبُيُوتِ وَالْمَسَاكِنِ..

﴿وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ وَلَا عَلَىٰ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْ أَوْلَادِكُمُ الصِّغَارِ..

﴿جُنَاحُۢ﴾ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ..

﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾ بَعْدَ الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ.. وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا حَرَجَ وَلَا جُنَاحَ عَلَىٰ النَّاسِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ مَمَالِيكُهُمُ الْبَالِغُونَ، وَصِبْيَانُهُمُ الصِّغَارُ بِغَيْرِ إِذْنٍ بَعْدَ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثِ اللَّاتِي ذَكَرَهُنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾..

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمَمَالِيكِ وَالصِّبْيَانِ الصِّغَارِ: هُمْ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَيَعْنِي بِالطَّوَّافِينَ: أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ مَوَالِيهِمْ وَأَقْرِبَائِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً بِغَيْرِ إِذْنٍ، يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ..

﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ فِي غَيْرِ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَدْخُلُوا عَلَىٰ سَادَاتِهِمْ وَأَقْرِبَائِهِمْ فِيهَا إِلَّا بِإِذْنٍ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَحْكَامَ الِاسْتِئْذَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، كَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ﴾ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ جَمِيعَ أَعْلَامِهِ، وَأَدِلَّتِهِ، وَشَرَائِعَ دِينِهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ..

﴿حَكِيمٞ ٥٨﴾ [النور: ٥٨] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِ.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ [النور: ٥٩].

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ﴾ إِذَا بَلَغَ الصِّغَارُ مِنْ أَوْلَادِكُمْ وَأَقْرِبَائِكُمْ..

﴿مِنكُمُ﴾ مِنْ أَحْرَارِكُمْ..

﴿ٱلْحُلُمَ﴾ الِاحْتِلَامَ..

﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ فَلَا يَدْخُلُوا عَلَيْكُمْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَّا بِإِذْنٍ، لَا فِي أَوْقَاتِ الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ وَلَا فِي غَيْرِهَا..

﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَمَا اسْتَأْذَنَ الْكِبَارُ مِنْ وَلَدِ الرَّجُلِ وَأَقْرِبَائِهِ الْأَحْرَارِ.. وَخَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَطْفَالَ بِالذِّكْرِ وَتَعْرِيفِ حُكْمِهِمْ عِبَادَهُ فِي الِاسْتِئْذَانِ دُونَ ذِكْرِ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْآيَةُ الَّتِي قَبْلَهَا بِتَعْرِيفِهِمْ حُكْمَ الْأَطْفَالِ الْأَحْرَارِ وَالْمَمَالِيكِ؛ لِأَنَّ حُكْمَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا مِنْ ذَلِكَ حُكْمٌ وَاحِدٌ، سَوَاءٌ فِيهِ حُكْمُ كِبَارِهِمْ، وَصِغَارِهِمْ فِي أَنَّ الْإِذْنَ عَلَيْهِمْ فِي السَّاعَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَ دِينِهِ، كَمَا بَيَّنَ لَكُمْ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ فِي الِاسْتِئْذَانِ بَعْدَ الْبُلُوغِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يُصْلِحُ خَلْقَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ..

﴿حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ [النور: ٥٩] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٦٠﴾ [النور: ٦٠].

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وَاللَّوَاتِي قَدْ قَعَدْنَ عَنِ الْوَلَدِ مِنَ الْكِبَرِ مِنَ النِّسَاءِ، فَلَا يَحِضْنَ وَلَا يَلِدْنَ؛ وَاحِدَتُهُنَّ قَاعِدٌ..

﴿ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ اللَّاتِي قَدْ يَئِسْنَ مِنَ الْبُعُولَةِ، فَلَا يَطْمَعْنَ فِي الْأَزْوَاجِ..

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ، يَعْنِي جَلَابِيبَهُنَّ، وَهِيَ الْقِنَاعُ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الْخِمَارِ، وَالرِّدَاءُ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الثِّيَابِ، لَا حَرَجَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَضَعْنَ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَحَارِمِ مِنَ الرِّجَالِ وَغَيْرِ الْمَحَارِمِ مِنَ الْغُرَبَاءِ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ..

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ فِي وَضْعِ أَرْدِيَتِهِنَّ إِذَا لَمْ يُرِدْنَ بِوَضْعِ ذَلِكَ عَنْهُنَّ أَنْ يُبْدِينَ مَا عَلَيْهِنَّ مِنَ الزِّينَةِ لِلرِّجَالِ، وَالتَّبَرُّجُ: هُوَ أَنْ تُظْهِرَ الْمَرْأَةُ مِنْ مَحَاسِنِهَا مَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَسْتُرَهُ..

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ وَإِنْ تَعَفَّفْنَ عَنْ وَضْعِ جَلَابِيبِهِنَّ وَأَرْدِيَتِهِنَّ، فَيَلْبَسْنَهَا، خَيْرٌ

لَهُنَّ مِنْ أَنْ يَضَعْنَهَا..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ مَا تَنْطِقُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ..

﴿عَلِيمٌ ۝٦٠﴾ [النور: ٦٠] بِمَا تُضْمِرُهُ صُدُورُكُمْ، فَاتَّقُوهُ أَنْ تَنْطِقُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ مَا قَدْ نَهَاكُمْ عَنْ أَنْ تَنْطِقُوا بِهَا، أَوْ تُضْمِرُوا فِي صُدُورِكُمْ مَا قَدْ كَرِهَهُ لَكُمْ، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ مِنْهُ عُقُوبَةً.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦١﴾ [النور: ٦١].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ﴾ لَا ضِيقَ عَلَىٰ الْأَعْمَىٰ، وَلَا عَلَىٰ الْأَعْرَجِ، وَلَا عَلَىٰ الْمَرِيضِ، وَلَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِ أَنْفُسِكُمْ أَوْ مِنْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ، أَوْ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهَا، أَوْ مِنْ بُيُوتِ صَدِيقِكُمْ، إِذَا أَذِنُوا لَكُمْ فِي ذَلِكَ، عِنْدَ مَغِيبِهِمْ وَمَشْهَدِهِمْ..

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ وَكِيلُ الرَّجُلِ وَقَيِّمُهُ، أَنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ ضَيْعَتِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ: مَنْزِلُ الرَّجُلِ نَفْسُهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ.. وَالْمَفَاتِحُ: الْخَزَائِنُ..

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وَكَانَ قَتَادَةُ يقول: لَوْ أَكَلْتَ مِنْ بَيْتِ صَدِيقِكَ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بَأْسٌ..

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ الْغَنِيُّ مِنَ النَّاسِ يَتَخَوَّفُ أَنْ يَأْكُلَ مَعَ الْفَقِيرِ، فَرَخَّصَ لَهُمْ فِي الْأَكْلِ مَعَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ حَيٌّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، كَانُوا لَا يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ وَحْدَهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مَعَ غَيْرِهِ، فَأَذِنَ اللهُ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلَ مَنْ

شَاءَ مِنْهُمْ وَحْدَهُ وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ مَعَ غَيْرِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمٌ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ إِلَّا مَعَ ضَيْفِهِمْ، فَرُخِّصَ لَهُمْ فِي أَنْ يَأْكُلُوا كَيْفَ شَاءُوا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ وَضَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْكُلُوا جَمِيعًا مَعًا إِذَا شَاءُوا، أَوْ أَشْتَاتًا مُتَفَرِّقِينَ إِذَا أَرَادُوا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَزَلَ بِسَبَبِ مَنْ كَانَ يَتَخَوَّفُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الْأَكْلَ مَعَ الْفَقِيرِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ بِسَبَبِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَطْعَمُونَ وُحْدَانًا، وَبِسَبَبِ غَيْرِ ذَلِكَ؛ وَلَا خَبَرَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ يَقْطَعُ الْعُذْرَ، وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنْهُ، وَالصَّوَابُ التَّسْلِيمُ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَالتَّوَقُّفُ فِيمَا لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ صِحَّتِهِ دَلِيلٌ..

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: فَإِذَا دَخَلْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بُيُوتَ أَنْفُسِكُمْ، فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِيكُمْ وَعِيَالِكُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: فَإِذَا دَخَلْتُمُ الْمَسَاجِدَ فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا مِنْ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا نَاسٌ مِنْكُمْ، فَلْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا مِنْ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ بَيْتًا دُونَ بَيْتٍ، وَقَالَ: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾، يَعْنِي: بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَكَانَ مَعْلُومًا إِذْ لَمْ يُخَصِّصْ ذَلِكَ عَلَىٰ بَعْضِ الْبُيُوتِ دُونَ بَعْضٍ، أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ جَمِيعُهَا، مَسَاجِدُهَا وَغَيْرُ مَسَاجِدِهَا، وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾، نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]..

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ فَلْيُحَيِّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ، وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ يُفَصِّلُ اللهُ لَكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ فَيُبَيِّنُهَا لَكُمْ، كَمَا فَصَّلَ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ فِيهَا، وَعَرَّفَكُمْ سَبِيلَ الدُّخُولِ عَلَىٰ مَنْ تَدْخُلُونَ عَلَيْهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور: ٦١] لِكَيْ تَفْقَهُوا عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَأَدَبَهُ.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور: ٦٢].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ مَا الْمُؤْمِنُونَ حَقَّ الْإِيمَانِ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ﴾ وَإِذَا كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ﴾ عَلَىٰ أَمْرٍ يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ مِنْ حَرْبٍ حَضَرَتْ، أَوْ صَلَاةٍ اجْتَمَعَ لَهَا، أَوْ تَشَاوُرٍ فِي أَمْرٍ نَزَلَ..

﴿لَّمۡ يَذۡهَبُواْ﴾ لَمْ يَنْصَرِفُوا عَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ..

﴿حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَنْصَرِفُونَ يَا مُحَمَّدُ إِذَا كَانُوا مَعَكَ فِي أَمْرٍ جَامِعٍ، عَنْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ لَهُمْ، طَاعَةً مِنْهُمْ للهِ وَلَكَ، وَتَصْدِيقًا بِمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ حَقًّا، لَا مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، فَيَنْصَرِفُ عَنْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنْكَ لَهُ، بَعْدَ تَقَدُّمِكَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ عَنْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ..

﴿فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ﴾ فَإِذَا اسْتَأْذَنَكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ لَا يَذْهَبُونَ عَنْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ..

﴿لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ﴾ لِبَعْضِ حَاجَاتِهِمُ الَّتِي تَعْرِضُ لَهُمْ..

﴿فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ﴾ فِي الِانْصِرَافِ عَنْكَ لِقَضَائِهَا..

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ﴾ وَادْعُ اللهَ لَهُمْ بِأَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ عَنْ تَبِعَاتِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ..

﴿رَّحِيمٞ ۝٦٢﴾ [النور: ٦٢] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣].

﴿لَّا تَجۡعَلُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ نَهَىٰ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِدُعَاءِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: اتَّقُوا دُعَاءَهُ عَلَيْكُمْ، بِأَنْ تَفْعَلُوا مَا يُسْخِطُهُ فَيَدْعُو لِذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَتَهْلِكُوا، فَلَا تَجْعَلُوا دُعَاءَهُ كَدُعَاءِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّ دُعَاءَهُ مُوجِبَةٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ نَهْيٌ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْتُوا مِنَ الِانْصِرَافِ عَنْهُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ مَا يَكْرَهُهُ، وَالَّذِي بَعْدَهُ وَعِيدٌ لِلْمُنْصَرِفِينَ بِغَيْرِ

إِذْنِهِ عَنْهُ، فَالَّذِي بَيْنَهُمَا بِأَنْ يَكُونَ تَحْذِيرًا لَهُمْ سَخَطَهُ أَنْ يَضْطَرَّهُ إِلَىٰ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا لَهُمْ بِمَا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ بِالْقَوْلِ وَالدُّعَاءِ..

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُنْصَرِفُونَ عَنْ نَبِيِّكُمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، تَسَتُّرًا وَخُفْيَةً مِنْهُ، وَإِنْ خَفِيَ أَمْرُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ.. وَاللِّوَاذُ: هُوَ أَنْ يَلُوذَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، يَسْتَتِرُ هَذَا بِهَذَا، وَهَذَا بِهَذَا..

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ فَلْيَتَّقِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ فِي الِانْصِرَافِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا بِإِذْنِهِ..

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ الْفِتْنَةُ هَاهُنَا: الْكُفْرُ..

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] مُوجِعٌ، عَلَىٰ صَنِيعِهِمْ ذَلِكَ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

> ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾ مُلْكُ جَمِيعِ..

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فَلَا يَنْبَغِي لِمَمْلُوكٍ أَنْ يُخَالِفَ أَمْرَ مَالِكِهِ فَيَعْصِيَهُ، فَيَسْتَوْجِبَ بِذَلِكَ عُقُوبَتَهُ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَصْلُحُ لَكُمْ خِلَافُ رَبِّكُمُ الَّذِي هُوَ مَالِكُكُمْ، فَأَطِيعُوهُ، وَأْتَمِرُوا لِأَمْرِهِ وَلَا تَنْصَرِفُوا عَنْ رَسُولِهِ إِذَا كُنْتُمْ مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ..

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ مِنْ طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ وَيَوْمَ يَرْجِعُ إِلَىٰ اللهِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ..

﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فَيُخْبِرُهُمْ حِينَئِذٍ..

﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ عَلَىٰ مَا أَسْلَفُوا فِيهَا، مِنْ خِلَافِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ عَمِلْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَهُمْ وَغَيْرُكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ مُوَفٍّ كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَجْرَ عَمَلِهِ يَوْمَ تُرْجَعُونَ إِلَيْهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النُّورِ

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ



مختصر تفسير الطبري

قال الشيخ السعد:
لعله بصنيعه هذا يكون
من أحسن من اختصر هذا الكتاب

تأليف

إسلام بن منصور بن عبد الحميد

قدم له فضيلة الشيخ المحدث العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

طبعة مزيدة ومنقحة

المجلد الثالث

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر تفسير الطبري

٣

الطَّبْعَة الأُولَى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع
الكويت، حولي ، شارع المثنى، مجمع البدري
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤
فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨
ص. ب: ١٠٧٥٠ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت
المملكة العربية السعودية - الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩
E - mail: z.zahby74@yahoo.com
imamzahby

سُورَةُ الفُرْقَانِ (٢٥)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سَبْعٌ وَسَبْعُونَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الفُرْقَانِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [الفرقان: ١].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفَصْلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَصْلًا بَعْدَ فَصْلٍ، وَسُورَةً بَعْدَ سُورَةٍ..

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿لِيَكُونَ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لِجَمِيعِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ الَّذِينَ بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ دَاعِيًا إِلَيْهِ..

﴿نَذِيرًا ①﴾ [الفرقان: ١] مُنْذِرًا يُنْذِرُهُمْ عِقَابَهُ، وَيُخَوِّفُهُمْ عَذَابَهُ إِنْ لَمْ يُوَحِّدُوهُ وَلَمْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَيَخْلَعُوا كُلَّ مَا دُونَهُ مِنَ الآلِهَةِ وَالأَوْثَانِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**لَمْ يُرْسِلِ اللهُ رَسُولًا إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً إِلَّا نُوحًا، بَدَأَ بِهِ الْخَلْقَ، فَكَانَ رَسُولَ أَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِمْ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ خَتَمَ بِهِ**).

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ②﴾ [الفرقان: ٢].

﴿الَّذِي﴾ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ، الَّذِي..

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يُنْفِذُ فِي جَمِيعِهَا أَمْرَهُ وَقَضَاءَهُ، وَيُمْضِي فِي كُلِّهَا أَحْكَامَهُ، يَقُولُ: فَحَقٌّ عَلَىٰ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ أَنْ يُطِيعَهُ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ وَمَنْ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَعْصُوهُ، يَقُولُ: فَلَا تَعْصُوا نَذِيرِي إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاتَّبِعُوهُ، وَاعْمَلُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ يَقُولُ تَكْذِيبًا لِمَنْ أَضَافَ إِلَيْهِ الْوَلَدَ وَقَالَ: (**الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ**): مَا اتَّخَذَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَلَدًا، فَمَنْ أَضَافَ إِلَيْهِ وَلَدًا فَقَدْ كَذَبَ وَافْتَرَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ..

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ يَقُولُ تَكْذِيبًا لِمَنْ كَانَ يُضِيفُ الأُلُوهَةَ إِلَىٰ الأَصْنَامِ وَيَعْبُدُهَا مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَيَقُولُ فِي تَلْبِيَتِهِ: (**لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ**): كَذَبَ قَائِلُو هَذَا الْقَوْلِ، مَا كَانَ للهِ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَيَصْلُحُ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِهِ، يَقُولُ

تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَأَفْرِدُوا أَيُّهَا النَّاسُ لِرَبِّكُمُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ الْأُلُوهَةَ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ دُونَ كُلِّ مَا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ خَلْقُهُ وَفِي مُلْكِهِ، فَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا للهِ الَّذِي هُوَ مَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ..

﴿وَخَلَقَ﴾ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ الْفُرْقَانَ..

﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ فَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا خَلْقُهُ وَمُلْكُهُ، وَعَلَىٰ الْمَمَالِيكِ طَاعَةُ مَالِكِهِمْ، وَخِدْمَةُ سَيِّدِهِمْ دُونَ غَيْرِهِ، يَقُولُ: وَأَنَا خَالِقُكُمْ، وَمَالِكُكُمْ، فَأَخْلِصُوا لِي الْعِبَادَةَ دُونَ غَيْرِي..

﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢] فَسَوَّىٰ كُلَّ مَا خَلَقَ وَهَيَّأَهُ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ، فَلَا خَلَلَ فِيهِ وَلَا تَفَاوُتَ.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان: ٣].

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُقَرِّعًا مُشْرِكِي الْعَرَبِ بِعِبَادَتِهِمْ مَا دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ، وَمُعَجِّبًا أُولِي النُّهَىٰ مِنْهُمْ، وَمُنَبِّهُهُمْ عَلَىٰ مَوْضِعِ خَطَأِ فِعْلِهِمْ، وَذَهَابِهِمْ عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ، وَرُكُوبِهِمْ مِنْ سُبُلِ الضَّلَالَةِ مَا لَا يَرْكَبُهُ إِلَّا كُلُّ مَدْخُولِ الرَّأْيِ، مَسْلُوبِ الْعَقْلِ: وَاتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ دُونِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحْدَهُ، مِنْ غَيْرِ شَرِيك، وَالَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ..

﴿ءَالِهَةً﴾ أَصْنَامًا بِأَيْدِيهِمْ يَعْبُدُونَهَا..

﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا وَهِيَ تُخْلَقُ..

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ وَلَا تَمْلِكُ لِأَنْفُسِهَا نَفْعًا تَجُرُّهُ إِلَيْهَا، وَلَا ضَرًّا تَدْفَعُهُ عَنْهَا مِمَّنْ أَرَادَهَا بِضُرٍّ..

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ وَلَا تَمْلِكُ إِمَاتَةَ حَيٍّ..

﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾ وَلَا إِحْيَاءَ مَيِّتٍ..

﴿وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان: ٣] وَلَا نَشْرَهُ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ.. فَتَرَكُوا عِبَادَةَ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقِ آلِهَتِهِمْ، وَمَالِكِ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالَّذِي بِيَدِهِ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ وَالنُّشُورُ.. وَالنُّشُورُ: مَصْدَرُ: نُشِرَ الْمَيِّتُ نُشُورًا، وَهُوَ أَنْ يُبْعَثَ وَيَحْيَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤﴾ [الفرقان: ٤].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِاللهِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً..

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ مَا هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ..

﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ إِلَّا كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ..

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اخْتَلَقَهُ وَتَخَرَّصَهُ بِقَوْلِهِ..

﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا هَذَا الَّذِي يَجِيئُنَا بِهِ الْيَهُودُ، يَقُولُ: وَأَعَانَ مُحَمَّدًا عَلَىٰ هَذَا الْإِفْكِ الَّذِي افْتَرَاهُ يَهُودُ..

﴿فَقَدْ جَآءُو﴾ فَقَدْ أَتَىٰ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ، يَعْنِي الَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾..

﴿ظُلْمًا﴾ يَعْنِي بِالظُّلْمِ: نِسْبَتَهُمْ كَلَامَ اللهِ وَتَنْزِيلَهُ إِلَىٰ أَنَّهُ إِفْكٌ افْتَرَاهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الظُّلْمِ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَكَانَ ظُلْمُ قَائِلِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْقُرْآنَ بِقِيلِهِمْ هَذَا، وَصْفُهُمْ إِيَّاهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ..

﴿وَزُورًا ۝٤﴾ [سورة: ٤] وَالزُّورُ: أَصْلُهُ تَحْسِينُ الْبَاطِلِ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَقَدْ أَتَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فِي قِيلِهِمْ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ كَذِبًا مَحْضًا.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥].

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، الَّذِينَ قَالُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ: (**إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ مُحَمَّدٌ ﷺ**): هَذَا الَّذِي جَاءَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ..

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يَعْنُونَ: أَحَادِيثَهُمُ الَّتِي كَانُوا يُسَطِّرُونَهَا فِي كُتُبِهِمْ..

﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ يَهُودَ..

﴿فَهِىَ﴾ فَهَذِهِ الْأَسَاطِيرُ..

﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ تُقْرَأُ عَلَيْهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَمْلَيْتُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَأَمْلَلْتُ..

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥] غُدْوَةً وَعَشِيًّا.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾
[الفرقان: ٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ: مَا الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ مِنْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ..

﴿أَنزَلَهُ﴾ الرَّبُّ..

﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّ مَنْ..

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَمُحْصِي ذَلِكَ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَمُجَازِيهِمْ بِمَا عَزَمَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ، وَأَضْمَرُوهُ فِي نُفُوسِهِمْ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان: ٦] إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَصْفَحُ عَنْ خَلْقِهِ وَيَرْحَمُهُمْ، فَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِعَفْوِهِ، يَقُولُ: فَلِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَادَتِهِ فِي خَلْقِهِ، يُمْهِلُكُمْ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ مَا قُلْتُمْ مِنَ الإِفْكِ، وَالْفَاعِلُونَ مَا فَعَلْتُمْ مِنَ الْكُفْرِ.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ بَعَثَهُ إِلَيْنَا، يَعْنُونَ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كَمَا نَأْكُلُ..

﴿وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ كَمَا نَمْشِي..

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كَانَ صَادِقًا..

﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧] لِلنَّاسِ، مُصَدِّقًا لَهُ عَلَىٰ مَا يَقُولُ.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: ٨].

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَلَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَىٰ التَّصَرُّفِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ..

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ أَوْ يَكُونُ لَهُ بُسْتَانٌ..

﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ اطْلُبْ ذَلِكَ لِنَفْسِكَ، لِتَأْكُلَ أَنْتَ مِنْهُ، لَا نَحْنُ..

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، بِاتِّبَاعِكُمْ مُحَمَّدًا..

﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: ٨] بِهِ سِحْرٌ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾ [الفرقان: ٩].

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ الَّذِينَ شَبَّهُوا لَكَ الأَشْبَاهَ بِقَوْلِهِمْ لَكَ: هُوَ مَسْحُورٌ..

﴿فَضَلُّواْ﴾ بِذَلِكَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَأَخْطَئُوا طَرِيقَ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ..

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ فَلَا يَجِدُونَ..

﴿سَبِيلًا ۝﴾ [الفرقان: ٩] إِلَىٰ الْحَقِّ، إِلَّا فِيمَا بَعَثْتُكَ بِهِ، وَمِنَ الْوَجْهِ الَّذِي ضَلُّوا عَنْهُ.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝﴾ [الفرقان: ١٠].

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ﴾ تَقَدَّسَ الَّذِي إِنْ شَاءَ..

﴿جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ خَيْرًا مِمَّا قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، هَلَّا أُوتِيتَهُ وَأَنْتَ للهِ رَسُولٌ.. ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الَّذِي لَوْ شَاءَ جَعَلَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ مِمَّا قَالُوا، فَقَالَ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تَجْرِي فِي أُصُولِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝﴾ [الفرقان: ١٠] يَعْنِي بِالْقُصُورِ مَا قَالَ مُجَاهِدٌ: **(بُيُوتًا مَبْنِيَّةً مُشَيَّدَةً، وكَانَتْ قُرَيْشٌ تَرَىٰ الْبَيْتَ مِنَ الْحِجَارَةِ قَصْرًا، كَائِنًا مَا كَانَ).**

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١١].

﴿بَلْ﴾ مَا كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ وَأَنْكَرُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ -يَا مُحَمَّدُ- مِنَ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ تَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَتَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَكِنْ..

﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَا يُوقِنُونَ بِالْمَعَادِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِالْقِيَامَةِ وَبَعْثِ اللهِ الْأَمْوَاتَ أَحْيَاءً لِحَشْرِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ وَأَعْدَدْنَا..

﴿لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ﴾ لِمَنْ كَذَّبَ بِبَعْثِ اللهِ الْأَمْوَاتَ أَحْيَاءً بَعْدَ فَنَائِهِمْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿سَعِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١١] نَارًا تُسَعَّرُ عَلَيْهِمْ وَتَتَّقِدُ.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١٢].

﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ إِذَا رَأَتْ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي أَعْتَدْنَاهَا لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ أَشْخَاصَهُمْ..

﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ تَغَيَّظَتْ عَلَيْهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنْ تَغْلِيَ وَتَفُورَ، يُقَالُ: فُلَانٌ تَغَيَّظَ عَلَىٰ فُلَانٍ، وَذَلِكَ إِذَا غَضِبَ عَلَيْهِ فَغَلَىٰ صَدْرُهُ مِنَ الْغَضَبِ عَلَيْهِ وَتَبَيَّنَ فِي كَلَامِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ وَالتَّغَيُّظُ: لَا يُسْمَعُ؟ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَمِعُوا لَهَا صَوْتَ التَّغَيُّظِ، مِنَ التَّلَهُّبِ وَالتَّوَقُّدِ..

﴿وَزَفِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١٢] وَهُوَ صَوْتُهَا.

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝﴾ [الفرقان: ١٣].

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟﴾ وَإِذَا أُلْقِيَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالسَّاعَةِ..

﴿مِنْهَا﴾ مِنَ النَّارِ..

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ قَدْ قُرِنَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ..

﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝﴾ [الفرقان: ١٣] الثُّبُورُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَصْلُهُ انْصِرَافُ الرَّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: مَا ثَبَرَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ أَيْ: مَا صَرَفَكَ عَنْهُ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ دُعَاءُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِالنَّدَمِ عَلَىٰ انْصِرَافِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِيمَانِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ اسْتَوْجَبُوا الْعُقُوبَةَ مِنْهُ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: وَانَدَامَتَاهُ، وَاحَسْرَتَاهُ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١٤].

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ نَدَمًا وَاحِدًا، أَيْ: مَرَّةً وَاحِدَةً..

﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١٤] وَلَكِنِ ادْعُوا ذَلِكَ كَثِيرًا.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالسَّاعَةِ..

﴿أَذَٰلِكَ﴾ أَهَذِهِ النَّارُ الَّتِي وَصَفَ لَكُمْ رَبُّكُمْ صِفَتَهَا وَصِفَةَ أَهْلِهَا..

﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ أَمْ بُسْتَانُ الْخُلْدِ الَّذِي يَدُومُ نَعِيمُهُ وَلَا يَبِيدُ..

﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ﴾ الَّذِي وَعَدَ مَنِ اتَّقَاهُ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ؟..

﴿كَانَتْ﴾ جَنَّةُ الْخُلْدِ..

﴿لَهُمْ﴾ لِلْمُتَّقِينَ..

﴿جَزَآءً﴾ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ للهِ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ، وَثَوَابَ تَقْوَاهُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَمَصِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١٥] لَهُمْ، يَقُولُ: وَمَصِيرًا لِلْمُتَّقِينَ، يَصِيرُونَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ۝﴾ [الفرقان: ١٦].

﴿لَّهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَهُمُوهَا اللهُ..

﴿مَا يَشَآءُونَ﴾ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ..

﴿خَٰلِدِينَ﴾ فِيهَا، يَقُولُ: لَابِثِينَ فِيهَا، مَاكِثِينَ أَبَدًا، لَا يَزُولُونَ عَنْهَا، وَلَا يَزُولُ عَنْهُمْ نَعِيمُهَا..

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [الفرقان: ١٦] وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلُوا رَبَّهُمْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حِينَ قَالُوا: ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: كَانَ إِعْطَاءُ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا فِي الْآخِرَةِ، وَعْدًا وَعَدَهُمُ اللهُ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ.

> ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان: ١٧].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالسَّاعَةِ، الْعَابِدِينَ الْأَوْثَانَ..

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ..

﴿فَيَقُولُ﴾ اللهُ لِلَّذِينَ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أَنْتُمْ أَزْلَلْتُمُوهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَىٰ، وَدَعَوْتُمُوهُمْ إِلَى الْغَيِّ وَالضَّلَالَةِ حَتَّىٰ تَاهُوا وَهَلَكُوا..

﴿أَمْ﴾ عِبَادِي..

﴿هُمْ﴾ الَّذِينَ..

﴿ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان: ١٧] ضَلُّوا سَبِيلَ الرُّشْدِ وَالْحَقِّ، وَسَلَكُوا الْعَطَبَ.

> ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٨].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ وَعِيسَىٰ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبَّنَا، وَتَبْرِئَةً مِمَّا أَضَافَ إِلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ نُوَالِيهِمْ، أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ..

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ بِالْمَالِ فِي الدُّنْيَا وَالصِّحَّةِ..

﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٨] وَكَانُوا قَوْمًا هَلْكَىٰ، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ

الشَّقَاءُ وَالْخِذْلَانُ.. وَالْبُورُ: جَمْعٌ لِلْبَائِرِ، يُقَالُ: أَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُمْ بُورًا: أَيْ خَالِيَةً لَا شَيْءَ فِيهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: بَارَتِ السُّوقُ وَبَارَ الطَّعَامُ: إِذَا خَلَا مِنَ الطُّلَّابِ وَالْمُشْتَرِي، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَالِبٌ، فَصَارَ كَالشَّيْءِ الْهَالِكِ.. وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِالْبُورِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ أَعْمَالَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ كَانَتْ بَاطِلَةً؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ للهِ.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٩].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَمَّا هُوَ قَائِلٌ لِلْمُشْرِكِينَ عِنْدَ تَبَرِّي مَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ دُونِ اللهِ مِنْهُمْ: قَدْ كَذَّبُوكُمْ -أَيُّهَا الْكَافِرُونَ- مَنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ أَضَلُّوكُمْ، وَدَعَوْكُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِمْ..

﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ يَعْنِي: بِقَوْلِكُمْ، يَقُولُ: كَذَّبُوكُمْ بِكَذِبِكُمْ..

﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ فَمَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ..

﴿صَرْفًا﴾ صَرْفَ عَذَابِ اللهِ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ..

﴿وَلَا نَصْرًا﴾ وَلَا نَصْرَهَا مِنَ اللهِ حِينَ عَذَّبَهَا وَعَاقَبَهَا..

﴿وَمَن يَظْلِم﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَيَظْلِمْ نَفْسَهُ..

﴿مِّنكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَذَلِكَ..

﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٩] كَالَّذِي ذَكَرْنَا أَنْ نُذِيقَهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ وَمَا أَنْكَرَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، مِنْ أَكْلِكَ الطَّعَامَ، وَمَشْيِكَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَأَنْتَ للهِ رَسُولٌ؛ فَقَدْ عَلِمُوا أَنَّا مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، كَالَّذِي تَأْكُلُ أَنْتَ وَتَمْشِي، فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْكَ بِمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ حُجَّةٌ.. فَهَذَا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ عَلَىٰ مُشْرِكِي قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ وَجَوَابٌ لَهُمْ عَنْهُ..

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ وَامْتَحَنَّا أَيُّهَا النَّاسُ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ، جَعَلْنَا هَذَا نَبِيًّا وَخَصَصْنَاهُ بِالرِّسَالَةِ، وَهَذَا مَلِكًا وَخَصَصْنَاهُ بِالدُّنْيَا، وَهَذَا فَقِيرًا وَحَرَمْنَاهُ الدُّنْيَا..

﴿أَتَصۡبِرُونَ﴾ لِيَعْلَمَ مَنْ يَصْبِرُ مِمَّنْ يَجْزَعُ، وَلِنَخْتَبِرَ الْفَقِيرَ بِصَبْرِهِ عَلَىٰ مَا حُرِمَ مِمَّا أُعْطِيَهُ الْغَنِيُّ، وَالْمَلِكَ بِصَبْرِهِ عَلَىٰ مَا أُعْطِيَهُ الرَّسُولُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَكَيْفَ رِضَا كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِمَا أُعْطِيَ وَقُسِمَ لَهُ، وَطَاعَتُهُ رَبَّهُ مَعَ مَا حُرِمَ مِمَّا أُعْطِيَ غَيْرُهُ، يَقُولُ: فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ أُعْطِ مُحَمَّدًا الدُّنْيَا، وَجَعَلْتُهُ يَطْلُبُ الْمَعَاشَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلِأَبْتَلِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَخْتَبِرَ طَاعَتَكُمْ رَبَّكُمْ، وَإِجَابَتَكُمْ رَسُولَهُ إِلَىٰ مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ، بِغَيْرِ عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا تَرْجُونَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ أَنْ يُعْطِيَكُمْ عَلَىٰ اتِّبَاعِكُمْ إِيَّاهُ؛ لِأَنِّي لَوْ أَعْطَيْتُهُ الدُّنْيَا، لَسَارَعَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ اتِّبَاعِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُ أَنْ يَنَالَ مِنْهَا..

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠﴾ [الفرقان: ٢٠] وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ بَصِيرٌ بِمَنْ يَجْزَعُ وَمَنْ يَصْبِرُ عَلَىٰ مَا امْتُحِنَ بِهِ مِنَ الْمِحَنِ.

﴿* وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ۝٢١﴾ [الفرقان: ٢١].

﴿* وَقَالَ﴾ الْمُشْرِكُونَ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ لِقَاءَنَا، وَلَا يَخْشَوْنَ عِقَابَنَا..

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هَلَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْنَا مَلَائِكَةً، فَتُخْبِرَنَا أَنَّ مُحَمَّدًا مُحِقٌّ فِيمَا يَقُولُ، وَأَنَّ مَا جَاءَنَا بِهِ صِدْقٌ..

﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ فَيُخْبِرَنَا بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠]، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ: ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢﴾ [الإسراء: ٩٢]..

﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ لَقَدِ اسْتَكْبَرَ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ..

﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وَتَعَظَّمُوا..

﴿وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ۝٢١﴾ [الفرقان: ٢١] وَتَجَاوَزُوا فِي الِاسْتِكْبَارِ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ.

﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٢٢﴾ [الفرقان: ٢٢].

﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ﴾ يَوْمَ يَرَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ [الفرقان: ٢١] بِتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ..

﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فَـ..

﴿لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بِخَيْرٍ..

﴿وَيَقُولُونَ﴾ يَعْنِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُونَ لِلْمُجْرِمِينَ..

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢] حَرَامًا عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ الْبُشْرَىٰ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ مِنَ اللهِ؛ فَإِنَّ الْحِجْرَ هُوَ الْحَرَامُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ هِيَ الَّتِي تُخْبِرُ أَهْلَ الْكُفْرِ أَنَّ الْبُشْرَىٰ عَلَيْهِمْ حَرَامٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَقُولُونَ لِلْمَلَائِكَةِ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، فَيُوَجَّهُ الْكَلَامُ إِلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ عَنْ قِيلِ الْمُجْرِمِينَ لِلْمَلَائِكَةِ.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

﴿وَقَدِمْنَآ﴾ وَعَمَدْنَا..

﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟﴾ إِلَىٰ مَا عَمِلَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ..

﴿مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] فَجَعَلْنَاهُ بَاطِلًا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوهُ للهِ، وَإِنَّمَا عَمِلُوهُ لِلشَّيْطَانِ.. وَالْهَبَاءُ: هُوَ الَّذِي يُرَىٰ كَهَيْئَةِ الْغُبَارِ إِذَا دَخَلَ ضَوْءُ الشَّمْسِ مِنْ كُوَّةٍ، يَحْسَبُهُ النَّاظِرُ غُبَارًا، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ تُقْبَضُ عَلَيْهِ الْأَيْدِي وَلَا تَمَسُّهُ، وَلَا يُرَىٰ ذَلِكَ فِي الظِّلِّ.

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤].

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ مُسْتَقَرِّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَفْتَخِرُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَمَا أُوتُوا مِنْ عَرَضِ هَذِهِ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤] وَأَحْسَنُ مِنْهُمْ فِيهَا مَقِيلًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ فِي الْجَنَّةِ قَائِلَةٌ، فَيُقَالُ ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ فِيهَا؟ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ وَأَحْسَنُ فِيهَا قَرَارًا فِي أَوْقَاتِ قَائِلَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ ذُكِرَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَمُرُّ فِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَدْرُ مِيقَاتِ النَّهَارِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ وَقْتِ الْقَائِلَةِ، حَتَّىٰ يَسْكُنُوا مَسَاكِنَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾، وَإِنَّمَا قُلْنَا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا فِي الْجَنَّةِ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ جَمِيعَ أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، أَنَّهَا خَيْرٌ فِي الِاسْتِقْرَارِ فِيهَا وَالْقَائِلَةِ مِنْ جَمِيعِ أَحْوَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَمْ يَخُصَّ بِذَلِكَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فِي النَّارِ دُونَ الدُّنْيَا، وَلَا فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُعَمَّ كَمَا عَمَّ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَيُقَالُ: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَحْسَنُ مِنْهُمْ مَقِيلًا.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ تَتَشَقَّقُ..

﴿ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ عَنِ الْغَمَامِ، وَجُعِلَتِ الْبَاءُ مَكَانَ (عَنْ) كَمَا تَقُولُ: رَمَيْتُ عَنِ الْقَوْسِ، وَبِالْقَوْسِ، وَعَلَىٰ الْقَوْسِ، بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ..

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥] وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ إِلَىٰ الْأَرْضِ تَنْزِيلًا.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾ [الفرقان: ٢٦].

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ الْمُلْكُ الْحَقُّ يَوْمَئِذٍ خَالِصٌ لِلرَّحْمَنِ دُونَ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ، وَبَطَلَتِ الْمَمَالِكُ يَوْمَئِذٍ سِوَىٰ مُلْكِهِ، وَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُلُوكٌ فَبَطَلَ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ سِوَىٰ مُلْكِ الْجَبَّارِ..

﴿وَكَانَ يَوْمًا﴾ وَكَانَ يَوْمُ تَشَقُّقِ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ يَوْمًا..

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿عَسِيرًا ۝٢٦﴾ [الفرقان: ٢٦] صَعْبًا شَدِيدًا.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧﴾ [الفرقان: ٢٧].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ نَفْسَهُ الْمُشْرِكُ بِرَبِّهِ..

﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ نَدَمًا وَأَسَفًا عَلَىٰ مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللهِ وَأَوْبَقَ نَفْسَهُ بِالْكُفْرِ بِهِ فِي طَاعَةِ خَلِيلِهِ الَّذِي صَدَّهُ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِ..

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧﴾ [الفرقان: ٢٧] يَعْنِي: طَرِيقًا إِلَىٰ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾ [الفرقان: ٢٨].

﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾ [الفرقان: ٢٨] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ هَذَا النَّادِمِ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ فِي طَاعَةِ خَلِيلِهِ.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٩].

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ الذِّكْرُ..

﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَصَدَّنِي عَنْهُ..

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٩] مُسَلِّمًا لِمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، غَيْرَ مُنْقِذِهِ مِنْهُ وَلَا مُنْجِيهِ.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ..

﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى﴾ الَّذِينَ بَعَثْتَنِي إِلَيْهِمْ لِأَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِكَ..

﴿ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠] وَأَعْرَضُوا عَنْهُ وَلَمْ يَسْمَعُوا لَهُ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْمَعُوهُ، وَإِنْ دُعُوا إِلَى اللهِ قَالُوا لَا، وَقَرَأَ: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ [الأنعام: ٢٦] قَالَ: يَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَيَبْعُدُونَ عَنْهُ).. وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، وَذَلِكَ هَجْرُهُمْ إِيَّاهُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان: ٣١].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا جَعَلْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَعْدَاءً مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، كَذَلِكَ..

﴿جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ جَعَلْنَا لِكُلِّ مَنْ نَبَّأْنَاهُ مِنْ قَبْلِكَ..

﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾ عَدُوًّا مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، فَلَمْ تُخَصَّصْ بِذَلِكَ مِنْ بَيْنِهِمْ.. يَقُولُ: فَاصْبِرْ لِمَا نَالَكَ مِنْهُمْ كَمَا صَبَرَ مِنْ قَبْلِكَ أُولُو الْعَزْمِ مِنْ رُسُلِنَا..

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ وَكَفَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِرَبِّكَ..

﴿هَادِيًا﴾ يَهْدِيكَ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَيُبَصِّرُكَ الرُّشْدَ..

﴿وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان: ٣١] نَاصِرًا لَكَ عَلَىٰ أَعْدَائِكَ، يَقُولُ: فَلَا يُهَوِّلَنَّكَ أَعْدَاؤُكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنِّي نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ، فَاصْبِرْ لِأَمْرِي، وَامْضِ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِي إِلَيْهِمْ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةًۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَـٰهُ تَرۡتِيلًا ۝٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ..

﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ هَلَّا نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ الْقُرْآنَ..

﴿جُمۡلَةً وَٰحِدَةًۚ﴾ كَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَىٰ مُوسَىٰ جُمْلَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ اللهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ تَنْزِيلُهُ عَلَيْكَ الْآيَةَ بَعْدَ الْآيَةِ وَالشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ..

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ نَزَّلْنَاهُ..

﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ۝٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢] وَشَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، عَلَّمْنَاكَهُ حَتَّىٰ تَحْفَظَنَّهُ، وَالتَّرْتِيلُ فِي الْقِرَاءَةِ: التَّرَسُّلُ وَالتَّثَبُّتُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ التَّرْتِيلِ: التَّبْيِينُ وَالتَّفْسِيرُ.

﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان: ٣٣].

﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ﴾ وَلَا يَأْتِيكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿بِمَثَلٍ﴾ يَضْرِبُونَهُ..

﴿إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ إِلَّا جِئْنَاكَ مِنَ الْحَقِّ بِمَا نُبْطِلُ بِهِ مَا جَاءُوا بِهِ..

﴿وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان: ٣٣] وَأَحْسَنَ مِمَّا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْمَثَلِ بَيَانًا وَتَفْصِيلًا.

﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ۝٣٤﴾ [الفرقان: ٣٤].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ الْقَائِلُونَ لَكَ: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: ٣٢]، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ، الَّذِينَ..

﴿يُحۡشَرُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فَيُسَاقُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ.. وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَيْفَ يُحْشَرُ أَهْلُ النَّارِ عَلَىٰ وجُوهِهِمْ؟ فَقَالَ: «**إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَىٰ وجُوهِهِمْ**»..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ شَرٌّ مُسْتَقَرًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ۝٣٤﴾ [الفرقان: ٣٤] وَأَضَلُّ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا طَرِيقًا.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ۝٣٥﴾ [الفرقان: ٣٥].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَتَوَعَّدُ مُشْرِكِي قَوْمِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ وَيُخَوِّفُهُمْ مِنْ حُلُولِ نِقْمَتِهِ بِهِمْ نَظِيرَ الَّذِي يَحِلُّ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا: وَلَقَدْ آتَيْنَا يَا مُحَمَّدُ..

﴿مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يَعْنِي: التَّوْرَاةَ، كَالَّذِي آتَيْنَاكَ مِنَ الْفُرْقَانِ..

﴿وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ۝٣٥﴾ [الفرقان: ٣٥] مُعِينًا وَظَهِيرًا.

﴿فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ۝٣٦﴾ [الفرقان: ٣٦].

﴿فَقُلۡنَا﴾ لَهُمَا..

﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِعْلَامِنَا وَأَدِلَّتِنَا..

﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ٣٦﴾ [الفرقان: ٣٦] فَذَهَبَا فَكَذَّبُوهُمَا، فَدَمَّرْنَاهُمْ حِينَئِذٍ.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٧﴾ [الفرقان: ٣٧].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَنَا، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بِالطُّوفَانِ..

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وَجَعَلْنَا تَغْرِيقَنَا إِيَّاهُمْ وَإِهْلَاكَنَا..

﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ﴾ عِظَةً وَعِبْرَةً لِلنَّاسِ يَعْتَبِرُونَ بِهَا..

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وَأَعْدَدْنَا لَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ بِاللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [الفرقان: ٣٧] سِوَىٰ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَاجِلِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ٣٨﴾ [الفرقان: ٣٨].

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ وَدَمَّرْنَا أَيْضًا عَادًا وَثَمُودَ..

﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ قَوْمٌ كَانُوا عَلَىٰ بِئْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كُلُّ مَحْفُورٍ مِثْلَ الْبِئْرِ وَالْقَبْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَا أَعْلَمُ قَوْمًا كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ بِسَبَبِ حُفْرَةٍ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ إِلَّا أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ، فَإِنْ يَكُونُوا هُمُ الْمَعْنِيِّينَ بِقَوْلِهِ ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ فَإِنَّا سَنَذْكُرُ خَبَرَهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَىٰ سُورَةِ الْبُرُوجِ، وَإِنْ يَكُونُوا غَيْرَهُمْ فَلَا نَعْرِفُ لَهُمْ خَبَرًا..

﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ٣٨﴾ [الفرقان: ٣٨] وَدَمَّرْنَا بَيْنَ أَضْعَافِ هَذِهِ الْأُمَمِ الَّتِي سَمَّيْنَاهَا لَكُمْ أُمَمًا كَثِيرَةً.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ٣٩﴾ [الفرقان: ٣٩].

﴿وَكُلًّا﴾ وَكُلَّ هَذِهِ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا الَّتِي سَمَّيْنَاهَا لَكُمْ أَوْ لَمْ نُسَمِّهَا..

﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ﴾ مَثَّلْنَا لَهَا الْأَمْثَالَ وَنَبَّهْنَاهَا عَلَىٰ حُجَجِنَا عَلَيْهَا، وَأَعْذَرْنَا إِلَيْهَا بِالْعِبَرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَلَمْ نُهْلِكْ أُمَّةً إِلَّا بَعْدَ الْإِبْلَاغِ إِلَيْهِمْ فِي الْمَعْذِرَةِ..

﴿وَكُلًّا﴾ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا لَكُمْ أَمْرَهُمْ..

﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان: ٣٩] اسْتَأْصَلْنَاهُمْ، فَدَمَّرْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ إِبَادَةً، وَأَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [الفرقان: ٤٠].

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ وَلَقَدْ أَتَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا..

﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ وَهِيَ سَدُومُ قَرْيَةُ قَوْمِ لُوطٍ.. وَمَطَرُ السَّوْءِ هُوَ الْحِجَارَةُ الَّتِي أَمْطَرَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ فَأَهْلَكَهُمْ بِهَا..

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ..

﴿يَرَوْنَهَا﴾ يَرَوْنَ تِلْكَ الْقَرْيَةَ وَمَا نَزَلَ بِهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ بِتَكْذِيبِ أَهْلِهَا رُسُلَهُمْ فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَذَكَّرُوا، فَيُرَاجِعُوا التَّوْبَةَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿بَلْ﴾ مَا كَذَّبُوا مُحَمَّدًا فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا رَأَوْا مَا حَلَّ بِالْقَرْيَةِ الَّتِي وُصِفَتْ، وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ..

﴿كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [الفرقان: ٤٠] لَا يَخَافُونَ نُشُورًا بَعْدَ الْمَمَاتِ، يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يُوقِنُونَ بِالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِقِيَامِ السَّاعَةِ فَيَرْدَعُهُمْ ذَلِكَ عَمَّا يَأْتُونَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان: ٤١].

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ وَإِذَا رَآكَ -يا محمد- هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ قِصَصَهُمْ..

﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا سُخْرِيَةً يَسْخَرُونَ مِنْكَ، يَقُولُونَ..

﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ﴾ إِلَيْنَا..

﴿رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان: ٤١] مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ.

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان: ٤٢].

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَهْزَءُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِذَا رَأَوْهُ: قَدْ كَادَ هَذَا يُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا فَيَصُدُّنَا عَنْ عِبَادَتِهَا..

﴿لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ﴾ لَوْلَا صَبْرُنَا عَلَيْهَا، وَثُبُوتُنَا عَلَىٰ عِبَادَتِهَا..

﴿وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾ سَيَبِينُ لَهُمْ حِينَ يِعَايِنُونَ عَذَابَ اللهِ قَدْ حَلَّ بِهِمْ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمُ الْآلِهَةَ..

﴿مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ [الفرقان: ٤٢] مَنِ الرَّاكِبُ غَيْرَ طَرِيقِ الْهُدَىٰ، وَالسَّالِكُ سَبِيلَ الرَّدَىٰ أَنْتَ أَوْ هُمْ.

﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ [الفرقان: ٤٣].

﴿أَرَءَيۡتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ شَهْوَتَهُ الَّتِي يَهْوَاهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَانَ يَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا رَأَىٰ أَحْسَنَ مِنْهُ رَمَىٰ بِهِ، وَأَخَذَ الْآخَرَ يَعْبُدُهُ، فَكَانَ مَعْبُودُهُ وَإِلَهُهُ مَا يَتَخَيَّرُهُ لِنَفْسِهِ..

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ هَذَا..

﴿وَكِيلًا ۝٤٣﴾ [الفرقان: ٤٣] حَفِيظًا فِي أَفْعَالِهِ مَعَ عَظِيمِ جَهْلِهِ؟

﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: ٤٤].

﴿أَمۡ تَحۡسَبُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ أَنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَسۡمَعُونَ﴾ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ، فَيَعُونَ..

﴿أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ﴾ مَا يُعَايِنُونَ مِنْ حُجَجِ اللهِ فَيَفْهَمُونَ..

﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ مَا هُمْ إِلَّا كَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهَا، وَلَا تَفْقَهُ..

﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: ٤٤] بَلْ هُمْ مِنَ الْبَهَائِمِ أَضَلُّ سَبِيلًا؛ لِأَنَّ الْبَهَائِمَ تَهْتَدِي لِمَرَاعِيهَا، وَتَنْقَادُ لِأَرْبَابِهَا، وَهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ لَا يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ، وَلَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، بَلْ يَكْفُرُونَهَا، وَيَعْصُونَ مَنْ خَلَقَهُمْ وَبَرَأَهُمْ.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ۝٤٥﴾ [الفرقان: ٤٥].

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ وَهُوَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ..

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ دَائِمًا لَا يَزُولُ، مَمْدُودًا لَا تُذْهِبُهُ الشَّمْسُ، وَلَا تُنْقِصُهُ..

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَىٰ الظِّلِّ..

﴿دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان: ٤٥] أَنَّهُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ رَبِّكُمْ، يُوجِدُهُ إِذَا شَاءَ، وَيُفْنِيهِ إِذَا أَرَادَ.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٦].

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ ثُمَّ قَبَضْنَا ذَلِكَ الدَّلِيلَ مِنَ الشَّمْسِ عَلَىٰ الظِّلِّ..

﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٦] قَبْضًا خَفِيًّا سَرِيعًا بِالْفَيْءِ الَّذِي نَأْتِي بِهِ بِالْعَشِيِّ، لِأَنَّ الظِّلَّ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَا يَذْهَبُ كُلُّهُ دُفْعَةً، وَلَا يُقْبِلُ الظَّلَامُ كُلُّهُ جُمْلَةً، وَإِنَّمَا يُقْبَضُ ذَلِكَ الظِّلُّ قَبْضًا خَفِيًّا، شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَيَعْقُبُ كُلَّ جُزْءٍ مِنْهُ يَقْبِضُهُ جُزْءٌ مِنَ الظَّلَامِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: ٤٧].

﴿وَهُوَ﴾ الَّذِي مَدَّ الظِّلَّ ثُمَّ جَعَلَ الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا هُوَ..

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ لِخَلْقِهِ جُنَّةً يَجْتَنُّونَ فِيهَا وَيَسْكُنُونَ، فَصَارَ لَهُمْ سِتْرًا يَسْتَتِرُونَ بِهِ كَمَا يَسْتَتِرُونَ بِالثِّيَابِ الَّتِي يُكْسَوْنَهَا..

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ النَّوْمَ رَاحَةً تَسْتَرِيحُ بِهِ أَبْدَانُكُمْ، وَتَهْدَأُ بِهِ جَوَارِحُكُمْ..

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: ٤٧] وَجَعَلَ النَّهَارَ يَقَظَةً وَحَيَاةً، مِنْ قَوْلِهِمْ: نَشَرَ الْمَيِّتُ وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: ٤٨].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ الْمُلَقِّحَةَ..

﴿بُشْرًۢا﴾ حَيَاةً، أَوْ مِنَ الْحَيَا وَالْغَيْثِ الَّذِي هُوَ مُنْزِلُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ..

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: ٤٨] وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّحَابِ الَّذِي أَنْشَأْنَاهُ بِالرِّيَاحِ مِنْ فَوْقِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَاءً طَهُورًا.

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾ [الفرقان: ٤٩].

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾ يَعْنِي: أَرْضًا قَحِطَةً عَذِيَّةً لَا تُنْبِتُ.. وَلَمْ يَقُلْ مَيْتَةً؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِذَلِكَ لِنُحْيِيَ بِهِ مَوْضِعًا وَمَكَانًا مَيِّتًا..

﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ﴾ وَنُسْقِيَهُ مِنْ خَلْقِنَا..

﴿أَنۡعَٰمًا﴾ مِنَ الْبَهَائِمِ..

﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾ [الفرقان: ٤٩] يَعْنِي الْأَنَاسِيَّ: جَمْعَ إِنْسَانٍ وَجَمْعَ أَنَاسِيٍّ، فَجَعَلَ الْيَاءَ عِوَضًا مِنَ النُّونِ الَّتِي فِي إِنْسَانٍ.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠﴾ [الفرقان: ٥٠].

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ﴾ وَلَقَدْ قَسَمْنَا هَذَا الْمَاءَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ الْمَيْتَ مِنَ الْأَرْضِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الْمَطَرُ مَرَّةً هَهُنَا، وَمَرَّةً هَهُنَا**)..

﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ بَيْنَ عِبَادِي.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**مَا عَامٌ بِأَكْثَرَ مَطَرًا مِنْ عَامٍ، وَلَكِنَّ اللهَ يُصَرِّفُهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾)..

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ لِيَتَذَكَّرُوا نِعَمِي عَلَيْهِمْ، وَيَشْكُرُوا أَيَادِيَّ عِنْدَهُمْ وَإِحْسَانِي إِلَيْهِمْ..

﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠﴾ [الفرقان: ٥٠] إِلَّا جُحُودًا لِنِعَمِي عَلَيْهِمْ وَأَيَادِيَّ عَلَيْهِمْ.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرًا ۝٥١﴾ [الفرقان: ٥١].

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَبَعَثۡنَا﴾ لَأَرْسَلْنَا..

﴿فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ﴾ فِي كُلِّ مِصْرٍ وَمَدِينَةٍ..

﴿نَّذِيرًا ۝٥١﴾ [الفرقان: ٥١] يُنْذِرُهُمْ بَأْسَنَا عَلَى كُفْرِهِمْ بِنَا، فَيَخِفُّ عَنْكَ كَثِيرٌ مِنْ أَعْبَاءِ مَا حَمَّلْنَاكَ مِنْهُ، وَيَسْقُطُ عَنْكَ بِذَلِكَ مُؤْنَةٌ عَظِيمَةٌ، وَلَكِنَّا حَمَّلْنَاكَ ثِقَلَ نِذَارَةِ جَمِيعِ الْقُرَى لِتَسْتَوْجِبَ بِصَبْرِكَ عَلَيْهِ -إِنْ صَبَرْتَ- مَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ مِنَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ وَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ قِبَلَهُ.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾ [الفرقان: ٥٢].

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فِيمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ تَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ فَنُذِيقَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ..

﴿وَجَٰهِدْهُم﴾ وَلَكِنْ جَاهِدْهُمْ..

﴿بِهِۦ﴾ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان: ٥٢] حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لِلْإِقْرَارِ بِمَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، وَيَدِينُوا بِهِ وَيُذْعِنُوا لِلْعَمَلِ بِجَمِيعِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا.

﴿* وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [الفرقان: ٥٣].

﴿* وَهُوَ﴾ وَاللهُ ..

﴿ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ خَلَطَ الْبَحْرَيْنِ، فَأَمْرَجَ أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ، وَأَفَاضَهُ فِيهِ.. وَأَصْلُ الْمَرْجِ الْخَلْطُ، وَمِنْهُ الْخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَوْلُهُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: «**كَيْفَ بِكَ يَا عَبْدَ اللهِ إِذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَصَارُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**»، يَعْنِي بِقَوْلِهِ «**قَدْ مَرِجَتِ**»: اخْتَلَطَتْ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ٥]، أَيْ: مُخْتَلِطٌ..

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ الْفُرَاتُ: شَدِيدُ الْعُذُوبَةِ، يُقَالُ: هَذَا مَاءٌ فُرَاتٌ: أَيْ شَدِيدُ الْعُذُوبَةِ.. وَيَعْنِي بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ: مِيَاهَ الْأَنْهَارِ وَالْأَمْطَارِ..

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وَهَذَا مِلْحٌ مُرٌّ.. وَيَعْنِي بِالْمِلْحِ الْأُجَاجِ: مِيَاهَ الْبِحَارِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، يَخْلِطُ مَاءَ الْبَحْرِ الْعَذْبِ بِمَاءِ الْبَحْرِ الْمِلْحِ الْأُجَاجِ، ثُمَّ يَمْنَعُ الْمِلْحَ مِنْ تَغْيِيرِ الْعَذْبِ عَنْ عُذُوبَتِهِ، وَإِفْسَادِهِ إِيَّاهُ بِقَضَائِهِ وَقُدْرَتِهِ، لِئَلَّا يَضُرَّ إِفْسَادُهُ إِيَّاهُ بِرُكْبَانِ الْمِلْحِ مِنْهُمَا، فَلَا يَجِدُوا مَاءً يَشْرَبُونَهُ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَىٰ الْمَاءِ..

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ يَعْنِي حَاجِزًا يَمْنَعُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ إِفْسَادِ الْآخَرِ..

﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [الفرقان: ٥٣] وَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَرَامًا مُحَرَّمًا عَلَىٰ صَاحِبِهِ أَنْ يُغَيِّرَهُ وَيُفْسِدَهُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ [الفرقان: ٥٤].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ مِنَ النُّطَفِ..

﴿بَشَرًا﴾ إِنْسَانًا..

﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ وَذَلِكَ سَبْعَةٌ.. المذكورون في قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]،

إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣]..

﴿وَصِهْرًا﴾ وَهُوَ خَمْسَةٌ.. المذكورون في قَوْلِهِ: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]..

﴿وَكَانَ رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَدِيرًا ۝٥٤﴾ [الفرقان: ٥٤] ذَا قُدْرَةٍ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَلْقِ، وَتَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ وَأَرَادَ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ [الفرقان: ٥٥].

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ وَيَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ فَتَجْلِبُ إِلَيْهِمْ نَفْعًا إِذَا هُمْ عَبَدُوهَا..

﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إِنْ تَرَكُوا عِبَادَتَهَا، وَيَتْرُكُونَ عِبَادَةَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ النِّعَمَ الَّتِي لَا كِفَاءَ لِأَدْنَاهَا، وَهِيَ مَا عَدَّدَ عَلَيْنَا جَلَّ جَلَالُهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿قَدِيرًا ۝٥٤﴾ [الفرقان: ٥٤].. وَمِنْ قُدْرَتِهِ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَعَهَا شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ أَرَادَ فِعْلَهُ، وَمِنْ قُدْرَتِهِ إِذَا أَرَادَ عِقَابَ بَعْضِ مَنْ عَصَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، أَحَلَّ بِهِ مَا أَحَلَّ بِالَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا، فَلَمْ يَكُنْ لِمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ مِنْهُ نَاصِرٌ، وَلَا لَهُ عَنْهُ دَافِعٌ..

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ [الفرقان: ٥٤] وَكَانَ الْكَافِرُ مُعِينًا لِلشَّيْطَانِ عَلَىٰ رَبِّهِ، مُظَاهِرًا لَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.. وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُوَجِّهُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ أَيْ: وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ هَيِّنًا، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: ظَهَرْتُ بِهِ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، إِذَا جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَالْقَوْلُ الَّذِي قُلْنَاهُ هُوَ وَجْهُ الْكَلَامِ وَالْمَعْنَىٰ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مَنْ دُونَهُ، فَأَوْلَىٰ الْكَلَامِ أَنْ يَتْبَعَ ذَلِكَ ذَمَّهُ إِيَّاهُمْ وَذَمَّ فِعْلِهِمْ، دُونَ الْخَبَرِ عَنْ هَوَانِهِمِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَلَمَّا يَجْرِ لِاسْتِكْبَارِهِمْ عَلَيْهِ ذِكْرٌ؛ فَيُتْبَعُ بِالْخَبَرِ عَنْ هَوَانِهِمْ عَلَيْهِ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾ [الفرقان: ٥٦].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِ..

﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَّقَكَ، وَآمَنَ بِالَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، وَعَمِلُوا بِهِ..

﴿وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾ [الفرقان: ٥٦] لِمَنْ كَذَّبَكَ وَكَذَّبَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، فَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ، وَلَمْ يَعْمَلُوا.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٥٧﴾ [الفرقان: ٥٧].

﴿قُلْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ..

﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ يَا قَوْم..

﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي..

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾فَتَقُولُونَ: إِنَّمَا يَطْلُبُ مُحَمَّدٌ أَمْوَالَنَا بِمَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَلَا نَتَّبِعُهُ فِيهِ، وَلَا نُعْطِيهِ مِنْ أَمْوَالِنَا شَيْئًا..

﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ لَكِنْ مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ..

﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٥٧﴾ [الفرقان: ٥٧] اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ بِإِنْفَاقِهِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِهِ، وَفِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالنَّفَقَةِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سُبُلِ الْخَيْرِ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان: ٥٨].

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ عَلَىٰ الَّذِي لَهُ الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ الَّتِي لَا مَوْتَ مَعَهَا، فَثِقْ بِهِ فِي أَمْرِ رَبِّكَ، وَفَوِّضْ إِلَيْهِ، وَاسْتَسْلِمْ لَهُ، وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا نَابَكَ فِيهِ..

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ وَاعْبُدْهُ شُكْرًا مِنْكَ لَهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ..

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾ وَحَسْبُكَ بِالْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ..

﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان: ٥٨] خَابِرًا بِذُنُوبِ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَهُوَ مُحْصٍ جَمِيعَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قِيلَ: كَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَالْفَرَاغُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وَعَلَا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ فِيمَا قِيلَ..

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩] فَاسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ بِالرَّحْمَنِ خَبِيرًا بِخَلْقِهِ، فَإِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا خَلَقَ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾
[الفرقان: ٦٠].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ..

﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ اجْعَلُوا سُجُودَكُمْ للهِ خَالِصًا دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أَنَسْجُدُ نَحْنُ يَا مُحَمَّدُ لِمَا تَأْمُرُنَا أَنْتَ أَنْ نَسْجُدَ لَهُ؟.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (لِمَا يَأْمُرُنَا)، بِالْيَاءِ، بِمَعْنَىٰ: أَنَسْجُدُ لِمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ؟.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿وَزَادَهُمْ﴾ وَزَادَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَوْلُ الْقَائِلِ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ مِنْ إِخْلَاصِ السُّجُودِ للهِ، وَإِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ بُعْدًا مِمَّا دُعُوا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠] فِرَارًا.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١].

﴿تَبَارَكَ﴾ تَقَدَّسَ الرَّبُّ..

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ قُصُورًا فِي السَّمَاءِ فِيهَا الحَرَس..

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ جَعَلَ فِيهَا الشَّمْسَ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: (سُرُجًا) عَلَىٰ الْجِمَاعِ، كَأَنَّهُمْ وَجَّهُوا تَأْوِيلَهُ: وَجَعَلَ فِيهَا نُجُومًا، وَجَعَلُوا النُّجُومَ سُرُجًا؛ إِذْ كَانَ يُهْتَدَىٰ بِهَا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ مَفْهُومٌ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١] مُضِيئًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ جَعَلَ اللهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَلَفًا مِنَ الْآخَرِ، فِي أَنَّ مَا فَاتَ أَحَدَهُمَا مِنْ عَمَلٍ يُعْمَلُ فِيهِ للهِ أُدْرِكَ قَضَاؤُهُ فِي الْآخَرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُخَالِفًا صَاحِبَهُ، فَجَعَلَ هَذَا أَسْوَدَ وَهَذَا أَبْيَضَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ صَاحِبَهُ، إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا، وَإِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ هَذَا..

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَخُلُوفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ حُجَّةً وَآيَةً لِمَنْ

أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَمْرَ اللهِ، فَيُنِيبَ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ [الفرقان: ٦٢] أَوْ أَرَادَ شُكْرَ نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ بِالْحِلْمِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، غَيْرَ مُسْتَكْبِرِينَ، وَلَا مُتَجَبِّرِينَ، وَلَا سَاعِينَ فِيهَا بِالْفَسَادِ وَمَعَاصِي اللهِ..

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ بِاللهِ بِمَا يَكْرَهُونَهُ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣] أَجَابُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ مِنَ الْقَوْلِ، وَالسَّدَادِ مِنَ الْخِطَابِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ [الفرقان: ٦٤].

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا﴾ يُصَلُّونَ للهِ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ سُجُودٍ فِي صَلَاتِهِمْ..

﴿وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ [الفرقان: ٦٤] جَمْعُ قَائِمٍ، كَمَا الصِّيَامُ جَمْعُ صَائِمٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ اللهَ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ حَذَرًا مِنْهُ وَوَجَلًا..

﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ إِنَّ عَذَابَ جَهَنَّمَ..

﴿كَانَ غَرَامًا ٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥] مُلِحًّا دَائِمًا لَازِمًا غَيْرَ مُفَارِقٍ مَنْ عُذِّبَ بِهِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَمُهْلِكًا لَهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْغَرِيمِ غَرِيمٌ لِطَلَبِهِ حَقَّهُ وَإِلْحَاحَهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ فِيهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلرَّجُلِ الْمُولَعِ لِلنِّسَاءِ: إِنَّهُ لَمُغْرَمٌ بِالنِّسَاءِ، وَفُلَانٌ مُغْرَمٌ بِفُلَانٍ: إِذَا لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ.

﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾ [الفرقان: ٦٦].

﴿إِنَّهَا﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ..

﴿سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا﴾ يَعْنِي بِالْمُسْتَقَرِّ: الْقَرَارَ وَهُو الْمَنْزِل..

﴿وَمُقَامٗا ٦٦﴾ [الفرقان: ٦٦] فَإِذَا ضُمَّتِ الْمِيمُ مِنَ الْمُقَامِ فَهُوَ مِنَ الْإِقَامَةِ، وَإِذَا فُتِحَتْ فَهُوَ مِنْ: قُمْتُ، وَيُقَالُ: الْمَقَامُ إِذَا فُتِحَتِ الْمِيمُ أَيْضًا هُوَ الْمَجْلِسُ، وَمَنَ الْمُقَامِ بِضَمِّ الْمِيمِ بِمَعْنَىٰ الْإِقَامَةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ فِي إِنْفَاقِهَا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: الْإِسْرَافُ مَا كَانَ مِنْ نَفَقَةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَإِيَّاهَا عَنَىٰ اللهُ، وَسَمَّاهَا إِسْرَافًا، وَالْإِقْتَارُ الْمَنْعُ مِنْ حَقِّ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: السَّرَفُ: الْمُجَاوَزَةُ فِي النَّفَقَةِ الْحَدَّ، وَالْإِقْتَارُ: التَّقْصِيرُ عَنِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْإِسْرَافُ هُوَ أَنْ تَأْكُلَ مَالَ غَيْرِكَ بِغَيْرِ حَقٍّ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: الْإِسْرَافُ فِي النَّفَقَةِ الَّذِي عَنَاهُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: مَا جَاوَزَ الْحَدَّ الَّذِي أَبَاحَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ إِلَىٰ مَا فَوْقَهُ، وَالْإِقْتَارُ: مَا قَصُرَ عَمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالْقَوَامُ: بَيْنَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمُسْرِفَ وَالْمُقْتِرَ كَذَلِكَ؛ وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَافُ وَالْإِقْتَارُ فِي النَّفَقَةِ مُرَخَّصًا فِيهِمَا مَا كَانَا مَذْمُومَيْنِ، وَلَا كَانَ الْمُسْرِفُ وَلَا الْمُقْتِرُ مَذْمُومًا؛ لِأَنَّ مَا أَذِنَ اللهُ فِي فِعْلِهِ فَغَيْرُ مُسْتَحِقٍّ فَاعِلُهُ الذَّمَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ حَدٍّ مَعْرُوفٍ تُبَيِّنُهُ لَنَا؟ قِيلَ: نَعَمْ، ذَلِكَ مَفْهُومٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالصَّدَقَةِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، نَكْرَهُ تَطْوِيلَ الْكِتَابِ بِذِكْرِ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ ذَلِكَ مُفَصَّلًا، غَيْرَ أَنَّ جُمْلَةَ ذَلِكَ هُوَ مَا بَيَّنَّا، وَذَلِكَ نَحْوُ أَكْلِ آكِلٍ مِنَ الطَّعَامِ فَوْقَ الشِّبَعِ مَا يُضْعِفُ بَدَنَهُ، وَيَنْهَكُ قُوَاهُ، وَيَشْغَلُهُ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، فَذَلِكَ مِنَ السَّرَفِ، وَأَنْ يَتْرُكَ الْأَكْلَ وَلَهُ إِلَيْهِ سَبِيلٌ حَتَّىٰ يُضْعِفَ ذَلِكَ جِسْمَهُ وَيَنْهَكُ قُوَاهُ، وَيُضْعِفَهُ عَنْ أَدَاءِ فَرَائِضِ رَبِّهِ، فَذَلِكَ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَيْنَ ذَلِكَ الْقَوَامِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ، كُلُّ مَا جَانَسَ مَا ذَكَرْنَا، فَأَمَّا اتِّخَاذُ الثَّوْبِ لِلْجَمَالِ، يَلْبَسُهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِ مَعَ النَّاسِ، وَحُضُورِهِ الْمَحَافِلَ وَالْجُمَعَ وَالْأَعْيَادَ، دُونَ ثَوْبِ مِهْنَتِهِ، أَوْ أَكْلِهِ مِنَ الطَّعَامِ مَا قَوَّاهُ عَلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّهِ، مِمَّا ارْتَفَعَ عَمَّا قَدْ يَسُدُّ الْجُوعَ، مِمَّا هُوَ دُونَهُ مِنَ الْأَغْذِيَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُعِينُ الْبَدَنَ عَلَىٰ الْقِيَامِ للهِ بِالْوَاجِبِ مَعُونَتَهُ، فَذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ مَعْنَىٰ الْإِسْرَافِ، بَلْ ذَلِكَ مِنَ الْقَوَامِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِبَعْضِ ذَلِكَ، وَحَضَّ عَلَىٰ بَعْضِهِ، كَقَوْلِهِ: «**مَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ لَوِ اتَّخَذَ ثَوْبَيْنِ، ثَوْبًا لِمِهْنَتِهِ، وَثَوْبًا لِجُمُعَتِهِ وَعِيدِهِ**»، وَكَقَوْلِهِ: «**إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَهُ عَلَيْهِ**»، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ..

﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧] فَإِنَّهُ النَّفَقَةُ بِالْعَدْلِ وَالْمَعْرُوفِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا.. وَالْقَوَامُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، بِفَتْحِ الْقَافِ، وَهُوَ الشَّيْءُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، تَقُولُ لِلْمَرْأَةِ الْمُعْتَدِلَةِ الْخَلْقِ: إِنَّهَا لَحَسَنَةُ الْقَوَامِ فِي اعْتِدَالِهَا، فَأَمَّا إِذَا كُسِرَتِ الْقَافُ فَقُلْتَ: إِنَّهُ قِوَامُ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ: أَنَّ بِهِ يَقُومُ أَمْرُهُمْ وَشَأْنُهُمْ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَكَانَ إِنْفَاقُهُمْ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْإِقْتَارِ قَوَامًا مُعْتَدِلًا، لَا مُجَاوَزَةً عَنْ حَدِّ اللهِ، وَلَا تَقْصِيرًا عَمَّا فَرَضَهُ اللهُ، وَلَكِنْ عَدْلًا بَيْنَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا أَبَاحَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَأَذِنَ فِيهِ وَرَخَّصَ.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨].

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ وَالَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، فَيُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَلَكِنَّهُمْ يُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ وَيُفْرِدُونَهُ بِالطَّاعَةِ..

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قَتْلَهَا..

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إِمَّا بِكُفْرٍ بِاللهِ بَعْدَ إِسْلَامِهَا، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانِهَا، أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ فَتُقْتَلُ بِهَا..

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ فَيَأْتُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ إِتْيَانَهُ مِنَ الْفُرُوجِ..

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ وَمَنْ يَأْتِ هَذِهِ الْأَفْعَالَ، فَدَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَقَتَلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَزَنَىٰ..

﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨] يَلْقَ مِنْ عِقَابِ اللهِ عُقُوبَةً وَنَكَالًا، كَمَا وَصَفَهُ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي الآيةِ بَعدَه.. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (**سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُوَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ، وَأَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»، وَقَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ كِتَابِ اللهِ:** ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾)..

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٩].

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تَفْسِيرٌ لِلْآثَامِ..

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٩] وَيَبْقَىٰ فِيهِ إِلَىٰ مَا لَا نِهَايَةَ فِي هَوَانٍ.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ إِلَّا مَنْ رَاجَعَ طَاعَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِتَرْكِهِ ذَلِكَ، وَإِنَابَتِهِ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ اللهُ..

﴿وَآمَنَ﴾ وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللهِ..

﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ..

﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ بِقَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ فِي الشِّرْكِ، مَحَاسِنَ الْأَعْمَالِ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُبْدِلُهُ بِالشِّرْكِ إِيمَانًا، وَبِقِيلِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ قِيلَ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَبِالزِّنَا عِفَّةً وَإِحْصَانًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَاتٍ

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَنْ تَأَوَّلَهُ: فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ فِي الشِّرْكِ حَسَنَاتٍ فِي الْإِسْلَامِ، بِنَقْلِهِمْ عَمَّا يَسْخَطُهُ اللهُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ مَا يَرْضَىٰ؛ وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ قَدْ كَانَتْ مَضَتْ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْقُبْحِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ تَحْوِيلُ عَيْنٍ قَدْ مَضَتْ بِصِفَةٍ إِلَىٰ خِلَافِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، إِلَّا بِتَغْيِيرِهَا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهَا فِي حَالٍ أُخْرَىٰ، فَيَجِبُ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَنْ يَصِيرَ شِرْكُ الْكَافِرِ الَّذِي كَانَ شِرْكًا فِي الْكُفْرِ بِعَيْنِهِ إِيمَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِسْلَامِ، وَمَعَاصِيهِ كُلُّهَا بِأَعْيَانِهَا طَاعَةً، وَذَلِكَ مَا لَا يَقُولُهُ ذُو حِجًا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ وَكَانَ اللهُ ذَا عَفْوٍ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ وَرَاجَعَ طَاعَتَهُ..

﴿رَّحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠] وَذَا رَحْمَةٍ بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنْهَا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَرَادُوا الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ مِمَّنْ كَانَ مِنْهُ فِي شِرْكِهِ هَذِهِ الذُّنُوبُ، فَخَافُوا أَنْ لَا يَنْفَعُهُمْ مَعَ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِسْلَامٌ، فَاسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ، يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ اللهَ قَابِلٌ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ.. فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبْزَىٰ أَمَرَهُ أَنْ يَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، وَالْآيَةِ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨﴾ إِلَىٰ ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾ [الفرقان: ٦٩]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **(إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ فِي الْإِسْلَامِ، وَعَلِمَ شَرَائِعَهُ وَأَمْرَهُ، ثُمَّ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا، فَلَا تَوْبَةَ لَهُ، وَالَّتِي فِي الْفُرْقَانِ لَمَّا أُنْزِلَتْ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: فَقَدْ عَدَلْنَا بِاللهِ، وَقَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَمَا يَنْفَعُنَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ قَالَ: فَمَنْ تَابَ مِنْهُمْ قُبِلَ مِنْهُ).**

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١﴾ [الفرقان: ٧١].

﴿وَمَن تَابَ﴾ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ فَأَطَاعَهُ..

﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١﴾ [الفرقان: ٧١] فَإِنَّ اللهَ فَاعِلٌ بِهِ مِنْ إِبْدَالِهِ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ فِي الشِّرْكِ، بِحُسْنِهَا فِي الْإِسْلَامِ، مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الزُّورِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ هَؤُلَاءِ

الْقَوْمَ بِأَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ الشِّرْكُ بِاللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِهِ الْغِنَاءَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ قَوْلُ الْكَذِبِ.. وَأَصْلُ الزُّورِ تَحْسِينُ الشَّيْءِ، وَوَصَفُهُ بِخِلَافِ صِفَتِهِ، حَتَّىٰ يُخَيَّلَ إِلَىٰ مَنْ يَسْمَعُهُ أَوْ يَرَاهُ أَنَّهُ بِخِلَافَ مَا هُوَ بِهِ، وَالشِّرْكُ قَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مُحَسَّنٌ لِأَهْلِهِ، حَتَّىٰ قَدْ ظَنُّوا أَنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ بَاطِلٌ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْغِنَاءُ؛ لِأَنَّهُ أَيْضًا مِمَّا يُحَسِّنُهُ تَرْجِيعُ الصَّوْتِ، حَتَّىٰ يَسْتَحْلِيَ سَامِعُهُ سَمَاعَهُ، وَالْكَذِبُ أَيْضًا قَدْ يَدْخُلُ فِيهِ؛ لِتَحْسِينِ صَاحِبِهِ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ يَظُنَّ صَاحِبُهُ أَنَّهُ حَقٌّ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعْنَىٰ الزُّورِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِهِ أَنْ يُقَالَ: وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ شَيْئًا مِنَ الْبَاطِلِ، لَا شِرْكًا، وَلَا غِنَاءً، وَلَا كَذِبًا وَلَا غَيْرَهُ، وَكُلُّ مَا لَزِمَهُ اسْمُ الزُّورِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَمَّ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُمْ، أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَصَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، مِنْ خَبَرٍ أَوْ عَقْلٍ..

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢] اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ اللَّغْوِ الَّذِي ذُكِرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُكَلِّمُونَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَذَىٰ، وَمُرُورُهُمْ بِهِ كِرَامًا إِعْرَاضُهُمْ عَنْهُمْ وَصَفْحُهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: وَإِذَا مَرُّوا بِذِكْرِ النِّكَاحِ، كَفُّوا عَنْهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِذَا مَرُّوا بِمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ مَرُّوا مُنْكِرِينَ لَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِاللَّغْوِ هَا هُنَا: الْمَعَاصِي كُلَّهَا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَدَحَهُمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا، وَاللَّغْوُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ كُلُّ كَلَامٍ أَوْ فِعْلٍ بَاطِلٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَا أَصْلَ، أَوْ مَا يُسْتَقْبَحُ؛ فَسَبُّ الْإِنْسَانِ الْإِنْسَانَ بِالْبَاطِلِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ مِنَ اللَّغْوِ، وَذِكْرُ النِّكَاحِ بِصَرِيحِ اسْمِهِ مِمَّا يُسْتَقْبَحُ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ، فَهُوَ مِنَ اللَّغْوِ، وَكَذَلِكَ تَعْظِيمُ الْمُشْرِكِينَ آلِهَتَهُمْ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لِمَا عَظَّمُوهُ عَلَىٰ نَحْوِ مَا عَظَّمُوهُ، وَسَمَاعُ الْغِنَاءِ مِمَّا هُوَ مُسْتَقْبَحٌ فِي أَهْلِ الدِّينِ، فَكُلُّ ذَلِكَ يَدْخُلُ فِي مَعْنَىٰ اللَّغْوِ، فَلَا وَجْهَ إِذْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ يَلْزَمُهُ اسْمُ اللَّغْوِ أَنْ يُقَالَ: عُنِيَ بِهِ بَعْضُ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِخُصُوصِ ذَلِكَ دَلَالَةٌ مِنْ خَبَرٍ أَوْ عَقْلٍ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَإِذَا مَرُّوا بِالْبَاطِلِ فَسَمِعُوهُ أَوْ رَأَوْهُ، مَرُّوا كِرَامًا، وَمُرُورُهُمْ كِرَامًا فِي بَعْضِ ذَلِكَ بِأَنْ لَا يَسْمَعُوهُ، وَذَلِكَ كَالْغِنَاءِ، وَفِي بَعْضِ ذَلِكَ بِأَنْ يُعْرِضُوا عَنْهُ وَيَصْفَحُوا، وَذَلِكَ إِذَا أُوذُوا بِإِسْمَاعِ الْقَبِيحِ مِنَ الْقَوْلِ، وَفِي بَعْضِهِ بِأَنْ يَنْهَوْا عَنْ ذَلِكَ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَرَوْا مِنَ الْمُنْكَرِ مَا يُغَيَّرُ بِالْقَوْلِ فَيُغَيِّرُوهُ بِالْقَوْلِ، وَفِي بَعْضِهِ بِأَنْ يُضَارِبُوا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَرَوْا قَوْمًا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَىٰ قَوْمٍ، فَيَسْتَصْرِخُهُمُ الْمُرَادُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَيُصْرِخُونَهُمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُرُورُهُمْ كِرَامًا.. وَقال السُّدِّيُّ: (إِنَّ

هَذِهِ الآيَةَ مَكِّيَّةٌ)، وَإِنَّمَا عَنَىٰ السُّدِّيُّ بِقَوْلِهِ هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ، أَنَّ اللهَ نَسَخَ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وَأَمَرَهُمْ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ الَّذِي هُوَ شِرْكٌ أَنْ يُقَاتِلُوا أُمَرَاءَهُ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ الَّذِي هُوَ مَعْصِيَةٌ للهِ أَنْ يُغَيِّرُوهُ، وَلَمْ يَكُونُوا أُمِرُوا بِذَلِكَ بِمَكَّةَ، وَهَذَا الْقَوْلُ نَظِيرُ تَأْوِيلِنَا الَّذِي تَأَوَّلْنَاهُ فِي ذَلِكَ.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَّرَهُمْ مُذَكِّرٌ..

﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بِحُجَجِ اللهِ..

﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣] لَمْ يَكُونُوا صُمًّا لَا يَسْمَعُونَ، وَعُمْيًا لَا يُبْصِرُونَهَا، وَلَكِنَّهُمْ يِقَاظُ الْقُلُوبِ، فُهَمَاءُ الْعُقُولِ، يَفْهَمُونَ عَنِ اللهِ مَا يُذَكِّرُهُمْ بِهِ، وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ مَا يُنَبِّهُهُمْ عَلَيْهِ، فَيُوعُونَ مَوَاعِظَهُ آذَانًا سَمِعَتْهُ، وَقُلُوبًا وَعَتْهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ يَخِرُّ الْكَافِرُونَ صُمًّا وَعُمْيَانًا إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ اللهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، الْكَافِرُ إِذَا تُلِيَتَ عَلَيْهِ آيَاتُ اللهِ خَرَّ عَلَيْهَا أَصَمَّ وَأَعْمَىٰ، وَخَرُّهُ عَلَيْهَا كَذَلِكَ إِقَامَتُهُ عَلَىٰ الْكُفْرِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْعَرَبِ: سَبَبْتُ فُلَانًا فَقَامَ يَبْكِي، بِمَعْنَىٰ فَظَلَّ يَبْكِي، وَلَا قِيَامَ هُنَالِكَ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَكَىٰ قَاعِدًا، وَكَمَا يُقَالُ: نَهَيْتُ فُلَانًا عَنْ كَذَا، فَقَعَدَ يَشْتُمُنِي؛ وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَجَعَلَ يَشْتُمُنِي، وَظَلَّ يَشْتُمُنِي، وَلَا قُعُودَ هُنَالِكَ، وَلَكِنْ ذَلِكَ قَدْ جَرَىٰ عَلَىٰ أَلْسُنِ الْعَرَبِ، حَتَّىٰ قَدْ فَهِمُوا مَعْنَاهُ.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ وَالَّذِينَ يَرْغَبُونَ إِلَىٰ اللهِ فِي دُعَائِهِمْ وَمَسْأَلَتِهِمْ بِأَنْ يَقُولُوا..

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ مَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُنَا مِنْ أَنْ تُرِينَاهُمْ يَعْمَلُونَ بِطَاعَتِكَ..

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: اجْعَلْنَا أَئِمَّةً يَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا: نَأْتَمُّ بِهِمْ، وَيَأْتَمُّ بِنَا مَنْ بَعْدَنَا.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ مَعَاصِيكَ، وَيَخَافُونَ عِقَابَكَ، إِمَامًا يَأْتَمُّونَ بِنَا فِي الْخَيْرَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَأَلُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَجْعَلَهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أَئِمَّةً، وَلَمْ يَسْأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَّقِينَ لَهُمْ إِمَامًا، وَقَالَ ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ وَلَمْ يَقُلْ أَئِمَّةً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ مِنْ عِبَادِي، وَذَلِكَ مِنَ ابْتِدَاءِ قَوْلِهِ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا﴾ [الفرقان: ٧٤] ..الْآيَةَ..

﴿يُجۡزَوۡنَ﴾ يُثَابُونَ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمْ هَذِهِ الَّتِي فَعَلُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ وَهِيَ مَنْزِلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ رَفِيعَةٌ..

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بِصَبْرِهِمْ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، وَمُقَاسَاةِ شِدَّتِهَا..

﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥] وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِيهَا بِالتَّحِيَّةِ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾ [الفرقان: ٧٦].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا، خَالِدِينَ فِي الْغُرْفَةِ، يَعْنِي أَنَّهُمْ مَاكِثُونَ فِيهَا، لَابِثُونَ إِلَىٰ غَيْرِ أَمَدٍ..

﴿حَسُنَتۡ﴾ تِلْكَ الْغُرْفَةُ..

﴿مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾ [الفرقان: ٧٦] قَرَارًا لَهُمْ وَإِقَامَةً.

﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧﴾ [الفرقان: ٧٧].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِمْ..

﴿مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾ أَيُّ شَيْءٍ يَصْنَعُ بِكُمْ رَبِّي..

﴿لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ لَوْلَا عِبَادَةُ مَنْ يَعْبُدُهُ مِنْكُمْ، وَطَاعَةُ مَنْ يُطِيعُهُ مِنْكُمْ..

﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَخَالَفْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمُ الَّذِي أَمَرَ بِالتَّمَسُّكِ بِهِ، لَوْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ، كَانَ يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي..

﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ﴾ تَكْذِيبُكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ، وَخِلَافُكُمْ أَمْرَ بَارِئِكُمْ..

﴿لِزَامَۢا ٧٧﴾ [الفرقان: ٧٧] عَذَابًا لَكُمْ مُلَازِمًا، قَتْلًا بِالسُّيُوفِ وَهَلَاكًا لَكُمْ مُفْنِيًا يُلْحِقُ بَعْضَكُمْ بَعْضًا، فَفَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ، وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ، وَقَتَلَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ، وَأَلْحَقَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، فَكَانَ ذَلِكَ الْعَذَابُ اللِّزَامُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفُرْقَانِ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ (٢٦)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سَبْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَتَانِ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طسٓمٓ ①﴾ [الشعراء: ١].

﴿طسٓمٓ ①﴾ [الشعراء: ١] قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿طسٓمٓ ①﴾ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ②﴾ [الشعراء: ٢].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾ إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَآيَاتُ..

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِهَا..

﴿ٱلْمُبِينِ ②﴾ [الشعراء: ٢] لِمَنْ تَدَبَّرَهُ بِفَهْمٍ، وَفَكَّرَ فِيهِ بِعَقْلٍ، أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، لَمْ يَتَخَرَّصْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَمْ يَتَقَوَّلْهُ مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ أَوْحَاهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ③﴾ [الشعراء: ٣].

﴿لَعَلَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قَاتِلٌ نَفْسَكَ وَمُهْلِكُهَا.. وَالْبَخْعُ: هُوَ الْقَتْلُ وَالْإِهْلَاكُ، فِي كَلَامِ الْعَرَبِ..

﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ③﴾ [الشعراء: ٣] إِنْ لَمْ يُؤْمِنْ قَوْمُكَ بِكَ، وَيُصَدِّقُوكَ عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ④﴾ [الشعراء: ٤].

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ④﴾ [الشعراء: ٤] فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ ذَلِيلَةً لِلْآيَةِ الَّتِي يُنَزِّلُهَا اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**لَوْ شَاءَ اللهُ لَنَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةً يُذَلُّونَ بِهَا، فَلَا يَلْوِي أَحَدٌ عُنُقَهُ إِلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ**).

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ⑤﴾ [الشعراء: ٥].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ وَمَا يَجِيءُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ وَيَجْحَدُونَ مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ مِنْ تَذْكِيرٍ وَتَنْبِيهٍ عَلَىٰ مَوَاضِعِ حُجَجِ اللهِ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ

صِدْقِكَ وَحَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ..

﴿مُحْدَثٍ﴾ مِمَّا يُحْدِثُهُ اللهُ إِلَيْكَ وَيُوحِيهِ إِلَيْكَ لِتُذَكِّرَهُمْ بِهِ..

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾ [الشعراء: ٥] إِلَّا أَعْرَضُوا عَنِ اسْتِمَاعِهِ، وَتَرَكُوا إِعْمَالَ الْفِكْرِ فِيهِ وَتَدَبُّرَهُ.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ [الشعراء: ٦].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ فَقَدْ كَذَّبَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِالذِّكْرِ الَّذِي أَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ..

﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ [الشعراء: ٦] فَسَيَأْتِيهِمْ أَخْبَارُ الْأَمْرِ الَّذِي كَانُوا يَسْخَرُونَ.. وَذَلِكَ وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ عِقَابَهُ عَلَىٰ تَمَادِيهِمْ فِي كُفْرِهِمْ، وَتَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ [الشعراء: ٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أَوَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ وَالنَّشْرِ..

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَيْتَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا..

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ [الشعراء: ٧] يَعْنِي بِالْكَرِيمِ: الْحَسَنَ، كَمَا يُقَالُ لِلنَّخْلَةِ الطَّيِّبَةِ الْحَمْلِ: كَرِيمَةٌ، وَكَمَا يُقَالُ لِلشَّاةِ أَوِ النَّاقَةِ إِذَا غَزَرَتَا فَكَثُرَتْ أَلْبَانُهُمَا: نَاقَةٌ كَرِيمَةٌ، وَشَاةٌ كَرِيمَةٌ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [الشعراء: ٨].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِنْبَاتِنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ..

﴿لَـَٔايَةً ۖ﴾ لَدَلَالَةً لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي بِهَا أَنْبَتَ اللهُ فِي الْأَرْضِ ذَلِكَ النَّبَاتَ بَعْدَ جُدُوبِهَا لَنْ يُعْجِزَهُ أَنْ يَنْشُرَ بِهَا الْأَمْوَاتَ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِهِمْ..

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [الشعراء: ٨] وَمَا كَانَ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ بِمُصَدِّقِيكَ عَلَىٰ مَا تَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الذِّكْرِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِي أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَلَا يُؤْمِنُ بِكَ أَكْثَرُهُمْ؛ لِلسَّابِقِ مِنْ عِلْمِي فِيهِمْ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشعراء: ٩].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي نِقْمَتِهِ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ أَرَادَ الِانْتِقَامَ مِنْهُ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَإِنِّي إِنْ

أَحْلَلْتُ بِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ -الْمُعْرِضِينَ عَمَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ عِنْدِي- عُقُوبَتِي بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، فَلَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنِّي مَانِعٌ، لِأَنِّي أَنَا الْعَزِيزُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشعراء: ٩] ذُو الرَّحْمَةِ بِمَنْ تَابَ -مِنْ خَلْقِهِ- مِنْ كُفْرِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ جُرْمِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشعراء: ١٠].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشعراء: ١٠] الْكَافِرِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ [الشعراء: ١١].

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ﴾ فَقُلْ لَهُمْ..

﴿أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ [الشعراء: ١١] عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ.. وَإِنَّمَا قِيلَ: أَلَا يَتَّقُونَ بِالْيَاءِ، وَلَمْ يَقُلْ أَلَا تَتَّقُونَ بِالتَّاءِ، لِأَنَّ التَّنْزِيلَ كَانَ قَبْلَ الْخِطَابِ، وَلَوْ جَاءَتِ الْقِرَاءَةُ فِيهَا بِالتَّاءِ كَانَ صَوَابًا، كَمَا قِيلَ: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ) وَ ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران: ١٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢﴾ [الشعراء: ١٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ أَمَرْتَنِي أَنْ آتِيَهُمْ..

﴿أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢﴾ [الشعراء: ١٢] بِقِيلِي لَهُمْ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَيْهِمْ.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣﴾ [الشعراء: ١٣].

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ وَإِنِّي يَضِيقُ صَدْرِي مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ إِنْ كَذَّبُونِي..

﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ وَلَا يَنْطَلِقُ بِالْعِبَارَةِ عَمَّا تُرْسِلُنِي بِهِ إِلَيْهِمْ، لِلْعِلَّةِ الَّتِي كَانَتْ بِلِسَانِهِ..

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣﴾ [الشعراء: ١٣] يَعْنِي: هَارُونَ أَخَاهُ، وَلَمْ يَقُلْ: فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ لِيُؤَازِرَنِي وَلِيُعِينَنِي؛ إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَوْ نَزَلَتْ بِنَا نَازِلَةٌ لَفَزِعْنَا إِلَيْكَ، بِمَعْنَىٰ: لَفَزِعْنَا إِلَيْكَ لِتُعِينَنَا.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤﴾ [الشعراء: ١٤].

﴿وَلَهُمْ﴾ وَلِقَوْمِ فِرْعَوْنَ..

﴿عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ عَلَيَّ دَعْوَىٰ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ قَتْلُهُ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلَهَا مِنْهُمْ..

﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ⑭﴾ [الشعراء: ١٤] فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي قَوَدًا بِالنَّفْسِ الَّتِي قَتَلْتُ مِنْهُمْ.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ⑮﴾ [الشعراء: ١٥].

﴿قَالَ كَلَّا﴾ لَنْ يَقْتُلَكَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ..

﴿فَاذْهَبَا﴾ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ..

﴿بِآيَاتِنَا﴾ بِأَعْلَامِنَا وَحُجَجِنَا الَّتِي أَعْطَيْنَاكَ عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ⑮﴾ [الشعراء: ١٥] مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ مَا يَقُولُونَ لَكُمْ، وَيُجِيبُونَكُمْ بِهِ.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑯﴾ [الشعراء: ١٦].

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾ فَأْتِ أَنْتَ يَا مُوسَىٰ وَأَخُوكَ هَارُونُ فِرْعَوْنَ..

﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑯﴾ [الشعراء: ١٦] فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَأَبْلِغَاهُ رِسَالَةَ رَبِّهِمَا إِلَيْهِ بِـ..

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ⑰﴾ [الشعراء: ١٧].

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ⑰﴾ [الشعراء: ١٧] وَقَالَ: «رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، وَهُوَ يُخَاطِبُ اثْنَيْنِ بِقَوْلِهِ فَقُولَا؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْمَصْدَرَ مِنْ أَرْسَلْتُ، يُقَالُ: أَرْسَلْتُ رِسَالَةً وَرَسُولًا، يَعْنِي بِقَوْلِهِ: رَسُولًا: رِسَالَةً.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ⑱﴾ [الشعراء: ١٨].

﴿قَالَ﴾ فَقَالَ فِرْعَوْنُ..

﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ يَا مُوسَىٰ..

﴿وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ⑱﴾ [الشعراء: ١٨] وَذَلِكَ مُكْثُهُ عِنْدَهُ قَبْلَ قَتْلِ الْقَتِيلِ الَّذِي قَتَلَهُ مِنَ الْقِبْطِ.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ⑲﴾ [الشعراء: ١٩].

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ وَقَتَلْتَ الَّذِي قَتَلْتَ مِنَّا، يَعْنِي: قَتْلَهُ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلَ مِنَ الْقِبْطِ..

﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ⑲﴾ [الشعراء: ١٩] وَأَنْتَ الْآنَ مِنَ الْكَافِرِينَ لِنِعْمَتِي عَلَيْكَ، وَتَرْبِيَتِي إِيَّاكَ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (رَبَّيْنَاكَ فِينَا وَلِيدًا، فَهَذَا الَّذِي كَافَأْتَنَا أَنْ قَتَلْتَ مِنَّا نَفْسًا، وَكَفَرْتَ نِعْمَتَنَا).

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ [الشعراء: ٢٠].

﴿قَالَ﴾ فَأَجَابَهُ فَقَالَ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ..

﴿فَعَلْتُهَآ﴾ فَعَلْتُ تِلْكَ الْفَعْلَةَ الَّتِي فَعَلْتُ، أَيْ: قَتَلْتُ تِلْكَ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلْتُ..

﴿إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ [الشعراء: ٢٠] وَأَنَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنِي مِنَ اللهِ وَحْيٌ بِتَحْرِيمِ قَتْلِهِ عَلَيَّ.. وَالْعَرَبُ تَضَعُ مِنَ الضَّلَالِ مَوْضِعَ الْجَهْلِ، وَالْجَهْلَ مَوْضِعَ الضَّلَالِ، فَتَقُولُ: قَدْ جَهَلَ فُلَانٌ الطَّرِيقَ وَضَلَّ الطَّرِيقَ، بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١﴾ [الشعراء: ٢١].

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ مَعْشَرَ الْمَلَأِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ..

﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أَنْ تَقْتُلُونِي بِقَتْلِيَ الْقَتِيلَ مِنْكُمْ..

﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ فَوَهَبَ لِي رَبِّي نُبُوَّةً وَهِيَ الْحُكْمُ..

﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١﴾ [الشعراء: ٢١] وَأَلْحَقَنِي بِعِدَادِ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ، مُبَلِّغًا عَنْهُ رِسَالَتَهُ إِلَيْهِمْ بِإِرْسَالِهِ إِيَّايَ إِلَيْكَ يَا فِرْعَوْنُ.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢].

﴿وَتِلْكَ﴾ تَرْبِيَةُ فِرْعَوْنَ إِيَّاهُ، يَقُولُ: وَتَرْبِيَتُكَ إِيَّايَ، وَتَرْكُكَ اسْتِعْبَادِي كَمَا اسْتَعْبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿نِعْمَةٌ﴾ نَعَمْ! هِيَ نِعْمَةٌ مِنْكَ عَلَيَّ..

﴿تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ بِحَقٍّ..

﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢] وَتَرَكْتَنِي، فَلَمْ تَسْتَعْبِدْنِي.. وَقَالَ آخَرُونَ: هَذَا اسْتِفْهَامٌ كَانَ مِنْ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَتَمُنُّ عَلَيَّ أَنِ اتَّخَذْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبِيدًا؟! وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يُنْكِرُ هَذَا الْقَوْلَ، وَيَقُولُ: هُوَ غَلَطٌ مِنْ قَائِلِهِ؛ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَمْزُ الِاسْتِفْهَامِ يُلْقَىٰ، وَهُوَ يُطْلَبُ، فَيَكُونَ الِاسْتِفْهَامُ كَالْخَبَرِ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ [الشعراء: ٢٣].

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ [الشعراء: ٢٣] وَأَيُّ شَيْءٍ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤﴾ [الشعراء: ٢٤].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ هُوَ..

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَمَالِكُهُنَّ..

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ وَمَالِكُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ..

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] أَنَّ مَا تُعَايِنُونَهُ كَمَا تُعَايِنُونَهُ، فَكَذَلِكَ فَأَيْقِنُوا أَنَّ رَبَّنَا هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ..

﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ مِنْ قَوْمِهِ..

﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥] لِمَا يَقُولُ مُوسَىٰ، فَأَخْبَرَ مُوسَىٰ ﷺ الْقَوْمَ بِالْجَوَابِ عَنْ مَسْأَلَةِ فِرْعَوْنَ إِيَّاهُ وَقِيلِهِ لَهُ ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]؛ لِيُفْهِمَ بِذَلِكَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ مَقَالَتَهُ لِفِرْعَوْنَ وَجَوَابَهُ إِيَّاهُ عَمَّا سَأَلَهُ، إِذْ قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِ مُوسَىٰ، فَـ..

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦].

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ: الَّذِي دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ عِبَادَتِهِ..

﴿رَبُّكُمْ﴾ الَّذِي خَلَقَكُمْ..

﴿وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] فَـ..

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُمْ عَمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ..

﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ هَذَا..

﴿ٱلَّذِىٓ﴾ يَزْعُمُ أَنَّهُ..

﴿أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] لَمَغْلُوبٌ عَلَىٰ عَقْلِهِ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ قَوْلًا لَا نَعْرِفُهُ وَلَا نَفْهَمُهُ، وَإِنَّمَا قَالَ عَدُوُّ اللهِ ذَلِكَ، وَنَسَبَ مُوسَىٰ إِلَىٰ الْجِنَّةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ قَوْمِهِ أَنَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يُعْبَدُ، وَأَنَّ الَّذِي يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مُوسَىٰ بَاطِلٌ لَيْسَتْ لَهُ حَقِيقَةٌ، فَقَالَ مُوسَىٰ عِنْدَ ذَلِكَ مُحْتَجًا عَلَيْهِمْ، وَمُعَرِّفَهُمْ رَبَّهُمْ بِصِفَتِهِ وَأَدِلَّتِهِ؛ إِذْ كَانَ عِنْدَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنَّ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ رَبًّا لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هُوَ فِرْعَوْنُ، وَأَنَّ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ لِآبَائِهِمْ أَرْبَابًا مُلُوكٌ أُخَرُ، كَانُوا قَبْلَ فِرْعَوْنَ قَدْ مَضَوْا، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ أَنَّ مُوسَىٰ أَخْبَرَهُمْ بِشَيْءٍ لَهُ مَعْنًىٰ يَفْهَمُونَهُ وَلَا يَعْقِلُونَهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ كَانَ عِنْدَهُمْ كَلَامًا لَا يَعْقِلُونَ مَعْنَاهُ.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٨﴾ [الشعراء: ٢٨].

﴿قَالَ﴾ الَّذِي أَدْعُوكُمْ وَفِرْعَوْنَ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ..

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ مَلِكُ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمَغْرِبِهَا..

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ مِنْ شَيْءٍ، لَا إِلَىٰ عِبَادَةِ مُلُوكِ مِصْرَ الَّذِينَ كَانُوا مُلُوكَهَا قَبْلَ فِرْعَوْنَ فَمَضَوْا، وَلَا إِلَىٰ عِبَادَةِ فِرْعَوْنَ الَّذِي هُوَ اليومَ مَلِكُهَا..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٨﴾ [الشعراء: ٢٨] إِنْ كَانَ لَكُمْ عُقُولٌ تَعْقِلُونَ بِهَا مَا يُقَالُ لَكُمْ، وَتَفْهَمُونَ بِهَا مَا تَسْمَعُونَ مِمَّا يُعَيَّنُ لَكُمْ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ ﷺ بِالأَمْرِ الَّذِي عَلِمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ الْوَاضِحُ؛ إِذْ كَانَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ مُلُوكِ مِصْرَ لَمْ يُجَاوِزْ مُلْكُهُمْ عَرِيشَ مِصْرَ، وَتَبَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مُوسَىٰ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي يَمْلِكُ الْمُلُوكَ.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩﴾ [الشعراء: ٢٩].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ حِينَئِذٍ اسْتِكْبَارًا عَنِ الْحَقِّ، وَتَمَادِيًا فِي الْغَيِّ لِمُوسَىٰ..

﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾ لَئِنْ أَقْرَرْتَ بِمَعْبُودٍ سِوَايَ..

﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩﴾ [الشعراء: ٢٩] لَأَسْجُنَنَّكَ مَعَ مَنْ فِي السِّجْنِ مِنْ أَهْلِهِ.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ [الشعراء: ٣٠].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ لَمَّا عَرَّفَهُ رَبَّهُ، وَأَنَّهُ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَدَعَاهُ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَإِخْلَاصِ الأُلُوهِةِ لَهُ، وَأَجَابَهُ فِرْعَوْنُ بِقَوْلِهِ ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩﴾ [الشعراء: ٢٩]..

﴿أَوَلَوْ﴾ أَتَجْعَلَنِي مِنَ الْمَسْجُونِينَ وَلَوْ..

﴿جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ [الشعراء: ٣٠] يُبَيِّنُ لَكَ صِدْقَ مَا أَقُولُ -يَا فِرْعَوْنُ- وَحَقِيقَةَ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ؟.. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لَهُ، لِأَنَّ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ السُّكُونُ لِلْإِنْصَافِ، وَالْإِجَابَةُ إِلَىٰ الْحَقِّ بَعْدَ الْبَيَانِ، فَلَمَّا قَالَ مُوسَىٰ لَهُ مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١﴾ [الشعراء: ٣١].

﴿قَالَ﴾ لَهُ فِرْعَوْنُ..

﴿فَأْتِ بِهِۦٓ﴾ فَأْتِ بِالشَّيْءِ الْمُبِينِ حَقِيقَةَ مَا تَقُولُ، فَإِنَّا لَنْ نَسجنَكَ حِينَئِذٍ إِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١﴾ [الشعراء: ٣١] إِنْ كُنْتَ مُحِقًّا فِيمَا تَقُولُ، وَصَادِقًا فِيمَا تَصِفُ وَتُخْبِرُ.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء: ٣٢].

﴿فَأَلْقَىٰ﴾ مُوسَىٰ..

﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ فَتَحَوَّلَتْ ثُعْبَانًا، وَهِيَ الْحَيَّةُ الذَّكَرُ..

﴿مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء: ٣٢] يَبِينُ لِفِرْعَوْنَ وَالْمَلَأِ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّهُ ثُعْبَانٌ.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٣٣].

﴿وَنَزَعَ﴾ وَأَخْرَجَ مُوسَىٰ..

﴿يَدَهُ﴾ مِنْ جَيْبِهِ..

﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ تَلْمَعُ..

﴿لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٣٣] لِمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَيَرَاهَا.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الشعراء: ٣٤].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لَمَّا أَرَاهُ مُوسَىٰ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ حُجَّةً عَلَيْهِ لِمُوسَىٰ بِحَقِيقَةِ مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ وَصِدْقِ مَا أَتَاهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿لِلْمَلَإِ﴾ لِأَشْرَافِ قَوْمِهِ..

﴿حَوْلَهُ﴾ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَهُ..

﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ﴾ إِنَّ مُوسَىٰ سَحَرَ عَصَاهُ حَتَّىٰ أَرَاكُمُوهَا ثُعْبَانًا..

﴿عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الشعراء: ٣٤] ذُو عِلْمٍ بِالسِّحْرِ وَبَصَرٍ بِهِ.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: ٣٥].

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾، فَجَعَلَ الْخِطَابَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ مِنَ الْقِبْطِ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّ الْقِبْطَ كَانُوا قَدِ اسْتَعْبَدُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاتَّخَذُوهُمْ خَدَمًا لِأَنْفُسِهِمْ وَمَهَانًا، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾ وَهُوَ يُرِيدُ: أَنْ يُخْرِجَ خَدَمَكُمْ وَعَبِيدَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَىٰ الشَّامِ، وَإِنَّمَا قُلْتُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا أَرْسَلَ مُوسَىٰ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ يَأْمُرُهُ بِإِرْسَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ وَلِأَخِيهِ ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء: ١٥- ١٦]..

﴿مِّنْ أَرْضِكُم﴾ إِلَىٰ الشَّامِ..

﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ بِقَهْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالسِّحْرِ..

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٣٥﴾ [الشعراء: ٣٥] فَأَيَّ شَيْءٍ تَأْمُرُونَ فِي أَمْرِ مُوسَىٰ وَمَا بِهِ تُشِيرُونَ مِنَ الرَّأْيِ فِيهِ؟

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦﴾ [الشعراء: ٣٦].

﴿قَالُوٓاْ﴾ فَأَجَابَ فِرْعَوْنَ الْمَلأُ حَوْلَهُ بِأَنْ قَالُوا لَهُ..

﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أَخِّرْ مُوسَىٰ وَأَخَاهُ وَأَنْظِرْهُ..

﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦﴾ [الشعراء: ٣٦] وَابْعَثْ فِي بِلَادِكَ وَأَمْصَارِ مِصْرَ.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ٣٧﴾ [الشعراء: ٣٧].

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ﴾ يَحْشُرُونَ إِلَيْكَ كُلَّ..

﴿سَحَّارٍ عَلِيمٍ ٣٧﴾ [الشعراء: ٣٧] بِالسِّحْرِ.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٣٨﴾ [الشعراء: ٣٨].

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ فَجَمَعَ الْحَاشِرُونَ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ فِرْعَوْنُ بِحَشْرِ السَّحَرَةِ..

﴿لِمِيقَٰتِ﴾ لِوَقْتٍ وَاعَدَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَىٰ الِاجْتِمَاعَ مَعَهُ فِيهِ مِنْ..

﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٣٨﴾ [الشعراء: ٣٨] وَذَلِكَ ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ٥٩﴾ [طه: ٥٩].

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ٣٩﴾ [الشعراء: ٣٩].

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ٣٩﴾ [الشعراء: ٣٩] لِتَنْظُرُوا إِلَىٰ مَا يَفْعَلُ الْفَرِيقَانِ، وَلِمَنْ تَكُونُ الْغَلَبَةُ، لِمُوسَىٰ أَوْ لِلسَّحَرَةِ؟.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(كَانُوا بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ)**.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ٤٠﴾ [الشعراء: ٤٠].

﴿لَعَلَّنَا﴾ كَيْ..

﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ٤٠﴾ [الشعراء: ٤٠] مُوسَىٰ.. وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ مَعْنَاهَا؛ لِأَنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ كَانُوا عَلَىٰ دِينِ فِرْعَوْنَ، فَغَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ يَقُولَ مَنْ كَانَ عَلَىٰ دِينٍ: أَنْظُرُ إِلَىٰ حُجَّةِ مَنْ هُوَ عَلَىٰ خِلَافِي لَعَلِّي أَتَّبِعُ دِينَهُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: أَنْظُرُ إِلَيْهَا كَيْ أَزْدَادَ بَصِيرَةً بِدِينِي، فَأُقِيمَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ قَالَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ، فَإِيَّاهَا عَنَوْا بِقِيلِهِمْ: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ٤٠﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ٤١﴾ [الشعراء: ٤١].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ فِرْعَوْنَ لِوَعْدِ مُوسَىٰ وَمَوْعِدِ فِرْعَوْنَ..

﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ بِسِحْرِنَا قِبَلَكَ..

﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ٤١﴾ [الشعراء: ٤١] مُوسَىٰ.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾ [الشعراء: ٤٢].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لَهُمْ..

﴿نَعَمْ﴾ لَكُمُ الْأَجْرُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ..

﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾ [الشعراء: ٤٢] مِنَّا.. فَقَالُوا عِنْدَ ذَلِكَ لِمُوسَىٰ ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ١١٥﴾ [الأعراف: ١١٥]، وَتَرَكَ ذِكْرَ قِيلِهِمْ ذَلِكَ لِدَلَالَةِ خَبَرِ اللهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ٤٣﴾ [الشعراء: ٤٣]، عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ.. فَـ..

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ٤٣﴾ [الشعراء: ٤٣].

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ٤٣﴾ [الشعراء: ٤٣] مِنْ حِبَالِكُمْ وَعِصِيِّكُمْ.

﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ٤٤﴾ [الشعراء: ٤٤].

﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ مِنْ أَيْدِيهِمْ..

﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ أَقْسَمُوا بِقُوَّةِ فِرْعَوْنَ وَشِدَّةِ سُلْطَانِهِ، وَمَنَعَةِ مَمْلَكَتِهِ..

﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ٤٤﴾ [الشعراء: ٤٤] مُوسَىٰ.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ٤٥﴾ [الشعراء: ٤٥].

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ حِينَ أَلْقَتِ السَّحَرَةُ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ..

﴿فَإِذَا هِيَ﴾ فَإِذَا عَصَا مُوسَىٰ..

﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ٤٥﴾ [الشعراء: ٤٥] تَزْدَرِدُ مَا يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْفِرْيَةِ وَالسِّحْرِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَخَايِيلُ وَخُدْعَةٌ.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦﴾ [الشعراء: ٤٦].

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦﴾ [الشعراء: ٤٦] فَلَمَّا تَبَيَّنَ السَّحَرَةُ أَنَّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ حَقٌّ لَا

سِحْرٌ، وَأَنَّهُ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُ اللهِ الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، خَرُّوا لِوُجُوهِهِمْ سُجَّدًا للهِ.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [الشعراء: ٤٧].

﴿قَالُوٓاْ﴾ مُذْعِنِينَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، مُقِرِّينَ لِمُوسَىٰ بِالَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ السِّحْرِ بَاطِلٌ، قَائِلِينَ..

﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [الشعراء: ٤٧] الَّذِي دَعَانَا مُوسَىٰ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨﴾ [الشعراء: ٤٨].

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨﴾ [الشعراء: ٤٨] دُونَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٩﴾ [الشعراء: ٤٩].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لِلَّذِينَ كَانُوا سَحَرَتَهُ فَآمَنُوا..

﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ آمَنْتُمْ لِمُوسَىٰ بِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ..

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ﴾ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ فِي الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ مُوسَىٰ..

﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ لَرَئِيسُكُمْ فِي السِّحْرِ، وَهُوَ..

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وَلِذَلِكَ آمَنْتُمْ بِهِ..

﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ﴾ عِنْدَ عِقَابِي إِيَّاكُمْ وَبَالَ مَا فَعَلْتُمْ، وَخَطَأَ مَا صَنَعْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ مُخَالِفًا فِي قَطْعِ ذَلِكَ مِنْكُمْ بَيْنَ قَطْعِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ، وَذَلِكَ أَنْ أَقْطَعَ الْيَدَ الْيُمْنَىٰ وَالرِّجْلَ الْيُسْرَىٰ، ثُمَّ الْيَدَ الْيُسْرَىٰ وَالرِّجْلَ الْيُمْنَىٰ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ قَطْعِ الْيَدِ مِنْ جَانِبٍ ثُمَّ الرِّجْلَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَطْعُ مِنْ خِلَافٍ..

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٩﴾ [الشعراء: ٤٩] فَوَكَّدَ ذَلِكَ بِأَجْمَعِينَ إِعْلَامًا مِنْهُ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَبْقٍ مِنْهُمْ أَحَدًا.

﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾ [الشعراء: ٥٠].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ السَّحَرَةُ..

﴿لَا ضَيْرَ ۖ﴾ عَلَيْنَا؛ وَهُوَ مَصْدَرٌ، وَمَعْنَاهُ: لَا ضَرَرَ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(لَا يَضُرُّنَا الَّذِي تَقُولُ وَإِنْ**

صَنعْتَهُ بِنَا وَصَلَبْتَنَا)..

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾ [الشعراء: ٥٠] إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاجِعُونَ، وَهُوَ مُجَازِينَا بِصَبْرِنَا عَلَىٰ عُقُوبَتِكَ إِيَّانَا، وَثَبَاتِنَا عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾ [الشعراء: ٥١].

﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ السَّحَرَةِ: إِنَّا نَرْجُو..

﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ أَنْ يَصْفَحَ لَنَا رَبُّنَا عَنْ خَطَايَانَا الَّتِي سَلَفَتْ مِنَّا قَبْلَ إِيمَانِنَا بِهِ، فَلَا يُعَاقِبَنَا بِهَا..

﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾ [الشعراء: ٥١] لِأَنْ كُنَّا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِمُوسَىٰ وَصَدَّقَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَكْذِيبِ فِرْعَوْنَ فِي ادِّعَائِهِ الرُّبُوبِيَّةَ فِي دَهْرِنَا هَذَا وَزَمَانِنَا.

﴿* وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢﴾ [الشعراء: ٥٢].

﴿* وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذْ تَمَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي غَيِّهِ وَأَبَىٰ إِلَّا الثَّبَاتَ عَلَىٰ طُغْيَانِهِ بَعْدَ مَا أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا..

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ أَنْ سِرْ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ..

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢﴾ [الشعراء: ٥٢] إِنَّ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ مُتَّبِعُوكَ وَقَوْمَكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِيَحُولُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْخُرُوجِ مِنْ أَرْضِهِمْ، أَرْضِ مِصْرَ.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣﴾ [الشعراء: ٥٣].

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣﴾ [الشعراء: ٥٣] يَحْشُرُ لَهُ جُنْدَهُ وَقَوْمَهُ، وَيَقُولُ لَهُمْ..

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤﴾ [الشعراء: ٥٤].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَعْنِي بِهَؤُلَاءِ: بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ يَعْنِي بِالشِّرْذِمَةِ: الطَّائِفَةَ وَالْعُصْبَةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ عَصَبٍ جَبِيرَةٍ، وَشِرْذِمَةُ كُلِّ شَيْءٍ: بَقِيَّتُهُ الْقَلِيلَةُ..

﴿قَلِيلُونَ ۝٥٤﴾ [الشعراء: ٥٤] لِأَنَّ كُلَّ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ كَانَ يَلْزَمُهَا مَعْنَىٰ الْقِلَّةِ؛ فَلَمَّا جَمَعَ جَمْعَ جَمَاعَاتِهِمْ قِيلَ: قَلِيلُونَ.. وَذَكَرَ مُجَاهِدٌ أَنَّ الْجَمَاعَةَ الَّتِي سَمَّاهَا فِرْعَوْنُ شِرْذِمَةً قَلِيلِينَ، كَانُوا سِتَّ مِائَةِ أَلْفٍ..

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥﴾ [الشعراء: ٥٥].

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الشِّرْذِمَةَ..

﴿لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥﴾ [الشعراء: ٥٥] بِقَتْلِهِمْ أَبْكَارَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ بِذِهَابِهِمْ مِنْهُمْ بِالْعَوَارِي الَّتِي كَانُوا اسْتَعَارُوهَا مِنْهُمْ مِنَ الْحُلِيِّ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِفِرَاقِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ بِكُرْهٍ لَهُمْ لِذَلِكَ.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾ [الشعراء: ٥٦].

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾ [الشعراء: ٥٦] بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُمْ مُعِدُّونَ مُؤْدُونَ؛ ذُوُو أَدَاةٍ وَقُوَّةٍ وَسِلَاحٍ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ)، بِغَيْرِ أَلِفٍ، وَكَانَ الْفَرَّاءُ يَقُولُ: كَأَنَّ الْحَاذِرَ الَّذِي يَحْذَرُكَ الْآنَ، وَكَأَنَّ الْحَذِرَ الْمَخْلُوقُ حَذِرًا، لَا تَلْقَاهُ إِلَّا حَذِرًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِيهِ.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧﴾ [الشعراء: ٥٧].

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ فَأَخْرَجْنَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ..

﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ مِنْ بَسَاتِينَ..

﴿وَعُيُونٍ ۝٥٧﴾ [الشعراء: ٥٧] وَعُيُونِ مَاءٍ.

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ [الشعراء: ٥٨].

﴿وَكُنُوزٍ﴾ وَكُنُوزِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ..

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ [الشعراء: ٥٨] قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ الْمَقَامَ الْكَرِيمَ الْمَنَابِرُ.

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الشعراء: ٥٩].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا أَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا وَصَفْتُ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا..

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الشعراء: ٥٩] وَأَوْرَثْنَا تِلْكَ الْجَنَّاتِ الَّتِي أَخْرَجْنَاهُمْ مِنْهَا وَالْعُيُونَ وَالْكُنُوزَ وَالْمَقَامَ الْكَرِيمَ عَنْهُمْ بِهَلَاكِهِمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾ [الشعراء: ٦٠].

﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ فَأَتْبَعَ فِرْعَوْنُ وَأَصْحَابُهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾ [الشعراء: ٦٠] حِينَ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَقِيلَ حِينَ أَصْبَحُوا.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾ [الشعراء: ٦١].

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا﴾ فَلَمَّا تَنَاظَرَ الْجَمْعَانِ..

﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾ جَمْعُ مُوسَىٰ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَجَمْعُ فِرْعَوْنَ وَهُمُ الْقِبْطُ..

﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾ [الشعراء: ٦١] إِنَّا لَمُلْحَقُونَ، الْآنَ يَلْحَقُنَا فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فَيَقْتُلُونَنَا.. وَذُكِرَ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ لِمُوسَىٰ تَشَاؤُمًا بِمُوسَىٰ.

﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء: ٦٢].

﴿قَالَ﴾مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتُمْ..

﴿كَلَّآ ۖ﴾ لَنْ تُدْرَكُوا..

﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء: ٦٢] لِطَرِيقٍ أَنْجُو فِيهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣﴾ [الشعراء: ٦٣].

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ اللهَ كَانَ قَدْ أَمَرَ الْبَحْرَ أَنْ لَا يَنْفَلِقَ حَتَّىٰ يَضْرِبَهُ مُوسَىٰ بِعَصَاهُ..

﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ فَكَانَ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْبَحْرِ لَمَّا ضَرَبَهُ مُوسَىٰ..

﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣﴾ [الشعراء: ٦٣] كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، وَذُكِرَ أَنَّهُ انْفَلَقَ اثْنَتَىٰ عَشْرَةَ فِلْقَةً عَلَىٰ عَدَدِ الْأَسْبَاطِ، لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْهُمْ فِرْقٌ.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٤﴾ [الشعراء: ٦٤].

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ وَقَرَّبْنَا هُنَالِكَ مِنَ الْبَحْرِ، وَقَدَّمْنَاهُمْ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ [الشعراء: ٩٠]، بِمَعْنَىٰ: قُرِّبَتْ وَأُدْنِيَتْ..

﴿ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٤﴾ [الشعراء: ٦٤] آل فِرْعَوْنَ، ورُوِي عن السُّدِي: (**دَنَا فِرْعَوْنُ وَأَصْحَابُهُ بَعْدَ مَا قَطَعَ مُوسَىٰ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ مِنَ الْبَحْرِ، فَلَمَّا نَظَرَ فِرْعَوْنُ إِلَىٰ الْبَحْرِ مُنْفَلِقًا، قَالَ: أَلَا تَرَوْنَ الْبَحْرَ فَرَقَ مِنِّي، قَدْ تَفَتَّحَ لِي حَتَّىٰ أُدْرِكَ أَعْدَائِي فَأَقْتُلَهُمْ**).

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الشعراء: ٦٥].

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ مِمَّا أَتْبَعْنَا بِهِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنَ الْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ..

﴿أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الشعراء: ٦٥] مَنْ مَعَ مُوسَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَجْمَعِينَ.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: ٦٦].

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا﴾ فِي الْبَحْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْجَيْنَا مُوسَىٰ مِنْهُ وَمَنْ مَعَهُ..

﴿ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: ٦٦] فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنَ الْقِبْطِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٧].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا فَعَلْتُ بِفِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ تَغْرِيقِي إِيَّاهُمْ فِي الْبَحْرِ إِذْ كَذَّبُوا رَسُولِي مُوسَىٰ، وَخَالَفُوا أَمْرِي بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، وَالْإِنْذَارِ..

﴿لَـَٔايَةً﴾ لَدَلَالَةً بَيِّنَةً يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ سُنَّتِي فِيمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ تَكْذِيبِ رُسُلِي، وَعِظَةً لَهُمْ وَعِبْرَةً إِنِ ادَّكَرُوا وَاعْتَبَرُوا، أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَ فِعْلِهِمْ مِنْ تَكْذِيبِكَ، مَعَ الْبُرْهَانِ وَالْآيَاتِ الَّتِي قَدْ آتَيْتُهُمْ، فَيَحِلَّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ نَظِيرَ مَا حَلَّ بِهِمْ، وَلَكَ آيَةٌ فِي فِعْلِي بِمُوسَىٰ، وَتَنْجِيَتِي إِيَّاهُ بَعْدَ طُولِ عِلَاجِهِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْهُ، وَإِظْهَارِي إِيَّاهُ وَتَوْرِيثِهِ وَقَوْمَهُ دُورَهُمْ وَأَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، عَلَىٰ أَنِّي سَالِكٌ فِيكَ سَبِيلَهُ، إِنْ أَنْتَ صَبَرْتَ صَبْرَهُ، وَقُمْتَ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِ قِيَامَهُ، وَمُظْهِرُكَ عَلَىٰ مُكَذِّبِيكَ، وَمُعْلِيكَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٧] بِمَا آتَاكَ اللهُ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، فَسَابِقٌ فِي عِلْمِي أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦٨].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦٨] بِمَنْ أَنْجَىٰ مِنْ رُسُلِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْغَرَقِ وَالْعَذَابِ الَّذِي عَذَّبَ بِهِ الْكَفَرَةَ.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الشعراء: ٦٩].

﴿وَٱتْلُ﴾ وَاقْصُصْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ عَلَىٰ قَوْمِكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..
﴿نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الشعراء: ٦٩] خَبَرَ إِبْرَاهِيمَ.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾ [الشعراء: ٧٠].

﴿إِذۡ﴾ حِينَ..
﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾ [الشعراء: ٧٠] أَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدُونَ؟

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾ [الشعراء: ٧١].

﴿قَالُواْ﴾ لَهُ..
﴿نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾ [الشعراء: ٧١] فَنَظَلُّ لَهَا خَدَمًا مُقِيمِينَ عَلَىٰ عِبَادَتِهَا وَخِدْمَتِهَا.

﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢﴾ [الشعراء: ٧٢].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ..
﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢﴾ [الشعراء: ٧٢] هَلْ تَسْمَعُ دُعَاءَكُمْ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةُ إِذْ تَدْعُونَهُمْ؟

﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ [الشعراء: ٧٣].

﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ أَوْ تَنْفَعُكُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ، فَيَرْزُقُونَكُمْ شَيْئًا عَلَىٰ عِبَادَتِكُمُوهَا..
﴿أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ [الشعراء: ٧٣] أَوْ يَضُرُّونَكُمْ فَيُعَاقِبُونَكُمْ عَلَىٰ تَرْكِكُمْ عِبَادَتِهَا بِأَنْ يَسْلُبُوكُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَوْ يُهْلِكُوكُمْ إِذَا هَلَكْتُمْ وَأَوْلَادَكُمْ.

﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾ [الشعراء: ٧٤].

﴿قَالُواْ﴾ فِي جَوَابِهِمْ إِيَّاهُ..
﴿بَلۡ﴾ مَا يَسْمَعُونَنَا إِذَا دَعَوْنَاهُمْ، وَلَا يَنْفَعُونَنَا، وَلَا يَضُرُّونَ..
﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا﴾ وَجَدْنَا مَنْ قَبْلَنَا مِنْ آبَائِنَا..
﴿كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾ [الشعراء: ٧٤] يَعْبُدُونَهَا وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا لِخِدْمَتِهَا وَعِبَادَتِهَا، فَنَحْنُ نَفْعَلُ ذَلِكَ اقْتِدَاءً بِهِمْ، وَاتِّبَاعًا لِمِنْهَاجِهِمْ.

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٧٥].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ..

﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٧٥] مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ.

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٧٦].

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٧٦] يَعْنِي بِالْأَقْدَمِينَ: الْأَقْدَمِينَ مِنَ الَّذِينَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُخَاطِبُهُمْ، وَهُمُ الْأَوَّلُونَ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، الَّذِينَ كَلَّمَهُمْ إِبْرَاهِيمُ.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الشعراء: ٧٧].

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فَإِنَّ كُلَّ مَعْبودٍ لَكُمْ وَلِآبَائِكُمْ..

﴿عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الشعراء: ٧٧] فَإِنِّي مِنْهُ بَرِيءٌ لَا أَعْبُدُهُ، إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ.. يَقُولُ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يُوصَفُ الْخَشَبُ وَالْحَدِيدُ وَالنُّحَاسُ بِعَدَاوَةِ ابْنِ آدَمَ؟ قيل: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَبَدْتُهُمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝﴾ [الشعراء: ٧٨].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝﴾ [الشعراء: ٧٨] لِلصَّوَابِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيُسَدِّدُنِي لِلرَّشَادِ.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝﴾ [الشعراء: ٧٩].

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝﴾ [الشعراء: ٧٩] وَالَّذِي يَغْذُونِي بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَيَرْزُقُنِي الْأَرْزَاقَ.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝﴾ [الشعراء: ٨٠].

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ وَإِذَا سَقَمَ جِسْمِي وَاعْتَلَّ..

﴿فَهُوَ يَشْفِينِ ۝﴾ [الشعراء: ٨٠] فَهُوَ يُبْرِئُهُ وَيُعَافِيهِ.

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ [الشعراء: ٨١].

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ إِذَا شَاءَ..

﴿ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ [الشعراء: ٨١] إِذَا أَرَادَ بَعْدَ مَمَاتِي.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء: ٨٢].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء: ٨٢] فَرَبِّي هَذَا الَّذِي بِيَدِهِ نَفْعِي وَضُرِّي، وَلَهُ الْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، وَلَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، لَا الَّذِي لَا يَسْمَعُ إِذَا دُعِيَ، وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ احْتِجَاجًا عَلَىٰ قَوْمِهِ، فِي أَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعُبُودَةُ إِلَّا لِمَنْ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالَ، لَا لِمَنْ لَا يُطِيقُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا.

﴿رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٨٣﴾ [الشعراء: ٨٣].

﴿رَبِّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ مَسْأَلَةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ إِيَّاهُ رَبِّ..

﴿هَبۡ لِى حُكۡمًا﴾ هَبْ لِي نُبُوَّةً..

﴿وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٨٣﴾ [الشعراء: ٨٣] وَاجْعَلْنِي رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِكَ، حَتَّىٰ تُلْحِقَنِي بِذَلِكَ بِعِدَادِ مَنْ أَرْسَلْتَهُ مِنْ رُسُلِكَ إِلَىٰ خَلْقِكَ، وَائْتَمَنْتَهُ عَلَىٰ وَحْيِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُ لِنَفْسِكَ.

﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤].

﴿وَٱجۡعَل لِّى﴾ فِي النَّاسِ..

﴿لِسَانَ صِدۡقٍ﴾ ذِكْرًا جَمِيلًا، وَثَنَاءً حَسَنًا..

﴿فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤] بَاقِيًا فِيمَنْ يَجِيءُ مِنَ الْقُرُونِ بَعْدِي.

﴿وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨٥﴾ [الشعراء: ٨٥].

﴿وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨٥﴾ [الشعراء: ٨٥] أَوْرِثْنِي يَا رَبِّ مِنْ مَنَازِلِ مَنْ هَلَكَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْمُشْرِكِينَ بِكَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَسْكِنِّي ذَلِكَ.

﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٨٦﴾ [الشعراء: ٨٦].

﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ﴾ وَاصْفَحْ لِأَبِي عَنْ شِرْكِهِ بِكَ، وَلَا تُعَاقِبْهُ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٨٦﴾ [الشعراء: ٨٦] إِنَّهُ كَانَ مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ، فَكَفَرَ بِكَ.. وَقَدْ

بَيَّنَّا الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ -لِأَبِيهِ- صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧﴾ [الشعراء: ٨٧].

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ وَلَا تُذِلَّنِي بِعِقَابِكَ إِيَّايَ..

﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧﴾ [الشعراء: ٨٧] يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾ [الشعراء: ٨٨].

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَنْ كَفَرَ بِكَ وَعَصَاكَ فِي الدُّنْيَا..

﴿مَالٌ﴾ كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾ [الشعراء: ٨٨] وَلَا بَنُوهُ الَّذِينَ كَانُوا لَهُ فِيهَا، فَيَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ عِقَابَ اللهِ إِذَا عَاقَبَهُ، وَلَا يُنَجِّيهِ مِنْهُ.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٩].

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٩] وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يَبْعَثُونَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا الْقَلْبُ السَّلِيمُ، وَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ سَلَامَةِ الْقَلْبِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: هُوَ سَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنَ الشَّكِّ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ [الشعراء: ٩٠].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ وَأُدْنِيَتِ الْجَنَّةُ وَقُرِّبَتْ..

﴿لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ [الشعراء: ٩٠] الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝٩١﴾ [الشعراء: ٩١].

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ وَأُظْهِرَتِ النَّارُ..

﴿لِلْغَاوِينَ ۝٩١﴾ [الشعراء: ٩١] لِلَّذِينَ غَوَوْا فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢﴾ [الشعراء: ٩٢].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢﴾ [الشعراء: ٩٢]وَقِيلَ لِلْغَاوِينَ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ۝٩٣﴾ [الشعراء: ٩٣].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْأَنْدَادِ..

﴿هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ﴾ الْيَوْمَ مِنَ اللهِ، فَيُنْقِذُونَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ..

﴿أَوۡ يَنتَصِرُونَ ۝٩٣﴾ [الشعراء: ٩٣] لِأَنْفُسِهِمْ، فَيُنْجُونَهَا مِمَّا يُرَادُ بِهَا؟

﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ۝٩٤﴾ [الشعراء: ٩٤].

﴿فَكُبۡكِبُواْ﴾ فَرُمِيَ بِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَطُرِحَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مُنْكَبِّينَ عَلَىٰ وجُوهَهُمْ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَحِيمِ..

﴿هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ۝٩٤﴾ [الشعراء: ٩٤] فَكُبْكِبَ هَؤُلَاءِ الْأَنْدَادُ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِي الْجَحِيمِ وَالْغَاوُونَ.. وَذُكِرَ عَنْ قَتَادَةَ كَانَ يَقُولُ: (**الْغَاوُونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الشَّيَاطِينُ**)، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ قَتَادَةَ: (**فَكُبْكِبَ فِيهَا الْكُفَّارُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ الْأَصْنَامَ وَالشَّيَاطِينَ**).

﴿وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ۝٩٥﴾ [الشعراء: ٩٥].

﴿وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ۝٩٥﴾ [الشعراء: ٩٥] وَكُبْكِبَ فِيهَا مَعَ الْأَنْدَادِ وَالْغَاوِينَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ، وَجُنُودُهُ: كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، مِنْ ذُرِّيَّتِهِ كَانَ أَوْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ.

﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ۝٩٦﴾ [الشعراء: ٩٦].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْغَاوُونَ وَالْأَنْدَادُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ..

﴿وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ۝٩٦﴾ [الشعراء: ٩٦] وَهُمْ فِي الْجَحِيمِ يَخْتَصِمُونَ.

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧﴾ [الشعراء: ٩٧].

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا﴾ تَاللهِ لَقَدْ كُنَّا فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ، إِنْ كُنَّا..

﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧﴾ [الشعراء: ٩٧] يَبِيْنُ ذِهَابُنَا ذَلِكَ عَنْهُ عَنْ نَفْسِهِ، لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ، أَنَّهُ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ.

﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء: ٩٨].

﴿إِذۡ﴾ حِينَ..

﴿نُسَوِّيكُم﴾ نَعْدِلُكُمْ..

﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء: ٩٨] فَنَعْبُدُكُمْ مِنْ دُونِهِ.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩﴾ [الشعراء: ٩٩].

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩﴾ [الشعراء: ٩٩] يَعْنِي بِالْمُجْرِمِينَ: إِبْلِيسَ، وَابْنَ آدَمَ الَّذِي سَنَّ الْقَتْلَ.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الشعراء: ١٠٠].

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الشعراء: ١٠٠] فَلَيْسَ لَنَا شَافِعٌ فَيَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْأَبَاعِدِ، فَيَعْفُو عَنَّا، وَيُنْجِينَا مِنْ عِقَابِهِ.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠١].

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠١] مِنَ الْأَقَارِبِ.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٢﴾ [الشعراء: ١٠٢].

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا رَجْعَةً إِلَىٰ الدُّنْيَا..

﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٢﴾ [الشعراء: ١٠٢] فَنُؤْمِنُ بِاللهِ فَنكُونَ بِإِيمَانِنَا بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [الشعراء: ١٠٣].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا احْتَجَّ بِهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْحُجَجِ الَّتِي ذَكَرْنَا لَهُ..

﴿لَءَايَةً﴾ لَدَلَالَةً بَيِّنَةً وَاضِحَةً لِمَنِ اعْتَبَرَ، عَلَىٰ أَنَّ سَنَةَ اللهِ فِي خَلْقِهِ الَّذِينَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّةِ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْآلِهَةِ، وَيَقْتَدُونَ بِهِمْ فِي ذَٰلِكَ، مَا سَنَّ فِيهِمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، مِنْ كَبْكَبَتِهِمْ وَمَا عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ مَعَ جُنُودِ إِبْلِيسَ فِي الْجَحِيمِ..

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [الشعراء: ١٠٣] فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾ [الشعراء: ١٠٤].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لَهُوَ الشَّدِيدُ الِانْتِقَامِ مِمَّنْ عَبَدَ دُونَهُ، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْ كُفْرِهِ حَتَّىٰ هَلَكَ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾ [الشعراء: ١٠٤] بِمَنْ تَابَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ قَبْلَ تَوْبَتِهِ مِنْ إِثْمٍ وَجُرْمٍ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشعراء: ١٠٥].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشعراء: ١٠٥] رُسُلَ اللهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦﴾ [الشعراء: ١٠٦].

﴿إِذْ﴾ لَمَّا..

﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦﴾ [الشعراء: ١٠٦] فَتَحْذَرُوا عِقَابَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَهُ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧﴾ [الشعراء: ١٠٧].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿أَمِينٌ ١٠٧﴾ [الشعراء: ١٠٧] عَلَىٰ وَحْيِهِ إِلَيَّ، بِرِسَالَتِهِ إِيَّايَ إِلَيْكُمْ.

﴿فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾ [الشعراء: ١٠٨].

﴿فَاتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ فَاتَّقُوا عِقَابَ اللهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾ [الشعراء: ١٠٨] وَأَطِيعُونِي فِي نَصِيحَتِي لَكُمْ، وَأَمْرِي إِيَّاكُمْ بِاتِّقَائِهِ.

﴿وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [الشعراء: ١٠٩].

﴿وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ﴾ وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ..

﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ نَصِيحَتِي لَكُمْ وَأَمْرِي إِيَّاكُمْ بِاتِّقَاءِ عِقَابِ اللهِ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مِنْ ثَوَابٍ وَلَا جَزَاءٍ..

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [الشعراء: ١٠٩] دُونَكُمْ وَدُونَ جَمِيعِ خَلْقِ اللهِ.

﴿فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠﴾ [الشعراء: ١١٠].

﴿فَاتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ فَاتَّقُوا عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، وَخَافُوا حُلُولَ سَخَطِهِ بِكُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِكُمْ رُسُلَهُ..

﴿وَأَطِيعُونِ ١١٠﴾ [الشعراء: ١١٠] فِي نَصِيحَتِي لَكُمْ، وَأَمْرِي إِيَّاكُمْ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِخَالِقِكُمْ.

﴿۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ١١١﴾ [الشعراء: ١١١].

﴿۞ قَالُوٓا۟﴾ قَالَ قَوْمُ نُوحٍ لَهُ مُجِيبِيهِ عَنْ قِيلِهِ لَهُمْ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾

[الشعراء: ١٠٧-١٠٨] قَالُوا..

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ يَا نُوحُ، وَنُقِرُّ بِتَصْدِيقِكَ فِيمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ..

﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء: ١١١] وَإِنَّمَا أَتْبَعَكَ مِنَّا الْأَرْذَلُونَ دُونَ ذَوِي الشَّرَفِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الشعراء: ١١٢].

﴿قَالَ﴾ نُوحٌ لِقَوْمِهِ..

﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الشعراء: ١١٢] وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانَ أَتْبَاعِي يَعْمَلُونَ، إِنَّمَا لِي مِنْهُمْ ظَاهِرُ أَمْرِهِمْ دُونَ بَاطِنِهِ، وَلَمْ أُكَلَّفْ عِلْمَ بَاطِنِهِمْ، وَإِنَّمَا كُلِّفْتُ الظَّاهِرَ، فَمَنْ أَظْهَرَ حَسَنًا ظَنَنْتُ بِهِ حَسَنًا، وَمَنْ أَظْهَرَ سَيِّئًا ظَنَنْتُ بِهِ سَيِّئًا.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١١٣].

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ إِنْ حِسَابُ بَاطِنِ أَمْرِهِمُ الَّذِي خَفِيَ عَنِّي..

﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١١٣] فَإِنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّ أَمْرِهِمْ وَعَلَانِيَتِهِ.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الشعراء: ١١٤].

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الشعراء: ١١٤] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاتَّبَعَنِي عَلَىٰ التَّصْدِيقِ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء: ١١٥].

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ أُنْذِرُكُمْ بَأْسَهُ وَسَطْوَتَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿مُبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء: ١١٥] نَذِيرٌ قَدْ أَبَانَ لَكُمْ إِنْذَارَهُ، وَلَمْ يَكْتُمْكُمْ نَصِيحَتَهُ.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء: ١١٦].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ لِنُوحٍ قَوْمُهُ..

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾ عَمَّا تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ وَتَعِيبُ بِهِ آلِهَتَنَا..

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء: ١١٦] لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْتُومِينَ، يَقُولُ: لَنَشْتُمَنَّكَ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء: ١١٧].

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء: ١١٧] فِيمَا أَتَيْتُهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ، وَرَدُّوا عَلَيَّ نَصِيحَتِي لَهُمْ.

﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٨].

﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ﴾ فَاحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ..

﴿فَتْحًا﴾ حُكْمًا مِنْ عِنْدَكِ تُهْلِكُ بِهِ الْمُبْطِلَ، وَتَنْتَقِمُ بِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِكَ وَجَحَدَ تَوْحِيدَكَ، وَكَذَّبَ رَسُولَكَ..

﴿وَنَجِّنِى﴾ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ الَّذِي تَأْتِي بِهِ حُكْمًا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ..

﴿وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٨] وَالَّذِينَ مَعِيَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِكَ وَالتَّصْدِيقِ لِي.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ [الشعراء: ١١٩].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ فَأَنْجَيْنَا نُوحًا..

﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ فَتَحْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ، وَأَنْزَلْنَا بَأْسَنَا بِالْقَوْمِ الْكَافِرِينَ..

﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ [الشعراء: ١١٩] يَعْنِي فِي السَّفِينَةِ الْمُوْقَرَةِ الْمَمْلُوءَةِ.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الشعراء: ١٢٠].

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الشعراء: ١٢٠] مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ النَّصِيحَةَ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الشعراء: ١٢١].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا فَعَلْنَا -يَا مُحَمَّدُ- بِنُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، حِينَ أَنْزَلْنَا بَأْسَنَا وَسَطْوَتَنَا بِقَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ..

﴿لَأَيَةً﴾ لَكَ وَلِقَوْمِكَ الْمُصَدِّقِيكَ مِنْهُمْ وَالْمُكَذِّبِيكَ، فِي أَنَّ سُنَّتَنَا تَنْجِيَةُ رُسُلِنَا وَأَتْبَاعِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ نِقْمَتُنَا بِالْمُكَذِّبِينَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَإِهْلَاكُ الْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ، وَكَذَلِكَ سُنَّتِي فِيكَ وَفِي قَوْمِكَ..

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الشعراء: ١٢١] وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ قَوْمِكَ بِالَّذِينَ يُصَدِّقُونَكَ مِمَّا سَبَقَ فِي قَضَاءِ اللهِ أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢﴾ [الشعراء: ١٢٢].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ١٢٢﴾ [الشعراء: ١٢٢] بِالتَّائِبِ مِنْهُمْ، أَنْ يُعَاقِبَهُ بَعْدَ تَوْبَتِهِ.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾ [الشعراء: ١٢٣].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾ [الشعراء: ١٢٣] كَذَّبَتْ عَادٌ رُسُلَ اللهِ إِلَيْهِمْ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ [الشعراء: ١٢٤].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ [الشعراء: ١٢٤] عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥﴾ [الشعراء: ١٢٥].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ مِنْ رَبِّي يَأْمُرُكُمْ بِطَاعَتِهِ، وَيُحَذِّرُكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بَأْسَهُ..

﴿أَمِينٌ ١٢٥﴾ [الشعراء: ١٢٥] عَلَىٰ وَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦﴾ [الشعراء: ١٢٦].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِطَاعَتِهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ مَا يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ..

﴿وَأَطِيعُونِ ١٢٦﴾ [الشعراء: ١٢٦] فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ مِنَ اتِّقَاءِ اللهِ وَتَحْذِيرِكُمْ سَطْوَتَهُ.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٧﴾ [الشعراء: ١٢٧].

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَمْرِي إِيَّاكُمْ بِاتِّقَاءِ اللهِ جَزَاءً وَلَا ثَوَابًا..

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٧﴾ [الشعراء: ١٢٧] مَا جَزَائِي وَثَوَابِي عَلَىٰ نَصِيحَتِي إِيَّاكُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨﴾ [الشعراء: ١٢٨].

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هُودٍ لِقَوْمِهِ: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ وَالرِّيعُ: كُلُّ مَكَانٍ مُشْرِفٍ مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفِعٍ، أَوْ طَرِيقٍ أَوْ وَادٍ..

﴿ءَايَةً﴾ بُنْيَانًا عَلَمًا..

﴿تَعْبَثُونَ ١٢٨﴾ [الشعراء: ١٢٨] تَلْعَبُونَ.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ١٢٩﴾ [الشعراء: ١٢٩].

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ إِنَّ الْمَصَانِعَ جَمْعُ مَصْنَعَةٍ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ بِنَاءٍ مَصْنَعَةً، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْبِنَاءُ كَانَ قُصُورًا وَحُصُونًا مُشَيَّدَةً، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ مَآخِذَ لِلْمَاءِ، وَلَا خَبَرَ يَقْطَعُ الْعُذْرَ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ، وَلَا هُوَ مِمَّا يُدْرَكُ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ، فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ..

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كَأَنَّكُمْ..

﴿تَخْلُدُونَ ١٢٩﴾ [الشعراء: ١٢٩] فَتَبْقَوْنَ فِي الْأَرْضِ.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ [الشعراء: ١٣٠].

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ وَإِذَا سَطَوْتُمْ..

﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ [الشعراء: ١٣٠] سَطَوْتُمْ قَتْلًا بِالسُّيُوفِ، وَضَرْبًا بِالسِّيَاطِ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٣١﴾ [الشعراء: ١٣١].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هُودٍ لِقَوْمِهِ مِنْ عَادٍ: اتَّقُوا عِقَابَ اللهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿وَأَطِيعُونِ ١٣١﴾ [الشعراء: ١٣١] بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، وَانْتَهُوا عَنِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَظُلْمِ النَّاسِ وَقَهْرِهِمْ بِالْغَلَبَةِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢﴾ [الشعراء: ١٣٢].

﴿وَاتَّقُوا﴾ وَاحْذَرُوا سَخَطَ..

﴿الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢﴾ [الشعراء: ١٣٢] الَّذِي أَعْطَاكُمْ مِنْ عِنْدِهِ مَا تَعْلَمُونَ.

﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ١٣٣﴾ [الشعراء: ١٣٣].

﴿أَمَدَّكُم﴾ وَأَعَانَكُمْ..

﴿بِأَنْعَامٍ﴾ مِنَ الْمَوَاشِي..

﴿وَبَنِينَ ١٣٣﴾ [الشعراء: ١٣٣] وَالْبَنِينَ.

﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾ [الشعراء: ١٣٤].

﴿وَجَنَّاتٍ﴾ وَالْبَسَاتِينِ..

﴿وَعُيُونٍ ۝١٣٤﴾ [الشعراء: ١٣٤] وَالْأَنْهَارِ.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣٥﴾ [الشعراء: ١٣٥].

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣٥﴾ [الشعراء: ١٣٥] إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مِنَ اللهِ عَظِيمٍ.

﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ۝١٣٦﴾ [الشعراء: ١٣٦].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتْ عَادٌ لِنَبِيِّهِمْ هُودٍ ﷺ..

﴿سَوَآءٌ﴾ مُعْتَدِلٌ..

﴿عَلَيۡنَآ﴾ عِنْدَنَا..

﴿أَوَعَظۡتَ﴾ وَعْظُكَ إِيَّانَا..

﴿أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ۝١٣٦﴾ [الشعراء: ١٣٦] وَتَرْكُكَ الْوَعْظَ، فَلَنْ نُؤْمِنَ لَكَ وَلَنْ نُصَدِّقَكَ عَلَىٰ مَا جِئْتَنَا بِهِ.

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣٧﴾ [الشعراء: ١٣٧].

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا عَادَةُ وَدِينُ..

﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣٧﴾ [الشعراء: ١٣٧] مِنْ قَبْلِنَا؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا عُوتِبُوا عَلَىٰ الْبُنْيَانِ الَّذِي كَانُوا يَتَّخِذُونَهُ، وَبَطْشِهِمْ بِالنَّاسِ بَطْشَ الْجَبَابِرَةِ، وَقِلَّةِ شُكْرِهِمْ رَبَّهُمْ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، فَأَجَابُوا نَبِيَّهُمْ بِأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ احْتِذَاءً مِنْهُمْ سُنَّةَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَاقْتِفَاءً مِنْهُمْ آثَارَهُمْ، فَقَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي نَفْعَلُهُ إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ، يَعْنُونَ بِالْخُلُقِ: عَادَةَ الْأَوَّلِينَ، وَيَزِيدُ ذَلِكَ بَيَانًا وَتَصْحِيحًا لِمَا اخْتَرْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ، قَوْلُهُ.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾ [الشعراء: ١٣٨].

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾ [الشعراء: ١٣٨] لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا لَا يُقِرُّونَ بِأَنَّ لَهُمْ رَبًّا يَقْدِرِ عَلَىٰ تَعْذِيبِهِمْ مَا قَالُوا: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾، بَلْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنْ هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ يَا هُودُ إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ، وَمَا لَنَا مِنْ مُعَذِّبٍ يُعَذِّبُنَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالصَّانِعِ، وَيَعْبُدُونَ الْآلِهَةَ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا كَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ يَعْبُدُونَهَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا تُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، فَلِذَلِكَ قَالُوا لِهُودٍ وَهُمْ مُنْكِرُونَ نُبُوَّتَهُ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ۝١٣٦﴾ [الشعراء: ١٣٦]، ثُمَّ قَالُوا لَهُ: مَا

هَذَا الَّذِي نَفْعَلُهُ إِلَّا عَادَةُ مَنْ قَبْلَنَا وَأَخْلَاقُهُمْ، وَمَا اللهُ مُعَذِّبنَا عَلَيْهِ، كَمَا أَخْبَرَنَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ قَبْلَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لِرُسُلِهِمْ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الشعراء: ١٣٩].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبَتْ عَادٌ رَسُولَ رَبِّهِمْ هُودًا..

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ فَأَهْلَكْنَا عَادًا بِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَنَا..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِهْلَاكِنَا عَادًا بِتَكْذِيبِهَا رَسُولَهَا..

﴿لَأٓيَةً﴾ لَعِبْرَةً وَمَوْعِظَةً لِقَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدُ- الْمُكَذِّبِيكَ فِيمَا أَتَيْتُهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الشعراء: ١٣٩] وَمَا كَانَ أَكْثَرُ مَنْ أَهْلَكْنَا بِالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللهِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [الشعراء: ١٤٠].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [الشعراء: ١٤٠] بِالْمُؤْمِنِينَ بِهِ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١] كَذَّبَتْ ثَمُودُ رُسُلَ اللهِ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الشعراء: ١٤٢].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ﴾ إِذْ دَعَاهُمْ صَالِحٌ أَخُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ، فَقَالَ لَهُمْ..

﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الشعراء: ١٤٢] عِقَابَ اللهِ يَا قَوْمِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ، بِطَاعَتِكُمْ أَمْرَ الْمُفْسِدِينَ فِي أَرْضِ اللهِ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [الشعراء: ١٤٣].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ مِنَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ بِتَحْذِيرِكُمْ عُقُوبَتَهُ عَلَىٰ خِلَافِكُمْ أَمْرَهُ..

﴿أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [الشعراء: ١٤٣] عَلَىٰ رِسَالَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَهَا مَعِي إِلَيْكُمْ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ [الشعراء: ١٤٤].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَاحْذَرُوا عِقَابَهُ..

﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ [الشعراء: ١٤٤] فِي تَحْذِيرِي إِيَّاكُمْ، وَأَمْرِ رَبِّكُمْ بِاتِّبَاعِ طَاعَتِهِ.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء: ١٤٥].

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَىٰ نُصْحِي إِيَّاكُمْ وَإِنْذَارِكُمْ..

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مِنْ جَزَاءٍ وَلَا ثَوَابٍ..

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ إِنْ جَزَائِي وَثَوَابِي..

﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء: ١٤٥] إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ خَلْقٍ.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الشعراء: ١٤٦].

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ مِنْ ثَمُودَ: أَيَتْرُكُكُمْ يَا قَوْمِ رَبُّكُمْ..

﴿فِي مَا هَاهُنَا﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا..

﴿آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الشعراء: ١٤٦] لَا تَخَافُونَ شَيْئًا.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾ [الشعراء: ١٤٧].

﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ فِي بَسَاتِينَ..

﴿وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾ [الشعراء: ١٤٧] مَاءٍ.

﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الشعراء: ١٤٨].

﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا﴾ يَعْنِي بِالطَّلْعِ: الْكُفُرَّىٰ، وَهُوَ مَا يَبْدُو مِنْ ثَمَرَةِ النَّخِيلِ فِي أَوَّلِ ظُهُورِهَا وَقِشْرِهِ..

﴿هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الشعراء: ١٤٨] الْمُتَكَسِّرُ مِنْ لِينِهِ وَرُطُوبَتِهِ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: هَضَمَ فُلَانٌ حَقَّهُ: إِذَا انْتَقَصَهُ وَتَحَيَّفَهُ، فَكَذَلِكَ الْهَضْمُ فِي الطَّلْعِ، إِنَّمَا هُوَ التَّنَقُّصُ مِنْ رُطُوبَتِهِ وَلِينِهِ إِمَّا بِمَسِّ الْأَيْدِي، وَإِمَّا بِرُكُوبِ بَعْضِهِ بَعْضًا، وَأَصْلُهُ مَفْعُولٌ صُرِفَ إِلَىٰ فَعِيلٍ.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: ١٤٩].

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ وَتَتَّخِذُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا..

﴿فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: ١٤٩] حَاذِقِينَ بِنَحْتِهَا مُتَخَيِّرِينَ لِمَوَاضِعِ نَحْتِهَا، كَيِّسِينَ، مِنَ الْفَرَاهَةِ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: (فَرِهِينَ)، بِغَيْرِ أَلْفٍ، بِمَعْنَىٰ: أَشِرِينَ بَطِرِينَ مَرِحِينَ.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ [الشعراء: ١٥٠].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فَاتَّقُوا عِقَابَ اللهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ وَخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ..

﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ [الشعراء: ١٥٠] فِي نَصِيحَتِي لَكُمْ، وَإِنْذَارِي إِيَّاكُمْ عِقَابَ اللهِ تَرْشُدُوا.

﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الشعراء: ١٥١].

﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ مِنْ ثَمُودَ: لَا تُطِيعُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الشعراء: ١٥١] عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي تَمَادِيهِمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَاجْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ سَخَطِهِ، وَهُمُ الرَّهْطُ التِّسْعَةُ.

﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: ١٥٢].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ كَانُوا مِنْ ثَمُودَ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النمل: ٤٨] ..

﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يَسْعَوْنَ فِي أَرْضِ اللهِ بِمَعَاصِيهِ..

﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: ١٥٢] أَنْفُسَهُمْ بِالْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣].

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣] إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ يُعَلَّلُونَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِثْلَنَا، وَلَسْتَ رَبًّا وَلَا مَلَكًا فَنُطِيعَكَ وَنَعْلَمَ أَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تَقُولُ.. وَالْمُسَحَّرُ: الْمُفَعَّلُ مِنَ السَّحْرَةِ، وَهُوَ الَّذِي لَهُ سَحْرَةٌ.

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء: ١٥٤].

﴿مَآ أَنتَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ ثَمُودَ لِنَبِيِّهَا صَالِحٍ: ﴿مَآ أَنتَ﴾ يَا صَالِحُ..

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ، تَأْكُلُ مَا نَأْكُلُ، وَتُشْرَبُ مَا نَشْرَبُ، وَلَسْتَ بِرَبٍّ وَلَا مَلَكٍ،

فَعَلَامَ نَتَّبِعُكَ؟ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي قِيلِكَ وَأَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا..

﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ بِدَلَالَةٍ وَحُجَّةٍ عَلَىٰ أَنَّكَ مُحِقٌّ فِيمَا تَقُولُ..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٥٤﴾ [الشعراء: ١٥٤] إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ صَدَقَنَا فِي دَعْوَاهُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا.

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝١٥٥﴾ [الشعراء: ١٥٥].

﴿قَالَ﴾ صَالِحٌ لِثَمُودَ لَمَّا سَأَلُوهُ آيَةً يَعْلَمُونَ بِهَا صِدْقَهُ، فَأَتَاهُمْ بِنَاقَةٍ أَخْرَجَهَا مِنْ صَخْرَةٍ أَوْ هَضَبَةٍ..

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ﴾ يَا قَوْمِ..

﴿لَّهَا شِرۡبٞ﴾ حَظٌّ وَنَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ..

﴿وَلَكُمۡ﴾ مِثْلُهُ..

﴿شِرۡبُ يَوۡمٖ﴾ آخَرَ..

﴿مَّعۡلُومٖ ۝١٥٥﴾ [الشعراء: ١٥٥] مَا لَكُمْ مِنَ الشِّرْبِ لَيْسَ لَكُمْ فِي يَوْمِ وِرْدِهَا أَنْ تَشْرَبُوا مِنْ شِرْبِهَا شَيْئًا، وَلَا لَهَا أَنْ تَشْرَبَ فِي يَوْمِكُمْ مِمَّا لَكُمْ شَيْئًا.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥٦﴾ [الشعراء: ١٥٦].

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ لَا تَمَسُّوهَا بِمَا يُؤْذِيهَا مِنْ عَقْرٍ وَقَتْلٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ..

﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ﴾ فَيَحِلُّ بِكُمْ مِنَ اللهِ..

﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥٦﴾ [الشعراء: ١٥٦] عَذَابُهُ.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ۝١٥٧﴾ [الشعراء: ١٥٧].

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فَخَالَفَتْ ثَمُودُ أَمْرَ نَبِيِّهَا صَالِحٍ ﷺ، فَعَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ..

﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ۝١٥٧﴾ [الشعراء: ١٥٧] عَلَىٰ عَقْرِهَا، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ نَدَمُهُمْ.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٥٨﴾ [الشعراء: ١٥٨].

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ وَأَخَذَهُمْ عَذَابُ اللهِ الَّذِي كَانَ صَالِحٌ تَوَعَّدَهُمْ بِهِ فَأَهْلَكَهُمْ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِهْلَاكِ ثَمُودَ بِمَا فَعَلَتْ مِنْ عَقْرِهَا نَاقَةَ اللهِ وَخِلَافِهَا أَمْرَ نَبِيِّ اللهِ صَالِحٍ..

﴿لَأٓيَةٗ﴾ لَعِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٥٨﴾ [الشعراء: ١٥٨] وَلَنْ يُؤْمِنَ أَكْثَرُهُمْ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللهِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩﴾ [الشعراء: ١٥٩].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ١٥٩﴾ [الشعراء: ١٥٩] بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٦٠﴾ [الشعراء: ١٦٠].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٦٠﴾ [الشعراء: ١٦٠] كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الرُّسُلِ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١﴾ [الشعراء: ١٦١].

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١﴾ [الشعراء: ١٦١] اللهَ أَيُّهَا الْقَوْمُ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٢﴾ [الشعراء: ١٦٢].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ مِنْ رَبِّكُمْ..

﴿أَمِينٌ ١٦٢﴾ [الشعراء: ١٦٢] عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٦٣﴾ [الشعراء: ١٦٣].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ، أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عِقَابَهُ عَلَىٰ تَكْذِيبِكُمْ رَسُولَهُ..

﴿وَأَطِيعُونِ ١٦٣﴾ [الشعراء: ١٦٣] فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٤﴾ [الشعراء: ١٦٤].

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَىٰ نَصِيحَتِي لَكُمْ وَدِعَايَتِكُمْ إِلَىٰ رَبِّي..

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جَزَاءً وَلَا ثَوَابًا..

﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٤﴾ [الشعراء: ١٦٤] مَا جَزَائِي عَلَىٰ دِعَايَتِكُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَعَلَىٰ نُصْحِي لَكُمْ وَتَبْلِيغِ رِسَالَاتِ اللهِ إِلَيْكُمْ، إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾ [الشعراء: ١٦٥].

﴿أَتَأْتُونَ﴾ أَتَنْكِحُونَ..

﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾ [الشعراء: ١٦٥] فِي أَدْبَارِهِمْ.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾ [الشعراء: ١٦٦].

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم﴾ وَتَدَعُونَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ﴾ مِنْ فُرُوجِهِنَّ، فَأَحَلَّهُ لَكُمْ..

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾ [الشعراء: ١٦٦] تَتَجَاوَزُونَ مَا أَبَاحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ وَأَحَلَّهُ لَكُمْ مِنَ الْفُرُوجِ، إِلَىٰ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِنْهَا.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧﴾ [الشعراء: ١٦٧].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ لُوطٍ..

﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ﴾ عَنْ نَهْيِنَا عَنْ إِتْيَانِ الذُّكْرَانِ..

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧﴾ [الشعراء: ١٦٧] مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا وَبَلَدِنَا.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨﴾ [الشعراء: ١٦٨].

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ لُوطٌ..

﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ مِنْ إِتْيَانِ الذُّكْرَانِ فِي أَدْبَارِهِمْ..

﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨﴾ [الشعراء: ١٦٨] مِنَ الْمُبْغِضِينَ الْمُنْكِرِينَ فِعْلَهُ.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩﴾ [الشعراء: ١٦٩].

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي﴾ فَاسْتَغَاثَ لُوطٌ حِينَ تَوَعَّدَهُ قَوْمُهُ بِالْإِخْرَاجِ مِنْ بَلَدِهِمْ إِنْ هُوَ لَمْ يَنْتَهِ عَنْ نَهْيِهِمْ عَنْ رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ، فَقَالَ ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي﴾..

﴿مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩﴾ [الشعراء: ١٦٩] مِنْ عُقُوبَتِكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا يَعْمَلُونَ مِنْ إِتْيَانِ الذُّكْرَانِ.

﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠﴾ [الشعراء: ١٧٠].

﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠﴾ [الشعراء: ١٧٠] مِنْ عُقُوبَتِنَا الَّتِي عَاقَبْنَا بِهَا قَوْمَ لُوطٍ أَجْمَعِينَ.

﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٧١﴾ [الشعراء: ١٧١].

﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٧١﴾ [الشعراء: ١٧١] يَعْنِي: فِي الْبَاقِينَ، لِطُولِ مُرُورِ السِّنِينَ عَلَيْهَا،

فَصَارَتْ هَرِمَةً، فَإِنَّهَا أُهْلِكَتْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ لُوطٍ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَىٰ الْأَضْيَافِ.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الشعراء: ١٧٢].

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ ثُمَّ أَهْلَكْنَا..

﴿الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الشعراء: ١٧٢] مِنْ قَوْمِ لُوطٍ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء: ١٧٣].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وَذَلِكَ إِرْسَالُ اللهِ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء: ١٧٣] فَبِئْسَ ذَلِكَ الْمَطَرُ، مَطَرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ فَكَذَّبُوهُ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الشعراء: ١٧٤].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِهْلَاكِنَا قَوْمَ لُوطٍ الْهَلَاكَ الَّذِي وَصَفْنَا بِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَنَا..

﴿لَآيَةً﴾ لَعِبْرَةً وَمَوْعِظَةً لِقَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، يَتَّعِظُونَ بِهَا فِي تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَرَدِّهِمْ عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ مِنَ الْحَقِّ..

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الشعراء: ١٧٤] فِي سَابِقِ عِلْمِ اللهِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء: ١٧٥].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء: ١٧٥] بِمَنْ آمَنَ بِهِ.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦].

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ﴾ هُمْ أَهْلُ مَدْيَنَ.. والْأَيْكَةُ: الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ، وَهِيَ وَاحِدَةُ الْأَيْكِ، وَكُلُّ شَجَرٍ مُلْتَفٍّ فَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَيْكَةٌ..

﴿الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**بَعَثَ اللهُ شُعَيْبًا إِلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ، وَإِلَىٰ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ لَيْكَةِ، وَلَيْكَةُ وَالْأَيْكَةُ: وَاحِدٌ**).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧٧].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧٧] عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨﴾ [الشعراء: ١٧٨].

﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨﴾ [الشعراء: ١٧٨] عَلَىٰ وَحْيِهِ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩﴾ [الشعراء: ١٧٩].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَاتَّقُوا عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ خِلَافِكُمْ أَمْرَهُ..

﴿وَأَطِيعُونِ ١٧٩﴾ [الشعراء: ١٧٩] تَرْشُدُوا.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٠﴾ [الشعراء: ١٨٠].

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ نُصْحِي لَكُمْ..

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مِنْ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ..

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٠﴾ [الشعراء: ١٨٠] مَا جَزَائِي وَثَوَابِي عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ١٨١﴾ [الشعراء: ١٨١].

﴿۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أَوْفُوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ مِنَ الْكَيْلِ..

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ١٨١﴾ [الشعراء: ١٨١] وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ نَقَصَهُمْ حُقُوقَهُمْ.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ١٨٢﴾ [الشعراء: ١٨٢].

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ وَزِنُوا بِالْمِيزَانِ..

﴿الْمُسْتَقِيمِ ١٨٢﴾ [الشعراء: ١٨٢] الَّذِي لَا بَخْسَ فِيهِ عَلَىٰ مَنْ وَزَنْتُمْ لَهُ.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ١٨٣﴾ [الشعراء: ١٨٣].

﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ وَلَا تَنْقُصُوا..

﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ حُقُوقَهُمْ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ..

﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ١٨٣﴾ [الشعراء: ١٨٣] وَلَا تُكْثِرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ١٨٤﴾ [الشعراء: ١٨٤].

﴿وَاتَّقُوا﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ عِقَابَ رَبِّكُمْ..

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٨٤﴾ [الشعراء: ١٨٤] وَخَلْقَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِينَ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ١٨٥﴾ [الشعراء: ١٨٥].

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يَا شُعَيْبُ..

﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ١٨٥﴾ [الشعراء: ١٨٥] مُعَلَّلٌ، تُعَلَّلُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، كَمَا نُعَلَّلُ بِهِمَا، وَلَسْتَ مَلَكًا.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾ [الشعراء: ١٨٦].

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ تَأْكُلُ وَتُشْرَبُ..

﴿وَإِن نَّظُنُّكَ﴾ وَمَا نَحْسَبُكَ فِيمَا تُخْبِرُنَا وَتَدْعُونَا إِلَيْهِ..

﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾ [الشعراء: ١٨٦] إِلَّا مِمَّنْ يَكْذِبُ فِيمَا يَقُولُ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَقُولُ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ كَمَا تَزْعُمُ.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ [الشعراء: ١٨٧].

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قِطَعًا..

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ [الشعراء: ١٨٧].

﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨٨﴾ [الشعراء: ١٨٨].

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ..

﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨٨﴾ [الشعراء: ١٨٨] رَبِّي بِأَعْمَالِهِمْ مُحِيطٌ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِهَا جَزَاءَكُمْ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾ [الشعراء: ١٨٩].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبَهُ قَوْمُهُ..

﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ﴾ يَعْنِي بِالظُّلَّةِ: سَحَابَةً ظَلَّلَتْهُمْ، فَلَمَّا تَتَامُّوا تَحْتَهَا الْتَهَبَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا وَأَحْرَقَتْهُمْ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ..

﴿كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾ [الشعراء: ١٨٩] كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ لِقَوْمِ شُعَيْبٍ عَظِيمٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الشعراء: ١٩٠].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي تَعْذِيبِنَا قَوْمَ شُعَيْبٍ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ بِتَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهُمْ شُعَيْبًا..

﴿لَآيَةً﴾ لِقَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرَ، إِنِ اعْتَبَرُوا، أَنَّ سُنَّتَنَا فِيهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ سُنَّتُنَا فِي أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ..

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الشعراء: ١٩٠] فِي سَابِقِ عِلْمِنَا فِيهِمْ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ [الشعراء: ١٩١].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي نِقْمَتِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ [الشعراء: ١٩١] بِمَنْ تَابَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَابَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢].

﴿وَإِنَّهُ﴾ وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢]

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣].

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] الرُّوحُ الْأَمِينُ هُوَ الَّذِي نَزَلَ بِالْقُرْآنِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ جِبْرِيلُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ (نَزَّلَ) مُشَدَّدَةَ الزَّايِ، (الرُّوحَ الْأَمِينَ)، نَصْبًا، بِمَعْنَىٰ: أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ نَزَّلَ بِالْقُرْآنِ الرُّوحَ الْأَمِينَ، وَهُوَ جِبْرِيلُ ﷺ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ إِذَا نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ بِالْقُرْآنِ، مَا يَنْزِلُ بِهِ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ بِالنُّزُولِ، وَلَنْ يَجْهَلَ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ذُو إِيمَانٍ بِاللهِ، وَأَنَّ اللهَ إِذَا أَنْزَلَهُ بِهِ نَزَلَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي أَنَّ الْمَعْنِيَّ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ جِبْرِيلُ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٤].

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ فَتَلَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، حَتَّىٰ وَعَيْتَهُ بِقَلْبِكَ..

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٤] لِتَكُونَ مِنْ رُسُلِ اللهِ الَّذِينَ كَانُوا يُنْذِرُونَ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِمْ، فَتُنْذِرَ بِهَذَا التَّنْزِيلِ قَوْمَكَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٥].

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ لِتُنْذِرَ قَوْمَكَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ..

﴿مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٥] يَبِينُ لِمَنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَبِلِسَانِ الْعَرَبِ نَزَلَ.. وَإِنَّمَا ذَكَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، إِعْلَامًا مِنْهُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ كَذَلِكَ، لِئَلَّا يَقُولُوا إِنَّهُ نَزَلَ بِغَيْرِ لِسَانِنَا، فَنَحْنُ إِنَّمَا نُعْرِضُ عَنْهُ وَلَا نَسْمَعُهُ، لِأَنَّا لَا نَفْهَمُهُ، وَإِنَّمَا هَذَا تَقْرِيعٌ لَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَالَ: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٥﴾ [الشعراء: ٥]، ثُمَّ قَالَ: لَمْ يُعْرِضُوا عَنْهُ لِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَعَانِيهِ، بَلْ يَفْهَمُونَهَا، لِأَنَّهُ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣﴾ بِلِسَانِهِمُ الْعَرَبِيِّ، وَلَكِنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْهُ تَكْذِيبًا بِهِ وَاسْتِكْبَارًا ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٦﴾ [الشعراء: ٦]، كَمَا أَتَىٰ هَذِهِ الْأُمَمَ الَّتِي قَصَصْنَا نَبَأَهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ حِينَ كَذَّبَتْ رُسُلَهَا أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يُكَذِّبُونَ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ [الشعراء: ١٩٦].

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ [الشعراء: ١٩٦] يَعْنِي: فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، وَخَرَجَ مَخْرَجَ الْعُمُومِ وَمَعْنَاهُ الْخُصُوصُ، وَإِنَّمَا هُوَ: وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَفِي بَعْضِ زُبُرِ الْأَوَّلِينَ؛ يَعْنِي: أَنَّ ذِكْرَهُ وَخَبَرَهُ فِي بَعْضِ مَا نَزَلَ مِنَ الْكُتُبِ عَلَىٰ بَعْضِ رُسُلِهِ.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ [الشعراء: ١٩٧].

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَمَّا يَأْتِيكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ ذِكْرِ رَبِّكَ..

﴿ءَايَةً﴾ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّكَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ..

﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ أَنْ يَعْلَمَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ وَصِحَّتَهُ..

﴿عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ [الشعراء: ١٩٧] قِيلَ: عُنِيَ بِعُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ، وَمَنْ أَشْبَهَهُ مِمَّنْ كَانَ قَدْ آمَنَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عَصْرِهِ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾ [الشعراء: ١٩٨].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾ وَلَوْ نَزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾ [الشعراء: ١٩٨] عَلَىٰ بَعْضِ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَنْطِقُ.

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩﴾ [الشعراء: ١٩٩].

﴿فَقَرَأَهُۥ﴾ فَقَرَأَ الْأَعْجَمُ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿عَلَيْهِم﴾ عَلَىٰ كُفَّارِ قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدُ- الَّذِينَ حَتَّمْتُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا..

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩﴾ [الشعراء: ١٩٩] لَمْ يَكُونُوا لِيُؤْمِنُوا بِهِ، لِمَا قَدْ جَرَىٰ لَهُمْ فِي سَابِقِ عِلْمِي مِنَ الشَّقَاءِ، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهِ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ قَوْمِهِ، لِئَلَّا يَشْتَدَّ وَجْدُهُ بِإِدْبَارِهِمْ عَنْهُ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الِاسْتِمَاعِ لِهَذَا الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ ﷺ شَدِيدًا حِرْصُهُ عَلَىٰ قَبُولِهِمْ مِنْهُ، وَالدُّخُولِ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ عَاتَبَهُ رَبُّهُ عَلَىٰ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء: ٣]، ثُمَّ قَالَ مُؤَيِّسَهُ مِنْ إِيمَانِهِمْ وَأَنَّهُمْ هَالِكُونَ بِبَعْضِ مُثْلَاتِهِ، كَمَا هَلَكَ بَعْضُ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَصَّ عَلَيْهِ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾ يَا مُحَمَّدُ لَا عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَيَقُولُونَ لَكَ: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، وَهَلَّا نَزَلَ بِهِ مَلَكٌ، فَقَرَأَ ذَلِكَ الْأَعْجَمُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلَّةٌ يَدْفَعُونَ بِهَا أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِي، مَا كَانُوا بِهِ مُصَدِّقِينَ، فَخَفِّضْ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِهِ، ثُمَّ وَكَّدَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْخَبَرَ عَمَّا قَدْ حَتَّمَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ آيَسَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ إِيمَانِهِمْ مِنَ الشَّقَاءِ وَالْبَلَاءِ، فَقَالَ: كَمَا حَتَّمْنَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٢٠٠﴾ [الشعراء: ٢٠٠].

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ أَدْخَلْنَا التَّكْذِيبَ وَالْكُفْرَ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾، كِنَايَةٌ مِنْ ذِكْرِ قَوْلِهِ ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩﴾ [الشعراء: ١٩٩]، كَأَنَّهُ قَالَ: كَذَلِكَ أَدْخَلْنَا..

﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٢٠٠﴾ [الشعراء: ٢٠٠] تَرْكَ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْقُرْآنِ.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٢٠١﴾ [الشعراء: ٢٠١].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ لِئَلَّا يُصَدِّقُوا..

﴿بِهِۦ﴾ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٢٠١﴾ [الشعراء: ٢٠١] فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، كَمَا رَأَتْ ذَلِكَ الْأُمَمُ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٠٢﴾ [الشعراء: ٢٠٢].

﴿فَيَأْتِيَهُم﴾ فَيَأْتِي هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ..

﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً..

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٠٢﴾ [الشعراء: ٢٠٢] لَا يَعْلَمُونَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَجِيئِهِ حَتَّىٰ يَفْجَأَهُمْ بَغْتَةً.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۝٢٠٣﴾ [الشعراء: ٢٠٣].

﴿فَيَقُولُوا﴾ حِينَ يَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً..

﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۝٢٠٣﴾ [الشعراء: ٢٠٣] هَلْ نَحْنُ مُؤَخَّرٌ عَنَّا الْعَذَابُ، وَمُنْسَأٌ فِي آجَالِنَا لِنَتُوبَ وَنُنِيبَ إِلَىٰ اللهِ مِنْ شِرْكِنَا وَكُفْرِنَا بِاللهِ، فَنُرَاجِعَ الْإِيمَانَ بِهِ، وَنُنِيبَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝٢٠٤﴾ [الشعراء: ٢٠٤].

﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿يَسْتَعْجِلُونَ ۝٢٠٤﴾ [الشعراء: ٢٠٤] بِقَوْلِهِمْ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥﴾ [الشعراء: ٢٠٥].

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥﴾ [الشعراء: ٢٠٥]

﴿ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝٢٠٦﴾ [الشعراء: ٢٠٦].

﴿ثُمَّ جَاءَهُم﴾ الْعَذَابُ..

﴿مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝٢٠٦﴾ [الشعراء: ٢٠٦] الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِآيَاتِنَا، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَنَا.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧﴾ [الشعراء: ٢٠٧].

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَغْنَىٰ عَنْهُمُ التَّأْخِيرَ الَّذِي أَخَّرْنَا فِي آجَالِهِمْ، وَالْمَتَاعَ الَّذِي مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ مِنَ الْحَيَاةِ، إِذْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ شِرْكِهِمْ..

﴿مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧﴾ [الشعراء: ٢٠٧] هَلْ زَادَهُمْ تَمْتِيعُنَا إِيَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَّا خَبَالًا، وَهَلْ نَفَعَهُمْ شَيْئًا، بَلْ ضَرَّهُمْ بِازْدِيَادِهِمْ مِنَ الْآثَامِ، وَاكْتِسَابِهِمْ مِنَ الْإِجْرَامِ مَا لَوْ لَمْ يُمَتَّعُوا لَمْ يَكْتَسِبُوهُ.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨﴾ [الشعراء: ٢٠٨].

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ مِنْ هَذِهِ الْقُرَىٰ الَّتِي وَصَفْتُ فِي هَذِهِ السُّوَرِ..

﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٨] إِلَّا بَعْدَ إِرْسَالِنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا يُنْذِرُونَهُمْ بَأْسَنَا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَسَخَطَنَا عَلَيْهِمْ.

﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٩].

﴿ذِكْرَىٰ﴾ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ يُنْذِرُونَهُمْ تَذْكِرَةً لَهُمْ، وَتَنْبِيهًا لَهُمْ عَلَىٰ مَا فِيهِ النَّجَاةُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِنَا..

﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٩] وَمَا كُنَّا ظَالِمِيهِمْ فِي تَعْذِيبِنَاهُمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، لِأَنَّا إِنَّمَا أَهْلَكْنَاهُمْ، إِذْ عَتَوْا عَلَيْنَا، وَكَفَرُوا نِعْمَتَنَا، وَعَبَدُوا غَيْرَنَا بَعْدَ الْإِعْذَارِ عَلَيْهِمْ وَالْإِنْذَارِ وَمُتَابَعَةِ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلُوهُ، فَأَبَوْا إِلَّا التَّمَادِي فِي الْغَيِّ.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠].

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿ٱلشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠] عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَلَكِنَّهُ يُنَزِّلُ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢١١].

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلشَّيَاطِينِ أَنْ يَنْزِلُوا بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا يَصْلُحُ لَهُمْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢١١] أَنْ يَنْزِلُوا بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَىٰ اسْتِمَاعِهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ بِهِ مِنَ السَّمَاءِ.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٢].

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ الشَّيَاطِينَ..

﴿عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ عَنْ سَمْعِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ بِهِ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٢] فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَنَزَّلُوا بِهِ؟.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

﴿فَلَا تَدْعُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أَيْ: لَا تَعْبُدْ مَعَهُ مَعْبُودًا غَيْرَهُ..

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣] فَيَنْزِلُ بِكَ مِنَ الْعَذَابِ مَا نَزَلَ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَنَا وَعَبَدُوا غَيْرَنَا.

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤].

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] إِلَيْكَ قَرَابَةً، وَحَذِّرْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ بِكُفْرِهِمْ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ، بَدَأَ بِبَنِي جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَوَلَدِهِ، فَحَذَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلِينِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥].

﴿وَٱخۡفِضۡ﴾ وَأَلِنْ..

﴿جَنَاحَكَ﴾ جَانِبَكَ وَكَلَامَكَ..

﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥]

﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾ [الشعراء: ٢١٦].

﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ فَإِنْ عَصَتْكَ يَا مُحَمَّدُ عَشِيرَتُكَ الْأَقْرَبُونَ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ بِإِنْذَارِهِمْ، وَأَبَوْا إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَالْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ..

﴿فَقُلۡ﴾ لَهُمْ..

﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾ [الشعراء: ٢١٦] مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَمَعْصِيَةِ بَارِئِ الْأَنَامِ.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧﴾ [الشعراء: ٢١٧].

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ فِي نِقْمَتِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمِ ٢١٧﴾ [الشعراء: ٢١٧] بِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ وَتَابَ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ [الشعراء: ٢١٨].

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ [الشعراء: ٢١٨] إِلَىٰ صَلَاتِكَ.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٩].

﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ وَيَرَىٰ تَقَلُّبَكَ..

﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٩] فِي الْمُؤْتَمِّينَ بِكَ فِيهَا بَيْنَ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَجُلُوسٍ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢٢٠].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكَ..

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ تِلَاوَتَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَذِكْرَكَ فِي صَلَاتِكَ مَا تَتْلُو وَتَذْكُرُ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢٢٠] بِمَا تَعْمَلُ فِيهَا، وَيَعْمَلُ فِيهَا مَنْ يَتَقَلَّبُ فِيهَا مَعَكَ مُؤْتَمًّا بِكَ، يَقُولُ: فَرَتِّلْ فِيهَا الْقُرْآنَ، وَأَقِمْ حُدُودَهَا، فَإِنَّكَ بِمَرْأًى مِنْ رَبِّكَ وَمَسْمَعٍ.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١﴾ [الشعراء: ٢٢١].

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١﴾ [الشعراء: ٢٢١] مِنَ النَّاسِ؟

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٢٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢٢].

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كَذَّابٍ بَهَّاتٍ..

﴿أَثِيمٍ ٢٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢٢] آثِمٍ.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

﴿يُلْقُونَ﴾ يُلْقِي الشَّيَاطِينُ..

﴿ٱلسَّمْعَ﴾ وَهُوَ مَا يَسْمَعُونَ مِمَّا اسْتَرَقُوا سَمْعَهُ مِنْ حِينَ حَدَثَ مِنَ السَّمَاءِ، إِلَىٰ «كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ»[الشعراء: ٢٢٢]، مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ وَأَكْثَرُ مَنْ تَنْزِلِ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ..

﴿كَٰذِبُونَ ٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢٣] فِيمَا يَقُولُونَ وَيُخْبِرُونَ.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إِنَّ شُعَرَاءَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤] يَتْبَعُهُمْ غُوَاةُ النَّاسِ، وَمَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وَعُصَاةُ الْجِنِّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ٢٢٥﴾ [الشعراء: ٢٢٥].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّهُمْ﴾ الشُّعَرَاءَ..

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٥] فِي كُلِّ وَادٍ يَذْهَبُونَ، كَالْهَائِمِ عَلَىٰ وَجْهِهِ عَلَىٰ غَيْرِ قَصْدٍ، بَلْ جَائِرًا عَنِ الْحَقِّ، وَطَرِيقِ الرَّشَادِ، وَقَصْدِ السَّبِيلِ.. وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لَهُمْ فِي افْتِنَانِهِمْ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يَفْتَنُّونَ فِيهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَيَمْدَحُونَ بِالْبَاطِلِ قَوْمًا وَيَهْجُونَ آخَرِينَ كَذَلِكَ، بِالْكَذِبِ وَالزُّورِ.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٦].

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٦] وَأَنَّ أَكْثَرَ قِيلِهِمْ بَاطِلٌ وَكَذِبٌ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

﴿إِلَّا﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، وَذُكِرَ أَنَّ هَذَا الِاسْتِثْنَاءَ نَزَلَ فِي شُعَرَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ هُوَ لِكُلِّ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ اللهُ بِهَا، وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ فَصِفَتُهُمْ أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ اللهَ كَثِيرًا فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ..

﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ وَانْتَصَرُوا مِمَّنْ هَجَاهُمْ مِنْ شُعَرَاءِ الْمُشْرِكِينَ ظُلْمًا بِشِعْرِهِمْ وَهِجَائِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَإِجَابَتِهِمْ عَمَّا هَجَوْهُمْ بِهِ..

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أَنْفُسَهُمْ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ..

﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧] أَيَّ مَرْجِعٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَأَيَّ مُعَادٍ يَعُودُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَىٰ نَارٍ لَا يُطْفَأُ سَعِيرُهَا، وَلَا يَسْكُنُ لَهَبُهَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ



سُورَةُ النَّمْلِ (٢٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝١﴾ [النمل: ١].

﴿طس﴾ قَدْ بَيَّنَّا الْقَوْلَ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا فِيمَا كَانَ مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ، فَقَوْلُهُ: ﴿طس﴾ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿طس﴾ قَسَمٌ أَقْسَمَهُ اللهُ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَاللَّطِيفِ السَّمِيعِ..

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ لَآيَاتُ الْقُرْآنِ..

﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝١﴾ [النمل: ١] وَآيَاتُ كِتَابٍ يَبِينُ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَفَكَّرَ فِيهِ بِفَهْمٍ، أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ، لَمْ تَتَخَرَّصْهُ أَنْتَ وَلَمْ تَتَقَوَّلْهُ، وَلَا أَحَدٌ سِوَاكَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النمل: ٢].

﴿هُدًى﴾ مِنْ صِفَةِ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: هَذِهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ بَيَانٌ مِنَ اللهِ بَيَّنَ بِهِ طَرِيقَ الْحَقِّ وَسَبِيلَ السَّلَامِ..

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النمل: ٢] وَبِشَارَةٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَصَدَّقَ بِمَا أُنْزِلَ فِيهِ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ فِي الْمَعَادِ.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ [النمل: ٣].

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ هُوَ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِمَنْ آمَنَ بِهَا، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا..

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وَيُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَيُطَهِّرُونَ أَجْسَادَهُمْ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي..

﴿وَهُمْ﴾ مَعَ إِقَامَتِهِمُ الصَّلَاةَ، وَإِيتَائِهِمُ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ..

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ بِالْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ [النمل: ٣] فَيَذِلُّونَ فِي طَاعَةِ اللهِ، رَجَاءَ جَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَخَوْفَ عَظِيمِ عِقَابِهِ،

وَلَيْسُوا كَالَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ، وَلَا يُبَالُونَ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا، وَأَطَاعُوا أَمْ عَصَوْا؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنُوا لَمْ يَرْجُوا ثَوَابًا، وَإِنْ أَسَاءُوا لَمْ يَخَافُوا عِقَابًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤﴾ [النمل: ٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾ بِالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَبِالْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ حَبَّبْنَا إِلَيْهِمْ قَبِيحَ أَعْمَالِهِمْ، وَسَهَّلْنَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤﴾ [النمل: ٤] فَهُمْ فِي ضَلَالِ أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ الَّتِي زَيَّنَّاهَا لَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ حَيَارَىٰ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾ [النمل: ٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..

﴿ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ فِي الدُّنْيَا، وَهُمُ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾ [النمل: ٥] هُمُ الْأَوْضَعُونَ تِجَارَةً، وَالْأَوْكَسُونَهَا، بِاشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾ [البقرة: ١٦] .

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: ٦].

﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ لَتُحَفَّظُ الْقُرْآنَ وَتُعَلَّمُهُ..

﴿مِن لَّدُنْ﴾ مِنْ عِنْدِ..

﴿حَكِيمٍ﴾ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ..

﴿عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: ٦] بِأَنْبَاءِ خَلْقِهِ وَمَصَالِحِهِمْ، وَالْكَائِنِ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَالْمَاضِي مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَالْحَادِثِ مِنْهَا.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾
[النمل: ٧].

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ وَإِذْ مِنْ صِلَةِ عَلِيمٍ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: عَلِيمٌ حِينَ قَالَ مُوسَىٰ..

﴿لِأَهۡلِهِ﴾ وَهُوَ فِي مَسِيرِهِ مِنْ مَدْيَنَ إِلَىٰ مِصْرَ، وَقَدْ آذَاهُمْ بَرْدُ لَيْلِهِمْ..

﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أَيْ أَبْصَرْتُ نَارًا أَوْ أَحْسَسْتُهَا، فَامْكُثُوا مَكَانَكُمْ..

﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ يَعْنِي مِنَ النَّارِ، وَالْهَاءُ وَالْأَلِفُ مِنْ ذِكْرِ النَّارِ..

﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ مُقْتَبَسٍ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: (بِشِهَابِ قَبَسٍ) بِإِضَافَةِ الشِّهَابِ إِلَىٰ الْقَبَسِ وَتَرْكِ التَّنْوِينِ، بِمَعْنَىٰ: أَوْ آتِيكُمْ بِشُعْلَةِ نَارٍ أَقْتَبِسُهَا مِنْهَا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧﴾ [النمل: ٧] كَيْ تَصْطَلُوا بِهَا مِنَ الْبَرْدِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ [النمل: ٨].

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ فَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ النَّارَ الَّتِي آنَسَهَا..

﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ جَلَّ جَلَالُهُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ فِي النَّارِ، وَكَانَتِ النَّارُ نُورَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي قَوْلِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: بُورِكَتِ النَّارُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ النَّارِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: النُّورُ كَمَا ذَكَرْتُ عَمَّنْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ عَنْهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ النَّارُ لَا النُّورُ..

﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ وَمَنْ حَوْلَ النَّارِ، وَقِيلَ: عَنَىٰ بِمَنْ حَوْلَهَا: الْمَلَائِكَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مُوسَىٰ وَالْمَلَائِكَةُ..

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ [النمل: ٨] وَتَنْزِيهًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِمَّا يَصِفُهُ بِهِ الظَّالِمُونَ.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل: ٩].

﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِ لِمُوسَىٰ..

﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فِي نِقْمَتِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل: ٩] فِي تَدْبِيرِهِ فِي خَلْقِهِ.

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠﴾ [النمل: ١٠].

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ فَأَلْقَاهَا فَصَارَتْ حَيَّةً تَهْتَزُّ..

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ كَأَنَّهَا حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَالْجَانُّ: جِنْسٌ مِنَ الْحَيَّاتِ مَعْرُوفٌ..

﴿وَلَّىٰ﴾ مُوسَىٰ..

﴿مُدۡبِرٗا﴾ هَارِبًا خَوْفًا مِنْهَا..

﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ وَلَمْ يَرْجِعْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: عَقَّبَ فُلَانٌ: إِذَا رَجَعَ عَلَىٰ عَقِبِهِ إِلَىٰ حَيْثُ بَدَأَ.

﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ مِنْ هَذِهِ الْحَيَّةِ..

﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠﴾ [النمل: ١٠] إِنِّي لَا يَخَافُ عِنْدِي رُسُلِي وَأَنْبِيَائِي الَّذِينَ أَخْتَصُّهُمْ بِالنُّبُوَّةِ.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١١﴾ [النمل: ١١].

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ مِنْهُمْ، فَعَمِلَ بِغَيْرِ الَّذِي أُذِنَ لَهُ فِي الْعَمَلِ بِهِ، فَإِنَّهُ خَائِفٌ لَدَيْهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ..

﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾ فَمَنْ أَتَىٰ ظُلْمًا مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَرَكِبَ مَأْثَمًا، ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا، يَقُولُ: ثُمَّ تَابَ مِنْ ظُلْمِهِ ذَلِكَ وَرُكُوبِهِ الْمَأْثَمَ..

﴿فَإِنِّي غَفُورٞ﴾ فَإِنِّي سَاتِرٌ عَلَىٰ ذَنْبِهِ وَظُلْمِهِ ذَلِكَ بِعَفْوِي عَنْهُ، وَتَرْكِ عُقُوبَتِهِ عَلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٞ ۝١١﴾ [النمل: ١١] بِهِ أَنْ أُعَاقِبَهُ بَعْدَ تَبْدِيلِهِ الْحَسَنَ بِضِدِّهِ.

﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝١٢﴾ [النمل: ١٢].

﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِ لِنَبِيِّهِ مُوسَىٰ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجِ الْيَدُ بَيْضَاءَ بِغَيْرِ لَوْنِ مُوسَىٰ..

﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ..

﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، فَهِيَ آيَةٌ فِي تِسْعِ آيَاتٍ مُرْسَلٌ أَنْتَ بِهِنَّ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.. وَالْآيَاتُ التِّسْعُ: هُنَّ الْآيَاتُ الَّتِي بَيَّنَّاهُنَّ فِيمَا مَضَىٰ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**هِيَ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ فِي الْقُرْآنِ: الْعَصَا، وَالْيَدُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالطُّوفَانُ، وَالدَّمُ، وَالْحَجَرُ، وَالطَّمْسُ الَّذِي أَصَابَ آلَ فِرْعَوْنَ فِي أَمْوَالِهِمْ**)..

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنَ الْقِبْطِ كَانُوا..

﴿قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝١٢﴾ [النمل: ١٢] كَافِرِينَ بِاللهِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١٣﴾ [النمل: ١٣].

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ..

﴿ءَايَٰتُنَا﴾ يَعْنِي: أَدِلَّتَنَا وَحُجَجَنَا، عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَصِحَّتِهِ، وَهِيَ الْآيَاتُ التِّسْعُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا قَبْلُ..

﴿مُبْصِرَةً﴾ يُبْصِرُ بِهَا مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَرَآهَا حَقِيقَةَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ مُوسَىٰ..

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ ١٣﴾ [النمل: ١٣] يَبِينُ لِلنَّاظِرِينَ لَهُ أَنَّهُ سِحْرٌ.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤﴾ [النمل: ١٤].

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ وَكَذَّبُوا بِالْآيَاتِ التِّسْعِ أَنْ تَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ وَأَيْقَنَتْهَا قُلُوبُهُمْ، وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَعَانَدُوا بَعْدَ تَبَيُّنِهِمُ الْحَقَّ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِهِ..

﴿ظُلْمًا﴾ اعْتِدَاءً..

﴿وَعُلُوًّاۚ﴾ وَتَكَبُّرًا..

﴿فَٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤﴾ [النمل: ١٤] الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِنَا حِينَ جَاءَتْهُمْ مُبْصِرَةً، وَمَاذَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ إِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَمَعْصِيَتِهِمْ فِيهَا رَبَّهُمْ، وَأَعْقَبَهُمْ مَا فَعَلُوا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، إِلَىٰ هَلَاكٍ فِي الْعَاجِلِ بِالْغَرَقِ، وَفِي الْآجِلِ إِلَىٰ عَذَابٍ دَائِمٍ، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٥﴾ [الزخرف: ٧٥]، يَقُولُ: وَكَذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ سُنَّتِي فِي الَّذِينَ كَذَّبُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ قَوْمِكَ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥﴾ [النمل: ١٥].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ﴾ وَذَلِكَ عِلْمُ كَلَامِ الطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا خَصَّهُمُ اللهُ بِعِلْمِهِ..

﴿وَقَالَا﴾ وَقَالَ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ..

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بِمَا خَصَّنَا بِهِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي آتَانَاهُ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ فِي زَمَانِنَا هَذَا..

﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾ [النمل: ١٥] فِي دَهْرِنَا هَذَا.

﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النمل: ١٦].

﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ أَبَاهُ..

﴿دَاوُۥدَۖ﴾ الْعِلْمَ الَّذِي كَانَ آتَاهُ اللهُ فِي حَيَاتِهِ، وَالْمُلْكَ الَّذِي كَانَ خَصَّهُ بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ قَوْمِهِ، فَجَعَلَهُ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ دَاوُدَ دُونَ سَائِرِ وَلَدِ أَبِيهِ..

﴿وَقَالَ﴾ سُلَيْمَانُ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ يَعْنِي فُهِّمْنَا كَلَامَهَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الطَّيْرِ كَمَنْطِقِ الرَّجُلِ مِنْ بَنِي آدَمَ، إِذْ فَهِمَهُ عَنْهَا..

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ وَأُعْطِينَا وَوَهَبَ لَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ..

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي أُوتِينَا مِنَ الْخَيْرَاتِ..

﴿لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ﴾ عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ دَهْرِنَا..

﴿ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النمل: ١٦] الَّذِي يُبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ أَنَّهُ فَضْلٌ أُعْطِينَاهُ عَلَىٰ مَنْ سِوَانَا مِنَ النَّاسِ.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل: ١٧].

﴿وَحُشِرَ﴾ وَجُمِعَ..

﴿لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ﴾ فِي مَسِيرٍ لَهُمْ..

﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل: ١٧] فَهُمْ يُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ حَتَّىٰ يَجْتَمِعُوا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْوَازِعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْكَافُّ، يُقَالُ مِنْهُ: وَزَعَ فُلَانٌ فُلَانًا عَنِ الظُّلْمِ: إِذَا كَفَّهُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلَّذِينَ يُدْفَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْوُلَاةِ وَالْأُمَرَاءِ: وَزَعَةٌ؛ لِكَفِّهِمْ إِيَّاهُمْ عَنْهُ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل: ١٨].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ..

﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ لَا يَكْسِرَنَّكُمْ وَيَقْتُلَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ..

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨﴾ [النمل: ١٨] وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَحْطِمُونَكُمْ.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل: ١٩].

﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سُلَيْمَانُ..

﴿ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِ النَّمْلَةِ الَّتِي قَالَتْ مَا قَالَتْ..

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أَلْهِمْنِي..

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ وَأَوْزِعْنِي أَنْ أَعْمَلَ بِطَاعَتِكَ وَمَا تَرْضَاهُ..

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل: ١٩] وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِرِسَالَتِكَ وَانْتَخَبْتَهُمْ لِوَحْيِكَ، يَقُولُ: أَدْخِلْنِي مِنَ الْجَنَّةِ مَدَاخِلَهُمْ.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٢٠﴾ [النمل: ٢٠].

﴿وَتَفَقَّدَ﴾ سُلَيْمَانُ..

﴿ٱلطَّيْرَ فَقَالَ﴾ قَدِ اخْتَلَفَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَالْقَائِلُونَ بِقَوْلِهِ، وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: (**كَانَ سَبَبُ تَفَقُّدِهِ الْهُدْهُدَ وَسُؤَالِهِ عَنْهُ لِيَسْتَخْبِرَهُ عَنْ بُعْدِ الْمَاءِ فِي الْوَادِي الَّذِي نَزَلَ بِهِ فِي مَسِيرِهِ**)، وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: (**كَانَ تَفَقُّدُهُ إِيَّاهُ وَسُؤَالُهُ عَنْهُ لِإِخْلَالِهِ بِالنَّوْبَةِ الَّتِي كَانَ يَنُوبُهَا**)، وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ؛ إِذْ لَمْ يَأْتِنَا بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ تَنْزِيلٌ، وَلَا خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَحِيحٌ، فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ عَنْ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ، إِمَّا لِلنَّوْبَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا وَأَخَلَّتْ بِهَا، وَإِمَّا لِحَاجَةٍ كَانَتْ إِلَيْهَا عَنْ بُعْدِ الْمَاءِ.

﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أَخْطَأَهُ بَصَرِي فَلَا أَرَاهُ وَقَدْ حَضَرَ..

﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٢٠﴾ [النمل: ٢٠] أَمْ هُوَ غَائِبٌ فِيمَا غَابَ مِنْ سَائِرِ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ فَلَمْ يَحْضُرْ.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٢١﴾ [النمل: ٢١].

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فَلَمَّا أُخْبِرَ سُلَيْمَانُ عَنِ الْهُدْهُدِ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ وَأَنَّهُ غَائِبٌ غَيْرُ شَاهِدٍ، أَقْسَمَ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وَكَانَ تَعْذِيبُهُ الطَّيْرَ -فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ إِذَا عَذَّبَهَا- أَنْ يَنْتِفَ رِيشَهَا، وَهُوَ ثَابِتٌ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ ومُجاهِدٍ، وابنِ زيدٍ..

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ أَوْ لَأَقْتُلَنَّهُ..

﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾ [النمل: ٢١] أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِحُجَّةٍ تُبَيِّنُ لِسَامِعِهَا صِحَّتَهَا وَحَقِيقَتَهَا.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل: ٢٢].

﴿فَمَكَثَ﴾ سُلَيْمَانُ..

﴿غَيْرَ بَعِيدٖ﴾ غَيْرَ طَوِيلٍ مِنْ حِينَ سَأَلَ عَنِ الْهُدْهُدِ، حَتَّىٰ جَاءَ الْهُدْهُدُ..

﴿فَقَالَ﴾ الْهُدْهُدُ حِينَ سَأَلَهُ سُلَيْمَانُ عَنْ تَخَلُّفِهِ وَغَيْبَتِهِ..

﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أَنْتَ يَا سُلَيْمَانُ..

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل: ٢٢] وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِخَبَرٍ يَقِينٍ.. ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْهُدْهُدِ لِسُلَيْمَانَ مُخْبِرًا بِعُذْرِهِ فِي مَغِيبِهِ عَنْهُ.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةٗ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٖ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: ٢٣].

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةٗ تَمْلِكُهُمْ﴾ يَعْنِي تَمْلِكُ سَبَأَ، وَإِنَّمَا صَارَ هَذَا الْخَبَرُ لِلْهُدْهُدِ عُذْرًا وَحُجَّةً عِنْدَ سُلَيْمَانَ دَرَأَ بِهِ عَنْهُ مَا كَانَ أَوْعَدَ بِهِ؛ لِأَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ لَا يَرَىٰ أَنَّ فِي الْأَرْضِ أَحَدًا لَهُ مَمْلَكَةٌ مَعَهُ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ ﷺ رَجُلًا حُبِّبَ إِلَيْهِ الْجِهَادُ وَالْغَزْوُ، فَلَمَّا دَلَّهُ الْهُدْهُدُ عَلَىٰ مُلْكٍ بِمَوْضِعٍ مِنَ الْأَرْضِ هُوَ لِغَيْرِهِ، وَقَوْمٍ كَفَرَةٍ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ، لَهُ فِي جِهَادِهِمْ وَغَزْوِهِمُ الْأَجْرُ الْجَزِيلُ وَالثَّوَابُ الْعَظِيمُ فِي الْآجِلِ، وَضَمُّ مَمْلَكَةٍ لِغَيْرِهِ إِلَىٰ مُلْكِهِ، حَقَّتْ لِلْهُدْهُدِ الْمَعْذِرَةُ، وَصَحَّتْ لَهُ الْحُجَّةُ فِي مَغِيبِهِ عَنْ سُلَيْمَانَ..

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٖ﴾ يُؤْتَاهُ الْمَلِكُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِمَّا يَكُونُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَتَادِ وَالْآلَةِ..

﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ كُرْسِيٌّ..

﴿عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: ٢٣] الْعَظِيمُ فِي قَدْرِهِ وَخَطَرِهِ، لَا عِظَمُهُ فِي الْكِبَرِ وَالسَّعَةِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (سَرِيرٌ كَرِيمٌ، حَسَنُ الصَّنْعَةِ، سَرِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَوَائِمُهُ مِنْ جَوْهَرٍ وَلُؤْلُؤٍ).

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤﴾ [النمل: ٢٤].

﴿وَجَدتُّهَا﴾ وَجَدْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ مَلِكَةَ سَبَإٍ..

﴿وَقَوْمَهَا﴾ مِنْ سَبَإٍ..

﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ فَيَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ﴾ وَحَسَّنَ لَهُمْ..

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إِبْلِيسُ..

﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ عِبَادَتَهُمُ الشَّمْسَ، وَسُجُودَهُمْ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَحَبَّبَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ..

﴿فَصَدَّهُمْ﴾ فَمَنَعَهُمْ بِتَزْيِينِهِ ذَلِكَ لَهُمْ..

﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أَنْ يَتَّبِعُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَهُوَ دَيْنُ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، وَمَعْنَاهُ: فَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ..

﴿فَهُمْ﴾ لِمَا قَدْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا زَيَّنَ مِنَ السُّجُودِ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ، وَالْكُفْرِ بِهِ..

﴿لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤] لِسَبِيلِ الْحَقِّ، وَلَا يَسْلُكُونَهُ، وَلَكِنَّهُمْ فِي ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَتَرَدَّدُونَ.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٥].

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا للهِ.. وَقَرَأَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَبَعْضُ الْمَدَنِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ (أَلَا)، بِالتَّخْفِيفِ، بِمَعْنَىٰ: أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا، فَأَضْمَرُوا (هَؤُلَاءِ) اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ (يَا) عَلَيْهَا، فَعَلَىٰ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ اسْجُدُوا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ جُزِمَ، وَلَا مَوْضِعَ لِقَوْلِهِ (أَلَا) فِي الْإِعْرَابِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ مَعَ صِحَّةِ مَعْنَيَيْهِمَا..

﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ يُخْرِجُ الْمَخْبُوءَ..

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنْ غَيْثٍ فِي السَّمَاءِ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَنَبَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ..

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ وَيَعْلَمُ السِّرَّ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ..

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٥] وَالْعَلَانِيَةَ مِنْهَا، وَذَلِكَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿أَلَّا﴾ بِالتَّشْدِيدِ.. وَأَمَّا عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ فَإِنَّ مَعْنَاهُ: وَيَعْلَمُ مَا يُسِرُّهُ خَلْقُهُ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ بِقَوْلِهِ: (أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا)، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (أَلَا تَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٦].

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا مَعْبُودَ سِوَاهُ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوهُ بِالطَّاعَةِ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا..

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾ [النمل: ٢٦] مَالِكُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الَّذِي كُلُّ عَرْشٍ وَإِنْ عَظُمَ فَدُونَهُ، لَا يُشْبِهُهُ عَرْشُ مَلِكَةِ سَبأ وَلَا غَيْرُهُ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: فِي قَوْلِهِ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾: (هَذَا كُلُّهُ كَلَامُ الْهُدْهُدِ).

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٢٧﴾ [النمل: ٢٧].

﴿۞ قَالَ﴾ سُلَيْمَانُ لِلْهُدْهُدِ..

﴿سَنَنظُرُ﴾ فِيمَا اعْتَذَرْتَ بِهِ مِنَ الْعُذْرِ، وَاحْتَجَجْتَ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِغَيْبَتِكَ عَنَّا، وَفِيمَا جِئْتَنَا بِهِ مِنَ الْخَبَرِ..

﴿أَصَدَقْتَ﴾ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٢٧﴾ [النمل: ٢٧] فِيهِ.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٢٨﴾ [النمل: ٢٨].

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فَكُنْ قَرِيبًا مِنْهُمْ..

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٢٨﴾ [النمل: ٢٨] وَفَعَلَ الْهُدْهُدُ، وَسَمِعَ مُرَاجَعَةَ الْمَرْأَةِ أَهْلَ مَمْلَكَتِهَا، وَقَوْلَهَا لَهُمْ: ﴿إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ٣١﴾ [النمل: ٢٩]، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مُرَاجَعَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.. فَذَهَبَ الْهُدْهُدُ بِكِتَابِ سُلَيْمَانَ إِلَيْهَا، فَأَلْقَاهُ إِلَيْهَا؛ فَلَمَّا قَرَأَتْهُ.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ٢٩﴾ [النمل: ٢٩].

﴿قَالَتْ﴾ مَلِكَةُ سَبَأ لِأَشْرَافِ قَوْمِهَا..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ٢٩﴾ [النمل: ٢٩] اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي سَبَبِ وَصْفِهَا الْكِتَابَ بِالْكَرِيمِ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَصَفَتْهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ مَخْتُومًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: وَصَفَتْهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ مَلِكٍ فَوَصَفَتْهُ بِالْكَرَمِ لِكَرَمِ صَاحِبِهِ، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ زَيْدٍ.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل: ٣٠].

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ قَالَتْ: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ، وَإِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ..

﴿وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل: ٣٠]

﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ [النمل: ٣١].

﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ أَنْ لَا تَتَكَبَّرُوا وَلَا تَتَعَاظَمُوا عَمَّا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ..

﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ [النمل: ٣١] وَأَقْبِلُوا إِلَيَّ مُذْعِنِينَ للهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ.

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢﴾ [النمل: ٣٢].

﴿قَالَتۡ﴾ مَلِكَةُ سَبَأَ لِأَشْرَافِ قَوْمِهَا..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَمْرِي الَّذِي قَدْ حَضَرَنِي مِنْ أَمْرِ صَاحِبِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أُلْقِيَ إِلَيَّ، فَجَعَلَتِ الْمَشُورَةَ فُتْيَا..

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾ مَا كُنْتُ قَاضِيَةً..

﴿أَمۡرًا﴾ فِي ذَلِكَ..

﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢﴾ [النمل: ٣٢] فَأُشَاوِرُكُمْ فِيهِ.

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾ [النمل: ٣٣].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ مَلِكَةِ سَبَأَ، إِذْ شَاوَرَتْهُمْ فِي أَمْرِهَا وَأَمْرِ سُلَيْمَانَ..

﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾ عَلَى الْقِتَالِ..

﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ فِي الْحَرْبِ..

﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾ أَيَّتُهَا الْمَلِكَةُ..

﴿إِلَيۡكِ﴾ فِي الْقِتَالِ وَفِي تَرْكِهِ..

﴿فَٱنظُرِي﴾ مِنَ الرَّأْيِ مَا تَرَيْنَ..

﴿مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾ [النمل: ٣٣] فَمُرِينَا نَأْتَمِرُ لِأَمْرِكِ.

﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾ [النمل: ٣٤].

﴿قَالَتۡ﴾ صَاحِبَةُ سَبَأَ لِلْمَلَأِ مِنْ قَوْمِهَا، إِذْ عَرَضُوا عَلَيْهَا أَنْفُسَهُمْ لِقِتَالِ سُلَيْمَانَ، إِنْ أَمَرَتْهُمْ بِذَلِكَ..

﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ عَنْوَةً وَغَلَبَةً..

﴿أَفۡسَدُوهَا﴾ خَرَّبُوهَا..

﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ وَذَلِكَ بِاسْتِعْبَادِهِمُ الْأَحْرَارَ، وَاسْتِرْقَاقِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَتَنَاهَى الْخَبَرُ مِنْهَا عَنِ الْمُلُوكِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ اللهُ..

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾ [النمل: ٣٤] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَكَمَا قَالَتْ صَاحِبَةُ سَبَأٍ تَفْعَلُ الْمُلُوكُ، إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً عُنْوَةً.

﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾ [النمل: ٣٥].

﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ ذُكِرَ أَنَّهَا قَالَتْ: إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ، لِتَخْتَبِرَهُ بِذَلِكَ وَتَعْرِفَهُ بِهِ، أَمَلِكٌ هُوَ، أَمْ نَبِيٌّ؟ وَقَالَتْ: إِنْ يَكُنْ نَبِيًّا لَمْ يَقْبَلِ الْهَدِيَّةَ، وَلَمْ يُرْضِهِ مِنَّا إِلَّا أَنْ نَتَّبِعَهُ عَلَىٰ دِينِهِ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا قَبِلَ الْهَدِيَّةَ وَانْصَرَفَ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(قَالَتْ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ إِنْ كَانَ إِنَّمَا هِمَّتُهُ الدُّنْيَا فَسَنُرْضِيهِ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يُرِيدُ الدِّينَ فَلَنْ يَقْبَلَ غَيْرَهُ)**..

﴿فَنَاظِرَةُۢ﴾ فَأَنْظُرُ..

﴿بِمَ﴾ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ خَبَرِهِ وَفِعْلِهِ فِي هَدِيَّتِي الَّتِي أُرْسِلُهَا إِلَيْهِ..

﴿يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾ [النمل: ٣٥] تَرْجِعُ رُسُلِي، أَبِقَبُولٍ وَانْصِرَافٍ عَنَّا، أَمْ بِرَدِّ الْهَدِيَّةِ وَالثَّبَاتِ عَلَىٰ مُطَالَبَتِنَا بِاتِّبَاعِهِ عَلَىٰ دِينِهِ؟

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾ [النمل: ٣٦].

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ﴾ سُلَيْمَانُ لَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ مِنْ قِبَلِ الْمَرْأَةِ بِهَدَايَاهَا..

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ﴾ فَمَا آتَانِي اللهُ مِنَ الْمَالِ وَالدُّنْيَا أَكْثَرُ مِمَّا أَعْطَاكُمْ مِنْهَا وَأَفْضَلُ..

﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾ [النمل: ٣٦] مَا أَفْرَحُ بِهَدِيَّتِكُمُ الَّتِي أَهْدَيْتُمْ إِلَيَّ، بَلْ أَنْتُمْ تَفْرَحُونَ بِالْهَدِيَّةِ الَّتِي تُهْدَىٰ إِلَيْكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ أَهْلُ مُفَاخَرَةٍ بِالدُّنْيَا، وَمُكَاثَرَةٍ بِهَا، وَلَيْسَتِ الدُّنْيَا وَأَمْوَالُهَا مِنْ حَاجَتِي؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ مَكَّنَنِي مِنْهَا وَمَلَّكَنِي فِيهَا مَا لَمْ يُمَلِّكْ أَحَدًا.

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [النمل: ٣٧].

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ وَهَذَا قَوْلُ سُلَيْمَانَ لِرَسُولِ الْمَرْأَةِ..

﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهَا، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَىٰ دَفْعِهِمْ عَمَّا أَرَادُوا مِنْهُمْ..

﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم﴾ وَلَنُخرِجَنَّ مَنْ أَرْسَلَكُمْ..

﴿مِّنۡهَآ﴾ مِنْ أَرْضِهِمْ..

﴿أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [النمل: ٣٧] إِنْ لَمْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾ [النمل: ٣٨].

﴿قَالَ﴾ سُلَيْمَانُ لِأَشْرَافِ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ جُنْدِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهَا فِي نُبُوَّتِهِ، وَيُعَرِّفُهَا بِذَلِكَ قُدْرَةَ اللهِ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ، أَنَّهَا خَلَّفَتْهُ فِي بَيْتٍ فِي جَوْفِ أَبْيَاتٍ بَعْضُهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ، مُغْلَقٍ مُقْفَلٍ عَلَيْهَا، فَأَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، بِغَيْرِ فَتْحِ إِغْلَاقٍ وَأَقْفَالٍ، حَتَّىٰ أَوْصَلَهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ، فَكَانَ لَهَا فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ حُجَّةٍ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَاهَا إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ، وَعَلَىٰ صِدْقِ سُلَيْمَانَ فِيمَا أَعْلَمَهَا مِنْ نُبُوَّتِهِ..

﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾ [النمل: ٣٨] طَائِعِينَ؛ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ لَمْ تَأْتِ سُلَيْمَانَ إِذْ أَتَتْهُ مُسْلِمَةً، وَإِنَّمَا أَسْلَمَتْ بَعْدَ مَقْدَمِهَا عَلَيْهِ وَبَعْدَ مُحَاوَرَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُمَا وَمُسَاءَلَةٍ.

﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾ [النمل: ٣٩].

﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قَالَ رَئِيسٌ مِنَ الْجِنِّ مَارِدٌ قَوِيٌّ..

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ أَنَا آتِيكَ بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقْعَدِكَ هَذَا، وَكَانَ - فِيمَا ذُكِرَ- قَاعِدًا لِلْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ هَذَا الَّذِي جَلَسْتَ فِيهِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ، وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْعُدُ إِلَىٰ انْتِصَافِ النَّهَارِ..

﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ..

﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾ [النمل: ٣٩] وَلَا أَخُونُ فِيهِ.

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النمل: ٤٠].

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَكَانَ رَجُلًا فِيمَا ذُكِرَ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ﴾ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْكَ..

﴿طَرْفُكَۚ﴾ بَصَرُكَ، إِذَا فُتِحَتِ الْعَيْنُ غَيْرُ رَاجِعٍ، بَلْ إِنَّمَا يَمْتَدُّ مَاضِيًا إِلَىٰ أَنْ يَتَنَاهَىٰ مَا امْتَدَّ نُورُهُ..

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ فَدَعَا اللهَ، فَأَتَىٰ بِهِ، فَلَمَّا رَأَىٰ سُلَيْمَانُ عَرْشَ مَلِكَةِ سَبَأٍ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ الْعَالِمَ دَعَا اللهَ، فَغَارَ الْعَرْشُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ بِهِ، ثُمَّ نَبَعَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ..

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ الْبَصَرُ وَالتَّمَكُّنُ وَالْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ الَّذِي أَنَا فِيهِ حَتَّىٰ حُمِلَ إِلَيَّ عَرْشُ هَذِهِ فِي قَدْرِ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ مِنْ مَأْرِبَ إِلَىٰ الشَّامِ..

﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ الَّذِي أَفْضَلَهُ عَلَيَّ وَعَطَائِهِ الَّذِي جَادَ بِهِ عَلَيَّ..

﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ لِيَخْتَبِرَنِي وَيَمْتَحِنَنِي..

﴿ءَأَشْكُرُ﴾ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ عَلَيَّ..

﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ نِعْمَتَهُ عَلَيَّ بِتَرْكِ الشُّكْرِ لَهُ؟.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ: أَأَشْكُرُ عَلَىٰ عَرْشِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ إِذْ أُتِيتُ بِهِ، أَمْ أَكْفُرُ إِذْ رَأَيْتُ مَنْ هُوَ دُونِي فِي الدُّنْيَا أَعْلَمَ مِنِّي؟..

﴿وَمَن شَكَرَ﴾ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ، وَفَضْلَهُ عَلَيْهِ..

﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ طَلَبَ نَفْعِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَنْفَعُ بِذَلِكَ غَيْرَ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ للهِ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَىٰ شُكْرِهِ تَعْرِيضًا مِنْهُ لَهُمْ لِلنَّفْعِ، لَا لِاجْتِلَابِ مِنْهُ بِشُكْرِهِمْ إِيَّاهُ نَفْعًا إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا دَفْعَ ضُرٍّ عَنْهَا..

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ نِعَمَهُ وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، وَفَضْلَهُ عَلَيْهِ، لِنَفْسِهِ ظَلَمَ، وَحَظَّهَا بَخَسَ..

﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عَنْ شُكْرِهِ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهِ، لَا يَضُرُّهُ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل: ٤٠] وَمِنْ كَرَمِهِ إِفْضَالُهُ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُرُ نِعَمَهُ، وَيَجْعَلُهَا وُصْلَةً يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَىٰ مَعَاصِيهِ.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝٤١﴾ [النمل: ٤١].

﴿قَالَ﴾ سُلَيْمَانُ -لَمَّا أَتَىٰ عَرْشُ بِلْقِيسَ صَاحِبَةِ سَبَأٍ وَقَدِمَتْ هِيَ عَلَيْهِ- لِجُنْدِهِ..

﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ غَيِّرُوا لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ سَرِيرَهَا، أَمَرَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا فِيهِ، وَيَنْقُصُوا مِنْهُ..

﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ نَنْظُرْ أَتَعْقِلُ فَتُثْبِتَ عَرْشَهَا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي لَهَا..

﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝٤١﴾ [النمل: ٤١] مِنَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ فَلَا تُثْبِتُ عَرْشَهَا.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النمل: ٤٢].

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ لَمَّا جَاءَتْ صَاحِبَةُ سَبَأَ سُلَيْمَانَ، أَخْرَجَ لَهَا عَرْشَهَا..

﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ﴾وَشَبَّهَتْهُ بِهِ..

﴿كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا﴾ قَالَ سُلَيْمَانُ: أُوتِينَا..

﴿الْعِلْمَ﴾بِاللهِ وَبِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ..

﴿مِن قَبْلِهَا﴾ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ..

﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النمل: ٤٢] للهِ مِنْ قَبْلِهَا.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النمل: ٤٣].

﴿وَصَدَّهَا﴾ وَمَنَعَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ -صَاحِبَةَ سَبَأَ- أَنْ تَعْبُدَ اللهَ..

﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وَذَلِكَ عِبَادَتُهَا الشَّمْسَ.. وَلَوْ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَصَدَّهَا سُلَيْمَانُ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ، بِمَعْنَىٰ: مَنَعَهَا وَحَالَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، كَانَ وَجْهًا حَسَنًا.. وَلَوْ قِيلَ أَيْضًا: وَصَدَّهَا اللهُ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِهَا لِلْإِسْلَامِ، كَانَ أَيْضًا وَجْهًا صَحِيحًا..

﴿إِنَّهَا﴾ إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ..

﴿كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النمل: ٤٣] كَانَتْ كَافِرَةً مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ الصَّرْحَ حَسِبَتْهُ لِبَيَاضِهِ وَاضْطِرَابِ دَوَابِّ الْمَاءِ تَحْتَهُ لُجَّةَ بَحْرٍ..

﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لِتَخُوضَهُ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ..

﴿قَالَ﴾ سُلَيْمَانُ لَهَا..

﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِبَحْرٍ، إِنَّهُ..

﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ إِنَّمَا هُوَ بِنَاءٌ مَبْنِيٌّ مَشِيدٌ مِنْ قَوَارِيرَ.. قال ابْنِ زَيْدٍ: **(فَعَرَفَتْ أَنَّهَا قَدْ غُلِبَتْ)**..

﴿قَالَتْ﴾الْمَرْأَةُ صَاحِبَةُ سَبَأٍ..

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ فِي عِبَادَتِي الشَّمْسَ، وَسُجُودِي لِمَا دُونَكَ..

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ وَانْقَدْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ مُذْعِنَةً..

﴿لِلَّهِ﴾ بِالتَّوْحِيدِ، مُفْرِدَةً لَهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٤﴾ [النمل: ٤٤] دُونَ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٥﴾ [النمل: ٤٥].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ..

﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ صَالِحٌ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَىٰ اللهِ صَارَ قَوْمُهُ مِنْ ثَمُودَ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ فَرِيقَيْنِ..

﴿يَخْتَصِمُونَ ۝٤٥﴾ [النمل: ٤٥] فَفَرِيقٌ مُصَدِّقٌ صَالِحًا مُؤْمِنٌ بِهِ، وَفَرِيقٌ مُكَذِّبٌ بِهِ كَافِرٌ بِمَا جَاءَ بِهِ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦﴾ [النمل: ٤٦].

﴿قَالَ﴾ صَالِحٌ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ لِأَيِّ شَيْءٍ تَسْتَعْجِلُونَ بِعَذَابِ اللهِ قَبْلَ الرَّحْمَةِ..

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ هَلَّا تَتُوبُونَ إِلَىٰ اللهِ مِنْ كُفْرِكُمْ، فَيَغْفِرَ لَكُمْ رَبُّكُمْ عَظِيمَ جُرْمِكُمْ، يَصْفَحُ لَكُمْ عَنْ عُقُوبَتِهِ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ مَا قَدْ أَتَيْتُمْ مِنْ عَظِيمِ الْخَطِيئَةِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦﴾ [النمل: ٤٦] لِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ بِاسْتِغْفَارِكُمْ إِيَّاهُ مِنْ كُفْرِكُمْ.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۝٤٧﴾ [النمل: ٤٧].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَتْ ثَمُودُ لِرَسُولِهَا صَالِحٍ..

﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ تَشَاءَمْنَا بِكَ..

﴿وَبِمَن مَّعَكَ﴾ مِنْ أَتْبَاعِنَا، وَزَجَرْنَا الطَّيْرَ، بِأَنَّا سَيُصِيبُنَا بِكَ وَبِهِمُ الْمَكَارِهُ وَالْمَصَائِبُ، فَأَجَابَهُمْ صَالِحٌ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿طَٰٓئِرُكُمْ﴾ مَا زَجَرْتُمْ مِنَ الطَّيْرِ لِمَا يُصِيبُكُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ عِلْمُهُ، لَا يُدْرَىٰ أَيُّ ذَلِكَ كَائِنٌ؛ أَمَا تَظُنُّونَ مِنَ الْمَصَائِبِ وَ الْمَكَارِهِ، أَمْ مَا لَا

تَرْجُونَهُ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالرَّجَاءِ وَالْمَحَابِّ؟..

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۝٤٧﴾ [النمل: ٤٧] بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُخْتَبَرُونَ، يَخْتَبِرُكُمْ رَبُّكُمْ إِذْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، أَتُطِيعُونَهُ فَتَعْمَلُونَ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، فَيَجْزِيَكُمُ الْجَزِيلَ مِنْ ثَوَابِهِ، أَمْ تَعْصُونَهُ فَتَعْمَلُونَ بِخِلَافِهِ، فَيَحِلَّ بِكُمْ عِقَابُهُ؟

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝٤٨﴾ [النمل: ٤٨].

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وَكَانَ فِي مَدِينَةِ صَالِحٍ، وَهِيَ حِجْرُ ثَمُودَ..

﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ تِسْعَةُ أَنْفُسٍ..

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝٤٨﴾ [النمل: ٤٨] وَكَانَ إِفْسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ كُفْرَهُمْ بِاللهِ وَمَعْصِيَتَهُمْ إِيَّاهُ.. وَإِنَّمَا خَصَّ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ الرَّهْطَ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ، وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْكُفْرِ كُلُّهُمْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ هُمُ الَّذِينَ سَعَوْا -فِيمَا بَلَغَنَا- فِي عَقْرِ النَّاقَةِ، وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ، وَتَحَالَفُوا عَلَىٰ قَتْلِ صَالِحٍ مِنْ بَيْنِ قَوْمِ ثَمُودَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قَصَصَهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا.

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝٤٩﴾ [النمل: ٤٩].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةُ الرَّهْطُ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي أَرْضِ حِجْرِ ثَمُودَ، وَلَا يُصْلِحُونَ..

﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ تَحَالَفُوا بِاللهِ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، لِيَحْلِفْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ..

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ لَنُبَيِّتَنَّ صَالِحًا وَأَهْلَهُ، فَلَنَقْتُلَنَّهُ..

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝٤٩﴾ [النمل: ٤٩] أَنَّا مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ [النمل: ٥٠].

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ وَغَدَرَ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةُ الرَّهْطُ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِصَالِحٍ بِمَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ لَيْلًا لِيَقْتُلُوهُ وَأَهْلَهُ، وَصَالِحٌ لَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ..

﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ فَأَخَذْنَاهُمْ بِعُقُوبَتِنَا إِيَّاهُمْ، وَتَعْجِيلِنَا الْعَذَابَ لَهُمْ..

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ [النمل: ٥٠] بِمَكْرِنَا.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مَعْنَىٰ مَكْرِ اللهِ بِمَنْ مَكَرَ بِهِ، وَمَا وَجْهُ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَخْذُهُ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ عَلَىٰ غِرَّةٍ، أَوِ اسْتِدْرَاجُهُ مِنْهُمْ مَنِ اسْتَدْرَجَ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ

وَمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، ثُمَّ إِحْلَالُهُ الْعُقُوبَةَ بِهِ عَلَىٰ غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل: ٥١].

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ إِلَىٰ عَاقِبَةِ غَدْرِ ثَمُودَ بِنَبِيِّهِمْ صَالِحٍ، كَيْفَ كَانَتْ؟ وَمَا الَّذِي أَوْرَثَهَا اعْتِدَاؤُهُمْ وَطُغْيَانُهُمْ وَتَكْذِيبُهُمْ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ سُنَّتُنَا فِيمَنْ كَذَّبَ رُسُلَنَا، وَطَغَىٰ عَلَيْنَا مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ، فَحَذِّرْ قَوْمَكَ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْ يَنَالَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ مَا نَالَ ثَمُودَ بِتَكْذِيبِهِمْ صَالِحًا مِنَ الْمَثُلَاتِ..

﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ التِّسْعَةَ الرَّهْطَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ..

﴿وَقَوْمَهُمْ﴾ مِنْ ثَمُودَ..

﴿أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل: ٥١] فَلَمْ نُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل: ٥٢].

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ﴾ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ..

﴿خَاوِيَةً﴾ خَاوِيَةٌ خَالِيَةٌ مِنْهُمْ، لَيْسَ فِيهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، قَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ فَأَبَادَهُمْ..

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُمْ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي فِعْلِنَا بِثَمُودَ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْقِصَّةِ..

﴿لَآيَةً﴾ لَعِظَةً..

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل: ٥٢] لِمَنْ يَعْلَمُ فِعْلَنَا بِهِمْ مَا فَعَلْنَا مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ وَعِبْرَةً.

﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٥٣].

﴿وَأَنجَيْنَا﴾ مِنْ نِقْمَتِنَا وَعَذَابِنَا..

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الَّذِي أَحْلَلْنَاهُ بِثَمُودَ رَسُولَنَا صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٥٣] بِإِيمَانِهِمْ، وَبِتَصْدِيقِهِمْ صَالِحًا الَّذِي حَلَّ بِقَوْمِهِمْ مِنْ ثَمُودَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَكَذَلِكَ نُنَجِّيكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَتْبَاعَكَ، عِنْدَ إِحْلَالِنَا عُقُوبَتَنَا بِمُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَذُكِرَ أَنَّ صَالِحًا لَمَّا أَحَلَّ اللهُ بِقَوْمِهِ مَا أَحَلَّ، خَرَجَ هُوَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ إِلَىٰ الشَّامِ، فَنَزَلَ رَمْلَةَ فِلَسْطِينَ.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤﴾ [النمل: ٥٤].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وَأَرْسَلْنَا لُوطًا إِلَىٰ قَوْمِهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ..

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤﴾ [النمل: ٥٤] أَنَّهَا فَاحِشَةٌ، لِعِلْمِكُمْ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْكُمْ إِلَىٰ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾ [النمل: ٥٥].

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ مِنْكُمْ بِذَلِكَ..

﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ﴾ مِنْ دُونِ فُرُوجِ النِّسَاءِ الَّتِي أَبَاحَهَا اللهُ لَكُمْ بِالنِّكَاحِ..

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾ [النمل: ٥٥] مَا ذَلِكَ مِنْكُمْ، إِلَّا أَنَّكُمْ قَوْمٌ سُفَهَاءُ جَهَلَةٌ بِعَظِيمِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكُمْ، فَخَالَفْتُمْ لِذَلِكَ أَمْرَهُ، وَعَصَيْتُمْ رَسُولَهُ.

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ [النمل: ٥٦].

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ فَلَمْ يَكُنْ لِقَوْمِ لُوطٍ جَوَابٌ لَهُ إِذْ نَهَاهُمْ عَمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِنَهْيِهِمْ عَنْهُ مِنْ إِتْيَانِ الرِّجَالِ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ إِلَّا قِيلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ..

﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ [النمل: ٥٦] عَمَّا نَفْعَلُهُ نَحْنُ مِنْ إِتْيَانِ الذُّكْرَانِ فِي أَدْبَارِهِمْ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النمل: ٥٧].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فَأَنْجَيْنَا لُوطًا وَأَهْلَهُ سِوَىٰ امْرَأَتَهُ مِنْ عَذَابِنَا حِينَ أَحْلَلْنَاهُ بِهِمْ، ثُمَّ..

﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ جَعَلْنَاهَا بِتَقْدِيرِنَا..

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النمل: ٥٧] مِنَ الْبَاقِينَ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾ [النمل: ٥٨].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ وَهُوَ إِمْطَارُ اللهِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ..

﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾ [النمل: ٥٨] فَسَاءَ ذَلِكَ الْمَطَرُ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمُ اللهُ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَخَوَّفَهُمْ بَأْسَهُ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل: ٥٩].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْنَا، وَتَوْفِيقِهِ إِيَّانَا لِمَا وَفَّقَنَا مِنَ الْهِدَايَةِ..

﴿وَسَلَٰمٌ﴾ وَأَمَنَةٌ مِنْهُ مِنْ عِقَابِهِ الَّذِي عَاقَبَ بِهِ قَوْمَ لُوطٍ وَقَوْمَ صَالِحٍ..

﴿عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ عَلَىٰ الَّذِينَ اجْتَبَاهُمْ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَجَعَلَهُمْ أَصْحَابَهُ وَوُزَرَاءَهُ عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي بَعَثَهُ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، دُونَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، الْجَاحِدِينَ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ..

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل: ٥٩] قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ مِنْ قَوْمِكَ فَهُمْ يَعْمَهُونَ: آللهُ -الَّذِي أَنْعَمَ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ هَذِهِ النِّعَمَ الَّتِي قَصَّهَا عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ بِالَّذِي أَهْلَكَهُمْ بِهِ مِنْ صُنُوفِ الْعَذَابِ الَّتِي ذَكَرَهَا لَكُمْ فِيهَا- خَيْرٌ، أَمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ أَوْثَانِكُمُ الَّتِي لَا تَنْفَعُكُمْ وَلَا تَضُرُّكُمْ، وَلَا تَدْفَعُ عَنْ أَنْفُسِهَا وَلَا عَنْ أَوْلِيَائِهَا سُوءًا، وَلَا تَجْلِبُ إِلَيْهَا وَلَا إِلَيْهِمْ نَفْعًا؟ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يُشْكِلُ عَلَىٰ مَنْ لَهُ عَقْلٌ، فَكَيْفَ تَسْتَجِيزُونَ أَنْ تُشْرِكُوا عِبَادَةَ مَنْ لَا نَفْعَ عِنْدَهُ لَكُمْ وَلَا دَفْعَ ضَرٍّ عَنْكُمْ، فِي عِبَادَةِ مَنْ بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ، وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ.. ثُمَّ ابْتَدَأَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَعْدِيدَ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَتَعْرِيفَهُمْ بِقِلَّةِ شُكْرِهِمْ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا أَوْلَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ [النمل: ٦٠].

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ: أَعِبَادَةُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ أَوْثَانِكُمُ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ خَيْرٌ، أَمْ عِبَادَةُ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟..

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يَعْنِي مَطَرًا، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرِيدًا بِهِ الْعُيُونَ الَّتِي فَجَّرَهَا فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾ يَعْنِي: بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿حَدَآئِقَ﴾ وَهِيَ جَمْعُ حَدِيقَةٍ، وَالْحَدِيقَةُ: الْبُسْتَانُ عَلَيْهِ حَائِطٌ مُحَوَّطٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَائِطٌ لَمْ يَكُنْ حَدِيقَةً..

﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ ذَاتَ مَنْظَرٍ حَسَنٍ..

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ أَنْبَتْنَا بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ لَكُمْ هَذِهِ الْحَدَائِقَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ -لَوْلَا أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ- طَاقَةٌ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَ هَذِهِ الْحَدَائِقِ، وَلَمْ تَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ إِنْبَاتِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْمَاءِ..

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أَمَعْبُودٌ مَعَ اللهِ -أَيُّهَا الْجَهَلَةُ- خَلَقَ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَ بِهِ لَكُمُ الْحَدَائِقَ؟..

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ [النمل: ٦٠] بَلْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قَوْمٌ ضَلَالٍ، يَعْدِلُونَ عَنِ الْحَقِّ، وَيَجُورُونَ عَلَيْهِ، عَلَىٰ عَمَدٍ مِنْهُمْ لِذَلِكَ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ عَلَىٰ خَطَأٍ وَضَلَالٍ، وَلَمْ يَعْدِلُوا عَنْ جَهْلٍ مِنْهُمْ بِأَنَّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ نَفْعٍ وَلَا ضُرٍّ خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَفَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ، وَلَكِنَّهُمْ عَدَلُوا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ وَمَعْرِفَةٍ، اقْتِفَاءً مِنْهُمْ سُنَّةَ مَنْ مَضَىٰ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ [النمل: ٦١].

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أَعِبَادَةُ مَا تُشْرِكُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِرَبِّكُمْ خَيْرٌ وَهُوَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، أَمِ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ لَكُمْ قَرَارًا تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا لَا تَمِيدُ بِكُمْ..

﴿وَجَعَلَ﴾ لَكُمْ..

﴿خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ بَيْنَهَا أَنْهَارًا..

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ وَهِيَ ثَوَابِتُ الْجِبَالِ..

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾ بَيْنَ الْعَذْبِ وَالْمِلْحِ، أَنْ يُفْسِدَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ..

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ سِوَاهُ فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فَأَشْرَكْتُمُوهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ؟..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ [النمل: ٦١] بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ قَدْرَ عَظَمَةِ اللهِ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الضُّرِّ فِي إِشْرَاكِهِمْ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّفْعِ فِي إِفْرَادِهِمُ اللهَ بِالْأُلُوهَةِ، وَإِخْلَاصِهِمْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَبَرَاءَتِهِمْ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ أَمْ مَا تُشْرِكُونَ بِاللهِ خَيْرٌ، أَمِ الَّذِي يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ النَّازِلَ بِهِ عَنْهُ؟..

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ﴾ ويَسْتَخْلِفُ بَعْدَ أُمَرائِكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْكُمْ خُلَفاءَ أَحْياءً يَخْلُفُونَهُمْ..

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ سِواهُ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَشْياءَ بِكُمْ، وَيُنْعِمُ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ؟..

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢] تَذَكُّرًا قَلِيلًا مِنْ عَظَمَةِ اللهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، تَذَكَّرونَ وَتَعْتَبِرُونَ حُجَجَ اللهِ عَلَيْكُمْ يَسِيرًا، فَلِذَلِكَ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ غَيْرَهُ فِي عِبادَتِهِ.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل: ٦٣].

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أَمْ مَا تُشْرِكُونَ بِاللهِ خَيْرٌ، أَمِ الَّذِي يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِذَا ضَلَلْتُمْ فِيهِمَا الطَّرِيقَ، فَأَظْلَمَتْ عَلَيْكُمُ السُّبُلُ فِيهِمَا؟..

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾ وَالَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا لِمَوَتَانِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، يَعْنِي: قُدَّامَ الْغَيْثِ الَّذِي يُحْيِي مَوَاتَ الْأَرْضِ..

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ سِوَىٰ اللهِ يَفْعَلُ بِكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَتَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِهِ، أَوْ تُشْرِكُوهُ فِي عِبادَتِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ للهِ الْعُلُوُّ وَالرِّفْعَةُ..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل: ٦٣] عَنْ شِرْكِكُمُ الَّذِي تُشْرِكُونَ بِهِ، وَعِبادَتِكُمْ مَعَهُ مَا تَعْبُدُونَ.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤].

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أَمْ مَا تُشْرِكُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ خَيْرٌ، أَمِ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَيُنْشِئُهُ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، وَيَبْتَدِعُهُ ثُمَّ يُفْنِيهِ إِذَا شَاءَ، ثُمَّ يُعِيدُهُ إِذَا أَرَادَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْنِيَهُ..

﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ وَالَّذِي يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَيُنْزِلُ مِنْ هَذِهِ الْغَيْثَ، وَيُنْبِتُ مِنْ هَذِهِ النَّبَاتَ لِأَقْوَاتِكُمْ، وَأَقْوَاتِ أَنْعَامِكُمْ..

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ سِوَىٰ اللهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ؟ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ إِلَهًا غَيْرَ اللهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ، فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أَيْ حُجَّتَكُمْ عَلَىٰ أَنَّ شَيْئًا سِوَىٰ اللهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤] فِي دَعْوَاكُمْ.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِسَائِلِيكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ السَّاعَةِ مَتَىٰ هِيَ قَائِمَةٌ..

﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ﴾ الَّذِي قَدِ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، وَحَجَبَ عَنْهُ خَلْقَهُ..

﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ غَيْرُ اللهِ، وَالسَّاعَةُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وما يَدْرِي مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥] مَتَىٰ هُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [النمل: ٦٦].

﴿بَلِ﴾ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ أَمْ.. وَالْعَرَبُ تَضَعُ (أَمْ) مَوْضِعَ (بَلْ)، وَمَوْضِعَ (بَلْ) (أَمْ)، إِذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ اسْتِفْهَامٌ..

﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ تَدَارَكَ وتَتَابَعَ..

﴿عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِۚ﴾ أَيْ: بِعِلْمِ الْآخِرَةِ، أَيْ لَمْ يَتَتَابَعْ بِذَلِكَ وَلَمْ يَعْلَمُوهُ، بَلْ غَابَ عِلْمُهُمْ عَنْهُ وَضَلَّ، فَلَمْ يَبْلُغُوهُ وَلَمْ يُدْرِكُوهُ..وَأَمَّا عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَهُ (بَلْ أدرَكَ) فَمَعْنَاه: وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ، بَلْ يَشْعُرُونَ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ عِلْمُهُمْ بِهِ حِينَئِذٍ، فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ مِنْهَا فِي شَكٍّ، بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ..

﴿بَلْ هُمْ﴾ بَلْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ..

﴿فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ﴾ فِي شَكٍّ مِنْ قِيَامِهَا، لَا يُوقِنُونَ بِهَا وَلَا يُصَدِّقُونَ بِأَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ..

﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [النمل: ٦٦] بَلْ هُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِقِيَامِهَا عَمُونَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النمل: ٦٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِاللهِ..

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النمل: ٦٧] مِنْ قُبُورِنَا أَحْيَاءً، كَهَيْئَتِنَا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِنَا بَعْدَ أَنْ كُنَّا فِيهَا تُرَابًا قَدْ بَلِينَا.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [النمل: ٦٨].

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ لَقَدْ وَعَدَنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ، وَاعِدُونَ وَعَدُوا ذَلِكَ آبَاءَنَا، فَلَمْ نَرَ لِذَلِكَ حَقِيقَةً، وَلَمْ نَتَبَيَّنْ لَهُ صِحَّةً..

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ [النمل: ٦٨] قَالُوا: مَا هَذَا الْوَعْدُ إِلَّا مَا سَطَرَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ فِي كُتُبِهِمْ، فَأَثْبَتُوهُ فِيهَا وَتَحَدَّثُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ صِحَّةٌ.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٦٩﴾ [النمل: ٦٩].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَنْبَاءِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ إِلَىٰ دِيَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ رُسُلَ اللهِ..

﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٦٩﴾ [النمل: ٦٩] وَمَسَاكِنِهِمْ كَيْفَ هِيَ؟ أَلَمْ يُخْرِبْهَا اللهُ، وَيُهْلِكْ أَهْلَهَا بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَرَدِّهِمْ عَلَيْهِمْ نَصَائِحَهُمْ، فَخَلَتْ مِنْهُمُ الدِّيَارُ، وَتَعَفَّتْ مِنْهُمُ الرُّسُومُ وَالْآثَارُ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ عَاقِبَةَ إِجْرَامِهِمْ، وَذَلِكَ سُنَّةُ رَبِّكُمْ فِي كُلِّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ، فِي تَكْذِيبِ رُسُلِ رَبِّهِمْ، وَاللهُ فَاعِلُ ذَلِكَ بِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تُبَادِرُوا الْإِنَابَةَ مِنْ كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ.

﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝٧٠﴾ [النمل: ٧٠].

﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَلَا تَحْزَنْ عَلَىٰ إِدْبَارِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنْكَ وَتَكْذِيبِهِمْ لَكَ..

﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝٧٠﴾ [النمل: ٧٠] وَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ مِنْ مَكْرِهِمْ بِكَ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ، وَمُهْلِكُهُمْ قَتْلًا بِالسَّيْفِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٧١﴾ [النمل: ٧١].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، الْمُكَذِّبُوكَ فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿مَتَىٰ﴾ يَكُونُ..

﴿هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ الَّذِي تَعِدُنَاهُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي هُوَ بِنَا فِيمَا تَقُولُ حَالٌّ..

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٧١﴾ [النمل: ٧١] فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ.

﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝٧٢﴾ [النمل: ٧٢].

﴿قُلۡ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ اقْتَرَبَ لَكُمْ وَدَنَا..

﴿بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝٧٢﴾ [النمل: ٧٢] مِنْ عَذَابِ اللهِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ [النمل: ٧٣].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَتَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَذُو إِحْسَانٍ إِلَيْهِمْ فِي ذَٰلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ نِعَمِهِ عِنْدَهُمْ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ [النمل: ٧٣] عَلَىٰ ذَٰلِكَ مِنْ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، فَيُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَكِنَّهُمْ يُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، وَمَنْ لَا فَضْلَ لَهُ عِنْدَهُمْ وَلَا إِحْسَانٌ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤﴾ [النمل: ٧٤].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ضَمَائِرَ صُدُورِ خَلْقِهِ، وَمَكْنُونَ أَنْفُسِهِمْ، وَخَفِيَّ أَسْرَارِهِمْ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤﴾ [النمل: ٧٤] وَعَلَانِيَةَ أُمُورِهِمُ الظَّاهِرَةِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَٰلِكَ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالْإِسَاءَةِ جَزَاءَهَا.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾ [النمل: ٧٥].

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ وَمَا مِنْ مَكْتُومِ سِرٍّ، وَخَفِيِّ أَمْرٍ يَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ..

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ الَّذِي أَثْبَتَ رَبُّنَا فِيهِ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ لَدُنِ ابْتِدَاءِ خَلْقِ خَلْقِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿مُّبِينٍ ۝٧٥﴾ [النمل: ٧٥] يُبِينُ لِمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ، وَقَرَأَ مَا فِيهِ مِمَّا أَثْبَتَ فِيهِ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [النمل: ٧٦].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ.

﴿يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [النمل: ٧٦]. يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْحَقَّ فِي أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي اخْتَلَفُوا فِيهَا، وَذَٰلِكَ كَالَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ عِيسَىٰ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ فِيهِ مَا قَالَتْ، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ فِيهِ مَا قَالَتْ، وَتَبَرَّأَ لِاخْتِلَافِهِمْ فِيهِ هَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَغَيْرَ ذَٰلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي اخْتَلَفُوا فِيهَا، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَيْكُمُ الْحَقَّ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَقِرُّوا لِمَا فِيهِ، فَإِنَّهُ يَقُصُّ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، وَيَهْدِيكُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٧٧﴾ [النمل: ٧٧].

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿لَهُدًى﴾لَبَيَانٌ مِنَ اللهِ، بَيَّنَ بِهِ الْحَقَّ فِيمَا اخْتَلَفَ فِيهِ خَلْقُهُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ..

﴿وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٧٧﴾ [النمل: ٧٧] وَرَحْمَةٌ لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٧٨﴾ [النمل: ٧٨].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بِحُكۡمِهِۦۚ﴾ فِيهِمْ، فَيَنْتَقِمُ مِنَ الْمُبْطِلِ مِنْهُمْ، وَيُجَازِي الْمُحْسِنَ مِنْهُمُ الْمُحِقَّ بِجَزَائِهِ..

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ وَرَبُّكَ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ مِنَ الْمُبْطِلِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَىٰ مَنْعِهِ مِنَ الِانْتِقَامِ مِنْهُ إِذَا انْتَقَمَ..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ۝٧٨﴾ [النمل: ٧٨] بِالْمُحِقِّ الْمُحْسِنِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُبْطِلِ الضَّالِّ عَنِ الْهُدَىٰ.

﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل: ٧٩].

﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ فَفَوِّضْ إِلَىٰ اللهِ يَا مُحَمَّدُ أُمُورَكَ، وَثِقْ بِهِ فِيهَا، فَإِنَّهُ كَافِيكَ..

﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل: ٧٩] لِمَنْ تَأَمَّلَهُ، وَفَكَّرَ مَا فِيهِ بِعَقْلٍ، وَتَدَبَّرَهُ بِفَهْمٍ، أَنَّهُ الْحَقُّ، دُونَ مَا عَلَيْهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ الْمُخْتَلِفُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَدُونَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَوْثَانِ الْمُكَذِّبُوكَ فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُ: فَلَا يَحْزُنْكَ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ، وَخِلَافُ مَنْ خَالَفَكَ، وَامْضِ لِأَمْرِ رَبِّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ.

﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٨٠﴾ [النمل: ٨٠].

﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهِمَ الْحَقَّ مَنْ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ فَأَمَاتَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ خَتَمَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَفْهَمَهُ..

﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تُسْمِعَ ذَلِكَ مَنْ أَصَمَّ اللهُ عَنْ سَمَاعِهِ سَمْعَهُ..

﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٨٠﴾ [النمل: ٨٠] إِذَا هُمْ أَدْبَرُوا مُعْرِضِينَ عَنْهُ، لَا يَسْمَعُونَ لَهُ لِغَلَبَةِ دِينِ الْكُفْرِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَلَا يَصْغُونَ لِلْحَقِّ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَهُ، وَلَا يُنْصِتُونَ لِقَائِلِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يُعْرِضُونَ عَنْهُ، وَيُنْكِرُونَ الْقَوْلَ بِهِ، وَالِاسْتِمَاعَ لَهُ.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل: ٨١].

﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ﴾ بِهَادِي مَنْ أَعْمَاهُ اللهُ عَنِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ فَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً أَنْ يَتَبَيَّنَ سَبِيلَ الرَّشَادِ..

﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ﴾ عَنْ ضَلَالَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا إِلَىٰ طَرِيقِ الرَّشَادِ وَسَبِيلِ الرَّشَادِ..

﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ﴾ مَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهِمَ الْحَقَّ وَتُوعِيَهُ سَمْعَ أَحَدٍ إِلَّا سَمْعَ مَنْ يُصَدِّقُ..

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِأَدِلَّتِهِ وَحُجَجِهِ وَآيِ تَنْزِيلِهِ..

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل: ٨١] فَإِنَّ أُولَئِكَ يَسْمَعُونَ مِنْكَ مَا تَقُولُ وَيَتَدَبَّرُونَهُ، وَيُفَكِّرُونَ فِيهِ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ﴾ حَقَّ وَوَجَبَ..

﴿ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ الْغَضَبُ عَلَيْهِمْ.. حِينَ لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ..

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ تَخْبُرُهُمْ وَتُحَدِّثُهُمْ..

﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢] تُكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ النَّاسَ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ: (إِنَّ النَّاسَ) بِكَسْرِ الْأَلْفِ مِنْ (إِنَّ) عَلَىٰ وَجْهِ الِابْتِدَاءِ بِالْخَبَرِ عَنِ النَّاسِ أَنَّهُمْ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ لَا يُوقِنُونَ، وَهِيَ وَإِنْ كُسِرَتْ فِي قِرَاءَةِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ الْكَلَامَ لَهَا مُتَنَاوِلٌ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النمل: ٨٣].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ وَيَوْمَ نَجْمَعُ..

﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ مِنْ كُلِّ قَرْنٍ وَمِلَّةٍ..

﴿فَوْجًا﴾ جَمَاعَةً مِنْهُمْ، وَزُمْرَةً..

﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا، فَهُوَ يَحْبِسُ أَوَّلَهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، لِيَجْتَمِعَ جَمِيعَهُمْ، ثُمَّ يُسَاقُونَ إِلَىٰ النَّارِ..

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النمل: ٨٣] فَهُمْ يُدْفَعُونَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل: ٨٤].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجٌ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَاجْتَمَعُوا..

﴿قَالَ﴾ اللهُ..

﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ أَيْ بِحُجَجِي وَأَدِلَّتِي..

﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ يَقُولُ وَلَمْ تَعْرِفُوهَا حَقَّ مَعْرِفَتِهَا؟..

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل: ٨٤] فِيهَا مِنْ تَكْذِيبٍ أَوْ تَصْدِيقٍ.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٨٥].

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ وَوَجَبَ السَّخَطُ وَالْغَضَبُ مِنَ اللهِ عَلَىٰ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ..

﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ، يَوْمَ يُحْشَرُونَ..

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٨٥] بِحُجَّةٍ يُدْفَعُونَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَظِيمَ مَا حَلَّ بِهِمْ وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النمل: ٨٦].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا تَصْرِيفَنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَمُخَالَفَتَنَا بَيْنَهُمَا بِتَصْيِيرِنَا هَذَا سَكَنًا لَهُمْ يَسْكُنُونَ فِيهِ، وَيُهْدَوْنَ رَاحَةَ أَبْدَانِهِمْ مِنْ تَعَبِ التَّصَرُّفِ وَالتَّقَلُّبِ نَهَارًا، وَهَذَا مُضِيئًا يُبْصِرُونَ فِيهِ الْأَشْيَاءَ وَيُعَايِنُونَهَا فَيَتَقَلَّبُونَ فِيهِ لِمَعَايِشِهِمْ، فَيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ، وَيَتَدَبَّرُوا وَيَعْلَمُوا أَنَّ مُصَرِّفَ ذَلِكَ كَذَلِكَ هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِمَاتَةُ الْأَحْيَاءِ، وَإِحْيَاءُ الْأَمْوَاتِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، كَمَا لَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ الذَّهَابُ بِالنَّهَارِ وَالْمَجِيءُ بِاللَّيْلِ، وَالْمَجِيءُ بِالنَّهَارِ وَالذَّهَابُ بِاللَّيْلِ مَعَ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمَا..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي تَصْيِيرِنَا اللَّيْلَ سَكَنًا، وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا..

﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لَدَلَالَةً..

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النمل: ٨٦] بِاللهِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا آمَنُوا بِهِ مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَحُجَّةً لَهُمْ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝﴾ [النمل: ٨٧].

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالشَّيَاطِينِ، مِنْ هَوْلِ مَا يُعَايِنُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.. فَإِنْ قِيلَ: فَأَيْنَ جَوَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾ الآيَة؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مُضْمَرًا مَعَ الْوَاوِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ، وَذَلِكَ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَتْرُوكًا اكْتُفِيَ بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْهُ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٦٥]، فَتَرَكَ جَوَابَهُ..

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اسْتَثْنَاهُمُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ أَنْ يَنَالَهُمُ الْفَزَعُ يَوْمَئِذٍ الشُّهَدَاءُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَإِنْ كَانُوا فِي عِدَادِ الْمَوْتَىٰ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَبِذَلِكَ جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝﴾ [النمل: ٨٧] وَكُلٌّ أَتَوْهُ صَاغِرِينَ.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [النمل: ٨٨].

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ قَائِمَةً..

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ لِأَنَّهَا تُجْمَعُ ثُمَّ تَسِيرُ، فَيَحْسَبُ رَائِيهَا لِكَثْرَتِهَا أَنَّهَا وَاقِفَةٌ، وَهِيَ تَسِيرُ سَيْرًا حَثِيثًا..

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أَحْكَمَ وَأَحْسَنَ وَأَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ وسَوَّاه وَأَوْثَقَهُ..

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [النمل: ٨٨] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ وَخِبْرَةٍ بِمَا يَفْعَلُ عِبَادُهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَطَاعَةٍ لَهُ وَمَعْصِيَةٍ، وَهُوَ مُجَازِي جَمِيعَهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، عَلَىٰ الْخَيْرِ الْخَيْرَ، وَعَلَىٰ الشَّرِّ الشَّرَّ نَظِيرَهُ.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝﴾ [النمل: ٨٩].

﴿مَن جَآءَ﴾ اللهَ..

﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بِتَوْحِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُوقِنًا بِهِ قَلْبُهُ..

﴿فَلَهُۥ﴾ مِنْ هَذِهِ الْحَسَنَةِ عِنْدَ اللهِ..

﴿خَيْرٌ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ الْخَيْرُ أَنْ يُثِيبَهُ اللهُ..

﴿مِنْهَا﴾ الْجَنَّةُ، وَيُؤَمِّنُهُ..

﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ﴾ الصَّيْحَةِ الْكُبْرَىٰ وَهِيَ النَّفْخُ فِي الصُّورِ..

﴿يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩] مِنَ الْفَزَعِ.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالشِّرْكِ بِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَجُحُودِ وَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠] يُقَالُ لَهُمْ: هَلْ تُجْزَوْنَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، إِذْ كَبَّكُمُ اللهُ لِوُجُوهِكُمْ فِي النَّارِ، وَإِلَّا جَزَاءَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النمل: ٩١].

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ يَا مُحَمَّدُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ..

﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ وَهِيَ مَكَّةُ، فَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ دُونَ سَائِرِ الْبُلْدَانِ، وَهُوَ رَبُّ الْبِلَادِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ تَعْرِيفَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ بِذَلِكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنَّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ هُوَ الَّذِي حَرَّمَ بَلَدَهُمْ، فَمَنَعَ النَّاسَ مِنْهُمْ، وَهُمْ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا مَنْ لَمْ تُجْرِ لَهُ عَلَيْهِمْ نِعْمَةٌ، وَلَا يَقْدِرُ لَهُمْ عَلَىٰ نَفْعٍ وَلَا ضُرٍّ..

﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ عَلَىٰ خَلْقِهِ أَنْ يَسْفِكُوا فِيهَا دَمًا حَرَامًا، أَوْ يَظْلِمُوا فِيهَا أَحَدًا، أَوْ يُصَادُ صَيْدُهَا، أَوْ يُخْتَلَىٰ خَلَاهَا دُونَ الْأَوْثَانِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ وَلِرَبِّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مُلْكًا، فَإِيَّاهُ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ، لَا مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا..

﴿وَأُمِرْتُ﴾ وَأَمَرَنِي رَبِّي..

﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النمل: ٩١] أَنْ أُسْلِمَ وَجْهِي لَهُ حَنِيفًا، فَأَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ دَانُوا بِدِينِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ وَجَدِّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، لَا مَنْ خَالَفَ دِينَ جَدِّهِ الْمُحِقِّ، وَدَانَ دِينَ إِبْلِيسَ عَدُوِّ اللهِ.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا۠ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل: ٩٢].

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ﴾ قُلْ ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ﴾، وَ ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النمل: ٩١]، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ﴾..

﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ فَمَنْ تَبِعَنِي وَآمَنَ بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَسَلَكَ طَرِيقَ الرَّشَادِ..

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي﴾ فَإِنَّمَا يَسْلُكُ سَبِيلَ الصَّوَابِ بِاتِّبَاعِهِ إِيَّايَ، وَإِيمَانِهِ بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ..

﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ لِأَنَّهُ بِإِيمَانِهِ بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ يَأْمَنُ نِقْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ وَمَنْ جَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ بِتَكْذِيبِهِ بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَقُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ ضَلَّ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَكَذَّبَكَ، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿إِنَّمَا أَنَا۠ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل: ٩٢] إِنَّمَا أَنَا مِمَّنْ يُنْذِرُ قَوْمَهُ عَذَابَ اللهِ وَسَخَطَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَقَدْ أَنْذَرْتُكُمْ ذَلِكَ مَعْشَرَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ وَانْتَهَيْتُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْكُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِهِ، فَحُظُوظَ أَنْفُسِكُمْ تُصِيبُونَ، وَإِنَّ رَدَدْتُمْ وَكَذَّبْتُمْ فَعَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ جَنَيْتُمْ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُمِرْتُ بِإِبْلَاغِهِ إِيَّاكُمْ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: ٩٣].

﴿وَقُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ لَكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾ [النمل: ٧١]..

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَىٰ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا بِتَوْفِيقِهِ إِيَّانَا لِلْحَقِّ الَّذِي أَنْتُمْ عَنْهُ عَمُونَ..

﴿سَيُرِيكُمْ﴾ رَبُّكُمْ..

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ آيَاتِ عَذَابِهِ وَسَخَطِهِ..

﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فَتَعْرِفُونَ بِهَا حَقِيقَةَ نُصْحِي كَانَ لَكُمْ، وَيَتَبَيَّنُ صِدْقُ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الرَّشَادِ..

﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: ٩٣] بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَلَكِنْ لَهُمْ أَجَلٌ هُمْ بَالِغُوهُ، فَإِذَا بَلَغُوهُ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: فَلَا يَحْزُنْكَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ، فَإِنِّي مِنْ وَرَاءِ إِهْلَاكِهِمْ، وَإِنِّي لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، فَأَيْقِنْ لِنَفْسِكَ بِالنَّصْرِ، وَلِعَدُوِّكَ بِالذُّلِّ وَالْخِزْيِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّمْلِ

سُورَةُ الْقَصَصِ (٢٨)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿طسٓمٓ ①﴾ [القصص: ١].

﴿طسٓمٓ ①﴾ [القصص: ١] قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ فِيمَا مَضَىٰ تأويله.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ②﴾ [القصص: ٢].

﴿تِلۡكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلۡمُبِينِ ②﴾ [القصص: ٢] أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّكَ لَمْ تَتَقَوَّلْهُ وَلَمْ تَتَخَرَّصْهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: : (**مُبِينٌ وَاللهِ بَرَكَتَهُ وَرُشْدَهُ وَهُدَاهُ**).

﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ③﴾ [القصص: ٣].

﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ﴾ نَقْرَأُ عَلَيْكَ وَنَقُصُّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ﴾ مِنْ خَبَرِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ..

﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ③﴾ [القصص: ٣] لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِهَذَا الْكِتَابِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَئِهِمْ فِيهِ نَبَؤُهُمْ، وَتَطْمَئِنَّ نُفُوسُهُمْ، بِأَنَّ سُنَّتَنَا فِيمَنْ خَالَفَكَ وَعَادَاكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سُنَّتُنَا فِيمَنْ عَادَىٰ مُوسَىٰ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، أَنْ نُهْلِكَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَاهُمْ، وَنُنْجِيَهُمْ مِنْهُمْ كَمَا أَنْجَيْنَاهُمْ.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ④﴾ [القصص: ٤].

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ تَجَبَّرَ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَتَكَبَّرَ، وَعَلَا أَهْلَهَا وَقَهَرَهُمْ، حَتَّىٰ أَقَرُّوا لَهُ بِالْعُبُودَةِ..

﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ وَجَعَلَ أَهْلَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِرَقًا مُتَفَرِّقِينَ..

﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ يستعبد طائفة منهم، ويُذَبِّح طائفة، ويقتُل طائفة، ويستحيي طائفة..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ [القصص: ٤] إنه كان ممن يُفسد في الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل، واستعباده من ليس له استعباده، وتجبُّره في الأرض على أهلها، وتكبُّره على عبادة ربِّه.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥].

﴿وَنُرِيدُ﴾ إنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها من بني إسرائيل فرقًا يستضعف طائفة منهم ونحن نريد..

﴿أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أن نمنَّ على الذين استضعفهم فرعون من بني إسرائيل..

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ وُلاةً ومُلوكًا..

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥] ونجعلهم وُرَّاث آل فرعون، يرِثون الأرض من بلد مهلكهم.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٦].

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ونُوطِّئ لهم في أرض الشَّام ومصر..

﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ كانوا قد أُخبِروا أنَّ هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل، فكانوا من ذلك على وجل منهم، ولذلك كان فرعون يُذبِّح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما.. وقرأ ذلك عامَّة قُرَّاء الكوفة: **(ويرى فرعونُ)** على أنَّ الفعل لفرعون، بمعنى: ويُعاين فرعونُ، بالياء من يرى، ورفع فرعون وهامان والجنود.. والصَّواب من القول في ذلك أنَّهما قراءتان معروفتان في قُرَّاء الأمصار، مُتقاربتا المعنى، قد قرأ بكلِّ واحدة منهما علماء من القُرَّاء، فبأيَّتهما قرأ القارئ فهو مُصيب؛ لأنَّه معلوم أنَّ فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى، إلَّا بأن يُريه الله عَزَّ وَجَلَّ منه، ولم يكن ليُريه الله تعالى ذِكْرُه ذلك منه إلَّا رآه..

﴿مِّنْهُم﴾ من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيِّه..

﴿مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٦] مَا كَانُوا يَحْذَرُونَهُ مِنْهُمْ مِنْ هَلَاكِهِمْ وَخَرَابِ مَنَازِلِهِمْ وَدُورِهِمْ.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: ٧].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ حِينَ وَلَدَتْ مُوسَىٰ.. وكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ: (قَذَفْنَا فِي قَلْبِهَا)..

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ وَالْيَمُّ الَّذِي أُمِرَتْ أَنْ تُلْقِيَهُ فِيهِ هُوَ النِّيلُ.. فَقَدْ فَعَلَتْ مَا أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهَا فِيهِ..

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عَلَىٰ وَلَدِكِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ أَنْ يَقْتُلُوهُ..

﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ لِفِرَاقِهِ..

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ إِنَّا رَادُّو وَلَدَكِ إِلَيْكِ لِلرَّضَاعِ لِتَكُونِي أَنْتِ تُرْضِعِيهِ..

﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: ٧] وَبَاعِثُوهُ رَسُولًا إِلَىٰ مَنْ تَخَافِينَهُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَفَعَلَ اللهُ ذَٰلِكَ بِهَا وَبِهِ.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [القصص: ٨].

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ فَأَصَابُوهُ وَأَخَذُوهُ، وَأَصْلُهُ مِنَ اللُّقَطَةِ، وَهُوَ مَا وُجِدَ ضَالًّا فَأُخِذَ، وَالعَرَبُ تَقُولُ لِمَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ لَهُ وَلَا إِرَادَةٍ: أَصَبْتُهُ الْتِقَاطًا، وَلَقِيتُ فُلَانًا الْتِقَاطًا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِقَوْلِهِ: ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ: جَوَارِي امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِهِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ أَعْوَانُ فِرْعَوْنَ..

﴿لِيَكُونَ﴾ مُوسَىٰ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ، وَلَيْسَ لِذَلِكَ أَخَذُوهُ..

﴿لَهُمْ﴾ لِآلِ فِرْعَوْنَ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، لِيَكُونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُمْ، فَكَانَتْ عَاقِبَةُ الْتِقَاطِهِمْ إِيَّاهُ مِنْهُ هَلَاكَهُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِ..

﴿عَدُوًّا﴾ فِي دِينِهِمْ..

﴿وَحَزَنًا﴾ عَلَىٰ مَا يَنَالُهُمْ مِنْهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ..

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟﴾ بِرَبِّهِمْ..

﴿خَـٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [القصص: ٨] آثِمِينَ، فَلِذَلِكَ كَانَ لَهُمْ مُوسَىٰ عَدُوًّا وَحَزَنًا.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [القصص: ٩].

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ لَهُ: هَذَا..

﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ﴾ يَا فِرْعَوْنُ..

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ مَسْأَلَةٌ مِنَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ أَنْ لَا يَقْتُلَهُ، وَذُكِرَ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَمَّا قَالَتْ هَذَا الْقَوْلَ لِفِرْعَوْنَ، قَالَ فِرْعَوْنُ: أَمَّا لَكِ فَنَعَمْ، وَأَمَّا لِي فَلَا، فَكَانَ كَذَلِكَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيْثِ الْفُتُوْن..

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ ذُكِرَ أَنَّ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ قَالَتْ هَذَا الْقَوْلَ حِينَ هَمَّ بِقَتْلِهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حِينَ أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْتَقَطَهُ مِنَ الْيَمِّ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَوْمَ نَتَفَ مِنْ لِحْيَتِهِ أَوْ ضَرَبَهُ بِعَصًا كَانَتْ فِي يَدِهِ.

﴿وَهُمْ﴾ وَفِرْعَوْنُ وَآلُهُ..

﴿لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [القصص: ٩] بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ هَلَاكِهِمْ عَلَىٰ يَدَيْهِ.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾ [القصص: ١٠].

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ﴾ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ..

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ إِنْ كَادَتْ لِتَقُولُ: يَا بُنَيَّاهُ..

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ لَوْلَا أَنْ عَصَمْنَاهَا مِنْ ذَلِكَ بِتَثْبِيتِنَاهَا وَتَوْفِيقِنَاهَا لِلسُّكُوتِ عَنْهُ..

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾ [القصص: ١٠] عَصَمْنَاهَا مِنْ إِظْهَارِ ذَلِكَ وَقِيلِهِ بِلِسَانِهَا، وَثَبَّتْنَاهَا لِلْعَهْدِ الَّذِي عَهِدْنَا إِلَيْهَا «لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» بِوَعْدِ اللهِ، الْمُوقِنِينَ بِهِ.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ [القصص: ١١].

﴿وَقَالَتْ﴾ أُمُّ مُوسَىٰ..

﴿لِأُخْتِهِۦ﴾ لِأُخْتِ مُوسَىٰ حِينَ أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ..

﴿قُصِّيهِ ۖ﴾ قُصِّي أَثَرَ مُوسَىٰ، واتْبَعِي أَثَرَهُ، فَقَصَّتْ أُخْتُ مُوسَىٰ أَثَرَهُ..

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ فبصُرتْ بِمُوسَىٰ عَنْ بُعْدٍ، لَمْ تَدْنُ مِنْهُ ولَمْ تقْرَبْ، لِئَلَّا يُعْلَمَ أَنَّهَا مِنْهُ بِسَبِيلٍ..

﴿وَهُمْ﴾ وقَوْمُ فِرْعَوْنَ..

﴿لَا يَشْعُرُونَ ⑪﴾ [القصص: ١١] بِأُخْتِ مُوسَىٰ أَنَّهَا أُخْتُهُ.

﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ⑫﴾ [القصص: ١٢].

﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ ومَنَعْنَا مُوسَىٰ الْمَرَاضِعَ أَنْ يَرْتَضِعَ مِنْهُنَّ مِنْ قَبْلِ أُمِّهِ..

﴿فَقَالَتْ﴾ لَهُمْ أُخْتُهُ حِينَ رَأَتْ مِنْ وَجْدِهِمْ بِهِ، وَحِرْصِهِمْ عَلَيْهِ..

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ يَضُمُّونَهُ لَكُمْ..

﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ⑫﴾ [القصص: ١٢] ذُكِرَ أَنَّهَا أُخِذَتْ، فَقِيلَ: قَدْ عَرَفْتِهِ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا عَنَيْتُ أَنَّهُمْ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ⑬﴾ [القصص: ١٣].

﴿فَرَدَدْنَٰهُ﴾ فرَدَدْنَا مُوسَىٰ..

﴿إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ بَعْدَ أَنِ الْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ..

﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ لِتَقَرَّ عَيْنُهَا بِابْنِهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيْهَا سَلِيمًا مِنْ قَتْلِ فِرْعَوْنَ..

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ عَلَىٰ فِرَاقِهِ إِيَّاهَا..

﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ ولِتَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللهِ الَّذِي وَعَدَهَا إِذْ قَالَ لَهَا ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ [القصص: ٧].. الْآيَةَ، حَقٌّ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ ولَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ⑬﴾ [القصص: ١٣] أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، لا يُصَدِّقُونَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ⑭﴾ [القصص: ١٤].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿أَشُدَّهُۥ﴾ حَانَ شِدَّةُ بَدَنِهِ وَقُوَاهُ، وَانْتَهَىٰ ذَلِكَ مِنْهُ..

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ تَنَاهَىٰ شَبَابُهُ، وَتَمَّ خَلْقُهُ وَاسْتَحْكَمَ..

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ الْفَهْمَ بِالدِّينِ وَالْمَعْرِفَةَ قبلَ النُّبوَّةِ..

﴿وَعِلْمًاۚ﴾ بِمَا فِي دِينِهِ وَشَرَائِعِهِ وَحُدُودِهِ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَا مُوسَىٰ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّانَا وَإِحْسَانِهِ بِصَبْرِهِ عَلَىٰ أَمْرِنَا، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤﴾ [القصص: ١٤] نَجْزِي كُلَّ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ رُسُلِنَا وَعِبَادِنَا فَصَبَرَ عَلَىٰ أَمْرِنَا وَأَطَاعَنَا، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَيْنَاهُ عَنْهُ.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ١٥﴾ [القصص: ١٥].

﴿وَدَخَلَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾ مَدِينَةَ (مَنْفَ) مِنْ مِصْرَ..

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وَذَلِكَ عِنْدَ الْقَائِلَةِ، نِصْفَ النَّهَارِ..

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ هَذَا مِنْ أَهْلِ دِينِ مُوسَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ﴾ مِنَ الْقِبْطِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ..

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِ مُوسَىٰ..

﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ مِنَ الْقِبْطِ..

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ فَلَكَزَهُ وَلَهَزَهُ فِي صَدْرِهِ بِجَمْعِ كَفِّهِ..

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ﴾ فَفَرَغَ مِنْ قَتْلِهِ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ حِينَ قَتَلَ الْقَتِيلَ..

﴿هَٰذَا﴾ الْقَتْلُ..

﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مِنْ تَسَبُّبِ الشَّيْطَانِ لِي بِأَنْ هَيَّجَ غَضَبِي حَتَّىٰ ضَرَبْتُ هَذَا، فَهَلَكَ مِنْ ضَرْبَتِي..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ..

﴿عَدُوٌّ﴾ لِابْنِ آدَمَ..

﴿مُّضِلٌّ﴾ لَهُ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ بِتَزْيِينِهِ لَهُ الْقَبِيحَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَتَحْسِينِهِ ذَلِكَ لَهُ..

﴿مُّبِينٌ ١٥﴾ [القصص: ١٥] يُبِينُ عَدَاوَتَهُ لَهُمْ قَدِيمًا، وَإِضْلَالَهُ إِيَّاهُمْ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ نَدَمِ مُوسَىٰ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ قَتْلِهِ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلَهَا، وَتَوْبَتِهِ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَمَسْأَلَتِهِ غُفْرَانَهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بِقَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي لَمْ تَأْمُرْنِي بِقَتْلِهَا..

﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ فَاعْفُ عَنْ ذَنْبِي ذَلِكَ، وَاسْتُرْهُ عَلَيَّ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهِ فَتُعَاقِبَنِي عَلَيْهِ..

﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ فَعَفَا اللهُ لِمُوسَىٰ عَنْ ذَنْبِهِ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ بِهِ..

﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّاتِرُ عَلَىٰ الْمُنِيبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ، الْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ عَنْهَا..

﴿الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦] لِلنَّاسِ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ بَعْدَ مَا تَابُوا مِنْهَا.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٧].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ رَبِّ بِإِنْعَامِكَ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ عَنْ قَتْلِ هَذِهِ النَّفْسِ..

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٧] يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ، كَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِذَلِكَ.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [القصص: ١٨].

﴿فَأَصْبَحَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ فِي مَدِينَةِ فِرْعَوْنَ..

﴿خَائِفًا﴾ مِنْ جِنَايَتِهِ الَّتِي جَنَاهَا، وَقَتْلِهِ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلَهَا أَنْ يُؤْخَذَ فَيُقْتَلَ بِهَا..

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ الْأَخْبَارَ، أَيْ يَنْتَظِرُ مَا الَّذِي يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، مِمَّا هُمْ صَانِعُونَ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِ قَتِيلِهِ..

﴿فَإِذَا﴾ فَرَأَىٰ مُوسَىٰ لَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ خَوْفٍ مُتَرَقِّبًا الْأَخْبَارَ عَنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْقَتِيلِ، فَإِذَا الْإِسْرَائِيلِيُّ..

﴿الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾ عَلَىٰ الْفِرْعَوْنِيِّ، يُقَاتِلُهُ فِرْعَوْنِيٌّ آخَرُ، فَرَآهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ..

﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ عَلَىٰ الْفِرْعَوْنِيِّ، يَقُولُ: فَاسْتَغَاثَهُ أَيْضًا عَلَىٰ الْفِرْعَوْنِيِّ، وَأَصْلُهُ مِنَ الصُّرَاخِ، كَمَا يُقَالُ: قَالَ بَنُو فُلَانٍ: يَا صُبَاحَاهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (الْإِسْتِنْصَارُ وَالْإِسْتِصْرَاخُ وَاحِدٌ)..

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي اسْتَصْرَخَهُ، وَقَدْ صَادَفَ مُوسَىٰ نَادِمًا عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ قَتْلِهِ بِالْأَمْسِ الْقَتِيلَ، وَهُوَ يَسْتَصْرِخُهُ الْيَوْمَ عَلَىٰ آخَرَ..

﴿إِنَّكَ﴾ أَيُّهَا الْمُسْتَصْرِخُ..

﴿لَغَوِيٌّ﴾ لَذُو غِوَايَةٍ..

﴿مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [القصص: ١٨] قَدْ تَبَيَّنَتْ غِوَايَتُكَ بِقَتْلِكَ أَمْسِ رَجُلًا، وَالْيَوْمَ آخَرَ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَمَا فِي حَدِيثِ الْفُتُونِ الطَّوِيلِ: (**أُتِيَ فِرْعَوْنُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَخُذْ لَنَا بِحَقِّنَا وَلَا تُرَخِّصْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، قَالَ: ابْغُونِي قَاتِلَهُ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَقْضِيَ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبْتٍ، فَاطْلُبُوا ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَطُوفُونَ لَا يَجِدُونَ شَيْئًا، إِذْ مَرَّ مُوسَىٰ مِنَ الْغَدِ، فَرَأَىٰ ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يُقَاتِلُ فِرْعَوْنِيًّا، فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَى الْفِرْعَوْنِيِّ، فَصَادَفَ مُوسَىٰ وَقَدْ نَدِمَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ بِالْأَمْسِ، وَكَرِهَ الَّذِي رَأَىٰ، فَغَضِبَ مُوسَىٰ، فَمَدَّ يَدَهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ، فَقَالَ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ: لِمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ وَالْيَوْمَ ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾، فَنَظَرَ الْإِسْرَائِيلِيُّ إِلَىٰ مُوسَىٰ بَعْدَ مَا قَالَ هَذَا، فَإِذَا هُوَ غَضْبَانُ كَغَضَبِهِ بِالْأَمْسِ إِذْ قَتَلَ فِيهِ الْفِرْعَوْنِيَّ، فَخَافَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مَا قَالَ لَهُ: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ إِيَّاهُ أَرَادَ، وَلَمْ يَكُنْ أَرَادَهُ، إِنَّمَا أَرَادَ الْفِرْعَوْنِيَّ، فَخَافَ الْإِسْرَائِيلِيُّ فَحَاجَّهُ، فَقَالَ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩]، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ مُوسَىٰ لِيَقْتُلَهُ، فَتَتَارَكَا**).

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝١٩﴾ [القصص: ١٩].

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ فَلَمَّا أَرَادَ مُوسَىٰ أَنْ يَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُ وَلِلْإِسْرَائِيلِيِّ..

﴿قَالَ﴾ الْإِسْرَائِيلِيُّ لِمُوسَىٰ وَظَنَّ أَنَّهُ إِيَّاهُ يُرِيدُ..

﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ فَسَعَىٰ بِهَا الْقِبْطِيُّ، وَقَالَ الْإِسْرَائِيلِيُّ لِمُوسَىٰ..

﴿إِن تُرِيدُ﴾ مَا تُرِيدُ..

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَكَانَ مِنْ فِعْلِ الْجَبَابِرَةِ قَتْلُ النُّفُوسِ ظُلْمًا، بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِمُوسَىٰ الْإِسْرَائِيلِيُّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسَيْنِ مِنَ الْجَبَابِرَةِ..

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: ١٩] وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَعْمَلُ فِي الْأَرْضِ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ أَهْلِهَا، مِنْ طَاعَةِ اللهِ.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص: ٢٠].

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ ذُكِرَ أَنَّهُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ.. ذُكِرَ أَنَّ قَوْلَ الْإِسْرَائِيلِيِّ سَمِعَهُ سَامِعٌ فَأَفْشَاهُ، وَأَعْلَمَ بِهِ أَهْلَ الْقَتِيلِ، فَحِينَئِذٍ طَلَبَ فِرْعَوْنُ مُوسَىٰ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ؛ فَلَمَّا أَمَرَ بِقَتْلِهِ، جَاءَ مُوسَىٰ مُخْبِرٌ، وَخَبَّرَهُ بِمَا قَدْ أَمَرَ بِهِ فِرْعَوْنُ فِي أَمْرِهِ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ بَلَدِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَمَا فِي حَدِيثِ الْفُتُونِ الطَّوِيلِ: (**انْطَلَقَ الْفِرْعَوْنِيُّ الَّذِي كَانَ يُقَاتِلُ الْإِسْرَائِيلِيَّ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ مِنَ الْخَبَرِ حِينَ يَقُولُ:** ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ [القصص: ١٩]؟ **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ الذَّبَّاحِينَ لِقَتْلِ مُوسَىٰ، فَأَخَذُوا الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ، وَهُمْ لَا يَخَافُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ مُوسَىٰ فِي أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ، فَاخْتَصَرَ طَرِيقًا قَرِيبًا، حَتَّىٰ سَبَقَهُمْ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ**)..

﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ مِنْ آخِرِ مَدِينَةِ فِرْعَوْنَ..

﴿يَسْعَىٰ﴾ يُعَجِّلُ..

﴿قَالَ﴾ الرَّجُلُ الَّذِي جَاءَهُ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ لِمُوسَىٰ..

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ إِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَرُؤَسَاءَهُمْ يَتَآمَرُونَ بِقَتْلِكَ، وَيَتَشَاوَرُونَ وَيَرْتَئُونَ فِيكَ..

﴿فَٱخْرُجْ﴾ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ..

﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص: ٢٠] إِنِّي لَكَ فِي إِشَارَتِي عَلَيْكَ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا مِنَ النَّاصِحِينَ.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: ٢١].

﴿فَخَرَجَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿مِنْهَا﴾ مِنْ مَدِينَةِ فِرْعَوْنَ..

﴿خَآئِفًا﴾ مِنْ قَتْلِهِ النَّفْسَ أَنْ يُقْتَلَ بِهِ..

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ يَنْتَظِرُ الطَّلَبَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَأْخُذَهُ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ وَهُوَ شَاخِصٌ عَنْ مَدِينَةِ فِرْعَوْنَ خَائِفًا..
﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ﴾ هَؤُلَاءِ..
﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: ٢١] الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِكَ.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص: ٢٢].

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ وَلَمَّا جعَلَ مُوسَىٰ وَجْهَهُ نَحْوَ مَدْيَنَ، مَاضِيًا إِلَيْهَا، شَاخِصًا عَنْ مَدِينَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَارِجًا عَنْ سُلْطَانِهِ.. وَمَدْيَنُ كَانَ بِهَا يَوْمَئِذٍ قَوْمُ شُعَيْبٍ عليه السلام..

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص: ٢٢] عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُبَيِّنَ لِي قَصْدَ السَّبِيلِ إِلَىٰ مَدْيَنَ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا، وَذُكِرَ أَنَّ اللهَ قَيَّضَ لَهُ مَلَكًا سَدَّدَهُ الطَّرِيقَ، وَعَرَّفَهُ إِيَّاهُ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَمَا فِي حَدِيثِ الْفُتُونِ الطَّوِيلِ: (**خَرَجَ مُوسَىٰ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَدْيَنَ، وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِالطَّرِيقِ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ**).

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣].

﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾ مُوسَىٰ..
﴿مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جَمَاعَةً..
﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ نَعَمَهُمْ وَمَوَاشِهَمْ..
﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ وَوَجَدَ مِنْ دُونِ أُمَّةِ النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ الْمَاءِ..
﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تَحْبِسَانِ غَنَمَهُمَا عَنِ النَّاسِ حَتَّىٰ يَفْرُغُوا مِنْ سَقْيِ مَوَاشِيهِمْ..
﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلْمَرْأَتَيْنِ..
﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ مَا شَأْنُكُمَا وَأَمْرُكُمَا، تَذُودَانِ مَاشِيَتَكُمَا عَنِ النَّاسِ، هَلَّا تَسْقُونَهَا مَعَ مَوَاشِي النَّاسِ وَالْعَرَبِ، تَقُولُ لِلرَّجُلِ: مَا خَطْبُكَ: بِمَعْنَىٰ مَا أَمْرُكَ وَحَالُكَ..
﴿قَالَتَا﴾ قَالَتِ الْمَرْأَتَانِ لِمُوسَىٰ..
﴿لَا نَسْقِي﴾ مَاشِيَتَنَا..
﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ مَوَاشِيَهُمْ، لِأَنَّا لَا نَطِيقُ أَنْ نَسْقِيَ، وَإِنَّمَا نَسْقِي مَوَاشِينَا مَا أَفْضَلَتْ مَوَاشِي الرِّعَاءِ فِي الْحَوْضِ، وَالرِّعَاءُ جَمْعُ رَاعٍ، وَالرَّاعِي جَمْعُهُ رِعَاءٌ وَرُعَاةٌ وَرُعْيَانُ..
﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣] لَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْكِبَرِ وَالضَّعْفِ أَنْ يُسْقَىٰ مَاشِيَتَهُ.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ [القصص: ٢٤].

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فَسَقَىٰ مُوسَىٰ لِلْمَرْأَتَيْنِ مَاشِيَتَهُمَا، وذُكِرَ أَنَّهُ ﷺ فَتَحَ لَهُمَا عَنْ رَأْسِ بِئْرٍ كَانَ عَلَيْهَا حَجَرٌ لَا يُطِيقُ رَفْعَهُ إِلَّا جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ اسْتَسْقَىٰ فَسَقَىٰ لَهُمَا مَاشِيَتَهُمَا مِنْهُ.. وَقَال ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا في حَدِيث الْفُتُون: (فَجَعَلَ يَغْرِفُ فِي الدَّلْوِ مَاءً كَثِيرًا حَتَّىٰ كَانَتْ أَوَّلَ الرِّعَاءِ رِيًّا، فَانْصَرَفَتَا إِلَىٰ أَبِيهِمَا بِغَنَمِهِمَا)..

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَىٰ ظِلِّ شَجَرَةٍ..

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ [القصص: ٢٤] مُحْتَاجٌ.. وَذُكِرَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ، وَهُوَ بِجَهْدٍ شَدِيدٍ، وَعَرَّضَ ذَلِكَ لِلْمَرْأَتَيْنِ تَعْرِيضًا لَهُمَا، لَعَلَّهُمَا أَنْ تُطْعِمَاهُ مِمَّا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْخَيْرَ الَّذِي قَالَ نَبِيُّ اللهِ: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ إِنَّمَا عُنِيَ بِهِ: شُبْعَةٌ مِنْ طَعَامٍ.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥﴾ [القصص: ٢٥].

﴿فَجَآءَتْهُ﴾ فَجَاءَتْ مُوسَىٰ..

﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ إِحْدَىٰ الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَقَىٰ لَهُمَا..

﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ مِنْ مُوسَىٰ، قَدْ سَتَرَتْ وَجْهَهَا بِثَوْبِهَا..

﴿قَالَتْ﴾ الْمَرْأَةُ الَّتِي جَاءَتْ مُوسَىٰ تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ..

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ﴾ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيُثِيبَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا..

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ فَمَضَىٰ مُوسَىٰ مَعَهَا إِلَىٰ أَبِيهَا، فَلَمَّا جَاءَ أَبَاهَا وَقَصَّ عَلَيْهِ قَصَصَهُ مَعَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ مِنَ الْقِبْطِ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ أَبُوهَا..

﴿لَا تَخَفْ﴾ فَقَدْ..

﴿نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥﴾ [القصص: ٢٥] يَعْنِي: مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ بِأَرْضِنَا الَّتِي أَنْتَ بِهَا، فَلَيْسَ لِفِرْعَوْنَ وَلَا لِقَوْمِهِ عَلَيْنَا سُلْطَانٌ، وَلَسْنَا فِي مَمْلَكَتِهِ.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦﴾ [القصص: ٢٦].

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰ الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَقَىٰ لَهُمَا مُوسَىٰ لِأَبِيهَا حِينَ أَتَاهُ مُوسَىٰ..

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ﴾ لِيَرْعَىٰ عَلَيْكَ مَاشِيَتَكَ..

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾ إِنَّ خَيْرَ مَنْ تَسْتَأْجِرُهُ لِلرَّعْيِ..

﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ عَلَىٰ حِفْظِ مَاشِيَتِكَ، وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا فِي إِصْلَاحِهَا وَصَلَاحِهَا..

﴿ٱلْأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص: ٢٦] الَّذِي لَا تَخَافُ خِيَانَتَهُ فِيمَا تَأْمَنُهُ عَلَيْهِ.. وَقِيلَ: (**إِنَّهَا لَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ لِأَبِيهَا، اسْتَنْكَرَ أَبُوهَا ذَلِكَ مِنْ وَصْفِهَا إِيَّاهُ فَقَالَ لَهَا: وَمَا عِلْمُكِ بِذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَمَّا قُوَّتُهُ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ عِلَاجِهِ مَا عَالَجَ عِنْدَ السَّقْيِ عَلَىٰ الْبِئْرِ، وَأَمَّا الْأَمَانَةُ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ عَنِّي**)، وَهُو ثَابِتٌ عن ابنِ عبَّاس في حديثِ الفتون.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: ٢٧].

﴿قَالَ﴾ أَبُو الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَقَىٰ لَهُمَا مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ..

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ عَلَىٰ أَنْ تُثِيبَنِي مِنْ تَزْوِيجِهَا رَعْيَ مَاشِيَتِي..

﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍۖ﴾ وَكَأَنَّ أَبَاهَا جَعَلَ صَدَاقَ ابْنَتِهِ الَّتِي زَوَّجَهَا مُوسَىٰ، رَعْيَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ مَاشِيَتَهُ ثَمَانِيَ حِجَجٍ، وَالْحِجَجُ: السُّنُونُ..

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ فَإِنْ أَتْمَمْتَ الثَّمَانِيَ الْحِجَجَ عَشْرًا الَّتِي شَرَطْتُهَا عَلَيْكَ بِإِنْكَاحِي إِيَّاكَ إِحْدَىٰ ابْنَتَيَّ، فَجَعَلْتَهَا عَشْرَ حِجَجٍ..

﴿فَمِنْ عِندِكَۖ﴾ فَإِحْسَانٌ مِنْ عِنْدِكَ، وَلَيْسَ مِمَّا اشْتَرَطْتُهُ عَلَيْكَ بِسَبَبِ تَزْوِيجِكَ ابْنَتِي..

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ﴾ بِاشْتِرَاطِ الثَّمَانِي الْحِجَجِ عَشْرًا عَلَيْكَ..

﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: ٢٧] فِي الْوَفَاءِ بِمَا قُلْتُ لَكَ.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٢٨﴾ [القصص: ٢٨].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِأَبِي الْمَرْأَتَيْنِ..

﴿ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَۖ﴾ أَيْ هَذَا الَّذِي قُلْتَ مِنْ أَنَّكَ تُزَوِّجُنِي إِحْدَىٰ ابْنَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ آجُرَكَ ثَمَانِيَ حِجَجٍ، وَاجِبٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا الْوَفَاءُ لِصَاحِبِهِ بِمَا أَوْجَبَ لَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ..

﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ أَيَّ الْأَجَلَيْنِ مِنَ الثَّمَانِي الْحِجَجِ وَالْعَشْرِ الْحِجَجِ..

﴿قَضَيْتُ﴾ فَرَغْتُ مِنْهَا فَوَفَّيْتُكَهَا رَعْيَ غَنَمِكَ وَمَاشِيَتِكَ..

﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَعْتَدِيَ عَلَيَّ، فَتُطَالِبَنِي بِأَكْثَرَ مِنْهُ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٢٨﴾ [القصص: ٢٨] وَاللهُ عَلَىٰ مَا أَوْجَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لِصَاحِبِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِهَذَا الْقَوْلِ، شَهِيدٌ وَحَفِيظٌ.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾
[القصص: ٢٩].

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ فَلَمَّا وَفَّىٰ مُوسَىٰ صَاحِبَهُ الْأَجَلَ الَّذِي فَارَقَهُ عَلَيْهِ عِنْدَ إِنْكَاحِهِ إِيَّاهُ ابْنَتَهُ، وَذُكِرَ أَنَّ الَّذِيَ وَفَّاهُ مِنَ الْأَجَلَيْنِ أَتَمُّهُمَا وَأَكْمَلُهُمَا، وَذَلِكَ الْعَشْرُ الْحِجَجُ، وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيَّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَىٰ؟ قَالَ: (أَتَمَّهُمَا وَأَوْفَاهُمَا).. عَلَىٰ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (زَادَ مَعَ الْعَشْرِ عَشْرًا أُخْرَىٰ)، قَالَ مُجَاهِدٌ: (﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرًا أُخْرَىٰ)..

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ شَاخِصًا بِهِمْ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ مِنْ مِصْرَ..

﴿ءَانَسَ﴾ أَبْصَرَ وَأَحَسَّ..

﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ تَمَهَّلُوا وَانْتَظِرُوا..

﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا..

﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا﴾ يَعْنِي مِنَ النَّارِ..

﴿بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾أَوْ آتِيكُمْ بِقِطْعَةٍ غَلِيظَةٍ مِنَ الْحَطَبِ فِيهَا النَّارُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾ [القصص: ٢٩] لَعَلَّكُمْ تَسْخَنُونَ بِهَا مِنَ الْبَرْدِ، وَكَانَ فِي شِتَاءٍ.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص: ٣٠].

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ فَلَمَّا أَتَىٰ مُوسَىٰ النَّارَ الَّتِي ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]..

﴿نُودِىَ﴾ نَادَىٰ اللهُ مُوسَىٰ..

﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾ وَهُوَ جَانِبُ الْوَادِي وَعُدْوَتُهُ..

﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ نَعْتٌ مِنَ الشَّاطِئِ، عَنْ يَمِينِ مُوسَىٰ..

﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ عِنْدَ الشَّجَرَةِ..

﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: ٣٠]

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣١].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فَأَلْقَاهَا مُوسَىٰ، فَصَارَتْ حَيَّةً تَسْعَىٰ..

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾ مُوسَىٰ..

﴿تَهْتَزُّ﴾ تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ..

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ مِنَ الْحَيَّاتِ، وَالْجَانُّ: وَاحِدُ الْجِنَّانِ، وَهِيَ نَوْعٌ مَعْرُوفٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَّاتِ، وَهِيَ مِنْهَا عِظَامٌ..

﴿وَلَّىٰ﴾ مُوسَىٰ..

﴿مُدْبِرًا﴾ هَارِبًا مِنْهَا..

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ وَلَمْ يَرْجِعْ عَلَىٰ عَقِبِهِ.. فَنُودِيَ مُوسَىٰ..

﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ﴾ إِلَيَّ..

﴿وَلَا تَخَفْ﴾ مِنَ الَّذِي تَهْرُبُ مِنْهُ..

﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣١] مِنْ أَنْ يَضُرَّكَ، إِنَّمَا هُوَ عَصَاكَ.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٣٢].

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ أَدْخِلْ يَدَكَ..

﴿فِى جَيْبِكَ﴾ فِي جَيْبِ قَمِيصِكَ..

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ..

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ يَدَكَ..

﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ مِنَ الْخَوْفِ وَالْفَرَقُ الَّذِي قَدْ نَالَكَ مِنْ مُعَايَنَتِكَ مَا عَايَنْتَ مِنْ هَوْلِ الْحَيَّةِ..

﴿فَذَٰنِكَ﴾ فَهَذَانِ اللَّذَانِ أَرَيْتُكَهُمَا يَا مُوسَىٰ مِنْ تَحَوُّلِ الْعَصَا حَيَّةً، وَيَدُكَ وَهِيَ سَمْرَاءُ بَيْضَاءَ تَلْمَعُ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ..

﴿بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ آيَتَانِ وَحُجَّتَانِ..

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ، حُجَّةً عَلَيْهِمْ، وَدِلَالَةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ يَا مُوسَىٰ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ..

﴿كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾ [القصص: ٣٢] كَانُوا قَوْمًا كَافِرِينَ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ٣٣﴾ [القصص: ٣٣].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ﴾ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ..

﴿نَفْسًا فَأَخَافُ﴾ إِنْ أَتَيْتُهُمْ فَلَمْ أَبِنْ عَنْ نَفْسِي بِحُجَّةٍ..

﴿أَن يَقْتُلُونِ ٣٣﴾ [القصص: ٣٣] لِأَنَّ فِي لِسَانِي عُقْدَةً، وَلَا أُبِينُ مَعَهَا مَا أُرِيدُ مِنَ الْكَلَامِ.

﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾ [القصص: ٣٤].

﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أَحْسَنُ بَيَانًا عَمَّا يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَهُ..

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ عَوْنًا..

﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ يُبَيِّنُ لَهُمْ عَنِّي مَا أُخَاطِبُهُمْ بِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا سَأَلَ مُوسَىٰ رَبَّهُ يُؤَيِّدُهُ بِأَخِيهِ، لِأَنَّ الِاثْنَيْنِ إِذَا اجْتَمَعَا عَلَىٰ الْخَيْرِ، كَانَتِ النَّفْسُ إِلَىٰ تَصْدِيقِهِمَا أَسْكَنَ مِنْهَا إِلَىٰ تَصْدِيقِ خَبَرِ الْوَاحِدِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لِأَنَّ الِاثْنَيْنِ أَحْرَىٰ أَنْ يُصَدَّقَا مِنْ وَاحِدٍ)..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾ [القصص: ٣٤] إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا يُصَدِّقُونِ عَلَىٰ قَوْلِي لَهُمْ إِنِّي أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ٣٥﴾ [القصص: ٣٥].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ أَيْ نُقَوِّيكَ وَنُعِينُكَ..

﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ وَنَجعَلُ لكُمَا حَجَّةً..

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ فَلَا يَصِلُ إِلَيْكُمَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ بِسُوءٍ..

﴿بِآيَاتِنَا﴾ بِحُجَّتِنَا وَسُلْطَانِنَا الَّذِي نَجْعَلُهُ لَكُمَا..

﴿أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ۝٣٥﴾ [القصص: ٣٥] أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝٣٦﴾ [القصص: ٣٦].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ﴾ فَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ..

﴿بِآيَاتِنَا﴾ بِأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا..

﴿بَيِّنَاتٍ﴾ أَنَّهَا حُجَجٌ شَاهِدَةٌ بِحَقِيقَةِ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿قَالُوا﴾ لِمُوسَىٰ..

﴿مَا هَٰذَا﴾ الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ..

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ إِلَّا سِحْرٌ افْتَرَيْتَهُ مِنْ قِبَلِكَ وَتَخَرَّصْتَهُ كَذِبًا وَبَاطِلًا..

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ مَنْ تَدْعُونَا إِلَىٰ عِبَادَتِهِ..

﴿فِي آبَائِنَا﴾ فِي أَسْلَافِنَا وَآبَائِنَا..

﴿الْأَوَّلِينَ ۝٣٦﴾ [القصص: ٣٦] الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَنَا.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝٣٧﴾ [القصص: ٣٧].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ مُجِيبًا لِفِرْعَوْنَ..

﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ رَبِّي أَعْلَمُ بِالْمُحِقِّ مِنَّا يَا فِرْعَوْنُ مِنَ الْمُبْطِلِ، وَمَنِ الَّذِي جَاءَ بِالرَّشَادِ إِلَىٰ سَبِيلِ الصَّوَابِ وَالْبَيَانِ عَنْ وَاضِحِ الْحُجَّةِ مِنْ عِنْدِهِ، وَمَنِ الَّذِي لَهُ الْعُقْبَىٰ الْمَحْمُودَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَّا.. وَهَذِهِ مُعَارَضَةٌ مِنْ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ لِفِرْعَوْنَ، وَجَمِيلُ مُخَاطَبَةٍ؛ إِذْ تَرَكَ أَنْ يَقُولَ لَهُ: بَلِ الَّذِي غَرَّ قَوْمَهُ وَأَهْلَكَ جُنُودَهُ، وَأَضَلَّ أَتْبَاعَهُ أَنْتَ لَا أَنَا، وَلَكِنَّهُ قَالَ: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ ثُمَّ بَالَغَ فِي ذَمِّ عَدُوِّ اللهِ بِأَجْمَلِ خِطَابٍ فَقَالَ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ إِنَّهُ لَا يُنْجِحُ وَلَا يُدْرِكُ طَلِبَتَهُ..

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٣٧﴾ [القصص: ٣٧] الْكَافِرُونَ بِاللهِ تَعَالَىٰ، يَعْنِي بِذَلِكَ فِرْعَوْنَ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ وَلَا يَنْجَحُ لِكُفْرِهِ بِهِ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣٨﴾ [القصص: ٣٨].

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لِأَشْرَافِ قَوْمِهِ وَسَادَتِهِمْ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ فَتَعْبُدُوهُ، وَتُصَدِّقُوا قَوْلَ مُوسَىٰ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ أَنَّ لَكُمْ وَلَهُ رَبًّا غَيْرِي وَمَعْبُودًا سِوَايَ..

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ ابْنِ لِي بِالْآجُرِّ بِنَاءً، وَكُلُّ بِنَاءٍ مُسْطَّحٍ فَهُوَ صَرْحٌ كَالْقَصْرِ..

﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ انْظُرُ إِلَىٰ مَعْبُودِ مُوسَىٰ، الَّذِي يَعْبُدُهُ، وَيَدْعُو إِلَىٰ عِبَادَتِهِ..

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣٨﴾ [القصص: ٣٨] فِيمَا يَقُولُ مِنْ أَنَّ لَهُ مَعْبُودًا يَعْبُدُهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُؤَيِّدُهُ وَيَنْصُرُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا مِنَ الْكَاذِبِينَ.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩﴾ [القصص: ٣٩].

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَاسْتَكْبَرَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ عَنْ تَصْدِيقِ مُوسَىٰ، وَاتِّبَاعِهِ عَلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْإِقْرَارِ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ..

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تَعَدِّيًا وَعُتُوًّا عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩﴾ [القصص: ٣٩] وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ لَا يُبْعَثُونَ، وَلَا ثَوَابَ، وَلَا عِقَابَ، فَرَكِبُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، وَأَنَّهُ لَهُمْ مُجَازٍ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ [القصص: ٤٠].

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾ فَجَمَعْنَا فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مِنَ الْقِبْطِ..

﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾ فَأَلْقَيْنَاهُمْ جَمِيعَهُمْ فِي الْبَحْرِ، فَغَرَّقْنَاهُمْ فِيهِ، وَذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ بَحْرٌ مِنْ وَرَاءِ مِصْرَ.. قَالَ قَتَادَةُ: (كَانَ الْيَمُّ بَحْرًا يُقَالُ لَهُ إِسَافُ مِنْ وَرَاءِ مِصْرَ، غَرَّقَهُمُ اللهُ فِيهِ).

﴿فَٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: ٤٠] كَيْفَ كَانَ أَمْرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدُّوا عَلَىٰ رَسُولِهِ نَصِيحَتَهُ، أَلَمْ نُهْلِكْهُمْ فَنُوَرِّثْ دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ أَوْلِيَاءَنَا، وَنُخَوِّلْهُمْ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ، تُقَتَّلُ أَبْنَاؤُهُمْ، وَتُسْتَحْيَا نِسَاؤُهُمْ، فَإِنَّا كَذَلِكَ بِكَ وَبِمَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَّقَكَ فَاعِلُونَ، مُخَوِّلُوكَ وَإِيَّاهُمْ دِيَارَ مَنْ كَذَّبَكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَأَمْوَالَهُمْ، وَمُهْلِكُوهُمْ قَتْلًا بِالسَّيْفِ، سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١].

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وَجَعَلْنَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ..

﴿أَئِمَّةً﴾ يَأْتَمُّ بِهِمْ أَهْلُ الْعُتُوِّ عَلَىٰ اللهِ، وَالْكُفْرِ بِهِ..

﴿يَدْعُونَ﴾ النَّاسَ..

﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إِلَىٰ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ..

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١] وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُهُمْ -إِذَا عَذَّبَهُمُ اللهُ- نَاصِرٌ، وَقَدْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَتَنَاصَرُونَ، فَاضْمَحَلَّتْ تِلْكَ النُّصْرَةُ يَوْمَئِذٍ.

﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾
[القصص: ٤٢].

﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَأَلْزَمْنَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا..

﴿لَعْنَةً﴾ خِزْيًا وَغَضَبًا مِنَّا عَلَيْهِمْ، فَحَتَّمْنَا لَهُمْ فِيهَا بِالْهَلَاكِ وَالْبَوَارِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ..

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وَنَحْنُ مُتْبِعُوهُمْ لَعْنَةً أُخْرَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمُخْزُوهُمْ بِهَا الْخِزْيَ الدَّائِمَ، وَمُهِينُوهُمُ الْهَوَانَ اللَّازِمَ..

﴿هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤٢] هُمْ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَبَّحَهُمُ اللهُ، فَأَهْلَكَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُوسَىٰ ﷺ، فَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَعِظَةً لِلْمُتَّعِظِينَ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْأُمَمَ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ، كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ..

﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ ضِيَاءً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا بِهِمْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ..

﴿وَهُدًى﴾ وَبَيَانًا لَهُمْ..

﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ مِنْهُمْ..

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣] لِيَتَذَكَّرُوا نِعَمَ اللهِ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَيَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا وَلَا يَكْفُرُوا.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص: ٤٥].

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ غَرْبِيِّ الْجَبَلِ..

﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ إِذْ فَرَضْنَا..

﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ فِيمَا أَلْزَمْنَاهُ وَقَوْمَهُ، وَعَهِدْنَا إِلَيْهِ مِنْ عَهْدٍ..

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص: ٤٥] وَمَا كُنْتَ لِذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [القصص: ٤٥].

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ وَلَكِنَّا خَلَقْنَا أُمَمًا فَأَحْدَثْنَاهَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ..

﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وَمَا كُنْتَ مُقِيمًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ..

﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ تَقْرَأُ عَلَيْهِمْ كِتَابَنَا..

﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [القصص: ٤٥] لَمْ تَشْهَدْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَحْنُ نَفْعَلُ ذَلِكَ وَنُرْسِلُ الرُّسُلَ.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: ٤٦].

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ بِجَانِبِ الْجَبَلِ..

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ مُوسَىٰ ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].. الْآيَةَ..

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لَمْ تَشْهَدْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ فَتَعْلَمَهُ، وَلَكِنَّا عَرَّفْنَاكَهُ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ، فَاقْتَصَصْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكَ فِي كِتَابِنَا، وَابْتَعَثْنَاكَ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ رَسُولًا إِلَىٰ مَنِ ابْتَعَثْنَاكَ إِلَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ، رَحْمَةً مِنَّا لَكَ وَلَهُمْ..

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وَلَكِنْ أَرْسَلْنَاكَ بِهَذَا الْكِتَابِ وَهَذَا الدِّينِ لِتُنْذِرَ قَوْمًا لَمْ يَأْتِهِمْ مِنْ قَبْلِكَ نَذِيرٌ، وَهُمُ الْعَرَبُ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ رَحْمَةً لِيُنْذِرَهُمْ بَأْسَهُ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ، وَإِشْرَاكِهِمْ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: ٤٦] لِيَتَذَكَّرُوا خَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ الْإِقْرَارِ للهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص: ٤٧].

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَقُولَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَيْهِمْ -لَوْ حَلَّ بِهِمْ بَأْسُنَا، أَوْ أَتَاهُمْ عَذَابُنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَاكْتِسَابِهِمُ الْآثَامَ، وَاجْتِرَامِهِمُ الْمَعَاصِي-: رَبَّنَا هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحِلَّ بِنَا سَخَطُكَ، وَيَنْزِلَ بِنَا عَذَابُكَ.. فَالْمُصِيبَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْعَذَابُ وَالنِّقْمَةُ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بِمَا اكْتَسَبُوا..

﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ فَنَتَّبِعَ أَدِلَّتَكَ، وَآيَ كِتَابِكَ الَّذِي تُنَزِّلُهُ عَلَىٰ رَسُولِكَ..

﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص: ٤٧] بِأُلُوهِيَّتِكَ، الْمُصَدِّقِينَ رَسُولَكَ فِيمَا أَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا، لَعَاجَلْنَاهُمُ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ مِنْ قَبْلِ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّا بَعَثْنَاكَ إِلَيْهِمْ نَذِيرًا بَأْسَنَا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [القصص: ٤٨].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾ فَلَمَّا جَاءَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَأْتِهِمْ مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ نَذِيرٌ فَبَعَثْنَاكَ إِلَيْهِمْ نَذِيرًا..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مِنْ عِندِنَا﴾ بِالرِّسَالَةِ مِنَ اللهِ إِلَيْهِمْ..

﴿قَالُواْ﴾ تَمَرُّدًا عَلَىٰ اللهِ، وَتَمَادِيًا فِي الْغَيِّ..

﴿لَوْلَآ أُوتِىَ﴾ هَلَّا أُوتِيَ هَذَا الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْنَا، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ﴾ بْنُ عِمْرَانَ مِنَ الْكِتَابِ؟ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، الْقَائِلِينَ لَكَ ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ﴾..

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾ أَوَ لَمْ يَكْفُرِ الَّذِينَ عَلِمُوا هَذِهِ الْحُجَّةَ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ﴾ بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِكَ؟..

﴿قَالُواْ سِحْرَانِ﴾ وَقَالُوا لِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنَ الْكِتَابِ وَهُوَ التَّوْرَاةُ، وَ لِمَا أُوتِيَ عِيسَىٰ مِنَ الْكِتَابِ وَهُوَ الْإِنْجِيلُ، سِحْرَانِ..

﴿تَظَٰهَرَا﴾ تَعَاوَنَا..

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ..

﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [القصص: ٤٨] إِنَّا بِكُلِّ كِتَابٍ فِي الْأَرْضِ مِنْ تَوْرَاةٍ وَإِنْجِيلٍ وَزَبُورٍ وَفُرْقَانٍ كَافِرُونَ.

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لِلتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ هُمَا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا..

﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ لِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَلِسَبِيلِ الرَّشَادِ..

﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٩] فِي زَعْمِكُمْ أَنَّ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ سِحْرَانِ، وَأَنَّ الْحَقَّ فِي غَيْرِهِمَا.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ فَإِنْ لَمْ يُجِبْكَ -هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ لِلتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾، الزَّاعِمُونَ أَنَّ الْحَقَّ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الْيَهُودِ- يَا مُحَمَّدُ، إِلَىٰ أَنْ يَأْتُوكَ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا..

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وَأَنَّ الَّذِي يَنْطِقُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ فِي الْكِتَابَيْنِ، قَوْلٌ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ، لَا حَقِيقَةَ لَهُ.. وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ يَقُولَ: أَوَ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّ مَا قَالَ الْقَائِلُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ الْإِفْكِ وَالزُّورِ الْمُسَمُّوهُمَا سِحْرَيْنِ بَاطِلٌ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا بِأَنْ لَا يُجِيبُوهُ إِلَىٰ إِتْيَانِهِمْ بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا؟ قِيلَ: هَذَا كَلَامٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَقُولُ لَهُمْ ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: أَوَ لَمْ يَكْفُرْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرُوكُمْ أَنْ تَقُولُوا: هَلَّا أُوتِيَ مُحَمَّدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ، بِالَّذِي أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَيَقُولُوا لِلَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ عِيسَىٰ ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ [القصص: ٤٨]، فَقُولُوا لَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ سِحْرٌ، فَأْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، هُوَ أَهْدَىٰ مِنْ كِتَابَيْهِمَا، فَإِنْ هُمْ لَمْ يُجِيبُوكُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ كَذَبَةٌ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَهْوَاءَ أَنْفُسِهِمْ، وَيَتْرُكُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ..

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ وَمَنْ أَضَلُّ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ، وَسَبِيلِ السَّدَادِ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ بِغَيْرِ بَيَانٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَعَهْدٍ مِنَ اللهِ، وَيَتْرُكُ عَهْدَ اللهِ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ فِي وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠] إِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ وَسَبِيلِ الرُّشْدِ الْقَوْمَ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ وَتَرَكُوا طَاعَتَهُ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَبَدَّلُوا عَهْدَهُ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَ أَنْفُسِهِمْ إِيثَارًا مِنْهُمْ لِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١].

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بَيَّنَّا، وَفَصَّلْنَا.. وَأَصْلُهُ مِنْ: وَصْلِ الْحِبَالِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ.. قَالَ قَتَادَةُ: (وَصَّلَ اللهُ لَهُمُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ، يُخْبِرُهُمْ كَيْفَ صَنَعَ بِمَنْ مَضَىٰ، وَكَيْفَ هُوَ صَانِعٌ).. قَالَ

ابْنُ زَيْدٍ: (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْخَبَرَ، خَبَرَ الدُّنْيَا بِخَبَرِ الْآخِرَةِ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ عَايَنُوا الْآخِرَةَ، وَشَهِدُوهَا فِي الدُّنْيَا، بِمَا نُرِيهِمْ مِنَ الْآيَاتِ فِي الدُّنْيَا وَأَشْبَاهِهَا، وَقَرَأَ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٣]، وَقَالَ: إِنَّا سَوْفَ نُنْجِزُهُمْ مَا وَعَدْنَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَنْجَزْنَا لِلْأَنْبِيَاءِ مَا وَعَدْنَاهُمْ، نَقْضِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ)..

﴿لَهُمُ﴾ لِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ ولِلْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿الْقَوْلَ﴾ بِأَخْبَارِ الْمَاضِينَ، وَالنَّبَأَ عَمَّا أَحْلَلْنَا بِهِمْ مِنْ بَأْسِنَا، إِذْ كَذَّبُوا رُسُلَنَا، وَعَمَّا نَحْنُ فَاعِلُونَ بِمَنِ اقْتَفَىٰ آثَارَهُمْ، وَاحْتَذَىٰ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ مِثَالَهُمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١] لِيَتَذَكَّرُوا فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [القصص: ٥٢].

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِرَسُولِهِ وَصَدَّقُوهُ، فَقَالَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ..

﴿مِن قَبْلِهِ﴾ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿هُم بِهِ﴾ هُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [القصص: ٥٢] فَيُقِرُّونَ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيُكَذِّبُ جَهَلَةُ الْأُمِّيِّينَ، الَّذِينَ لَمْ يَأْتِهِمْ مِنَ اللهِ كِتَابٌ.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٣].

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ يَقُولُونَ صَدَّقْنَا بِهِ..

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾ يَعْنِي: مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا نَزَلَ..

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِ نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٣] وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَ مَجِيءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِي كُتُبِهِمْ صِفَةُ مُحَمَّدٍ وَنَعْتُهُ، فَكَانُوا بِهِ وَبِمَبْعَثِهِ وَبِكِتَابِهِ مُصَدِّقِينَ قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ، فَلِذَلِكَ قَالُوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾ [القصص: ٥٤].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ..

﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم﴾ يُؤْتَوْنَ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ..

﴿مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ وَعَدَهُمْ مَا وَعَدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، بِصَبْرِهِمْ عَلَىٰ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَاتِّبَاعِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَصَبْرِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وابنِ زَيدٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ وَعَدَهُمْ بِصَبْرِهِمْ بِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، وَبِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ حِينَ بُعِثَ..

﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ وَيَدْفَعُونَ..

﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بِحَسَنَاتِ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا..

﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ سَيِّئَاتِهِمْ..

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ..

﴿يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾ [القصص: ٥٤] فِي طَاعَةِ اللهِ، إِمَّا فِي جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِمَّا فِي صَدَقَةٍ عَلَىٰ مُحْتَاجٍ، أَوْ فِي صِلَةِ رَحِمٍ.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص: ٥٥].

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ..

﴿ٱللَّغْوَ﴾ وَهُوَ الْبَاطِلُ مِنَ الْقَوْلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِاللَّغْوِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلْحَقُوهُ فِي كِتَابِ اللهِ، مِمَّا لَيْسَ هُوَ مِنْهُ..

﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ لَمْ يَصْغُوا إِلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَمِعُوهُ..

﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ قَدْ رَضِينَا بِهَا لِأَنْفُسِنَا..

﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ قَدْ رَضِيتُمْ بِهَا لِأَنفُسِكُمْ.. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللَّغْوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِنَّمَا هُوَ سَمَاعُ الْقَوْمِ مِمَّنْ يُؤْذِيهِمْ بِالْقَوْلِ مَا يَكْرَهُونَ مِنْهُ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَجَابُوهُمْ بِالْجَمِيلِ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَمَنَةٌ لَكُمْ مِنَّا أَنْ نُسَابَّكُمْ، أَوْ تَسْمَعُوا مِنَّا مَا لَا تُحِبُّونَ..

﴿لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص: ٥٥] لَا نُرِيدُ مُحَاوَرَةَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَمُسَابَّتَهُمْ.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

﴿إِنَّكَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هِدَايَتَهُ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أَنْ يَهْدِيَهُ مِنْ خَلْقِهِ، بِتَوْفِيقِهِ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ.. وَلَوْ قِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَهُ، لِقَرَابَتِهِ مِنْكَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، كَانَ مَذْهَبًا..

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦] وَاللهُ أَعْلَمُ مَنْ سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَهْتَدِي لِلرَّشَادِ، ذَلِكَ الَّذِي يَهْدِيهِ اللهُ فَيُسَدِّدُهُ وَيُوَفِّقُهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ امْتِنَاعِ أَبِي طَالِبٍ عَمِّهِ مِنْ إِجَابَتِهِ، إِذْ دَعَاهُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ، إِلَىٰ مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ عِنْدَ الْمَوْتِ: «**قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ لَأَقْرَرْتُ عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الْآيَةَ.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص: ٥٧].

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ وَقَالَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ..

﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ إِنْ نَتَّبِعِ الْحَقَّ الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ مَعَكَ، وَنَتَبَرَّأْ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ..

﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ يَتَخَطَّفُنَا النَّاسُ مِنْ أَرْضِنَا بِإِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ خِلَافِنَا وَحَرْبِنَا، يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ: فَقُلْ..

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ﴾ أَوَ لَمْ نُوَطِّئْ لَهُمْ..

﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ بَلَدًا حَرَّمْنَا عَلَىٰ النَّاسِ سَفْكَ الدِّمَاءِ فِيهِ، وَمَنَعْنَاهُمْ مِنْ أَنْ يَتَنَاوَلُوا سُكَّانَهُ فِيهِ بِسُوءٍ، وَأَمَّنَّا عَلَىٰ أَهْلِهِ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِهَا غَارَةٌ، أَوْ قَتْلٌ، أَوْ سِبَاءٌ..

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يُجْمَعُ إِلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ، إِذَا جَمَعْتَهُ فِيهِ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ: يُحْمَلُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ بَلَدٍ..

﴿رِّزْقًا﴾ وَرِزْقًا رَزَقْنَاهُمْ..

﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ لِرَسُولِ اللهِ: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [القصص: ٥٧] أَنَّا نَحْنُ الَّذِينَ مَكَّنَّا لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا، وَرَزَقْنَاهُمْ فِيهِ، وَجَعَلْنَا الثَّمَرَاتِ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ تُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ بِجَهْلِهِمْ بِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ يَكْفُرُونَ، لَا يَشْكُرُونَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝٥٨﴾ [القصص: ٥٨].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ أَبْطَرَتْهَا مَعِيشَتُهَا، فَبَطِرَتْ، وَأَشِرَتْ، وَطَغَتْ، فَكَفَرَتْ رَبَّهَا..

﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ فَتِلْكَ دُورُ الْقَوْمِ -الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ- وَمَنَازِلُهُمْ..

﴿لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ﴾ خَرِبَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَلَمْ يَعْمَرْ مِنْهَا..

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مِنْهَا، وَأَكْثَرُهَا خَرَابٌ، كَمَا يُقَالُ: قَضَيْتُ حَقَّكَ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ..

﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝٥٨﴾ [القصص: ٥٨] وَلَمْ يَكُنْ لِمَا خَرَّبْنَا مِنْ مَسَاكِنِهِمْ مِنْهُمْ وَارِثٌ، وَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ سُكْنَاهُمْ فِيهَا، لَا مَالِكَ لَهَا إِلَّا اللهُ، الَّذِي لَهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝٥٩﴾ [القصص: ٥٩].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ الَّتِي حَوَالَيْ مَكَّةَ فِي زَمَانِكَ وَعَصْرِكَ..

﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي مَكَّةَ، وَهِيَ أُمُّ الْقُرَىٰ..

﴿رَسُولًا﴾ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ كِتَابِنَا..

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝٥٩﴾ [القصص: ٥٩] وَلَمْ نَكُنْ لِنُهْلِكَ قَرْيَةً وَهِيَ بِاللهِ مُؤْمِنَةٌ، إِنَّمَا نُهْلِكُهَا بِظُلْمِهَا أَنْفُسَهَا بِكُفْرِهَا بِاللهِ، وَإِنَّمَا أَهْلَكْنَا أَهْلَ مَكَّةَ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ.

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٠﴾ [القصص: ٦٠].

﴿وَمَا أُوتِيتُم﴾ وَمَا أُعْطِيتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِن شَيْءٍ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ..

﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ فَإِنَّمَا هُوَ مَتَاعٌ تَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ مِنْ زِينَتِهَا الَّتِي يُتَزَيَّنُ بِهِ فِيهَا، لَا يُغْنِي عَنْكُمْ عِنْدَ اللهِ شَيْئًا، وَلَا يَنْفَعُكُمْ شَيْءٌ مِنْهُ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ..

﴿خَيۡرٞ﴾ مِمَّا أُوتِيتُمُوهُ أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعِهَا وَزِينَتِهَا..

﴿وَأَبۡقَىٰٓۚ﴾ لِأَهْلِهِ؛ لِأَنَّهُ دَائِمٌ لَا نَفَادَ لَهُ..

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ [القصص: ٦٠] أَفَلَا عُقُولَ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ تَتَدَبَّرُونَ بِهَا فَتَعْرِفُونَ بِهَا الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَتَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرَ الْمَنْزِلَتَيْنِ عَلَىٰ شَرِّهِمَا، وَتُؤْثِرُونَ الدَّائِمَ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ مِنَ النَّعِيمِ، عَلَىٰ الْفَانِي الَّذِي لَا بَقَاءَ لَهُ.

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾ [القصص: ٦١].

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ﴾ مِنْ خَلْقِنَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّانَا..

﴿وَعۡدًا حَسَنٗا﴾ يَعْنِي: الْجَنَّةَ، فَآمَنَ بِمَا وَعَدْنَاهُ وَصَدَّقَ وَأَطَاعَنَا، فَاسْتَحَقَّ بِطَاعَتِهِ إِيَّانَا أَنْ نُنْجِزَ لَهُ مَا وَعَدْنَا..

﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ فَهُوَ لَاقٍ مَا وُعِدَ، وَصَائِرٌ إِلَيْهِ..

﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَتَاعَهَا، فَتَمَتَّعَ بِهِ، وَنَسِيَ الْعَمَلَ بِمَا وَعَدْنَا أَهْلَ الطَّاعَةِ، وَتَرَكَ طَلَبَهُ، وَآثَرَ لَذَّةً عَاجِلَةً عَلَىٰ آجِلَةٍ..

﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ إِذَا وَرَدَ عَلَىٰ اللهِ..

﴿مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾ [القصص: ٦١] مِنَ الْمُشْهَدِينَ عَذَابَ اللهِ، وَأَلِيمَ عِقَابِهِ.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢﴾ [القصص: ٦٢].

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ وَيَوْمَ يُنَادِي رَبُّ الْعِزَّةِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِهِ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَيَقُولُ﴾ لَهُمْ..

﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢﴾ [القصص: ٦٢] أَنَّهُمْ لِي فِي الدُّنْيَا شُرَكَاءُ؟

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣﴾ [القصص: ٦٣].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ قَالَ الَّذِينَ وَجَبَ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللهِ وَلَعْنَتُهُ، وَهُمُ الشَّيَاطِينُ

الَّذِينَ كَانُوا يُغْوُونَ بَنِي آدَمَ..

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ تبرَّأْنَا مِنْ وَلَايَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ إِلَيْكَ..

﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣﴾ [القصص: ٦٣] لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَنَا.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ۝٦٤﴾ [القصص: ٦٤].

﴿وَقِيلَ﴾ لِلْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ فِي الدُّنْيَا..

﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ فَلَمْ يُجِيبُوهُمْ..

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ وَعَايَنُوا الْعَذَابَ..

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ۝٦٤﴾ [القصص: ٦٤] فَوَدُّوا حِينَ رَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُهْتَدِينَ لِلْحَقِّ.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ وَيَوْمَ يُنَادِي اللهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿فَيَقُولُ﴾ لَهُمْ..

﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥] فِيمَا أَرْسَلْنَاهُمْ بِهِ إِلَيْكُمْ، مِنْ دُعَائِكُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِنَا، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ [القصص: ٦٦].

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ فَخَفِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَخْبَارُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ عَمِيَ عَنِّي خَبَرُ الْقَوْمِ: إِذَا خَفِيَ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَحْتَجُّونَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ كَانَ أَبْلَغَ إِلَيْهِمْ فِي الْمَعْذِرَةِ، وَتَابَعَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ يَحْتَجُّونَ بِهَا، وَلَا خَبَرٌ يُخْبِرُونَ بِهِ، مِمَّا تَكُونُ لَهُمْ بِهِ نَجَاةٌ وَمَخْلَصٌ..

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ [القصص: ٦٦] بِالْأَنْسَابِ وَالْقَرَابَةِ.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧﴾ [القصص: ٦٧].

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنَابَ وَرَاجَعَ الْحَقَّ، وَأَخْلَصَ للهِ الْأُلُوهَةَ، وَأَفْرَدَ لَهُ الْعِبَادَةَ،

فَلَمْ يُشْرِكْ فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا..

﴿وَءَامَنَ﴾ وَصَدَّقَ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِعَمَلِهِ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧﴾ [القصص: ٦٧] فَهُوَ مِنَ الْمُنْجِحِينَ الْمُدْرِكِينَ طَلِبَتَهُمْ عِنْدَ اللهِ، الْخَالِدِينَ فِي جِنَانِهِ، وَعَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبٌ.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ [القصص: ٦٨].

﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أَنْ يَخْلُقَهُ..

﴿وَيَخْتَارُ﴾ لِوَلَايَتِهِ، وَلِلْهِدَايَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ السَّعَادَةُ، الَّذِي هُوَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنَّهُ خِيَرَتُهُمْ، نَظِيرَ مَا كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ خِيَارُ أَمْوَالِهِمْ، فَكَذَلِكَ اخْتِيَارِي لِنَفْسِي، وَاجْتِبَائِي لِوَلَايَتِي، وَاصْطِفَائِي لِخِدْمَتِي وَطَاعَتِي، خِيَارَ مَمْلَكَتِي وَخَلْقِي؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ يَخْتَارُونَ أَمْوَالَهُمْ، فَيَجْعَلُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ أَنْ يَخْلُقَهُ، وَيَخْتَارُ لِلْهِدَايَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تَنْزِيهًا للهِ وَتَبْرِئَةً لَهُ..

﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ وَعُلُوًّا..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ [القصص: ٦٨] عَمَّا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَا تَخَرَّصُوهُ مِنَ الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ عَلَيْهِ.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾ [القصص: ٦٩].

﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ يَعْلَمُ مَا تُخْفِي صُدُورُ خَلْقِهِ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾ [القصص: ٦٩] وَمَا يُبْدُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ اخْتِيَارَ مَنْ يَخْتَارُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِسَرَائِرِ أُمُورِهِمْ وَبَوَادِيهَا، وَإِنَّهُ يَخْتَارُ لِلْخَيْرِ أَهْلَهُ، فَيُوَفِّقُهُمْ لَهُ، وَيُوَلِّي الشَّرَّ أَهْلَهُ، وَيُخَلِّيهِمْ وَإِيَّاهُ.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص: ٧٠].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ الْمَعْبُودُ..

﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا مَعْبُودَ تَجُوزُ عِبَادَتُهُ غَيْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ وَلَهُ الْقَضَاءُ بَيْنَ خَلْقِهِ..

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص: ٧٠] وَإِلَيْهِ تُرَدُّونَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، فَيَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْحَقِّ.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١﴾ [القصص: ٧١].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ: أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا﴾ دَائِمًا لَا نَهَارَ يَعْقُبُهُ..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ﴾ مَنْ مَعْبُودٌ غَيْرُ الْمَعْبُودِ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءِ النَّهَارِ، فَتَسْتَضِيئُونَ بِهِ..

﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١﴾ [القصص: ٧١] أَفَلَا تَرْعُونَ ذَلِكَ سَمْعَكُمْ، وَتُفَكِّرُونَ فِيهِ فَتَتَّعِظُونَ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الَّذِي يَأْتِي بِاللَّيْلِ وَيَذْهَبُ بِالنَّهَارِ إِذَا شَاءَ، وَإِذَا شَاءَ أَتَى بِالنَّهَارِ وَذَهَبَ بِاللَّيْلِ، فَيُنْعِمُ بِاخْتِلَافِهِمَا كَذَلِكَ عَلَيْكُمْ.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢﴾ [القصص: ٧٢].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا﴾ دَائِمًا لَا لَيْلَ مَعَهُ أَبَدًا..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ مَنْ مَعْبُودٌ غَيْرُ الْمَعْبُودِ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ﴾ فَتَسْتَقِرُّونَ وَتَهْدَءُونَ فِيهِ..

﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢﴾ [القصص: ٧٢] أَفَلَا تَرَوْنَ بِأَبْصَارِكُمُ اخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَيْكُمْ، رَحْمَةً مِنَ اللهِ لَكُمْ، وَحُجَّةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ، فَتَعْلَمُوا بِذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ

بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ، وَلِمَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي خَالَفَ بِهَا بَيْنَ ذَلِكَ.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ [القصص: ٧٣].

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ فَخَالَفَ بَيْنَهُمَا، فَجَعَلَ هَذَا اللَّيْلَ ظَلَامًا..

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ وَتَهْدَءُوا وَتَسْتَقِرُّوا لِرَاحَةِ أَبْدَانِكُمْ فِيهِ مِنْ تَعَبِ التَّصَرُّفِ الَّذِي تَتَصَرَّفُونَ نَهَارًا لِمَعَايِشِكُمْ..

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ [القصص: ٧٣] وَلِتَشْكُرُوهُ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ، فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ لِتُفْرِدُوهُ بِالشُّكْرِ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْحَمْدَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُشْرِكْهُ فِي إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ شَرِيكٌ، فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْحَمْدِ عَلَيْهِ.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٧٤﴾ [القصص: ٧٤].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ وَيَوْمَ يُنَادِي رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿فَيَقُولُ﴾ لَهُمْ..

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٧٤﴾ [القصص: ٧٤] أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ شُرَكَائِي.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٧٥﴾ [القصص: ٧٥].

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وَأَحْضَرْنَا مِنْ كُلِّ جَمَاعَةٍ شَهِيدَهَا وَهُوَ نَبِيُّهَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا إِجَابَتْهُ أُمَّتُهُ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ عَنِ اللهِ مِنَ الرِّسَالَةِ.. وَقِيلَ: وَنَزَعْنَا مِنْ قَوْلِهِ: نَزَعَ فُلَانٌ بِحُجَّةِ كَذَا، بِمَعْنَىٰ: أَحْضَرَهَا وَأَخْرَجَهَا..

﴿فَقُلْنَا﴾ لِأُمَّةِ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْهُمُ الَّتِي رَدَّتْ نَصِيحَتَهُ، وَكَذَّبَتْ بِمَا جَاءَهَا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، إِذْ شَهِدَ نَبِيُّهَا عَلَيْهَا بِإِبْلَاغِهِ إِيَّاهَا رِسَالَةَ اللهِ..

﴿هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ هَاتُوا حُجَّتَكُمْ عَلَىٰ إِشْرَاكِكُمْ بِاللهِ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مَعَ إِعْذَارِ اللهِ إِلَيْكُمْ بِالرُّسُلِ وَإِقَامَتِهِ عَلَيْكُمْ بِالْحُجَجِ..

﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ فَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ للهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الْحَقَّ للهِ وَالصِّدْقَ خَبَرُهُ، فَأَيْقَنُوا بِعَذَابٍ مِنَ اللهِ لَهُمْ دَائِمٌ..

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٧٥﴾ [القصص: ٧٥] وَاضْمَحَلَّ فَذَهَبَ الَّذِي كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا كَانُوا يَتَخَرَّصُونَ وَيَكْذِبُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ هُنَالِكَ، بَلْ ضَرَّهُمْ وَأَصْلَاهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ.

﴿*إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص: ٧٦].

﴿*إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كَانَ مِنْ عَشِيرَةِ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ..

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فَتَجَاوَزَ حَدَّهُ فِي الْكِبْرِ وَالتَّجَبُّرِ عَلَيْهِمْ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: كَانَ بَغْيُهُ عَلَيْهِمْ زِيَادَةَ شِبْرٍ أَخَذَهَا فِي طُولِ ثِيَابِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ بَغْيُهُ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ مَالِهِ..

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ وَآتَيْنَا قَارُونَ..

﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ مِنْ كُنُوزِ الْأَمْوَالِ..

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ وَهِيَ جَمْعُ مِفْتَحٍ، وَهُوَ الَّذِي يُفْتَحُ بِهِ الْأَبْوَابُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِالْمَفَاتِحِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْخَزَائِنَ..

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ لَتُثْقِلَ الْعُصْبَةَ، وَالْعُصْبَةُ: الْجَمَاعَةُ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ مَفَاتِحُهُ تَنُوءُ بِعُصْبَةٍ مَبْلَغُ عَدَدِهَا أَرْبَعُونَ رَجُلًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: سِتُّونَ، وَقَالَ: كَانَتْ مَفَاتِحُهُ تُحْمَلُ عَلَىٰ سِتِّينَ بَغْلًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ تُحْمَلُ عَلَىٰ مَا بَيْنَ ثَلَاثَةٍ إِلَىٰ عَشَرَةٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ تُحْمَلُ مَا بَيْنَ عَشَرَةٍ إِلَىٰ خَمْسَةَ عَشَرَ..

﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ أُولِي الشِّدَّةِ..

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ لَا تَبْغِ وَلَا تَبْطَرْ فَرِحًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص: ٧٦] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مِنْ خَلْقِهِ الْأَشِرِينَ الْبَطِرِينَ.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص: ٧٧].

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ قَوْمِ قَارُونَ لَهُ: لَا تَبْغِ يَا قَارُونُ عَلَىٰ قَوْمِكَ بِكَثْرَةِ مَالِكَ، وَالْتَمِسْ فِيمَا آتَاكَ اللهُ مِنَ الْأَمْوَالِ خَيْرَاتِ الْآخِرَةِ بِالْعَمَلِ فِيهَا بِطَاعَةِ اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ وَلَا تَتْرُكْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ مِنَ الدُّنْيَا، أَنْ تَأْخُذَ فِيهَا بِنَصِيبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ، فَتَعْمَلَ فِيهِ بِمَا يُنْجِيكَ غَدًا مِنْ عِقَابِ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تَتْرُكْ أَنْ تَطْلُبَ فِيهَا حَظَّكَ مِنَ الرِّزْقِ..

﴿وَأَحْسِن﴾ فِي الدُّنْيَا إِنْفَاقَ مَالِكَ الَّذِي آتَاكَهُ اللهُ، فِي وُجُوهِهِ وَسُبُلِهِ..

﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فَوَسَّعَ عَلَيْكَ مِنْهُ، وَبَسَطَ لَكَ فِيهَا..

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَلَا تَلْتَمِسْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ مِنَ الْبَغْيِ عَلَىٰ قَوْمِكَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص: ٧٧] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ بُغَاةَ الْبَغْيِ وَالْمَعَاصِي.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٧٨﴾ [القصص: ٧٨].

﴿قَالَ﴾ قَارُونُ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ وَعَظُوهُ..

﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ إِنَّمَا أُوتِيتُ هَذِهِ الْكُنُوزَ..

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ عَلَىٰ فَضْلِ عِلْمٍ عِنْدِي، عَلِمَهُ اللهُ مِنِّي، فَرَضِيَ بِذَلِكَ عَنِّي، وَفَضَّلَنِي بِهَذَا الْمَالِ عَلَيْكُمْ، لِعِلْمِهِ بِفَضْلِي عَلَيْكُمْ..

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ قَارُونُ حِينَ زَعَمَ أَنَّهُ أُوتِيَ الْكُنُوزَ لِفَضْلِ عِلْمٍ عِنْدَهُ عَلِمْتُهُ أَنَا مِنْهُ، فَاسْتَحَقَّ بِذَلِكَ أَنْ يُؤْتَىٰ مَا أُوتِيَ مِنَ الْكُنُوزِ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْأُمَمِ..

﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ بَطْشًا..

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ لِلْأَمْوَالِ؛ وَلَوْ كَانَ اللهُ يُؤْتِي الْأَمْوَالَ مَنْ يُؤْتِيَهُ لِفَضْلٍ فِيهِ وَخَيْرٍ عِنْدَهُ، وَلِرِضَاهُ عَنْهُ، لَمْ يَكُنْ يَهْلِكُ مَنْ أَهْلَكَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ الَّذِينَ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُ مَالًا؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ اللهُ عَنْهُ رَاضِيًا فَمُحَالٌ أَنْ يُهْلِكَهُ اللهُ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَإِنَّمَا يُهْلِكُ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ سَاخِطًا..

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٧٨﴾ [القصص: ٧٨] قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.. وَقِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩﴾ [القصص: ٧٩].

﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونُ..

﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ وَهِيَ فِيمَا ذُكِرَ ثِيَابُ الْأُرْجُوَانِ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ قَوْمِ قَارُونَ..

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ يَا لَيْتَنَا أُعْطِينَا مِثْلَ مَا أُعْطِيَ قَارُونُ مِنْ زِينَتِهَا..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ قَارُونَ..

﴿لَذُو حَظٍّ﴾ لَذُو نَصِيبٍ..

﴿عَظِيمٍ ۝٧٩﴾ [القصص: ٧٩] مِنَ الدُّنْيَا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝٨٠﴾ [القصص: ٨٠].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بِاللهِ، حِينَ رَأَوْا قَارُونَ خَارِجًا عَلَيْهِمْ فِي زِينَتِهِ، لِلَّذِينَ قَالُوا ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾..

﴿وَيْلَكُمْ﴾ اتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُوهُ، فَـ..

﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ وَجَزَاؤُهُ..

﴿خَيْرٌ﴾ مِمَّا أُوتِيَ قَارُونُ مِنْ زِينَتِهِ وَمَالِهِ..

﴿لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ بِهِ وَبِرُسُلِهِ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَعَمِلَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ وَلَا يُوَفَّقُ لِقِيلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾..

﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝٨٠﴾ [القصص: ٨٠] الَّذِينَ صَبَرُوا عَنْ طَلَبِ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَآثَرُوا مَا عِنْدَ اللهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ عَلَىٰ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ، عَلَىٰ لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، فَجَدُّوا فِي طَاعَةِ اللهِ، وَرَفَضُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١﴾ [القصص: ٨١].

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ فَخَسَفْنَا بِقَارُونَ، وَأَهْلِ دَارِهِ، وَقِيلَ: ﴿وَبِدَارِهِ﴾؛ لِأَنَّهُ ذُكِرَ أَنَّ مُوسَىٰ إِذْ أَمَرَ الْأَرْضَ أَنْ تَأْخُذَهُ، أَمَرَهَا بِأَخْذِهِ وَأَخْذِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ جُلَسَائِهِ فِي دَارِهِ، وَكَانُوا جَمَاعَةً جُلُوسًا مَعَهُ، وَهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ مِنَ النِّفَاقِ وَالْمُؤَازَرَةِ عَلَىٰ أَذَىٰ مُوسَىٰ..

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ جُنْدٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ، وَلَا فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ لمَّا نَزَلَ بِهِ مِنْ اللهِ سَخَطُهُ، بَلْ تَبَرَّءُوا مِنْهُ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْفِئَةِ فِيمَا مَضَىٰ وَأَنَّهَا الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، وَأَصْلُهَا الْجَمَاعَةُ الَّتِي يُفِيءُ إِلَيْهَا الرَّجُلُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ، لِلْعَوْنِ عَلَىٰ الْعَدُوِّ، ثُمَّ تَسْتَعْمِلَ ذَلِكَ الْعَرَبُ فِي كُلِّ جَمَاعَةٍ كَانَتْ عَوْنًا لِلرَّجُلِ، وَظَهْرًا لَهُ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١] وَلَا كَانَ هُوَ مِمَّنْ يَنْتَصِرُ مِنَ اللهِ إِذَا أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ، فَيَمْتَنِعُ لِقُوَّتِهِ مِنْهَا.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨٢].

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَ قَارُونَ وَمَوْضِعَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَغِنَاهُ وَكَثْرَةِ مَالِهِ، وَمَا بُسِطَ لَهُ مِنْهَا..

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ يَعْنِي قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ مَا نَزَلَ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَعِقَابِهِ..

﴿يَقُولُونَ﴾ لَمَّا عَايَنُوا مَا أَحَلَّ اللهُ بِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ..

﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أَلَمْ تَرَ يَا هَذَا أَنَّ اللهَ..

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ فَيُوسِّعُ عَلَيْهِ، لَا لِفَضْلِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ، وَلَا لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، كَمَا كَانَ بَسَطَ مِنْ ذَلِكَ لِقَارُونَ، لَا لِفَضْلِهِ وَلَا لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ..

﴿وَيَقْدِرُ ۖ﴾ وَيُضَيِّقُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ذَلِكَ، وَيُقْتِرُ عَلَيْهِ، لَا لِهَوَانِهِ، وَلَا لِسُخْطِهِ عَمَلَهُ..

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ لَوْلَا أَنْ تَفَضَّلَ عَلَيْنَا، فَصَرَفَ عَنَّا مَا كُنَّا نَتَمَنَّاهُ بِالْأَمْسِ..

﴿لَخَسَفَ بِنَا ۖ﴾ لَخَسَفَ اللهُ بِنَا..

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ..

﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨٢] فَتُنْجِحَ طَلِبَاتُهُمْ.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُ نَعِيمَهَا..

﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ تَكَبُّرًا عَنِ الْحَقِّ فِي الْأَرْضِ وَتَجَبُّرًا عَنْهُ..

﴿وَلَا فَسَادًا ۚ﴾ وَلَا ظُلْمَ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَعَمَلًا بِمَعَاصِي اللهِ فِيهَا..

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص: ٨٣] وَالْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا مَعَاصِيَ اللهِ، وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٨٤﴾ [القصص: ٨٤].

﴿مَن جَآءَ﴾ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بِإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ..

﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ وَذَلِكَ الْخَيْرُ هُوَ الْجَنَّةُ وَالنَّعِيمُ الدَّائِمُ..

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ..

﴿فَلَا يُجْزَى﴾ فَلَا يُثَابُ..

﴿ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ..

﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٨٤﴾ [القصص: ٨٤] إِلَّا جَزَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٨٥﴾ [القصص: ٨٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ..

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ لَرَادُّكَ إِلَىٰ عَادَتِكَ مِنَ الْمَوْتِ، أَوْ إِلَىٰ عَادَتِكَ حَيْثُ وُلِدْتَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعَادَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَفْعَلُ مِنَ الْعَادَةِ، لَيْسَ مِنَ الْعَوْدِ.. إِلَّا أَنْ يُوَجِّهَ مُوَجِّهٌ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ: ﴿لَرَآدُّكَ﴾ لَمُصَيِّرُكَ، فَيَتَوَجَّهُ حِينَئِذٍ قَوْلُهُ ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْعَوْدِ، وَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَمُصَيِّرُكَ إِلَىٰ أَنْ تَعُودَ إِلَىٰ مَكَّةَ مَفْتُوحَةً لَكَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَذِهِ الْوُجُوهُ الَّتِي وَصَفْتَ فِي ذَلِكَ قَدْ فَهِمْنَاهَا، فَمَا وَجْهُ تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَىٰ: لَرَادُّكَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ؟ قِيلَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَجْهُ تَأْوِيلِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ الْآخَرِ، وَهُوَ لَمُصَيِّرُكَ إِلَىٰ أَنْ تَعُودَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَكَانَ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: نَحْنُ نُعِيدُكَ إِلَيْهَا؟ قِيلَ: لِذَلِكَ وَجْهَانِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَبُوهُ آدَمُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا أُخْرِجَ مِنْهَا، فَكَأَنَّ وَلَدَهُ بِإِخْرَاجِ اللهِ إِيَّاهُ مِنْهَا، قَدْ أُخْرِجُوا مِنْهَا، فَمَنْ دَخَلَهَا فَكَأَنَّمَا يُرَدُّ إِلَيْهَا بَعْدَ الْخُرُوجِ، **وَالثَّانِي** أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَانَ ﷺ دَخَلَهَا لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، كَمَا رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**»، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ رُدَّ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَيُقَالُ لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ﴾ لَمُصَيِّرُكَ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَىٰ أَنْ

تَعُودَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ نَجَا..

﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ﴾ وَمَنْ هُوَ فِي جَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: ٨٥] يَعْنِي أَنَّهُ يُبِينُ لِلْمُفَكِّرِ الْفَهِمِ إِذَا تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ، أَنَّهُ ضَلَالٌ وَجَوْرٌ عَنِ الْهُدَىٰ.

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [القصص: ٨٦].

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ، فَتَعْلَمَ الْأَنْبَاءَ وَالْأَخْبَارَ عَنِ الْمَاضِينَ قَبْلَكَ، وَالْحَادِثَةِ بَعْدَكَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ، مِمَّا لَمْ تَشْهَدْهُ وَلَا تَشْهَدُهُ، ثُمَّ تَتْلُو ذَلِكَ عَلَىٰ قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ﴾ إِلَّا أَنَّ رَبَّكَ رَحِمَكَ، فَأَنْزَلَهُ عَلَيْكَ..

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [القصص: ٨٦] فَاحْمَدْ رَبَّكَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِهِ إِيَّاكَ، بِإِنْزَالِهِ عَلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ، وَلَا تَكُونَنَّ عَوْنًا لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّكَ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: ٨٧].

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ وَلَا يَصْرِفُنَّكَ..

﴿عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ عَنْ تَبْلِيغِ آيَاتِ اللهِ وَحُجَجِهِ..

﴿بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ﴾ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَهَا إِلَيْكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ﴾ [القصص: ٤٨]..

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ وَبَلِّغْ رِسَالَتَهُ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلَكَ إِلَيْهِ بِهَا..

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: ٨٧] وَلَا تَتْرُكَنَّ الدُّعَاءَ إِلَىٰ رَبِّكَ، وَتَبْلِيغَ الْمُشْرِكِينَ رِسَالَتَهُ، فَتَكُونَ مِمَّنْ فَعَلَ فِعْلَ الْمُشْرِكِينَ بِمَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ، وَخِلَافِهِ أَمْرَهُ.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾ [القصص: ٨٨].

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ وَلَا تَعْبُدْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ مَعَ مَعْبُودِكَ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مَعْبُودًا آخَرَ سِوَاهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ إِلَّا اللهُ..

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا هُوَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ..

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ بَيْنَ خَلْقِهِ دُونَ غَيْرِهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرُهُ مَعَهُ فِيهِمْ حُكْمٌ..

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾ [القصص: ٨٨] وَإِلَيْهِ تُرَدُّونَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، فَيَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ، فَيُجَازِي مُؤْمِنِيكُمْ جَزَاءَهُمْ، وَكُفَّارَكُمْ مَا وَعَدَهُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقَصَصِ



سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ (٢٩)
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَستونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ①﴾ [العنكبوت: ١].

﴿الٓمٓ ①﴾ [العنكبوت: ١] قَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿الٓمٓ ①﴾، وَذَكَرْنَا أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ②﴾ [العنكبوت: ٢].

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ أَظَنَّ الَّذِينَ خَرَجُوا يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَصْحَابِكَ مِنْ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُمْ..

﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ②﴾ [العنكبوت: ٢] أَنْ نَتْرُكَهُمْ بِغَيْرِ اخْتِبَارٍ، وَلَا ابْتِلَاءِ امْتِحَانٍ، بِأَنْ قَالُوا: آمَنَّا بِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا جِئْتَنَا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَلَّا، لَنَخْتَبِرَنَّهُمْ، لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنْهُمْ مِنَ الْكَاذِبِ.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ③﴾ [العنكبوت: ٣].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ﴾ وَلَقَدِ اخْتَبَرْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، مِمَّنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلَنَا، فَقَالُوا مِثْلَ مَا قَالَتْهُ أُمَّتُكَ يَا مُحَمَّدُ بِأَعْدَائِهِمْ، وَتَمْكِينِنَا إِيَّاهُمْ مِنْ أَذَاهُمْ، كَمُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَابْتَلَيْنَاهُمْ بِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ، وَكَعِيسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَابْتَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَهُ بِمَنْ تَوَلَّىٰ عَنْهُ، فَكَذَلِكَ ابْتَلَيْنَا أَتْبَاعَكَ بِمُخَالِفِيكَ مِنْ أَعْدَائِكَ..

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ مِنْهُمْ فِي قِيلِهِمْ آمَنَّا..

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ③﴾ [العنكبوت: ٣] مِنْهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَاللهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ مِنْهُمْ قَبْلَ الِاخْتِبَارِ، وَفِي حَالِ الِاخْتِبَارِ، وَبَعْدَ الِاخْتِبَارِ، وَلَكِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَيُظْهِرَنَّ اللهُ صِدْقَ الصَّادِقِ مِنْهُمْ فِي قِيلِهِ (آمَنَّا بِاللهِ) مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ مِنْهُمْ، بِابْتِلَائِهِ إِيَّاهُ بِعَدُوِّهِ، لِيَعْلَمَ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ أَوْلِيَاؤُهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَذَّبَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَفُتِنَ بَعْضُهُمْ، وَصَبَرَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ أَذَاهُمْ حَتَّىٰ أَتَاهُمُ اللهُ بِفَرَجٍ مِنْ عِنْدِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ قَوْمٍ كَانُوا قَدْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِمَكَّةَ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْهِجْرَةِ، وَالْفِتْنَةِ الَّتِي فُتِنَ بِهَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ -

عَلَىٰ مَقَالَةِ هَؤُلَاءِ- هِيَ الْهِجْرَةُ الَّتِي امْتُحِنُوا بِهَا.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤﴾ [العنكبوت: ٤].

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ..

﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ أَنْ يُعْجِزُونَا، فَيَفُوتُونَا بِأَنْفُسِهِمْ، فَلَا نَقْدِرَ عَلَيْهِمْ فَنَنْتَقِمَ مِنْهُمْ لِشِرْكِهِمْ بِاللهِ؟..

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤﴾ [العنكبوت: ٤] سَاءَ حُكْمُهُمُ الَّذِي يَحْكُمُونَ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ يَسْبِقُونَنَا بِأَنْفُسِهِمْ.

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥﴾ [العنكبوت: ٥].

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ يَوْمَ لِقَائِهِ، وَيَطْمَعُ فِي ثَوَابِهِ..

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي أَجَّلَهُ لِبَعْثِ خَلْقِهِ لِلْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ..

﴿لَأٓتٖۚ﴾ قَرِيبًا..

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ الَّذِي يَرْجُو هَذَا الرَّاجِي بِلِقَائِهِ ثَوَابَهُ..

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لِقَوْلِهِ: آمَنَّا بِاللهِ..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ۝٥﴾ [العنكبوت: ٥] بِصِدْقِ قِيلِهِ إِنَّهُ قَدْ آمَنَ مِنْ كَذِبِهِ فِيهِ.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت: ٦].

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ عَدُوَّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ لِأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ مِنَ اللهِ عَلَىٰ جِهَادِهِ، وَالْهَرَبِ مِنَ الْعِقَابِ، فَلَيْسَ بِاللهِ إِلَىٰ فِعْلِهِ ذَلِكَ حَاجَةٌ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت: ٦] وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَهُ الْمُلْكُ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧﴾ [العنكبوت: ٧].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَصَحَّ إِيمَانُهُمْ عِنْدَ ابْتِلَاءِ اللهِ إِيَّاهُمْ وَفِتْنَتِهِ لَهُمْ، وَلَمْ يَرْتَدُّوا عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِأَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُمْ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ فِي شِرْكِهِمْ..

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ وَلَنُثِيبَنَّهُمْ عَلَىٰ صَالِحَاتِ أَعْمَالِهِمْ فِي إِسْلَامِهِمْ..

﴿أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [العنكبوت: ٧] فِي حَالِ شِرْكِهِمْ مَعَ تَكْفِيرِنَا سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [العنكبوت: ٨].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ﴾ فِيمَا أَنْزَلْنَا إِلَىٰ رَسُولِنَا..

﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمَا..

﴿حُسْنًا ۖ﴾ فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ: نُصِبَ ذَلِكَ عَلَىٰ نِيَّةِ تَكْرِيرِ (وَصَّيْنَا)، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُ: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ، وَوَصَّيْنَاهُ حُسْنًا.. وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ يَفْعَلَ حُسْنًا، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ تُسْقِطُ مِنَ الْكَلَامِ بَعْضَهُ إِذَا كَانَ فِيمَا بَقِيَ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ مَا سَقَطَ، وَتُعْمِلُ مَا بَقِيَ فِيمَا كَانَ يَعْمَلُ فِيهِ الْمَحْذُوفُ..

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ، فَقُلْنَا لَهُ: إِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أَنَّهُ لَيْسَ لِي شَرِيكٌ..

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ﴾ فَتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِمَا، وَلَكِنْ خَالِفْهُمَا فِي ذَلِكَ..

﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ إِلَيَّ مَعَادُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ فَأُخْبِرُكُمْ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [العنكبوت: ٨] فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَسَيِّئَاتِهَا، ثُمَّ أُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا الْمُحْسِنَ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝٩﴾ [العنكبوت: ٩].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ أَنْ يُؤَدُّوا فَرَائِضَ اللهِ، وَيَجْتَنِبُوا مَحَارِمَهُ..

﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝٩﴾ [العنكبوت: ٩] فِي مَدْخَلِ الصَّالِحِينَ، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝١٠﴾ [العنكبوت: ١٠].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: أَقْرَرْنَا بِاللهِ فَوَحَّدْنَاهُ..

﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ فَإِذَا آذَاهُ الْمُشْرِكُونَ فِي إِقْرَارِهِ بِاللهِ..

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا..
﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ فِي الْآخِرَةِ، فَارْتَدَّ عَنْ إِيمَانِهِ بِاللهِ، رَاجِعًا عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ..
﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..
﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَدُّونَ عَنْ إِيمَانِهِمْ، الْجَاعِلُونَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ..
﴿إِنَّا كُنَّا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..
﴿مَعَكُمْ﴾ نَنْصُرُكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، كَذِبًا وَإِفْكًا، يَقُولُ اللهُ..
﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ..

﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [العنكبوت: ١٠] جَمِيعِ خَلْقِهِ الْقَائِلِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَغَيْرِهِمْ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ ارْتَدَّ عَنْ دَيْنِ اللهِ، فَكَيْفَ يُخَادِعُ مَنْ كَانَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يَسْتَتِرُ عَنْهُ سِرٌّ وَلَا عَلَانِيَةٌ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ كَانُوا بِمَكَّةَ، فَخَرَجُوا مُهَاجِرِينَ، فَأُدْرِكُوا وَأُخِذُوا فَأَعْطُوا الْمُشْرِكِينَ -لَمَّا نَالَهُمْ أَذَاهُمْ- مَا أَرَادُوا مِنْهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِإِسْلَامِهِمْ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ، فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ وَقُتِلَ بَعْضٌ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ وَأُكْرِهُوا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧].. إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فَكُتِبَ إِلَىٰ مَنْ بَقِيَ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنْ لَا عُذْرَ لَهُمْ، فَخَرَجُوا، فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَعْطَوْهُمُ الْفِتْنَةَ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].. إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فَكَتَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ، فَخَرَجُوا وَأَيِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، ثُمَّ نَزَلَتْ فِيهِمْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١٠﴾ [النحل: ١١٠]، فَكَتَبُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ: إِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا، فَخَرَجُوا، فَأَدْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَقَاتَلُوهُمْ، حَتَّىٰ نَجَا مَنْ نَجَا، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ).

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ١١﴾ [العنكبوت: ١١].

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ أَوْلِيَاءَ اللهِ، وَحِزْبَهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ١١﴾ [العنكبوت: ١١] مِنْكُمْ حَتَّىٰ يَمِيزَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ مِنَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ بِإِظْهَارِ اللهِ ذَلِكَ مِنْكُمْ بِالْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ، وَبِمُسَارَعَةِ الْمُسَارِعِ مِنْكُمْ إِلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ، وَتَثَاقُلِ الْمُتَثَاقِلِ مِنْكُمْ عَنْهَا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ [العنكبوت: ١٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ مِنْهُمْ..

﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ كُونُوا عَلَىٰ مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَجُحُودِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ..

﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ قَالُوا فَإِنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمْ سَبِيلَنَا فِي ذَلِكَ، فَبُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ، وَجُوزِيتُمْ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّا نَتَحَمَّلُ آثَامَ خَطَايَاكُمْ حِينَئِذٍ..

﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ وَكَذَبُوا فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ لَهُمْ، مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ آثَامِ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ..

﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ [العنكبوت: ١٢] فِيمَا قَالُوا لَهُمْ وَوَعَدُوهُمْ، مِنْ حَمْلِ خَطَايَاهُمْ إِنْ هُمُ اتَّبَعُوهُمْ.. وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ لِلْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ١٣﴾ [العنكبوت: ١٣].

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْقَائِلُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ..

﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ أَوْزَارَ أَنْفُسِهِمْ وَآثَامَهَا..

﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وَأَوْزَارَ مَنْ أَضَلُّوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَعَ أَوْزَارِهِمْ..

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ١٣﴾ [العنكبوت: ١٣] وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يُكَذِّبُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِوَعْدِهِمْ إِيَّاهُمُ الْأَبَاطِيلَ، وَقِيلِهِمْ لَهُمْ: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ فَيَفْتَرُونَ الْكَذِبَ بِذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ [العنكبوت: ١٤].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ

تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، الْقَائِلِينَ لِلَّذِينَ آمَنُوا: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَا يَحْزُنْكَ يَا مُحَمَّدُ مَا تَلْقَىٰ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ مِنَ الْأَذَىٰ، فَإِنِّي وَإِنْ أَمْلَيْتُ لَهُمْ فَأَطَلْتُ إِمْلَاءَهُمْ، فَإِنَّ مَصِيرَ أَمْرِهِمْ إِلَىٰ الْبَوَارِ، وَمَصِيرُ أَمْرِكَ وَأَمْرِ أَصْحَابِكَ إِلَىٰ الْعُلُوِّ وَالظَّفَرِ بِهِمْ وَالنَّجَاةِ مِمَّا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعِقَابِ، كَفِعْلِنَا ذَلِكَ بِنُوحٍ، إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَفِرَاقِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ مِنْ دُعَائِهِ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْإِقْبَالِ إِلَيْهِ، وَقَبُولِ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِلَّا فِرَارًا..

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ فَأَهْلَكَهُمُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ.. وَكُلُّ مَاءٍ كَثِيرٍ فَاشٍ طَامٍ فَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ طُوفَانٌ، سَيْلًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَكَذَلِكَ الْمَوْتُ إِذَا كَانَ فَاشِيًا كَثِيرًا، فَهُوَ أَيْضًا عِنْدَهُمْ طُوفَانٌ..

﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: ١٤] أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٥].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ فَأَنْجَيْنَا نُوحًا..

﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ حَمَلَهُمْ فِي سَفِينَتِهِ مِنْ وَلَدِهِ وَأَزْوَاجِهِمْ..

﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ وَجَعَلْنَا السَّفِينَةَ الَّتِي أَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَهُ فِيهَا.. وَلَوْ قِيلَ: مَعْنَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ وَجَعَلْنَا عُقُوبَتَنَا إِيَّاهُمْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ، كَانَ وَجْهًا مِنَ التَّأْوِيلِ..

﴿ءَايَةً﴾ عِبْرَةً وَعِظَةً..

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٥] وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت: ١٦].

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا يَا مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ..

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ غَيْرُهُ..

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ وَاتَّقُوا سَخَطَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت: ١٦] مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا هُوَ شَرٌّ لَكُمْ.

﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾

[العنكبوت: ١٧].

﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ: إِنَّمَا تَعْبُدُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ يَعْنِي: مُثُلًا..

﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ وَتَصْنَعُونَ كَذِبًا وَبَاطِلًا..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ إِنَّ أَوْثَانَكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرْزُقَكُمْ شَيْئًا..

﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ فَالْتَمِسُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ لَا مِنْ عِنْدِ أَوْثَانِكُمْ، تُدْرِكُوا مَا تَبْتَغُونَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾ وَذِلُّوا لَهُ..

﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾ عَلَىٰ رِزْقِهِ إِيَّاكُمْ، وَنِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ..

﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت: ١٧] إِلَىٰ اللهِ تُرَدُّونَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ، وَأَنْتُمْ عِبَادُهُ وَخَلْقُهُ، وَفِي نِعَمِهِ تَتَقَلَّبُونَ، وَرِزْقَهُ تَأْكُلُونَ.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾

[العنكبوت: ١٨].

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ رَسُولَنَا مُحَمَّدًا ﷺ، فِيمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ..

﴿فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ﴾ فَقَدْ كَذَّبَتْ جَمَاعَاتٌ مِنْ قَبْلِكُمْ رُسُلَهَا فِيمَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ مِنَ الْحَقِّ، فَحَلَّ بِهَا مِنَ اللهِ سَخَطُهُ، وَنَزَلَ بِهَا مِنْهُ عَاجِلُ عُقُوبَتِهِ، فَسَبِيلُكُمْ سَبِيلُهَا فِيمَا هُوَ نَازِلٌ بِكُمْ بِتَكْذِيبِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾ [العنكبوت: ١٨] وَمَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَكُمْ عَنِ اللهِ رِسَالَتَهُ، وَيُؤَدِّي إِلَيْكُمْ مَا أَمَرَهُ بِأَدَائِهِ إِلَيْكُمْ رَبُّهُ، وَيَعْنِي بِالْبَلَاغِ الْمُبِينِ: الَّذِي يَبِينُ لِمَنْ سَمِعَهُ مَا يُرَادُ بِهِ، وَيَفْهَمُ بِهِ مَا يَعْنِي بِهِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾
[العنكبوت: ١٩].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَسْتَأْنِفُ اللهُ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ طِفْلًا صَغِيرًا، ثُمَّ غُلَامًا يَافِعًا، ثُمَّ رَجُلًا مُجْتَمِعًا، ثُمَّ كَهْلًا..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ثُمَّ هُوَ يُعِيدُهُ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهِ وَبِلَاهُ، كَمَا بَدَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ خَلْقًا جَدِيدًا، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [العنكبوت: ١٩] سَهْلٌ كَمَا كَانَ يَسِيرًا عَلَيْهِ إِبْدَاؤُهُ.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، الْجَاحِدِينَ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ..

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللهُ الْأَشْيَاءَ، وَكَيْفَ أَنْشَأَهَا وَأَحْدَثَهَا؛ وَكَمَا أَوْجَدَهَا وَأَحْدَثَهَا ابْتِدَاءً، فَلَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ إِحْدَاثُهَا مُبْدِئًا، فَكَذَلِكَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِنْشَاؤُهَا مُعِيدًا..

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ ثُمَّ اللهُ يُبْدِئُ تِلْكَ الْبَدْأَةَ الْآخِرَةَ بَعْدَ الْفِنَاءِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠] إِنَّ اللهَ عَلَىٰ إِنْشَاءِ جَمِيعِ خَلْقِهِ بَعْدَ إِفْنَائِهِ، كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ فَنَائِهِ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ فِعْلَهُ قَادِرٌ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [العنكبوت: ٢١].

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهِمْ، فَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَا أَسْلَفَ مِنْ جُرْمِهِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ..

﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا..

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [العنكبوت: ٢١] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَتُرَدُّونَ.

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [العنكبوت: ٢٢].

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَا يُعْجِزُهُ أَهْلُ الْأَرَضِينَ

فِي الْأَرَضِينَ، وَلَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ إِنْ عَصَوْهُ، وَقَرَأَ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ [سبأ: ٣]).. وَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَلَا مَنْ فِي السَّمَاءِ مُعْجِزِينَ وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ١٠]، وَهَذَا الْقَوْلُ أَصَحُّ عِنْدِي فِي الْمَعْنَىٰ مِنَ الْقَوْلِ الْآخَرِ.. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: مَعْنَاهُ: وَلَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا أَنْتُمْ لَوْ كُنْتُمْ فِي السَّمَاءِ بِمُعْجِزِينَ، كَانَ مَذْهَبًا..

﴿وَمَا لَكُم﴾ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يَلِي أُمُورَكُمْ..

﴿وَلَا نَصِيرٍ ۝٢٢﴾ [العنكبوت: ٢٢] يَنْصُرُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا، وَلَا يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ إِنْ أَحَلَّ بِكُمْ عُقُوبَتَهُ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٣﴾ [العنكبوت: ٢٣].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا حُجَجَ اللهِ، وَأَنْكَرُوا أَدِلَّتَهُ، وَجَحَدُوا لِقَاءَهُ، وَالْوُرُودَ عَلَيْهِ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ..

﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ فِي الْآخِرَةِ لَمَّا عَايَنُوا مَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٣﴾ [العنكبوت: ٢٣] مُوجِعٌ.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٢٤﴾ [العنكبوت: ٢٤].

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ فَلَمْ يَكُنْ جَوَابَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ لَهُ إِذْ قَالَ لَهُمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٦﴾ [العنكبوت: ١٦]..

﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ إِلَّا أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ بِالنَّارِ، فَفَعَلُوا، فَأَرَادُوا إِحْرَاقَهُ بِالنَّارِ، فَأَضْرَمُوا لَهُ النَّارَ، فَأَلْقَوْهُ فِيهَا..

﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ وَلَمْ يُسَلِّطْهَا عَلَيْهِ، بَلْ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٢٤﴾ [العنكبوت: ٢٤] إِنَّ فِي إِنْجَائِنَا لِإِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ، وَقَدْ أُلْقِيَ فِيهَا وَهِيَ تُسَعَّرُ، وَتَصْيِيرِهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، لَأَدِلَّةً وَحُجَجًا لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِالْأَدِلَّةِ

وَالْحُجَجِ إِذَا عَايَنُوا وَرَأَوْا.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥].

﴿وَقَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ..

﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تَتحَابُّونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهَا، وَتَتَوَادُّونَ عَلَىٰ خِدْمَتِهَا، فَتَتَوَاصَلُونَ عَلَيْهَا..

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أَيُّهَا الْمُتَوَادُّونَ عَلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَالْمُتَوَاصِلُونَ عَلَىٰ خَدَمَاتِهَا، عِنْدَ وُرُودِكُمْ عَلَىٰ رَبِّكُمْ وَمُعَايَنَتِكُمْ مَا أَعَدَّ اللهُ لَكُمْ -عَلَىٰ التَّوَاصُلِ وَالتَّوَادِّ فِي الدُّنْيَا- مِنْ أَلَمِ الْعَذَابِ..

﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يَتبَرَّأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ وَمَصِيرُ جَمِيعِكُمْ أَيُّهَا الْعَابِدُونَ الْأَوْثَانَ وَمَا تَعْبُدُونَ النَّارُ..

﴿وَمَا لَكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ الْمُتَّخِذُو الْآلِهَةَ، مِنْ دُونِ اللهِ مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ..

﴿مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥] مِنْ أَنْصَارٍ يَنْصُرُونَكُمْ مِنَ اللهِ حِينَ يُصْلِيكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ، فَيُنْقِذُونَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت: ٢٦].

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ فَصَدَّقَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللهِ لُوطٌ..

﴿وَقَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ دَارَ قَوْمِي..

﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ إِلَىٰ الشَّامِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبِّي..

﴿هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يَذِلُّ مَنْ نَصَرَهُ، وَلَكِنَّهُ يَمْنَعُهُ مِمَّنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ، وَإِلَيْهِ هِجْرَتُهُ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٢٦﴾ [العنكبوت: ٢٦] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا صَرَّفَهُمْ فِيهِ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧﴾ [العنكبوت: ٢٧].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وَرَزَقْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِسْحَاقَ وَلَدًا، وَيَعْقُوبَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدَ وَلَدٍ..

﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بِمَعْنَىٰ الْجَمْعِ، يُرَادُ بِهِ الْكُتُبُ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ قَوْلِهِمْ: كَثُرَ الدِّرْهَمُ وَالدِّينَارُ عِنْدَ فُلَانٍ..

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وَأَعْطَيْنَاهُ ثَوَابَ بَلَائِهِ فِينَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مَعَ ذَلِكَ..

﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧﴾ [العنكبوت: ٢٧] فَلَهُ هُنَاكَ أَيْضًا جَزَاءُ الصَّالِحِينَ، غَيْرَ مُنْتَقَصٍ حَظُّهُ بِمَا أُعْطِيَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرِ عَلَىٰ بَلَائِهِ فِي اللهِ، عَمَّا لَهُ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْأَجْرَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ آتَاهُ إِبْرَاهِيمَ فِي الدُّنْيَا هُوَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾ [العنكبوت: ٢٨].

﴿وَلُوطًا﴾ وَاذْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- لُوطًا..

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ..

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ يَعْنِي: بِالْفَاحِشَةِ الَّتِي كَانُوا يَأْتُونَهَا، وَهِيَ إِتْيَانُ الذُّكْرَانِ..

﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾ [العنكبوت: ٢٨] مَا نَزَا ذَكَرٌ عَلَىٰ ذَكَرٍ حَتَّىٰ كَانَ قَوْمُ لُوطٍ.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٩﴾ [العنكبوت: ٢٩].

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ لُوطٍ لِقَوْمِهِ: أَئِنَّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ فِي أَدْبَارِهِمْ..

﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ وَتَقْطَعُونَ الْمُسَافِرِينَ عَلَيْكُمْ بِفِعْلِكُمُ الْخَبِيثِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِمَنْ مَرَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسَافِرِينَ، وَمَنْ وَرَدَ بِلَادَهُمْ مِنَ الْغُرَبَاءِ..

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ وَتَحْذِفُونَ فِي مَجَالِسِكُمُ الْمَارَّةَ بِكُمْ، وَتَسْخَرُونَ مِنْهُمْ..

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ فَلَمْ يَكُنْ جَوَابَ قَوْمِ لُوطٍ إِذْ نَهَاهُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْ إِتْيَانِ الْفَوَاحِشِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي تَعِدُنَا..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩] فِيمَا تَقُولُ، وَالْمُنْجِزِينَ لِمَا تَعِدُ.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: ٣١].

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ مِنَ اللهِ بِإِسْحَاقَ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ..

﴿قَالُوٓا۟﴾ قَالَتْ رُسُلُ اللهِ لِإِبْرَاهِيمَ..

﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ قَرْيَةِ سَدُومَ، وَهِيَ قَرْيَةُ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: ٣١] إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت: ٣٢].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِلرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِذْ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: ٣١] فَلَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْهُمْ أَحَدًا، إِذْ وَصَفُوهُمْ بِالظُّلْمِ..

﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ وَلَيْسَ مِنَ الظَّالِمِينَ، بَلْ هُوَ مِنْ رُسُلِ اللهِ، وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالطَّاعَةِ لَهُ..

﴿قَالُوا۟﴾ فَقَالَتِ الرُّسُلُ لَهُ..

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ مِنَ الظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ بِاللهِ مِنْكَ، وَإِنَّ لُوطًا لَيْسَ مِنْهُمْ، بَلْ هُوَ كَمَا قُلْتَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ..

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِأَهْلِ قَرْيَتِهِ..

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت: ٣٢] الَّذِينَ أَبْقَتْهُمُ الدُّهُورُ وَالْأَيَّامُ، وَتَطَاوَلَتْ أَعْمَارُهُمْ وَحَيَاتُهُمْ، وَإِنَّهَا هَالِكَةٌ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ لُوطٍ مَعَ قَوْمِهَا.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣٣].

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ سَاءَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِمَجِيئِهِمْ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ تَضَيَّفُوهُ، فَسَاءَهُ بِذَلِكَ، فَقَوْلُهُ ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ فُعِلَ بِهِمْ، مِنْ: سَاءَهُ بِذَلِكَ، وَذُكِرَ عَنْ قَتَادَةَ كَانَ يَقُولُ: سَاءَ ظَنُّهُ بِقَوْمِهِ، وَضَاقَ بِضَيْفِهِ ذَرْعًا..

﴿وَقَالُوا۟﴾ قَالَتِ الرُّسُلُ لِلُوطٍ..

﴿لَا تَخَفْ﴾ عَلَيْنَا أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا قَوْمُكَ..

﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ مِمَّا أَخْبَرْنَاكَ مِنْ أَنَّا مُهْلِكُوهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَالَتْ لَهُ: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]..

﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِقَوْمِكَ..

﴿وَأَهْلَكَ﴾ وَمُنَجُّو أَهْلَكَ مَعَكَ..

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ فَإِنَّهَا هَالِكَةٌ فِيمَنْ يَهْلِكُ مِنْ قَوْمِهَا..

﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣٣] كَانَتْ مِنَ الْبَاقِينَ الَّذِينَ طَالَتْ أَعْمَارُهُمْ.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [العنكبوت: ٣٤].

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الرُّسُلِ لِلُوطٍ ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ يَا لُوطُ..

﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ سَدُومَ..

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يَعْنِي عَذَابًا..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [العنكبوت: ٣٤] بِمَا كَانُوا يَأْتُونَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَيَرْكَبُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٣٥].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا﴾ وَلَقَدْ أَبْقَيْنَا..

﴿مِنْهَآ﴾ مِنْ فِعْلَتِنَا الَّتِي فَعَلْنَا بِهِمْ..

﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ عِبْرَةً بَيِّنَةً، وَعِظَةً وَاعِظَةً..

﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٣٥﴾ [العنكبوت: ٣٥] عَنِ اللهِ حُجَجَهُ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي مَوَاعِظِهِ، وَتِلْكَ الْآيَةُ الْبَيِّنَةُ هِيَ عُفُوُّ آثَارِهِمْ، وَدُرُوسُ مَعَالِمِهِمْ.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ۝٣٦﴾ [العنكبوت: ٣٦].

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ وَأَرْسَلْتُ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا..

﴿فَقَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ، وَذِلُّوا لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِالْعِبَادَةِ

﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ وَارْجُوا بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّايَ جَزَاءَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ۝٣٦﴾ [العنكبوت: ٣٦] وَلَا تُكْثِرُوا فِي الْأَرْضِ مَعْصِيَةَ اللهِ، وَلَا تُقِيمُوا عَلَيْهَا، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ مِنْهَا، وَأَنِيبُوا.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٣٧﴾ [العنكبوت: ٣٧].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبَ أَهْلُ مَدْيَنَ شُعَيْبًا فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ عَنِ اللهِ مِنَ الرِّسَالَةِ..

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ فَأَخَذَتْهُمْ رَجْفَةُ الْعَذَابِ..

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٣٧﴾ [العنكبوت: ٣٧] جُثُومًا، بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مَوْتَىٰ.

﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ۝٣٨﴾ [العنكبوت: ٣٨].

﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ وَاذْكُرُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَادًا وَثَمُودَ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ خَرَابُهَا وَخَلَاؤُهَا مِنْهُمْ بِوَقَائِعِنَا بِهِمْ، وَحُلُولِ سَطْوَتِنَا بِجَمِيعِهِمْ..

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ وَحَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ كُفْرَهُمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبَهُمْ رُسُلَهُ..

﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فَرَدَّهُمْ بِتَزْيِينِهِ لَهُمْ مَا زَيَّنَ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، عَنْ سَبِيلِ اللهِ، الَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ بِهِ وَرُسُلِهِ، وَمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ۝٣٨﴾ [العنكبوت: ٣٨] فِي ضَلَالَتِهِمْ، مُعْجَبِينَ بِهَا، يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ وَصَوَابٍ، وَهُمْ عَلَىٰ الضَّلَالِ.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ [العنكبوت: ٣٩].

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ..

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم﴾ وَلَقَدْ جَاءَ جَمِيعَهُمْ..

﴿مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الْوَاضِحَاتِ مِنَ الْآيَاتِ..

﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عَنِ التَّصْدِيقِ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْآيَاتِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ [العنكبوت: ٣٩] وَمَا كَانُوا سَابِقِينَا بِأَنْفُسِهِمْ فَيَفُوتُونَا، بَلْ كُنَّا مُقْتَدِرِينَ عَلَيْهِمْ.

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ فَأَخَذْنَا جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمَمِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ بِعَذَابِنَا..

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ وَهُمْ قَوْمُ لُوطٍ، الَّذِينَ أَمْطَرَ اللهُ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الرِّيحَ الْعَاصِفَ الَّتِي فِيهَا الْحَصَىٰ الصِّغَارُ أَوِ الثَّلْجُ أَوِ الْبَرَدُ وَالْجَلِيدُ حَاصِبًا..

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ قَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ عَنْ ثَمُودَ وَقَوْمِ شُعَيْبٍ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ بِالصَّيْحَةِ، فَكِلَا الْأُمَّتَيْنِ ثَمُودَ وَمَدْيَنَ قَدْ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ..

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ قَارُونَ..

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ عُنِيَ بِهِ قَوْمُ نُوحٍ، وَفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ وَلَمْ يَكُنِ اللهُ لِيُهْلِكَ هَؤُلَاءِ الْأُمَمَ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمْ بِذُنُوبِ غَيْرِهِمْ، فَيَظْلِمَهُمْ بِإِهْلَاكِهِ إِيَّاهُمْ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، بَلْ إِنَّمَا أَهْلَكَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَجُحُودِهِمْ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ، مَعَ تَتَابُعِ إِحْسَانِهِ عَلَيْهِمْ، وَكَثْرَةِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ..

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠] بِتَصَرُّفِهِمْ فِي نِعَمِ رَبِّهِمْ، وَتَقَلُّبِهِمْ فِي آلَائِهِ، وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ، وَمَعْصِيَتِهِمْ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ، يَرْجُونَ نَصْرَهَا وَنَفْعَهَا عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا فِي ضَعْفِ احْتِيَالِهِمْ، وَقُبْحِ رِوَايَاتِهِمْ، وَسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ فِي ضَعْفِهَا، وَقِلَّةِ احْتِيَالِهَا لِنَفْسِهَا..

﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لِنَفْسِهَا، كَيْمَا يُكِنَّهَا، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا شَيْئًا عِنْدَ حَاجَتِهَا إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ أَمْرُ اللهِ، وَحَلَّ بِهِمْ سَخَطُهُ أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُمْ مَا أَحَلَّ اللهُ بِهِمْ مِنْ سَخَطِهِ بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُمْ..

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ وَإِنَّ أَضْعَفَ الْبُيُوتِ..

﴿لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١] لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ، يَعْلَمُونَ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ فِي قِلَّةِ غَنَائِهِمْ عَنْهُمْ، كَغَنَاءِ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ عَنْهَا، لَكِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ ذَلِكَ، فَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَهُمْ، وَيُقَرِّبُونَهُمْ إِلَى اللهِ زُلْفَى.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [العنكبوت: ٤٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُو هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ..وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ (تَدْعُونَ) بِالتَّاءِ، بِمَعْنَى الْخِطَابِ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْنَا: إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَيُّهَا الْقَوْمُ حَالَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ، وَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ، إِنْ أَرَادَ اللهُ بِكُمْ سُوءًا، وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا؛ وَإِنَّ مَثَلَهُ فِي قِلَّةِ غَنَائِهِ عَنْكُمْ، مَثَلُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي غَنَائِهِ عَنْهَا..

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ وَاللهُ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَشْرَكَ فِي عِبَادَتِهِ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَاتَّقُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِهِ عِقَابَهُ -بِالْإِيمَانِ بِهِ- قَبْلَ نُزُولِهِ بِكُمْ، كَمَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ -فِي هَذِهِ السُّورَةِ- عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ نَزَلَ بِكُمْ عِقَابُهُ لَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ أَوْلِيَاؤُكُمُ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، كَمَا لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ مَنْ قَبْلَكُمْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٤٢﴾ [العنكبوت: ٤٢] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، فَمُهْلِكٌ مَنِ اسْتَوْجَبَ الْهَلَاكَ فِي الْحَالِ الَّتِي هَلَاكُهُ صَلَاحٌ، وَالْمُؤَخِّرُ مَنْ أَخَّرَ هَلَاكَهُ مِنْ كَفَرَةِ خَلْقِهِ بِهِ إِلَىٰ الْحِينِ الَّذِي فِي هَلَاكِهِ الصَّلَاحُ.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣].

﴿وَتِلْكَ﴾ وَهَذِهِ..

﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ..

﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ﴾ نُمَثِّلُهَا وَنُشَبِّهُهَا، وَنَحْتَجُّ بِهَا لِلنَّاسِ..

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ وَمَا يَعْقِلُ أَنَّهُ أُصِيبَ بِهَذِهِ الْأَمْثَالِ الَّتِي نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ مِنْهُمُ الصَّوَابَ وَالْحَقَّ فِيمَا ضُرِبَتْ لَهُ مَثَلًا..

﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣] بِاللهِ وَآيَاتِهِ.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٤﴾ [العنكبوت: ٤٤].

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ وَحْدَهُ مُنْفَرِدًا بِخَلْقِهَا، لَا يُشْرِكُهُ فِي خَلْقِهَا شَرِيكٌ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِهِ ذَلِكَ..

﴿لَءَايَةً﴾ لَحُجَّةً..

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٤﴾ [العنكبوت: ٤٤] لِمَنْ صَدَّقَ بِالْحُجَجِ إِذَا عَايَنَهَا، وَالْآيَاتِ إِذَا رَآهَا.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

﴿ٱتْلُ﴾ اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ﴾ وَأَدِّ الصَّلَاةَ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكَ بِحُدُودِهَا..

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ إِنَّ فِي الصَّلَاةِ مُنْتَهًى وَمُزْدَجَرٌ عَنْ مَعَاصِي اللهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ تَنْهَىٰ الصَّلَاةُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْنِيًّا بِهَا مَا يُتْلَىٰ فِيهَا؟ قِيلَ: تَنْهَىٰ مَنْ كَانَ فِيهَا، فَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِتْيَانِ الْفَوَاحِشِ، لِأَنَّ شُغْلَهُ بِهَا يَقْطَعُهُ عَنِ الشُّغْلِ بِالْمُنْكَرِ..

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وَلَذِكْرُ اللهِ إِيَّاكُمْ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥] فِي صَلَاتِكُمْ مِنْ إِقَامَةِ حُدُودِهَا، وَتَرْكِ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِكُمْ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَاتَّقُوا أَنْ تُضَيِّعُوا شَيْئًا مِنْ حُدُودِهَا.

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾
[العنكبوت: ٤٦].

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إِلَّا بِالْجَمِيلِ مِنَ الْقَوْلِ، وَهُوَ الدُّعَاءُ إِلَىٰ اللهِ بِآيَاتِهِ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَىٰ حُجَجِهِ..

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ إِلَّا الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا لَكُمْ بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، وَنَصَبُوا دُونَ ذَلِكَ لَكُمْ حَرْبًا، فَإِنَّهُمْ ظَلَمَةٌ، فَأُولَئِكَ جَادِلُوهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ غَيْرُ ظَالِمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، إِلَّا مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْجِزْيَةَ؟ قِيلَ: إِنَّ جَمِيعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، ظَلَمَةً، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْنِ بِقَوْلِهِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ ظُلْمَ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ أُولَئِكَ جَادِلُوهُمْ بِالْقِتَالِ..

﴿وَقُولُوٓاْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، الَّذِينَ نَهَاهُمْ أَنْ يُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَنْ كُتُبِهِمْ، وَأَخْبَرُوكُمْ عَنْهَا بِمَا يُمْكِنُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا فِيهِ صَادِقِينَ، وَأَنْ يَكُونُوا فِيهِ كَاذِبِينَ، وَلَمْ تَعْلَمُوا أَمْرَهُمْ وَحَالَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَقُولُوا لَهُمْ..

﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ مِمَّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ وِمَعْبُودُنَا وَمَعْبُودُكُمْ وَاحِدٌ..

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦] وَنَحْنُ لَهُ خَاضِعُونَ مُتَذَلِّلُونَ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَنَا وَنَهَانَا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٧﴾ [العنكبوت: ٤٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا الْكُتُبَ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الرُّسُلِ كَذَلِكَ..

﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ هَذَا..

﴿ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ بَيْنَ ظَهرانِيكَ الْيَوْمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَمَنْ آمَنَ بِرَسُولِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وَمَا يَجْحَدُ بِأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا..

﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [العنكبوت: ٤٧] إِلَّا الَّذِي يَجْحَدُ نِعَمَنَا عَلَيْهِ، وَيُنْكِرُ تَوْحِيدَنَا، وَرُبُوبِيَّتَنَا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ عِنَادًا لَنَا.

> ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَتْلُوا۟﴾ تَقْرَأُ..

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ..

﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ﴾ وَلَمْ تَكُنْ تَكْتُبُ بِيَمِينِكَ، وَلَكِنَّكَ كُنْتَ أُمِّيًّا..

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨] وَلَوْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْكَ تَقْرَأُ الْكِتَابَ، أَوْ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ، إِذَنْ لَشَكَّ -بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي أَمْرِكَ، وَمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ- الْمُبْطِلُونَ، الْقَائِلُونَ: إِنَّهُ سَجْعٌ وَكَهَانَةٌ، وَإِنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

> ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩].

﴿بَلْ هُوَ﴾ بَلِ الْعِلْمُ بِأَنَّكَ مَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِ هَذَا الْكِتَابِ كِتَابًا، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ..

﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مَا يَجْحَدُ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَدِلَّتَهُ، وَيُنْكِرُ الْعِلْمَ الَّذِي يَعْلَمُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، بِبَعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَنُبُوَّتِهِ، وَمَبْعَثِهِ..

﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩] الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ.

> ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَتِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هَلَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ تَكُونُ حُجَّةً للهِ عَلَيْنَا، كَمَا جُعِلَتِ النَّاقَةُ لِصَالِحٍ، وَالْمَائِدَةُ آيَةً لِعِيسَىٰ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْإِتْيَانِ بِهَا غَيْرُهُ..

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ لَكُمْ، أُنْذِرُكُمْ بَأْسَ اللهِ وَعِقَابَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ..

﴿مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [العنكبوت: ٥٠] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ إِنْذَارَهُ.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ أَوَ لَمْ يَكْفِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ، الْقَائِلِينَ: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ..

﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ هَذَا..

﴿ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ..

﴿لَرَحْمَةً﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: ٥١] وَذِكْرَىٰ يَتَذَكَّرُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ عِبْرَةٍ وَعِظَةٍ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ انْتَسَخُوا شَيْئًا مِنْ بَعْضِ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾ [العنكبوت: ٥٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لَكَ: **(لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ آيَةٌ مِنْ رَبِّكَ)**، الْجَاحِدِينَ بِآيَاتِنَا مِنْ قَوْمِكَ..

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ﴾ كَفَىٰ اللهُ يَا هَؤُلَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَاهِدًا لِي وَعَلَيَّ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ الْمُحِقَّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَ..

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِمَا، وَهُوَ الْمُجَازِي كُلَّ فَرِيقٍ مِنَّا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، الْمُحِقَّ عَلَىٰ ثَبَاتِهِ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَالْمُبْطِلَ

عَلَىٰ بَاطِلِهِ، بِمَا هُوَ أَهْلُهُ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ صَدَّقُوا بِالشِّرْكِ، فَأَقَرُّوا بِهِ..

﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ وَجَحَدُوا اللهَ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾ [العنكبوت: ٥٢] هُمُ الْمَغْبُونُونَ فِي صَفْقَتِهِمْ.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣﴾ [العنكبوت: ٥٣].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ وَيَسْتَعْجِلُكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ مِنْ قَوْمِكَ: (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ)..

﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ وَيَقُولُونَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]..

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ سَمَّيْتُهُ لَهُمْ فَلَا أُهْلِكُهُمْ حَتَّىٰ يَسْتَوْفُوهُ وَيَبْلُغُوهُ..

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عَاجِلًا..

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ الْعَذَابُ..

﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً..

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣﴾ [العنكبوت: ٥٣] بِوَقْتِ مَجِيئِهِ قَبْلَ مَجِيئِهِ.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٤﴾ [العنكبوت: ٥٤].

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يَسْتَعْجِلُكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ بِمَجِيءِ الْعَذَابِ وَنُزُولِهِ بِهِمْ..

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٩﴾ [العنكبوت: ٥٤] وَالنَّارُ بِهِمْ مُحِيطَةٌ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَدْخُلُوهَا.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٥﴾ [العنكبوت: ٥٥].

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٩﴾ [العنكبوت: ٥٤] يَوْمَ يَغْشَىٰ الْكَافِرِينَ..

﴿ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ فِي جَهَنَّمَ..

﴿وَيَقُولُ﴾ اللهُ لَهُمْ..

﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٥﴾ [العنكبوت: ٥٥] فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَمَا يُسْخِطُهُ فِيهَا.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [العنكبوت: ٥٦].

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ وَحَّدُونِي وَآمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ﴾ لَمْ تَضِقْ عَلَيْكُمْ فَتُقِيمُوا بِمَوْضِعٍ مِنْهَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الْمَقَامُ فِيهِ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ بِمَكَانٍ مِنْهَا بِمَعَاصِي اللهِ فَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَىٰ تَغْيِيرِهِ، فَاهْرُبُوا مِنْهُ، اهْرُبُوا مِمَّنْ مَنَعَكُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِي..

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [العنكبوت: ٥٦] فَأَخْلِصُوا لِي عِبَادَتَكُمْ وَطَاعَتَكُمْ، وَلَا تُطِيعُوا فِي مَعْصِيَتِي أَحَدًا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾ [العنكبوت: ٥٧].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ إِنَّكُمْ مَيِّتُونَ، وَصَائِرُونَ إِلَيَّ، لِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ حَيَّةً ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، فَهَاجِرُوا مِنْ أَرْضِ الشِّرْكِ، إِلَىٰ أَرْضِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ، فَاصْبِرُوا عَلَىٰ عِبَادَتِي، وَأَخْلِصُوا طَاعَتِي..

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ..

﴿تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾ [العنكبوت: ٥٧] تُرَدُّونَ.. ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا أَعَدَّ لِلصَّابِرِينَ مِنْهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، مِنْ كَرَامَتِهِ عِنْدَهُ، فَقَالَ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨﴾ [العنكبوت: ٥٨].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، فَأَطَاعُوهُ فِيهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ لَنُنْزِلَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَالِيَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨﴾ [العنكبوت: ٥٨] نِعْمَ جَزَاءُ الْعَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللهِ، هَذِهِ الْغُرَفُ الَّتِي يُثْوِيهُمُوهَا اللهُ فِي جَنَّاتِهِ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ [العنكبوت: ٥٩].

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ عَلَىٰ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا كَانُوا يَلْقَوْنَ مِنْهُمْ، وَعَلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ وَمَا يُرْضِيهِ، وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ..

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ [العنكبوت: ٥٩] فِي أَرْزَاقِهِمْ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِمْ، فَلَا يَنْكِلُونَ عَنْهُمْ ثِقَةً مِنْهُمْ بِأَنَّ اللهَ مُعْلِي كَلِمَتِهِ، وَمُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ، وَأَنَّ مَا قَسَمَ لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ فَلَنْ يَفُوتَهُمْ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾ [العنكبوت: ٦٠].

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾ فَكَمْ مِنْ دَابَّةٍ ذَاتِ حَاجَةٍ إِلَىٰ غِذَاءٍ وَمَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ..

﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ يَعْنِي: غِذَاءَهَا لَا تَحْمِلُهُ، فَتَرْفَعُهُ فِي يَوْمِهَا لِغَدِهَا لِعَجْزِهَا عَنْ ذَلِكَ..

﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ يَوْمًا بِيَوْمٍ.. فَهَاجِرُوا وَجَاهِدُوا فِي اللهِ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَعْدَاءَهُ، وَلَا تَخَافُوا عَيْلَةً، وَلَا إِقْتَارًا..

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِكُمْ: نَخْشَىٰ بِفِرَاقِنَا أَوْطَانَنَا الْعَيْلَةَ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾ [العنكبوت: ٦٠] مَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُكُمْ، وَأَمْرُ عَدُوِّكُمْ مِنْ إِذْلَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَنُصْرَتِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٦١﴾ [العنكبوت: ٦١].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فَسَوَّاهُنَّ..

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لِعِبَادِهِ، يَجْرِيَانِ دَائِبَيْنِ لِمَصَالِحِ خَلْقِ اللهِ..

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لَيَقُولُنَّ: الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ وَفَعَلَهُ اللهُ..

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٦١﴾ [العنكبوت: ٦١] فَأَنَّىٰ يُصْرَفُونَ عَمَّنْ صَنَعَ ذَلِكَ، فَيَعْدِلُونَ عَنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ؟

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت: ٦٢].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ اللهُ يُوَسِّعُ مِنْ رِزْقِهِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ وَيُضَيِّقُ فَيُقَتِّرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: فَأَرْزَاقُكُمْ وَقِسْمَتُهَا بَيْنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِيَدِي، دُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَايَ؛ أَبْسُطُ لِمَنْ شِئْتُ مِنْهَا، وَأُقَتِّرُ عَلَىٰ مَنْ شِئْتُ، فَلَا يُخَلِّفَنَّكُمْ عَنِ الْهِجْرَةِ وَجِهَادِ عَدُوِّكُمْ خَوْفُ الْعَيْلَةِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت: ٦٢] إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَصَالِحِكُمْ، وَمَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا الْبَسْطُ فِي الرِّزْقِ، وَمَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا التَّقْتِيرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يُنَزِّلُهُ اللهُ مِنَ السَّحَابِ..

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ فَأَحْيَا بِالْمَاءِ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ الْأَرْضَ، وَإِحْيَاؤُهَا: إِنْبَاتُهُ النَّبَاتَ فِيهَا..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ مِنْ بَعْدِ جُدُوبِهَا وَقُحُوطِهَا..

﴿لَيَقُولُنَّ﴾ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ، فَـ..

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣] بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ لَا يَعْقِلُونَ مَا لَهُمْ فِيهِ النَّفْعُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَمَا فِيهِ الضُّرُّ، فَهُمْ لِجَهْلِهِمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ لِعِبَادَتِهِمُ الْآلِهَةَ دُونَ اللهِ، يَنَالُونَ بِهَا عِنْدَ اللهِ زُلْفَةً وَقُرْبَةً، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ هَالِكُونَ مُسْتَوْجِبُونَ الْخُلُودَ فِي النَّارِ.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ الَّتِي يَتَمَتَّعُ مِنْهَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ إِلَّا تَعْلِيلُ النُّفُوسِ بِمَا تَلْتَذُّ بِهِ، ثُمَّ هُوَ مُنْقَضٍ عَنْ قَرِيبٍ، لَا بَقَاءَ لَهُ وَلَا دَوَامَ..

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَفِيها الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ الَّتِي لَا زَوَالَ لَهَا، وَلَا انْقِطَاعَ، وَلَا مَوْتَ مَعَهَا..

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤] لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَقَصَرُوا عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِاللهِ، وَإِشْرَاكِهِمْ غَيْرَهُ فِي عِبَادَتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥].

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ فَإِذَا رَكِبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ السَّفِينَةَ فِي الْبَحْرِ، فَخَافُوا الْغَرَقَ وَالْهَلَاكَ فِيهِ..

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أَخْلَصُوا للهِ عِنْدَ الشِّدَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمُ التَّوْحِيدَ، وَأَفْرَدُوا لَهُ الطَّاعَةَ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالْعُبُودَةِ، وَلَمْ يَسْتَغِيثُوا بِآلِهَتِهِمْ وَأَنْدَادِهِمْ، وَلَكِنْ بِاللهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ..

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾ فَلَمَّا خَلَّصَهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ وَسَلَّمَهُمْ، فَصَارُوا إِلَىٰ الْبَرِّ..

﴿إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥] إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ، وَيَدْعُونَ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ مَعَهُ أَرْبَابًا.

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [العنكبوت: ٦٦].

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ فَلَمَّا نَجَّىٰ اللهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَحْرِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ مِنَ الْغَرَقِ إِلَىٰ الْبِرِّ، إِذَا هُمْ بَعْدَ أَنْ صَارُوا إِلَىٰ الْبَرِّ يُشْرِكُونَ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ لِيَجْحَدُوا نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ﴾ بِكَسْرِ اللَّامِ، بِمَعْنَىٰ: وَكَيْ يَتَمَتَّعُوا آتَيْنَاهُمْ ذَلِكَ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: (وَلْيَتَمَتَّعُوا)، بِسُكُونِ اللَّامِ عَلَىٰ وَجْهِ الْوَعِيدِ وَالتَّوْبِيخِ، أَيِ: اكْفُرُوا..

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [العنكبوت: ٦٦] فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَاذَا يَلْقَوْنَ مِنْ عَذَابِ اللهِ بِكُفْرِهِمْ بِهِ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ بِسُكُونِ اللَّامِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾ [العنكبوت: ٦٧].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أَوَ لَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، مَا خَصَصْنَاهُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَتِنَا عَلَيْهِمْ دُونَ سَائِرِ عِبَادِنَا، فَيَشْكُرُونَا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيَنْزَجِرُوا عَنْ كُفْرِهِمْ بِنَا، وَإِشْرَاكِهِمْ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا

يَضُرُّهُمْ فِي عِبَادَتِنَا..

﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا﴾ أَنَّا جَعَلْنَا بَلَدَهُمْ حَرَمًا، حَرَّمْنَا عَلَىٰ النَّاسِ أَنْ يَدْخُلُوهُ بِغَارَةٍ أَوْ حَرْبٍ..

﴿ءَامِنًا﴾ يَأْمَنُ فِيهِ مَنْ سَكَنَهُ، فَأَوَىٰ إِلَيْهِ مِنَ السِّبَاءِ وَالْخَوْفِ وَالْحَرَامِ الَّذِي لا يَأْمَنُهُ غَيْرُهُمْ مِنَ النَّاسِ..

﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ وَتُسْلَبُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ قَتْلًا وَسِبَاءً..

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أَفَبِالشِّرْكِ بِاللهِ يُقِرُّونَ بِأُلُوهَةِ الْأَوْثَانِ بِأَنْ يُصَدِّقُوا..

﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي خَصَّهُمْ بِهَا مِنْ أَنْ جَعَلَ بَلَدَهُمْ حَرَمًا آمِنًا..

﴿يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت: ٦٧] يَجْحَدُونَ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: ٦٨].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ أَيُّهَا النَّاسُ مِمَّنِ اخْتَلَقَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، فَقَالُوا إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً: وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا، وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا، وَاللهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ..

﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أَوْ كَذَّبَ بِمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ هَذَا الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: ٦٨] أَلَيْسَ فِي النَّارِ مَثْوًىٰ وَمَسْكَنٌ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَجَحَدَ تَوْحِيدَهُ، وَكَذَّبَ رَسُولَهُ ﷺ؛ وَهَذَا تَقْرِيرٌ، وَلَيْسَ بِاسْتِفْهَامٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، الْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فِينَا، مُبْتَغِينَ بِقِتَالِهِمْ عُلُوَّ كَلِمَتِنَا، وَنُصْرَةَ دِينِنَا..

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لَنُوَفِّقَنَّهُمْ لِإِصَابَةِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَذَلِكَ إِصَابَةُ دِينِ اللهِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩] وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ خَلْقِهِ، فَجَاهَدَ فِيهِ أَهْلَ الشِّرْكِ، مُصَدِّقًا رَسُولَهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِالْعَوْنِ لَهُ، وَالنُّصْرَةِ عَلَىٰ مَنْ جَاهَدَ مِنْ أَعْدَائِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ

سُورَةُ الرُّومِ (٣٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتُّونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ①﴾ [الروم: ١].

﴿الٓمٓ ①﴾ [الروم: ١] قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ مَعْنَاه، فأغنىٰ ذِلكَ عَنْ إعادتهِ فِي هَذَا الموضوعِ.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ②﴾ [الروم: ٢].

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ②﴾ [الروم: ٢] غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومَ.

﴿فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③﴾ [الروم: ٣].

﴿فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ فِي أَقْرَبِ الْأَرْضِ مِنْ فَارِسَ، يعني: مِنْ أَرْضِ الشَّامِ إِلَىٰ أَرْضِ فَارِسَ..

﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③﴾ [الروم: ٣] وَالرُّومُ مِنْ بَعْدِ غَلَبَةِ فَارِسَ إِيَّاهُمْ سَيَغْلِبُونَ فَارِسَ.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ④﴾ [الروم: ٤].

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾ غَلَبَتِهِمْ فَارِسَ..

﴿وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾ غَلَبَتِهِمْ إِيَّاهَا، يَقْضِي فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ، وَيَحكُمُ مَا يُرِيدُ، وَيُظْهِرُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ إِظْهَارَهُ عَلَيْهِ..

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ وَيَوْمَ يَغْلِبُ الرُّومُ فَارِسَ..

﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ④﴾ [الروم: ٤] بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤﴾ [الروم: ٥].

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ﴾ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَنُصْرَةِ الرُّومِ عَلَىٰ فَارِسَ..

﴿يَنصُرُ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿مَن يَشَآءُۖ﴾ مِنْ خَلْقِهِ، عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ نُصْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ وَاللهُ الشَّدِيدُ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ

وَبَيْنَهُ حَائِلٌ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: ٥] بِمَنْ تَابَ مِنْ خَلْقِهِ، وَرَاجَعَ طَاعَتَهُ أَنْ يُعَذِّبَهُ.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم: ٦].

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَعْدًا أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ مِنْ بَعْدِ غَلَبَةِ فَارِسَ لَهُمْ..

﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ يَفِي بِوَعْدِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الرُّومَ سَيَغْلِبُونَ فَارِسَ، لَا يُخْلِفُهُمْ وَعْدَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي مَوَاعِيدِهِ خُلْفٌ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِأَنَّ اللهَ مُنْجِزُ وَعْدِهِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَنَّ الرُّومَ تَغْلِبُ فَارِسَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم: ٦] أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي وَعْدِ اللهِ إِخْلَافٌ.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧].

﴿يَعْلَمُونَ﴾ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِحَقِيقَةِ خَبَرِ اللهِ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ..

﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ظَاهِرًا مِنْ حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، وَتَدْبِيرِ مَعَايِشِهِمْ فِيهَا، وَمَا يُصْلِحُهُمْ..

﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وَهُمْ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِمْ، وَمَا لَهُمْ فِيهِ النَّجَاةُ مِنْ عِقَابِ اللهِ هُنَالِكَ..

﴿هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧] لَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الروم: ٨].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ﴾ فِي خَلْقِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُمْ وَلَمْ يَكُونُوا شَيْئًا، ثُمَّ صَرَفَهُمْ أَحْوَالًا وَتَارَاتٍ، حَتَّىٰ صَارُوا رِجَالًا؛ فَيَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ قَادِرٌ أَنْ يُعِيدَهُمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا، ثُمَّ يُجَازِي الْمُحْسِنَ مِنْهُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ فَيُعَاقِبَهُ بِجُرْمِ غَيْرِهِ، وَلَا يَحْرِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَزَاءَ عَمَلِهِ؛ لِأَنَّهُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ..

﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إِلَّا بِالْعَدْلِ، وَإِقَامَةِ الْحَقِّ..

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ وَبِأَجَلٍ مُؤَقَّتٍ مُسَمًّى، إِذَا بَلَغَتْ ذَلِكَ الْوَقْتَ أَفْنَىٰ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَبَدَّلَ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ..

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الروم: ٨] جَاحِدُونَ مُنْكِرُونَ، جَهْلًا

مِنْهُمْ بِأَنَّ مَعَادَهُمْ إِلَىٰ اللهِ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَغَفْلَةٍ مِنْهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الروم: ٩].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أَوَلَمْ يَسِيرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِاللهِ، الْغَافِلُونَ عَنِ الْآخِرَةِ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَسْلُكُونَهَا تَجْرًا..

﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ فَيَنْظُرُوا إِلَىٰ آثَارِ اللهِ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا فِي تَكْذِيبِهَا رُسُلَهَا..

﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً..

﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ وَاسْتَخْرَجُوا الْأَرْضَ، وَحَرَثُوهَا..

﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرَ هَؤُلَاءِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ -مَعَ شِدَّةِ قُوَاهُمْ- مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَلَا نَفَعَتْهُمْ عِمَارَتُهُمْ مَا عَمَرُوا مِنَ الْأَرْضِ..

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْآيَاتِ، فَكَذَّبُوهُمْ، فَأَحَلَّ اللهُ بِهِمْ بَأْسَهُ..

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بِعِقَابِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ وَجُحُودِهِمْ آيَاتِهِ..

﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الروم: ٩] بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ.

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾ [الروم: ١٠].

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾ ثُمَّ كَانَ آخِرُ أَمْرِ مَنْ كَفَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا، وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بِاللهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَأَسَاءُوا بِذَلِكَ فِي فِعْلِهِمْ..

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ يَعْنِي: الْخَلَّةَ الَّتِي هِيَ أَسْوَأُ مِنْ فِعْلِهِمْ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا، فَالْبَوَارُ وَالْهَلَاكُ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالنَّارُ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَلَا هُمْ يَسْتَعْتِبُونَ..

﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ كَانَتْ لَهُمُ السُّوأَىٰ، لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا فِي الدُّنْيَا بِآيَاتِ اللهِ..

﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾ [الروم: ١٠] وَكَانُوا بِحُجَجِ اللهِ، وَهُمْ أَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ يَسْخَرُونَ.

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [الروم: ١١].

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ يَبْدَأُ إِنْشَاءَ جَمِيعِ الْخَلْقِ مُنْفَرِدًا بِإِنْشَائِهِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا ظَهِيرٍ، فَيُحْدِثُهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، بَلْ بِقُدْرَتِهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ ثُمَّ يُعِيدُهُ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ إِفْنَائِهِ وَإِعْدَامِهِ، كَمَا بَدَأَهُ خَلْقًا سَوِيًّا، وَلَمْ يَكُ شَيْئًا..

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [الروم: ١١] ثُمَّ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِ إِعَادَتِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا يُرَدُّونَ، فَيُحْشَرُونَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ وَ ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [النجم: ٣١].

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢﴾ [الروم: ١٢].

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وَيَوْمَ تَجِيءُ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا يَفْصِلُ اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَيَنْشُرُ فِيهَا الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَيَحْشُرُهُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢﴾ [الروم: ١٢] يَيْأَسُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللهِ، وَاكْتَسَبُوا فِي الدُّنْيَا مَسَاوِئَ الْأَعْمَالِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَيَكْتَئِبُونَ وَيَتَنَدَّمُونَ.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ١٣﴾ [الروم: ١٣].

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم﴾ لَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ -يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ- الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ..

﴿مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُمْ، عَلَىٰ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، فَيُشَارِكُونَهُمْ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ، وَالْمُعَاوَنَةِ عَلَىٰ أَذَىٰ رُسُلِهِ..

﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ يَشْفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، فَيَسْتَنْقِذُوهُمْ مِنْ عَذَابِهِ..

﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ﴾ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ فِي الضَّلَالَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللهِ..

﴿كَٰفِرِينَ ١٣﴾ [الروم: ١٣] يَجْحَدُونَ وِلَايَتَهُمْ، وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤﴾ [الروم: ١٤].

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وَيَوْمَ تَجِيءُ السَّاعَةُ الَّتِي يُحْشَرُ فِيهَا الْخَلْقُ إِلَىٰ اللهِ..

﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ..

﴿يَتَفَرَّقُونَ ⁕﴾ [الروم: ١٤] يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَأَهْلُ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ⁕﴾ [الروم: ١٥].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فَأَمَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْكُفْرِ فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَىٰ النَّارِ، فَهُنَالِكَ يُمَيِّزُ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾ فَهُمْ فِي الرَّيَاحِينِ وَالنَّبَاتَاتِ الْمُلْتَفَّةِ، وَبَيْنَ أَنْوَاعِ الزَّهْرِ فِي الْجِنَّانِ..

﴿يُحۡبَرُونَ ⁕﴾ [الروم: ١٥] يُسَرُّونَ، وَيُلَذُّونَ بِالسَّمَاعِ وَطِيبِ الْعَيْشِ الْهَنِيِّ، وَإِنَّمَا خَصَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذِكْرَ الرَّوْضَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الطَّرَفَيْنِ أَحْسَنُ مَنْظَرًا، وَلَا أَطْيَبُ نُشْرًا مِنَ الرِّيَاضِ، فَأَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ تَعَالَىٰ، أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْمَنْظَرِ الْأَنِيقِ، وَاللَّذِيذِ مِنَ الْأَرَايِيحِ، وَالْعَيْشِ الْهَنِيِّ فِيمَا يُحِبُّونَ، وَيُسَرُّونَ بِهِ، وَيُغْبَطُونَ عَلَيْهِ.. وَالْحِبَرَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: السُّرُورُ وَالْغِبْطَةُ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ⁕﴾ [الروم: ١٦].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ..

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَالنُّشُورِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ⁕﴾ [الروم: ١٦] قَدْ أَحْضَرَهُمُ اللهُ إِيَّاهَا، فَجَمَعَهُمْ فِيهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُكَذِّبُونَ.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ⁕﴾ [الروم: ١٧].

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فَسَبِّحُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، أَيْ صَلُّوا لَهُ..

﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ وَذَلِكَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ..

﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ⁕﴾ [الروم: ١٧] وَذَلِكَ صَلَاةُ الصُّبْحِ.

﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ⁕﴾ [الروم: ١٨].

﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنْ سُكَّانِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مِنْ أَهْلِهَا، مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ خَلْقِهِ فِيهَا..

﴿وَعَشِيّٗا﴾ وَسَبِّحُوهُ أَيْضًا عَشِيًّا، وَذَلِكَ صَلَاةُ الْعَصْرِ..

﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ [الروم: ١٨] وَحِينَ تَدْخُلُونَ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ.

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [الروم: ١٩].

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ صَلُّوا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فِيهَا أَيُّهَا النَّاسُ للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْحَيُّ مِنَ الْمَاءِ الْمَيِّتِ..

﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ وَيُخْرِجُ الْمَاءَ الْمَيِّتَ مِنَ الْإِنْسَانِ الْحَيِّ..

﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ فَيُنْبِتُهَا، وَيُخْرِجُ زَرْعَهَا بَعْدَ خَرَابِهَا وَجُدُوبِهَا..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَيُخْرِجُ نَبَاتَهَا وَزَرْعَهَا، كَذَلِكَ..

﴿تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [الروم: ١٩] يُحْيِيكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، فَيُخْرِجُكُمْ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠﴾ [الروم: ٢٠].

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ عَلَىٰ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ إِنْشَاءٍ وَإِفْنَاءٍ، وَإِيجَادٍ وَإِعْدَامٍ، وَأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ فَخَلْقُهُ خَلْقُهُ إِيَّاكُم مِنْ تُرَابٍ، يَعْنِي بِذَلِكَ خَلْقَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ تُرَابٍ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ فِعْلَهُ بِأَبِيهِمْ..

﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم﴾ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ مَعْشَرَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ..

﴿بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠﴾ [الروم: ٢٠] تَتَصَرَّفُونَ.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم: ٢١].

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ وَأَدِلَّتِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا خَلْقُهُ لِأَبِيكُمْ آدَمَ مِنْ نَفْسِهِ زَوْجَةً لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِ آدَمَ..

﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم﴾ بِالْمُصَاهَرَةِ وَالْخُتُونَةِ..

﴿مَّوَدَّةٗ﴾ تَتَوَادُّونَ بِهَا، وَتَتَوَاصَلُونَ مِنْ أَجْلِهَا..

﴿وَرَحْمَةً﴾ رَحِمَكُمْ بِهَا، فَعَطَفَ بَعْضُكُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ..

﴿لَآيَاتٍ﴾ لَعِبَرًا وَعِظَاتٍ..

﴿يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الروم: ٢١] لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ فِي حُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ شَاءَهُ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۝٢٢﴾ [الروم: ٢٢].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ وَأَدِلَّتِهِ أَيْضًا عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ إِذَا شَاءَ أَمَاتَ مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ وَأَعَادَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ إِمَاتَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَحْدَثَ ذَلِكَ مِنْهُ، بَلْ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يَمْتَنِعُ مَعَهَا عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ..

﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ وَاخْتِلَافُ مَنْطِقِ أَلْسِنَتِكُمْ وَلُغَاتِهَا..

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِ أَجْسَامِكُمْ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۝٢٢﴾ [الروم: ٢٢] لَعِبَرًا وَأَدِلَّةً لِخَلْقِهِ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ أَنَّهُ لَا يَعْيِيهُ إِعَادَتُهُمْ لِهَيْئَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا بِهَا قَبْلَ مَمَاتِهِمْ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهِمْ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٢٣﴾ [الروم: ٢٣].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ تَقْدِيرُهُ السَّاعَاتِ وَالْأَوْقَاتِ، وَمُخَالَفَتُهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَجَعَلَ اللَّيْلَ لَكُمْ سَكَنًا تَسْكُنُونَ فِيهِ، وَتَنَامُونَ فِيهِ، وَجَعَلَ النَّهَارَ مُضِيئًا لِتَصَرُّفِكُمْ فِي مَعَايِشِكُمْ وَالْتِمَاسِكُمْ فِيهِ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٢٣﴾ [الروم: ٢٣] إِنَّ فِي فِعْلِ اللهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَعِبَرًا وَذِكْرَىٰ وَأَدِلَّةً عَلَىٰ أَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ مَوَاعِظَ اللهِ، فَيَتَّعِظُونَ بِهَا، وَيَعْتَبِرُونَ فَيَفْهَمُونَ حُجَجَ اللهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٤﴾ [الروم: ٢٤].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ..

﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لَكُمْ إِذَا كُنْتُمْ سَفَرًا، أَنْ تُمْطَرُوا فَتَتَأَذَّوْا بِهِ..

﴿وَطَمَعًا﴾ لَكُمْ، إِذَا كُنْتُمْ فِي إِقَامَةٍ أَنْ تُمْطَرُوا، فَتَحْيَوْا وَتُخْصِبُوا..

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا..

﴿فَيُحْيِۦ بِهِ﴾ فَيُحْيِي بِذَلِكَ الْمَاءِ..

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ الْمَيْتَةَ، فَتُنْبِتُ وَيَخْرُجُ زَرْعُهَا..

﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ بَعْدَ جُدُوبِهَا وَدُرُوسِهَا..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لَعِبَرًا وَأَدِلَّةً..

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٤﴾ [الروم: ٢٤] عَنِ اللهِ حُجَجِهِ وَأَدِلَّتِهِ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۝٢٥﴾ [الروم: ٢٥].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ..

﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قِيَامُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرِهِ خُضُوعًا لَهُ بِالطَّاعَةِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تُرَىٰ..

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۝٢٥﴾ [الروم: ٢٥] مِنَ الْأَرْضِ، إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِ إِيَّاكُمْ.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝٢٦﴾ [الروم: ٢٦].

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ مَلَكٍ وَجِنٍّ وَإِنْسٍ عَبِيدٍ وَمُلُوكٍ..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقٍ..

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝٢٦﴾ [الروم: ٢٦] للهِ مُطِيعٌ فِي تَصَرُّفِهِ فِيمَا أَرَادَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَإِنْ عَصَاهُ فِيمَا يَكْسِبُهُ بِقَوْلِهِ، وَفِيمَا لَهُ السَّبِيلُ إِلَىٰ اخْتِيَارِهِ وَإِيثَارِهِ عَلَىٰ خِلَافِهِ؛ لِأَنَّ الْعُصَاةَ مِنْ خَلْقِهِ فِيمَا لَهُمُ السَّبِيلُ إِلَىٰ اكْتِسَابِهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ

جَمِيعِهِمْ أَنَّهُمْ لَهُ قَانِتُونَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخْبِرَ عَمَّنْ هُوَ عَاصٍ أَنَّهُ لَهُ قَانِتٌ فِيمَا هُوَ لَهُ عَاصٍ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالَّذِي فِيهِ عَاصٍ هُوَ مَا وَصَفْتُ، وَالَّذِي هُوَ لَهُ قَانِتٌ مَا بَيَّنْتُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ لَهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هُوَ الَّذِي..

﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ فَيُنْشِئُهُ وَيُوجِدُهُ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، ثُمَّ يُفْنِيهُ بَعْدَ ذَلِكَ..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ كَمَا بَدَأَهُ بَعْدَ فَنَائِهِ..

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَهُوَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: وَإِعَادَةُ الْخَلْقِ بَعْدَ فَنَائِهِمْ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنِ ابْتِدَاءِ خَلْقِهِمْ..

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ وَللهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَذَلِكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ، تَعَالَىٰ رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَتَصْرِيفِهِمْ فِيمَا أَرَادَ مِنْ إِحْيَاءٍ وَإِمَاتَةٍ، وَبَعْثٍ وَنَشْرٍ، وَمَا شَاءَ.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: ٢٨].

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ﴾ مَثَّلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ رَبُّكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ..

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ مِنْ مَمَالِيكِكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ..

﴿فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ مِنْ مَالٍ..

﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ وَهُمْ، يَقُولُ: فَإِذَا لَمْ تَرْضَوْا بِذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ، فَكَيْفَ رَضِيتُمْ أَنْ تَكُونَ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لِي شُرَكَاءَ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّايَ وَأَنْتُمْ وَهُمْ عَبِيدِي وَمَمَالِيكِي، وَأَنَا مَالِكُ جَمِيعِكُمْ..

﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ تَخَافُونَ هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..

﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ أَنْ يُقَاسِمُوكُمْ أَمْوَالَكُمْ، كَمَا يُقَاسِمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.. فَوَبَّخَ اللهُ هَؤُلَاءِ

الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا، وَأَشْرَكُوهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُقِرُّونَ بِأَنَّهَا خَلْقُهُ وَهُمْ عَبِيدُهُ، وَعَيَّرَهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ مِنْ عَبِيدِكُمْ شُرَكَاءُ فِيمَا خَوَّلْنَاكُمْ مِنْ نِعَمِنَا، فَهُمْ سَوَاءٌ، أَنْتُمْ فِي ذَلِكَ تَخَافُونَ أَنْ يُقَاسِمُوكُمْ ذَلِكَ الْمَالَ الَّذِي هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، كَخِيفَةِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا أَنْ يُقَاسِمَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَالِ شِرْكَةً، فَالْخِيفَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِأَنْ تَكُونَ خِيفَةً مِمَّا يَخَافُ الشَّرِيكُ مِنْ مُقَاسَمَةِ شَرِيكِهِ الْمَالَ الَّذِي بَيْنَهُمَا إِيَّاهُ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ خِيفَةً مِنْهُ بِأَنْ يَرِثَهُ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الشَّرِكَةِ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ خِيفَةِ الْوِرَاثَةِ، وَقَدْ يَدُلُّ عَلَىٰ خِيفَةِ الْفِرَاقِ وَالْمُقَاسَمَةِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَّا لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ حُجَجَنَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَىٰ قُدْرَتِنَا عَلَىٰ مَا نَشَاءُ مِنْ إِنْشَاءِ مَا نَشَاءُ، وَإِفْنَاءِ مَا نُحِبُّ، وَإِعَادَةِ مَا نُرِيدُ إِعَادَتَهُ بَعْدَ فَنَائِهِ، وَدَلَلْنَا عَلَىٰ أَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نُبَيِّنُ حُجَجَنَا فِي كُلِّ حَقٍّ..

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٨﴾ [الروم: ٢٨] فَيَتَدَبَّرُونَهَا إِذَا سَمِعُوهَا، وَيَعْتَبِرُونَ فَيَتَّعِظُونَ بِهَا.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٩﴾ [الروم: ٢٩].

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ﴾ مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَا أَشْرَكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَةِ اللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، لِأَنَّ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِيمَا رَزَقَهُمُ اللهُ مِنْ مِلْكِ أَيْمَانِهِمْ، فَهُمْ وَعَبِيدُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ، يَخَافُونَ أَنْ يُقَاسِمُوهُمْ مَا هُمْ وَشُرَكَاؤُهُمْ فِيهِ، فَرَضُوا للهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِمَا رَضُوا بِهِ لِأَنْفُسِهِمْ، فَأَشْرَكُوهُمْ فِي عِبَادَتِهِ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَكَفَرُوا بِاللهِ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، جَهْلًا مِنْهُمْ لِحَقِّ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَأَشْرَكُوا الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ فِي عِبَادَتِهِ..

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ فَمَنْ يُسَدِّدُ لِلصَّوَابِ مِنَ الطُّرُقِ، يَعْنِي بِذَلِكَ: مَنْ يُوَفِّقُ لِلْإِسْلَامِ مَنْ أَضَلَّ اللهُ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ وَالرَّشَادِ؟..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٩﴾ [الروم: ٢٩] وَمَا لِمَنْ أَضَلَّ اللهُ مِنْ نَاصِرِينَ يَنْصُرُونَهُ، فَيُنْقِذُونَهُ مِنَ الضَّلَالِ الَّذِي يَبْتَلِيهِ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ فَسَدِّدْ وَجْهَكَ نَحْوَ الْوَجْهِ الَّذِي وَجَّهَكَ إِلَيْهِ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ لِطَاعَتِهِ،

وَهِيَ الدِّينُ..

﴿حَنِيفًاۚ﴾ مُسْتَقِيمًا لِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ صَنْعَةَ اللهِ..

﴿ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ الَّتِي خَلَقَ النَّاسَ عَلَيْهَا.. وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عَلَىٰ ذَلِكَ فِطْرَةً..

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ لَا تَغْيِيرَ لِدِينِ اللهِ، أَيْ لَا يَصْلُحُ ذَلِكَ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ..

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ إِنَّ إِقَامَتَكَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا غَيْرَ مُغَيِّرٍ وَلَا مُبَدِّلَ هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، يَعْنِي: الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ إِلَىٰ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْبِدَعِ الْمُحْدَثَةِ.. وَقَدْ وَجَّهَ بَعْضُهُمْ مَعْنَىٰ الدِّينِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَىٰ الْحِسَابِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠] أَنَّ الدِّينَ الَّذِي أَمَرْتُكَ يَا مُحَمَّدُ بِهِ بِقَوْلِي ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ﴾ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ دُونَ سَائِرِ الْأَدْيَانِ غَيْرِهِ.

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣١].

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ تَائِبِينَ رَاجِعِينَ إِلَىٰ اللهِ مُقْبِلِينَ..

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ وَخَافُوا اللهَ وَرَاقِبُوهُ أَنْ تُفَرِّطُوا فِي طَاعَتِهِ، وَتَرْكَبُوا مَعْصِيَتَهُ..

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣١] وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ بِتَضْيِيعِكُمْ فَرَائِضَهُ، وَرُكُوبِكُمْ مَعَاصِيهِ، وَخِلَافِكُمُ الدِّينَ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَيْهِ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٢].

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَدَّلُوا دِينَهُمْ وَخَالَفُوهُ فَفَارَقُوهُ..

﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ وَكَانُوا أَحْزَابًا فِرَقًا كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.. وَلَوْ وُجِّهَ قَوْلُهُ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ إِلَىٰ أَنَّهُ خَبَرٌ مُسْتَأْنَفٌ مُنْقَطِعٌ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣١]، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ أَحْزَابًا ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ كَانَ وَجْهًا يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ..

﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾ كُلُّ طَائِفَةٍ وَفِرْقَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمُ الْحَقَّ، فَأَحْدَثُوا الْبِدَعَ الَّتِي أَحْدَثُوا..

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بِمَا هُمْ بِهِ مُتَمَسِّكُونَ مِنَ الْمَذْهَبِ..

﴿فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٢] مَسْرُورُونَ، يَحْسَبُونَ أَنَّ الصَّوَابَ مَعَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [الروم: ٣٣].

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ وَإِذَا مَسَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ ضُرٌّ، فَأَصَابَتْهُمْ شِدَّةٌ وَجُدُوبٌ وَقُحُوطٌ..

﴿دَعَوۡاْ رَبَّهُم﴾ أَخْلَصُوا لِرَبِّهِمُ التَّوْحِيدَ، وَأَفْرَدُوهُ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَاسْتَغَاثُوا بِهِ..

﴿مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ تَائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ..

﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ رَبُّهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الضُّرَّ وَفَرَّجَهُ عَنْهُمْ وَأَصَابَهُمْ بِرَخَاءٍ وَخِصْبٍ وَسَعَةٍ..

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم﴾ إِذَا جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ..

﴿بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [الروم: ٣٣] يَعْبُدُونَ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ.

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ [الروم: ٣٤].

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ﴾ يَجْحَدُوا النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْهِمْ بِكَشْفِي عَنْهُمُ الضُّرَّ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، وَإِبْدَالِي ذَلِكَ لَهُمْ بِالرَّخَاءِ وَالْخِصْبِ وَالْعَافِيَةِ..

﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ بِالَّذِي آتَيْنَاكُمْ مِنَ الرَّخَاءِ وَالسَّعَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا..

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ [الروم: ٣٤] إِذَا وَرَدْتُمْ عَلَىٰ رَبِّكُمْ مَا تَلْقَوْنَ مِنْ عَذَابِهِ وَعَظِيمِ عِقَابِهِ، عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥﴾ [الروم: ٣٥].

﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِنَا الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿سُلۡطَٰنًا﴾ كِتَابًا بِتَصْدِيقِ مَا يَقُولُونَ، وَبِحَقِيقَةِ مَا يَفْعَلُونَ..

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥﴾ [الروم: ٣٥] فَذَلِكَ الْكِتَابُ يَنْطِقُ بِصِحَّةِ شِرْكِهِمْ؛ وَإِنَّمَا يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ: أَنَّهُ لَمْ يُنْزِلْ بِمَا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ كِتَابًا، وَلَا أَرْسَلَ بِهِ رَسُولًا، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ افْتَعَلُوهُ وَاخْتَلَقُوهُ، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِأَهْوَائِهِمْ.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦﴾ [الروم: ٣٦].

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً﴾ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مِنَّا خِصْبٌ وَرَخَاءٌ، وَعَافِيَةٌ فِي الْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ..

﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ فَرِحُوا بِذَلِكَ..

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وَإِنْ تُصِبْهُمْ مِنَّا شِدَّةٌ مِنْ جَدْبٍ وَقَحْطٍ وَبَلَاءٍ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ..

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بِمَا أَسْلَفُوا مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ، وَرَكِبُوا مِنَ الْمَعَاصِي..

﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝٣٦﴾ [الروم: ٣٦] إِذَا هُمْ يَيْأَسُونَ مِنَ الْفَرَجِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ۝٣٧﴾ [الروم: ٣٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أَوَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ عِنْدَ الرَّخَاءِ يُصِيبُهُمْ وَالْخِصْبِ، وَيَيْأَسُونَ مِنَ الْفَرَجِ عِنْدَ شِدَّةٍ تَنَالُهُمْ، بِعُيُونِ قُلُوبِهِمْ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ الشِّدَّةَ وَالرَّخَاءَ بِيَدِ اللهِ، وَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ فَيُوسِعُهُ عَلَيْهِ..

﴿وَيَقْدِرُۚ﴾ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ فَيُضَيِّقُهُ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي بَسْطِهِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ بَسَطَهُ عَلَيْهِ، وَقَدْرِهِ عَلَىٰ مَنْ قَدَرَهُ عَلَيْهِ، وَمُخَالَفَتِهِ بَيْنَ مَنْ خَالَفَ بَيْنَهُ مِنْ عِبَادِهِ فِي الْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ..

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ۝٣٧﴾ [الروم: ٣٧] لَدِلَالَةً وَاضِحَةً لِمَنْ صَدَّقَ حِجَجَ اللهِ وَأَقَرَّ بِهَا إِذَا عَايَنَهَا وَرَآهَا.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٣٨﴾ [الروم: ٣٨].

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ فَأَعْطِ يَا مُحَمَّدُ ذَا الْقَرَابَةِ مِنْكَ حَقَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصِّلَةِ وَالْبِرِّ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ، مَا فَرَضَ اللهُ لَهُمَا فِي ذَلِكَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِيتَاءُ هَؤُلَاءِ حُقُوقَهُمُ الَّتِي أَلْزَمَهَا اللهُ عِبَادَهُ..

﴿خَيْرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ﴾ بِإِتْيَانِهِمْ ذَلِكَ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مُبْتَغِيًا وَجْهَ اللهِ بِهِ، فَأُولَئِكَ..

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٣٨﴾ [الروم: ٣٨] هُمُ الْمُنْجِحُونَ، الْمُدْرِكُونَ طَلِبَاتِهِمْ عِنْدَ اللهِ، الْفَائِزُونَ بِمَا ابْتَغَوْا وَالْتَمَسُوا بِإِيتَائِهِمْ إِيَّاهُمْ مَا آتَوْا.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ۝٣٩﴾ [الروم: ٣٩].

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ وَمَا أَعْطَيْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ عَطِيَّةٍ

لِتَزْدَادَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ بِرُجُوعِ ثَوَابِهَا إِلَيْهِ، مِمَّنْ أَعْطَاهُ ذَلِكَ..

﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فَلَا يَزْدَادُ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَمْ يُعْطِهِ مَنْ أَعْطَاهُ مُبْتَغِيًا بِهِ وَجْهَهُ..

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ وَمَا أَعْطَيْتُمْ مِنْ صَدَقَةٍ..

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ يَتَصَدَّقُونَ بِأَمْوَالِهِمْ مُلْتَمِسِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ..

﴿هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩] هُمُ الَّذِينَ لَهُمُ الضِّعْفُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ، مُعَرِّفَهُمْ قُبْحَ فِعْلِهِمْ، وَخُبْثَ صَنِيعِهِمْ: اللهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِهِ، هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا..

﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ وَخَوَّلَكُمْ، وَلَمْ تَكُونُوا تَمْلِكُونَ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ ثُمَّ هُوَ يُمِيتُكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ خَلَقَكُمْ أَحْيَاءً..

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ لِبَعْثِ الْقِيَامَةِ..

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ هَلْ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَوْثَانِكُمُ الَّتِي تَجْعَلُونَهُمْ للهِ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ شُرَكَاءَ..

﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ فَيَخْلُقُ أَوْ يَرْزُقُ، أَوْ يُمِيتُ، أَوْ يَنْشُرُ؛ وَهَذَا مِنَ اللهِ تَقْرِيعٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ أَنَّ شُرَكَاءَهُمْ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ لِعَبْدٍ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؟ ثُمَّ بَرَّأَ نَفْسَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْفِرْيَةِ الَّتِي افْتَرَاهَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ لَهُ شُرَكَاءُ..

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تَنْزِيهًا للهِ وَتَبْرِئَةً..

﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ وَعُلُوًّا لَهُ..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠] عَنْ شِرْكِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ ظَهَرَتْ مَعَاصِي اللهِ، وَانْتَشَرَ الظُّلْمُ فِيهِمَا..

﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مِنْ بَرٍّ وَبَحْرٍ..

﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ بِذُنُوبِ النَّاسِ..

﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ لِيُصِيبَهُمْ بِعُقُوبَةِ بَعْضِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوا، وَمَعْصِيَتِهِمُ الَّتِي عَصَوْا..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١] كَيْ يُنِيبُوا إِلَىٰ الْحَقِّ، وَيَرْجِعُوا إِلَىٰ التَّوْبَةِ، وَيَتْرُكُوا مَعَاصِيَ اللهِ.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ٤٢﴾ [الروم: ٤٢].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ سِيرُوا فِي الْبِلَادِ..

﴿فَٱنظُرُواْ﴾ إِلَىٰ مَسَاكِنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ..

﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ﴾ كَيْفَ كَانَ آخِرُ أَمْرِهِمْ، وَعَاقِبَةُ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللهِ وَكُفْرِهِمْ، أَلَمْ نُهْلِكْهُمْ بِعَذَابٍ مِنَّا، وَنَجْعَلْهُمْ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ؟..

﴿كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ٤٢﴾ [الروم: ٤٢] فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ، لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ بِاللهِ مِثْلَهُمْ.

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ٤٣﴾ [الروم: ٤٣].

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾ فَوَجِّهْ وَجْهَكَ يَا مُحَمَّدُ نَحْوَ الْوَجْهِ الَّذِي وَجَّهَكَ إِلَيْهِ رَبُّكَ..

﴿لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ لِطَاعَةِ رَبِّكَ، وَالْمِلَّةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الَّتِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهَا عَنِ الْحَقِّ..

﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ﴾ مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ اللهِ لَا مَرَدَّ لَهُ لِمَجِيئِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ قَضَىٰ بِمَجِيئِهِ، فَهُوَ لَا مَحَالَةَ جَاءٍ..

﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يَوْمَ يَجِيءُ ذَلِكَ الْيَوْمُ..

﴿يَصَّدَّعُونَ ٤٣﴾ [الروم: ٤٣] يَصَّدَّعُ النَّاسُ، يَقُولُ: يَتَفَرَّقُ النَّاسُ فِرْقَتَيْنِ.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ٤٤﴾ [الروم: ٤٤].

﴿مَن كَفَرَ﴾ بِاللهِ..

﴿فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ فَعَلَيْهِ أَوْزَارُ كُفْرِهِ، وَآثَامُ جُحُودِهِ نِعَمَ رَبِّهِ..

﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ وَمَنْ أَطَاعَ اللهَ، فَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ فِيهَا..

﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] فَلِأَنْفُسِهِمْ يَسْتَعِدُّونَ، وَيُسَوُّونَ الْمَضْجَعَ، لِيَسْلَمُوا مِنْ عِقَابِ رَبِّهِمْ، وَيَنْجُوا مِنْ عَذَابِهِ.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: ٤٥].

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ..

﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الَّذِي وَعَدَ مَنْ أَطَاعَهُ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَجْزِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: ٤٥] إِنَّمَا خَصَّ بِجَزَائِهِ مِنْ فَضْلِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ دُونَ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ وَمِنْ أَدِلَّتِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَحُجَجِهِ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ أَنَّهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بِالْغَيْثِ وَالرَّحْمَةِ..

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ وَلِيُنَزِّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَهِيَ الْغَيْثُ الَّذِي يُحْيِي بِهِ الْبِلَادَ..

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ وَلِتَجْرِيَ السُّفُنُ فِي الْبِحَارِ بِهَا بِأَمْرِهِ إِيَّاهَا..

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ وَلِتَلْتَمِسُوا مِنْ أَرْزَاقِهِ وَمَعَايِشِكُمُ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَكُمْ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦] وَلِتَشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَرْسَلَ هَذِهِ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُسَلِّيًا نَبِيَّهُ ﷺ فِيمَا يَلْقَىٰ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْأَذَىٰ فِيهِ بِمَا لَقِيَ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ رُسُلِهِ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَمُعَلِّمَهُ سُنَّتَهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْمِهِمْ، وَأَنَّهُ سَالِكٌ بِهِ وَبِقَوْمِهِ سُنَّتَهُ فِيهِمْ، وَفِي أُمَمِهِمْ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ الْكَفَرَةِ، كَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَىٰ قَوْمِكَ الْعَابِدِي الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الْوَاضِحَاتِ مِنَ الْحُجَجِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، وَأَنَّهُمْ للهِ رُسُلٌ، كَمَا جِئْتَ أَنْتَ قَوْمَكَ بِالْبَيِّنَاتِ، فَكَذَّبُوهُمْ كَمَا كَذَّبَكَ قَوْمُكَ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَمَا رَدُّوا

عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا الْآثَامَ، وَاكْتَسَبُوا السَّيِّئَاتِ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَنَحْنُ فَاعِلُو ذَلِكَ كَذَلِكَ بِمُجْرِمِي قَوْمِكَ، وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا، وَكَذَلِكَ نَفْعَلُ بِكَ وَبِمَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم: ٤٧] عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، وَنَحْنُ نَاصِرُوكَ وَمَنْ آمَنَ بِكَ عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَمُظَفِّرُوكَ بِهِمْ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨﴾ [الروم: ٤٨].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ فَتُنْشِئُ الرِّيَاحُ سَحَابًا، وَهِيَ جَمْعُ سَحَابَةٍ..

﴿فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ فَيَنْشُرُهُ اللهُ، وَيَجْمَعُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ..

﴿وَيَجۡعَلُهُۥ﴾ وَيَجْعَلُ السَّحَابَ..

﴿كِسَفٗا﴾ قِطَعًا مُتَفَرِّقَةً..

﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾ الْمَطَرَ..

﴿يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ..

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ فَإِذَا صَرَفَ ذَلِكَ الْوَدْقَ إِلَىٰ أَرْضِ مَنْ أَرَادَ صَرْفَهُ إِلَىٰ أَرْضِهِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨﴾ [الروم: ٤٨] رَأَيْتَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بِأَنَّهُ صَرَفَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَيَفْرَحُونَ.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ٤٩﴾ [الروم: ٤٩].

﴿وَإِن كَانُواْ﴾ وَكَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصَابَهُمُ اللهُ بِهَذَا الْغَيْثِ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْغَيْثُ..

﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْغَيْثِ..

﴿لَمُبۡلِسِينَ ٤٩﴾ [الروم: ٤٩] لَمُكْتَئِبِينَ حَزِنِينَ بِاحْتِبَاسِهِ عَنْهُمْ.

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الروم: ٥٠].

﴿فَٱنظُرۡ﴾ فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ إِلَىٰ آثَارِ الْغَيْثِ الَّذِي يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّحَابِ..

﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كَيْفَ يُحْيِي بِهَا الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ، فَيُنْبِتُهَا وَيُعْشِبُهَا..

﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا، وَدُثُورِهَا..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ الَّذِي يُحْيِي هَذِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بِهَذَا الْغَيْثِ..

﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ..

﴿قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الروم: ٥٠] لَا يَعِزُّ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ شَاءَهُ سُبْحَانَهُ.

﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١﴾ [الروم: ٥١].

﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا﴾ مُفْسِدَةً مَا أَنْبَتَهُ الْغَيْثُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَرَأَوۡهُ﴾ فَرَأَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصَابَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ الْغَيْثِ، الَّذِي حَيِيَتْ بِهِ أَرْضُوهُمْ، وَأَعْشَبَتْ وَنَبَتَتْ بِهِ زُرُوعُهُمْ مَا أَنْبَتَتْهُ أَرْضُوهُمْ بِذَلِكَ الْغَيْثِ مِنَ الزَّرْعِ..

﴿مُصۡفَرّٗا﴾ قَدْ فَسَدَ بِتِلْكَ الرِّيحِ الَّتِي أَرْسَلْنَاهَا، فَصَارَ مِنْ بَعْدِ خُضْرَتِهِ مُصْفَرًّا..

﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِ اسْتِبْشَارِهِمْ وَفَرْحَتِهِمْ بِهِ..

﴿يَكۡفُرُونَ ٥١﴾ [الروم: ٥١] بِرَبِّهِمْ.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢﴾ [الروم: ٥٢].

﴿فَإِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ لَا تَجْعَلُ لَهُمْ أَسْمَاعًا يَفْهَمُونَ بِهَا عَنْكَ مَا تَقُولُ لَهُمْ، وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ مَعْنَاهُ: فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهِمَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَدْ خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ أَسْمَاعِهِمْ، فَسَلَبَهُمْ فَهْمَ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ مَوَاعِظِ تَنْزِيلِهِ، كَمَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهِمَ الْمَوْتَىٰ الَّذِينَ قَدْ سَلَبَهُمُ اللهُ أَسْمَاعَهُمْ، بِأَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ أَسْمَاعًا..

﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ وَكَمَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُسْمِعَ الصُّمَّ الَّذِينَ قَدْ سُلِبُوا السَّمْعَ الدُّعَاءَ..

﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢﴾ [الروم: ٥٢] إِذَا هُمْ وَلَّوْا عَنْكَ مُدْبِرِينَ، كَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُوَفِّقَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ سَلَبَهُمُ اللهُ فَهْمَ آيَاتِ كِتَابِهِ، لِسَمَاعِ ذَلِكَ وَفَهْمِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْكَافِرِ؛ فَكَمَا لَا يَسْمَعُ الْمَيِّتُ الدُّعَاءَ، كَذَلِكَ لَا يَسْمَعُ الْكَافِرُ، ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢﴾ لَوْ أَنَّ أَصَمَّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ثُمَّ نَادَيْتَهُ لَمْ يَسْمَعْ، كَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَنْتَفِعُ بِمَا يَسْمَعُ).**

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝٥٣﴾ [الروم: ٥٣].

﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ﴾ بِمُسَدِّدٍ مَنْ أَعْمَاهُ اللهُ..

﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ﴾ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ، وَمَحَجَّةِ الْحَقِّ، فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِإِصَابَةِ الرُّشْدِ، فَصَارِفُهُ عَنْ ضَلَالَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَرُكُوبِهِ الْجَائِرَ مِنَ الطُّرُقِ، إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ، يَقُولُ: لَيْسَ ذَلِكَ بِيَدِكَ وَلَا إِلَيْكَ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرِي، لِأَنِّي الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿إِن تُسْمِعُ﴾ مَا تُسْمِعُ السَّمَاعَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ سَامِعُهُ فَيَعْقِلَهُ..

﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لِأَنَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا إِذَا سَمِعَ كِتَابَ اللهِ تَدَبَّرَهُ وَفَهِمَهُ وَعَقِلَهُ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، وَانْتَهَىٰ إِلَىٰ حُدُودِ اللهِ الَّذِي حَدَّ فِيهِ، فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ السَّمَاعَ النَّافِعَ..

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝٥٣﴾ [الروم: ٥٣] فَهُمْ خَاضِعُونَ للهِ بِطَاعَتِهِ، مُتَذَلِّلُونَ لِمَوَاعِظِ كِتَابِهِ.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم: ٥٤].

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَىٰ مَا يَشَاءُ: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن ضَعْفٍ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ وَمَاءٍ مَهِينٍ، فَأَنْشَأَكُمْ بَشَرًا سَوِيًّا..

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ ثُمَّ جَعَلَ لَكُمْ قُوَّةً عَلَىٰ التَّصَرُّفِ، مِنْ بَعْدِ خَلْقِهِ إِيَّاكُمْ مِنْ ضَعْفٍ، وَمِنْ بَعْدِ ضَعْفِكُمْ، بِالصِّغَرِ وَالطُّفُولَةِ..

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ﴾ ثُمَّ أَحْدَثَ لَكُمُ الضَّعْفَ بِالْهَرَمِ وَالْكِبَرِ عَمَّا كُنْتُمْ عَلَيْهِ أَقْوِيَاءَ فِي شَبَابِكُمْ وَشَيْبَةً..

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ مِنْ ضَعْفٍ وَقُوَّةٍ وَشَبَابٍ وَشَيْبٍ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم: ٥٤] عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، فَكَمَا فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، فَكَذَلِكَ يُمِيتُ خَلْقَهُ وَيُحْيِيهِمْ إِذَا شَاءَ، يَقُولُ: وَاعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ بِقُدْرَتِهِ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِذَا شَاءَ.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝٥٥﴾ [الروم: ٥٥].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وَيَوْمَ تَجِيءُ سَاعَةُ الْبَعْثِ، فَيُبْعَثُ الْخَلْقُ مِنْ قُبُورِهِمْ..

﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، وَيَكْتَسِبُونَ فِيهَا الْآثَامَ، وَإِقْسَامُهُمْ: حَلِفُهُمْ بِاللهِ..

﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ يُقْسِمُونَ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا فِي قُبُورِهِمْ غَيْرَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝٥٥﴾ [الروم: ٥٥] كَذَبُوا فِي قِيلِهِمْ، وَأَقْسَمُوا: مَا لَبِثْنَا غَيْرَ سَاعَةٍ، كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَكْذِبُونَ، وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦﴾ [الروم: ٥٦].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فِيمَا كَتَبَ اللهُ مِمَّا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّكُمْ تَلْبَثُونَهُ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ فَهَذَا يَوْمُ يُبْعَثُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ..

﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦﴾ [الروم: ٥٦] فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ يَكُونُ، وَأَنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، فَلِذَلِكَ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧﴾ [الروم: ٥٧].

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ فَيَوْمَ يُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ..

﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يَعْنِي: الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ فِي الدُّنْيَا..

﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: مَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَكُونُ، وَلَا أَنَّا نُبْعَثُ..

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧﴾ [الروم: ٥٧] وَلَا هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةُ يُسْتَرْجَعُونَ يَوْمَئِذٍ عَمَّا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ٥٨﴾ [الروم: ٥٨].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ وَلَقَدْ مَثَّلْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ احْتِجَاجًا عَلَيْهِمْ، وَتَنْبِيهًا لَهُمْ عَنْ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم﴾ وَلَئِنْ جِئْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ..

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ بِدَلَالَةٍ عَلَىٰ صِدْقِ مَا تَقُولُ..

﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا رِسَالَتَكَ، وَأَنْكَرُوا نُبُوَّتَكَ..

﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُصَدِّقُونَ مُحَمَّدًا فِيمَا أَتَاكُمْ بِهِ..

﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ ٥٨﴾ [الروم: ٥٨] فِيمَا تَجِيئُونَنَا بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٥٩﴾ [الروم: ٥٩].

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٥٩﴾ [الروم: ٥٩] كَذَلِكَ يَخْتِمُ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا تَأْتِيهِمْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ، وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، فَلَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ حُجَّةً، وَلَا يَفْهَمُونَ عَنْهُ مَا يَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ آيِ كِتَابِهِ، فَهُمْ لِذَلِكَ فِي طُغْيَانِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠].

﴿فَٱصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمَا يَنَالُكَ مِنْ أَذَاهُمْ، وَبَلِّغْهُمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ، فَـ..

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ الَّذِي وَعَدَكَ مِنَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ، وَالظَّفَرِ بِهِمْ، وَتَمْكِينِكَ وَتَمْكِينِ أَصْحَابِكَ، وَأَتْبَاعِكَ فِي الْأَرْضِ حَقٌّ..

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ حِلْمَكَ وَرَأْيَكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠] بِالْمَعَادِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، فَيُثَبِّطُوكَ عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَالنُّفُوذِ لِمَا كَلَّفَكَ مِنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَتَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الرُّومِ

سُورَةُ لُقْمَانَ (٣١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [لقمان: ١].

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [لقمان: ١] قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا فِي تَأْوِيلِهِ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان: ٢].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان: ٢] هَذِهِ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ بَيَانًا وَتَفْصِيلًا.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان: ٣].

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ هَذِهِ آيَاتُ الكِتَابِ بَيَانًا وَرَحْمَةً مِنَ اللهِ، رَحِمَ بِهِ مَن اتَّبَعَهُ، وَعَمِلَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان: ٣] وَهُم الَّذِين أَحسَنُوا في العملِ بِما أَنزَلَ اللهُ في هَذَا القرآنِ مِن أَمرِ اللهِ وَنَهيِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان: ٤].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ بِحُدُودِهَا..

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ مَن جَعلَها اللهُ لَهُ، المفروضةَ في أموالِهم..

﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان: ٤] يفعلونَ ذلكَ وَهُم بِجَزَاءِ اللهِ وَثَوابِهِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الآخِرَةِ يُوقِنُون.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [لقمان: ٥].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ..

﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ عَلَىٰ بَيَانٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَنُورٍ..

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [لقمان: ٥] وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُنْجِحُونَ الْمُدْرِكُونَ مَا رَجُوا وَأَمَّلُوا مِنْ ثَوَابِ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان: ٦].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي﴾ الشِّرَاءَ الْمَعْرُوفَ بِالثَّمَنِ..

﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْغِنَاءُ وَالِاسْتِمَاعُ لَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِاللَّهْوِ: الطَّبْلَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِلَهْوِ الْحَدِيثِ: الشِّرْكَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: عَنَىٰ بِهِ كُلَّ مَا كَانَ مِنَ الْحَدِيثِ مُلْهِيًا عَنْ سَبِيلِ اللهِ، مِمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنِ اسْتِمَاعِهِ، أَوْ رَسُولُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَمَّ وَلَمْ يُخَصِّصْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ عُمُومِهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ خُصُوصِهِ، وَالْغِنَاءُ وَالشِّرْكُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿لِيُضِلَّ﴾ لِيَصُدَّ ذَلِكَ الَّذِي يَشْتَرِي مِنْ لَهْوِ الْحَدِيثِ..

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عَنْ دِينِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ مِنْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ، وَذِكْرِ اللهِ..

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنَ اشْتِرَائِهِ لَهْوَ الْحَدِيثِ، جَهْلًا مِنْهُ بِمَا لَهُ فِي الْعَاقِبَةِ عِنْدَ اللهِ مِنْ وِزْرِ ذَلِكَ وَإِثْمِهِ..

﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَلِيَتَّخِذَهَا هُزُوًا.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ: (وَيَتَّخِذُهَا)، رَفْعًا، عَطْفًا بِهِ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَشْتَرِي﴾ [لقمان: ٦] كَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ وَيَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ، فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي قِرَاءَتِهِ.. وَاتِّخَاذُهُ ذَلِكَ هُزُوًا هُوَ اسْتِهْزَاؤُهُ بِهِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا أَنَّهُمْ يَشْتَرُونَ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿لَهُمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان: ٦] عَذَابٌ مُذِلٌّ مُخْزٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان: ٧].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ هَذَا الَّذِي اشْتَرَىٰ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِلْإِضْلَالِ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿ءَايَٰتُنَا﴾ آيَاتُ كِتَابِ اللهِ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ..

﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أَدْبَرَ عَنْهَا، وَاسْتَكْبَرَ اسْتِكْبَارًا، وَأَعْرَضَ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ وَالْإِجَابَةِ عَنْهُ..

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ﴾ ثُقْلًا، فَلَا يُطِيقُ مِنْ أَجْلِهِ سَمَاعَهُ..

﴿فَبَشِّرْهُ﴾ فَبَشِّرْ هَذَا الْمُعْرِضَ عَنْ آيَاتِ اللهِ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا..

﴿بِعَذَابٍ﴾ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿أَلِيمٍ ٧﴾ [لقمان: ٧] مُوجِعٍ، وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [لقمان: ٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ فَوَحَّدُوهُ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوهُ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ فَأَطَاعُوا اللهَ، فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [لقمان: ٨] لِهَؤُلَاءِ بَسَاتِينُ النَّعِيمِ.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٩﴾ [لقمان: ٩].

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ وَعَدَهُمُ اللهُ وَعْدًا حَقًّا، لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا خُلْفَ لَهُ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ وَهُوَ الشَّدِيدُ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، وَالصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ٩﴾ [لقمان: ٩] فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠﴾ [لقمان: ١٠].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ وَمِنْ حِكْمَتِهِ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ..

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ إِنَّهَا بِعَمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ وَجَعَلَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ..

﴿رَوَٰسِىَ﴾ وَهِيَ ثَوَابِتُ الْجِبَالِ..

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أَنْ لَا تَمِيدَ بِكُمْ، يَقُولُ: أَنْ لَا تَضْطَرِبَ بِكُمْ، وَلَا تَتَحَرَّكَ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً، وَلَكِنْ تَسْتَقِرُّ بِكُمْ.

﴿وَبَثَّ﴾ وَفَرَّقَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْأَرْضِ..

﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ﴾ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الدَّوَابِّ، وَقِيلَ الدَّوَابُّ اسْمٌ لِكُلِّ مَا أَكَلَ وَشَرِبَ، وَهُوَ عِنْدِي لِكُلِّ مَا دَبَّ عَلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطَرًا..
﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ بِذَلِكَ الْمَطَرِ..
﴿فِيهَا﴾ فِي الْأَرْضِ..
﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ النَّبَاتِ..
﴿كَرِيمٍ ١٠﴾ [لقمان: ١٠] وَهُوَ الْحَسَنُ النَّبْتَةُ.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١١﴾ [لقمان: ١١].

﴿هَٰذَا﴾ هَذَا الَّذِي أَعْدَدْتُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنِّي خَلَقْتُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي لَهُ أُلُوهَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعِبَادَةُ كُلِّ خَلْقٍ، الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ، وَلَا تَنْبَغِي لِشَيْءٍ سِوَاهُ..

﴿فَأَرُونِي﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أَيُّ شَيْءٍ خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَصْنَامِكُمْ، حَتَّىٰ اسْتَحَقَّتْ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ فَعَبَدْتُمُوهَا مِنْ دُونِهِ، كَمَا اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ خَالِقُكُمْ، وَخَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَدَدْتُهَا عَلَيْكُمْ..

﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مَا عَبَدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا تَخْلُقُ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُمْ دَعَاهُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهَا ضَلَالُهُمْ، وَذَهَابُهُمْ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، فَهُمْ..

﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ فِي جَوْرٍ عَنِ الْحَقِّ، وَذَهَابٍ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ..

﴿مُّبِينٍ ١١﴾ [لقمان: ١١] يَبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ، وَنَظَرَ فِيهِ، وَفَكَّرَ بِعَقْلٍ أَنَّهُ ضَلَالٌ لَا هُدًىٰ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢﴾ [لقمان: ١٢].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ، وَالْعَقْلَ، وَالْإِصَابَةَ فِي الْقَوْلِ..

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ، أَنِ احْمَدِ اللهَ عَلَىٰ مَا آتَاكَ مِنْ فَضْلِهِ؛ وَجَعَلَ قَوْلَهُ ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ تَرْجَمَةً عَنِ الْحِكْمَةِ؛ لِأَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَ أُوتِيهَا، كَانَ شُكْرُهُ اللهَ عَلَىٰ مَا آتَاهُ..

﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾ اللهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ عِنْدَهُ..

﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لِأَنَّ اللهَ يُجْزِلُ لَهُ عَلَىٰ شُكْرِهِ إِيَّاهُ الثَّوَابَ، وَيُنْقِذُهُ بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ..

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ وَمَنْ كَفَرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ، إِلَىٰ نَفْسِهِ أَسَاءَ؛ لِأَنَّ اللهَ مُعَاقِبُهُ عَلَىٰ كُفْرَانِهِ إِيَّاهُ، وَاللهُ غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهِ، لِأَنَّ شُكْرَهُ إِيَّاهُ لَا يَزِيدُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُنْقِصُ كُفْرَانُهُ إِيَّاهُ مِنْ مِلْكِهِ..

﴿حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢] مَحْمُودٌ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَىٰ نِعَمِهِ، كَفَرَ الْعَبْدُ نِعْمَتَهُ أَوْ شَكَرَهُ عَلَيْهَا.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] لَخَطَأٌ مِنَ الْقَوْلِ عَظِيمٌ.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وَأَمَرْنَا الْإِنْسَانَ بِبِرِّ وَالِدَيْهِ..

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ ضَعْفًا عَلَىٰ ضَعْفٍ، وَشِدَّةً عَلَىٰ شِدَّةٍ..

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ وَفِطَامُهُ فِي انْقِضَاءِ عَامَيْنِ..

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾ وَعَهِدْنَا إِلَيْهِ أَنْ اشْكُرْ لِي عَلَىٰ نِعَمِي عَلَيْكَ..

﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ تَرْبِيَتَهُمَا إِيَّاكَ، وَعِلَاجَهُمَا فِيكَ مَا عَالَجَا مِنَ الْمَشَقَّةِ حَتَّىٰ اسْتَحْكَمَ قُوَاكَ..

﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤] إِلَىٰ اللهِ مَصِيرُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، وَهُوَ سَائِلُكَ عَمَّا كَانَ مِنْ شُكْرِكَ لَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْكَ، وَعَمَّا كَانَ مِنْ شُكْرِكَ لِوَالِدَيْكَ، وَبِرِّكَ بِهِمَا عَلَىٰ مَا لَقِيَا مِنْكَ مِنَ الْعَنَاءِ وَالْمَشَقَّةِ فِي حَالِ طُفُولَتِكَ وَصِبَاكَ، وَمَا اصْطَنَعَا إِلَيْكَ فِي بِرِّهِمَا بِكَ، وَتَحَنُّنِهِمَا عَلَيْكَ.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٥].

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ وَالِدَاكَ..

﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ فِي عِبَادَتِكَ إِيَّايَ مَعِي غَيْرِي..

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِمَّا لا تَعْلَمُ أَنَّهُ لِي شَرِيكٌ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عُلُوًّا كَبِيرًا..

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فِيمَا أَرَادَاكَ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِي..

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا بِالطَّاعَةِ لَهُمَا فِيمَا لَا تَبِعَةَ عَلَيْكَ فِيهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ وَلَا إِثْمَ..

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ وَاسْلُكْ طَرِيقَ مَنْ تَابَ مِنْ شِرْكِهِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَاتَّبَعَ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فَإِنَّ إِلَيَّ مَصِيرُكُمْ وَمَعَادُكُم بَعْدَ مَمَاتِكُمْ..

﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥﴾ [لقمان: ١٥] فَأُخْبِرُكُمْ بِجَمِيعِ مَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ثُمَّ أُجَازِيكُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ، الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾ [لقمان: ١٦].

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ إِنَّ الأَمْرَ إِنْ يَكُ زِنَةَ حَبَّةٍ..

﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ عَمِلْتَهُ..

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ فَتَكُنْ فِي جَبَلٍ..

﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُوَفِّيكَ جَزَاءَهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بِاسْتِخْرَاجِ الْحَبَّةِ مِنْ مَوْضِعِهَا حَيْثُ كَانَتْ..

﴿خَبِيرٌ ۝١٦﴾ [لقمان: ١٦] بِمَوْضِعِهَا.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان: ١٧].

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا..

﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَأْمُرِ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ..

﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَانْهَ النَّاسَ عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَمُوَاقَعَةِ مَحَارِمِهِ..

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ مِنَ النَّاسِ فِي ذَاتِ اللهِ إِذَا أَنْتَ أَمَرْتَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْ ذَلِكَ مَا نَالَكَ مِنْهُمْ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان: ١٧] إِنَّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ عَزْمًا مِنْهُ.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ [لقمان: ١٨].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ وَلَا تُعْرِض بِوَجْهِكَ عَمَّنْ كَلَّمْتَهُ تَكَبُّرًا وَاسْتِحْقَارًا لِمَنْ تُكَلِّمُهُ؛ وَأَصْلُ الصَّعْرِ دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فِي أَعْنَاقِهَا أَوْ رُءُوسِهَا حَتَّىٰ تُلْفِتُ أَعْنَاقَهَا عَنْ رُءُوسِهَا، فَيُشَبَّهُ بِهِ الرَّجُلُ الْمُتَكَبِّرُ عَلَىٰ النَّاسِ..

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مُخْتَالًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ [لقمان: ١٨] مُتَكَبِّرٍ ذِي فَخْرٍ.

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾ [لقمان: ١٩].

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ وَتَوَاضَعْ فِي مَشْيِكَ إِذَا مَشَيْتَ، وَلَا تَسْتَكْبِرْ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ، وَلَكِنِ اتَّئِدْ.. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، غَيْرَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَمَرَهُ بِالتَّوَاضُعِ فِي مَشْيِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَمَرَهُ بِتَرْكِ السُّرْعَةِ فِيهِ..

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ﴾ وَاخْفِض مِنْ صَوْتِكَ، فَاجْعَلْهُ قَصْدًا إِذَا تَكَلَّمْتَ..

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ إِنَّ أَقْبَحَ أَوْ أَشَرَّ الْأَصْوَاتِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ، إِذَا رَأَوْا وَجْهًا قَبِيحًا، أَوْ مَنْظَرًا شَنِيعًا: مَا أَنْكَرَ وَجْهَ فُلَانٍ، وَمَا أَنْكَرَ مَنْظَرَهُ..

﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾ [لقمان: ١٩] فَأُضِيفَ الصَّوْتُ وَهُوَ وَاحِدٌ إِلَىٰ الْحَمِيرِ وَهِيَ جَمَاعَةٌ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِوَجْهَيْنِ إِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: الصَّوْتُ بِمَعْنَىٰ الْجَمْعِ، كَمَا قِيلَ ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: مَعْنَىٰ الْحَمِيرِ: مَعْنَىٰ الْوَاحِدِ؛ لِأَنَّ الْوَاحِدَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ يُؤَدِّي عَمَّا يُؤَدِّي عَنْهُ الْجَمْعُ.

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنَجْمٍ وَسَحَابٍ..

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ دَابَّةٍ، وَشَجَرٍ، وَمَاءٍ، وَبَحْرٍ، وَفُلْكٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ، يَجْرِي ذَلِكَ كُلُّهُ لِمَنَافِعِكُمْ، وَمَصَالِحِكُمْ، لِغِذَائِكُمْ، وَأَقْوَاتِكُمْ، وَأَرْزَاقِكُمْ، وَمَلَاذِّكُمْ، تَتَمَتَّعُونَ بِبَعْضِ

ذَلِكَ كُلِّهِ، وَتَنْتَفِعُونَ بِجَمِيعِهِ..

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ الَّتِي سَخَّرَهَا اللهُ لِلْعِبَادِ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. وَقَرَأَهُ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَعَامَّةُ الْكُوفِيِّينَ: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً) عَلَىٰ الْوَاحِدَةِ، وَوَجَّهُوا مَعْنَاهَا إِلَىٰ أَنَّهُ الْإِسْلَامُ، أَوْ إِلَىٰ أَنَّهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ النِّعْمَةَ قَدْ تَكُونُ بِمَعْنَىٰ الْوَاحِدَةِ، وَمَعْنَىٰ الْجِمَاعِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الْجِمَاعِ الْوَاحِدَةُ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَعْنِ بِذَلِكَ نِعْمَةً وَاحِدَةً، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]، فَجَمَعَهَا، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ ذَلِكَ فَمُصِيبٌ..

﴿ظَٰهِرَةً﴾ عَلَىٰ الْأَلْسُنِ قَوْلًا، وَعَلَىٰ الْأَبْدَانِ وَجَوَارِحِ الْجَسَدِ عَمَلًا..

﴿وَبَاطِنَةً﴾ فِي الْقُلُوبِ اعْتِقَادًا وَمَعْرِفَةً..

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُخَاصِمُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ عِنْدَهُ بِمَا يُخَاصِمُ..

﴿وَلَا هُدًى﴾ وَلَا بَيَانٍ يُبَيِّنُ بِهِ صِحَّةَ مَا يَقُولُ..

﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ [لقمان: ٢٠] وَلَا بِتَنْزِيلٍ مِنَ اللهِ جَاءَ بِمَا يَدَّعِي، يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ دَعْوَاهُ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١﴾ [لقمان: ٢١].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ جَهْلًا مِنْهُمْ بِعَظَمَةِ اللهِ..

﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَصَدِّقُوا بِهِ، فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِقِّ مِنَّا وَالْمُبْطِلِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَ الضَّالِّ وَالْمُهْتَدِي، فَـ..

﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ مِنَ الْأَدْيَانِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ حَقٍّ..

﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ بِتَزْيِينِهِ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، وَاتِّبَاعُهُمْ إِيَّاهُ عَلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ..

﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١﴾ [لقمان: ٢١] عَذَابِ النَّارِ الَّتِي تَتَسَعَّرُ وَتَلْتَهِبُ.

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يُعَبِّدُ وَجْهَهُ مُتَذَلِّلًا بِالْعُبُودَةِ، مُقِرًا لَهُ بِالْأُلُوهَةِ..

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وَهُوَ مُطِيعٌ للهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فَقَدْ تَمَسَّكَ بِالطَّرَفِ الْأَوْثَقِ الَّذِي لَا يَخَافُ انْقِطَاعَهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَهَذَا مَثَلٌ، إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَمَسَّكَ مِنْ رِضَا اللهِ بِإِسْلَامِهِ وَجْهَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُحْسِنٌ، مَا لَا يَخَافُ مَعَهُ عَذَابَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢] وَإِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُ عَاقِبَةِ كُلِّ أَمْرٍ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَهُوَ الْمُسَائِلُ أَهْلَهُ عَنْهُ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ [لقمان: ٢٣].

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بِاللهِ..

﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ وَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً..

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فَإِنَّ مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَيْنَا..

﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ وَنَحْنُ نُخْبِرُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ نُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا جَزَاءَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ [لقمان: ٢٣] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِمَا تُكِنُّهُ صُدُورُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤].

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ نُمَهِّلُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَهْلًا قَلِيلًا يتَمَتَّعُونَ فِيهَا..

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ ثُمَّ نُورِدُهُمْ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْهُمْ..

﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤] وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا، وَمِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنْهَا.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ، فَـ..
﴿قُلِ﴾ لَهُمْ..
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ، لَا لِمَنْ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ..
﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..
﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥] مِنَ الَّذِي لَهُ الْحَمْدُ، وَأَيْنَ مَوْضِعُ الشُّكْرِ.

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، مُلْكًا كَائِنًا مَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ؛ مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُعْبَدُ أَوْ لَا يُعْبَدُ..
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عَنْ عِبَادَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُمْ مِلْكُهُ وَلَهُ، وَبِهِمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ..
﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦] الْمَحْمُودُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَىٰ خَلْقِهِ.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ وَلَوْ أَنَّ شَجَرَ الْأَرْضِ كُلَّهَا بُرِيَتْ أَقْلَامًا..
﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ وَالْبَحْرُ لَهُ مِدَادٌ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الْبَحْرِ..
﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَهُوَ يَكْتُبُ كَلَامَ اللهِ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ، وَبِذَلِكَ الْمِدَادِ، لَتَكَسَّرَتْ تِلْكَ الْأَقْلَامُ، وَلَنَفِدَ ذَلِكَ الْمِدَادُ، وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللهِ..
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ إِنَّ اللهَ ذُو عِزَّةٍ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ، وَادَّعَىٰ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ..
﴿حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..
﴿وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ عَلَىٰ اللهِ..
﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَّا كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَبَعْثِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ

أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ شَاءَهُ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]، فَسَوَاءٌ خَلْقُ وَاحِدٍ وَبَعْثُهُ، وَخَلْقُ الْجَمِيعِ وَبَعْثُهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَيَفْتَرُونَهُ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، مِنِ ادِّعَائِهِمْ لَهُ الشُّرَكَاءَ وَالْأَنْدَادَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَكَلَامِ غَيْرِهِمْ..

﴿بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان: ٢٨] بِمَا يَعْمَلُونَهُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ جَزَاءَهُمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٩].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِكَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يَزِيدُ مِنْ نُقْصَانِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ..

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يَزِيدُ مَا نَقَصَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ..

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لِمَصَالِحِ خَلْقِهِ وَمَنَافِعِهِمْ..

﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ﴾ كُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي بِأَمْرِهِ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَىٰ وَقْتٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَحْدُودٍ إِذَا بَلَغَهُ، كُوِّرَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٩﴾ [لقمان: ٢٩] وَإِنَّ اللهَ بِأَعْمَالِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، وَخَرَجَ هَذَا الْكَلَامُ خِطَابًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبَّهَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَّتِهِ مَنْ جَهِلَ عَظَمَتَهُ وَأَشْرَكَ فِي عِبَادَتِهِ مَعَهُ غَيْرَهُ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ٣٠﴾ [لقمان: ٣٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ اللهَ فَعَلَهُ مِنْ إِيلَاجِهِ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَالنَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، إِنَّمَا فَعَلَهُ بِـ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أَنَّهُ اللهُ حَقًّا، دُونَ مَا يَدْعُوهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ فِعْلِ ذَلِكَ سِوَاهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ..

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ وَبِأَنَّ الَّذِي يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ الَّذِي يَضْمَحِلُّ، فَيَبِيدُ وَيَفْنَىٰ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ وَبِأَنَّ اللهَ..

﴿هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ ذُو الْعُلُوِّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلِّ مَا دُونَهُ، فَلَهُ مُتَذَلِّلٌ مُنْقَادٌ..

﴿ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾ [لقمان: ٣٠] الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، فَلَهُ مُتَصَاغِرٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣١﴾ [لقمان: ٣١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ السُّفُنَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ نِعْمَةً مِنَ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ..

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ لِيُرِيَكُمْ مِنْ عِبَرِهِ وَحُجَجِهِ عَلَيْكُمْ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي جَرْيِ الْفُلْكِ فِي الْبَحْرِ..

﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ اللهَ الَّذِي أَجْرَاهَا هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلَ..

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣١﴾ [لقمان: ٣١] لِكُلِّ مَنْ صَبَّرَ نَفْسَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَشَكَرَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ، فَلَمْ يَكْفُرْهُ.. إِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ خَصَّ هَذِهِ الدَّلَالَةَ بِأَنَّهَا دَلَالَةٌ لِلصَّبَّارِ الشَّكُورِ دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الصَّبْرَ وَالشُّكْرَ مِنْ أَفْعَالِ ذَوِي الْحِجَىٰ وَالْعُقُولِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ، لِأَنَّ الْآيَاتِ جَعَلَهَا اللهُ عِبَرًا لِذَوِي الْعُقُولِ وَالتَّمْيِيزِ.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝٣٢﴾ [لقمان: ٣٢].

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ وَإِذَا غَشِيَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ فِي الْبَحْرِ، إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ..

﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ وَهِيَ جَمْعُ ظُلَّةٍ، شَبَّهَ بِهَا الْمَوْجَ فِي شِدَّةِ سَوَادِ كَثْرَةِ الْمَاءِ..

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وَإِذَا غَشِيَ هَؤُلَاءِ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ، فَخَافُوا الْغَرَقَ، فَزِعُوا إِلَىٰ اللهِ بِالدُّعَاءِ مُخْلِصِينَ لَهُ الطَّاعَةَ، لَا يُشْرِكُونَ بِهِ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَدْعُونَ مَعَهُ أَحَدًا سِوَاهُ، وَلَا يَسْتَغِيثُونَ بِغَيْرِهِ..

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ مِمَّا كَانُوا يَخَافُونَهُ فِي الْبَحْرِ مِنَ الْغَرَقِ وَالْهَلَاكِ إِلَىٰ الْبِرِّ..

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ﴾ فِي قَوْلِهِ وَإِقْرَارِهِ بِرَبِّهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُضْمِرُ الْكُفْرَ بِهِ..

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ وَمَا يَكْفُرُ بِأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا إِلَّا كُلُّ غَدَّارٍ بِعَهْدِهِ، وَالْخَتْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ: أَقْبَحُ الْغَدْرِ..

﴿كَفُورٍ ٣٢﴾ [لقمان: ٣٢] جَحُودًا لِلنِّعَمِ، غَيْرُ شَاكِرٍ مَا أُسْدِيَ إِلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ اتَّقُوا اللهَ..

﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ وَخَافُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ سَخَطُهُ فِي يَوْمٍ لَا يُغْنِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ..

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ﴾ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ مُغْنٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا، لِأَنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ هُنَالِكَ بِيَدِ مَنْ لَا يُغَالَبُ، وَلَا تَنْفَعُ عِنْدَهُ الشَّفَاعَةُ وَالْوَسَائِلُ، إِلَّا وَسِيلَةً مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَسْلَفَهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ﴾ اعْلَمُوا أَنَّ مَجِيءَ هَذَا الْيَوْمِ حَقٌّ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَ عِبَادَهُ وَلَا خُلْفَ لِوَعْدِهِ..

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا فَتَمِيلُوا إِلَيْهَا، وَتَدَعُوا الِاسْتِعْدَادَ لِمَا فِيهِ خَلَاصُكُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ..

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣] وَلَا يَخْدَعَنَّكُمْ بِاللهِ خَادِعٌ.. وَالْغَرُورُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ: هُوَ مَا غَرَّ الْإِنْسَانَ مِنْ شَيْءٍ، كَائِنًا مَا كَانَ شَيْطَانًا كَانَ أَوْ إِنْسَانًا، أَوْ دُنْيَا؛ وَأَمَّا الْغُرُورُ بِضَمِّ الْغَيْنِ: فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: غَرَرْتُهُ غُرُورًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ٣٤﴾ [لقمان: ٣٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ﴾ هُوَ آتِيكُمْ، عِلْمُ إِتْيَانِهِ إِيَّاكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَىٰ هُوَ جَائِيكُمْ، لَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً، فَاتَّقُوهُ أَنْ يَفْجَأَكُمْ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ عَلَىٰ ضَلَالَتِكُمْ لَمْ

تُنِيبُوا مِنْهَا، فَتَصِيرُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ إِلَىٰ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ؛ وَابْتَدَأَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْخَبَرَ عَنْ عِلْمِهِ بِمَجِيءِ السَّاعَةِ، وَالْمَعْنَىٰ مَا ذَكَرْتُ لِدِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَىٰ الْمُرَادِ مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ، لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ..

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ مِنَ السَّمَاءِ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ..

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ أَرْحَامِ الْإِنَاثِ..

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ وَمَا تَعْلَمُ نَفْسُ حَيٍّ مَاذَا تَعْمَلُ فِي غَدٍ..

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وَمَا تَعْلَمُ نَفْسُ حَيٍّ بِأَيِّ أَرْضٍ تَكُونُ مَنِيَّتُهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللهُ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاهُ، إِنَّهُ ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ..

﴿خَبِيرٌ ٣٤﴾ [لقمان: ٣٤] بِمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا قَدْ كَانَ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إِلَىٰ آخِرِهَا»..

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ لُقْمَانَ



سُورَةُ السَّجْدَةِ (٣٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [السجدة: ١].

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [السجدة: ١] قَدْ مَضَىٰ الْبَيَانُ عَنْ تَأْوِيلِهِ.

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ٢].

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ..

﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ٢] مِنْ عِنْدِ اللهِ، مَنْ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلَيْس بِشِعْرٍ وَلَا سَجْعِ كَاهِنٍ، وَلَا هُوَ مِمَّا تَخَرَّصَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَإِنَّمَا كَذَّبَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ قَوْلَ الَّذِين قَالُوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥]، وَقَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ [الفرقان: ٤].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾ [السجدة: ٣].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ: اخْتَلَقَ هَذَا الْكِتَابَ مُحَمَّدٌ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ وَتَكَذَّبَهُ، ثُمَّ أَكْذَبَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَقَالَ..

﴿بَلۡ﴾ مَا هُوَ كَمَا تَزْعُمُونَ وَتَقُولُونَ، مِنْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ، بَلْ..

﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ وَالصِّدْقُ..

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ..

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا﴾ بَأْسَ اللهِ وَسَطْوَتَهُ، أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿مَّآ أَتَىٰهُم﴾ لَمْ يَأْتِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَرْسَلَكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ قَوْمُهُ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ يُنْذِرُهُمْ بَأْسَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾ [السجدة: ٣] لِيَتَبَيَّنُوا سَبِيلَ الْحَقِّ فَيَعْرِفُوهُ وَيُؤْمِنُوا بِهِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾ [السجدة: ٤].

﴿ٱللَّهُ﴾ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مِنْ خَلْقٍ..

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ بَعْدَ خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا..

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ مَا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ دُونَهُ وَلِيٌّ يَلِي أَمْرَكُمْ وَيَنْصُرُكُمْ مِنْهُ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا..

﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يَشْفَعُ لَكُمْ عِنْدَهُ، إِنْ هُوَ عَاقَبَكُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ، يَقُولُ: فَإِيَّاهُ فَاتَّخِذُوا وَلِيًّا، وَبِهِ وَبِطَاعَتِهِ فَاسْتَعِينُوا عَلَىٰ أُمُورِكُمْ، فَإِنَّهُ يَمْنَعُكُمْ إِذَا أَرَادَ مَنْعَكُمْ مِمَّنْ أَرَادَكُمْ بِسُوءٍ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَىٰ دَفْعِهِ عَمَّا أَرَادَ بِكُمْ هُوَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ..

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾ [السجدة: ٤] أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ وَتَتَفَكَّرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ دُونَهُ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ، فَتُفْرِدُوا لَهُ الْأُلُوهَةَ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَتَخْلَعُوا مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾ [السجدة: ٥].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ اللهُ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ﴾ كَانَ مِقْدَارُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي عُرُوجِ ذَلِكَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَنُزُولِهِ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾ [السجدة: ٥] مِنْ أَيَّامِكُمْ، خَمْسُ مِائَةٍ فِي النُّزُولِ، وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الصُّعُودِ.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦﴾ [السجدة: ٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي يَفْعَلُ مَا وَصَفْتُ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، هُوَ..

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ عَالِمَ مَا يَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فَلَا تُبْصِرُونَهُ مِمَّا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ، وَتُخْفِيهِ النُّفُوسُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ..

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ مَا شَاهَدَتْهُ الْأَبْصَارُ فَأَبْصَرَتْهُ وَعَايَنَتْهُ، وَمَا هُوَ مَوْجُودٌ..

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الشَّدِيدُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَشْرَكَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾ [السجدة: ٦] بِمَنْ تَابَ مِنْ ضَلَالَتِهِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة: ٧].

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ﴾ أَحْكَمَهُ وَأَتْقَنَ صَنْعَتَهُ..

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة: ٧] وَبَدَأَ خَلْقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٨].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ يَعْنِي: ذُرِّيَّتَهُ..

﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي انْسَلَّ فَخَرَجَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَعْنِي مِنْ إِرَاقَةٍ مِنْ مَائِهِ..

﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٨] مَنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ رَقِيقَةٍ.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة: ٩].

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ ثُمَّ سَوَّىٰ الْإِنْسَانَ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَهُ مِنْ طِينٍ خَلْقًا سَوِيًّا مُعْتَدِلًا..

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ﴾ فَصَارَ حَيًّا نَاطِقًا..

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- رَبُّكُمْ بِأَنْ أَعْطَاكُمْ..

﴿ٱلسَّمْعَ﴾ تَسْمَعُونَ بِهِ الْأَصْوَاتَ..

﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ تُبْصِرُونَ بِهَا الْأَشْخَاصَ..

﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ تَعْقِلُونَ بِهَا الْخَيْرَ مِنَ السُّوءِ، لِتَشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا وَهَبَ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة: ٩] وَأَنْتُمْ تَشْكُرُونَ قَلِيلًا مِنَ الشُّكْرِ رَبَّكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾ [السجدة: ١٠].

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ..

﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ صَارَتْ لُحُومُنَا وَعِظَامُنَا تُرَابًا فِي الْأَرْضِ..

﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا؟..

﴿بَلْ﴾ مَا بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ جُحُودُ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، بَلْ..

﴿هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾ [السجدة: ١٠] حَذَرًا لِعِقَابِهِ، وَخَوْفَ مُجَازَاتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَجْحَدُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فِي الْمَعَادِ.

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة: ١١].

﴿۞ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ يَسْتَوْفِي عَدَدَكُمْ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ..

﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ الَّذِي وُكِّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ مِنْ بَعْدِ قَبْضِ مَلَكِ الْمَوْتِ أَرْوَاحَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة: ١١] تُرَدُّونَ أَحْيَاءً كَهَيْئَتِكُمْ قَبْلَ وَفَاتِكُمْ، فَيُجَازَىٰ الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ [السجدة: ١٢].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠]..

﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ حَيَاءً مِنْ رَبِّهِمْ، لِلَّذِي سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ مَعَاصِيهِ فِي الدُّنْيَا، يَقُولُونَ: يَا..

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ مَا كُنَّا نُكَذِّبُ بِهِ مِنْ عِقَابِكَ أَهْلَ مَعَاصِيكَ..

﴿وَسَمِعْنَا﴾ مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا كَانَتْ رُسُلُكَ تَأْمُرُنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ فَارْدُدْنَا إِلَىٰ الدُّنْيَا..

﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ نَعْمَلْ فِيهَا بِطَاعَتِكَ، وَذَلِكَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ [السجدة: ١٢] إِنَّا قَدْ أَيْقَنَّا الْآنَ مَا كُنَّا بِهِ فِي الدُّنْيَا جُهَّالًا مِنْ وَحْدَانِيَّتِكَ، وَأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاكَ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَبٌّ سِوَاكَ، وَأَنَّكَ تُحْيِي وَتُمِيتُ، وَتَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَالْفَنَاءِ، وَتَفْعَلُ مَا تَشَاءُ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ [السجدة: ١٣].

﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ﴾ لَآتَيْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿هُدَاهَا﴾ رُشْدَهَا وَتَوْفِيقَهَا لِلْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وَجَبَ الْعَذَابُ مِنِّي لَهُمْ..

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ [السجدة: ١٣] يَعْنِي مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْكُفْرِ بِاللهِ مِنْهُمْ.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [السجدة: ١٤].

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ إِذَا هُمْ دَخَلُوا النَّارَ: ذُوقُوا عَذَابَ اللهِ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي الدُّنْيَا..

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ إِنَّا تَرَكْنَاكُمُ الْيَوْمَ فِي النَّارِ..

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ يُقَالُ لَهُمْ أَيْضًا: ذُوقُوا عَذَابًا تَخْلُدُونَ فِيهِ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [السجدة: ١٤] مِنْ مَعَاصِي اللهِ.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝١٥﴾ [السجدة: ١٥].

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ مَا يُصَدِّقُ بِحُجَجِنَا وَآيَاتِ كِتَابِنَا إِلَّا الْقَوْمُ..

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ وَوُعِظُوا..

﴿خَرُّوا﴾ للهِ..

﴿سُجَّدًا﴾ لِوُجُوهِهِمْ، تَذَلُّلًا لَهُ، وَاسْتِكَانَةً لِعَظَمَتِهِ، وَإِقْرَارًا لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ..

﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وَسَبَّحُوا اللهَ فِي سُجُودِهِمْ بِحَمْدِهِ، فَيُبَرِّئُونَهُ مِمَّا يَصِفُهُ أَهْلُ الْكُفْرِ بِهِ، وَيُضِيفُونَ إِلَيْهِ مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ وَالشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ١٥﴾ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ السُّجُودِ لَهُ وَالتَّسْبِيحِ، لَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنِ التَّذَلُّلِ لَهُ وَالِاسْتِكَانَةِ.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ١٦﴾ [السجدة: ١٦].

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ تَتَنَحَّىٰ جُنُوبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ، الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ، وَتَرْتَفِعُ مِنْ مَضَاجِعِهِمُ الَّتِي يَضْطَجِعُونَ لِمَنَامِهِمْ، وَلَا يَنَامُونَ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِتَجَافِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ لِتَرْكِهِمُ الِاضْطِجَاعَ لِلنَّوْمِ شُغْلًا بِالصَّلَاةِ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الصَّلَاةِ الَّتِي وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَنَّ جُنُوبَهُمْ تَتَجَافَىٰ لَهَا عَنِ الْمُضْطَجِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الصَّلَاةُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَقَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ كَانُوا يُصَلُّونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِهَا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: لِانْتِظَارِ صَلَاةِ الْعَتَمَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِهَا قِيَامَ اللَّيْلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا هَذِهِ صِفَةُ قَوْمٍ لَا تَخْلُو أَلْسِنَتُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِأَنَّ جُنُوبَهُمْ تَنْبُو عَنْ مَضَاجِعِهِمْ، شُغْلًا مِنْهُمْ بِدُعَاءِ رَبِّهِمْ وَعِبَادَتِهِ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَذَلِكَ نُبُوُّ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ لَيْلًا؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ وَصْفِ الْوَاصِفِ رَجُلًا بِأَنَّ جَنْبَهُ نَبَا عَنْ مَضْجَعِهِ، إِنَّمَا هُوَ وَصْفٌ مِنْهُ لَهُ بِأَنَّهُ جَفَا عَنِ النَّوْمِ فِي وَقْتِ مَنَامِ النَّاسِ الْمَعْرُوفِ، وَذَلِكَ اللَّيْلُ دُونَ النَّهَارِ، وَكَذَلِكَ تَصِفُ الْعَرَبُ الرَّجُلَ إِذَا وَصَفَتْهُ بِذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَمْ يُخَصِّصْ فِي وَصْفِهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِالَّذِي وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ جَفَاءِ جُنُوبِهِمْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ مِنْ أَحْوَالِ اللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهِ حَالًا وَوَقْتًا دُونَ حَالٍ وَوَقْتٍ، كَانَ وَاجِبًا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَىٰ كُلِّ آنَاءِ اللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ مَنْ صَلَّىٰ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، أَوِ انْتَظَرَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، أَوْ قَامَ اللَّيْلَ أَوْ بَعْضَهُ، أَوْ ذَكَرَ اللهَ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، أَوْ صَلَّىٰ الْعَتَمَةَ، مِمَّنْ دَخَلَ فِي ظَاهِرِ قَوْلِهِ: «**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**»؛ لِأَنَّ جَنْبَهُ قَدْ جَفَا عَنْ مَضْجَعِهِ فِي الْحَالِ الَّتِي قَامَ فِيهَا لِلصَّلَاةِ قَائِمًا صَلَّىٰ أَوْ ذَكَرَ اللهَ، أَوْ قَاعِدًا، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونَ مُضْطَجِعًا، وَهُوَ عَلَىٰ الْقِيَامِ أَوِ الْقُعُودِ قَادِرٌ، غَيْرَ أَنَّ الْأَمْرَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ تَوْجِيهَ الْكَلَامِ إِلَىٰ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ قِيَامُ اللَّيْلِ أَعْجَبُ إِلَيَّ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَظْهَرُ مَعَانِيهِ، وَالْأَغْلَبُ عَلَىٰ ظَاهِرِ الْكَلَامِ..

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فِي عَفْوِهِ عَنْهُمْ، وَتَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ..

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ١٦﴾ [السجدة: ١٦] فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُؤَدُّونَ مِنْهُ حُقُوقَ اللهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْهِمْ فِيهِ.

﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٧].

﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم﴾ مَا أَخْفَىٰ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ..

﴿مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ مِمَّا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ فِي جِنَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٧] ثَوَابًا لَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مُوسَىٰ سَأَلَ رَبَّهُ: أَيْ رَبِّ، أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَدْنَىٰ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَدْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: بَخٍ، أَيْ رَبِّ قَدْ رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيْ رَبِّ، رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ؛ قَالَ: فَقَالَ مُوسَىٰ: أَيْ رَبِّ، وَأَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: إِيَّاهَا أَرَدْتُ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهُمْ؛ غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامَتِي بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾**».

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾ [السجدة: ١٨].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ﴾ أَفَهَذَا الْكَافِرُ الْمُكَذِّبُ بِوَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ، الْمُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ، كَهَذَا الْمُؤْمِنِ بِاللهِ، الْمُصَدِّقِ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، الْمُطِيعِ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؟ كَلَّا..

﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾ [السجدة: ١٨] عِنْدَ اللهِ، يَقُول: لَا يَعْتَدِلُ الْكُفَّارُ بِاللهِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ عِنْدَهُ فِيمَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [السجدة: ١٩].

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أَمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ..

﴿فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ يَعْنِي: بَسَاتِينَ الْمَسَاكِنِ الَّتِي يَسْكُنُونَهَا فِي الْآخِرَةِ وَيَأْوُونَ إِلَيْهَا..

﴿نُزُلَۢا﴾ بِمَا أَنْزَلَهُمُوهَا، جَزَاءً مِنْهُ لَهُمْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [السجدة: ١٩] فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة: ٢٠].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَفَارَقُوا طَاعَتَهُ..

﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ فَمَسَاكِنُهُمُ الَّتِي يَأْوُونَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ النَّارُ..

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة: ٢٠] أَنَّ اللهَ أَعَدَّهَا لِأَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١﴾ [السجدة: ٢١].

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هُوَ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ بَلَاءٍ أَصَابَهُمْ، إِمَّا شِدَّةٌ مِنْ مَجَاعَةٍ أَوْ قَتْلٍ، أَوْ مَصَائِبُ يُصَابُونَ بِهَا، فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرَهُ، إِذْ وَعَدَهُمْ ذَلِكَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِنَوْعٍ مِنْ ذَلِكَ دُونَ نَوْعٍ، وَقَدْ عَذَّبَهُمْ بِكُلِّ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْجُوعِ وَالشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ فِي الْأَمْوَالِ، فَأَوْفَىٰ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ..

﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ وَذَلِكَ عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١﴾ [السجدة: ٢١] كَيْ يَرْجِعُوا وَيَتُوبُوا بِتَعْذِيبِهِمُ الْعَذَابَ الْأَدْنَىٰ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ [السجدة: ٢٢].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ وَأَيُّ النَّاسِ أَظْلَمُ لِنَفْسِهِ مِمَّنْ وَعَظَهُ اللهُ بِحُجَجِهِ، وَآيِ كِتَابِهِ وَرُسُلِهِ..

﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ﴾ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَمْ يَتَّعِظْ بِمَوَاعِظِهِ، وَلَكِنَّهُ اسْتَكْبَرَ عَنْهَا..

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ [السجدة: ٢٢] إِنَّا مِنَ الَّذِينَ اكْتَسَبُوا الْآثَامَ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ مُنْتَقِمُونَ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٣﴾ [السجدة: ٢٣].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ، كَمَا آتَيْنَاكَ الْفُرْقَانَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ﴾ فَلَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِنْ لِقَائِهِ؛ فَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ:

فَلَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّكَ لَقِيتَهُ، أَوْ تَلَقَّاهُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِكَ، وَبِذَلِكَ جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ، رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ، إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ»، قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: (فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أَنَّهُ قَدْ رَأَىٰ مُوسَىٰ، وَلَقِيَ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ)..

﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ وَجعلْنَا مُوسَىٰ..

﴿هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢٣﴾ [السجدة: ٢٣] يَعْنِي: رَشَادًا لَهُمْ يَرْشُدُونَ بِاتِّبَاعِهِ، وَيُصِيبُونَ الْحَقَّ بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَالِائْتِمَامِ بِقَوْلِهِ.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ وَجعَلْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَئِمَّةً، وَهِيَ جَمْعُ إِمَامٍ، وَالْإِمَامُ الَّذِي يُؤْتَمُّ بِهِ فِي خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأُرِيدُ بِذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّهُ جَعَلَ مِنْهُمْ قَادَةً فِي الْخَيْرِ، يُؤْتَمُّ بِهِمْ، وَيُهْتَدَىٰ بِهَدْيِهِمْ..

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يُهْدُونَ أَتْبَاعَهُمْ وَأَهْلَ الْقَبُولِ مِنْهُمْ بِإِذْنِنَا لَهُمْ بِذَلِكَ، وَتَقْوِيَتِنَا إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ..

﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ وَجعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يُهْدُونَ أَتْبَاعَهُمْ بِإِذْنِنَا إِيَّاهُمْ، وَتَقْوِيَتِنَا إِيَّاهُمْ عَلَىٰ الْهِدَايَةِ، إِذْ صَبَرُوا عَلَىٰ طَاعَتِنَا، وَعَزَفُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْ لِذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا..

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤] وَكَانُوا أَهْلَ يَقِينٍ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ حُجَجُنَا، وَأَهْلَ تَصْدِيقٍ بِمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ؛ وَإِيمَانٍ بِرُسُلِنَا وَآيَاتِ كِتَابِنَا وَتَنْزِيلِنَا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٢٥﴾ [السجدة: ٢٥].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ يُبَيِّنُ جَمِيعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٢٥﴾ [السجدة: ٢٥] فِيمَا كَانُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا يَخْتَلِفُونَ، مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالْبَعْثِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ دِينِهِمْ، فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ بِقَضَاءٍ فَاصِلٍ، بِإِيجَابِهِ لِأَهْلِ الْحَقِّ الْجَنَّةَ، وَلِأَهْلِ الْبَاطِلِ النَّارَ.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ٢٦﴾ [السجدة: ٢٦].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أَوَ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ كَثْرَةَ إِهْلَاكِنَا الْقُرُونَ الْمَاضِيَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ..

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ﴾ يَمْشُونَ فِي بِلَادِهِمْ وَأَرْضِهِمْ، كَعَادٍ وَثَمُودَ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي خَلَاءِ مَسَاكِنِ الْقُرُونِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِهَا الَّذِينَ كَانُوا سُكَّانَهَا وَعُمَّارَهَا بِإِهْلَاكِنَا إِيَّاهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَنَا وَجَحَدُوا بِآيَاتِنَا، وَعَبَدُوا مِنْ دُونَ اللهِ آلِهَةً غَيْرَهُ الَّتِي يَمُرُّونَ بِهَا فَيُعَايِنُونَهَا..

﴿لَأٓيَٰتٍۚ﴾ لَهُمْ وَعِظَاتٍ يَتَّعِظُونَ بِهَا، لَوْ كَانُوا أُولِي حِجًا وَعُقُولٍ..

﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ٢٦﴾ [السجدة: ٢٦] عِظَاتِ اللهِ وَتَذْكِيرَهُ إِيَّاهُمْ آيَاتِهِ، وَتَعْرِيفَهُمْ مَوَاضِعَ حُجَجِهِ؟

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۚ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ٢٧﴾ [السجدة: ٢٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أَوَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالنَّشْرِ بَعْدَ الْفَنَاءِ..

﴿أَنَّا﴾ بِقُدْرَتِنَا..

﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَىٰ الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ الْغَلِيظَةِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا.. وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَاقَةٌ جُرُزٌ: إِذَا كَانَتْ تَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَذَلِكَ الْأَرْضُ الْجُرُوزُ: الَّتِي لَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهَا شَيْءٌ إِلَّا أَفْسَدَتْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلسَّيْفِ إِذَا كَانَ لَا يُبْقِي شَيْئًا إِلَّا قَطَعَهُ: سَيْفٌ جُرَازٌ..

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ فَنُخْرِجُ بِذَلِكَ الْمَاءِ الَّذِي نَسُوقُهُ إِلَيْهَا عَلَىٰ يُبْسِهَا وَغِلَظِهَا وَطُولِ عَهْدِهَا بِالْمَاءِ..

﴿زَرْعًا﴾ خَضِرًا..

﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۚ﴾ تَأْكُلُ مِنْهُ مَوَاشِيهِمْ، وَتُغَذَّىٰ بِهِ أَبْدَانُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ فَيَعِيشُونَ بِهِ.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ٢٧﴾ [السجدة: ٢٧] أَفَلَا يَرَوْنَ ذَلِكَ بِأَعْيُنِهِمْ فَيَعْلَمُوا بِرُؤْيَتِهِمُوهُ أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي بِهَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيَّ أَنْ أُحْيِيَ بِهَا الْأَمْوَاتَ وَأَنْشُرَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَأُعِيدَهُمْ بِهَيْئَاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا بِهَا قَبْلَ وَفَاتِهِمْ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٨﴾ [السجدة: ٢٨].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَا مُحَمَّدُ لَكَ..

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ مَتَىٰ يَجِيءُ هَذَا الْحُكْمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، يَعْنُونَ الْعَذَابَ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٨﴾ [السجدة: ٢٨] فِي الَّذِي تَقُولُونَ مِنْ أَنَّا مُعَاقَبُونَ عَلَىٰ تَكْذِيبِنَا مُحَمَّدًا ﷺ، وَعِبَادَتِنَا الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٢٩﴾ [السجدة: ٢٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ يَوْمَ الْحُكْمِ وَمَجِيءِ الْعَذَابِ..

﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ لَا يَنْفَعُ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ..

﴿إِيمَٰنُهُمْ﴾ الَّذِي يُحْدِثُونَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ..

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٢٩﴾ [السجدة: ٢٩] وَلَا هُمْ يُؤَخَّرُونَ لِلتَّوْبَةِ وَالْمُرَاجَعَةِ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾ [السجدة: ٣٠].

﴿فَأَعْرِضْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْقَائِلِينَ لَكَ ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ [السجدة: ٢٨]، الْمُسْتَعْجِلِيكَ بِالْعَذَابِ..

﴿وَٱنتَظِرْ﴾ مَا اللهُ صَانِعٌ بِهِمْ..

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾ [السجدة: ٣٠] مَا تَعِدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَمَجِيءِ السَّاعَةِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ السَّجْدَةِ



سُورَةُ الأَحْزَابِ (٣٣)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ [الأحزاب: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بِطَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَوَاجِبِ حُقُوقِهِ عَلَيْكَ وَالِانْتِهَاءِ عَنْ مَحَارِمِهِ وَانْتِهَاكِ حُدُودِهِ..

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَكَ: اطْرُدْ عَنْكَ أَتْبَاعَكَ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ حَتَّىٰ نُجَالِسَكَ..

﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ لَكَ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَالنَّصِيحَةَ لَكَ، وَهُمْ لَا يَأْلُونَكَ وَأَصْحَابَكَ وَدِينَكَ خَبَالًا، فَلَا تَقْبَلْ مِنْهُمْ رَأْيًا، وَلَا تَسْتَشِرْهُمْ مُسْتَنْصِحًا بِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَكَ أَعْدَاءُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ [الأحزاب: ١] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِمَا تُضْمِرُهُ نُفُوسُهُمْ، وَمَا الَّذِي يَقْصِدُونَ فِي إِظْهَارِهِمْ لَكَ النَّصِيحَةَ، مَعَ الَّذِي يَنْطَوُونَ لَكَ عَلَيْهِ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِ أَمْرِكَ وَأَمْرِ أَصْحَابِكَ وَدِينِكَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢﴾ [الأحزاب: ٢].

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ وَاعْمَلْ بِمَا يُنَزِّلُ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ وَحْيِهِ، وَآيِ كِتَابِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُ بِهِ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ عِبَادِهِ..

﴿خَبِيرٗا ٢﴾ [الأحزاب: ٢] ذَا خِبْرَةٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بِمَا وَعَدَكُمْ مِنَ الْجَزَاءِ.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣﴾ [الأحزاب: ٣].

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وَفَوِّضْ إِلَىٰ اللهِ أَمْرَكَ يَا مُحَمَّدُ وَثِقْ بِهِ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣﴾ [الأحزاب: ٣] وَحَسْبُكَ بِاللهِ فِيمَا يَأْمُرُكَ وَكِيلًا، وَحَفِيظًا بِكَ.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ٤﴾ [الأحزاب: ٤].

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾ ذَلِكَ تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ قَوْلَ مَنْ قَالَ لِرَجُلٍ فِي جَوْفِهِ قَلْبَانِ يَعْقِلُ بِهِمَا، وَهُوَ نَفْيٌ مِنَ اللهِ عَنْ خَلْقِهِ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يَكُونُوا بِتِلْكَ الصِّفَةِ..

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ﴾ وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ أَيُّهَا الرِّجَالُ نِسَاءَكُمُ -اللَّائِي تَقُولُونَ لَهُنَّ: أَنْتُنَّ عَلَيْنَا كَظُهُورِ أُمَّهَاتِنَا- أُمَّهَاتِكُمْ، بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكُمْ كَذِبًا وَأَلْزَمَكُمْ -عُقُوبَةً لَكُمْ- كَفَّارَةً..

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ مَنِ ادَّعَيْتَ أَنَّهُ ابْنُكَ وَهُوَ ابْنُ غَيْرِكَ، ابْنَكَ بِدَعْوَاكَ، وَذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ تَبَنِّيهِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الْقَوْلُ، وَهُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، وَدُعَاؤُهُ مَنْ لَيْسَ بِابْنِهِ أَنَّهُ ابْنُهُ..

﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾ إِنَّمَا هُوَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، لَا يُثْبِتُ بِهَذِهِ الدَّعْوَىٰ نَسَبُ الَّذِي ادَّعَيْتَ بُنُوَّتَهُ، وَلَا تَصِيرُ الزَّوْجَةُ أُمًّا بِقَوْلِ الرَّجُلِ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي..

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ وَاللهُ هُوَ الصَّادِقُ الَّذِي يَقُولُ الْحَقَّ، وَبِقَوْلِهِ يَثْبُتُ نَسَبُ مَنْ أَثْبَتَ نَسَبَهُ، وَبِهِ تَكُونُ الْمَرْأَةُ لِلْمَوْلُودِ أُمًّا إِذَا حَكَمَ بِذَلِكَ..

﴿وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ٤﴾ [الأحزاب: ٤] وَاللهُ يُبَيِّنُ لِعِبَادِهِ سَبِيلَ الْحَقِّ، وَيُرْشِدُهُمْ لِطَرِيقِ الرَّشَادِ.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥﴾ [الأحزاب: ٥].

﴿ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ﴾ انْسُبُوا أَدْعِيَاءَكُمُ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ أَنْسَابَهُمْ بِكُمْ لِآبَائِهِمْ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَلْحِقْ نَسَبَ زَيْدٍ بِأَبِيهِ حَارِثَةَ، وَلَا تَدْعُهُ زَيْدَ ابْنَ مُحَمَّدٍ..

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ دُعَاؤُكُمْ إِيَّاهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَعْدَلُ عِنْدَ اللهِ، وَأَصْدَقُ وَأَصْوَبُ مِنْ دُعَائِكُمْ إِيَّاهُمْ لِغَيْرِ آبَائِهِمْ، وَنِسْبَتِكُمُوهُمْ إِلَىٰ مَنْ تَبَنَّاهُمْ وَادَّعَاهُمْ وَلَيْسُوا لَهُ بَنِينَ..

﴿فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ فَإِنْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَ أَدْعِيَائِكُمْ مَنْ هُمْ فَتَنْسُبُوهُمْ إِلَيْهِمْ وَلَمْ تَعْرِفُوهُمْ، فَتُلْحِقُوهُمْ بِهِمْ..

﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ..

﴿وَمَوَٰلِيكُمۡۚ﴾ إِنْ كَانُوا مُحَرَّرِيكُمْ وَلَيْسُوا بِبَنِيكُمْ..

﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ﴾ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ وَلَا وِزْرَ فِي خَطَأٍ يَكُونُ مِنْكُمْ فِي نِسْبَةِ بَعْضِ مَنْ تَنْسُبُونَهُ إِلَىٰ أَبِيهِ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَهُ ابْنَ مَنْ تَنْسُبُونَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ ابْنٌ لِغَيْرِهِ..

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ وَلَكِنِ الإِثْمُ وَالْحَرَجُ عَلَيْكُمْ فِي نِسْبَتِكُمُوهُ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَهُ ابْنَ غَيْرِ مَنْ تَنْسُبُونَهُ إِلَيْهِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ وَكَانَ اللهُ ذَا سَتْرٍ عَلَىٰ ذَنْبِ مَنْ ظَاهَرَ مِنْ زَوْجَتِهِ فَقَالَ الْبَاطِلَ وَالزُّورَ مِنَ الْقَوْلِ، وَذَنْبِ مَنِ ادَّعَىٰ وَلَدَ غَيْرِهِ ابْنًا لَهُ، إِذَا تَابَا وَرَاجَعَا أَمْرَ اللهِ وَانْتَهَيَا عَنْ قَوْلِ الْبَاطِلِ بَعْدَ أَنْ نَهَاهُمَا رَبُّهُمَا عَنْهُ..

﴿رَّحِيمًا ۝٥﴾ [الأحزاب: ٥] ذَا رَحْمَةٍ بِهِمَا أَنْ يُعَاقِبَهُمَا عَلَىٰ ذَلِكَ، بَعْدَ تَوْبَتِهِمَا مِنْ خَطِيئَتِهِمَا.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٦﴾ [الأحزاب: ٦].

﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أَحَقُّ بِالْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ مِنْ حُكْمٍ فَيَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالًا فَلْوَرَثَتِهِ وَعَصَبَتِهِ مَنْ كَانُوا، وَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي وَأَنَا مَوْلَاهُ»**..

﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ وَحُرْمَةُ أَزْوَاجِهِ حُرْمَةُ أُمَّهَاتِهِمْ عَلَيْهِمْ، فِي أَنَّهُنَّ يَحْرُمُ عَلَيْهِنَّ نِكَاحُهُنَّ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ، كَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ نِكَاحُ أُمَّهَاتِهِمْ..

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ الَّذِينَ وَرَّثْتَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ..

﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِمِيرَاثِ بَعْضٍ..

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أَنْ يَرِثَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْهِجْرَةِ وَالْإِيمَانِ دُونَ الرَّحِمِ..

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم﴾ الَّذِينَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آخَىٰ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ..

﴿مَّعْرُوفًاۚ﴾ مِنَ الْوَصِيَّةِ لَهُمْ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعَقْلِ عَنْهُمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي قَدْ حَثَّ اللهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ..

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ كَانَ أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ..

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ..

﴿مَسْطُورًا ۝٦﴾ [الأحزاب: ٦] مَكْتُوبًا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ كَانَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا، وَيَعْنِي بِالْمِيثَاقِ: الْعَهْدَ..

﴿وَمِنكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم﴾ وَأَخَذْنَا مِنْ جَمِيعِهِمْ..

﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧] عَهْدًا مُؤَكَّدًا أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأحزاب: ٨].

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ﴾ أَخَذْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مِيثَاقَهُمْ كَيْمَا أَسْأَلَ الْمُرْسَلِينَ عَمَّا أَجَابَتْهُمْ بِهِ أُمَمُهُمْ، وَمَا فَعَلَ قَوْمُهُمْ فِيمَا أَبْلَغُوهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ مِنَ الرِّسَالَةِ..

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِاللهِ مِنَ الْأُمَمِ..

﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأحزاب: ٨] مُوجِعًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب: ٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَىٰ جَمَاعَتِكُمْ وَذَلِكَ حِينَ حُوصِرَ الْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ الْخَنْدَقِ..

﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ جُنُودُ الأَحْزَابِ: قُرَيْشٌ، وَغَطَفَانُ، وَيَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ..

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ وَهِيَ فِيمَا ذُكِرَ: رِيحُ الصَّبَا.. فَعَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّىٰ أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، «**فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا**»، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «**قُمْ يَا نَوْمَانُ**»..

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الْمَلاَئِكَةُ وَلَمْ تُقَاتِلْ يَوْمَئِذٍ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَكَانَ اللهُ بِأَعْمَالِكُمْ يَوْمَئِذٍ وَذَلِكَ صَبْرُهُمْ عَلَىٰ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ وَالشِّدَّةِ، وَثَبَاتِهِمْ لِعَدُوِّهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ..

﴿بَصِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٩] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، يُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ لِيَجْزِيَهُمْ عَلَيْهِ.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝﴾ [الأحزاب: ١٠].

﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودُ الأَحْزَابِ..

﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ جَاؤُوهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ قُرَيْظَةُ..

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أَتَوْهُمْ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ غَطَفَانُ، وَأَبُو سُفْيَانَ فِي قُرَيْشٍ..

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وَحِينَ عَدَلَتِ الأَبْصَارُ عَنْ مَقَرِّهَا، وَشَخَصَتْ طَامِحَةً..

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ نَبَتِ الْقُلُوبُ عَنْ أَمَاكِنِهَا مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ، فَبَلَغَتْ إِلَىٰ الْحَنَاجِرِ مِنَ الْفَزَعِ..

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠﴾ [الأحزاب: ١٠] وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَ الْكَاذِبَةَ، وَذَلِكَ كَظَنِّ مَنْ ظَنَّ مِنْهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُغْلَبُ، وَأَنَّ مَا وَعَدَهُ اللهُ مِنَ النَّصْرِ أَنْ لَا يَكُونَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ ظُنُونِهِمُ الْكَاذِبَةُ الَّتِي ظَنَّهَا مَنْ ظَنَّ مِمَّنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَسْكَرِهِ.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١﴾ [الأحزاب: ١١].

﴿هُنَالِكَ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ اخْتُبِرَ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُحِّصَ الْقَوْمُ، وَعُرِفَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ..

﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١﴾ [الأحزاب: ١١] وَحُرِّكُوا بِالْفِتْنَةِ تَحْرِيكًا شَدِيدًا، وَابْتُلُوا وَفُتِنُوا.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ١٢﴾ [الأحزاب: ١٢].

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شَكٌّ فِي الْإِيمَانِ، وَضَعْفٌ فِي إِعْتِقَادِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ١٢﴾ [الأحزاب: ١٢] قَالَ قَتَادَةُ: **(قَالَ ذَلِكَ أُنَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا فَتْحَ فَارِسَ وَالرُّومِ وَقَدْ حُصِرْنَا هَاهُنَا، حَتَّىٰ مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَبْرُزَ لِحَاجَتِهِ، مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)**.. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(قَالَ رَجُلٌ يَوْمَ الْأَحْزَابِ لِرَجُلٍ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ: يَا فُلَانُ، أَرَأَيْتَ إِذْ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَىٰ فَلَا كِسْرَىٰ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ» فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا، وَأَحَدُنَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ يَبُولُ مِنَ الْخَوْفِ؟** ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ١٢﴾ [الأحزاب: ١٢]).

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ١٣﴾ [الأحزاب: ١٣].

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ وَإِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ..

﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ وَيَثْرِبُ: اسْمُ أَرْضٍ، فَيُقَالُ: إِنَّ مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ يَثْرِبَ..

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بِضَمِّ الْمِيمِ، يَعْنِي: لَا إِقَامَةَ لَكُمْ.. وَالْقِرَاءَةُ عَلَىٰ فَتْحِ الْمِيمِ مِنْ (مَقَامٍ)، بِمَعْنَىٰ: لَا مَكَانَ لَكُمْ، تَقُومُونَ فِيهِ..

﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إِلَىٰ مَنَازِلِكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْهَرَبِ مِنْ عَسْكَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْفِرَارِ مِنْهُ وَتَرْكِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ وَيَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْإِذْنِ بِالِانْصِرَافِ عَنْهُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ..

﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ⑬﴾ [الأحزاب: ١٣] وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ الْفِرَارَ وَالْهَرَبَ مِنْ عَسْكَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ⑭﴾ [الأحزاب: ١٤].

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ وَلَوْ دُخِلَتِ الْمَدِينَةُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣]..

﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ مِنْ جَوَانِبِهَا وَنَوَاحِيهَا، وَأَحَدُهَا: قُطْرٌ، وَفِيهَا لُغَةٌ أُخْرَىٰ: قُتْرٌ، وَأَقْتَارٌ..

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ ثُمَّ سُئِلُوا الرُّجُوعَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الشِّرْكِ..

﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾ لَفَعَلُوا وَرَجَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَشْرَكُوا..

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ وَمَا احْتَبَسُوا عَنْ إِجَابَتِهِمْ إِلَىٰ الشِّرْكِ..

﴿إِلَّا يَسِيرًا ⑭﴾ [الأحزاب: ١٤] إِلَّا قَلِيلًا، وَلَأَسْرَعُوا إِلَىٰ ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ⑮﴾ [الأحزاب: ١٥].

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟﴾ وَلَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الِانْصِرَافِ عَنْهُ، وَيَقُولُونَ ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣]..

﴿عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ..

﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ أَنْ لَا يُوَلُّوا عَدُوَّهُمُ الْأَدْبَارَ إِنْ لَقَوْهُمْ فِي مَشْهَدٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ، فَمَا أَوْفُوا بِعَهْدِهِمْ..

﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ⑮﴾ [الأحزاب: ١٥] فَيَسْأَلُ اللهُ ذَلِكَ مَنْ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مِنْ نَفْسِهِ.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ⑯﴾ [الأحزاب: ١٦].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ فِي الِانْصِرَافِ عَنْكَ وَيَقُولُونَ ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣]..

﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ أَوْ مَا كَتَبَ اللهُ مِنْهُمَا وَاصِلٌ إِلَيْكُمْ بِكُلِّ حَالٍ كَرِهْتُمْ أَوْ أَحْبَبْتُمْ..

﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ⑯﴾ [الأحزاب: ١٦] وَإِذَا فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ لَمْ يَزِدْ فِرَارُكُمْ ذَلِكَ فِي أَعْمَارِكُمْ وَآجَالِكُمْ، بَلْ إِنَّمَا تُمَتَّعُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي كُتِبَ لَكُمْ، ثُمَّ

يأتيكم ما كتب لكم وعليكم.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب: ١٧].

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣] هربًا من القتل..

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من ذا الذي يمنعكم من الله..

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ إن هو أراد بكم سوءًا في أنفسكم من قتل أو بلاء أو غير ذلك، أو عافية وسلامة؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قبله؟.

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم﴾ ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءًا في أنفسهم وأموالهم..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يليهم بالكفاية..

﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب: ١٧] ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء ذلك.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب: ١٨].

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله ﷺ فيصدونهم عنه، وعن شهود الحرب معه نفاقًا منهم وتخذيلًا عن الإسلام وأهله..

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي تعالوا إلينا، ودعوا محمدًا، فلا تشهدوا معه مشهده، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه..

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب: ١٨] ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا، إلا تعذيرًا ودفعًا عن أنفسهم المؤمنين.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩].

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح، ولم يخصص وصفهم من معاني الشح، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في

سَبِيلِ اللهِ، عَلَىٰ أَهْلِ مَسْكَنَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَوَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا وَصَفَهُمْ مِنَ الشُّحِّ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، لِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ لَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضِّغْنِ، فَهُمْ جُبَنَاءُ عِنْدَ الْبَأْسِ، أَشِحَّاءُ عِنْدَ قَسْمِ الْغَنِيمَةِ بِالْغَنِيمَةِ..

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ فَإِذَا حَضَرَ الْبَأْسُ، وَجَاءَ الْقِتَالُ، خَافُوا الْهَلَاكَ وَالْقَتْلَ..

﴿رَأَيْتَهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ لِوَاذًا بِكَ..

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ، وَفِرَارًا مِنْهُ..

﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ كَدَوَرَانِ عَيْنِ الَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ النَّازِلِ بِهِ..

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ فَإِذَا انْقَطَعَتِ الْحَرْبُ وَاطْمَأَنُّوا..

﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ عَضُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ ذَرِبَةٍ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْخَطِيبِ الذَّرِبِ اللِّسَانِ: خَطِيبٌ مِسْلَقٌ وَمِصْلَقٌ، وَخَطِيبٌ سَلَّاقٌ وَصَلَّاقٌ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَىٰ الَّذِي وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَسْلُقُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ سَلْقُهُمْ إِيَّاهُمْ عِنْدَ الْغَنِيمَةِ بِمَسْأَلَتِهِمُ الْقَسْمَ لَهُمْ، قَالَ قَتَادَةُ: **(أَمَّا عِنْدَ الْغَنِيمَةِ، فَأَشَحُّ قَوْمٍ، وَأَسْوَأُ مُقَاسَمَةٍ: أَعْطُونَا أَعْطُونَا، فَإِنَّا قَدْ شَهِدْنَا مَعَكُمْ، وَأَمَّا عِنْدَ الْبَأْسِ فَأَجْبَنُ قَوْمٍ، وَأَخْذَلُهُ لِلْحَقِّ)**.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ سَلْقُهُمْ إِيَّاهُمْ بِالْأَذَىٰ.. وَأَشْبَهُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: سَلَقَهُمُ الْمُسْلِمِينَ شُحًّا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْغَنِيمَةِ وَالْخَيْرِ، فَمَعْلُومٌ إِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، أَنَّ ذَلِكَ لِطَلَبِ الْغَنِيمَةِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ لِطَلَبِ الْغَنِيمَةِ، دَخَلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَلَقُوكُمْ بِالْأَذَىٰ؛ لِأَنَّ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَا شَكَّ أَنَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَذًىٰ..

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أَشِحَّةً عَلَىٰ الْغَنِيمَةِ، إِذَا ظَفَرَ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ لَمْ يُصَدِّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ كُفْرٍ وَنِفَاقٍ..

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فَأَذْهَبَ اللهُ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ وَأَبْطَلَهَا..

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٩﴾ [الأحزاب: ١٩] وَكَانَ إِحْبَاطُ عَمَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَمِلُوا قَبْلَ ارْتِدَادِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرًا.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ٢٠﴾ [الأحزاب: ٢٠].

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ يَحْسِبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْأَحْزَابَ، وَهُمْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ..

﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لَمْ يَنْصَرِفُوا، وَإِنْ كَانُوا قَدِ انْصَرَفُوا جُبْنًا وَهَلَعًا مِنْهُمْ..

﴿وَإِن يَأْتِ﴾ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿الْأَحْزَابُ﴾ وَهُمُ الْجَمَاعَةُ، وَاحِدُهُمْ حِزْبٌ..

﴿يَوَدُّوا﴾ يَتَمَنَّوْا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُبْنِ..

﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أَنَّهُمْ غُيَّبٌ عَنْكُمْ فِي الْبَادِيَةِ مَعَ الْأَعْرَابِ، خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ.. تَقُولُ: قَدْ بَدَا فُلَانٌ، إِذَا صَارَ فِي الْبَدْوِ.. وَأَمَّا الْأَعْرَابُ: فَإِنَّهُمْ جَمْعُ أَعْرَابِيٍّ، وَوَاحِدُ الْعَرَبِ عَرَبِيٌّ، وَإِنَّمَا قِيلَ أَعْرَابِيٌّ لِأَهْلِ الْبَدْوِ، فَرْقًا بَيْنَ أَهْلِ الْبَوَادِي وَالْأَمْصَارِ، فَجَعَلَ الْأَعْرَابَ لِأَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَالْعَرَبَ لِأَهْلِ الْمِصْرِ..

﴿يَسْأَلُونَ﴾ يَسْتَخْبِرُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ النَّاسَ..

﴿عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ عَنْ أَخْبَارِكُمْ بِالْبَادِيَةِ، هَلْ هَلَكَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ؟ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَسْمَعُوا أَخْبَارَكُمْ بِهَلَاكِكُمْ، أَنْ لَا يَشْهَدُوا مَعَكُمْ مَشَاهِدَكُمْ..

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٠] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ: وَلَوْ كَانُوا أَيْضًا فِيكُمْ مَا نَفَعُوكُمْ، وَمَا قَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَّا قَلِيلًا، يَقُولُ: إِلَّا تَعْذِيرًا، لِأَنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَهُمْ حِسْبَةً وَلَا رَجَاءَ ثَوَابٍ.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أَنْ تَتَأَسَّوْا بِهِ، وَتَكُونُوا مَعَهُ حَيْثُ كَانَ، وَلَا تَتَخَلَّفُوا عَنْهُ.. وَهَذَا عِتَابٌ مِنَ اللهِ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَسْكَرِهِ بِالْمَدِينَةِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢١] فَإِنَّ مَنْ يَرْجُو ثَوَابَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ فِي الْآخِرَةِ لَا يَرْغَبُ بِنَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ تَكُونُ لَهُ بِهِ أُسْوَةٌ فِي أَنْ يَكُونَ مَعَهُ حَيْثُ يَكُونُ هُوَ.

﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٢].

﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ وَلَمَّا عَايَنَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿الْأَحْزَابَ﴾ جَمَاعَاتِ الْكُفَّارِ..

﴿قَالُوا﴾ تَسْلِيمًا مِنْهُمْ لِأَمْرِ اللهِ، وَإِيقَانًا مِنْهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنْجَازُ وَعْدِهِ لَهُمُ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿أَمْ

حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤]، إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿قَرِيبٌ﴾..

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فَأَحْسَنَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ يَقِينِهِمْ، وَتَسْلِيمِهِمْ لِأَمْرِهِ الثَّنَاءَ، فَقَالَ..

﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ اجْتِمَاعُ الْأَحْزَابِ عَلَيْهِمْ..

﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢] لِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَرَزَقَهُمْ بِهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أَوْفَوْا بِمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَحِينَ الْبَأْسِ..

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ فَمِنْهُمْ مِنْ فَرَغَ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي كَانَ نَذَرَهُ اللهُ وَأَوْجَبَهُ لَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَاسْتُشْهِدَ بَعْضٌ يَوْمَ بَدْرٍ، وَبَعْضٌ يَوْمَ أُحُدٍ، وَبَعْضٌ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاطِنِ.. وَالنَّحْبُ: النَّذْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلِلنَّحْبِ أَيْضًا فِي كَلَامِهِمْ وجُوهٌ غَيْرُ ذَلِكَ..

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قَضَاءَهُ وَالْفَرَاغَ مِنْهُ، كَمَا قَضَىٰ مَنْ مَضَىٰ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْوَفَاءِ للهِ بِعَهْدِهِ، وَالنَّصْرَ مِنَ اللهِ، وَالظَّفَرَ عَلَىٰ عَدُوِّهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، فَعَاهَدُوا اللهَ أَنْ يَفُوا قِتَالًا لِلْمُشْرِكِينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْفَىٰ فَقَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَدَّلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْفَىٰ وَلَمْ يَقْضِ نَحْبَهُ، وَكَانَ مُنْتَظِرًا، عَلَىٰ مَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (**غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَىٰ أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ**)..

﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣] وَمَا غَيَّرُوا الْعَهْدَ الَّذِي عَاقَدُوا رَبَّهُمْ تَغْيِيرًا، كَمَا غَيَّرَهُ الْمُعَوِّقُونَ الْقَائِلُونَ لِإِخْوَانِهِمْ: هَلُمَّ إِلَيْنَا، وَالْقَائِلُونَ: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ.

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٤﴾ [الأحزاب: ٢٤].

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ لِيُثِيبَ اللهُ أَهْلَ الصِّدْقِ بِصِدْقِهِمُ اللهَ بِمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ، وَوَفَائِهِمْ لَهُ بِهِ..

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَنِفَاقِهِمْ..

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ، فَيَهْدِيَهُمْ لِلْإِيمَانِ.. إِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا وَجْهُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿إِن شَآءَ﴾ وَالْمُنَافِقُ كَافِرٌ، وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ لَا يَشَاءَ تَعْذِيبَ الْمُنَافِقِ، فَيُقَالُ: وَيُعَذِّبُهُ إِنْ شَاءَ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي تَوَهَّمْتَهُ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ بِأَنْ لَا يُوَفِّقَهُمْ لِلتَّوْبَةِ مِنْ نِفَاقِهِمْ حَتَّىٰ يَمُوتُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ إِنْ شَاءَ، فَيَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ الْعَذَابَ، فَالِاسْتِثْنَاءُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ التَّوْفِيقِ لَا مِنَ الْعَذَابِ إِنْ مَاتُوا عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ، فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَنْ: وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِذْ لَمْ يَهْدِهِمْ لِلتَّوْبَةِ، فَيُوَفِّقَهُمْ لَهَا، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فَلَا يُعَذِّبُهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ ذَا سِتْرٍ عَلَىٰ ذُنُوبِ التَّائِبِينَ..

﴿رَّحِيمًا ۝٢٤﴾ [الأحزاب: ٢٤] بِالتَّائِبِينَ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥].

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِهِ وَبِرَسُولِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ..

﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ بِكَرْبِهِمْ وَغَمِّهِمْ، بِفَوْتِهِمْ مَا أَمَّلُوا مِنَ الظَّفَرِ، وَخَيْبَتِهِمْ مِمَّا كَانُوا طَمِعُوا فِيهِ مِنَ الْغَلَبَةِ..

﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَالًا وَلَا إِسَارًا..

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ بِجُنُودٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالرِّيحِ الَّتِي بَعَثَهَا عَلَيْهِمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ عَلَىٰ فِعْلِ مَا يَشَاءُ فِعَلَهُ بِخَلْقِهِ، فَيَنْصُرُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ أَنْ يَخْذُلَهُ، لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ..

﴿عَزِيزًا ۝٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥] هُوَ شَدِيدٌ انْتِقَامُهُ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ مِنْ أَعْدَائِهِ.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الأحزاب: ٢٦].

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ وَأَنْزَلَ اللهُ الَّذِينَ أَعَانُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَذَٰلِكَ هُوَ مُظَاهَرَتُهُمْ إِيَّاهُ، وَعَنَىٰ بِذَلِكَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَهُمُ الَّذِينَ ظَاهَرُوا الْأَحْزَابَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ، وَكَانُوا يَهُودًا..

﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ مِنْ حُصُونِهِمْ.. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: (**نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ سَعْدٍ، فَأَتَاهُ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ» أَوْ «خَيْرِكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِكَ»، قَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذُرِّيَّتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللهِ»**)..

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ وَأَلْقَىٰ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ مِنْكُمْ..

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ تَقْتُلُونَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَهُمُ الَّذِينَ قَتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ حِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الأحزاب: ٢٦] وَتَأْسِرُونَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَهُمْ نِسَاؤُهُمْ وَذَرَارِيُّهُمُ الَّذِينَ سُبُوا.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٧].

﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾ وَمَلَّكَكُمْ بَعْدَ مَهْلِكِهِمْ..

﴿أَرْضَهُمْ﴾ مَزَارِعَهُمْ وَمَغَارِسَهُمْ..

﴿وَدِيَٰرَهُمْ﴾ وَمَسَاكِنَهُمْ..

﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ سَائِرَ الْأَمْوَالِ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالدُّورِ..

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ وَأَرْضًا لَمْ يَطَئُوهَا يَوْمَئِذٍ، وَلَمْ تَكُنْ مَكَّةُ وَلَا خَيْبَرُ، وَلَا أَرْضُ فَارِسَ وَالرُّومِ وَلَا الْيَمَنُ، مِمَّا كَانُوا وَطِئُوهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ وَطِئُوا ذَلِكَ بَعْدُ، وَأَوْرَثَهُمُوهُ اللهُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٧] وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ أَنْ أَوْرَثَ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ نَصْرِهِ إِيَّاهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ قُدْرَةً، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ حَاوَلَ فِعْلَهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ [الأحزاب: ٢٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ فَإِنِّي أُمَتِّعُكُنَّ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَىٰ الرِّجَالِ لِلنِّسَاءِ مِنَ الْمُتْعَةِ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ إِيَّاهُنَّ بِالطَّلَاقِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾ [البقرة: ٢٣٦] ..

﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ [الأحزاب: ٢٨] وَأُطَلِّقْكُنَّ عَلَىٰ مَا أَذِنَ اللهُ بِهِ، وَأَدَّبَ بِهِ عِبَادَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب: ٢٩].

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ رِضَا اللهِ وَرِضَا رَسُولِهِ وَطَاعَتَهُمَا فَأَطِعْنَهُمَا..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ وَهُنَّ الْعَامِلَاتُ مِنْهُنَّ بِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ..

﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب: ٢٩] عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: (**لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّىٰ تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ» قَالَتْ: وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨] إِلَىٰ ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾»، فَقُلْتُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ**).

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ [الأحزاب: ٣٠].

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ يَزْنِ مِنْكُنَّ الزِّنَىٰ الْمَعْرُوفَ الَّذِي أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْحَدَّ..

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ﴾ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ عَلَىٰ فُجُورِهَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾ عَلَىٰ فُجُورِ أَزْوَاجِ النَّاسِ غَيْرِهِمْ..

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [الأحزاب: ٣٠] وَكَانَتْ مُضَاعَفَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [الأحزاب: ٣١].

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْكُنَّ، وَتَعْمَلْ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ..

﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ يُعْطِهَا اللهُ ثَوَابَ عَمَلِهَا، مِثْلَيْ ثَوَابِ عَمَلِ غَيْرِهِنَّ مِنْ سَائِرِ نِسَاءِ النَّاسِ..

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [الأحزاب: ٣١] وَأَعْتَدْنَا لَهَا فِي الْآخِرَةِ عَيْشًا هَنِيئًا فِي الْجَنَّةِ.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢﴾ [الأحزاب: ٣٢].

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ مِنْ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ..

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ اللهَ فَأَطَعْتُنَّهُ فِيمَا أَمَرَكُنَّ وَنَهَاكُنَّ..

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ فَلَا تَلِنَّ بِالْقَوْلِ لِلرِّجَالِ فِيمَا يَبْتَغِيهِ أَهْلُ الْفَاحِشَةِ مِنْكُنَّ..

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ ضَعْفٌ؛ فَهُوَ لِضَعْفِ إِيمَانِهِ فِي قَلْبِهِ، إِمَّا شَاكٌّ فِي الْإِسْلَامِ مُنَافِقٌ، فَهُوَ لِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ يَسْتَخِفُّ بِحُدُودِ اللهِ، وَإِمَّا مُتَهَاوِنٌ بِإِتْيَانِ الْفَوَاحِشِ..

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢﴾ [الأحزاب: ٣٢] وَقُلْنَ قَوْلًا قَدْ أَذِنَ اللهُ لَكُمْ بِهِ وَأَبَاحَهُ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**قَوْلًا جَمِيلًا حَسَنًا مَعْرُوفًا فِي الْخَيْرِ**).

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣].

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ وَأْقْرَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: (**وَقِرْنَ**) بِكَسْرِ الْقَافِ، بِمَعْنَىٰ: كُنَّ أَهْلَ وَقَارٍ وَسَكِينَةٍ ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ وَهِيَ الْكَسْرُ فِي الْقَافِ أَوْلَىٰ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنْ كَانَ مِنَ الْوَقَارِ عَلَىٰ مَا اخْتَرْنَا، فَلَا شَكَّ أَنَّ الْقِرَاءَةَ بِكَسْرِ الْقَافِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْقَرَارِ، فَإِنَّ الْوَجْهَ أَنْ يُقَالَ: أَقْرَرْنَ..

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ قِيلَ: إِنَّ التَّبَرُّجَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ التَّبَخْتُرُ وَالتَّكَسُّرِ، قَالَ قَتَادَةُ: (**أَيْ إِذَا خَرَجْتُنَّ مِنْ بُيُوتِكُنَّ**)، قَالَ: (**كَانَتْ لَهُنَّ مِشْيَةٌ وَتَكَسُّرٌ وَتَغَنُّجٍ، فَنَهَاهُنَّ اللهُ عَنْ ذَلِكَ**).. وَقِيلَ: إِنَّ التَّبَرُّجَ هُوَ إِظْهَارُ الزِّينَةِ، وَإِبْرَازُ الْمَرْأَةِ مَحَاسِنَهَا لِلرِّجَالِ..

﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مَا بَيْنَ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ذَلِكَ مَا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ بَيْنَ نُوحٍ وَإِدْرِيسَ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَهَىٰ نِسَاءَ النَّبِيِّ أَنْ يَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَا بَيْنَ آدَمَ وَعِيسَىٰ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ الَّتِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَا بَيْنَ إِدْرِيسَ وَنُوحٍ، فَتَكُونُ الْجَاهِلِيَّةُ الْآخِرَةُ مَا بَيْنَ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ اللهُ: إِنَّهُ نَهَىٰ عَنْ تَبَرُّجِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ..

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ..

﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُنَّ فِي أَمْوَالِكُنَّ..

﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فِيمَا أَمَرَكُنَّ وَنَهَاكُنَّ..

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ يَا أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ..

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣] وَيُطَهِّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ الَّذِي يَكُونُ فِي أَهْلِ مَعَاصِي اللهِ تَطْهِيرًا.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤].

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَزْوَاجِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَاذْكُرْنَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُنَّ، بِأَنْ جَعَلَكُنَّ فِي بُيُوتٍ تُتْلَىٰ فِيهَا آيَاتُ اللهِ وَالْحِكْمَةُ، فَاشْكُرْنَ اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَاحْمِدْنَهُ عَلَيْهِ؛ وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُقْرَأُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ كِتَابِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ، وَيَعْنِي بِالْحِكْمَةِ: مَا أُوحِيَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْكَامِ دِينِ اللهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهِ قُرْآنٌ، وَذَلِكَ السُّنَّةُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ ذَا لُطْفٍ بِكُنَّ، إِذْ جَعَلَكُنَّ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي تُتْلَىٰ فِيهَا آيَاتُهُ..

﴿خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤] بِكُنَّ إِذِ اخْتَارَكُنَّ لِرَسُولِهِ أَزْوَاجًا.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إِنَّ الْمُتَذَلِّلِينَ للهِ بِالطَّاعَةِ وَالْمُتَذَلِّلَاتِ..

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وَالْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ للهِ، وَالْمَطِيعِينَ للهِ وَالْمُطِيعَاتِ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ..

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ وَالصَّادِقِينَ للهِ فِيمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ وَالصَّادِقَاتِ فِيهِ..

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ وَالصَّابِرِينَ للهِ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ عَلَىٰ الثَّبَاتِ عَلَىٰ دِينِهِ، وَحِينَ الْبَأْسِ وَالصَّابِرَاتِ..

﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ وَالْخَاشِعَةَ قُلُوبُهُمْ للهِ وَجَلًا مِنْهُ وَمِنْ عِقَابِهِ وَالْخَاشِعَاتِ..

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ وَهُمُ الْمُؤَدُّونَ حُقُوقَ اللهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَالْمُؤَدِّيَاتِ..

﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ وَالصَّائِمِينَ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي فَرَضَ اللهُ صَوْمَهُ عَلَيْهِمْ وَالصَّائِمَاتِ..

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، وَالْحَافِظَاتِ ذَلِكَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْ كُنَّ حَرَائِرَ، أَوْ مَنْ مَلَكَهُنَّ إِنْ كُنَّ إِمَاءً..

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ وَالذَّاكِرَاتِ، كَذَلِكَ..

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لِذُنُوبِهِمْ..

﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥] يَعْنِي ثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ عَظِيمًا، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ لَمْ يَكُنْ لِمُؤْمِنٍ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا مُؤْمِنَةٍ..

﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ فِي أَنْفُسِهِمْ قَضَاءً..

﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ الَّذِي قَضَىٰ فِيهِمْ، وَيُخَالِفُوا أَمْرَ اللهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ وَقَضَاءَهُمَا فَيَعْصُوهُمَا..

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِيمَا أَمَرَا أَوْ نَهَيَا..

﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦] فَقَدْ جَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ.

﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ [الأحزاب: ٣٧].

﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عِتَابًا مِنَ اللهِ لَهُ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ بِالْهِدَايَةِ..

﴿وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾ بِالْعِتْقِ، يَعْنِي زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾ أُلْقِيَ فِي نَفْسِ زَيْدٍ كَرَاهَتُهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ زَيْدٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾..

﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وَخَفِ اللهَ فِي الْوَاجِبِ لَهُ عَلَيْكَ فِي زَوْجَتِكَ..

﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ وَتَخَافُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: أَمَرَ رَجُلًا بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ وَنَكَحَهَا حِينَ طَلَّقَهَا، وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ مِنَ النَّاسِ.. قَالَتْ عَائِشَةُ: **(لَوْ كَتَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَتَمَ: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾)**..

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مِنْ زَيْنَبَ حَاجَتَهُ، وَهِيَ الْوَطَرُ..

﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ زَوَّجْنَاكَ زَيْنَبَ بَعْدَمَا طَلَّقَهَا زَيْدٌ وَبَانَتْ مِنْهُ..

﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ فِي نِكَاحِ نِسَاءِ مَنْ تَبَنَّوْا وَلَيْسُوا بِبَنِيهِمْ وَلَا أَوْلَادِهِمْ عَلَىٰ صِحَّةٍ إِذَا هُمْ طَلَّقُوهُنَّ وَبِنَّ مِنْهُمْ..

﴿إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ حَاجَاتِهِمْ، وَآرَابَهُمْ وَفَارَقُوهُنَّ وَحَلَلْنَ لِغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ نُزُولًا مِنْهُمْ لَهُمْ عَنْهُنَّ..

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وَكَانَ مَا قَضَىٰ اللهُ مِنْ قَضَاءٍ..

﴿مَفْعُولًا ۝٣٧﴾ [الأحزاب: ٣٧] كَائِنًا كَانَ لَا مَحَالَةَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ قَضَاءَ اللهِ فِي زَيْنَبَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَانَ مَاضِيًا مَفْعُولًا كَائِنًا.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨].

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ مِنْ إِثْمٍ..

﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ فِيمَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ مِنْ نِكَاحِ امْرَأَةِ مَنْ تَبَنَّاهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ إِيَّاهَا..

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ لَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ لِيُؤَثِّمَ نَبِيَّهُ فِيمَا أَحَلَّ لَهُ، مِثَالُ فِعْلِهِ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُ فِي أَنَّهُ لَمْ يُؤَثِّمْهُمْ بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ، لَمْ يَكُنْ لِنَبِيِّهِ أَنْ يَخْشَىٰ النَّاسَ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ أَوْ أَحَلَّهُ لَهُ.. وَنَصَبَ قَوْلَهُ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ مَعْنَىٰ: حَقًّا مِنَ اللهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَعَلْنَا ذَلِكَ سُنَّةً مِنَّا..

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨] وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَضَاءً مَقْضِيًّا.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الرُّسُلِ، الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ إِلَىٰ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ..

﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾ وَيَخَافُونَ اللهَ فِي تَرْكِهِمْ تَبْلِيغَ ذَلِكَ إِيَّاهُمْ..

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ، فَإِنَّهُمْ إِيَّاهُ يَرْهَبُونَ إِنْ هُمْ قَصَرُوا عَنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَةَ اللهِ إِلَىٰ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ: فَمِنْ أُولَئِكَ الرُّسُلِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فَكُنْ، وَلَا تَخْشَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ، فَإِنَّ اللهَ يَمْنَعُكَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَلَا يَمْنَعُكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مِنْهُ، إِنْ أَرَادَ بِكَ سُوءًا..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩﴾ [الأحزاب: ٣٩] وَكَفَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِاللهِ حَافِظًا لِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، وَمُحَاسِبًا لَهُمْ عَلَيْهَا.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ مَا كَانَ أَيُّهَا النَّاسُ مُحَمَّدٌ أَبَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَلَا أَبَا أَحَدٍ

مِنْ رِجَالِكُمْ، الَّذِينَ لَمْ يَلِدْهُ مُحَمَّدٌ، فَيَحْرُمُ عَلَيْهِ نِكَاحُ زَوْجَتِهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ إِيَّاهَا..

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وَلَكِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، الَّذِي خَتَمَ النُّبُوَّةَ فَطُبِعَ عَلَيْهَا، فَلَا تُفْتَحُ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠] وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَمَقَالِكُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ ذَا عِلْمٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾ [الأحزاب: ٤١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِقُلُوبِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ..

﴿ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾ [الأحزاب: ٤١] فَلَا تُخْلُوا أَبْدَانَكُمْ مِنْ ذِكْرِهِ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ طَاقَتِكُمْ ذَلِكَ.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤٢].

﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ صَلُّوا لَهُ..

﴿بُكْرَةً﴾ غُدْوَةً صَلَاةَ الصُّبْحِ..

﴿وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤٢] وَعَشِيًّا صَلَاةَ الْعَصْرِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿هُوَ﴾ رَبُّكُمُ الَّذِي تَذْكُرُونَهُ الذِّكْرَ الْكَثِيرَ، وَتُسَبِّحُونَهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ..

﴿ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ الَّذِي يَرْحَمُكُمْ، وَيُثْنِي عَلَيْكُمْ، وَيَدْعُو لَكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ تَدْعُو مَلَائِكَةُ اللهِ لَكُمْ، فَيُخْرِجُكُمُ اللهُ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ..

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِهِ وَرَسُولِهِ..

﴿رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣] ذَا رَحْمَةٍ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُطِيعُونَ، وَلِأَمْرِهِ مُتَّبِعُونَ.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤﴾ [الأحزاب: ٤٤].

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ تَحِيَّةُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ..

﴿سَلَامٌ﴾ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَنَةٌ لَنَا وَلَكُمْ بِدُخُولِنَا هَذَا الْمَدْخَلَ مِنَ اللهِ أَنْ يُعَذِّبَنَا بِالنَّارِ أَبَدًا..

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ وَأَعَدَّ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤﴾ [الأحزاب: ٤٤] ثَوَابًا لَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا كَرِيمًا، وَذَلِكَ هُوَ الْجَنَّةُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ عَلَىٰ أُمَّتِكَ بِإِبْلَاغِكَ إِيَّاهُمْ مَا أَرْسَلْنَاكَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ..

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ وَمُبَشِّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ إِنْ صَدَّقُوكَ وَعَمِلُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥] مِنَ النَّارِ أَنْ يَدْخُلُوهَا، فَيُعَذَّبُوا بِهَا إِنْ هُمْ كَذَّبُوكَ، وَخَالَفُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٦].

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَدَاعِيًا إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِفْرَادِ الْأُلُوهَةِ لَهُ، وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ لِوَجْهِهِ دُونَ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بِأَمْرِهِ إِيَّاكَ بِذَلِكَ..

﴿وَسِرَاجًا﴾ وَضِيَاءً لِخَلْقِهِ يَسْتَضِيءُ بِالنُّورِ الَّذِي أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عِبَادُهُ..

﴿مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٦] ضِيَاءً يُنِيرُ لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِضَوْئِهِ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ، أَنَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧﴾ [الأحزاب: ٤٧].

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَبَشِّرْ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧﴾ [الأحزاب: ٤٧] بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ اللهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ تَضْعِيفًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ مِنَ اللهِ لَهُمْ.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨﴾ [الأحزاب: ٤٨].

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ وَلَا تُطِعْ لِقَوْلِ كَافِرٍ وَلَا مُنَافِقٍ، فَتَسْمَعُ مِنْهُ دُعَاءَهُ إِيَّاكَ إِلَىٰ التَّقْصِيرِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ اللهِ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلَكَ بِهَا إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ وَأَعْرِضْ عَنْ أَذَاهُمْ لَكَ، وَاصْبِرْ عَلَيْهِ، وَلَا يَمْنَعُكَ ذَلِكَ عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ فِي عِبَادِهِ، وَالنُّفُوذِ لِمَا كَلَّفَكَ...

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وَفَوِّضْ إِلَىٰ اللهِ أُمُورَكَ، وَثِقْ بِهِ، فَإِنَّهُ كَافِيكَ جَمِيعَ مَنْ دُونَهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ بِأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٨] وَحَسْبُكَ بِاللهِ قَيِّمًا بِأُمُورِكَ، وَحَافِظًا لَكَ وَكَالِئًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: ٤٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ يَعْنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ تُجَامِعُوهُنَّ..

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ مِنْ إِحْصَاءِ أَقْرَاءٍ، وَلَا أَشْهُرٍ تَحْصُونَهَا عَلَيْهِنَّ..

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أَعْطُوهُنَّ مَا يَسْتَمْتِعْنَ بِهِ مِنْ عَرَضٍ أَوْ عَيْنِ مَالٍ.. وَقَالَ قَتَادَةُ: (**الْمُتْعَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ**: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]) ..

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: ٤٩] وَأَخْلُوا سَبِيلَهُنَّ تَخْلِيَةً بِالْمَعْرُوفِ، وَهُوَ التَّسْرِيحُ الْجَمِيلُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب: ٥٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ يَعْنِي: اللَّاتِي تَزَوَّجْتَهُنَّ بِصَدَاقٍ مُسَمًّىٰ..

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ وَأَحْلَلْنَا لَكَ إِمَاءَكَ اللَّوَاتِي سَبَيْتَهُنَّ، فَمَلَكْتَهُنَّ بِالسِّبَاءِ، وَصِرْنَ لَكَ بِفَتْحِ اللهِ عَلَيْكَ مِنَ الْفَيْءِ..

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فَأَحَلَّ اللهُ لَهُ ﷺ مِنْ

بَنَاتِ عَمِّهِ وَعَمَّاتِهِ وَخَالِهِ وَخَالَاتِهِ، الْمُهَاجِرَاتِ مَعَهُ مِنْهُنَّ دُونَ مَنْ لَمْ يُهَاجِرْ مِنْهُنَّ مَعَهُ..

﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ وَأَحْلَلْنَا لَهُ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ بِغَيْرِ صَدَاقٍ..

﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكِحَهَا، فَحَلَالٌ لَهُ أَنْ يَنْكِحَهَا وَإِذَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ بِغَيْرِ مَهْرٍ..

﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ أَنْ يَقْرَبَ امْرَأَةً وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ خَالِصَةً أُخْلِصَتْ لَكَ..

﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ مِنْ دُونِ سَائِرِ أُمَّتِكَ.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَزْوَاجِهِمْ إِذَا أَرَادُوا نِكَاحَهُنَّ مِمَّا لَمْ نَفْرِضْهُ عَلَيْكَ، وَمَا خَصَصْنَاهُمْ بِهِ مِنَ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ دُونَكَ، وَهُوَ أَنَّا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُمْ عَقْدُ نِكَاحٍ عَلَىٰ حُرَّةٍ مَسْلَمَةٍ إِلَّا بِوَلِيٍّ عَصَبَةٍ وَشُهُودٍ عُدُولٍ، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنْهُنَّ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعٍ..

﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَزْوَاجِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنْهُنَّ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَإِنَّ جَمِيعَهُنَّ إِذَا كُنَّ مُؤْمِنَاتٍ أَوْ كِتَابِيَّاتٍ، لَهُمْ حَلَالٌ بِالسِّبَاءِ وَالتَّسَرِّي وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْمِلْكِ..

﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَزْوَاجَكَ اللَّوَاتِي ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾، لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ إِثْمٌ وَضِيقٌ فِي نِكَاحِ مَنْ نَكَحْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الَّتِي أَبَحْتُ لَكَ نِكَاحَهُنَّ مِنَ الْمُسَمَّيَاتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لَكَ وَلِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِكَ..

﴿رَّحِيمٗا ٥٠﴾ [الأحزاب: ٥٠] بِكَ وَبِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ سَالِفِ ذَنْبٍ مِنْهُمْ سَلَفَ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهُ.

﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾ [الأحزاب: ٥١].

﴿۞ تُرۡجِي﴾ تُؤَخِّرُ..

﴿مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ مِمَّنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ، وَأَحْلَلْتُ لَكَ نِكَاحَهَا، فَلَا تَقْبَلْهَا وَلَا تَنْكِحْهَا، أَوْ

مِمَّنْ هُنَّ فِي حِبَالِكَ، فَلَا تَقْرَبْهَا..

﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ وَتَضُمُّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ مِمَّنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ، أَوْ أَرَدْتَ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي أَحْلَلْتُ لَكَ نِكَاحَهُنَّ، فَتَقْبَلُهَا أَوْ تَنْكِحُهَا، وَمِمَّنْ هِيَ فِي حِبَالِكَ، فَتُجَامِعُهَا إِذَا شِئْتَ، وَتَتْرُكُهَا إِذَا شِئْتَ بِغَيْرِ قَسْمٍ..

﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ إِصَابَتَهُ مِنْ نِسَائِكَ فَجَامَعْتَ..

﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ فَعَزَلْتَهُ عَنِ الْجِمَاعِ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي جَعَلْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ إِذْنِي لَكَ أَنْ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي جَعَلْتُ لَكَ إِرْجَاءَهُنَّ، وَتُؤْوِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ، وَوَضْعِي عَنْكَ الْحَرَجَ فِي ابْتِغَائِكَ إِصَابَةَ مَنِ ابْتَغَيْتَ إِصَابَتَهُ مِنْ نِسَائِكَ، وَعَزْلِكَ عَنْ ذَلِكَ مَنْ عَزَلْتَ مِنْهُنَّ..

﴿أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ﴾ أَقْرَبُ لِنِسَائِكَ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ بِهِ وَلَا يَحْزَنَّ..

﴿وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ﴾ مِنْ تَفْضِيلِ مَنْ فَضَّلْتَ مِنْ قَسْمٍ، أَوْ نَفَقَةٍ وَإِيثَارِ مَنْ آثَرْتَ مِنْهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ نِسَائِكَ، إِذَا هُنَّ عَلِمْنَ أَنَّهُ مِنْ رِضَايَ مِنْكَ بِذَلِكَ، وَإِذْنِي لَكَ بِهِ، وَإِطْلَاقٍ مِنِّي لَا مِنْ قِبَلِكَ..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنْ مَيْلِهَا إِلَىٰ بَعْضِ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ النِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ بِالْهَوَىٰ وَالْمَحَبَّةِ؛ يَقُولُ: فَلِذَلِكَ وُضِعَ عَنْكَ الْحَرَجُ يَا مُحَمَّدُ فِيمَا وُضِعَ عَنْكَ مِنَ ابْتِغَاءِ مَنَ ابْتَغَيْتَ مِنْهُنَّ مِمَّنْ عَزَلْتَ، تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ وَتَكْرُمَةً..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ وَكَانَ اللهُ ذَا عِلْمٍ بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا..

﴿حَلِيمًا ۝٥١﴾ [الأحزاب: ٥١] ذَا حِلْمٍ عَلَىٰ عِبَادِهِ، أَنْ يُعَاجِلَ أَهْلَ الذُّنُوبِ مِنْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَلَكِنَّهُ ذُو حِلْمٍ وَأَنَاةٍ عَنْهُمْ، لِيَتُوبَ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ، وَيُنِيبُ مِنْ ذُنُوبِهِ مَنْ أَنَابَ مِنْهُمْ.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ۝٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢].

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ يَا مُحَمَّدُ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ اللَّوَاتِي أَحْلَلْتُهُنَّ لَكَ بِقَوْلِنَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]..

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ وَلَا أَنْ تُطَلِّقَ نِسَاءَكَ اللَّوَاتِي اخْتَرْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، فَتُبَدِّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ..

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُ مَنْ أَرَدْتَ أَنْ تُبَدِّلَ بِهِ مِنْهُنَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ مِنْ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ طَلَاقَ نِسَائِهِ اللَّوَاتِي خَيَّرَهُنَّ فَاخْتَرْنَهُ، فَمَا وَجْهُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ طَلَّقَ حَفْصَةَ ثُمَّ رَاجَعَهَا، وَأَنَّهُ أَرَادَ طَلَاقَ سَوْدَةَ حَتَّىٰ صَالَحَتْهُ عَلَىٰ تَرْكِ طَلَاقِهِ إِيَّاهَا، وَوَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ؟ قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ تَحْرِيمِ اللهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ طَلَاقَهُنَّ، الرِّوَايَةُ الْوَارِدَةُ أَنَّ عُمَرَ دَخَلَ عَلَىٰ حَفْصَةَ مُعَاقِبَهَا حِينَ اعْتَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، كَانَ مِنْ قِيلِهِ لَهَا: (**قَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَلَّقَكِ، فَكَلَّمْتُهُ فَرَاجَعَكِ، فَوَاللهِ لَئِنْ طَلَّقَكِ، أَوَلَوْ كَانَ طَلَّقَكِ لَكَلَّمْتُهُ فِيكِ**) وَذَلِكَ لَا شَكَّ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ التَّخْيِيرِ؛ لِأَنَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ إِنَّمَا نَزَلَتْ حِينَ انْقَضَىٰ وَقْتُ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ اعْتِزَالِهِنَّ، وَأَمَّا أَمْرُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ أَمْرَ سَوْدَةَ كَانَ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ اللهَ إِنَّمَا أَمَرَ نَبِيَّهُ بِتَخْيِيرِ نِسَائِهِ بَيْنَ فِرَاقِهِ وَالْمُقَامِ مَعَهُ عَلَىٰ الرِّضَا بِأَنْ لَا قَسْمَ لَهُنَّ، وَأَنَّهُ يُرْجِي مَنْ يَشَاءُ مِنْهُنَّ، وَيُؤْوِي مِنْهُنَّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُؤْثِرُ مَنْ شَاءَ مِنْهُنَّ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]، وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الصُّلْحُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَرَىٰ عَلَىٰ تَرْكِهَا يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ فِي حَالٍ لَا يَوْمَ لَهَا مِنْهُ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ مِنْهَا إِلَّا فِي حَالٍ كَانَ لَهَا مِنْهُ يَوْمٌ هُوَ لَهَا حَقٌّ كَانَ وَاجِبًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَدَاؤُهُ إِلَيْهَا، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُنَّ بَعْدَ التَّخْيِيرِ لِمَا قَدْ وَصَفْتُ قَبْلُ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ مِنَ الْإِمَاءِ، فَإِنَّ لَكَ أَنْ تَمْلِكَ مِنْ أَيِّ أَجْنَاسِ النَّاسِ شِئْتَ مِنَ الْإِمَاءِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مَا أَحَلَّ لَكَ، وَحَرَّمَ عَلَيْكَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا..

﴿رَّقِيبًا ۝٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢] حَفِيظًا لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ نَبِيِّ اللهِ إِلَّا أَنْ تُدْعَوْا إِلَىٰ طَعَامٍ تَطْعَمُونَهُ..

﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ غَيْرَ مُنْتَظِرِينَ إِدْرَاكَهُ وَبُلُوغَهُ..

﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ﴾ وَلَكِنْ إِذَا دَعَاكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَادْخُلُوا الْبَيْتَ الَّذِي أُذِنَ لَكُمْ بِدُخُولِهِ..

﴿فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ فَإِذَا أَكَلْتُمُ الطَّعَامَ الَّذِي دُعِيتُمْ لِأَكْلِهِ فَانْتَشِرُوا، يَعْنِي فَتَفَرَّقُوا وَاخْرُجُوا مِنْ مَنْزِلِهِ..

﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ وَلَا مُتَحَدِّثِينَ بَعْدَ فَرَاغِكُمْ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ إِينَاسًا مِنْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ بِهِ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ إِنَّ دُخُولَكُمْ بُيُوتَ النَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ، وَجُلُوسَكُمْ فِيهَا مُسْتَأْنِسِينَ لِلْحَدِيثِ بَعْدَ فَرَاغِكُمْ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الَّذِي دُعِيتُمْ لَهُ، كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ..

﴿فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ﴾ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْهَا إِذَا قَعَدْتُمْ فِيهَا لِلْحَدِيثِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ، أَوْ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِذَا دَخَلْتُمْ بِغَيْرِ إِذْنٍ مَعَ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ مِنْكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكُمْ، وَإِنِ اسْتَحْيَا نَبِيُّكُمْ فَلَمْ يُبَيِّنْ لَكُمْ كَرَاهِيَةَ ذَلِكَ حَيَاءً مِنْكُمْ..

﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾ وَإِذَا سَأَلْتُمْ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّوَاتِي لَسْنَ لَكُمْ بِأَزْوَاجٍ مَتَاعًا ..

﴿فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِنَّ بُيُوتَهُنَّ..

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ سُؤَالُكُمْ إِيَّاهُنَّ الْمَتَاعَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ..

﴿أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ مِنْ عَوَارِضِ الْعَيْنِ فِيهَا الَّتِي تَعْرِضُ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ، وَفِي صُدُورِ النِّسَاءِ مِنْ أَمْرِ الرِّجَالِ، وَأَحْرَى مِنْ أَنْ لَا يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِنَّ سَبِيلٌ..

﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ، وَمَا يَصْلُحُ ذَلِكَ لَكُمْ..

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا لِأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُكُمْ، وَلَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهُ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [الأحزاب: ٥٣] إِنَّ أَذَاكُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنِكَاحَكُمْ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ مِنَ الْإِثْمِ.

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤﴾ [الأحزاب: ٥٤].

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ إِنْ تُظْهِرُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ شَيْئًا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مُرَاقَبَةِ النِّسَاءِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، أَوْ أَذًىٰ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أَوْ تُخْفُوا ذَلِكَ فِي أَنْفُسِكُمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤﴾ [الأحزاب: ٥٤] فَإِنَّ اللهَ بِكُلِّ ذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ غَيْرِكُمْ، عَلِيمٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ يُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ۝٥٥﴾ [الأحزاب: ٥٥].

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ لَا إِثْمَ عَلَىٰ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِذْنِهِنَّ لِآبَائِهِنَّ، وَتَرْكِ الْحِجَابِ مِنْهُنَّ..

﴿وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ وَلَا لِأَبْنَائِهِنَّ..

﴿وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ وَلَا لِإِخْوَانِهِنَّ..

﴿وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ وَعُنِيَ بِإِخْوَانِهِنَّ وَأَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ إِخْوَتِهِنَّ وَأَبْنَاءِ إِخْوَتِهُنَّ..

﴿وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي ذَلِكَ الْعَمَّ عَلَىٰ مَا قَالَ الشَّعْبِيُّ حَذَرًا مِنْ أَنْ يَصِفَهُنَّ لِأَبْنَائِهِ..

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ أَيْضًا فِي أَنْ لَا يَحْتَجِبْنَ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَقَالَ آخَرُونَ: مِنَ النِّسَاءِ..

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ﴾ وَخَفْنَ اللهَ أَيُّهَا النِّسَاءُ أَنْ تَتَعَدَّيْنَ مَا حَدَّ اللهُ لَكُنَّ، فَتُبْدِينَ مِنْ زِينَتِكُنَّ مَا لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تُبْدِينَهُ، أَوْ تَتْرُكْنَ الْحِجَابَ الَّذِي أَمَرَكُنَّ اللهُ بِلُزُومِهِ، إِلَّا فِيمَا أَبَاحَ لَكُنَّ تَرْكُهُ، وَالْزَمْنَ طَاعَتَهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ۝٥٥﴾ [الأحزاب: ٥٥] إِنَّ اللهَ شَاهِدٌ عَلَىٰ مَا تَفْعَلْنَهُ مِنَ احْتِجَابِكُنَّ، وَتَرْكِكُنَّ الْحِجَابَ لِمَنْ أَبَحْتُ لَكُنَّ تَرْكَ ذَلِكَ لَهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُنَّ؛ يَقُولُ: فَاتَّقِينَ اللهَ فِي أَنْفُسِكُنَّ لَا تَلْقِينَ اللهَ، وَهُوَ شَاهِدٌ عَلَيْكُمْ بِمَعْصِيَتِهِ، وَخِلَافِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَتَهْلَكْنَ، فَإِنَّهُ شَاهِدٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ﴾ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُبَرِّكُونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ..

وَقَدْ يَحتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ يَرْحَمُ النَّبِيَّ، وَتَدْعُو لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَيَسْتَغْفِرُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِ اللهِ إِنَّمَا هُوَ دُعَاءٌ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْعُوا لِنَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] وَحَيُّوهُ تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَبَّهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَرُكُوبِهِمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ أَصْحَابَ التَّصَاوِيرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَرُومُونَ تَكْوِينَ خَلْقٍ مِثْلِ خَلْقِ اللهِ..

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ فَهُوَ طَعْنُهُمْ عَلَيْهِ فِي نِكَاحِهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ..

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أَبْعَدَهُمُ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ﴾ وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧] عَذَابًا يُهِينُهُمْ فِيهِ بِالْخُلُودِ فِيهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ وَالَّذِينَ يَقِفُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَيَعِيبُونَهُمْ طَلَبًا لِشَيْنِهِمْ..

﴿بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ بِغَيْرِ مَا عَمِلُوا..

﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ﴾ زُورًا وَكَذِبًا وَفِرْيَةً شَنِيعَةً؛ وَ..

﴿بُهۡتَٰنٗا﴾ أَفْحَشَ الْكَذِبِ..

﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨] وَإِثْمًا يَبِينُ لِسَامِعِهِ أَنَّهُ إِثْمٌ وَزُورٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لَا يَتَشَبَّهْنَ بِالْإِمَاءِ فِي لِبَاسِهِنَّ إِذَا هُنَّ خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ لِحَاجَتِهِنَّ، فَكَشَفْنَ شُعُورَهُنَّ وَوُجُوهَهُنَّ، وَلَكِنْ لِـ..

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، لِئَلَّا يَعْرِضَ لَهُنَّ فَاسِقٌ، إِذَا عَلِمَ أَنَّهُنَّ حَرَائِرُ بِأَذًى مِنْ قَوْلٍ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِدْنَاؤُهُنَّ جَلَابِيبَهُنَّ إِذَا أَدْنَيْنَهَا عَلَيْهِنَّ..

﴿أَدْنَىٰ﴾ أَقْرَبُ وَأَحْرَى..

﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ مِمَّنْ مَرَرْنَ بِهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُنَّ لَسْنَ بِإِمَاءٍ..

﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فَيَتَنَكَّبُوا عَنْ أَذَاهُنَّ بِقَوْلٍ مَكْرُوهٍ، أَوْ تَعَرُّضٍ بِرِيبَةٍ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَا سَلَفَ مِنْهُنَّ مِنْ تَرْكِهِنَّ إِدْنَاءَهُنَّ الْجَلَابِيبَ عَلَيْهِنَّ..

﴿رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩] بِهِنَّ أَنْ يُعَاقِبَهُنَّ بَعْدَ تَوْبَتِهِنَّ بِإِدْنَاءِ الْجَلَابِيبِ عَلَيْهِنَّ.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠].

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ أَهْلُ النِّفَاقِ، الَّذِينَ يَسْتَسِرُّونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ..

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وَرِيبَةٌ مِنْ شَهْوَةِ الزِّنَا وَحُبِّ الْفُجُورِ..

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وَأَهْلُ الْإِرْجَافِ فِي الْمَدِينَةِ بِالْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ..

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لَنُسَلِّطَنَّكَ عَلَيْهِمْ وَلَنُحَرِّشَنَّكَ بِهِمْ..

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠] ثُمَّ لَنَنْفِيَنَّهُمْ عَنْ مَدِينَتِكَ فَلَا يَسْكُنُونَ مَعَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمُدَّةِ وَالْأَجَلِ، حَتَّى تَنْفِيَهُمْ عَنْهَا، فَنُخْرِجَهُمْ مِنْهَا.

﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦١].

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ مَطْرُودِينَ مَنْفِيِّينَ..

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ حَيْثُمَا لَقُوا مِنَ الْأَرْضِ..

﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦١] أُخِذُوا وَقُتِّلُوا لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ تَقْتِيلًا.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ فِي مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ مِنْ ضُرَبَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، إِذَا هُمْ أَظْهَرُوا نِفَاقَهُمْ أَنْ يَقْتُلَهُمْ تَقْتِيلًا، وَيَلْعَنَهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا..

﴿وَلَن تَجِدَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِسُنَّةِ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي سَنَّهَا فِي خَلْقِهِ..

﴿تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢] تَغْيِيرًا، فَأَيْقِنْ أَنَّهُ غَيْرُ مُغَيِّرٍ فِي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ سُنَّتَهُ.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ مَتَىٰ هِيَ قَائِمَةٌ؟..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ إِنَّمَا عِلْمُ السَّاعَةِ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لَا يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِهَا غَيْرُهُ..

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣] لَعَلَّ قِيَامَ السَّاعَةِ يَكُونُ مِنْكَ قَرِيبًا، قَدْ قَرُبَ وَقْتَ قِيَامِهَا، وَدَنَا حِينَ مَجِيئِهَا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إِنَّ اللهَ أَبْعَدَ الْكَافِرِينَ بِهِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَأَقْصَاهُمْ عَنْهُ..

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤] وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَارًا تَتَّقِدُ وَتَتَسَعَّرُ لِيُصْلِيهِمُوهَا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٥].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ مَاكِثِينَ فِي السَّعِيرِ أَبَدًا، إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يَتَوَلَّاهُمْ، فَيَسْتَنْقِذَهُمْ مِنَ السَّعِيرِ الَّتِي أَصْلَاهُمُوهَا اللهُ..

﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٥] يَنْصُرُهُمْ، فَيُنْجِيهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِيَّاهُمْ.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦].

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ لَا يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا فِي يَوْمٍ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ..

﴿يَقُولُونَ﴾ وَتِلْكَ حَالُهُمْ فِي النَّارِ..

﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٦] وَأَطَعْنَا رَسُولَهُ، فِيمَا جَاءَنَا بِهِ عَنْهُ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، يَا لَهَا حَسْرَةً وَنَدَامَةً، مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧﴾ [الأحزاب: ٦٧].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ..

﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا أَئِمَّتَنَا فِي الضَّلَالَةِ وَكُبَرَاءَنَا فِي الشِّرْكِ..

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧﴾ [الأحزاب: ٦٧] فَأَزَالُونَا عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَطَرِيقِ الْهُدَىٰ، وَالْإِيمَانِ بِكَ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ، وَإِخْلَاصِ طَاعَتِكَ فِي الدُّنْيَا.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٨].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ عَذِّبْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ مِثْلَ عَذَابِنَا الَّذِي تُعَذِّبُنَا..

﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٨] وَاخْزِهِمْ خِزْيًا كَبِيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ لَا تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ بِقَوْلٍ يَكْرَهُهُ مِنْكُمْ، وَلَا بِفِعْلٍ لَا يُحِبُّهُ مِنْكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أَمْثَالَ الَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ نَبِيَّ اللهِ، فَرَمُوهُ بِعَيْبٍ كَذِبًا وَبَاطِلًا..

﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ فِيهِ مِنَ الْكَذِبِ وَالزُّورِ بِمَا أَظْهَرَ مِنَ الْبُرْهَانِ عَلَىٰ كِذْبِهِمْ..

﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩] وَكَانَ مُوسَىٰ عِنْدَ اللهِ مُشَفَّعًا فِيمَا يَسْأَلُ، ذَا وَجْهٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَهُ بِطَاعَتِهِ إِيَّاهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَنْ تَعْصُوهُ، فَتَسْتَحِقُّوا بِذَلِكَ عُقُوبَتَهُ..

﴿وَقُولُواْ﴾ فِي رَسُولِ اللهِ وَالْمُؤْمِنِينَ..

﴿قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠] قَوْلًا قَاصِدًا غَيْرَ جَائِزٍ، حَقًّا غَيْرَ بَاطِلٍ.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١].

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا السَّدَادَ مِنَ الْقَوْلِ يُوَفِّقْكُمْ لِصَالِحِ الأَعْمَالِ، فَيُصْلِحْ أَعْمَالَكُمْ..

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وَيَعْفُ لَكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، فَلَا يُعَاقِبُكُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فَيَعْمَلُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَاهُ، وَيَقُلِ السَّدِيدَ..

﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] فَقَدْ ظَفَرَ بِالْكَرَامَةِ الْعُظْمَىٰ مِنَ اللهِ.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ إِنَّ اللهَ عَرَضَ طَاعَتَهُ وَفَرَائِضَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِالأَمَانَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَمَانَاتِ النَّاسِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ إِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ ائْتِمَانَ آدَمَ ابْنَهُ قَابِيلَ عَلَىٰ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، وَخِيَانَةَ قَابِيلَ أَبَاهُ فِي قَتْلِهِ أَخَاهُ.. وَأَوْلَىٰ الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ مَا قَالَهُ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّهُ عَنَىٰ بِالأَمَانَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: جَمِيعَ مَعَانِي الأَمَانَاتِ فِي الدِّينِ، وَأَمَانَاتِ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَخُصَّ بِقَوْلِهِ: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، بَعْضَ مَعَانِي الأَمَانَاتِ؛ لِمَا وَصَفْنَا..

﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ عَلَىٰ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ عَلَىٰ أَنَّهَا إِنَّ أَحْسَنَتْ أُثِيبَتْ وَجُوزِيَتْ، وَإِنْ ضَيَّعَتْ عُوقِبَتْ..

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ فَأَبَتْ حَمْلَهَا شَفَقًا مِنْهَا أَنْ لَا تَقُومَ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهَا..

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ وَحَمَلَهَا آدَمُ..

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لِنَفْسِهِ..

﴿جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢] بِالَّذِي فِيهِ الْحَظُّ لَهُ.

﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٣].

﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ وَحمَلَ الإِنْسَانُ الأَمَانَةَ كَيْمَا يُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ فِيهَا، الَّذِينَ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يُؤَدُّونَ فَرَائِضَ اللهِ، مُؤْمِنِينَ بِهَا، وَهُمْ مُسْتَسِرُّونَ الْكُفْرَ بِهَا..

﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِاللهِ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ﴾ يَرْجِعُ بِهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ الَّتِي أَلْزَمَهُمْ إِيَّاهَا حَتَّىٰ يُؤَدُّوهَا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، بِسِتْرِهِ عَلَيْهَا، وَتَرْكِهِ عِقَابَهُمْ عَلَيْهَا..

﴿رَّحِيمًا ٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٣] أَنْ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَحْزَابِ



سُورَةُ سَبَأٍ (٣٤)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ①﴾ [سبأ: ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشُّكْرُ الْكَامِلُ، وَالْحَمْدُ التَّامُّ كُلُّهُ لِلْمَعْبُودِ..

﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الَّذِي هُوَ مَالِكُ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَمَا فِي الْأَرَضِينَ السَّبْعِ، دُونَ كُلِّ مَا يَعْبُدُونَهُ، وَدُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، لَا مَالِكَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُهُ..

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَهُ الشُّكْرُ الْكَامِلُ فِي الْآخِرَةِ، كَالَّذِي هُوَ لَهُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ؛ لِأَنَّ مِنْهُ النِّعَمَ كُلَّهَا، عَلَىٰ كُلِّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهُ يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، فَالْحَمْدُ للهِ خَالِصًا دُونَ مَا سِوَاهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَآجِلِ الْآخِرَةِ، لِأَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنْ قِبَلِهِ لَا يُشْرِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ..

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ وَصَرْفِهِ إِيَّاهُمْ فِي تَقْدِيرِهِ..

﴿الْخَبِيرُ ①﴾ [سبأ: ١] بِهِمْ وَبِمَا يُصْلِحُهُمْ، وَبِمَا عَمِلُوا، وَمَا هُمْ عَامِلُونَ، مُحِيطٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ②﴾ [سبأ: ٢].

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ يَعْلَمُ مَا يَدْخُلُ الْأَرْضَ وَمَا يَغِيبُ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ..

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ وَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ؛ وَذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ أَنَّهُ الْعَالِمُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِمَّا ظَهَرَ فِيهَا وَمَا بَطَنَ..

﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بِأَهْلِ التَّوْبَةِ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ..

﴿الْغَفُورُ ②﴾ [سبأ: ٢] لِذُنُوبِهِمْ إِذَا تَابُوا مِنْهَا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٣﴾

[سبأ: ٣].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ وَيَسْتَعْجِلُكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ جَحَدُوا قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِعَادَةِ خَلْقِهِ بَعْدَ فَنَائِهِمْ بِهَيْئَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ فَنَائِهِمْ مِنْ قَوْمِكَ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، اسْتِهْزَاءً بِوَعْدِكَ إِيَّاهُمْ، وَتَكْذِيبًا لِخَبَرِكَ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿بَلَىٰ﴾ تَأْتِيكُمْ..

﴿وَرَبِّي﴾ قَسَمًا بِهِ..

﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ السَّاعَةُ، ثُمَّ عَادَ جَلَّ جَلَالُهُ بَعْدَ ذِكْرِهِ السَّاعَةَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَتَمْجِيدِهَا، فَقَالَ..

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بِخَفْض ﴿عَٰلِمِ﴾ رَدًّا لَهُ عَلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَرَبِّي﴾ إِذْ كَانَ مِنْ صِفَتِهِ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ: (عَالِمُ الْغَيْبِ) عَلَىٰ مِثَالِ فَاعِلٍ، بِالرَّفْعِ عَلَىٰ الِاسْتِئْنَافِ، إِذْ دَخَلَ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَرَبِّي﴾، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: (عَالِمُ الْغَيْبِ) كَلَامٌ حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَقِيَّةُ عَامَّةِ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (عَلَّامِ الْغَيْبِ) عَلَىٰ مِثَالِ فَعَّالٍ، وَبِالْخَفْضِ رَدًّا لِإِعْرَابِهِ عَلَىٰ إِعْرَابِ قَوْلِهِ ﴿وَرَبِّي﴾ إِذْ كَانَ مِنْ نَعْتِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ الثَّلَاثِ، قِرَاءَاتٌ مَشْهُورَاتٌ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، فَبِأَيَّتِهِنَّ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، غَيْرَ أَنَّ أَعْجَبَ الْقِرَاءَاتِ فِي ذَلِكَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا: (عَلَّامِ الْغَيْبِ) عَلَىٰ الْقِرَاءَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنْ عَامَّةِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ؛ فَأَمَّا اخْتِيَارُ عَلَّامٍ عَلَىٰ عَالِمٍ، فَلِأَنَّهَا أَبْلَغُ فِي الْمَدْحِ، وَأَمَّا الْخَفْضُ فِيهَا فَلِأَنَّهَا مِنْ نَعْتِ الرَّبِّ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ، وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ: (عَلَّامِ الْغَيْبِ): عَلَّامَ مَا يَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِ الْخَلْقِ، فَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ، إِمَّا مَا لَمْ يُكَوِّنْهُ مِمَّا سَيُكَوِّنُهُ، أَوْ مَا قَدْ كَوَّنَهُ فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَهُ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَفْسَهُ بِعِلْمِهِ الْغَيْبَ؛ إِعْلَامًا مِنْهُ خَلْقَهُ أَنَّ السَّاعَةَ لَا يَعْلَمُ وَقْتَ مَجِيئِهَا أَحَدٌ سِوَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ جَائِيَةً، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ: بَلَىٰ وَرَبِّكُمْ لَتَأْتِيَنَّكُمُ السَّاعَةُ، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُ وَقْتَ مَجِيئِهَا أَحَدٌ سِوَىٰ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، الَّذِي..

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ لَا يَغِيبُ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ ظَاهِرٌ لَهُ..

﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ زِنَةُ ذَرَّةٍ..

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ زِنَةِ ذَرَّةٍ فَمَا فَوْقَهَا فَمَا دُونَهَا، أَيْنَ كَانَ

فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ..

﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ أَصْغَرُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ..

﴿وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ مِنْهُ..

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾ [سبأ: ٣] هُوَ مُثْبَتٌ فِي كِتَابٍ يَبِينُ لِلنَّاظِرِ فِيهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَثْبَتَهُ وَأَحْصَاهُ وَعَلِمَهُ، فَلَمْ يَعْزُبْ عَنْ عِلْمِهِ.

﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [سبأ: ٤].

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أَثْبَتَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ، كَيْ يُثِيبَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ لِذُنُوبِهِمْ..

﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [سبأ: ٤] وَعَيْشٌ هَنِيءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥﴾ [سبأ: ٥].

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أَثْبَتَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ، لِيَجْزِيَ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَصَفَ، وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ، يَقُولُ: وَكَيْ يُثِيبَ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي إِبْطَالِ أَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا مُعَاوِنِينَ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَنَا بِأَنْفُسِهِمْ فَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِمْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥﴾ [سبأ: ٥] مِنْ شَدِيدِ الْعَذَابِ الْمُوجِعُ.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ [سبأ: ٦].

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ أَثْبَتَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ؛ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مَا قَدْ بَيَّنَ لَهُمْ، وَلِيَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ.. وَعَنَىٰ بِالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: مُسْلِمَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ، وَنُظَرَائِهِ الَّذِينَ قَدْ قَرَؤُوا كُتُبَ اللهِ الَّتِي أُنْزِلَتْ قَبْلَ الْفُرْقَانِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَلِيَرَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بِكِتَابِ اللهِ الَّذِي هُوَ التَّوْرَاةُ، الْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَيَهۡدِيٓ﴾ وَيُرْشِدُ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ.. وَإِنَّمَا يَعْنِي أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ

مُحَمَّدٍ يَهْدِي إِلَىٰ الْإِسْلَامِ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ﴾ إِلَىٰ سَبِيلِ اللهِ الْعَزِيزِ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ [سبأ: ٦] عِنْدَ خَلْقِهِ، فَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَنِعَمُهُ لَدَيْهِمْ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ [سبأ: ٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُتَعَجِّبِينَ مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهُمُ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ يُخْبِرُكُمْ أَنَّكُمْ..

﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بَعْدَ تَقْطِيعِكُمْ فِي الْأَرْضِ بَلَاءً وَبَعْدَ مَصِيرِكُمْ فِي التُّرَابِ رُفَاتًا..

﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ [سبأ: ٧] عَائِدُونَ كَهَيْئَتِكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ خَلْقًا جَدِيدًا.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ [سبأ: ٨].

﴿أَفْتَرَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ، وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، مُعْجَبِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَعْدِهِ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ: أَفْتَرَىٰ هَذَا الَّذِي يَعِدُنَا أَنَّا بَعْدَ أَنْ نُمَزَّقَ كُلَّ مُمَزَّقٍ فِي خَلْقٍ جَدِيدٍ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فَتَخَلَّقَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ بَاطِلًا مِنَ الْقَوْلِ، وَتَخَرَّصَ عَلَيْهِ قَوْلَ الزُّورِ..

﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ أَمْ هُوَ مَجْنُونٌ فَيَتَكَلَّمُ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ..

﴿بَلِ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَظَنُّوا بِهِ مِنْ أَنَّهُ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، أَوْ أَنَّ بِهِ جِنَّةً، لَكِنِ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فِي عَذَابِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ [سبأ: ٨] وَفِي الذَّهَابِ الْبَعِيدِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَقَصْدِ السَّبِيلِ، فَهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَقُولُونَ فِيهِ مَا يَقُولُونَ.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ⑨﴾ [سبأ: ٩].

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْمعَادِ، الْجَاحِدُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، الْقَائِلُونَ لِرَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨]..

﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فَيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ حَيْثُ كَانُوا، فَإِنَّ أَرْضِي وَسَمَائِي مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفِهِمْ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، فَيَرْتَدِعُوا عَنْ جَهْلِهِمْ، وَيَتَزَجَّرُوا عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِنَا حَذَرًا..

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ أَنْ نَأْمُرَ الْأَرْضَ فَتُخْسَفَ بِهِمْ..

﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أَوِ نَأْمُرَ السَّمَاءَ فَتُسْقِطَ عَلَيْهِم قِطَعًا، فَإِنَّا إِنْ نَشَأْ نَفْعَلْ ذَلِكَ بِهِمْ فِعْلْنَا..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِحَاطَةِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِعِبَادِ اللهِ..

﴿لَآيَةً﴾ لَدَلَالَةً..

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ⑨﴾ [سبأ: ٩] لِكُلِّ عَبْدٍ أَنَابَ إِلَىٰ رَبِّهِ بِالتَّوْبَةِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ تَوْحِيدِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَالِاعْتِرَافِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالْإِذْعَانِ لِطَاعَتِهِ، عَلَىٰ أَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ أَرَادَ فِعْلَهُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ شَاءَهُ.

﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ⑩﴾ [سبأ: ١٠].

﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ وَلَقَدْ أُعْطِينَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا..

﴿يَا جِبَالُ﴾ وَقُلْنَا لِلْجِبَالِ..

﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ سَبِّحِي مَعَهُ إِذَا سَبَّحَ..

﴿وَالطَّيْرَ﴾ نُودِيَتْ كَمَا نُودِيَتِ الْجِبَالُ.. أو يَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَقُلْنَا: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ، وَسَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ..

﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ⑩﴾ [سبأ: ١٠] كَالطِّينِ الْمَبْلُولِ، يَصْرِفُهُ فِي يَدِهِ كَيْفَ يَشَاءُ بِغَيْرِ إِدْخَالِ نَارٍ، وَلَا ضَرْبٍ بِحَدِيدٍ.

﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ⑪﴾ [سبأ: ١١].

﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ وَعَهِدْنَا إِلَيْهِ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ، وَهِيَ التَّوَامُّ الْكَوَامِلُ مِنَ الدُّرُوعِ..

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ وَقَدِّرِ الْمَسَامِيرَ فِي حَلَقِ الدِّرْعِ حَتَّىٰ يَكُونَ بِمِقْدَارٍ، لَا تُغَلِّظِ الْمِسْمَارَ وَتُضَيِّقِ الْحَلَقَةَ فَتُفْصَمَ الْحَلْقَةُ، وَلَا تُوَسِّعِ الْحَلْقَةَ وَتُصَغِّرِ الْمِسْمَارَ وَتُدِقَّه فَيَسْلَسَ فِي الْحَلَقَةِ..

﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ وَاعْمَلْ يَا دَاوُدُ أَنْتَ وَآلُكَ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ [سبأ: ١١] إِنِّي بِمَا تَعْمَلُ أَنْتَ وَأَتْبَاعَكَ ذُو بَصَرٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ، وَأَنَا مُجَازِيكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَٰلِكَ.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾ [سبأ: ١٢].

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ..

﴿غُدُوُّهَا﴾ إِلَىٰ انْتِصَافِ النَّهَارِ..

﴿شَهْرٌ﴾ مَسِيرَةُ شَهْرٍ..

﴿وَرَوَاحُهَا﴾ مِنَ انْتِصَافِ النَّهَارِ إِلَىٰ اللَّيْلِ..

﴿شَهْرٌ﴾ مَسِيرَةُ شَهْرٍ..

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ﴾ وَأَذَبْنَا لَهُ..

﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ عَيْنَ النُّحَاسِ، وَأَجْرَيْنَاهَا لَهُ..

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يُطِيعُهُ، وَيَأْتَمِرُ بِأَمْرِهِ، وَيَنْتَهِي لِنَهْيِهِ، فَيَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا يَأْمُرُهُ طَاعَةً لَهُ..

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بِأَمْرِ اللهِ بِذَلِكَ، وَتَسْخِيرِهِ إِيَّاهُ لَهُ..

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ وَمَنْ يَزُلْ وَيَعْدِلْ مِنَ الْجِنِّ..

﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الَّذِي أَمَرْنَاهُ مِنْ طَاعَةِ سُلَيْمَانَ..

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾ [سبأ: ١٢] فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ عَذَابُ نَارِ جَهَنَّمَ الْمُوقَدَةِ.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝﴾ [سبأ: ١٣].

﴿يَعْمَلُونَ﴾ يَعْمَلُ الْجِنُّ..

﴿لَهُۥ﴾ لِسُلَيْمَانَ..

﴿مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ وَهِيَ جَمْعُ مِحْرَابٍ، وَالْمِحْرَابُ: مُقَدَّمُ كُلِّ مَسْجِدٍ وَبَيْتٍ وَمُصَلَّىٰ..

﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ لَهُ تَمَاثِيلَ مِنْ نُحَاسٍ وَزُجَاجٍ..

﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ وَيَنْحَتُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ؛ وَهِيَ جَمْعُ جَابِيَةٍ، وَالْجَابِيَةُ: الْحَوْضُ الَّذِي يُجْبَىٰ فِيهِ الْمَاءُ..

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ وَقُدُورٍ ثَابِتَاتٍ لَا يُحَرَّكْنَ عَنْ أَمَاكِنِهِنَّ، وَلَا تُحَوَّلُ لِعِظَمِهِنَّ..

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ وَقُلْنَا لَهُمُ اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللهِ يَا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا لَهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي خَصَّكُمْ بِهَا عَنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، مَعَ الشُّكْرِ لَهُ عَلَىٰ سَائِرِ نِعَمِهِ الَّتِي عَمَّكُمْ بِهَا مَعَ سَائِرِ خَلْقِهِ..

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣] وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الْمُخْلِصُو تَوْحِيدِي، وَالْمُفْرِدُو طَاعَتِي وَشُكْرِي عَلَىٰ نِعْمَتِي عَلَيْهِمْ.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ فَلَمَّا أَمْضَيْنَا قَضَاءَنَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بِالْمَوْتِ فَمَاتَ..

﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ﴾ لَمْ يَدُلَّ الْجِنَّ عَلَىٰ مَوْتِ سُلَيْمَانَ..

﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ وَهِيَ الْأَرَضَةُ..

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ وَقَعَتْ فِي عَصَاهُ الَّتِي كَانَ مُتَّكِئًا عَلَيْهَا فَأَكَلَتْهَا..

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ فَلَمَّا خَرَّ سُلَيْمَانُ سَاقِطًا بِانْكِسَارِ مِنْسَأَتِهِ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ..

﴿أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ الَّذِي يَدَّعُونَ عِلْمَهُ..

﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤] الْمُذِلِّ حَوْلًا كَامِلًا بَعْدَ مَوْتِ سُلَيْمَانَ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّ سُلَيْمَانَ حَيٌّ.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ لَقَدْ كَانَ لِوَلَدِ سَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ عَلَامَةٌ بَيِّنَةٌ، وَحُجَّةٌ وَاضِحَةٌ، عَلَىٰ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَهُمْ إِلَّا الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا.. وَسَبَأٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ: اسْمُ أَبِي الْيَمَنِ..

﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ بُسْتَانَانِ كَانَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، عَنْ يَمِينِ مَنْ أَتَاهُمَا وَشِمَالِهِ..

﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ﴾ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ مِنْ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ مِنْ زُروعِهِمَا وَأَثْمَارِهِمَا..

﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ رِزْقِهِ ذَلِكَ؛ وَالَىٰ هَذَا مُنْتَهَىٰ الْخَبَرِ، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنِ الْبَلْدَةِ، فَقِيلَ: هَذِهِ..

﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ﴾ لَيْسَتْ بِسَبِخَةٍ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ مُؤْذٍ مِنَ الْهَمَجِ وَالدَّبِيبِ وَالْهَوَامِّ..

﴿وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ [سبأ: ١٥] لِذُنُوبِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ أَطَعْتُمُوهُ.

﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦﴾ [سبأ: ١٦].

﴿فَأَعۡرَضُواْ﴾ فَأَعْرَضَتْ سَبَأٌ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهَا وَصَدَّتْ عَنِ اتِّبَاعِ مَا دَعَتْهَا إِلَيْهِ رُسُلُهَا مِنْ أَنَّهُ خَالِقُهَا..

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ فَثَقَبْنَا عَلَيْهِمْ -حِينَ اعْرَضُوا عَنْ تَصْدِيقِ رُسُلِنَا- سَدَّهُمُ الَّذِي كَانَ يُحْبَسُ عَنْهُمُ السُّيُولَ.. وَالْعَرِمِ: الْمُسَنَّاةُ الَّتِي تُحْبَسُ الْمَاءَ، وَاحِدُهَا: عَرِمَةٌ..

﴿وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ﴾ وَجعَلْنَا لَهُمْ مَكَانَ بَسَاتِينِهِمْ مِنَ الْفَوَاكِهِ وَالثِّمَارِ، بَسَاتِينَ مِنْ جَنَىٰ ثَمَرِ الْأَرَاكِ، وَالْأَرَاكُ: هُوَ الْخَمْطُ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(جَعَلَ مَكَانَ الْعِنَبِ أَرَاكًا، وَالْفَاكِهَةِ أَثْلًا، وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ)**..

﴿وَأَثۡلٖ﴾ وَأَمَّا الْأَثْلُ فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ الطَّرْفَاءُ؛ وَقِيلَ: شَجَرٌ شَبِيهٌ بِالطَّرْفَاءِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْهَا وَقِيلَ: إِنَّهَا السَّمُرُ..

﴿وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦﴾ [سبأ: ١٦] ذَوَاتَيْ أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(بَيْنَمَا شَجَرُ الْقَوْمِ خَيْرُ الشَّجَرِ، إِذْ صَيَّرَهُ اللهُ مِنْ شَرِّ الشَّجَرِ بِأَعْمَالِهِمْ)**.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ [سبأ: ١٧].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ سَبَأٍ مِنْ إِرْسَالِنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ، حَتَّىٰ هَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَخَرِبَتْ جَنَّاتُهُمْ..

﴿جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ جَزَاءً مِنَّا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِنَا، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَنَا..

﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ [سبأ: ١٧] كَذَلِكَ كَافَأْنَاهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَهَلْ يُجَازَىٰ إِلَّا الْكَفُورَ لِنِعْمَةِ اللهِ؟.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَمَا يَجْزِي اللهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، فَيَخُصُّ أَهْلَ الْكُفْرِ بِالْجَزَاءِ؟ فَيُقَالُ: وَهَلْ يُجَازَىٰ إِلَّا الْكُفُورَ؟ قِيلَ: إِنَّ الْمُجَازَاةَ فِي هَذَا

الْمَوْضِعِ: الْمُكَافَأَةُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَعَدَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ التَّفَضُّلَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ بِالْوَاحِدَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ التَّضْعِيفِ، وَوَعَدَ الْمُسِيءَ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَجْعَلَ بِالْوَاحِدَةِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ مِثْلَهَا مُكَافَأَةً لَهُ عَلَىٰ جُرْمِهِ، وَالْمُكَافَأَةُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ وَالْكُفْرِ، وَالْجَزَاءُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ مَعَ التَّفَضُّلِ، فَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَهَلْ يُجَازَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ؟ كَأَنَّهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَا يُجَازَىٰ: لَا يُكَافَأُ عَلَىٰ عَمَلِهِ إِلَّا الْكَفُورَ، إِذَا كَانَتِ الْمُكَافَأَةُ مِثْلَ الْمُكَافَإِ عَلَيْهِ، وَاللهُ لَا يَغْفِرُ لَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ شَيْئًا، وَلَا يُمَحَّصُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨﴾ [سبأ: ١٨].

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي كَانَ أَنْعَمَهَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ: وَجَعَلْنَا بَيْنَ بَلَدِهِمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَهِيَ الشَّامُ..

﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ قُرَىٰ مُتَّصِلَةٌ، وَهِيَ قُرًىٰ عَرَبِيَّةٌ..

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَ قُرَاهُمْ وَالْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا سَيْرًا مُقَدَّرًا مِنْ مَنْزِلٍ إِلَىٰ مَنْزِلٍ، وَقَرْيَةٍ إِلَىٰ قَرْيَةٍ، لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا فِي قَرْيَةٍ، وَلَا يَغْدُونَ إِلَّا مِنْ قَرْيَةٍ..

﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨﴾ [سبأ: ١٨] وَقُلْنَا لَهُمْ سِيرُوا فِي هَذِهِ الْقُرَىٰ مَا بَيْنَ قُرَاكُمْ وَالْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا، آمِنِينَ لَا تَخَافُونَ جُوعًا وَلَا عَطَشًا، وَلَا مِنْ أَحَدٍ ظُلْمًا.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩﴾ [سبأ: ١٩].

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشَّامِ فَلَوَاتٍ وَمَفَاوِزَ، لِنَرْكَبَ فِيهَا الرَّوَاحِلَ، وَنَتَزَوَّدُ مَعَنَا فِيهَا الْأَزْوَادَ، وَهَذَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ بَطَرِ الْقَوْمِ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَجَهْلِهِمْ بِمِقْدَارِ الْعَافِيَةِ، وَلَقَدْ عَجَّلَ لَهُمْ رَبُّهُمُ الْإِجَابَةَ، كَمَا عَجَّلَ لِلْقَائِلِينَ: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢]، أَعْطَاهُمْ مَا رَغِبُوا إِلَيْهِ فِيهِ وَطَلَبُوا مِنَ الْمَسْأَلَةِ..

﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ وَكَانَ ظُلْمُهُمْ إِيَّاهَا عَمَلَهُمْ بِمَا يُسْخِطُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَاصِيهِ، مِمَّا

يُوجِبُ لَهُمْ عِقَابَ اللهِ..

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ صَيَّرْنَاهُمْ أَحَادِيثَ لِلنَّاسِ يَضْرِبُونَ بِهِمُ الْمَثَلَ فِي السَّبِّ، فَيُقَالُ: تَفَرَّقَ الْقَوْمُ أَيَادِيَ سَبَأٍ، إِذَا تَفَرَّقُوا وَتَقَطَّعُوا..

﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْبِلَادِ كُلَّ مَقْطَعٍ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي تَمْزِيقِنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ..

﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩﴾ [سبأ: ١٩] لَعِظَةً وَعِبْرَةً وَدِلَالَةً عَلَىٰ وَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَىٰ نِعَمِهِ إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَحَقِّهِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ مِحْنَتِهِ إِذَا امْتَحَنَهُ بِبَلَاءٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ عَلَىٰ نِعَمِهِ.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ [سبأ: ٢٠].

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ مِنْ صَدَّقَ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ قَالَ ظَنًّا مِنْهُ: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعراف: ١٧]، وَقَالَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، ثُمَّ صَدَّقَ ظَنَّهُ ذَلِكَ فِيهِمْ، فَحَقَّقَ ذَلِكَ بِهِمْ، وَبِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ (وَلَقَدْ صَدَقَ) بِتَخْفِيفِ الدَّالِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّهُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَدْ صَدَّقَ عَلَىٰ كُفْرِهِ بَنِي آدَمَ فِي ظَنِّهِ، وَصَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّهُ الَّذِي ظَنَّ حِينَ قَالَ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعراف: ١٧]، وَحِينَ قَالَ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] الْآيَةَ، قَالَ ذَلِكَ عَدُوُّ اللهِ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَا عِلْمًا، فَصَارَ ذَلِكَ حَقًّا بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ: وَلَقَدْ ظَنَّ إِبْلِيسُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ، عُقُوبَةً مِنَّا لَهُمْ، ظَنًّا غَيْرَ يَقِينٍ، عَلِمَ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَصَدَّقَ ظَنَّهُ عَلَيْهِمْ، بِإِغْوَائِهِ إِيَّاهُمْ..

﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ حَتَّىٰ أَطَاعُوهُ، وَعَصَوْا رَبَّهُمْ..

﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ [سبأ: ٢٠] بِاللهِ، فَإِنَّهُمْ ثَبَتُوا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَمَعْصِيَةِ إِبْلِيسَ.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٢١﴾ [سبأ: ٢١].

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ وَمَا كَانَ لِإِبْلِيسَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ

صِفَتَهُمْ مِنْ حُجَّةٍ يُضِلُّهُمْ بِهَا، إِلَّا بِتَسْلِيطِنَاهُ عَلَيْهِمْ، لِيَعْلَمَ حِزْبُنَا وَأَوْلِيَاؤُنَا..

﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ﴾ مَنْ يُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فَلَا يُوقِنُ بِالْمِيعَادِ، وَلَا يُصَدِّقُ بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ..

﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عَلَىٰ أَعْمَالِ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ بِهِ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا..

﴿حَفِيظٌ ۝٢١﴾ [سبأ: ٢١] لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَهُوَ مَجَازٍ جَمِيعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَا كَسَبُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾ [سبأ: ٢٢].

﴿قُلِ﴾ فَهَذَا فِعْلُنَا بِوَلِيِّنَا وَمَنْ أَطَاعَنَا، دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ الَّذِي فَعَلْنَا بِهِمَا مِنْ إِنْعَامِنَا عَلَيْهِمَا النِّعَمَ الَّتِي لَا كِفَاءَ لَهَا إِذْ شَكَرَانَا، وَذَاكَ فِعْلُنَا بِسَبَإٍ الَّذِينَ فَعَلْنَا بِهِمْ، إِذْ بَطِرُوا نِعْمَتَنَا، وَكَذَّبُوا رُسُلَنَا، وَكَفَرُوا أَيَادِينَا، فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ مِنْ قَوْمِكَ، الْجَاحِدِينَ نِعَمَنَا عِنْدَهُمْ..

﴿ٱدْعُواْ﴾ ادْعُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أَنَّهُمْ للهِ شَرِيكٌ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فَسَلُوهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِكُمْ بَعْضَ أَفْعَالِنَا، بِالَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ إِنْعَامٍ أَوِ إِيَاسٍ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُبْطِلُونَ، لِأَنَّ الشَّرِكَةَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ لَا تَصْلُحُ وَلَا تَجُوزُ، ثُمَّ وَصَفَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ..

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ، وَلَا ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا مَنْ كَانَ كَذَلِكَ..

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ وَلَا هُمْ إِذْ لَمْ يَكُونُوا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، مُنْفَرِدِينَ بِمُلْكِهِ مِنْ دُونِ اللهِ، يَمْلِكُونَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الشَّرِكَةِ؛ لِأَنَّ الْأَمْلَاكَ فِي الْمَمْلُوكَاتِ، لَا تَكُونُ لِمَالِكِهَا إِلَّا عَلَىٰ أَحَدِ وَجْهَيْنِ: إِمَّا مَقْسُومًا، وَإِمَّا مُشَاعًا؛ يَقُولُ: فَآلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، لَا يَمْلِكُونَ وَزْنَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، لَا مُشَاعًا وَلَا مَقْسُومًا، فَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ كَانَ هَكَذَا شَرِيكًا لِمَنْ لَهُ مُلْكُ جَمِيعِ ذَلِكَ..

﴿وَمَا لَهُۥ﴾ وَمَا للهِ..

﴿مِّنْهُم﴾ مِنَ الْآلِهَةِ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ..

﴿مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢] مِنْ مُعِينٍ عَلَىٰ خَلْقِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا عَلَىٰ حِفْظِهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مُلْكُ شَيْءٍ مِنْهُ مُشَاعًا وَلَا مَقْسُومًا، فَيُقَالُ: هُوَ لَهُ شَرِيكٌ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَعَانَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِلْكُ شَيْءٍ مِنْهُ.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ وَلَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ شَافِعٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ الشَّافِعُ لِمَنْ شَفَعَ لَهُ..

﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ إِلَّا أَنْ يَشْفَعَ لِمَنْ أَذِنَ اللهُ فِي الشَّفَاعَةِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَاتُ لَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللهِ أَحَدًا إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ اللهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُ، وَاللهُ لَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ فِي الشَّفَاعَةِ لِأَحَدٍ مِنَ الْكَفَرَةِ بِهِ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ كُفْرٍ بِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَنْ تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ زَعْمًا مِنْكُمْ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَهُ، لِيُقَرِّبَكُمْ إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَلِيَشْفَعَ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ، إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يُشَفَّعَ عِنْدَهُ، فَإِذَا أَذِنَ اللهُ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يُشَفَّعَ فَزِعَ لِسَمَاعِهِ إِذْنَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَجُلِّيَ عَنْهَا، وَكَشَفَ الْفَزَعَ عَنْهُمْ..

﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: الْحَقَّ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣] الَّذِي لَا شَيْءَ دُونَهُ.

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤].

﴿۞ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بِإِنْزَالِهِ الْغَيْثَ عَلَيْكُمْ مِنْهَا حَيَاةً لِحُرُوثِكُمْ، وَصَلَاحًا لِمَعَايِشِكُمْ، وَتَسْخِيرِهِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ لِمَنَافِعِكُمْ، وَمَنَافِعِ أَقْوَاتِكُمْ، وَالْأَرْضَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْهَا أَقْوَاتَكُمْ وَأَقْوَاتَ أَنْعَامِكُمْ؟ فَإِنْ قَالُوا: لَا نَدْرِي، فَـ..

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ ذَلِكَ..

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤] قُلْ لَهُمْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، إِنَّا لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ، أَوِ إِنَّكُمْ عَلَىٰ ضَلَالٍ أَوْ هُدًىٰ.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٢٥﴾ [سبأ: ٢٥].

﴿قُل﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَحَدُ فَرِيقَيْنَا عَلَىٰ هُدًىٰ وَالْآخَرُ عَلَىٰ ضَلَالٍ..
﴿لَّا تُسْـَٔلُونَ﴾ أَنْتُمْ..
﴿عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ نَحْنُ مِنْ جُرْمٍ، وَرَكِبْنَا مِنْ إِثْمٍ..
﴿وَلَا نُسْـَٔلُ﴾ نَحْنُ..
﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ ٢٥﴾ [سبأ: ٢٥] أَنْتُمْ مِنْ عَمَلٍ.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ: ٢٦].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..
﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَهُ..
﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ ثُمَّ يَقْضِي بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَيَتَبَيَّنُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُهْتَدِي مِنَّا مِنَ الضَّالِّ..
﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ: ٢٦] وَاللهُ الْقَاضِي الْعَلِيمُ بِالْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ لَا تَخْفَىٰ عَنْهُ خَافِيَةٌ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شُهُودٍ تُعَرِّفُهُ الْمُحِقَّ مِنَ الْمُبْطِلِ.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٧﴾ [سبأ: ٢٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ..
﴿أَرُونِيَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..
﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ﴾ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمُوهُمْ بِاللهِ فَصَيَّرْتُمُوهُمْ لَهُ..
﴿شُرَكَآءَ﴾ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ: مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ، أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ..
﴿كَلَّا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: كَذَبُوا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفُوا، وَلَا كَمَا جَعَلُوا وَقَالُوا مِنْ أَنَّ للهِ شَرِيكًا..
﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ بَلْ هُوَ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ..
﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ..
﴿ٱلْحَكِيمُ ٢٧﴾ [سبأ: ٢٧] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ خَاصَّةً..

﴿إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ وَلَكِنَّا أَرْسَلْنَاكَ كَافَّةً لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، الْعَرَبِ مِنْهُمْ وَالْعَجَمِ، وَالْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ..

﴿بَشِيرًا﴾ لِمَنْ أَطَاعَكَ..

﴿وَنَذِيرًا﴾ لِمَنْ كَذَّبَكَ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨] أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ كَذَلِكَ إِلَىٰ جَمِيعِ الْبَشَرِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سبأ: ٢٩].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ إِذَا سَمِعُوا وَعِيدَ اللهِ الْكُفَّارَ وَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ فِي مَعَادِهِمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ..

﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ جَائِيًا، وَفِي أَيِّ وَقْتٍ هُوَ كَائِنٌ..

﴿إِن كُنتُمْ﴾ فِيمَا تَعِدُونَنَا مِنْ ذَلِكَ..

﴿صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سبأ: ٢٩] أَنَّهُ كَائِنٌ، قَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ: ٣٠].

﴿قُل﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ هُوَ آتِيكُمْ..

﴿لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ﴾ إِذَا جَاءَكُمْ..

﴿سَاعَةً﴾ فَتَنْظُرُوا لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ..

﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ: ٣٠] قَبْلَهُ بِالْعَذَابِ، لِأَنَّ اللهَ جَعَلَ لَكُمْ ذَلِكَ أَجَلًا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ: ٣١].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ..

﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ وَلَا بِالْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ غَيْرُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ..

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يَتَلَاوَمُونَ..

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ يُحَاوِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا..

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ يَقُولُ الْمُسْتَضْعَفُونَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا..

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ لِلَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهِمْ فِيهَا يَسْتَكْبِرُونَ..

﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الرُّؤَسَاءُ وَالْكُبَرَاءُ فِي الدُّنْيَا..

﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ: ٣١] بِاللهِ وَآيَاتِهِ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سبأ: ٣٢].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ فِي الدُّنْيَا، فَرَأَسُوا فِي الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟﴾ فِيهَا فَكَانُوا أَتْبَاعًا لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ مِنْهُمْ إِذْ قَالُوا لَهُمْ: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ: ٣١]..

﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ وَمَنَعْنَاكُمْ مِنَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ..

﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يُبَيِّنُ لَكُمْ..

﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سبأ: ٣٢] فَمَنَعَكُمْ إِيثَارُكُمُ الْكُفْرَ بِاللهِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ مِنَ اتِّبَاعِ الْهُدَىٰ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣٣].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ مِنَ الْكَفَرَةِ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، فَكَانُوا أَتْبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ فِي الضَّلَالَةِ..

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ فِيهَا، فَكَانُوا لَهُمْ رُؤَسَاءَ..

﴿بَلْ مَكْرُ﴾ كَمْ لَنَا بِـ..

﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ صَدَّنَا عَنِ الْهُدَىٰ..

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهًا فِي الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهَةِ..

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ وَنَدِمُوا عَلَىٰ مَا فَرَّطُوا مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِي الدُّنْيَا حِينَ عَايَنُوا عَذَابَ اللهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ..

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَغُلَّتْ أَيْدِي الْكَافِرِينَ بِاللهِ فِي جَهَنَّمَ إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ فِي جَوَامِعَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٣٣﴾ [سبأ: ٣٣] مَا يَفْعَلُ اللهُ ذَٰلِكَ بِهِمْ إِلَّا ثَوَابًا لِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ الَّتِي كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَهَا، وَمُكَافَأَةً لَهُمْ عَلَيْهَا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤﴾ [سبأ: ٣٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ وَمَا بَعَثْنَا إِلَىٰ أَهْلِ قَرْيَةٍ نَذِيرًا يُنْذِرُهُمْ بَأْسَنَا أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّانَا..

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ إِلَّا قَالَ كُبَرَاؤُهَا وَرُؤَسَاؤُهَا فِي الضَّلَالَةِ كَمَا قَالَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَهُ..

﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤﴾ [سبأ: ٣٤] إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ مِنَ النِّذَارَةِ، وَبُعِثْتُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ كَافِرُونَ.

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥﴾ [سبأ: ٣٥].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ أَهْلُ الِاسْتِكْبَارِ عَلَىٰ اللهِ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ أَرْسَلْنَا فِيهَا نَذِيرًا لِأَنْبِيَائِنَا وَرُسُلِنَا..

﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥﴾ [سبأ: ٣٥] لِأَنَّ اللهَ لَوْ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْمِلَّةِ وَالْعَمَلِ لَمْ يُخَوِّلْنَا الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ، وَلَمْ يَبْسُطْ لَنَا فِي الرِّزْقِ، وَإِنَّمَا أَعْطَانَا مَا أَعْطَانَا مِنْ ذَٰلِكَ لِرِضَاهُ أَعْمَالَنَا، وَآثَرَنَا بِمَا آثَرَنَا عَلَىٰ غَيْرِنَا لِفَضْلِنَا، وَزُلْفَةٍ لَنَا عِنْدَهُ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [سبأ: ٣٦].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ مِنَ الْمَعَاشِ وَالرِّيَاشِ فِي الدُّنْيَا..

﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَيَقْدِرُ﴾ فَيُضَيِّقُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ لَا لِمَحَبَّةٍ فِيمَنْ يَبْسُطُ لَهُ ذَٰلِكَ وَلَا خَيْرٍ فِيهِ وَلَا زُلْفَةٍ لَهُ، اسْتَحَقَّ بِهَا مِنْهُ، وَلَا لِبُغْضٍ مِنْهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ ذَٰلِكَ، وَلَا مَقْتٍ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [سبأ: ٣٦] وَلَكِنَّهُ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِحْنَةً لِعِبَادِهِ وَابْتِلَاءً، وَأَكْثَرُ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَفعَلُ ذَلِكَ اخْتِبَارًا لِعِبَادِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ مَحَبَّةٌ لِمَنْ بَسَطَ لَهُ وَمَقْتٌ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ: ٣٧].

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ الَّتِي تَفْتَخِرُونَ بِهَا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ النَّاسِ..

﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُم﴾ الَّذِينَ تَتَكَبَّرُونَ بِهِمْ..

﴿بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ مِنَّا قُرْبَةً..

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ، إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَإِنَّهُ تُقَرِّبُهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ بِطَاعَتِهِمُ اللهَ فِي ذَلِكَ وَأَدَائِهِمْ فِيهِ حَقَّهُ إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ دُونَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ مِنَ اللهِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الضِّعْفُ مِنَ الثَّوَابِ، بِالْوَاحِدَةِ عَشْرٌ..

﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ: ٣٧] وَهُمْ فِي غُرُفَاتِ الْجَنَّاتِ آمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ٣٨﴾ [سبأ: ٣٨].

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي آيَاتِنَا، يَعْنِي: فِي حُجَجِنَا وآيِ كِتَابِنَا، يَبْتَغُونَ إِبْطَالَهُ، وَيُرِيدُونَ إِطْفَاءَ نُورِهِ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَفُوتُونَنَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَيُعْجِزُونَنَا..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ٣٨﴾ [سبأ: ٣٨] يَعْنِي فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ مُحْضَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ: ٣٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُوَسِّعُهُ عَلَيْهِ تَكْرِمَةً لَهُ وَغَيْرَ تَكْرِمَةٍ..

﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ وَيَقْدِرُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فَيُضَيِّقُهُ وَيُقْتِرُهُ إِهَانَةً لَهُ وَغَيْرَ إِهَانَةٍ، بَلْ مِحْنَةً وَاخْتِبَارًا..

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ نَفَقَةٍ فِي طَاعَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يُخْلِفُهَا عَلَيْكُمْ..

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾ [سبأ: ٣٩] وَهُوَ خَيْرُ مَنْ قِيلَ إِنَّهُ يَرْزُقُ وَوُصِفَ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يُوصَفُ بِذَلِكَ مَنْ دُونَهُ، فَيُقَالُ: فُلَانٌ يَرْزُقُ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ: ٤٠].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ بِاللهِ جَمِيعًا..

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ: ٤٠] ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَهَؤُلَاءِ كَانُوا يَعْبُدُونَكُمْ مِنْ دُونِنَا؟ فَتَتَبَرَّأُ مِنْهُمُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤١].

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ رَبَّنَا، تَنْزِيهًا لَكَ وَتَبْرِئَةً مِمَّا أَضَافَ إِلَيْكَ هَؤُلَاءِ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ لَا نَتَّخِذُ وَلِيًّا دُونَكَ..

﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤١] أَكْثَرُهُمْ بِالْجِنِّ مُصَدِّقُونَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝٤٢﴾ [سبأ: ٤٢].

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ لِلَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْبُدُونَكُمْ..

﴿نَّفْعًا﴾ يَنْفَعُونَكُمْ بِهِ..

﴿وَلَا ضَرًّا﴾ يَنَالُونَكُمْ بِهِ، أَوْ تَنَالُونَهُمْ بِهِ..

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ فَوَضَعُوا الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَجَعَلُوهَا لِغَيْرِ مَنْ تَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لَهُ..

﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تُكَذِّبُونَ ۝٤٢﴾ [سبأ: ٤٢] فَقَدْ وَرَدْتُمُوهَا.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ [سبأ: ٤٣].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ آيَاتُ كِتَابِنَا..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿قَالُوا۟﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ لَا تَتَّبِعُوا مُحَمَّدًا، فَمَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَيُغَيِّرُ دِينَكُمْ وَدِينَ آبَائِكُمْ..

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مَا هَٰذَآ﴾ الَّذِي تَتْلُو عَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ، يَعْنُونَ الْقُرْآنَ..

﴿إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ إِلَّا كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ لَمَّا بَعَثَهُ اللهُ نَبِيًّا..

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ [سبأ: ٤٣] مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ، يَبِينُ لِمَنْ رَآهُ وَتَأَمَّلَهُ أَنَّهُ سِحْرٌ.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ [سبأ: ٤٤].

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ لَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا: ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ [سبأ: ٤٣] بِمَا يَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ كُتُبًا..

﴿يَدْرُسُونَهَا﴾ يَقْرَؤُونَهَا..

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ [سبأ: ٤٤] وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ قَبْلَكَ مِنْ نَبِيٍّ يُنْذِرُهُمْ بَأْسَنَا عَلَيْهِ.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ [سبأ: ٤٥].

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ رُسُلَنَا وَتَنْزِيلَنَا..

﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وَلَمْ يَبْلُغْ قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ عُشْرَ مَا أَعْطَيْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْأَيْدِي وَالْبَطْشِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ..

﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ فِيمَا أَتَوْهُمْ بِهِ مِنْ رِسَالَتِي، فَعَاقَبْنَاهُمْ بِتَغْيِيرِنَا بِهِمْ مَا كُنَّا آتَيْنَاهُمْ مِنَ النِّعَمِ..

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٥﴾ [سبأ: ٤٥] فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ تَغْيِيرِي بِهِمْ وَعُقُوبَتِي.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٤٦﴾ [سبأ: ٤٦].

﴿۞ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾ وَهِيَ طَاعَةُ اللهِ..

﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ وَتِلْكَ الْوَاحِدَةُ الَّتِي أَعِظُكُمْ بِهَا هِيَ أَنْ تَقُومُوا للهِ بِالنَّصِيحَةِ وَتَرْكِ الْهَوَىٰ..

﴿مَثْنَىٰ﴾ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، يَقُومُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ مَعَ آخَرِ فَيَتَصَادَقَانِ عَلَىٰ الْمُنَاظَرَةِ، هَلْ عَلِمْتُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ جُنُونًا قَطُّ؟..

﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ ثُمَّ يَنْفَرِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، فَيَتَفَكَّرُ وَيَعْتَبِرُ فَرْدًا، هَلْ كَانَ ذَلِكَ بِهِ؟ فَتَعْلَمُوا حِينَئِذٍ أَنَّهُ نَذِيرٌ لَكُمْ..

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ..

﴿إِنْ هُوَ﴾ مَا مُحَمَّدٌ..

﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ يُنْذِرُكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِاللهِ عِقَابَهُ..

﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٤٦﴾ [سبأ: ٤٦] أَمَامَ عَذَابِ جَهَنَّمَ قَبْلَ أَنْ تَصْلُوهَا.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾ [سبأ: ٤٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ الْمُكَذِّبِيكَ، الرَّادِينَ عَلَيْكَ مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ مَا أَسْأَلُكُمْ مِنْ جُعْلٍ عَلَىٰ إِنْذَارِيكُمْ عَذَابَ اللهِ، وَتَخْوِيفِكُمْ بِهِ بَأْسَهُ، وَنَصِيحَتِي لَكُمْ فِي أَمْرِي إِيَّاكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ لَا حَاجَةَ لِي بِهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَسْأَلْكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ جُعْلًا فَتَتَّهِمُونِي، وَتَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ اتِّبَاعِي لِمَالٍ آخُذُهُ مِنْكُمْ..

﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ مَا ثَوَابِي عَلَىٰ دُعَائِكُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَتَبْلِيغِكُمْ رِسَالَتَهُ، إِلَّا عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾ [سبأ: ٤٧] وَاللهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ شَهِيدٌ يَشْهَدُ لِي بِهِ،

وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ [سبأ: ٤٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ وَهُوَ الْوَحْيُ، يَقُولُ: يُنْزِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَقْذِفُهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ [سبأ: ٤٨] عَلَّامُ مَا يَغِيبُ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَلَا مَظْهَرَ لَهَا، وَمَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ، وَذَٰلِكَ مِنْ صِفَةِ الرَّبِّ، غَيْرَ أَنَّهُ رُفِعَ لِمَجِيئِهِ بَعْدَ الْخَبَرِ، وَكَذَٰلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ إِذَا وَقَعَ النَّعْتُ بَعْدَ الْخَبَرِ، فِي أَنِ اتْبَعُوا النَّعْتَ أَعْرَابَ مَا فِي الْخَبَرِ، فَقَالُوا: إِنَّ أَبَاكَ يَقُومُ الْكَرِيمُ، فَرَفَعَ الْكَرِيمَ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ، وَالنَّصْبُ فِيهِ جَائِزٌ، لِأَنَّهُ نَعْتٌ لِلْأَبِ، فَيَتْبَعُ إِعْرَابَهُ

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ جَاءَ الْقُرْآنُ وَوَحْيُ اللهِ..

﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ وَمَا يُنْشِئُ الْبَاطِلُ خَلْقًا، وَالْبَاطِلُ هُوَ فِيمَا فَسَّرَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: إِبْلِيسُ..

﴿وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩] وَلَا يُعِيدُهُ حَيًّا بَعْدَ فَنَائِهِ.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سبأ: ٥٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ..

﴿إِن ضَلَلْتُ﴾ عَنِ الْهُدَىٰ، فَسَلَكْتُ غَيْرَ طَرِيقِ الْحَقِّ..

﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ فَإِنَّمَا ضَلَالِي عَنِ الصَّوَابِ عَلَىٰ نَفْسِي، يَقُولُ: فَإِنَّ ضَلَالِي عَنِ الْهُدَىٰ عَلَىٰ نَفْسِي ضُرُّهُ..

﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾ وَإِنِ اسْتَقَمْتُ عَلَىٰ الْحَقِّ..

﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ فَبِوَحْيِ اللهِ الَّذِي يُوحِي إِلَيَّ، وَتَوْفِيقِهِ لِلِاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ مَحَجَّةِ الْحَقِّ وَطَرِيقِ الْهُدَىٰ..

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ إِنَّ رَبِّي سَمِيعٌ لِمَا أَقُولُ لَكُمْ، حَافِظٌ لَهُ، وَهُوَ الْمُجَازِي لِي عَلَىٰ صِدْقِي فِي ذَٰلِكَ..

﴿قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سبأ: ٥٠] وَذَٰلِكَ مِنِّي غَيْرُ بَعِيدٍ، فَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ سَمَاعُ مَا أَقُولُ لَكُمْ، وَمَا تَقُولُونَ، وَمَا يَقُولُهُ غَيْرُنَا، وَلَكِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مُتَكَلِّمٍ يَسْمَعُ كُلَّ مَا يَنْطِقُ بِهِ، أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١﴾ [سبأ: ٥١].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، فَتُعَايِنُهُمْ..

﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ حِينَ فَزِعُوا مِنْ مُعَايَنَتِهِمْ عَذَابَ اللهِ..

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فَلَا سَبِيلَ حِينَئِذٍ أَنْ يَفُوتُوا بِأَنْفُسِهِمْ، أَوْ يُعْجِزُونَا هَرَبًا، أَوْ يَنْجُوا مِنْ عَذَابِنَا..

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١﴾ [سبأ: ٥١] وَأَخَذَهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ مِنْ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ، لِأَنَّهُمْ حَيْثُ كَانُوا مِنَ اللهِ قَرِيبٌ لَا يَبْعُدُونَ عَنْهُ.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ [سبأ: ٥٢].

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ حِينَ عَايَنُوا عَذَابَ اللهِ..

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ آمَنَّا بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ وَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ لَهُمُ التَّنَاوُلِ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: (التَّنَاؤُشُ) بِالْهَمْزِ، بِمَعْنَىٰ: التَّنَؤُّشِ، وَهُوَ الْإِبْطَاءُ، يُقَالُ مِنْهُ: تَنَاءَشْتُ الشَّيْءَ: أَخَذْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَنُشْتَهُ: أَخَذْتُهُ مِنْ قَرِيبٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَقَالُوا آمَنَّا بِاللهِ، فِي حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ قِيلَ ذَلِكَ، فَقَالَ اللهُ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ أَيْ وَأَيْنَ لَهُمُ التَّوْبَةُ وَالرَّجْعَةُ: أَيْ قَدْ بَعُدَتْ عَنْهُمْ، فَصَارُوا مِنْهَا كَمَوْضِعٍ بَعِيدٍ أَنْ يَتَنَاوَلُوهَا؛ وَإِنَّمَا وَصَفَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بِالْبَعِيدِ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ فِي الْقِيَامَةِ، فَقَالَ اللهُ: أَنَّىٰ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ، وَالتَّوْبَةُ الْمَقْبُولَةُ إِنَّمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا فَصَارَتْ بَعِيدًا مِنَ الْآخِرَةِ.. فَبِأَيَّةِ الْقِرَاءَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْتُ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ قَرَؤُوا ذَلِكَ بِالْهَمْزِ هَمَزُوا، وَهُمْ يُرِيدُونَ مَعْنَىٰ مَنْ لَمْ يَهْمِزْ، وَلَكِنَّهُمْ هَمَزُوهُ لِانْضِمَامِ الْوَاوِ فَقَلَبُوهَا، كَمَا قِيلَ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ [المرسلات: ١١]، فَجُعِلَتِ الْوَاوُ مِنْ وُقِّتَتْ، إِذْ كَانَتْ مَضْمُومَةٌ هَمَزَةً..

﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ [سبأ: ٥٢] مِنْ آخِرَتِهِمْ إِلَىٰ الدُّنْيَا.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ [سبأ: ٥٣].

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا يَسْأَلُونَهُ رَبَّهُمْ عِنْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَمُعَايَنَتِهِمْ إِيَّاهُ مِنَ الْإِقَالَةِ لَهُ، وَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ [سبأ: ٥٣] وَهُمُ الْيَوْمَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مُحَمَّدًا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، يَعْنِي أَنَّهُمْ يَرْجُمُونَهُ، وَمَا أَتَاهُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ بِالظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُوَ سَاحِرٌ، وَبَعْضُهُمْ شَاعِرٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝٥٤﴾ [سبأ: ٥٤].

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ وَحِيلَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ حِينَ فَزِعُوا، فَلَا فَوْتَ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالُوا آمَنَّا بِهِ..

﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِيمَانِ، بِمَا كَانُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ ذَلِكَ يَكْفُرُونَ، وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَيْهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ وَزَهْرَةِ الدُّنْيَا.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا تَمَنَّوْا حِينَ عَايَنُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ مَا عَايَنُوا، مَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْهُ، وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ، فَقَالَ اللهُ: وَأَنَّىٰ لَهُمْ تَنَاوُشُ ذَلِكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَقَدْ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَأَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ خَبَرًا عَنْ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَىٰ مَا تَمَنَّوْهُ أَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْ غَيْرِهِ..

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ يَقُولُ: فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَحِلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ عِنْدَ نُزُولِ سَخَطِ اللهِ بِهِمْ، وَمُعَايَنَتِهِمْ بَأْسَهُ كَمَا فَعَلْنَا بِأَشْيَاعِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ، فَلَمْ نَقْبَلْ مِنْهُمْ إِيمَانَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَمَا لَمْ نَقْبَلْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ ضُرَبَائِهِمْ.. وَالْأَشْيَاعُ: جَمْعُ شِيَعٍ، وَشِيَعٍ: جَمْعُ شِيعَةٍ، فَأَشْيَاعُ جَمْعُ الْجَمْعِ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ وَحِيلَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ حِينَ عَايَنُوا بَأْسَ اللهِ، وَبَيْنَ الْإِيمَانِ: إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلُ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي شَكٍّ﴾ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ وَعَايَنُوهُ، وَقَدْ أَخْبَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُنِيبُوا مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ أَنَّ اللهَ مُهْلِكُهُمْ، وَمُحِلٌّ بِهِمْ عُقُوبَتَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَآجِلِ الْآخِرَةِ قَبْلَ نُزُولِهِ بِهِمْ..

﴿مُّرِيبٍ ۝٥٤﴾ [سبأ: ٥٤] مُوجِبٍ لِصَاحِبِهِ الَّذِي هُوَ بِهِ مَا يُرِيبُهُ مِنْ مَكْرُوهٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ أَرَابَ الرَّجُلُ: إِذَا أَتَىٰ رِيبَةً وَرَكِبَ فَاحِشَةً.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ سَبَأٍ

سُورَةُ فاطِر (٣٥)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُها خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [فاطر: ١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الشُّكْرُ الكَامِلُ لِلْمَعْبُودِ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِهِ، خَالِقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ..

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَفِيمَا شَاءَ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ أَصْحَابُ أَجْنِحَةٍ..

﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ اثْنَانِ مِنَ الْأَجْنِحَةِ، وَمِنْهُمْ مِنْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَجْنِحَةٍ، وَمِنْهُمْ مِنْ لَهُ أَرْبَعَةٌ..

﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ وَذَلِكَ زِيَادَتُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي خَلْقِ هَذَا الْمَلَكِ مِنَ الْأَجْنِحَةِ عَلَىٰ الْآخَرِ مَا يَشَاءُ، وَنُقْصَانِهِ عَنِ الْآخَرِ مَا أَحَبَّ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، يَزِيدُ مَا يَشَاءُ فِي خَلْقِ مَا شَاءَ مِنْهُ، وَيَنْقُصُ مَا شَاءَ مِنْ خَلْقِ مَا شَاءَ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَلَهُ الْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [فاطر: ١] إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدِيرٌ عَلَىٰ زِيَادَةِ مَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا شَاءَ، وَنُقْصَانِ مَا شَاءَ مِنْهُ مِمَّنْ شَاءَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ أَرَادَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر: ٢].

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ وَمَغَالِقُهُ كُلُّهَا بِيَدِهِ؛ فَمَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ خَيْرٍ فَلَا مُغْلِقَ لَهُ، وَلَا مُمْسِكَ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَمْرَهُ أَحَدٌ..

﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ وَكَذَلِكَ مَا يُغْلِقُ مِنْ خَيْرٍ عَنْهُمْ فَلَا يَبْسُطُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَفْتَحُهُ لَهُمْ، فَلَا فَاتِحَ لَهُ سِوَاهُ؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَيْهِ وَلَهُ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي نِقْمَتِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ مِنْ خَلْقِهِ بِحَبْسِ رَحْمَتِهِ عَنْهُ وَخَيْرَاتِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝﴾ [فاطر: ٢] فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ، وَفَتْحِهِ لَهُمُ الرَّحْمَةَ إِذَا كَانَ فَتْحُ ذَلِكَ صَلَاحًا، وَإِمْسَاكِهِ إِيَّاهُ عَنْهُمْ إِذَا كَانَ إِمْسَاكُهُ حِكْمَةً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝﴾ [فاطر: ٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ مِنْ قَوْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي أَنْعَمَهَا..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِفَتْحِهِ لَكُمْ مِنْ خَيْرَاتِهِ مَا فَتَحَ، وَبَسْطِهِ لَكُمْ مِنَ الْعَيْشِ مَا بَسَطَ، وَفَكِّرُوا فَانْظُرُوا..

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ أَرْزَاقِكُمْ وَمَغَالِقُهَا..

﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ فَتَعْبُدُوهُ دُونَهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ تَنْبَغِي لَهُ الْعِبَادَةُ إِلَّا الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِحُ الْأَشْيَاءِ وَخَزَائِنُهَا، وَمَغَالِقُ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَا تَعْبُدُوا أَيُّهَا النَّاسُ شَيْئًا سِوَاهُ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ نَفْعِكُمْ وَضُرِّكُمْ سِوَاهُ، فَلَهُ فَأَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ، وَإِيَّاهُ فَأَفْرِدُوا بِالْأُلُوهَةِ..

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝﴾ [فاطر: ٣] فَأَيَّ وَجْهٍ عَنْ خَالِقِكُمْ وَرَازِقِكُمُ الَّذِي بِيَدِهِ نَفْعُكُمْ وَضَرُّكُمْ تُصْرَفُونَ.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝﴾ [فاطر: ٤].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ وَإِنْ يُكَذِّبْكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ﴾ فَلَا يَحْزُنَنَّكَ ذَلِكَ، وَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ سُنَّةُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ كَفَرَةِ الْأُمَمِ بِاللهِ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَفِي تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللهِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِكَ، وَلَنْ يَعْدُو مُشْرِكُو قَوْمِكَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَيَتَّبِعُوا فِي تَكْذِيبِكَ مِنْهَاجَهُمْ، وَيَسْلُكُوا سَبِيلَهُمْ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝﴾ [فاطر: ٤] وَإِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُ أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ، فَمُحِلٌّ بِهِمُ الْعُقُوبَةَ، إِنْ هُمْ لَمْ يُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِنَا فِي اتِّبَاعِكَ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ، وَقَبُولِ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ، نَظِيرَ مَا أَحْلَلْنَا بِنُظَرَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا قَبْلَكَ، وَمُنْجِيكَ وَأَتْبَاعَكَ مِنْ ذَلِكَ؛ سُنَّتَنَا بِمَنْ قَبْلَكَ فِي رُسُلِنَا وَأَوْلِيَائِنَا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر: ٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ، الْمُكَذِّبِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ إِيَّاكُمْ بَأْسَهُ عَلَىٰ إِصْرَارِكُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَحْذِيرِكُمْ نُزُولَ سَطْوَتِهِ بِكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿حَقٞۖ﴾ فَأَيْقِنُوا بِذَلِكَ، وَبَادِرُوا حُلُولَ عُقُوبَتِكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَرِيَاسَاتِكُم الَّتِي تَتَرَأَّسُونَ بِهَا عَلَىٰ ضُعَفَائِكُمْ فِيهَا، عَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَالْإِيمَانِ بِهِ..

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر: ٥] وَلَا يَخْدَعَنَّكُمْ بِاللهِ الشَّيْطَانُ، فَيُمَنِّيكُمُ الْأَمَانِيَّ، وَيَعِدُكُمْ مِنَ اللهِ الْعِدَاتِ الْكَاذِبَةَ، وَيَحْمِلكُمْ عَلَىٰ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِاللهِ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦].

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ الَّذِي نَهَيْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَغْتَرُّوا بِغُرُورِهِ إِيَّاكُمْ بِاللهِ..

﴿لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ فَأَنْزِلُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَنْزِلَ الْعَدُوِّ مِنْكُمْ، وَاحْذَرُوهُ -بِطَاعَةِ اللهِ وَاسْتِغْشَاشِكُمْ إِيَّاهُ- حِذْرَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمُ الَّذِي تَخَافُونَ غَائِلَتَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَلَا تُطِيعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ..

﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ يَعْنِي شِيعَتَهُ، وَمَنْ أَطَاعَهُ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَالْقَبُولِ مِنْهُ، وَالْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦] الْمُخَلَّدِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي تَتَوَقَّدُ عَلَىٰ أَهْلِهَا.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧﴾ [فاطر: ٧].

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَهُمۡ عَذَابٞ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿شَدِيدٞۖ﴾ وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ مِنَ اللهِ لِذُنُوبِهِمْ..

﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧﴾ [فاطر: ٧] وَذَلِكَ الْجَنَّةُ.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾ [فاطر: ٨].

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أَفَمِنْ حَسَّنَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُ السَّيِّئَةَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَعِبَادَةِ مَا دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ فَحَسِبَ سَيِّئَ ذَلِكَ حَسَنًا، وَظَنَّ أَنَّ قُبْحَهُ جَمِيلٌ، لِتَزْيِينِ الشَّيْطَانِ ذَلِكَ لَهُ، ذَهَبَتْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ فَإِنَّ اللهَ يَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِكَ وَتَصْدِيقِكَ، فَيُضِلُّهُ عَنِ الرَّشَادِ إِلَىٰ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ..

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وَيُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِكَ، وَالْقَبُولِ مِنْكَ، فَتَهْدِيهِ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ..

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ﴾ فَلَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ حُزْنًا عَلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَكَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾ [فاطر: ٨] إِنَّ اللهَ يَا مُحَمَّدُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ مُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ، وَمُجَازِيهِمْ بِهِ جَزَاءَهُمْ.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ [فاطر: ٩].

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ لِلْحَيَا وَالْغَيْثِ..

﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مُجْدِبَةِ الْأَرْضِ، مُخْلَىٰ الْأَهْلِ، دَاثِرٍ لَا نَبْتَ فِيهِ وَلَا زَرْعَ..

﴿فَأَحْيَيْنَا﴾ فَأَخْصَبْنَا..

﴿بِهِ﴾ بِغَيْثِ ذَلِكَ السَّحَابِ..

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ الَّتِي سُقْنَاهُ إِلَيْهَا..

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بَعْدَ جُدُوبِهَا، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا الزَّرْعَ بَعْدَ الْمَحْلِ..

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ [فاطر: ٩] هَكَذَا يَنْشُرُ اللهُ الْمَوْتَىٰ بَعْدَ بَلَائِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُحْيِيهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، كَمَا أَحْيَيْنَا هَذِهِ الْأَرْضَ بِالْغَيْثِ بَعْدَ مَمَاتِهَا.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر: ١٠].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ فَلْيَتَعَزَّزْ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ دُونَ كُلِّ مَا دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ إِلَىٰ اللهِ يَصْعَدُ ذِكْرُ الْعَبْدِ إِيَّاهُ وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ..

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ وَيَرْفَعُ ذِكْرَ الْعَبْدِ رَبَّهُ إِلَيْهِ عَمَلُهُ الصَّالِحُ، وَهُوَ الْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، وَأَدَاءُ فَرَائِضِهِ، وَالِانْتِهَاءُ إِلَىٰ مَا أَمَرَ بِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وَالَّذِينَ يَكْسِبُونَ السَّيِّئَاتِ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ﴾ لَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ..

﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ وَعَمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر: ١٠] فَيَبْطُلُ فَيَذْهَبُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ للهِ، فَلَمْ يَنْفَعْ عَامِلَهُ.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾ [فاطر: ١١].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن تُرَابٍ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ أَبَاهُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، فَجَعَلَ خَلْقَ أَبِيهِمْ مِنْهُ لَهُمْ خَلْقًا..

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ثُمَّ خَلَقَكُمْ مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ..

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ﴾ يَعْنِي أَنَّهُ زَوَّجَ مِنْهُمُ الْأُنْثَىٰ مِنَ الذَّكَرِ..

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ﴾ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ مِنْكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ حَمْلٍ وَلَا نُطْفَةٍ إِلَّا وَهُوَ عَالِمٌ بِحَمْلِهَا إِيَّاهُ وَوَضْعِهَا، وَمَا هُوَ؟ ذَكَرٌ أَوِ أُنْثَىٰ؟ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ فَيَطُولُ عُمُرُهُ..

﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِ آخَرَ غَيْرِهِ عَنْ عُمُرِ هَذَا الَّذِي عَمَّرَ عُمْرًا طَوِيلًا..

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ عِنْدَهُ، مَكْتُوبٌ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَ بِهِ أُمُّهُ، وَقَبْلَ أَنْ تَضَعَهُ، قَدْ أَحْصَىٰ ذَلِكَ كُلَّهُ وَعَلِمَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ، لَا يُزَادُ فِيمَا كُتِبَ لَهُ وَلَا يُنْقَصُ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾ [فاطر: ١١] إِنَّ إِحْصَاءَ أَعْمَارِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ يَسِيرٌ سَهْلٌ، طَوِيلُ ذَلِكَ وَقَصِيرُهُ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: ١٢].

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ وَمَا يَعْتَدِلُ الْبَحْرَانِ فَيَسْتَوِيَانِ..

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ أَحَدُهُمَا عَذْبٌ فُرَاتٌ؛ وَالْفُرَاتُ: هُوَ أَعْذَبُ الْعَذْبِ..

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وَالْآخَرُ مِنْهُمَا مِلْحٌ أُجَاجٌ، وَذَلِكَ هُوَ مَاءُ الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ؛ وَالْأُجَاجُ: الْمُرُّ، وَهُوَ أَشَدُّ الْمِيَاهِ مُلُوحَةً..

﴿وَمِن كُلٍّ﴾ وَمِنْ كُلِّ الْبِحَارِ..

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وَذَلِكَ السَّمَكُ مِنْ عَذْبِهِمَا الْفُرَاتِ، وَمِلْحِهِمَا الْأُجَاجِ..

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ الدُّرُّ وَالْمَرْجَانُ تَسْتَخْرِجُونَهَا مِنَ الْمِلْحِ الْأُجَاجِ..

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ وَتَرَىٰ السُّفُنَ..

﴿فِيهِ﴾ فِي كُلِّ تِلْكَ الْبِحَارِ..

﴿مَوَاخِرَ﴾ تَمْخَرُ الْمَاءَ بِصُدُورِهَا، وَذَلِكَ خَرْقُهَا إِيَّاهُ إِذَا مَرَّتْ وَاحِدَتُهَا مَاخِرَةٌ، يُقَالُ مِنْهُ: مَخَرَتْ تَمْخُرُ، وَتَمْخَرُ مَخْرًا، وَذَلِكَ إِذَا شَقَّتِ الْمَاءَ بِصُدُورِهَا..

﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ لِتَطْلُبُوا بِرُكُوبِكُمْ فِي هَذِهِ الْبِحَارِ فِي الْفُلْكِ مِنْ مَعَايِشِكُمْ، وَلِتَتَصَرَّفُوا فِيهَا فِي تِجَارَاتِكُمْ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: ١٢] اللهَ عَلَىٰ تَسْخِيرِهِ ذَلِكَ لَكُمْ، وَمَا رَزَقَكُمْ مِنْهُ مِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وَفَاخِرِ الْحُلِيِّ.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ يُدْخِلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَذَلِكَ مَا نَقَصَ مِنَ اللَّيْلِ أَدْخَلَهُ فِي النَّهَارِ فَزَادَهُ فِيهِ..

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ وَذَلِكَ مَا نَقَصَ مِنْ أَجْزَاءِ النَّهَارِ زَادَ فِي أَجْزَاءِ اللَّيْلِ، فَأَدْخَلَهُ فِيهَا..

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ وَأَجْرَىٰ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَةً مِنْهُ بِكُمْ،

لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، وَتَعْرِفُوا اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ..

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ كُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ..

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الَّذِي يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالَ..

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ مَعْبُودُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ اللهُ رَبُّكُمْ..

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ التَّامُّ الَّذِي لَا شَيْءَ إِلَّا وَهُوَ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ وَالَّذِينَ تَعْبُدُونَ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ رَبِّكُمُ الَّذِي هَذِهِ الصِّفَةُ - الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ الْكَامِلُ، الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ مُلْكٌ- صِفَتُهُ..

﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ [فاطر: ١٣] مَا يَمْلِكُونَ قِشْرَ نَوَاةٍ فَمَا فَوْقَهَا.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٤].

﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ إِنْ تَدْعُوا أَيُّهَا النَّاسُ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ لِأَنَّهَا جَمَادٌ لَا تُفْهَمُ عَنْكُمْ مَا تَقُولُونَ..

﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ دُعَاءَكُمْ إِيَّاهُمْ، وَفَهِمُوا عَنْكُمْ قَوْلَكُمْ، بِأَنْ جُعِلَ لَهُمْ سَمْعٌ يَسْمَعُونَ بِهِ..

﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ نَاطِقَةً، وَلَيْسَ كُلُّ سَامِعٍ قَوْلًا مُتَيَسِّرًا لَهُ الْجَوَابُ عَنْهُ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَهُوَ لَا نَفْعَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَىٰ ضَرِّكُمْ، وَتَدَعُونَ عِبَادَةَ الَّذِي بِيَدِهِ نَفْعُكُمْ وَضَرُّكُمْ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ..

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَتَبَرَّأُ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَنْ تَكُونَ كَانَتْ للهِ شَرِيكًا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ وَلَا يُخْبِرُكَ يَا مُحَمَّدُ عَنْ آلِهَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِ عَبَدَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ تَبَرُّئِهَا مِنْهُمْ، وَكُفْرِهَا بِهِمْ..

﴿مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٤] مِثْلُ ذِي خِبْرَةٍ بِأَمْرِهَا وَأَمْرِهِمْ، وَذَلِكَ الْخَبِيرُ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ أَوْ يَكُونُ سُبْحَانَهُ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ أُولُو الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ إِلَىٰ رَبِّكُمْ،

فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا، وَفِي رِضَاهُ فَسَارِعُوا، يُغْنِكُمْ مِنْ فَقْرِكُمْ، وَيُنْجِحْ لَدَيْهِ حَوَائِجَكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عَنْ عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَعَنْ خِدْمَتِكُمْ، وَعَنْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ..

﴿ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥] الْمَحْمُودُ عَلَىٰ نِعَمِهِ، فَإِنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ بِكُمْ وَبِغَيْرِكُمْ فَمِنْهُ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ بِكُلِّ حَالٍ.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦﴾ [فاطر: ١٦].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ إِنْ يَشَأْ يُهْلِكْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ رَبُّكُمْ؛ لِأَنَّهُ أَنْشَأَكُمْ مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ بِهِ إِلَيْكُمْ..

﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦﴾ [فاطر: ١٦] وَيَأْتِ بِخَلْقٍ سِوَاكُمْ يُطِيعُونَهُ، وَيَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر: ١٧].

﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ وَمَا إِذْهَابُكُمْ وَالْإِتْيَانُ بِخَلْقٍ سِوَاكُمْ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر: ١٧] عَلَىٰ اللهِ بِشَدِيدٍ، بَلْ ذَلِكَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ سَهْلٌ، يَقُولُ: فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَطِيعُوهُ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٨﴾ [فاطر: ١٨].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ وَلَا تَحْمِلُ آثِمَةٌ إِثْمَ أُخْرَىٰ غَيْرِهَا..

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ﴾ وَإِنْ تَسْأَلْ ذَاتُ ثُقْلٍ مِنَ الذُّنُوبِ مَنْ يَحْمِلُ عَنْهَا ذُنُوبَهَا، وَتَطْلُبُ ذَلِكَ لَمْ تَجِدْ مَنْ يَحْمِلُ عَنْهَا شَيْئًا مِنْهَا، وَلَوْ كَانَ الَّذِي سَأَلَتْهُ ذَا قَرَابَةٍ مِنْ أَبٍ أَوْ أَخٍ..

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ الَّذِينَ يَخَافُونَ عِقَابَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ مُعَايَنَةٍ مِنْهُمْ لِذَلِكَ، وَلَكِنْ لِإِيمَانِهِمْ بِمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِمْ لَكَ فِيمَا أَنْبَأْتَهُمْ عَنِ اللهِ؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْفَعُهُمْ

إِنْذَارُكَ، وَيَتَّعِظُونَ بِمَوَاعِظِكَ، لَا الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ..

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَأَدُّوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا عَلَىٰ مَا فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ..

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ وَمَنْ يَتَطَهَّرْ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ وَالذُّنُوبِ بِالتَّوْبَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فَإِنَّمَا يَتَطَهَّرُ لِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُثِيبُهَا بِهِ رِضَا اللهِ، وَالْفَوْزَ بِجِنَانِهِ، وَالنَّجَاةَ مِنْ عِقَابِهِ، الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٨﴾ [فاطر: ١٨] وَإِلَىٰ اللهِ مَصِيرُ كُلِّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، مُؤْمِنِكُمْ وَكَافِرِكُمْ، وَبَرِّكُمْ وَفَاجِرِكُمْ، وَهُوَ مُجَازٍ جَمِيعَكُمْ بِمَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ عَلَىٰ مَا أُهِّلَ مِنْهُ.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ [فاطر: ١٩].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ عَنْ دِينِ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ [فاطر: ١٩] الَّذِي قَدْ أَبْصَرَ فِيهِ رُشْدَهُ، فَاتَّبَعَ مُحَمَّدًا وَصَدَّقَهُ، وَقَبِلَ عَنِ اللهِ مَا ابْتَعَثَهُ بِهِ.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠﴾ [فاطر: ٢٠].

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ وَمَا تَسْتَوِي ظُلُمَاتُ الْكُفْرِ..

﴿وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠﴾ [فاطر: ٢٠] وَنُورُ الْإِيمَانِ.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾ [فاطر: ٢١].

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ﴾ وَلَا الْجَنَّةُ..

﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾ [فاطر: ٢١] النَّارُ، كَأَنَّ مَعْنَاهُ: وَمَا تَسْتَوِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ.. وَالْحَرُورُ بِمَنْزِلَةِ السَّمُومِ، وَهِيَ الرِّيَاحُ الْحَارَّةُ.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [فاطر: ٢٢].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ الْقُلُوبُ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَعْرِفَةِ تَنْزِيلِ اللهِ، وَالْأَمْوَاتُ الْقُلُوبُ لِغَلَبَةِ الْكُفْرِ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ صَارَتْ لَا تَعْقِلُ عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَلَا تَعْرِفُ الْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالِ؛ وَكُلُّ هَذِهِ أَمْثَالٌ ضَرَبَهَا اللهُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْإِيمَانِ، وَالْكَافِرِ وَالْكُفْرِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ٢٢﴾ [فاطر: ٢٢] كَمَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَ مَنْ فِي الْقُبُورِ كِتَابَ اللهِ، فَيَهْدِيهِمْ بِهِ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَكَذَلِكَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْفَعَ بِمَوَاعِظِ اللهِ، وَبَيَانِ حُجَجِهِ، مَنْ كَانَ مَيِّتَ الْقَلْبِ مِنْ أَحْيَاءِ عِبَادِهِ، عَنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَفَهْمِ كِتَابِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَوَاضِحِ حُجَجِهِ.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣﴾ [فاطر: ٢٣].

﴿إِنْ أَنتَ﴾ مَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣﴾ [فاطر: ٢٣] تُنْذِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَلَمْ يُرْسِلْكَ رَبُّكَ إِلَيْهِمْ إِلَّا لِتُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَهُ، وَلَمْ يُكَلِّفْكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَيْهِ؛ فَأَمَّا اهْتِدَاؤُهُمْ وَقَبُولُهُمْ مِنْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ بِيَدِ اللهِ لَا بِيَدِكَ، وَلَا بِيَدِ غَيْرِكَ مِنَ النَّاسِ، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنْ هُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ وَشَرَائِعُ الدِّينِ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ..

﴿بَشِيرٗا﴾ مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ مَنْ صَدَّقَكَ وَقَبِلَ مِنْكَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ النَّصِيحَةِ..

﴿وَنَذِيرٗاۚ﴾ تُنْذِرُ النَّارَ مَنْ كَذَّبَكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ النَّصِيحَةِ..

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الدَّائِنَةِ بِمِلَّةٍ..

﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا﴾ مِنْ قَبْلِكَ..

﴿نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: ٢٤] يُنْذِرُهُمْ بَأْسَنَا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ٢٥﴾ [فاطر: ٢٥].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُسْلِيًا نَبِيَّهُ ﷺ فِيمَا يَلْقَىٰ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ: وَإِنْ يُكَذِّبْكَ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ..

﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ..

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِحُجَجٍ مِنَ اللهِ وَاضِحَةٍ..

﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وَجَاءَتْهُمْ بِالْكُتُبِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ [فاطر: ٢٥] وَجَاءَهُمْ مِنَ اللهِ الْكِتَابُ الْمُنِيرُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾ [فاطر: ٢٦].

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ﴾ ثُمَّ أَهْلَكْنَا الَّذِينَ جَحَدُوا رِسَالَةَ رُسُلِنَا، وَحَقِيقَةَ مَا دَعَوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ آيَاتِنَا، وَأَصَرُّوا عَلَىٰ جُحُودِهِمْ..

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾ [فاطر: ٢٦] فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ تَغْيِيرِي لَهُمْ، وَحُلُولُ عُقُوبَتِي بِهِمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ [فاطر: ٢٧].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ غَيْثًا فَسَقَيْنَاهُ أَشْجَارًا فِي الْأَرْضِ..

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ مِنْ تِلْكَ الْأَشْجَارِ..

﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ﴾ مِنْهَا الْأَحْمَرُ، وَمِنْهَا الْأَسْوَدُ وَالْأَصْفَرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِهَا..

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ طَرَائِقُ، وَهِيَ الْجُدَدُ، وَهِيَ الْخُطَطُ تَكُونُ فِي الْجِبَالِ، كَالطُّرُقِ، وَاحِدَتُهَا جُدَّةٌ..

﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وَسُودٌ..

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُ الْجُدَدِ..

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ [فاطر: ٢٧] وَذَلِكَ مِنَ الْمُقَدَّمِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ التَّأْخِيرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: هُوَ أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ، إِذَا وَصَفُوهُ بِشِدَّةِ السَّوَادِ، وَجَعْلُ السَّوَادِ هَا هُنَا صِفَةً لِلْغَرَابِيبِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ﴾ كَمَا مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْجِبَالِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ بِالْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَالصُّفْرَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ إِنَّمَا يَخَافُ اللهَ فَيَتَّقِي عِقَابَهُ بِطَاعَتِهِ الْعُلَمَاءُ، بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ مِنْ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ؛ لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ أَيْقَنَ بِعِقَابِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، فَخَافَهُ وَرَهِبَهُ خَشْيَةً مِنْهُ أَنْ يُعَاقِبَهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ..

﴿غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] لِذُنُوبِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَأَدُّوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ لِمَوَاقِيتِهَا بِحُدُودِهَا..

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ وَتَصَدَّقُوا بِمَا أَعْطَيْنَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ..

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ سِرًّا فِي خِفَاءٍ، وَعَلَانِيَةً جِهَارًا، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَيَتَطَوَّعُونَ أَيْضًا بِالصَّدَقَةِ مِنْهُ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرْضِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ فِيهِ..

﴿يَرْجُونَ﴾ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩] لَنْ تَكْسُدَ وَلَنْ تَهْلَكَ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: بَارَتِ السُّوقُ: إِذَا كَسَدَتْ وَبَارَ الطَّعَامُ.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠].

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ وَيُوَفِّيهُمُ اللهُ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ ذَلِكَ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ وَكَيْ يَزِيدَهُمْ عَلَىٰ الْوَفَاءِ مِنْ فَضْلِهِ مَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ..

﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ لِذُنُوبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠] لِحَسَنَاتِهِمْ.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ [فاطر: ٣١].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ..

﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّتِكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ، وَتَتَّبِعَ مَا فِيهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أُوحِيَتْ إِلَىٰ غَيْرِكَ..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۗ﴾ هُوَ يُصَدِّقُ مَا مَضَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَصَارَ أَمَامَهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا

إِلَىٰ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ﴾ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَذُو عِلْمٍ وَخِبْرَةٍ بِمَا يَعْمَلُونَ..

﴿بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ [فاطر: ٣١] بِمَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ التَّدْبِيرِ.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ مِنْ قَبْلِ الْفُرْقَانِ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وَالْمُصْطَفُونَ مِنْ عِبَادِهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿فَمِنْهُمْ﴾ فَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..

﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ مَنْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ بِرُكُوبِهِ الْمَآثِمَ، وَاجْتِرَامِهِ الْمَعَاصِي، وَاقْتِرَافِهِ الْفَوَاحِشَ..

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وَهُوَ غَيْرُ الْمُبَالِغِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، وَغَيْرُ الْمُجْتَهِدِ فِيمَا أَلْزَمَهُ مِنْ خِدْمَةِ رَبِّهِ، حَتَّىٰ يَكُونَ عَمَلُهُ فِي ذَلِكَ قَصْدًا..

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وَهُوَ الْمُبَرِّزُ الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي خِدْمَةِ رَبِّهِ، وَأَدَاءِ مَا لَزِمَهُ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَسَبَقَهُمْ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَهِيَ الْخَيْرَاتُ الَّتِي قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بِتَوْفِيقِ اللهِ إِيَّاهُ لِذَلِكَ..

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢] سُبُوقُ هَذَا السَّابِقِ مَنْ سَبَقَهُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ، هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ الَّذِي فَضَّلَ بِهِ مِنْ كَانَ مُقَصِّرًا عَنْ مَنْزِلَتِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ مِنَ الْمُقْتَصِدِ وَالظَّالِمِ لِنَفْسِهِ.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٣].

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بَسَاتِينُ إِقَامَةٍ..

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَوْرَثْنَاهُمُ الْكِتَابَ، الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ يَلْبَسُونَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ أَسْوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ..

﴿وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٣] وَلِبَاسُهُمْ فِي الْجَنَّةِ حَرِيرٌ.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ وَخَوْفُ دُخُولِ النَّارِ مِنَ الْحَزَنِ، وَالْجَزَعُ مِنَ

الْمَوْتِ مِنَ الْحَزَنِ، وَالْجَزَعُ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الْمطعمِ مِنَ الْحَزْنِ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ إِذْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ حَمِدُوهُ عَلَىٰ إِذْهَابِهِ الْحَزَنَ عَنْهُمْ نَوْعًا دُونَ نَوْعٍ، بَلْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ عَمُّوا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْحَزْنِ بِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ، لِأَنَّ مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَلَا حَزَنَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَحَمْدُهُمْ عَلَىٰ إِذْهَابِهِ عَنْهُمْ جَمِيعَ مَعَانِي الْحَزَنِ..

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الَّذِينَ أَخْبَرَ أَنَّهُ اصْطَفَاهُمْ مِنْ عِبَادِهِ عِنْدَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ: إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، فَسَاتِرُهَا عَلَيْهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا..

﴿شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر: ٣٤] لَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَصَالِحِ مَا قَدَّمُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ٣٥﴾ [فاطر: ٣٥].

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ رَبُّنَا الَّذِي أَنْزَلَنَا هَذِهِ الدَّارَ، يَعْنُونَ الْجَنَّةَ؛ فَدَارُ الْمُقَامَةِ: دَارُ الْإِقَامَةِ الَّتِي لَا نَقْلَةَ مَعَهَا عَنْهَا، وَلَا تَحَوُّلَ، وَالْمِيمُ إِذَا ضُمَّتْ مِنَ الْمُقَامَةِ، فَهِيَ مِنَ الْإِقَامَةِ؛ فَإِذَا فُتِحَتْ فَهِيَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَالْمَكَانِ الَّذِي يُقَامُ فِيهِ..

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ لَا يُصِيبُنَا فِيهَا تَعَبٌ وَلَا وَجَعٌ..

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ٣٥﴾ [فاطر: ٣٥] يَعْنِي بِاللُّغُوبِ: الْعَنَاءَ وَالْإِعْيَاءَ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ٣٦﴾ [فاطر: ٣٦].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ مُخَلَّدِينَ فِيهَا، لَا حَظَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَلَا نَعِيمِهَا..

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ لِأَنَّهُمْ لَوْ مَاتُوا لَاسْتَرَحُوا..

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ نَارِ جَهَنَّمَ بِإِمَاتَتِهِمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ وَقَدْ قِيلَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧] ؟ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ٣٦﴾ [فاطر: ٣٦] يُكَافِئُ كُلَّ جَحُودٍ لِنِعَمِ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ بِسَيِّئَاتِهِمُ الَّتِي قَدَّمُوهَا فِي الدُّنْيَا.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

﴿وَهُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ..

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يَسْتَغِيثُونَ، وَيَضِجُّونَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: يَا..

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ بِطَاعَتِكَ..

﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قَبْلُ مِنْ مَعَاصِيكَ.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ يَا مَعْشَرَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ السِّنِينَ..

﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ، وَاتَّعَظَ مِنْهُمْ مَنِ اتَّعَظَ، وَتَابَ مَنْ تَابَ..

﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ وَجَاءَكُمْ مِنَ اللهِ مُنْذِرٌ -قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِهِ الشَّيْبَ- يُنْذِرُكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ الْيَوْمَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَلَمْ تَتَذَكَّرُوا مَوَاعِظَ اللهِ، وَلَمْ تَقْبَلُوا مِنْ نَذِيرِ اللهِ الَّذِي جَاءَكُمْ مَا أَتَاكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ..

﴿فَذُوقُوا﴾ نَارَ عَذَابِ جَهَنَّمَ الَّذِي قَدْ صَلَيْتُمُوهُ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِاللهِ..

﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ فَمَا لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَكْسَبُوهَا غَضَبَ اللهِ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧] يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ لِيَسْتَنْقِذَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾ [فاطر: ٣٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِنَّ اللهَ عَالِمُ مَا تَخْفُونَ أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَتُضْمِرُونَهُ، وَمَا لَمْ تُضْمِرُوهُ وَلَمْ تَنْوُوهُ مِمَّا سَتَنْوُونَهُ، وَمَا هُوَ غَائِبٌ عَنْ أَبْصَارِكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾ [فاطر: ٣٨] فَاتَّقُوهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ تُضْمِرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنَ الشَّكِّ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، أَوْ فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ غَيْرَ الَّذِي تُبْدُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر: ٣٩].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ اللهُ الَّذِي جَعَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ

عَادٍ وَثَمُودَ، وَمَنْ مَضَىٰ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَجَعَلَكُمْ تَخْلِفُونَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ..

﴿فَمَن كَفَرَ﴾ بِاللهِ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ فَعَلَىٰ نَفْسِهِ ضُرُّ كُفْرِهِ، لَا يَضُرُّ بِذَلِكَ غَيْرَ نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ الْمُعَاقَبُ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ إِلَّا بُعْدًا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ﴾ بِاللهِ..

﴿إِلَّا خَسَارًا ٣٩﴾ [فاطر: ٣٩] إِلَّا هَلَاكًا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠﴾

[فاطر: ٤٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَرُونِي أَيَّ شَيْءٍ خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ..

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أَمْ لِشُرَكَائِكُمْ شِرْكٌ مَعَ اللهِ فِي السَّمَوَاتِ، إِنْ لَمْ يَكُونُوا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا..

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أَمْ آتَيْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿كِتَٰبًا﴾ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ بِأَنْ يُشْرِكُوا بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ فَهُمْ عَلَىٰ بُرْهَانٍ مِمَّا أَمَرْتُهُمْ فِيهِ مِنَ الْإِشْرَاكِ بِي..

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠﴾ [فاطر: ٤٠] وَذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] خِدَاعًا مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَغُرُورًا، وَإِنَّمَا تُزْلِفُهُمْ آلِهَتُهُمْ إِلَىٰ النَّارِ، وَتُقْصِيهِمْ مِنَ اللهِ وَرَحْمَتِهِ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤١﴾ [فاطر: ٤١].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ لِئَلَّا تَزُولَا مِنْ أَمَاكِنِهِمَا..

﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ وَلَوْ زَالَتَا..

﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِۦٓ﴾ مَا أَمْسَكَهُمَا أَحَدٌ سِوَاهُ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ حَلِيمًا عَمَّنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ فِي تَرْكِهِ تَعْجِيلَ عَذَابِهِ لَهُ..

﴿غَفُورًا ۝٤١﴾ [فاطر: ٤١] لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ، وَأَنَابَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢﴾ [فاطر: ٤٢].

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وَأَقْسَمَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أَشَدَّ الْإِيمَانِ، فَبَالَغُوا فِيهَا..

﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ لَئِنْ جَاءَهُمْ مِنَ اللهِ مُنْذِرٌ يُنْذِرُهُمْ بَأْسَ اللهِ..

﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ لَيَكُونُنَّ أَسْلَكَ لِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَشَدَّ قَبُولًا لِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ النَّذِيرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ الَّتِي خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ..

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ يُنْذِرُهُمْ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مَا زَادَهُمْ مَجِيءُ النَّذِيرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَسُلُوكِ هُدَىٰ الطَّرِيقِ..

﴿إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢﴾ [فاطر: ٤٢] وَهَرَبًا.

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ۝٤٣﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نَفَرُوا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ..

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ وَخُدْعَةً سَيِّئَةً، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ صَدُّوا الضُّعَفَاءَ عَنِ اتِّبَاعِهِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَالْمَكْرُ هَاهُنَا: هُوَ الشِّرْكُ..

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وَلَا يَنْزِلُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ، يَعْنِي بِالَّذِينَ يَمْكُرُونَهُ؛ وَإِنَّمَا عَنَىٰ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مَكْرُوهُ ذَلِكَ الْمَكْرِ الَّذِي مَكَرَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا بِهِمْ..

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إِلَّا سُنَّةَ اللهِ بِهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ أَلِيمَ الْعِقَابِ، يَقُولُ: فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا أَنْ أَحِلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِي عَلَىٰ شِرْكِهِمْ بِي وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولِي مِثْلَ الَّذِي أَحْلَلْتُ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَشْكَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ..

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فَلَنْ تَجِدَ يَا مُحَمَّدُ لِسُنَّةِ اللهِ تَغْيِيرًا..

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣] وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ فِي خَلْقِهِ تَحْوِيلًا؛ يَقُولُ: لَنْ يُغَيِّرَ ذَلِكَ وَلَنْ يُبَدِّلَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا مَرَدَّ لِقَضَائِهِ.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أَوَلَمْ يَسِرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الَّتِي أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا بِكُفْرِهِمْ بِنَا وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَنَا، فَإِنَّهُمْ تُجَّارٌ يَسْلُكُونَ طَرِيقَ الشَّامِ..

﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَانُوا يَمُرُّونَ بِهَا، أَلَمْ نُهْلِكْهُمْ وَنُخَرِّبْ مَسَاكِنَهُمْ وَنَجْعَلْهُمْ مَثَلًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ، فَيَتَّعِظُوا بِهِمْ، وَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ بِالشِّرْكِ بِاللهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِيَ فَعَلَ بِأُولَئِكَ مَا فَعَلَ..

﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وَبَطْشًا، لَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ بِأُولَئِكَ مِنْ تَعْجِيلِ النِّقْمَةِ، وَالْعَذَابِ لَهُمْ..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَلَنْ يُعْجِزَنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ عَبَدَةِ الْآلِهَةِ، الْمُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا فَيَسْبِقُونَا هَرَبًا فِي الْأَرْضِ، إِذَا نَحْنُ أَرَدْنَا هَلَاكَهُمْ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيُعْجِزَهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَنْ يَقْدِرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا بِخَلْقِهِ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَنْ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ مِنْهُمْ تَعْجِيلَ الْعُقُوبَةِ، وَمَنْ هُوَ عَنْ ضَلَالَتِهِ مِنْهُمْ رَاجِعٌ إِلَى الْهُدَى آيِبٌ..

﴿قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤] عَلَى الِانْتِقَامِ مِمَّنْ شَاءَ مِنْهُمْ، وَتَوْفِيقِ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥].

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ وَلَوْ يُعَاقِبُ اللهُ النَّاسَ، وَيُكَافِئُهُمْ..

﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَاجْتَرَحُوا مِنَ الْآثَامِ..

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ تَدِبُّ عَلَيْهَا..

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ وَلَكِنْ يُؤَخِّرَ عِقَابَهُمْ وَمُؤَاخَذَتَهُمْ بِمَا كَسَبُوا..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ عِنْدَهُ، مَحْدُودٍ لَا يُقَصِّرُونَ دُونَهُ، وَلَا يُجَاوِزُونَهُ إِذَا بَلَغُوهُ..

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُ عِقَابِهِمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ٤٥﴾ [فاطر: ٤٥] مَنَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَاقَبَ مِنْهُمْ، وَمَنِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ الْكَرَامَةَ، وَمَنِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا لَهُ مُطِيعًا، وَمَنْ كَانَ فِيهَا بِهِ مُشْرِكًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمَ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ فَاطِر



سُورَةُ يس (٣٦)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يسٓ ۝١﴾ [يس: ١].

﴿يسٓ ۝١﴾ [يس: ١] قَدْ بَيَّنَّا الْقَوْلَ فِيمَا مَضَىٰ فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ وَتَكْرِيرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ٢].

﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ٢] وَالْقُرْآنِ الْمُحْكَمِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَحْكَامِهِ، وَبَيِّنَاتِ حُجَجِهِ.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: ٣].

﴿إِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: ٣] بِوَحْيِ اللهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ.

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [يس: ٤].

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [يس: ٤] عَلَىٰ طَرِيقٍ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ مِنَ الْهُدَىٰ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: ٥].

﴿تَنزِيلَ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ -يَا مُحَمَّدُ- إِرْسَالَ الرَّبِّ..

﴿الْعَزِيزِ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿الرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: ٥] بِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وَأَنَابَ مِنْ كُفْرِهِ وَفُسُوقِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ سَالِفِ جُرْمِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ لَهُ.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ [يس: ٦].

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَنْذَرَ اللهُ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا لَمْ يُنْذَرْ آبَاؤُهُمْ..

﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ٦﴾ [يس: ٦] عَمَّا اللهُ فَاعِلٌ بِأَعْدَائِهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، مِنْ إِحْلَالِ نِقْمَتِهِ، وَسَطْوَتِهِ بِهِمْ.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧﴾ [يس: ٧].

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ لَقَدْ وَجَبَ الْعِقَابُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ..

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧﴾ [يس: ٧] لِأَنَّ اللهَ قَدْ حَتَّمَ عَلَيْهِمْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ رَسُولَهُ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ٨﴾ [يس: ٨].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ إِنَّا جَعَلْنَا أَيْمَانَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مَغْلُولَةً إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ بِالْأَغْلَالِ، فَلَا تَنْبَسِطُ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ..

﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ فَأَيْمَانُهُمْ مَجْمُوعَةٌ بِالْأَغْلَالِ فِي أَعْنَاقِهِمْ.. وَالْأَذْقَانُ: جَمْعُ ذَقَنٍ، وَالذَّقَنُ: مَجْمَعُ اللَّحْيَيْنِ..

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ٨﴾ [يس: ٨] وَالْمُقْمَحُ: هُوَ الْمُقْنِعُ، وَهُوَ أَنْ يَحْدُرَ الذَّقَنَ حَتَّىٰ يَصِيرَ فِي الصَّدْرِ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩﴾ [يس: ٩].

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿سَدًّا﴾ وَهُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ؛ إِذَا فُتِحَ كَانَ مِنْ فِعْلِ بَنِي آدَمَ، وَإِذَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ كَانَ بِالضَّمِّ.. وَبِالضَّمِّ قَرَأَ ذَلِكَ قُرَّاءُ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ.. وَقَرَأَهُ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ بِفَتْحِ السِّينِ ﴿سَدًّا﴾ فِي الْحَرْفَيْنِ كِلَيْهِمَا؛ وَالضَّمُّ أَعْجَبُ الْقِرَاءَتَيْنِ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَىٰ جَائِزَةً صَحِيحَةً..

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ زَيَّنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، فَهُمْ يَعْمَهُونَ، وَلَا يُبْصِرُونَ رُشْدًا، وَلَا يَتَنَبَّهُونَ حَقًّا..

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ فَأَغْشَيْنَا أَبْصَارَ هَؤُلَاءِ، أَيْ جَعَلْنَا عَلَيْهَا غِشَاوَةً..

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩﴾ [يس: ٩] هُدًىٰ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠﴾ [يس: ١٠].

﴿وَسَوَآءٌ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ..

﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أَيُّ الْأَمْرَيْنِ كَانَ مِنْكَ إِلَيْهِمُ الْإِنْذَارُ، أَوْ تَرْكُ الْإِنْذَارِ، فَإِنَّهُمْ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [يس: ١٠] لِأَنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس: ١١].

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ إِنَّمَا يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ، وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ مِنْ أَحْكَامِ اللهِ..

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ وَخَافَ اللهَ حِينَ يَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ، لَا الْمُنَافِقَ الَّذِي يَسْتَخِفُّ بِدِينِ اللهِ إِذَا خَلَا، وَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ فِي الْمَلَأِ، وَلَا الْمُشْرِكَ الَّذِي قَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ..

﴿فَبَشِّرْهُ﴾ فَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الَّذِي اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ..

﴿بِمَغْفِرَةٍ﴾ مِنَ اللهِ لِذُنُوبِهِ..

﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس: ١١] وَثَوَابٍ مِنْهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ كَرِيمٍ، وَذَلِكَ أَنْ يُعْطِيَهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ ذَلِكَ الْجَنَّةَ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ [يس: ١٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ مِنْ خَلْقِنَا..

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَسَيِّئِهَا..

﴿وَآثَارَهُمْ﴾ وَآثَارَ خُطَاهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ أَرَادُوا أَنْ يَقْرَبُوا مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِيَقْرُبَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ..

﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ أَثْبَتْنَاهُ..

﴿فِي إِمَامٍ﴾ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ..

﴿مُّبِينٍ ۝١٢﴾ [يس: ١٢] لِأَنَّهُ يُبِينُ عَنْ حَقِيقَةِ جَمِيعِ مَا أُثْبِتَ فِيهِ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝١٣﴾ [يس: ١٣].

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ وَمَثِّلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ..

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝١٣﴾ [يس: ١٣] قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانُوا رُسُلَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَعِيسَىٰ الَّذِي

أَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانُوا رُسُلًا أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَيْهِمْ.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس: ١٤].

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللهِ..

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ فَشَدَّدْنَاهُمَا بِثَالِثٍ، وَقَوَّيْنَاهُمَا بِهِ..

﴿فَقَالُوٓا۟﴾ فَقَالَ الْمُرْسَلُونَ الثَّلَاثَةُ لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ..

﴿إِنَّآ إِلَيْكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس: ١٤] بِأَنْ تُخْلِصُوا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَتَبَرَّءُوا مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يس: ١٥].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ لِلثَّلَاثَةِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ حِينَ أَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ بِمَا أُرْسِلُوا بِهِ..

﴿مَآ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ وَلَوْ كُنْتُمْ رُسُلًا كَمَا تَقُولُونَ، لَكُنْتُمْ مَلَائِكَةً..

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ قَالُوا: وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ إِلَيْكُمْ مِنْ رِسَالَةٍ وَلَا كِتَابٍ وَلَا أَمَرَكُمْ فِينَا بِشَيْءٍ..

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يس: ١٥] فِي قِيلِكُمْ إِنَّكُمْ إِلَيْنَا مُرْسَلُونَ.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يس: ١٦].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ الرُّسُلُ..

﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يس: ١٦] فِيمَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ.

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس: ١٧].

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس: ١٧] وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نُبَلِّغَكُمْ رِسَالَةَ اللهِ الَّتِي أَرْسَلَنَا بِهَا إِلَيْكُمْ بَلَاغًا يُبَيِّنُ لَكُمْ أَنَّا أَبْلَغْنَاكُمُوهَا، فَإِنْ قَبِلْتُمُوهَا فَحَظَّ أَنْفُسِكُمْ تُصِيبُونَ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوهَا فَقَدْ أَدَّيْنَا مَا عَلَيْنَا، وَاللهُ وَلِيُّ الْحُكْمِ فِيهِ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾ [يس: ١٨].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ لِلرُّسُلِ..

﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ إِنَّا تَشَاءَمْنَا بِكُمْ، فَإِنْ أَصَابَنَا بَلَاءٌ فَمِنْ أَجْلِكُمْ..

﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ﴾ عَمَّا ذَكَرْتُمْ مِنْ أَنَّكُمْ أُرْسِلْتُمْ إِلَيْنَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ آلِهَتِنَا، وَالنَّهْيِ عَنْ عِبَادَتِنَا..

﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ بِالْحِجَارَةِ..

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾ [يس: ١٨] وَلَيَنَالَنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ مُوجِعٌ.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس: ١٩].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ الرُّسُلُ لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ..

﴿طَٰٓئِرُكُم﴾ أَعْمَالُكُمْ وَأَرْزَاقُكُمْ وَحَظُّكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ..

﴿مَّعَكُمۡ﴾ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي أَعْنَاقِكُمْ، وَمَا ذَلِكَ مِنْ شُؤْمِنَا إِنْ أَصَابَكُمْ سُوءٌ فِيمَا كُتِبَ عَلَيْكُمْ، وَسُبِقَ لَكُمْ مِنَ اللهِ..

﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ أَئِنْ ذَكَّرْنَاكُمْ فَمَعَكُمْ طَائِرُكُمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (إِنْ ذَكَّرْنَاكُمُ اللهَ تَطَيَّرْتُمْ بِنَا)..

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس: ١٩] قَالُوا لَهُمْ: مَا بِكُمُ التَّطَيُّرُ بِنَا، وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ أَهْلُ مَعَاصٍ للهِ وَآثَامٍ، قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْكُمُ الذُّنُوبُ وَالآثَامُ.

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ [يس: ٢٠].

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَىٰ مَدِينَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الرُّسُلُ..

﴿رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ هَذِهِ عَزَمُوا وَاجْتَمَعَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَىٰ قَتْلِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ الثَّلَاثَةِ فِيمَا ذُكِرَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ هَذَا الرَّجُلَ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ مُؤْمِنًا..

﴿قَالَ﴾ الرَّجُلُ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ [يس: ٢٠] الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَيْكُمْ، وَاقْبَلُوا مِنْهُمْ مَا أَتَوْكُمْ بِهِ وَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا أَتَىٰ الرُّسُلَ سَأَلَهُمْ: هَلْ تَطْلُبُونَ عَلَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ أَجْرًا؟ فَقَالَتِ الرُّسُلُ: لَا، فَقَالَ لِقَوْمِهِ حِينَئِذٍ.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾ [يس: ٢١].

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ عَلَىٰ نَصِيحَتِهِمْ لَكُمْ أَجْرًا..

﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٢١﴾ [يس: ٢١] وَهُمْ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ مِنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَاهْتَدُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ بِهُدَاهُمْ.

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢﴾ [يس: ٢٢].

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ لِيَ لَا أَعْبُدُ الرَّبَّ الَّذِي خَلَقَنِي..

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢﴾ [يس: ٢٢] وَإِلَيْهِ تَصِيرُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ وَتُرَدُّونَ جَمِيعًا، وَهَذَا حِينَ أَبْدَىٰ لِقَوْمِهِ إِيمَانَهُ بِاللهِ وَتَوْحِيدَهُ.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣﴾ [يس: ٢٣].

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أَأَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ مَعْبُودًا سِوَاهُ..

﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ إِذَا مَسَّنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ وَشِدَّةٍ..

﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ لَا تُغْنِي عَنِّي شَيْئًا بِكَوْنِهَا لِي شُفَعَاءَ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَىٰ دَفْعِ ذَلِكَ الضُّرِّ عَنِّي..

﴿وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣﴾ [يس: ٢٣] وَلَا يُخَلِّصُونِي مِنْ ذَلِكَ الضُّرِّ إِذَا مَسَّنِي.

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [يس: ٢٤].

﴿إِنِّيٓ﴾ إِنِ اتَّخَذْتُ مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً هَذِهِ صِفَتُهَا..

﴿إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [يس: ٢٤] لِمَنْ تَأَمَّلَهُ.

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥﴾ [يس: ٢٥].

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥﴾ [يس: ٢٥] قَالَ بَعْضُهُمْ: قَالَ هَذَا الْقَوْلَ هَذَا الْمُؤْمِنُ لِقَوْمِهِ يُعْلِمُهُمْ إِيمَانَهُ بِاللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ خَاطَبَ بِذَلِكَ الرُّسُلَ، وَقَالَ لَهُمْ: اسْمَعُوا قُولِي لِتَشْهَدُوا لِي بِمَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّي، وَأَنِّي قَدْ آمَنْتُ بِكُمْ وَاتَّبَعْتُكُمْ؛ فَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ هَذَا الْقَوْلَ، وَنَصَحَ لِقَوْمِهِ النَّصِيحَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ وَثَبُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ، قَالَ بَعْضُهُمْ: رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ وَثَبُوا عَلَيْهِ، فَوَطَئُوهُ بِأَقْدَامِهِمْ حَتَّىٰ مَاتَ.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦﴾ [يس: ٢٦].

﴿قِيلَ﴾ قَالَ اللهُ لَهُ إِذْ قَتَلُوهُ كَذَلِكَ فَلَقِيَهُ..

﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ فَلَمَّا دَخَلَهَا وَعَايَنَ مَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ لِإِيمَانِهِ وَصَبْرِهِ فِيهِ..
﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يس: ٢٦] يَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ.

﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٧].

﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٧] أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ غَفَرَ لِي رَبِّي ذُنُوبِي، وَجَعَلَنِي مِنَ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِإِدْخَالِهِ إِيَّاهُ جَنَّتَهُ، كَانَ إِيمَانِي بِاللهِ وَصَبْرِي فِيهِ، حَتَّىٰ قُتِلْتُ، فَيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَيَسْتَوْجِبُوا الْجَنَّةَ.

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [يس: ٢٨].

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِ هَذَا الْمُؤْمِنِ الَّذِي قَتَلَهُ قَوْمُهُ لِدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَنَصِيحَتِهِ لَهُمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مَهْلَكِهِ..

﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [يس: ٢٨] لَمْ يَبْعَثْ لَهُمْ جُنُودًا مِنَ المَلائِكَةِ يُقَاتِلُهُمْ بِهَا، وَلَكِنَّهُ أَهْلَكَهُمْ بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: ٢٩].

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ مَا كَانَتْ هَلَكَتُهُمْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، أَنْزَلَهَا اللهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ..
﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: ٢٩] فَإِذَا هُمْ هَالِكُونَ.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس: ٣٠].

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ﴾ يَا حَسْرَةً مِنَ الْعِبَادِ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا وَتَنَدُّمًا وَتَلَهُّفًا فِي اسْتِهْزَائِهِمْ بِرُسُلِ اللهِ..
﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ مِنَ اللهِ..
﴿إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس: ٣٠]

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..
﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَنَا وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِنَا..
﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الْخَالِيَةِ..
﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١] أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢﴾ [يس: ٣٢].

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢﴾ [يس: ٣٢] وَإِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْقُرُونِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا وَالَّذِينَ لَمْ نُهْلِكْهُمْ وَغَيْرَهُمْ عِنْدَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمِيعُهُمْ مُحْضَرُونَ.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣﴾ [يس: ٣٣].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ وَدِلَالَةٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، وَعَلَىٰ إِحْيَائِهِ مَنْ مَاتَ مِنْ خَلْقِهِ وَإِعَادَتِهِ بَعْدَ فَنَائِهِ، كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ مَمَاتِهِ..

﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الَّتِي لَا نَبْتَ فِيهَا وَلَا زَرْعَ..

﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بِالْغَيْثِ الَّذِي يُنْزِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّىٰ يَخرُجَ زَرْعُهَا..

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣﴾ [يس: ٣٣] ثُمَّ إِخْرَاجُهُ مِنْهَا الْحَبَّ الَّذِي هُوَ قُوتٌ لَهُمْ وَغِذَاءٌ، فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤﴾ [يس: ٣٤].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ وَجَعَلْنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي أَحْيَيْنَاهَا بَعْدَ مَوْتِهَا..

﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ بَسَاتِينَ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ..

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤﴾ [يس: ٣٤] وَأَنْبَعْنَا فِيهَا مِنْ عُيُونِ الْمَاءِ.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾ [يس: ٣٥].

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ أَنْشَأْنَا هَذِهِ الْجَنَّاتِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ لِيَأْكُلَ عِبَادِي مِنْ ثَمَرِهِ..

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ مِمَّا غَرَسُوا هُمْ وَزَرَعُوا.. وَلَوْ قِيلَ: لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَلَمْ تَعْمَلْهُ أَيْدِيهِمْ، كَانَ أَيْضًا مَذْهَبًا..

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾ [يس: ٣٥] أَفَلَا يَشْكُرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ رَزَقْنَاهُمْ هَذَا الرِّزْقَ، مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ الَّتِي أَحْيَيْنَاهَا لَهُمْ، مَنْ رَزَقَهُمْ ذَلِكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [يس: ٣٦].

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَنْزِيهًا وَتَبْرِئَةً لِلَّذِي خَلَقَ الْأَلْوَانَ الْمُخْتَلِفَةَ كُلَّهَا مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ..

﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وَخَلَقَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ ذُكُورًا وَإِنَاثًا..

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [يس: ٣٦] أَيْضًا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَمْ يُطْلِعْهُمْ عَلَيْهَا، خَلَقَ كَذَلِكَ أَزْوَاجًا مِمَّا يُضِيفُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَيَصِفُونَهُ بِهِ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧﴾ [يس: ٣٧].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ وَدَلِيلٌ لَهُمْ أَيْضًا عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ فِعْلِ كُلِّ مَا شَاءَ..

﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ نَنْزِعُ عَنْهُ النَّهَارَ، فَنَأْتِي بِالظُّلْمَةِ وَنَذْهَبُ بِالنَّهَارِ..

﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧﴾ [يس: ٣٧] فَإِذَا هُمْ قَدْ صَارُوا فِي ظُلْمَةٍ بِمَجِيءِ اللَّيْلِ.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [يس: ٣٨].

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمَوْضِعِ قَرَارِهَا، بِمَعْنَىٰ: (إِلَىٰ) مَوْضِعِ قَرَارِهَا، وَبِذَلِكَ جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]».. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: تَجْرِي لِمَجْرًى لَهَا إِلَىٰ مَقَادِيرِ مَوَاضِعِهَا، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهَا تَجْرِي إِلَىٰ أَبْعَدِ مَنَازِلِهَا فِي الْغُرُوبِ، ثُمَّ تَرْجِعُ وَلَا تُجَاوِزُهُ، قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّهَا لَا تَزَالُ تَتَقَدَّمُ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ أَبْعَدِ مَغَارِبِهَا ثُمَّ تَرْجِعُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي وَصَفْنَا مِنْ جَرْيِ الشَّمْسِ لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا..

﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [يس: ٣٨] بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩﴾ [يس: ٣٩].

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ تَقْدِيرُنَا الْقَمَرَ مَنَازِلَ لِلنُّقْصَانِ بَعْدَ تَنَاهِيهِ وَتَمَامِهِ وَاسْتِوَائِهِ..

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩﴾ [يس: ٣٩] الْعُرْجُونُ: مِنَ الْعِذْقِ مِنَ الْمَوْضِعِ النَّابِتِ فِي النَّخْلَةِ إِلَىٰ مَوْضِعِ الشَّمَارِيخِ، وَإِنَّمَا شَبَّهَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ -وَالْقَدِيمُ هُوَ الْيَابِسُ- لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعِذْقِ لَا يَكَادُ يُوجَدُ إِلَّا مُتَقَوِّسًا مُنْحَنِيًا إِذَا قَدِمَ وَيَبِسَ، وَلَا يَكَادُ أَنْ يُصَابَ مُسْتَوِيًا مُعْتَدِلًا، كَأَغْصَانِ سَائِرِ الْأَشْجَارِ وَفُرُوعِهَا، فَكَذَلِكَ الْقَمَرُ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ قَبْلَ اسْتِسْرَارِهِ، صَارَ فِي انْحِنَائِهِ وَتَقَوُّسِهِ نَظِيرَ ذَلِكَ الْعُرْجُونِ.

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠].

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ لَا الشَّمْسُ يَصْلُحُ لَهَا إِدْرَاكُ الْقَمَرِ، فَيَذْهَبُ ضَوْءُهَا بِضَوْئِهِ، فَتَكُونُ الْأَوْقَاتُ كُلُّهَا نَهَارًا لَا لَيْلَ فِيهَا..

﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ وَلَا اللَّيْلُ بِفَائِتِ النَّهَارِ حَتَّىٰ تَذْهَبَ ظُلْمَتُهُ بِضِيَائِهِ، فَتَكُونُ الْأَوْقَاتُ كُلُّهَا لَيْلًا..

﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] وَكُلُّ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي فَلَكٍ يَجْرُونَ.

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝٤١﴾ [يس: ٤١].

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ﴾ وَدَلِيلٌ لَهُمْ أَيْضًا، وَعَلَامَةٌ عَلَىٰ قُدْرَتِنَا عَلَىٰ كُلِّ مَا نَشَاءُ..

﴿أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ يَعْنِي مَنْ نَجَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ..

﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ فِي سَفِينَةِ نُوحٍ..

﴿ٱلۡمَشۡحُونِ ۝٤١﴾ [يس: ٤١] الْمَمْلُوءُ الْمُوقَرُ.

﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ۝٤٢﴾ [يس: ٤٢].

﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم﴾ وَخَلَقْنَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِيكَ يَا مُحَمَّدُ تَفَضُّلًا مِنَّا عَلَيْهِمْ..

﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ الْفُلْكِ الَّذِي كُنَّا حَمَلْنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ مَنْ حَمَلْنَا فِيهِ..

﴿مَا يَرۡكَبُونَ ۝٤٢﴾ [يس: ٤٢] مِنَ الْمَرَاكِبِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ الْإِبِلَ.. وَأَشْبَهُ الْقَوْلَيْنِ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ السُّفُنَ، وَذَلِكَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ [يس: ٤٣]، عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْغَرَقَ مَعْلُومٌ أَنْ لَا يَكُونَ إِلَّا فِي الْمَاءِ، وَلَا غَرَقَ فِي الْبَرِّ.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝٤٣﴾ [يس: ٤٣].

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا رَكِبُوا الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ..

﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ فَلَا مُغِيثَ لَهُمْ إِذَا نَحْنُ غَرَّقْنَاهُمْ يُغِيثُهُمْ، فَيُنْجِيهِمْ مِنَ الْغَرَقِ..

﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝٤٣﴾ [يس: ٤٣] وَلَا هُوَ يُنْقِذُهُمْ مِنَ الْغَرَقِ شَيْءٌ إِنْ نَحْنُ أَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٤٤﴾ [يس: ٤٤].

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ إِلَّا أَنْ نُنْقِذَهُمْ نَحْنُ رَحْمَةً مِنَّا لَهُمْ، فَنُنْجِيهِمْ مِنْهُ..

﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٤٤﴾ [يس: ٤٤] وَلِنُمَتِّعَهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ، إِلَّا أَنْ نَرْحَمَهُمْ فَنُمَتِّعَهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٥﴾ [يس: ٤٥].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، الْمُكَذِّبِينَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ احْذَرُوا مَا مَضَىٰ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنْ نَقَمِ اللهِ وَمَثُلَاتِهِ بِمَنْ حَلَّ ذَلِكَ بِهِ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ أَنْ يَحِلَّ مِثْلُهُ بِكُمْ بِشِرْكِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَهُ..

﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ وَمَا بَعْدَ هَلَاكِكُمْ، مِمَّا أَنْتُمْ لَا قُوَّةَ إِنْ هَلَكْتُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٥﴾ [يس: ٤٥] لِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ إِنْ أَنْتُمْ حَذِرْتُمْ ذَلِكَ، وَاتَّقَيْتُمُوهُ بِالتَّوْبَةِ مِنْ شِرْكِكُمْ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَلُزُومِ طَاعَتِهِ فِيمَا أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤٦﴾ [يس: ٤٦].

﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ وَمَا تَجِيءُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وَعَلَامَةٍ مِنْ عَلَامَاتِهِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ..

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤٦﴾ [يس: ٤٦] لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَدَبَّرُونَهَا، فَيَعْمَلُوا بِهَا، مَا احْتَجَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهَا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٤٧﴾ [يس: ٤٧].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَنْفِقُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ الَّذِي رَزَقَكُمْ، فَأَدُّوا مِنْهُ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ فِيهِ لِأَهْلِ حَاجَتِكُمْ وَمَسْكَنَتِكُمْ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قَالَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ وَعَبَدُوا مِنْ دُونِهِ..

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ أَنُطْعِمُ أَمْوَالَنَا وَطَعَامَنَا مَنْ لَوِ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ؟

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٤٧﴾ [يس: ٤٧] وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مِنْ قِيلِ الْكُفَّارِ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَيَكُونُ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ: مَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي قِيلِكُمْ لَنَا: أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ عَلَىٰ مَسَاكِينِكُمْ، إِلَّا فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ، وَجَوْرٍ عَنِ الرُّشْدِ مُبِينٍ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ، أَنَّهُ فِي ضَلَالٍ؛ وَهَذَا أَوْلَىٰ وَجْهَيْهِ بِتَأْوِيلِهِ.. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ قِيلِ اللهِ لِلْمُشْرِكِينَ، فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: مَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ فِي قِيلِكُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَنُطْعِمُ مَنْ لَوِ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ، إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، عَنْ أَنَّ قِيلَكُمْ ذَلِكَ لَهُمْ ضَلَالٌ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٤٨﴾ [يس: ٤٨].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ وَعِيدَ اللهِ وَالْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ يَسْتَعْجِلُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَذَابِ..

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بِقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٤٨﴾ [يس: ٤٨] أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَهَذَا قَوْلُهُمْ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ٤٩﴾ [يس: ٤٩].

﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ مَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَسْتَعْجِلُونَ بِوَعِيدِ اللهِ إِيَّاهُمْ..

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ وَذَلِكَ نَفْخَةُ الْفَزَعِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ٤٩﴾ [يس: ٤٩] يَخْتَصِمُونَ.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ٥٠﴾ [يس: ٥٠].

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عِنْدَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ..

﴿تَوْصِيَةً﴾ أَنْ يُوصُوا فِي أَمْوَالِهِمْ أَحَدًا..

﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ٥٠﴾ [يس: ٥٠] وَلَا يَسْتَطِيعُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ خَارِجًا عَنْ أَهْلِهِ أَنْ يَرْجِعَ

إِلَيْهِم؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُمْهَلُونَ بِذَلِكَ وَلَكِنْ يُعْجَلُونَ بِالْهَلَاكِ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥١].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ نَفْخَةَ الْبَعْثِ..

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وَهِيَ قُبُورُهُمْ..

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥١] يَخْرُجُونَ سِرَاعًا.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس: ٥٢].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَمَّا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْبَعْثِ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ فَرُدَّتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَىٰ أَجْسَامِهِمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ نَوْمَةٍ نَامُوهَا..

﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ مَنْ أَيْقَظَنَا مِنْ مَنَامِنَا..

﴿هَٰذَا﴾ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ إِشَارَةً إِلَىٰ مَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ كَلَامًا مُبْتَدَأً بَعْدَ تَنَاهِي الْخَبَرِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ فَتَكُونُ مَا حِينَئِذٍ مَرْفُوعَةً بِهَذَا، وَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: هَذَا وَعْدُ الرَّحْمَنِ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ مِنْ صِفَةِ الْمَرْقَدِ، وَتَكُونُ خَفْضًا وَرَدًّا عَلَىٰ الْمَرْقَدِ، وَعِنْدَهَا تَمَامُ الْخَبَرِ عَنِ الْأَوَّلِ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا، ثُمَّ يَبْتَدِئُ الْكَلَامَ فَيُقَالُ: مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ، بِمَعْنَىٰ: بَعَثَكُمْ وَعْدُ الرَّحْمَنِ، فَتَكُونُ مَا حِينَئِذٍ رَفْعًا عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ..

﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس: ٥٢] يَقُولُ ذَلِكَ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ فِي قِيلِهِمْ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا بِمَنْ بَعَثَهُمْ مِنْ مَرْقَدِهِمْ جُهَّالًا، وَلِذَلِكَ مِنْ جَهْلِهِمُ اسْتَثْبَتُوا، وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونُوا اسْتَثْبَتُوا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ غَيْرِهِمْ، مِمَّنْ خَالَفَتْ صِفَتُهُ صِفَتَهُمْ فِي ذَلِكَ.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾ [يس: ٥٣].

﴿إِن كَانَتْ﴾ إِنْ كَانَتْ إِعَادَتُهُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ مَمَاتِهِمْ..

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّالِثَةُ فِي الصُّورِ..

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾ [يس: ٥٣] فَإِذَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ لَدَيْنَا قَدْ أُحْضِرُوا، فَأُشْهِدُوا مَوْقِفَ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥٤].

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ كَذَلِكَ رَبُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسًا شَيْئًا، فَلَا يُوفِيهَا جَزَاءَ عَمَلِهَا الصَّالِحِ، وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهَا وِزْرَ غَيْرِهَا، وَلَكِنَّهُ يُوفِي كُلَّ نَفْسٍ أَجْرَ مَا عَمِلَتْ مِنْ صَالِحٍ، وَلَا يُعَاقِبُهَا إِلَّا بِمَا اجْتَرَمَتْ وَاكْتَسَبَتْ مِنْ شَيْءٍ..

﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥٤] وَلَا تُكَافَؤُونَ إِلَّا مُكَافَأَةَ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ [يس: ٥٥].

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ افْتِضَاضُ الْعَذَارَىٰ، وَهُوَ الثَّابِتُ عن ابنِ مسعودٍ وابنِ عبَّاس.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ فِي نِعْمَةٍ، وهو الثَّابتُ عن مجاهد.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ فِي شُغُلٍ عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وَهُمْ أَهْلُهَا ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ بِنِعَمٍ تَأْتِيهِمْ فِي شُغُلٍ، وَذَلِكَ الشُّغُلُ الَّذِي هُمْ فِيهِ نِعْمَةٌ، وَافْتِضَاضُ أَبْكَارٍ، وَلَهْوٌ وَلَذَّةٌ، وَشُغُلٌ عَمَّا يَلْقَىٰ أَهْلُ النَّارِ..

﴿فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ [يس: ٥٥] كَثِيرُو الْفَوَاكِهِ.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يس: ٥٦].

﴿هُمْ﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ..

﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ..

﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ لَهُ وَجْهَانِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ جَمْعَ الظُّلَلِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ الْكِنِّ، **فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ حِينَئِذٍ**: هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي كِنٍّ لَا يَضْحَوْنَ لِشَمْسٍ كَمَا يَضْحَىٰ لَهَا أَهْلُ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ لَا شَمْسَ فِيهَا.. **وَالآخَرُ**: أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ جَمْعُ ظُلَّةٍ، **فَيَكُونُ وَجْهُ جَمْعِهَا كَذَلِكَ** نَظِيرَ جَمْعِهِمُ الْخُلَّةَ فِي الْكَثْرَةِ: الْخِلَالُ، وَالْقُلَّةُ: الْقِلَالُ..

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يس: ٥٦] وَالْأَرَائِكُ: هِيَ الْحِجَالُ فِيهَا السُّرُرُ وَالْفُرُشُ، وَاحِدَتُهَا أَرِيكَةٌ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ كُلَّ فِرَاشٍ أَرِيكَةٌ.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ [يس: ٥٧].

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَاكِهَةٌ..

﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ [يس: ٥٧] وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَتَمَنَّوْنَ، وَذُكِرَ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهَا تَقُولُ: دَعْ عَلَيَّ مَا شِئْتَ: أَيْ تَمَنَّ عَلَيَّ مَا شِئْتَ.

﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨].

﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدَّعُونَ، وَذَلِكَ هُوَ ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ، بِمَعْنَىٰ: تَسْلِيمٌ مِنَ اللهِ، وَيَكُونُ ﴿سَلَٰمٌ﴾ تَرْجَمَةَ مَا يَدَّعُونَ، وَيَكُونُ الْقَوْلُ خَارِجًا مِنْ قَوْلِهِ: سَلَامٌ..

﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨] رَحِيمٌ بِهِمْ إِذْ لَمْ يُعَاقِبْهُمْ بِمَا سَلَفَ لَهُمْ مِنْ جُرْمٍ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَامْتَٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: ٥٩].

﴿وَامْتَٰزُوا﴾ وَتَمَيَّزُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: ٥٩] أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِاللهِ، فَإِنَّكُمْ وَارِدُونَ غَيْرَ مَوْرِدِهِمْ، دَاخِلُونَ غَيْرَ مَدْخَلِهِمْ، ثُمَّ يُقَالُ.

﴿* أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِي ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [يس: ٦٠].

﴿* أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِي ءَادَمَ﴾ أَلَمْ أُوصِكُمْ وَآمُرُكُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَٰنَ﴾ فَتُطِيعُوهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [يس: ٦٠] وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، قَدْ أَبَانَ لَكُمْ عَدَاوَتَهُ بِامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ، لِأَبِيكُمْ آدَمَ، حَسَدًا مِنْهُ لَهُ، عَلَىٰ مَا كَانَ اللهُ أَعْطَاهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَغُرُورُهُ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ وَزَوْجَتَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس: ٦١].

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ وَأَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ أَنِ اعْبُدُونِي دُونَ كُلِّ مَا سِوَايَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَإِيَّايَ فَأَطِيعُوا..

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس: ٦١] فَإِنَّ إِخْلَاصَ عِبَادَتِي، وَإِفْرَادَ طَاعَتِي، وَمَعْصِيَةَ الشَّيْطَانِ، هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ، وَالطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝٦٢﴾ [يس: ٦٢].

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ وَلَقَدْ صَدَّ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ خَلْقًا كَثِيرًا عَنْ طَاعَتِي، وَإِفْرَادِي بِالْأُلُوهَةِ حَتَّىٰ عَبَدُوهُ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِي آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا..

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ٦٢﴾ [يس: ٦٢] أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، إِذَا أَطَعْتُمُ الشَّيْطَانَ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تُطِيعُوا عَدُوَّكُمْ وَعَدُوَّ اللهِ، وَتَعْبُدُوا غَيْرَ اللهِ.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٦٣﴾ [يس: ٦٣].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٦٣﴾ [يس: ٦٣] بِهَا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَهُ، فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ.

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٦٤﴾ [يس: ٦٤].

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ احْتَرِقُوا بِهَا الْيَوْمَ وَرِدُوهَا؛ يَعْنِي بِالْيَوْمِ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٦٤﴾ [يس: ٦٤] بِمَا كُنْتُمْ تَجْحَدُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَتُكَذِّبُونَ بِهَا.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: ٦٥].

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ الْيَوْمَ نَطْبَعُ عَلَىٰ أَفْوَاهِ الْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِي اللهِ..

﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: ٦٥] فِي الدُّنْيَا مِنَ الْآثَامِ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ٦٦﴾ [يس: ٦٦].

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَتَرَكْنَاهُمْ عُمْيًا يَتَرَدَّدُونَ، لَا يُبْصِرُونَ طَرِيقًا، وَلَا يَهْتَدُونَ لَهُ، وَالطَّمْسُ عَلَىٰ الْعَيْنِ: هُوَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَ جَفْنَيِ الْعَيْنِ غُرٌّ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّقُّ الَّذِي بَيْنَ الْجِفْنَيْنِ، كَمَا تَطْمِسُ الرِّيحُ الْأَثَرَ..

﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ فَابْتَدَرُوا الطَّرِيقَ..

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ٦٦﴾ [يس: ٦٦] فَأَيُّ وَجْهٍ يُبْصِرُونَ أَنْ يَسْلُكُوهُ مِنَ الطُّرُقِ، وَقَدْ طَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ٦٧﴾ [يس: ٦٧].

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَقْعَدْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَرْجُلِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ..

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْضُوا أَمَامَهُمْ..

﴿وَلَا يَرْجِعُونَ ٦٧﴾ [يس: ٦٧] وَلَا أَنْ يَرْجِعُوا وَرَاءَهُمْ.

﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ٦٨﴾ [يس: ٦٨].

﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ﴾ فَنَمُدُّ لَهُ فِي الْعُمُرِ..

﴿نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ﴾ نَرُدُّهُ إِلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ فِي الصِّبَا مِنَ الْهَرَمِ وَالْكِبَرِ، وَذَلِكَ هُوَ النَّكْسُ فِي الْخَلْقِ، فَيَصِيرُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا بَعْدَ الْعِلْمِ الَّذِي كَانَ يَعْلَمُهُ..

﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ٦٨﴾ [يس: ٦٨] أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ بِمُعَايَنَتِهِمْ مَا يُعَايِنُونَ مِنْ تَصْرِيفِهِ خَلْقِهِ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ مِنْ صِغَرٍ إِلَىٰ كِبَرٍ، وَمِنْ تَنْكِيسٍ بَعْدَ كِبَرٍ فِي هَرَمٍ.

﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩﴾ [يس: ٦٩].

﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾ وَمَا عَلِمْنَا مُحَمَّدًا الشِّعْرَ..

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا..

﴿إِنۡ هُوَ﴾ مَا مُحَمَّدٌ..

﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، ذَكَّرَكُمُ اللهُ بِإِرْسَالِهِ إِيَّاهُ إِلَيْكُمْ، وَنَبَّهَكُمْ بِهِ عَلَىٰ حَظِّكُمْ..

﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩﴾ [يس: ٦٩] وَهَذَا الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ قُرْآنٌ مُبِينٌ، يَبِينُ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ بِعَقْلٍ وَلُبٍّ، أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِشِعْرٍ وَلَا مَعَ كَاهِنٍ.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠﴾ [يس: ٧٠].

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ إِنْ مُحَمَّدٌ إِلَّا ذِكْرٌ لَكُمْ لِيُنْذِرَ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ حَيَّ الْقَلْبِ، يَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهُ، وَيَفْهَمُ مَا يُبَيَّنُ لَهُ، غَيْرُ مَيِّتِ الْفُؤَادِ بَلِيدٌ..

﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ وَيَحِقُّ الْعَذَابُ..

﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠﴾ [يس: ٧٠] عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، الْمُوَلِّينَ عَنِ اتِّبَاعِهِ، الْمُعْرِضِينَ عَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١﴾ [يس: ٧١].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ مِمَّا خَلَقْنَا مِنَ الْخَلْقِ..

﴿أَنۡعَٰمٗا﴾ وَهِيَ الْمَوَاشِي الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ لِبَنِي آدَمَ، فَسَخَّرَهَا لَهُمْ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ..

﴿فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١﴾ [يس: ٧١] فَهُمْ لَهَا مُصْرِفُونَ كَيْفَ شَاءُوا بِالْقَهْرِ مِنْهُمْ لَهَا وَالضَّبْطِ.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ [يس: ٧٢].

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ هَذِهِ الْأَنْعَامَ..

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ فَمِنْهَا مَا يَرْكَبُونَ كَالْإِبِلِ يُسَافِرُونَ عَلَيْهَا..

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ [يس: ٧٢] لُحُومَهَا.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ [يس: ٧٣].

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ وَلَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَنْعَامِ..

﴿مَنَافِعُ﴾ فِي أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا بِاتِّخَاذِهِمْ مِنْ ذَلِكَ أَثَاثًا وَمَتَاعًا، وَمِنْ جُلُودِهَا أَكْنَانًا..

﴿وَمَشَارِبُ﴾ يَشْرَبُونَ أَلْبَانَهَا..

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ [يس: ٧٣] نِعْمَتِي هَذِهِ، وَإِحْسَانِي إِلَيْهِمْ بِطَاعَتِي، وَإِفْرَادِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَتَرْكِ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤﴾ [يس: ٧٤].

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ وَاتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ يَعْبُدُونَهَا..

﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤﴾ [يس: ٧٤] طَمَعًا أَنْ تَنْصُرَهُمْ تِلْكَ الْآلِهَةُ مِنْ عِقَابِ اللهِ وَعَذَابِهِ.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ [يس: ٧٥].

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لَا تَسْتَطِيعُ هَذِهِ الْآلِهَةُ..

﴿نَصْرَهُمْ﴾ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِهِمْ سُوءًا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا..

﴿وَهُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿لَهُمْ﴾ لِآلِهَتِهِمْ..

﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ [يس: ٧٥] فِي الدُّنْيَا يَغْضَبُونَ لَهُمْ، وَهِيَ لَا تَسُوقُ إِلَيْهِمْ خَيْرًا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ سُوءًا، إِنَّمَا هِيَ أَصْنَامٌ؛ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ الْحِسَابِ تَتَبَرَّأُ مِنْهُمُ الْأَصْنَامُ، وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُونَ لَهَا جُنْدًا حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا لَهُمْ جُنْدٌ يَغْضَبُونَ لَهُمْ، وَيُقَاتِلُونَ دُونَهُمْ.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾ [يس: ٧٦].

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَلَا يَحْزُنْكَ يَا مُحَمَّدُ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ

بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ لَكَ: إِنَّكَ شَاعِرٌ، وَمَا جِئْتَنَا بِهِ شِعْرٌ، وَلَا تَكْذِيبُهُمْ بِآيَاتِ اللهِ وَجُحُودُهُمْ نُبُوَّتَكَ..

﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ قِيلِ ذَلِكَ الْحَسَدُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ لَيْسَ بِشِعْرٍ، وَلَا يُشْبِهُ الشِّعْرَ، وَأَنَّكَ لَسْتَ بِكَذَّابٍ، فَنَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾ [يس: ٧٦] مِنْ جُحُودِهِمْ ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ عَلَانِيَةً.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ [يس: ٧٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾ أَوَلَمْ يَرَ هَذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَقُولُ: ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس: ٧٨] أَنَّا خَلَقْنَاهُ..

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ فَسَوَّيْنَاهُ خَلْقًا سَوِيًّا..

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ فَإِذَا هُوَ ذُو خُصُومَةٍ لِرَبِّهِ، يُخَاصِمُهُ فِيمَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ إِنِّي فَاعِلٌ، وَذَلِكَ إِخْبَارُ اللهِ إِيَّاهُ أَنَّهُ مُحْيِي خَلْقِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، فَيَقُولُ: مَنْ يُحْيِي هَذِهِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟ إِنْكَارًا مِنْهُ لِقُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهَا..

﴿مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ [يس: ٧٧] يُبِينُ لِمَنْ سَمِعَ خُصُومَتَهُ وَقِيلَهُ ذَلِكَ أَنَّهُ مُخَاصِمٌ رَبَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس: ٧٨].

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ وَمَثَّلَ لَنَا شَبَهًا بِقَوْلِهِ: ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ إِذْ كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِحْيَاءِ ذَلِكَ أَحَدٌ، يَقُولُ: فَجَعَلَنَا كَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِحْيَاءِ ذَلِكَ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ﴾ وَنَسِيَ خَلْقَنَا إِيَّاهُ كَيْفَ خَلَقْنَاهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا نُطْفَةً، فَجَعَلْنَاهَا خَلْقًا سَوِيًّا نَاطِقًا..

﴿قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس: ٧٨] فَلَمْ يُفَكِّرْ فِي خَلْقِنَاهُ، فَيَعْلَمَ أَنَّ مَنْ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ حَتَّىٰ صَارَ بَشَرًا سَوِيًّا نَاطِقًا مُتَصَرِّفًا، لَا يَعْجَزُ أَنْ يُعِيدَ الْأَمْوَاتَ أَحْيَاءً، وَالْعِظَامَ الرَّمِيمَ بَشَرًا كَهَيْئَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا بِهَا قَبْلَ الْفَنَاءِ.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَذَا الْمُشْرِكِ الْقَائِلِ لَكَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ..

﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ يُحْيِيهَا الَّذِي ابْتَدَعَ خَلْقَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا..

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٩] وَهُوَ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ ذُو عِلْمٍ كَيْفَ يُمِيتُ، وَكَيْفَ يُحْيِي،

وَكَيْفَ يُبْدِئُ، وَكَيْفَ يُعِيدُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِ.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ [يس: ٨٠].

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ الَّذِي أَخْرَجَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا تُحْرِقُ الشَّجَرَ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُ مَا أَرَادَ، وَلَا يَعْجَزُ عَنْ إِحْيَاءِ الْعِظَامِ الَّتِي قَدْ رَمَّتْ، وَإِعَادَتِهَا بَشَرًا سَوِيًّا، وَخَلْقًا جَدِيدًا، كَمَا بَدَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ..

﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ [يس: ٨٠] فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الشَّجَرِ تُوقِدُونَ النَّارَ.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس: ٨١].

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُنَبِّهًا هَذَا الْكَافِرَ الَّذِي قَالَ: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس: ٧٨] عَلَىٰ خَطَأِ قَوْلِهِ، وَعَظِيمِ جَهْلِهِ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السَّبْعَ..

﴿وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ فَإِنْ خَلَقَ مِثْلَكُمْ مِنَ الْعِظَامِ الرَّمِيمِ لَيْسَ بِأَعْظَمَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَقُولُ: فَمَنْ لَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ خَلْقُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِكُمْ، فَكَيْفَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِحْيَاءُ الْعِظَامِ بَعْدَمَا قَدْ رَمَّتْ وَبَلِيَتْ؟..

﴿بَلَىٰ﴾ هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ..

﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ لِمَا يَشَاءُ، الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس: ٨١] بِكُلِّ مَا خَلَقَ وَيَخْلُقُ؛ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢].

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢] قَالَ قَتَادَةُ: (لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ شَيْءٌ هُوَ أَخَفُّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا أَهْوَنُ، فَأَمْرُ اللهِ كَذَلِكَ).

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: ٨٣].

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فَتَنْزِيهُ الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَزَائِنُهُ..

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: ٨٣] وَإِلَيْهِ تَرِدُونَ وَتَصِيرُونَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ يس

سُورَةُ الصَّافَّاتِ (٣٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَثَمَانُونَ وَمِائَةٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ①﴾ [الصافات: ١].

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ①﴾ [الصافات: ١] أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالصَّافَّاتِ، وَالزَّاجِرَاتِ، وَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا، فَأَمَّا الصَّافَّاتُ: فَإِنَّهَا الْمَلَائِكَةُ الصَّافَّاتُ لِرَبِّهَا فِي السَّمَاءِ وَهِيَ جَمْعُ صَافَّةٍ، فَالصَّافَاتُ: جَمْعُ جَمْعٍ.

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ②﴾ [الصافات: ٢].

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ②﴾ [الصافات: ٢] هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَزْجُرُ السَّحَابَ تَسُوقُهُ.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ③﴾ [الصافات: ٣].

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ③﴾ [الصافات: ٣] فَالْقَارِئَاتِ كِتَابًا.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ④﴾ [الصافات: ٤].

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ وَالصَّافَاتِ صَفًّا، إِنَّ مَعْبُودَكُمُ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْعِبَادَةَ وَإِخْلَاصَ الطَّاعَةِ مِنْكُمْ لَهُ..

﴿لَوَاحِدٌ ④﴾ [الصافات: ٤] لَا ثَانِيَ لَهُ وَلَا شَرِيكَ، فَأَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ، وَإِيَّاهُ فَأَفْرِدُوا بِالطَّاعَةِ، وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ شَرِيكًا.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ⑤﴾ [الصافات: ٥].

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هُوَ وَاحِدٌ مدبرُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ، وَمَالِكُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَالْقَيِّمُ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، يَقُولُ: فَالْعِبَادَةُ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، فَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ مَنْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَلَا يُفْنِيهِ..

﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ⑤﴾ [الصافات: ٥] وَمُدَبِّرُ مَشَارِقِ الشَّمْسِ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَمَغَارِبِهَا، وَالْقَيِّمُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَمُصْلِحُهُ.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات: ٦].

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ الَّتِي تَلِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَهِيَ الدُّنْيَا إِلَيْكُمْ..

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات: ٦] بِزِينَةٍ هِيَ الْكَوَاكِبُ، كَأَنَّهُ قَالَ: زَيَّنَّاهَا بِالْكَوَاكِبِ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) بِإِضَافَةِ الزِّينَةِ إِلَىٰ الْكَوَاكِبِ، وَخَفْضِ الْكَوَاكِبِ، بمعنىٰ: بِتَزْيِينِهَا الْكَوَاكِبَ، أَيْ بِأَنْ زَيَّنَتْهَا الْكَوَاكِبُ، وَهِيَ أَعْجَبُهَا إِلَيَّ؛ لِصِحَّةِ مَعْنَىٰ ذَلِكَ فِي التَّأْوِيلِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَأَنَّهَا قِرَاءَةُ أَكْثَرِ قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ، وَإِنْ كَانَ التَّنْوِينُ فِي الزِّينَةِ وَخَفْضُ الْكَوَاكِبِ عِنْدِي صَحِيحًا أَيْضًا.

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٧].

﴿وَحِفْظًا﴾ لِلسَّمَاءِ الدُّنْيَا زَيَّنَّاهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ..

﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٧] مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ عَاتٍ خَبِيثٍ زَيَّنَّاهَا.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ [الصافات: ٨].

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ لَا يَتَسَمَّعُونَ، ثُمَّ أَدْغَمُوا التَّاءَ فِي السِّينِ فَشَدَّدُوهَا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ: (لَا يَسْمَعُونَ) بِتَخْفِيفِ السِّينِ مِنْ يَسَّمَّعُونَ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ يَتَسَمَّعُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ بِالتَّخْفِيفِ؛ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ تَسَمَّعَ الْوَحْيَ، وَلَكِنَّهَا تُرْمَىٰ بِالشُّهُبِ لِئَلَّا تَسْمَعُ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ أَنْ لَا يَسْمَعَ إِلَىٰ الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ..

﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إِلَىٰ جَمَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي هُمْ أَعْلَىٰ مِمَّنْ هُمْ دُونَهُمْ..

﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ [الصافات: ٨] وَيُرْمَوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ السَّمَاءِ.

﴿دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ [الصافات: ٩].

﴿دُحُورًا﴾ مَطْرُودِينَ قَذْفًا بِالشُّهُبِ.. وَالدَّحْرُ: الدَّفْعُ وَالْإِبْعَادُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَدْحَرُ عَنْكَ الشَّيْطَانَ: أَيِ ادْفَعْهُ عَنْكَ وَأَبْعِدْهُ..

﴿وَلَهُمْ﴾ وَلِهَذِهِ الشَّيَاطِينِ الْمُسْتَرِقَةِ السَّمْعَ..

﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ [الصافات: ٩] دَائِمٌ خَالِصٌ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَالَ ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢]، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ وَصَفَهُ بِالثَّبَاتِ وَالْخُلُوصِ.

﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠﴾ [الصافات: ١٠].

﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ مِنْهُمْ..

﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠﴾ [الصافات: ١٠] مُضِيءٌ مُتَوَقِّدٌ.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١﴾ [الصافات: ١١].

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ فَاسْتَفْتِ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَالنُّشُورَ بَعْدَ الْبَلَاءِ: يَقُولُ: فَسَلْهُمْ..

﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ أَخَلْقُهُمْ أَشَدُّ؟..

﴿أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾ أَمْ خَلْقُ مَنْ عَدَدْنَا خَلْقَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟..

﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١﴾ [الصافات: ١١] إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَاصِقٍ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِاللُّزُوبِ؛ لِأَنَّهُ تُرَابٌ مَخْلُوطٌ بِمَاءٍ، وَكَذَلِكَ خُلِقَ ابْنُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ وَمَاءٍ وَنَارٍ وَهَوَاءٍ، وَالتُّرَابُ إِذَا خُلِطَ بِمَاءٍ صَارَ طِينًا لَازِبًا، وَالْعَرَبُ تُبَدِّلُ أَحْيَانًا هَذِهِ الْبَاءُ مِيمًا، فَتَقُولُ: طِينٌ لَازِمٌ.

﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ۝١٢﴾ [الصافات: ١٢].

﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ۝١٢﴾ [الصافات: ١٢] بِفَتْحِ التَّاءِ بِمَعْنَىٰ: بَلْ عَجِبْتَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ وَيَسْخَرُونَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (**بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ**) بِضَمِّ التَّاءِ مِنْ (**عَجِبْتُ**)، بِمَعْنَىٰ: بَلْ عَظُمَ عِنْدِي وَكَبُرَ اتِّخَاذُهُمْ لِي شَرِيكًا، وَتَكْذِيبُهُمْ تَنْزِيلِي وَهُمْ يَسْخَرُونَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَكُونُ مُصِيبًا الْقَارِئُ بِهِمَا مَعَ اخْتِلَافِ مَعْنَيَيْهِمَا؟ قِيلَ: إِنَّهُمَا وَإِنِ اخْتَلَفَ مَعْنَيَاهُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَعْنَيَيْهِ صَحِيحٌ، قَدْ عَجِبَ مُحَمَّدٌ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْفَضْلِ، وَسَخِرَ مِنْهُ أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَقَدْ عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ عَظِيمِ مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي اللهِ، وَسَخِرَ الْمُشْرِكُونَ بِمَا قَالُوهُ.. فَإِنْ قَالَ: أَكَانَ التَّنْزِيلُ بِإِحْدَاهُمَا أَوْ بِكِلْتَيْهِمَا؟ قِيلَ: التَّنْزِيلُ بِكِلْتَيْهِمَا.. فَإِنْ قَالَ: وَكَيْفَ يَكُونُ تَنْزِيلُ حَرْفٍ مَرَّتَيْنِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ مَرَّتَيْنِ، إِنَّمَا أُنْزِلَ مَرَّةً، وَلَكِنَّهُ أَمَرَ ﷺ أَنْ يُقْرَأَ بِالْقِرَاءَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ۝١٣﴾ [الصافات: ١٣].

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وَإِذَا ذُكِّرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ حُجَجَ اللهِ عَلَيْهِمْ لِيَعْتَبِرُوا وَيَتَفَكَّرُوا، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ..

﴿لَا يَذۡكُرُونَ ۝١٣﴾ [الصافات: ١٣] لَا يَنْتَفِعُونَ بِالتَّذْكِيرِ فَيَتَذَكَّرُوا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الصافات: ١٤].

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ وَإِذَا رَأَوْا حُجَّةً مِنْ حُجَجِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَدِلَالَةً عَلَىٰ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..
﴿يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الصافات: ١٤] يَسْخَرُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ .

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [الصافات: ١٥].

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ بِاللهِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ..
﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ..
﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [الصافات: ١٥] يَبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَرَآهُ أَنَّهُ سِحْرٌ.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصافات: ١٦].

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصافات: ١٦] يَقُولُونَ مُنْكِرِينَ بَعْثَ اللهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ بَلَائِهِمْ: أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِنَا بَعْدَ مَمَاتِنَا وَمَصِيرِنَا تُرَابًا وَعِظَامًا، قَدْ ذَهَبَ عَنْهَا اللُّحُومُ.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الصافات: ١٧].

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الصافات: ١٧] الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْلِنَا، فَبَادُوا وَهَلَكُوا؟

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الصافات: ١٨].

﴿قُلْ﴾ قُلْ يا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ..
﴿نَعَمْ﴾ أَنْتُمْ مَبْعُوثُونَ بَعْدَ مَصِيرِكُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَحْيَاءً كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ..
﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الصافات: ١٨] وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ أَشَدَّ الصَّغَارِ.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الصافات: ١٩].

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ فَإِنَّمَا هِيَ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَذَلِكَ هُوَ النَّفْخُ فِي الصُّورِ..
﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الصافات: ١٩] فَإِذَا هُمْ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَا كَانُوا يُوعَدُونَهُ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَيُعَايِنُونَهُ.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ [الصافات: ٢٠].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ إِذَا زُجِرَتْ زَجْرَةً وَاحِدَةً، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً..

﴿يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠﴾ [الصافات: ٢٠] هَذَا يَوْمُ الْجَزَاءِ وَالْمُحَاسَبَةِ.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١﴾ [الصافات: ٢١].

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ هَذَا يَوْمُ فَصْلِ اللهِ بَيْنَ خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ مِنْ قَضَائِهِ..

﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١﴾ [الصافات: ٢١] فِي الدُّنْيَا فَتُنْكِرُونَهُ، فَيُقَالُ.

﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢﴾ [الصافات: ٢٢].

﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ اجْمَعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ فِي الدُّنْيَا وَعَصَوْهُ..

﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ وَأَشْيَاعَهُمْ عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢﴾ [الصافات: ٢٢] مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات: ٢٣].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ﴾ فَوَجِّهُوهُمْ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات: ٢٣] إِلَىٰ طَرِيقِ الْجَحِيمِ.

﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصافات: ٢٤].

﴿وَقِفُوهُمۡۖ﴾ احْبِسُوهُمْ: أَيِ احْبِسُوا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ، وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ..

﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصافات: ٢٤] عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥﴾ [الصافات: ٢٥].

﴿مَا لَكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥﴾ [الصافات: ٢٥] لَا يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦﴾ [الصافات: ٢٦].

﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦﴾ [الصافات: ٢٦] لِأَمْرِ اللهِ فِيهِمْ وَقَضَائِهِ، مُوقِنُونَ بِعَذَابِهِ.

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ [الصافات: ٢٧].

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ [الصافات: ٢٧] وَأَقْبَلَ الْإِنْسُ عَلَىٰ الْجِنِّ، يَتَسَاءَلُونَ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨﴾ [الصافات: ٢٨].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتِ الْإِنْسُ لِلْجِنِّ..

﴿إِنَّكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْجِنُّ..

﴿كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨﴾ [الصافات: ٢٨] كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا مِنْ قِبَلِ الدِّينِ وَالْحَقِّ، فَتَخْدَعُونَنَا بِأَقْوَىٰ الْوجُوهِ.. وَالْيَمِينُ: الْقُوَّةُ وَالْقُدْرَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**تَحُولُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَيْرِ، وَرَدَدْتُمُونَا عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْخَيْرِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ**).

﴿قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩﴾ [الصافات: ٢٩].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ الْجِنُّ لِلْإِنْسِ مُجِيبَةً لَهُمْ..

﴿بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩﴾ [الصافات: ٢٩] بَلْ لَمْ تَكُونُوا بِتَوْحِيدِ اللهِ مُقِرِّينَ، وَكُنْتُمْ لِلْأَصْنَامِ عَابِدِينَ.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠﴾ [الصافات: ٣٠].

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ﴾ قَالُوا: وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ حُجَّةٍ، فَنَصُدَّكُمْ بِهَا عَنِ الْإِيمَانِ، وَنَحُولُ بَيْنَكُمْ مِنْ أَجَلِهَا وَبَيْنَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ..

﴿بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠﴾ [الصافات: ٣٠] قَالُوا لَهُمْ: بَلْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ قَوْمًا طَاغِينَ عَلَىٰ اللهِ، مُتَعَدِّينَ إِلَىٰ مَا لَيْسَ لَكُمُ التَّعَدِّي إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ.

﴿فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ٣١﴾ [الصافات: ٣١].

﴿فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ﴾ فَوَجَبَ عَلَيْنَا عَذَابُ رَبِّنَا..

﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ ٣١﴾ [الصافات: ٣١] الْعَذَابَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ بِمَا قَدَّمْنَا مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَعْصِيَتِنَا فِي الدُّنْيَا؛ فَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ٣٢﴾ [الصافات: ٣٢].

﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ﴾ فَأَضْلَلْنَاكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ..

﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ٣٢﴾ [الصافات: ٣٢] إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ، وَهَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، قَالَ اللهُ.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات: ٣٣].

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فَإِنَّ الإِنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَأَزْوَاجَهُمْ، وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَالَّذِينَ أَغْوَوْا الإِنْسَ مِنَ الْجِنِّ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات: ٣٣] جَمِيعًا فِي النَّارِ، كَمَا اشْتَرَكُوا فِي الدُّنْيَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: ٣٤].

﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ إِنَّا هَكَذَا..

﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: ٣٤] اخْتَارُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالْكُفْرَ بِهِ عَلَىٰ الإِيمَانِ، فَنُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الأَلِيمَ، وَنَجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُرَنَائِهِمْ فِي النَّارِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

﴿إِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الآيَاتِ..

﴿كَانُوا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ قُولُوا..

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] يَتَعَظَّمُونَ عَنْ قِيلِ ذَلِكَ وَيَتَكَبَّرُونَ.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾ أَنَتْرُكُ عِبَادَةَ آلِهَتِنَا..

﴿لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦] لِاتِّبَاعِ شَاعِرٍ مَجْنُونٍ -يَعْنُونَ بِذَلِكَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ- وَنَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

﴿بَلْ﴾ كَذَبُوا، مَا مُحَمَّدٌ كَمَا وَصَفُوهُ بِهِ مِنْ أَنَّهُ شَاعِرٌ مَجْنُونٌ، بَلْ هُوَ للهِ نَبِيٌّ..

﴿جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ مِنْ عِنْدِهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ..

﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧] الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِ.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨﴾ [الصافات: ٣٨].

﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨﴾ [الصافات: ٣٨] الْمُوجِعِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾ [الصافات: ٣٩].

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ﴾ وَمَا تُثَابُونَ فِي الْآخِرَةِ إِذَا ذُقْتُمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِيهَا..

﴿إِلَّا﴾ ثَوَابَ..

﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾ [الصافات: ٣٩] فِي الدُّنْيَا: مَعَاصِيَ اللهِ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الصافات: ٤٠].

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الصافات: ٤٠] الَّذِينَ أَخْلَصَهُمْ يَوْمَ خَلَقَهُمْ لِرَحْمَتِهِ، وَكَتَبَ لَهُمُ السَّعَادَةَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَذُوقُونَ الْعَذَابَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ طَاعَةِ اللهِ، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ بِهِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١﴾ [الصافات: ٤١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ هُمْ عِبَادُ اللهِ الْمُخْلَصُونَ..

﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١﴾ [الصافات: ٤١] وَذَلِكَ الرِّزْقُ الْمَعْلُومُ: هُوَ.

﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢﴾ [الصافات: ٤٢].

﴿فَوَٰكِهُ﴾ الْفَوَاكِهُ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَهُم﴾ مَعَ الَّذِي لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ الْمَعْلُومِ فِي الْجَنَّةِ..

﴿مُّكْرَمُونَ ۝٤٢﴾ [الصافات: ٤٢] بِكَرَامَةِ اللهِ الَّتِي أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهَا.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣﴾ [الصافات: ٤٣].

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣﴾ [الصافات: ٤٣] فِي بَسَاتِينَ النَّعِيمِ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤﴾ [الصافات: ٤٤].

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤﴾ [الصافات: ٤٤] بَعْضُهُمْ يُقَابِلُ بَعْضًا، وَلَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥﴾ [الصافات: ٤٥].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ يَطُوفُ الْخَدَمُ عَلَيْهِمْ..

﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥﴾ [الصافات: ٤٥] بِكَأْسٍ مِنْ خَمْرٍ جَارِيَةٍ ظَاهِرَةٍ لِأَعْيُنِهِمْ غَيْرِ غَائِرَةٍ.

﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦﴾ [الصافات: ٤٦].

﴿بَيْضَآءَ﴾ يَعْنِي بِالْبَيْضَاءِ: الْكَأْسَ، وَلِتَأْنِيثِ الْكَأْسِ أُنِّثَتِ الْبَيْضَاءُ، وَلَمْ يَقُلْ: أَبْيَضَ..

﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦﴾ [الصافات: ٤٦] هَذِهِ الْخَمْرُ لَذَّةٍ يَلْتَذُّهَا شَارِبُوهَا.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧﴾ [الصافات: ٤٧].

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لَا فِي هَذِهِ الْخَمْرِ غَوْلٌ، وَهُوَ أَنْ تَغْتَالَ عُقُولَهُمْ، يَقُولُ: لَا تَذْهَبُ هَذِهِ الْخَمْرُ بِعُقُولِ شَارِبِيهَا، كَمَا تَذْهَبُ بِهَا خُمُورُ أَهْلِ الدُّنْيَا إِذَا شَرِبُوهَا فَأَكْثَرُوا مِنْهَا.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ: لَيْسَ فِيهَا مَا يُؤْذِيهِمْ مِنْ مَكْرُوهٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ لِلرَّجُلِ يُصَابُ بِأَمْرٍ مَكْرُوهٍ، أَوْ يُنَالُ بِدَاهِيَةٍ عَظِيمَةٍ: غَالَ فُلَانًا غَوْلٌ.. فَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: لَيْسَ فِيهَا صُدَاعٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَيْسَ فِيهَا أَذًىٰ فَتَشْتَكِي مِنْهُ بُطُونُهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهَا لَا تُغَوِّلُ عُقُولَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَيْسَ فِيهَا أَذًىٰ وَلَا مَكْرُوهٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ.. وَلِكُلِّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَجْهٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْغَوْلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ مَا غَالَ الْإِنْسَانَ فَذَهَبَ بِهِ، فَكُلُّ مَنْ نَالَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ ضَرَبُوا لَهُ بِذَلِكَ الْمَثَلَ، فَقَالُوا: غَالَتْ فُلَانًا غُولٌ، فَالذَّاهِبُ الْعَقْلِ مِنْ شُرْبِ الشَّرَابِ، وَالْمُشْتَكِي الْبَطْنَ مِنْهُ، وَالْمُصَدَّعُ الرَّأْسِ مِنْ ذَلِكَ، وَالَّذِي نَالَهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ، كُلُّهُمْ قَدْ غَالَتْهُ غُولٌ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ نَفَىٰ عَنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ غَوْلٌ، فَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِصِفَتِهِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فَيَعُمُّ بِنَفْيِ كُلِّ مَعَانِي الغَوْلِ عَنْهُ، وَأَعَمُّ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: لَا أَذًىٰ فِيهَا وَلَا مَكْرُوهٌ عَلَىٰ شَارِبِيهَا فِي جِسْمٍ وَلَا عَقْلٍ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧﴾ [الصافات: ٤٧] بِفَتْحِ الزَّايِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَا هُمْ عَنْ شُرْبِهَا تَنْزِفُ عُقُولُهُمْ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ) بِكَسْرِ الزَّايِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَا هُمْ عَنْ شُرْبِهَا يَنْفَدُ شَرَابُهُمْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَىٰ غَيْرُ مُخْتَلِفَتَيْهِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَنْفَدُ شَرَابُهُمْ، وَلَا يُسْكِرُهُمْ شُرْبُهُمْ إِيَّاهُ، فَيُذْهِبُ عُقُولَهُمْ.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾ [الصافات: ٤٨].

﴿وَعِندَهُمْ﴾ وَعِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُخْلَصِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ فِي الْجَنَّةِ..

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ، وَهُنَّ النِّسَاءُ اللَّوَاتِي قَصَرْنَ أَطْرَافَهُنَّ عَلَىٰ بُعُولَتِهِنَّ، لَا يُرِدْنَ غَيْرَهُمْ، وَلَا يُمِدْنَ أَبْصَارَهُنَّ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ.

﴿عِينٌ ۝٤٨﴾ [الصافات: ٤٨] يَعْنِي بِالْعِينِ: النُّجْلَ الْعُيُونَ عِظَامَهَا، وَهِيَ جَمْعُ عَيْنَاءَ، وَالْعَيْنَاءُ: الْمَرْأَةُ الْوَاسِعَةُ الْعَيْنِ عَظِيمَتُهَا، وَهِيَ أَحْسَنُ مَا تَكُونُ مِنَ الْعُيُونِ.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات: ٤٩].

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات: ٤٩] شُبِّهْنَ فِي بَيَاضِهِنَّ -وَأَنَّهُنَّ لَمْ يَمَسَّهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ- بِبَيَاضِ الْبَيْضِ الَّذِي هُوَ دَاخِلُ الْقِشْرِ، وَذَلِكَ هُوَ الْجِلْدَةُ الْمُلْبَسَةُ الْمُحَّ قَبْلَ أَنْ تَمَسَّهُ يَدٌ أَوْ شَيْءٌ غَيْرُهَا، وَذَلِكَ لَا شَكَّ هُوَ الْمَكْنُونُ؛ فَأَمَّا الْقِشْرَةُ الْعُلْيَا فَإِنَّ الطَّائِرَ يَمَسُّهَا، وَالْأَيْدِي تُبَاشِرُهَا، وَالْعِشُّ يَلْقَاهَا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَصُونٍ: مَكْنُونٌ مَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ لُؤْلُؤًا كَانَ أَوْ بِيضًا أَوْ مَتَاعًا وَتَقُولُ لِكُلِّ شَيْءٍ أَضْمَرَتْهُ الصُّدُورُ: أَكَنَّتْهُ، فَهُوَ مُكَنٌّ.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠﴾ [الصافات: ٥٠].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَنَّةِ..

﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠﴾ [الصافات: ٥٠] يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١﴾ [الصافات: ٥١].

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِذَا أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ..

﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١﴾ [الصافات: ٥١] كَانَ ذَلِكَ الْقَرِينُ شَيْطَانًا، وَهُوَ الَّذِي كَانَ.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢﴾ [الصافات: ٥٢].

﴿يَقُولُ﴾ لَهُ..

﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢﴾ [الصافات: ٥٢] بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ [الصافات: ٥٣].

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ [الصافات: ٥٣] أَئِنَّا لَمُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بَعْدَ مَصِيرِنَا

عِظَامًا وَلُحُومُنَا تُرَابًا.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤﴾ [الصافات: ٥٤].

﴿قَالَ﴾ هَذَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي أُدْخِلَ الْجَنَّةَ لِأَصْحَابِهِ..

﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤﴾ [الصافات: ٥٤] فِي النَّارِ، لَعَلِّي أَرَىٰ قَرِينِي الَّذِي كَانَ يَقُولُ لِي: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِأَنَّا مَبْعُوثُونَ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ [الصافات: ٥٥].

﴿فَاطَّلَعَ﴾ فِي النَّارِ..

﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ [الصافات: ٥٥] فَرَآهُ فِي وَسَطِ الْجَحِيمِ، وَفِي الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ، وَهُوَ: (فَقَالُوا: نَعَمْ).

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦﴾ [الصافات: ٥٦].

﴿قَالَ﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَرِينَهُ فِي النَّارِ قَالَ..

﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿لَتُرْدِينِ ۝٥٦﴾ [الصافات: ٥٦] لَتُهْلِكُنِي بِصَدِّكَ إِيَّايَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ [الصافات: ٥٧].

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ أَنْعَمَ عَلَيَّ بِهِدَايَتِهِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ..

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ [الصافات: ٥٧] مَعَكَ فِي عَذَابِ اللهِ.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨﴾ [الصافات: ٥٨].

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨﴾ [الصافات: ٥٨] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَذَا الْمُؤْمِنِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ مَا أَعْطَاهُ مِنْ كَرَامَتِهِ فِي جَنَّتِهِ سُرُورًا مِنْهُ بِمَا أَعْطَاهُ فِيهَا: أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ.

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾ [الصافات: ٥٩].

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ غَيْرَ مَوْتَتِنَا الْأُولَىٰ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾ [الصافات: ٥٩] بَعْدَ دُخُولِنَا الْجَنَّةَ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠﴾ [الصافات: ٦٠].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي أَعْطَانَاهُ اللهُ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الْجَنَّةِ أَنَّا لَا نُعَذَّبُ وَلَا نَمُوتُ..

﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠﴾ [الصافات: ٦٠] لَهُوَ النَّجَاءُ الْعَظِيمُ مِمَّا كُنَّا فِي الدُّنْيَا نَحْذَرُ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَإِدْرَاكِ مَا كُنَّا فِيهَا، نَأْمَلُ بِإِيمَانِنَا، وَطَاعَتِنَا رَبَّنَا.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات: ٦١].

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ الَّذِي أَعْطَيْتُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿فَلْيَعْمَلِ﴾ فِي الدُّنْيَا لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات: ٦١] لِيُدْرِكُوا مَا أَدْرَكَ هَؤُلَاءِ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢﴾ [الصافات: ٦٢].

﴿أَذَٰلِكَ﴾ أَهَذَا الَّذِي أَعْطَيْتُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ مِنْ كَرَامَتِي فِي الْجَنَّةِ، وَرَزَقْتُهُمْ فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ..

﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ عَنَىٰ بِالنُّزُلِ: الْفَضْلَ، وَفِيهِ لُغَتَانِ: نُزُلٌ وَنُزْلٌ، يُقَالُ لِلطَّعَامِ الَّذِي لَهُ رِيعٌ: هُوَ طَعَامٌ لَهُ نُزُلٌ وَنُزْلٌ..

﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢﴾ [الصافات: ٦٢] أَوْ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِ النَّارِ مِنَ الزَّقُّومِ.. ذُكِرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: كَيْفَ يُنْبِتُ الشَّجَرَ فِي النَّارِ، وَالنَّارُ تُحْرِقُ الشَّجَرَ؟ فَقَالَ اللهُ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣﴾ [الصافات: ٦٣].

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣﴾ [الصافات: ٦٣] يَعْنِي لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا فِي ذَلِكَ مَا قَالُوا، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِصِفَةِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَقَالَ..

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤﴾ [الصافات: ٦٤].

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤﴾ [الصافات: ٦٤] تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، غُذِّيَتْ بِالنَّارِ وَمِنْهَا خُلِقَتْ.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ [الصافات: ٦٥].

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ﴾ كَأَنَّ طَلْعَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ يَعْنِي شَجَرَةَ الزَّقُّومِ فِي قُبْحِهِ وَسَمَاجَتِهِ..

﴿رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ [الصافات: ٦٥] فِي قُبْحِهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ تَشْبِيهِهِ طَلْعَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ فِي الْقُبْحِ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَنَا بِمَبْلَغِ قُبْحِ رُءُوسِ الشَّيَاطِينِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لَمْ يَكُونُوا عَارِفِينَ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، وَلَا بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ، وَلَا كَانُوا رَأَوْهُمَا، وَلَا وَاحِدًا مِنْهُمَا؟ قِيلَ لَهُ: أَمَّا شَجَرَةُ الزَّقُّومِ فَقَدْ وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُمْ وَبَيَّنَهَا حَتَّىٰ عَرَفُوهَا مَا هِيَ وَمَا صِفَتُهَا، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ فَلَمْ يَتْرُكْهُمْ فِي عَمَاءٍ مِنْهَا، وَأَمَّا فِي تَمْثِيلِهِ طَلْعَهَا بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ، فَأَقُولُ لِكُلٍّ مِنْهَا وَجْهٌ مَفْهُومٌ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ مَثَّلَ ذَلِكَ بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ عَلَىٰ نَحْوِ مَا قَدْ جَرَىٰ بِهِ اسْتِعْمَالُ الْمُخَاطَبِينَ بِالْآيَةِ بَيْنَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِعْمَالَ النَّاسِ قَدْ جَرَىٰ بَيْنَهُمْ فِي مُبَالَغَتِهِمْ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الْمُبَالَغَةَ فِي تَقْبِيحِ الشَّيْءِ، قَالَ: كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ، فَذَلِكَ أَحَدُ الْأَقْوَالِ، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَثَّلَ بِرَأْسِ حَيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ الْعَرَبِ تُسَمَّىٰ شَيْطَانًا، وَهِيَ حَيَّةٌ لَهَا عُرْفٌ -فِيمَا ذُكِرَ- قَبِيحُ الْوَجْهِ وَالْمَنْظَرِ، وَالثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مَثَّلَ نَبْتٍ مَعْرُوفٍ بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ، ذُكِرَ أَنَّهُ قَبِيحُ الرَّأْسِ.

﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦﴾ [الصافات: ٦٦].

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فَإِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَعَلَ اللهُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ لَهُمْ فِتْنَةً..

﴿لَأَكِلُونَ مِنْهَا﴾ لَآكِلُونَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الَّتِي هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ..

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦﴾ [الصافات: ٦٦] فَمَالِئُونَ مِنْ زَقُّومِهَا بُطُونَهُمْ.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧﴾ [الصافات: ٦٧].

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ﴾ ثُمَّ إِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿عَلَيْهَا﴾ عَلَىٰ مَا يَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ..

﴿لَشَوْبًا﴾ شَوْبًا، وَهُوَ الْخَلْطُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: شَابَ فُلَانٌ طَعَامَهُ فَهُوَ يَشُوبُهُ شَوْبًا وَشِيَابًا..

﴿مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧﴾ [الصافات: ٦٧] وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْمَحْمُومُ، وَهُوَ الَّذِي أُسْخِنَ فَانْتَهَىٰ حَرُّهُ، وَأَصْلُهُ مَفْعُولٌ صُرِفَ إِلَىٰ فَعِيلٍ.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨﴾ [الصافات: ٦٨].

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨﴾ [الصافات: ٦٨] ثُمَّ إِنَّ مَآبَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ لَإِلَىٰ الْجَحِيمِ

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝٦٩﴾ [الصافات: ٦٩].

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهِ يَسْتَكْبِرُونَ..

﴿أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ٦٩﴾ [الصافات: ٦٩] وَجَدُوا آبَاءَهُمْ ضُلَّالًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، غَيْرَ سَالِكِينَ مَحَجَّةَ الْحَقِّ.

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ٧٠﴾ [الصافات: ٧٠].

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ٧٠﴾ [الصافات: ٧٠] فَهَؤُلَاءِ يُسْرِعُ بِهِمْ فِي طَرِيقِهِمْ، لِيَقْتَفُوا آثَارَهُمْ وَسُنَّتَهُمْ؛ يُقَالُ مِنْهُ: أَهْرَعَ فُلَانٌ: إِذَا سَارَ سَيْرًا حَثِيثًا، فِيهِ شَبَهٌ بِالرَّعْدَةِ.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٧١﴾ [الصافات: ٧١].

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ يَا مُحَمَّدُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وَمَحَجَّةِ الْحَقِّ قَبْلَ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٧١﴾ [الصافات: ٧١] أَكْثَرُ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢﴾ [الصافات: ٧٢].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِي الْأُمَمِ الَّتِي خَلَتْ مِنْ قَبْلِ أُمَّتِكَ وَمِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ الْمُكَذِّبِيكَ..

﴿مُّنذِرِينَ ٧٢﴾ [الصافات: ٧٢] تُنْذِرُهُمْ بَأْسَنَا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِنَا، فَكَذَّبُوهُمْ وَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَصَائِحَهُمْ، فَأَحْلَلْنَا بِهِمْ بَأْسَنَا وَعُقُوبَتَنَا.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ٧٣﴾ [الصافات: ٧٣].

﴿فَٱنظُرْ﴾ فَتَأَمَّلْ وَتَبَيَّنْ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ٧٣﴾ [الصافات: ٧٣] كَيْفَ كَانَ غِبُّ أَمْرِ الَّذِينَ أَنْذَرَتْهُمْ أَنْبِيَاؤُنَا، وَإِلَامَ صَارَ أَمْرُهُمْ، وَمَا الَّذِي أَعْقَبَهُمْ كُفْرُهُمْ بِاللهِ، أَلَمْ نُهْلِكْهُمْ فَنُصَيِّرْهُمْ لِلْعِبَادِ عِبْرَةً وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ عِظَةً؟

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٧٤﴾ [الصافات: ٧٤].

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٧٤﴾ [الصافات: ٧٤] فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ، إِلَّا عِبَادَ اللهِ الَّذِينَ أَخْلَصْنَاهُمْ لِلْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ؛ وَاسْتَثْنَىٰ عِبَادَ اللهِ مِنَ الْمُنْذَرِينَ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَانْظُرْ كَيْفَ أَهْلَكْنَا الْمُنْذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلِذَلِكَ حَسُنَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ مِنْهُمْ.

﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾ [الصافات: ٧٥].

﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ﴾ لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ بِمَسْأَلَتِهِ إِيَّانَا هَلَاكَ قَوْمِهِ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾ [نوح: ٥-٦] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ [نوح: ٢٦]..

﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾ [الصافات: ٧٥] كُنَّا لَهُ إِذْ دَعَانَا، فَأَجَبْنَا لَهُ دُعَاءَهُ، فَأَهْلَكْنَا قَوْمَهُ.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ [الصافات: ٧٦].

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ نُوحٍ الَّذِينَ رَكِبُوا مَعَهُ السَّفِينَةَ..

﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ [الصافات: ٧٦] مِنَ الْأَذَىٰ وَالْمَكْرُوهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَمِنَ كَرْبِ الطُّوفَانِ وَالْغَرَقِ الَّذِي هَلَكَ بِهِ قَوْمُ نُوحٍ.

﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧﴾ [الصافات: ٧٧].

﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧﴾ [الصافات: ٧٧] وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّةَ نُوحٍ هُمُ الَّذِينَ بَقَوْا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَهْلَكِ قَوْمِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِنْ بَعْدِ مَهْلَكِ قَوْمِ نُوحٍ إِلَىٰ الْيَوْمِ إِنَّمَا هُمْ ذُرِّيَّةُ نُوحٍ، فَالْعَجَمُ وَالْعَرَبُ أَوْلَادُ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَالتُّرْكُ وَالصَّقَالِبَةُ وَالْخَزَرُ أَوْلَادُ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ، وَالسُّودَانُ أَوْلَادُ حَامِ بْنِ نُوحٍ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ، وَقَالَتِ الْعُلَمَاءُ.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨﴾ [الصافات: ٧٨].

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨﴾ [الصافات: ٧٨] وَأَبْقَيْنَا عَلَيْهِ، يَعْنِي عَلَىٰ نُوحٍ ذِكْرًا جَمِيلًا، وَثَنَاءً حَسَنًا فِي الْآخِرِينَ، يَعْنِي: فِيمَنْ تَأَخَّرَ بَعْدَهُ مِنَ النَّاسِ يَذْكُرُونَهُ بِهِ.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ [الصافات: ٧٩].

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ [الصافات: ٧٩] أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ لِنُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ أَنْ يَذْكُرَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ [الصافات: ٨٠].

﴿إِنَّا﴾ كَمَا فَعَلْنَا بِنُوحٍ مُجَازَاةً لَهُ عَلَىٰ طَاعَتِنَا وَصَبْرِهِ عَلَىٰ أَذَىٰ قَوْمِهِ فِي رِضَانَا فَأَنْجَيْنَاهُ ﴿وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧﴾ [الصافات:٧٦- ٧٧]، وَأَبْقَيْنَا عَلَيْهِ ثَنَاءً فِي الْآخِرِينَ..

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ [الصافات: ٨٠] الَّذِينَ يُحْسِنُونَ فَيُطِيعُونَنَا، وَيَنْتَهُونَ إِلَىٰ أَمْرِنَا،

وَيَصْبِرُونَ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِينَا.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصافات: ٨١].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ نُوحًا..

﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصافات: ٨١] الَّذِينَ آمَنُوا بِنَا، فَوَحَّدُونَا، وَأَخْلَصُوا لَنَا الْعِبَادَةَ، وَأَفْرَدُونَا بِالْأُلُوهَةِ.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الصافات: ٨٢].

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الصافات: ٨٢] ثُمَّ أَغْرَقْنَا حِينَ نَجَّيْنَا نُوحًا وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ مَنْ بَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ [الصافات: ٨٣].

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ وَإِنَّ مِنْ أَشْيَاعِ نُوحٍ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَمِلَّتِهِ وَاللهِ..

﴿لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ [الصافات: ٨٣] خَلِيلَ الرَّحْمَنِ.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٤].

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ إِذْ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ..

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٤] مِنَ الشِّرْكِ، مُخْلِصٌ لَهُ التَّوْحِيدَ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الصافات: ٨٥].

﴿إِذْ قَالَ﴾ حِينَ قَالَ إِبْرَاهِيمَ..

﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الصافات: ٨٥] أَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدُونَ.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات: ٨٦].

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات: ٨٦] أَكَذِبًا مَعْبُودًا غَيْرَ اللهِ تُرِيدُونَ.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٧].

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٧] فَأَيَّ شَيْءٍ تَظُنُّونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنَّهُ يَصْنَعُ بِكُمْ إِنْ لَقِيتُمُوهُ وَقَدْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝٨٨﴾ [الصافات: ٨٨].

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝٨٨﴾ [الصافات: ٨٨] ذُكِرَ أَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا أَهْلَ تَنْجِيمٍ، فَرَأَىٰ نَجْمًا قَدْ طَلَعَ، فَعَصَبَ رَأْسَهُ.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات: ٨٩].

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات: ٨٩] إِنِّي مَطْعُونٌ، وَكَانَ قَوْمُهُ يَهْرَبُونَ مِنَ الطَّاعُونِ، فَأَرَادَ أَنْ يَتْرُكُوهُ فِي بَيْتِ آلِهَتِهِمْ، وَيَخْرُجُوا عَنْهُ، لِيُخَالِفَهُمْ إِلَيْهَا فَيَكْسِرُهَا.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠﴾ [الصافات: ٩١].

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ فتوَلَّوْا عَنْ إِبْرَاهِيمَ..

﴿مُدْبِرِينَ ۝٩٠﴾ [الصافات: ٩١] عَنْهُ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَعْدِيَهُمُ السَّقَمُ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ بِهِ.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١﴾ [الصافات:٩١].

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾ فَمَالَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ بَعْدَمَا خَرَجُوا عَنْهُ وَأَدْبَرُوا، فَقَرَّبَ إِلَيْهَا الطَّعَامَ فَلَمْ يَرَهَا تَأْكُلُ..

﴿فَقَالَ﴾ لَهَا..

﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ، فَلَمْ يَرَهَا تَنْطِقُ، فَقَالَ لَهَا.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢﴾ [الصافات:٩٢].

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢﴾ [الصافات: ٩٢] مُسْتَهْزِئًا بِهَا.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝٩٣﴾ [الصافات: ٩٣].

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ فَمَالَ عَلَىٰ آلِهَةِ قَوْمِهِ..

﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝٩٣﴾ [الصافات: ٩٣] ضَرْبًا لَهَا بِالْيَمِينِ بِفَأْسٍ فِي يَدِهِ يَكْسِرُهُنَّ.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝٩٤﴾ [الصافات: ٩٤].

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝٩٤﴾ [الصافات: ٩٤] قَالَ بَعْضُهُمْ: فَأَقْبَلَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ يَجْرُونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَمْشُونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: فَأَقْبَلُوا يَسْتَعْجِلُونَ.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات: ٩٥].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ..

﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات: ٩٥] بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]وَعَمَلَكُمْ.. أو: وَالَّذِي تَعْمَلُونَهُ، أَيْ: وَالَّذِي تَعْمَلُونَ مِنْهُ الْأَصْنَامَ، وَهُوَ الْخَشَبُ وَالنُّحَاسُ، وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْهَا أَصْنَامَهُمْ.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: ٩٧].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥]..

﴿ابْنُوا لَهُ﴾ ابْنُوا لِإِبْرَاهِيمَ..

﴿بُنْيَانًا﴾ ذُكِرَ أَنَّهُمْ بَنَوْا لَهُ بُنْيَانًا يُشْبِهُ التَّنُّورَ، ثُمَّ نَقَلُوا إِلَيْهِ الْحَطَبَ، وَأَوْقَدُوا عَلَيْهِ..

﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: ٩٧] وَالْجَحِيمُ عِنْدَ الْعَرَبِ: جَمْرُ النَّارِ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَالنَّارُ عَلَىٰ النَّارِ.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات: ٩٨].

﴿فَأَرَادُوا بِهِ﴾ فَأَرَادَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ بِإِبْرَاهِيمَ..

﴿كَيْدًا﴾ وَذَلِكَ مَا كَانُوا أَرَادُوا مِنْ إِحْرَاقِهِ بِالنَّارِ، يَقُولُ اللهُ..

﴿فَجَعَلْنَاهُمُ﴾ فَجَعَلْنَا قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ..

﴿الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات: ٩٨] الْأَذَلِّينَ حُجَّةً، وَغَلَّبْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَّةِ، وَأَنْقَذْنَاهُ مِمَّا أَرَادُوا بِهِ مِنَ الْكَيْدِ.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات: ٩٩].

﴿وَقَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا أَفْلَجَهُ اللهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ وَنَجَّاهُ مِنْ كَيْدِهِمْ..

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ إِنِّي مُهَاجِرٌ مِنْ بَلْدَةِ قَوْمِي إِلَىٰ اللهِ: أَيْ إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ،

وَمُفَارِقُهُمْ، فَمُعْتَزِلُهُمْ لِعِبَادَةِ اللهِ..

﴿سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ [الصافات: ٩٩] سَيُثَبِّتُنِي عَلَىٰ الْهُدَىٰ الَّذِي أَبْصَرْتُهُ، وَيُعِينُنِي عَلَيْهِ.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠] وَهَذَا مَسْأَلَةُ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا صَالِحًا؛ يَقُولُ: قَالَ: يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ وَلَدًا يَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يُطِيعُونَكَ، وَلَا يَعْصُونَكَ، وَيُصْلِحُونَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يُفْسِدُونَ.

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات: ١٠١].

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ﴾ فَبَشَّرْنَا إِبْرَاهِيمَ..

﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات: ١٠١] بِغُلَامٍ ذِي حِلْمٍ إِذَا هُوَ كَبُرَ، فَأَمَّا فِي طُفُولَتِهِ فِي الْمَهْدِ، فَلَا يُوصَفُ بِذَلِكَ.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢].

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ الْغُلَامُ الَّذِي بُشِّرَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْعَمَلَ، وَهُوَ السَّعْيُ، وَذَلِكَ حِينَ أَطَاقَ مَعُونَتَهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ لِابْنِهِ..

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ أَيَّ شَيْءٍ تَأْمُرُ، أَوْ فَانْظُرْ مَا الَّذِي تَأْمُرُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (مَاذَا تُرِي) بِضَمِّ التَّاءِ، بِمَعْنَىٰ: مَاذَا تُشِيرُ، وَمَاذَا تُرِينِي مِنْ صَبْرِكَ أَوْ جَزَعِكَ مِنَ الذَّبْحِ؟.. وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ: ﴿مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ، بِمَعْنَىٰ: مَاذَا تَرَىٰ مِنَ الرَّأْيِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يُؤَامِرُ ابْنَهُ فِي الْمُضِيِّ لِأَمْرِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ؟ قِيلَ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ مُشَاوَرَةً لِابْنِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْهُ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَ ابْنِهِ مِنَ الْعَزْمِ، هَلْ هُوَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فَيُسَرُّ بِذَلِكَ أَمْ لَا، وَهُوَ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا مَاضٍ لِأَمْرِ اللهِ..

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ﴾ افْعَلْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ ذَبْحِي..

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢] سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا مِنَ الصَّابِرِينَ لِمَا يَأْمُرُنَا بِهِ رَبُّنَا، وَقَالَ: افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، وَلَمْ يَقُلْ: مَا تُؤْمَرُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ: افْعَلِ الْأَمْرَ الَّذِي تُؤْمَرُهُ،

وَذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ:(إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ... افْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ).

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصافات: ١٠٣].

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أَمْرَهُمَا للهِ وَفَوَّضَاهُ إِلَيْهِ وَاتَّفَقَا عَلَىٰ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ..

﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصافات: ١٠٣] وَصَرَعَهُ لِلْجَبِينِ، وَالْجَبِينَانِ مَا عَنْ يَمِينِ الْجَبْهَةِ وَعَنْ شِمَالِهَا، وَلِلْوَجْهِ جَبِينَانِ، وَالْجَبْهَةُ بَيْنَهُمَا.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤﴾ [الصافات: ١٠٤].

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤﴾ [الصافات: ١٠٤] فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ نَادَيْنَاهُ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ.

﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصافات: ١٠٥].

﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ الَّتِي أَرَيْنَاكَهَا فِي مَنَامِكَ بِأَمْرِنَاكَ بِذَبْحِ ابْنِكَ..

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصافات: ١٠٥] إِنَّا كَمَا جَزَيْنَاكَ بِطَاعَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، كَذَلِكَ نَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا، وَأَطَاعُوا أَمْرَنَا، وَعَمِلُوا فِي رِضَانَا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ [الصافات: ١٠٦].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إِنَّ أَمْرَنَا إِيَّاكَ يَا إِبْرَاهِيمُ بِذَبْحِ ابْنِكَ إِسْحَاقَ..

﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ [الصافات: ١٠٦] لَهُوَ الِاخْتِبَارُ الَّذِي يَبِينُ لِمَنْ فَكَّرَ فِيهِ أَنَّهُ بَلَاءٌ شَدِيدٌ وَمِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ، وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (الْبَلَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الشَّرُّ وَلَيْسَ بِاخْتِبَارٍ).

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصافات: ١٠٧].

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ﴾ الْفِدْيَةُ: الْجَزَاءُ، يَقُولُ: جَزَيْنَاهُ بِأَنْ جَعَلْنَا مَكَانَ ذَبْحِهِ ذَبْحَ كَبْشٍ عَظِيمٍ، وَأَنْقَذْنَاهُ مِنَ الذَّبْحِ..

﴿عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصافات: ١٠٧] قَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ رَعَىٰ فِي الْجَنَّةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ لَهُ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُ كَانَ ذَبْحًا مُتَقَبَّلًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ لَهُ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُ ذِبْحٌ ذُبِحَ بِالْحَقِّ، وَذَلِكَ ذَبْحُهُ بِدَيْنِ إِبْرَاهِيمَ.. وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَصَحُّ مِمَّا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: فَدَاهُ اللهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ وَصْفَهُ إِيَّاهُ بِالْعِظَمِ دُونَ تَخْصِيصِهِ، فَهُوَ كَمَا عَمَّهُ بِهِ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٠٨﴾ [الصافات: ١٠٨].

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٠٨﴾ [الصافات: ١٠٨] وَأَبْقَيْنَا عَلَيْهِ فِيمَنْ بَعْدَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثَنَاءً حَسَنًا.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١٠٩﴾ [الصافات: ١٠٩].

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١٠٩﴾ [الصافات: ١٠٩] أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ فِي الْأَرْضِ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ لَا يُذْكَرَ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا بِالْجَمِيلِ مِنَ الذِّكْرِ.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٠﴾ [الصافات: ١١٠].

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٠﴾ [الصافات: ١١٠] كَمَا جَزَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّانَا وَإِحْسَانِهِ فِي الِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِنَا، كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١١١﴾ [الصافات: ١١١].

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١١١﴾ [الصافات: ١١١] إِنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ لَنَا الْإِيمَانَ.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٢﴾ [الصافات: ١١٢].

﴿وَبَشَّرْنَاهُ﴾ وَبَشَّرْنَا إِبْرَاهِيمَ..

﴿بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٢﴾ [الصافات: ١١٢] شُكْرًا لَهُ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ١١٣﴾ [الصافات: ١١٣].

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ وَبَارَكْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ..

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ يَعْنِي بِالْمُحْسِنِ: الْمُؤْمِنَ الْمُطِيعَ للهِ، الْمُحْسِنَ فِي طَاعَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ كَافِرٌ بِاللهِ، الْجَالِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِكُفْرِهِ عَذَابَ اللهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ..

﴿مُبِينٌ ١١٣﴾ [الصافات: ١١٣] قَدْ أَبَانَ ظُلْمَهُ نَفْسَهُ بِكُفْرِهِ بِاللهِ.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ١١٤﴾ [الصافات: ١١٤].

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ وَلَقَدْ تَفَضَّلْنَا..

﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ١١٤﴾ [الصافات: ١١٤] ابْنَيْ عِمْرَانَ، فَجَعَلْنَاهُمَا نَبِيَّيْنِ.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ١١٥﴾ [الصافات: ١١٥].

﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْغَمِّ وَالْمَكْرُوهِ..

﴿ٱلْعَظِيمِ ١١٥﴾ [الصافات: ١١٥] الَّذِي كَانُوا فِيهِ مِنْ عُبُودَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، وَمِمَّا أَهْلَكْنَا بِهِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنَ الْغَرَقِ.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٦﴾ [الصافات: ١١٦].

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ وَنَصَرْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَقَوْمَهُمَا عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ بِتَغْرِيقِنَاهُمْ..

﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٦﴾ [الصافات: ١١٦] لَهُمْ .

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ١١٧﴾ [الصافات: ١١٧].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا﴾ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ يَعْنِي: التَّوْرَاةَ..

﴿ٱلْمُسْتَبِينَ ١١٧﴾ [الصافات: ١١٧] الْمُتَبَيِّنَ هُدَىٰ مَا فِيهِ وَتَفْصِيلَهُ وَأَحْكَامَهُ.

﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١١٨﴾ [الصافات: ١١٨].

﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا﴾ وَهَدَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ..

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١١٨﴾ [الصافات: ١١٨] الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ دَيْنُ اللهِ، الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ١١٩﴾ [الصافات: ١١٩].

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ١١٩﴾ [الصافات: ١١٩] بَعْدَهُمُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ عَلَيْهِمَا.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾ [الصافات: ١٢٠].

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾ [الصافات: ١٢٠] وَذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢١﴾ [الصافات: ١٢١].

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢١﴾ [الصافات: ١٢١] هَكَذَا نَجْزِي أَهْلَ طَاعَتِنَا، وَالْعَامِلِينَ بِمَا يُرْضِينَا عَنْهُمْ.

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٢٢﴾ [الصافات: ١٢٢].

﴿إِنَّهُمَا﴾ إِنَّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ..

﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٢٢﴾ [الصافات: ١٢٢] مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ لَنَا الْإِيمَانَ.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾ [الصافات: ١٢٣].

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ وَهُوَ إِلْيَاسُ بْنُ يَاسِينَ بْنِ فِنْحَاصَ بْنِ الْعِيزَارِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ..

﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾ [الصافات: ١٢٣] لَمُرْسَلٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ [الصافات: ١٢٤].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ يَقُولُ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ [الصافات: ١٢٤] اللهَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَتَخَافُونَهُ، وَتَحْذَرُونَ عُقُوبَتَهُ عَلَىٰ عِبَادَتِكُمْ رَبًّا غَيْرَ اللهِ وَإِلَهًا سِوَاهُ.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾ [الصافات: ١٢٥].

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: أَتَدْعُونَ رَبًّا؟ وَقَالُوا: هِيَ لُغَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ مَعْرُوفَةٌ فِيهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ صَنَمٌ كَانَ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ بَعْلٌ، وَبِهِ سُمِّيَتْ بَعْلَبَكُّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ بَعْلٌ امْرَأَةً يَعْبُدُونَهَا..

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾ [الصافات: ١٢٥] وَتَدَعُونَ عِبَادَةَ أَحْسَنِ مَنْ قِيلَ لَهُ خَالِقٌ.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦﴾ [الصافات: ١٢٦].

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ ذَلِكَ مَعْبُودُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ: رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ..

﴿وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦﴾ [الصافات: ١٢٦] وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، لَا الصَّنَمُ الَّذِي لَا يَخْلُقُ شَيْئًا، وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٧﴾ [الصافات: ١٢٧].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبَ إِلْيَاسَ قَوْمُهُ..

﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٧﴾ [الصافات: ١٢٧] فِي عَذَابِ اللهِ فَيَشْهَدُونَهُ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٢٨﴾ [الصافات: ١٢٨].

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٢٨﴾ [الصافات: ١٢٨] إِلَّا عِبَادَ اللهِ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَا

يَحْضُرُوْنَ الْعَذَابَ.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩﴾ [الصافات: ١٢٩].

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾ وَأَبْقَيْنَا عَلَيْهِ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ..

﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩﴾ [الصافات: ١٢٩] مِنَ الْأُمَمِ بَعْدَهُ.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ [الصافات: ١٣٠].

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ [الصافات: ١٣٠] أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ لِآلْ يَاسِينَ.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١﴾ [الصافات: ١٣١].

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١﴾ [الصافات: ١٣١] إِنَّا هَكَذَا نَجْزِي أَهْلَ طَاعَتِنَا وَالْمُحْسِنِينَ أَعْمَالًا.

﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ [الصافات: ١٣٢].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ إِلْيَاسَ..

﴿مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ [الصافات: ١٣٢] عَبْدٌ مِن عِبَادِنَا الَّذِينَ آمَنُوا، فَوَحَّدُونَا، وَأَطَاعُونَا، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِنَا شَيْئًا.

﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٣﴾ [الصافات: ١٣٣].

﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٣﴾ [الصافات: ١٣٣] وَإِنَّ لُوطًا لَمُرْسَلٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

﴿إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٣٤﴾ [الصافات: ١٣٤].

﴿إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ﴾ إِذْ نَجَّيْنَا لُوطًا..

﴿وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٣٤﴾ [الصافات: ١٣٤] مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَحْلَلْنَاهُ بِقَوْمِهِ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِهِ.

﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٣٥﴾ [الصافات: ١٣٥].

﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٣٥﴾ [الصافات: ١٣٥] إِلَّا عَجُوزًا فِي الْبَاقِينَ، وَهِيَ امْرَأَةُ لُوطٍ.

﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٣٦﴾ [الصافات: ١٣٦].

﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٣٦﴾ [الصافات: ١٣٦] ثُمَّ قَذَفْنَاهُمْ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذَلِكَ.

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝﴾ [الصافات: ١٣٧].

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ الَّذِينَ دَمَّرْنَاهُمْ..

﴿مُّصْبِحِينَ ۝﴾ [الصافات: ١٣٧] عِنْدَ إِصْبَاحِكُمْ نَهَارًا.

﴿وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [الصافات: ١٣٨].

﴿وَبِالَّيْلِ﴾ وَمَسَاءً..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [الصافات: ١٣٨] أَفَلَيْسَ لَكُمْ عُقُولٌ تَتَدَبَّرُونَ بِهَا وَتَتَفَكَّرُونَ، فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ سَلَكَ مِنْ عِبَادِ اللهِ فِي الْكُفْرِ بِهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، مَسْلَكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، نَازِلٌ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ، مِثْلَ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ، فَيَزْجُرُكُمْ ذَلِكَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [الصافات: ١٣٩].

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [الصافات: ١٣٩] وَإِنَّ يُونُسَ لَمُرْسَلٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَىٰ أَقْوَامِهِمْ.

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝﴾ [الصافات: ١٤٠].

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ حِينَ فَرَّ..

﴿إِلَى الْفُلْكِ﴾ وَهُوَ السَّفِينَةُ..

﴿الْمَشْحُونِ ۝﴾ [الصافات: ١٤٠] الْمَمْلُوءُ مِنَ الْحَمُولَةِ الْمُوقَرِ.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝﴾ [الصافات: ١٤١].

﴿فَسَاهَمَ﴾ فَقَارَعَ..

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝﴾ [الصافات: ١٤١] فَكَانَ مِنَ الْمَسْهُومِينَ الْمَغْلُوبِينَ.

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝﴾ [الصافات: ١٤٢].

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ فَابْتَلَعَهُ الْحُوتُ..

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ۝﴾ [الصافات: ١٤٢] وَهُوَ مُكْتَسِبٌ اللَّوْمَ.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ [الصافات: ١٤٣].

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ﴾ يَعْنِي يُونُسَ..

﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ [الصافات: ١٤٣] الْمُصَلِّينَ للهِ قَبْلَ الْبَلَاءِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِالْحَبْسِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٤].

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾ لَبَقِيَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٤] إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمِ يَبْعَثُ اللهُ فِيهِ خَلْقَهُ مَحْبُوسًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ قَبْلَ الْبَلَاءِ، فَذَكَرَهُ اللهُ فِي حَالِ الْبَلَاءِ، فَأَنْقَذَهُ وَنَجَّاهُ.

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ١٤٥﴾ [الصافات: ١٤٥].

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ فَقَذَفْنَاهُ بِالْفَضَاءِ مِنَ الْأَرْضِ، حَيْثُ لَا يُوَارِيهِ شَيْءٌ مِنْ شَجَرٍ وَلَا غَيْرِهِ..

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ١٤٥﴾ [الصافات: ١٤٥] وَهُوَ كَالصَّبِيِّ الْمَنْفُوسِ، لَحْمٌ نِيءٌ.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ١٤٦﴾ [الصافات: ١٤٦].

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَىٰ يُونُسَ..

﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ١٤٦﴾ [الصافات: ١٤٦] شَجَرَةً مِنَ الشَّجَرِ الَّتِي لَا تَقُومُ عَلَىٰ سَاقٍ، وَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَقُومُ عَلَىٰ سَاقٍ كَالدُّبَّاءِ وَالْبِطِّيخِ وَالْحَنْظَلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهِيَ عِنْدَ الْعَرَبِ يَقْطِينٌ.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ [الصافات: ١٤٧].

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ فَأَرْسَلْنَا يُونُسَ..

﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ [الصافات: ١٤٧] عَلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ.. وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿أَوْ﴾: بَلْ يَزِيدُونَ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: مَعْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ كَانُوا يَزِيدُونَ عِنْدَكُمْ، يَقُولُ: كَذَلِكَ كَانُوا عِنْدَكُمْ وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ الَّذِينَ وَعَدَهُمُ الْعَذَابَ، فَلَمَّا أَظَلَّهُمْ تَابُوا، فَكَشَفَ اللهُ عَنْهُمْ وَقِيلَ: إِنَّهُمْ أَهْلُ نِينَوَىٰ.

﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨﴾ [الصافات: ١٤٨].

﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ فَوَحَّدُوا اللهَ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يُونُسَ، وَصَدَّقُوا بِحَقِيقَةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ يُونُسُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨﴾ [الصافات: ١٤٨] فَأَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ، وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ بِحَيَاتِهِمْ إِلَىٰ بُلُوغِ آجَالِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩﴾ [الصافات: ١٤٩].

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: سَلْ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩﴾ [الصافات: ١٤٩] ذُكِرَ أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ كَانُوا يَقُولُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَهَا، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: سَلْهُمْ، وَقُلْ لَهُمْ: أَلِرَبِّيَ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ؟

﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠﴾ [الصافات: ١٥٠].

﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠﴾ [الصافات: ١٥٠] أَمْ شَهِدَ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ خَلْقِيَ الْمَلَائِكَةَ وَأَنَا أَخْلُقُهُمْ إِنَاثًا، فَشَهِدُوا هَذِهِ الشَّهَادَةَ، وَوَصَفُوا الْمَلَائِكَةَ بِأَنَّهَا إِنَاثٌ.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١﴾ [الصافات: ١٥١].

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١﴾ [الصافات: ١٥١] أَلَا إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ كَذِبِهِمْ لَيَقُولُونَ.

﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢﴾ [الصافات: ١٥٢].

﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢﴾ [الصافات: ١٥٢] فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ.

﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾ [الصافات: ١٥٣].

﴿أَصۡطَفَى﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُوَبِّخًا هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ للهِ الْبَنَاتُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ: أَصْطَفَىٰ اللهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾ [الصافات: ١٥٣] يَكُونُ للهِ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ، وَأَنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ الْبَنَاتِ لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَجْعَلُونَ لَهُ مَا لَا تَرْضَوْنَهُ لِأَنْفُسِكُمْ؟

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصافات: ١٥٤].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصافات: ١٥٤] بِئْسَ الْحُكْمَ تَحْكُمُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الصافات: ١٥٥].

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الصافات: ١٥٥] أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ مَا تَقُولُونَ؟ فَتَعْرِفُوا خَطَأَهُ فَتَنْتَهُوا عَنْ قِيلِهِ.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [الصافات: ١٥٦].

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [الصافات: ١٥٦] أَلَكُمْ حُجَّةٌ تَبِينُ صِحَّتُهَا لِمَنْ سَمِعَهَا بِحَقِيقَةِ مَا تَقُولُونَ.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات: ١٥٧].

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ فَأْتُوا بِحُجَّتِكُمْ مِنْ كِتَابٍ جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِأَنَّ الَّذِي تَقُولُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ الْبَنَاتِ وَلَكُمُ الْبَنِينَ كَمَا تَقُولُونَ..

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات: ١٥٧] أَنَّ لَكُمْ بِذَلِكَ حُجَّةً.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصافات: ١٥٨].

﴿وَجَعَلُوا﴾ وَجَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ..

﴿نَسَبًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا أَعْدَاءُ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَإِبْلِيسَ أَخَوَانِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَقَالُوا: الْجِنَّةُ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصافات: ١٥٨] وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ سَيَحْضَرُونَ الْعَذَابَ فِي النَّارِ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الصافات: ١٥٩].

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ تَنْزِيهًا للهِ، وَتَبْرِئَةً لَهُ..

﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الصافات: ١٥٩] مِمَّا يُضِيفُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ، وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِفُونَهُ، مِنْ أَنَّ لَهُ بَنَاتٍ، وَأَنَّ لَهُ صَاحِبَةً.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٠﴾ [الصافات: ١٦٠].

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٠﴾ [الصافات: ١٦٠] وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ لَمُحْضَرُونَ الْعَذَابَ، إِلَّا عِبَادَ اللهِ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمْ لِرَحْمَتِهِ، وَخَلَقَهُمْ لِجَنَّتِهِ.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١﴾ [الصافات: ١٦١].

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١﴾ [الصافات: ١٦١] مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ [الصافات: ١٦٢].

﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ [الصافات: ١٦٢] مَا أَنْتُمْ عَلَىٰ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ بِفَاتِنِينَ: أَيْ بِمُضِلِّينَ أَحَدًا.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصافات: ١٦٣].

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصافات: ١٦٣] إِلَّا أَحَدًا سَبَقَ فِي عِلْمِي أَنَّهُ صَالِ الْجَحِيمِ.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾ [الصافات: ١٦٤].

﴿وَمَا مِنَّآ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: وَمَا مِنَّا مَعْشَرَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾ [الصافات: ١٦٤] فِي السَّمَاءِ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ [الصافات: ١٦٥].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ [الصافات: ١٦٥] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مَلَائِكَتِهِ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ للهِ لِعِبَادَتِهِ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ [الصافات:١٦٦].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ [الصافات:١٦٦] لَهُ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُصَلُّونَ لَهُ.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ١٦٧﴾ [الصافات: ١٦٧].

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ١٦٧﴾ [الصافات: ١٦٧] وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُولُونَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيًّا.

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ [الصافات: ١٦٨].

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ [الصافات: ١٦٨] يَعْنِي كِتَابًا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، أَوْ نَبِيًّا أَتَانَا مِثْلَ الَّذِي أَتَىٰ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٩﴾ [الصافات: ١٦٩].

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٩﴾ [الصافات: ١٦٩] الَّذِينَ أَخْلَصَهُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ لِجَنَّتِهِ.

﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠﴾ [الصافات: ١٧٠].

﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الذِّكْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ كَفَرُوا بِهِ، وَذَٰلِكَ كُفْرُهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالْكِتَابِ، يَقُولُ اللهُ..

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠﴾ [الصافات: ١٧٠] إِذَا وَرَدُوا عَلَيَّ مَاذَا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ بِكُفْرِهِمْ بِذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١﴾ [الصافات: ١٧١].

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١﴾ [الصافات: ١٧١] وَلَقَدْ سَبَقَ مِنَّا الْقَوْلُ لِرُسُلِنَا، أَيْ مَضَىٰ بِهَذَا مِنَّا الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢﴾ [الصافات: ١٧٢].

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢﴾ [الصافات: ١٧٢] وَهُوَ أَنَّهُمْ لَهُمُ النُّصْرَةُ وَالْغَلَبَةُ بِالْحُجَجِ.

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات: ١٧٣].

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات: ١٧٣] وَإِنَّ حِزْبَنَا وَأَهْلَ وِلَايَتِنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ، يَقُولُ: لَهُمُ الظَّفَرُ وَالْفَلَاحُ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِنَا وَالْخِلَافُ عَلَيْنَا.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٤﴾ [الصافات: ١٧٤].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٤﴾ [الصافات: ١٧٤] إِلَىٰ حِينِ مَجِيءِ عَذَابِنَا وَنُزُولِهِ بِهِمْ.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥﴾ [الصافات: ١٧٥].

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وَانْظُرْهُمْ..

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥﴾ [الصافات: ١٧٥] فَسَوْفَ يَرَوْنَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ عِقَابِنَا.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ١٧٦﴾ [الصافات: ١٧٦].

﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾ فَبِنُزُولِ عَذَابِنَا بِهِمْ..

﴿يَسْتَعْجِلُونَ ١٧٦﴾ [الصافات: ١٧٦] يَسْتَعْجِلُونَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ٤٨﴾ [يونس: ٤٨].

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ١٧٧﴾ [الصافات: ١٧٧].

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِعَذَابِ اللهِ الْعَذَابُ.. الْعَرَبُ تَقُولُ: نَزَلَ بِسَاحَةِ فُلَانٍ الْعَذَابُ وَالْعُقُوبَةُ، وَذَلِكَ إِذَا نَزَلَ بِهِ؛ وَالسَّاحَةِ: هِيَ فِنَاءُ دَارِ الرَّجُلِ.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ١٧٧﴾ [الصافات: ١٧٧] فَبِئْسَ صَبَاحُ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمْ رَسُولُنَا نُزُولَ ذَلِكَ الْعَذَابِ بِهِمْ فَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٨﴾ [الصافات: ١٧٨].

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وَأَعْرِضْ يَا مُحَمَّدُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَخَلِّهِمْ وَفِرْيَتَهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٨﴾ [الصافات: ١٧٨] إِلَىٰ حِينِ يَأْذَنُ اللهُ بِهَلَاكِهِمْ.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٩﴾ [الصافات: ١٧٩].

﴿وَأَبْصِرْ﴾ وَانْظُرْهُمْ..

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٩﴾ [الصافات: ١٧٩] فَسَوْفَ يَرَوْنَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ عِقَابِنَا فِي حِينٍ لَا تَنْفَعُهُمُ التَّوْبَةُ، وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ بَأْسِ اللهِ بِهِمْ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات: ١٨٠].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَنْزِيهًا لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ وَتَبْرِئَةً لَهُ..

﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ رَبِّ الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ..

﴿عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات: ١٨٠] عَمَّا يَصِفُ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرُونَ عَلَيْهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ وَلَدَ اللهُ، وَقَوْلُهُمُ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ شِرْكِهِمْ وَفِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١].

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١] وَأَمَنَةٌ مِنَ اللهِ لِلْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَىٰ أُمَمِهِمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ فَزِعٍ يَوْمَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَكْرُوهٍ أَنْ يَنَالَهُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٢].

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٢] وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، خَالِصًا دُونَ مَا سِوَاهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ لِعِبَادِهِ فَمِنْهُ، فَالْحَمْدُ لَهُ خَالِصٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي نِعَمِهِ عِنْدَهُمْ، بَلْ كُلُّهَا مِنْ قِبَلِهِ، وَمِنْ عِنْدِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الصَّافَّاتِ



سُورَةُ ص (٣٨)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ ①﴾ [ص: ١].

﴿صٓ﴾ تَأْوِيلُهَا تَأْوِيلُ نَظَائِرِهَا الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا لَهَا قَبْلُ فِيمَا مَضَىٰ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: فِي مَعْنَاهَا كَقَوْلِكَ: وَجَبَ وَاللهِ، نَزَلَ وَاللهِ، وَحَقَّ وَاللهِ، وَهِيَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالْقُرْءَانِ﴾ كَمَا تَقُولُ: حَقًّا وَاللهِ، نَزَلَ وَاللهِ..

﴿وَالْقُرْءَانِ﴾ وَهَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿ذِي الذِّكْرِ ①﴾ [ص: ١] ذِي التَّذْكِيرِ لَكُمْ، أَنْزَلَهُ ذِكْرًا لِعِبَادِهِ، ذَكَّرَهُمْ بِهِ.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ②﴾ [ص: ٢].

﴿بَلِ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ: بَلْ ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿فِي عِزَّةٍ﴾ فِي حَمِيَّةٍ..

﴿وَشِقَاقٍ ②﴾ [ص: ٢] وَمُشَاقَّةٍ وَفِرَاقٍ لِمُحَمَّدٍ وَعَدَاوَةٍ، وَمَا بِهِمْ أَنْ لَا يَكُونُوا أَهْلَ عِلْمٍ، بِأَنَّهُ لَيْسَ بِسَاحِرٍ وَلَا كَذَّابٍ.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ③﴾ [ص: ٣].

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ كَثِيرًا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُولَنَا مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِنَا مِنَ الْحَقِّ..

﴿مِّن قَرْنٍ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَهُمْ فِي تَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ فِيمَا أَتَوْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَنَادَوا﴾ فَعَجُّوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَضَجُّوا وَاسْتَغَاثُوا بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ بَأْسُ اللهِ، وَعَايَنُوا بِهِ عَذَابَهُ، فِرَارًا مِنْ عِقَابِهِ، وَهَرَبًا مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ③﴾ [ص: ٣] وَلَيْسَ ذَلِكَ حِينَ فِرَارٍ وَلَا هَرَبٍ مِنَ الْعَذَابِ بِالتَّوْبَةِ، وَقَدْ

حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، وَتَابُوا حِينَ لَا تَنْفَعُهُمُ التَّوْبَةُ، وَاسْتَقَالُوا فِي غَيْرِ وَقْتِ الْإِقَالَةِ.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾ [ص: ٤].

﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾ وَعَجِبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ﴾ يُنْذِرُهُمْ بَأْسَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿مِّنۡهُمۡ﴾ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَأْتِهِمْ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِذَلِكَ..

﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وَقَالَ الْمُنْكِرُونَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ..

﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾ [ص: ٤]: يَعْنُونَ مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص: ٥].

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ سَاحِرٌ كَذَّابٌ: أَجَعَلَ مُحَمَّدٌ الْمَعْبُودَاتِ كُلَّهَا وَاحِدًا، يَسْمَعُ دُعَاءَنَا جَمِيعَنَا، وَيَعْلَمُ عِبَادَةَ كُلِّ عَابِدٍ عَبَدَهُ مِنَّا..

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص: ٥] أَيْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٍ عَجِيبٌ.. وَكَانَ سَبَبُ قِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «**أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُجِيبُونِي إِلَىٰ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُعْطِيكُمْ بِهَا الْخَرَاجَ الْعَجَمُ**» فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: «**تَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ تَعَجُّبًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص: ٦].

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ وَانْطَلَقَ الْأَشْرَافُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، الْقَائِلِينَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص: ٥]..

﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ بِأَنِ امْضُوا فَاصْبِرُوا عَلَىٰ دِينِكُمْ وَعِبَادَةِ آلِهَتِكُمْ..

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الْقَوْلَ الَّذِي يَقُولُ مُحَمَّدٌ، وَيَدْعُونَا إِلَيْهِ، مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص: ٦] شَيْءٌ يُرِيدُهُ مِنَّا مُحَمَّدٌ يَطْلُبُ بِهِ الِاسْتِعْلَاءَ عَلَيْنَا، وَأَنْ نَكُونَ لَهُ فِيهِ أَتْبَاعًا وَلَسْنَا مُجِيبِيهِ إِلَىٰ ذَلِكَ.

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧].

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنْ جَمِيعِ الْآلِهَةِ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَبِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ فِي الْمِلَّةِ

النَّصْرَانِيَّةِ، قَالُوا: وَهِيَ الْمِلَّةُ الْآخِرَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَوْا بِذَلِكَ: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي دِينِنَا دَيْنِ قُرَيْشٍ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْمَلَأَ الَّذِينَ انْطَلَقُوا نَفَرٌ مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ..

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقُرْآنِ: مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا اخْتِلَاقٌ: أَيْ: كَذِبٌ اخْتَلَقَهُ مُحَمَّدٌ وَتَخَرَّصَهُ.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨﴾ [ص: ٨].

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ: أَأُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا فَخُصَّ بِهِ، وَلَيْسَ بِأَشْرَفَ مِنَّا حَسَبًا..

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ﴾ مَا بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ لَا يَكُونُوا أَهْلَ عِلْمٍ بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ، وَلَكِنَّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ وَحِينَا إِلَيْهِ، وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨﴾ [ص: ٨] بَلْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسُنَا، فَيَذُوقُوا وَبَالَ تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا، وَشَكِّهِمْ فِي تَنْزِيلِنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَيْهِ، وَلَوْ ذَاقُوا الْعَذَابَ عَلَىٰ ذَلِكَ عَلِمُوا وَأَيْقَنُوا حَقِيقَةَ مَا هُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ، حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ عِلْمُهُمْ.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ [ص: ٩].

﴿أَمْ عِندَهُمْ﴾ أَمْ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكِرِينَ وَحْيَ اللهِ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ..

﴿خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ مَفَاتِيحُ رَحْمَةِ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فِي سُلْطَانِهِ..

﴿ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ [ص: ٩] لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، مَا يَشَاءُ مِنْ مُلْكٍ وَسُلْطَانٍ وَنُبُوَّةٍ، فَيَمْنَعُوكَ يَا مُحَمَّدُ مَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَفَضَّلَكَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ [ص: ١٠].

﴿أَمْ لَهُم﴾ أَمْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ..

﴿مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ﴾ فَإِنَّهُ لَا يُعَازُّنِي وَيُشَاقُّنِي مَنْ كَانَ فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي..

﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ [ص: ١٠] وَإِنْ كَانَ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، فَلْيَصْعَدُوا فِي أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَطُرُقِهَا، فَإِنْ كَانَ لَهُ مُلْكُ شَيْءٍ لَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ الْإِشْرَافُ عَلَيْهِ

وَتَفَقُّدُهُ وَتَعَهُّدُهُ.. وَأَصْلُ السَّبَبِ عِنْدَ الْعَرَبِ: كُلُّ مَا تَسَبَّبَ بِهِ إِلَىٰ الْوُصُولِ إِلَىٰ الْمَطْلُوبِ مِنْ حَبْلٍ أَوْ وَسِيلَةٍ، أَوْ رَحِمٍ، أَوْ قَرَابَةٍ أَوْ طَرِيقٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص: ١١].

﴿جُندٌ مَّا﴾ هُمْ جُنْدٌ..

﴿هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ بِبَدْرٍ مَهْزُومٌ هُنَالِكَ..

﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص: ١١] إِبْلِيسَ وَأَتْبَاعِهِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ: مَغْلُوبٌ عَنْ أَنْ يَصْعَدَ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ [ص: ١٢].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ كَذَبَتْ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الْقَائِلِينَ: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، رُسُلَهَا..

﴿قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ [ص: ١٢] وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قِيلَ لِفِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ ذَلِكَ لَهُ لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَلَاعِبُ مِنْ أَوْتَادٍ، يُلْعَبُ لَهُ عَلَيْهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ قِيلَ ذَلِكَ لَهُ كَذَلِكَ لِتَعْذِيبِهِ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ذُو الْبُنْيَانِ، قَالُوا: وَالْبُنْيَانُ: هُوَ الْأَوْتَادُ.. وَأَشْبَهُ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْأَوْتَادُ، إِمَّا لِتَعْذِيبِ النَّاسِ، وَإِمَّا لِلَعِبِ، كَانَ يُلْعَبُ لَهُ بِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ مَعْنَىٰ الْأَوْتَادِ.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ [ص: ١٣].

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ مِنَ النَّبْعِ وَالسِّدْرِ الْمُلْتَفُّ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ [ص: ١٣] هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَاتُ الْمُجْتَمِعَةُ، وَالْأَحْزَابُ الْمُتَحَزِّبَةُ عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، الَّذِينَ مِنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ، وَهُمْ مَسْلُوكٌ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ .

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ١٤].

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ مَا كُلُّ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ إِلَّا كَذَّبَ رُسُلَ اللهِ؛ وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ كَمَا ذُكِرَ لِي: (إِذْ كُلٌّ لَمَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ)..

﴿فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ١٤] يَقُولُ: فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ عِقَابُ اللهِ إِيَّاهُمْ

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ١٥﴾ [ص: ١٥].

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يَعْنِي بِالصَّيْحَةِ الْوَاحِدَةِ: النَّفْخَةَ الْأُولَىٰ فِي الصُّورِ..

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ١٥﴾ [ص: ١٥] مَا لِتِلْكَ الصَّيْحَةِ مِنْ فَيْقَةٍ، يَعْنِي مِنْ فُتُورٍ وَلَا انْقِطَاعٍ.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ١٦﴾ [ص: ١٦].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ: يَا..

﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ عَجِّلْ لَنَا كُتُبَنَا.. وَالْقِطُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الصَّحِيفَةُ الْمَكْتُوبَةُ.

﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ١٦﴾ [ص: ١٦] قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. فَإِنَّ الْقَوْمَ سَأَلُوا رَبَّهُمْ تَعْجِيلَ صِكَاكِهِمْ بِحُظُوظِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ الَّذِي وَعَدَ اللهُ عِبَادَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُمُوهَا فِي الْآخِرَةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي الدُّنْيَا، اسْتِهْزَاءً بِوَعِيدِ اللهِ، وَكَانَ فِيهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَذًى، أَمَرَهُ اللهُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ قَضَاؤُهُ فِيهِمْ.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾ [ص:١٧].

﴿ٱصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ عَلَىٰ مَا يَقُولُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ لَكَ مِمَّا تَكْرَهُ قِيلَهُمْ لَكَ، فَإِنَّا مُمْتَحِنُوكَ بِالْمَكَارِهِ امْتِحَانَنَا سَائِرَ رُسُلِنَا قَبْلَكَ، ثُمَّ جَاعِلُو الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ وَالظَّفَرِ لَكَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَكَ وَشَاقَّكَ..

﴿وَٱذْكُرْ﴾ سُنَّتَنَا فِي الرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَىٰ عِبَادِنَا قَبْلَكَ فَمِنْهُمْ..

﴿عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذَا الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ الشَّدِيدِ فِي ذَاتِ اللهِ وَالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾ [ص:١٧] إِنَّ دَاوُدَ رَجَّاعٌ لِمَا يَكْرَهُهُ اللهُ إِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ أَوَّابٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: آبَ الرَّجُلُ إِلَىٰ أَهْلِهِ: إِذَا رَجَعَ.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ١٨﴾ [ص: ١٨].

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ﴾ وَذَلِكَ مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ إِلَىٰ اللَّيْلِ..

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ ١٨﴾ [ص: ١٨] وَذَلِكَ بِالْغَدَاةِ وَقْتَ الضُّحَىٰ.

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٩﴾ [ص: ١٩].

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ وَسَخَّرْنَا الطَّيْرَ يُسَبِّحْنَ مَعَهُ مَحْشُورَةً بِمَعْنَىٰ: مَجْمُوعَةً لَهُ، ذُكِرَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا سَبَّحَ أَجَابَتْهُ الْجِبَالُ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الطَّيْرُ، فَسَبَّحَتْ مَعَهُ وَاجْتِمَاعُهَا إِلَيْهِ كَانَ حَشْرَهَا.

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّ الطَّيْرِ..

﴿لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٩] مُطِيعٌ رَجَّاعٌ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَأَمْرِهِ.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: شَدَّدَ ذَلِكَ بِالْجُنُودِ وَالرِّجَالِ، فَكَانَ يَحْرُسُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، أَرْبَعَةُ آلَافٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ الَّذِي شَدَّدَ بِهِ مُلْكَهُ أَنْ أُعْطِيَ هَيْبَةً مِنَ النَّاسِ لَهُ لِقَضِيَّةٍ كَانَ قَضَاهَا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّهُ شَدَّدَ مُلْكَ دَاوُدَ، وَلَمْ يَخُصَّ ذَلِكَ مِنْ تَشْدِيدِهِ عَلَىٰ التَّشْدِيدِ بِالرِّجَالِ وَالْجُنُودِ دُونَ الْهَيْبَةِ مِنَ النَّاسِ لَهُ وَلَا عَلَىٰ هَيْبَةِ النَّاسِ لَهُ دُونَ الْجُنُودِ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ تَشْدِيدُهُ ذَلِكَ كَانَ بِبَعْضِ مَا ذَكَرْنَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِجَمِيعِهَا، وَلَا قَوْلَ أَوْلَىٰ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ مِنْ قَوْلِ اللهِ، إِذْ لَمْ يَحْصُرْ ذَلِكَ عَلَىٰ بَعْضِ مَعَانِي التَّشْدِيدِ خَبَرٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ..

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النُّبُوَّةَ..

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ أَنَّهُ عَلِمَ الْقَضَاءَ وَالْفَهْمَ بِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَفَصْلَ الْخِطَابِ، بِتَكْلِيفِ الْمُدَّعِي الْبَيِّنَةَ، وَالْيَمِينَ عَلَىٰ الْمُدَّعَىٰ عَلَيْهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ قَوْلُ أَمَّا بَعْدُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ آتَىٰ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ فَصْلَ الْخِطَابِ، وَالْفَصْلُ: هُوَ الْقَطْعُ، وَالْخِطَابُ هُوَ الْمُخَاطَبَةُ، وَمِنْ قَطْعِ مُخَاطَبَةِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ فِي حَالِ احْتِكَامِ أَحَدِهِمَا إِلَىٰ صَاحِبِهِ قَطْعُ الْمُحْتَكَمِ إِلَيْهِ الْحُكْمَ بَيْنَ الْمُحْتَكِمِ إِلَيْهِ وَخَصْمِهِ، بِصَوَابٍ مِنَ الْحُكْمِ، وَمِنْ قَطْعِ مُخَاطَبَتِهِ أَيْضًا صَاحِبَهُ إِلْزَامُ الْمُخَاطَبِ فِي الْحُكْمِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ، إِنْ كَانَ مُدَّعِيًا، فَإِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ عَلَىٰ دَعْوَاهُ، وَإِنْ كَانَ مُدَّعًىٰ عَلَيْهِ فَتَكْلِيفُهُ الْيَمِينَ إِنْ طَلَبَ ذَلِكَ خَصْمُهُ، وَمِنْ قَطْعِ الْخِطَابِ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ خُطْبَةٌ، عِنْدَ انْقِضَاءِ قِصَّةٍ وَابْتِدَاءِ بِأُخْرَىٰ، الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا بِـ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مُحْتَمَلًا ظَاهِرَ الْخَبَرِ، وَلَمْ تَكُنْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ الْمُرَادُ، وَلَا وَرَدَ بِهِ خَبَرٌ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ ثَابِتٌ، فَالصَّوَابُ أَنْ يُعَمَّ الْخَبَرُ، كَمَا عَمَّهُ اللهُ، فَيُقَالُ: أُوتِيَ دَاوُدُ فَصْلَ الْخِطَابِ فِي الْقَضَاءِ وَالْمُحَاوَرَةِ وَالْخُطَبِ.

﴿* وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١].

﴿* وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] دَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ بَابِ الْمِحْرَابِ..

والْمِحْرَابُ مَقْدَمُ كُلِّ مَجْلِسٍ وَبَيْتٍ وَأَشْرَفُهُ.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ [ص: ٢٢].

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لِدُخُولِهِمَا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي كَانَ الْمَدْخَلُ عَلَيْهِ، فَرَاعَهُ دُخُولُهُمَا كَذَلِكَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّ فَزَعَهُ كَانَ مِنْهُمَا لِأَنَّهُمَا دَخَلَا عَلَيْهِ لَيْلًا فِي غَيْرِ وَقْتِ نَظَرِهِ بَيْنَ النَّاسِ..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ لَهُ الْخَصْمُ..

﴿لَا تَخَفْ﴾ يَا دَاوُدُ، وَذَلِكَ لَمَّا رَآهُ قَدِ ارْتَاعَ مِنْ دُخُولِهِمَا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ الْبَابِ..

﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ تَعَدَّىٰ أَحَدُنَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ..

﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ..

﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ وَلَا تَجُرْ، وَلَا تُسْرِفْ فِي حُكْمِكَ، بِالْمَيْلِ مِنْكَ مَعَ أَحَدِنَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ..

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ [ص: ٢٢] وَأَرْشِدْنَا إِلَىٰ قَصْدِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص: ٢٣].

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ عَلَىٰ دِينِي..

﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ﴾ لِي..

﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ انْزِلْ عَنْهَا لِي وَضُمَّهَا إِلَيَّ..

﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص: ٢٣] وَصَارَ أَعَزَّ مِنِّي فِي مُخَاطَبَتِهِ إِيَّايَ؛ لِأَنَّهُ إِنْ تَكَلَّمَ فَهُوَ أَبْيَنُ مِنِّي، وَإِنْ بَطَشَ كَانَ أَشَدَّ مِنِّي فَقَهَرَنِي.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤].

﴿قَالَ﴾ دَاوُدُ لِلْخَصْمِ الْمُتَظَلِّمِ مِنْ صَاحِبِهِ..

﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ صَاحِبُكَ..

﴿بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الشُّرَكَاءِ لَيَتَعَدَّىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللهِ، وَانْتَهَوْا إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهُ..

﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ وَقَلِيلٌ الَّذِينَ هُمْ كَذَلِكَ، بِمَعْنَىٰ: الَّذِينَ لَا يَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَ(مَا) عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ بِمَعْنَىٰ: (مَنْ).

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وَعَلِمَ دَاوُدُ أَنَّمَا ابْتَلَيْنَاهُ.. وَالْعَرَبُ تَوَجِّهُ الظَّنَّ إِذَا أَدْخَلَتْهُ عَلَىٰ الْإِخْبَارِ كَثِيرًا إِلَىٰ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ الْعِيَانِ..

﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ فَسَأَلَ دَاوُدُ رَبَّهُ غُفْرَانَ ذَنْبِهِ..

﴿وَخَرَّۤ رَاكِعٗا﴾ وَخَرَّ سَاجِدًا للهِ..

﴿وَأَنَابَ ۩ ٢٤﴾ [ص: ٢٤] وَرَجَعَ إِلَىٰ رِضَا رَبِّهِ، وَتَابَ مِنْ خَطِيئَتِهِ.. وَاخْتُلِفَ فِي سَبَبِ الْبَلَاءِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ دَاوُدُ ﷺ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ تَذَكَّرَ مَا أَعْطَىٰ اللهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ الْبَاقِي لَهُمْ فِي النَّاسِ، فَتَمَنَّىٰ مِثْلَهُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ امْتَحَنُوا فَصَبَرُوا، فَسَأَلَ أَنْ يُبْتَلَىٰ كَالَّذِي ابْتُلُوا، وَيُعْطَىٰ كَالَّذِي أُعْطُوا إِنْ هُوَ صَبَرَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ ذَلِكَ لِعَارِضٍ كَانَ عَرَضَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ظَنٍّ أَنَّهُ يَطِيقُ أَنْ يَتِمَّ يَوْمًا لَا يُصِيبُ فِيهِ حُوبَةً، فَابْتُلِيَ بِالْفِتْنَةِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا فِي الْيَوْمِ الَّذِي طَمِعَ فِي نَفْسِهِ بِإِتْمَامِهِ بِغَيْرِ إِصَابَةِ ذَنْبٍ.

﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾ [ص: ٢٥].

﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾ فَعَفَوْنَا عَنْهُ، وَصَفَحْنَا لَهُ عَنْ أَنْ نُؤَاخِذَهُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ ذَلِكَ..

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَلْقُرْبَةَ مِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [ص: ٢٥] وَمَرْجِعٍ وَمُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: ٢٦].

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وَقُلْنَا لِدَاوُدَ: يَا دَاوُدُ إِنَّا اسْتَخْلَفْنَاكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا حَكَمًا بَيْنَ أَهْلِهَا..

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ وَلَا تُؤْثِرْ هَوَاكَ فِي قَضَائِكَ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِيهِ، فَتَجُورُ عَنِ الْحَقِّ..

﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فَيَمِيلَ بِكَ اتِّبَاعُكَ هَوَاكَ فِي قَضَائِكَ عَلَىٰ الْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ عَنْ طَرِيقِ اللهِ الَّذِي جَعَلَهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ بِضَلَالِكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَمِيلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَذَلِكَ الْحَقُّ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ، فَيَجُورُونَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا..

﴿لَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ..

﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿بِمَا نَسُوا﴾ أَمْرَ اللهِ، يَقُولُ: بِمَا تَرَكُوا الْقَضَاءَ بِالْعَدْلِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦﴾ [ص: ٢٦] مِنْ صِلَةِ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾ [ص: ٢٧].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ عَبَثًا وَلَهْوًا، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا لِيُعْمَلَ فِيهِمَا بِطَاعَتِنَا، وَيُنْتَهَىٰ إِلَىٰ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ ظَنُّ أَنَّا خَلَقْنَا ذَلِكَ بَاطِلًا وَلَعِبًا..

﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ فَلَمْ يُوَحِّدُوهُ، وَلَمْ يَعْرِفُوا عَظَمَتَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَثَ، فَيَتَيَقَّنُوا بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا بَاطِلًا..

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾ [ص: ٢٧] مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص: ٢٨].

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أَنَجْعَلُ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كَالَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ وَيَعْصُونَهُ وَيُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّقُوا اللهَ بِطَاعَتِهِ وَرَاقَبُوهُ، فَحَذِرُوا مَعَاصِيَهُ..

﴿كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص: ٢٨] كَالْكُفَّارِ الْمُنْتَهِكِينَ حُرُمَاتِ اللهِ.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَهَذَا الْقُرْآنُ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ لِيَتَدَبَّرُوا حُجَجَ اللهِ الَّتِي فِيهِ، وَمَا شَرَعَ فِيهِ مِنْ شَرَائِعِهِ، فَيَتَّعِظُوا وَيَعْمَلُوا بِهِ..

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩] وَلْيَعْتَبِرَ أُولُو الْعُقُولِ وَالْحِجَا مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْآيَاتِ، فَيَرْتَدِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيَنْتَهُوا إِلَىٰ مَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّشَادِ وَسَبِيلِ الصَّوَابِ.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ابْنَهُ وَلَدًا..

﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ نِعْمَ الْعَبْدُ سُلَيْمَانُ..

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠] إِنَّهُ رَجَّاعٌ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تَوَّابٌ إِلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْهُ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ عُنِيَ بِهِ أَنَّهُ كَثِيرُ الذِّكْرِ للهِ وَالطَّاعَةِ.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ [ص: ٣١].

﴿إِذْ﴾ إِنَّهُ تَوَّابٌ إِلَىٰ اللهِ مِنْ خَطِيئَتِهِ الَّتِي أَخْطَأَهَا إِذْ..

﴿عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ جَمْعُ الصَافِنِ مِنَ الْخَيْلِ، وَالْأُنْثَىٰ: صَافِنَةٌ..

﴿ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ [ص: ٣١] السِّرَاعُ، وَاحِدُهَا: جَوَادٌ، فَلُهِيَ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ فَاتَتْهُ.

﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: ٣٢].

﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْلِ..

﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ حَتَّىٰ سَهَوْتُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي وَأَدَاءِ فَرِيضَتِهِ..

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: ٣٢] حَتَّىٰ تَوَارَتِ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ، يَعْنِي: تَغَيَّبَتْ فِي مَغِيبِهَا.

﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: ٣٣].

﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَيَّ، فَشَغَلَتْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَكُرُّوهَا عَلَيَّ..

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] فَجَعَلَ يَمْسَحُ مِنْهَا السُّوقَ، وَهِيَ جَمْعُ السَّاقِ، وَالْأَعْنَاقَ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ عَقَرَهَا وَضَرَبَ أَعْنَاقَهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَسَحَ عَلَاوَتَهُ: إِذَا ضَرَبَ عُنُقَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ جَعَلَ يَمْسَحُ أَعْرَافَهَا وَعَرَاقِيبَهَا بِيَدِهِ حُبًّا لَهَا.. وَهَذَا الْقَوْلُ أَشْبَهُ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ إِنْ شَاءَ اللهُ لِيُعَذِّبَ حَيَوَانًا بِالْعَرْقَبَةِ، وَيُهْلِكَ مَالًا مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ، سِوَىٰ أَنَّهُ اشْتَغَلَ عَنْ صَلَاتِهِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا، وَلَا ذَنْبَ لَهَا بِاشْتِغَالِهِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ وَلَقَدِ ابْتَلَيْنَا..

﴿سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ شَيْطَانًا مُتَمَثِّلًا بِإِنْسَانٍ..

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] سُلَيْمَانُ، فَرَجَعَ إِلَىٰ مُلْكِهِ مِنْ بَعْدِ مَا زَالَ عَنْهُ مُلْكُهُ فَذَهَبَ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

﴿قَالَ﴾ قَالَ سُلَيْمَانُ رَاغِبًا إِلَىٰ رَبِّهِ: رَبِّ اسْتُرْ عَلَيَّ ذَنْبِيَ الَّذِي أَذْنَبْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَلَا تُعَاقِبْنِي بِهِ..

﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ لَا يَسْلُبْنِيهِ أَحَدٌ كَمَا سَلَبَنِيهِ قَبْلَ هَذِهِ الشَّيْطَانُ..

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] إِنَّكَ وَهَّابُ مَا تَشَاءُ لِمَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ تَفْتَحُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَرَدْتَ لِمَنْ أَرَدْتَ.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دُعَاءَهُ، فَأَعْطَيْنَاهُ مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ مَكَانَ الْخَيْلِ الَّتِي شَغَلَتْهُ عَنِ الصَّلَاةِ..

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ رَخْوَةً لَيِّنَةً، وَهِيَ مِنَ الرَّخَاوَةِ..

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦] حَيْثُ أَرَادَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَصَابَ اللهُ بِكَ خَيْرًا: أَيْ أَرَادَ اللهُ بِكَ خَيْرًا.

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧].

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧] وَسَخَّرْنَا لَهُ الشَّيَاطِينَ فَسَلَّطْنَاهُ عَلَيْهَا مَكَانَ مَا ابْتَلَيْنَاهُ بِالَّذِي أَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ مِنْهَا يَسْتَعْمِلُهَا فِيمَا يَشَاءُ مِنْ أَعْمَالِهِ مِنْ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ؛ فَالْبُنَاةُ مِنْهَا يَصْنَعُونَ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ، وَالْغَاصَةُ يَسْتَخْرِجُونَ لَهُ الْحُلِيَّ مِنَ الْبِحَارِ.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٨].

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٨] وَآخَرُونَ يَنْحِتُونَ لَهُ جِفَانًا وَقُدُورًا، وَالْمَرَدَةُ فِي الْأَغْلَالِ مُقَرَّنُونَ.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

﴿هَٰذَا﴾ الْمُلْكُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ..

﴿عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩] فَأَعْطِ مَنْ شِئْتَ مَا شِئْتَ مِنَ الْمُلْكِ الَّذِي آتَيْنَاكَ، وَامْنَعْ مَنْ شِئْتَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، لَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ﴾ وَإِنَّ لِسُلَيْمَانَ..

﴿عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ عِنْدَنَا لَقُرْبَةً بِإِنَابَتِهِ إِلَيْنَا وَتَوْبَتِهِ وَطَاعَتِهِ لَنَا..

﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠] وَحُسْنَ مَرْجِعٍ وَمَصِيرٍ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ أَيْضًا يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ مُسْتَغِيثًا بِهِ فِيمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ: يَا رَبِّ..

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾ وَهِيَ الْعِلَّةُ الَّتِي نَالَتْهُ فِي جَسَدِهِ وَالْعَنَاءُ الَّذِي لَاقَىٰ فِيهِ..

﴿وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] فِي ذِهَابِ الْمَالِ وَالْأَهْلِ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَقُلْنَا لَهُ.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ الْأَرْضَ: أَيْ حَرِّكْهَا وَادْفَعْهَا بِرِجْلِكَ..

﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] ذُكِرَ أَنَّهُ نَبَعَتْ لَهُ حِينَ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ عَيْنَانِ، فَشَرِبَ مِنْ إِحْدَاهُمَا، وَاغْتَسَلَ مِنَ الْأُخْرَىٰ، فَاغْتَسَلَ وَشَرِبَ، فَفَرَّجْنَا عَنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ، مِنْ زَوْجَةٍ وَوَلَدٍ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ..

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ لَهُ وَرَأْفَةً..

﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣] وَتَذْكِيرًا لِأُولِي الْعُقُولِ، لِيَعْتَبِرُوا بِهَا فَيَتَّعِظُوا.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ وَقُلْنَا لِأَيُّوبَ: خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا، وَهُوَ مَا يُجْمَعُ مِنْ شَيْءٍ مِثْلِ حُزْمَةِ الرُّطْبَةِ، وَكَمِلْءِ الْكَفِّ مِنَ الشَّجَرِ أَوِ الْحَشِيشِ وَالشَّمَارِيخِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا قَامَ عَلَىٰ سَاقٍ..

﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ فَاضْرِبْ زَوْجَتَكَ بِالضِّغْثِ، لِتَبَرَّ فِي يَمِينِكَ الَّتِي حَلَفْتَ بِهَا عَلَيْهَا أَنْ تَضْرِبَهَا، وَلَا تَحْنَثْ فِي يَمِينِكَ..

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ﴾ إِنَّا وَجَدْنَا أَيُّوبَ..

﴿صَابِرًا﴾ عَلَىٰ الْبَلَاءِ، لَا يَحْمِلُهُ الْبَلَاءُ عَلَىٰ الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَالدُّخُولِ فِي مَعْصِيَتِهِ..

﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] إِنَّهُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ مُقْبِلٌ، وَإِلَىٰ رِضَاهُ رَجَّاعٌ.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥].

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِي ٱلْأَيْدِي﴾ وَيَعْنِي بِالْأَيْدِي: الْقُوَّةَ، يَقُولُ: أَهْلُ الْقُوَّةِ عَلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥] أَهْلُ إِبْصَارِ الْقُلُوبِ، يَعْنِي بِهِ: أُولِي الْعُقُولِ لِلْحَقِّ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا الْأَيْدِي مِنَ الْقُوَّةِ، وَالْأَيْدِي إِنَّمَا هِيَ جَمْعُ يَدٍ، وَالْيَدُ جَارِحَةٌ، وَمَا الْعُقُولُ مِنَ الْأَبْصَارِ، وَإِنَّمَا الْأَبْصَارُ جَمْعُ بَصَرٍ؟ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مَثَلٌ، وَذَلِكَ أَنَّ بِالْيَدِ الْبَطْشَ، وَبِالْبَطْشِ تُعْرَفُ قُوَّةُ الْقَوِيِّ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْقَوِيِّ: ذُو يَدٍ؛ وَأَمَّا الْبَصَرُ، فَإِنَّهُ عُنِيَ بِهِ بَصَرُ الْقَلْبِ، وَبِهِ تُنَالُ مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لِلرَّجُلِ الْعَالِمِ بِالشَّيْءِ: بَصِيرٌ بِهِ.. وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ أُولِي الْأَيْدِي عِنْدَ اللهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَجَعَلَ اللهُ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا أَيْدِيًا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، تَمْثِيلًا لَهَا بِالْيَدِ، تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ لِآخَرَ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنَ التَّأْيِيدِ، وَأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ الْأَيْدِي، وَلَكِنَّهُ أَسْقَطَ مِنْهُ الْيَاءَ، كَمَا قِيلَ ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] بِحَذْفِ الْيَاءِ.

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦] إِنَّا خَصَصْنَاهُمْ بِخَاصَّةٍ، هِيَ ذِكْرَىٰ الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَعَمِلُوا لَهَا فِي الدُّنْيَا، فَأَطَاعُوا اللهَ وَرَاقَبُوهُ؛ وَقَدْ يَدْخُلُ فِي وَصْفِهِمْ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ صِفَتِهِمْ أَيْضًا الدُّعَاءُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ الدَّارِ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَالْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ، غَيْرَ أَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ مَا ذَكَرْتُ.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧﴾ [ص: ٤٧].

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا..

﴿عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧﴾ [ص: ٤٧] لِمَنِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَاهُمْ لِذِكْرَىٰ الْآخِرَةِ الْأَخْيَارُ، الَّذِينَ اخْتَرْنَاهُمْ لِطَاعَتِنَا وَرِسَالَتِنَا إِلَىٰ خَلْقِنَا.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٨﴾ [ص: ٤٨].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ وَمَا أَبْلَوْا فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٨﴾ [ص: ٤٨] فَتَأَسَّ بِهِمْ، وَاسْلُكْ مِنْهَاجَهُمْ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا نَالَكَ فِي اللهِ، وَالنَّفَاذِ لِبَلَاغِ رِسَالَتِهِ.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩﴾ [ص: ٤٩].

﴿هَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ذِكْرٌ﴾ لَكَ وَلِقَوْمِكَ، ذَكَّرْنَاكَ وَإِيَّاهُمْ بِهِ .

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللهَ فَخَافُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩﴾ [ص: ٤٩] لَحُسْنَ مَرْجِعٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَصِيرٍ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ ذَلِكَ الَّذِي وَعَدَهُ مِنْ حُسْنِ الْمَآبِ مَا هُوَ، فَقَالَ.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠].

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بَيَانٌ عَنْ حُسْنِ الْمَآبِ وَتَرْجَمَةٌ عَنْهُ، وَمَعْنَاهُ: بَسَاتِينُ إِقَامَةٍ..

﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠] مُفَتَّحَةً لَهُمْ أَبْوَابُهَا.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ مِنْ فَائِدَةِ خَبَرٍ حَتَّىٰ ذَكَرَ ذَلِكَ؟ قِيلَ: فَإِنَّ الْفَائِدَةَ فِي ذَلِكَ إِخْبَارُ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّ أَبْوَابَهَا تُفْتَحُ لَهُمْ بِغَيْرِ فَتْحِ سُكَّانِهَا إِيَّاهَا بِمُعَانَاةٍ بِيَدٍ وَلَا جَارِحَةٍ، وَلَكِنْ بِالْأَمْرِ، فِيمَا ذُكِرَ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١﴾ [ص: ٥١].

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ مُتَّكِئِينَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، عَلَىٰ سُرُرٍ..

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ﴾ يَعْنِي بِثِمَارٍ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ..

﴿كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾ [ص: ٥١] مِنْ شَرَابِهَا.

﴿۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص: ٥٢].

﴿۞وَعِندَهُمۡ﴾ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ إِسْكَانِهِمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ نِسَاءٌ قُصِرَتْ أَطْرَافُهُنَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَرِدْنَ غَيْرَهُمْ، وَلَا يَمْدُدْنَ أَعْيُنَهُنَّ إِلَىٰ سِوَاهُمْ..

﴿أَتۡرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص: ٥٢] أَسْنَانٌ وَاحِدَةٌ.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣﴾ [ص: ٥٣].

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣﴾ [ص: ٥٣] هَذَا الَّذِي يَعِدُكُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ لِمَنْ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ مِنْكُمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ الْكَثِيرَةِ وَالشَّرَابِ، وَالْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ، وَمَكَّنَّاهُمْ فِيهَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ اللَّذَّاتِ وَمَا اشْتَهَتْهُ فِيهَا أَنْفُسُهُمْ..

﴿لَرِزۡقُنَا﴾ رَزَقْنَاهُمْ فِيهَا كَرَامَةً مِنَّا لَهُمْ..

﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤] لَيْسَ لَهُ عَنْهُمُ انْقِطَاعٌ وَلَا لَهُ فَنَاءٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كُلَّمَا أَخَذُوا ثَمَرَةً مِنْ ثِمَارِ شَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِهَا، فَأَكَلُوهَا، عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَىٰ مِثْلُهَا، فَذَلِكَ لَهُمْ دَائِمٌ أَبَدًا، لَا يَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ مَا كَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا أُوتُوهُ فِي الدُّنْيَا، فَانْقَطَعَ بِالْفَنَاءِ، وَنَفَدَ بِالْإِنْفَادِ.

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥﴾ [ص: ٥٥].

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي وَصَفْتُ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ: ثُمَّ اسْتَأْنَفَ جَلَّ وَعَزَّ الْخَبَرَ عَنِ الْكَافِرِينَ بِهِ الَّذِينَ طَغَوْا عَلَيْهِ وَبَغَوْا، فَقَالَ..

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَعَصَوْا أَمْرَهُ مَعَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥﴾ [ص: ٥٥] لَشَرَّ مَرْجِعٍ وَمَصِيرٍ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا.. ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: مَا ذَلِكَ الَّذِي إِلَيْهِ يَنْقَلِبُونَ وَيَصِيرُونَ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ:.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٥٦﴾ [ص: ٥٦].

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ إِنَّ لِلْكَافِرِينَ لَشَرَّ مَصِيرٍ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، وَإِلَيْهَا مُنْقَلَبُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ..

﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٥٦﴾ [ص: ٥٦] فَبِئْسَ الْفِرَاشُ الَّذِي افْتَرَشُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ جَهَنَّمُ.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ [ص: ٥٧].

﴿هَٰذَا﴾ حَمِيمٌ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ أُغْلِيَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ حَرُّهُ، وَغَسَّاقٌ فَلْيَذُوقُوهُ؛ فَالْحَمِيمُ مَرْفُوعٌ بِهَذَا..

﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ هَذَا حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ فَلْيَذُوقُوهُ.. وَقَدْ يَتَّجِهُ إِلَىٰ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُكْتَفِيًا بِقَوْلِهِ فَلْيَذُوقُوهُ ثُمَّ يُبْتَدَأُ فَيُقَالُ..

﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ [ص: ٥٧] مِنْهُ حَمِيمٌ وَمِنْهُ غَسَّاقٌ.. وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يُسْقَوْنَ الْحَمِيمَ، وَمَا يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِهِمْ.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص: ٥٨].

﴿وَءَاخَرُ﴾ وَعَذَابٌ آخَرُ مِنْ نَحْوِ الْحَمِيمِ أَلْوَانٌ وَأَنْوَاعٌ، كَمَا يُقَالُ: لَكَ عَذَابٌ مِنْ فُلَانٍ ضُرُوبٌ وَأَنْوَاعٌ؛ وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِالْأَزْوَاجِ الْخَبَرُ عَنِ الْحَمِيمِ وَالْغَسَّاقِ، وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ، وَذَلِكَ ثَلَاثَةٌ، فَقِيلَ أَزْوَاجٌ، يُرَادُ أَنْ يَنْعَتَ بِالْأَزْوَاجِ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ..

﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ مِنْ ضَرْبِهِ، وَشِبْهِهِ، وَنَحْوِهِ..

﴿أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص: ٥٨] أَلْوَانٌ وَأَنْوَاعٌ.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝٥٩﴾ [ص: ٥٩].

﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ هَذَا فِرْقَةٌ وَجَمَاعَةٌ..

﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ مُقْتَحِمَةٌ مَعَكُمْ أَيُّهَا الطَّاغُونَ النَّارَ، وَذَلِكَ دُخُولُ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ بَعْدَ أُمَّةٍ..

﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ لَا اتَّسَعَتْ بِهِمْ مَدَاخِلُهُمْ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ الطَّاغِينَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا النَّارَ قَبْلَ هَذَا الْفَوْجِ الْمُقْتَحِمِ لِلْفَوْجِ الْمُقْتَحِمِ فِيهَا عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝٥٩﴾ [ص: ٥٩] إِنَّهُمْ وَارِدُو النَّارِ وَدَاخِلُوهَا.

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [ص: ٦٠].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ الْفَوْجُ الْوَارِدُونَ جَهَنَّمَ عَلَىٰ الطَّاغِينَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ لَهُمْ..

﴿بَلْ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ لَا اتَّسَعَتْ بِكُمْ أَمَاكِنُكُمْ..

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمْ لَنَا سُكْنَىٰ هَذَا الْمَكَانِ وَصِلِيَّ النَّارِ بِإِضْلَالِكُمْ إِيَّانَا، وَدُعَائِكُمْ لَنَا إِلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، حَتَّىٰ ضَلَلْنَا بِاتِّبَاعِكُمْ، فَاسْتَوْجَبْنَا سُكْنَىٰ جَهَنَّمَ الْيَوْمَ، فَذَلِكَ تَقْدِيمُهُمْ لَهُمْ مَا قَدَّمُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ عَذَابِ اللهِ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [ص: ٦٠] فَبِئْسَ الْمَكَانُ يُسْتَقَرُّ فِيهِ جَهَنَّمُ.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١].

﴿قَالُوا﴾ وَقَالَ الْأَتْبَاعُ.. وَهَذَا أَيْضًا قَوْلُ الْفَوْجِ الْمُقْتَحِمِ عَلَىٰ الطَّاغِينَ، وَهُمْ كَانُوا أَتْبَاعَ الطَّاغِينَ فِي الدُّنْيَا، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا﴾ مَنْ قَدَّمَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِدُعَائِهِمْ إِلَىٰ الْعَمَلِ الَّذِي يُوجِبُ لَهُمُ النَّارَ الَّتِي وَرَدُوهَا، وَسُكْنَىٰ الْمَنْزِلِ الَّذِي سَكَنُوهُ مِنْهَا وَيَعْنُونَ بِقَوْلِهِمْ..

﴿هَٰذَا﴾ الْعَذَابُ الَّذِي وَرَدْنَاهُ..

﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١] فَأَضْعِفْ لَهُ الْعَذَابَ فِي النَّارِ عَلَىٰ الْعَذَابِ الَّذِي هُوَ فِيهِ فِيهَا، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ دُعَاءِ الْأَتْبَاعِ لِلْمَتْبُوعِينَ.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ [ص: ٦٢].

﴿وَقَالُوا﴾ قَالَ الطَّاغُونَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَهُمْ -فِيمَا ذُكِرَ- أَبُو جَهْلٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَذَوُوهُمَا..

﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ مَا بَالُنَا لَا نَرَىٰ مَعَنَا فِي النَّارِ رِجَالًا..

﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ [ص: ٦٢] كُنَّا نَعُدُّهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَشْرَارِنَا، وَعَنَوْا بِذَلِكَ -فِيمَا ذُكِرَ- صُهَيْبًا وَخَبَّابًا وَبِلَالًا وَسَلْمَانَ.

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٣].

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ فِيهَا..

﴿سِخۡرِيًّا﴾ نَهْزَأُ بِهِمْ فِيهَا مَعَنَا الْيَوْمَ فِي النَّارِ؟..

﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣﴾ [ص: ٦٣] أَهُمْ فِي النَّارِ لَا نَعْرِفُ مَكَانَهُمْ؟

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤﴾ [ص: ٦٤].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ تُرَاجِعِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَعْنِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَدُعَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي النَّارِ..

﴿لَحَقّٞ﴾ يَقِينٌ، فَلَا تَشُكُّوا فِي ذَلِكَ، وَلَكِنِ اسْتَيْقِنُوهُ تَخَاصُمَ أَهْلِ النَّارِ..

﴿تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤﴾ [ص: ٦٤] إِنَّ تَخَاصُمَ أَهْلِ النَّارِ الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾ [ص: ٦٥].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، أُنْذِرُكُمْ عَذَابَ اللهِ وَسَخَطَهُ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، فَاحْذَرُوهُ وَبَادِرُوا حُلُولَهُ بِكُمْ بِالتَّوْبَةِ..

﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَمَا مِنْ مَعْبُودٍ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَتَنْبَغِي لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ، إِلَّا اللهُ الَّذِي يَدِينُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْبُدُهُ كُلُّ خَلْقٍ..

﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي مُلْكِهِ شَرِيكٌ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لَهُ صَاحِبَةٌ..

﴿ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾ [ص: ٦٥] لِكُلِّ مَا دُونَهُ بِقُدْرَتِهِ.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦﴾ [ص: ٦٦].

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ، فَهَذَا الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ سِوَاهُ، لَا الَّذِي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، وَلَا يَضُرُّ، وَلَا يَنْفَعُ..

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ فِي نِقْمَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، الْمُدَّعِينَ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ..

﴿ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦﴾ [ص: ٦٦] لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ كُفْرِهِ وَمَعَاصِيهِ، فَأَنَابَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالطَّاعَةِ لَهُ بِالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧﴾ [ص: ٦٧].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ الْمُكَذِّبِيكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، الْقَائِلِينَ لَكَ فِيهِ: إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ..

﴿هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ [ص: ٦٧] هَذَا الْقُرْآنُ خَبَرٌ عَظِيمٌ.

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٨].

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٨] أَنْتُمْ عَنْهُ مُنْصَرِفُونَ لَا تَعْمَلُونَ بِهِ، وَلَا تُصَدِّقُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ حُجَجِ اللهِ وَآيَاتِهِ.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ [ص: ٦٩].

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ..

﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ [ص: ٦٩] فِي شَأْنِ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحِيَ إِلَيَّ رَبِّي فَيُعَلِّمُنِي ذَلِكَ، يَقُولُ: فَفِي إِخْبَارِي لَكُمْ عَنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ وَتَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِهِ، لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي قَبْلَ نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَلَا هُوَ مِمَّا شَاهَدْتُهُ فَعَايَنْتُهُ، وَلَكِنِّي عَلِمْتُ ذَلِكَ بِإِخْبَارِ اللهِ إِيَّايَ بِهِ .

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾ [ص: ٧٠].

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: مَا يُوحِي اللهُ إِلَيَّ عِلْمَ مَا لَا عِلْمَ لِي بِهِ، مِنْ نَحْوِ الْعِلْمِ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَاخْتِصَامِهِمْ فِي أَمْرِ آدَمَ إِذَا أَرَادَ خَلْقَهُ..

﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾ [ص: ٧٠] إِلَّا أَنِّي نَذِيرٌ مُبِينٌ لَكُمْ.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص: ٧١].

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ حِينَ قَالَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص: ٧١] يَعْنِي بِذَلِكَ خَلْقَ آدَمَ.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: ٧٢].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُ خَلْقَهُ، وَعَدَّلْتُ صُورَتَهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي..

﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: ٧٢] فَاسْجُدُوا لَهُ وَخِرُّوا لَهُ سُجَّدًا.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣﴾ [ص: ٧٣].

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾ فَلَمَّا سَوَّىٰ اللهُ خَلْقَ ذَلِكَ الْبَشَرِ وَهُوَ آدَمُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، سَجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣﴾ [ص: ٧٣] الَّذِينَ هُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ [ص: ٧٤].

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ غَيْرَ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ، اسْتَكْبَرَ عَنِ السُّجُودِ لَهُ تَعَظُّمًا وَتَكَبُّرًا..

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ [ص: ٧٤] وَكَانَ بِتَعَظُّمِهِ ذَلِكَ، وَتَكَبُّرِهِ عَلَىٰ رَبِّهِ وَمَعْصِيَتِهِ أَمْرَهُ، مِمَّنْ كَفَرَ فِي عِلْمِ اللهِ السَّابِقِ، فَجَحَدَ رُبُوبِيَّتَهُ، وَأَنْكَرَ مَا عَلَيْهِ الْإِقْرَارُ لَهُ بِهِ مِنَ الْإِذْعَانِ بِالطَّاعَةِ.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص: ٧٥].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِإِبْلِيسَ، إِذْ لَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ..

﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ مِنَ السُّجُودِ..

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لِخَلْقِ يَدَيَّ؛ يُخْبِرُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ..

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ تَعَظَّمْتَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ، فَتَرَكْتَ السُّجُودَ لَهُ اسْتِكْبَارًا عَلَيْهِ، وَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ الْعَالِينَ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص: ٧٥] أَمْ كُنْتَ كَذَلِكَ مِنْ قَبْلُ ذَا عُلُوٍّ وَتَكَبُّرٍ عَلَىٰ رَبِّكَ.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦﴾ [ص: ٧٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ..

﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَلَمْ أَسْجُدْ لِلَّذِي أَمَرْتَنِي بِالسُّجُودِ لَهُ؛ لِأَنِّي خَيْرٌ مِنْهُ، وَكُنْتُ خَيْرًا لِأَنَّكَ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ..

﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦﴾ [ص: ٧٦] وَالنَّارُ تَأْكُلُ الطِّينَ وَتُحْرِقُهُ، فَالنَّارُ خَيْرٌ مِنْهُ، يَقُولُ: لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِكْبَارًا عَلَيْكَ، وَلَا لِأَنِّي كُنْتُ مِنَ الْعَالِينَ، وَلَكِنِّي فَعَلْتُهُ مِنْ أَجْلِ أَنِّي أَشْرَفُ مِنْهُ.. وَهَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللهِ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَبَوْا الِانْقِيَادَ لَهُ، وَاتِّبَاعَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ اسْتِكْبَارًا عَنْ أَنْ يَكُونُوا تَبَعًا لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حِينَ قَالُوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:٨]، وَ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] فَقَصَّ عَلَيْهِمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قِصَّةَ إِبْلِيسَ وَإِهْلَاكِهِ بِاسْتِكْبَارِهِ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ بِدَعْوَاهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ طِينٍ، حَتَّىٰ صَارَ شَيْطَانًا رَجِيمًا، وَحَقَّتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ لَعْنَتُهُ، مُحَذِّرَهُمْ بِذَلِكَ أَنْ يَسْتَحِقُّوا -بِاسْتِكْبَارِهِمْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَسَدًا وَتَعَظُّمًا مِنَ اللَّعْنِ وَالسَّخْطِ -مَا اسْتَحَقَّهُ إِبْلِيسُ بِتَكَبُّرِهِ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧﴾ [ص: ٧٧].

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧﴾ [ص: ٧٧] فَإِنَّكَ مَرْجُومٌ بِالْقَوْمِ، مَشْتُومٌ مَلْعُونٌ.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص: ٧٨].

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ وَإِنَّ لَكَ طَرْدِي مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص: ٧٨] إِلَىٰ يَوْمِ مُجَازَاةِ الْعِبَادِ وَمُحَاسَبَتِهِمْ.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩﴾ [ص: ٧٩].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ..

﴿رَبِّ﴾ فَإِذْ لَعَنْتَنِي، وَأَخْرَجْتَنِي مِنْ جَنَّتِكَ..

﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾ فَأَخِّرْنِي فِي الْأَجَلِ، وَلَا تُهْلِكْنِي..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩﴾ [ص: ٧٩] إِلَىٰ يَوْمِ تَبْعَثُ خَلْقَكَ مِنْ قُبُورِهِمْ.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠﴾ [ص: ٨٠].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِإِبْلِيسَ..

﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠﴾ [ص: ٨٠] فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَنْظَرْتُهُ .

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾ [ص: ٨١].

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾ [ص: ٨١] الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ أَجَلًا لِهَلَاكِهِ.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾ [ص: ٨٢].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ..

﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ أَيْ بِقُدْرَتِكَ وَسُلْطَانِكَ وَقَهْرِكَ مَا دُونَكَ مِنْ خَلْقِكَ..

﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾ [ص: ٨٢] لَأُضِلَّنَّ بَنِي آدَمَ أَجْمَعِينَ.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص: ٨٣].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص: ٨٣] إِلَّا مَنْ أَخْلَصْتَهُ مِنْهُمْ لِعِبَادَتِكَ، وَعَصَمْتَهُ مِنْ إِضْلَالِي، فَلَمْ تَجْعَلْ لِي عَلَيْهِ سَبِيلًا، فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ إِضْلَالِهِ وَإِغْوَائِهِ.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾ [ص: ٨٤].

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾ [ص: ٨٤] أَنَا الْحَقُّ وَأَقُولُ الْحَقَّ، وَالْحَقُ أَنْ أَمْلأَ جَهَنَّمَ مِنْكَ.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص: ٨٥].

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ يَقُولُ لإِبْلِيسَ: لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ..

﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص: ٨٥] وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَجْمَعِينَ.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص: ٨٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ، الْقَائِلِينَ لَكَ ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:٨]..

﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَىٰ هَذَا الذِّكْرِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَجْرًا، يَعْنِي: ثَوَابًا وَجَزَاءً..

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص: ٨٦] وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَتَكَلَّفُ تَخَرُّصَهُ وَافْتِرَاءَهُ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [ص: ٨٧].

﴿إِنْ هُوَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ: ﴿إِنْ هُوَ﴾ مَا هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ إِلَّا تَذْكِيرٌ مِنَ اللهِ..

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [ص: ٨٧] مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، ذَكَّرَهُمْ رَبُّهُمْ إِرَادَةَ اسْتِنْقَاذِ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ۝٨٨﴾ [ص: ٨٨].

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿نَبَأَهُۥ﴾ نَبأَ هَذَا الْقُرْآنِ، وَهُوَ خَبَرُهُ، يَعْنِي: حَقِيقَةَ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، بَعْدَ حِينٍ..

﴿بَعْدَ حِينٍۭ ۝٨٨﴾ [ص: ٨٨] مِنْ غَيْرِ حَدٍّ مِنْهُ لِذَلِكَ الْحِينِ بِحَدٍّ، وَقَدْ عُلِمَ نَبَأُهُ مِنْ أَحْيَائِهِمُ الَّذِينَ عَاشُوا إِلَىٰ ظُهُورِ حَقِيقَتِهِ، وَوُضُوحِ صِحَّتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهُمْ مَنْ عَلِمَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ بِهَلَاكِهِ بِبَدْرٍ، وَقَبْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَدَّ عِنْدَ الْعَرَبِ لِلْحِينِ لَا يُجَاوَزُ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَا قَوْلَ فِيهِ أَصَحُّ مِنْ أَنْ يُطْلَقَ كَمَا أَطْلَقَهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ حَصْرِ ذَلِكَ عَلَىٰ وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ ص

سُورَةُ الزُّمَرِ (٣٩)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١].

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ الَّذِي نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿الْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، لَا مِنْ غَيْرِهِ، فَلَا تَكُونَنَّ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿بِالْحَقِّ﴾ وَالْعَدْلِ..

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢] وَمِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ؛ لِأَنَّ الدِّينَ لَهُ، لَا لِلْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَاخْشَعْ للهِ يَا مُحَمَّدُ بِالطَّاعَةِ، وَأَخْلِصْ لَهُ الْأُلُوهَةَ، وَأَفْرِدْهُ بِالْعِبَادَةِ، وَلَا تَجْعَلْ لَهُ فِي عِبَادَتِكَ إِيَّاهُ شَرِيكًا، كَمَا فَعَلَتْ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣].

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ﴾ أَلَا للهِ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَالِصَةً لَا شِرْكَ لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهَا، فَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ مِلْكُهُ، وَعَلَى الْمَمْلُوكِ طَاعَةُ مَالِكِهِ لَا مَنْ لَا يَمْلِكُ مِنْهُ شَيْئًا..

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، يَقُولُونَ لَهُمْ:..

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ مَا نَعْبُدُكُمْ أَيُّهَا الْآلِهَةُ إِلَّا لِتُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، قُرْبَةً وَمَنْزِلَةً، وَتَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَهُ فِي حَاجَاتِنَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عِبَادَتِهِمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِيهَا، بِأَنْ يُصْلِيَهُمْ جَمِيعًا جَهَنَّمَ، إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ الدِّينَ للهِ، فَوَحَّدَهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ إِلَى الْحَقِّ وَدِينِهِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، فَيُوَفِّقُهُ لَهُ..

﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ مُفْتَرٍ عَلَى اللهِ، يَتَقَوَّلُ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ، وَيُضِيفُ إِلَيْهِ مَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ، وَيَزْعُمُ أَنَّ لَهُ وَلَدًا افْتِرَاءً عَلَيْهِ..

﴿كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر:٣] لِنِعَمِهِ، جَحُودٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ.

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر: ٤].

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا﴾ لَوْ شَاءَ اللهُ اتِّخَاذَ وَلَدٍ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ..

﴿لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ لَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تَنْزِيهًا للهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَعَمَّا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ مِنْ شِرْكِهِمْ..

﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ هُوَ الَّذِي يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَبْدًا، يَقُولُ: فَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لَهُ مِلْكٌ، فَأَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ..

﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾ وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مِلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ..

﴿ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر: ٤] وَالْقَهَّارُ لِخَلْقِهِ بِقُدْرَتِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ مُتَذَلِّلٌ، وَمِنْ سَطْوَتِهِ خَاشِعٌ.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾ [الزمر: ٥].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَاصِفًا نَفْسَهُ بِصِفَتِهَا: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ يُغْشِي هَذَا عَلَى هَذَا، وَهَذَا عَلَى هَذَا، كَمَا قَالَ ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١] ..

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لِعِبَادِهِ، لِيَعْلَمُوا بِذَلِكَ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، وَيَعْرِفُوا اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ لِمَصْلَحَةِ مَعَاشِهِمْ..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّ ذَلِكَ، يَعْنِي: الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ..

﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يَعْنِي إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ تُكَوَّرَ الشَّمْسُ، وَتَنْكَدِرَ النُّجُومُ.. وَقِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنَازِلَ، لَا تَعْدُوهُ وَلَا تَقْصُرُ دُونَهُ..

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أَلَا إِنَّ اللهَ الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ وَأَنْعَمَ عَلَىٰ خَلْقِهِ هَذِهِ النِّعَمَ هُوَ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَادَاهُ..

﴿ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ [الزمر: ٥] لِذُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْهَا بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾ [الزمر: ٦].

﴿خَلَقَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يَعْنِي مِنْ آدَمَ..

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ آدَمَ زَوْجَهُ حَوَّاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ خَلَقَهَا مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ..

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الْإِبِلِ زَوْجَيْنِ، وَمِنَ الْبَقَرِ زَوْجَيْنِ، وَمِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]..

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يَبْتَدِئُ خَلْقَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُحْدِثُ فِيهَا نُطْفَةً، ثُمَّ يَجْعَلُهَا عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ عِظَامًا، ثُمَّ يَكْسُو الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ يُنْشِئُهُ خَلْقًا آخَرَ، تَبَارَكَ اللهُ وَتَعَالَىٰ، فَذَلِكَ خَلْقُهُ إِيَّاهُ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ..

﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ فِي ظُلْمَةِ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ..

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ أَيُّهَا النَّاسُ هُوَ رَبُّكُمْ، لَا مَنْ لَا يُجْلِبُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا ضَرًّا، وَلَا يَسُوقُ إِلَيْكُمْ خَيْرًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْكُمْ سُوءًا مِنْ أَوْثَانِكُمْ وَآلِهَتِكُمْ..

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ لِرَبِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفَ لَكُمْ، وَقُدْرَتُهُ مَا بَيَّنَ لَكُمُ الْمُلْكُ،

مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسُلْطَانُهُمَا لا لِغَيْرِهِ؛ فَأَمَّا مُلُوكُ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا يَمْلِكُ أَحَدُهُمَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَإِنَّمَا لَهُ خَاصٌّ مِنَ الْمُلْكِ وَأَمَّا الْمُلْكُ التَّامُّ الَّذِي هُوَ الْمُلْكُ بِالْإِطْلَاقِ فَللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦﴾ [الزمر: ٦] أَيُّهَا النَّاسُ فَتَذْهَبُونَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّكُمْ، الَّذِي هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُ، إِلَىٰ عِبَادَةِ مَنْ لا ضُرَّ عِنْدَهُ لَكُمْ وَلَا نَفْعَ.

﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ [الزمر: ٧].

﴿إِن تَكۡفُرُواْ﴾ بِاللهِ أَيُّهَا الْكُفَّارُ بِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡ﴾ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ إِيمَانِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، كَمَا يُقَالُ: لَسْتُ أُحِبُّ الظُّلْمَ، وَإِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ يَظْلِمَ فُلَانٌ فُلَانًا فَيُعَاقَبُ..

﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ وَإِنْ تُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَتُطِيعُوهُ يَرْضَ شُكْرَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ هُوَ إِيمَانُهُمْ بِهِ وَطَاعَتُهُمْ إِيَّاهُ، فَكَنَّىٰ عَنِ الشُّكْرِ وَلَمْ يُذْكَرْ، وَإِنَّمَا ذُكِرَ الْفِعْلُ الدَّالُّ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣] بِمَعْنَىٰ: فَزَادَهُمْ قَوْلُ النَّاسِ لَهُمْ ذَلِكَ إِيمَانًا..

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ لا تَأْثَمُ آثِمَةٌ إِثْمَ آثِمَةٍ أُخْرَىٰ غَيْرِهَا، وَلَا تُؤَاخَذُ إِلَّا بِإِثْمِ نَفْسِهَا، يُعْلِمُ ﷻ عِبَادَهُ أَنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ مَا جَنَتْ، وَأَنَّهَا لا تُؤَاخَذُ بِذَنْبِ غَيْرِهَا..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ ثُمَّ بَعْدَ اجْتِرَاحِكُمْ فِي الدُّنْيَا مَا اجْتَرَحْتُمْ مِنْ صَالِحٍ وَسَيِّئٍ، وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ أَيُّهَا النَّاسُ، إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَصِيرُكُمْ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِكُمْ..

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فَيُخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ جَزَاءَكُمْ، الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ؛ يَقُولُ ﷻ لِعِبَادِهِ: فَاتَّقُوا أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ وَقَدْ عَمِلْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا لا يَرْضَاهُ مِنْكُمْ فَتَهْلَكُوا، فَإِنَّهُ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُ عَامِلٍ مِنْكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ [الزمر: ٧] إِنَّ اللهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا أَضْمَرَتْهُ صُدُورُكُمْ أَيُّهَا

النَّاسُ مِمَّا لَا تُدْرِكُهُ أَعْيُنُكُمْ، فَكَيْفَ بِمَا أَدْرَكَتْهُ الْعُيُونُ وَرَأَتْهُ الْأَبْصَارُ وَإِنَّمَا يَعْنِي جَلَّ وَعَزَّ بِذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ مُحْصٍ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ، لِيُجَازِيَهِمْ بِهَا، كَيْ يَتَّقُوهُ فِي سِرِّ أُمُورِهِمْ وَعَلَانِيَتِهَا.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ⑧﴾ [الزمر: ٨].

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ بَلَاءٌ فِي جَسَدِهِ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ عَاهَةٍ، أَوْ شِدَّةٍ فِي مَعِيشَتِهِ، وَجَهْدٌ وَضِيقٌ..

﴿دَعَا رَبَّهُۥ﴾ اسْتَغَاثَ بِرَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ، وَرَغَّبَ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ..

﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ تَائِبًا إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ، وَإِشْرَاكِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ، رَاجِعًا إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ ثُمَّ إِذَا مَنَحَهُ رَبُّهُ نِعْمَةً مِنْهُ، يَعْنِي عَافِيَةً، فَكَشَفَ عَنْهُ ضُرَّهُ، وَأَبْدَلَهُ بِالسَّقَمِ صِحَّةً، وَبِالشِّدَّةِ رَخَاءً.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَنْ أَعْطَىٰ غَيْرَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ غَيْرِهِ: قَدْ خَوَّلَهُ..

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ تَرَكَ دُعَاءَهُ الَّذِي كَانَ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُكْشَفَ مَا كَانَ بِهِ مِنْ ضُرٍّ..

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وَجَعَلَ للهِ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهًا وَشُرَكَاءَ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: جَعَلُوهَا لَهُ أَنْدَادًا فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي مَعَاصِي اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّهُ عَبَدَ الْأَوْثَانَ، فَجَعَلَهَا للهِ أَنْدَادًا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنَىٰ بِهِ أَنَّهُ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَجَعَلَ لَهُ الْأَوْثَانَ أَنْدَادًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ عَتَّابِ اللهِ إِيَّاهُمْ لَهُ عَلَىٰ عِبَادَتِهَا..

﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ لِيُزِيلَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوَحِّدَ اللهَ وَيُؤْمِنَ بِهِ عَنْ تَوْحِيدِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ، وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِفَاعِلِ ذَلِكَ..

﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَوْفِي أَجَلَكَ، فَتَأْتِيكَ مَنِيَّتُكَ.. وَ هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ وَتَهَدُّدٌ..

﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ⑧﴾ [الزمر: ٨] إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الْمَاكِثِينَ فِيهَا.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ مطيعٌ..

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ سَاعَاتَ اللَّيْلِ..

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ يَقْنُتُ سَاجِدًا أَحْيَانًا، وَأَحْيَانًا قَائِمًا، يَعْنِي: يُطِيعُ؛ وَالْقُنُوتُ عِنْدَنَا الطَّاعَةُ، وَلِذَلِكَ نُصِبَ قَوْلُهُ: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: أَمَّنْ هُوَ يَقْنُتُ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا طَوْرًا، وَقَائِمًا طَوْرًا، فَهُمَا حَالٌ مِنْ قَانِتٍ..

﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ يَحْذَرُ عَذَابَ الْآخِرَةِ..

﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ..

﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ مَا لَهُمْ فِي طَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ مِنَ الثَّوَابِ، وَمَا عَلَيْهِمْ فِي مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ مِنَ التَّبِعَاتِ..

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ، فَهُمْ يَخْبُطُونَ فِي عَشْوَاءَ، لَا يَرْجُونَ بِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ خَيْرًا، وَلَا يَخَافُونَ بِسَيِّئِهَا شَرًّا؟ يَقُولُ: مَا هَذَانِ بِمُتَسَاوِيَيْنِ..

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩] إِنَّمَا يَعْتَبِرُ حُجَجَ اللهِ فَيَتَّعِظُ وَيَتَفَكَّرُ فِيهَا، وَيَتَدَبَّرُهَا أَهْلُ الْعُقُولِ وَالْحِجَىٰ، لَا أَهْلُ الْجَهْلِ وَالنَّقْصِ فِي الْعُقُولِ.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر: ١٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ..

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ لِلَّذِينَ أَطَاعُوا اللهَ..

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يعني: الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْجَنَّةُ..

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ فَسِيحَةٌ، فَهَاجِرُوا مِنْ أَرْضِ الشِّرْكِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر: ١٠] إِنَّمَا يَعْطِي اللهُ أَهْلَ الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا لَقُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا ثَوَابَهُم فِي الْآخِرَةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر: ١١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر: ١١] إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَعْبُدَهُ مُفْرِدًا لَهُ الطَّاعَةَ، دُونَ كُلِّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر: ١٢].

﴿وَأُمِرْتُ﴾ وَأَمَرَنِي رَبِّي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ..

﴿لِأَنْ أَكُونَ﴾ بِفِعْلِ ذَلِكَ..

﴿أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر: ١٢] أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ، فَخَضَعَ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَبَرِئَ مِنْ كُلِّ مَا دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣﴾ [الزمر: ١٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، مُخْلِصًا لَهُ الطَّاعَةَ، وَمُفْرِدَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣﴾ [الزمر: ١٣] يَعْنِي عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ذَلِكَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَعْظُمُ هَوْلُهُ.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر: ١٤].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر: ١٤] اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا، مُفْرِدًا لَهُ طَاعَتِي وَعِبَادَتِي، لَا أَجْعَلُ لَهُ فِي ذَلِكَ شَرِيكًا، وَلَكِنِّي أُفْرِدُهُ بِالْأُلُوهَةِ، وَأَبْرَأُ مِمَّا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ.

﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزمر: ١٥].

﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ فَاعْبُدُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ مَا شِئْتُمْ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، فَسَتَعْلَمُونَ وَبَالَ عَاقِبَةِ عِبَادَتِكُمْ ذَلِكَ إِذَا لَقِيتُمْ رَبَّكُمْ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إِنَّ الْهَالِكِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الَّذِينَ غَبِنُوا أَنْفُسَهُمْ..

﴿وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ وَهَلَكَتْ بِعَذَابِ اللهِ أَهْلُوهُمْ مَعَ أَنْفُسِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِذْ دَخَلُوا النَّارَ فِيهَا أَهْلٌ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَهْلُونَ..

﴿أَلَا ذَٰلِكَ﴾ أَلَا إِنَّ خُسْرَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ هَلَاكُهَا..

﴿هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزمر: ١٥] هُوَ الْهَلَاكُ الَّذِي يَبِينُ لِمَنْ عَايَنَهُ وَعَلِمَهُ أَنَّهُ الْخُسْرَانُ.

﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر: ١٦].

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الْخَاسِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ..

﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وَذَلِكَ كَهَيْئَةِ الظُّلَلِ الْمَبْنِيَّةِ مِنَ النَّارِ..

﴿وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ وَمَنْ تَحْتِهِمْ مِنَ النَّارِ مَا يَعْلُوهُمْ، حَتَّىٰ يَصِيرَ مَا يَعْلُوهُمْ مِنْهَا مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلًا، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: ﴿مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾ [الأعراف: ٤١] يَغْشَاهُمْ مِمَّا تَحْتَهُمْ فِيهَا مِنَ الْمِهَادِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِهِ، مِمَّا لِلْخَاسِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ تَخْوِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ لَكُمْ، يُخَوِّفُكُمْ بِهِ لِتَحْذَرُوهُ، فَتَجْتَنِبُوا مَعَاصِيَهُ، وَتُنِيبُوا مِنْ كُفْرِكُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَتَنْجُوا مِنْ عَذَابِهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر: ١٦] فَاتَّقُونِي بِأَدَاءِ فَرَائِضِي عَلَيْكُمْ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيَّ، لِتَنْجُوا مِنْ عَذَابِي وَسَخَطِي.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾ [الزمر: ١٧].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ أَيِ اجْتَنَبُوا عِبَادَةَ كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ..

﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَتَابُوا إِلَىٰ اللهِ وَرَجَعُوا إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِمَّا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾ [الزمر: ١٧] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ عِبَادِي.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٨].

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾ مِنَ الْقَائِلِينَ..

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ فَيَتَّبِعُونَ أَرْشَدَهُ وَأَهْدَاهُ، وَأَدَلَّهُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَيَتْرُكُونَ مَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي لَا يَدُلُّ عَلَىٰ رَشَادٍ، وَلَا يَهْدِي إِلَىٰ سَدَادٍ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ..

﴿ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِلرَّشَادِ وَإِصَابَةِ الصَّوَابِ، لَا الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، وَيَعْبُدُونَ مَا لَا يَضُرُّ، وَلَا يَنْفَعُ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٨] أُولُو الْعُقُولِ وَالْحِجَا.

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ [الزمر: ١٩].

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ أَفَمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فِي سَابِقِ عِلْمِ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ بِكُفْرِهِ بِهِ..

﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ [الزمر: ١٩] أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ يَا مُحَمَّدُ مَنْ هُوَ فِي النَّارِ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، فَأَنْتَ تُنْقِذُهُ؟

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ [الزمر: ٢٠].

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَالِيُّ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِ جَنَّاتِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ وَعْدُنَا هَذِهِ الْغُرَفَ الَّتِي مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ فِي الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ..

﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ [الزمر: ٢٠] وَاللهُ لَا يُخْلِفُهُمْ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّهُ يُوفِي بِوَعْدِهِ.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾ [الزمر: ٢١].

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ وَهُوَ الْمَطَرُ..

﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فَأَجْرَاهُ عُيُونًا فِي الْأَرْضِ؛ وَاحِدُهَا يَنْبُوعٌ، وَهُوَ مَا جَاشَ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ﴾ ثُمَّ أَنْبَتَ بِذَلِكَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَجَعَلَهُ فِي الْأَرْضِ عُيُونًا..

﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ يَعْنِي: أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً، مِنْ بَيْنِ حِنْطَةٍ وَشَعِيرٍ وَسِمْسِمٍ وَأُرْزٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمُخْتَلِفَةِ..

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ثُمَّ يَيْبَسُ ذَلِكَ الزَّرْعُ مِنْ بَعْدِ خُضْرَتِهِ.. يُقَالُ لِلْأَرْضِ إِذَا يَبِسَ مَا فِيهَا مِنَ الْخُضَرِ وَذَوِيَ: هَاجَتِ الْأَرْضُ، وَهَاجَ الزَّرْعُ..

﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ فتَرَاهُ مِنْ بَعْدِ خُضْرَتِهِ وَرُطُوبَتِهِ قَدْ يَبِسَ فَصَارَ أَصْفَرَ، وَكَذَلِكَ الزَّرْعُ إِذَا يَبِسَ اصْفَرَّ..

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ ثُمَّ يَجْعَلُ ذَلِكَ الزَّرْعَ بَعْدَمَا صَارَ يَابِسًا فُتَاتًا مُتَكَسِّرًا.. وَالْحُطَامُ: فُتَاتُ التِّبْنِ وَالْحَشِيشِ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي فِعْلِ اللهِ ذَلِكَ كَالَّذِي وَصَفَ..

﴿لَذِكْرَىٰ﴾ وَمَوْعِظَةً..

﴿لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢١﴾ [الزمر: ٢١] لِأَهْلِ الْعُقُولِ وَالْحِجَا يَتَذَكَّرُونَ بِهِ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ إِحْدَاثُ مَا شَاءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَإِنْشَاءُ مَا أَرَادَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَالْأَعْرَاضِ، وَإِحْيَاءُ مَنْ هَلَكَ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ وَإِعَادَتُهُ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهِ، كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ فَنَائِهِ، كَالَّذِي فَعَلَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَنْزَلَ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا الْمَاءَ، فَأَنْبَتَ بِهَا الزَّرْعَ الْمُخْتَلِفَ الْأَلْوَانِ بِقُدْرَتِهِ.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٢﴾ [الزمر: ٢٢].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ أَفَمَنْ فَسَحَ اللهُ قَلْبَهُ لِمَعْرِفَتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالْإِذْعَانِ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَالْخُضُوعِ لِطَاعَتِهِ..

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فَهُوَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَيَقِينٍ، بِتَنْوِيرِ الْحَقِّ فِي قَلْبِهِ، فَهُوَ لِذَلِكَ لِأَمْرِ اللهِ مُتَّبِعٌ، وَعَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ مُنْتَهٍ فِيمَا يُرْضِيهِ، كَمَنْ أَقْسَىٰ اللهُ قَلْبَهُ، وَأَخْلَاهُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَضَيَّقَهُ عَنِ اسْتِمَاعِ الْحَقِّ، وَاتِّبَاعِ الْهُدَىٰ، وَالْعَمَلِ بِالصَّوَابِ؟ وَتُرِكَ ذِكْرُ الَّذِي أَقْسَىٰ اللهُ قَلْبَهُ، وَجَوَابُ الِاسْتِفْهَامِ اجْتِزَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ الْمُرَادَ مِنَ الْكَلَامِ، إِذْ ذُكِرَ أَحَدُ الصِّنْفَيْنِ، وَجَعَلَ مَكَانَ ذِكْرِ الصِّنْفِ الْآخَرِ الْخَبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ..

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ جَفَّتْ قُلُوبُهُمْ وَنَأَتْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَأَعْرَضَتْ، يَعْنِي: عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، مُذَكِّرًا بِهِ عِبَادَهُ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِمَا فِيهِ وَقِيلَ: ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وَالْمَعْنَىٰ: عَنْ ذِكْرِ اللهِ، فَوُضِعَتْ مِنْ مَكَانَ عَنْ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ:

أُتْخِمْتُ مِنْ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ، وَعَنْ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ..

﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر: ٢٢] لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ بِفَهْمٍ أَنَّهُ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ جَائِرٌ.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾ يَعْنِي بِهِ الْقُرْآنَ..

﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، وَلَا تَضَادَّ..

﴿مَّثَانِيَ﴾ تُثْنَى فِيهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ وَالْقَضَاءُ وَالْأَحْكَامُ وَالْحُجَجُ..

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ تَقْشَعِرُّ مِنْ سَمَاعِهِ إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ جُلُودُ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ..

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ يَعْنِي إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ..

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: ٢٣] وَمَنْ يَخْذُلْهُ اللهُ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَا فِيهِ، فَيُضِلُّهُ عَنْهُ، فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ؛ يَقُولُ: فَمَا لَهُ مِنْ مُوَفِّقٍ لَهُ، وَمُسَدِّدٍ يُسَدِّدُهُ فِي اتِّبَاعِهِ.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٢٤﴾ [الزمر: ٢٤].

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَيْرٌ، أَمْ مَنْ يَنْعَمُ فِي الْجِنَانِ؟..

﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وَيُقَالُ يَوْمَئِذٍ لِلظَّالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ بِإِكْسَابِهِمْ إِيَّاهَا سَخَطَ اللهِ..

﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٢٤﴾ [الزمر: ٢٤] ذُوقُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْقَوْمُ وَبَالَ مَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَكْسِبُونَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٢٥﴾ [الزمر: ٢٥].

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ مَضَوْا فِي الدُّهُورِ الْخَالِيَةِ رُسُلَهُمْ..

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٥﴾ [الزمر: ٢٥] فَجَاءَهُمْ عَذَابُ اللهِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَشْعُرُونَ، أَيْ لَا يَعْلَمُونَ بِمَجِيئِهِ مِنْهُ.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾ [الزمر: ٢٦].

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فَعَجَّلَ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمُ الْهَوَانَ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابَ قِبَلَ الْآخِرَةِ، وَلَمْ يُنْظِرْهُمْ إِذْ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ..

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ وَلَعَذَابُ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِذَا أَدْخَلَهُمُ النَّارَ، فَعَذَّبَهُمْ بِهَا، أَكْبَرُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي عَذَّبَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾ [الزمر: ٢٦] لَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ [الزمر: ٢٧].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ وَلَقَدْ مَثَّلْنَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ مِنْ أَمْثَالِ الْقُرُونِ لِلْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، تَخْوِيفًا مِنَّا لَهُمْ وَتَحْذِيرًا..

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ [الزمر: ٢٧] لِيَتَذَكَّرُوا فَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ [الزمر: ٢٨].

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ قُرْآنًا عَرَبِيًّا..

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ ذِي لَبْسٍ..

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ [الزمر: ٢٨] جَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا إِذْ كَانُوا عَرَبًا، لِيَفْهَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ، حَتَّىٰ يَتَّقُوا مَا حَذَّرَهُمُ اللهُ فِيهِ مِنْ بَأْسِهِ وَسَطْوَتِهِ، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَإِفْرَادِ الْأُلُوهَةِ لَهُ، وَيَتَبَرَّؤُوا مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ [الزمر: ٢٩].

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ مَثَّلَ اللهُ مَثَلًا لِلْكَافِرِ بِاللهِ الَّذِي يَعْبُدُ آلِهَةً شَتَّىٰ، وَيُطِيعُ جَمَاعَةً مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللهَ الْوَاحِدَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِهَذَا الْكَافِرِ..

﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ هُوَ بَيْنَ جَمَاعَةٍ مَالِكِينَ..

﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ يَعْنِي مُخْتَلِفِينَ مُتَنَازِعِينَ، سَيِّئَةٌ أَخْلَاقُهُمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجُلٌ شَكِسٌ: إِذَا كَانَ

سَيِّئَ الْخُلُقِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَسْتَخْدِمُهُ بِقَدْرِ نَصِيبِهِ وَمُلْكِهِ فِيهِ..

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ وَرَجُلًا خَلُوصًا لِرَجُلٍ، يَعْنِي: الْمُؤْمِنَ الْمُوَحِّدَ الَّذِي أَخْلَصَ عِبَادَتَهُ للهِ، لَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ وَلَا يَدِينُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هَلْ يَسْتَوِي مِثْلُ هَذَا الَّذِي يَخْدُمُ جَمَاعَةً شُرَكَاءَ سَيِّئَةٌ أَخْلَاقُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ فِيهِ لِخِدْمَتِهِ مَعَ مُنَازَعَتِهِ شُرَكَاءَهُ فِيهِ، وَالَّذِي يَخْدُمُ وَاحِدًا لَا يُنَازِعُهُ فِيهِ مُنَازِعٌ إِذَا أَطَاعَهُ عَرَفَ لَهُ مَوْضِعَ طَاعَتِهِ وَأَكْرَمَهُ، وَإِذَا أَخْطَأَ صَفَحَ لَهُ عَنْ خَطَئِهِ، يَقُولُ: فَأَيُّ هَذَيْنِ أَحْسَنُ حَالًا وَأَرْوَحُ جِسْمًا وَأَقَلُّ تَعَبًا وَنَصْبًا؟..

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشُّكْرُ الْكَامِلُ وَالْحَمْدُ التَّامُّ للهِ وَحْدِهِ دُونَ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ [الزمر: ٢٩] وَمَا يَسْتَوِي هَذَا الْمُشْتَرَكُ فِيهِ، وَالَّذِي هُوَ مُنْفَرِدٌ مُلْكُهُ لِوَاحِدٍ، بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ، فَهُمْ بِجَهْلِهِمْ بِذَلِكَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً شَتَّىٰ مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠].

﴿إِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَيِّتٌ﴾ عَنْ قَلِيلٍ..

﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠] وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِيكَ مِنْ قَوْمِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ مَيِّتُونَ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر: ٣١].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ ثُمَّ إِنَّ جَمِيعَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ..

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر: ٣١] فَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْكُمْ مِنَ الظَّالِمِ، وَيُفْصَلُ بَيْنَ جَمِيعِكُمْ بِالْحَقِّ.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝٣٢﴾ [الزمر: ٣٢].

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ فَمَنْ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَعْظَمُ فِرْيَةً مِمَّنْ كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ، فَادَّعَىٰ أَنَّ لَهُ وَلَدًا وَصَاحِبَةً، أَوِ أَنَّهُ حَرَّمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ..

﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ وَكَذَّبَ بِكِتَابِ اللهِ إِذْ أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَابْتَعَثَهُ اللهُ بِهِ رَسُولًا، وَأَنْكَرَ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝﴾ [الزمر: ٣٢] أَلَيْسَ فِي النَّارِ مَأْوًىٰ وَمَسْكَنٌ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَامْتَنَعَ مِنْ تَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاتِّبَاعِهِ عَلَىٰ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِمَّا أَتَاهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَحُكْمِ الْقُرْآنِ؟

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝﴾ [الزمر: ٣٣].

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يَعْنِي: كُلَّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ مِنْ بَيْنِ رُسُلِ اللهِ وَأَتْبَاعِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَالصِّدْقُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَشَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَالْمُصَدِّقُ بِهِ: الْمُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ، مِنْ جَمِيعِ خَلْقِ اللهِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ وَأَتْبَاعِهِ..

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝﴾ [الزمر: ٣٣] هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ هُمُ الَّذِينَ اتَّقُوا اللهَ بِتَوْحِيدِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، فَخَافُوا عِقَابَهُ.

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [الزمر: ٣٤].

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ، وَتَلَذُّهُ أَعْيُنُهُمْ..

﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [الزمر: ٣٤] هَذَا الَّذِي لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا فَأَطَاعَ اللهَ فِيهَا، وَائْتَمَرَ لِأَمْرِهِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ فِيهَا عَنْهُ.

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الزمر: ٣٥].

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ وَجَزَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُحْسِنِينَ رَبُّهُمْ بِإِحْسَانِهِمْ، كَيْ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ، فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، بِمَا كَانَ مِنْهُمْ فِيهَا مِنْ تَوْبَةٍ وَإِنَابَةٍ مِمَّا اجْتَرَحُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ فِيهَا..

﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ وَيُثِيبَهُمْ ثَوَابَهُمْ..

﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الزمر: ٣٥] مِمَّا يَرْضَىٰ اللهُ عَنْهُمْ دُونَ أَسْوَئِهَا.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝﴾ [الزمر: ٣٦].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ مُحَمَّدًا وَأَنْبِيَاءَهُ مِنْ قَبْلِهِ مَا خَوَّفَتْهُمْ أُمَمُهُمْ مِنْ أَنْ تَنَالَهُمْ آلِهَتُهُمْ بِسُوءٍ..

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ وَيُخَوِّفُكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ أَنْ تُصِيبَكَ بِسُوءٍ، بِبَرَاءَتِكَ مِنْهَا، وَعَيْبِكَ لَهَا، وَاللهُ كَافِيكَ ذَلِكَ..

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ يَخْذُلْهُ اللهُ فَيُضِلُّهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَسَبِيلِ الرُّشْدِ..

﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٦﴾ [الزمر: ٣٦] فَمَا لَهُ سِوَاهُ مِنْ مُرْشِدٍ وَمُسَدِّدٍ إِلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَمُوَفِّقٍ لِلْإِيمَانِ بِاللهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ٣٧﴾ [الزمر: ٣٧].

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ يُوَفِّقْهُ اللهُ لِلْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ..

﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ فَمَا لَهُ مِنْ مُزِيغٍ يُزِيغُهُ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ إِلَىٰ الِارْتِدَادِ إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ٣٧﴾ [الزمر: ٣٧] بِعَزِيزٍ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ كَفَرَةِ خَلْقِهِ، ذِي انْتِقَامٍ مِنْ أَعْدَائِهِ الْجَاحِدِينَ وَحْدَانِيَّتَهُ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر: ٣٨].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لَيَقُولُنَّ: الَّذِي خَلَقَهُنَّ اللهُ؛ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ، فَـ..

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هَذَا الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْآلِهَةِ..

﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بِشِدَّةٍ فِي مَعِيشَتِي..

﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتٌ عَنِّي مَا يُصِيبُنِي بِهِ رَبِّي مِنَ الضُّرِّ؟..

﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ إِنْ أَرَادَنِي رَبِّي أَنْ يُصِيبَنِي سَعَةٌ فِي مَعِيشَتِي، وَكَثْرَةٌ فِي مَالِي، وَرَخَاءٌ وَعَافِيَةٌ فِي بَدَنِي..

﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتٌ عَنِّي مَا أَرَادَ أَنْ يُصِيبَنِي بِهِ مِنْ تِلْكَ

الرَّحْمَةِ؟ وَتُرِكَ الْجَوَابُ لِاسْتِغْنَاءِ السَّامِعِ بِمعْرِفَةِ ذَلِكَ، وَدِلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَالْمَعْنَىٰ: فَإِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ لَا، فَـ..

﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ مِمَّا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، إِيَّاهُ أَعْبُدُ، وَإِلَيْهِ أَفْزَعُ فِي أُمُورِي دُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، فَإِنَّهُ الْكَافِي، وَبِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ، لَا إِلَىٰ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ..

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨] عَلَىٰ اللهِ يَتَوَكَّلُ مَنْ هُوَ مُتَوَكِّلٌ، وَبِهِ فَلْيَثِقْ لَا بِغَيْرِهِ.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزمر: ٣٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ اعْمَلُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ تَمَكُّنِكُمْ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي تَعْمَلُونَ وَمَنَازِلِكُمْ..

﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ كَذَلِكَ عَلَىٰ تُؤَدَةٍ عَلَىٰ عَمَلِ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ قَبْلِي..

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزمر: ٣٩] إِذَا جَاءَكُمْ بَأْسُ اللهِ، مَنِ الْمُحِقُّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَالرَّشِيدُ مِنَ الْغَوِيِّ.

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الزمر: ٤٠].

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ مَا أَتَاهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ، يَعْنِي: يُذِلُّهُ وَيُهِينُهُ..

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الزمر: ٤٠] وَيُنَزَّلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ دَائِمٌ لَا يُفَارِقُهُ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الزمر: ٤١].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ..

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ فَمَنْ عَمِلَ بِمَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْهِ وَاتَّبَعَهُ..

﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ فَإِنَّمَا عَمِلَ بِذَلِكَ لِنَفْسِهِ، وَإِيَّاهَا بَغَىٰ الْخَيْرَ لَا غَيْرَهَا؛ لِأَنَّهُ أَكْسَبَهَا رِضَا اللهِ وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ..

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ وَمَنْ جَارَ عَنِ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ، وَالْبَيَانِ الَّذِي بَيَّنَّاهُ لَكَ، فَضَلَّ عَنْ قَصدِ الْمَحَجَّةِ، وَزَالَ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ..

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فَإِنَّمَا يَجُورُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَإِلَيْهَا يَسُوقُ الْعَطَبَ وَالْهَلَاكَ؛ لِأَنَّهُ يُكْسِبُهَا سَخَطَ اللهِ، وَأَلِيمَ عِقَابِهِ، وَالْخِزْيَ الدَّائِمَ..

﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَيۡهِم﴾ عَلَىٰ مِنْ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ..

﴿بِوَكِيلٍ ۝٤١﴾ [الزمر: ٤١] بِرَقِيبٍ تَرْقُبُ أَعْمَالَهُمْ، وَتَحْفَظُ عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ، إِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢﴾
[الزمر: ٤٢].

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ وَمِنَ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ الْأُلُوهَةَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ خَالِصَةً دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، أَنَّهُ يُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْءٌ سِوَاهُ؛ فَجَعَلَ ذَلِكَ خَبَرًا نَبَّهَهُمْ بِهِ عَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ فَيَقْبِضُهَا عِنْدَ فَنَاءِ أَجَلِهَا، وَانْقِضَاءِ مُدَّةِ حَيَاتِهَا..

﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ وَيَتَوَفَّىٰ أَيْضًا الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا، كَمَا الَّتِي مَاتَتْ عِنْدَ مَمَاتِهَا..

﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ تَلْتَقِي فِي الْمَنَامِ، فَيَتَعَارَفُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْهَا، فَإِذَا أَرَادَ جَمِيعُهَا الرُّجُوعَ إِلَىٰ أَجْسَادِهَا أَمْسَكَ اللهُ أَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ عِنْدَهُ وَحَبَسَهَا..

﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ وَأَرْسَلَ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ حَتَّىٰ تَرْجِعَ إِلَىٰ أَجْسَادِهَا..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ وَذَلِكَ إِلَىٰ انْقِضَاءِ مُدَّةِ حَيَاتِهَا..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي قَبْضِ اللهِ نَفْسَ النَّائِمِ وَالْمَيِّتِ وَإِرْسَالِهِ بَعْدُ نَفْسَ هَذَا تَرْجِعُ إِلَىٰ جِسْمِهَا، وَحَبْسِهِ لِغَيْرِهَا عَنْ جِسْمِهَا..

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ﴾ لَعِبْرَةٍ وَعِظَةٍ..

﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢﴾ [الزمر: ٤٢] لِمَنْ تَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ، وَبَيَانًا لَهُ أَنَّ اللهَ يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ إِذَا شَاءَ، وَيُمِيتُ مَنْ شَاءَ إِذَا شَاءَ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٣﴾
[الزمر: ٤٣].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ أَمِ اتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ دُونِهِ آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا شُفَعَاءَ تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ فِي حَاجَاتِهِمْ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الزمر: ٤٣] أَتَتَّخِذُونَ هَذِهِ الْآلِهَةَ شُفَعَاءَ كَمَا تَزْعُمُونَ، وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٤].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ إِنْ تَكُونُوا تَعْبُدُونَهَا لِذَلِكَ، وَتَشْفَعُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ، فَأَخْلِصُوا عِبَادَتَكُمْ للهِ، وَأَفْرِدُوهُ بِالْأُلُوهَةِ، فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ جَمِيعًا لَهُ، لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ، وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا، وَأَنْتُمْ مَتَىٰ أَخْلَصْتُمْ لَهُ الْعِبَادَةَ، فَدَعَوْتُمُوهُ، وَشَفَّعَكُمْ..

﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكُهَا، وَمَا تَعْبُدُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ لَهُ؛ يَقُولُ: فَاعْبُدُوا الْمَلِكَ لَا الْمَمْلُوكَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا..

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٤] ثُمَّ إِلَىٰ اللهِ مَصِيرُكُمْ، وَهُوَ مُعَاقِبُكُمْ عَلَىٰ إِشْرَاكِكُمْ بِهِ، إِنْ مُتُّمْ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا، لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاعْبُدُوا الْمَالِكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ نَفْعِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَىٰ ضَرِّكُمْ فِيهَا، وَعِنْدَ مَرْجِعِكُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ وَإِذَا أُفْرِدَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالذِّكْرِ، فَدُعِيَ وَحْدَهُ، وَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَعَادِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ نَفَرَتْ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ..

﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ وَإِذَا ذُكِرَ الْآلِهَةُ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ مَعَ اللهِ، فَقِيلَ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَىٰ، وَإِنَّ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَىٰ..

﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥] إِذِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يَسْتَبْشِرُونَ بِذَلِكَ وَيَفْرَحُونَ.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر: ٤٦].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اللهُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الَّذِي لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا تَحسُّهُ الْعُيُونُ، وَالشَّهَادَةُ الَّذِي تَشْهَدُهُ أَبْصَارُ خَلْقِهِ، وَتَرَاهُ أَعْيُنُهُمْ..

﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ فَتَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ يَوْمَ تَجْمَعُهُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ..

﴿فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر: ٤٦] مِنَ الْقَوْلِ فِيكَ، وَفِي عَظَمَتِكَ وَسُلْطَانِكَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ اخْتِلَافِهِمْ بَيْنَهُمْ، فَتَقْضِي يَوْمَئِذٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرْتَ وَحْدَكَ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا ذُكِرَ مَنْ دُونَكَ اسْتَبْشَرُوا بِالْحَقِّ.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: ٤٧].

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وَلَوْ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ..

﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالِهَا وَزِينَتِهَا..

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ مُضَاعَفًا، فَقُبِلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عِوَضًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ..

﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ لَفَدَوْا بِذَلِكَ كُلِّهِ أَنْفُسَهُمْ عِوَضًا مِنْهَا، لِيَنْجُوَ مِنْ سُوءِ عَذَابِ اللهِ، الَّذِي هُوَ مُعَذِّبُهُمْ بِهِ يَوْمَئِذٍ..

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَعَذَابِهِ، الَّذِي كَانَ أَعَدَّهُ لَهُمْ..

﴿مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: ٤٧] مَا لَمْ يَكُونُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَحْتَسِبُونَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لَهُمْ.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: ٤٨].

﴿وَبَدَا لَهُم﴾ وَظَهَرَ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا، إِذْ أُعْطُوا كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ..

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: ٤٨] وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ حِينَئِذٍ، فَلَزِمَهُمْ عَذَابُ اللهِ الَّذِي كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي الدُّنْيَا يَعِدُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَكَانُوا بِهِ يَسْخَرُونَ، إِنْكَارًا أَنْ يُصِيبَهُمْ ذَلِكَ، أَوْ يَنَالَهُمْ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِهِ، وَأَحَاطَ ذَلِكَ بِهِمْ.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر: ٤٩].

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ فَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ بُؤْسٌ وَشِدَّةٌ دَعَانَا مُسْتَغِيثًا بِنَا مِنْ جِهَةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الضُّرِّ..

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ ثُمَّ إِذَا أَعْطَيْنَاهُ فَرَجًا مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الضُّرِّ، بِأَنْ أَبْدَلْنَاهُ بِالضُّرِّ رَخَاءً وَسِعَةً، وَبِالسَّقَمِ صِحَّةً وَعَافِيَةً، فَقَالَ: إِنَّمَا أُعْطِيتُ الَّذِي أُعْطِيتُ مِنَ الرَّخَاءِ وَالسَّعَةِ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالصِّحَّةِ فِي الْبُدْنِ وَالْعَافِيَةِ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي، يَعْنِي عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللهِ بِأَنِّي لَهُ أَهْلٌ؛ لِشَرَفِي وَرِضَاهُ بِعَمَلِي عِنْدِي، يَعْنِي: فِيمَا عِنْدِي، كَمَا يُقَالُ: أَنْتَ مُحْسِنٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ عِنْدِي: أَيْ فِيمَا أَظُنُّ وَأَحْسِبُ..

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ أَيْ عَلَىٰ شَرَفٍ أَعْطَانِيهِ..

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ بَلْ عَطِيَّتُنَا إِيَّاهُمْ تِلْكَ النِّعْمَةَ مِنْ بَعْدِ الضُّرِّ الَّذِي كَانُوا فِيهِ فِتْنَةً لَهُمْ، يَعْنِي بَلَاءً ابْتَلَيْنَاهُمْ بِهِ، وَاخْتِبَارًا اخْتَبَرْنَاهُمْ بِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ لِجَهْلِهِمْ، وَسُوءِ رَأْيِهِمْ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر: ٤٩] لِأَيِّ سَبَبٍ أُعْطُوا ذَلِكَ.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الزمر: ٥٠].

﴿قَدْ قَالَهَا﴾ قَدْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، يَعْنِي قَوْلَهُمْ لِنِعْمَةِ اللهِ الَّتِي خَوَّلَهُمْ وَهُمْ مُشْرِكُونَ: أُوتِينَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدَنَا..

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ لِرُسُلِهَا، تَكْذِيبًا مِنْهُمْ لَهُمْ، وَاسْتِهْزَاءً بِهِمْ..

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ حِينَ أَتَاهُمْ بَأْسُ اللهِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللهِ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِهِمْ..

﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الزمر: ٥٠] مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ عِبَادَتُهُمُ الْأَوْثَانَ يَقُولُ: لَمْ تَنْفَعْهُمْ خِدْمَتُهُمْ إِيَّاهَا، وَلَمْ تَشْفَعْ آلِهَتُهُمْ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهَا أَسْلَمَتْهُمْ وَتَبَرَّأَتْ مِنْهُمْ.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الزمر: ٥١].

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ﴾ فَأَصَابَ الَّذِينَ قَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَبَالُ

سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ، فَعُوجِلُوا بِالْخِزْيِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ كَقَارُونَ الَّذِي قَالَ حِينَ وُعِظَ ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨]، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١﴾ [القصص: ٨١]..

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَقَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ..

﴿سَيُصِيبُهُمۡ﴾ أَيْضًا وَبَالُ..

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ كَمَا أَصَابَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِقَوْلِهِمْ إِيَّاهَا..

﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٥١﴾ [الزمر: ٥١] وَمَا يَفُوقُونَ رَبَّهُمْ وَلَا يَسْبِقُونَهُ هَرَبًا فِي الْأَرْضِ مِنْ عَذَابِهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ، وَلَكِنَّهُ يُصِيبُهُمْ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢]، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ، فَأَحَلَّ بِهِمْ خِزْيَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَقَتَلَهُمْ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ.

﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ [الزمر: ٥٢].

﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَشَفْنَا عَنْهُمْ ضُرَّهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّمَا أُوتِينَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَّا، أَنَّ الشِّدَّةَ وَالرَّخَاءَ وَالسَّعَةَ وَالضِّيقَ وَالْبَلَاءَ بِيَدِ اللهِ، دُونَ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ، يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، فَيُوَسِّعُهُ عَلَيْهِ، وَيَقْدِرُ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيُضَيِّقُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ حُجَجِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، لِيَعْتَبِرُوا بِهِ وَيَتَذَكَّرُوا، وَيَعْلَمُوا أَنَّ الرَّغْبَةَ إِلَيْهِ وَالرَّهْبَةَ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ إِنَّ فِي بَسْطِ اللهِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَتَقْتِيرِهِ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ لَآيَاتٍ، يَعْنِي: دَلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ..

﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ [الزمر: ٥٢] يُصَدِّقُونَ بِالْحَقِّ، فَيُقِرُّونَ بِهِ إِذَا تَبَيَّنُوهُ وَعَلِمُوا حَقِيقَتَهُ أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ هُوَ اللهُ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ عَنَىٰ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ جَمِيعَ مَنْ أَسْرَفَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالشِّرْكِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَمَّ جَمِيعَ الْمُسْرِفِينَ، فَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ مُسْرِفًا دُونَ

مُسْرِفٍ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَيَغْفِرُ اللهُ الشِّرْكَ؟ قِيلَ: نَعَمْ إِذَا تَابَ مِنْهُ الْمُشْرِكُ وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لِمَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللهَ قَدِ اسْتَثْنَىٰ مِنْهُ الشِّرْكَ إِذَا لَمْ يَتُبْ مِنْهُ صَاحِبُهُ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ إِلَّا بَعْدَ تَوْبَةٍ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠]، فَأَمَّا مَا عَدَاهُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ فِي مَشِيئَةِ رَبِّهِ، إِنْ شَاءَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ، فَعَفَا لَهُ عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَدَلَ عَلَيْهِ فَجَازَاهُ بِهِ..

﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ إِنَّ اللهَ يَسْتُرُ عَلَى الذُّنُوبِ كُلِّهَا بِعَفْوِهِ عَنْ أَهْلِهَا وَتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا إِذَا تَابُوا مِنْهَا..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] بِهِمْ، أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ [الزمر: ٥٤].

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وَأَقْبِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ لَهُ، وَاسْتَجِيبُوا لَهُ إِلَىٰ مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَإِفْرَادِ الْأُلُوهَةِ لَهُ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ وَاخْضَعُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْرَارِ بِالدِّينِ الْحَنِيفِيِّ..

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ مِنْ عِنْدِهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ [الزمر: ٥٤] ثُمَّ لَا يَنْصُرُكُمْ نَاصِرٌ، فَيُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ النَّازِلِ بِكُمْ.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾ [الزمر: ٥٥].

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ وَاتَّبِعُوا أَيُّهَا النَّاسُ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ فِي تَنْزِيلِهِ، وَاجْتَنِبُوا مَا نَهَاكُمْ فِيهِ عَنْهُ، وَذَلِكَ هُوَ أَحْسَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ وَهُوَ أَحْسَنُ مِنْ شَيْءٍ؟ قِيلَ لَهُ: الْقُرْآنُ كُلُّهُ حَسَنٌ، وَلَيْسَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ مَا تَوَهَّمْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: وَاتَّبِعُوا مِمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْخَبَرِ وَالْمَثَلِ وَالْقَصَصِ وَالْجَدَلِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ أَحْسَنَهُ، أَنْ تَأْتَمِرُوا لِأَمْرِهِ، وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهَىٰ عَنْهُ، لِأَنَّ النَّهْيَ مِمَّا أُنْزِلَ فِي الْكِتَابِ، فَلَوْ عَمِلُوا بِمَا نُهُوا عَنْهُ كَانُوا عَامِلِينَ بِأَقْبَحِهِ، فَذَلِكَ وَجْهُهُ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ عَذَابُ اللهِ فَجْأَةً..

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾ [الزمر: ٥٥] وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَغْشَاكُمْ فَجْأَةً.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر: ٥٦].

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَأَسْلِمُوا لَهُ لِئَلَّا تَقُولَ نَفْسٌ..

﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ يا نَدَمًا..

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ مَا ضَيَّعْتُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَنِي اللهُ بِهِ، وَقَصَرْتُ فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر: ٥٦] وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِأَمْرِ اللهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٥٧﴾ [الزمر: ٥٧].

﴿أَوْ تَقُولَ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَسْلِمُوا لَهُ، أَنْ لَا تَقُولَ نَفْسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ، فِي أَمْرِ اللهِ، وَأَنْ لَا تَقُولَ نَفْسٌ لِأُخْرَىٰ..

﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ لِلْحَقِّ، فَوَفَّقَنِي لِلرَّشَادِ..

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٥٧﴾ [الزمر: ٥٧] لَكُنْتُ مِمَّنِ اتَّقَاهُ بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ رِضَاهُ.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ [الزمر: ٥٨].

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾ أَوْ أَنْ لَا تَقُولَ أُخْرَىٰ حِينَ تَرَىٰ عَذَابَ اللهِ فَتُعَايِنُهُ..

﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ لَوْ أَنَّ لِي رَجْعَةً إِلَىٰ الدُّنْيَا..

﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ [الزمر: ٥٨] الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ.. فَأَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ الْهُدَىٰ.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ [الزمر: ٥٩].

﴿بَلَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا الْقَائِلَ: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٥٧﴾ [الزمر: ٥٧]، وَلِلْقَائِلِ: ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ [الزمر: ٥٨] : مَا الْقَوْلُ كَمَا تَقُولُونَ، بَلَىٰ..

﴿قَدْ جَآءَتْكَ﴾ أَيُّهَا الْمُتَمَنِّي عَلَىٰ اللهِ الرَّدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا لِتَكُونَ فِيهَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ..

﴿ءَايَٰتِى﴾ قَدْ جَاءَتْكَ حُجَجِي مِنْ بَيْنِ رَسُولٍ أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكَ، وَكِتَابٍ أَنْزَلْتُهُ يُتْلَىٰ عَلَيْكَ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالتَّذْكِيرِ..

﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ بِآيَاتِي..

﴿وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ عَنْ قَبُولِهَا وَاتِّبَاعِهَا..

﴿وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٥٩﴾ [الزمر: ٥٩] وَكُنْتَ مِمَّنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الْكَافِرِينَ، وَيَسْتَنُّ بِسُنَّتِهِمْ، وَيَتَّبِعُ مِنْهَاجَهُمْ.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ [الزمر: ٦٠].

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ..

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ مِنْ قَوْمِكَ فَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَدًا، وَأَنَّ لَهُ شَرِيكًا، وَعَبَدُوا آلِهَةً مِنْ دُونِهِ..

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ [الزمر: ٦٠] أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَأْوًى وَمَسْكَنٌ لِمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللهِ، فَامْتَنَعَ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ عَنْهُ.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١﴾ [الزمر: ٦١].

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾ مِنْ جَهَنَّمَ وَعَذَابِهَا..

﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بِفَوْزِهِمْ..

﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾ لَا يَمَسُّ الْمُتَّقِينَ مِنْ أَذَى جَهَنَّمَ شَيْءٌ، وَهُوَ السُّوءُ الَّذِي أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ لَنْ يَمَسَّهُمْ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١﴾ [الزمر: ٦١] عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ آرَابِ الدُّنْيَا، إِذْ صَارُوا إِلَى كَرَامَةِ اللهِ وَنُعَيْمِ الْجِنَانِ.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ اللهُ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ مِنْ كُلِّ خَلْقِهِ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢] وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَيِّمٌ بِالْحِفْظِ وَالْكَلَاءَةِ.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر: ٦٣].

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ لَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَفْتَحُ مِنْهَا عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، وَيُمْسِكُهَا عَمَّنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِحُجَجِ اللهِ فَكَذَّبُوا بِهَا وَأَنْكَرُوهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر: ٦٣] أُولَئِكَ هُمُ الْمَغْبُونُونَ حُظُوظَهُمْ مِنْ خَيْرِ السَّمَوَاتِ الَّتِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُهَا؛ لِأَنَّهُمْ حُرِمُوا ذَلِكَ كُلَّهُ فِي الْآخِرَةِ بِخُلُودِهِمْ فِي النَّارِ، وَفِي الدُّنْيَا بِخِذْلَانِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾ [الزمر: ٦٤].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ، الدَّاعِيكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ بِاللهِ..

﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾ أَنْ..

﴿أَعۡبُدُ﴾ وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ..

﴿أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾ [الزمر: ٦٤]

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ، وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرُّسُلِ..

﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ لَئِنْ أَشْرَكْتَ بِاللهِ شَيْئًا يَا مُحَمَّدُ، لَيَبْطُلَنَّ عَمَلُكَ، وَلَا تَنَالُ بِهِ ثَوَابًا، وَلَا تُدْرِكُ جَزَاءً إِلَّا جَزَاءَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ، وَهَذَا مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ؛ وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾، بِمَعْنَىٰ: وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ ذَلِكَ، مِثْلُ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْهُ، فَاحْذَرْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا فَتَهْلِكَ..

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥] وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْهَالِكِينَ بِالْإِشْرَاكِ بِاللهِ إِنْ أَشْرَكْتَ بِهِ شَيْئًا.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر: ٦٦].

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَا تَعْبُدْ مَا أَمَرَكَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ بِعِبَادَتِهِ، بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر: ٦٦] للهِ عَلَىٰ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ بِمَا أَنْعَمَ مِنَ الْهِدَايَةِ لِعِبَادَتِهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ وَمَا عَظَّمَ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، الَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ كُلُّهَا..

﴿مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ فَالْخَبَرُ عَنِ الْأَرْضِ مُتَنَاهٍ عِنْدَ قَوْلِهِ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ تَنْزِيهًا وَتَبْرِئَةً للهِ، وَعُلُوًّا وَارْتِفَاعًا..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧] عَمَّا يُشْرِكُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، الْقَائِلُونَ لَكَ: اعْبُدِ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَاسْجُدْ لِآلِهَتِنَا.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ وَنَفَخَ إِسْرَافِيلُ فِي الْقَرْنِ..

﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مَاتَ، وَذَلِكَ فِي النَّفْخَةِ الْأُولَىٰ..

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ عَنَىٰ بِالِاسْتِثْنَاءِ فِي الْفَزَعِ: الشُّهَدَاءَ، وَفِي الصَّعْقِ: جِبْرِيلَ، وَمَلَكَ الْمَوْتِ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ؛ لِأَنَّ الصَّعْقَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَوْتُ، وَالشُّهَدَاءُ وَإِنْ كَانُوا عِنْدَ اللهِ أَحْيَاءً كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَإِنَّهُمْ قَدْ ذَاقُوا الْمَوْتَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالِاسْتِثْنَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الِاسْتِثْنَاءَ مِنَ الَّذِينَ صُعِقُوا عِنْدَ نَفْخَةِ الصَّعْقِ، لَا مِنَ الَّذِينَ قَدْ مَاتُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ وَدَهْرٍ طَوِيلٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، وَذَاقَ الْمَوْتَ قَبْلَ وَقْتِ نَفْخَةِ الصَّعْقِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، فَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ

مِمَّنْ لَا يُصْعَقُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، إِذَا كَانَ الْمَيِّتُ لَا يُجَدَّدُ لَهُ مَوْتٌ آخَرُ فِي تِلْكَ الْحَالِ..

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ ثُمَّ نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً أُخْرَىٰ، وَذُكِرَ أَنَّ بَيْنَ النَّخْفَتَيْنِ أَرْبَعِينَ سَنَةً..

﴿فَإِذَا هُم﴾ فَإِذَا مَنْ صَعِقَ عِنْدَ النَّفْخَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَغَيْرُهُمْ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِ اللهِ الَّذِينَ كَانُوا أَمْوَاتًا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿قِيَامٌ﴾ مِنْ قُبُورِهِمْ وَأَمَاكِنِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ أَحْيَاءٌ كَهَيْئَتِهِمْ قَبْلَ مَمَاتِهِمْ..

﴿يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨] أَمْرَ اللهِ فِيهِمْ.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ فَأَضَاءَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا، يُقَالُ: أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، إِذَا صَفَّتْ وَأَضَاءَتْ، وَأَشْرَقَتْ: إِذَا طَلَعَتْ، وَذَلِكَ حِينَ يَبْرُزُ الرَّحْمَنُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ..

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ يَعْنِي: كِتَابَ أَعْمَالِهِمْ لِمُحَاسَبَتِهِمْ وَمُجَازَاتِهِمْ..

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ لِيَسْأَلَهُمْ رَبُّهُمْ عَمَّا أَجَابَتْهُمْ بِهِ أُمَمُهُمْ، وَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، حِينَ أَتَتْهُمْ رِسَالَةُ اللهِ..

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يَعْنِي بِالشُّهَدَاءِ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَسْتَشْهِدُهُمْ رَبُّهُمْ عَلَىٰ الرُّسُلِ مِنْ تَبْلِيغِهَا رِسَالَةَ اللهِ الَّتِي أَرْسَلَهُمْ بِهَا رَبُّهُمْ إِلَىٰ أُمَمِهَا، إِذْ جَحَدَتْ أُمَمُهُمْ أَنْ يَكُونُوا أَبْلَغُوهُمْ رِسَالَةَ اللهِ.. وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].. وَقِيلَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلشُّهَدَآءِ﴾ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَلَيْسَ لِمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَبِيرُ مَعْنًىٰ؛ لِأَنَّ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُ إِنَّمَا دَعَىٰ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ لِلْقَضَاءِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهَا، وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ إِنَّمَا هِيَ جَمْعُ شَهِيدٍ، الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لِلْأَنْبِيَاءَ عَلَىٰ أُمَمِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَا..

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾ [الزمر: ٦٩] وَقُضِيَ بَيْنَ النَّبِيِّينَ وَأُمَمِهِمْ بِالْحَقِّ، وَقَضَاؤُهُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ، أَنْ لَا يَحْمِلَ عَلَىٰ أَحَدٍ ذَنْبَ غَيْرِهِ، وَلَا يُعَاقِبَ نَفْسًا إِلَّا بِمَا كَسَبَتْ.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾ [الزمر: ٧٠].

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ وَوَفَّىٰ اللهُ حِينَئِذٍ كُلَّ نَفْسٍ جَزَاءَ عَمَلِهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ [الزمر: ٧٠] فِي الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمُثِيبُ الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِمَا أَسَاءَ.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [الزمر: ٧١].

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ وَحُشِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ إِلَىٰ نَارِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿زُمَرًاۖ﴾ جَمَاعَاتٍ، جَمَاعَةً جَمَاعَةً، وَحِزْبًا حِزْبًا..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ السَّبْعَةُ..

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ قُوَّامُهَا..

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ كِتَابَ اللهِ الْمُنَزَّلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ، وَحُجَجَهُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا رُسُلَهُ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ..

﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ وَيُنْذِرُونَكُمْ مَا تَلْقَوْنَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا؛ وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَيُنْذِرُونَكُمْ مَصِيرَكُمْ إِلَىٰ هَذَا الْيَوْمِ..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مُجِيبِينَ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ..

﴿بَلَىٰ﴾ قَدْ أَتَتْنَا الرُّسُلُ مِنَّا، فَأَنْذَرَتْنَا لِقَاءَنَا هَذَا الْيَوْمَ..

﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [الزمر: ٧١] قَالُوا: وَلَكِنْ وَجَبَتْ كَلِمَةُ اللهِ أَنَّ عَذَابَهُ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ عَلَيْنَا بِكُفْرِنَا بِهِ.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧٢].

﴿قِيلَ﴾ فَتَقُولُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَئِذٍ..

﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السَّبْعَةَ عَلَىٰ قَدْرِ مَنَازِلِكُمْ فِيهَا..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا لَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧٢] فَبِئْسَ مَسْكَنُ الْمُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ اللهِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يُوَحِّدُوهُ وَيُفْرِدُوا لَهُ الْأُلُوهَةَ جَهَنَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ وَحُشِرَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَخْلَصُوا لَهُ فِيهَا الْأُلُوهَةَ، وَأَفْرَدُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، فَلَمْ يُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ شَيْئًا..

﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ يَعْنِي جَمَاعَاتٍ، فَكَانَ سُوقُ هَؤُلَاءِ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَفْدًا عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ عَلَىٰ نَجَائِبَ مِنْ نَجَائِبِ الْجَنَّةِ، وَسُوقُ الْآخَرِينَ إِلَىٰ النَّارِ دَعًّا وَوِرْدًا، كَمَا قَالَ اللهُ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ لَكُمْ أَنْ يَنَالَكُمْ بَعْدُ مَكْرُوهٌ أَوِ اذًى..

﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣] طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَطَابَ الْيَوْمَ مَثْوَاكُمْ.. فَدَخَلُوهَا.

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ سِيقُوا زُمَرًا وَدَخَلُوهَا: الشُّكْرُ خَالِصٌ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، الَّذِي كَانَ وَعَدَنَاهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ، فَحَقَّقَهُ بِإِنْجَازِهِ لَنَا الْيَوْمَ..

﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ وَجَعَلَ أَرْضَ الْجَنَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِأَهْلِ النَّارِ لَوْ كَانُوا أَطَاعُوا اللهَ فِي الدُّنْيَا، فَدَخَلُوهَا، مِيرَاثًا لَنَا عَنْهُمْ..

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ﴾ نَتَّخِذُ مِنَ الْجَنَّةِ بَيْتًا، وَنَسْكُنُ مِنْهَا حَيْثُ نُحِبُّ وَنَشْتَهِي..

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر: ٧٤] فَنِعْمَ ثَوَابُ الْمُطِيعِينَ للهِ، الْعَامِلِينَ لَهُ فِي الدُّنْيَا الْجَنَّةُ لِمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٥﴾ [الزمر: ٧٥].

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ وَتَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ الْمَلَائِكَةَ مُحْدِقِينَ مِنْ حَوْلِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَيَعْنِي بِالْعَرْشِ: السَّرِيرَ..

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يُصَلُّونَ حَوْلَ عَرْشِ اللهِ شُكْرًا لَهُ..

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ وَقَضَىٰ اللهُ بَيْنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ جِيءَ بِهِمْ، وَالشُّهَدَاءِ وَأُمَمِهَا بِالْعَدْلِ، فَأَسْكَنَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ، وَمِمَّا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ النَّارَ..

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: ٧٥] وَخَتَمَتْ خَاتِمَةُ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ بِالشُّكْرِ لِلَّذِي ابْتَدَأَ خَلَقَهُمُ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهِيَّةُ، وَمَلَكَ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ مِنْ مَلَكٍ وَجِنٍّ وَإِنْسٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْخَلْقِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الزُّمَرِ



سُورَةُ غَافِرِ (٤٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَمَانُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حمٓ ①﴾ [غافر:١].

﴿حمٓ ①﴾ [غافر:١] الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي نَظِيرُ الْقَوْلِ فِي أَخَوَاتِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ②﴾ [غافر: ٢].

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمِ ②﴾ [غافر: ٢] بما يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَغَيْرِهَا.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ③﴾ [غافر: ٣].

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، مِنْ غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ..

﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ فَإِنَّ التَّوْبَ قَدْ يَكُونُ جَمْعَ تَوْبَةٍ.. وَقَدْ يَكُونُ مَصْدَرَ تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا..

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ عَاقَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِصْيَانِ لَهُ، فَلَا تَتَّكِلُوا عَلَىٰ سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَلَكِنْ كُونُوا مِنْهُ عَلَىٰ حَذَرٍ، بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ لَا يُؤْيِسُ أَهْلَ الْإِجْرَامِ وَالْآثَامِ مِنْ عَفْوِهِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ مِنْ جُرْمِهِ، كَذَلِكَ لَا يُؤَمِّنُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَانْتِقَامِهِ مِنْهُمْ، بِمَا اسْتَحَلُّوا مِنْ مَحَارِمِهِ، وَرَكِبُوا مِنْ مَعَاصِيهِ..

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ الْمَبْسُوطَةِ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ؛ يُقَالُ مِنْهُ: إِنَّ فُلَانًا لَذُو طَوْلٍ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، إِذَا كَانَ ذَا فَضْلٍ عَلَيْهِمْ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ إِلَّا اللهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ، الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا سِوَاهُ..

﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ③﴾ [غافر: ٣] إِلَىٰ اللهِ مَصِيرُكُمْ وَمَرْجِعُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْءٌ عَبَدْتُمُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ سِوَاهُ.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ④﴾ [غافر: ٤].

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مَا يُخَاصِمُ فِي حُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ بِالْإِنْكَارِ

لَهَا، إِلَّا الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَهُ..

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾ [غافر: ٤] فَلَا يَخْدَعُكَ يَا مُحَمَّدُ تَصَرُّفُهُمْ فِي الْبِلَادِ وَبَقَاؤُهُمْ وَمُكْثُهُمْ فِيهَا، مَعَ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَتَحْسَبُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا أُمْهِلُوا، وَتَقَلَّبُوا فَتَصَرَّفُوا فِي الْبِلَادِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَلَمْ يُعَاجَلُوا بِالنِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّا لَمْ نُمْهِلْهُمْ لِذَلِكَ، وَلَكِنْ لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَلِتَحِقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، عَذَابُ رَبِّكَ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [غافر: ٥].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ثُمَّ قَصَّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَصَصَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ جِدَالِهِمْ لِرُسُلِهِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي عَلَيْهِ قَوْمُهُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ -عِنْدَ بُلُوغِهِمْ أَمَدَهُمْ بَعْدَ إِعْذَارِ رُسُلِهِ إِلَيْهِمْ، وَإِنْذَارِهِمْ بَأْسَهُ- مَا قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ، إِعْلَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ، أَنَّ سُنَّتَهُ فِي قَوْمِهِ الَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَ أُولَئِكَ فِي تَكْذِيبِهِ وَجِدَالِهِ سُنَّتُهُ مِنْ إِحْلَالِ نَقْمَتِهِ بِهِمْ، وَسَطْوَتِهِ بِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: كَذَّبَتْ -قَبْلَ قَوْمِكَ الْمُكَذِّبِينَ لِرِسَالَتِكَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، الْمُجَادِلِيكَ بِالْبَاطِلِ- قَوْمُ نُوحٍ..

﴿وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وَهُمُ الْأُمَمُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا وَتَجَمَّعُوا عَلَىٰ رُسُلِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ لَهَا، كَعَادٍ وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَأَشْبَاهِهِمْ..

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ﴾ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا، الْمُتَحَزِّبَةِ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهَا..

﴿بِرَسُولِهِمْ﴾ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ..

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ فَيَقْتُلُوهُ..

﴿وَجَٰدَلُوا۟﴾ وَخَاصَمُوا رَسُولَهُمْ..

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ مِنَ الْخُصُومَةِ..

﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ لِيُبْطِلُوا..

﴿بِهِ﴾ بِجِدَالِهِمْ إِيَّاهُ وَخُصُومَتِهِمْ لَهُ..

﴿ٱلْحَقَّ﴾ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِنَ الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، كَمَا يُخَاصِمُكَ كُفَّارُ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْبَاطِلِ..

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ فَأَخَذْتُ الَّذِينَ هَمُّوا بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ بِالْعَذَابِ مِنْ عِنْدِي..

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [غافر: ٥] فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي إِيَّاهُمْ؟ أَلَمْ أُهْلِكْهُمْ فَأَجْعَلُهُمْ لِلْخَلْقِ

عِبْرَةً، وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ عِظَةً؟ وَأَجْعَلُ دِيَارَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ مِنْهُمْ خَلَاءً، وَلِلْوُحُوشِ ثَوَاءً؟

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [غافر:٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا حَقَّ عَلَى الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا الَّتِي قَصَصْتُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ قِصَصَهَا عَذَابِي، وَحَلَّ بِهَا عِقَابِي بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَجِدَالِهِمْ إِيَّاهُمْ بِالْبَاطِلِ، لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، كَذَلِكَ..

﴿حَقَّتْ﴾ وَجَبَتْ..

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ..

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [غافر:٦] وَكَذَلِكَ حَقَّ عَلَيْهِمْ عَذَابُ النَّارِ، الَّذِي وَعَدَ اللهُ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧].

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ اللهِ مِنْ مَلَائِكَتِهِ..

﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ وَمَنْ حَوْلَ عَرْشِهِ، مِمَّنْ يَحُفُّ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يُصَلُّونَ لِرَبِّهِمْ بِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ..

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ وَيُقِرُّونَ بِاللهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَهُمْ سِوَاهُ، وَيَشْهَدُونَ بِذَلِكَ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ..

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَغْفِرَ لِلَّذِينَ أَقَرُّوا بِمِثْلِ إِقْرَارِهِمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ ذُنُوبَهُمْ، فَيَعْفُوهَا عَنْهُمْ..

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ، وَهُوَ يَقُولُونَ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَعَلِمْتَ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ شَيْءٌ، وَرَحِمْتَ خَلْقَكَ، وَوَسِعْتَهُمْ بِرَحْمَتِكَ..

﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ فَاصْفَحْ عَنْ جُرْمِ مَنْ تَابَ مِنَ الشِّرْكِ بِكَ مِنْ عِبَادِكَ، فَرَجَعَ إِلَى تَوْحِيدِكَ، وَاتَّبَعَ أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ..

﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ وَسَلَكُوا الطَّرِيقَ الَّذِي أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَسْلُكُوهُ، وَلَزِمُوا الْمِنْهَاجَ الَّذِي أَمَرْتَهُمْ بِلُزُومِهِ، وَذَلِكَ الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ..

﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧] وَاصْرِفْ عَنِ الَّذِينَ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ، وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ عَذَابَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨﴾ [غافر: ٨].

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ دُعَاءِ مَلَائِكَتِهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ، تَقُولُ: يَا ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ يَعْنِي: بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ..

﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ يَعْنِي الَّتِي وَعَدْتَ أَهْلَ الْإِنَابَةِ إِلَىٰ طَاعَتِكَ أَنْ تُدْخِلَهُمُوهَا..

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وَأَدْخِلْ مَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَابُوا ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧] جَنَّاتِ عَدْنٍ، مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ، فَعَمِلَ بِمَا يُرْضِيكَ عَنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا، وَذُكِرَ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَعَ الرَّجُلِ أَبَوَاهُ وَوَلَدُهُ وَزَوْجَتُهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا عَمَلَهُ؛ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللهِ إِيَّاهُ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ يَا رَبَّنَا الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿الْحَكِيمُ ۝٨﴾ [غافر: ٨] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر: ٩].

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مَلَائِكَتِهِ: وَقِهِمْ: اصْرِفْ عَنْهُمْ سُوءَ عَاقِبَةِ سَيِّئَاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا أَتَوْهَا قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ وَإِنَابَتِهِمْ، يَقُولُونَ: لَا تُؤَاخِذْهُمْ بِذَلِكَ، فَتُعَذِّبُهُمْ بِهِ..

﴿وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ وَمَنْ تَصْرِفْ عَنْهُ سُوءَ عَاقِبَةِ سَيِّئَاتِهِ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَدْ رَحِمْتَهُ، فَنَجَّيْتَهُ مِنْ عَذَابِكَ..

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر: ٩] لِأَنَّهُ مَنْ نَجَا مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ، وَذَلِكَ لَا شَكَّ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠﴾ [غافر: ١٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ..

﴿يُنَادَوْنَ﴾ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا دَخَلُوهَا، فَمَقَتُوا بِدُخُولِهِمُوهَا أَنْفُسَهُمْ حِينَ عَايَنُوا مَا

أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، فَيُقَالُ لَهُمْ..

﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي الدُّنْيَا، إِذْ تُدْعَوْنَ فِيهَا لِلْإِيمَانِ بِاللهِ فَتَكْفُرُونَ..

﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ﴾ الْيَوْمَ..

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ لِمَا حَلَّ بِكُمْ مِنْ سَخْطِ اللهِ عَلَيْكُمْ..

﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَتَكْفُرُونَ ١٠﴾ [غافر: ١٠]

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ١١﴾ [غافر: ١١].

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ كَانُوا أَمْوَاتًا فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، فَأَحْيَاهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أَمَاتَهُمُ الْمُوتَةَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُمَا حَيَاتَانِ وَمَوْتَتَانِ..

﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ فَأَقْرَرْنَا بِمَا عَمِلْنَا مِنَ الذُّنُوبِ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ١١﴾ [غافر: ١١] فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنَ النَّارِ لَنَا سَبِيلٌ، لِنَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فِيهَا.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ١٢﴾ [غافر: ١٢].

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ مِنْ ذِكْرِهِ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ: فَأُجِيبُوا أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ ذَلِكَ، هَذَا الَّذِي لَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ فَأَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ الْأُلُوهَةُ لَهُ خَالِصَةً، وَقُلْتُمْ ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾..

﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ﴾ وَإِنْ يُجْعَلَ للهِ شَرِيكٌ تُصَدِّقُوا مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ لَهُ..

﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ١٢﴾ [غافر: ١٢] فَالْقَضَاءُ للهِ الْعَلِيِّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، الْكَبِيرِ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ مُتَصَاغِرٌ لَهُ الْيَوْمَ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [غافر:١٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ حُجَجَهُ وَأَدِلَّتَهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ..

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ﴾ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ مِنَ السَّمَاءِ، بِإِدْرَارِ الْغَيْثِ -الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ أَقْوَاتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَغِذَاءَ أَنْعَامِكُمْ- عَلَيْكُمْ..

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ حُجَجَ اللهِ الَّتِي جَعَلَهَا أَدِلَّةً عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، فَيُعْتَبَرُ بِهَا وَيُتَّعَظُ، وَيُعْلَمُ حَقِيقَةُ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ..

﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [غافر:١٣] إِلَّا مَنْ يَرْجِعُ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ، وَيُقْبِلُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ [غافر: ١٤].

﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ، فَاعْبُدُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَهُ..

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مُخْلِصِينَ لَهُ الطَّاعَةَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ شَيْئًا مِمَّا دُونَهُ..

﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ عِبَادَتَكُمْ إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الطَّاعَةَ..

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ [غافر: ١٤] الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾ [غافر:١٥].

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ هُوَ رُفَيْعُ الدَّرَجَاتِ..

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ ذُو السَّرِيرِ الْمُحِيطُ بِمَا دُونَهُ..

﴿يُلْقِى﴾ يُنَزِّلُ..

﴿ٱلرُّوحَ﴾ الْوَحْيَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالْكِتَابُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ النُّبُوَّةُ.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُ أَصْحَابِهَا بِهَا..

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ مَنْ يُلْقَىٰ الرُّوحَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿لِيُنذِرَ﴾ مَنْ أَمَرَ اللهُ بِإِنْذَارِهِ مِنْ خَلْقِهِ عَذَابَ..

﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾ [غافر:١٥] يَوْم تَلْتَقِي فِيهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، وَهُوَ يَوْمُ التَّلَاقِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: ١٦].

﴿يَوْمَ هُم﴾ الْمُنْذَرُونَ الَّذِينَ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ لِيُنْذِرُوهُمْ..

﴿بَٰرِزُونَۖ﴾ ظَاهِرُونَ لِلنَّاظِرِينَ، لَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ، وَلَا يَسْتُرُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ سَاتِرٌ، وَلَكِنَّهُمْ بِقَاعٍ صَفْصَفٍ لَا أَمْتَ فِيهِ وَلَا عِوَجَ..

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ وَلَا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ يَقُولُ الرَّبُّ: لِمَنِ السُّلْطَانُ الْيَوْمَ؟ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَيُجِيبُ نَفْسَهُ فَيَقُولُ..

﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ﴾ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ..

﴿ٱلْقَهَّارِ ⑯﴾ [غافر: ١٦] لِكُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ بِقُدْرَتِهِ، الْغَالِبِ بِعِزَّتِهِ.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ⑰﴾ [غافر: ١٧].

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَبْعَثُ خَلْقَهُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يَقُولُ: الْيَوْمَ يُثَابُ كُلُّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، فَيُوَفَّىٰ أَجْرَ عَمَلِهِ، فَعَامِلُ الْخَيْرِ يُجْزَىٰ الْخَيْرَ، وَعَامِلُ الشَّرِّ يُجْزَىٰ جَزَاءَهُ..

﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ لَا بَخْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ فِيمَا اسْتَوْجَبَهُ مِنْ أَجْرِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَنْقُصُ مِنْهُ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا، وَلَا حَمْلَ عَلَىٰ مُسِيءٍ إِثْمَ ذَنْبٍ لَمْ يَعْمَلْهُ فَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ⑰﴾ [غافر: ١٧] إِنَّ اللهَ ذُو سُرْعَةٍ فِي مُحَاسَبَةِ عِبَادِهِ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يَنْتَصِفُ حَتَّىٰ يَقِيلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجنةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وَقَدْ فَرَغَ مِنْ حِسَابِهِمْ، وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ⑱﴾ [غافر: ١٨].

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ وَأَنْذِرْ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَوْمَ الْآزِفَةِ، يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنْ يُوَافُوا اللهَ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، فَيَسْتَحِقُّوا مِنَ اللهِ عِقَابَهُ الْأَلِيمَ..

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ إِذْ قُلُوبُ الْعِبَادِ مِنْ مَخَافَةِ عِقَابِ اللهِ لَدَىٰ حَنَاجِرِهِمْ قَدْ شَخِصَتْ مِنْ صُدُورِهِمْ، فَتَعَلَّقَتْ بِحُلُوقِهِمْ كَاظِمِيهَا، يَرُومُونَ رَدَّهَا إِلَىٰ مَوَاضِعِهَا مِنْ صُدُورِهِمْ فَلَا تَرْجِعُ، وَلَا هِيَ تَخْرُجُ مِنْ أَبْدَانِهِمْ فَيَمُوتُوا..

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ﴾ مَا لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ يَوْمَئِذٍ مِنْ حَمِيمٍ يَحُمُّ لَهُمْ، فَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عَظِيمَ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَا شَفِيعٍ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَـ..

﴿يُطَاعُ ⑱﴾ [غافر: ١٨] فِيمَا شَفَعَ، وَيُجَابُ فِيمَا سَأَلَ.

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩].

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ صِفَةِ نَفْسِهِ: يَعْلَمُ رَبُّكُمْ مَا خَانَتْ أَعْيُنُ عِبَادِهِ..

﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩] وَمَا أَخْفَتْهُ صُدُورُهُمْ، يَعْنِي: وَمَا أَضْمَرَتْهُ قُلُوبُهُمْ؛ يَقُولُ: لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ حَتَّىٰ مَا يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ وَيُضْمِرُهُ قَلْبُهُ، إِذَا نَظَرَ مَاذَا يُرِيدُ بِنَظَرِهِ، وَمَا يَنْوِي ذَلِكَ بِقَلْبِهِ.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠﴾ [غافر: ٢٠].

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَقْضِي فِي الَّذِي خَانَتْهُ الْأَعْيُنُ بِنَظَرِهَا، وَأَخْفَتْهُ الصُّدُورُ عِنْدَ نَظَرِ الْعُيُونِ بِالْحَقِّ، فَيَجْزِي الَّذِينَ أَغْمَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَصَرَفُوهَا عَنْ مَحَارِمِهِ حَذَارَ الْمَوْقِفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَسْأَلَتِهِ عَنْهُ بِالْحُسْنَىٰ، وَالَّذِينَ رَدَّدُوا النَّظَرَ، وَعَزَمَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ مُوَاقَعَةِ الْفَوَاحِشِ إِذَا قَدَرَتْ، جَزَاءَهَا..

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ وَالْأَوْثَانُ وَالْآلِهَةُ الَّتِي يَعْبُدُهَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّهَا لَا تَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: فَاعْبُدُو االَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَيَجْزِي مُحْسِنَكُمْ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءَ بِالْإِسَاءَةِ، لَا مَا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا، فَيَعْرِفُ الْمُحْسِنَ مِنَ الْمُسِيءِ، فَيُثِيبُ الْمُحْسِنَ، وَيُعَاقِبُ الْمُسِيءَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا تَنْطِقُ بِهِ أَلْسِنَتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلۡبَصِيرُ ٢٠﴾ [غافر: ٢٠] بِمَا تَفْعَلُونَ مِنَ الْأَفْعَالِ، مُحِيطٌ بِكُلِّ ذَلِكَ مُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ، لِيُجَازِي جَمِيعَكُمْ جَزَاءَهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ.

﴿۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١﴾ [غافر: ٢١].

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَوَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُقِيمُونَ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ بِاللهِ، الْمُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ مِنْ قُرَيْشٍ، فِي الْبِلَادِ..

﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾ فَيَرَوْا مَا الَّذِي كَانَ خَاتِمَةُ أُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ، فِي الْكُفْرِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ..

﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كَانَتْ تِلْكَ الْأُمَمُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا..

﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ وَأَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ آثَارًا، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ شِدَّةُ قُوَاهُمْ، وَعِظَمُ أَجْسَامِهِمْ، إِذْ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَأَخَذَهُمْ بِمَا أَجْرَمُوا مِنْ مَعَاصِيهِ، وَاكْتَسَبُوا مِنَ الْآثَامِ، وَلَكِنَّهُ أَبَادَ جَمْعَهُمْ، وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةً مِنْهُمْ بِمَا ظَلَمُوا..

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر: ٢١] وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذْ جَاءَهُمْ، مِنْ وَاقٍ يَقِيهِمْ، فَيَدْفَعُهُ عَنْهُمْ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ [غافر: ٢٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلْتُ بِهَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ -مَنْ أَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ-..

﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فَعَلْنَا بِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُ اللهِ إِلَيْهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ، يَعْنِي بِالْآيَاتِ الدَّالَاتِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿فَكَفَرُوا﴾ فَأَنْكَرُوا رِسَالَتَهَا، وَجَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَأَبَوْا أَنْ يُطِيعُوا اللهَ..

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ فَأَهْلَكَهُمْ..

﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾ إِنَّ اللهَ ذُو قُوَّةٍ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ..

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ [غافر: ٢٢] شَدِيدٌ عِقَابُهُ مَنْ عَاقَبَ مِنْ خَلْقِهِ؛ وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، الْمُكَذِّبِينَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْ تَسْلُكُوا سَبِيلَهُمْ فِي تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَجُحُودِ تَوْحِيدِ اللهِ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَيَسْلُكُ بِكُمْ فِي تَعْجِيلِ الْهَلَاكِ لَكُمْ مَسْلَكَهُمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ [غافر: ٢٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ [غافر: ٢٣] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُسَلِّيًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، عَمَّا كَانَ يَلْقَىٰ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، بِإِعْلَامِهِ مَا لَقِيَ مُوسَىٰ مِمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبٍ، وَمُخْبِرُهُ أَنَّهُ مُعْلِيهِ عَلَيْهِمْ، وَجَاعِلٌ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَىٰ مَنْ حَادَّهُ وَشَاقَّهُ، كَسُنَّتِهِ فِي مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، إِذْ أَعْلَاهُ، وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُ فِرْعَوْنَ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ يَعْنِي بِأَدِلَّتِهِ

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢٣﴾.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤﴾ [غافر: ٢٤].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟﴾ فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ: هُوَ..

﴿سَٰحِرٌ﴾ يَسْحَرُ الْعَصَا، فَيَرَىٰ النَّاظِرُ إِلَيْهَا أَنَّهَا حَيَّةٌ تَسْعَىٰ..

﴿كَذَّابٌ ۝٢٤﴾ [غافر: ٢٤] يَكْذِبُ عَلَىٰ اللهِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَىٰ النَّاسِ رَسُولًا.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٢٥﴾ [غافر: ٢٥].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ فَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ..

﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾وَذَلِكَ مَجِيئُهُ إِيَّاهُمْ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، مَعَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، بِأَنَّ اللهَ ابْتَعَثَهُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ ذَلِكَ..

﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ..

﴿مَعَهُۥ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ وَاسْتَبْقُوا نِسَاءَهُمْ لِلْخِدْمَةِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا ﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ وَإِنَّمَا كَانَ قَتْلُ فِرْعَوْنَ الْوِلْدَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِذَارَ الْمَوْلُودِ الَّذِي كَانَ أُخْبِرَ أَنَّهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ ذَهَابُ مُلْكِهِ، وَهَلَاكُ قَوْمِهِ، وَذَلِكَ كَانَ -فِيمَا يُقَالُ- قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ مُوسَىٰ نَبِيًّا؟ قِيلَ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بِقَتْلِ أَبْنَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ مُوسَىٰ، وَاسْتِحْيَاءِ نِسَائِهِمْ، كَانَ أَمْرًا مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ مِنْ فِرْعَوْنَ قَبْلَ مَوْلِدِ مُوسَىٰ..

﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وَمَا احْتِيَالُ أَهْلِ الْكُفْرِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٢٥﴾ [غافر: ٢٥] إِلَّا فِي جَوْرٍ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَصَدٍ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦﴾ [غافر: ٢٦].

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لِمَلَئِهِ..

﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا فَيَمْنَعُهُ مِنَّا..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُغَيِّرَ دِينَكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِسِحْرِهِ..

﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر: ٢٦] إِنِّي أَخَافُ مِنْ مُوسَىٰ أَنْ يُغَيِّرَ دِينَكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي أَرْضِكُمْ أَرْضِ مِصْرَ، عِبَادَةَ رَبِّهِ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَذَلِكَ كَانَ عِنْدَهُ هُوَ الْفَسَادُ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾ [غافر: ٢٧].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ..

﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ إِنِّي اسْتَجَرْتُ أَيُّهَا الْقَوْمُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ..

﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ﴾ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ عَلَيْهِ، تَكَبَّرَ عَنْ تَوْحِيدِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِأُلُوهِيَّتِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾ [غافر: ٢٧] فَيُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِمَا أَسَاءَ.. وَإِنَّمَا خَصَّ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، الِاسْتِعَاذَةَ بِاللهِ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِيَوْمِ الْحِسَابِ مُصَدِّقًا، لَمْ يَكُنْ لِلثَّوَابِ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ رَاجِيًا، وَلَا لِلْعِقَابِ عَلَىٰ الْإِسَاءَةِ وَقَبِيحِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَفْعَالِ خَائِفًا، وَلِذَلِكَ كَانَ اسْتِجَارَتُهُ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ خَاصَّةً.

﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ [غافر: ٢٨].

﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ كَانَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ آمَنَ بِمُوسَىٰ، وَقَدْ أَصْغَىٰ لِكَلَامِهِ، وَاسْتَمَعَ مِنْهُ مَا قَالَهُ، وَكَانَ يُسِرُّ إِيمَانَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ خَوْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَتُوُقِّفَ عَنْ قَتْلِ مُوسَىٰ عِنْدَ نَهْيِهِ عَنْ قَتْلِهِ وَقِيلِهِ مَا قَالَهُ..

﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ أَتَقْتُلُونَ -أَيُّهَا الْقَوْمُ- مُوسَىٰ لِأَنْ يَقُولَ رَبِّي اللهُ؟!

﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا يَقُولُ مِنْ ذَلِكَ، وَتِلْكَ الْبَيِّنَاتُ مِنَ الْآيَاتِ يَدُهُ وَعَصَاهُ..

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ وَإِنْ يَكُ مُوسَىٰ كَاذِبًا فِي قِيلِهِ: إِنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَتِهِ، وَتَرْكِ دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا إِثْمُ كَذِبِهِ عَلَيْهِ دُونَكُمْ..

﴿وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا فِي قِيلِهِ ذَلِكَ، أَصَابَكُمْ

الَّذِي وَعَدَكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَقَامِكُمْ عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، فَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَىٰ قَتْلِهِ، فَتَزِيدُوا رَبَّكُمْ بِذَلِكَ إِلَىٰ سَخَطِهِ عَلَيْكُمْ بِكُفْرِكُمْ سَخَطًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ لِلْحَقِّ..

﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مَنْ هُوَ مُتَعَدٍّ إِلَىٰ فِعْلِ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ..

﴿كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨] عَلَيْهِ يَكْذِبُ، وَيَقُولُ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ وَغَيْرَ الْحَقِّ.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: ٢٩].

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمُؤْمِنِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يَعْنِي: أَرْضَ مِصْرَ، يَقُولُ: لَكُمُ السُّلْطَانُ الْيَوْمَ وَالْمُلْكُ ظَاهِرِينَ أَنْتُمْ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَرْضِ مِصْرَ..

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ﴾ فَمَنْ يَدْفَعُ عَنَّا بَأْسَ اللهِ وَسَطْوَتَهُ إِنْ حَلَّ بِنَا، وَعُقُوبَتَهُ إِنْ جَاءَتْنَا..

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ مُجِيبًا لِهَذَا الْمُؤْمِنِ النَّاهِي عَنْ قَتْلِ مُوسَىٰ..

﴿مَآ أُرِيكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الرَّأْيِ وَالنَّصِيحَةِ..

﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ لِنَفْسِي وَلَكُمْ صَلَاحًا وَصَوَابًا..

﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: ٢٩] وَمَا أَدْعُوكُمْ إِلَّا إِلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي أَمْرِ مُوسَىٰ وَقَتْلِهِ، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَقْتُلُوهُ بَدَّلَ دِينَكُمْ، وَأَظْهَرَ فِي أَرْضِكُمُ الْفَسَادَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [غافر: ٣٠].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ وَقَالَ الْمُؤْمِنُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ بِقَتْلِكُمْ مُوسَىٰ إِنْ قَتَلْتُمُوهُ..

﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [غافر: ٣٠] الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَىٰ رُسُلِ اللهِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِتَجَرُّئِهِمْ عَلَيْهِ، فَيُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَهُمْ.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: ٣١].

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُمْ فَيُهْلِكُكُمْ مِثْلَ سُنَّتِهِ فِي قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَفِعْلِهِ بِهِمْ..

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ يَعْنِي قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْمَ لُوطٍ، وَهُمْ أَيْضًا مِنَ الْأَحْزَابِ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾ [غافر: ٣١] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمُؤْمِنِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ: وَمَا أَهْلَكَ اللهُ هَذِهِ الْأَحْزَابَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ ظُلْمًا مِنْهُ لَهُمْ بِغَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمُوهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُرِيدُ ظُلْمَ عِبَادِهِ، وَلَا يَشَاؤُهُ، وَلَكِنَّهُ أَهْلَكَهُمْ بِإِجْرَامِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَهُ.

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [غافر: ٣٢].

﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَذَا الْمُؤْمِنِ لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بِقَتْلِكُمْ مُوسَىٰ -إِنْ قَتَلْتُمُوهُ- عِقَابَ اللهِ..

﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [غافر: ٣٢] وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ يُنَادِي النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، إِمَّا مِنْ هَوْلِ مَا قَدْ عَايَنُوا مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِ اللهِ، وَفَظَاعَةِ مَا غَشِيَهُمْ مِنْ كَرْبِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَإِمَّا لِتَذْكِيرِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا إِنْجَازَ اللهِ إِيَّاهُمُ الْوَعْدَ الَّذِي وَعَدَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَاسْتِغَاثَةً مِنْ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، مِمَّا لَقِيَ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ فِيهِ.

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾ [غافر: ٣٣].

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ يَوْمَ يُوَلُّونَ هَارِبِينَ فِي الْأَرْضِ حَذَارِ عَذَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ جَهَنَّمَ .. وقال آخرون: يَوْمَ تُوَلُّونَ مُنْصَرِفِينَ عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الأَوَّلُ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ، وَبِهِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ..

﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مَانِعٌ يَمْنَعُكُمْ، وَنَاصِرٌ يَنْصُرُكُمْ..

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾ [غافر: ٣٣] وَمَنْ يَخْذُلْهُ اللهُ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِرُشْدِهِ، فَمَا لَهُ مِنْ مُوَفِّقٍ يُوَفِّقُهُ لَهُ.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر: ٣٤].

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ﴾ بْنُ يَعْقُوبَ يَا قَوْمِ..

﴿مِن قَبۡلُ﴾ مِنْ قَبْلِ مُوسَىٰ..

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْوَاضِحَاتِ مِنْ حُجَجِ اللهِ..

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ فَلَمْ تَزَالُوا مُرْتَابِينَ فِيمَا أَتَاكُمْ بِهِ يُوسُفُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ غَيْرَ مُوقِنِي الْقُلُوبِ بِحَقِيقَتِهِ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَاتَ يُوسُفُ..

﴿قُلْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِ يُوسُفَ إِلَيْكُمْ..

﴿رَسُولًا﴾ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝٣٤﴾ [غافر: ٣٤] هَكَذَا يَصُدُّ اللهُ عَنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ وَقَصْدِ السَّبِيلِ مَنْ هُوَ كَافِرٌ بِهِ مُرْتَابٌ، شَاكٌّ فِي حَقِيقَةِ أَخْبَارِ رُسُلِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥﴾ [غافر: ٣٥].

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ أَهْلَ الْإِسْرَافِ وَالْغُلُوِّ فِي ضَلَالِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَاجْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، الْمُرْتَابِينَ فِي أَخْبَارِ رُسُلِهِ، الَّذِينَ يُخَاصِمُونَ فِي حُجَجِهِ الَّتِي أَتَتْهُمْ بِهَا رُسُلُهُ لِيُدْحِضُوهَا بِالْبَاطِلِ مِنَ الْحُجَجِ..

﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ بِغَيْرِ حُجَّةٍ أَتَتْهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ يَدْفَعُونَ بِهَا حَقِيقَةَ الْحُجَجِ الَّتِي أَتَتْهُمْ بِهَا الرُّسُلُ..

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كَبُرَ ذَلِكَ الْجِدَالُ الَّذِي يُجَادِلُونَهُ فِي آيَاتِ اللهِ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ..

﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ، كَذَلِكَ..

﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُوَحِّدَهُ، وَيُصَدِّقَ رُسُلَهُ..

﴿جَبَّارٍ ۝٣٥﴾ [غافر: ٣٥] مُتَعَظِّمٍ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦﴾ [غافر: ٣٦].

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لَمَّا وَعَظَهُ الْمُؤْمِنُ مِنْ آلِهِ بِمَا وَعَظَهُ بِهِ وَزَجَرَهُ عَنْ قَتْلِ مُوسَىٰ نَبِيِّ اللهِ وَحَذَّرَهُ مِنْ بَأْسِ اللهِ عَلَىٰ قِيلِهِ اقْتُلْهُ مَا حَذَّرَهُ لِوَزِيرِهِ وَزِيرِ السُّوءِ هَامَانَ..

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ يَعْنِي بِنَاءً..

﴿لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ [غافر: ٣٦] لَعَلِّي أَبْلُغُ مِنْ أَسْبَابِ السَّمَوَاتِ.

﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر: ٣٧].

﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أَتَسَبَّبُ بِهَا..

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ إِلَىٰ رُؤْيَةِ إِلَهِ مُوسَىٰ، طُرُقًا كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْبَابُ مِنْهَا، أَوِ أَبْوَابًا، أَوْ مَنَازِلَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ..

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ وَإِنِّي لَأَظُنُّ مُوسَىٰ كَاذِبًا فِيمَا يَقُولُ وَيَدَّعِي مِنْ أَنَّ لَهُ فِي السَّمَاءِ رَبًّا أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا..

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ وَهَكَذَا زَيَّنَ اللهُ لِفِرْعَوْنَ حِينَ عَتَا عَلَيْهِ وَتَمَرَّدَ، قَبِيحَ عَمَلِهِ، حَتَّىٰ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ بُلُوغَ أَسْبَابِ السَّمَوَاتِ، لِيَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ..

﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ، زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ حُمَيْدٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ (وَصَدَّ) بِفَتْحِ الصَّادِ، بِمَعْنَىٰ: وَأَعْرَضَ فِرْعَوْنُ عَنْ سَبِيلِ اللهِ الَّتِي ابْتَعَثَ بِهَا مُوسَىٰ اسْتِكْبَارًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر: ٣٧] وَمَا احْتِيَالُ فِرْعَوْنَ الَّذِي يَحْتَالُ لِلِاطِّلَاعِ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ، إِلَّا فِي خَسَارٍ وَذِهَابِ مَالٍ وَغَبْنٍ، لِأَنَّهُ ذَهَبَتْ نَفَقَتُهُ الَّتِي أَنْفَقَهَا عَلَىٰ الصَّرْحِ بَاطِلًا، وَلَمْ يَنَلْ بِمَا أَنْفَقَ شَيْئًا مِمَّا أَرَادَهُ، فَذَلِكَ هُوَ الْخَسَارُ وَالتَّبَابُ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ [غافر: ٣٨].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ [غافر: ٣٨] إِنِ اتَّبَعْتُمُونِي فَقَبِلْتُمْ مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ، بَيَّنْتُ لَكُمْ طَرِيقَ الصَّوَابِ الَّذِي تُرْشَدُونَ إِذَا أَخَذْتُمْ فِيهِ وَسَلَكْتُمُوهُ وَذَلِكَ هُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ مُوسَىٰ.

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ [غافر: ٣٩].

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةُ الَّتِي عُجِّلَتْ لَكُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا مَتَاعٌ تَسْتَمْتِعُونَ بِهَا إِلَىٰ أَجَلٍ أَنْتُمْ بَالِغُوهُ، ثُمَّ تَمُوتُونَ وَتَزُولُ عَنْكُمْ..

﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر: ٣٩] وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَهِيَ دَارُ الْقَرَارِ الَّتِي تَسْتَقِرُّونَ فِيهَا فَلَا تَمُوتُونَ وَلَا تَزُولُ عَنْكُمْ، يَقُولُ: فَلَهَا فَاعْمَلُوا، وَإِيَّاهَا فَاطْلُبُوا.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠﴾ [غافر: ٤٠].

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ مَنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فَلَا يُجْزِيهِ اللهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا سَيِّئَةً مِثْلَهَا، وَذَلِكَ أَنْ يُعَاقِبَهُ بِهَا..

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ وَمَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، وَائْتَمَرَ لِأَمْرِهِ، وَانْتَهَىٰ فِيهَا عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بِاللهِ..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ فَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ مِنْ عِبَادِ اللهِ يَدْخُلُونَ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةَ..

﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠﴾ [غافر: ٤٠] يَرْزُقُهُمُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ مِنْ ثِمَارِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمِهَا وَلَذَّاتِهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ.

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾ [غافر: ٤١].

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَذَا الْمُؤْمِنِ لِقَوْمِهِ مِنَ الْكَفَرَةِ: ﴿مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ مُوسَىٰ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾ [غافر: ٤١] وَتَدْعُونَنِي إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ.

﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢﴾ [غافر: ٤٢].

﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ وَأُشْرِكَ بِاللهِ فِي عِبَادَتِهِ أَوْثَانًا، لَسْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِي عِبَادَتُهَا وَإِشْرَاكُهَا فِي عِبَادَةِ اللهِ، لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَأْذَنْ لِي فِي ذَلِكَ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ..

﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢﴾ [غافر: ٤٢] وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْعَزِيزِ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ، الَّذِي لَا يَمْنَعُهُ إِذَا انْتَقَمَ عَدُوٌّ لَهُ شَيْءٌ، الْغَفَّارُ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، لِعَفْوِهِ عَنْهُ، فَلَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ مَعَ عَفْوِهِ عَنْهُ، يَقُولُ: فَهَذَا الَّذِي هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُ فَاعْبُدُوا، لَا مَا لَا ضَرَّ عِنْدَهُ وَلَا نَفْعَ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣﴾ [غافر: ٤٣].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ حقًّا أَنَّ الَّذِي تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنَ الْأَوْثَانِ، لَيْسَ لَهُ دُعَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، لِأَنَّهُ جَمَادٌ لَا يَنْطِقُ، وَلَا يَفْهَمُ شَيْئًا..

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَأَنَّ مَرْجِعَنَا وَمُنْقَلَبَنَا بَعْدَ مَمَاتِنَا إِلَىٰ اللهِ..

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣﴾ [غافر: ٤٣] وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْمُتَعَدِّينَ حُدُودَهُ، الْقَتَلَةَ النُّفُوسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهَا، هُمْ أَصْحَابُ نَارِ جَهَنَّمَ عِنْدَ مَرْجِعِنَا إِلَىٰ اللهِ.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤﴾ [غافر: ٤٤].

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمُؤْمِنِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: فَسَتَذْكُرُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ إِذَا عَايَنْتُمْ عِقَابَ اللهِ قَدْ حَلَّ بِكُمْ، وَلَقِيتُمْ مَا لَقِيتُمُوهُ صَدَقَ..

﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ مَا أَقُولُ، وَحَقِيقَةَ مَا أُخْبِرُكُمْ بِهِ مِنْ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ..

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَأُسَلِّمُ أَمْرِي إِلَىٰ اللهِ، وَأَجْعَلُهُ إِلَيْهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ الْكَافِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤﴾ [غافر: ٤٤] إِنَّ اللهَ عَالِمٌ بِأُمُورِ عِبَادِهِ، وَمَنِ الْمُطِيعُ مِنْهُمْ، وَالْعَاصِي لَهُ، وَالْمُسْتَحِقُّ جَمِيلَ الثَّوَابِ، وَالْمُسْتَوْجِبُ سَيِّئَ الْعِقَابِ.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥﴾ [غافر: ٤٥].

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ فَدَفَعَ اللهُ عَنْ هَذَا الْمُؤْمِنِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ بِإِيمَانِهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ مُوسَىٰ، مَكْرُوهَ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَنَالُ بِهِ أَهْلَ الْخِلَافِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ، فَنَجَّاهُ مِنْهُ..

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥﴾ [غافر: ٤٥] وَحَلَّ بِآلِ فِرْعَوْنَ وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ؛ وَعُنِيَ بِآلِ فِرْعَوْنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَتْبَاعُهُ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ مِنْ قَوْمِهِ.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُبِينًا عَنْ سُوءِ الْعَذَابِ الَّذِي حَلَّ بِهَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ذَلِكَ الَّذِي حَاقَ بِهِمْ مِنْ سُوءِ عَذَابِ اللهِ ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ إِنَّهُمْ لَمَّا هَلَكُوا وَغَرَّقَهُمُ

اللهُ، جُعِلَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ سُودٍ، فَهِيَ تُعْرَضُ عَلَى النَّارِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ..

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ..

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يُقَالُ لِآلِ فِرْعَوْنَ..

﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] فَهَذَا عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ وَصَلَ الْأَلِفَ مِنَ ادْخُلُوا وَلَمْ يَقْطَعْ، وَمَعْنَاهُ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقُولُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر: ٤٧].

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ وَإِذْ يَتَخَاصَمُونَ فِي النَّارِ، وَعُنِيَ بِذَلِكَ: إِذْ يَتَخَاصَمُ الَّذِينَ أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِنْذَارِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ فِي النَّارِ..

﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ مِنْهُمْ وَهُمُ الْمُتَّبِعُونَ عَلَى الشِّرْكِ بِاللهِ..

﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تَقُولُ لِرُؤَسَائِهِمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ..

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا تَبَعًا عَلَى الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ الْيَوْمَ..

﴿عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر: ٤٧] يَعْنُونَ: حَظًّا، فَتُخَفِّفُوهُ عَنَّا، فَقَدْ كُنَّا نُسَارِعُ فِي مَحَبَّتِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ قِبَلِكُمْ أَتَيْنَا، لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ، فَلَمْ يُصِبْنَا الْيَوْمَ هَذَا الْبَلَاءُ.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٨].

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ الْمَتْبُوعُونَ عَلَى الضَّلَالَةِ فِي الدُّنْيَا..

﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ كُلُّنَا فِي هَذِهِ النَّارِ مُخَلَّدُونَ، لَا خَلَاصَ لَنَا مِنْهَا..

﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٨] بِفَصْلِ قَضَائِهِ، فَأَسْكَنَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، فَلَا نَحْنُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ خَارِجُونَ، وَلَا هُمْ مِمَّا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ مُنْتَقِلُونَ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ وَقَالَ أَهْلُ جَهَنَّمَ لِخَزَنَتِهَا وَقُوَّامِهَا اسْتِغَاثَةً بِهِمْ مِنْ

عَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَرَجَاءً أَنْ يَجِدُوا مِنْ عِنْدِهِمْ فَرَجًا..

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ لَنَا..

﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ وَاحِدًا، يَعْنِي قَدْرَ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا..

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩﴾ [غافر: ٤٩] الَّذِي نَحْنُ فِيهِ وَإِنَّمَا قُلْنَا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: قَدْرَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ يَوْمٌ لَا لَيْلَ فِيهِ، فَيُقَالُ: خَفِّفْ عَنْهُمْ يَوْمًا وَاحِدًا.

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٥٠].

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قَالَتْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ لَهُمْ: أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ فِي الدُّنْيَا رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْحُجَجِ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، فَتُوَحِّدُوهُ وَتُؤْمِنُوا بِهِ، وَتَتَبَرَّءُوا مِمَّا دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ؟..

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ قَدْ أَتَتْنَا رُسُلُنَا بِذَلِكَ..

﴿قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟﴾ قَالَتِ الْخَزَنَةُ لَهُمْ: فَادْعُوا إِذَنْ رَبَّكُمُ الَّذِي أَتَتْكُمُ الرُّسُلُ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٥٠] قَدْ دَعَوْا وَمَا دُعَاؤُهُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ؛ لِأَنَّهُ دُعَاءٌ لَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ، بَلْ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون:١٠٨].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يَقُولُ الْقَائِلُ: وَمَا مَعْنَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَهُ أَعْدَاؤُهُ، وَمَثَّلُوا بِهِ، كَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا وَأَشْبَاهِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هَمَّ بِقَتْلِهِ قَوْمُهُ، فَكَانَ أَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَخْلُصَ مِنْهُمْ حَتَّىٰ فَارَقَهُمْ نَاجِيًا بِنَفْسِهِ، كَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي هَاجَرَ إِلَىٰ الشَّامِ مِنْ أَرْضِهِ مُفَارِقًا لِقَوْمِهِ، وَعِيسَىٰ الَّذِي رُفِعَ إِلَىٰ السَّمَاءِ إِذْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ، **فَأَيْنَ النُّصْرَةُ الَّتِي أَخْبَرَنَا أَنَّهُ يَنْصُرُهَا رُسُلَهُ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**، وَهَؤُلَاءِ أَنْبِيَاؤُهُ قَدْ نَالَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَمَا نُصِرُوا عَلَىٰ مَنْ نَالَهُمْ بِمَا نَالَهُمْ بِهِ؟ قِيلَ: إِنَّ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَجْهَيْنِ كِلَاهُمَا صَحِيحٌ مَعْنَاهُ، **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **إِمَّا بِإِعْلَائِنَاهُمْ** عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَنَا وَإِظْفَارِنَا بِهِمْ، حَتَّىٰ يَقْهَرُوهُمْ غَلَبَةً، وَيُذِلُّوهُمْ بِالظَّفَرِ ذِلَّةً، كَالَّذِي فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، فَأَعْطَاهُمَا مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ مَا قَهَرَا بِهِ كُلَّ كَافِرٍ، وَكَالَّذِي فَعَلَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ بِإِظْهَارِهِ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ،

وَإِمَّا بِانْتِقَامِنَا مِمَّنْ حَادَّهُمْ وَشَاقَّهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ وَإِنْجَاءِ الرُّسُلِ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ وَعَادَاهُمْ، كَالَّذِي فَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِنُوحٍ وَقَوْمِهِ، مِنْ تَغْرِيقِ قَوْمِهِ وَإِنْجَائِهِ مِنْهُمْ، وَكَالَّذِي فَعَلَ بِمُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، إِذْ أَهْلَكَهُمْ غَرَقًا، وَنَجَّىٰ مُوسَىٰ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ وَنَحْوَ ذَلِكَ، أَوْ بِانْتِقَامِنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ مُكَذِّبِيهِمْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِنَا مِنْ بَعْدِ مَهْلِكِهِمْ، كَفِعْلِنَا بِقَتَلَةِ يَحْيَىٰ، مِنْ تَسْلِيطِنَا بُخْتُنَصَّرَ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ انْتَصَرْنَا بِهِ مِنْ قَتْلِهِ لَهُ، وَكَانْتِصَارِنَا لِعِيسَىٰ مِنْ مُرِيدِي قَتْلِهِ بِالرُّومِ حَتَّىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ بِهِمْ، فَهَذَا أَحَدُ وَجْهَيْهِ.. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ الْجَمِيعِ مِنَ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُرَادُ وَاحِدٌ، فَيَكُونُ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُولَنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، كَمَا بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْخَبَرَ بِلَفْظِ الْجَمِيعِ، وَالْمُرَادُ وَاحِدٌ إِذَا لَمْ تَنْصِبْ لِلْخَبَرِ شَخْصًا بِعَيْنِهِ..

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١] وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا بِالشَّهَادَةِ بِأَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغَتْهُمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَأَنَّ الْأُمَمَ كَذَّبَتْهُمْ.. وَالْأَشْهَادُ: جَمْعُ شَهِيدٍ، كَمَا الْأَشْرَافُ: جَمْعُ شَرِيفٍ.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: ٥٢].

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ أَهْلَ الشِّرْكِ اعْتِذَارُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَذِرُونَ إِنِ اعْتَذَرُوا إِلَّا بِبَاطِلٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَابَعَ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ فِيهَا فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الِاعْتِصَامَ بِالْكَذِبِ بِأَنْ يَقُولُوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]..

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ وَلِلظَّالِمِينَ اللَّعْنَةُ، وَهِيَ الْبُعْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: ٥٢] وَلَهُمْ مَعَ اللَّعْنَةِ مِنَ اللهِ شَرُّ مَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝٥٣﴾ [غافر: ٥٣].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ الْبَيَانَ لِلْحَقِّ الَّذِي بَعَثْنَاهُ بِهِ كَمَا آتَيْنَا ذَلِكَ مُحَمَّدًا فَكَذَّبَ بِهِ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، كَمَا كَذَّبَتْ قُرَيْشٌ مُحَمَّدًا..

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝٥٣﴾ [غافر: ٥٣] وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَاةَ، فَعَلَّمْنَاهُمُوهَا، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ.

﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ٥٤﴾ [غافر: ٥٤].

﴿هُدًى﴾ بَيَانًا لِأَمْرِ دِينِهِمْ، وَمَا أَلْزَمْنَاهُمْ مِنْ فَرَائِضِهَا..

﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ٥٤﴾ [غافر: ٥٤] وَتَذْكِيرًا مِنَّا لِأَهْلِ الْحِجَا وَالْعُقُولِ مِنْهُمْ بِهَا.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ٥٥﴾ [غافر: ٥٥].

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ لِأَمْرِ رَبِّكَ، وَأَنْفِذْ لِمَا أَرْسَلَكَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، وَبَلِّغْ قَوْمَكَ وَمَنْ أُمِرْتَ بِإِبْلَاغِهِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَأَيْقِنْ بِحَقِيقَةِ وَعْدِ اللهِ الَّذِي وَعَدَكَ مِنْ نُصْرَتِكَ، وَنُصْرَةِ مَنْ صَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ، عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَكَ، وَأَنْكَرَ مَا جِئْتَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، وَإِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ لَا خَلَفَ لَهُ وَهُوَ مُنْجِزٌ لَهُ..

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ وَسَلْهُ غُفْرَانَ ذُنُوبِكَ وَعَفْوَهُ لَكَ عَنْهُ..

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وَصَلِّ بِالشُّكْرِ مِنْكَ لِرَبِّكَ..

﴿بِالْعَشِيِّ﴾ وَذَلِكَ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَىٰ اللَّيْلِ..

﴿وَالْإِبْكَارِ ٥٥﴾ [غافر: ٥٥] وَذَلِكَ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي إِلَىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر: ٥٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُخَاصِمُونَكَ يَا مُحَمَّدُ فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ مِنَ الْآيَاتِ..

﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ بِغَيْرِ حُجَّةٍ جَاءَتْهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِمُخَاصَمَتِكَ فِيهَا..

﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ مَا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ يَتَكَبَّرُونَ مِنْ أَجْلِهِ عَنِ اتِّبَاعِكَ، وَقَبُولِ الْحَقِّ الَّذِي أَتَيْتَهُمْ بِهِ حَسَدًا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْفَضْلِ الَّذِي آتَاكَ اللهُ، وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَكْرَمَكَ بِهَا مِنَ النُّبُوَّةِ..

﴿مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ الَّذِي حَسَدُوكَ عَلَيْهِ أَمْرٌ لَيْسُوا بِمُدْرِكِيهِ وَلَا نَائِلِيهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَلَيْسَ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُدْرَكُ بِالْأَمَانِي.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ: إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا عَظَمَةٌ، مَا هُمْ بِبَالِغِي تِلْكَ الْعَظَمَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ مُذِلُّهُمْ..

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ فاستجِرْ باللهِ يا مُحمَّدُ مِنْ شَرِّ هؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ، وَمِنَ الْكِبْرِ أَنْ يَعْرِضَ فِي قَلْبِكَ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ إنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُ هؤُلَاءِ الْمُجادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قَوْلٍ..

﴿ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر: ٥٦] بِمَا تَعْمَلُهُ جَوَارِحُهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [غافر: ٥٧].

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لَابْتِدَاعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنْشَاؤُهَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ..

﴿أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ أَعْظَمُ أَيُّهَا النَّاسُ -عِنْدَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُسْتَعْظِمِي خَلْقَ النَّاسِ، وَإِنْشَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ- مِنْ خَلْقِ النَّاسِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [غافر: ٥٧] أَنَّ خَلْقَ جَمِيعِ ذَلِكَ هَيِّنٌ عَلَىٰ اللهِ.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ [غافر: ٥٨].

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، وَهُوَ مِثْلُ الْكَافِرِ الَّذِي لَا يَتَأَمَّلُ حُجَجَ اللهِ بِعَيْنَيْهِ، فَيَتَدَبَّرَهَا وَيَعْتَبِرَ بِهَا، فَيَعْلَمَ وَحْدَانِيَّتَهُ وَقُدْرَتَهُ عَلَىٰ خَلْقِ مَا شَاءَ مِنْ شَيْءٍ، وَيُؤْمِنَ بِهِ وَيُصَدِّقَ..

﴿وَٱلۡبَصِيرُ﴾ الَّذِي يَرَىٰ بِعَيْنَيْهِ مَا شَخَصَ لَهُمَا وَيُبْصِرُهُ، وَذَلِكَ مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يَرَىٰ بِعَيْنَيْهِ حُجَجَ اللهِ، فَيَتَفَكَّرُ فِيهَا وَيَتَّعِظُ، وَيَعْلَمُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ صَانِعِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاءُ؛ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَلَا يَسْتَوِي أَيْضًا كَذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، الْمُطِيعُونَ لِرَبِّهِمْ..

﴿وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ وَهُوَ الْكَافِرُ بِرَبِّهِ، الْعَاصِي لَهُ، الْمُخَالِفُ أَمْرَهُ..

﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ [غافر: ٥٨] أَيُّهَا النَّاسُ حُجَجَ اللهِ، فَتَعْتَبِرُونَ وَتَتَّعِظُونَ؛ يَقُولُ: لَوْ تَذَكَّرْتُمْ آيَاتِهِ وَاعْتَبَرْتُمْ، لَعَرَفْتُمْ خَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ إِنْكَارِكُمْ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ مَنْ فَنِيَ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَنَاءِ، وَإِعَادَتِهِمْ لِحَيَاتِهِمْ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِمْ، وَعَلِمْتُمْ قُبْحَ شِرْكِكُمْ مَنْ تُشْرِكُونَ فِي عِبَادَةِ رَبِّكُمْ.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ [غافر: ٥٩].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ الَّتِي يُحْيِي اللهُ فِيهَا الْمَوْتَىٰ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿لَآتِيَةٌ﴾ لَجَائِيَةٌ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لَا شَكَّ فِي مَجِيئِهَا، فَأَيْقِنُوا بِمَجِيئِهَا، وَأَنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، وَمُجَازَوْنَ بِأَعْمَالِكُمْ، فَتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ [غافر: ٥٩] وَلَكِنَّ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ لَا يُصَدِّقُونَ بِمَجِيئِهَا.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾ وَيَقُولُ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَكُمُ ادْعُونِي: يَقُولُ: اعْبُدُونِي وَأَخْلِصُوا لِي الْعِبَادَةَ دُونَ مَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِي مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ..

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ أُجِبْ دُعَاءَكُمْ فَأَعْفُو عَنْكُمْ وَأَرْحَمُكُمْ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتَعَظَّمُونَ عَنْ إِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ، وَإِفْرَادِ الْأُلُوهَةِ لِي..

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠] صَاغِرِينَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ دُعَائِي.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦١﴾ [غافر: ٦١].

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ..

﴿ٱلَّذِي﴾ صِفَتُهُ أَنَّهُ..

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّيْلَ﴾ سَكَنًا..

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ فَتَهْدَءُوا مِنَ التَّصَرُّفِ وَالِاضْطِرَابِ لِلْمَعَاشِ، وَالْأَسْبَابِ الَّتِي كُنْتُمْ تَتَصَرَّفُونَ فِيهَا فِي نَهَارِكُمْ..

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ وَجَعَلَ النَّهَارَ مُبْصِرًا لِمَنِ اضْطَرَفَ فِيهِ لِمَعَاشِهِ، وَطَلَبِ حَاجَاتِهِ، نِعْمَةً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ إِنَّ اللهَ لَمُتَفَضِّلٌ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا لَا كُفْءَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦١﴾ [غافر: ٦١] وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَا تَشْكُرُونَهُ بِالطَّاعَةِ لَهُ، وَإِخْلَاصِ الْأُلُوهَةِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ، وَلَكِنَّهُ يَعْبُدُ مَعَهُ مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ مِنْ غَيْرِ نِعْمَةٍ سَبَقَتْ لَهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَدٍ تَقَدَّمَتْ لَهُ عِنْدَهُ اسْتَوْجَبَ بِهَا مِنْهُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٦٢﴾ [غافر: ٦٢].

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ اللهُ مَالِكُكُمْ وَمُصْلِحُ أُمُورِكُمْ، وَهُوَ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ غَيْرُهُ..

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٦٢﴾ فَأَيَّ وَجْهٍ تَأْخُذُونَ، وَإِلَىٰ أَيْنَ تَذْهَبُونَ عَنْهُ، فَتَعْبُدُونَ سِوَاهُ؟.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٦٣﴾ [غافر:٦٣].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَذِهَابِكُمْ عَنْهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَانْصِرَافِكُمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، وَالرُّشْدِ إِلَىٰ الضَّلَالِ..

﴿يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٦٣﴾ [غافر: ٦٣] ذَهَبَ عَنْهُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ بِآيَاتِ اللهِ، يَعْنِي: بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ يُكَذِّبُونَ فَلَا يُؤْمِنُونَ؛ يَقُولُ: فَسَلَكْتُمْ أَنْتُمْ مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَسْلَكَهُمْ، وَرَكِبْتُمْ مَحَجَّتَهُمْ فِي الضَّلَالِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤﴾ [غافر: ٦٤].

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ خَالِصَةً أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَىٰ ظَهْرِهَا سُكَّانٌ..

﴿قَرَارًا﴾ تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا، وَتَسْكُنُونَ فَوْقَهَا..

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ بَنَاهَا فَرَفَعَهَا فَوْقَكُمْ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا لِمَصَالِحِكُمْ، وَقِوَامِ دُنْيَاكُمْ إِلَىٰ بُلُوغِ آجَالِكُمْ..

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ وَخَلَقَكُمْ فَأَحْسَنَ خَلْقَكُمْ..

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَرَزَقَكُمْ مِنْ حَلَالِ الرِّزْقِ، وَلَذِيذَاتِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ..

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ فَالَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ النِّعَمَ، هُوَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ، وَ..

﴿رَبُّكُمْ﴾ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الرُّبُوبِيَّةُ لِغَيْرِهِ، لَا الَّذِي لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، وَلَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ..

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: ٦٤] فَتَبَارَكَ اللهُ مَالِكُ جَمِيعِ الْخَلْقِ جِنِّهِمْ وَإِنْسِهِمْ، وَسَائِرِ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ غَيْرِهِمْ.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ الَّذِي لَا يَمُوتُ، الدَّائِمُ الْحَيَاةُ، وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَمُنْقَطِعُ الْحَيَاةِ غَيْرُ دَائِمِهَا..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ تَجُوزُ عِبَادَتُهُ، وَتَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ لَهُ إِلَّا اللهُ الَّذِي هَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُهُ..

﴿فَٱدْعُوهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مُخْلِصِينَ لَهُ الطَّاعَةَ، مُفْرِدِينَ لَهُ الْأُلُوهَةَ، لَا تُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا سِوَاهُ، مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ، وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ نِدًّا وَلَا عِدْلًا..

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥] الشُّكْرُ للهِ الَّذِي هُوَ مَالِكُ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ، مِنْ مَلَكٍ وَجِنٍّ وَإِنْسٍ وَغَيْرِهِمْ، لَا لِلْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ شَيْئًا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ، بَلْ هُوَ مَمْلُوكٌ، إِنْ نَالَهُ نَائِلٌ بِسُوءٍ لَمْ يَقْدِرْ لَهُ عَنْ نَفْسِهِ دَفْعًا.

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٦٦].

﴿۞ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿إِنِّى نُهِيتُ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾ لَمَّا جَاءَنِي الْآيَاتُ الْوَاضِحَاتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، وَذَلِكَ آيَاتُ كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ..

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٦٦] وَأَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَذِلَّ لِرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكِ كُلِّ خَلْقٍ بِالْخُضُوعِ، وَأَخْضَعَ لَهُ بِالطَّاعَةِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٧].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ آمِرًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِتَنْبِيهِ مُشْرِكِي قَوْمِهِ عَلَىٰ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي صِفَتُهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ، وَهِيَ أَنَّهُ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ..

﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خَلَقَكُمْ..

﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ نُطَفًا..

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ صِغَارًا..

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ فَتَتَكَامَلُ قُوَاكُمْ..

﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ وَيَتَنَاهَىٰ شَبَابُكُمْ، وَتَمَامُ خَلْقِكُمْ شُيُوخًا..

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أَنْ يَبْلُغَ الشَّيْخُوخَةَ..

﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وَلِتَبْلُغُوا مِيقَاتًا مُؤَقَّتًا لِحَيَاتِكُمْ، وَأَجَلًا مَحْدُودًا لَا تُجَاوِزُونَهُ، وَلَا تَتَقَدَّمُونَ قَبْلَهُ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٧] وَكَيْ تَعْقِلُوا حُجَجَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ، وَتَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ فَتَعْرِفُوا بِهَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ فَعَلَ ذَلِكَ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر: ٦٨].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: وَمِنْ صِفَتِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَيُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْأَحْيَاءِ بَعْدَ حَيَاتِهِ..

﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ وَإِذَا قَضَىٰ كَوْنَ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُرِيدُ تَكْوِينَهَا..

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾ يَعْنِي لِلَّذِي يُرِيدُ تَكْوِينَهُ كُنْ..

﴿فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر: ٦٨] مَا أَرَادَ تَكْوِينَهُ مَوْجُودًا بِغَيْرِ مُعَانَاةٍ، وَلَا كُلْفَةِ مُؤْنَةٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [غافر: ٦٩].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ يُخَاصِمُونَكَ فِي

حُجَجِ اللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝٦٩﴾ [غافر: ٦٩] أَيَّ وَجْهٍ يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ، وَيَعْدِلُونَ عَنِ الرُّشْدِ.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠﴾ [غافر: ٧٠].

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ؛ وَالَّذِينَ الثَّانِيَةُ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ رَدًّا لَهَا عَلَىٰ الَّذِينَ الْأُولَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ النَّعْتِ..

﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ وَكَذَّبُوا أَيْضًا مَعَ تَكْذِيبِهِمْ بِكِتَابِ اللهِ بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِمَّا يُعْبَدُ دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْإِقْرَارِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠﴾ [غافر: ٧٠] فَسَوْفَ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ، الْمُكَذِّبُونَ بِالْكِتَابِ حَقِيقَةَ مَا تُخْبِرُهُمْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ، وَصِحَّةَ مَا هُمْ بِهِ الْيَوْمَ مُكَذِّبُونَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.. وَهَذَا تَهْدِيدٌ مِنَ اللهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ [غافر: ٧١].

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ حِينَ تُجْعَلُ الْأَغْلَالُ وَالسَّلَاسِلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ فِي جَهَنَّمَ..

﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ [غافر: ٧١] يُسْحَبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا فِي الدُّنْيَا بِالْكِتَابِ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر: ٧٢].

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ وَهُوَ مَا قَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهُ، وَبَلَغَ غَايَتَهُ..

﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ﴾ ثُمَّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر: ٧٢] يُحْرَقُونَ، يَقُولُ: تُسْجَرُ بِهَا جَهَنَّمُ: أَيْ تُوقَدُ بِهِمْ.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣﴾ [غافر: ٧٣].

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣﴾ [غافر: ٧٣] ثُمَّ قِيلَ: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾ [غافر: ٧٤].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَوْثَانِكُمْ حَتَّىٰ يُغِيثُوكُمْ فَيُنْقِذُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ، فَإِنَّ الْمَعْبُودَ يُغِيثُ مَنْ عَبَدَهُ وَخَدَمَهُ؛ وَإِنَّمَا يُقَالُ هَذَا لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَأَجَابَ الْمَسَاكِينُ عِنْدَ ذَلِكَ فَـ..

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ عَدَلُوا عَنَّا، فَأَخَذُوا غَيْرَ طَرِيقِنَا، وَتَرَكُونَا فِي هَذَا الْبَلَاءِ..

﴿بَل﴾ مَا ضَلُّوا عَنَّا، وَلَكِنَّا..

﴿لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿شَيۡـٔٗاۚ﴾ أَيْ لَمْ نَكُنْ نَعْبُدُ شَيْئًا، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾ [غافر: ٧٤] كَمَا أَضَلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ضَلَّ عَنْهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ آلِهَتِهِمْ وَأَوْثَانِهِمْ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ عَنْهُ، وَعَنْ رَحْمَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَلَا يَرْحَمُهُمْ فَيُنَجِّيهِمْ مِنَ النَّارِ، وَلَا يُغِيثُهُمْ فَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥﴾ [غافر: ٧٥].

﴿ذَٰلِكُم﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا الْيَوْمَ بِكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ تَعْذِيبِنَاكُمُ الْعَذَابِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ..

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بِفَرَحِكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تَفْرَحُونَهُ فِي الدُّنْيَا، بِغَيْرِ مَا أُذِنَ لَكُمْ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْمَعَاصِي..

﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥﴾ [غافر: ٧٥] وَبِمَرَحِكُمْ فِيهَا، وَالْمَرَحُ: هُوَ الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ.

﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾ [غافر: ٧٦].

﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ السَّبْعَةَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا جُزْءٌ مَقْسُومٌ مِنْكُمْ..

﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾ [غافر: ٧٦] فَبِئْسَ مَنْزِلُ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُوَحِّدُوهُ، وَيُؤْمِنُوا بِرُسُلِهِ الْيَوْمَ، جَهَنَّمُ.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: ٧٧].

﴿فَاصْبِرْ﴾ فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا يُجَادِلُكَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي آيَاتِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْكَ، وَعَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، فَـ..

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ إِنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكَ فِيهِمْ مَا وَعَدَكَ مِنَ الظَّفَرِ عَلَيْهِمْ، وَالْعُلُوِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْلَالِ الْعِقَابِ بِهِمْ، كَسُنَّتِنَا فِي مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَذَّبَهُ..

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ فِي حَيَاتِكَ..

﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالنِّقْمَةِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ..

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ ذَلِكَ بِهِمْ..

﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: ٧٧] فَإِلَيْنَا مَصِيرُكَ وَمَصِيرُهُمْ، فَنَحْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ بِتَخْلِيدِنَاهُمْ فِي النَّارِ، وَإِكْرَامِنَاكَ بِجِوَارِنَا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: ٧٨].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ إِلَىٰ أُمَمِهَا..

﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمِهِمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ..

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ نَبَأَهُمْ..

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِرَسُولٍ مِمَّنْ أَرْسَلْنَاهُ مِنْ قَبْلِكَ الَّذِينَ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ، وَالَّذِينَ لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ إِلَىٰ أُمَمِهَا..

﴿أَن يَأْتِيَ﴾ قَوْمَهُ..

﴿بِآيَةٍ﴾ فَاصِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لَهُ بِذَلِكَ، فَيَأْتِيهِمْ بِهَا؛ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ: فَلِذَلِكَ لَمْ يُجْعَلْ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ قَوْمَكَ بِمَا يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْآيَاتِ دُونَ إِذْنِنَا لَكَ بِذَلِكَ، كَمَا لَمْ نَجْعَلْ لِمَنْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا إِلَّا أَنْ نَأْذَنَ لَهُ بِهِ..

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يَعْنِي بِالْعَدْلِ، وَهُوَ أَنْ يُنَجِّيَ رُسُلَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ..

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾ [غافر: ٧٨] وَهَلَكَ هُنَالِكَ الَّذِينَ أَبْطَلُوا فِي قِيلِهِمُ الْكَذِبَ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَادِّعَائِهِمْ لَهُ شَرِيكًا.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩﴾ [غافر: ٧٩].

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي يَقْتَنِيهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ لِمَرْكَبٍ أَوْ لِمَطْعَمٍ..

﴿لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا﴾ الْخَيْلَ وَالْحَمِيرَ..

﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩﴾ [غافر: ٧٩] الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٨٠﴾ [غافر: ٨٠].

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ وَذَلِكَ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِهَا بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ، وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ، وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ..

﴿وَلِتَبۡلُغُواْ﴾ بِالْحُمُولَةِ..

﴿عَلَيۡهَا﴾ عَلَىٰ بَعْضِهَا، وَذَلِكَ الْإِبِلُ..

﴿حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ﴾ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهَا لَوْلَا هِيَ، إِلَّا بِشِقِّ أَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ [النحل: ٧]..

﴿وَعَلَيۡهَا﴾ وَعَلَىٰ هَذِهِ الْإِبِلِ، وَمَا جَانَسَهَا مِنَ الْأَنْعَامِ الْمَرْكُوبَةِ..

﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ وَعَلَىٰ السُّفُنِ..

﴿تُحۡمَلُونَ ٨٠﴾ [غافر: ٨٠] نَحْمِلُكُمْ عَلَىٰ هَذِهِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَىٰ هَذِهِ فِي الْبَحْرِ.

﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ٨١﴾ [غافر: ٨١].

﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وَيُرِيكُمْ حُجَجَهُ..

﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فَأَيَّ حُجَجِ اللهِ الَّتِي يُرِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..

﴿تُنكِرُونَ ٨١﴾ [غافر: ٨١] صِحَّتَهَا، فَتُكَذِّبُونَ مِنْ أَجْلِ فَسَادِهَا بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَتَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [غافر: ٨٢].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أَفَلَمْ يَسِرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فِي الْبِلَادِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ سَفَرٍ إِلَىٰ الشَّأْمِ وَالْيَمَنِ رِحْلَتَهُمْ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ..

﴿فَيَنظُرُوا۟﴾ فِيمَا وَطِئُوا مِنَ الْبِلَادِ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إِلَىٰ وَقَائِعِنَا بِمَنْ أَوْقَعْنَا بِهِ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، وَيَرَوْا مَا أَحْلَلْنَا بِهِمْ مِنْ بَأْسِنَا بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَنَا، وَجُحُودِهِمْ آيَاتِنَا، كَيْفَ كَانَ عُقْبَىٰ تَكْذِيبِهِمْ..

﴿كَانُوٓا۟﴾ كَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِيكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿أَكْثَرَ﴾ عَدَدًا..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ..

﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ وَأَشَدَّ بَطْشًا، وَأَقْوَىٰ قُوَّةً..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَأَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ آثَارًا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَيَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ..

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [غافر: ٨٢] فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا وَسَطْوَتُنَا لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الْبُيُوتِ فِي الْجِبَالِ، وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُمْ بَادُوا جَمِيعًا فَهَلَكُوا.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر: ٨٣].

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ قُرَيْشٍ الْمُكَذِّبَةُ..

﴿رُسُلُهُم﴾ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَيْهِمْ..

﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بِالْوَاضِحَاتِ مِنْ حُجَجِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿فَرِحُوا۟﴾ جَهْلًا مِنْهُمْ..

﴿بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ وَقَالُوا: لَنْ نُبْعَثَ، وَلَنْ يُعَذِّبَنَا اللهُ..

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر: ٨٣] مَا كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ رُسُلَهُمْ بِهِ اسْتِهْزَاءً وَسُخْرِيَةً.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [غافر: ٨٤].

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟﴾ فَلَمَّا رَأَتْ هَذِهِ الْأُمَمُ الْمُكَذِّبَةُ رُسُلَهَا..

﴿بَأْسَنَا﴾ يَعْنِي عِقَابَ اللهِ الَّذِي وَعَدَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ قَدْ حَلَّ بِهِمْ..

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ﴾ أَقْرَرْنَا بتَوْحِيدِ اللهِ، وَصَدَّقْنَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤﴾ [غافر: ٨٤] وَجَحَدْنَا الْآلِهَةَ الَّتِي كُنَّا قَبْلَ وَقْتِنَا هَذَا نُشْرِكُهَا فِي عِبَادَتِنَا اللهَ وَنَعْبُدُهَا مَعَهُ، وَنَتَّخِذُهَا آلِهَةً، فَبَرِئْنَا مِنْهَا.

﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [غافر: ٨٥].

﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ تَصْدِيقُهُمْ فِي الدُّنْيَا بتَوْحِيدِ اللهِ عِنْدَ مُعَايَنَةِ عِقَابِهِ قَدْ نَزَلَ، وَعَذَابِهِ قَدْ حَلَّ؛ لِأَنَّهُمْ صَدَّقُوا حِينَ لَا يَنْفَعُ التَّصْدِيقُ مُصَدِّقًا، إِذْ كَانَ قَدْ مَضَىٰ حُكْمُ اللهِ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ، أَنَّ مَنْ تَابَ بَعْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ مِنَ اللهِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ لَمْ تَنْفَعْهُ تَوْبَتُهُ..

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ سُنَّتُهُ الَّتِي قَدْ مَضَتْ فِي خَلْقِهِ، وهي تَرْكُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِقَالَتَهُمْ، وَقَبُولَ التَّوْبَةِ مِنْهُمْ، وَمُرَاجَعَتَهُمُ الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَتَصْدِيقَ رُسُلِهِمْ، بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمْ بَأْسَهُ،

فَلِذَلِكَ لَمْ يَقْبَلْهُمْ وَلَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتَهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ..

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [غافر: ٨٥] وَهَلَكَ عِنْدَ مَجِيءِ بَأْسِ اللهِ -فَغَبَنَتْ صَفْقَتُهُ، وَوَضَعَ فِي بَيْعِهِ الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا، وَالْمَغْفِرَةَ بِالْعَذَابِ، وَالْإِيمَانَ بِالْكُفْرِ- الْكَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ، الْجَاحِدُونَ تَوْحِيدَ خَالِقِهِمْ، الْمُتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ بَارِئِهِمْ

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ غَافِرٍ



سُورَةُ فُصِّلَتْ (٤١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حمٓ ①﴾ [فصلت: ١].

﴿حمٓ ①﴾ [فصلت: ١] قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ مِنَّا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ فِي مَعْنَىٰ ﴿حمٓ ①﴾ وَالْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْقَوْلِ فِي ذَلِكَ.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ②﴾ [فصلت: ٢].

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ②﴾ [فصلت: ٢] هَذَا الْقُرْآنُ تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَزَّلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③﴾ [فصلت: ٣].

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ كِتَابٌ بُيِّنَتْ آيَاتُهُ..

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③﴾ [فصلت: ٣] اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④﴾ [فصلت: ٤].

﴿بَشِيرًا﴾ لَهُمْ يُبَشِّرُهُمْ إِنْ هُمْ آمَنُوا بِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أُنْزِلَ فِيهِ مِنْ حُدُودِ اللهِ وَفَرَائِضِهِ بِالْجَنَّةِ..

﴿وَنَذِيرًا﴾ وَمُنْذِرًا مَنْ كَذَّبَ بِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ بِأَمْرِ اللهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَخُلُودِ الْأَبَدِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي آجِلِ الْآخِرَةِ..

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ فَاسْتَكْبَرَ عَنِ الْإِصْغَاءِ لَهُ وَتَدَبُّرِ مَا فِيهِ مِنْ حُجَجِ اللهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ بَشِيرًا لَهُمْ وَنَذِيرًا، وَهُمْ قَوْمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ..

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④﴾ [فصلت: ٤] فَهُمْ لَا يُصْغُونَ لَهُ فَيَسْمَعُوهُ، إِعْرَاضًا عَنْهُ وَاسْتِكْبَارًا.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ⑤﴾ [فصلت: ٥].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِذْ دَعَاهُمْ

مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللهِ إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِ مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَسَائِرِ مَا أُنزِلَ فِيهِ..

﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ فِي أَغْطِيَةٍ..

﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَيۡهِ﴾ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَتَصْدِيقِكَ فِيمَا جِئْتَنَا بِهِ، لَا نَفْقَهُ مَا تَقُولُ..

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ وَهُوَ الثِّقَلُ، لَا نَسْمَعُ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، اسْتِثْقَالًا لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَكَرَاهَةً لَهُ..

﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ يَا مُحَمَّدُ سَاتِرٌ لَا نَجْتَمِعُ مِنْ أَجْلِهِ نَحْنُ وَأَنْتَ، فَيَرَىٰ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَذَلِكَ الْحِجَابُ هُوَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الدِّينِ، لِأَنَّ دِينَهُمْ كَانَ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، وَدِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَذَلِكَ هُوَ الْحِجَابُ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّ اللهِ، وَذَلِكَ هُوَ خِلَافُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِي الدِّينِ..

﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾ [فصلت: ٥] قَالُوا لَهُ ﷺ: فَاعْمَلْ يَا مُحَمَّدُ بِدِينِكَ وَمَا تَقُولُ إِنَّهُ الْحَقُّ، إِنَّنَا عَامِلُونَ بِدِينِنَا، وَمَا تَقُولُ إِنَّهُ الْحَقُّ، وَدَعْ دُعَاءَنَا إِلَىٰ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِنْ دِينِكَ، فَإِنَّا نَدَعُ دُعَاءَكَ إِلَىٰ دِينِنَا.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [فصلت: ٦].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ قَوْمِكَ: أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ مَا أَنَا إِلَّا بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، مِثْلُكُمْ فِي الْجِنْسِ وَالصُّورَةِ وَالْهَيْئَةِ، لَسْتُ بِمَلَكٍ..

﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ يُوحِي اللهُ إِلَيَّ..

﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أَنَّ لَا مَعْبُودَ لَكُمْ تَصْلُحُ عِبَادَتُهُ إِلَّا مَعْبُودٌ وَاحِدٌ..

﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، وَوَجِّهُوا إِلَيْهِ وُجُوهَكُمْ بِالرَّغْبَةِ وَالْعِبَادَةِ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ وَسَلُوهُ الْعَفْوَ لَكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْ شِرْكِكُمْ، يَتُبْ عَلَيْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ..

﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [فصلت: ٦] وَصَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا يَسِيلُ مِنْهُمْ لِلْمُدَّعِينَ للهِ شَرِيكًا الْعَابِدِينَ الْأَوْثَانَ دُونَهُ.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٧﴾ [فصلت: ٧].

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الَّذِينَ لَا يَقِرُّونَ بِزَكَاةِ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ فِيهَا، وَلَا يُعْطُونَهَا أَهْلَهَا..

﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٧﴾ [فصلت: ٧] وَهُمْ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَبَعْثِ اللهِ خَلْقَهُ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِهِمْ، مِنْ بَعْدِ بَلَائِهِمْ وَفَنَائِهِمْ مُنْكِرُونَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨﴾ [فصلت: ٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَذَلِكَ هُوَ الصَّالِحَاتُ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨﴾ [فصلت: ٨] لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَجْرٌ غَيْرُ مَنْقُوصٍ عَمَّا وَعَدَهُمْ أَنْ يَأْجُرَهُمْ عَلَيْهِ.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩﴾ [فصلت: ٩].

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الْأَحَدِ وَيَوْمُ الِاثْنَيْنِ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَتْهُ الْعُلَمَاءُ..

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ وَتَجْعَلُونَ لِمَنْ خَلَقَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَنْدَادًا، وَهُمُ الْأَكْفَاءُ مِنَ الرِّجَالِ تُطِيعُونَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ..

﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩﴾ [فصلت: ٩] مَالِكُ جَمِيعِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَسَائِرِ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ، وَكُلُّ مَا دُونَهُ مَمْلُوكٌ لَهُ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِدٌّ؟ هَلْ يَكُونُ الْمَمْلُوكُ الْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ نِدًّا لِمَالِكِهِ الْقَادِرِ عَلَيْهِ؟

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ [فصلت: ١٠].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي خَلَقَ فِي يَوْمَيْنِ جِبَالًا رَوَاسِيَ، وَهِيَ الثَّوَابِتُ فِي الْأَرْضِ..

﴿مِن فَوۡقِهَا﴾ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ عَلَىٰ ظَهْرِهَا..

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ وَبَارَكَ فِي الْأَرْضِ فَجَعَلَهَا دَائِمَةَ الْخَيْرِ لِأَهْلِهَا..

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَ أَهْلِهَا بِمَعْنَىٰ أَرْزَاقَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: وَقَدَّرَ فِيهَا مَا يُصْلِحُهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَقَدَّرَ فِيهَا جِبَالَهَا وَأَنْهَارَهَا وَأَشْجَارَهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا مِنَ الْمَطَرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَقَدَّرَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ مِنْهَا مَا لَمْ يَجْعَلْهُ فِي الْآخَرِ مِنْهَا لِمَعَاشِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ بِالتِّجَارَةِ مِنْ بَلْدَةٍ إِلَىٰ بَلْدَةٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدَّرَ فِي الْأَرْضِ أَقْوَاتَ أَهْلِهَا، وَذَلِكَ مَا يَقُوتُهُمْ مِنَ الْغِذَاءِ، وَيُصْلِحُهُمْ مِنَ الْمَعَاشِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قُوتًا دُونَ قُوتٍ، بَلْ عَمَّ الْخَبَرَ عَنْ تَقْدِيرِهِ فِيهَا جَمِيعَ الْأَقْوَاتِ، وَمِمَّا يَقُوتُ أَهْلَهَا مَا لَا يُصْلِحُهُمْ غَيْرُهُ مِنَ الْغِذَاءِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْمَطَرِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْبِلَادِ؛ لِمَا خَصَّ بِهِ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، وَمِمَّا أَخْرَجَ مِنَ الْجِبَالِ مِنَ الْجَوَاهِرِ، وَمِنَ الْبَحْرِ مِنَ الْمَآكِلِ وَالْحُلِيِّ، وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَصَحُّ مِمَّا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: قَدَّرَ فِي الْأَرْضِ أَقْوَاتَ أَهْلِهَا، لِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْعِلَّةِ..

﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ فَرَغَ مِنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَجَمِيعِ أَسْبَابِهَا وَمَنَافِعِهَا مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْمَاءِ وَالْمَدَائِنِ وَالْعُمْرَانِ وَالْخَرَابِ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، أَوَّلُهُنَّ يَوْمُ الْأَحَدِ، وَآخِرُهُنَّ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ..

﴿سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ [فصلت: ١٠] قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا سَوَاءً لِسَائِلِيهَا عَلَىٰ مَا بِهِمْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ، وَعَلَىٰ مَا يُصْلِحُهُمْ.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: ١١].

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثُمَّ ارْتَفَعَ إِلَىٰ السَّمَاءِ..

﴿وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ فَقَالَ اللهُ لِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: جِيئَا بِمَا خَلَقْتُ فِيكُمَا، أَمَّا أَنْتِ يَا سَمَاءُ فَأَطْلِعِي مَا خَلَقْتُ فِيكِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَأَمَّا أَنْتِ يَا أَرْضُ فَأَخْرِجِي مَا خَلَقْتُ فِيكِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالثِّمَارِ وَالنَّبَاتِ، وَتَشَقَّقِي عَنِ الْأَنْهَارِ..

﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: ١١] جِئْنَا بِمَا أَحْدَثْتَ فِينَا مِنْ خَلْقِكَ، مُسْتَجِيبِينَ لِأَمْرِكَ لَا نَعْصِي أَمْرَكَ.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت: ١٢].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ فَفَرَغَ مِنْ خَلْقِهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ..

﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ وَأَلْقَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ مَا أَرَادَ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِالْكَوَاكِبِ وَهِيَ الْمَصَابِيحُ..

﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾ مِنَ الشَّيَاطِيْنِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ لَكُمْ مِنْ خَلْقِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا، وَتَزْيِينِي السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، عَلَىٰ مَا بَيَّنْتُ..

﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ فِي نِقْمَتِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت: ١٢] بِسَرَائِرِ عِبَادِهِ وَعَلَانِيَّتِهِمْ، وَتَدْبِيرِهِمْ عَلَىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ [فصلت: ١٣].

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ فَإِنْ أَعْرَضَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ الَّتِي بَيَّنْتَهَا لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَنَبَّهْتَهُمْ عَلَيْهَا فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا وَلَمْ يُقِرُّوا أَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿فَقُلۡ﴾ لَهُمْ..

﴿أَنذَرۡتُكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿صَٰعِقَةٗ﴾ تُهْلِكُكُمْ..

﴿مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ [فصلت: ١٣] وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الصَّاعِقَةِ: كُلُّ مَا أَفْسَدَ الشَّيْءَ وَغَيَّرَهُ عَنْ هَيْئَتِهِ، وَقِيلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عُنِيَ بِهَا وَقِيعَةٌ مِنَ اللهِ وَعَذَابٌ.

﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤﴾ [فصلت: ١٤].

﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾ فَقُلْ: أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ الَّتِي أَهْلَكَتْهُمْ، إِذْ جَاءَتْ عَادًا وَثَمُودَ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ..

﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الرُّسُلُ الَّتِي أَتَتْ آبَاءَ الَّذِينَ هَلَكُوا بِالصَّاعِقَةِ مِنْ هَاتَيْنِ الْأُمَّتَيْنِ..

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ مِنْ خَلْفِ الرُّسُلِ الَّذِينَ بُعِثُوا إِلَىٰ آبَائِهِمْ رُسُلًا إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ بَعَثَ إِلَىٰ عَادٍ هُودًا، فَكَذَّبُوهُ مِنْ بَعْدِ رُسُلٍ قَدْ كَانَتْ تَقَدَّمَتْهُ إِلَىٰ آبَائِهِمْ أَيْضًا، فَكَذَّبُوهُمْ، فَأُهْلِكُوا..

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ فَقَالُوا لِرُسُلِهِمْ إِذْ دَعَوْهُمْ إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللهِ: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا أَنْ نُوَحِّدَهُ، وَلَا نَعْبُدَ مِنْ دُونِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ، لَأَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَائِكَةً مِنَ السَّمَاءِ رُسُلًا بِمَا تَدْعُونَنَا أَنْتُمْ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ وَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ عِبَادَتَنَا مَا نَعْبُدُ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْنَا بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ مَلَائِكَةً..

﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤﴾ [فصلت: ١٤] قَالُوا لِرُسُلِهِمْ: فَإِنَّا بِالَّذِي أَرْسَلَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ إِلَيْنَا جَاحِدُونَ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ بِهِ.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ١٥﴾ [فصلت: ١٥].

﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ قَوْمُ هُودٍ..

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَتَجَبَّرُوا..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تَكَبُّرًا وَعُتُوًّا..

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُمْ بِهِ..

﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ﴾ وَأَعْطَاهُمْ مَا أَعْطَاهُمْ مِنْ عِظَمِ الْخَلْقِ، وَشِدَّةِ الْبَطْشِ..

﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فَيَحْذَرُوا عِقَابَهُ، وَيَتَّقُوا سَطْوَتَهُ لِكُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ..

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ١٥﴾ [فصلت: ١٥] وَكَانُوا بِأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا عَلَيْهِمْ يَجْحَدُونَ.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فصلت: ١٦].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَىٰ عَادٍ..

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ شَدِيدَةً..

﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ مَشَائِيمَ ذَاتِ نُحُوسٍ..

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وَلَعَذَابُنَا إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ

لَهُمْ وَأَشَدُّ إِهَانَةً وَإِذْلَالًا..

﴿وَهُمْ﴾ يَعْنِي عَادًا..

﴿لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦] لَا يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَذَّبَهُمْ نَاصِرٌ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْهُ، أَوْ يَنْتَصِرْ لَهُمْ.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧].

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ فَبَيَّنَّا لَهُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَطَرِيقَ الرُّشْدِ..

﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فَاخْتَارُوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْبَيَانِ الَّذِي بَيَّنْتُ لَهُمْ، وَالْهُدَىٰ الَّذِي عَرَّفْتُهُمْ، بِأَخْذِهِمْ طَرِيقَ الضَّلَالِ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، يَعْنِي عَلَىٰ الْبَيَانِ الَّذِي بَيَّنَهُ لَهُمْ، مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ..

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ فَأَهْلَكَتْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْمُذِلِّ الْمُهِينِ لَهُمْ مَهْلَكَةً أَذَلَّتْهُمْ وَأَخْزَتْهُمْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧] مِنَ الْآثَامِ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَخِلَافِهِمْ إِيَّاهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ.

﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصلت: ١٨].

﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَخَذَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، الَّذِينَ وَحَّدُوا اللهَ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ..

﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصلت: ١٨] وَكَانُوا يَخَافُونَ اللهَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ لَوْ كَفَرُوا مَا حَلَّ بِالَّذِينَ هَلَكُوا مِنْهُمْ، فَآمَنُوا اتِّقَاءَ اللهِ وَخَوْفَ وَعِيدِهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَخَلَعُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ [فصلت: ١٩].

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ وَيَوْمَ يُجْمَعُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ [فصلت: ١٩] فَهُمْ يُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾ [فصلت: ٢٠].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوا النَّارَ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ بِمَا كَانُوا يَصْغُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَيْهِ، وَيَسْتَمِعُونَ لَهُ، وَأَبْصَارُهُمْ بِمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ بِهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾ [فصلت: ٢٠]

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ [فصلت: ٢١].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ..

﴿لِجُلُودِهِمۡ﴾ إِذْ شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ..

﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ﴾ بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا؟..

﴿قَالُوٓاْ﴾ فَأَجَابَتْهُمْ جُلُودُهُمْ..

﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ فَنَطَقْنَا..

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ وَاللهُ خَلَقَكُمُ الْخَلْقَ الْأَوَّلَ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا..

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ [فصلت: ٢١] وَإِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ.

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢﴾ [فصلت: ٢٢].

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا فَتَتْرُكُوا رُكُوبَ مَحَارِمِ اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ﴾ حَذَرًا أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَسْتَخْفِي الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ مِمَّا يَأْتِي؟ قِيلَ: قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْأَمَانِيُّ، وَفِي تَرْكِهِ إِتْيَانَهُ إِخْفَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ..

﴿سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ الْيَوْمَ..

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ﴾ وَلَكِنْ حَسِبْتُمْ حِينَ رَكِبْتُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِي اللهِ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢﴾ [فصلت: ٢٢] مِنْ أَعْمَالِكُمُ الْخَبِيثَةِ، فَلِذَلِكَ لَمْ تَسْتَتِرُوا أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَأَبْصَارُكُمْ وَجُلُودُكُمْ، فَتَتْرُكُوا رُكُوبَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣].

﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ وَهَذَا الَّذِي كَانَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿ظَنُّكُمْ﴾ مِنْ ظَنِّكُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ مِنْ قَبَائِحِ أَعْمَالِكُمْ وَمَسَاوِئِهَا، هُوَ ظَنُّكُمُ الَّذِي..

﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أَهْلَكَكُمْ..

﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ الْيَوْمَ..

﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣] مِنَ الْهَالِكِينَ، قَدْ غُبِنْتُمْ بِبَيْعِكُمْ مَنَازِلَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِمَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ٢٤].

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ فَإِنْ يَصْبِرْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ عَلَىٰ النَّارِ..

﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ فَالنَّارُ مَسْكَنٌ لَهُمْ وَمُنْزِلٌ..

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ وَإِنْ يَسْأَلُوا الْعُتْبَىٰ، وَهِيَ الرَّجْعَةُ لَهُمْ إِلَىٰ الَّذِي يُحِبُّونَ بِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ..

﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ٢٤] فَلَيْسُوا بِالْقَوْمِ الَّذِينَ يُرْجِعُ بِهِمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وَكَقَوْلِهِمْ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾.

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت: ٢٥].

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ وَبَعَثْنَا لَهُمْ نُظَرَاءَ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَجَعَلْنَاهُمْ لَهُمْ قُرَنَاءَ قَرَنَّاهُمْ بِهِمْ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ قَبَائِحَ أَعْمَالِهِمْ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ ذَلِكَ..

﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فَزَيَّنَ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ قُرَنَاؤُهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَحَسَّنُوا ذَلِكَ لَهُمْ وَحَبَّبُوهُ إِلَيْهِمْ حَتَّىٰ آثَرُوهُ عَلَىٰ أَمْرِ الْآخِرَةِ..

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وَحَسَّنُوا لَهُمْ أَيْضًا مَا بَعْدَ مَمَاتِهِمْ بِأَنْ دَعَوْهُمْ إِلَىٰ التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ، وَأَنَّ مَنْ

هَلَكَ مِنْهُمْ فَلَنْ يُبْعَثَ، وَأَنَّ لَا ثَوَابَ وَلَا عِقَابَ حَتَّىٰ صَدَّقُوهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ فِعْلَ كُلِّ مَا يَشْتَهُونَهُ، وَرُكُوبَ كُلِّ مَا يَلْتَذُّونَهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ بِاسْتِحْسَانِهِمْ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ وَوَجَبَ لَهُمُ الْعَذَابُ بِرُكُوبِهِمْ مَا رَكِبُوا مِمَّا زَيَّنَ لَهُمْ قُرَنَاؤُهُمْ وَهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ..

﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ فِي أُمَمٍ قَدْ مَضَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ ضُرَبَائِهِمْ، حَقَّ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِنَا مِثْلُ الَّذِي حَقَّ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ، بَعْضُهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَبَعْضُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت: ٢٥] إِنَّ تِلْكَ الْأُمَمَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمْ عَذَابُنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، كَانُوا مَغْبُونِينَ بِبَيْعِهِمْ رِضَا اللهِ وَرَحْمَتِهِ بِسَخَطِهِ وَعَذَابِهِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قَالُوا لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: لَا تَسْمَعُوا لِقَارِئِ هَذَا الْقُرْآنِ إِذَا قَرَأَهُ، وَلَا تُصْغُوا لَهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِيهِ فَتَعْمَلُوا بِهِ..

﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ الْغَطُوا بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ إِذَا سَمِعْتُمْ قَارِئَهُ يَقْرَؤُهُ كَيْمَا لَا تَسْمَعُوهُ، وَلَا تَفْهَمُوا مَا فِيهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ بِفِعْلِكُمْ ذَلِكَ..

﴿تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦] تَصُدُّونَ مَنْ أَرَادَ اسْتِمَاعَهُ عَنِ اسْتِمَاعِهِ، فَلَا يَسْمَعُهُ، وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ لَمْ يَتَّبِعْهُ، فَتَغْلِبُونَ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِكُمْ مُحَمَّدًا.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [فصلت: ٢٧].

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ..

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ وَلَنُثِيبَنَّهُمْ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَفْعَالِهِمْ..

﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [فصلت: ٢٧] بِأَقْبَحِ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت: ٢٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْجَزَاءُ الَّذِي يُجْزَىٰ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْخَبَرَ عَنْ صِفَةِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ، وَمَا هُوَ فَقَالَ..

﴿ٱلنَّارُ﴾ هُوَ النَّارُ، فَالنَّارُ بَيَانٌ عَنِ الْجَزَاءِ، وَتَرْجَمَةٌ عَنْهُ، وَهِيَ مَرْفُوعَةٌ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ..

﴿لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿فِيهَا﴾ فِي النَّارِ..

﴿دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ دَارُ الْمَكْثِ وَاللَّبْثِ، إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ وَلَا أَمَدٍ..

﴿جَزَآءً﴾ فَعَلْنَا هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ مِنْ مُجَازَاتِنَا إِيَّاهُمُ النَّارَ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ جَزَاءً مِنَّا..

﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٢٨﴾ [فصلت: ٢٨] بِجُحُودِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِآيَاتِنَا الَّتِي احْتَجَجْنَا بِهَا عَلَيْهِمْ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٢٩﴾ [فصلت: ٢٩].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَمَا أُدْخِلُوا جَهَنَّمَ: يَا..

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ مِنْ خَلْقِكَ..

﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ مِنْ جِنِّهِمْ وَإِنْسِهِمْ..

﴿نَجْعَلْهُمَا﴾ نَجْعَلُ هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا..

﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ لِأَنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ بَعْضُهَا أَسْفَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَكُلُّ مَا سَفَلَ مِنْهَا فَهُوَ أَشَدُّ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَعَذَابُ أَهْلِهِ أَغْلَظُ، وَلِذَلِكَ سَأَلَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ رَبَّهُمْ أَنْ يُرِيَهُمُ اللَّذَيْنِ أَضَلَّاهُمْ لِيَجْعَلُوهُمَا أَسْفَلَ مِنْهُمْ..

﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٢٩﴾ [فصلت: ٢٩] لِيَكُونَا فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت: ٣٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَرِئُوا مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَلَمْ يَخْلِطُوا تَوْحِيدَ اللهِ بِشِرْكِ غَيْرِهِ بِهِ، وَانْتَهَوْا إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ..

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تَتَهَبَّطُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ نُزُولِ الْمَوْتِ بِهِمْ..

﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ مَا تَقْدُمُونَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ..

﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ عَلَىٰ مَا تَخْلُفُونَهُ وَرَاءَكُمْ..

﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت: ٣٠] وَسُرُّوا بِأَنْ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةَ

الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَهَا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ إِيمَانِكُمْ بِاللهِ، وَاسْتِقَامَتِكُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣١].

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مَلَائِكَتِهِ الَّتِي تَتَنَزَّلُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَىٰ طَاعَتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِمْ: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كُنَّا نَتَوَلَّاكُمْ فِيهَا؛ وَذُكِرَ أَنَّهُمُ الْحَفَظَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ..

﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أَيْضًا نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ، كَمَا كُنَّا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا أَوْلِيَاءَ..

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ مِنَ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ..

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣١] وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا تَدَّعُونَ.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٢].

﴿نُزُلًا﴾ أَعْطَاكُمْ ذَلِكَ رَبُّكُمْ نُزُلًا لَكُمْ..

﴿مِّنْ﴾ رَبٍّ..

﴿غَفُورٍ﴾ لِذُنُوبِكُمْ..

﴿رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٢] بِكُمْ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ بَعْدَ تَوْبَتِكُمْ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قَوْلًا مِمَّنْ قَالَ رَبُّنَا اللهُ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ثُمَّ اسْتَقَامَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَدَعَا عِبَادَ اللهِ إِلَىٰ مَا قَالَ وَعَمِلَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] وَقَالَ: إِنَّنِي مِمَّنْ خَضَعَ للهِ بِالطَّاعَةِ، وذَلَّ لَهُ بِالْعُبُودَةِ، وَخَشَعَ لَهُ بِالْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ.

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ﴾ وَلَا تَسْتَوِي حَسَنَةُ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، فَأَحْسَنُوا فِي قَوْلِهِمْ، وَإِجَابَتِهِمْ رَبَّهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَدَعَوْا عِبَادَ اللهِ إِلَىٰ مِثْلِ الَّذِي أَجَابُوا رَبَّهُمْ إِلَيْهِ..

﴿وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ وَسَيِّئَةُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦]، فَكَذَٰلِكَ لَا تَسْتَوِي عِنْدَ اللهِ أَحْوَالُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ، وَلَكِنَّهَا تَخْتَلِفُ، كَمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ خَالَفَ بَيْنَهُمَا، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ فَكَرَّرَ لَا، وَالْمَعْنَىٰ: لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ، لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ غَيْرَ مُسَاوٍ شَيْئًا..

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ادْفَعْ يَا مُحَمَّدُ بِحِلْمِكَ جَهْلَ مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَبِعَفْوِكَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ إِسَاءَةَ الْمُسِيءِ، وَبِصَبْرِكَ عَلَيْهِمْ مَكْرُوهَ مَا تَجِدُ مِنْهُمْ، وَيَلْقَاكَ مِنْ قِبَلِهِمْ..

﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾ افْعَلْ هَذَا الَّذِي أَمَرْتُكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ دِفْعِ سَيِّئَةِ الْمُسِيءِ إِلَيْكَ بِإِحْسَانِكَ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِهِ إِلَيْهِ، فَيَصِيرُ الْمُسِيءُ إِلَيْكَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ..

﴿كَأَنَّهُۥ﴾ مِنْ مُلَاطَفَتِهِ إِيَّاكَ وَبِرِّهِ لَكَ..

﴿وَلِيٌّ﴾ لَكَ مِنْ بَنِي أَعْمَامِكَ..

﴿حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت: ٣٤] قَرِيبُ النَّسَبِ بِكَ، وَالْحَمِيمُ: هُوَ الْقَرِيبُ.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٥].

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ وَمَا يُعْطَىٰ دَفْعَ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ..

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ للهِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَالْأُمُورِ الشَّاقَّةِ..

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٥] وَمَا يُلَقَّىٰ هَذِهِ إِلَّا ذُو نَصِيبٍ وَجَدٍّ لَهُ سَابِقٌ فِي الْمَبَرَّاتِ عَظِيمٌ.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت: ٣٦].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ وَإِمَّا يُلْقِيَنَّ الشَّيْطَانُ يَا مُحَمَّدُ فِي نَفْسِكَ وَسْوَسَةً مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ إِرَادَةَ حَمْلِكَ عَلَىٰ مُجَازَاةِ الْمُسِيءِ بِالْإِسَاءَةِ، وَدُعَائِكَ إِلَىٰ مَسَاءَتِهِ..

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فَاسْتَجِرْ بِاللهِ وَاعْتَصِمْ مِنْ خُطُوَاتِهِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِاسْتِعَاذَتِكَ مِنْهُ، وَاسْتِجَارَتِكَ بِهِ مِنْ نَزَغَاتِهِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِكَ وَكَلَامِ غَيْرِكَ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝﴾ [فصلت: ٣٦] بِمَا أُلْقِيَ فِي نَفْسِكَ مِنْ نَزَغَاتِهِ، وَحَدَّثَتْكَ بِهِ نَفْسُكَ، وَمِمَّا يَذْهَبُ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكَ وَأُمُورِ خَلْقِهِ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ﴾ [فصلت: ٣٧].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وَمِنْ حُجَجِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَدَلَالَتِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ..

﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمُعَاقَبَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ..

﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ﴾ لَا الشَّمْسُ تُدْرِكُ الْقَمَرَ ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝﴾ [يس: ٤٠]..

﴿لَا تَسْجُدُوا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ فَإِنَّهُمَا وَإِنْ جَرَيَا فِي الْفُلْكِ بِمَنَافِعِكُمْ، فَإِنَّمَا يَجْرِيَانِ بِهِ لَكُمْ بِإِجْرَاءِ اللهِ إِيَّاهُمَا لَكُمْ طَائِعِينَ لَهُ فِي جَرْيِهِمَا وَمَسِيرِهِمَا، لَا بِأَنَّهُمَا يَقْدِرَانِ بِأَنْفُسِهِمَا عَلَىٰ سَيْرٍ وَجَرْيٍ دُونَ إِجْرَاءِ اللهِ إِيَّاهُمَا وَتَسْيِيرِهِمَا، أَوْ يَسْتَطِيعَانِ لَكُمْ نَفْعًا أَوْ ضَرًّا، وَإِنَّمَا اللهُ مُسَخِّرُهُمَا لَكُمْ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، فَلَهُ فَاسْجُدُوا..

﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ وَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا دُونَهَا..

﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ فَإِنَّهُ إِنْ شَاءَ طَمَسَ ضَوْءَهُمَا، فَتَرَكَكُمْ حَيَارَىٰ فِي ظُلْمَةٍ لَا تَهْتَدُونَ سَبِيلًا، وَلَا تُبْصِرُونَ شَيْئًا..

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝﴾ [فصلت: ٣٧] إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ، وَتُذِلُّونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ؛ وَإِنَّ مِنْ طَاعَتِهِ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تُشْرِكُوا فِي طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ وَعِبَادَتِكُمُوهُ شَيْئًا سِوَاهُ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ لِغَيْرِهِ وَلَا تَنْبَغِي لِشَيْءٍ سِوَاهُ.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ۝﴾ [فصلت: ٣٨].

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَتَعَظَّمُوا عَنْ أَنَّ يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ..

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا يَتَعَظَّمُونَ عَنْهُ..

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بَلْ يُسَبِّحُونَ لَهُ، وَيُصَلُّونَ لَيْلًا وَنَهَارًا..

﴿وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨﴾ [فصلت: ٣٨] وَهُمْ لَا يَفْتُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِمْ، وَلَا يَمِلُّونَ الصَّلَاةَ لَهُ.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [فصلت: ٣٩].

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ وَمِنْ حُجَجِ اللهِ أَيْضًا وَأَدِلَّتِهِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ نَشْرِ الْمَوْتَىٰ مِنْ بَعْدِ بِلَاهَا، وَإِعَادَتِهَا لِهَيْئَتِهَا كَمَا كَانَتْ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهَا..

﴿أَنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً﴾ تَرَىٰ الْأَرْضَ دَارِسَةً غَبْرَاءَ، لَا نَبَاتَ بِهَا وَلَا زَرْعَ..

﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ غَيْثًا عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْضِ الْخَاشِعَةِ اهْتَزَّتْ بِالنَّبَاتِ، يَقُولُ: تَحَرَّكَتْ بِهِ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا﴾ إِنَّ الَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الْأَرْضَ الدَّارِسَةَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا النَّبَاتَ، وَجَعَلَهَا تَهْتَزُّ بِالزَّرْعِ مِنْ بَعْدِ يَبَسِهَا وَدُثُورِهَا بِالْمَطَرِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهَا..

﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓ﴾ لَقَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ أَمْوَاتَ بَنِي آدَمَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ بِالْمَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِإِحْيَائِهِمْ..

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [فصلت: ٣٩] إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ إِحْيَاءِ خَلْقِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ وَعَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ ذُو قُدْرَةٍ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ شَاءَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ فِي حُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا، وَيَعْدِلُونَ عَنْهَا تَكْذِيبًا بِهَا وَجُحُودًا لَهَا.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمُرَادِ بِهِ مِنْ مَعْنَىٰ الْإِلْحَادِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُرِيدَ بِهِ مُعَارَضَةُ الْمُشْرِكِينَ الْقُرْآنَ بِاللَّغَطِ وَالصَّفِيرِ اسْتِهْزَاءً بِهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُرِيدَ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ كَذِبِهِمْ فِي آيَاتِ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أُرِيدَ بِهِ يُعَانِدُونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أُرِيدَ بِهِ الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أُرِيدَ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ تَبْدِيلِهِمْ مَعَانِي كِتَابِ اللهِ.. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَرِيبَاتُ الْمَعَانِي؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّحْدَ وَالْإِلْحَادَ: هُوَ الْمَيْلُ، وَقَدْ يَكُونُ مَيْلًا عَنْ

آيَاتِ اللهِ، وَعُدُولًا عَنْهَا بِالتَّكْذِيبِ بِهَا، وَيَكُونُ بِالِاسْتِهْزَاءِ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً، وَيَكُونُ مُفَارَقَةً لَهَا وَعِنَادًا، وَيَكُونُ تَحْرِيفًا لَهَا وَتَغْيِيرًا لِمَعَانِيهَا وَلَا قَوْلَ أَوْلَىٰ بِالصِّحَّةِ فِي ذَلِكَ مِمَّا قُلْنَا، وَأَنْ يُعَمَّ الْخَبَرُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ أَلْحَدُوا فِي آيَاتِ اللهِ، كَمَا عَمَّ ذَلِكَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ نَحْنُ بِهِمْ عَالِمُونَ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ إِذَا وَرَدُوا عَلَيْنَا، وَذَلِكَ تَهْدِيدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: سَيَعْلَمُونَ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْنَا مَاذَا يَلْقَوْنَ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِنَا، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ..

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا: يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ النَّارِ، ثُمَّ قَالَ اللهُ: أَفَهَذَا الَّذِي يُلْقَىٰ فِي النَّارِ..

﴿خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ خَيْرٌ، أَمِ الَّذِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنْ عَذَابِ اللهِ؛ لِإِيمَانِهِ بِاللهِ جَلَّ جَلَالُهُ؟ إِنَّهُ إِنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللهِ، وَاتَّبَعَ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ، أَمَّنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِمَّا حَذَّرَهُ مِنْهُ مِنْ عِقَابِهِ إِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ بِهِ كَافِرًا..

﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ وَهَذَا أَيْضًا وَعِيدٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ، خَرَجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ..

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ [فصلت: ٤٠] إِنَّ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا وَلَا مِنْ غَيْرِهَا شَيْءٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ٤١﴾ [فصلت: ٤١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَكَذَّبُوا بِهِ لَمَّا جَاءَهُمْ، وَعُنِيَ بِالذِّكْرِ الْقُرْآنُ..

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ هَذَا الذِّكْرَ..

﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ٤١﴾ [فصلت: ٤١] بِإِعْزَازِ اللهِ إِيَّاهُ، وَحِفْظِهِ مِنْ كُلِّ مَنْ أَرَادَ لَهُ تَبْدِيلًا، أَوْ تَحْرِيفًا، أَوْ تَغْيِيرًا، مِنْ إِنْسِيٍّ وَجِنِّيٍّ وَشَيْطَانٍ مَارِدٍ.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ لَا يَسْتَطِيعُ ذُو بَاطِلٍ بِكَيْدِهِ تَغْيِيرَهُ بِكَيْدِهِ، وَتَبْدِيلَ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِيهِ عَمَّا هُوَ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْإِتْيَانُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ..

﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ﴾ وَلَا إِلْحَاقَ مَا لَيْسَ مِنْهُ فِيهِ، وَذَلِكَ إِتْيَانُهُ مِنْ خَلْفِهِ..

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ هُوَ تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِ ذِي حِكْمَةٍ بِتَدْبِيرِ عِبَادِهِ، وَصَرْفِهِمْ فِيمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمْ..

﴿حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢] مَحْمُودٌ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ بِأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝٤٣﴾ [فصلت: ٤٣].

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: مَا يَقُولُ لَكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾ إِلَّا مَا قَدْ قَالَهُ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكَ، يَقُولُ لَهُ: فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا نَالَكَ مِنْ أَذًىٰ مِنْهُمْ، كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]..

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لِذُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ..

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝٤٣﴾ [فصلت: ٤٣] وَهُوَ ذُو عِقَابٍ مُؤْلِمٍ لِمَنْ أَصَرَّ عَلَىٰ كُفْرِهِ وَذُنُوبِهِ، فَمَاتَ عَلَىٰ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ ذَلِكَ قَبْلَ التَّوْبَةِ مِنْهُ.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٤٤﴾ [فصلت: ٤٤].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ وَلَوْ جَعَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ يَا مُحَمَّدُ أَعْجَمِيًّا..

﴿لَّقَالُوا﴾ لَقَالَ قَوْمُكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ هَلَّا بَيَّنَتْ أَدِلَّتَهُ وَمَا فِيهِ مِنْ آيَةٍ، فَنَفْقَهُهُ وَنَعْلَمَ مَا هُوَ وَمَا فِيهِ..

﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ إِنْكَارًا لَهُ: أَأَعْجَمِيٌّ هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿وَعَرَبِيٌّ﴾ وَلِسَانُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ عَرَبِيٌّ؟..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿هُوَ﴾ الْقُرْآنُ..

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿هُدًى﴾ بَيَانٌ لِلْحَقِّ..

﴿وَشِفَاءٌ﴾ مِنَ الْجَهْلِ..

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٌ﴾ فِي آذَانِهِمْ ثُقْلٌ عَنِ اسْتِمَاعِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَصَمَمٌ لَا يَسْتَمِعُونَهُ وَلَكِنَّهُمْ يُعْرِضُونَ عَنْهُ..

﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ وَهَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ عَمًىٰ عَنْهُ، فَلَا يُبْصِرُونَ حُجَجَهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا فِيهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤] قَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ: تَشْبِيهٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لِعَمَىٰ قُلُوبِهِمْ عَنْ فَهْمِ مَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حُجَجِهِ وَمَوَاعِظِهِ بِبَعِيدٍ، فَهُمْ كَسَامِعِ صَوْتٍ مِنْ بَعِيدٍ نُودِيَ، فَلَمْ يَفْهَمْ مَا نُودِيَ، كَقَوْلِ الْعَرَبِ لِلرَّجُلِ الْقَلِيلِ الْفَهْمِ: إِنَّكَ لَتُنَادَىٰ مِنْ بَعِيدٍ، وَكَقَوْلِهِمْ لِلْفَهِمِ: إِنَّكَ لَتَأْخُذُ الْأُمُورَ مِنْ قَرِيبٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّهُمْ يُنَادُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ مِنْهُمْ بِأَشْنَعِ أَسْمَائِهِمْ.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ [فصلت:٤٥].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، يَعْنِي التَّوْرَاةَ، كَمَا آتَيْنَاكَ الْفُرْقَانَ..

﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾ فَاخْتَلَفَ فِي الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ وَلَوْلَا مَا سَبَقَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ وَحُكْمِهِ فِيهِمْ أَنَّهُ أَخَّرَ عَذَابَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ لَعَجَّلَ الْفَصْلَ بَيْنَهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بِإِهْلَاكِهِ الْمُبْطِلِينَ مِنْهُمْ..

﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ وَإِنَّ الْفَرِيقَ الْمُبْطِلَ مِنْهُمْ..

﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ لَفِي شَكٍّ مِمَّا قَالُوا فِيهِ..

﴿مُرِيبٖ﴾ [فصلت:٤٥] يُرِيبُهُمْ قَوْلُهُمْ فِيهِ مَا قَالُوا، لِأَنَّهُمْ قَالُوا بِغَيْرِ ثَبَتٍ، وَإِنَّمَا قَالُوهُ ظَنًّا.

﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَائْتَمَرَ لِأَمْرِهِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ..

﴿فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ عَمِلَ ذَلِكَ الصَّالِحَ مِنَ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّهُ يُجَازَىٰ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ، فَيَسْتَوْجِبُ فِي الْمَعَادِ مِنَ اللهِ الْجَنَّةَ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ..

﴿وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ وَمَنْ عَمِلَ بِمَعَاصِي اللهِ فِيهَا، فَعَلَىٰ نَفْسِهِ جَنَىٰ؛ لِأَنَّهُ أَكْسَبَهَا بِذَلِكَ سَخَطَ اللهِ، وَالْعِقَابَ الْأَلِيمَ..

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦] وَمَا رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ بِحَامِلِ عُقُوبَةِ ذَنْبِ مُذْنِبٍ عَلَىٰ غَيْرِ مُكْتَسِبِهِ، بَلْ لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا عَلَىٰ جُرْمِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ عَلَىٰ سَبَبٍ اسْتَحَقَّهُ بِهِ مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧﴾ [فصلت: ٤٧].

﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ إِلَىٰ اللهِ يَرُدُّ الْعَالِمُونَ بِهِ عِلْمَ السَّاعَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قِيَامُهَا غَيْرُهُ..

﴿وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ وَمَا تَظْهَرُ مِنْ ثَمَرَةِ شَجَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا الَّتِي هِيَ مُتَغَيِّبَةٌ فِيهَا فَتَخْرُجُ مِنْهَا بَارِزَةً..

﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ﴾ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ مِنْ حَمْلٍ حِينَ تَحْمِلُهُ..

﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ وَلَا تَضَعُ وَلَدَهَا إِلَّا بِعِلْمٍ مِنَ اللهِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي﴾ وَيَوْمَ يُنَادِي اللهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ فِي الدُّنْيَا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ: أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَهُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّايَ؟..

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لِرَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ..

﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ أَعْلَمْنَاكَ..

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧﴾ [فصلت: ٤٧] مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَكَ شَرِيكًا.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨﴾ [فصلت: ٤٨].

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ وَضَلَّ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾ آلِهَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا فِي الدُّنْيَا، فَأُخِذَ بِهَا طَرِيقٌ غَيْرُ طَرِيقِهِمْ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللهِ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ..

﴿وَظَنُّواْ﴾ وَأَيْقَنُوا حِينَئِذٍ..

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨﴾ [فصلت: ٤٨] مَا لَهُمْ مِنْ مَلْجَإٍ، أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ مَلْجَأٌ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ٤٩﴾ [فصلت: ٤٩].

﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ لَا يَمَلُّ الْكَافِرُ بِاللهِ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ، يَعْنِي مِنْ دُعَائِهِ بِالْخَيْرِ،

وَمَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ رَبَّهُ.. وَالْخَيْرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَالُ وَصِحَّةُ الْجِسْمِ، يَقُولُ: لَا يَمَلُّ مِنْ طَلَبِ ذَلِكَ..

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ وَإِنْ نَالَهُ ضُرٌّ فِي نَفْسِهِ مِنْ سَقَمٍ أَوْ جَهْدٍ فِي مَعِيشَتِهِ، أَوِ احْتِبَاسٍ مِنْ رِزْقِهِ..

﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ فَإِنَّهُ ذُو يَأْسٍ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَفَرَجِهِ..

﴿قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: ٤٩] مِنْ رَحْمَتِهِ، وَمِنْ أَنْ يَكْشِفَ ذَلِكَ الشَّرَّ النَّازِلَ بِهِ عَنْهُ.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت: ٥٠].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾ وَلَئِنْ نَحْنُ كَشَفْنَا عَنْ هَذَا الْكَافِرِ مَا أَصَابَهُ مِنْ سَقَمٍ فِي نَفْسِهِ وَضُرٍّ وَشِدَّةٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَجَهْدٍ..

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ فَوَهَبْنَا لَهُ الْعَافِيَةَ فِي نَفْسِهِ بَعْدَ السَّقَمِ، وَرَزَقْنَاهُ مَالًا، فَوَسَّعْنَا عَلَيْهِ فِي مَعِيشَتِهِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ مِنْ بَعْدِ الْجَهْدِ وَالضُّرِّ..

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ رَاضٍ عَنِّي بِرِضَاهُ عَمَلِي، وَمَا أَنَا عَلَيْهِ مُقِيمٌ..

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وَمَا أَحْسَبُ الْقِيَامَةَ قَائِمَةً يَوْمَ تَقُومُ..

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ وَإِنْ قَامَتْ أَيْضًا الْقِيَامَةُ، وَرُدِدْتُ إِلَى اللهِ حَيًّا بَعْدَ مَمَاتِي..

﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ إِنَّ لِي عِنْدَهُ غِنًى وَمَالًا..

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فَلَنُخْبِرَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ بِاللهِ، الْمُتَمَنِّينَ عَلَيْهِ الْأَبَاطِيلَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ..

﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَعَاصِي، وَاجْتَرَحُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ لَنُجَازِيَنَّ جَمِيعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَهُمْ..

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت: ٥٠] وَذَلِكَ الْعَذَابُ الْغَلِيظُ تَخْلِيدُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٥١].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ وَإِذَا نَحْنُ أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَافِرِ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَرَزَقْنَاهُ غِنًى وَسَعَةً، وَوَهَبْنَا لَهُ صِحَّةَ جِسْمٍ وَعَافِيَةً..

﴿أَعْرَضَ﴾ عَمَّا دَعَوْنَاهُ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَصَدَّ عَنْهُ..

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ وَبَعُدَ مِنْ إِجَابَتِنَا إِلَىٰ مَا دَعَوْنَاهُ إِلَيْهِ.. وَيَعْنِي بِجَانِبِهِ بِنَاحِيَتِهِ..

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ [فصلت: ٥١] كَثِيرٍ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ [فصلت: ٥٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِن كَانَ﴾ هَذَا الَّذِي تُكَذِّبُونَ بِهِ..

﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أَلَسْتُمْ فِي فِرَاقٍ وَبُعْدٍ مِنَ الصَّوَابِ..

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ [فصلت: ٥٢] قُلْ لَهُمْ: مَنْ أَشَدُّ ذَهَابًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَأَسْلَكُ لِغَيْرِ طَرِيقِ الصَّوَابِ، مِمَّنْ هُوَ فِي فِرَاقٍ لِأَمْرِ اللهِ وَخَوْفٍ لَهُ، بَعِيدٌ مِنَ الرَّشَادِ.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿سَنُرِيهِمْ﴾ سَنُرِي هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِنَا مِنَ الذِّكْرِ..

﴿ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ عَنَىٰ بِالْآيَاتِ فِي الْآفَاقِ وَقَائِعَ النَّبِيِّ ﷺ بِنَوَاحِي بَلَدِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَطْرَافِهَا..

﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فَتْح مَكَّةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّهُ يُرِيهُمْ نُجُومَ اللَّيْلِ وَقَمَرَهُ، وَشَمْسَ النَّهَارِ، وَذَلِكَ مَا وَعَدَهُمْ أَنَّهُ يُرِيهُمْ فِي الْآفَاقِ وَقَالُوا: عَنَىٰ بِالْآفَاقِ: آفَاقَ السَّمَاءِ، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ سَبِيلَ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَعَدَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُرِيَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِهِ مُكَذِّبِينَ آيَاتٍ فِي الْآفَاقِ، وَغَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ يَكُونَ تَهَدُّدَهُمْ بِأَنْ يُرِيَهُمْ مَا هُمْ رَاءُوهُ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَعْدًا مِنْهُ لَهُمْ أَنْ يُرِيَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا رَأَوْهُ قَبْلُ مِنْ ظُهُورِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَطْرَافِ بَلَدِهِمْ وَعَلَىٰ بَلَدِهِمْ، فَأَمَّا النُّجُومُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، فَقَدْ كَانُوا يَرَوْنَهَا كَثِيرًا قَبْلُ وَبَعْدُ وَلَا وَجْهَ لِتَهَدُّدِهِمْ بِأَنَّهُ يُرِيهِمْ ذَلِكَ..

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾ أُرِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَقَائِعَنَا بِأَطْرَافِهِمْ وَبِهِمْ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْوَعْدِ لَهُ بِأَنَّا مُظْهِرُو مَا بعثْنَاهُ بِهِ مِنَ الدِّينِ عَلَىٰ

الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ..

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت: ٥٣] أَنَّهُ شَاهِدٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَفْعَلُهُ خَلْقُهُ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، الْمُحْسِنَ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءَ جَزَاءَهُ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ [فصلت: ٥٤].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ﴾ أَلَا إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ..

﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ فِي شَكٍّ..

﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ﴾ مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَمَعَادِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ [فصلت: ٥٤] أَلَا إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ مُحِيطٌ عِلْمًا بِجَمِيعِهِ، وَقُدْرَةً عَلَيْهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ أَرَادَهُ فَيَفُوتُهُ، وَلَكِنِ الْمُقْتَدِرُ عَلَيْهِ الْعَالِمُ بِمَكَانِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ فُصِّلَتْ



سُورَةُ الشُّورَى (٤٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حم ① عسق ②﴾ [الشورى:١- ٢].

﴿حم ① عسق ②﴾ [الشورى:١- ٢] قَدْ ذَكَرْنَا مَعَانِي حُرُوفِ الْهِجَاءِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهَا أَوَائِلُ سُوَرِ الْقُرْآنِ، الْمُغْنِيَةِ عَنْ إِعَادَتِهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ نَظِيرَةَ الْمَاضِيَةِ مِنْهَا.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③﴾ [الشورى: ٣].

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ هَكَذَا يُوحِي إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ..

﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿الْحَكِيمُ ③﴾ [الشورى: ٣] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ④﴾ [الشورى: ٤].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا..

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ وَهُوَ ذُو عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا دُونَهُ؛ لِأَنَّهُمْ فِي سُلْطَانِهِ، جَارِيَةٌ عَلَيْهِمْ قُدْرَتُهُ، مَاضِيَةٌ فِيهِمْ مَشِيئَتُهُ..

﴿الْعَظِيمُ ④﴾ [الشورى: ٤] الَّذِي لَهُ الْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ وَالْجَبْرِيَّةُ.

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ⑤﴾ [الشورى: ٥].

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَشَقَّقْنَ مِنْ فَوْقِ الْأَرَضِينَ مِنْ عَظَمَةِ الرَّحْمَنِ وَجَلَالِهِ..

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ وَشُكْرِهِمْ لَهُ مِنْ هَيْبَةِ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ..

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمُ الْمَغْفِرَةَ لِذُنُوبِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِذُنُوبِ مُؤْمِنِي عِبَادِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الشورى: ٥] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾ [الشورى: ٦].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ آلِهَةً يَتَوَلَّوْنَهَا وَيَعْبُدُونَهَا..

﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ يُحْصِي عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ، وَيَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ، لِيُجَازِيهِمْ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءَهُمْ..

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾ [الشورى: ٦] وَلَسْتَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ بِالْوَكِيلِ عَلَيْهِمْ بِحِفْظِ أَعْمَالِهِمْ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ، فَبَلِّغْهُمْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَهَكَذَا..

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، لِأَنَّ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ عَرَبٌ، فَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، لِيَفْهَمُوا مَا فِيهِ مِنْ حُجَجِ اللهِ وَذِكْرِهِ، لِأَنَّا لَا نُرْسِلُ رَسُولًا إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ..

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ وَهِيَ مَكَّةُ..

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وَمَنْ حَوْلَ أُمِّ الْقُرَىٰ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ..

﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ وَتُنْذِرَ عِقَابَ اللهِ فِي يَوْمِ جَمْعِ عِبَادِهِ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ وَالْعَرْضِ، وَقِيلَ: وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ، وَالْمَعْنَىٰ: وَتُنْذِرُهُمْ يَوْمَ الْجَمْعِ، كَمَا قِيلَ: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران:١٧٥] وَالْمَعْنَىٰ: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ..

﴿لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ مِنْهُمْ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاتَّبَعُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ..

﴿وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧] وَمِنْهُمْ فَرِيقٌ فِي الْمُوقَدَةِ مِنْ نَارِ اللهِ الْمَسْعُورَةِ عَلَىٰ

أَهْلِهَا، وَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَخَالَفُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ⁨٨⁩﴾ [الشورى: ٨].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَجْمَعَ خَلْقَهُ عَلَىٰ هُدًى، وَيَجْعَلَهُمْ عَلَىٰ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ لَفَعَلَ، وَ..

﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَجَمَاعَةً مُجْتَمِعَةً عَلَىٰ دِينٍ وَاحِدٍ..

﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَيَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ، مِنْ عِبَادِهِ فِي رَحْمَتِهِ، يَعْنِي أَنَّهُ يُدْخِلُهُ فِي رَحْمَتِهِ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُ لِلدُّخُولِ فِي دِينِهِ، الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ⁨٨⁩﴾ [الشورى: ٨] وَالْكَافِرُونَ بِاللهِ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ يَتَوَلَّاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا نَصِيرٍ يَنْصُرُهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ حِينَ يُعَاقِبُهُمْ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَيَقْتَصُّ لَهُمْ مِمَّنْ عَاقَبَهُمْ، وَإِنَّمَا قِيلَ هَذَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَسْلِيَةً لَهُ عَمَّا كَانَ يَنَالُهُ مِنَ الْهَمِّ بِتَوْلِيَةِ قَوْمِهِ عَنْهُ، وَأَمْرًا لَهُ بِتَرْكِ إِدْخَالِ الْمَكْرُوهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ إِدْبَارِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ مِنْهُمْ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَإِعْلَامًا لَهُ أَنَّ أُمُورَ عِبَادِهِ بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ الْهَادِي إِلَىٰ الْحَقِّ مَنْ شَاءَ، وَالْمُضِلُّ مَنْ أَرَادَ دُونَهُ، وَدُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاهُ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⁨٩⁩﴾ [الشورى: ٩].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أَمِ اتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ يَتَوَلَّوْنَهُمْ..

﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ فَاللهُ هُوَ وَلِيُّ أَوْلِيَائِهِ، وَإِيَّاهُ فَلْيَتَّخِذُوا وَلِيًّا لَا الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، وَلَا مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا..

﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وَاللهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ، فَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⁨٩⁩﴾ [الشورى: ٩] وَاللهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِحْيَاءِ خَلْقِهِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، إِنَّهُ ذُو قُدْرَةٍ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ⁨١٠⁩﴾ [الشورى: ١٠].

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَازَعْتُمْ

بَيْنَكُمْ، فَحُكْمُهُ إِلَىٰ اللهِ يَقُولُ: فَإِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَقْضِي بَيْنَكُمْ وَيَفْصِلُ فِيهِ الْحُكْمَ..

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ هَذَا الَّذِي هَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُهُ رَبِّي، لَا آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ..

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فِي أُمُورِي، وَإِلَيْهِ فَوَّضْتُ أَسْبَابِي، وَبِهِ وَثِقْتُ..

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ⑩﴾ [الشورى: ١٠] وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ فِي أُمُورِي وَأَتُوبُ مِنْ ذُنُوبِي.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١].

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ..

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ زَوَّجَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّهُ خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ، فَهُوَ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ، ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَمِنْ كُلِّ جِنْسٍ مِنْ ذَلِكَ..

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ﴾ يَخْلُقُكُمْ فِيمَا جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ، وَيُعِيشُكُمْ فِيمَا جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ..

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: لَيْسَ هُوَ كَشَيْءٍ، وَأَدْخَلَ الْمِثْلَ فِي الْكَلَامِ تَوْكِيدًا لِلْكَلَامِ إِذَا اخْتَلَفَ اللَّفْظُ بِهِ وَبِالْكَافِ، وَهُمَا بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.. **وَالْآخَرُ**: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: لَيْسَ مِثْلَ شَيْءٍ، وَتَكُونُ الْكَافُ هِيَ الْمُدْخَلَةُ فِي الْكَلَامِ..

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَاصِفًا نَفْسَهُ بِمَا هُوَ بِهِ، وَهُوَ يَعْنِي نَفْسَهُ: السَّمِيعُ لِمَا تَنْطِقُ بِهِ خَلْقُهُ مِنْ قَوْلٍ..

﴿ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١] لِأَعْمَالِهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَهُوَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ، مُحْصٍ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢] مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑫﴾ [الشورى: ١٢].

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ لَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبِيَدِهِ مَغَالِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَمَفَاتِيحُهَا، فَمَا يَفْتَحْ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ..

﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يُوَسِّعُ رِزْقَهُ وَفَضْلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَبْسُطُ لَهُ، وَيُكْثِرُ مَالَهُ وَيُغْنِيهِ..

﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾ وَيُقَتِّرُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فَيُضَيِّقُهُ وَيُفْقِرُهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..

﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ مِنْ تَوْسِيعِهِ عَلَىٰ مَنْ يُوَسِّعُ، وَتَقْتِيرِهِ عَلَىٰ مَنْ يُقَتِّرُ، وَمَنِ الَّذِي يُصْلِحُهُ الْبَسْطُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، وَيُفْسِدُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَالَّذِي يُصْلِحُهُ التَّقْتِيرُ عَلَيْهِ وَيُفْسِدُهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ..

﴿عَلِيمٞ ١٢﴾ [الشورى: ١٢] ذُو عِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الْبَسْطِ وَالتَّقْتِيرِ وَغَيْرِهِ، مِنْ صَلَاحِ تَدْبِيرِ خَلْقِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَإِلَىٰ مَنْ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفْتُ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَيُّهَا النَّاسُ فَارْغَبُوا، وَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لَا الْأَوْثَانَ وَالْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، الَّتِي لَا تَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: ١٣].

﴿۞ شَرَعَ لَكُم﴾ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾ أَنْ يَعْمَلَهُ..

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَأَمَرْنَاكَ بِهِ..

﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ الَّذِي أَوْصَىٰ بِهِ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَصِيَّةً وَاحِدَةً، وَهِيَ إِقَامَةُ الدِّينِ الْحَقِّ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..

﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ أَنِ اعْمَلُوا بِهِ عَلَىٰ مَا شَرَعَ لَكُمْ وَفَرَضَ..

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ وَلَا تَخْتَلِفُوا فِي الدِّينِ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِالْقِيَامِ بِهِ، كَمَا اخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ قَبْلِكُمْ..

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ كَبُرَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَالْبَرَاءَةِ مِمَّا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ﴾ اللهُ يَصْطَفِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَخْتَارُ لِنَفْسِهِ وَوِلَايَتِهِ مَنْ أَحَبَّ..

﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ﴾ وَيُوَفِّقُ لِلْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْحَقِّ..

﴿مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: ١٣] مَنْ أَقْبَلَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَرَاجَعَ التَّوْبَةَ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى: ١٤].

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ فِي أَدْيَانِهِمْ فَصَارُوا أَحْزَابًا..

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بِأَنَّ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَبَعَثَ بِهِ نُوحًا، هُوَ إِقَامَةُ الدِّينِ الْحَقِّ، وَأَنْ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بَغْيًا مِنْ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَحَسَدًا وَعَدَاوَةً عَلَىٰ طَلَبِ الدُّنْيَا..

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وَلَوْلَا قَوْلٌ سَبَقَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَبِّكَ لَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعَذَابِ، وَلَكِنَّهُ أَخَّرَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى، وَذَلِكَ الْأَجَلُ الْمُسَمَّىٰ فِيمَا ذُكِرَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ لَفَرَغَ رَبُّكَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ نُوحًا مِنْ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهِ، بِإِهْلَاكِهِ أَهْلَ الْبَاطِلِ مِنْهُمْ، وَإِظْهَارِهِ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ..

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْحَقِّ كِتَابَهُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ..

﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى: ١٤] لَفِي شَكٍّ مِنَ الدِّينِ الَّذِي وَصَّىٰ اللهُ بِهِ نُوحًا وَأَوْحَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَمَرَكُمَا بِإِقَامَتِهِ مُرِيبٍ.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى: ١٥].

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ فَإِلَىٰ ذَلِكَ الدِّينِ الَّذِي شَرَعَ لَكُمْ، وَوَصَّىٰ بِهِ نُوحًا، وَأَوْحَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَادْعُ عِبَادَ اللهِ، وَاسْتَقِمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ، وَلَا تَزِغْ عَنْهُ، وَاثْبُتْ عَلَيْهِ كَمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ بِالِاسْتِقَامَةِ.. وَقِيلَ: فَلِذَلِكَ فَادْعُ، وَالْمَعْنَىٰ: فَإِلَىٰ ذَلِكَ، فَوُضِعَتِ اللَّامُ مَوْضِعَ إِلَىٰ، كَمَا قِيلَ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ [الزلزلة: ٥]، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَإِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ وَالَّذِي قَالَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِمَّا قُلْنَاهُ،

غَيْرَ أَنَّ الَّذِيَ قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ فِي سِيَاقِ خَبَرِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِإِقَامَتِهِ، وَلَمْ يَأْتِ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ انْصِرَافِهِ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وَلَا تَتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ أَهْوَاءَ الَّذِينَ شَكُّوا فِي الْحَقِّ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَهُمْ، فَتَشُكَّ فِيهِ، كَالَّذِي شَكُّوا فِيهِ..

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: صَدَّقْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ كَائِنًا مَا كَانَ ذَلِكَ الْكِتَابُ، تَوْرَاةً كَانَ أَوْ إِنْجِيلًا أَوْ زَبُورًا أَوْ صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ، لَا أُكَذِّبُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَكْذِيبَكُمْ بِبَعْضِهِ مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ، وَتَصْدِيقَكُمْ بِبَعْضٍ..

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: وَأَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَعْدِلَ بَيْنَكُمْ مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ، فَأَسِيرَ فِيكُمْ جَمِيعًا بِالْحَقِّ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ وَبَعَثَنِي بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ..

﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ اللهُ مَالِكُنَا وَمَالِكُكُمْ مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ لَنَا ثَوَابُ مَا اكْتَسَبْنَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَلَكُمْ ثَوَابُ مَا اكْتَسَبْتُمْ مِنْهَا..

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ لَا خُصُومَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..

﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِي بَيْنَنَا بِالْحَقِّ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ..

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى: ١٥] وَإِلَيْهِ الْمَعَادُ وَالْمَرْجِعُ بَعْدَ مَمَاتِنَا.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١٦﴾ [الشورى: ١٦].

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ وَالَّذِينَ يُخَاصِمُونَ فِي دِينِ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَابَ لَهُ النَّاسُ، فَدَخَلُوا فِيهِ مِنَ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ..

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خُصُومَتُهُمُ الَّتِي يُخَاصِمُونَ فِيهِ بَاطِلَةٌ ذَاهِبَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ..

﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ وَعَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ غَضَبٌ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١٦﴾ [الشورى: ١٦] وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ١٧﴾ [الشورى: ١٧].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ﴾ هَذَا..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ..

﴿بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ وَأَنْزَلَ الْمِيزَانَ وَهُوَ الْعَدْلُ، لِيَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْإِنْصَافِ، وَيَحْكُمُ

فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝١٧﴾ [الشورى: ١٧] وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ وَيُعَلِّمُكَ، لَعَلَّ السَّاعَةَ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ قَرِيبٌ.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝١٨﴾ [الشورى: ١٨].

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يَسْتَعْجِلُكَ يَا مُحَمَّدُ بِمَجِيئِهَا الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ بِمَجِيئِهَا، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا غَيْرُ جَائِيَةٍ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا بِمَجِيئِهَا، وَوَعْدِ اللهِ إِيَّاهُمُ الْحَشْرَ فِيهَا..

﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ وَجِلُونَ مِنْ مَجِيئِهَا، خَائِفُونَ مِنْ قِيَامِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ فِيهَا..

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ وَيُوقِنُونَ أَنَّ مَجِيئَهَا الْحَقُّ الْيَقِينُ، لَا يَمْتَرُونَ فِي مَجِيئِهَا..

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُخَاصِمُونَ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ وَيُجَادِلُونَ فِيهِ..

﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝١٨﴾ [الشورى: ١٨] لَفِي جَوْرٍ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَىٰ، وَزَيْغٍ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ، بَعِيدًا مِنَ الصَّوَابِ.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورى: ١٩].

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ اللهُ ذُو لُطْفٍ بِعِبَادِهِ..

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ فَيُوَسِّعُ عَلَيْهِ وَيُقَتِّرُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ..

﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ ذُو أَيْدٍ لِشِدَّتِهِ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ إِذَا أَرَادَ عِقَابَهُ بِقُدْرَتِهِ..

﴿ٱلْعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورى: ١٩] فِي انْتِقَامِهِ إِذَا انْتَقَمَ مِنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [الشورى: ٢٠].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ الْآخِرَةَ..

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ نَزِدْ لَهُ فِي عَمَلِهِ الْحَسَنِ، فَنَجْعَلُ لَهُ بِالْوَاحِدَةِ عَشْرًا، إِلَىٰ مَا شَاءَ رَبُّنَا مِنَ الزِّيَادَةِ..

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا وَلَهَا يَسْعَىٰ لَا لِلْآخِرَةِ..

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ مَا قَسَمْنَا لَهُ مِنْهَا..

﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠] وَلَيْسَ لِمَنْ طَلَبَ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا وَلَمْ يُرِدِ اللهَ بِهِ فِي ثَوَابِ اللهِ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَرَادُوهُ فِي الدُّنْيَا حَظٌّ.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١].

﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أَمْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ فِي شِرْكِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ..

﴿شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ ابْتَدَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يُبِحِ اللهُ لَهُمُ ابْتِدَاعَهُ..

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ وَلَوْلَا السَّابِقُ مِنَ اللهِ فِي أَنَّهُ لَا يُعَجِّلُ لَهُمُ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ مَضَىٰ مِنْ قِيلِهِ إِنَّهُمْ مُؤَخَّرُونَ بِالْعُقُوبَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَفَرَغَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بِتَعْجِيلِهِ الْعَذَابَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١] وَإِنَّ الْكَافِرِينَ بِاللهِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [الشورى: ٢٢].

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ الْكَافِرِينَ بِاللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ وَجِلِينَ خَائِفِينَ مِنْ عِقَابِ اللهِ عَلَىٰ مَا كَسَبُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ..

﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مُشْفِقُونَ مِنْهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، نَازِلٌ بِهِمْ، وَهُمْ ذَائِقُوهُ لَا مَحَالَةَ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَأَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ فِي الدُّنْيَا فِي رَوْضَاتِ الْبَسَاتِينِ فِي الْآخِرَةِ وَيَعْنِي بِالرَّوْضَاتِ: جَمْعُ رَوْضَةٍ، وَهِيَ الْمَكَانُ الَّذِي يَكْثُرُ نَبْتُهُ، وَلَا تَقُولُ الْعَرَبُ لِمَوَاضِعِ الْأَشْجَارِ رِيَاضٌ..

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ مَا

تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ، وَتَلَذُّهُ أَعْيُنُهُمْ..

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٢﴾ [الشورى: ٢٢] هَذَا الَّذِي أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنْ هَذَا النَّعِيمِ، وَهَذِهِ الْكَرَامَةِ فِي الْآخِرَةِ هُوَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ، الْكَبِيرُ الَّذِي يَفْضُلُ كُلَّ نَعِيمٍ وَكَرَامَةٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ بَعْضِ أَهْلِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ۝٢٣﴾ [الشورى: ٢٣].

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي﴾ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنِّي أَعْدَدْتُهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ الْبُشْرَىٰ الَّتِي..

﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ فِيهَا..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ يُمَارُونَكَ فِي السَّاعَةِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ دَعَايَتِكُمْ إِلَىٰ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ وَالنَّصِيحَةِ الَّتِي أَنْصَحُكُمْ..

﴿أَجۡرًا﴾ ثَوَابًا وَجَزَاءً وَعِوَضًا مِنْ أَمْوَالِكُمْ تُعْطُونَنِيهِ..

﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ إِلَّا أَنْ تَوَدُّونِي فِي قَرَابَتِي مِنْكُمْ، وَتَصِلُوا الرَّحِمَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.. وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا، لَكِنِّي أَسْأَلُكُمُ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ..

﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ حَسَنَةً، وَذَلِكَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا يُطِيعُ اللهَ فِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ نُضَاعِفْ عَمَلَهُ ذَلِكَ الْحَسَنَ، فَنَجْعَلْ لَهُ مَكَانَ الْوَاحِدِ عَشْرًا إِلَىٰ مَا شِئْنَا مِنَ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ..

﴿شَكُورٌ ۝٢٣﴾ [الشورى: ٢٣] لِحَسَنَاتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٤﴾ [الشورى: ٢٤].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ أَمْ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ﴾ فَجَاءَ بِهَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْنَا اخْتِلَاقًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ..

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ يَطْبَعْ عَلَىٰ قَلْبِكَ، فَتَنْسَ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ..

﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ وَيَذْهَبُ اللهُ بِالْبَاطِلِ فَيَمْحَقُهُ..

﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَيُثْبِتُهُ..

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾ [الشورى: ٢٤] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِمَا فِي صُدُورِ خَلْقِهِ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمَائِرُهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لَوْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَفْتَرِيَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، لَطَبَعْتُ عَلَىٰ قَلْبِكَ، وَأَذْهَبْتُ الَّذِي آتَيْتُكَ مِنْ وَحْيِي، لِأَنِّي أَمْحُو الْبَاطِلَ فَأُذْهِبُهُ، وَأُحِقُّ الْحَقَّ، وَإِنَّمَا هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ الْكَافِرِينَ بِهِ، الزَّاعِمِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَىٰ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنْ فَعَلَ لَفُعِلَ بِهِ مَا أُخْبِرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى: ٢٥].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ وَاللهُ الَّذِي يَقْبَلُ مُرَاجَعَةَ الْعَبْدِ إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ..

﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وَيَعْفُو أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَهِيَ مَعَاصِيهِ الَّتِي تَابَ مِنْهَا..

﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى: ٢٥] بِالتَّاءِ عَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: (يَفْعَلُونَ) بِالْيَاءِ، بِمَعْنَىٰ: وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُ عِبَادُهُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، غَيْرَ أَنَّ الْيَاءَ أَعْجَبُ إِلَيَّ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ جَرَىٰ عَلَىٰ الْخَبَرِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾، وَيَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ وَيَعْلَمُ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ جَزَاءَهُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَرْكَبُوا مَا تَسْتَحِقُّونَ بِهِ مِنْهُ الْعُقُوبَةَ.

﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ٢٦﴾ [الشورى: ٢٦].

﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَيُجِيبُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ،

وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، لِبَعْضِهِمْ دُعَاءَ بَعْضٍ..

﴿وَيَزِيدُهُم﴾ وَيَزِيدُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَعَ إِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ دُعَاءَهُمْ، وَإِعْطَائِهِ إِيَّاهُمْ مَسْأَلَتَهُمْ..

﴿مِّن فَضْلِهِۦ﴾ عَلَىٰ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ، بِأَنْ يُعْطِيَهُمْ مَا لَمْ يَسْأَلُوهُ.. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الْفَضْلَ الَّذِي ضَمِنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَزِيدَهُمُوهُ، هُوَ أَنْ يُشَفِّعَهُمْ فِي إِخْوَانِ إِخْوَانِهِمْ إِذَا هُمْ شُفِّعُوا فِي إِخْوَانِهِمْ، فَشَفَعُوا فِيهِمْ..

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝٢٦﴾ [الشورىٰ: ٢٦] وَالْكَافِرُونَ بِاللهِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورىٰ: ٢٧].

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ، فَوَسَّعَهُ وَكَثَّرَهُ عِنْدَهُمْ..

﴿لَبَغَوْا۟﴾ فَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ الَّذِي حَدَّهُ اللهُ لَهُمْ إِلَىٰ غَيْرِ الَّذِي حَدَّهُ لَهُمْ فِي بِلَادِهِ بِرُكُوبِهِمْ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مَا حَظَرَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ وَلَكِنَّهُ يُنَزِّلُ رِزْقَهُمْ..

﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ بِقَدَرٍ لِكِفَايَتِهِمُ الَّذِي يَشَاءُ مِنْهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَمَنَّوْا سَعَةَ الدُّنْيَا وَالْغِنَىٰ.

﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ﴾ إِنَّ اللهَ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ وَيُفْسِدُهُمْ مِنْ غِنًىٰ وَفَقْرٍ وَسَعَةٍ وَإِقْتَارٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ وَمَضَارِّهِمْ..

﴿خَبِيرٌۢ﴾ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ..

﴿بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورىٰ: ٢٧] بِتَدْبِيرِهِمْ وَصَرْفِهِمْ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٨﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ وَاللهُ الَّذِي يُنَزِّلُ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيُغِيثُكُمْ بِهِ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ مِنْ بَعْدِ مَا يُئِسَ مِنْ نُزُولِهِ وَمَجِيئِهِ..

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ وَيَنْشُرُ فِي خَلْقِهِ رَحْمَتَهُ، وَيَعْنِي بِالرَّحْمَةِ: الْغَيْثَ الَّذِي يُنَزِّلُهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَلِيكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ..

﴿الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨] بِأَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، وَنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ فِي خَلْقِهِ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى: ٢٩].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ فَنَائِكُمْ، وَبَعْثِكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ مِنْ بَعْدِ بَلَائِكُمْ..

﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خَلْقُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ وَمَا فَرَّقَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى: ٢٩] وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ إِذَا شَاءَ جَمْعَهُ، ذُو قُدْرَةٍ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ، كَمَا لَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ خَلْقُهُ وَتَفْرِيقُهُ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَذَلِكَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ جَمْعِ خَلْقِهِ بِحَشْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْدَ تَفَرُّقِ أَوْصَالِهِمْ فِي الْقُبُورِ.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ وَمَا يُصِيبُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ فِي الدُّنْيَا فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ..

﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فَإِنَّمَا يُصِيبُكُمْ ذَلِكَ عُقُوبَةً مِنَ اللهِ لَكُمْ بِمَا اجْتَرَمْتُمْ مِنَ الْآثَامِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ..

﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] وَيَعْفُو لَكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ إِجْرَامِكُمْ، فَلَا يُعَاقِبُكُمْ بِهَا.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ [الشورى: ٣١].

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ وَمَا أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِمُفِيتِي رَبِّكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ إِذَا أَرَادَ عُقُوبَتَكُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِكُمُ الَّتِي أَذْنَبْتُمُوهَا، وَمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ الَّتِي رَكِبْتُمُوهَا هَرَبًا فِي الْأَرْضِ، فَمُعْجِزِيهِ، حَتَّىٰ لَا يَقْدِرَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي سُلْطَانِهِ وَقَبْضَتِهِ، جَارِيَةٌ فِيكُمْ مَشِيئَتُهُ..

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَلِيكُمْ بِالدِّفَاعِ عَنْكُمْ إِذَا أَرَادَ عُقُوبَتَكُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ [الشورى: ٣١] وَلَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ نَصِيرٌ يَنْصُرُكُمْ إِذَا هُوَ عَاقَبَكُمْ، فَيَنْتَصِرُ لَكُمْ مِنْهُ، فَاحْذَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ مَعَاصِيَهُ، وَاتَّقُوهُ أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ أَوْ نَهَاكُمْ، فَإِنَّهُ لَا دَافِعَ لِعُقُوبَتِهِ عَمَّنْ أَحَلَّهَا بِهِ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٣٢﴾ [الشورىٰ: ٣٢].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ وَمِنْ حُجَجِ اللهِ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ أَرَادَهُ..

﴿ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ السُّفُنُ الْجَارِيَةُ فِي الْبَحْرِ.. وَالْجَوَارِي: جَمْعُ جَارِيَةٍ، وَهِيَ السَّائِرَةُ فِي الْبَحْرِ..

﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٣٢﴾ [الشورىٰ: ٣٢] كَالْجِبَالِ: وَاحِدُهَا عَلَمٌ.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣﴾ [الشورىٰ: ٣٣].

﴿إِن يَشَأْ﴾ اللهُ الَّذِي قَدْ أَجْرَىٰ هَذِهِ السُّفُنَ فِي الْبَحْرِ..

﴿يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ أَنْ لَا تَجْرِي فِيهِ، أَسْكَنَ الرِّيحَ الَّتِي تَجْرِي بِهَا فِيهِ..

﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ فَثَبَتْنَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَوَقَفْنَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْمَاءِ لَا تَجْرِي، فَلَا تَتَقَدَّمُ وَلَا تَتَأَخَّرُ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي جَرْيِ هَذِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ بِقُدْرَةِ اللهِ..

﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لَعِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَحُجَّةٌ بَيِّنَةٌ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ..

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ لِكُلِّ ذِي صَبْرٍ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ..

﴿شَكُورٍ ۝٣٣﴾ [الشورىٰ: ٣٣] لِنِعَمِهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُ.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ۝٣٤﴾ [الشورىٰ: ٣٤].

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أَوْ يُهْلِكْهُنَّ بِالْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ..

﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ رُكْبَانُهَا مِنَ الذُّنُوبِ، وَاجْتَرَمُوا مِنَ الْآثَامِ..

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ۝٣٤﴾ [الشورىٰ: ٣٤] وَيَصْفَحْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ ذُنُوبِكُمْ فَلَا يُعَاقِبْ عَلَيْهَا.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٣٥﴾ [الشورىٰ: ٣٥].

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُخَاصِمُونَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي آيَاتِهِ وَعِبَرِهِ وَأَدِلَّتِهِ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ..

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٣٥﴾ [الشورىٰ: ٣٥] مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيدٍ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِذَا عَاقَبَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَلَا لَهُمْ مِنْهُ مَلْجَأٌ.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ [الشورى: ٣٦].

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ فَمَا أُعْطِيتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ مِنْ رِيَاشِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ..

﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فَهُوَ مَتَاعٌ لَكُمْ تَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ مِنْ دَارِ الْآخِرَةِ، وَلَا مِمَّا يَنْفَعُكُمْ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ وَالَّذِي عِنْدَ اللهِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعِهَا وَأَبْقَىٰ؛ لِأَنَّ مَا أُوتِيتُمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ نَافِدٌ، وَمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ النَّعِيمِ فِي جِنَانِهِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ بَاقٍ غَيْرَ نَافِدٍ..

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَمَا عِنْدَ اللهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ..

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ [الشورى: ٣٦] فِي أُمُورِهِمْ، وَإِلَيْهِ يَقُومُونَ فِي أَسْبَابِهِمْ، وَبِهِ يَثِقُونَ، خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ مِمَّا أُوتِيتُمُوهُ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ [الشورى: ٣٧].

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ وَمَا عِنْدَ اللهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ، وَكَبَائِرَ فَوَاحِشِ الْإِثْمِ..

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾ عَلَىٰ مَنِ اجْتَرَمَ إِلَيْهِمْ جُرْمًا..

﴿هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ [الشورى: ٣٧] لِمَنْ أَجْرَمَ إِلَيْهِمْ ذَنْبَهُ، وَيَصْفَحُونَ عَنْهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ [الشورى: ٣٨].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ وَالَّذِينَ أَجَابُوا لِرَبِّهِمْ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا يُعْبَدُ دُونَهُ..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا..

﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ وَإِذَا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ تَشَاوَرُوا بَيْنَهُمْ..

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ [الشورى: ٣٨] وَمِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُؤَدُّونَ مَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ لِأَهْلِهَا مِنْ زَكَاةٍ وَنَفَقَةٍ عَلَىٰ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى: ٣٩].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ﴾ وَالَّذِينَ إِذَا بَغَىٰ عَلَيْهِمْ بَاغٍ، وَاعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ..

﴿هُمۡ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الشورىٰ: ٣٩] مِمَّنْ بَغَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَدُوا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا فِي الِانْتِصَارِ مِنَ الْمَدْحِ؟ قِيلَ: إِنَّ فِي إِقَامَةِ الظَّالِمِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ وَعُقُوبَتِهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ تَقْوِيمًا لَهُ، وَفِي ذَٰلِكَ أَعْظَمُ الْمَدْحِ.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ [الشورىٰ: ٤٠].

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةِ الْمُسِيءِ عُقُوبَتُهُ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ عُقُوبَةً مِنَ اللهِ أَوْجَبَهَا عَلَيْهِ، فَهِيَ مَسَاءَةٌ لَهُ..

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فَمَنْ عَفَا عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ إِسَاءَتَهُ إِلَيْهِ، فَغَفَرَهَا لَهُ، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ بِهَا، وَهُوَ عَلَىٰ عُقُوبَتِهِ عَلَيْهَا قَادِرٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، فَأَجْرُ عَفْوِهِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللهِ، وَاللهُ مُثِيبُهُ عَلَيْهِ ثَوَابَهُ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ [الشورىٰ: ٤٠] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ أَهْلَ الظُّلْمِ الَّذِينَ يَتَعَدَّوْنَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَيُسِيئُونَ إِلَيْهِمْ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِيهِ.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١﴾ [الشورىٰ: ٤١].

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ إِيَّاهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الْمُنْتَصِرُونَ مِنْهُمْ..

﴿مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١﴾ [الشورىٰ: ٤١] لَا سَبِيلَ لِلْمُنْتَصَرِ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ بِعُقُوبَةٍ وَلَا أَذًىٰ؛ لِأَنَّهُمُ انْتَصَرُوا مِنْهُمْ بِحَقٍّ، وَمَنْ أَخَذَ حَقَّهُ مِمَّنْ وَجَبَ ذَٰلِكَ لَهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَتَعَدَّ لَمْ يَظْلِمْ، فَيَكُونَ عَلَيْهِ سَبِيلٌ.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢﴾ [الشورىٰ: ٤٢].

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ إِنَّمَا الطَّرِيقُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَعَدَّوْنَ عَلَىٰ النَّاسِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، بِأَنْ تُعَاقِبُوهُمْ بِظُلْمِهِمْ لَا عَلَىٰ مَنِ انْتَصَرَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، فَأَخَذَ مِنْهُ حَقَّهُ..

﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ وَيَتَجَاوَزُونَ فِي أَرْضِ اللهِ الْحَدَّ الَّذِي أَبَاحَ لَهُمْ رَبُّهُمْ إِلَىٰ مَا لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِيهِ، فَيُفْسِدُونَ فِيهَا بِغَيْرِ الْحَقِّ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢﴾ [الشورىٰ: ٤٢] فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ، وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، لَهُمْ عَذَابٌ مِنَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٣].

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ عَلَىٰ إِسَاءَةٍ إِلَيْهِ..

﴿وَغَفَرَ﴾ لِلْمُسِيءِ إِلَيْهِ جُرْمَهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَنْتَصِرْ مِنْهُ، وَهُوَ عَلَىٰ الِانْتِصَارِ مِنْهُ قَادِرٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَجَزِيلِ ثَوَابِهِ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ صَبْرَهُ ذَلِكَ وَغُفْرَانَهُ ذَنْبَ الْمُسِيءِ إِلَيْهِ..

﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٣] الَّتِي نَدَبَ إِلَيْهَا عِبَادَهُ، وَعَزَمَ عَلَيْهِمُ الْعَمَلَ بِهِ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٤].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ خَذَلَهُ اللهُ عَنِ الرَّشَادِ..

﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ﴾ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَلِيٍّ يَلِيهِ، فَيَهْدِيهِ لِسَبِيلِ الصَّوَابِ، وَيُسَدِّدُهُ..

﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ إِضْلَالِ اللهِ إِيَّاهُ..

﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وَتَرَىٰ الْكَافِرِينَ بِاللهِ يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ لَمَّا عَايَنُوا عَذَابَ اللهِ..

﴿يَقُولُونَ﴾ لِرَبِّهِمْ..

﴿هَلْ﴾ لَنَا يَا رَبِّ..

﴿إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ إِلىٰ الدنيا..

﴿مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٤] وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ الْآيَةَ، اسْتَعْتَبَ الْمَسَاكِينُ فِي غَيْرِ حِينِ الِاسْتِعْتَابِ.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٥].

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وَتَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ الظَّالِمِينَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ النَّارِ..

﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ خَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ..

﴿يَنظُرُونَ﴾ يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ إِلَىٰ النَّارِ حِينَ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا..

﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ مِنْ طَرْفٍ ذَلِيلٍ، وَصَفَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْخَفَاءِ لِلذِّلَّةِ الَّتِي قَدْ رَكِبَتْهُمْ،

حَتَّىٰ كَادَتْ أَعْيُنُهُمْ أَنْ تَغُورَ، فَتَذْهَبَ..

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ باللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إِنَّ الْمَغْبُونِينَ الَّذِينَ غُبِنُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ..

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَلَا إِنَّ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۝٤٥﴾ [الشورىٰ: ٤٥] فِي عَذَابٍ لَهُمْ مِنَ اللهِ مُقِيمٍ عَلَيْهِمْ، ثَابِتٍ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ، وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَخِفُّ.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ۝٤٦﴾ [الشورىٰ: ٤٦].

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ حِينَ يُعَذِّبُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْلِيَاءُ يَمْنَعُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَا يَنْتَصِرُونَ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَىٰ مَا نَالَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ۝٤٦﴾ [الشورىٰ: ٤٦] وَمَنْ يَخْذُلْهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَمَا لَهُ مِنْ طَرِيقٍ إِلَىٰ الْوُصُولِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْهِدَايَةَ وَالْإِضْلَالَ بِيَدِهِ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاهُ.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۝٤٧﴾ [الشورىٰ: ٤٧].

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْكَافِرِينَ بِهِ: أَجِيبُوا أَيُّهَا النَّاسُ دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ وَاتَّبِعُوهُ عَلَىٰ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ..

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لَا شَيْءَ يَرُدُّ مَجِيئَهُ إِذَا جَاءَ اللهُ بِهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ مَا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مَعْقِلٍ تَحْتَرِزُونَ فِيهِ، وَتَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، فَتَعْتَصِمُونَ بِهِ مِنَ النَّازِلِ بِكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، كَانَ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۝٤٧﴾ [الشورىٰ: ٤٧] وَلَا أَنْتُمْ تَقْدِرُونَ لَمَّا يَحِلُّ بِكُمْ مِنْ عِقَابِهِ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ تَغْيِيرِهِ، وَلَا عَلَىٰ انْتِصَارٍ مِنْهُ إِذَا عَاقَبَكُمْ بِمَا عَاقَبَكُمْ بِهِ.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾
[الشورى: ٤٨].

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ فَإِنْ أَعْرَض هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ عَمَّا أَتَيْتُهُم بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَدَعْوَتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الرُّشْدِ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ، وَأَبَوْا قَبُولَهُ مِنْكَ..

﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ فَدَعْهُمْ، فَإِنَّا لَنْ نُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ رَقِيبًا عَلَيْهِمْ، تَحْفَظُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَتُحْصِيهَا..

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ مَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَهُمْ مَا أَرْسَلْنَاكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّسَالَةِ، فَإِذَا بَلَّغْتَهُمْ ذَلِكَ، فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ..

﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ فَإِنَّا إِذَا أَغْنَيْنَا ابْنَ آدَمَ فَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا سَعَةً، وَذَلِكَ هُوَ الرَّحْمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَرِحَ بِهَا﴾ سُرَّ بِمَا أَعْطَيْنَاهُ مِنَ الْغِنَى، وَرَزَقْنَاهُ مِنَ السَّعَةِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ..

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وَإِنَّ أَصَابَتْهُمْ فَاقَةٌ وَفَقْرٌ وَضِيقُ عَيْشٍ..

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بِمَا أَسْلَفَتْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ عُقُوبَةً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، جَحَدَ نِعْمَةَ اللهِ، وَأَيِسَ مِنَ الْخَيْرِ..

﴿فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٨] فَإِنَّ الْإِنْسَانَ جَحُودٌ نِعَمَ رَبِّهِ، يُعَدِّدُ الْمَصَائِبَ، وَيَجْحَدُ النِّعَمَ.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾
[الشورى: ٤٩].

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ للهِ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ، يَفْعَلُ فِي سُلْطَانِهِ مَا يَشَاءُ، وَيَخْلُقُ مَا يُحِبُّ خَلْقَهُ..

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْوَلَدِ الْإِنَاثَ دُونَ الذُّكُورِ، بِأَنْ يَجْعَلَ كُلَّ مَا حَمَلَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ حَمْلٍ مِنْهُ أُنْثَى..

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى: ٤٩] وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمُ الذُّكُورَ، بِأَنْ يَجْعَلَ كُلَّ حَمْلٍ حَمَلَتْهُ امْرَأَتُهُ ذَكَرًا لَا أُنْثَى فِيهِمْ.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝﴾ [الشورى: ٥٠].

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ التَّزْوِيجُ: أَنْ تَلِدَ الْمَرْأَةُ غُلَامًا، ثُمَّ تَلِدَ جَارِيَةً، ثُمَّ تَلِدُ غُلَامًا، ثُمَّ تَلِدُ جَارِيَةً..

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ لَا يُولَدُ لَهُ..

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝﴾ [الشورى: ٥٠] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِمَا يَخْلُقُ، وَقُدْرَةٍ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاءُ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَ خَلْقَهُ.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝﴾ [الشورى: ٥١].

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يُكَلِّمَهُ رَبُّهُ إِلَّا وَحْيًا يُوحِي اللهُ إِلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ، أَوْ إِلْهَامًا، وَإِمَّا غَيْرُهُ..

﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أَوْ يُكَلِّمَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ وَلَا يَرَاهُ، كَمَا كَلَّمَ مُوسَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ..

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أَوْ يُرْسِلَ اللهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ رَسُولًا، إِمَّا جِبْرَائِيلُ، وَإِمَّا غَيْرُهُ..

﴿فَيُوحِيَ﴾ ذَلِكَ الرَّسُولُ إِلَىٰ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ..

﴿بِإِذْنِهِ﴾ بِإِذْنِ رَبِّهِ..

﴿مَا يَشَاءُ﴾ رَبُّهُ أَنْ يُوحِيَهُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْوَحْيِ..

﴿إِنَّهُ﴾ يَعْنِي نَفْسَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿عَلِيٌّ﴾ ذُو عُلُوٍّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَارْتِفَاعٍ عَلَيْهِ، وَاقْتِدَارٍ..

﴿حَكِيمٌ ۝﴾ [الشورى: ٥١] ذُو حِكْمَةٍ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا كُنَّا نُوحِي فِي سَائِرِ رُسُلِنَا، كَذَلِكَ..

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ وَحْيًا وَرَحْمَةً مِنْ أَمْرِنَا..

﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ اللَّذَيْنِ أَعْطَيْنَاكَهُمَا..

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ وَلَكِنْ جَعَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ، وَهُوَ الْكِتَابُ..

﴿نُورًا﴾ ضِيَاءً لِلنَّاسِ، يَسْتَضِيئُونَ بِضَوْئِهِ الَّذِي بَيَّنَ اللهُ فِيهِ، وَهُوَ بَيَانُهُ الَّذِي بَيَّنَ فِيهِ، مِمَّا لَهُمْ فِيهِ فِي الْعَمَلِ بِهِ الرَّشَادُ، وَمِنَ النَّارِ النَّجَاةُ..

﴿نَّهْدِى بِهِۦ﴾ نَهْدِي بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَنُسَدِّدُ إِلَىٰ سَبِيلِ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِاللهِ..

﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ هِدَايَتَهُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ عِبَادِنَا ..

﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢] عِبَادَنَا، بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ اللهِ، وَالْبَيَانِ لَهُمْ.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى: ٥٣].

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، طَرِيقِ اللهِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ عِبَادَهُ، الَّذِي لَهُمْ مُلْكُ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ..

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى: ٥٣] أَلَا إِلَىٰ اللهِ أَيُّهَا النَّاسُ تَصِيرُ أُمُورُكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَيَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَتْ أُمُورُهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَيْهِ؟ قِيلَ: هِيَ وَإِنْ كَانَ إِلَيْهِ تَدْبِيرُ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَإِنَّ لَهُمْ حُكَّامًا وَوُلَاةً يَنْظُرُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَاكِمٌ وَلَا سُلْطَانٌ غَيْرُهُ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: إِلَيْهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ هُنَالِكَ، وَإِنْ كَانَتِ الْأُمُورُ كُلُّهَا إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ قَضَاؤُهَا وَتَدْبِيرُهَا فِي كُلِّ حَالٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الشُّورَىٰ



سُورَةُ الزُّخْرُفِ (٤٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُها تِسْعٌ وَثَمانُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حمٓ ۝١﴾ [الزخرف: ١].

﴿حمٓ ۝١﴾ [الزخرف: ١] قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ قَوْلَهُ ﴿حمٓ ۝١﴾ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف: ٢].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف: ٢] قَسَمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَقْسَمَ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَفَكَّرَ فِي عِبَرِهِ وَعِظَاتِهِ هَدَاهُ وَرَشَدَهُ، وَأَدِلَّتُهُ عَلَىٰ حَقِّيَّتِهِ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، لَا اخْتِلَاقٌ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا افْتِرَاءٌ مِنْ أَحَدٍ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣].

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا بِلِسَانِ الْعَرَبِ، إِذْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنْذَرُونَ بِهِ مِنْ رَهْطِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَرَبًا..

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣] لِتَعْقِلُوا مَعَانِيَهِ وَمَا فِيهِ مِنْ مَوَاعِظَ، وَلَمْ يُنْزِلْهُ بِلِسَانِ الْعَجَمِ، فَيَجْعَلْهُ أَعْجَمِيًّا، فَتَقُولُوا: نَحْنُ عَرَبٌ، وَهَذَا كَلَامٌ أَعْجَمِيٌّ لَا نَفْقَهُ مَعَانِيهِ.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤].

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا﴾ وَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ فِي أَصْلِ الْكِتَابِ الَّذِي نُسِخَ مِنْهُ هَذَا الْكِتَابُ عِنْدَنَا..

﴿لَعَلِىٌّ﴾ لَذُو عُلُوٍّ وَرِفْعَةٍ..

﴿حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤] قَدْ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ فَهُوَ ذُو حِكْمَةٍ.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ [الزخرف: ٥].

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ وَنَتْرُكُكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ فِيمَا تَحْسَبُونَ، فَلَا نُذَكِّرُكُمْ بِعِقَابِنَا..

﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ [الزخرف: ٥] مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ قَوْمٌ مُشْرِكُونَ.. فَفِي ذَٰلِكَ وَعِيدٌ مِنْهُ لِلْمُخَاطَبِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، إِذْ سَلَكُوا فِي التَّكْذِيبِ بِمَا جَاءَهُمْ عَنِ اللهِ رَسُولَهُمْ مَسْلَكَ الْمَاضِينَ قَبْلَهُمْ.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦﴾ [الزخرف: ٦].

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦﴾ [الزخرف: ٦] فِي الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَ قَرْنِكَ الَّذِي بُعِثْتَ فِيهِ كَمَا أَرْسَلْنَاكَ فِي قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧﴾ [الزخرف: ٧].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ﴾ وَمَا كَانَ يَأْتِي قَرْنًا مِنْ أُولَئِكَ الْقُرُونِ وَأُمَّةً مِنْ أُولَئِكَ الْأُمَمِ الْأَوَّلِينَ لَنَا مِنْ نَبِيٍّ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَطَرِيقِ الْحَقِّ..

﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ﴾ إِلَّا كَانَ الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ نَبِيُّهُمُ الَّذِي أُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ..

﴿يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧﴾ [الزخرف: ٧] بِهِمْ، كَاسْتِهْزَاءِ قَوْمِكَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ، يَقُولُ: فَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ مَا يَفْعَلُ بِكَ قَوْمُكَ، وَلَا يَشُقَّنَّ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا سَلَكُوا فِي اسْتِهْزَائِهِمْ بِكَ مَسْلَكَ أَسْلَافِهِمْ، وَمِنْهَاجَ أَئِمَّتِهِمُ الْمَاضِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [الزخرف: ٨].

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِأَنْبِيَائِهِمْ بَطْشًا إِذَا بَطَشُوا، فَلَمْ يُعْجِزُونَا بِقُوَاهُمْ وَشِدَّةِ بَطْشِهِمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنْ بَأْسِنَا إِذْ أَتَاهُمْ، فَالَّذِينَ هُمْ أَضْعَفُ مِنْهُمْ قُوَّةً أَحْرَىٰ أَنْ لَا يَقْدِرُوا عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنْ نِقَمِنَا إِذَا حَلَّتْ بِهِمْ..

﴿وَمَضَىٰ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِكَ وَلِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ ضُرَبَائِهِمْ..

﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [الزخرف: ٨] مِنْ مُكَذِّبِي رُسُلِنَا الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ، يَقُولُ: فَلْيَتَوَقَّعْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عُقُوبَتِنَا، مِثْلَ الَّذِي أَحْلَلْنَاهُ بِأُولَئِكَ الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِكَ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ، فَأَحْدَثَهُنَّ وَأَنْشَأَهُنَّ؟..

﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي سُلْطَانِهِ وَانْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩] بِهِنَّ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ [الزخرف: ١٠].

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ الَّذِي مَهَّدَ لَكُمُ الْأَرْضَ، فَجَعَلَهَا لَكُمْ وِطَاءً تُوطِئُونَهَا بِأَقْدَامِكُمْ، وَتَمْشُونَ عَلَيْهَا بِأَرْجُلِكُمْ..

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ وَسَهَّلَ لَكُمْ فِيهَا طُرُقًا تَتَطَرَّقُونَهَا مِنْ بَلْدَةٍ إِلَىٰ بَلْدَةٍ، لِمَعَايِشِكُمْ وَمَتَاجِرِكُمْ..

﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ [الزخرف: ١٠] لِكَيْ تَهْتَدُوا بِتِلْكَ السُّبُلِ إِلَىٰ حَيْثُ أَرَدْتُمْ، مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْقُرَىٰ وَالْأَمْصَارِ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تُطِيقُوا بَرَاحَ أَفْنِيَتِكُمْ وَدُورِكُمْ، وَلَكِنَّهَا نِعْمَةٌ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١﴾ [الزخرف: ١١].

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ مَا نَزَّلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّمَاءِ بِمِقْدَارِ حَاجَتِكُمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَجْعَلْهُ كَالطُّوفَانِ، فَيَكُونُ عَذَابًا، كَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ قَوْمِ نُوحٍ، وَلَا جَعَلَهُ قَلِيلًا لَا يَنْبُتُ بِهِ النَّبَاتُ وَالزَّرْعُ مِنْ قِلَّتِهِ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ غَيْثًا، وَلِلْأَرْضِ الْمَيْتَةِ مُحْيِيًا..

﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ﴾ فَأَحْيَيْنَا بِهِ..

﴿بَلْدَةً﴾ مِنْ بِلَادِكُمْ..

﴿مَّيْتًا﴾ مُجْدِبَةً، لَا نَبَاتَ بِهَا وَلَا زَرْعَ، قَدْ دَرَسَتْ مِنَ الْجُدُوبِ، وَتَعَفَّنَتْ مِنَ الْقُحُوطِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَخْرَجْنَا بِهَذَا الْمَاءِ الَّذِي نَزَّلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الْمَيْتَةِ بَعْدَ جُدُوبِهَا وَقُحُوطِهَا النَّبَاتَ وَالزَّرْعَ، كَذَلِكَ..

﴿تُخْرَجُونَ ۝١١﴾ [الزخرف: ١١] أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ بَعْدِ فَنَائِكُمْ وَمَصِيرِكُمْ فِي الْأَرْضِ رُفَاتًا، بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهَا لِإِحْيَائِكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ مِنْهَا، أَحْيَاءً كَهَيْئَتِكُمُ الَّتِي بِهَا قَبْلَ مَمَاتِكُمْ.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢﴾ [الزخرف: ١٢].

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ وَالَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَزَوَّجَهُ، أَيْ خَلَقَ الذُّكُورَ مِنَ الْإِنَاثِ أَزْوَاجًا، وَالْإِنَاثَ مِنَ الذُّكُورِ أَزْوَاجًا..

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ السُّفُنِ مَا تَرْكَبُونَهُ فِي الْبِحَارِ إِلَىٰ حَيْثُ قَصَدْتُمْ

وَاعْتَمَدْتُمْ فِي سَيْرِكُمْ فِيهَا لِمَعَايِشِكُمْ وَمَطَالِبِكُمْ..

﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ وَجَعَلَ مِنَ الْبَهَائِمُ كَالإِبِلِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ.

﴿مَا تَرْكَبُونَ ١٢﴾ [الزخرف: ١٢] مَا تَرْكَبُونَهُ فِي الْبَرِّ إِلَىٰ حَيْثُ أَرَدْتُمْ مِنَ الْبُلْدَانِ.

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ١٣﴾ [الزخرف: ١٣].

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ كَيْ تَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِ مَا تَرْكَبُونَ..

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ بِتَسْخِيرِهِ ذَلِكَ لَكُمْ مَرَاكِبَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..

﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فَتُعَظِّمُوهُ وَتُمَجِّدُوهُ..

﴿وَتَقُولُوا سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا﴾ وَتَقُولُوا تَنْزِيهًا للهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا الَّذِي رَكِبْنَاهُ مِنْ هَذِهِ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ، مِمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَتُشْرِكُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ١٣﴾ [الزخرف: ١٣] وَمَا كُنَّا لَهُ مُطِيقِينَ وَلَا ضَابِطِينَ.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ [الزخرف: ١٤].

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ [الزخرف: ١٤] وَلِيَقُولُوا أَيْضًا: وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِنَا لَصَائِرُونَ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٥﴾ [الزخرف: ١٥].

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ وَجَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ للهِ مِنْ خَلْقِهِ نَصِيبًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِلْمَلَائِكَةِ: هُمْ بَنَاتُ اللهِ، تَوْبِيخًا لَهُمْ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ ذَلِكَ، فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ تَوْبِيخَهُ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ عَمَّا أَخبرَ عَنْهُمْ مِنْ قِيلِهِمْ مَا قَالُوا فِي إِضَافَةِ الْبَنَاتِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَذُو جَحْدٍ لِنِعَمِ رَبِّهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِ..

﴿مُّبِينٌ ١٥﴾ [الزخرف: ١٥] يَبِينُ كُفْرَانُهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، لِمَنْ تَأَمَّلَهُ بِفِكْرِ قَلْبِهِ، وَتَدَبَّرَ حَالَهُ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَـٰكُم بِٱلْبَنِينَ ١٦﴾ [الزخرف: ١٦].

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُوَبِّخًا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفُوهُ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُهُ: اتَّخَذَ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ، وَأَنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ..

﴿وَأَصْفَـٰكُم بِٱلْبَنِينَ ١٦﴾ [الزخرف: ١٦] وَأَخْلَصَكُمْ بِالْبَنِينَ، فَجَعَلَهُمْ لَكُمْ.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾
[الزخرف: ١٧].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجَاعِلِينَ للهِ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا..

﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ بِمَا مَثَّلَ للهِ، فَشَبَّهَهُ شَبَهًا، وَذَلِكَ مَا وَصَفَهُ بِهِ مِنْ أَنَّ لَهُ بَنَاتٍ..

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾ ظَلَّ وَجْهُ هَذَا الَّذِي بُشِّرَ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا مِنَ الْبَنَاتِ..

﴿مُسْوَدًّا﴾ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ..

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف: ١٧] وَهُوَ حَزِينٌ.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨].

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ أَوَمَنْ يُنْبَتُ فِي الْحِلْيَةِ وَيُزَيَّنُ بِهَا.. فَقَلَّمَا تَتَكَلَّمُ امْرَأَةٌ فَتُرِيدُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِحُجَّتِهَا إِلَّا تَكَلَّمَتْ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهَا..

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ وَهُوَ فِي مُخَاصَمَةِ مَنْ خَاصَمَهُ عِنْدَ الْخِصَامِ..

﴿غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨] بِبُرْهَانٍ وَحُجَّةٍ، لِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ، جَعَلْتُمُوهُ جُزْءَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُ نَصِيبُهُ مِنْهُمْ.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ وَجَعَلُوا مَلَائِكَةَ اللهِ الَّذِينَ هُمْ خَلْقُهُ وَعِبَادُهُ بَنَاتِ اللهِ، فَأَنَّثُوهُمْ بِوَصْفِهِمْ إِيَّاهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنَاثٌ..

﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أَشَهِدُوا هُمْ ذَلِكَ فَعَلِمُوهُ؟..

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ سَتُكْتَبُ شَهَادَةُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ فِي الدُّنْيَا، بِمَا شَهِدُوا بِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩] عَنْ شَهَادَتِهِمْ تِلْكَ فِي الْآخِرَةِ أَنْ يَأْتُوا بِبُرْهَانٍ عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا، وَلَنْ يَجِدُوا إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزخرف: ٢٠].

﴿وَقَالُوا﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا أَوْثَانَنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا مِنْ دُونِهِ، وَإِنَّمَا لَمْ تَحِلَّ بِنَا عُقُوبَةٌ عَلَىٰ عِبَادَتِنَا إِيَّاهَا لِرِضَاهُ مِنَّا بِعِبَادَتِنَاهَا..

﴿مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ مَا لَهُمْ بِحَقِيقَةِ مَا يَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَهُ تَخَرُّصًا وَتَكَذُّبًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا خَبَرَ عِنْدَهُمْ مِنِّي بِذَلِكَ وَلَا بُرْهَانَ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَهُ ظَنًّا وَحُسْبَانًا..

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ [الزخرف: ٢٠] مَا هُمْ إِلَّا مُتَخَرِّصُونَ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي قَالُوهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝٢١﴾ [الزخرف: ٢١].

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ مَا آتَيْنَا هَؤُلَاءِ الْمُتَخَرِّصِينَ الْقَائِلِينَ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا الْآلِهَةَ..

﴿كِتَابًا﴾ بِحَقِيقَةِ مَا يَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَهُم بِهِ﴾ فَهُمْ بِذَلِكَ الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِي مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مُسْتَمْسِكُونَ ۝٢١﴾ [الزخرف: ٢١] يَعْمَلُونَ بِهِ، وَيَدِينُونَ بِمَا فِيهِ، وَيَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَيْكَ.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۝٢٢﴾ [الزخرف: ٢٢].

﴿بَلْ﴾ مَا آتَيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هَؤُلَاءِ الْأَوْثَانَ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَتِهَا، كِتَابًا مِنْ عِنْدِنَا، وَلَكِنَّهُمْ..

﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ قَالُوا: وَجَدْنَا آبَاءَنَا الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَنَا يَعْبُدُونَهَا، فَنَحْنُ نَعْبُدُهَا كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهَا؛ وَعَنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ دِينٍ وَمِلَّةٍ، وَذَلِكَ هُوَ عِبَادَتُهُمُ الْأَوْثَانَ..

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِ آبَائِنَا فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِمْ..

﴿مُّهْتَدُونَ ۝٢٢﴾ [الزخرف: ٢٢] لَهُمْ مُتَّبِعُونَ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ وَهَكَذَا كَمَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ فَعَلَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَقَالُوا مِثْلَ قَوْلِهِمْ..

﴿مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ لَمْ نُرْسِلْ مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي قَرۡيَةٖ﴾ إِلَىٰ أَهْلِهَا..

﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ رُسُلًا تُنْذِرُهُمْ عِقَابَنَا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِنَا، فَأَنْذَرُوهُمْ وَحَذَّرُوهُمْ سُخْطَنَا، وَحُلُولَ عُقُوبَتِنَا بِهِمْ..

﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ وَهُمْ رُؤَسَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ..

﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِلَّةٍ وَدِينٍ..

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ وَطَرِيقَتِهِمْ..

﴿مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣] بِفِعْلِهِمْ نَفْعَلُ كَالَّذِي فَعَلُوا، وَنَعْبُدُ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؛ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: فَإِنَّمَا سَلَكَ مُشْرِكُو قَوْمِكَ مِنْهَاجَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ فِي إِجَابَتِهِمْ إِيَّاكَ بِمَا أَجَابُوكَ بِهِ، وَرَدِّهِمْ مَا رَدُّوا عَلَيْكَ مِنَ النَّصِيحَةِ، وَاحْتِجَاجِهِمْ بِمَا احْتَجُّوا بِهِ لِمَقَامِهِمْ عَلَىٰ دِينِهِمُ الْبَاطِلِ.

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ [الزخرف: ٢٤].

﴿۞ قَٰلَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، الْقَائِلِينَ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ..

﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ..

﴿بِأَهۡدَىٰ﴾ إِلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَدَلَّ لَكُمْ عَلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ..

﴿مِمَّا وَجَدتُّمۡ﴾ أَنْتُمْ..

﴿عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ مِنَ الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَجَابُوهُ بِأَنْ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ لَهُ كَمَا قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا لِأَنْبِيَائِهَا..

﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ [الزخرف: ٢٤] جَاحِدُونَ مُنْكِرُونَ.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [الزخرف: ٢٥].

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ بِرَبِّهَا، بِإِحْلَالِنَا الْعُقُوبَةَ بِهِمْ..

﴿فَٱنظُرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [الزخرف: ٢٥] كَيْفَ كَانَ آخِرَ أَمْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللهِ؟ إِلَامَ صَارَ؟ أَلَمْ نُهْلِكْهُمْ فَنَجْعَلْهُمْ عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ؟.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦﴾ [الزخرف: ٢٦].

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَا يَعْبُدُهُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦﴾ [الزخرف: ٢٦] مِنْ دُونِ اللهِ، فَكَذَّبُوهُ، فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ كَمَا انْتَقَمْنَا مِمَّنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ [الزخرف: ٢٧].

﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الَّذِي فَطَرَنِي، يَعْنِي الَّذِي خَلَقَنِي..

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ [الزخرف: ٢٧] فَإِنَّهُ سَيُقَوِّمُنِي لِلدِّينِ الْحَقِّ، وَيُوَفِّقُنِي لِاتِّبَاعِ سَبِيلِ الرُّشْدِ.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [الزخرف: ٢٨].

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ﴾ وَجَعَلَ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ [الزخرف:٢٦- ٢٧]، وَهُوَ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً..

﴿بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ وَهُمْ ذُرِّيَّتُهُ، فَلَمْ يَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِهِ..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [الزخرف: ٢٨] لِيَرْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَيَثُوبُوا إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَيَتُوبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ.

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩﴾ [الزخرف: ٢٩].

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾ مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْحَيَاةِ، فَلَمْ أُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْحَقِّ: هَذَا الْقُرْآنَ: يَقُولُ: لَمْ أُهْلِكْهُمْ بِالْعَذَابِ حَتَّىٰ أَنْزَلْتُ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ..

﴿وَرَسُولٞ﴾ وَبَعَثْتُ فِيهِمْ رَسُولًا مُبِينًا، مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿مُّبِينٞ ٢٩﴾ [الزخرف: ٢٩] يُبَيِّنُ لَهُمْ بِالْحُجَجِ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْهِمْ أَنَّهُ للهِ رَسُولٌ مُحِقٌّ فِيمَا يَقُولُ.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠﴾ [الزخرف: ٣٠].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وَلَمَّا جاءَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَرَسُولٌ مِنَ اللهِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ..

﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ الَّذِي جاءَنَا بِهِ هَذَا الرَّسُولُ..

﴿سِحْرٌ﴾ يَسْحَرُنَا بِهِ، لَيْسَ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ..

﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠﴾ [الزخرف: ٣٠] قَالُوا: وَإِنَّا بِهِ جَاحِدُونَ، نُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنَ اللهِ.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ لَمَّا جَاءَهُمُ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللهِ: هَذَا سِحْرٌ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا..

﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف: ٣١] فَهَلَّا نَزَلَ عَلَىٰ رَجُلٍ عَظِيمٍ مِنْ إِحْدَىٰ هَاتَيْنِ الْقَرْيَتَيْنِ مَكَّةَ أَوِ الطَّائِفِ.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أَهَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف: ٣١] يَا مُحَمَّدُ، يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَيَجْعَلُونَ كَرَامَتَهُ لِمَنْ شَاءُوا، وَفَضْلَهُ لِمَنْ أَرَادُوا، أَمِ اللهُ الَّذِي يَقْسِمُ ذَلِكَ، فَيُعْطِيهِ مَنْ أَحَبَّ، وَيَحْرِمُهُ مَنْ شَاءَ؟..

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بَلْ نَحْنُ نَقْسِمُ رَحْمَتَنَا وَكَرَامَتَنَا بَيْنَ مَنْ شِئْنَا مِنْ خَلْقِنَا، فَنَجْعَلُ مَنْ شِئْنَا رَسُولًا، وَمَنْ أَرَدْنَا صِدِّيقًا، وَنَتَّخِذُ مَنْ أَرَدْنَا خَلِيلًا، كَمَا قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمُ الَّتِي يَعِيشُونَ بِهَا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَقْوَاتِ..

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ فَجَعَلْنَا بَعْضَهُمْ فِيهَا أَرْفَعَ مِنْ بَعْضٍ دَرَجَةً، بَلْ جَعَلْنَا هَذَا غَنِيًّا، وَهَذَا فَقِيرًا، وَهَذَا مَلِكًا، وَهَذَا مَمْلُوكًا..

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ لِيَسْتَسْخِرَ هَذَا هَذَا فِي خِدْمَتِهِ إِيَّاهُ، وَفِي عَوْدِ هَذَا عَلَىٰ هَذَا بِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ فَضْلٍ، يَقُولُ: جَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بَعْضًا لِبَعْضٍ سَبَبًا فِي الْمَعَاشِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ..

﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢] خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف: ٣٣].

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ عَلَىٰ الْكُفْرِ، فَيَصِيرُ جَمِيعُهُمْ كُفَّارًا..

﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ يَعْنِي أَعَالِي بُيُوتِهِمْ، وَهِيَ السُّطُوحُ فِضَّةً..

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف: ٣٣] وَمَرَاقِي وَدَرَجًا عَلَيْهَا يَصْعَدُونَ، فَيَظْهَرُونَ عَلَىٰ السَّقْفِ.. وَالْمَعَارِجُ: هِيَ الدَّرَجُ نَفْسُهَا.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزخرف: ٣٤].

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزخرف: ٣٤] وَجَعَلْنَا لِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا مِنْ فِضَّةٍ، وَسُرُرًا مِنْ فِضَّةٍ.

﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٥].

﴿وَزُخْرُفًا ۚ﴾ وَلَجَعَلْنَا لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ زُخْرُفًا، وَهُوَ الذَّهَبُ..

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ وَمَا كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذُكِرَتْ مِنَ السُّقُفِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالْمَعَارِجِ وَالْأَبْوَابِ وَالسُّرُرِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالزُّخْرُفِ، إِلَّا مَتَاعٌ يَسْتَمْتِعُ بِهِ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٥] وَزَيَّنَ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَبَهَاؤُهَا عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ اتَّقُوا اللهَ فَخَافُوا عِقَابَهُ، فَجَدُّوا فِي طَاعَتِهِ، وَحَذَرُوا مَعَاصِيَهِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِ اللهِ.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فَلَمْ يَخَفْ سَطْوَتَهُ، وَلَمْ يَخْشَ عِقَابَهُ.. وَأَصْلُ الْعُشُوِّ: النَّظَرُ بِغَيْرِ ثَبَتٍ لِعِلَّةٍ فِي الْعَيْنِ..

﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ نَجْعَلُ لَهُ شَيْطَانًا يُغْوِيهِ..

﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] فَهُوَ لِلشَّيْطَانِ قَرِينٌ، أَيْ يَصِيرُ كَذَلِكَ.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ٣٧﴾ [الزخرف: ٣٧].

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ..

﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ لَيَصُدُّونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْشُونَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ..

﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، فَيُزَيِّنُونَ لَهُمُ الضَّلَالَةَ، وَيُكَرِّهُونَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ..

﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ وَيَظُنُّ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ بِتَحْسِينِ الشَّيَاطِينِ لَهُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ٣٧﴾ [الزخرف: ٣٧] أَنَّهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، يُخْبِرُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ عَلَىٰ شَكٍّ وَعَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ٣٨﴾ [الزخرف: ٣٨].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ هَذَا الْعَاشِي مِنْ بَنِي آدَمَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ..

﴿قَالَ﴾ أَحَدُ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ لِصَاحِبِهِ الْآخَرِ..

﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ وَدِدْتُ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ..

﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ بُعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَغَلَّبَ اسْمَ أَحَدِهِمَا عَلَىٰ الْآخَرِ.. وَقَدْ قِيلَ: مَشْرِقَ الشِّتَاءِ، وَمَشْرِقَ الصَّيْفِ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي الشِّتَاءِ مِنْ مَشْرِقٍ، وَفِي الصَّيْفِ مِنْ مَشْرِقٍ غَيْرِهِ؛ وَكَذَلِكَ الْمَغْرِبُ تَغْرُبُ فِي مَغْرِبَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ..

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ٣٨﴾ [الزخرف: ٣٨] قَالَ سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْرِهِ، سَفَعَ بِيَدِهِ الشَّيْطَانَ، فَلَمْ يُفَارِقْهُ حَتَّىٰ يُصَيِّرَهُمَا اللهُ إِلَىٰ النَّارِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ، فَبِئْسَ الْقَرِينُ.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٣٩﴾ [الزخرف: ٣٩].

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أَيُّهَا الْعَاشُونَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٣٩﴾ [الزخرف: ٣٩] لَنْ يُخَفَّفَ عَنْكُمُ الْيَوْمَ مِنْ عَذَابِ اللهِ اشْتِرَاكُكُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ نَصِيبَهُ مِنْهُ.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٤٠﴾ [الزخرف: ٤٠].

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ مَنْ قَدْ سَلَبَهُ

اللهُ اسْتِمَاعَ حُجَجِهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ فَأَصَمَّهُ عَنْهُ..

﴿أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ أَوْ تَهْدِي إِلَىٰ طَرِيقِ الْهُدَىٰ مَنْ أَعْمَىٰ اللهُ قَلْبَهُ عَنْ إِبْصَارِهِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَزَيَّنَ لَهُ الرَّدَىٰ..

﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الزخرف: ٤٠] أَوْ تَهْدِي مَنْ كَانَ فِي جَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَالِكٌ غَيْرَ سَبِيلِ الْحَقِّ، قَدْ أَبَانَ ضَلَالُهُ أَنَّهُ عَنِ الْحَقِّ زَائِلٌ، وَعَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ جَائِرٌ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ، إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ الَّذِي بِيَدِهِ صَرْفُ قُلُوبِ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ، فَبَلِّغْهُمُ النِّذَارَةَ.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الزخرف: ٤١].

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ فَإِنْ نَذْهَبْ بِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَنُخْرِجْكَ مِنْ بَيْنِهِمْ..

﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الزخرف: ٤١] كَمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: ٤٢].

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الظَّفَرِ بِهِمْ، وَإِعْلَائِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: ٤٢] أَنْ نُظْهِرَكَ عَلَيْهِمْ، وَنُخْزِيَهُمْ بِيَدِكَ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ بِكَ.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ﴾ فَتَمَسَّكْ يَا مُحَمَّدُ بِمَا يَأْمُرُكَ بِهِ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ..

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣] وَمِنْهَاجٍ سَدِيدٍ، وَذَلِكَ هُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤].

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي أَمَرْنَاكَ أَنْ تَسْتَمْسِكَ بِهِ..

﴿وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾ لَشَرَفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤] وَسَوْفَ يَسْأَلُكَ رَبُّكَ وَإِيَّاهُمْ عَمَّا عَمِلْتُمْ فِيهِ، وَهَلْ عَمِلْتُمْ بِمَا أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فِيهِ، وَانْتَهَيْتُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِيهِ؟

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ سَلْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: سَلِ الرُّسُلَ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: سَلِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ وَبِكِتَابِهِمْ؟ قِيلَ: جَازَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ وَبِكُتُبِهِمْ أَهْلُ بَلَاغٍ عَنْهُمْ بِمَا أَتَوْهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ، فَالْخَبَرُ عَنْهُمْ وَعَمَّا جَاءُوا بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ -إِذَا صَحَّ- بِمَعْنَىٰ خَبَرِهِمْ، وَالْمَسْأَلَةُ عَمَّا جَاءُوا بِهِ بِمَعْنَىٰ مَسْأَلَتِهِمْ، إِذَا كَانَ الْمَسْئُولُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِمْ وَالصِّدْقِ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ نَظِيرُ أَمْرِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِيَّانَا بِرَدِّ مَا تَنَازَعْنَا فِيهِ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ، يَقُولُ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَرُدُّوهُ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ؛ لِأَنَّ الرَّدَّ إِلَىٰ ذَلِكَ رَدٌّ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ إِنَّمَا مَعْنَاهُ: فَاسْأَلْ كُتُبَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ صِحَّةَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِهَا، فَاسْتَغْنَىٰ بِذِكْرِ الرُّسُلِ مِنْ ذِكْرِ الْكُتُبِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا مَا مَعْنَاهُ..

﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥] أَمَرْنَاهُمْ بِعِبَادَةِ الْآلِهَةِ مِنْ دُونِ اللهِ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ؟! أَوْ أَتَوْهُمْ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ مِنْ عِنْدِنَا؟!

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزخرف: ٤٦].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بِحُجَجِنَا..

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ، كَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿فَقَالَ﴾ لَهُمْ مُوسَىٰ..

﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزخرف: ٤٦] كَمَا قُلْتَ أَنْتَ لِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزخرف: ٤٧].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ فَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ..

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بِحُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا عَلَىٰ صِدْقِ قَوْلِهِ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ..

﴿إِذَا هُم﴾ إِذَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ..

﴿مِّنْهَا﴾ مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ..

﴿يَضْحَكُونَ ۝٤٧﴾ [الزخرف: ٤٧] كَمَا أَنَّ قَوْمَكَ مِمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ يَسْخَرُونَ، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ عَمَّا كَانَ يَلْقَىٰ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُ أَنَّ قَوْمَهُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ لَنْ يَعْدُو أَنْ يَكُونُوا كَسَائِرِ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وَنَدْبٌ مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَىٰ الِاسْتِنَانِ فِي الصَّبْرِ عَلَيْهِمْ بِسُنَنِ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَإِخْبَارٌ مِنْهُ لَهُ أَنَّ عُقْبَىٰ مَرَدَتِهِمْ إِلَىٰ الْبَوَارِ وَالْهَلَاكِ، كَسُنَّتِهِ فِي الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَيْهِ قَبْلَهُمْ، وَإِظْفَارِهِ بِهِمْ، وَإِعْلَائِهِ أَمْرَهُ، كَالَّذِي فَعَلَ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْمِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ مِنْ إِظْهَارِهِمْ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤٨﴾ [الزخرف: ٤٨].

﴿وَمَا نُرِيهِم﴾ وَمَا نُرِي فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ..

﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ يَعْنِي: حُجَّتَهُ لَنَا عَلَيْهِ بِحَقِيقَةِ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ رَسُولُنَا مُوسَىٰ..

﴿إِلَّا هِىَ﴾ إِلَّا الَّتِي نُرِيهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿أَكْبَرُ﴾ أَعْظَمُ فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَأَوْكَدُ..

﴿مِنْ أُخْتِهَا﴾ مِنَ الَّتِي مَضَتْ قَبْلَهَا مِنَ الْآيَاتِ، وَأَدَلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ..

﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ وَأَنْزَلْنَا بِهِمُ الْعَذَابَ، وَذَلِكَ كَأَخْذِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِيَّاهُمْ بِالسِّنِينَ، وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَبِالْجَرَادِ، وَالْقُمَّلِ، وَالضَّفَادِعِ، وَالدَّمِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤٨﴾ [الزخرف: ٤٨] لِيَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَالتَّوْبَةِ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ مَعَاصِيهِمْ.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝٤٩﴾ [الزخرف: ٤٩].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ لِمُوسَىٰ..

﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بِعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْكَ أَنَّا إِنْ آمَنَّا بِكَ وَاتَّبَعْنَاكَ، كُشِفَ عَنَّا الرِّجْزُ..

﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝٤٩﴾ [الزخرف: ٤٩] إِنَّا لَمُتَّبِعُوكَ فَمُصَدِّقُوكَ فِيمَا جِئْتَنَا بِهِ، وَمُوَحِّدُو اللهِ فَمُبْصِرُو سَبِيلَ الرَّشَادِ.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝٥٠﴾ [الزخرف: ٥٠].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ فَلَمَّا رَفَعْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي أَنْزَلْنَا بِهِمْ، الَّذِي وَعَدُوا أَنَّهُمْ إِنْ كُشِفَ عَنْهُمُ اهْتَدَوْا لِسَبِيلِ الْحَقِّ..

﴿إِذَا هُمْ﴾ بَعْدَ كَشْفِنَا ذَلِكَ عَنْهُمْ..

﴿يَنكُثُونَ ۝٥٠﴾ [الزخرف: ٥٠] الْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدُونَا، يَقُولُ: يَغْدِرُونَ وَيُصِرُّونَ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ، وَيَتَمَادَوْنَ فِي غَيِّهِمْ.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف: ٥١].

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ﴾ مِنَ الْقِبْطِ، فَـ..

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ فِي الْجِنَانِ..

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف: ٥١] أَيُّهَا الْقَوْمُ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ، وَمَا فِيهِ مُوسَىٰ مِنَ الْفَقْرِ وَعِيِّ اللِّسَانِ، افْتَخَرَ بِمُلْكِهِ مِصْرَ عَدُوُّ اللهِ، وَمَا قَدْ مُكِّنَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا اسْتِدْرَاجًا مِنَ اللهِ لَهُ، وَحَسِبَ أَنَّ الَّذِيَ هُوَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ نَالَهُ بِيَدِهِ وَحَوْلِهِ، وَأَنَّ مُوسَىٰ إِنَّمَا لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ الَّذِي يَصِفُهُ، فَنَسَبَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَىٰ الْمَهَانَةِ، **مُحْتَجًّا عَلَىٰ جَهَلَةِ قَوْمِهِ بِأَنَّ مُوسَىٰ ﷺ لَوْ كَانَ مُحِقًّا فِيمَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ**، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سِحْرًا، **لَأَكْسَبَ نَفْسَهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالنِّعْمَةِ، مِثْلَ الَّذِي هُوَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ**، جَهْلًا بِاللهِ وَاغْتِرَارًا مِنْهُ بِإِمْلَائِهِ إِيَّاهُ.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ [الزخرف: ٥٢].

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ يَقُولُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ بَعْدَ احْتِجَاجِهِ عَلَيْهِمْ بِمُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَبَيَانِ لِسَانِهِ وَتَمَامِ خَلْقِهِ وَفَضْلِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَىٰ بِالصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَمُوسَىٰ: أَنَا خَيْرٌ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَصِفَتِي هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي وَصَفْتُ لَكُمْ، أَمْ هَذَا..

﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ لَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالْأَمْوَالِ..

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ [الزخرف: ٥٢] وَلَا يَكَادُ يُبِينُ الْكَلَامَ مِنْ عِيٍّ لِسَانِهِ.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣﴾ [الزخرف: ٥٣].

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَىٰ مُوسَىٰ إِنْ كَانَ صَادِقًا أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ

الْعَالَمِينَ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَهُوَ جَمْعُ سِوَارٍ، وَهُوَ الْقُلْبُ الَّذِي يُجْعَلُ فِي الْيَدِ.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣﴾ [الزخرف: ٥٣] أَوْ هَلَّا إِنْ كَانَ صَادِقًا جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، قَدِ اقْتَرَنَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَتَتَابَعُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤].

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ فَاسْتَخَفَّ فِرْعَوْنُ خَلْقًا مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْقِبْطِ بِقَوْلِهِ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُ..

﴿فَأَطَاعُوهُ ۚ﴾ وَكَذَّبُوا مُوسَىٰ، قَالَ اللهُ: وَإِنَّمَا أَطَاعُوا فَاسْتَجَابُوا لِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عَدُوُّ اللهِ مِنْ تَصْدِيقِهِ وَتَكْذِيبِ مُوسَىٰ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤] لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَنْ طَاعَةِ اللهِ خَارِجِيْنِ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ، وَطَبْعِهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أَغْضَبُونَا..

﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بِعَاجِلِ الْعَذَابِ الَّذِي عَجَّلْنَاهُ لَهُمْ..

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥] فَأَغْرَقْنَاهُمْ جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: ٥٦].

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ فَجَعَلْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْرَقْنَاهُمْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ..

﴿سَلَفًا﴾ مُقَدَّمَةً يَتَقَدَّمُونَ إِلَىٰ النَّارِ كُفَّارَ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكُفَّارُ قَوْمِكَ لَهُمْ بِالْأَثَرِ..

﴿وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: ٥٦] وَعِبْرَةً وَعِظَةً يَتَّعِظُ بِهِمْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، فَيَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ بِاللهِ.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ [الزخرف: ٥٧].

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ وَلَمَّا شَبَّهَ اللهُ عِيسَىٰ فِي إِحْدَاثِهِ وَإِنْشَائِهِ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ بِآدَمَ، فَمَثَّلَهُ بِهِ بِأَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ..

﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ إِذَا قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ [الزخرف: ٥٧] يَضِجُّونَ وَيَقُولُونَ: مَا يُرِيدُ مُحَمَّدٌ مِنَّا إِلَّا أَنْ نَتَّخِذَهُ إِلَهًا نَعْبُدُهُ، كَمَا عَبَدَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحَ.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨].

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ وَقَالَ مُشْرِكُو قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ﴾ آلِهَتُنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا خَيْرٌ؟ أَمْ مُحَمَّدٌ فَنَعْبُدُ مُحَمَّدًا؟ وَنَتْرُكُ آلِهَتَنَا؟..

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ مَا مَثَّلُوا لَكَ هَذَا الْمَثَلَ يَا مُحَمَّدُ وَلَا قَالُوا لَكَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا جَدَلًا وَخُصُومَةً يُخَاصِمُونَكَ بِهِ..

﴿بَلْ﴾ مَا بِقَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَاجَّتِهِمْ إِيَّاكَ بِمَا يُحَاجُّونَكَ بِهِ طَلَبُ الْحَقِّ بَلْ..

﴿هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨] يَلْتَمِسُونَ الْخُصُومَةَ بِالْبَاطِلِ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الزخرف: ٥٩].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ فَمَا عِيسَىٰ إِلَّا عَبْدٌ مِن عِبَادِنَا، أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ وَالْإِيمَانِ..

﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الزخرف: ٥٩] وَجَعَلْنَاهُ آيَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَحُجَّةً لَنَا عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِنَاهُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْنَا، وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُ النَّصَارَىٰ مِنْ أَنَّهُ ابْنُ اللهِ تَعَالَىٰ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾ [الزخرف: ٦٠].

﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ مَعْشَرَ بَنِي آدَمَ..

﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾ [الزخرف: ٦٠] أَهْلَكْنَاكُمْ، فَأَفْنَيْنَا جَمِيعَكُمْ، وَجَعَلْنَا بَدَلًا مِنْكُمْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَخْلُفُونَكُمْ فِيهَا يَعْبُدُونَنِي وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝١٣٣﴾ [النساء: ١٣٣]، وَكَمَا قَالَ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [الزخرف: ٦١].

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَإِنَّ عِيسَىٰ ظُهُورُهُ عِلْمٌ يُعْلَمُ بِهِ مَجِيءُ السَّاعَةِ، لِأَنَّ ظُهُورَهُ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَنُزُولَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَىٰ فَنَاءِ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ يُعْلِمُكُمْ بِقِيَامِهَا، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْهَا وَعَنْ أَهْوَالِهَا..

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فَلَا تَشُكُّنَّ فِيهَا وَفِي مَجِيئِهَا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ وَأَطِيعُونِ فَاعْمَلُوا بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ..

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦١﴾ [الزخرف: ٦١] اتِّبَاعُكُمْ إِيَّايَ أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَمْرِي وَنَهْيِي صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، يَقُولُ: طَرِيقٌ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، بَلْ هُوَ قَوِيمٌ.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٢﴾ [الزخرف: ٦٢].

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ﴾ وَلَا يَعْدِلَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ عَنْ طَاعَتِي فِيمَا آمُرُكُمْ وَأَنْهَاكُمْ، فَتُخَالِفُوهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَتَجُورُوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَتَضِلُّوا..

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٢﴾ [الزخرف: ٦٢] إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ مَا فِيهِ هَلَاكُكُمْ، وَيَصُدُّكُمْ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، لِيُورِدَكُمُ الْمَهَالِكَ، مُبِينٌ قَدْ أَبَانَ لَكُمْ عَدَاوَتَهُ، بِامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ لِأَبِيكُمْ آدَمَ، وَإِدْلَائِهِ بِالْغُرُورِ حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَسَدًا وَبَغْيًا.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾ [الزخرف: ٦٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ﴾ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْوَاضِحَاتِ مِنَ الْأَدِلَّةِ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ: الْإِنْجِيلَ..

﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ النُّبُوَّةَ..

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم﴾ مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَاةِ..

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فَاتَّقُوا رَبَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِطَاعَتِهِ، وَخَافُوهُ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾ [الزخرف: ٦٣] فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ اتِّقَاءِ اللهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَقَبُولِ نَصِيحَتِي لَكُمْ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦٤﴾ [الزخرف: ٦٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ عَلَيْنَا إِفْرَادَهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ لَهُ..

﴿هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ جَمِيعًا..

﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ وَحْدَهُ، لَا تُشْرِكُوا مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ شَيْءٌ سِوَاهُ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ اتِّقَاءِ اللهِ وَطَاعَتِي، وَإِفْرَادِ اللهِ بِالْأُلُوهَةِ..

﴿صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ٦٤﴾ [الزخرف: ٦٤] هُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ غَيْرَهُ.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ٦٥﴾ [الزخرف: ٦٥].

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِذَلِكَ: الْجَمَاعَةَ الَّتِي تَنَاظَرَتْ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ، وَاخْتَلَفَتْ فِيهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَاخْتَلَفَ الْفِرَقُ الْمُخْتَلِفُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ بَيْنِ مَنْ دَعَاهُمْ عِيسَىٰ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ اتِّقَاءِ اللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَمَنِ اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ النَّصَارَىٰ، لِأَنَّ جَمِيعَهُمْ كَانُوا أَحْزَابًا مُتَبَسِّلِينَ، مُخْتَلِفِي الْأَهْوَاءِ، مَعَ بَيَانِهِ لَهُمْ أَمْرَ نَفْسِهِ، وَقَوْلَهُ لَهُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ٦٤﴾ [الزخرف: ٦٤]..

﴿فَوَيۡلٌ﴾ فَالْوَادِي السَّائِلُ مِنَ الْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ فِي جَهَنَّمَ..

﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، الَّذِينَ قَالُوا فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ بِخِلَافِ مَا وَصَفَ عِيسَىٰ بِهِ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ٦٥﴾ [الزخرف: ٦٥] مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ مُؤْلِمٍ، وَوَصَفَ الْيَوْمَ بِالْإِيلَامِ، إِذْ كَانَ الْعَذَابُ الَّذِي يُؤْلِمُهُمْ فِيهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٦٦﴾ [الزخرف: ٦٦].

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابُ الْمُخْتَلِفُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، الْقَائِلُونَ فِيهِ الْبَاطِلَ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً﴾ إِلَّا السَّاعَةَ الَّتِي فِيهَا تَقُومُ الْقِيَامَةُ فَجْأَةً..

﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٦٦﴾ [الزخرف: ٦٦] وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِمَجِيئِهَا.

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ﴾ الْمُتَخَالُّونَ..

﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ يَتَبَرَّأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ..

﴿إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧] إِلَّا الَّذِينَ كَانُوا تَخَالُّوا فِيهَا عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ، فَإِنَّهُمْ يُقَالُ لَهُمْ.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨﴾ [الزخرف: ٦٨].

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ مِنْ عِقَابِي، فَإِنِّي قَدْ أَمَّنْتُكُمْ مِنْهُ بِرِضَايَ عَنْكُمْ..

﴿وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨﴾ [الزخرف: ٦٨] عَلَىٰ فِرَاقِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الَّذِي قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا فَارَقْتُمُوهُ مِنْهَا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٦٩﴾ [الزخرف: ٦٩].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا، وَهُمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِكِتَابِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ..

﴿وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٦٩﴾ [الزخرف: ٦٩] وَكَانُوا أَهْلَ خُضُوعٍ للهِ بِقُلُوبِهِمْ، وَقَبُولٍ مِنْهُمْ لِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ عَلَىٰ دِينِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ﷺ، حُنَفَاءَ لَا يَهُودَ وَلَا نَصَارَىٰ، وَلَا أَهْلَ أَوْثَانٍ.

﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزخرف: ٧٠].

﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزخرف: ٧٠] مَغْبُوطِينَ بِكَرَامَةِ اللهِ، مَسْرُورِينَ بِمَا أَعْطَاكُمُ الْيَوْمَ رَبُّكُمْ.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ يُطَافُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَهِيَ جَمْعٌ لِلْكَثِيرِ مِنَ الصَّحْفَةِ، وَالصَّحْفَةُ: الْقَصْعَةُ..

﴿وَأَكْوَابٍ ۖ﴾ جَمْعُ كُوبٍ، وَالْكُوبُ: الْإِبْرِيقُ الْمُسْتَدِيرُ الرَّأْسِ، الَّذِي لَا أُذُنَ لَهُ وَلَا خُرْطُومَ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: يُطَافُ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِالطَّعَامِ فِي صِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَبِالشَّرَابِ فِي أَكْوَابٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَاسْتَغْنَىٰ بِذِكْرِ الصِّحَافِ وَالْأَكْوَابِ مِنْ ذِكْرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، الَّذِي يَكُونُ فِيهَا لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَاهُ..

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ﴾ لَكُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا تَشْتَهِي نُفُوسُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَتَلَذُّ أَعْيُنُكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٧١﴾ [الزخرف: ٧١] وَأَنْتُمْ فِيهَا مَاكِثُونَ، لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾ [الزخرف: ٧٢].

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ وَهَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرَثَكُمُوهَا اللهُ عَنْ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ جَهَنَّمَ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾ [الزخرف: ٧٢] بِمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْخَيْرَاتِ.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٣﴾ [الزخرف: ٧٣].

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ لَكُمْ فِي الْجَنَّةِ..

﴿فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ..

﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٣﴾ [الزخرف: ٧٣] مِنَ الْفَاكِهَةِ تَأْكُلُونَ مَا اشْتَهَيْتُمْ.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝٧٤﴾ [الزخرف: ٧٤].

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ اجْتَرَمُوا فِي الدُّنْيَا الْكُفْرَ بِاللهِ، فَاجْتَرَمُوا بِهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝٧٤﴾ [الزخرف: ٧٤] هُمْ فِيهِ مَاكِثُونَ.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾ [الزخرف: ٧٥].

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ.. وَأَصْلُ الْفُتُورِ: الضَّعْفُ..

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾ [الزخرف: ٧٥] وَهُمْ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ مُبْلِسُونَ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝٧٦﴾ [الزخرف: ٧٦].

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ وَمَا ظَلَمْنَا هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ بِفِعْلِنَا بِهِمْ مَا أَخْبَرْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّا فَعَلْنَا بِهِمْ مِنَ التَّعْذِيبِ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ..

﴿وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝٧٦﴾ [الزخرف: ٧٦] بِعِبَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا غَيْرَ مَنْ كَانَ عَلَيْهِمْ عِبَادَتُهُ، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَجُحُودِهِمْ تَوْحِيدَهُ.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧].

﴿وَنَادَوْا﴾ وَنَادَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ بَعْدَ مَا أَدْخَلَهُمُ اللهُ جَهَنَّمَ، فَنَالَهُمْ فِيهَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا نَالَهُمْ، مَالِكًا خَازِنَ جَهَنَّمَ..

﴿يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ لِيُمِتْنَا رَبُّكَ، فَيَفْرُغُ مِنْ إِمَاتَتِنَا، فَذُكِرَ أَنَّ مَالِكًا لَا يُجِيبُهُمْ فِي وَقْتِ قِيلِهِمْ لَهُ ذَلِكَ، وَيَدَعُهُمْ أَلْفَ عَامٍ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُجِيبُهُمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ..

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧]

﴿لَقَدْ جِئْنَكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ۝٧٨﴾ [الزخرف: ٧٨].

﴿لَقَدْ جِئْنَكُم بِالْحَقِّ﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ رَسُولَنَا مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ..

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ۝٧٨﴾ [الزخرف: ٧٨] وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْحَقِّ كَارِهُونَ.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝٧٩﴾ [الزخرف: ٧٩].

﴿أَمْ أَبْرَمُوا﴾ أَمْ أَبْرَمَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿أَمْرًا﴾ فَأَحْكَمُوهُ، يَكِيدُونَ بِهِ الْحَقَّ الَّذِي جِئْنَاهُمْ بِهِ..

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝٧٩﴾ [الزخرف: ٧٩] فَإِنَّا مُحْكِمُونَ لَهُمْ مَا يُخْزِيهِمْ، وَيُذِلُّهُمْ مِنَ النَّكَالِ.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَنَهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَنَهُم﴾ أَمْ يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ أَنَّا لَا نَسْمَعُ مَا أَخْفَوْا عَنِ النَّاسِ مِنْ مَنْطِقِهِمْ، وَتَشَاوَرُوا بَيْنَهُمْ وَتَنَاجَوْا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَلَا نُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِخَفَائِهِ عَلَيْنَا..

﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠] بَلْ نَحْنُ نَعْلَمُ مَا تَنَاجَوْا بِهِ بَيْنَهُمْ، وَأَخْفَوْهُ عَنِ النَّاسِ مِنْ سِرِّ كَلَامِهِمْ، وَحَفَظَتُنَا لَدَيْهِمْ، يَعْنِي عِنْدَهُمْ يَكْتُبُونَ مَا نَطَقُوا بِهِ مِنْ مَنْطِقٍ، وَتَكَلَّمُوا بِهِ مِنْ كَلَامِهِمْ.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِدِينَ ۝٨١﴾ [الزخرف: ٨١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ..

﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِدِينَ ۝٨١﴾ [الزخرف: ٨١] إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ عَابِدِيهِ بِذَلِكَ مِنْكُمْ، وَلَكِنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ، فَأَنَا أَعْبُدُهُ بِأَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ، لَمْ يَكُنْ هَذَا عَلَى وَجْهِ الشَّكِّ، وَلَكِنْ عَلَى وَجْهِ الْإِلْطَافِ مِنَ الْكَلَامِ وَحُسْنِ الْخِطَابِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [سبأ: ٢٤]، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ، وَأَنَّ مُخَالِفِيهِ فِي الضَّلَالِ الْمُبِينِ.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الزخرف: ٨٢].

﴿سُبْحَٰنَ﴾ تَبْرِئَةً وَتَنْزِيهًا لِـ..

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لِمَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ وَمَالِكِ الْعَرْشِ الْمُحِيطِ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ خَلْقٍ..

﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الزخرف: ٨٢] مِمَّا يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْكَذِبِ، وَيُضِيفُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَلَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ تُضَافَ إِلَيْهِ.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزخرف: ٨٣].

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ فَذَرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ، الْوَاصِفِيهِ بِأَنَّ لَهُ وَلَدًا يَخُوضُوا فِي بَاطِلِهِمْ، وَيَلْعَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ..

﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزخرف: ٨٣] وَذَلِكَ يَوْمَ يُصْلِيهِمُ اللهُ بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وَاللهُ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ فِي السَّمَاءِ مَعْبُودٌ، وَفِي الْأَرْضِ مَعْبُودٌ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ مَعْبُودٌ، لَا شَيْءَ سِوَاهُ تَصْلُحُ عِبَادَتُهُ؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَأَفْرِدُوا لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ..

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ، وَتَسْخِيرِهِمْ لِمَا يَشَاءُ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤] بِمَصَالِحِهِمْ.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥].

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، جَارٍ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ حُكْمُهُ، مَاضٍ فِيهِمْ قَضَاؤُهُ، يَقُولُ: فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ شَرِيكًا مَنْ كَانَ فِي سُلْطَانِهِ وَحُكْمُهُ فِيهِ نَافِذٌ..

﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ، وَيُحْشَرُ فِيهَا الْخَلْقُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٥] وَإِلَيْهِ أَيُّهَا النَّاسُ تُرَدُّونَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، فَتَصِيرُونَ إِلَيْهِ، فَيُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٦].

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَعْبُدُهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ لِأَحَدٍ..

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وَشَهَادَتُهُ بِالْحَقِّ: هُوَ إِقْرَارُهُ بِتَوْحِيدِ اللهِ، يَعْنِي بِذَلِكَ: إِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللهِ..

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٦] حَقِيقَةَ تَوْحِيدِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ شَهَادَةَ الْحَقِّ فَيُوَحِّدُونَ اللهَ، وَيُخْلِصُونَ لَهُ الْوَحْدَانِيَّةَ، عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ وَيَقِينٍ بِذَلِكَ، أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ بِإِذْنِهِ لَهُمْ بِهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فَأَثْبَتَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمَلَائِكَةِ وَعِيسَىٰ وَعُزَيْرٍ مِلْكَهُمْ مِنَ الشَّفَاعَةِ مَا نَفَاهُ عَنِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ بِاسْتِثْنَائِهِ الَّذِي اسْتَثْنَاهُ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٧].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ خَلَقَنَا..

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٧] فَأَيَّ وَجْهٍ يُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَةِ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَيُحْرَمُونَ إِصَابَةَ الْحَقِّ فِي عِبَادَتِهِ.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٨].

﴿وَقِيلِهِۦ﴾ وَقَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَهُ شَاكِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَوْمَهُ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، وَمَا يَلْقَىٰ مِنْهُمْ..

﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الَّذِينَ أَمَرْتَنِي بِإِنْذَارِهِمْ وَأَرْسَلْتَنِي إِلَيْهِمْ لِدُعَائِهِمْ إِلَيْكَ..

﴿قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٨]

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٩].

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، وَأَعْرِضْ عَنْ أَذَاهُمْ.. جَوَابًا لَهُ عَنْ دُعَائِهِ إِيَّاهُ إِذْ قَالَ: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الزخرف:٨٨]..

﴿وَقُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿سَلَٰمٌۚ﴾ عَلَيْكُمْ، وَرَفَعَ ﴿سَلَٰمٌۚ﴾ بِضَمِيرِ عَلَيْكُمْ أَوْ لَكُمْ..

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩] بِالْيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ، وَأَنَّهُ وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِلْمُشْرِكِينَ، فَتَأْوِيلُهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌۚ﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْوَعِيدَ لَهُمْ، فَقَالَ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾ مَا يُلْقَوْنَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالنَّكَالِ وَالْعَذَابِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، ثُمَّ نَسَخَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِقِتَالِهِمْ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) بِالتَّاءِ عَلَىٰ وَجْهِ الْخَطَّابِ، بِمَعْنَىٰ: أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ لِلْمُشْرِكِينَ..

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الزُّخْرُفِ



سُورَةُ الدُّخَانِ (٤٤)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَخَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حم ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ②﴾ [الدخان:١- ٢].

﴿حم ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ②﴾ [الدخان:١- ٢] قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا فِي مَعْنَاه.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③﴾ [الدخان: ٣].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ أَقْسَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذَا الْكِتَابِ، أَنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ..

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③﴾ [الدخان: ٣] خَلْقَنَا بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ عُقُوبَتَنَا أَنْ تَحِلَّ بِمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ، فَلَمْ يَتُبْ إِلَىٰ تَوْحِيدِنَا، وَإِفْرَادِ الْأُلُوهَةِ لَنَا.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④﴾ [الدخان: ٤].

﴿فِيهَا﴾ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ..

﴿يُفْرَقُ﴾ يُقْضَىٰ وَيُفْصَلُ..

﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④﴾ [الدخان: ٤] كُلُّ أَمْرٍ أَحْكَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَىٰ مِثْلِهَا مِنَ السَّنَةِ الْأُخْرَىٰ، وَوُضِعَ حَكِيمٌ مَوْضِعَ مُحْكَمٍ، كَمَا قَالَ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ①﴾ [يونس:١]، يَعْنِي الْمُحْكَمَ.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤﴾ [الدخان: ٥].

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا..

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤﴾ [الدخان: ٥] إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِي رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ عِبَادِنَا.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑥﴾ [الدخان: ٦].

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا أَنْزَلْنَا مِنْ كِتَابِنَا، وَأَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلِنَا إِلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنْطِقِهِمْ وَمَنْطِقِ غَيْرِهِمْ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾ [الدخان: ٦] بِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمَائِرُهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأُمُورِ غَيْرِهِمْ.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ [الدخان: ٧].

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الَّذِي أَنْزَلَ هَذَا الْكِتَابَ يَا مُحَمَّدُ عَلَيْكَ، وَأَرْسَلَكَ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، مَالِكُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ..

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ﴾ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا..

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ [الدخان: ٧] إِنْ كُنْتُمْ تُوقِنُونَ بِحَقِيقَةِ مَا أَخْبَرْتُكُمْ مِنْ أَنَّ رَبَّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي هَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُهُ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تَنْزِيلُهُ، وَمُحَمَّدًا ﷺ رَسُولُهُ حَقٌّ يَقِينٌ، فَأَيْقِنُوا بِهِ كَمَا أَيْقَنْتُمْ بِمَا تُوقِنُونَ مِنْ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ غَيْرَهُ.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [الدخان: ٨].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ، وَلَا تَنْبَغِي لِشَيْءٍ سِوَاهُ..

﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي مَا يَشَاءُ، وَيُمِيتُ مَا يَشَاءُ مِمَّا كَانَ حَيًّا..

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [الدخان: ٨] هُوَ مَالِكُكُمْ وَمَالِكُ مَنْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ مِنْ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، يَقُولُ: فَهَذَا الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، هُوَ الرَّبُّ فَاعْبُدُوهُ دُونَ آلِهَتِكُمُ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ [الدخان: ٩].

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ [الدخان: ٩] مَا هُمْ بِمُوقِنِينَ بِحَقِيقَةِ مَا يُقَالُ لَهُمْ وَيُخْبَرُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ، يَعْنِي بِذَلِكَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ، فَهُمْ يَلْهُونَ بِشَكِّهِمْ فِي الَّذِي يُخْبَرُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان: ١٠].

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فَانْتَظِرْ يَا مُحَمَّدُ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ..

﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ﴾ يَوْمَ تَأْتِيهِمُ السَّمَاءُ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَحِلُّ بِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ [الدخان: ١٠] بِمِثْلِ الدُّخَانِ الْمُبِينِ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ أَنَّهُ دُخَانٌ.. وَذَلِكَ حِينَ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قُرَيْشٍ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، فَأُخِذُوا بِالْمَجَاعَةِ، فَعَنَىٰ بِالدُّخَانِ مَا كَانَ يُصِيبُهُمْ حِينَئِذٍ فِي أَبْصَارِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مِنَ الظُّلْمَةِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ.

﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾ [الدخان: ١١].

﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾ يَغْشَىٰ أَبْصَارَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ الَّذِي يُصِيبُهُمْ..

﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾ [الدخان: ١١] يَعْنِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مِمَّا نَالَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْكَرْبِ وَالْجَهْدِ: هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ وَهُوَ الْمُوجِعُ، وَتَرَكَ مِنَ الْكَلَامِ (يَقُولُونَ) اسْتِغْنَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ مِنْ ذِكْرِهَا.

﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢﴾ [الدخان: ١٢].

﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢﴾ [الدخان: ١٢] يَعْنِي أَنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُصِيبُهُمْ ذَلِكَ الْجَهْدُ يَضْرَعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ كَشْفَ ذَلِكَ الْجَهْدِ عَنْهُمْ، وَيَقُولُونَ: إِنَّكَ إِنْ كَشَفْتَهُ آمَنَّا بِكَ وَعَبَدْنَاكَ مِنْ دُونِ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣﴾ [الدخان: ١٣].

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣﴾ [الدخان: ١٣] مِنْ أَيِّ وَجْهٍ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ التَّذَكُّرُ مِنْ بَعْدِ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِهِمْ.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤﴾ [الدخان: ١٤].

﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤﴾ [الدخان: ١٤] وَقَدْ تَوَلَّوْا عَنْ رَسُولِنَا حِينَ جَاءَهُمْ، مُدْبِرِينَ عَنْهُ، لَا يَتَذَكَّرُونَ بِمَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِنَا، وَلَا يَتَّعِظُونَ بِمَا يَعِظُهُمْ بِهِ مِنْ حُجَجِنَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا هُوَ مَجْنُونٌ عُلِّمَ هَذَا الْكَلَامَ.

﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ [الدخان: ١٥].

﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَسْتَغِيثُونَ بِهِ مِنَ الدُّخَانِ النَّازِلِ وَالْعَذَابِ الْحَالِّ بِهِمْ مِنَ الْجَهْدِ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُعَاهِدُونَهُ أَنَّهُ إِنْ كَشَفَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ آمَنُوا ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ﴾ يَعْنِي الضُّرَّ النَّازِلَ بِهِمْ بِالْخِصْبِ الَّذِي نُحْدِثُهُ لَهُمْ..

﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ [الدخان: ١٥] إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ إِذَا كَشَفْتُ عَنْكُمْ مَا بِكُمْ مِنْ ضُرٍّ لَمْ

تَفُوا بِمَا تَعِدُونَ وَتُعَاهِدُونَ عَلَيْهِ رَبَّكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّكُمْ تَعُودُونَ فِي ضَلَالَتِكُمْ وَغَيِّكُمْ، وَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْكُمْ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ فِي عَذَابِ اللهِ).

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ [الدخان: ١٦].

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ [الدخان: ١٦] إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ إِنْ كَشَفْتُ عَنْكُمُ الْعَذَابَ النَّازِلَ بِكُمْ، وَالضُّرَّ الْحَالَّ بِكُمْ، ثُمَّ عُدْتُمْ فِي كُفْرِكُمْ، وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمُ الَّذِي عَاهَدْتُمْ رَبَّكُمْ، انْتَقَمْتُ مِنْكُمْ يَوْمَ أَبْطِشُ بِكُمْ بَطْشَتِي الْكُبْرَىٰ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَأُهْلِكُكُمْ، وَكَشَفَ اللهُ عَنْهُمْ، فَعَادُوا، فَبَطَشَ بِهِمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَطْشَتَهُ الْكُبْرَىٰ فِي الدُّنْيَا، فَأَهْلَكَهُمْ قَتْلًا بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٧﴾ [الدخان: ١٧].

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وَلَقَدِ اخْتَبَرْنَا وَابْتَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ قَبْلَ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِثَالِ هَؤُلَاءِ قَوْمَ فِرْعَوْنَ مِنَ الْقِبْطِ..

﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٧﴾ [الدخان: ١٧] وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِنَا أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨﴾ [الدخان: ١٨].

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ وَجَاءَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ رَسُولٌ مِنَ اللهِ كَرِيمٌ عَلَيْهِ بِأَنِ ادْفَعُوا إِلَيَّ، وَمَعْنَىٰ ﴿أَدُّوٓاْ﴾ ادْفَعُوا إِلَيَّ فَأَرْسِلُوا مَعِي وَاتَّبِعُونَ..

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِنِّي لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ لَا يُدْرِكُكُمْ بَأْسُهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿أَمِينٌ ١٨﴾ [الدخان: ١٨] عَلَىٰ وَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ الَّتِي أَوْعَدَنِيهَا إِلَيْكُمْ.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ١٩﴾ [الدخان: ١٩].

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ، أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، وَبِأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَىٰ اللهِ، وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أَنْ لَا تَطْغَوْا وَتَبْغُوا عَلَىٰ رَبِّكُمْ، فَتَكْفُرُوا بِهِ وَتَعْصُوهُ، فَتُخَالِفُوا أَمْرَهُ..

﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ إِنِّي آتِيكُمْ بِحُجَّةٍ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَبُرْهَانٍ عَلَىٰ صِحَّتِهِ..

﴿مُّبِينٍ ١٩﴾ [الدخان: ١٩] مُبِينٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا وَتَدَبَّرَهَا أَنَّهَا حُجَّةٌ لِي عَلَىٰ صِحَّةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠﴾ [الدخان: ٢٠].

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠﴾ [الدخان: ٢٠] وَإِنِّي اعْتَصَمْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ، وَاسْتَجَرْتُ بِهِ مِنْكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۝٢١﴾ [الدخان: ٢١].

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ لِفِرْعَونَ وَقَوْمِهِ: وَإِنْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ لَمْ تُصَدِّقُونِي عَلَىٰ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي..

﴿فَاعْتَزِلُونِ ۝٢١﴾ [الدخان: ٢١] فَخَلُّوا سَبِيلِي غَيْرَ مَرْجُومٍ بِاللِّسَانِ وَلَا بِالْيَدِ.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢﴾ [الدخان: ٢٢].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ فَدَعَا مُوسَىٰ رَبَّهُ إِذْ كَذَّبُوهُ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهِ عِبَادَ اللهِ، وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ بِـ..

﴿أَنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ..

﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢﴾ [الدخان: ٢٢] أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللهِ كَافِرُونَ.. فَأَجَابَهُ رَبُّهُ بِأَنْ قَالَ لَهُ: فَأَسْرِ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بِعِبَادِي، وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣﴾ [الدخان: ٢٣].

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ، وَاتَّبَعُوكَ دُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ مِنْهُمْ، وَأَبَوْا قَبُولَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ مِنْكَ، وَكَانَ الَّذِينَ كَانُوا بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَوْمَئِذٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿لَيْلًا﴾ سِرْ بِهِمْ بِلَيْلٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ..

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣﴾ [الدخان: ٢٣] إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنَ الْقِبْطِ مُتَّبِعُوكُمْ إِذَا شَخَصْتُمْ عَنْ بَلَدِهِمْ وَأَرْضِهِمْ فِي آثَارِكُمْ.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝٢٤﴾ [الدخان: ٢٤].

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ وَإِذَا قَطَعْتَ الْبَحْرَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ، فَاتْرُكْهُ سَاكِنًا عَلَىٰ حَالِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا حِينَ دَخَلْتَهُ.. وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَالَ لِمُوسَىٰ هَذَا الْقَوْلَ بَعْدَ مَا قَطَعَ الْبَحْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ، وَهُوَ: فَسَرَىٰ مُوسَىٰ بِعِبَادِي لَيْلًا، وَقَطَعَ بِهِمُ الْبَحْرَ، فَقُلْنَا لَهُ بَعْدَ مَا قَطَعَهُ، وَأَرَادَ رَدَّ الْبَحْرِ إِلَىٰ هَيْئَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ انْفِلَاقِهِ: اتْرُكْهُ رَهْوًا..

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝٢٤﴾ [الدخان: ٢٤] إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ جُنْدٌ اللهُ مُغْرِقُهُمْ فِي الْبَحْرِ.

﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥﴾ [الدخان: ٢٥].

﴿كَمۡ تَرَكُواْ﴾ كَمْ تَرَكَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنَ الْقِبْطِ بَعْدَ مَهْلِكِهِمْ وَتَغْرِيقِ اللهِ إِيَّاهُمْ..

﴿مِن جَنَّٰتٖ﴾ مِنْ بَسَاتِينَ وَأَشْجَارٍ، وَهِيَ الْجَنَّاتُ..

﴿وَعُيُونٖ ٢٥﴾ [الدخان: ٢٥] وَمَنَابِعِ مَا كَانَ يَنْفَجِرُ فِي جِنَانِهِمْ.

﴿وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦﴾ [الدخان: ٢٦].

﴿وَزُرُوعٖ﴾ قَائِمَةٍ فِي مَزَارِعِهِمْ..

﴿وَمَقَامٖ﴾ وَمَوْضِعٍ كَانُوا يَقُومُونَهُ..

﴿كَرِيمٖ ٢٦﴾ [الدخان: ٢٦] شَرِيفٌ كَرِيمٌ.

﴿وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧﴾ [الدخان: ٢٧].

﴿وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧﴾ [الدخان: ٢٧] وَأُخْرِجُوا مِنْ نِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ مُتَفَكِّهِينَ نَاعِمِينَ.

﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨﴾ [الدخان: ٢٨].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا كَمَا وَصَفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَمْرَهُمْ، الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُولَنَا مُوسَىٰ ﷺ..

﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا﴾ وَأَوْرَثْنَا جَنَّاتِهِمْ وَعُيُونَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ وَمَقَامَاتِهِمْ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ عَنْهُمْ..

﴿قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨﴾ [الدخان: ٢٨] بَعْدَ مَهْلِكِهِمْ، وَقِيلَ: عَنَىٰ بِالْقَوْمِ الْآخَرِينَ بَنُو إِسْرَائِيلَ.

﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾ [الدخان: ٢٩].

﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ غَرَّقَهُمُ اللهُ فِي الْبَحْرِ، وَهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ..

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾ [الدخان: ٢٩] وَمَا كَانُوا مُؤَخَّرِينَ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ عُوجِلُوا بِهَا إِذْ أَسْخَطُوا رَبَّهُمْ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِمْ.

﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ٣٠﴾ [الدخان: ٣٠].

﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ الَّذِي كَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ يُعَذِّبُونَهُمْ بِهِ..

﴿ٱلۡمُهِينِ ٣٠﴾ [الدخان: ٣٠] الْمُذِلُّ لَهُمْ.

﴿مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ [الدخان: ٣١].

﴿مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ إِنَّهُ كَانَ جَبَّارًا مُسْتَعْلِيًا مُسْتَكْبِرًا عَلَىٰ رَبِّهِ..

﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ [الدخان: ٣١] مِنَ الْمُتَجَاوِزِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ تَجَاوُزُهُ، وَإِنَّمَا يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ كَانَ ذَا اعْتِدَاءٍ فِي كُفْرِهِ، وَاسْتِكْبَارٍ عَلَىٰ رَبِّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢﴾ [الدخان: ٣٢].

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ مِنَّا بِهِمْ..

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢﴾ [الدخان: ٣٢] عَلَىٰ عَالَمِي أَهْلِ زَمَانِهِمْ يَوْمَئِذٍ، وَذَلِكَ زَمَانُ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣﴾ [الدخان: ٣٣].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنَ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ..

﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣﴾ [الدخان: ٣٣] مَا فِيهِ اخْتِبَارٌ يُبَيِّنُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ أَنَّهُ اخْتِبَارٌ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِهِ.. وَقَدْ يَكُونُ الِابْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ بِالرَّخَاءِ، وَيَكُونُ بِالشِّدَّةِ، وَلَمْ يَضَعْ لَنَا دَلِيلًا مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، أَنَّهُ عَنَىٰ بَعْضَ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ، وَقَدْ كَانَ اللهُ اخْتَبَرَهُمْ بِالْمَعْنَيَيْنِ كِلَيْهِمَا جَمِيعًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ اخْتِبَارَهُ إِيَّاهُمْ بِهِمَا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا، فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ أَنْ نَقُولَ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّهُ اخْتَبَرَهُمْ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤﴾ [الدخان: ٣٤].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤﴾ [الدخان: ٣٤] إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ لَيَقُولُونَ.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥﴾ [الدخان: ٣٥].

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ الَّتِي نَمُوتُهَا..

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥﴾ [الدخان: ٣٥] بَعْدَ مَمَاتِنَا، وَلَا بِمَبْعُوثِينَ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِالْبَعْثِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٦﴾ [الدخان: ٣٦].

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ قَالُوا لِمُحَمَّدٍ ﷺ: فَأْتُوا بِآبَائِنَا الَّذِينَ قَدْ مَاتُوا..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٦﴾ [الدخان: ٣٦] أَنَّ اللهَ بَاعِثُنَا مِنْ بَعْدِ بَلَانَا فِي قُبُورِنَا، وَمُحْيِينَا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِنَا، وَخُوطِبَ ﷺ هُوَ وَحْدَهُ خِطَابَ الْجَمِيعِ، كَمَا قِيلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، وَكَمَا قَالَ ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ٩٩﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِنَا.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ٣٧﴾ [الدخان: ٣٧].

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ خَيْرٌ، أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ، يَعْنِي تُبَّعًا الْحِمْيَرِيَّ..

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ أَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ بِرَبِّهَا، يَقُولُ: فَلَيْسَ هَؤُلَاءِ بِخَيْرٍ مِنْ أُولَئِكَ، فَنَصْفَحُ عَنْهُمْ، وَلَا نُهْلِكُهُمْ، وَهُمْ بِاللهِ كَافِرُونَ، كَمَا كَانَ الَّذِينَ..

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ كُفَّارًا..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ٣٧﴾ [الدخان: ٣٧] إِنَّ قَوْمَ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّمَا أَهْلَكْنَاهُمْ لِإِجْرَامِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨﴾ [الدخان: ٣٨].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨﴾ [الدخان: ٣٨] وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ لَعِبًا.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٩﴾ [الدخان: ٣٩].

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَّا بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يَصْلُحُ التَّدْبِيرُ إِلَّا بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ التَّنْبِيهَ عَلَىٰ صِحَّةِ الْبَعْثِ وَالْمُجَازَاةِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لَمْ نَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثًا بِأَنْ نُحْدِثَهُمْ فَنُحْيِيهِمْ مَا أَرَدْنَا، ثُمَّ نُفْنِيهِمْ مِنْ غَيْرِ الِامْتِحَانِ بِالطَّاعَةِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَغَيْرِ مُجَازَاةِ الْمُطِيعِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالْعَاصِي عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ خَلَقْنَا ذَلِكَ لِنَبْتَلِيَ مَنْ أَرَدْنَا امْتِحَانَهُ مِنْ خَلْقِنَا بِمَا شِئْنَا مِنَ امْتِحَانِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ٣١﴾ [النجم:٣١]..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٣٩﴾ [الدخان: ٣٩] أَنَّ اللهَ خَلَقَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَهُمْ لَا يَخَافُونَ عَلَىٰ مَا يَأْتُونَ مِنْ سَخَطِ اللهِ عُقُوبَةً، وَلَا يَرْجُونَ عَلَىٰ خَيْرٍ إِنْ فَعَلُوهُ ثَوَابًا لِتَكْذِيبِهِمْ بِالْمَعَادِ.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾ [الدخان: ٤٠].

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ إِنَّ يَوْمَ فَصْلِ اللهِ الْقَضَاءَ بَيْنَ خَلْقِهِ بِمَا أَسْلَفُوا فِي دُنْيَاهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يُجْزَىٰ بِهِ الْمُحْسِنُ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءُ بِالْإِسَاءَةِ..

﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾ [الدخان: ٤٠] مِيقَاتُ اجْتِمَاعِهِمْ أَجْمَعِينَ.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١﴾ [الدخان: ٤١].

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ لَا يَدْفَعُ ابْنُ عَمٍّ عَنِ ابْنِ عَمٍّ، وَلَا صَاحِبٌ عَنْ صَاحِبِهِ شَيْئًا مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ مِنَ اللهِ..

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١﴾ [الدخان: ٤١] وَلَا يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَسْتَعِيذُوا مِمَّنْ نَالَهُمْ بِعُقُوبَةٍ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢﴾ [الدخان: ٤٢].

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًىٰ عَنْ مَوْلًىٰ شَيْئًا إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ يُغْنِي عَنْهُ بِأَنْ يَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢﴾ [الدخان: ٤٢] بِأَوْلِيَائِهِ، وَأَهْلِ طَاعَتِهِ.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣﴾ [الدخان: ٤٣].

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣﴾ [الدخان: ٤٣] الَّتِي أَخْبَرَ أَنَّهَا تَنْبُتُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، الَّتِي جَعَلَهَا طَعَامًا لِأَهْلِ الْجَحِيمِ، ثَمَرُهَا فِي الْجَحِيمِ.

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدخان:٤٤].

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدخان:٤٤] فِي الدُّنْيَا بِرَبِّهِ، وَالْأَثِيمُ: ذُو الْإِثْمِ، وَعَنَىٰ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الَّذِي إِثْمُهُ الْكُفْرُ بِرَبِّهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْآثَامِ.

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥﴾ [الدخان: ٤٥].

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ الَّتِي جَعَلَ ثَمَرَتَهَا طَعَامَ الْكَافِرِ فِي جَهَنَّمَ، كَالرَّصَاصِ أَوِ الْفِضَّةِ، أَوْ مَا يُذَابُ فِي النَّارِ إِذَا أُذِيبَ بِهَا، فَتَنَاهَتْ حَرَارَتُهُ، وَشَدَّتْ حِمْيَتُهُ فِي شِدَّةِ السَّوَادِ..

﴿يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥﴾ [الدخان: ٤٥] طَعَامُ الْأَثِيمِ يَغْلِي، أَوِ الْمُهْلُ يَغْلِي.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ (تَغْلِي) بِالتَّاءِ، بِمَعْنَىٰ أَنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ تَغْلِي فِي بُطُونِهِمْ، فَأَنَّثُوا تَغْلِي لِتَأْنِيثِ الشَّجَرَةِ.. فَذَكَّرَهُ بَعْضُهُمْ لِتَذْكِيرِ الطَّعَامِ، وَوَجَّهَ مَعْنَاهُ إِلَىٰ أَنَّ الطَّعَامَ هُوَ الَّذِي يَغْلِي فِي بُطُونِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ لِتَذْكِيرِ الْمُهْلِ، وَوَجَّهَهُ إِلَىٰ أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْمُهْلِ الَّذِي يَغْلِي، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦﴾ [الدخان: ٤٦].

﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦﴾ [الدخان: ٤٦] يَغْلِي ذَلِكَ فِي بُطُونِ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ كَغَلْيِ الْمَاءِ الْمَحْمُومِ، وَهُوَ الْمُسَخَّنُ الَّذِي قَدْ أُوقِدَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَنَاهَتْ شِدَّةُ حَرِّهِ.

﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧﴾ [الدخان: ٤٧].

﴿خُذُوهُ﴾ يَعْنِي هَذَا الْأَثِيمَ بِرَبِّهِ، الَّذِي أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ لَهُ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامٌ..

﴿فَٱعۡتِلُوهُ﴾ فَادْفَعُوهُ وَسُوقُوهُ، يُقَالُ مِنْهُ: عَتَلَهُ يَعْتِلُهُ عَتْلًا إِذَا سَاقَهُ بِالدَّفْعِ وَالْجَذْبِ..

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧﴾ [الدخان: ٤٧] إِلَىٰ وَسَطِ الْجَحِيمِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: خُذُوا هَذَا الْأَثِيمَ فَسُوقُوهُ دَفْعًا فِي ظَهْرِهِ، وَسَحْبًا إِلَىٰ وَسَطِ النَّارِ.

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٨﴾ [الدخان: ٤٨].

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ﴾ ثُمَّ صُبُّوا عَلَىٰ رَأْسِ هَذَا الْأَثِيمِ..

﴿مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٨﴾ [الدخان: ٤٨] مِنَ الْمَاءِ الْمُسَخَّنِ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي قَالَ اللهُ: ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ۝٢٠﴾ [الحج: ٢٠] وَقَدْ بَيَّنْتُ صِفَتَهُ هُنَالِكَ.

﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩].

﴿ذُقۡ﴾ يُقَالُ لِهَذَا الْأَثِيمِ الشَّقِيِّ: ذُقْ هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي تُعَذَّبُ بِهِ الْيَوْمَ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فِي قَوْمِكَ..

﴿ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩] عَلَيْهِمْ.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ [الدخان: ٥٠].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يُقَالُ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي تُعَذَّبُ بِهِ الْيَوْمَ..

﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ [الدخان: ٥٠] هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَشُكُّونَ، فَتَخْتَصِمُونَ فِيهِ، وَلَا تُوقِنُونَ بِهِ فَقَدْ لَقِيتُمُوهُ، فَذُوقُوهُ.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ بِأَدَاءِ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿فِي مَقَامٍ﴾ فِي مَوْضِعِ إِقَامَةٍ..

﴿أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مِمَّا كَانَ يُخَافُ مِنْهُ فِي مَقَامَاتِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْعِلَلِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَحْزَانِ.

﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥٢].

﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥٢] الْجَنَّاتُ وَالْعُيُونُ تَرْجَمَةٌ عَنِ الْمَقَامِ الْأَمِينِ، وَالْمَقَامُ الْأَمِينُ: هُوَ الْجَنَّاتُ وَالْعُيُونُ، وَالْجَنَّاتُ: الْبَسَاتِينُ، وَالْعُيُونُ: عُيُونُ الْمَاءِ الْمُطَّرِدِ فِي أُصُولِ أَشْجَارِ الْجَنَّاتِ.

﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣].

﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ يَلْبَسُ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ مِنْ سُنْدُسٍ، وَهُوَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ..

﴿وَإِسۡتَبۡرَقٍ﴾ وَهُوَ مَا غِلُظَ مِنَ الدِّيبَاجِ..

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣] فِي الْجَنَّةِ يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْوُجُوهِ، وَلَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْكَرَامَةِ بِإِدْخَالِنَاهُمُ الْجَنَّاتِ، وَإِلْبَاسِنَاهُمْ فِيهَا السُّنْدُسَ وَالْإِسْتَبْرَقَ، كَذَلِكَ..

﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] أَكْرَمْنَاهُمْ بِأَنْ زَوَّجْنَاهُمْ أَيْضًا فِيهَا حُورًا مِنَ النِّسَاءِ، وَمِنَ النَّقِيَّاتِ الْبِيَاضِ، وَاحِدَتُهُنَّ: حَوْرَاءُ.

﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥].

﴿يَدۡعُونَ فِيهَا﴾ يَدْعُو هَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ فِي الْجَنَّةِ..

﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ فَوَاكِهِ الْجَنَّةِ اشْتَهَوْهُ..

﴿ءَامِنِينَ ۝﴾ [الدخان: ٥٥] فِيهَا مِنَ انْقِطَاعِ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَنَفَادِهِ وَفَنَائِهِ، وَمِنْ غَائِلَةِ أَذَاهُ وَمَكْرُوهِهِ، يَقُولُ: لَيْسَتْ تِلْكَ الْفَاكِهَةُ هُنَالِكَ كَفَاكِهَةِ الدُّنْيَا الَّتِي نَأْكُلُهَا، وَهُمْ يَخَافُونَ مَكْرُوهَ عَاقِبَتِهَا، وَغِبَّ أَذَاهَا مَعَ نَفَادِهَا مِنْ عِنْدِهِمْ، وَعَدَمِهَا فِي بَعْضِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَوْقَاتِ.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾
[الدخان: ٥٦].

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ لَا يَذُوقُ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ فِي الْجَنَّةِ الْمَوْتَ بَعْدَ الْمُوتَةِ الْأُولَىٰ الَّتِي ذَاقُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾ [الدخان: ٥٦] وَوَقَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ رَبُّهُمْ يَوْمَئِذٍ عَذَابَ النَّارِ .

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ [الدخان: ٥٧].

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ تَفَضُّلًا يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَبِّكَ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانًا مِنْهُ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يُعَاقِبْهُمْ بِجُرْمٍ سَلَفَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَوْلَا تَفَضُّلُهُ عَلَيْهِمْ بِصَفْحِهِ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ لَهُمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَلَكِنْ كَانَ يَنَالُهُمْ وَيُصِيبُهُمْ أَلَمُهُ وَمَكْرُوهُهُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْكَرَامَةِ الَّتِي وَصَفْتُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ [الدخان: ٥٧] هُوَ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ بِمَا كَانُوا يَطْلُبُونَ مِنْ إِدْرَاكِهِ فِي الدُّنْيَا بِأَعْمَالِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَاتِّقَائِهِمْ إِيَّاهُ، فِيمَا امْتَحَنَهُمْ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الدخان: ٥٨].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَإِنَّمَا سَهَّلْنَا قِرَاءَةَ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِلِسَانِكَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الدخان: ٥٨] لِيَتَذَكَّرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ بِعِبَرِهِ وَحُجَجِهِ، وَيَتَّعِظُوا بِعِظَاتِهِ، وَيَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ إِذَا أَنْتَ تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَيُذْعِنُوا لِلْحَقِّ عِنْدَ تَبَيُّنِهِمُوهُ.

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝﴾ [الدخان: ٥٩].

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَانْتَظِرْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الْفَتْحَ مِنْ رَبِّكَ،

وَالنَّصْرَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ٥٩﴾ [الدخان: ٥٩] إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ قَهْرَكَ وَغَلَبَتَكَ بِصَدِّهِمْ عَمَّا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مَنْ أَرَادَ قَبُولَهُ وَاتِّبَاعَكَ عَلَيْهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الدُّخَانِ



سُورَةُ الجَاثِيَةِ (٤٥)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حمٓ ①﴾ [الجاثية: ١].

﴿حمٓ ①﴾ [الجاثية: ١] قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿حمٓ ①﴾.

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ②﴾ [الجاثية: ٢].

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ هَذَا تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿الْعَزِيزِ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿الْحَكِيمِ ②﴾ [الجاثية: ٢] فِي تَدْبِيرِهِ أَمْرَ خَلْقِهِ.

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ③﴾ [الجاثية: ٣].

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ السَّبْعِ اللاتِي مِنْهُنَّ نُزُولُ الْغَيْثِ..

﴿وَالْأَرْضِ﴾ الَّتِي مِنْهَا خُرُوجُ الْخَلْقِ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ③﴾ [الجاثية: ٣] لَأَدِلَّةً وَحُجَجًا لِلْمُصَدِّقِينَ بِالْحُجَجِ إِذَا تَبَيَّنُوهَا وَرَأَوْهَا.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ④﴾ [الجاثية: ٤].

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ﴾ وَفِي خَلْقِ اللهِ إِيَّاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَخَلْقِهِ مَا تَفَرَّقَ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ تَدِبُّ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ جِنْسِكُمْ..

﴿آيَاتٌ﴾ حُجَجًا وَأَدِلَّةٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ④﴾ [الجاثية: ٤] بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ، فَيُقِرُّونَ بِهَا، وَيَعْلَمُونَ صِحَّتَهَا.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑤﴾ [الجاثية: ٥].

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وَفِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَيُّهَا النَّاسُ، وَتَعَاقُبِهِمَا عَلَيْكُمْ، هَذَا بِظُلْمَتِهِ وَسَوَادِهِ، وَهَذَا بِنُورِهِ وَضِيَائِهِ..

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ وَهُوَ الْغَيْثُ الَّذِي بِهِ تُخْرِجُ الْأَرْضُ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ وَأَقْوَاتِهِمْ، وَإِحْيَائِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا..

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فَأَنْبَتَ مَا أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْغَيْثِ مَيِّتَ الْأَرْضِ، حَتَّىٰ اهْتَزَّتْ بِالنَّبَاتِ وَالزَّرْعِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا، يَعْنِي مِنْ بَعْدَ جُدُوبِهَا وَقُحُوطِهَا وَمَصِيرِهَا دَائِرَةٌ لَا نَبْتَ فِيهَا وَلَا زَرْعَ..

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ وَفِي تَصْرِيفِهِ الرِّيَاحَ لَكُمْ شَمَالًا مَرَّةً، وَجَنُوبًا أُخْرَىٰ، وَصَبًا أَحْيَانًا، وَدَبُورًا أُخْرَىٰ، لِمَنَافِعِكُمْ.. وَقَدْ قِيلَ: عَنَىٰ بِتَصْرِيفِهَا بِالرَّحْمَةِ مَرَّةً، وَبِالْعَذَابِ أُخْرَىٰ..

﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ [الجاثية: ٥] فِي ذَٰلِكَ أَدِلَّةٌ وَحُجَجٌ لِلَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عَنِ اللهِ حُجَجَهُ، وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ مَا وَعَظَهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾
[الجاثية: ٦].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ هَذِهِ الْآيَاتُ وَالْحُجَجُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَبِّكَ عَلَىٰ خَلْقِهِ..

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ نُخْبِرُكَ عَنْهَا بِالْحَقِّ لَا بِالْبَاطِلِ، كَمَا يُخْبِرُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ عَنْ آلِهَتِهِمْ بِالْبَاطِلِ، أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ..

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بَعْدَ حَدِيثِ اللهِ الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْكَ..

﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ هَذِهِ الَّتِي نَبَّهَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهَا، وَذَكَّرَهُمْ بِهَا..

﴿يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [الجاثية: ٦] يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ.. وَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَىٰ مَذْهَبِ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ وَهِيَ قِرَاءَةُ عَامَّةِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ.. وَقِرَاءَةُ عَامَّةِ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ. (تُؤْمِنُونَ) عَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ مِنَ اللهِ بِهَذَا الْكَلَامِ لِلْمُشْرِكِينَ، ومَعناه: فَبِأَيِّ حَدِيثٍ أَيُّهَا الْقَوْمُ.. بَعْدَ حَدِيثِ اللهِ هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ.. وَبَعْدَ حُجَجِهِ عَلَيْكُمْ وَأَدِلَّتِهِ الَّتِي دَلَّكُمْ بِهَا عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ مِنْ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ سِوَاهُ.. تُصَدِّقُونَ، إِنْ أَنْتُمْ كَذَّبْتُمْ لِحَدِيثِهِ وَآيَاتِهِ.. وَلِكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ وَجْهٌ صَحِيحٌ، وَتَأْوِيلٌ مَفْهُومٌ، فَبِأَيَّةِ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ ذَلِكَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ عِنْدَنَا، وَإِنْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَىٰ قِرَاءَتِهِ بِالْيَاءِ إِذْ كَانَتْ فِي سِيَاقِ آيَاتٍ قَدْ مَضَيْنَ قَبْلَهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [الجاثية:٤] وَ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ [الجاثية:٥].

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧﴾ [الجاثية: ٧].

﴿وَيۡلٞ﴾ الْوَادِي السَّائِلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ..

﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧﴾ [الجاثية: ٧] لِكُلِّ كَذَّابٍ ذِي إِثْمٍ بِرَبِّهِ، مُفْتَرٍ عَلَيْهِ.

﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨﴾ [الجاثية: ٨].

﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ كِتَابِ اللهِ تُقْرَأُ عَلَيْهِ..

﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ عَلَىٰ كُفْرِهُ وَإِثْمِهِ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْهُ، وَلَا رَاجِعٍ عَنْهُ..

﴿مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ عَلَىٰ رَبِّهِ أَنْ يُذْعِنَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ﴾ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ مَا تُلِيَ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ اللهِ بِإِصْرَارِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِ..

﴿فَبَشِّرۡهُ﴾ فَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْأَفَّاكَ الْأَثِيمَ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ..

﴿بِعَذَابٍ﴾ مِنَ اللهِ لَهُ..

﴿أَلِيمٖ ۝٨﴾ [الجاثية: ٨] مُوجِعٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩﴾ [الجاثية: ٩].

﴿وَإِذَا عَلِمَ﴾ هَذَا الْأَفَّاكُ الْأَثِيمُ..

﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ مِنْ آيَاتِ اللهِ..

﴿شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ اتَّخَذَ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي عَلِمَهَا هُزُوًا، يَسْخَرُ مِنْهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذَا الْفِعْلَ، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ آيَاتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُصِرُّونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمُ اسْتِكْبَارًا، وَيَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللهِ الَّتِي عَلِمُوهَا هُزُوًا..

﴿لَهُمۡ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ اللهِ..

﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩﴾ [الجاثية: ٩] يُهِينُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَاتِّبَاعِ آيَاتِهِ.

﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾ [الجاثية: ١٠].

﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ﴾ وَمِنْ وَرَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِآيَاتِ اللهِ، يَعْنِي مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ..

﴿جَهَنَّمُۖ﴾ نَارُ جَهَنَّمَ هُمْ وَارِدُوهَا.

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا﴾ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ إِذَا هُمْ عُذِّبُوا بِهِ مَا كَسَبُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ شَيْئًا..

﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ وَلَا آلِهَتُهُمُ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَرُؤَسَاؤُهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ أَطَاعُوهُمْ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ، وَاتَّخَذُوهُمْ نُصَراءَ فِي الدُّنْيَا، تُغْنِي عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ شَيْئًا..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠﴾ [الجاثية: ١٠] وَلَهُمْ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ عَذَابٌ فِي جَهَنَّمَ عَظِيمٌ.

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ١١﴾ [الجاثية: ١١].

﴿هَٰذَا﴾ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..

﴿هُدًى﴾ بَيَانٌ وَدَلِيلٌ عَلَىٰ الْحَقِّ، يَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، مَنِ اتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهَا، وَيَعْمَلُوا بِهَا..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ١١﴾ [الجاثية: ١١] لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُوجِعٌ.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢﴾ [الجاثية: ١٢].

﴿۞ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿ٱلَّذِى﴾ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ، الَّتِي بَيَّنَهَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَهُوَ أَنَّهُ..

﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ السُّفُنُ..

﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ لِمَعَايِشِكُمْ وَتَصَرُّفِكُمْ فِي الْبِلَادِ..

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ لِطَلَبِ فَضْلِهِ فِيهَا..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢﴾ [الجاثية: ١٢] وَلِتَشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَىٰ تَسْخِيرِهِ ذَلِكَ لَكُمْ فَتَعْبُدُوهُ وَتُطِيعُوهُ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية: ١٣].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ..

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ دَابَّةٍ وَشَجَرٍ وَجَبَلٍ وَجَمَادٍ وَسُفُنٍ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ..

﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ، نِعَمٌ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ أَنْعَمَ بِهَا

عَلَيْكُمْ، وَفَضْلٌ مِنْهُ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَإِيَّاهُ فَاحْمَدُوا لَا غَيْرَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يُشْرِكْهُ فِي إِنْعَامِ هَذِهِ النِّعَمِ عَلَيْكُمْ شَرِيكٌ، بَلْ تَفَرَّدَ بِإِنْعَامِهَا عَلَيْكُمْ وَجَمِيعُهَا مِنْهُ، فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ فِي شُكْرِكُمْ لَهُ شَرِيكًا بَلْ أَفْرِدُوهُ بِالشُّكْرِ وَالعِبَادَةِ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْأُلُوهَةَ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي تَسْخِيرِ اللهِ لَكُمْ مَا أَنْبَأَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّهُ سَخَّرَهُ لَكُمْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ..

﴿لَآيَاتٍ﴾ لَعَلَامَاتٌ وَدِلَالَاتٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ غَيْرُهُ، الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ تَسْخِيرِهَا غَيْرُهُ..

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣] فِي آيَاتِ اللهِ وَحُجَجِهِ وَأَدِلَّتِهِ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيَتَّعِظُونَ إِذَا تَدَبَّرُوهَا، وَفَكَّرُوا فِيهَا.

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الجاثية: ١٤].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لِلَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَاتَّبَعُوكَ..

﴿يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَخَافُونَ بَأْسَ اللهِ وَوَقَائِعَهُ وَنِقَمَهُ إِذَا هُمْ نَالُوهُمْ بِالْأَذَىٰ وَالْمَكْرُوهِ..

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الجاثية: ١٤] لِيَجْزِيَ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤْذُونَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي الْآخِرَةِ، فَيُصِيبُهُمْ عَذَابُهُ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَكْسِبُونَ مِنَ الْإِثْمِ، ثُمَّ بِأَذَاهُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِأَمْرِ اللهِ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: هِيَ مَنْسُوخَةٌ لِإِجْمَاعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: ١٥].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ مَنْ عَمِلَ مِنْ عِبَادِ اللهِ بِطَاعَتِهِ فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ أَمْرِهِ، وَانْزَجَرَ لِنَهْيِهِ..

﴿فَلِنَفْسِهِ ۖ﴾ عَمِلَ ذَلِكَ الصَّالِحَ مِنَ الْعَمَلِ، وَطَلَبَ خَلَاصَهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ، أَطَاعَ رَبَّهُ لَا لِغَيْرِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَاللهُ عَنْ عَمَلِ كُلِّ عَامِلٍ غَنِيٌّ..

﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ وَمَنْ أَسَاءَ عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا بِمَعْصِيَتِهِ فِيهَا رَبَّهُ، وَخِلَافِهِ فِيهَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَعَلَىٰ نَفْسِهِ جَنَىٰ؛ لِأَنَّهُ أَوْبَقَهَا بِذَلِكَ، وَأَكْسَبَهَا بِهِ سَخَطَهُ، وَلَمْ يَضُرَّ أَحَدًا سِوَىٰ نَفْسِهِ..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: ١٥] ثُمَّ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَجْمَعُونَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تَصِيرُونَ مِنْ

بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، فَيُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، فَمَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ جُوزِيَ مِنَ الثَّوَابِ صَالِحًا، وَمَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ جُوزِيَ مِنَ الثَّوَابِ سَيِّئًا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الجاثية: ١٦].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يَعْنِي: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ..

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ يَعْنِي الْفَهْمَ بِالْكِتَابِ، وَالْعِلْمَ بِالسُّنَنِ الَّتِي لَمْ تَنْزِلْ فِي الْكِتَابِ..

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا إِلَىٰ الْخَلْقِ..

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَأَطْعَمْنَاهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ أَرْزَاقِنَا، وَذَلِكَ مَا أَطْعَمَهُمْ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ..

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الجاثية: ١٦] وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ عَالَمِي أَهْلِ زَمَانِهِمْ فِي أَيَّامِ فِرْعَوْنَ وَعَهْدِهِ فِي نَاحِيَتِهِمْ بِمِصْرَ وَالشَّامِ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٧﴾ [الجاثية: ١٧].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ وَأَعْطَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاضِحَاتٍ مِنْ أَمْرِنَا بِتَنْزِيلِنَا إِلَيْهِمُ التَّوْرَاةَ فِيهَا تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ طَلَبًا لِلرِّيَاسَاتِ، وَتَرْكًا مِنْهُمْ لِبَيَانِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي تَنْزِيلِهِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾ يَقْضِي بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَغْيًا بَيْنَهُمْ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٧﴾ [الجاثية: ١٧] فِيمَا كَانُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا يَخْتَلِفُونَ، بَعْدَ الْعِلْمِ الَّذِي آتَاهُمْ وَالْبَيَانِ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْهُ، فَيَفْلَجُ الْمُحِقُّ حِينَئِذٍ عَلَىٰ الْمُبْطِلِ، بِفَصْلِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية: ١٨].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ بَعْدِ الَّذِي آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ..

﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ عَلَىٰ طَرِيقَةٍ وَسُنَّةٍ وَمِنْهَاجٍ مِنْ أَمْرِنَا الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا..

﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾ فاتّبعْ تِلْكَ الشَّرِيعَةَ الَّتِي جعَلْنَاهَا لَكَ..

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨﴾ [الجاثية: ١٨] وَلَا تَتَّبِعْ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ بِاللهِ، الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَتَعْمَلَ بِهِ، فَتَهْلِكَ إِنْ عَمِلْتَ بِهِ.

﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية: ١٩].

﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْجَاهِلِينَ بِرَبِّهِمْ، الَّذِينَ يَدْعُونَكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ، لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ إِنْ أَنْتَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ، وَخَالَفْتَ شَرِيعَةَ رَبِّكَ الَّتِي شَرَعَهَا لَكَ مِنْ عِقَابِ اللهِ شَيْئًا، فَيَدْفَعُوهُ عَنْكَ إِنْ هُوَ عَاقَبَكَ، وَيُنْقِذُوكَ مِنْهُ..

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ﴾ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ، وَأَعْوَانُهُمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية: ١٩] وَاللهُ يَلِي مَنِ اتَّقَاهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ بِكِفَايَتِهِ، وَدِفَاعِ مَنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكُنْ مِنَ الْمُتَّقِينَ، يَكْفِكَ اللهُ مَا بَغَاكَ وَكَادَكَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ مَنِ اتَّقَاهُ، وَلَا يَعْظُمُ عَلَيْكَ خِلَافُ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوكَ مَا كَانَ اللهُ وَلِيَّكَ وَنَاصِرَكَ.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [الجاثية: ٢٠].

﴿هَٰذَا﴾ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ يُبْصِرُونَ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَعْرِفُونَ بِهِ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَالْبَصَائِرُ: جَمْعُ بَصِيرَةٍ..

﴿وَهُدٗى﴾ وَرَشَادٌ..

﴿وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [الجاثية: ٢٠] بِحَقِيقَةِ صِحَّةِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، وَخَصَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُوقِنِينَ بِأَنَّهُ لَهُمْ بَصَائِرُ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةٌ؛ لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ انْتَفَعُوا بِهِ دُونَ مِنْ كَذَّبَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، فَكَانَ عَلَيْهِ عَمًىٰ وَلَهُ حُزْنًا.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٢١﴾ [الجاثية: ٢١].

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أَمْ ظَنَّ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا،

وَكَذَّبُوا رُسُلَ اللهِ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وعَبَدُوا غَيْرَهُ..

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أَنْ نَجعلَهُمْ فِي الآخِرَةِ، كَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَأَطَاعُوا اللهَ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، كَلَّا مَا كَانَ اللهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ، لَقَدْ مَيَّزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَجَعَلَ حِزْبَ الْإِيمَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَحِزْبَ الْكُفرِ فِي السَّعِيرِ..

﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ أَحَسِبُوا أَنْ نَجعَلَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً.. وَقَرَأَتْ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ (سَوَاءٌ) بِالرَّفْعِ، عَلَىٰ أَنَّ الْخَبَرَ مُتَنَاهٍ عِنْدَهُمْ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَجعَلُوا خَبَرَ قَوْلِهِ: ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ قَوْلَهُ: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، ثُمَّ ابْتَدَأُوا الْخَبَرَ عَنِ اسْتِوَاءِ حَالِ مَحْيَا الْمُؤْمِنِ وَمَمَاتِهِ، وَمَحْيَا الْكَافِرِ وَمَمَاتِهِ، فَرَفَعُوا قَوْلَهُ: (سَوَاءٌ) عَلَىٰ وَجْهِ الِابْتِدَاءِ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ الْكَلَامُ إِذَا قُرِئَ سَوَاءٌ رَفعًا وَجْهًا آخَرَ غَيْرَ هَذَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَهُوَ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَىٰ: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجعَلَهُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ سَوَاءً فِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُمْ لَا يَسْتَوُونَ، ثُمَّ يُرْفَعُ سَوَاءٌ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ، إِذْ كَانَ لَا يَنْصَرِفُ، كَمَا يُقَالُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ خَيْرٌ مِنْكَ أَبُوهُ، وَحَسْبُكَ أَخُوهُ، فَرَفَعَ حَسْبُكَ، وَخَيْرٌ إِذْ كَانَا فِي مَذْهَبِ الْأَسْمَاءِ، وَلَوْ وَقَعَ مَوْقِعَهُمَا فِعْلٌ فِي لَفْظِ اسْمٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا نَصْبًا، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: (سَوَاءٌ).. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١﴾ [الجاثية: ٢١] بِئْسَ الْحُكْمُ الَّذِي حَسِبُوا أَنَّا نَجْعَلُ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [الجاثية: ٢٢].

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ، لَا لِمَا حَسِبَ هَؤُلَاءِ الْجَاهِلُونَ بِاللهِ، مِنْ أَنَّهُ يَجْعَلُ مَنِ اجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ فَعَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ غَيْرِ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَلَمْ يَخْلُقِ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِلظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَلَكِنَّا خَلَقْنَاهُمَا لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَمِنَ الْحَقِّ أَنْ نُخَالِفَ بَيْنَ حُكْمِ الْمُسِيءِ وَالْمُحْسِنِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ..

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وَلِيُثِيبَ اللهُ كُلَّ عَامِلٍ بِمَا عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ، الْمُحْسِنَ

بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، لَا لِنَبْخَسَ الْمُحْسِنَ ثَوَابَ إِحْسَانِهِ، وَنَحْمِلَ عَلَيْهِ جُرْمَ غَيْرِهِ فَنُعَاقِبُهُ، أَوْ نَجْعَلَ لِلْمُسِيءِ ثَوَابَ إِحْسَانِ غَيْرِهِ فَنُكْرِمَهُ، وَلَكِنْ لِنَجْزِيَ كُلًّا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ٢٢] جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أَفَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ مَنِ اتَّخَذَ مَعْبُودَهُ هَوَاهُ، فَيَعْبُدُ مَا هَوِيَ مِنْ شَيْءٍ دُونَ إِلَهِ الْحَقِّ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وَخَذَلَهُ عَنْ مَحَجَّةِ الطَّرِيقِ، وَسَبِيلِ الرَّشَادِ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَهْتَدِي، وَلَوْ جَاءَتْهُ كُلُّ آيَةٍ..

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ وَطَبَعَ عَلَىٰ سَمْعِهِ أَنْ يَسْمَعَ مَوَاعِظَ اللهِ وَآيَ كِتَابِهِ، فَيَعْتَبِرَ بِهَا وَيَتَدَبَّرَهَا، وَيَتَفَكَّرَ فِيهَا، فَيَعْقِلَ مَا فِيهَا مِنَ النُّورِ وَالْبَيَانِ وَالْهُدَىٰ..

﴿وَقَلْبِهِۦ﴾ وَطَبَعَ أَيْضًا عَلَىٰ قَلْبِهِ، فَلَا يَعْقِلُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَعِي بِهِ حَقًّا..

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً أَنْ يُبْصِرَ بِهِ حُجَجَ اللهِ، فَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَيَعْلَمُ بِهَا أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فَمَنْ يُوَفِّقُهُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَإِبْصَارِ مَحَجَّةِ الرُّشْدِ بَعْدَ إِضْلَالِ اللهِ إِيَّاهُ..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣] أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ فَعَلَ اللهُ بِهِ مَا وَصَفْنَا، فَلَنْ يَهْتَدِيَ أَبَدًا، وَلَنْ يَجِدَ لِنَفْسِهِ وَلِيًّا مُرْشِدًا.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ خَبَرُهُ عَنْهُمْ..

﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ مَا حَيَاةٌ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الَّتِي نَحْنُ فِيهَا، لَا حَيَاةَ سِوَاهَا، تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ نَمُوتُ نَحْنُ وَتَحْيَا أَبْنَاؤُنَا بَعْدَنَا، فَجَعَلُوا حَيَاةَ أَبْنَائِهِمْ بَعْدَهُمْ حَيَاةً لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْهُمْ وَبَعْضُهُمْ، فَكَأَنَّهُمْ بِحَيَاتِهِمْ أَحْيَاءُ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ النَّاسِ: مَا مَاتَ مَنْ خَلَفَ ابْنًا مِثْلَ فُلَانٍ، لِأَنَّهُ بِحَيَاةِ ذِكْرِهِ بِهِ كَأَنَّهُ حَيٌّ غَيْرُ مَيِّتٍ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ:

نَحْيَا وَنَمُوتُ، عَلَىٰ وَجْهِ تَقْدِيمِ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، كَمَا يُقَالُ: قُمْتُ وَقَعَدْتُ، بِمَعْنَىٰ: قَعَدْتُ وَقُمْتُ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْوَاوِ خَاصَّةً إِذَا أَرَادُوا الْخَبَرَ عَنْ شَيْئَيْنِ أَنَّهُمَا كَانَا أَوْ يَكُونَانِ، وَلَمْ تَقْصِدِ الْخَبَرَ عَنْ كَوْنِ أَحَدِهِمَا قَبْلَ الْآخَرِ، تَقَدَّمُ الْمُتَأَخِّرَ حُدُوثًا عَلَىٰ الْمُتَقَدِّمِ حُدُوثُهُ مِنْهُمَا أَحْيَانًا، فَهَذَا مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ فِيهِ إِلَىٰ الْخَبَرِ عَنْ كَوْنِ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَقُدِّمَ ذِكْرُ الْمَمَاتِ قَبْلَ ذِكْرِ الْحَيَاةِ، إِذْ كَانَ الْقَصْدُ إِلَىٰ الْخَبَرِ عَنْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ مَرَّةً أَحْيَاءً وَأُخْرَىٰ أَمْوَاتًا..

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا: وَمَا يُهْلِكُنَا فَيُفْنِينَا إِلَّا مَرُّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَطُولُ الْعُمُرِ، إِنْكَارًا مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ رَبٌّ يُفْنِيهِمْ وَيُهْلِكُهُمْ..

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ: مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ، بِمَا يَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ مِنْ يَقِينِ عِلْمٍ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ تَخَرُّصًا بِغَيْرِ خَبَرٍ أَتَاهُمْ مِنَ اللهِ، وَلَا بُرْهَانٍ عِنْدَهُمْ بِحَقِيقَتِهِ..

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤] مَا هُمْ إِلَّا فِي ظَنٍّ مِنْ ذَلِكَ، وَشَكٍّ، يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فِي حَيْرَةٍ مِنَ اعْتِقَادِهِمْ حَقِيقَةَ مَا يَنْطِقُونَ مِنْ ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٥﴾
[الجاثية: ٢٥].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ آيَاتُنَا، بِأَنَّ اللهَ بَاعِثُ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ، فَجَامِعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَهُ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ جَلِيَّاتٍ، تَنْفِي الشَّكَّ عَنْ قَلْبِ أَهْلِ التَّصْدِيقِ بِاللهِ فِي ذَلِكَ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ عَلَىٰ رَسُولِنَا الَّذِي يَتْلُو ذَلِكَ عَلَيْهِمْ إِلَّا قَوْلُهُمْ لَهُ..

﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ ائْتِنَا بِآبَائِنَا الَّذِينَ قَدْ هَلَكُوا أَحْيَاءً، وَانْشُرْهُمْ لَنَا..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٥﴾ [الجاثية: ٢٥] إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَتْلُو عَلَيْنَا وَتُخْبِرُنَا، حَتَّىٰ نُصَدِّقَ بِحَقِيقَةِ مَا تَقُولُ بِأَنَّ اللهَ بَاعِثُنَا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِنَا، وَمُحْيِينَا مِنْ بَعْدِ فَنَائِنَا.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾
[الجاثية: ٢٦].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، الْقَائِلِينَ لَكَ ائْتِنَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتَ صَادِقًا..

﴿ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..
﴿يُحۡيِيكُمۡ﴾ مَا شَاءَ أَنْ يُحْيِيكُمْ فِي الدُّنْيَا..
﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ فِيهَا إِذَا شَاءَ..
﴿ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ يَعْنِي أَنَّهُ يَجْمَعُكُمْ جَمِيعًا أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَصَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ..
﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ يَجْمَعُكُمْ جَمِيعًا أَحْيَاءً لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ..
﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ، يَقُولُ: فَلَا تَشُكُّوا فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَمْرَ كَمَا وَصَفْتُ لَكُمْ..
﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ تَكْذِيبٍ بِالْبَعْثِ..
﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾ [الجاثية: ٢٦] حَقِيقَةَ ذَلِكَ، وَأَنَّ اللهَ مُحْيِيهِمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٢٧﴾ [الجاثية: ٢٧].

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وَللهِ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ، دُونَ مَا تَدْعُونَهُ لَهُ شَرِيكًا، وَتَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ، وَالَّذِي تَدْعُونَهُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، جَارٍ عَلَيْهِ حُكْمُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَا كَانَ كَذَلِكَ لَهُ شَرِيكًا؟! أَمْ كَيْفَ تَعْبُدُونَهُ، وَتَتْرُكُونَ عِبَادَةَ مَالِكِكُمْ، وَمَالِكِ مَا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ؟!..

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وَيَوْمَ تَجِيءُ السَّاعَةُ الَّتِي يَنْشُرُ اللهُ فِيهَا الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَجْمَعُهُمْ لِمَوْقِفِ الْعَرْضِ..

﴿يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٢٧﴾ [الجاثية: ٢٧] يُغْبَنُ فِيهَا الَّذِينَ أَبْطَلُوا فِي الدُّنْيَا فِي أَقْوَالِهِمْ وَدَعْوَاهُمْ للهِ شَرِيكًا، وَعِبَادَتِهِمْ آلِهَةً دُونَهُ، بِأَنْ يَفُوزَ بِمَنَازِلِهِ مِنَ الْجَنَّةِ الْمُحِقُّونَ، وَيُبَدَّلُوا بِهَا مَنَازِلَ مِنَ النَّارِ كَانَتْ لِلْمُحِقِّينَ، فَجُعِلَتْ لَهُمْ بِمَنَازِلِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾ [الجاثية: ٢٨].

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ﴾ وَتَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَهْلَ كُلِّ مِلَّةٍ وَدِينٍ..
﴿جَاثِيَةٗۚ﴾ مُجْتَمِعَةً مُسْتَوْفِزَةً عَلَىٰ رُكَبِهَا مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ..
﴿كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ كُلُّ أَهْلِ مِلَّةٍ وَدِينٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الَّذِي أَمْلَتْ عَلَىٰ حَفَظَتِهَا..
﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ﴾ الْيَوْمَ تُثَابُونَ وَتُعْطَوْنَ أُجُورَ..
﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾ [الجاثية: ٢٨] مَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ جَزَاءِ الْأَعْمَالِ تَعْمَلُونَ بِالْإِحْسَانِ الْإِحْسَانَ، وَبِالْإِسَاءَةِ جَزَاءَهَا.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩].

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ دُعِيَتْ فِي الْقِيَامَةِ إِلَىٰ كِتَابِهَا الَّذِي أَمْلَتْ عَلَىٰ حَفَظَتِهَا فِي الدُّنْيَا ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨] فَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ثَوَابِنَاكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ إِنْ أَنْكَرْتُمُوهُ بِالْحَقِّ فَاقْرَأُوهُ..

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩] إِنَّا كُنَّا نَسْتَكْتِبُ حَفَظَتَنَا أَعْمَالَكُمْ، فَتُثْبِتُهَا فِي الْكُتُبِ وَتَكْتُبُهَا.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [الجاثية: ٣٠].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا فَوَحَّدُوهُ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ..

﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ فِي جَنَّتِهِ بِرَحْمَتِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ دُخُولُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ يَوْمَئِذٍ..

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ﴾ هُوَ الظَّفَرُ بِمَا كَانُوا يَطْلُبُونَهُ، وَإِدْرَاكُ مَا كَانُوا يَسْعَوْنَ فِي الدُّنْيَا لَهُ..

﴿ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [الجاثية: ٣٠] الْمُبِينُ غَايَتُهُمْ فِيهَا، أَنَّهُ هُوَ الْفَوْزُ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الجاثية: ٣١].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَأَبَوْا إِفْرَادَهُ فِي الدُّنْيَا بِالْأُلُوهَةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ..

﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عَنِ اسْتِمَاعِهَا وَالْإِيمَانِ بِهَا..

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الجاثية: ٣١] وَكُنْتُمْ قَوْمًا تَكْسِبُونَ الْآثَامَ وَالْكُفْرَ بِاللهِ، لَا تُصَدِّقُونَ بِمَعَادٍ، وَلَا تُؤْمِنُونَ بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ، وَيُقَالُ لَهُمْ حِينَئِذٍ.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: ٣٢].

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لَكُمْ..

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي وَعَدَ عِبَادَهُ، أَنَّهُ مُحْيِيهِمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ، وَبَاعِثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ..

﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ﴾ الَّتِي أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُقِيمُهَا لِحَشْرِهِمْ، وَجَمْعِهِمْ لِلْحِسَابِ وَالثَّوَابِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَالْعِقَابِ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، آتِيَةٌ..

﴿لَا رَيۡبَ فِيهَا﴾ لَا شَكَّ فِي قِيَامِهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَاعْمَلُوا لِمَا يُنْجِيكُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ فِيهَا..

﴿قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ تَكْذِيبًا مِنْكُمْ بِوَعْدِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَرَدًّا لِخَبَرِهِ، وَإِنْكَارًا لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِحْيَائِكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ..

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا﴾ وَقُلْتُمْ مَا نَظُنُّ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ إِلَّا ظَنًّا..

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية: ٣٢] أَنَّهَا جَائِيَةٌ، وَلَا أَنَّهَا كَائِنَةٌ.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣﴾ [الجاثية: ٣٣].

﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ وَبَدَا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ، يَقُولُ: ظَهَرَ لَهُمْ هُنَالِكَ قَبَائِحُهَا وَشِرَارُهَا لَمَّا قَرَأُوا كُتُبَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانَتِ الْحَفَظَةُ تَنْسَخُهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣﴾ [الجاثية: ٣٣] وَحَاقَ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ حِينَئِذٍ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ مُحِلُّهُ بِمَنْ كَذَّبَ بِهِ، عَلَىٰ سَيِّئَاتِ مَا فِي الدُّنْيَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤﴾ [الجاثية: ٣٤].

﴿وَقِيلَ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ﴾ الْيَوْمَ نَتْرُكُكُمْ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ..

﴿كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ كَمَا تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ لِلِقَاءِ رَبِّكُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا..

﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ وَمَأْوَاكُمُ الَّتِي تَأْوُونَ إِلَيْهَا نَارُ جَهَنَّمَ..

﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤﴾ [الجاثية: ٣٤] وَمَا لَكُمْ مِنْ مُسْتَنْقِذٍ يُنْقِذُكُمُ الْيَوْمَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَا مُنْتَصِرٍ يَنْتَصِرُ لَكُمْ مِمَّنْ يُعَذِّبُكُمْ، فَيَسْتَنْقِذُ لَكُمْ مِنْهُ.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥﴾ [الجاثية: ٣٥].

﴿ذَٰلِكُم﴾ هَذَا الَّذِي حَلَّ بِكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ الْيَوْمَ..

﴿بِأَنَّكُمُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَهِيَ حُجَجُهُ وَأَدِلَّتُهُ وَآيِ كِتَابِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿هُزُوًا﴾ سُخْرِيَةً تَسْخَرُونَ مِنْهَا..

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ وَخَدَعَتْكُمْ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَآثَرْتُمُوهَا عَلَىٰ الْعَمَلِ لِمَا يُنْجِيكُمُ الْيَوْمَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ مِنَ النَّارِ..

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٣٥] وَلَا هُمْ يُرَدُّونَ إِلَىٰ الدُّنْيَا لِيَتُوبُوا وَيُرَاجِعُوا الْإِنَابَةَ مِمَّا عُوقِبُوا عَلَيْهِ.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية: ٣٦].

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ عَلَىٰ نِعَمِهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَ خَلْقِهِ، فَإِيَّاهُ فَاحْمَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ، دُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلِهَةٍ وَوَثَنٍ، وَدُونَ مَا تَتَّخِذُونَهُ مِنْ دُونِهِ رَبًّا، وَتُشْرِكُونَ بِهِ مَعَهُ..

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ﴾ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَمَالِكُ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَ..

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية: ٣٦] مَالِكُ جَمِيعِ مَا فِيهِنَّ مِنْ أَصْنَافِ الْخَلْقِ.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧].

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَلَهُ الْعَظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي نِقْمَتِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، الْقَاهِرُ كُلَّ مَا دُونَهُ، وَلَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ



سُورَةُ الأَحْقَافِ (٤٦)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [الأحقاف:١- ٢].

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [الأحقاف:١- ٢] قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا فِي مَعْناه بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [الأحقاف: ٣].

﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ مَا أَحْدَثْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَأَوْجَدْنَاهُمَا خَلْقًا مَصْنُوعًا، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَصْنَافِ الْعَالَمِ إِلَّا بِالْحَقِّ، يَعْنِي: إِلَّا لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْخَلْقِ..

﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وَإِلَّا بِأَجَلٍ لِكُلِّ ذَلِكَ مَعْلُومٍ عِنْدَهُ يُفْنِيهِ إِذَا هُوَ بَلَغَهُ، وَيُعْدِمُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَوْجُودًا بِإِيجَادِهِ إِيَّاهُ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ..

﴿عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾ عَنْ إِنْذَارِ اللهِ إِيَّاهُمْ..

﴿مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [الأحقاف: ٣] لَا يَتَّعِظُونَ بِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فَيَعْتَبِرُونَ.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ [الأحقاف: ٤].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَرُونِي أَيَّ شَيْءٍ خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ، فَإِنَّ رَبِّي خَلَقَ الْأَرْضَ كُلَّهَا، فَدَعَوْتُمُوهَا مِنْ أَجْلِ خَلْقِهَا مَا خَلَقَتْ مِنْ ذَلِكَ آلِهَةً وَأَرْبَابًا؟! فَيَكُونُ لَكُمْ بِذَلِكَ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا حُجَّةٌ، فَإِنَّ مِنْ حُجَّتِي عَلَىٰ عِبَادَتِي إِلَهِي وَإِفْرَادِي لَهُ الْأُلُوهَةَ، أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ

فَابْتَدَعَهَا مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ..

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أَمْ لِآلِهَتِكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا أَيُّهَا النَّاسُ، شِرْكٌ مَعَ اللهِ فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، فَيَكُونُ لَكُمْ أَيْضًا بِذَلِكَ حُجَّةٌ فِي عِبَادَتِكُمُوهَا، فَإِنَّ مِنْ حُجَّتِي عَلَىٰ إِفْرَادِي الْعِبَادَةَ لِرَبِّي، أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهَا، وَأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِخَلْقِهَا دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ..

﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ بِكِتَابٍ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيَّ، بِأَنَّ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا، أَوْ أَنَّ لَهُمْ مَعَ اللهِ شِرْكًا فِي السَّمَاوَاتِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ حُجَّةً لَكُمْ عَلَىٰ عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا؛ لِأَنَّهَا إِذَا صَحَّ لَهَا ذَلِكَ صَحَّتْ لَهَا الشَّرِكَةُ فِي النِّعَمِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، وَوَجَبَ لَهَا عَلَيْكُمُ الشُّكْرُ، وَاسْتَحَقَّتْ مِنْكُمُ الْخِدْمَةَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَهُ إِلَّا اللهُ..

﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَوِ ائْتُونِي بِبَقِيَّةٍ مِنْ عِلْمٍ يُوصَلُ بِهَا إِلَىٰ عِلْمِ صِحَّةِ مَا تَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ.. وَجَازَ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْبَقِيَّةُ مِنْ عِلْمِ الْخَطِّ، أَوْ مِنْ عِلْمِ اسْتُثِيرَ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، وَمِنْ خَاصَّةِ عِلْمٍ كَانُوا أُوثِرُوا بِهِ..

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٤﴾ [الأحقاف: ٤] فِي دَعْوَاكُمْ لَهَا مَا تَدْعُونَ، فَإِنَّ الدَّعْوَىٰ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا حُجَّةٌ لَمْ تُغْنِ عَنِ الْمُدَّعِي شَيْئًا.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: ٥].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ وَأَيُّ عَبْدٍ أَضَلُّ..

﴿مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَا تَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: يَقُولُ: لَا تُجِيبُ دُعَاءَهُ أَبَدًا؛ لِأَنَّهَا حَجَرٌ أَوْ خَشَبٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ..

﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: ٥] وَآلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي غَفْلَةٍ؛ لِأَنَّهَا لَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْطِقُ، وَلَا تَعْقِلُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِوَصْفِهَا بِالْغَفْلَةِ، تَمْثِيلَهَا بِالْإِنْسَانِ السَّاهِي عَمَّا يُقَالُ لَهُ، إِذْ كَانَتْ لَا تَفْهَمُ مِمَّا يُقَالُ لَهَا شَيْئًا، كَمَا لَا يَفْهَمُ الْغَافِلُ عَنِ الشَّيْءِ مَا غَفَلَ عَنْهُ، وَإِنَّمَا هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِسُوءِ رَأْيِهِمْ، وَقُبْحِ اخْتِيَارِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ مَنْ لَا يَعْقِلُ شَيْئًا وَلَا يَفْهَمُ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةِ مَنْ جَمِيعُ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَمَنْ بِهِ اسْتِغَاثَتِهِمْ عِنْدَمَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْحَوَائِجِ وَالْمَصَائِبِ.. وَقِيلَ: مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ، فَأَخْرَجَ ذِكْرَ الْآلِهَةِ وَهِيَ جَمَادٌ مَخْرَجَ ذِكْرِ بَنِي آدَمَ، وَمَنْ لَهُ الِاخْتِيَارُ وَالتَّمْيِيزُ، إِذْ كَانَتْ قَدْ مَثَّلَتْهَا عَبَدَتُهَا بِالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ الَّتِي تَخْدُمُ فِي خِدْمَتِهِمْ إِيَّاهَا، فَأَجْرَىٰ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ نَحْوِ مَا كَانَ جَارِيًا فِيهِ عِنْدَهُمْ.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٦].

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ وَإِذَا جُمِعَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ، كَانَتْ هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي يَدْعُونَهَا فِي الدُّنْيَا لَهُمْ أَعْدَاءً؛ لِأَنَّهُمْ يَتَبَرَّءُونَ مِنْهُمْ..

﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٦] وَكَانَتْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا فِي الدُّنْيَا بِعِبَادَتِهِمْ جَاحِدِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا أَمَرْنَاهُمْ بِعِبَادَتِنَا، وَلَا شَعَرْنَا بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّانَا، تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مِنْهُمْ يَا رَبَّنَا.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأحقاف: ٧].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِذَا يُقْرَأُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿ءَايَٰتُنَا﴾ يَعْنِي حُجَجَنَا الَّتِي احْتَجَجْنَاهَا عَلَيْهِمْ، فِيمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ كِتَابِنَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ نَيِّرَاتٍ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ قَالَ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ لِلْحَقِّ..

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَأَنْزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾ يَعْنُونَ هَذَا الْقُرْآنَ خِدَاعٌ يَخْدَعُنَا، وَيَأْخُذُ بِقُلُوبِ مَنْ سَمِعَهُ فِعْلَ السَّحَرِ..

﴿مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأحقاف: ٧] يَبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ مِمَّنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ سِحْرٌ مُبِينٌ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾ [الأحقاف: ٨].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَمْ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ افْتَرَىٰ مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ، فَاخْتَلَقَهُ وَتَخَرَّصَهُ كَذِبًا..

﴿قُلْ﴾ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ وَتَخَرَّصْتُهُ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا..

﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فَلَا تُغْنُونَ عَنِّي مِنَ اللهِ إِنْ عَاقَبَنِي عَلَىٰ افْتِرَائِي إِيَّاهُ، وَتَخَرُّصِي عَلَيْهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَدْفَعُوا عَنِّي سُوءًا إِنْ أَصَابَنِي بِهِ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ رَبِّي أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ بِمَا تَقُولُونَ بَيْنَكُمْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ كَفَىٰ بِاللهِ شَاهِدًا عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ بِمَا تَقُولُونَ مِنْ تَكْذِيبِكُمْ لِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ..

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾ [الأحقاف: ٨] مِنْ عِنْدِ اللهِ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ لَهُمْ، بِأَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ مَا كُنْتُ أَوَّلَ رُسُلِ اللهِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَىٰ خَلْقِهِ، قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِي لَهُ رُسُلٌ كَثِيرَةٌ أُرْسِلَتْ إِلَىٰ أُمَمٍ قَبْلَكُمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: هُوَ بِدْعٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَبَدِيعٌ فِيهِ، إِذَا كَانَ فِيهِ أَوَّلَ..

﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَمَعَاذَ اللهِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ حِينَ أَخَذَ مِيثَاقَهُ فِي الرُّسُلِ، وَلَكِنْ قَالَ: وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا، أُخْرَجُ كَمَا أُخْرِجَتِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي، أَوْ أُقْتَلُ كَمَا قُتِلَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي، وَلَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ، أُمَّتِي الْمُكَذِّبَةُ، أَمْ أُمَّتِي الْمُصَدِّقَةُ، أَمْ أُمَّتِي الْمَرْمِيَّةُ بِالْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ قَذْفًا، أَمْ مَخْسُوفٌ بِهَا خَسْفًا، ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الإسراء: ٦٠] يَقُولُ: أَحَطْتُ لَكَ بِالْعَرَبِ أَنْ لَا يَقْتُلُوكَ، فَعَرَفَ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ [الفتح: ٢٨] يَقُولُ: أَشْهَدَ لَكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ دِينَكَ عَلَىٰ الْأَدْيَانِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي أُمَّتِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣]، فَأَخْبَرَهُ اللهُ مَا يَصْنَعُ بِهِ وَمَا يَصْنَعُ بِأُمَّتِهِ..

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ﴾ قُلْ لَهُمْ مَا أَتَّبِعُ فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَفِيمَا أَفْعَلُهُ مِنْ فِعْلٍ إِلَّا وَحْيِ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيَّ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ وَمَا أَنَا لَكُمْ إِلَّا نَذِيرٌ، أُنْذِرُكُمْ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: ٩] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ إِنْذَارَهُ، وَأَظْهَرَ لَكُمْ دُعَاءَهُ إِلَىٰ مَا فِيهِ نَصِيحَتُكُمْ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ أَنَا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الأحقاف: ١٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ لِهَذَا الْقُرْآنِ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ..

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِن كَانَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أَنْزَلَهُ عَلَيَّ..

﴿وَكَفَرْتُم﴾ أَنْتُمْ..

﴿بِهِۦ﴾ وَكَذَّبْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ..

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ وَشَهِدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَهُوَ الشَّاهِدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ، يَعْنِي عَلَىٰ مِثْلِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ، وَذَلِكَ شَهَادَتُهُ أَنَّ مُحَمَّدًا مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّهُ نَبِيٌّ تَجِدُهُ الْيَهُودُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ نَبِيٌّ..

﴿فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ فَآمَنَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَصَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَاسْتَكْبَرْتُمْ أَنْتُمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِمَا آمَنَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ مَعْشَرَ الْيَهُودِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الأحقاف: ١٠] إِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَهُدَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِيجَابِهِمْ لَهَا سَخَطَ اللهِ بِكُفْرِهِمْ بِهِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١﴾ [الأحقاف: ١١].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، لَوْ كَانَ تَصْدِيقُكُمْ مُحَمَّدًا عَلَىٰ مَا جَاءَكُمْ بِهِ خَيْرًا، مَا سَبَقْتُمُونَا إِلَىٰ التَّصْدِيقِ بِهِ..

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ وَإِذْ لَمْ يُبْصِرُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْهُدَىٰ، فَيُرْشَدُوا بِهِ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ..

﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١﴾ [الأحقاف: ١١] فَسَيَقُولُونَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ أَكَاذِيبُ مِنْ أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ قَدِيمَةٌ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْهُمْ، ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥].

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢﴾ [الأحقاف: ١٢].

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ وَمِنْ قَبْلِ هَذَا الْكِتَابِ، كِتَابُ مُوسَىٰ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ، إِمَامًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْتَمُّونَ بِهِ، وَرَحْمَةً لَهُمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ..

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ وَهَذَا الْقُرْآنُ يُصَدِّقُ كِتَابَ مُوسَىٰ بِأَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ..

﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ لِيُنْذِرَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ بِعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ..

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢﴾ [الأحقاف: ١٢] وَهُوَ بُشْرَىٰ لِلَّذِينَ أَطَاعُوا اللهَ فَأَحْسَنُوا فِي إِيمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا، فَحَسُنَ الْجَزَاءُ مِنَ اللهِ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣﴾ [الأحقاف: ١٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ عَلَىٰ تَصْدِيقِهِمْ بِذَلِكَ فَلَمْ يَخْلِطُوهُ بِشِرْكٍ، وَلَمْ يُخَالِفُوا اللهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣﴾ [الأحقاف: ١٣] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [الأحقاف: ١٤].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ، وَاسْتَقَامُوا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَسُكَّانُهَا..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [الأحقاف: ١٤] ثَوَابًا مِنَّا لَهُمْ آتَيْنَاهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَهَا.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ وَوَصَّيْنَا ابْنَ آدَمَ بِوَالِدَيْهِ الْحُسْنَ فِي صُحْبَتِهِ إِيَّاهُمَا أَيَّامَ حَيَاتِهِمَا، وَالْبِرَّ بِهِمَا فِي حَيَاتِهِمَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِمَا، لِمَا كَانَ مِنْهُمَا إِلَيْهِ حَمْلًا وَوَلِيدًا وَنَاشِئًا، ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا لَدَيْهِ مِنْ نِعْمَةِ أُمِّهِ، وَمَا لَاقَتْ مِنْهُ فِي حَالِ حَمْلِهِ وَوَضْعِهِ، وَنَبَّهَهُ عَلَىٰ الْوَاجِبِ لَهَا عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ، وَاسْتِحْقَاقِهَا عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَجَمِيلِ الصُّحْبَةِ، فَقَالَ..

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فِي بَطْنِهَا..

﴿كُرْهًا﴾ مَشَقَّةً..

﴿وَوَضَعَتْهُ﴾ وَوَلَدَتْهُ..

﴿كُرْهًا﴾ مَشَقَّةً..

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ وَحَمْلُ أُمِّهِ إِيَّاهُ جَنِينًا فِي بَطْنِهَا، وَفِصَالُهَا إِيَّاهُ مِنَ الرَّضَاعِ - وَفَطْمِهَا إِيَّاهُ، شُرْبَ اللَّبَنِ- ثَلَاثُونَ شَهْرًا..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً..

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ذَلِكَ حِينَ تَكَامَلَتْ حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهِ، وَسُيِّرَ عَنْهُ جَهَالَةُ شَبَابِهِ، وَعَرَفَ الْوَاجِبَ للهِ مِنَ الْحَقِّ فِي بِرِّ وَالِدَيْهِ..

﴿قَالَ﴾ هَذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي هَدَاهُ اللهُ لِرُشْدِهِ، وَعَرَفَ حَقَّ اللهِ عَلَيْهِ فِيمَا أَلْزَمَهُ مِنْ بِرِّ وَالِدَيْهِ..

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ أَغْرِنِي بِشُكْرِ نِعْمَتِكَ..

﴿ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ فِي تَعْرِيفِكَ إِيَّايَ تَوْحِيدَكَ، وَهِدَايَتِكَ لِي لِلْإِقْرَارِ بِذَلِكَ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ..

﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ مِنْ قَبْلِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِكَ عَلَيْنَا، وَأَلْهِمْنِي ذَلِكَ، وَأَصْلُهُ مِنْ وَزِعْتُ الرَّجُلَ عَلَىٰ كَذَا: إِذَا دَفَعْتُهُ عَلَيْهِ..

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ أَوْزِعْنِي أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَرْضَاهَا، وَذَلِكَ الْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ وَأَصْلِحْ لِي أُمُورِي فِي ذُرِّيَّتِي الَّذِينَ وَهَبْتَهُمْ، بِأَنْ تَجْعَلَهُمْ هُدَاةً لِلْإِيمَانِ بِكَ، وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِكَ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ، فَوَصَّاهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْبِرِّ بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه..

﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ تُبْتُ مِنْ ذُنُوبِي الَّتِي سَلَفَتْ مِنِّي فِي سَالِفِ أَيَّامِي إِلَيْكَ..

﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥] وَإِنِّي مِنَ الْخَاضِعِينَ لَكَ بِالطَّاعَةِ، الْمُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، الْمُنْقَادِينَ لِحُكْمِكَ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٦].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُمْ، هُمُ الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ، فَيُجَازِيهِمْ بِهِ، وَيُثِيبُهُمْ عَلَيْهِ..

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ وَيَصْفَحُ لَهُمْ عَنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، فَلَا يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا..

﴿فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ نَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ فِعْلَنَا مِثْلَ ذَلِكَ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا..

﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٦] وَعَدَهُمُ اللهُ هَذَا الْوَعْدَ، وَعْدَ الْحَقِّ لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ مُوفٍ لَهُمْ بِهِ، الَّذِي كَانُوا إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا يَعِدُهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٧].

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ أَنْ دَعَوَاهُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْإِقْرَارِ بِبَعْثِ اللهِ خَلْقَهُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَمُجَازَاتِهِ إِيَّاهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ.. وَهَذَا نَعْتٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نُعِتَ ضَالٌّ بِهِ كَافِرٌ، وَبِوَالِدَيْهِ عَاقٌّ، وَهُمَا مُجْتَهِدَانِ فِي نَصِيحَتِهِ وَدُعَائِهِ إِلَىٰ اللهِ، فَلَا يَزِيدُهُ دُعَاؤُهُمَا إِيَّاهُ إِلَىٰ الْحَقِّ وَنَصِيحَتُهُمَا لَهُ إِلَّا عُتُوًّا وَتَمَرُّدًا عَلَىٰ اللهِ، وَتَمَادِيًا فِي جَهْلِهِ..

﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ قَذَرًا لَكُمَا وَنَتْنًا..

﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ مِنْ قَبْرِي مِنْ بَعْدِ فَنَائِي وَبَلَائِي فِيهِ حَيًّا..

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُبْعَثَ وَقَدْ مَضَتْ قُرُونٌ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلِي، فَهَلَكُوا، فَلَمْ يُبْعَثْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَوْ كُنْتُ مَبْعُوثًا بَعْدَ وَفَاتِي كَمَا تَقُولَانِ، لَكَانَ قَدْ بُعِثَ مَنْ هَلَكَ قَبْلِي مِنَ الْقُرُونِ..

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ وَوَالِدَاهُ يَسْتَصْرِخَانِ اللهَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغِيثَانِهِ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ، وَيُقِرَّ بِالْبَعْثِ وَيَقُولَانِ لَهُ..

﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ أَيْ صَدِّقْ بِوَعْدِ اللهِ، وَأَقِرَّ أَنَّكَ مَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِكَ..

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي وَعَدَ خَلْقَهُ أَنَّهُ بَاعِثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَمُخْرِجُهُمْ مِنْهَا إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ لِمُجَازَاتِهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ..

﴿حَقٌّ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَيَقُولُ﴾ عَدُوُّ اللهِ مُجِيبًا لِوَالِدَيْهِ، وَرَدًّا عَلَيْهِمَا نَصِيحَتَهُمَا، وَتَكْذِيبًا بِوَعْدِ اللهِ..

﴿مَا هَـٰذَآ﴾ الَّذِي تَقُولَانِ لِي وَتَدْعُوَانِي إِلَيْهِ مِنَ التَّصْدِيقِ بِأَنِّي مَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِي مِنْ قَبْرِي..

﴿إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٧] إِلَّا مَا سَطَرَهُ الْأَوَّلُونَ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْأَبَاطِيلِ، فَكَتَبُوهُ، فَأَصَبْتُمَاهُ أَنْتُمَا فَصَدَّقْتُمَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾ [الأحقاف: ١٨].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ الَّذِينَ وَجَبَ عَلَيْهِمْ عَذَابُ اللهِ، وَحَلَّتْ بِهِمْ عُقُوبَتُهُ وَسَخَطُهُ..

﴿فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم﴾ فِيمَنْ حَلَّ بِهِ عَذَابُ اللهِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي حَلَّ بِهَؤُلَاءِ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ..

﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللهِ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ..

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾ [الأحقاف: ١٨] إِنَّهُمْ كَانُوا الْمَغْبُونِينَ بِبَيْعِهِمُ الْهُدَىٰ بِالضَّلَالِ وَالنَّعِيمِ بِالْعِقَابِ.

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾ [الأحقاف: ١٩].

﴿وَلِكُلّٖ﴾ وَلِكُلِّ هَؤُلَاءِ الْفَرِيقَيْنِ: فَرِيقِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَفَرِيقِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفَ صِفَتَهُمْ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿دَرَجَٰتٞ﴾ مَنَازِلُ وَمَرَاتِبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ يَعْنِي: مِنْ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحٍ وَحَسَنٍ وَسَيِّئٍ يُجَازِيهِمُ اللهُ بِهِ..

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ وَلِيُعْطَىٰ جَمِيعُهُمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، الْمُحْسِنُ مِنْهُمْ بِإِحْسَانِهِ مَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَالْمُسِيءُ مِنْهُمْ بِإِسَاءَتِهِ مَا أَعَدَّهُ مِنَ الْجَزَاءِ..

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾ [الأحقاف: ١٩] وَجَمِيعُهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، لَا يُجَازَىٰ الْمُسِيءُ مِنْهُمْ إِلَّا عُقُوبَةً عَلَىٰ ذَنْبِهِ، لَا عَلَىٰ مَا لَمْ يَعْمَلْ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ ذَنْبُ غَيْرِهِ، وَلَا يُبْخَسُ الْمُحْسِنُ مِنْهُمْ ثَوَابَ إِحْسَانِهِ.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ..

﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يُقَالُ لَهُمْ..

﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ فِيهَا..

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يُقَالُ لَهُمْ: فَالْيَوْمَ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ اذْهَبُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا تُجْزَوْنَ: أَيْ تُثَابُونَ ..

﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ يَعْنِي: عَذَابَ الْهَوَانِ، وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ الَّذِي يُهِينُهُمْ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِمَا كُنْتُمْ تتكَبَّرُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ عَلَىٰ رَبِّكُمْ، فَتَأْبَوْنَ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَنْ تُذْعِنُوا لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بِغَيْرِ مَا أَبَاحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ، وَأَذِنَ لَكُمْ بِهِ..

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠] بِمَا كُنْتُمْ فِيهَا تُخَالِفُونَ طَاعَتَهُ فَتَعْصَوْنَهُ.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٢١﴾ [الأحقاف: ٢١].

﴿۞ وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ الرَّادِّينَ عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿أَخَا عَادٍ﴾ هُودًا أَخَا عَادٍ، فَإِنَّ اللهَ بَعَثَكَ إِلَيْهِمْ كَالَّذِي بَعَثَهُ إِلَىٰ عَادٍ، فَخَوِّفْهُمْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ مَا حَلَّ بِهِمْ إِذْ كَذَّبُوا رَسُولَنَا هُودًا إِلَيْهِمْ..

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾ عَادًا..

﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾جَمْعُ حِقْفٍ وَهُوَ مِنَ الرَّمْلِ مَا اسْتَطَالَ، وَلَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَكُونَ جَبَلًا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ جَبَلٌ بِالشَّامِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ وَادٍ بَيْنَ عُمَانَ وَمَهْرَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ رِمَالٌ مُشْرِفَةٌ عَلَىٰ الْبَحْرِ بِالشِّحْرِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّ عَادًا أَنْذَرَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ بِالْأَحْقَافِ، وَالْأَحْقَافُ مَا وَصَفْتُ مِنَ الرِّمَالِ الْمُسْتَطِيلَةِ الْمُشْرِفَةِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جَبَلًا بِالشَّأْمِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ وَادِيًا بَيْنَ عُمَانَ وَحَضْرَمُوتَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الشِّحْرَ، وَلَيْسَ فِي الْعِلْمِ بِهِ أَدَاءُ فَرْضٍ، وَلَا فِي الْجَهْلِ بِهِ تَضْيِيعُ وَاجِبٍ، وَأَيْنَ كَانَ فَصِفَتُهُ مَا وَصَفْنَا مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا مَنَازِلُهُمُ الرِّمَالُ الْمُسْتَعْلِيَةُ الْمُسْتَطِيلَةُ..

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ وَقَدْ مَضَتِ الرُّسُلُ بِإِنْذَارِ أُمَمِهَا..

﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ مِنْ قَبْلِ هُودٍ ..

﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ وَمِنْ بَعْدَ هُودٍ..

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ لَا تُشْرِكُوا مَعَ اللهِ شَيْئًا فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَلَكِنْ أَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوا لَهُ الْأُلُوهَةَ، إِنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَكَانُوا -فِيمَا ذُكِرَ- أَهْلَ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٢١﴾ [الأحقاف: ٢١] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هُودٍ

لِقَوْمِهِ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ بِعِبَادَتِكُمْ غَيْرَ اللهِ عَذَابَ اللهِ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يَعْظُمُ هَوْلُهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾ [الأحقاف: ٢٢].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتْ عَادٌ لِهُودٍ، إِذْ قَالَ لَهُمْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ..

﴿أَجِئۡتَنَا﴾ يَا هُودُ..

﴿لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ لِتَصْرِفَنَا عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِنَا إِلَىٰ عِبَادَةِ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، وَإِلَىٰ اتِّبَاعِكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ..

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِنَ الْعَذَابِ عَلَىٰ عِبَادَتِنَا مَا نَعْبُدُ مِنَ الْآلِهَةِ..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾ [الأحقاف: ٢٢] إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ فِي قَوْلِهِ وَعِدَاتِهِ.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣﴾ [الأحقاف: ٢٣].

﴿قَالَ﴾ هُودٌ لِقَوْمِهِ عَادٍ..

﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾ بِوَقْتِ مَجِيءِ مَا أَعِدُكُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لَا أَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي..

﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ، مُبَلِّغٌ أُبَلِّغُكُمْ عَنْهُ مَا أَرْسَلَنِي بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ..

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣﴾ [الأحقاف: ٢٣] مَوَاضِعَ حُظُوظِ أَنْفُسِكُمْ، فَلَا تَعْرِفُونَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْمَضَرَّةِ بِعِبَادَتِكُمْ غَيْرَ اللهِ، وَفِي اسْتِعْجَالِ عَذَابِهِ.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤﴾ [الأحقاف: ٢٤].

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَذَابُ اللهِ الَّذِي اسْتَعْجَلُوهُ، فَرَأَوْهُ سَحَابًا عَارِضًا فِي نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي السَّمَاءِ.. وَالْعَرَبُ تُسَمِّي السَّحَابَ الَّذِي يُرَىٰ فِي بَعْضِ أَقْطَارِ السَّمَاءِ عَشِيًّا، ثُمَّ يُصْبِحُ مِنَ الْغَدِ قَدِ اسْتَوَىٰ، وَحَبَا بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ عَارِضًا، وَذَلِكَ لِعَرْضِهِ فِي بَعْضِ أَرْجَاءِ السَّمَاءِ حِينَ نَشَأَ..

﴿مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ ظَنًّا مِنْهُمْ بِرُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ أَنَّ غَيْثًا قَدْ أَتَاهُمْ يَحْيَوْنَ

بِهِ، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي كَانَ هُودٌ يَعِدُنَا، وَهُوَ الْغَيْثُ..

﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ، فَقُلْتُمْ: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأحقاف:٢٢]..

﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف: ٢٤] بَلْ هُوَ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢٥].

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ تُخَرِّبُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْمِي بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَتُهْلِكُهُ، مِمَّا أُرْسِلَتْ بِهَلَاكِهِ، لِأَنَّهَا لَمْ تُدَمِّرْ هُودًا وَمَنْ كَانَ آمَنَ بِهِ..

﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾ فَأَصْبَحَ قَوْمُ هُودٍ وَقَدْ هَلَكُوا وَفَنُوا، فَـ..

﴿لَا يُرَىٰٓ﴾ فِي بِلَادِهِمْ شَيْءٌ..

﴿إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ الَّتِي كَانُوا يَسْكُنُونَهَا..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَا عَادًا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ مِنَ الْعِقَابِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابِنَا، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢٥] نَجْزِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ بِاللهِ مِنْ خَلْقِنَا، إِذْ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَطَغَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف: ٢٦].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ: وَلَقَدْ مَكَّنَّا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَادًا الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ..

﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ فِيمَا لَمْ نُمَكِّنْكُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنْهَا الَّذِي لَمْ نُعْطِكُمْ مِنْهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، وَبَسْطَةِ الْأَجْسَامِ، وَشِدَّةِ الْأَبْدَانِ..

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ يَسْمَعُونَ بِهِ مَوَاعِظَ رَبِّهِمْ..

﴿وَأَبْصَٰرًا﴾ يُبْصِرُونَ بِهَا حُجَجَ اللهِ..

﴿وَأَفْـِٔدَةً﴾ يَعْقِلُونَ بِهَا مَا يَضُرُّهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ..

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا أَعْطَاهُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفُؤَادِ؛ إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِيمَا أُعْطُوهَا لَهُ، وَلَمْ يُعْمِلُوهَا فِيمَا يُنْجِيهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَلَكِنَّهُمُ اسْتَعْمَلُوهَا فِيمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْ سَخَطِهِ..

﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إِذْ كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَهُمْ رُسُلُهُ، وَيُنْكِرُونَ نُبُوَّتَهُمْ..

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف: ٢٦] وَعَادَ عَلَيْهِمْ مَا اسْتَهْزَءُوا بِهِ، وَنَزَلَ بِهِمْ مَا سَخِرُوا بِهِ، فَاسْتَعْجَلُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِقُرَيْشٍ، يَقُولُ لَهُمْ: فَاحْذَرُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِاللهِ وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَهُ، مَا حَلَّ بِعَادٍ، وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ النِّقْمَةِ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف: ٢٧].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ مُحَذِّرَهُمْ بَأْسَهُ وَسَطْوَتَهُ، أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنَ الْقُرَىٰ مَا حَوْلَ قَرْيَتِكُمْ، كَحِجْرِ ثَمُودَ، وَأَرْضِ سَدُومَ، وَمَأْرِبَ، وَنَحْوِهَا، فَأَنْذَرْنَا أَهْلَهَا بِالْمَثُلَاتِ، وَخَرَّبْنَا دِيَارَهَا، فَجَعَلْنَاهَا خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُوشِهَا..

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ وَوَعَظْنَاهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعِظَاتِ، وَذَكَّرْنَاهُمْ بِضُرُوبٍ مِنَ الذِّكْرِ وَالْحُجَجِ، وَبَيَّنَّا لَهُمْ ذَلِكَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف: ٢٧] لِيَرْجِعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ.. وَفِي الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِدِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَهُوَ: فَأَبَوْا إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَالتَّمَادِي فِي غَيِّهِمْ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ، فَلَنْ يَنْصُرَهُمْ مِنَّا نَاصِرٌ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف: ٢٨].

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ فَلَوْلَا نَصَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ قَبْلَهُمْ أَوْثَانُهُمْ وَآلِهَتُهُمُ الَّتِي اتَّخَذُوا عِبَادَتَهَا قُرْبَانًا يَتَقَرَّبُونَ بِهَا فِيمَا زَعَمُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا، فَتُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِنَا إِنْ كَانَتْ تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ كَمَا يَزْعُمُونَ.. وَهَذَا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، يَقُولُ لَهُمْ: لَوْ كَانَتْ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا، أَوْ تَنْفَعُكُمْ عِنْدَ اللهِ كَمَا تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ إِنَّمَا تَعْبُدُونَهَا لِتُقَرِّبَكُمْ إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، لَأَغْنَتْ عَمَّنْ

كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكْتُهَا بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا، فَدَفَعَتْ عَنْهَا الْعَذَابَ إِذَا نَزَلَ، أَوْ لَشَفَعَتْ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، فَقَدْ كَانُوا مِنْ عِبَادَتِهَا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي عَلَيْهِ أَنْتُمْ، وَلَكِنَّهَا ضَرَّتْهُمْ وَلَمْ تَنْفَعْهُمْ..

﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ بَلْ تَرَكَتْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، فَأَخَذَتْ غَيْرَ طَرِيقِهِمْ، لِأَنَّ عَبَدَتَهَا هَلَكَتْ، وَكَانَتْ هِيَ حِجَارَةً أَوْ نُحَاسًا، فَلَمْ يُصِبْهَا مَا أَصَابَهُمْ، وَدَعَوْهَا، فَلَمْ تُجِبْهُمْ، وَلَمْ تُغِثْهُمْ..

﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ وَذَلِكَ ضَلَالُهَا عَنْهُمْ، وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ، يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ: هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي ضَلَّتْ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ عِنْدَ نُزُولِ بَأْسِ اللهِ بِهِمْ، وَفِي حَالِ طَمَعِهِمْ فِيهَا أَنْ تُغِيثَهُمْ، فَخَذَلَتْهُمْ، هُوَ إِفْكُهُمْ، يَقُولُ: هُوَ كَذِبُهُمُ الَّذِي كَانُوا يَكْذِبُونَ، وَيَقُولُونَ بِهِ هَؤُلَاءِ آلِهَتُنَا..

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٨﴾ [الأحقاف: ٢٨] وَهُوَ الَّذِي كَانُوا يَفْتَرُونَ، فَيَقُولُونَ: هِيَ تُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَهِيَ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾ [الأحقاف: ٢٩].

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُقَرِّعًا كُفَّارَ قُرَيْشٍ بِكُفْرِهِمْ بِمَا آمَنَتْ بِهِ الْجِنُّ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ذُكِرَ أَنَّهُمْ صُرِفُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْحَادِثِ الَّذِي حَدَثَ مِنْ رَجْمِهِمْ بِالشُّهُبِ..

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ فَلَمَّا حَضَرَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ- الَّذِينَ صَرَفَهُمُ اللهُ إِلَىٰ رَسُولِهِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ- الْقُرْآنَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ..

﴿قَالُوٓا۟﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿أَنصِتُوا۟﴾ لِنَسْتَمِعَ الْقُرْآنَ..

﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ..

﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾ [الأحقاف: ٢٩] انْصَرَفُوا مُنْذِرِينَ عَذَابَ اللهِ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠﴾ [الأحقاف: ٣٠].

﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صُرِفُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْجِنِّ لِقَوْمِهِمْ لَمَّا انْصَرَفُوا إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾ مِنَ الْجِنِّ..

﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ﴾ كِتَابِ..

﴿مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يُصَدِّقُ مَا قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رُسُلِهِ..

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ يُرْشِدُ إِلَىٰ الصَّوَابِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ مَا فِيهِ للهِ رِضًا..

﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ٣٠﴾ [الأحقاف: ٣٠] وَإِلَىٰ طَرِيقٍ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٣١﴾ [الأحقاف: ٣١].

﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مِنَ الْجِنِّ ﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾ مِنَ الْجِنِّ..

﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ أَجِيبُوا رَسُولَ اللهِ مُحَمَّدًا إِلَىٰ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ وَصَدِّقُوهُ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ وَقَوْمَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا دَعَاكُمْ إِلَىٰ التَّصْدِيقِ بِهِ..

﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾ يَتَغَمَّدُ لَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فَيَسْتُرُهَا لَكُمْ وَلَا يَفْضَحُكُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ بِعُقُوبَتِهِ إِيَّاكُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٣١﴾ [الأحقاف: ٣١] وَيُنْقِذْكُمْ مِنْ عَذَابٍ مُوجِعٍ إِذَا أَنْتُمْ تُبْتُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَأَنَبْتُمْ مِنْ كُفْرِكُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِدَاعِيهِ.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٢﴾ [الأحقاف: ٣٢].

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ لِقَوْمِهِمْ: وَمَنْ لَا يُجِبْ أَيُّهَا الْقَوْمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُحَمَّدًا، وَدَاعِيَهُ إِلَىٰ مَا بَعَثَهُ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ رَبَّهُ بِهَرَبِهِ، إِذَا أَرَادَ عُقُوبَتَهُ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ دَاعِيَهُ، وَتَرْكِهِ تَصْدِيقَهُ وَإِنْ ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ هَارِبًا؛ لِأَنَّهُ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ فِي سُلْطَانِهِ وَقَبْضَتِهِ..

﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ مِنْ دُونِ رَبِّهِ نُصَرَاءُ يَنْصُرُونَهُ مِنَ اللهِ إِذَا عَاقَبَهُ رَبُّهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ وَتَكْذِيبِهِ دَاعِيَهُ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يُجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ فَيُصَدِّقُوا بِهِ، وَبِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ فِي جَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ..

﴿مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ [الأحقاف: ٣٢] يُبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَأَخْذٌ عَلَىٰ غَيْرِ قَصْدٍ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

﴿* أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرُونَ إِحْيَاءَ اللهِ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِمْ، وَبَعْثِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ بَلَائِهِمْ، الْقَائِلُونَ لِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ ﴿أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ [الأحقاف: ١٧] فَلَمْ يَبْعَثُوا بِأَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ، فَيَرَوْا وَيَعْلَمُوا..

﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ، فَابْتَدَعَهُنَّ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ..

﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ وَلَمْ يَعْيَ بِإِنْشَائِهِنَّ، فَيَعْجَزُ عَنِ اخْتِرَاعِهِنَّ وَإِحْدَاثِهِنَّ..

﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ بَعْدِ بَلَائِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً كَهَيْئَتِهِمْ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ..

﴿بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ [الأحقاف: ٣٣] يَقْدِرُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، أَيِ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَاءَ خَلْقَهُ، وَأَرَادَ فِعْلَهُ ذُو قُدْرَةٍ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يُعْيِيهِ شَيْءٌ أَرَادَ فِعْلَهُ، فَيُعْيِيهِ إِنْشَاءُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْفِنَاءِ، لِأَنَّ مَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَضَعِيفٌ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَهًا مَنْ كَانَ عَمَّا أَرَادَ ضَعِيفًا.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٤﴾ [الأحقاف: ٣٤].

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ، وَثَوَابِ اللهِ عِبَادَهُ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَعِقَابِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ..

﴿عَلَى النَّارِ﴾ نَارِ جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُمْ حِينَئِذٍ..

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ الْعَذَابُ الَّذِي تُعَذَّبُونَهُ الْيَوْمَ، وَقَدْ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا بِالْحَقِّ، تَوْبِيخًا مِنَ اللهِ لَهُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ، كَانَ فِي الدُّنْيَا..

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ فَيُجِيبُ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ مِنْ فَوْرِهِمْ بِذَلِكَ، بِأَنْ يَقُولُوا بَلَىٰ هُوَ الْحَقُّ وَاللهِ..

﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٤﴾ [الأحقاف: ٣٤] فَقَالَ لَهُمُ الْمُقَرِّرُ بِذَلِكَ: فَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الْآنَ بِمَا كُنْتُمْ تَجْحَدُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَتُنْكِرُونَهُ، وَتَأْبَوْنَ الْإِقْرَارَ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَىٰ التَّصْدِيقِ بِهِ.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

﴿فَاصْبِرْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُثَبِّتَهُ عَلَىٰ الْمُضِيِّ لِمَا قَلَّدَهُ مِنْ عِبْءِ الرِّسَالَةِ، وَثِقَلِ أَحْمَالِ النُّبُوَّةِ ﷺ، وَآمِرَهُ بِالِائْتِسَاءِ فِي الْعَزْمِ عَلَىٰ النُّفُوذِ لِذَلِكَ بِأُولِي الْعَزْمِ مِنْ قَبْلِهِ، مِنْ رُسُلِهِ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَىٰ عَظِيمِ مَا لَقَوْا فِيهِ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَنَالَهُمْ فِيهِ مِنْهُمْ مِنَ الْأَذَىٰ وَالشَّدَائِدِ ﴿فَاصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ فِي اللهِ مِنْ أَذَىٰ مُكَذِّبِيكَ مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ بِالْإِنْذَارِ..

﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ﴾ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ مِنْ رُسُلِهِ الَّذِينَ لَمْ يَنْهَهُمْ عَنِ النُّفُوذِ لِأَمْرِهِ، مَا نَالَهُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةٍ.. وَقِيلَ: إِنَّ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ، كَانُوا الَّذِينَ امْتُحِنُوا فِي ذَاتِ اللهِ فِي الدُّنْيَا بِالْمِحَنِ، فَلَمْ تَزِدْهُمُ الْمِحَنُ إِلَّا جِدًّا فِي أَمْرِ اللهِ، كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ..

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ وَلَا تَسْتَعْجِلْ عَلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ، يَقُولُ: لَا تَعْجَلْ بِمَسْأَلَتِكَ رَبَّكَ ذَلِكَ لَهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ نَازِلٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ..

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ عَذَابَ اللهِ الَّذِي يَعِدُهُمْ أَنَّهُ مُنَزِّلُهُ بِهِمْ، لَمْ يَلْبَثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ؛ لِأَنَّهُ يُنْسِيهِمْ شِدَّةُ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ عَذَابِهِ، قَدْرَ مَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا لَبِثُوا، وَمَبْلَغَ مَا فِيهَا مَكَثُوا مِنَ السِّنِينَ وَالشُّهُورِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٣]..

﴿بَلَاغٌ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ذَلِكَ لُبْثُ بَلَاغٍ، بِمَعْنَىٰ: ذَلِكَ بَلَاغٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ أَجَلِهِمْ، ثُمَّ حُذِفَتْ ذَلِكَ لُبْثُ، وَهِيَ مُرَادَةٌ فِي الْكَلَامِ؛ اكْتِفَاءً بِدِلَالَةِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.. وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: هَذَا الْقُرْآنُ وَالتَّذْكِيرُ بَلَاغٌ لَهُمْ وَكِفَايَةٌ، إِنْ فَكَّرُوا وَاعْتَبَرُوا فَتَذَكَّرُوا..

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥] فَهَلْ يُهْلِكُ اللهُ بِعَذَابِهِ إِذَا أَنْزَلَهُ إِلَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَهُ، وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ وَكَفَرُوا بِهِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَمَا يُهْلِكُ اللهُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَحْقَافِ

سُورَةُ مُحَمَّدٍ (٤٧)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ①﴾ [محمد: ١].

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ وَعَبَدُوا غَيْرَهُ..

﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَصَدُّوا مَنْ أَرَادَ عِبَادَتَهُ وَالْإِقْرَارَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَتَصْدِيقِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنِ الَّذِي أَرَادَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِقْرَارِ وَالتَّصْدِيقِ..

﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ①﴾ [محمد: ١] جَعَلَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ ضَلَالًا عَلَىٰ غَيْرِ هُدًى وَغَيْرِ رَشَادٍ؛ لِأَنَّهَا عُمِلَتْ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ وَهِيَ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ②﴾ [محمد: ٢].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ وَصَدَّقُوا بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..

﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ مَحَا اللهُ عَنْهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ سَيِّئَ مَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ، فَلَمْ يُؤَاخِذْهُمْ بِهِ، وَلَمْ يُعَاقِبْهُمْ عَلَيْهِ..

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ②﴾ [محمد: ٢] وَأَصْلَحَ شَأْنَهُمْ وَحَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ أَوْلِيَائِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِأَنْ أَوْرَثَهُمْ نَعِيمَ الْأَبَدِ وَالْخُلُودَ الدَّائِمَ فِي جِنَانِهِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ③﴾ [محمد: ٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا بِهَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ إِضْلَالِنَا أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ، وَتَكْفِيرِنَا عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..

﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ﴾ جَزَاءً مِنَّا لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ عَلَىٰ فِعْلِهِ، أَمَّا الْكَافِرُونَ فَأَضْلَلْنَا أَعْمَالَهُمْ، وَجَعَلْنَاهَا عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ وَهُدًى، بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ

فَأَطَاعُوهُ، وَهُوَ الْبَاطِلُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِعْلِي بِفَرِيقِ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ..

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ٣﴾ [محمد: ٣] كَذَلِكَ نُمَثِّلُ لِلنَّاسِ الْأَمْثَالَ، وَنُشَبِّهُ لَهُمُ الْأَشْبَاهَ، فَنُلْحِقُ بِكُلِّ قَوْمٍ مِنَ الْأَمْثَالِ أَشْكَالًا.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ٤﴾ [محمد: ٤].

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِفَرِيقِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ، فَاضْرِبُوا رِقَابَهُمْ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ حَتَّىٰ إِذَا غَلَبْتُمُوهُمْ وَقَهَرْتُمْ مَنْ لَمْ تَضْرِبُوا رَقَبَتَهُ مِنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَيْدِيكُمْ أَسْرَىٰ..

﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ فَشُدُّوهُمْ فِي الْوَثَاقِ كَيْلا يَقْتُلُوكُمْ، فَيَهْرُبُوا مِنْكُمْ..

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ فَإِذَا أَسَرْتُمُوهُمْ بَعْدَ الْإِثْخَانِ، فَإِمَّا أَنْ تَمُنُّوا عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِطْلَاقِكُمْ إِيَّاهُمْ مِنَ الْأَسْرِ، وَتُحَرِّرُوهُمْ بِغَيْرِ عِوَضٍ وَلَا فِدْيَةٍ..

﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ وَإِمَّا أَنْ يُفَادُوكُمْ فِدَاءً، بِأَنْ يُعْطُوكُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ عِوَضًا حَتَّىٰ تُطْلِقُوهُمْ، وَتُخَلُّوا لَهُمُ السَّبِيلَ..

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاضْرِبُوا رِقَابَهُمْ، وَافْعَلُوا بِأَسْرَاهُمْ مَا بَيَّنْتُ لَكُمْ، حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ آثَامَهَا وَأَثْقَالَ أَهْلِهَا الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، بِأَنْ يَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ مِنْ شِرْكِهِمْ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَيُطِيعُوهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَذَلِكَ وَضْعُ الْحَرْبِ أَوْزَارَهَا.. وَقِيلَ الْمَعْنَىٰ: حَتَّىٰ تُلْقِيَ الْحَرْبُ أَوْزَارَ أَهْلِهَا.. وَقِيلَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: حَتَّىٰ يَضَعَ الْمُحَارِبُ أَوْزَارَهُ.. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ..

﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ هَذَا الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي حَرْبٍ، وَشَدِّهِمْ وَثَاقًا بَعْدَ قَهْرِهِمْ، وَأَسْرِهِمْ، وَالْمَنِّ وَالْفِدَاءِ ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَلْزَمَكُمْ رَبُّكُمْ، وَلَوْ يَشَاءُ رَبُّكُمْ وَيُرِيدُ لَانْتَصَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَيَّنَ هَذَا الْحُكْمَ فِيهِمْ بِعُقُوبَةٍ مِنْهُ لَهُمْ عَاجِلَةٍ، وَكَفَاكُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ..

﴿وَلَٰكِن﴾ وَلَكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَرِهَ الِانْتِصَارَ مِنْهُمْ، وَعُقُوبَتَهُمْ عَاجِلًا إِلَّا بِأَيْدِيكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ لِيَخْتَبِرَكُمْ بِهِمْ، فَيَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ، وَيَبْلُوهُمْ بِكُمْ، فَيُعَاقِبُ بِأَيْدِيكُمْ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، وَيَتَّعِظُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ بِمَنْ أَهْلَكَ بِأَيْدِيكُمْ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ حَتَّىٰ يُنِيبَ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بِضَمِّ الْقَافِ وَتَخْفِيفِ التَّاءِ بِمَعْنَىٰ: وَالَّذِينَ قَتَلَهُمُ الْمُشْرِكُونِ، ثُمَّ أَسْقَطَ الْفَاعِلِينَ، فَجَعَلَهُمْ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُ ذَلِكَ بِهِمْ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ: **(وَالَّذِينَ قَاتَلُوا)**، بِمَعْنَىٰ: حَارَبُوا الْمُشْرِكِينَ، وَجَاهَدُوهُمْ، بِالْأَلْفِ.. وَذُكِرَ عَنْ عَاصِمٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهُ **(وَالَّذِينَ قَتَلُوا)** بِفَتْحِ الْقَافِ وَتَخْفِيفِ التَّاءِ، بِمَعْنَىٰ: وَالَّذِينَ قَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَاتِ بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ **(وَالَّذِينَ قَاتَلُوا)** لِاتِّفَاقِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَإِنْ كَانَ لِجَمِيعِهَا وُجُوهٌ مَفْهُومَةٌ.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْقِرَاءَاتِ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَالَّذِينَ قَاتَلُوا مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَعْدَاءَ اللهِ مِنَ الْكُفَّارِ فِي دِينِ اللهِ، وَفِي نُصْرَةِ مَا بَعَثَ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْهُدَىٰ، فَجَاهَدُوهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤﴾ [محمد: ٤] فَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا ضَلَالًا عَلَيْهِمْ كَمَا أَضَلَّ أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عُنِيَ بِهَا أَهْلُ أُحُدٍ.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمد: ٥].

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ سَيُوَفِّقُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْعَمَلِ بِمَا يَرْضَىٰ وَيُحِبُّ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِهِ..

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمد: ٥] وَيُصْلِحُ أَمْرَهُمْ وَحَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: ٦].

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ﴾ وَيُدْخِلُهُمُ اللهُ جَنَّتَهُ..

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: ٦] عَرَّفَهَا وَبَيَّنَهَا لَهُمْ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي مَنْزِلَهُ مِنْهَا إِذَا دَخَلَهَا كَمَا كَانَ يَأْتِي مَنْزِلَهُ فِي الدُّنْيَا، لَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ بِنَصْرِكُمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَجِهَادِكُمْ إِيَّاهُمْ مَعَهُ لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا..

﴿يَنصُرْكُمْ﴾ عَلَيْهِمْ، وَيُظْفِرْكُمْ بِهِمْ، فَإِنَّهُ نَاصِرٌ دِينَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ..

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧] وَيُقَوِّكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيُجَرِّئْكُمْ، حَتَّىٰ لَا تُوَلُّوا عَنْهُمْ، وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، وَقَلَّ عَدَدُكُمْ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨﴾ [محمد: ٨].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ، فَجَحَدُوا تَوْحِيدَهُ..

﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ فَخِزْيًا لَهُمْ وَشَقَاءً وَبَلَاءً..

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨﴾ [محمد: ٨] وَجَعَلَ أَعْمَالَهُمْ مَعْمُولَةً عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ وَلَا اسْتِقَامَةٍ؛ لِأَنَّهَا عُمِلَتْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمد: ٩].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا بِهِمْ مِنَ الْإِتْعَاسِ وَإِضْلَالِ الْأَعْمَالِ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ كَرِهُوا كِتَابَنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَسَخِطُوهُ، فَكَذَّبُوا بِهِ، وَقَالُوا: هُوَ سِحْرٌ مُبِينٌ..

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمد: ٩] فَأَبْطَلَ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ عِبَادَتُهُمُ الْآلِهَةَ، لَمْ يَنْفَعْهُمُ اللهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ أَوْبَقَهُمْ بِهَا، فَأَصْلَاهُمْ سَعِيرًا، وَهَذَا حُكْمُ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي جَمِيعِ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ.

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۝١٠﴾ [محمد: ١٠].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا ﷺ الْمُنْكِرُو مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ سَفَرًا، وَإِنَّمَا هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يُسَافِرُونَ إِلَىٰ الشَّامِ، فَيَرَوْنَ نِقْمَةَ اللهِ الَّتِي أَحَلَّهَا بِأَهْلِ حِجْرِ ثَمُودَ، وَيَرَوْنَ فِي سَفَرِهِمْ إِلَىٰ الْيَمَنِ مَا أَحَلَّ اللهُ بِسَبَأٍ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ: أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ سَفَرًا فِي الْبِلَادِ..

﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا، الرَّادَّةِ نَصَائِحَهَا..

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أَلَمْ نُهْلِكْهَا فَنُدَمِّرْ عَلَيْهَا مَنَازِلَهَا وَنُخَرِّبْهَا، فَيَتَّعِظُوا بِذَلِكَ، وَيَحْذَرُوا أَنْ يَفْعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِي تَصْدِيقِكَ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ،

وَأَخْبَرَهُمْ إِنْ هُمْ أَقَامُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا أَحَلَّ بِالَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، فَقَالَ..

﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ مِنْ قُرَيْشٍ الْمُكَذِّبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ..

﴿أَمْثَالُهَا ⑩﴾ [محمد: ١٠] أَمْثَالُ عَاقِبَةِ تَكْذِيبِ الْأُمَمِ -الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ- رُسُلَهُمْ، عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ⑪﴾ [محمد: ١١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْنَا بِهَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ: فَرِيقِ الْإِيمَانِ، وَفَرِيقِ الْكُفْرِ، مِنْ نُصْرَتِنَا فَرِيقَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَتَثْبِيتِنَا أَقْدَامَهُمْ، وَتَدْمِيرِنَا عَلَىٰ فَرِيقِ الْكُفْرِ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ وَلِيُّ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَأَطَاعَ رَسُولَهُ..

﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ⑪﴾ [محمد: ١١] وَبِأَنَّ الْكَافِرِينَ بِاللهِ لَا وَلِيَ لَهُمْ، وَلَا نَاصِرَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ⑫﴾ [محمد: ١٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ الَّتِي لَا تَنْبَغِي لِغَيْرِهِ..

﴿يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ، يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ تَكْرِمَةً عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ ﷺ..

﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِحُطَامِهَا وَرِيَاشِهَا وَزِينَتِهَا الْفَانِيَةِ الدَّارِسَةِ..

﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ فِيهَا غَيْرَ مُفَكِّرِينَ فِي الْمَعَادِ، وَلَا مُعْتَبِرِينَ بِمَا وَضَعَ اللهُ لِخَلْقِهِ مِنَ الْحُجَجِ الْمُؤَدِّيَةِ لَهُمْ إِلَىٰ عِلْمِ تَوْحِيدِ اللهِ وَمَعْرِفَةِ صِدْقِ رُسُلِهِ..

﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ فَمَثَلُهُمْ فِي أَكْلِهِمْ مَا يَأْكُلُونَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِذَلِكَ وَغَيْرِ مَعْرِفَةٍ، مَثَلُ الْأَنْعَامِ مِنَ الْبَهَائِمِ الْمُسَخَّرَةِ الَّتِي لَا هِمَّةَ لَهَا إِلَّا فِي الِاعْتِلَافِ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ⑫﴾ [محمد: ١٢] وَنَارُ جَهَنَّمَ مَسْكَنٌ لَهُمْ، وَمَأْوًى، إِلَيْهَا يَصِيرُونَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ⑬﴾ [محمد: ١٣].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وَكَمْ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَرْيَةٍ..

﴿هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ، يَقُولُ أَهْلُهَا أَشَدُّ بَأْسًا، وَأَكْثَرُ جَمْعًا، وَأَعَدُّ عَدِيدًا مِنْ أَهْلِ قَرْيَتِكَ، وَهِيَ مَكَّةُ، وَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنِ الْقَرْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَهْلُهَا..

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣﴾ [محمد: ١٣] فِيهِ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَإِنْ كَانَ قَدْ نُصِبَ (النَّاصِرُ) بِالتَّبْرِئَةِ: فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَاصِرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُضْمِرُ (كَانَ) أَحْيَانًا فِي مِثْلِ هَذَا، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: فَلَا نَاصِرَ لَهُمُ الْآنَ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَنْصُرُهُمْ.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ۝١٤﴾ [محمد: ١٤].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بُرْهَانٍ وَحُجَّةٍ وَبَيَانٍ..

﴿مِّن﴾ أَمْرِ..

﴿رَّبِّهِۦ﴾ وَالْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، فَهُوَ يَعْبُدُهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْهُ، بِأَنَّ لَهُ رَبًّا يُجَازِيهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّاهُ الْجَنَّةَ، وَعَلَىٰ إِسَاءَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ النَّارَ..

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ كَمَنْ حَسَّنَ لَهُ الشَّيْطَانُ قَبِيحَ عَمَلِهِ وَسَيِّئَهُ، فَأَرَاهُ جَمِيلًا، فَهُوَ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ مُقِيمٌ..

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ۝١٤﴾ [محمد: ١٤] وَاتَّبَعُوا مَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنْ ذَلِكَ بُرْهَانٌ وَحُجَّةٌ.. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنَّ الَّذِي عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ هُمُ الْمُشْرِكُونَ.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥﴾ [محمد: ١٥].

﴿مَّثَلُ﴾ صِفَةُ..

﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا فِي الدُّنْيَا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿فِيهَآ﴾ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا..

﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ غَيْرِ مُتَغَيِّرِ الرِّيحِ..

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ لِأَنَّهُ لَمْ يُحْلَبْ مِنْ حَيَوَانٍ فَيَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الضُّرُوعِ، وَلَكِنَّهُ خَلَقَهُ اللهُ ابْتِدَاءً فِي الْأَنْهَارِ، فَهُوَ بِهَيْئَتِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ عَمَّا خَلَقَهُ عَلَيْهِ..

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ يَلْتَذُّونَ بِشُرْبِهَا..

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ قَدْ صُفِّيَ مِنَ الْقَذَىٰ، وَمَا يَكُونُ فِي عَسَلِ أَهْلِ الدُّنْيَا قَبْلَ التَّصْفِيَةِ.. وَإِنَّمَا أَعْلَمَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ بِوَصْفِهِ ذَلِكَ الْعَسَلَ بِأَنَّهُ مُصَفًّى؛ لأَنَّهُ خُلِقَ فِي الْأَنْهَارِ ابْتِدَاءً سَائِلًا جَارِيًا سَيْلَ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ الْمَخْلُوقِينَ فِيهَا، فَهُوَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مُصَفًّى، قَدْ صَفَّاهُ اللهُ مِنَ الْأَقْذَاءِ الَّتِي تَكُونُ فِي عَسَلِ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِي لَا يَصْفُو مِنَ الْأَقْذَاءِ إِلَّا بَعْدَ التَّصْفِيَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي شَمْعٍ فَصُفِّيَ مِنْهُ..

﴿وَلَهُمْ﴾ وَلِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الَّتِي ذَكَرْنَا..

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مِنْ جَمِيعِ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تَكُونُ عَلَىٰ الْأَشْجَارِ ..

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وَعَفْوٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي أَذْنَبُوهَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ تَابُوا مِنْهَا، وَصَفْحٌ مِنْهُ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا..

﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ أَمَنْ هُوَ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي صِفَتُهَا مَا وَصَفْنَا، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ..

﴿وَسُقُوا﴾ وَسُقِيَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ خُلُودٌ فِي النَّارِ..

﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ قَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهُ ..

﴿فَقَطَّعَ﴾ ذَلِكَ الْمَاءُ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ ..

﴿أَمْعَآءَهُمْ ⑮﴾ [محمد: ١٥] حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُمْ ⑯﴾ [محمد: ١٦].

﴿وَمِنْهُمْ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وَهُوَ الْمُنَافِقُ، فَيَسْتَمِعُ مَا تَقُولُ فَلَا يَعِيهِ وَلَا يَفْهَمُهُ، تَهَاوُنًا مِنْهُ بِمَا تَتْلُو عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ، وَتَغَافُلًا عَمَّا تَقُولُهُ، وَتَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا﴾ إِعْلَامًا مِنْهُمْ لِمَنْ حَضَرَ مَعَهُمْ مَجْلِسَكَ..

﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكِتَابِ اللهِ، وِتلَاوَتِكَ عَلَيْهِمْ مَا تَلَوْتَ، وَقِيلِكَ لَهُمْ مَا قُلْتَ، إِنَّهُمْ لَنْ يُصْغُوا أَسْمَاعَهُمْ لِقَوْلِكَ وَتِلَاوَتِكَ..

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ مَاذَا قَالَ لَنَا مُحَمَّدٌ آنِفًا..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ خَتَمَ اللهُ

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ لِلْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾ [محمد: ١٦] وَرَفَضُوا أَمْرَ اللهِ، وَاتَّبَعُوا مَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ إِلَىٰ حَقِيقَةٍ وَلَا بُرْهَانٍ.. وَسَوَّىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ صِفَةِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فِي أَنَّ جَمِيعَهُمْ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ فِرَاقِهِمْ دِينَ اللهِ، الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ أَهْوَاءَهُمْ، فَقَالَ فِي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾، وَقَالَ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤﴾ [محمد: ١٤].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: ١٧].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّ مَا تَلَوْتَهُ عَلَيْهِمْ، وَسَمِعُوهُ مِنْكَ..

﴿زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ زَادَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ إِيمَانًا إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ، وَبَيَانًا لِحَقِيقَةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِلَىٰ الْبَيَانِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ..

﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: ١٧] وَأَعْطَىٰ اللهُ هَؤُلَاءِ الْمُهْتَدِينَ تَقْوَاهُمْ، وَذَلِكَ اسْتِعْمَالُهُ إِيَّاهُمْ تَقْوَاهُمْ إِيَّاهُ.

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨﴾ [محمد: ١٨].

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ﴾ فَهَلْ يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ..

﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ الَّتِي وَعَدَ اللهُ خَلْقَهُ، بَعْثَهُمْ فِيهَا مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً، أَنْ تَجِيئَهُمْ فَجْأَةً لَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهَا، وَالْمَعْنَىٰ: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ، هَلْ يَنْظُرُونَ..

﴿أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ﴾ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً..

﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ فَقَدْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِاللهِ السَّاعَةُ وَأَدِلَّتُهَا وَمُقَدِّمَاتُهَا، وَوَاحِدُ الْأَشْرَاطِ: شَرْطٌ..

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨﴾ [محمد: ١٨] فَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ ذِكْرَىٰ مَا قَدْ ضَيَّعُوا وَفَرَّطُوا فِيهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ، يَقُولُ: لَيْسَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ يَنْفَعُهُمُ التَّذَكُّرُ وَالنَّدَمُ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ مُجَازَاةٍ لَا وَقْتَ اسْتِعْتَابٍ وَلَا اسْتِعْمَالٍ.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

﴿فَٱعْلَمْ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أَنَّهُ لا مَعْبُودَ تَنْبَغِي أَوْ تَصْلُحُ لَهُ الْأُلُوهَةُ، وَيَجُوزُ لَكَ وَلِلْخَلْقِ عِبَادَتُهُ، إِلَّا اللهُ الَّذِي هُوَ خَالِقُ الْخَلْقِ، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، يَدِينُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلُّ مَا دُونَهُ..

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وَسَلْ رَبَّكَ غُفْرَانَ سَالِفِ ذُنُوبِكَ وَحَادِثِهَا..

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ وَذُنُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِكَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مُتَصَرَّفَكُمْ فِيمَا تَتَصَرَّفُونَ فِيهِ فِي يَقَظَتِكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] إِذَا ثَوَيْتُمْ فِي مَضَاجِعِكُمْ لِلنَّوْمِ لَيْلًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [محمد: ٢٠].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ﴾ هَلَّا نَزَلَتْ سُورَةٌ مِنَ اللهِ تَأْمُرُنَا بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْكُفَّارِ..

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ بِالْبَيَانِ وَالْفَرَائِضِ..

﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ وَذُكِرَ فِيهَا الْأَمْرُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: **(كُلُّ سُورَةٍ ذُكِرَ فِيهَا الْجِهَادُ فَهِيَ مُحْكَمَةٌ، وَهِيَ أَشَدُّ الْقُرْآنِ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ)**..

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ رَأَيْتُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ فِي دِينِ اللهِ وَضَعْفٌ..

﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ﴾ خَوْفًا أَنْ تُغْزِيَهُمْ وَتَأْمُرَهُمْ بِالْجِهَادِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَهُمْ خَوْفًا مِنْ ذَلِكَ وَتَجَبُّنًا عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ صُرِعَ..

﴿مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ مِنْ خَوْفِ الْمَوْتِ، وَكَانَ هَذَا فِعْلُ أَهْلِ النِّفَاقِ..

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [محمد: ٢٠] فَأَوْلَىٰ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.. وَقَوْلُهُ ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ وَعِيدٌ تَوَعَّدَ اللهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١﴾ [محمد: ٢١].

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَيُذْكَرُ فِيهَا الْقِتَالُ، وَأَنَّهُمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ مُفْتَرِضٌ عَلَيْكُمُ الْجِهَادَ، قَالُوا: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، فَقَالَ اللهُ ﷻ لَهُمْ (إِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ)، وَفُرِضَ الْقِتَالُ فِيهَا عَلَيْهِمْ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَكَرِهُوهُ ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ قَبْلَ وجُوبِ الْفَرْضِ عَلَيْكُمْ، فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ كَرِهْتُمُوهُ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ..

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ فَإِذَا وَجَبَ الْقِتَالُ وَجَاءَ أَمْرُ اللهِ بِفَرْضِ ذَلِكَ كَرِهْتُمُوهُ..

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ مَا وَعَدُوهُ قَبْلَ نُزُولِ السُّورَةِ بِالْقِتَالِ بِقَوْلِهِمْ: إِذْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ سَيَأْمُرُكُمْ بِالْقِتَالِ طَاعَةً، فَوَفُوا لَهُ بِذَلِكَ..

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١﴾ [محمد: ٢١] فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ، وَآجِلِ مَعَادِهِمْ.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد: ٢٢].

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ أَنَّهُمْ إِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ، نَظَرُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، يَقُولُ: فَلَعَلَّكُمْ..

﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنْ تَنْزِيلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَفَارَقْتُمْ أَحْكَامَ كِتَابِهِ، وَأَدْبَرْتُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ..

﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَنْ تَعْصُوا اللهَ فِي الْأَرْضِ، فَتَكْفُرُوا بِهِ، وَتَسْفِكُوا فِيهَا الدِّمَاءَ..

﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد: ٢٢] وَتَعُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنَ التَّشَتُّتِ وَالتَّفَرُّقِ بَعْدَ مَا قَدْ جَمَعَكُمُ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾ [محمد: ٢٣].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذَا، يَعْنِي الَّذِينَ يُفْسِدُونَ وَيَقْطَعُونَ الْأَرْحَامَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ، فَأَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ فَسَلَبَهُمْ، فَهُمْ مَا يَسْمَعُونَ بِآذَانِهِمْ مِنْ مَوَاعِظِ اللهِ فِي تَنْزِيلِهِ..

﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾ [محمد: ٢٣] وَسَلَبَهُمْ عُقُولَهُمْ، فَلَا يَتَبَيَّنُونَ حُجَجَ اللهِ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ مَا يَرَوْنَ مِنْ عِبَرِهِ وَأَدِلَّتِهِ.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مَوَاعِظَ اللهِ الَّتِي يَعِظُهُمْ بِهَا فِي آيِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَجِهِ الَّتِي بَيَّنَهَا لَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ فَيَعْلَمُوا بِهَا خَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ..

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤] أَمْ أَقْفَلَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يَعْقِلُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٥﴾ [محمد: ٢٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ الَّذِينَ رَجَعُوا الْقَهْقَرَىٰ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ كُفَّارًا بِاللهِ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ مِنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ وَقَصْدُ السَّبِيلِ، فَعَرَفُوا وَاضِحَ الْحُجَّةِ، ثُمَّ آثَرُوا الضَّلَالَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ؛ عِنَادًا لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ بَعْدِ الْعِلْمِ..

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ الشَّيْطَانُ زَيَّنَ لَهُمُ ارْتِدَادَهُمْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ..

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٥﴾ [محمد: ٢٥] وَمَدَّ اللهُ لَهُمْ فِي آجَالِهِمْ مُلَاوَةً مِنَ الدَّهْرِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ، وَاللهُ أَمْلَىٰ لَهُمْ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝٢٦﴾ [محمد: ٢٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أَمْلَىٰ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَتَرَكَهُمْ، وَالشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ، فَلَمْ يُوَفِّقْهُمْ لِلْهُدَىٰ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ الْأَمْرِ بِقِتَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ الَّذِي هُوَ خِلَافٌ لِأَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝٢٦﴾ [محمد: ٢٦] وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَ هَذَيْنِ الْحِزْبَيْنِ الْمُتَظَاهِرَيْنِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، عَلَىٰ خِلَافِ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، إِذْ يَتَسَارُّونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْكُفْرِ بِاللهِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ٢٧﴾ [محمد: ٢٧].

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، فَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ حَالَهُمْ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَهُمْ..

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ٢٧﴾ [محمد: ٢٧] فَحَالُهُمْ أَيْضًا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَيَعْنِي بِالْأَدْبَارِ: الْأَعْجَازَ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ٢٨﴾ [محمد: ٢٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ تَفْعَلُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ بِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿بِأَنَّهُمُ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَأَغْضَبَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ وَكَرِهُوا مَا يُرْضِيهِ عَنْهُمْ مِنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ بِهِ، بَعْدَ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ٢٨﴾ [محمد: ٢٨] فَأَبْطَلَ اللهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ وَأَذْهَبَهُ؛ لِأَنَّهَا عَمِلَتْ فِي غَيْرِ رِضَاهُ وَلَا مَحَبَّتِهِ، فَبَطَلَتْ، وَلَمْ تَنْفَعْ عَامِلَهَا.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ٢٩﴾ [محمد: ٢٩].

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أَحَسِبَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ فِي دِينِهِمْ، وَضَعْفٌ فِي يَقِينِهِمْ، فَهُمْ حَيَارَىٰ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ..

﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ٢٩﴾ [محمد: ٢٩] أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَضْغَانِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُبْدِيَهِ لَهُمْ وَيُظْهِرَهُ، حَتَّىٰ يَعْرِفُوا نِفَاقَهُمْ، وَحَيْرَتَهُمْ فِي دِينِهِمْ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ٣٠﴾ [محمد: ٣٠].

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ يَا مُحَمَّدُ لَعَرَّفْنَاكَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ حَتَّىٰ تَعْرِفَهُمْ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: سَأُرِيكَ مَا أَصْنَعُ، بِمَعْنَىٰ سَأُعْلِمُكَ..

﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾ فَلَتَعْرِفَنَّهُمْ بِعَلَامَاتِ النِّفَاقِ الظَّاهِرَةِ مِنْهُمْ فِي فَحْوَىٰ كَلَامِهِمْ، وَظَاهِرِ أَفْعَالِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَرَّفَهُ إِيَّاهُمْ..

﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ وَلَتَعْرِفَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ نَحْوَهُ..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾ [محمد: ٣٠] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ بِطَاعَتِهِ، وَالْمُخَالِفُ ذَلِكَ، وَهُوَ مُجَازِي جَمِيعَكُمْ عَلَيْهَا.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ [محمد: ٣١].

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالْقَتْلِ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ..

﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾ حَتَّىٰ يَعْلَمَ حِزْبِي وَأَوْلِيَائِي أَهْلَ الْجِهَادِ فِي اللهِ مِنْكُمْ..

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وَأَهْلَ الصَّبْرِ عَلَىٰ قِتَالِ أَعْدَائِهِ، فَيَظْهَرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَيُعْرَفَ ذَوُو الْبَصَائِرِ مِنْكُمْ فِي دِينِهِ مِنْ ذَوِي الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ فِيهِ، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ..

﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ [محمد: ٣١] فَنَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنْكُمْ مِنَ الْكَاذِبِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾ [محمد: ٣٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ..

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَصَدُّوا النَّاسَ عَنْ دِينِهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ..

﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وَخَالَفُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَحَارَبُوهُ وَآذَوْهُ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمُوا أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَعَرَفُوا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ بِمَعْرِفَتِهِ، وَأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ..

﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ لِأَنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، وَنَاصِرُ رَسُولِهِ، وَمُظْهِرُهُ عَلَىٰ مَنْ عَادَاهُ وَخَالَفَهُ..

﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾ [محمد: ٣٢] وَسَيُذْهِبُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا فَلَا يَنْفَعُهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةِ، وَيُبْطِلُهَا إِلَّا مِمَّا يَضُرُّهُمْ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمد: ٣٣].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فِي أَمْرِهِمَا وَنَهْيِهِمَا..

﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمد: ٣٣] وَلَا تُبْطِلُوا بِمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُمَا، وَكُفْرِكُمْ بِرَبِّكُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّ الْكُفْرَ بِاللهِ يُحْبِطُ السَّالِفَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد: ٣٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَنْكَرُوا تَوْحِيدَ اللهِ..

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَصَدُّوا مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ عَنْ ذَلِكَ، فَفَتَنُوهُمْ عَنْهُ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَرَادُوا مِنْ ذَلِكَ..

﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ..

﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد: ٣٤] فَلَنْ يَعْفُوَ اللهُ عَمَّا صَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ يُعَاقِبُهُ عَلَيْهِ، وَيَفْضَحُهُ بِهِ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ.

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥].

﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ فَلَا تَضْعُفُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ عَنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ وَتَجْبُنُوا عَنْ قِتَالِهِمْ..

﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ لَا تَضْعُفُوا عَنْهُمْ وَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الصُّلْحِ وَالْمُسَالَمَةِ..

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ وَأَنْتُمُ الْقَاهِرُونَ لَهُمْ وَالْعَالُونَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بِالنَّصْرِ لَكُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥] وَلَنْ يَظْلِمَكُمْ أُجُورَ أَعْمَالِكُمْ فَيُنْقِصَكُمْ ثَوَابَهَا.. مِنْ قَوْلِهِمْ: وَتَرْتُ الرَّجُلَ، إِذَا قَتَلْتُ لَهُ قَتِيلًا، فَأَخَذْتُ لَهُ مَالًا غَصْبًا.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾
[محمد: ٣٦].

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ حَاضًّا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ جِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، وَبَذْلِ مُهْجَتِهِمْ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ: قَاتِلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَعْدَاءَ اللهِ وَأَعْدَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَلَا تَدَعْكُمُ الرَّغْبَةُ فِي الْحَيَاةِ إِلَىٰ تَرْكِ قِتَالِهِمْ، فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا للهِ مِنْ عَمَلٍ فِي سَبِيلِهِ، وَطَلَبِ رِضَاهُ، فَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ لَعِبٌ وَلَهْوٌ، يَضْمَحِلُّ فَيَذْهَبُ وَيَنْدَرِسُ فَيَمُرُّ، أَوْ إِثْمٌ يَبْقَىٰ عَلَىٰ صَاحِبِهِ عَارُهُ وَخِزْيُهُ..

﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ﴾ وَإِنْ تَعْمَلُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي مَا كَانَ فِيهَا مِمَّا هُوَ لَهَا، فَلَعِبٌ وَلَهْوٌ، فَتُؤْمِنُوا بِهِ..

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ وَتَتَّقُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَهُوَ الَّذِي يَبْقَىٰ لَكُمْ مِنْهَا، وَلَا يَبْطُلُ بِطُولِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، ثُمَّ..

﴿يُؤْتِكُمْ﴾ رَبُّكُمْ عَلَيْهِ..

﴿أُجُورَكُمْ﴾ فَيُعَوِّضَكُمْ مِنْهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْهُ، يَوْمَ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ إِلَىٰ أَعْمَالِكُمْ..

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦﴾ [محمد: ٣٦] وَلَا يَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنَّهُ يُكَلِّفُكُمْ تَوْحِيدَهُ، وَخَلْعَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ، وَإِفْرَادَ الْأُلُوهَةِ وَالطَّاعَةِ لَهُ.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ۝٣٧﴾ [محمد: ٣٧].

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ رَبُّكُمْ أَمْوَالَكُمْ..

﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ فَيُجْهِدُكُمْ بِالْمَسْأَلَةِ، وَيُلِحُّ عَلَيْكُمْ بِطَلَبِهَا مِنْكُمْ فَيُلْحِفْ..

﴿تَبْخَلُوا۟﴾ بِهَا وَتَمْنَعُوهَا إِيَّاهُ، ضَنًّا مِنْكُمْ بِهَا، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، وَمِنْ ضِيقِ أَنْفُسِكُمْ فَلَمْ يَسْأَلْكُمُوهَا..

﴿وَيُخْرِجْ﴾ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَوْ سَأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ بِمَسْأَلَتِهِ ذَلِكَ مِنْكُمْ..

﴿أَضْغَٰنَكُمْ ۝٣٧﴾ [محمد: ٣٧] فَقَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّ فِي مَسْأَلَتِهِ الْمَالَ خُرُوجُ الْأَضْغَانِ.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ۝٣٨﴾

[محمد: ٣٨].

﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تُدْعَوْنَ إِلَىٰ النَّفَقَةِ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ..

﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بِالنَّفَقَةِ فِيهِ..

﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لِأَنَّ نَفْسَهُ لَوْ كَانَتْ جَوَادًا لَمْ تَبْخَلْ بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَكِنْ كَانَتْ تَجُودُ بِهَا..

﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ وَلَا حَاجَةَ للهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ وَلَا نَفَقَاتِكُمْ؛ لِأَنَّهُ الْغَنِيُّ عَنْ خَلْقِهِ، وَالْخَلْقُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ، وَأَنْتُمْ مِنْ خَلْقِهِ، فَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا حَضَّكُمْ عَلَىٰ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، لِيُكْسِبَكُمْ بِذَلِكَ الْجَزِيلَ مِنْ ثَوَابِهِ..

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَتَرْتَدُّوا رَاجِعِينَ عَنْهُ..

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يُهْلِكُكُمْ ثُمَّ يَجِيءُ بِقَوْمٍ آخَرِينَ غَيْرِكُمْ بَدَلًا مِنْكُمْ يُصَدِّقُونَ بِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِشَرَائِعِهِ..

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد: ٣٨] ثُمَّ لَا يَبْخَلُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا يُضَيِّعُونَ شَيْئًا مِنْ حُدُودِ دِينِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُومُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَىٰ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ مُحَمَّدٍ



سُورَةُ الْفَتْحِ (٤٨)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١].

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١] إِنَّا حَكَمْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ حُكْمًا لِمَنْ سَمِعَهُ أَوْ بَلَغَهُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَكَ وَنَاصَبَكَ مِنْ كُفَّارِ قَوْمِكَ، وَقَضَيْنَا لَكَ عَلَيْهِمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، لِتَشْكُرَ رَبَّكَ، وَتَحْمَدَهُ عَلَىٰ نِعْمَتِهِ بِقَضَائِهِ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَفَتْحِهِ مَا فَتَحَ لَكَ.. وَأَمَّا الْفَتْحُ الَّذِي وَعَدَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ ﷺ هَذِهِ الْعِدَةَ عَلَىٰ شُكْرِهِ إِيَّاهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ -فِيمَا ذُكِرَ- الْهُدْنَةُ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ أُنْزِلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْصَرَفَهُ عَنِ الْحُدَيْبِيَةِ، بَعْدَ الْهُدْنَةِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ٢].

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ فَيَغْفِرَ لَكَ بِفِعَالِكَ ذَلِكَ رَبُّكَ..

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ قَبْلَ فَتْحِهِ لَكَ مَا فَتَحَ..

﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بَعْدَ فَتْحِهِ لَكَ ذَلِكَ مَا شَكَرْتَهُ وَاسْتَغْفَرْتَهُ..

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بِإِظْهَارِهِ إِيَّاكَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ، وَرَفْعِهِ ذِكْرَكَ فِي الدُّنْيَا، وَغُفْرَانِهِ ذُنُوبَكَ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا﴾ وَيُرْشِدَكَ طَرِيقًا مِنَ الدِّينِ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ..

﴿مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ٢] يَسْتَقِيمُ بِكَ إِلَىٰ رِضَا رَبِّكَ.

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: ٣].

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ﴾ وَيَنْصُرَكَ عَلَىٰ سَائِرِ أَعْدَائِكَ، وَمَنْ نَاوَأَكَ..

﴿نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: ٣] نَصْرًا لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ، لِلْبَأْسِ الَّذِي يُؤَيِّدُكَ اللهُ بِهِ، وَبِالظَّفَرِ الَّذِي يُمِدُّكَ بِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤].

﴿هُوَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أَنْزَلَ السُّكُونَ وَالطُّمَأْنِينَةَ..

﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ الإِيمَانِ، وَالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَكَ اللهُ بِهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِيَزْدَادُوٓاْ﴾ بِتَصْدِيقِهِمْ بِمَا جَدَّدَ اللهُ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي أَلْزَمَهُمُوهَا، الَّتِي لَمْ تَكُنْ لَهُمْ لَازِمَةً..

﴿إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ﴾ لِيَزْدَادُوا إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ لَازِمَةً قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أَنْصَارٌ يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَلِيمًا﴾ ذَا عِلْمٍ بِمَا هُوَ كَائِنٌ قَبْلَ كَوْنِهِ، وَمَا خَلْقُهُ عَامِلُوهُ..

﴿حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤] فِي تَدْبِيرِهِ.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح: ٥].

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِتَشْكُرَ رَبَّكَ، وَتَحْمَدَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَيَغْفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَلِيَحْمَدْ رَبَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَيَشْكُرُوهُ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي فَتَحَهُ، وَقَضَاهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بِإِظْهَارِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِمْ، فَيُدْخِلُهُمْ بِذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْۚ﴾ وَلِيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَ أَعْمَالِهِمْ بِالْحَسَنَاتِ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا، شُكْرًا مِنْهُمْ لِرَبِّهِمْ عَلَىٰ مَا قَضَىٰ لَهُمْ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ..

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وَكَانَ مَا وَعَدَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْعِدَةِ، وَذَلِكَ إِدْخَالُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَتَكْفِيرُهُ سَيِّئَاتِهِمْ بِحَسَنَاتِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا عِنْدَ اللهِ لَهُمْ..

﴿فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح: ٥] ظَفَرًا مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا تَأَمَّلُوهُ وَيَسْعَوْنَ لَهُ، وَنَجَاةً مِمَّا كَانُوا يَحْذَرُونَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَظِيمًا وَهَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ لَمَّا قَالَ الْمُؤْمِنُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ تَلَا عَلَيْهِمْ قَوْلَ اللهِ ﷻ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١- ٢]، هَذَا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَاذَا لَنَا؟ تَبْيِينًا مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦].

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ، وَلِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَلِيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، بِفَتْحِ اللهِ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، مَا فَتَحَ لَكَ مِنْ نَصْرِكَ عَلَىٰ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَيُكْبَتُوا لِذَلِكَ وَيَحْزَنُوا، وَيَخِيبُ رَجَاؤُهُمُ الَّذِي كَانُوا يَرْجُونَ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ بِكَ مِنَ الضَّعْفِ وَالْوَهَنِ وَالتَّوَلِّي عَنْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَصِلِيِّ النَّارِ وَالْخُلُودِ فِيهَا فِي آجِلِ الْآخِرَةِ..

﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ وَلِيُعَذِّبَ كَذَلِكَ أَيْضًا الْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ..

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ﴾ أَنَّهُ لَنْ يَنْصُرَكَ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِكَ عَلَىٰ أَعْدَائِكَ، وَلَنْ يُظْهِرَ كَلِمَتَهُ فَيَجْعَلَهَا الْعُلْيَا عَلَىٰ كَلِمَةِ الْكَافِرِينَ بِهِ، وَذَلِكَ كَانَ السُّوءُ مِنْ ظُنُونِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الَّذِينَ ظَنُّوا هَذَا الظَّنَّ..

﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ﴾ يَعْنِي: دَائِرَةَ الْعَذَابِ تَدُورُ عَلَيْهِمْ بِهِ..

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وَنَالَهُمُ اللهُ بِغَضَبٍ مِنْهُ..

﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ وَأَبْعَدَهُمْ فَأَقْصَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ﴾ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦] وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَنْزِلًا يَصِيرُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ، وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتُ.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾ [الفتح: ٧].

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أَنْصَارًا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، إِنْ أَمَرَهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ أَهْلَكُوهُمْ، وَسَارَعُوا إِلَىٰ ذَلِكَ بِالطَّاعَةِ مِنْهُمْ لَهُ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَزِيزًا﴾ ذَا عِزَّةٍ، لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِمَّا أَرَادَهُ بِهِ مُمْتَنِعٌ، لِعِظَمِ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ..

﴿حَكِيمًا ۝٧﴾ [الفتح: ٧] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨﴾ [الفتح: ٨].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿شَٰهِدًا﴾ عَلَىٰ أُمَّتِكَ بِمَا أَجَابُوكَ فِيمَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ، مِمَّا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّسَالَةِ..

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ إِنْ أَجَابُوكَ إِلَىٰ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الدِّينِ الْقَيِّمِ..

﴿وَنَذِيرًا ۝٨﴾ [الفتح: ٨] لَهُمْ عَذَابَ اللهِ إِنْ هُمْ تَوَلَّوْا عَمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٩].

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ مَعْنَىٰ التَّعْزِيرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: التَّقْوِيَةُ بِالنُّصْرَةِ وَالْمَعُونَةِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ ..

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ فَهُوَ التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ وَالتَّفْخِيمُ..

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٩] وَتُصَلُّوا للهِ بِالْغَدَوَاتِ وَالْعَشِيَّاتِ.. وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَحْدَهُ دُونَ الرَّسُولِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ [الفتح: ١٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بِالْحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَفِرُّوا عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَلَا يُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ..

﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاكَ اللهَ، لِأَنَّ اللهَ ضَمِنَ لَهُمُ الْجَنَّةَ بِوَفَائِهِمْ لَهُ بِذَلِكَ..

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فيه وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: **أَحَدُهُمَا**: يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ عِنْدَ الْبَيْعَةِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُبَايِعُونَ اللهَ بِبَيْعَتِهِمْ نَبِيَّهُ ﷺ، **وَالْآخَرُ**: قُوَّةُ اللهِ فَوْقَ قُوَّتِهِمْ فِي نُصْرَةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ نُصْرَتِهِ عَلَىٰ الْعَدُوِّ..

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ بَيْعَتَهُ إِيَّاكَ يَا مُحَمَّدُ، وَنَقَضَهَا فَلَمْ يَنْصُرْكَ عَلَىٰ أَعْدَائِكَ، وَخَالَفَ مَا وَعَدَ رَبَّهُ..

﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ فَإِنَّمَا يَنْقُضُ بَيْعَتَهُ؛ لِأَنَّهُ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ يَخْرُجُ مِمَّنْ وَعَدَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِوَفَائِهِ بِالْبَيْعَةِ، فَلَمْ يَضُرَّ بِنُكْثِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَنْكُثْ إِلَّا عَلَيْهَا، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ

وَتَعَالَىٰ نَاصِرُهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، نَكَثَ النَّاكِثُ مِنْهُمْ، أَوْ وَفَّىٰ بِبَيْعَتِهِ..

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ اللهَ عَلَيْهِ، مِنَ الصَّبْرِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَنُصْرَةِ نَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ..

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١٠﴾ [الفتح: ١٠] فَسَيُعْطِيهِ اللهُ ثَوَابًا عَظِيمًا، وَذَلِكَ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَزَاءً لَهُ عَلَىٰ وَفَائِهِ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ، وَوَثَّقَ لِرَسُولِهِ عَلَىٰ الصَّبْرِ مَعَهُ عِنْدَ الْبَأْسِ بِالْمُؤَكَّدَةِ مِنَ الْأَيْمَانِ.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ١١﴾ [الفتح: ١١].

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ سَيَقُولُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ خَلَّفَهُمُ اللهُ فِي أَهْلِيهِمْ عَنْ صُحْبَتِكَ وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِي سَفَرِكَ الَّذِي سَافَرْتَ، وَمَسِيرِكَ الَّذِي سِرْتَ إِلَىٰ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا زَائِرًا بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ إِذَا انْصَرَفْتَ إِلَيْهِمْ، فَعَاتَبْتَهُمْ عَلَىٰ التَّخَلُّفِ عَنْكَ..

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ شَغَلَتْنَا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ مُعَالَجَةُ أَمْوَالِنَا، وَإِصْلَاحُ مَعَايِشِنَا وَأَهْلُونَا..

﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا لِتَخَلُّفِنَا عَنْكَ، قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُكَذِّبَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ الْمُخَلَّفُونَ عَنْكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَذَلِكَ مَسْأَلَتُهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ الِاسْتِغْفَارَ لَهُمْ، يَقُولُ: يَسْأَلُونَهُ بِغَيْرِ تَوْبَةٍ مِنْهُمْ وَلَا نَدَمٍ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِي تَخَلُّفِهِمْ عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمَسِيرِ مَعَهُ..

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ لِتَخَلُّفِهِمْ عَنْكَ: إِنْ أَنَا اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ ثُمَّ أَرَادَ اللهُ هَلَاكَكُمْ أَوْ هَلَاكَ أَمْوَالِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ..

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ بِتَثْمِيرِهِ أَمْوَالَكُمْ وَإِصْلَاحِهِ لَكُمْ أَهْلِيكُمْ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ دَفْعِ مَا أَرَادَ اللهُ بِكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَاللهُ لَا يُعَازُّهُ أَحَدٌ، وَلَا يُغَالِبُهُ غَالِبٌ..

﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ١١﴾ [الفتح: ١١] مَا الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ مَا هُمْ عَلَيْهَا مُنْطَوُونَ مِنَ النِّفَاقِ، بَلْ لَمْ يَزَلِ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ خَبِيرًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ خَلْقِهِ، سِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ

يُجَازِيَهُمْ بِهَا.. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ- حِينَ أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَىٰ مَكَّةَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ مُعْتَمِرًا، اسْتَنْفَرَ الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَ مَدِينَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي وَالْأَعْرَابِ، لِيَخْرُجُوا مَعَهُ حَذَرًا مِنْ قَوْمِهِ قُرَيْشٍ أَنْ يَعْرِضُوا لَهُ الْحَرْبَ، أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ، وَأَحْرَمَ هُوَ ﷺ بِالْعُمْرَةِ، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ، لِيُعْلِمَ النَّاسَ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ حَرْبًا، فَتَثَاقَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَتَخَلَّفُوا خِلَافَهُ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ الْآيَةَ، وَكَالَّذِي قُلْنَا فِي ذَٰلِكَ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِسِيَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَغَازِيهِ.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢].

﴿بَلْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ الْمُعْتَذِرِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ سَفَرِهِ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١] مَا تَخَلَّفْتُمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ شَخَصَ عَنْكُمْ، وَقَعَدْتُمْ عَنْ صُحْبَتِهِ مِنْ أَجْلِ شُغْلِكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، بَلْ تَخَلَّفْتُمْ بَعْدَهُ فِي مَنَازِلِكُمْ..

﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ ظَنًّا مِنْكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ سَيَهْلِكُونَ، فَلَا يَرْجِعُونَ إِلَيْكُمْ أَبَدًا بِاسْتِئْصَالِ الْعَدُوِّ إِيَّاهُمْ..

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وَحَسَّنَ الشَّيْطَانُ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ، وَصَحَّحَهُ عِنْدَكُمْ حَتَّىٰ حَسُنَ عِنْدَكُمُ التَّخَلُّفُ عَنْهُ، فَقَعَدْتُمْ عَنْ صُحْبَتِهِ..

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَأَنَّ الْعَدُوَّ سَيَقْهَرُونَهُمْ وَيَغْلِبُونَهُمْ فَيَقْتُلُونَهُمْ..

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢] وَكُنْتُمْ قَوْمًا هَلْكَىٰ لَا يَصْلُحُونَ لِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح: ١٣].

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ أَيُّهَا الْأَعْرَابُ الْمُنَافِقُونَ..

﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ، فَيُصَدِّقُهُ عَلَىٰ مَا أَخْبَرَ بِهِ، وَيُقِرُّ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح: ١٣] فَإِنَّا أَعْدَدْنَا لَهُمْ جَمِيعًا سَعِيرًا مِنَ النَّارِ، تَسْتَعِرُ عَلَيْهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِذَا وَرَدُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٤﴾ [الفتح: ١٤].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ وَللهِ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا أَحَدَ يَقْدِرُ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ عَلَىٰ دَفْعِهِ عَمَّا أَرَادَ بِكُمْ مِنْ تَعْذِيبٍ عَلَىٰ نِفَاقِكُمْ إِنْ أَصَرَرْتُمْ عَلَيْهِ، أَوْ مَنْعِهِ مِنْ عَفْوِهِ عَنْكُمْ إِنْ عَفَا، إِنْ أَنْتُمْ تُبْتُمْ مِنْ نِفَاقِكُمْ وَكُفْرِكُمْ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حَثٌّ لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْمُرَاجَعَةِ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فِي طَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، يَقُولُ لَهُمْ: بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ مِنْ تَخَلُّفِكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِلتَّائِبِينَ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿غَفُورًا﴾ ذَا عَفْوٍ عَنْ عُقُوبَةِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿رَّحِيمًا ١٤﴾ [الفتح: ١٤] وَذَا رَحْمَةٍ بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٥﴾ [الفتح: ١٥].

﴿سَيَقُولُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ فِي أَهْلِيهِمْ عَنْ صُحْبَتِكَ..

﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ إِذَا سِرْتَ مُعْتَمِرًا تُرِيدُ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ، إِذَا انْطَلَقْتَ أَنْتَ وَمَنْ صَحِبَكَ فِي سَفَرِكَ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ..

﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ وَذَلِكَ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ غَنَائِمِ خَيْبَرَ..

﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إِلَىٰ خَيْبَرَ، فَنَشْهَدَ مَعَكُمْ قِتَالَ أَهْلِهَا..

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا وَعْدَ اللهِ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ لَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ ذَلِكَ عِوَضًا مِنْ غَنَائِمِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذِ انْصَرَفُوا عَنْهُمْ عَلَىٰ صُلْحٍ، وَلَمْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ شَيْئًا..

﴿قُل﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفِينَ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ لَنْ تَتَّبِعُونَا إِلَىٰ خَيْبَرَ إِذَا أَرَدْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِمْ لِقِتَالِهِمْ..

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ﴾ هَكَذَا قَالَ اللهُ لَنَا مِنْ قَبْلِ مَرْجِعِنَا إِلَيْكُمْ، إِنَّ غَنِيمَةَ خَيْبَرَ لِمَنْ شَهِدَ

الْحُدَيْبِيَةَ مَعَنَا، وَلَسْتُمْ مِمَّنْ شَهِدَهَا، فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونَا إِلَىٰ خَيْبَرَ، لِأَنَّ غَنِيمَتَهَا لِغَيْرِكُمْ..

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أَنْ نُصِيبَ مَعَكُمْ مَغْنَمًا إِنْ نَحْنُ شَهِدْنَا مَعَكُمْ، فَلِذَلِكَ تَمْنَعُونَنَا مِنَ الْخُرُوجِ مَعَكُمْ..

﴿بَلْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ: مَا الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ أَنَّكُمْ إِنَّمَا تَمْنَعُونَهُمْ مِنَ اتِّبَاعِكُمْ حَسَدًا مِنْكُمْ لَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يُصِيبُوا مَعَكُمْ مِنَ الْعَدُوِّ مَغْنَمًا، بَلْ..

﴿كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥﴾ [الفتح: ١٥] يَسِيرًا، وَلَوْ عَقَلُوا ذَلِكَ مَا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَقَدْ أَخْبَرُوهُمْ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ حَرَمَهُمْ غَنَائِمَ خَيْبَرَ، إِنَّمَا تَمْنَعُونَنَا مِنْ صُحْبَتِكُمْ إِلَيْهَا لِأَنَّكُمْ تَحْسُدُونَنَا.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦﴾ [الفتح: ١٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكَ..

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ﴾ قِتَالِ..

﴿قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ﴾ فِي الْقِتَالِ..

﴿شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ تُقَاتِلُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُدْعَوْنَ إِلَىٰ قِتَالِهِمْ، أَوْ يُسْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ..

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ اللهَ فِي إِجَابَتِكُمْ إِيَّاهُ إِذَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْأُولِي الْبَأْسِ الشَّدِيدِ، فَتُجِيبُوا إِلَىٰ قِتَالِهِمْ وَالْجِهَادِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ﴾ يُعْطِكُمُ اللهُ عَلَىٰ إِجَابَتِكُمْ إِيَّاهُ إِلَىٰ حَرْبِهِمُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ الْأَجْرُ الْحَسَنُ..

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ وَإِنْ تَعْصُوا رَبَّكُمْ فَتُدْبِرُوا عَنْ طَاعَتِهِ وَتُخَالِفُوا أَمْرَهُ، فَتَتْرُكُوا قِتَالَ الْأُولِي الْبَأْسِ الشَّدِيدِ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَىٰ قِتَالِهِمْ..

﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ كَمَا عَصَيْتُمُوهُ فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالْمَسِيرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْعَوْا إِلَىٰ قِتَالِ أُولِي الْبَأْسِ الشَّدِيدِ..

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦﴾ [الفتح: ١٦] وَجِيعًا، وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ عَلَىٰ عِصْيَانِكُمْ إِيَّاهُ، وَتَرْكِكُمْ جِهَادَهُمْ وَقِتَالَهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ١٧﴾ [الفتح: ١٧].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لَيْسَ عَلَىٰ الْأَعْمَىٰ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ضِيقٌ، وَلَا عَلَىٰ الْأَعْرَجِ ضِيقٌ، وَلَا عَلَىٰ الْمَرِيضِ ضِيقٌ، أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ الْجِهَادِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَشُهُودِ الْحَرْبِ مَعَهُمْ، إِذَا هُمْ لَقُوا عَدُوَّهُمْ، لِلْعِلَلِ الَّتِي بِهِمْ، وَالْأَسْبَابِ الَّتِي تَمْنَعُهُمْ مِنْ شُهُودِهَا..

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فَيُجِيبَ إِلَىٰ حَرْبِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَإِلَىٰ الْقِتَالِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ إِذَا دُعِيَ إِلَىٰ ذَٰلِكَ..

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يُدْخِلْهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَيَتَخَلَّفْ عَنْ قِتَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعَاءِ اللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ١٧﴾ [الفتح: ١٧] يُعَذِّبْهُ عَذَابًا مُوجِعًا، وَذَٰلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨﴾ [الفتح: ١٨].

﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ يَعْنِي بَيْعَةَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، حِينَ بَايَعُوهُ عَلَىٰ مُنَاجَزَةِ قُرَيْشٍ الْحَرْبَ، وَعَلَىٰ أَنْ لَا يَفِرُّوا، وَلَا يُوَلُّوهُمُ الدُّبُرَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانَتْ بَيْعَتُهُمْ إِيَّاهُ هُنَالِكَ تَحْتَ شَجَرَةٍ.. وَكَانَ سَبَبُ هَٰذِهِ الْبَيْعَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَرْسَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه بِرِسَالَتِهِ إِلَىٰ الْمَلَإِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَبْطَأَ عُثْمَانُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ، فَدَعَا أَصْحَابَهُ إِلَىٰ تَجْدِيدِ الْبَيْعَةِ عَلَىٰ حَرْبِهِمْ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ، فَبَايَعُوهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ.. وَهَٰذِهِ الْبَيْعَةُ الَّتِي تُسَمَّىٰ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ، وَكَانَ الَّذِينَ بَايَعُوهُ هَٰذِهِ الْبَيْعَةَ فِيمَا ذُكِرَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةٍ، وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَلْفًا وَثَلَاثَ مِئَةٍ..

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فَعَلِمَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ مَا فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِكَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، مِنْ صِدْقِ النِّيَّةِ، وَالْوَفَاءِ بِمَا يُبَايِعُونَكَ عَلَيْهِ، وَالصَّبْرِ مَعَكَ..

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ فَأَنْزَلَ الطُّمَأْنِينَةَ، وَالثَّبَاتَ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِمْ وَحُسْنِ

بَصِيرَتِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي هَدَاهُمُ اللهُ لَهُ..

﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨﴾ [الفتح: ١٨] وَعَوَّضَهُمْ فِي الْعَاجِلِ مِمَّا رَجَوُا الظَّفَرَ بِهِ مِنْ غَنَائِمِ أَهْلِ مَكَّةَ بِقِتَالِهِمْ أَهْلَهَا فَتْحًا قَرِيبًا، وَذَلِكَ فِيمَا قِيلَ: فَتْحُ خَيْبَرَ.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٩﴾ [الفتح: ١٩].

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ﴾ وَأَثَابَ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، مَعَ مَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ مِنْ رِضَاهُ عَنْهُمْ، وَإِنْزَالِهِ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَإِثَابَتِهِ إِيَّاهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، مَعَهُ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُونَهَا مِنْ أَمْوَالِ يَهُودِ خَيْبَرَ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ ذَلِكَ خَاصَّةً لِأَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ وَكَانَ اللهُ ذَا عِزَّةٍ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿حَكِيمًا ١٩﴾ [الفتح: ١٩] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا شَاءَ مِنْ قَضَائِهِ.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٢٠﴾ [الفتح: ٢٠].

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ هِيَ كُلُّ مَغْنَمٍ غَنَّمَهَا اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ، مِنْ لَدُنْ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ يَحْتَمِلُ الْكَلَامُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِالْمَغَانِمِ الثَّانِيَةِ الْمَغَانِمُ الْأُولَىٰ، وَيَكُونَ مَعْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا، وَعَدَكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ هَذِهِ الْمَغَانِمَ الَّتِي تَأْخُذُونَهَا، وَأَنْتُمْ إِلَيْهَا وَاصِلُونَ عِدَةً، فَجَعَلَ لَكُمُ الْفَتْحَ الْقَرِيبَ مِنْ فَتْحِ خَيْبَرَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ غَيْرَ الْأُولَىٰ، وَتَكُونُ الْأُولَىٰ مِنْ غَنَائِمِ خَيْبَرَ، وَالْغَنَائِمُ الثَّانِيَةُ الَّتِي وَعَدَهُمُوهَا مِنْ غَنَائِمِ سَائِرِ أَهْلِ الشِّرْكِ سِوَاهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هَذِهِ الْمَغَانِمُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ هِيَ مَغَانِمُ خَيْبَرَ..

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ غَنَائِمُ خَيْبَرَ، وَالْمُؤَخَّرَةُ سَائِرُ فُتُوحِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِيَ أَثَابَهُمُ اللهُ مِنْ مَسِيرِهِمْ ذَلِكَ مَعَ الْفَتْحِ الْقَرِيبِ الْمَغَانِمَ الْكَثِيرَةَ مِنْ مَغَانِمِ خَيْبَرَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَغْنَمُوا بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ غَنِيمَةً، وَلَمْ يَفْتَحُوا فَتْحًا أَقْرَبَ مِنْ بَيْعَتِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَةِ إِلَيْهَا مِنْ فَتْحِ خَيْبَرَ وَغَنَائِمِهَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ فَهِيَ سَائِرُ الْمَغَانِمِ الَّتِي غَنِمُهُمُوهَا اللهُ بَعْدَ خَيْبَرَ، كَغَنَائِمِ هَوَازِنَ، وَغَطَفَانَ، وَفَارِسَ، وَالرُّومِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ كَذَلِكَ دُونَ غَنَائِمِ خَيْبَرَ؛ لِأَنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَجَّلَ لَهُمْ هَذِهِ الَّتِي أَثَابَهُمْ مِنْ مَسِيرِهِمُ الَّذِي سَارُوهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

إِلَىٰ مَكَّةَ، وَلِمَا عُلِمَ مِنْ صِحَّةِ نِيَّتِهِمْ فِي قِتَالِ أَهْلِهَا، إِذْ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَلَىٰ أَنْ لَا يَفِرُّوا عَنْهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّتِي عُجِّلَتْ لَهُمْ غَيْرُ الَّتِي لَمْ تُعَجَّلْ لَهُمْ..

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ: وَكَفَّ اللهُ أَيْدِيَ الْمُشْرِكِينَ عَنْكُمْ ثُمَّ..

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَلِيَكُونَ كَفُّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَيْدِيَهُمْ عَنْ عِيَالِهِمْ آيَةً وَعِبْرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُتَوَلِّي حِيَاطَتَهُمْ وَكَلَاءَتَهُمْ فِي مَشْهَدِهِمْ وَمَغِيبِهِمْ، وَيَتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ بِالْحِفْظِ وَحُسْنِ الْوَلَايَةِ، مَا كَانُوا مُقِيمِينَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، مُنْتَهِينَ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠﴾ [الفتح: ٢٠] وَيُسَدِّدُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ طَرِيقًا وَاضِحًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، فَيُبَيِّنُهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَنْ تَثِقُوا فِي أُمُورِكُمْ كُلِّهَا بِرَبِّكُمْ، فَتَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِهَا، لِيَحُوطَكُمْ حِيَاطَتَهُ إِيَّاكُمْ فِي مَسِيرِكُمْ إِلَىٰ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ أَثَرَ فِعْلِ اللهِ بِكُمْ، إِذْ وَثِقْتُمْ بِهِ فِي مَسِيرِكُمْ هَذَا.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝٢١﴾ [الفتح: ٢١].

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَوَعَدَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ رَبُّكُمْ فَتْحَ بَلْدَةٍ أُخْرَىٰ وهي مكَّة..

﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَىٰ فَتْحِهَا..

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ لَكُمْ حَتَّىٰ يَفْتَحَهَا لَكُمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝٢١﴾ [الفتح: ٢١] وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ ذَا قُدْرَةٍ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ شَاءَهُ.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢﴾ [الفتح: ٢٢].

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَكَّةَ..

﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ لَانْهَزَمُوا عَنْكُمْ، فَوَلَّوكُمْ أَعْجَازَهُمْ، وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُ الْمُنْهَزِمُ مِنْ قِرْنِهِ فِي الْحَرْبِ..

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ﴾ ثُمَّ لَا يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْمُنْهَزِمُونَ عَنْكُمْ، الْمُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ..

﴿وَلِيًّا﴾ يُوَالِيهِمْ عَلَىٰ حَرْبِكُمْ..

﴿وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢﴾ [الفتح: ٢٢] يَنْصُرُهُمْ عَلَيْكُمْ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يُغْلَبَ حِزْبٌ اللهُ نَاصِرُهُ.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٣].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ لَوْ قَاتَلَكُمْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ، لَخَذَلَهُمُ اللهُ حَتَّىٰ يَهْزِمَهُمْ عَنْكُمْ خِذْلَانَهُ أَمْثَالَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، الَّذِينَ قَاتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ..

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٣] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَلَنْ تَجِدَ يَا مُحَمَّدُ لِسُنَّةِ اللهِ الَّتِي سَنَّهَا فِي خَلْقِهِ تَغْيِيرًا، بَلْ ذَلِكَ دَائِمٌ، لِلْإِحْسَانِ جَزَاؤُهُ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَلِلْإِسَاءَةِ وَالْكُفْرِ الْعِقَابُ وَالنَّكَالُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِرَسُولِهِ ﷺ: وَالَّذِينَ بَايَعُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ يَعْنِي أَنَّ اللهَ كَفَّ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا عَلَىٰ عَسْكَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بِالْحُدَيْبِيَةِ يَلْتَمِسُونَ غِرَّتَهُمْ لِيُصِيبُوا مِنْهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَتَىٰ بِهِمْ أَسْرَىٰ، فَخَلَّىٰ عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَنَّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَقْتُلْهُمْ فَقَالَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنْكُمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤] وَكَانَ اللهُ بِأَعْمَالِكُمْ وَأَعْمَالِهِمْ بَصِيرًا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح: ٢٥].

﴿هُمُ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ هُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ..

﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ..

﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عَنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾ وَصَدُّوا الْهَدْيَ مَعْكُوفًا، يَقُولُ: مَحْبُوسًا عَنْ أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ..

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ﴾ أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّ نَحْرِهِ، وَذَلِكَ دُخُولُ الْحَرَمِ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي إِذَا صَارَ إِلَيْهِ حَلَّ نَحْرُهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَاقَ مَعَهُ حِينَ خَرَجَ إِلَىٰ مَكَّةَ فِي سَفْرَتِهِ تِلْكَ سَبْعِينَ بَدَنَةً..

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ وَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ..

﴿وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ وَنِسَاءٌ مِنْهُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ..

﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أَنْ تَطَئُوهُمْ بِخَيْلِكُمْ وَرَجْلِكُمْ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ بِمَكَّةَ، وَقَدْ حَبَسَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِهَا عَنْكُمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْخُرُوجَ إِلَيْكُمْ فَتَقْتُلُوهُمْ..

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فَتُصِيبُكُمْ مِنْ قِبَلِهِمِ مَعَرَّةٌ تُعَرُّونَ بِهَا، يَلْزَمُكُمْ مِنْ أَجْلِهَا كَفَّارَةُ قَتْلِ الْخَطَأِ، وَذَلِكَ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، مَنْ أَطَاقَ ذَلِكَ، وَمَنْ لَمْ يُطِقْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ..

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مَنْ يَشَاءُ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلُوهَا، وَحَذَفَ جَوَابَ لَوْلَا اسْتِغْنَاءً بِدِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ لَوْ تَمَيَّزَ الَّذِينَ فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ مِنَ الرِّجَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالنِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ الَّذِينَ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ مِنْهُمْ، فَفَارَقُوهُمْ وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح: ٢٥] لَقَتَلْنَا مَنْ بَقِيَ فِيهَا بِالسَّيْفِ، أَوْ لَأَهْلَكْنَاهُمْ بِبَعْضِ مَا يُؤْلِمُهُمْ مِنْ عَذَابِنَا الْعَاجِلِ.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦].

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حِينَ جَعَلَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي قَلْبِهِ الْحَمِيَّةَ، فَامْتَنَعَ أَنْ يَكْتُبَ فِي كِتَابِ الْمُقَاضَاةِ الَّذِي كَتَبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَأَنْ يَكْتُبَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، وَامْتَنَعَ هُوَ وَقَوْمُهُ مِنْ دُخُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَهُ ذَلِكَ..

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فَأَنْزَلَ اللهُ الصَّبْرَ وَالطُّمَأْنِينَةَ وَالْوَقَارَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ حَمِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَأَبَوْا أَنْ يَكْتُبُوا فِي الْكِتَابِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ..

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أَلْزَمَهُمْ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الَّتِي يَتَّقُونَ بِهَا النَّارَ، وَأَلِيمَ الْعَذَابِ..

﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ أَحَقَّ بِكَلِمَةِ التَّقْوَىٰ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَهَا، يَقُولُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ أَهْلَ كَلِمَةِ التَّقْوَىٰ دُونَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٢٦﴾ [الفتح: ٢٦] وَلَمْ يَزَلِ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ذَا عِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ هُوَ كَائِنٌ، وَلِعِلْمِهِ أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا يَحْدُثُ مِنْ دُخُولِكُمْ مَكَّةَ وَبِهَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ، لَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ بِدُخُولِكُمْ مَكَّةَ فِي سَفْرَتِكُمْ هَذِهِ.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ [الفتح: ٢٧].

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا رُؤْيَاهُ الَّتِي أَرَاهَا إِيَّاهُ..

﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ أَنَّهُ يَدْخُلُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ آمِنَيْنِ..

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ مُقَصِّرًا بَعْضُهُمْ رَأْسَهُ، وَمُحَلِّقًا بَعْضُهُمْ..

﴿لَا تَخَافُونَ﴾ لَا يَخَافُونَ أَهْلَ الشِّرْكِ..

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ فَعَلِمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، وَذَلِكَ عِلْمُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِمَا بِمَكَّةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لَمْ يَعْلَمْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَوْ دَخَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ لَوَطِئُوهُمْ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ، فَأَصَابَتْهُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَرَدَّهُمُ اللهُ عَنْ مَكَّةَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ..

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ [الفتح: ٢٧] مِنْ دُونِ دُخُولِهِمُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَدُونَ تَصْدِيقِهِ رُؤْيَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ صُلْحَ الْحُدَيْبِيَةِ وَفَتْحُ خَيْبَرَ دُونَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَخْصُصِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَبَرَهُ ذَلِكَ عَنْ فَتْحٍ مِنْ ذَلِكَ دُونَ فَتْحٍ، بَلْ عَمَّ ذَلِكَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فَتْحٌ جَعَلَهُ اللهُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّهُ كَمَا عَمَّهُ، فَيُقَالُ: جَعَلَ اللهُ مِنْ دُونِ تَصْدِيقِهِ رُؤْيَا رَسُولِ اللهِ ﷺ بِدُخُولِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ، لَا يَخَافُونَ الْمُشْرِكِينَ صُلْحَ الْحُدَيْبِيَةِ وَفَتْحَ خَيْبَرَ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ [الفتح: ٢٨].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْبَيَانِ الْوَاضِحِ، وَدِينِ الْحَقِّ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ؛ الَّذِي أَرْسَلَهُ دَاعِيًا خَلْقَهُ إِلَيْهِ..

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ لِيُبْطِلَ بِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا، حَتَّىٰ لَا يَكُونَ دِينٌ سِوَاهُ، وَذَلِكَ كَانَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَنْزِلَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلَ الدَّجَّالَ، فَحِينَئِذٍ تَبْطُلُ الْأَدْيَانُ كُلُّهَا، غَيْرَ دِينِ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَيَظْهَرُ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ [الفتح: ٢٨] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: أَشْهَدَكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، أَنَّهُ سَيُظْهِرُ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ وَحَسْبُكَ بِهِ شَاهِدًا.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَأَتْبَاعُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ مَعَهُ عَلَىٰ دِينِهِ، أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ، غَلِيظَةٌ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ، قَلِيلَةٌ بِهِمْ رَحْمَتُهُمْ..

﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ رَقِيقَةٌ قُلُوبُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، لَيِّنَةٌ أَنْفُسُهُمْ لَهُمْ، هَيِّنَةٌ عَلَيْهِمْ لَهُمْ..

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ تَرَاهُمْ رُكَّعًا أَحْيَانًا للهِ فِي صَلَاتِهِمْ سُجَّدًا أَحْيَانًا..

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يَلْتَمِسُونَ بِرُكُوعِهِمْ وَسُجُودِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ عَلَىٰ الْكُفَّارِ وَرَحْمَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَضْلًا مِنَ اللهِ، وَذَلِكَ رَحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ، بِأَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ، فَيُدْخِلَهُمْ جَنَّتَهُ..

﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ وَأَنْ يَرْضَىٰ عَنْهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ عَلَامَتُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَنَا أَنَّ سِيمَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، وَلَمْ يَخُصَّ ذَلِكَ عَلَىٰ وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَذَلِكَ عَلَىٰ كُلِّ الْأَوْقَاتِ، فَكَانَ سِيمَاهُمُ الَّذِي كَانُوا يُعْرَفُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا أَثَرُ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ خُشُوعُهُ وَهَدْيُهُ وَزُهْدُهُ وَسَمْتُهُ، وَآثَارُ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَتَطَوُّعِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ مَا أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يُعْرَفُونَ بِهِ، وَذَلِكَ الْغُرَّةُ فِي الْوَجْهِ وَالتَّحْجِيلُ فِي الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَبَيَاضُ الْوُجُوهِ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ..

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي وَصَفْتُ لَكُمْ مِنْ صِفَةِ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ مَعَهُ صِفَتُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ وَصِفَتُهُمْ فِي إِنْجِيلِ عِيسَىٰ صِفَةُ زَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، وَهُوَ فِرَاخُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ أَشْطَأَ الزَّرْعُ: إِذَا فَرَّخَ فَهُوَ يُشْطِئُ إِشْطَاءً.. وَإِنَّمَا مَثَّلَهُمْ بِالزَّرْعِ الْمُشْطِئِ؛ لِأَنَّهُمُ ابْتَدَأُوا فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ عَدَدٌ قَلِيلُونَ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَزَايَدُونَ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ الْجَمَاعَةُ بَعْدَ الْجَمَاعَةِ، حَتَّىٰ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، كَمَا يَحْدُثُ فِي أَصْلِ الزَّرْعِ

الْفَرْخُ مِنْهُ، ثُمَّ الْفَرْخُ بَعْدَهُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ وَيَنْمِيَ..

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فَقَوَّاهُ: أَيْ قَوَّىٰ الزَّرْعَ شَطْأَهُ وَأَعَانَهُ، وَهُوَ مِنَ الْمُؤَازَرَةِ الَّتِي بِمَعْنَىٰ الْمُعَاوَنَةِ..

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ فَغَلُظَ الزَّرْعُ..

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ وَالسُّوقُ: جَمْعُ سَاقٍ، وَسَاقُ الزَّرْعِ وَالشَّجَرِ: حَامِلَتُهُ..

﴿يُعْجِبُ﴾ هَذَا الزَّرْعُ الَّذِي اسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ فِي تَمَامِهِ وَحُسْنِ نَبَاتِهِ، وَبُلُوغِهِ وَانْتِهَائِهِ..

﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾ الَّذِينَ زَرَعُوهُ..

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فَكَذَلِكَ مَثَلُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَاجْتِمَاعِ عَدَدِهِمْ حَتَّىٰ كَثُرُوا وَنَمَوْا وَغَلُظَ أَمْرُهُمْ، كَهَذَا الزَّرْعِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ مَتْرُوكٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَعَلَ ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ..

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْهِمْ..

﴿مِنْهُم﴾ مِنَ الشَّطْءِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الزَّرْعُ، وَهُمُ الدَّاخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الزَّرْعِ الَّذِي وَصَفَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَتَهُ..

﴿مَّغْفِرَةً﴾ عَفْوًا عَمَّا مَضَىٰ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَسَيِّءِ أَعْمَالِهِمْ بِحُسْنِهَا..

﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ [الفتح: ٢٩] وَثَوَابًا جَزِيلًا، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَتْحِ



سُورَةُ الحُجُرَاتِ (٤٩)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①﴾ [الحجرات: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَبِنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لَا تَعْجَلُوا بِقَضَاءِ أَمْرٍ فِي حُرُوبِكُمْ أَوْ دِينِكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ اللهُ لَكُمْ فِيهِ وَرَسُولُهُ، فَتَقْضُوا بِخِلَافِ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ.. مَحْكِيٌّ عَنِ الْعَرَبِ فُلَانٌ يُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْ إِمَامِهِ، بِمَعْنَىٰ يَعْجَلُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ دُونَهُ..

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فِي قَوْلِكُمْ أَنْ تَقُولُوا مَا لَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ بِهِ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ، وَرَاقِبُوهُ..

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا تَقُولُونَ..

﴿عَلِيمٌ ①﴾ [الحجرات: ١] بِمَا تُرِيدُونَ بِقَوْلِكُمْ إِذَا قُلْتُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ غَيْرِكُمْ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ②﴾ [الحجرات: ٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ تَتَجَهَّمُوهُ بِالْكَلَامِ، وَتُغْلِظُونَ لَهُ فِي الْخِطَابِ..

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ وَلَا تُنَادُوهُ كَمَا يُنَادِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِاسْمِهِ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنْ قَوْلًا لَيِّنًا وَخِطَابًا حَسَنًا، بِتَعْظِيمٍ لَهُ وَتَوْقِيرٍ وَإِجْلَالٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، يَا نَبِيَّ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ..

﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أَنْ لَا تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ فَتَذْهَبَ بَاطِلَةً، لَا ثَوَابَ لَكُمْ عَلَيْهَا وَلَا جَزَاءَ، بِرَفْعِكُمْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ نَبِيِّكُمْ، وَجَهْرِكُمْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ..

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ②﴾ [الحجرات: ٢] وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَا تَدْرُونَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ [الحجرات: ٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُّونَ رَفْعَ أَصْوَاتِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ.. وَأَصْلُ الْغَضِّ: الْكَفُّ فِي لِينٍ، وَمِنْهُ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَهُوَ كَفُّهُ عَنِ النَّظَرِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ، هُمُ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ الَّذِينَ اخْتَبَرَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِامْتِحَانِهِ إِيَّاهَا، فَاصْطَفَاهَا وَأَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَىٰ، يَعْنِي لِاتِّقَائِهِ بِأَدَاءِ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، كَمَا يُمْتَحَنُ الذَّهَبُ بِالنَّارِ، فَيَخْلُصُ جَيِّدُهَا، وَيَبْطُلُ خَبَثُهَا..

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لَهُمْ مِنَ اللهِ عَفْوٌ عَنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ، وَصَفْحٌ مِنْهُ عَنْهَا لَهُمْ..

﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ [الحجرات: ٣] وَثَوَابٌ جَزِيلٌ، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٤﴾ [الحجرات: ٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ جَمْعُ حُجْرَةٍ، وَالثَّلَاثُ: حُجَرٌ، ثُمَّ تُجْمَعُ الْحُجَرُ فَيُقَالُ: حُجُرَاتٌ وَحُجْرَاتٌ، وَقَدْ تَجْمَعُ بَعْضُ الْعَرَبِ الْحُجَرَ: حُجَرَاتٍ، بِفَتْحِ الْجِيمِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ جَمْعٍ كَانَ مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَىٰ عَشَرَةٍ عَلَىٰ فُعَلٍ، يَجْمَعُونَهُ عَلَىٰ فُعَلَاتٍ بِفَتْحِ ثَانِيهِ، وَالرَّفْعُ أَفْصَحُ وَأَجْوَدُ..

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٤﴾ [الحجرات: ٤] أَكْثَرُهُمْ جُهَّالٌ بِدِينِ اللهِ، وَاللَّازِمُ لَهُمْ مِنْ حَقِّكَ وَتَعْظِيمِكَ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَعْرَابِ، جَاءُوا يُنَادُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ وَرَاءِ حُجْرَاتِهِ: يَا مُحَمَّدُ اخْرُجْ إِلَيْنَا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥﴾ [الحجرات: ٥].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ..

﴿صَبَرُواْ﴾ فَلَمْ يُنَادُوكَ..

﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ إِذَا خَرَجْتَ..

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَهُمْ بِتَوْقِيرِكَ وَتَعْظِيمِكَ، فَهُمْ بِتَرْكِهِمْ نِدَاءَكَ تَارِكُونَ مَا قَدْ نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ وَاللهُ ذُو عَفْوٍ عَمَّنْ نَادَاكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، إِنْ هُوَ تَابَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ بِنِدَائِكَ كَذَلِكَ، وَرَاجَعَ أَمْرَ اللهِ فِي ذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [الحجرات: ٥] بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ ذَنْبِهِ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِ مِنْهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ عَنْ قَوْمٍ فَتَبَيَّنُوا..

﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ فَتَبَيَّنُوا لِئَلَّا تُصِيبُوا قَوْمًا بُرَآءَ مِمَّا قُذِفُوا بِهِ، بِجِنَايَةٍ بِجَهَالَةٍ مِنْكُمْ..

﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦] فَتَنْدَمُوا عَلَىٰ إِصَابَتِكُمْ إِيَّاهُمْ بِالْجِنَايَةِ الَّتِي تُصِيبُونَهُمْ بِهَا.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات: ٧].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لِأَصْحَابِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ: وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ فَاتَّقُوا اللهَ أَنْ تَقُولُوا الْبَاطِلَ، وَتَفْتَرُوا الْكَذِبَ، فَإِنَّ اللهَ يُخْبِرُهُ أَخْبَارَكُمْ، وَيُعَرِّفُهُ أَنْبَاءَكُمْ، وَيُقَوِّمُهُ عَلَىٰ الصَّوَابِ فِي أُمُورِهِ..

﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي الْأُمُورِ بِآرَائِكُمْ وَيَقْبَلُ مِنْكُمْ مَا تَقُولُونَ لَهُ فَيُطِيعُكُمْ..

﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ لَنَالَكُمْ عَنَتٌ، يَعْنِي الشِّدَّةَ وَالْمَشَقَّةَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ بِطَاعَتِهِ إِيَّاكُمْ لَوْ أَطَاعَكُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُخْطِئُ فِي أَفْعَالِهِ، كَمَا لَوْ قَبِلَ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ قَوْلَهُ فِي بَنِي الْمُصْطَلِقِ: إِنَّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا، وَمَنَعُوا الصَّدَقَةَ، وَجَمَعُوا الْجُمُوعَ لِغَزْوِ الْمُسْلِمِينَ، فَغَزَاهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ، وَأَصَابَ مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، كَانَ قَدْ قَتَلَ، وَقَتَلْتُمْ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ وَلَا لَكُمْ قَتْلُهُ، وَأَخَذَ وَأَخَذْتُمْ مِنَ الْمَالِ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ وَلَكُمْ أَخْذُهُ مِنْ أَمْوَالِ قَوْمٍ مُسْلِمِيْنَ، فَنَالَكُمْ مِنَ اللهِ بِذَلِكَ عَنَتٌ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَأَنْتُمْ تُطِيعُونَ رَسُولَ اللهِ، وَتَأْتَمُّونَ بِهِ فَيَقِيكُمُ اللهُ بِذَلِكَ مِنَ الْعَنَتِ مَا لَوْ لَمْ تُطِيعُوهُ وَتَتَّبِعُوهُ، وَكَانَ يُطِيعُكُمْ لَنَالَكُمْ وَأَصَابَكُمْ..

﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ وَحَسَّنَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ فَآمَنْتُمْ..

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ بِاللهِ..
﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ يَعْنِي الْكَذِبَ..
﴿وَٱلْعِصْيَانَۚ﴾ يَعْنِي رُكُوبَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ فِي خِلَافِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَضْيِيعِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ..
﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَبَّبَ اللهُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، أُولَئِكَ..
﴿هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات: ٨] السَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ.

﴿فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [الحجرات: ٨].

﴿فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي عَدَّهَا فَضْلًا مِنْهُ، وَإِحْسَانًا..
﴿وَنِعْمَةٗۚ﴾ مِنْهُ أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ..
﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِالْمُحْسِنِ مِنْكُمْ مِنَ الْمُسِيءِ، وَمَنْ هُوَ لِنِعَمِ اللهِ وَفَضْلِهِ أَهْلٌ، وَمَنْ هُوَ لِذَلِكَ غَيْرُ أَهْلٍ..
﴿حَكِيمٞ ۝٨﴾ [الحجرات: ٨] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَصَرْفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا شَاءَ مِنْ قَضَائِهِ.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ اقْتَتَلُوا..
﴿فَأَصْلِحُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَيْنَهُمَا..
﴿بَيْنَهُمَاۖ﴾ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ حُكْمِ كِتَابِ اللهِ، وَالرِّضَا بِمَا فِيهِ لَهُمَا وَعَلَيْهِمَا، وَذَلِكَ هُوَ الْإِصْلَاحُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ..
﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فَإِنْ أَبَتْ إِحْدَىٰ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ الْإِجَابَةَ إِلَىٰ حُكْمِ كِتَابِ اللهِ لَهُ، وَعَلَيْهِ وَتَعَدَّتْ مَا جَعَلَ اللهُ عَدْلًا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَجَابَتِ الْأُخْرَىٰ مِنْهُمَا..
﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي﴾ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَعْتَدِي، وَتَأْبَىٰ الْإِجَابَةَ إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ..
﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾ حَتَّىٰ تَرْجِعَ إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ..
﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ فَإِنْ رَجَعَتِ الْبَاغِيَةُ بَعْدَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ الرِّضَا بِحُكْمِ اللهِ فِي كِتَابِهِ..

﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَىٰ الَّتِي قَاتَلَتْهَا..

﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بِالْإِنْصَافِ بَيْنَهُمَا، وَذَلِكَ حُكْمُ اللهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَدْلًا بَيْنَ خَلْقِهِ..

﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ وَاعْدِلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي حُكْمِكُمْ بَيْنَ مَنْ حَكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِأَنْ لَا تَتَجَاوَزُوا فِي أَحْكَامِكُمْ حُكْمَ اللهِ وَحُكْمَ رَسُولِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحجرات: ٩] إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَادِلِينَ فِي أَحْكَامِهِمْ، الْقَاضِينَ بَيْنَ خَلْقِهِ بِالْقِسْطِ.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ فِي الدِّينِ..

﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ إِذَا اقْتَتَلَا بِأَنْ تَحْمِلُوهُمَا عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ.. وَمَعْنَىٰ الْأَخَوَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: كُلُّ مُقْتَتِلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ عَلَيْكُمْ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُقْتَتِلِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِالْعَدْلِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ١٠] لِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ، فَيَصْفَحَ لَكُمْ عَنْ سَالِفِ إِجْرَامِكُمْ، إِذَا أَنْتُمْ أَطَعْتُمُوهُ، وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَاتَّقَيْتُمُوهُ بِطَاعَتِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَا يَسۡخَرۡ﴾ لَا يَهْزَأْ..

﴿قَوۡمٞ﴾ مُؤْمِنُونَ..

﴿مِّن قَوۡمٍ﴾ مُؤْمِنِينَ..

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ﴾ الْمَهْزُوءُ مِنْهُمْ..

﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ مِنَ الْهَازِئِينَ..

﴿وَلَا﴾ يَهْزَأْ..

﴿نِسَآءٞ﴾ مُؤْمِنَاتٌ..

﴿مِّن نِّسَآءٍ﴾ مُؤْمِنَاتٍ..

﴿عَسَىٰٓ﴾ الْمَهْزُوءُ مِنْهُنَّ..

﴿أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ مِنَ الْهَازِئَاتِ.. فَإِنَّ اللهَ عَمَّ بِنَهْيِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَسْخَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ جَمِيعَ مَعَانِي السُّخْرِيَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَسْخَرَ مِنْ مُؤْمِنٍ، لَا لِفَقْرِهِ، وَلَا لِذَنْبٍ رَكِبَهُ، وَلَا لِغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا يَطْعَنُ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ وَلَا تَدَاعَوْا بِالْأَلْقَابِ.. وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ: هُوَ دُعَاءُ الْمَرْءِ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُهُ مِنَ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ.. وَعَمَّ اللهُ بِنَهْيِهِ ذَلِكَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ بَعْضَ الْأَلْقَابِ دُونَ بَعْضٍ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْبُزَ أَخَاهُ بِاسْمٍ يَكْرَهُهُ أَوْ صِفَةٍ يَكْرَهُهَا، وَلَمْ يَكُنْ بَعْضُ ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِمَّا نَهَىٰ اللهُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْبُزَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا..

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ وَمَنْ فَعَلَ مَا نَهَيْنَا عَنْهُ، وَتَقَدَّمَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِنَا بَعْدَ إِيمَانِهِ، فَسَخِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمَزَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ، وَنَبَزَهُ بِالْأَلْقَابِ، فَهُوَ فَاسِقٌ ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ يَقُولُ: فَلَا تَفْعَلُوا فَتَسْتَحِقُّوا إِنْ فَعَلْتُمُوهُ أَنْ تُسَمَّوْا فُسَّاقًا، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ..

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ نَبْزِهِ أَخَاهُ بِمَا نَهَىٰ اللهُ عَنْ نَبْزِهِ بِهِ مِنَ الْأَلْقَابِ، أَوْ لَمْزِهِ إِيَّاهُ، أَوْ سُخْرِيَتِهِ مِنْهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ [الحجرات: ١١] فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَكْسَبُوهَا عِقَابَ اللهِ بِرُكُوبِهِمْ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ لَا تَقْرَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ أَنْ تَظُنُّوا بِهِمْ سُوءًا، فَإِنَّ الظَّانَّ غَيْرُ مُحِقٍّ.. وَلَمْ يَقُلْ: الظَّنَّ كُلَّهُ، إِذْ كَانَ قَدْ أَذِنَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَظُنَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ الْخَيْرَ، فَقَالَ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾ [النور: ١٢]، فَأَذِنَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَظُنَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ الْخَيْرَ وَأَنْ يَقُولُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ قِيلِهِ فِيهِمْ عَلَىٰ يَقِينٍ..

﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ﴾ إِنَّ ظَنَّ الْمُؤْمِنِ بِالْمُؤْمِنِ الشَّرَّ لَا الْخَيْرَ..

﴿إِثۡمٞ﴾ لِأَنَّ اللهَ قَدْ نَهَاهُ عَنْهُ، فَفِعْلُ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ إِثْمٌ..

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ وَلَا يَتَتَبَّعْ بَعْضُكُمْ عَوْرَةَ بَعْضٍ، وَلَا يَبْحَثْ عَنْ سَرَائِرِهِ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ الظُّهُورَ عَلَىٰ عُيُوبِهِ، وَلَكِنِ اقْنَعُوا بِمَا ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ، وَبِهِ فَاحْمِدُوا أَوْ ذِمُّوا، لَا عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَهُ مِنْ سَرَائِرِهِ..

﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ وَلَا يَقُلْ بَعْضُكُمْ فِي بَعْضٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا يَكْرَهُ الْمَقُولُ فِيهِ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ لَهُ فِي وَجْهِهِ..

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ مَيْتًا، فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا ذَلِكَ وَكَرِهْتُمُوهُ، لِأَنَّ اللهَ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَكَذَلِكَ لَا تُحِبُّوا أَنْ تَغْتَابُوهُ فِي حَيَاتِهِ، فَاكْرَهُوا غَيْبَتَهُ حَيًّا، كَمَا كَرِهْتُمْ لَحْمَهُ مَيْتًا، فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ غَيْبَتَهُ حَيًّا، كَمَا حَرَّمَ أَكْلَ لَحْمِهِ مَيْتًا..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَخَافُوا عُقُوبَتَهُ بِانْتِهَائِكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ ظَنِّ أَحَدِكُمْ بِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ظَنَّ السُّوءِ، وَتَتَبُّعِ عَوْرَاتِهِ، وَالتَّجَسُّسِ عَمَّا سَتَرَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِهِ، وَاغْتِيَابِهِ بِمَا يَكْرَهُهُ، تُرِيدُونَ بِهِ شَيْنَهُ وَعَيْبَهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي نَهَاكُمْ عَنْهَا رَبُّكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ﴾ إِنَّ اللهَ رَاجِعٌ لِعَبْدِهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ إِذَا رَجَعَ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ مِنْهُ..

﴿رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢] بِهِ بِأَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ ذَنْبٍ أَذْنَبَهُ بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنْهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا أَنْشَأْنَا خَلْقَكُمْ مِنْ مَاءِ ذَكَرٍ مِنَ الرِّجَالِ، وَمَاءِ أُنْثَىٰ مِنَ النِّسَاءِ..

﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ وَجَعَلْنَاكُمْ مُتَنَاسِبِينَ، فَبَعْضُكُمْ يُنَاسِبُ بَعْضًا نَسَبًا بَعِيدًا، وَبَعْضُكُمْ يُنَاسِبُ بَعْضًا نَسَبًا قَرِيبًا، فَالْمُنَاسِبُ النَّسَبَ الْبَعِيدَ مَنْ لَمْ يَنْسُبْهُ أَهْلُ الشُّعُوبِ، وَذَلِكَ إِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ مِنَ الْعَرَبِ: مِنْ أَيِّ شِعْبٍ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مِنْ مُضَرَ، أَوْ مِنْ رَبِيعَةَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْمُنَاسَبَةِ الْقَرِيبَةِ أَهْلُ الْقَبَائِلِ، وَهُمْ كَتَمِيمٍ مِنْ مُضَرَ، وَبَكْرٍ مِنْ رَبِيعَةَ، وَأَقْرَبُ الْقَبَائِلِ الْأَفْخَاذُ، وَهُمَا كَشَيْبَانَ مِنْ بَكْرٍ وَدَارِمٍ مِنْ تَمِيمٍ..

﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي النَّسَبِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّمَا جَعَلْنَا هَذِهِ الشُّعُوبَ

وَالْقَبَائِلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي قُرْبِ الْقَرَابَةِ مِنْهُ وَبُعْدِهِ، لا لِفَضِيلَةٍ لَكُمْ فِي ذَلِكَ، وَقُرْبَةٍ تُقَرِّبُكُمْ إِلَىٰ اللهِ، بَلْ أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ..

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عِنْدَ رَبِّكُمْ، أَشَدُّكُمُ اتِّقَاءً لَهُ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، لا أَعْظَمَكُمْ بَيْتًا وَلَا أَكْثَرَكُمْ عَشِيرَةً..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ إِنَّ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ ذُو عِلْمٍ بِأَتْقَاكُمْ عِنْدَ اللهِ وَأَكْرَمِكُمْ عِنْدَهُ..

﴿خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣] ذُو خِبْرَةٍ بِكُمْ وَبِمَصَالِحِكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ، لا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

﴿* قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

﴿* قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ قَالَتِ الأَعْرَابُ: صَدَّقْنَا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ قَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ وَلَسْتُمْ مُؤْمِنِينَ..

﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ تَقَدَّمَ اللهُ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْمِلَّةِ إِقْرَارًا مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ، وَلَمْ يُحَقِّقُوا قَوْلَهُمْ بِعَمَلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا بِالإِطْلَاقِ: آمَنَّا، دُونَ تَقْيِيدِ قَوْلِهِمْ بِذَلِكَ بِأَنْ يَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا الْقَوْلَ الَّذِي لَا يُشْكِلُ عَلَىٰ سَامِعِيهِ، وَالَّذِي قَائِلُهُ فِيهِ مُحِقٌّ، وَهُوَ أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، بِمَعْنَىٰ: دَخَلْنَا فِي الْمِلَّةِ، وحَقَنَّا الدِّمَاءَ وَالْأَمْوَالَ، بِالشَّهَادَةِ الْحَقِّ..

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْعِلْمُ بِشَرَائِعِ الإِيمَانِ، وَحَقَائِقِ مَعَانِيهِ، فِي قُلُوبِكُمْ..

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ الْقَائِلِينَ آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، إِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَتَأْتَمِرُوا لِأَمْرِهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، وَتَعْمَلُوا بِمَا فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ لا يَظْلِمْكُمْ مِنْ أُجُورِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا، وَلَا يَنْقُصْكُمْ مِنْ ثَوَابِهَا شَيْئًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ إِنَّ اللهَ ذُو عَفْوٍ أَيُّهَا الْأَعْرَابُ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَتَابَ إِلَيْهِ مِنْ سَالِفِ ذُنُوبِهِ، فَأَطِيعُوهُ، وَانْتَهُوا إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤] بِخَلْقِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ عَلَىٰ مَا تَابُوا مِنْهُ، فَتُوبُوا إِلَيْهِ يَرْحَمْكُمْ.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْأَعْرَابِ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ ثُمَّ لَمْ يَشُكُّوا فِي وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَلَا فِي نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَأَلْزَمَ نَفْسَهُ طَاعَةَ اللهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، بِغَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي وجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ..

﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ بِإِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ..

﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ وَبَذْلِ مُهَجِهِمْ فِي جِهَادِهِمْ..

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ جِهَادِهِمْ، وَذَلِكَ سَبِيلُهُ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ..

﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] فِي قَوْلِهِمْ إِنَّا مُؤْمِنُونَ، لَا مَنْ دَخَلَ فِي الْمِلَّةِ خَوْفَ السَّيْفِ لِيَحْقِنَ دَمَهُ وَمَالَهُ.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات: ١٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ الْقَائِلِينَ آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ..

﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿بِدِينِكُمْ﴾ بِطَاعَتِكُمْ رَبَّكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ﴾ الَّذِي تُعَلِّمُونَهُ أَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ..

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عَلَّامُ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَكَيْفَ تُعَلِّمُونَهُ بِدِينِكُمْ، وَالَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فِي سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ، فَيَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ؟!..

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ وَاللهُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَبِمَا يَكُونُ..

﴿عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات: ١٦] ذُو عِلْمٍ.. وَإِنَّمَا هَذَا تَقَدُّمٌ مِنَ اللهِ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ بِالنَّهْيِ، عَنْ أَنْ

يَكْذِبُوا وَيَقُولُوا غَيْرَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ فِي دِينِهِمْ.. يَقُولُ: اللهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ بِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَقُولُوا خِلَافَ مَا يَعْلَمُ مِنْ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ، فَيَنَالُكُمْ عُقُوبَتُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات: ١٧].

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ يُمُنُّ عَلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ يَا مُحَمَّدُ أَنْ أَسْلَمُوا..

﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بَلِ اللهُ يُمُنُّ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْ وَفَّقَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات: ١٧] فِي قَوْلِكُمْ آمَنَّا، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي مَنَّ عَلَيْكُمْ بِأَنْ هَدَاكُمْ لَهُ، فَلَا تَمُنُّوا عَلَيَّ بِإِسْلَامِكُمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحجرات: ١٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِنَّ اللهَ أَيُّهَا الْأَعْرَابُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ الصَّادِقُ مِنْكُمْ مِنَ الْكَاذِبِ، وَمَنِ الدَّاخِلُ مِنْكُمْ فِي مِلَّةِ الْإِسْلَامِ رَغْبَةً فِيهِ، وَمَنِ الدَّاخِلُ فِيهِ رَهْبَةً مِنْ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَجُنْدِهِ، فَلَا تُعَلِّمُونَا دِينَكُمْ وَضَمَائِرَ صُدُورِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ ضَمَائِرُ صُدُورِكُمْ، وَتُحَدِّثُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ، وَيَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ، فَاسْتَسَرَّ فِي خَبَايَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحجرات: ١٨] وَاللهُ ذُو بَصَرٍ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا، أَجَهْرًا تَعْمَلُونَ أَمْ سِرًّا، طَاعَةً تَعْمَلُونَ أَوْ مَعْصِيَةً، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ وَكُفْؤُهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ



سُورَةُ ق (٥٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ①﴾ [ق: ١].

﴿قٓ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا فِي تَأْوِيلِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ الَّتِي فِي أَوَائِلِ سُوَرِ الْقُرْآنِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ①﴾ [ق: ١] وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ②﴾ [ق: ٢].

﴿بَلْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَذَّبَكَ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ أَنْ لَا يَكُونُوا عَالِمِينَ بِأَنَّكَ صَادِقٌ مُحِقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ..

﴿عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾ كَذَّبُوكَ تَعَجُّبًا مِنْ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ يُنْذِرُهُمْ عِقَابَ اللهِ..

﴿مِنْهُمْ﴾ بَشَرًا مِنْهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَلَمْ يَأْتِهِمْ مَلَكٌ بِرِسَالَةٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ فَقَالَ الْمُكَذِّبُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قُرَيْشٍ إِذْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ..

﴿هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ②﴾ [ق: ٢] أَيْ مَجِيءُ رَجُلٍ مِنَّا مِنْ بَنِي آدَمَ بِرِسَالَةِ اللهِ إِلَيْنَا.. فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: سَتَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ إِذَا أَنْتُمْ بُعِثْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَا يَكُونُ حَالُكُمْ فِي تَكْذِيبِكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنْكَارِكُمْ نُبُوَّتَهِ، فَقَالُوا مُجِيبِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ③﴾ [ق: ٣].

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نَعْلَمُ ذَلِكَ، وَنَرَىٰ مَا تَعِدُنَا عَلَىٰ تَكْذِيبِكَ؟!..

﴿ذَٰلِكَ﴾ غَيْرُ كَائِنٍ..

﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ ③﴾ [ق: ٣] وَلَسْنَا رَاجِعِينَ أَحْيَاءً بَعْدَ مَمَاتِنَا.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ④﴾ [ق: ٤].

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ مِنْ أَجْسَامِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ..

﴿وَعِنْدَنَا﴾ بِمَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ وَتُفْنِي مِنْ أَجْسَامِهِمْ..

﴿كِتَٰبٌ﴾ وَلَهُمْ كِتَابٌ مَكْتُوبٌ، مَعَ عَلْمِنَا بِذَلِكَ..

﴿حَفِيظٌ ۝٤﴾ [ق: ٤] حَافِظٌ لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَسَمَّاهُ اللهُ تَعَالَىٰ حَفِيظًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرُسُ مَا كُتِبَ فِيهِ، وَلَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ٥].

﴿بَلْ﴾ مَا أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْقَائِلُونَ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٣] فِي قِيلِهِمْ هَذَا، بَلْ..

﴿كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ..

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ٥] فَهُمْ فِي أَمْرٍ مُخْتَلِطٍ عَلَيْهِمْ مُلْتَبِسٍ، لَا يَعْرِفُونَ حَقَّهُ مِنْ بَاطِلِهِ.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [ق: ٦].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، الْمُنْكِرُونَ قُدْرَتَنَا عَلَىٰ إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ بَلَائِهِمْ..

﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ فَسَوَّيْنَاهَا سَقْفًا مَحْفُوظًا..

﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بِالنُّجُومِ..

﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [ق: ٦] وَمَا لَهَا مِنْ صُدُوعٍ وَفُتُوقٍ.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ [ق: ٧].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ وَالْأَرْضَ بَسَطْنَاهَا..

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جِبَالًا ثَوَابِتَ، رَسَتْ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ [ق: ٧] وَأَنْبَتْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ نَبَاتٍ حَسَنٍ، وَهُوَ الْبَهِيجُ.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٨].

﴿تَبْصِرَةً﴾ فَعَلْنَا ذَلِكَ تَبْصِرَةً لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نُبَصِّرُكُمْ بِهَا قُدْرَةَ رَبِّكُمْ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ..

﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وَتَذْكِيرًا مِنَ اللهِ عَظَمَتَهُ وَسُلْطَانَهُ، وَتَنْبِيهًا عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٨] لِكُلِّ عَبْدٍ رَجَعَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑨﴾ [ق: ٩].

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطَرًا..

﴿مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ فَأَنْبَتْنَا بِهِ بَسَاتِينَ أَشْجَارًا..

﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑨﴾ [ق: ٩] وَحَبَّ الزَّرْعِ الْمَحْصُودِ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْحُبُوبِ.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ⑩﴾ [ق: ١٠].

﴿وَالنَّخْلَ﴾ وَأَنْبَتْنَا بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ النَّخْلَ..

﴿بَاسِقَاتٍ﴾ طِوَالًا، وَالْبَاسِقُ: هُوَ الطَّوِيلُ، يُقَالُ لِلْجَبَلِ الطَّوِيلِ: جَبَلٌ بَاسِقٌ..

﴿لَّهَا﴾ لِهَذَا النَّخْلِ الْبَاسِقَاتِ..

﴿طَلْعٌ﴾ وَهُوَ الْكُفُرَّىٰ، وَهُوَ وُعَاءُ طَلْعِ النَّخْلِ..

﴿نَّضِيدٌ ⑩﴾ [ق: ١٠] مَنْضُودٌ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ، مُتَرَاكِبٌ.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ⑪﴾ [ق: ١١].

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أَنْبَتْنَا بِهَذَا الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ هَذِهِ الْجَنَّاتِ، وَالْحَبُّ وَالنَّخْلُ قُوتًا لِلْعِبَادِ، بَعْضُهَا غِذَاءٌ، وَبَعْضُهَا فَاكِهَةٌ وَمَتَاعًا..

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ وَأَحْيَيْنَا بِهَذَا الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ قَدْ أَجْدَبَتْ وَقَحَطَتْ، فَلَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا نَبْتَ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَنْبَتْنَا بِهَذَا الْمَاءِ هَذِهِ الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ، فَأَحْيَيْنَاهَا بِهِ، فَأَخْرَجْنَا نَبَاتَهَا وَزَرْعَهَا، كَذَلِكَ..

﴿الْخُرُوجُ ⑪﴾ [ق: ١١] نُخْرِجُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِكُمْ مِنْ بَعْدِ بَلَائِكُمْ فِيهَا بِمَا يَنْزِلُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ⑫﴾ [ق: ١٢].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ قَوْمِهِ..

﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ⑫﴾ [ق: ١٢] أَصْحَابُ الرَّسِّ قَوْمٌ رَسُّوا نَبِيَّهُمْ فِي بِئْرٍ.

﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ⑬﴾ [ق: ١٣].

﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ⑬﴾ [ق: ١٣]

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤].

﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ وَهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ، وَقَدْ مَضَىٰ خَبَرُهُمْ قَبْلُ..

﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كَانَ قَوْمُ تُبَّعٍ أَهْلَ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا.. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ، عَنْ تُبَّعٍ، مَا كَانَ؟ فَقَالَ: (إِنَّ تُبَّعًا كَانَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ، وَإِنَّهُ ظَهَرَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَاخْتَارَ فِتْيَةً مِنَ الْأَخْيَارِ، فَاسْتَبْطَنَهُمْ وَاسْتَدْخَلَهُمْ، حَتَّىٰ أَخَذَ مِنْهُمْ وَتَابَعَهُمْ، وَإِنَّ قَوْمَهُ اسْتَنْكَرُوا ذَٰلِكَ، وَقَالُوا: قَدْ تَرَكَ دِينَكُمْ، وَتَابَعَ الْفِتْيَةَ، فَلَمَّا فَشَا ذَٰلِكَ قَالَ لِلْفِتْيَةِ، فَقَالَ الْفِتْيَةُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّارُ، تَحْرِقُ الْكَاذِبَ، وَيَنْجُو مِنْهَا الصَّادِقُ، فَفَعَلُوا، فَعَلَّقَ الْفِتْيَةُ مَصَاحِفَهُمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ، ثُمَّ غَدَوْا إِلَىٰ النَّارِ، فَلَمَّا ذَهَبُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، سَفَعَتِ النَّارُ وجُوهَهُمْ، فَنَكَصُوا عَنْهَا، فَقَالَ لَهُمْ تُبَّعٌ: لَتَدْخُلُنَّهَا؛ فَلَمَّا دَخَلُوهَا أُفْرِجَتْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ قَطَعُوهَا، وَإِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ ادْخُلُوهَا، فَلَمَّا ذَهَبُوا يَدْخُلُونَهَا سَفَعَتِ النَّارُ وجُوهَهُمْ، فَنَكَصُوا عَنْهَا، فَقَالَ لَهُمْ تُبَّعٌ: لَتَدْخُلُنَّهَا، فَلَمَّا دَخَلُوهَا أُفْرِجَتْ عَنْهُمْ، حَتَّىٰ إِذَا تَوَسَّطُوا أَحَاطَتْ بِهِمْ، فَأَحْرَقَتْهُمْ، فَأَسْلَمَ تُبَّعٌ، وَكَانَ تُبَّعٌ رَجُلًا صَالِحًا)..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ..

﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كَذَّبُوا رُسُلَ اللهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ..

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤] فَوَجَبَ لَهُمُ الْوَعِيدُ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَحَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ وَالنِّقْمَةُ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ إِحْلَالِهِ عُقُوبَتَهُ بِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الرُّسُلَ، تَرْهِيبًا مِنْهُ بِذَلِكَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَإِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُنِيبُوا مِنْ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مِثْلَ الَّذِي أَحَلَّ بِهِمْ.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ﴾ أَفَعَيِينَا بِابْتِدَاعِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ الَّذِي خَلَقْنَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا، فَنَعْيَا بِإِعَادَتِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ بَلَائِهِمْ فِي التُّرَابِ، وَبَعْدَ فَنَائِهِمْ؟! يَقُولُ: لَيْسَ يُعْيِينَا ذَلِكَ، بَلْ نَحْنُ عَلَيْهِ قَادِرُونَ.. وَهَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللهِ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]..

﴿بَلْ﴾ مَا يَشُكُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ أَنَّا لَمْ نَعْيَ بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ..

﴿هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] وَلَكِنَّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَتِنَا عَلَىٰ أَنْ نَخْلُقَهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ فَنَائِهِمْ وَبَلَائِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ﴾ وَنَعْلَمُ مَا تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا سَرَائِرُهُ وَضَمَائِرُ قَلْبِهِ..

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ أَمْلَكُ فِي الْمَقْدِرَةِ عَلَيْهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْعِلْمُ بِمَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ..

[illegible] لِلإِنسَانِ..

﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦] الْعَاتِقِ، وَالْوَرِيدُ: عِرْقٌ بَيْنَ الْحُلْقُومِ وَالْعِلْبَاوَيْنِ، وَالْحَبْلُ: هُوَ الْوَرِيدُ، فَأُضِيفَ إِلَىٰ نَفْسِهِ لِاخْتِلَافِ لَفْظِ اسْمَيْهِ.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧].

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَىٰ الْإِنْسَانِ مِنْ وَرِيدِ حَلْقِهِ، حِينَ يَتَلَقَّىٰ الْمَلَكَانِ، وَهُمَا الْمُتَلَقِّيَانِ..

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧] عَنَىٰ بِالْقَعِيدِ: الرَّصَدَ.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ الْإِنْسَانُ..

﴿مِن قَوْلٍ﴾ فَيَتَكَلَّمُ بِهِ..

﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾ إِلَّا عِنْدَمَا يَلْفِظُ بِهِ مِنْ قَوْلٍ..

﴿رَقِيبٌ﴾ حَافِظٌ يَحْفَظُهُ..

﴿عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨] مُعَدٌّ.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩].

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ، أَحَدُهُمَا: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وَهِيَ شِدَّتُهُ وَغَلَبَتُهُ عَلَىٰ فَهْمِ الْإِنْسَانِ، كَالسَّكْرَةِ مِنَ النَّوْمِ أَوِ الشَّرَابِ، بِالْحَقِّ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، فَتَبَيَّنَهُ الْإِنْسَانُ حَتَّىٰ تَثَبَّتَهُ وَعَرَفَهُ، وَالثَّانِي: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِحَقِيقَةِ الْمَوْتِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ السَّكْرَةُ الَّتِي جَاءَتْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِالْحَقِّ..

﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩] هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي كُنْتَ تَهْرُبُ مِنْهُ، وَعَنْهُ تَرُوغُ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ [ق: ٢٠].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ [ق: ٢٠] هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ هُوَ يَوْمُ الْوَعِيدِ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ الْكُفَّارَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِيهِ

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق: ٢١].

﴿وَجَآءَتۡ﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ..

﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾ رَبَّهَا..

﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ يَسُوقُهَا إِلَىٰ اللهِ..

﴿وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق: ٢١] يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ [ق: ٢٢].

﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ يُقَالُ لَهُ: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا الَّذِي عَايَنْتَ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ..

﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ فَجَلَّيْنَا ذَلِكَ لَكَ، وَأَظْهَرْنَاهُ لِعَيْنَيْكَ، حَتَّىٰ رَأَيْتَهُ وَعَايَنْتَهُ، فَزَالَتِ الْغَفْلَةُ عَنْكَ..

﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ [ق: ٢٢] فَأَنْتَ الْيَوْمَ نَافِذُ الْبَصَرِ، عَالِمٌ بِمَا كُنْتَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فِي غَفْلَةٍ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ بَصِيرٌ بِهَذَا الْأَمْرِ، إِذَا كَانَ ذَا عِلْمٍ بِهِ، وَلَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ بَصَرٌ، أَيْ عِلْمٌ.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ [ق: ٢٣].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ وَقَالَ قَرِينُ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُ سَائِقٌ وَشَهِيدٌ..

﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ [ق: ٢٣] رَبِّ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ، يَقُولُ: هَذَا الَّذِي هُوَ عِنْدِي مُعَدٌّ مَحْفُوظٌ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الْعَتِيدُ: الَّذِي قَدْ أَخَذَهُ، وَجَاءَ بِهِ السَّائِقُ وَالْحَافِظُ مَعَهُ جَمِيعًا**).

﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤﴾ [ق: ٢٤].

﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ يُقَالُ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ، أَوْ قَالَ تَعَالَىٰ: أَلْقِيَا، فَأَخْرَجَ الْأَمْرَ لِلْقَرِينِ -وَهُوَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ- مَخْرَجَ خِطَابِ الِاثْنَيْنِ، وَفِي ذَلِكَ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ الْقَرِينُ بِمَعْنَىٰ الِاثْنَيْنِ، كَالرَّسُولِ، وَالِاسْمُ الَّذِي يَكُونُ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ فِي الْوَاحِدِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ، فَرَدَّ

قَوْلَهُ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ كَمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ، وَهُوَ أَنَّ الْعَرَبَ تَأْمُرُ الْوَاحِدَ وَالْجَمَاعَةَ بِمَا تَأْمُرُ بِهِ الِاثْنَيْنِ، فَتَقُولُ لِلرَّجُلِ وَيْلَكَ أَرْحِلَاهَا وَازْجُرَاهَا..

﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ كُلَّ جَاحِدٍ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ..

﴿عَنِيدٍ ۝٢٤﴾ [ق: ٢٤] وَهُوَ الْعَانِدُ عَنِ الْحَقِّ وَسَبِيلِ الْهُدَىٰ.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥﴾ [ق: ٢٥].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ وَهُوَ كُلُّ حَقٍّ وَجَبَ للهِ، أَوْ لِآدَمِيٍّ فِي مَالِهِ، وَالْخَيْرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْمَالُ..

﴿مُعْتَدٍ﴾ عَلَىٰ النَّاسِ بِلِسَانِهِ بِالْبَذَاءِ وَالْفُحْشِ فِي الْمِنْطَقِ، وَبِيَدِهِ بِالسَّطْوَةِ وَالْبَطْشِ ظُلْمًا..

﴿مُّرِيبٍ ۝٢٥﴾ [ق: ٢٥] شَاكٍّ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝٢٦﴾ [ق: ٢٦].

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ الَّذِي أَشْرَكَ بِاللهِ فَعَبَدَ مَعَهُ مَعْبُودًا آخَرَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝٢٦﴾ [ق: ٢٦] فَأَلْقِيَاهُ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ الشَّدِيدِ.

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٢٧﴾ [ق: ٢٧].

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُ﴾ قَالَ قَرِينُ هَذَا الْإِنْسَانِ الْكَفَّارِ الْمَنَّاعِ لِلْخَيْرِ، وَهُوَ شَيْطَانُهُ الَّذِي كَانَ مُوَكَّلًا بِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ مَا أَنَا جَعَلْتُهُ طَاغِيًا مُتَعَدِّيًا إِلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ.. وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ الْكُفْرَ بِاللهِ..

﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٢٧﴾ [ق: ٢٧] وَلَكِنْ كَانَ فِي طَرِيقٍ جَائِرٍ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ جَوْرًا بَعِيدًا.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ هَذَا الْخَبَرَ، عَنْ قَوْلِ قَرِينِ الْكَافِرِ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِعْلَامًا مِنْهُ عِبَادَهُ، تَبَرُّأَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۝٢٨﴾ [ق: ٢٨].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَصِفَةَ قُرَنَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ..

﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ الْيَوْمَ..

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ اخْتِصَامِكُمْ هَذَا..

﴿بِالْوَعِيدِ ۝٢٨﴾ [ق: ٢٨] لِمَنْ كَفَرَ بِي، وَعَصَانِي، وَخَالَفَ أَمْرِي وَنَهْيِي فِي كُتُبِي، وَعَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِي.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق: ٢٩].

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِ لِلْمُشْرِكِينَ وَقُرَنَائِهِمْ مِنَ الْجِنِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ تَبَرَّأَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ: مَا يُغَيَّرُ الْقَوْلُ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ [هود: ١١٩]، وَلَا قَضَائِي الَّذِي قَضَيْتُهُ فِيهِمْ فِيهَا..

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق: ٢٩] وَلَا أَنَا بِمُعَاقِبٍ أَحَدًا مِنْ خَلْقِي بِجُرْمِ غَيْرِهِ، وَلَا حَامِلٍ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ ذَنْبَ غَيْرِهِ فَمُعَذِّبُهُ بِهِ.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠].

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فِي ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ لِمَا سَبَقَ مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهَا بِأَنَّهُ يَمْلَأُهَا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ..

﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠] بِمَعْنَىٰ الِاسْتِزَادَةِ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ أَزْدَادُهُ؟ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لَمْ يَظْلِمِ اللهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا، وَيُلْقِي فِي النَّارِ، تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ، فَهُنَالِكَ يَمْلَأُهَا، وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ**».

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ [ق: ٣١].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ [ق: ٣١] وَأُدْنِيَتِ الْجَنَّةُ وَقُرِّبَتْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ، فَخَافُوا عُقُوبَتَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢﴾ [ق: ٣٢].

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قَالَ لَهُمْ: هَذَا الَّذِي تُوعَدُونَ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ، أَنْ تَدْخُلُوهَا وَتَسْكُنُوهَا..

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ لِكُلِّ رَاجِعٍ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، تَائِبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ..

﴿حَفِيظٍ ۝٣٢﴾ [ق: ٣٢] لِكُلِّ مَا قَرَّبَهُ إِلَىٰ رَبِّهِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالطَّاعَاتِ، وَالذُّنُوبِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُ لِلتَّوْبَةِ مِنْهَا وَالِاسْتِغْفَارِ.

﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ [ق: ٣٣].

﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مَنْ خَافَ اللهَ فِي الدُّنْيَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْقَاهُ، فَأَطَاعَهُ، وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ..

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ [ق: ٣٣] وَجَاءَ اللهَ بِقَلْبٍ تَائِبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ، رَاجِعٍ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ إِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤﴾ [ق: ٣٤].

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖ﴾ ادْخُلُوا هَذِهِ الْجَنَّةَ بِأَمَانٍ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَضَبِ وَالْعَذَابِ، وَمَا كُنْتُمْ تَلْقَوْنَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَكَارِهِ..

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤﴾ [ق: ٣٤] هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ صِفَتَهُ مِنْ إِدْخَالِي الْجَنَّةَ مَنْ أُدْخِلُهُ، هُوَ يَوْمَ دُخُولِ النَّاسِ الْجَنَّةَ، مَاكِثِينَ فِيهَا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق: ٣٥].

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ مَا يُرِيدُونَ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي أُزْلِفَتْ لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ، وَتَلَذُّهُ عُيُونُهُمْ..

﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق: ٣٥] وَعِنْدَنَا لَهُمْ عَلَىٰ مَا أَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الْكَرَامَةِ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهَا مَزِيدٌ يَزِيدُهُمْ إِيَّاهُ، وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الْمَزِيدَ: النَّظَرُ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦﴾ [ق: ٣٦].

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ وَكَثِيرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْقُرُونِ..

﴿هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم﴾ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا..

﴿بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ فَخَرَقُوا الْبِلَادَ فَسَارُوا فِيهَا، فَطَافُوا وَتَوَغَّلُوا إِلَىٰ الْأَقَاصِي مِنْهَا..

﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦﴾ [ق: ٣٦] فَهَلْ كَانَ لَهُمْ بِتَنَقُّبِهِمْ فِي الْبِلَادِ مِنْ مَعْدَلٍ عَنِ الْمَوْتِ، وَمَنْجًىٰ مِنَ الْهَلَاكِ، إِذْ جَاءَهُمْ أَمْرُنَا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق: ٣٧].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِهْلَاكِنَا الْقُرُونَ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا مِنْ قَبْلِ قُرَيْشٍ..

﴿لَذِكۡرَىٰ﴾ يُتَذَكَّرُ بِهَا..

﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَيَنْتَهِي عَنِ الْفِعْلِ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾ أَوْ أَصْغَىٰ لِإِخْبَارِنَا إِيَّاهُ عَنْ هَذِهِ الْقُرُونِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا بِسَمْعِهِ، فَيَسْمَعُ الْخَبَرَ عَنْهُمْ، كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ حِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَصَوْا رُسُلَهُ..

﴿وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق: ٣٧] وَهُوَ مُتَفَهِّمٌ لِمَا يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُمْ شَاهِدٌ لَهُ بِقَلْبِهِ، غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُ وَلَا سَاهٍ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: ٣٨].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السَّبْعَ..

﴿وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلَائِقِ..

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: ٣٨] وَمَا مَسَّنَا مِنْ إِعْيَاءٍ.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾ [ق: ٣٩].

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، وَمَا يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ، وَيَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ..

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ وَصَلِّ بِحَمْدِ رَبِّكَ صَلَاةَ الصُّبْحِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ..

﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾ [ق: ٣٩] وَصَلَاةَ الْعَصْرِ قَبْلَ الْغُرُوبِ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ [ق: ٤٠].

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ هِيَ الصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ فِي أَيِّ وَقْتٍ صَلَّىٰ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ عَلَىٰ جَمِيعِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا، فَهُوَ بِأَنْ يَكُونَ أَمْرًا بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، أَشْبَهُ مِنْهُ بِأَنْ يَكُونَ أَمْرًا بِصَلَاةِ الْعَتَمَةِ، لِأَنَّهُمَا يُصَلَّيَانِ لَيْلًا.

﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ [ق: ٤٠] سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ أَدْبَارَ السُّجُودِ مِنْ صَلَاتِكَ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ التَّسْبِيحِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُسَبِّحَهُ أَدْبَارَ السُّجُودِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ الصَّلَاةُ، قَالُوا: وَهُمَا الرَّكْعَتَانِ اللَّتَانِ يُصَلَّيَانِ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: التَّسْبِيحَ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، دُونَ الصَّلَاةِ بَعْدَهَا، وهو الصحيحُ عن ابن عباسٍ ومجاهدٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النَّوَافِلُ فِي أَدْبَارِ الْمَكْتُوبَاتِ، وهو ثول ابن زيد.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُمَا الرَّكْعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَوْلَا مَا ذَكَرْتُ مِنْ إِجْمَاعِهَا عَلَيْهِ، لَرَأَيْتُ أَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ صَلَاةً دُونَ صَلَاةٍ، بَلْ عَمَّ أَدْبَارَ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فَقَالَ: وَأَدْبَارَ السُّجُودِ، وَلَمْ تَقُمْ بِأَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ: دُبُرَ صَلَاةٍ دُونَ صَلَاةٍ، حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١﴾ [ق: ٤١].

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يَا مُحَمَّدُ صَيْحَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١﴾ [ق: ٤١] يَوْمَ يُنَادِي بِهَا مُنَادِينَا مِنْ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ.

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝٤٢﴾ [ق: ٤٢].

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ﴾ يَوْمَ يَسْمَعُ الْخَلَائِقُ صَيْحَةَ الْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ..

﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بِالْأَمْرِ بِالْإِجَابَةِ للهِ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝٤٢﴾ [ق: ٤٢] يَوْمُ خُرُوجِ أَهْلِ الْقُبُورِ مِنْ قُبُورِهِمْ.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣﴾ [ق: ٤٣].

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنُمِيتُ الْأَحْيَاءَ..

﴿وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣﴾ [ق: ٤٣] وَإِلَيْنَا مَصِيرُ جَمِيعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ﴾ [ق: ٤٤]، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَإِلَيْنَا مَصِيرُهُمْ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ، فَالْيَوْمُ مِنْ صِلَةِ مَصِيرِ.

﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤﴾ [ق: ٤٤].

﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ﴾ تَصَدَّعُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ..

﴿سِرَاعٗاۚ﴾ فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا سِرَاعًا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ جَمْعُهُمْ ذَلِكَ..

﴿حَشۡرٌ﴾ جَمْعٌ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤﴾ [ق: ٤٤] سَهْلٌ.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: ٤٥].

﴿نَّحۡنُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِهِ، وَإِنْكَارِهِمْ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ..

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَلَّطٍ.. وَقِيلَ: لَمْ تُبْعَثْ لِتُجْبِرَهُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، إِنَّمَا بُعِثْتَ مُذَكِّرًا..

﴿فَذَكِّرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ..

﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: ٤٥] مَنْ يَخَافُ الْوَعِيدَ الَّذِي أَوْعَدْتُهُ مَنْ عَصَانِي وَخَالَفَ أَمْرِي.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ ق

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ (٥١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتُّونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ①﴾ [الذاريات: ١].

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ①﴾ [الذاريات: ١] وَالرِّيَاحُ الَّتِي تَذْرُو التُّرَابَ ذَرْوًا.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ②﴾ [الذاريات: ٢].

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ②﴾ [الذاريات: ٢] فَالسَّحَابِ الَّتِي تَحْمِلُ وِقْرَهَا مِنَ الْمَاءِ.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ③﴾ [الذاريات: ٣].

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ③﴾ [الذاريات: ٣] فَالسُّفُنُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبِحَارِ سَهْلًا يَسِيرًا.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ④﴾ [الذاريات: ٤].

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ④﴾ [الذاريات: ٤] فَالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تُقَسِّمُ أَمْرَ اللهِ فِي خَلْقِهِ.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ⑤﴾ [الذاريات: ٥].

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ إِنَّ الَّذِي تُوعَدُونَ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَبَعْثِ الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ..
﴿لَصَادِقٌ ⑤﴾ [الذاريات: ٥] لَكَائِنٌ حَقٌّ يَقِينٌ.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ⑥﴾ [الذاريات: ٦].

﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ وَإِنَّ الْحِسَابَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ..
﴿لَوَاقِعٌ ⑥﴾ [الذاريات: ٦] لَوَاجِبٌ، وَاللهُ مُجَازٍ عِبَادَهُ بِأَعْمَالِهِمْ.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ⑦﴾ [الذاريات: ٧].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ⑦﴾ [الذاريات: ٧] وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْخَلْقِ الْحَسَنِ.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ⑧﴾ [الذاريات: ٨].

﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ [الذاريات: ٨] فِي هَذَا الْقُرْآنِ، فَمِنْ مُصَدِّقٍ بِهِ وَمُكَذِّبٍ..

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات: ٩].

﴿يُؤْفَكُ﴾ يُصْرَفُ..

﴿عَنْهُ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات: ٩] مَنْ صُرِفَ، وَيُدْفَعُ عَنْهُ مَنْ يُدْفَعُ، فَيُحْرَمُهُ.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾ [الذاريات: ١٠].

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾ [الذاريات: ١٠] لُعِنَ الْمُتَكَهِّنُونَ، الَّذِينَ يَتَخَرَّصُونَ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ فَيَتَظَنَّوْنَهُ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (يَتَخَرَّصُونَ يَقُولُونَ: هَذَا سِحْرٌ، وَيَقُولُونَ: هَذَا أَسَاطِيرُ، فَبِأَيِّ قَوْلِهِمْ يُؤْخَذُ؟! قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ، هَذَا الرَّجُلَ لا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَحَدُ هَؤُلَاءِ، فَمَا لَكُمْ لا تَأْخُذُونَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ، وَقَدْ رَمَيْتُمُوهُ بِأَقَاوِيلَ شَتَّىٰ، فَبِأَيِّ هَذَا الْقَوْلِ تَأْخُذُونَ، فَهُوَ قَوْلٌ مُخْتَلِفٌ، فَذَكَرَ أَنَّهُ تَخَرُّصٌ مِنْهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ بِذَلِكَ عِلْمٌ).

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذاريات: ١١].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةِ الضَّلَالَةِ وَغَلَبَتِهَا عَلَيْهِمْ..

﴿سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذاريات: ١١] مُتَمَادُونَ، وَعَنِ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ سَاهُونَ، قَدْ لَهُوْا عَنْهُ.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢﴾ [الذاريات: ١٢].

﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ يَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢﴾ [الذاريات: ١٢] مَتَىٰ يَوْمُ الْمُجَازَاةِ وَالْحِسَابِ، وَيَوْمُ يُدِينُ اللهُ الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الذاريات: ١٣].

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الذاريات: ١٣] يُعَذَّبُونَ بِالْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ أَصْلُهَا الِاخْتِبَارُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: فَتَنْتُ الذَّهَبَ بِالنَّارِ: إِذَا طَبَخْتَهَا بِهَا لِتَعْرِفَ جَوْدَتَهَا، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ يُحْرَقُونَ بِهَا كَمَا يُحْرَقُ الذَّهَبُ بِهَا.

﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤﴾ [الذاريات: ١٤].

﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ يُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَكُمْ وَحَرِيقَكُمْ..

﴿هَٰذَا﴾ يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي تُوَفَّوْنَهُ الْيَوْمَ، هُوَ الْعَذَابُ..

﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤﴾ [الذاريات: ١٤] فِي الدُّنْيَا.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥﴾ [الذاريات: ١٥].

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥﴾ [الذاريات: ١٤] فِي بَسَاتِينَ وَعُيُونِ مَاءٍ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦﴾ [الذاريات: ١٦].

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ عَامِلِينَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، مُؤَدِّينَ فَرَائِضَهُ..

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِمُ الْفَرَائِضَ..

﴿مُحۡسِنِينَ ١٦﴾ [الذاريات: ١٦] مُطِيعِينَ للهِ.

﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾ [الذاريات: ١٧].

﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾ [الذاريات: ١٧] كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ هُجُوعُهُمْ، يَعني: نَوْمَهُمْ، فَوَصَفَهُمْ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ، وَسَهَرِ اللَّيْلِ، وَمُكَابَدَتِهِ فِيمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ وَيُرْضِيهِ عَنْهُمْ.

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات: ١٨].

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات: ١٨] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَبِالْأَسْحَارِ يُصَلُّونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخَّرُوا الِاسْتِغْفَارَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَىٰ السَّحَرِ، وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ السَّاعَةَ الَّتِي تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ: السَّحَرُ، قَالَ ابْنَ زَيْدٍ: **(السَّحَرُ: هُوَ السُّدُسُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ)**.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات: ١٩].

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ وَفِي أَمْوَالِ هَؤُلَاءِ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ﴾ حَقٌّ لِسَائِلِهِمُ الْمُحْتَاجِ إِلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِمْ..

﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات: ١٩] قَالَ بَعْضُهُم: هُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ سَهْمٌ.. وَمِنْ قَائِلٍ: هُوَ الْمُتَعَفِّفُ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا.. وَقَائِلٌ: هُوَ الَّذِي لَا سَهْمَ لَهُ فِي الْغَنِيمَةِ.. وَقَائِلٌ:

هُوَ الَّذِي لَا يُنْمَىٰ لَهُ مَالٌ.. وَقَائِلٌ: هُوَ الَّذِي قَدْ ذَهَبَ ثَمَرُهُ وَزَرْعُهُ.. وَكَانَ الشَّعْبِيُّ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (أَعْيَانِي أَنْ أَعْلَمَ مَا الْمَحْرُومُ).. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّهُ الَّذِي قَدْ حُرِمَ الرِّزْقَ وَاحْتَاجَ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِذَهَابِ مَالِهِ وَثَمَرِهِ، فَصَارَ مِمَّنْ حَرَمَهُ اللهُ ذَلِكَ، وَقَدْ يَكُونُ بِسَبَبِ تَعَفُّفِهِ وَتَرْكِهِ الْمَسْأَلَةَ، وَيَكُونُ بِأَنَّهُ لَا سَهْمَ لَهُ فِي الْغَنِيمَةِ؛ لِغَيْبَتِهِ عَنِ الْوَقْعَةِ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ مِنْ أَنْ تَعُمَّ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ١٩﴾.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذاريات: ٢٠].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ وَفِي الْأَرْضِ عِبَرٌ وَعِظَاتٌ..

﴿لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذاريات: ٢٠] لِأَهْلِ الْيَقِينِ بِحَقِيقَةِ مَا عَايَنُوا وَرَأَوْا إِذَا سَارُوا فِيهَا.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١].

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَفِي سَبِيلِ الْخَلَاءِ وَالْبَوْلِ فِي أَنْفُسِكُمْ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَدَلِيلٌ لَكُمْ عَلَىٰ رَبِّكُمْ، أَفَلَا تُبْصِرُونَ إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْكُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَفِي تَسْوِيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَفَاصِلَ أَبْدَانِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ دَلَالَةٌ لَكُمْ عَلَىٰ أَنْ خُلِقْتُمْ لِعِبَادَتِهِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (وَفِينَا آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، هَذَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَاللِّسَانُ وَالْقَلْبُ، لَا يَدْرِي أَحَدٌ مَا هُوَ أَسْوَدُ أَوْ أَحْمَرُ، وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي يَتَلَجْلَجُ بِهِ، وَهَذَا الْقَلْبُ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ، إِنَّمَا هُوَ مُضْغَةٌ فِي جَوْفِهِ، يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ الْعَقْلَ، أَفَيَدْرِي أَحَدٌ مَا ذَاكَ الْعَقْلُ، وَمَا صِفَتُهُ، وَكَيْفَ هُوَ؟).. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَيْضًا أَيُّهَا النَّاسُ آيَاتٌ وَعِبَرٌ تَدُلُّكُمْ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ صَانِعِكُمْ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ، إِذْ كَانَ لَا شَيْءَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ خَلْقِهِ إِيَّاكُمْ..

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١] أَفَلَا تَنْظُرُونَ فِي ذَلِكَ فَتَتَفَكَّرُوا فِيهِ، فَتَعْلَمُوا حَقِيقَةَ وَحْدَانِيَّةِ خَالِقِكُمْ.

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢].

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ وَفِي السَّمَاءِ: الْمَطَرِ وَالثَّلْجِ اللَّذَانِ بِهِمَا تُخْرِجُ الْأَرْضُ رِزْقَكُمْ، وَقُوتَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالثِّمَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢] مِنْ خَيْرٍ، أَوْ شَرٍّ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ كَمَا عَمَّهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذاريات: ٢٣].

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُقْسِمًا لِخَلْقِهِ بِنَفْسِهِ: فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِنَّ الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ لَحَقٌّ..

﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذاريات: ٢٣] كَمَا حَقٌّ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ.. يُخْبِرُهُ أَنَّهُ مُحِلٌّ بِمَنْ تَمَادَىٰ فِي غَيِّهِ، وَأَصَرَّ عَلَىٰ كُفْرِهِ، فَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ مِنْ كُفَّارِ قَوْمِهِ، مَا أَحَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَمُذَكِّرًا قَوْمَهُ مِنْ قُرَيْشٍ بِإِخْبَارِهِ إِيَّاهُمْ أَخْبَارَهُمْ وَقَصَصَهُمْ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ..

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ ٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤] أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَسَارَّةُ خَدَمَاهُمْ بِأَنْفُسِهِمَا.. وَقِيلَ: أَكْرَمُهُمْ إِبْرَاهِيمُ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ لَهُمْ بِالْعِجْلِ حِينَئِذٍ.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ [الذاريات: ٢٥].

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ حِينَ دَخَلَ ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ..

﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾ فَقَالُوا لَهُ سَلَامًا، أَيْ: سَلَّمُوا سَلَامًا..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ..

﴿سَلَٰمٌ﴾ عَلَيْكُمْ..

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ [الذاريات: ٢٥] لَا نَعْرِفُكُمْ.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦﴾ [الذاريات: ٢٦].

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ عَدَلَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَرَجَعَ، وَكَانَ الْفَرَّاءُ يَقُولُ: (الرَّوْغُ وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ فَإِنَّهُ لَا يُنْطَقُ بِهِ حَتَّىٰ يَكُونَ صَاحِبُهُ مُخْفِيًا ذَهَابَهُ أَوْ مَجِيئَهُ، وَقَالَ: أَلَا تَرَىٰ أَنَّكَ تَقُولُ: قَدْ رَاغَ أَهْلُ مَكَّةَ، وَأَنْتَ تُرِيدُ رَجَعُوا؟)..

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦﴾ [الذاريات: ٢٦] فَجَاءَ ضَيْفَهُ بِعِجْلٍ سَمِينٍ قَدْ أَنْضَجَهُ شَيًّا.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧﴾ [الذاريات: ٢٧].

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧﴾ [الذاريات: ٢٧] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ، فَأَمْسَكُوا عَنْ أَكْلِهِ، فَقَالَ: أَلَا تَأْكُلُونَ؟

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الذاريات: ٢٨].

﴿فَأَوْجَسَ﴾ إِبْرَاهِيمَ فِي نَفْسِهِ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ ضَيْفِهِ..

﴿خِيفَةً﴾ وَأَضْمَرَهَا..

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الذاريات: ٢٨] بِمَعْنَىٰ: عَالِمٍ إِذَا كَبِرَ.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩﴾ [الذاريات: ٢٩].

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِقْبَالُ نُقْلَةٍ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، وَلَا تَحَوُّلٌ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: أَقْبَلَ يَشْتُمُنِي، بِمَعْنَىٰ: أَخَذَ فِي شَتْمِي..

﴿فِى صَرَّةٍ﴾ يَعْنِي: فِي صَيْحَةٍ.. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ تِلْكَ الصَّيْحَةَ (أَوْهِ) مَقْصُورَةَ الْأَلِفِ..

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ ضَرَبَتْ بِيَدِهَا جَبْهَتَهَا تَعَجُّبًا..

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩﴾ [الذاريات: ٢٩] وَقَالَتْ: أَتَلِدُ عَجُوزٌ عَقِيمٌ لَا تَلِدُ.

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠﴾ [الذاريات: ٣٠].

﴿قَالُوا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ لِزَوْجَتِهِ إِذْ قَالَتْ لَهُمْ، وَقَدْ بَشَّرُوهَا بِغُلَامٍ عَلِيمٍ: أَتَلِدُ عَجُوزٌ عَقِيمٌ، قَالُوا..

﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ هَكَذَا قَالَ رَبُّكِ كَمَا أَخْبَرْنَاكِ وَقُلْنَا لَكِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠﴾ [الذاريات: ٣٠] بِمَصَالِحِهِمْ، وَبِمَا كَانَ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣١﴾ [الذاريات: ٣١].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِضَيْفِهِ..

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣١﴾ [الذاريات: ٣١] فَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٣٢﴾ [الذاريات: ٣٢].

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٣٢﴾ [الذاريات: ٣٢] قَدْ أَجْرَمُوا لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذاريات: ٣٣].

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذاريات: ٣٣] لِنُمْطِرَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الذاريات: ٣٤].

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ مُعَلَّمَةً.. يَكُونُ الْحَجَرُ أَبْيَض فِيهِ نُقْطَةٌ سَوْدَاءُ، أَوْ يَكُونُ الْحَجَرُ أَسْوَدَ فِيهِ نُقْطَةٌ بَيْضَاءُ..

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ..

﴿لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الذاريات: ٣٤] لِلْمُتَعَدِّينَ حُدُودَ اللهِ، الْكَافِرِينَ بِهِ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات: ٣٥].

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِي قَرْيَةِ سَدُومَ، قَرْيَةِ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات: ٣٥] مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَهُمْ لُوطٌ وَابْنَتَاهُ.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٦].

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٦] وَهُوَ بَيْتُ لُوطٍ.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: ٣٧].

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ وَتَرَكْنَا فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿آيَةً﴾ لِأَنَّهَا الَّتِي ائْتَفَكَتْ بِأَهْلِهَا، فَهِيَ الْآيَةُ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: تَرَىٰ فِي هَذَا الشَّيْءِ عِبْرَةً وَآيَةً، وَمَعْنَاهَا: هَذَا الشَّيْءُ آيَةٌ وَعِبْرَةٌ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧] وَهُمْ كَانُوا الْآيَاتِ وَفِعْلُهُمْ، وَيَعْنِي بِالْآيَةِ: الْعِظَةَ وَالْعِبْرَةَ..

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: ٣٧] فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الذاريات: ٣٨].

﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ بْنِ عِمْرَانَ..

﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ﴾ بِحُجَّةٍ..

﴿مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الذاريات: ٣٨] تَبِينُ لِمَنْ رَآهَا أَنَّهَا حُجَّةٌ لِمُوسَىٰ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا يَقُولُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩﴾ [الذاريات: ٣٩].

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ فَأَدْبَرَ فِرْعَوْنُ عَمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْهِ مُوسَىٰ..

﴿بِرُكۡنِهِۦ﴾ بِقَوْمِهِ مِنْ جُنْدِهِ وَأَصْحَابِهِ..

﴿وَقَالَ﴾ لِمُوسَىٰ..

﴿سَٰحِرٌ﴾ هُوَ سَاحِرٌ يَسْحَرُ عُيُونَ النَّاسِ..

﴿أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩﴾ [الذاريات: ٣٩] بِهِ جِنَّةٌ.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾ [الذاريات: ٤٠].

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ﴾ فَأَخَذْنَا فِرْعَوْنَ..

﴿وَجُنُودَهُۥ﴾ بِالْغَضَبِ مِنَّا وَالْأَسَفِ..

﴿فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ فَأَلْقَيْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ، فَغَرَّقْنَاهُمْ فِيهِ..

﴿وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾ [الذاريات: ٤٠] وَفِرْعَوْنُ مُلِيمٌ، وَالْمُلِيمُ: هُوَ الَّذِي قَدْ أَتَىٰ مَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِنَ الْفِعْلِ.

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ [الذاريات: ٤١].

﴿وَفِي عَادٍ﴾ أَيْضًا، وَمَا فَعَلْنَا بِهِمْ لَهُمْ آيَةٌ وَعِبْرَةٌ..

﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ [الذاريات: ٤١] الَّتِي لَا تُلْقِحُ الشَّجَرَ.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ [الذاريات: ٤٢].

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ [الذاريات: ٤٢] وَالرَّمِيمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَا يَبِسَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَدِيسَ.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣﴾ [الذاريات: ٤٣].

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ أَيْضًا لَهُمْ عِبْرَةٌ وَمُتَّعَظٌ..

﴿إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣﴾ [الذاريات: ٤٣] إِذْ قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ.

﴿فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤﴾ [الذاريات: ٤٤].

﴿فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾ فَتَكَبَّرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَعَلَوْا اسْتِكْبَارًا عَنْ طَاعَةِ اللهِ..

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ فَجْأَةً..

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٤] وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ ثَمُودَ وُعِدَتِ الْعَذَابَ قَبْلَ نُزُولِهِ بِهِمْ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَجُعِلَ لِنُزُولِهِ عَلَيْهِمْ عَلَامَاتٌ فِي تِلْكَ الثَّلَاثَةِ، فَظَهَرَتِ الْعَلَامَاتُ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُمُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ نُزُولِهَا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، فَأَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مُوقِنِينَ بِأَنَّ الْعَذَابَ بِهِمْ نَازِلٌ، يَنْتَظِرُونَ حُلُولَهُ بِهِمْ.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ [الذاريات: ٤٥].

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ دِفَاعٍ لِمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَا قَدَرُوا عَلَىٰ نُهُوضٍ بِهِ..

﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ [الذاريات: ٤٥] وَمَا كَانُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ يَسْتَقِيدُوا مِمَّنْ أَحَلَّ بِهِمُ الْعُقُوبَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الذاريات: ٤٦].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ قَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ المدينةِ وبعض قُرَّاءِ الكوفةِ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ نَصْبًا، وَلِنَصْبِ ذَلِكَ وُجُوهٌ: **أَحَدُهَا**: أَنْ يَكُونَ الْقَوْمُ عَطْفًا عَلَىٰ الْهَاءِ وَالْمِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾، إِذْ كَانَ كُلُّ عَذَابٍ مُهْلِكٍ تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ صَاعِقَةً، **فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ**: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَخَذَتْ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ، **وَالثَّانِي**: أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِمَعْنَىٰ الْكَلَامِ، إِذْ كَانَ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ قَبْلُ دِلَالَةٌ عَلَىٰ الْمُرَادِ مِنَ الْكَلَامِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: أَهْلَكْنَا هَذِهِ الْأُمَمَ، وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ، **وَالثَّالِثُ**: أَنْ يُضْمَرَ لَهُ فِعْلًا نَاصِبًا، **فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ**: وَاذْكُرْ لَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [العنكبوت: ١٦]، وَنَحْوُ ذَلِكَ، بِمَعْنَىٰ أَخْبِرْهُمْ وَاذْكُرْ لَهُمْ.. **وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ (وَقَوْمِ نُوحٍ) بِخَفْضِ الْقَوْمِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ**: وَفِي قَوْمِ نُوحٍ، عَطْفًا بِالْقَوْمِ عَلَىٰ مُوسَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [الذاريات: ٣٨]، **وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَهُ خَفْضًا**: وَفِي قَوْمِ نُوحٍ لَهُمْ أَيْضًا عِبْرَةٌ، إِذْ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ ثَمُودَ لَمَّا كَذَّبُوا رَسُولَنَا نُوحًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الذاريات: ٤٦] إِنَّهُمْ كَانُوا مُخَالِفِينَ أَمْرَ اللهِ، خَارِجِيْنَ عَنْ طَاعَتِهِ.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعْنَاهَا سُقُفًا بِقُوَّةٍ..

﴿بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] لَذُو سَعَةٍ بِخَلْقِهَا وَخَلْقِ مَا شِئْنَا أَنْ نَخْلُقَهُ، وَقُدْرَةٍ

عَلَيْهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، يُرَادُ بِهِ الْقَوِيَّ.

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات: ٤٨].

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ وَالْأَرْض جعلْنَاهَا فِرَاشًا لِلْخَلْقِ..

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات: ٤٨] فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ لَهُمْ نَحْنُ.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩].

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ وَخَلَقْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا نَوْعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، كَالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالَةِ.. فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، خَلَقَ لِكُلِّ مَا خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ ثَانِيًا لَهُ مُخَالِفًا فِي مَعْنَاهُ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا زَوْجٌ لِلْآخَرِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ، وَإِنَّمَا نَبَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاءُ خَلْقَهُ مِنْ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَالْأَشْيَاءِ الَّتِي شَأْنُهَا فِعْلُ نَوْعٍ وَاحِدٍ دُونَ خِلَافِهِ، إِذْ كُلُّ مَا صِفَتُهُ فِعْلُ نَوْعٍ وَاحِدٍ دُونَ مَا عَدَاهُ كَالنَّارِ الَّتِي شَأْنُهَا التَّسْخِينُ، وَلَا تَصْلُحُ لِلتَّبْرِيدِ، وَكَالثَّلْجِ الَّذِي شَأْنُهُ التَّبْرِيدُ، وَلَا يَصْلُحُ لِلتَّسْخِينِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالْكَمَالِ، وَإِنَّمَا كَمَالُ الْمَدْحِ لِلْقَادِرِ عَلَىٰ فِعْلِ كُلِّ مَا شَاءَ فِعْلَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَّفِقَةِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩] لِتَذْكُرُوا وَتَعْتَبِرُوا بِذَلِكَ، فَتَعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ أَنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ خَلْقِ الشَّيْءِ وَخِلَافِهِ، وَابْتِدَاعِ زَوْجَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَا مَا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٠].

﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ فَاهْرُبُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِلَىٰ رَحْمَتِهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ إِنِّي لَكُمْ مِنَ اللهِ نَذِيرٌ أُنْذِرُكُمْ عِقَابَهُ، وَأُخَوِّفُكُمْ عَذَابَهُ الَّذِي أَحَلَّهُ بِهَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَصَّ عَلَيْكُمْ قِصَصَهُمْ، وَالَّذِي هُوَ مُذِيقُهُمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٠]: يُبَيِّنُ لَكُمْ نِذَارَتَهُ.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥١].

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ مَعَ مَعْبُودِكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مَعْبُودًا

آخَرَ سِوَاهُ، فَإِنَّهُ لَا مَعْبُودَ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ غَيْرُهُ..

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ إِنِّي لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نَذِيرٌ مِنْ عِقَابِهِ عَلَىٰ عِبَادَتِكُمْ إِلَهًا غَيْرَهُ..

﴿مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [الذاريات: ٥١] قَدْ أَبَانَ لَكُمُ النِّذَارَةَ.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢﴾ [الذاريات: ٥٢].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا كَذَّبَتْ قُرَيْشٌ نَبِيَّهَا مُحَمَّدًا ﷺ، وَقَالَتْ: هُوَ شَاعِرٌ، أَوْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، كَذَلِكَ فَعَلَتِ الْأُمَمُ الْمُكَذِّبَةُ رُسُلَهَا، الَّذِينَ أَحَلَّ اللهُ بِهِمْ نِقْمَتَهُ، كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ..

﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ مَا أَتَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، يَعْنِي: مِنْ قَبْلِ قُرَيْشٍ قَوْمِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢﴾ [الذاريات: ٥٢] كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات: ٥٣].

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ أَأَوْصَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ أَوَائِلُهُمْ وَآبَاؤُهُمُ الْمَاضُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ، بِتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ عَنْهُمْ..

﴿بَلْ﴾ مَا أَوْصَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ آخِرَهُمْ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ..

﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات: ٥٣] قَوْمٌ مُتَعَدُّونَ طُغَاةٌ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، لَا يَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِ، وَلَا يَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات: ٥٤].

﴿فَتَوَلَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ، يَقُولُ: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ فِيهِمْ أَمْرُ اللهِ..

﴿فَمَآ أَنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات: ٥٤] لَا يَلُومُكَ رَبُّكَ عَلَىٰ تَفْرِيطٍ كَانَ مِنْكَ فِي الْإِنْذَارِ، فَقَدْ أَنْذَرْتَ، وَبَلَّغْتَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

﴿وَذَكِّرْ﴾ وَعِظْ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ..

﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥] فَإِنَّ الْعِظَةَ تَنْفَعُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِنَا، وَالتَّذَلُّلِ لِأَمْرِنَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ كَفَرُوا وَقَدْ خَلَقَهُمْ لِلتَّذَلُّلِ لِأَمْرِهِ؟ قِيلَ: إِنَّهُمْ قَدْ تَذَلَّلُوا لِقَضَائِهِ الَّذِي قَضَاهُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ قَضَاءَهُ جَارٍ عَلَيْهِمْ، لَا يَقْدِرُونَ مِنَ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ، وَإِنَّمَا خَالَفَهُ مَنْ كَفَرَ بِهِ فِي الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، فَأَمَّا التَّذَلُّلُ لِقَضَائِهِ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مِنْهُ.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٧].

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ مَا أُرِيدُ مِمَّنْ خَلَقْتُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِنْ رِزْقٍ يَرْزُقُونَهُ خَلْقِي..

﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٧] وَمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ قُوتٍ أَنْ يَقُوتُوهُمْ، وَمِنْ طَعَامٍ أَنْ يُطْعِمُوهُمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ خَلْقَهُ، الْمُتَكَفِّلُ بِأَقْوَاتِهِمْ..

﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨] ذُو الْقُوَّةِ الشَّدِيدُ.. فَالْمَتِينُ مِنْ نَعْتِ ﴿ذُو﴾.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩﴾ [الذاريات: ٥٩].

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ..

﴿ذَنُوبًا﴾ وَهِيَ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ، وَهُوَ السَّجْلُ أَيْضًا إِذَا مُلِئَتْ أَوْ قَارَبَتِ الْمِلْءَ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِالذَّنُوبِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْحَظُّ وَالنَّصِيبُ.. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ نَصِيبًا وَحَظًّا نَازِلًا بِهِمْ..

﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ مِثْلَ نَصِيبِ أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، عَلَى مِنْهَاجِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩﴾ [الذاريات: ٥٩] بِهِ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ [الذاريات: ٦٠].

﴿فَوَيْلٌ﴾ فَالْوَادِي السَّائِلُ فِي جَهَنَّمَ مِنْ قَيْحٍ وَصَدِيدٍ..

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ وَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ..

﴿مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ [الذاريات: ٦٠] فِيهِ نُزُولَ عَذَابِ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ مَاذَا يَلْقَوْنَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْجَهْدِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ

سُورَةُ الطُّورِ (٥٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالطُّورِ ①﴾ [الطور: ١].

﴿وَالطُّورِ ①﴾ [الطور: ١] وَالْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَىٰ الطُّورَ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (**الْجَبَلِ بِالسُّرْيَانِيَّةِ**).

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ②﴾ [الطور:٢].

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ②﴾ [الطور:٢] وَكِتَابٍ مَكْتُوبٍ.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ③﴾ [الطور: ٣].

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ③﴾ [الطور: ٣] فِي وَرِقٍ مَنْشُورٍ.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④﴾ [الطور: ٤].

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④﴾ [الطور: ٤] وَالْبَيْتِ الَّذِي يُعْمَرُ بِكَثْرَةِ غَاشِيَتِهِ، وَهُوَ بَيْتٌ -فِيمَا ذُكِرَ- فِي السَّمَاءِ، بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ مِنَ الْأَرْضِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ أَبَدًا.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤﴾ [الطور:٥].

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤﴾ [الطور:٥] يَعْنِي بِالسَّقْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: السَّمَاءَ، وَجَعَلَهَا سَقْفًا، لِأَنَّهَا سَمَاءٌ لِلْأَرْضِ، كَسَمَاءِ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ سَقْفُهُ.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥﴾ [الطور: ٦].

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥﴾ [الطور: ٦] وَالْبَحْرِ الْمَمْلُوءِ الْمَجْمُوعِ مَاؤُهُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعَانِي السَّجْرِ: الْإِيقَادُ، كَمَا يُقَالُ: سُجِّرَتِ التَّنُّورُ، بِمَعْنَىٰ: أُوقِدَتْ، أَوِ الِامْتِلَاءُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْأَغْلَبُ مِنْ مَعَانِي السَّجْرِ، وَكَانَ الْبَحْرُ غَيْرَ مُوقَدٍ الْيَوْمَ، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَسْجُورٌ، فَبَطَلَ عَنْهُ إِحْدَىٰ الصِّفَتَيْنِ وَهُوَ الْإِيقَادُ، صَحَّتِ الصِّفَةُ الْأُخْرَىٰ الَّتِي هِيَ لَهُ الْيَوْمُ، وَهُوَ الِامْتِلَاءُ، لِأَنَّهُ كُلَّ وَقْتٍ مُمْتَلِئٌ.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [الطور:٧].

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [الطور:٧] يَا مُحَمَّدُ، لَكَائِنٌ حَالٌّ بِالْكَافِرِينَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ٨].

﴿مَا لَهُۥ﴾ مَا لِذَلِكَ الْعَذَابِ الْوَاقِعِ بِالْكَافِرِينَ..

﴿مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ٨] يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْهُ إِذَا وَقَعَ.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطور: ٩].

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطور: ٩] تَدُورُ وَتُكْفَأُ..

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [الطور: ١٠].

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [الطور: ١٠] وَتَسِيرُ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا مِنَ الْأَرْضِ سَيْرًا، فَتَصِيرُ هَبَاءً مُنْبَثًّا.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الطور: ١١].

﴿فَوَيْلٌ﴾ فَالْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ مِنْ قَيْحٍ وَصَدِيدٍ فِي جَهَنَّمَ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الطور: ١١] بِوُقُوعِ عَذَابِ اللهِ لِلْكَافِرِينَ، يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾ [الطور: ١٢].

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي فِتْنَةٍ وَاخْتِلَاطٍ فِي الدُّنْيَا..

﴿يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾ [الطور: ١٢] غَافِلِينَ عَمَّا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ [الطور: ١٣].

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ يُدْفَعُونَ..

﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ [الطور: ١٣] بِإِرْهَاقٍ وَإِزْعَاجٍ.. يُقَالُ لَهُمْ.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ [الطور: ١٤].

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ [الطور: ١٤] فَتَجْحَدُونَ أَنْ تَرِدُوهَا، وَتَصْلَوْهَا، أَوْ يُعَاقِبَكُمْ بِهَا رَبُّكُمْ.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥﴾ [الطور: ١٥].

﴿أَفَسِحْرٌ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿هَٰذَآ﴾ الَّذِي وَرَدْتُمُوهُ الْآنَ..

﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥﴾ [الطور: ١٥] أَمْ أَنْتُمْ لَا تُعَايِنُونَهُ وَلَا تُبْصِرُونَهُ؟! وَقِيلَ هَذَا لَهُمْ تَوْبِيخًا لَا اسْتِفْهَامًا.

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾ [الطور: ١٦].

﴿ٱصْلَوْهَا﴾ ذُوقُوا حَرَّ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ، وَرِدُوهَا..

﴿فَٱصْبِرُوٓاْ﴾ عَلَىٰ أَلَمِهَا وَشِدَّتِهَا..

﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ صَبَرْتُمْ أَوْ لَمْ تَصْبِرُوا..

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾ [الطور: ١٦] مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا أَعْمَالَكُمْ، أَيْ لَا تُعَاقَبُونَ إِلَّا عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَكُفْرِكُمْ.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ١٧﴾ [الطور: ١٧].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ فِي بَسَاتِينَ..

﴿وَنَعِيمٍ ١٧﴾ [الطور: ١٧] فِيهَا، وَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ .

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ١٨﴾ [الطور: ١٨].

﴿فَٰكِهِينَ﴾ عِنْدَهُمْ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْعَرَبِ لِلرَّجُلِ يَكُونُ عِنْدَهُ تَمْرٌ كَثِيرٌ: رَجُلٌ تَامِرٌ، أَوْ يَكُونَ عِنْدَهُ لَبَنٌ كَثِيرٌ، فَيُقَالُ: هُوَ لَابِنٌ..

﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ عِنْدَهُمْ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِعْطَاءِ اللهِ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ..

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ١٨﴾ [الطور: ١٨] وَرَفَعَ عَنْهُمْ رَبُّهُمْ عِقَابَهُ الَّذِي عَذَّبَ بِهِ أَهْلَ الْجَحِيمِ.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ [الطور: ١٩].

﴿كُلُوا۟﴾ يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّاتِ: كُلُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ مِمَّا آتَاكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾ مِنْ شَرَابِهَا..

﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾ لَا تَخَافُونَ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ فِيهَا أَذًى وَلَا غَائِلَةً..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ [الطور: ١٩] فِي الدُّنْيَا للهِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ [الطور: ٢٠].

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ﴾ قَدْ جُعِلَتْ صُفُوفًا..

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ وَزَوَّجْنَا الذُّكُورَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ أَزْوَاجًا..

﴿بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ [الطور: ٢٠] مِنَ النِّسَاءِ.. وَالْحُورُ: جَمْعُ حَوْرَاءَ، وَهِيَ الشَّدِيدَةُ بَيَاضِ مُقْلَةِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ سَوَادِ الْحَدَقَةِ.. وَالْعِينُ: جَمْعُ عَيْنَاءَ، وَهِيَ الْعَظِيمَةُ الْعَيْنِ فِي حُسْنٍ وَسَعَةٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١﴾ [الطور: ٢١].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ، أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَبْلُغُوا بِأَعْمَالِهِمْ دَرَجَاتِ آبَائِهِمْ، تَكْرِمَةً لِآبَائِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا أَلَتْنَا آبَاءَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُجُورِ أَعْمَالِهِمْ مِنْ شَيْءٍ..

﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ﴾ وَمَا أَنْقَصْنَا الْآبَاءَ مِنْ أُجُورِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا، فَنَأْخُذَهُ مِنْهُمْ، فَنَجْعَلَهُ لِأَبْنَائِهِمُ الَّذِينَ أَلْحَقْنَاهُمْ بِهِمْ، وَلَكِنَّا وَفَّيْنَاهُمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ، وَأَلْحَقْنَا أَبْنَاءَهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ، تَفَضُّلًا مِنَّا عَلَيْهِمْ..

﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿رَهِينٌ ۝٢١﴾ [الطور: ٢١] مُرْتَهَنَةٌ لَا يُؤَاخَذُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا يُعَاقَبُ بِذَنْبِ نَفْسِهِ.

﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ [الطور: ٢٢].

﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُم﴾ وَأَمْدَدْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ فِي الْجَنَّةِ..

﴿بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ [الطور: ٢٢] مِنَ اللُّحْمَانِ.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾ [الطور: ٢٣].

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا﴾ يَتَعَاطَوْنَ فِيهَا كَأْسَ الشَّرَابِ، وَيَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ..

﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا﴾ لَا بَاطِلَ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾ [الطور: ٢٣] وَلَا فِعْلَ فِيهَا يُؤَثِّمُ صَاحِبُهُ.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ [الطور: ٢٤].

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ وَيَطُوفُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْجَنَّةِ..

﴿غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ﴾ فِي بَيَاضِهِ وَصَفَائِهِ..

﴿مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ [الطور: ٢٤] مَصُونٌ فِي كِنٍّ، فَهُوَ أَنْقَىٰ لَهُ، وَأَصْفَىٰ لِبَيَاضِهِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانَ، فَهَذَا الْخَادِمُ، فَكَيْفَ الْمَخْدُومُ؟

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥﴾ [الطور: ٢٥].

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿يَتَسَآءَلُونَ ٢٥﴾ [الطور: ٢٥] يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا..

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾ [الطور: ٢٦].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿إِنَّا﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾ [الطور: ٢٦] خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَجِلِينَ أَنْ يُعَذِّبَنَا رَبُّنَا الْيَوْمَ.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الطور: ٢٧].

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بِفَضْلِهِ..

﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الطور: ٢٧] عَذَابَ النَّارِ، يَعْنِي فَنَجَّانَا مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلَنَا الْجَنَّةَ.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطور: ٢٨].

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ﴾ إِنَّا كُنَّا فِي الدُّنْيَا مِنْ قَبْلِ يَوْمِنَا هَذَا..

﴿نَدۡعُوهُۖ﴾ نَعْبُدُهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾ [الطور: ٢٨] بِخَلْقِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطور: ٢٩].

﴿فَذَكِّرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرِهِمْ، وَعِظْهُمْ بِنِعَمِ اللهِ عِنْدَهُمْ..

﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ فَلَسْتَ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ..

﴿بِكَاهِنٍ﴾ تتكَهَّنُ عَلَيهِ..

﴿وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطور: ٢٩] لَهُ جِنِّيٌّ يُخْبِرُ عَنْهُ قَوْمَهُ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ، وَلَكِنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَاللهُ لَا يَخْذُلُكَ، وَلَكِنَّهُ يَنْصُرُكَ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور: ٣٠].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بَلْ يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: يَا مُحَمَّدُ لَكَ: هُوَ..

﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور: ٣٠] شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ حَوَادِثَ الدَّهْرِ، يَكْفِينَاهُ بِمَوْتٍ أَوْ حَادِثَةٍ مُتْلِفَةٍ.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ [الطور: ٣١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَكَ: إِنَّكَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِكَ رَيْبَ الْمَنُونِ..

﴿تَرَبَّصُوا۟﴾ انْتَظِرُوا وَتَمَهَّلُوا فِي رَيْبَ الْمَنُونِ..

﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ [الطور: ٣١] بِكُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ فِيكُمْ.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢﴾ [الطور: ٣٢].

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ أَتَأْمُرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ﴾ أَحْلَامُهُمْ بِأَنْ يَقُولُوا لِمُحَمَّدٍ ﷺ: هُوَ شَاعِرٌ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ شِعْرٌ..

﴿أَمْ﴾ مَا تَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ أَحْلَامُهُمْ وَعُقُولُهُمْ، بَلْ..

﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢﴾ [الطور: ٣٢] قَدْ طَغَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَتَجَاوَزُوا مَا أَذِنَ لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾ [الطور: ٣٣].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَمْ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ تَقَوَّلَ مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ وَتَخَلَّقَهُ..

﴿بَل﴾ كَذَبُوا فِيمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ..

﴿لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾ [الطور: ٣٣] فَيُصَدِّقُوا بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ [الطور: ٣٤].

﴿فَلْيَأْتُوا۟﴾ فَلْيَأْتِ قَائِلُو ذَلِكَ لَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ بِقُرْآنٍ مِثْلِهِ، فَإِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا مِنْ ذَلِكَ بِمِثْلِ الَّذِي أَتَىٰ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ [الطور: ٣٤] فِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ تَقَوَّلَهُ وَتَخَلَّقَهُ.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥].

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أَخُلِقَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، أَيْ مِنْ غَيْرِ آبَاءٍ وَلَا أُمَّهَاتٍ، فَهُمْ كَالْجَمَادِ، لَا يَعْقِلُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ للهِ حُجَّةً، وَلَا يَعْتَبِرُونَ لَهُ بِعِبْرَةٍ، وَلَا يَتَّعِظُونَ بِمَوْعِظَةٍ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَمْ خُلِقُوا لِغَيْرِ شَيْءٍ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، بِمَعْنَىٰ: لِغَيْرِ شَيْءٍ..

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥] أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ هَذَا الْخَلْقَ، فَهُمْ لِذَلِكَ لَا يَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِ اللهِ، وَلَا يَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، لِأَنَّ لِلْخَالِقِ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور: ٣٦].

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾ أَخَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَيَكُونُوا هُمُ الْخَالِقِينَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَمْ يَخْلُقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ..

﴿بَل﴾ لَمْ يَتْرُكُوا أَنْ يَأْتَمِرُوا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، وَيَنْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، لِأَنَّهُمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَكَانُوا بِذَلِكَ أَرْبَابًا، وَلَكِنَّهُمْ فَعَلُوا، لِأَنَّهُمْ..

﴿لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور: ٣٦] بِوَعِيدِ اللهِ وَمَا أَعَدَّ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ [الطور: ٣٧].

﴿أَمْ عِندَهُمْ﴾ أَعِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ..

﴿خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، فَهُمْ لِاسْتِغْنَائِهِمْ بِذَلِكَ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ..

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ [الطور: ٣٧] أَمْ هُمُ الْجَبَّارُونَ الْمُتَسَلِّطُونَ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَلَىٰ اللهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسَيْطِرَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْجَبَّارُ الْمُتَسَلِّطُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢]، يَقُولُ: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ مُسَلَّطٍ.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ [الطور: ٣٨].

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ يَرْتَقُونَ فِيهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ..

﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يَسْتَمِعُونَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، فَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هُنَالِكَ مِنَ اللهِ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ حَقٌّ، فَهُمْ بِذَلِكَ مُتَمَسِّكُونَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ..

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ فَإِنْ كَانُوا يَدَّعُونَ ذَلِكَ فَلْيَأْتِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ اسْتَمَعَ ذَلِكَ فَسَمِعَهُ..

﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ [الطور: ٣٨] بِحُجَّةٍ تُبَيِّنُ أَنَّهَا حَقٌّ، كَمَا أَتَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ بِهَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ قَوْلِهِ، وَصِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩﴾ [الطور: ٣٩].

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩﴾ [الطور: ٣٩] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ: أَلِرَبِّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ؟! ذَلِكَ إِذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠﴾ [الطور: ٤٠].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَتَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿أَجْرًا﴾ ثَوَابًا وَعِوَضًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ..

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ فَهُمْ مِنْ ثِقَلِ مَا حَمَّلْتَهُمْ مِنَ الْغُرْمِ..

﴿مُّثْقَلُونَ ۝٤٠﴾ [الطور: ٤٠] لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ إِجَابَتِكَ إِلَىٰ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١﴾ [الطور: ٤١].

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ..

﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١﴾ [الطور: ٤١] ذَلِكَ لِلنَّاسِ، فَيُنَبِّئُونَهُمْ بِمَا شَاءُوا، وَيُخْبِرُونَهُمْ بِمَا أَرَادُوا.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝٤٢﴾ [الطور: ٤٢].

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بَلْ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ بِكَ وَبِدِينِ اللهِ كَيْدًا..

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢﴾ [الطور: ٤٢] فَهُمُ الْمَكِيدُونَ الْمَمْكُورُ بِهِمْ دُونَكَ، فَثِقْ بِاللهِ، وَامْضِ لِمَا أَمَرَكَ بِهِ.

﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣﴾ [الطور: ٤٣].

﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾ أَمْ لَهُمْ مَعْبُودٌ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَةَ غَيْرُ اللهِ، فَيَجُوزُ لَهُمْ عِبَادَتُهُ، يَقُولُ: لَيْسَ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣﴾ [الطور: ٤٣] تَنْزِيهًا للهِ عَنْ شِرْكِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ مَعَهُ غَيْرَهُ.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤﴾ [الطور: ٤٤].

﴿وَإِن يَرَوۡاْ﴾ وَإِنْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا﴾ قِطَعًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا، وَالْكِسْفُ: جَمْعُ كِسْفَةٍ، مِثْلُ التَّمْرُ جَمْعُ تَمْرَةٍ، وَالسِّدْرُ جَمْعُ سِدْرَةٍ..

﴿يَقُولُواْ﴾ يَقُولُوا لِذَلِكَ الْكِسْفِ مِنَ السَّمَاءِ السَّاقِطِ..

﴿سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤﴾ [الطور: ٤٤] هَذَا سَحَابٌ مَرْكُومٌ، بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْآيَاتِ، فَقَالُوا لَهُ: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَلَيۡنَا كِسَفٗا﴾ [الإسراء: ٩٢]، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَإِنْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَا سَأَلُوا مِنَ الْآيَاتِ، فَعَايَنُوا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا، لَمْ يَنْتَقِلُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَقَالُوا: إِنَّمَا هَذَا سَحَابٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، لِأَنَّ اللهَ قَدْ حَتَّمَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥﴾ [الطور: ٤٥].

﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ فَدَعْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥﴾ [الطور: ٤٥] حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَهْلِكُونَ، وَذَلِكَ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى، ثُمَّ بَيَّنَ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيَّ يَوْمٍ هُوَ، فَقَالَ.

﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦﴾ [الطور: ٤٦].

﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ يَوْمَ لَا يَدْفَعُ مَكْرُهُمْ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ شَيْئًا.

﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦﴾ [الطور: ٤٦] وَلَا هُمْ يَنْصُرُهُمْ نَاصِرٌ، فَيَسْتَقِيدُ لَهُمْ مِمَّنْ عَذَّبَهُمْ وَعَاقَبَهُمْ.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٧].

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ عَذَابًا مِنَ اللهِ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ عَذَابُ الْقَبْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ الْجُوعَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ: الْمَصَائِبَ الَّتِي تُصِيبُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ ذَهَابِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِهِ عَذَابًا دُونَ يَوْمِهِمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَعَذَابُ الْقَبْرِ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ فِي الْبَرْزَخِ، وَالْجُوعُ الَّذِي أَصَابَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَالْمَصَائِبُ الَّتِي تُصِيبُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ نَوْعًا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَهُمْ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ دُونَ نَوْعٍ بَلْ عَمَّ، فَكُلُّ ذَلِكَ لَهُمْ عَذَابٌ، وَذَلِكَ لَهُمْ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٧] بِأَنَّهُمْ ذَائِقُو ذَلِكَ الْعَذَابِ.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨].

﴿وَاصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الَّذِي حَكَمَ بِهِ عَلَيْكَ، وَامْضِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَبَلِّغْ رِسَالَاتِهِ..

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فَإِنَّكَ بِمَرْأًى مِنَّا نَرَاكَ وَنَرَىٰ عَمَلَكَ، وَنَحْنُ نَحُوطُكَ وَنَحْفَظُكَ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْكَ مَنْ أَرَادَكَ بِسُوءٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨] وَصَلِّ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ مِنْ مَنَامِكَ، وَذَلِكَ نَوْمُ الْقَائِلَةِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ صَلَاةَ الظُّهْرِ .. وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا الْقَوْلَ؛ لِأَنَّهُ لَا صَلَاةَ تَجِبُ فَرْضًا بَعْدَ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ نَوْمِ النَّاسِ الْمَعْرُوفِ إِلَّا بَعْدَ نَوْمِ اللَّيْلِ، وَذَلِكَ صَلَاةُ الْفَجْرِ، أَوْ بَعْدَ نَوْمِ الْقَائِلَةِ، وَذَلِكَ صَلَاةُ الظُّهْرِ؛ فَلَمَّا أَمَرَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ بِالتَّسْبِيحِ بَعْدَ إِدْبَارِ النُّجُومِ، وَذَلِكَ رَكْعَتَا الْفَجْرِ بَعْدَ قِيَامِ النَّاسِ مِنْ نَوْمِهَا لَيْلًا، عُلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالتَّسْبِيحِ بَعْدَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ هُوَ أَمْرٌ بِالصَّلَاةِ الَّتِي تَجِبُ بَعْدَ قِيَامٍ مِنْ نَوْمِ الْقَائِلَةِ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا دُونَ الْقِيَامِ مِنْ نَوْمِ اللَّيْلِ.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور: ٤٩].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَعَظِّمْ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ بِالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ، وَذَلِكَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ..

﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور: ٤٩] حِينَ تُدْبِرُ النُّجُومُ لِلْأُفُولِ عِنْدَ إِقْبَالِ النَّهَارِ، وعَنَىٰ بِهَا: الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ صَلَاةَ الْفَجْرِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الطُّورِ

سُورَةُ النَّجْمِ (٥٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَسِتُّونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ [النجم: ١].

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ [النجم: ١] وَالثُّرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ②﴾ [النجم: ٢].

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ مَا حَادَ صَاحِبُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا زَالَ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ وَسَدَادٍ..

﴿وَمَا غَوَىٰ ②﴾ [النجم: ٢] وَمَا صَارَ غَوِيًّا، وَلَكِنَّهُ رَشِيدٌ سَدِيدٌ.. وَقَوْلُهُ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ جَوَابُ قَسَمِ وَالنَّجْمِ.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③﴾ [النجم: ٣].

﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ مُحَمَّدٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿عَنِ الْهَوَىٰ ③﴾ [النجم: ٣] عَنْ هَوَاهُ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④﴾ [النجم: ٤].

﴿إِنْ هُوَ﴾ مَا هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿إِلَّا وَحْيٌ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿يُوحَىٰ ④﴾ [النجم: ٤] يُوحِيهِ إِلَيْهِ.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤﴾ [النجم: ٥].

﴿عَلَّمَهُ﴾ عَلَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤﴾ [النجم: ٥] شَدِيدُ الْأَسْبَابِ، جِبْرِيلُ عليه السلام، وَالْقُوَىٰ: جَمْعُ قُوَّةٍ.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥﴾ [النجم: ٦].

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ عَنَىٰ بِالْمِرَّةِ: صِحَّةَ الْجِسْمِ وَسَلَامَتَهُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ، وَالْجِسْمُ إِذَا كَانَ

كَذَلِكَ مِنَ الْإِنْسَانِ، كَانَ قَوِيًّا، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْمِرَّةَ وَاحِدَةُ الْمِرَرِ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِهِ: ذُو مِرَّةٍ سَوِيَّةٍ، وَإِذَا كَانَتِ الْمِرَّةُ صَحِيحَةً، كَانَ الْإِنْسَانُ صَحِيحًا، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ**»..

﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٦] فَاسْتَوَىٰ هَذَا الشَّدِيدُ الْقُوَىٰ وَصَاحِبُكُمْ مُحَمَّدٌ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ.

﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾ [النجم: ٧].

﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾ [النجم: ٧] وَذَلِكَ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ اسْتَوَىٰ هُوَ وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِمَطْلَعِ الشَّمْسِ الْأَعْلَىٰ، وَهُوَ الْأُفُقُ الْأَعْلَىٰ.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٨].

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جِبْرِيلُ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٨] إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَإِنَّمَا هُوَ: ثُمَّ تَدَلَّىٰ فَدَنَا، وَلَكِنَّهُ حَسُنَ تَقْدِيمُ قَوْلِهِ: ﴿دَنَا﴾، إِذْ كَانَ الدُّنُوُّ يَدُلُّ عَلَىٰ التَّدَلِّي وَالتَّدَلِّي عَلَىٰ الدُّنُوِّ، كَمَا يُقَالُ: زَارَنِي فُلَانٌ فَأَحْسَنَ، وَأَحْسَنَ إِلَيَّ فَزَارَنِي، وَشَتَمَنِي فَأَسَاءَ، وَأَسَاءَ فَشَتَمَنِي، لِأَنَّ الْإِسَاءَةَ هِيَ الشَّتْمُ: وَالشَّتْمُ هُوَ الْإِسَاءَةُ.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩].

﴿فَكَانَ﴾ جِبْرَائِيلُ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ عَلَىٰ قَدْرِ قَوْسَيْنِ..

﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩] مِنْ ذَلِكَ، يَعْنِي: أَوْ أَقْرَبَ مِنْهُ.. وَقِيلَ: أَنَّهُ كَانَ مِنْهُ حَيْثُ الْوَتَرُ مِنَ الْقَوْسِ.

﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠].

﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾ جِبْرِيلُ..

﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠] إِلَيْهِ رَبُّهُ.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١].

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١] مَا كَذَّبَ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا الَّذِي رَأَىٰ، وَلَكِنَّهُ صَدَّقَهُ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِي رَآهُ فُؤَادُهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَقَالُوا جَعَلَ بَصَرَهُ فِي فُؤَادِهِ، فَرَآهُ بِفُؤَادِهِ،

وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الَّذِي رَآهُ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَكْذِبْهُ جِبْرِيلُ ﷺ.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [النجم: ١٢].

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ أَفَتُجَادِلُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مُحَمَّدًا..

﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [النجم: ١٢] مِمَّا أَرَاهُ اللهُ مِنْ آيَاتِهِ.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣].

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣] لَقَدْ رَآهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم: ١٤].

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم: ١٤] السِّدْرَةُ: شَجَرَةُ النَّبْقِ.. وَقِيلَ لَهَا سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّهُ إِلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ كُلِّ عَالِمٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ لَهَا سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ؛ لِأَنَّهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا، وَيَصْعَدُ مِنْ تَحْتِهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَيْهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ لَهَا: سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْهَاجِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَعْنَىٰ الْمُنْتَهَىٰ الِانْتِهَاءُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: عِنْدَ سِدْرَةِ الِانْتِهَاءِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لَهَا سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ: لِانْتِهَاءِ عِلْمِ كُلِّ عَالِمٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَيْهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قِيلَ ذَلِكَ لَهَا لِانْتِهَاءِ مَا يَصْعَدُ مِنْ تَحْتِهَا، وَيَنْزِلُ مِنْ فَوْقِهَا إِلَيْهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِانْتِهَاءِ كُلِّ مَنْ خَلَا مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لَهَا ذَلِكَ لِجَمِيعِ ذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ يَقْطَعُ الْعُذْرَ بِأَنَّهُ قِيلَ ذَلِكَ لَهَا لِبَعْضِ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ، فَلَا قَوْلَ فِيهِ أَصَحُّ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ، وَهُوَ أَنَّهَا سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ، وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي أَنَّهَا شَجَرَةُ النَّبْقِ تَتَابَعَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٥].

﴿عِندَهَا﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ..

﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٥] جَنَّةُ مَأْوَىٰ الشُّهَدَاءِ.. كَقَوْلِهِ ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ [السجدة: ١٩].

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ [النجم: ١٦].

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ [النجم: ١٦] وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ، إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ، فَـ ﴿إِذْ﴾ مِنْ صِلَةِ ﴿رَءَاهُ﴾ [النجم:١٣]، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

غَشِيَهَا فَرَاشُ الذَّهَبِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الَّذِي غَشِيَهَا رَبُّ الْعِزَّةِ وَمَلَائِكَتُهُ.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧].

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧] مَا مَالَ بَصَرُ مُحَمَّدٍ يَعْدِلُ يَمِينًا وَشِمَالًا عَمَّا رَأَىٰ، أَيْ وَلَا جَاوَزَ مَا أُمِرَ بِهِ قَطْعًا، يَقُولُ: فَارْتَفَعَ عَنِ الْحَدِّ الَّذِي حُدَّ لَهُ.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٨].

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٨] لَقَدْ رَأَىٰ مُحَمَّدٌ هُنَالِكَ مِنْ أَعْلَامِ رَبِّهِ، وَأَدِلَّتِهِ الْأَعْلَامِ، وَالْأَدِلَّةِ الْكُبْرَىٰ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم: ١٩].

﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿ٱللَّٰتَ﴾ وَهِيَ مِنَ اللهِ، أُلْحِقَتْ فِيهِ التَّاءُ فَأُنِّثَتْ، كَمَا قِيلَ عَمْرٌو لِلذَّكَرِ، وَلِلْأُنْثَىٰ عَمْرَةُ؛ وَكَمَا قِيلَ لِلذَّكَرِ عَبَّاسٌ، ثُمَّ قِيلَ لِلْأُنْثَىٰ عَبَّاسَةُ، فَكَذَلِكَ سَمَّىٰ الْمُشْرِكُونَ أَوْثَانَهُمْ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، فَقَالُوا مِنَ اللهِ اللَّاتَ..

﴿وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم: ١٩] مِنَ الْعَزِيزِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُنَّ بَنَاتُ اللهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ وَافْتَرَوْا، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: أَفَرَأَيْتُمْ أَيُّهَا الزَّاعِمُونَ أَنَّ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ.

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ٢٠].

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ٢٠] وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ، بَنَاتُ اللهِ.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١﴾ [النجم: ٢١].

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١﴾ [النجم: ٢١] أَتَزْعُمُونَ أَنَّ لَكُمُ الذَّكَرَ الَّذِي تَرْضَوْنَهُ، وَللهِ الْأُنْثَىٰ الَّتِي لَا تَرْضَوْنَهَا لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِكُمُ الذَّكَرَ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَتَكْرَهُونَ لَهَا الْأُنْثَىٰ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ الْأُنْثَىٰ الَّتِي لَا تَرْضَوْنَهَا لِأَنْفُسِكُمْ، وَلَكِنَّكُمْ تَقْتُلُونَهَا كَرَاهَةً مِنْكُمْ لَهُنَّ.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم: ٢٢].

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم: ٢٢] قِسْمَتُكُمْ هَذِهِ قِسْمَةٌ جَائِرَةٌ غَيْرُ مُسْتَوِيَةٍ، نَاقِصَةٌ غَيْرُ تَامَّةٍ؛ لِأَنَّكُمْ جَعَلْتُمْ لِرَبِّكُمْ مِنَ الْوَلَدِ مَا تَكْرَهُونَ لِأَنْفُسِكُمْ، وَآثَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِمَا تَرْضَوْنَهُ.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣﴾ [النجم: ٢٣].

﴿إِنْ هِيَ﴾ مَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي سَمَّيْتُمُوهَا وَهِيَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةُ الثَّالِثَةُ الْأُخْرَىٰ..

﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿وَءَابَآؤُكُم﴾ مِنْ قَبْلِكُمْ..

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ يَعْنِي بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ..

﴿مِن سُلْطَٰنٍۚ﴾ لَمْ يُبِحِ اللهُ ذَلِكَ لَكُمْ، وَلَا أَذِنَ لَكُمْ بِهِ..

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ مَا يَتْبَعُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي سَمُّوا بِهَا آلِهَتَهُمْ..

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ بِأَنَّ مَا يَقُولُونَ حَقٌّ، لَا الْيَقِينَ..

﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ﴾ وَهَوَىٰ أَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا ذَلِكَ عَنْ وَحْيٍ جَاءَهُمْ مِنَ اللهِ، وَلَا عَنْ رَسُولِ اللهِ أَخْبَرَهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا اخْتِرَاقٌ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، أَوْ أَخَذُوهُ عَنْ آبَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ عَلَىٰ مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْهُ..

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣﴾ [النجم: ٢٣] وَلَقَدْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ رَبِّهِمُ الْبَيَانُ مِمَّا هُمْ مِنْهُ عَلَىٰ غَيْرِ يَقِينٍ، وَذَلِكَ تَسْمِيَتُهُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَعِبَادَتُهُمْ إِيَّاهَا، يَقُولُ: لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ فِي ذَلِكَ، وَالْبَيَانُ بِالْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ عِبَادَتَهَا لَا تَنْبَغِي، وَأَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤﴾ [النجم: ٢٤].

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤﴾ [النجم: ٢٤] أَمِ اشْتَهَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ مَا أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ هَذِهِ الْكَرَامَةِ الَّتِي كَرَّمَهُ بِهَا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَنْزَلَ الْوَحْيَ عَلَيْهِ، وَتَمَنَّىٰ ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ رَبُّهُ.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾ [النجم: ٢٥].

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾ [النجم: ٢٥] فَللهِ مَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ، وَهِيَ الدُّنْيَا، يُعْطِي مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ، وَيَحْرِمُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ مَا شَاءَ.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ كَثِيرٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ، لَا تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُمْ

عِنْدَ اللهِ لِمَنْ شَفَعُوا لَهُ شَيْئًا..

﴿إِلَّا﴾ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُ..

﴿وَيَرۡضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم: ٢٦] وَمِنْ بَعْدِ أَنْ يَرْضَىٰ لِمَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ يَشْفَعُونَ لَهُ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُ، فَتَنْفَعُهُ حِينَئِذٍ شَفَاعَتُهُمْ، وَإِنَّمَا هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فَقَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لَهُمْ: مَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ مَلَائِكَتِي الَّذِينَ هُمْ عِنْدِي لِمَنْ شَفَعُوا لَهُ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِي لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ لَهُ وَرِضَايَ، فَكَيْفَ بِشَفَاعَةِ مَنْ دُونَهُمْ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ شَفَاعَةَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ غَيْرُ نَافِعَتِهِمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢٧﴾ [النجم: ٢٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ لَيُسَمُّونَ مَلَائِكَةَ اللهِ ..

﴿تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢٧﴾ [النجم: ٢٧] وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: هُمْ بَنَاتُ اللهِ.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ۝٢٨﴾ [النجم: ٢٨].

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ وَمَا لَهُمْ يَقُولُونَ مِنْ تَسْمِيَتِهِمُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ مِنْ حَقِيقَةِ عِلْمٍ..

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ مَا يَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَّا الظَّنَّ، يَعْنِي أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ ظَنًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ۝٢٨﴾ [النجم: ٢٨] وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَنْفَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَيَقُومُ مَقَامَهُ.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩﴾ [النجم: ٢٩].

﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ فَدَعْ مَنْ أَدْبَرَ يَا مُحَمَّدُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَيُوَحِّدُهُ..

﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩﴾ [النجم: ٢٩] وَلَمْ يَطْلُبْ مَا عِنْدَ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَكِنَّهُ طَلَبَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْتَمَسَ الْبَقَاءَ فِيهَا.

﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ۝٣٠﴾ [النجم: ٣٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْمَلَائِكَةِ مِنْ تَسْمِيَتِهِمْ إِيَّاهَا تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ..

﴿مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ إِلَّا هَذَا الْكُفْرَ بِاللهِ، وَالشِّرْكَ بِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الظَّنِّ بِغَيْرِ يَقِينِ عِلْمٍ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَارَ عَنْ طَرِيقِهِ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، فَلَا يُؤْمِنُ، وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠﴾ [النجم: ٣٠] وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَصَابَ طَرِيقَهُ فَسَلَكَهُ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، وَذَلِكَ الطَّرِيقُ أَيْضًا الْإِسْلَامُ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم: ٣١].

﴿وَلِلَّهِ﴾ مُلْكُ..

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ شَيْءٍ، وَهُوَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ..

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ عَصَوْهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَأَسَاءُوا بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَيُثِيبُهُمْ بِهَا النَّارَ..

﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم: ٣١] وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَطَاعُوهُ فَأَحْسَنُوا بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا بِالْحُسْنَىٰ وَهِيَ الْجَنَّةُ، فَيُثِيبُهُمْ بِهَا، وَقِيلَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالْإِيمَانِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾ [النجم: ٣٢].

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ الَّذِينَ يَبْتَعِدُونَ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهَا وَحَرَّمَهَا عَلَيْهِمْ فَلَا يَقْرَبُونَهَا، وَذَلِكَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَمَا قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]..

﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وَهِيَ الزِّنَا وَمَا أَشْبَهَهُ، مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ فِيهِ حَدًّا..

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ بِمَا دُونَ كَبَائِرِ الْإِثْمِ، وَدُونَ الْفَوَاحِشِ الْمُوجِبَةِ لِلْحُدُودِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْفُوٌّ لَهُمْ عَنْهُ، وَذَلِكَ عِنْدِي نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [النساء: ٣١]، فَوَعَدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، الْعَفْوَ عَمَّا دُونَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَهُوَ اللَّمَمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**»، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا حَدَّ فِيمَا دُونَ وُلُوجِ الْفَرْجِ فِي الْفَرْجِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَفْوُ مِنَ اللهِ فِي الدُّنْيَا عَنْ عُقُوبَةِ الْعَبْدِ عَلَيْهِ، وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ

يَعُودَ فِيمَا قَدْ عَفَا عَنْهُ، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاللَّمَمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمُقَارَبَةُ لِلشَّيْءِ، ذَكَرَ الْفَرَّاءُ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبَ تَقُولُ: ضَرَبَهُ مَا لَمَمَ الْقَتْلَ، يُرِيدُونَ ضَرْبًا مُقَارِبًا لِلْقَتْلِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ وَاسِعٌ عَفْوُهُ لِلْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ لَمْ تَبْلُغْ ذُنُوبُهُمُ الْفَوَاحِشَ وَكَبَائِرَ الْإِثْمِ، وَإِنَّمَا أَعْلَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ هَذَا عِبَادَهُ أَنَّهُ يَغْفِرُ اللَّمَمَ بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الذُّنُوبِ لِمَنِ اجْتَنَبَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِالْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْمُحْسِنِ مِنْكُمْ مِنَ الْمُسِيءِ، وَالْمُطِيعِ مِنَ الْعَاصِي، حِينَ ابْتَدَعَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَحْدَثَكُمْ مِنْهَا بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْهَا..

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وَحِينَ أَنْتُمْ حَمْلٌ، لَمْ تُولَدُوا مِنْكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ بَعْدَمَا صِرْتُمْ رِجَالًا وَنِسَاءً..

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ فَلَا تَشْهَدُوا لِأَنْفُسِكُمْ بِأَنَّهَا زَكِيَّةٌ بَرِيئَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي..

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ۝٣٢﴾ [النجم: ٣٢] رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ أَعْلَمُ بِمَنْ خَافَ عُقُوبَةَ اللهِ فَاجْتَنَبَ مَعَاصِيهِ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ۝٣٣﴾ [النجم: ٣٣].

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الَّذِي تَوَلَّىٰ ۝٣٣﴾ [النجم: ٣٣] الَّذِي أَدْبَرَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ وَعَنْ دِينِهِ، وَأَعْطَىٰ صَاحِبَهُ قَلِيلًا مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ مَنَعَهُ فَلَمْ يُعْطِهِ، فَبَخِلَ عَلَيْهِ.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۝٣٤﴾ [النجم: ٣٤].

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۝٣٤﴾ [النجم: ٣٤] فَأَعْطَىٰ الَّذِي عَاتَبَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ بَعْضَ مَا كَانَ ضَمِنَ لَهُ، ثُمَّ بَخِلَ عَلَيْهِ وَمَنَعَهُ تَمَامَ مَا ضَمِنَ لَهُ.

﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ۝٣٥﴾ [النجم: ٣٥].

﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ۝٣٥﴾ [النجم: ٣٥] أَعِنْدَ هَذَا الَّذِي ضَمِنَ لَهُ صَاحِبُهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ عَنْهُ عَذَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ عِلْمُ الْغَيْبِ، فَهُوَ يَرَىٰ حَقِيقَةَ قَوْلِهِ، وَوَفَاءَهُ بِمَا وَعَدَ.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦﴾ [النجم: ٣٦].

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦﴾ [النجم: ٣٦] أَمْ لَمْ يُخْبَرْ هَذَا الْمَضْمُونُ لَهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ عَنْهُ عَذَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ، بِالَّذِي فِي صُحُفِ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: ٣٧].

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: ٣٧] وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَا أُرْسِلَ بِهِ، وَفَّىٰ جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَجَمِيعِ مَا أُمِرَ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [النجم: ٣٨].

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [النجم: ٣٨] غَيْرَهَا، بَلْ كُلُّ آثِمَةٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهَا عَلَيْهَا.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: ٣٩].

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: ٣٩] أَوَلَمْ يُنَبَّأْ أَنَّهُ لَا يُجَازِي عَامِلٌ إِلَّا بِعَمَلِهِ، خَيْرًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ شَرًّا.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ [النجم: ٤٠].

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ [النجم: ٤٠] وَأَنَّ عَمَلَ كُلِّ عَامِلٍ سَوْفَ يَرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ وَرَدَ الْقِيَامَةَ بِالْجَزَاءِ الَّذِي يُجَازَىٰ عَلَيْهِ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا، لَا يُؤْخَذُ بِعُقُوبَةِ ذَنْبِ غَيْرُ عَامِلِهِ، وَلَا يُثَابُ عَلَىٰ صَالِحِ عَمِلَهُ عَامِلٌ غَيْرُهُ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ الَّذِي رَجَعَ عَنْ إِسْلَامِهِ بِضَمَانِ صَاحِبِهِ لَهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ عَنْهُ الْعَذَابَ، أَنَّ ضَمَانَهُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْئًا؛ لِأَنَّ كُلَّ عَامِلٍ فَبِعَمَلِهِ مَأْخُوذٌ.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النجم: ٤١].

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ﴾ ثُمَّ يُثَابُ بِسَعْيِهِ ذَلِكَ الثَّوَابَ..

﴿ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النجم: ٤١] أَوْفَىٰ مَا وَعَدَ خَلْقَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَزَاءِ.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢] انْتِهَاءَ جَمِيعِ خَلْقِهِ وَمَرْجِعَهُمْ، وَهُوَ الْمُجَازِي جَمِيعَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، صَالِحَهُمْ وَطَالِحَهُمْ، وَمُحْسِنَهُمْ وَمُسِيئَهُمْ.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ [النجم: ٤٣].

﴿وَأَنَّهُۥ﴾ وَأَنَّ رَبَّكَ..

﴿هُوَ أَضْحَكَ﴾ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ بِدُخُولِهِمْ إِيَّاهَا، وَأَضْحَكَ مَنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا..

﴿وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ [النجم: ٤٣] أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ بِدُخُولِهِمُوهَا، وَأَبْكَىٰ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْكِيَهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ [النجم: ٤٤].

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ مَنْ مَاتَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ [النجم: ٤٤] وَهُوَ أَحْيَا مَنْ حَيِيَ مِنْهُمْ، وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿أَحْيَآءً﴾ نَفْخَ الرُّوحِ فِي النُّطْفَةِ الْمَيْتَةِ، فَجَعَلَهَا حَيَّةً بِتَصْيِيرِهِ الرُّوحَ فِيهَا.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ [النجم: ٤٥].

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ [النجم: ٤٥] وَأَنَّهُ ابْتَدَعَ إِنْشَاءَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ، وَجَعَلَهُمَا زَوْجَيْنِ؛ لِأَنَّ الذَّكَرَ زَوْجُ الْأُنْثَىٰ، وَالْأُنْثَىٰ لَهُ زَوْجٌ فَهُمَا زَوْجَانِ، يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا زَوْجًا لِلْآخَرِ.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾ [النجم: ٤٦].

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾ [النجم: ٤٦] خَلَقَ ذَلِكَ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا أَمْنَاهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧﴾ [النجم: ٤٧].

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧﴾ [النجم: ٤٧] وَأَنَّ عَلَىٰ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ يَخْلُقَ هَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَبِلَاهُمْ فِي قُبُورِهِمُ الْخَلْقَ الْآخَرَ، وَذَلِكَ إِعَادَتُهُمْ أَحْيَاءً خَلْقًا جَدِيدًا، كَمَا كَانُوا قَبْلَ مَمَاتِهِمْ

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ [النجم: ٤٨].

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ [النجم: ٤٨] وَأَنَّ رَبَّكَ هُوَ أَغْنَىٰ مَنْ أَغْنَىٰ مِنْ خَلْقِهِ بِالْمَالِ وَأَقْنَاهُ، فَجَعَلَ لَهُ قُنْيَةَ أُصُولِ أَمْوَالٍ.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩﴾ [النجم: ٤٩].

﴿وَأَنَّهُۥ﴾ وَأَنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩﴾ [النجم: ٤٩] النَّجْمَ الَّذِي يُسَمَّىٰ هَذَا الِاسْمَ، وَهُوَ نَجْمٌ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾ [النجم: ٥٠].

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾ [النجم: ٥٠] يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِعَادٍ الْأُولَىٰ: عَادَ بْنَ إِرَمَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ [الفجر:٦- ٧].

﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ [النجم: ٥١].

﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ [النجم: ٥١] وَلَمْ يُبْقِ اللهُ ثَمُودَ فَيَتْرُكُهَا عَلَىٰ طُغْيَانِهَا وَتَمَرُّدِهَا عَلَىٰ رَبِّهَا مُقِيمَةً، وَلَكِنَّهُ عَاقَبَهَا بِكُفْرِهَا وَعُتُوِّهَا فَأَهْلَكَهَا.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢﴾ [النجم: ٥٢].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ عَادٍ وَثَمُودَ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢﴾ [النجم: ٥٢] إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ ظُلْمًا لِأَنْفُسِهِمْ، وَأَعْظَمَ كُفْرًا بِرَبِّهِمْ، وَأَشَدَّ طُغْيَانًا وَتَمَرُّدًا عَلَىٰ اللهِ مِنَ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمْ مِنْ بَعْدُ مِنَ الْأُمَمِ، وَكَانَ طُغْيَانُهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا بِذَلِكَ أَكْثَرَ طُغْيَانًا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ [النجم: ٥٣].

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ [النجم: ٥٣] وَالْمَخْسُوفَ بِهَا، الْمَقْلُوبَ أَعْلَاهَا أَسْفَلَهَا، وَهِيَ قَرْيَةُ سَدُومَ قَوْمُ لُوطٍ، أَهْوَىٰ اللهُ، فَأَمَرَ جِبْرِيلَ ﷺ، فَرَفَعَهَا مِنَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ بِجَنَاحِهِ، ثُمَّ أَهْوَاهَا مَقْلُوبَةً.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [النجم: ٥٤].

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [النجم: ٥٤] فَغَشَّىٰ اللهُ الْمُؤْتَفِكَةَ مِنَ الْحِجَارَةِ الْمَنْضُودَةِ الْمُسَوَّمَةِ مَا غَشَّاهَا، فَأَمْطَرَهَا إِيَّاهُ مِنْ سِجِّيلٍ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ [النجم: ٥٥].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ فَبِأَيِّ نِعْمَاتِ رَبِّكَ يَا ابْنَ آدَمَ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكَ..

﴿تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ [النجم: ٥٥] تَرْتَابُ وَتَشُكُّ وَتُجَادِلُ.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النجم: ٥٦].

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ هَذَا الَّذِي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَنِّي أَوْقَعْتُهَا بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ..

﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النجم: ٥٦] مِنَ النُّذُرِ الَّتِي أَنْذَرْتُهَا الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ.

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧﴾ [النجم: ٥٧].

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧﴾ [النجم: ٥٧] دَنَتِ الدَّانِيَةُ، وَإِنَّمَا يَعْنِي: دَنَتِ الْقِيَامَةُ الْقَرِيبَةُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ [النجم: ٥٨].

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ [النجم: ٥٨] لَيْسَ لِلْآزِفَةِ الَّتِي قَدْ أَزِفَتْ، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي قَدْ دَنَتْ مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفٌ، يَقُولُ: لَيْسَ تَنْكَشِفُ فَتَقُومُ إِلَّا بِإِقَامَةِ اللهِ إِيَّاهَا، وَكَشْفِهَا دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَقِيلَ: كَاشِفَةٌ، فَأُنِّثَتْ، وَهِيَ بِمَعْنَىٰ الِانْكِشَافِ؛ كَمَا قِيلَ: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ﴾ [الحاقة: ٨]، بِمَعْنَىٰ: فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَقَاءٍ؛ وَكَمَا قِيلَ: الْعَاقِبَةُ وَمَالَهُ مِنْ نَاهِيَةٍ، وَكَمَا قِيلَ ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة: ٢] بِمَعْنَىٰ تَكْذِيبٍ، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] بِمَعْنَىٰ خِيَانَةٍ.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾ [النجم: ٥٩].

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾ [النجم: ٥٩] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: أَفَمِنْ هَذَا الْقُرْآنِ أَيُّهَا النَّاسُ تَعْجَبُونَ، أَنْ نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ [النجم: ٦٠].

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ مِنْهُ اسْتِهْزَاءً بِهِ..

﴿وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ [النجم: ٦٠] مِمَّا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لِأَهْلِ مَعَاصِي اللهِ، وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ [النجم: ٦١].

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ [النجم: ٦١] وَأَنْتُمْ لَاهُونَ عَمَّا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالذِّكْرِ، مُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِهِ؛ يُقَالُ لِلرَّجُلِ: دَعْ عَنَّا سُمُودَكَ، يُرَادُ بِهِ: دَعْ عَنَّا لَهْوَكَ.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٦٢].

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فِي صَلَاتِكُمْ، دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٦٢] وَإِيَّاهُ فَاعَبْدوا دُونَ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَالسُّجُودَ، وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّجْمِ



سُورَةُ الْقَمَرِ (٥٤)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَخَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ①﴾ [القمر: ١].

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ دَنَتِ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ، وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنْذَارٌ لِعِبَادِهِ بِدُنُوِّ الْقِيَامَةِ، وَقُرْبِ فَنَاءِ الدُّنْيَا، وَأَمْرٌ لَهُمْ بِالِاسْتِعْدَادِ لِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ هُجُومِهَا عَلَيْهِمْ، وَهُمْ عَنْهَا فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ..

﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ ①﴾ [القمر: ١] وَانْفَلَقَ الْقَمَرُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِيمَا ذُكِرَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ، قَبْلَ هِجْرَتِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُفَّارَ أَهْلِ مَكَّةَ سَأَلُوهُ آيَةً، فَأَرَاهُمْ ﷺ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، آيَةً حُجَّةً عَلَىٰ صِدْقِ قَوْلِهِ، وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ؛ فَلَمَّا أَرَاهُمْ أَعْرَضُوا وَكَذَّبُوا، وَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ②﴾ [القمر: ٢].

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ②﴾ [القمر: ٢].

﴿وَإِن يَرَوْا﴾ وَإِنْ يَرَ الْمُشْرِكُونَ..

﴿آيَةً﴾ عَلَامَةً تَدُلُّهُمْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَدِلَالَةً تَدُلُّهُمْ عَلَىٰ صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ..

﴿يُعْرِضُوا﴾ عَنْهَا، فَيُوَلُّوا مُكَذِّبِينَ بِهَا مُنْكِرِينَ أَنْ يَكُونَ حَقًّا يَقِينًا..

﴿وَيَقُولُوا﴾ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِهَا، وَإِنْكَارًا لَهَا أَنْ تَكُونَ حَقًّا..

﴿سِحْرٌ﴾ هَذَا سِحْرٌ سَحَرَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ حِينَ خَيَّلَ إِلَيْنَا أَنَّا نَرَىٰ الْقَمَرَ مُنْفَلِقًا بِاثْنَيْنِ بِسِحْرِهِ..

﴿مُّسْتَمِرٌّ ②﴾ [القمر: ٢] وَهُوَ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، يَعْنِي يَقُولُ: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ذَاهِبٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ مَرَّ هَذَا السِّحْرُ إِذَا ذَهَبَ.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ③﴾ [القمر: ٣].

﴿وَكَذَّبُوا﴾ وَكَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ بِآيَاتِ اللهِ بَعْدَ مَا أَتَتْهُمْ حَقِيقَتُهَا، وَعَايَنُوا الدِّلَالَةَ عَلَىٰ صِحَّتِهَا بِرُؤْيَتِهِمُ الْقَمَرَ مُنْفَلِقًا فِلْقَتَيْنِ..

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ وَآثَرُوا اتِّبَاعَ مَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ أَهْوَاءُ أَنْفُسِهِمْ مِنْ تَكْذِيبِ ذَلِكَ عَلَىٰ التَّصْدِيقِ، بِمَا قَدْ أَيْقَنُوا صِحَّتَهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَحَقِيقَةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ..

﴿وَكُلُّ أَمۡرٖ﴾ وَكُلُّ أَمْرٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ..

﴿مُّسۡتَقِرّٞ ٣﴾ [القمر: ٣] مُسْتَقَرٌّ قَرَارُهُ، وَمُتَنَاهٍ نِهَايَتُهُ، فَالْخَيْرُ مُسْتَقِرٌّ بِأَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّرُّ مُسْتَقِرٌّ بِأَهْلِهِ فِي النَّارِ.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤﴾ [القمر: ٤].

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم﴾ وَلَقَدْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ..

﴿مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، الَّذِينَ كَانُوا مِنْ تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَأَحَلَّ اللهُ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَاتِهِ مَا قَصَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤﴾ [القمر: ٤] مَا فِيهِ لَهُمْ مُزْدَجَرٌ، يَعْنِي: مَا يَرْدَعُهُمْ، وَيَزْجُرُهُمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، مِنَ التَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ، وَهُوَ مُفْتَعَلٌ مِنَ الزَّجْرِ.

﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾ [القمر: ٥].

﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾ يَعْنِي بِالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ: هَذَا الْقُرْآنَ.. وَرُفِعَتِ الْحِكْمَةُ رَدًّا عَلَىٰ ﴿مَا﴾ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤﴾ [القمر: ٤]، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ النَّبَأُ الَّذِي فِيهِ مُزْدَجَرٌ، حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ.. وَلَوْ رُفِعَتِ الْحِكْمَةُ عَلَىٰ الِاسْتِئْنَافِ كَانَ جَائِزًا، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ: وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ النَّبَأُ الَّذِي فِيهِ مُزْدَجَرٌ، ذَلِكَ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ، أَوْ هُوَ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَتَكُونُ الْحِكْمَةُ كَالتَّفْسِيرِ لَهَا..

﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾ [القمر: ٥] وَفِي (مَا) الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَىٰ الْجَحْدِ، فَيَكُونُ إِذَا وُجِّهَتْ إِلَىٰ ذَلِكَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، فَلَيْسَتْ تُغْنِي عَنْهُمُ النُّذُرُ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا، لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْهَا وَتَكْذِيبِهِمْ بِهَا، وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَىٰ: أَنَّىٰ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَا وُجِّهَتْ إِلَىٰ ذَلِكَ: فَأَيُّ شَيْءٍ تُغْنِي عَنْهُمُ النُّذُرُ.. وَالنُّذُرُ: جَمْعُ نَذِيرٍ، كَالْجُدُدِ: جَمْعُ جَدِيدٍ، وَالْحُصُرُ: جَمْعُ حَصِيرٍ.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ٦﴾ [القمر: ٦].

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ﴾ فَأَعْرِضْ يَا مُحَمَّدُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، فَإِنَّهُمْ..

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ [القمر: ٦] يَوْمَ يَدْعُو دَاعِي اللهِ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّيْءُ النُّكُرُ

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٧].

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ ذَلِيلَةٌ أَبْصَارُهُمْ خَاشِعَةٌ، لَا ضَرَرَ بِهَا..

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وَهِيَ جَمْعُ جَدَثٍ، وَهِيَ الْقُبُورُ، وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْخُشُوعِ الْأَبْصَارَ دُونَ سَائِرِ أَجْسَامِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِهِ جَمِيعُ أَجْسَامِهِمْ؛ لِأَنَّ أَثَرَ ذِلَّةِ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَعِزَّةِ كُلِّ عَزِيزٍ، تَتَبَيَّنُ فِي نَاظِرَيْهِ دُونَ سَائِرِ جَسَدِهِ، فَلِذَلِكَ خَصَّ الْأَبْصَارَ بِوَصْفِهَا بِالْخُشُوعِ..

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٧] يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، كَأَنَّهُمْ فِي انْتِشَارِهِمْ وَسَعْيِهِمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر: ٨].

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مُسْرِعِينَ بِنَظَرِهِمْ قِبَلَ دَاعِيهِمْ إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ..

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بِاللهِ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ..

﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر: ٨] وَإِنَّمَا وَصَفُوهُ بِالْعُسْرِ؛ لِشِدَّةِ أَهْوَالِهِ وَبَلْبَالِهِ.

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾ [القمر: ٩].

﴿كَذَّبَتْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَبْلَهُمْ﴾ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا آيَةً أَعْرَضُوا، وَقَالُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ..

﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نُوحًا إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ، كَمَا كَذَّبَتْكَ قُرَيْشٌ إِذْ أَتَيْتَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾ [القمر: ٩] وَهُوَ افْتُعِلَ مِنْ زَجَرْتُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ الَّذِي زَجَرُوهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ زَجْرُهُمْ إِيَّاهُ أَنْ قَالُوا: اسْتُطِيرَ جُنُونًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ زَجْرُهُمْ إِيَّاهُ، وَعِيدَهُمْ لَهُ بِالشَّتْمِ وَالرَّجْمِ بِالْقَوْلِ الْقَبِيحِ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَتَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَسَائِرِ مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، وَتَقَدَّمَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ إِنْ هُمْ لَمْ يُنِيبُوا مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ مَا أَحَلَّ بِالْأُمَمِ الَّذِينَ قَصَّ قِصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ، وَمُنْجٍ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، كَمَا نَجَّىٰ مَنْ قَبْلَهُ الرُّسُلَ وَأَتْبَاعَهُمْ مِنْ نِقَمِهِ الَّتِي أَحَلَّهَا بِأُمَمِهِمْ.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ١٠﴾ [القمر: ١٠].

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ فَدَعَا نُوحٌ رَبَّهُ..

﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ إِنَّ قَوْمِي قَدْ غَلَبُونِي، تَمَرُّدًا وَعُتُوًّا، وَلَا طَاقَةَ لِي بِهِمْ..

﴿فَٱنتَصِرْ ١٠﴾ [القمر: ١٠] مِنْهُمْ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِكَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِكَ.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ١١﴾ [القمر: ١١].

﴿فَفَتَحْنَآ﴾ لَمَّا دَعَانَا نُوحٌ مُسْتَغِيثًا بِنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ١١﴾ [القمر: ١١] وَهُوَ الْمُتَدَفِّقُ.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢﴾ [القمر: ١٢].

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وَأَسَلْنَا الْأَرْضَ عُيُونَ الْمَاءِ..

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢﴾ [القمر: ١٢] فَالْتَقَىٰ مَاءُ السَّمَاءِ وَمَاءُ الْأَرْضِ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَاهُ.. وَإِنَّمَا قِيلَ: فَالْتَقَىٰ الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، وَالِالْتِقَاءُ لَا يَكُونُ مِنْ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنَ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا، لِأَنَّ الْمَاءَ قَدْ يَكُونُ جَمْعًا وَوَاحِدًا، وَأُرِيدَ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: مِيَاهُ السَّمَاءِ وَمِيَاهُ الْأَرْضِ، فَخَرَجَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ وَمَعْنَاهُ الْجَمْعُ.. وَقِيلَ: الْتَقَىٰ الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ أَمْرًا قَدْ قَضَاهُ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ١٣﴾ [القمر: ١٣].

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ وَحَمَلْنَا نُوحًا إِذِ الْتَقَىٰ الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ..

﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ عَلَىٰ سَفِينَةٍ ذَاتِ أَلْوَاحٍ..

﴿وَدُسُرٍ ١٣﴾ [القمر: ١٣] جَمْعُ دِسَارٍ، وَالدِّسَارُ: الْمِسْمَارُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ السَّفِينَةُ.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ [القمر: ١٤].

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ تَجْرِي السَّفِينَةُ الَّتِي حَمَلْنَا نُوحًا فِيهَا بِمَرْأًى مِنَّا وَمَنْظَرٍ..

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ [القمر: ١٤] فَعَلْنَا ذَلِكَ جَزَاءً لِنُوحٍ، وَلِمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: غَرَّقْنَاهُمْ لِنُوحٍ، وَلِصَنِيعِهِمْ بِنُوحٍ مَا صَنَعُوا مِنْ كُفْرِهِمْ بِهِ.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٥﴾ [القمر: ١٥].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا السَّفِينَةَ الَّتِي حَمَلْنَا فِيهَا نُوحًا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ..

﴿ءَايَةً﴾ عِبْرَةً وَعِظَةً، لِمَنْ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ مِنَ الْأُمَمِ؛ لِيَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا، فَيَنْتَهُوا عَنْ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، فَيُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**أَبْقَاهَا اللهُ بِبَاقِرْدَىٰ -موقعُ بالجزيرة تقعُ شرقَ دِجلة من جبل الجُودِيِّ- مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، عِبْرَةً وَآيَةً، حَتَّىٰ نَظَرَتْ إِلَيْهَا أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ نَظَرًا، وَكَمْ مِنْ سَفِينَةٍ كَانَتْ بَعْدَهَا قَدْ صَارَتْ رَمَادًا**).. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (**إِنَّ اللهَ حِينَ غَرَّقَ الْأَرْضَ، جَعَلَتِ الْجِبَالُ تَشْمُخُ، فَتَوَاضَعَ الْجُودِيُّ، فَرَفَعَهُ اللهُ عَلَىٰ الْجِبَالِ، وَجَعَلَ قَرَارَ السَّفِينَةِ عَلَيْهِ**)..

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾ [القمر: ١٥] فَهَلْ مِنْ ذِي تَذَكُّرٍ يَتَذَكَّرُ مَا قَدْ فَعَلْنَا بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي كَفَرَتْ بِرَبِّهَا، وَعَصَتْ رَسُولَهُ نُوحًا، وَكَذَّبَتْهُ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ مِنَ النَّصِيحَةِ، فَيَعْتَبِرَ بِهِمْ، وَيَحْذَرَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ بِكُفْرِهِ بِرَبِّهِ، وَتَكْذِيبِهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ، فَيُنِيبَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، وَيُرَاجِعَ الطَّاعَةَ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦﴾ [القمر: ١٦].

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ نُوحًا، إِذْ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ..

﴿وَنُذُرِ ۝١٦﴾ [القمر: ١٦] وَكَيْفَ كَانَ إِنْذَارِي بِمَا فَعَلْتُ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي أَحْلَلْتُ بِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ نُوحًا صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ إِنْذَارٌ لِمَنْ كَفَرَ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَتَحْذِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ، أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَلَىٰ تَمَادِيهِمْ فِي غَيِّهِمْ، مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِقَوْمِ نُوحٍ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ، بَيَّنَّاهُ وَفَصَّلْنَاهُ لِلذِّكْرِ..

﴿لِلذِّكْرِ﴾ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَذَكَّرَ وَيَعْتَبِرَ وَيَتَّعِظَ، وَهَوَّنَّاهُ..

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧] فَهَلْ مِنْ مُعْتَبِرٍ مُتَّعِظٍ يَتَذَكَّرُ فَيَعْتَبِرَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالذِّكْرِ.. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ: هَلْ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ أَوْ خَيْرٍ فَيُعَانَ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِمَّا قُلْنَاهُ، وَلَكِنَّا اخْتَرْنَا الْعِبَارَةَ الَّتِي عَبَّرْنَاهَا فِي تَأْوِيلِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ مِنْ مَعَانِيهِ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨﴾ [القمر: ١٨].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ كَذَّبَتْ أَيْضًا عَادٌ نَبِيَّهُمْ هُودًا ﷺ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ عَنِ اللهِ، كَالَّذِي كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ، وَكَالَّذِي كَذَّبْتُمْ مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَبِيَّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ وَعَلَىٰ جَمِيعِ رُسُلِهِ..

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ فَانْظُرُوا مَعْشَرَ كَفَرَةِ قُرَيْشٍ بِاللهِ كَيْفَ كَانَ عَذَابِي إِيَّاهُمْ، وَعِقَابِي لَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ هُودًا..

﴿وَنُذُرِ ١٨﴾ [القمر: ١٨] وَإِنْذَارِي بِفِعْلِي بِهِمْ مَا فَعَلْتُ مَنْ سَلَكَ طَرَائِقَهُمْ، وَكَانُوا عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّمَادِي فِي الْغَيِّ وَالضَّلَالَةِ.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ١٩﴾ [القمر: ١٩].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّا بَعَثْنَا عَلَىٰ عَادٍ إِذْ تَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وَهِيَ الشَّدِيدَةُ الْعُصُوفِ فِي بَرْدٍ، الَّتِي لِصَوْتِهَا صَرِيرٌ، وَهِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ شِدَّةِ صَوْتِ هُبُوبِهَا إِذَا سُمِعَ فِيهَا كَهَيْئَةِ قَوْلِ الْقَائِلِ: صِرٌّ، فَقِيلَ مِنْهُ: صَرْصَرَ، كَمَا قِيلَ: فَكُبْكِبُوا فِيهَا، مِنْ فَكُبُّوا.

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ فِي يَوْمِ شَرٍّ وَشُؤْمٍ لَهُمْ..

﴿مُّسْتَمِرٍّ ١٩﴾ [القمر: ١٩] فِي يَوْمِ شَرٍّ وَشُؤْمٍ، اسْتَمَرَّ بِهِمُ الْبَلَاءُ وَالْعَذَابُ فِيهِ إِلَىٰ أَنْ وَافَىٰ بِهِمْ جَهَنَّمَ.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ٢٠﴾ [القمر: ٢٠].

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تَقْتَلِعُ النَّاسَ ثُمَّ تَرْمِي بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ، فَتَنْدَقُّ رِقَابُهُمْ، وَتَبِينُ مِنْ أَجْسَامِهِمْ..

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ٢٠﴾ [القمر: ٢٠] فَيَتْرُكُهُمْ كَأَنَّهُمْ أَعجَازُ نَخلٍ مُنْقَعِرٍ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا شَبَّهَهُمْ بِأَعْجَازِ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ، لِأَنَّ رُءُوسَهُمْ كَانَتْ تَبِينُ مِنْ أَجْسَامِهِمْ، فَتَذْهَبُ لِذَلِكَ رِقَابُهُمْ، وَتَبْقَىٰ أَجْسَادُهُمْ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١﴾ [القمر: ٢١].

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ فَانْظُرُوا يَا مَعْشَرَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، كَيْفَ كَانَ عَذَابِي قَوْمَ عَادٍ، إِذْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ سُنَّةُ اللهِ فِي أَمْثَالِهِمْ..

﴿وَنُذُرِ ٢١﴾ [القمر: ٢١] وَكَيْفَ كَانَ إِنْذَارِي بِهِمْ مَنْ أَنْذَرْتُ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٢٢﴾ [القمر: ٢٢].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ وَهَوَّنَّاهُ لِمَنْ أَرَادَ التَّذَكُّرَ بِهِ وَالِاتِّعَاظَ..

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٢٢﴾ [القمر: ٢٢] فَهَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ وَمُنْزَجِرٍ بِآيَاتِهِ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر: ٢٣].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ..

﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر: ٢٣] بِنُذُرِ اللهِ الَّتِي أَتَتْهُمْ مِنْ عِنْدِهِ.

﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر: ٢٤].

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ لِصَالِحٍ رَسُولِ رَبِّهِمْ..

﴿أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ أَبَشَرًا مِنَّا نَتَّبِعُهُ نَحْنُ الْجَمَاعَةُ الْكَبِيرَةُ، وَهُوَ وَاحِدٌ؟!..

﴿إِنَّآ إِذٗا﴾ قَالُوا: إِنَّا إِذًا بِاتِّبَاعِنَا صَالِحًا إِنِ اتَّبَعْنَاهُ وَهُوَ بَشَرٌ مِنَّا وَاحِدٌ..

﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ﴾ لَفِي ذَهَابٍ عَنِ الصَّوَابِ وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ..

﴿وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤] جَمْعُ سَعِيرٍ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: عَنَىٰ بِالسُّعُرِ: الْعَنَاءُ.

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾ [القمر: ٢٥].

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مُكَذِّبِي رَسُولِهِ صَالِحٍ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ ثَمُودَ: أَأُلْقِيَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا، يَعْنُونَ بِذَلِكَ: أَأُنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ وَخُصَّ بِالنُّبُوَّةِ مِنْ بَيْنِنَا، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَّا، إِنْكَارًا مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُرْسِلُ رَسُولًا مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿بَلْ هُوَ﴾ قَالُوا: مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ..

﴿كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ [القمر: ٢٥] يَعْنُونَ بِالْأَشِرِ: الْمَرِحَ ذَا التَّجَبُّرِ وَالْكِبْرِيَاءِ، فَالْمَرَحُ مِنَ النَّشَاطِ.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر: ٢٦].

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٦] قَالَ اللهُ لَهُمْ: سَتَعْلَمُونَ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ مِنْكُمْ مَعْشَرَ ثَمُودَ وَمِنْ رَسُولِنَا صَالِحٍ، حِينَ تَرِدُونَ عَلَىٰ رَبِّكُمْ.. وَهَذَا التَّأْوِيلُ تَأْوِيلُ مَنْ قَرَأَهُ (سَتَعْلَمُونَ) بِالتَّاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَامَّةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ سِوَىٰ عَاصِمٍ وَالْكِسَائِيِّ.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ ذَلِكَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَهُ بِالْيَاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَامَّةِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَعَاصِمٍ وَالْكِسَائِيِّ، فَإِنَّهُ: قَالَ اللهُ: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾، وَتَرَكَ مِنَ الْكَلَامِ ذِكْرَ قَالَ اللهُ، اسْتِغْنَاءً بِدِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، لِتَقَارُبِ مَعْنَيَيْهِمَا، وَصِحَّتِهِمَا فِي الْإِعْرَابِ وَالتَّأْوِيلِ.

﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ۝٢٧﴾ [القمر: ٢٧].

﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ إِنَّا بَاعِثُوا النَّاقَةِ الَّتِي سَأَلَتْهَا ثَمُودُ صَالِحًا مِنَ الْهَضْبَةِ الَّتِي سَأَلُوهُ بَعْثَتَهَا مِنْهَا آيَةً لَهُمْ، وَحُجَّةً لِصَالِحٍ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ قَوْلِهِ..

﴿فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ﴾ ابْتِلَاءً لَهُمْ وَاخْتِبَارًا، هَلْ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَيَتَّبِعُونَ صَالِحًا وَيُصَدِّقُونَهُ بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ إِذَا أَرْسَلَ النَّاقَةَ، أَمْ يُكَذِّبُونَهُ وَيَكْفُرُونَ بِاللهِ؟..

﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِصَالِحٍ: إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ، فَانْتَظِرْهُمْ، وَتَبَصَّرْ مَا هُمْ صَانِعُوهُ بِهَا..

﴿وَٱصۡطَبِرۡ ۝٢٧﴾ [القمر: ٢٧] مِنَ الصَّبْرِ.

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ۝٢٨﴾ [القمر: ٢٨].

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾ أَخْبِرْهُمْ..

﴿أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِصَالِحٍ: أَخْبِرْ قَوْمَكَ مِنْ ثَمُودَ أَنَّ الْمَاءَ يَوْمَ غِبِّ النَّاقَةِ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ، فَكَانُوا يَقْتَسِمُونَ ذَٰلِكَ يَوْمَ غِبِّهَا، فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ ذَٰلِكَ الْيَوْمَ، وَيَتَزَوَّدُونَ فِيهِ مِنْهُ لِيَوْمِ وُرُودِهَا..

﴿كُلُّ شِرۡبٖ﴾ مِنْ مَاءِ يَوْمِ غِبِّ النَّاقَةِ، وَمِنْ لَبَنِ يَوْمِ وُرُودِهَا..

﴿مُّحۡتَضَرٞ ۝٢٨﴾ [القمر: ٢٨] يَحْتَضِرُونَهُ.

﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾ [القمر: ٢٩].

﴿فَنَادَوۡاْ﴾ فَنَادَتْ ثَمُودُ..

﴿صَاحِبَهُمۡ﴾ عَاقِرَ النَّاقَةِ، لِيَعْقِرَ النَّاقَةَ، حَضًّا مِنْهُمْ لَهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ..

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾ [القمر: ٢٩] فَتَنَاوَلَ النَّاقَةَ بِيَدِهِ فَعَقَرَهَا

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾ [القمر: ٣٠].

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِقُرَيْشٍ: فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي إِيَّاهُمْ مَعْشَرَ قُرَيْشٍ حِينَ عَذَّبْتُهُمْ، أَلَمْ أُهْلِكْهُمْ بِالرَّجْفَةِ..

﴿وَنُذُرِ ۝٣٠﴾ [القمر: ٣٠] وَكَيْفَ كَانَ إِنْذَارِي مَنْ أَنْذَرْتُ مِنَ الْأُمَمِ بَعْدَهُمْ بِمَا فَعَلْتُ بِهِمْ وَأَحْلَلْتُ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١﴾ [القمر: ٣١].

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَمْرَ الصَّيْحَةِ، وَكَيْفَ أَتَتْهُمْ، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿فَكَانُواْ﴾ بِهَلَاكِهِمْ بِالصَّيْحَةِ بَعْدَ نَضَارَتِهِمْ أَحْيَاءً، وَحُسْنِهِمْ قَبْلَ بَوَارِهِمْ..

﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١﴾ [القمر: ٣١] كَيَبِيسِ الشَّجَرِ الَّذِي حَظَرَهُ مُحْظِرُ حَظِيرَتِهُ بَعْدَ حُسْنِ نَبَاتِهِ، وَخُضْرَةِ وَرَقِهِ قَبْلَ يُبْسِهِ.

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢﴾ [القمر: ٣٢].

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ وَلَقَدْ هَوَّنَّا الْقُرْآنَ بِتَبْيِينِنَاهُ..

﴿لِلذِّكۡرِ﴾ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَذَكَّرَ بِهِ فَيَتَّعِظَ..

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢﴾ [القمر: ٣٢] فَهَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ بِهِ وَمُعْتَبِرٍ فَيَعْتَبِرُ بِهِ، فَيَرْتَدِعُ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْهُ.

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣﴾ [القمر: ٣٣].

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣﴾ [القمر: ٣٣] كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِآيَاتِ اللهِ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ بِهَا

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤﴾ [القمر: ٣٤].

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً..

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ﴾ غَيْرَ آلَ لُوطٍ الَّذِينَ صَدَّقُوهُ وَاتَّبَعُوهُ عَلَىٰ دِينِهِ..

﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤﴾ [القمر: ٣٤] فَإِنَّا نَجَّيْنَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي عَذَّبْنَا بِهِ قَوْمَهُ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ.

﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥﴾ [القمر: ٣٥].

﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ أَنْعَمْنَاهَا عَلَىٰ لُوطٍ وَآلِهِ، أَكْرَمْنَاهُمْ بِهَا مِنْ عِنْدِنَا..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَثَبْنَا لُوطًا وَآلَهُ، وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، فَأَنْجَيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابِنَا بِطَاعَتِهِمْ إِيَّانَا كَذَلِكَ..

﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥﴾ [القمر: ٣٥] نُثِيبُ مَنْ شَكَرَنَا عَلَىٰ نِعْمَتِنَا عَلَيْهِ، فَأَطَاعَنَا وَانْتَهَىٰ إِلَىٰ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا مِنْ جَمِيعِ خَلْقِنَا.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦﴾ [القمر: ٣٦].

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَ لُوطٌ قَوْمَهُ..

﴿بَطْشَتَنَا﴾ الَّتِي بَطَشْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝٣٦﴾ [القمر: ٣٦] فَكَذَّبُوا بِإِنْذَارِهِ مَا أَنْذَرَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَكًّا مِنْهُمْ فِيهِ.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٧﴾ [القمر: ٣٧].

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ وَلَقَدْ رَاوَدَ لُوطًا قَوْمُهُ عَنْ ضَيْفِهِ الَّذِينَ نَزَلُوا بِهِ حِينَ أَرَادَ اللهُ إِهْلَاكَهُمْ..

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ حَتَّىٰ صَيَّرْنَاهَا كَسَائِرِ الْوَجْهِ لَا يُرَىٰ لَهَا شَقٌّ، فَلَمْ يُبْصِرُوا ضَيْفَهُ..

﴿فَذُوقُواْ﴾ مَعْشَرَ قَوْمِ لُوطٍ مِنْ سَدُوم..

﴿عَذَابِى﴾ الَّذِي حَلَّ بِكُمْ..

﴿وَنُذُرِ ۝٣٧﴾ [القمر: ٣٧] وَإِنْذَارِي الَّذِي أَنْذَرْتُ بِهِ غَيْرَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنَ النَّكَالِ وَالْمَثُلَاتِ.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨﴾ [القمر: ٣٨].

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَ قَوْمَ لُوطٍ..

﴿بُكْرَةً﴾ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ..

﴿عَذَابٌ﴾ وَذَلِكَ قَلْبُ الْأَرْضِ بِهِمْ، وَتَصْيِيرُ أَعْلَاهَا أَسْفَلَهَا بِهِمْ، ثُمَّ إِتْبَاعُهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ..

﴿مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨﴾ [القمر: ٣٨] اسْتَقَرَّ ذَلِكَ الْعَذَابُ فِيهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُوَافُوا عَذَابَ اللهِ الْأَكْبَرَ فِي جَهَنَّمَ.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٩﴾ [القمر: ٣٩].

﴿فَذُوقُواْ﴾ مَعْشَرَ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿عَذَابِى﴾ الَّذِي أَحْلَلْتُهُ بِكُمْ، بِكُفْرِكُمْ بِاللهِ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَهُ..

﴿وَنُذُرِ ۝٣٩﴾ [القمر: ٣٩] وَإِنْذَارِي بِكُمُ الْأُمَمَ سِوَاكُمْ بِمَا أَنْزَلْتُهُ بِكُمْ مِنَ الْعِقَابِ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠﴾ [القمر: ٤٠].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ لِمَنْ أَرَادَ التَّذَكُّرَ بِهِ..

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠﴾ [القمر: ٤٠] فَهَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ وَمُعْتَبِرٍ بِهِ فَيَنْزَجِرُ بِهِ عَمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَأَذِنَ لَهُ فِيهِ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝﴾ [القمر: ٤١].

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وَلَقَدْ جَاءَ أَتْبَاعَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ..

﴿ٱلنُّذُرُ ۝﴾ [القمر: ٤١] إِنْذَارُنَا بِالْعُقُوبَةِ بِكُفْرِهِمْ بِنَا وَبِرَسُولِنَا مُوسَىٰ ﷺ.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾ [القمر: ٤٢].

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ بِأَدِلَّتِنَا الَّتِي جَاءَتْهُمْ مِنْ عِنْدِنَا، وَحُجَجِنَا الَّتِي أَتَتْهُمْ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ كُلِّهَا..

﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ﴾ فَعَاقَبْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ عُقُوبَةَ شَدِيدٍ لَا يُغْلَبُ..

﴿مُّقْتَدِرٍ ۝﴾ [القمر: ٤٢] عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، غَيْرِ عَاجِزٍ وَلَا ضَعِيفٍ.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ۝﴾ [القمر: ٤٣].

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ مَعْشَرَ قُرَيْشٍ..

﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ الَّذِينَ أَحْلَلْتُ بِهِمْ نِقْمَتِي مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ وَآلِ فِرْعَوْنَ، فَهُمْ يَأْمُلُونَ أَنْ يَنْجُوا مِنْ عَذَابِي، وَنِقَمِي عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِي، وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولِي، يَقُولُ: إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي كُفْرِكُمْ بِاللهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، كَبَعْضِ هَذِهِ الْأُمَمِ الَّتِي وَصَفْتُ لَكُمْ أَمْرَهُمْ، وَعُقُوبَةُ اللهِ بِكُمْ نَازِلَةٌ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، كَالَّذِي نَزَلَ بِهِمْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا وَتُنِيبُوا..

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ۝﴾ [القمر: ٤٣] أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ عِقَابِ اللهِ مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنْ يُصِيبَكُمْ بِكُفْرِكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ الْوَحْيِ مِنَ اللهِ فِي الزُّبُرِ، وَهِيَ الْكُتُبُ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝﴾ [القمر: ٤٤].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝﴾ [القمر: ٤٤] مِمَّنْ قَصَدَنَا بِسُوءٍ وَمَكْرُوهٍ، وَأَرَادَ حَرْبَنَا وَتَفْرِيقَ جَمْعِنَا، فَقَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝﴾ [القمر: ٤٥].

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ يَعْنِي: جَمْعَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ..

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝﴾ [القمر: ٤٥] وَيُوَلُّونَ أَدْبَارَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ عَنِ انْهِزَامِهِمْ عَنْهُ.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر: ٤٦].

﴿بَلِ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ بَلِ..

﴿ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ لِلْبَعْثِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر: ٤٦] عَلَيْهِمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ الَّتِي يُهْزَمُونَهَا عِنْدَ الْتِقَائِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَدْرٍ.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧﴾ [القمر: ٤٧].

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ..

﴿وَسُعُرٍ ۝٤٧﴾ [القمر: ٤٧] فِي احْتِرَاقٍ مِنْ شِدَّةِ الْعَنَاءِ وَالنَّصَبِ فِي الْبَاطِلِ.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٨].

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يَوْمَ يُسْحَبُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وجُوهِهِمْ..

﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٨] يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وجُوهِهِمْ، يُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، وَتَرَكَ ذِكرَ (**يُقَالُ لَهُمْ**) اسْتِغْنَاءً بِدِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُذَاقُ مَسُّ سَقَرَ، أَوَ لَهُ طَعْمٌ فَيُذَاقُ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ؛ **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ عَلَىٰ مَجَازِ الْكَلَامِ، كَمَا يُقَالُ: كَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ الضَّرْبِ، وَهُوَ مَجَازٌ؟ **وَقَالَ آخَرُ**: ذَلِكَ كَمَا يُقَالُ: وَجَدْتُ مَسَّ الْحُمَّىٰ، يُرَادُ بِهِ أَوَّلَ مَا نَالَنِي مِنْهَا، وَكَذَلِكَ وَجَدْتُ طَعْمَ عَفْوِكَ.. وَأَمَّا ﴿سَقَرَ ۝٤٨﴾ فَإِنَّهَا اسْمُ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، وَتُرِكَ إِجْرَاؤُهَا؛ لِأَنَّهَا اسْمٌ لِمُؤَنَّثٍ مَعْرِفَةٍ.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩] إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِمِقْدَارٍ قَدَّرْنَاهُ وَقَضَيْنَاهُ.. وَفِي هَذَا بَيَانٌ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، تَوَعَّدَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِالْقَدَرِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٥٠].

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ لِلشَّيْءِ إِذَا أَمَرْنَاهُ وَأَرَدْنَا أَنْ نُكَوِّنَهُ..

﴿إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إِلَّا قَوْلَةٌ وَاحِدَةٌ: كُنْ فَيَكُونَ، لَا مُرَاجَعَةَ فِيهَا وَلَا مُرَادَّةَ..

﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٥٠] فَيُوجَدُ مَا أَمَرْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: كُنْ كَسُرْعَةِ اللَّمْحِ بِالْبَصَرِ لَا يُبْطِئُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾ [القمر: ٥١].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ..

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾ [القمر: ٥١] فَهَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ بِذَلِكَ مُنْزَجِرٍ يَنْزَجِرُ بِهِ.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القمر: ٥٢].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلَهُ أَشْيَاعُكُمُ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَكُمْ مَعْشَرَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ..

﴿فِي الزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القمر: ٥٢] فِي الْكُتُبِ الَّتِي كَتَبَتْهَا الْحَفَظَةُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ [القمر: ٥٣].

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ مِنَ الْأَشْيَاءِ..

﴿مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ [القمر: ٥٣] مُثْبَتٌ فِي الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ [القمر: ٥٤].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللهِ بِطَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ [القمر: ٥٤] فِي بَسَاتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْهَارٍ.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٥].

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ فِي مَجْلِسِ حَقٍّ لَا لَغْوٌ فِيهِ وَلَا تَأْثِيمٌ..

﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ عِنْدَ ذِي مُلْكٍ..

﴿مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٥] عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ اللهُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقَمَرِ



سُورَةُ الرَّحْمَنُ (٥٥)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الرَّحْمَٰنُ ①﴾ [الرحمن: ١].

﴿الرَّحْمَٰنُ ①﴾ [الرحمن: ١] أَيُّهَا النَّاسُ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاكُمْ.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ②﴾ [الرحمن: ٢].

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ②﴾ [الرحمن: ٢] عَلَّمَكُمُ الْقُرْآنَ، فَأَنْعَمَ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، إِذْ بَصَّرَكُمْ بِهِ مَا فِيهِ رِضَا رَبِّكُمْ، وَعَرَّفَكُمْ مَا فِيهِ سَخَطُهُ؛ لِتُطِيعُوهُ بِاتِّبَاعِكُمْ مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ، وَعَمَلِكُمْ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَبِتَجَنُّبِكُمْ مَا يُسْخِطُهُ عَلَيْكُمْ، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ جَزِيلَ ثَوَابِهِ، وَتَنْجُوا مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ.

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [الرحمن: ٣].

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] خَلَقَ آدَمَ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَإِنَّمَا وَحَّدَ فِي اللَّفْظِ لِأَدَائِهِ عَنْ جِنْسِهِ، كَمَا قِيلَ: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ②﴾ [العصر: ٢]، وَالْقَوْلَانِ كِلَاهُمَا غَيْرُ بَعِيدَيْنِ مِنَ الصَّوَابِ لِاحْتِمَالِ ظَاهِرِ الْكَلَامِ إِيَّاهُمَا.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④﴾ [الرحمن: ٤].

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④﴾ [الرحمن: ٤] عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْبَيَانَ، ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِالْبَيَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهِ بَيَانَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِهِ الْكَلَامَ: أَيْ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْبَيَانَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا بِهِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْمَعَايِشِ وَالْمَنْطِقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا بِهِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يُخَصِّصْ بِخَبَرِهِ ذَلِكَ، أَنَّهُ عَلَّمَهُ مِنَ الْبَيَانِ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، بَلْ عَمَّ فَقَالَ: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، فَهُوَ كَمَا عَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤﴾ [الرحمن: ٥].

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤﴾ [الرحمن: ٥] الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحِسَابٍ وَمَنَازِلَ لَهُمَا، يَجْرِيَانِ وَلَا يَعْدُوَانِهَا.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦].

﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ النَّبَاتِ؛ لِعَطْفِ الشَّجَرِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَا نَجَمَ مِنَ الْأَرْضِ، مِمَّا يَنْبَسِطُ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ سَاقٍ، مِثْلُ الْبَقْلِ وَنَحْوِهِ..

﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ مَا قَامَ عَلَىٰ سَاقٍ..

﴿يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦] مَا قَامَ عَلَىٰ سَاقٍ وَمَا لَا يَقُومُ عَلَىٰ سَاقٍ يَسْجُدَانِ لِلهِ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ تَسْجُدُ لَهُ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا الْمُخْتَلِفَةُ الْهَيْئَاتِ مِنْ خَلْقِهِ، وَعُنِيَ بِهِ هُنَا سُجُودُ ظِلِّهِمَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ۝١٥﴾ [الرعد١٥].

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن: ٧].

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ فَوْقَ الْأَرْضِ..

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن: ٧] وَوَضَعَ الْعَدْلَ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ.

﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرحمن: ٨].

﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرحمن: ٨] أَلَّا تَظْلِمُوا وَتَبْخَسُوا فِي الْوَزْنِ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن: ٩].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ وَأَقِيمُوا لِسَانَ الْمِيزَانِ بِالْعَدْلِ..

﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن: ٩] وَلَا تُنْقِصُوا الْوَزْنَ إِذَا وَزَنْتُمْ لِلنَّاسِ وَتَظْلِمُوهُمْ.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ [الرحمن: ١٠].

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ [الرحمن: ١٠] وَطَّأَهَا لِلخَلقِ، وَهُمُ الْأَنَامُ.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١﴾ [الرحمن: ١١].

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ فِي الْأَرْضِ فَاكِهَةٌ..

﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١﴾ [الرحمن: ١١] جَمْعُ كِمٍّ، وَهُوَ مَا تَكَمَّمْتَ فِيهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِذَلِكَ تَكَمُّمَ النَّخلِ فِي اللِّيفِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: يَعْنِي بِالْأَكْمَامِ: الرُّفَاتَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَالنَّخْلُ ذَاتُ الطَّلْعِ الْمُتَكَمِّمِ فِي كِمَامِهِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ وَصَفَ النَّخْلَ بِأَنَّهَا ذَاتُ أَكْمَامٍ، وَهِيَ مُتَكَمِّمَةٌ فِي لِيفِهَا، وَطَلْعُهَا مُتَكَمِّمٌ فِي جُفِّهِ، وَلَمْ

يُخَصِّصِ اللهُ الْخَبَرَ عَنْهَا بِتَكَمُّمِهَا فِي لِيفِهَا وَلَا تَكَمُّمِ طَلْعِهَا فِي جُفِّهِ، بَلْ عَمَّ الْخَبَرَ عَنْهَا بِأَنَّهَا ذَاتُ أَكْمَامٍ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ ذَاتَ لِيفٍ، وَهِيَ بِهِ مُتَكَمِّمَةٌ، وَذَاتُ طَلْعٍ هُوَ فِي جُفِّهِ مُتَكَمِّمٌ، فَيُعَمَّمُ، كَمَا عَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾ [الرحمن: ١٢].

﴿وَٱلۡحَبُّ﴾ وَفِيهَا الْحَبُّ، وَهُوَ حَبُّ الشَّعِيرِ وَ الْبُرِّ ذُو الْوَرَقِ..

﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ التِّبْنُ..

﴿وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾ [الرحمن: ١٢] قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الرِّزْقُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الرَّيْحَانُ الَّذِي يُشَمُّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ خُضْرَةُ الزَّرْعِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مَا قَامَ عَلَىٰ سَاقٍ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ الرِّزْقَ، وَهُوَ الْحَبُّ الَّذِي يُؤْكَلُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنِ الْحَبِّ أَنَّهُ ذُو الْعَصْفِ، وَذَلِكَ مَا وَصَفْنَا مِنَ الْوَرَقِ الْحَادِثِ مِنْهُ، وَالتِّبْنِ إِذَا يَبِسَ، فَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِالرَّيْحَانِ، أَنْ يَكُونَ حَبُّهُ الْحَادِثُ مِنْهُ، إِذْ كَانَ مِنْ جِنْسِ الشَّيْءِ الَّذِي مِنْهُ الْعَصْفُ، وَمَسْمُوعٌ مِنَ الْعَرَبِ تَقُولُ: خَرَجْنَا نَطْلُبُ رَيْحَانَ اللهِ وَرِزْقَهُ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن: ١٣].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن: ١٣] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ تُكَذِّبَانِ.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن: ١٤].

﴿خَلَقَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وَهُوَ آدَمُ..

﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ وَهُوَ الطِّينُ الْيَابِسُ الَّذِي لَمْ يُطْبَخْ، فَإِنَّهُ مِنْ يُبْسِهِ لَهُ صَلْصَلَةٌ إِذَا حُرِّكَ وَنُقِرَ..

﴿كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن: ١٤] يَعْنِي أَنَّهُ مِنْ يُبْسِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَطْبُوخًا، كَالَّذِي قَدْ طُبِخَ بِالنَّارِ، فَهُوَ يُصَلْصِلُ كَمَا يُصَلْصِلُ الْفَخَّارُ، وَالْفَخَّارُ: هُوَ الَّذِي قَدْ طُبِخَ مِنَ الطِّينِ بِالنَّارِ.

﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥﴾ [الرحمن: ١٥].

﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥﴾ [الرحمن: ١٥] وَهُوَ مَا اخْتَلَطَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، مِنْ بَيْنِ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَأَخْضَرَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَرِجَ أَمْرُ الْقَوْمِ: إِذَا اخْتَلَطَ، وَمِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: «كَيْفَ

بِكَ إِذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ» وَذَلِكَ هُوَ لَهَبُ النَّارِ وَلِسَانُهُ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ [الرحمن: ١٦].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ [الرحمن: ١٦] فَبِأَيِّ نِعْمَةِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ تُكَذِّبَانِ؟!

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن: ١٧].

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ ذَلِكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ رَبُّ مَشْرِقِ الشَّمْسِ فِي الشِّتَاءِ، وَمَشْرِقِهَا فِي الصَّيْفِ..

﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن: ١٧] وَرَبُّ مَغْرِبِ الشَّمْسِ فِي الشِّتَاءِ، وَمَغْرِبِهَا فِي الصَّيْفِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾ [الرحمن: ١٨].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾ [الرحمن: ١٨] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا -مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ- مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ، مِنْ تَسْخِيرِهِ الشَّمْسَ لَكُمْ فِي هَذَيْنِ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ، تَجْرِي لَكُمَا دَائِبَةً بِمَنَافِعِكُمَا، وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُمَا وَمَعَايِشِكُمَا تُكَذِّبَانِ.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن: ١٩].

﴿مَرَجَ﴾ أَرْسَلَ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَرَجَ فُلَانٌ دَابَّتَهُ: إِذَا خَلَّاهَا وَتَرَكَهَا..

﴿ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن: ١٩] قَالَ بَعْضُهُمْ: هُمَا بَحْرَانِ: أَحَدُهُمَا فِي السَّمَاءِ، وَالْآخَرُ فِي الْأَرْضِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَى بِذَلِكَ بَحْرَ فَارِسَ وَبَحْرَ الرُّومِ.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ بَحْرُ السَّمَاءِ، وَبَحْرُ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَالَ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢]، وَاللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ أَصْدَافِ بَحْرِ الْأَرْضِ عَنْ قَطْرِ مَاءِ السَّمَاءِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ بَحْرُ الْأَرْضِ وَبَحْرُ السَّمَاءِ.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ٢٠].

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ بَيْنَهُمَا حَاجِزٌ وَبُعْدٌ..

﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ٢٠] عَلَى شَيْءٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَلَا يَتَجَاوَزَانِ حَدَّ اللهِ الَّذِي حَدَّهُ لَهُمَا، وَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فَهُوَ بَرْزَخٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَمَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَرْزَخٌ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١﴾ [الرحمن: ٢١].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١﴾ [الرحمن: ٢١] فَبِأَيِّ نِعَمِ اللهِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ تُكَذِّبَانِ مِنْ هَذِهِ النعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنْ مَرْجِهِ الْبَحْرَيْنِ، حَتَّىٰ جَعَلَ لَكُمْ بِذَلِكَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢].

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ يَخْرُجُ مِنْ هَذَيْنِ الْبَحْرَيْنِ اللَّذَيْنِ مَرَجَهُمَا اللهُ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا..

﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ هُوَ الَّذِي عَرَفَهُ النَّاسُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْ أَصْدَافِ الْبَحْرِ مِنَ الْحَبِّ..

﴿وَٱلْمَرْجَانُ ٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢] جَمْعُ مَرْجَانَةٍ، وَأَنَّهُ الصِّغَارُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣﴾ [الرحمن: ٢٣].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣﴾ [الرحمن: ٢٣] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا -مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ- الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ -فِيمَا أَخْرَجَ لَكُمْ مِنْ مَنَافِعِ هَذَيْنِ الْبَحْرَيْنِ- تُكَذِّبَانِ.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ٢٤﴾ [الرحمن: ٢٤].

﴿وَلَهُ﴾ وَلِرَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ..

﴿ٱلْجَوَارِ﴾ الْجَوَارِي، وَهِيَ السُّفُنُ الْجَارِيَةُ فِي الْبِحَارِ..

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الْمَرْفُوعَاتُ الْقِلَاعِ اللَّاتِي تُقْبِلُ بِهِنَّ وَتُدْبِرُ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ (الْمُنْشِئَاتُ) بِكَسْرِ الشِّينِ، بِمَعْنَىٰ: الظَّاهِرَاتُ السَّيْرِ اللَّاتِي يُقْبِلْنَ وَيُدْبِرْنَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَىٰ مُتَقَارِبَتَاهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ ٢٤﴾ [الرحمن: ٢٤] كَالْجِبَالِ، شَبَّهَ السُّفُنَ بِالْجِبَالِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ جَبَلٍ طَوِيلٍ عَلَمًا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥﴾ [الرحمن: ٢٥].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥﴾ [الرحمن: ٢٥] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا -مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ- الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ -بِإِجْرَائِهِ الْجَوَارِي الْمُنْشَآتِ فِي الْبَحْرِ جَارِيَةً بِمَنَافِعِكُمْ- تُكَذِّبَانِ.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦﴾ [الرحمن: ٢٦].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ كُلُّ مَنْ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ جِنٍّ وَإِنْسٍ فَإِنَّهُ..

﴿فَانٍ ٢٦﴾ [الرحمن: ٢٦] هَالِكٌ.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧].

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧] وَذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ مِنْ نَعْتِ الْوَجْهِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨﴾ [الرحمن: ٢٨].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨﴾ [الرحمن: ٢٨] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا -مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ- مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ تُكَذِّبَانِ.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩].

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إِلَيْهِ يَفْزَعُ بِمَسْأَلَةِ الْحَاجَاتِ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنْ مَلَكٍ وَإِنْسٍ وَجِنٍّ وَغَيْرِهِمْ، لَا غِنَىٰ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَنْهُ..

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩] كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنِ خَلْقِهِ، فَيُفَرِّجُ كَرْبَ ذِي كَرْبٍ، وَيَرْفَعُ قَوْمًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شُئُونِ خَلْقِهِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾ [الرحمن: ٣٠].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾ [الرحمن: ٣٠] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا -مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ- الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ -مِنْ صَرْفِهِ إِيَّاكُمْ فِي مَصَالِحِكُمْ، وَمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمْ مِنْ تَقْلِيبِهِ إِيَّاكُمْ فِيمَا هُوَ أَنْفَعُ لَكُمْ- تُكَذِّبَانِ؟!

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمن: ٣١].

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمن: ٣١] إِنَّهُ وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ وَتَهَدُّدٌ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ الَّذِي يَتَهَدَّدُ غَيْرَهُ وَيَتَوَعَّدُهُ، وَلَا شُغْلَ لَهُ يَشْغَلُهُ عَنْ عِقَابِهِ، لَأَتَفَرَّغَنَّ لَكَ، وَسَأَتَفَرَّغُ لَكَ، بِمَعْنَىٰ: سَأَجِدُّ فِي أَمْرِكَ وَأُعَاقِبُكَ، وَقَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ لِلَّذِي لَا شُغْلَ لَهُ: قَدْ فَرَغْتَ لِي، وَقَدْ فَرَغْتَ لِشَتْمِي، أَيْ أَخَذْتَ فِيهِ، وَأَقْبَلْتَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سَنُحَاسِبُكُمْ، وَنَأْخُذُ فِي أَمْرِكُمْ أَيُّهَا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، فَنُعَاقِبُ أَهْلَ الْمَعَاصِي، وَنُثِيبُ أَهْلَ الطَّاعَةِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢﴾ [الرحمن: ٣٢].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢﴾ [الرحمن: ٣٢] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ الَّتِي أَنْعَمَهَا

عَلَيْكُمْ، مِنْ ثَوَابِهِ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَعِقَابِهِ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ تُكَذِّبَانِ؟!

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾ [الرحمن: ٣٣].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَجُوزُوا..

﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ أَطْرَافِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَتُعْجِزُوا رَبَّكُمْ حَتَّىٰ لَا يَقْدِرَ عَلَيْكُمْ..

﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ فَجُوزُوا ذَٰلِكَ..

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾ [الرحمن: ٣٣] فَإِنَّكُمْ لَا تَجُوزُونَهُ إِلَّا بِحُجَّةٍ وَبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَقَدْ يَدْخُلُ الْمَلَكُ فِي ذَٰلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَلَكَ حُجَّةٌ، وَإِنَّمَا هَذَا قَوْلٌ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ: أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَانْفُذُوا هَارِبِينَ مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُكُمْ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ هَرَبُكُمْ مِنْهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ: إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاعْلَمُوا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤﴾ [الرحمن: ٣٤].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤﴾ [الرحمن: ٣٤] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، مِنَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ جَمِيعِكُمْ، بِأَنَّ جميعَكُم لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ خِلَافِ أَمْرٍ أَرَادَهُ بِكُمْ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥﴾ [الرحمن: ٣٥].

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ وَهُوَ لَهَبُهَا مِنْ حَيْثُ يَشْتَعِلُ وَيَتَأَجَّجُ بِغَيْرِ دُخَانٍ كَانَ فِيهِ..

﴿وَنُحَاسٌ﴾ عُنِيَ بِهِ الدُّخَانُ، وَذَٰلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَكَرَ أَنَّهُ يُرْسَلُ عَلَىٰ هَذَيْنِ الْجِنسَيْنِ شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ، وَهُوَ النَّارُ الْمَحْضَةُ الَّتِي لَا يُخَالِطُهَا دُخَانٌ، فَتَوَعَّدَهُمْ بِنَارٍ هَذِهِ صِفَتُهَا، أَنْ يُتْبِعَ ذَٰلِكَ الْوَعِيدَ بِمَا هُوَ خِلَافُهَا مِنْ نَوْعِهَا مِنَ الْعَذَابِ، دُونَ مَا هُوَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهَا، وَذَٰلِكَ هُوَ الدُّخَانُ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الدُّخَانَ نُحَاسًا بِضَمِّ النُّونِ، وَنِحَاسًا بِكَسْرِهَا، وَالْقُرَّاءُ مُجْمِعَةٌ عَلَىٰ ضَمِّهَا..

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥﴾ [الرحمن: ٣٥] أَيُّهَا الْجِنُّ وَالْإِنْسُ مِنْهُ، إِذَا هُوَ عَاقَبَكُمَا هَذِهِ الْعُقُوبَةَ، وَلَا تُسْتَنْقَذَانِ مِنْهُ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦﴾ [الرحمن: ٣٦].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦﴾ [الرحمن: ٣٦]

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ٣٧﴾ [الرحمن: ٣٧].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ وَتَفَطَّرَتْ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ فَكَانَ لَوْنُهَا لَوْنُ الْبِرْذَوْنِ الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ..

﴿كَٱلدِّهَانِ ٣٧﴾ [الرحمن: ٣٧] كالدُّهْنِ فِي إِشْرَاقِ لَوْنِهِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨﴾ [الرحمن: ٣٨].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨﴾ [الرحمن: ٣٨] فَبِأَيِّ قُدْرَةِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عَلَىٰ مَا أَخْبَرَكُمْ بِأَنَّهُ فَاعِلٌ بِكُمْ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩].

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩] فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ الْمُجْرِمِينَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ حَفِظَهَا عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْأَلُ رَبُّهُمْ بَعْضَهُمْ عَنْ ذُنُوبِ بَعْضٍ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٠﴾ [الرحمن: ٤٠].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٠﴾ [الرحمن: ٤٠] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ، الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنْ عَدْلِهِ فِيكُمْ، أَنَّهُ لَمْ يُعَاقِبْ مِنْكُمْ إِلَّا مُجْرِمًا، تُكَذِّبَان؟!

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ٤١﴾ [الرحمن: ٤١].

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ تَعْرِفُ الْمَلَائِكَةُ الْمُجْرِمِينَ بِعَلَامَاتِهِمْ وَسِيمَاهُمُ الَّتِي يَسُومُهُمُ اللهُ بِهَا- مِنَ اسْوِدَادِ الْوُجُوهِ، وَازْرِقَاقِ الْعُيُونِ..

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ٤١﴾ [الرحمن: ٤١] فَتَأْخُذُهُمُ الزَّبَانِيَةُ بِنَوَاصِيهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ، فَتَسْحَبُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، وَتَقْذِفُهُمْ فِيهَا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٢﴾ [الرحمن: ٤٢].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٢﴾ [الرحمن: ٤٢] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ -الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهَا، مِنْ تَعْرِيفِهِ مَلَائِكَتَهُ أَهْلَ الْإِجْرَامِ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ مِنْكُمْ حَتَّىٰ خَصُّوا بِالْإِذْلَالِ

وَالْإِهَانَةِ الْمُجْرِمِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ- تُكَذِّبَانِ؟!

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الرحمن: ٤٣].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الرحمن: ٤٣] يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يُعْرَفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسِيمَاهُمْ حِينَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ: هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤].

﴿يَطُوفُونَ﴾ يَطُوفُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي جَهَنَّمَ..

﴿بَيْنَهَا﴾ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا..

﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤] وَبَيْنَ مَاءٍ قَدْ سَخَنَ وَغَلَىٰ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ حَرُّهُ، وَأَنَىٰ طَبْخُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ أُدْرِكَ وَبَلَغَ فَقَدَ أَنَىٰ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، يَعْنِي: إِدْرَاكَهُ وَبُلُوغَهُ.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ [الرحمن: ٤٥].

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ [الرحمن: ٤٥] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ -الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ بِعُقُوبَتِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ، وَتَكْرِيمِهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ- تُكَذِّبَانِ.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ وَلِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ، فَخَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَطَاعَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] بُسْتَانَيْنِ.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن: ٤٧].

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن: ٤٧] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا أَيُّهَا الثَّقَلَانِ -الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِإِثَابَتِهِ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ مَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ- تُكَذِّبَانِ

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن: ٤٨].

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن: ٤٨] ذَوَاتَا أَلْوَانٍ، وَأَحَدُهَا فَنٌّ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: افْتَنَّ فُلَانٌ فِي حَدِيثِهِ، إِذَا أَخَذَ فِي فُنُونٍ مِنْهُ وَضُرُوبٍ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩﴾ [الرحمن: ٤٩].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩﴾ [الرحمن: ٤٩] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمَا بِإِثَابَتِهِ هَذَا الثَّوَابَ أَهْلَ طَاعَتِهِ تُكَذِّبَانِ.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠] فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَا مَاءٍ تَجْرِيَانِ خِلَالَهُمَا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١﴾ [الرحمن: ٥١].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١﴾ [الرحمن: ٥١]

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ [الرحمن: ٥٢].

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ [الرحمن: ٥٢] فِيهِمَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ ضَرْبَانِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾ [الرحمن: ٥٣].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾ [الرحمن: ٥٣] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ طَاعَتِهِ مِنْ ذَلِكَ تُكَذِّبَانِ؟!

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ [الرحمن: ٥٤].

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ يَتَنَعَّمُونَ فِيهِمَا..

﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا﴾ بَطَائِنُ هَذِهِ الْفُرُشِ..

﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ مِنْ غَلِيظِ الدِّيبَاجِ..

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ [الرحمن: ٥٤] وَثَمَرُ الْجَنَّتَيْنِ الَّذِي يُجْتَنَىٰ قَرِيبٌ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَتْعَبُونَ بِصُعُودِ نَخْلِهَا وَشَجَرِهَا لِاجْتِنَاءِ ثَمَرِهَا، وَلَكِنَّهُمْ يَجْتَنُونَهَا مِنْ قُعُودٍ بِغَيْرِ عَنَاءٍ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥﴾ [الرحمن: ٥٥].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥﴾ [الرحمن: ٥٥] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ -الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمَا مَنْ أَثَابَ أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنْكُمْ هَذَا الثَّوَابَ، وَأَكْرَمَهُمْ هَذِهِ الْكَرَامَةَ- تُكَذِّبَانِ؟!

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾ [الرحمن: ٥٦].

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ فِي هَذِهِ الْفُرُشِ الَّتِي بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ وَهُنَّ

النِّسَاءُ اللَّاتِي قَدْ قُصِرَ طَرْفُهُنَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٥٦﴾ [الرحمن: ٥٦] لَمْ يَمْسَسْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦] وَلَا جَانٌّ، لَمْ يُجَامِعْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧﴾ [الرحمن: ٥٧].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧﴾ [الرحمن: ٥٧] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَىٰ أَهْلِ طَاعَتِهِ تُكَذِّبَانِ.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨].

﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ اللَّوَاتِي هُنَّ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فِي صَفَائِهِنَّ..

﴿ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨] الَّذِي يُرَىٰ السِّلْكُ الَّذِي فِيهِ مِنْ وَرَائِهِ، فَكَذَلِكَ يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ أَجْسَامِهِنَّ، وَفِي حُسْنِهِنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩﴾ [الرحمن: ٥٩].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩﴾ [الرحمن: ٥٩] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ - مِنْ إِثَابَتِهِ أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنْكُمْ بِمَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ- تُكَذِّبَانِ؟!

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠].

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ هَلْ ثَوَابُ خَوْفِ مَقَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِمَنْ خَافَهُ فَأَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا عَمَلَهُ، وَأَطَاعَ رَبَّهُ..

﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ رَبُّهُ، بِأَنْ يُجَازِيهِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١﴾ [الرحمن: ٦١].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١﴾ [الرحمن: ٦١] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنْ إِثَابَتِهِ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرحمن: ٦٢].

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرحمن: ٦٢] وَمِنْ دُونِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمَا، الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُمَا لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: وَمِنْ دُونِهِمَا فِي الدَّرَجِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَمِنْ دُونِهِمَا فِي الْفَضْلِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣﴾ [الرحمن: ٦٣].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣﴾ [الرحمن: ٦٣] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ -بِإِثَابَتِهِ أَهْلَ الْإِحْسَانِ مَا وَصَفَ مِنْ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ- تُكَذِّبَانِ؟!

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ [الرحمن: ٦٤].

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ [الرحمن: ٦٤] مُسْوَادَّتَانِ مِنْ شِدَّةِ خُضْرَتِهِمَا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥﴾ [الرحمن: ٦٥].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥﴾ [الرحمن: ٦٥] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِإِثَابَتِهِ أَهْلَ الْإِحْسَانِ مَا وَصَفَ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦].

﴿فِيهِمَا﴾ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ مِنْ دُونِ الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ.. ﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦] فَوَّارَتَانِ تَنْضَخَانِ بِالْمَاءِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧﴾ [الرحمن: ٦٧].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧﴾ [الرحمن: ٦٧] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِإِثَابَتِهِ مُحْسِنَكُمْ هَذَا الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمن: ٦٨].

﴿فِيهِمَا﴾ وَفِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ الْمُدْهَامَّتَيْنِ..

﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمن: ٦٨] وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أُعِيدَ ذِكْرُ النَّخْلِ وَالرُّمَّانِ؛ وَقَدْ ذُكِرَ قَبْلُ أَنَّ فِيهِمَا الْفَاكِهَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُعِيدَ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّخْلَ وَالرُّمَّانَ لَيْسَا مِنَ الْفَاكِهَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمَا مِنَ الْفَاكِهَةِ، وَقَالُوا: قُلْنَا هُمَا مِنَ الْفَاكِهَةِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ

تَجْعَلُهُمَا مِنَ الْفَاكِهَةِ، قَالُوا: فَإِنْ قِيلَ لَنَا: فَكَيْفَ أُعِيدَا وَقَدْ مَضَىٰ ذِكْرُهُمَا مَعَ ذِكْرِ سَائِرِ الْفَوَاكِهِ؟ قُلْنَا: ذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فَقَدْ أَمَرَهُمْ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ كُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ أَعَادَ الْعَصْرَ تَشْدِيدًا لَهَا، كَذَلِكَ أُعِيدَ النَّخْلُ وَالرُّمَّانُ تَرْغِيبًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَقَالَ: وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ﴾ [الحج: ١٨]، وَقَدْ ذَكَرَهُمْ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩﴾ [الرحمن: ٦٩].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩﴾ [الرحمن: ٦٩] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَقُولُ: فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ الَّتِي أَكْرَمَ بِهَا مُحْسِنَكُمْ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ [الرحمن: ٧٠].

﴿فِيهِنَّ﴾ فِي هَذِهِ الْجِنَانِ الْأَرْبَعِ اللَّوَاتِي اثْنَتَانِ مِنْهُنَّ لِمَنْ يَخَافُ مَقَامَ رَبِّهِ، وَالْأُخْرَيَانِ مِنْهُنَّ مِنْ دُونِهِمَا الْمُدْهَامَّتَانِ..

﴿خَيْرَٰتٌ﴾ الْأَخْلَاقِ..

﴿حِسَانٌ ۝٧٠﴾ [الرحمن: ٧٠] الْوُجُوهِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١﴾ [الرحمن: ٧١].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١﴾ [الرحمن: ٧١] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمَا بِمَا ذَكَرَ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: ٧٢].

﴿حُورٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَيْرَاتِ الْحِسَانِ ﴿حُورٌ﴾ بِيضٌ، وَهِيَ جَمْعُ حَوْرَاءَ، وَالْحَوْرَاءُ: الْبَيْضَاءُ..

﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: تَأْوِيلُهُ أَنَّهُنَّ قُصِرْنَ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَبْغِينَ بِهِمْ بَدَلًا، وَلَا يَرْفَعْنَ أَطْرَافَهُنَّ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُنَّ مَحْبُوسَاتٌ فِي الْحِجَالِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَصَفَهُنَّ بِأَنَّهُنَّ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ، وَالْقَصْرُ: هُوَ الْحَبْسُ وَلَمْ يُخَصِّص وَصْفَهُنَّ بِأَنَّهُنَّ مَحْبُوسَاتٌ عَلَىٰ مَعْنَىٰ

مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَا دُونَ الْآخَرِ، بَلْ عَمَّ وَصْفَهُنَّ بِذَلِكَ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّ الْخَبَرُ عَنْهُنَّ بِأَنَّهُنَّ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يُرِدْنَ غَيْرَهُمْ، كَمَا عَمَّ ذَلِكَ..

﴿فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢﴾ [الرحمن: ٧٢] يَعْنِي بِالْخِيَامِ: الْبُيُوتَ، وَقَدْ تُسَمِّي الْعَرَبُ هَوَادِجَ النِّسَاءِ خِيَامًا، وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَإِنَّهُ عُنِيَ بِهَا الْبُيُوتُ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣﴾ [الرحمن: ٧٣].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣﴾ [الرحمن: ٧٣] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمَا مِنَ الْكَرَامَةِ بِإِثَابَةِ مُحْسِنِكِمْ هَذِهِ الْكَرَامَةَ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤﴾ [الرحمن: ٧٤].

﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ لَمْ يَمَسَّهُنَّ بِنِكَاحٍ فَيُدْمِيهُنَّ..

﴿إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤﴾ [الرحمن: ٧٤]

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥﴾ [الرحمن: ٧٥].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥﴾ [الرحمن: ٧٥] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهَا مِمَّا وَصَفَ تُكَذِّبَانِ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦﴾ [الرحمن: ٧٦].

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ﴾ يَنْعَمُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَذِهِ الْكَرَامَةَ الَّتِي وَصَفَهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَصَفَهُمَا، مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ رِيَاضُ الْجَنَّةِ، وَاحِدَتُهَا: رَفْرَفَةٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ فُضُولُ الْبُسُطِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ الْمَرَافِقُ..

﴿وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦﴾ [الرحمن: ٧٦] الطَّنَافِسِ الثِّخَانِ، وَهِيَ جِمَاعٌ وَاحِدُهَا: عَبْقَرِيَّةٌ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْبُسُطِ عَبْقَرِيًّا.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْعَبْقَرِيُّ: الدِّيبَاجُ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧﴾ [الرحمن: ٧٧].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧﴾ [الرحمن: ٧٧] فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنْ إِكْرَامِهِ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْكُمْ هَذِهِ الْكَرَامَةَ، تُكَذِّبَانِ؟!

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨].

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ تَبَارَكَ ذِكْرُ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ذِي ٱلۡجَلَٰلِ﴾ ذِي الْعَظَمَةِ..

﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨] وَمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الرَّحْمَنُ



سُورَةُ الْوَاقِعَةِ (٥٦)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَتِسْعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ①﴾ [الواقعة: ١].

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ①﴾ [الواقعة: ١] إِذَا نَزَلَتْ صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ حِينَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ لِقِيَامِ السَّاعَةِ.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ②﴾ [الواقعة: ٢].

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ②﴾ [الواقعة: ٢] لَيْسَ لِوَقْعَةِ الْوَاقِعَةِ تَكْذِيبٌ وَلَا مَرْدُودِيَّةٌ.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③﴾ [الواقعة: ٣].

﴿خَافِضَةٌ﴾ الْوَاقِعَةُ حِينَئِذٍ خَافِضَةٌ أَقْوَامًا كَانُوا فِي الدُّنْيَا أَعِزَّاءَ إِلَىٰ نَارِ اللهِ..
﴿رَّافِعَةٌ ③﴾ [الواقعة: ٣] رَفَعَتْ أَقْوَامًا كَانُوا فِي الدُّنْيَا وُضَعَاءَ إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ وَجَنَّتِهِ.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ④﴾ [الواقعة: ٤].

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ④﴾ [الواقعة: ٤] إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ فَحُرِّكَتْ تَحْرِيكًا.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ⑤﴾ [الواقعة: ٥].

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ⑤﴾ [الواقعة: ٥] فُتِّتَتِ الْجِبَالُ فَتًّا، فَصَارَتْ كَالدَّقِيقِ الْمَبْسُوسِ، وَهُوَ الْمَبْلُولُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ⑭﴾ [المزمل: ١٤]، وَالْبَسِيسَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الدَّقِيقُ وَالسَّوِيقُ تُلَتُّ وَتُتَّخَذُ زَادًا.

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ⑥﴾ [الواقعة: ٦].

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ هُوَ شُعَاعُ الشَّمْسِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْكُوَّةِ كَهَيْئَةِ الْغُبَارِ..
﴿مُّنبَثًّا ⑥﴾ [الواقعة: ٦] مُتَفَرِّقًا.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑦﴾ [الواقعة: ٧].

﴿وَكُنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَزْوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧﴾ [الواقعة: ٧] أَنْوَاعًا ثَلَاثَةً وَضُرُوبًا.. وَهَذَا بَيَانٌ مِنَ اللهِ عَنِ الْأَزْوَاجِ الثَّلَاثَةِ: فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ.

﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨﴾ [الواقعة: ٨].

﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ..

﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨﴾ [الواقعة: ٨] أَيُّ شَيْءٍ أَصْحَابُ الْيَمِينِ، يُعَجِّبُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا مِنْهُمْ.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الواقعة: ٩].

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الواقعة: ٩] وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَىٰ النَّارِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْيَدَ الْيُسْرَىٰ: الشُّؤْمَىٰ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة: ١٠].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة: ١٠] وَهُمُ الزَّوْجُ الثَّالِثُ، وَهُمُ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١١] أُولَئِكَ الَّذِينَ يُقَرِّبُهُمُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة: ١٢].

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة: ١٢] فِي بَسَاتِينِ النَّعِيمِ الدَّائِمِ.

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الواقعة: ١٣].

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الواقعة: ١٣] جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة: ١٤].

﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة: ١٤] وَقَلِيلٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمُ الْآخِرُونَ وَقِيلَ لَهُمُ الْآخِرُونَ لِأَنَّهُمْ آخِرُ الْأُمَمِ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ۝١٥﴾ [الواقعة: ١٥].

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ۝١٥﴾ [الواقعة: ١٥] فَوْقَ سُرُرٍ مَنْسُوجَةٍ، قَدْ أُدْخِلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، كَمَا

يُوضَنُ حَلَقُ الدِّرْعِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مُضَاعَفَةً.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦﴾ [الواقعة: ١٦].

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ السُّرُرِ الْمَوْضُونَةِ..

﴿مُتَقَٰبِلِينَ ١٦﴾ [الواقعة: ١٦] بِوُجُوهِهِمْ، لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ قَفَا بَعْضٍ.

﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧﴾ [الواقعة: ١٧].

﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَطُوفُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ قَرَّبَهُمُ اللهُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ..

﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧﴾ [الواقعة: ١٧] وِلْدَانٌ عَلَىٰ سِنٍّ وَاحِدَةٍ، لَا يَتَغَيَّرُونَ وَلَا يَمُوتُونَ.

﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨﴾ [الواقعة: ١٨].

﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ﴾ الْأَكْوَابُ: جَمْعُ كُوبٍ، وَهُوَ مِنَ الْأَبَارِيقِ مَا اتَّسَعَ رَأْسُهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خُرْطُومٌ..

﴿وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨﴾ [الواقعة: ١٨] وَكَأْسِ خَمْرٍ مِنْ شَرَابٍ مَعِينٍ، ظَاهِرِ الْعُيُونِ، جَارٍ.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾ [الواقعة: ١٩].

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا﴾ لَا تُصَدَّعُ رُءُوسُهُمْ عَنْ شُرْبِهَا فَتَسْكَرُ..

﴿وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾ [الواقعة: ١٩] بِكَسْرِ الزَّايِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَا يَنْفَدُ شَرَابُهُمْ.. وَقَرَأَتْ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ (يُنْزَفُونَ) بِفَتْحِ الزَّايِ، وَوَجَّهُوا ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا تُنْزَفُ عُقُولُهُمْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ فِيهَا الصَّوَابَ.

﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ [الواقعة: ٢٠].

﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ [الواقعة: ٢٠] وَيَطُوفُ هَؤُلَاءِ الْوِلْدَانُ الْمُخَلَّدُونَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ السَّابِقِينَ بِفَاكِهَةٍ مِنَ الْفَوَاكِهِ الَّتِي يَتَخَيَّرُونَهَا مِنَ الْجَنَّةِ لِأَنْفُسِهِمْ، وَتَشْتَهِيهَا نُفُوسُهُمْ.

﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة: ٢١].

﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة: ٢١] وَيَطُوفُونَ أَيْضًا عَلَيْهِمْ بِلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ مِنَ الطَّيْرِ الَّذِي تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ.

﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢﴾ [الواقعة: ٢٢].

﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢﴾ [الواقعة: ٢٢]وَعِنْدَهُمْ حُورٌ عِينٌ، أَوْ لَهُمْ حُورٌ عِينٌ، وَالْحُورُ: جَمَاعَةُ حَوْرَاءَ،

وَهِيَ النَّقِيَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ، الشَّدِيدَةُ سَوَادِهَا، وَالْعِينُ: جَمْعُ عَيْنَاءَ، وَهِيَ النَّجْلَاءُ الْعِينِ فِي حُسْنٍ.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ٢٣﴾ [الواقعة: ٢٣].

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ٢٣﴾ [الواقعة: ٢٣] هُنَّ فِي صَفَاءِ بَيَاضِهِنَّ وَحُسْنِهِنَّ، كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ الَّذِي قَدْ صِينَ فِي كِنٍّ.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٢٤﴾ [الواقعة: ٢٤].

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٢٤﴾ [الواقعة: ٢٤] ثَوَابًا لَهُمْ مِنَ اللهِ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَعِوَضًا مِنْ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ٢٥﴾ [الواقعة: ٢٥].

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا بَاطِلًا مِنَ الْقَوْلِ..

﴿وَلَا تَأْثِيمًا ٢٥﴾ [الواقعة: ٢٥] لَيْسَ فِيهَا مَا يُؤَثِّمُهُمْ.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ٢٦﴾ [الواقعة: ٢٦].

﴿إِلَّا قِيلًا﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا قِيلًا..

﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ٢٦﴾ [الواقعة: ٢٦] مِمَّا تَكْرَهُ.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ٢٧﴾ [الواقعة: ٢٧].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الْيَمِينِ، الَّذِي أُعْطُوا كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ٢٧﴾ [الواقعة: ٢٧] أَيُّ شَيْءٍ هُمْ وَمَا لَهُمْ، وَمَاذَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ٢٨﴾ [الواقعة: ٢٨].

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ٢٨﴾ [الواقعة: ٢٨] فِي ثَمَرِ سِدْرٍ مُوقَرٍ مِنْ حِمْلِهِ قَدْ ذَهَبَ شَوْكُهُ.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ٢٩﴾ [الواقعة: ٢٩].

﴿وَطَلْحٍ﴾ أَهْلُ التَّأْوِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ هُوَ الْمَوْزُ..

﴿مَّنضُودٍ ٢٩﴾ [الواقعة: ٢٩] قَدْ نُضِّدَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَجُمِعَ بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠].

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠] وَهُمْ فِي ظِلٍّ دَائِمٍ لَا تَنْسُخُهُ الشَّمْسُ فَتُذْهِبُهُ، وَكُلُّ مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ فَإِنَّهُ مَمْدُودٌ.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ [الواقعة: ٣١].

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ [الواقعة: ٣١]وَفِيهِ أَيْضًا مَاءٌ مَصْبُوبٌ سَائِلٌ فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢﴾ [الواقعة: ٣٢].

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢﴾ [الواقعة: ٣٢]

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: ٣٣].

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا أَرَادُوهُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، كَمَا تَنْقَطِعُ فَوَاكِهُ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: ٣٣] وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْهَا وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا شَوْكٌ عَلَىٰ أَشْجَارِهَا، أَوْ بُعْدُهَا مِنْهُمْ، كَمَا تَمْتَنِعُ فَوَاكِهُ الدُّنْيَا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَرَادَهَا بِبُعْدِهَا عَلَىٰ الشَّجَرَةِ مِنْهُمْ، أَوْ بِمَا عَلَىٰ شَجَرِهَا مِنَ الشَّوْكِ، وَلَكِنَّهَا إِذَا اشْتَهَاهَا أَحَدُهُمْ وَقَعَتْ فِي فِيهِ أَوْ دَنَتْ مِنْهُ حَتَّىٰ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ [الواقعة: ٣٤].

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ [الواقعة: ٣٤] وَلَهُمْ فِيهَا فُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ طَوِيلَةٌ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥﴾ [الواقعة: ٣٥].

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥﴾ [الواقعة: ٣٥] إِنَّا خَلَقْنَاهُنَّ خَلْقًا فَأَوْجَدْنَاهُنَّ؛ قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ: (**يَعْنِي بِذَلِكَ: الْحُورَ الْعِينَ اللَّاتِي ذَكَرَهُنَّ قَبْلُ**).

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦﴾ [الواقعة: ٣٦].

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦﴾ [الواقعة: ٣٦] فَصَيَّرْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عَذَارَىٰ.

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة: ٣٧].

﴿عُرُبًا﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا غَنِجَاتٍ مُتَحَبِّبَاتٍ إِلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، يُحْسِنَّ التَّبَعُّلَ، وَهِيَ جَمْعٌ، وَاحِدُهُنَّ عَرُوبٌ..

﴿أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة: ٣٧] مُسْتَوِيَاتٌ عَلَىٰ سِنٍّ وَاحِدَةٍ، وَاحِدَتُهُنَّ تِرْبٌ.

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ [الواقعة: ٣٨].

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ [الواقعة: ٣٨] أَنْشَأْنَا هَؤُلَاءِ اللَّوَاتِي وَصَفَ صِفَتَهُنَّ مِنَ الْأَبْكَارِ لِلَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ مِنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩﴾ [الواقعة: ٣٩].

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩﴾ [الواقعة: ٣٩] الَّذِينَ لَهُمْ هَذِهِ الْكَرَامَةُ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ثُلَّتَانِ، وَهِيَ جَمَاعَتَانِ وَأُمَّتَانِ وَفِرْقَتَانِ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩﴾، يَعْنِي جَمَاعَةً مِنَ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الواقعة: ٤٠].

﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الواقعة: ٤٠] وَجَمَاعَةٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾ [الواقعة: ٤١].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَجِّبًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ مِنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ إِلَىٰ النَّارِ..

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾ [الواقعة: ٤١] مَاذَا لَهُمْ، وَمَاذَا أُعِدَّ لَهُمْ.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢﴾ [الواقعة: ٤٢].

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢﴾ [الواقعة: ٤٢] هُمْ فِي سَمُومِ جَهَنَّمَ وَحَمِيمِهَا.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣﴾ [الواقعة: ٤٣].

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣﴾ [الواقعة: ٤٣] وَظِلٍّ مِنْ دُخَانٍ شَدِيدِ السَّوَادِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَصِفَتُهُ بِشِدَّةِ السَّوَادِ: أَسْوَدُ يَحْمُومٍ.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾ [الواقعة: ٤٤].

﴿لَّا بَارِدٍ﴾ لَيْسَ ذَلِكَ الظِّلُّ بِبَارِدٍ، كَبَرْدِ ظِلَالِ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ، وَلَكِنَّهُ حَارٌّ؛ لِأَنَّهُ دُخَانٌ مِنْ سَعِيرِ جَهَنَّمَ..

﴿وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٤] وَلَيْسَ بِكَرِيمٍ؛ لِأَنَّهُ مُؤْلِمٌ مَنِ اسْتَظَلَّ بِهِ، وَالْعَرَبُ تَتْبَعُ كُلَّ مَنْفِيٍّ عَنْهُ صِفَةُ حَمْدٍ نَفْيَ الْكَرَمِ عَنْهُ، فَتَقُولُ: مَا هَذَا الطَّعَامُ بِطَيِّبٍ وَلَا كَرِيمٍ، وَمَا هَذَا اللَّحْمُ بِسَمِينٍ وَلَا كَرِيمٍ، وَمَا هَذِهِ الدَّارُ بِنَظِيفَةٍ وَلَا كَرِيمَةٍ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: ٤٥].

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ..

﴿كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ مَا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: ٤٥] مُنَعَّمِينَ.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة: ٤٦].

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ وَكَانُوا يُقِيمُونَ..

﴿عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة: ٤٦] عَلَى الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَهُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة: ٤٧].

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ﴾ كُفْرًا مِنْهُمْ بِالْبَعْثِ، وَإِنْكَارًا لِإِحْيَاءِ اللهِ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ..

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا فِي قُبُورِنَا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِنَا..

﴿وَعِظَامًا﴾ نَخِرَةً..

﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة: ٤٧] مِنْهَا أَحْيَاءً كَمَا كُنَّا قَبْلَ الْمَمَاتِ.

﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الواقعة: ٤٨].

﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الواقعة: ٤٨] الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَنَا.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الواقعة: ٤٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ..

﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ﴾ مِنْ آبَائِكُمْ..

﴿وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الواقعة: ٤٩] مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٥٠].

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٥٠] وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝﴾ [الواقعة: ٥١].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَىٰ..

﴿الْمُكَذِّبُونَ ۝﴾ [الواقعة: ٥١] بِوَعِيدِ اللهِ وَوَعْدِهِ.

﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝﴾ [الواقعة: ٥٢].

﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝﴾ [الواقعة: ٥٢]

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝﴾ [الواقعة: ٥٣].

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝﴾ [الواقعة: ٥٣] فَمَالِئُونَ مِنَ الشَّجَرِ الزَّقُّومِ بُطُونَهُمْ.

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝﴾ [الواقعة: ٥٤].

﴿فَشَارِبُونَ﴾ فَشَارِبٌ أَصْحَابُ الشِّمَالِ..

﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ الشَّجَرِ مِنَ الزَّقُّومِ إِذَا أَكَلُوهُ، فَمَلَئُوا مِنْهُ بُطُونَهُمْ..

﴿مِنَ الْحَمِيمِ ۝﴾ [الواقعة: ٥٤] الَّذِي انْتَهَىٰ غَلْيُهُ وَحَرُّهُ.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝﴾ [الواقعة: ٥٥].

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝﴾ [الواقعة: ٥٥] الْهِيمُ جَمْعُ أَهْيَمَ، وَالْأُنْثَىٰ هَيْمَاءُ، وَالْهِيمُ: الْإِبِلُ الَّتِي يُصِيبُهَا دَاءٌ فَلَا تُرْوَىٰ مِنَ الْمَاءِ، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: هَائِمٌ، وَالْأُنْثَىٰ هَائِمَةٌ، ثُمَّ يَجْمَعُونَهُ عَلَىٰ هِيمٍ.. وَيُقَالُ: إِنَّ الْهِيمَ: الرَّمْلُ، بِمَعْنَىٰ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَشْرَبُونَ الْحَمِيمَ شُرْبَ الرَّمْلِ الْمَاءَ.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۝﴾ [الواقعة: ٥٦].

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي وَصَفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ يَأْكُلُونَهُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ، يَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ، هُوَ..

﴿نُزُلُهُمْ﴾ الَّذِي يُنْزِلُهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿يَوْمَ الدِّينِ ۝﴾ [الواقعة: ٥٦] يَوْمَ يَدِينُ اللهُ عِبَادَهُ.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝﴾ [الواقعة: ٥٧].

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَالْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ: نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، فَأَوْجَدْنَاكُمْ بَشَرًا..

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾ [الواقعة: ٥٧] فَهَلَّا تُصَدِّقُونَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ فِي قِيلِهِ لَكُمْ: إِنَّهُ يَبْعَثُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ وَبِلَاكُمْ فِي قُبُورِكُمْ، كَهَيْأَتِكُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ [الواقعة: ٥٨].

﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ: أَفَرَأَيْتُمْ أَيُّهَا الْمُنْكِرُونَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ..

﴿مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ [الواقعة: ٥٨] النُّطَفَ الَّتِي تُمْنُونَ فِي أَرْحَامِ نِسَائِكُمْ.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ [الواقعة: ٥٩].

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ [الواقعة: ٥٩] أَءَنْتُم تخلُقُونَ النُّطَفَ أَمْ نحنُ الخالِقُونَ.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾ [الواقعة: ٦٠].

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ نَحنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْمَوْتَ، فَعَجَلْنَاهُ لِبَعْضٍ، وَأَخَّرْنَاهُ عَنْ بَعْضٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ..

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾ [الواقعة: ٦٠] أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَآجَالِكُمْ، فَمُفْتَاتٌ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدَّرْنَاهُ لَهَا مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ، بَلْ لَا يَتَقَدَّمُ شَيْءٌ مِنْ أَجَلِنَا، وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ [الواقعة: ٦١].

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ مِنْكُمْ أَمْثَالَكُمْ بَعْدَ مَهْلِكِكُمْ فَنَجِيءَ بِآخَرِينَ مِنْ جِنْسِكُمْ..

﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ وَنُبَدِّلَكُمْ عَمَّا تَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ..

﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ [الواقعة: ٦١] مِنْهَا مِنَ الصُّوَرِ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [الواقعة: ٦٢].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الْإِحْدَاثَةَ الْأُولَىٰ الَّتِي أَحْدَثْنَاكُمُوهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ شَيْئًا..

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [الواقعة: ٦٢] فَهَلَّا تَذَكَّرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي أَنْشَأَكُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ وَفَنَائِكُمْ أَحْيَاءً.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣﴾ [الواقعة: ٦٣].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣﴾ [الواقعة: ٦٣] أَفَرَأَيْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْحَرْثَ الَّذِي تَحْرُثُونَهُ.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ [الواقعة: ٦٤].

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ [الواقعة: ٦٤] أَأَنْتُمْ تُصَيِّرُونَهُ زَرْعًا، أَمْ نَحْنُ نَجْعَلُهُ كَذَلِكَ؟.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُولَنَّ زَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ حَرَثْتُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾).

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ [الواقعة: ٦٥].

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَا ذَلِكَ الزَّرْعَ الَّذِي زَرَعْنَاهُ..

﴿حُطَٰمًا﴾ هَشِيمًا لَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي مَطْعَمٍ وَغِذَاءٍ..

﴿فَظَلْتُمْ﴾ فَأَقَمْتُمْ..

﴿تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ [الواقعة: ٦٥] تَتَعَجَّبُونَ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ فِي زَرْعِكُمْ مِنَ الْمُصِيبَةِ بِاحْتِرَاقِهِ وَهَلَاكِهِ.. وَأَصْلُهُ مِنَ التَّفَكُّهِ بِالْحَدِيثِ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ بِالْحَدِيثِ يَعْجَبُ مِنْهُ، وَيُلْهَىٰ بِهِ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَأَقَمْتُمْ تَتَعَجَّبُونَ يُعَجِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ [الواقعة: ٦٦].

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ [الواقعة: ٦٦] إِنَّا لَمُعَذَّبُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْغَرَامَ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْعَذَابُ، وَفِي الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ اكْتُفِيَ بِدِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَهُوَ: فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (تَقُولُونَ) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ، فَتَرَكَ تَقُولُونَ مِنَ الْكَلَامِ لِمَا وَصَفْنَا.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾ [الواقعة: ٦٧].

﴿بَلْ﴾ مَا هَلَكَ زَرْعُنَا وَأُصِبْنَا بِهِ مِنْ أَجْلِ ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ [الواقعة: ٦٦] وَلَكِنَّا..

﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾ [الواقعة: ٦٧] قَوْمٌ مَحْرُومُونَ، يَقُولُ: إِنَّهُمْ غَيْرُ مَجْدُودِينَ، لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ وَسَعَادَةٌ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨﴾ [الواقعة: ٦٨].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨﴾ [الواقعة: ٦٨] أَفَرَأَيْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩﴾ [الواقعة: ٦٩].

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّحَابِ فَوْقَكُمْ إِلَىٰ قَرَارِ الْأَرْضِ..

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩﴾ [الواقعة: ٦٩] أَمْ نَحْنُ مُنْزِلُوهُ لَكُمْ.

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾ [الواقعة: ٧٠].

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَا ذَلِكَ الْمَاءَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ لَكُمْ مِنَ الْمُزْنِ مِلْحًا، وَهُوَ الْأُجَاجُ، وَالْأُجَاجُ مِنَ الْمَاءِ: مَا اشْتَدَّتْ مُلُوحَتُهُ، يَقُولُ: لَوْ نَشَاءُ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِ فَلَمْ تَنْتَفِعُوا بِهِ فِي شُرْبٍ وَلَا غَرْسٍ وَلَا زَرْعٍ..

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾ [الواقعة: ٧٠] فَهَلَّا تَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ مَا أَعْطَاكُمْ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ لِشُرْبِكُمْ وَمَنَافِعِكُمْ، وَصَلَاحِ مَعَايِشِكُمْ، وَتَرْكِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ أُجَاجًا لَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١﴾ [الواقعة: ٧١].

﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١﴾ [الواقعة: ٧١] النَّارَ الَّتِي تَسْتَخْرِجُونَ مِنْ زَنْدِكُمْ.

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ [الواقعة: ٧٢].

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ أَأَنْتُمْ أَحْدَثْتُمْ شَجَرَتَهَا وَاخْتَرَعْتُمْ أَصْلَهَا..

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ [الواقعة: ٧٢] أَمْ نَحْنُ اخْتَرَعْنَا ذَلِكَ وَأَحْدَثْنَاهُ؟

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ [الواقعة: ٧٣].

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ نَحْنُ جَعَلْنَا النَّارَ تَذْكِرَةً لَكُمْ تَذْكُرُونَ بِهَا نَارَ جَهَنَّمَ، فَتَعْتَبِرُونَ وَتَتَّعِظُونَ..

﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ [الواقعة: ٧٣] لِلْمُسَافِرِ الَّذِي لَا زَادَ مَعَهُ، وَلَا شَيْءَ لَهُ.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤].

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤] فَسَبِّحْ يَا مُحَمَّدُ بِذِكْرِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ، وَتَسْمِيَتِهِ.

﴿* فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥].

﴿* فَلَآ أُقْسِمُ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: أُقْسِمُ.. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا﴾ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْقَسَمَ بَعْدُ فَقِيلَ أُقْسِمُ.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥] بِمَسَاقِطِ النُّجُومِ وَمَغَايِبِهَا فِي السَّمَاءِ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: ٧٦].

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ هَذَا الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمْتُ..

﴿لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا هُوَ، وَمَا قَدْرُهُ..

﴿عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: ٧٦] قَسَمٌ عَظِيمٌ، وَهُو مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، يَعْنِي: وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ عَظِيمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عِظَمَهُ.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧].

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧] فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٨].

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٨] هُوَ فِي كِتَابٍ مَصُونٍ عِنْدَ اللهِ، لَا يَمَسُّهُ شَيْءٌ مِنْ أَذًى، مِنْ غُبَارٍ وَلَا غَيْرِهِ.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩].

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩] لَا يَمَسُّ ذَلِكَ الْكِتَابَ الْمَكْنُونَ إِلَّا الَّذِينَ قَدْ طَهَّرَهُمُ اللهُ مِنَ الذُّنُوبِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ حَمَلَةُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ: هُمُ الَّذِينَ قَدْ طُهِّرُوا مِنَ الذُّنُوبِ كَالْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ: أَنَّهُ لَا يَمَسُّهُ عِنْدَ اللهِ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَنَا، أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَخْبَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ الْكِتَابَ الْمَكْنُونَ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، فَعَمَّ بِخَبَرِهِ الْمُطَهَّرِينَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ؛ فَالْمَلَائِكَةُ مِنَ الْمُطَهَّرِينَ، وَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْمُطَهَّرِينَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطَهَّرًا مِنَ الذُّنُوبِ، فَهُوَ مِمَّنْ اسْتُثْنِيَ، وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: ٨٠].

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: ٨٠] هَذَا الْقُرْآنُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَّلَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١﴾ [الواقعة: ٨١].

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ أَفَبِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْبَأْتُكُمْ خَبَرَهُ، وَقَصَصْتُ عَلَيْكُمْ أَمْرَهُ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١﴾ [الواقعة: ٨١] أَنْتُمْ تُلِينُونَ الْقَوْلَ لِلْمُكَذِّبِينَ بِهِ، مُمَالَأَةً مِنْكُمْ لَهُمْ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ بِهِ وَالْكُفْرِ.

﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: ٨٢].

﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: ٨٢] وَتَجْعَلُونَ شُكْرَ اللهِ عَلَىٰ رِزْقِهِ إِيَّاكُمُ التَّكْذِيبَ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ الآخَرِ: جَعَلْتَ إِحْسَانِي إِلَيْكَ إِسَاءَةً مِنْكَ إِلَيَّ، بِمَعْنَىٰ: جَعَلْتَ شُكْرَ إِحْسَانِي، أَوْ ثَوَابَ إِحْسَانِي إِلَيْكَ إِسَاءَةً مِنْكَ إِلَيَّ.

﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣﴾ [الواقعة: ٨٣].

﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣﴾ [الواقعة: ٨٣] فَهَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النُّفُوسُ عِنْدَ خُرُوجِهَا مِنْ أَجْسَادِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ حَلَاقِيمَكُمْ.

﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ [الواقعة: ٨٤].

﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ [الواقعة: ٨٤] وَمَنْ حَضَرَهُمْ مِنْكُمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ حِينَئِذٍ إِلَيْهِمْ يَنْظُرُ، وَخَرَجَ الْخِطَابُ هَاهُنَا عَامًّا لِلْجَمِيعِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: مَنْ حَضَرَ الْمَيِّتَ مِنْ أَهْلِهِ وَغَيْرِهِمْ.

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة: ٨٥].

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ وَرُسُلُنَا الَّذِينَ يَقْبِضُونَ رُوحَهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ..

﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة: ٨٥] وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَهُمْ.

﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٦﴾ [الواقعة: ٨٦].

﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٦﴾ [الواقعة: ٨٦] غَيْرَ مَجْزِيِّينَ بِأَعْمَالِكُمْ.. مِنْ قَوْلِهِمْ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَمِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤].

﴿تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾ [الواقعة: ٨٧].

﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾ تَرُدُّونَ تِلْكَ النُّفُوسَ مِنْ بَعْدِ مَصِيرِهَا إِلَىٰ الْحَلَاقِيمِ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا مِنَ الْأَجْسَادِ..

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾ [الواقعة: ٨٧] إِنْ كُنْتُمْ تَمْتَنِعُونَ مِنَ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ وَالْمُجَازَاةِ.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨﴾ [الواقعة: ٨٨].

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨﴾ [الواقعة: ٨٨] فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ قَرَّبَهُمُ اللهُ مِنْ جِوَارِهِ فِي جِنَانِهِ.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ [الواقعة: ٨٩].

﴿فَرَوْحٌ﴾ فَلَهُ الْفَرَحُ وَالرَّحْمَةُ وَالْمَغْفِرَةُ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَجَدْتُ رَوْحًا، إِذَا وَجَدَ نَسِيمًا يَسْتَرْوِحُ إِلَيْهِ مِنْ كَرْبِ الْحَرِّ..

﴿وَرَيْحَانٌ﴾ وَالرِّزْقُ الطَّيِّبُ الْهَنِيُّ، وَهُوَ عِنْدِي الَّذِي يُتَلَقَّىٰ بِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ [الواقعة: ٨٩] وَلَهُ مَعَ ذَٰلِكَ بُسْتَانُ نَعِيمٍ يَتَنَعَّمُ فِيهِ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠﴾ [الواقعة: ٩٠].

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الْمَيِّتُ..

﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠﴾ [الواقعة: ٩٠] الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ مِنْ ذَاتِ أَيْمَانِهِمْ.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة: ٩١].

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة: ٩١] فَسَلَامٌ لَكَ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَسَلِمْتَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَمِمَّا تَكْرَهُ؛ لِأَنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢﴾ [الواقعة: ٩٢].

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢﴾ [الواقعة: ٩٢] وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ، الْجَائِرِينَ عَنْ سَبِيلِهِ.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣﴾ [الواقعة: ٩٣].

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣﴾ [الواقعة: ٩٣] قَدْ أُغْلِيَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ حَرُّهُ، فَهُوَ شَرَابُهُ.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقعة: ٩٤].

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقعة: ٩٤] وَحَرِيقُ النَّارِ يُحْرَقُ بِهَا، وَالتَّصْلِيَةُ: التَّفْعِلَةُ مِنْ صَلَاهُ اللهُ النَّارَ، فَهُوَ يَصْلِيهِ تَصْلِيَةً، وَذَلِكَ إِذَا أَحْرَقَهُ بِهَا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْخَبَرِ عَنِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَعَنِ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرَةٌ أُمُورُهُمْ..

﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥] لَهُوَ الْحَقُّ مِنَ الْخَبَرِ الْيَقِينِ لَا شَكَّ فِيهِ.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٩٦].

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٩٦] فَسَبِّحْ بِتَسْمِيَةِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ



سُورَةُ الحَدِيدِ (٥٧)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْحَدِيدُ، مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ [الحديد: ١].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ مِنْ خَلْقِهِ يُسَبِّحُهُ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِقْرَارًا بِرُبُوبِيَّتِهِ وَإِذْعَانًا لِطَاعَتِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]..

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ وَلَكِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ، فَخَالَفَ أَمْرَهُ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿الْحَكِيمُ ①﴾ [الحديد: ١] فِي تَدْبِيرِهِ أَمْرَهُمْ، وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ②﴾ [الحديد: ٢].

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَلَا شَيْءَ فِيهِنَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ، وَهُوَ فِي جَمِيعِهِمْ نَافِذُ الْأَمْرِ، مَاضِي الْحُكْمِ..

﴿يُحْيِي﴾ يُحْيِي مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَلْقِ بِأَنْ يُوجِدَهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُحْدِثَ مِنَ النُّطْفَةِ الْمَيْتَةِ حَيَوَانًا بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهَا مِنْ بَعْدِ تَارَاتٍ يُقَلِّبُهَا فِيهَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ..

﴿وَيُمِيتُ﴾ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَحْيَاءِ بَعْدَ الْحَيَاةِ بَعْدَ بُلُوغِهِ أَجَلَهُ فَيُفْنِيهِ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ②﴾ [الحديد: ٢] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ذُو قُدْرَةٍ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، مِنْ إِحْيَاءٍ وَإِمَاتَةٍ، وَإِعْزَازٍ وَإِذْلَالٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③﴾ [الحديد: ٣].

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ حَدٍّ..

﴿وَالْآخِرُ﴾ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ نِهَايَةٍ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ مَوْجُودٌ سِوَاهُ، وَهُوَ كَائِنٌ بَعْدَ فَنَاءِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]..

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ وَهُوَ الظَّاهِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَهُوَ الْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَيْءَ أَعْلَىٰ مِنْهُ..

﴿وَٱلْبَاطِنُۖ﴾ وَهُوَ الْبَاطِنُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ١٦﴾ [ق: ١٦]..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣﴾ [الحديد: ٣] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ، إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

> ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤﴾
> [الحديد: ٤].

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ، فَدَبَّرَهُنَّ وَمَا فِيهِنَّ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَارْتَفَعَ عَلَيْهِ وَعَلَا..

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ صِفَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إِلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ..

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ﴾ فَيَصْعَدُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَرْضِ..

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾ وَهُوَ شَاهِدٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَمَا كُنْتُمْ يَعْلَمُكُمْ، وَيَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ، وَمُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ السَّبْعِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤﴾ [الحديد: ٤] وَاللهُ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا مِنْ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، ذُو بَصَرٍ، وَهُوَ لَهَا مُحْصٍ، لِيُجَازِيَ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، يَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

> ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٥﴾ [الحديد: ٥].

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَافِذٌ فِي جَمِيعِهِنَّ، وَفِي جَمِيعِ مَا فِيهِنَّ أَمْرُهُ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٥﴾ [الحديد: ٥] وَإِلَىٰ اللهِ مَصِيرُ أُمُورِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾ [الحديد: ٦].

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يُدْخِلُ مَا نَقَصَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، فَيَجْعَلُهُ زِيَادَةً فِي سَاعَاتِهِ..

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۚ﴾ وَيُدْخِلُ مَا نَقَصَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ، فَيَجْعَلُهُ زِيَادَةً فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ..

﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾ [الحديد: ٦] وَهُوَ ذُو عِلْمٍ بِضَمَائِرِ صُدُورِ عِبَادِهِ، وَمَا عَزَمَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ حَدَّثَتْ بِهِمَا أَنْفُسُهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ خَافِيَةٌ.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد: ٧].

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَصَدِّقُوهُ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَاتَّبِعُوهُ..

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ وَأَنْفِقُوا مِمَّا خَوَّلَكُمُ اللهُ مِنَ الْمَالِ -الَّذِي أَوْرَثَكُمْ عَمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَهُمْ فِيهِ- فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مِنكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَأَنفَقُوا۟﴾ مِمَّا خَوَّلَهُمُ اللهُ عَمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد: ٧] لَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [الحديد: ٨].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَٱلرَّسُولُ﴾ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقَدْ أَتَاكُمْ مِنَ الْحُجَجِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ ذَلِكَ مَا قَطَعَ عُذْرَكُمْ، وَأَزَالَ الشَّكَّ مِنْ قُلُوبِكُمْ..

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ وَقَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ رَبُّكُمْ مِيثَاقَكُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ، بِأَنَّ اللهَ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [الحديد: ٨] إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، فَالْآنَ أَحْرَىٰ الْأَوْقَاتِ، أَنْ تُؤْمِنُوا لِتَتَابُعِ الْحُجَجِ عَلَيْكُمْ بِالرَّسُولِ وَإِعْلَامِهِ، وَدُعَائِهِ إِيَّاكُمْ إِلَىٰ مَا قَدْ

تَقَرَّرَتْ صِحَّتُهُ عِنْدَكُمْ بِالْأَعْلَامِ وَالْأَدِلَّةِ وَالْمِيثَاقِ الْمَأْخُوذِ عَلَيْكُمْ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [الحديد: ٩].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ اللهُ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ..

﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ مُفَصَّلَاتٍ..

﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ لِيُخْرِجَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفْرِ إِلَىٰ نُورِ الْإِيمَانِ، وَمِنَ الضَّلَالَةِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [الحديث: ٩] وَإِنَّ اللهَ بِإِنْزَالِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ لِهِدَايَتِكُمْ، وَتَبْصِيرِكُمُ الرَّشَادَ، لَذُو رَأْفَةٍ بِكُمْ وَرَحْمَةٍ، فَمِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِكُمْ فَعَلَ ذَٰلِكَ.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾ [الحديد: ١٠].

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لَا تُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِلَىٰ اللهِ صَائِرٌ أَمْوَالُكُمْ إِنْ لَمْ تُنْفِقُوهَا فِي حَيَاتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لِأَنَّ لَهُ مِيرَاثَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّمَا حَثَّهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ عَلَىٰ حَظِّهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، لِيَكُونَ ذَلِكُمْ لَكُمْ ذُخْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمُوتُوا، فَلَا تَقْدِرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَتَصِيرُ الْأَمْوَالُ مِيرَاثًا لِمَنْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ..

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ قَبْلِ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَاتَلَ الْمُشْرِكِينَ، بِمَنْ أَنْفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَاتَلَ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ قَبْلِ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ أَعْظَمُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ اللهِ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَقَاتَلُوا..

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وَكُلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا، وَالَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا، وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ بِإِنْفَاقِهِمْ فِي سَبِيلِهِ، وَقِتَالِهِمْ أَعْدَاءَهُ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَ..

﴿خَبِيرٌ ۝١٠﴾ [الحديد: ١٠] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾ [الحديد: ١١].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ مَنْ هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللهِ فِي الدُّنْيَا مُحْتَسِبًا فِي نَفَقَتِهِ مُبْتَغِيًا مَا عِنْدَ اللهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَرْضُ الْحَسَنُ..

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ فَيُضَاعِفُ لَهُ رَبُّهُ قَرْضَهُ ذَلِكَ الَّذِي أَقْرَضَهُ، بِإِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِهِ، فَيَجْعَلُ لَهُ بِالْوَاحِدَةِ سَبْعَ مِئَةٍ..

﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾ [الحديد: ١١] وَلَهُ ثَوَابٌ وَجَزَاءٌ كَرِيمٌ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ: الْجَنَّةَ.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢﴾ [الحديد: ١٢].

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ يَوْمَ تَرَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ ثَوَابُ إِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ..

﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ وَفِي أَيْمَانِهِمْ كُتُبُ أَعْمَالِهِمْ تَتَطَايَرُ..

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ بِشَارَتُكُمُ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّتِي تُبَشَّرُونَ بِهَا..

﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فَأَبْشِرُوا بِهَا..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِي الْجَنَّاتِ، لَا يَنْتَقِلُونَ عَنْهَا وَلَا يَتَحَوَّلُونَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ خُلُودُهُمْ فِي الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا..

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢﴾ [الحديد: ١٢] الَّذِي كَانُوا يَطْلُبُونَهُ بَعْدَ النَّجَاةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣﴾ [الحديد: ١٣].

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا﴾ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فِي يَوْمِ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ انْتَظِرُونَا..

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نَسْتَصْبِحْ مِنْ نُورِكُمْ، وَالْقَبَسُ: الشُّعْلَةُ..

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا﴾ فَيُجَابُونَ بِأَنْ يُقَالَ لَهُمْ: ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ، وَاطْلُبُوا

لِأَنْفُسِكُمْ هُنَالِكَ نُورًا، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَىٰ الِاقْتِبَاسِ مِنْ نُورِنَا..

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ فَضَرَبَ اللهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِسُورٍ، وَهُوَ حَاجِزٌ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ..

﴿لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ لِذَلِكَ السُّورِ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ..

﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣] وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ الظَّاهِرِ الْعَذَابُ، يَعْنِي: النَّارَ.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٤].

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ يُنَادِي الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ حُجِزَ بَيْنَهُمْ بِالسُّورِ، فَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَصَارَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ..

﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا نُصَلِّي وَنَصُومُ، وَنُنَاكِحُكُمْ وَنُوَارِثُكُمْ؟..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿بَلَىٰ﴾ بَلْ كُنْتُمْ كَذَلِكَ..

﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فَنَافَقْتُمْ.. وَفِتْنَتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَانَتِ النِّفَاقُ..

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ وَتَلَبَّثْتُمْ بِالْإِيمَانِ، وَدَافَعْتُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ وَشَكَكْتُمْ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، وَفِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ وَخَدَعَتْكُمْ أَمَانِيُّ نُفُوسِكُمْ، فَصَدَّتْكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَأَضَلَّتْكُمْ..

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ حَتَّىٰ جَاءَ قَضَاءُ اللهِ بِمَنَايَاكُمْ، فَاجْتَاحَتْكُمْ..

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٤] وَخَدَعَكُمْ بِاللهِ الشَّيْطَانُ، فَأَطْمَعَكُمْ بِالنَّجَاةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٥].

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَهْلِ النِّفَاقِ، بَعْدَ أَنْ مُيِّزَ بَيْنَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ..

﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ عِوَضًا وَبَدَلًا مِنْ عِقَابِكُمْ وَعَذَابِكُمْ، فَيُخَلِّصُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَلَا تُؤْخَذُ الْفِدْيَةُ أَيْضًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ مَثْوَاكُمْ وَمَسْكَنُكُمُ الَّذِي تَسْكُنُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّارُ..

﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ النَّارُ أَوْلَىٰ بِكُمْ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الحديد: ١٥] مَنْ صَارَ إِلَىٰ النَّارِ.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ [الحديد: ١٦].

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أَلَمْ يَحِنْ لِلَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أَنْ تَلِينَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ، فَتَخْضَعَ قُلُوبُهُمْ لَهُ، وَلِمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ أَلَمْ يَأْنِ لَهُمْ أَنْ (لا يَكُونُوا)، يَعْنِي: الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ يَعْنِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَعْنِي بِالْكِتَابِ الَّذِي أُوتُوهُ مِنْ قَبْلِهِمْ: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ..

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُوسَىٰ ﷺ، وَذَلِكَ الْأَمَدُ الزَّمَانُ..

﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عَنِ الْخَيْرَاتِ، وَاشْتَدَّتْ عَلَىٰ السُّكُونِ إِلَىٰ مَعَاصِي اللهِ..

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ [الحديد: ١٦] وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاسِقُونَ.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ [الحديد: ١٧].

﴿ٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ الْمَيْتَةَ الَّتِي لَا تُنْبِتُ شَيْئًا..

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بَعْدَ دُثُورِهَا وَدُرُوسِهَا، يَقُولُ: وَكَمَا نُحْيِي هَذِهِ الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بَعْدَ دُرُوسِهَا، كَذَلِكَ نَهْدِي الْإِنْسَانَ الضَّالَّ عَنِ الْحَقِّ إِلَىٰ الْحَقِّ، فَنُوَفِّقُهُ وَنُسَدِّدُهُ لِلْإِيمَانِ حَتَّىٰ يَصِيرَ مُؤْمِنًا مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ، وَمُهْتَدِيًا مِنْ بَعْدِ ضَلَالَةٍ..

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ [الحديد: ١٧] قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْأَدِلَّةَ وَالْحُجَجَ لِتَعْقِلُوا.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١٨﴾ [الحديد: ١٨].

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ..

﴿وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، وَفِيمَا أَمَرَ بِالنَّفَقَةِ فِيهِ، أَوْ فِيمَا نَدَبَ إِلَيْهِ..

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ﴾ يُضَاعِفُ اللهُ لَهُمْ قُرُوضَهُمُ الَّتِي أَقْرَضُوهَا إِيَّاهُ، فَيُوَفِّيهِمْ ثَوَابَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨﴾ [الحديد: ١٨] وَلَهُمْ ثَوَابٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، وَقُرُوضِهِمْ إِيَّاهُ كَرِيمٌ، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ [الحديد: ١٩].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ وَالَّذِينَ أَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَإِرْسَالِهِ رُسُلَهُ، فَصَدَّقُوا الرُّسُلَ وَآمَنُوا بِمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ..

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ وَالشُّهَدَاءُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ هَلَكُوا فِي سَبِيلِهِ، عِنْدَ رَبِّهِمْ..

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ لَهُمْ ثَوَابُ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَنُورُهُمْ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ..

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ [الحديد: ١٩]وَكَذَّبُوا بِأَدِلَّتِهِ وَحُجَجِهِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ اعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْمُعَجَّلَةَ لَكُمْ..

﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ مَا هِيَ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ تَتَفَكَّهُونَ بِهِ..

﴿وَزِينَةٞ﴾ تَتَزَيَّنُونَ بِهَا..

﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ﴾ يَفْخَرُ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بِمَا أَوْلَىٰ فِيهَا مِنْ رِيَاشِهَا..

﴿وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ وَيُبَاهِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ..

﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ثُمَّ يَيْبَسُ ذَلِكَ النَّبَاتِ..

﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَخْضَرَ نَضِرًا..

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ النَّبَاتُ حُطَامًا، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ يَكُونُ نَبْتًا يَابِسًا مُتَهَشِّمًا..

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ لِلْكُفَّارِ..

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝﴾ [الحديد: ٢٠] وَمَا زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْمُعَجَّلَةُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [الحديد: ٢١].

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِلَىٰ﴾ عَمَلٍ يُوجِبُ لَكُمْ..

﴿مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ﴾ هَذِهِ الْجَنَّةُ..

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ وَحَّدُوا اللهَ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وَاللهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [الحديد: ٢١] عَلَيْهِمْ، بِمَا بَسَطَ لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا، وَوَهَبَ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَعَرَّفَهُمْ مَوْضِعَ الشُّكْرِ، ثُمَّ جَزَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ مَا وَصَفَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لَهُمْ.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾ [الحديد: ٢٢].

﴿مَآ أَصَابَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِجُدُوبِهَا وَقُحُوطِهَا وَذَهَابِ زَرْعِهَا وَفَسَادِهَا..

﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بِالْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ..

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ إِلَّا فِي أُمِّ الْكِتَابِ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَ الْأَنْفُسَ، يَعْنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَهَا، يُقَالُ: قَدْ بَرَأَ اللهُ هَذَا الشَّيْءَ، بِمَعْنَىٰ: خَلَقَهُ فَهُوَ بَارِئُهُ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾ [الحديد: ٢٢] إِنَّ خَلْقَ النُّفُوسِ، وَإِحْصَاءَ مَا هِيَ لَاقِيَةٌ مِنَ الْمَصَائِبِ عَلَىٰ اللهِ سَهْلٌ يَسِيرٌ.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٣].

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾ مَا أَصَابَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي أَمْوَالِكُمْ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ، إِلَّا فِي كِتَابٍ قَدْ كُتِبَ ذَلِكَ فِيهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ نُفُوسَكُمْ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا..

﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مِنَ الدُّنْيَا، فَلَمْ تُدْرِكُوهُ مِنْهَا..

﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ مِنْهَا..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٣] وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا، فَخُورٍ بِهِ عَلَىٰ النَّاسِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ٢٤﴾ [الحديد: ٢٤].

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، الْبَاخِلِينَ بِمَا أُوتُوا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ اخْتِيَالِهِمْ بِهِ وَفَخْرِهِمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَهُمْ يَبْخَلُونَ بِإِخْرَاجِ حَقِّ اللهِ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَيَشُحُّونَ بِهِ، وَهُمْ مَعَ بُخْلِهِمْ بِهِ أَيْضًا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ..

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ وَمَنْ يُدْبِرُ مُعْرِضًا عَنْ عِظَةِ اللهِ تَارِكًا الْعَمَلَ بِمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، فَرَحًا بِمَا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا مُخْتَالًا بِهِ فَخُورًا بَخِيلًا..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عَنْ مَالِهِ وَنَفَقَتِهِ، وَعَنْ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْحَمِيدُ ٢٤﴾ [الحديد: ٢٤] إِلَىٰ خَلْقِهِ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْمُفَصَّلَاتِ مِنَ الْبَيَانِ وَالدَّلَائِلِ..

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ..

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ بِالْعَدْلِ..

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ لِيَعْمَلَ النَّاسُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ..

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ وَأَنْزَلْنَا لَهُمُ الْحَدِيدَ..

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فِيهِ قُوَّةٌ شَدِيدَةٌ..

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ وَذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ مِنْهُ عِنْدَ لَقَائِهِمُ الْعَدُوَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِهِ..

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَىٰ خَلْقِنَا وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ هَذِهِ الأَشْيَاءَ لِيَعْدِلُوا بَيْنَهُمْ، وَلِيَعْلَمَ حِزْبُ اللهِ مَنْ يَنْصُرُ دِينَ اللهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ مِنْهُ عَنْهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ عَلَىٰ الانْتِصَارِ مِمَّنْ بَارَزَهُ بِالْمُعَادَاةِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿عَزِيزٌ ۝٢٥﴾ [الحديد: ٢٥] فِي انْتِقَامِهِ مِنْهُمْ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَىٰ الانْتِصَارِ مِنْهُ مِمَّا أَحَلَّ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٢٦﴾ [الحديد: ٢٦].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿نُوحًا﴾ إِلَىٰ خَلْقِنَا..

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلَهُ إِلَيْهِمْ رُسُلًا..

﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ وَكَذَلِكَ كَانَتِ النُّبُوَّةُ فِي ذُرِّيَّتِهِمَا، وَعَلَيْهِمْ أُنْزِلَتِ الْكُتُبُ: التَّوْرَاةُ، وَالإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَالْفُرْقَانُ، وَسَائِرُ الْكُتُبِ الْمَعْرُوفَةِ..

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ فَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُهْتَدٍ إِلَىٰ الْحَقِّ مُسْتَبْصِرٌ..

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ يَعْنِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا..

﴿فَٰسِقُونَ ۝٢٦﴾ [الحديد: ٢٦] ضُلَّالٌ، خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٢٧﴾ [الحديد: ٢٧].

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ ثُمَّ أَتْبَعْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ عَلَىٰ آثَارِ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ بِرُسُلِنَا، وَأَتْبَعْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ..

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوا عِيسَىٰ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَشَرِيعَتِهِ..

﴿رَأْفَةً﴾ وَهُوَ أَشَدُّ الرَّحْمَةِ..

﴿وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ أَحْدَثُوهَا..

﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ مَا افْتَرَضْنَا تِلْكَ الرَّهْبَانِيَّةَ عَلَيْهِمْ..

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ لَكِنَّهُمُ ابْتَدَعُوهَا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ..

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا، لَمْ يَقُومُوا بِهَا، وَلَكِنَّهُمْ بَدَّلُوا وَخَالَفُوا دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ عِيسَىٰ، فَتَنَصَّرُوا وَتَهَوَّدُوا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمْ قَوْمٌ جَاءُوا مِنْ بَعْدِ الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا فَلَمْ يَرْعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: نَفْعَلُ كَالَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ أَوَّلِيًّا، فَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْعَوُا الرَّهْبَانِيَّةَ حَقَّ رِعَايَتِهَا بَعْضُ الطَّوَائِفِ الَّتِي ابْتَدَعَتْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ آتَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ؛ قَالَ: فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ رَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقَّ الْأَجْرِ الَّذِي قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ إِلَّا أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَرْعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا مُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا، وَمُمْكِنٌ أَنْ يَكُونُوا كَانُوا بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ إِذَا لَمْ يَكُونُوا رَعَوْهَا، فَجَائِزٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يُقَالَ: لَمْ يَرْعَهَا الْقَوْمُ، عَلَىٰ الْعُمُومِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُمُ الْبَعْضُ الْحَاضِرُ، وَقَدْ مَضَىٰ نَظِيرُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ..

﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فَأَعْطَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا الرَّهْبَانِيَّةَ ثَوَابَهُمْ عَلَىٰ ابْتِغَائِهِمْ رِضْوَانَ اللهِ، وَإِيمَانِهِمْ بِهِ وَبِرَسُولِهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٢٧﴾ [الحديد: ٢٧] وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَهْلُ مَعَاصٍ، وَخُرُوجٍ عَنْ طَاعَتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خَافُوا اللهَ بِأَدَاءِ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يُعْطِكُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ لِإِيمَانِكُمْ بِعِيسَىٰ ﷺ، وَالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ إِيمَانِكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ بُعِثَ نَبِيًّا.. وَأَصْلُ الْكِفْلِ: الْحَظُّ، وَأَصْلُهُ: مَا يَكْتَفِلُ بِهِ الرَّاكِبُ، فَيَحْبِسُهُ وَيَحْفَظُهُ عَنِ السُّقُوطِ؛ يَقُولُ: يُحَصِّنُكُمْ هَذَا الْكِفْلُ مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا يُحْصِنُ الْكِفْلُ الرَّاكِبَ مِنَ السُّقُوطِ..

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وَعَدَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ نُورًا يَمْشُونَ بِهِ، وَالْقُرْآنُ مَعَ

اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُورٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِمَا وَصَدَّقَهُمَا وَهُدًى، لِأَنَّ مَنْ آمَنَ بِذَلِكَ، فَقَدِ اهْتَدَىٰ..

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وَيَصْفَحْ لَكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ فَيَسْتُرْهَا عَلَيْكُمْ..

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨] وَاللهُ ذُو مَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: ٢٩].

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يَفْعَلُ بِكُمْ رَبُّكُمْ هَذَا لِكَيْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ..

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَخَصَّكُمْ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ اللهَ قَدْ فَضَّلَهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَأَعْلَمَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ قَدْ آتَىٰ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْفَضْلِ وَالْكَرَامَةِ، مَا لَمْ يُؤْتِهِمْ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ حَسَدُوا الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨]، فَقَالَ اللهُ ﷻ: فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ..

﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ دُونَهُمْ، وَدُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ يُعْطِي فَضْلَهُ ذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَحَدٍ سِوَاهُ..

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: ٢٩] وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، الْعَظِيمُ فَضْلُهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَدِيدِ



سُورَةُ المُجَادَلَةِ (٥٨)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ①﴾ [المجادلة: ١].

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ وَالَّتِي كَانَتْ تُجَادِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي زَوْجِهَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَزَوْجُهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ، قَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي.. قَالَتِ عَائِشَةُ: (**الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ تَشْكُو زَوْجَهَا مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾.. إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ**).

﴿وَتَشْتَكِي﴾ الْمُجَادِلَةُ مَا لَدَيْهَا مِنَ الْهَمِّ بِظِهَارِ زَوْجِهَا مِنْهَا..

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وَتَسْأَلُهُ الْفَرَجَ..

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ يَعْنِي: تَحَاوُرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُجَادِلَةِ خَوْلَةَ ابْنَةِ ثَعْلَبَةَ..

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يَتَجَاوَبَانِهِ وَيَتَحَاوَرَانِهِ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ..

﴿بَصِيرٌ ①﴾ [المجادلة: ١] بِمَا يَعْلَمُونَ، وَيَعْمَلُ جَمِيعُ عِبَادِهِ.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ②﴾ [المجادلة: ٢].

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾ الَّذِينَ يُحَرِّمُونَ نِسَاءَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ تَحْرِيمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ظُهُورَ أُمَّهَاتِهِمْ، فَيَقُولُونَ لَهُنَّ: أَنْتُنَّ عَلَيْنَا كَظُهُورِ أُمَّهَاتِنَا، وَذَٰلِكَ كَانَ طَلَاقَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ..

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ مَا نِسَاؤُهُمُ اللَّائِي يُظَاهِرْنَ مِنْهُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ، فَيَقُولُوا لَهُنَّ: أَنْتُنَّ عَلَيْنَا كَظَهْرِ أُمَّهَاتِنَا، بَلْ هُنَّ لَهُمْ حَلَالٌ..

﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ لَا اللَّائِي قَالُوا لَهُنَّ ذَٰلِكَ..

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾ وَإِنَّ الرِّجَالَ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي لَا تُعْرَفُ صِحَّتُهُ..

﴿وَزُورًا﴾ يَعْنِي: كَذِبًا..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ إِنَّ اللهَ لَذُو عَفْوٍ وَصَفْحٍ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا مِنْهَا وَأَنَابُوا..

﴿غَفُورٌ ۝٢﴾ [المجادلة: ٢] لَهُمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ [المجادلة: ٣].

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ لِنِسَائِهِمْ: أَنْتُنَّ عَلَيْنَا كَظُهُورِ أُمَّهَاتِنَا..

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ ثُمَّ يَعُودُونَ لِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِمَّا أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمْ..

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ فَعَلَيْهِ عِتْقُ رَقَبَةِ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمَاسَّ الرَّجُلُ الْمُظَاهِرُ امْرَأَتَهُ الَّتِي ظَاهَرَ مِنْهَا أَوْ تَمَاسَّهُ..

﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أَوْجَبَ رَبُّكُمْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ عِظَةً لَكُمْ تَتَّعِظُونَ بِهِ، فَتَنْتَهُونَ عَنِ الظِّهَارِ وَقَوْلِ الزُّورِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ [المجادلة: ٣] وَاللهُ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْلَمُونَهَا أَيُّهَا النَّاسُ ذُو خِبْرَةٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، فَانْتَهُوا عَنْ قَوْلِ الْمُنْكَرِ وَالزُّورِ.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [المجادلة: ٤].

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ مِنْكُمْ مِمَّنْ ظَاهَرَ مِنِ امْرَأَتِهِ رَقَبَةً يُحَرِّرُهَا..

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ وَالشَّهْرَانِ الْمُتَتَابِعَانِ هُمَا اللَّذَانِ لَا فَصْلَ بَيْنَهُمَا بِإِفْطَارٍ فِي نَهَارِ شَيْءٍ مِنْهُمَا إِلَّا مِنْ عُذْرٍ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْإِفْطَارُ بِالْعُذْرِ فَزَالَ الْعُذْرُ بَنَىٰ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنَ الصَّوْمِ، وَيَسْتَقْبِلُ الْمُفْطِرُ بِغَيْرِ عُذْرٍ، لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَاضَتْ فِي صَوْمِهَا الشَّهْرَيْنِ الْمُتَتَابِعَيْنِ بِعُذْرٍ، فَمِثْلُهُ، لِأَنَّ إِفْطَارَ الْحَائِضِ بِسَبَبِ حَيْضِهَا بِعُذْرٍ كَانَ مِنْ قِبَلِ اللهِ، فَكُلُّ عُذْرٍ كَانَ مِنْ قِبَلِ اللهِ فَمِثْلُهُ..

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْهُمُ الصِّيَامَ فَعَلَيْهِ إِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا..

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ هَذَا الَّذِي فَرَضْتُ عَلَىٰ مَنْ ظَاهَرَ مِنْكُمْ مَا فَرَضْتُ فِي حَالِ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الرَّقَبَةِ، ثُمَّ خَفَّفْتُ عَنْهُ مَعَ الْعَجْزِ بِالصَّوْمِ، وَمَعَ فَقْدِ الِاسْتِطَاعَةِ عَلَىٰ الصَّوْمِ بِالْإِطْعَامِ، وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ كَيْ تُقِرَّ النَّاسُ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَرِسَالَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُصَدِّقُوا بِذَلِكَ،

وَيَعْمَلُوا بِهِ، وَيَنْتَهُوا عَنْ قَوْلِ الزُّورِ وَالْكَذِبِ..

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ وَهَذِهِ الْحُدُودُ الَّتِي حَدَّهَا اللهُ لَكُمْ، وَالْفُرُوضُ الَّتِي بَيَّنَهَا لَكُمْ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَتَعَدُّوهَا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِهَا وَهُمْ جَاحِدُو هَذِهِ الْحُدُودِ وَغَيْرِهَا مِنْ فَرَائِضِ اللهِ أَنْ تَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [المجادلة: ٤] عَذَابٌ مُؤْلِمٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ [المجادلة: ٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ اللهَ فِي حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، فَيَجْعَلُونَ حُدُودًا غَيْرَ حُدُودِهِ..

﴿كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ غِيظُوا وَأُخْزُوا كَمَا غِيظَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَادُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَخُزُوا..

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾ وَقَدْ أَنْزَلْنَا دَلَالَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ، وَعَلَامَاتٍ مُحْكَمَاتٍ تَدُلُّ عَلَىٰ حَقَائِقِ حُدُودِ اللهِ..

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ وَلِجَاحِدِي تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَمُنْكِرِيهَا..

﴿عَذَابٌ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مُّهِينٌ ۝٥﴾ [المجادلة: ٥] مُذِلٌّ فِي جَهَنَّمَ.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة: ٦].

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ فِي يَوْمِ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ اللهُ..

﴿بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ أَحْصَىٰ اللهُ مَا عَمِلُوا، فَعَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَثْبَتَهُ وَحَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ عَامِلُوهُ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ عَمِلُوهُ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِ..

﴿شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة: ٦] شَاهِدٌ يَعْلَمُهُ وَيُحِيطُ بِهِ، فَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑦﴾ [المجادلة: ٧].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَتَرَىٰ..

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ صَغِيرُ ذَلِكَ وَكَبِيرُهُ، فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَىٰ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ أَعْمَالُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ، وَعِصْيَانُهُمْ رَبَّهُمْ، ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قُرْبَهُ مِنْ عِبَادِهِ وَسَمَاعَهُ نَجْوَاهُمْ، وَمَا يَكْتُمُونَهُ النَّاسَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ، فَيَتَحَدَّثُونَهُ سِرًّا بَيْنَهُمْ، فَقَالَ..

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَسْرَارِهِمْ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ مُشَاهِدُهُمْ بِعِلْمِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ..

﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وَلَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ كَذَلِكَ..

﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةٍ..

﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ مِنْ خَمْسَةٍ..

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ إِذَا تَنَاجَوْا..

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَمَكَانٍ كَانُوا..

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ثُمَّ يُخْبِرُ هَؤُلَاءِ الْمُتَنَاجِينَ وَغَيْرَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ مِمَّا يُحِبُّهُ وَيَسْخَطُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑦﴾ [المجادلة: ٧] إِنَّ اللهَ بِنَجْوَاهُمْ وَأَسْرَارِهِمْ، وَسَرَائِرِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأُمُورِ عِبَادِهِ عَلِيمٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑧﴾ [المجادلة: ٨].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّد..

﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ مَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ النَّجْوَىٰ..

﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وَيَتَنَاجَوْنَ بِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْعُدْوَانِ، وَذَلِكَ خِلَافُ أَمْرِ اللهِ..

﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ﴾ وَإِذَا جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى، الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ..

﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ حَيَّوْكَ بِغَيْرِ التَّحِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَكَ تَحِيَّةً، وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يُحَيُّونَهُ بِهَا الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ لَمْ يُحَيِّهِ بِهَا فِيمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكَ..

﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ وَيَقُولُ مُحَيُّوكَ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ مِنَ الْيَهُودِ: هَلَّا يُعَاقِبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُعَجِّلُ عُقُوبَتَهُ لَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ..

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ حَسْبُ قَائِلِي ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ جَهَنَّمُ، وَكَفَاهُمْ بِهَا..

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾ [المجادلة: ٨] جَهَنَّمُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩﴾ [المجادلة: ٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ﴾ بَيْنَكُمْ..

﴿فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ﴾ وَلَكِنْ تَنَاجَوْا..

﴿بِٱلْبِرِّ﴾ يَعْنِي: طَاعَةَ اللهِ وَمَا يُقَرِّبُكُمْ مِنْهُ..

﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ وَبِاتِّقَائِهِ بِأَدَاءِ مَا كَلَّفَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ..

﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩﴾ [المجادلة: ٩] الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ، وَعِنْدَهُ مُجْتَمَعُكُمْ فِي تَضْيِيعِ فَرَائِضِهِ، وَالتَّقَدُّمِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ مَصِيرِكُمْ إِلَيْهِ.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [المجادلة: ١٠].

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ مُنَاجَاةَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا..

﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كَانَ ذَلِكَ يَغِيظُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَكْبُرُ عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ﴾ وَلَيْسَ التَّنَاجِي بِضَارٍّ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي: بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [المجادلة: ١٠] وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلْ فِي أُمُورِهِمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِهِ، وَلَا يَحْزَنُوا مِنْ تَنَاجِي الْمُنَافِقِينَ وَمَنْ يَكِيدُهُمْ بِذَلِكَ، وَأَنَّ تَنَاجِيَهُمْ غَيْرُ ضَارِّهِمْ إِذَا حَفِظَهُمْ رَبُّهُمْ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾ [المجادلة: ١١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾ تَوَسَّعُوا..

﴿فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ﴾ وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ، دُونَ مَجْلِسِ الْقِتَالِ، وَكِلَا الْمَوْضِعَيْنِ يُقَالُ لَهُ مَجْلِسٌ، فَذَلِكَ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمَجَالِسِ مِنْ مَجَالِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَجَالِسِ الْقِتَالِ..

﴿فَٱفْسَحُوا۟﴾ فَوَسِّعُوا..

﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يُوَسِّعُ اللهُ مَنَازِلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ وَإِذَا قِيلَ ارْتَفِعُوا، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ: وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ قُومُوا إِلَىٰ قِتَالِ عَدُوٍّ، أَوْ صَلَاةٍ، أَوْ عَمَلِ خَيْرٍ، أَوْ تَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُومُوا..

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ يَرْفَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ بِطَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ فَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ التَّفَسُّحِ فِي الْمَجْلِسِ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَفَسَّحُوا، أَوْ بِنُشُوزِهِمْ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ إِذَا قِيلَ لَهُمُ انْشُزُوا إِلَيْهَا..

﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ وَيَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤْتُوا الْعِلْمَ بِفَضْلِ عِلْمِهِمْ دَرَجَاتٍ، إِذَا عَمِلُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾ [المجادلة: ١١] وَاللهُ بِأَعْمَالِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ذُو خِبْرَةٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ الْمُطِيعُ مِنْكُمْ رَبَّهُ مِنَ الْعَاصِي، وَهُوَ مُجَازٍ جَمِيعَكُمْ بِعَمَلِهِ، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ، أَوْ يَعْفُو.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [المجادلة: ١٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ إِذَا نَاجَيْتُم رَسُولَ اللهِ..

﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ فَقَدِّمُوا أَمَامَ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً تَتَصَدَّقُونَ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْحَاجَةِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ وَتَقْدِيمُكُمُ الصَّدَقَةَ أَمَامَ نَجْوَاكُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ لِقُلُوبِكُمْ مِنَ الْمَآثِمِ..

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ أَمَامَ مُنَاجَاتِكُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ فَإِنَّ اللهَ ذُو عَفْوٍ عَنْ ذُنُوبِكُمْ إِذَا تُبْتُمْ مِنْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ١٢﴾ [المجادلة: ١٢] بِكُمْ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ التَّوْبَةِ، وَغَيْرُ مُؤَاخِذِكُمْ بِمُنَاجَاتِكُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ إِيَّاهُ صَدَقَةً.

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ [المجادلة: ١٣].

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ أَشَقَّ عَلَيْكُمْ وَخَشِيتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِـ..

﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿صَدَقَٰتٖۚ﴾ الْفَاقَةَ.. وَأَصْلُ الْإِشْفَاقِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ، وَمَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَخَشِيتُمْ بِتَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ الْفَاقَةَ وَالْفَقْرَ..

﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ فَإِذْ لَمْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ..

﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ وَرَزَقَكُمُ اللهُ التَّوْبَةَ مِنْ تَرْكِكُمْ ذَلِكَ..

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فَأَدُّوا فَرَائِضَ اللهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يَضَعْهَا عَنْكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ..

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ [المجادلة: ١٣] وَاللهُ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِأَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ لِيُجَازِيَكُمْ بِهَا.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ [المجادلة: ١٤].

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِ قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَرَىٰ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ تَوَلَّوُا الْيَهُودَ وَنَاصَحُوهُمْ..

﴿مَّا هُم﴾ مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ..

﴿مِّنكُمۡ﴾ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ..

﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ وَلَا هُمْ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِأَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ إِذَا لَقُوا الْيَهُودَ، قَالُوا ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾، ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾..

﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ [المجادلة: ١٤] وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، وَهُمْ كَاذِبُونَ، غَيْرُ مُصَدِّقِينَ بِهِ، وَلَا مُؤْمِنِينَ بِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون: ١]، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْهُمْ عَاتَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَمْرٍ بَلَغَهُ عَنْهُ، فَحَلَفَ كَذِبًا، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ، أَوْ بِعَيْنَيِّ شَيْطَانٍ**» قَالَ: فَدَخَلَ رَجُلٌ أَزْرَقُ، فَقَالَ لَهُ: «**عَلَامَ تَسُبُّنِي أَوْ تَشْتُمُنِي؟**» قَالَ: فَجَعَلَ يَحْلِفُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمُجَادَلَةِ: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ [المجادلة: ١٤] وَالْآيَةُ الْأُخْرَىٰ.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [المجادلة: ١٥].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ أَعَدَّ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَوَلَّوُا الْيَهُودَ..

﴿عَذَابًا شَدِيدًاۖ﴾ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ شَدِيدًا..

﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [المجادلة: ١٥] فِي الدُّنْيَا بِغِشِّهِمُ الْمُسْلِمِينَ. وَنُصْحِهِمْ لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٦﴾ [المجادلة: ١٦].

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ جَعَلُوا حَلِفَهُمْ وَأَيْمَانَهُمْ جُنَّةً يَسْتَجِنُّونَ بِهَا مِنَ الْقَتْلِ وَيَدْفَعُونَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا اطُّلِعَ مِنْهُمْ عَلَىٰ النِّفَاقِ، حَلَفُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْهُمْ..

﴿فَصَدُّواْ﴾ بِأَيْمَانِهِمُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا جُنَّةَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِيهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرَةٌ، وَحُكْمُ اللهِ وَسَبِيلُهُ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْقَتْلُ، أَوْ أَخْذُ الْجِزْيَةِ، وَفِي عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الْقَتْلُ، فَالْمُنَافِقُونَ يَصُدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ

سَبِيلِ اللهِ فِيهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ، فَيَحُولُونَ بِذَلِكَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَتْلِهِمْ، وَيَمْتَنِعُونَ بِهِ مِمَّا يَمْتَنِعُ مِنْهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ [المجادلة: ١٦] فَلَهُمْ عَذَابٌ مُذِلٌّ لَهُمْ فِي النَّارِ.

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المجادلة: ١٧].

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿أَمْوَالُهُمْ﴾ فَيَفْتَدُوا بِهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ الْمُهِينِ لَهُمْ..

﴿وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فَيَنْصُرُونَهُمْ وَيَسْتَنْقِذُونَهُمْ مِنَ اللهِ إِذَا عَاقَبَهُمْ..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ..

﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يَعْنِي: أَهْلَهَا الَّذِينَ..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المجادلة: ١٧] هُمْ فِي النَّارِ مَاكِثُونَ إِلَىٰ غَيْرِ النِّهَايَةِ.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨].

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً كَهَيْئَاتِهِمْ قَبْلَ مَمَاتِهِمْ..

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ كَاذِبِينَ مُبْطِلِينَ فِيهَا..

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ﴾ وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ فِي أَيْمَانِهِمْ وَحَلِفِهِمْ بِاللهِ كَاذِبِينَ..

﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْحَقِّ..

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨] فِيمَا يَحْلِفُونَ عَلَيْهِ.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ..

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ يَعْنِي: جُنْدَهُ وَأَتْبَاعَهُ..

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩] أَلَا إِنَّ جُنْدَ الشَّيْطَانِ وَأَتْبَاعَهُ هُمُ الْهَالِكُونَ الْمَغْبُونُونَ فِي صَفْقَتِهِمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ [المجادلة: ٢٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي حُدُودِهِ، وَفِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَرَائِضِهِ فَيُعَادُونَهُ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي أَهْلِ الذِّلَّةِ؛ لِأَنَّ الْغَلَبَةَ لِلهِ وَرَسُولِهِ.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة:٢١].

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ قَضَىٰ اللهُ وَخَطَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ..

﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ مَنْ حَادَّنِي وَشَاقَّنِي..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذُو قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ حَادَّهُ، وَرَسُولَهُ أَنْ يُهْلِكَهُ..

﴿عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة: ٢١] ذُو عِزَّةٍ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْتَصِرَ مِنْهُ إِذَا هُوَ أَهْلَكَ وَلِيَّهُ، أَوْ عَاقَبَهُ، أَوْ أَصَابَهُ فِي نَفْسِهِ بِسُوءٍ.

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ لَا تَجِدُ يَا مُحَمَّدُ قَوْمًا يُصَدِّقُونَ اللهَ، وَيُقِرُّونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَشَاقَّهُمَا وَخَالَفَ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ..

﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ﴾ وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ حَادُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلِذَلِكَ تَوَلَّوُا الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمْ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ..

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ كَتَبَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ: قَضَىٰ لِقُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ..

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ وَقَوَّاهُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْهُ وَنُورٍ وَهُدًى..

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وَيُدْخِلُهُمْ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِإِدْخَالِهِ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ جُنْدُ اللهِ وَأَوْلِيَاؤُهُ..

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ أَلَا إِنَّ جُنْدَ اللهِ وَأَوْلِيَاءَهُ..

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢] هُمُ الْبَاقُونَ، الْمُنْجِحُونَ بِإِدْرَاكِهِمْ مَا طَلَبُوا، وَالْتَمَسُوا بِبَيْعَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَطَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ



سُورَةُ الحَشْرِ (٥٩)
مَدنِيَّةٌ وَآيَاتُها أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ [الحشر: ١].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ صَلَّىٰ لِلهِ وَسَجَدَ لَهُ..

﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ خَلْقِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿الْحَكِيمُ ①﴾ [الحشر: ١] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ②﴾ [الحشر: ٢].

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اللهُ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وَهُمْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ..

﴿مِن دِيَارِهِمْ﴾ وَذَلِكَ خُرُوجُهُمْ عَنْ مَنَازِلِهِمْ وَدُورِهِمْ، حِينَ صَالَحُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يُؤَمِّنَهُمْ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَعَلَىٰ أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَخْلُو لَهُ دُورَهُمْ، وَسَائِرَ أَمْوَالِهِمْ، فَأَجَابَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ إِلَىٰ الشَّامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ إِلَىٰ خَيْبَرَ..

﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ لأَوَّلِ الْجَمْعِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ حَشْرُهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الشَّامِ..

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ اللهُ مِنْ دِيَارِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ..

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ وَإِنَّمَا ظَنَّ الْقَوْمُ فِيمَا ذُكِرَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعَثُوا إِلَيْهِمْ لَمَّا حَصَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُونَهُمْ بِالثَّبَاتِ فِي حُصُونِهِمْ، وَيَعِدُونَهُمُ النَّصْرَ..

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ فَأَتَاهُمْ أَمْرُ اللهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا أَنَّهُ يَاتِيهِمْ، وَذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي أَتَاهُمْ مِنَ اللهِ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا..

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ﴾ بِنُزُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهِمْ فِي أَصْحَابِهِ..

﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾ بَنِي النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ، وَأَنَّهُمْ يُخْرِبُونَ مَسَاكِنَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْخَشَبَةِ فِي مَنَازِلِهِمْ مِمَّا يَسْتَحْسِنُونَهُ، أَوِ الْعَمُودِ أَوِ الْبَابِ، فَيَنْزِعُونَ ذَلِكَ مِنْهَا..

﴿بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾ [الحشر: ٢] فَاتَّعِظُوا يَا مَعْشَرَ ذَوِي الْأَفْهَامِ بِمَا أَحَلَّ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَهُمْ فِي حُصُونِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ وَلِيُّ مَنْ وَالَاهُ، وَنَاصِرُ رَسُولِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ نَاوَأَهُ، وَمُحِلٌّ مِنْ نِقْمَتِهِ بِهِ نَظِيرَ الَّذِي أَحَلَّ بِبَنِي النَّضِيرِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْأَبْصَارِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَبْصَارَ الْقُلُوبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الِاعْتِبَارَ بِهَا يَكُونُ دُونَ الْإِبْصَارِ بِالْعُيُونِ.

﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣﴾
[الحشر: ٣].

﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ قَضَىٰ وَكَتَبَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ الْجَلَاءَ، وَهُوَ الِانْتِقَالُ مِنْ أَرْضِهِمْ وَدِيَارِهِمْ، وَمِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، وَبَلْدَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ..

﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَلَكِنَّهُ رَفَعَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ، وَجَعَلَ عَذَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْجَلَاءَ..

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣﴾ [الحشر: ٣] مَعَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا بِالْجِلَاءِ عَنْ أَرْضِهِمْ وَدُورِهِمْ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤﴾ [الحشر: ٤].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ مَا فَعَلَ بِهِمْ مِنْ إِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَقَذْفِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ..

﴿بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ﴾ بِمَا فَعَلُوا هُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُخَالَفَتِهِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعِصْيَانِهِمْ رَبَّهُمْ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤﴾ [الحشر: ٤] وَمَنْ يُخَالِفِ اللهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر: ٥].

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ أَلْوَانِ النَّخْلِ، أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا..

﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فَبِأَمْرِ اللهِ قَطَعْتُمْ مَا قَطَعْتُمْ، وَتَرَكْتُمْ مَا تَرَكْتُمْ، وَلِيَغِيظَ بِذَلِكَ أَعْدَاءَهُ، وَلَمْ يَكُنْ فَسَادًا..

﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر: ٥] وَلِيُذِلَّ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، الْمُخَالِفِينَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَهُمْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر: ٦].

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ وَالَّذِي رَدَّهُ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ، يَعْنِي مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ..

﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فَمَا أَوْضَعْتُمْ فِيهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا فِي إِبِلٍ وَهِيَ الرِّكَابُ، وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِي أَفَاءَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَلْقَوْا فِي ذَلِكَ حَرْبًا، وَلَا كُلِّفُوا فِيهِ مَئُونَةً، وَإِنَّمَا كَانَ الْقَوْمُ مَعَهُمْ، وَفِي بَلَدِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ إِيجَافُ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ..

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ أَعْلَمَكَ أَنَّهُ كَمَا سَلَّطَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ بَنِي النَّضِيرِ، يُخْبِرُ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ مَنْ لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ بِالْخَيْلِ وَالرِّكَابِ مِنَ الْأَعْدَاءِ مِمَّا صَالَحُوهُ عَلَيْهِ لَهُ خَاصَّةً يَعْمَلُ فِيهِ بِمَا يَرَىٰ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ بِالصُّلْحِ لَا عُنْوَةً، فَتَقَعُ فِيهَا الْقِسْمَةُ..

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر: ٦] وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ أَرَادَهُ ذُو قُدْرَةٍ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَبِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ سَلَّطَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ مَا سُلِّطَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ، فَحَازَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ الَّذِي رَدَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ مُشْرِكِي الْقُرَىٰ..

﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وَلِذِي قَرَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ..

﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ وَهُمْ أَهْلُ الْحَاجَةِ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا مَالَ لَهُمْ..

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ وَهُمُ الْجَامِعُونَ فَاقَةً وَذُلَّ الْمَسْأَلَةِ..

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وَهُمُ الْمُنْقَطِعُ بِهِمْ مِنَ الْمُسَافِرِينَ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ وَجَعَلْنَا مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ لِهَذِهِ الْأَصْنَافِ، كَيْلَا يَكُونَ ذَلِكَ الْفَيْءُ دُولَةً يَتَدَاوَلُهُ الْأَغْنِيَاءُ مِنْكُمْ بَيْنَهُمْ، يَصْرِفُهُ هَذَا مَرَّةً فِي حَاجَاتِ نَفْسِهِ، وَهَذَا مَرَّةً فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ وَسُبُلِ الْخَيْرِ، فَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ حَيْثُ شَاءُوا، وَلَكِنَّنَا سَنَنَّا فِيهِ سُنَّةً لَا تُغَيَّرُ وَلَا تُبَدَّلُ..

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ وَمَا أَعْطَاكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَخُذُوهُ..

﴿وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الْغُلُولِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ فَانْتَهُوا..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ، وَاحْذَرُوا عِقَابَهُ فِي خِلَافِكُمْ عَلَىٰ رَسُولِهِ بِالتَّقَدُّمِ عَلَىٰ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۞﴾ [الحشر: ٧] إِنَّ اللهَ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ عَاقَبَهُ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ لِرَسُولِهِ ﷺ.

﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞﴾ [الحشر: ٨].

﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ كَيْلَا يَكُونَ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ يَكُونُ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ وَيَنْصُرُونَ دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ..

﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞﴾ [الحشر: ٨] فِيمَا يَقُولُونَ.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۞﴾ [الحشر: ٩].

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ اتَّخَذُوا مَدِينَةَ الرَّسُولِ ﷺ فَابْتَنُوهَا مَنَازِلَ..

﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ..

﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ يُحِبُّونَ مَنْ تَرَكَ مَنْزِلَهُ، وَانْتَقَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَعُنِيَ بِذَلِكَ الْأَنْصَارُ يُحِبُّونَ الْمُهَاجِرِينَ..

﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾ وَلَا يَجِدُ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَهُمُ الْأَنْصَارُ..

﴿فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ﴾ يَعْنِي: حَسَدًا..

﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ مِمَّا أُوتِيَ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْفَيْءِ، وَذَلِكَ لِمَا ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي النَّضِيرِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَعْطَاهُمَا لِفَقْرِهِمَا، وَإِنَّمَا فِعْلُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً..

﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وَيُعْطُونَ الْمُهَاجِرِينَ أَمْوَالَهُمْ إِيثَارًا لَهُمْ بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ..

﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ إِلَىٰ مَا آثَرُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ..

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ مَنْ وَقَاهُ اللهُ شُحَّ نَفْسِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٩] الْمُخَلَّدُونَ فِي الْجَنَّةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ..

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَعُنِيَ بِالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمُ الْمُهَاجِرُونَ أَنَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**إِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِسَبِّهِمْ**)..

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لَا تُورِثْ قُلُوبَنَا غِلًّا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ..

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] إِنَّكَ ذُو رَأْفَةٍ بِخَلْقِكَ، وَذُو رَحْمَةٍ بِمَنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ مِنْ ذُنُوبِهِ.

﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾ [الحشر: ١١].

﴿۞أَلَمۡ تَرَ﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِ قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَرَىٰ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، وَوَدِيعَةُ وَمَالِكٌ ابْنَا نَوْفَلٍ، وَسُوَيْدٌ، وَدَاعِسٌ، بَعَثُوا إِلَىٰ بَنِي النَّضِيرِ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَرْبِ أَنِ اثْبُتُوا وَتَمَنَّعُوا، فَإِنَّا لَنْ نُسْلِمَكُمْ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ خَرَجْتُمْ، خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا لِذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُجْلِيَهُمْ، وَيَكُفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا الْحَلْقَةَ..

﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يَعْنِي: بَنِي النَّضِيرِ..

﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ مِنْ دِيَارِكُمْ وَمَنَازِلِكُمْ، وَأُجْلِيتُمْ عَنْهَا..

﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ فَنُجْلَىٰ عَنْ مَنَازِلِنَا وَدِيَارِنَا مَعَكُمْ..

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ وَلَا نُطِيعُ أَحَدًا سَأَلَنَا خِذْلَانَكُمْ، وَتَرْكَ نُصْرَتِكُمْ، وَلَكِنَّا نَكُونُ مَعَكُمْ..

﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ وَإِنْ قَاتَلَكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ..

﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ لَنَنْصُرَنَّكُمْ مَعْشَرَ النَّضِيرِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ﴾ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَعَدُوا بَنِي النَّضِيرِ النُّصْرَةَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿لَكَٰذِبُونَ ⑪﴾ [الحشر: ١١] فِي وَعْدِهِمْ إِيَّاهُمْ مَا وَعَدُوهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

> ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ⑫﴾ [الحشر: ١٢].

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟﴾ لَئِنْ أُخْرِجَ بَنُو النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ، فَأُجْلُوا عَنْهَا..

﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ لَا يَخْرُجُ مَعَهُمُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَعَدُوهُمُ الْخُرُوجَ مِنْ دِيَارِهِمْ..

﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟﴾ وَلَئِنْ قَاتَلَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ لَا يَنْصُرُهُمُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَعَدُوهُمُ النَّصْرَ..

﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ وَلَئِنْ نَصَرَ الْمُنَافِقُونَ بَنِي النَّضِيرِ..

﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ مُنْهَزِمِينَ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ هَارِبِينَ مِنْهُمْ، قَدْ خَذَلُوهُمْ..

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ⑫﴾ [الحشر: ١٢] ثُمَّ لَا يَنْصُرُ اللهُ بَنِي النَّضِيرِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بَلْ يَخْذُلُهُمْ.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ١٣﴾ [الحشر: ١٣].

﴿لَأَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم﴾ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ هُمْ يَرْهَبُونَهُمْ أَشَدَّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنَ اللهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ الرَّهْبَةُ الَّتِي لَكُمْ فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّتِي هِيَ أَشَدُّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنَ اللهِ..

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ١٣﴾ [الحشر: ١٣] مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ، قَدْرَ عَظَمَةِ اللهِ، فَهُمْ لِذَلِكَ يَسْتَخِفُّونَ بِمَعَاصِيهِ، وَلَا يَرْهَبُونَ عِقَابَهُ قَدْرَ رَهْبَتِهِ مِنْكُمْ.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ١٤﴾ [الحشر: ١٤].

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ لَا يُقَاتِلُكُمْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ بَنُو النَّضِيرِ مُجْتَمِعِينَ..

﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بِالْحُصُونِ، لَا يَبْرُزُونَ لَكُمْ بِالْبَرَازِ..

﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ﴾ أَوْ مِنْ خَلْفِ حِيطَانَ..

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ﴾ عَدَاوَةُ بَعْضِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنَ الْيَهُودِ بَعْضًا شَدِيدَةٌ..

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ، يَقُولُ: تَظُنُّهُمْ مُؤْتَلِفِينَ مُجْتَمِعَةً كَلِمَتُهُمْ..

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ﴾ وَقُلُوبُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ لِمُعَادَاةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَذَلِكَ تَشْتِيتُ أَهْوَائِهِمْ، وَمُعَادَاةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا..

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ١٤﴾ [الحشر: ١٤] مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ مَا فِيهِ الْحَظُّ لَهُمْ مِمَّا فِيهِ عَلَيْهِمُ الْبَخْسُ وَالنَّقْصُ.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًاۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥﴾ [الحشر: ١٥].

﴿كَمَثَلِ﴾ مَثَلُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ وَالْمُنَافِقِينَ فِيمَا اللهُ صَانِعٌ بِهِمْ مِنْ إِحْلَالِ عُقُوبَتِهِ بِهِمْ مَثَلُ..

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًاۖ﴾ مِنْ مُكَذِّبِي رَسُولِهِ ﷺ، الَّذِينَ أَهْلَكَهُمْ بِسَخَطِهِ، وَأَمْرُ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَوَقْعَةُ بَدْرٍ كَانَا قَبْلَ جَلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ، وَكُلُّ أُولَئِكَ قَدْ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ، وَلَمْ يَخْصُصِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ بَعْضًا فِي تَمْثِيلِ هَؤُلَاءِ بِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، وَكُلٌّ ذَائِقٌ وَبَالَ أَمْرِهِ، فَمَنْ قَرُبَتْ مُدَّتُهُ مِنْهُمْ قَبْلَهُمْ،

فَهُمْ مُمَثَّلُونَ بِهِمْ فِيمَا عُنُوا بِهِ مِنَ الْمَثَلِ..

﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ نَالَهُمْ عِقَابُ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿وَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ مَعَ مَا نَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخِزْيِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٥﴾ [الحشر: ١٥] مُوجِعٌ.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ [الحشر: ١٦].

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ مَثَلُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَعَدُوا الْيَهُودَ مِنَ النَّضِيرِ النُّصْرَةَ إِنْ قُوتِلُوا، أَوِ الْخُرُوجَ مَعَهُمْ إِنْ أُخْرِجُوا، وَمَثَلُ النَّضِيرِ فِي غُرُورِهِمْ إِيَّاهُمْ بِإِخْلَافِهِمُ الْوَعْدِ، وَإِسْلَامِهِمْ إِيَّاهُمْ عِنْدَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَإِلَىٰ نُصْرَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ الَّذِي غَرَّ إِنْسَانًا، وَوَعَدَهُ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ وَكُفْرِهِ بِاللهِ، النُّصْرَةَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ..

﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ فَكَفَرَ بِاللهِ وَاتَّبَعَهُ وَأَطَاعَهُ، فَلَمَّا احْتَاجَ إِلَىٰ نُصْرَتِهِ أَسْلَمَهُ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَقَالَ لَهُ..

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ [الحشر: ١٦] فِي نُصْرَتِكَ.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٧﴾ [الحشر: ١٧].

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ﴾ فَكَانَ عُقْبَىٰ أَمْرِ الشَّيْطَانِ وَالْإِنْسَانِ الَّذِي أَطَاعَهُ، فَكَفَرَ بِاللهِ أَنَّهُمَا خَالِدَانِ فِي النَّارِ مَاكِثَانِ فِيهَا أَبَدًا..

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٧﴾ [الحشر: ١٧] وَذَلِكَ ثَوَابُ الْيَهُودِ مِنَ النَّضِيرِ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَعَدُوهُمُ النُّصْرَةَ، وَكُلِّ كَافِرٍ بِاللهِ ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ مُخَلَّدُونَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحشر: ١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَوَحَّدُوهُ، اتَّقُوا اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ﴾ وَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَا قَدَّمَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ، أَمِنَ الصَّالِحَاتِ الَّتِي تُنْجِيهِ أَمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي تُوبِقُهُ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨] إِنَّ اللهَ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِأَعْمَالِكُمْ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩].

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَرَكُوا أَدَاءَ حَقِّ اللهِ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ فَأَنْسَاهُمُ اللهُ حُظُوظَ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩] هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَسُوا اللهَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، يَعْنِي الْخَارِجُونَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [الحشر: ٢٠].

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ لَا يَعْتَدِلُ أَهْلُ النَّارِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ..

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [الحشر: ٢٠] أَهْلُ الْجَنَّةِ هُمُ الْمُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا وَأَرَادُوا، النَّاجُونَ مِمَّا حَذِرُوا.

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر: ٢١].

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ، وَهُوَ حَجَرٌ، لَرَأَيْتَهُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿خَٰشِعٗا﴾ مُتَذَلِّلًا..

﴿مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ عَلَىٰ قَسَاوَتِهِ، حَذَرًا مِنْ أَنْ لَا يُؤَدِّيَ حَقَّ اللهِ الْمُفْتَرَضَ عَلَيْهِ فِي تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَىٰ ابْنَ آدَمَ وَهُوَ بِحَقِّهِ مُسْتَخِفٌّ، وَعَنْهُ عَمَّا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالذِّكْرِ مُعْرِضٌ، كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا..

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ نُشَبِّهُهَا لِلنَّاسِ، وَذَلِكَ تَعْرِيفُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِيَّاهُمْ أَنَّ الْجِبَالَ أَشَدُّ تَعْظِيمًا لِحَقِّهِ مِنْهُمْ مَعَ قَسَاوَتِهَا وَصَلَابَتِهَا..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر: ٢١] يَضْرِبُ اللهُ لَهُمْ هَذِهِ الْأَمْثَالَ لِيَتَفَكَّرُوا فِيهَا فَيُنِيبُوا، وَيَنْقَادُوا لِلْحَقِّ.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر: ٢٢].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، الَّذِي يَتَصَدَّعُ مِنْ خَشْيَتِهِ الْجَبَلُ أَيُّهَا

النَّاسُ، هُوَ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ وَالْأُلُوهِيَّةُ إِلَّا لَهُ..

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَشَاهِدُ مَا فِيهِمَا مِمَّا يُرَىٰ وَيُحَسُّ..

﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر: ٢٢] هُوَ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، رَحِيمٌ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿هُوَ ٱلۡمَلِكُ﴾ الَّذِي لَا مَلِكَ فَوْقَهُ، وَلَا شَيْءَ إِلَّا دُونَهُ..

﴿ٱلۡقُدُّوسُ﴾ هُوَ الْمُبَارَكُ..

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ هُوَ الَّذِي يَسْلَمُ خَلْقُهُ مِنْ ظُلْمِهِ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ..

﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ الَّذِي يُؤَمِّنُ خَلْقَهُ مِنْ ظُلْمِهِ..

﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ الشَّهِيدُ، وَالْأَمِينُ، وَالْمُصَدِّقُ لِكُلِّ مَا حَدَّثَ، قَالَ تعالىٰ ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، فَالْقُرْآنُ مُصَدِّقٌ عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَاللهُ مُصَدِّقٌ فِي كُلِّ مَا حَدَّثَ عَمَّا مَضَىٰ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا بَقِيَ، وَمَا حَدَّثَ عَنِ الْآخِرَةِ، وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي مَا مَضَىٰ قَبْلُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، فَأَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الشَّدِيدُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ الْمُصْلِحُ أُمُورَ خَلْقِهِ، الْمُصَرِّفُهُمْ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ..

﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ عَنْ كُلِّ شَرٍّ..

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٣] تَنْزِيهًا لِلهِ وَتَبْرِئَةً لَهُ عَنْ شِرْكِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ هُوَ الْمَعْبُودُ الْخَالِقُ، الَّذِي لَا مَعْبُودَ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ غَيْرُهُ..

﴿ٱلۡخَٰلِقُ﴾ وَلَا خَالِقَ سِوَاهُ..

﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ الَّذِي بَرَأَ الْخَلْقَ، فَأَوْجَدَهُمْ بِقُدْرَتِهِ..

﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ خَلْقَهُ كَيْفَ شَاءَ، وَكَيْفَ يَشَاءُ..

﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ لِلهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، وَهِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي سَمَّىٰ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ،

الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ..

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يُسَبِّحُ لَهُ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَسْجُدُ لَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ وَهُوَ الشَّدِيدُ الِانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَصَرْفِهِمْ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَشْرِ



سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ (٦٠)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ①﴾ [الممتحنة: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَدُوَّكُمْ أَنْصَارًا..

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ مَوَدَّتَكُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم﴾ وَقَدْ كَفَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مِّنَ الْحَقِّ﴾ وَذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ..

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ يُخْرِجُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُخْرِجُونَكُمْ أَيْضًا مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَرْضِكُمْ، وَذَلِكَ إِخْرَاجُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنْ مَكَّةَ، لِأَنَّكُم آمَنْتُمْ بِاللهِ..

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، فَهَاجَرْتُمْ مِنْهَا إِلَىٰ مُهَاجَرِكُمْ لِلْجِهَادِ فِي طَرِيقِي الَّذِي شَرَعْتُهُ لَكُمْ، وَدِينِي الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي..

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تُسِرُّونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالْمَوَدَّةِ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَخْفَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَأَسَرَّهُ مِنْهُ..

﴿وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ وَأَعْلَمُ أَيْضًا مِنْكُمْ مَا أَعْلَنَهُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ..

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ وَمَنْ يُسِرُّ مِنْكُمْ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَوَدَّةِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ①﴾ [الممتحنة: ١] فَقَدْ جَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَمَحَجَّةً إِلَيْهَا.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَكَانَ كَتَبَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ يُطْلِعُهُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَخْفَاهُ عَنْهُمْ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ وَالرِّوَايَةُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَغَيْرِهِمْ.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ [الممتحنة: ٢].

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُسِرُّونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ..

﴿يَكُونُوا لَكُمْ﴾ حَرْبًا وَ..

﴿أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بِالْقِتَالِ..

﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ [الممتحنة: ٢] وَتَمَنَّوْا لَكُمْ أَنْ تَكْفُرُوا بِرَبِّكُمْ، فَتَكُونُوا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ [الممتحنة: ٣].

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ لَا يَدْعُونَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَقَرَابَاتُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَاتِّخَاذِ أَعْدَائِهِ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ، فَإِنَّهُ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عِنْدَ اللهِ..

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فَتَدْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَ اللهِ يَوْمَئِذٍ، إِنْ أَنْتُمْ عَصَيْتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَكَفَرْتُمْ بِهِ..

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يَفْصِلُ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْ يُدْخِلَ أَهْلَ طَاعَتِهِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلَ مَعَاصِيهِ وَالْكُفْرِ بِهِ النَّارَ..

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ [الممتحنة: ٣] وَاللهُ بِأَعْمَالِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ذُو عِلْمٍ وَبَصَرٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، هُوَ بِجَمِيعِهَا مُحِيطٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَاحْذَرُوهُ.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ..

﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ فِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، تَقْتَدُونَ بِهِ..

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ..

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ حِينَ قَالُوا لِقَوْمِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ: أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ، وَمِنَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ

الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أَنْكَرْنَا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَجَحَدْنَا عِبَادَتَكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْ تَكُونَ حَقًّا..

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ وَظَهَرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِاللهِ، وَعِبَادَتِكُمْ مَا سِوَاهُ، وَلَا صُلْحَ بَيْنَنَا وَلَا هَوَادَةَ..

﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ حَتَّىٰ تُصَدِّقُوا بِاللهِ وَحْدَهُ، فَتُوَحِّدُوهُ، وَتُفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ..

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فَإِنَّهُ لَا أُسْوَةَ لَكُمْ فِيهِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ اللهِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ، فَتَبَرَّءُوا مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ وَيَتَبَرَّءُوا عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ وَأَظْهِرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ..

﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ وَمَا أَدْفَعُ عَنْكَ مِنَ اللهِ مِنْ عُقُوبَةٍ إِنِ اللهُ عَاقَبَكَ عَلَىٰ كُفْرِكَ بِهِ، وَلَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْهُ شَيْئًا..

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ إِبْرَاهِيمَ وَأَنْبِيَائِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ وَإِلَيْكَ رَجَعْنَا بِالتَّوْبَةِ مِمَّا تَكْرَهُ إِلَىٰ مَا تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ..

﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ④﴾ [الممتحنة: ٤] وَإِلَيْكَ مَصِيرُنَا وَمَرْجِعُنَا يَوْمَ تَبْعَثُنَا مِنْ قُبُورِنَا، وَتَحْشُرُنَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْعَرْضِ.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑤﴾ [الممتحنة: ٥].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ فَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَكَ، وَعَبَدُوا غَيْرَكَ، بِأَنْ تُسَلِّطَهُمْ عَلَيْنَا، فَيَرَوْا أَنَّهُمْ عَلَىٰ حَقٍّ، وَأَنَّا عَلَىٰ بَاطِلٍ، فَتَجْعَلَنَا بِذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ..

﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ وَاسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا بِعَفْوِكَ لَنَا عَنْهَا يَا رَبَّنَا..

﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ الشَّدِيدُ الِانْتِقَامِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ..

﴿الْحَكِيمُ ⑤﴾ [الممتحنة: ٥] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَصَرْفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ⑥﴾ [الممتحنة: ٦].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ

إِبْرَاهِيمُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَالرُّسُلِ..

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ لِمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ، وَثَوَابَ اللهِ، وَالنَّجَاةَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عَمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ وَنَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَأَدْبَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَوَالَىٰ أَعْدَاءَ اللهِ، وَأَلْقَىٰ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ إِيمَانِهِ بِهِ، وَطَاعَتِهِ إِيَّاهُ، وَعَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ [الممتحنة: ٦] عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَيَادِيهِ، وَآلَائِهِ عِنْدَهُمْ.

﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [الممتحنة: ٧].

﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْ أَعْدَائِي مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿مَّوَدَّةً﴾ فَفَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ، بِأَنْ أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، فَصَارُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَأَحْزَابًا..

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ وَاللهُ ذُو قُدْرَةٍ عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَوَدَّةً..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِخَطِيئَةِ مَنْ أَلْقَىٰ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْمَوَدَّةِ إِذَا تَابَ مِنْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [الممتحنة: ٧] بِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨].

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ..

﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ وَتَعْدِلُوا فِيهِمْ بِإِحْسَانِكُمْ إِلَيْهِمْ، وَبِرِّكُمْ بِهِمْ.. عُنِيَ بِذَلِكَ: لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ، أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتَصِلُوهُمْ، وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ جَمِيعَ مَنْ كَانَ ذَلِكَ صِفَتَهُ، فَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، وَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: ذَلِكَ مَنْسُوخٌ، لِأَنَّ بِرَّ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ -مِمَّنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَرَابَةُ نَسَبٍ، أَوْ مِمَّنْ لَا قَرَابَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَلَا نَسَبٌ- غَيْرُ مُحَرَّمٍ وَلَا مَنْهِيٍّ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ لَهُ أَوْ لِأَهْلِ الْحَرْبِ عَلَىٰ عَوْرَةٍ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَوْ تَقْوِيَةٌ لَهُمْ بِكُرَاعٍ أَوْ سِلَاحٍ، وَقَدْ بَيَّنَ صِحَّةَ مَا قُلْنَا

فِي ذَلِكَ الْخَبَرُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: (نَزَلَتْ فِي أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَتْ لَهَا أُمٌّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَالَ لَهَا قُتَيْلَةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، فَأَتَتْهَا بِهَدَايَا وَصِنَابٍ وَأَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَقَالَتْ: لا أَقْبَلُ لَكِ هَدِيَّةً، وَلَا تَدْخُلِي عَلَيَّ حَتَّىٰ يَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱلْمُقْسِطِينَ ۝﴾)..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨] إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُنْصِفِينَ الَّذِينَ يُنْصِفُونَ النَّاسَ، وَيُعْطُونَهُمُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَيَبَرُّونَ مَنْ بَرَّهُمْ، وَيُحْسِنُونَ إِلَىٰ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة: ٩].

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ مَكَّةَ..

﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ وَعَاوَنُوا مَنْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ..

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ فَتَكُونُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَنُصَرَاءَ..

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ وَمَنْ يَجْعَلُهُمْ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ أَوْلِيَاءَ..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝﴾ [الممتحنة: ٩] فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا غَيْرَ الَّذِي يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَتَوَلَّوْهُمْ، وَوَضَعُوا وَلَايَتَهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ فِي ذَلِكَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الممتحنة: ١٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ إِذَا جَاءَكُمُ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ يَمْتَحِنُهُنَّ بِاللهِ مَا خَرَجَتْ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ، وَبِاللهِ مَا خَرَجت رَغْبَةً عَنْ أَرْضٍ إِلَىٰ أَرْضٍ، وَبِاللهِ مَا خَرَجْتْ الْتِمَاسَ دُنْيَا، وَبِاللهِ مَا خَرَجْتُ إِلَّا حُبًّا لِلهِ وَرَسُولِهِ.. قَالتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: (كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُمْتَحَنَّ بِقَوْلِ اللهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمَحَبَّةِ، فَكَانَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ، قَالَ لَهُنَّ: «انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ» وَلَا وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِالْكَلَامِ، وَاللهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ النِّسَاءِ قَطُّ، إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ «قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلَامًا»).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا غَضِبَتْ عَلَىٰ زَوْجِهَا، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَلَامٌ، قَالَتْ: وَاللهِ لَأُهَاجِرَنَّ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾، إِنْ كَانَ الْغَضَبُ أَتَىٰ بِهَا فَرُدُّوهَا، وَإِنْ كَانَ الْإِسْلَامُ أَتَىٰ بِهَا فَلَا تَرُدُّوهَا)..

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِ مَنْ جَاءَ مِنَ النِّسَاءِ مُهَاجِرَاتٍ إِلَيْكُمْ..

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ فَإِنْ أَقْرَرْنَ عِنْدَ الْمِحْنَةِ بِمَا يَصِحُّ بِهِ عَقْدُ الْإِيمَانِ لَهُنَّ، وَالدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَا تَرُدُّوهُنَّ عَنْ ذَلِكَ إِلَىٰ الْكُفَّارِ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ كَانَ جَرَىٰ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَرُدَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ مَنْ جَاءَهُمْ مُسْلِمًا، فَأَبْطَلَ ذَلِكَ الشَّرْطَ فِي النِّسَاءِ إِذَا جِئْنَ مُؤْمِنَاتٍ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتُحِنَّ، فَوَجَدَهُنَّ الْمُسْلِمُونَ مُؤْمِنَاتٍ، وَصَحَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِمَّا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَرُدُّوهُنَّ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ إِذَا عُلِمَ أَنَّهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ..

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ لَا الْمُؤْمِنَاتُ حِلٌّ لِلْكُفَّارِ وَلَا الْكُفَّارُ يَحِلُّونَ لِلْمُؤْمِنَاتِ..

﴿وَءَاتُوهُم﴾ وَأَعْطُوا الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَاءَكُمْ نِسَاؤُهُمْ مُؤْمِنَاتٍ إِذَا عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ، فَلَمْ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَيْهِمْ..

﴿مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ فِي نِكَاحِهِمْ إِيَّاهُنَّ مِنَ الصَّدَاقِ..

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَنْكِحُوا هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ اللَّاتِي لَحِقْنَ بِكُمْ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ مُفَارِقَاتٍ لِأَزْوَاجِهِنَّ، وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ إِذَا عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ إِذَا أَنْتُمْ أَعْطَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ، وَيَعْنِي بِالْأُجُورِ: الصَّدَقَاتِ.. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (كُنَّ إِذَا فَرَرْنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَهْدٌ إِلَىٰ أَصْحَابِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَتَزَوَّجُوهُنَّ، بَعَثُوا بِمُهُورِهِنَّ إِلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَصْحَابِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ عَهْدٌ).. وَكَانَ الزُّهْرِيُّ يَقُولُ: (إِنَّمَا أَمَرَ اللهُ بِرَدِّ صَدَاقِهِنَّ إِلَيْهِمْ إِذَا حُبِسْنَ عَنْهُمْ، وَإِنْ هُمْ رَدُّوا الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ صَدَاقِ مَنْ حُبِسُوا عَنْهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ)..

﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ بِحِبَالِ النِّسَاءِ الْكَوَافِرِ وَأَسْبَابِهِنَّ، وَالْكَوَافِرُ: جَمْعُ كَافِرَةٍ، وَالْعِصَمُ: جَمْعُ عِصْمَةٍ، وَهِيَ مَا اعْتُصِمَ بِهِ مِنَ الْعَقْدِ وَالسَّبَبِ، وَهَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَىٰ

نِكَاحِ النِّسَاءِ الْمُشْرِكَاتِ مِنْ أَهْلِ الْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِفِرَاقِهِنَّ..

﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَزْوَاجِ اللَّوَاتِي لَحِقْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ بِالْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ: وَاسْأَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ فَلَحِقْنَ بِالْمُشْرِكِينَ..

﴿مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾ عَلَىٰ أَزْوَاجِكُمُ اللَّوَاتِي لَحِقْنَ بِهِمْ مِنَ الصَّدَاقِ مَنْ تَزَوَّجَهُنَّ مِنْهُمْ..

﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ﴾ وَلْيَسْأَلْكُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُمُ الَّذِينَ لَحِقَ بِكُمْ أَزْوَاجُهُمْ مُؤْمِنَاتٍ إِذَا تَزَوَّجْنَ فِيكُمْ مَنْ تَزَوَّجَهَا مِنْكُمْ..

﴿مَآ أَنفَقُواْ﴾ عَلَيْهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ..

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ هَذَا الْحُكْمُ الَّذِي حَكَمْتُ بَيْنَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَسْأَلَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ عَلَىٰ أَزْوَاجِكُمُ اللَّاتِي لَحِقْنَ بِهِمْ وَأَمْرِهِمْ بِمَسْأَلَتِكُمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي أَزْوَاجِهِنَّ اللَّاتِي لَحِقْنَ بِكُمْ..

﴿حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ﴾ حُكْمُ اللهِ بَيْنَكُمْ فَلَا تَعْتَدُوهُ، فَإِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَسَعُ غَيْرُهُ، فَانْتَهَىٰ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَحُكْمِهِ، وَامْتَنَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُ، وَطَالَبُوا الْوَفَاءَ بِالشُّرُوطِ الَّتِي كَانُوا شَارَطُوهَا بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَغَيْرِهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُ خَلْقَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ..

﴿حَكِيمٞ ١٠﴾ [الممتحنة: ١٠] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ.

﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [الممتحنة: ١١].

﴿وَإِن فَاتَكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ فَلَحِقَ بِهِمْ..

﴿فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم﴾ فَأَعْطُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِنْكُمْ إِلَىٰ الْكُفَّارِ..

﴿مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ عَلَيْهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ.. فَأَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْطُوا مَنْ فَرَّتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ إِذَا هُمْ كَانَتْ لَهُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ عُقْبَىٰ، إِمَّا بِغَنِيمَةٍ يُصِيبُونَهَا مِنْهُمْ، أَوْ بِلَحَاقِ نِسَاءِ بَعْضِهِمْ بِهِمْ، مِثْلَ الَّذِي أَنْفَقُوا عَلَىٰ الْفَارَّةِ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخَصِّصْ إِيتَاءَهُمْ ذَلِكَ مِنْ مَالٍ دُونَ مَالٍ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [الممتحنة: ١١] وَخَافُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُصَدِّقُونَ أَيُّهَا

الْمُؤْمِنُونَ فَاتَّقُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ وَلَا يَأْتِينَ بِكَذِبٍ يَكْذِبْنَهُ فِي مَوْلُودٍ يُوجَدُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ، فَلَا يُلْحِقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ غَيْرَ أَوْلَادِهِمْ..

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾ مِنْ أَمْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَأْمُرُهُنَّ بِهِ.. وَذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَعْرُوفَ الَّذِي شَرَطَ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَعْصِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيهِ هُوَ النِّيَاحَةُ..

﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾ سَلْ لَهُنَّ اللهَ أَنْ يَصْفَحَ عَنْ ذُنُوبِهِنَّ، وَيَسْتُرَهَا عَلَيْهِنَّ بِعَفْوِهِ لَهُنَّ عَنْهَا..

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢] إِنَّ اللهَ ذُو سَتْرٍ عَلَىٰ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنْهَا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة: ١٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿قَدْ يَئِسُوا﴾ قَدْ يَئِسَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ مِنْ ثَوَابِ اللهِ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَكَرَامَتِهِ لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ لِلهِ نَبِيٌّ..

﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة: ١٣] كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْهُمُ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ فَهَلَكُوا، فَصَارُوا أَصْحَابَ الْقُبُورِ، وَهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هَؤُلَاءِ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ وَغَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ، مِنْ ثَوَابِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ

سُورَةُ الصَّفِّ (٦١)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [الصف: ١].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السَّبْعِ..

﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مِنَ الْخَلْقِ، مُذْعِنِينَ لَهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فِي نِقْمَتِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ فَكَفَرَ بِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ..

﴿ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [الصف: ١] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾ [الصف: ٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾ [الصف: ٢] لِمَ تَقُولُونَ الْقَوْلَ الَّذِي لَا تُصَدِّقُونَهُ بِالْعَمَلِ، فَأَعْمَالُكُمْ مُخَالِفَةٌ أَقْوَالَكُمْ.

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٣].

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٣] عَظُمَ مَقْتًا عِنْدَ رَبِّكُمْ قَوْلُكُمْ مَا لَا تَفْعَلُونَ.. عَنَىٰ بِهَا الَّذِينَ قَالُوا: لَوْ عَرَفْنَا أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ لَعَمِلْنَا بِهِ، ثُمَّ قَصَّرُوا فِي الْعَمَلِ بَعْدَمَا عَرَفُوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف: ٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْقَائِلِينَ: لَوْ عَلِمْنَا أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ لَعَمِلْنَاهُ حَتَّىٰ نَمُوتَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾ يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ اللهِ مُصْطَفِّينَ..

﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف: ٤] كَأَنَّهُمْ فِي اصْطِفَافِهِمْ هُنَالِكَ حِيطَانٌ مَبْنِيَّةٌ قَدْ رُصَّ، فَأُحْكِمَ وَأُتْقِنَ، فَلَا يُغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا.. قَالَ قَتَادَةُ: **(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ صَاحِبِ الْبُنْيَانِ كَيْفَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَخْتَلِفَ بُنْيَانُهُ، كَذَلِكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَخْتَلِفُ أَمْرُهُ، وَإِنَّ اللهَ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِهِمْ**

وَصَفِّهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِأَمْرِ اللهِ فَإِنَّهُ عِصْمَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِهِ).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ حَقًّا..

﴿أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ فَلَمَّا عَدَلُوا وَجَارُوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ أَمَالَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عَنْهُ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ الْقَوْمَ الَّذِينَ اخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٞ ۝٦﴾ [الصف: ٦].

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿وَمُبَشِّرَۢا﴾ أُبَشِّرُكُمْ..

﴿بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَحْمَدُ بِالْبَيِّنَاتِ، وَهِيَ الدَّلَالَاتُ الَّتِي آتَاهُ اللهُ حُجَجًا عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ..

﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٞ ۝٦﴾ [الصف: ٦] يُبِينُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِمَا أَتَىٰ بِهِ إِلَّا لِأَنَّهُ سَاحِرٌ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [الصف: ٧].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وَمَنْ أَشَدُّ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ مِمَّنِ اخْتَلَقَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ وَهُوَ قَوْلُ قَائِلِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هُوَ سَاحِرٌ وَمَا جَاءَ بِهِ سِحْرٌ، فَكَذَلِكَ افْتِرَاؤُهُ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ..

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِۚ﴾ إِذَا دُعِيَ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ، وَافْتَرَىٰ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾ [الصف: ٧] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِهِ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾ [الصف: ٨].

﴿يُرِيدُونَ﴾ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: هَذَا سَاحِرٌ مُبِينٌ..

﴿لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ لِيُبْطِلُوا الْحَقَّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بِقَوْلِهِمْ إِنَّهُ سَاحِرٌ، وَمَا جَاءَ بِهِ سِحْرٌ..

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ وَاللهُ مُعْلِنٌ الْحَقَّ، وَمُظْهِرٌ دِينَهُ، وَنَاصِرٌ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ عَادَاهُ، فَذَلِكَ إِتْمَامُ نُورِهِ، وَعُنِيَ بِالنُّورِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِسْلَامُ..

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾ [الصف: ٨] وَاللهُ مُظْهِرٌ دِينَهُ، نَاصِرٌ رَسُولَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ بِاللهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [الصف:٩].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ اللهُ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا بِالْهُدَىٰ..

﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ يَعْنِي: وَبِدِينِ اللهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ لِيُظْهِرَ دِينَهُ الْحَقَّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ..

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ عَلَىٰ كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ، وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَحِينَ تَصِيرُ الْمِلَّةُ وَاحِدَةً، فَلَا يَكُونُ دِينٌ غَيْرَ الْإِسْلَامِ..

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [الصف:٩]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [الصف: ١٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [الصف: ١٠] مُوجِعٍ، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ؛ ثُمَّ بَيَّنَ لَنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا تِلْكَ التِّجَارَةُ الَّتِي تُنْجِينَا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فَقَالَ.

﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ [الصف: ١١].

﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الصف: ١٠] بِوَصْفِهِمْ بِالْإِيمَانِ؟ فَإِنَّ الْجَوَابَ فِي ذَلِكَ نَظِيرُ جَوَابِنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، وَقَدْ مَضَى الْبَيَانُ عَنْ ذَلِكَ، فِي

مَوْضِعِهِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ﴾ وَتُجَاهِدُونَ فِي دِينِ اللهِ، وَطَرِيقِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إِيمَانُكُمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادُكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ تَضْيِيعِ ذَلِكَ وَالتَّفْرِيطِ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ⑪﴾ [الصف: ١١] مَضَارَّ الْأَشْيَاءِ وَمَنَافِعَهَا.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ⑫﴾ [الصف: ١٢].

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ يَسْتُرْ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ ذُنُوبَكُمْ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَيَصْفَحُ عَنْكُمْ وَيَعْفُو..

﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وَيُدْخِلْكُمْ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ وَيُدْخِلْكُمْ أَيْضًا مَسَاكِنَ طَيِّبَةً..

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ فِي بَسَاتِينِ إِقَامَةٍ، لَا ظَعْنَ عَنْهَا..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ⑫﴾ [الصف: ١٢] ذَلِكَ النَّجَاءُ الْعَظِيمُ مِنْ نَكَالِ الْآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ⑬﴾ [الصف: ١٣].

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ﴾ وَلَكُمْ خَلَّةٌ أُخْرَىٰ سِوَىٰ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تُحِبُّونَهَا..

﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لَكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ﴾ يُعَجِّلُهُ لَكُمْ..

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ⑬﴾ [الصف: ١٣] وَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَفَتْحٍ عَاجِلٍ لَهُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ⑭﴾ [الصف: ١٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ مَنْ أَنْصَارِي مِنْكُمْ إِلَىٰ نُصْرَةِ اللهِ لِي..

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ قَالُوا: نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ عَلَىٰ مَا بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بِعِيسَىٰ..

﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ مِنْهُمْ بِهِ..

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فَقَوَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ لِتَصْدِيقِهِ إِيَّاهُمْ، أَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَتَكْذِيبِهِ مَنْ قَالَ: هُوَ إِلَهٌ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ ابْنُ اللهِ..

﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾ فَأَصْبَحَتِ الطَّائِفَةُ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤] عَلَىٰ عَدُوِّهِمُ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الصَّفِّ



سُورَةُ الجُمُعَةِ (٦٢)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①﴾ [الجمعة: ١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يُسَبِّحُ لِلهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَرَضِينَ مِنْ خَلْقِهِ، وَيُعَظِّمُهُ طَوْعًا وَكَرْهًا..

﴿الْمَلِكِ﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسُلْطَانُهُمَا، النَّافِذُ أَمْرُهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا..

﴿الْقُدُّوسِ﴾ وَهُوَ الطَّاهِرُ مِنْ كُلِّ مَا يُضِيفُ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ، وَيَصِفُونَهُ بِهِ مِمَّا لَيْسَ مِنْ صِفَاتِهِ الْمُبَارَكُ..

﴿الْعَزِيزِ﴾ الشَّدِيدِ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ..

﴿الْحَكِيمِ ①﴾ [الجمعة: ١] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ②﴾ [الجمعة: ٢].

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ اللهُ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، فَقَوْلُهُ هُوَ كِنَايَةٌ مِنِ اسْمِ اللهِ، وَالْأُمِّيُّونَ هُمُ الْعَرَبُ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قِيلَ لِلْأُمِّيِّ أُمِّيٌّ..

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يَعْنِي مِنَ الْأُمِّيِّينَ وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ أُمِّيًّا، وَظَهَرَ مِنَ الْعَرَبِ..

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يَقْرَأُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأُمِّيِّينَ آيَاتِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ..

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وَيُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ..

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ وَيُعَلِّمُهُمْ كِتَابَ اللهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَشَرَائِعَ دِينِهِ..

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يَعْنِي بِالْحِكْمَةِ: السُّنَنَ..

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ﴾ وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأُمِّيُّونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ فِي جَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًى..

﴿مُبِينٍ ②﴾ [الجمعة: ٢] يُبَيِّنُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَجَوْرٌ عَنِ الْحَقِّ وَطَرِيقِ الرُّشْدِ.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾ [الجمعة: ٣].

﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، وَفِي آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ؛ فَآخَرُونَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عَطْفًا عَلَىٰ الْأُمِّيِّينَ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْعَجَمُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ جَمِيعُ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَائِنًا مَنْ كَانَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ كُلُّ لَاحِقٍ لَحِقَ بِالَّذِينَ كَانُوا صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي إِسْلَامِهِمْ مِنْ أَيِّ الْأَجْنَاسِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ كُلَّ لَاحِقٍ بِهِمْ مِنْ آخَرِينَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهُمْ نَوْعًا دُونَ نَوْعٍ، فَكُلُّ لَاحِقٍ بِهِمْ فَهُوَ مِنَ الْآخَرِينَ الَّذِي لَمْ يَكُونُوا فِي عِدَادِ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللهِ..

﴿لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ لَمْ يَجِيئُوا بَعْدُ وَسَيَجِيئُونَ..

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ وَاللهُ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ..

﴿ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾ [الجمعة:٣] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ٤].

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ بَعْثَتِهِ فِي الْأُمِّيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ، وَفِي آخَرِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيَفْعَلُ سَائِرَ مَا وَصَفَ، فَضْلُ اللهِ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ يُؤْتِي فَضْلَهُ ذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ مِمَّنْ حَرَمَهُ اللهُ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْهُ حَقًّا كَانَ لَهُ قَبْلَهُ وَلَا ظَلَمَهُ فِي صَرْفِهِ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ مَنْ هُوَ لَهُ أَهْلٌ، فَأَوْدَعَهُ إِيَّاهُ، وَجَعَلَهُ عِنْدَهُ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ﴾ عَلَىٰ عِبَادِهِ، الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ وَالْمُسِيءِ، وَالَّذِينَ بَعَثَ فِيهِمُ الرَّسُولَ مِنْهُمْ وَغَيْرُهُمْ..

﴿ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ٤] الَّذِي يَقِلُّ فَضْلَ كُلِّ ذِي فَضْلٍ عِنْدَهُ.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة: ٥].

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَاةَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فَحُمِّلُوا الْعَمَلَ بِهَا..

﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ أُمِرُوا بِالْإِيمَانِ بِهِ فِيهَا وَاتِّبَاعِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ..

﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ كُتُبًا مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ، لَا يَنْتَفِعُ بِهَا، وَلَا يَعْقِلُ مَا فِيهَا، فَكَذَلِكَ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَاةَ الَّتِي فِيهَا بَيَانُ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَثَلُهُمْ إِذَا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا فِيهَا، كَمَثَلِ الْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ أَسْفَارًا فِيهَا عِلْمٌ، فَهُوَ لَا يَعْقِلُهَا وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا..

﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ بِئْسَ هَذَا الْمَثَلُ، مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ، يَعْنِي بِأَدِلَّتِهِ وَحُجَجِهِ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَكَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ [الجمعة: ٦].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ سِوَاكُمْ..

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ [الجمعة: ٦] فِي قِيلِكُمْ، إِنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ أَوْلِيَاءَهُ، بَلْ يُكْرِمُهُمْ وَيُنْعِمُهُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِيمَا تَقُولُونَ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ لِتَسْتَرِيحُوا مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا وَغُمُومِهَا، وَتَصِيرُوا إِلَىٰ رَوْحِ الْجِنَانِ وَنَعِيمِهَا بِالْمَوْتِ.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [الجمعة: ٧].

﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا﴾ وَلَا يَتَمَنَّىٰ الْيَهُودُ الْمَوْتَ أَبَدًا..

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ بِمَا اكْتَسَبُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْآثَامِ، وَاجْتَرَحُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [الجمعة: ٧] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ ظَلَمَ مِنْ خَلْقِهِ نَفْسَهُ، فَأَوْبَقَهَا بِكُفْرِهِ بِاللهِ.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾ [الجمعة: ٨].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ..

﴿إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾ فَتَكْرَهُونَهُ، وَتَأْبَوْنَ أَنْ تَتَمَنَّوْهُ..

﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ وَنَازِلٌ بِكُمْ..

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ ثُمَّ يَرُدُّكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ..

﴿إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عَالِمِ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ وَالشَّهَادَةِ: يَعْنِي وَمَا شُهِدَ فَظَهَرَ لِرَأْيِ الْعَيْنِ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ..

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فَيُخَبِّرُكُمْ حِينَئِذٍ بِـ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [الجمعة: ٨] فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ، سَيِّئِهَا وَحَسَنِهَا؛ لِأَنَّهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهَا، ثُمَّ يُجَازِيكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ [الجمعة: ٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وَذَلِكَ هُوَ النِّدَاءُ، يُنَادَىٰ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ عِنْدَ قُعُودِ الْإِمَامِ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ لِلْخُطْبَةِ..

﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ، وَاعْمَلُوا لَهُ؛ وَأَصْلُ السَّعْيِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْعَمَلُ..

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ وَدَعُوا الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ عِنْدَ الْخُطْبَةِ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ سَعْيُكُمْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ، وَتَرْكُ الْبَيْعِ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ [الجمعة: ٩] مَصَالِحَ أَنْفُسِكُمْ وَمَضَارَّهَا.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فَإِذَا قُضِيَتْ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ..

﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إِنْ شِئْتُمْ، ذَلِكَ رُخْصَةٌ مِنَ اللهِ لَكُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ وَالْتَمِسُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ لِدُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ..

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ وَاذْكُرُوا اللهَ بِالْحَمْدِ لَهُ، وَالشُّكْرِ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ لِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ..

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ١٠] فَتُدْرِكُوا طِلْبَاتِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، وَتَصِلُوا إِلَىٰ الْخُلْدِ فِي جَنَّاتِهِ.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة: ١١].

﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾ وَإِذَا رَأَىٰ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ عِيرَ تِجَارَةٍ أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا يَعْنِي أَسْرَعُوا إِلَىٰ التِّجَارَةِ..

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ وَتَرَكُوكَ يَا مُحَمَّدُ قَائِمًا عَلَىٰ الْمِنْبَرِ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَا عِندَ اللَّهِ﴾ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ، لِمَنْ جَلَسَ مُسْتَمِعًا خِطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَوْعِظَتَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَىٰ أَنْ يَفْرُغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا..

﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ خَيْرٌ لَهُ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ الَّتِي يَنْفَضُّونَ إِلَيْهَا..

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة: ١١] وَاللهُ خَيْرُ رَازِقٍ، فَإِلَيْهِ فَارْغَبُوا فِي طَلَبِ أَرْزَاقِكُمْ، وَإِيَّاهُ فَاسْأَلُوا أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ دُونَ غَيْرِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْجُمُعَةِ



سُورَةُ المُنَافِقُونَ (٦٣)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾ [المنافقون: ١].

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَالُوا﴾ بِأَلْسِنَتِهِمْ..

﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ قَالَ الْمُنَافِقُونَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَقُولُوا..

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾ [المنافقون: ١] فِي إِخْبَارِهِمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهَا تَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا لَا تَعْتَقِدُ ذَلِكَ وَلَا تُؤْمِنُ بِهِ، فَهُمْ كَاذِبُونَ فِي خَبَرِهِمْ عَنْهَا بِذَلِكَ.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ②﴾ [المنافقون: ٢].

﴿اتَّخَذُوا﴾ اتَّخَذَ الْمُنَافِقُونَ..

﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ وَهِيَ حَلِفُهُمْ..

﴿جُنَّةً﴾ سُتْرَةً يَسْتَتِرُونَ بِهَا كَمَا يَسْتَتِرُ الْمُسْتَجِنُّ بِجُنَّتِهِ فِي حَرْبٍ وَقِتَالٍ، فَيَمْنَعُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَيَدْفَعُونَ بِهَا عَنْهَا..

﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ﴾ فَأَعْرَضُوا عَنْ دِينِ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ وَشَرِيعَتَهُ الَّتِي شَرَعَهَا لِخَلْقِهِ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً..

﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ②﴾ [المنافقون: ٢] فِي اتِّخَاذِهِمْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً، لِكَذِبِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③﴾ [المنافقون: ٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ..

﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ كَفَرُوا بِشَكِّهِمْ فِي ذَلِكَ

وَتَكْذِيبِهِمْ بِهِ..

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فَجَعَلَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ خَتْمًا بِالْكُفْرِ عَنِ الْإِيمَانِ..

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون: ٣] صَوَابًا مِنْ خَطَأٍ، وَحَقًّا مِنْ بَاطِلٍ لِطَبْعِ اللهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ٤].

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لِاسْتِوَاءِ خَلْقِهَا وَحُسْنِ صُوَرِهَا..

﴿وَإِن يَقُولُوا﴾ وَإِنْ يَتَكَلَّمُوا..

﴿تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ تَسْمَعْ كَلَامَهُمْ يُشْبِهُ مَنْطِقُهُمْ مَنْطِقَ النَّاسِ..

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ لَا خَيْرَ عِنْدَهُمْ وَلَا فِقْهَ لَهُمْ وَلَا عِلْمَ، وَإِنَّمَا هُمْ صُوَرٌ بِلَا أَحْلَامٍ، وَأَشْبَاحٌ بِلَا عُقُولٍ..

﴿يَحْسَبُونَ﴾ يَحْسِبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ خُبْثِهِمْ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ، وَقِلَّةِ يَقِينِهِمْ..

﴿كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ لِأَنَّهُمْ عَلَىٰ وَجَلٍ أَنْ يُنْزِلَ اللهُ فِيهِمْ أَمْرًا يَهْتِكُ بِهِ أَسْتَارَهُمْ وَيَفْضَحُهُمْ، وَيُبِيحُ لِلْمُؤْمِنِينَ قَتْلَهُمْ وَسَبْيَ ذَرَارِيِّهِمْ، وَأَخْذَ أَمْوَالِهِمْ، فَهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْ ذَلِكَ كُلَّمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ اللهِ وَحْيٌ عَلَىٰ رَسُولِهِ، ظَنُّوا أَنَّهُ نَزَلَ بِهَلَاكِهِمْ وَعَطَبِهِمْ..

﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: هُمُ الْعَدُوُّ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ فَإِنَّ أَلْسِنَتَهُمْ إِذَا لَقُوكُمْ مَعَكُمْ وَقُلُوبُهُمْ عَلَيْكُمْ مَعَ أَعْدَائِكُمْ، فَهُمْ عَيْنٌ لِأَعْدَائِكُمْ عَلَيْكُمْ..

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أَخْزَاهُمُ اللهُ..

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ٤] إِلَىٰ أَيِّ وَجْهٍ يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ تَعَالَوْا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ..

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ حَرَّكُوهَا وَهَزُّوهَا اسْتِهْزَاءً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِاسْتِغْفَارِهِ..

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ وَرَأَيْتَهُمْ يُعْرِضُونَ عَمَّا دُعُوا إِلَيْهِ وُجُوهَهُمْ..

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥] عَنِ الْمَصِيرِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؛ وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا -فِيمَا ذُكِرَ- عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٧]، وَقَالَ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، فَسَمِعَ بِذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، فَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَمَّا أُخْبِرَ بِهِ عَنْهُ، فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا قَالَهُ، وَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْتَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَجَعَلَ يَلْوِي رَأْسَهُ وَيُحَرِّكُهُ اسْتِهْزَاءً، وَيَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ فَاعِلٍ مَا أَشَارُوا بِهِ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٦﴾ [المنافقون: ٦].

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ سَوَاءٌ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٥]..

﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ ذُنُوبَهُمْ..

﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾ لَنْ يَصْفَحَ اللهُ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، بَلْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٦﴾ [المنافقون: ٦] إِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ لِلْإِيمَانِ الْقَوْمَ الْكَاذِبِينَ عَلَيْهِ، الْكَافِرِينَ بِهِ، الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون: ٧].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لِأَصْحَابِهِمْ..

﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ..

﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ حَتَّىٰ يَتَفَرَّقُوا عَنْهُ..

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَلِلهِ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ ذَلِكَ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُعْطِيَ أَحَدًا شَيْئًا إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ..

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون: ٧] أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: ﴿لَا تُنفِقُوا۟

عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

﴿يَقُولُونَ﴾ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ قَبْلُ..

﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فِيهَا، وَيَعْنِي بِالْأَعَزِّ: الْأَشَدَّ وَالْأَقْوَىٰ، قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ يَعْنِي: الشِّدَّةَ وَالْقُوَّةَ..

﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِاللهِ..

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨] ذَلِكَ.. وَذُكِرَ أَنَّ سَبَبَ قِيلِ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ؛ كَانَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ لَا تُوجِبْ لَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمُ اللَّهْوَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ..

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ وَمَنْ يُلْهِهِ مَالُهُ وَأَوْلَادُهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ..

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩] هُمُ الْمَغْبُونُونَ حُظُوظَهُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠].

﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي رَزَقْنَاكُمْ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ﴾ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ: يَا..

﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ رَبِّ هَلَّا أَخَّرْتَنِي فَتُمْهِلُ لِي فِي الْأَجَلِ إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ..

﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فَأُزَكِّي مَالِي..

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ [المنافقون: ١٠] وَأَعْمَلُ بِطَاعَتِكَ، وَأُؤَدِّي فَرَائِضَكَ.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ١١].

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ لَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ فِي أَجَلِ أَحَدٍ فَيَمُدَّ لَهُ فِيهِ إِذَا حَضَرَ أَجَلُهُ، وَلَكِنَّهُ يَخْتَرِمُهُ..

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ١١] وَاللهُ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِأَعْمَالِ عَبِيدِهِ، هُوَ بِجَمِيعِهَا مُحِيطٌ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ بِهَا، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُنَافِقُونَ



سُورَةُ التَّغَابُن (٦٤)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانِيَ عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾ [التغابن: ١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يَسْجُدُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ وَيُعَظِّمُهُ..

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانُهُ مَاضٍ قَضَاؤُهُ فِي ذَلِكَ نَافِذٌ فِيهِ أَمْرُهُ..

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ وَلَهُ حَمْدُ كُلِّ مَا فِيهَا مِنْ خَلْقٍ، لِأَنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَلْقِ لَا يَعْرِفُونَ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ رَازِقٌ سِوَاهُ فَلَهُ حَمْدُ جَمِيعِهِمْ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾ [التغابن: ١] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ذُو قُدْرَةٍ، يَقُولُ: يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُغْنِي مَنْ أَرَادَ، وَيُفْقِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، لِأَنَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهُ مَعَهَا شَيْءٌ.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ②﴾ [التغابن: ٢].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَهُوَ مِنْ ذِكْرِ اسْمِ اللهِ..

﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ﴾ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ بِخَالِقِهِ وَأَنَّهُ خَلَقَهُ..

﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ وَمِنْكُمْ مُصَدِّقٌ بِهِ مُوقِنٌ أَنَّهُ خَالِقُهُ أَوْ بَارِئُهُ..

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ②﴾ [التغابن: ٢] وَاللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ عَالِمٌ بِهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِهَا، فَاتَّقُوهُ أَنْ تُخَالِفُوهُ فِي أَمْرِهِ أَوْ نَهْيِهِ، فَيَسْطُوَ بِكُمْ.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ③﴾ [التغابن: ٣].

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ..

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ وَمَثَّلَكُمْ فَأَحْسَنَ مَثَلَكُمْ..

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ③﴾ [التغابن: ٣] وَإِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُ جَمِيعِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ [التغابن: ٤].

﴿يَعْلَمُ﴾ يَعْلَمُ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ شَيْءٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَٰلِكَ خَافِيَةٌ..

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ بَيْنَكُمْ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ..

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ مِنْ ذَٰلِكَ فَتُظْهِرُونَهُ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ [التغابن: ٤] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِضَمَائِرِ صُدُورِ عِبَادِهِ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ، الَّذِي هُوَ أَخْفَىٰ مِنَ السِّرِّ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِعِبَادِهِ: احْذَرُوا أَنْ تُسِرُّوا غَيْرَ الَّذِي تُعْلِنُونَ، أَوْ تُضْمِرُوا فِي أَنْفُسِكُمْ غَيْرَ مَا تُبْدُونَهُ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ مُحْصٍ جَمِيعَهُ، وَحَافِظٌ عَلَيْكُمْ كُلَّهُ.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾ [التغابن: ٥].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ خَبَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِكُمْ، وَذَلِكَ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِ لُوطٍ..

﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ فَمَسَّهُمْ عَذَابُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾ [التغابن: ٥] وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، مَعَ الَّذِي أَذَاقَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَبَالَ كُفْرِهِمْ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ [التغابن: ٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي نَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ وَبَالِ كُفْرِهِمْ، وَالَّذِي أَعَدَّ لَهُمْ رَبُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بِالْوَاضِحَاتِ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْإِعْلَامِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ..

﴿فَقَالُوٓا۟﴾ لَهُمْ..

﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ اسْتِكْبَارًا مِنْهُمْ أَنْ تَكُونَ رُسُلُ اللهِ إِلَيْهِمْ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، وَاسْتِكْبَارًا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِ أَنَّ بَشَرًا مِثْلَهُمْ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ؛ وَجَمَعَ الْخَبَرَ عَنِ الْبَشَرِ، فَقِيلَ: يَهْدُونَنَا، وَلَمْ يَقُلْ:

يَهْدِينَا، لِأَنَّ الْبَشَرَ، وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظِ الْوَاحِدِ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَىٰ الْجَمِيعِ..

﴿فَكَفَرُوا﴾ بِاللهِ، وَجَحَدُوا رِسَالَةَ رُسُلِهِ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللهُ إِلَيْهِمُ اسْتِكْبَارًا..

﴿وَتَوَلَّوا﴾ وَأَدْبَرُوا عَنِ الْحَقِّ فَلَمْ يَقْبَلُوهُ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رُسُلُهُمْ..

﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عَنْهُمْ، وَعَنْ إِيمَانِهِمْ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَلَمْ تَكُنْ بِهِ إِلَىٰ ذَٰلِكَ مِنْهُمْ حَاجَةٌ..

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿حَمِيدٌ ۝٦﴾ [التغابن: ٦] مَحْمُودٌ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ بِجَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَكَرِيمِ فِعَالِهِ فِيهِمْ.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِاللهِ..

﴿أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ﴾ أَنْ لَنْ يَبْعَثَهُمُ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ مِنْ قُبُورِكُمْ..

﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴾ ثُمَّ لَتُخْبَرُنَّ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي عَمِلْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧] وَبَعْثُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ عَلَىٰ اللهِ سَهْلٌ هَيِّنٌ.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾ [التغابن: ٨].

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فَصَدِّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ، وَبِإِخْبَارِهِ إِيَّاكُمْ أَنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، وَأَنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ بَلَائِكُمْ تُنْشَرُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ..

﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ﴾ وَآمِنُوا بِالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾ [التغابن: ٨] وَاللهُ بِأَعْمَالِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ذُو خِبْرَةٍ، مُحِيطٌ بِهَا، مُحْصٍ جَمِيعَهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [التغابن: ٩].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ﴾ الْخَلَائِقَ لِلْعَرْضِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الْجَمْعُ..

﴿يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يَوْمَ غَبْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ..

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ وَمَنْ يُصَدِّقْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ، وَيَنْتَهِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ يَمْحُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ..

﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وَيُدْخِلْهُ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ خُلُودُهُمْ فِي الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفْنَا..

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [التغابن: ٩] النَّجَاءُ الْعَظِيمُ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾
[التغابن: ١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ..

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وَكَذَّبُوا بِأَدِلَّتِهِ وَحُجَجِهِ وَآيِ كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾ [التغابن: ١٠] وَبِئْسَ الشَّيْءُ الَّذِي يُصَارُ إِلَيْهِ جَهَنَّمُ.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾ [التغابن: ١١].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ لَمْ يُصِبْ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ مُصِيبَةٌ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا بِقَضَاءِ اللهِ وَتَقْدِيرِهِ ذَٰلِكَ عَلَيْهِ..

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ وَمَنْ يُصَدِّقْ بِاللهِ فَيَعْلَمْ أَنَّهُ لَا أَحَدَ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ بِذَلِكَ يَهْدِ قَلْبَهُ: يَقُولُ: يُوَفِّقِ اللهُ قَلْبَهُ بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾ [التغابن: ١١] وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ذُو عِلْمٍ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢﴾
[التغابن: ١٢].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ ﷺ..

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فَإِنْ أَدْبَرْتُمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ مُسْتَكْبِرِينَ عَنْهَا، فَلَمْ تُطِيعُوا اللهَ وَلَا رَسُولَهُ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ فَلَيْسَ عَلَىٰ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ..

﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢﴾ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَنَّهُ بَلَاغٌ إِلَيْكُمْ لِمَا أَرْسَلْتُهُ بِهِ، فَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْإِبْلَاغِ وَاللهُ وَلِيُّ الِانْتِقَامِ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾ [التغابن:١٣].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مَعْبُودُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ وَلَا مَعْبُودَ لَكُمْ سِوَاهُ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾ [التغابن: ١٣] وَعَلَىٰ اللهِ أَيُّهَا النَّاسُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾ [التغابن: ١٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ يَصُدُّونَكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَيُثَبِّطُونَكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ..

﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ فَاحْذَرُوهُمْ أَنْ تَقْبَلُوا مِنْهُمْ مَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ مِنْ تَرْكِ طَاعَةِ اللهِ، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا أَرَادُوا الْإِسْلَامَ وَالْهِجْرَةَ، فَثَبَّطَهُمْ عَنْ ذَلِكَ أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ..

﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾ إِنْ تَعْفُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ صَدِّهِمْ إِيَّاكُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْهِجْرَةِ..

﴿وَتَصْفَحُواْ﴾ وَتَصْفَحُوا لَهُمْ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ وَتَغْفِرُوا لَهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَكُمْ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ ذُنُوبِكُمْ..

﴿رَّحِيمٌ ۝١٤﴾ [التغابن: ١٤] بِكُمْ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكُمْ مِنْهَا.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ [التغابن: ١٥].

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ مَا أَمْوَالُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَوْلَادُكُمْ إِلَّا فِتْنَةٌ، يَعْنِي بَلَاءً عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التغابن: ١٥] وَاللهُ عِنْدَهُ ثَوَابٌ لَكُمْ عَظِيمٌ، إِذَا أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ أَوْلَادَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ رَبِّكُمْ، وَأَطَعْتُمُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَأَدَّيْتُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي عِنْدَ اللهِ الْجَنَّةُ.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن: ١٦].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ وَاحْذَرُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَخَافُوا عِقَابَهُ، وَتَجَنَّبُوا عَذَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ مَا أَطَقْتُمْ وَبَلَغَهُ وُسْعُكُمْ، وَذُكِرَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ نَزَلَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، تَخْفِيفًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ قَوْلَ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ نَاسِخٌ قَوْلَهُ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] نَاسِخٌ؛ إِذْ كَانَ مُحْتَمِلًا قَوْلُهُ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَنَّهُ لَهُ نَاسِخٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالْوَاجِبُ اسْتِعْمَالُهُمَا جَمِيعًا عَلَىٰ مَا يَحْتَمِلَانِ مِنْ وُجُوهِ الصِّحَّةِ..

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ وَاسْمَعُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَأَطِيعُواْ﴾ وَأَطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا﴾ وَأَنْفِقُوا مَالًا مِنْ أَمْوَالِكُمْ..

﴿لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾ تَسْتَنْقِذُوهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَالْخَيْرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَالُ..

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ وَمَنْ يَقِهِ اللهُ شُحَّ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ اتِّبَاعُ هَوَاهَا فِيمَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن: ١٦] فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وُقُوا شُحَّ أَنْفُسِهِمْ، الْمُنْجِحُونَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا طِلْبَاتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن: ١٧].

﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ إِنْ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَتُحْسِنُوا فِيهَا النَّفَقَةَ، وَتَحْتَسِبُوا بِإِنْفَاقِكُمُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ..

﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ يُضَاعِفْ ذَلِكَ لَكُمْ رَبُّكُمْ، فَيَجْعَلْ لَكُمْ مَكَانَ الْوَاحِدِ سَبْعَ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ مِنَ التَّضْعِيفِ..

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ ذُنُوبَكُمْ، فَيَصْفَحْ لَكُمْ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَيْهَا مَعَ تَضْعِيفِهِ نَفَقَتَكُمُ الَّتِي تُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِهِ..

﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ وَاللهُ ذُو شُكْرٍ لِأَهْلِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، بِحُسْنِ الْجَزَاءِ لَهُمْ عَلَىٰ مَا أَنْفَقُوا فِي الدُّنْيَا فِي سَبِيلِهِ..

﴿حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن: ١٧] عَنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ بِتَرْكِ مُعَاجَلَتِهِمْ بِعُقُوبَتِهِ.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [التغابن: ١٨].

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ عَالِمٌ مَا لَا تَرَاهُ أَعْيُنُ عِبَادِهِ وَيَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ..

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وَمَا يُشَاهِدُونَهُ فَيَرَوْنَهُ بِأَبْصَارِهِمْ..

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الشَّدِيدُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [التغابن: ١٨] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَصَرْفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّغَابُنِ



سُورَةُ الطَّلَاقِ (٦٥)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ①﴾ [الطلاق: ١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إِذَا طَلَّقْتُمْ نِسَاءَكُمْ..

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فَطَلِّقُوهُنَّ لِطُهْرِهِنَّ الَّذِي يُحْصِينَهُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ، طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ، وَلَا تُطَلِّقُوهُنَّ بِحَيْضِهِنَّ الَّذِي لَا يَعْتَدِدْنَ بِهِ مِنْ قُرْئِهِنَّ..

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ وَأَحْصُوا هَذِهِ الْعِدَّةَ وَأَقْرَاءَهَا فَاحْفَظُوهَا..

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ رَبَّكُمْ فَاحْذَرُوا مَعْصِيَتَهُ أَنْ تَتَعَدَّوا حَدَّهُ..

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ لَا تُخْرِجُوا مَنْ طَلَّقْتُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ لِعِدَّتِهِنَّ..

﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ الَّتِي كُنْتُمْ أَسْكَنْتُمُوهُنَّ فِيهَا قَبْلَ الطَّلَاقِ حَتَّىٰ تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ..

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ لَا تُخْرِجُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ أَنَّهَا فَاحِشَةٌ لِمَنْ عَايَنَهَا أَوْ عَلِمَهَا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: الْفَاحِشَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي الْمَوْضِعِ هُوَ الزِّنَا، وَالْإِخْرَاجُ الَّذِي أَبَاحَ اللهُ هُوَ الْإِخْرَاجُ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَاحِشَةُ الَّتِي عَنَاهَا اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْبَذَاءُ عَلَىٰ أَحْمَائِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ كُلُّ مَعْصِيَةٍ لِلهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ نُشُوزُهَا عَلَىٰ زَوْجِهَا، فَيُطَلِّقُهَا عَلَىٰ النُّشُوزِ، فَيَكُونُ لَهَا التَّحَوُّلُ حِينَئِذٍ مِنْ بَيْتِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَاحِشَةُ الْمُبَيِّنَةُ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ خُرُوجُهَا مِنْ بَيْتِهَا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنَىٰ بِالْفَاحِشَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَعْصِيَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَاحِشَةَ هِيَ كُلُّ أَمْرٍ قَبِيحٍ تَعَدَّىٰ فِيهِ حَدَّهُ، فَالزِّنَىٰ مِنْ ذَلِكَ، وَالسَّرِقُ وَالْبَذَاءُ عَلَىٰ الْأَحْمَاءِ، وَخُرُوجُهَا مُتَحَوِّلَةً عَنْ مَنْزِلِهَا الَّذِي يُلْزِمُهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِيهِ مِنْهُ، فَأَيُّ ذَلِكَ فَعَلَتْ وَهِيَ فِي عِدَّتِهَا، فَلِزَوْجِهَا إِخْرَاجُهَا مِنْ بَيْتِهَا ذَلِكَ، لِإِتْيَانِهَا بِالْفَاحِشَةِ الَّتِي رَكِبَتْهَا..

﴿وَتِلْكَ﴾ وَهَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي بَيَّنْتُهَا لَكُمْ مِنَ الطَّلَاقِ لِلْعِدَّةِ، وَإِحْصَاءِ الْعِدَّةِ، وَالْأَمْرِ بِاتِّقَاءِ

الله، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها، إلا أن تأتي بفاحشة مبينة..

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي حدها لكم أيها الناس فلا تعتدوها..

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ ومن يتجاوز حدود الله التي حدها لخلقه..

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ فقد أكسب نفسه وزرًا، فصار بذلك لها ظالمًا، وعليها متعديًا..

﴿لَا تَدْرِى﴾ ما الذي يحدث؟..

﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ①﴾ [الطلاق: ١] لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهن رجعة.

> ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ②﴾
> [الطلاق: ٢].

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ﴾ فإذا بلغ المطلقات اللواتي هن في عدة..

﴿أَجَلَهُنَّ﴾ وذلك حين قرب انقضاء عددهن..

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فأمسكوهن برجعة تراجعوهن، إن أردتم ذلك..

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بما أمرك الله به من الإمساك وذلك بإعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه لها من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة..

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أو اتركوهن حتى تنقضي عددهن، فتبين منكم بمعروف، يعني بإيفائها ما لها من حق قبله من الصداق والمتعة على ما أوجب عليها لها..

﴿وَأَشْهِدُوا۟﴾ وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتموهن، وذلك هو الرجعة..

﴿ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما..

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ وأشهدوا على الحق إذا استشهدتم، وأدوها على صحة إذا أنتم دعيتم إلى أدائها..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هذا الذي أمرتكم به، وعرفتكم من أمر الطلاق، والواجب لبعضكم على بعض عند الفراق والإمساك..

﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾ عظة منا لكم، نعظ به..

﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ من كانت صفته الإيمان بالله.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ من يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه..

﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ②﴾ [الطلاق: ٢] يجعل له من أمره مخرجًا، بأن يعرفه بأن ما قضى فلا بد من

أَنْ يَكُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُطَلِّقَ إِذَا طَلَّقَ، كَمَا نَدَبَهُ اللهُ إِلَيْهِ لِلْعِدَّةِ، وَلَمْ يُرَاجِعْهَا فِي عِدَّتِهَا حَتَّىٰ انْقَضَتْ ثُمَّ تَتْبَعُهَا نَفْسُهُ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مَخْرَجًا فِيمَا تَتْبَعُهَا نَفْسُهُ، بِأَنْ جَعَلَ لَهُ السَّبِيلَ إِلَىٰ خِطْبَتِهَا وَنِكَاحِهَا، وَلَوْ طَلَّقَهَا ثَلَاثًا لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٣].

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وَيُسَبِّبُ لَهُ أَسْبَابَ الرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، وَلَا يَعْلَمُ..

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ فِي أُمُورِهِ، وَيُفَوِّضُهَا إِلَيْهِ فَهُوَ كَافِيهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ بِكُلِّ حَالٍ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ أَوْ لَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ..

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنَ الطَّلَاقِ وَالْعِدَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٣] حَدًّا وَأَجَلًا وَقَدْرًا يُنْتَهَىٰ إِلَيْهِ.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ وَالنِّسَاءُ اللَّاتِي قَدِ ارْتَفَعَ طَمَعُهُنَّ عَنِ الْمَحِيضِ، فَلَا يَرْجُونَ أَنْ يَحِضْنَ مِنْ نِسَائِكُمْ..

﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنِ ارْتَبْتُمْ بِالدَّمِ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْهَا لِكِبَرِهَا، أَمِنَ الْحَيْضِ هُوَ، أَمْ مِنَ الِاسْتِحَاضَةِ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنِ ارْتَبْتُمْ بِحُكْمِهِنَّ فَلَمْ تَدْرُوا مَا الْحُكْمُ فِي عِدَّتِهِنَّ، فَإِنَّ عِدَّتَهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنِ ارْتَبْتُمْ مِمَّا يَظْهَرُ مِنْهُنَّ مِنَ الدَّمِ، فَلَمْ تَدْرُوا أَدَمُ حَيْضٍ، أَمْ دَمُ مُسْتَحَاضَةٍ مِنْ كِبَرٍ كَانَ ذَلِكَ أَوْ عِلَّةٍ؟.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: إِنِ ارْتَبْتُمْ فَلَمْ تَدْرُوا مَا الْحُكْمُ فِيهِنَّ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالَهُ مَنْ قَالَ: إِنِ ارْتَبْتُمْ بِدِمَائِهِنَّ فَلَمْ تَدْرُوا أَدَمُ حَيْضٍ، أَوِ اسْتِحَاضَةٍ؟ لَقِيلَ: إِنِ ارْتَبْتُنَّ لِأَنَّهُنَّ إِذَا أَشْكَلَ الدَّمُ عَلَيْهِنَّ فَهُنَّ الْمُرْتَابَاتُ بِدِمَاءِ أَنْفُسِهِنَّ لَا غَيْرِهِنَّ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ وَخِطَابِهِ الرِّجَالَ بِذَلِكَ دُونَ النِّسَاءِ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: إِنِ ارْتَبْتُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ بِالْحُكْمِ فِيهِنَّ؛ وَأُخْرَىٰ وَهُوَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾، وَالْيَائِسَةُ مِنَ الْمَحِيضِ هِيَ الَّتِي لَا تَرْجُو مَحِيضًا لِلْكِبَرِ، وَمُحَالٌ أَنْ يُقَالَ:

وَاللَّائِي يَئِسْنَ، ثُمَّ يُقَالَ: ارْتَبْتُمْ بِيَأْسِهِنَّ، لِأَنَّ الْيَأْسَ: هُوَ انْقِطَاعُ الرَّجَاءِ وَالْمُرْتَابُ بِيَأْسِهَا مَرْجُوٌّ لَهَا، وَغَيْرُ جَائِزٍ ارْتِفَاعُ الرَّجَاءِ وَوُجُودُهُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا كَانَ الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قُلْنَا، فَبَيِّنٌ أَنَّ تَأْوِيلَ الْآيَةِ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ بِالْحُكْمِ فِيهِنَّ، وَفِي عَدَدِهِنَّ، فَلَمْ تَدْرُوا مَا هُنَّ، فَإِنَّ حُكْمَ عِدَدِهِنَّ إِذَا طُلِّقْنَ، وَهُنَّ مِمَّنْ دَخَلَ بِهِنَّ أَزْوَاجُهُنَّ..

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ وَكَذَلِكَ عِدَدُ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ مِنَ الْجَوَارِي لِصِغَرٍ إِذَا طَلَّقَهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ بَعْدَ الدُّخُولِ..

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ فِي انْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، وَذَلِكَ إِجْمَاعٌ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْمُطَلَّقَةِ الْحَامِلِ..

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وَمَنْ يَخَفِ اللهَ فَرَهَبَهُ، فَاجْتَنَبَ مَعَاصِيَهُ، وَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ، وَلَمْ يُخَالِفْ إِذْنَهُ فِي طَلَاقِ امْرَأَتِهِ..

﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق: ٤] فَإِنَّهُ يَجْعَلُ اللهُ لَهُ مِنْ طَلَاقِهِ ذَلِكَ يُسْرًا، وَهُوَ أَنْ يُسَهِّلَ عَلَيْهِ إِنْ أَرَادَ الرُّخْصَةَ لِاتِّبَاعِ نَفْسِهِ إِيَّاهَا الرَّجْعَةَ مَا دَامَتْ فِي عِدَّتِهَا وَإِنِ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، ثُمَّ دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَيْهَا قَدَرَ عَلَىٰ خِطْبَتِهَا.

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾ [الطلاق: ٥].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي بَيَّنْتُ لَكُمْ مِنْ حُكْمِ الطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ وَالْعِدَّةِ..

﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ..

﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، لِتَأْتَمِرُوا لَهُ، وَتَعْمَلُوا بِهِ..

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وَمَنْ يَخَفِ اللهَ فَيَتَّقِهِ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ..

﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ يَمْحُ اللهُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ..

﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾ [الطلاق: ٥] وَيُجْزِلْ لَهُ الثَّوَابَ عَلَىٰ عَمَلِهِ ذَلِكَ وَتَقْوَاهُ، وَمِنْ إِعْظَامِهِ لَهُ الْأَجْرَ عَلَيْهِ أَنْ يُدْخِلَهُ جَنَّتَهُ، فَيُخَلِّدَهُ فِيهَا.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦﴾ [الطلاق: ٦].

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ أَسْكِنُوا مُطَلَّقَاتِ نِسَائِكُمْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي سَكَنْتُمْ..

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ مِنْ سِعَتِكُمُ الَّتِي تَجِدُونَ؛ وَإِنَّمَا أَمَرَ الرِّجَالَ أَنْ يُعْطُوهُنَّ مَسْكَنًا يَسْكُنُهُ مِمَّا يَجِدُونَهُ، حَتَّىٰ يَقْضِينَ عِدَدَهُنَّ..

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ فِي الْمَسْكَنِ الَّذِي تُسْكِنُونَهُنَّ فِيهِ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَ سَعَةً مِنَ الْمَنَازِلِ..

﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ فِي الْمَسْكَنِ مَعَ وُجُودِكُمُ السَّعَةَ..

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾ وَإِنْ كَانَ نِسَاؤُكُمُ الْمُطَلَّقَاتُ أُولَاتِ حَمْلٍ وَكُنَّ بَائِنَاتٍ مِنْكُمْ..

﴿فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ فِي عِدَّتِهِنَّ مِنْكُمْ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ..

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ فَإِنْ أَرْضَعَ لَكُمْ نِسَاؤُكُمُ الْبَوَائِنُ مِنْكُمْ أَوْلَادَهُنَّ الْأَطْفَالَ مِنْكُمْ بِأُجْرَةٍ..

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ عَلَىٰ رَضَاعِهِنَّ إِيَّاهُمْ..

﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ وَلْيَقْبَلْ بَعْضُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ بَعْضٍ مَا أَمَرَكُمْ بَعْضُكُمْ بِهِ بَعْضًا مِنْ مَعْرُوفٍ..

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ وَإِنْ تَعَاسَرَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ فِي رَضَاعِ وَلَدِهَا مِنْهُ، فَامْتَنَعَتْ مِنْ رَضَاعِهِ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ لَهُ إِكْرَاهُهَا عَلَىٰ إِرْضَاعِهِ..

﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ⑥﴾ [الطلاق: ٦] وَلَكِنَّهُ يَسْتَأْجِرُ لِلصَّبِيِّ مُرْضِعَةً غَيْرَ أُمِّهِ الْبَائِنَةِ مِنْهُ.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ⑦﴾ [الطلاق: ٧].

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ لِيُنْفِقِ الَّذِي بَانَتْ مِنْهُ امْرَأَتُهُ إِذَا كَانَ ذَا سَعَةٍ مِنَ الْمَالِ، وَغِنًىٰ مِنْ سَعَةِ مَالِهِ وَغِنَاهُ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ الْبَائِنَةِ فِي أَجْرِ رَضَاعِ وَلَدِهِ مِنْهَا، وَعَلَىٰ وَلَدِهِ الصَّغِيرِ..

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَمْ يُوَسَّعْ عَلَيْهِ..

﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ عَلَىٰ قَدْرِ مَالِهِ، وَمَا أَعْطَىٰ مِنْهُ..

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ لَا يُكَلِّفُ اللهُ أَحَدًا مِنَ النَّفَقَةِ عَلَىٰ مَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ لَا مَا أَعْطَاهُ، إِنْ كَانَ ذَا سَعَةٍ فَمِنْ سَعَتِهِ، وَإِنْ كَانَ مَقْدُورًا عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَمِمَّا رَزَقَهُ اللهُ عَلَىٰ قَدْرِ طَاعَتِهِ، لَا يُكَلِّفُ الْفَقِيرَ نَفَقَةَ الْغَنِيِّ، وَلَا أَحَدَ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا فَرْضَهُ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ..

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ﴾ لِلْمُقِلِّ مِنَ الْمَالِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ رِزْقُهُ..

﴿بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ⑦﴾ [الطلاق: ٧] مِنْ بَعْدِ شِدَّةٍ رَخَاءً، وَمِنْ بَعْدِ ضِيقٍ سَعَةً، وَمِنْ بَعْدِ فَقْرٍ غِنًىٰ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨﴾ [الطلاق: ٨].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ طَغَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَخَالَفُوهُ، وَعَنْ أَمْرِ رُسُلِ رَبِّهِمْ، فَتَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ، وَلَجُّوا فِي كُفْرِهِمْ..

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ فَحَاسَبْنَاهَا عَلَىٰ نِعْمَتِنَا عِنْدَهَا وَشُكْرِهَا..

﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ حِسَابًا اسْتَقْصَيْنَا فِيهِ عَلَيْهِمْ، لَمْ نَعْفُ لَهُمْ فِيهِ عَنْ شَيْءٍ، وَلَمْ نَتَجَاوَزْ فِيهِ عَنْهُمْ..

﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨﴾ [الطلاق: ٨] وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا عَظِيمًا مُنْكَرًا، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾ [الطلاق: ٩].

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ فَذَاقَتْ هَذِهِ الْقَرْيَةُ الَّتِي عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ، عَاقِبَةَ مَا عَمِلَتْ وَأَتَتْ مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ..

﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا﴾ وَكَانَ الَّذِي أَعْقَبَ أَمْرَهُمْ، وَذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِاللهِ وَعِصْيَانُهُمْ إِيَّاهُ..

﴿خُسْرًا ۝٩﴾ [الطلاق: ٩] غَبْنًا، لِأَنَّهُمْ بَاعُوا نَعِيمَ الْآخِرَةِ بِخَسِيسٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، وَآثَرُوا اتِّبَاعَ أَهْوَائِهِمْ عَلَىٰ اتِّبَاعِ أَمْرِ اللهِ.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠﴾ [الطلاق: ١٠].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ أَعَدَّ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَرُسُلِهِ..

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ..

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فَخَافُوا اللهَ، وَاحْذَرُوا سَخَطَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ يَا أُولِي الْعُقُولِ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرُسُلَهُ..

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ﴾ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ..

﴿ذِكْرًا ۝١٠﴾ [الطلاق: ١٠] مِنَ اللهِ لَكُمْ يُذَكِّرُكُمْ بِهِ، وَيُنَبِّهُكُمْ عَلَىٰ حَظِّكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ.

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝١١﴾
[الطلاق: ١١].

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ..

﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ لِمَنْ سَمِعَهَا وَتَدَبَّرَهَا أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كَيْ يُخْرِجَ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَأَطَاعُوهُ..

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ مِنَ الْكُفْرِ..

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إِلَىٰ الْإِيمَانِ..

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ وَمَنْ يُصَدِّقْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ..

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يُدْخِلْهُ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ مَاكِثِينَ مُقِيمِينَ فِي الْبَسَاتِينِ الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا..

﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ⑪﴾ [الطلاق: ١١] قَدْ وَسَّعَ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّاتِ رِزْقًا، يَعْنِي بِالرِّزْقِ: مَا رَزَقَهُ فِيهَا مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَسَائِرِ مَا أَعَدَّ لِأَوْلِيَائِهِ فِيهَا، فَطَيَّبَهُ لَهُمْ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ⑫﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ لَا مَا يَعْبُدُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ خَلْقِ شَيْءٍ..

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ وَخَلَقَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ لَمَا فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِثْلُ مَا فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يَتَنَزَّلُ أَمْرُ اللهِ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْأَرْضِ السَّابِعَةِ..

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يَنْزِلُ قَضَاءُ اللهِ وَأَمْرُهُ بَيْنَ ذَلِكَ كَيْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ كُنْهَ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَمْرٌ شَاءَهُ، وَلَكِنَّهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ⑫﴾ [الطلاق: ١٢] وَلِتَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ مُحِيطٌ عِلْمًا، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ، فَخَافُوا أَيُّهَا النَّاسُ الْمُخَالِفُونَ أَمْرَ رَبِّكُمْ عُقُوبَتَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ عُقُوبَتِكُمْ مَانِعٌ، وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ قَادِرٌ، وَمُحِيطٌ أَيْضًا بِأَعْمَالِكُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا خَافٍ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ، لِيُجَازِيَكُمْ بِهَا. يَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الطَّلَاقِ

سُورَةُ التَّحْرِيمِ (٦٦)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ①﴾ [التحريم: ١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الْمُحَرِّمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ مَرْضَاةَ أَزْوَاجِهِ..

﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ عَلَىٰ نَفْسِكَ الْحَلَالَ..

﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الَّذِي أَحَلَّهُ اللهُ لَكَ..

﴿تَبْتَغِي﴾ تَلْتَمِسُ بِتَحْرِيمِكَ ذَلِكَ..

﴿مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْحَلَالِ الَّذِي كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَلَّهُ لِرَسُولِهِ، فَحَرَّمَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ أَزْوَاجِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ذَلِكَ مَارِيَةُ مَمْلُوكَتُهُ الْقِبْطِيَّةُ، حَرَّمَهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ بِيَمِينٍ أَنَّهُ لَا يَقْرَبُهَا طَالِبًا بِذَلِكَ رِضَا حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ زَوْجَتِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ غَارَتْ بِأَنْ خَلَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي يَوْمِهَا وَفِي حُجْرَتِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَارِيَتَهُ، فَجَعَلَ اللهُ ﷻ تَحْرِيمَهُ إِيَّاهَا بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ، فَأَوْجَبَ فِيهَا مِنَ الْكَفَّارَةِ مِثْلَ مَا أَوْجَبَ فِي الْيَمِينِ إِذَا حَنِثَ فِيهَا صَاحِبُهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ ذَلِكَ شَرَابًا يَشْرَبُهُ، كَانَ يُعْجِبُهُ ذَلِكَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: كَانَ الَّذِي حَرَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ نَفْسِهِ شَيْئًا كَانَ اللهُ قَدْ أَحَلَّهُ لَهُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ جَارِيَتَهُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ شَرَابًا مِنَ الْأَشْرِبَةِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ تَحْرِيمُ شَيْءٍ كَانَ لَهُ حَلَالًا، فَعَاتَبَهُ اللهُ عَلَىٰ تَحْرِيمِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ مَا كَانَ لَهُ قَدْ أَحَلَّهُ، وَبَيَّنَ لَهُ تَحِلَّةَ يَمِينِهِ فِي يَمِينٍ كَانَ حَلَفَ بِهَا مَعَ تَحْرِيمِهِ مَا حَرَّمَ عَلَىٰ نَفْسِهِ..

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِذُنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَقَدْ غَفَرَ لَكَ تَحْرِيمَكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ مَا أَحَلَّهُ اللهُ لَكَ..

﴿رَحِيمٌ ①﴾ [التحريم: ١] بِعِبَادِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ مَا قَدْ تَابُوا مِنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ②﴾ [التحريم: ٢].

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ قَدْ بَيَّنَ اللهُ ﷻ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ، وَحَدَّهَا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يَتَوَلَّاكُمْ بِنَصْرِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِمَصَالِحِكُمْ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم: ٢] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاكُمْ، وَصَرْفِكُمْ فِيمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣].

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ وَهُوَ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ وَالشَّعْبِيِّ وَالضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ: حَفْصَةُ..

﴿حَدِيثًا﴾ وَالْحَدِيثُ الَّذِي أَسَرَّ إِلَيْهَا فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ هُوَ قَوْلُهُ لِمَنْ أَسَرَّ إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ أَزْوَاجِهِ تَحْرِيمُ فَتَاتِهِ، أَوْ مَا حَرَّمَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَحَلَّهُ لَهُ، وَحَلِفُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَقَوْلُهُ: «لَا تَذْكُرِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ»..

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ فَلَمَّا أَخْبَرَتْ بِالْحَدِيثِ الَّذِي أَسَرَّ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَاحِبَتَهَا وَأَظْهَرَهُ عَلَيْهِ يَقُولُ..

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وَأَظْهَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ أَنَّهَا قَدْ أَنْبَأَتْ بِذَلِكَ صَاحِبَتَهَا..

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ النَّبِيُّ ﷺ حَفْصَةَ، يَعْنِي: مَا أَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهَا صَاحِبَتَهَا..

﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ وَتَرَكَ أَنْ يُخْبِرَهَا بِبَعْضٍ..

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ فَلَمَّا خَبَّرَ حَفْصَةَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ بِمَا أَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ إِفْشَائِهَا سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عَائِشَةَ..

﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ قَالَتْ حَفْصَةُ لِرَسُولِ اللهِ: مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا الْخَبَرَ وَأَخْبَرَكَ بِهِ..

﴿قَالَ﴾ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللهِ لِحَفْصَةَ..

﴿نَبَّأَنِيَ﴾ خَبَّرَنِي بِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِسَرَائِرِ عِبَادِهِ، وَضَمَائِرِ قُلُوبِهِمْ..

﴿ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣] بِأُمُورِهِمْ، الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَنْهُ شَيْءٌ.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم: ٤].

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَيَّتُهَا الْمَرْأَتَانِ..

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فَقَدْ مَالَتْ وزَاغَتْ وأَثِمَتْ قُلُوبُكُمَا إِلَىٰ مَحَبَّةِ مَا كَرِهَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنِ

اجْتِنَابِهِ جَارِيَتَهُ، وَتَحْرِيمِهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، أَوْ تَحْرِيمِ مَا كَانَ لَهُ حَلَالًا مِمَّا حَرَّمَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِسَبَبِ حَفْصَةَ..

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلَّتِي أَسَرَّ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، وَالَّتِي أَفْشَتْ إِلَيْهَا حَدِيثَهُ، وَهُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ فَإِنَّ اللهَ هُوَ وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ..

﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَخِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ.. وَقِيلَ: عُنِيَ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مَعَ جِبْرِيلَ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم: ٤] أَعْوَانٌ عَلَىٰ مَنْ أَذَاهُ، وَأَرَادَ مَسَاءَتَهُ.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التحريم: ٥].

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾ عَسَىٰ رَبُّ مُحَمَّدٍ..

﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ يَا مَعْشَرَ أَزْوَاجِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ مِنْكُنَّ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَحْذِيرًا مِنَ اللهِ نِسَاءَهُ لَمَّا اجْتَمَعْنَ عَلَيْهِ فِي الْغَيْرَةِ..

﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ خَاضِعَاتٍ لِلهِ بِالطَّاعَةِ..

﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مُصَدِّقَاتٍ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مُطِيعَاتٍ لِلهِ..

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ رَاجِعَاتٍ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ اللهُ مِنْهُنَّ مِنْ طَاعَتِهِ عَمَّا يَكْرَهُهُ مِنْهُنَّ..

﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ مُتَذَلِّلَاتٍ لِلهِ بِطَاعَتِهِ..

﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صَائِمَاتٍ..

﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ وَهُنَّ اللَّوَاتِي قَدِ افْتُرِعْنَ وَذَهَبَتْ عُذْرَتُهُنَّ..

﴿وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التحريم: ٥] وَهُنَّ اللَّوَاتِي لَمْ يُجَامَعْنَ، وَلَمْ يُفْتَرَعْنَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ عَلِّمُوا بَعْضَكُمْ بَعْضًا مَا تَقُونَ بِهِ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ النَّارَ، وَتَدْفَعُونَهَا عَنْهُ إِذَا عَمِلَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَاعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ وَعَلِّمُوا أَهْلِيكُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ مَا يَقُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ النَّارِ..

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ حَطَبُهَا الَّذِي يُوقَدُ عَلَىٰ هَذِهِ النَّارِ بَنُو آدَمَ وَحِجَارَةُ الْكِبْرِيتِ..

﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ عَلَىٰ هَذِهِ النَّارِ مَلَائِكَةٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ، غِلَاظٌ عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ، شِدَادٌ عَلَيْهِمْ..

﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ لَا يُخَالِفُونَ اللهَ فِي أَمْرِهِ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ..

﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦] وَيَنْتَهُونَ إِلَىٰ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧﴾ [التحريم: ٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ فِي الدُّنْيَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ..

﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧﴾ [التحريم: ٧] إِنَّمَا تُثَابُونَ الْيَوْمَ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَتُعْطَوْنَ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ، فَلَا تَطْلُبُوا الْمَعَاذِيرَ مِنْهَا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨﴾ [التحريم: ٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ..

﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ارْجِعُوا مِنْ ذُنُوبِكُمْ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَإِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ..

﴿تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ رُجُوعًا لَا تَعُودُونَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَمْحُوَ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ..

﴿وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وَأَنْ يُدْخِلَكُمْ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ أَمَامَهُمْ..

﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ كِتَابُهُمْ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُبْقِيَ لَهُمْ نُورَهُمْ، فَلَا يُطْفِئَهُ حَتَّىٰ يَجُوزُوا الصِّرَاطَ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] ..

﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ وَاسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا، وَلَا تَفْضَحْنَا بِهَا بِعُقُوبَتِكَ إِيَّانَا عَلَيْهَا..

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم: ٨] إِنَّكَ عَلَىٰ إِتْمَامِ نُورِنَا لَنَا، وَغُفْرَانِ ذُنُوبِنَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، ذُو قُدْرَةٍ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٩﴾ [التحريم: ٩].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بِالسَّيْفِ..

﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بِالْوَعِيدِ وَاللِّسَانِ..

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وَاشْدُدْ عَلَيْهِمْ فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وَمُكْثُهُمْ جَهَنَّمُ، وَمَصِيرُهُمُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ نَارُ جَهَنَّمَ..

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٩﴾ [التحريم: ٩] وَبِئْسَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ جَهَنَّمُ.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۝١٠﴾ [التحريم: ١٠].

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ مَثَّلَ اللهُ مَثَلًا..

﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنَ النَّاسِ وَسَائِرِ الْخَلْقِ..

﴿امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ وَهُمَا نُوحٌ وَلُوطٌ..

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ ذُكِرَ أَنَّ خِيَانَةَ امْرَأَةِ نُوحٍ زَوْجَهَا أَنَّهَا كَانَتْ كَافِرَةً، وَكَانَتْ تَقُولُ لِلنَّاسِ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَأَنَّ خِيَانَةَ امْرَأَةِ لُوطٍ، أَنَّ لُوطًا كَانَ يُسِرُّ الضَّيْفَ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ..

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فَلَمْ يُغْنِ نُوحٌ وَلُوطٌ عَنِ امْرَأَتَيْهِمَا مِنَ اللهِ لَمَّا عَاقَبَهُمَا عَلَىٰ خِيَانَتِهِمَا أَزْوَاجَهُمَا شَيْئًا، وَلَمْ يَنْفَعْهُمَا أَنْ كَانَتْ أَزْوَاجُهُمَا أَنْبِيَاءَ..

﴿وَقِيلَ﴾ قَالَ اللهُ لَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿ٱدْخُلَا﴾ أَيَّتُهَا الْمَرْأَتَانِ..

﴿ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ [التحريم: ١٠] فِيهَا.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم: ١١].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَوَحَّدُوهُ..

﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ الَّتِي آمَنَتْ بِاللهِ وَوَحَّدَتْهُ، وَصَدَّقَتْ رَسُولَهُ مُوسَىٰ، وَهِيَ تَحْتَ عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ كَافِرٍ، فَلَمْ يَضُرَّهَا كُفْرُ زَوْجِهَا، إِذْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً بِاللهِ، وَكَانَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ، وَأَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ..

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهَا فَبَنَىٰ لَهَا بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ وَأَنْقِذْنِي مِنْ عَذَابِ فِرْعَوْنَ، وَمِنْ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَذَلِكَ كُفْرُهُ بِاللهِ..

﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم: ١١] وَأَخْلِصْنِي وَأَنْقِذْنِي مِنْ عَمَلِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ بِكَ، وَمِنْ عَذَابِهِمْ.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: ١٢].

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ..

﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ الَّتِي مَنَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا جِبْرِيلَ ﷺ، وَكُلُّ مَا كَانَ فِي الدِّرْعِ مِنْ خَرْقٍ أَوْ فَتْقٍ، فَإِنَّهُ يُسَمَّىٰ فَرْجًا، وَكَذَلِكَ كُلُّ صَدْعٍ وَشَقٍّ فِي حَائِطٍ، أَوْ فَرْجِ سَقْفٍ فَهُوَ فَرْجٌ..

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ فَنَفَخْنَا فِي جَيْبِ دِرْعِهَا، وَذَلِكَ فَرْجُهَا..

﴿مِن رُّوحِنَا﴾ مِنْ جِبْرَئِيلَ، وَهُوَ الرُّوحُ..

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ آمَنَتْ بِعِيسَىٰ، وَهُوَ كَلِمَةُ اللهِ..

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ يَعْنِي: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ..

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: ١٢] وَكَانَتْ مِنَ الْقَوْمِ الْمُطِيعِينَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّحْرِيمِ

سُورَةُ المُلْكِ (٦٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُها ثَلاثُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعاظَمَ وَتَعالَىٰ..

﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ بِيَدِهِ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسُلْطَانُهُمَا نَافِذٌ فِيهِمَا أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١] وَهُوَ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ فِعْلَهُ ذُو قُدْرَةٍ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ فِعْلِهِ مَانِعٌ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عَجْزٌ.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك: ٢].

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ فَأَمَاتَ مَنْ شَاءَ وَمَا شَاءَ، وَأَحْيَا مَنْ أَرَادَ وَمَا أَرَادَ إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ..

﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ لِيَخْتَبِرَكُمْ فَيَنْظُرَ أَيُّكُمْ لَهُ أَيُّهَا النَّاسُ أَطْوَعُ، وَإِلَىٰ طَلَبِ رِضَاهُ أَسْرَعُ..

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ وَهُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ انْتِقَامُهُ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ..

﴿ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك: ٢] ذُنُوبَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ وَتَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾ [الملك: ٣].

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ طَبَقًا فَوْقَ طَبَقٍ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ..

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ الَّذِي خَلَقَ، لَا فِي سَمَاءٍ وَلَا فِي أَرْضٍ، وَلَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ..

﴿مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ مِنَ اخْتِلَافٍ..

﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ فَرُدَّ الْبَصَرَ..

﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾ [الملك: ٣] هَلْ تَرَىٰ فِيهِ مِنْ صُدُوعٍ؟ وَهِيَ مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ بِمَعْنَىٰ يَتَشَقَّقْنَ وَيَتَصَدَّعْنَ.

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [الملك: ٤].

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ ثُمَّ رُدَّ الْبَصَرَ يَا ابْنَ آدَمَ..

﴿كَرَّتَيۡنِ﴾ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، فَانْظُرْ، هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ أَوْ تَفَاوُتٍ..

﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَصَرُكَ صَاغِرًا مُبْعَدًا، مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْكَلْبِ: اخْسَأْ، إِذَا طَرَدُوهُ؛ أَيِ: ابْعِدْ صَاغِرًا..

﴿وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [الملك: ٤] وَهُوَ مُعْيٍ كَالٌّ.

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك: ٥].

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وَهِيَ النُّجُومُ.. وَجَعَلَهَا مَصَابِيحَ لِإِضَاءَتِهَا، وَكَذَلِكَ الصُّبْحُ إِنَّمَا قِيلَ لَهُ صُبْحٌ لِلضَّوْءِ الَّذِي يُضِيءُ لِلنَّاسِ مِنَ النَّهَارِ..

﴿وَجَعَلۡنَٰهَا﴾ وَجَعَلْنَا الْمَصَابِيحَ الَّتِي زَيَّنَّا بِهَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا..

﴿رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ تُرْجَمُ بِهَا..

﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلشَّيَاطِينِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الملك: ٥] تُسَعَّرُ عَلَيْهِمْ فَتُسَجَّرُ.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦﴾ [الملك: ٦].

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ الَّذِي خَلَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿عَذَابُ جَهَنَّمَۖ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦﴾ [الملك: ٦] عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾ [الملك: ٧].

﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا﴾ إِذَا أُلْقِيَ الْكَافِرُونَ فِي جَهَنَّمَ..

﴿سَمِعُواْ لَهَا﴾ يَعْنِي لِجَهَنَّمَ..

﴿شَهِيقٗا﴾ يَعْنِي بِالشَّهِيقِ: الصَّوْتَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْجَوْفِ بِشِدَّةٍ كَصَوْتِ الْحِمَارِ..

﴿وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾ [الملك: ٧] تَغْلِي.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨﴾ [الملك: ٨].

﴿تَكَادُ﴾ جَهَنَّمَ..

﴿تَمَيَّزُ﴾ تتفرَّقُ وَتتقطَّعُ..

﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ عَلَىٰ أَهْلِهَا..

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ جَمَاعَةٌ..

﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ سَأَلَ الْفَوْجَ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، فَقَالُوا لَهُمْ..

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿نَذِيرٌ ۝٨﴾ [الملك: ٨] يُنْذِرُكُمْ هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ؟ فَأَجَابَهُمُ الْمَسَاكِينُ فَـ.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك: ٩].

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ يُنْذِرُنَا هَذَا..

﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا﴾ لَهُ..

﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك: ٩] فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ بَعِيدٍ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ١٠].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ الْفَوْجُ الَّذِي أُلْقِيَ فِي النَّارِ لِلْخَزَنَةِ..

﴿لَوْ كُنَّا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿نَسْمَعُ﴾ مِنَ النُّذُرِ مَا جَاءُونَا بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ..

﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَنَا إِلَيْهِ..

﴿مَا كُنَّا﴾ الْيَوْمَ..

﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ١٠] يَعْنِي: أَهْلَ النَّارِ.

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١١].

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ فَأَقَرُّوا بِذَنْبِهِمْ، وَوَحَّدَ الذَّنْبَ وَقَدْ أُضِيفَ إِلَىٰ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَىٰ فَعَلَ، فَأَدَّىٰ الْوَاحِدُ عَنِ الْجَمْعِ، كَمَا يُقَالُ: خَرَجَ عَطَاءُ النَّاسِ، وَأُعْطِيَةُ النَّاسِ..

﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١١] فَبُعْدًا لِأَهْلِ النَّارِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ [الملك: ١٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ..

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ وَهُمْ لَمْ يَرَوْهُ..

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لَهُمْ عَفْوٌ مِنَ اللهِ عَنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢] وَثَوَابٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ عَلَىٰ خَشْيَتِهِمْ إِيَّاهُ بِالْغَيْبِ جَزِيلٌ.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: ١٣].

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ﴾ وَأَخْفُوا قَوْلَكُمْ وَكَلَامَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَوْ أَعْلِنُوهُ وَأَظْهِرُوهُ..

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: ١٣] إِنَّهُ ذُو عِلْمٍ بِضَمَائِرِ الصُّدُورِ الَّتِي لَمْ يُتَكَلَّمْ بِهَا، فَكَيْفَ بِمَا نُطِقَ بِهِ وَتُكُلِّمَ بِهِ، أُخْفِيَ ذَلِكَ أَوْ أُعْلِنَ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ ضَمَائِرُ الصُّدُورِ فَغَيْرُهَا أَحْرَىٰ أَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أَلَا يَعْلَمُ الرَّبُّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ؟ يَقُولُ: كَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَلْقُهُ الَّذِي خَلَقَ..

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بِعِبَادِهِ..

﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤] بِهِمْ وَبِأَعْمَالِهِمْ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥].

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ..

﴿ذَلُولًا﴾ سَهْلًا سَهَّلَهَا لَكُمْ..

﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فَامْشُوا فِي نَوَاحِيهَا وَجَوَانِبِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ نَوَاحِيهَا نَظِيرُ مَنَاكِبِ الْإِنْسَانِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَطْرَافِهِ..

﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ﴾ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ لَكُمْ مِنْ مَنَاكِبِ الْأَرْضِ..

﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥] وَإِلَىٰ اللهِ نَشْرُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك: ١٦].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ..

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك: ١٦] فَإِذَا الْأَرْضُ تَذْهَبُ بِكُمْ وَتَجِيءُ وَتَضْطَرِبُ.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [الملك: ١٧].

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وَهُوَ اللهُ..

﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ﴾ وَهُوَ التُّرَابُ فِيهِ الْحَصْبَاءُ الصِّغَارُ..

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ..

﴿كَيْفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [الملك: ١٧] كَيْفَ عَاقِبَةُ نَذِيرِي لَكُمْ، إِذْ كَذَّبْتُمْ بِهِ، وَرَدَدْتُمُوهُ عَلَىٰ رَسُولِي.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨﴾ [الملك: ١٨].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ رُسُلَهُمْ..

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨﴾ [الملك: ١٨] فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِي تَكْذِيبَهُمْ إِيَّاهُمْ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ [الملك: ١٩].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أَوَ لَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أَجْنِحَتَهُنَّ..

﴿وَيَقْبِضْنَۚ﴾ أَجْنِحَتَهُنَّ أَحْيَانًا، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَصُفُّ أَجْنِحَتَهَا أَحْيَانًا، وَتَقْبِضُ أَحْيَانًا..

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ مَا يُمْسِكُ الطَّيْرَ الصَّافَّاتِ فَوْقَكُمْ إِلَّا الرَّحْمَنُ، يَقُولُ: فَلَهُمْ بِذَلِكَ مُذَكِّرٌ إِنْ ذُكِّرُوا، وَمُعْتَبَرٌ إِنِ اعْتَبَرُوا، يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّ رَبَّهُمْ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ [الملك: ١٩] إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ ذُو بَصَرٍ وَخِبْرَةٍ، لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ، وَلَا يُرَىٰ فِي خَلْقِهِ تَفَاوُتٌ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾ [الملك: ٢٠].

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ: مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِهِ..

﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا، فَيَدْفَعُ عَنْكُمْ مَا أَرَادَ بِكُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾ [الملك: ٢٠] مَا الْكَافِرُونَ بِاللهِ إِلَّا فِي غُرُورٍ مِنْ ظَنِّهِمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَأَنَّهَا تَنفَعُ أَوْ تَضُرُّ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [الملك: ٢١].

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي يُطْعِمُكُمْ وَيَسْقِيكُمْ، وَيَأْتِي بِأَقْوَاتِكُمْ إِنْ أَمْسَكَ بِكُمْ رِزْقَهُ الَّذِي يَرْزُقُهُ عَنْكُمْ..

﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [الملك: ٢١] بَلْ تَمَادَوْا فِي طُغْيَانٍ وَنُفُورٍ عَنِ الْحَقِّ وَاسْتِكْبَارٍ.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢].

﴿أَفَمَن يَمْشِى﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ لَا يُبْصِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ..

﴿أَهْدَىٰٓ﴾ أَشَدُّ اسْتِقَامَةً عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وَأَهْدَىٰ لَهُ..

﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ مَشْيَ بَنِي آدَمَ عَلَىٰ قَدَمَيْهِ..

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢] عَلَىٰ طَرِيقٍ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ اللهُ الَّذِي أَنْشَأَكُم فَخَلَقَكُمْ..

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ تَسْمَعُونَ بِهِ..

﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ تُبْصِرُونَ بِهَا..

﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ تَعْقِلُونَ بِهَا..

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣] رَبَّكُمْ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الملك: ٢٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِي الْأَرْضِ...

﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الملك: ٢٤] وَإِلَىٰ اللهِ تُحْشَرُونَ، فَتُجْمَعُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الملك: ٢٥].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ مَتَىٰ يَكُونُ مَا تَعِدُنَا مِنَ الْحَشْرِ إِلَىٰ اللهِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٥﴾ [الملك: ٢٥] فِي وَعْدِكُمْ إِيَّانَا مَا تَعِدُونَنَا.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٦﴾ [الملك: ٢٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِيكَ بِالْعَذَابِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ إِنَّمَا عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَتَىٰ تَقُومُ الْقِيَامَةُ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ غَيْرُهُ..

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ أُنْذِرُكُمْ عَذَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿مُّبِينٌ ۝٢٦﴾ [الملك: ٢٦] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ إِنْذَارَهُ.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧﴾ [الملك: ٢٧].

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَذَابَ اللهِ..

﴿زُلْفَةً﴾ قَرِيبًا، وَعَايَنُوهُ..

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ سَاءَ اللهُ بِذَلِكَ وُجُوهَ الْكَافِرِينَ..

﴿وَقِيلَ﴾ وَقَالَ اللهُ لَهُمْ..

﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧﴾ [الملك: ٢٧] هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ رَبَّكُمْ أَنْ يُعَجِّلَهُ لَكُمْ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الملك:٢٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ فَأَمَاتَنِي..

﴿وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ فَأَخَّرَ فِي آجَالِنَا..

﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بِاللهِ..

﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الملك:٢٨] مِنْ عَذَابٍ مُوجِعٍ مُؤْلِمٍ، وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ.. يَقُولُ: لَيْسَ يُنَجِّي الْكُفَّارَ مِنْ عَذَابِ اللهِ مَوْتُنَا وَحَيَاتُنَا، فَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَعْجِلُوا قِيَامَ السَّاعَةِ، وَنُزُولَ الْعَذَابِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِكُمْ، بَلْ ذَلِكَ بَلَاءٌ عَلَيْكُمْ عَظِيمٌ.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩﴾ [الملك: ٢٩].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ رَبُّنَا الرَّحْمَنُ..

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ صَدَّقْنَا بِهِ..

﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ وَعَلَيْهِ اعْتَمَدْنَا فِي أُمُورِنَا، وَبِهِ وَثِقْنَا فِيهَا..

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ فَسَتَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩﴾ [الملك: ٢٩] الَّذِي هُوَ فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ، وَالَّذِي هُوَ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ إِذَا صِرْنَا إِلَيْهِ، وَحُشِرْنَا جَمِيعًا.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾ [الملك: ٣٠].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ الْعَادِلُونَ بِاللهِ..

﴿إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ غَائِرًا لَا تَنَالُهُ الدِّلَاءُ..

﴿فَمَن يَأۡتِيكُم﴾ فَمَنْ يَجِيئُكُمْ..

﴿بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾ [الملك: ٣٠] الَّذِي تَرَاهُ الْعُيُونُ ظَاهِرًا.. قَالَ قَتَادَةُ: الْمَاءُ الْمَعِينُ: الْجَارِي.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُلْكِ



سُورَةُ الْقَلَمِ (٦٨)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم: ١].

﴿نٓ﴾ قَدْ ذَكَرْنَا الْقَوْلَ فِيمَا جَانَسَ ذَلِكَ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهَا أَوَائِلُ السُّوَرِ، وَالْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ نَظِيرُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ..

﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ الْقَلَمُ: فَهُوَ الْقَلَمُ الْمَعْرُوفُ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِيَ أَقْسَمَ بِهِ رَبُّنَا مِنَ الْأَقْلَامِ: الْقَلَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، فَأَمَرَهُ فَجَرَىٰ بِكِتَابَةِ جَمِيعِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم: ١] وَالَّذِي يَخُطُّونَ وَيَكْتُبُونَ.. وَإِذَا وُجِّهَ التَّأْوِيلِ إِلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ كَانَ الْقَسَمُ بِالْخَلْقِ وَأَفْعَالِهِمْ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ الْكَلَامُ مَعْنًى آخَرَ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَسَطْرِهِمْ مَا يَسْطُرُونَ، فَتَكُونُ مَا بِمَعْنَىٰ الْمَصْدَرِ، وَإِذَا وُجِّهَ التَّأْوِيلِ إِلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ، كَانَ الْقَسَمُ بِالْكِتَابِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ن وَالْقَلَمِ وَالْكِتَابِ.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم: ٢].

﴿مَآ أَنتَ﴾ يَا مُحَمَّد..

﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم: ٢] مُكَذِّبًا بِذَلِكَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ: إِنَّكَ مَجْنُونٌ.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣﴾ [القلم: ٣].

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَأَجۡرًا﴾ لَثَوَابًا مِنَ اللهِ عَظِيمًا عَلَىٰ صَبْرِكَ عَلَىٰ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاكَ..

﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣﴾ [القلم: ٣] غَيْرَ مَنْقُوصٍ وَلَا مَقْطُوعٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: حَبْلٌ مَنِينٌ، إِذَا كَانَ ضَعِيفًا، وَقَدْ ضَعُفَتْ مِنَّتُهُ: إِذَا ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤].

﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤] لَعَلَىٰ أَدَبٍ عَظِيمٍ، وَذَلِكَ أَدَبُ الْقُرْآنِ الَّذِي أَدَّبَهُ اللهُ بِهِ، وَهُوَ

الْإِسْلَامُ وَشَرَائِعُهُ.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ [القلم: ٥].

﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ فَسَتَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ [القلم: ٥] وَيَرَىٰ مُشْرِكُو قَوْمِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مَجْنُونًا بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ.

﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦﴾ [القلم: ٦].

﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦﴾ [القلم: ٦] بِأَيِّكُمُ الْمَجْنُونُ، فِي فَرِيقِكَ يَا مُحَمَّدُ أَوْ فَرِيقِهِمْ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ [القلم: ٧].

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ كَضَلَالِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ عَنْ دِينِ اللهِ، وَطَرِيقِ الْهُدَىٰ..

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ [القلم: ٧] وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ، فَاتَّبَعَ الْحَقَّ، وَأَقَرَّ بِهِ، كَمَا اهْتَدَيْتَ أَنْتَ فَاتَّبَعْتَ الْحَقَّ.. وَهَذَا مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ بِكَ، وَأَنْتَ الْمُهْتَدِي وَبِقَوْمِكَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ [القلم: ٨].

﴿فَلَا تُطِعِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ [القلم: ٨] بِآيَاتِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٩].

﴿وَدُّوا﴾ وَدَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾ لَوْ تَلِينُ لَهُمْ فِي دِينِكَ بِإِجَابَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ الرُّكُونِ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ..

﴿فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٩] فَيَلِينُونَ لَكَ فِي عِبَادَتِكَ إِلَهَكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥]، وَإِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الدُّهْنِ، شَبَّهَ التَّلْيِينَ فِي الْقَوْلِ بِتَلْيِينِ الدُّهْنِ.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۝١٠﴾ [القلم: ١٠].

﴿وَلَا تُطِعْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كُلَّ ذِي إِكْثَارٍ لِلْحَلِفِ بِالْبَاطِلِ..

﴿مَّهِينٍ ۝﴾ [القلم: ١٠] وَهُوَ الضَّعِيفُ.. غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَّهَ مَعْنَىٰ الْمَهِينِ إِلَىٰ الْكَذَّابِ، وَأَحْسِبُهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأَىٰ أَنَّهُ إِذَا وُصِفَ بِالْمَهَانَةِ فَإِنَّمَا وُصِفَ بِهَا لِمَهَانَةِ نَفْسِهِ كَانَتْ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ صِفَةُ الْكَذُوبِ، إِنَّمَا يَكْذِبُ لِمَهَانَةِ نَفْسِهِ عَلَيْهِ.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝﴾ [القلم: ١١].

﴿هَمَّازٍ﴾ مُغْتَابٍ لِلنَّاسِ يَأْكُلُ لُحُومَهُمْ..

﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝﴾ [القلم: ١١] مَشَّاءٍ بِحَدِيثِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، يَنْقُلُ حَدِيثَ بَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝﴾ [القلم: ١٢].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بَخِيلٍ بِالْمَالِ ضَنِينٍ بِهِ عَنِ الْحُقُوقِ..

﴿مُعْتَدٍ﴾ عَلَىٰ النَّاسِ..

﴿أَثِيمٍ ۝﴾ [القلم: ١٢] ذِي إِثْمٍ بِرَبِّهِ.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝﴾ [القلم: ١٣].

﴿عُتُلٍّ﴾ الْعُتُلُّ: الْجَافِي الشَّدِيدُ فِي كُفْرِهِ، وَكُلُّ شَدِيدٍ قَوِيٍّ فَالْعَرَبُ تُسَمِّيهِ عُتُلًّا..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ مَعَ الْعُتُلِّ..

﴿زَنِيمٍ ۝﴾ [القلم: ١٣] الزَّنِيمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمُلْصَقُ بِالْقَوْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.. فَزَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ، بَغِيُّ الْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمٍ..

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝﴾ [القلم: ١٤].

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝﴾ [القلم: ١٤] وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ، كَأَنَّهُ نَهَاهُ أَنْ يُطِيعَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ذُو مَالٍ وَبَنِينَ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ وَحَمْزَةُ: (أَأَنْ كَانَ ذَا مَالٍ) بِالِاسْتِفْهَامِ بِهَمْزَتَيْنِ، وَتَتَوَجَّهُ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِلَىٰ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ تَقْرِيعُ هَذَا الْحَلَّافِ الْمَهِينِ، فَقِيلَ: أَلِأَنْ كَانَ هَذَا الْحَلَّافُ الْمَهِينُ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَهَذَا أَظْهَرُ وَجْهَيْهِ، وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ: أَلِأَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ تُطِيعُهُ، عَلَىٰ وَجْهِ التَّوْبِيخِ لِمَنْ أَطَاعَهُ.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾ [القلم: ١٥].

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ إِذَا تُقْرَأُ عَلَيْهِ آيَاتُ كِتَابِنَا..

﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾ [القلم: ١٥]قَالَ: هَذَا مِمَّا كَتَبَهُ الْأَوَّلُونَ، اسْتِهْزَاءً بِهِ وَإِنْكَارًا مِنْهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ [القلم: ١٦].

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ [القلم: ١٦] سَنُبَيِّنُ أَمْرَهُ بَيَانًا وَاضِحًا حَتَّىٰ يَعْرِفُوهُ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ، كَمَا لَا تَخْفَىٰ السِّمَةُ عَلَىٰ الْخُرْطُومِ.. وَقَالَ قَتَادَةُ: (**مَعْنَىٰ ذَلِكَ: شَيْنٌ لَا يُفَارِقُهُ آخِرَ مَا عَلَيْهِ**)، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ خُطِمَ بِالسَّيْفِ، فَجُمِعَ لَهُ مَعَ بَيَانِ عُيُوبِهِ لِلنَّاسِ الْخَطْمُ بِالسَّيْفِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ سَنَكْوِيهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَنَسِمُهُ سِمَةَ أَهْلِ النَّارِ: أَيْ سَنُسَوِّدُ وَجْهَهُ، وَقَالَ: إِنَّ الْخُرْطُومَ وَإِنْ كَانَ خُصَّ بِالسِّمَةِ، فَإِنَّهُ فِي مَذْهَبِ الْوَجْهِ، لِأَنَّ بَعْضَ الْوَجْهِ يُؤَدِّي عَنْ بَعْضٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: وَاللهِ لَأَسِمَنَّكَ وَسْمًا لَا يُفَارِقُكَ، يُرِيدُونَ الْأَنْفَ.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧﴾ [القلم: ١٧].

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ أَيْ بَلَوْنَا مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ: امْتَحَنَّاهُمْ فَاخْتَبَرْنَاهُمْ..

﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ كَمَا امْتَحَنَّا أَصْحَابَ الْبُسْتَانِ..

﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧﴾ [القلم: ١٧] إِذْ حَلَفُوا لَيَصْرِمُنَّ ثَمَرَهَا إِذَا أَصْبَحُوا.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨﴾ [القلم: ١٨].

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨﴾ [القلم: ١٨] وَلَا يَقُولُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩﴾ [القلم: ١٩].

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ فَطَرَقَ جَنَّةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا..

﴿طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩﴾ [القلم: ١٩] طَارِقٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَهُمْ نَائِمُونَ، وَلَا يَكُونُ الطَّائِفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا لَيْلًا وَلَا يَكُونُ نَهَارًا.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ [القلم: ٢٠].

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ [القلم: ٢٠] قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ اللَّيْلُ الْأَسْوَدُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَأَصْبَحَتْ جَنَّتُهُمْ مُحْتَرِقَةً سَوْدَاءَ كَسَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ الْبَهِيمِ.

﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ۝٢١﴾ [القلم: ٢١].

﴿فَتَنَادَوْاْ﴾ فَتَنَادَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، يَقُولُ: نَادَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا..

﴿مُصْبِحِينَ ۝٢١﴾ [القلم: ٢١] بَعْدَ أَنْ أَصْبَحُوا.

﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝٢٢﴾ [القلم: ٢٢].

﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ وَذَلِكَ الزَّرْعِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝٢٢﴾ [القلم: ٢٢] إِنْ كُنْتُمْ حَاصِدِي زَرْعَكُمْ.

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣﴾ [القلم: ٢٣].

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣﴾ [القلم: ٢٣] فَمَضَوْا إِلَىٰ حَرْثِهِمْ وَهُمْ يَتَسَارُّونَ بَيْنَهُمْ.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤﴾ [القلم: ٢٤].

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤﴾ [القلم: ٢٤] وَهُمْ يَتَسَارُّونَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا يَدْخُلَنَّ جَنَّتَكُمُ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ.

﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ۝٢٥﴾ [القلم: ٢٥].

﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قَصَدُوهُ وَاعْتَمَدُوهُ، وَاسْتَسَرُّوهُ بَيْنَهُمْ..

﴿قَٰدِرِينَ ۝٢٥﴾ [القلم: ٢٥] عَلَيْهِ فِي أَنْفُسِهِمْ.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦﴾ [القلم: ٢٦].

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ فَلَمَّا صَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ إِلَىٰ جَنَّتِهِمْ، وَرَأَوْهَا مُحْتَرِقًا حَرْثُهَا، أَنْكَرُوهَا وَشَكُّوا فِيهَا، هَلْ هِيَ جَنَّتُهُمْ أَمْ لَا؟..

﴿قَالُوٓاْ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِأَصْحَابِهِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُمْ قَدْ أَغْفَلُوا طَرِيقَ جَنَّتِهِمْ، وَأَنَّ الَّتِي رَأَوْا غَيْرُهَا..

﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦﴾ [القلم: ٢٦] إِنَّا أَيُّهَا الْقَوْمُ لَضَالُّونَ طَرِيقَ جَنَّتِنَا، فَقَالَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهَا جَنَّتُهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْطِئُوا الطَّرِيقَ.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧﴾ [القلم: ٢٧].

﴿بَلْ نَحْنُ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَحْرُومُونَ ۝٢٧﴾ [القلم: ٢٧] جُوزِينَا فَحُرِمْنَا مَنْفَعَةَ جَنَّتِنَا بِذَهَابِ حَرْثِهَا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨].

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ يَعْنِي: أَعْدَلُهُمْ..

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] هَلَّا تَسْتَثْنُونَ إِذْ قُلْتُمْ: لَنَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، فَتَقُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ..

﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩] فِي تَرْكِنَا الِاسْتِثْنَاءَ فِي قَسَمِنَا وَعَزْمِنَا عَلَىٰ تَرْكِ إِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ مِنْ ثَمَرِ جَنَّتِنَا.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠] يَلُومُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ تَفْرِيطِهِمْ فِيمَا فَرَّطُوا فِيهِ مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ، وَعَزْمِهِمْ عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ إِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ مِنْ جَنَّتِهِمْ.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ..

﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١] يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا مُبْعَدِينَ، مُخَالِفِينَ أَمْرَ اللهِ فِي تَرْكِنَا الِاسْتِثْنَاءَ وَالتَّسْبِيحَ.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ بِتَوْبَتِنَا مِنْ خَطَأِ فِعْلِنَا الَّذِي سَبَقَ مِنَّا خَيْرًا مِنْ جَنَّتِنَا..

﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] فِي أَنْ يُبْدِلَنَا مِنْ جَنَّتِنَا إِذْ هَلَكَتْ خَيْرًا مِنْهَا.

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣].

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ كَفِعْلِنَا بِجَنَّةِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، إِذْ أَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ بِالَّذِي أَرْسَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ الْبَلَاءِ وَالْآفَةِ الْمُفْسِدَةِ، فِعْلُنَا بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَنَا وَكَفَرَ بِرُسُلِنَا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا..

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ يَعْنِي: عُقُوبَةَ الْآخِرَةِ بِمَنْ عَصَىٰ رَبَّهُ وَكَفَرَ بِهِ..

﴿أَكْبَرُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِهَا..

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [القلم: ٣٣] لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَعْلَمُونَ أَنَّ عُقُوبَةَ اللهِ لِأَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ أَكْبَرُ مِنْ عُقُوبَتِهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، لَارْتَدَعُوا وَتَابُوا وَأَنَابُوا، وَلَكِنَّهُمْ بِذَلِكَ جُهَّالٌ لَا يَعْلَمُونَ.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤﴾ [القلم: ٣٤].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا عُقُوبَةَ اللهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤﴾ [القلم: ٣٤] يَعْنِي: بَسَاتِينَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥﴾ [القلم: ٣٥].

﴿أَفَنَجْعَلُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فِي كَرَامَتِي وَنِعْمَتِي فِي الْآخِرَةِ..

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الَّذِينَ خَضَعُوا لِي بِالطَّاعَةِ، وَذَلُّوا لِي بِالْعُبُودِيَّةِ، وَخَشَعُوا لِأَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥﴾ [القلم: ٣٥] الَّذِي اكْتَسَبُوا الْمَأْثَمَ، وَرَكِبُوا الْمَعَاصِي، وَخَالَفُوا أَمْرِي وَنَهْيِي؟ كَلَّا مَا اللهُ بِفَاعِلٍ ذَلِكَ.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: ٣٦].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: ٣٦] أَتَجْعَلُونَ الْمُطِيعَ لِلهِ مِنْ عَبِيدِهِ، وَالْعَاصِي لَهُ مِنْهُمْ فِي كَرَامَتِهِ سَوَاءً، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَا تُسَوُّوا بَيْنَهُمَا فَإِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ عِنْدَ اللهِ، بَلِ الْمُطِيعُ لَهُ الْكَرَامَةُ الدَّائِمَةُ، وَالْعَاصِي لَهُ الْهَوَانُ الْبَاقِي.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝٣٧﴾ [القلم: ٣٧].

﴿أَمْ لَكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ: أَلَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ بِتَسْوِيَتِكُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُجْرِمِينَ فِي كَرَامَةِ اللهِ..

﴿كِتَـٰبٌ﴾ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَتَاكُمْ بِهِ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ بِأَنَّ لَكُمْ مَا تَخَيَّرُونَ..

﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝٣٧﴾ [القلم: ٣٧] فَأَنْتُمْ تَدْرُسُونَ فِيهِ مَا تَقُولُونَ.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨﴾ [القلم: ٣٨].

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾ إِنَّ لَكُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨﴾ [القلم: ٣٨] الَّذِي تَخَيَّرُونَ مِنَ الْأُمُورِ لِأَنْفُسِكُمْ، وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَوْبِيخٌ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَتَقْرِيعٌ لَهُمْ فِيمَا كَانُوا يَقُولُونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَتَمَنَّوْنَ مِنَ الْأَمَانِيِّ الْكَاذِبَةِ.

﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ٣٩﴾ [القلم: ٣٩].

﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ هَلْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا تَنْتَهِي بِكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ٣٩﴾ [القلم: ٣٩] بِأَنَّ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ، أَيْ بِأَنَّ لَكُمْ حُكْمَكُمْ، وَلَكِنَّ الْأَلِفَ كُسِرَتْ مِنْ إِنَّ لَمَّا دَخَلَ فِي الْخَبَرِ اللَّامُ، أَيْ: هَلْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِأَنَّ لَكُمْ حُكْمَكُمْ.

﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ٤٠﴾ [القلم: ٤٠].

﴿سَلۡهُمۡ﴾ سَلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ أَيُّهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ عَلَيْنَا أَيْمَانًا بَالِغَةً بِحُكْمِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿زَعِيمٌ ٤٠﴾ [القلم: ٤٠] كَفِيلٌ بِهِ، وَالزَّعِيمُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الضَّامِنُ وَالْمُتَكَلِّمُ عَنِ الْقَوْمِ.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٤١﴾ [القلم: ٤١].

﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾ أَلِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ..

﴿شُرَكَآءُ﴾ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَصِفُونَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَهُمْ..

﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ﴾ فِي ذَلِكَ..

﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٤١﴾ [القلم: ٤١] إِنْ كَانُوا فِيمَا يَدْعُونَ مِنَ الشُّرَكَاءِ صَادِقِينَ.

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢﴾ [القلم: ٤٢].

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: يَبْدُو عَنْ أَمْرٍ شَدِيدٍ..

﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢﴾ [القلم: ٤٢] وَيَدْعُوهُمُ الْكَشْفُ عَنِ السَّاقِ إِلَىٰ السُّجُودِ لِلهِ تَعَالَىٰ فَلَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [القلم: ٤٣].

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ﴾ تَغْشَاهُمْ ذِلَّةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿وَقَدۡ كَانُواْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ السُّجُودِ لَهُ..

﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [القلم: ٤٣] لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَائِلٌ.. وَقَدْ قِيلَ: السُّجُودُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ.

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤﴾ [القلم: ٤٤].

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ كِلْ يَا مُحَمَّدُ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْقُرْآنِ إِلَيَّ؛ وَهَذَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِآخَرَ غَيْرِهِ يَتَوَعَّدُ رَجُلًا: دَعْنِي وَإِيَّاهُ، وَخَلِّنِي وَإِيَّاهُ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ مِنْ وَرَاءِ مَسَاءَتِهِ..

﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤﴾ [القلم: ٤٤] سَنَكِيدُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يُمَتِّعَهُمْ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَظُنُّوا أَنَّهُمْ مُتِّعُوا بِهِ بِخَيْرٍ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، فَيَتَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ، ثُمَّ يَأْخُذَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ [القلم: ٤٥].

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ وَأُنْسِئُ فِي آجَالِهِمْ مُلَاوَةً مِنَ الزَّمَانِ، وَذَلِكَ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ اللهِ لِتَتَكَامَلَ حُجَجُ اللهُ عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّ كَيۡدِي﴾ بِأَهْلِ الْكُفْرِ..

﴿مَتِينٌ ٤٥﴾ [القلم: ٤٥] قَوِيٌّ شَدِيدٌ.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٦﴾ [القلم: ٤٦].

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ أَتَسْأَلُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ عَلَىٰ مَا أَتَيْتُهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ، وَدَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿أَجۡرٗا﴾ ثَوَابًا وَجَزَاءً..

﴿فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ﴾ يَعْنِي مِنْ غُرْمِ ذَلِكَ الْأَجْرِ..

﴿مُّثۡقَلُونَ ٤٦﴾ [القلم: ٤٦] قَدْ أَثْقَلَهُمُ الْقِيَامُ بِأَدَائِهِ، فَتَحَامَوْا لِذَلِكَ قَبُولَ نَصِيحَتِكَ، وَتَجَنَّبُوا لِمُعْظَمِ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ ثِقَلِ الْغُرْمِ الَّذِي سَأَلْتَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الدُّخُولَ فِي الَّذِي دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الدِّينِ.

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧﴾ [القلم: ٤٧].

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أَعِنْدَهُمُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ الَّذِي فِيهِ نَبَأُ مَا هُوَ كَائِنٌ..

﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧﴾ [القلم: ٤٧] مِنْهُ مَا فِيهِ، وَيُجَادِلُونَكَ بِهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ أَفْضَلُ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ.

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾ [القلم: ٤٨].

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ لِقَضَاءِ رَبِّكَ وَحُكْمِهِ فِيكَ، وَفِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِمَا أَتَيْتُهُمْ بِهِ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَهَذَا الدِّينِ، وَامْضِ لِمَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَلَا يُثْنِيكَ عَنْ تَبْلِيغِ مَا أُمِرْتَ بِتَبْلِيغِهِ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ وَأَذَاهُمْ لَكَ..

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ الَّذِي حَبَسَهُ فِي بَطْنِهِ، وَهُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّىٰ ﷺ، فَيُعَاقِبُكَ رَبُّكَ عَلَىٰ تَرْكِكَ تَبْلِيغَ ذَلِكَ، كَمَا عَاقَبَهُ فَحَبَسَهُ فِي بَطْنِهِ..

﴿إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨﴾ [القلم: ٤٨] إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَغْمُومٌ، قَدْ أَثْقَلَهُ الْغَمُّ وَكَظَمَهُ.

﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩﴾ [القلم: ٤٩].

﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ صَاحِبَ الْحُوتِ..

﴿نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فَرَحِمَهُ بِهَا، وَتَابَ عَلَيْهِ مِنْ مُغَاضَبَتِهِ رَبَّهُ..

﴿لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ وَهُوَ الْفَضَاءُ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩﴾ [القلم: ٤٩] وَهُوَ مُلِيمٌ.

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠﴾ [القلم: ٥٠].

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ فَاجْتَبَىٰ صَاحِبَ الْحُوتِ رَبُّهُ، يَعْنِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ لِنُبُوَّتِهِ..

﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠﴾ [القلم: ٥٠] يَعْنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ الْعَامِلِينَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، الْمُنْتَهِينَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١﴾ [القلم: ٥١].

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ يَنْفُذُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ مِنْ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَكَ، وَيُزِيلُونَكَ، فَيَرْمُوا بِكَ عِنْدَ نَظَرِهِمْ إِلَيْكَ غَيْظًا عَلَيْكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ عُنِيَ بِذَلِكَ: وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِمَّا عَانُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَيَرْمُونَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَيَصْرَعُونَكَ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: كَادَ فُلَانٌ يَصْرَعُنِي بِشِدَّةِ نَظَرِهِ إِلَيَّ، قَالُوا: وَإِنَّمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ عَانُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُصِيبُوهُ بِالْعَيْنِ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ لِيُعِينُوهُ، وَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِثْلَهُ، أَوْ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١﴾..

﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ لَمَّا سَمِعُوا كِتَابَ اللهِ يُتْلَىٰ..

﴿وَيَقُولُونَ﴾ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ مُحَمَّدًا..

﴿لَمَجْنُونٌ ٥١﴾ [القلم: ٥٠] وَهَذَا الَّذِي جَاءَنَا بِهِ مِنَ الْهَذَيَانِ الَّذِي يَهْذِي بِهِ فِي جُنُونِهِ.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ٥٢﴾ [القلم: ٥٢].

﴿وَمَا هُوَ﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ..

﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ٥٢﴾ [القلم: ٥٢] إِلَّا ذِكْرٌ ذَكَّرَ اللهُ بِهِ الْعَالَمِينَ الثَّقَلَيْنِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقَلَمِ



سُورَةُ الحَاقَّةِ (٦٩)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَاقَّةُ ①﴾ [الحاقة: ١].

﴿الْحَاقَّةُ ①﴾ [الحاقة: ١] السَّاعَةُ الْحَاقَّةُ الَّتِي تَحِقُّ فِيهَا الْأُمُورُ، وَيَجِبُ فِيهَا الْجَزَاءُ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ.

﴿مَا الْحَاقَّةُ ②﴾ [الحاقة: ٢].

﴿مَا الْحَاقَّةُ ②﴾ [الحاقة: ٢] أَيُّ شَيْءٍ السَّاعَةُ الْحَاقَّةُ، كَأَنَّهُ عَجِبَ مِنْهَا، فَقَالَ: الْحَاقَّةُ: مَا هِيَ؟ وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ㉗﴾ [الواقعة: ٢٧]، وَ ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ②﴾ [القارعة: ١] فَمَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْقَارِعَةِ الثَّانِيَةِ وَالْأُولَىٰ بِجُمْلَةِ الْكَلَامِ بَعْدَهَا.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③﴾ [الحاقة: ٣].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③﴾ [الحاقة: ٣] وَأَيُّ شَيْءٍ أَدْرَاكَ -يَا محمَّد- وَعَرَّفَكَ أَيُّ شَيْءٍ الْحَاقَّةُ، قَالَ قَتَادَةُ: (**تَعْظِيمًا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا تَسْمَعُونَ**).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④﴾ [الحاقة: ٤].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ قَوْمُ صَالِحٍ..

﴿وَعَادٌ﴾ قَوْمُ هُودٍ..

﴿بِالْقَارِعَةِ ④﴾ [الحاقة: ٤] بِالسَّاعَةِ الَّتِي تَقْرَعُ قُلُوبَ الْعِبَادِ فِيهَا بِهُجُومِهَا عَلَيْهِمْ، وَالْقَارِعَةُ أَيْضًا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ⑤﴾ [الحاقة: ٥].

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾ قَوْمُ صَالِحٍ..

﴿فَأُهْلِكُوا﴾ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ..

﴿بِالطَّاغِيَةِ ⑤﴾ [الحاقة: ٥] بِالصَّيْحَةِ الَّتِي قَدْ جَاوَزَتْ مَقَادِيرَ الصِّيَاحِ وَطَغَتْ عَلَيْهَا..وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ طُغْيَانُهُمْ وَكُفْرُهُمْ بِاللهِ.. وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى

ذَلِكَ: فَأُهْلِكُوا بِالصَّيْحَةِ الطَّاغِيَةِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ ثَمُودَ بِالْمَعْنَىٰ الَّذِي أَهْلَكَهَا بِهِ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ عَادٍ بِالَّذِي أَهْلَكَهَا بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة: ٦]، وَلَوْ كَانَ الْخَبَرُ عَنْ ثَمُودَ بِالسَّبَبِ الَّذِي أَهْلَكَهَا مِنْ أَجْلِهِ، كَانَ الْخَبَرُ أَيْضًا عَنْ عَادٍ كَذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، وَفِي إِتْبَاعِهِ ذَلِكَ بِخَبَرِهِ عَنْ عَادٍ بِأَنَّ هَلَاكَهَا كَانَ بِالرِّيحِ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ إِخْبَارَهُ عَنْ ثَمُودَ إِنَّمَا هُوَ مَا بَيَّنْتُ.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة: ٦].

﴿وَأَمَّا عَادٌ﴾ قَوْمُ هُودٍ..

﴿فَأُهْلِكُوا﴾ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ..

﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ وَهِيَ الشَّدِيدَةُ الْعَصُوفُ مَعَ شِدَّةِ بَرْدِهَا..

﴿عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة: ٦] عَتَتْ عَلَىٰ خُزَّانِهَا فِي الْهُبُوبِ، فَتَجَاوَزَتْ فِي الشِّدَّةِ وَالْعُصُوفِ مِقْدَارَهَا الْمَعْرُوفَ فِي الْهُبُوبِ وَالْبَرْدِ.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة: ٧].

﴿سَخَّرَهَا﴾ سَخَّرَ تِلْكَ الرِّيَاحَ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ عَادٍ..

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ تَحْسِمُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا تُبْقِي مِنْ عَادٍ أَحَدًا، وَهَذِهِ الْحُسُومَ مِنْ صِفَةِ الرِّيحِ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: الْحُسُومُ: التِّبَاعُ، إِذَا تَتَابَعَ الشَّيْءُ فَلَمْ يَنْقَطِعْ أَوَّلُهُ عَنْ آخِرِهِ قِيلَ فِيهِ حُسُومٌ، قَالَ: وَإِنَّمَا أَخَذُوا وَاللهِ أَعْلَمُ مِنْ حَسْمِ الدَّاءِ: إِذَا كَوَىٰ صَاحِبَهُ؛ لِأَنَّهُ لَحْمٌ يُكْوَىٰ بِالْمِكْوَاةِ، ثُمَّ يُتَابَعُ عَلَيْهِ..

﴿فَتَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الْقَوْمَ﴾ قَوْمَ عَادٍ..

﴿فِيهَا﴾ فِي تِلْكَ السَّبْعِ اللَّيَالِي وَالثَّمَانِيَةِ الْأَيَّامِ الْحُسُومِ..

﴿صَرْعَىٰ﴾ قَدْ هَلَكُوا..

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة: ٧] كَأَنَّهُمْ أُصُولُ نَخْلٍ قَدْ خَوَتْ.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨].

﴿فَهَلْ تَرَىٰ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُم﴾ لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ..

﴿مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨﴾ [الحاقة: ٨] مِنْ بَقَاءٍ.

﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩﴾ [الحاقة: ٩].

﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ مِصْرَ..

﴿وَمَن قَبۡلَهُۥ﴾ وَجَاءَ مَنْ قَبْلَ فِرْعَوْنَ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِآيَاتِ اللهِ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ بِالْخَطِيئَةِ..

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ وَالْقُرَىٰ الَّتِي ائْتُفِكَتْ بِأَهْلِهَا فَصَارَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا..

﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩﴾ [الحاقة: ٩] بِالْخَطِيئَةِ، وَكَانَتْ خَطِيئَتُهَا: إِتْيَانَهَا الذُّكْرَانَ فِي أَدْبَارِهِمْ.

﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ١٠﴾ [الحاقة: ١٠].

﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ فَعَصَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ، وَهُمْ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ رَسُولَ رَبِّهِمْ..

﴿فَأَخَذَهُمۡ﴾ فَأَخَذَهُمْ رَبُّهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ..

﴿أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ١٠﴾ [الحاقة: ١٠] أَخْذَةً زَائِدَةً شَدِيدَةً نَامِيَةً، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَرْبَيْتَ، إِذَا أَخَذَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَىٰ مِنَ الرِّبَا.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١﴾ [الحاقة: ١١].

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ إِنَّا لَمَّا كَثُرَ الْمَاءُ فَتَجَاوَزَ حَدَّهُ الْمَعْرُوفَ، كَانَ لَهُ، وَذَلِكَ زَمَنُ الطُّوفَانِ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ زَادَ فِعْلًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِقَدْرِ خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا.

﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١﴾ [الحاقة: ١١] حَمَلْنَاكُمْ فِي السَّفِينَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْمَاءِ.

﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢﴾ [الحاقة: ١٢].

﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾ لِنَجْعَلَ السَّفِينَةَ الْجَارِيَةَ الَّتِي حَمَلْنَاكُمْ فِيهَا..

﴿لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ﴾ يَعْنِي عِبْرَةً وَمَوْعِظَةً تَتَّعِظُونَ بِهَا..

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢﴾ [الحاقة: ١٢] يَعْنِي: حَافِظَةٌ عَقَلَتْ عَنِ اللهِ مَا سَمِعَتْ.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ [الحاقة: ١٣].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ إِسْرَافِيلُ..

﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: ١٣] وَهِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَىٰ.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤].

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] فَزُلْزِلَتَا زَلْزَلَةً وَاحِدَةً.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: صَارَتْ غُبَارًا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٥].

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٥] فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الصَّيْحَةُ، السَّاعَةُ، وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٦].

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ وَانْصَدَعَتِ السَّمَاءُ..

﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٦] مُنْشَقَّةٌ مُتَصَدِّعَةٌ.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧].

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَطْرَافِ السَّمَاءِ حِينَ تَشَقَّقُ وَحَافَاتِهَا..

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧] قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ ثَمَانِيَةُ صُفُوفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُنَّ إِلَّا اللهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِهِ ثَمَانِيَةُ أَمْلَاكٍ.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿تُعْرَضُونَ﴾ عَلَىٰ رَبِّكُمْ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: **(يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: عَرْضَتَانِ مَعَاذِيرُ وَخُصُومَاتٌ، وَالْعَرْضَةُ الثَّالِثَةُ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي)**..

﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ عَلَىٰ اللهِ..

﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨] لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِكُمْ، مُحِيطٌ بِكُلِّكُمْ.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: ١٩].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَمِينِهِ..

﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾ فَيَقُولُ تَعَالَوْا..

﴿ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: ١٩]

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠].

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ إِنِّي عَلِمْتُ..

﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠] إِذَا وَرَدْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَبِّي.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١﴾ [الحاقة: ٢١].

﴿فَهُوَ﴾ فَالَّذِي وَصَفْتُ أَمْرَهُ، وَهُوَ الَّذِي أُوتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ..

﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١﴾ [الحاقة: ٢١] أَوْ عِيشَةٍ فِيهَا الرِّضَا، فَوُصِفَتِ الْعِيشَةُ بِالرِّضَا وَهِيَ مَرْضِيَّةٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَدْحٌ لِلْعِيشَةِ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فَتَقُولُ: هَذَا لَيْلٌ نَائِمٌ، وَسِرٌّ كَاتِمٌ، وَمَاءٌ دَافِقٌ، فَيُوَجِّهُونَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَفْعُولٌ لِمَا يُرَادُ مِنَ الْمَدْحِ أَوِ الذَّمِّ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ لَمْ يَجُزْ لَهُ أَنْ يَقُولَ لِلضَّارِبِ مَضْرُوبٌ، وَلَا لِلْمَضْرُوبِ ضَارِبٌ، لِأَنَّهُ لَا مَدْحَ فِيهِ وَلَا ذَمٌّ.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢﴾ [الحاقة: ٢٢].

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢﴾ [الحاقة: ٢٢] فِي بُسْتَانٍ عَالٍ رَفِيعٍ.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣﴾ [الحاقة: ٢٣].

﴿قُطُوفُهَا﴾ مَا يُقْطَفُ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ ثِمَارِهَا..

﴿دَانِيَةٌ ٢٣﴾ [الحاقة: ٢٣] دَانٍ قَرِيبٌ مِنْ قَاطِفِهِ.. وَذُكِرَ أَنَّ الَّذِي يُرِيدُ ثَمَرَهَا يَتَنَاوَلُهُ كَيْفَ شَاءَ قَائِمًا وَقَاعِدًا، لَا يَمْنَعُهُ مِنْهُ بُعْدٌ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَوْكٌ.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤].

﴿كُلُوا﴾ كُلُوا مَعْشَرَ مَنْ رَضِيتُ عَنْهُ، فَأَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي مِنْ ثِمَارِهَا، وَطِيبِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَطْعِمَةِ..

﴿وَاشْرَبُوا﴾ وَاشْرَبُوا مِنْ أَشْرِبَتِهَا..

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ لَكُمْ لَا تَتَأَذَّوْنَ بِمَا تَأْكُلُونَ، وَلَا بِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا تَحْتَاجُونَ مِنْ أَكْلِ ذَلِكَ إِلَىٰ غَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ..

﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ أَوْ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتُمْ، أَيْ عَلَىٰ مَا قَدَّمْتُمْ فِي دُنْيَاكُمْ لِآخِرَتِكُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤] فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا الَّتِي خَلَتْ فَمَضَتْ.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ٢٥﴾ [الحاقة: ٢٥].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ وَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ يَوْمَئِذٍ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِشِمَالِهِ..

﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥﴾ [الحاقة: ٢٥] فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُعْطَ كِتَابِيَهْ.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾ [الحاقة: ٢٦].

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾ [الحاقة: ٢٦] يَقُولُ: وَلَمْ أَدْرِ أَيَّ شَيْءٍ حِسَابِيَهْ.

﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة: ٢٧].

﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ يَقُولُ: يَا لَيْتَ الْمُوتَةَ الَّتِي مُتُّهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة: ٢٧] كَانَتْ هِيَ الْفَرَاغُ مِنْ كُلِّ مَا بَعْدَهَا، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهَا حَيَاةٌ وَلَا بَعْثٌ، وَالْقَضَاءُ: هُوَ الْفَرَاغُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ تَمَنِّي الْمَوْتَ الَّذِي يَقْضِي عَلَيْهِ، فَتَخْرُجُ مِنْهُ نَفْسُهُ.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨﴾ [الحاقة: ٢٨].

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨﴾ [الحاقة: ٢٨] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الَّذِي أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨﴾ يَعْنِي أَنَّهُ لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ مَالُهُ الَّذِي كَانَ يَمْلِكُهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَذَابِ اللهِ شَيْئًا.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٩].

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٩] ذَهَبَتْ عَنِّي حُجَجِي، وَضَلَّتْ، فَلَا حُجَّةَ لِي أَحْتَجُّ بِهَا.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠﴾ [الحاقة: ٣٠].

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠﴾ [الحاقة: ٣٠] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمَلَائِكَتِهِ مِنْ خُزَّانِ جَهَنَّمَ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠﴾.

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾ [الحاقة: ٣١].

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾ [الحاقة: ٣١] ثُمَّ فِي جَهَنَّمَ أَوْرِدُوهُ لِيَصْلَىٰ فِيهَا.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٢].

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٢] ثُمَّ اسْلُكُوهُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، بِذِرَاعِ اللهِ أَعْلَمُ بِقَدْرِ طُولِهَا.. وَقِيلَ: إِنَّهَا تَدْخُلُ فِي دُبُرِهِ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرَيْهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَدْخُلُ فِي فِيهِ، وَتَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣﴾ [الحاقة: ٣٣].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣﴾ [الحاقة: ٣٣] افْعَلُوا ذَلِكَ بِهِ جَزَاءً لَهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، إِنَّهُ كَانَ لَا يُصَدِّقُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ الْعَظِيمِ.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ [الحاقة: ٣٤].

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ [الحاقة: ٣٤] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ هَذَا الشَّقِيِّ الَّذِي أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ: إِنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَا يَحُضُّ النَّاسَ عَلَىٰ إِطْعَامِ أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْحَاجَةِ.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥﴾ [الحاقة: ٣٥].

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿هَٰهُنَا﴾ يَعْنِي فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ..

﴿حَمِيمٌ ۝٣٥﴾ [الحاقة: ٣٥] يَعْنِي قَرِيبٌ يَدْفَعُ عَنْهُ، وَيُغِيثُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحاقة: ٣٦].

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحاقة: ٣٦] وَلَا لَهُ طَعَامٌ كَمَا كَانَ لَا يَحُضُّ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ، إِلَّا طَعَامٌ مِنْ غِسْلِينٍ، وَذَلِكَ مَا يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة: ٣٧].

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ﴾ لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ الَّذِي مِنْ غِسْلِينٍ..

﴿إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة: ٣٧] وَهُمُ الْمُذْنِبُونَ الَّذِينَ ذُنُوبُهُمْ كُفْرٌ بِاللهِ.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨﴾ [الحاقة: ٣٨].

﴿فَلَآ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ مَعْشَرَ أَهْلِ التَّكْذِيبِ بِكِتَابِ اللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨﴾ [الحاقة: ٣٨] أُقْسِمُ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا الَّتِي تُبْصِرُونَ مِنْهَا.

﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الحاقة: ٣٩].

﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الحاقة: ٣٩] وَالَّتِي لَا تُبْصِرُونَ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١].

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ مَا هَذَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَاعِرٍ لِأَنَّ مُحَمَّدًا لَا يُحْسِنُ قَوْلَ الشِّعْرِ، فَتَقُولُوا هُوَ شِعْرٌ..

﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١] تُصَدِّقُونَ قَلِيلًا بِهِ أَنْتُمْ، وَذَلِكَ خِطَابٌ مِنَ اللهِ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢].

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ لِأَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِكَاهِنٍ، فَتَقُولُوا: هُوَ مِنْ سَجْعِ الْكُهَّانِ..

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢] قَلِيلًا مَا تَعْتَبِرُونَ بِمَا تَتَّعِظُونَ بِهِ.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣].

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣] وَلَكِنَّهُ ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نُزِّلَ عَلَيْهِ.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤].

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤] الْبَاطِلَةِ، وَتَكَذَّبَ عَلَيْنَا.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْقُوَّةِ مِنَّا وَالْقُدْرَةِ.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦].

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦] ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ نِيَاطَ الْقَلْبِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُعَاجِلُهُ بِالْعُقُوبَةِ، وَلَا يُؤَخِّرُهُ بِهَا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَدِ الْيُمْنَىٰ مِنْ يَدَيْهِ؛ قَالُوا: وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّا كُنَّا نُذِلُّهُ وَنُهِينُهُ، ثُمَّ نَقْطَعُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَتِينَ؛ قَالُوا: وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِ ذِي السُّلْطَانِ إِذَا أَرَادَ الِاسْتِخْفَافَ بِبَعْضِ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ لِبَعْضِ أَعْوَانِهِ، خُذْ بِيَدِهِ فَأَقِمْهُ، وَافْعَلْ بِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالُوا: وَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أَيْ لَأَهَنَّاهُ كَالَّذِي يُفْعَلُ بِالَّذِي وَصَفْنَا حَالَهُ.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

﴿فَمَا مِنكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ مِنْ أَحَدٍ عَنْ مُحَمَّدٍ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، فَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ..

﴿حَاجِزِينَ ۝﴾ [الحاقة: ٤٧] يَحْجُزُونَنَا عَنْ عُقُوبَتِهِ، وَمَا نَفْعَلُهُ بِهِ.. وَقِيلَ: حَاجِزِينَ، فَجَمَعَ، وَهُوَ فِعْلٌ لِأَحَدٍ، وَأَحَدٌ فِي لَفْظِ وَاحِدٍ، رَدًّا عَلَىٰ مَعْنَاهُ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ الْجَمْعُ، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ أَحَدًا لِلْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ، كَمَا قِيلَ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَبَيْنَ: لَا تَقَعُ إِلَّا عَلَىٰ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [الحاقة: ٤٨].

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿لَتَذْكِرَةٌ﴾ يَعْنِي عِظَةً يُتَذَكَّرُ بِهِ، وَيُتَّعَظُ بِهِ..

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [الحاقة: ٤٨] الَّذِينَ يَتَّقُونَ عِقَابَ اللهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝﴾ [الحاقة: ٤٩].

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝﴾ [الحاقة: ٤٩] وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ أَيُّهَا النَّاسُ بِهَذَا الْقُرْآنِ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ [الحاقة: ٥٠].

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ التَّكْذِيبَ بِهِ..

﴿لَحَسْرَةٌ﴾ وَنَدَامَةٌ..

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ [الحاقة: ٥٠] بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝﴾ [الحاقة: ٥١].

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝﴾ [الحاقة: ٥١] الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لَمْ يَتَقَوَّلْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [الحاقة: ٥٢].

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وَتَسْمِيَتِهِ..

﴿ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [الحاقة: ٥٢] الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ فِي عَظَمَتِهِ صَغِيرٌ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَاقَّةِ

سُورَةُ المَعَارِجِ (٧٠)
مَكِيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ①﴾ [المعارج: ١].

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ①﴾ [المعارج: ١] بِمَنْ هُوَ وَاقِعٌ.

﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ②﴾ [المعارج: ٢].

﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ وَاجِبٍ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاقِعٍ بِهِمْ..

﴿لَيْسَ لَهُ﴾ لَيْسَ لِلْعَذَابِ الْوَاقِعِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ..

﴿دَافِعٌ ②﴾ [المعارج: ٢] يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ.

﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③﴾ [المعارج: ٣].

﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③﴾ [المعارج: ٣] يَعْنِي: ذَا الْعُلُوِّ وَالدَّرَجَاتِ وَالْفَوَاضِلِ وَالنِّعَمِ.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④﴾ [المعارج: ٤].

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ﴾ تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿وَالرُّوحُ﴾ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ..

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ كَانَ مِقْدَارُ صُعُودِهِمْ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④﴾ [المعارج: ٤] وَذَلِكَ أَنَّهَا تَصْعَدُ مِنْ مُنْتَهَىٰ أَمْرِهِ مِنْ أَسْفَلِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ أَمْرِهِ مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ [المعارج: ٤] يَفْرُغُ فِيهِ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، كَانَ قَدْرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي فَرَغَ فِيهِ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ قَدْرَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤﴾ [المعارج: ٥].

﴿فَاصْبِرْ﴾ عَلَىٰ أَذَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَكَ، وَلَا يُثْنِيكَ مَا تَلْقَىٰ مِنْهُمْ مِنَ الْمَكْرُوهِ عَنْ تَبْلِيغِ

مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ مِنَ الرِّسَالَةِ..

﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾ [المعارج: ٥] لَا جَزَعَ فِيهِ.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (**هَذَا حِينَ كَانَ يَأْمُرُهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ، لَا يُكَافِئُهُمْ، فَلَمَّا أُمِرَ بِالْجِهَادِ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ أُمِرَ بِالشِّدَّةِ وَالْقَتْلِ حَتَّىٰ يَتْرُكُوا، وَنُسِخَ هَذَا**).. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ أَنَّهُ كَانَ أُمِرَ بِالْعَفْوِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ، قَوْلٌ لَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا دَلَالَةَ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قَالَ مِنْ بَعْضِ الْأَوْجُهِ الَّتِي تَصِحُّ مِنْهَا الدَّعَاوِي، وَلَيْسَ فِي أَمْرِ اللهِ نَبِيَّهُ ﷺ فِي الصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَىٰ أَذَى الْمُشْرِكِينَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَمْرًا مِنْهُ لَهُ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا مِنَ اللهِ لَهُ بِهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ ﷺ مِنْ لَدُنْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ أَنِ اخْتَرَمَهُ فِي أَذًىٰ مِنْهُمْ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ صَابِرٌ عَلَىٰ مَا يَلْقَىٰ مِنْهُمْ مِنْ أَذًىٰ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُ بِحَرْبِهِمْ، وَبَعْدَ إِذْنِهِ لَهُ بِذَلِكَ.

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦﴾ [المعارج: ٦].

﴿إِنَّهُمۡ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَرَوۡنَهُۥ﴾ يَرَوْنَ الْعَذَابَ الَّذِي سَأَلُوا عَنْهُ، الْوَاقِعَ عَلَيْهِمْ..

﴿بَعِيدٗا ٦﴾ [المعارج: ٦] وُقُوعُهُ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ ذَلِكَ بَعِيدًا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُصَدِّقُونَ بِهِ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ غَيْرَ وَاقِعٍ.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧﴾ [المعارج: ٧].

﴿وَنَرَىٰهُ﴾ وَنَحْنُ نَرَاهُ..

﴿قَرِيبٗا ٧﴾ [المعارج: ٧] لِأَنَّهُ كَائِنٌ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ.

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨﴾ [المعارج: ٨].

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨﴾ [المعارج: ٨] كَالشَّيْءِ الْمُذَابِ.

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩﴾ [المعارج: ٩].

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩﴾ [المعارج: ٩] وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالصُّوفِ.

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠﴾ [المعارج: ١٠].

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠﴾ [المعارج: ١٠] وَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ قَرِيبَهُ عَنْ شَأْنِهِ لِشُغْلِهِ بِشَأْنِ نَفْسِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: يُشْغَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِنَفْسِهِ عَنِ النَّاسِ.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ [المعارج: ١١].

﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا عَنْ شَأْنِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يُبَصَّرُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ، ثُمَّ يَفِرُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٥] .

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يَوَدُّ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ وَيَتَمَنَّىٰ..

﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ [المعارج: ١١] أَنَّهُ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ اللهِ إِيَّاهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِبَنِيهِ.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ [المعارج: ١٢].

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ [المعارج: ١٢] وَزَوْجَتُهُ، وَأَخِيهِ.

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ [المعارج: ١٣].

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وَعَشِيرَتُهُ..

﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ [المعارج: ١٣] الَّتِي تَضُمُّهُ إِلَىٰ رَحْلِهِ، وَتَنْزِلُ فِيهِ امْرَأَتُهُ، لِقُرْبَةِ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١٤].

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١٤] ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِيَّاهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ.. وَبَدَأَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذِكْرِ الْبَنِينَ، ثُمَّ الصَّاحِبَةِ، ثُمَّ الْأَخِ، إِعْلَامًا مِنْهُ عِبَادَهُ أَنَّ الْكَافِرَ مِنْ عَظِيمِ مَا يَنْزِلُ بِهِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْبَلَاءِ يَفْتَدِي نَفْسَهُ، لَوْ وَجَدَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، كَانَ فِي الدُّنْيَا، وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ نَسَبًا.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [المعارج: ١٥].

﴿كَلَّآ﴾ لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ شَيْءٌ، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَمَّا أَعَدَّهُ لَهُ هُنَالِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَقَالَ..

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [المعارج: ١٥] وَلَظَىٰ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١٦].

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١٦] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ لَظَىٰ إِنَّهَا تَنْزِعُ جِلْدَةَ الرَّأْسِ وَأَطْرَافَ الْبَدَنِ، وَالشَّوَىٰ: جَمْعُ شَوَاةٍ، وَهِيَ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَكُنْ مَقْتَلًا، يُقَالُ: رَمَىٰ

فَأَشْوَىٰ: إِذَا لَمْ يُصِبْ مَقْتَلًا، فَرُبَّمَا وَصَفَ الْوَاصِفُ بِذَلِكَ جِلْدَةَ الرَّأْسِ.

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [المعارج: ١٧].

﴿تَدْعُواْ﴾ لَظَىٰ إِلَىٰ نَفْسِهَا..

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [المعارج: ١٧] عَنِ الْإِيمَانِ بِكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١٨].

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١٨] وَجَمَعَ مَالًا فَجَعَلَهُ فِي وِعَاءٍ، وَمَنَعَ حَقَّ اللهِ مِنْهُ، فَلَمْ يُزَكِّ وَلَمْ يُنْفِقْ فِيمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِنْفَاقَهُ فِيهِ.

﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [المعارج: ١٩].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الْكَافِرَ..

﴿خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [المعارج: ١٩] وَالْهَلَعُ: شِدَّةُ الْجَزَعِ مَعَ شِدَّةِ الْحِرْصِ وَالضَّجَرِ.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ [المعارج: ٢٠].

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ إِذَا قَلَّ مَالُهُ وَنَالَهُ الْفَقْرُ وَالْعَدَمُ..

﴿جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ [المعارج: ٢٠] فَهُوَ جَزُوعٌ مِنْ ذَلِكَ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ٢١].

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ وَإِذَا كَثُرَ مَالُهُ، وَنَالَ الْغِنَىٰ..

﴿مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ٢١] فَهُوَ مَنُوعٌ لِمَا فِي يَدِهِ، بِخَيْلٌ بِهِ، لَا يُنْفِقُهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ مِنْهُ.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ٢٢].

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ٢٢] إِلَّا الَّذِينَ يُطِيعُونَ اللهَ بِأَدَاءِ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣].

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] وَهُمْ عَلَىٰ أَدَاءِ ذَلِكَ مُقِيمُونَ لَا يُضَيِّعُونَ مِنْهَا

شَيْئًا، فَإِنَّ أُولَئِكَ غَيْرُ دَاخِلِينَ فِي عِدَادِ مَنْ خُلِقَ هَلُوعًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ بِرَبِّهِ كَافِرٌ لَا يُصَلِّي لِلهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤﴾ [المعارج: ٢٤].

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤﴾ [المعارج: ٢٤] وَإِلَّا الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مُؤَقَّتٌ، وَهُوَ الزَّكَاةُ.

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ [المعارج: ٢٥].

﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الَّذِي يَسْأَلُهُ مِنْ مَالِهِ..

﴿وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ [المعارج: ٢٥] الَّذِي قَدْ حُرِمَ الْغِنَىٰ، فَهُوَ فَقِيرٌ لَا يَسْأَلُ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦﴾ [المعارج: ٢٦].

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦﴾ [المعارج: ٢٦] وَإِلَّا الَّذِينَ يُقِرُّونَ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالْمُجَازَاةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧﴾ [المعارج: ٢٧].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧﴾ [المعارج: ٢٧] وَالَّذِينَ هُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ وَجِلُونَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ ذَلِكَ لَا يُضَيِّعُونَ لَهُ فَرْضًا، وَلَا يَتَعَدُّونَ لَهُ حَدًّا.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾ [المعارج: ٢٨].

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾ [المعارج: ٢٨] أَنْ يَنَالَ مَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩﴾ [المعارج: ٢٩].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩﴾ [المعارج: ٢٩] حَافِظُونَ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَضْعَ أَقْبَالِهُمْ فِيهِ.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠﴾ [المعارج: ٣٠].

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠﴾ [المعارج: ٣٠] إِلَّا أَنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فِي تَرْكِ حِفْظِهَا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ مِنْ إِمَائِهِمْ.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١﴾ [المعارج: ٣١].

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ فَمَنِ الْتَمَسَ لِفَرْجِهِ مَنْكَحًا سِوَىٰ زَوْجَتِهِ، أَوْ مِلْكِ يَمِينِهِ..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ فَفَاعِلُو ذَلِكَ..

﴿هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١﴾ [المعارج: ٣١] الَّذِينَ عَدَوْا مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فَهُمُ الْمَلُومُونَ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢﴾ [المعارج: ٣٢].

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ وَإِلَّا الَّذِينَ..

﴿هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ هُمْ لِأَمَانَاتِ اللهِ الَّتِي ائْتَمَنَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ فَرَائِضِهِ وَأَمَانَاتِ عِبَادِهِ الَّتِي ائْتُمِنُوا عَلَيْهَا..

﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ وَعُهُودِهِ الَّتِي أَخَذَهَا عَلَيْهِمْ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ وَعُهُودِ عِبَادِهِ الَّتِي أَعْطَاهُمْ عَلَىٰ مَا عَقَدَهُ لَهُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ..

﴿رَٰعُونَ ۝٣٢﴾ [المعارج: ٣٢] يَرْقُبُونَ ذَلِكَ، وَيَحْفَظُونَهُ فَلَا يُضِيعُونَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يُؤَدُّونَهَا وَيَتَعَاهَدُونَهَا عَلَىٰ مَا أَلْزَمَهُمُ اللهُ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ حِفْظَهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ [المعارج: ٣٣].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ [المعارج: ٣٣] وَالَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ مَا اسْتُشْهِدُوا عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُومُونَ بِأَدَائِهَا، حَيْثُ يَلْزَمُهُمْ أَدَاؤُهَا غَيْرَ مُغَيَّرَةٍ وَلَا مُبَدَّلَةٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ [المعارج: ٣٤].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ مَوَاقِيتِ صَلَاتِهِمُ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ وَحُدُودِهَا الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْهِمْ..

﴿يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ [المعارج: ٣٤] وَلَا يُضَيِّعُونَ لَهَا مِيقَاتًا وَلَا حَدًّا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ..

﴿فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٥] فِي بَسَاتِينَ مُكْرَمُونَ يُكْرِمُهُمُ اللهُ بِكَرَامَتِهِ.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦﴾ [المعارج: ٣٦].

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فَمَا شَأْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ..

﴿قِبَلَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مُهْطِعِينَ ۝٣٦﴾ [المعارج: ٣٦] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الْمُهْطِعُ: الَّذِي لَا يَطْرِفُ**).. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: مَعْنَاهُ: مُسْرِعِينَ.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧﴾ [المعارج: ٣٧].

﴿ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ عَنْ يَمِينِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ وَعَنْ شِمَالِكَ..

﴿عِزِينَ ۝٣٧﴾ [المعارج: ٣٧] مُتَفَرِّقِينَ حِلَقًا وَمَجَالِسَ، جَمَاعَةً جَمَاعَةً، مُعْرِضِينَ عَنْكَ وَعَنْ كِتَابِ اللهِ.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨﴾ [المعارج: ٣٨].

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ..

﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨﴾ [المعارج: ٣٨] أَيْ بَسَاتِينَ نَعِيمٍ يَنْعَمُ فِيهَا.

﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ [المعارج: ٣٩].

﴿كَلَّآ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَطْمَعُ فِيهِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ جَنَّةَ نَعِيمٍ..

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ [المعارج: ٣٩] إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ مَنِيٍّ قَذِرٍ، وَإِنَّمَا يَسْتَوْجِبُ دُخُولَ الْجَنَّةِ مَنْ يَسْتَوْجِبُهُ مِنْهُمْ بِالطَّاعَةِ، لَا بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، فَكَيْفَ يَطْمَعُونَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَهُمْ عُصَاةٌ كَفَرَةٌ.. قَالَ قَتَادَةُ: (إِنَّمَا خُلِقْتَ مِنْ قَذَرٍ يَا ابْنَ آدَمَ، فَاتَّقِ اللهَ).

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ [المعارج: ٤٠].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا..

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ [المعارج: ٤٠].

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١﴾ [المعارج: ٤١].

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عَلَىٰ أَنْ نُهْلِكَهُمْ، وَنَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهُمْ مِنَ الْخَلْقِ يُطِيعُونَنِي وَلَا يَعْصُونَنِي..

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١﴾ [المعارج: ٤١] وَمَا يَفُوتُنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ بِأَمْرٍ نُرِيدُهُ مِنْهُ، فَيُعْجِزَنَا هَرَبًا.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾ [المعارج: ٤٢].

﴿فَذَرْهُمْ﴾ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَذَرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ..

﴿يَخُوضُواْ﴾ فِي بَاطِلِهِمْ..

﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا..

﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [المعارج: ٤٢] حَتَّىٰ يُلَاقُوا عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُوعَدُونَهُ.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣].

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَهُ يَوْمَ يَخْرُجُونَ..

﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وَهِيَ الْقُبُورُ، وَاحِدُهَا جَدَثٌ..

﴿سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣] كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ عَلَمٍ قَدْ نُصِبَ لَهُمْ يَسْتَبِقُونَ.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٤].

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ خَاضِعَةً أَبْصَارُهُمْ لِلَّذِي هُمْ فِيهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ..

﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تَغْشَاهُمْ ذِلَّةٌ..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٤] هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي وَصَفْتُ صِفَتَهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي كَانَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُوعَدُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ لَاقُوهُ فِي الْآخِرَةِ، كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَعَارِجِ



سُورَةُ نُوحٍ (٧١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①﴾ [نوح: ١].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ فَقُلْنَا لَهُ..

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①﴾ [نوح: ١] وَذَلِكَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ هُوَ الطُّوفَانُ الَّذِي غَرَّقَهُمُ اللهُ بِهِ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ②﴾ [نوح: ٢].

﴿قَالَ﴾ نُوحٌ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أُنْذِرُكُمْ عَذَابَ اللهِ فَاحْذَرُوهُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿مُّبِينٌ ②﴾ [نوح: ٢] قَدْ أَبَنْتُ لَكُمْ إِنْذَارِي إِيَّاكُمْ.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ③﴾ [نوح: ٣].

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ بِأَنِ اعْبُدُوا اللهَ، يَقُولُ: إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ أُنْذِرُكُمْ، وَآمُرُكُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ..

﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وَاتَّقُوا عِقَابَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿وَأَطِيعُونِ ③﴾ [نوح: ٣] وَانْتَهُوا إِلَىٰ مَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي لَكُمْ.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ④﴾ [نوح: ٤].

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَتْ ﴿مِّن﴾ دَالَّةً عَلَىٰ الْبَعْضِ؟ قِيلَ: إِنَّ لَهَا مَعْنَيَيْنِ وَمَوْضِعَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُ الْمَوْضِعَيْنِ فَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يَصِحُّ فِيهِ غَيْرُهَا، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ تَدُلَّ إِلَّا عَلَىٰ الْبَعْضِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ: اشْتَرَيْتُ مِنْ مَمَالِيكِكَ، فَلَا يَصِحُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ غَيْرُهَا، وَمَعْنَاهَا: الْبَعْضُ، اشْتَرَيْتُ بَعْضَ مَمَالِيكِكَ، وَمِنْ مَمَالِيكِكَ مَمْلُوكًا، وَالْمَوْضِعُ الْآخَرُ: هُوَ الَّذِي يَصْلُحُ فِيهِ مَكَانَهَا (عَنْ)، فَإِذَا صَلَحَتْ مَكَانَهَا (عَنْ) دَلَّتْ

عَلَىٰ الْجَمِيعِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ: وَجِعَ بَطْنِي مِنْ طَعَامٍ طَعِمْتُهُ، فَإِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَوْجَعَ بَطْنِي طَعَامٌ طَعِمْتُهُ، وَتَصْلُحُ مَكَانَ (مِنْ) (عَنْ)، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَضَعُ مَوْضِعَهَا (عَنْ) فَيَصْلُحُ الْكَلَامُ، فَتَقُولُ: وُجِعَ بَطْنِي عَنْ طَعَامٍ طَعِمْتُهُ، وَمِنْ طَعَامٍ طَعِمْتُهُ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ إِنَّمَا هُوَ: وَيَصْفَحُ لَكُمْ، وَيَعْفُو لَكُمْ عَنْهَا؛ وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ مَا قَدْ وَعَدَكُمُ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا مَا لَمْ يَعِدْكُمُ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ عَفْوُهُ لَكُمْ عَنْهَا.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ وَيُؤَخِّرُ فِي آجَالِكُمْ فَلَا يُهْلِكُكُمْ بِالْعَذَابِ، لَا بِغَرَقٍ وَلَا غَيْرِهِ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَىٰ حِينٍ كَتَبَ أَنَّهُ يُبْقِيكُمْ إِلَيْهِ، إِنْ أَنْتُمْ أَطَعْتُمُوهُ وَعَبَدْتُمُوهُ، فِي أُمِّ الْكِتَابِ..

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ أَجَلَ اللهِ الَّذِي قَدْ كَتَبَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ..

﴿إِذَا جَآءَ﴾ عِنْدَهُ..

﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾ عَنْ مِيقَاتِهِ، فَيُنْظَرُ بَعْدَهُ..

﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [نوح: ٤] لَوْ عَلِمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَأَنَبْتُمْ إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّكُمْ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ [نوح: ٥].

﴿قَالَ﴾ لَمَّا بَلَّغَ قَوْمَهُ رِسَالَةَ رَبِّهِ، أَوْ أَنْذَرَهُمْ مَا أَمَرَهُ بِهِ أَنْ يُنْذِرَهُمُوهُ فَعَصَوْهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ..

﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ [نوح: ٥] إِلَىٰ تَوْحِيدِكَ وَعِبَادَتِكَ، وَحَذَّرْتُهُمْ بَأْسَكَ وَسَطْوَتَكَ.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٦].

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِيَّاهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي بِهِ لَهُمْ..

﴿إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٦] إِلَّا إِدْبَارًا عَنْهُ وَهَرَبًا مِنْهُ وَإِعْرَاضًا عَنْهُ.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: ٧].

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَاكَ..

﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ..

﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لِئَلَّا يَسْمَعُوا دُعَائِي إِيَّاهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ وَتَغَشَّوْا فِي ثِيَابِهِمْ، وَتَغَطَّوْا بِهَا لِئَلَّا يَسْمَعُوا دُعَائِي..

﴿وَأَصَرُّواْ﴾ وَثَبَتُوا عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَقَامُوا عَلَيْهِ..

﴿وَٱسْتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧﴾ [نوح: ٧] وَتَكَبَّرُوا فَتَعَاظَمُوا عَنِ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ، وَقَبُولِ مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨﴾ [نوح: ٨].

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ﴾ إِلَىٰ مَا أَمَرْتَنِي أَنْ أَدْعُوَهُمُ إِلَيْهِ..

﴿جِهَارٗا ۝٨﴾ [نوح: ٨] ظَاهِرًا فِي غَيْرِ خَفَاءٍ.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩﴾ [نوح: ٩].

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ﴾ صَرَخْتُ لَهُمْ، وَصِحْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنَ الْإِنْذَارِ..

﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩﴾ [نوح: ٩] وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي خَفَاءٍ.

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠﴾ [نوح: ١٠].

﴿فَقُلۡتُ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ سَلُوا رَبَّكُمْ غُفْرَانَ ذُنُوبِكُمْ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ مِنْ كُفْرِكُمْ، وَعِبَادَةِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَوَحِّدُوهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، يَغْفِرْ لَكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠﴾ [نوح: ١٠] لِذُنُوبِ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ، وَتَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ.

﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١﴾ [نوح: ١١].

﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم﴾ يَسْقِيكُمْ رَبُّكُمْ إِنْ تُبْتُمْ وَوَحَّدْتُمُوهُ وَأَخْلَصْتُمْ لَهُ الْعِبَادَةَ الْغَيْثَ، فَيُرْسِلُ بِهِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ..

﴿مِّدۡرَارٗا ۝١١﴾ [نوح: ١١] مُتَتَابِعًا.

﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾ [نوح: ١٢].

﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾ وَيُعْطِكُمْ مَعَ ذَلِكَ رَبُّكُمْ أَمْوَالًا وَبَنِينَ، فَيُكَثِّرُهَا عِنْدَكُمْ وَيَزِيدُ فِيمَا عِنْدَكُمْ مِنْهَا..

﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ يَرْزُقْكُمْ بَسَاتِينَ..

﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾ [نوح: ١٢] تَسْقُونَ مِنْهَا جَنَّاتِكُمْ وَمَزَارِعَكُمْ؛ وَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ نُوحٌ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِيمَا ذُكِرَ قَوْمًا يُحِبُّونَ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬﴾ [نوح: ١٣].

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬﴾ [نوح: ١٣] مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ لِلهِ عَظَمَةً، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجَاءَ قَدْ تَضَعُهُ الْعَرَبُ إِذَا صَحِبَهُ الْجَحْدُ فِي مَوْضِعِ الْخَوْفِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تُعَظِّمُونَ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ لِلهِ عَظَمَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلهِ عَاقِبَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلهِ طَاعَةً.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ⑭﴾ [نوح: ١٤].

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ⑭﴾ [نوح: ١٤] وَقَدْ خَلَقَكُمْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، طَوْرًا نُطْفَةً، وَطَوْرًا عَلَقَةً، وَطَوْرًا مُضْغَةً.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ⑮﴾ [نوح: ١٥].

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نُوحٍ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، لِقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ، مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ بِحُجَجِ اللهِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ: أَلَمْ تَرَوْا أَيُّهَا الْقَوْمُ فَتَعْتَبِرُوا..

﴿كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ⑮﴾ [نوح: ١٥] بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ؛ وَالطِّبَاقُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: طَابَقْتُ مُطَابَقَةً وطِبَاقًا، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ: كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، سَمَاءً فَوْقَ سَمَاءٍ مُطَابَقَةً.

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ⑯﴾ [نوح: ١٦].

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ نُورًا..

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ⑯﴾ [نوح: ١٦]

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ⑰﴾ [نوح: ١٧].

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ⑰﴾ [نوح: ١٧] وَاللهُ أَنْشَأَكُمْ مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ، فَخَلَقَكُمْ مِنْهُ إِنْشَاءً.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ⑱﴾ [نوح: ١٨].

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا كُنْتُمْ تُرَابًا فَيُصَيِّرُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَكُمْ..

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ⑱﴾ [نوح: ١٨] وَيُخْرِجُكُمْ مِنْهَا إِذَا شَاءَ أَحْيَاءً كَمَا كُنْتُمْ بَشَرًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهَا، فَيُصَيِّرُكُمْ تُرَابًا.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩﴾ [نوح: ١٩].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩﴾ [نوح: ١٩] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ، مُذَكِّرُهُمْ نِعَمَ رَبِّهِ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩﴾ تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا وَتَمْتَهِدُونَهَا.

﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح: ٢٠].

﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح: ٢٠] لِتَسْلُكُوا مِنْهَا طُرُقًا صِعَابًا مُتَفَرِّقَةً؛ وَالْفِجَاجُ: جَمْعُ فَجٍّ، وَهُوَ الطَّرِيقُ.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١﴾ [نوح: ٢١].

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فَخَالَفُوا أَمْرِي، وَرَدُّوا عَلَيَّ مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ..

﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ فِي مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّايَ مَنْ دَعَاهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ..

﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ مِمَّنْ كَثُرَ مَالُهُ وَوَلَدُهُ، فَلَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ مَالِهِ وَوَلَدِهِ..

﴿إِلَّا خَسَارًا ۝٢١﴾ [نوح: ٢١] بُعْدًا مِنَ اللهِ، وَذَهَابًا عَنْ مَحَجَّةِ الطَّرِيقِ.

﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢﴾ [نوح: ٢٢].

﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢﴾ [نوح: ٢٢] وَمَكَرُوا مَكْرًا عَظِيمًا.

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح: ٢٣].

﴿وَقَالُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ إِخْبَارِ نُوحٍ، عَنْ قَوْمِهِ: وَقَالُوا..

﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح: ٢٣] كَانَ هَؤُلَاءِ نَفَرًا مِنْ بَنِي آدَمَ -فِيمَا ذُكِرَ- عَنْ آلِهَةِ الْقَوْمِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا.. وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِمْ -فِيمَا بَلَغَنَا- أَنَّهم كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ مِنْ بَنِىٰ آدَمَ، وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ: لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ كَانَ أَشْوَقَ لَنَا إِلَىٰ الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَاهُمْ، فَصَوَّرُوهُمْ، فَلَمَّا مَاتُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ، دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ الْمَطَرَ، فَعَبَدُوهُمْ.

﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ۝٢٤﴾ [نوح: ٢٤].

﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نُوحٍ: وَقَدْ ضَلَّ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي أُحْدِثَتْ عَلَىٰ صُوَرِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الْمُسَمَّيْنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿كَثِيرًا﴾ مِنَ النَّاسِ فَنُسِبَ الضُّلَّالُ إِذْ ضَلَّ بِهَا عَابِدُوهَا إِلَىٰ أَنَّهَا الْمُضِلَّةُ.

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِآيَاتِنَا..

﴿إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح: ٢٤] إِلَّا طَبْعًا عَلَىٰ قَلْبِهِ، حَتَّىٰ لَا يَهْتَدِي لِلْحَقِّ.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ مِنْ خَطِيئَاتِهِمْ..

﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ جَهَنَّمَ..

﴿فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥] تَقْتَصُّ لَهُمْ مِمَّنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ بِهِمْ، وَلَا تَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا فُعِلَ بِهِمْ.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦] مَنْ يَدُورُ فِي الْأَرْضِ، فَيَذْهَبُ وَيَجِيءُ فِيهَا، يَعْنِي بِذَلِكَ: مَا بِهَا أَحَدٌ.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٧].

﴿إِنَّكَ﴾ يَا رَبِّ..

﴿إِن تَذَرْهُمْ﴾ إِنْ تَذَرِ الْكَافِرِينَ أَحْيَاءً عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَلَمْ تُهْلِكْهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ الَّذِينَ قَدْ آمَنُوا بِكَ، فَيَصُدُّوهُمْ عَنْ سَبِيلِكَ..

﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا﴾ فِي دِينِكَ..

﴿كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٧] كَفَّارًا لِنِعْمَتِكَ.. وَذُكِرَ أَنَّ قِيلَ نُوحٍ هَذَا الْقَوْلَ وَدُعَاءَهُ هَذَا الدُّعَاءَ، كَانَ بَعْدَ أَنْ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ رَبُّهُ: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ رَبِّ اعْفُ عَنِّي، وَاسْتُرْ عَلَيَّ ذُنُوبِي وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ..

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ وَلِمَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي وَمُصَلَّايَ مُصَلِّيًا..

﴿مُؤْمِنًا﴾ مُصَدِّقًا بِوَاجِبِ فَرْضِكَ عَلَيْهِ..

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وَلِلْمُصَدِّقِينَ بِتَوْحِيدِكَ وَالْمُصَدِّقَاتِ..
﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ..
﴿إِلَّا تَبَارًۢا ٢٨﴾ [نوح: ٢٨] إِلَّا خَسَارًا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ نُوحٍ



سُورَةُ الجِنِّ (٧٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ①﴾ [الجن: ١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ..

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا﴾ لَمَّا سَمِعُوهُ..

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ①﴾ [الجن: ١]

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾ [الجن: ٢].

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ الْحَقِّ وَسَبِيلِ الصَّوَابِ..

﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ﴾ فَصَدَّقْنَاهُ..

﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾ [الجن: ٢] مِنْ خَلْقِهِ. وَكَانَ سَبَبُ اسْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ النَّفْرِ مِنَ الْجِنِّ الْقُرْآنَ، كَمَا صَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: **(مَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْجِنِّ وَلَا رَآهُمْ، انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، فَقَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَانْطَلِقُوا فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَدَثَ، فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، يَتَتَبَّعُونَ مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْطَلَقَ النَّفَرُ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِنَخْلَةَ، وَهُوَ عَامِدٌ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾ [الجن:١- ٢] فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ).**

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣].

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ وَآمَنَّا بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ تَعَالَتْ عَظَمَتُهُ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ.. وَذَلِكَ لِأَنَّ لِلْجَدِّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا الْجَدُّ الَّذِي هُوَ أَبُو الْأَبِ، أَوْ أَبُو الْأُمِّ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُوصَفَ بِهِ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا: فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِأَنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ جَدًّا أَوْ هُوَ أَبُو أَبٍ أَوْ أَبُو أُمٍّ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمَعْنَىٰ الْآخَرُ: الْجَدُّ الَّذِي بِمَعْنَىٰ الْحَظِّ؛ يُقَالُ: فُلَانٌ ذُو جَدٍّ فِي هَذَا الْأَمْرِ، إِذَا كَانَ لَهُ حَظٌّ فِيهِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ: الْبَخْتُ، وَهَذَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي قَصَدَهُ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ بِقِيلِهِمْ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، إِنَّمَا عَنَوْا أَنَّ حَظْوَتَهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ وَالْقُدْرَةِ وَالْعَظَمَةِ عَالِيَةٌ، فَلَا يَكُونُ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، لِأَنَّ الصَّاحِبَةَ إِنَّمَا تَكُونُ لِلضَّعِيفِ الْعَاجِزِ الَّذِي تَضْطَرُّهُ الشَّهْوَةُ الْبَاعِثَةُ إِلَىٰ اتِّخَاذِهَا، وَأَنَّ الْوَلَدَ إِنَّمَا يَكُونُ عَنْ شَهْوَةٍ أَزْعَجَتْهُ إِلَىٰ الْوِقَاعِ الَّذِي يَحْدُثُ مِنْهُ الْوَلَدُ، فَقَالَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ: عَلَا مُلْكُ رَبِّنَا وَسُلْطَانُهُ وَقُدْرَتُهُ وَعَظَمَتُهُ أَنْ يَكُونَ ضَعِيفًا ضَعْفَ خَلْقِهِ الَّذِينَ تَضْطَرُّهُمُ الشَّهْوَةُ إِلَىٰ اتِّخَاذِ صَاحِبَةٍ، أَوْ وِقَاعِ شَيْءٍ يَكُونُ مِنْهُ وَلَدٌ، وَقَدْ بَيَّنَ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ إِخْبَارُ اللهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَزَّهُوا اللهَ عَنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ يُقَالُ مِنْهُ: رَجُلٌ جَدِّيٌّ وَجَدِيدٌ وَمَجْدُودٌ، أَيْ ذُو حَظٍّ فِيمَا هُوَ فِيهِ..

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾ يَعْنِي: زَوْجَةً..

﴿وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣]

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ [الجن: ٤].

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ النَّفَرِ مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ وَهُوَ إِبْلِيسُ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ [الجن: ٤] تَعَدِّيًا وَظُلْمًا.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ [الجن: ٥].

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ وَقَالُوا: أَنَا حَسِبْنَا..

﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ أَنْ لَنْ تَقُولَ بَنُو آدَمَ وَالْجِنُّ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ [الجن: ٥] مِنَ الْقَوْلِ.. وَالظَّنُّ هَهُنَا بِمَعْنَىٰ الشَّكِّ.. وَإِنَّمَا أَنْكَرَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ أَنْ تَكُونَ عَلِمَتْ أَنَّ أَحَدًا يَجْتَرِئُ عَلَىٰ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ لَمَّا سَمِعَتِ الْقُرْآنَ؛ لِأَنَّهُمْ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعُوهُ

وَقَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا تَكْذِيبَ اللهِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ لِلهِ صَاحِبَةً وَوَلَدًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْكُفْرِ، كَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّ إِبْلِيسَ صَادِقٌ فِيمَا يَدْعُو بَنِي آدَمَ إِلَيْهِ مِنْ صُنُوفِ الْكُفْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ أَيْقَنُوا أَنَّهُ كَانَ كَاذِبًا فِي كُلِّ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ قَالُوا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ [الجن: ٤] فَسَمَّوْهُ سَفِيهًا.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ يَسْتَجِيرُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فِي أَسْفَارِهِمْ إِذَا نَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ.. وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ -فِيمَا ذُكِرَ لَنَا-: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَبِيتُ أَحَدُهُمْ بِالْوَادِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِعَزِيزِ هَذَا الْوَادِي، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ إِثْمًا..

﴿فَزَادُوهُمْ﴾ فَزَادَ الْإِنْسَ الْجِنُّ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦] إِثْمًا، وَذَلِكَ زَادُوهُمْ بِهِ اسْتِحْلَالًا لِمَحَارِمِ اللهِ.. وَالرَّهَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْإِثْمُ وَغَشَيَانُ الْمَحَارِمِ.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ [الجن: ٧].

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مِنَ الْجِنِّ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ يَعْنِي أَنَّ الرِّجَالَ مِنَ الْجِنِّ ظَنُّوا كَمَا ظَنَّ الرِّجَالُ مِنَ الْإِنْسِ..

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ [الجن: ٧] رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾ [الجن: ٨].

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ: وَأَنَّا طَلَبْنَا السَّمَاءَ وَأَرَدْنَاهَا..

﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ يَعْنِي حَفَظَةً..

﴿وَشُهُبًا ۝٨﴾ [الجن: ٨] وَهِيَ جَمْعُ شِهَابٍ، وَهِيَ النُّجُومُ الَّتِي كَانَتْ تُرْجَمُ بِهَا الشَّيَاطِينُ.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن: ٩].

﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ مَعْشَرَ الْجِنِّ..

﴿نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ نَقْعُدُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ مَقَاعِدَ لِنَسْمَعَ مَا يَحْدُثُ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا..

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ﴾ فِيهَا مِنَّا..

﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن: ٩] يَعْنِي: شِهَابَ نَارٍ قَدْ رُصِدَ لَهُ بِهِ.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠].

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾ يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مِنَ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾..

﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَعَذَابًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُنْزِلَهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ، بِمَنْعِهِ إِيَّانَا السَّمْعَ مِنَ السَّمَاءِ وَرَجْمِهِ مَنِ اسْتَمَعَ مِنَّا فِيهَا بِالشُّهُبِ..

﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠] يعني: الْهُدَىٰ، بِأَنْ يَبْعَثَ مِنْهُمْ رَسُولًا مُرْشِدًا يُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ [الجن: ١١].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِمْ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ الْعَامِلُونَ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وَمِنَّا دُونَ الصَّالِحِينَ..

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ [الجن: ١١] وَأَنَّا كُنَّا أَهْوَاءً مُخْتَلِفَةً، وَفِرَقًا شَتَّىٰ، مِنَّا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ.. وَالطَّرَائِقُ: جَمْعُ طَرِيقَةٍ، وَهِيَ طَرِيقَةُ الرَّجُلِ وَمَذْهَبُهُ.. وَالْقِدَدُ: جَمْعُ قِدَّةٍ، وَهِيَ الضُّرُوبُ وَالْأَجْنَاسُ الْمُخْتَلِفَةُ.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾ [الجن: ١٢].

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ وَأَنَّا عَلِمْنَا..

﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إِنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا..

﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾ [الجن: ١٢] إِنْ طَلَبَنَا فَنَفُوتَهُ، وَإِنَّمَا وَصَفُوا اللهَ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِمْ حَيْثُ كَانُوا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ [الجن: ١٣].

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ قَالُوا: وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ..

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ صَدَّقْنَا بِهِ، وَأَقْرَرْنا أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ فَمَنْ يُصَدِّقْ بِرَبِّهِ..

﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ لَا يَخَافُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَلَا يُجَازَىٰ عَلَيْهَا..

﴿وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ [الجن: ١٣] وَلَا إِثْمًا يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِ غَيْرِهِ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤﴾ [الجن: ١٤].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ النَّفَرِ مِنَ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ الَّذِينَ قَدْ خَضَعُوا لِلهِ بِالطَّاعَةِ..

﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ وَهُمُ الْجَائِرُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَقَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ وَخَضَعَ لِلهِ بِالطَّاعَةِ..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤﴾ [الجن: ١٤] فَأُولَئِكَ تَعَمَّدُوا وَتَرَجَّوا رَشَدًا فِي دِينِهِمْ.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن: ١٥].

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الْجَائِرُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ..

﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن: ١٥] تُوقَدُ بِهِمْ.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦﴾ [الجن: ١٦].

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى﴾ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامَ هَؤُلَاءِ الْقَاسِطُونَ..

﴿ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾ عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ..

﴿مَّآءً غَدَقًا ۝١٦﴾ [الجن: ١٦] لَوَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، وَبَسَطْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾ [الجن: ١٧].

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لِنَخْتَبِرَهُمْ فِيهِ..

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ الَّذِي ذَكَّرَهُ بِهِ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ، وَمَعْنَاهُ: وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ وَاسْتِعْمَالِهِ..

﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾ [الجن: ١٧] يَسْلُكْهُ اللهُ عَذَابًا شَدِيدًا شَاقًّا.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨].

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨] وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ فِيهَا شَيْئًا، وَلَكِنْ أَفْرِدُوا لَهُ التَّوْحِيدَ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ [الجن: ١٩].

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿يَدۡعُوهُ﴾ يَدْعُو اللهَ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ﴾ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..

﴿لِبَدٗا ١٩﴾ [الجن: ١٩] جَمَاعَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَاحِدُهَا: لِبْدَةٌ.. وَذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ أَنَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ لَمَّا قَامَ يَدْعُوهُ كَادَتِ الْعَرَبُ تَكُونُ عَلَيْهِ جَمِيعًا فِي إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْجِنُّ أَنَّهُمْ كَادُوا يَرْكَبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَتْبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨]، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي يَتْبَعُ ذَلِكَ الْخَبَرُ عَمَّا لَقِيَ الْمَأْمُورُ بِأَنْ لَا يَدْعُوَ مَعَ اللهِ أَحَدًا فِي ذَلِكَ، لَا الْخَبَرُ عَنْ كَثْرَةِ إِجَابَةِ الْمَدْعُوِّينَ وَسُرْعَتِهِمْ إِلَىٰ الْإِجَابَةِ.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠﴾ [الجن: ٢٠].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ الَّذِينَ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْكَ لِبَدًا..

﴿إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠﴾ [الجن: ٢٠] وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ (وَقَالَ) بِالْأَلِفِ؛ وَمَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، جَعَلَهُ خَبَرًا مِنَ اللهِ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ تَلَبَّدُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠﴾.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾ [الجن: ٢١].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ رَدُّوا عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ..

﴿إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا﴾ فِي دِينِكُمْ وَلَا فِي دُنْيَاكُمْ..

﴿وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾ [الجن: ٢١] أُرْشِدُكُمْ، لِأَنَّ الَّذِي يَمْلِكُ ذَلِكَ، اللهُ الَّذِي لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ.

﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ [الجن: ٢٢].

﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ مِنْ خَلْقِهِ إِنْ أَرَادَنِي أَمْرًا، وَلَا يَنْصُرُنِي مِنْهُ نَاصِرٌ..

﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ [الجن: ٢٢] وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَلْجَأً أَلْجَأُ إِلَيْهِ.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ إِلَّا أَنْ أُبَلِّغَكُمْ مِنَ اللهِ مَا أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِكُمْ إِيَّاهُ، وَإِلَّا رِسَالَاتِهِ الَّتِي أَرْسَلَنِي بِهَا إِلَيْكُمْ؛ فَأَمَّا الرَّشَدُ وَالْخِذْلَانُ، فَبِيَدِ اللهِ، هُوَ مَالِكُهُ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذُلُ مَنْ أَرَادَ..

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ..

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ وَيُكَذِّبُ بِهِ وَرَسُولِهِ، فَجَحَدَ رِسَالَاتِهِ..

﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ يَصْلَاهَا..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣] مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن: ٢٤].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ إِذَا عَايَنُوا مَا يَعِدُهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن: ٢٤] أَجُنْدُ اللهِ الَّذِي أَشْرَكُوا بِهِ، أَمْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ [الجن: ٢٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿إِنْ أَدْرِىٓ﴾ مَا أَدْرِي..

﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ أَقَرِيبٌ مَا يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ [الجن: ٢٥] يَعْنِي: غَايَةً مَعْلُومَةً تَطُولُ مُدَّتُهَا.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ عَالِمُ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِ خَلْقِهِ، فَلَمْ يَرَوْهُ..

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦] فَيُعْلِمُهُ أَوْ يُرِيهِ إِيَّاهُ.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٧].

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فَإِنَّهُ يُظْهِرُهُ عَلَىٰ مَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٧] فَإِنَّهُ يُرْسِلُ مِنْ أَمَامِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ حَرَسًا وَحَفَظَةً يَحْفَظُونَهُ.

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾

[الجن: ٢٨].

﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ الرَّسُولُ..

﴿أَن﴾ الرُّسُلَ قَبْلَهُ..

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ عَنْ رَبِّهَا..

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ وَعَلِمَ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُمْ..

﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ [الجن: ٢٨] عَلِمَ عَدَدَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، فَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْجِنِّ



سُورَةُ المُزَّمِّلِ (٧٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ①﴾ [المزمل: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ①﴾ [المزمل: ١] الْمُلْتَفُّ بِثِيَابِهِ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، وَصَفَهُ بِأَنَّهُ مُتَزَمِّلٌ فِي ثِيَابِهِ، مُتَأَهِّبٌ لِلصَّلَاةِ.

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ②﴾ [المزمل: ٢].

﴿قُمِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿اللَّيْلَ﴾ كُلَّهُ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا ②﴾ [المزمل: ٢] مِنْهُ.

﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③﴾ [المزمل: ٣].

﴿نِصْفَهُ﴾ قُمْ نِصفَ اللَّيْلِ..

﴿أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③﴾ [المزمل: ٣]

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④﴾ [المزمل: ٤].

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ خَيَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ حِينَ فَرَضَ عَلَيْهِ قِيَامَ اللَّيْلِ بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَازِلِ، أَيَّ ذَلِكَ شَاءَ فَعَلَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَقُومُونَ اللَّيْلَ، نَحْوَ قِيَامِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّىٰ خُفِّفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **(لَمَّا نَزَلَ أَوَّلُ الْمُزَّمِّلِ كَانُوا يَقُومُونَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا نَحْوٌ مِنْ سَنَةٍ)**..

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④﴾ [المزمل: ٤] وَبَيِّنِ الْقُرْآنَ إِذَا قَرَأْتَهُ تَبْيِينًا، وَتَرَسَّلْ فِيهِ تَرَسُّلًا.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤﴾ [المزمل: ٥].

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤﴾ [المزمل: ٥] قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهِ: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا الْعَمَلُ بِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّ الْقَوْلَ عَيْنَهُ ثَقِيلٌ مَحْمَلُهُ فَكَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وَهُوَ عَلَىٰ

نَاقَتِهِ وَضَعَتْ جِرَانَهَا، فَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَحَرَّكَ حَتَّىٰ يُسَرَّىٰ عَنْهُ.. وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (هُوَ وَاللهِ ثَقِيلٌ مُبَارَكٌ الْقُرْآنُ، كَمَا ثَقُلَ فِي الدُّنْيَا ثَقُلَ فِي الْمَوَازِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ قَوْلٌ ثَقِيلٌ، فَهُوَ كَمَا وَصَفَهُ بِهِ ثَقِيلٌ مَحْمَلُهُ، ثَقِيلٌ الْعَمَلُ بِحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾ [المزمل: ٦].

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ إِنَّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَكُلُّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ نَاشِئَةٌ مِنَ اللَّيْلِ..

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ أَشَدُّ ثَبَاتًا مِنَ النَّهَارِ وَأَثْبَتُ فِي الْقَلْبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَمَلَ بِاللَّيْلِ أَثْبَتُ مِنْهُ بِالنَّهَارِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (الْقِيَامُ بِاللَّيْلِ أَشَدُّ وَطْئًا، أَثْبَتُ فِي الْخَيْرِ).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (إِنَّ الْقَائِمَ بِاللَّيْلِ ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ طُمَأْنِينَةً، أَفْرَغُ لَهُ قَلْبًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ لا يَعْرِضُ لَهُ حَوَائِجُ وَلَا شَيْءٌ).. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (قَوْلُهُ ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ مُوَاطَأَةً لِلْقَوْلِ، وَفَرَاغًا لِلْقَلْبِ)..

﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾ [المزمل: ٦] وَأَصْوَبُ قِرَاءَةً.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧﴾ [المزمل: ٧].

﴿إِنَّ لَكَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا﴾ فَرَاغًا..

﴿طَوِيلٗا ٧﴾ [المزمل: ٧] تَتَّسِعُ بِهِ، وَتَتَقَلَّبُ فِيهِ.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [المزمل: ٨].

﴿وَٱذۡكُرِ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ فَادْعُهُ بِهِ..

﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [المزمل: ٨] وَانْقَطِعْ إِلَيْهِ انْقِطَاعًا لِحَوَائِجِكَ وَعِبَادَتِكَ دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ؛ وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: تَبَتَّلْتُ هَذَا الْأَمْرَ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِأُمِّ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ الْبَتُولُ، لِانْقِطَاعِهَا إِلَىٰ اللهِ، وَيُقَالُ لِلْعَابِدِ الْمُنْقَطِعِ عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ: قَدْ تَبَتَّلَ، وَمِنْهُ الْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ نَهَىٰ عَنِ التَّبَتُّلِ.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٩].

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَالَمِ.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ إِلَهٌ سِوَىٰ اللهِ الَّذِي هُوَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ..

﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩﴾ [المزمل: ٩] فِيمَا يَأْمُرُكَ وَفَوِّضْ إِلَيْهِ أَسْبَابَكَ.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾ [المزمل: ١٠].

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ عَلَىٰ مَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ لَكَ، وَعَلَىٰ أَذَاهُمْ..

﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾ [المزمل: ١٠] وَاهْجُرْهُمْ فِي اللهِ هَجْرًا جَمِيلًا، وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ: هُوَ الْهَجْرُ فِي ذَاتِ اللهِ، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٦٨] الْآيَةُ.. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ نُسِخَ؛ قَالَ قَتَادَةُ: (**بَرَاءَةُ نَسَخَتْ مَا هَهُنَا؛ أُمِرَ بِقِتَالِهِمْ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ غَيْرَهَا**).

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١﴾ [المزمل: ١١].

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ فَدَعْنِي يَا مُحَمَّدُ وَالْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِي..

﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ التَّنَعُّمِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١﴾ [المزمل: ١١] وَأَخِّرْهُمْ بِالْعَذَابِ الَّذِي بَسَطْتُهُ لَهُمْ قَلِيلًا حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيْنَ بَدْرٍ يَسِيرٌ.

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۝١٢﴾ [المزمل: ١٢].

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ﴾ إِنَّ عِنْدَنَا لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِنَا..

﴿أَنكَالٗا﴾ يَعْنِي: قُيُودًا، وَاحِدُهَا: نِكْلٌ..

﴿وَجَحِيمٗا ۝١٢﴾ [المزمل: ١٢] وَنَارًا تُسَعَّرُ.

﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٣﴾ [المزمل: ١٣].

﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ وَطَعَامًا يَغَصُّ بِهِ آكِلُهُ، فَلَا هُوَ نَازِلٌ عَنْ حَلْقِهِ، وَلَا هُوَ خَارِجٌ مِنْهُ..

﴿وَعَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٣﴾ [المزمل: ١٣] وَعَذَابًا مُؤْلِمًا مُوجِعًا.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ۝١٤﴾ [المزمل: ١٤].

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ إِنَّ لَدَيْنَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ يُؤْذُونَكَ يَا مُحَمَّدُ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي وَصَفَهَا فِي يَوْمٍ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ؛ وَرُجْفَانُ ذَلِكَ: اضْطِرَابُهُ بِمَنْ عَلَيْهِ،

وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ⑭﴾ [المزمل: ١٤] وَكَانَتِ الْجِبَالُ رَمْلًا سَائِلًا مُتَنَاثِرًا.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑮﴾ [المزمل: ١٥].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بِإِجَابَةِ مَنْ أَجَابَ مِنْكُمْ دَعْوَتِي، وَامْتِنَاعِ مَنِ امْتَنَعَ مِنْكُمْ مِنَ الْإِجَابَةِ، يَوْمَ تَلْقَوْنِي فِي الْقِيَامَةِ..

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑮﴾ [المزمل: ١٥] مِثْلُ إِرْسَالِنَا مِنْ قَبْلِكُمْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ مِصْرَ رَسُولًا بِدُعَائِهِ إِلَىٰ الْحَقِّ.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑯﴾ [المزمل: ١٦].

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِ..

﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑯﴾ [المزمل: ١٦] فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا شَدِيدًا، فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑰﴾ [المزمل: ١٧].

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ: فَكَيْفَ تَخَافُونَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑰﴾ [المزمل: ١٧] يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا إِنْ كَفَرْتُمْ بِاللهِ، وَلَمْ تُصَدِّقُوا بِهِ.

﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ⑱﴾ [المزمل: ١٨].

﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ السَّمَاءُ مُثْقَلَةٌ بِذَلِكَ الْيَوْمِ مُتَصَدِّعَةٌ مُتَشَقِّقَةٌ..

﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ⑱﴾ [المزمل: ١٨] كَانَ مَا وَعَدَ اللهُ مِنْ أَمْرٍ أَنْ يَفْعَلَهُ مَفْعُولًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَمَا وَعَدَ أَنْ يَفْعَلَهُ تَكْوِينُهُ يَوْمَ تَكُونُ الْوِلْدَانُ شِيبًا، يَقُولُ: فَاحْذَرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ⑲﴾ [المزمل: ١٩].

﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا أَمْرَ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالَهَا، وَمَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا بِأَهْلِ الْكُفْرِ..

﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ بِهَا وَاتَّعَظَ..

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ [المزمل: ١٩] فَمَنْ شَاءَ مِنَ الْخَلْقِ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ طَرِيقًا بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَقْرَبَ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا..

﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ وَأَدْنَىٰ مِنْ نِصْفِهِ وَثُلُثِهِ، إِنَّكُمْ لَمْ تُطِيقُوا الْعَمَلَ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، فَقُومُوا أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَمِنْ نِصْفِهِ وَثُلُثِهِ..

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ يَعْنِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِاللهِ حِينَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ قِيَامَ اللَّيْلِ..

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ بِالسَّاعَاتِ وَالْأَوْقَاتِ..

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ عَلِمَ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ قِيَامُ اللَّيْلِ أَنْ لَنْ تُطِيقُوا قِيَامَهُ..

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ إِذْ عَجَزْتُمْ وَضَعُفْتُمْ عَنْهُ، وَرَجَعَ بِكُمْ إِلَىٰ التَّخْفِيفِ عَنْكُمْ..

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ فَاقْرَءُوا مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ لَكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ فِي صَلَاتِكُمْ؛ وَهَذَا تَخْفِيفٌ مِنَ اللهِ ﷻ عَنْ عِبَادِهِ فَرْضَهُ الَّذِي كَانَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣﴾ [المزمل: ٣]..

﴿عَلِمَ﴾ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ قَدْ أَضْعَفَهُ الْمَرَضُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ..

﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فِي سَفَرٍ..

﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ فِي تِجَارَةٍ قَدْ سَافَرُوا لِطَلَبِ الْمَعَاشِ فَأَعْجَزَهُمْ، فَأَضْعَفَهُمْ أَيْضًا عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ..

﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَآخَرُونَ أَيْضًا مِنْكُمْ يُجَاهِدُونَ الْعَدُوَّ فَيُقَاتِلُونَهُمْ فِي نُصْرَةِ

دِينِ اللهِ، فَرَحِمَكُمُ اللهُ فَخَفَّفَ عَنْكُمْ، وَوَضَعَ عَنْكُمْ فَرْضَ قِيَامِ اللَّيْلِ..

﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ فَاقْرَءُوا الْآنَ إِذْ خَفَّفَ ذَلِكَ عَنْكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فِي صَلَاتِكُمْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَأَقِيمُوا الْمَفْرُوضَةَ وَهِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلِ..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وَأَعْطُوا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ فِي أَمْوَالِكُمْ أَهْلَهَا..

﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ..

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ نَفَقَةٍ تُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَفَقَةٍ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، أَوْ عَمَلٍ بِطَاعَةِ اللهِ مِنْ صَلَاةٍ أَوْ صِيَامٍ أَوْ حَجٍّ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ فِي طَلَبِ مَا عِنْدَ اللهِ..

﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿هُوَ خَيْرًا﴾ لَكُمْ مِمَّا قَدَّمْتُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ﴾ وَأَعْظَمُ مِنْهُ ثَوَابًا، أَيْ ثَوَابُهُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي قَدَّمْتُمُوهُ لَوْ لَمْ تَكُونُوا قَدَّمْتُمُوهُ..

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ﴾ وَسَلُوا اللهَ غُفْرَانَ ذُنُوبِكُمْ يَصْفَحْ لَكُمْ عَنْهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ إِنَّ اللهَ ذُو مَغْفِرَةٍ لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ [المزمل: ٢٠] وَذُو رَحْمَةٍ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ



سُورَةُ المُدَّثِّرِ (٧٤)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَخَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾ [المدثر: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾ [المدثر: ١] يَا أَيُّهَا الْمُتَدَثِّرُ بِثِيَابِهِ عِنْدَ نَوْمِهِ.. قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا، وَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾ [المدثر: ١-٥]، ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ».

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ②﴾ [المدثر: ٢].

﴿قُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُمْ مِنْ نَوْمِكَ..

﴿فَأَنذِرْ ②﴾ [المدثر: ٢] عَذَابَ اللهِ قَوْمَكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللهِ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③﴾ [المدثر: ٣].

﴿وَرَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَكَبِّرْ ③﴾ [المدثر: ٣] فَعَظِّمْ بِعِبَادَتِهِ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِكَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④﴾ [المدثر: ٤].

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④﴾ [المدثر: ٤] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: (اغْسِلْهَا بِالْمَاءِ).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (كَانَ الْمُشْرِكُونَ لَا يَتَطَهَّرُونَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَطَهَّرَ، وَيُطَهِّرَ ثِيَابَهُ).. وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ وَابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ أَظْهَرُ مَعَانِيهِ، وَالَّذِي قَالَ: جِسْمَكَ فَطَهِّرْ مِنَ الذُّنُوبِ، عَلَيْهِ أَكْثَرُ السَّلَفِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾ [المدثر: ٥].

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾ [المدثر: ٥] وَالْأَوْثَانَ فَاهْجُرْ عِبَادَتَهَا، وَاتْرُكْ خِدْمَتَهَا.. وَقَرَأَهُ بَعْضُ قُرَّاءِ

الْمَدِينَةِ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (وَالرِّجْزَ) بِكَسْرِ الرَّاءِ، وَقَالَ: مَعْنَاهُ: وَالْعَذَابَ فَاهْجُرْ، أَيْ مَا أَوْجَبَ لَكَ الْعَذَابَ مِنَ الْأَعْمَالِ فَاهْجُرْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، وَالضَّمُّ وَالْكَسْرُ فِي ذَلِكَ لُغَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا مِنْ مُتَقَدِّمِي أَهْلِ التَّأْوِيلِ فَرَّقَ بَيْنَ تَأْوِيلِ ذَلِكَ.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦].

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦] وَلَا تَمْنُنْ عَلَىٰ رَبِّكَ مِنْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ عَمَلَكَ الصَّالِحَ.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ٧].

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ٧] عَلَىٰ مَا لَقِيتَ فِيهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ [المدثر: ٨].

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ [المدثر: ٨] فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ .

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدثر: ٩].

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدثر: ٩] فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ شَدِيدٌ.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر: ١٠].

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر: ١٠] قَالَ قَتَادَةُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدثر: ٩]، فَبَيَّنَ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يَقَعُ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [المدثر: ١١].

﴿ذَرْنِي﴾ كِلْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [المدثر: ١١] أَمْرَ الَّذِي خَلَقْتُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَحِيدًا، لَا شَيْءَ لَهُ مِنْ مَالٍ وَلَا وَلَدٍ إِلَيَّ.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢﴾ [المدثر: ١٢].

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢﴾ [المدثر: ١٢] وَهُوَ الْكَثِيرُ الْمَمْدُودُ عَدَدُهُ أَوْ مِسَاحَتُهُ.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣﴾ [المدثر: ١٣].

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣﴾ [المدثر: ١٣] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَجَعَلْتُ لَهُ بَنِينَ شُهُودًا.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا ۝١٤﴾ [المدثر: ١٤].

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا ۝١٤﴾ [المدثر: ١٤] وَبَسَطْتُ لَهُ فِي الْعَيْشِ بَسْطًا.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥﴾ [المدثر: ١٥].

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥﴾ [المدثر: ١٥] ثُمَّ يَأْمَلُ وَيَرْجُو أَنْ أَزِيدَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ عَلَىٰ مَا أُعْطَيْتُهُ.

﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦﴾ [المدثر: ١٦].

﴿كَلَّآۖ﴾ لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا يَأْمَلُ وَيَرْجُو مِنْ أَنْ أَزِيدَهُ مَالًا وَوَلَدًا، وتَمْهِيدًا فِي الدُّنْيَا.

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي خَلَقْتُهُ وَحِيدًا..

﴿كَانَ لِأٓيَٰتِنَا﴾ وَهِيَ حُجَجُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ..

﴿عَنِيدًا ۝١٦﴾ [المدثر: ١٦] يَعْنِي: مُعَانِدًا لِلْحَقِّ مُجَانِبًا لَهُ، كَالْبَعِيرِ الْعَنُودِ.

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ [المدثر: ١٧].

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ [المدثر: ١٧] سَأُكَلِّفُهُ مَشَقَّةً مِنَ الْعَذَابِ لَا رَاحَةَ لَهُ مِنْهَا.. وَقِيلَ: إِنَّ الصَّعُودُ جَبَلٌ فِي النَّارِ يُكَلَّفُ أَهْلُ النَّارِ صَعُودَهُ.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨﴾ [المدثر: ١٨].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي خَلَقْتُهُ وَحِيدًا..

﴿فَكَّرَ﴾ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿وَقَدَّرَ ۝١٨﴾ [المدثر: ١٨] فِيمَا يَقُولُ فِيهِ.

﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾ [المدثر: ١٩].

﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾ [المدثر: ١٩]

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾ [المدثر: ٢٠].

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾ [المدثر: ٢٠] ثُمَّ لُعِنَ، كَيْفَ قَدَّرَ الْقَوْلَ فِيهِ؟!

﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١﴾ [المدثر: ٢١].

﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١﴾ [المدثر: ٢١] ثُمَّ رَوَّي فِي ذَلِكَ.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢﴾ [المدثر: ٢٢].

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ ثُمَّ قَبِضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ..

﴿وَبَسَرَ ۝٢٢﴾ [المدثر: ٢٢] كَلَحَ وَجْهُهُ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾ [المدثر: ٢٣].

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ ثُمَّ وَلَّىٰ عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابِهِ..

﴿وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾ [المدثر: ٢٣] عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْحَقِّ.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤﴾ [المدثر: ٢٤].

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤﴾ [المدثر: ٢٤] يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْوَحِيدِ فِي الْقُرْآنِ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ مَا هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، يَقُولُ: مَا هُوَ إِلَّا كَلَامُ ابْنِ آدَمَ، وَمَا هُوَ بِكَلَامِ اللهِ.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٦].

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٦] سَأُورِدُهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ اسْمُهُ سَقَرُ، وَلَمْ يُجَرَّ سَقَرُ لِأَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧﴾ [المدثر: ٢٧].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧﴾ [المدثر: ٢٧] وَأَيُّ شَيْءٍ أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ، أَيُّ شَيْءٍ سَقَرُ؟ ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا سَقَرُ، فَقَالَ: هِيَ نَارٌ.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ [المدثر: ٢٨].

﴿لَا تُبْقِي﴾ مَنْ فِيهَا حَيًّا..

﴿وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ [المدثر: ٢٨] مَنْ فِيهَا مَيِّتًا، وَلَكِنَّهَا تَحْرِقُهُمْ كُلَّمَا جُدِّدَ خَلْقُهُمْ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (لا تُمِيتُ وَلا تُحْيِي).

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾ [المدثر: ٢٩].

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾ [المدثر: ٢٩] مُغَيِّرَةٌ لِبَشَرِ أَهْلِهَا؛ وَاللَّوَّاحَةُ مِنْ نَعْتِ سَقَرَ، وَبِالرَّدِّ عَلَيْهَا رُفِعَتْ، وَحَسُنَ الرَّفْعُ فِيهَا، وَهِيَ نَكِرَةٌ، وَسَقَرُ مَعْرِفَةٌ، لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَىٰ الْمَدْحِ.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٣٠].

﴿عَلَيْهَا﴾ عَلَىٰ سَقَرَ..

﴿تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٣٠] مِنَ الْخَزَنَةِ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝٣١﴾ [المدثر: ٣١].

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ وَمَا جَعَلْنَا خَزَنَةَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً..

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّةَ هَؤُلَاءِ الْخَزَنَةِ..

﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ لِيَسْتَيْقِنَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ حَقِيقَةَ مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ عِدَّةِ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ، إِذْ وَافَقَ ذَلِكَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَلِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ..

﴿إِيمَانًا﴾ تَصْدِيقًا إِلَىٰ تَصْدِيقِهِمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ بِتَصْدِيقِهِمْ بِعِدَّةِ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ..

﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وَلَا يَشُكُّ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ فِي حَقِيقَةِ ذَلِكَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضُ النِّفَاقِ، وَالْكَافِرُونَ بِاللهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا

﴿أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ﴾ يَقُولُ: حَتَّىٰ يُخَوِّفُنَا بِهَؤُلَاءِ التِّسْعَةِ عَشَرَ

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَضَلَّ اللهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ فِي خَبَرِ اللهِ عَنْ عِدَّةِ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ: أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَ اللهُ بِهَذَا الْخَبَرِ مِنَ الْمَثَلِ حَتَّىٰ يُخَوِّفُنَا بِذِكْرِ عِدَّتِهِمْ، وَيَهْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، فَازْدَادُوا بِتَصْدِيقِهِمْ إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ إِيمَانًا..

﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ فَيَخْذُلُهُ عَنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ..

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ مِنْهُمْ، فَيُوَفِّقُهُ لِإِصَابَةِ الصَّوَابِ..

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ﴾ مِنْ كَثْرَتِهِمْ..

﴿إِلَّا هُوَۚ﴾ يَعْنِي: اللهَ..

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ٣١﴾ [المدثر: ٣١] وَمَا النَّارُ الَّتِي وَصَفْتُهَا إِلَّا تَذْكِرَةٌ ذُكِّرَ بِهَا الْبَشَرُ، وَهُمْ بَنُو آدَمَ.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ٣٢﴾ [المدثر: ٣٢].

﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ الْقَوْلُ كَمَا يَقُولُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَكْفِي أَصْحَابَهُ الْمُشْرِكِينَ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يُجْهِضَهُمْ عَنْهَا، ثُمَّ أَقْسَمَ رَبُّنَا تَعَالَىٰ فَقَالَ..

﴿وَٱلْقَمَرِ ٣٢﴾ [المدثر: ٣٢]

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٣﴾ [المدثر: ٣٣].

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٣﴾ [المدثر: ٣٣] وَاللَّيْلِ إِذْ وَلَّىٰ ذَاهِبًا.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ٣٤﴾ [المدثر: ٣٤].

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ٣٤﴾ [المدثر: ٣٤] وَالصُّبْحِ إِذَا أَضَاءَ.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ٣٥﴾ [المدثر: ٣٥].

﴿إِنَّهَا﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ..

﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ٣٥﴾ [المدثر: ٣٥] يَعْنِي: الْأُمُورَ الْعِظَامَ.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦﴾ [المدثر: ٣٦].

﴿نَذِيرًا﴾ إِنَّ النَّارَ لَإِحْدَىٰ الْكُبَرِ، نَذِيرًا..

﴿لِّلْبَشَرِ ٣٦﴾ [المدثر: ٣٦] لِبَنِي آدَمَ.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ [المدثر: ٣٧].

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ [المدثر: ٣٧] فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ مَأْمُورَةٌ مَنْهِيَّةٌ..

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بِمَا عَمِلَتْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر: ٣٨] فِي جَهَنَّمَ مَأْخُوذَةٌ بِعَمَلِهَا.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ٣٩﴾ [المدثر: ٣٩].

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ٣٩﴾ [المدثر: ٣٩] فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُرْتَهَنِينَ، وَلَكِنَّهُمْ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ.. وَإِنَّمَا قَالَ مَنْ قَالَ: أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: هُمُ الْوِلْدَانُ وَأَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ قَالَ: هُمُ الْمَلَائِكَةَ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذُنُوبٌ، وَقَالُوا: لَمْ يَكُونُوا لِيُسْأَلُوا الْمُجْرِمِينَ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ٤٢﴾ [المدثر: ٤٢] إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَقْتَرِفُوا فِي الدُّنْيَا مَآثِمَ، وَلَوْ كَانُوا اقْتَرَفُوهَا وَعَرَفُوهَا لَمْ يَكُونُوا لِيَسْأَلُوهُمْ عَمَّا سَلَكَهُمْ فِي سَقَرَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ دَخَلَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِمَّنْ بَلَغَ التَّكْلِيفَ، وَلَزِمَهُ فَرْضُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا لَا يُعَاقَبُ إِلَّا عَلَى الْمَعْصِيَةِ .

﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠﴾ [المدثر: ٤٠].

﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠﴾ [المدثر: ٤٠] أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي بَسَاتِينَ يَتَسَاءَلُونَ.

﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٤١﴾ [المدثر: ٤١].

﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٤١﴾ [المدثر: ٤١] الَّذِينَ سُلِكُوا فِي سَقَرَ.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ٤٢﴾ [المدثر: ٤٢].

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ٤٢﴾ [المدثر: ٤٢] أَيُّ شَيْءٍ سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٣].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ الْمُجْرِمُونَ لَهُمْ..

﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٣] لَمْ نَكُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُصَلِّينَ لِلهِ.

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٤].

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٤] بُخْلًا بِمَا خَوَّلَهُمُ اللهُ، وَمَنْعًا لَهُ مِنْ حَقِّهِ.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٥].

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٥] وَكُنَّا نَخُوضُ فِي الْبَاطِلِ وَفِيمَا يَكْرَهُهُ اللهُ مَعَ مَنْ يَخُوضُ فِيهِ.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٦].

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٦] وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الْمُجَازَاةِ وَالثَّوَابِ وَالْعَذَابِ، وَلَا نُصَدِّقُ بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ وَلَا حِسَابٍ.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٧].

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٧] حَتَّىٰ أَتَانَا الْمَوْتُ الْمُوقَنُ بِهِ.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] فَمَا يَشْفَعُ لَهُمُ الَّذِينَ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِي أَهْلِ الذُّنُوبِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَتَنْفَعُهُمْ شَفَاعَتُهُمْ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُشَفِّعٌ بَعْضَ خَلْقِهِ فِي بَعْضٍ.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: ٤٩].

﴿فَمَا لَهُمْ﴾ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ عَنْ تَذْكِرَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: ٤٩] لَا يَسْتَمِعُونَ لَهَا فَيَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝﴾ [المدثر: ٥٠].

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝﴾ [المدثر: ٥٠] فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ، مُوَلِّينَ عَنْهَا تَوْلِيَةَ الْحُمُرِ الْمُسْتَنْفِرَةِ.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝﴾ [المدثر: ٥١].

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝﴾ [المدثر: ٥١] اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْقَسْوَرَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الرُّمَاةُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَسْوَرَةِ: هُوَ الْأَسَدُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ جَمَاعَةُ الرِّجَالِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْأَسَدُ.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝﴾ [المدثر: ٥٢].

﴿بَلْ﴾ مَا بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَكِنَّ..

﴿يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝﴾ [المدثر: ٥٢] كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يُؤْتَىٰ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ يَنْزِلُ عَلَيْهِ.

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝﴾ [المدثر: ٥٣].

﴿كَلَّا﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّهُمْ لَوْ أُوتُوا صُحُفًا مُنَشَّرَةً صَدَّقُوا..

﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝﴾ [المدثر: ٥٣] لَكِنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ عِقَابَ اللهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فَذَلِكَ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ تَذْكِرَةِ اللهِ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِمْ تَرْكَ الِاسْتِمَاعِ لِوَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ.

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝﴾ [المدثر: ٥٤].

﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ أَنَّهُ سِحْرٌ يُؤْثَرُ، وَأَنَّهُ قَوْلُ الْبَشَرِ..

﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝﴾ [المدثر: ٥٤] وَلَكِنَّهُ تَذْكِرَةٌ مِنَ اللهِ لِخَلْقِهِ، ذَكَّرَهُمْ بِهِ.

﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝﴾ [المدثر: ٥٥].

﴿فَمَن شَاءَ﴾ فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿ذَكَرَهُ ۝﴾ [المدثر: ٥٥] فَاتَّعَظَ فَاسْتَعْمَلَ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ.

﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾ [المدثر: ٥٦].

﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ﴾ هَذَا الْقُرْآنَ فَيَتَّعِظُونَ بِهِ، وَيُسْتَعْمَلُونَ فِيهِ..

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أَنْ يَذْكُرُوهُ، لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يَشَاءَ اللهُ يُقَدِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيُعْطِيهِ الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ..

﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ اللهُ أَهْلٌ أَنْ يَتَّقِيَ عِبَادُهُ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَجْتَنِبُوا مَعَاصِيَهُ، وَيُسَارِعُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾ [المدثر: ٥٦] هُوَ أَهْلٌ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَهُمْ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ، وَلَا يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا مَعَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ



سُورَةُ الْقِيَامَةِ (٧٥)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ①﴾ [القيامة: ١].

﴿لَا﴾ رَدٌّ لِكَلَامٍ قَدْ مَضَىٰ مِنْ كَلَامِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ثُمَّ ابْتُدِئَ الْقَسَمُ، وَكُلُّ يَمِينٍ قَبْلَهَا رَدٌّ لِكَلَامٍ فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيمِ (لَا) قَبْلَهَا، لِيُفَرَّقَ بِذَلِكَ بَيْنَ الْيَمِينِ الَّتِي تَكُونُ جَحْدًا، وَالْيَمِينِ الَّتِي تَسْتَأْنِفُ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّكَ تَقُولُ مُبْتَدِئًا: وَاللهِ إِنَّ الرَّسُولَ لَحَقٌّ؛ وَإِذَا قُلْتَ: لَا وَاللهِ إِنَّ الرَّسُولَ لَحَقٌّ فَكَأَنَّكَ أَكْذَبْتَ قَوْمًا أَنْكَرُوهُ..

﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ①﴾ [القيامة: ١] أَقْسَمَ رَبُّنَا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ.. وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ تَقُولُ: قِيَامَةُ كُلِّ نَفْسٍ مَوْتُهَا، قَالَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: **(يَقُولُونَ: الْقِيَامَةُ الْقِيَامَةُ، وَإِنَّمَا قِيَامَةُ أَحَدِهِمْ مَوْتُهُ)**.. وَعَنْ أَبِي قُبَيْسٍ، قَالَ: **(شَهِدْتُ جَنَازَةً فِيهَا عَلْقَمَةُ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ)**.

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ②﴾ [القيامة: ٢].

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ②﴾ [القيامة: ٢] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَىٰ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَتَنْدَمُ عَلَىٰ مَا فَاتَ.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ③﴾ [القيامة: ٣].

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أَيَظُنُّ ابْنُ آدَمَ..

﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ③﴾ [القيامة: ٣] أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَىٰ جَمْعِ عِظَامِهِ بَعْدَ تَفَرُّقِهَا.

﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ④﴾ [القيامة: ٤].

﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ④﴾ [القيامة: ٤] وَهِيَ أَصَابِعُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَنَجْعَلَهَا شَيْئًا وَاحِدًا كَخُفِّ الْبَعِيرِ، أَوْ حَافِرِ الْحِمَارِ، فَكَانَ لَا يَأْخُذُ مَا يَأْكُلُ إِلَّا بِفِيهِ كَسَائِرِ الْبَهَائِمِ، وَلَكِنَّهُ فَرَّقَ أَصَابِعَ يَدَيْهِ يَأْخُذُ بِهَا، وَيَتَنَاوَلُ وَيَقْبِضُ إِذَا شَاءَ وَيَبْسُطُ، فَحَسَّنَ خَلْقَهُ.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑤﴾ [القيامة: ٥].

﴿بَلْ﴾ مَا يَجْهَلُ ابْنُ آدَمَ أَنَّ رَبَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ، وَلَكِنْ..

﴿يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑤﴾ [القيامة: ٥] يُرِيدُ أَنْ يَمْضِيَ أَمَامَهُ قُدُمًا فِي مَعَاصِي اللهِ، لَا يُثْنِيهِ عَنْهَا شَيْءٌ، وَلَا يَتُوبُ مِنْهَا أَبَدًا، وَيُسَوِّفُ التَّوْبَةَ.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ⑥﴾ [القيامة: ٦].

﴿يَسْأَلُ﴾ ابْنُ آدَمَ السَّائِرُ دَائِبًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ قُدُمًا..

﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ⑥﴾ [القيامة: ٦] مَتَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ تَسْوِيفًا مِنْهُ لِلتَّوْبَةِ، فَبَيَّنَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ⑦ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑧ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑨﴾ [القيامة: ٧-٩] الْآيَةُ.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ⑦﴾ [القيامة: ٧].

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ⑦﴾ [القيامة: ٧] فَزِعَ فَشُقَّ وَفُتِحَ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ وَفَزَعِ الْمَوْتِ.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑧﴾ [القيامة: ٨].

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑧﴾ [القيامة: ٨] ذَهَبَ ضَوْءُ الْقَمَرِ.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑨﴾ [القيامة: ٩].

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑨﴾ [القيامة: ٩] وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي ذَهَابِ الضَّوْءِ، فَلَا ضَوْءَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا.

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ⑩﴾ [القيامة: ١٠].

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ يُعَايِنُ أَهْوَالَ يَوْم الْقِيَامَةِ..

﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ ⑩﴾ [القيامة: ١٠] أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنْ هَوْلِ هَذَا الَّذِي قَدْ نَزَلَ؟ فَلَا فِرَارَ.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ⑪﴾ [القيامة: ١١].

﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ هُنَاكَ فِرَارٌ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، لِأَنَّهُ لَا يُنَجِّيهِ فِرَارُهُ..

﴿لَا وَزَرَ ⑪﴾ [القيامة: ١١] وَلَا شَيْءَ يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْ حِصْنٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا مَعْقِلٍ مِنْ أَمْرِ اللهِ الَّذِي قَدْ حَضَرَ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ⑫﴾ [القيامة: ١٢].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أَيُّهَا الإِنْسَانُ..

﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ⑫﴾ [القيامة: ١٢] الِاسْتِقْرَارُ، وَهُوَ الَّذِي يُقِرُّ جَمِيعَ خَلْقِهِ مَقَرَّهُمْ.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬﴾ [القيامة: ١٣].

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يُخْبَرُ الإِنْسَانُ..

﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ يَوْمَ يُجْمَعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَيُكَوَّرَانِ..

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬﴾ [القيامة: ١٣] بِكُلِّ مَا قَدَّمَ أَمَامَهُ مِمَّا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي حَيَاتِهِ، وَأَخَّرَ بَعْدَهُ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ مِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ، وَكَذَلِكَ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ عَمِلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَخَّرَ بَعْدَهُ مِنْ عَمَلٍ كَانَ عَلَيْهِ فَضَيَّعَهُ، فَلَمْ يَعْمَلْهُ مِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يُنَبَّأُ بِهِ الإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ⑭﴾ [القيامة: ١٤].

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ⑭﴾ [القيامة: ١٤] بَلْ لِلإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ رُقَبَاءُ يَرْقُبُونَهُ بِعَمَلِهِ، وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِهِ.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ⑮﴾ [القيامة: ١٥].

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ⑮﴾ [القيامة: ١٥] وَلَوْ جَادَلَ عَنْهَا بِالْبَاطِلِ، وَاعْتَذَرَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَشَهَادَةُ نَفْسِهِ عَلَيْهِ بِهِ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ مِنَ اعْتِذَارِهِ بِالْبَاطِلِ.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ⑯﴾ [القيامة: ١٦].

﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالْقُرْآنِ..

﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ⑯﴾ [القيامة: ١٦] قِيلَ لَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ عَجِلَ بِهِ، يُرِيدُ حِفْظَهُ مِنْ حُبِّهِ إِيَّاهُ، فَقِيلَ لَهُ: لَا تَعْجَلْ بِهِ فَإِنَّا سَنَحْفَظُهُ عَلَيْكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ، أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ مَخَافَةَ نِسْيَانِهِ، فَقِيلَ لَهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ⑯﴾ [القيامة: ١٦] إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ لَكَ، وَنُقْرِئَكَهُ فَلَا تَنْسَىٰ.. وَأَشْبَهُ الْقَوْلَيْنِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، الأَوَّلُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ⑰﴾ [القيامة: ١٧] يُنْبِئُ أَنَّهُ إِنَّمَا نُهِيَ عَنْ

تَحْرِيكِ اللِّسَانِ بِهِ مُتَعَجِّلًا فِيهِ قَبْلَ جَمْعِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ دِرَاسَتَهُ لِلتَّذَكُّرِ إِنَّمَا كَانَتْ تَكُونُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَعْدِ جَمْعِ اللهِ لَهُ مَا يَدْرُسُ مِنْ ذَلِكَ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧﴾ [القيامة: ١٧].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَ هَذَا الْقُرْآنِ فِي صَدْرِكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّىٰ نُثَبِّتَهُ فِيهِ..

﴿وَقُرْءَانَهُۥ ١٧﴾ [القيامة: ١٧] حَتَّىٰ تَقْرَأَهُ بَعْدَ أَنْ جَمَعْنَاهُ فِي صَدْرِكَ.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ [القيامة: ١٨].

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ فَإِذَا تُلِيَ عَلَيْكَ..

﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ [القيامة: ١٨] فَاتَّبِعْ مَا فِيهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: ١٩].

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: ١٩] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَ مَا فِيهِ مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَأَحْكَامِهِ لَكَ مُفَصَّلَةً.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ٢٠﴾ [القيامة: ٢٠].

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ٢٠﴾ [القيامة: ٢٠] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِعِبَادِهِ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْمُؤْثِرِينَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَنَّكُمْ لَا تُبْعَثُونَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَلَا تُجَازَوْنَ بِأَعْمَالِكُمْ، لَكِنَّ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَىٰ قِيلِ ذَلِكَ مَحَبَّتُكُمُ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ، وَإِيثَارُكُمْ شَهَوَاتِهَا عَلَىٰ آجِلِ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا.

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ٢١﴾ [القيامة: ٢١].

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ٢١﴾ [القيامة: ٢١]، فَأَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالْعَاجِلَةِ، وَتُكَذِّبُونَ بِالْآجِلَةِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (اخْتَارَ أَكْثَرُ النَّاسِ الْعَاجِلَةَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ وَعَصَمَ).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ [القيامة: ٢٢].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ [القيامة: ٢٢] حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ مِنَ النَّعِيمِ.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣].

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣] تَنْظُرُ إِلَىٰ خَالِقِهَا، وَبِذَٰلِكَ جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤﴾ [القيامة: ٢٤].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤﴾ [القيامة: ٢٤] وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُتَغَيِّرَةُ الْأَلْوَانِ، مُسْوَدَّةٌ كَالِحَةٌ.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة: ٢٥].

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة: ٢٥]

تَعْلَمُ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهَا دَاهِيَةٌ، وَالْفَاقِرَةُ: الدَّاهِيَةُ، أَيْ: شَرٌّ.. وَأَصْلُ الْفَاقِرَةِ: الْوَسْمُ الَّذِي يُفْقَرُ بِهِ عَلَىٰ الْأَنْفِ.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٦، ٢٧].

﴿كَلَّآ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّهُمْ لَا يُعَاقَبُونَ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ بَلْ..

﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾ إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُ أَحَدِهِمُ التَّرَاقِيَ عِنْدَ مَمَاتِهِ وَحَشْرَجَ بِهَا..

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٧] وَقَالَ أَهْلُهُ: مَنْ ذَا يَرْقِيهِ لِيَشْفِيَهُ مِمَّا قَدْ نَزَلَ بِهِ، وَطَلَبُوا لَهُ الْأَطِبَّاءَ وَالْمُدَاوِينَ، فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهِ شَيْئًا.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ [القيامة: ٢٨].

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ [القيامة: ٢٨] وَأَيْقَنَ الَّذِي قَدْ نَزَلَ ذَلِكَ بِهِ أَنَّهُ فِرَاقُ الدُّنْيَا وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ [القيامة: ٢٩].

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ [القيامة: ٢٩] وَالْتَفَّتْ شِدَّةُ أَمْرِ الدُّنْيَا بِشِدَّةِ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ شِدَّةُ كَرْبِ الْمَوْتِ بِشِدَّةِ هَوْلِ الْمَطْلَعِ؛ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ تَأْوِيلُهُ، قَوْلُهُ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: ٣٠]، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ أَمْرٍ اشْتَدَّ: قَدْ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقِهِ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: ٣٠].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: ٣٠] إِلَىٰ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ الْتِفَافِ السَّاقِ بِالسَّاقِ مَسَاقُهُ.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١﴾ [القيامة: ٣١].

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ فَلَمْ يُصَدِّقْ بِكِتَابِ اللهِ..
﴿وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١﴾ [القيامة: ٣١] وَلَمْ يُصَلِّ لَهُ صَلَاةً.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ [القيامة: ٣٢].

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بِكِتَابِ اللهِ..
﴿وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ [القيامة: ٣٢] عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰ ۝٣٣﴾ [القيامة: ٣٣].

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰ ۝٣٣﴾ [القيامة: ٣٣] ثُمَّ مَضَىٰ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُنْصَرِفًا إِلَيْهِمْ، يَتَبَخْتَرُ فِي مِشْيَتِهِ.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾ [القيامة: ٣٤- ٣٥].

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾ [القيامة: ٣٤- ٣٥] هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ وَعِيدٍ.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦].

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أَيَظُنُّ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ بِاللهِ..
﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦] أَنْ يُتْرَكَ هَمَلًا، أَنْ لَا يُؤْمَرَ وَلَا يُنْهَىٰ، وَلَا يُتَعَبَّدُ بِعِبَادَةٍ.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧﴾ [القيامة: ٣٧].

﴿أَلَمْ يَكُ﴾ هَذَا الْمُنْكِرُ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ، وَإِيجَادِهِ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهِ..
﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧﴾ [القيامة: ٣٧] مَاءً قَلِيلًا فِي صُلْبِ الرَّجُلِ مِنْ مَنِيٍّ.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ [القيامة: ٣٨].

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ ثُمَّ كَانَ دَمًا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً..
﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ [القيامة: ٣٨] ثُمَّ سَوَّاهُ بَشَرًا سَوِيًّا، نَاطِقًا سَمِيعًا بَصِيرًا.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: ٣٩].

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ فَجَعَلَ مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَا سَوَّاهُ خَلْقًا سَوِيًّا..
﴿ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: ٣٩] أَوْلَادًا لَهُ، ذُكُورًا وَإِنَاثًا.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: ٤٠].

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ أَلَيْسَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ فَخَلَقَ هَذَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ عَلَقَةٍ حَتَّىٰ صَيَّرَهُ إِنْسَانًا سَوِيًّا، لَهُ أَوْلَادٌ ذُكُورٌ وَإِنَاثٌ..

﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: ٤٠] مِنْ مَمَاتِهِمْ، فَيُوجِدُهُمْ كَمَا كَانُوا مِنْ قَبْلِ مَمَاتِهِمْ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِيَ قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ، حَتَّىٰ صَيَّرَهُ بَشَرًا سَوِيًّا، لَا يُعْجِزُهُ إِحْيَاءُ مَيِّتٍ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقِيَامَةِ



سُورَةُ الإِنْسَانِ (٧٦)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى وَثَلَاثُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ①﴾ [الإنسان: ١].

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾ قَدْ أَتَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ؛ وَهَلْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ خَبَرٌ لَا جَحْدٍ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِآخَرَ يُقَرِّرُهُ: هَلْ أَكْرَمْتُكَ؟ وَقَدْ أَكْرَمَهُ؛ أَوْ هَلْ زُرْتُكَ؟ وَقَدْ زَارَهُ، وَقَدْ تَكُونُ جَحْدًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِآخَرَ: هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا أَحَدٌ؟ بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدٌ، وَالْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ آدَمُ ﷺ..

﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَرْبَعُونَ سَنَةً؛ وَقَالُوا: مَكَثَتْ طِينَةُ آدَمَ مُصَوَّرَةً لَا تُنْفَخُ فِيهَا الرُّوحُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَذَلِكَ قَدْرُ الْحِينِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ قَالُوا: وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ①﴾ لِأَنَّهُ أَتَىٰ عَلَيْهِ وَهُوَ جِسْمٌ مُصَوَّرٌ لَمْ تُنْفَخْ فِيهِ الرُّوحُ أَرْبَعُونَ عَامًا، فَكَانَ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: لَا حَدَّ لِلْحِينِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَدْ يَدْخُلُ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَتَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَغَيْرُ مَفْهُومٍ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: أَتَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ حِينٌ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ، وَقَبْلَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا، وَإِذَا أُرِيدَ ذَلِكَ قِيلَ: أَتَىٰ حِينٌ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ، وَلَمْ يَقُلْ أَتَىٰ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الدَّهْرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَلَا حَدَّ لَهُ يُوقَفُ عَلَيْهِ.

﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ①﴾ [الإنسان: ١] لَمْ يَكُنْ شَيْئًا لَهُ نَبَاهَةٌ وَلَا رِفْعَةٌ، وَلَا شَرَفٌ، إِنَّمَا كَانَ طِينًا لَازِبًا وَحَمأً مَسْنُونًا.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ②﴾ [الإنسان: ٢].

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ..

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ..

﴿أَمْشَاجٍ﴾ أَخْلَاطٌ، وَاحِدُهَا: مَشَجٌ وَمَشِيجٌ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ اخْتِلَاطُ مَاءِ الرَّجُلِ بِمَاءِ الْمَرْأَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَلْوَانٍ يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا، يَكُونُ نُطْفَةً، ثُمَّ يَصِيرُ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ عَظْمًا، ثُمَّ كُسِيَ لَحْمًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ اخْتِلَافُ أَلْوَانِ النُّطْفَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ الْعُرُوقُ الَّتِي تَكُونُ فِي النُّطْفَةِ.. وَأَشْبَهُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ

قَوْلُ مَنْ قَالَ: نُطْفَةُ الرَّجُلِ وَنُطْفَةُ الْمَرْأَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ وَصَفَ النُّطْفَةَ بِأَنَّهَا أَمْشَاجٌ، وَهِيَ إِذَا انْتَقَلَتْ فَصَارَتْ عَلَقَةً، فَقَدِ اسْتَحَالَتْ عَنْ مَعْنَىٰ النُّطْفَةِ فَكَيْفَ تَكُونُ نُطْفَةً أَمْشَاجًا وَهِيَ عَلَقَةٌ؟ وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ نُطْفَةَ الرَّجُلِ بَيْضَاءُ وَحَمْرَاءُ، فَإِنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ أَنَّهَا سَحْرَاءُ عَلَىٰ لَوْنٍ وَاحِدٍ، وَهِيَ بَيْضَاءُ تَضْرِبُ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ، وَإِذَا كَانَتْ لَوْنًا وَاحِدًا لَمْ تَكُنْ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً، وَأَحْسِبُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: هِيَ الْعُرُوقُ الَّتِي فِي النُّطْفَةِ قَصَدُوا هَذَا الْمَعْنَىٰ..

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نَخْتَبِرُهُ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: الْمَعْنَىٰ: جَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِنَبْتَلِيهِ، فَهِيَ مُقَدَّمَةٌ مَعْنَاهَا التَّأْخِيرُ، إِنَّمَا الْمَعْنَىٰ خَلَقْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِنَبْتَلِيَهُ، وَلَا وَجْهَ عِنْدِي لِمَا قَالَ يَصِحُّ، وَذَلِكَ أَنَّ الِابْتِلَاءَ إِنَّمَا هُوَ بِصِحَّةِ الْآلَاتِ وَسَلَامَةِ الْعَقْلِ مِنَ الْآفَاتِ، وَإِنْ عُدِمَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، وَأَمَّا إِخْبَارُهُ إِيَّانَا أَنَّهُ جَعَلَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَتَذْكِيرٌ مِنْهُ لَنَا بِنِعَمِهِ، وَتَنْبِيهٌ عَلَىٰ مَوْضِعِ الشُّكْرِ؛ فَأَمَّا الِابْتِلَاءُ فَبِالْخَلْقِ مَعَ صِحَّةِ الْفِطْرَةِ، وَسَلَامَةِ الْعَقْلِ مِنَ الْآفَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]..

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢] فَجَعَلْنَاهُ ذَا سَمْعٍ يَسْمَعُ بِهِ، وَذَا بَصَرٍ يُبْصِرُ بِهِ، إِنْعَامًا مِنَ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِذَلِكَ، وَرَأْفَةً مِنْهُ لَهُمْ، وَحُجَّةً لَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ إِنَّا بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْجَنَّةِ، وَعَرَّفْنَاهُ سَبِيلَهُ، إِنْ شَكَرَ، أَوْ كَفَرَ..

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣] إِمَّا شَقِيًّا وَإِمَّا سَعِيدًا.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤].

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِمَنْ كَفَرَ نِعْمَتَنَا وَخَالَفَ أَمْرَنَا..

﴿سَلَٰسِلَا۟﴾ سَلَاسِلَ يُسْتَوْثَقُ بِهَا مِنْهُمْ شَدًّا فِي الْجَحِيمِ..

﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ وَتُشَدُّ بِالْأَغْلَالِ فِيهَا أَيْدِيهِمْ إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ..

﴿وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤] وَنَارًا تُسَعَّرُ عَلَيْهِمْ فَتَتَوَقَّدُ.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان: ٥].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ بَرُّوا بِطَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ فِي أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ وَهُوَ كُلُّ إِنَاءٍ كَانَ فِيهِ شَرَابٌ..

﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ كَانَ مِزَاجُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرَابِ..

﴿كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان: ٥] فِي طِيبِ رَائِحَتِهَا كَالْكَافُورِ.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٦].

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ كَانَ مِزَاجُ الْكَأْسِ الَّتِي يَشْرَبُ بِهَا هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ كَالْكَافُورِ فِي طِيبِ رَائِحَتِهِ مِنْ عَيْنٍ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ الَّذِينَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ..

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٦] يُفَجِّرُونَ تِلْكَ الْعَيْنَ الَّتِي يَشْرَبُونَ بِهَا كَيْفَ شَاءُوا وَحَيْثُ شَاءُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ تَفْجِيرًا، وَيَعْنِي بِالتَّفْجِيرِ: الْإِسَالَةَ وَالْإِجْرَاءَ.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا، بَرُّوا بِوَفَائِهِمْ لِلهِ بِالنُّذُورِ الَّتِي كَانُوا يَنْذِرُونَهَا فِي طَاعَةِ اللهِ.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧] وَيَخَافُونَ عِقَابَ اللهِ بِتَرْكِهِمُ الْوَفَاءَ بِمَا نَذَرُوا لِلهِ مِنْ بِرٍّ فِي يَوْمٍ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا، مُمْتَدًّا طَوِيلًا فَاشِيًا.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨].

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ إِيَّاهُ، وَشَهْوَتِهِمْ لَهُ..

﴿مِسْكِينًا﴾ ذَوِي الْحَاجَةِ الَّذِينَ قَدْ أَذَلَّتْهُمُ الْحَاجَةُ..

﴿وَيَتِيمًا﴾ وَهُوَ الطِّفْلُ الَّذِي قَدْ مَاتَ أَبُوهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ..

﴿وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨] وَهُوَ الْحَرْبِيُّ مِنْ أَهْلِ دَارِ الْحَرْبِ يُؤْخَذُ قَهْرًا بِالْغَلَبَةِ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ يُؤْخَذُ فَيُحْبَسُ بِحَقٍّ، فَأَثْنَىٰ اللهُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ بِإِطْعَامِهِمْ هَؤُلَاءِ تَقَرُّبًا بِذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ وَطَلَبَ رِضَاهُ، وَرَحْمَةً مِنْهُمْ لَهُمْ.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ يَقُولُونَ: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ إِذَا هُمْ أَطْعَمُوهُمْ لِوَجْهِ اللهِ، يَعْنُونَ طَلَبَ رِضَا اللهِ، وَالْقُرْبَةَ إِلَيْهِ..

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩] يَقُولُونَ لِلَّذِينَ يُطْعِمُونَهُمْ ذَلِكَ الطَّعَامَ: لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ إِطْعَامِنَاكُمْ ثَوَابًا وَلَا شُكُورًا.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ [الإنسان: ١٠].

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِمَنْ أَطْعَمُوهُ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ: مَا نُطْعِمُكُمْ طَعَامًا نَطْلُبُ مِنْكُمْ عِوَضًا عَلَىٰ إِطْعَامِنَاكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَلَكِنَّا نُطْعِمُكُمْ رَجَاءً مِنَّا أَنْ يُؤَمِّنَنَا رَبُّنَا مِنْ عُقُوبَتِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدٍ هَوْلُهُ، عَظِيمٍ أَمْرُهُ..

﴿عَبُوسًا﴾ تَعْبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنْ شِدَّةِ مَكَارِهِهِ..

﴿قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ [الإنسان: ١٠] وَيَطُولُ بَلَاءُ أَهْلِهِ، وَيَشْتَدُّ.. وَالْقَمْطَرِيرُ: هُوَ الشَّدِيدُ.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان: ١١].

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ فَدَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَحْذَرُونَ مِنْ شَرِّ الْيَوْمِ الْعَبُوسِ الْقَمْطَرِيرِ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ مِمَّا يُرْضِي عَنْهُمْ رَبَّهُمْ..

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان: ١١] وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً فِي وُجُوهِهِمْ، وَسُرُورًا فِي قُلُوبِهِمْ.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١٢].

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١٢] وَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا صَبَرُوا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ عَنْهُمْ جَنَّةً وَحَرِيرًا.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ [الإنسان: ١٣].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ مُتَّكِئِينَ فِي الْجَنَّةِ عَلَىٰ السُّرُرِ فِي الْحِجَالِ، وَهِيَ الْأَرَائِكُ وَاحِدَتُهَا أَرِيكَةٌ..

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا فَيُؤْذِيَهُمْ حَرُّهَا..

﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ [الإنسان: ١٣] وَهُوَ الْبَرْدُ الشَّدِيدُ، فَيُؤْذِيَهُمْ بَرْدُهَا.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾ [الإنسان: ١٤].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ وَقَرُبَتْ مِنْهُمْ ظِلَالُ أَشْجَارِهَا..

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾ [الإنسان: ١٤] وَذُلِّلَ لَهُمُ اجْتِنَاءُ ثَمَرِ شَجَرِهَا، كَيْفَ شَاءُوا قُعُودًا وَقِيَامًا وَمُتَّكِئِينَ.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾﴾ [الإنسان: ١٥].

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ وَيُطَافُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ..

﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ بِآنِيَةٍ مِنَ الْأَوَانِي الَّتِي يَشْرَبُونَ فِيهَا شَرَابَهُمْ، هِيَ مِنْ فِضَّةٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ، فَجَعَلَهَا فِضَّةً، وَهِيَ فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ، فَلَهَا بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَصَفَاءُ الزُّجَاجِ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ: وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ، لِيَدُلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ أَرْضَ الْجَنَّةِ فِضَّةٌ، لِأَنَّ كُلَّ آنِيَةٍ تُتَّخَذُ، فَإِنَّمَا تُتَّخَذُ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي فِيهَا، فَدَلَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِوَصْفِهِ الْآنِيَةَ مَتَىٰ يُطَافُ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهَا مِنْ فِضَّةٍ، لِيُعْلِمَ عِبَادَهُ أَنَّ تُرْبَةَ أَرْضِ الْجَنَّةِ فِضَّةٌ.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾ وَيُطَافُ مَعَ الْأَوَانِي بِجِرَارٍ ضِخَامٍ فِيهَا الشَّرَابُ، وَكُلُّ جَرَّةٍ ضَخْمَةٍ لَا عُرْوَةَ لَهَا فَهِيَ كُوبٌ..

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾﴾ [الإنسان: ١٥] كَانَتْ هَذِهِ الْأَوَانِي وَالْأَكْوَابُ قَوَارِيرَ، فَحَوَّلَهَا اللهُ فِضَّةً.

﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٦].

﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ صَفَاءُ الزُّجَاجِ فِي بَيَاضِ الْفِضَّةِ..

﴿قَدَّرُوهَا﴾ قَدَّرُوا تِلْكَ الْآنِيَةَ الَّتِي يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِهَا..

﴿تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٦] عَلَىٰ قَدْرِ رِيِّهِمْ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَنْ ذَلِكَ.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [الإنسان: ١٧].

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ وَيُسْقَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الْأَبْرَارُ فِي الْجَنَّةِ كَأْسًا، وَهِيَ كُلُّ إِنَاءٍ كَانَ فِيهِ شَرَابٌ، فَإِذَا كَانَ فَارِغًا مِنَ الْخَمْرِ لَمْ يُقَلْ لَهُ كَأْسٍ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُ إِنَاءٌ، كَمَا يُقَالُ لِلطَّبَقِ الَّذِي تَهْدِي فِيهِ الْهَدِيَّةَ الْمُهْدَىٰ مَقْصُورًا مَا دَامَتْ عَلَيْهِ الْهَدِيَّةُ فَإِذَا فَرَغَ مِمَّا عَلَيْهِ كَانَ طَبَقًا أَوْ خِوَانًا، وَلَمْ يَكُنْ مُهْدَىٰ..

﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [الإنسان: ١٧] كَانَ مِزَاجُ شَرَابِ الْكَأْسِ الَّتِي يُسْقَوْنَ مِنْهَا زَنْجَبِيلًا.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٨].

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ﴾ عَيْنًا فِي الْجَنَّةِ تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا..

﴿سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٨] قِيلَ: سَلِسَةً مُنْقَادًا مَاؤُهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهَا شَدِيدَةُ الْجِرْيَةِ.

﴿* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ١٩﴾ [الإنسان: ١٩].

﴿* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ وَيَطُوفُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ..

﴿وِلْدَانٌ﴾ وَهُمُ الْوُصَفَاءُ..

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ لَا يَمُوتُونَ..وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِهِ أَنَّهُمْ مُقَرَّطُونَ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِهِ أَنَّهُمْ دَائِمٌ شَبَابُهُمْ، لَا يَتَغَيَّرُونَ عَنْ تِلْكَ السِّنِّ، وَذُكِرَ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَبِرَ وَثَبَتَ سَوَادُ شَعْرِهِ: إِنَّهُ لَمُخَلَّدٌ؛ وَكَذَلِكَ إِذَا كَبِرَ وَثَبَتَتْ أَضْرَاسُهُ وَأَسْنَانُهُ قِيلَ: إِنَّهُ لَمُخَلَّدٌ، يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ ثَابِتُ الْحَالِ، وَهَذَا تَصْحِيحٌ لِمَا قَالَ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: لَا يَمُوتُونَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا ثَبَتُوا عَلَىٰ حَالٍ وَاحِدَةٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرُوا بِهَرَمٍ وَلَا شِيبٍ وَلَا مَوْتٍ، فَهُمْ مُخَلَّدُونَ.. وَقِيلَ: مُسَوَّرُونَ، بِلُغَةِ حِمْيَرَ..

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ إِذَا رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْوِلْدَانِ مُجْتَمِعِينَ أَوْ مُفْتَرِقِينَ..

﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ تَحْسَبُهُمْ فِي حُسْنِهِمْ، وَنَقَاءِ بَيَاضِ وُجُوهِهِمْ، وَكَثْرَتِهِمْ..

﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ١٩﴾ [الإنسان: ١٩] لُؤْلُؤًا مُبَدَّدًا، أَوْ مُجْتَمِعًا مَصْبُوبًا.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ٢٠﴾ [الإنسان: ٢٠].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ وَإِذَا نَظَرْتَ بِبَصَرِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَرَمَيْتَ بِطَرْفِكَ فِيمَا أَعْطَيْتُ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارَ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْكَرَامَةِ..

﴿ثَمَّ﴾ الْجَنَّةُ..

﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ وَذَلِكَ أَنَّ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً مَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ فِيمَا قِيلَ فِي مَسِيرَةِ أَلْفَيْ عَامٍ، يَرَىٰ أَقْصَاهُ، كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ..

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ٢٠﴾ [الإنسان: ٢٠] وَرَأَيْتَ مَعَ النَّعِيمِ الَّذِي تَرَىٰ لَهُمْ ثَمَّ مُلْكًا كَبِيرًا.. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الْمُلْكَ الْكَبِيرَ: تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، وَاسْتِئْذَانُهُمْ عَلَيْهِمْ.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ٢١﴾ [الإنسان: ٢١].

﴿عَالِيَهُمْ﴾ فَوْقَهُمْ، يَعْنِي فَوْقَ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ..

﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ ثِيَابُ دِيبَاجٍ رَقِيقٍ حَسَنٍ، وَالسُّنْدُسُ: هُوَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ..

﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ وَثِيَابُ إِسْتَبْرَقٍ..

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وَحَلَّاهُمْ رَبُّهُمْ أَسَاوِرَ، وَهِيَ جَمْعُ أَسْوِرَةٍ مِنْ فِضَّةٍ..

﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ وَسَقَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارَ رَبُّهُمْ..

﴿شَرَابٗا طَهُورًا ٢١﴾ [الإنسان: ٢١] وَمِنْ طُهْرِهِ أَنَّهُ لَا يَصِيرُ بَوْلًا نَجِسًا، وَلَكِنَّهُ يَصِيرُ رَشْحًا مِنْ أَبْدَانِهِمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾ [الإنسان: ٢٢].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي أَعْطَيْنَاكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ..

﴿كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ﴾ كَانَ لَكُمْ ثَوَابًا عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ مِنَ الصَّالِحَاتِ..

﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾ [الإنسان: ٢٢] وَكَانَ عَمَلُكُمْ فِيهَا مَشْكُورًا، حَمِدَكُمْ عَلَيْهِ رَبُّكُمْ، وَرَضِيَهُ لَكُمْ، فَأَثَابَكُمْ بِمَا أَثَابَكُمْ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ عَلَيْهِ.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣﴾ [الإنسان: ٢٣].

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿تَنزِيلٗا ٢٣﴾ [الإنسان: ٢٣] ابْتِلَاءً مِنَّا وَاخْتِبَارًا.

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ [الإنسان: ٢٤].

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ اصْبِرْ لِمَا امْتَحَنَكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا أَلْزَمَكَ الْقِيَامَ بِهِ فِي تَنْزِيلِهِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْكَ..

﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ﴾ وَلَا تُطِعْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿ءَاثِمًا﴾ يُرِيدُ بِرُكُوبِهِ مَعَاصِيهِ..

﴿أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ [الإنسان: ٢٤] جَحُودًا لِنِعَمِهِ عِنْدَهُ، وَآلَائِهِ قِبَلَهُ، فَهُوَ يَكْفُرُ بِهِ، وَيَعْبُدُ غَيْرَهُ.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾ [الإنسان: ٢٥].

﴿وَٱذۡكُرِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ فَادْعُهُ بِهِ..

﴿بُكۡرَةٗ﴾ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ..

﴿وَأَصِيلٗا ٢٥﴾ [الإنسان: ٢٥] وَعَشِيًّا فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ [الإنسان: ٢٦].

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ فِي صَلَاتِكَ..

﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾ [الإنسان: ٢٦] فَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا، يَعْنِي: أَكْثَرَ اللَّيْلِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: ٢-٤].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝٢٧﴾ [الإنسان: ٢٧].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يَعْنِي: الدُّنْيَا، يَقُولُ: يُحِبُّونَ الْبَقَاءَ فِيهَا وَتُعْجِبُهُمْ زِينَتُهَا..

﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝٢٧﴾ [الإنسان: ٢٧] وَيَدَعُونَ خَلْفَ ظُهُورِهِمُ الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ، وَمَا لَهُمْ فِيهِ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَوْمَئِذٍ؛ وَقَدْ تَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ بِمَعْنَىٰ: وَيَذَرُونَ أَمَامَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ قَوْلًا مَدْفُوعًا، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي قُلْنَاهُ أَشْبَهُ بِمَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝٢٨﴾ [الإنسان: ٢٨].

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْمُخَالِفِينَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ وَشَدَدْنَا خَلْقَهُمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ أُسِرَ هَذَا الرَّجُلُ فَأُحْسِنَ أَسْرُهُ، بِمَعْنَىٰ: قَدْ خُلِقَ فَأُحْسِنَ خَلْقُهُ..

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝٢٨﴾ [الإنسان: ٢٨] وَإِذَا نَحْنُ شِئْنَا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ وَجِئْنَا بِآخَرِينَ سِوَاهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ أَمْثَالَهُمْ مِنَ الْخَلْقِ، مُخَالِفِينَ لَهُمْ فِي الْعَمَلِ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩﴾ [الإنسان: ٢٩].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تَذْكِرَةٌ لِمَنْ تَذَكَّرَ وَاتَّعَظَ وَاعْتَبَرَ..

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩﴾ [الإنسان: ٢٩] فَمَنْ شَاءَ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّخَذَ إِلَىٰ رِضَا رَبِّهِ بِالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، سَبِيلًا.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠].

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَىٰ رَبِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذَلِكَ لَكُمْ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْهِ لَا إِلَيْكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠] فَلَنْ يَعْدُوَ مِنْكُمْ أَحَدٌ مَا سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِهِ بِتَدْبِيرِكُمْ.

﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان: ٣١].

﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ يُدْخِلُ رَبُّكُمْ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ فِي رَحْمَتِهِ، فَيَتُوبُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمُوتَ تَائِبًا مِنْ ضَلَالَتِهِ، فَيَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَيُدْخِلُهُ جَنَّتَهُ..

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَمَاتُوا عَلَىٰ شِرْكِهِمْ..

﴿أَعَدَّ لَهُمۡ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان: ٣١] عَذَابًا مُؤْلِمًا مُوجِعًا، وَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِنْسَانِ



سُورَةُ المُرْسَلَاتِ (٧٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ①﴾ [المرسلات: ١].

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ①﴾ [المرسلات: ١] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالرِّيَاحُ الْمُرْسَلَاتُ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، قَالُوا: وَالْمُرْسَلَاتُ: هِيَ الرِّيَاحُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تُرْسَلُ بِالْعُرْفِ، قَالُوا: فتَأْوِيلُ الْكَلَامِ وَالْمَلَائِكَةِ الَّتِي أُرْسِلَتْ بِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعُرْفُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، وَقَدْ تُرْسَلُ عُرْفًا الْمَلَائِكَةُ، وَتُرْسَلُ كَذَلِكَ الرِّيَاحُ، وَلَا دَلَالَةَ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْمَعْنِيَّ بِذَلِكَ أَحَدُ الْجِنْسَيْنِ دُونَ الْآخَرِ؛ وَقَدْ عَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِإِقْسَامِهِ بِكُلِّ مَا كَانَتْ صِفَتُهُ مَا وَصَفَ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ صِفَتُهُ كَذَلِكَ، فَدَاخِلٌ فِي قَسَمِهِ ذَلِكَ مَلَكًا أَوْ رِيحًا أَوْ رَسُولًا مِنْ بَنِي آدَمَ مُرْسَلًا.

﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ②﴾ [المرسلات: ٢].

﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ②﴾ [المرسلات: ٢] فَالرِّيَاحُ الْعَاصِفَاتُ عَصْفًا، يَعْنِي الشَّدِيدَاتِ الْهُبُوبُ السَّرِيعَاتِ الْمَمَرِّ.

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ③﴾ [المرسلات: ٣].

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ③﴾ [المرسلات: ٣] قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا: الرِّيحُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْشُرُ الْكُتُبَ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا، وَلَمْ يُخَصِّصْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ دُونَ شَيْءٍ، فَالرِّيحُ تَنْشُرُ السَّحَابَ، وَالْمَطَرُ يَنْشُرُ الْأَرْضَ، وَالْمَلَائِكَةُ تَنْشُرُ الْكُتُبَ، وَلَا دَلَالَةَ مِنْ وَجْهٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ كُلِّ مَا كَانَ نَاشِرًا.

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ④﴾ [المرسلات: ٤].

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ④﴾ [المرسلات: ٤] قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ: الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: أَقْسَمَ

رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْفَارِقَاتِ، وَهِيَ الْفَاصِلَاتُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ مِنْهُنَّ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَذَلِكَ قَسَمٌ بِكُلِّ فَارِقَةٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَلَكًا كَانَ أَوْ قُرْآنًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ [المرسلات: ٥].

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ [المرسلات: ٥] فَالْمُبَلِّغَاتِ وَحْيَ اللهِ رُسُلَهُ، وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ [المرسلات: ٦].

﴿عُذْرًا﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا إِلَىٰ الرُّسُلِ إِعْذَارًا مِنَ اللهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ..

﴿أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ [المرسلات: ٦] وَإِنْذَارًا مِنْهُ لَهُمْ.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [المرسلات: ٧].

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١]، إِنَّ الَّذِي تُوعَدُونَ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأُمُورِ..

﴿لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [المرسلات: ٧] وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، يَعْنِي بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ أَعَدَّ لِخَلْقِهِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعَذَابِ.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ [المرسلات: ٨].

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ [المرسلات: ٨] فَإِذَا النُّجُومُ ذَهَبَ ضِيَاؤُهَا، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا نُورٌ وَلَا ضَوْءٌ.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ [المرسلات: ٩].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ [المرسلات: ٩] وَإِذَا السَّمَاءُ شُقِقَتْ وَصُدِعَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ [المرسلات: ١٠].

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ [المرسلات: ١٠] مِنْ أَصْلِهَا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ [المرسلات: ١١].

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ [المرسلات: ١١] وَإِذَا الرُّسُلُ أُجِّلَتْ لِلِاجْتِمَاعِ لِوَقْتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾ [المرسلات: ١٢].

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾ [المرسلات: ١٢] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَجِّبًا عِبَادَهُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَشِدَّتِهِ:

لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ الرُّسُلُ وَوُقِّتَتْ، مَا أَعْظَمَهُ وَأَهْوَلَهُ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ: وَأَيُّ يَوْمٍ هُوَ؟ فَقَالَ: أُجِّلَتْ.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣﴾ [المرسلات: ١٣].

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣﴾ [المرسلات: ١٣] لِيَوْمٍ يَفْصِلُ اللهُ فِيهِ بَيْنَ خَلْقِهِ الْقَضَاءَ، فَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، وَيُجْزِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾ [المرسلات: ١٤].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾ [المرسلات: ١٤] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ، مُعَظِّمًا بِذَلِكَ أَمْرَهُ، وَشِدَّةَ هَوْلِهِ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ [المرسلات: ١٥].

﴿وَيۡلٞ﴾ الْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ فِي جَهَنَّمَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِهَا..

﴿يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ [المرسلات: ١٥] بِيَوْمِ الْفَصْلِ.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾ [المرسلات: ١٦].

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾ [المرسلات: ١٦] أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُمَمَ الْمَاضِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلِي، وَجَحَدُوا آيَاتِي مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ.

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧﴾ [المرسلات: ١٧].

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧﴾ [المرسلات: ١٧] بَعْدَهُمْ، مِمَّنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ فِي الْكُفْرِ بِي وَبِرُسُولِي، كَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِ لُوطٍ، وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ، فَنُهْلِكُهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا الْأَوَّلِينَ قَبْلَهُمْ.

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٤﴾ [المرسلات: ١٨].

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٤﴾ [المرسلات: ١٨] كَمَا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ بِكُفْرِهِمْ بِي، وَتَكْذِيبِهِمْ بِرُسُلِي، كَذَلِكَ سُنَّتِي فِي أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ، فَنُهْلِكُ الْمُجْرِمِينَ بِإِجْرَامِهِمْ إِذَا طَغَوْا وَبَغَوْا.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩﴾ [المرسلات: ١٩].

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩﴾ [المرسلات: ١٩] بِأَخْبَارِ اللهِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الْجَاحِدِينَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ [المرسلات: ٢٠].

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ [المرسلات: ٢٠] مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١﴾ [المرسلات: ٢١].

﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ فَجَعَلْنَا الْمَاءَ الْمَهِينَ..

﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١﴾ [المرسلات: ٢١] فِي رَحِمٍ اسْتَقَرَّ فِيهَا فَتَمَكَّنَ.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢﴾ [المرسلات: ٢٢].

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢﴾ [المرسلات: ٢٢] إِلَىٰ وَقْتٍ مَعْلُومٍ لِخُرُوجِهِ مِنَ الرَّحِمِ عِنْدَ اللهِ.

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ [المرسلات: ٢٣].

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ [المرسلات: ٢٣] فَمَلَكْنَا فَنِعْمَ الْمَالِكُونَ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾ [المرسلات: ٢٤].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾ [المرسلات: ٢٤] بِأَنَّ اللهَ خَلَقَهُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥﴾ [المرسلات: ٢٥].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُنَبِّهًا عِبَادَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ لَكُمْ..

﴿كِفَاتًا ۝٢٥﴾ [المرسلات: ٢٥] وِعَاءً، تَقُولُ: هَذَا كِفْتُ هَذَا وَكَفِيتُهُ، إِذَا كَانَ وِعَاءَهُ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتَ أَحْيَائِكُمْ وَأَمْوَاتِكُمْ، تَكْفِتُ أَحْيَاءَكُمْ فِي الْمَسَاكِنِ وَالْمَنَازِلِ، فَتَضُمُّهُمْ فِيهَا وَتَجْمَعُهُمْ، وَأَمْوَاتَكُمْ فِي بُطُونِهَا فِي الْقُبُورِ، فَيُدْفَنُونَ فِيهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ تَكْفِتُ أَذَاهُمْ فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ، وَجِيَفَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ.

﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ [المرسلات: ٢٦].

﴿أَحْيَآءً﴾ فَوْقَهَا عَلَىٰ ظَهْرِهَا..

﴿وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ [المرسلات: ٢٦] يُدْفَنُونَ فِيهَا.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ [المرسلات: ٢٧].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جِبالًا ثَابِتَاتٍ فِيهَا، بَاذِخَاتٍ شَاهِقَاتٍ.

﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ [المرسلات: ٢٧] وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً عَذْبًا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المرسلات: ٢٨].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المرسلات: ٢٨] بِهَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْكُمْ مِنْ خَلْقِي الْكَافِرِينَ بِهَا.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المرسلات: ٢٩].

﴿انطَلِقُوا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِهَذِهِ النِّعَمِ وَالْحُجَجِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ انطَلِقُوا..

﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المرسلات: ٢٩] مِنْ عَذَابِ اللهِ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ [المرسلات: ٣٠].

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ [المرسلات: ٣٠] إِلَىٰ ظِلِّ دُخَانٍ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ.

﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات: ٣١].

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ لَا هُوَ يُظِلُّهُمْ مِنْ حَرِّهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَرْتَفِعُ مِنْ وَقُودِهَا الدُّخَانُ فِيمَا ذُكِرَ، فَإِذَا تَصَاعَدَ تَفَرَّقَ شُعَبًا ثَلَاثًا.

﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات: ٣١] وَلَا يُكِنُّهُمْ مِنْ لَهَبِهَا.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات: ٣٢].

﴿إِنَّهَا﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ..

﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات: ٣٢] وَاحِدُ الْقُصُورِ؛ وَذَلِكَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: ٣٣] عَلَىٰ صِحَّتِهِ، وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ الْإِبِلَ بِالْقُصُورِ الْمَبْنِيَّةِ، المعنى: كَعِظَمِ الْقَصْرِ، كَمَا قِيلَ: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] وَلَمْ يَقُلْ: كَعُيُونِ الَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي التَّشْبِيهِ الْفِعْلُ لَا الْعَيْنُ.

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفۡرٞ ٣٣﴾ [المرسلات: ٣٣].

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفۡرٞ ٣٣﴾ [المرسلات: ٣٣] كَأَنَّ الشَّرَرَ الَّذِي تَرْمِي بِهِ جَهَنَّمُ كَالْقَصْرِ جِمَالَاتٌ سُودٌ، وَالصُّفْرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، بِمَعْنَىٰ السُّودِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا صُفْرٌ وَهِيَ سُودٌ، لِأَنَّ أَلْوَانَ الْإِبِلِ سُودٌ تَضْرِبُ إِلَىٰ الصُّفْرَةِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهَا صُفْرٌ، كَمَا سُمِّيَتِ الظِّبَاءُ أُدْمًا، لِمَا يَعْلُوهَا فِي بَيَاضِهَا مِنَ الظُّلْمَةِ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤﴾ [المرسلات: ٣٤].

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤﴾ [المرسلات: ٣٤] هَذَا الْوَعِيدُ الَّذِي تَوَعَّدَ اللهُ بِهِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ [المرسلات: ٣٥].

﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ [المرسلات: ٣٥] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ أَهْلُ التَّكْذِيبِ بِثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ وَقَدْ عَلِمْتَ بِخَبَرِ اللهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر: ١١] وَفِي نَظَائِرِ ذَلِكَ مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَهُ؟ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ دُونَ بَعْضٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَنطِقُونَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، لَا أَنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ.. فَإِنْ قَالَ: فَهَلْ مِنْ بُرْهَانٍ يُعْلَمُ بِهِ حَقِيقَةُ ذَلِكَ؟ قِيلَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ إِضَافَةُ يَوْم إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ وَالْعَرَبُ لَا تُضِيفُ الْيَوْمَ إِلَىٰ فَعَلَ وَيَفْعَلُ، إِلَّا إِذَا أَرَادَتِ السَّاعَةَ مِنَ الْيَوْمِ وَالْوَقْتِ مِنْهُ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: آتِيكَ يَوْمَ يَقْدَمُ فُلَانٌ، وَأَتَيْتُكَ يَوْمَ زَارَكَ أَخُوكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَتَيْتُكَ سَاعَةَ زَارَكَ، أَوْ آتِيكَ سَاعَةَ يَقْدَمُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِتْيَانُهُ إِيَّاهُ الْيَوْمَ كُلَّهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ أَخَذَ الْيَوْمَ كُلَّهُ لَمْ يُضَفِ الْيَوْمُ إِلَىٰ فَعَلَ وَيَفْعَلُ، وَلَكِنْ فِعْلُ ذَلِكَ إِذْ كَانَ الْيَوْمُ بِمَعْنَىٰ إِذْ وَإِذَا اللَّتَيْنِ يَطْلُبَانِ الْأَفْعَالَ دُونَ الْأَسْمَاءِ.

﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ [المرسلات: ٣٦].

﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ [المرسلات: ٣٦] مِمَّا اجْتَرَمُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ..

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾ [المرسلات: ٣٧].

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾ [المرسلات: ٣٧] بِخَبَرِ اللهِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [المرسلات: ٣٨].

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ يَوْمَ يُبْعَثُونَ: هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي يَفْصِلُ اللهُ فِيهِ بِالْحَقِّ بَيْنَ عِبَادِهِ..

﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [المرسلات: ٣٨] جَمَعْنَاكُمْ فِيهِ لِمَوْعِدِكُمُ الَّذِي كُنَّا نَعِدُكُمْ فِي الدُّنْيَا الْجَمْعَ فِيهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ سَائِرِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ، فَقَدْ وَفَيْنَا لَكُمْ بِذَلِكَ.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾ [المرسلات: ٣٩].

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾ [المرسلات: ٣٩] وَاللهُ مُنْجِزٌ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعِقَابِ عَلَىٰ تَكْذِيبِكُمْ إِيَّاهُ بِأَنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ لِهَذَا الْيَوْمِ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ حِيلَةٌ تَحْتَالُونَهَا فِي التَّخَلُّصِ مِنْ عِقَابِهِ الْيَوْمَ فَاحْتَالُوا.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾ [المرسلات: ٤٠].

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾ [المرسلات: ٤٠] بِهَذَا الْخَبَرِ.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١﴾ [المرسلات: ٤١].

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ فِي الدُّنْيَا، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿فِي ظِلَٰلٖ﴾ ظَلِيلَةٍ، وَكُنٍّ كَنِينٍ، لَا يُصِيبُهُمْ أَذَىٰ حَرٍّ وَلَا قُرٍّ، إِذْ كَانَ الْكَافِرُونَ بِاللهِ فِي ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللهَبِ..

﴿وَعُيُونٖ ٤١﴾ [المرسلات: ٤١] أَنْهَارٌ تَجْرِي خِلَالَ أَشْجَارِ جَنَّاتِهِمْ.

﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾ [المرسلات: ٤٢].

﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾ [المرسلات: ٤٢] يَأْكُلُونَ مِنْهَا كُلَّمَا اشْتَهَوْا لَا يَخَافُونَ ضُرَّهَا، وَلَا عَاقِبَةَ مَكْرُوهِهَا.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [المرسلات: ٤٣].

﴿كُلُواْ﴾ يُقَالُ لَهُمْ: كُلُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ هَذِهِ الْفَوَاكِهِ..

﴿وَٱشۡرَبُواْ﴾ مِنْ هَذِهِ الْعُيُونِ كُلَّمَا اشْتَهَيْتُمْ..

﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ لَا تَكْدِيرَ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَنْغِيصَ فِيمَا تَأْكُلُونَهُ وَتَشْرَبُونَ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَكُمْ دَائِمٌ لَا يَزُولُ،

وَمَرِيءٌ لَا يُورِثُكُمْ أَذًىٰ فِي أَبْدَانِكُمْ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: ٤٣] يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا جَزَاءٌ بِمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَتَجْتَهِدُونَ فِيمَا يُقَرِّبُكُمْ مِنْهُ.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المرسلات: ٤٤].

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ إِنَّا كَمَا جَزَيْنَا هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّانَا فِي الدُّنْيَا، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المرسلات: ٤٤] نَجْزِي وَنُثِيبُ أَهْلَ الْإِحْسَانِ فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّانَا وَعِبَادَتِهِمْ لَنَا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ إِحْسَانِهِمْ لَا نُضِيعُ فِي الْآخِرَةِ أَجْرَهُمْ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المرسلات: ٤٥].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المرسلات: ٤٥] خَبَرَ اللهِ عَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ تَكْرِيمِهِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ بِمَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات: ٤٦].

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَهَدُّدًا وَوَعِيدًا مِنْهُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ: كُلُوا فِي بَقِيَّةِ آجَالِكُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِبَقِيَّةِ أَعْمَارِكُمْ..

﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات: ٤٦] مَسْنُونٌ بِكُمْ سُنَّةَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ مُجْرِمِي الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الَّتِي مُتِّعَتْ بِأَعْمَارِهَا إِلَىٰ بُلُوغِ كُتُبِهَا آجَالَهَا ثُمَّ انْتَقَمَ اللهُ مِنْهَا بِكُفْرِهَا وَتَكْذِيبِهَا رُسُلَهَا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [المرسلات: ٤٧].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [المرسلات: ٤٧] الَّذِينَ كَذَّبُوا خَبَرَ اللهِ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ بِهِ عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: ٤٨].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِوَعِيدِ اللهِ أَهْلَ التَّكْذِيبِ بِهِ..

﴿ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: ٤٨] قَالَ بَعْضُهُمْ: يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ حِينَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ قِيلَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا.. وَقِيلَ: عُنِيَ بِالرُّكُوعِ فِي هَذَا

الْمَوْضِعِ الصَّلَاةُ.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَهُ مُخَالِفِينَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لَا يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ، وَلَا يَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ [المرسلات: ٤٩].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ [المرسلات: ٤٩] وَيْلٌ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللهِ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ مَا بَلَّغُوا مِنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَنَهْيِهِ لَهُمْ.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [المرسلات: ٥٠].

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ هَذَا الْقُرْآنِ، أَيْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ كَذَّبْتُمْ بِهِ مَعَ وُضُوحِ بُرْهَانِهِ، وَصِحَّةِ دَلَائِلِهِ، أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [المرسلات: ٥٠] تُصَدِّقُونَ، وَإِنَّمَا أَعْلَمَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخْبَرَهُمْ بِهَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مَعَ صِحَّةِ حُجَجِهِ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ لَمْ يُمْكِنْهُمُ الْإِقْرَارُ بِحَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي لَمْ يُشَاهِدُوا الْمُخْبَرَ عَنْهُ، وَلَمْ يُعَايِنُوهُ، وَأَنَّهُمْ إِنْ صَدَّقُوا بِشَيْءٍ مِمَّا غَابَ عَنْهُمْ لِدَلِيلٍ قَامَ عَلَيْهِ لَزِمَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ



سُورَةُ النَّبَإِ (٧٨)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ①﴾ [النبأ: ١].

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ①﴾ [النبأ: ١] عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قُرَيْشٍ يَا مُحَمَّدُ؟ وَقِيلَ ذَلِكَ لَهُ ﷺ؛ وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا جَعَلَتْ -فِيمَا ذُكِرَ عَنْهَا- تَخْتَصِمُ وَتَتَجَادَلُ، فِي الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: فِيمَ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَيَخْتَصِمُونَ؟.. وَ(فِي) وَ(عَنْ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ②﴾ [النبأ: ٢].

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ②﴾ [النبأ: ٢] ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَنِ الَّذِي يَتَسَاءَلُونَهُ، فَقَالَ: يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ: يَعْنِي: عَنِ الْخَبَرِ الْعَظِيمِ.

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③﴾ [النبأ: ٣].

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③﴾ [النبأ: ٣] الَّذِي صَارُوا هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَفَرِيقٌ بِهِ مُكَذِّبٌ، فَتَسَاؤُلُهُمْ بَيْنَهُمْ فِي النَّبَإِ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ④﴾ [النبأ: ٤].

﴿كَلَّا﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ بَعْثَ اللهِ إِيَّاهُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَتَوَعَّدَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ..

﴿سَيَعْلَمُونَ ④﴾ [النبأ: ٤] سَيَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُنْكِرُونَ وَعِيدَ اللهِ أَعْدَاءَهُ، مَا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ⑤﴾ [النبأ: ٥].

﴿ثُمَّ كَلَّا﴾ ثُمَّ أَكَّدَ الْوَعِيدَ بِتَكْرِيرٍ آخَرَ، فَقَالَ: مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّ اللهَ غَيْرُ مُحْيِيهِمْ

بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَلَا مُعَاقِبُهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿سَيَعْلَمُونَ ٥﴾ [النبأ: ٥] أَنَّ الْقَوْلَ غَيْرُ مَا قَالُوا إِذَا لَقُوا اللهَ، وَأَفْضَوْا إِلَىٰ مَا قَدَّمُوا مِنْ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ٦﴾ [النبأ: ٦].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: مُعَدِّدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ نِعَمَهُ وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ، وَكُفْرَانَهُمْ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَمُتَوَعِّدَهُمْ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ، مِنْ صُنُوفِ عِقَابِهِ، وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ﴾ لَكُمْ..

﴿مِهَادًا ٦﴾ [النبأ: ٦] تَمْتَهِدُونَهَا وَتَفْتَرِشُونَهَا.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧﴾ [النبأ: ٧].

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧﴾ [النبأ: ٧] وَالْجِبَالَ لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ٨﴾ [النبأ: ٨].

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ٨﴾ [النبأ: ٨] ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا، وَطِوَالًا وَقِصَارًا، أَوْ ذَوِي دَمَامَةٍ وَجَمَالٍ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، يَعْنِي بِهِ: صَيَّرْنَاهُمْ.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ٩﴾ [النبأ: ٩].

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ٩﴾ [النبأ: ٩] وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ لَكُمْ رَاحَةً وَدَعَةً، تَهْدَءُونَ بِهِ وَتَسْكُنُونَ، كَأَنَّكُمْ أَمْوَاتٌ لَا تَشْعُرُونَ، وَأَنْتُمْ أَحْيَاءٌ لَمْ تُفَارِقْكُمُ الْأَرْوَاحُ؛ وَالسَّبْتُ وَالسُّبَاتُ: هُوَ السُّكُونُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ السَّبْتُ سَبْتًا، لِأَنَّهُ يَوْمُ رَاحَةٍ وَدَعَةٍ.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١٠﴾ [النبأ: ١٠].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١٠﴾ [النبأ: ١٠] وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لَكُمْ غِشَاءً يَتَغَشَّاكُمْ سَوَادُهُ، وَتُغَطِّيكُمْ ظُلْمَتُهُ، كَمَا يُغَطِّي الثَّوْبُ لَابِسَهُ، لِتَسْكُنُوا فِيهِ عَنِ التَّصَرُّفِ لِمَا كُنْتُمْ تَتَصَرَّفُونَ لَهُ نَهَارًا.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١١﴾ [النبأ: ١١].

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١١﴾ [النبأ: ١١] وَجَعَلْنَا النَّهَارَ لَكُمْ ضِيَاءً لِتَنْتَشِرُوا فِيهِ لِمَعَاشِكُمْ، وَتَتَصَرَّفُوا فِيهِ لِمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ، وَابْتِغَاءِ فَضْلِ اللهِ فِيهِ، وَجَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ النَّهَارَ إِذْ كَانَ سَبَبًا

لِتَصَرُّفِ عِبَادِهِ لِطَلَبِ الْمَعَاشِ فِيهِ مَعَاشًا.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ: ١٢].

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ﴾ وَسَقَّفْنَا فَوْقَكُمْ، فَجَعَلَ السَّقْفَ بِنَاءً، إِذْ كَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي سُقُوفَ الْبُيُوتِ، وَهِيَ سَمَاؤُهَا بِنَاءً، وَكَانَتِ السَّمَاءُ لِلْأَرْضِ سَقْفًا، فَخَاطَبَهُمْ بِلِسَانِهِمْ، إِذْ كَانَ التَّنْزِيلُ بِلِسَانِهِمْ..

﴿سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ: ١٢] إِذْ كَانَتْ وِثَاقًا مُحْكَمَةَ الْخَلْقِ، لَا صُدُوعَ فِيهِنَّ وَلَا فُطُورَ، وَلَا يُبْلِيهِنَّ مَرَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ: ١٣].

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ الشَّمْسَ..

﴿وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ: ١٣] وَقَّادًا مُضِيئًا.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ: ١٤].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ مِنَ السَّحَابِ..

﴿مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ: ١٤] مَاءً مُنْصَبًّا يَتْبَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، كَثَجِّ دِمَاءِ الْبُدْنِ، وَذَلِكَ سَفْكُهَا.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النبأ: ١٥].

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ لِنُخْرِجَ بِالْمَاءِ الَّذِي نُنَزِّلُهُ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ إِلَى الْأَرْضِ..

﴿حَبًّا﴾ وَالْحَبُّ كُلُّ مَا تَضَمَّنَهُ كِمَامُ الزَّرْعِ الَّتِي تُحْصَدُ، وَهِيَ جَمْعُ حَبَّةٍ، كَمَا الشَّعِيرُ جَمْعُ شَعِيرَةٍ، وَكَمَا التَّمْرُ جَمْعُ تَمْرَةٍ..

﴿وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النبأ: ١٥] فَهُوَ الْكَلَأُ الَّذِي يُرْعَى، مِنَ الْحَشِيشِ وَالزُّرُوعِ.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ١٦].

﴿وَجَنَّاتٍ﴾ وَلِنُخْرِجَ بِذَلِكَ الْغَيْثِ جَنَّاتٍ وَهِيَ الْبَسَاتِينُ؛ وَقَالَ: وَجَنَّاتٍ، وَالْمَعْنَى: وَثَمَرِ جَنَّاتٍ، فَتَرَكَ ذِكْرَ الثَّمَرِ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ..

﴿أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ١٦] مُلْتَفَّةً مُجْتَمِعَةً.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ١٧].

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ١٧] إِنَّ يَوْمَ يَفْصِلُ اللهُ فِيهِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَيَأْخُذُ فِيهِ مِنْ

بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، كَانَ مِيقَاتًا لِمَا أَنْفَذَ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، وَلِضُرَبَائِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨﴾ [النبأ: ١٨].

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ تَرْجَمَ بِـ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ عَنْ يَوْمِ الْفَصْلِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَوْمُ الْفَصْلِ كَانَ أَجَلًا لِمَا وَعَدْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وَهُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ..

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨﴾ [النبأ: ١٨] فَيَجِيئُونَ زُمَرًا زُمَرًا، وَجَمَاعَةً جَمَاعَةً.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ١٩﴾ [النبأ: ١٩].

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ١٩﴾ [النبأ: ١٩] وَشُقِقَتِ السَّمَاءُ فَصُدِعَتْ، فَكَانَتْ طُرُقًا، وَكَانَتْ مِنْ قَبْلُ شِدَادًا لَا فُطُورَ فِيهَا وَلَا صُدُوعَ.. وَقِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ قِطَعًا كَقِطَعِ الْخَشَبِ الْمُشَقَّقَةِ لِأَبْوَابِ الدُّورِ وَالْمَسَاكِنِ، قَالُوا: وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ قِطَعًا كَالْأَبْوَابِ، فَلَمَّا أُسْقِطَتِ الْكَافُ صَارَتِ الْأَبْوَابُ الْخَبَرَ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: كَانَ عَبْدُ اللهِ أَسَدًا، يَعْنِي: كَالْأَسَدِ.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ٢٠﴾ [النبأ: ٢٠].

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ٢٠﴾ [النبأ: ٢٠] وَنُسِفَتِ الْجِبَالُ فَاجْتُثَّتْ مِنْ أُصُولِهَا، فَصُيِّرَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا، لِعَيْنِ النَّاظِرِ، كَالسَّرَابِ الَّذِي يَظُنُّ مَنْ يَرَاهُ مِنْ بُعْدٍ مَاءً، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ هَبَاءٌ.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١﴾ [النبأ: ٢١].

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١﴾ [النبأ: ٢١] إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ ذَاتَ رَصْدٍ لِأَهْلِهَا، الَّذِينَ كَانُوا يَكْذِبُونَ فِي الدُّنْيَا بِهَا، وَبِالْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِهَا، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ ذَاتَ ارْتِقَابٍ، تَرْقُبُ مَنْ يَجْتَازُهَا وَتَرْصُدُهُمْ.

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ٢٢﴾ [النبأ: ٢٢].

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ٢٢﴾ [النبأ: ٢٢] إِنَّ جَهَنَّمَ لِلَّذِينَ طَغَوْا فِي الدُّنْيَا، فَتَجَاوَزُوا حُدُودَ اللهِ، اسْتِكْبَارًا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، كَانَتْ مَنْزِلًا مَرْجِعًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَمَصِيرًا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ يِسْكُنُونَهُ.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ٢٣﴾ [النبأ: ٢٣].

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ٢٣﴾ [النبأ: ٢٣] إِنَّ هَؤُلَاءِ الطَّاغِينَ فِي الدُّنْيَا لَابِثُونَ فِي جَهَنَّمَ، فَمَاكِثُونَ

فِيهَا أَحْقَابًا.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ [النبأ: ٢٤].

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ [النبأ: ٢٤] لَا يَطْعَمُونَ فِيهَا بَرْدًا يُبَرِّدُ حَرَّ السَّعِيرِ عَنْهُمْ، إِلَّا الْغَسَاقَ، وَلَا شَرَابًا يَرْوِيهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ الَّذِي بِهِمْ، إِلَّا الْحَمِيمَ.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ [النبأ: ٢٥].

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ [النبأ: ٢٥] لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا قَدْ أُغْلِيَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ حَرُّهُ، فَهُوَ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ، وَلَا بَرْدَ إِلَّا غَسَّاقًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّكَ قَدْ قُلْتَ: إِنَّ الْغَسَّاقَ: هُوَ الزَّمْهَرِيرُ، وَالزَّمْهَرِيرُ: هُوَ غَايَةُ الْبَرْدِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الزَّمْهَرِيرُ سَائِلًا؟ قِيلَ: إِنَّ الْبَرْدَ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا يُطَاقُ، يَكُونُ فِي صِفَةِ السَّائِلِ مِنْ أَجْسَادِ الْقَوْمِ مِنَ الْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النبأ: ٢٦].

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النبأ: ٢٦] هَذَا الْعِقَابُ الَّذِي عُوقِبَ لَهُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فِي الْآخِرَةِ، فَعَلَهُ بِهِمْ رَبُّهُمْ جَزَاءً، يَعْنِي: ثَوَابًا لَهُمْ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمُ الرَّدِيئَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ [النبأ: ٢٧].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ [النبأ: ٢٧] إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا لَا يَخَافُونَ مُحَاسَبَةَ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَسُوءِ شُكْرِهِمْ لَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ [النبأ: ٢٨].

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ [النبأ: ٢٨] وَكَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ بِحُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا تَكْذِيبًا.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ۝٢٩﴾ [النبأ: ٢٩].

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ۝٢٩﴾ [النبأ: ٢٩] وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فَكَتَبْنَاهُ كِتَابًا، كَتَبْنَا عَدَدَهُ وَمَبْلَغَهُ وَقَدْرَهُ، فَلَا يَعْزُبُ عَنَّا عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ.

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠].

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠] يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فِي جَهَنَّمَ إِذَا شَرِبُوا الْحَمِيمَ وَالْغَسَّاقَ: ذُوقُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ عَذَابِ اللهِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا تُكَذِّبُونَ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ

إِلَّا عَذَابًا عَلَىٰ الْعَذَابِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ لَا تَخْفِيفًا مِنْهُ، وَلَا تَرَفُّهًا.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١﴾ [النبأ: ٣١].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١﴾ [النبأ: ٣١] إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَنْجًى مِنَ النَّارِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمُخَلَّصًا مِنْهُمْ لَهُمْ إِلَيْهَا، وَظَفَرًا بِمَا طَلَبُوا.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ٣٢﴾ [النبأ: ٣٢].

﴿حَدَآئِقَ﴾ جَمْعُ حَدِيقَةٍ، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النَّخْلِ وَالْأَعْنَابِ وَالْأَشْجَارِ الْمَحُوطِ عَلَيْهَا الْحِيطَانُ الْمُحْدِقَةُ بِهَا، لِإِحْدَاقِ الْحِيطَانِ بِهَا تُسَمَّىٰ الْحَدِيقَةَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْحِيطَانُ بِهَا مُحْدِقَةً، لَمْ يُقَلْ لَهَا حَدِيقَةٌ، وَإِحْدَاقُهَا بِهَا: اشْتِمَالُهَا عَلَيْهَا..

﴿وَأَعْنَٰبًا ٣٢﴾ [النبأ: ٣٢] وَكُرُومُ أَعْنَابٍ، وَاسْتَغْنَىٰ بِذِكْرِ الْأَعْنَابِ عَنْ ذِكْرِ الْكُرُومِ.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣﴾ [النبأ: ٣٣].

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣﴾ [النبأ: ٣٣] وَنَوَاهِدَ فِي سِنٍّ وَاحِدٍ.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤﴾ [النبأ: ٣٤].

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤﴾ [النبأ: ٣٤] وَكَأْسًا مَلْأَىٰ مُتَتَابِعَةً عَلَىٰ شَارِبِيهَا بِكَثْرَةٍ وَامْتِلَاءٍ؛ وَأَصْلُهُ مِنَ الدَّهْقِ: وَهُوَ مُتَابَعَةُ الضَّغْطِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ بِشِدَّةٍ وَعُنْفٍ، وَكَذَلِكَ الْكَأْسُ الدِّهَاقُ: مُتَابَعَتُهَا عَلَىٰ شَارِبِيهَا بِكَثْرَةٍ وَامْتِلَاءٍ.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ٣٥﴾ [النبأ: ٣٥].

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ٣٥﴾ [النبأ: ٣٥] لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ لَغْوًا، يَعْنِي بَاطِلًا مِنَ الْقَوْلِ، وَلَا كِذَّابًا، يَقُولُ: وَلَا مُكَاذَبَةً، أَيْ لَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ٣٦﴾ [النبأ: ٣٦].

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أَعْطَىٰ اللهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ثَوَابًا مِنْ رَبِّكَ بِأَعْمَالِهِمْ، عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا..

﴿عَطَآءً﴾ تَفَضُّلًا مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْجَزَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَزَاهُمْ بِالْوَاحِدِ عَشْرًا فِي بَعْضٍ، وَفِي بَعْضٍ بِالْوَاحِدِ سَبْعَمِائَةٍ، فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ وَإِنْ كَانَتْ جَزَاءً فَعَطَاءٌ مِنَ اللهِ..

﴿حِسَابًا ٣٦﴾ [النبأ: ٣٦] مُحَاسَبَةً لَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ لِلهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ٣٧﴾ [النبأ: ٣٧].

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ..

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ٣٧﴾ [النبأ: ٣٧] الرَّحْمَنُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ خِطَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْهُمْ، وَقَالَ صَوَابًا.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨﴾ [النبأ: ٣٨].

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وَالرُّوحُ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَغَيْرُ ضَائِرِ الْجَهْلُ بِهِ..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ سِمَاطَانِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: سِمَاطٌ مِنَ الرُّوحِ، وَسِمَاطٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ إِنَّهُمْ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ، حِينَ يُؤْمَرُ بِأَهْلِ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ، وَبِأَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ..

﴿وَقَالَ صَوَابًا ٣٨﴾ [النبأ: ٣٨] لَمْ يُخْبِرْنَا فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، أَنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الصَّوَابِ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩﴾ [النبأ: ٣٩].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ إِنَّهُ حَقٌّ كَائِنٌ، لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ اتَّخَذَ بِالتَّصْدِيقِ بِهَذَا الْيَوْمِ الْحَقِّ، وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ النَّجَاةَ لَهُ مِنْ أَهْوَالِهِ..

﴿مَـَٔابًا ٣٩﴾ [النبأ: ٣٩] مَرْجِعًا.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ٤٠﴾ [النبأ: ٤٠].

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ إِنَّا حَذَّرْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَذَابًا قَدْ دَنَا مِنْكُمْ وَقَرُبَ، وَذَلِكَ..

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ الْمُؤْمِنُ..

﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مِنْ خَيْرٍ اكْتَسَبَهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ شِرْكٍ سَلَفَهُ، فَيَرْجُو ثَوَابَ اللهِ عَلَىٰ صَالِحِ أَعْمَالِهِ، وَيَخَافُ عِقَابَهُ عَلَىٰ سَيِّئِهَا..

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ۝٤٠﴾ [النبأ: ٤٠] وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ تَمَنِّيًا لِمَا يَلْقَىٰ مِنْ عَذَابِ اللهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَصْحَابِهِ الْكَافِرِينَ بِهِ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، كَالْبَهَائِمِ الَّتِي جُعِلَتْ تُرَابًا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّبَإِ



سُورَةُ النَّازِعَاتِ (٧٩)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ①﴾ [النازعات: ١].

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ①﴾ [النازعات: ١] أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ بِالنَّازِعَاتِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيهَا، وَمَا هِيَ؟ وَمَا تَنْزِعُ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْزِعُ نُفُوسَ بَنِي آدَمَ، وَالْمَنْزُوعُ نُفُوسُ الْآدَمِيِّينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْمَوْتُ يَنْزِعُ النُّفُوسَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النُّجُومُ تَنْزِعُ مِنْ أُفُقٍ إِلَىٰ أُفُقٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْقِسِيُّ تَنْزِعُ بِالسَّهْمِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النَّفْسُ حِينَ تَنْزِعُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَلَمْ يُخَصِّصْ نَازِعَةً دُونَ نَازِعَةٍ، فَكُلُّ نَازِعَةٍ غَرْقًا، فَدَاخِلَةٌ فِي قَسَمِهِ، مَلَكًا كَانَ أَوْ مَوْتًا، أَوْ نَجْمًا، أَوْ قَوْسًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.. وَالْمَعْنَىٰ: وَالنَّازِعَاتِ إِغْرَاقًا، كَمَا يَغْرَقُ النَّازِعُ فِي الْقَوْسِ.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ②﴾ [النازعات: ٢].

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ②﴾ [النازعات: ٢] قَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ، تَنْشِطُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ فَتَقْبِضُهَا، كَمَا يَنْشِطُ الْعِقَالُ مِنَ الْبَعِيرِ إِذَا حُلَّ عَنْهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْمَوْتُ يَنْشِطُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النُّجُومُ تَنْشِطُ مِنْ أُفُقٍ إِلَىٰ أُفُقٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْأَوْهَاقُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَقْسَمَ بِالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَهِيَ الَّتِي تَنْشُطُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، فَتَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ بِذَلِكَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، بَلْ عَمَّ الْقَسَمَ بِجَمِيعِ النَّاشِطَاتِ، وَالْمَلَائِكَةُ تَنْشُطُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، وَكَذَلِكَ الْمَوْتُ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ وَالْأَوْهَاقُ وَبَقَرُ الْوَحْشِ أَيْضًا تَنْشُطُ، فَكُلُّ نَاشِطٍ فَدَاخِلٌ فِيمَا أَقْسَمَ بِهِ، إِلَّا أَنْ تَقُومَ حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، بِأَنَّ الْمَعْنِيَّ بِالْقَسَمِ مِنْ ذَلِكَ، بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ③﴾ [النازعات: ٣].

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ③﴾ [النازعات: ٣] وَاللَّوَاتِي تَسْبَحُ سَبْحًا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّتِي أَقْسَمَ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ السَّابِحَاتِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْمَوْتُ تَسْبَحُ فِي نَفْسِ ابْنِ آدَمَ.. وَقَالَ

آخَرُونَ: هِيَ النُّجُومُ تَسْبَحُ فِي فَلَكِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ السُّفُنُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَقْسَمَ بِالسَّابِحَاتِ سَبْحًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَذَلِكَ كُلُّ سَابِحٍ، لِمَا وَصَفْنَا قَبْلُ فِي النَّازِعَاتِ.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ٤﴾ [النازعات: ٤].

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ٤﴾ [النازعات: ٤] قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ لِلْخَيْلِ السَّابِقَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ النُّجُومُ يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي السَّيْرِ.. وَالْقَوْلُ عِنْدَنَا فِي هَذِهِ، مِثْلُ الْقَوْلِ فِي سَائِرِ الْأَحْرُفِ الْمَاضِيَةِ.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ٥﴾ [النازعات: ٥].

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ٥﴾ [النازعات: ٥] فَالْمَلَائِكَةُ الْمُدَبِّرَةُ مَا أُمِرَتْ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾ [النازعات: ٦].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾ [النازعات: ٦] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤]، لِلنَّفْخَةِ الْأُولَىٰ.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [النازعات: ٧].

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [النازعات: ٧] تَتْبَعُهَا أُخْرَىٰ بَعْدَهَا، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي رَدِفَتِ الْأُولَىٰ، لِبَعْثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٨﴾ [النازعات: ٨].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٨﴾ [النازعات: ٨] قُلُوبُ خَلْقٍ مِنْ خَلْقِهِ يَوْمَئِذٍ خَائِفَةٌ مِنْ عَظِيمِ الْهَوْلِ النَّازِلِ.

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ٩﴾ [النازعات: ٩].

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ٩﴾ [النازعات: ٩] أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا ذَلِيلَةٌ مِمَّا قَدْ عَلَاهَا مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحَزَنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهِمْ، مِنْ عَظِيمِ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**خَاشِعَةٌ لِلذُّلِّ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهَا**).

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ [النازعات: ١١].

يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ: أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ إِلَىٰ حَالِنَا الْأُولَىٰ قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَرَاجِعُونَ أَحْيَاءً كَمَا كُنَّا قَبْلَ هَلَاكِنَا، وَقَبْلَ مَمَاتِنَا؟ وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجَعَ فُلَانٌ عَلَىٰ حَافِرَتِهِ: إِذَا رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحَافِرَةُ: الْأَرْضُ الْمَحْفُورَةُ الَّتِي حُفِرَتْ فِيهَا قُبُورُهُمْ، فَجَعَلُوا ذَلِكَ نَظِيرَ قَوْلِهِ: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق: ٦] يَعْنِي: مَدْفُوقٍ، وَقَالُوا: الْحَافِرَةُ بِمَعْنَىٰ الْمَحْفُورَةِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ: أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي قُبُورِنَا أَمْوَاتًا؟.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحَافِرَةُ: النَّارُ.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ [النازعات: ١١].

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ [النازعات: ١١] بَالِيَةً.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (نَاخِرَةً) بِأَلِفٍ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهَا مُجَوَّفَةٌ، تَنْخَرُ الرِّيَاحُ فِي جَوْفِهَا إِذَا مَرَّتْ بِهَا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ يَقُولُ: النَّاخِرَةُ وَالنَّخِرَةُ: سَوَاءٌ فِي الْمَعْنَىٰ.. وَأَفْصَحُ اللُّغَتَيْنِ عِنْدَنَا وَأَشْهَرُهُمَا عِنْدَنَا ﴿نَّخِرَةً ۝١١﴾، بِغَيْرِ أَلِفٍ، بِمَعْنَىٰ: بَالِيَةً، غَيْرَ أَنَّ رُءُوسَ الْآيِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا جَاءَتْ بِالْأَلِفِ، فَأَعْجَبُ إِلَيَّ لِذَلِكَ أَنْ تَلْحَقَ (نَاخِرَة) بِهَا، لِيَتَّفِقَ هُوَ وَسَائِرُ رُءُوسِ الْآيَاتِ، لَوْلَا ذَلِكَ كَانَ أَعْجَبُ الْقِرَاءَتَيْنِ إِلَيَّ حَذْفَ الْأَلِفِ مِنْهَا.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ [النازعات: ١٢].

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ [النازعات: ١٢] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، قَالُوا: تِلْكَ، يَعْنُونَ تِلْكَ الرَّجْعَةَ، أَحْيَاءً بَعْدَ الْمَمَاتِ، إِذًا: يَعْنُونَ الْآنَ، كَرَّةٌ: يَعْنُونَ رَجْعَةً خَاسِرَةً، يَعْنُونَ غَابِنَةً.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [النازعات: ١٣].

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [النازعات: ١٣] فَإِنَّمَا هِيَ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَنَفْخَةٌ تُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وَذَلِكَ هُوَ الزَّجْرَةُ.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات: ١٤].

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات: ١٤] فَإِذَا هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ، الْمُتَعَجِّبُونَ مِنْ إِحْيَاءِ اللهِ إِيَّاهُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ، تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِذَلِكَ، بِالسَّاهِرَةِ، يَعْنِي بِظَهْرِ الْأَرْضِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْفَلَاةَ وَوَجْهَ الْأَرْضِ: سَاهِرَةً، وَأُرَاهُمْ سَمَّوْا ذَلِكَ بِهَا، لِأَنَّ فِيهِ نَوْمَ الْحَيَوَانِ وَسَهَرَهَا، فَوُصِفَ بِصِفَةِ مَا فِيهِ.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝١٥﴾ [النازعات: ١٥].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝١٥﴾ [النازعات: ١٥] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: هَلْ أَتَاكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ، وَهَلْ سَمِعْتَ خَبَرَهُ حِينَ نَاجَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ، يَعْنِي بِالْمُقَدَّسِ: الْمُطَهَّرَ الْمُبَارَكَ.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾ [النازعات: ١٦].

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾ [النازعات: ١٦] وَكَذَلِكَ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿طُوًى ۝١٢﴾ [طه: ١٢] وَمَا قَالَ فِيهِ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النازعات: ١٧].

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ نَادَىٰ مُوسَىٰ رَبَّهُ: أَنِ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَحُذِفَتْ أَنْ، إِذْ كَانَ النِّدَاءُ قَوْلًا، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لِمُوسَىٰ قَالَ رَبُّهُ: اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ..

﴿إِنَّهُ طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النازعات: ١٧] عَتَا وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ فِي الْعُدْوَانِ، وَالتَّكَبُّرِ عَلَىٰ رَبِّهِ.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات: ١٨].

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات: ١٨] فَقُلْ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ، وَتُؤْمِنَ بِرَبِّكَ؟

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات: ١٩].

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُوسَىٰ: قُلْ لِفِرْعَوْنَ: هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ أُرْشِدَكَ إِلَىٰ مَا يُرْضِي رَبَّكَ عَنْكَ، وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ..

﴿فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات: ١٩] فَتَخْشَىٰ عِقَابَهُ بِأَدَاءِ مَا أَلْزَمَكَ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾ [النازعات: ٢٠].

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾ [النازعات: ٢٠] فَأَرَىٰ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ، يَعْنِي الدَّلَالَةَ الْكُبْرَىٰ عَلَىٰ أَنَّهُ لِلهِ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْآيَةُ يَدَ مُوسَىٰ إِذْ أَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ، وَعَصَاهُ إِذْ تَحَوَّلَتْ ثُعْبَانًا مُبِينًا.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النازعات: ٢١].

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النازعات: ٢١] فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَىٰ فِيمَا أَتَاهُ مِنَ الْآيَاتِ الْمُعْجِزَةِ، وَعَصَاهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ رَبَّهُ، وَخَشْيَتِهِ إِيَّاهُ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النازعات: ٢٢].

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ ثُمَّ وَلَّىٰ مُعْرِضًا عَمَّا دَعَاهُ إِلَيْهِ مُوسَىٰ مِنْ طَاعَتِهِ رَبَّهُ، وَخَشْيَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ..

﴿يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النازعات: ٢٢] يَعْمَلُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَفِيمَا يُسْخِطُهُ عَلَيْهِ.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [النازعات: ٢٣].

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [النازعات: ٢٣] فَجَمَعَ قَوْمَهُ وَأَتْبَاعَهُ فَنَادَىٰ فِيهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] الَّذِي كُلُّ رَبٍّ دُونِي، وَكَذَبَ الْأَحْمَقُ.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤].

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ، فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ.

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: ٢٥].

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ فَعَاقَبَهُ اللهُ..

﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: ٢٥] يَقُولُ عُقُوبَةَ الْآخِرَةِ مِنْ كَلِمَتَيْهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وَالْأُولَىٰ قَوْلُهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: ٢٦].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: ٢٦] إِنَّ فِي الْعُقُوبَةِ الَّتِي عَاقَبَ اللهُ بِهَا فِرْعَوْنَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَفِي أَخْذِهِ إِيَّاهُ، نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ: عِظَةً وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ يَخَافُ اللهَ، وَيَخْشَىٰ عِقَابَهُ.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾﴾ [النازعات: ٢٧].

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ مِنْ قُرَيْشٍ، الْقَائِلِينَ ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [النازعات: ١٢] : أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَشَدُّ خَلْقًا، أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا

رَبُّكُمْ؟ فَإِنَّ مَنْ بَنَىٰ السَّمَاءَ فَرَفَعَهَا سَقْفًا، هَيِّنٌ عَلَيْهِ خَلْقُكُمْ وَخَلْقُ أَمْثَالِكُمْ، وَإِحْيَاؤُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَلَيْسَ خَلْقُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ بِأَشَدَّ مِنْ خَلْقِ السَّمَاءِ..

﴿بَنَاهَا ۝٢٧﴾ [النازعات: ٢٧] رَفَعَهَا، فَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ سَقْفًا.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝٢٨﴾ [النازعات: ٢٨].

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝٢٨﴾ [النازعات: ٢٨] فَسَوَّىٰ السَّمَاءَ، فَلَا شَيْءَ أَرْفَعُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا شَيْءَ أَخْفَضُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنْ جَمِيعُهَا مُسْتَوِي الِارْتِفَاعِ وَالِامْتِدَادِ.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٢٩﴾ [النازعات: ٢٩].

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ وَأَظْلَمَ لَيْلَ السَّمَاءِ، فَأَضَافَ اللَّيْلَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، لِأَنَّ اللَّيْلَ غُرُوبُ الشَّمْسِ، وَغُرُوبُهَا وَطُلُوعُهَا فِيهَا، فَأُضِيفَ إِلَيْهَا لَمَّا كَانَ فِيهَا، كَمَا قِيلَ نُجُومُ اللَّيْلِ، إِذْ كَانَ فِيهِ الطُّلُوعُ وَالْغُرُوبُ..

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٢٩﴾ [النازعات: ٢٩] وَأَخْرَجَ ضِيَاءَهَا، يَعْنِي: أَبْرَزَ نَهَارَهَا فَأَظْهَرَهُ، وَنَوَّرَ ضُحَاهَا.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝٣٠﴾ [النازعات: ٣٠].

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝٣٠﴾ [النازعات: ٣٠] دُحِيَتِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ خَلْقِ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْأَرْضَ بِأَقْوَاتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْحُوَهَا قَبْلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝٣١﴾ [النازعات: ٣١].

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ فَجَّرَ فِيهَا الْأَنْهَارَ..

﴿وَمَرْعَاهَا ۝٣١﴾ [النازعات: ٣١] أَنْبَتَ نَبَاتَهَا.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝٣٢﴾ [النازعات: ٣٢].

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝٣٢﴾ [النازعات: ٣٢] وَالْجِبَالَ أَثْبَتَهَا فِيهَا، وَفِي الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ اسْتَغْنَىٰ بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ، وَهُوَ فِيهَا، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا فِيهَا.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝٣٣﴾ [النازعات: ٣٣].

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝٣٣﴾ [النازعات: ٣٣] أَنَّهُ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَأَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، مَنْفَعَةً لَنَا، وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات: ٣٤].

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات: ٣٤] فَإِذَا جَاءَتِ الَّتِي تَطِمُّ عَلَىٰ كُلِّ هَائِلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ، فَتَغْمُرُ مَا سِوَاهَا بِعَظِيمِ هَوْلِهَا، وَقِيلَ: إِنَّهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات: ٣٥].

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات: ٣٥] إِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا عَمِلَ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَذَلِكَ سَعْيُهُ.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات: ٣٦].

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ وَأُظْهِرَتِ الْجَحِيمُ، وَهِيَ نَارُ اللهِ..

﴿لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات: ٣٦] لِمَنْ يَرَاهَا، يَقُولُ: لِأَبْصَارِ النَّاظِرِينَ

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النازعات: ٣٧].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النازعات: ٣٧] فَأَمَّا مَنْ عَتَا عَلَىٰ رَبِّهِ، وَعَصَاهُ وَاسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ [النازعات: ٣٨].

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ [النازعات: ٣٨] وَآثَرَ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَىٰ كَرَامَةِ الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ، فَعَمِلَ لِلدُّنْيَا، وَسَعَىٰ لَهَا، وَتَرَكَ الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٩].

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٩] فَإِنَّ نَارَ اللهِ الَّتِي اسْمُهَا الْجَحِيمُ، هِيَ مَنْزِلُهُ وَمَأْوَاهُ، وَمَصِيرُهُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات: ٤٠].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَسْأَلَةَ اللهِ إِيَّاهُ عِنْدَ وُقُوفِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاتَّقَاهُ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات: ٤٠] وَنَهَىٰ نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا فِيمَا يَكْرَهُهُ اللهُ، وَلَا يَرْضَاهُ مِنْهَا، فَزَجَرَهَا عَنْ ذَلِكَ، وَخَالَفَ هَوَاهَا إِلَىٰ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: ٤١].

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: ٤١] فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ مَأْوَاهُ وَمَنْزِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ٤٢﴾ [النازعات: ٤٢].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ٤٢﴾ [النازعات: ٤٢] يَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي تُبْعَثُ فِيهَا الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، مَتَىٰ قِيَامُهَا وَظُهُورُهَا؟

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣﴾ [النازعات: ٤٣].

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣﴾ [النازعات: ٤٣] يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣﴾ يَقُولُ: فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ السَّاعَةِ وَالْبَحْثِ عَنْ شَأْنِهَا، وَذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَ السَّاعَةِ، حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾ [النازعات: ٤٤].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾ [النازعات: ٤٤] إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ عِلْمِهَا، أَيْ إِلَيْهِ يَنْتَهِي عِلْمُ السَّاعَةِ، لَا يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِهَا غَيْرُهُ.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ٤٥﴾ [النازعات: ٤٥].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ٤٥﴾ [النازعات: ٤٥] إِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ مَبْعُوثٌ بِإِنْذَارِ السَّاعَةِ مَنْ يَخَافُ عِقَابَ اللهِ فِيهَا عَلَىٰ إِجْرَامِهِ، وَلَمْ تُكَلَّفْ عِلْمَ وَقْتِ قِيَامِهَا، يَقُولُ: فَدَعْ مَا لَمْ تُكَلَّفْ عِلْمَهُ، وَاعْمَلْ بِمَا أُمِرْتَ بِهِ، مِنْ إِنْذَارِ مَنْ أُمِرْتَ بِإِنْذَارِهِ.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النازعات: ٤٦].

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالسَّاعَةِ، يَوْمَ يَرَوْنَ أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ قَامَتْ، مِنْ عَظِيمِ هَوْلِهَا، لَمْ يَلْبَثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَشِيَّةَ يَوْمٍ، أَوْ ضُحَىٰ تِلْكَ الْعَشِيَّةِ؛ وَالْعَرَبُ تَقُولُ: آتِيكَ الْعَشِيَّةَ أَوْ غَدَاتَهَا، وَآتِيكَ الْغَدَاةَ أَوْ عَشِيَّتَهَا، فَيَجْعَلُونَ مَعْنَىٰ الْغَدَاةِ، بِمَعْنَىٰ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَالْعَشِيَّةُ: آخِرُ النَّهَارِ..

﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النازعات: ٤٦] إِنَّمَا مَعْنَاهَا إِلَّا آخِرَ يَوْمٍ أَوْ أَوَّلَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّازِعَاتِ

سُورَةُ عَبَسَ (٨٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ [عبس: ١].

﴿عَبَسَ﴾ قُبِضَ وَجْهُهُ تَكَرُّهًا..

﴿وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ [عبس: ١] وَأَعْرَضَ.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢﴾ [عبس: ٢].

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢﴾ [عبس: ٢] لِأَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ، وَذُكِرَ أَنَّ الْأَعْمَىٰ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هُوَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، عُوتِبَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَبَبِهِ، فَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (أُنْزِلَتْ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، قَالَتْ: أَتَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: أَرْشِدْنِي، قَالَتْ: وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَتْ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ، وَيَقُولُ: «أَتَرَىٰ بِمَا أَقُولُهُ بَأْسًا؟» فَيَقُولُ: لَا؛ فَفِي هَذَا أُنْزِلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾).

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣﴾ [عبس: ٣].

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣﴾ [عبس: ٣] وَمَا يُدْرِيكَ يَا مُحَمَّدُ، لَعَلَّ هَذَا الْأَعْمَىٰ الَّذِي عَبَسْتَ فِي وَجْهِهِ يَزَّكَّىٰ: يَقُولُ: يَتَطَهَّرُ مِنْ ذُنُوبِهِ.

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤﴾ [عبس: ٤].

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤﴾ [عبس: ٤] يَعْنِي يَعْتَبِرُ فَيَنْفَعُهُ الِاعْتِبَارُ وِالِاتِّعَاظُ.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥﴾ [عبس: ٥].

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥﴾ [عبس: ٥] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ بِمَالِهِ.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦﴾ [عبس: ٦].

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦﴾ [عبس: ٦] فَأَنْتَ لَهُ تَتَعَرَّضُ، رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ [عبس: ٧].

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ [عبس: ٧] وَأَيُّ شَيْءٍ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَتَطَهَّرَ مِنْ كُفْرِهِ فَيُسْلِمَ؟

﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾ [عبس: ٨].

﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾ [عبس: ٨] وَأَمَّا هَذَا الْأَعْمَىٰ الَّذِي جَاءَكَ سَعْيًا.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ [عبس: ٩].

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ [عبس: ٩] وَهُوَ يَخْشَىٰ اللهَ وَيَتَّقِيهِ.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس: ١٠].

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس: ١٠] فَأَنْتَ عَنْهُ تُعْرِضُ، وَتَشَاغَلُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ وَتَغَافَلُ.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ [عبس: ١١].

﴿كَلَّا﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا تَفْعَلُ يَا مُحَمَّدُ، مِنْ أَنْ تَعْبَسَ فِي وَجْهِ مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ، وَتَتَصَدَّىٰ لِمَنِ اسْتَغْنَىٰ.

﴿إِنَّهَا﴾ إِنَّ هَذِهِ الْعِظَةَ وَهَذِهِ السُّورَةَ..

﴿تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ [عبس: ١١] عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ.

﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢﴾ [عبس: ١٢].

﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢﴾ [عبس: ١٢] فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِ اللهِ ذَكَرَهُ، يَقُولُ: ذَكَرَ تَنْزِيلَ اللهِ وَوَحْيَهُ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ إِنَّهَا لِلسُّورَةِ، وَفِي قَوْلِهِ ذَكَرَهُ لِلتَّنْزِيلِ وَالْوَحْيِ.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣﴾ [عبس: ١٣].

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣﴾ [عبس: ١٣] إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ [عبس: ١٤] .

﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ [عبس: ١٤].

﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ [عبس: ١٤] يَعْنِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الْمَرْفُوعُ الْمُطَهَّرُ عِنْدَ اللهِ.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ [عبس: ١٥].

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ [عبس: ١٥] الصُّحُفُ الْمُكَرَّمَةُ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، جَمْعُ سَافِرٍ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

الَّذِينَ يَسْفِرُونَ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ بِالْوَحْيِ، وَسَفِيرُ الْقَوْمِ: الَّذِي يَسْعَىٰ بَيْنَهُمْ بِالصُّلْحِ، يُقَالُ: سَفَرْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ: إِذَا أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ، وَإِذَا وُجِّهَ التَّأْوِيلِ إِلَىٰ مَا قُلْنَا، احْتَمَلَ الْوَجْهُ الَّذِي قَالَهُ الْقَائِلُونَ هُمُ الْكَتَبَةُ، وَالَّذِي قَالَهُ الْقَائِلُونَ هُمُ الْقُرَّاءُ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ هِيَ الَّتِي تَقْرَأُ الْكُتُبَ، وَتَسْفِرُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ رُسُلِهِ.

﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [عبس: ١٦].

﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [عبس: ١٦] وَالْبَرَرَةُ: جَمْعُ بَارٍّ.

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ [عبس: ١٧].

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ لُعِنَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ..

﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ [عبس: ١٧] فيه وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: التَّعَجُّبُ مِنْ كُفْرِهِ، مَعَ إِحْسَانِ اللهِ إِلَيْهِ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُ، وَالْآخَرُ: مَا الَّذِي أَكْفَرَهُ، أَيْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْفَرَهُ؟

﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨﴾ [عبس: ١٨].

﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨﴾ [عبس: ١٨] مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ رَبُّهُ حَتَّىٰ يَتَكَبَّرَ، وَيَتَعَظَّمَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِي مِنْهُ خَلَقَهُ، فَقَالَ.

﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩﴾ [عبس: ١٩].

﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩﴾ [عبس: ١٩] أَحْوَالًا: نُطْفَةً تَارَةً، ثُمَّ عَلَقَةً أُخْرَىٰ، ثُمَّ مُضْغَةً، إِلَىٰ أَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ أَحْوَالُهُ، وَهُوَ فِي رَحِمِ أُمِّهِ.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾ [عبس: ٢٠].

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾ [عبس: ٢٠] ثُمَّ الطَّرِيقَ، وَهُوَ الْخُرُوجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَسَّرَهُ.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١﴾ [عبس: ٢١].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١﴾ [عبس: ٢١] ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ، فَأَمَاتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [عبس: ٢٢].

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [عبس: ٢٢] بَعْدَ مَمَاتِهِ وَأَحْيَاهُ.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ [عبس: ٢٣].

﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ عَلَيْهِ، فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ..
﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ [عبس: ٢٣] لَمْ يُؤَدِّ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ رَبُّهُ.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤﴾ [عبس: ٢٤].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤﴾ [عبس: ٢٤] فَلْيَنْظُرْ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ الْمُنْكِرُ تَوْحِيدَ اللهِ إِلَىٰ طَعَامِهِ كَيْفَ دَبَّرَهُ؟

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥﴾ [عبس: ٢٥].

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥﴾ [عبس: ٢٥] فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ إِنْزَالًا، وَصَبَبْنَاهُ عَلَيْهَا صَبًّا

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦﴾ [عبس: ٢٦].

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦﴾ [عبس: ٢٦] ثُمَّ فَتَقْنَا الْأَرْضَ، فَصَدَعْنَاهَا بِالنَّبَاتِ.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧﴾ [عبس: ٢٧].

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧﴾ [عبس: ٢٧] يَعْنِي حَبَّ الزَّرْعِ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَخْرَجَتْهُ الْأَرْضُ مِنَ الْحُبُوبِ، كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨﴾ [عبس: ٢٨].

﴿وَعِنَبًا﴾ وَكَرْمَ عِنَبٍ..
﴿وَقَضْبًا ۝٢٨﴾ [عبس: ٢٨] الرَّطْبَةَ، وَأَهْلُ مَكَّةَ يُسَمُّونَ الْقَتَّ الْقَضْبَ.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩﴾ [عبس: ٢٩].

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩﴾ [عبس: ٢٩] الزَّيْتُونِ الَّذِي مِنْهُ الزَّيْتُ، وَنَخْلًا.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠﴾ [عبس: ٣٠].

﴿وَحَدَآئِقَ﴾ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْحَدِيقَةَ الْبُسْتَانُ الْمَحُوطُ عَلَيْهِ..
﴿غُلْبًا ۝٣٠﴾ [عبس: ٣٠] غِلَاظًا.

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عبس: ٣١].

﴿وَفَٰكِهَةً﴾ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ مِنْ ثِمَارِ الْأَشْجَارِ..
﴿وَأَبًّا ٣١﴾ [عبس: ٣١] مَا تَأْكُلُهُ الْبَهَائِمُ مِنَ الْعُشْبِ وَالنَّبَاتِ.

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ٣٢﴾ [عبس:٣٢].

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ﴾ أَنْبَتْنَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَأْكُلُهَا بَنُو آدَمَ مَتَاعًا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَمَنْفَعَةً تَتَمَتَّعُونَ بِهَا وَتَنْتَفِعُونَ..
﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ٣٢﴾ [عبس:٣٢] وَالَّتِي يَأْكُلُهَا الْأَنْعَامُ لِأَنْعَامِكُمْ، وَأَصْلُ الْأَنْعَامِ الْإِبِلُ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ رَاعِيَةٍ.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾ [عبس: ٣٣].

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾ [عبس: ٣٣] ذُكِرَ أَنَّهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ، وَأَحْسَبُهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: صَاخَ فُلَانٌ لِصَوْتِ فُلَانٍ: إِذَا اسْتَمَعَ لَهُ.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤﴾ [عبس: ٣٤].

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤﴾ [عبس: ٣٤] فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي يَفِرُّ فِيهِ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ يَفِرُّ عَنْ أَخِيهِ.

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥﴾ [عبس: ٣٥].

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥﴾ [عبس: ٣٥]

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦﴾ [عبس: ٣٦].

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ يَعْنِي زَوْجَتَهُ الَّتِي كَانَتْ زَوْجَتَهُ فِي الدُّنْيَا..
﴿وَبَنِيهِ ٣٦﴾ [عبس: ٣٦] حَذَرًا مِنْ مَطَالَبَتِهِمْ إِيَّاهُ، بِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ التَّبِعَاتِ وَالْمَظَالِمِ.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٧].

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾ يَعْنِي مِنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَسَائِرِ مَنْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..
﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..
﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٧] أَمْرٌ يُغْنِيهِ، وَيَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنِ غَيْرِهِ.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨﴾ [عبس: ٣٨].

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨﴾ [عبس: ٣٨] وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِقَةٌ مُضِيئَةٌ، وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾ [عبس: ٣٩].

﴿ضَاحِكَةٞ﴾ مِنَ السُّرُورِ بِمَا أَعْطَاهَا اللهُ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ..

﴿مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾ [عبس: ٣٩] لِمَا تَرْجُو مِنَ الزِّيَادَةِ.

﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠﴾ [عبس: ٤٠].

﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠﴾ [عبس: ٤٠] وَوُجُوهٌ وَهِيَ وُجُوهُ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ.. ذُكِرَ أَنَّ الْبَهَائِمَ الَّتِي يُصَيِّرُهَا اللهُ تُرَابًا يَوْمَئِذٍ بَعْدَ الْقَضَاءِ بَيْنَهَا، يُحَوَّلُ ذَلِكَ التُّرَابُ غَبَرَةً فِي وُجُوهِ أَهْلِ الْكُفْرِ.

﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١﴾ [عبس: ٤١].

﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١﴾ [عبس: ٤١] يَغْشَى تِلْكَ الْوُجُوهَ قَتَرَةٌ، وَهِيَ الْغَبَرَةُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢﴾ [عبس: ٤٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ﴾ بِاللهِ، كَانُوا فِي الدُّنْيَا..

﴿ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢﴾ [عبس: ٤٢] فِي دِينِهِمْ، لَا يُبَالُونَ مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَرَكِبُوا مِنْ مَحَارِمِهِ، فَجَزَاهُمُ اللهُ بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ مَا أَخْبَرَ بِهِ عِبَادَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ عَبَسَ



سُورَةُ التَّكْوِيرِ (٨١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ [التكوير: ١].

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ [التكوير: ١] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِذَا الشَّمْسُ ذَهَبَ ضَوْءُهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: رُمِيَ بِهَا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنْ يُقَالَ ﴿كُوِّرَتْ ①﴾ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَالتَّكْوِيرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: جَمْعُ بَعْضِ الشَّيْءِ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَذَلِكَ كَتَكْوِيرِ الْعِمَامَةِ، وَهُوَ لَفُّهَا عَلَىٰ الرَّأْسِ، وَكَتَكْوِيرِ الْكَارِهِ، وَهِيَ جَمْعُ الثِّيَابِ بَعْضِهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَلَفُّهَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ إِنَّمَا مَعْنَاهُ: جَمْعُ بَعْضِهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فَرُمِيَ بِهَا، وَإِذَا فُعِلَ ذَلِكَ بِهَا ذَهَبَ ضَوْءُهَا، فَعَلَىٰ التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلْنَاهُ لِكِلَا الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْتُ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَجْهٌ صَحِيحٌ، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذَا كُوِّرَتْ وَرُمِيَ بِهَا، ذَهَبَ ضَوْءُهَا.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ②﴾ [التكوير: ٢].

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ②﴾ [التكوير: ٢] وَإِذَا النُّجُومُ تَنَاثَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَتَسَاقَطَتْ، وَأَصْلُ الِانْكِدَارِ: الِانْصِبَابُ.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ [التكوير: ٣].

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ [التكوير: ٣] وَإِذَا الْجِبَالُ سَيَّرَهَا اللهُ، فَكَانَتْ سَرَابًا، وَهَبَاءً مُنْبَثًّا.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④﴾ [التكوير: ٤].

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④﴾ [التكوير: ٤] وَالْعِشَارُ: جَمْعُ عُشَرَاءَ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ أَتَىٰ عَلَيْهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ مِنْ حَمْلِهَا، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَإِذَا هَذِهِ الْحَوَامِلُ الَّتِي يَتَنَافَسُ أَهْلُهَا فِيهَا أُهْمِلَتْ فَتُرِكَتْ، مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ النَّازِلِ بِهِمْ، فَكَيْفَ بِغَيْرِهَا.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤﴾ [التكوير: ٥].

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤﴾ [التكوير: ٥] جُمِعَتْ، فَأُمِيتَتْ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾

[ص: ١٩]، يَعْنِي: مَجْمُوعَةً، وَقَوْلُهُ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣﴾ [النازعات: ٢٣]، وَإِنَّمَا يُحْمَلُ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ عَلَىٰ الْأَغْلَبِ الظَّاهِرِ مِنْ تَأْوِيلِهِ، لَا عَلَىٰ الْأَنْكَرِ الْمَجْهُولِ.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦].

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] مُلِئَتْ حَتَّىٰ فَاضَتْ، فَانْفَجَرَتْ وَسَالَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير: ٧].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير: ٧] أُلْحِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِشَكْلِهِ، وَقُرِنَ بَيْنَ الضُّرَبَاءِ وَالْأَمْثَالِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وَذَلِكَ لَا شَكَّ الْأَمْثَالُ وَالْأَشْكَالُ، فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ بِالْقُرَنَاءِ وَالْأَمْثَالِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ [التكوير: ٨].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ [التكوير: ٨] سُئِلَتِ الْمَوْءُودَةُ.. وَقَدْ يَتَوَجَّهُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ يَكُونَ: وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ قَتَلَتَهَا وَوَائِدُوهَا، بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلُوهَا؟ ثُمَّ رُدَّ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَقِيلَ: بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ.

﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: ٩].

﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: ٩] كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمُ ابْنَتَهُ، وَيَغْذُو كَلْبَهُ، فَعَابَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠].

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠] وَإِذَا صُحُفُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ نُشِرَتْ لَهُمْ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَطْوِيَّةً عَلَىٰ مَا فِيهَا مَكْتُوبٌ، مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ [التكوير: ١١].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ [التكوير: ١١] وَإِذَا السَّمَاءُ نُزِعَتْ وَجُذِبَتْ، ثُمَّ طُوِيَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [التكوير: ١٢].

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [التكوير: ١٢] وَإِذَا الْجَحِيمُ أُوقِدَ عَلَيْهَا فَأُحْمِيَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ [التكوير: ١٣].

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ [التكوير: ١٣] وَإِذَا الْجَنَّةُ قُرِّبَتْ وَأُدْنِيَتْ.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير: ١٤].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير: ١٤] عَلِمَتْ نَفْسٌ عِنْدَ ذَلِكَ مَا أَحْضَرَتْ مِنْ خَيْرٍ، فَتَصِيرُ بِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، أَوْ شَرٍّ فَتَصِيرُ بِهِ إِلَىٰ النَّارِ، يَقُولُ: يَتَبَيَّنُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا كَانَ جَاهِلًا بِهِ، وَمَا الَّذِي كَانَ فِيهِ صَلَاحُهُ مِنْ غَيْرِهِ.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير: ١٥- ١٦].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير: ١٥- ١٦] قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ النُّجُومُ الدَّرَارِيُّ الْخَمْسَةُ، تَخْنِسُ فِي مُجْرَاهَا فَتَرْجِعُ، وَتَكْنِسُ فَتَسْتَتِرُ فِي بُيُوتِهَا، كَمَا تَكْنِسُ الظِّبَاءُ فِي الْمُغَارِ، وَالنُّجُومُ الْخَمْسَةُ: بَهْرَامُ، وَزُحَلُ، وَعُطَارِدُ، وَالزُّهَرَةُ، وَالْمُشْتَرِي.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ بَقَرُ الْوَحْشِ الَّتِي تَكْنِسُ فِي كِنَاسِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الظِّبَاءُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِأَشْيَاءَ تَخْنِسُ أَحْيَانًا، أَيْ تَغِيبُ، وَتَجْرِي أَحْيَانًا وَتَكْنِسُ أُخْرَىٰ، وَكُنُوسُهَا: أَنْ تَأْوِيَ فِي مَكَانِسِهَا، وَالْمَكَانِسُ عِنْدَ الْعَرَبِ، هِيَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا بَقَرُ الْوَحْشِ وَالظِّبَاءِ، وَاحِدُهَا مَكْنِسٌ وَكِنَاسٌ، وَغَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يُسْتَعَارَ ذَلِكَ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا النُّجُومُ مِنَ السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ النُّجُومُ دُونَ الْبَقَرِ، وَلَا الْبَقَرُ دُونَ الظِّبَاءِ، فَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّ بِذَلِكَ كُلَّ مَا كَانَتْ صِفَتُهُ الْخُنُوسَ أَحْيَانًا، وَالْجَرْيَ أُخْرَىٰ، وَالْكُنُوسُ بِآنَاتٍ، عَلَىٰ مَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ صِفَتِهَا.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧﴾ [التكوير: ١٧].

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧﴾ [التكوير: ١٧] أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: عَسْعَسَ اللَّيْلُ، وَسَعْسَعَ اللَّيْلُ: إِذَا أَدْبَرَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْيَسِيرُ.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: ١٨].

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: ١٨] وَضَوْءِ النَّهَارِ إِذَا أَقْبَلَ وَتَبَيَّنَ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾ [التكوير: ١٩].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩﴾ [التكوير: ١٩] لَتَنْزِيلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، يَعْنِي جِبْرِيلَ، نَزَّلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠﴾ [التكوير: ٢٠].

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ يَعْنِي: جَبْرَائِيلَ عَلَىٰ مَا كُلِّفَ مِنْ أَمْرٍ غَيْرَ عَاجِزٍ..

﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠﴾ [التكوير: ٢٠] هُوَ مَكِينٌ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١﴾ [التكوير: ٢١].

﴿مُطَاعٍ﴾ يَعْنِي جِبْرِيلَ ﷺ، مُطَاعٍ فِي السَّمَاءِ تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿ثَمَّ أَمِينٍ ٢١﴾ [التكوير: ٢١] أَمِينٌ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ وَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ٢٢﴾ [التكوير: ٢٢].

﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مُحَمَّدٌ..

﴿بِمَجْنُونٍ ٢٢﴾ [التكوير: ٢٢] فَيَتَكَلَّمُ عَنْ جِنَّةٍ، وَيَهْذِي هَذَيَانَ الْمَجَانِينِ، بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ، وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ٢٣﴾ [التكوير: ٢٣].

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ وَلَقَدْ رَأَىٰ مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ ﷺ فِي صُورَتِهِ..

﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ٢٣﴾ [التكوير: ٢٣] بِالنَّاحِيَةِ الَّتِي تُبَيِّنُ الْأَشْيَاءَ، فَتُرَىٰ مِنْ قِبَلِهَا، وَذَلِكَ مِنْ نَاحِيَةِ مَطْلَعِ الشَّمْسِ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤﴾ [التكوير: ٢٤].

﴿وَمَا هُوَ﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ..

﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ عَلَىٰ مَا عَلَّمَهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ..

﴿بِضَنِينٍ ٢٤﴾ [التكوير: ٢٤] بِبَخِيلٍ بِتَعْلِيمِكُمُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ، بَلْ هُوَ حَرِيصٌ عَلَىٰ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَعَلَّمُوهُ.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥﴾ [التكوير: ٢٥].

﴿وَمَا هُوَ﴾ وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥﴾ [التكوير: ٢٥] بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَلْعُونٍ مَطْرُودٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ وَوَحْيُهُ.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦﴾ [التكوير: ٢٦].

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦﴾ [التكوير: ٢٦] عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَتَعْدِلُونَ عَنْهُ؟

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧﴾ [التكوير: ٢٧].

﴿إِنْ هُوَ﴾ إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧﴾ [التكوير: ٢٧] إِلَّا تَذْكِرَةٌ وَعِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير: ٢٨].

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير: ٢٨] إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ فَيَتَّبِعَهُ، وَيُؤْمِنَ بِهِ.. فَجَعَلَ ذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، ذِكْرًا لِمَنْ شَاءَ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ذِكْرًا لِجَمِيعِهِمْ.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩].

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ الِاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ الْحَقِّ..

﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ذَلِكَ لَكُمْ

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّكْوِيرِ



سُورَةُ الانفِطَارِ (٨٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ①﴾ [الانفطار: ١].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ①﴾ [الانفطار: ١] انْشَقَّتْ .

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ②﴾ [الانفطار: ٢].

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ②﴾ [الانفطار: ٢] مِنْهَا فتَسَاقَطَتْ.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③﴾ [الانفطار: ٣].

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③﴾ [الانفطار: ٣] فَجَّرَ اللهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، فَمَلأَ جَمِيعَهَا.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④﴾ [الانفطار: ٤].

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④﴾ [الانفطار: ٤] وَإِذَا الْقُبُورُ أُثِيرَتْ، فَاسْتُخْرِجَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ أَحْيَاءً.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤﴾ [الانفطار: ٥].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ عَلِمَتْ كُلُّ نَفسٍ مَا قَدَّمَتْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَنْفَعُهُ..
﴿وَأَخَّرَتْ ⑤﴾ [الانفطار: ٥] وَرَاءَهُ مِنْ شَيْءٍ سَنَّهُ فَعُمِلَ بِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥﴾ [الانفطار: ٦].

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ الْكَافِرُ..

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥﴾ [الانفطار: ٦] أَيُّ شَيْءٍ غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟ غَرَّ الْإِنْسَانَ بِهِ عَدُوُّهُ الْمُسَلَّطُ عَلَيْهِ.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦﴾ [الانفطار: ٧].

﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ أَيُّهَا الإِنْسَانُ..

﴿فَسَوَّاكَ﴾ فَسَوَّىٰ خَلْقَكَ..

﴿فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: ٧] صَرَفَكَ، وَأَمَالَكَ إِلَىٰ أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ، إِمَّا إِلَىٰ صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَإِمَّا إِلَىٰ صُورَةٍ قَبِيحَةٍ، أَوْ إِلَىٰ صُورَةِ بَعْضِ قَرَابَاتِهِ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ: (فَعَدَّلَكَ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ.. وَكَأَنَّ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالتَّشْدِيدِ، وَجَّهَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ أَنَّهُ جَعَلَكَ مُعْتَدِلًا مُعَدَّلَ الْخَلْقِ مُقَوَّمًا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، صَحِيحَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، غَيْرَ أَنَّ أَعْجَبَهُمَا إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ بِهِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالتَّشْدِيدِ؛ لِأَنَّ دُخُولَ (فِي) لِلتَّعْدِيلِ أَحْسَنُ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْ دُخُولِهَا لِلْعَدْلِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّكَ تَقُولُ: عَدَّلْتُكَ فِي كَذَا، وَصَرَّفْتُكَ إِلَيْهِ، وَلَا تَكَادُ تَقُولُ: عَدَلْتُكَ إِلَىٰ كَذَا وَصَرَفْتُكَ فِيهِ، فَلِذَلِكَ اخْتَرْتُ التَّشْدِيدَ.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨].

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ﴾ فِي أَيِّ شَبَهٍ: أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ خَالٍ أَوْ عَمٍّ..

﴿مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨] إِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ قِرْدٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ خِنْزِيرٍ.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ [الانفطار: ٩].

﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ كَمَا تَقُولُونَ، مِنْ أَنَّكُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرَ اللهِ..

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ [الانفطار: ٩] وَلَكِنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ؛ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفطار: ١٠].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفطار: ١٠] وَإِنَّ عَلَيْكُمْ رُقَبَاءَ حَافِظِيْنَ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَيُحْصُونَهَا عَلَيْكُمْ.

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار: ١١].

﴿كِرَامًا﴾ عَلَىٰ اللهِ كَاتِبِينَ..

﴿كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار: ١١] يَكْتُبُونَ أَعْمَالَكُمْ.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٢].

﴿يَعْلَمُونَ﴾ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْحَافِظُونَ..

﴿مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٢] مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، يُحْصُونَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ بَرُّوا بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿لَفِى نَعِيمٍ ١٣﴾ [الانفطار: ١٣] الْجِنَّانِ يُنَعَّمُونَ فِيهَا.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ١٤﴾ [الانفطار: ١٤].

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ١٤﴾ [الانفطار: ١٤] وَإِنَّ الْفُجَّارَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ لَفِي جَحِيمٍ.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾ [الانفطار: ١٥].

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يُصْلَىٰ هَؤُلَاءِ الْفُجَّارُ الْجَحِيمَ..

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾ [الانفطار: ١٥] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يُدَانُ الْعِبَادُ بِالْأَعْمَالِ، فَيُجَازَوْنَ بِهَا.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾ [الانفطار: ١٦].

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾ [الانفطار: ١٦] وَمَا هَؤُلَاءِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ بِخَارِجِينَ أَبَدًا فَغَائِبِينَ عَنْهَا، وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا مُخَلَّدُونَ مَاكِثُونَ، وَكَذَلِكَ الْأَبْرَارُ فِي النَّعِيمِ، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر: ٤٨].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٧﴾ [الانفطار: ١٧].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٧﴾ [الانفطار: ١٧] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَمَا أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ، أَيْ وَمَا أَشْعَرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ؟ يَقُولُ: أَيُّ شَيْءٍ يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْمُجَازَاةِ، مُعَظِّمًا شَأْنَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ، بِقِيلِهِ ذَلِكَ.

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾ [الانفطار: ١٨].

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾ [الانفطار: ١٨] ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ أَيُّ شَيْءٍ يَوْمُ الْمُجَازَاةِ وَالْحِسَابِ يَا مُحَمَّدُ، تَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ. ثُمَّ فَسَّرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْضَ شَأْنِهِ فَقَالَ..

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: ١٩].

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ، يَقُولُ: يَوْمَ لَا تُغْنِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، فَتَدْفَعُ عَنْهَا بَلِيَّةً نَزَلَتْ بِهَا، وَلَا تَنْفَعُهَا بِنَافِعَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا تَحْمِيهَا، وَتَدْفَعُ عَنْهَا مَنْ بَغَاهَا سُوءًا، فَبَطَلَ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ..

﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: ١٩] لِأَنَّ الْأَمْرَ صَارَ لِلهِ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَاضْمَحَلَّتْ هُنَالِكَ الْمَمَالِكُ، وَذَهَبَتِ الرِّيَاسَاتُ، وَحَصَلَ الْمُلْكُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الِانْفِطَارِ

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ (٨٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَثَلَاثُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ①﴾ [المطففين: ١].

﴿وَيْلٌ﴾ الْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ فِي أَسْفَلِهَا..

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ ①﴾ [المطففين: ١] لِلَّذِينَ يُطَفِّفُونَ، يَعْنِي: لِلَّذِينَ يَنْقُصُونَ النَّاسَ، وَيَبْخَسُونَهُمْ حُقُوقَهُمْ فِي مَكَايِيلِهِمْ إِذَا كَالُوهُمْ، أَوْ مَوَازِينِهِمْ إِذَا وَزَنُوا لَهُمْ عَنِ الْوَاجِبِ لَهُمْ مِنَ الْوَفَاءِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْءِ الطَّفِيفِ، وَهُوَ الْقَلِيلُ النَّزْرُ.

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ②﴾ [المطففين: ٢].

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ مَا لَهُمْ قِبَلَهُمْ مِنْ حَقٍّ..

﴿يَسْتَوْفُونَ ②﴾ [المطففين: ٢] لِأَنْفُسِهِمْ فَيَكْتَالُونَهُ مِنْهُمْ وَافِيًا؛ وَعَلَىٰ وَمَنْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَتَعَاقَبَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: اكْتَلْتُ مِنْكَ، يُرَادُ: اسْتَوْفَيْتُ مِنْكَ.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③﴾ [المطففين: ٣].

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ وَإِذَا هُمْ كَالُوا لِلنَّاسِ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ..

﴿يُخْسِرُونَ ③﴾ [المطففين: ٣] يَنْقُصُونَهُمْ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ④﴾ [المطففين: ٤].

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ④﴾ [المطففين: ٤] أَلَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْمُطَفِّفُونَ النَّاسَ فِي مَكَايِيلِهِمْ وَمَوَازِينِهِمْ، أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمِ.

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤﴾ [المطففين: ٥].

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤﴾ [المطففين: ٥] شَأْنُهُ، هَائِلٍ أَمْرُهُ، فَظِيعٍ هَوْلُهُ.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥﴾ [المطففين: ٦].

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ؟

﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦] حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَغِيبُ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ نِصْفِ أُذُنَيْهِ.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧].

﴿كَلَّآ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ، أَنَّهُمْ غَيْرُ مَبْعُوثِينَ وَلَا مُعَذَّبِينَ..
﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ إِنَّ كِتَابَهُمُ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا..
﴿لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧] وَهِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلَىٰ.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ [المطففين: ٨].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ [المطففين: ٨] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ، أَيُّ شَيْءٍ ذَلِكَ الْكِتَابُ.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين: ٩].

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين: ٩] وَعُنِيَ بِالْمَرْقُومِ: الْمَكْتُوبُ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠﴾ [المطففين: ١٠].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠﴾ [المطففين: ١٠] بِهَذِهِ الْآيَاتِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١﴾ [المطففين: ١١].

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١﴾ [المطففين: ١١] الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْمُجَازَاةِ.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ [المطففين: ١٢].

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ..
﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ اعْتَدَىٰ عَلَىٰ اللهِ فِي قَوْلِهِ، فَخَالَفَ أَمْرَهُ..
﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ [المطففين: ١٢] بِرَبِّهِ.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [المطففين: ١٣].

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ حُجَجُنَا وَأَدِلَّتُنَا الَّتِي بَيَّنَّاهَا فِي كِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..
﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [المطففين: ١٣] قَالَ: هَذَا مَا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ فَكَتَبُوهُ، مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤].

﴿كَلَّا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ: كَلَّا، مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] وَلَكِنَّهُ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، يَقُولُ: غَلَبَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَغَمَرَهَا، وَأَحَاطَتْ بِهَا الذُّنُوبُ فَغَطَّتْهَا.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

﴿كَلَّا﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، مِنْ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ زُلْفَةً..

﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] إِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنْ رَبِّهِمْ لَمَحْجُوبُونَ، فَلَا يَرَوْنَهُ، وَلَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ كَرَامَتِهِ يَصِلُ إِلَيْهِمْ.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٦].

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٦] ثُمَّ إِنَّهُمْ لَوَارِدُو الْجَحِيمِ، فَمَشْوِيُّونَ فِيهَا.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٧].

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ..

﴿هَٰذَا﴾ الْعَذَابُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ الْيَوْمَ..

﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٧] هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تُخْبَرُونَ أَنَّكُمْ ذَائِقُوهُ، فَتُكَذِّبُونَ بِهِ، وَتُنْكِرُونَهُ، فَذُوقُوهُ الْآنَ، فَقَدْ صَلَيْتُمْ بِهِ

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ١٨].

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ وَالْأَبْرَارُ: جَمْعُ بَرٍّ، وَهُمُ الَّذِينَ بَرُّوا اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ..

﴿لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ١٨] الْعِلِّيُّونَ: جَمْعٌ، مَعْنَاهُ: شَيْءٌ فَوْقَ شَيْءٍ، وَعُلُوٌّ فَوْقَ عُلُوٍّ، وَارْتِفَاعٌ بَعْدَ ارْتِفَاعٍ، فَلِذَلِكَ جُمِعَتْ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، كَجَمْعِ الرِّجَالِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بِنَاءٌ مِنْ وَاحِدِهِ وَاثْنَيْهِ، كَمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: أَطْعِمْنَا مَرَقَةَ مَرَقِينَ: يَعْنِي اللَّحْمَ الْمَطْبُوخَ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ فِي كُلِّ جَمْعٍ لَمْ يَكُنْ بِنَاءٌ لَهُ مِنْ وَاحِدِهِ وَاثْنَيْهِ، فَجَمْعَهُ فِي جَمِيعِ الْإِنَاثِ، وَالذُّكْرَانِ بِالنُّونِ عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: عِشْرُونَ وَثَلَاثُونَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَالَّذِي ذَكَرْنَا، فَبَيِّنٌ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ مَعْنَاهُ: فِي عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ، فِي سَمَاءٍ فَوْقَ سَمَاءٍ، وَعُلُوٍّ فَوْقَ عُلُوٍّ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَإِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَإِلَىٰ قَائِمَةِ الْعَرْشِ، وَلَا خَبَرَ يَقْطَعُ

الْعُذْرَ بِأَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ بَعْضُ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ كِتَابَ أَعْمَالِ الْأَبْرَارِ لَفِي ارْتِفَاعٍ إِلَىٰ حَدٍّ قَدْ عَلِمَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ مُنْتَهَاهُ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَنَا بِغَايَتِهِ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْصُرُ عَنِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ [المطففين: ١٩].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ [المطففين: ١٩] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُعَجِّبُهُ مِنْ عِلِّيِّينَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا عِلِّيُّونَ؟

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ [المطففين: ٢٠].

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ [المطففين: ٢٠] مَكْتُوبٌ بِأَمَانٍ مِنَ اللهِ إِيَّاهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ.

﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١﴾ [المطففين: ٢١].

﴿يَشۡهَدُهُ﴾ يَشْهَدُ ذَلِكَ الْكِتَابَ الْمَكْتُوبَ بِأَمَانِ اللهِ لِلْبَرِّ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ النَّارِ، وَفَوْزِهِ بِالْجَنَّةِ..

﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١﴾ [المطففين: ٢١] مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ [المطففين: ٢٢].

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ الَّذِينَ بَرُّوا بِاتِّقَاءِ اللهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ..

﴿لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ [المطففين: ٢٢] دَائِمٍ، لَا يَزُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ نَعِيمُهُمْ فِي الْجِنَّانِ.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾ [المطففين: ٢٣].

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ عَلَىٰ السُّرُرِ فِي الْحِجَالِ، مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ..

﴿يَنظُرُونَ ٢٣﴾ [المطففين: ٢٣] إِلَىٰ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ، وَالْحَبْرَةِ فِي الْجِنَّانِ.

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ [المطففين: ٢٤].

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ﴾ تَعْرِفُ فِي الْأَبْرَارِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ..

﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ [المطففين: ٢٤] يَعْنِي حُسْنَهُ وَبَرِيقَهُ وَتَلَأْلُؤَهُ.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥﴾ [المطففين: ٢٥].

﴿يُسۡقَوۡنَ﴾ يُسْقَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ..

﴿مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾ [المطففين: ٢٥] مِنْ خَمْرٍ صِرْفٍ لَا غِشَّ فِيهَا.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين: ٢٦].

﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ آخِرُهُ وَعَاقِبَتُهُ..

﴿مِسْكٌ﴾ طَيِّبَةُ الرِّيحِ، فَإِنَّ رِيحَهَا فِي آخِرِ شُرْبِهِمْ يُخْتَمُ لَهَا بِرِيحِ الْمِسْكِ.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ وَفِي هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَعْطَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارَ فِي الْقِيَامَةِ..

﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين: ٢٦] وَالتَّنَافُسُ: أَنْ يَنْفِسَ الرَّجُلُ عَلَىٰ الرَّجُلِ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَهُ، وَيَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُ دُونَهُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّيْءِ النَّفِيسِ، وَهُوَ الَّذِي تَحْرِصُ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ، وَتَطْلُبُهُ وَتَشْتَهِيهِ، وَكَأَنَّ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ: فَلْيَجِدَّ النَّاسُ فِيهِ، وَإِلَيْهِ فَلْيَسْتَبِقُوا فِي طَلَبِهِ، وَلْتَحْرِصْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧﴾ [المطففين: ٢٧].

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ وَمِزَاجُ هَذَا الرَّحِيقِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ..

﴿مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧﴾ [المطففين: ٢٧] مِنْ مَاءٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَيَنْحَدِرُ عَلَيْهِمْ.. وَالتَّسْنِيمُ: التَّفْعِيلُ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: سَنَّمْتُهُمُ الْعَيْنَ تَسْنِيمًا: إِذَا أَجْرَيْتَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: ٢٨].

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: ٢٨] وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ، فَيَشْرَبُونَهَا صِرْفًا.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: (**يَشْرَبُهُ الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَيُمْزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ**).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩﴾ [المطففين: ٢٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ إِنَّ الَّذِينَ اكْتَسَبُوا الْمَآثِمَ، فَكَفَرُوا بِاللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كَانُوا فِيهَا مِنَ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَصَدَّقُوا بِهِ..

﴿يَضْحَكُونَ ۝٢٩﴾ [المطففين: ٢٩] اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ بِهِمْ.

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾ [المطففين: ٣٠].

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ﴾ وَكَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَجْرَمُوا إِذَا مَرَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ..

﴿يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾ [المطففين: ٣٠] كَانَ بَعْضُهُمْ يَغْمِزُ بَعْضًا بِالْمُؤْمِنِ، اسْتِهْزَاءً بِهِ وَسُخْرِيَةً.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ [المطففين: ٣١].

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾ وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ إِذَا انْصَرَفُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ مِنْ مَجَالِسِهِمْ.. ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ [المطففين: ٣١] انْصَرَفُوا نَاعِمِينَ مُعْجَبِينَ.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ [المطففين: ٣٢].

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾ وَإِذَا رَأَىٰ الْمُجْرِمُونَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ لَهُمْ..

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ [المطففين: ٣٢] عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَسَبِيلِ الْقَصْدِ.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣﴾ [المطففين: ٣٣].

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ وَمَا بُعِثَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْقَائِلُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ..

﴿حَٰفِظِينَ ٣٣﴾ [المطففين: ٣٣] عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، إِنَّمَا كُلِّفُوا الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ، وَلَمْ يُجْعَلُوا رُقَبَاءَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ يَحْفَظُونَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَيَتَفَقَّدُونَهَا.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾ [المطففين: ٣٤].

﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾ [المطففين: ٣٤] مِنَ الْكُفَّارِ فِيهَا يَضْحَكُونَ.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾ [المطففين: ٣٥].

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ عَلَىٰ سُرُرِهِمُ الَّتِي فِي الْحِجَالِ..

﴿يَنظُرُونَ ٣٥﴾ [المطففين: ٣٥] إِلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَالْكُفَّارُ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين: ٣٦].

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ﴾ هَلْ أُثِيبَ الْكُفَّارُ وَجُزُوا ثَوَابَ..

﴿مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين: ٣٦] مَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُخْرِيَتِهِمْ مِنْهُمْ، وَضَحِكِهِمْ بِهِمْ، بِضَحِكِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، وَهُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ

سُورَةُ الانْشِقَاقِ (٨٤)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ [الانشقاق: ١].

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ [الانشقاق: ١] إِذَا السَّمَاءُ تَصَدَّعَتْ وَتَقَطَّعَتْ فَكَانَتْ أَبْوَابًا.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢﴾ [الانشقاق: ٢].

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ وَسَمِعَتِ السَّمَوَاتُ فِي تَصَدُّعِهَا وَتَشَقُّقِهَا لِرَبِّهَا، وَأَطَاعَتْ لَهُ فِي أَمْرِهِ إِيَّاهَا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَذِنَ لَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِذْنًا بِمَعْنَىٰ: اسْتَمَعَ لَكَ، وَمِنْهُ الْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ» يَعْنِي بِذَلِكَ: مَا اسْتَمَعَ اللهُ لِشَيْءٍ كَاسْتِمَاعِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ..

﴿وَحُقَّتۡ ٢﴾ [الانشقاق: ٢] وَحَقَّقَ اللهُ عَلَيْهَا الِاسْتِمَاعَ بِالِانْشِقَاقِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣﴾ [الانشقاق: ٣].

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣﴾ [الانشقاق: ٣] وَإِذَا الْأَرْضُ بُسِطَتْ، فَزِيدَ فِي سَعَتِهَا.

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤﴾ [الانشقاق: ٤].

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ وَأَلْقَتِ الْأَرْضُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ إِلَىٰ ظَهْرِهَا..

﴿وَتَخَلَّتۡ ٤﴾ [الانشقاق: ٤] مِنْهُمْ إِلَىٰ اللهِ.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥﴾ [الانشقاق: ٥].

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ وَسَمِعَتِ الْأَرْضُ فِي إِلْقَائِهَا مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ إِلَىٰ ظَهْرِهَا أَحْيَاءً، أَمْرَ رَبِّهَا وَأَطَاعَتْ..

﴿وَحُقَّتۡ ٥﴾ [الانشقاق: ٥] وَحَقَّقَهَا اللهُ لِلِاسْتِمَاعِ لِأَمْرِهِ فِي ذَلِكَ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ عَامِلٌ إِلَىٰ رَبِّكَ عَمَلًا..

﴿فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق: ٦] بِهِ، خَيْرًا كَانَ عَمَلُكَ ذَلِكَ أَوْ شَرًّا، يَقُولُ: فَلْيَكُنْ عَمَلُكَ مِمَّا يُنْجِيكَ مِنْ سَخَطِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ رِضَاهُ، وَلَا يَكُنْ مِمَّا يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ فَتَهْلِكَ.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾ [الانشقاق: ٧].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَمِينِهِ.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨].

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨] بِأَنْ يُنْظَرَ فِي أَعْمَالِهِ، فَيُغْفَرَ لَهُ سَيِّئُهَا، وَيُجَازَىٰ عَلَىٰ حَسَنِهَا.

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: ٩].

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: ٩] وَيَنْصَرِفُ هَذَا الْمُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا إِلَىٰ أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ مَسْرُورًا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ [الانشقاق: ١٠].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ وَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَهُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ يَوْمَئِذٍ..

﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ [الانشقاق: ١٠] وَذَلِكَ أَنْ جَعَلَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ إِلَىٰ عُنُقِهِ، وَجَعَلَ الشِّمَالَ مِنْ يَدَيْهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَيَتَنَاوَلُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحْيَانًا، أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ، وَأَحْيَانًا أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَهَا مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١﴾ [الانشقاق: ١١].

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١﴾ [الانشقاق: ١١] فَسَوْفَ يُنَادِي بِالْهَلَاكِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاثُبُورَاهُ، وَاوَيْلَاهُ.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ١٢].

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ١٢] يَصْلَوْنَهَا وَيَرِدُونَهَا، فَيَحْتَرِقُونَ فِيهَا..وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ: (وَيُصَلَّىٰ) بِضَمِّ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّ اللهَ يُصْلِيهِمْ تَصْلِيَةً بَعْدَ تَصْلِيَةٍ، وَإِنْضَاجَةً بَعْدَ إِنْضَاجَةٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣﴾ [الانشقاق: ١٣].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿مَسْرُورًا ۝١٣﴾ [الانشقاق: ١٣] لَمَا فِيهِ مِنْ خِلَافِهِ أَمْرَ اللهِ، وَرُكُوبِهِ مَعَاصِيَهُ.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ [الانشقاق: ١٤].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿ظَنَّ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ [الانشقاق: ١٤] أَنْ لَنْ يَرْجِعَ إِلَيْنَا، وَلَنْ يُبْعَثَ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ يُبَالِي مَا رَكِبَ مِنَ الْمَآثِمِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرْجُو ثَوَابًا، وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَىٰ عِقَابًا.. يُقَالُ: حَارَ فُلَانٌ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِذَا رَجَعَ عَنْهُ، وَمِنْهُ الْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ**» يَعْنِي بِذَلِكَ: مِنَ الرُّجُوعِ إِلَىٰ الْكُفْرِ، بَعْدَ الْإِيمَانِ.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ [الانشقاق: ١٥].

﴿بَلَىٰٓ﴾ لَيَحُورَنَّ وَلَيَرْجِعَنَّ إِلَىٰ رَبِّهِ حَيًّا، كَمَا كَانَ قَبْلَ مَمَاتِهِ..

﴿إِنَّ رَبَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّ هَذَا الَّذِي ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ..

﴿كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ [الانشقاق: ١٥] إِذْ هُوَ فِي الدُّنْيَا، بِمَا كَانَ يَعْمَلُ فِيهَا مِنَ الْمَعَاصِي، وَمَا إِلَيْهِ يَصِيرُ أَمْرُهُ فِي الْآخِرَةِ، عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ [الانشقاق: ١٦].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ وَهَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ رَبُّنَا..

﴿بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ [الانشقاق: ١٦] وَالشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ فِي الْأُفُقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ مِنَ الشَّمْسِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ النَّهَارُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّفَقُ: هُوَ اسْمٌ لِلْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، وَقَالُوا: هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَقْسَمَ بِالنَّهَارِ مُدْبِرًا، وَاللَّيْلِ مُقْبِلًا.

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ [الانشقاق: ١٧].

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ [الانشقاق: ١٧] وَاللَّيْلِ وَمَا جَمَعَ، مِمَّا سَكَنَ وَهَدَأَ فِيهِ مِنْ ذِي رُوحٍ كَانَ يَطِيرُ، أَوْ يَدِبُّ نَهَارًا.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ [الانشقاق: ١٨].

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ [الانشقاق: ١٨] وَبِالْقَمَرِ إِذَا تَمَّ وَاسْتَوَىٰ.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩﴾ [الانشقاق: ١٩].

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩﴾ [الانشقاق: ١٩] بِالتَّاءِ، وَبِضَمِّ الْبَاءِ، عَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ لِلنَّاسِ كَافَّةً، أَنَّهُمْ يَرْكَبُونَ أَحْوَالَ الشِّدَّةِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ.. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ بِالْيَاءِ، وَبِضَمِّ الْبَاءِ، عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ النَّاسِ كَافَّةً، أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.. وَقَرَأَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابُهُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ: (لَتَرْكَبَنَّ) بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْبَاءِ، وَاخْتَلَفَ قَارِئُو ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَتَرْكَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ.. وَقَالَ آخَرُونَ مِمَّنْ قَرَأَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ عُنِيَ بِذَلِكَ: لَتَرْكَبَنَّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَتَرْكَبَنَّ الْآخِرَةَ بَعْدَ الْأُولَىٰ.. وَقَالَ آخَرُونَ مِمَّنْ قَرَأَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ: إِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّ السَّمَاءَ تَتَغَيَّرُ ضُرُوبًا مِنَ التَّغْيِيرِ، وَتُشَقُّ بِالْغَمَامِ مَرَّةً، وَتَحْمَرُّ أُخْرَىٰ، فَتَصِيرُ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ، وَتَكُونُ أُخْرَىٰ كَالْمُهْلِ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ وَبِفَتْحِ الْبَاءِ؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِنْ جَمِيعِهِمْ بِذَلِكَ وَرَدَ وَإِنْ كَانَ لِلْقِرَاءَاتِ الْأُخَرِ وُجُوهٌ مَفْهُومَةٌ.. وَإِذَا كَانَ الصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا، فَالصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: (لَتَرْكَبَنَّ) أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ.. وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُوَجَّهًا، جَمِيعُ النَّاسِ، أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ أَحْوَالًا.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: عُنِيَ بِذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا، أَنَّ الْكَلَامَ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩﴾ [الانشقاق: ١٩] جَرَىٰ بِخِطَابِ الْجَمِيعِ، وَكَذَلِكَ بَعْدَهُ، فَكَانَ أَشْبَهَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَظِيرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠﴾ [الانشقاق: ٢٠].

﴿فَمَا لَهُمْ﴾ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠﴾ [الانشقاق: ٢٠] لَا يُصَدِّقُونَ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَدْ أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِأَنَّهُمْ رَاكِبُونَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ، مَعَ مَا قَدْ عَايَنُوا مِنْ حُجَجِهِ بِحَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: ٢١].

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: ٢١] وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمْ كِتَابُ رَبِّهِمْ لَا

يَخْضَعُونَ وَلَا يَسْتَكِينُونَ؛ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ السُّجُودِ قَبْلُ بِشَوَاهِدِهِ، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ [الانشقاق: ٢٢].

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ [الانشقاق: ٢٢] بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ [الانشقاق: ٢٣].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ [الانشقاق: ٢٣] وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تُوعِيهِ صُدُورُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ التَّكْذِيبِ بِكِتَابِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾ [الانشقاق: ٢٤].

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ فَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ..

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾ [الانشقاق: ٢٤] لَهُمْ عِنْدَ اللهِ مُوجِعٍ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥﴾ [الانشقاق: ٢٥].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْهُمْ وَصَدَّقُوا، وَأَقَرُّوا بِتَوْحِيدِهِ، وَنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَأَدُّوا فَرَائِضَ اللهِ، وَاجْتَنَبُوا رُكُوبَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ رُكُوبَهُ..

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥﴾ [الانشقاق: ٢٥] لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثَوَابٌ غَيْرُ مَحْسُوبٍ وَلَا مَنْقُوصٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الِانْشِقَاقِ



سُورَةُ الْبُرُوجِ (٨٥)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ①﴾ [البروج: ١].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ①﴾ [البروج: ١] أَقْسَمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ مَنَازِلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبُرُوجَ جَمْعُ بُرْجٍ، وَهِيَ مَنَازِلُ تُتَّخَذُ عَالِيَةً عَنِ الْأَرْضِ مُرْتَفِعَةً، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، مَنَازِلُ مُرْتَفِعَةٌ عَالِيَةٌ فِي السَّمَاءِ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا، فَمَسِيرُ الْقَمَرِ فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنْهَا يَوْمَانِ وَثُلُثٌ، فَذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنْزِلًا، ثُمَّ يَسْتَسِرُ لَيْلَتَيْنِ، وَمَسِيرُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنْهَا شَهْرٌ.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ②﴾ [البروج: ٢].

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ②﴾ [البروج: ٢] وَأُقْسِمُ بِالْيَوْمِ الَّذِي وَعَدْتُهُ عِبَادِي، لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③﴾ [البروج: ٣].

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③﴾ [البروج: ٣] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَأُقْسِمُ بِشَاهِدٍ، قَالُوا: وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَمَشْهُودٍ، قَالُوا: وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ اللهُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: يَوْمُ الْأَضْحَىٰ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: يَوْمَ الْأَضْحَىٰ، وَالْمَشْهُودُ، يَوْمُ عَرَفَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَرَوَوْا ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَقْسَمَ بِشَاهِدٍ شَهِدَ، وَمَشْهُودٍ شُهِدَ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا مَعَ إِقْسَامِهِ بِذَلِكَ أَيَّ شَاهِدٍ وَأَيَّ مَشْهُودٍ أَرَادَ، وَكُلُّ الَّذِي ذَكَرْنَا هُوَ الْمَعْنِيُّ مِمَّا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ ﴿شاهد ومشهود﴾.

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ [البروج: ٤].

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ [البروج: ٤] لُعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ الَّذِينَ أَلْقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي الْأُخْدُودِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّ لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ مَعَ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا أُحْرِقُوا فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ ﴿وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠﴾ [البروج: ١٠] مَعْنَىٰ مَفْهُومٌ، مَعَ إِخْبَارِهِ أَنَّ لَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ؛ لِأَنَّ عَذَابَ جَهَنَّمَ هُوَ عَذَابُ الْحَرِيقِ مَعَ سَائِرِ أَنْوَاعِ عَذَابِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَالْأُخْدُودُ: الْحُفْرَةُ تُحْفَرُ فِي الْأَرْضِ.. فَعَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَىٰ الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَىٰ النَّاسُ، فَأَتَىٰ الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَىٰ الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ

اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلاَمِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلاَمِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّىٰ جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَىٰ الْحَقِّ».

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ [البروج: ٥].

﴿ٱلنَّارِ﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ..

﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ [البروج: ٥] ذَاتِ الْحَطَبِ الْجَزْلِ، وَذَلِكَ إِذَا فُتِحَتِ الْوَاوُ، فَأَمَّا الْوُقُودُ بِضَمِّ الْوَاوِ، فَهُوَ الِاتِّقَادُ.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ [البروج: ٦].

﴿إِذْ هُمْ﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ، إِذْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ..

﴿عَلَيْهَا﴾ عَلَىٰ النَّارِ..

﴿قُعُودٌ ۝٦﴾ [البروج: ٦] عَلَىٰ حَافَةِ الْأُخْدُودِ، فَقِيلَ: عَلَىٰ النَّارِ، وَالْمَعْنَىٰ: لِشَفِيرِ الْأُخْدُودِ، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ [البروج: ٧].

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ [البروج: ٧] حُضُورٌ.. قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْكُفَّارَ.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨].

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وَمَا وَجَدَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالنَّارِ فِي شَيْءٍ، وَلَا فَعَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلُوا بِسَبَبٍ..

﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللهِ، وَقَالَ: إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ إِلَّا إِيمَانَهُمْ بِاللهِ، فَلِذَلِكَ حَسُنَ فِي مَوْضِعِهِ يُؤْمِنُوا، إِذْ كَانَ الْإِيمَانُ لَهُمْ صِفَةً..

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الشَّدِيدُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ..

﴿ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨] الْمَحْمُودُ بِإِحْسَانِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج: ٩].

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا فِيهِنَّ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج: ٩] وَاللهُ عَلَىٰ فِعْلِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ فَتَنُوهُمْ شَاهِدٌ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ وَأَفْعَالِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ جَزَاءَهُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ [البروج: ١٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ ابْتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِاللهِ بِتَعْذِيبِهِمْ، وَإِحْرَاقِهِمْ بِالنَّارِ..

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ مِنْ كُفْرِهِمْ وَفِعْلِهِمُ الَّذِي فَعَلُوا بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْ أَجْلِ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ..

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ [البروج: ١٠] فِي الدُّنْيَا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾ [البروج: ١١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَهُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللهِ، وَائْتَمَرُوا لِأَمْرِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ بَسَاتِينُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَالْخَمْرُ وَاللَّبَنُ وَالْعَسَلُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي هُوَ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ..

﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١﴾ [البروج: ١١] هُوَ الظَّفَرُ الْكَبِيرُ بِمَا طَلَبُوا وَالْتَمَسُوا بِإِيمَانِهِمْ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَمَلِهِمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ فِيهَا وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ.

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج: ١٢].

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ بَطَشَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ انْتِقَامُهُ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ..

﴿لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج: ١٢] وَهُوَ تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ لِقَوْمِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنْ يُحِلَّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِهِ وَنِقْمَتِهِ، نَظِيرَ الَّذِي حَلَّ بِأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، وَفِتْنَتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُمْ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ [البروج: ١٣].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ [البروج: ١٣] يُبْدِئُ الْعَذَابَ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَيُعِيدُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠﴾ [البروج: ١٠]، فِي الدُّنْيَا، فَأَبْدَأَ ذَٰلِكَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ يُعِيدُهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.. وَلِأَنَّ اللهَ أَتْبَعَ ذَٰلِكَ قَوْلَهُ ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج: ١٢] فَكَانَ لِلْبَيَانِ عَنْ مَعْنَىٰ شِدَّةِ بَطْشِهِ الَّذِي قَدْ ذَكَرَهُ قَبْلَهُ، أَشْبَهَ بِهِ بِالْبَيَانِ عَمَّا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا مِنْ ذَٰلِكَ وُضُوحًا وَصِحَّةً، قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج: ١٤] فَبَيَّنَ ذَٰلِكَ عَنْ أَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ خَبَرِهِ عَنْ عَذَابِهِ وَشِدَّةِ عِقَابِهِ.

﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج: ١٤].

﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ وَهُوَ ذُو الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ..

﴿ٱلۡوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج: ١٤] وَذُو الْمَحَبَّةِ لَهُ.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٥].

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٥] ذُو الْعَرْشِ الْكَرِيمُ.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: ١٦].

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: ١٦] هُوَ غَفَّارٌ لِذُنُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا تَابَ وَأَنَابَ مِنْهَا، مُعَاقِبٌ مَنْ أَصَرَّ عَلَيْهَا وَأَقَامَ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنْ فِعْلٍ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَٰلِكَ

حَائِلٌ، لِأَنَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ⑰﴾ [البروج: ١٧].

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ هَلْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ ⑰﴾ [البروج: ١٧] الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ بِأَذَاهُمْ وَمَكْرُوهِهِمْ؛ يَقُولُ: قَدْ أَتَاكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَهُ، فَاصْبِرْ لِأَذَىٰ قَوْمِكَ إِيَّاكَ، لِمَا نَالُوكَ بِهِ مِنْ مَكْرُوهٍ، كَمَا صَبَرَ الَّذِينَ تَجَنَّدَ هَؤُلَاءِ الْجُنُودُ عَلَيْهِمْ مِنْ رُسُلِي، وَلَا يُثْنِيكَ عَنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَتِي، كَمَا لَمْ يُثْنِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ مَنْ لَمْ يُصَدِّقْكَ وَيُؤْمِنْ بِكَ مِنْهُمْ إِلَىٰ عَطَبٍ وَهَلَاكٍ، كَالَّذِي كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُنُودِ، ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْجُنُودِ مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ⑱﴾ [البروج: ١٨].

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ⑱﴾ [البروج: ١٨] فِرْعَوْنُ، فَاجْتُزِئَ بِذِكْرِهِ، إِذْ كَانَ رَئِيسَ جُنْدِهِ، مِنْ ذِكْرِ جُنْدِهِ وَتُبَّاعِهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَثَمُودَ؛ وَخَفَضَ فِرْعَوْنَ رَدًّا عَلَىٰ الْجُنُودِ، عَلَىٰ التَّرْجَمَةِ عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا فُتِحَ لِأَنَّهُ لَا يُجْرَىٰ وَثَمُودُ.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ⑲﴾ [البروج: ١٩].

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مَا بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِوَعِيدِ اللهِ، أَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ أَنْبَاءُ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَ اللهِ، كَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَثَمُودَ وَأَشْكَالِهِمْ، وَمَا أَحَلَّ اللهُ بِهِمْ مِنَ النِّقَمِ، بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ..

﴿فِي تَكْذِيبٍ ⑲﴾ [البروج: ١٩] وَلَكِنَّهُمْ فِي تَكْذِيبٍ بِوَحْيِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ، إِيثَارًا مِنْهُمْ لِأَهْوَائِهِمْ، وَاتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِسُنَنِ آبَائِهِمْ.

﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ⑳﴾ [البروج: ٢٠].

﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ⑳﴾ [البروج: ٢٠]

﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ⑳﴾ [البروج: ٢٠] بِأَعْمَالِهِمْ، مُحْصٍ لَهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ㉑﴾ [البروج: ٢١].

﴿بَلْ﴾ مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ..

﴿هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البروج: ٢١] هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ، تَكْذِيبًا مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْقَائِلِينَ لِلْقُرْآنِ هُوَ شِعْرٌ وَسَجْعٌ.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢٢].

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢٢] هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ، مُثْبَتٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبُرُوجِ



سُورَةُ الطَّارِقِ (٨٦)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سَبْعَ عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ①﴾ [الطارق: ١].

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ①﴾ [الطارق: ١] أَقْسَمَ رَبُّنَا بِالسَّمَاءِ وَبِالطَّارِقِ الَّذِي يَطْرُقُ لَيْلًا مِنَ النُّجُومِ الْمُضِيئَةِ، وَيَخْفَىٰ نَهَارًا، وَكُلُّ مَا جَاءَ لَيْلًا فَقَدْ طَرَقَ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ②﴾ [الطارق: ٢].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ②﴾ [الطارق: ٢] وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الطَّارِقُ الَّذِي أَقْسَمْتُ بِهِ؟ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَقَالَ.

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③﴾ [الطارق: ٣].

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③﴾ [الطارق: ٣] يَتَوَقَّدُ ضِيَاؤُهُ وَيَتَوَهَّجُ.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④﴾ [الطارق: ٤].

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④﴾ [الطارق: ٤] قَرَأَهُ مِنْ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ أَبُو جَعْفَرٍ، وَمِنْ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ حَمْزَةُ ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا﴾ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ وَذُكِرَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ نَافِعٌ، وَمِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَبُو عَمْرٍو: (لَمَا) بِالتَّخْفِيفِ، بِمَعْنَىٰ: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَعَلَيْهَا حَافِظٌ، عَلَىٰ أَنَّ اللَّامَ جَوَابُ إِنْ وَمَا الَّتِي بَعْدَهَا صِلَةٌ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَشْدِيدٌ.. وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي لَا أَخْتَارُ غَيْرَهَا فِي ذَلِكَ: التَّخْفِيفُ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْكَلَامُ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَقَدْ أَنْكَرَ التَّشْدِيدَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، غَيْرَ أَنَّ الْفَرَّاءَ كَانَ يَقُولُ: لَا نَعْرِفُ جِهَةَ التَّثْقِيلِ فِي ذَلِكَ، وَنَرَىٰ أَنَّهَا لُغَةٌ مِنْ هُذَيْلٍ، يَجْعَلُونَ إِلَّا مَعَ إِنِ الْمُخَفَّفَةِ لَمَّا، وَلَا يُجَاوِزُونَ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ، فَإِنْ كَانَ صَحِيحًا مَا ذَكَرَ الْفَرَّاءُ، مِنْ أَنَّهَا لُغَةُ هُذَيْلٍ، فَالْقِرَاءَةُ بِهَا جَائِزَةٌ صَحِيحَةٌ، وَإِنْ كَانَ الِاخْتِيَارُ أَيْضًا إِذَا صَحَّ ذَلِكَ عِنْدَنَا، الْقِرَاءَةَ الْأُخْرَىٰ، وَهِيَ التَّخْفِيفُ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ الْأَعْرَفُ إِلَىٰ الْأَنْكَرِ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: إِذَنْ: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَعَلَيْهَا حَافِظٌ مِنْ رَبِّهَا،

يَحْفَظُ عَمَلَهَا، وَيُحْصِي عَلَيْهَا مَا تَكْسِبُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الطارق: ٥].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الْمُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، الْمُنْكِرُ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ..

﴿مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الطارق: ٥] مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ؟ ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا خَلَقَهُ مِنْهُ، فَقَالَ.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق: ٦].

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق: ٦] مِنْ مَاءٍ مَدْفُوقٍ.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: ٧].

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: ٧] يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ مِنْهُمَا، كَمَا يُقَالُ: سَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، بِمَعْنَىٰ يَخْرُجُ مِنْهُمَا.. وَمَعْنَىٰ التَّرَائِبِ: هُوَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ، حَيْثُ تَقَعُ عَلَيْهِ مِنْ صَدْرِهَا.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ [الطارق: ٨].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي خَلَقَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ، فَجَعَلَكُمْ بَشَرًا سَوِيًّا، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مَاءً مَدْفُوقًا..

﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ [الطارق: ٨] عَلَىٰ رَدِّ الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ حَيًّا، كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ مَمَاتِهِ لَقَادِرٌ.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: ٩].

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: ٩] يَوْمَ تُخْتَبَرُ سَرَائِرُ الْعِبَادِ، فَيَظْهَرُ مِنْهَا يَوْمَئِذٍ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مُسْتَخْفِيًا عَنْ أَعْيُنِ الْعِبَادِ، مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَانَ اللهُ أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا، وَكَلَّفَهُ الْعَمَلَ بِهَا.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ [الطارق: ١٠].

﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فَمَا لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ..

﴿مِن قُوَّةٍ﴾ يَمْتَنِعُ بِهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَأَلِيمِ نَكَالِهِ..

﴿وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ [الطارق: ١٠] يَنْصُرُهُ، فَيَسْتَنْقِذُهُ مِمَّنْ نَالَهُ بِمَكْرُوهٍ، وَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا يَرْجِعُ إِلَىٰ قُوَّةٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ، يَمْتَنِعُ بِهِمْ مِمَّنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ، وَنَاصِرٍ مِنْ حَلِيفٍ يَنْصُرُهُ عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَهُ وَاضْطَهَدَهُ.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ⑪﴾ [الطارق: ١١].

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ⑪﴾ [الطارق: ١١] تَرْجِعُ بِالْغُيُومِ وَأَرْزَاقِ الْعِبَادِ كُلَّ عَامٍ.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ⑫﴾ [الطارق: ١٢].

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ⑫﴾ [الطارق: ١٢] بِالنَّبَاتِ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ⑬﴾ [الطارق: ١٣].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ وَهَذَا الْخَبَرَ..

﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ⑬﴾ [الطارق: ١٣] لَقَوْلٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِبَيَانِهِ.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ⑭﴾ [الطارق: ١٤].

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ⑭﴾ [الطارق: ١٤] وَمَا هُوَ بِاللَّعِبِ وَلَا الْبَاطِلِ.

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ⑮﴾ [الطارق: ١٥].

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ⑮﴾ [الطارق: ١٥] إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ يَمْكُرُونَ مَكْرًا.

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ⑯﴾ [الطارق: ١٦].

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ⑯﴾ [الطارق: ١٦] وَأَمْكُرُ مَكْرًا، وَمَكْرُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِمْ: إِمْلَاؤُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِهِ.

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ⑰﴾ [الطارق: ١٧].

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فَمَهِّلْ يَا مُحَمَّدُ الْكَافِرِينَ وَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ..

﴿أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ⑰﴾ [الطارق: ١٧] أَمْهِلْهُمْ آنًا قَلِيلًا، وَأَنْظِرْهُمْ لِلْمَوْعِدِ الَّذِي هُوَ وَقْتُ حُلُولِ النِّقْمَةِ بِهِمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الطَّارِقِ

سُورَةُ الأَعْلَى (٨٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١].

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] نَزِّهِ اسْمَ رَبِّكَ أَنْ تَدْعُوَ بِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، لِمَا جَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَرَءُوا ذَلِكَ قَالُوا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مَعْلُومًا: عَظِّمِ اسْمَ رَبِّكَ، وَنَزِّهْهُ.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢﴾ [الأعلى: ٢].

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢﴾ [الأعلى: ٢] الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ فَسَوَّى خَلْقَهَا وَعَدَّلَهَا.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣﴾ [الأعلى: ٣].

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣﴾ [الأعلى: ٣] وَالَّذِي قَدَّرَ خَلْقَهُ فَهَدَى.. وَعَمَّ بِقَوْلِهِ ﴿فَهَدَى﴾ الْخَبَرَ عَنْ هِدَايَتِهِ خَلْقَهُ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًى دُونَ مَعْنًى، وَقَدْ هَدَاهُمْ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهَدَى الذُّكُورَ لِمَأْتَى الْإِنَاثِ، فَالْخَبَرُ عَلَى عُمُومِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ خَبَرٌ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ، دَالٌّ عَلَى خُصُوصِهِ.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝٤﴾ [الأعلى: ٤].

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝٤﴾ [الأعلى: ٤] وَالَّذِي أَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مَرْعَى الْأَنْعَامِ، مِنْ صُنُوفِ النَّبَاتِ وَأَنْوَاعِ الْحَشِيشِ.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝٥﴾ [الأعلى: ٥].

﴿فَجَعَلَهُ﴾ فَجَعَلَ ذَلِكَ الْمَرْعَى..

﴿غُثَاءً﴾ وَهُوَ مَا جَفَّ مِنَ النَّبَاتِ وَيَبِسَ، فَطَارَتْ بِهِ الرِّيحُ؛ وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ هَاهُنَا أَنَّهُ جَعَلَهُ هَشِيمًا يَابِسًا..

﴿أَحْوَى ۝٥﴾ [الأعلى: ٥] مُتَغَيِّرًا إِلَى الْحُوَّةِ، وَهِيَ السَّوَادُ، مِنَ الْبَيَاضِ أَوِ الْخُضْرَةِ، مِنْ شِدَّةِ الْيُبْسِ.

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [الأعلى: ٦].

﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [الأعلى: ٦] فَلَا تَنْسَاهُ، إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾ [الأعلى: ٧].

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا أَنْ نَشَاءَ نَحْنُ أَنْ نُنْسِيَكَهُ بِنَسْخِهِ وَرَفْعِهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عَمَلِكَ، مَا أَظْهَرْتَهُ وَأَعْلَنْتَهُ..

﴿وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾ [الأعلى: ٧] مِنْهُ فَلَمْ تُظْهِرْهُ، مِمَّا كَتَمْتَهُ، يَقُولُ: هُوَ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ، سِرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا؛ يَقُولُ: فَاحْذَرْهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ عَامِلٌ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِكَ بِغَيْرِ الَّذِي أَذِنَ لَكَ بِهِ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨﴾ [الأعلى: ٨].

﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾ وَنُسَهِّلُكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِلۡيُسۡرَىٰ ٨﴾ [الأعلى: ٨] لِعَمَلِ الْخَيْرِ.

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾ [الأعلى: ٩].

﴿فَذَكِّرۡ﴾ عِبَادَ اللهِ يَا مُحَمَّدُ عَظَمَتَهُ، وَعِظْهُمْ، وَحَذِّرْهُمْ عُقُوبَتَهُ، أَمْرٌ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِتَذْكِيرِ جَمِيعِ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ..

﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾ [الأعلى: ٩] الَّذِينَ قَدْ آيَسْتُكَ مِنْ إِيمَانِهِمْ، فَلَا تَنْفَعُهُمُ الذِّكْرَىٰ.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾ [الأعلى: ١٠].

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِذْ ذَكَّرْتَ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ بِتَذْكِيرِهِمْ..

﴿مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾ [الأعلى: ١٠] اللهَ، وَيَخَافُ عِقَابَهُ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١﴾ [الأعلى: ١١].

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ وَيَتَجَنَّبُ الذِّكْرَىٰ..

﴿ٱلۡأَشۡقَى ١١﴾ [الأعلى: ١١] أَشْقَىٰ الْفَرِيقَيْنِ .

﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢﴾ [الأعلىٰ: ١٢].

﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢﴾ [الأعلىٰ: ١٢] وَهُمُ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعْهُمُ الذِّكْرَىٰ، الَّذِي يَرِدُ نَارَ جَهَنَّمَ، وَهِيَ النَّارُ الْكُبْرَىٰ، وَيَعْنِي بِالْكُبْرَىٰ لِشِدَّةِ الْحَرِّ وَالْأَلَمِ.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلىٰ: ١٣].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلىٰ: ١٣] ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِي النَّارِ الْكُبْرَىٰ وَلَا يَحْيَا، وَذَلِكَ أَنَّ نَفَسَ أَحَدِهِمْ تَصِيرُ فِيهَا فِي حَلْقِهِ، فَلَا تَخْرُجُ فَتُفَارِقُهُ فَيَمُوتُ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ مَوْضِعِهَا مِنَ الْجِسْمِ فَيَحْيَا.. وَقِيلَ: لَا يَمُوتُ فِيهَا فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا وَصَفَتِ الرَّجُلَ بِوُقُوعٍ فِي شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ، قَالُوا: لَا هُوَ حَيٌّ، وَلَا هُوَ مَيِّتٌ، فَخَاطَبَهُمُ اللهُ بِالَّذِي جَرَىٰ بِهِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلىٰ: ١٤].

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ قَدْ نَجَحَ وَأَدْرَكَ طَلِبَتَهُ..

﴿مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلىٰ: ١٤] مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَمَعَاصِي اللهِ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، فَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ.

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلىٰ: ١٥].

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ وَذَكَرَ اللهَ فَوَحَّدَهُ، وَدَعَاهُ وَرَغِبَ إِلَيْهِ..

﴿فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلىٰ: ١٥] الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ: صَلَاةُ الْعِيدِ يَوْمَ الْفِطْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِهِ: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَدَعَا؛ وَقَالُوا: الصَّلَاةُ هَاهُنَا الدُّعَاءُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ الصَّلَوَاتِ، وَذَكَرَ اللهَ فِيهَا بِالتَّحْمِيدِ وَالتَّمْجِيدِ وَالدُّعَاءِ.

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦﴾ [الأعلىٰ: ١٦].

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦﴾ [الأعلىٰ: ١٦] يَقُولُ لِلنَّاسِ: بَلْ تُؤْثِرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأعلىٰ: ١٧].

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأعلىٰ: ١٧] وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَبْقَىٰ، يَقُولُ: وَزِينَةُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَبْقَىٰ بَقَاءً؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَةَ بَاقِيَةٌ، لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَىٰ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨﴾ [الأعلى: ١٨].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي قَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨﴾ [الأعلى: ١٨]

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٩].

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ..

﴿وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٩] وَصُحُفِ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الأَعْلَىٰ



سُورَةُ الْغَاشِيَةِ (٨٨)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ①﴾ [الغاشية: ١].

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ①﴾ [الغاشية: ١] قِصَّتهَا وَخَبَرهَا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْقِيَامَةُ تَغْشَىٰ النَّاسَ بِالْأَهْوَالِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْغَاشِيَةُ: النَّارُ تَغْشَىٰ وُجُوهَ الْكَفَرَةِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ①﴾، وَلَمْ يُخْبِرْنَا أَنَّهُ عَنَىٰ غَاشِيَةَ الْقِيَامَةِ، وَلَا أَنَّهُ عَنَىٰ غَاشِيَةَ النَّارِ، وَكِلْتَاهُمَا غَاشِيَةٌ، هَذِهِ تَغْشَىٰ النَّاسَ بِالْبَلَاءِ وَالْأَهْوَالِ وَالْكُرُوبِ، وَهَذِهِ تَغْشَىٰ الْكُفَّارَ بِاللَّفْحِ فِي الْوُجُوهِ، وَالشُّوَاظِ وَالنُّحَاسِ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَصَحُّ مِنْ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَيَعُمُّ الْخَبَرُ بِذَلِكَ كَمَا عَمَّهُ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ②﴾ [الغاشية: ٢].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ وَهِيَ وُجُوهُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿خَاشِعَةٌ ②﴾ [الغاشية: ٢] ذَلِيلَةٌ فِي النَّارِ.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ③﴾ [الغاشية: ٣].

﴿عَامِلَةٌ﴾ فِي النَّارِ..

﴿نَّاصِبَةٌ ③﴾ [الغاشية: ٣] فِيهَا.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ④﴾ [الغاشية: ٤].

﴿تَصْلَىٰ﴾ تَرِدُ هَذِهِ الْوُجُوهُ..

﴿نَارًا حَامِيَةً ④﴾ [الغاشية: ٤] قَدْ حَمِيَتْ وَاشْتَدَّ حَرُّهَا.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ⑤﴾ [الغاشية: ٥].

﴿تُسْقَىٰ﴾ أَصْحَابُ هَذِهِ الْوُجُوهِ..

﴿مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ [الغاشية: ٥] مِنْ شَرَابِ عَيْنٍ قَدْ أَنَىٰ حَرُّهَا، فَبَلَغَ غَايَتَهُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية: ٦].

﴿لَّيْسَ لَهُمْ﴾ لَيْسَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْخَاشِعَةِ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية: ٦] إِلَّا مَا يُطْعَمُونَهُ مِنْ ضَرِيعٍ، وَالضَّرِيعُ عِنْدَ الْعَرَبِ: نَبْتٌ يُقَالُ لَهُ الشِّبْرِقُ، وَتُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ الضَّرِيعُ إِذَا يَبِسَ، وَيُسَمِّيهِ غَيْرُهُمْ: الشِّبْرِقُ، وَهُوَ سُمٌّ.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية: ٧].

﴿لَّا يُسْمِنُ﴾ هَذَا الضَّرِيعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكَلَتَهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ..

﴿وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية: ٧] وَلَا يُشْبِعُهُمْ مِنْ جُوعٍ يُصِيبُهُمْ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ [الغاشية: ٨].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ [الغاشية: ٨] هِيَ نَاعِمَةٌ بِتَنْعِيمِ اللهِ أَهْلَهَا فِي جَنَّاتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ [الغاشية: ٩].

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ [الغاشية: ٩] لِعَمَلِهَا الَّذِي عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةِ رَبِّهَا رَاضِيَةٌ.. وَقِيلَ: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ وَالْمَعْنَىٰ: لِثَوَابِ سَعْيِهَا فِي الْآخِرَةِ رَاضِيَةٌ.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ [الغاشية: ١٠].

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ [الغاشية: ١٠] رَفِيعَةٍ.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ [الغاشية: ١١].

﴿لَا تُسْمِعُ﴾ هَذِهِ الْوُجُوهُ، والْمَعْنَىٰ: لِأَهْلِهَا..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ..

﴿لَاغِيَةً ۝١١﴾ [الغاشية: ١١] يَعْنِي بِاللَّاغِيَةِ: كَلِمَةَ لَغْوٍ، وَاللَّغْوُ: الْبَاطِلُ، فَقِيلَ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي هِيَ لَغْوٌ لَاغِيَةٌ، كَمَا قِيلَ لِصَاحِبِ الدِّرْعِ: دَارِعٌ، وَلِصَاحِبِ الْفَرَسِ: فَارِسٌ، وَلِقَائِلِ الشِّعْرِ شَاعِرٌ.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ [الغاشية: ١٢].

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ..

﴿عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢﴾ [الغاشية: ١٢] فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ.

﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣﴾ [الغاشية: ١٣].

﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣﴾ [الغاشية: ١٣] وَالسُّرُرُ: جَمْعُ سَرِيرٍ، مَرْفُوعَةٌ لِيَرَىٰ الْمُؤْمِنُ إِذَا جَلَسَ عَلَيْهَا جَمِيعَ مَا خَوَّلَهُ رَبُّهُ مِنَ النَّعِيمِ وَالْمُلْكِ فِيهَا، وَيَلْحَقُ جَمِيعَ ذَلِكَ بَصَرُهُ.

﴿وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤﴾ [الغاشية: ١٤].

﴿وَأَكۡوَابٞ﴾ وَهِيَ جَمْعُ كُوبٍ، وَهِيَ الْأَبَارِيقُ الَّتِي لَا آذَانَ لَهَا..

﴿مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤﴾ [الغاشية: ١٤] عَلَىٰ حَافَةِ الْعَيْنِ الْجَارِيَةِ، كُلَّمَا أَرَادُوا الشُّرْبَ، وَجَدُوهَا مَلْأَىٰ مِنَ الشَّرَابِ.

﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥﴾ [الغاشية: ١٥].

﴿وَنَمَارِقُ﴾ الْوَسَائِدَ وَالْمَرَافِقَ؛ وَالنَمَارِقُ: وَاحِدُهَا نُمْرُقَةٌ، بِضَمِّ النُّونِ..

﴿مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥﴾ [الغاشية: ١٥] لِأَنَّ بَعْضَهَا بِجَنْبِ بَعْضٍ.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغاشية: ١٦].

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ وَفِيهَا طَنَافِسُ وَبُسُطٌ كَثِيرَةٌ..

﴿مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغاشية: ١٦] مَفْرُوشَةٌ.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾ [الغاشية: ١٧].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُنْكِرِي قُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، مِنَ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَهْلِ عَدَاوَتِهِ، وَالنَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَهْلِ وِلَايَتِهِ: أَفَلَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرُونَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمُورِ..

﴿إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾ [الغاشية: ١٧] كَيْفَ خَلَقَهَا، وَسَخَّرَهَا لَهُمْ وَذَلَّلَهَا، وَجَعَلَهَا تَحْمِلُ حِمْلَهَا بَارِكَةً، ثُمَّ تَنْهَضُ بِهِ، وَالَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ غَيْرُ عَزِيزٍ عَلَيْهِ أَنْ يَخْلُقَ مَا وَصَفَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي قَدَرَ بِهَا عَلَىٰ خَلْقِهَا، لَنْ يُعْجِزَهُ خَلْقُ ما شَابَهَهَا.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨﴾ [الغاشية: ١٨].

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨﴾ [الغاشية: ١٨] أَفَلَا يَنْظُرُونَ أَيْضًا إِلَىٰ السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَهَا الَّذِي

أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ مُعِدٌّ لِأَوْلِيَائِهِ مَا وَصَفَ، وَلِأَعْدَائِهِ مَا ذَكَرَ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ قُدْرَتَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يُعْجِزُهُ فِعْلُ شَيْءٍ أَرَادَ فِعْلَهُ.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩﴾ [الغاشية: ١٩].

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩﴾ [الغاشية: ١٩] وَإِلَىٰ الْجِبَالِ كَيْفَ أُقِيمَتْ مُنْتَصِبَةً لَا تَسْقُطُ، فَتَنْبَسِطُ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهَا جَعَلَهَا بِقُدْرَتِهِ مُنْتَصِبَةً جَامِدَةً، لَا تَبْرَحُ مَكَانَهَا، وَلَا تَزُولُ عَنْ مَوْضِعِهَا.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠﴾ [الغاشية: ٢٠].

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠﴾ [الغاشية: ٢٠] وَإِلَىٰ الْأَرْضِ كَيْفَ بُسِطَتْ، يُقَالُ: جَبَلٌ مُسَطَّحٌ، إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ اسْتِوَاءٌ.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ٢١﴾ [الغاشية: ٢١].

﴿فَذَكِّرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ عِبَادِي بِآيَاتِي، وَعِظْهُمْ بِحُجَجِي، وَبَلِّغْهُمْ رِسَالَتِي..

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ٢١﴾ [الغاشية: ٢١] إِنَّمَا أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ مُذَكِّرًا، لِتُذَكِّرَهُمْ نِعْمَتِي عِنْدَهُمْ، وَتُعَرِّفَهُمُ اللَّازِمَ لَهُمْ، وَتَعِظَهُمْ.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢].

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢] لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَلَّطٍ، وَلَا أَنْتَ بِجَبَّارٍ، تَحْمِلُهُمْ عَلَىٰ مَا تُرِيدُ، يَقُولُ: كُلُّهُمْ إِلَيَّ، وَدَعْهُمْ وَحُكْمِي فِيهِمْ؛ يُقَالُ: قَدْ تَسَيْطَرَ فُلَانٌ عَلَىٰ قَوْمِهِ، إِذَا تَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣﴾ [الغاشية: ٢٣].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣﴾ [الغاشية: ٢٣] فَذَكِّرْ قَوْمَكَ يَا مُحَمَّدُ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ مِنْهُمْ عَنْكَ، وَأَعْرَضَ عَنْ آيَاتِ اللهِ فَكَفَرَ.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ٢٤﴾ [الغاشية: ٢٤].

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ٢٤﴾ [الغاشية: ٢٤] فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ عَلَىٰ كُفْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابَ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ [الغاشية: ٢٥].

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ [الغاشية: ٢٥] إِنَّ إِلَيْنَا رُجُوعَ مَنْ كَفَرَ وَمَعَادَهُمْ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٦].

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٦] ثُمَّ إِنَّ عَلَىٰ اللهِ حِسَابَهُ، وَهُوَ يُجَازِيهِ بِمَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، يُعْلِمُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ الْمُتَوَلِّي عُقُوبَتَهُ دُونَهُ، وَهُوَ الْمُجَازِي وَالْمُعَاقِبُ، وَأَنَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ التَّذْكِيرُ وَتَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ



سُورَةُ الْفَجْرِ (٨٩)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلاثُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١﴾ [الفجر: ١].

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١﴾ [الفجر: ١] هَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْفَجْرِ، وَهُوَ فَجْرُ الصُّبْحِ.

﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾ [الفجر: ٢].

﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾ [الفجر: ٢] عَشْرِ الأَضْحَى، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَيْهِ.

﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾ [الفجر: ٣].

﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾ [الفجر: ٣] قَالَ بَعْضُهُمْ: الشَّفْعُ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّفْعُ : الْيَوْمَانِ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ: الْيَوْمُ الثَّالِثُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّفْعُ: الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَالْوَتْرُ: اللهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ: الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، مِنْهَا الشَّفْعُ كَصَلَاةِ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ، وَمِنْهَا الْوَتْرُ كَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ نَوْعًا مِنَ الشَّفْعِ وَلَا مِنَ الْوَتْرِ دُونَ نَوْعٍ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَكُلُّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ فَهُوَ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ، مِمَّا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ إِنَّهُ دَاخِلٌ فِي قَسَمِهِ هَذَا لِعُمُومِ قَسَمِهِ.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤﴾ [الفجر: ٤].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤﴾ [الفجر: ٤] وَاللَّيْلِ إِذَا سَارَ فَذَهَبَ، يُقَالُ مِنْهُ: سَرَى فُلَانٌ لَيْلًا يَسْرِي: إِذَا سَارَ.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥﴾ [الفجر: ٥].

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ﴾ هَلْ فِيمَا أَقْسَمْتُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ مَقْنَعٌ..

﴿لِّذِي حِجۡرٍ ٥﴾ [الفجر: ٥] لِمَنْ عَقَلَ عَنْ رَبِّهِ.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ [الفجر: ٦].

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ [الفجر: ٦] أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ، فَتَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ؟

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾ [الفجر: ٧].

﴿إِرَمَ﴾ اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْ عَادٍ.

﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾ [الفجر: ٧] عُنِيَ بِهِ طُولُ أَجْسَامِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّهُ عُنِيَ بِهِ عِمَادُ خِيَامِهِمْ، فَأَمَّا عِمَادُ الْبُنْيَانِ، فَلَا يُعْلَمُ كَثِيرُ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ، وَتَأْوِيلُ الْقُرْآنِ إِنَّمَا يُوَجَّهُ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ الْأَشْهَرِ مِنْ مَعَانِيهِ، مَا وُجِدَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ، دُونَ الْأَنْكَرِ.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨].

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا﴾ مِثْلُ عَادٍ..

﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨] فِي الْعِظَمِ وَالْبَطْشِ وَالْأَيْدِ.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩﴾ [الفجر: ٩].

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩﴾ [الفجر: ٩] وَبِثَمُودَ الَّذِي خَرَقُوا الصَّخْرَ وَدَخَلُوهُ، فَاتَّخَذُوهُ بُيُوتًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢﴾ [الحجر: ٨٢].

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠﴾ [الفجر: ١٠].

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠﴾ [الفجر: ١٠] أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ أَيْضًا بِفِرْعَوْنَ صَاحِبِ الْأَوْتَادِ الَّتِي تُوتَدُ، مِنْ خَشَبٍ كَانَتْ أَوْ حَدِيدٍ، وَوُصِفَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَانَ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَانَ يُلْعَبُ لَهُ بِهَا.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١﴾ [الفجر: ١١].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ عَادًا وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ..

﴿طَغَوۡاْ﴾ تَجَاوَزُوا مَا أَبَاحَهُ لَهُمْ رَبُّهُمْ، وَعَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَىٰ مَا حَظَرَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١﴾ [الفجر: ١١] الَّتِي كَانُوا فِيهَا.

﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢﴾ [الفجر: ١٢].

﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا﴾ فَأَكْثَرُوا فِي الْبِلَادِ..

﴿ٱلۡفَسَادَ ۝١٢﴾ [الفجر: ١٢] الْمَعَاصِي، وَرُكُوبَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ.

﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ [الفجر: ١٣].

﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ [الفجر: ١٣] فَأَنْزَلَ بِهِمْ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ عَذَابَهُ، وَأَحَلَّ بِهِمْ نِقْمَتَهُ، بِمَا أَفْسَدُوا فِي الْبِلَادِ، وَطَغَوْا عَلَىٰ اللهِ فِيهَا.. وَقِيلَ: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ سَوْطَ عَذَابٍ وَإِنَّمَا كَانَتْ نِقَمًا تَنْزِلُ بِهِمْ، إِمَّا رِيحًا تُدَمِّرُهُمْ، وَإِمَّا رَجْفًا يُدَمْدِمُ عَلَيْهِمْ، وَإِمَّا غَرَقًا يُهْلِكُهُمْ، مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ بِسَوْطٍ وَلَا عَصًا، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِ الْقَوْمِ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ، الْجَلْدُ بِالسِّيَاطِ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُ الْقَوْمِ الْخَبَرَ عَنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ الَّذِي يُعَذَّبُ بِهِ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، أَنْ يَقُولُوا: ضُرِبَ فُلَانٌ حَتَّىٰ بِالسِّيَاطِ، إِلَىٰ أَنْ صَارَ ذَلِكَ مَثَلًا، فَاسْتَعْمَلُوهُ فِي كُلِّ مُعَذَّبٍ بِنَوْعٍ مِنَ الْعَذَابِ شَدِيدٍ، وَقَالُوا: صُبَّ عَلَيْهِ سَوْطُ عَذَابٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ١٤].

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ قَصَصَهُمْ، وَلِضُرَبَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ١٤] يَرْصُدُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، عَلَىٰ قَنَاطِرِ جَهَنَّمَ، لِيُكَرْدِسَهُمْ فِيهَا إِذَا وَرَدُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥﴾ [الفجر: ١٥].

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ بِالنِّعَمِ وَالْغِنَىٰ..

﴿فَأَكۡرَمَهُۥ﴾ بِالْمَالِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِ..

﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾ بِمَا أَوْسَعَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ..

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥﴾ [الفجر: ١٥] فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ، وَيُسَرُّ بِهِ، وَيَقُولُ: رَبِّي أَكْرَمَنِي بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ [الفجر: ١٦].

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ بِالْفَقْرِ..

﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ فَضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَقَتَّرَهُ، فَلَمْ يُكْثِرْ مَالَهُ، وَلَمْ يُوَسِّعْ عَلَيْهِ..

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ [الفجر: ١٦] فَيَقُولُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ: رَبِّي أَهَانَنِي، يَقُولُ: أَذَلَّنِي بِالْفَقْرِ، وَلَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَلَىٰ مَا وَهَبَ لَهُ مِنْ سَلَامَةِ جَوَارِحِهِ، وَرِزْقِهِ مِنَ الْعَافِيَةِ فِي جِسْمِهِ.

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧﴾ [الفجر: ١٧].

﴿كَلَّاۖ﴾ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَكَذَا، وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَىٰ الْأَمْرَيْنِ

جَمِيعًا، عَلَىٰ الْغِنَىٰ..

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ١٧﴾ [الفجر: ١٧] بَلْ إِنَّمَا أَهَنْتُ مَنْ أَهَنْتُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُكْرِمُ الْيَتِيمَ، فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ عَلَىٰ الْخِطَابِ، فَقَالَ: بَلْ لَسْتُمْ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، فَلِذَلِكَ أَهَنْتُكُمْ.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ١٨﴾ [الفجر: ١٨].

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ١٨﴾ [الفجر: ١٨] بِالتَّاءِ وَفَتْحِهَا، وَإِثْبَاتِ الْأَلِفِ فِيهَا، بِمَعْنَىٰ: وَلَا يَحُضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ مَكَّةَ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ، بِالتَّاءِ وَفَتْحِهَا وَحَذْفِ الْأَلِفِ: وَلَا (تَحُضُّونَ) بِمَعْنَىٰ: وَلَا تَأْمُرُونَ بِإِطْعَامِ الْمِسْكِينِ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ: (يَحُضُّونَ) بِالْيَاءِ وَحَذْفِ الْأَلِفِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَا يُكْرِمُ -الْقَائِلُونَ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ رَبِّي أَكْرَمَنِي، وَإِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ رَبِّي أَهَانَنِي- الْيَتِيمَ (وَلَا يَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) وَكَذَلِكَ يَقْرَأُ الَّذِينَ ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ (يُكْرِمُونَ) وَسَائِرُ الْحُرُوفِ مَعَهَا بِالْيَاءِ، عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَرَأَ: (تُحَاضُّونَ) بِالتَّاءِ وَضَمِّهَا وَإِثْبَاتِ الْأَلِفِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَا تُحَافِظُونَ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّ هَذِهِ قِرَاءَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، أَعْنِي الْقِرَاءَاتِ الثَّلَاثَ صَحِيحَاتِ الْمَعَانِي، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ١٩﴾ [الفجر: ١٩].

﴿وَتَأْكُلُونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلتُّرَاثَ﴾ الْمِيرَاثَ..

﴿أَكْلًا لَّمًّا ١٩﴾ [الفجر: ١٩] أَكْلًا شَدِيدًا، لَا تَتْرُكُونَ مِنْهُ شَيْئًا، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَمَمْتُ مَا عَلَىٰ الْخِوَانِ أَجْمَعَ، فَأَنَا أَلُمُّهُ لَمًّا: إِذَا أَكَلْتُ مَا عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ جَمِيعِهِ.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠﴾ [الفجر: ١٩].

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠﴾ [الفجر: ١٩] وَتُحِبُّونَ جَمْعَ الْمَالِ أَيُّهَا النَّاسُ وَاقْتِنَاءَهُ حُبًّا كَثِيرًا شَدِيدًا، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ جَمَّ الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ: إِذَا اجْتَمَعَ.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١﴾ [الفجر: ٢٠].

﴿كَلَّآ﴾ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَدَمِهِمْ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمُ السَّيِّئَةِ فِي الدُّنْيَا، وَتَلَهُّفِهِمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١﴾ [الفجر: ٢٠] إِذَا رُجَّتْ وَزُلْزِلَتْ زَلْزَلَةً، وَحُرِّكَتْ تَحْرِيكًا بَعْدَ تَحْرِيكٍ.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢].

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢] وَإِذَا جَاءَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَمْلَاكُهُ صُفُوفًا صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ٢٣﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ وَجَاءَ اللهُ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ..

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الفجر: ٢٣] تَفْرِيطَهُ فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللهِ، وَفِيمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ..

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ٢٣﴾ [الفجر: ٢٣] مِنْ أَيِّ وَجْهٍ لَهُ التَّذْكِيرُ.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢٤].

﴿يَقُولُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ تَلَهُّفِ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَنَدُّمِهِ عَلَىٰ تَفْرِيطِهِ فِي الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا الَّتِي تُوَرِّثُهُ بَقَاءَ الْأَبَدِ، فِي نَعِيمٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ..

﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢٤] فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ لِحَيَاتِي هَذِهِ، الَّتِي لَا مَوْتَ بَعْدَهَا، مَا يُنَجِّينِي مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَيُوجِبُ لِي رِضْوَانَهُ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ٢٥﴾ [الفجر: ٢٥].

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ٢٥﴾ [الفجر: ٢٥] فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ بِعَذَابِ اللهِ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ٢٦﴾ [الفجر: ٢٦].

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ٢٦﴾ [الفجر: ٢٦] وَلَا يُوثِقُ كَوَثَاقِهِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧﴾ [الفجر: ٢٧].

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧﴾ [الفجر: ٢٧] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمَلَائِكَةِ لِأَوْلِيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧﴾، يَعْنِي بِالْمُطْمَئِنَّةِ: الَّتِي اطْمَأَنَّتْ إِلَىٰ وَعْدِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ، فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الْآخِرَةِ، فَصَدَّقَتْ بِذَلِكَ.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٨].

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٨] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قِيلِ الْمَلَائِكَةِ لِنَفْسِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْبَعْثِ، تَأْمُرُهَا أَنْ تَرْجِعَ فِي جَسَدِ صَاحِبِهَا.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩﴾ [الفجر: ٢٩].

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩﴾ [الفجر: ٢٩] فَادْخُلِي فِي عِبَادِيَ الصَّالِحِينَ.

﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٣٠].

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ



سُورَةُ الْبَلَدِ (٩٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ①﴾ [البلد: ١].

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ①﴾ [البلد: ١] أُقْسِمُ يَا مُحَمَّدُ بِهَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَهُوَ مَكَّةُ.

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ②﴾ [البلد: ٢].

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ②﴾ [البلد: ٢] وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، يَعْنِي بِمَكَّةَ، يَقُولُ: أَنْتَ بِهِ حَلَالٌ تَصْنَعُ فِيهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ أَرَدْتَ قَتْلَهُ، وَأَسْرِ مَنْ أَرَدْتَ أَسْرَهُ، مُطْلَقٌ ذَلِكَ لَكَ.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③﴾ [البلد: ٣].

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③﴾ [البلد: ٣] فَأُقْسِمُ بِوَالِدٍ وَبِوَلَدِهِ الَّذِي وَلَدَ

قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِالْوَالِدِ: كُلُّ وَالِدٍ، وَمَا وَلَدَ: كُلُّ عَاقِرٍ لَمْ يَلِدْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: آدَمُ وَوَلَدُهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: إِبْرَاهِيمُ وَمَا وَلَدَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: مَا قَالَهُ الَّذِي قَالُوا: إِنَّ اللهَ أَقْسَمَ بِكُلِّ وَالِدٍ وَوَلَدِهِ، لِأَنَّ اللهَ عَمَّ كُلَّ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَخُصَّ ذَلِكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ، أَوْ عَقْلٍ، وَلَا خَبَرَ بِخُصُوصِ ذَلِكَ، وَلَا بُرْهَانَ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِخُصُوصِهِ، فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ كَمَا عَمَّهُ.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ④﴾ [البلد: ٤].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ④﴾ [البلد: ٤] لَقَدْ خَلَقْنَا ابْنَ آدَمَ فِي شِدَّةٍ وَعَنَاءٍ وَنَصَبٍ.. وَهَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤﴾ [البلد: ٥].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤﴾ [البلد: ٥] أَيَحْسَبُ هَذَا الْقَوِيُّ بِجَلَدِهِ وَقُوَّتِهِ، أَنْ لَنْ يَقْهَرَهُ أَحَدٌ وَيَغْلِبَهُ، فَاللهُ غَالِبُهُ وَقَاهِرُهُ.

﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦﴾ [البلد: ٦].

﴿يَقُولُ﴾ هَذَا الْجَلِيدُ الشَّدِيدُ..

﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦﴾ [البلد: ٦] أَهْلَكْتُ مَالًا كَثِيرًا، فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَنْفَقْتُ ذَلِكَ فِيهِ، وَهُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ ذَلِكَ؛ وَهُوَ فُعَلٌ مِنَ التَّلَبُّدِ، وَهُوَ الْكَثِيرُ، بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ، يُقَالُ مِنْهُ: لَبَدَ بِالْأَرْضِ يَلْبُدُ، إِذَا لَصِقَ بِهَا.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧﴾ [البلد: ٧].

﴿أَيَحۡسَبُ﴾ أَيَظُنُّ هَذَا الْقَائِلُ ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦﴾ [البلد: ٦]..

﴿أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧﴾ [البلد: ٧] فِي حَالِ إِنْفَاقِهِ مَا يَزْعُمُ أَنَّهُ أَنْفَقَهُ.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨﴾ [البلد: ٨].

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لِهَذَا الْقَائِلِ ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦﴾..

﴿عَيۡنَيۡنِ ٨﴾ [البلد: ٨] يُبْصِرُ بِهِمَا حُجَجَ اللهِ عَلَيْهِ.

﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩﴾ [البلد: ٩].

﴿وَلِسَانٗا﴾ يُعَبِّرُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مَا أَرَادَ..

﴿وَشَفَتَيۡنِ ٩﴾ [البلد: ٩] نِعْمَةً مِنَّا بِذَلِكَ عَلَيْهِ.

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد: ١٠].

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد: ١٠] وَهَدَيْنَاهُ الطَّرِيقَيْنِ، وَنَجْدٌ: طَرِيقٌ فِي ارْتِفَاعٍ، عُنِيَ بِذَلِكَ طَرِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١﴾ [البلد: ١١].

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١﴾ [البلد: ١١] فَلَمْ يَرْكَبِ الْعَقَبَةَ، فَيَقْطَعُهَا وَيَحُوزُهَا وَذُكِرَ أَنَّ الْعَقَبَةَ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي مِنْهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾ [البلد: ١٢].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾ [البلد: ١٢] وَأَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْعَقَبَةُ ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُ، مَا الْعَقَبَةُ، وَمَا النَّجَاةُ مِنْهَا، وَمَا وَجْهُ اقْتِحَامِهَا؟ فَقَالَ: اقْتِحَامُهَا وَقَطْعُهَا.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ [البلد: ١٣].

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ [البلد: ١٣] مِنَ الرِّقِّ، وَأَسْرِ الْعُبُودَةِ.

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ [البلد: ١٤].

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ [البلد: ١٤] أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَجَاعَةٍ، وَالسَّاغِبُ: الْجَائِعُ.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥﴾ [البلد: ١٥].

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥﴾ [البلد: ١٥] أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ مَجَاعَةٍ صَغِيرًا لَا أَبَ لَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ، وَهُوَ الْيَتِيمُ ذُو الْمَقْرَبَةِ؛ وَعَنَىٰ بِذِي الْمَقْرَبَةِ: ذَا الْقَرَابَةِ.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ [البلد: ١٦].

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ [البلد: ١٦] أَوْ مِسْكِينًا قَدْ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ [البلد: ١٧].

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ هَذَا الَّذِي قَالَ: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۝٦﴾..

﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَيُؤْمِنُ مَعَهُمْ كَمَا آمَنُوا..

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وَمِمَّنْ أَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا نَابَهُمْ فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ [البلد: ١٧] وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْمَرْحَمَةِ.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝١٨﴾ [البلد: ١٨].

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ، وَإِطْعَامِ الْيَتِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝١٨﴾ [البلد: ١٨] أَصْحَابُ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝١٩﴾ [البلد: ١٩].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِأَدِلَّتِنَا وَأَعْلَامِنَا وَحُجَجِنَا مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩﴾ [البلد: ١٩] هُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ [البلد: ٢٠].

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ [البلد: ٢٠] عَلَيْهِمْ نَارُ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُطْبَقَةٌ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَلَدِ



سُورَةُ الشَّمْسِ (٩١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ①﴾ [الشمس: ١].

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ①﴾ [الشمس: ١] قَسَمٌ، أَقْسَمَ رَبُّنَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا؛ وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: أُقْسِمُ بِالشَّمْسِ، وَبِضُحَىٰ الشَّمْسِ، فَأَقْسَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا، لِأَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ الظَّاهِرَةِ هُوَ النَّهَارُ.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ②﴾ [الشمس: ٢].

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ②﴾ [الشمس: ٢] وَالْقَمَرِ إِذَا تَبِعَ الشَّمْسَ، وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، تَلَاهَا الْقَمَرُ طَالِعًا.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ③﴾ [الشمس: ٣].

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ③﴾ [الشمس: ٣] إِذَا أَضَاءَ.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④﴾ [الشمس: ٤].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④﴾ [الشمس: ٤] وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ الشَّمْسَ، حَتَّىٰ تَغِيبَ فَتُظْلِمَ الْآفَاقُ.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤﴾ [الشمس: ٥].

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤﴾ [الشمس: ٥] وَمَنْ خَلَقَهَا، وَبِنَاؤُهُ إِيَّاهَا: تَصْيِيرُهُ إِيَّاهَا لِلْأَرْضِ سَقْفًا.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥﴾ [الشمس: ٦].

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥﴾ [الشمس: ٦] وَهَذِهِ أَيْضًا نَظِيرُ الَّتِي قَبْلَهَا، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَالْأَرْضِ وَمَنْ طَحَاهَا، وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿طَحَاهَا ⑥﴾ بَسَطَهَا يَمِينًا وَشِمَالًا، وَمِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦﴾ [الشمس: ٧].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦﴾ [الشمس: ٧] لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَوَّىٰ النَّفْسَ وَخَلَقَهَا، فَعَدَلَ خَلْقَهَا،

فَوَضَعَ (مَا) مَوْضِعَ (مَنْ)، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا الْمَصْدَرُ، فَيَكُونَ تَأْوِيلُهُ: وَنَفْسٍ وَتَسْوِيَتِهَا، فَيَكُونَ الْقَسَمُ بِالنَّفْسِ وَبِتَسْوِيَتِهَا.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨].

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨] فَبَيَّنَ لَهَا مَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَأْتِيَ أَوْ تَذَرَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩﴾ [الشمس:٩].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩﴾ [الشمس:٩] قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ اللهُ نَفْسَهُ، فَكَثَّرَ تَطْهِيرَهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَأَصْلَحَهَا بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ١٠].

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ فِي طَلِبَتِهِ، فَلَمْ يُدْرِكْ مَا طَلَبَ وَالْتَمَسَ لِنَفْسِهِ مِنَ الصَّلَاحِ..

﴿مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ١٠] مَنْ دَسَّسَ اللهُ نَفْسَهُ فَأَخْمَلَهَا، وَوَضَعَ مِنْهَا، بِخُذْلَانِهِ إِيَّاهَا عَنِ الْهُدَىٰ حَتَّىٰ رَكِبَ الْمَعَاصِي، وَتَرَكَ طَاعَةَ اللهِ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١﴾ [الشمس: ١١].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١﴾ [الشمس: ١١] كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُغْيَانِهَا، يَعْنِي: بِعَذَابِهَا الَّذِي وَعَدَهُمُوهُ صَالِحٌ ﷺ، فَكَانَ ذَلِكَ الْعَذَابُ طَاغِيًا طَغَىٰ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [الحاقة: ٥].

﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢﴾ [الشمس: ١٢].

﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢﴾ [الشمس: ١٢] إِذْ ثَارَ أَشْقَىٰ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَهَا.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣﴾ [الشمس: ١٣].

﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾ فَقَالَ لِثَمُودَ..

﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ ﷺ صَالِحٌ..

﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣﴾ [الشمس: ١٣] احْذَرُوا نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا، وَإِنَّمَا حَذَّرَهُمْ سُقْيَا النَّاقَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ عَنْ أَمْرِ اللهِ، أَنَّ لِلنَّاقَةِ شِرْبَ يَوْمٍ، وَلَهُمْ شِرْبُ يَوْمٍ آخَرَ، غَيْرَ يَوْمِ النَّاقَةِ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ [الشمس: ١٤].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبُوا صَالِحًا فِي خَبَرِهِ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ اللهَ الَّذِي جَعَلَ شِرْبَ النَّاقَةِ يَوْمًا، وَلَهُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، وَأَنَّ اللهَ يَحِلُّ بِهِمْ نِقْمَتَهُ، إِنْ هُمْ عَقَرُوهَا، كَمَا وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَقَالَ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ [الحاقة: ٤]..

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ جَوَابُ لِقَوْلِهِ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشمس: ١٢]، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَعَقَرَهَا، فَقَالَ: وَكَيْفَ؟ قِيلَ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ قَبْلَ قَتْلِ النَّاقَةِ مُسْلِمَيْنَ، لَهَا شِرْبُ يَوْمٍ، وَلَهُمْ شِرْبُ يَوْمٍ آخَرَ، قِيلَ: جَاءَ الْخَبَرُ أَنَّهُمْ بَعْدَ تَسْلِيمِهِمْ ذَلِكَ، أَجْمَعُوا عَلَىٰ مَنْعِهَا الشِّرْبَ، وَرَضُوا بِقَتْلِهَا، وَعَنْ رِضَا جَمِيعِهِمْ قَتَلَهَا قَاتِلُهَا، وَعَقَرَهَا مَنْ عَقَرَهَا، وَلِذَلِكَ نُسِبَ التَّكْذِيبُ وَالْعَقْرُ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾..

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ﴾ فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ذَلِكَ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ صَالِحًا، وَعَقْرِهِمْ نَاقَتَهُ..

﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ [الشمس: ١٤] فَسَوَّىٰ الدَّمْدَمَةَ عَلَيْهِمْ جَمِيعِهِمْ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١٥].

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١٥] لَا يَخَافُ تَبِعَةَ دَمْدَمَتِهِ عَلَيْهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَمْ يَخَفِ الَّذِي عَقَرَهَا عُقْبَاهَا: أَيْ عُقْبَىٰ فِعْلَتِهِ الَّتِي فَعَلَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الشَّمْسِ



سُورَةُ اللَّيْلِ (٩٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ①﴾ [الليل: ١].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ①﴾ [الليل: ١] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُقْسِمًا بِاللَّيْلِ إِذَا غَشِيَ النَّهَارَ بِظُلْمَتِهِ، فَأَذْهَبَ ضَوْءَهُ، وَجَاءَتْ ظُلْمَتُهُ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ①﴾ النَّهَارَ.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ②﴾ [الليل: ٢].

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ②﴾ [الليل: ٢] وَهَذَا أَيْضًا قَسَمٌ، أَقْسَمَ بِالنَّهَارِ إِذَا هُوَ أَضَاءَ فَأَنَارَ، وَظَهَرَ لِلْأَبْصَارِ، مَا كَانَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ قَدْ حَالَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رُؤْيَتِهِ وَإِتْيَانِهِ إِيَّاهَا عِيَانًا، وَكَانَ قَتَادَةُ يَذْهَبُ فِيمَا أَقْسَمَ اللهُ بِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَنَّهُ إِنَّمَا أَقْسَمَ بِهِ لِعِظَمِ شَأْنِهِ عِنْدَهُ.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③﴾ [الليل: ٣].

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③﴾ [الليل: ٣] يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥﴾ [الشمس: ٦]، وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ مَا بِمَعْنَىٰ مِنْ، فَيَكُونَ ذَلِكَ قَسَمًا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِخَالِقِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ، وَهُوَ ذَلِكَ الْخَالِقُ، وَأَنْ تَجْعَلَ مَا مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمَعْنَىٰ الْمَصْدَرِ، وَيَكُونَ قَسَمًا بِخَلْقِهِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④﴾ [الليل: ٤].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④﴾ [الليل: ٤] إِنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ أَيُّهَا النَّاسُ، لِأَنَّ مِنْكُمُ الْكَافِرَ بِرَبِّهِ، وَالْعَاصِيَ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَالْمُؤْمِنَ بِهِ، وَالْمُطِيعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤﴾ [الليل: ٥].

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤﴾ [الليل: ٥] فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ أَمَرَهُ اللهُ بِإِعْطَائِهِ مِنْ مَالِهِ، وَمَا وَهَبَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاتَّقَىٰ اللهَ وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾ [الليل: ٦].

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾ [الليل: ٦] عُنِيَ بِهِ: التَّصْدِيقُ بِالْخَلَفِ مِنَ اللهِ عَلَىٰ نَفَقَتِهِ، فَصَدَّقَ بِالْخَلَفِ مِنَ اللهِ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ مَا أَعْطَىٰ مِنْ مَالِهِ فِيمَا أَعْطَىٰ فِيهِ مِمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِإِعْطَائِهِ فِيهِ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧﴾ [الليل: ٧].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧﴾ [الليل: ٧] فَسَنُهَيِّئُهُ لِلْخَلَّةِ الْيُسْرَىٰ، وَهِيَ الْعَمَلُ بِمَا يَرْضَاهُ اللهُ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، لِيُوجِبَ لَهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةَ.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨﴾ [الليل: ٨].

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنَعَ مَا وَهَبَ اللهُ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ، مِنْ صَرْفِهِ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِصَرْفِهِ فِيهَا..

﴿وَٱسْتَغْنَىٰ ٨﴾ [الليل: ٨] عَنْ رَبِّهِ، فَلَمْ يَرْغَبْ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ لَهُ بِطَاعَتِهِ، بِالزِّيَادَةِ فِيمَا خَوَّلَهُ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩﴾ [الليل: ٩].

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩﴾ [الليل: ٩] وَكَذَّبَ بِالْخَلَفِ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ١٠﴾ [الليل: ١٠].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾ فَسَنُهَيِّئُهُ فِي الدُّنْيَا..

﴿لِلْعُسْرَىٰ ١٠﴾ [الليل: ١٠] لِلْخَلَّةِ الْعُسْرَىٰ.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ [الليل: ١١].

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ أَيُّ شَيْءٍ يَدْفَعُ عَنْ هَذَا الَّذِي بَخِلَ بِمَالِهِ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنْ رَبِّهِ، مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿إِذَا﴾ هُوَ..

﴿تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ [الليل: ١١] إِذَا تَرَدَّىٰ فِي جَهَنَّمَ، أَيْ سَقَطَ فِيهَا فَهَوَىٰ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ١٢﴾ [الليل: ١٢].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ١٢﴾ [الليل: ١٢] إِنَّ عَلَيْنَا لَبَيَانَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالطَّاعَةِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ١٣﴾ [الليل: ١٣].

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ١٣﴾ [الليل: ١٣] وَإِنَّ لَنَا مُلْكَ مَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، نُعْطِي مِنْهُمَا مَنْ

أَرَدْنَا مِنْ خَلْقِنَا، وَنَحْرِمُهُ مَنْ شِئْنَا وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُوَفِّقُ لِطَاعَتِهِ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُكْرِمُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُهَيِّئُ لَهُ الْكَرَامَةَ وَالثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ خُذْلَانَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَيُهِينُهُ بِمَعْصِيَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُخْزِيهِ بِعُقُوبَتِهِ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤].

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤] فَأَنْذَرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نَارًا تَتَوَهَّجُ، وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ، يَقُولُ: احْذَرُوا أَنْ تَعْصُوا رَبَّكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَكْفُرُوا بِهِ، فَتَصْلَوْنَهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ١٥﴾ [الليل: ١٥].

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ١٥﴾ [الليل: ١٥] لَا يَدْخُلُهَا فَيَصْلَىٰ بِسَعِيرِهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾ [الليل: ١٦].

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ بِآيَاتِ رَبِّهِ..

﴿وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾ [الليل: ١٦] وَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧﴾ [الليل: ١٧].

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧﴾ [الليل: ١٧] وَسَيُوَقَّىٰ صِلِيَّ النَّارِ الَّتِي تَلَظَّىٰ التَّقِيُّ.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨﴾ [الليل: ١٨].

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ الَّذِي يُعْطِي مَالَهُ فِي الدُّنْيَا فِي حُقُوقِ اللهِ الَّتِي أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا..

﴿يَتَزَكَّىٰ ١٨﴾ [الليل: ١٨] يَتَطَهَّرُ بِإِعْطَائِهِ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِ.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩﴾ [الليل: ١٩].

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩﴾ [الليل: ١٩] كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يُوَجِّهُ تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَىٰ: وَمَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ عِنْدَ هَذَا الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ يَتَزَكَّىٰ ﴿مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩﴾ [الليل: ١٩] يَعْنِي: مِنْ يَدٍ يُكَافِئُهُ عَلَيْهَا، يَقُولُ: لَيْسَ يُنْفِقُ مَا يُنْفِقُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُعْطِي مَا يُعْطِي، مُجَازَاةَ إِنْسَانٍ يُجَازِيهِ عَلَىٰ يَدٍ لَهُ عِنْدَهُ، وَلَا مُكَافَأَةً لَهُ عَلَىٰ نِعْمَةٍ سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ، أَنْعَمَهَا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُؤْتِيهِ فِي حُقُوقِ اللهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، قَالَ: وَ(إِلَّا) فِي قوله﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠﴾ بِمَعْنَىٰ لَكِنْ، وَقَالَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ فِي الْمُكَافَأَةِ مُسْتَقْبَلًا، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: وَلَمْ يُرِدْ بِمَا أَنْفَقَ مُكَافَأَةً مِنْ

أَحَدٍ، وَيَكُونُ مَوْقِعُ اللَّامِ الَّتِي فِي أَحَدٍ فِي الْهَاءِ الَّتِي خَفَضَتْهَا عِنْدَهُ، فَكَأَنَّكَ قُلْتُ: وَمَا لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ فِيمَا أَنْفَقَ مِنْ نِعْمَةٍ يَلْتَمِسُ ثَوَابَهَا، قَالَ: وَقَدْ تَضَعُ الْعَرَبُ الْحَرْفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إِذَا كَانَ مَعْرُوفًا، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الَّذِي حَكَيْنَا قَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِمَّا يَجُوزُ، هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، وَقَالُوا: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ بِعِتْقِهِ مَنْ أَعْتَقَ.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل: ٢٠].

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل: ٢٠] وَمَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ عِنْدَ هَذَا الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ يَتَزَكَّىٰ ﴿مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾ مِنْ يَدٍ يُكَافِئُهُ عَلَيْهَا، يَقُولُ: لَيْسَ يُنْفِقُ مَا يُنْفِقُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُعْطِي مَا يُعْطِي، مُجَازَاةَ إِنْسَانٍ يُجَازِيهِ عَلَىٰ يَدٍ لَهُ عِنْدَهُ، وَلَا مُكَافَأَةً لَهُ عَلَىٰ نِعْمَةٍ سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ، أَنْعَمَهَا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُؤْتِيهِ فِي حُقُوقِ اللهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ٢١].

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ٢١] هَذَا الْمُؤْتِي مَالَهُ فِي حُقُوقِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، يَتَزَكَّىٰ بِمَا يُثِيبُهُ اللهُ فِي الْآخِرَةِ عِوَضًا مِمَّا أَتَىٰ فِي الدُّنْيَا فِي سَبِيلِهِ، إِذَا لَقِيَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ اللَّيْلِ

سُورَةُ الضُّحَى (٩٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضحى: ١].

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضحى: ١] أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالضُّحَى، وَهُوَ النَّهَارُ كُلُّهُ، وَأَحْسِبُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَحِيَ فُلَانٌ لِلشَّمْسِ: إِذَا ظَهَرَ مِنْهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه: ١١٩] أَيْ لَا يُصِيبُكَ فِيهَا الشَّمْسُ.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ٢].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ٢] وَاللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ بِأَهْلِهِ، وَثَبَتَ بِظَلَامِهِ، كَمَا يُقَالُ: بَحْرٌ سَاجٍ: إِذَا كَانَ سَاكِنًا.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣].

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣] مَا تَرَكَكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ وَمَا أَبْغَضَكَ.. وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ.. وَقِيلَ: ﴿وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ وَمَعْنَاهُ، وَمَا قَلَاكَ، اكْتِفَاءً بِفَهْمِ السَّامِعِ لِمَعْنَاهُ، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ فَعُرِفَ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ.

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى: ٤].

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ﴾ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا..

﴿خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى: ٤] خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدَّارِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ يَقُولُ: فَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، فَإِنَّ الَّذِي لَكَ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهَا.

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥].

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ فَوَاضِلِ نِعَمِهِ، حَتَّى تَرْضَى.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ٦﴾ [الضحى: ٦].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَدِّدًا عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ نِعَمَهُ عِنْدَهُ، وَمُذَكِّرَهُ آلَاءَهُ قَبْلَهُ: أَلَمْ يَجِدْكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ يَتِيمًا..

﴿فَـَٔاوَىٰ ٦﴾ [الضحى: ٦] فَجَعَلَ لَكَ مَأْوًى تَأْوِي إِلَيْهِ، وَمَنْزِلًا تَنْزِلُهُ.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ٧﴾ [الضحى: ٧].

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ٧﴾ [الضحى: ٧] وَوَجَدَكَ عَلَىٰ غَيْرِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: وَوَجَدَكَ فِي قَوْمٍ ضُلَّالٍ فَهَدَاكَ.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ٨﴾ [الضحى: ٨].

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ٨﴾ [الضحى: ٨] وَوَجَدَكَ فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩﴾ [الضحى: ٩].

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَلَا تَقْهَرْ ٩﴾ [الضحى: ٩] فَلَا تَظْلِمْهُ، فَتَذْهَبْ بِحَقِّهِ، اسْتِضْعَافًا مِنْكَ لَهُ.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠﴾ [الضحى: ١٠].

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ وَأَمَّا مَنْ سَأَلَكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ..

﴿فَلَا تَنْهَرْ ١٠﴾ [الضحى: ١٠] فَلَا تَنْهَرْهُ، وَلَكِنْ أَطْعِمْهُ وَاقْضِ لَهُ حَاجَتَهُ.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١﴾ [الضحى: ١١].

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١﴾ [الضحى: ١١] فَاذْكُرْهُ.. وَقَالَ أَبُو نَضْرَةَ: **(كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ أَنْ يُحَدِّثَ بِهَا)**.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الضُّحَىٰ



سُورَةُ الشَّرْحِ (٩٤)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①﴾ [الشرح: ١].

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُذَكِّرَهُ آلَاءَهُ عِنْدَهُ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، حَاضًّا لَهُ بِذَلِكَ عَلَىٰ شُكْرِهِ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، لِيَسْتَوْجِبَ بِذَلِكَ الْمَزِيدَ مِنْهُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، لِلْهُدَىٰ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ..

﴿صَدْرَكَ ①﴾ [الشرح: ١] فَنُلِينُ لَكَ قَلْبَكَ، وَنَجْعَلُهُ وِعَاءً لِلْحِكْمَةِ.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ②﴾ [الشرح: ٢].

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ②﴾ [الشرح: ٢] وَغَفَرْنَا لَكَ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَحَطَطْنَا عَنْكَ ثِقَلَ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي كُنْتَ فِيهَا.

﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③﴾ [الشرح: ٣].

﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③﴾ [الشرح: ٣] الَّذِي أَثْقَلَ ظَهْرَكَ فَأَوْهَنَهُ.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④﴾ [الشرح: ٤].

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④﴾ [الشرح: ٤] فَلَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، وَذَلِكَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤﴾ [الشرح: ٥].

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤﴾ [الشرح: ٥] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَإِنَّ مَعَ الشِّدَّةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، مِنْ جِهَادِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ أَوَّلِهِ: مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ، رَجَاءً وَفَرَجًا بِأَنْ يُظْفِرَكَ بِهِمْ، حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لِلْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥﴾ [الشرح: ٦].

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥﴾ [الشرح: ٦] رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ، بَشَّرَ بِهَا

أَصْحَابَهُ وَقَالَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ».

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشرح: ٧].

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشرح: ٧] فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ، فَانْصَبْ إِلَىٰ رَبِّكَ فِي الدُّعَاءِ، وَسَلْهُ حَاجَاتِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكَ ﴿فَٱنصَبْ ۝٧﴾ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ، فَانْصَبْ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فَرَاغَهُ مِنْ كُلِّ مَا كَانَ بِهِ مُشْتَغِلًا، مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، مِمَّا أَدَّىٰ لَهُ الشُّغْلَ بِهِ، وَأَمَرَهُ بِالشُّغْلِ بِهِ إِلَىٰ النَّصَبِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالِاشْتِغَالِ فِيمَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ، وَمَسْأَلَتِهِ حَاجَاتِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ دُونَ حَالٍ، فَسَوَاءٌ كُلُّ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ، مِنْ صَلَاةٍ كَانَ فَرَاغُهُ، أَوْ جِهَادٍ، أَوْ أَمْرِ دُنْيَا كَانَ بِهِ مُشْتَغِلًا، لِعُمُومِ الشَّرْطِ فِي ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ خُصُوصِ حَالَ فَرَاغٍ، دُونَ حَالٍ أُخْرَىٰ.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٨].

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٨] وَإِلَىٰ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ فَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ، دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ، إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ قَدْ جَعَلُوا رَغْبَتَهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ إِلَىٰ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الشَّرْحِ



سُورَةُ التِّينِ (٩٥)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ①﴾ [التين: ١].

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ①﴾ [التين: ١] التِّينُ: هُوَ التِّينُ الَّذِي يُؤْكَلُ، وَالزَّيْتُونُ: هُوَ الزَّيْتُونُ الَّذِي يُعْصَرُ مِنْهُ الزَّيْتُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَلَا يُعْرَفُ جَبَلٌ يُسَمَّىٰ تِينًا، وَلَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ زَيْتُونٌ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ: الْقَسَمُ بِمَنَابِتِ التِّينِ، وَمَنَابِتِ الزَّيْتُونِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَذْهَبًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَذَلِكَ، دَلَالَةٌ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَلَا مِنْ قَوْلِ مَنْ لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ، لِأَنَّ دِمَشْقَ بِهَا مَنَابِتُ التِّينِ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ مَنَابِتُ الزَّيْتُونِ.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ②﴾ [التين: ٢].

﴿وَطُورِ سِينِينَ ②﴾ [التين: ٢] جَبَلٌ مَعْرُوفٌ؛ لِأَنَّ الطُّورَ هُوَ الْجَبَلُ ذُو النَّبَاتِ، فَإِضَافَتُهُ إِلَىٰ سِينِينَ تَعْرِيفٌ لَهُ، وَلَوْ كَانَ نَعْتًا لِلطُّورِ كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ حَسَنٌ أَوْ مُبَارَكٌ، لَكَانَ الطُّورُ مُنَوَّنًا، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُضَافُ إِلَىٰ نَعْتِهِ، لِغَيْرِ عِلَّةٍ تَدْعُو إِلَىٰ ذَلِكَ.

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③﴾ [التين: ٣].

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③﴾ [التين: ٣] وَهَذَا الْبَلَدِ الْآمِنِ مِنْ أَعْدَائِهِ أَنْ يُحَارِبُوا أَهْلَهُ، أَوْ يَغْزُوهُمْ.. وَقِيلَ: الْأَمِينُ، وَمَعْنَاهُ: الْآمِنُ.. وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ: مَكَّةُ.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④﴾ [التين: ٤].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④﴾ [التين: ٤] فِي أَعْدَلِ خَلْقٍ، وَأَحْسَنِ صُورَةٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَقَدْ خَلَقْنَاهُ فِي تَقْوِيمِ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤﴾ [التين: ٥].

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤﴾ [التين: ٥] ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، إِلَىٰ عُمُرِ الْخَرْفَىٰ، الَّذِينَ ذَهَبَتْ

عُقُولُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ وَالْكِبَرِ، فَهُوَ فِي أَسْفَلَ مِنْ سَفَلٍ، فِي إِدْبَارِ الْعُمُرِ وَذَهَابِ الْعَقْلِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَخْبَرَ عَنْ خَلْقِهِ ابْنَ آدَمَ، وَتَصْرِيفِهِ فِي الْأَحْوَالِ، احْتِجَاجًا بِذَلِكَ عَلَىٰ مُنْكِرِي قُدْرَتِهِ عَلَىٰ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧﴾ [التين: ٧] يَعْنِي: بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ، وَمَحَا أَنْ يُحْتَجَّ عَلَىٰ قَوْمٍ كَانُوا مُنْكِرِينَ مَعْنًىٰ مِنَ الْمَعَانِي، بِمَا كَانُوا لَهُ مُنْكِرِينَ، وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ عَلَىٰ كُلِّ قَوْمٍ بِمَا لَا يَقْدِرُوا عَلَىٰ دَفْعِهِ، مِمَّا يُعَايِنُونَهُ وَيَحِسُّونَهُ، أَوْ يُقِرُّونَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا لَهُ مُحِسِّينَ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ لِلنَّارِ الَّتِي كَانَ اللهُ يَتَوَعَّدُهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ مُنْكِرِينَ، وَكَانُوا لِأَهْلِ الْهَرَمِ وَالْخَرَفِ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ وَالْجَلَدِ شَاهِدَيْنَ، عُلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا لَهُ مُعَايِنِينَ، مِنْ تَصْرِيفِهِ خَلْقَهُ، وَنَقْلِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ حَالِ التَّقْوِيمِ الْحَسَنِ وَالشَّبَابِ وَالْجَلَدِ، إِلَىٰ الْهَرَمِ وَالضَّعْفِ وَفَنَاءِ الْعُمُرِ، وَحُدُوثِ الْخَرَفِ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ [التين: ٦].

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فِي حَالِ صِحَّتِهِمْ وَشَبَابِهِمْ..

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ [التين: ٦] بَعْدَ هَرَمِهِمْ، كَهَيْئَةِ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، فِي حَالِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَهُمْ أَقْوِيَاءُ عَلَىٰ الْعَمَلِ.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧﴾ [التين: ٧].

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾ فَمَنْ يُكَذِّبُكَ يَا مُحَمَّدُ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي احْتَجَجْنَا بِهَا..

﴿بِالدِّينِ ۝٧﴾ [التين: ٧] بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: ٨].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: ٨] بِأَحْكَمِ مِنْ حَكَمَ فِي أَحْكَامِهِ، وَفَصْلِ قَضَائِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ؟

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التِّينِ

سُورَةُ الْعَلَقِ (٩٦)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١].

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١] اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ بِذِكْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.. وَهَذِهِ أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②﴾ [العلق: ٢].

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②﴾ [العلق:٢] يعني: مِن الدَّمِ، وقال: مَن عَلَقٍ؛ والمرادُ بِهِ مِن عَلَقَةٍ؛ لِأَنَّه ذَهَبَ إِلىٰ الجَمْعِ، كما يُقال: شَجَرةٌ وَشَجَر، وقصبةٌ وَقصَب، وَكَذَلِكَ عَلَقَةٌ وعَلَق، وإنما قال: مِن عَلَقٍ، والإنسانَ في لفظٍ واحدٍ؛ لأنَّه في معنىٰ جمع، وإن كان في لفظٍ واحدٍ، فلذلك قيل: من عَلَقٍ.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③﴾ [العلق:٣].

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③﴾ [العلق:٣] يقول: اقرأ يا محمد وربك الأكرم.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④﴾ [العلق:٤].

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④﴾ [العلق: ٤] خَلْقَهُ للكتابةِ والخطِّ..قال قتادة: **(القلمُ نعمةٌ من اللهِ عظيمةٌ، لولا ذَلكَ لَمْ يَقُمْ، وَلَمْ يَصلُحْ عَيْشٍ)**.. وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ أَوَّلُ سُورةٍ نَزَلَتْ في القُرآنِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ.

﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق: ٥].

﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق: ٥] عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْخَطَّ بِالْقَلَمِ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ، مَعَ أَشْيَاءَ غَيرِ ذَلِكَ، مِمَّا عَلَّمَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمْهُ.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ⑥﴾ [العلق: ٦].

﴿كَلَّا﴾ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْعِمَ عَلَيْهِ رَبُّهُ بِتَسْوِيَتِهِ خَلْقَهُ، وَتَعْلِيمِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَإِنْعَامِهِ بِمَا لَا كُفُؤَ لَهُ، ثُمَّ يَكْفُرَ بِرَبِّهِ الَّذِي فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، وَيَطْغَىٰ عَلَيْهِ، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ..

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾ [العلق: ٦] إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ، فَيَكْفُرُ بِهِ.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٧].

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٧] لِأَنْ رَأَىٰ نَفْسَهُ اسْتَغْنَتْ.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨].

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨] إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ مَرْجِعَهُ، فَذَائِقٌ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ.

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩﴾ [العلق: ٩].

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩﴾ [العلق: ٩] ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَمَا بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا بَلَغَنَا: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي، لَأَطَأَنَّ رَقَبَتَهُ؛ وَكَانَ فِيمَا ذُكِرَ قَدْ نَهَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ أَبَا جَهْلٍ.

﴿عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ [العلق: ١٠].

﴿عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ [العلق: ١٠] الَّذِي يَنْهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عِنْدَ الْمَقَامِ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنِ الْحَقِّ، مُكَذِّبٌ بِهِ، يُعَجِّبُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَهْلِ أَبِي جَهْلٍ، وَجَرَاءَتِهِ عَلَىٰ رَبِّهِ، فِي نَهْيِهِ مُحَمَّدًا عَنِ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ، وَهُوَ مَعَ أَيَادِيهِ عِنْدَهُ مُكَذِّبٌ بِهِ.

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١﴾ [العلق: ١١].

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١﴾ [العلق: ١١] عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ وَسَدَادٍ فِي صَلَاتِهِ لِرَبِّهِ.

﴿أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢﴾ [العلق: ١٢].

﴿أَوۡ أَمَرَ﴾ أَوْ أَمَرَ مُحَمَّدٌ هَذَا الَّذِي يَنْهَىٰ عَنِ الصَّلَاةِ..

﴿بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢﴾ [العلق: ١٢] بِاتِّقَاءِ اللهِ، وَخَوْفِ عِقَابِهِ.

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ [العلق: ١٣].

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ﴾ أَبُو جَهْلٍ بِالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا..

﴿وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ [العلق: ١٣] وَأَدْبَرَ عَنْهُ، فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ١٤].

﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ أَبُو جَهْلٍ إِذْ يَنْهَىٰ مُحَمَّدًا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَالصَّلَاةِ لَهُ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ١٤] بِأَنَّ اللهَ يَرَاهُ فَيَخَافُ سَطْوَتَهُ وَعِقَابَهُ..

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥﴾ [العلق: ١٥].

﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ كَمَا قَالَ: إِنَّهُ يَطَأُ عُنُقَ مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ..

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أَبُو جَهْلٍ عَنْ مُحَمَّدٍ..

﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥﴾ [العلق: ١٥] لَنَأْخُذَنْ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، فَلَنَضُمَّنَّهُ وَلَنُذِلَّنَّهُ.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦﴾ [العلق: ١٦].

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦﴾ [العلق: ١٦] فَخَفَضَ نَاصِيَةً رَدًّا عَلَىٰ النَّاصِيَةِ الْأُولَىٰ بِالتَّكْرِيرِ، وَوَصَفَ النَّاصِيَةَ بِالْكَذِبِ وَالْخَطِيئَةِ، وَالْمَعْنَىٰ لِصَاحِبِهَا

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ١٧﴾ [العلق: ١٧].

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ١٧﴾ [العلق: ١٧] فَلْيَدْعُ أَبُو جَهْلٍ أَهْلَ مَجْلِسِهِ وَأَنْصَارَهُ، مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ، وَالنَّادِي: هُوَ الْمَجْلِسُ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ فِيمَا بَلَغَنَا، لِأَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَمَّا نَهَىٰ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْمَقَامِ، انْتَهَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَغْلَظَ لَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: عَلَامَ يَتَوَعَّدُنِي مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا؟ فَقَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥﴾ [العلق: ١٥]، فَلْيَدْعُ حِينَئِذٍ نَادِيَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ دَعَا نَادِيَهُ، دَعَوْنَا الزَّبَانِيَةَ.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ [العلق: ١٨].

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ [العلق: ١٨] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ، أَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ.

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ١٩﴾ [العلق: ١٩].

﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ أَبُو جَهْلٍ، إِذْ يَنْهَىٰ مُحَمَّدًا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَالصَّلَاةِ لَهُ..

﴿لَا تُطِعْهُ﴾ لَا تُطِعْ أَبَا جَهْلٍ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ لِرَبِّكَ..

﴿وَٱسْجُدْ﴾ لِرَبِّكَ..

﴿وَٱقْتَرِب ۩ ١٩﴾ [العلق: ١٩] مِنْهُ، بِالتَّحَبُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، فَإِنَّ أَبَا جَهْلٍ لَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ ضَرِّكَ، وَنَحْنُ نَمْنَعُكَ مِنْهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْعَلَقِ

سُورَةُ الْقَدْرِ (٩٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ①﴾ [القدر: ١].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا..

﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ①﴾ [القدر: ١] وَهِيَ لَيْلَةُ الْحُكْمِ الَّتِي يَقْضِي اللهُ فِيهَا قَضَاءَ السَّنَةِ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ②﴾ [القدر: ٢].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ②﴾ [القدر: ٢] وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ شَيْءٍ.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③﴾ [القدر: ٣].

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③﴾ [القدر: ٣] عَمَلٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَأَمَّا الْأَقْوَالُ الْأُخَرُ، فَدَعَاوَىٰ مَعَانٍ بَاطِلَةٍ، لَا دَلَالَةَ عَلَيْهَا مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَلَا هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي التَّنْزِيلِ.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④﴾ [القدر: ٤].

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ وَجِبْرِيلُ مَعَهُمْ، وَهُوَ الرُّوحُ، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ..

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④﴾ [القدر: ٤] بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، مِنْ كُلِّ أَمْرٍ قَضَاهُ اللهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، مِنْ رِزْقٍ وَأَجَلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤﴾ [القدر: ٥].

﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ سَلَامٌ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مِنْ أَوَّلِهَا..

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤﴾ [القدر: ٥] إِلَىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَتِهَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقَدْرِ

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ (٩٨)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ①﴾ [البينة: ١].

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ مُفْتَرِقِينَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، لَمْ يَكُونُوا تَارِكِينَ صِفَةَ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِهِمْ حَتَّىٰ بُعِثَ، فَلَمَّا بُعِثَ تَفَرَّقُوا فِيهِ..

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ①﴾ [البينة: ١] حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ بَيَانُ أَمْرِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، بِبَعْثِهِ اللهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تَرْجَمَ عَنِ الْبَيِّنَةِ، فَقَالَ: تِلْكَ الْبَيِّنَةُ.

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ②﴾ [البينة: ٢].

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ②﴾ [البينة: ٢] يَقْرَأُ صُحُفًا مطهَرَةً مِنَ الْبَاطِلِ.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③﴾ [البينة: ٣].

﴿فِيهَا﴾ فِي الصُّحُفِ الْمطْهَرَةِ..

﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③﴾ [البينة: ٣] كُتُبٌ مِنَ اللهِ قَيِّمَةٌ عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ، لَيْسَ فِيهَا خَطَأٌ، لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④﴾ [البينة: ٤].

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَذَّبُوا بِهِ..

﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ﴾ يَعْنِي: مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿الْبَيِّنَةُ ④﴾ [البينة: ٤] بَيَانُ أَمْرِ مُحَمَّدٍ، أَنَّهُ رَسُولٌ بِإِرْسَالِ اللهِ إِيَّاهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ؛ يَقُولُ: فَلَمَّا بَعَثَهُ اللهُ تَفَرَّقُوا فِيهِ، فَكَذَّبَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَآمَنَ بَعْضُهُمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ فِيهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤﴾ [البينة: ٥].

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ وَمَا أَمَرَ اللهُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ..

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، يَقُولُ: مُفْرِدِينَ

لَهُ الطَّاعَةَ، لَا يَخْلِطُونَ طَاعَتَهُمْ رَبَّهُمْ بِشِرْكٍ، فَأَشْرَكَتِ الْيَهُودُ بِرَبِّهَا بِقَوْلِهِمْ إِنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللهِ، وَالنَّصَارَىٰ بِقَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وَلِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَلْيُؤْتُوا الزَّكَاةَ..

﴿وَذَٰلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ..

﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥] هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمَةُ، وَيَعْنِي بِالْقَيِّمَةِ: الْمُسْتَقِيمَةَ الْعَادِلَةَ، وَأُضِيفَ الدِّينُ إِلَىٰ الْقَيِّمَةِ، وَالدِّينُ هُوَ الْقَيِّمُ، وَهُوَ مِنْ نَعْتِهِ لِاخْتِلَافِ لَفْظَيْهِمَا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ..

﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُشْرِكِينَ جَمِيعِهِمْ..

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾ مَاكِثِينَ، لَابِثِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ..

﴿هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦] هُمْ شَرُّ مَنْ بَرَأَهُ اللهُ وَخَلَقَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة: ٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَبَدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَطَاعُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة: ٧] مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ فَهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة: ٨].

﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ ثَوَابُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ لَا ظَعْنَ فِيهَا..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا، وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا..

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بِمَا أَطَاعُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَعَمِلُوا لِخَلَاصِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ فِي ذَلِكَ..

﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الثَّوَابِ يَوْمَئِذٍ، عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَجَزَاهُمْ عَلَيْهَا مِنَ الْكَرَامَةِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْخَيْرُ الَّذِي وَصَفْتُهُ، وَوَعَدْتُهُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة: ٨] لِمَنْ خَافَ اللهَ فِي الدُّنْيَا فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، فَاتَّقَاهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَيِّنَةِ



سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ (٩٩)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾ [الزلزلة: ١].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ لِقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿زِلْزَالَهَا ①﴾ [الزلزلة: ١] فَرُجَّتْ رَجًّا.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②﴾ [الزلزلة: ٢].

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②﴾ [الزلزلة: ٢] مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ أَحْيَاءً، وَالْمَيِّتُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ ثُقْلٌ لَهَا، وَهُوَ فَوْقَ ظَهْرِهَا حَيًّا ثُقْلٌ عَلَيْهَا.

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ③﴾ [الزلزلة: ٣].

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ﴾ وَقَالَ النَّاسُ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١] لِقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿مَا لَهَا ③﴾ [الزلزلة: ٣] مَا لِلْأَرْضِ وَمَا قِصَّتُهَا.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④﴾ [الزلزلة: ٤].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الْأَرْضُ..

﴿أَخْبَارَهَا ④﴾ [الزلزلة: ٤] وَتَحْدِيثُهَا أَخْبَارَهَا أَنْ تَتَكَلَّمَ فَتَقُولَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِهَذَا، وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ بِهِ، وَأَذِنَ لِي فِيهِ.. وَأَمَّا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، فَكَأَنَّ مَعْنَىٰ ﴿تُحَدِّثُ﴾ عِنْدَه وَتَنْبِيئُهَا أَخْبَارَهَا: (**إِخْرَاجُهَا أَثْقَالَهَا مِنْ بَطْنِهَا إِلَىٰ ظَهْرِهَا**).. وَهَذَا الْقَوْلُ قَوْلٌ عِنْدِي صَحِيحُ الْمَعْنَىٰ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ: يَوْمَئِذٍ تُبَيِّنُ الْأَرْضُ أَخْبَارَهَا بِالزَّلْزَلَةِ وَالرَّجَّةِ، وَإِخْرَاجِ الْمَوْتَىٰ مِنْ بُطُونِهَا إِلَىٰ ظُهُورِهَا.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤﴾ [الزلزلة: ٥].

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤﴾ [الزلزلة: ٥] بِوَحْيِ اللهِ إِلَيْهَا، وَإِذْنِهِ لَهَا بِذَلِكَ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥﴾ [الزلزلة: ٦].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ فِرَقًا مُتَفَرِّقِينَ، فَآخِذٌ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَىٰ

الْجَنَّةِ، وَآخِذٌ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَىٰ النَّارِ، مُتَفَرِّقِينَ، عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ..

﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة: ٦] فَيَرَىٰ الْمُحْسِنُ فِي الدُّنْيَا، الْمُطِيعُ لِلهِ عَمَلَهُ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْكَرَامَةِ، عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّاهُ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَيَرَىٰ الْمُسِيءُ الْعَاصِي لِلهِ عَمَلَهُ، وَجَزَاءَ عَمَلِهِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنَ الْهَوَانِ وَالْخِزْيِ فِي جَهَنَّمَ، عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَكُفْرِهِ بِهِ.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧] فَمَنْ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا وَزْنَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، يَرَىٰ ثَوَابَهُ هُنَالِكَ.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٨].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٨] وَمَنْ كَانَ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا وَزْنَ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ يَرَىٰ جَزَاءَهُ هُنَالِكَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ



سُورَةُ الْعَادِيَاتِ (١٠٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ①﴾ [العاديات: ١].

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ①﴾ [العاديات: ١] الْخَيْلُ الَّتِي تَعْدُو وَهِيَ تُحَمْحِمُ.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ②﴾ [العاديات: ٢].

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ②﴾ [العاديات: ٢] أَقْسَمَ بِالْمُورِيَاتِ الَّتِي تُورِي النِّيرَانَ قَدْحًا؛ فَالْخَيْلُ تُورِي بِحَوَافِرِهَا، وَالنَّاسُ يُورُونَهَا بِالزَّنْدِ، وَاللِّسَانُ مَثَلًا يُورِي بِالْمَنْطِقِ، وَالرِّجَالُ يُورُونَ بِالْمَكْرِ مَثَلًا، وَكَذَلِكَ الْخَيْلُ تَهِيجُ الْحَرْبَ بَيْنَ أَهْلِهَا إِذَا الْتَقَتْ فِي الْحَرْبِ، وَلَمْ يَضَعِ اللهُ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ فَكُلُّ مَا أَوْرَتِ النَّارُ قَدْحًا، فَدَاخِلَةٌ فِيمَا أَقْسَمَ بِهِ، لِعُمُومِ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِ.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③﴾ [العاديات: ٣].

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③﴾ [العاديات: ٣] أَقْسَمَ بِالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ مُغِيرَةً دُونَ مُغِيرَةٍ، فَكُلُّ مُغِيرَةٍ صُبْحًا فَدَاخِلَةٌ فِيمَا أَقْسَمَ بِهِ.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④﴾ [العاديات: ٤].

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④﴾ [العاديات: ٤] فَرَفَعْنَ بِالْوَادِي غُبَارًا، وَالنَّقْعُ: الْغُبَارُ.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤﴾ [العاديات: ٥].

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤﴾ [العاديات: ٥] فَوَسَطْنَ بِرُكْبَانِهِنَّ جَمْعَ الْقَوْمِ.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥﴾ [العاديات: ٦].

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥﴾ [العاديات: ٦] إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ لِنِعَمِ رَبِّهِ، وَالْأَرْضُ الْكَنُودُ: الَّتِي لَا تُنْبِتُ شَيْئًا.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات: ٧].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات: ٧] إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُنُودِهِ رَبَّهُ لَشَاهِدٌ.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨].

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨] وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِحُبِّ الْمَالِ لَشَدِيدٌ.

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ [العاديات: ٩].

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ [العاديات: ٩] أَفَلَا يَعْلَمُ هَذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، إِذَا أُثِيرَ مَا فِي الْقَبْرِ، وَأُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ وَبُحِثَ.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات: ١٠].

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات: ١٠] وَمُيِّزَ وَبُيِّنَ، فَأُبْرِزَ مَا فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ [العاديات: ١١].

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ [العاديات: ١١] إِنَّ رَبَّهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَمَا أَسَرُّوا فِي صُدُورِهِمْ، وَأَضْمَرُوهُ فِيهَا، وَمَا أَعْلَنُوهُ بِجَوَارِحِهِمْ مِنْهَا، عَلِيمٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ



سُورَةُ الْقَارِعَةِ (١٠١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْقَارِعَةُ ۝١﴾ [القارعة: ١].

﴿الْقَارِعَةُ ۝١﴾ [القارعة: ١] السَّاعَةُ الَّتِي يَقْرَعُ قُلُوبَ النَّاسِ هَوْلُهَا، وَعَظِيمُ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ عِنْدَهَا، وَذَلِكَ صَبِيحَةٌ لَا لَيْلَ بَعْدَهَا.

﴿مَا الْقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة: ٢].

﴿مَا الْقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة: ٢] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَظِّمًا شَأْنَ الْقِيَامَةِ وَالسَّاعَةِ الَّتِي يَقْرَعُ الْعِبَادَ هَوْلُهَا: أَيُّ شَيْءٍ الْقَارِعَةُ؟ يَعْنِي بِذَلِكَ: أَيُّ شَيْءٍ السَّاعَةُ الَّتِي يَقْرَعُ الْخَلْقَ هَوْلُهَا: أَيْ مَا أَعْظَمَهَا وَأَفْظَعَهَا وَأَهْوَلَهَا.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة: ٣].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة: ٣] وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ شَيْءٍ الْقَارِعَةُ.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ [القارعة: ٤].

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ..

﴿كَالْفَرَاشِ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَسَاقَطُ فِي النَّارِ وَالسِّرَاجِ، لَيْسَ بِبَعُوضٍ وَلَا ذُبَابٍ..

﴿الْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ [القارعة: ٤] الْمُفَرَّقُ.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥] وَيَوْمَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ، وَالْعِهْنِ: هُوَ الْأَلْوَانُ مِنَ الصُّوفِ.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦﴾ [القارعة: ٦].

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦﴾ [القارعة: ٦] فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [القارعة: ٧].

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [القارعة: ٧] فِي عِيشَةٍ قَدْ رَضِيَهَا فِي الْجَنَّةِ.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨﴾ [القارعة: ٨].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨﴾ [القارعة: ٨] وَأَمَّا مَنْ خَفَّ وَزْنُ حَسَنَاتِهِ.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٩].

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٩] فَمَأْوَاهُ وَمَسْكَنُهُ الْهَاوِيَةُ، الَّتِي يَهْوِي فِيهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ فِي جَهَنَّمَ.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ [القارعة: ١٠].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ [القارعة: ١٠] وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْهَاوِيَةُ، ثُمَّ بَيَّنَ مَا هِيَ، فَقَالَ.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ١١].

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ١١] الَّتِي قَدْ حَمِيَتْ مِنَ الْوَقُودِ عَلَيْهَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقَارِعَةِ



سُورَةُ التَّكَاثُرِ (١٠٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر: ١].

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر: ١] أَلْهَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْمُبَاهَاةُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْعَدَدِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَعَمَّا يُنْجِيكُمْ مِنْ سَخَطِهِ عَلَيْكُمْ.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②﴾ [التكاثر: ٢].

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②﴾ [التكاثر: ٢] حَتَّىٰ صِرْتُمْ إِلَىٰ الْمَقَابِرِ فَدُفِنْتُمْ فِيهَا؛ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ صِحَّةِ الْقَوْلِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ، أَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا يَلْقَوْنَ إِذَا هُمْ زَارُوا الْقُبُورَ وَعِيدًا مِنْهُ لَهُمْ وَتَهَدُّدًا.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③﴾ [التكاثر: ٣].

﴿كَلَّا﴾ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا، أَنْ يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ..

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③﴾ [التكاثر: ٣] إِذَا زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، أَيُّهَا الَّذِينَ أَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ، غِبَّ فِعْلِكُمْ، وَاشْتِغَالِكُمْ بِالتَّكَاثُرِ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللهِ رَبِّكُمْ.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④﴾ [التكاثر: ٤].

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④﴾ [التكاثر: ٤] ثُمَّ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا أَنْ يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ بِالْأَمْوَالِ، وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ، سَوْفَ تَعْلَمُونَ إِذَا زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، مَا تَلْقَوْنَ إِذَا أَنْتُمْ زُرْتُمُوهَا، مِنْ مَكْرُوهِ اشْتِغَالِكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ بِالتَّكَاثُرِ.. وَكَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَرَّتَيْنِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَرَادَتِ التَّغْلِيظَ فِي التَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ، كَرَّرُوا الْكَلِمَةَ مَرَّتَيْنِ.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤﴾ [التكاثر: ٥].

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤﴾ [التكاثر: ٥] مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا، أَنْ يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمًا يَقِينًا، أَنَّ اللهَ بَاعِثُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، مِنْ

قُبُورِكُمْ، مَا أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ رَبِّكُمْ، وَلَسَارَعْتُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَرَفْضِ الدُّنْيَا إِشْفَاقًا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر: ٦].

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر: ٦] لَتَرَوُنَّ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٧].

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٧] ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عِيَانًا لَا تَغِيبُونَ عَنْهَا.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨] ثُمَّ لَيَسْأَلَنَّكُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ، وَفِيمَ أَصَبْتُمُوهُ، وَمَاذَا عَمِلْتُمْ بِهِ؟

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّكَاثُرِ



سُورَةُ الْعَصْرِ (١٠٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١﴾ [العصر: ١].

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١﴾ [العصر: ١] إِنَّ رَبَّنَا أَقْسَمَ بِالْعَصْرِ، وَالْعَصْرِ اسْمٌ لِلدَّهْرِ، وَهُوَ الْعَشِيُّ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِمَّا شَمِلَهُ هَذَا الِاسْمُ مَعْنًى دُونَ مَعْنًى، فَكُلُّ مَا لَزِمَهُ هَذَا الِاسْمُ، فَدَاخِلٌ فِيمَا أَقْسَمَ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾ [العصر: ٢].

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾ [العصر: ٢] إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَفِي هَلَكَةٍ وَنُقْصَانٍ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ٣].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَوَحَّدُوهُ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَأَدَّوْا مَا لَزِمَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَاسْتَثْنَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا عَنِ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَعْنَىٰ الْجَمْعِ، لَا بِمَعْنَىٰ الْوَاحِدِ..

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلُزُومِ الْعَمَلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، مِنْ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَىٰ عَنْهُ فِيهِ..

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ٣] وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْعَصْرِ



سُورَةُ الْهُمَزَةِ (١٠٤)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①﴾ [الهمزة: ١].

﴿وَيْلٌ﴾ الْوَادِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَقَيْحِهِمْ..
﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ لِكُلِّ مُغْتَابٍ لِلنَّاسِ..
﴿لُّمَزَةٍ ①﴾ [الهمزة: ١] الَّذِي يَعِيبُ النَّاسَ، وَيَطْعَنُ فِيهِمْ.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②﴾ [الهمزة: ٢].

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②﴾ [الهمزة: ٢] الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَأَحْصَىٰ عَدَدَهُ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللهِ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ جَمَعَهُ فَأَوْعَاهُ وَحَفِظَهُ.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③﴾ [الهمزة: ٣].

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ الَّذِي جَمَعَهُ وَأَحْصَاهُ، وَبَخِلَ بِإِنْفَاقِهِ..
﴿أَخْلَدَهُ ③﴾ [الهمزة: ٣] مُخْلِدُهُ فِي الدُّنْيَا، فَمُزِيلٌ عَنْهُ الْمَوْتَ.

﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④﴾ [الهمزة: ٤].

﴿كَلَّا﴾ مَا ذَلِكَ كَمَا ظَنَّ، لَيْسَ مَالُهُ مُخْلِدَهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ هَالِكٌ وَمُعَذَّبٌ عَلَىٰ أَفْعَالِهِ وَمَعَاصِيهِ، الَّتِي كَانَ يَأْتِيهَا فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④﴾ [الهمزة: ٤] لَيُقْذَفَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْحُطَمَةِ، وَالْحُطَمَةُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، كَمَا قِيلَ لَهَا: جَهَنَّمُ وَسَقَرُ وَلَظَىٰ، وَأَحْسَبُهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِحَطْمِهَا كُلَّ مَا أُلْقِيَ فِيهَا، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ الْأَكُولِ: الْحُطَمَةُ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤﴾ [الهمزة: ٥].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤﴾ [الهمزة: ٥] وَأَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْحُطَمَةُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ عَنْهَا مَا هِيَ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: هِيَ.

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾ [الهمزة: ٦].

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾ [الهمزة: ٦] الَّتِي يَطَّلِعُ أَلَمُهَا وَوَهَجُهَا الْقُلُوبَ.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٧].

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٧] وَالِاطِّلَاعُ وَالْبُلُوغُ قَدْ يَكُونَانِ بِمَعْنًى حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: مَتَى طَلَعَتْ أَرْضَنَا، وَطَلَعَتْ أَرْضِي: بَلَغَتْ.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨].

﴿إِنَّهَا﴾ إِنَّ الْحُطَمَةَ الَّتِي وَصَفْتُ صِفَتَهَا..

﴿عَلَيْهِم﴾ عَلَى هَؤُلَاءِ الْهَمَّازِينَ اللَّمَّازِينَ..

﴿مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨] مُطْبَقَةٌ؛ وَهِيَ تُهْمَزُ وَلَا تُهْمَزُ؛ وَقَدْ قُرِئَتَا جَمِيعًا.

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: ٩].

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: ٩] إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ، أَيْ مُغْلَقَةٌ مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّمَا دَخَلُوا فِي عَمَدٍ، ثُمَّ مُدَّتْ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْعُمُدُ بِعِمَادٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ عَمَدٌ يُعَذَّبُونَ بِهَا.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّارِ، وَاللهُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَعْذِيبُهُ إِيَّاهُمْ بِهَا، وَلَمْ يَأْتِنَا خَبَرٌ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ بِصِفَةِ تَعْذِيبِهِمْ بِهَا، وَلَا وُضِعَ لَنَا عَلَيْهَا دَلِيلٌ، فَنُدْرِكُ بِهِ صِفَةَ ذَلِكَ، فَلَا قَوْلَ فِيهِ، غَيْرَ الَّذِي قُلْنَا يَصِحُّ عِنْدَنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْهُمَزَةِ



سُورَةُ الْفِيلِ (١٠٥)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ①﴾ [الفيل: ١].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ، فَتَرَىٰ بِهَا..

﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ①﴾ [الفيل: ١] الَّذِينَ قَدِمُوا مِنَ الْيَمَنِ يُرِيدُونَ تَخْرِيبَ الْكَعْبَةِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَرَئِيسُهُمْ أَبْرَهَةُ الْحَبَشِيُّ الْأَشْرَمُ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ②﴾ [الفيل: ٢].

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ سَعْيَ الْحَبَشَةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ فِي تَخْرِيبِ الْكَعْبَةِ..

﴿فِي تَضْلِيلٍ ②﴾ [الفيل: ٢] فِي تَضْلِيلِهِمْ عَمَّا أَرَادُوا وَحَاوَلُوا مِنْ تَخْرِيبِهَا.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③﴾ [الفيل: ٣].

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ..

﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ ③﴾ [الفيل: ٣] طَيْرًا مُتَفَرِّقَةً، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ نَوَاحٍ شَتَّىٰ.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ④﴾ [الفيل: ٤].

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ④﴾ [الفيل: ٤] تَرْمِي هَذِهِ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللهُ عَلَىٰ أَصْحَابِ الْفِيلِ، بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ⑤﴾ [الفيل: ٥].

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ فَجَعَلَ اللهُ أَصْحَابَ الْفِيلِ..

﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ⑤﴾ [الفيل: ٥] كَزَرْعٍ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ فَرَاثَتْهُ، فَيَبِسَ وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ؛ شَبَّهَ تَقَطُّعَ أَوْصَالِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ، وَتَفَرُّقَ آرَابِ أَبْدَانِهِمْ بِهَا، بِتَفَرُّقِ أَجْزَاءِ الرَّوْثِ، الَّذِي حَدَثَ عَنْ أَكْلِ الزَّرْعِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفِيلِ

سُورَةُ قُرَيْشٍ (١٠٦)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ①﴾ [قريش: ١].

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ①﴾ [قريش: ١] اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ.

﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ②﴾ [قريش: ٢].

﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ②﴾ [قريش: ٢] رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ③﴾ [قريش: ٣].

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ③﴾ [قريش: ٣] فَلْيُقِيمُوا بِمَوْضِعِهِمْ وَوَطَنِهِمْ مِنْ مَكَّةَ، وَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، يَعْنِي بِالْبَيْتِ: الْكَعْبَةَ.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ④﴾ [قريش: ٤].

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ الَّذِي أَطْعَمَ قُرَيْشًا مِنْ جُوعٍ..

﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ④﴾ [قريش: ٤] أَمَّنَهُمْ مِمَّا يَخَافُ مِنْهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ، مِنَ الْغَارَاتِ وَالْحُرُوبِ وَالْقِتَالِ، وَالْأُمُورِ الَّتِي كَانَتِ الْعَرَبُ يَخَافُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: وَآمَنَهُمْ مِنَ الْجُذَامِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ④﴾ وَالْعَدُوُّ مَخُوفٌ مِنْهُ، وَالْجُذَامُ مَخُوفٌ مِنْهُ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّهُ آمَنَهُمْ مِنَ الْعَدُوِّ دُونَ الْجُذَامِ، وَلَا مِنَ الْجُذَامِ دُونَ الْعَدُوِّ، بَلْ عَمَّ الْخَبَرَ بِذَلِكَ؛ فَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّ كَمَا عَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَيُقَالَ: أَمَّنَهُمْ مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ كِلَيْهِمَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ قُرَيْشٍ

سُورَةُ المَاعُونَ (١٠٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سَبْعٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١﴾ [الماعون: ١].

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١﴾ [الماعون: ١] أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي يُكَذِّبُ بِثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ، فَلَا يُطِيعُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: ٢].

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: ٢] فَهَذَا الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الْيَتِيمَ عَنْ حَقِّهِ، وَيَظْلِمُهُ.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ٣].

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ٣] وَلَا يَحُثُّ غَيْرَهُ عَلَىٰ إِطْعَامِ الْمُحْتَاجِ مِنَ الطَّعَامِ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤].

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤] فَالْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ، لَا يُرِيدُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِصَلَاتِهِمْ.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٥].

﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٥] وَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ إِذَا صَلُّوهَا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا، فَلَا يُصَلُّونَهَا إِلَّا بَعْدَ خُرُوجِ وَقْتِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتْرُكُونَهَا فَلَا يُصَلُّونَهَا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ بِقَوْلِهِ: سَاهُونَ لَاهُونَ يَتَغَافَلُونَ عَنْهَا؛ وَفِي اللَّهْوِ عَنْهَا وَالتَّشَاغُلِ بِغَيْرِهَا، تَضْيِيعُهَا أَحْيَانًا، وَتَضْيِيعُ وَقْتِهَا أُخْرَىٰ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ صَحَّ بِذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ تَرْكُ وَقْتِهَا، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ تَرْكُهَا، لِمَا ذَكَرْتُ مِنْ أَنَّ فِي السَّهْوِ عَنْهَا الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْتُ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٦].

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٦] النَّاسَ بِصَلَاتِهِمْ إِذَا صَلَّوْا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ رَغْبَةً فِي ثَوَابٍ، وَلَا رَهْبَةً مِنْ عِقَابٍ، وَإِنَّمَا يُصَلُّونَهَا لِيَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ فَيَظُنُّونَهُمْ مِنْهُمْ، فَيَكُفُّونَ عَنْ سَفْكِ دِمَائِهِمْ، وَسَبْيِ ذَرَارِيِّهِمْ، وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَسْتَبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، كَذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٧].

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٧] وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مَنَافِعَ مَا عِنْدَهُمْ، وَأَصْلُ الْمَاعُونِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَنْفَعَتُهُ؛ يُقَالُ لِلْمَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ: مَاعُونٌ، وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مَا يَتَعَاوَرُونَهُ بَيْنَهُمْ، وَيَمْنَعُونَ أَهْلَ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ مَا أَوْجَبَ اللهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَاعُونَ



سُورَةُ الْكَوْثَرِ (١٠٨)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ①﴾ [الكوثر: ١].

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الْكَوْثَرَ ①﴾ [الكوثر: ١] إِنْعَامًا مِنَّا عَلَيْكَ بِهِ، وَتَكْرُمَةً مِنَّا لَكَ.. والكَوْثَرُ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَاهُ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَصَفَهُ اللهُ بِالْكَثْرَةِ، لِعِظَمِ قَدْرِهِ.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ②﴾ [الكوثر: ٢].

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ②﴾ [الكوثر: ٢] فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ الْعِبَادَةَ، وَاجْعَلْ صَلَاتَكَ كُلَّهَا لِرَبِّكَ خَالِصًا دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَكَذَلِكَ نَحْرُكَ اجْعَلْهُ لَهُ دُونَ الْأَوْثَانِ، خِلَافًا لِمَا يَفْعَلُهُ مَنْ كَفَرَ بِهِ، وَعَبَدَ غَيْرَهُ، وَنَحَرَ لِلْأَوْثَانِ، شُكْرًا لَهُ عَلَىٰ مَا أَعْطَاكَ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ الَّذِي لَا كُفْءَ لَهُ، وَخَصَّكَ بِهِ، مِنْ إِعْطَائِهِ إِيَّاكَ الْكَوْثَرَ.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③﴾ [الكوثر: ٣].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إِنَّ مُبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدُ وَعَدُوَّكَ..

﴿هُوَ الْأَبْتَرُ ③﴾ [الكوثر: ٣] الْأَقَلُّ وَالْأَذَلُّ الْمُنْقَطِعُ دَابِرُهُ، الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَوْثَرِ



سُورَةُ الْكَافِرُونَ (١٠٩)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون: ١].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون: ١] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِهِ فِيمَا ذُكِرَ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ سَنَةً، عَلَىٰ أَنْ يَعْبُدَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ آلِهَتَهُمْ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللهُ مَعْرِفَةَ جَوَابِهِمْ فِي ذَلِكَ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوكَ عِبَادَةَ آلِهَتِهِمْ سَنَةً، عَلَىٰ أَنْ يَعْبُدُوا إِلَهَكَ سَنَةً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ بِاللهِ.

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢﴾ [الكافرون: ٢].

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢﴾ [الكافرون: ٢] مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الْآنَ.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣﴾ [الكافرون: ٣].

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣﴾ [الكافرون: ٣] الْآنَ.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤﴾ [الكافرون: ٤].

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ فِيمَا أَسْتَقْبِلُ..

﴿مَّا عَبَدتُّمْ ٤﴾ [الكافرون: ٤] فِيمَا مَضَىٰ.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥﴾ [الكافرون: ٥].

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ أَبَدًا..

﴿مَآ أَعْبُدُ ٥﴾ [الكافرون: ٥] أَنَا الْآنَ، وَفِيمَا أَسْتَقْبِلُ.. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ مِنَ اللهِ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَشْخَاصٍ بِأَعْيَانِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا، وَسَبَقَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ، فَأَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ مِنَ الَّذِي طَمِعُوا فِيهِ، وَحَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُ وَلَا مِنْهُمْ، فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَآيَسَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّمَعِ فِي إِيمَانِهِمْ، وَمِنْ أَنْ يُفْلِحُوا أَبَدًا، فَكَانُوا كَذَلِكَ لَمْ يُفْلِحُوا وَلَمْ يَنْجَحُوا، إِلَىٰ أَنْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ

يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ، وَهَلَكَ بَعْضٌ قَبْلَ ذَلِكَ كَافِرًا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَجَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦].

﴿لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فَلَا تَتْرُكُونَهُ أَبَدًا، لِأَنَّهُ قَدْ خُتِمَ عَلَيْكُمْ، وَقُضِيَ أَنْ لَا تَنْفَكُّوا عَنْهُ، وَأَنَّكُمْ تَمُوتُونَ عَلَيْهِ..

﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦] الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، لَا أَتْرُكُهُ أَبَدًا، لِأَنَّهُ قَدْ مَضَىٰ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللهِ أَنِّي لَا أَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَافِرُونَ



سُورَةُ النَّصْرِ (١١٠)
مَدنية وَآيَاتُها ثَلاثٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ①﴾ [النصر: ١].

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ①﴾ [النصر: ١] إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللهِ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْفَتْحُ: فَتْحُ مَكَّةَ.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ②﴾ [النصر: ٢].

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ مِنْ صُنُوفِ الْعَرَبِ وَقَبَائِلِهَا، أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْهُمْ، وَقَبَائِلُ نِزَارَ..

﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ الَّذِي ابْتَعَثَكَ بِهِ، وَطَاعَتَكَ الَّتِي دَعَاهُمْ إِلَيْهَا..

﴿أَفْوَاجًا ②﴾ [النصر: ٢] زُمَرًا فَوْجًا فَوْجًا.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③﴾ [النصر: ٣].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فَسَبِّحْ رَبَّكَ وَعَظِّمْهُ بِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، عَلَىٰ مَا أَنْجَزَ لَكَ مِنْ وَعْدِهِ، فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ لَاحِقٌ بِهِ، وَذَائِقٌ مَا ذَاقَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِهِ مِنَ الْمَوْتِ.. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، (**أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **سَأَلَهُمْ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ قَالُوا: فَتْحُ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ، قَالَ: فَأَنْتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: مَثَلٌ ضُرِبَ لِمُحَمَّدٍ** ﷺ **نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ**).. وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ قَدْ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «**قَدْ جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ**».. وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ..

﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وَسَلْهُ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَكَ..

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③﴾ [النصر: ٣] إِنَّهُ كَانَ ذَا رُجُوعٍ لِعَبْدِهِ، الْمُطِيعِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّصْرِ

سُورَةُ المَسَدِ (١١١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١].

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، وَخَسِرَ هُوَ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ تَبَّ عَمَلُهُ.. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمِ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟**» قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا وَجَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ إِلَىٰ آخِرِهَا.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ٢].

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَدَفَعَ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ٢] وَهُمْ وَلَدُهُ.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: ٣].

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: ٣] سَيَصْلَىٰ أَبُو لَهَبٍ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤].

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤] سَيَصْلَىٰ أَبُو لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ.. فَقَدْ كَانَتْ تَجِيءُ بِالشَّوْكِ فَتَطْرَحُهُ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِيَدْخُلَ فِي قَدَمِهِ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ٥].

﴿فِي جِيدِهَا﴾ فِي عُنُقِهَا، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْعُنُقَ جِيدًا..

﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ٥] هُوَ حَبْلٌ جُمِعَ مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَكَذَلِكَ الْمَسَدُ الَّذِي فِي جِيدِ امْرَأَةِ أَبِي لَهَبٍ، أُمِرَّ مِنْ أَشْيَاءَ شَتَّىٰ، مِنْ لِيفٍ وَحَدِيدٍ وَلِحَاءٍ، وَجُعِلَ فِي عُنُقِهَا طَوْقًا كَالْقِلَادَةِ مِنْ وَدَعٍ، وَالْمَسَدُ الْحِبَالُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَسَدِ

سُورَةُ الإِخْلَاصِ (١١٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَع

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ السَّائِلِينَ عَنْ نَسَبِ رَبِّكَ وَصِفَتِهِ، وَمَنْ خَلَقَهُ: الرَّبُّ الَّذِي سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ..

﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] هُوَ اللهُ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص: ٢].

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص: ٢] الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ الصَّمَدُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الصَّمَدِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ بِأَجْوَفَ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ سُؤْدَدُهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَىٰ.. وَالصَّمَدُ عِنْدَ الْعَرَبِ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ، الَّذِي لَا أَحَدَ فَوْقَهُ، وَكَذَلِكَ تُسَمِّي أَشْرَافَهَا؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْكَلِمَةِ، الْمَعْنَىٰ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ مَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِ؛ وَلَوْ كَانَ حَدِيثُ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ صَحِيحًا، كَانَ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصِّحَّةِ، لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْلَمُ بِمَا عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③﴾ [الإخلاص: ٣].

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لَيْسَ بِفَانٍ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَلِدُ إِلَّا هُوَ فَانٍ بَائِدٌ..

﴿وَلَمْ يُولَدْ ③﴾ [الإخلاص: ٣] وَلَيْسَ بِمُحْدَثٍ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ، لِأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ فَإِنَّمَا وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَحَدَثَ بَعْدَ أَنْ كَانَ غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ، وَدَائِمٌ لَمْ يَبِدْ، وَلَا يَزُولُ وَلَا يَفْنَىٰ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤].

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا مِثْلٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ.. وَالْكُفُؤُ وَالْكَفِيءُ وَالْكِفَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَثَلُ وَالشَّبَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الإِخْلَاصِ



سُورَةُ الْفَلَقِ (١١٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١] أَسْتَجِيرُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ مِنَ الْخَلْقِ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْفَلَقِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى هَذَا الِاسْمَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَلَقُ: الصُّبْحُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَلَقُ: الْخَلْقُ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْخَلْقِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾، وَالْفَلَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: فَلَقُ الصُّبْحِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ فِي جَهَنَّمَ سِجْنٌ اسْمُهُ فَلَقٌ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَضَعَ دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ عُنِيَ بِقَوْلِهِ ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ بَعْضَ مَا يُدْعَى الْفَلَقُ دُونَ بَعْضٍ، وَكَانَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ رَبَّ كُلِّ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ كُلُّ مَا اسْمُهُ الْفَلَقُ، إِذْ كَانَ رَبَّ جَمِيعِ ذَلِكَ.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②﴾ [الفلق: ٢].

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②﴾ [الفلق: ٢] لِأَنَّهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ، إِذَا كَانَ كُلُّ مَا سِوَاهُ، فَهُوَ مَا خَلَقَ.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾ [الفلق: ٣].

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾ [الفلق: ٣] وَمِنْ شَرِّ مُظْلِمٍ إِذَا دَخَلَ، وَهَجَمَ عَلَيْنَا بِظَلَامِهِ.. ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمُظْلِمِ الَّذِي عُنِيَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ النَّهَارُ إِذَا دَخَلَ فِي اللَّيْلِ .. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ كَوْكَبٌ. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: ذَلِكَ الْكَوْكَبُ هُوَ الثُّرَيَّا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ: الْقَمَرُ.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ ﴿وَمِن

شَرِّ غَاسِقٍ﴾ وَهُوَ الَّذِي يُظْلِمُ، يُقَالُ: قَدْ غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسُقُ غُسُوقًا: إِذَا أَظْلَمَ ﴿إِذَا وَقَبَ ۝﴾ يَعْنِي: إِذَا دَخَلَ فِي ظَلَامِهِ؛ وَاللَّيْلُ إِذَا دَخَلَ فِي ظَلَامِهِ غَاسِقٌ، وَالنَّجْمُ إِذَا أَفَلَ غَاسِقٌ، وَالْقَمَرُ غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بَعْضَ ذَلِكَ بَلْ عَمَّ الْأَمْرُ بِذَلِكَ، فَكُلُّ غَاسِقٌ، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ يُؤْمَرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِ إِذَا وَقَبَ، وَكَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ وَقَبَ: ذَهَبَ.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝﴾ [الفلق: ٤].

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝﴾ [الفلق: ٤] وَمِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ اللَّاتِي يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الْخَيْطِ، حِينَ يَرْقِينَ عَلَيْهَا.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ [الفلق: ٥].

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ [الفلق: ٥]

اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْحَاسِدِ الَّذِي أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ حَسَدِهِ بِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ كُلُّ حَاسِدٍ أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ الْيَهُودِ الَّذِينَ حَسَدُوهُ.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، فَعَابَهُ أَوْ سَحَرَهُ، أَوْ بَغَاهُ سُوءًا وَإِنَّمَا قُلْنَا: ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يُخَصِّصْ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ حَاسِدًا دُونَ حَاسِدٍ، بَلْ عَمَّ أَمْرَهُ إِيَّاهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ عُمُومِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَلَقِ



سُورَةُ النَّاسِ (١١٤)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١].

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١] قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَسْتَجِيرُ بِرَبِّ النَّاسِ.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢﴾ [الناس: ٢].

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢﴾ [الناس: ٢] وَهُوَ مَلِكُ جَمِيعِ الْخَلْقِ، إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِعْلَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ يُعَظِّمُ النَّاسَ تَعْظِيمَ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ، أَنَّهُ مَلِكُ مَنْ يُعَظِّمُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، تَجْرِي عَلَيْهِ قُدْرَتُهُ، وَأَنَّهُ أَوْلَىٰ بِالتَّعْظِيمِ، وَأَحَقُّ بِالتَّعَبُّدِ لَهُ مِمَّنْ يُعَظِّمُهُ، وَيَتَعَبَّدُ لَهُ، مِنْ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾ [الناس: ٣].

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾ [الناس: ٣] مَعْبُودِ النَّاسِ، الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ.

﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤].

﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ..

﴿ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤] الَّذِي يَخْنِسُ مَرَّةً وَيُوَسْوِسُ أُخْرَىٰ، وَإِنَّمَا يَخْنِسُ فِيمَا ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ الْعَبْدِ رَبَّهُ.

﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [الناس: ٥].

﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [الناس: ٥] الشَّيْطَانَ الْوَسْوَاسَ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، جِنِّهِمْ وَإِنْسِهِمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَالْجِنُّ نَاسٌ، فَيُقَالُ: الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ.

﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦].

﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] قَدْ سَمَّاهُمُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَاسًا، كَمَا سَمَّاهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

رِجالًا، فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فَجَعَلَ الْجِنَّ رِجالًا، وَكَذَلِكَ جَعَلَ مِنْهُمْ نَاسًا، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ، إِذْ جَاءَ قَوْمٌ مِنَ الْجِنِّ فَوَقَفُوا، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَاسٌ مِنَ الْجِنِّ، فَجَعَلَ مِنْهُمْ نَاسًا، فَكَذَلِكَ مَا فِي التَّنْزِيلِ مِنْ ذَلِكَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّاسِ



تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ

مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الطَّبَرِي

قَبْلَ عَصْرِ يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ بِالقَاهِرَة

الموافق: ١٢ صفر ١٤٣٧هـ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٥م

بِقَلمِ العَبْدِ الفَقِيرِ إِلىٰ رَبِّه

إسلام بن منصور بن عبد الحميد بن مصطفى لواتي

والحمدُ للهِ، أَوَّلًا، وَآخِرًا، وَظَاهِرًا، وبَاطِنًا، وهُو عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيْر



الفِهْرِسُ